الإعلام

بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام

تأليف

العباس بن إبراهيم السملالي

قاضي مراكش

راجعه

عبد الوهاب ابن منصور

مؤرخ المملكة عضو أكاديمية المملكة المغربية

الجزء الأول

(الطبعة الثانية)

1413 هـ - 1993 م

المطبعة الملكية - الرباط

الإعلام

بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام

تأليف

العباس بن إبراهيم السملالي

قاضي مراكش

راجعه

عبد الوهاب ابن منصور

مؤرخ المملكة عضو أكاديمية المملكة المغربية

(الطبعة الثانية)

1413 هـ - 1993 م

المطبعة الملكية - الرباط

الجزء الأول

الإعلام

بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام

تأليف

العباس بن إبراهيم السملالي

قاضي مراكش

راجعه

عبد الوهاب ابن منصور

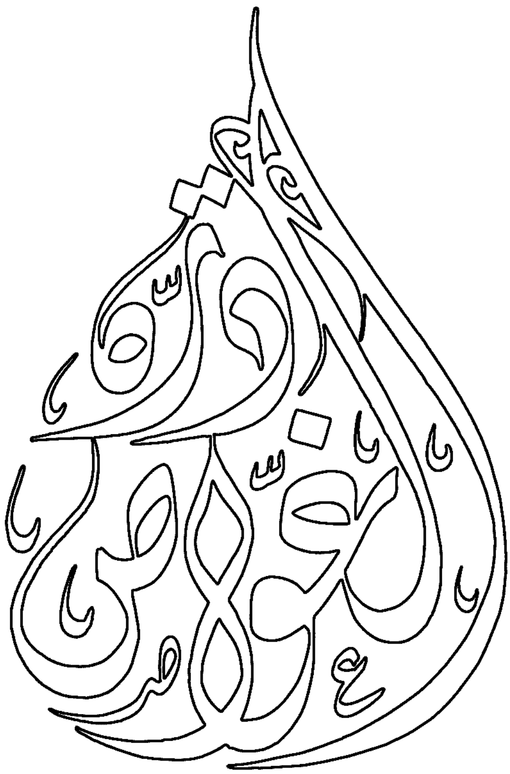
مؤرخ المملكة عضو أكاديمية المملكة المغربية

الجزء الأول

(الطبعة الثانية)

1413 هـ - 1993 م

المطبعة الملكية - الرباط



تقديم

كلما أمسكت القلم لتقديم واحد من هذه الكتب التاريخية والأدبيـة التى أعنى بتحريرها وأشرف على طبعها أجدنى أرفع العقيرة بالشكوى من إهمال المغاربة للتاريخ ، وتقاعس هممهم عن التعريف بدولهم ورجالهم ومدنهم وقراهم وشؤون مجتمعهم ، وأردد ما قاله المؤرخون والأدباء قبلى فـى هذا المعنى واستشهد به .

وعندما أعود الى نفسى بعد استراحتها من عناء الأعمال ، وأراجـع ما خطه قلمى لتقديم أي كتاب بعد طبعه أجد ان ما اندفعت إليه من النقـد والشكاة لم يكن إلا أمراً طبيعياً ، فان المرء بعد أن يقضي الشهور ويمضي السنين فى تحرير كتب من أخطائها وعلاجها من عللها وأدوائها ، ويكابد فى ذلك المشاق ويعانى الصعاب ، لأنه لا يجد بين يديه من الأصول الصحيحة ، والمستندات الوثيقة ، ما يعينه على تقويم فقرات معوجة ، وتكميل عبارات ناقصة ، والتعريف بشخصية مرموقة فى وقتها ، وتحديد موقع مكان بدقة ، وإثبات تاريخ أغفل ، وترجيح رواية على أخرى تناقضها ــ لابد أن يجد نفسه فى نهاية العمل مضطراً إلـى الجهر بالشكوى المريرة من إهمال الأقدميـن والانحاء عليهـم باللوم القاسى والعتاب العنيف وان أحس على ذلـك بلذة تخطّي العراقـل وتذليل الصعاب ، وشعر فـى قرارة نفسه وعمق ضميره بارتياح لنفض الغبار عن أثارة من تراث أمته الثقافي وإخراجه إلى عالم النور من زوايا الاهمال والنسيان التى قضى فيها القرون حبيساً .

وأحسب أن المغاربة لكثرة ما اهتموا بالعلوم الدينية والفنون اللغوية صاروا لا يأبهون بما عداها من العلوم والفنون ويستخفون بمتعاطيها من مؤلفين وقراء ويجهدون أنفسهم فى إبلاء جديدها وتمزيق أديمها والتخلص منها بطريقة من الطرف ، والا فبم نعلل كثرة ما ألفوا فى الفقه والتوحيد والتفسير والحديث والنحو والصرف وما إليها ، وقلة ما ألفوا فى التاريخ والسياسة ودونوا فى الأدب والفلسفة وكتبوا فى الرياضيات والطبيعيات ؟ وكيف نفسر بقاء الكتب الأولى على الأيام وصمودها أمام العواصف والأعاصير رغم تفاهة بعضها وخلوه من أي فائدة أو جدوى ترجى دنيا أو أخرى واندراس معالم الثانية واختفاءها رغم ما فيها من إمتاع للنفوس وتنشيط للأبدان ورياضة للعقول ؟

ومن المُزري المُبكي أن تخلد أراجيز فى الفرائض وتأويل الأحلام ولا يبقى أثر ولا عين لدواوين فحول الشعراء من أمثال الجراوى وابن حبوس وابن خبازة ومالك ابن المرحل ، وأن يقع التعريف بالمشعوذين والممخرقين ويخص بالتآليف المجاذيب والمجانين وتبنى على قبورهم الأضرحة وتشد إليهم الرحال وتحبس الأوقاف وتقام المواسم ويهمل إهمالا شنيعاً ملوك عظام ووزراء محنكون وقادة شجعان وأدباء مجيدون وعلماء ممتازون وساسة مبرزون أسدوا لشعوبهم وأوطانهم وللمجتمع الانسانى خيراً كثيراً .

أين تاريخ الأدارسة لابن الودون ؟ وأين تاريخ فاس لابن جنون ؟ وأين تاريخ المرابطين لابن الصيرفى ؟ وأين تاريخ فاس لابن الوراق ؟ وأين تواريخ سجلماسة والبصرة ونكور للرقيق ، وأين المقباس لابن حماده ؟ وأين المستفاد لابن الكتانى ؟ وأين نظم الجمان لابن القطان ؟ وأين المن بالامامة لابن صاحب الصلاة ؟ وأين ذيل الصلة لابن فرتون ؟ وأين البستان لابن أبى زرع ؟ وأين الاشادة للعزفى ؟ وأين الفنون الستة للقاضى عياض ؟ وأين الكواكب الوقادة للحضرمى ؟ بل مَن هو ابن الودون وابن جنون ؟ ومَن هو ابن غالب والوراق ؟ ومن هو البرنسى وابن حماده وابن صاحب الصلاة وابن القطان؟ ومن هو عبد الواحد المراكشي والحضرمي والبيذق وابن أبى زرع ؟ مَن كان يعرف عنهم غير الاشارات العابرة والفروض والاحتمالات فليخبرنى !

وهذه مراكش ... حاضرة المغرب الثانية وعاصمة ثلاث من دوله الكبرى ... المدينة التى كانت خلال قرون ملء الأسماع والأبصار ، والقبلة التى تتجه اليها الأفكار والأنظار ، والمركز الذى تصدر منه الأوامر فتنفذ بحدود مصر وقلب إسپانيا وعلى ضفاف نهري النجير والسنيغال ، هذه البلدة المجيدة التى جبيت الى بيوت مالها الأموال ، وسطعت فى أفقها شمس الخلافة ، وأمَّها التجار بأنفس البضائع وأثمن السلع ، وقصدها الفلاسفة والأطباء والأدباء والعلماء للعمل فى قصورها ودواوينها والتعليم فى مدارسها ومعاهدها والاكتساب من أموالها وأرزاقها ... هذه البلدة الطيبة التى أدركت كل هذا المجد ، وجمعت جميع هذا الفضل والفخر ، شاهدُ صدق وبرهانُ حق على ما نقول ؛ فقد قلت العناية بها قديماً وحديثا من أهلها والطارئين عليها ، ولم تخصَّ كعاصمة بالتأليف الوفير والتصنيف الكثير كما خصت العواصم غيرها والحواضر سواها ، حتى ليكاد ما ألف عنها يساوى أو يقل عما ألف عن مدن متوسطة أو قرى صغيرة تقل أهميتها عن أهمية مراكش بكثير .

فباستقراء كتب التاريخ والأنساب ، واستقصاء ما كتب فى الوصف والتراجم والطبقات نجد أن ما ألف عن مراكش : خططها ومآثرها ، وأنساب شرفائها وعوامها ، وتراجم صلحائها وأعيانها ، وعادات أهلها وأعراف مجتمعها لا يعدو بضعة كتب أكثرها مفقود أو ناقص غير تام (1) ، ولا يدخل بالطبع فى هذا التعميم ما ألف عن سير الدول والملوك (2) فالكتب التى اعتنت بهذا

---

1) مثل تاريخ من قدم مراكش من العلماء لأحمد بن محمد ابن بيرة (الذيل والتكملة 1 : 467 ع 700) ، ودرر الحجال ، فى مناقب سبعة رجال لمحمد الصغير بن محمد اليفرنى المتوفى سنة 1150 وهو كتاب لا نعرف منه الا مقدمته ، والكواكب السيارة ، فى البحث والحث على الزيارة تاليف المكى بن مريدة المراكشى ، لم يكمل ، وليس فيه جميع أعيانها ولا من دخلها من غيرهم ، والارتجال ، فى مناقب ومشاهد سبعة رجال ، ومن اشتهر فى مراكش أو دخلها من مشاهير صلحاء الرجال ، لمحمد الأمين بن عبد الله الصحراوى المراكشى المتوفى سنة 1296 وتاريخ مراكش لمحمد بن أحمد الكنسوس ؛ والتعريف بالحضرة المراكشية للحاج الحسن الغسال .

2) مثل **الانوار الجليلة** ليحيى ابن الصيرفى ، **وتاريخ دولة الموحدين** لعبد الرحمان السهيلى ، **وتاريخ المرابطين والموحدين** لأبى عبيدة المراكشى ، **وتاريخ الموحدين** ليوسف بن عمر الاشبيلى ، **وتاريخ دولة عبد المومن وحزبه** لأحمد بن محمد الفهرى الاشبيلى ، **وتاريخ المغرب ومن تولاه من اتباع ابن تومرت** لعلى بن يوسف القفطى ؛ **وتاريخ الموحدين** لابن سميرة . (الذيل والتكملة 1 : 390) .

الموضوع ليستْ خاصة بمراكش ، بل هي شاملة لها ولغيرها ، على أنها هي أيضاً أخنى عليها ما أخنى على سواها ، إذ جلها مفقود أو لا تعرف منه إلا نبذ (3) ، ولم يسلم منها من التلف إلا مؤلف واحد (4)حفظه الزمان وان كان عفى على اسم مَن ألفه .

وقد تفطن في بداية هذا القرن لهذا الاهمال الفظيع ، والتفريط الشنيع ابنٌ من أبناء مراكش الغير وجهبذٌ من علمائها المعتنين ، هو القاضي المرحوم السيد العباس ابن ابراهيم السملالى، فهبَّ لسد هذه الثلمة وأوقف عمره لملىء هذا الفراغ بتأليف كتاب حافل جامع يعرف فيه بمراكش وشقيقتها أغمات ، ويذكر أخبار من درج بها من الملوك والوزراء ، والقادة والعلماء والصلحاء ، والفلاسفه والأدباء والأطباء ، ويسجل نبذاً من نثارهم ، ومقطعات من نظامهم ، ويثبت نماذج من نظرياتهم ومناظراتهم .

ولكن قبل أن نمضي قدماً فى ذكر قصة تأليف الكتاب ونلم ببعض جوانبه ولو باختصار لابد من وقفة قصيرة نُعرف فيها بالرجل الذى ألفه ، وبذل فى جمعه وترتيبه عمره وصحته وأفنى ماله ، مخافة أن تتوالى الأيام وتتعاقب السنون فيُنسى كما نسي قبله مئات من القضاة ومن المؤلفين .

التعريف بالمؤلف :

مؤلف (الاعلام) هو الفقيه القاضى عباس بن محمد بن محمد ابن إبراهيم بن الحسن بن مَحمد السملالي المراكشي ، يُعرف بيته بمراكش ببيت بني إبراهيم نسبة الى جد أبيه ، ويعرف بنوه حديثاً ببني العباس نسبة إليه ، وقد اختار منهم من اختار (التعارجي) نسباً لأسرته لدى تسجيلها في دفاتر الحالة المدنية الجديدة ، وهي نسبة لم يشتهر بها والدهم

3) مثل كتاب الأنساب فى معرفة الاصحاب لأبى بكر الصنهاجى المكنى بالبيذق ؛ واخبار المهدى بن تومرت وبداية دولة الموحدين له ايضاً ؛ ولقط الجمان لابن القطان ؛ والمن بالامامة لابن صاحب الصلاة .

4) هو الحلل الموشية ؛ فى ذكر الأخبار المراكشية الذى نسب خطا لابن الخطيب السلمانى ؛ ونسب لابن السماك ؛ ولا يعرف مؤلفه حتى الآن معرفة قطعية .

في حياته ، وكان خليقاً بهم أن يتمسكوا بالنسب الذى اشتهر به بعد مماته ، أو ينتسبوا الى القبيلة الماجدة سملالة أصل القعدود ، ومنتمى الآباء والجدود.

ولد بمراكش عام 1294 هـ ونشأ بها بادي النباهة ، ظاهر النجابـة ، ولا غرو فبيته بيت علـم وحسب ، وقد اشتهر مـن سلفه الفقهاء والعلمـاء والقضاة ، ولما حذق القرآن شـرع يطلب العلوم والفنون التى كـان يلقنها شيوخ مراكش وعلماؤها بمساجدها ومدارسها ، فاتقنها وبرع فيها ، ومـن أشهر شيوخه الفقيه محمد أزنيط ، والعلامة محمد بن ابراهيـم السباعي ، والقاضي العربي بن علال البربوشي الرحماني ، والفقيه عبد الرحمان ابـن القرشي ، ونال منهم ـ باستثناء الأول ـ الاجازة التى كانت يومئذ تقوم مقام الشهادات العلمية فى الوقت الراهن ، كما أجازه فيما بعد جماعة مـن كبار علماء المغرب والمشرق ، كالشيخ ماء العنيين الشنكيطي والشيخ أحمد ابن الخياط ، والشيخ مَحمد القادري ، والشيخ أحمد ابن الجيلالي ، والشيـخ محمد بن جعفر الكتاني ، والشيخ عبد الكبير الكتاني والشيخ الصوفي أحمد الشريف السنوسي ، ومن علماء مصر الشيخ محمد حسين ، والشيخ يوسف الدجوى ، وسواهم .

وفى سنة 1319 هـ (1901 م) لما بلغ المؤلف الخامسة والعشرين من عمره أذن له فى التدريس ، ومنح كرسي مسجد رياض العروس لمباشرة التعليم ، وفى السنة التالية (1320 ـ 1902) رُتب فى المرتبة الثالثة فـى هيأة العلماء بمراكش ، وفى خلال تلك السنين بدأت ميول المؤلف التاريخية تتأكد ، والاهتمام بالتعريف بمراكش ورجالها ولاسيمـا صلحاءها السبعة ـ يشغل باله ، وشرع فى نظم قصيدته الرائية التى سماها (تنظيم درر الجمال، فى مناقب أولياء مراكش سبعة رجـال) ، وهي القصيدة التى وضـع عليها عام 1325 هـ شرحاً سماه (إظهار الكمال ، فى تتميم مناقب سبعة رجال ، المشار اليها فى تنظيـم درر الجمال) دون أن يصرفـه هذا الاهتمام عـن التدريس والتعليم ، أو يضعف ملكته فى العلوم الفقهية واللغوية التى كان علماً مـن أعـلامها .

ولما ثار الأمير عبد الحفيظ بن الحسن الخليفة السلطاني بمراكش سنة 1325 هـ (1907 م) على أخيه السلطان عبد العزيز تألق نجم المؤلف في الميدانين العلمي والاداري ببلده ، فعين كاتباً بالبنيقة الأولى التى تعنى فى الاصطلاح الاداري الحديث ديوان الوزير الأول ، ورقي فى السنة التالية الى المرتبة الأولى فى الهيأة العلمية المراكشية ، ولما خرج الخليفة الثائر من مراكش متوجهاً إلى فاس يريد الاستيلاء على العاصمة واقصاء أخيه عن الملك عين المؤلف قاضياً لمحلته ، وقد تكللت الحركة الحفيظية بالنجاح ، إذ استطاع مولاي عبد الحفيظ أن يهزم أخاه مولاي عبد العزيز ، فاحتمى هذا بمعسكرات الجيش الفرنسي بمنطقة الشاوية المحتلة ، واغذ ذاك السير الى فاس فاستولى عليها واستقر بقصورها واعترف به سلطاناً .

وخلال المدة التى قضاها السلطان الجديد فى الملك أقام المؤلف فى العاصمة يخدمه ، ويتصل بمن كانت تزخر بـه يومئذ من علماء وأدباء وقادة وسياسيين ، ويحضر مجالسهم وندواتهم ، ويشارك فى مناظراتهم ومذاكراتهم التى كان السلطان يرأسها بنفسه تارة ، وتجرى بأمره تارة أخرى تحت رئاسة واحد من كبار العلماء، ويُمكن أن تُعَدَّ هذه المدةُ من أخصب سني حياة المؤلف ، لأنه استطاع خلالها أن ينمي معارفه ويظهر مواهبه ويلفت اليه الأنظار ويطلع على ألوان من الحياة وأوجه من المدنية لم يتح له أن يطلع عليها قبل الاستقرار بفاس ، كما استطاع أن يُقويَ مركزه الاجتماعي بمصاهرة بني الفاسي الفهريين ، من أشهر أسر فاس العريقة ، وبيوتها النابهة المجيدة .

ولما انتهى أمر السلطان مولاي عبد الحفيظ الى ما انتهى اليه وخرج من فاس مغاضباً الى الرباط فى صيف سنة 1912 (1330) عاد المؤلف الى مراكش ليشتغل بالتدريس ويحترف الافتاء والتوثيق ، فذاع صيته وحمدت طريقته ، فاستدعته الحكومة الى الرباط وعينته قاضياً بمجلس الاستئناف الشرعي سنة 1915 (1333) وبعد ثلاثة أعوام (1918 – 1336) نقل الى سطات قاضياً بمحكمتها ، ورئيساً لاستئناف أحكام قضاة دائرتها ، ثم نقل الى قضاء الجديدة فلم يمارسه الا ستة أشهر ، ثم عين قاضياً بمحكمة المنشية بمراكش سنة 1348 هـ فاستمر

يمارسه معروف الفضل ، بادي النباهة ، مقصود المحل ، معظماً من الخاصة والعامة ، مقبلا على تربية أبنائه وتأليف كتبه ، وطبع تاريخه ، إلى أن أحيل على التقاعد بضعة أشهر قبل وفاته يوم الأربعاء 20 شوال عام 1378 هـ (29 أبريل سنة 1959 م) (5) .

مـؤلفاتـه

وقد خلف القاضي عباس ابن ابراهيم مجموعة من الكتب النفيسة ، بعضها فى الفقه والحديث والأصول ، وبعضها فى الأدب والسياسة والتاريخ ، وقد استطعنا أن نتعرف منها الى كتابة هذا التقديم على عشرة نثبت أسماءها فيما يلي :

1) الأجوبة الفقهية مع الأحكام المسجلة ، فى أربعة أجزاء

2) اظهار الكمال ، فى تتميم مناقب سبعة رجال . وهو شرح لمنظومته المسماة (تنظيم درر الجمال ، فى مناقب أولياء مراكش سبعة رجال) طبع نصفه الأول بفاس طبعة حجرية .

3) الالماس ، فيمن اسمه العباس

4) الامتاع ، بحكم الاقطاع

5) الاعلام ، بمن حل مراكش وأغمات من الاعلام ، وهو هذا الكتاب الذى نقدمه ، وسنتحدث عنه فى الفقرات التالية

6) تاريخ ثورة الشيخ أحمد الهبة بن الشيخ محمد مصطفى ماء العينين ، توجد منه نسخة محفوظة بمكتبة القصر الملكى بالرباط تحت رقم

7) حاشية على صحيح مسلم لم تخرج من مسودتها

---

5) أقبر بضريح سيدى محمد بن سليمان الجزولي بمراكش .

8) ديوان شعر

9) القضاء على الاسلام بيد أبنائه

10) شرح منظومة السلطان مولاي عبد الحفيظ العلوي لجمع الجوامع

الاعلام ، بمَن حلَّ مراكش واغمات من الأعلام

هو أهم مؤلفاته وأشهرها ، والاسم الذى أثبتناه هو واحد من أسماء عشرة ترك المؤلف الخيار للقارىء أن يسمي الكتاب بأحدها (6) .

موضوعه كما يفهم بديهة من عنوانه : تراجم من حل مراكش وأغمات من الرجال النابهين ، سواء كانوا من أهلهما أو من غيرهم ، مع التمهيد لهذه التراجم بوصف المدينتين وبيان فضلهما وما خصتا به من المزايا كما يقتضيه المنطق وجرت به عادة من دونوا فى التراجم من المغاربة وغيرهم قبل المؤلف .

ولتأليف كتاب الاعلام قصة أشار اليها المؤلف فى مقدمته ، خلاصتها أنه كان وضع سنة 1325 هـ (1907 م) على منظومته الرائية التى سماها درر الجمال شرحاً فى مجلد ضخم سماه إظهار الكمال استوعب فيه مناقب الصلحاء السبعة (سبعة رجال) المشهورين بمراكش وأطنب فيما يتعلق بالتوسل والزيارة ، ولما عرض الشرح المذكور على العلماء والأدباء للتنويه والاشادة كان من بين مقرظيه محدث المغرب الشيخ عبد الحي الكتاني الذى اقترح على المؤلف أن يشفعه بثان ، يملأه مثله بالجواهر والأفنان ، لأنه رأى منه عناية بهذا الشأن ، حاثاً إياه على ذلك ببعض الأثار المنسوبة الى الرسول عليه السلام ، مثل (من ورخ مومناً فكأنما أحياه ، ومن قرأ تاريخه فكأنما زاره، ومن زاره استوجب رضوان الله . وحق على المزور أن يكرم زائره) ، وهو أثر يدل لفظه على وضعه وان كان معقولا ومقبولا جداً من جهة المعنى ، فاستصعب المؤلف الاقتراح واستعظمه ، لأن من سبقوه لم يتيسر لهم ذلك ، ولأن التآليف

---

6) انظر صفحة 28 من هذا الجزء .

المختصة بمراكش قليلة جداً ، يضاف الى ذلك أنه كان يومئذ (سنة 1327 هـ 1909 م) كان يقيم بفاس بعيداً عن كتبه وأوراقه التى تركها بمراكش ، ثـم لم يسعْه فى الأخير إلا أن يستجيب لداعي الشيخ عبد الحي ويعمل باشارته ، لأنه رأى أن عزمات الرجال تظهر نتائجها بكثرة الأشغال ، والهِمَم تجـود بمداومة العمل ، وتقصر عند سلوك طرق الاهمال والمَلَل (7) .

ومن ذلك الحين عكف المؤلف على جمع مواد الاعلام ، واستمـر يجمعها ويدونها ويرتبها ويضيف إليها خمسين عاماً ، مطالعاً كل ما يقع بين يديه من الكتب والأوراق والظهائر والرسوم لينتقي منها كل ما يمت بسبب وثيق أو واه الى مراكش وأغمات ومن ولد بهما أو زارهما من الملوك والوزراء والعلماء والأدباء والأولياء والصلحاء وحتى الحمقى والمجاذيب ، وقد يسمع بكتاب أو مستند فيه ذكر لهما أولهم فيرحل لرؤيته ونسخ ما يهمه منه ، سواء كانت الرحلة داخل المغرب أو خارجه ، زائراً لتحقيق غرضه كل سنة عواصم الاستشراق الأوربية مثل پاريس ولندن وليدن ومدريد عـلى جهله باللغات العجمية ، مستعيناً بقلمه المطواع وذاكرته القوية التى لا تكاد عينه تقع على مكتوب حتى يرسخ فيها ما فيه ، ومفنياً ماله لبلوغ هذا المرام الذى ملك لبه وسحر عقله وأصبح همه الوحيد ومطمحه الفريد حتى استوفى تأليفه فى هذه المجلدات الضخام ومات وهو يقول هل من مزيد ؟

ومن الانصاف للرجل والاقرار بالحقيقة أن عملا مثل هذا لا يطيق الاضطلاع به والاقتدار عليه الا الصابرون المتجلدون الذين يحتسبون المشقة أجراً وإجهاد النفس عبادة ، سيما وان المراجع التى استخرج منها هذا التاليف الذى يعد بحق موسوعة ذات أهمية مراجع يكلف النظر فيها واقتطاف ما يهم منها عناء ويرهق النفس عسراً ، إذ أكثرها مخطوط غير مطبوع افسدته الرطوبة وعاثت فيه الأرضة وتماحت كتابته وتآكلت أطرافه وانبترت أوراقه لطـول الزمن وقلة العناية ، كما أنها متفرقة متوزعة فى أكثر من مدينة وقطر مما يعذر الالمام بجميـع جوانب حياة من يراد ترجمتهـم ويجعل وضع قائمة كاملـة

7) ص 23

باسمائهم أمراً مستحيلا ، وهذا هو الذى سبب كثرة الاضافات الى التراجم المكتوبة والزيادات المتلاحقة فى عدد التى لم تكتب ، ولو أن المؤلف تأخـرت حياته الى يومنا هذا لتضاعف العدد وتلاحق المدد وجاء كتابه فى عشرين مجلداً لا فى عشر مجلدات .

يشتمل كتاب الاعلام على مقدمة وأربعة فصول عدى التراجم ، وان جارينا المؤلف فى منطقه فان كتابه يشتمل على تصدير ثم مقدمة ذات فصول أربعة تسبق قسم التراجم ، أما التصدير فقد خصصه للحمد والتصلية وبيان الداعي إلـى تأليف الكتاب ، ومن أعجب ما فـى هذا التصدير إقحامه فيـه التقاريظ التى عملها العلماء والأدباء لكتابه (إظهار الكمال) وكان من حقه أن يثبتها فيه لا فى (الاعلام) . ولو اقتصر منها فيه على اثبات التقريظ التى كتبه الشيخ عبد الحي الكتاني لكان ذلك مستساغاً . لأن الشيـخ الكتاني اقترح عليه فيه تأليف كتاب جامع عن مراكش فكان اقتراحه هذا سبب انبعاثه للعمل وانصرافه للتصنيف ، فالمناسبة ظاهرة والعذر مقبول ، وأما المقدمة ذات الفصول المهمة على حد قوله فالفصل الأول منها يتضمن ذكر مراكش وتاريخ بنائها وبيان مؤسسها وجوامعها وبساتينها (أجنتها) وبركها وما كان لها من ضخامة الشان ، وشيد فيها من القصور العظيمة البنيان ، وفى هـذا الفصل يستعرض المؤلف ما كتبه الجغرافيون والمؤرخون القدماء عن مراكش فى كتبهم مثل الاستبصار فى عجائب الامصار ، والأنيس المطـرب بروض القرطاس ، والمعجب ، ومعجم البلدان ، ونزهة المشتاق ، والحلل الموشية ، وتقويم البلدان ، والذخيرة السنية الخ وقد يقف المؤلف بعض وقوف خلال هذه النقول لتحقيق تاريخ أو ضبط كلمة ، أو توضيح معنى ، معتمداً عـلى بعض كتب اللغة كقاموس الفير'وزابادي ، أو حتى على كتب الفقه والحديث كشرح الزرقاني لمختصر خليـل ، وشرح الأبى لصحيح مسلم ، وشـرح القسطلاني لصحيح البخاري ، ويختم المؤلف هذا الفصل بسرد أسماء مساجد مراكش ، وبيان عدد من فيها من المدرسين والواعظين والخطباء والعلماء ، والفصل الثاني خصصه المؤلف لأغمات ، وذكر ما لها من الخيرات والبركات، ناقلا ما كتبه فى ذلك الجغرافيون والمؤرخون المشار إليهم سابقا وغيرهم ،

سالكا نفس الطريقة فى ضبط الألفاظ وتوضيح المعاني ، والفصل الثالث سرد فيه أسماء الكتب المؤلفة فى البلاد والأقطار مرتبة على حروف المعجم ، وقد تصفح المؤلف لوضع هذه القائمة كتاب كشف الظنون من فاتحته الى خاتمته ، ولخص منه ما ذكره على وجه الاقتضاب ، وأضاف اليه ما ليس عنده مما حضرته حين التأليف أسماؤه مما يندرج فيه ويعد من جنسه ، وهــذه القائمة يفيد الاطلاع عليها المهتمين بعلمي التاريخ والأدب ، اذ سيجدون فيها أسماء عدد من الكتب التى تعنيهم فيما هم بصدده من البحث والتصنيف ، تلك الكتب التى فقد جلها وغاب عــن الأنظار معظمها ، والتى قد يهديهم وقــوع أبصارهم عليها الى صرف الهمة واعمال الحيلة فى التنقيب عنها ثم العثور عليها ، ولا يخلو هذا الفصل أيضا من استطرادات ، خصوصا صفحاته الأخيرة التى انتقل فيها المؤلف فجأة من سرد أسماء الكتب الى التكلم فى اللغــة وسوق نمادج من مواضيع علم البلاغة ، أما الفصل الرابع سن المقدمة ، فقد بين فيه ما يندرج فى علم التاريخ من العلوم الشرعية ، مع إيراد مــا يناسب ذلك من فرائد الفوائد ، وفى هذا الفصل نقل أيضاً ما كتبه الأقدمون فى الانتصار للتاريخ والرد على من ذم الاشتغال به ، وذكر شروط المؤرخ، وبيان بعض اصطلاحات المؤرخين ، وفيه أيضاً استطرادات كثيرة لا علاقة بينها وبين عنوانه ، ومن أهم هذه الاستطرادات الاستطراد المتعلق بنسب البربر وتشعب قبائل المصامدة . وبانتهائه ينتهى التصدير والمقدمة ذات الفصول الأربعة التى سماها (الطالعة الزهراء ، فى فضائل أغمات ومراكش الحمراء ، وما يناسب ذلك من فرائد الفوائد الغراء) ، وكان الفراغ من كتابتها يوم 18 رمضان عام 1329 هـ ، وقــد شغل كل ذلك 159 صفحة مــن الطبعة القديمة ، و146 من الطبعة الجديدة .

وتجدر الاشارة الى أن الاستطرادات والخرجات التى حشي بهــا جوف هذه المقدمة حشواً ، والتى لا تستسيغها عقول المتمرسين بالأساليب الكتابية الحديثة التى تلتزم الدقة وتتقيد بوحدة الموضوع لا تخلو من فوائد عديدة لولاها لما بعثت من مراقدها أو لضاعت فضاع بضياعها علم كثير ، فكم اشتملت على أشعار وترســلات وعناوين كتب وأسماء رجال وتواريــخ

وأعلام جغرافية تفيد الباحثين والمنقبين عن تاريخ الأمة المغربية والساعين في إظهار عظمتها وتبيين ما أسدته عبر القرون للمجتمع الانساني من خير وفير عميم .

وبعد المقدمة يأتي قسم التراجم الذى أردد فيه ما قاله الأقدمون فى كل أمر عظيم مثله : حدثْ بما شئتَ عن بحر ولا حرج ! فقد حشر فيه أسماء جميع من وقف فى المراجع القديمة والحديثة على أنهم حلوا بمراكش وأغمات من عظماء الرجال سواء اشتهروا فى ميادين السياسة والحرب أو برزوا فى مجالات العلم والأدب ، أو بسقت دوحاتهم فى جنات التقوى والصلاح، مضيفاً إليهم حتى الذين لم يقف على دخولهم إياهما صراحة ، وإنما خدمتهم للملوك تقضي ذلك على اعتبار أن مراكش كانت عاصمة لثلاث من دول المغرب المجيدة ، ناقلا جميع النصوص المتعلقة بهم ، وموردا أكثر ما وقف عليه من اشعارهم وأخبارهم وآثارهم نقلا عفوياً يخلو فى غالب الأحيان من المقارنة والتحقيق ، وحتى البتور والخروم التى يجدها فى الأصول التى ينقل منها أو الكلمات التى تعسر عليه قراءتها يترك بياضاً بقدرها فى كتابه كما يرى ذلك فى النصوص التى نقلها من كتاب (الذيل والتكملة) لمحمد ابن عبد الملك المراكشي . مرتباً ذلك كله ترتيب الألفبائية المغربية مقدماً الأحمدين والمحمدين على من عداهم تعظيماً لقدر الرسول الأمجد سيدنا محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه ، وفاقاً لتاج الدين ابن السبكي فى طبقاته الكبرى ، ولابن الأبار فى التكملة ، وابن الخطيب فى الاحاطة ، وابن فرحون فى الديباج ، وابن القاضي فى جذوة الاقتباس فى الأحمدين خاصة ، جامعاً بين أهلها والغرباء فى كل حرف من غير أفراد طبقة عن طبقة ، مورداً الأسماء المبدوءة بكل حرف فيه من غير مراعاة لترتيب الحروف الا فى الحرف الأول ، مقدماً الأقدم وفاة فى الأسماء المتعددة المتشابهة ، مرتباً الأسماء التى أصلها كنى فى الحرف الذى يلي الصدر ، فأبو بكر ينظر فى حرف الياء وأبو العباس فى حرف العين ، وأبو يعزى فى حرف الياء ، ذاكراً النساء فى آخر حروفهن من التراجم ، وهو فى كل اختياراته يقتدى بواحد أو أكثر ممن تقدمه من المؤرخين والمترجمين والنسابين مشارقة ومغاربة .

وقد استغرقت تراجم الكتاب أجزاءه العشرة باضافة مقدمته (الطالعة الزهراء) ، طبع المؤلف منها فى حياته الأجزاء الخمسة الأولى التى تتضمن المقدمة وتراجم الأحمديـن والمحمدين بالمطبعـة الجديدة بفاس ما بيـن سنتي 36 ـ 1938 م وبقيت الأجزاء الخمسة الأخيرة التى تتضمن سائر التراجم بدون طبع .

ولا أستطيع فى هذه العجالة أن أدعي أنني قمت بجرد شامل لجميع ما اشتمل عليه الكاتب فلا أستطيع بالتالي تحليله تحليلا علميا يستند الى الشواهد المقابلة والنصوص المقارنة ، لأن قراءة كتاب مثل الاعلام ، سيما أجزاءه الخمسة الأخيرة التى سأصفها فيما بعد تتطلب التفرغ لها الشهور ذوات العدد ، وكل ما أستطيع أن أقول عنه من خلال الارتسامات التى علقت بذهني أثناء تصفح أواقه ومراجعة بعض تراجمه انه كتاب جمع عن مراكش وأهلها فأوعى ، ضمنه مؤلفه كل ما عثر عليه من أخبارها وأخبارهم بأسلوب فقهاء العصر الوسيط .

ولا يعني هذا قدحاً فى حق المؤلف أو حطاً من قدره ، وانما أقصد أن همته همة مؤرخ وقلمه قلم فقيه ، ومهما كـانت المؤاخذات التى يؤاخـذه بها الناقد العصري المتقيد بقواعد النقد الحديثة فانه لا يستطيع أن ينال من فضله أو يقلل من أهمية كتابه ، ولو لـم يكن له من المزية الا إمضـاؤه نصف قرن فى جمع شوارده وتقييد أوابده وافناؤه الطارف والتالد وإنهاك القوة البدنية والتضحية بحقوق العيال لأجل ذلك لكفاه مجداً وفخرا بهذا الأثر الخالد الذى سيبقى من أهمّ مراجع التاريـخ المغربي وان طالت السنـون وتعاقبت القرون .

تحقيق الكتاب :

بدأ المؤلف طبع كتابه فى حياته ، واتفق مع طباع بفاس عنى الطبع ، فكانت نماذج المطبوع تبعث إليـه بمراكش للتصحيح ، ثم تعاد الى فـاس للاصلاح والطبع ، وكان يساعده فى مقابلـة أصله المخطوط بنماذج فرعـه

المطبوع أبناؤه ، ولاسيما ابنه السفير الوزير السيد البشير ، وقد ظهر جزؤه الأول سنة 1936 م وتوالى الطبع حتى بلغ عـدد الأجزاء المطبوعة خمسـاً سنة 1938 ، ثم اشتعلت نار الحرب العالمية الثانية فحالت دون طبع بقية الأجزاء .

ومما يجدر ذكره هنا وهو يدل على تمام المروءة أن المؤلف والطباع اتفقا على أجر معلوم لقاء الطبع ، ولما بدأ الكتاب يطبع ارتفعت أسعار المواد فجأة بسبب البوادر التى كانت تدل على قرب اندلاع الحرب ، فطلب المؤلف التعاقد مع الطباع على أجر جديد مناسب قائلا إننى لا أريد أن أفقر الرجل على حساب كتابي .

وبمجرد ظهور جزئه الأول لفت الكتاب إليه أنظار الباحثين والمؤرخين، وتنافسوا فى اقتنائه ودل بعضهم البعض عليه ، وكم كانت حسرتهم كبيرة على توقف طبعه بعد ذلك وبقوا متلهفين لرؤية الأجزاء الباقية منه .

وتوالت الأحداث ... واستقل المغرب وتوفي المؤلف ، فلم يبخـل أبناؤه – وما منهم الا عالم أريب – على أحد به ، وأذنوا بنسخه وتصويـره وحتى طبعه لمن أراد ، وحفظ بالمكتبة العامة بالرباط مدة فنُمِّرت أوراقه وصورت صحفه ، ثم طلبتُ إعارته للخزانة الملكية فنقل اليها ، وأخيراً التمس من صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني سفيره ووزيره الدكتور يوسف ابن المؤلف أن ينعم بطبعه بالمطبعة الملكية ، ولما بينت لجلالته أهمية الكتاب بالنسبة لتاريخ مراكش خصوصاً وتاريخ المغرب والأندلس عموماً أذن بطبعه وعهد إلي أن أشرف على ذلك بنفسي .

كان أول عمل قمت به أننى ألقيت نظرة فاحصة على أجزائه الخمسة الأخيرة التى تتضمن سائر التراجم عدى الأحمدين والمحمدين الذين تضمنت أسماءهم الأجزاء الخمسة الأولى المطبوعة ، فأذهلتنى هذه الكثرة الكاثرة من أسماء الرجال الذين منهم مَن أعرف ومنهم من أجهل ، وقدرت المصاعب التى ستعترضني لتنفيذ الأمر الملكى نظراً للخرجات التى ملئت بها هوامش جل صفحات الأجزاء المخطوطة ، فقد كان المؤلف يكتب الترجمة ثم لا يفتأ يضيف

إنيها ويزيد عليها كلما عثر على شيء جديد يتعلق بصاحبها ، شارحاً لفظه أو منبهاً على خطأ ، وقد يعيد كتابة الترجمة بحواشيها وذيولها ثم يضيف الى الاضافة إضافة ويزيد على الزيادة زيادة ، وهو شيء يحدث لجل المؤلفين فيفهمونه هم ولا يفهمه غيرهم إلا بعد تحريره وكتبه بصفة نهائية ، فرأيت أن أبدأ برقن (1) الأجزاء الباقية ليمكن وضع خطة لتحقيق الكتاب قبل دفعه الى المطبعة ، وأبدت الكاتبة وهي ترقنه صبر أيوب لصعوبة الخط وتعدد الخرجات والجهل بالأعلام القديمة والاصطلاحات العلمية التى أصبحت لا يفهمها الجيل الجديد الذى يفهم أعلام عصره واصطلاحاته وأساليبه الكتابية .

ومن الحق أن هذا الرقن سهل العمل الى حد بعيد ، إذ صار من السهل أن تقارن النصوص المنقولة فيه بأصولها المخطوطة والمطبوعة ، أو يقارن الموضوع اذا لم يكن ما كتب فيه منقولا بما كتب غير المؤلف فيه ليحقق أعلاما ويضبط تواريخ ويصحح أخطاء ويشرح ما انبهم من المعاني والألفاظ ، ولفت نظرى أن المؤلف بعدما انتهى من طبع الأجزاء الخمسة الأولى التى تضمنت أسماء الأحمدين ثم المحمدين عاد فألحق بأول الجزء السادس أسماء أحمدين آخرين عثر عليهم بعد الطبع ونبه على أسماء محمدين جدد يريد إلحاقهم أيضاً ، كما لفت نظري أنه قد يترجم الرجل مرتين أو أكثر مرة مع اسمه ومرة مع كنيته ومرة مع لقبه أو نسبه ، ولم استسغ ترتيب الكنى فى الحروف التى تبدأ بها صدورها وهي طريقة جرى عليها عدد من الأندلسيين والمغاربة والمشارقة ،ولا يجري عليها ولا يستسيغها المحدثون الذين يفضلون عليها الطريقة الانسيكلوپيدية الجديدة التى تقتضي أن يرتب الاسم فىالمكان الذى يضعه فيه رسمه والنطق به بغض النظر عن صدره وعجزه أو أنه مجرد أو مزيد ، كما لم أستسغ ترتيب بعض التراجم التى اشتهر أصحابها بكناهم مع الأسماء التى لم يشتهروا بها ، فقلّ من الناس مَن يبحث عن أبي العباس السبتي فى اسمه أحمد ، أو عن أبي يعزى فى اسمه يلنور ، فلهذا رأيت أن طبع الكتاب من بدايته وترتيبه ترتيباً جديدا أمران مستحسنان

1) الرقن : الضرب على الآلة الكاتبة .

يجيزهما المؤلف رحمه الله لو بقي حياً ويجيزهما أبناؤه الذين ضربوا فى الثقافتين بسهم مصيب . وعدا هذا لم أتصرف فى الكتاب بزيادة ولا نقص الا حذف الكنى التى لا فائدة فى اثباتها ، اذ من المعلوم أن كل علي أبو الحسن ، وكل داوود أبو سليمان .

وكنت فكرت أن أضيف طائفة من تراجم الرجال الذين دخلوا مراكش أو ولدوا بها قديماً وحديثاً ممن غابت أسماؤهم عن المؤلف أو تأخر زمانهم عن زمانه تتميماً للفائدة ، ولكنى رأيت أن هذا العمل سيخرج كتاب الاعلام عن شكله الحقيقي فعدلت عن الفكرة وفضلت عليها أن يلحق به فى النهاية جزء مكمل له أضعه أو يضعه غيرى .

وعلى هذه الأسس وبكل هذه الاعتبارات قدم الكتاب للطبع .

وبعد فيسعدني أن أقدم هذا الأثر النفيس من آثار الوطن العزيز الذي يسجل طبعه منقبة من مناقب الملك العالم المثقف صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني ، ويخلد ذكر مؤلفه الذى لا يفي بشكره لسان ولا بتقدير عمله قلم ، وينير السبل أمام الباحثين والدارسين فى كل مكان ولاسيما جيل المغرب الصاعد الذى يعنيه كثيراً رفع الحجب المسدلة على مآثر وطنه المجيد .

الرباط ــ يوم الأربعاء { 23 شعبان 1394
11 شتنبر 1974 }

عبد الوهاب بن منصور





صورة المؤلف

العباس ابن ابراهيم السملالي فى شيخوخته

فى كتابي أثبتت صورة رسمى ... ليرى الناظرون رسمي جليـــا

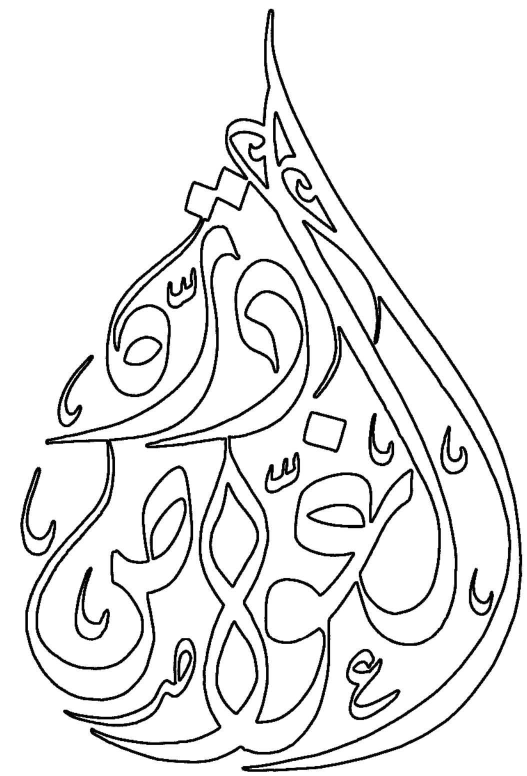
صورتي رسم حليتي وتآلـــــ ... ـيفي بها صرت بالحياة حفيـا

آل مراكش فدونكم التـــــا ... ريخ روض الزهور أضحى جنيا

وهو ذوب النضار يبهر نـوراً ... لاتنوا فى اقتنائكم جوهريـــا

راغباً من مولاي عفواً ولطفـــا ... لم أكن بدعاء ربي شقيـــا

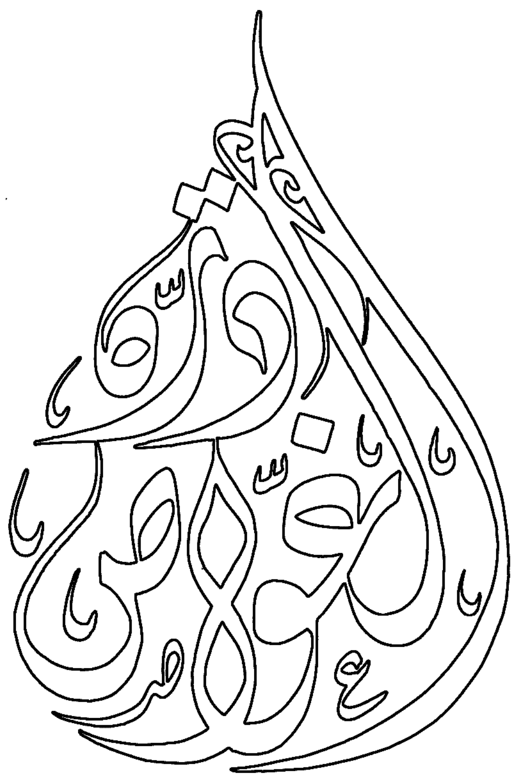
شعر للمؤلف





صورة المؤلف

القاضي عباس ابن ابراهيم السملالي فى كهولته





بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وءاله وصحبه

الحمد لله الذى جعل للخلائق فى الأرض مساكن وأمصاراً ، وجعل لكل مصر مزية يمتاز بها مع أقطاره ترغيباً لأهله فيه ليكون لهم قراراً ، وفجر لهم ينابيع تنهمر انهماراً ، وأجرى فيها أودية وأنهاراً ، وأنزل من السماء غيثاً مدراراً ، وفتق الأرض بأنواع النباتات فأزهرت إزهاراً ، فهي بذلك تبتهج ابتهاجاً وتزدهر ازدهاراً .

شعر

تأمل فى نبات الأرض وانظر — الى ءاثار ما صنع المليك
عيون من لجين شاخصات — على أطرافها الذهب السبيك
على قضب الزبرجد شاهدات — بأن الله ليس له شريك

ءاخر

وفى كل شيء له ءاية — تدل على أنه واحد (1)

وأطلع لهم من الأشجار فواكه كثيرة وثماراً ، وأودع فى أصناف النباتات أدوية ومنافع تبصرة لمن استبصر واعتباراً ، وجعل لهم فيها رواسي شامخات كانت للأرض أوتاداً تمنعها من التحرك منة منه لكي يعتمروها اعتماراً، وهداهم فيها إلى زرع ما به قوام البنية اقتياتاً وادخاراً ، وأنبت النخل باسقات

1) راجع حاشية التفسير للعارف الفاسى عند قوله تعالى (وشاهد ومشهود) .

لها طلع نضيد رزقاً للعباد ، وجعل الأرض كفاتاً للأحياء والأموات ومنها إليه سبحانه يكون المعاد ، فحمداً وشكراً له سبحانه بديع السماوات والأرض حيث قال (استغفروا ربكم إنه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً . ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً) . جعل سبحانه الناس طبقات ، وخلقهم بنين وبنات ، وشعوباً وقبائل ، الأواخر بعد الأوائل . وبعث فيهم رحمة منه الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام مبشرين ومنذرين ، فمن كتب سبحانه لهم السعادة أجابوا دعوتهم فرحين مستبشرين ، ومن حكم عليهم سبحانه بالشنقاوة كذبوا واستكبروا ظلماً لأنفسهم فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ، وخصَّ مكة المشرفة أم القرى بأن بعث منها سيدنا محمداً سيد الأولين والآخرين ، وجعله خاتم النبيئين وأفضل المرسلين، عليه وعليهم أزكى صلاة وسلام الى يوم الدين ، فقام عليه السلام داعياً الى الله باذنه مبشراً ونذيراً لجميع العوالم ، وجعل مهاجره المدينة المنورة طيبة الطيبة المفضلة على سائر مدن الأقاليم ، وءاتاه جوامع الكلم ، وبدائع الحكم ، وجعل أمته الهادين المهتدين أفضل الأمم . صلى الله تعالى عليه وسلم ، عدد جواهر المخلوقات وأعراضها في ءافاق السماوات والأرضين ، وما فيهما من مساكن وقرى وأمصار وبحار وملائكة وإنس وجن وسائر المخلوقات مما لا يحصيه إلا خالقه رب العالمين ، في كل لحظة وحين ، وعلى ءاله الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، ما تليت مناقبهم على صفحات الأعصار فكانت على احتوائهم على مجمع المفاخر برهاناً منيراً ، وعلى أصحابه الذين هاجروا في نصرته ونصروه في هجرته فنعم المهاجرون ونعم الأنصار ، ومحى الله تعالى بسيوفهم الشرك وجاهدوا في الله حق جهاده وفتحوا الأقاليم والأمصار، فكانت مآثرهم أجلا من شمس الظهيرة ، ومقاماتهم في الدين وتأييده وإذلال الشرك فخيمة شهيرة ، فدونت طبقاتهم ، وأدرجت فيها أحوالهم الشامخة ووفياتهم ، وروى منهم لنا في الصحيح أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : اللهم اجعل بالمدينة ضعفي ما جعلت بمكة من البركة ، ولما قدم أصيل الغفاري رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة قبل أن يضرب الحجاب ، فقالت له عائشة رضي الله عنها كيف

تركت مكة ؟ قال اخضرت أجنابهـا وابيضت بطحاؤها ، وأعذق اذخـرها ، وانتشر سلمها ، الحديث ، وفيه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبك يا أصيل ، لا تحزنا ، أورده الخطابي في غريب الحديث ، وهو عند أبي موسى المديني في الذيل من وجه ءاخر ، قال قدم أصيل فذكر نحوه باختصار ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ويهاً يا أصيل ، تدع القلوب تقر ، وذكره الجاحظ في كتاب البيان كما في الاصابة ، وهو في صحيفة 78 مـن ج 2 مـن البيان والتبيين ونحوه في الاستيعاب وذكره السخاوي في المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة عند ذكر حديث حب الوطن مـن الايمان الذي قال فيه إنه لـم يقف عليه قائلا بعده ومعناه صحيح في كـتاب المجالسة للدينوري (I) من طريق الأصمعي سمعت أعرابياً يـقول اذا أردت تعرف الرجل فانظر كيف تحننه الى أوطانه وتشوقه الى إخوانه وبكاؤه على ما مضى من زمانه ، ومن طريق الأصمعي أيضاً قال قالت الهند ثلاث خصال مـن الحيوان الابل تحن الى أوطانها وان كان عهدها بها بعيداً ، والطير الى وكره وان كان موضعه مجدباً ، والانسان الى وطنه وان كان غيره أكثر نفعاً . انتهى كلام المقاصد الحسنة ، واقتصر السيوطي فـي الـدرر المنتثرة بعـد إيراد الحديث المذكـور على أنه لم يقف عليه ، وذكـر مجتهد الفقهاء والمحدثين والمفسرين الامام أبو جعفر الطبري في تفسير ءاية (ان الذي فرض عليـك القرءان لرادك الى معاد) أي إلى مكة عن ابن عباس رضي الله عنهما وهو فـي التفسير مـن صحيح البخاري وتفسير سنن النسائي ، وروي عن مجـاهد إلى مولده بمكة ، وقال السخاوي : ولما اشتاق صلى الله عليه وسلم الى مكة محل مولده ومنشئه أنزل الله عليه (ان الذي فرض عليك القرءان لرادك إلى معاد) أي الى مكة ، انتهى ، وراجع تفسير الامام ابن كثير ، ولله در سيدنا بـلال اذ يـقول

ألا ليت شعري هل أبيتنَّ ليلـة — بـواد وحـولي اذخـر وجليـل
وهـل أردن يوماً ميـاه مجنـة — وهـل يبدون لي شامـة وطفيـل

I) في الميزان أحمد بن مروان الدينوري المالكي صاحب المجالسة اتهمه الدارقطني ومشاه غيره .

وقيل إن هذين البيتين اللذين أنشدهما بلال رضي الله عنه ليسا له ، بل هما ابكر بن غالب بن عامر بن الحارث ابن مضاض الجرهمى أنشدهما عندما نفتهم خزاعة من مكة شرفها الله ، وقيل لغيره كما فى عمدة القارى وقال بعض الأعراب

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة ... وأهلى معا بالمأزمين حلول
وهل أبصرنْ العيس تنفخ فى الثرى ... لها بمنى بالمحرمين ذميل
منازل كنا أهلها فأزالنا ... زمان به بالصالحين خذول

وقال ابن عنين المتوفى فى سنة 630

حنين الى الأوطان ليس يزول ... وقلب عن الأشواق ليس يحول
ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة ... وظلك يا مقرى علي ظليل
دمشق فبى شوق اليك مبرح ... وان لج واش أو ألح عذول
بلاد بها الحصباء در وتربها ... عبير وأنفاس الشمال شمول
تسلسل فيها ماؤها وهو مطلق ... وصح نسيم الروض وهو عليل
وفى كبدى من قاسيون حرارة ... تزول رواسيه وليس تزول
ووالله ما فارقتها عن ملالة ... سواي عن العهد القديم يحول
ولكن أبت أن تحمل الضيم همتى ... ونفس لها فوق السماك حلول
فان الفتى يلقى المنايا مكرما ... ويكره طول العمر وهو ضليل

وهذه قصيدة مدح بها سيف الاسلام الملك العزيز ضغتكين أخ صلاح الدين الأيوبى رحل إليه إلى اليمن لما نفاه صلاح الدين لهجوه الناس ، وهو مترجم فى الوفيات والشذرات وغيرهما .

وأنشد أبو عبد الله العبدرى الحاحى فى رحلته عند ذكر مكة المشرفة :

الا ليت شعرى هل يساعدنى الوقت ... وتدنى لي الأيام ما نحوه تقت
وهل لى الى تلك المعاهد عودة ... بسكنى مغان قربها كل ما اشتقت
مغان حدانى الشوق والوجد نحوها ... مقيماً فاعطيت القادةَ وانسقت
وكنت على أن لا أفارقَ ربعها ... ولكننى من شؤم ذنبيٍ عوقبْت

كأن لم يكن لى فى المحصب منــزل" به من ضنى جسمى وقلبى افرقت
ولم يصف عيشى بالصعود على الصفا ولا اننى من صفو حال بها ذقــت
ولا رحت كالنشوان من طربى بــه ومن غير كاسات الهوى ما تروقت
أبارى غصون البان إما تمايلـــت لانْ صرت مجموعا وكنت تفرقتُ
أطالع مــن ذالك الجمال مطالعــاً بها طال فى جنح الدجا ما تأرقـت
وكنت كغصن قد ذوى من صدى به فلمــا حللناها رويت وأورقـــت

وقال الشاعر جميل

الا ليت شعرى هل أبيتنّ ليلـــةً بــوادى القرى إنى إذاً لسعيـــد
اذا قلت ما بــى يا بثينةُ قاتلـــى مــن الحب قالتْ ثابت ويزيـــد
وان قلت ردى بعض عقلى أعش به مـع الناس قالت ذاك منك بعيـــد
فلا أنــا مردود بما جئتُ طالبــا ولا حبهـــا فـــيما يبيـد يبيـــد
يــموت الهوى منى اذا ما لقيتهـــا ويـــحيى اذا فـــارقتها فيعـــود

وراجع صحيفة I6I من ج 2 من نهاية الأرب للنويرى .

ووردتْ رامةُ بنتُ الحسين بن المنقذ بن الطماح الكوفة فاستوبلتْها، فقالت كما فى معجم البلدان :

ألا ليت شعرى هل أبيتنّ ليلـة وبينى وبين الــكوفة النهـــران
فان ينجنى منها الذى ساقنى لهـا فــلابد مــن عمــر ومن شنئـــان

وفى المشرع الروى ، فى منــاقب بنى باعلوى للعارف بالله تعــالى سيدى محمد بن أبى بــكر باعلوى بعد أن ذكــر بيتيْ سيدنا بلال بن ربــاح ما نصه : وقد أخذ هذين البيتين السيد الجليل عمر بن عبد الرحمان صاحب الحمراء وغيرها بقونه

الا ليت شعرى هل أبيتنّ ليلـــة بـــواد وحـــولى عشرق ونخيـــل
وهل أنظرن يوما قبوراً لســـادة وتبدو لعينى خيلةٌ وسحيـــــل

وقال قــاضى قرطبة أبو عبد الــرحمن معاوية بن صالح الــحضرمى الحمصى شيخ الليث بن سعد يتشوق الى معاهده بالشام :

أيهـــا الــراكب الــميمم أرضـــي ... إقر من بعضيٍّ السلامَ لبعضـــي
إن جسمي كـــما علمتَ بـــأرض ... وفـــؤادي ومالكيه بـــأرض

وقال الامام أبو بكر بن العربى المعافرى نزيل مراكش :

ألا ليت شعرى هل أبيتنَّ ليلـــة ... مـــن الدهر لا أخشى ولا أترقـــب
وبـــى ظمأ بـــرح الى ورد منهـــل ... يطيب بـــه صرف المياه ويعـــذب
بمشرعة الكرخ التى لم نزل بهـــا ... يلذُّ لنا شرخ الشباب ويعجـــب
وكم شارب للماء فى غير أرضـــه ... وقـــد غبت عنه ماء عينى أشـــرب

وهي قصيدة طنانة ذكـــر منها جملة صالحة فى بغية الملتمس فـــى تاريخ رجال أهل الأندلس أبو العباس الضبى نزيل مراكش فراجعها فى ترجمة قائلهـــا .

وقال أحمد بـــن عبد ربه صاحب العقد الفريد المترجم فـــى البغية المـــذكورة :

الجسم فى بلد والروح فى بلـــد ... يا وحشةَ الروح بل يا غربةَ الجسد
إن تبك عيناك لى يا مَن كلفتُ بـــه ... من رحمة فهما سهماك فى كـــبدى

وهما من شعره السائر .

وقال أبو تمام :

بالشام قومى وبغداد الهوى وأنـــا ... بالرقمتين وبالفسطاط جيرانـــى
وما أظن الهوى يلقى مراسيَـــــبهُ ... حتى يُبلغَ بـــى أقصى خراسان

وقال النور الأسعردى

أقـــول لقلبى حين جدَّبه الأســـى ... لك الله من قلب صبور على الوجـــد
أفى حلب جسمى وقلبى بجلّـــقٍ ... وصحبى ببغداد وأهلى بأسعـــرد

وقال شمس الدين بن يوسف الجزرى مجيزاً ابن رشيد الفهرى :

أرى صدرى وقلبى ليس يقضـــى ... عـــلى شـمليهما غيـــر افتـــراق
ففـــى مغنى الجزيرة لى خليـــل ... وفـــى مـــصر وءاخـــر بالعـــراق
وخـــدن بـــالشئام بـــأي مغنـــى ... أقـــمت به أحـــن الى البواقـــى

يـــؤنسني ويؤيـــسني حبيـب وأنــظر فــى اللقــاء الى الفـــراق
فـــأشجى للـــدنو وللتنـــائـى وأبـــكى للـــوداع وللتـــلاقـى
فـجفنى لا يـــزال طليـق دمــع ولا ينفـكُّ قـلبى فـى وثـــاق
ومفترقـــان لى قـــلب وصـــدر ومتفقـــان دمعـــى والأمــاقـــى
وقــد زعموا الـهوى حلو ومـــرٌّ وعندى كـــله مرُّ المــــذاق

وقال أبـو عبد الله أحمد بن الخياط الـشاعر المشهور المعـروف بابن سنا الدولة الطرابلسى المتوفى فى رمضان سنة 517 بدمشق :

وبالجزع حيٌّ كلما عنَّ ذكرهــم أمات الـهوى منى فؤاداً وأحيـــاه
تمنَّيتُهُم بالرقمتَيْن ودارهــم بوادى الغضا يا بُعدَ ما أتمنـــاه

وقال الحاكم الفاضل موفق الدين عبد الله بن عمر المعروف بالورل المتوفى سنة 677 :

يذكرنى نشرُ الحمى بهبوبـــــه زماناً عرفنا كـــل طيب بطيبـــه
ليال سرقناها من الدهر خلســـة وقـــد أمنت عيناي عينَ رقيبـــه
فمن لى بذاك العيش لو عاش وانقضى ليســكن قلبى ساعة من وجيبـــه
ألا إن لى شوقاً الى ساكن الغضـــا أعيذُ الغضا من حره ولهيبـــــه

وقال أبو حيان النحوى

يا فرقة أبدلتنى بالسرور أســـى وأسهرت ناظرى قد طالما نعســـا
أنى يـكون اجتماع بين مفتـــرق جسم بمصر وقلب حل أندلســـا

ورأيت فى ديوان علامـة الأعصار والامصار ، أبى علي الحسن بـن مسعود اليوسى نزيل مراكش بجمع ولده العالم المشارك أبى عبد الله محمـد نزيلها أيضاً ما نصه : وقال أيضاً وقد جرى يوماً ذكر البيتين اللذين أنشدهما سيدنا بلال رضى الله عنه فهاج لـه الى الأوطان اشتياق ، فقال على نحو هـذا المساق ، وهو إذ ذاك بمراكش أعوام التسعين والألف :

الا ليت شعرى هـل أبيتن ليلـة بسهب الشنيّن أو بسهب بنى ورا
وهل تعبرنْ نهرَ العبيد ركائبي وهـل تتركن دايا وأدواءهـا ورا
وهل أردن عسلوج يوماً فاشربن مياهاً بـه تحكى رحيقا وكـوثرا
وهـل تمرحن خيلى بذروة أمنـا وبطنانها من قبل أن يحفر الثـرا
وهل أكحلن يوماً جفونى بنظـرة إلى الأرزات الفـارعات فتبصـرا
وهل أدفعنْ جيش الهموم ببسطـة مع الحيّ فى تلك الديار فتقصـرا

نهر العبيد هو واد العبيد ، ودايْ هي معروفة قرب الصومعة بتادلـة وكلتاهما قرب قصبة بنى ملال ، وهي كـثيرة الأمراض والـوخم ، وعسلوج والذروة أماكن ببلاده بملوية ، والأرزات الفارعات شجر معروف بتلك الجبال أعنى فازاز، وكذلك سهب الشنين وسهب بنى ورا الكل معروف ببلاد النخيل، وذكر أيضاً أنه قال لما كان بمراكش سنة أربع وتسعين وألف يذكر وطنه :

تـمزق قلبى فى البلاد فقسمـة بمراكـش منه عـلى رجل طائـر
وأخـرى بخلفون وأخرى مقيمـة بمكناسة الزيتون حول الدفاتـر
وأخرى بـفازاز وأخرى تجـزأت بـملوية الأنـهار بين العشائـر
وأخرى بذاك الغرب بين أحبتـي بـأهل البوادى منهم والحواضـر
فـيارب فاجمعها فانـك قـادر عـليها وما غيـر الالـه بقـادر
ويـارب فاجعلها بأوطانها فمـا عـبيدك للـبين المشت بصابـر

وبعدها ستة أبيات راجعها فى الديوان المذكور .

وفيه ما نصه :

وقال أيضاً أيامَ مُقامه بمراكش يحِنُّ إلى وطنه ، وذلك سنة أربع وتسعين وألف :

فأسأله ان يجمع الشمل والمنـى هناك بمن أهوى سريعا كما أهوى
فقد طال ما بينى وبين معاهـدى وما أستطيع الصبرَ عنها وما أقوى
فـلله أرض لم يسئونى هواؤهـا ولا ماؤها الأصفى لذى الصدفى الأروا
ولا عيشها الرغد المريء ، ولا تقس به المنّ فى ذكر النعيم ولا السلوى
ويحسب قوم أن سنألف أرضهـم وهل رأوا الظلمان تألفهـا الأروى

وهل رأوا الطير المقفص سالياً وضب الكدى يوما مع النون فى مأوى
نعم قد رضينا ما قضى الله والرضى من العبد عنوان المبرة والتقوى

وقد سبقه الى هذا الوزن والقافية رجل من الأزد حيث يقول :

وهل أردنَّ الزهر روضة سربخ وهل أرعيْنْ ذودى بمخصبها الأحوى

وروضة سربخ ببلاد اليمن .

وأنشد أبو زيد فى ابتهاج القلوب لسيدى العربى الفاسى لما تغرب عن وطنه :

وظمئان حران الجوانح من أسى يساق إلى الورد الزلال فيابى
ينكب عن عذب الفرات لأنه يرى كلَّ مادون الرضابِ سرابا
وأي بلاد غير فاس تروقه وقد شبَّ فى أحضان فاس وشابا
يرى كل ترب دون تربتها قذى ويحسب ما فوق التراب ترابا

وقلت فى معارضة هذه الأبيات :

دعانيَّ من فاس فان عقابه عقاب وليست فى العقاب عقابا
بمراكش الحمراءِ مسقطِ هامتى أهيم وألفى ما سواها ترابا

فالعقاب الأول جمع عقبة ، والعقاب الثانى مصدر ، والعقاب الثالث بمعنى الأول ، وعُقاب فى قافية البيت اسم طائر معروف .

وفى بجاية يقول بعضهم من مخلع البسيط :

بجاية كلها عقاب المشيُ فى أرضها عقاب
يخفق فى طرقها فؤاد كخرنق صاده عقاب

وهو من توارد الخواطر ، فاننى ما وقفت عليها إلا بعد أن نظمت البيتين السابقين بمدة ، ثم وقفت على قول أبى جعفر بن عبد النور أستاذ مالقة :

بطريق أيلة أجبل وعقاب لا يرتجى فيها النجاةَ عقاب
فكأنما الماشى عليها مذنب وكأنما تلك العقاب عقاب

وعلى قول الخطابى :

سلكـــنا عقاباً فى طريق كأنهـــا ... صياصي ديـوك أو أكف عـــقاب
ومـا ذاك إلا أن ذنبى أحاط بـــى ... فـــكان عقابى فى سلوك عقـــاب

وقال أبو العباس أحمد بن صالح السينكى :

بـــلادى وان جارت علي عزيـــزة ... ولو أنـــنى أعرى بـها وأجــــوع
وما أنا إلا المسك فى غير أرضكم ... يـضوع ، وأما عندكم فيضيــــع

ولعالم أهل البيت وشاعرهم مولاى محمد بن مولانا أمير المومنيـن سيدنا إسماعيل العلوى صدر قصيدة طنانة يمدح بها شيخه العلامة أبا عبد الله محمد بن أحمد القسنطينى وأجابه عنها بنظيرتها ، نص المقصود من الأولى وهي على رويّ قصيدة اليوسى المتقدمة ووزنها :

ألا ليت شعرى هل أسرح ناظرى ... ولـلانس إقبال بوادى الجواهـــر
أمـــتع طرفى فى رياض أنيقـــة ... واقطف أزهاراً بـــها كالزواهـــر
بحيث نرى أسدَ العرين صريعـة ... وقد فتكتْ فيها ظباءُ المقاصـــر
وحيث نرى غلب الحدائق سلسلت ... حديثاً صحيحاً عن نسيم الأزاهـر
وقد نسجت كف النسيم عشيـــة ... دروع مياه بـين تـلك النواعـــر
وأصبحت الأطيارُ فوق غصونهـــا ... فصاحاً تقص فوق خضر المنابـر
سـقى الله أدواحاً بفاس عهدتهـــا ... تـغازل أنـداء الغيوث المواطـــر
ولا بـرحتْ عينٌ تراها قريـــرة ... وان قذفت بـالقلب جمرة حايـــر
لـك الله من إلف بدرعة جسمـــه ... وقـلب بفاس فـى قدامة طائـــر
تراوحه الأشواق فـى كل ليلـــة ... فـما بين مـزور هواه وزائـــر
ولـو أنه يعطى عـلى قدر قـــدره ... لـكان له ما بـين بسر وباســـر
فـمن مبلغ عنى رسالة شيـــق ... الى عالم الأعلام صدر الأكابـــر

ولبعضهم كما فى رياض الورد لقاضى مراكش العدل أبى الفتح محمد الطالب ابن أبى الفيض حمدون بن الحاج :

فاس لعمرى هي الدنيا بأجمعهـا | لو لم يك القلب فيها ضيقا حرجـا
من حل ساحتها لم ينج من كـدر | كـأنما هـمها بمائها مزجـا

ونسبهما عالم مراكش تلميذه أبو عبد الله محمد بن معطى السرغينى فى فهرسته حدائق الأزهار . فى ذكر معتمدى من الأخيار . لابن الخطيب السلمانى ، وهما أدون نفساً من شعر ابن الخطيب بكثير ، وخمسهما مَن قال:

أمتعتُ فكريَّ فى الدنيا وبهجتهـا | وثـقت آن لفاس حسن شكْلتهـا
وقلت إذ ولعت نفسى بجولتهـا | فاس لعمرى هي الدنيا بأجمعهـا

لو لم يك القلب فيها ضَيِّقاً حرِجا

فـكن لطبعتها يا صاح في حـذر | وجزْبها سكناً واحتل على سفـر
قد قيل فى وصفها فى سالف الأثر | مَن حلَّ ساحتَها لم ينجُ من كدر

كأنـما همُّها بمائها مُزِجـا

وسبب ذلك أمران : كثرة التوسعات وتوغلها فى الجبال الباردة . راجع مقدمة الواعية النقادة أبى زيد عبد الرحمن بن خلدون نزيل مراكش .

ورأيت فىديوان الوزير الأصعد، الفقيه الامجد،أبى عبد الله محمد بن ادريس الزمورى الفاسى نزيل مراكش بجمع ولده الرئيس الأسعد الفقيه أبى العلاء ادريس صاحب تحفة العزيز نزيلها أيضاً ما نصه : وله رحمه الله يتشوق الى مراكـش :

ألا ليت شعرى هل أبيتنَّ ليلـة | بـمراكش حيث الغريبُ عزيـز
وهل أردنْ من واد صبرة منهـلا | وهل يـبدونْ لى رمـرم وجليـز

قلت الذى أنشدنيه بعض الأدباء بدل ما أنشده جامع الديوان مـن قـولـه :

وهل أردنْ من واد صبرة منهـلا | وهـل أردنْ يوماً مياهَ غديـره

ومراده والله أعلم بغديره البركة التى يجتمع فيها ماء سيول المطر خارجَ باب الرب أحد أبواب مراكـش المعروفة اليوم بصهريج البقَر ، وهي

من مصانع أمير المومنين عبد المومن بن علي الموحدى ، وكان يأمر الأطفال الذين يجمعهم للتأديب والتربية والقراءة بالعوم فيها وأن يجروا فيها الزوارق .

(تنبيه) كَليز المتقدم هو جبل مطل على مراكش ، ورمرم بقربه ، ويقال فى جليز ايجليز ، وقد تصحف على صاحب معجم البلدان وصاحب القاموس فذكرا أنه بالنون إيجليسن ووقع لهما الوهم فى ذلك من ظنهما أن إيجلين الذى ببلاد هرغة من المصامدة هو إيجليز المطل على مراكش مع أن الأول ذكر الموضعين ونصه إيجليسن بفتح الجيم وكسر اللام ونون قلعة حصينة فى بلاد المصامدة من البربر بالمغرب فى جبل درن ، منها كان مخرج أبى عبد الله محمد بن تومرت المصمودى الملقب بالمهدى صاحب عبد المومن بن علي سلطان المغرب ، ثم قال إيجلين جيمه تشبه القاف والكاف وياء ساكنة ولام مكسورة وياء أخرى ونون جبل مشرف على مدينة مراكش ولا أدرى لعله إيجلين المذكور قبل هذا والله أعلم ، قلت أما ماترجاه فليس الأمر كذلك ، فان الأول ببلاد هرغة ، قال المحقق ابن خلدون فى تاريخه صحيفة 227 من ج 6 عند ذكر ترجمة المهدى المذكور ما نصه : ثم ارتحل المهدى عنهم يعنى عن هنتاتة الى إيكَيلين من بلاد هرغة ، فنزل على قومه وذلك سنة 515 وبنى رابطة للعبادة فاجتمعت اليه الطلبة والقبائل يعلمهم المرشدة فى التوحيد باللسان البربرى هـ . فقد تصحف على ياقوت إيكَليز الجبل المطال على مراكش الذى هو بالزاي بايجلين بالنون الذى هو من بلاد هرغة ، صار يترجى أنهما واحد مع أنه ذكر اختلاف حقيقتيهما ، فالأول قلعة حصينة فى جبل درن ، والثانى جبل مشرف على مراكش منقطع عن جبل درن منه ، والراقى عليه ينظر مدينة مراكش وبسيطها المديد الفسيح ، وهو الذى نزله الشيخ الأكبر أبو العباس السبتى رضى الله عنه لما أتى الى مراكش ووجدها فى الحصار كما سياتى فى ترجمته إن شاء الله ، وخلوته ما زالت به الى الآن فى قنته ، وهو من منتزهات أهل مراكش فى وقت الربيع تكون فيه وفى سفحه أنواع الأزهار ، وتخضر حوله إذ ذاك الزروع وأفنان الاشجار ، وتغرد بنغماتها فيه الأطيار ، يفد إليه الناس فرادى وأزواجا ، ويتملون به سروراً وابتهاجا ، وقد حدثنى بعض الفضلاء الراحلين الى الحجاز ممن رءا جبل إيكَليز أن ارتفاعه يكون قدر ارتفاع جبل

عرفة ، كما أخبرني فاضل ءاخر أن مدينة مراكش كثيرة الشبه بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام فى كثرة نخيلها واحمرار تربة سورها وكونها فى مُستو من الأرض .

وذكر العبدرى فى رحلته أن ببلاد الصحراء مدينة يقال لها تادمكة أي هذه مكة أي مشبهتها كما وصف المدينة المنورة بالأوصاف التى قدمنا وقد تبع ياقوت على هذا التصحيف كما قدمنا صاحب القاموس ، وقد كنا نبهنا فى إظهار الكمال على غلط صاحب القاموس فى ذلك والعذرُ لهما أنهما ليسا من أهل البلاد ، والعجب من محشى القاموس العلامة ابن الطيب حيث سكت على ذلك فى حاشيته مع أنه مغربى ، وتبعه على سكوته تلميده الشيخ مرتضى ، وأقول كما قال الراوية المحدث الواعية . النقادة أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد بن مسعود العبدرى الحاحى نزيل مراكش فى رحلته لما ذكر أغلاطاً وقعت فى البلدان ، وصدرت من أهل الاتقان ، ما نصه : وذلك غير مستنكر فان من لم يشاهد الشيء يصعب عليه وصفه ، فقلما يسلم فيه من الغلط والله تعالى أعلم . وسياتى التصريح عن الادريسى بأن إيجليز هو جبل صغير حول مراكش وليس حولها شيء من الجبال غيره .

وأنشدنى بعض الأدباء للوزير ابن ادريس أيضاً يتشوق الى فاس :

ألا ليت شعرى هل أبيتنّ ليلة	بفاسٍ وحولى من مُناي َ ثلاث
مغان بها أغنى وأهل وجلة	أجل بهم بين الورى وأغاث
وهل أردنْ واد الجواهر جهرة	وهل يبدون لى زالغ وتغاث

وهذه الأبيات الثلاثة ليست فى الديوان المذكور أيضاً ، وقد اعتذر جامعه فى أوله بأن شعر والده تفرق شذر مذر ، ولم يجمع إلا ما بقي فى بطون الأوراق ، وصدور أهل الأذواق ، والوزير ابن ادريس رحمه الله تبع الجوهرى وغيره فى أن المُراد بشامة وطفيل جبلان ، فلذلك ذكر جبلي فاس وجبلي مراكش ولم يات فى النسج على منوال بيتي سيدنا بلال برويٍّ الأم مع أن الخطابى قال كنت أحسب أنهما جبلان حتى أنبئت أنهما عينان ، فلذلك قلت

ءاتياً بحرف اللام روياً . ملقياً دلوى فى المساجلة بين هؤلاء الشعراء الفضلاء وان لم أفر فريا :

ألا ليت شعرى هل أبيتنّ ليلـــة بـمراكــش إنـــى اذاً لنبيـــل
وهــل أردنْ يوماً معين عيونهـــا وحــوليٌ جنات بـها ونخيـــل

ومياه مجنة قال أبو الفتح يحتمل أن تسمى ببساتين تتصل بها وهي الجنان ، فقوله (وحولى أذخر بها وجليل) أتيت فى مقابلته بقولى : (وحوليٌ جنات بها ونخيل) .

وقوله :

وهــل أردن يـوما مياهَ مجنـــة وهــل يبدونْ لى شامة وطفيـــل

أشرت إليه فى قولى (وهل أردن يوماً معين عيونها) فأحسنت فى الأخذ واستوفيت المساق .

وقلت أيضاً

بمراكــش الحمراء قـلبى معلـــق وجسمى بـفاس بالبِعادِ يُمـزّق
وفى فـاس الـعليا غزال عيونـــه رمت أسهماً تصمى فؤادى وتخرق
فيا هل ترى أسرى يحل وثاقـــه ويـجمع شمـلى ثـم لا يتفـــرق
توالت علي غربة البين حقبــــة فيا ليتنى بالبَيْـن لـم أكُ أحـرق
مضى زمن بالوصل يحلو اذكـاره وهذا زمـان قد أظـل مفـــرق
خليلي أما العين فهي سخيـــــة بدمع ، وأما النوم فهي تــــؤرق
فما رأيكم لا خيَّب الله سعيكـــم أفيدوا الكئيب ما لديكم يحقــق

وما ألطف قول المتنبى :

ألا ليت شعرى هل أقول قصيـدة فـلا أشتكـى فيهـا ولا أتعتـــب

راجع 115 من ج 1 من شرح ديوان المتنبى للعكبرى .

وقال أبو محمد عبد المنعم الحرانى المتوفى سنة 601 المترجم فـى الشذرات :

وأشتاقكم يا أهل ودى وبيننـــا كما زعم البين المشت فراســخ
فأما الكرى عن ناظرى فمشــرد وأما هواكم فى فؤادى فراســخ

وما أحلى ما أنشده الفقيه النظار ، أبـو إسحاق الشاطبى فى كتابه الافادات والانشادات عن الفقيه أبى عبد الله الشريشى ، عن الحاج أبى عبـد الله محمد بن عبد الواحد الرباطى من رباط تازى ، عن تقي الدين لنفسه فـى معنى رقيق حجازى :

اذا كنت فى نجد وطيب نسيمـه تذكرت أهلى باللواء فمحمــرى
وان كنت فيهم زدت شوقاً ولوعـة الى ساكنى نجد وعيل تصبــرى
فقد طال ما بين الفريقين موقفـى فمَن لى بنجد بين أهلى ومعشــرى

وما أحسنَ قولَ مَن قال بعد أربعة أبيات أنشدها فى المشرع الروي:

إن البقـاع إذا نظـرت رأيتهـــا تشقى كما تشقى الرجال وتسعـد

وأنشدنى صديقنا فارس ميدان الفصاحة والبراعة ، ومرعف أسنـة أقلام اليراعة ، العلامة المشارك الوجيه ، المؤلف الناظم الناثر النبيل ، شاعر المغرب وكاتبه الوحيد ، الرئيس المتفنن الجحجاح الصنديد ، أبـو العباس السيد أحمد بن قاضى مراكش العلامة الكاتب الابرع ، البليغ النابغة المصقع ، السيد عبد الواحد بن السيد محمد الشهير بابن المواز لنفسه ونقلته من خطه :

ولما رأيت الشيقين لأرضهـــم يبثون حزناً من نواهم مبالغـــا
عذرتهم عذراً وزدت تشوقـــا لمسقط رأسى لم أكن عنه زائغـــا
ألا ليت شعرى هل أدوم ممتعـــاً به عن رضى أرعى تغاث وزالغـــا

وهو رعاه الله أحد مقرظى كـتاب إظهار الكمال بنثر يفوق كـمائم الزهر ، ونصه

الحمد لله الذى يسر كـلا لما خلق له ، وأبرز بقـدرته ما خصصـه بارادته وعدله ، وألهم الهمم الهائمـة الى استمطار الديم الدائمة ، والعزائـم

الطامحة الى استحصال المتاجر الرابحة ، وخص من وفقهم بانتهاج مناهج ذوى الخصوصيات والولاية ، والترقى الى معارج أهل الكرامات والعناية ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير من اهتدى ، وقدوة من اقتدي به واقتدى ، الذى كانت كرامات الأولياء تأييداً لمعجزاته وتصرفاتهم فى العناصر الكونية من دلائل ءاياته ، والرضى عن ءاله وأصحابه ، الحافظين لأسرار حقائق عرفانه ، والصادعين بأحكام شريعته وبيانه ، وبعد فيقول عبد ربه ، ورهين كسبه ، أحمد بن عبد الواحد ابن المواز السليمانى نسباً الفاسى منشئاً وداراً ، قد سرحت سوام النظر فى تأليف محبنا الخير الدين ، الفقيه العام المتحلى بمحاسن الشمائل ، المقتطف لثمار العلوم من يانع الأفنان وملتف الخمائل ، الكاتب البارع ، السيد عباس بن إبراهيم المراكشى ، فوجدته روضة أخذت زخرفها وازينت ، وتبصرة تشاكلت فروعها وتبينت ، جعله فى مناقب ساداتنا سبعة رجال ، المشهورين بكمال المقامات والأحوال ، تأليفاً يود الذهن أن يدوم له أنيسا ، والنفس أن تجعله لتعقلاتها عقداً نفيسا ، ألم فيه بما تفرق فى عدد كثير من التآليف ، وحرر فيه التحليات والتواريخ والكرامات والتعريف ، وأتى من ميراث النوادر الأدبية وتعصيبات الفوائد العلمية بالتالد والطريف ، فوفى للعزائم برغائبها ، وأكرع هيم الهمم فى مشاربها ، جالت منه فى ءاجام الخصائص أنامل حاطب ، وقابل مقبولات ءاثارها المحررة بهمة خاطب ، لم يترك نقلا إلا أسنده ، ولا احتجاجا الا أيده ، وسلك فى شرح قصيدته الرائية ، مسلكا جامعاً بين الاشارات والفنون الآلية ، وختم بجوامع الابتهالات والأدعية ، والتوسلات المرضية ، وذيل بما فيه للأرواح تصفية ، وللخواطر تسلية ، فكان تأليفاً فى موضوعه كافياً ، وبمواعد العناية والاعتبار وافياً ، نسئل الله تعلى أن ينفعه ببركات أولائك الأقطاب ، ويلبسنا وإياهم من أسرار كراماتهم أفضل لباس وخير جلباب ، وأن يداركنا سبحانه بعنايته ومحبة خير خليقته ، مدراكة تسلخ الطبائع من غواشيها ، وتطهر الهمم من الالتفاتات لعوارض تلاشيها ، حتى نغترف من موارد صفائهم ، ونستظل بمديد أفيائهم ، ونتعالج بسؤر أذواقهم ، والتخلق بأخلاقهم ، فباب عناية الله للمخلصين مفتوح ، وعزم المومن لتلقيات المواهب اللدنية بواسطة الأنوار

المحمدية طموح ، كمل الله الرجاء المبنيَ على صدق النية والتسليم ، ومن يعتصم بالله فقد هُدِيَ الى صراط مستقيم . وقد تذكرت بهذا تاليفاً في مناقب هؤلاء الأقطاب الكمل ، كان ألفه والدنا رحمه الله عام سبعة وتسعين حين ولايته القضاء بمراكش ، وهو بالخزانة الملوكية هنا بفاس من عهد مولانا الامام المقدس مولانا الحسن نعمه الله ، ونسئل الله تعلى أن يتجلى بالطافه على هذه الرعية الاسلامية ، ويؤيد مولانا أمير المومنين بتأييدات ربانية . ويصلح به وعلى يديه ، إنه ولي ذلك والقدير عليه ، والحمد لله رب العالمين . وفي ثاني وعشري رجب عام 1326 هـ .

وبعد فيقول عبد ربه، الوجل من سوء كسبه، عباس بن محمد ابن الفقيه أبى عبد الله محمد ابن الأستاذ أبى إسحاق ابراهيم المشهور بالنسبة اليه ابن القاضى أبى علي الحسن بن محمد فتحا المراكشى الدار والقرار ان علماء التاريخ استوعبوا الأخبار ، وبينوا ما فى الأرض من القرى والأمصار ، وجزائر البحار، بحيث لم تبق بلدة ولا دولة ولا صاحب مذهب وجماعة ، ولا علم وصناعة ، وفن وطريقة الا اختص بتاريخ كامل . وكتاب لأحوال ذلك شامل ، مثل تاريخ المدينة ، ومكة ، والطائف ، ووج ، واليمن ، وزبيد ، وصنعاء ، والشام ، ودمشق . والقدس ، والخليل ، وحلب ، وأنطاكية ، وحمص ، وصفد ، وقنسرين ، ومدينة السوس ، والعراق ، وبغداد ، والبصرة ، وسامرا والكوفة ، وواسط ، والجزيرة ، والأنبار ، وميافارقين ، ومصر ، والقاهرة ، والروضة ، والصعيد ، والاسكندرية ، وأسوان ، وأرض الحبشة ، وخلاط ، والمراغة ، وحران ، والموصل ، والأهواز ، وشيراز ، وأرمينية ، وأربل وهمذان ، وقزوين ، وري ، واصبهان ، وطبرستان ، واستراباذ ، وجرجان ، وخراسان ، ونيسابور . ونسا ، وهراة ، ومرو ، وخوارزم ، ودنيسر ، وبخارى ، ونسف ، وكش ، وسمرقند ، وأبيورد ، وقسطنطينية ، والأندلس، وغرناطة ، وقرطبة ، ومرسية ، وبلنسية ، ومالقة ، وبطليوس ، وأفريقية ، والقيروان ، وتلمسان ، وسبتة ، وفاس ، ومراكش ، ومكناسة ، وسلا ، وغيرها ، وطبقات الخلفاء والسلاطين . والملوك والوزراء والصحابة والتابعين، والمجتهدين والمفسرين والمحدثين ، والقضاة ، والمالكية والحنفية

والشافعيــة والحنبلية ، والصوفية ، والأوليــاء ، والنساء ، والمتكلميــن ، والنحاة واللغويين ، والبيانيين والعلماء والفرسان والفرضيين ، والأطبــاء والحكماء ، والمعبرين والأصوليين والحفاظ ، والراوين والأدباء ، والـكتاب والنسابين والقراء ، والخطاطين والخواص ، والمعبرين والشعراء والمعتزلة ، وطبقات الأمم من الغابرين ، وغير ذلك مما لا يحصى ولا يستقصى ، وقد كنــت وضعت عام خمســة وعشرين وثلاثمئة وألف شرحاً على منظومتــي الرائيــة المسماة بتنظيم درر الجمال ، فى مناقب أولياء مراكش سبعة رجال ، سميتــه إظهار الـكمال ، فى تتميم مناقب سبعة رجال ، المشار اليها فى تنظيــم درر الجمــال ، واستوعبت فيه مناقبهــم رضي الله عنهم ، وأطنبت فيمــا يتعلــق بالتوسل والــزيارة ، فجاء فى مجلد ضخــم ، وقرظهجماعة من جلــة العلماء وفضلاء الأدباء ورؤساء الـكتاب ، وأشار مسنــد العصر ، ومحدث المصــر ، الــواعية النقاد ، الحافظ اللافظ ، المحدث الــراوية ، عيبه الاسنــاد ، ذو التئاليف العديدة التى سارت مسير النيرين ، وشهد بفضلها أفاضل المشرقين والمغربين ، السري السني ، أبو الاسعاد سيدى محمد عبد الحي بن الشيخ العارف سيدى عبد الكبير الادريسى الكتانى الحسنى علي بأن أضع تاريخــاً كبيراً لمراكش يحيط بمن حلها من الأعــلام ، كما نبه على ذلك فــى تقريظه التأليف المذكور ، ونصه :

الحمد لله الذى يحي الأرض بــعد موتها ، ووعدنا فى أصدق الذكــر بقوله (ما ننسخ من ءاية أو ننسها نأت بخير منهــا أو مثلها) ، والصــلاة والسلام على سيدنا محمد قائد جيش المرسلين ، والمبعوث رحمة للعالميــن ، وعلى إخوته من النبيئين ، وصحابـه وءاله وكلّ المتقين ، أما بعد فــقد سر خاطرى ، وقــر ناظرى ، بهذا المجمــوع الفريد ، الذى ما عــلى حسن سبكــه من مزيد ، وجمعه لكل نقل غريب ، وكرامة لامام فريد ، وناهيك بموضوعــه الأشرف الأجلا الأحلى الأغلى الذى هو ذكر ءاثار مــن مضى من السلــف ، وما ينبغى أن ينهج على سبيله من وفق من الخلف، وتالله إن هذا المسلك والشغل لَفيه ينبغى أن يصــرف ما فى العمر ، من قــول وفعل ، كيف لا وذكر أهــل

الصلاح والتعلق به هو أرجى ما نرجوه ، ونحترم بجاهه فى كل وقت ونردده ونتلوه .

ان كانوا قد رحلوا عنى وقد بعدوا   فليس عن حبهم قلبى بمرتحـــل
فى حبهم أنا موقوف على رشـــــد   لأنهم سلكوا فى أوضح السبـــل
أميل وجداً بهم مهما ذكرتهـــــم   ميل الغصون وميل الشارب الثمل

ونقل مفتى اليمن البـدل السيد عبد الرحمن بـن سليمان الأهـدل الزبيدى عن خط أبيه عن بعض رسائل مسند مـكة الشيخ حسن العجيمى أن من ورخ مومناً من أهل الفضل والكمال فهو فى شفاعته ، ورحم الله مَن قال :

أرخهـمُ تـظفر بأجـر وافـــــر   فبذكرهم يجلى عن القلب الصـدا

وفى كتاب الدرر السنية ، فـى أخبار السلالة الادريسية ، ومـا فى حكمها من السادات العلوية ، ممن له ولاية ودولة فى الأقطار المغربية ، لشيخ شيوخنا الفقيه الحافظ المحدث المسند العارف محمد بـن علي السنـوسى المكى ما نصه ؛ قال جار الله (1) يعنى ابن فهد فى تحقيق الصفا ، فى تراجم بنى الوفا ، ما نصه : وقد ورد فى الأثر ، عن سيد البشر ، أنه قال مـن ورخ مومناً فـكانما أحياه ، ومن قرأ تاريخه فـكانما زاره ، ومـن زاره استوجـب رضوان الله ، وحق على المزور أن يكرم زائره وفى كتاب الجواهر المضيئـة أن ذكر فضائل العلماء تعرض لنفحات الوهب من الله (2) فان ذكرهم بالفضائل ذكر لله بالانعام والافضال ، وثمرة ذكر الله طمانينة القلب كما نطق به الكتاب المبين ، الذى لا ياتيه الباطلُ من بين يديْه ولا من خلفه ، فنطلب الله تعالى الجواد المفضال الذى يعطى كـل غال بلا سؤال ولا مطال ، أن يوفق مـؤلفه الماجد الأفضل البارع الأجمـل المعتنى بـالدرر ، المنتقى للغرر ، العـالم

---

1) هو محمد بنْ عبد العزيز بن فهد المكي الهاشمى الشافعى المتوفى سنة 704 وجمـع فيه الوفائية والشاذلية ورتبهم على الحروف .

2) تمام التسمية فى طبقات الحنفية للشيخ عبد القادر بن أبى الوفاء محمد القرشى المصرى المتوفى سنة 770 وقد طبعت بالهند سنة 1332 في مجلدين .

المشارك ، سيدى العباس بن إبراهيم المراكشى لتعزيزه بثان . يملؤه كهذا بالجواهر والأفنان ، فانى رأيت منه بهذا الشأن عناية جعله الله مرجع أهـل الدراية والرواية ، قالـه وكتبه مستعجلا خادم الحديث محمد عبد الحي بـن الشيخ عبد الكبير الكتانى الحسنى الادريسى خار تعالى له ووفقه ، في أواخر جمدى الثانية عام ستة وعشرين بعد ثلاثمئة وألف بفاس ، حرسها الله وسائر مدن الاسلام ءامين هـ .

فـاستصعبت هـذا الـمقام ، لـكون مـن قبلـى لـم يتيسـر لـه هذا المرام ، سيما وقد دخلها أيام كـانت كرسيّ الملك المغربى مَـن لا يضبطهم عد ، ولا يحيط بهم حد ، مـن أيمة الاسلام ولقلة اعتناء المغاربـة بالتاريخ لم يصنف فيها أحد بخصوصها كتاباً يضم شمل أعيانها ، ويحلى بهم زينة الدهر ، فقد درج فيها من رجال القلم والسيف الذين بهم انتظام حـال العباد ، وصلاحُ أمرهم فى المعاش والمعاد، من الملوك وحملة الشريعة وأماثل اللغويين والنحويين وأركان الشعر ، وأعلام الكتاب والأدباء من كانوا شموس العصر ، والتصانيف المصنفة فى تـاريخها المختص بـها أو برجالها قليلة جداً ، منها (الحلل الموشية ، فى الاخبار المراكشية) لابن السماك العامرى المنسوبة اليه فى أول كتاب البدور الضاوية فى مناقب أهل الـزاوية الدلائية للعلامة المؤرخ النسابة سيدى سليمان الحـوات ، وقد ترجم لسان الـدين ابن الخطيب فى ريحانة الكتـاب ونجعة المنتاب لأبـى العلاء بن السمـاك ، و (درر الحجال، فى مناقب سبعة رجال) ، للعلامة الصغير الأفرانى المراكشى ، و (الكواكب السيارة، فى البحث والحثّ على الزيادة) ، للعلامه سيدى المكى بن مريدة المراكشى، و (الارتجال، في مناقب ومشاهد سبعة رجال، ومَن اشتهر فى مراكش أو دخلها من مشاهير صلحاء الرجال) ، للعلامة الأمين الصحـراوى المراكشى ، أما الأول فانه خاص بملوكها ، وأمـا الثانى فلـم أقف منه إلا على مقدمته فى مبيضة مؤلفها بخط يده ، وحدثت أنـه لم يكمل ، وأما الثالث فليس فيـه جميع أعيانها ولا من دخلها من غيرهـم ، ولم يكمل أيضاً ، ومقصد الكتب الأخيرة الثلاثة لا مزيد فيـه على ما احتوى عليه كتـابى إظهار الـكمال المتقدم الذكر ، فقد أدرجت فيـه ما لم يكن عندهما ، وأحاط بزبدة ما لديهما،

فلله الحمد والمنـة ، وجرى فى اظهار الكمال المـذكور ذكر نحـو المئتين ممن حل بمراكش وبعض أعمالها بترجمة وبغير ترجمة ، وهو الأكثر ، وأمـا (التشوف الى رجال التصوف) فانه وإن كان القصد منه ذكر مَن كان بحضرة مراكش مـن الصالحين ومن قدمها من أكـابر الفضلاء وأضاف الى ذلـك مَن كان من أعمالها وما اتصل بهـا من أهل هذه العدوة الدنيا ، كـما ذكر فـى ديباجة كتابه ، إلا أنه مختص كما ترى بالصوفية ، وقد نبه على تقصير المغاربة فى التاريخ الامام الأوحد أبو حامد العربى الفاسى فـى ديباجة مرءاته بـما لفظه : (وقد وسموا المغاربة بالاهمال ، ودفنهم فضلاءهم فـى قبري تراب واخمال ، فـكم فيه من فاضل نبيه ، طوى ذكـره عدم التنبيـه ، فصار اسمه مهجوراً ، كان لم يكن مذكوراً) ، وانى لأتعجب من أهل مراكش بالخصوص فهذه الخصلة هي التى كانت سبباً لدفن سابقهم ولاحقهم ، وغمط رفيع قدر عالمهـم وفاضلهم وشاعرهم وسائر أكـابرهم ولهذا أهملهم المصنفون فـى التاريخ كمن يترجم لأهل قرن من القرون أو عصـر من العصور ، وان ذكروا النادر منهم لأن الذين ينقلون أحوال الشخص إلى غيره هـم معارفه وأهـل بلده ، فاذا أهملوه أهمله غيرهم وجهلوا أمره كما قال الشوكانى فى (البدر الطالع بمحاسن مَن بعد القرن السابع) فى حق الزيدية .

ولمـا كـانـت عزمـات الـرجـال تظهـر نتـائجهـا بكثـرة الأشغـال ، وتجـود الهمـة فـى مداومـة الـعمل ، وتـقصر عنـد ارتكاب طـرق الاهمال والملـل ، اقتفيت إشـأرته راجـياً حصـول المطلوب على وفق الأمل ، مرتباً له على حروف المعجم ، ليسهل به كشف ما أعجم مقدماً الأحمدين ثم المحمدين (1) ، وفاقاً لتاج الدين ابن السبكى فـي طبقاته الكبرى ، ووفاقاً لصاحب التكملة لـكتاب الصلة ، ولصاحب الاحاطة ، ولصـاحب الديباج ، ولصاحب الجذوة فى الأحمدين وان كـانوا أخروا الى حرف الميم المحمدين ، والضبى والسيوطى فـى بغيتهما فـى المحمدين وان كانا قدماهم على الأحمدين ، جـامعاً للعلماء من أهلها والغرباء والملوك فـى ترجمة مـن غير إفراد الطبقتيـن الأخيرتين عن الأولى وفاقاً لصـاحب بغية

1) لم نتقيد بهذا الترتيب فى هذه الطبعة للأسباب المذكورة فى كلمة التقديم .

الملتمس فى تاريخ رجال أهـل الأندلس ، ولصاحب الاحاطة بما تيسر مـن تاريخ غرناطة ، مورداً أسماء كل حرف فيه مـن غير مراعاة لترتيب الحروف فى غير الحرف الأول من الكلمة وفاقاً لصاحب التكملة ومَن سلك من المغاربة عـلى هذا المنهج غير ملتزم للترتيب فـى بقية أحرف الكلمـة وما بعدهـا كما التزمه السيوطى ومن عـلى ذلك المنهج انتهج ملتزماً مراعاة الأحرف فـى تقديم الأسماء على بعضها بعضاً ، فأقدم مثلا فـى حرف الميم مـن اسمه مالك على من اسمه مبارك وهكذا ، نعم لا ألتزم مراعاة الأحرف فى أفراد مَن يُسمَّى بذلك الاسم ونحوه مع بعضها كمن يسمى مثلا بعبد الله حيث تعددوا وانـما أراعى الأقدم تاريخا ، فالذى يليه مدرجا لكنى كل حرف ءاخره باعتبـار أول حرف بعد الصدر بحيث أجعل كل كنية ءاخر حرفها (I)، فأضع مثلا أبا العباس بعد من اسمه عباس ، وأبا عبد الله بعد من اسمه عبد الله وهكذا ، ولا أجعل للكنى بعد إتمام أسماء ذلـك الحرف كلهـا وفاقاً لابن الفرضى ولصاحـب التكملة ، وكذلك من اشتهر بابن فلان ولم أقف له على اسم ولا لقب ولا نسب، واضعاً اللقب أو النسب موضع الاسم إن لم أقف للمترجم على اسم ، مضيفـاً رجال أغمات لرجال مراكش ، لكون الأولى صارت من أعمال الثانية ، بعد أن كانت قبل اختطاطها قاعدة مـن قواعد المغرب ذات محاسن فـاشية ، ذاكـراً للنساء ءاخر حروفهن من تراجم الكتاب (2)،ولا أؤخرهن إلى تمامه وفقاً لصاحب الجذوة ، منبئاً بكل من وجدت فى الكتب منسوبا لمراكش وان لم أقف على دخوله لها وولد بغيرها وانما نسب إليهـا لكون أصله منها متبرعاً بذكر مـن وصف بالجولان فى بلاد المغـرب لشمول ذلك العموم لـها شمولا واضحاً ، ودخولها فيه دخولا أولوياً راجحا ، وبذكر مَن توجه اليها وإن كان ربما عاقه عـن الوصول اليها عائق اعتباراً بقصده حيث سلك فى ذلك أقوم الطرائـق ، وآخذاً بأدنى العلائق ، وبذكر كتاب ملوكها وخلفائهم ومَن له تعلق بهم ممَّن يعلم أنه ملازم لركـابهم حضراً وسفراً لغنى ذلك عن التنصيص عـلى دخوله

I) لم نتقيد بهذا فى هذه الطبعة ، فأبو بكر ينظر فى حرف الهمزة لا حرف الباء ، وأبو العباس حرف الهمزة لا حرف العين .

2) لم نتقيد بهذا فى هذه الطبعة ، بل جعلنا اسم كل امرأة فى المكان الذى يجب له ، الألفبائى .

لمراكش إذ علم بمستقر العادة ، وربما أذكر بعض مـن فى أعمالها غيـر أغمات تبعاً لصاحب الاحاطة إذا كانت له شهرة" توجب فى الاعلام انخراطه ، ويتبين النزيل مـن الأصيل فى داخل الترجمة ومـن حل أغمات أو غيرهـا من الأعمال ممن حل مراكش فيها بما يكشف مبهمه ، وكذلك يتعيـن فيها المنصوص عـلى دخوله من المحتمل بما لا يبقى فيه لبس للمتأمـل ، وذكرهم على الاحتمـال أفيد من حذفهم تكميلا للفائدة ، مبينا مـن اشتهرت كـمالاته ، وخفقت عـلى رؤوس الأعلام راياته ، مظهراً لشأنه بأحسن تنبيه ، منوهاً لقدره بـأرفع تنويه ، مصرحا ءاخر الترجمة بمَن ذكره جامعاً لما لديهم فـي ترجمته مـن الفصول المحررة ، مترجماً لمن درج ممن تأخر عصره عـلى حسب ما تلقيتـه أو نقلته أو رأيته من الأعيان راجياً ما ينضم الى ذلك من دعوة صالحة بهمـة ناجحـة لمن ذكرت ترجمته وأبديت معرفته بيـن الأقران ، مفسـراً للأسماء المنسوبة أو غيرها إن توقف عليه الحال ، منبهاً عـلى ما يعرض أثناء ذلك مـن نقد أو إبطال ، غيـر مدع فى ذلك الاحاطة والكمال والاستقصاء ، اذ لا يحاط بمـن درج من العلماء والصلحاء فى مراكش الحمراء ، وانما ذكرت مـا وقفت عليه منهم فـي الكتب التى وصلـت إلي أو وقفت على اسمه ضمـن التواريـخ والفهرسات وغيرها الحاصلة لدي ولا وصمة على من جاد بما فى يديه :

على قدر الكساء مددت رجـــلى ولو طال الكساءُ لهـــا لطالـــت

ءاخر

ولا تـجود يد الا بـــما تجـــد

لاسيما وأنني يومئذ عام سبعة وعشرين وثلاثمئة وألف عن مراكش مسقـط رأسي بعيد غريب ،مقيم بفاس طهرها الله من الأرجاس وعـن أهلي وكتبي التى ألفت مطالعتها ومراجعتها جنيب :

يا عين فيضي بدمع منك تسكابـا وابكي أخاك اذا جاورت اجنابـا

فلذلك أقول

سلام عليكم أهل مراكش الحمـراء سلام شذاه نم فى حيكم عطـــرا
اليكم يحن القلب فى كل لحظـــة ويشتاقكم كيما يرى الطلعة الزهرا

وما ألطف قول ابن زهر

أحن الى الحمراء فى كل ساعـــة	حنين مشوق للعناق وللضــــم
وما ذاك إلا أن جسمى رضيعهـــا	ولابد من شوق الرضيع الـى الأم

ونسبهما فى نفح الطيب لابن أبـى روح الجزيرى لما تغرب بالمشرق (أحن إلى الخضراء) .

ولله در الوزير ابن ادريس اذ يقول :

بمراكش حط الرواحلَ ولتهـــدِ	لساكنها أزكى التحية والحمـــد
وخص بها أهلَ الولاية والتقـــى	وأعلامَ خير قد تواصوا على الرشد
وهل لى من الأحيا ضيافة معتـــر	فهم شفعاء القائمين ذوى اللحـــد

وقال أيضاً رحمه الله متشوقاً الى داره الـتى بناها بروضه بمراكش وقد أزعجه عنها الحركة مع الركاب السعيد حين ظهر تعدى النصارى لحدود وجدة عام 1260 :

دار الرياض سقاك الرائح الغادى	ولا أصابك كيدُ الخائن العـــادى
أهوى حماك وفى القلب الحنين له	فى كل حين ودمعى رائح غـــادى
ما إن ذكرتُك الا هزنى طــــرب	شوقاً لتلك القباب الشم فى النادى
ولا سرى ليَّ من ذلك الجناب صبا	إلا شَممت عبير المسك والجـادى
سقيـاً ورعياً لأيام السرور بـــها	فتلك غرةُ أزمانى وأعيـــــادى
منازل راقت العليا منازهُهـــــا	وقابلتْها باقبال وإسعـــــــاد
وعاقنا عنك سيرٌ فى سبيل هدى	وأرتجى فى جنان الخلد إيـــرادى
قد مرَّ عمرى ولا زاداً أقدمـــــه	وذا الجهد لعمرى أفضل الـــزاد

وقال أيضاً رحمه الله

بمراكش عرج على دارة السعـــد	وحي به حياً لميةَ أو دعـــــد
وقفْ وقفةَ المشتاقِ فى عرصاتهم	وذكرهمُ ودى وما مرَّ من عهـــد
فانى وان شطتْ بيَّ الدارُ عنهمُ	أخو شغف فى حاليْ القرب والبعد

تطيل الليالى مطلَ وعدى بقربهــم … وشوقى لهم شوقى ووجْدى لهم وجْدى
سقى الحوزَ هتان" يروق أرضَــه … وحيَّى الحيا عهدَ المحبة والــود
بسارية للبرق فيــها تبســـم" … اذا ما بكتْ ريعتْ لقهقهة الرعــد

وله رحمه الله

أخلايَ بالحمراء هلْ شفكُم بعدى … وهل شاقكم ذكر المعاهد من بعدى
وهل عهدكم باقٍ كما قد عهدتـه … فانى لعمرى الله باقٍ على العهـد
وهل عهدكم صافى إلمناهل سلسل … جميل صفات الود مستحكم العقـد
فانى وان شطتْ بيَّ الدارُ عنكم … لأكثرهم شوقاً ووجداً بـذى ود
فان تدعوا فى الشوق أبعدَ غايةٍ … فأضعافُ ما تعنون عندكم عنـدى
سلوا الليلعن وجدى بكم وصبابتى … وبزل المطايا عن حنينى وعن وجدى
أكنُ الجوى والدمع بين سرائرى … فلله ربى ما أكن وما يبـدى
عسى نفحة أو لمحة من جنابكـم … تعلل صبّاً مستهاماً على بعـد

وقال أيضاً رحمه الله

قلبى بحبى لأهل الخير مرتهـن … وسرهم فى سواد القلب مؤتمـن
كتمتُه فوشى واشى الفؤاد بـه … حتى تساوى لديَّ السرُ والعلَن
يا أهلَ مراكشٍ لله دركـم … من جيرة حبهم باد ومختـزن
ملكتم القلب بالألطاف وانجزمت … لجمع أنسكم الأكدارُ والحـزن
ألفتكم إلفةَ الأخيار بلدتكـم … فما يُشوقُنى أهل ولا وطـن
الله يـعلم منـى ان فرقتكـم … كما يفارق كرهاً روحَه البـدن

وقال من قصيدة يمدح بها مولانا عبد الرحمن مطلعها

أدام الله أيـامَ التهـانـى … وبلّغنا بمهجتنا الأمانـى
وأسدل من عوارفه ستـورا … مُوطدةَ القواعدِ والمبانـى
وأبقى دولةَ الأشرافِ فينـا … موطدةَ القواعدِ والمبـانـى
وبارك فى الامام العدل منهـم … أبـا زيد ضيا عـين الزمـانْ

الى ان قال

لى أن حلّ مراكشاً إمـــــــام بسيف العدل جان كل جـــــان

ثم قال

فان تفخر بفاس فان فخــــرى بمراكش على الدنيا كفانــــــى
بـلاد أسست للملك قدمـــــا وفاقت فى الجوار وفى المكـــان
بها ما شئتُ من دين ودنيـــــا وإخــــوان الخلاعة والقيـــان
وأحيـــاء وأمـوات كـــرام وأعلامٍ وأعيان المعانـــــى

ووسمته حين رسمته ، بـ (الأعلام ، بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام ، وملوك الاسلام) . ولك أن تترجمه بحلل الزراكش . فى تاريخ أغمات ومراكش، ولك أن تعلمه بالابتهال والاهتمام، بذكر من حل أغمات ومراكش من الاعلام ، وملوك الاسلام، ولك أن تنعته بالترجمان المعرب، بمن حل من الأعيان مراكش وأغمات من عواصم المغرب . أو بالمجلى المغرب ، فى أخبار من حل من الأعيان مراكش واغمات من قواعد المغرب . أو بالروض الخصيب المعجب ، فـيمن حل من الأعيان أغمات ومراكش مـن مدن المغرب ، أو بقلائد الجوهر المنظمات ، فى أخبار مَن حل من الأخيار والفضلاء مراكـش وأغمات . أو الزبرجدة الخضراء ، فـى تاريخ أغمات ومراكش الحمراء . أو يواقيت الأخبار، فى مَن كان بأغمات ومراكش من الفضلاء الأخيار . أو اللؤلؤ والمرجان ، فيمن كان بأغمات ومراكش مـن الأعيان . ولا أكون للاستطراد مورداً . إلا أن يحسن ويعذب مورداً ، ومهما ذكـرت قلت فهو من مقـولى الا أن يصرفـه السيـاق أو اللحاق لغيرى ، وقد لا أذكره اتكالا عـلى وضوح المقام الموذن بكونـه من تنبيهاتى وفوائدى ، وانما ذكرت اصطلاحى ائتساء بـما فى فتـح البارى ان عادة المصنفين أن يضمنوا الخطب اصطلاحهم فـى مذاهبهم واختياراتهم .

(تنبيه) قد لا أجد فى ذكر الـمترجم ممَّن تقدم زمانه أو تـأخر إلا سطراً أو نحوه ، ثم إننى أذكر فى ترجمته الورقة فأزيد وأستخرج ذلـك من تأليف له إن وجدته ، وقـد لا أجد له ترجمة ثم أستخرجها له من كـلامه

اقتداء بما قاله العارف شيخ الاسلام أحمد القليوبي في كتابه تحفة الراغب ونقله صاحب لباب المعاني ونصه : ولا يخفى عليك أن المؤرخين من الأدباء والعلماء ورجال الطبقة على قسمين ، الأول منهم وهم الأدباء قسم صرف همته لسرد حوادث الملوك والحروب والوقائع مع درج اللطائف الأدبية والفكاهات الشعرية ، فأهمل حقوق مثل هذا السيد الجليل يعني سيدى أحمد الرفاعي ، واختصر ترجمته ، فقال وفي سنة كذا مات فلان وتكلف كل التكلف ، فكتب بشأنه سطراً أو سطرين ورجع إلى ما هو عليه من طريقته التي ذكرناها ، والثاني وهم العلماء فهم على الغالب متى أتوا بذكر شيخ من الزهاد والصوفية أعيتهم الحيل وحاروا ، فتارة يمدحون وتارة يعترضون ويريدون الاطالة ويمنعهم التعصب لمذهبهم ومشربهم ، واذا اقتصروا سدوا باب الفائدة ، فترى تراجم الشيوخ الكاملين مذكورة في التواريخ والطبقات، ولكن كأنها لم تذكر بسبب هاتين العلتين الباردتين، ولذلك ما بَقِيَ للوقوف على حقائق أنسابهم وأحسابهم ومذاهبهم ومشاربهم إلا مطالعة كتبهم وءاثارهم والكتب التي ألفها بشأنهم جماعة من كمل أتباعهم وأنصارهم هـ .

تتمة في إيراد بقية تقاريظ إظهار الكمال : فمنها تقريظ العلامة الناسك التقي النقي ، الحافظ اللافظ المطلع الجامع لمحاسن الأخلاق السني ، سيدى إبراهيم ابن القطب الواضح الولي الصالح سيدى محمد بن عبد الحفيظ الدباغ الحسني ونصه :

الحمد لله الوهاب الفتاح ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد الذى لكل خير مفتاح ، وعلى ءاله وصحبه وعلماء أمته الذين هم لرزق الأرواح مفتاح ، أما بعد فقد طالعت بعض هذا التأليف المسمى اظهار الكمال في تتميم مناقب سبعة رجال . للعالم الفاضل ، الحاوى لسني المفاخر والفضائل ، الفقيه العلامة سيدى العباس بن إبراهيم المراكشي شكر الله مسعاه ، وزاد في حسه ومعناه ، فوجدته مشتملا على مناقب أولياء الله الأبرار، ومستوهباً من الله الكريم الأسرار، بالخوض في البحر الزخار، ففي الحلية أفضل ما تعبد به المتعبدون التحبب الى أولياء الله تعالى، ومن التحبب اليهم ذكر مناقبهم

ونشر فضائلهم ، وعن الطبرى مات غريب عندنـا وجلسنا لاصـلاح دفنه . فاستـوى جالساً قلنا له أليـس قـد مت ؟ قال بـلى ولكن رجعت لأحدثكـم وأبشركم أنفع ما عندنا محبة الصالحين ومولاتهم ، ثم رجع ميتاً ، ومن محبتهم ذكر وفياتهم ومناقبهم اذ هم القداة والهداة ، وليـس فى كون بـعض الناس لم يهتد بهم ما يخرجهم عـن الهدى ، فالشمس شمس وان لم يرها الضرير ، والعسل عسل وان لم يجـد طعمه الممرور ، فالخيبة كل الخيبـة لمن عطش والبحر زاخر ، وبقي فى الظلمة والبدر زاهر ، وخبث والطيب حاضر ، وذوى والروض ناضر، نسأله سبحانه أن يخلص لديه الأعمال،ويصلح بفضله الأحوال، ويصحب بركتهم المؤلف ومَن له نية صالحة ، إنه على ما يشاء قدير . وكتبه العبد الفقير ، المعترف بالعجـز والتقصير ، إبراهيم بن محمد الدبـاغ . أوصله الله بجميع المباغ ، بمنـه ومحض كرمه ءاميـن . وفى رابـع رجب الفرد الحرام عام ستة وعشرين وثلاثمئة وألف .

ومنها تقريظ صديقنا الشريف الفقيه العلامة مفتـى فاس ، ومحـرر نوازل الفقيه المالكى بلا التباس ، ذى التثاليف العديدة ، والأبحاث الرائقـة المفيدة ، سيدى المهدى الـوزاني ونصه :

الحمد لله ، وصـلى الله على سيدنا محمد وءاله ، وبعد فيقول كاتبـه وفقه الله طالعت بعض هذا التأليف فـى مناقب الأولياء ، وخصوصاً سبعـة رجال ، تـأليف العلامة الأديب . الفاضـل المشارك الأريب ، أبـى الفضل سيدى العباس بن إبراهيم المراكشى حفظه الله المسمى باظهار الكمال . فـى مناقب سبعـة رجال ، فاذا هو كتاب فائق رفيع ، وشكل عجيب رائق بديع ، نظم من الفوائد دررها ، وأبدى مـن وجوه المحاسن غررها ، ووصل الى ما لا يدرك إلا بالفتح الربانى ، ولا يوصل اليـه إلا بالالهام الصمدانى ، فهو جدير بان تصرف اليه الأذهان ، وتلقى اليه مقاليـد الاذعان ، وشاهد لمؤلفه برسوخ القدم فى النبل ، واحراز الغاية القصوى فى الفضل ، نفعنا الله واياه بالعلـم وحمله ، ونظمنا جميعاً فى سلك أهلـه وحزبه ، بجاه النبـي وءاله ، طالبـاً منه أن لا ينسانى فى صالح دعواته ، فى خلواته وجلواته .

تـذكر أخـاك ولا تنسـه فليس بنـاسيك مهما دعـا

والسلام قاله وكتبه المهدى بن محمد الوزانى العمرانى لطف الله به .

ومنها تقريظ ودنا مفتى فاس الفقيه العلامة ، المتدرع من العلوم بالدرع واللامة ، محلى الطروس ببراعة لسانه ، وراقم وشي بـرودها ببراعة بنانـه ، البليـغ المصقع الناظم الناثر الكـوكب الوقاد ، الـدراكة الفهامة البحـاث النقاد ، كريم المائدة ، جليل الفائدة ، أبى عطية سمينا السيـد العبـاس بن أحمد التازى ، ونصه :

نحمدك يا مَن منح أصفياءه طـرق الوسائل ، وفتح على يد أوليائـه أنواع الفضائل ، والصـلاة والسلام على الواسطـة فى إظهار الكمال ، ومَـن على يده تضاءلت لهم زواهر الجمال ، حتى ان من احتمى بهم انتصر ، ومـن حاد عن طريقهم انكسر ، ومَن تمسك بأذيالهم أفلح وافتخر ، ومَن رامهـم بالاعتراض انقطع وانزجر ، وبعد فقد أوقفنى الفقيـه الأجل ، العالم العـلامة المشارك الأمثل ، عيـن أعيـان الصدور ، والغرة فـى جبين الدهور ، أحـد أعيان علماء مراكش الحمراء ، والحامـل لهم عند التقدم الراية واللواء ، مَن تفيض علومه عند المذاكـرة ، وتتلاطم أمواجُه عند المخابرة ، حـامل بنود الشريعة على الكاهل ، وحسـام قاطع لكل معانـد مناضل ، الناثر الشاعر ، والكاتب الباهر ، والمثل السائر ، سيدى العباس بن إبراهيم المراكشى على كتابه المسمى باظهار الكمال الخ فاذا هو كتاب غـريب ، ومجموع عجيب ، لا ينكر فضله ، ولا يختلف اثنان أنه ما ألف مثله ، محتو عـلى نخب حقائـق بعض العارفين ، وزبد كنز الواصلين ، قد توجه مؤلفه باظهار الكمـال ، وتمم محاسنه بتتميم محاسن أولئـك الرجال . فلله دره مـن مؤلف جل مقداره ، وطفحت بالفوائد أسراره ، وهمعت من سحائب الفضل أمطاره ، ولاحت فـى سماء السيادة شموسه وأقماره ، فجزى الله تعالى مؤلفه أفضل الجزاء ، ونشر علومه عـلى أهل الدراية والصفاء ، جعله الله علماً للمهتدين ، وقدوة للسالكين، وبحراً يغترف من علومه ظماء المسترشدين ، ونوراً يستضيء بنوره طلاب اليقين ، ولما فاح أرجُ الختام ، وازدهت محاسنه بالطبع واشرفت على التمام ، قلـت :

بَعْد بُعْد ووحشة وتنــــاس وسهــاد أصبحت ذا إينــاس
حيث أبدت ذات المحاسن وصــلا وتبدت بـــقدها الميـــاس
أخجلت من جمالها حورَ عيـــنٍ بالحُسن طابتْ به أنفاســـى
فكــأن البهاء حين تبـــدى من سناهـا قوافــي العبــاس
ســيد فاضل عليـــم أديـــب شامــخ المجد طيب الأغــراس
دوحة المجد والفضائل يســـم فــى فنون العلوم والأطـــراس
قد تبدت للحب منكم شــروحٌ شيدت لعلاك أعلا الكراســـى
أطرب السامعين منها صنيـــع وفــروع محفوظة الألبـــاس
حيـــث أودعته شمائل قـــوم نورهم قد سما على النبـــراس
هم شموس الوجود أهل المعالــى هم بدور الهدى ذوو الالتمـــاس
يا سميَّى سموتَ عزاً وفخـــراً وابتهاجاً عــلى جميع النــاس
حيث أظهرت للكمال تمامـــا فى قريض مرصع بالجنـــاس
صانه الله مــن حسود غيـــور وشرور الوسواس والخنــاس
بالنبيِّ الـرسول أفضل هـــاد وشـفيع يجير فــى الأرمــاس
فعليـــه من الاله صـــلاة وسـلام مـا فاح عـــرف الآس

العباس بن أحمد التازى كان الله له بمنه ءامين

ومنها تقريط الفقيه العلامــة الناسك ، الأصولى المعقولى المنقولى ، المشارك السيد عبد العزيز بنانــى ونصه :

الحمد لله وحده، وصلي الله على سيدنا ونبِّينا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم يامَن أمدنا بنعمتيْ الايجاد والامداد ، ويسر مَن شاء لما شاء من العباد ، ليلتقي كل ما قدر له من الواردات تــكرما منه جل ثناؤه وتفضيلا ، وتقريــراً لصادق وعده فى جنات عدن يسقون فيها كأساً كان مزاجُها زنجبيلا ، ومــن حكمه أودع فى خواص خلقه مزايا ليزداد بها على غيره تشريفاً ، ولولا لطفُه العجيب لم يجعلْ له فى هذا الوجود تعريفا ، حكمة غني لا غرض له ولا تعليلا، مــا ان برحوا ان عملوا اقدام الــرجاء الى محال نوافله فوجدوها مفتحــة لهم الأبواب ، مسلوكة السُبل ليس دون ما يستمنحون من الكمالات حراس ولا

حجاب حقا عليه أن لا يردهم عما سألوه الا ردا جميلا ، فـكم سهروا الليالى ، فى طلـب المعالى ، وكم دوخوا الأعمـار ، فى اقتنـاص بنات الأفكار ، أفـلا يستشفى بأخبارهم ولولاهم ما عرفنا للحق سبيلا ، سبحـانك من إلاه قيض لتقييد رصد سعود تلك المطالع احباراً مهدوا كيف كان انصداع ذلك الفجر الساطـع وكيف اطلع مـن مدارج النباهة عـلى كاهل المسامرات فاكرم بـه للمسترشدين دليلا اللهم انا نحمـدك فانك الهادى الى سـواء السبيل ونتوجه اليك توجه عاجز لائذ برب جليل ونستخلص بـك صحائف قلوبنا مـن شرك الشبهات والشكوك والاوهام . ونستمد مـن حضرة قربـك . ما يزيحنا عـن مداحض يوم تزل الاقدام ويطمعنـا فى اللحـوق بعبـادك الصالحين والتأدب بئاداب أوليائك المفلحين لا الاه انت الله الذى خضعت لـكبريائه أهل الأرض والسماوات ، وعكف على سلوك الجادة الى معرفته ذوو المجاهدات والمناجاة ، فشاهدوا من عجائب صنعه . ما اعجز أفكارهم . وعاينوا من عوالم ملكـه ما أدهش أنظارهم فاصبحوا يرتعون فى ميادين رضوانه . ويتنقلون عـلى موائد احسانه . فهم والله القوم الذين لا يشقى جليسهم . ولا يستوحش انيسهم .

هم الرجال وعار أن يقال لمـــن لم يتصف بمعانى وصفهم رجــل

ونـصلى ونسلم على أكمل عبيدك المبعـوث لتتميم مكارم الاخـلاق المحلى بمقام ان ربى أدبنى فأحســن تأديبى على العموم والاستغراق . مرءاة ظهور تجلياتك الالهية ومركز تنزلات مـواهبك الرحمانية وءايتـك المهداة الى جميع الانام . وطبيبك الأكبر . الذى طهرت به القلوب من الادران والاسقـام . صلاة وسلام تتحلى بهما الأفواه والمسامع وتسفل لاشراق نورهما البـدور الطوالع ، وتتواجد لهديلهما أرواح الأرواح ، وتصدع بشكرهما أطيار البشائر على منابر الأدواح . وعلى ءاله الحائزيـن قصب السبـق فى مضمار الفخـار وأصحابه الفائزين بمشاهدة طلعته التى هي أبهى مـن شمس النهار وعـلى من اقتفى ءاثارهم الى يوم التناد ، وانتحل صميم مجدهم من الزهاد والعباد ، وبعد فقد وقف العبدُ على هذا الموشى ، الذى تغشى من الجمال ما تغشى ، بـل التعريف المرصع بجواهر التشريف بل اظهار الكمال فى تتميم منـاقب سبعة

رجال ، تصنيف العالم الأوحد ، والكوكب الأسعد ، الآخذ من شفوف المحامد بالطارف والتالد ، المتلفع من مروط الصيانة والعفاف بكل سابد ولابد ، أبي الفضل سيدى العباس بن إبراهيم المراكشي . فاذا هو كتاب جم المحاسن وروض أدب تفجر بماء غير ءاسن مملوء من مناقب الصلحاء محشو من ملاحة كتب البلغاء قد ألم فيه ببعض مئاثر رجال مراكش السبعة وأفرغ في التعريف بعليّ مقامهم وسعه ، وكيف لا والتودد اليهم سعادة ، والانحياش إليهم مجادة والتملق على اعتابهم فخار وسيادة والتحلي بذكرهم يوجب الحسنى وزيادة، قال الشيخ القطب عبد القادر الجيلانى قدس سره فى عينيته:

فشمر ولذ بالأولياء فانهم … لهم من كتاب الله تلك الوقائع
هم الذخر للملهوف والكنز للرجا … ومنهم ينال الصب ما هو ساطع

وعلى الجملة فهو كتاب تكثر فائدته . وتنفع عائدته فجزى الله مؤلفه أحسن ما يجزى به الصالحين . وأثابه على نيته أفضل ما ينيل عباده المقربين فلا جرم ان صاحبه قد انتقى فيه من النقل ما صح لديه وأودع به من قواعد المعقول ما لا مزيد عليه وازداد رونقه بما وشح به غرته من الاسماط الشعرية والنكت البيانية . فجاء عمدة للقاصدين ومقباس نور للمستهدين . واذ تمليت من تلك الشمائل . وطفت ما بين هاتيك الخمائل انتضيت اليراعة انتضاء الصارم الصقيل ، ورقمت بها فى صفاح الطروس من عَروض الطويل :

ذريني ما اسلو بسلمى ولا هند … ولا روضة غنا مفتحة الورد
تعاهدها عفو السعود فامرعت … طرائف أزهار المكارم والمجد
وألبسها الوسمي ديباج سندس … غداة سقاها الطل بالجوهر الفرد
هناك خطيب الروض قد قام ضارعا … فلبت له الأغصان بالشكر والحمد
فتنظر للأدواح ما بين سجد … يعفر فى ذاك النقا طاهر الخد
وذى خجل أوداه زاجر وعظه … وما بين مصغ فيه أو رافع الأيدى
ومن ياسمين لابس ثوب واجل … كلون محب يشتكي حرق البعد
فما غل ذا لبى وما بى صبابة … الى جيد ريم فيه طالعة النهد
تميس بقد السمهري وقد سرى … أريج سراها فانتشى كل ذى وجد

وفى كل قلب من سهام لحاظهـــا / مواقع تفنى المستهام على عمـــد
اذا ابتسمت عن أقحوان رأيت من / ثناياها ما يغنى عن الدر والنقـــد
وأبصرت إدلالا ولطف اشــــارة / وحسن خطاب دون ذاك جنا الشهد
وأبصرت من معنى الكمال مظاهـرا / بطلعتها تربو على الحصر والعـــد
ولكننـــى أصبحت أتلو شمائـــلا / وأنشق خلقاً طيب العرف والنـد
وأهصر أزهار العناية والمنـــــى / وأسبح فى بحر الهداية والرشـد
وأشرب من تلك المحبة أكئوســاً / وصرف معين منها مستعذب الورد
بتصنيف إظهار الكمال فما لــــه / مثيل لما قد حاز من رتب السعـد
وتتميم أوصاف الألى غرر الــورى / وسادة أهل الأرض فى البدء والعود
لقد فخرت مراكش بأيمـــــــــة / فكانت بهم عذراء واسطة العقـــد
هم السبعةُ الأقطاب والأنجم التى / بها يستضا من حالك الجهل والجحد
على أنهم قد أحرزوا كل غايــــة / من القرب اذ جدوا على مهيع الجـد
فخُصوا من المولى بعين رعايـــة / وبَوَّأهم من فضله صادقَ الوعـد
وإنا بهم نستكشفُ الضر والعنـا / ونستمنح التوفيق فى كل ما يجدى
وعار يحل الضيم سوح مجيرهـم / وأحشاؤه ملأى من الحب والـــود
فلست بمحص ما لهم من مئاثـــر / ومن غلط إحصاء مسترسل الجود
فدونك هاتيك الخمائل فاجتنـــى / مناقبَ أقوام تجل عن الحــــــد
لخاتمة النقاد والألحب الــــذى / تغذى أفاويقَ النباهة فى المهـــد
وأبدى من التحقيق كل عروبـــة / أبادت ضياء الشمس والحور فى الخلد
وأسفر عن بحر من العلم مغـــدق / وعن حسن تقرير برىء من الـرد
مجلي حلبات السباق إلى العــــلا / بأنفس ما يشفى الفؤاد وما يهدى
ليهنك أيْ عباس فضلا وســؤددا / تقاصر عنه القوم فى سالف العهد
ولا زلت فى أوج المعارف ترتقى / وبُلغت من رب الورى منتهى القصد

قاله العبد الفقير الجانى ، عبد العزيز بن محمد بنانى ، كان الله له ووفقه لما فيه رضاه بمنه .

ومنها تقريظ حِبنا الشريف الفقيه العلامة شاعر العصر ، ونابغــة المصر ، ذى التآليف الرائقة ، والأبحاث الفائقة ، الشريف الوجيــه قــاضى

الصويرة والعرائش سابقاً ، النبيل النبيه سيدى أحمد بن المامون البلغيثى ونـصـه :

الحمد لله .

بعد حمد من رفع مراتب أوليائه ، وأسبغ عليهم سوابغ آلائه ، وأنزل عند ذكرهم الرحمات ، وأجمل بالتعلق بهم الخلاص من الأزمات ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد كنز المعارف ، وامام كل ولي وعارف ، وعلى ءاله وأصحابه ، وكل من انتمى لرحيب رحابه ، فقد أطلعنى الفقيه الأديب ، النبيه الأريب ، الكاتب البارع المصقع ، المحي رسوم ابن المقفع ، العلامة السيد العباس بن إبراهيم ، لازال شهير الفضل فى كل الأقاليم ، على مصنفه (إظهار الكمال ، في تتميم مناقب سبعة رجال) ، فوجدته موضوعاً يضيق عن مدحه الطوق ، لما جمع من تراجم السادات العارفين أهل الشوق والذوق ، وحيث كان قصده رعاه الله باطلاعى عليه ، قدحَ زند الفكر لتقريظ يستقرُ منى لديه ، وددت أن لو كان لى فى الأدب يدان ، وفى البلاغة لسان ، ومن طوارق الزمان دعة ، وفى مكان التسلى سعة ، عسى أؤدى بعض الواجب من حقه ، وأعرف كيفية السلوك فى طرقه ، فبقيت مدة واقفاً عن ذلك الغرض الذى ألم لصوارف من الدهر تعوق حتى عن امساك القلم ، مع عجز بادى ، وحجر متمادى ، والذى يأتينى فى ذلك لا يرضينى ، و الذى يرضينى لا يأتينى، ثم إنه رعاه الله لحسن ظنه ، ومحبة أهل فنه ، كرر الطلب فى ذلك الغرض ، ورأى اجابته من الأمر المفترض ، فلم يزدنى ذلك الا تقاصراً ، وفى نفسى تحاقراً ، حتى بلغنى أن جماعة من الأدباء والعلماء والكتاب قرضوه ، وبمدحهم نالوه وعوضوه ، فزادنى ذلك حياء من التقصير ، ولم أجد للقيام فيه غير الله من نصير ، فكتبت له هذه الأحرف لمجرد الاعتذار ، بعروض الأعذار ، وان لم ءاتٍ بمحصول، فالعذر عند الكرام مقبول ، والا فأين الثمد من البحر ، وأين السهى من البدر ، وأين دويّ الزنبور ، من نغم الزبور ؟ غير انه اذا وقـع الاغضا ، ارتضيَ ما لا يرضى، وقد يدرك بالزجاج ما لا يدرك باليواقيت ، وكل أديب يعرف ان حسن القول لا يدرك فى كل المواقيت ، وبالجملة فالكتاب المذكـور ، غاية فى بابه ، ضالة منشودة لطلابه ، جزى الله مؤلفه على صنعه الجميـل ، بالعطاء الكامل والفضل الجزيل :

باظهار الكمال بـدا الكمـــــال — لحبر ما له فينا مثـــــــال
أتت ءاياته تتلـو علينـــــــــا — مـآثـر مَن هـم السبـع الرجال
بصنع معجب ولطيـف وضـــع — ونقـل بالوثـوق لـه جمـــال
على عالى معالمه اهتدينــــــــا — لآثـار الذيـن سموا ونالـــوا
هم القوم الذين بهـم ينــــادى — لدى الأهـوال ان خيف الوبـــال
وهم من سرهم سار وبـــــاد — وهم من يرتجى بهـم المنــــال
رضي الله عنهم كل حيـــــــن — بما فعلوه من خيـر وقـالـــوا
وجازى من أفاد بهــم ووفــــى — جـــزاء لايكـــون لـــه زوال
بجاه المصطفـــى مسدى المزايا — لكل فتـى لـــه فينـــــا كمـال
عليه وآلـه والصحب طــــرا — صـلاة بالدوام لهـا اتصـــال

كتبه عبد ربه أحمد بن المامون الحسنى العلوى البلغيثى الله وليه ومـولاه .

ومنها تقريظ صاحبنا فارس المنابر ، وخطيب الحضرة الشريفة أعزها الله وسليل الأكابر ، قـاضى الجماعة بفاس البيضاء حينه ، ونائـب وزير الخارجية سابقاً ، الفقيه العالم المشارك المذاكر المؤلف الناظم الناثر ، رضيع المجد وحليفه ، ومرصع الطروس بما يجيده ترصيفه ، السيد عبد الله الفاسى ، ونـصـه :

الحمد لله الذى منح من شاء قربه واجتباه ، وفتح له أبواب التيسير بفضله وحباه ، وأكرم بولايته أهل محبته ووداده ، ونور بصائرهم باشراق هدايته ورشاده ، فهو الله الذى لا اله الا هو مؤتى الفضل من يشاء ، ومجرى الأقلام بباهر الترصيعات وحميد الانشاء ، أرسل رسوله محمداً بدراً لامعا ، على جبهة الدهور والاعصار لائحاً وساطعاً ، وجعل المستمدين من كمالاته على درجات ومراتب ومقامات ، فالكل منه واليه بدءاً وتماماً ، سابقة ازلية اكراماً واعظـامـاً :

لا تقس بالنبيء في الفضل خلقـا — فهو البحـر والأنـــام اضـــاء

صلى الله وسلم عليه وعلى من انتمى بسبب أو نسب إليه . وبعد فقد وقف العبد الفقير على هذا المؤلف الذى ألفه جهبذ عصره . ووحيد دهره . لسان البراعة . والمستعمل فى تحصيل العلوم بنانه ويراعه . الفقيه العالم الأديب السميدع الكاتب الأريب أبو الفضل السيد عباس بن إبراهيم المراكشى . فى ذكر مناقب السادات الاجلة . السبعة البدور الأهلة . من استنارت بقبابهم الحضرة المراكشية . وازدهت على غيرها بمحاسنهم العديدة الفاشية ، نفعنا الله بهم ، وأمدنا من فيوض مددهم ، فوجده قد احتوى على درر ويواقيت ، قل من يتفطن لها فى سائر المواقيت ، كفيلا بالمراد فى موضوعه الشهير موفيا به بحسن عبارة وتقرير ، وضم إليه من الفوائد العلمية ، ما فيه للطالب غاية القصد والأمنية ، فجزى الله مؤلفه خيراً وأولاه مثوبة وأجرا . وكثر أمثاله . وأناله ءاماله . وقد قلت مشفعاً ، وبجاه مَن ألف فيه متشفعاً :

لأفضل من نقر الغوانى الكواعب ... وأشهى من الروض العظيم السواكب
وأحلى من الوصل اللذيذ صبابة ... ومن رشف ذات الخال بين الصواحب
أعز إذاً من ذاك كله نفحة ... تهبُّ بتعداد الحلى والمناقب
وسرد حديث الصالحين وذكرهم ... ففى ذكرهم نيل المنى والمطالب
هنيئاً لمن أضحى رهين زمانه ... بأحوالهم أعظم بها من مراتب
كمثل أبى الفضل الذى حاز شهرة ... بنشر علوم بثَّها للحبائب
سمي بعباس فأحرز للعلى ... ونال ذكاء فهمه فهم صائب
به جادت الأيام تحت إمارة ... لها يخدمُ التأييدُ من كل جانب
لسيدنا عبد الحفيظ مثاثر ... فكم من مزايا أقبلت ومواهب
ليهنك هذا الشهم خدمة سادة ... حماة وأبطال بدور الغياهب
هم السبعة الأقطاب نور مراكش ... وبهجتها أهل العلا والمناصب
فشنفت أسماعا بذكر مثاثر ... لهم تنتمى والله مُوتى الرغائب
بحسن مساق واقتباس دلائل ... وكم من علوم قد حوى ومذاهب
يتيمة هذا العصر تاليف فاضل ... فدونكَهُ فهو المراد لطالب
جزيت جزاء لا يقاوم عزة ... ودامت لك العلياء أعظم صاحب

بجاه رسول الله خيرة خلقـــــــه محمدنا المحمود بحر المواهـــب
عليه صلاةُ الله ثم سلامُـــــــه وءال وأصحاب ليوث الكتائــــب
يدومان ما حبر تبدى منـــــــاره فغار لـــه بدر وكل الكواكـــب
وما مسعف قد قال طالبا الرضـى لأفضل من نقر الغواني الكواعـب

وكتب مـع استعجال ، وزيادة شغل البال ، الفقير الى رحمة مولاه ، عبـد الله الفاسي كان له مولاه وتولاه . وفـي ثاني شعبان الأبرك عام ستـة وعشرين وثلاثمئة وألف .

ومنها تقريظ صديقنا العلامة الناظم الناثر ، سليل بني الجد ووارث المجد كـابراً عن كابر ، نافث الـدرر من فيه ، ومحلي جيد القراطيس بنثـره وقوافيه ، السيد عبد الحفيظ الفاسي ونصه :

الحمد لله أحمـده واستعينه وأستغفره وأسأله التوبـة والمعونة ، وأصلي على نبيه أبي القاسم محمد بن عبد الله وءاله ، قـال أحَدُ الحكماء : تاريخ العظماء عمر ءاخر للناظرين يبث فـي القلوب عاطفة الخير والخضوع لصوت الواجب ، إن سبعـة رجال ، الشهيرة بمراكـش بالتعظيم والاجلال ، كانوا من أعظـم أكابر هذه الأمة علماً وفضلا ، واتباعاً لما كان عليـه المتبوع صلى الله عليه وءاله قولا وعملا ، ومناقبهم ومئاثرهم طارت بـها الركبان فـي جميع الأنحاء ، وتعطرت بنفحاتها الأرجاء ، خلد لهم التاريخ فـي قراطيسه من المئاثر ما يشهد لـكمال فضلهم وارتفاع قدرهم ، وأبقى لهم ذكراً حسناً عـلى ممر السنيـن ، وجعل لهـم لسان صدق فـي الآخِرين ، بيد أن ذاك كـان مُفرقا ، مع كونه مُحققاً ، فوفـِّق الى ترتيب ذلك وجمعـه ، وضم كل أصـل مع فرعه ، جناب العالم العلامة الماهـر ، الأديب الكـاتب الناثر ، السيـد عباس بن ابراهيم ، حفظه المولى الحكيـم ، في كتابـه إظهار الكمـال . فـي تتميم مناقب سبعة رجـال ، أطلعت على هذا المؤلف ، واستقريت مسـائله ، إلا ما شذ ، وسبرت وسائله ، فاذا هو في معناه فذ ، جمع من مناقبهم الكثير ، وروى السامعين والناظرين مـن بحرهم الغزير ، ووشحه بصحيح الأنقـال ، وتـرشح لحمل أعباء تلـك الأثقال ، ورصعـه بحكايات أنيقة ، وتنبيهـات

رشيقة فجاء نزهــة للناظرين ، وروضة رياحين ، كل ذلك لا محالة شاهــد باتساع عارضة الواضع، وعائد عليــه بحسن الذكر فى معارضة تلك المواضع، فلا فُضَّ فوه ، ولاسعِد من يجفوه ، العبــد المستغفر عبــد الحفيظ بــن أبى الجمال محمــد الطاهر الفهرى نسباً الفاسى داراً ولقبا كــان الله له . فــى 29 جمادى 2 عام 1326 هـ .

ومنها تقريظ أديب مراكش ونابغتها الفقيه النحوى اللغوى ونادرتها المتصرف فى ميادين الانشاء ، كيفما شاء ، مستخرج الــدرر من مكــامنهــا ، الناظم الناثر ناحت المعانى مــن معادنها ، السيد أحمــد بن محمد المراكشى ونصــه :

الحمد لله الذى شرف نوع الانسان ، وزانــه بالادراك وسحر البيان ، وقسم مشارب المعارف تقسيماً ، ليهدي اليــه من شاء منهم صراطاً مستقيما ، فقوم دلهم فــى ادراك فضله على العمل بالمجاهدة والمكابــدة ، وءاخرون بقرع أبــواب كرمه مــن طريق أهــل الخصوصية والمشاهدة ، الى غيــر ذلك من مشارع الحقائق ، وان لله طرائقَ على عدد أنفاس الخلائق . اللهم صل وسلــم على سيدنا محمد بحر الأنوار ، ومعدن الأسرار ، وعلى ءاله صلاة وسلاماً تؤدى بهمــا عنا حقه العظيم ، ثم ان مــمن ألهمهم الله تعالى التوصل لنيل الفضــل بالتوسل بخدمة بابه ، واستفرغ فى ذلك جهد لبه وجماع لبابه ، أخانــا فــى الله الزكى الاتقى ، العلامة المدرك المشارك ، الجــامع ذا اللسانين ، وقلــم الطرفين ، سيدى العباس بن إبراهيم المراكشى ، فانه أطلعنى عــلى كتابــه الذى ألفه وحرره فى شرح رائيته المتضمنة ذكر الأفراد السبعة مــن مشاهير رجال مراكش ذوى المقامات الشامخة ، والكمالات الباذخة ، رضى الله عنهم ، فأمتعت طرف النظر ، فى أفانين حدائقه ، وارتعت طرف الفكر ، فى بساتيــن رقائقه ، فاذا هــو مجموع اشتمل عــلى أزاهر الحظائــر وزواهر الأفــلاك ، وازدهى بما فاق به فى بهاءِ تنضيده يواقيت العقود ولئلالىء الأسلاك ، وقسماً بغرابة ذلك الصنيع ، ونضارة خمائل روضه المريع ، إن ما سدد اللهُ إليــه الأخ المذكور فــى ذلك لعبودية سنية هيأه اللهلها . لينال بركتها ، ويحــرز

خيرها وفضلها ، سبحان مَن يلهم عبده جميلا ، ويجزيه عنه جزاء جزيلا ، والكل منه واليه ، اللهم لك الحمد ولك الشكر على جميع إحسانك ، فلله درُّه فارساً كم قنص فيه من شوارد الخير ، وأورد فيه من موارد البر ، أحكم الجمع فيه بثاياته ، وبرهن على مصداق تقدمه فى الصناعة ببالغ معجزاته ، ولله شنشنته الصالحة وما أودع الله فيها من سر التعلق باسباب النجاح فى الدين والتدين بنشر كمالات أولياء الله المهتدين ، حتى تيسر له السير فى صنيع مجموعه المبارك هذا على حسب ما نعته به فى ديباجته ووصفه وشحنه بتلخيص فهرسته وفهارس القادة من مشايخه كما رصفه ان الفضل بيد الله يوتيه من يشاء ، ونسألك اللهم بما سألك به أكرم الخلق عليك مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تحرر المقاصد منا فى تحريرها على شوائب الأغيار ، وتجعلنا بك لك فى أحوال هذه الدار وتلك الدار ، وتقطع هممنا إليك قطعاً محمديا الى أن ياتيها اليقين ءامين ، كما نسألك اللهم عز كمالك أن تديم إشراق شمس السعادة الأبدية على العالمين فى ظل راية مَن نسخت بمحكمات ءاياته أباطل الباطل وأنرت بوجوده منار الحق وأسست بنيان أمره على أساس التقوى والرضى وجلالة الدين وغزارة العلم والاصابة فى الاجتهاد ، اللهم زين أيام الدنيا بمحاسن عدله وأنم البرية فى ظلال عزته وأقر عين الاسلام بدوام سعادته ، وكن اللهم فضلا منك لهذه الأمة المحمدية بلطفك الخفي وعفوك القديم وسترك الجميل ، فانك أكرم الأكرمين ءامين ، وءاخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين . وفى 29 رجب الحرام عام 1326 كتبه إجابة لاقتراح المؤلف أحمد بن محمد الأزمورى المراكشى لطف الله به ءامين .

ومنها تقريظ أديب فاس ، الفقيه العلامة المدراس ، المؤلف الناظم الناثر ، السيد أحمد سكيرج طيب الأخلاق والأنفاس ، ونصه :

بسم الله الرحمان الرحيم ، وصلى الله على سيدنا محمد الفاتح الخاتم وءاله وصحبه ، نحمدك يا مَن وفق أهل الخصوصية لحمده وشكره فقاموا على ساق الجد فى طاعته امتثالا لأمره . وكان تأييده لهم عونا على

الوفاء بـما كلفهم بـه فعبدوه مخلصين فـي العبادة مقرين بالعبودية التـي لا تسلب عنهم بعدما اصطفاهم وأوجدهم بجوده في الوجود ، وصيرهم عباده فارتاحت نفوسهم بـما غشيها من أنوار عنايته أتـمَّ ارتياح ، وأفاض عليهـم من حضرة قدسه ما انشرحت به صدورهم أتمَّ انشراح ، فدخلوا مـن باب الفضل والجود ، الى مقام الشهود ، وجلسوا على كراسي الجـلال ، متوجيـن بتاج الجمال ، في بساط الأنس به يتنعمون بواردات الالهام التي هي أكـرم في الاكرام مع الراحة التامة من بسط موائد الانـعام وأداروا كؤوس الـراح على الراح ، فثملت بها أرواحهم حتى رقصت بها الأشبـاح ، ولم يلتفتوا الـى غير مشهودهم في ذلك البساط ولم يحصل لهم الا به ذلك الانبساط :

قوم قد انبسطوا بذكر مولاهـــم ... بما لهم من كمال الفضل أولاهـــم
لا يجنحون الى سواه من ولـــه ... به لذاك على الأكوان ولاهـــم

فهم السلاطين على الحقيقـة ، بين سائر الخليقة ، يتصرفـون فـي الوجود ببسط أيديهم بحكم الخلافة فيه ، بما سبق لهم من عنايته بهم من غير شيء منهم يوافيه ، فهم لركن العبودية منحاشون على الـدوام ، وبالعبادة لـه قائمون بين الأنام ، حتى صحَّتْ عبودتُهم التي هي أصل الفتوحات، فكان كل واحد منهم كما قال الشيخ الأكبر في الفتوحات :

اذا صحت عبودةُ كـل عبـــد ... تـصحُّ له السيادة في الوجـــود
فيحـكم مثلَ سيده وتبـــدو ... عليـــه بذاك أعلام المزيـــد

ولم ينالوا شيئاً من ذلك الا على يد الواسطة الأعظم الذى لولاه ما تم الوجود لمن وجد ولم يجد الغريق في أوحال التوحيد من منجح ولا منجد :

مفتـاح كـل سعـــادة ... وطريـق كـل عنايـــة
مـن جوده عـم الـورى ... ببـدايـــة ونهـايـــة
خيـر الأنـام محمـــد ... مَـن هـو أعظـم ءايـــة

صلى الله وسلم على هذا النبي الرسول ، الذى به كمال المنى وبلـوغ كل سـول ، صلاة وسلاما يعمان الآل والصحابة والتابعين ، ويشملان أهـل

الخصوصية من أمته ومن اقتدى بهم الى يوم الدين . أما بعد فقد أطلعت فـي سعد السعود . على ما أطلعته السعادة مـن مطالع السعود ، فـي سماء سطور هذا الكتاب الموسوم باظهار الكمال ، في تتميم مناقب سبعة رجـال ، لأديب العصر ، ووحيد المصر ، الراقى بهمته العالية للمقامات المنيفة كاتب الحضرة الحفيظية الشريفة ، مَن :

إذا أقـر عـلى رقٍّ أنامله | أقرَّ بالرق كتابُ الأنـام لـه

العـلامة الفـاضل أبـي العـلاء والـمكارم ، الـسيد عبـاس بـن إبراهيـم المراكشي ، دام محفوظاً ، وبعين العناية ملحوظاً ، فشاهدت سماءه المزدهـرة سطورها دون جحود ، قـد صعد فيها مؤلفه الى كمال مراتب الصعود ، ولـم أشاهد بشهادة الله فيه إلا ما تقر به العيون ، وتنجـلى به عن القلوب جميـع الغيـون ، قد تأنق فيه ، بما نظمه ببنانه ونثره مـن فيه ، فنثر الـجواهر الحسان ، ونظم منها عقود الجمان ، وقلائد عقيان غالية الأثمان ، وأبرز مـن مكنون خزائن العلوم فـي هذا التأليف ما يبهر عقول ذوى الانصاف ، فـي حسن ترصيع وتصنيف باستطرادات مناسبة لمركبات نظمه المتناسبة ، وأتى بالسحر الحلال ، في مناقب هؤلاء الرجال ، وجال حفظه الله في تراجمهـم فـي أوسع مجال ، ماجاراه فيه غيره من فحول الرجال ، فجزاه الله عن هذا السعي المحمود ببلوغ السول ، وكما المقصود ، ءامين . هذا وقـد اجتليت غواني مغانيه ، ترمي لناظرها در معانيه ، وهي ترفل في أذيال دلالها ، وتسبي عقول الرجال بـكمال جمالهـا ، وجلست فـي رياض الأنس بها أمتـع في تلـك المحاسن عين البصر والبصيرة ، ويدى عن فتح تلك القصور قصيرة ، وبينما أنا كذلك ، حيران الفكر في الوصول لما هنالك ، إذ :

وافت مهفهفة الأطراف تسقينـي | راحاً به من جراح الطرف تشفيني
وأقبلت في بساط الأنس رافلـة | تجر ذيـل دلال كاد يفنينـي
جادت عليَّ وما ضنَّت بما وعـدت | لما درت أنها بالوصل تحيينـي
جاءت على وفق ما أهواه مرغمـة | أنف العذول الذى باللوم يؤذينـي
من لؤمه قد غدا يغرني زمنـا | ومـا درى انه باللوم يغرينـي

يريد أن أتخلى عن هواي لهـــا   وإننى فى الهوى يزيد تمكينـــى
يزداد حبى لها والحب حرقتـــه   من قبل تكوين نفسى فيه تكوينى
ما ملت فى عمرى عنها الى حســن   الا لمن بسناه اليوم يسبينـــى
أديب مراكش من نفسه ابتهجـت   فصـــار بهجة أصحاب الدواويـــن
ضحاك وجه لمن أضحى كفيل هدى   عباس قلب لمن عاداه فى الديـــن
عباس المرتضى من حل مرتبـــة   تجل بين السراة والسلاطيـــن
له التقدم فى أهل الكمال عـــلى   سواه رغماً على أنف الشياطيـــن
أضحى يرى فى الأمام وهو بينهـم   أمامهم والسوى بين الأساطيـــن
فى كل علم وفن نال دون مـــرا   كشف الحقائق حقاً دون تخميـــن
وكم له فى مجال سر حكمتـــه   فى درسه من مجالس لتلقيـــن
يجيد فيما يفيد من لطائف مـــن   طرائف العلم فى اتقان تبييـــن
أما ترى منه اظهار الكمال بـــدأ   للعالمين ينيل الفتح فى الحيـــن
فى السادة الأصفيا السبع الرجال أتى   بـــه فنال بهم كمال تحصيـــن
هم الرجال الذين جل قدرهـــم   وطار صيتهم فى الغرب للصيـــن
لهم مراتب فى العليا قد ارتفعـــت   وفي العلا رسخت بكل تمكيـــن
غدت مقاماتهم للقاصدين حمـــى   من حله حل فى أمن وتأميـــن
من جاءهم بسكينة ومسكنـــة   يذبـح عداه بهم بغير سكيـــن
فـــالله أكرمهم بـكل مكرمـــة   وخصهـــم بكرامات بتلويـــن
لهم مناقب لا تحصى لكثرتهـــا   هيهات تحصر فى عدى بتعييـــن
أثنى عليهم بما خصوا به ولهـــم   فضل يجل بأن يجليه تبيينـــى
ولي وحقهم فيهم وكل ولـــي   محبة عرفهـــا مازال يحيينـــى
أرتاح عند سماع ذكرهم طربـــاً   رغماً على أنف من فيهم يعادينـــى
والحب منى لهم لله ليس يـــرى   لعلـــة أبداً وذاك يكفينـــى
ولي اغتباط بأهل الله قاطبـــة   فـــى حبهم وأنا والله تجينـــى
شيخى التجانى وعنـــه لا أحيد الى   سواه فى نيل أمداد وتلقيـــن
والحب للأولياء فـــى طريقتـــه   ركن عظيم عليه الشيخ يوصينـــى
هذا اعتقادى الذى ألقى الالاه بـــه   غداً وحبى لهم أعد من دينـــى

وان حبى لهم يرضى الالاه بــــه — عنى ومن سائر الأسواء يحمينـــى
فالزم محبتهم وقـــم بواجبهـــــا — واخدمهم فهم خير السلاطيـــــن
لله در فـــتى قد قام يخدمهـــــم — بصدق عزم بامداح وتدويــــــن
ذاك الأديب الرضى العباس من شهدت — له بفضل ذوو العلياء والديـــن
وافى الينا باظهار الكمال وقـــد — وفــى بمدح بأرجح الموازيــــن
أكرم به من كتاب لست أبلغ مـــا — قد استحقّ بتقريظى وتأبينـــى
وكـيف أقدر يوماً أن أوفيـــه — وفاء مدحى له والعجز يثنينـــى
لكننى أسئل الرحمان يمنحـــــه — من فضله كل ما يرجوه فى الحين
وان يتوجه تاج القبول عـــــلى — رغم الحسود ويعطى سر تحصين
وان يؤمنه دنيا وءاخـــــرة — مع المحبين فى كمال تأميـــن

وكتبه العبد الذى لايزال على فضل ربه يعرج، أحمد بن الحاج العياشى سكيرج ، كان الله له ولوالديه ، وأحسن إليهما وإليه ، مـع سائر المحبين ، والحمد لله رب العالمين .

ومنها تقريظ لسان الفصاحة والبراعة ذى القريحة المدرارة ، ومقلد أجياد البلاغة قلائد جواهره المختارة ، الفقيه الحيي الكاتب الشاعر ، صاحب السمت الحسن والسنن المستحسن والنظم المتكاثر ، السيد مُحمد ابن الفقيه السيد المفضل غريط ونصه :

الحمد لله مانح التوفيق والهداية ، ملهم من أمده بامداد العناية الـى قرع أبواب أهل القرب والولاية ، ميسر أسباب النجح ، لمن استمطر من سماء فضلهم شآبيب الربح ، مفرج ضيق الكرب عمن تشبث باذيال خصوصيتهم الحفيقة ، وتعرض لنفحات عطفاتهم الرقيقة، وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمد قطب دائرة العرفان والأسرار، الممد لكل مغترف من بحر جوده بلامع الأنوار، وعلى آله الأبرار وصحابته الأخيار بدور الهداية التى لا يلحقها نقص ولا يعتريها سرار اما بعد فقد طالعت هذا الكتاب النافع الحائز قصب السبق فى مضمار التحرير من غير مدافع المسمى اظهار الكمال فى تتميم مناقب سبعة رجـال تأليف الفقيه العالم، ذى الفهم الثاقب والصدر السالم، الكاتب البارع المنشى ،

السيد عباس بن إبراهيم المراكشى، حفظه الله تعالى وأسعده، وشدّ بنيان مجده وشيده فاذا هو در مكنون وروض فنون يسرح الناظر فى بدائع معارفه ، ويرتاح الخاطر للطائفه وظرائفه ، فلله دره من مؤلف أتى بما يشهد له بكثرة الاطلاع ، وطول الباع ، حقق ودقق ، وجمع ما تفرق ، من مناقب ينابيع الأفضال ، سادتنا الأخيار سبعة رجال ففى مثل مناقبهم تستن جياد الأقلام ، وتتحلى أجياد الطروس بلئالىء النثار والنظام ، وفى ذكر أولائك الأعلام يحسن الاطناب ، وتعمل عوامل الألباب ، اذ هم العروة التى لا تنفصم ، والأطواد التى ينجو من بها يتصم ، السيوف القواصم ، لظهر كل باغ وظالم ، فهنيئاً لمن بقربهم يعتنى ولثمار مدحهم يجتنى ، نفعنا الله بهم ، ونظمنا فى سلك حزبهم ، وحقق لهذا المؤلف رجاءه ، وجعل العناية والرضى جزاءه ، ءامين وقد قلت مادحاً لهذا الكتاب ، وان كنت ممن يغلب خطؤه على الصواب :

ليس اشتياقى لذات الخد والجيد — مثل اشتياقى لأهل الجد والجود
ولا انعطافى إلى لحن يردده — جورى لخظ يحاكى رنة العود
يناوب الصوت ذات السجع مزدهياً — بوجنة كسيت بوشْي توريد
سقته كف الصبا صرفا معتقة — واحتل فى خلد بالهجر موقود
ولا انثنائى إلى روض مؤنقة — مثل انعطافى لذكر السادة الصيد
هم الكرام الأولى جمت مناقبهم — هم الهداة لمن يعنى بتسديد
هم البدور التى تجلى أشعتها — لّيل الردى والأذى عن كل موجود
هم الحماة فمن يحلل بساحتهم — يلق النجاة ولم يقصد بتهديد
هم الرجال الأولى ترجى عواطفهم — لدفع ضنك وانجاز لموعود
وهم ليوث الشرى تصمى اذا زئرت — وهم غيوث الورى فى الأزمن السود
القاهرون لمن بالظلم ذو كلف — والمسعفون لذى ضيم وتسهيد
فما قصدت حمى الأفضال ذا أمل — الا وأبت بنيل خير مقصود
ان العناية ان حفت أخا أدب — لم يخش غياً ولم يعبأ بمنكود
كالعالم المرتضى العباس من شهدت — له القداة بتحرير وتجويد
لله ما جمعت يمناه من نخب — غر منظمة كالعقد فى الجيد
مجموع علم وءاداب ومعرفة — يغنى الأديب به عن كل تقييد

بدائع لو عنى بنسج بردتها ... أبو الوليد سلا ولادة الغيد
مناقب من غدا معنى بحرمتها ... يلق الزيادة فى رشد وتعضيد
مواهب لمنار الزهد رافعة ... لا يهتدى لسناها غيرُ مسعود
زهر يرق بها قلبُ الأريب وما ... يعيبُها غيرُ قاسى القلب جلمود
قد همت لما ومقت حسن طلعته ... كأن ظفرت بوجدان لمفقود
فاهنا أبا الفضل ما قد نلت من قرب ... عم ومن نعم مخضرة العود
أبقيتَ ذكراً حميداً لم يزل نضراً ... مدى الدهور يجرُّ ذيلَ تجديد
إن يحسدوك على عقل ومنزلة ... أي امرىء فى المعالى غير محسود
واعذر أبا الفضل ان الخطوذو قصر ... واقبل فديتُك منى بذلَ مجهود
لازلتَ فى ذروة الاجلال معتليا ... ترنو إليك الورى بعين مودود
حتى ترى ألسُنَ الأقلام جامدة ... محاسناً منك لم تدرك بتحديد
بحقِّ مَن عظمت بالخلق رحمته ... محمد المصطفى المختار محمود
عليه أزكى صلاة الله ما صدحت ... ورقاءُ روض بتلحين وتغريد
وءاله وجميع الصحب ما ختمت ... بمسك ذكرهم أقوالُ تمجيد

كتبه العبد الفقير الى رحمة مولاه محمد غريط وفقه الله فى 19 رجب عام 1326 .

ومنها تقريظ الفاضل الأديب ،المتحلى من العلوم بأوفر نصيب صاحب التوليدات الشعرية العجيبة ، ونوادرها الارتجالية الغريبة ، فحل الشعر الذى لا يقرع أنفه ، ونافث النثر الذى تبهرك منه نتفه ، الكاتب البارع رب القوافى الروائع ، الشريف سيدى عبد السلام ابن المحب العلوى ونصه:

الحمد لله الذى تتنزل الرحمات بذكر أوليائه . والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد خاتم أنبيائه، وعلى ءاله وأصحابه الأخيار والمعتلين بعليائه . أما بعد فقد وقفت على هذا الكتاب الذى لايشك المنصف فى فضل مؤلفه ولا يرتاب ، الفقيه العالم الأديب ، الكاتب النبيل ، الأريب ، أبو الفضل السيد عباس بن إبراهيم المراكشى فوجدته حقاً قد أظهر الكمال أعظم الاظهار ، باتمام مناقب سبعة رجال الأطهار ، فلله ما أجمله من تصنيف جم الفوائد ، كثير الصلات والعوائد ، قد دل لمؤلفه على سعة الاطلاع ، وقوة

الاضطلاع ، واخلاص النية ، وحسن الطوية ، من الاهتمام بأحوال مثل هـؤلاء السادات الذين بذكرهم ينجلي عن القلوب الران ، وتتطهر من الأدران ، وتبلغ الآمال ، وترفع الأعمال، وقد قلت مقرضاً، راجياً أن ينظر ذلك بعيـن قبول ورضـى .

أخود أم ظبي عـاطـ — حسنا أم الروض عاطـر
والروض بالنـور زاه — غضا وبالنوء زاهـر
لم يخش من هجو هـاج — ولم يخف هجر هاجـر
أم راح من راح كـأس — ما سامها قط كاسـر
بل ذا مؤلف بـاه — لمن له الفضل باهـر
عباس أنجب نـاش — فـى العلم للطيّ ناشـر
للعلم أعشق صـاب — للصد والهجر صابـر
من حل أرفع نـاد — فى الفضل والعلم نـادر
فى سادة كـل واف — منهم له البحر وافـر
يقضى بهم كل حـاج — يقصى بهم كل حاجـر
يـشفى بهم كـل داء — ممن عليهم دائـر
مـا أمهم قط شـاك — الا غدا وهو شاكـر
فاقبل عجالة قـاص — عـن بعض وصفك قاصر
بقيت أجمل حـاظ — لـم يخش للحظ حاظـر
ولتسكنن كل عـام — بيتاً من الحسن عامـر

كـتبه عبد السلام بـن محمد المحب العلوى الحسنى كان الله لـه فى 23 رجب عام 1326 هـ .

ومنهـا تقريظ الأديب اللبيب ، الشـاب النجيب ، الهـلال الذى سيصير بدراً ، النظام الناثر ، النافث فى سطور الطروس درا ، حسن الخلق ، جميل الخلق ، أنس المجالس وبهجة المجالس ، السيد محمد بـن مصطفى (بوجندار) الرباطى ونصه :

الحمد لله الذى جعل العلم للنفس أكمل حلية ، وللعقل أشرف زينة ، والشكر له سبحانه على ما أسدى من نعمه الجليلة المتينة . والصلاة والسلام على عين الرحمة وشفيع الأمة ، سيدنا محمد خاتم النبيئين وإمام المرسلين الذى استعار منه الفضل الفضلاء من الأولياء والصالحين . وعلى ءاله الكرام ، وأصحابه الجهابذة الأعلام ، والتابعين لهم باحسان الى يوم النشر والقيام . أما بعد فلما من الله تعالى وجل جلالا علي بمطالعتى وتصفحى هذا الكتاب النافع المفيد ، الجامع من النكات والرقائق ما يسر المستفيد :

من كل معنى يكاد الميت يفهمه | حسناً وتعشقه من حسنه الصور

المسمى باظهار الكمال ، فى تتميم مناقب أولياء مراكش سبعة رجال ، ألفيته جواهر نظمت فى سلوك العقيان وفوائد منضدة غالية الأثمان ، فياله من مؤلف ، جمع فرائد وشوارد الزوائد وما عنها تخلف :

كأنه روضة غناء نمقها | كف الربيع فجاءت نزهة الحدق

فحقه ان يكتب بنور الأبصار ، على صفحات الأنوار ، وان تكتحل بعجيب إثمده الأعين ، وترتضعَ كلَّ وقت من ثدي عباراته الأفواهُ والألسن ، وبالجملة فهو شفاء العليل وبرد الغليل ، وكيف لا يكون الأمر كما وصف ، ومؤلفه الامام بأعلى الشيم متصف ، الا وهو الفقيه العلامة ، المشارك الدراكة الفهامة ، مقيد أوابد العلوم ، ومالك أزمة المنطوق منها والمفهوم ، الجهبذ العالم الفاضل ، الممتاز بين الأقران بالرفعة كالفاعل ، تاج البلغاء ، وسحبان الأدباء ، ونخبة النبلاء والألباء ، أبو الفضل السيد عباس بن إبراهيم المراكشى كان الله له ولياً ، وبه حفياً :

آمين آمين لا أرضى بواحدة | حتى أضيف إليها ألف آمينا

وقلت مادحا لهذا الكتاب الفريد المستطاب ، الجامع لما افترق فى غيره من العلوم والآداب محبة فيه وفى صاحبه ، وقياماً من حقه ببعض واجبه .

هذا سنا روض المحاسن راق | متلألئاً فيه منى المشتاق
أم ذا الجمان أم الجواهر نظمت | بعقود نحْر الغيد ذى الاشراق

بل انه شرح عجيب أفقـــــــــه يـــزهو بنور الفهم فـــى الأذواق
شرح زها بمديح أهل الفضل سا دتنا الكرام نفائس الأعــــــــلاق
هم سبعة فخرت بهم مراكـــــش أقطابهـــا حقاً ذوو التريـــــــاق
وأكرع اذا رمت المناقب جمــــة تروى بشرح فاتح الأغـــــــلاق
فيه تجمعت المحاسن كلهـــــــا من لؤلؤ وزبرجد الأطــــــــواق
قد صاغه الحبر الكريم المنتقــى من فضله قد شاع فى الآفـــــاق
الجهبذ الفردُ الفريدُ المرتضــى بحر المعارف طيب الأخــــــلاق
هو سيدى العباس من ملك العــلى فخـــر الأماثل كعبة الحــــــذاق
أبــقاه ربى فى المفاخر والعلـــو م بجاه خير الخلق بالأطبــــــاق
صلى عليه الله ما هبت صبـــــا وثنت قدود الغصـــن ذى الأوراق
والآل والأصحاب ما شادٍ شـــدا هذا سنا روض المحاســـن راق

وكتبه مـــع استعجال ، وزيادة ضعف البـــال العبد الفقير الخاطــى محمد بن الحاج المصطفى بوجندار الرباطى سامحــه الله وكان لــه وتولاه بذى القعدة الحرام عام ستة وعشرين وثلاثمئة وألف .

ومنها تقريظ الأديب الأريب ، الحائز من الفصاحة والبلاغة السهم المصنيب ، صاحب الموشحات الرائقة، والأذواق الفائقة، الفقيه الكاتب البارع الباهر ، صاحب المجد الباذخ الناظم الناثر ، السيد الهاشمى بن عبد الوهاب طوبى السلوى ونصه :

حمداً لمــن خلع علينا مــن الايمان أحسن لباس ، وجعلنا من خيــر أمــة أخرجت للناس ، وطهرنا من الشرك والاشراك والأدناس ، وسقانــا من شراب وداده بأوفر كأس ، ممزوجاً برحيق مختوم عاطر الأنفاس ، ونصــلى ونسلم على عروس مملكته وصاحب حضرته سيدنا ومولانا محمد لبنة التمام ومسك الختام وسراج أفقه ، وصفيه من خلقــه ، وعلى ءاله الأطهار وصحابتــه الأخيار من المهاجرين والأنصار الذين شيدوا مباني الدين ،. وقاموا بشريعة سيد المرسلين وعن التابعين ومن تبعهم باحسان فــى كل عصر وأوان ، مــا انهل وابل ، وطلع آفل ، هذا وقد أتحفنى مَن له المنةُ علي والفضل ، وان

كنت لست لذلك بأهل محبنا الفقيه العلامة الجليل ، الصدر النبيل ، ذو التحقيق والتحصيل ، والسعي الجميل ، من أصبح في وجه الزمان غرة ، ومن لكل قلب به مسرة ، الأديب الالمعى ، الحبر الكاتب ، البارع اللوذعى المتحلى بحلية أهل الفضل والكمال ، الحائز لأشرف الخصال ، مَن أشرق نور بدره كالنبراس في الليل البهيم أبو الفتوح السيد العباس بن إبراهيم المراكشي بمطالعة مصنفه الجامع البديع وما أودع فيه من حسن الصنيع من الأشعار الفائقة ، والنقول الرائقة الذى ضمنه مناقب سبعة رجال ، من أهل الفضل والكمال ، المقتدى بهم فى الأقوال والأفعال ، وسائر الأحوال من طبقت مثاثرهم الآفاق ونالوا من أسنى الحظوظ ما أوجب لهم التقدم والسباق ، وما خصهم الله به من الكرامات ، وخوارق العادات ، والتصرف فى الحياة وبعد الممات ، مما لا تفى به عبارة ، ولا تحويه إشارة ، المشهورين ببهجة مراكش الحمراء المنيرة الغراء ، ذات البهاء والشأن ، ومحط رجال الصالحين والأمراء منذ أزمان ، لازالت بعز مؤبد ، وهناء مسرمد ، فسقى الله ثراهم شئابيب الرحمات والغفران ، وبواهم أعلى فراديس الجنان ، وسقانا من مددهم العاطر ، ومنحنا من فيضهم المتكاثر فرأيت فيما طالعت من نبذ غرره وفرائد درره كما قيل :

رأيت به ما يملأ العين قرة ويسلى عن الأوطان كل غريب

وبالجملة فما هو الا جنة ذات بهجة أطيارها صادحة بصدق اللهجة لوائح الاقبال عليه لائحة ، ونواسم الأعطار من شذاه نافحة ، غاص عن درره فى البحار السبعة وانتقى منها ما يصلح للقنية والمتعة كما قيل :

من كل معنى تكاد الراح تعشقه لفظاً ويحسده القرطاس والقلم

من تأمله علم أنه وهب وفتح، وفيض لا رشح، حقق الله رجاء قصده، وخوله سوابغ رفده ، وأشادمنار سعده ، ومتعنا بطالع محياه ، ولا حجب عنا عزيز رؤياه ، بجاه من له الجاه سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وعلى

كل مـن والاه ، ولما أسكرني نظمه ، وءانقني رقمه ، قلت مرتجـلا ، وعلى الله متوكلا ، من بحر الوافر ، الذى ينفى الهمّ عن الخواطر :

لقد طربَ الفؤاد وما شربنـــــا ودام الانس واستولى مكينــــاً
وأنـــهلني وعللني شـــذاه فصرت لبعد هجرهم أمينــــاً
وزال الغيم فانكشفت بـــدور تتيه على البدور مدى السنينـــا
لمطلعهـــا حجاه وقد تبـــدت لديه وحـــازها حوزاً مبينـــاً
بـــلى والحب للأسياد طـــرا خصوصاً سبعة من صادقينـــا
ثووا بالبهجة الحمراء دهـــراً جوارهم لها حصناً حصينـــا
هـم الأوتاد والأطواد حقـــاً ومعقلهم امام الخائفينـــا
لمجد جنابهم حق امتداحـــي وما مدحى لهم فى المادحينـــا
سوى أني أروم بـــه انخراطـــاً بسلكهم وعقدهم الثمينـــا
يطيب بذكرهم عيشى ويسلـــو بمدح حلاهم قلبى الحزينـــا
أعـــد عني مديحهم وشنـــف بـــه أسماعنا حيناً فحينـــا
فيـــالله ما أحـــلى وأشهـــى حديثاً جرَّ ذكرَ الصالحينـــا
فأولهم عـلى الترتيب يُدعَـــى بيوسف مَن سما فى الواصلينـا
إمـام صادع بالحـــق داع لسبل الرشد يهدى المرشدينـا
فيا ذا الغار نَجْلَ علي قصدنـا حماك وأنت ذخرُ المرتجينـــا
ودارِكْ بالعناية حالَ مَن قـــد يؤمُّ جنابكم فى السائلينـــا
فجدْ بالفضل للمضطرّ عزمـــاً وحاشا أن تكون به ضنينـــا
وعياض بن موسى اليحصُبى مَن تفجَّر بحـــره عذبا مَعينـــا
إمامُ الجمع قدوة كل شيـــخ سرتْ أسراره للعالَمينـــا
بـــهمَّتِـه أرجِّى ربٌّ عـــزا وفتحـــا عاجلا يأتى مُبينـــا
وسلطانٌ لحضرتها عمـــادٌ أبو العباس قطبُ العارفينـــا
هـو الشهم الامام اللذْ تسمَّـــى بأحمد مَن سما فى الحامدينـــا
أنجـــلَ جعفر ينمى عـــلاه لأنصـــار وصحب فائزينـــا
فأنت الخزرجيُّ الأصل حقـــاً عريقُ المجد نجل الأكرمينـــا
حنانك أيها السبتيُّ عمَّـــن لجـا فاحم حما للاجئينـــا
بجاهك سيدى أرجو صلا حـــا ونجحا فى الأهالى والبنينـــا

ويسهل ما أحاول من مرام ... بماموِل المنى دنيا ودينا
كذا نجل سليمان يسمَّى ... محمداً ابن خير المرسلينا
هو الشيخ الجزولي مَن تصدى ... بهمته لرد الشاردينا
بجمع دلائل الخيرات أدلى ... بأهليةٍ وكان به قمينا
فكم أهدى وأرشد مِن ضليل ... به بعد الكتاب المستبينا
تحفُّ به الملائكُ حين يتلى ... فيهنى الذاكرين الخاشعينا
بقدرك عند مَن أولاك مجدا ... يقينا الشامتينا الحاسدينا
ويلهمنا لنهج الرشد حتى ... نرى في العاملين المخلصينا
ووارثك ابن عبد الحق عبد ال ... عزيز أمان روع الخائفينا
هو الصدر المبجل حيث يُدعَى ... بتِّباع مضى في التابعينا
فحرِّرْ أيها الحرار رقي ... فقد أصبحت في عمل رهينا
ترفق بالغريم فقد دهاه الز ... مانُ ولم يجدْ خِلاً معينا
فراحتك الكريمة سيف بحر ... مددت لنيلها الكفَّ اليمينا
كذا المولى عبيد الله قطب ... المشايخ ليثُ غابهم العرينا
مهيب مرتدى ثوب افتخار ... جليل القدر كهف الزائرينا
فيا لكَ نجل أحمد من وليٍّ ... همام معتن بالقاصدينا
فبالغزوانيِّ الشهْم اطْلُبَنْ ما ... تشا والله خير الرازقينا
فنفس عن عليل بل كئيب ... تكنف جسمَه داء دفينا
وخاتم دورهم بَدْرُ المعالي ... أبو زيد إمام المقتدينا
بجاهك عابد الرحمان أكفى ... وأنجو من تعدى الظالمينا
ويسهل يا سُهَيْلي ما أعاني ... ويجري سابقي في السابقينا
كفى إذ قمت حبر ببعض حق ... لكي ترضى إلاه العالمينا
بروض زاهر أُنُفٍ عبيق ... به طابت أنوفُ الناشقينا
حوى من سيرة المختار ما قد ... به قرتْ عيونُ الناظرينا
أجرني واحمني من كلِّ شرٍّ ... وضرٍّ يا ضرير المعتدينا
رجوتك والكريم له وفاء ... بحق السائلين الراغبينا
بجاههم العظيم إليك ربي ... تولَّ أمرنا والمسلمينا
وحُطنا بالرعاية منك وانظر ... لما قد حلَّ من خطب وقينا
وعم الربع بالألطاف واجبر ... سفينتنا وكُفَّ الجائرينا

وعجلْ بالاعانة منــك وانصــر لمولانا أميــر المومنينـــا
ولا تُسلمْ عُبَيْدَكَ للدواهــي بحق الراكعين الساجدينـــا
إذا ضاق الخناق بنــا فزعنــا لحيهم فــنكفى المرجفينـــا
فجاد ثراهم صوبُ الغـــوادى يعمهم وكـــل المنتمينـــا
وواصل للمؤلف كل خيـــر وكـــن براً بـــه حفيا معينـــا
فـقد أهدى لنا منحاً توالـــت بما أسدى لجمع الحاضرينـــا
هو الحبر المجيد بكل فـــنٍّ يساعد سعيه رفقا ولينـــا
فتى غرس المحامد واجتنـاهـا وليداً قد حوى علماً ودينـا
أبـو الفتح الذى حاز التسمـي بعباس ابـــن إبراهيم فينـــا
لقد جمع الشواردَ وانتقاهـــا بتضمين بـــه ساد القرينـــا
عليه طلائعُ الاقبال لاحـــت بتوقيع الكرام الشاهدينـــا
جرى قلمُ السعادة فيـــه يُمـــلى مئاثرَ مَنْ مضَوْا فى الغابرينـا
ظفرت عـــلى قران السعد فيـــه بما يهدى عقول الحائرينـــا
فيامَن لم أزل أحظَى لديــــه بحسن رعاية فـــى الكاتبينـا
بقيت ممدحـــا فى كـــل نـــاد مـــدائح كـــلها حقاً يقينـــا
ولا عدمتْ قريحتُك اتّقـــادا وتحصيلا يسرُّ المنصفينـــا
فحطه بـــالرعاية يا إلاهـــى من الأسوا ومكر الماكرينـــا
وخلص سره من كل شـــوب وصُنْهُ من بُغاة جائرينـــا
وصل عـــلى حبيبك ثـــم سلـــم بعدِّ الخلق طراً أجمعينـــا
محمد سيد الأرسال قطعـــاً مبيد الجاحدين الكافرينـــا
وءال ثم صحب مَن جمـــوه وأنصـــار وكـــل التابعينـــا

وكتب قصير البــاع والاطلاع ، محمــد الهاشمي بن عبد الوهـــاب طوبى السلاوى متطفلا كان الله له .

ومنها تقريظ صاحبنا الماجــد الأصيل ، العالـم النبيل ، شعلـة الذكاء وشاعر الرباط الأسمى الأرفع ، سليل الصالحين ، وبهجـة الناطقين ، الفحل الذى لا يقرع أنفه ، السيد محمد ابن اليمنى الناصرى ونصه :

الحمد لله وحده   وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وصحبه وسلم

أنثيرَ در أم حبابَ الكـــــاس   أم ازاهرَ الروض الأريض الكاسى
أم تاجَ مائسة القوام وقد بــدت   تذكى الغرام بعطفها الميــــاس
هيفاء أسكرها الدلال فأسكــرت   غررَ العقول بطرفها النعــــاس
وافتْ عــلى وفق الهوى ووفتْ على   رغم النوى فأستْ جروحَ الآســى
وزها بساطُ البسيط اذ نلت اللقا   وظفرت بعد البعد بالايـنـــاس
أحببْ بها ما ملت عن حبى لهــا   إلا إلى بدر الهدى العبـــــاس
بدر تكامل فى سمـــاء سيـــادة   وسعادة تغنى عـــن المقبـــاس
دوح المعارف من غدت أفنانُـــه   تحوى فنونَ العلم والاطــــراس
ريحانة الأدبـــاء مَن مِن طيبــه   جاد الصَّبا بنفائسِ الأنفـــاس
أشعاره نفحات أسحار حــــوت   نفحات أسحار تلين القاســـى
ولكم أفاد وكم أجاد وجاد حـــ   ـتَّى ألبس الأطراسَ خيرَ لباس
يكفيك إظهار الكمال فقد بـــدا   فيه الكمال له بلا إلبــــاس
يفترُّ عــن درر وعن غرر وعـــن   زَهَر وعن زُهر وعن ألمـــاس
لـم لا وقد أبدى مناقب ســـادة   حـــلى مديحهم حـــلى القرطـاس
هـم بين أهل الله سبعةُ أبحـــر   قد فاض فيضُ نداهم فى الكـاس
وهم لنــــا الغوث المغيث من الردى   والغيث للتطهير من ارجــــاس
لله درك من فتى أضحى بهــــم   مستمسكا فنجا من الافـــلاس
لازلتَ يا دوحَ الفكاهة يانعـــاَ   غضُّ الفواكه طيبَ الأغـــراس
بمحمد سر الختام الخاتم الــــ   ـفتاح أحمد أكمل الأجنـــــاس
صــــلى عليه الله ما هبتْ صَبَــا   والآل والأصحاب والأجـــــراس

قاله بفمه ، وكتبه عن عجل بقلمه ، أقل الخليقة ، ومن لا يعد شيئاً فى الحقيقة ، عبد ربه المذنب الخاطى ، محمد بن اليمنى الناصرى الجعفرى الزينبى الرباطى لطف الله به .

خاتمة

لما كملت من طبع اظهار الكمال اثنتان وثلاثون ملزمة بفاس . حرسها الله من كل باس عام 1326 وجهت منه نسخة لشيخنا الفقيه العلامة البركة شيخ الجماعة سيدى محمد بن إبراهيم السباعى أطال الله تعلى بقاءه ، فأجابنى بمانص المقصود منه :

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وصحبه وعلى الأخ في محبة الله ومحل ولد الصلب ، وهو ولد القلب ، الفقيه النجيب ، الأديب الناشىء فى طاعة مولاه ، السيد العباس بن إبراهيم المراكشى ، أزكى السلام وأنماه ، يعطر الكون نشره ورياه ، ورحمت الله تعالى وبركاته عن خير مولانا أدامه الله ، وبعد فقد بلغتنى كراريس تأليفك الذى مبناه السبعة الرجال . وطالعته فقلت كما قال سيد الوجود صلى الله عليه وسلم : لا أدرى بأيهما أنا أسر هل بفتح خيبر أم بقدوم جعفر ؟ والعبيد لايدرى بأي هاذين هو أسر ؟ هل بنجابتك أم بعلو همتك حين انفردت عنا وعن أبناء الجنس بالتفادى من البطالة فى زمن اقتضى حتماً البطالة حفظك الله وحفظ نجابتك .

وانما ذكرت هذه التقاريظ لما تضمنته من الثناء على سبعة رجال الذين شغلت تراجمهم من هذا التاريخ الاعلام نحو ثمنه فالسبتى شغلت ترجمته من المجلد الأول نحو أربع كراريس ، والجزولى شغلت من المجلد الثانى نحو ثلاث كراريس ، والسهيلى من الخامس نحو كراس واحد ، والغزوانى شغلت من السادس نحو كراسين ، وشيخه التباع شغلت منه نحو كراس واحد ، والقاضى عياض نحو أربع كراريس من المجلد السابع ، وسيدى يوسف بن علي شغلت ترجمته وما يتبعها من المجلد الثامن نحو أربع كراريس ونصف ، وقد جمع الامام القطب سيدى المعطى بن الصالح الشرقى تقاريظ المغاربة فقط لكتاب الذخيرة له فى مجلد ، كما جمع الشيخ مرتضى تقاريظ شرحه للقاموس فى مجلد ، الأول عندى ، والثانى ذكره تلميذه الامام ابن عبد السلام الناصرى نزيل مراكش فى رحلته لدى ترجمته منها ونقدم المقصود .

مقدمـــة

تشتمل على فصول مهمة

المقدمة فى ذكر مراكش وأغمات وسرد أسماء التصانيف فى البلدان وذكر ما يندرج من علم التاريخ فـــى العلوم الشرعية وما يناسب ذلك من فرائد الفوائد بأوضح بيان ، وينحصر ذلك فى فصول ، بمجموعها يظهر المقصود ويحصل السئول .

الفصل الأول

فـــى ذكر مراكش وتاريخ بنائها وبيان مؤسسها وجوامعها وأجنتهـــا وبركها وما كان لها من ضخامة الشان ، وما شيد فيها من القصور العظيمـــة الهياكـــل الفخيمة البنيـــان وغير ذلك مما يحصل بـــذكره ارتياح لـــلأرواح والأبدان .

فأقول مستمداً مـــن الله تبارك وتعلى العون والتسديد فـــى حصول المامول : إن مراكش قد ذكرها غير واحد ممن صنف فـــى البلدان وحلوها بالأوصاف الجميلة ، والمنافع المستحسنة ، الكافلة لساكنها بنيل المنى مما يتم به العمران ، منهم صاحب (الاستبصار فى عجائب الأمصار) (1) الذى نقل منه ابن أبى زرع فـــى قرطاسه قال : مدينة مراكش كلأها الله هي اليوم حاضرة بلاد المغرب ودار مملكتها ، وهي مدينة عظيمة فـــى بسيط مـــن الأرض ، أسسها يوسف بـــن تاشفين سنة تسع وخمسين وأربعمئة ، وأول ما بنى فيها دار لحرمه هي الآن معلومة بها ، ثم اختط سورها ولده علي سنة

---

1) طبع بالاسكندرية سنة 1948 .

أربع عشرة وخمسمئة ، وفتحها الخليفة أمير المومنين رضى الله عنه يـوم السبت بعد صلاة الظهر الثامن عشر من شوال سنة إحدى وأربعين وخمسمئة، وعـلى ثلاثة أميال منها وادى تانسيفت منبعه مـن بلد هيلانة ويصب فيـه وادى وريكة ووادى نـفيس وأودية كثيرة ومصبه فـي ساحل رباط جـوز ويدخله الشابل الكثير الطيب، وهي مدينة صليبة' التربة كأنها غطا من حجر على حجر ، عذب ماؤها قريب على قامة أو قامتين ، وبساتينها كلها تسقى مـن ءابار ينفذ بعضها لبعض حتى تخرج عـلى وجه الأرض ، وبينها وبين درن نحو العشرين ميلا ، وهي كثيرة الزرع والضرع ، محرثها دكالة ، وجنتها نفيس ، وحولها مـن البساتين والجنات التى يسمونها البحائر لعظمها ما لا يحصـى كثرة ، وإنما بناها واضعها ليملك منها جبل درن لكثرة مَن يعمره ، وكان خروج هذه الشرذمة الصحراوية لقتال برغواطة الكفار المرتدين عـن ديانـة الاسلام وكان إسلام قبائل الصحراء سنة خمس وثلاثين وأربعمئة ، وخروجهم سنة خمسين أو نحوها ، فقتل زعيمهم الذى أخرجهم ببلد برغواطة بموضـع يسمى كريفلة (I)، وبُني على قبره مسجد، وولي بعده أبو بكر بن عمر اللمتونى المحمدى ، وبقى الى سنة سبع وخمسين فرءا أن ينخلع ويولي يوسف بـن تاشفين ويطلق زوجته زينب بنت إبراهيم النفزاوى ، ولـم يكن فـي زمانها أجمل منها ولا أعقل ولا أظرف ، فتزوجها بعده يوسف وبنى لـها مراكش ، وسار أبو بكر بن عمـر الى الصحـراء ، فقاتل السودان فرشقه سهم فمـات ، ومدينة مراكش اليوم مـن أعظم مدن الدنيا بهجة وجمالا بـما زاد فيها الخليفة الامام عبد المومن وخليفته يوسف وخليفتُهما يعقوب رضى الله عنهم ، فان الخليفة الامام بنى فيها جامعا عظيما ثم زاد فيـه مثله أو أكثر فـي قبلته كـان قصرا ورفع بينهما المنار العظيم الذى لم يتشيد فـي الاسلام مثله أكمله ابنه وخليفته يوسف رضى الله عنـه ، وجلب الخليفة الامام المياه مـن أودية درن وغرس بحيرة عظيمة بغربي المدينة قبل نفيس دورها ستة أميـال ، وبنى فيها وخارجهـا صهريجين عظيمين كنا فـي تلك المدة نعـوم فيهما ، فـلا يكاد

I) ضريح عبد الله بن ياسين معروف بكريفلة من ارض قبيلة زعير حوز الرباط .

القوي، منا يقطع الصهريج الا عن مشقة ، وكنا نتفاخر بذلك ، وأحدث الخليفة بعده ابنه يوسف رضى الله عنه بحائر مثلها فى الغرس بل أجمل ، وجلب لها المياه وأصدرها فى صهريج أعظم من المتقدمين ، وزاد فى قبلة المدينة حصنا أنفذه الآن ابنه الامام الخليفة يعقوب رضى الله عنه وزاد عليه مدينه أخرى تقارب الأولى فى قبليها ، وكانت بحائر عظيمة فبناها قصورا وجامعا وأسواقا وفنادق وجلب التجار الى قيسارية عظيمة لم يبن فى مدن الاسلام أعظم منها ، وأمر بعمارتها أول سنة خمس وثمانين وخمسمئة ، ومدينة مراكش أكثر بلاد المغرب جنات وبساتين وأعناباً وفواكه وجميع الثمرات ، وكانت قبل ذلك يطير الطائر حولها فيسقط من العطش والرمضاء، وأكثر شجرها الزيتون ، وفى مراكش اليوم من الزيتون والزيت ما تستغنى به عن غيرها من البلاد وتمير بلاداً كثيرة ، وكان زيتها قبل اليوم دهن من الهرجان (1) لأنه بتلك البلاد كثير جداً ، وزيتون مراكش أكثر من زيتون مكناسة ، وزيتها أرخص ، وربما أطيب ، ومما شرف به سيدنا ومولانا أمير المومنين يعقوب رضى الله عنه حضرته الملكية أن أرسل فى وسط المدينة ساقية طاهرة ماؤها ماء قصره المكرم تشق المدينة من القبلة إلى الجوف وعليها السقايات لسقي الخيل والدواب واستقاء الناس ، وهي اليوم أشرف مدن الدنيا وأعدلها هواء ، ومن بركاته وضع دار الفرج فى شرقي الجامع المكرم ، وهو مرستان المرضى يدخل العليل إليه فيعاين ما أعد فيه من المنازل والمياه والرياحين والأطعمة الشهية والأشربة المفوهة، ويستطعمها ويسيغها ، فتنعشه من حينه بقدرة الله تعالى ، وكان فى سنة خمس وثمانين قد استدعى العلماء ورواة الحديث وأمر بتدريس حديث النبي صلى الله عليه وسلم هـ .

وكان شروعه فى ادخال الساقية المذكورة لمراكش سنة 585 كما فى القرطاس ، والمارستان قال فيه فى المعجب صحيفة 190 عند ذكر يعقوب المنصور الموحدى ما نصه : وبنى بمدينة مراكش بيمارستان ما أظن

1) تعريب كلمة اركان البربرية ، وهو نوع من الزيتون البرى يوجد بكثرة فى تلك الجهات ، وقد وقع التعريف بـه والاشارة اليه فى مواضع كثيرة من هذا الجزء .

أن في الدنيا مثله ، وذلك أنه تخير ساحة فسيحة بأعدل موضع فـى البلد ، وأمر البنائين باتقانه عـلى أحسن الوجوه فأتقنوا فيه مـن النقوش البديعـة والزخارف المحكمة ما زاد على الاقتراح ، وأمـر أن يغرس فيه مع ذلك مـن جميع الأشجار المشمومات والمأكولات ، وأجرى فيه مياهاً كثيرة تدور عـلى جميع البيوت زيادة عـلى أربع برك فـى وسطه إحداها رخام أبيض ، ثم أمر له مـن الفرش النفيسة مـن أنواع الصوف والكتان والحرير والأديم وغيـره بما يزيد عـلى الوصف ، ويأتى فوق النعت ، وأجرى له ثلاثين ديناراً فـى كل يوم برسم الطعام وما ينفق عليه خاصة خارجاً عما جلب اليه مـن الأدوية، وأقام فيه مـن الصيادلة لعمل الأشربة والأدهان والأكحال ، وأعد فيه للمرضى ثياب ليل ونهار للنوم مـن جهاز الصيف والشتاء ، فاذا نقه المريض فان كان فقيرا أمر له عند خروجه بمال يعيش به ريثما يستقل ، وان كـان غنياً دفع له ماله وتركته وسببه ، ولم يقصره عـلى الفقراء دون الأغنياء ، بـل مـن مرض بمراكش مـن غريب حمل اليه وعولج الى أن يستريح أو يموت ، وكان فـى كل جمعة بعد صلاته يـركب ويدخله يعود المرضى ويسأل عـن أهل بيت يقول كيف حالكم وكيف القومة عليكم الى غير ذلك مـن السؤال ، ثم يخرج ، لـم يزل مستمراً عـلى هذا الى أن مات رحمه الله هـ .

ومنهم ياقوت فـى معجم البلدان فـى الجزء الثامن مـن ءاخر أجزائه قال : مراكش بالفتح ثـم التشديد وضم الكاف وشين معجمة أعظم مدينـة بالمغرب وأجلها ، وبها سرير ملك بنى عبد المومن ، وهي فـى البر الأعظم منها بينها وبين البحر عشرة أيام فـى وسط بلاد البربر ، وكان أول مـن اختطها يوسف بن تاشفين مـن الملثمين الملقب بأمير المومنين فـى حدود سنة 470، وبينها وبين جبل درن الذى ظهر منه ابن تـومرت المسمى بالمهدى ثلاثـة فراسخ ، وهو فـى جنوبيها ، وكـان موضع مراكش قبل ذلك مخافة يقطـع فـيها اللصوص عـلى القوافل ، كـانت اذا انتهت القوافل اليه قـالوا معناه بالبربرية أسرع المشي ، وبقيت مدة يشرب أهلها من الآبار حتى جلب إليها ماء يسير مـن ناحية أغمات يسقى بساتين لـها ، وكان أول مـن اتخذ بـها البساتين عبد المومن بن علي ، يقولون ان بستانا منها طوله ثلاثة فراسخ هـ

قلت أمــا ضبْطُه مراكش بما ذكر فهو الذى مازال ينطق بــه أهلها الآن غير أن البعض صار يفتح الكاف ، وضبطها بعضهم بضم الميم وكسر الــكاف كما سياني ، وقوله بينها وبين البحر عشرة أيام ليس كما قــال ، بل بينــها وبين البحر نحو ثلاثة أيــام ، وسيأتى فــى أغمات نقلا عنه أن مــن وراء أغمات إلى جهة البحر المحيط السوس الأقصى بأربع مراحل ، وقوله فــى حــدود سنة 470 تقدم أن تأسيسها كان سنة 459 وسياتى عــن غيره أن تأسيسهــا سنة 452 وما فــى المعجم يوافقه ما يأتى عــن نزهة المشتاق ، وعــن سيدى الصغير الافــرانى سنة 480 اللهم الا ان يريد ما سياتى عــن الأزمــورى أن يوسف بــن تاشفين شرع فــى بناء ما بنى منهــا سنة 475 غير أن قــوله الاختطاط صريح فــى التأسيس ، وفــى الحلل أن بناء حصن قصر الحجر كان سنة 463 برحبة مراكش وحصنه تحت سور وأبواب كما ذكر قبل أن الانتقال الى فحص مراكش كان مــن الأمير أبى بكر بن عمر لما عظم الخلق وكثر الازدحام بأغمات ، وقوله ماء يسير مــن ناحية أغمات ينبغى أن يــقرأ فعلا مضارعــا لا اسما أي يأتى مــن ناحية أغمات ، وهي الســاقية العظيمة المعروفــة بتسلطانت كما سياتى ، وقوله ان بستانا منها الخ هــو بستان المسرة الذى أنشأه عبد المومن بــن علي وجدده المنصور الذهبى كما سياتى ، وقوله عن البستان ان طوله ثلاثة فراسخ تقدم أن دوره كله ستة أميال ، وقد اطلق السيد محمد أمين الخانجى بمنجم العمران فــى المستدرك عــلى معجم البلدان لفظ مراكش عــلى المملكة كلها ، وتكلم عليها فــى نحو ورقتين ، ثم ذكر مدينــة مراكش ءاخراً فراجعه ، قلت وما ذكره سبقه اليه الشيخ الجليل محمد بيــرم الخامس التونسى فقد تكلم عــلى سلطنة مراكش فــى الفصل الموفى أربعين من صفوة الاعتبار . بمستودع الاقطار والأمصار ، فى حدود سنة 1297 .

ومنهم الشريف الادريسى قال فى نزهة المشتاق فى ص 67 من الجزء المطبوع منها فى افريقيا والأندلس ما نصه : وعلى 12 ميلا منها أي من اغمات مدينة بناها يوسف بن تاشفين فــى صدر سنة 470 بعد أن اشترى أرضها مــن أهل أغمات بجملة أموال واختطها له ولبنى عمه ، هي فــى وطاء مــن الأرض ليس حولها شيء مــن الجبل الا جبل صغير يسمى ايجليز ومنه قطع الحجر الــذى

بنى منه قصر أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين وهو المعروف بدار الحجر وليس في موضع مدينة مراكش حجر البتة إلا ما كان من هذا الجبل ، وانما بناؤها بالطين والطوب والطوابى المقامة بالتراب ، وماؤها الذى تسقى به البساتين مستخرج بصنعة هندسية حسنة ، استخرج ذلك عبيد الله ابن يونس المهندس ، وسبب ذلك أن ماءهم ليس ببعيد الغور موجود إذا احتفر قريباً من وجه الأرض ، وذلك أن هذا الرجل المذكور وهو عبيد الله ابن يونس جاء الى مراكش في صدر بنائها وليس بها إلا بستان واحد لأبى الفضل مولى أمير المسلمين المقدم ذكره ، فقصد إلى أعلى الأرض مما يلى البستان : فاحتفر فيه بيرا مربعة كبيرة التربيع ، ثم احتفر منها ساقية متصلة الحفر على وجه الأرض ، ومر يحفر بتدريج من أرفع إلى أخفض متدرجاً إلى أسفله بميزان حتى وصل الماء الى البستان وهو منسكب مع وجه الأرض يصب فيه، فهو جار مع الأيام لايفتر، واذا نظر الناظرُ الى مسطح الأرض لم يربها كبيرَ ارتفاع يوجب خروج الماء من قعرها الى وجهها ، وانما يميز ذلك عالم بالسبب الذى به استخرج ذلك الماء ، والسبب هو الوزن للأرض ، فاستحسن ذلك أمير المسلمين من فعل عبيد الله ابن يونس المهندس وأعطاه مالا وأثوابا وأكرم مثواه مدة بقائه عنده ، ثم ان الناس نظروا الى ذلك ولم يزالوا يحفرون الأرض ويستخرجون مياهها الى البساتين حتى كثرت البساتين والجنات ، واتصلت بذلك عمارات مراكش وحسن قطرها ومنظرها ، ومدينة مراكش في هذا الوقت من أكبر مدن المغرب الأقصى ، لأنها كانت دار امارة لمتونة ومدار ملكهم وسلك جميعهم، وكان بها أعداد قصور لكثير من الأمراء والقواد وخدام الدولة ، وأزقتها واسعة ورحابها فسيحة ومبانيها سامية وأسواقها مختلفة وسلعها نافقة ، وكان بها جامع بناه أميرها يوسف بن تاشفين فلما كان في هذا الوقت وتغلب عليها المصامدة وصار الملك لهم تركوا ذلك الجامع عطلا مغلق الأبواب ولا يرون الصلاة فيه وبنوا لأنفسهم مسجداً جامعاً يصلون فيه بعد أن نهبوا الأموال وسفكوا الدماء وباعوا الحرم ، كل ذلك بمذهب اهم يرون ذلك فيه حلالا ، وشرب أهل مراكش من الآبار ، ومياهها كلها عذبة ، وآبارهم قريبة معينة ، وكان علي بن يوسف قد جلب إلى مراكش

ماء مـن عين بينها وبين المدينة أميال ، ولم يستتم ذلك ، فلما تغلب المصامدة على الملك وصار لهم وبأيديهم تمموا جلب الماء الى داخل المدينة وصنعوا به سقايات بقرب دار الحجر وهي الحظيرة التى فيها القصر منفرداً متحيزاً بذاته ، والمدينة بخارج هذا القصر ، وطول المدينة أكثر مـن ميل وعرضها قرب ذلك ، وعلى 3 أميال مـن مراكش نهر لهـا يسمى تانسيفت وليس بالكبير لكنه دائم الجري ، واذا كان زمن الشتاء حمـل بسيل كبير لا يبقى ولا يذر ، وكان أمير المسلمين علي بن يوسف بنى على هذا النهر قنطرة عجيبة الـبناء متقنة الصنع بعد أن جلب إلى عملها صناعَ الأندلس وجملا مـن أهل المعرفة بالبناء ، فشيدوها وأتقنوا بنيانها حتى كملت ثم لم تلبث غير أعـوام يسيرة حتى أتى عليها السيل فاحتمل أكثرها وأفلت عقدها وهدمها ورمى بـها فـى البحر الزخار ، وهـذا الوادى ياتى اليه الماء من عيون ومياه منبعثة مـن جبل درن مـن ناحية مدينة أغمات ايلان هـ .

ومنهم السلطان المؤيد ملك حماة أبو الفداء إسماعيل بن الملك الأفضل الأيوبى المتولد عام 672 المتوفى عام 732 عـن 60 سنة ممدوح ابـن نباتة وصاحب المختصر فـى التاريخ قال فـى كتابه تقويم البلدان الذى جمع فيه بيـن ضبط أسماء البلدان وذكـر أطوالها وعروضها ووضـع لذلك جـداول (المنقول عنه) (طول عرض) ق (الاقليم الحقيقى) العرفى مراكـش ــ ابن سعيد يا 7ق كـط 7 من الثالث مـن المغرب الأقصى مركش‌اكش بفتح الميم وتشديد الراء وفتحها وألف ساكـنة ثم كاف ثم شين بعده ، وعن ابن سعيد مراكش محدثة بناها يوسف بـن تاشفين فـى أرض صحراوية وجلب اليها المياه وأكـثر الناس فيها البساتين ، فـكثر وخمها ، ولا يكاد الغريب يسلم فيها من الحمى ، وجنوبي مملكة مراكش جبـل درن وشماليها مملكـة سلا وغربيها البحر المحيط وشرقيها الجهات التى بيـن سجلماسة وفاس ومراكش سبعة أميال ، ولها سبعة عشر باباً وحرها شديـد وهي فـى شمال أغمات بميلة يسيرة الى الغرب ، وبينهما نحو خمسـة عشر ميلا ، قلـت قوله فـى العرض كط 7 يعنى تسعة وعشرين درجة وسبـع دقائق ، وقـد ذكر ابن خلدون فـى 99 من ج 6 أن عرض الأسكندرية لأعـلى

مثل مراكش وأغمات هـ يعنى واحداً وثلاثين درجة ، والذى عليه عـمل موقتيها اليوم أن عرضها إحدى وثلاثون درجة وثمانية وعشرون دقيقة ، وابـن سعيد المنقول عنـه ستاتى ترجمتُه إن شاء الله فـى حرف العين ، وقوله ولها سبعة عشر باباً قد كـان لها ذلك قبـل أن يغلق بعضها ، وقال مـؤرخ الدولتين الموحدية والحفصية محمد ابـن إبراهيم المنتهى فـى تاريخه الى حـوادث 882 وهو ممـن أخذ عـن تلامدة أبى مهدى عيسى الغبرينى ما نصه : وتوفي فـى خلال ذلك علي بـن يوسف صاحب مراكش فـى ثالث رجب سنة سبع وثلاثين ، وهـو الذى أحدث مراكش فـى سنة 520 وأدار سورها وبنـى سقايتها وجامعها وقصر امارتها وجعل دروها سبعة أميال ، وكانـت قبـل ذلك قفراء يسكنها البربر ،فاشتراها أبوه يوسف بـن تاشفين منهم بسبعيـن درهما ، وبنى فـيها مسجدا بالطوب وأمر البربر بسكناها فعملوا فيها خوصا وسكنوها الى زمن بنائها ، قلت ولا يخفاك ما فـى بعض كلامه مـن التدافـع ، فان الجم الغفير مـن المؤرخين ذكروا أن مؤسسها ومحدثها هـو يوسف ابن تاشفين سنة اثنين وخمسين وأربعمئة .

وذكر فـى الحلل الموشية عـن جماعة مـن علماء التاريخ كـما سياتى أن الذى أسسها فـى التاريخ المذكور هـو عمه أبو بكر بـن عمر ، وقوله أن علي بن يوسف بنى قصر إمارتها الذى عند غيره كـما يأتى أن الذى بناه هـو والده أيضاً عام 454 وقوله انه أدار سورها سنة 520 سياتى عـن غيره أن ذلك وقع سنة 526 أو سنة 522 بـعد شروع والده سنة 475 ثـم ان والده انما بنى منها سور الحجر .

وقـال فى مـراكش أبو العبـاس السبتى رضـى الله عنه انهـا مدينـة العلـم والخيـر والصـلاح كـما نقله فـى المعزى فـى ترجمتـه ، وسيأتى ان شاء الله فيها أيضاً ولفظ بعض مـن الف فـى مناقبه ممن لـقى أصحابه رضى الله عنه بزيادة والدين بين الخير والصلاح ، وقال فـى جامعهـا سيدى سعيد بـن عبد النعيم وسيدى أبو عمر المراكشى رضى الله عنهمـا ما نقله العارف الحلفاوى والعارف الزروالى .

(تنبيــه) شهر من الجوامــع بعدما ورد فــى ذلك عن الشــارع صلى الله عليه وسلم ما غرب طالع جامع الأزهر بمصر وجامع القروييــن بفــاس وجامع علي بن يــوسف اللمتونى بمراكــش ، وقد جــرى على ألسنــة الفحول الأمجــاد الثناء عــلى أفضلية المساجد كل عــلى حسب ما رءاه لها مــن الفوائد ، حتى قيل فــى جامع علي بــن يوسف لولا جامع علي بن يوسف ما ذكر مراكش ، وحكي عن بعض السادات وهو سيدى سعيد بن عبد النعيم انه قال عجبت لمن يقول مراكــش لغير جامع علي بــن يوسف ، وجاء رجل مــن أكابر أهل مدينة فاس لزيارة الشيخ سيدى أبى عمر فالتقى به فــى ملأ من الناس ، فاستحضر الزائر معه مــن الأدب ما يستحضر الأكياس ، فسأله الشيخ عــن البلد وسكانها ، فقال له هذا الزائر المقيم مــن أقصى قلبه بالعقد الصميم على جهة التعجب والتعظيم : الله الله إن جامع القرويين يكاد ينبع العلم من حيطانه ، فقال لــه الشيخ أعد الأخبار كيف أخبرت بها عــن هذا المسجد المسرار ، بذلــك اللفظ المختار ، فأعاد عليه اللفظة بمبانيها ، فقال له الشيخ القسطالى بعد ان زادت على أنواره أنوار ، كلام جاء من بساط حضرة القهار ، الله الله ان جامع علي بن يوسف يكاد السر ينبع من حيطانه ، فانقطع كلام المتكلم حين ظهر له ما بين السر والعلم ، فقلت فى معنى ذلك :

شتان بين اكتحال العين وضعا وما بين كحولتها فى الحسن والصــور
والفرع ما دام أصله له أمــــــل والأصل ان ضاع لا فرع بمعتبــــر
ومسجد سكن السر حجارتهــــا أهلا بمن عرفت بالسر فى الحجر
ببقعـــة لقبت بعد اضافتهــــا بمسجد مــن رياض الخلد منتشر
يغشى الفتى فرح عند الدخول لها فينتفى كل ما فى القلب من كــدر
لا يطرق الهم والحزن بساحتهـــا ولا البعوض كذا قد جاء فى السير
حراس أبوابها من الهموم لهــــم نصر على نفي همٍّ غير مزدجــــر
لــها فناء ان يفنى القلب حسنهمــا كان صدرهما شطر من القمـــــر
وسطه خصة ترمى الزلال عــــلى سبائك من لجين غير منكســـــر
وشجرتــان تشيرٰان بوصفهمــــا فى ءاخر البيت بالتوحيد والنظــر
وعند زهرهما يعبقُ مسكُهمـــــا يكاد ورقهما يخفى من الزهــــــر

بينهما خصة يزينها صلـــــة ... بين التى فوقها كالشفر للبصـــر
تبارك الله من حسن يلوح بهـــــا ... والحسن فى يوسف قد جاء فى الخبر
طابــق جانس معناها قوالبهــــا ... تنبيك أسماؤها عن حسن مدخـر
فى مصر قد فتح الزهر وفى فاس قد ... قرأ قوم علوم الذكر والسيـــر
وقد علا يوسف فى الحسن حتى علت ... بالحسن مراكش الحمراء بالعبـر
بيضاء محمرة االأسوار مخضرة الأقـ ... ـــطار معدومة الأنظار للفكـــر
ليس لها بعد مكة وطيبتهــــا ... مثل وشبهتها بمنتهى نظـــــر
هيفاء محمرة الخدين علكومـــة ... الردفين مكحولة العينين والشعـر
كفاها من شرف ما فيها من عارف ... لله معتبر بـــالله منتصـــــر
أحبهم وأحب كل معتــــرف ... بفضلهم بغرام غير منحصــــر
تحصى النجوم ولا تحصر سادتها ... ناهيك من شرف فيها بمعتبـــر
بمسجد شاع فـى الأقطار رونقها ... تثنى عليها جميع' ألسن البشـــر
عديمة المثل يحسب منارتهـــا ... من حسن اتقانها مفروغة الصـور
مقر سادتنا مأوى تعبدهــــم ... لاح عليها دموع الشوق والفكـــر
تبارك الله ما أحلى مديحهــــم ... وكل قول عليهم حل فى العبـــر
أسماؤهم حلوة اذكارهم سلـــوة ... تنبيك أوجههم عن كل مستتـــر
ولو رأيت امام الوقت خاتمهـــم ... لكنت تقسم بالأملاك والقمـــر
بــــأنه لا يرى مثل له أبــــدا ... ولا يرى بعده فى البدو والحضـر
رب وان لم نكن أهلا لحضرتــــه ... فهو أهل لكل خير مدخـــــر
بــهتوسلنا يارب إليك عســــى ... نفنى به فيه عن مصنوعة البشـــر
ثم الصلاة على خير الورى أبــــدا ... وءاله وعـــلى أصحابه الغـــرر

انتهت من الكتابين المذكورين .

وفيها قال شاعر ملوك بنى مرين عبد العزيز الملزوزى لـما أصابته حمى بمراكش فدخل الأمير عبد الواحد بن يعقوب المرينى فى رمضان عام 669 وقد وجد راحة من حماه فقال له الأمير كيف أنت يا عبد العزيز من مرضك ؟ وكيف رأيت مراكش ؟ فأنشأ يقول :

لمراكش فضل على كل بلـــــــدة ... وما أبصرت عين لها من مشابــــه
وما هي إلا جنة قد تزخرفـــــت ... ولكنها حفت لنا بالمكـــــــاره

ذكره فـى **الذخيرة السنية فـى تاريخ الدولة المرينية** الشيخ عبـد اللطيف بن بركات العربى (I) وأنشدهما العشماوى فى كتاب الأنساب هكذا :

لمراكش فضل على كل بلـــــدة ... ولم أر قط مثلها من مشابـــــه
وما هي إلا جنة قد تزخرفـــــت ... ولـــكنها محفوفة بالمكـــــاره

وفى ضد هذا قال شيخ القراء بالمدينة المنورة الأديب عـبد العزيز ابن عبد الواحد بن محمد بن موسى المغربى المكناسى المالكى فى دمشق :

قالـــوا دمشق جنة زخرفــــــت ... من كل ما تهوى نفوس البشــــر
أما ترى الأنهار من تحتهــــــــا ... تجرى فقل مجاوبا بل سقــــــر
لأنهـــا حفت بما تشتهـــــــى ... فهي اذا نار كما فى الخبـــــــر

وتوفي بالمدينة المنورة سنة 964 كما فى شذرات الذهب .

وقال ابـن سعيد وأنا أقول كلاماً فيه كفاية منذ خرجت مـن جزيرة الأندلس وطفت فى بر العدوة ورأيت مدنها العظيمة كـمراكش وفاس وسـلا وسبتة ثم طفت فى أفريقية وما جاورها مـن المغرب الأوسط فرأيت بجايـة وتونس ثم دخلت الديار المصرية فرأيت الأسكندرية والقاهرة والفسطاط ثم دخلت الشام فرأيت دمشق وحلبا وما بينهما لم أر ما يشبه رونق الأنـدلس فى مياهها وأشجارها إلا مدينة فاس بالمغرب الأقصى ومدينة دمشـق بالشام وفى حماة مسحة أندلسية ، ولم أر ما يشبهها فى حسن المبانى والتشييـد والتصنيع إلا ما شيد فـى مراكش فـى دولة بنى عبد المومن ، وبعض أماكن فـى تونس ، وان كان الغالب على تونس البناء بالحجارة كالأسكندرية ، ولكن الأسكندرية أفسح شوارع وأبسط وأبدع ، ومبانى حلب داخلة فـى مبانى ما يستحسن لأنها مـن حجارة صلبة وفـى وضعها وترتيبها إتقان ونقل فـى

I) هل يكون هو اسم مؤلف الذخيرة السنية ؟

124 مـن ج 2 مـن نفح الطيب عنه ما نصه ويكفى فـى الانصاف أن أقول ان حضرة مراكش هـي بغداد المغرب وهي أعظم ما فـى بر العدوة وأكثر مصانعها ومبـانيها الجليلة وبساتينها انما ظهرت فـى مدة بنى عبد المومن وكـانوا يجلبـون لها صناع الأندلس مـن جزيرتهم وذلك مشهور معلـوم الى الآن ، ومدينة تونس قـد انتقلت اليها السعادة التى كانت فـى مراكـش بسلطان أفريقية أبى زكرياء .

وقال الأبى فـى شرح مسلـم ولم يزل الشيوخ يحكون عـن كثرة ما كان بتونس مـن الخيرات انه بقي دينار بأحد حوالى الجامع وغالب ظنـي انه بطرق العطارين مدة لم يرفعه أحد ثم بعد ذلك لم يوجد فقال الناس اليوم دخـل لبلدنا غريب ، وحين كـانت قاعدة مملكة الموحدين مراكش وكـان القضاة انما ياتون لتونس منها فاتفق ان قدم اليها قاض من مراكش فبقـي أياما لا ياتيه أحد من الخصوم فظن أن الناس لم يرضوا به ، ثم تقدم يومـا اليه خصمان من أهل سوق الجبة فقال أحدهما أصلحك الله إن هذا شريكى وقد باع جبة من العرب وأنا لا أستحل دراهم العرب ، فحينئذ علم القاضى أن عدم إتيان الخصوم اليه انما هو لتناصفهم واتباعهم الحق هـ ونقله فـى الاختصار عند قول المختصر فـى اللقطة والاكره .

ومن نظم ابن الخطيب قوله لما أشرف عـلى الحضرة المراكشيـة حاطها الله تـعالى :

ماذا أحدث عن بحر سبحت بـه ... من البحار فلا إثم ولا حـرج
دحاه مبتدع الأشياء مستويـا ... ما إن به درك كـلاً ولا درج
حتى اذا ما المنار الفرد لاح لنـا ... صحت' ابشرى يامطايا جاءك الفرج
قربت من عامر داراً ومنزلـة ... والشاهد العدل هذا الطيب والأرج

وقال رحمه الله تعلى عند وقوفه على مراكش واعتباره بما صار اليـه أمـرهـا :

بلد قد غزاه صرف' الليـالى ... وأباح المصون منه مبيـح
فالذى خرّ من بناه قتيـل ... والذى خرّ منه بعض جريـح

وكـأنَّ الذى يزور طبيـــــب — قد تأتى له بـــها التشريـــــح
أعجمتْ مـنه أربع ورســـــوم — كـان قدماً بها اللسانُ الفصيـح
كم معان غابت بتلك المغانـــــى — وجمال أخفاه ذاك الضريـــــح
وملوك تعبدوا الدهرَ لمـــــا — أصبح الدهرُ وهو عبد صريـــح
دوخوا نازحَ البسيطة حتـــــى — قال مـا شاء ذابلٌ وصفيــــح
حين شبَّتْ لهم من البأس نـــار — ثـم هبَّتْ لهم من النصر ريـــح
أثـــر يندب المؤثر لمـــــــا — طال بعد الدنو منها النــــزوح
ساكنُ الدار روحُها كيف يبقـى — جسدٌ بعد ما تولى الـــــروح ؟

وسيأتى فـى ترجمة إدريس الـمكنى بأبى دبوس ما قيل فـى هذا الخراب وسببه والجواب عنه .

وذكر العلامة اليوسى فـى محاضراته ما تشرف بـه الأماكن ، منها نسبة المعروف إليها وكـونها منبتا للعشب ومزرعة وسهلـة ومعدنا ومنبعا للماء ومحلا للخير نبوة أو علماً أو زهداً أو عبادة أو ملكاً أو جوداً أو نجدة أو جمالا أو خلقا حسنا ورخاء الـعيش وصحة الهواء ، ولم تخل بقعة من بـقاع الأرض من فضل يتعلل به عمارها حتى لا يتركوها ولله در القائل :

وما عرف الأرجاء إلا رجالهـــــا — والا فلا فضل لترب على تــــرب

وجل هذا الفضائل حازتها الحضرة المراكشية بفضل الله ، ويرحـم الله القائل فـى قصر البديع :

كل قصر بعد البديع يُـــــذَمُّ — فيه طاب الجنى وطاب المشـــمُّ
منظـــــر رائق وماء نميـــــر — وثرى عاطر وقصر أشــــــمُّ
إن مراكشاً به قد تباهـــــتْ — مفخراً فهي للعلا الدهر تسمـــو

وأصل هذه الأبيات قول ابن عمار

كل قصر بعد الدمشق (1) يـــذم — فيه طاب الجنى وفاح المشـــــم
منظـــــر رائق وماء نميـــــر — وثرى عـــاطر وقصر أشـــــم
بت فيه والليل والنجم عنـــــدى — عنبر أشهب ومسك أحــــــم

1) الدمشق قصر بقرطبة ، راجع ص 314 ج 1 من نفح الطيب (مؤلف) .

والأحم بالحاء الأسود من كل شيء كما فـي القاموس .

وقال فـي مناهل الصفا كـان السبب الحامـل للمنصور عـلى بناء البديـع وانفاقه فيه جلائل الأمـوال ونفائس الذخائر هو انه أراد أن تـكون لأهل البيت بـه مأثرة وشفوف عـلى دولة البربـر وغيرهم مـن المرابطيـن والموحدين ومَن بعدهم من بنى مرين ، فان كلا من أهل تلك الدول ابتنى بناء يحيى به ذكره ، ولم يكن لأهل البيت فـي ذلك المعنى شيء تزداد به حظوتهم مع أنهم أحقُ الناس بالمجد الأصيل ، والسؤدد الأثيل ، فتصدى لبنائه بقصد تشريف أهل البيت ، لأن البناء كما قيل فى فوائده :

همم الملوك اذا أرادوا ذكرهـا — من بعدهم فبألسن البنيـان
إن البناءَ إذا تعاظم شـأنُـه — أضحى يدلُ على عظيم الشـان

ولما عزم عـلى الشروع فيـه أحضر أهل العلم ومن يتهم بالصـلاح فتحينوا أوان الابتداء ووقت الشروع فيه ،. فكان ابتداء الشروع فى تأسيسه فـي شوال خامس الأشهر مـن خلافته عام ستة وثمانين وتسعمئة ، واتصل العمل فيـه الى عام اثنين وألف ، ولم يتخلل ذلك فترة ، وحشد لـه الصناع حتى من بـلاد الأفرنجة ، فكان يجتمع كل يوم مـن أرباب الصنائع ومهـرة الحكماء خلق عظيم ، حتى كـان ببابه سوق عظيم يقصده التجار ببضائعهـم ونفائس أعلاقهم وجلب لـه الرخام من بلاد الروم ، فكان يشتريه منهم بالسكر وزناً بوزن على ما قيل ، وكان المنصور قد اتخذ معاصر للسـكر ببلاد حاحة وشوشاوة وغيرهما حسبما ذكره الفشتالى فـي مناهل الصفا ، وأما جبسـه وجيره وباقى أنقاضه فانها جمعت من كل ناحية حتى انه وجدت بطاقة فيهـا أن فلانا دفع صاعا من جيار حمله من تنبكت' وظف عليه فى غمار الناس ، وكان المنصور مع ذلك يحسن للأجراء غايةَ الاحسان ، ويجزل صلة المعلمين العارفين بالبناء ويوسع عليهم فـي العطاء ويقوم بمئون أولادهم كي لا تتشوف نفوسهم وتتشعب أنظارهم ، وهذا البديع دار مربعة الشكل وفـي كل جهـة منها قبة رائقة الهيأة ، واحتف بها مصانع أخرى من قباب وقصور وديار، فعظم

بذلك بناؤه وطالت مسافته ولاشك ان هذا البديع من أحسن المبانى وأعظم المصانع يقصر عنه شعب بوان وينسى ذكر غمدان ويبخس الزهراء والزاهرة، ويزرى بقبـاب الشام وأهرام القاهرة وفيه مـن الرخـام المجزع والمرمـر الأبيض المفضض والأسود ، وكل رخامة طلي رأسها بالذهب الذائب ومـوه بالنضار الصافى وفرشت أرضه بالرخام العجيب النحت الصافى البشرة فـى أضعاف دلك الزليج المتنوع التلوين حتـى كأنه خمائل الزهر أو بـرد موشى، وأما سقوفه فتجسم فيها الذهب وطليت الجدرات بـه مع بريق النقش ورائـق الرقم بخالص الجبس فتكاملت فيه المحاسن وأجرى فـى فنائه ماء غير ءاسن وبـالجملة فان هذا البديع من المبانـى المتناهية البناء والاشراق المباهيـة لزوراء العراق ومـن المصانع التى هـي جنة الدنيـا وفتنة المحيا ومنتهـى الوصف وموقف السرور والقصف وفيه مـن الأشعار المرقومة فـى الاستار والأبـيات المنقوشة فـى الخشب والزليج والجبس مـا يسر الناظر ويروق المتأمل ويبهر العقول وعلى كل قبة ما يناسبها وفـى بعض القباب مفاخرة على لسانها لمقابلتها وتتبع ذلك يطول ، لكن لا بأس ان نلم هنا بثمـالة مـن ذلك الحوض ونخوض فـى بحار تلك البدائـع بعض الخوض اذ فـى ذلـك عبرة لمن اعتبر وترويح القلب بكيفية فعل الدهر لمن غبر ، فمن ذلك ما نقش خارج القبة الخمسينية (1) من إنشاء الكاتب البليغ عبد العزيز الفشتالى على لسان تلك القبة المذكورة :

سموت فخر البدر دونيَّ وانحطـا ... وأصبح قرص الشمس فى أذنى قرطا
وصغت من الاكليل تاجاً لمفرقـى ... ونيطت بى الجوزاء فى عنقى سمطا
ولاحت بأطواقى الثريا كأنهـــا ... نثير جمان قد تتبعته لقطــــا
وعديت عن زهر النجوم لأننـــى ... جعلتُ على كيوانَ رجليَّ منحطـا
وأجريت من فيض السماحة والندا ... خليجاً على نهر المجرة قد غطـــا

1) قال فى نفح الطيب صحيفة 432 من ج 3 منه وانما سميت بالخمسينية لأن فيهـا خمسين ذراعاً بالعمل .

عقدت عليه الجسر للفخر فارتمت إليه وفود البحر تصرف ما أعطا
تنضنض ما بين الغروس كأنه وقد رقرقت حصباؤه حية رقطا
حواليه من دوح الرياض خرائد وغيد تجر من خمائلها مرطا
اذا أرسلت لون الفروع وفتحت جنا الزهر لاح في ذوائبها وخطا
يرنحها مر النسيم اذا سرى كما مال نشوان تشرب اسفنطا
يشق رياضاً جادها الجود والندى سواء لديها الغيث أسكب أم أبطا
وسالت بسلسال اللجين حياضها بحاراً غدا عرض البسيط لها شطا
تطلع منها وسط وسطاه ديمة هي الشمس لاتخشى كسوفا ولا غمطا
حكت وقباب الماء فى جنباتها سنا البدر يبدو من نجوم السما وسطا
اذا غازلتها الشمس ألقى شعاعها على جسمها الفضي نهراً بها لطا
توسمت فيها من صفاء أديمها نقوشاً كأن المسكَ ينقطها نقطا
اذا اتسقت بيض القباب قلادة فانى لها فى الحسن درتها الوسطا
تكنفنى بيض الدما فكأنها عذارى نضت عنها القلائد والريطا
قدود" ولكن زادها الحسنَ عريُها وأجمل فى تنعيمها النحت والخرطا
نمت صعداً تيجانها فتكسرت قوارير أفلاك السماح بها ضغطا
فيالك شأواً بالسعادة اهلا بأكنافه رحل العلا والهدى حطا
وكعبة مجد شادها العز فانبرت تطوف بمغناها أمانى الورى شوطا
ومسرح غزلان الصريم كناسها حنايا القباب لا الكثيب ولا السقطا
فلكن به ما طاب لا الاثل والخمطا ووسدن فيه الوشى لا السدر والارطا
ثراه من المسك الفتيت مدبرا اذا مزجته السحب عاد بها خلطا
وان باكرته نسمة لسرى بها الى كل أنف عرف عنبره قسطا
أقرتْ له الزهراءُ والخلدُ وانثنت أواوين كسرى الفرس تغبطه غبطا
جناب رواق المجد فيه مطنب على خير من يعزى لخير الورى سبطا
إمام يسير الدهر تحت لوائه وترسى سفار للعلا حيث ما حطا
وفتاح أقطار البلاد بفيلق يفلق هامات العدا بالظبى خطا
تطلع من خرصانه الشهب فانثنت ذوائب أرض الزنج من ضوئها شمطا
كتائب نصر إن جرت لملمة جرت قبلها الأقدار تسبقها فرطا
اذا ما عقدن راية علوية جعلن ضمان الفتح فى عقدها شرطا
فما للسنا تلك الاهلة انما سنابكها أبقت مثالا بها خطا

يطاوع أيدى المعلوات عنانهـــــا	فيعتاض من فيض الزمان بها بسطا
يـــد لأمير المومنين بكفهـــــا	زمام يقود الروم والفرس والقبطـا
أدار جداراً للعلا وسرادقـــــــا	يحوط جهات الأرض من رعيه حوطا

وقال أيضاً مما كتب بداخل القبة المذكورة :

جمال بدائعى سحر العيونـــــــا	ورونق منظرى بهر الجفونـــــــا
وقد حسنت نقوشى واستطـارت	سنى يعشى عيون الناظرينـــــا
وأطلع سمكيَّ الأعلى نجومـــــــا	ثواقب لا تغور الدهر حينـــــــا
وجوى من دخان الند ألقـــــــى	على أرضى الغياهب والدجونـــا
علوت دوائر الأفلاك سبعـــــــا	لذاك الدهر ما ألفت سكونـــــا
فصغت من الاهلة والحنايــــــا	أساور والخلاخل والبرينـــــــا
تـــكنفنى حياض مائجـــــات	أمامى والشمائل واليمينـــــــا
يقيد حسنها الطرف انفساحـــا	ويجرى الفلك فيها والسفينـــا
تدافع نهرُها نحوى فلمَّـــــــا	تلاقى البحر فيَّ جرى دفينـــا
ترى شهب السماء بهن غرقَـــى	فتحسبها بِـها الدر المصونـــا
وقد نشر الحباب على سماهـــا	للألىءَ تزدرى العقد الثمينـــــا
فخرتُ وحق لى لما اجتبانـــــى	لمجلسه أميــرُ المومنينـــــا
هو المنصور حائز خصل سبـــق	وبانــى المجد بنيانا مكينـــــا
وليث وغى اذا زأر امتعاضـــــا	يـــروع زئيره هنداً وصينـــــا
إذا أمـــت كـتائبه الأعـــادى	بعثــن بــرعبه جيشاً كمينـــا
يدير عليهم من كل حــــــرب	تدقهــم رحــى أو منجنونـــــا
إمام بالمغارب لاح شمســـــــا	به الشرقُ اكتسى نوراً مبينـــا
بقيت بذى القصور الغر بـــدراً	تلوح بأفقهن مدى السنينـــــا
تحف بكم عواكف عند بابـــــى	ملائكة" كرام" كاتبونـــــــــا
لــك البشرى أمير المومنيـــن اد	خلوها مـــع سلام ءامنينـــــا

وقال أيضاً مما كُتب ببهوها بمرمر أسود فى بياض :

لله بـــهو عـــز منه نظيـــــر	لما زها كالروض وهو نضيـــر

رصفت نقوش حلاه رصفَ قلائد ... قد نضدتها فى النحور الحور
فكأنها والتبر سال خلالها ... وشى وفضة تربها كافور
وكأنَّ أرض قراره ديباجة ... قد زان حسن طرازها تشجير
واذا تصعد نده نوءاً ففى ... أنماطه نور به معطور
شأو القصور قصورها عن وصفه ... سيان فيه خورنق وسدير
فاذا أجلت اللحظَ فى جنباته ... يرتدُ وهو بحسنه محسور
وكأن موج البركتين أمامه ... حركات سجف صافحته دبور
صفت بصفتها تماثل فضة ... ملك النفوس بحسنها تصوير
فتدير من وصف الزلال معتقا ... يسرى إلى الأرواح منه سرور
ما بين ءاساد يهيج زئيرها ... وأساود يسلى لهن صفير
ودحت من الأنهار أرض زجاجة ... وأظلَّها فلك يضيء منير
راقت فمن حصبائها وفواقع ... يطفو عليها اللؤلؤ المنثور
يا حسنه من مصنع فبهاؤه ... باهى نجوم الأفق وهي تنور
وكأنما زهر الرياض بجنبه ... حيث التفتَّ كواكب وبدور
ولدسته الأسما تخير وصفه ... فخر الورى وإمامها المنصور
ملك أناف على الفراقد رتبة ... وأقلَّه' فوق السماك سرير
قطب الخلافة تاج مفرق دولة ... رميت بمحفلها اللهام الكور
وجرى إلى أقصا العراق لرعبها ... جيش على جسر الفرات عَبور
نجل النبيِّ ابن الوصيِّ سليل مَن ... حقن الدماء وعف وهو قدير
بحر الندا لكنه متموج ... سيف العلا لكنه مطرور
طود يخف لحمله ووقاره ... ولجيشه يوم النزال ثبير
دامت معالية ودام ومجده ... طوقٌ على جيد العلا مزرور
وتعاهدته من الفتوح بشائر ... يغدو عليه بها المسا وبكور
ما دام منزل سعده يرتاده ... نصر يرف لواؤه المنشور
ومشت به مرحاً جياد مسرة ... وأدار كأس الأنسِ فيه سمير

وقال أيضاً وكتب فى بعض المبانى البديعة ونصه :

معانى الحسنَ تظهر فى المغانى ... ظهورَ السحر فى حدق الحسان

مشابه فى صفات الحسن أضحت تـمنُّ بها المغانى للغوانـــــــى
فكل عمود صبح من لجيـــــــن تكَوَّنَ فى استقامة خوط بـــان
مفصلة القدود مثلثـــــــات مواصلة العناق من التدانـــــــى
تردت سابريَّ الحسن يـــزرى بحسن السابريِّ الخسروانـــى
وتعطو الخيزرانة من دماهــــا بسالفة القطيـــع البرهمانـــى
لمجدك تنتمى لـــكن نماهـــا الى صنعاء مـــا صنع اليـــدان
يدين لك ابن ذى يزن ويعنـــو لها غمدان فـــى أرض اليمـــان
غدت حرماً ولكن حلٌ فيهـــا لوفدكم الأمان مـــع الأمانـــى
مبـــان بالخلافـــة ءاهـــلات بها يتلو الهدى السبع المثانـــى
هـي الدنيا وساكنها إمـــام لأهل الأرض من قـــاص ودان
قصور ما لها فى الأرض شبـــه وما فى المجد للمنصور ثـــان

وقال أيضاَ مما كُتب على المصرية المطلة على الرياض المرتفعة على القبة الخضراء من البديع ، وكان إنشاؤها عام خمسة وتسعين وتسعمئة :

باكر لديَّ من السرور كئوســـا وارض النديم أهلة وشموســـــا
واعرج على غرفى المنيف سماؤها تلـق الفراقد فى حمايَ جلوســا
وإذا طلعت بأوجها قمر العـــلا لا ترتضى غير النجوم جليســـا
شرق القصور بريقها لما اجتلـت منى على بسط الرياض عروســا
واعتضتُ بالمنصور أحمد ضيغماً وردا تحيز من بديع خيســــــا
ملكا أرى كل الملوك ممالكـــا لعلاه والدنيـا عليه حبيســـــا
دامت وفود السعد وهي عواكـف تـصل المقيل لديه والتعريســـا
وهَناك ياشرفَ الخلافةِ دولـــة" تلقى برايتها طلائع عيســـــى

وقال بعض الكتاب مما طرزت به الأستار المذهبة المحكمة الصنعة لتستر بها النواحى الأربع من القبة الخمسينية ، وتسمى هذه الأستار عند أهل المغرب بالحائطى .

ففى الجهة الأولى :

متع جفونك فى بديع لبـــاس وأدرْ على حسن حميا الكـــاس
هذى الربا والروض من جرعائهـا ما أغتذى بالعارض البجـــاس

انـي لروض أن يروق بهـــــاؤه مثلي وأن يجرى على مقيـــــاس
فالروض تغشاه السوام وانمـــا تأوى الى كنفي ظباء كنـــاس

وفى الجهة الثانية

من كل حسنا كالقضيب إذا انثنى تزرى بغصن البانة الميـــاس
ولقد نشرتُ على السماك ذوائبـي ونظرتُ من شزر الى الكنـــاس
وجررتُ ذيلي بالمجرة عابثـــاً فخراً بمخترعى أبى العبـــاس
ما نيط مثلي فى القباب ولا ازدهت بفتى سواه مراتب وكـــراس

وفى الجهة الثالثة

ملك تقاصرت الملوك لعــــزه ورماهم بالـــذل والاتعـــاس
غيث المواهب بحر كل فضيلـــة ليث الحروب مسعر الأوطـــاس
فرد المحاسن والمفاخر كلهـــا قطب الجمال أخو الندى والبـاس
ملـك إذا وافى البلاد تأرجـــت منه الوهـــاد بعاطر الأنفـــاس

وفى الجهة الرابعة

وإذا تطلع بدره من هالـــــة يعشى سناه نواظر الجـــلاس
أيامه غـــرر تجلت كلهــــا أبهى من الأعياد والأعـــــراس
لا زال للمجدِ السنيّ يشيــــده ويقيمُ مبناه على الآســـــاس
ما مال بالغصن النسيم وحببــت درر الندى فى جيده الميـــاس

وقال بعض الكتاب مما نقش بعضادتيْ باب من الأبواب :

يا ناظرى بالله قفْ وتأملَـــنْ وانظر الى الحسن البديع الأكمـل
وإذا نظرت إلى الحقيقة فلتقـــل : السرُّ فـى السكان لا فى المنزل

وقال الكاتب البليغ عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم الفشتالى ممـا نقش فى بعض الأبواب :

هذى وفودُ السعد نحوى تنتمـى وطلائع البشرى لبابى ترتمـــى

وسمت الى عرفان عرفك مثل ما — يسمو الحجيج الى سقاية زمزم
خصت بمصراع السعود بشائر — لاحت على الشرفاء مثل الانجم
أولى بصنع ان تقول ولا تبل — فبديع أحمد جنة المتنعم

قال الفشتالى لما عرضتها عليه استحسنها إلا أنه كره لفظه الجنة وتغير عليها كثيراً .

وكان الفراغ من بناء البديع عام اثنين وألف ، وفى تاريخه يقول الوزير الفقيه الأديب القائد علي بن منصور الشيظمى وهو مما نقش فى باب الرخام أحد أبواب البديع .

الحسن لفظ وهذا القصر معناه — يا ما أميلح مرءاه وأبهاه
فهو البديع الذى راقتْ بدائعُه — وطابق اسم له فيه مسماه
صرح أقيمت على التقوى قوائمه — ودل منه على التاريخ معناه
ولاح أيضاً وعين الحفظ تكلؤه — تاريخه من تمام قل هو الله

وقال الوزير المذكور أيضاً فيما نقش على أحد أبواب البديع :

باب أتى كبراعة استهلال — وكانما القصر المشيد التالى
ولذاك سُمي بالبديع وجاء ب — الاعراب والتحسين والايغال
وأتى التمام فقلت من تاريخه — بيتا بلا عقد ولا إشكال
صرح على التقوى من الله ابتنى — فى طالع للسعد والاقبال

وقال أيضاً فيما كتب بنباح قبة الزجاج :

ان شئت تاريخ إكمال البديع فقل — ديوان أحمد ديوان السعادات

وقال أيضاً فى تمام البديع مبيناً له :

يا مليكا ملكه فيمن ملك — كطلوع الفجر من بعد الحلك
تم هذا القصر فاسكنه على — حسن حال بدوام الملك لك

قال فى نفح الطيب : اخترع المنصور من المصانـع ثلاثة أشياء ، فجاءت غريبة الشكل بديعة الحسن ، وهي البديع ، والمسرة ، والمشتهى .

ومما قال المنصور فى ذلك موريا

بستان حسنك أبدعت زهراتـــه ولكم نهيت القلب عنه فما انتهـى
وقوام غصنك بالمسرة ينثنـــى يـا حسنه رمانة للمشتهـــى

والذى ذكر صاحب البيان المعرب عن أخبار المغرب وهو الشيـخ أبو عبد الله بن عذارى الأندلسى حسبما رأيته فى السفر الثانى منه أن أول مَن أنشأ المسرة التى بظاهر جنان الصالحة عبد المومن بن على كبير الموحدين، قال وهو بستان عظيم طوله ثلاثة أميال ، وعرضه قريب منها ، فيه كل فاكهة تشتهى ، وجلب اليه الماء من أغمات ، واستنبط له عيونا كثيرة .

قال ابن اليسع وما خرجت أنا من مراكش فى سنة ثلاث وأربعيـن وخمسمئة الا وهذا البستان الذى غرسه يبلغ مبيع زيتونه وفواكهه ثلاثين ألف دينار مومنية بحسب رخص الفاكهة بمراكش ، ولعل المنصور جدد معالـم المسرة بعد اندراسها وأفاض سجال الحياة على ميت أغراسها وكان المنصور يفتخر بالبديع كثيرا وبنوه كذلك وفى ذلك يقول عبد العزيز الفشتالى .

هذا البديع يعز شبه بدائـــع أبدعتهن به فجاء غريبـــا
أضنى الغزالة حسنه حسداً لـــه أبدى عليها للأصيل شحوبـــا
شيدتهن مصانعا وصنائعـــا أنجزن وعدك للعلى المرقوبـــا
وجريت فى كل الفخار لغايـــة أدركتهن وما مسست لغوبـــا
فانعم بملكك فيه دام مؤبـــدا تجنى به فنن النعيم رطيبـــا

ولما أكمل المنصور البديع وفرغ مـن تنميق بردته وتطريز حلتـه صنع مهرجاناً عظيماً ودعا الأعيان والأكابر ، فقدم لهم مـن ضروب الأطعمـة وصنوف الموائد وأفرغ عليهم مـن العطايا ومنحهم من الجوائز ما لم يعهـد منه قبل ، وكان ممن دخل فى غمار الناس رجل من البهاليل ممن كانت لـه

شهرة في الوقت ، فقال له المنصور عابثا به كيف رأيت دارنا هذه يافلان ؟ فقال لـه اذا هدمت كانت كدية كبيرة من التراب فوجم لها المنصور وتطير منها وقد ظهر مصداق ذلك على يد السلطان المظفر مولانا إسماعيل بن الشريف فانه أمر بنسْفه عام تسعة ومئة وألف لموجب يطول شرحه ، فهدت معالمه وبدلت مراسمه وغيرت محاسنه وفرق جموع حسنه وعاد حصيدا كان لم يغن بالأمس حتى صار مرعى للمواشي ومقيلا للكلاب ووكرا للبوم والصيد وحق على الله ما رفع شيء من الدنيا الا وضعه ! ومن العجائب انه لم يَبق بلد بالمغرب الا ودخله شيء من انقاض البديع ، ولقد تذكرت بهذا ما حكاه بعض مؤرخي الأندلس ان الزاهرة التي بناها المنصور بن أبي عامر وهي من عجائب الدنيا في اتقان البنيان مر عليها في أيام المنصور بن أبي عامر بعض أهل البصائر وهي في غاية العمران والازدهار بساكنيها فقال يا دار فيك من كل دار فجعل الله منك في كل دار قال فضرب الدهر ضربانه وسلط عليها أيدي العدوان فهدمت وغيرت وتفرقت محاسنها حتى نقل بعض أنقاضها للعراق هـ .

ولما دخلت البديع مقبلي من الرحلة ورأيت ما هالني قرأت عليه أبياتا أنشأها محيى الدين بن عربي في كتاب المسامرات لما دخل الزاهرة فوجدها متهدمة :

ديار بأكناف الملاعب تلمع ... وما ان بها من ساكن وهي بلقع
ينوح عليها الطير من كل جانب ... فتصمت أحيانا وحينا ترجع
فخاطبت منها طائراً متفرداً ... له شجن في القلب وهو مروع
فقلت على ماذا تنوح وتشتكي ... فقال على دهر مضى ليس يرجع

وأنشدت ما أنشده ابن الأبار في تحفة القادم :

قلت يوما لدار قوم تفانوا ... أين سكانك الكرام علينا
فأجابت هنا أقاموا قليلا ... ثم ساروا ولست أعلم أينا

وأنشدت أيضاً قول الشاعر :

وقفت بالزهراء مستبصـــراً   معتبراً أندب أشتاتــــا
فقلت يا زهرا الا فارجعــــى   قالت وهل يرجعُ مَن فاتــــا
كانما ءاثار من قد مضـــــى   نــوادب يندبـن أمواتــــا

تأملت لفظ البديع فوجدت عـدد نقط حروفه بحساب الجمـل مئة وسبعة عشر وهذا القدر هو الذى بقي فيه البديع قائماً عامراً فانه فرغ منـه عام اثنين وألف وشرع فـى هدمه عام تسعة عشر ومئة وألف فمدة بـقائه بعد تـمام بنائه مئة وسبعة عشر سنة على عدد اسمه وذلك مـن غريب الاتفـاق والبقاء والـدوام والملك التام لله الملك الديان (لا يُسأل عما يفعل ، وهـم يسألون) ذكره فى النزهة ، وقال فى 100 من ج 2 من نفح الطيب عـن تاج الدين بـن حمويه السرخسى الذى أدرك أبـا العباس السبتى رضى الله عنهما حاكيا عن أمير المومنين يعقوب المنصور الموحدى ما نصه وقال لى يوماً كيـف ترى هذه البلاد وأين هي مـن بلادك الشامية فقلت لـه يا سيدنا بلادكم حسنة أنيفة مجملة مكملة وفيها عيب واحد فقال مـا هو فقال انها تنسى الأوطـان فتبسم وظهر اعجابه بالجواب وأمر لى من غد بزيادة رتبة هـ .

وقال العلامة ابن بطوطة فى ص 188 من ج 2 من رحلته ما نصه :

فوصلت الى مدينـة مراكش وهـي مـن أجمـل المـدن ، فسيحـة الأرجـاء ، متسعـة الأقطار ، كثيـرة الخيرات ، بهـا المساجد الضخمـة ، كمسجـدها الأعظـم المعروف بمسجـد الكتبيين وبهـا الصومعة الهائلـة العجيبـة صعدتها وظهر لـى جميع البلد منها وقـد استولى عليه الخـراب فما شبهته الا ببغداد الا أن أسواق بغداد أحسن وبمراكش الـمدرسة العجيبة التى تميزت بحسن الوضع واتقان الصنعة ، وهي مـن بناء الامام مولانا أمير المومنين أبـى الحسن رضوان الله عليه .

وقال ابن جزي فـى مراكش يقول قاضيها التاريخى محمد بـن عبد الملك الأوسى (بسيط)

لله مراكش الحمراء من بلـــــــد وحبذا أهلها السادات من سكـــن
إن حلـّها نازح الأوطان مغتـــرب أسلوه بالأنس عن أهل وعن وطن
بين الحديث بها أو العيان لهـــا ينشا التحاسد بين العيــن والأذن

وقال ابن الخطيب فى مقامات البلدان (1) :

قلـتُ فمدينة مراكش قال فتنفس الصعـداء ، وأسمع البعـداء ، وقـال درج الحلي ، وبرج النيـر الجلي ، وتربة الـولي ، وحضرة المـلك الأولـى ، وسرح الناصر الولي ، ذات المقـاصر والقصور ، وغابة الأسـد الهصـور ، وسـدة الناصر والمنصـور ، بعـدتْ مـن المـركز دارتُهـا ، وجرت عـلى قطب السياسة إدارتها ، وسحـرت العيون شارتها ، وتعبـد الأبـاة إشارتُها ، وخاضت البحرَ الخضمَّ قرارتُها وبشارتُها ، اقتعـدتْ البسيط المديد ، واستظهرت بتشييد الأسوار وأبراج الحديد ، وبكى الجبل من خشيتها بعيون العيون ، فسالت المذانب كصفاح القيون ، وقيدتْ طرفَ الناظر المفتون ، أدواحُ الشجر بها وغاباتُ الزيتون ، فما شئت من انفساح السكك ، وسبوغ الشكـك ، وانحلال التكـك ! وامتداد الباع ، فـى ميدان الانطبـاع ، وتجويد فنون المجون بالمد والاشباع ، زيتها الزمن يعصـر ، وخيرها يمـد ولا يقصر ، وفواكهها لا تُحصَى ولا تحصر ، فـاذا تناصف الحـر والبرد ، وتَبَسَّم الزهرُ وخجِل الـورد ، وكسى غدرانها الحائرة الحلـق السرد ، قلت أنجـز للمتقين من الجنة الـوعد ، وساعد السعـد ، وما قلت الا بالذى علمت سعد ، ومنارهـا العلم فـى الفلاة ، ومنزلته فـى المئاذن منزلة والى الولاة ، إلا أن هواءها محكم فى الجباه والجنوب ، يحمى عليـه بكير الجنوب ، وحمياتـها كلفة بالجسوم ، طالبة ديونها بالـرسوم ، وعقاربها كثيرة الدبيب، منغصة مضاجعة الحبيب، وخرابها موحشٌ هائل، وبعد الأقطار عن كثير مـن الأوطار حائل ، وعدوها ينتهب فـى الفتن أقواتها ، وجرذان المقابر تأكل أمواتها ، وكانت أولى المنازل بالاغياء ، لو أنها اليـوم معدودةٌ فى الأحياء .

---

1) هى معيار الاختيار ، فى ذكر المعاهد والديار .

وقد قال هذا رحمه الله في رحلته الى مراكش وأعمالها ، وزيارته لأوليائها ورجالها ، والوقوف على ءاثار الاقدمين بها ، والتطارح على أوليائها، والمثول بأعتابها ، في الدولة المرينية وقت انتقال كرسي الملك عنها الى حضرة فاس ، وتوالى الفتن عليها حتى تغيرت محاسنها العطرة الأنفاس ، وسيأتي بقية ما قيل في ذمها في ترجمة سيدى محمد الفاطمى الصقلى وترجمة أبى الحسن بن الامام الغرناطى في حرف الحاء وفي ترجمة عبد الرحمن الشفشاونى ، والجواب عن ذلك .

وباني مراكش هو أول من تسمى بأمير المسلمين ، قال في الجذوة في ترجمته ما نصه واشترى موضع مدينة مراكش ممن كان يملكه من المصامدة فسكن الموضع بخيام الشعر وبنى به مسجداً للصلاة وقصبة صغيرة لخزن أمواله وسلاحه ولم يبن على ذلك سوراً وكان لما بنى المسجد يعمل فيه بيده ويحمل الطين والحجر للفعلة تواضعاً منه غفر الله تعالى له بمنه والذى بناه يوسف منها هو الموضع المعروف بسور الحجر جوفا من جامع الكتبيين ، ولم تزل كذلك لا سور لها إلى أن ولِيَ أمرها ولده فبنى سورها في ثمانية أشهر وذلك في سنة ست وعشرين وخمسمئة وتوفي يوسف المذكور رحمه الله سنة خمسمئة هـ .

وأصله لابن خلدون في 185 من ج 6 من تاريخه ، وقبلهما ابن أبي زرع في القرطاس ، وكان الانفاق على بناء سور مراكش سبعين ألف دينار ، وبنى علي بن يوسف أيضاً الجامع الأعظم المنسوب إليه الى اليوم والمنار الذى عليه وأنفق عليه ستين ألف دينار أخرى وهذا المسجد لم يزل على حاله الى أن جدده أمير المومنين مولانا سليمان رضي الله عنه وبناه بناء ضخما وأزال منارته التى كانت به قديماً وشيد المنار الذى به الآن ، وهو بديع الحسن رائق الصنعة ، ومازال موضع المنار القديم مع السور الذى كان دائراً بالمسجد ومن رءاه عرف ما نقص من المسجد .

وموضعُ مراكش قيل إنه كان ملكاً لعجوز من المصامدة ، وقيل مزرعة لأهل نفيس ، فاشتراه يوسف منهم بماله الذى خرج به من الصحراء

وهذا الموضوع كان يسمى بذلك الاسم ومعناه بلغة المصامدة إمش مسرعاً ، وكان ذلك الموضع مكمنا للصوص ، فكان المارون فيه يقولون لرفقائهم تلك الكلمة فعرف الموضع بها ، وضبط هذه الكلمة صاحب كشف الظنون عند ذكر الأجوبة المحبرة عن الأسئلة المحيرة للقاضى عياض بضم الميم وفتح الراء المشددة بعدها ألف وبعد الألف كاف مكسورة ثم شين معجمة وتقدم عن تقويم البلدان ضبط ءاخر ويقال كان فى موضعها قرية صغيرة فى غابة من الشجر وبها قوم من البربر فاختطها يوسف وبنى بها القصور والمساكن الأنيقة وهي فى مرج فسيح وحولها جبال على فراسخ منها وبالقرب منها جبل لا يزال عليه الثلج وهو يعدل مزاجها وحرها واتخذها يوسف رحمه الله لنزول عسكره وللتمرس بقبائل المصامدة المقيمة بمواطنهم منها فى جبل درن اذ لم يكن فى قبائل المغرب أشد منهم قوة ولا أكثر جمعا ولما جاءت دولة الموحدين وكان منهم يعقوب المنصور الشهير الذكر اعتنى بمدينة مراكش واحتفل فى تشييدها وبالغ فى تنميق مساجدها وتنجيد مصانعها ومعاهدها وكان رحمه الله لما عزم على المسير الى الأندلس بقصد الجهاد أوصى الى نوابه ووكلائه ببناء قصبة مراكش والاعتناء بتشييد قصورها فمن ءاثاره الباقية بها الى الآن الباب المعروف بباب أكناوْ لا مزيد على ضخامته وارتفاعه وأمرهم ببناء الجامع الأعظم بها المنسوب اليه الى اليوم وتشييد مناره ومنار جامع الكتبيين المضروب به المثل فى الارتفاع وعظم الهيكل قال ابن سعيد طول صومعة الكتبيين بمراكش مئة ذراع وعشرة أذرع ، ولما اجتاز المنصور فى سفره هذا بأرض سلا أمر أيضاً ببناء مدينة رباط الفتح، فأسست سنة ثلاث وتسعين وخمسمئة ، وأكمل سورها ، وركبت أبوابها، وأمر ببناء المسجد الأعظم بطالعة سلا ، ومدرسته الجوفية منه ، وكان يعمل فى بنائه ونقل حجارته وتوابعه سبعمئة أسير من أسارى الفرنج فى قيودها ، وأمر ببناء جامع حسان ومناره الأعظم المضروب به المثل فى الضخامة وحسن الصنعة ، قالوا ولم يتم بناؤه ، ولما فرغ المنصور من وقعة الأرك واحتل بمدينة اشبيلية أخذ فى بناء جامعها الأعظم وتشييد مناره المشاكل للمنارين المتقدمين ولما رجع المنصور الى مراكش وجد كل ما أمر

به مـن البناءات قـد تم عـلى أكمل حـال وأحسنه مثل القصبة والقصـور والجامع والصوامع وأنفق عـلى ذلك كله مـن أخماس الغنائم وكان قد تغيـر عـلى الوكلاء والصناع الذين تولوا بناء ذلك لأنه سعى اليه أنـهم احتجنوا (I) الأموال وصنعوا للجامع سبعة أبواب عـلى عدد أبواب جهنم فلما دخله المنصور وتطوف بـه أعجبه فسأل عـن عدد أبوابه فقيل أنها سبعة أبواب والثامن هـو الذى يدخل منه أمير المومنين فقال المنصور عند ذلك لا بأس بالغالى اذا قيل حسن واتخذ المنصور رحمه الله فـى جامعه هـذا لمصلاه مقصورة عجيبة كانت بحيـل هندسية بحيث تنصب اذا استقر المنصور ووزراؤه بمصلاه منهـا وتختفى اذا انفصلوا عنها فقال ابـن مجير اسمـه يحيى بـن عبد الجليل بـن مجير الفهرى أبو بكر توفي بمراكش 588 مـن قصيدة أولها :

أعلمتى ألقى عصى التسيـــار فـى بلدة ليست بدار قــرار

الى أن قال :

طوراً تكون بمن حوته محيطـة فكأنها سور من الأســوار
وتكون حيناً عنهم مخبـــوءة فكأنها سـر من الأســرار
وكأنها علمت مقادير الــورى فتعرفت لـهم على مقـــدار
فاذا أحست بالامام يزورهـــا فـى قومه قامت الى الــزوار
يبدو فتبدو ثم تخفى بعــده كتكون الهالات للأقمـــار

وذكـر صاحب الحلل الموشية فـى ذكر الأخبار المراكشية ، مـا يخالف هـذا قال : قال ابن صاحب الصلاة لما تـم لعبد المومن فتـح مراكش ودخلها رجع لمحلته وجعل الأمناء على أبوابها مدة من شهرين ، فاجتمع مـا فيها مـن الأموال فقسمه عـلى الموحدين وقسم ديـارها عليهم وبـيع عيال مراكـش وأموالهم بيع العبيد الا زينب بنت عـلي بن يوسف فاحترمت مـن البيع لمكان زوجها الأمير عيسى بن إسحاق المعروف بوندمان لكـونه ترك

I) قال فى الاساس : واحتجنت الشىء اجتذبته بالمحجن ومن المجاز : احتجن فلان مالى .

قبيله ودخل فى دولة عبد المومن ، فاحترمت داره من الفيء ، واستولى عبد المومن على ذخائر علي بن يوسف وذخائر لمتونة مما يقصر عن وصفه اللسان ولا يأتى على شرحه البيان ، وبقيت مراكش لا يدخلها داخل ولا يخرج منها خارج ولا الموحدون دخلوها لأن المهدي كان يقول لا تدخلوها حتى تطهروها فسأل الموحدون الفقهاء عن ذلك فقالوا لهم تبنون أنتم مسجداً ءاخر ، فكان كذلك ، فبنى الخليفة عبد المومن بقصر الحجر مسجداً جمع فيه الجمعة وهدم الجامع الذى بنى علي بن يوسف ، ولما أكمل عبد المومن بناءه صنع فيه صابات (I) يدخل من القصر إليها ومنها الى الجامع لا يطلع عليه أحد ، ونقل إليه منبراً عظيما كان قد صنع بالأندلس فى غاية من الاتقان قطعاته عود صندل أحمر وصفائحه من الذهب والفضة وصنع مقصورة من الخشب لها ستة أضلاع تسع أكثر من ألف رجل وكان تولى صنعتها رجل من أهل مالقة يقال له الحاج يعيش الذى تولى النظر فى بناء جبل الفتح على حسب ما ذكره وكيفية هذه المقصورة انه وضعها على حركات هندسية ترفع بها لخروجه وتنخفض لدخوله ، وذلك أنه صنع عن يمين المحراب باباً داخله المنبر وعن يساره باب داخله دار بها حركات المقصورة والمنبر وكان دخول عبد المومن وخروجه منها فكان اذا قرب وقت الرواح الى الجامع يوم الجمعة دارت الحركات بعد رفع البسط عن موضع المقصورة فتطلع الأضلاع فى زمان واحد ولا يفوت بعضها بعضاً بدقيقة وكان باب المنبر مسدوداً فاذا قام الخطيب ليطلع عليه انفتح الباب وخرج المنبر فى دفعة واحدة بحركة واحدة لا يسمع لها حس ولا يرى تدبير، وفيها يقول الكاتب أبو بكر بن مجير الفهرى من قصيدة طويلة (طوراً تكون بمن حوته محيطة) الأبيات . ثم إن الخليفة عبد المؤمن غرس خارج مراكش المسرة التى بظاهر جنان الصالحة وهو بستان طوله ثلاثة أميال وعرضه قريب منها فيه كل فاكهه تشتهيها الأنفس وجلب إليه الماء من أغمات واستنبط له عيوناً كثيرة قال ابن اليسع وما خرجت أنا من مراكش فى سنة ثلاث وأربعين وخمسمئة

I) أصل الكلمة ساباط ، والعوام يحسبونه جمعاً مفرده صابة ، وهو سقيف بين جدارين كالذى يكون بالدروب .

الا وهذا البستان الذى غرسه يبلغ مبيع زيتونه وفواكهه ثلاثين ألف دينار مومنية على رخص الفواكه بمراكش . انتهى كلام صاحب الحلل بزيادة ألفاظ من غيره .

وحكاية المقصورة ساقها الامام المقْرى فى نفح الطيب ونقلها عن الشريف الغرناطى شارح المقصورة وقال المقرى فى ءاخر الحكاية وقد بطلت حركات هذه المقصورة الآن وبقيت ءاثارها حسبما شاهدته سنة عشر وألف والله تعالى وارث الأرض ومن عليها .

ونظير هدا الاختراع العجيب الساعة التى كانت عند سلطان تلمسان أبى حمّو قال فى نفح الطيب فى وصفها لها أبواب مجوفة على عدد ساعات الليل الزمانية مهما مضت ساعة وقع النقر بقدر حسابها وفتح عند ذلك باب من أبوابها وبرزت منه جارية صورت فى أحسن صورة وفى يدها اليمنى رقعة مشتملة على نظم فيه تلك الساعة باسمها مسطورة فتضعها بين يديْ السلطان بلطافة ، ويسراها على فمها كالمؤدية بالمبايعة حق الخلافة هـ وراجع صحيفة 602 من المجلد السابع والعشرين من الهلال ، فقد ذكر فى هذا المعنى مقالة لأحمد تيمور ، وقد ذكر هذه المجانة أيضاً الحافظ محمد التنَسي التلمسانى فى كتابه (راح الأرواح فيما قاله المولى أبو حمّو من الشعر وقيل فيه من الأمداح وما يوافق ذلك على سبيل الاقتراح) وما ذكر ابن الخطيب رحمه الله أن روضة الشيخ أبى العباس بباب تاغزوت أحد أبواب مراكش غير حافلة البناء كان ذلك فى الدولة المرينية فى المئة الثامنة وقت مجيئه لمراكش ، وقد ذكر صاحب (النزهة) أن السلطان عبد الله بن المنصور الذهبى ابتنى المسجد الجامع بجوار ضريح الشيخ العارف أبى العباس السبتى وشيّد مناره وشحن الخزانة التى بقبلي المسجد الجامع المذكور بنفائس الدفاتر ومنتخب الكتب، كل ذلك رجاء أن تعود عليه بركة ذلك الولي بالبرء من علة مس الجن الذى كان به هـ .

وفى دولة أمير المومنين سيدى محمد بن عبد الله جدد هذا الضريح ومسجده ومدرسته على الهيأة التى هو عليها الآن ، وقد جدد الضريح

فــي هذا التاريخ الــذى هو عــام 1324 عــلى ما ينبغى ، وجعل بحائطه عــلى أربعة أركان من الزليج المتنوع الألوان مايحسبه الناظر خمائل الزهر مع ما فى السقف مــن بديع النقش ورائق الرقم ، فتكاملت فيه المحاسن مــع البهاء والاشــراق .

وقال أبو العباس الحضيكى فــي بعض تقاييده : ومدينة مراكــش محفوظة محروسة كثيرة البركات مشحونة بالصالحين والأولياء العارفيــن وأرباب الأحــوال القدسية والأنفاس الزكيــة والأنوار الزاهرة والأســرار الكاملــة هـ .

وقال فــي الاستقصا وفضل مراكش أشهر مــن أن يذكر لا سيمــا مــا اشتملت عليه مــن مزارات الأولياء ومدافــن الصلحــاء الكبار والايمــة الأخيــار هـ .

وقال الامام السخاوى فى كتاب (تحفة الأحباب وبغية الطلاب) واعلم أن قــبور الصالحين لا تخلو مــن بركة ، وأن زائرها والمسلم عليهــا وعلى أهلها والقارىء عندها والداعي فيها لاينقلب الا بخير ولا يرجع الا بأجر ، وقــد يجد لذلك أمارة تبدو له أو بشارة تنكشف له ، فمما روي عن يحيى بن سعيد عــن شعبة بــن الحجاج قال فتن الناس بقبر عــبد الله بــن غــالب رضي الله عنه فأخذت مــن ترابه فاذا هو مسك أو تحته مسك وقصة هــذا القبر مشهورة ولما خيف على الناس منه الفتنة سُوي ، وذكر ابن إسحاق قال حدثني يزيد بن مروان عــن عائشة أم المومنين رضي الله تبارك وتعالى عنها قالت لمــا مات النجاشي كان يتحدث أنه لا يزال عــلى قبره نور وقد روى عنه عليــه الصلاة والسلام أنه قال ان الميت ليتأذى بالجار السوء كما يتأذى به الحي هـ وقال ابن عبد العظيم الأزمورى فى تأليف (كرامات الشرفاء بنى أمغار) ما نصه قال صاحب (أنس العارفين) حدثونا أن أمير المومنين علي بن يوسف بن تاشفين رحمه الله أمير المغرب كان لا يأخذ فــي عمل مهم حتى يستشير أهــل الفضل والدين فلما أراد أن يشرع فــي بنيان سور مراكش بــعد شروع والده يوسف ابن تاشفين رحــمه الله سنة خمــس وسبعين وأربعمئة فشاور مــن حضر

هنالك مـن الفقهاء والصالحين قال بعضهم لا تقدر عـلى بنيانه لأنك تفنى فيه بـيت مال المسلمين ولا تتمه اذ لا يقوم بذلك مـن المال الا مـا لا يحصى والمجابى ضعيفة وكان المشاور فى ذلك الفقيه أبو الوليد بـن رشد رحمه الله وكـان بعث إليـه أن يأتي مـن قرطبة ، فأتـاه الى حضرة مراكش ، فقـال يا أمير المومنين لا يحل لك سـكنى بهذه المدينة بغير سور ، فبقي متردداً فى ذلك ، فـكتب كتاباً باشارة الفقيه ابـن رشد للشيخ الفقيه الشـريف الـولي الـقدوة الناسـك محمد بـن إسماعيل أمغـار الشريف الحسنـى مستشيـراً له فى ذلـك وملتمساً منه صالـح دعائه أن يـوفقه الله تعـالى ويعينه ، فأشـار ببنيانه ، ودعـا لـه وبعث لـه شيئاً مـن مالـه الحـلال الخالص المحض ، وقال له اجعله فى صندوق إنفاق البنيان ، ويتولى ذلـك مَن يوثق بـه فـى الفضل والدين ولا يتولاه غيره ولا يـشاركه فيه ، ثـم شرع الملك فـى بنيان السور وذلك سنة اثنتين وعشرين وخمسمئة ، فأعانه عليه وسهل عليه الانفاق حتى أتمه ببركة دعوة الشيخ محمد نفعنا الله ببركاته وبركة أمثاله .

وذكر الشيخ العالم الباحث المحقق عبد الملك بـن موسى الوراق فـى كتابـه الذى صنـف فى أخبـار المغرب أن الانفـاق بلـغ فى سـور مراكش نـحو السبعين ألف دينار ذهباً ، وفى جامعه الأعظم نـحو الستيـن ألف دينار ، وكانت قبل هذه مبنية بالطوب رحمه الله تعالى .

انتهى كلام الزمورى بلفظه وحروفه ونقله فى الاستقصا مختصراً بعد أن ذكر أن مدة البناء كانت عندما نبع محمد بن تومرت مهدى الموحدين بجبال المصامدة هـ .

وقال الزيانى ما نصه وهو يعنى يوسف الذى أسس مدينة مراكش : لمـا سافر أبو بكر بـن عمر للصحراء عـام اثنتين وخمسين وأربعمئة شيـد قصره ومسجده عام أربعة وخمسين وأربعمئة .

ورأيت فـى الحلل أن الذى أسسها هـو ابن عمه المذكور عـام 452 دون تسوير ونقله عـن جماعة مـن علماء التاريخ .

وقال في (الاستقصا) في ترجمة نقل المصحف العثماني من قرطبة الى مراكش وبناء جامع الكتبيين بها ما نصه :

وفي خلال هذه المدة أمر عبد المومن ببناء المسجد الجامع بحضرة مراكش حرسها الله تعالى ، فبدىء ببنيانه وتأسيس قبلته في العشر الأول من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وخمسين وخمسمئة ، وكمل في منتصف شعبان من السنة المذكورة على أكمل الوجوه وأغرب الصنائع وأفسح المساحة وأحكم البناء والنجارة ، وفيه من شمسيات الزجاج ودرجات المنبر وسياج المقصورة ما لو عمل في السنين العديدة لاستغرب تمامه فكيف في هذا الأمد اليسير الذى لم يتخيل أحد من الصناع أن يتم فيه تقديره وتخطيطه فضلا عن بنائه ، وصليت فيه صلاة الجمعة منتصف شعبان المذكور هـ .

وقال اليفرني : وفي عشرة السبعين وتسعمئة أنشأ السلطان الغالب بالله جامع الأشراف بحومة المواسين من مراكش والسقاية المتصلة به التى عليها مدار المدينة والمارستان الذى ظهر نفعه ووقف عليه أوقافاً عظيمة هـ وهذا المارستان هو الذى بحومة الطالعة قرب السجن ، وقد اتخذ اليوم سجناً للنساء والمجانين ، ومغتسل جنائز الغرباء والمساكين ، وهذا السلطان هو الذى جدد أيضاً بناء المدرسة التى بجوار جامع ابن يوسف اللمتوني ، وليس هو الذى أنشأها كما يعتقده كثير من الناس ، بل الذى أنشأها أولا هو السلطان أبو الحسن المريني رحمه الله حسبما ذكره ابن بطوطة في رحلته ، كما تقدم وشاع على الألسنة أن السلطان الغالب بالله توصل الى بنائها بصناعة الكيمياء وان الشيخ أحمد بن موسى السملالي علّمه إياها حين تلمذ له قال اليفرني وهو كذب هـ وسياتي أن الذى بناها أولا هو جده يعقوب بن عبد الحق المريني وكان بقصبة مراكش جماعة من أسارى النصارى من لدن أيام أحمد الأعرج وأخيه محمد الشيخ ، فرأوا الجم الغفير من أعيان المسلمين وأهل الدولة يحضرون كل جمعة مع السلطان بجامع المنصور من القصبة المذكورة فحدثتهم نفسهم الشيطانية بأن يصنعوا

مكيدة يهلكون بها السلطان ومَن معه فحفروا فى خفية تحت الجامع المذكور حفرة ملأوها من البارود ووضعوا فيها فتيلا تسرى فيه النار على مهل كي ينقلب الجامع بأهله وقت الصلاة فنفطت المينا وانهدمت بها القبة الواسعة من الجامع المذكور وانشق منارها شقاً كبيراً ومازال ماثلا به إلى الآن ، وكان ذلك مبلغ ضررهم ، وكفى الله المسلمين شر تلك المكيدة ، ولم يتمكن لهم الحال على وفق ما أرادوا ، وكان ذلك سنة إحدى وثمانين وتسعمئة ، وكانت الحرة مسعودة أم المنصور بنت الشيخ الاجل أحمد بن عبد الله الوزكيتي الورزازى أم المنصور السعدى من الصالحات حريصة على اقتناء المفاخر راغبة فى فعل الخيرات أنشأت المسجد الجامع بحومة باب دكالة داخل مدينة مراكش ووقفت عليه أوقافاً عظيمة ، وكان ذلك سنة خمس وسبعين وتسعمئة ، وبنت جسر وادى أم الربيع وغير ذلك ، ولما جاءت دولة مولانا محمد بن عبد الله العلوى ردّ كرسيَ الملك لمراكش ، وبنى بها قصوره ومصانعه ، واستمرت كرسيا لمملكتهم الى الآن قبل الحماية ، فمنها عرصة النيل ومنها الدار البيضاء باكدال التى بناها السلطان مولاي الحسن قدسه الله ولما صفا للسلطان مولانا عبد الرحمن رحمه الله أمر المغرب شرع فى غرس أكدال السعيد غربي مراكش ، وهو بستان عظيم جداً يشتمل على جنات كثيرة معروفة بحدودها واسمائها وأكرتها (١) وتشتمل كل واحدة منها على نوع أو أنواع من الأشجار النفاعة من زيتون ورمان وتفاح وليمون وعنب وتين وجوز ولوز وغير ذلك وكل نوع منها يغل ألوفاً فى السنة بحيث ان غلة الليمون وحده تباع بخمسين ألفاً وأكثر إذا كانت صالحة وفى خلال هذه الجنات من قطع الأزهار والرياحين والبقول المختلفة اللون والطعم والرائحة والخاصية ما لا ياتى عليه الحصر حتى ان منها ما لا يعرفه جل المغرب ولا رأوه قط جلب من أقطار أخرى وفى وسطه برك عظام تسير فيها القوارب والفلك وتصب فيها العيون كأمثال الأنهار لسقي تلك الجنات وعليه من الارحاء شيء كثير، وتلك البرك منها ما ضلعها الواحد يكون مئتي خطوة

(١) الأكرة الحفرة يجتمع فيها الماء فيغرف صافيا كما فى القاموس وشرحه .

وأقل وأكثر ، وفي داخله أيضاً من المتنزهات الكسروية والقباب القيصرية والمقاعد المروانية ما يستوقف الطرف ويستغرق بحسنه وقبابه ومقاعده البهية على ذلك كله ، والحاصل أن هذا البستان جنة من جنات الدنيا يزرى بشعب بوان ، وينسى ذكر غمدان ، الى جنة المنارة والعافية وغير ذلك من منتزهات مراكش العجيبة ، التى انشأتها هذه الدولة الشريفة فى إبان الاقبال والشبيبة ، ولله در الوزير ابن إدريس اذ يقول فى وصف يوم قطعه فى الجنان المسمى بالمامونية وبالسهب احد جنات الجانب العالى بالله بمراكش .

ترقرق فى وجه الصباح صبوح ... فبان به للهم عنه سروح
وعاودنى للأنس عيد مسرة ... به لعهود الآنسات فتوح
ولم أر مثل المامونية معهدا ... باكنافه تغدو المنى وتروح
هو السهب للشهب الزواهر مطلع ... وللفضل فيه والجلال وضوح
قباب كأبراج السما ومنازل ... خلال بروج قد علت وصروح
بها للظباء الكانسات ملاعب ... سمت ولربات الجناح جنوح
وقد صفقت تحت الظلال مذانب ... وساحت فصاحت فى الغصون صدوح
ظللنا بها والسحب ينثر دره ... وللغصن فيه والاضاة طموح
تلون فيه الجو كالدهر بشره ... يمازجه تحت الغمام كلوح
وللريح فى تلك الخمائل زفرة ... كزفرة صب قد عراه نزوح
فلا زال مأوى للملوك وللعلا ... تقرر فيه للسرور شروح

ولما شرع السلطان رحمه الله فى غرس هذا البستان جلب له العين الآتية من بلاد مسفيوة المسماة بتسلطانت ، وهي من أعذب العيون ماء وأخفها وأنفعها للبدن ، وكانت مسفيوة متغلبة على هذه العين من لدن دولة السلطان سيدى محمد بن عبد الله يعمدون إليها بالليل فيفرغونها سواقيَ على جناتهم ومزارعهم فكان ذلك دأبهم الى ان جاء السلطان المولى سليمان فأعياه أمرهم فيها فأقطعهم اياها على ألف مثقال يؤدونه كل سنة ، فلما جاء السلطان المولى عبد الرحمان انتزعها منهم رغماً عليهم وجاء بها تشق الوهاد والربى حتى ألقت جرانها بأكدال السعيد ، وعمّ نفعها وريُّها القريب منه والبعيد ، وفى ذلك يقول الوزير ابن ادريس قصيدته البديعة التى منها قوله :

وردت وكان لها السعود مواجهــا ... والحسن مقصور على مواجهــا
طلعت طلائع بشرها من قبلهــا ... كالشمس طالعة لدى ابراجهــا
فرأيتها بين الاباطح والربــى ... ترمى فريد الدر من أمواجهــا
وتصوغ من صافى النضار سبائكا ... حلت بها الاعطاف من ثجاجهــا
هبطت اليك من الجبال وطالمــا ... تعبت ملوك الأرض فى اخراجهــا
وأتتك راغبة تجر ذيولهــا ... وتفيض غمر النيل فى أفواجهــا
تنساب مثل الأفعوان وتنثنــى ... كالغصن بين وهادها وفجاجهــا
خطب الملوك نكاحها فتمنعــت ... وأردت راغبة حلال زواجهــا
فلتهنك الخود الرفيعة منصبــا ... وليهنها ان صرت من أزواجهــا
حمــراء عبــاسية بدويــة ... نشرت ذوائبها على ديباجهــا
وافتك وافدة وقد صبغ الحيــا ... وجناتها وجرى على أدراجهــا
فكأنها بلقيس وافت صرحهــا ... لكنه صرح بغير زجاجهــا
حاكت لك السيف الصقيل مدرجا ... بدم العدا اذ أدميت للجاجهــا
فكانما ذبحوا بها زمرا فــذا ... قانى الدماء يسيل من أوداجهــا
علمت أناملَكَ الشريفة أبحــرا ... غرقت بحار الأرض فى عجاجهــا
فأتتك طالبة الأمان لنفسهــا ... لتنال بعض الطيب من ثجاجهــا
لبتك اذ سمعت بذاك واقبلــت ... مرهوبة تستنُّ من ازعاجهــا
ونزعتَها بالقهر من غُصَّابهــا ... والسابقون رضُوا ببعض خراجها
حليت مراكشاً بدرٌ عقودهــا ... وفتحت مغلق نهرها وشراجهــا
وجلبت منها للرعية نفعهــا ... وحللتَ ما قد عزَّ من أرتاجهــا
كم من مزارع اخصبت وحدائــق ... حلتها بالأقراط من أزواجهــا
يعلى على الاسكندر استدراكهــا ... ويحار رسطاليس فى استخراجها
نالت من النيل المقدس شعبــة ... وزرى بطيب المسك طعم مزاجها
لو يعلم الحكماء ما فى مائهــا ... ما عالجوا المرضى بغير علاجهــا
فاق الرضاب حلاوة وعذوبــة ... وحكى لباب الشهد حلو مجاجهــا
لو مازجت ماء البحار بمائهــا ... غلبت عذوبة مائها لاجاجهــا
يغنى عن السكار طعم زلالهــا ... وعن الغناء ينوب صوت لجاجهــا
تنسى الغريض ومعبدا نغماتهــا ... ويحار ابراهيم فى أهزاجهــا
حلت لنا دار الهناء وخصصــت ... روض المسرة اذ أتته بتاجهــا

احيت نبات الأرض في جنباتهـــا ... وأرتْ نجابة دوحها ونتاجهــــــا
حيت حدائق شاكلت زهر السمـــا ... في زهرها الزاهي وفي أبراجهـــا
نسجت زرابي في الفلا مبثوثـــــة ... من نورها كالمسك في ءاراجهـــا
حفتْ بها حلل الأعارب رغبــــــة ... في مائها وكلائها ونتاجهـــــــــا
جعلتْ بساحتها ملاعبَ خيلهـــا ... ومطالع الأقمار من أحراجهــــــا
وأسامت الأنعام حول فسيحهــــا ... فنمت بنجم جمالها ونعاجهــــــا

انتهى المناسب ايراده منها هنا ، وراجع تمامها في ديوانه وعدتها 55 بيتاً .

وفي يوم الخميس تاسع جمادى الأخيرة سنة أربعين وستمئة غـرق الرشيد في البركة الـكبرى التي بدار الهناء من أكدال اليوم ، وكـان يقال لها البحر الأصغر ، لأن ملوك بني عبد المومن الذين أنشأوها كانوا يرسلون فيها الزوارق الفلك الصغار بقصد النزهة والفرجة ، وعبد المومن كـان صنع بركة خـارج بستانه مربعة طول تربيعها نـحو ثلاثمئة بـاع ، وكان يأمـر الأطفال الذين جمعهم للتأديب والتربية والقراءة بالـعوم فيها وأن يجروا فيهـا الـزوارق .

وقال فـي (الحلل) عن مرتادى موضـع مدينة مراكش : نـفيس جنانها ، وبلاد دكالة فدانها ، وزمام جبل درن بيد أميرها هـ .

وذكر في (يتيمة العقود الوسطى) أن سيدى محمد المعطى بن عبد الخالق كـان في حجر والده فـي صغره بحضرة مدينة مراكـش التي ورد فـي بعض الآثار أن الولاية تنبع من حيطانها كما ينبع البقل من أرضها، وقال سيدى المكي الناصري في (الرحلة) ما نصه : قال (1) صاحب (مناهج الفكر ومباهج العبر) : مراكش مدينة بناها يوسف بن تاشفين اللمتوني الصنهاجي سنـة تسعين وأربعمئة ، لهـا نهر يأتيها مـن جبل درن ، ويصب فـي البحر ، ولما ملكها عبد المومن صارت مدينة الخلفاء مـن أهل بيته ، وصارت تضاهي بغداد فـي العظم بكثرة الرؤساء والعلماء والأدباء هـ وكتب الشيخ سيدى محمـد

---

1) هو محمد بن عبد الله الأنصاري (مؤلف) .

الصغير الافرانى على قوله سنة تسعين الخ فيه نظر ، بـل تاريخها مكـة سنة 480 هـ .

وفى (المجد الطارف والتالد) بعد ذكر سيدى يوسف بن تاشفين مانصه : أقول وكفاه منقبة هذه المدينة السعيدة التى بناها وكانت غيضـة للوحوش واللصوص فصارت عمـارة لأولياء الله تعالى الأخيار وتختاً لأبَّهـة ملوك المغرب مـن سنة خمس وخمسين وأربعمئة الى سنة تقييد هـذا سنة 1294 والله أعلم بما تكون عمارتها بـعد هذا هـ.

ثـم أعلم أن مساجد مراكش بلغت مئـة وستة وثلاثين مسجـداً ، الجوامع منها ثلاثة وعشرون وهاك بيانها :

1 – المسجد الكبير بهيلانة جامع الخطبة
2 – ضريح القاضى عياض
3 – ضريح مولاي علي الشريف
4 – مسجد درب الحمام
5 – مسجد درب القاضى
6 – مسجد سيدى محمد العربى
7 – جامع القائد منصور
8 – مسجد قايد راسو
9 – مسجد درب أغراب
10 – مسجد بوسكرى
11 – مسجد سيدى أيوب
12 – جامع سيدى محمد بن صالح
13 – ضريح سيدى محمد بن صالح
14 – مسجد أولاد بوعنان
15 – مسجد اسبتيين
16 – مسجد اسبسط
17 – مسجد شنباشة البرانى
18 – مسجد شنباشة الوسطى
19 – مسجد شنباشة الدخلانى
20 – مسجد الصحراوى ببناهض
21 – مسجد درب مجاط
22 – مسجد الثعالبى
23 – مسجد سيدى البغدادى
24 – مسجد درب سبعة رجال
25 – مسجد درب قشيش
26 – مسجد درب الكدية
27 – مسجد درب شقرون
28 – مسجد سيدى سوسان
29 – جامع سيدى يعقوب
30 – مسجد درب بابا علی
31 – جامع حارة الصورة
32 – مسجد سيدى أبى حربة
33 – جامع علي بن يوسف

34 ـ مسجد المدرسة اليوسفية
35 ـ مسجد أسول
36 ـ مسجد الطيب
37 ـ مسجد سيدى وحلان
38 ـ ضريح القبة العباسية
39 ـ جامع الزاوية العباسية
40 ـ جامع سيدى غانم
41 ـ مسجد الدرب الجديد بالعباسية
42 ـ مسجد أدرار
43 ـ مسجد درب امنزات
44 ـ مسجد قاع المشرع
45 ـ مسجد الدور الجديد
46 ـ مسجد المدرسة العباسية
47 ـ مسجد باب الخميس
48 ـ مسجد بقعر اخليج بالجزولى
49 ـ مسجد القبة الجزولية
50 ـ جامع الجزولى
51 ـ مسجد سيدى أحمد السوسى
52 ـ مسجد سيدى ابن سعيد
53 ـ مسجد سيدى أبى ناقة
54 ـ مسجد درب الفيران بروض العروس
55 ـ مسجد درب الحمام
56 ـ جامع سيدى أبى عمرو
57 ـ جامع الزاوية الناصرية برياض العروس
58 ـ مسجد حومة الجزاء
59 ـ مسجد درب اصبان
60 ـ جامع الحارة
61 ـ جامع باب دكالة
62 ـ مسجد درب سيدى محمد بن الحاج
63 ـ مسجد درب الحلفاوى
64 ـ مسجد عرصة أوزال
65 ـ مسجد درب العظام
66 ـ مسجد درب زمران
67 ـ مسجد سيدى أحمد بن موسى
68 ـ مسجد درب الدقاق
69 ـ مسجد الدرب الجديد
70 ـ مسجد تزگارين
71 ـ مسجد درب الحجرة
72 ـ مسجد درب تدغة
73 ـ جامع الكتبية ، وبه منبر أحفل منابر المعمور صناعة كما قال الامام ابن مرزوق فى كتابه المسند الصحيح الحسن
74 ـ مسجد سيدى ميمون
75 ـ مسجد سيدى مبارك
76 ـ مسجد درب المنابهة
77 ـ مسجد درب هشتوكة
78 ـ مسجد القصيبة
79 ـ ضريح سيدى منصور
80 ـ مسجد درب اقبالة
81 ـ مسجد درب الرحالة
82 ـ مسجد درب الحربيلى

83 ـ مسجد صهريج كناوة
84 ـ مسجد قصيبة النحاس
85 ـ مسجد توارگة القصيبة
86 ـ مسجد المنبهي
87 ـ مسجد دار البديع
88 ـ مسجدالبغالة
89 ـ مسجد الحاج عبد الله
90 ـ جامع المنصور
91 ـ مسجد باب أحمر الفوقاني
92 ـ مسجد باب أحمر الوسطاني
93 ـ مسجد بو نوالة
94 ـ جامع بريمة
95 ـ مسجد توارگة القصبة قرب الصفصافة
96 ـ مسجد عرصة موسى
97 ـ مسجد العريفة بروض الزيتون
98 ـ جامع روض الزيتون القديم
99 ـ جامع روض الزيتون الجديد
100 ـ مسجد المرفوع
101 ـ مسجد قاع الحومة
102 ـ جامع جنان بنشقرة
103 ـ مسجد سيدى داود
104 ـ مسجد دوار گراوة
105 ـ مسجد درب الزعرى
106 ـ جامع القنارية
107 ـ ضريح سيدى أبى الفضائل
108 ـ جامع ضبشى
109 ـ مسجد درب الجديد
110 مسجد درب مولاى عبد القادر
111 ـ مسجد القصابين
112 ـ مسجد السيدة عطفة
113 ـ مسجد درب اعرجان
114 ـ ضريح سيدى الرجراجى
115 ـ مسجد درب النخيل
116 ـ مسجد الجوطية
117 ـ ضريح سيدى إسحاق
118 ـ جامع سيدى إسحاق
119 ـ مسجد الحجامين
120 ـ مسجد السراجين
121 ـ مسجد سوق الحايك
122 ـ مسجد مولاى علي
123 ـ ضريح ابن العريف
124 ـ مسجد سوق الحناء
125 ـ جامع المواسين
126 ـ مسجد درب عبيد الله
127 ـ مسجد سيدى ياسين
128 ـ مسجد درب سنان
129 ـ مدرسة المواسين
130 ـ مسجد درب دفة وربع
131 مسجد الزكندرى
132 ـ مسجد الصحراوى بالقصور
133 مسجد القطة
134 ـ مسجد الدرج
135 ـ مسجد درب مولاي عبد الله بن حسين
136 ـ مسجد الفرجى بدرب الصابون

فيها من المدرسين والواعظين أربعة وأربعون ، ومن الخطباء ثلاثة وعشرون خطيباً ، ولكن فى الحقيقة عدد الجميع فى الأشخاص 48 لتعدد الخطط فى الواحد ، أما عدد المنخرطين فى سلك الدرجة الأولى من أهل العلم بها فهم تسعة عشر عالما ، وفى الدرجة الثانية عشرون ، وفى الثالثة اثنا عشر .

ولما كان ملوك الاسلام هم أولى الناس معرفة بقدر الخاصة من سائر الأقطار وأحق بتعظيم العلماء ومعاملتهم بالتكرمة والوقار ، وملاحظتهم لهم بمقتضى الاجلال والاكبار ، أجروا لهم المرتبات قديماً وحديثا على مدى الأعصار ، ووسعوا عليهم بالعطاء الذى يجل عن المقدار ، إعانة لهم على حفظ الشريعة واقامتها ، ورعاية لمنصبها العلي وسعيا فى إذاعتها ، ولذا كتب الشيخ محيى الدين النووى رحمه الله كتاباً بعثه لأمير وقته يستعطفه فيه ويعرفه بما أوجب الله لأهل العلم من التعظيم والاحترام والتوقير الشامل العام لما أراد أن يقطع المرتبات فى بعض الأيام ونصه بعد الحمدلة والصلاة والسلام على رسول الله ولا تخفى مراتب أهل العلم وفضلهم وثناء الله عليهم وبيانه مرتبتهم على غيرهم ، وأنهم ورثة الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، فان الملائكة عليهم الصلاة والسلام تضع أجنحتها لهم ، ويستغفر لهم حتى الحوت فى الماء ، واللائق بالجناب العلى إكرام هذه الطائفة والاحسان اليهم ومعاضدتهم ورفع المكروهات عنهم ، والنظر بما فيه رفق بهم ، فقد ثبت فى صحيح مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : اللهم مَن ولي من أمر أمتى شيئاً فرفق بهم فارفق به (1) وروى أبو عيسى الترمذى باسناده عن أبى سعيد الخذرى رضي الله عنه أنه كان يقول لطلبة العلم مرحباً بوصية رسول الله صلى الله عيله وسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن رجالا يأتونكم يتفقهون فاستوصوا بهم خيراً ، والمسؤول أن لا تغير هذه الطائفة شيئاً وتستجلب دعوتهم ، وقد ثبت فى صحيح البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم ؟ وقد أحاطت العلوم بما أجاب به الوزير نظام الملك حين أنكر عليه السلطان صرف

1) راجع ص 7 من ج 6 من صحيح مسلم (مؤلف) .

الأموال الكثيرة فـي جهة طلبة العلم ، فقال أقمت لك جنداً لاتـرد سهامهم بالأسحار ، فاستصوب فعله ، وساعده ، والله المسؤول أن يوفقَ الجناب دائماً لمرضاته والمسارعة الى طاعته هـ فأطلق لهـم المرتبات ، وأجزل لهـم العطايا والصلات .

وصوامعها الظاهرة اثنتان وأربعون أكبرها صومعة الكتبيين وفيهـا سبع قباب عظام ، وصومعة جامع علي بـن يوسف التى بناهـا المولى سليمان وقبابهـا خمس ، ومدارسهـا ست : مدرسة حومـة باب دكالة ، ومدرسـة القصبة ، ومدرسة ابـن صالح ، والمدرسة العباسية ، والمـرينية المشهورة باليوسفية ، وقد بناها أبو يوسف يعقوب المرينى وأبو الحسن المرينى قـال الحافظ ابـن مرزوق فى (المسند الصحيح الحسن) فمدرسة سبتة غايـة وأعجب منها مدرسة مراكش وتليها مدرسة مكناسة هـ وجدد مدرسة ابـن يوسف مولاي عبد الله السعدى .

وزواياها نحو الأربعين وقد تكلمنا على المساجد العظام فـى الرسالة المختصرة التى تكلمت فيها على تراجم أولياء مراكش أصحاب القباب الكبـار اقتصرت فيها على تاريخ الولادة والمدة والوفاة وسبب قدوم مَن قدم منهـم لمراكش وبيان المساجد العظام وتسمية مَن بناها ، ثم أتبعتها بذكر الزوايا التى بمراكش وأصحاب طرقها فراجعها هناك .

وحماماتها أربعة وعشرون حماماً ، وأفرانها ستة وستون فرنـاً ، وأسواقها كثيرة منظمة مجموعة فى وسط المدينة بحيث تغلق عليها أبوابها وتبقى وحدها منفردة مشتملة على الحرف المهمة والسلع التى تجبى اليها من كل قطر ، وفيها ما يشذ عن الحصر مما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعيـن مـع رخص أسعارها .

وأبوابها باب أغمات ، وباب أيلان ، وباب الدبغ ، وباب الخميس ، وباب دكالة ، وباب الرب ، وباب القصيبة ، وباب يغلى ، وباب أحمر ، وكان أغلق باب الرخا قرب باب الرب ، وباب العرايس بين باب دكالة وباب الرب ؛ أما باب تاغزوت أي الغزو فقد كان من أبوابها قبل أن تضاف الزاوية العباسية إليها ويصير داخل المدينة .

وأوديتها منها وادى السيل عليه قناطر متعددة ، ووادي تانسيفت وعليه قنطرة طولها نحو 400 متر وفي أسفلها واحد وعشرون قوساً مبنيـة بالآجر والجير بناها أولاد علي بن يوسف اللمتونى ، ثم رمى بها السيل فى البحر كما تقدم ، وبناها يوسف الموحدى سنة ست وستين وخمسمئة ، وجددها مولانا سليمان .

وعيونها ثمانية عشر : عين البركة ، والمزوضية ، والعباسية ، وعين السيد المامون ، وعين تالقضيت ، وعوينة بأحمد ، وعين رحاة بوستة ، وعين سيدى موسى ، وعين زمران ، وعين البرج ، وعين الرحية ، وعين الدار العلية، والعين الباردة الجديدة ، والعين الباردة القديمة ، وعين الزمزمية ، وعين الميلودية ، وعين العرفاوى ، وعين القبة .

وسقاياتُها نسع" وثمانون سقاية مفرقة على حومات المدينة المنقسمة الى ثمانية أقسام، كل قسم يعبر عنه بالعلم ، وسياتى بقية ما يتعلق بمراكش فى تراجم رجالها إن شاء الله تعالى .

ولنختم هذا الفصل بما قاله ابن سعيد ان كل قصر مـن قـصور مراكش مستقل بالديار والبساتين والحمام والاصطبلات والمياه وغير ذلك حتى ان الرئيس منهم يغلق بابه على جميع خوله وأقاربه وما يحتاج اليه ولا يخرج من بابه الى خارج داره لحاجة يحتاجها هـ نقله فى 161 من ج 5 من صبح الأعشى راجع تمامه فيه ، ولهذا قال ابن خلدون :

واسأل بذا مراكشاً وقصورهـــا   فلقد تجيب رسومُها مَن يسأل

من قصيدته اللامية التى يمدح بها سلطان تونس أبا العباس المذكورة فى آخر تاريخه لدى ترجمته لنفسه ، وبما قاله بعضهم فى شأن قبور السعديين إنه لا يفكر الانسان أن يرى أكثر إتقاناً ولا أحسن ولا أعظم حسنا من سقوفها ذات الثريات المذهبة التى يرى تلألؤها ولا يمكن الانسان أن يرى أكثر إتقاناً من تلك الاثني عشر عموداً الرخامية أو الأقواس أو الكتابة أو التزويق البديع ذى الحبك السحرى الذى ينشد أشعاراً خالدة وان كل ما فى الهندسة العربية

من أشكال الزينة تجده ثمه متقناً ومتعدداً حتى ان هذه القبور تعد وتستحق أرفع عجائب مراكش والمغرب كله وان من لم يشاهد بعينه داخل هذه القبة التى هي أعجوبة من أعاجيب الدنيا لم يمكنه أن يدرك أي درجة من الـرقي وصلت المدنية الاسلامية .

الفصل الثانى

فى أغمات ، وما لها من الخيرات والبركات

ثم إن اغمات تطلق على أغمات وريكة ، وعلى أغمات ايلان ، والمراد عند الاطلاق الأولى ، قال أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكرى فى كتابه المسالك والممالك ما نصه :

ذكر مدينة اغمات

وهي مدينتان سهليتان إحداهما تسمى أغمات ايلان ، والأخـرى اغمات وريكة وبها مسكن رئيسهم ، وبها ينزل التجار والغرباء ، وأغمات ايلان لا يسكنها غريب ، وبينهما ثمانية أميال ، ولها نهر لطيف جريته من القبلة الى الجوف ، ماؤه زعاق ، يقال له تاقيروت ، وحولها بساتين ونخل كثير، وهو بلد واسع يسكنه قبائل مصمودة فى قصور وأجشار ، وهو رخيص الأسعار كثير الخير يحمل اليه من مدينة نفيس تفاح جليل يباع منه وقر بغل بنصف درهم ، إلا أنه وخم الهواء ألوان سكانها مصفرة كثير العقارب القتالة التى لا يداوى سليمها ، وبها أسواق جامعة ، فسوق أغمات وريكة يقوم يوم الأحد بضروب السلع وأصناف المتاجر يذبح فيها أكثر من مئة ثور وألف شاة وينفذ فى ذلك اليوم جميع ذلك ، وكانت إمرة أهل اغمات دولا بينهم ، يتولى الرجل سنة ثم يديلونه بآخر منهم عن تراض واتفاق كذلك ذكر محمد بن يوسف القيروانى ، وساحل أغمات رباط جوز على البحر المحيط وفيه تنزل السفن من جميع البلاد ولا تخرج منه السفن صادرة الا فى زمان الأمطار وتكدر الهواء

واغبرار الجو ، فحينئذ تصدق لهم الرياح البرية ، فان تمادى ذلك لهم سلموا وان أصحى الجو وصفا الهواء هبت لهم الرياح البحرية من الغرب فيهيج عليهم البحر وقذفهم فى البرارى فقلّما يسلمون .

والطريق من مدينة أغمات الى رباط جوز

من وريكة الى نفيس خمسة وثلاثون ميلا ، ومن نفيس الى شفشاون ثلاثون مبلا ، ومنها الى مرامر ثلاثون ميلا ، ومنها الى رباط جوز خمسة وعشرون ميلا ، وذلك عشرون ومئة ميل :

وقال فى (الاستبصار فى عجائب الامصار) ما نصه :

مدينة أغمات

وأغمات هما مدينتان إحداهما تسمى أغمات وريكة والأخرى أغمات هيلانة ، وبينهما نحو ثمانية أميال ، وباغمات وريكة يسكن الأعيان ، وبها ينزل التجار على القديم لأنها كانت دار التجهز للصحراء ، وبها نهر جريته من القبلة الى الجوف يشق المدينة بعضه ، وعليه أرحاء ، وحوله بساتين كثيرة ، وهو بلد متسع كثير الرخاء والخصب ، إلا انه وخمُ الهواء ، ألوان أهله مصفرة والعقارب القتالة به كثيرة وبينه وبين البحر مسيرة أربعة أيام وأقرب المراسى اليه مرسى جوز هرتنانة (١) من بلد رجراجه ، وهو من آخر مراسى سواحل المغرب مما يقرب من البحر المحيط تنزل به السفن ولا تخرج منه الا بالرياح العاصفة فى زمن الشتاء عند تكدر الهواء واغبرار الجو فحينئذ تصدق هناك الرياح البرية فان اصطحب لهم الريح سلموا والا قذفهم البحر ، وبين أغمات ومدينة نفيس مرحلة هـ .

وسورها لا يزال محفوظاً وهي تبعد عن أسفى بنحو ثمانية وثلانين ألف متر .

وقال فى (نزهة المشتاق) :

---

١) يقال لها اليوم رتنانة بحذف الهاء ، بها زاوية سيدى حسين مولى الباب (مؤلف) .

ومـدينة أغمات وريكـة أسفل هـذا الجبـل مـن شماله فـي فحص أفيـح طيب التراب كثيـر النبـات والأعشـاب والميـاه تخترقـه يميناً وشمالا وتطرد بساحته ليلا ونهاراً وحولها جنات محدقة وبساتين وأشجار ملتفة ومكانها أحسن مكان من الأرض فرجة الأرجاء طيبة الثرى عذبة المـاء صحيحة الهواء ، وبها نهر ليس بالكبير يشق المدينة ويأتيها من جنوبهـا فيمر الى أن يخرج من شمالها ، وعليه أرحاؤهم التى يطحنون بها الحنطة ، وهذا النهر يدخل المدينة يوم الخميس ويوم الجمعة ويوم السبت والأحـد وباقى الجمعة يأخذونه لسقْي جناتهم وأرضيهم ويقطعونه عن البلد فلا يجرى منه اليها شيء ، ومدينة أغمات مدينة تكنفها جبل درن كما قلناه ، فاذا كان زمـنْ الشتاء تحللت الثلوج النازلة بجبل درن فيسيل ذوبانها الـى مدينة أغمات ، وربما جمد به النهر فى وسط المدينة حتـى يجتاز الأطفال عليه وهو جامد فلا يتكسر لشدة جموده ، وهذا شيء عايناه بها غير ما مرة ، ومدينة أغمات أهلها هوارة مـن قبائل البربر المتبربريـن بالمجاورة ، وهـم أملياء تجار مياسير، يدخلون الى بلاد السودان بأعداد الجمال الحاملة لقناطير الأموال مـن النحـاس الأحـمر والـملون والأكـسية وثيـاب الصـوف والعمائـم والمئـازر وصنوف النظم مـن الزجاج والأصـداف والأحجار وضروب مـن الأفاويه والعطر وءالات الحديد المصنوع ، وما منهم رجل يسفر عبيده ورجاله إلا وله فـى قوافلهم المئة جمل والسبعون والثمانون جملا كلها موقرة ، ولـم يكن فى دولة الملثم أحد" أكثر منهم أموالا ولا أوسع منهم أحوالا ، وبأبواب منازلهم علامات تدل عـلى مقادير أموالهم ، وذلك أن الرجل منهم إذا ملـك أربعة آلاف دينار يمسكها مـع نفسه وأربعة آلاف يصرفها فـى تجارته أقـام عـلى يمين بابه وعن يساره عرصين (1) من الأرض إلى أعلى السقف، وبنيانُهم بالآجر والطوب والطين أكثر ، فاذا مر الخاطر بدار ونظر إلى تلك العرص مـع الأبواب قائمة عدها فيعلم مـن عددها كم مبلغ مـال صاحب الدار ، لأنه قد يكون مـن هذه العرص خلف الباب أربـع وست مـع كل عضادة اثنتـان وثلاث ، وأما الآن فـى وقت تأليفنا لهذا الكتاب فقد أتى عـلى أكثر أموالهم المصامـدة ،

---

1) العرص بالفتح خشبة توضع على البيت عرضاً اذا ارادوا تسقيفه ، ثم تلقى عليها أطراف الخشب ، راجع ص 405 ج 4 من تاج العروس (مؤلف) ، قلت وتعرف عندنا بفاس بـالجـائـزة .

وغيرت ما كان بأيديهم من نعم الله ، ولكنهم مع هذا أملياء مياسير أغنياء ، لهم نخوة واعتزاز لا يتحولون عنه ، وبمدينة أغمات عقارب كثيرة ، وكثيراً ما تلسب الناس فتؤذيهم ، وربما مات من لسبتْه ، وبمدينة أغمات ضروب من الفواكه وأنواع من النعم ، وكل شيء بها من المأكول رخيص ممكن .

وذكر مدينتيْ أغمات فى (معجم البلدان) فى محل واحد قال : أغمات ناحية فى بلاد البربر من أرض المغرب قرب مراكش ، وهي مدينتان متقابلتان كثيرة الخير ، ومن ورائها إلى جهة البحر المحيط السوس الأقصى بأربع مراحل ، ومن سجلماسة ثمانى مراحل فى بحر المغرب وليس بالمغرب فيما زعموا بلد أجمع لأصناف من الخيرات ولا أكثرُ ناحية ولا أوفر حظا ولا خصبا منها تجمع بين فواكه الصرود والجروم (I) وأهلها فرقتان يقال لاحداهما الموسوية من أصحاب ابن ورصند والغالب عليهم جفاء الطبع وعدم الرقة ، والفرقة الأخرى مالكية حشوية ، وبينهما القتال الدائم ، وكل فرقة تصلى فى الجامع منفردة بعد صلاة الأخرى ، كذا ذكر ابن حوقل التاجر الموصلى فى كتابه ، وكان شاهدها قديماً بعد الثلاثمئة من الهجرة ، ولا أدرى الآن كيف هي ، فقد تداولتْهم عدة دول منها دولة الملثمين وكان فيهم جد وصلابة فى الدين ، ثم عبد المومن وبنوه ولهم ناموس يلتزمونه وسياسة يقيمونها لا يثبت معها مثل هذه الأخلاط والله أعلم ، وبين مدينة أغمات ومراكش ثلاثة فراسخ هي فى سفح جبل هناك وهي للمصامدة يدبغ بها جلود تفوق جودة على جميع جلود الدنيا وتحمل منها إلى سائر بلاد المغرب ويتنافسون فيها ، وينسب إليها أبو هارون موسى بن عبد الله بن إبراهيم بن محمد ابن سنان بن عطاء الأغماتى المغربى رحل الى المشرق وأوغل حتى بلغ سمر قند ، وكان فاضلا وله شعر حسن منه :

لعمر الهوى إنى وإن شطت النوى   لَذو كبد حرا وذو مدمع سكب
فان كنت فى أقصى خراسان ثاوياً   فجسِميٌ فى شرق وقلبيٌ فى غرب

I) الصرود الأراضى المرتفعة الباردة ، ويقابلها الجروم الأراضى الشديدة الحر (مؤلف)

وقال محمد بن عيسى المعروف بابن اللبانة يذكر المعتمد ابن عباد صاحب أشبيلية وكان لما أزيل أمره وانتزع منه ملكه حمل الى أغمات فحبس بها :

انفض يَدَيْك من الدنيا وساكنها فالأرض قد أقفرتْ والناس قد ماتوا
وقال لعالمها الأرضيٍّ قد كتمت سريرة العالم العلويٍّ أغمات

قلت ستاتى تراجم الأربعة المذكورين فى محالها من هذا الكتاب إن شاء الله ، وسيأتى كلام ابن حوقل فى أغمات فى ترجمته من هذا الكتاب ، فانه أجمع مما نقله ياقوت .

وقال فى كتاب (تقويم البلدان) عند ذكر أغمات وريكة :

	طول عرض	الاقليم الحقيقى	العرفى
	دق ق		
أغمات	قياس يال كح ن	من الثالث	من المغرب الاقصى

من اللباب بفتح الألف وسكون الغين المعجمة وفتح الميم والألف وتاء مثناة من قوق فى ءاخرها ، وعن ابن سعيد ومدينة أغمات فى شمال جبل درن ، وهي كانت حاضرة البلاد قبل بنيان مراكش ، وهي من أقصى المغرب ، قال ابن سعيد أيضاً كانت كرسيٍّ ملك أمير المومنين يوسف بن تاشفين قبل أن يختط مدينة مراكش وينبيها ، قال وهي مدينة قديمة ، ثم نقل كلام الادريسى المتقدم مختصراً ونقلناه مطولا فيما تقدم ، وما أحسن قول عبد الله بن يعقوب الأعمى المعروف بعبود كان فى أيام الحكم المستنصر الأموى بالأندلس :

لا تأسفن أبا العاصى لفائتة فكل ما ليس من رزق الفتى فاتا
كم من فتى وصل الأسفار مجتهداً من أرض دارين حتى حل أغماتا
لم يسعف الرزق بالأقدار بغيته ولو أقام أتاه الرزق ميقاتا
مولاي يكفيك فالزم بابَ رغبته فقد كفى الناس أحياء وأمواتا
من يعتمدْ غيره يرجعْ بمحرمة كالمبتغى بالفلا الصحراء أقواتا

وأبو العاصي هو غالب بن أمية ابن غالب الموزوري (1) المترجم كل منهما في (بغية الملتمس) .

(تنبيه) ذكر في (كشف الظنون) أن كتاب (تقويم البلدان) احتوى على ستمئة وثلاثة وعشرين بلداً ، قلت الذي عددت فيه من نسخة في غاية الضبط أزيد من ذلك وهو ستمئة واثنان وثمانون بلداً ، والاقليم العرفي كل ناحية أو مملكة تشتمل على عدة كثيرة من المساكن والبلاد ، مثل الشام والعراق وغيرهما ، وأول الأقاليم العرفية جزيرة العرب ، وثانيها ديار مصر وثالثها بلاد المغرب ، ورابعها جزيرة الأندلس ، وخامسها جزائر البحار الغربية وهو الأفربج والأتراك وغيرهم ، وسادسها بلاد الشام وسابعها الجزيرة بين دجلة والفرات ، وثامنها العراق ، وتاسعها خوزستان ، وعاشرها فارس ، وحادي عشرها كرمان ، والثاني عشر سجستان ، والثالث عشر السند ، والرابع عشر الهند ، والخامس عشر الصين ، والسادس عشر جزائر بحر الشرق ، والسابع عشر بلاد الروم ، والثامن عشر أرمينية وأران وأذربيجان ، والتاسع عشر بلاد الجبل وهي عراق العجم ، والعشرون الديلم والجيل وهو كيلان ، والحادي والعشرون طبرستان ومازندران وقومس ، والثاني والعشرون وتاليه ، والثالث والعشرون خراسان وما أضيف إليها من زابلستان والغور ، والرابع والعشرون طخارستان وبذخشان ، والخامس والعشرون خوارزم ، والسادس والعشرون ما وراء النهر وما أضيف إليه من بلاد تركستان ، والسابع والعشرون السودان ، والثامن والعشرون هو الجانب الشمالي من الأرض . وتشتمل على بلاد أمم مختلفة ، وهذه الأقاليم العرفية الثمانية والعشرون هي التي تكلم عليها في كتاب تقويم البلدان كل اقليم منها تكلم على مدنه مجموعة في محل واحد ولم يرتبه على حروف المعجم وتبع في ذلك ابن حوقل وقال في (الكشف) ثم ان المولى محمد بن علي الشهير بسياهي زاده المتوفى سنة 997 سبع وتسعين وتسعمئة رتبه يعني (تقويم البلدان) على الحروف المعجمة ، وأضاف إليه ما التقطه من المصنفات

---

1) اسم مفعول من الوزر اسم لكورة بالأندلس تتصل أعمالها بأعمال قرمونة وهي عن قرطبة بين الغرب والقبلة كثيرة الزيتون والفواكه بينها وبين قرطبة عشرون فرسخا واليها ينسب أمية بن غالب الشاعر الموزوري قاله ياقوت .

ليكون أخذه يسيراً ونفعه كثيراً وسماه (أوضح المسالك ، إلى معرفة البلدان والممالك) ، وأهداه الى السلطان مراد خان الثالث ، فرغ منه في رجب سنة 980 ثمانين وتسعمئة ، ثم نقله الى التركية بنوع اختصار وأهداه الى الوزير محمد باشا ، وذكر في الكشف أيضاً في علم جغرافيا أن بطليموس ذكر أن عدد المدن أربعة آلاف وخمسمئة وثلاثون مدينة في عصره ، وسماها مدينة مدينة ، ورأيت في تذكرة الشيخ داود ما نصه : اعلم أن ماذكر من عدد المدن في الأقاليم هو الأصل في تدوين العروض أولا ، وإلا فقد وقع التغيير نقصاً وزيادة حتى قيل ان صاحب طنجة ضبط المدن فكانت سبعة عشر ألفاً وأربعمئة ، فكان الذي خص الصين منها تسعة آلاف هـ .

وقال الادريسي في (نزهة المشتاق) صحيفة 69 وأغمات ايلان مدينة صغيرة في أسفل جبل درن المذكور ، وهي في الشرق من أغمات وريكة السابق ذكرها ، وبينهما 6 أميال ، وبهذه المدينة يسكن يهود تلك البلاد ، وهي مدينة حسنة كثيرة الخصب كاملة النعم ، وكانت اليهود لا تسكن مدينة مراكش عن أمر أميرها علي بن يوسف ولا تدخلها إلا نهاراً وتنصرف عنها عشية ، وليس دخولهم في النهار إليها الا لأمور له وخدم تختص به ، ومتى عثر على واحد منهم بات فيها استبيح ماله ودمه ، فكانوا ينافرون المبيت فيها حياطة على أموالهم وأنفسهم هـ ونقله في كتاب تقويم البلدان مختصرا.

والادريسي المذكور هو الشريف محمد بن محمد بن إدريس الادريسي الأندلسي السبتي المتولد بسبتة ، وهو من علية أهل فن الجغرافية في الاسلام ، قال العالم الفاضل شهاب الدين بن بهاء الدين سبحان بن عبد الكريم القزاني المرجاني في (وفية الأسلاف وتحية الأخلاف) مقدمة تاريخه الذي في نحو خمس مجلدات بعد أن ذكر علم الجغرافية وسمى كتاب نزهة المشتاق ما نصه : أورد فيه من أحوال مواقع من اقليم إفريقية مما لم يقف عليه أهل أوروبا الى الآن ، وترجمه بعض أفاضل الأفرنج الى لغة فرنسية سنة ستة اثنتين وخمسين ومئتين وألف وطبع ترجمته ونشره في بلاد أوروبا ، وهذا الكتاب هو أساس هذه الصناعة ومعتبر عندهم ومحترم على الغاية هـ .

وذكر بعض هـذا أيضاً قبل ذلك عند ذكر علم الهندسة وتقدم النقل عنه أيضاً عند ذكر أغمات وريكة ، وسيأتي مزيد لهذا عند ذكر التصانيف المصنفة فى البلاد فى الفصل الذى بعد هذا .

وقال لسان الدين ابن الخطيب فى (نفاضة الجراب) بعد أن ذكر جوازه من جبل هنتاتة معقل الموحدين الى حدود أضدادهم الوريكيين (1) :

ثم أتينا مدينة أغمات فى بسيط سهل موطأ لا نشز فيه ، ينال جمعيه السقي الرغد ، وتركبه الخلجان ، وقد تموج به العشب ، وعافته الأيدى ، وغلبَتْ أيديَ فلاحيه الفتنة ، وهذه المدينة قد اختطت فى الفضاء الأفيح ، فبلغت الغاية من رحب الساحة وانفساح القورة ، مثلت قصبتها منها قبلة ، وسورها محمر الترب ، سجح الجلدة ، مندمل الخندق ، يخترقها واديان اثنان من ذوب الثلج، وسور الجبل ، قامت بضفتيْها الأرحاء واردة وصادرة مرفوعة الأسوار منيعة البناء ، يمر أحدهما بشرقي المسجد طامي العباب محكم الجسور، نظيف الحافة ، نزهة للأبصار، وعبرة لأعين النظار ، ومسجدها المذكور عتيق عادى كبير الساحة رحيب الكنف متجدد الألقاب ، ومأذنته لا نظير لها فى معمور الأرض ، أسسها أولوهم مربعة الشكل ، وما زالوا يبخسون الذرع ويجحدون العرض حتى صارت مجسما كاد يجتمع فى زاوية المخروط ، وأدير عليه فارز من الخشب يطيف ببناء لاط ، وقد أطل سامى جامورها فوقه ، فقبحت حتى ملحت ، واستحقت الشهرة والغرابة .

وأهل هذه البلدة ينسب اليهم نُوك" وغفلة،علتها إن صدقت الأخبار سلامة وسذاجة ، فتعمر بملحهم الأسمار وتتجمل بنوادر حكاياتهم الأخبار ، أخبرنى من يوثق به ممن ولي عملها قال مكثت أيام الشتوة بها وخديم دار الاشراف يرفع لى فى كل يوم رسم دار الدباغ أبيض ، فطال ذلك ، فقلت له حتى متى يطلع هذا الرسم أبيض ؟ فقال لى يا سيدى اصبر بعض أيام ولا ترى بعدى يوما أبيض فهذا من الغفلة والنوك ، ومنها أن ملك المغرب لما عجب من هذه المأذنة استأذنوه فى نقلها الى بلده على سبيل الهدية يجعلونها تحفة قدومه وطرفة وفادته .

1) أنظر ص 55 من القسم المطبوع من (نفاضة الجراب) .

وبازائها المسجد بينه وبين النهر المار بازائه قبة عظيمة القبو فخمة البنية ترقص فيها فوارة خرقاء فى خصة من الحجر الأدكن مشطوبة الباطن رحيبة القطر قد تثلمت بعض جافاتها لمماسَّة الأيدى ومباشرة أجرام الخزف والفخار عند الاغتراف بما ينبىء عن قديم عهد وطول مدة .

وللسلطان بهذه المدينة دور حافلة تدل على همم ، ومعالى أمم ، واحتفال عوالم درجوا وأمم ، قد ركلها العفاء وجذب معاطفها الخراب ، فما شئت من خشب منقوشة ، وأطم مرقومة .

وبداخل هذه المدينة بساتين وجنات ، ولم يبلغ الخراب من مدينة ما بلع من هذه الأيم المهتضمة ، فتشعثت محاسنها وأخلقت ملابسها وأوحش عمرانها لتتابع الفتن وعيث الشرار الذين لاتعبدهم الطاعة ولا تروعهم الشريعة، أنقذ الله من لهاة التبار فريستها ، واستدرك بمدافعته مسكتها .

وأطرفنى الخطيب بها بأخبار من اعتقل فيها من مخلوعى ملوك الأندلس وأمراء طوائفها ، كالمعتمد بن عباد ، وعبد الله بن بلقين بن باديس أمير وطننا غرناطة ، ووقفنى على تاريخ صدر عنه أيام اعتقاله يشرح الحادثة على ملكه فى أسلوب بليغ ختمه بمقطوعات من شعره تشهد بفضله (1) .

وزرت بخارجها قبر المعتمد على الله محمد بن عباد أمير حمص وقرطبة والجزيرة وما إلى ذلك الصقع الغربى رحمه الله ، وهو بالمقبرة القبلية عن يسار الخارج من البلد ، وقد توقل نشزاً غير سام ، وإلى جانبه قبر الحرة حظيته وسكن نفسه اعتماد إشراكاً لاسمها فى حروف لقبه المنسوبة الى رميك مولاها المتولعة بشأنه معها أخبار القصاص وحكايات الأسمار إلى أجداث من ولدهما فترحمنا عليه وأنشدته :

قد زرتُ قبرك عن طوع بأغمات ... رأيتُ ذلك من أولى المهمات
لم لا أزورك يا أندى الملوك يدا ... وياسراج الليالى المدلهمات
وأنت من لو تخطّى الدهر مصرعه ... الى حياتى لجادت فيه أبياتى

---

1) طبعت بالقاهرة فى سلسلة ذخائر العرب التى تصدرها دار المعارف بعناية المستشرق ليفى بروفانصال .

أناف قبرك فى هضب يميـــزه — فتنتحيه حفيات التحيــــات
كرمت حياً وميْتاً واشتهرت عــلا — فأنت سلطان أحياء وأمـــوات
ماريء مثلك فى ماض ومعتقــدى — أن لا يرى الدهر فى حال ولا ءات

وزرت أجداثاً لأوليـاء وصالحين ختمتها بقرب الولي المتبرك بـه محمد الهزميرى .

وكـان الانصـراف عنهـا مـن الغـد ، فماشينـا أدواح الزيتـون شطر البريد لاتنال صفح ثراه الشمس ولا ترتاده الحرباء ، تتجاوب أصوات الحمام المطوق فـوق غصونه وقد اقتطعت ذلـك الجانبَ الخصيبَ أيـدى الوحشة وأخيفت من خلل غابه السابلة ، وسكن ربوعه الآهلة البوم ، فيهـا مـن مدينة غزر ماؤها ، وصح هواؤها ، وأينعت أرجاؤها ، وضفا عليها مـن المحاسن رداؤها . انتهى .

وقـال ابن الخطيب أيضاً فى (معيار الاختيار ، فى ذكـر المعاهد والديار) :

قلت فأغمات ؟ قال بلدة لحسنها الاشتهار ، وجنة تجرى من تحتها الأنهار ، وشمامـة تتضوع منها الأزهار ، متعددة البساتين ، طامية بحـار الزياتين ، كثيرة الفواكه والعنب والتين ، خارجها فسيح ، والمذانب فيـه تسيح ، وهواؤها صحيح ، وقبولها بالغريب شحيح ، وماؤها نمير ، وماء وردها مَمد للبلاد وممير ، إلا أن أهلها يوصفون بنـوك وذهول ، بين شباب وكهول ، وخرابها يهول ، وعدوها تضيق لكثرته السهول ، فأموالها لعدم المنعة فى غير ضمان ، ونفوسها لاتعرف طعمَ أمان هـ (1) .

وقال سيدى المكى الناصرى فى (الرحلة المراكشية) الواقعة عام 1149 هجرية ما نصه : مدينة أغمات وزيارة مـن ثوى بها مـن الصالحيـن رضوان الله عليهم فدخلناها قرب الظهر وقد دثر سورها وخرب غالب دورها ثم قال بعد أن نقل كلام البكرى فـى المسالك مختصراً وقد نقلناه مطولا وبعد

1) انـظر معيار الاختيار ص 109 من كتـاب مشاهدات لسـان الدين ابـن الخطيب . الاسكنـدريـة 1958 .

أن نقل كلام الخريدة ما نصه : قلت لم يبق لما ذكره هؤلاء المؤرخـون أثر ولا خبر إلا اسمها وإلا العقارب والسلام ولم أر بهـا من الشجر الا كثرة الزيتون وشجر التوت التى تطعمه دود الحرير ورحي واحدة ومسجد خرب نحـو نصفه ومنارة خرب نصفها ولله عاقبة الأمور هـ .

قلت تقدم النقل عـن صاحب الاستبصار عند ذكر مراكش وعـلى ثلاثة أميال منها وادى تانسيفت منبعه مـن بلاد هيلانة ، ويصب فيـه وادى وريكة ووادى نفيس وأودية كثيرة ، ومصبه فـى ساحل رباط جوز ، ويدخله الشابل الكثير الطيب هـ .

وبلد هيلانة المذكورة هـو بلد كلاوة اليوم ، والوادى الـذى منبعه مـن بلد هيلانة هـو المعروف بوادى سيدى رحال المسمى واد غدات ، وهـو تصحيف عـن وادى اغمات ، وهو أغمات هيلانة ، وهيلانة هـي ايلان ، قـال فـى نزهة المشتاق مـن قبائل البربر وهم مصاميد هـ .

ومنبع وادى غدات عليه الآن قرية يقال لها أيموزار قـرب أكدال افـرا المستندة عـلى مسفيوة ، وهـو فوق تدارات التـى هي الآن ممر السيارات بنحو خمسة آلاف متر عـن يمين الذاهب ، وتقدم النقل عـن نزهة المشتاق أن وادي تانسيفت يأتى إليه الماء من عيون وجبال منبعثة مـن جبل درن من ناحية مدينة أغمات ايلان هـ .

ووادى غدات المذكور انضاف اليه وادى غى المنضاف إليه وادى أسوال الملتقيين بنكموت ببلاد كلاوة وتلاقيا مع وادى غدات فـى زرقطن ، ثـم هبط الجميع لسيدى رحال ، ومنه تسقى بعض أراضى زمران أولاد بوشهبة وأولاد بنى زيد والعرقوب ، وهبط مع بـلاد زمران حتى تلاقى مع رأس العين ببـلاد الرحامنة ، وهبط الى القنطرة ويقال لـه عند رأس العين وادى تانسيفت .

وذكر الزيانى فى (الترجمانة الكبرى) أن قبائل المصامدة بنوا مدينة شيشاوة وأغمات وريكة وأغمات ايلان هـ .

وقد زرت أغمات فـى حدود الثلاثين وثلاثمئة وألف ، ثم إن السيارة اليوم تصلها إن لم يكن الوادى حاملا حيث ليس عليه قنطرة قربها .

الفصل الثالث

فى سرد أسماء التصانيف المصنفة فى البلاد والأقطار مرتبة على حروف المعجم تسهيلا للمراد وتنبيهاً على ما لأهل العلم من الاعتناء بالأخبار

ويصح أن يُدعَى هذا الفصل بتوثيق دعائم الأركان بتعليق أسماء تصانيف الأقطار والبلدان، فمنها إتحاف الورى، بأخبار أم القرى للشيخ نجم الدين عمر بن فهد المكى المتوفى سنة خمس وثمانين وثمانمئة، وءاثار البلاد، وأخبار العباد للشيخ زكرياء القزوينى صاحب عجائب المخلوقات جمع فيه ما عرف وسمع من خصائص البلاد والعباد ، ومنها أحاسن اللطائف ، فى محاسن الطائف لمجد الدين الفيروزابادى صاحب القاموس . والاحاطة ، فى تاريخ غرناطة للسان الدين بن الخطيب قاله فى كشف الظنون ، قلت قد ذكر فى ديباجتها عدة كتب من تواريخ البلاد ، وقد طبع الأول والثانى منها (1) ، قال وأحسن التقاسيم ، فى معرفة الأقاليم فى مجلد للشيخ محمد بن أحمد المقدسى الحنفى ذكر فيه أحوال الربع المعمور وبلاده وبره وبحره وجبله ونهره وطرقه ومسالكه ومعادنه وخواصه بعد ما جال ودخل الأقاليم ، قلت قد طبع ، قال ومنها أحسن السلوك ، فى نظم مَن ولي مدينة زبيد من الملوك أرجوزة للشيخ عبد الرحمان المعروف بابن الديبع اليمنى المتوفى سنة خمس وعشرين وستمئة ، قلت ومنها الاحياء والانتعاش ، فى تراجم سادات زاوية ءايت عياش تأليف عبد الله بن عمر بن عبد الكريم بن أبى بكر العياشى ، قال وأخبار الزمان ، ومَن أباده الحدثان للمسعودى ، قدم القول بهيأة الأرض ومدنها وجبلها وأنهارها ومعادنها وأخبار الأبنية العظيمة وغير

---

1) وشرع فى طبعها طبعة محققة جديدة الأستاذ الكبير محمد عبد الله عنان ، وقد صدر الجزء الأول منها فى سلسلة (ذخائر العرب) التى تصدرها دار المعارف وهو الآن بصدد اصدار الأجزاء الباقية .

ذلك ، ثم أجمله فـي الأوسط ثم اختصر الأوسط بمروج الذهب ، وأخبار صلحاء الأندلس لقاسم القرطبي ، وأخبار الفقهاء المتأخرين مـن أهل قرطبة لأبـي بكر الزبيدى ، ومختصره الاحتفال لأبى عَمْر الزبيدى ومنها أخبـار القـرطبيين للقاضى عياض ، وأخبـار قضاة مصـر لغير واحد ، وأول مَـن جمعهم محمد بـن يوسف الكندى ، قلت قد طبع ، قـال وذيله ابـن زولاق والحافظ ابـن حجر برفـع الأصر ، واختصره سبطه ، وعلي بن عبـد اللطيف الشافعي ، وذيله السخاوى ، وممـن ألف فيهم ابـن الميسر ، وابـن الملقن، ومنها أخبار قضاة دمشق للذهبى وأخبار قضـاة بغداد لابـن الساعى وأخبار قضاة البصرة لأبـي عبيدة ، وأخبار قضاة قرطبة لابـن بشكوال ، وأخبـار القلاع للميدانى ، وأخبار القيروان لعبد العزيز الصنهاجي ، وأخبـار المدينة لابـن زبالة (1) محمد بـن الحسن من أصحاب الامام مالك ، وليحيى بـن بن جعفر العبيدى ، ولعمـر بن شبة (2) وأخبار مدينة السوس لابراهيم بـن وصيف شاه ، وأخبار مصـر لعبد اللطيف البغدادى ، قلت قـد طبع ، قال والأخبار المستفادة ، فيمَن ولي مكـة المكرمة مـن ءال قتادة لابن ظهيـرة المكى ، وأخبار الموصل لأبـي ركوة مـن الخالديين ، وأخبار اليمن لأبـي الحسن علي بـن الحسن الخزرجي ، وأسماء الأماكن للشيـخ الحسن بـن أحمد ألفه سنة ثمانية وعشرين وأربعمئة، قلت ومنها نشر أزاهر البستان فيمن أجازنى بالجزائر وتطوان (3) رحلة محمد بن قاسم ابن زاكور الفاسى، قال وأسماء البلدان لأبى الفتح محمد الهمدانى ولأبى الفتح نصر الاسكندرى، والاشارات، إلى أماكن الزيارات لابـن الحورانى قلت وهـو مطبوع ، ومنها الاشارات لبعض ما بطرابلس الغرب مـن المزارات لسيدى عبد السلام الأسمر طبع عـام 1921م قـال واشتقاق أسماء المواضع والبلدان لحجـة الأفاضل علي الخوارزمى ، وأشرف الطرف للملك الأشرف ، ألفه له العلامة ابـن مرزوق ذكر فيه أن ممالك مصـر أفضل المعمورة ، وذكر فيه خصائص البلاد ، والأعلاق الخطيرة،

1) بالزاى كما فى مشتبه النسبة للذهبى
2) ذكره فى حرف العين فى مشتبه النسبة .
3) طبع اولا بالجزائر ، واعادت طبعه المطبعة الملكية بالرباط طبعة محققة سنة 1967 .

فى تاريخ الشام والجزيرة لابن شداد ، والاعلام بمن ولي مصر فى الاسلام للحافظ ابن حجر ، والاعلام بأعلام بلد الله الحرام لقطب الدين المكى ، قلت قد طبع ، والاعلام ، بفضائل الشام للشيخ برهان الدين الفزارى ، والاعلام بمن ختم به قطر الأندلس من الأعلام . للحافظ أحمد ابن الزبير ، والالمام، فيمن تأخر بأرض الحبشة من ملوك الاسلام لتقى الدين المقريزى ، قلت قد طبع قال وإنباء الغمر ، فى أبناء العمر للحافظ ابن حجر ، نقل فى خطط مصر علي باشا مبارك عن غيره أنه يخص مصر والشام ، قلت قد راجعت فاتحة إنباء الغمر فوجدته ذكر أنه فصل فى كل سنة أحوال الدول ووفيات الأعيان ، ورايته ذكر أهل المغرب وغيرهم ، ومنها الانتصار ، لواسطة عقد الامصار لصارم الدين ابن دقماق فى عشر مجلدات لخص منه الدرر المضيَّة ، فى فضل مصر والأسكندرية ، ومنها أنس الجليل ، بتاريخ القدس والخليل لمجير الدين الحنبلى ، قلت قد طبع . وأنموذج الزمان ، فى شعراء القيروان لأبى علي المهدوى ، قلت ومنها الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس . لابن أبى زرع وقد طبع بفاس (1) ، والايضاح ، فيمن ذكر فى الأندلس بالصلاح لابن الحاج البلفيقى ، قال وإيقاظ المتغفل ، واتعاظ المتوسل فى أخبار مصر لتاج الدين ابن المتوج الزبيدى بيَّن فيه أحوال مصر وخططها ، وإيقاظ الوسنان ، فى فضيلة الشام لنصر الله التنوخى الحنفى فى ثلاث مجلدات ، قلت ومنها أرجوزة الناسك سيدى محمد المدرع المتوفى سنة 1147 التى اختصر بها روض ابن عيشون فى صلحاء فاس مع زيادة البعض . والاشراف ، على مَن بفاس من مشاهير الأشراف للعلامة السيد الطالب ابن الحاج ألفه عام 1260 فى نحو ثلاثة عشر كراسا من الرباعى والاستقصا ، فى أخبار المغرب الأقصى لأحمد بن خالد الناصرى ، والارتجال ، فى مناقب ومشاهد سبعة رجال ومَن اشتهر فى مراكش أو دخلها من مشاهير صلحاء الرجال لمحمد الأمين الصحراوى المراكشى ، واظهار الكمال ، فى تتميم مناقب أولياء مراكش سبعة رجال

---

1) اربع مرات طبعات حجرية ، وطبعته لجنة النشر المغربية بسلا سنة 1937 طبعة ناقصة ، وطبعته دار المنصور بالرباط طبعة عصرية كاملة محققة .

المشار إليها فــى تنظيم درر الجمال لمؤلفه ، قال ومنها بدائع الزهور ، فــى وقائع الدهر ، وذكر مــا وقع فــى القرءان والحديث مــن فضائل مصر وما اشتملت عليه مــن العجائب ومَن نزلها ودخلها من الأنبياء عليهم السلام ومَن ملكها إلى الجراكسة ونشأ بها مــن الأعيان عــلى ترتيب الشهور والأعوام وانتهى فيه الى سنة ثمان وعشرين وتسعمئة قلت وقــد طبع، قال والبديع فــى الممالك الاسلامية لعبد الله بــن محمد بن أحمد البنا المقدسى ، وبغية الطلب ، فــى تاريخ حلب لكمال الدين ابــن العديم الحلبى فــى عشر مجلدات ، وهــو من نحو ثلاثين مجلداً ، ثم انتزع منــه كتاباً وسماه زبدة الحلب ، وذيله ابــن خطيب الناصرية ، ورتب الأعيان عــلى الحروف وسماه بالدر المنتخب فــى تاريخ حلب ، وهو مأخذ الزبد والضرب لابــن الحنبلى ، ثم ذيل عليه موفــق الدين أبو ذر الحلبى وسماه بكنوز الذهب ، فــى تاريخ حلب وضمنه ذكــر الأعيان والحوادث معاً ، ثم صنف الشيخ محمد بــن إبراهيم المعروف بابــن الحنبلى تاريخا موسوما بدر الحبب . فــى تاريخ أعيان حلب . ضمنه أعيان المئــة التاسعة ، ثم ذيله محمد بــن إبراهيم الحنفى المتوفــى سنة إحدى وسبعين وتسعمئة ، ومنها بغية العلماء والرواة فــى ذيل رفع الاصر ، عــن قضاة مصر لشمس الدين السخاوى ، وبغية المستفيد ، فــى أخبار زبيــد لابن الديبع فــى مجلد واختصره فــى العقد الباهر وذيل البغية بالأرجــوزة المتقدمة وبمختصر سماه الفضل المزيد ، عــلى بغية المستفيد ، ومنها بلبل الروضــة مقامة صنفها الجلال السيوطى فــى وصف روضة مصر ، وبهجــة الزمن ، فى أخبار اليمن لابن عبد عبد المجيد، وبهجة المهج ، فى بعض فضائل الطائف ووج . لأبى العباس العبدرى الأندلسى الميورقى فــى نصف كراسة ، والبيان والاعراب ، عما فــى أرض مصر مــن الأعراب لتقى الدين المقريزى قلــت وقــد طبــع ، ومنهــا بيــوتات فــاس للعلامــة عــبد الــرحمان بــن عبــد القــادر الفاسى فــى نحــو كــراس ولغيــره ، والبستان فــى ذكــر العلماء والأولياء بتلمسان . للعلامة محمد بــن محمد بن أحمــد الملقب بابن مريم الشريف المليتى المديونى التلمسانى ألفه عــام أحد عشر وألف وعدة تراجمه نحو مئة بالافراد وثنتين وخمسين، قال ومنها (تاريخ أبيورد ونسا) لأبى

المظفر محمد بـن أحمد الابيوردى المتوفى سنة سبـع وخمسمئة ، وتاريـخ اربـل لأبى البركات مبارك الاربلى فـى أربع مجلدات سمـاه نباهة البلـد الحامل ، بمن ورده مـن الأماثل ، وللحسن الاربلى وتاريخ استراباد لأبـى سعيد الادريسى ولحمزة السهمى ، وتاريخ اسكندرية لأبى المظفر منصـور الاسكنـدرى ، وتاريخ أسوان لابـن الزبير ، وتاريخ أصبهان لأبـى نعيم الأصبهانى ، ولابن منده ، وحمزة الأصبهانى ، وابن مردويه ، وابـن شهلان ، ولغيرهـم . وتاريخ أفريقية لأبـى محمد المالكى ، ومـن تواريخها الـدرة الفائقة ، فـى محاسن الأفارقة ، وعباد أفريقية وغير ذلك ، وتاريخ الأنبار لأبى البركات ابـن الأنبارى ، وتاريخ الأندلس لابـن الفرضى ، ولابن بشكوال ، وابـن الزبير ، والخشنى ، ولأحمد بـن موسى ، وللشيخ أحمد المغربـى المقرى نفح الطيب وشارح مقدمة ابن خلدون ، ومن تواريخ الأندلس أخبـار صلحاء الأندلس . وريحانة الأنفس ، ونور المقتبس ، وفرحة الأنفس ، فـى فضلاء العمي مـن أهل الأندلس . لابـن غالب ، والذخيرة . في محاسن أهـل الجزيرة ومختصر الذخيرة ، وتاريخ بلنسية ، وتاريخ مالقة ، وغير ذلـك . قلت سمى ابـن الفرضى مـن تواريخ الأندلس كتاب رجال أهل باجه لابراهيم ابن محمد الباجى ، وكتـاب الفقهاء بقرطبة لأحمد بن محمد بن عـبد البر ، ومؤلفات كثيرة فـى أخبار الأندلس لأحمد بـن محمد بن موسـى الرازى ، وكتاب أخبار الأندلس لاسحاق بـن سلمة القينى ، وكتـاب فقهاء ريه لـه ، وكتاب رجال أهـل استجه من الأندلس لاسماعيل ، وكتاب خالد بـن سعـد فى رجال الأندلس، وكتاب فقهاء رية لابن سعدان، وكتاب فقهاء الأندلس لعثمان بـن محمد بن يوسـف ، وأخبار الأندلس لابن عفير ، وكتاب الشعراء مـن الأندلس لقاسم بـن نصير بن وقاص بن أبـى الفتح ، وكتاب رجـال الأندلس لمحمد بـن الحرث الخشنى ، وكتاب شعراء البيرة لمطرف بـن عيسى بـن لبيت ، وكتـاب فقهـاء البيرة لمعارك النصيرى ، وسمى فـى بغية الملتمس من نواريخ الأندلس التاريخ الكبير فـى الأندلس وملوكها ليحيى بـن خلف بن حيان (1) وفقهاء قرطبة لأبى عبد الله محمد بن عبد البر ، وقضاة قرطبـة

1) ولد عام 377 هـ وتوفي عام 469 هـ واسم تاريخه المقتبس من انباء أهل الاندلس ، طبعت نبذة منه بباريس سنة 1937 م ونبذة أخرى ببيروت سنة 1965 وثالثة بالقاهرة سنة 1971م ويوجد منه سفر ضخم بالمكتبة الملكية بالرباط محفوظاً تحت نمرة 87 وهو يعد الآن للطبع .

له ، وتسمية أعيان الموالى بالأندلس لأحمد بـن محمد القنتورى ، وطبقات الشعراء بالأندلس لعثمان بن ربيعة ، وصفة قرطبة وخططها ومنازل العظماء بها لأحمد بـن محمد بن موسى الرازى ، وكتاب طبقات الكتاب بالأندلس لسكن بـن سعيد ، ومسالك الأندلس ومراسيها وأمهات مدنها وأجنادها الستة وخواص كل بلد منها وما فيها مما ليس فـى غيره لأحمد بن محمد ، وسمي فـى تكملة ابن الابار منها تاريخ علماء البيرة وأنسابهم وأنبائهم لمحمد عبد الواحد بن حقل ، والبيان والواضح والملم الفادح فـى تغلب الروم عـلى بلنسية قبـل الخمسمئة لمحمد بن الخلف بـن علقمة ، وصلة كتاب ابـن بشكوال فـى تاريخ الأندلس لأبى بكر التجيبى ، وصلحاء اشبيلية لمحمد بـن عبد الله بـن قسوم ، وملوك الأندلس ، والاعيان ، والشعراء لمحمد بـن يحيى بن ينق ، والمنهج الرضي فى الجمع بين كتابي ابـن بشكوال وابن الفرضـى بزيادة عـلى ذلك لعبد الله بـن قاسم الحرار وسمي فـى الكتب المذكورة مـن غير تواريخ الأندلس تاريخ المصريين لابـن يونس وتاريخ الأمصار لمروان بن عبد الملك بن الفخار ، وتاريخ المغاربة لابن وهب وأخبار أيمة الأمصار ليوسف بـن عبد البر ، وأخبار البصـرة ، وتنس ، وتيهرت ، وسجلماسة ، ونكور ، ووهران لمحمد بن يوسف الوراق ، وأخبار بغداد لأحمد بـن أبى طاهر وتاريخ بخارى لمحمد البخـارى غنجار ، وتاريخ الحمصيين لأبى بكر أحمد بـن عيسى ، ومسالـك أفريقية وممالكها لمحمد بـن يوسف الوراق ، وأخبار مكـة لرزين ، وأخبار ملوك أفريقية وحروبهم والقائمين عليهم للوراق أيضاً ، وسمي فـى كتاب الصلة مـن تواريخ الأندلس كتاب أخبار شعـراء الأندلس لأبى الفرضي ، ومختصر أخبار القضاة والفقهاء بقرطبة لأحمد بـن محمد بـن مريول وتاريخ أخبار الأندلس للرازى الأوسط ، وتاريخ فقهاء طليطلة وقضاتها لأحمد بـن مظاهر ، وتاريخ فقهاء قرطبة لأبى عبد الملك بن عبد البر ، وتاريخ قرطبة لحيان بن حيان ، وكتاب التنبيهات من أشعار أهل الأندلس لعلي بن محمد، وفقهاء قرطبة لأبى عمر بن عفيف، والمعارف فى أخبار كورة البيرة وأهلها وفوائدها وأقاليمها لمطـرف الغساني . انتهى ما أردنا تسميته من التواريخ المنقول عنها فى تاريخ الأندلس

قال فـي الكشف وتاريخ أهواز وتاريخ بخارى لأبـي عبد الله المعرف بغنجار، ولابن سليمان البخارى وتاريخ البدر ، فـي أوصاف أهل العصر للعينـي ابتدأ من أول الخلق ، وذكر البرّ والبحر وما فيهما من المدن والجزائر ، ناقلا مـن تقويم البلدان وجمع فيـه بين الحوادث والوفيات عـلى السنين ، وتاريخ البصرة لابن وهبان ، وتاريخ بطليوس من بلاد الأندلس للاعلم النحوى غير الأعلـم المشهـور ، وتاريـخ بغـداد لأحمـد بـن أبى طاهـر البغـدادى ، ولأبى بكر الخطيب جمع فيه رجالها ومـن ورد بهـا وضم إليه فوائد جمـة ، وهو أربع عشرة مجلدة بخطه ، قلت قـد طبع قال ولأبى سعيد السمعانى ذيله فـي خمسة عشر مجلداً ، ثـم العماد الكاتب الوزير جعل عـلى الذيل ذيـلا وسماه السيل عـلى الذيل ، وهو فـي ثلاث مجلدات وذيله ابـن الدبيثـي الواسطى ، ثم ابن القطيعى جعل صلة لهذا الذيل ولخـص الذهبى ذيل ابـن الدبيثى فى نصفه ، ولابـن النجار ذيل عـلى تاريخ الخطيب يقـال انه يتـم فـي ثلاثين مجلدة ، وذيـل ذيل ابن النجار لابـن رافع والذيل عليه أيضـاً لأبى بكر المارستانى ، والذيل عـلى ذيل المارستانى لابـن أنجب البغدادى ، واختصر تاريخ الخطيب أبـو اليمن البخارى وصنف أبـو سهل الكسـروى كتاباً حسنا فـي وصف بغداد وعـدد سككها وحماماتها وما يحتاج إليه فـي كل يوم من الأقوات والأموال ، ومـن تواريخ بغداد روضة الأريب ، سبـع وعشرون مجلدة قلت ومنها تاريخ بيروت لصـالح بـن يحيى بـن صالح بن الحسين بـن أمير الغرب البحترى مـن أهل القرن التـاسع طبع سنة 1898م، ومنها تاريخ بيروت وءاثارها للأب لويس شيخـو اليسوعى طبـع سنة 1925 ـ 1927 ، قال وتاريخ جرجان لعلي الادريسى ولأبـى القاسم حمزة السهمـي ، وتاريخ الجزيرة الخضراء مـن بلاد الأندلس لابـن حمديس ، وتاريخ المدينة لجمال الدين المطرى ، وتاريـخ الحجاز لأبى غالب ، وتاريخ حـران لعز الملك محمد المسيحى الحرانى ولحماد الحـرانى الذى ذيلـه أبو المحاسن بـن سلامة الحرانى ، وتاريـخ حلب تقدم منها عدة عنـد ذكر بغية الطلب فـي تاريخ حلـب ، ومنها حضرة النديم مـن تاريخ ابن العديـم لابن حبيب الحلبى، ومعادن الذهب لابن أبى طي وذيله له أيضاً ، ومعادن الذهب في الأعيان الذين

تشرفت بهم حلب لابـن عمر ، وتاريخ حلـب لأبى علي العظيمى ، وتاريـخ ختلان وأحوال ملوكها للحافظ محمد بـن علي ، وتاريخ حمص لأبـى عيسى ولعبد الصمد بـن سعيد ، وتواريخ خراسان منها تاريخ الأبيوردى ، وتاريخ الحاكـم النيسابورى ، وتاريخ عباس بـن مصعب ، وأخبار علماء خراسـان لأبى نصر المروزى ، وتاريخ ولاتها لأبـى الحسين السلامى ، ومنها تواريـخ هراة ، وتاريخ خلاط لشرف الأنصارى ، وتواريـخ خوارزم منهـا الكافى لابن القاضى ، وتاريخ ابـن أرسلان العباسى بسط الكلام فـى وصف خـوارزم وأهلها حتـى بلغ الى ثمانين مجلداً وقـد اختصره الذهبي ، وتاريخ خـوارزم لصدر الدين ، وتواريخ دمشق أعظمها تاريخ الامام أبـى القاسم بـن عساكر المتوفى سنة 571 احدى وسبعين وخمسمئة ، وهو فـى نحو ثمانين مجلداً ذكر تراجم الاعيان والرواة ومروياتهم عـلى نسق تاريخ الخطيب لكنه أعظـم منه حجماً، قلت وقـد وقفت عـلى مجلد ضخم بخط اليد مـن تاريخ ابن عساكر فى خزانة السيد عبد الحي الكتانى اشتمل على حرف الشين والصاد والضاد والطاء وبعض الظاء ، وأخبرنى انه توجد الآن منـه نسخة كاملة بالشام فـى أربعين جزءاً كـاملة يطلب مالكها الشيخ محمد الحفنى الشامى الـدمشقى دكانه بجامـع بنى أمية بالكتبيين مئة ليرة ، وقال أبو القاسم الزيانى فـى جمهرة التيجان وفهرسة الياقوت واللؤلؤ والمرجان فـى ذكر الملوك وأشياخ مولانا سليمان، ان أبا الربيع مولانا سليمان سرد تاريخ ابن عساكر فى أربعة وعشرين سفرا هـ، ووقفت على نسخة منه كاملة بخط اليد فى الخزانة العباسية بمراكش الله أعلم بما صار إليه أمرها الآن ، ولهذا التاريخ أذيال ومختصـرات ومنها تاريخ دنيسر لعمر بن اللمش ، وتاريخ ري لأبى منصور ، وتاريخ سامرا لابـن أبى البركات ، وتاريخ سبتة للقاضى عياض سماه الفنـون الستة فـى أخبـار سبتة ، قلت وهو بالـفاء المروسة ونون بعدها ، كما فـى الديباج المذهب وغيره ، وكما فى الكشف فى حرف الفاء ، وأما ما ذكره فـى حرف العين هكـذا العيون الستة ، فهو تصحيف وقـد طبع طرف منه ، وتاريـخ سمرقند لأبى العباس المستغفرى ومن تصانيفه تاريخ نسف وكش ولأبـى سعيد الادريسى ، والذيل عليه المسمى بقند لأبـى حفص النسفى ، ومنتخب

الضند لتلميذه محمد السمرقندى ، وتواريخ الشام منها البرق الشامى للعماد الكاتب الوزير الأصفهانى ، وتاريخ الشهود والحكام ببغداد لابن أنجب فى ثلاث مجلدات ، وتاريخ شيراز لهبة الله وللقصار ، وتواريخ الصعيد ، منها تاريخ علي بن عبد العزيز الكاتب ، والطالع السعيد الجامع لأسماء فضلاء الصعيد ، فى ذكر أعيانها ، قلت قد طبع ، قال والمفيد فى أخبار الصعيد لابن عبد العزيز الأندلسى المتوفى سنة تسع وأربعين وستمئة ، والعقيد فى أخبار الصعيد ، وتاريخ صفد لقاضيها شمس الدين العثمانى ، وتاريخ صقلية لابن القطاع ولأبى زيد الغمرى ، وتاريخ صنعاء لابن جرير الصنعانى ، وتاريخ طبرستان للرويانى وللمرعشى ، وتواريخ العراق منها لابن قاطولى ولابن اسفنديار وللهيثم بن عدى ، وتاريخ فاس لابن عبد الكريم ، قلت ومنها تاريخ الفتاش فى أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس ، وذكر وقائع التكرور ، وعظائم الأمور ، وتفريق أنساب العبيد من الأحرار للقاضى محمود التنبكتى وهو مطبوع ، ومنها تاريخ فتح الأندلس لابن القوطية وقد طبع ، ومنها تاريخ الفيوم تأليف إبراهيم رمزى المطبوع سنة 1894 م ، قال وتواريخ القدس لغير واحد ، وتواريخ قرطبة منها أخبار فقهائها ومختصره المسمى بالاحتفال ، وتاريخها للزهراوى ، وأخبار القرطبيين ، والتبيين عن مناقب من عرف بقرطبة من التابعين للقاسم بن محمد القرطبى ، ومختصره قلت فى درة الحجال فى ترجمة عبد الله بن أحمد بن عبيد الله النفزى القرطبى المتوفى سنة 686 فى تعداد تآليف شيخه القاسم بن محمد القرطبى المعروف بابن الطيلسان، أن اسم هذا التأليف التبيين عن مناقب من عرف قبره بقرطبة من الصحابة والتابعين ، والعلماء الزاهدين ، وقد طبع كتاب القضاة بقرطبة للحافظ محمد بن حارث الخشنى بمدريد سنة 1914 م ، قال وتواريخ قزوين منها الارشاد للخليلى ، والتدوين ، فى أخبار قزوين للرافعى ، وتاريخ ابن ماجه ، وتاريخ قسطنطينية ، قيل ان الروم وضعوا لها تاريخاً قبل الفتح ، وأما بعده فلم يعرف تدوينه سوى تاريخ أياصوفية المنقول من الرومى ، والحال أنه ينبغى أن يكون لها تاريخ عظيم مشتمل على أخبار سورها وخططها ودورها ومافيها من الأبنية

العظيمــة والآثار القديمة ، قلت قــد صنف الشيخ سليمان الخليل كتــاب التحفة السنية فــى تاريخ القسطنطينية طبع فــى بيروت سنة 1887 بعــد أن ألفه سنة 1873 موافق سنة 1290 هـ ، صحائفه 182 ، وكتاب دليل الاستانة بقلم م . شكرى ، طبع بالأسكندرية سنة 1909 م فى صحائف 131 ، ودليل الإستانة بقلم محمد صفابك الحسنى طبع باستانبول سنة 1331 ، صحائفــه 343 ، قال وتاريخ قنسرين المسمى بتــاج النسرين ، وتواريخ القيروان لغير واحد قلت : منها بساط العقيق فى حضارة القيروان وشاعرها ابن رشيق ، تأليف حسن حُسنى عبد الوهاب طبع، قال وتاريخ الكوفة لابن النجار الكوفى، ولابن مجالد ، وتاريخ مالقة من بلاد الأندلس لابن عسكر المالقى ، وتواريــخ المدينة منها أخبار المدينة لمحمد بــن حسن ، ويحيى العبيدى ، وعمر بــن شبة النميرى وللمرجاني ، ولعفيف الدين ، وللمطرى ، ولابــن ظهيرة ، والوفا بأخبار دار المصطفى للسمهودى ، ومختصره المسمى بوفاء الوفا ، وملخصه خلاصة الوفا ، قلت : قد طبعا قال : والغاية فــى هذا الباب تاريخ السمهودى، وتاريخ المراغة لابــن المثنى ، وتاريخ مرسية مــن بلاد الأندلس لابــن الحاج، وتواريخ مرو ، ومنها تاريخ أبــى سعيد السمعانى فــى نحو عشرين مجلداً ، وللخرقى ، ولابــن سيار ، ولابــن فرحون ، ولصاحــب القاموس ، ولابــن أبى معدان ، وتواريخ مصــر ، منها أخبار خططها للكندى ، وللقضاعى ولغيرهما قلت : منها خطط مصــر لشهاب الدين بــن طوغان المتوفى سنــة 811 المترجم فى إنباء الغمر قــال : ومنها تاريخ ملوكها للمقريزى مقفى فى تراجم أهــل مصر والواردين إليها ، قلت قد طبــع كتابه السلوك لمعرفة دول الملــوك قــان ولغيــره ، قلت منهــا تاريخ مصــر لقطب الــدين الحلبى عبــد الكريم المتوفــى سنــة (1) فــى نحو خمســة وثــلاثين مجلــداً نحا فيــه منحــى ابن عساكر ، وتاريخ قضاة مصــر لأبى محمد جمال الدين الشيشى المتوفــى سنة 820 ، المترجم فى إنباء الغمر ، قال وتواريخ المغرب منهــا المغرب ليسع بن حزم ، والمسهب فى أخبار أهل المغرب للحجارى ، والمغرب في أخبار أهل المغرب ، ومدار الكنايات فــى أدباء المغرب للسان الدين بــن

---

1) كذا بالأصل .

الخطيب ، ومختار تاريخ المغرب لابن أبي طي ولغيرهم قلت : منها تاريخ المغرب لأبي محمد جمال الدين الشيشي المتقدم قال : وتاريخ تلمسان ، وتواريخ مكة شرفها الله ، منها تاريخ الازرقي قلت : قد طبع قال : ومختصره زبدة الأعمال ، وهو أول من صنف فيه ، وتاريخ الفاكهي ، وتقي الدين الفاسي في ثلاث مجلدات ومختصره ، ولغيرهم ، وتواريخ الموصل منها للأزدي ، وابن باطيش وغيرهما قلت : منها تاريخ الموصل لمؤلفه القس سليمان صائغ في جزءين مطبوع قال : وتاريخ ميافارقين لابن الأزرق الفارقي ، وتواريخ نيسابور ، منها تاريخ الحاكم ذكر فيه أشياخه وأشياخ أشياخه ، ومن ورد خراسان من الصحابة والتابعين ، ومن استوطنها واستقصى ذكر خبرهم وأنسابهم ، ثم أتباع التابعين ، ثم القرن الثالث ، والرابع جعل كل طبقة منهم الى ست طبقات ، فرتب قرن كل عصر على الحروف ، وذيله الفارسي ، واختصره الذهبي ، وتاريخ نيسابور للكعبي ، وتواريخ واسط ، منها تاريخ الدبيثي الواسطي ، والذيل عليه ، وتاريخ الجعفري وغيرهم ، وتواريخ هراة ، منها تاريخ البزار وغيره ، وتواريخ همذان ، منها تاريخ أبي شجاع الهمذاني وغيره ، وتواريخ اليمن منها ، تاريخ أبي محمد عمارة وغيره ، الى هنا ما ورد بلفظ التاريخ قلت : ومنها تاريخ زبيد لموفق الدين بن وهاس الزبيدي المتوفى سنة 812 ، المترجم في إنباء الغمر ، قال : ومنها تأسي أهل الايمان ، بما جرى على مدينة القيروان لابن سعدون ، والتبيان في أحوال البلدان لأحمد بن أبي عبد الله ، والتبيان في أخبار بغداد لأحمد البرقي الكاتب ، وتحفة الأنام ، في فضائل الشام لابن الامام ، وتحفة الكرام بأخبار البلد الحرام لتقي الدين الفاسي وتحفة اللطائف في فضائل ابن عباس ووج والطائف ، لابن فهد المكي ، وتحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة للمراغي ، وتذكرة الأنام بمن تولى مصر والقاهرة في الاسلام للشيخ حسن العثماني ، وهي منظومة له شرحها قلت : ومنها تذكرة النسيان في أخبار ملوك السودان ألفه مؤلفه المتولد سنة 1112 (المتوفى ؟) سنة 1164 وقد طبع وهو مرتب على حروف المعجم ولم يجد الا أحد عشر حرفاً ، ومنها تعطير البساط بذكر تراجم قضاة

الـرباط لمحمـد بوجنـدار المطبـوع سنـة 1335 فـى صحائـف 51 ، وقد نقل عـن كتابنا الأعلام بمـن حل مراكش وأغمات مـن الأعلام فـى ترجمة قـاضى مراكـش محمد بن العـربى عاشور ، والنقـل فى صحيفـة 31 ، وتقويـم البلدان لأبـى الفـداء إسماعيل ملـك حماة ،. قلـت قـد طبـع ، قال : وترتيبه المسمى أوضح المسالك الى معرفة البلدان والممالـك لمحمد بـن علي زاده ، ومنها تلخيص الآثار فى عجائب الأقطار لعبد الرشيد بـن صالح مختصر على ترتيب الأقاليم السبعة ، قلت ومنها تاج المفرق ، فى تحلية علماء المشرق رحلة أبـى البقاء خالد البلوى ، والتنبيه عـلى من لم يقـع به من فضلاء فاس تنويه فـى ثمانية أوراق من الرباعى لابـن عيشون ذيل به الروض العاطر الأنفاس الآتى فـى حرف الراء ، وتحفة الاخوان فـى التعريف بساداتنا أهل وزان ، للشريف الطاهرى ، والتذكار ، فيمن ملك طرابلس أو كان بها مـن الأخيار لسيدى محمد ابن عقيل الطرابلسى الدار الدرنى أصالـة، والترجمانة الكبرى التـى جمعت أخبار العالم براً وبحراً لأبـى القاسم الزيانى فـى مجلد ضخم ، وبعضهم يجعلها فـى جزأين ، والترجمان المعـرب عـن دول المشرق والمغرب لـه أيضاً ، وتحفة الملك العزيز بمملكة باريز للفقيه الكاتب الحاج إدريس ابن الوزير بـن إدريس السفير إليها عـام 1276 ، وتحفة الزائر ، فى مناقب الأمير عبـد القادر وأخبار الجزائر ، لولده أبى عبـد الله محمد فـى جزءين ، وتوفي الأمير عبـد القادر عام 1300 ثلاثمئة وألف ، ومولده عام اثنين وعشرين ومئتين وألف ، وتعريف الخلف برجال السلـف لأبـى القاسـم محمد الحفناوى بـن الشيخ بـن أبى القاسم الديسى بـن سيدى إبراهيم الغول فـى جزءين فـى تراجم علماء البـر الجزائرى ومـا يليـه مـن الأقطار ألفه فـى أوائل هـذه العشرة الثانية مـن القرن الرابع عشر قـال ، وجـدة المقتبـس فـى تـاريخ علمـاء الأنـدلس للامـام الحافـظ محمد بن أبـى نصر فتوح الازدى الحميدى المتوفى سنـة ثمانية وثمانين وأربعمئة ، وهو مجلد ذكر فى خطبته أنه كتبه من حفظه ، قلت قد طبع ، قال والجمـع والبيان ، فى تاريخ القيروان للصنهاجى ، وجنـان الجنان ورياض الأذهان فى شعراء مصر لأبى الحسين الزبيرى وجواهر البحور ، ووقائـع الدهـور ، فـى أخبار الدهـور لابراهيـم بن وصيـف شاه ، والجوهـرة

الثمينة ، فى فضل مكة والمدينة ، رسالة كالمقامة ، والجوهرة اليتيمة ، فى أخبار مصر القديمة ، قلت ومنها جذوة الاقتباس فيمن حل من الاعلام مدينة فاس (1) للعلامة ابن القاضى ، ومنها جغرافية مصر تأليف محمد أمين فكرى ، ومنها جنا زهرة الآس فى ذكر بناء مدينة فاس (2) لعلي الجزنائى قال ومنها الحجج المبينة ، فى التفضيل بين مكة والمدينة ، للسيوطى والحديقة فى شعراء الأندلس لأبى الصلت أمية بن عبد العزيز الأندلسى ، وحسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة للجلال السيوطى ذكر فيه ثمانية وعشرين كتاباً من الكتب المؤلفة فى أخبار مصر لخصها وأورد ملوكها ومن دخلها من الأنبياء عليهم السلام والحكماء ، ثم ذكر الأهرام والأسكندرية، ومن دخلها من الصحابة والتابعين ، ثم ذكر أعيانها من كل صنف ، ثم ملوك مصر ونوابها فى الدولة الاسلامية وعساكرهم وما فيها من الجوامع والمدارس ، والنيل وما قيل فيها من الأشعار قلت قد طبعت ، قال ومنها حكم أراضى مكة المكرمة للامام أبى جعفر الطحاوى ، وحلية السربين فى خواص الدنيسريين لأبى عمر بن اللمش التركى الطبيب الذى كان من سكان دنيسر قلت ومنها الحلل الموشية فى الأخبار المراكشية لابن السماك العامرى (3) والحادى المطرب فى رفع نسب شرفاء المغرب لأبى القاسم الزيانى قال وخريدة العجائب وفريدة الغرائب لابن الوردى المتوفى سنة تسع وأربعين وسبعمئة ، ذكر فيها الأقاليم والبلدان وغير ذلك وأورد فى أوله دائرة مشتملة على صور الأقاليم والبحار وهي غير مطابقة للواقع قلت قد طبعت ومنها خطط مصر صنفها غير واحد منهم تقي الدين المقريزى له الكتاب المفيد المشهور المتداول المسمى بالمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار أحسن فيه وأجاد قلت قد طبعت ومنها الخطط الجديدة التوفيقية لمصر القاهرة لجناب علي باشا مبارك ، طبعت عام 1306 فى خمس مجلدات وقد اشتملت على عشرين جزءاً ، قال ومنها خلق الدنيا وما فيها للكسائى، قلت ومنها خلاصة الكلام فى أمراء البلد الحرام ، للشيخ أحمد دحلان ، وقد

1) طبع بفاس طبعة حجرية عام 1309 وتطبعه الآن دار المنصور للطباعة والوراقة بالرباط.

2) طبعته المطبعة الملكية بالرباط سنة 1967

3) طبع أولا بتونس منسوباً لمحمد ابن الخطيب السلمانى ، ثم طبع بالرباط سنة 1936 غير منسوب لأحد ، والمؤلف ينسبه هنا لابن السماك العامرى ، فمن هو ؟

طبع ومنها خلاصة تاريخ تونس تأليف حسن حسني عبد الوهاب ، قال ومنها در الحبب في تاريخ أعيان حلب لابن الحنبلي ذكر فيه من عاصره من أهلها ومن دخلها على ترتيب الأسماء وذكر نبذا من الحوادث المستظرفة بطريق الاستطراد ، قلت ومنها الدر المنتخب في تاريخ مدينة حلب لأبي اليمن بن عبد الرحمان البتروني ، وهو مطبوع ، والدر النفيس في مدينة منفيس لسعادة أحمد بك كمال طبع عام 1327 ، وقال والدرة الثمينة في أخبار المدينة لابن النجار ، والدرة الخطيرة في أسماء الشام والجزيرة لعز الدين الكاتب الحلبي ، والدرة الخطيرة في المختار من شعر أهل الجزيرة لابن القطاع الصقلي ، والدرة الفائقة في محاسن الأفارقة لأبي العباس التيفاشي ، والدرر والغرر في شعراء الأندلس لرشيد الدين الوطواط ، قلت ومنها الدرة المضية في تاريخ الأسكندرية في مجلدات لأبي الحسن حازم القرطاجني صاحب المقصورة والدرر المرصعة في صلحاء درعة ، في مجلد لأبي عبد الله محمد المكي الناصري نزيل مراكش، والدر السني ، فيمَن بفاس من النسب الحسني للعلامة مولاي عبد السلام القادري ، ودرر الحجال في مناقب سبعة رجال لمحمد الصغير الافراني المراكشي ، والدر النفيس . فيمن بفاس من بني محمد بن نفيس للعلامة مولاي الوليد العراقي الحسيني في نحو ثلاثة عشر كراساً من الرباعي ، قال وذات العماد في أخبار البلاد لابن قضيب البان ، والذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، يعني الأندلس لأبي الحسن ابن بسام ، قلت ومنها الذهب الابريز في الرحلة إلى باريز ، للشيخ رفاعة الطهطاوي والذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة (1) لابن عبد الملك المراكشي ، قال ومنها الرسالة في كتاب السر ، في ديوان مصر لابن فهد ، والرسالة في الهند وأوصافه ، والروض المعطار في أخبار الأقطار لأبي عبد الله الحميري جمع فيه بين كتب عديدة ، ورتبه على حروف المعجم ، فاحتوى على فنين ذكر الأقطاع وماشتملت عليه من النعوت والصفات وثانيها ذكر الأخبار والوقائع ذكر مؤلفه أن نزهة المشتاق ، انما عظم حجمها لما اشتملت عليه من قوله ،

---

1) طبع طرف من جزئه الأول في مجلدين ببيروت .وهو الجزء المحفوظ بالخزانة الملكية ، وطبع بقية السفر الرابع والسفر الخامس ببيروت أيضاً .

ومن كذا خمسون ميلا أو فرسخا ، أما الخبر عن الاصقاع بما يحسن إيراده فانما يوجد في مواضع قليلة منه مع عسر وجدان الناظر فيه ، قلت ومنها الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون (1) للعلامة ابن غازي ، والروض العاطر الأنفاس ، في التعريف بصلحاء فاس ، المنسوب لمحمد ابن عيشون الملقب بالشراط ، وهو في الحقيقة لمولاي العربي القادري كما في الزهر الباسم في مناقب الشيخ سيدي قاسم لمؤلف نشر المثاني وتراجم الروض زهاء تسعين ترجمة ، قال منها روضات الجنات ، في أوصاف مدينة المزات لمعين الدين محمد الهروي ، والروضة البهية الزاهرة، في خطط المعزية القاهرة لابن عبد الظاهر ، ورياض النفوس في علماء أفريقية للفقيه أبي بكر عبد الله بن محمد ، وروضة الآس ، العاطرة الأنفاس ، في ذكر مَن لقيتُه من أعلام الحضرتيْن مراكش وفاس (2) للمقري صاحب نفح الطيب ، وريحانة الأنفس ، في علماء الأندلس لابن القات ، قلت ومنها رحلة العبدي (3) ورحلة ابن بطوطة، ورحلة العياشي ، وغيرهم، ورحلة الحذاق لمشاهدة البلدان والآفاق للزياني ، قال وزبدة كشف الممالك ، في بيان الطرق والمسالك ، في فضائل مصر وأعمالها وتعظيم سلطانها وأمرائها للفاضل خليل ابن شاهين الظاهري ، وزيارات الشام لعلي بن أبي بكر الهروي ، وزيارة الطائف لمحمد ابن أبي الصيف اليمني ، وسلك النظام ، في تاريخ الشام أربع مجلدات لابن أبي طي يحيى ابن حميدة الحلبي ، وسمط العلى للحضرة العليا ، تاريخ كرمان لرئيس الكتاب في ديوان التركماني ناصر الدين المنشي الكرماني ، قلت ومنها السلسل العذب والمنهل الأحلى ، المرفوع للخلافة العزيزية التي لاتزال مناقبها على مر الزمان تتلى ، في سلك من تحلى سلكهم في الجيل جيل فاس ومكناسة وسلا (4) للعلامة محمد بن أبي بكر الحضرمي . والسر الظاهر ،

1) طبعته المطبعة الملكية بالرباط سنة 1964 .

2) طبعته المطبعة الملكية بالرباط سنة 1964 .

3) طبعته جامعة محمد الخامس بالرباط سنة 1968 .

4) نشرته مجلة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة.

فيمـــن أحرز بفـــاس الشرف الباهر ، مـــن أعقاب الشيخ عبـــد القادر للعلامة سيـــدى سليمـــان الحـــوات ، وسلـــوة الأنفـــاس ، ومحـــادثـــة الأكيـــاس بمـــن أقبر مـــن العلمـــاء والصلحاء بمدينـــة فاس للعلامـــة محمد بـــن جعفر الكتانى فـــى ثلاث مجلدات ، وقـــد طبعا . قال وشفاء الغـــرام ، تاريخ البلد الحرام لتقى الدين الفاسى ، والطرفة الغريبة ، فـــى أخبـــار حضر موت العجيبة لتقى الدين المقريزى ، وعجالة القرى ، للراغب فـــى تاريخ أم القرى ، وهـــو مختصر العقد الثمين ، فـــى تاريخ البلد الأمين ، لتقي الدين الفاســـى ، وعجائـــب البلدان ، لزكرياء القزوينى ، ذكـــر فيه أكثر بلاد الدنيـــا وبعض ما نسب إليها من العلماء ، ولابـــن الجزار والعرف الآسى ، فـــى العرف الفاسى لسيدى المهدى الفاسى شارح دلائل الخيرات ، والعرف العاطر ، فيمن بفاس من أبناء الشيخ عبـــد القادر ، للعلامة مولاي عبـــد السلام القادرى ، قـــال وعقد جواهر الأسفاط ، مـــن أخبار مدينـــة الفسطاط لتقي الدين المقريزى ، قلـــت ومنها عقد الدر واللئال ، فـــى شرفاء عقبة بنـــى صوال لسيدى الطالب بـــن الحاج ، ومنها العقد الثمين ، فـــى فضائل البلد الأمين تأليف سيدى أحمـــد بن الشيخ محمد الخضراوى ، طبع عام 1290 قال وعقـــود النظام ، فيمن ولـــي مصر مـــن الحكام للأديب محمد بـــن دانيال الموصـــلى ، والعقيد ، فى تاريـــخ الصعيد لأبى سعيد بـــن يونس الصوفى المصرى ، وعنوان الدراية ، فـــى تاريخ بجاية (1) قلت بل تمـــام التسمية فيمن عرف مـــن العلماء فـــى المئة السابعـــة ببجاية ، وهي لأحمـــد الغبرينى المتوفى سنة أربع وسبعمئـــة ، وقـــد عـــرف بـــه وبأولاده فـــى توشيـــح الـــديباج ، كمـــا عـــرف بـــه فـــى درة الحجال ، وصاحب تعريف الخلف لـــم يقف على ترجمته والعذر لـــه ان الكتابين المـــذكورين ليسا فى الكتب الخمســـة عشر التى وقف عليها فـــى التاريخ وسمّاها فى أول كتابه المذكور ، ولا فى الكتب الثمانية التى سمّاها فـــى أول الجزء الثانى منه ، وقـــد غلط صاحب كشف الظنون فـــى بجايـــة فجعلها عند ذكر الأحكام الصغرى فـــى الحديث لعبد الحق مـــن مدن الأندلس

1) طبع بالجزائر للمرة الأولى سنة 1910 ونشر ببيروت للمرة الثانية سنة 1969 ثم نشر فى الجزائر للمرة الثالثة سنة 1972 .

وليس الأمر كذلك ، وانما هي مـن مدن أفريقية كما فـي تقويم البلدان ورحلة العبدرى وغيرهما ، وقـد طبعت ، قـال وفتوح أرمينية لأبـي عبيدة ، وفتوح الأمصار وفتوح الشام للواقدى ، وفتوح بيت المقدس لأبـي حنيفة إسحاق بـن بشر ، وفتوح الحرميْن وفتوح مصـر والمغرب لأبـي القاسم بن عبـد الحكم وفرط الغرام ، الى ساكنى الشام . لأبى سعيد السمعانى ، وفضائل البصرة فـي جملة مجلدات لعمر بـن شبة أبـي زيد النميرى ، وفضائل بغداد وأخبارها لأبى العباس السرخسى ، وفضائل بيت المقدس للشريف حمزة الحسيني ، وفضائل الحرم لأبى محمد بن عساكر ، وفضائل الشام لأبـي الحسن الربعى المالكى ، وفضائل غرناطة لابن السراج ، وفضائل القدس لأبى المعالى المقدسى ، وفضائل المدينة لأبى محمد ابن عساكر ، وفضائـل مكة المكرمة لمحمد بن أبى بكر اللباد المالكى الأفريقي ، ولغيره ، وفضائل اليمن وأهله لابن أبى الصيف ، وفضل بيت المقدس لعبد الله بن عساكر ، وفضل تمر المدينة وترابها لجمال الدين بن حمزة العمرى ، والفيح القسى ، فى الفتح القدسى للعماد الكاتب الأصبهانى ، قلت قد طبع ، قال وكتـاب التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة لأبى عبد الله المطـرى ، وكتاب الجبال والأمكنة والمياه للزمخشرى ، قلت قد طبع ، قال وكتـاب شعراء الأندلس لعبد الله بن محمد ابن الفرضى ، وكتاب ما اتفق لفظه واختلف مسماه فى الأماكن والبلدان المشتبهة فى الخط للحازمى ، والكتاب المبين فى تاريخ الأندلس فى ستين مجلداً لأبى مروان بن خلف المتوفى سنة تسع وستين وأربعمئة ، وكتاب مدينة النحاس ، وكتاب النواحى فى أخبار البلدان لابن الأنبارى ، وكشف الممالك فى بيان الطرق والمسالك فى ملـك مـصر وسلطانها لابن شاهين الظاهرى فى مجلدين ، قلت ومنها الكواكب الوقادة ، فى ذكر من دفن بسبتة من العلماء والصلحاء القادة ، قال ولطائف الأخبار الأول ، فيمن تصرف فى مصر من الدول لمحمد بن عبد المعطى قلت قد طبع ، ومنها اللؤلؤ المكنون ، فى اختصار ابن عيشون/للفقيه السيد محمد بن أحمد ابن محمد بن المختار بن عمر بن علي بن مسعود نجل يوسف بن تاشفين المتوفى سنة 1311 احدى عشرة وثلاثمئة وألف ، اختصر به روضَ ابن عيشون

فى صلحاء فاس المتقدم ، وزاد عليه ، قال والمختار ، فى ذكر الخطط والآثار يعني خطط مصر لأبى عبد الله بن سلامة القضاعى ، والمختصر ، فى أخبار مصر لتقي الدين الكرمانى ، ومراصد الاطلاع ، عـلى أسماء الأمكنة والبقـاع ، مختصر مـن معجم البلدان اختصره مؤلفه ياقوت منه ، قلت قـد طبع ، ومنهـا مرءاة العصر ، فـى تاريخ ورسوم أكابر الرجال بمصـر لصاحبه إليـاس زاخورة مطبوع قـال والمرقص والمطرب ، فـى أخبار أهل المغرب لأبـى الحسن بـن سعيد المتوفى سنـة 673 ثلاث وسبعين وستمئة ، قلـت ولمحة البهجة العلية ، فى الأنساب الصقلية ، قال ومسالك الممالك لأبى زيد بـن سهـل البلخى ذكر فيه أقاليم الأرض وبلاد الاسلام بتفصيـل مدنها ولغيره ، والمسالك والممالك لابن حوقل ذكـر فيه صفات البلاد مستوفياً غيـر أنه لـم يضبط الأسماء ، ولأبـى عبيد البكرى الأندلسى المتوفى سنة سبـع وثمانين وأربعمئة ، ولابـن الفقيه الهمدانى ذكر المدائن العظمى قلـت وهو محمد بـن أحمد بن الفقيه ، وهـذه الثلاثة قد طبعـت الأول تماماً ، والثانـى القسم الغربى منـه ، والثالث مختصره ، قال وللمراكشى قلت هـو ابـن عذارى المراكشى قـال ولغيرهم قلت منها كتاب مسـالك الأبصار ، فـى ممالك الأمصار فى سبعة وعشرين مجلداً ، وهو كتـاب حافل ما صنف مثلـه لأحمد بـن فضل الله العمرى المتوفى سنة 749 المترجم فـى درة الحجال ، وقـد شرع فـى طبعه قـال والمسهب ، فى أخبار أهـل المغرب للحجارى قلـت وإيراد صاحب كشف الظنون له فى حرف الشين المعجمة بعد الميم تصحيف، والصواب مـا تقدم لـه من إيراده فـى حرف السين المهملة بعـد الميم ، والمشترك وضعاً ، والمختلف صقعاً فـى البلدان لأبى عبد الله ياقوت الحموى انتحله مـن كتابه معجم البلدان عـلى الحروف ، والمشرق ، فـى أخبار المشرق لأبـى الحسن بن سعيـد ، والمشرق ، فى حـلى المشرق لأبى الحسيـن الغرناطى ، والمشرق ، فـى محاسن أهل المشرق فـى ستين مجلداً لأحمد بن علي بـن سعيد ، وسيأتى ما فيه ، قـال والمطرب ، مـن أشعار أهـل المغرب لأبـى الخطاب ابـن دحية ، ومطمح الأنفس ، ومسرح التأنس ، فـى ملح أهل الأندلس . للفتح بـن خاقان ، قلت قـد طبع ، ومعالم الايمـان ،

وروضات الرضوان ، فـــى مناقب المشهورين مـــن صلحاء القيروان للعلامـــة أبى زيد الدباغ ، وهـــو كتاب حسن مفيد فـــى طبقات مـــن دخل القيروان من الفضلاء منذ دخلها الاسلام كبير فـــى مجلدين ، وقـــد اختصره وذيله ابـــن ناجى شارح المدونة والرسالة وطبع بتونس فـــى أربعة أجزاء لطيفة ، قـــال والمعجب ، فـــى أخبار أهل المغرب لعبد الواحد بـــن علي المراكشى ، ومعجم البلدان لياقوت قلت قد طبعا معاً ، قال ولغيره والمعرب ، عـــن سيرة ملوك أهل المغرب مجلد أتمه مؤلفه سنة تســـع وسبعين وخمسمئة ، ومعيار الدول، ومسبار الملل فـــى المسالك والممالك وأخبار الدول الاسلامية والمتقدمـــة قبل الاسلام فـــى ثمانين جزءاً كباراً ، والمغانم المطابة ، فـــى معالم طابـــة للمجد الفيروزابادى ، والمغرب ، فى محاسن حلى أهل المغرب فـــى نحو خمسة عشر مجلداً لعلي بـــن سعيد المغربى ، وذكر فـــى مرقصة أن المغرب والمشرق كتابان وهما فـــى مئة وخمسين سفرا صنَّفهما فـــى مئة وخمس عشرة سنة جماعة من أهـــل الاعتناء بالأدب ، خاتمتهم ابـــن سعيد نفسه ، وذكر عـــلي القارى فـــى طبقاته أنه لأحمد بن علي بـــن سعيد ، وأنه ستون مجلدا وهـــو وهم ، والمفيد ، فـــى أخبار زبيد لابن نجاح ، والمقتبس ، فـــى تاريخ علماء الأندلس فى عشر مجلدات لابن العماد الأندلسى ، ومختصره جذوة المقتبس للحميدى ، ومختصره أيضاً نور المقتبس ، وملء العَيبة ، فيما جمع بطول الغيبة ، فى الرحلة الى مكة وطيبة ، لابن رشيد الفهرى فى ست مجلدات ، والممالك والمسالك فـــى عجائب اليمن وجزيرة العـــرب وأسماء بلادها لأبى محمد الهمدانى ، ومنازل الأرض ، ذات الطول والعرض للشيـــخ علي الهروى، استوعب فيـــه ما وصل اليه فـــى سياحته ، ومناظر العوالم لحمد بـــن عمر الشهير بالعاشق ذكر فيـــه ما شاهده فـــى سياحته من الأماكن المتجددة والأمور المحدثة وغير ذلـــك ، وفيه أوهام كثيرة ، ومنها مصـــر للمصرييـــن لسليم خليل النقاش طبع بالاسكندرية عام 1302 والمقصد الوريف ، والمنزع اللطيف ، فـــى ذكر صلحاء الريف ، للشيخ عبـــد الحق الخزرجى ، ومطلع الاشراق ، فـــى الشرفاء الواردين مـــن العراق لمولاي عبد السلام القادرى ، قال والمهاد ، فـــى أسماء البلاد ، والميمون فـــى فضائل أهل اليمن لابـــن

أبى الصيف ، ونادره الزمن ، فــى تاريخ اليمن للمولى علي بن بالى ، والنبذ الزاكية ، فيما يتعلق بتاريخ أنطاكية للشيخ زين الــدين عمر بن أحمــد الشماع الحلبى ، والنجوم الزاهرة ، بتلخيص أخبار قضاة مصــر والقاهرة ، لجلال الدين يوسف بــن شاهين الحنفى سبط ابــن حجر ، والنجوم الزاهرة. فــى ملوك مصــر والقاهرة فــى مجلدات للأمير أبــى المحاسن الظاهرى ، قلت قــد طبع ، ثم قال اختصره فــى كتابه الكواكب الباهــرة ، من النجوم الزاهرة اقتداء بجماعة مــن العلماء كالذهبى مختصر تاريخ الاسلام لــه بسير النبلاء ثــم اختصره بالعبر ثــم اختصر العبر بالاشارة الى وفيات الأعيان ، ومنها النحلة النصرية ، فــى الرحلة المصرية للأستاذ البكرى ألفها سنــة اثنتين وثلاثين ومئة وألف ، وله أيضاً الرحلة العالية الدانية قطوف الكروم ، فــى الرحلة الثانية إلى بــلاد الروم ، ومنهــا النحلة الأنسية ، فــى الرحلة القدسية للجمال ابــن نباته ، ونزهة الأذهان ، فــى تاريخ أصبهان مجلــد للمجد الفيروزابادى ، ونزهة الأنام ، فــى فضائل محاسن الشام لأبــى البقاء الدمشقي ، قلت قــد طبع ، قال والنزهة السنية ، فــى أخبار الخلفاء والملوك المصرية لحسن بــن الطولونى الحنفــى ، ونزهة الغيضة ، فــى فضائل الروضة يعنى روضة مصــر لعله لابــن وصيف شاه، ونزهة القلوب فــى شرح الأراضى والممالك ، والعنصريات والأفلاك والكواكب لمحمد بــن أبى بكــر القزوينى ، وهو كتاب دل عــلى فضيلة جامعه ، ونزهة المشتاق ، فــى اختراق الآفاق للشريف محمد بــن محمد الصقــلى (1) صنفه لرجار الافرنجى صاحب صقلية ، وهو من أصحابه ورتبه عــلى الأقاليم السبعة ، وأورد فيــه أوصاف البلدان والممالك مستوفية ، وذكــر المسافات بالميل والفرسخ ، لكنه لــم يــذكر الأحوال ، وكان تأليفه لهذا الكتاب فــى منتصف المئــة السادسة ، والمعروف أنه اختصره بعضهم ، ونزهة الورى ،فــى أخبار أم القــرى للمحب ابــن النجار البغدادى ، ونشر الخزام ، فــى فضائل الشام رسالة فــى وصف الشام ، ونشق الأزهار ، فــى عجائب الأقطار لابــن إياس الحنفى ذكر فيــه أغرب ما سمعه وأعجب مارءاه مــن عجائب مصــر وأعمالها وغير ذلــك ، ونفح

---

1) نشره المعهد الجامعى الشرقى بنابولى سنة 1972 .

الطيب ، مــن غصن الأندلس الرطيب ، وذكــر وزيرها لسان الــدين ابن الخطيب فــى مجلدات أربع كبار للحافظ أحمد بــن محمد المقرى نزيــل مراكش فلت قد طبع مرات ، قال والنقط ، لمعجم ما أشكل مــن الخطط يعنى خطط مصــر للشريف محمد الجوانى نبه فيه عــلى معالم قد دثرت ، والنكت العصرية ، فــى أخبار الوزراء المصرية للفقيــه عمارة اليمنى ، قلت ومنهــا نزهة النادى ، وطرفة الحادى ، فيمن بالمغرب مــن أهل القرن الحادى لمولاي عبد السلام القادرى :ـم يكمل وقفت عــلى كراسة منه فــى القالب الكبير مــن مبيضة مؤلفه وعليه خط المسناوى ، ونفحة البشام ، فــى الرحلة الى الشام للقاياتى ، ومنها نزهة الألباب ، فــى تاريخ مصر ، وشعراء العصر، ومراسلات الأحباب ، تأليف حضرة اللوذعى الأديب والشاعر اللبيب محمد حسنــى أفندى العامرى طبــع بمطبعة الهلال بالفجالة بمصــر سنة 1314 وراجع الاعــلان بالتوبيخ ، لمن ذم التاريخ تأليف الحافظ المؤرخ الحجة شمس الديــن محمد بن عبد الرحمن السخاوى المتوفى عام 902 فقد استوفى كثيراً مــن ذلك ، وقد ألفه قبل موته بنحو خمســة أعوام ، وقد تصفحت عــلى هذا الفصل كشــف الظنون من فاتحته الى خاتمته ، ولخصت منه ماذكرته فيه على وجه الاقتضاب ، وأضفت اليه ما ليس عنده مما حضرتنى حين تقييده أسماؤه مــن التئاليف مما يندرج فــى هذا الباب ، ولم أقصد إيراد جميع ما وقفت عليه عــلى وجه الاستيعاب وربما وقع فيه تكرار ، رغبة فــى جمع الأنظار ، وربما لا أعيد فــى الحرف ما تقدم عنــد جمع الأشباه ، فلا يكون عليك فــى ذلك اشتباه ، وقــد اختصرت فيه ولم أسهب خوف السئامة والملل ، والى الله سبحانه الضراعــة فــى التوفيق الى أحسن القول والعمل ، وعدة هــذه الكتب الموردة أسماؤها فــى هذا الفصل نحو الأربعمئة والثلاثين وعدة مؤلفيها نحو المئتين والثمانين، ثــم زدت فيه بعــد هــذا ، وقــد استقصيت ما ألفه مؤرخو العرب فقط فــى التاريخ العام والخاص باللغة العربية فبلغ زيادة ألف وأربعمئة ، فلذلك قلت منبهاً على الاقتداء بمؤلفيها من الضرب الأول لعروض الطويل :

بهم أقتدى وأهتدى سالك النهجــه ... أصنف أخبارا لمراكش البهجــــه

وأحيى لما قد مات من فضل بلدة ... تسمى بأغمات حدائقها بهجــــــه

والنهجة الطريقة أي سالكاً نهجتهم وطريقتهم فـي ذلك ، والبهجـة صارت لقباً لمراكش عنـد أهلها إذا أطلقوها لا تنصرف إلا اليها ، وانما لقبت بهـا لكونها ذات منظر حسن تنشرح بها الصدور ، ولاشتمالها عـلى حدائق ذات بهجة بالنظر إليها يكمل السرور ، ولله در ابـن الخطيب اذ يقول فيها كما تقدم وقيدت طرف الناظر المفتون أدواح الشجر بهـا وغابات الزيتون ، إلى أن قال زيتها الزمن يعصر ، وخيرها يمـد ولا يقصر ، وفواكهها لاتحصى ولا تحصر ، فاذا تناصف الحر والبرد ، وتبسم الزهر وخجـل الورد ، وكسى غدرانها الحائلة الحلق السرد ، قلت أنجز للمتقين من الجنة الوعد ، وساعد السعد ، وما قلت إلا بالذى علمت سعد هـ .

وفـي النهجة مع البهجة جناس التصحيف ، وفـي اقتدى مع اهتدى الجناس اللاحق ، وفـي البهجة مع بهجة جناس التماثل عـلى حد قوله تعالى (ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة) وأحيي لما قد مات فيه اشارة الى أثر مـن ورخ مومنا فكانما أحياه ، وحدائقها بهجة أي بساتينها مـن النخل والأعناب والأشجار المحوط عليها الحيطان المحدقة بهـا ، بهجة أي ذات بهجة أي منظر حسـن ، ومراكش فى البيت الأول غيـر مصروفة للعلمية والتأنيث اعتباراً بالبقعة ، وأغمات فـي البيت الثانى مصروفة اعتباراً بالمكان فليس فيـه الا العلمية ، قال فى الفريدة :

وابن البلاد والقبيل والكلـــم ... على الذى قصدته كما رســم

وقلت فى قافية التاء من الضرب المذكور :

لمراكش فضل وبهجة رونـــق ... وأعلامها حازوا من الفضل غايـات
أدون فيهم ما يروق استماعـــه ... وأحي لما قد مات من فضل أغمات

وقلت ءاتيا بجناس التصحيف من الضرب المذكور :

لمراكش فضل وروضات جنـــات ... لأعلامها فاقصد لاذهاب إعنـــات
سأنشر جماً من مناقب فضلهـــم ... وأحي لما قد مات من فضل أغمات

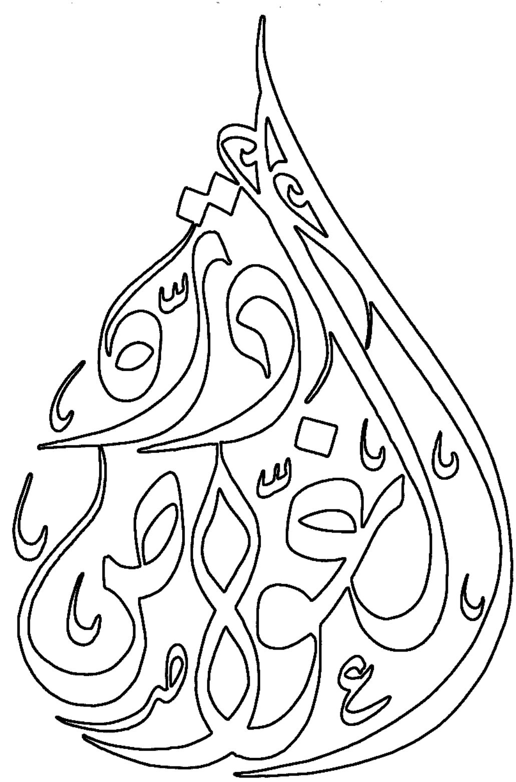
وقلت ءاتياً بالجناس الملفق ، ويقال له الجناس المتشابه لاتفاق اللفظين في الكتابة من الضرب الثاني لها :

بمراكشَ الحمرا مدارجُ سادة ... أمرغ فيها دائماً وجناتي
بجاههم أستدفع الخطب ان عرا ... وأردع كل ظالم وجنات
سأسرد ما قد راق عنهم حديثه ... وأجمع ما قد خطّ في الصفحات
وأغمات قد كانت معاهدَ سادة ... بها درجوا قدماً ذوي نفحبات
أقص عليكم من عوالي مقامهم ... مئاثر كانت منهم حسنات

وقلت أيضاً من الأول :

بمراكش الحمرا ضرائحُ سادات ... لهم في العلا والعلم أسنى المقامات
أبين فيهم من تعاظم قدره ... وأحْيي لما قد مات من فضل أغمات
وأتلو عليكم من مئاثر مجدهم ... صحيح ولايات وأبدع ءايات
أقصُ عليكم من عوالي حديثهم ... مفاخرُ تزكو في ابتدا ونهايات

وكلها شبه ارتجال ، بفضل الكبير المتعال .



الفصل الرابع

فى بيان ما يندرج من علم التاريخ فى العلوم الشرعية وما يناسب ذلك مـن فرائد الفوائد بأوضح بيان

أما العلومُ الشرعية فقد جعلها بعضهم اثني عشر ، وهي التفسير ، والحديث ، والفقه ، والتوقيت ، والفرائض ، وأصول الفقه وأصول الدين التصوف واللغة والنحو والبيان والتاريخ ، ونظمها الامام الشيخ أبو بكر بن يوسف السجتانى المراكشى فقال :

تفقهْ بتفسير الحديث مؤرخاً ... بوقت بيان الارث أصل المحجة
ولا تغفلنْ نحواً بضمن لغاتِه ... تصوف فسر من علوم الشريعة
تنل به مرقى من مراقى أفاضل ... وتحظ بنيل المجد أبلغ منية

قال وقولى أصل الحجة يتناول الأصلين أصول الفقه وأصول الدين ه وأراد ما تعلق بالدين مقصداً أو وسيلة ، وقد أغفل السيرة وهي من هذا القبيل اذ لم يدرجها فى التاريخ أو فى الحديث ، وأغفل الحساب وهو محتاج إليه والخطب سهل وكل ما يحتاج اليه من التاريخ فى شيء من أمور الشرع كتاريخ سكة معلومة أو مكيال معلوم أو مسجد عتيق أو التقاء فلان من الرواه بفلان أو مكان التقائه أو كون فلان من المتقدمين أو المتأخرين أو من الصحابة أو غير ذلك فهو داخل فى العلوم الشرعية ، قاله الامام اليوسى فى القانون والفهرسة ، وراجع نشر المثانى ، وجعله الامام السخاوى فناً من فنون الحديث النبوى ، راجع كتابه الاعلان بالتوبيخ ، لمن ذم التاريخ .

واما علم التاريخ فهو معرفة أحوال الطوائف وبلدانهم ورسومهم وعاداتهم وصنائع أشخاصهم وأنسابهم ووفياتهم الى غير ذلك ، وموضوعه أحوال الاشخاص الماضية من الأنبياء والعلماء والحكماء والملوك والشعراء

وغيرهم ، والغرض منـه الوقوف عـلى الأحوال ، وفائدته العبرة بتلك الأحوال والتنصح بهـا وحصول ملكة التجارب بالوقوف عـلى تقلبات الزمان ليحتـرز عـن أمثال ما نقل مـن المضار ويستجلب نظائرها مـن المنافع ، وقد ذكـر فـى صبح الأعشى أن الكاتب يحتاج الى النظر فـى كتب التاريخ والمعرفـة بالأحوال راجع 411 مـن ج 1 منه ، ويشترط فـى المؤرخ أن يكون عدلا وأن يعتمد إذا نقـل اللفظ والمعنى ، وأن لا يـكون ذلك النقل الذى أخذه فـى المذاكرات وكتبه بعد ذلك ، وأن يكون عارفاً بحال مـن يترجمه علما ودينا وغيرهما عارفا بمدلولات الألفاظ حسن التصور حتى يتصور فى حال ترجمته جميع حال ذلك الشخص ويعبر عنه بعبارة لا تزيد عنه ولا تنقص وأن لا يكون بينه وبين مـن يترجمه مـن الصداقة ما قد يحمله عـلى التعصب له والاطناب فـى مدحه ولا مـن العداوة ما قد يحمله عـلى الغض منه والتقصير فـى حقه لغلبة الهوى عليه ، وربما كـان الباعث له عـلى الغض مـن أقوام مخالفة العقيـدة واعتقاد أنهم عـلى ضلال فيقع فيهم أو يقصر فـى الثناء عليهم ، كذلك قـال السبكى وكثيراً ما يتفق هـذا لشيخنا الذهبى فـى حق الأشاعرة والذهبـى أستاذنا ، والحق أحق أن يتبع ، لا يحل لمومـن يؤمن بالله واليوم الآخـر أن يعتمد عليه فى الضعة من الأشاعرة ، ثم قال ومن ذلك فقهاء عصر واحد فلا ينبغى سماعُ كلام بعضهم فـى بعض ، وقد عقد ابـن عبد البر باباً فـى أن كلام بعضهم فـى بعض لا يقبل وان كـان كل منهم بمفرده ثقة حجة ، ومنهم مَن تأخذه فى الفروع الحمية لبعض المذاهب ويركب الصعب والذلول وهذا مـن سوء أخلاقهم هـ .

وراجع كتاب مفيد النعم ومبيد النقم ، وراجع مقدمة سلسلة الذهب المنقود ، فـى ذكر أعلام من الأسلاف والجدود ، وراجع طالعة نزهة النادى ، وطرفة الحادى ، ممن بالمغرب مـن أهل القرن الحادى لسيدى عبد السـلام القادرى ، وراجع ءاخر كتاب الأذكار للامام النووى ، ورياض الصالحين لـه ، وراجع شراح الصحيحَيْن عند حديث حجة الوداع فـى خطبته صـلى الله عليه وسلم يوم النحر إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام الحديث ، قال سيدى أحمد ابن القاضى صاحب الجذوة :

ألا ان اغتيابَ الناس ظلـــــــمٌ عظيم الجرم من أردا المناكـــــر
تجنبْ غيبة إلا حروفــــــــا ببيت جاء عن بعض الأكابـــــر
تظلمْ واستغثْ واستفتِ حـــذر وعرف بدعة فسق المجاهـــــر

وقدشرحها سيدى محمد بن أحمد المسناوى . والبيــت الثــالث للحافظ ابن حجر ، وسياتى ما يتعلق بالكلام على ثبوت النسب الشريف فى ترجمة مفتى مراكش سيدى الحسن ابن علي المدعو وللو .

وعبــارة كتــابنا هــذا سهلــة واضحة لا تعقيد فيهــا يتأتــى فهمْها من كــل أحــد على اختــلاف طبقات الــناس ، ففيــه من الألفــاظ مــا يفهمه العامة ولا تنبو عنه الخاصة ، فكــل قارىء يطالع فيه ما يلــذ له ويفيده ، وقــد سلكنا فيــه الطريقتين فــى التصنيف ، الطريقة الأولــى طريقة السبك فى جمع المنقول ثم بسطها بأوجز عبارة والطف إشارة ، وهي وإن كانت أتعب وأشق ، أدق نظراً وأحق ، الطريقة الثانية طريقة التناسب أي ترتيب ما يراد من النقول بعينها ونظمها فى سلك أساليب المطالب المرادة بزيادة شيء عليها أو نقصه منها إما بعزو أو دونه على ما هو المعهود فى ذلك ، وسيأتى الكلام على ذلك فى ترجمة أحمد ابن البناء ، وترجمة القاضى عياض ان شاء الله وقد تكلم على المسألة أيضاً فى البدور السافرة للامام سيدى محمد بن علي السنوسى فى ترجمة شيخه سيدى بمحمد بن الكندوز المستغانمى ، وبعبارة أخرى للمؤرخين طريقتان فى التصنيف الأولى المحافظة على كلام من تقدمه بنقله بنصه ، والثانية أن لا يعتبر من نصوص من قبله الا المعنى الذى يسبك قالبه ليكون كلامه نمطاً واحداً . والأولى أسلم من الخطأ وأبعد من الزلل ، وقال الحافظ أبو شامة المقدسى الشافعى فى كتاب الروضتين فــى أخبار الدولتين فى أول ورقة منه قال مصعب الزبيرى ما رأيت أحدا أعلم بأيام الناس من الشافعى ، ويروى عنه انه أقام على تعلم أيام الناس والأدب عشريــن سنة ، وقال ما أردت بذلك الا الاستعانة عــلى الفقه ، قلت وذلــك عظيم الفائدة ، جليل العائدة . وفــى كتاب الله وسنــة رسوله صــلى الله عليه مــن أخبار الامــم السالفــة وأبناء القــرون الخالفة ما فيــه عبرة لــذوى

البصائر ، واستعداد ليوم تبلى السرائر ، ونقله البدر القرافى فـى التوشيح عـن السيوطى فـى أول كتابه أعيان الاعيان مختصراً وقـال الحافظ الحجـة يوسف بـن عبد البر معرفة أعمار العلماء والوقوف عـلى وفياتهم من علم خاصة أهل العلم وأنه لا ينبغى لمن وسم نفسه بالعلم جهل ذلك وانه ممـا يلزمه مـن العلم العناية به والقيام بحفظه، أنظر (الاستذكار) له و(سنن المهتدين)للمواق وغيرهما واحفظ ذلك واجر عـلى مقتضاه ومولانا سبحانه يؤيدنا واياك فـى سبيل هداه ، وقـال الوليُّ العراقى فـى شرح سنن أبى داود قـد وقع الاستدلال بالتاريخ فـى كتاب الله تعالى (يا أهل الكتاب لمَ تحاجُون فـى إبراهيم) الآية ، وقد حكم أبو بكر البغدادى الحافظ بتزوير الكتاب الـذى أدلى به اليهود عـلى سقوط الجزية عـن أهل خيبر بذكر شهادة معاوية فيـه وهو انمـا أسلم عام الفتح وفتح خيبر كـان سنة سبع وشهادة سعد بـن معاذ وهو قد مات يوم بنى قريظة قبل فتح خيبر وقد قال سفيان الثورى لمـا استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ ولهذا أشار الحافظ العراقى :

ووضعوا التاريخ لما كذبـــا ذووه حتى بان لما حسبـــا

وقولنا فى تعريف التاريخ وأنسابهم اعلم أن علم الأنساب علم يتعرف منه أنساب الناس وقواعده الكلية والجزءية ، والغرض منـه الاحتراز عـن الخطأ فـى نسب شخص ، وهـو علم عظيم النفع جليل القدر أشار الكتاب العظيم فى (وجعلنكم شعوبا وقبائل لتعارفوا) الى تفهمه ، وحثَّ الرسـول الكريم فى تعلموا أنسابكم تصلوا أرحامكم الى تعلمه والعرب قد اعتنت فى ضبط نسبها الى ان كثر أهل الاسلام واختلطت أنسابهم بالأعجام فتعـذر ضبطه بالآباء فانتسب كل مجهول النسب الى بلده أو حرفته أو نوع ذلك حتى غلب هذا النوع ، وقد صنفوا فيه كتباً كثيرة قاله فى الكشف وأطـال الامام عـلى بن أحمـد ابن حزم فـى أول جمهرته فـى الاحتجاج عـلى شرف علم الانساب وأبطل حديث علم النسب علم لا ينفع وجهالة لا تضر وكذلك قال فيه الحافظ لا يثبت ولا يثبت عن عمر أيضا ، وقد رد ابن جرير على من زعم انه علم لاينفع وجهالة لا تضر وكيف والدين منوط بعلمه، وأطال أبو القاسم

الزيانى فى أول جمهرة التيجان فى الاحتجاج على شرف علم الانساب وروى البيهقى عن أبى هريرة رضى الله عنه حديث تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم ثم انتهوا،وتعلموا من العربية ما تعرفون به كتاب الله، ثم انتهوا،وتعلموا من النجوم ما تهتدون به فى ظلمات البر والبحر وورد فى حديث عن ابـن عباس رضى الله عنهما أخرجه عنه الديلمى ان العرب تطلق العلامة على أعلم الناس بانساب العرب وبالشعر وبما اختلف فيه العرب راجع 55 من ج 4 من منتخب كنز العمال .

(تنبيـه)

قال الصلاح الصفدى فى أول تاريخه يبدأ فى التراجم باللقب ثم بالاسم ثم بالنسبة الى البلد ثم الى الأصل ثم الى المذهب فى الفروع ثم الى المذهب فى الاعتقاد ، ثم الى العلـم والصناعة والخلافة والسلطنة والوزارة والقضاء والامرة والشيخة كلها تقدم على الجميع قال القرافى بعد نقله بواسطة العلامة السيوطى ما نصه والبداءة باللقب ثم بالكنية ثم الاسم على خلاف ما عليه أيمة العربية وعلى خلاف ما رأيته فى الكتب التى اعتمدت على النقل منها فى هذا الكتاب ولا خلاف فى فضل أصحابها ». وراجع طالعة نيل الابتهاج .

(فريـدة)

ذهب صاحب الاحاطة الى أن الانسان إذا دخل بلدة ولو ساعة من نهار فانه ينسب اليها ، وقال الشيخ زكرياء فى ءاخر ورقة من فتح الباقى ولا حد للاقامة المسوغة للنسبة بزمن وان حده بعضهم بأربع سنين قـال محشيه سيدى علي العدوى عن بعض حواشي النخبة ان مجرد الدخول ولو على سبيل التجارة أو الزيارة مسوغ لذلك ، ونقله فى السيف الربانى ، فى عنق المعترض على الغوث الجيلانى ، وقال ابن حزم إن جميع المؤرخين من أيمتنا السالفين والباقين دون محاشاة أحد بل تيقنا اجماعهم على ذلك متفقون على أن ينسبوا الرجل الى مكان هجرته التى استقر بها ولم يرحل عنها رحيل ترك لسكناها الى ان مات ، فان ذكروا الكوفيين من الصحابة صدروا بعلي وابـن مسعود وحذيفة ، وإنما سكن علي الكوفة أربعة أعوام وأشهراً أو نحوها ، وقد

بقي 58 عاما وأشهرا بمكة والمدينة وان ذكروا البصريين بدءوا بعمران بن الحصين وأنس بن مالك وهشام بن عامر وأبي بكرة وهؤلاء مواليدهم وعامة زمن أكثرهم وأكثر مقامهم بالحجاز وتهامة والطائف وجمهور أعمارهم خلت هناك وان ذكروا الشاميين نوهوا بعبادة بن الصامت وأبي الدرداء وأبي عبيدة بن الجراح ومعاذ ، ومعاوية . والأمر في هؤلاء كالأمر فيمن قبلهم ، وكذلك في المصريين عمْر بن العاص وخارجة بن حذافة العدوي ، وفي المكيين عبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير ، والحكم في هؤلاء كالحكم فيمن خصصنا فيمن سافر الينا من سائر البلاد ، فنحن أحق به وهو منا بحكم جميع أولى الأمر منا الذين اجماعهم فرض اتباعه وخلافه محرم اقترافه ، ومن هاجر منا الى غيرنا فلا حظّ لنا فيه ، والمكانُ الذي اختاره أسعد به هـ .

ثم اعلم أن الامام ابن حجر العسقلاني يذكر في تاريخه (إنباء الغمر) كل حادثة كيف كانت قبيحة أو حسنة، وفي الاعيان يذكر كل أحد كانت له خصلة من الخصال ولو امارة عشرة أو تدريس الفية أو انشاء بيت من النظم أو حصولا على ثروة وغير ذلك ، ويحلي كل واحد بما فيه مصرحا ومكنيا حسناً أو قبيحا كرشوة القضاة واعطائهم الدراهم على توليتهم وتهافتهم على طلب الولاية وغير ذلك وقد أرخ حتى وفاة أولاده وأولادهم ومواليدهم وان لم يكن لبعضهم شيء ، فما بالُ مغاربتنا لا ينحون هذا المنحى وانما يقتصرون على من سارت بمئاثره الركبان ، ولا يذكرون كل أحد ، وإنما ذلك من ترفعهم وحصر الفضيلة في مشاهيرهم ورؤسائهم ما هكذا الانصاف فرحم الله المشارقة ووفق أهل مغربنا للاقتداء بهذه الطريقة . وقد سلك نحوها أحمد ابن القاضي في (درة الحجال) في ذكر كل من له خصلة من أهل عصره ولو سطر أو سطرين فأعلى ، جزاه الله على نيته خيراً ، بل الحافظ ابن حجرْ ترجم في تاريخه لبعض القينات ولو ذكر هذا لأهل قطرنا لألبوا على فاعله ونسبوه لكن قبيح وكذلك الحافظ السيوطي في بغية الوعاة ربما عرف بمن لا يعرف الا الالفية ، وقد نحا السيد مرتضى هذا المنحى في معجمه فذكر كل أحد لقيه أو كتب عنه أو سمع منه أو ناله منه فضل ولو تاجراً ، فاعلم ذلك والله الموفق وماذاك الا لاتساع المشارقة في المعارف دوننا ، وقد تقدم التنبيه على تقصير المغاربة في التاريخ في أوائل هذه المقدمة .

(فريدة ثانية)

إعلم أن بلاد المصامدة ومن أرضها مراكش قد اتفق عـلى انها انمـا أسلم عليها أهلها وليس فيها صلح ولا عنوة ، فقد نقل الفقيه القاضى السيـد عمر الرندى فـى نوازله بخط العلامة سيـدى محمد بـن الحسن بنانى محشى الزرقانى عـن الونشريسى عـن ابـن مرزوق ما نصه : واما بـلاد المصـامدة وأرض مراكش ، فقال ابن عبد الحكم اتفق أشياخ بلـدنا مـن أهل العلـم انمـا أسلم عليها أربابها وليس فيـه صلح ولا عنوة هـ معلمة هـذه الفتوى بعلامة القاضى سيـدى العربى بردلة ، وتبعه سيدى محمد بـن عبد القادر الفاسى قائلا ، ومن جملة المحكى بـلاد المصامدة انما اسلم أهلها وذلك هـو الموافـق لحكاية المشهور عـلى سيـدى أبى جيدة ، وقد ذكروا أن أرض المصامدة ومساكنهم فـى الأغلب هـي ما بين واد ملوية مـن جهة الشرق الى آسفى وجبال درن مـن جهة المغرب هـ . وراجع شرح المغارسة عند قولـه ومغارسة أرض العنوة لا الحبس ولابد وما نقله الشيـخ بنانى عن الونشريسى عـن ابن مرزوق هو كذلك صحيح عنه ، فقد نقله الونشريسى فـى ءاخـر نـوازل الضرر قبيل نوازل الوديعة والعارية ، فراجعه فى صحيفة 49 مـن ج 9 من المعيار ، وراجع 96 مـن الجزء 6 منه ، وراجع درر المازونى فى ترجمة مسائل الأرضين كـراء ومواتا وإقطاعا ، وقد أشبعنا الـكلام على المسألـة فـى تاليفنا المسمى بـ (الامتاع بأحكام الاقطاع) ، فراجعه تستفد .

وذكر فـى درة الحجال فـى ترجمة صالح بـن عبد الحليم أبـى علي الأيلانى أن القبائل التى تسمى المصامدة حاحة ورجراجة ووريكة ، وهزميرة ، وكدميوة ، وكنفيسة ، ودكالة ، وهنتاتة ، وبـنو ماغوس ، وبلادهم أكثرهـا متصلة غير منفصلة ، وهم بجبل درن وحوله ببلاد السوس ، وكان منهم ملوك قبل الاسلام وبعده ، والملك لله وحده هـ .

وذكر ابـن خلدون أن قبائل المصامدة هرغة ، وهنتاتة ، وتنمـل ، وكـدميوة ، ووريكة ، وهزميرة ، ودكـالة ، وحاحة ، ووزكيتة ، ونفيسة ، وبنو ماكر ، وهيلانـة ، ومسفيوة ، وماغوس ، ودغوغـة ، وسكساوة ، راجـع

224 من ج 6 وقال فى 266 منه إن القبائل التى سبقت لدعوة الموحدين قبل فتح مراكش ثمان قبائل ، سبعة من المصامدة هرغة ، وهنتاتة ، وتيمنل ، وكنفيسة ، وهزرجة ، وكدميوة ، ووريكة ، وثامنة قبائل الموحدين كومية ، ثم تكلم عليها قبيلة بعد أخرى ، وقال فى 275 منه ما نصه : قد قدمنا أن قبائل المصامدة بجبل درن وما حوله كثيرة مثل هنتاتة ، وتيمنل ، وهرغة ، وكنفيسة ، وسكسيوة ، وكدميوة ، وهزرجة ، ووريكة ، وهزميرة ، ورجراجة ، وحاحة ، وجلاوة ، وغيرهم ممن لا يحصى هـ .

وقضاة الجماعة بمدينة مراكش هم الذين يولون نواباً عنهم فى بواديها ، فمنها قبيلة الرحامنة ، والسراغنة ، وزمران ، وهنتيفة ، وفطواكة ، وغجدامة ، وتكانة ، ومسفيوة ، ووريكة ، وغيغاية ، وسكتانة ، وأكركور ، وواد نفيس ، وحكومة واد سوس رأس الواد ، وكدميوة ، ومزوضة ، ومجاط ، وأولاد مطاع ، وأولاد يعلي ، وفروكة ، وأولاد أبى السباع ، ومتوكة ، ونفيفة، ودمسيرة ، وءايت يمور ، وأحمر ، وتكنة ، وأولاد دليم، وذوبلال، والمنابهة، وحربيل ، وتمصلوحت ، والودايا ، وءاسفي ، وعبدة ، هكذا كان الأمر فى القديم ، ثم صار الآن قضاة مراكش ليس لهم فى باديتها الا استيناف أحكام قضاتها .

ثم اعلم أن البربر ومنهم قبائل رحل كانوا قبل الاسلام من الهمجية والجهالة على جانب عظيم ، وكانوا أصحاب أوثان يعتصمون بالجبال ويتفاضون الى الكهان ، يكرهون المدنية وأهلها ، وقد قاسى اليونان والرومان من غزوهم ونهبهم عذاباً شديداً ، ولم يكن لهم شغل غير ذلك ، ولقي العرب أيام الفتح مشقة كبرى فى إخضاعهم ، فلما خضعوا واعتنقوا الاسلام تجندوا للخلفاء والأمراء ، وافتتحوا البلاد ولا سيما فى الغرب ، فاكتسحوا الأندلس بقيادة طارق بن زياد ، وكانوا عوناً كبيراً فى قيام دولة الأدارسة والدولة المروانية والدولة العُبيدية ، وأنشأوا دولة الملثمين المرابطين والموحدين المصامدة وءال زيرى وغيرهم ممن لا يحصى ، وقد جندوا الجنود وبنوا المعاقل وأخذوا بأسباب المدنية ، ولا وسيلة لمعرفة أخبارهم إلا بالاسلام ، وقد وقفت على تاريخ افريقية والمغرب قبل الاسلام

اشتمل عـلى بابين الباب الأول فـى ذكر الأمم التى كانت مستقرة بالمغـرب قبـل بعث سيدنا عيسى عليه السلام ، وكيفية انتشاء مملكـة القرطاجنيين بـه وما وقع فـى أيامهم إلى انقضاء دولتهم واستيلاء الرومانيين عليـه ، الباب الثانى فـى ذكر استيلاء الرومان عـلى المغرب وكيفية استيلاء الفانـدال عليه إلى انقراض دولتهم واخلافها بالدولة القسطنطينية إلى حلول العرب ، وقدم مقدمـة بين فيها أنـه لم يتعرض لأيام العـرب استغناء بما فى تاريخ ابـن خلدون والقيروانى وغيرهما ممـن اعتنى بذلك ، وذكـر في الباب الأول أن البربر كانوا يعرفون بالليبيان قبـل مبعث سيدنا عيسى عليه السـلام باثنتي عشـرة مئة ، وكانت حائزة للوطن الـذى يحده شرقاً الحدود الغربية مـن أرض مصر وجوفاً البحر الـرومى وغرباً البحر المحيط الغـربى وقبلة أرض السـودان المعروفة سابقـاً بالايثيوبى ، وكانت الليبيان الغربية مشهـورة بالجيطـول يعنى الجزولة مفترقين عـلى ثلاث فرق النوميد كانوا محتليـن وطـن الجزائر وقسنطينة ووهـران دون الصحراء ، ثـم المور وهم أهـل المغرب الأقصى احتلوا الوطن المسمى الموريتانى ، وسكـان الصحراء وهـم الجيطول ، لأن أرضهم كانت تسمى الجيطولى ، وهذا الكتـاب فى نحو كراس ونصف مـن القالب الرباعى فراجعـه ، وراجع (الـرحلة اليابانية) لعـي ابن أحمد الجرجاوى فقد تكلم عـلى ذلك ملخصاً ، وذكر أن البربر فى القرن الثانى بعـد المسيح اندمجوا مع الرومانيين فتعلموا لغتهـم واختلطوا بهم اختلاطاً حتى ءال الأمر الى تولية أحد كبار البـربر امبراطوراً عـلى قرطاجنة وهـو الأمبراطور سواريوس فـى أواخر القرن الثانى بعد المسيح ، وذكـر أن أفريقيـة كانت أولا للبربر ، وكانوا قبائـل وشعوباً ثم لدولة قرطـاجنة الفنيقية ثـم دخلت ضمن مستعمرات الرومان ثـم دخلت فى ملك الونـدال وصارت مملكة وراثية حكم الوندال من سنة 429 بعد المسيح الى سنة 533 وكـان العرب يسمون الرومانيين أهـل المملكة الشرقية بالروم ، فلما جـاء الفتح الاسلامى أخذ العرب كـل ما فى أيدى الروم مـن بلاد الشام ومصر إلا القسطنطينية فلم توخذ إلا فـى عهد السلطان محمد الفاتح سنة 1456 بـعد المسيح ، ولمـا توالت السنون كـان العنصر العربى فـى افريقية هو الحال محل الفنيقيين والرومان والوندال ، ولم يزل إلى الآن الا اسبانية فانها بعـد

أن مكثت نحو الأربعة قرون فى يد العرب عادت الى حكم الافرنج ولم تزل الى الآن هـ وصوابه نحو الثمانية قرون ، ولله در مَن قال :

اذا ماروى الانسان أخبار من مضى ... فتحسبه قد عاش من أول الدهر
وتحسبه قد عاش ءاخر دهره ... إلى الحشر انْ أبقى الجميل من الذكر
فقد عاش كل الدهر مَن عاش عالما ... كريماً حليماً فاغتنم أطول العمر

وراجع خاتمة بغية الوعاة وديباجة شرح القاموس وأول الشرب المحتضر وصحيفة 145 من ج 3 من الاستقصا .

ثم اعلم أن أنساب البربر مع تشعب قبائلهم وكثرتها يرجعون بأنسابهم الى أصول ثلاثة صنهاجة وكتامة وزناتة ، واختلف المؤرخون فى منشأهم وذهبوا فى ذلك مذاهب شتى ، وأورد كل فريق حججه ، ولكن الرأي االأخير الراجح هو ما أثبته المؤرخ الأميركي جمس هنرى بريستيد من أنهم عرب ساميون هبطوا المغرب عن طريق مصر من زمن سحيق فى التاريخ، وسياتى بسط ذلك فى ترجمة سيدى أحمد بن العريف الصنهاجى أول المقصد .

(فريدة ثالثة)

كما أن علوم الشرع اثنا عشر كذلك علوم الأدب وقد تقدم عدُّ بعضها فى علوم الشرع صحيفة 134 وهي المجموعة فى قول بعضهم :

صرف بيان معان النحو قافية ... شعر عروض اشتقاق الخط انشاء
محاضرات وثانى عشرها لغة ... تلك العلوم لها الآداب أسماء

وقد قرأت بحمد الله العربية نحواً وتصريفاً وعلم أسرارها بياناً ومعاني ولواحقَها من علم البديع ، وقرأتُ علم المنطق وعلم الكلام وعلم الأصول وعلم الفقه وعلم التفسير وعلم الحديث دراية ، وعلم التوقيت فى الربع المجيب والأسطرلاب وأغريتم ، وقرأتُ علم العروض وعلم الحساب والفرائض ، وأجاب شيخُنا الفقيه العلامة المحدث التقي النقي الورع شيخ الجماعة بمراكش ورنيس قلم فتواها ومدرسها منذ نصف قرن النفاعة البركة

المؤلف النـاظم الناثر المؤرخ لسان الفصاحة والبراعة الـذى ليس له همة إلا فى نشر العلم وتدريسه الشريف سيدى محمد بـن إبراهيم السباعـى المراكشى أدام الله عزه فـى طاعته ورضاه وزيرَ الحضرة الشريفة أعزهـا الله إد ذاك لما سأله عن استحقاقى للمرتبة الأولى بما نصه بعد الافتتاح : فقـد جاءنى كتابكم مستفهماً عـن الأمر الشريـف أدام الله توفيقه وتأييده هـل يستحق الفقيه الأنجب السيد العبـاس بن إبراهيم المراكشى المنتظـم الآن فـى سلك الديوان الشريف الانتظام فى المرتبة الأولى مـن مراتب العلماء قـائلا لكونها مرتبـة القضاة ، فاعلـم حفظك الله أن المرتبـة الأولى إنمـا جعلت لأنجب العلمـاء وتفاوتهم فـى الفهم والتحصيل وأما القضاة إنمـا جعلت لهـم تعظيماً للخطة لا للعلو فـى العلم ، والذى أتقلده أن الطـالب العباس المذكور لأنجب وأحسن فهماً وتحصيلا مـن جميع من أعلم بمراكش انه فـى المرتبة الأولى وأكثرهم استحقاقاً لها من حيث حسن الفهم والادراك والتحصيل وعيـن الجواد فراره وقديماً أنكر سيدنا نصره الله علينـا فى خلافته الصغرى قبل الكبرى دخول مـن لايستحقها فيها ، وإنه لحق ، فقد رفع بـها كثير ممن لايستحق السفلى فضلا عـن العليا واختلط الزبد بـالزبد واتسع الخـرق على الراقع ، ولم يزل الرجاء مـن سيدنا نصره الله التنبه لذلك حتى يوقعه موقعه، وعلى المحبة والدعاء بصالح الحال والمثال فى 4 رجب عام 1326 محمد بن إبراهيم السباعى وفقه الله هـ .

ورأيت فـى (كنز الجوهر ، فى تاريخ الازهر) أن الممتحن إذا أجاب فـى كل فن كتب من الدرجة الأولى ، وإذا أجاب فـى أكثر الفنون كتب مـن الدرجة الثانية ، وإذا أجاب فـى الأقل كتب من الدرجة الثالثة هـ .

والمراد بـكل فن أحد عشر علماً من العلوم المتداولة بالأزهر ،وهي الحديث والتفسير والأصول والتوحيـد والفقه والنحو والصرف والمعانـى والبيان والبديع والمنطق ، ويعين له من كل فن درس ، ويعطى ميعاداً يطالع فيـه لكل فن يوماً ثم يعقد له مجلـس لسؤاله عـن تلك الدروس المعينة له كـما تقدم له التنبيه عليه . ولما اطلع عـلى جواب شيخنا المذكور سيدنـا الامام أمضى الجواب المذكور وأتحفنى بظهائره الشريفة الثلاثة بذلـك ، نص

الأول والطابـع الشريف بين حمدلته وصلاته بداخله عبد الحفيظ بن الحسن الله وليه ومولاه :

نـأمر الفقهـاء القضاة بمـراكش أن ينقلوا الفقيـه السيد عبـاس بـن إبراهيم المراكشي الى المرتبة الأولى العلمية لاثبات وصفهـا له بالموجب الـدى أدلى به لحضرتنا الشريفة ويشدوا لـه العضد فى تنفيذ ما ينعم بـه على أهلها مـن العوائد المقررة لهم ويردوا له كتابنا الشريف بـعد قراءته يتمسك بـه والسلام فى 23 رجب الفرد الحرام عام 1326 والثانـي والثالث بمعنى الأول كما أتحفنا أيده الله فـي رجب المذكور بظهير إعزاز واكـرام ، وتبجيـل واعظام ، نصه والطابع الشريف بيـن حمدلته وصلاته بداخله عبد الحفيظ بـن الحسن بن محمد الله وليه ومولاه وبدائرته (فالله خير حفظا وهـو أرحم الراحمين) ياقوي يامعين ، يعلـم من كتابنا هذا أسمى الله قدره ، وجعل فـي الصالحات طيه ونشره ، أننا بحول الله وقوته ، وشامل يمينه ومنتـه ، أسدلنا على ماسكه كاتبنا الفقيه السيد عباس بـن إبراهيم المراكشي وعـلى والـده المسن المذكور وأخيه الطالب محمـد أدرية التوقير والاحتـرام ، وحملناهم عـلى كاهل المبرة والاكرام ، والرعي الجميل المستدام والمحاشاة عـن زمرة العوام ، فلا يسامون بمكـروه ، ولا تلحقهم يد عادية بوجه مـن الوجوه ، رعاية لانحياشهم لجانبنا العالى بالله . فنأمر الواقف عليه مـن عمالنا وولاة أمـرنا أن يعمل بمقتضاه ، ويقف عند حده ومنتهاه ، والسـلام صدر به أمرنا المعتز بالله فـي 20 رجب الفرد الحـرام عام 1326 .

ولله در العلامة سيدى أحمـد بن الحاج حيث شـرح ظهيراً شريفـاً خاطبه فيـه والد سيدنا الامام المقدس وقـد شرحه له العلامة سيدى محمـد ابن جعفر الكتانى ، وقد وقفت على الشرحيْن المذكورين والأول مطول والثانى مختصـر .

وقد ترجمنا جماعة مـن أشياخنا رضى الله عنهم فـي هذا التاريـخ اقتداء بما قالـه سيدى عبد الرحمن الثعالبى ءاخر شرحه عـلى مختصر ابـن الحاجب ونصه : وينبغى لمن ألف أن يعرف بزمانه وبمـن لقيه من الأشياخ ليكون مـن يقف على تآليفه على بصيرة مـن أمره وقد قل الاعتناء بهذا المعنى فى هذا الزمان وكـم من فاضل انتشرت منـه فضائل جهل حالـه بعد موته

لعــدم الاعتناء بهذا الشان ، ولما تكلم ابن عطية عــلى قوله تعالى (أم حسبت ان أصحاب الكهف والرقيم) الآية قال قيل الرقيــم لوح كتبوا فيه قصة أهــل الكهف، ثم قال ابن عطية ويظهر أنهم كانوا قوماً يؤرخون الحوادث، وذلك من قبــل المملكة وهو أمر مفيد هـ نقله صاحب طبقات المالكية فى ترجمته ، وقال الامام السخاوى فى (الاعلان بالتوبيخ) عند ذكر المدن وشأن العلم بها ما نصه :

وأما بجاية وتلمسان وفاس ومراكش وغالب مـدن المغرب فالحديث بهـا قليل وبها المسائل قلت وكلهم مقلدون لمالك رحمه الله وطائفة ظاهريون وفيه بقيه من علم هـ وقال فــى (استنزال السكينة لتحديث أهل المدينة) عبــد الرحمن الفاسى الــذى أجاز به للشيخ إبراهيــم الشهرزورى ولأولاده وأسند لــهواحداً وأربعين حديثاً وهي فى نحو كراس ونصف مــن القالب الكبير مــا نصه : إذ العلم كما قيل اذا صح الدليل أو توجه التأويل ولــد بمكة وربي بالمدينة ودق بمصر وغــربل بالاندلس وعجن بمــراكش وأكل بفاس وهذا القول وان كــان غيرَ مستند لأصول ولا معتضــداً بدليل يعيــن صحة المدلول ، فلــه وجه من التأويل فــى الجملة وظهور فى الخارج يلحــق بنوع مــن الأول ، وبالجملة فالبلاد المذكورة ينابيع العلم ، ومحط أربابه لــه ومناخ التوسع فــى حمل أحكام الله وكتابه ، وقــد ورد فى الكل ءاثار وتعدد الظفر بــه والاقامة من جلة أخيار مــن سائر الاقطار هـ منــه بلفظه .

وهذا ءاخر ما أردنــا إيراده فى هذه المقدمة التى سميناها (الطالعة الزهراء ، فــى فضائل أغمات ومراكش الحمراء ، وما يناسب ذلك من فرائــد الفوائد الغراء) وفسر فــى الأساس الطالعة بالأول ، وعلى الله عز وجل فــى كل الأمور المعول ، نسأله سبحانه أن يحسن منــا الأحوال ، وان يصلح نيتنا فــى سنن الاقوال والافعال ، وأن يعيننا على ما إليه قصدنا من تراجم الرجال ، لا رب غيــره ولا معبود سواه يرجى لاجابة السؤال ، وأن يختم لنا بخير فــى المئــال .

تمت المقدمة بحمد الله تعالى وحسن عونه فى 18 رمضان عام 1329 ثم بعد ذلك حذفت منها أشياء وأضفت اليها زيادات مناسبة والحمد لله وكفــى وسلام على عباده الذين اصطفى .

تراجم الكتاب

حرف الألف

1) **إبراهيم بن يوسف بن تاشفين بن ابراهيم بن ترقوت بن ورينّطن بن منصور الصنهاجي ثم اللمتوني** الأمير ، ويعرف بابن تاعيشت (1) اسم أمه ، ولي مرسية لأخيه علي بن يوسف أمير المغرب ، وكان عليها قبله أبو عبد الله المعروف بابن عائشة ، ولاه أبوهما يوسف بن تاشفين لأول ما تملكها ، ولم يول فى قواده مثله بأساً وجداً فى نصرة الدين واستبصاراً فى أداء الطاعة، وله على الروم وقائع جمة، وهو الذى استفتح حصن لييط (2) الشهير المنعة إلى أن اعتل بصره فى صدره عن غزوة برشلونة وهي التى استشهد فيها ابو عبد الله ابن الحاج وتسمى وقعة البورت وذلك سنة 508 ثم لم يلبث أن عمي وبطل نظره ، فاستدعاه علي بن يوسف وعوض منه بأخيه ابراهيم هذا ، وفى ذلك يقول أبو جعفر بن وضاح من قصيدة أولها :

تقعد النائبات حين تقوم	لا يرد العظيم إلا العظيم
عمرت بالسرور أكناف تدمير	وولّت عن ساحتيها الهموم
مطلتها الأيام حتى تلقّا	ها بما أمّلتْه يوم كريم
طالعتها القنا وجُرد المذاكي	والعلى والأمير إبراهيم

وفى إمارته عليها سمع بها من أبى علي الصدفى ، قال فى معجم أصحابه ابن الأبار حدثت عن أبى بكر ابن أبى ليلى وهو كان كاتبه قال كتب

1) تاعيشت بربرية عائشة العربية ، وهو اسم أمه زوجة يوسف بن تاشفين عرف بها .

2) هو الذى يسمى Aledo بالاسبانية ، ويقع الى الشمال الغربى من مرسى قرطاجنة .

يوما عند القاضى أبى علي الصدفى إذ جاء وزير ابـن تاشفين يعنى هـذا ، فقال إن الأمير إبراهيم يريد أن يسمع عليك الحديث ، يعرض لـه بالمشْي إليه ، فقال لـه لهذا جلست ، فكرر ذلك عليه فأجابه بمثله ، ثـم رغب إليه بعد أن تكون لـه منه دولة (1) فـى منزله ، فأسعفه عـلى أن يصل بعد الفراغ من إسماع أصحابه والقيام مـن مجلسه ، ولـم يلبث أن انتقل إلى إمـارة إشبيلية ، واستصحب أبابكر المذكور فشفع لـه أبو علي فى رد أملاك أبى محمد بـن العربى المعتقلة على ابنه القاضى أبى بكر ، ورسم لابن أبى ليلى وعلى يديه استكتب أن يذكر بها ، فتمّ ذلك لما استقر هنالك ، وما وقفت لـه على خبر بعد نكبته فـى سنة 515 واستصْفاء أمواله ، وتخطى ذلك الى حاشيته ورجالـه ، وأظنها لتقصيرة الذى جر وقيعة كتندة فـى سنة 14 قبلها الا ماذكر ابـن صاحب الصلاة الباجى فى تاريخه أنه قتل وفل عسكره فـى بعض حروبه ، قال ومقتله لم يذكر السنة على طريق سجلماسة معروف بجهة جبل هسكورة يعنى من ناحية المغرب ، وبالجملة فهو من بيت جهاد واجتهاد ، وفى دولة أخيه نفقت العلوم والآداب وكثر النبهاء وخصوصاً الكتاب ، وحكى أبو بكر الصيرفى فى تاريخه أن علياً منها استجاز الراوية أبا عبد الله أحمد بن محمد الخولانى جميع رواياته لعلو سنده فأجاز له ، وأبوه يوسف مع نشئه فى الصحراء كان لا يمضى أمراً إلا بمشورة الفقهاء .

وقال فى النفح : ولما مدح أبو بكر محمد بـن الروح الشلبى الأمير ابراهيم الذى خطب بـه الفتح فى القلائد وهـو ابن أمير المومنين يوسف بن تاشفين وكان يدلّ عليه وينادمه بقصيدته التى أولها :

أنا شاعر الدنيا وأنت أميرهـــا فما ليّ لا يسرى إليّ سرورهـــا

أشار الأمير الى مضحك لـه كان حاضراً أن يخبق بـه لقوله أنا شاعر الدنيا ، فقال لـه ابن الروح على ما خبقت ؟ يعنى أنـه يحتمل أن يكون ذلك الفعل

1) الدرس المتداول فى الاصطلاح المغربى القديم .

لقوله أنا شاعر الدنيا ولقوله وأنت أميرها ففطن الأمير لما قصده وضحك وتغافل .

وقوله وحكى أبو بكر الصيرفي في تاريخه ، هذا التاريخ يسمى (الأنوار الجلية، في أخبار الدولية المرابطية) ذكره الشطيبي في (الجمان، في مختصر أخبار الزمان) ، وسيأتي ذكر أبي بكر الصيرفي ، وذكر في النفح كثيراً من القصائد التي مدح بها المترجم نقلا عن (القلائد) و (المطمح) ، ومن كتابه أبو عامر بن عقال ترجمه في (المطمح) ، وراجع ص 215 من ج 4 من (نفح الطيب) ، وراجع 3 من (قلائد العقيان) .

2) إبراهيم بن علي بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن أغلب الخولاني الأديب من أهل اسطبة عمل قرطبة يعرف بالزوالي ، سمع باشونة من أبي مروان ابن قزمان وأكثر عنه ، وباشبيلية من أبي اسحاق ابن فرقد، وأبي عبد الله بن عبد الرزاق الكلبي ، وله رواية عن أبي الحسن ابن هذيل ، وابن النعمة ، وابن سعادة ، وأبي الحسن الزهري ، وابن دحمان ، وأبي محمد بن فائز ، وأبي سليمان السعدي ، وابن خير ، وبقراءته سمع على ابن عبد الرزاق (الكامل) لأبي أحمد بن عدي وغيرهم ، وعني بالآداب وشهر بها ، وتجول كثيراً ، وولي القضاء بألش من أعمال مرسية ، وحدث وأخذ عنه ، وقال الملاحي كتبت عنه كثيراً من شعره ولم أستجزه ، وتوفي بمراكش في آخر سنة ست عشرة وستمئة ، ومولده في رمضان سنة أربعين وخمسمئة . انتهى من التكملة (1) .

3) ابراهيم بن تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين اللمتوني هو الذي قدم القاضي عياض رضي الله عنه لقضاء سبتة ثانياً آخر عام تسعة وثلاثين وخمسمئة ، كنيته أبو إسحاق لم يعقب ، ووزراؤه جماعة من أشياخ المرابطين ، كان أبوه قد ولاه عهده وهو مقيم بوهران في محاربة الموحدين ، ووجهه إلى مراكش وأصحبه جماعة من لمتونة قبل وفاته، فبويع له بحضرة مراكش لما مات أبوه بوهران ، وخالف عليه عمه إسحاق بن علي ، ونقض

---

1) أنظر **التكملة** 1 : 166 نمرة 435 .

بيعتَه ودعا لنفسه ، ووقع الخلاف والتدابر بينهما إلى انقطاع دولتهم ودخول الموحدين عليهم ، ذكره في (الحلل الموشية) وابن خلدون في تاريخه (1)

4) **إبراهيم ابـن أمير المومنين يوسف بـن عبد المومن بـن علي الموحدى** ، أبو اسحاق ، كان والياً على إشبيلية ، وانصرف مـن زيارة أبيه من حضرة مراكش إلى إشبيلية يوم السبت الثامن عشر مـن ذى الحجة عام سبعة وسبعين وخمسمئة ، وفى هذه السنة نازل ألفونسو الثامن قرطبة وشـن الغارات على جهة مالقة ورندة وغرناطة ثـم نزل استجة وتغلب على حصـن شنتفيلة (2)، وأسكن بها النصارى ، وانصرف، فاستفزّ السيد ابراهيم سائرَ الناس للغزو ونازل الحصن نحواً من أربعين يوماً ، ثم بلغه خروجُ ألفونسو من طليطلة بمدده فانكفأ راجعاً ، ثم أمره والده بالرحيل مـن محلته مع جيوش الأندلس والنهوض نهاراً لغزو إشبونة، فأساء الفهم ورحل ليلا، وذهب معه جل جيوش والده وأصبح والده وحده مع يسير مـن خاصته وهم بظاهر شنترين من بلاد غرب الأندلس ، فخرج أهلها وطعنوه بطعنة نافذة كانت القاضيـة عليه بعد (3) .

5) **إبراهيم بن الحاج أحمد بن عبد الرحمان بن عثمان بن سعيد بن خالد بن عمارة الأنصارى** ، قرأتُ نسبَه بخطه ، مـن أهل غرناطة ، سمـع ببلده مـن أبى بكر غالب بن عطية ، وأبى الحسن بن الباذش ، وأبى القاسـم الخزرجى ، وأبى الوليد بن بقون ، وأبى الحسن بن القصير ، وناظر على أخيه أبى مروان فى (المدونة) ورحل إلى قرطبة ، فسمع من ابن عتاب ، وابن طريف ، وابن رشد ، وأبى بحر الأسدى ، وابن مغيث، وأبى عبد الله القرشى،

---

1) انظر ص 64 مـن كتاب **اخبار المهدى بـن تومرت وبداية دولة الموحدين** تاليف ابى بكر الصنهاجى المعروف بالبيذق . طبع دار المنصور ، **والحلل الموشية** ص 110 .

2) فى الأصل شنقلية ، والصواب ماصوبناه ، وهو حصن من أمنع حصون المنطقة الواقعة بين اشبيلية وقرطبة، وكان استيلاء النصارى عليه يوم 17 صفر عام 578 هـ (22 يونيو 1182م).

3) انظر عن وفاة الخليفة يوسف بن عبد المومن الموحد كتاب **الأنيس المطرب بروض القرطاس** لعلى ابن أبى زرع ص 214 طبع دار المنصور

وابن عفيف ، وأبى المطرف بن الوراق ، وقـرأ عليه القرآن بالسبع ، وعلى منصور بن الخير بمانقة ، وعلى ابـن شفيع بالمرية ، وأخذ عـن أبى الحسن ابن موهب ، وسمع عليه (الموطأ) بقراءة أبى عبد الله النميرى فى يـوم واحد ، وعن أبى عبد الله بن معمر ، وعباد ابن سرحان ، وأبى محمد بن أيوب الشاطبى سمع منه الحديث المسلسل فـى الأخذ باليد مرة بعد أخرى ، وتكرر على أبى محمد اللخمى سبط أبى عمر بـن عبد البر ، وسمع منه بأغمات أيـام قضائه سنة ست وعشرين وخمسمئة ، وابتدأ بالأخذ عن هؤلاء من سنة أربع عشرة إلى سنة تسع عشرة ، وأجاز له أبو محمد بن السيد ، وشريح بن محمد ، وأبوبكر الطرطوشى ، والمازرى ، وغيـرهم ، وكان من أهل المعرفة الكاملة والتفنن فـى العلوم والنفوذ فـى الأحكام يتحقق بالقراءات ويشارك فى علم الحديث ومسائل الفقه والشروط ، وله فيها مختصر مفيد ، وكان مـع ذلك فكه النفس حلو النادرة حميد العشرة ، نشـأ بغرناطة على طلب العلم وتقييد الآثار ، وولي القضاء بعدة كور مـن أعمالها ، وأزعجته الفتنـة الحادثـة بالأندلس عند انقراض دولة الملثمين عـن وطنه فطال اضطرابـه وتجوله ، ثم استقر أخيراً بميورقة فـى جوار أميرها إسحاق بـن محمد بن غانية ، فقلده قضاءها ، وتصدر قبل ذلك وبعده للاقراء والاسماع ، فأخـذ الناس عنـه وانتفعوا به ، ولم يدخل ميورقة مثله فـى دولة بنى غانية بهـا وبعدهم الى تغلب الروم عليها فى يوم الاثنين الرابع عشر من صفر سنـة سبـع وعشرين وستمئة ، حدثنا عنـه أبو الخطاب بـن واجب كتب إليه ، وتوفي يوم الثلاثاء السابع لجمادى الأولى سنـة تسع وسبعين وخمسمئة ، ومولده بغرناطة يوم الخميس العاشر لشهر ربيع الأول سنة خمس وتسعين وأربعمئة ، فكان عمـره أربعا وثمانين سنة وثلاثة أشهر إلا يومين ، نقلته من خط بعض الرواة عنه ، ذكره فى (التكملة) (1) .

6) **إبراهيم بـن سعد السعود بـن احمد بـن عفير الأموى** من أهل لبلة ، يكنى أبا العباس ، له راوية عـن أبيه ، وكتب لبعض الولاة ، وتوفـي

---

1) انظر الترجمة نمرة 400 ص 155 من الجزء الأول .

غبطة بمراكش فى نحو التسعين وخمسمئة ، قاله أخوه أبو أمية ، وروى عنه بعض منظومه ، ذكره فى (التكملة) (1) .

7) **إبراهيم بن القاسم التينملي** ، صحب أبا لقمان ، وأبا ابراهيم السفاج الآتية ترجمتها ، ومات بمراكش عام اثنين وتسعين وخمسمئة ، ودفن خارج باب الدباغين ، وكان زاهداً فى الدنيا وأهلها مقبلا على الله تعالى بهمته ، وخرج من الدنيا ولم يتلبَّسْ منها بشيء ، ترجمه فى التشوف (2) .

8) **إبراهيم بن عبد الصمد الصنهاجي** من أهل فضالة ، إنما كان يتعبد بفضالة ، وهو من أفوجك قرية من نظر أزمور من عدوة وادى أزمور، قدم حضرة مراكش بعد أن أمر باشخاصه إليها ، ثم عاد الى موضعه ومات بـه عام 596 ستة وتسعين وخمسمئة ، كان عبداً صالحاً وكان سبب توبته أنه كان فى حداثته محباً فى اللهو يغنى فى الأعراس ويضرب الدفَّ ، فخرج يوماً مع جماعة من الشبان يغنى لهم ويضرب دفَّه الى أن أبصروا أبا شعيب أيوب السارية وهو مقبل الى جهتهم ففروا حياء منه ، وبقي وحده ، فوصل إليه أبو شعيب فدعا لـه فنفعه الله بدعوته ، ثم انقطع عن الناس واعتزلهم حتى لحق بالله تعالى :

بأي فؤاد أحمل العهد والهوى ؟ … وأنت قريب إنْ ذا لعجيب
ملكت فؤادى عند أول نظرة … كما صاد عذريا أغنُّ ربيب
ولو أن سقمى كنت لى فيه عائدا … شفيتُ وبعض العائدين طبيب
وأنهلتنى من خلقك العذب شربة … حلتْ لى وما كل الدواء يطيب
على أن ذكراً لاتزال سهامه … ترى مقتلا من مهجتى فتصيب
أعير المنادى باسمه السمع كله … على علمه أنى بذاك مريب
ويا أسفى كم لى على الخيف شهقة … إلى خبر الأحلام وهو كذوب
فلا فى النوى ياراحةَ القلب منية … ولا فى التدانى إننى لكئيب

ترجمه فى (التشوف) (3) .

---

1) أنظر **التكملة** 1 : 161 نمرة 416 .

2) أنظر **التشوف** الترجمة نمرة 170 ص 338

3) أنظر **التشوف** الترجمة نمرة 155 ص 307

9) إبراهيم بن محمد بن فارس بن شاكلة بن عمر بن عبد الله السلمى الذكواني من أهــل كانم مما يلى صعيد مصر ، قدم المغرب قبــل الستمئة بيسير ، وسكن مراكش ، ودخل الأندلس فيما بلغ ابن الآبار ، وكان عالمــاً بالآداب ، شاعراً مفلقاً مع التيقظ والفهم وصدق القالة ، قال ابــن الآبار : سمعت شيوخنا يصفونه بذلك ويجملون الثناء عليه ، وكان لونه مسوداً ، ولــه فى ذلك أشعار نــادرة ، وأقرأ مقامات الحريرى تفقهاً ولا أدرى عمــن رواها ، وتوفي سنة ثمان أو تسع وستمئة هـ .

وقال ياقوت بعد ذكر كانم وفى زماننا هذا شاعر بمراكش المغرب يقال له الكانمى مشهود له بالاجادة ، ولم أسمع شيئاً من شعره ولا عرفت اسمه ، وسياتى ذكر إبراهيم بن يعقوب الكانمى (1) .

10) إبراهيم بن يوسف بن محمد بن دهاق الأوسى من أهل مالقة، وسكن مرسية ، يعرف بابن المرأة ، قال فى (الجذوة) تجول وقتاً ودخل مدينة فاس ، روى عن أبى الحسن بن حنين ، وعلي بن اسماعيل ابن حرزهم ، حدث بالموطأ عنهما ، وكان فقيهاً حافظاً للرأي مشاوراً يشارك فــى الأدب وغلب عليه علم الكلام فرأس فيه واشتهر به ، وشرح (الارشاد) لأبى المعالى ، وكتب فى مسائل الاجماع ، ودرس فى غير ما بلد ، وكانت العامة حزبه ، ولم يزل بمرسية يناظر عليه إلى أن توفي بها فــى صدر سنة إحدى عشــرة وستمئة ، وخبر دخوله مدينة فاس تلقيته من شيخنا أبى العباس المنجــور ، ولــم أقف عليه لغيره رحمة الله عليــه ، والله أعلم ، وترجمه فى الاحاطــة والديبــاج أيضاً ، ومــن أصحابه سعيد بــن عبد الله المعروف بالجمــل المترجم فى 132 مــن (عنوان الدراية) وأخذ عنه أيضاً أبو عبد الله بن أحلى ، وأبو محمد عبد الرحمان بن وصلة ، وشــرح الأسماء الحسنى ، وشــرح (محاسن المجالس) لأحمد بــن العريف ، وألف غير ذلك ، وتآليفه نافعة فى أبوابها حسنة الرصف والمبانى (2) .

1) أنظر **معجم البلدان** 4 : 432 طبع القاهرة 1957 .

2) أنظر عنه **التكملة لكتاب الصلة** 1 : 164 نمرة 429 و **الاحاطة** 1 : 333 و **جذوة الاقتباس** ص 87 .

11) إبراهيم بـن محمد بـن خلف بـن الحاج السلمي المـرداسي البلفيقي دفين مراكش ، وسياتي (1) تمام نسبه في ترجمة حفيده محمد بن محمد ابن إبراهيم المترجم ولد رضي الله عنه ببلفيق سنة سبع وخمسين وخمسمئة مما حكاه غير واحد ، وقال عبد الله بن علي ابن فرحون سنة 554 ونشأ فـي كفالة والدته اذ قد كـان والده توفي ، فدرس القرآن وجوده على خطيبهـا المعروف بابن مهارش وبابـن القصير ، وقرأ عليه جملة مـن التفريع ، وكان هذا الخطيب يلقب ببغل القرآن ، وكـان رجلا صالحاً مجوداً للقرآن ، فلما ترعرع وبلغ مبلغ الرجال انتقل الى المرية وأقام بها أزيد مـن عشر سنين ، فقرأ القرآن على خطيبها ومقريها الأستاذ أبي محمد السبطي ، وعـلى الأستاذ المقرىء الخطيب علي بـن محمد بن مجبر الزهري ، وأخذ عنه القرآت السبع إفرادا وجمعاً ، وعلى الأستاذ محمد بن علي بن محمد الهمداني البراق ، وروى الحديث عن علي بن أحمد ، وعن المحدث أحمد بن يحيى الضبي ، والقاضي عبد المنعم بن محمد بـن عبد الرحيم ابـن الفرس ، ومحمد بن أبي زمنين ، وأبي عمر بن عات ، في جماعة آخرين ، وعلوم العربية عـن أبي العباس بـن اليتيم ، وصحب بالمرية الشيخ العالم الرباني الزاهد صاحب الكرامات محمد ابن يوسف الغزال وقرأ عليه وأخذ عنه وسلك على يديه وبارشاده فانتفـع بذلك ، وكان الشيخ الغزال يحبه ويقدمه ويثني عليه ، وكان يتردد الى بلفيق لزيارة والدته فـي الأعياد الخاصة ، ولما توفي الشيخ أبو عبد الله الغزال عاد الى بلفيق وكانت والدته قد توفيت فتزوج ابنة خاله وأقام هناك سنتين ثـم انتقل الى ضيعته بظاهر ضبونشن ، فأقام بها يسيراً ثـم انتقل الى المريـة باستدعاء واليها يومئذ السيد محمد بـن السيد أبي زكرياء بـن الخليفة أمير المومنين بـن أمير المومنين ، فحل بها وأوطنها تحت بره واكرامه ، واستمر مقامه بها إلى أن انتقل الى مراكش ، كـان رحمه الله أحد الأفراد العبّـاد الأولياء الأتقياء الذين علا قدرهم وفاق ، وطبق ذكرهم الآفاق ، وممن طار صيته كل مطار ، وأخذت جلالته بالأسماع والأبصار ، وكان للمرية الشغوف بـه

---

1) في الأصل (وتقدم) اعتباراً لما في الطبعة الأولى من تقديم الأحمدين والمحمدين على غيرهم ، وترجمة ولده محمد بن ابراهيم واردة في الجزء الثالث ص 325 (طبعة فاس) .

على سائر الأقطار ، شمس الولاية وبدرها ، وواحد الأندلس وصدرها ، وكان رحمه الله مشهوراً بالولاية ، مرفوعاً له بالدين والصلاح أرفع راية ، جارياً فـي التبتل والانقطاع إلى الله تعالى الى أبعد غاية ، مع كمال العلم والمعرفة ، والتحلي مـن الفضائل بكل حلية حميدة الصفة ، ورسوخ القدم فـي علم الحقيقة ، والجري مـن سبيل سنة الصوفية على أقوم طريقة ، والمشاركة فـي فنون الآداب ، والأخذ مـن كل علم بلباب اللباب ، هكذا وصفه ابـن خاتمة ، وقال إنه كان عالماً عاملا فقيهاً أديباً شاعراً محسنا ، سهل العبارة ، لطيف الاشارة، صوفيا سنياً طاهرا سريا، عالي الهمة، كريم العشرة، صادق الفراسة، عظيم الجاه فـي القلوب ، سامي الرياسة ، شديد الالتزام لمذهب مالـك رضي الله عنه لا يسمح مـن مخالفته في شيء ، ما لازمه أحد إلا وحسن حاله فـي دينه ودنيـاه ، ولا دعا له الا ظهرت بركة دعائه فـي عقبه وعقباه ، وكان حصنُ بلفيق وما يليه هو موضع انتجاعه واستقلاله إذ كان مالكاً لكثير من أملاك ذلك الصقع وأحقاله ، فصار لذلك نجعة للفقراء والمساكين ، وكعبة الأوليـاء والصالحين ، يقوم على مَن قصده ببره وإرفاقه ، ويكفيه المؤونة حتى ينسيه ذكر آفاقـه ، فكان انيه حجُ كل حاج ، وزيارة ذوى الآمال والحاج ، ومـع ذلك فكان يقرى حاملهم القرآن العظيم ، ويعلمه مـن أمور دينه ما هو جدير بالتعليم ، ويصرف بطالهم فيما يناسب حالهم مـن الأشغال ، ويحضُّهم على اتخاذ الحرف وملازمة الأعمال ، ويحمل مَن صحبه من أمر دينه ودنياه عـلى أحسن الأحوال ، وكان هنالك ذا أرض أريضة ، وثروة عريضة ، فبسبب ما كان يفيض عنه مـن العطاء ، ويعمُ رفد مَن قصده مـن كافة الأنحاء ، صار متهماً عند السفارة الضعفاء بصناعة الكمياء ، كما رمي بذلك كثير من الأولياء، قال ابن خاتمة حكى لى شيخُنا حفيده القاضى أبو البركـات محمد بن محمد ابن ابراهيم بن محمد بن الشيخ الولي ابراهيم هذا رضي الله عنهم : قد نزل بالشيخ إبراهيم ابـن الحاج رضي الله عنه بعضُ الفقراء السفارة ، وكـان كلما قصده أحد أنزله وقام عليه رفده وضيافته ثلاثاً ثم يسأله عـن حالته ، فان كان ممن حاجته فى المقام أقام والا قضى حاجته وانصرف ، وسأل الفقيرَ عـن قصده على العادة فقال له إنى بلغنى أنك تعرف الكيمياء وأريد أن أصحبك

وأخدمك على أن تطلعني عليها وتعلمني إياها ، فقال نعم ، فلما كان من الغد استصحبه حتى وقف به على أرض غامرة وشعراء ملتفة قد شرع بناسه وعبيده في فتحها وتصييرها أحقالا للزراعة وأملاكا للاسْتغلال ، فقال له الشيخ إبراهيم هذه كيمياء ابراهيم ، فان شئت تعلمها فتناولْ فأساً من تلك الفئوس وخذ مكانك من الخدمة ، ثم قال في أزهار الرياض : وكان الشيخ ابراهيم يواصل الصوم أربعين يوماً ، حكى ذلك من حاله غير واحد من أصحابه ، وأنه بنى ثمانية عشرة جُباً في مواضع متفرقة ونحو عشرين مسجدا وبنى أكثر سور حصن بلفيق ، كل ذلك من ماله ، وله رضي الله عنه كرامات جمة مشهورة ، وكلمات ذكر وحكم مأثورة ، ويروى أنه كان له ثلاث دول (1) في اليوم يتحلق فيها في مسجده .

ومن كلامه رضي الله عنه في بعض رسائله : الصوفي عبارة عن رجل عدل تقي صالح زاهد غير متسبب بسبب من الأسباب ، ولا مخل بأدب من الآداب ، قد عرف شأنه وزمانه ، وملكت مكارمُ الأخلاق عنانه ، لا ينتصر لنفسه ، ولا يتفكر في غده وأمسه ، العلم خليله ، والقرآن دليله ، والحق حفيظه ووكيله ، نظره الى الخلق بالرحمة ، ونظره الى نفسه بالحذر والتهمة (2) .

ومن كلامه رضي الله عنه : التصوف عدمك عندك فيه ، ووجودك عندك به ، وقال أيضاً التصوف بدايةُ إيثارِ الحق على ماعداه ، وقال في بعض رسائله : إعلم ياأخي أن الفهم عن الله هو العلم الأكبر ، والنور الأزهر ، والسنا الأنور ، ولاسبيل الى اقتباس أنواره والتماس أسراره بالاستبداد ، ولا وجه لوجوده بالانفراد ، فانّ سره مصون ، ولا يعقله بفضل الله الا العالمون ، فمن عثر على الدليل ، هُدي إلى السبيل ، ومن اغترّ بنفسه ، وتبنى أبناء جنسه ، حُجب عن الحقيقة ، وسلب من الطريقة ، وطفق يخبط عشوا ، ويؤالف الهوى ، عافانا الله واياك من سبيل بغير دليل ، وتوجه بغير وصول ومعاد ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته . إبراهيم الضعيف .

---

1) اى دروس متداولة .

2) انظر نفح الطيب 5 : 477 تحقيق الدكتور احسان عباس .

وقـال رضي الله عنـه : مَن لـم يكن فـي بدايتـه صاحـب مجاهدة لم يفتح لـه في هذه الطريقة شمة ، وقـال رضي الله عنه لا ترض لنفسـك فائدة ، فـان حبَّك الشيء يُعمـى ويُصم ، وقال لـو تصور صـوفي . . . . (بيـاض) . . . . وقـال : دواء مَرض القلـوب تـلاوة القرآن بالتدبر والمحبة للصالحين واللجأ إلى الله تعالى بالأسحار ، وقـال من جاهد نفسه برأي عالم مقبول في الاسلام ، صالح للقدوة والائتمام ، ظهرت عليه الأحوال الصديقية ، والمواهب الربانية ، والالهامات الملكية ، وهـؤلاء في الاسلام خلفاء الرسـل ، وأمناء السبل ، قـال الله تعالى : قـل إن كنتم تُحبون اللهَ فاتبعونى يُحْبِبْكُم الله ، وقال رحمـه الله المجاهدات للطهارة من الذنوب ، والمعاملات للتنظيف من العيوب ، والمراقبة لملاحظة الغيـوب ، والمكاشفات تخـرق الحجب ، (قال ابن خاتمة فـي هذه اللفظة اشباع) ، والمحاضرات لمعاهدة المحبوب ، وقال رضي الله عنه النـاس إذا كان الفاضل حياً لم يقصدوه ، وإذا مـات وصار جيفة مثلهم قصدوا قبره ، وقال أيضـاً مَن أحب معرضاً عن الله سقط مـن عين الله ، ومن أحب لله وأبغض لله فهـو من صفوة الله ، وقال الـذى صححته التجربـة السودان لا يخدمهم الا مـن قبله لونهم .

ومن أذكاره رضي الله عنه هذا الاستغفار : أستغفر الله الذى لا إله الا هو عالم الغيب والشهادة الرحمـان الرحيم ، وأسألـه التوبة النصوح والعفـو عنى وعن والدى واخوانى وعن الذين ظلمونى وعن الذين ظلمتُهم وعن كـل مذنب من المسلمين مَن كان منهم أو يكون ، وأسأله طهارةَ السرِّ من حـب الدنيا ومن حب أهلها ومـن حب المحمدة ومن خوف المذمة ومـن السعي فى حظ نفسى ومن الانتصار لها ومن الحسد والشك والشرك والاعجاب ، ومـن كل حائل وحجاب ، ومن غيبة المسلمين والكذب والدعوى والانتساب ، ومـن الركون الى سبب مـن الأسباب ، ياحيُّ ياقيوم برحمتك أستغيث فأغثنـى ولا تكلنى إلى نفسى ولا لغيرك طرفة عيـن ، وأصلح لى شأنى كله وشـأن إخوانى ، وثبت قلبى على دينك حتى ألقاك وانت راض عنى برحمتك ياأرحـم الراحمين .

قال ابن خاتمة : وله رضي الله عنه دعاء هو المأثور عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما وجه جعفراً الى الحبشة شيَّعه وزوده بكلمات قال قل اللهم الطف بى فى تيسير كل عسير ، فان تيسير العسير عليك يسير ، وأسألك اليسر والمعافاة فى الدنيا والآخرة .

وهذا دعاء آخر له رضي الله عنه كان يستفتح به مجلسه فى المرية، قال ابن خاتمة نقله شيخنا القاضى أبو البركات من خط الولي أبى العباس ابن مكنون وهو : اللهم اجعلنا فى عياذ منك منيع وحصن حصين وولاية جميلة حتى تبلغنا آجالنا مستورين محفوظين مبشرين برضوانك يوم لقائك ، قال وفى وسط الدعاء وآخره وأكفنا عدونا إبليس وأعداءنا من الجن والانس بعافيتنا وسلامتنا (1) .

وقال ابن خاتمة حكى هذه الصلاة شيخنا أبو البركات ابن الحاج عن الشيخ الصالح الحاج الصوفى أبى الأصبغ ابن عزرة ، قال أخذتها عن رائدك الشيخ الصالح الحاج محمد بن علي بن الحاج مشافهة ، وقال لى إنها صلاة جدك سيدى ابراهيم بن الحاج ، وهي اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد صلاة دائمة مستمرة تدوم بدوامك وتبقى ببقائك وتخلد بخلودك ، ولا غاية لها دون مرضاتك ، ولا جزاء لقائلها ومُصليها غير جنتك والنظر الى وجهك الكريم .

ثم قال فى أزهار الرياض وكان الشيخ إبراهيم ذا مقامات كبيرة وكرامات شهيرة ، فمن كراماته ما حكاه الأستاذ أبو جعفر بن الزبير عن الشيخ أبى العباس بن فرتون قال حدثنى صاحبنا الفقيه القاضى عبد الله البخارى بمدينة سبتة ، قال دخلت مع بعض أصحابى على الشيخ إبراهيم بموضع سكناه بالمرية زائراً فسأل عنى فأخبره المسؤول أنى أسوق فى البوادى بالقضاء وأنى أتحرى فلا آخذ شيئاً الا من توثيقى ، قال فشمر الشيخ وقال مَن أمر القاضي أن يأخذ شيئاً ؟ هل هو واسطة بين الله وبين الناس ؟ قال فقلت له إن بى حمى فأدع الله أن

---

1) انظر **نفح الطيب** 5 : 477 تحقيق الدكتور احسان عباس .

يصرفها عني ، فقـال لأي شيء تقول هذا وكل يوم يعود عليك أجر ، ثم همس بشفتيـه وحركهما داعياً ، ثـم قال لي لا عليك فما تراها أبداً ، قـال فلم تأخذني حُمَّى من ذلك الوقت الى الآن ، ومـن كراماته رضي الله عنه أنـه كان من جملة أصحابـه رجل ناسك فاضل قاريء يصلى بـه التراويح فـي شهر رمضان فـي إبان العصر ، وكان أبو اسحاق فـي جنة له بخارج المرية وكان يقدم فـي كل ليلة لذلك القاريء ولجماعة مـن أصحابه طبقاً بعنـب وثريدا بعد ذلك ، فلما كـان في بعض الأيام جاء ذلك القاريء ليتوضأ فـي صهريج تلك الجنة بعد العصر فرأى العنب في العريش الذى على الصهريج ، فحدثتـه نفسه بأن لو قرب المغرب ليأكل منه ، ثـم عاد على نفسه باللوم لتعلقهـا بالشهوات وهو صائم ، وعقد على نفسه فيما بينه وبيـن الله تعالى عقداً لا يأكل العنب بقية سنته تلك ، فلما جاء المغرب قدم له الشيخ بعـد المغرب الثريد ولم يقدم العنب ، فبقي القاريء متعجباً ، فقال له الشيخ ما شأنك ؟ فقال ياسيدى قـد كنت عودت الأصحابَ عادة ولـم نرها الليلة ، فقال له الشيخ أنت فعلت ذلك فلم يسعْنا الا موافقتك فيما عقدتَه' مـع الله ، قـال وبقي الشيخ لـم يأكل العنب سنته تلك لموافقة التلميذ ، ومـن كراماته رضي الله عنـه ما حدث به الثقات من أصحابه أنـه كان بالمريـة مُتطبب ممن يصر إنكار الكرامات، فأتته امرأة بصبي يشتكى ألمَ الحمى، فقال لجليس لـه ممن يماثله على مذهبه قم بنـا إلى هذا الفقيه يعنى الشيـخ إبراهيم حتى نرى ما يصنع ، فدخلا عليه موضع إقرائه ومجتمع جلسائه فسأل الصبي عـن شكايته فأخبره بمـا يجده من الآلام وكان الشيخ كوشف بالحال فتغير وجهه وجعـل إحدى يديه على ظهر الصبي والأخرى على قلبه قـال الحاكى فرأيت الصبي قـد تقبض واجتمع ثم قذف من الحصيات التى قدر الحمص خمساً أو نحوها مخضوبة بالدم وسكـن ما كان به ورفع عن الموضع، ثم عطف الشيخ حنقاً على المتطبب وصاحبه وقـال إنكاركم أحوج الى هـذا فتوبا الى الله تعالى أو نحو هذا من الكلام ، فأخذ يتنصلان ويتعذران وخرجـا من عنده خزيين ، وحدث الأستاذ أبو جعفر ابـن الزبير قال سألت الشيخ المقـرىء أبا الوليد ابن اسماعيل بـن يحيى هل لقيت الشيخ ابراهيـم ؟

فحدثني قال قلت أحدث نفسي بلقائه ورؤيته فأحتاج أبي الى شراء أسباب لجهاز أختي وأخذ في توجيه ثقة ممن كان يلوذ به الى المرية لشراء تلك الأسباب ، فرغبت من والدي أن يأذن لي في السفر معه برسم الأسباب ، ولنأتي الشيخ إبراهيم فأذن لي ، فلما وصلنا الى المرية سألت عنه فدللت على مسجده ، فحضرت فيه صلاة المغرب قال فجاء الشيخ وأقيمت الصلاة فتقدم إمامه فصلى بنا والشيخ وراءه ، فلما سلم تنفل الشيخ بما تنفل وأنا أرتقبه وقد عرفته بقرائن الأحوال ، ثم أخذ في الخروج فقمت وراءه وتبعته الى أن أخذ في دخول داره فحين قدم رجله للدخول كلمته فصرف وجهه إلي ولم يكن رآني قبل ذلك ولا رأيتُه وأقبل علي وقال لي من أين الطالب؟ فقلت له من غرناطة، جئت برسم رؤيتك والتبرك بك، مالي حاجة سوى ذلك ، فتبسم وقال إنما جئت في شأن أختك وجهازها فتحيرت ثم دعاني وأنسني وانصرفت وقد رأيتُ العجبَ من أمره ، قال فهذا ما اتفق لي في لقاء مَن سألتَ عنه ، وقد رأيت رجلا لم أر مثله ، وحدث الوزير سليمان بن شعيب قال قصدت أنا وأبو اسحاق بن الجياد الى زيارة الشيخ صالح بن حمدون التشكرى أحد الجلة من أرباب الكرامات وأحد الجلة من أصحاب إبراهيم بن الحاج الى تشكر ، فأقمنا عنده مدة ، قال أبو الربيع ثم قلت لصاحبي ينبغي لنا أن ننصرف ، فقال لي صاحبي حتى يكون ذلك عن إذن الشيخ ، فلما حضرنا عنده قال لي ياسليمان أدركك القلق من مقامك معنا لا تنصرف حتى نأذن لك ، فخجلت وقلت لا تعاتبني بجهلي قال فأخبرني الشيخ صالح قال سافرت وقرأت بسبتة على العزفي وغيره بغيرها ، ثم أتيت الى هذا الموضع بعد عاميْن بسبب والدي فقلت يوماً في نفسي لقد قرأت واجتهدت وما قصرت ولكني لم أفهم حقيقة الأخبار بالمغيبات ، فبينما أنا في هذا الخاطر واذا ثلاثة رجال فقلت لهم من أين اقبلتم ؟ فقالوا من منزل الشيخ ابراهيم ابن الحاج بطبرنش ، فأخبروني عنه وكانوا ثقات أنهم لما وفدوا على طبرنش قاصدين زيارته قال أحدهم وكان حاجاً لقد سمع ذكر رمان هذا الموضع بالاسكندرية فنسأل عنه الشيخ ، فقال الآخر حاشا لله أن نسأل عن الرمان إنما نسأله كيف كان رسول الله

صلى الله عليه وسلم يأكل اللحم ، وقــال الآخر إنما نسأله أنا فى حكم مَن له زوجة لا تصلى ما يفعل معها هل يتخلى عنها أو لا ؟ فلما وصلنا إليه قدم لنا لحماً ورماناً وناول الحاج الرمان وقال كلوا من هذا الرمان ، فان ذكره مشهور بالأسكندرية ، فقال له الحاج نعم ياسيدى أنا سمعت ذكره هنالك بأذنى ، ثم أخذ بعد ساعة قطعة من لحــم بيده وقال للآخر هكذا أروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل اللحم وأراه الصورة بفيه ثم سكت ، ثم قال للآخر مَن له زوجة لا تصلى ينهاها عن ذلــك ، فان انتهت والا تواعدها بالطــلاق ، فان انتهت والا طلقها وله فــى النساء سعة ، قال صالح فلما سمعــت ذلك قلت والله لأخرجن مــن ساعتى الى هذا الشيخ وقلت فــى نفسى أنا أسأله عن الشيخ أبى أحمد وعن حال أصحابه هل هم على الحقّ أو لا ؟ فخرجت وحملت معى جراباً فيه مصحف وكتاب الموطأ وكتاب فى علم الرياضى ، فلمــا وصلت إليــه قال لى أخرجْ ما فى جرابــك ، فأخرجت المصحفَ ثم الموطأ ثــم الرياضي ، فقال لى ولم يفتحه أحرق ذلك الآن فأحرقته ، ثم قال لى الشيخ أبو أحمد سيد قومه ، وأما أصحابه فينبغى أن يحبــوا من أجله ، فــانطلقْ إليه ، قال فانطلقتُ من وقتى الى الشيخ أبى أحمد ولازمته رضي الله عنهم أجمعين ونفعنا به وسهل علينا بجاههم كل ما نرومه .

وحدث القاضى أبو البركات حفيده قال دخلت على الشيخ الصالح العابد المجتهد الحاج محمد بن علي البكرى المعروف بابن الحاج بمنزلــه بألمرية عائداً ، قال أظنه فى مرضه الذى مات منه ، فقال لى حين سألته عن حاله ادع لى ، فقلت له ياسيدى بل أنت تدعو لى ، فقال لى : شرح الله صدرك ، ونور قلبك بنور معرفته ، فمَن عرف الله لم يذكر غيره ، فقد حكي سيدى أبو جعفر بن مكنون عن جدك قال كنت مع سيدى إبراهيم بن الحاج بمراكش فقال لى هل ترى فى المنام شيئاً ؟ فقلت نعم أرى كأنى فى ألمرية أمشى من الدار الى المسجد ، ومن كذا الى كذا ، فأعرض عنى وقال لا ترى إلا الله ، قال ثم مر به فى أثناء كلامه ابنه، فقال رأيت هذا ؟ والله ما أدرى أن لى ابنا حتى يمر بى ولا أذكره اذا غاب عنى ولا أرى الا الله (1) .

1) انظر **نفح الطيب** 5 : 475 تحقيق الدكتور احسان عباس .

قال في (أزهار الرياض) بعد أن ذكر جملة من كراماته ما نصه :
ومن أغرب ما شاهدته من كرامات الشيخ إبراهيم رضي الله عنه أني كنت أكتب كراماته في يوم عظيم المطر وأنا قريب من موضع نزول المطر لأمر اقتضى ذلك ، وماء المطر مجتمع أمام موضع جلوسي ، فطارت الورقة من يدي لسبب اقتضى ذلك ووقعت على موضع الماء ، فاغتممت لذلك خوف أن أعيد الورقة ولم أبادر أخذ الورقة لبعدها مني ، فجاءت صبية عادتها أن تناول ما بعد مني فرأيت الورقة على موضع الماء فتناولتها من طرفها فلم تمسكها بل زادها حركة على موضع الماء فازددت غماً ثم أخذتها مرة أخرى ، فبالله الذي لا إله إلا هو ما أصاب من موضع الكتابة من ذلك شيء نادر مثل رأس الابرة ، فسبحان من خصهم بمنحه الفاخرة ، نسأله سبحانه أن ينفعنا بهم دنيا وآخرة ، وكان هذا وأنا أكتب في مسودة هذا الكتاب يوم الأربعاء ثاني ربيع النبوي من عام سبعة وعشرين وألف .

ثم قال ابن خاتمة عقب كلامه السابق : واستمر مقام الشيخ ابراهيم ابن الحاج بألمرية الى أن قدم عليها والي جبايتها أحد الظلمة الغشمة ، وهو المشرف علي بن أبي بكر فأحدث على الناس أحداثاً منكرة ، فرفعوا أمرهم الى الشيخ إبراهيم شاكين إليه بحالهم معه وراغبين في صرف ما حل بهم من قبله ، وكان هذا المشرف المسرف لأول قدومه على ألمرية يزور الشيخ إبراهيم ويظهر التبرك به ، فلما بلغه تغير الشيخ عليه ونكيره ما أحدث من المناكر والمفاسد ورأى أن الحال يتغير عليه بسببه وأن لا طاقة له بمكابرته كتب الى ظهيره الذي يستند إليه نظر السلطان بمراكش الوزير عثمان بن عبد الله بن أبي إسحاق بن جامع يشتكي اليه بحاله وما يتوقع من قبل الشيخ إبراهيم في مآله وأنه لايتم له شيء معه من أعماله وزور له وأنه ذو أتباع وأعوان لا يومن من جانبه الثورة على السلطان ، واستظهر على ذلك بعقد كتبه بألمرية ، واستنهض للشهادة فيه من لا يتقي الله في عظيم هذه الفرية كأبي يحيى بن أسود ، ومحمد بن الرميمي من وجوهها ، وكعبد الله بن مكنون وصهره أحمد . . . . (بياض) . . . . من سوقتها ممن يبطن للشيخ بغضة وحسدا ، ولا يوقن أن الله سبحانه وتعالى سائله عن شهادته

عنـد الوقوف بين يديه غداً ، ولما بلغ عثمان ابن جامع ما وجه بـه خديمه المشرف عليُّ بن أبى بكر حملتْه الأنفة له والحمية لجانبه على أنه طالـع به السلطان أمير المومنين المستنصر بالله يوسف بـن محمد الناصر بـن يعقوب المنصور بـن يوسف بن عبد المومن بـن علي ، وألقي إليه فـى صورة الناصح أن تغريب الشيخ إبراهيم عـن ألمرية من أعظم المصالح ، فخرج أمرُ المستنصر بازعاجه عن ألمرية وتوجيهـه الى مراكش ، ووصل كتاب مـن المستنصر الى أبى عمران وأبى العباس ابني أبى حفص يستفهمهما فيـه عن حقيقة ما شنع به عن الشيخ إبراهيم فتفاوضا فـى كيفية الجواب ، فكان مـن رأي أبى العباس التغافل عنه إلى أن يعاود الخطاب ، واتفق رأيهما على ذلك ، فلما كان من الغد توجه أبو عمران بن أبى حفص الى باب الخندق مـن أبواب ألمرية البحرية ليودع الشيخ إبراهيم فأخبر أنه قد طلع فـى البحر على إثر صلاة الصبح ، وذلـك من يوم الاثنين الثانى عشر لصفر سنة ست عشرة وستمئة فى أسطول ألمرية ، فقال أبو عمران سبحان الله أعان هذا الرجل على نفسه ، يشير إلى أنه لو أراد أن لا يتوجه لأقام إلى النهار ، فلم تكـن العامة تتركه ولا توافقه على السفر لمراكش والانفصال عنهـم اغتباطاً بجواره ، وتهالكاً على مقامه بين أظهرهم واستقراره ، وهكذا كان يقول علي ابن أبى بكر لو بقي ابن الحاج بألمرية لكنت أول مـن يقتل ، وقد كان غير واحد من أهل المرية وغيرهم يرومون صرف الشيخ إبراهيم عن التوجه الى مراكش فلـم يوافقهم على ذلك ولا رأى مخالفة الأمـر ، ولو أراد المقام لأقام كيف شاء ، وكان أبداً يقول سأموت غريباً ، ومن كلامه رضي الله عنه وقد أراد النهوض للقيام فـى هذه الوجهة فأثقلته الكبرة يقال عـن ابراهيم يقوم وهو لا يقدر أن يقـوم ! ويوثر أنه قال الـذى يقوم عليهم هـو القاعد فـى أسطوانى ، وكان قاعداً هناك ابن الرميم ينتظره ليوعه ، وهي من كرامـات الشيخ ابراهيم ، ولمـا وصل إلى مراكش وأدخل على المستنصر هابـه المستنصر هيبة شديدة ، وقذف الله تعالى فـى نفسه إجلاله وأشرب قلبـه تعظيمه وإكباره ، وندم علىّ أن وجه عنه ، وسـأل الدعاء منه وهو لا يجد فى فيه ريقاً، وأقام أياما بمراكش ثم مرض وتوفي ليلة الأربعاء غرة جمادى

الآخرة سنة ست عشرة وستمئة وهو ابن بضع وستين سنة ، وقيل ابن نحو ثلاث وستين سنة ، وكانت جنازته حافلة قدم العهد بمثلها ، حضرها الأمراء والكبراء رجالا ومشاة منتعلين وحفاة ، وكسرت العامة نعشه وتوزعوه كسراً تبركاً به ، وأشار بعض كبراء الدولة بدفنه مع سيدى أحمد ابن العريف شيخ شيخه وأبى المستنصر إلا أن يدفن بازاء القصبة وقال بحيث يتأتى لنا زيارته ويقرب منا ، فدفن بمقبرة الشيوخ وقبره إلى الآن معروف متبرك به . انتهى كلام ابن خاتمة .

قال في (أزهار الرياض) عقبه : والمعروف عند أهل مراكش قاطبة في زماننا هذا خلاف ذلك ، وأنه مدفون بوسط البلد لا يلحقهم في ذلك شك ، غير أن عامتهم يُسمونه سيدى اسحاق على ما جرت به العادة من تغيير الأسماء ، وأما الخاصة من العلماء وغيرهم فيقولون سيدى أبو إسحاق البلفيقى ، وقد زرته ودعوت الله عنده بما أرجو من بركته قبوله ، وهو مزور لالتماس الخير ، وكان أبو الحسن بن بقي وبعض أصحابه يقولون كان الشيخ إبراهيم يقول أيام إقامته بألمرية تتمشى حالة هذا الأمير ومن يختص به وتتصل أيام دولتهم ما لم ينقلونا من موضعنا ، فاذا نقلونا من موضعنا حل البلاء بجميعهم ، فكان الأمر كذلك ، وسأل الشيخ إبراهيم عما رأى من المستنصر وحاشيته قال أما السلطان فمبارك ، ما رأيت منه إلا خيراً ، وإنما ذلك الوزير ويسكت يعنى ابن جامع ، وقال له ابن جامع يافقيه لعلك تستوحش في هذه البلاد ، فقال له إنما يستوحش البهائم ، وقد أنصف الله تعالى في دار الدنيا في كل من سعى عليه ، فمات ابن جامع ، وعلي ابن أبي بكر عن أسوأ حال من الذلة والهوان ، وأما ابن يبقى صاحبه فصلبه المامون باشبيلية ، وكان الشيخ إبراهيم يقول كل من نال من عرضى ما نال فانى أحلله من ذلك وأغفر له ما عدا من رمانى بالقيام على السلطان فانى لا أغفر له حتى أخاصمه بين يدي الله تعالى فيما رمانى به من البدعة الشنعاء والمعصية الكبرى والداهية الدهياء ، ولو رمانى بالزنى ما كان أشد علي مما رمانى به ، ويذكر من فظاعة هذه الفرية عليه وشناعتها لديه ، وقد أخذ عنه جمع كثير من أهل العلم وغيرهم .

وحـدث حفيده القاضى أبـو البركات ابن الحاج عـن ابن خميس التلمسانى قـال سمعت بعض الشيوخ يقول كان أبـو اسحاق البلفيقى الكبير يقول اجتمـع لنا فـى الله أربعون ألـف صاحب .

ثـم قال فى (أزهار الرياض) بعد هذا : وكرامات هذا الولـي أكثر من أن تحصى ، ومـن شاء استيفاء أحواله وكراماته فعليه بكتاب حفيده أبـى البركات الذى وضعه فـى أخبار سلفه رضي الله عنهم ، وقد أورد طرفاً منهـا الشيخ الخطيب علي بن محمـد الغزال فـى الجزء الذى وضعه فى كرامات شيخه أبى عبد الله الغزال جد علي المذكور ، وكرامات شيخه أبى الحسـن ابن العريف رضي الله عنهم ونفعنا ببركاتهم .

ومن نظم الشيـخ ابراهيم رضي الله عنه قوله :

ألا كرم الله البلاد بنخبـــة ... هم حسنات الدهر لا نابهم خطـب
رعايتهم فرض على كل مسلـــم ... وحبهم حق قد أوجبه الـــرب
إذا ما سألت الله شيئاً فسل بهـــم ... فتعظيمهم قرب وغتبهم حـــرب

وقوله رضي الله عنه :

شكا فشكا قلبى خيالا مُفرحـــاً ... على غير علم كان منى بشكـــواه
وما التقت الأسرارُ إلا لجامـــع ... من النعت سلطان الحقيقة ســـواه
فيافرحة المجهود إن بات ســـرُّه ... وسرٌّ الذى يهواه مأواه مـــأواه
ومن أجله قد كان بالبعد راضيـاً ... فكيف ترى مغناه والقلب مثـــواه
بدا فبدت أعلام ضدين فى الهـوى ... هما عجب لولا الدليل وفحـــواه
برؤيته فارقت موتى لبعـــــده ... ومت بها من أجل علمى ببلـــواه
فها أنا حي ميت بلقائـــــــه ... ولم ينج مَن لم يسعد الفهم نجواه
اذا لم تكـن أنت الحبيب بعينـــه ... رضا وعياناً ضلٌّ مَن قال يهـواه
وأكذب ما يُلفَى الفتىْ وهو صادق ... اذا لم يُحقق بالأفاعيل دعـــواه

وقــوله :

الحب فى الله نور يستضاء بـــه ... والهجر فى ذاته نور على نـــور
جنب أخا حدث فى الدين ذا غـير ... إن المغير فى نكس وتغييـــــر

حاشا الديانة أن تُبنى على خبــل — سبحان خالقنا من قول متبـــور
إن الحقائق لا تبدو لمتبـــدع — كذا المعارف لا تهدى لمغــرور
تالله لو أبصرت عيناه أو ظفـــرت — يمناه ما ظل فى ظن وتقديـــر
حقق ترى عجباً إن كنــت ذا أدب — ولا يغرنّك الجُهّال بالـــزور
ان الطريقة فى التنزيل واضحـــة — وما تواتر من وحْي ومشهـــور
فافهم هديت هدى الرحمان واهد به — هدى يفيدك يوم النفخ فى الصور

وكان رحمه الله كثيراً ما يتمثل ببيتي مهيار الديلمى وهما :

ومن عجب أنى أحن إليهـــم — وأسأل شوقاً عنهم وهم معـــى
وتبكيهم عينى وهم فى سوادهــا — ويشكو النوى قلبى وهمْ بين أضلعى

وللشيخ إبراهيم رضي الله عنه تأليف فى مثل النعال الكريمة خاصة نقل منه الكثير المَقّرى فــى (أزهار الرياض) ، و (فتح المتعال) ذكر فيه أن من أمسك بمثال النعل عنده متبركاً بــه كان له أمانا من بغي البغاة وغلبــة العُداة وحرزاً من كــل شيطان مارد ، وعين كل حاسد ، وان أمسكتــه المرأة الحامل بيمينها وقد اشتدّ عليها الطلق تيسر عليها أمــرها بحول الله وقوته .

وفــى (رياض الورد) قلت ما ذكره صاحب (أزهار الرياض) مــن أن المترجم مدفون فــى وسط المدينة يريد به المزارة التى برحبة بيــع الزرع راداً بــه كلام ابن خاتمة من أنه دفــن بمقبرة الشيوخ إزاء القصبــة سيأتى ما يرده ، وأن صاحب المزارة المذكورة هــو أبو اسحاق ابراهيــم الشريف المتوفى سنة 769 .

12) **إبراهيم بن بسطام** مــن الأولياء ، قدم مراكش فكان يحدث عنه بالعجائب ، وقد جرى طرف مــن أخباره فى ترجمة أبى اسماعيل الأمــان الأسود من أهل مراكش فراجعْها هناك، كان حيا سنة ست عشرة وستمئة (1)

1) انظر **التشوف** ص 469 نمرة 274 .

13) **ابراهيم بن أحمد ابن الولي الصالح أبى محمد صالح :** حدث عنه ولده في (المنهاج الواضح) بما سمعه عنه قال لما جرى علي من قدر الله تعالى ما جرى ببلد مراكش من الثقاف مكثتُ في السجن أربعين يوماً ، ويوم تمام الأربعين زارني فقير صالح من فقراء مراكش ، فقال لي أبشر فانك تطلق في هذا اليوم ، فقلت هل رأيت في ذلك شيئاً ؟ قال لا غير أني كنت البارحة نائماً اذ رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعداً في محراب الجامع جامع القصبة وعن يمينه أبو بكر وعن شماله عمر بن الخطاب وبين يديه أبو العباس وجدك أبو محمد يقول يارسول رأيت فعل محمد بن علي بحفيدي ، يُكرر ذلك شاكياً عليه ، فرد رأسه صلى الله عليه وسلم الى أبى بكر فقال قم ياأبا بكر فأطلقه ، فاستيقظت من نومي فجئت أبشرك بذلك ، قال رحمه الله فتناولت ذلك على أنهم يقتلوني ذلك اليوم وألحق أبي وجدي، فتأهبت للموت فما بلغ الانذار وكان يوم الجمعة حتى دخل علي فأطلقت ، هذه الحكاية دلالتها في الفضل ظاهرة ، وبراهينها في العناية والاعتناء شاهدة هـ .

وذكر في محل آخر أنه سمع من الشيخ الفاضل سليمان بن عبد الملك بن موسى بن أبي‌حبوش أنه سمع المترجم يقول نحن من قريش من بني أمية بن عبد شمس من ذرية عبد الله أو قال عبيد الله بن عمر بن عبد العزيز الشك من صاحب المنهاج في النقل عنه ، وسمع منه الانتساب إلى قريش أيضاً الشيخ الفاضل الحاج المسن سليمان بن أبي بكر ابن أبو عمار المسيلي ، والفقيه محمد بن يحيى بن داوود الگلاوي ، والتواتر المستفيض في بلاد المغرب أنه من عشيرة بني حي فخذ من أفخاذ بني نصر من قبيل بني ماگر وفرهم الله تعالى بالتمسك بطاعته ، ثم بنو نصر أيضاً من عشائر قبائل الهساكرة وفرهم الله ، وزعمت الهساكرة أن بني نصر جميعهم هساكرة ، وبعضهم خرجوا عنهم وهم نزل بأرض بني ماگر ، كما زعمت قبائل بني ماگر أيضاً أن بني نصر جميعهم من عشائر بني ماگر ، وأن بعضهم خرجوا عنهم وهم نزل بأرض هسكورة ، وقد سمعتُ ذلك من القبيلتين والله أعلم بالصواب من قول الفريقين ، ولقد سمعت والدي إبراهيم

ابن أحمد ذات يوم وهو يتحدث مع جلسائه فقال نحن من قريش مـن بنى مخزوم ويريد بذلك والله أعلم ما ذكر فـي نسب بنى ماكر ، لأن بنى حـي الذين نسبنا اليهم من القبيـل المذكور ، وهو حي بن صبيح بـن داوود بن علي بن نصر بن ماكر بن يرزق بن أبى عمر بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي ، فشيخنا رحمه الله على هذا قريشى فى كل وجه وعلى كل تقدير ، هذا قدر ما بلغه فـي ذلك اجتهادى ، فالله تعالى يثيبنى على قصدى فى ذلك واجتهادى (1) .

ثـم قال فى محل آخر ولما انقرض النمط الذيـن رأوه يعنى رأوا الشيخ أبا محمد صالح رضي الله عنه وتخلف من بعده خلوف" غلب عليهـم حب الدنيا والرياسة مع ما طبعوا عليه من الجهالة وعدم السياسة ظهـرت الفترة فـي هذا الطريق الا ما يخرج من بعض المواسم بالحجاز مـن فقراء غير مربين ولا معتقدين ، ولقد سمعت والدى ابراهيم بـن أحمد بن صالح يقـول عام تسعين لا يبقى فـي بلد المغرب من شيوخ التربية أحد وانمـا الصالحـون كثير ، ولقد سمعت فـي هذا المعنى كثيراً . ثم قال فـي آخر الكتاب سمعت الوالد المرحوم ابراهيم بـن أحمد بن أبى محمد صالح رحمه الله قـال أنشدنى شرف الدين محمد بن سعيد بن حماد الصنهاجي البوصيرى رحمـه الله لنفسه سنة اثنتين وسبعين وستمئة بلفظه فـي جامع الظاهر بالحسنية حكرا من أحكار القاهرة المحروسة :

الى متى أنت باللذات مشغـــول وأنت عن كل ما قدمت مسئـــول

ثم أوردها كلهـا ، وقد أنشدها الشيخ عبـد المجيد فى شـرح القصيـدة الشرنومية ، وتعرف بذخر المعاد على وزن بانت سعاد .

14) **ابراهيم بن يعقوب الكانمى** : أبو اسحاق الأديب ، دخل علـى الأمير يعقوب المنصور الموحدى فأنشده كما فى نفح الطيب :

1) انظر **المنهاج الواضح** ص 133 – 134

أزال حجابه عني وعينـــــــــــي تراه من المهابة فـــي حجـــــاب
وقربني تفضُّلُه ولكـــــــــــن بعدت مهابة عند اقترابـــــــــي

وكانِم بكسر النونْ جنس" من السودان، وهم بنو عمٌ تكرور، وكل واحد من هاتين القبيلتين لا تنسب الى أب ولا أم ، وإنما كانِم اسم بلدة بنواحي غانا وهي دار ملك السودان الذين بجنوب الغرب فسُمي هذا الجنس باســم هــذه البلدة ، وتكرور اسم الأرض التى هــم فيها وسمي جنسهم باسم أرضهم والجميع مــن بنى كوش بــن حام بن نوح عليه السلام والله أعلم ، قاله ابــن خلكان فــي ترجمة المنصور ، وذكره فــي الاستقصا من غير عزو .

وقــال فى صحيفة 280 من ج 5 من (صبح الأعشى) ما نصه : وذكر أبو عبد الله المراكشى فى كتابه التكملة عن أبى إسحاق إبراهيم الكانمى الأديب الشاعر أنــه يظهر ببلاد كانم فى الليل أمام الماشى بالقرب منــه قليل نار تضيء ، فاذا مشى بعُدت منه فلا يصل إليها ولو جرى بل لا تزال أمامه الخ . ونقل قبله عــن (مسالك الأبصار) أن بــلادهم بين أفريقية وبرقة ممتدة فى الجنوب الى سمت المغرب الأوسط الخ . وقال ياقوت عند ذكــر كانم وفى زماننا هذا شاعر بمراكش يقال له الكانمى مشهود له بالاجادة ، ولم أسمع شيئاً من شعره ولا عرفت اسمه .

15) ابراهيم بــن منصور الغسانى الدمشقى المعروف بالسنهورى
أبو اسحاق ، وسنهور مــن بلاد مصر ، روى عن أبى القاسم ابن عساكــر ، وأبــى اليمن الكندى ، وأبى المعالى الفراوى ، وأبى الطاهر الخشوعــى ، وغيرهم ، قــال أبو العباس النباتى قدم علينا يعنى إشبيلية سنة 603 ثــلاث وستمئة وسمى جماعة مــن شيوخه وحكى أنه كان يــروى موطأ أبى مصعب وصحيح مسلم بعلو ، وقال أبو سليمان بن حوط الله أجازنى وابنى محمدا جميع ماروآه عن شيوخه الذين منهم أبو الفخر فناخسر بــن فيروز الشيرازى ، وذكر أن روايته بنزول لأنه لم يرحل الا بعد وفاة الشيوخ المشاهير بهــذا الشأن .

وقال أبو الحسن ابن القطان ، وسماه في شيوخه : قدم علينا تونس سنة اثنتين وستمئة واستجزته لابنى حسن فأجازه وإياي قال وانصرف من تونس الى المغرب ثم الأندلس وقدم علينا بعد ذلك مراكش مفلتا من الأسر فظهر فى حديثه عن نفسه تجازف واضطراب وكذب زهد فيه ، واثر ذلك انصرف الى المشرق راجعاً ، وقد كان أجاز ابنى كتب بخطه جملة من أسانيده وسمى كتباً منها (الموطأ) والصحيحان وغير ذلك ، قال وقد تبرأت من عهده جميعه لما أثبت من حاله ، وحدثنى أبو القاسم بن كرامة صاحبنا بتونس أن السنهورى هذا لما انصرف الى مصر امتحن بملكها الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب لأجل معاداته أبا الخطاب بن الجميل ، فضرب بالسياط وطيف به على جمل مبالغة فى إهانته .

انتهى من (التكملة) (١) .

وقال بعض المؤرخين فى حقه ما نصه : الشيخ المحدث الرحالة إبراهيم السنهورى صاحب الرحلة الى البلاد دخل الأندلس كما ذكره ابن النجار وغيره ، وهو الذى ذكر لمشايخ الأندلس وعلمائها أن الشيخ أبا الخطاب بن دحية يدعى أنه قرأ على جماعة من شيوخ الأندلس القدماء فأنكروا ذلك وأبطلوه وقالوا لم يلق هؤلاء ولا أدركهم وانما اشتغل بالطلب أخيرا وليس نسبه بصحيح فيما يقوله ، ودحية لم يعقب ، فكتب السنهورى محضراً وأخذ خطوطهم فيه بذلك وقدم به ديار مصر ، فعلم أبو الخطاب بن دحية بذلك فاشتكى الى السلطان منه وقال هذا يأخذ عرضى ويوذينى فأمر السلطان بالقبض عليه فقبض وضرب وأشهر على حمار وأخرج من ديار مصر ، وأخذ ابن دحية المحضر وحرقه ، ذكره فى (نفح الطيب) .

وقال فى (لسان الميزان) صحيفة 54 من ج ١ ما نصه بعد ذكره عن الخشوعى ابن سكينة : دجال فى المغرب اتهمه أبو الحسن ابن القطان بالمجازفة والكذب انتهى . أصله من سنهور قرية من بلاد مصر بالمحلة ،

---

١) أنظر **التكملة** ١ : ١٧٦ نمرة ١٧٦ .

وكان يلقب بالناسك ولـه سفرات كثيرة ، دخل الى نيسابور وغيرهـا ، ثم دخل الى الأندلس وقدم الى اشبيلية ، قال ابن العديم ناظر ابن دحية مـرة فشكاه الى الكامل فأمر بـه فضرب وعزر على جمل ونفي ، وقال أبو القاسم ابن عساكر الصغير كان يشتغل فى كل علم والغالب عليه فساد الذهن ، وكان متسمحاً فيما ينقله ويرويه ، وكان قدومه دمشق سنة ثلاث وستمئـة ، فانتسب مازينياً ثم انتسب غسانياً ووردت معه اجازة مـن وقف عليها عرف ما ذكرته من التخليط ، ويقال ان الحامل لـه على تطواف البلاد طلب حشيشة الكيمياء ، ووصفـه مكرم بن علي الأنصارى بالحفظ ، قال ابن مسدى كانـت لـه وكالات بالاجازة من شيوخ وكلوه على الاذن لمن يريد الرواية عنهـم ، فكتب لى بالاجازة عنه وعن موكليه فـى سنة ثلاث وستمئة ، وذكـر قصة محنته مـع الكامل وأنه لما طيف بـه اجتازوا بـه على بيت ابن دحية فخرج وألقى توبه عليه وكلم فيـه الكامل فأمر باخراجه من البلاد ثـم مات غريباً فـى بلاد العجم ، قال وأنا ابرأ الى الله مـن عهدته ، قال وكانت وفاته فـى حدود العشرين وستمئة ، وكـان ينتحل مذهب ابن حزم كابن دحية فـى انتحاله مذهب الظاهر فى الجملة ، وذكر ابن الأبار عن ابن حوط الله أنه لم يرحل إلا بعد موت المشايخ ، لأن طلبه كان بعد الكبر ، وتبرأ ابن الأبار من عهدته فـى باب الرواية والله أعلم ، وقـال غيره كان ظاهريّ المذهب عـلى طريقة أبى محمد بـن حزم ، وقال ابن فرتون حدث بالغيلانية عـن أبى سكينة وبمسلم عن المؤيدى ، وقال ابن الصابونى دخل بغداد ونيسابور وشيراز وأصبهان وغيرها من الشرق مراراً ، وقـال ابن عبد الملك فى ذيل التكملـة أخذ عن الخشوعى والكندى وغيرهما وعن جمع من أهل أصبهان وغيرها ، منهم أبو جعفر الصيدلانى ، وقـال روى عن طائفة من أهل الأندلس منهم أبـو سليمان ابن حوط الله بن الكمال ، قال وكان محدثا حافظا لمتون الأحاديث ضابطا لما يرويه ثقة فـى نقله متين الدين جميل المروءة ، وكـان قدومـه للمغرب فى زمن الناصر محمد بـن المنصور يعقوب وهو يومئذ يحاصـر المهدية فاجتمع بـه ووصله ثم رحل الى مراكش ثم الى الأندلس ثـم رجع إلى مراكش فأسرته الروم ثـم خلصه محمد الناصر وأحسن اليه ورجع الى

بلاده سنة خمس وستمئة ، قال واتهمه أبو الحسن بن القطان وغض منــه فى منقص الأفاضل ، وقد نزهه الله عن كل ما رماه به ، وعدَّله كلُّ مَن أخذ عنه ووثقوه وصححوا نقله . قــال ولما عاد الى مصر امتحن بسبب ابن دحية فضرب بالسياط وطيف به على جمل مبالغة فى الاهانة أعظم الله أجره .

انتهى من لسان الميزان .

16) **ابراهيم بــن عيسى بن محمد بن أصبغ بن محمد بن محمد بن أصبغ الأزدي** ، من أهــل قرطبة ، أخذ العربية عن أبى ذر الخشني ، وروى عنــه وعن أبى القاسم بن بقي ، وأبى الحسن بن حفص وأخيه أبى عبد الله بن أصبغ وغيرهم ، وولي قضــاء دانية ثم صرف لأول الفتنة المنبعثة فــى أول ١٧٤
سنة احدى وعشرين وستمئة وسيــق إلى بلنسية ، فصحبته بها وبــدار الامارة منهــا الى أن تسرح وتوجه الى مراكش ، وكان متحققاً بالعربية ولــه تأليف حسن فى مسائل الخلاف بين النحويين أخذ عنه ، وحدث بيسيــر وسمعته يذاكر فى الرأي وغيره وأنشدت عنه ما كتب لى من نظمه .

توفي بسجلماسة وهو يتولى قضاءها سنة سبع وعشرين وستمئة .

انتهى من التكملة (1) .

17) **إبراهيم بــن محمد بــن ابراهيم** ، من أهــل بلنسية يعــرف بالسهيلي ، أخذ عــن أبى عبد الله بن نوح وغيره من شيوخ ابــن الأبار ، وصحب والد ابــن الأبار رحمه الله عند بعضهم ، وأقــرأ العربية وشارك فى الفقه ، وولي قضاء قرمونة وأوريولة ، وكان امرأ صدق .

توفي بمراكش بعد الأربعين وستمئة .

ذكره ابن الأبار فى التكملة (1) .

---

1) انظر **التكملة** 1 : 168 نمرة 440 .

2) انظر **التكملة** 1 : 171 نمرة 449 .

18) **إبراهيم بن جابر بن عمر بن عبد الرحمان بن عمر المخزومي** ، من أهل مراكش ونشأ بمدينة فاس ، يعرف بالقفال ، أخذ عن علي ابن حرزهم وغيره ، ومال الى التصوف ، وغلب عليه الوعظ والتذكير فقطع في ذلك عمره ، وكان من أهل العلم والعمل مقلا صابراً على ذلك ، دخل الأندلس واستوطن إشبيلية وأقام بها سنين عدة ، ثم انتقل منها في سنة تسع وعشرين وستمئة وقصد مراكش ، ولم يزل بها يعظ ويذكر إلى أن توفي سنة إحدى وأربعين وستمئة وهو ابن ثمانين سنة ، ذكره ابن الأبار ، وقال حدثنى بذلك ابنه وغيره ، ونقله في الجذوة (1) .

19) **ابراهيم بن محمد الساحلي الغرناطي** ، الامام الفاضل الأديب ، قال العز ابن جماعة : قدم علينا من المغرب سنة أربع وعشرين وسبعمئة ، ثم رجع إلى المغرب في هذه السنة ، وبلغنا أنه توفي بمراكش سنة نيف وأربعين وسبعمئة ، له معرفة بالنحو واللغة يتوقد ذكاء ويكتب الخط الحسن بالمغربي والمشرقي ، وكان فاضلا أديباً شاعراً متهماً بسوء العقيدة، وأنشد والدى قصيدة من نظمه امتدحه بها وأنا أسمع ومن خطه نقلت وهي :

قفا مورداً عيناً جرتْ بعدكم دما ... أناضي أسفار طوين على ظما
غدون أهلات تناقل أنجما ... ورحن حنيات تفوق أسهما
يُجشمها الحادى الأمرين حسرا ... ويوطئها الحادى الأحَرين هُيَّما
على منسميها للشقائق منبت ... وفي فمويْها للشقاشق مرتمي

إلى أن قال :

وتسْعاً لآمال جهام سحابها ... تزجي ركاماً ما استهل ولا همي
تجاذبها نفس" تجيش' نفيسة ... ومن لم يجد الا صعيدا تيمما
فهل ذمم يرعاه ليل طويته ... طواني سراً بين جنبيه منهما
أقبل منه للبروق مباسماً ... وأرشف من بهماء ظلمائه لمى

1) أنظر **التكملة** 1 : 177 نمرة 462 و **جذوة الاقتباس** ص 87 .

الى أن تجلى من كنانة بدرهـــا فعرس ركبى فى حماه وخيمـــا
ثمال اليتامى حيث ليس مظلــل وكهف الأيامى أيما عز مرتمـــى

ومنهـا :

فيا كفه هل أنت أم غيث ديمـــة أسالت عباباً فى ثرى الجود عيلما
وياسعيه يهنيك أجر ثنى بـــه على معطفي علياه بُرداً مُسهمـــا
قضى بمنى أوطار نفس كريمـــة وروى صداها حين حل بزمزمـــا
وناداه داعى الحق حيَّ على الهدى فأسرج طوعاً فى رضاه وألجمـــا
فلله ما أهدى وأرشد واهتـــدى ولله ما أعطى وأوفى وأنعمـــا

ومنهـا :

أمتْ بآداب وعلم كليهمـــا أقاما الدعا فرضاً لديْك والزمـــا

وهي طويلة ، ترجمه فـى (بغية الوعاة) و (نفح الطيب) .

وقـال فى (الكتيبة الكامنة) الكاتب الرئيس إبراهيم بـن محمد الساحلى الأنصارى ، جواب الآفاق ، ومحالف الرفاق ، ومنفـق سعر الشعر كل الانفاق ، رفع للأدب راية لا تحجم ، وأصبح نسيج وحده فيما يسدى أو يلحم ، ولما أنس بكساد سوقه ، مـن بعد بسوقه ، وتلألؤ منسوقـه ، واستيواء بيانه على سوقه ، ارتحل ، وبأثمد ملـك السودان اكتحل ، وفـى البلاد الموحشة وصـل ، حل بها محل الخمرفى القار ، مـن بعد الاعتصار ، والنور من سواد الأبصار ، وتقيد بالاحسان ، وان كان غريب الوجه واليـد واللسان ، فما أشبهه بالشمس شهرة وتجوالا ، وعروضاً وأطوالا ، وميـلا واعتدالا ، وبرهاناً على مـن آثر جدالا ، وحسابـا مضروباً ، وأفولا فـى العين الحمئة وغروباً ، ولو لم يكن فـى هذا الكتاب الا رسمه ، لوضح فـى المصنفات رسمه ، وتوفر فى المزية قسمه ، وأمـا نظمه ونثره فالشمس تجل أن يدركها اللمس ، عين أدب هـذا الفاضل فراره ، وحسب هذا المهند الفاضل غراره ، فمـن قوله :

تألق نجدياً فحيا وسلمـــــــا ... وناجى جفونى فاستهلت له دمـــا
يرق ويخفى مثل جسمى كأنـــه ... حذا حذوه فى السقم حتى تعلمـا
وطارح أحشائى فأصبح خافقـــا ... وعاد بأشواقى فعاد مضرمـــا
وأوضح ثغراً كلما قطب الدجـــى ... تهلل فى بهمائه وتبسمـــــا
أيا برق ذات الأبريقين أحاجـــز ... منازل تيم بعد تيم أو الحمـــا
وما لزمان نام مستغرق الكـــرا ... فما هب حتى سل ما كان سلمـا
طوانى الضنا طي السجل وشفنى ... فلم يُبق منى السقمُ إلا توهمـا
وودعت خلي والشبيبة راغمـــاً ... فلم أدر مَن أجرى دموعيَ منهمـا
وجف ربيع العيش فى مربع الصبا ... غداةَ ذوى العودُ البهيمُ وأنعمـا
فسيان بيضاء فشت فى مفارقـى ... وأبيض أضحى فوقهن مصممـــا
وقد كنت قبل اليوم أقتاد أبيضـا ... من العيش مهما كنت أجنب أدهما
أغار البيان تحت ليل شبيبتـــى ... فأمَّا وقد صاح الصباح به فمـا
ولى كبد مهما رأى البرق وهنـــة ... تنفس من أحشائه وتكلمــــا
وان ذكرت ليلى تطاير خافقـــاً ... وإن هينم الحادى بنجد تلومـــا
وبالغريب أنجد الركب موضعـاً ... بأحيائه الأدنيْن منه وأتهمــــا
رمى بهم عرض الفلاة وانمـــا ... رمى مصميا أفلاذ قلبيَ إذ رمـا

ثـم قال : ومن المقطوعات والأوصاف :

ومفروشة بالآس والنرجس الغض ... وبالورد والنسرين بعضاً على بعض
كأنَّ احمرار الوجه خجلة غـــادة ... يلاعبها المشتاق بالقبل والعــض
كأنَّ اصفرار النرجس الغض اذ بدا ... يميس بأغصان من العسجد الغض
كأن اخضرارَ الآس قضبُ زمرد ... تنمقه أيدى القيان علـــى الأرض
كأن ضياء الكاس بدر بدا لنـــا ... فطوراً إلى رفع وطوراً الى خفـض
كأن خدود الشاربين وقد بـــدت ... بها الخمر خمرٌ قد توقد من رمض(1)

---

1) أنظر ترجمته فى الاحاطة 1 : 337 و الكتيبة الكامنة ص 235 ونثير فرائد الجمان ص 308 وفيه ذكر ابن الأحمر أن وفاته كانت بمالى من أرض جناوة سنة 744 .

1157 20) **إبراهيم بـن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني ،** سلطان المغـرب كان هذا السلطان جواداً جمّ العطاء ، معروفا بالوفاء ، كثير الحيـاء كنيته أبو سالم ، لقبـه المستعين بالله ، أمه أم ولـد رومية اسمها قمر ، وصفتـه آدم اللون ، معتـدل القامة ، رحب الوجه ، واسـع الجبين ، بادن الجسم ، أعين ، أدعج ، معتدل اللحية أسودها ، وكان بعد مهلك والـده السلطان أبى الحسن رحمه الله قـد استقر بالأندلس بعثه إليها أبوعنان ، ولما مات أبو عنان المذكور وولي ابنه الصبي طمع أبو سالم هذا فى الملك، فاستأذن الحاجب رضوان مدبر دولة ابن الأحمر بالأندلس فى اللحاق ببلاده فأبى عليه ، فغاضه ذلك، ونزع عنه الى طاغية قشتالة وتطارح عليه فى أن يحمله الى بر العدوة يطلب ملك أبيه ، فأسعفه وأمر به فحمل فى مركب ، وألقي به ملاحه فى ساحل بلاد غمارة بعد أن تردد فى أي السواحل يلقيه. ووافق ذلك اختلاف الكلمة بفاس ومحاضرة منصور بـن سليمان بن منصور بن عبد الواحد بن يعقوب بـن عبد الحق للمدينة البيضاء ، فتسامع النـاس بخروجه ببلاد غمارة أحوج مـا كانوا إليه ، فتسايلوا اليه من كل وجه ، وانفضّ الناس من حول منصور ، ومشى أهـل معسكره بأجمعهم على التعبئة فلحقوا بالسلطان أبى سالـم واستعدوه على دار ملكه ، فأغذ السير إليها وخلع الحسن بن عمر سلطانه السعيد من الأمر لتسعة أشهر مـن خلافته وأسلمه الى عمه ، فخرج اليـه وبايعه ، ودخل السلطان أبو سالم البلد الجديد يوم الجمعة منتصف شعبـان من سنة ستين وسبعمئة ، "واستولى على ملك المغرب ، وتوافت وفود النواحى بالبيعات ، وعقـد للحسن بن عمر على مراكش وجهزه اليها بالعساكر تخففاً منه وريبة بمكانـه من الدولة ، واستوزر مسعود بـن عبد الرحمان بن ماساي، والحسن بـن يوسف الورتاجنى ، واصطفى مـن خواصه خطيب أبيه الفقيـه محمد بن أحمد بن مرزوق ، وجعـل الى عبد الرحمان بن خلدون صاحـب التاريخ توقيعه وكتابة سره ، قال وكنت نزعت اليه مـن معسكر منصور بن سليمان بكدية العرائس لما رأيت مـن اختلال أحوالهم ومصير الأمر الـى السلطان أبـى سالم ، فأقبل علي وأنـزلنى بمحل التنويـه واستخلصنـى لكتابته ، هـ .

قال ابن السكاك قام فـي زمنه سوق للحديث الكريم وبث العلم في العامة ، فكانت دولته أجمل الدول ، ولا يعلم اجتماع الرخاء المفرط والمعاش المضروب بـه المثل الا في دولته ، وكان له سلامة صدر وسخاوة نفس ويد على ملوك عصره لأنه ملكهم .

توفي مقتولا يوم الخميس الحادى والعشرين من ذى القعدة سنة اثنتين وستين وسبعمئة ، قال فـي (الجذوة) ودفن بالقلة خارج باب الجيسة بأعلا جبل الزعفران .

وذكر العلامة اليوسى أنه لم يكن بملوك هذه الدولة باس ، وذكر ابن السكاك فى (النصح) أنه لم يكن منهم إلا من كان معظماً للشرفاء آل البيت مكرما لهم مقدماً لهم على غيرهم مهتما بمصالحهم ، وان كـان بعضهم قد امتاز فى ذلك بمزيد قوة اختصاص ، وفـي (مطلع الأشراف) ما نصه : والملوك المرينيون كانوا من أحسن الملوك سيرة وسياسة ونباهة ، وكان فيهم الفقهاء ، ويلازمون مجالسة العلماء ، استفحل ملكهم وطالت دولتهم وعظمت صولتهم ، فكانوا مقرّ العلوم والأخبار المشرقية والمغربية لا يعزب عنهم منها عن محافلهم لاسيما ما يعتنون بـه . هـ . ونحوه قوله فـي كتاب (سلسلة الذهب المنقود) : كانوا من أحسن الملوك سيرة وسياسة ونباهة ، وكـان فيهم الفقهاء الملازمون لمجالسة العلماء ، ولذلك استفحل ملكهم وطالت دولتهم وعظمت صولتهم ، فكانوا مقر العلوم والأخبار ، ومحل اجتماع دائرة العلوم الذى عليه المدار ، ثـم قال : وعدد ملوكهم ثمانية وعشرون ملكاً وأمد دولتهم مئتا سنة وبضع وخمسون سنة . هـ . وكـان انقراض دولتهم على عبد الحق ابن أبى سعيد ابن أبى العباس أحمد المرينى ثامن وعشرين رمضان سنة تسع وستين وثمانمئة ، والبقاء لله وحده .

وترجمـه ابن خلدون ، وابـن الخطيب ، والحافظ ابن حجر فـي (الدرر الكامنة) وصاحب (روضة النسرين) ومؤلف (تاريخ الدولتين) ، وصاحب (الجذوة) وصاحب (الاستقصا) ، و (السلوة) ، وغيرهم (1) .

---

1) أنظر ترجمة السلطان أبى سالم المرينى فـي **الاحاطة** 1 : 311 و **جلوة الاقتباس** ص 83 و **سلوة الأنفاس** 3 : 168 .

21) **إبراهيم حفيد القاضي بمراكش محمد بن علي بن يحيى الحسنى .**
قال فى (شرف الطالب) بعد ذكر سنة 768 ثمان وستين وسبعمئة ما نصه: والسنة التى تليها توفي خطيب جامع المنصور بمراكش الشيخ المسن الصالح ابراهيم الشريف حفيد القاضى محمد بن يحيى الحسنى صاحب كتاب الفرائض وغيره ، رأيت السلطان بمراكش يقصده بعد الفراغ من صلاة الجمعة ليقبل يديه وهو يلتفت يميناً كالمتحرز من النجاسة . هـ .
ومن هنا أخذه صاحب (المعرب المبين) وقال فى (لقط الفرائد) لدى سنة 769 تسع وستين وسبعمئة ما نصه : وأبو اسحاق ابراهيم الشريف خطيب جامع المنصور من مراكش المحروسة ، وقبره مزارة برحبة بيع الزرع منها . واقتصر فى (درة الحجال) على أنه خطيب المنصور ، وأنه حفيد القاضى محمد بن يحيى الحسنى صاحب الفرائض ، وذكر وفاته فى السنة المتقدمة .

22) **ابراهيم بن عبد الله بن الحاج النميرى** الفقيه الامام الرحالة النخبة الصدر المحدث الراوية العلامة عالم وقته ومحدث زمانه وجاحظ عصره ، تقدم للكتابه حين وفد على الحضرة باستدعاء من مدينة قسنطينة ، وكان كاتبا للأمير أبى عبد الله أبن أمير المومنين أبى يحيى ، فلحق بعلية العلماء وأئمة الحضرة المرينية ومشيخة الكتاب ، وهو من فحول الشعراء ، له التقدم فى طريقة أشعار العرب والمحدثين ، وله التصانيف العديدة ، والأوضاع المفيدة ، له رحلة جامعة فى عدة أسفار ، وصنف فى علوم ، استمر على الكتابة الى أن رحل حاجاً وجاء مستعفياً ، ثم خلص للسلطان أبى عنان ، فتقدم لمشيخة الكتابة وكتابة السر حين تأخر كاتبهم الأرضى الفقيه أبو القاسم بن رضوان ، ثم فصل الى وطنه فتقلد القضاء فى اقليم بلده حتى الآن .

ذكره ابن مرزوق فى (المسند الصحيح الحسن) وقد نوه بالمترجم فى (الاحاطة) (1) .

---

1) انظر ترجمته مطولة فى **الاحاطة** 1 : 350 وفيها أن ولادته كانت عام 713 هـ وفى **جلوة الاقتباس** س 87 وفى **نثير فرائد الجمان** ص 313 نمرة 11 و**المسند الصحيح الحسن** (خطى) ، وفى **الاعلام** للزركلي انه توفى عام 768 هـ .

23) **ابراهيم بن أحمد بن محمد بن علي الزواري** : الشيخ الجليل ، الولي الصالح الحفيل ، الواثق بالله ، الزاهد فيما سوى الله العامل على أمر الله ، بواسطة المبلغ عن الله ، العارف أبو سالم الزواري ، قال في (السلوة) بزاي وواو مفتوحتين وراء مكسورة وألف وياء نسب ، كذا ضبطه في (المرآة) في موضعين ، وفي (تحفة أهل الصديقية) ، ويوجد في كثير من المصنفات ويجرى على ألسنة العامة بواو بعد ألف المد ، وهو تحريف ، التونسي ، قدم رحمه الله من تونس وسكن بالقصر سنين ، وكان الشيخ سيدى يوسف الفاسي يتردد إليه في خلالها ، ثم انه رحل لفاس إلى أن توفي بها ، وكان من أهل الولاية والعرفان ، وجلالة القدر وكبر الشأن، جماعاً للخير حريصاً على لقاء المشايخ والأخذ عنهم ، حكي عنه أنه قال خدمت خمسة وثلاثين شيخاً لكل واحد منهم فيَّ لمحة ، وأول شيوخه الولي الكبير شيخ وقته سيدى أحمد ابن عروس التونسي وعليه اعتماده وعلى يده كان فتحه ، وهو أخذ عن الشيخ الولي الكبير فتح الله العجمي بسنده ، ثم تلمذ صاحب الترجمة للشيخ الولي الكبير أبي السرى منصور الزواري التونسي ومنه اكتسب اسم الزواري لطول ملازمته اياه ، وأخذ أيضاً عن الشيخ أحمد ابن عقبة الحضرمي والشيخ محمد بن عبد الله الزيتوني وتلميذهما الشيخ زروق ، وعن الشيخ التباع لقيه بمراكش ، والشيخ محمد الملقب عرفة القيرواني والشيخ أحمد الدباس وتلميذه الشيخ علي بن ميمون والشيخ أحمد بن يوسف الرشدى الملياني ، وهو آخر من أخذ عنه ، وكان له رضي الله عنه كرامات ومآثر ، منها أنه كان يصلي العشاء مع الفقراء مدة استيطانه للقصر وتطول اقامته بعدها معهم فيما هم فيه من سبل الخير ، فاذا رجع الى داره فربما وجد امرأته قد نامت فيوقظها قرعه الباب ، فتقوم فتفتح له الباب ، وربما انتظرته فأضجرها ذلك فلم تقم وطال مقامه بالباب ، فقال إيهاً يابريغث ! فسقط برغوث في أذنها لم يمكنها معه إلا القيام ، فلما فتحت الباب سقط من إذنها ! حضر ذلك جماعة من الفقراء الذين كانوا يشيعونه الى داره ، وكان له أصحاب وأتباع ، ولما دنت وفاته

جمعهم وأمرهم بالتزام سيدى عبد الرحمان المجذوب والأخذ عنه وأوصاه عليهم ، وقال له الله الله فيهم ، فاني ما رأيت فى المغرب لمن نوصى الا إليك .

ولد رحمه الله تقريباً سنة خمس وعشرين وثمانمئة ، توفي بفاس سنة احدى وستين وتسعمئة ، وهو ابن مئة سنة وست وثلاثين سنة ونحوها ، قال فى (المرءاة) ودفن بقرب روضة الشيخ مَحمد بن الحسن خارج باب الجيسة .

وقال فى (الممتع) هو دفين خارج باب الجيسة أحد أبواب فاس عن يسار الخارج منه ، عليه روضة بنيت على صورة بيت فوق الطريق على مقربة من روضة سيدى مَحمد بن الحسن .

وفى منظومة المدع :

والشيخ ذو الهمة والأسرار والفضل ابراهيم الزوارى
ضريحه على الطريق فى السقيف أكرم به شيخاً له قدر منيف

وقد علا روضته فى هذه الأزمان السقوط حتى أنه لم يبق الا أثر أساسها وقلَّ من الناس من يعرفها ، وهي المقابلة لروضة سيدى أحمد قطبان ليس بينهما الا الطريق ، والبقاء لله وحده .

ترجمه فى (المرءاة) ، و (الابتهاج) و (الممتع) و (المنح الصافية) و (تحفة أهل الصديقية) و (الروض) و (السلوة) وغيرها (1) ، وتقدمت ترجمة شيخه سيدى أحمد بن عروس .

24) **إبراهيم بن الحسن المصمودى** ، امام جامع علي بن يوسف بمراكش وخطيبها ، فقيه نحوى انتفع به خلق كثير فى فنه هنالك ، أناف عمره على الخمسين سنة 999 تسع وتسعين وتسعمئة ، ترجمه فى (درة الحجال) (2) .

---

1) انظر **سلوة الأنفاس** 3 : 124 و **ممتع الأسماع** ص 60 .

2) انظر **درة الحجال** 1 : 205 نمرة 285 .

25) **ابراهيم بن محمد السفياني الروقي** ، أبو سالم ، الفقيه الأنصح الأعظم ، قائد قواد المنصور الذهبي ، من خواص مُجاليسه ، ذكره في (المنتقى المقصور) .

26) **ابراهيم بن يعقوب السوسى الجزولى السملالى** ، دفين اشقوندة بتادلة ، من أصحاب سيدى عمر المراكشى .

27) **إبراهيم بن أحمد بن الولي الصالح سيدى عبد الله الأمغارى** ، أبو اسحاق ، الشيخ الفياض الربانى ، كان هذا الرجل آية من آيات الله فى الواردات الالهية ، والأحوال الصادقة مع حسن سمت ومتابعة للسنة فى أقواله وأفعاله ، أخذ عن جده المذكور وعليه معوله ، ويقال إنه استمد من جده المذكور مع الشيخ الشهير سيدى أحمد بن موسى السملالى ، وكان أبو العباس قدم تامصلوحت برسم ملاقاة سيدى عبد الله بن حسين فى بعض قدماته على السلطان الغالب بالله بمراكش ، فوجد صاحب الترجمة وهو صبي يدرج بين يدي جده ، فقال الجد لأبى العباس ادعُ له فدعا له ، وكانت بقرب الشيخ دجاجة تقرقر ، فقال ، أبو العباس ان هذه الدجاجة تقول فى قرقرتها كيك كيك وهو حكاية صوت الدجاجة عند قرقرتها فهل عندكم موضع اسمه كيك ؟ فقال له نعم ، فقال أبو العباس ان هذه الدجاجة تقول ان هذا الصبي لا يظهر أمره ولا يعلم سره الا بذلك الموضع ، فكان الأمر كذلك ، فان صاحب الترجمة لما توسم فيه الناس الخير ولاحت عليه مخايله اجتمعت عليه شرذمة من الفقراء وتلمذوا له ، وذلك بداخل مراكش ، فأنكر ذلك سلطان الوقت زيدان بن أحمد ، وأمر بالقبض على صاحب الترجمة ، فخرج من المدينة خائفاً يترقب ، فاستقر به الرحل بموضع يقال له كيك من عمالة مراكش قبيلة سجتانة ، ولم يزل به الى أن توفي ، وهناك شاع ذكره ، وفاح على المريدين سره ، فقصده الناس من الآفاق البعيدة ، وشدوا له الرحال من النواحي الشاسعة وازدحم على بابه ما لا يُحصَى حتى أنه اجتمع عنده فى بعض الأيام ثلاثون ألفاً من الرجال وتسعة آلاف من النساء ، وكانت له بركة ظاهرة فى الطعام ، وتجد طعامه قليلا وهو مع ذلك يكفى الآلاف العديدة ، وكان يعطى عطاء من لا يخاف الفقر حتى أنه أعطى لبعض الناس ثلاثة آلاف أوقية

وأعطى آخـر اثنتي عشرة مئة أوقية ، وذلك دأبه وسيرته على الـدوام ، وكانت تعتريه أحوال يغيب فيها عـن حسه ويتكلم بالمغيبات وتظهر ، كمـا أخبر ، كان يحكى شائعاً أنـه خرج يوماً عـلى الناس وهم جلوس فقال هـز القلوب هز يامربد العزة ، فتواجد جميع مـن حضر فبقوا حيارى أياماً ثـم خرج عليهم فقال هز القلوب تبرا يامربد القدرة ، فرجـع الناس الى احساسهم وفارقتهم أحوالهم ، وكـان يقول لا يأتينا الا مَن أمنه الله ، لأن مقامنا هـذا مقام ابراهيم الخليل ومـن دخله كان آمناً ، وكـان يقول مَن عرفنا وعـرف غيرنا لم يجدنا ولم يجد غيرنا ، ومَن عرفنا وقـام بمعرفتنا وجدنا ووجـد غيرنا ، وكـان يقول دارنا دار سر لا دار علم ، وكـان اذا دخل شهـر المحرم ترك حلـق الشعر والزينة ، وإذا ليم عـلى ذلك قال ما فعلنا هذا الا امتعاضاً لقتل الحسين رضي الله عنه وأسفاً عـلى ما وقع فيه بين الصحابة رضي الله عنهـم ، وكان يعمل السماع ويجتمع أصحابه عـلى الكيفية المعهودة ، وربما تواجدوا ودخل معهم ، وأحواله رضي الله عنـه ومناقبه أكثر من أن تحصـى ، وكانت له مشاركة فـي العلوم ، وأخذ عن الشيخ المنجـور ، وعبد الله بـن طاهر الحسني ، وأبى مهدى السجتاني ، وغيرهم ، وتوفي رحمه الله سنـة اثنتين وسبعين وألف عـن سن عالية ، يقال إنه أناف عـن المئة ، ودفـن بازاء زاويته عـلى قبيلة سجتانة ، وبنيت عليـه قبة حفيلة ، وقبره الآن مزارة عظيمة . انتهى من (الصفوة) .

وترجمه الحضيكـى فى طبقاته ، وما فى (الاستقصـا) من أنـه دفـن بتامصلوحت سبق قلم ، لأنه لـم يدفن الا بكيك مـن سجتانة حيث ضريحه اليوم حسبما صرح بـه داخل الترجمة بعد ، وقد وقفت عـلى ظهير مـولاي أحمد المنصور السعدى المؤرخ 18 رمضان عـام 997 وتضمن أنـه يصرف عـلى المرابط ابراهيم بن أحمد بن المرابط الخير عبد الله بـن حسين جميع الغائر مـن الآبار المندرس الآثار قـرب تامصلوحت صـرف العام وإقطاع تمليك ، وهـذا التاريخ قبل وفاته الموافقة عـام 1072 بنحو خمس وسبعين سنة (1) .

---

1) انظر صفوة من انتشر ص 148 . وطبقات الحضيكى 1 : 127 .

28) **إبراهيم بن محمد السوسي الآيسي** ، المالكي من أكابر الأفاضل ، جامع للفنون والعلوم الرياضية ، وله معرفة بعلم الأوفاق والزايرجا والرمل ، وله في فن الدعوة والأسماء براعة وقوة ، نظم رسالة المرجاني في الوفق الخماسي الخالي الوسط وشرحها شرحاً عجيباً ، واشتغل ببلاد سوس من المغرب الأقصى ثم تنقل في بلاد المغرب ، فرحل الى مراكش وأخذ عن مفتيها محمد بن سعيد وغيره من علمائها ، ودخل فاس وأخذ بها عن جمع ، وأقام بالزاوية من أرض الدلاء مدة مديدة واخذ بها عن جماعة منهم سيدى محمد المرابط ، ومشايخه الذين أخذ عنهم لا يحصون ، جمع منهم من اسمه محمد فبلغوا نحو سبيعن شيخاً ، ودخل مصر في سنة خمس وسبعين وألف ، وأخذ بها عن جماعة ، ثم وصل الى مكة وأقام بها الى أن مات ، وله نظم ونثر في غاية الرقة والانسجام ، فمن شعره قوله :

يامن رماني بسهم اللحظ فيما مضى — أوحشتني وحشوت القلب نار غضا
كسرت جفني بتكسير الجفون كما — نصبت حالي لاسهام الجفا غرضا
فكم نصبت لك الأشراك في حلم — لعل طيفك وهنا في الكرى عرضا
وأضرمُ النار بالذكرى على علم — في مهجتي يهتدى للنار حيث أضا
ان قست قدك بالبدر المنير على — غصن على كثب الجرعاء ذات أضا
لله ظبي حشا بالسحر مُقلته — فكم جيلت به أستاره حرضا
في فيه عين وعين فيه جوهرة — من الحياة وبرق للمنا ومضا

وبينه وبين صاحبنا الفاضل الأديب مصطفى بن فتح الله الشامي نزيل مكة مودة أكيدة ومراسلات عديدة ، مدحه صاحبنا المذكور بأبيات فكتب له بها رسالة نحو كراسة سماها الرائحة الوطفا في راحية مصطفا مشتملة على قصيدة عجيبة ونثر حسن ، ومن شعره أيضا قوله :

لاغروَ إن كنت تجفو الأنس يارشأ — فمن خصال الظبا أن تنفر البشرا
ياليتني كنت وحشياً أردد في — مفتون وجهك في سقط اللوى نظرا

وكتب اليه بعض الأدباء وهو بالزاوية من أرض الدلاء يقول :

يأبا اسحاق قل لي موجـــــزا أي شيء مبرد حر النـــــوى
قد أبت الا سهاداً مُقلتــــــي وانسكاب الدمع شوقاً للـــوى

فأجابه بقوله :

زار في روض بهي سحــــــرا جــامع بيـــن رواء وروى
تتهادى في الحشا نفحتــــه طلبت مني دوا داءِ النـــوى
قلت عن طب وما يعزى لمَـــن جرب الأمر عليم بالـــدوا
عرق وصل ونبات الدر مـــن ماء ثغر أشنب كل ســـوى
فاسحقنها في مهاريس اللـــوى واشربنها بكؤوس من هــوى
فهو درياق لأمراض النـــوى مصطفيء بين الحشا جمر الجـوى

وكانت وفاته في سنة سبع وسبعين وألف، ودفن بالمعلاة رحمه الله .

انتهى (خلاصة الأثر) .

29) **إبراهيم بـن عبد القادر الزرهـوني** الفقيه ، كـاتب الدولة الرشيدية العلوية الحسنية ، توفي عشية يوم الاثنين سابع عشر شبعان مـن عـام ثمانين وألف ، وستأتي ترجمة ولده سليمان ، ذكره في (النـشر) ، والصواب أن يقـول ترجمة أخيه سليمان (1) .

30) **ابراهيم الشاوى المراكشي** ، قاضي تامسنا ، أخذ عـن سيدى محمد بن هبة الله الوجديجى نزيل مراكش المتوفى سنة 983 وسمع منه أحمد بابا السوداني ، ونقـل عنه في (نيل الابتهاج) فـي ترجمة أحمد المنجور .

31) **ابراهيم بن ابراهيم السموكني** ، الفقيه النبيه العلامة ، رحل الى حاضرة مراكش وأخذ بها عن الجلة الكبار من علمائها وغيرهم واستفاد منهم وانتفع .

توفي رحمه الله بتامنارت سنة احدى عشرة ومئة وألف .

ذكره الحضيكي في طبقاته (2) .

---

1) انظر **نشر المثاني** 1 : 274 و 2 : 95 .
2) **طبقات الحضيكي** 1 : 132 .

32) **ابراهيم بن ادريس الحسنى** ، الشيخ الامام ، أخذ عنه السيد المكى الناصرى صاحب الرحلة المراكشية دلائل الخيرات عام 1149 وقال له إن من قال اللهم صل على من سميته محمد ، أحمد الى آخر الأسماء يكفيه ، ومن صلى عليه فى كل اسم فهو نور على نور ، وأجازه فيه وهو عند شيخه أحمد بن سليمان الرسموكى بسنده الى مؤلفه رضي الله عنه ، وقد كان أجازه فيه بالزاوية الناصرية عند قدومه إليها ، وانما أعاده عليه تبركا بضريح مؤلفه رضي الله عنه ، وقال فى الرحلة المذكورة بعد الرجوع من صلاة العيد وسرنا نحن قاصدين القصور ، قاصدين مولانا ابراهيم المشهور مسلمين عليه فدخلنا داره المسماة دار الزليج ، وهي بديعة البناء، وأصعدنى أعلاها وبها مكّانتان ، فضربت إحداهما وأنا أسمع بصوت حسن ونحن كذلك اذ غيمت السماء وجعل المطر ينزل ، نسأل الله تعالى أن يديمه ويسقي البلاد والعباد آمين ، وقد كان الناس فى ضيق شديد وارتقاب غلاء يبيد ، انتهى المقصود .

وقال فى (الدرر اللوامع) بعد أن ذكر مقدم الطائفة المراكشية ومقدم الأشياخ بمراكش بعد وفاة الحاج بوسنة وسيدى محمد العونى ، وهو نعم الرجل خادم للفقراء أحسن خدمة متواضع غاية التواضع ، وزرته والحمد لله ورأيته نفعنا الله بذالك ، ومما نقلناه عنه وحدثنى به وكتبه بخط يده الكريمة ولدنا الأبر سيدى محمد بن عبد الله وبحضرة شيخنا سيدى علي بن محمد بن ناصر التمگروتى هذه القصيدة المباركة الآتية ، وأخبرنى ان مولاي ابراهيم بن ادريس المذكور أتى بها من مكة حين رجع منها ، ونصها بعد البسملة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم :

ياسيدى يارسول الله خذ بيدى	مالى سواك ولا ألوى الى أحد
فأنت نور الهدى فى كل كائنة	وأنت سر الندى ياخير معتمد
وأنت حق غياث الخلق أجمعهم	وأنت هادى الورى لله ذا السدد
يامن يقوم مقام الحمد منفردا	للواحد الفرد لم يولد ولم يلد
يامن تفجرت الأنهار نابعة	من أصبعيه فأروى الجيش بالمدد
إنى اذا مسنى ضيمٌ يُروعنى	أقولُ ياسيدَ السادات ياسنَدى
كن لى شفيعا الى الرحمان من زلل	وامننْ عليَّ بما يكون فى خلدى

وانظر بعين الرضا لي دائما أبـداً واستر بفضلك تقصيري مدى الأمد
واعطف عليَّ بعفو منك يشملنـي فانني عنك يامولاي لم أحـــد
اني توسلت بالمختار أشرفِ مَن رقى السموات سر الواحد الأحـد
له الجمال تعالى الله خالقـــه فمثله في جميع الكون لم أجـد
خير الخلائق أعـلى المرسلين ذرى ذخر الأنام وهاديهم الى الرشـد
به التجأت لعل الله يغفر لـــي هذا الذي هو في ظني ومعتقـدي
فمدحه لم يزل دأبي مدى عمـري وحبُّه عند رب العرش مستنـدي
عليه أزكى صلاة لم تزل أبـدا مع السلام بلا حصر ولا عـدد
والآل والصحب أهل المجد قاطبـة بحر السماح وأهل الجود والمـدد

وهي في وزن ورويّ قصيدة تأتي في معناها لسيدى محمد بن عبد الكبير المغيلي راجعها في ترجمته ، ومولاي ابراهيم المذكور وقفت له على ظهيرين اسماعيليين ، الأول مؤرخ في 24 حجة عام 1036 تضمن اقرارا عـلى ما بيده من الظهائر الشريفة المتضمنة توقيره واحترامه هو واخوانه وأبناء عمه القاطنين معه وكل مـن انضاف اليه ، واحترامَ حومته من الفحل الى الفحل حرمـا آمناً ، والثاني بمعناه فـي 24 شعبان عام 1037 ، ومن جملة اخوانه مـولاي أحمد وقفت له عـلى ظهير اسماعيلي مؤرخ في 4 جمادى الثانية عام 1091 فيـه تجديد حكم ما بيده من ظهيره الكريم المتضمن توقيره كالشرفاء الكرام الخ ، ودار الزليج المذكورة سابقا هي محبسة، مـن جملة سكانها سيدى محمـد بن عبد القادر بن علي بن مسعود بن عبد الرحمان المشيشي ، وهناك دار الزليج أخرى محدثة ، والمترجم هـو صاحب الضريح المشهور بالقصور ، ودفـن معه سيدى محمد الجنوى ، ودفن معـه مولاي مسعود بن عبد الرحمان ، وولده مـولاي علي ، وابنه مولاي عبد القادر ومولاي عبد السـلام بن مولاي مسعود بن علي ، أما مولاي مسعود بن علي فهـو مدفون بالسرائرى بمسفيوة ، ومعه ولده سيدى محمد ، والمترجم انقطع عقبـه بموت حفيده مولاي ادريس بـن أحمد بن ابراهيم ، وشقيقه مولاي عبد القادر مـن غير عقب وعصبهما ابنـا عمهما مولاي مسعود بـن عبد الرحمان وشقيقه مولاي عبـد القادر ، وقفت عـلى قسم تركة مولاي ادريس المذكور التى أمضاها قاضي مراكش ابراهيـم

ابن الصغير عام 1179 وأعملها قاضي مراكش ابراهيم ابـن أحمد الزداغي سجلت منها نسخة على قاضي مراكش محمد بن أحمد العبادي فـي 15 رمضان عام 1208 ، ودار الزليج المذكورة قومت بثلاثمئة مثقال وخمسة وعشريـن مثقالا حيـن القسم المذكور .

33) **إبراهيم بـن سعيد بـن علي بـن محمد الرجراجي المراكشي الخراص** به عرف ، الفقيه العلامة ، له شرح على (التحفة) في مجلد في القالب الكبيـر وقفت عليه ، وقال في ديباجته : هذا تقييد مختصر كالشرح للتحفة العاصمية ، لخصت فيه مـا وقع عليه الاختيار ممـا تضمنه شراحها وربمـا أزيد من غيرها مما تتم به الفائدة ، وقال في ءاخره وكان الفراغ من مبيضة هذا التقييد ضحى يوم الأربعاء عشية يوم الأحد (1) السادس عشر من شهـر الله صفر عام تسعة وسبعين ومئة وألف ، وله شرح على الزقاقية (رايته) عام 1340 وهـو عندي ، وأظنه هو صاحب القبـر بدرب الحمري .

34) **إبراهيم بـن حسن المراكشي** ، خطيب جامع بن يوسف ، لـه شرح عـلى منظومة ابن المجراد في إعراب الجمل عندي .

35) **إبراهيم ابـن الصغير المراكشي** ، قاضي مراكش ، الفقيـه العلامة النوازلي المحقق البارع ، وقفت له عـلى فتاوى بعضها في (النوازل الرندية) ، وفي (المعيار الجديد) ، وكان يصحح فتاوي شارح العمل الفاسي السجلماسي ، فراجع 53 مـن الجزء التاسع من المعيار الجديد ، ثم 55 منـه ، ثم 77 منه ، ثم صحيفـة 15 مـن الجزء العاشر منه ، ثم 235 منـه ، وله منظومة في التوسل بالشيخ سيدي أبي العباس السبتي .

توفي رحمه الله ليلة الجمعة بعد صلاة العشاء بقليل منسلخ رجب عام 1193 ثلاثة وتسعين ومئة وألف . وهـو الذي أمضى مقاسمة تركة مولاي إدريس بـن أحمد بن إبراهيم ابن إدريس المشيشي وشقيقه مولاي عبـد القادر المتوفيين عن غير عقب الواقعة عام 1179 وأعملها قاضي مـراكش

---

1) كذا بالأصل .

ابراهيم بن محمـــد الزداغى ، وأخذت منها نسخة وقفت عليها سجلت عــلى قاضى مراكش محمد بن أحمد العبادى فى 15 رمضان عام 1208 .

36) **إبراهيم بــن القائد أبى الحسن عــلي الطبيب ابن إبراهيــم الأندلسى المراكشى المكناسى ثم التونسى** ، أحــد أطباء الحضرة السلطانية الاسماعيلية ، طبيب ماهــر حكيم عظيم الشأن من أجلاء الحكماء المتقنيــن الكامــلى المهارة الملازمين لحضــرة السلطان الأعظــم مولانا إسماعيــل ، المرجوع اليهم فــى المعضلات من الداء ، وكانت مسائله كلها متقنة ، وكان لــه بمكناس حانوت اتخــذه ليقصده الناس للسؤال عــن مسائــل الطب ولاشتــراء الأدوية ، منه ، ثم انتقل الى تونس واتخذ بها حانوتا لمــا ذكر ، وسمَّى نفسه هناك محمد الأندلسى ، فغير اسمـــه لأمر معلوم أحوجه لذلك ، والضرورات تبيح المحظورات ، كذا أخبر عنــه تلميذه ابن شقرون الطبيب المكناسى صاحب الشقرونية المتداولة بيــن أيدى عامة الناس وخاصتهــم حسبما نص عــلى ذلك العلامة الثبت المتقن السيــد مَحمد الخياط ابــن إبراهيم المشنزائى (1) الدكالى الأصل من أولاد ابن ابراهيم الدكاليين بفاس بيتهم بيت علــم وصلاح ومتانة دين ورياسة وجلالة ، وممــن أخذ عنه عبــد القادر ابــن شقرون المكناسى مسائل كثيرة مــن الطب ، وسياتى ذكــر والده علي .

37) **إبراهيم السرغينى الخلوفى** ، الفقيه المقرىء الأستاذ رحمه الله صاحب ديانــة وعلم وعقل ونقل ، متفنناً رأسا على القراءات ، حاذقا فــى الافتاء ، متقدما جليلا شرح الدالية فى وقفحمزة وهشــام لسيدى محمد بــن مبارك السجلماسى ، ذكر فيه أنــه شرحها سيدى ادريس بــن محمد الشريف الفــاسى شرحيْن َصغير وكبير ، ثم شرحها بعده الأستاذ أبــو القاسم بن عــلي الشاوى أصلا المكناسى الملقب بــابن درا ، ثم شرحها بعده شيــخ

---

1) فى الأصل المشترائى بتاء وراء ، وهو غلط حصل لكثير من المؤرخين والنسابين تبعوا فيه غلط النساخ ، والصواب المشنزائى ، نسبة الى مشنزاية قبيلة كانت بدكالة ثـم انقــرضت .

شيوخه سيــدى أحمد بن مبارك اللمطى ، ثم بعده شيخه المحقق علي بــن الشرقى السجدالى التادلى ، أحدهما منثــور ، والآخر منظوم ، ثم شيخــه الأستاذ سيدى محمد بن عبــد السلام الفاسى ، غير أنهم رحمهم الله لم يعرج أحــد منهم على بيان المشهور الذى جــرى به العمل وصحت بــه الرواية ، فاستخار الله تعالى فــى أن يضع عليها شرحاً موجزاً مطرزاً بكلام الأئمــة محرراً مبيناً فيــه ما بــه الرواية ، وكان الفــراغ من تبييضه عشية يــوم الخميس الثالث والعشرين مــن رمضان المعظم سنــة تمام المئتين بعــد الألف بمدينة مراكش حرسها الله بزاوية ولي الله سيدى أبى العباس السبتى ، وهــذه النسخة كتبت من خط المؤلف ، وعليها تقريــظ تلميذه أحمد بن محمــد بن مبارك بن ابراهيم بن محمــد المرابطي النجار الماسي الدار ، وهــذا الشرح يسمى بالفتوحات الربانية فــى شرح المنظومة الداليــة ، وناظمها المذكور توفي عام 1092 مــن تلامذة سيدى عبد القادر الفاسى وسيدى عبد الرحمــان بن أبى القاسم ابن القاضى وهــو عمدته ، وسيــدى محمد بن محمد بن سليمان البوعنانى ، وطبقتهم ، وقوله ثم شرحها بعده شيخ شيوخنا سيدى أحمد ابن مبارك غلط ، فان شرح سيدى أحمد المذكور قبل شرح الشاوى ، كان رحمه الله حياً أواخر العشرة الأخيرة من القرن الثانى عشر ، ثم توفي بمراكش ودفن بقرب ضريح أبى بكر السجتانى رحمه الله .

38) **إبراهيم بن عبد الله السوسى** ، صنو القطب سيــدى محمد بــن عبد الله ، كان عالما عاملا ذا أحوال زكية ، وأخلاق مرضية ، أخذ عن أخيه المذكور ، وكــان له حال رفيع ، واتباع للسنة بديع ، ولما زار الشيخ أبــا يعزى طلب العلم والعمل فرأى رؤيا استفاد منهــا أنه استجبت له ، كــان رحمه الله مقيماً بمراكش ، ولم يزل به مقبلا على شأنه متبركاً به الى أن توفي به شهيداً بالطاعون رحمة الله عليه .

ذكره فى (مباحث الأنوار) .

39) **إبراهيم بــن أحمد الزداغى** : الفقيه العلامة قاضى الجماعــة بمراكش ، وقفت عــلى رسم خاطب عليه سنة ست ومئتين وألف ، وسياتى ذكر ولده محمد .

40) **إبراهيم أقبيل السوسي** ، كان من الكتاب المعتبرين عند السلطان سيدى محمد بن عبد الله العلوى فى الانشاء والترسيل كما فى (الاستقصا) .

41) **ابراهيم بن أمير المؤمنين مولانا عبد الرحمان العلوى** ، كان رحمه الله من خيار أهل وقته ، ومن أهل الفضل ، اشتغل بطلب العلم وتحصيله ملازماً لشأنه وما يقربه لمرضاة ربه ، استوطن مراكش وبها توفي.

ذكره فى (الدرر البهية) .

42) **إبراهيم بن الحسن الماغوسى المراكشى** الفقيه الأجل ، العالم المبجل ، من أعيان عدول مراكش ، كان فقيهاً مدرساً نبيها خيراً هيناً ليناً وقوراً ، أخذ الطريقة عن أصحابها ، وكان مقدمها بزاوية أبى العبادة منها ، وهو أحد العدول الذين وقع عليهم الاختيار أيام القاضى عاشور الذين يضرب بهم المثل بمراكش ، وستأتى رسالة الشيخ سيدى محمد العربى المدغرى فى تعزية الفقراء بمراكش فى المترجم من جملة رسالة مؤرخة بيوم عرفة تاسع حجة الحرام مُتم ثلاثة وثمانين ومئتين وألف، وماغوسة من جد ميوة .

43) **إبراهيم النظيفى المراكشى** ، كان عالما فاضلا مشاركا فى علم الأزياج والفرائض والنحو والعروض وغير ذلك ، وله تآليف منها الزيج ، وكان كاتباً وفيه دعابة ، كان يسكن بحومة القصور بدرب السقاية ، وسكن أيضاً برياض الزيتون بمراكش ، وداره هي التى كانت عند الفقيه السيد عبد الواحد ابن المواز ، وسكن فى آخر عمره بالزاوية بجوار سيدى غانم .

توفي رحمه الله سنة 1292 ، اثنتين وتسعين ومئتين وألف فى رمضان بمراكش ، كان من رفقاء العلامة سيدى محمد كنسوس .

44) **إبراهيم بن محمد بن أدار السوسى المراكشى** ، الفقيه العلامة المشارك ، كان آية فى علم الحساب متقناً له ، أخذه عن الشريف

سيـــدى محمد السليطن بمراكش ، وقرأه بسوس أيضاً ، وعنه أخذه أهـــل مراكش كمولاي أحمــد الصويرى ، ومولاي علي بـــن سيدى محمد السليطن المــذكور ، ووقفت عــلى تصحيحه لفريضة تــركة مولاي علي بـــن مسعود المشيشى بخطه .

45) **إبراهيم السودانى** . ولد عمــر الفوتى أو قرابته ، كــان زاهداً عابداً منعزلا مذاكرا عــلى مشرب الشيخ محيى الدين ابن عربى يلازم ســردَ كتبه حتى كان يحفظ الفتوحات ويتكلم عــلى غوامضها ، وكان الوزراء فمَن دونهم يزورونه ، سكن مراكش مدة بجوار الضريح العباسى .

46) **إبراهيم بن محمد بن عبد القادر التادلى الرباطى** . سيأتى رفــع نسبه فى ترجمة تلميذه سيـــدى محمد العربى بن عبد الله بن التهامى الوزانى فلتراجع هناك ، الشيـــخ الامام العلامة المشـــارك الرحالة المؤلف البـــارع الجامع لأشتات العلوم معقولها ومنقولها ، قرأ العلم بفاس عــلى شيوخه ، ونقل فـــى بعض إجازاته عن الشيخ سيدى محمد بن دحُ أنه أجازه بجميع ما أجازه بـــه سيدى عمر بن المكى بن سيـــدى المعطى صاحب (الدخيرة) وأخبره أن سيدى عمـــر المذكور قرأ على مؤلف العمل المطلق وكان توُمُ عندهم بـــأبى الجعد نحو عشرين سنة ، هـ . وأخذ عنه الفقيه سيدى الحـــاج محمد بـــن دحُ الازمورى ، وهـــو عن شيخه المذكور سيـــدى عمر بن المكى بن المعطـــى بن الصالح صاحب (الذخيرة) عن السيد شمهروش قاضى الجان عن النبي صـــلى الله عليه وسلم ، وألف نحو خمسين تأليفاً ، وحج وزار وأخذ عـــن شيوخ كثيرين ، ودخـــل الأستانة ، وزار الشام والقدس ، ودرس بالـــرباط وتخرج عليه كثير من فضلائه ، وقد أجاز أهل عصره بشرط القبول .

توفي رحمه الله بالرباط عام 1311 أحد عشر وثلاثمئة وألف ، ودفـــن ببيته وحبس كتبه على أنجاله ودخل مراكش مرات .

47) **إبراهيم بن محمد السوسى الهـــلالى** ، الفقيه ، كتب للسلطان سيدى محمد بن عبد الرحمان لنجله خليفته مولاي الحسن بأن حامله الفقيـــه الفقيه إبراهيم المذكور قـــد أثنى عنه قاضى فـــاس مولاي محمد بـــن عبد

الرحمان بالعلم وقال فيه أنه حصل من العلم حظاً معتبراً صار به من أهل التحرير والاتقان ، ومن أمثل أبناء الزمان ، وذكر أنه يريد السكنى والتأهل بمراكش ، وطلب أن ينفذ له من مستفاد أوقافها ما يستعين به على تدريس العلم الشريف هناك ، فأمر ناظر الأحباس الكبيرة أن يرتب له من مستفادها ستين أوقية فى الشهر ، والسلام فى 27 ربيع الثانى عام 1282 .

48) إبراهيم بن عبد الملك الضرير السوسى المراكشى ، قدم والده مراكش ، وقرأ القرآن ولده المترجم على المقرىء السيد أحمد بن العربى المراكشى عام 1273 وكان يحفظ لوحه من مرة واحدة ، ثم اشتغل بحرفة الخرازة فضرب عينه باشفى فعمي ، واشتغل بقراءة العلم ، كان رحمه الله فقيهاً نحويا مدرساً مفتيا نبيهاً وجيها ، أخذ بمراكش على علمائها كالفقية سيدى سعيد جيمى وشيخنا الفقيه السباعى وشيخنا الفقيه الحاج محمد زنيط وغيرهم ، وتخرج بهم ، وكان مقلاً فى أول أمره إنما يحسن إليه إخوته لأجل قراءة العلم ، ثم نظم قصيدة فى مدح مولانا الحسن أواخر القرن المنصرم ، فوصلته على يد الوزير اذ ذاك السيد محمد بن العربى الجامعى فلما قرأها سأله عن صاحبها فأخبره أنه ضرير ، فأمره بالبحث عنه فهل له معرفة بالعلوم الشرعية ؟ فأجابه بعد البحث على يد مولاي أحمد ابن العربى البلغيثى بأنه من النجباء فيها ، فجعله مدرسا بداره العالية يقرىء العيال السعيد أمور الدين ، فكان لا يفارق ركابه حضراً وسفراً ، سافر معه فى جميع حركاته إلى سوس وفاس وسجلماسة ، وكان ينعم عليه بالصلات الوافرة ، فنال بذلك دنيا عريضة ، واقتنى خزانة عظيمة من كتب نفيسة بمراكش فتشتت شذر مذر بعد موته ، وبنى بها داراً واسعة الفناء زخرفها وصيّر عليها أموالا طائلة ، وكانت مجمع الوافدين إلى مراكش من أهل العلم يكرمهم ويحسن اليهم ، ومدحها الشاعر الأديب السيد عبد الله كنسوس بأبيات ، وكان يعينه قريبه صاحبنا الفقيه المفتى السيد محمد بن أحمد بن كبور الركراكى المراكشى على ما يرومه من المسائل والفتاوى ويطالع له كتبه ويقيد له ما يريد ، ولما مات مولانا الحسن أمره بتغسيله الوزير أحماد وسلك فى الاعتناء به مسلكاً حسنا ، فكان يحضره

مع العلماء الذين يحضرون بداره كل جمعة ، وجعل له الرتبة الأولى بمراكش ، وتولى خطة العدالة على الربيعة العباسية بقصد الحضور مع فقهائها ، ويحضر معهم نائبه ، ودرس بمراكش وفاس الى أن توفي في اليوم الذى توفيت فيه والدتى ربّة الصون والعفاف المرحومة السيدة عائشة بنت السيد محمد بن الطاهر التادلى السجدالى العُمرى فى عشري شعبان الأبرك عام ستة عشر وثلاثمئة وألف رحمها الله ورضي عنها ، وكانت له جنازة حافلة ودفن بروضة الجزولى عن نحو أربع وخمسين سنة .

49) إبراهيم بن مولانا عبد العزيز بن أمير المومنين مولانا سليمان العلوى ، السيد الجليل ذو الجاه الكبير قال فى (الدرر البهية) وهو من أهل الهمم العالية ، والمراتب السنية ، حبر حفيل ، حلاحل نبيل ، وأحد الأفراد الأجلة الأمجاد ، صاهره أمير المومنين مولانا الحسن بعمته الشريفة الجليلة السيدة زينب بنت مولانا عبد الرحمان ، وهي التى كانت تحت مولاي المهدى بن عبد الملك ، وتقدمت ترجمته فى حفدة مولانا إسماعيل ، وتوفيت الشريفة المذكورة فى عصمة صاحب الترجمة ، فانتقل لحضرة مراكش واستوطن محل آبائه ، ومازال مستوطنها الى الآن ، وهو فى قيد الحياة حفظه الله .

ثم توفي رحمه الله فى العشرة الثانية من القرن الرابع عشر .

50) إبن داوود (بنداود) بن الولي الصالح سيدى العربى الشرقى ، ولد رحمه الله عام 1219 وتوفي ليلة الأربعاء آخر جمادى الثانية عام 1307 بأبى الجعد ، وسمي بهذا الاسم لأن والدته من أولاد سيدى ابن داوود البوزيرى دفين أزرراك قرب غرم الاعلام بتادلة ، أخذ الطريقة الناصرية عن والده ، كان رضي الله عنه سالكاً زاهداً متقشفاً يلبس جلابتيْن ويحزم عليهما بمنطقة ، أو يلبس قفطانيْن لا غير ، ما صلى النافلة جلوساً طول عمره ، ويغتسل كل يوم صبحاً ولو بغير عذر ، ملازم الأوراد ، يختم دلائل الخيرات بين العشاءين كلّ يوم ، ويتلو القرآن كله فى ستة أيام ، وترك الأشغال لولده سيدى الحاج العربى من قرب الستين ومئتين والف ، واشتغل بعبادة الله تعالى ، ولا يخرج الا لصلاة الجمعة أو للحضور بمجلس

تــدريس ولده المذكور ، وكانت تربيتــه بالهمة ، ولا يقدر أحد أن يــواجهه لهيبة كانــت تعترى الناس من ذلك ، ولا يرفــع بصره حين المكالمة مــع الغير غاض الطرف ، وفى بعض الأحيــان يخرج لملاقاة السلطان حيــن يقرب من أبى الجعد ، دخل مراكش عام 1295 ونزل بعرصــة مولاي موسى .

ولسيدى سعيد بن محمد جيمى يخاطب المترجم :

أبداً إلى هذا الجمال أتــــــوق ... وللثم راحة قدسه لَمشـــــوق
فهو الكرامة وابنها وأب لهـــــا ... نسب كريم فى الكرام عريـــق
في وسمه ما فى اسمه فلذا تــرى ... علماً له المفهوم والمنطـــــوق
لاغرو اذ أنت ابنُ داوود الرضــا ... ينقاد قــاطبة لــك المخلـــوق
فلو ان كل بنى أبيك أبى عبيـــ ... ــد سابقوك لكنت أنت سبـــوق
ما ضرنى أن الأوائلَ قد مضــوا ... وبقِيت أنت ولى إليك طريـــق

وكتب بعــد هذه القطعة ما نصه : هــذه هدية اليكم وهي إن شــاء الله لا تقصر عن هديــة أمثالى ان لا تبلغ اقدارهم أقداركم ، ولا أبغى بها ما قطفته يدا زهير بمــا أثنى على هرم ، نعم أحــب بها أن يكون سهمــى من بين السهام ، ممــن مدحكم ومدح أسلافكم الكرام ، عسى الله أن ينظمنــا فى سلك دائرتكم ، ومع هذا فعندى فى جنابكم الرفيع استشارة فى أمر ان يكون لــه منكم وبكم مخرج ونجاح ، فنحبكم تأذنوننا بذكره فضــلا منكم ومنة ، وعــلى محبتكم سيدى والسلام والرحمة والبركة ، وكتب سعيد بن محمد وفقه الله بمنه وكرمه ءامين .

توفي رحمه الله ليلة الأربعاء آخر جمادى الثانية عام سبعة وثلاثمئة وألــف (1) .

51) **ابن عبدون :** قــال أبو القاسم الغسانى فــى (حديقة الأزهار) فــى الطب ما نصه : قال ابــن عبدون ولقد رأيته بمراكش كثيراً ووقفت عليه أرانى إياه أعرابى هناك ، وهو من نبات أرض العرب .

---

1) ترجم المؤلف فى الجزء السابع (خطى) لابن مرج الكحل ، وهو الأديب الشهير محمد بن ادريس ابن مرج الكحل ، وقد ارتأينا أن نؤخره الى محله من حرف الميم ، كما ترجم لابن المليح صاحب الرحلة المسماة (أنس السارب السارى) ، واسمه أيضاً محمد ، وقد ارتأينا اثبات ترجمته فى حرف الميم .

وقـد راجعت كتاب (عمدة الطبيب) فى معرفة النبات لكـل سبب للطبيب الماهر أبـى الحسن المختار بن عبدون البغدادى المعروف بابـن بطلان فى مادة قتـاد فلم أجده ذكر ما نقله الوزير الغسانى عـن ابن عبدون ، وكذلك راجعت كثيرا ؟ التى هي صمغ شجرة القتاد فلم أجده ذكر ذلك ، فـلا أدرى أذكره فى موضـع آخر أو قصد بابـن عبدون غير صاحب (عمـدة الطبيب) كسعيـد ابن عبدون وزير محمد المنتصر المرينى المذكور فـى ترجمته من هـذا الكتاب ، أو غيره كالفقيه الأستاذ المقرىء الكـاتب البارع ، محمد بـن عبدون بن قاسم الخزرجي أديب وقته ، وشاعر عصـره ، المتوفى فى العشرة الأولى لذى القعدة عـام 659 بمكناسة المترجم عند ابن القـاضى وصاحب (الذخيرة السنية) .

وهذه النسخة مـن كتاب (عمدة الطبيب) نُسخت للأديب الأريـب الطبيب سيـدى عبد الوهاب بن أحمد الدراق فى عشري صفر عـام تسعة عشر ومئة وألف الآتية تـرجمته إن شاء الله ، وقال فى (كشف الظنـون) ما نصه : دعوات الأطباء لمختار بن حسن ابن عبدون ، وابـن بطلان المذكور بقي حيّاً الى سنة 455 خلاف ما قاله ابـن القفطى من أنه توفي فى أنطاكيـة عام 444 فانه خطأ .

52) **ابن شونة** : من أهل القرن السادس ، أخذ عنه الشيخ سالم بن سلامة السوسى بأغمات، كما سياتى فى ترجمته المنقولة عن (التشوف).

53) **أبـو إبراهيم بن يوسف المرينى** ، السيـد الماجد الفاضـل الحسن المشاركة فـى علم الظاهر والباطن ، حدث عنه العلامة المحدث أبـو العباس بـن محمد بن أحمد العزيرفى (علامة اليقين ، فى دعائم المتقيـن) الموضوع فـى مناقب الشيخ أبى يعزى أن زوجة الشيخ رضي الله عنـه كانت عابدة وحلاه بتلك الأوصاف السابقة .

54) **أبو إبراهيم** ، دفيـن تامصلوحت لما مر الشيخ سيدى عبد الله الغزوانى دفين مراكش بضريح المترجم بالقرية المذكورة عـلى نصف مرحلة مـن مراكش وهي اذ ذاك موحشة لا ماء بها وكـان معه تلميذه مولاي عبد الله ابن حسَيْـن دفينها قال له : ياعبد الله هذا موضعك إلى آخر ما سيأتى فى ترجمته إن شاء الله .

55) **أبو الأنوار** : الولي الصالح ، لم أقف علـى تاريخ وفاته ، عليه حوش بقعر درب ابن علال مـن حومة ابن صالح .

56) **أبو اسحـاق** : المحصى الفقيه الأعبد الأرضى ، نزل بداره من مراكش الشيخ عبد الرحمان الهزميرى ، ذكره ابن تيجلات .

57) **أبو الأوقات** : الولي الشهير الذكر ، المعروف عند العامة ، لم أقف علـى تاريخ وفاته ، بُنيت عليه قبة صغرى ، وقبره مزارة مشهورة .

58) **أبو بكر بن عمر بن تلاكاكين اللمتونى** (1) لما تُوفي أخوه الأمير يحيى بن عمر ولـّـى عبد الله ابن ياسين مكانه أخاه أبا بكر بـن عمر ، وذلك فـى محرم سنة ثمان وأربيعن وأربعمئة ، وقلده أمـر الحرب والجهاد ، ثـم ندب المرابطين الى غـزو بلاد سوس والمصامدة ، فزحف إليها فـى جيش عظيم فـى ربيع الثانى من السنـة المذكورة ، وكان أبو بكر بـن عمر رجلا صالحاً ورعاً ، فجعل عـلى مقدمته ابـن عمه يوسف بن تاشفين اللمتونى ، ثـم سار حتى انتهى الى بلاد سوس ، فغزا جزولـة وقبائلها ، وفتح مدينـة ماسة وردانة (تارودانت) قاعـدة بلاد سوس وكان بها قوم من الرافضـة يقال لهـم البجلية ، نسبـة الى علي بن عبـد الله البجلى الرافضى ، كـان سقط الى بلاد سوس أيـام عبيد الله الشيعى بافريقية فأشاع هنالـك مذهب الرافضة فتوارثوه عنه جيلا بعد جيل ، وعضوا عليه بالنواجذ ، فكانـوا لا يرون الحـق الا فى يديهم ، فقاتلهم عبـد الله بن ياسين وأبو بكر بن عمـر حتى فتحوا مدينة رودانة عنوة وقتلوا بها خلقاً كثيراً ورجع من بقي منهـم الى مذهب السنة والجماعـة ، وحاز عبد الله بن ياسين أسلاب القتـلى منهم فجعلها فيئاً ، وأظهر الله المرابطين على من عداهم ففتحوا معاقل السوس وخضعت لهم قبائله ، وفرق عبد الله بـن ياسين عماله بنواحيه ، وأمرهـم باقامة العدل واظهار السنة وأخذ الزكوات والأعشار واسقاط ما سوى ذلك من المغارم المحدثة .

---

1) نقل المؤلف هذه الترجمة نقلا يكاد يكون حرفياً من كتاب **الأنيس المطرب بـروض القرطاس** لابن أبى زرع . انظر ص 128 وما بعدها . طبع دار المنصور بالرباط .

فتح بلاد المصامدة وما يتبع ذلك من جهاد برغواطة وفتح بلادهم

ثـم ارتحل عبد الله بن ياسين الى بـلاد المصامدة ، ففتح جبـل درن وبـلاد رودة ومدينة شفشاوة بالسيف ، ثم فتح مدينة نفيس وسائر بـلاد كدميوة ، ووفدت عليه قبائل رجراجة وحاحة فبايعوه ، ثـم ارتحل الى مدينة أغمات وبهـا يومئذ أميرها لقوط بـن يوسف المغـراوى ، فنزل عليهـا وحاصرها حصاراً شديداً ، ولما رأى لقوط ما لا طاقة له به أسلمها وفـر عنها ليلا هـو وجميع حشمه إلى تادلـة فاستجار ببنى يفرن ملوك سـلا وتادلة ، ودخل المرابطون مدينة أغمات سنة تسع وأربعين وأربعمئة ، فأقام بـها عبد الله بن ياسين نحـو الشهرين ريثما استراح الجنود ، ثـم خرج الى تادلة ففتحهـا وقتل من وجد بها من بنـى يفرن ملوكها ، وظفر بلقـوط المغـراوى فقتله ، وكان للقوط هـذا امرأة اسمها زينـب بنت إسحـاق النفزاويـة ، قال ابن خلدون وكانت من إحدى نساء العالـم المشهورات بالجمال والرياسة ، وكانت قبل لقوط عند يوسف بن علي بن عبد الرحمان بـن وطاس شيخ وريكة ، فلما قتل المرابطون لقوط بـن يوسف المغراوى خلفه أبو بكر بن عمر على امرأته زينب بنت إسحاق المذكورة إلى أن كـان من أمرهـا ما نذكره ، ثم تقدم عبـد الله بن ياسين الى بلاد تامسنا ففتحهـا واستولى عليها ، ثـم أخبر بأن بساحل تامسنا قبائل برغواطة فـى عدد كثير وجمع عظيم .

ولنذكر كلاماً ملخصاً في برغواطة ودولتهم ثم نرجع الى ما نحن بصدده فنقول : اختلف الناس في نسب برغواطة (1) هؤلاء فبعضهم يلحقهم بزناتة ، وبعضهم يقول فى متنبئهم صالح بن طريف البرغواطى إنه يهودي الأصل مـن سبط شمعون بن يعقوب عليه السـلام ، نشأ ببرباط حصن من عمـل شذونة مـن بلاد الأندلس ، ثم رحل الى المشرق وقرأ عـلى عبيد الله المعتزلى ، واشتغل بالسحر وجمع منه فنوناً ، وقدم المغرب فنزل بلاد تامسنا ، فوجـد بها قبائل جهالا ، فأظهر لهم الصلاح والزهد وموّه عليهم وخبلهم بلسانه ،

1) انظر عن نسب برغواطة كتاب **قبائل المغرب** تاليف عبد الوهاب بن منصور ج 1 ص 322 .

وسحرهم بنيرجاته (1) ، فصدقوه واتبعوه ، فأدعى النبوءة وشــرع لهــم شرائع ووضع لهم قرآنا حسبما تقدم الخبر عنــه مستوفى ، فكان يقال لمن تبعه ودخل فى دينه برباطى ، ثم عربته العرب فقالوا برغواطى ، فسموا برغواطة ، قــال ابن خلدون هذا مــن الأغاليط البينة ، وصحح أن القوم من المصامدة بشهادة الموطن والجوار وغير ذلك ، والتحقيق أن برغواطة قبائل شتى ليس يجمعهم أب واحد ، وانما هــم أخلاط من البربر اجتمعوا الى صالح بن طريف الذى أدعا النبوءة بتامسنا سنة خمس وعشرين ومئة مــن الهجرة فى خلافة هشام بــن عبد الملك بن مروان وتسمى بصالح المومنين ، وشرع لأتباعــه الديانة التى أخذوها عنه ، وكان صالــح قد شهد مع أبيه طريــف حروب ميسرة المدغرى كبير الصفرية لعهــده ، وكان طريف يكنى أبــا صبيح ومن كبار أصحاب ميسرة المذكور ، ويقال إنه ادعا النبوءة أيضاً ، وشــرع لقومه الشرائع ، ثــم هلك سنة سبع وعشرين ومئة ، وقام بأمره ابنه صالــح بن طريف المذكور ، فعفت مخارقه عــلى مخارق أبيه ، وكان أولا من أهــل العلم والدين ، ثــم انسلخ من آيت الله (2) وانتحل دعــوى النبوءة وأتى مــن البهتان بما أوضحناه قبل فى ولاية حنظلة بن صفوان الكلبى عــلى المغرب ، ثــم خرج صالح بــن طريف الى المشرق سنة أربع وسبعين بعد أن ملــك أمرهم سبعاً وأربعين سنة ، ووعدهــم أنه يرجع اليهم فى دولة الســابع منهم، وأوصى بشريعته الى ابنــه إلياس بن صالــح ، ولم يزل إلياس مظهراً للاسلام مصراً عــلى ما أوصاه به أبوه مــن كلمة كفرهم ، وكان متظاهراً بالعفــاف والزهد الى أن هلك سنة أربع وعشرين ومئتين لمضي خمسين سنة من ولايته، ثــم ولي من بعده ابنه يونس بــن الياس فأظهر دينهم ودعا إلى كفرهم وقتل مَن لم يــدخل فى أمره حتى حرق مدائن تامسنا وما والاها ، يقال إنــه حرق منهــا ثلاثمئة وثمانين مدينة واستلحم أهلها بالسيف لمخالفتهم اياه ، وقتــل منهــم بموضع يقال له تاملوكالات وهــو حجر عال نابت وسط الطريــق سبعة آلاف وسبعمئة وسبعين نفساً ، قال زمور بــن صالح ثم رحل يونس

---

1) جمع نيرج اخذ كالسحر .

2) اى من حزب الله ، وآيت معناها بالبربرية أبناء ، اهل .

بن إلياس الى المشـــرق وحج ولم يحج أحد من أهل بيته قبلـه ولا بعده ، وهلك سنة ثمان وستين ومئتين لأربـع وأربعين سنة من ملكه ، وانتقـل الأمر عن بنيه الى غيرهم مـن قرابته ، فولي أمرهم أبو غفير محمد بـن معاذ بن اليسع بن صالح بن طريف ، فاستولى عـلى ملك برغواطة ، وأخـذ بدين آبائـه ، واشتدت شوكته وعظم أمره ، وكـان له فى البربر وقائـع مشهورة، وأيام مذكورة ، أشار الى شيء منها سعيد بن هشام المصمودى فـى أبيات منها قوله :

وهذى أمة هلكوا وضلـــــــوا	وجاروا لاسقوا ماء معينـــــــا
يقولون النبيُّ أبو غفيـــــــر	فأخزى الله أمَّ الكـاذبينـــــا
سيعلم أهل تامسنا اذا مـــــا	أتوا يـوم القيامـة مهطعينـــا
هنالك يونس وبنو أبيـــــــه	يقـودون البرابـر حائـرينـــا

واتخذ أبـو غفير من الزوجات أربعـاً وأربعين لأنهم يبيحون فـى ديانتهم الخسيسة ان يتزوج الرجل مـن النساء ماشاء ، وكان له من الولـد مثل ذلك وأكثر ، وهلك أواخر المئة الثالثة لتسع وعشرين سنة من ملكه ، ثـم ولي بعده ابنه أبو الأنصار عبد الله بن أبـى غفير ، فاقتفى سننه ، وكان كبيـر الدعوة مهيباً عند ملوك عصره ، يهادونه بالمواصلة ، وكـان يلبس الملحفة والسراويل ويلبس المخيط مـن الثياب ، ولا يعتمُّ أحد من بـلاده إلا الغرباء ، وكان حافظاً للجوار ، وافياً بالعهد ، وتوفي سنـة احدى وأربعين وثلاثمئة لأربع وأربعين سنة مـن ملكه ، ودفن بتاسلاخت وبها قبره ، وولي بعده ابنه أبـو منصور عيسى بن أبى الانصار ، وهـو ابن اثنتين وعشريـن سنة ، فسار سيرة آبائه وادعى النبوءة واشتـد أمره وعلا سلطانه ودانـت لـه قبائل المغرب ، قال زمور بن صالح : كـان عسكره يناهز الثلاثة آلاف من برغواطـة وعشرة آلاف من سواهم ، وقد كان لملوك العدوتيـن فـى غزو برغواطة هؤلاء وجهادهم آثار عظيمة مـن الأدارسة والأموية والشيعـة وغيرهـم ، ولما زحف بلكين بن زيرى بن منـّاد الصنهاجى إلى المغـرب زحفـَه المشهور وأجفلت قبائـل زناتة وملوكها بين يديـه وانحازوا الى

سبتة وأطلّ عليهم مـن قبل تطوان وعاين جمعهم الكثيف رجع عنهم الى جهاد برغواطة فأوقع بهـم وقتل أميرهم أبا منصور عيسى بن أبـي الأنصار وبعث بسبْيهم الى القيروان وذلـك سنة تسع وستين وثلاثمئة ، ثم حاربتهم أيضاً جنود المنصور بـن أبي عامر لما عقد ابنه عبد الملك المظفر لمولاه واضـح عـلى جهاد برغواطة فعظم أثره فيهم بالقتل ، ثم حاربهم أيضاً بنو يفرن لمـا استقل بنو يعلى بـن محمد بن صالح منهم بناحية سلا واقتطعوها عن عمـل زيـرى بن عطية المغراوى صاحب فـاس ، وكان لأبي الكمال تميم بن زيرى اليفرنى فيهـم جهاد كبير تقدم التنبيه عليه وذلك أعوام العشرين وأربعمئـة، فغلبهم على تامسنا وولّى عليها من قبله بعد أن أثخنَ فيهـم سبيـاً ، ثـم تراجعوا من بعده الى أن جاءت دولة المرابطين ودخلوا أرض المغـرب دخلتهم الثانية ففتحوا بـلاد المصامدة وبلاد تادلـة وتامسنا ، فأخبروا عبد الله بـن ياسيـن أن بساحلها قبائل برغواطة فـي عدد كبير وجمع عظيم ، وأنهـم مجوس أهل ضلالة وكفـر ، وأخبر بما تمسكوا به فـي ديانتهم الخبيثة ، وقيل لـه إن برغواطة قبائل كثيرة وأخلاط شتى اجتمعوا فـي أول أمرهم عـلى صالح بن طريف المتنبىء الكـذاب ، واستمر حالهم على الضلالة والكفر الى الآن فلمـا سمع عبد الله بن ياسين بحال برغواطة وما هم عليه من الكفـر رأى أن الواجـب تقديم جهادهم عـلى جهاد غيرهم ، فسار إليهم في جيوش المرابطين ، والأمير يومئذ عـلى برغواطة هو أبو حفص عبد الله من ذرية أبـي منصور عيسى بن أبي الأنصار عبد الله بـن أبي غفير محمد بن معاذ بن اليسع ابن صالح بـن طريف ، فكانت بينه وبين عبد الله بـن ياسين ملاحم عظام مـات فيها من الفريقين خلق كثير ، وأصيب فيها عبـد الله بن ياسين الجزولى مهـدى المرابطين ، فكان فيها شهادته رحمه الله ، ولمـا حضرته الوفاة قال لهم يامعشر المرابطين إنى ميت مـن يومى هذا لا محالة ، وانكم في بـلاد عدوكم ، فاياكم أن تجبُنوا أو تتنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، وكونـوا أعوانا عـلى الحق فى ذات الله واياكم والتحاسد عـلى الرياسة ، فان الله يوتى ملكه مَن يشاء من خلقه ، ويستخلف فـي أرضه مَن أراد من عباده ، وكـلام غيـر هذا ، وتوفي عبد الله بن ياسين عشيـة ذلك اليوم ، وهـو يوم الأحد

الرابع والعشرين من جمادى الأولى سنة إحدى وخمسين وأربعمئة (8 يوليوز 1059 م) بموضع يعرف بكريفلة وبني على قبره مسجد وهو مشهور بها الى الآن ، وكان عبد الله ابن ياسين رحمه الله شديدَ الورع فى المطعم والمشرب ، انما يعيش من لحوم الصيد ونحوها لم يأكل شيئاً من لحوم صنهاجة ولا من ألبانها مدة إقامته فيهم ، وكان مع ذلك كثير النكاح يتزوج فى كل شهر عدداً من النساء ثم يطلقهنَّ ، ولا يسمع بامرأة جميلة الا خطبها ، ومن حسن سياسته أنه أقام فى صنهاجة السنة والجماعة حتى انه ألزمهم أن مَن فاتتْه ركعة منها ضرب خمسة أسواط ، ومن كرامته أن المرابطين خرجوا معه فى بعض غزواته لبلاد السودان فنفد ما معهم من الماء حتى أشرفوا على الهلاك ، فقام عبد الله فتيمَّم وصلى ركعتيْن ، فدعا الله تعالى وأمَّن المرابطون على دعائه ، فلما فرغ من الدعاء قال لهم احفروا تحت مصلاي هذا ، فحفروا فصادفوا الماء على نحو شبر من الأرض عذباً ، فشربوا واستقوا وملأوا أوعيتهم ، ومن تقواه وورعه أنه لم يزل صائماً من يوم دخل بلاد صنهاجة الى أن توفي .

واستمر الأمير أبو بكر على رياسته ، وجددت له البيعة بعد وفاة عبد الله بن ياسين ، فكان أول ما فعله بعد تجهيزه إياه ودفنه أن زحف الى برغواطة مصمماً فى حربهم متوكلا على الله فى جهادهم ، فأثخن فيهم سبياً وقتلاً حتى تفرقوا فى المكامن والغياض ، واستأصل شأفتهم ، وأسلم الباقون اسلاماً جديداً ، ومحا أبو بكر بن عمر أثر دعوتهم من المغرب ، وجمع غنائمهم وقسمها بين المرابطين ، وعاد الى مدينة أغمات .

غزو أبي بكر بن عمر بلاد المغرب سوى ما تقدم وفتحه اياها

لما استقر الأمير أبو بكر بن عمر بأغمات أقام بها الى صفر من سنة اثنتين وخمسين وأربعمئة وخرج غازياً بلاد المغرب فى أمم لا تُحصَى من صنهاجة وجزولة والمصامدة ، ففتح جبال فازاز وسائر بلاد زناتة ، وفتح مدائن مكناسة ، ثم نزل على مدينة لواتة (1) فحاصرها حتى اقتحمها عنوة

1) مازالت بقايا هذه المدينة معروفة باسمها الى اليوم بناحية صفرو من اقليم فاس .

بالسيف وقتل بهـا خلقاً كثيراً من بنى يفرن وخربها فلم تعمـر بعد إلى الآن ، وكـان تخريبه إياها فى آخر يوم من ربيع الثانى من السنة المذكـورة ، ثم رجع الى مدينة أغمات .

عود أبى بكر بن عمر الى بلاد الصحراء والسبب فى ذلك

كـان الأمير أبو بكر بن عمر اللمتونى تزوج زينـب بنت اسحاق النفزاوية وكانت بارعة فـى الجمال والحسن كما قلنا ، وكـانت مع ذلك حازمة لبيبة ذات عقل رصين ورأي متين ومعرفة بادارة الأمور ، حتى كان يقال لهـا الساحرة ، فأقام الأمير أبو بكر عنـدها بأغمات نحو ثلاثة أشهـر، ثم ورد عليه رسول مـن بلاد القبلة فأخبره باختلال أمـر الصحراء ووقوع الخلافِ بين أهلهـا ، وكان الأمير أبو بكر رجلا متورعاً فعظم عليه أن يقتل المسلمون بعضهم بعضاً وهـو قادر على كفهم ، ولم ير أنه فى سعة مـن ذلك وهـو متول أمرهم ومسؤول عنهم ، فعزم عـلى الخروج الى بلاد الصحـراء ليُصلح أمرهم ويقيم رسـم الجهاد بها ، ولما عزم على السفر طلـق امرأته زينب وقـال لها عند فراقه إياها يازينب انى ذاهب الى الصحراء وأنت امرأة جميلة بضة لا طاقةَ لكِ عـلى حرارتها ، وانى مطلقك ، فاذا انقضت عـدتك فانكحى ابـنَ عمى يوسف بن تاشفين فهـو خليفتى على بلاد المغـرب ، فطلقها ثم سافر عـن أغمات وجعل طريقه على بـلاد تادلة حتى أتى سجلماسة فدخلها وأقام بها أياماً حتـى أصلح أحوالها ثم سافر الى الصحراء ، ونقـل ابنُ خلكان من كتاب (المعرب عن سيرة ملـوك المغرب) فى سبب رجـوع الأمير أبى بكر بن عمر الى الصحراء ما مثاله قـال : كان أبو بكر بن عمـر رجلا ساذجاً خيـر الطبع مؤثراً لبلاده عـلى بلاد المغرب غير ميال الـى الرفاهية ، وكان ولاة المغرب من زناتة ضعفاء لم يقاوموا الملثمين فأخذوا البلاد من أيديهم من باب تلمسان الى ساحل البحر المحيط ، فلمـا حصلت البلاد لأبى بكر بن عمر سمع أن عجوزاً فـى الصحراء ذهبت لهَا ناقة فـى غداة فبكت وقالت ضيعنا أبـو بكر بن عمر بدخوله الى بلاد المغرب فحملـه ذلك عـلى أن استخلف على بلاد المغرب رجلا مـن أصحابه اسمه يوسف بـن تاشفين ورجع الى بلاده الجنوبية هـ .

وكـان سفر أبى بكر بن عمر الى الصحراء فى ذى القعـدة سنة ثـلاث وخمسين وأربعمئة ، ولما وصل اليها أصلح شأنها ورتب أحوالهـا وجمـع جيشاً كثيفا وغزا به بلاد السودان ، فاستولى منها عـلى نحو تسعين مرحلة ، وكـان يوسف بن تاشفين قـد استفحل أمـره أيضاً بالمغرب ، واستولى عـلى أكثر بلاده ، فلما سمـع الأمير أبو بكر بن عمر بمـا آل إليه أمر يوسف بن تاشفين وما منحه الله أقبل من الصحراء ليختبر أحواله ، ويقـال إنه كان مضمراً لعزله وتولية غيره ، فأحسَّ يوسف بذلك فشاور زوجته زينب بنت اسحاق وكـان تزوجها بعد أبى بكر بن عمر ، فقالـت له إن ابن عمـك متورع عن سفك الدماء ، فاذا لقيته فاترك ما كـان يعهده منك مـن الأدب والتواضع معه ، وأظهر أثـر الترفع والاستبداد حتـى كأنك مساوٍ لـه ، ثم لاطفْه مع ذلك بالهدايا من الأموال والخلع وسائر طـرف المغرب ، واستكثر مـن ذلك فانه بأرض صحراء ، وكل ما جلب إليه مـن هنا فهـو مستطرف لديه ، فلما قرب أبو بكـر بن عمر من أعمال المغرب خرج اليـه يوسف بن تاشفين فلقيه عـلى بعد وسلم عليه وهو راكب سلاماً مختصراً ، ولم ينزل إليه ولا تأدب معه الأدب المعتاد ، فنظر أبو بكر الى كثرة جيوشه فقال لـه يايوسف ما تصنع بهذه الجيوش ؟ قال أستعينُ بهـا عـلى مَن خالفنى ! فارتاب أبو بكر بـه ، ثم نظر الى ألف بعير قد أقبلت موقرة ، فقـال ما هذه الابل الموقرة ؟ فقال أيها الأميـر انى قد جئتك بكل ما معى من مال وأثاث وطعام وإدام لِتستعين به على بلاد الصحراء (1) فازداد أبـو بكر تعرفاً من حاله وعلم أنه لا يتخـلى له عن الأمر ، فقال له يابن عـم إنزل أوصيك ، فنزلا معاً وجلسا ، فقال أبو بكر انى قـد ولَّيتُك هذا الأمر، وانى مسؤول عنه ، فاتـق الله تعالى فى المسلمين واعتقنى واعتق نفسـك مـن النار ، ولا تُضيع من أمـور رعيتك شيئاً ، فانك مسؤول عنـه ، والله تعالى يصلحك ويمدك ويوفقك للعمل الصالح والعدل فـى رعيتك ، وهـو خليفتى عليك وعليهم ، ثم ودعه وانصرف الى الصحراء ، فأقام بها مواظباً عـلى الجهاد فى كفار السودان الى ان استشهد مـن سهم مسموم أصابـه

1) انظر تفصيل هدية يوسف بن تاشفين الى أبى بكر بن عمر فى **الحلل الموشية** ص 16 .

فـي شعبان سنة ثمانين وأربعمئة بعد أن استقام له أمر الصحراء كافـة الى جبـال الذهب من بلاد السودان ، والله غالب عـلى أمره .

قال في (الوسيط) البيبة (1) بلام مفخمة هي جبل أزرق ، وبها قبر أبي بكـر بن عمر بن أبي بكر أحد سلاطين مراكش ، وهـو عم يوسف بن تاشفين ، وكان ثار عليه في مدة غيبته فتركه وذهب الى الصحراء مات بها ، وبينها وبين تيججكة يوم ونصف .

ترجمه ابـن خلدون وابـن جزي وصـاحب (الحلل الموشيـة) وصاحب (درة السلوك) و (الاستقصا) وغيرهم .

59) أبـو بكر بن إبراهيم الأمير أبو يحيى المسوفي الصحراوي .
قال في الاحاطة (2) من أمراء المرابطين ، صهر علي بن يوسف بن تاشفين زوج أخته ، أبو ولده منهـا يحيى المشهور الكرم .

أوليته : معروفة ، تُستَقرأ عند ذكر ملوكهم .

حـاله : كان مثلا في الكرم وآية في الجود ، أنسى أجواد الاسلام والجاهلية إلى الغايـة في الحياء والشجاعة والتبريز في ميدان الفضائـل ، استوزر الوزير الحكيم الشهير أبا بكر ابن الصائغ واختصه فتجملت دولته ونبه قدره ، وأخباره معه شهيرة .

ولايتـه : ولي غرناطة سنة خمسمئة ، ثم انتقل منها إلى سرقسطة عند خروج المستعين ابن هود الى روطة (3) فأقام بها مراسم الملك وانهمك في اللذات وعكف على المعاقرة ، وكان يجعل التاج بين ندمائه ويتزيَّى بزيّ الملوك ، إلى أن هلك بها تحت مضايقة طاغية الروم المستولى عليها بعد .

---

1) انظر **الوسيط في تراجم ادباء شنجيط** ص 447 .

2) **الاحاطة** 1 : 412 تحقيق الأستاذ عبد الله عنان .

3) **روطة** Rueda مدينة قديمة بالأندلس تقع على نهر خالون غربي سرقسطة ، كان يلجأ اليها بنو هود لمناعتها كلما شعروا بالخطر على ملكهم ، ولا تزال بها الى اليوم أطـلال حصن اسلامي .

خروجه من الصحراء

قال المؤرخ : كان أبو بكر هذا رئيساً على بعض قبيله في الصحراء ، وكـان ابن عمه منفرداً بالتدبير ، فاتفـق يوما أن دخل عـلى ابن عمه في خبائه وزوج ابن عمه تمتشط في موضع قريب من الخباء ، فانشغلت نفس أبي بكر بالمرأة لحسنهـا وجمالها ، فحين دخـل قال لابن عمه فلانة تريد الوصول اليك ، وإنما قصد الاستئذان لرجل من أصحابه فنطق باسم المرأة لشغل باله بها ، فقال له ابن عمه بعد طول صمت وفكرة وقد أنكر ذلك : عهدي بهذا الشخص لا يستأذن علينا ، فرجع اليه عقله وتـاب اليه لبـه ، وعلم قدر ما من القبيح وقـع فيه ، فخرج من ذلك المجلس وركب جملـه وهـان عليه مفارقة وطنه من أجل العار ، واستصحب نفراً قليلا من أصحابه على حال استعجال ، ورحل ليلا ونهاراً الى أن وصل سجلماسة أولى عمالات علي بن يوسف ابن عمه ، واتصل به قدومُه فأوجب حقه وعرف قدره وعقد لـه على أخته وولاه على سرقسطة دار ملك بني هود بشرق الأندلس بعـد ولاية غرناطة .

نبذة من اخباره في الكرم

قالوا لما وصـل الى ظاهر سجلماسة مجهول الوفادة ، خافي الأمر، نزل بظل نخلـة بظاهرها لا يعرف أحداً ولا يقصده ، فجاء في ذلك الموضع رجـل حداد فقراه بعنز كان له وتعرف لـه ، وأبو بكر يستغرب أمـره ، فلما فرغوا مـن أكلهم قال للحداد ألا تصحبنا لموضع أملنا وتكون أحـد إخواننا حتى تحمد لقاءنا ؟ فأجابه وصحبه الحداد وخدمه ، فلمـا قربوا من مراكش استأذن أبـو بكر على علي بن يوسف بـن تاشفين وأعلمه بنفسه ، فأخرج لـه علي بن يوسف فرساً من عتاق خيله وكسوة مـن ثيابه وألف دينار ، فأمر أبـو بكر بدفعها للحداد ، فبهت الحداد وانصرف الرسـول راجعـاً الى مرسِله ، فأخبره بما عاين من كرمه وفعله ، فأعـاده إليه فـي الحيـن والساعة بفرس آخر وكسى كثيرة وآلاف من المـال ، فلما دخـل مراكش ولقي علي بـن يوسف وأنزله أنزل الحداد مـع نفسه في بيت واحد وشاركه في الأموال التي توجَّب بها ، فانصرف يجرُّ وراءه دنيا عريضة .

ولما ملك سرقسطة اختص الوزير الحكيم أبا بكر ابن الصائغ ولطف منه محله ، ذكر أنه غاب يوماً عنه وعن حضور مجلسه بسرقسطة ثم بكّر من غد فلما دخل قال له أين غبت ياحكيم عنا ؟ فقال يامولاي أصابتني السوداء واغتممت ، فأشار الى الفتى الذى كان يقف على رأسه وخاطبه بلسان عجمي فأحضر طبقاً مملوءاً مثاقيل وعليه نوار ياسمين فدفعه كله اليه ، فقال ابن باجّه يامولاي لم يعرف جالينوس هذا الطب ! فضحك .

وذكر أنه أنشده شعراً فى مدحه وقد قعد للشراب واستفزه الطرب وحلف أن لا يمشي الا من فوق المال الى منزله فى طريقه، فالتمس الخدام برنسه بأن كانوا يطرحون من المال شيئاً له خطر على أوعيته حتى يغمرها فيمشي خطواً الى أن وصل الى منزله ، وحسد الحكيم أصحابُه ولم يقدروا على مطالبته ، واتفق أن سار الأمير أبو بكر وأمر أصحابه بالتأهب والاستعداد ، فاستعدّ ابن باجه واتخذ الأقبية والأخبية واستفره الجياد من بغال الحمولة ، فكانت له منها سبعة صفر الألوان حمل عليها الثياب والفرش والمال ، فلما نزل الأمير بمقبرة مرت عليه البغال المذكورة فى أجمل الهيئات ، فقال لجلسائه لمَن هذه البغال ومن يكون له من رجالنا هذا ؟ فأصابوا الغرة ، فقالوا هي للحكيم ابن الصائغ صاحب سرقسطة ، وليعلم مولانا أن فى وسط كل حمل منها ألف دينار ذهباً سوى المتاع والعدة ، فاستحسن ذلك وقال أهذا حق ؟ قالوا نعم ، فدعا الخازن على المال وقال له ادفع لابن باجه خمسة آلاف دينار ليكمل له اثنا عشر ألفاً ، فقد سمعتُه غير ما مرة يتمنّى أن يكون له ذلك ، ثم بعث عنه فى الحين، وقال له ياحكيم ما هذا الاستعداد ؟ فقال له يامولاي كل ذلك من هباتكم وأعطياتكم ، وقد علمت أن إظهار ذلك يسركم ، فسرّ بذلك ، وأخباره رحمه الله كثيرة .

محنته :

قالوا ولما ولي غرناطة سنة خمسمئة ثار بها وانبرى على قومه لأمر رابه ، فانتبذ عنه أهله وناصبوه الحرب حتى استنزلوه عنوة وقبضوا

عليه ووجهـوه الى علي بـن يوسف ، فآثر الابقاء عليه وعفا عنـه واستعمله بسرقسطة كذا ذكره الملاحي وأشار اليه ، وعندى أن الأمـر ليس كذلك ، وان الذى جرى لـه ذلك هو أبو بكر بن علي بـن يوسف تاشفين فليحقَّق .

وفـاتـه :

توفي بسرقسطة سنة عشر وخمسمئة بعد أن ضاق ذرعـه بطاغية الروم الذى أناخ عليه بكلكله ، وعندما تعرف خبر وفـاته واتصلت بالأمير ابراهيم بن تاشفين وهو يومئذ والى مرسية بادر الى سرقسطة فضبطهـا ونظر فى سائر أمورها ، ثم صدر إلى مرسية .

رثـاؤه :

ورثاه الحكيم أبو بكر ابن الصائغ بمراث اشتهر منها قوله :

سلام وإلمام ووسمي مزنـــــة — على الجدث النائى الـذى لا أزوره
أحق أبو بكر تقضى فلا تـــرى — ترد جماهير الوفود ستـــوره
لئن أنست تلك اللحودُ بلحـده — لقد أوحشت أمصاره وقصـوره

ومن ذلك :

أيها المالكُ المفدى لعمـــرى — نُعِيَ المجدُ يوم قمنا فنحنـــا
كم تقارعت والخطوب الـــى أن — غادرتك الخطوبُ فى الترب وهْنا
غير أنى إذا ذكرتك والدهــــ — ـــر أخال اليقينَ فى ذاك ظنـا
وسألنا متى اللقاء ؟ فقيل الـــ — ـحشر قلنا صبراً اليه وحزنـا

وما ذكره ابنُ الخطيب فى قضية حلفه أن لا يمشي إلا من فـوق المـال الخ عبارة قاصرة لأنه لم يبيـن الشعر الذى أنشده ، والواقـع أن الحكيم ابن باجه المذكور صاحب التلاحين المعروفة حضر مجلس مخدومه المـذكور فالقى على بعض قيْناتـه موشحتَه :

جرر الذيل أيما جـــر — وصل السكر منك بالسكـر

فطرب الممدوح حتى ختمها بقوله :

عقد اللهُ رايةَ النصـــــر   لأمير العلا أبى بكـــــر

فلما طرق ذلك التلحين سمعه صاح واطرباه ! وشق ثيابه ، وقال ما أحسن ما بدأت به وما ختمت ، وحلف بالايمان المغلظة أن لا يمشي ابن باجه الى داره إلا على الذهب (1) .

60) **أبو بكر بـن ميمون القرطبى** ، أخذ عنه حسن بن علي الأنصارى بمراكش ، وصحبه أبو بكر بن عثمان بـن صالح المسراتى المراكشى النشأة قاضى مدينة أنفا بتامسنا ، الشيخ الفقيه الحاج البادى القشف والسذاجة ، قرأ فى مراكش على أبى الحسن المرسى ، وأبى عبد الله العبدرى ، وبحاحة على يحيى بن سعيد ، وأبى زيد بـن عبد الله ، وأخيه أبى بكر ، وبأغمات على أبى العباس المعروف بأقدم ، وحج سنة أربع وثلاثين وسبعمئة، وولي القضاء بقصر كتامة وحصن القاهرة وأزمور وأنفا ، وأقرأ بمدرستها كتاب أبى عمرو بن الحاجب .

مولده فى حدود عشرة وسبعمئة .

ذكره ابن الخطيب فى (نفاضة الجراب) .

61) **أبو بكر بن أحمد التاملى** الفقيه اللغوي الأديب شارح مقصورة المكودى .

توفي رحمه الله بمراكش سنة سبع وسبعين وتسعمئة كما رمز لذلك الفشتالى فى لاميته المشهورة .

ذكره الحضيكى فى الطبقات (2) .

---

1) ترجم المؤلف بعد هذا لابى بكر الصيرفى صاحب كتاب **الأنوار الجلية** ، وقال ان ترجمته سبتأتى فيمن اسمه يحيى ، فهو مترجم لديه مرتين ، مرة مع اسمه ومرة مع كنيته ، وقد فضلنا ان نجمع الترجمتين فى ترجمة واحدة ونثبتهما فى مكان الاسم من حرف الياء ، كما ترجم أيضاً لأبى بكر ابن القصيرة ، واسمه محمد ، وستثبت ترجمته مع المحمدين .

2) **طبقات الحضيكى** ص 154 .

62) **أبو بكر بن احمد بن سعيد الجزولي** نزيل مراكش ، أخذ عـن الامـام منصور بن أحمد بن ابراهيم حرزوز المكناسي وكتب لـه إجازة قال فيها : قـدم علينا الكامل ، العلامة العامل ، الجامع ، لخصال الفضائل ، الفقيه الجليل سيدنا أبو بكر بن أحمد الجزولي الخ وعن الفقيه الأديب سعيد ابن علي بن محمد الحامدى الجزولي ، وأجاز له أيضاً جميع ما في فهرسة ابن غازى ، وعن الشيخ محمد بن محمد بن إبراهيم الجزولي وكتب له الاجازة ، وانظره مع الذى فوقه هل هما واحد أم لا ؟ .

ذكره الحضيكي في طبقاته (1) ، وستأتي ترجمة شيخه سعيد الجزولي.

63) **أبو بكر بن محمد بن سعيد المجاطي الدلائي** ، الولي الكامل ، الشيخ الفاضل ، الصالـح المجمع عـلى تبريزه ، الذى صاغه الدهـر من خلاصة إبريزه ، وأبو بكر اسمه ، وكنيته أبو الجمّال ، قال فـي (الممتع)، قال في (المرءاة) هـو من أكابر مشايخ المسلمين ، وأولياء الله المقربين ، واحد عصره ، ونسيج وحده ، متخلق بالشريعة ، متحقق بالحقيقة ، بحـر جود لا ساحل له ، يعطى عطاء من لا يخاف الفقر :

فلو رأى مَن مضى قدماً مكارمـه لم يذكروا في الندا معناً ولا هرماً

أقـام الله به رسم الجـود ، وأفـاض به نعمته عـلى الوجـود ، يكـل اللسـان والقلـم عـن استيفـاء فضائلـه التى هي أشهر من نـار على علـم ، وحسبك أن المغرب لما تداعت قواعده وأنهدت أركـان الملك به فاختـل النظام وماج الناس كان مؤئلا لأهـل العلم والدين ، وموردا للضعفاء والمساكين ، فاعتصم الاسلام منه بربوة ذات قرار متين ، فهو الذى أمسك رمقه ، وأبقى رواءه ورونقه ، وذكر أن أخاه الشيخ احمـد بن الشيخ سيدى يوسف الفاسي زار صاحب الترجمة فـي محرم فاتح ثمانية عشر وألـف فاقام عنده أياماً وأخذ عنه وانتفع به ، فلما رجع الى فاس سألوه عنه ، فقال لهم أخذ الناس بالأوصاف وأخذ سيدى أبو بكر بالاتصاف هـ .

1) طبقات الحضيكي ص 154 .

وكـان كثير الاطعام أمراً خارجاً عن الوصف ، مباينا للعادة والألف، وكان يـطعم الناس على قدر طبقاتهم وما يناسبُ حالَهم فى جودة الطعام ورداءته على سنة شيخه سيدى أبى عمر وطريقته ، فقال له إنسان إطعامك فيه الرياء فان سيدى فلان إنما يُطعم الناس سواء ، فقال له مَن حسب الناس سواء فما لحمقه دواء ، فان الناس أصناف ، وكل واحد وما اعتاد من الغـذاء ، فالبدوى الذى ألـف الطعام الغليظ من الدخن وشبهه إن أطعمته الدقيـق لم يـشبعـه وبات جائعاً ، والحضرى الذى ألف الدقيق ان أطعمتـه غيره لم يقبل عليه ولم يسغه وبات جـائعاً ، وان بات أحدهما جائعاً ولم أطعمه ما يحب فقـد أهنته ولم أكرمه ، وقد قـال النبيءُ (ص) : مَن كـان يومن بالله واليوم الآخر فلـيُكرم ضيفَه .

وحـدث عنه بعض حفـدة الشيخ أبى المحاسن الفاسى أنه سمعه يقول : إن أهل الله أشاروا عليه باتخاذ الزاوية لاطعام الطعام ، فأرسـل الى الشيـخ أبى المحاسن ينظر ما يقول فـى ذلك ، فبعث إليه أبو المحاسـن ببرمة وكسكاس نحاس موافقة منـه على ذلك .

وكـان مراعياً للشريعة محافظاً على السنة جارياً عليها بحاثا عـن العلم حاضاً عـلى تعلمه وتعليمه ، تالياً القرآن كثير الذكر والصلاة على رسول الله (ص) زاهداً فى الدنيا غير ملتفت اليها ولا ناظر الى زهرتها ولا مغتر بزخرفها ولا مفتون بزينتها ، وكان ما يفتح عليه به منها يصرفه مصارفـه فـى الحين على الفقراء والمساكين والعلماء والشرفاء وغيرهم ، ولا يلتبس من ذلك بجليل ولا حقير ، وكـانت الرحمة والحنان عـلى جميع المومنين وصفاً غالباً عليه ، يسر بما يسرهم ، ويغتم ويهتم بمـا يؤلمهم ويضرهم .

وبركاته كثيرة وكراماته ومكاشفاته شهيرة ، أذكر منها إنـه كان يوماً جالساً فجاءه انسان يسأله كسوة وعليه ثياب خلقة ممزقة ، فقال لانسان عنده قـم يافلان فاذهب بـه وفتش ما عليه ففتشه فوجد فى درابيله عدداً كثيراً من الدنانير نسيت تحقيقه ، فأتى بها الشيخ ، فقال له اشتر له منها كسوة ففعل وأتاه بها فأعطاه اياها وناولـه ماله ، وقال له هكذا ينبغى للرجل

أن يكســو نفسه ولا يكون لأحد عليه جميل ، فمن يومئذ أطلق عـلى الرجل ماله وصار يتصرف فيه وينتفع به .

ومن كلامه رضي الله عنه فى تقبيل اليد : مَن مد يده الى التقبيل وهي يده فحقها القطع ، ومَن منعها من التقبيل وهي يد الله فحقها القطع .

وأخـذ رضي الله عنه على سبيل الارادة والتحكيم عـن سيدى أبى عمر القسطـلى المراكشى وأقبل عليه فى أول مرة اقبالا عظيماً وضمه اليـه وألبسه قلنسوته بيديه، وكان رأس صاحب الترجمة أضخـم من رأس الشيخ فلم تسع القلنسوة رأسه ، فجعل الشيخ يوسعها ويكلفها رأسه ، فاخبـر صاحب الترجمة أنه فتح له فــى ذلك الالباس بأمر عظيم من المُلك والملكوت وعـالم الملائكة ثم الغيب عن ذلك كله ، ثم صار يتردد اليه ويذهب لزيارته صحبة الشيخ عبد الله بن يعقوب نزيل مدشر عبد الله ودفينه الى أن توفـي الشيخ عبـد الله فصار صاحب الترجمة هو الذى يتقدم بالزوار مـن المريدين خلفاً مـن عبد الله ، وهاج عليه سلطان المحبة مرة فذهب الى الشيخ وحـده فلمـا وصله وجده بجنازة والوباء بمراكش ولعله وباء خمس وستين وتسعمئة فقال لـه الشيخ ما جاء بك ؟ ألم يقل النبيُ (ص) إذا سمعتـم الوباء بأرض قوم فـلا تقدموا عليه ؟ فقال له لا عقل لى فقال له أين رفقاؤك الـذين صحبتهم فـى طريقك ؟ فقال انما جئت وحـدى ، فقال له ألـم يقل النبي (ص) الواحد شيطـان والاثنان شيطانان ؟ فقـال له لا عقل لى ، فقال لـه فأين عصاك ؟ فانه ما من نبيٍ الا كانت معـه عصى ، فقال له لا عقل لى ، فعذره ، ولمـا توفي الشيـخ وجد صاحب الترجمة النقصَ فـى حاله وفقد ما كان يعهده من نفسه فلـم تقله أرض ولم تظله سماء وهـام على وجهه فى البرية مـع الوحوش والسباع وأقبل عـلى تلاوة القرآن ، فقرأ ختمات كثيرة ، فلـم يرجـع اليه حاله ، ثم أقبل على ذكر لا إله الا الله فلـم ينجبر ، ثم اشتغل بالصلاة عـلى النبي (ص) فعاد إليه حاله وما فقد ، وكـان فى حياة شيخه إذا رجع مـن عنده مرً فى طريقه ببلاد سيدى محمد الشرقى بتادلة وكـان أعنى صاحب الترجمة ظهـر بتلك النواحى واشتهر ، فكان اذا قرب مـن

منـــزل سيدى محمد أحس بنقص فى نفسه فألهِم أو رأى أن ذلـك انمـا يطرأ له من قبـل الشيخ المذكور ، فعاد يتجنب طريقه وياتى عـلى الجبـل ، وقيل إنـه شكى ذلك لشيخه سيدى أبى عمر فأمره أن يتجنب طريقـه ، وكان الشيـخ أبو عبد الله رجلا قوياً ذا عناية يغار أن يظهر معه أحد بتلـك البلاد ، ثـم انه ذهب اليه بعد ذلك زائراً فـى رفقة من زواره حاملا حزمة حطب على ظهره فتلقـاه بالترحيب والاقبال ، ودعـا له بالخير ، وقال لـه اذهب ياولدى فـان جميع الأولياء كسرت سواقيهم اليك .

وفـى (المرآة) حدثنى الشيخ محمـد يعنى ابن سيدى أبى بكـر أن الشيـخ أبا عبد الله الشرقى أخذ عن الشيخ محمد المختار وأنه قـال لـه كنت مع سيدى محمد بن عمر مثل والدك سيدى أبى بكـر معى ، وقال لى ضيق البـاب ، وقل أنت سيدى أبى بكر ضيق الباب ، فقلت للشيـخ أبى عبد الله ما قصدهم بذلـك ؟ قال التقليل من جموع الناس هـ . وأتـى بلاد زعير لسيدى محمد ابن مبارك الزعرى وقيل وسيدى مبارك الطيبـى وغيرهما من جملة أصحاب سيدى عمـر رضي الله عنهم ، وزار أيضاً سيدى أبا الطيب اليحياوى بمنزله من ميسور ، وبلغنى أن سيدى علي بن ابراهيم البوزيدى هـو الذى سماه بأبى بكر وذلك أنه اجتاز بتلك البلاد أيام ولادته فأتوه بطعام عقيقته وقالوا له فما نسميه ياسيدى ؟ قال أبـو بكر ، فقالوا له ان البربر يغيرون الأسماء فيصيرون أبا بكر بك ، فقال لهم لا يغيرونه إن شاء الله فكان كذلك رضي الله عنهم ونفعنا ببركاتهم .

قال فى (المرآة) ولد الشيخ أبو بكر سنة ثلاث وأربعين وتسعمئة، وتوفي عند طلوع الشمس يومَ السبت الثالث من شعبان سنة احدى وعشرين وألف ، ودفن فى الدلاء هـ .

وقال فى (الصفوة) نزلت العكاكزة يوماً قريباً من زاويته حيـن هربوا من بلادهم ، فأتوا وهم جياع ، فشكوا له ما بهم من الفاقة ، فقال لهم ها زرع الزاوية محصوداً مجموعاً ادرسوا منه وكلـوا ، فأنكر ذلك كبيـر أولاده سيدى محمد بن أبى بكر وقال لـه ان هؤلاء فساق وكفار ثـم هم ظلام

محاربون وكيف تعينهم وتبيح لهم زرع المساكين ؟ فقال له الشيخ : أريد أن اتخذ عندهم يداً ، فاذا سلبوا مسكيناً يوماً وجاء الي يشتكى كتبت له كتاباً فلابدّ أن يراعوا هذا الخير فيردون عليه متاعه ، فأنا إنما فعلت هذا لحق المسكين (1) .

والف سيدى عبد السلام القادرى فيه وفى ولده سيدى محمد (نزهة الفكر ، فى مناقب الشيخيْن سيدى محمد ووالده أبى بكر) وقال فى (الروضة السليمانية) إنه كان فى الدلائيين خمسة وعشرون عالماً مدرسين فى المعقول والمنقول ، أولهم جدهم أبو بكر بن محمد بن سعيد المجاطى الصنهاجى من قرية دلاء ، وقال العلامة الشريف سيدى محمد بن مبارك ابن حفيد : إن جدهم سعيد بن عمر بن . . . . الوجارى الصنهاجى ، وهو الصحيح المعتبر لأنهم دخلاء فى مجاط ، وكانوا يخدمونهم لما كانت بيدهم الدولة ، ولما زالت بقي لهم منصب العلم الذى لا يزول الا بزواله ، ولما زال منهم وانقطع تعلق جهلة الخلق منه بهذا النسب البكرى ، وكان أدباء الوقت وشعراؤهم كالحوات واليازغى بعده لما تحققوا بحمقهم وقلة مروءتهم صاروا يسخرون منهم ويرفعون نسبهم للبكرى الصديقى ، فـادا لامهم لائم أو عاتبهم قالوا انما جعلنا لهم ذلك فى الطريقة لا فى النسب، فلا تعتبر ذلك ، مات أبو بكر جدهم عام 1020 ثم ولده بن أبى بكر مات عام 1046 ثم المسناوى بن محمد مات عام 1051 ثم عبد الخالق بن محمد مات عام 1059 ثم المسناوى بن اسماعيل مات عام 1064 ثم عمر بن أبى بكر مات عام 1069 ثم محمد بن الخديم مات عام 1072 ثم الطيب بن المسناوى مات عام 1074 ثم محمد الحاج بن محمد بن أبى بكر مات عام 1082 ثم محمد بن محمد بن عبد الرحمن مات عام 1082 ثم محمد المرابط مات عام 1088 ثم محمد بن عبد الله البكرى مات عام 1089 ثم أحمد بن عبد الله البكرى مات عام 1091 ثم الغزوانى بن محمد مات عام 1091 ثم الشرقى بن أبى بكر مات عام 1095 ثم محمد الشاذلى مات عام 1103 ثم ابنه محمد مات عام 1107 ثم محمد البكرى الخديم مات عام 1114 ثم محمد المسناوى مات عام 1136 ثم أبو بكر الثانى مات عام 1138 ثم أحمد المسناوى عام 1140 ثم

1) صفوة من انتشر ص 47.

محمد المسناوى عام 1150 ثـم محمد بن الخديم عام 1156 ثـم أبو بكر بن محمد عـام 1164 ثم عمر بن عبد الله عام 1176 ثـم أحمد البكرى عام 1180 وهـو خاتمهم ، وقد تقدم ذكر وفاة المترجم سنـة 1021 وهم فروع شجـرة لمتونة ، وفـى اعقابهم من الآكابر ما يزيد عـلى الأربعين من العلماء ، ومامنهم الا مـن درس العلم وحققه ، والـدلاء التى استقر بها المترجم عـلى زنة الدلاء التى هي جمع دلوا ، وهي بلدة طيبة عـلى ثلاثة مراحل من مدينة فاس ، وهو الذى بنى الزاوية بهـا واستوطنها ولده بعده ، وسميت بالزاوية البكريـة نسبة اليه ، وكانت ولادته رضي الله عنه سنة 943 ثلاثة وأربعين وتسعمئة ، وزاويته بها أحيى الله العلم فى القرن الحادى عشر ، وكذلـك زاوية سيدى مَحمد بن ناصر فى درعة وسيدى عبد القادر الفاسى بفاس .

64) **أبو بكر بن مسعود الوردى المغربى المراكشي** ، مفتى المالكية بـدمشق ، ذكره البورينى وقال فـى ترجمته أخبرنى من لفظه أن مولـده بمدينـة مراكش وبها نشـأ وحفظ القرآن ، وقال لى ان شهرتم بمـراكش ببيت الوردى ، ورد الى دمشق أولا مـن مصر فى سنة 993 ثم رجع الى مصر وأقام بهـا الى سنة 1003 ثـم قدم الى دمشق وألقـى بها عصا الترحـال ودرس بالمدرسة الشرابيشية لأنهـا مشروطة للمالكية ، قال وأخبرنى أنـه قرأ بمصر الفقه عـلى شيخ المالكية الشمس محمد البنوفرى وعـلى الشيخ طه المالكي وغيرهمـا ، وأخذ الأصول عن الشيخ حسن الكنانى ، ومعظـم قراءته كانت عـلى أبى النجا سالم السنهورى المحدث الكبير مفتى المالكيـة فى عصره بمصر . وذكره الغزى فى (لطف السمر) ، وكان لـه مشاركة فـى العربية وغيرها ، لكنه كان بعيد الفهم ، وأخذ بالشام عن مفتى الملكية بهـا علاء الدين بن مرجل ، وأفتى بعد القاضى محمد ابـن المغربى وولي تدريس الغزالية ثـم تفرغ عنها ليحيى بن أبى الصفاء المعروف بابن محاسن، وذكر البورينى أن ولادته كانت فى سنـة أربع وثمانين وتسعمئة تقريبا ، وتوفي فى شعبان سنة اثنتين وثلاثين وألف ، ودفـن بباب الصغير رحمه الله .

نقله فى (خلاصة الأثر) .

65) **أبو بكر بن يوسف السكتاني المراكشي** ، قال أبو سالم في (اقتفاء الأثر) عند ذكر شيوخه ما نصه : الخامس الموطأ الأكناف ، الكثير الاسعاف ، العالم العلامة الحاج الرحالة الفقيه المتفنن الزاهد المتدين النزيه ، المتصوف المحقق في سائر العلوم سيدي أبو بكر بن يوسف السجتاني المراكشي رحمه الله تعالى ورضي عنه ونفعنا به وبعلومه آمين . رحل الى المشرق ثلاث مرات وجاور بمصر والحجاز سنين متعددة ، وسافر الى القدس وحج أكثر من عشر حجات ، لقيته بمصر سنة تسع وخمسين وصحبته الى المغرب في الرجوع ، سمعت عليه بعض الشمائل ، ولقنني الذكر بظاهر بسكرة ، وأجاز لي في سائر مروياته في العلمين عن جميع أشياخه ، وكتب في ذلك بخطه مراراً ، ومن أشياخه علامة زمانه الشيخ أبو الامداد اللقاني ، والشيخ عبد الرحمان اليمني ، والشيخ يوسف الزرقاني ، وغيرهم من أهل مصر ، والشيخ أحمد العلمي من أهل القدس وعنه أخذت طريق التصوف ، وسيدي أحمد بابا من أهل تنبكتو ، وسيدي أبو القاسم بن محمد الدرعي وهو يروى عن ابن مجبر عن ابن غازى وهو أعلى سند يوجد في زمانه ، وأخذ عن غير هؤلاء من أهل بلده .

توفي رحمه الله سنة ثلاثة وستين وألف بمدينة مراكش ، ثم قال ومنهم شيخنا الأبر الأطهر سيدي أبو بكر بن يوسف السكتاني المراكشي، كان رحمه الله رضياً من العيش بالدون ، ومكتفياً من الدنيا بقليل ، شديد الورع في مطعمه ، موثراً للخمول ، لايكاد يميزه من يراه من عامة الناس ، كثير التطواف في أقطار الأرض ، وذاكرته يوماً فيما يؤثر عن ابن مرزوق وغيره أنه يسمع بموضع الوقعة ببدر صوتُ طبل حتى الآن ، فقال لي مررت بذلك نحواً من سبع وعشرين مرة فما سمعته ، وذلك يدل على كثرة تردده في تلك البقاع المطهرة ، وقد سمعنا في مجارى الخطاب ما دل على أنه ترك أبواباً كثيرة من الحلال مخافة أن يقع في الشبه رضي الله تعالى عنه ، وقد شاهدنا له كرامات كثيرة ، تلقنت منه الذكر بظاهر بسكرة ، وتلقنت منه أذكاراً أخَر ، وأجاز لي التلقين بالمصافحة ولبس الخرقة ، والجلوس على السجادة لتربية المريدين ورفع الراية لزيارة الاخوان والاحتزام بالحبل

والرفع به ، قائلا سلكناك قطبناك تفاؤلا ، وكتب لي ذلك بخطه عن شيخنا الجامع بين الشريعة والحقيقة الشيخ أحمد العلمى المقدسى بأسانيده رضي الله عنه ونفعنا به آمين .

وقال اليوسى فى فهرسته ما نصه : وجعل بعضهم العلوم الشرعية اثني عشر ونظمه الامام الشيخ أبو بكر بن يوسف السكتانى :

تفقهْ بتفسير الحديث مؤرخــــاً بوقت بيان الارث أصل المحجـــة
ولا تغفلن نحواً بضمن لغاتـــــه تصوف بسر من علوم الشريعــــة
تنلْ به مرقى من مراقى أفاضـــل وتحظ بنيل المجد أبلـغ منيـــة

قــال وقولى أصل المحجة يتناول الأصلين أصول الفقــه وأصول الدين ، وأراد بها ما يتعلق بالدين مقصداً ووسيلة ، وقد أغفل السيرة وهي من هذا القبيل إن لم يدرجها فى التاريخ أو فى الحديث ، وأغفل الحساب وهو محتاج إليه ، والخطب سهل .

وقال فى (الصفوة) ما نصه : ومنهم الشيخ الامام الرحال أبو بكر بن يوسف السجتانى ، ويعرف فى مراكش بالمغارة ، من أكابر العلمــاء ، وخلاصة الأولياء ، رحل الى المشرق ثلاث مرات ، وجاور بمصر والحجاز سنين متعددة ، وسافر إلى القدس وحج أكثر من عشر حجات ، أخذ بالمغرب عن سيدى أحمد بابا ، وسيدى أبى القاسم بن محمد الدرعى ، وهو يروى عن ابن مجبر عن ابن غازى ، وهذا أعلى سند يوجد فى زمانه ، وأخذ بمصر عن ابراهيم اللقانى وكان مقيماً بداره من جملة اولاده ، وعن أبى فجلة الزرقانى ، وبالقدس عن الشيخ أحمد العلمى ، ومنه أخذ طريق التصوف ، ثم انكفّ للمغرب واستقر بمراكش ، فانثال عليه الناس للأخذ عنه ، فتصدر للتدريس ونشر العلم فانتفع به الكثير ، وكان عارفاً بفنّ القراءات ، وله فيها أجوبة نظماً ونثراً ، مع الزهد فى الدنيا والتبتل إلى عبادة ربه والثقة فيما ينقله والتثبت فيما يرويه .

ومن فوائده قال رأيت بالمدينة المنورة بخط الامام ابن رشد قال لا يحل لأحد يومن بالله واليوم الآخر أن يقول قال أبو محمد الا باذنه ، ومنها قال كنت أقرأ (الجامع الصغير) وكنت أقول فى أول الحديث بالجامع الأزهر وبالحجاز ألا سالته ، فلم يجد عند أحد منه ما يشفى غليلا ولا من يستشكل ذلك إلى أن وقعت على شرح النواوى على التهذيب فى مذهب الشافعية، فوجدته تكلم على المسألة وقال لا يحل لأحد أن ينسب لأحد من العلماء بصيغة الجزم إن لم يكن له أستاذ بأن يقول مثلا قال اروى فضلا عن رسول الله (ص) بل يذكره بصيغة التعريض بيُروى أو يُذكر ، قلت وهذا أعجب ، فان المسألة مبسوطة فى ألفية العراقى وشروحها فكيف تخفى على أولئك الأئمة ؟ وكيف يحتاج عليها إلى مثل هذا التنقيب العظيم ؟ ومنها قال كنت أسمع كثيراً من المحدثين وطريقة الأدباء ، فاما الأدباء فانهم يقرأونه على أصله ، وأما المحدثون فانهم يضمون ما قبل الواو، ويسكنون الواو سكوناً ميتاً ، ولم يذكر أحد أنه يقرأ بالتاء ، وكنت أسأل مَن لقيت عن ذلك فكلهم يقول بالتاء تقليداً ولم يكن عند أحدهم نص إلى رأيت فى (النور النبراس ، على سيرة ابن سيد الناس) نص المسألة بنفسها بعد أن ذكر الطريقتين فقال : وأما من يقرؤه بالتـاء فلحن فسررت بذلك ، ومنها حين يذكر طلبة المغرب وقلة اعتنائهم بالحديث وبمعرفة اصطلاحه فذكر أن بعض الطلبة كان يقرأ (الشفـا) وكان القارىء يقول حدثنا فلان فقلت له ما معنى حدثنا الثانى هل هو مفعول الحديث الأول أو كيف تقول فيه ؟ فهلا جعلتم بينهما قال ليصح المعنى ! قال ولابد للمحدث أن يقول بين التحديثتين قال والا كان مصحفاً ، وقال لما لا معنى له هـ ، قلت ذهب عبد اللطيف ابن المرحل النحوى الى أن ذلك أي التلفيظ فقـال ليس بشرط وأنكر على من اشترطه ، لأن حذف القول من حديث البحـر ، وجاء به القرآن ، وقال النواوى إسقاطهما خطأ ولا يبطل السماع ، ومـن فوائده أيضاً أن بعض الناس سأل عن أهرام مصر فقال له ذكر سيدى عبد الوهاب الشعرانى فى بعض تآليفه عن بعض العلماء أن الأهرام بنيت والنسر فى منزل كذا ، وهو الآن قد قطع تسع منازل ، ومن المعلوم أن النسر لا يقطع المنزلة إلا فى نيف وثلاثين ألف سنة ، ومن فوائده أيضاً ما رأيته بخط أبى

عبد الله المامون الحفصى قال حدثنى شيخنا العلامة المحقق الرحالة الحاج الناسك سيدى أبو بكر السجتانى أن الشيخ خالد المكى مفتي مكة أخبره أنه أفتى بتحريم الدخان عام أحد عشر ، قال فسألته عن مستنده فى فتياه ، فقال فى قوله تعالى فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين إلى أليم ! قال وذلك من تسمية الدخان عذاباً ، والعذابُ يجب تجنبه فهو حرام ، فينتج أن الدخان حرام وهو المطلوب ، قال شيخنا فباحثته بأن المحكوم عليه بكونه عذاباً هو دخان معيَّن بقرينة اسم الاشارة، ولا يلزم من الحكم على الدخان المعين بكونه عذاباً الحكم على مطلق الدخان بذلك، ونظيره قوله تعالى هذا عارض ممطرنا إلى قوله تعالى ريح فيها عذاب أليم ، فحكم على الريح باشتمالها على العذاب الأليم ، ولا يلزم من ذلك الحكم على كل ريح بذلك ، ولأنه يسد المسام ، فقلت له ما الدليل على أنه يسد المسام ؟ فقال لى سده للعود الذى يجذب به أن يسد المسام ، ولما علم أن العروق مشتملة على رطوبات مانعة من تعذر الدخان ومكثه هنالك هـ . وفوائده رحمه الله كثيرة ، أخذ عنه العلامة ابن سعيد المرغيثى ، والشيخ أبو عبد الله بن ناصر ، وأبو سالم العياشى .

توفي رحمه الله سنة ثلاثة وستين وألف ، ودفن خارج باب الدباغ أحد أبواب مراكش ، وقبره هناك شهير ، وهو الذى تُسميه العامة بسيدى أبى المال ، بنيت عليه قبة صغرى ، ومازالت مسنمة بقرب الوادى عن يمين الخارج من باب الدباغ بعد قبة الولي الصالح سيدى علي بن ناصر الآتية ترجمته ، وما ذكره فى (الصفوة) من وفاته سنة 1062 تقدم عن العياشى أن وفاته سنة 1063 وممن ترجمه صاحب النشر ، والحضيكى فى طبقاته ، وما ذكره صاحب النشر عن فهرسة العياشى أنه حج عشرين حجة لم أجده فى النسخة التى بيدى إنما فيه عشر حجات (1) .

66) **أبو بكر بن عبد الكريم الشبانى** ، لما فرغ المولى الرشيد رحمه الله من أمر الزاوية توجه الى مراكش فى الثانى والعشرين من صفر من السنة ، أعنى سنة تسع وسبعين وألف ، واستولى عليها وقتل رئيسها أبا بكر بن عبد الكريم الشبانى وجماعة من أهل بيته ، وقال فى (النزهة) لما بلغ أبا بكر الشبانى وقومه مسيرُ المولى الرشيد إليهم خرجوا فارين بأنفسهم من

---

1) انظر صفوة من انتشر ص 112 .

مراكش ، وأبقى من وجد بها من الشبانات وقبض على أبى بكر وبنى عمه فعرضهم على السيف واستنزل تلك الفئة الشريرة من الصياصى، وأخذ بالأقدام والنواصى ، وأخرج عبد الكريم من قبره فأحرقه بالنار .

67) **أبو بكر بن علي الفرجى المراكشي السلوى** العلامة الشهير ، الدراكة النحرير ، البيانى المنطقى الأصولى ، كان رحمه الله عنه عالماً بالفقه والبيان والبديع والمنطق والنحو والمعانى والتصريف وأصول الفقه وأصول الدين وعلم العروض وعلم الجدول وغير ذلك ، وكان معظماً لآل النبي (ص) ومكرماً لهم بما يستطيع وربما يستدين بما يواسيهم به ، وكان لا يبالى بنفسه فى مأكل وملبس وفراش ، وكان كثير الصدقة على المساكين والطلبة وغيرهم ، فراشه حصير ، ووساده حجر ، وكان حافظاً للفقه ، وأما المنطق والبيان فكان لا يُجارَى فى ذلك ولا يُبارَى ، والتفسير والحديث ، قرأ على أخيه القاضى السيد محمد بن علي ، وعلى شيخ الجماعة بمراكش المحقق خاتمة المحققين العارف بالله تعالى سيدى أحمد العطار المراكشي الأندلسى ، وعلى ابن خالته العلامة الشهير السيد أحمد بن ابراهيم وهو قرأ على العلامة الرحالة سيدى أبى سالم عبد الله العياشى ، وعلى غيره ، وكان صاحب الترجمة ناثراً ناظماً حافظاً للتاريخ ، مستحضراً له ، قرأ عليه أبو العباس بن عاشر الحافى بمحروسة سلا مختصر خليل من أوله الى آخره مرتين ، وتلقين القاضى عبد الوهاب ، وسُلَّمَ الأخضرى فى المنطق ، ومختصر الشيخ السنوسى فى المنطق ، والشمسية للكاتبى ، وجمل الخونجى ، ونبذة من ألفية ابن مالك ، ولامية الأفعال لابن مالك ، ولامية الزقاق ، والقصيدة الكعبية ، وجميع تلخيص المفتاح ، وسرد عليه نبذة من شرحه للسعد ، وجمع الجوامع لابن السبكى ، والخزرجية فى علم العروض ، وشمائل الترمذى مرتين دراية ، وكذلك كتاب الشفا للقاضى عياض من أوله الى آخره ، وكان يقرره أحسن تقرير ، ويبين آياته ويذكر فيها من علم البيان والبديع ويأتى من ذلك بالعجب العجاب الذى لا نجده مسطراً مجموعاً فى كتاب ، رضي الله عنه آمين ، له شرح على السلم المرونق ، وتقاييد على غيره ، نفعه الله بذلك ، وسرد عليه الثلث الأول من التاج والاكليل ، وجل سنن المهتدين وغير ذلك ، وله رسالة

بعث بها الى الشيخ الامام العارف سيدى العياشى بن عبد القادر التاستاوتى يعزيه فى ولده الفقيه الأرضى سيدى يعفور ، وأدرج فيه قصيدة مطلعها :

دعتنى سليمى لفصل القضـــــا وحلت محــلا بريـــد الكـــروب

ولما حانت وفاته قال آمنت بالله وملائكته ورسله وكتبه وبكل ما جاء به سيدنا محمد (ص) جملة وتفصيلا ، ثم تشهد وتوفي رحمه الله ضحى يوم السبت ثامن ذى القعدة عام تسعة وثلاثين وثلاثمئة وألف ، واحتفـل الناس بجنازته ودفن قرب داره التى كان يسكن بها بزاوية سيدى مغيث ، ورثاه أبو العباس بن عاشر بقصيدة مطلعها :

وقائلة مالى أرى الجو مظلمـــــاً وعهدى بشمس الأفق طالعة تجرى
وما هذه الأرجاف فى الأرض أصبحت فأصبح منها القلب يصلى على الجمر
وما لرواسى الأرض زعزع أسهـــا أهاذا فناء الخلق والسير للحـشر
فقلت وكيف لا تقوم قيامــــــة وقد مـات طودُ العلم هذا أبو بكر
فأصبحت الأرجاء وهي حوالـــك تنادى ألا هل من سبيل إلى الصبر
وكيف يُطاق الصبر عنه فانـــه أمرُّ كما قد قيل من لعق الصبــر
سعتها صلاة العفو من فضل ربنـا ورضوانه مثواه من كل ما خيـــر
واسلك اللهم تعالى مقامــــــه مع المكرمين السادة الأنجم الزهــر
وصل إلاهَ العرش فى كل لحظـة على خير مبعوث إلى العبد والحـــر
وآله مع أصحابه قدوة الــــورى ومَن هم لدين الله كالأنجم الزهــر

ترجمه الحـافى فى فهرسته ، وأثبت فيها رسالته المتقدمة الذكر ، ورأيت فى رحلة الشيخ سيدى أحمد بن ناصر فى ص 197 من الجزء الثانى ما نصه : ولحق بنا هنالك جماعة من أهل محبتنا من دكالة وتامسنا وسلا ، وأخبرونا أن محبنا فى الله وأخانا فى جانبه سيدى أبا بكر بن علي الفرجى تركوه وبه مرض ما ، وإلا جاء يتسابق إلينا وتركنا أخانا فى انتظاره ، ثم إن الله تعالى أراده لما عنده ، فمات بعد أن وصل لسيدى الغازى فكانت بحرمته تربته ، ولم يلتق معنا أثابه الله عنده وجمعنا معه فى مستقر أمنه وأمانه ،

وهذا المترجم غير هذا المذكور في الرحلة الناصرية ، لأن المترجم تأخرت ترجمته بعد الشيخ صاحب الرحلة المذكورة بنحو عشرة أعـوام ، ولأنه دفن بغير المحل الذى به الأقدم موتاً مدفون كما ترى .

68) **أبو بكر بن عبد الرحمان بن عبد الله بن محمد بن مَحمد بن علي بن أبي بكر بن عبد الله بن عبد الرحمان المالكي مذهباً ، الأشعرى عقيدة ، القندوسي** من أحواز القنادسة ، أجاز المسند السيد التهامي بن المكى ابن رحمون في جميع ما تجوز له وعنه روايته ، أو تنسب إليه معرفته ودرايته ، من مقروء ومسموع ، ومفرق ومجموع ، وإجازة ووجادة ، ورحلة ومشيخـة وإفادة ، ومروى ومناول ، وغريب ومداول ، من سائر المؤلفات والمجموعات ، بالجمع والشتات ، وأجازه أيضاً بما له فيه يد من فقه وحديث وتفسير وتوحيد ونحو ومنطق وبيان وبديع وعروض وأصول وطب وأسماء وسيرة ومغـاز وتصوف وتاريخ ونسب ومسلسلات ، وأذكار وصلوات على النبيء المختار وأجازه أيضاً بجميع مروياته عن سائر أشياخه بالصحراء وسجلماسة ودرعة والسوس ومراكش والحوز والمغرب وفاس وغيرها وتوات وأفريقية ومدن الديرة ومصر والحجاز والحرمين الشريفين والشام ومدنه وأراض التـرك وإسطانبول واليمن والعراق وواسط والبصرة وغير ذلك .

توفي رحمه الله في منتصف محرم فاتح عام 1244 وكانت ولادته في منسلخ محرم عام 1113 قاله ابن رحمون المُجاز .

69) **أبو بكر المراكشي** ، من أهل مراكش ، الولي المجذوب ، الهائم المتيم المحبوب ، كان أولا قاطناً بها ثم انتقل الى فاس صحبة الخليفة سيدى محمد بن عبد الرحمان العلوى قبل ولايته ، وكان يأوى أولا إلى برج السبع من فاس الجديد ، ثم انتقل لأروى السلطان بدار المخزن مع أصحاب الماء ، وكان بهلولا مجذوباً متبركاً به ، وكان الخليفة المذكور يعتقـده ويعظمـه ويخلع عليه الملابس وقتاً بعد وقت ، وشوهدت له كرامات عديدة ، وأخبار بمغيبات ، منها إخباره بموته ، وكان من عادته رحمه الله حلق رأسه في كل وقت ولو بدون شعر فيه ، واستعمال الغبار المجعول في الأنف في أنفه .

توفي رحمه الله سادس عشر ذى حجة متم عام 1271 ودفن داخل قبة سيدى أبى القاسم السجدالى ، وكان قد جعل فى السارية الموالية لرأسه منها تاريخه .

ذكره فى (السلوة) (1) .

70) أبو بكر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد السلام بنانى الفاسى أصلا الرباطى داراً ومولداً ، الدباغى نسبة ، الدرقاوى طريقة ، الصوفى حقيقة ، له كتاب (مدارج السلوك ، إلى مالك الملوك) رسائل كتبها لاخوانه وأهل محبته لقصد الموعظة ، لأجل غلبة الهوى وهدم مبانى التحقيق سيما والطريق قد دخلها الخلل وجعلوها قيلا وقالا وأهملوا سياسة النفوس بصحبة الرجال ، وقالوا بهذا صارت الأبدال أبدالا ، طبعت بمصر عام واحد وثلاثين وثلاثمئة وألف ، وهي فى صحائف 152 وطبع معها كتابه (الفتوحات الغيبية ، فى شرح ألفاظ الصلاة المشيشية) مع شرح أبيات (تطهر بماء الغيب إن كنت ذا سر) له أيضاً ، أخذ رحمه الله عن شيخه الامام مولانا عبد الواحد بن مولانا علال بن مولانا إدريس الملقب بالدباغ ، واليه انتسب ، وهو الذى طلب منه شرح الصلاة المذكورة ، دخل المترجم مراكش ، وتوفي رحمه الله سنة أربع وثمانين ومئتين وألف .

71) أبو بكر بن العربى بن محمد بن مَحمد بنانى الفاسى قاضى مراكش ، الفقيه المدرس الخطيب ، استُقضِيَ بها آخر القرن الثالث عشر ، وبقي قاضياً نحو سبع عشرة سنة بمقصورة المواسين ، من عام 1298 الى عام 1314 كان هيناً ليناً له محبة فى الصالحين وزيارتهم ، أخذ عن مولاي محمد ابن عبد الرحمان العلوى ، ومولاي عبد الله بوغالب ، وسيدى جعفر الكتانى ، وسيدى أحمد بنانى كلا ، والحاج محمد بن المدنى كنون ، وولي القضاء قبل مراكش بثغر الصويرة والجديدة ، وكانت له معرفة بالنحو ، ولم يكن له تحصيل ولا يد فى الفقه ، حضر مرة إليه متنازعان فى تعيين مَن يتولى دفن ابن لهما منهما عند أقاربه ، فقال لكل منهما ايتيانى بفتاوى أهل العلم على

1) سلوة الأنفاس 3 : 212 .

ذلك ، فذهبا عند ابن الشافعي صاحب الدور إذ لا يتأتى تأخ ·فنه ، فقال لهما مَن الذى ينفق عليه منكما ؟ فقالت له أمه والده فقال لهما .ر الذى يتولى ذلك ، وفصل بينهما ، ولما أخبر بذلك قال ابن الشافعى فقيه .

والمترجم هو صاحب التقييد المشتمل على اثنتي عشرة ورقة من القالب الرباعى فى تراجم الرجال السبعة بمراكش ، وذكر الزيارة ، وجدت بخطه ما نصه :

الحمد لله وحده

هذا التقييد المبارك استعمله كاتبه عفا الله عنه فى سبعة رجال نفعنا الله بهم ، وهو هدية من العبد الذليل إلى أمير المومنين يستعان به إن شاء الله تعالى على الزيارة ، وما استعملته حتى أذن لى فيه ، جعله الله خالصا لوجهه الكريم بمنه وفضله والسلام .

أبو بكر بنانى أمنه الله آمين ، أكمله عام اثنين وثلاثمئة وألف .

ثم ولي قضاء الدار البيضاء بعد تأخيره عن قضاء مراكش ، ثم أخر عنه وبقي عاطلا بفاس إلى أن توفي بها يوم الثلاثاء حادى عشر جمادى الثانية عام 1330 وصُلّي عليه بضريح سيدى أحمد بن يحيى ، ودفن بـه بالمباح المقابل لباب القبة ، وكانت ولادته عام 1262 .

تنبيه

فى عام 1306 ورد عليه كباقى قضاة المغرب ظهير شريف يتضمن التنبيه على إجراء العمل بأشياء دفعاً للفجور واحتياطاً للحقوق ، وهذا نصه بعد الافتتاح :

الفقيه الأرضى القاضى بالمدينة المراكشية ، السيد أبو بكر بنانى ، سددك الله وسلام عليك ورحمة الله وبركاته ، وبعد فالذى يكون عليه عمل العدول فى الشهادات الراجعة لما سيذكر من القضايا هو التمشى على مقتضى الضوابط التى سنُبينها لما فيها من الاحتياط ، وإحكام زمام المناط ،

والسلامة من الخلل حالا ومآلا . وحتى ما لم يكن جرى به العمل الآن فالسند فيه (تحدث للناس أقضية) ، وكل ذلك جار على المناهج الشرعية ، فالزمهم الوقوف عند حده فى جميع ذلك ، ومن حاد عن شيء منه يرد عليه ويضرب على يده فيه ، فمنها أنهم لا يعمرون الذمم إلا باشتراطهم على رب الدين أو مَن ناب عنه قبوله ذمة المدين ، بحيث لا يطالب غيره عند العدم أو الغيبة قريباً كان أو أجنبياً . ويتأكد ذلك فى رب الدين حينما يكون ذمياً أو ذا حماية ، لاسيما ان كان المال كثيراً ، ومنها أنه لابد من المعاينة لما تعمر به الذمـة ، ومنها أنه لابد من الأدب الخاص فى الاشهاد لأهل الذمم بتعمير ذمة الغير ، وكذا أصحاب الحمايات ، ثم لابد من انتخاب عدول للاشهاد بين أهل الحمايات، وكذا تعمير ذمة النساء ولو على وجه الضمان مع موافقة الزوج وشرط قبول ذمة المدين ، وفى القراضات والشركات الاشهاد على رب المال بقَبول أمانة المدفوع له المال بحيث لا يطالب غيره ، ومنها أن الشهادات الاسترعائيـة والتدمية والوكالة والتعريف لا تكتب الا عن إذن خاص مع اشتراط التعـدد فى المعرف ، ومنها أنهم لا يكتبونها لمجهول حاله إلا بالاشهاد عليه أنه ليس من أهل الحمايات . ومنها توقيف بيع الأصول على مطالعة عامل البلد على يدك مخافة أن يكون المبيع لجانب المخزن ، ومنها أنهم لا يكتبون وثيقة بيـع الأصول الا بعد ثبوت الملك لبائعه ، وكذلك التحبيس والعتق ، ومنها ترك التزكية لما يؤدى اليه إطلاقها من الفساد ، إذ لا يشاء أحد تعميره ذمة واخلاءها أو إبطال إيصاء أو وصية أو إحداث ما ذكر الا وجد من يشهد له بذلك من نحو رجلين فيطلب تزكيتهما . وهي وان كانت مشروطة بشروط من جملتها كون المزكى مبرزاً فلفساد الوقت ، كل مَن يتعاطى الشهادة يدعى أنه مبرز بحسب الوقت . ويبقى النظر فيها يُقبل من الشهود موكولا الى أمانة القاضى وحسيبه الله ، ومنها أنهم لا يقبلون من اللفيف إلا مستور الحال دون مَن عرف بالكذب أو ترك الصلاح أو الحلف بالأيمان الفاجرة أو بكونه متأكد القرابـة أو العداوة للمشهود عليه أو مكترى الشهادة ، وأجرة كتْب الوثيقة بالمعروف من غير ضرر ولا ضرار ، ولا ضابط بذلك يوقف عنده ، وذلك يختلف باختلاف العمل إلا ما كان عن طيب نفس من غير طلب ، وكذلك لأرباب البصر والفرض

مع الاذن له أيضاً، وأجرة العون وأجرة السجّان لمسجون القاضي خمسُ أواقٍ، ولابد في التلقي من اللفيف أن يذكروا تحت اسم كل واحد من المتلقّى منهم معرفة به أو وصفه خشية أن ينكر كونه متلقى منه عند الاستفسار ، ولا بد من الاذن الخاصّ لأرباب البصر في الشهادات التي ترجع إليهم ، ويشترط على المعلمين القنويين أنهم لا يخدمون ليلا لما في ذلك من التهمة الظاهرة ، وقد اشترط عليهم وعلى البنائين قبل أنهم لا يمدون يدهم لتبديل أو أصلاح قواديس أو مشارب أو هدم حائط مما هو مشترك مع غير الحبس إلا بعد إعمال الموجب بالفساد وحضور الشركاء أو وكلائهم ، وما كان مشتركاً مع جانب الحبس لابد فيه من الاذن الخاص من القاضي وحضور الناظر أو وكيله وإعمال موجب بذلك ، ويشترط على النظار أنهم لا يبيعون من فيض مـاء لجانب الحبس إلا باذن خاص مع شروطه الخمسة ، وهي أن لا يكون عـلى حيطان المسجد ضرر من إجرائه ، وأن يكون ذلك في فضلة يستغنىٰ عنها المسجد ، وأن تكون تلك الفضلة للمرحاضات التي تحتها هنالك ، وأن يكون القدر المبيع مقرراً بالقادوس الفخاري مثلا بحيث أن يكون الماء لا يزيد ولا ينقص ، أما إن كان ينقص تارة ويزيد أخرى بكثرة المتوضئين والمغْتسليـن أو قلتهم فلا ، وأن يثبت السداد في الثمن إلى المدة المستأجر إليها حسبما أجاب بضمن ذلك العبدوسي كما في أوائل الحبس من المعيار ، ونقله صاحب العمل الفاسي عند قوله :

وفيض مـاء حبس يباع ... وما بـه للحبس انتفـاع

كما يشترط عليهم أيضاً أنهم لا يعقدون على ما هو لجانب الحبس معاوضة ولا بيعاً إلا باثبات الشروط المقررة في محلها على يد القاضي المشار لها إجمالا بقول العمل الفاسي :

كذا معـاوضة ربـع الحبس ... على شروط أسست للمؤتسى

وتفصيلا بقول العمل المطلق :

وما من الحبس لا ينتفـــــــع   به ففيه البيــع ليس يمنــــــع
وبالمعاوضة فيــه عملـــــــوا   على شروط عرفت لا تهمــــل
كون العقــار خرباً وليس فـــى   غلته ما بصلاحــه يفـــــى
وفقد من يصلحــه تطوعـــــاً   واليأس من حالتــه أن ترجعــا

وكما اشترط على النظار قبل أنه لابد من حضور عدلين من عدول الصائر فى كل صائر وشرط عليهم أيضاً أنهم إن أبرموا عقد كراء ربـاع الأحباس فلا تقبل زيادة من أراد بعد ذلك إلا مع إثبات الغبن ولو كان دون الثلث ، وان لم يبرم العقد وانما وقع الالتزام من المكترى بكذا فمكن من رباع الحبس ثم جاء مَن يزيد فتقبل الزيادة حينئذ ولو بدون الثلث ، فلا محيد لهم عن تتبع هذه الشروط ، ثم من الاحتياط أيضاً إلزام العـدول أن يكونوا يؤدون رسوم تعمير الذمم والابراء والتقديمـات والرجـوع عنهـا والوصيات والرجوع عنها والحيازة والطلاق يوم تاريخ كتابتها أو ما قاربه ، فاعرف ذلك وأوجب العملَ بمقتضاه ، والله يسلك بالجميع مسالك الصواب ، والسـلام .

فى 20 حجة الحرام عام 1306 .

وقد كان ينسخ هذه القضايا التى كانت تروج بمحكمته وفتاويها .

72) **أبو جعفر بن مكنون** ، من أصحاب الشيخ الامام سيدى ابراهيم ابن الحاج دفين مراكش ، نقل فى (رياض الورد) عن الشيخ أبى البركات ابن الحاج ، عن الشيخ الصالح العادل المجتهد الحاج محمد بن علي البكرى المعروف بابن الحاج قال يخاطب أبا البركات : حكى سيدى أبو جعفر بن مكنون عن جدك قال كنت مع سيدى ابراهيم بن الحاج بمراكش فقال لى هل ترى فى المنام شيئاً ؟ فقلت نعم أرى كأنى فى المرية أمشى من الدار الـى المسجد ومن كذا إلى كذا ، فأعرض عنى وقال لا ترى إلا الله ، وقال فى (نفح الطيب) وقال أبو البركات القميحى أنشدنا أبو العباس ابن مكنون وقد رأى اهتزاز الثمار وتمايلها مرتجلا :

حارت عقول الناس فى إبداعهـــا ‏ ‏ ‏ السكرهــا أو شكرها تتـــأود ؟
فيقول أربابُ البطالة تنثنـــى ‏ ‏ ‏ ويقول أرباب الحقيقة تسجـــد !

قال الشيخ أبو البركات القميحى قلت لابن مكنون ما الذى يدل على أنها فى وصف الثمار ؟ فقال وطىءْ أنت لها ، فقلت :

يامَن أتى متنزهــاً فى روضـــة ‏ ‏ ‏ ازهارها من حسنهــا تتــوقـــد
انظر إلى الأشجــار فى دوحاتهـــا ‏ ‏ ‏ والريــح تنسم والطيورُ تغـــرد
فترى الغصونَ تمايلت أطرافهـــا ‏ ‏ ‏ وترى الطيورَ على الغصون تُعربد

قال ابن رشيد : غلط المذكور فى نسبة البيتين لابن مكنون وانما هما لأبى زيد الفازازى من قصيدة أولها :

نعم الاله بشكـــره تتقيـــــــد ‏ ‏ ‏ فالله يشكر فى النوال ويحمــــد
مدت إليه أكفها مُحتاجــــــة ‏ ‏ ‏ فأنالها من جوده ما تعهـــــد

والبيتان فى أثنائهما غير أن أولهما فى ديوانه هكذا « تاهت عقول الناس فى حركاتها .

ورأيت فى (روضة التعريف) للسان الدين بعدهما بيتاً ثالثاً وهو :

واذا أردت الجمع بينهما فقـــل ‏ ‏ ‏ فى شكر خالقها تقــومُ وتقعـــد

73) **أبوجيدة الأندلسى المعروف بالكتانى** الأديب ، قال فى (السلوة) لدى ترجمة سيدى محمد بن علي الكتانى ما نصه : وقد عرف صاحب (النشر) بالكاتب الأديب السيد أبى جيدة الأندلسى المعروف بالكتانى المتوفي بمراكش فى العشرة الثانية بعد مئة والف ، وقال إنه من أولاد الكتانى العوام القاطنين بطالعة فاس قبل هذا العصر ، قال ولم يبق منهم إلا القليل .

وقال فى (الأزهار الندية) ما نصه : ومنهم الكاتب الأديب اللبيب السيد أبوجيدة كنيته هي اسمه الكتانى الأندلسى من أولاد الكتانى العــوام القاطنين بطالعة فاس قبل هذا العصر ولم يبق منهم إلا القليل ، كان صاحبُ

الترجمة حسنَ الصوت ، واذا سرد كتاباً لم يلحق فى سرده ويسرع غاية الاسراع مع الترسيل ، ولم يسبق له القراءة سوى حفظ القرآن ، ولم يقرأ علوم الآلة مثل النحو والبيان والمنطق ، خدم السلطان مولاي عبد الله إلى أن سار الى تادلة ، ثم خدم مولاي المستضيء بالله ، ثم لحق بسيدى محمد بن مولاي عبد الله الحسنى فى حياة والده ولزمه ، وكان يسرد الكتبَ بين يديْه إلى أن توفي بمراكش فى العشرة الثامنة بعد مئة وألف عن غير عقب .

74) **أبو جيدة بن عبد الكبير الفاسي الفهرى** من أعيان أهل زمانه وفضلائهم وأجوادهم وكرمائهم، جليل القدر ، واسع الصدر ، ذو أناة وتؤدة ، وجلالة وعلو مرتبة ، جميل الوداد ، سالم الاعتقاد ، سالك سبيل الأخيار ، معمر أوقاته بالصلوات والأذكار ، سيما الخير بادية عليه ، والأصابع بجميل الثناء تشير إليه ، كلامه حكم وأمثال ، ومواعظ واستهلال ، له دراية بالحديث والسير ، ذاكر لأيام السلف ، حسن المحاضرة ، مليح الهيأة ، حسن السمت ، كان رحمه الله يرد لمراكش كثيراً .

75) **أبو الحسن ابن الامام الغرناطى الوزير** ، قال يهجو مراكش المحروسة :

ياحضرة الملك ما أشهاك لى وطناً	لولا ضروب بلاءٍ فيك مصبوب
ماء زعاقٌ وجو كله كــدر	وأكلة من بذنجان ابن معيوب

وابن معيوب هذا كان من خدام أبى العلاء بن زهر ، يزعم الناس أنه سم ابن باجهْ لعدوانه لابن زهر فى باذنجان ، ذكره فى (النفح) .

وقال فى 162 من ج 5 من (صبح الأعشى نقلا عن الروض المعطار) ما نصه بعد ذكر مراكش : وقد هجاها أبو القاسم محمد بن محمد بن أيوب بن نوح الغافقى من أهل بلنسة بأبيات أبلغ فى ذمها :

مراكش إن سالت عنهـا	فانها فى البلاد عــار
هواؤها فى الشتاء ثلــج	وحرها فى المصيف نــار

وكل ما ثم وهو خير من أهلها عقرب وفار
فان اكن قد مكثت فيها فان مكثي بها اضطرار

وستأتي (1) ترجمة أبي القاسم محمد في حرف الميم ، وراجع ما سيأتي في ترجمة عبد الرحمان بن أبي القاسم الشفشاوني في ذم بلنسية وغيرها (2) .

76) **أبو الحسن بن احمد المنصور الذهبي** ، ذو السمت الحسن والهدوء المستحسن ، قام في رعيته مقسطاً عادلا لما أن ولاه والده تادلة .
ذكره في (المنتقى المقصور) .

77) **أبو الربيع بن تازكيرت القبائلي** ، الشيخ الصالح ، تلاقى بالشيخ الصالح أبي يعزى ، مات في حضرة مراكش كلأها الله في دويرة محبوس فيها وهو عليل مقعد ، وسنه نحو من مئة سنة كما في (علامة اليقين) (3) .

78) **أبو زيان بن احمد العسكري الغريسي** ، الشريف الفقيه الأجل المولى الصالح الأفضل ، العارف المحقق ، الصوفي المدقق ، كان رحمه الله من جلة أصحاب العارف بالله مولاي العربي الدرقاوي وكبرائهم ، وكان له أصحاب وأتباع أخذوا عنه وانتسبوا إليه ، وله (طبقات) في مناقب شيخه المذكور وبعض أصحابه توفي قبل اكمالها يوم الجمعة خامس ربيع الأول سنة نيف وسبعين ومئتين وألف ، ودفن بروضة ابن ادريس بفاس .

ذكره في (السلوة) (4) .

---

1) في الأصل وتقدمت ، لأن ترجمة أبي القاسم محمد بن محمد بن أيوب بن نوح الغافقي طبعت مع المحمدين في الجزء 3 ص 86 من طبعة فاس .

2) قبل هذه الترجمة ترجمة صغيرة ورد فيها : أبو الحسن المراكشي مؤلف (جامع المبادىء والغايات ، في علم الميقات) تقدم فيمن اسمه حسن .

3) ترجم المؤلف بعد هذا لأبي زكرياء بن يومور القائد الموحدي واسمه يحيى ، وقد أخرناه الى حرف الياء

4) انظر سلوة الأنفاس 2 : 362 .

حدثني بعضهم أن أبا زيان كان يدرس بين العشاءين بجامع ابن يوسف بمراكش .

79) **أبو زيد الامام** ، من أهل أغمات وريكة ، وكان إمام الفريضة بجامعها ، وكان تلميذ عبد الجليل ابن ويحلان ، وكان جليل القدر .

قال في (التشوف) حدثني علي بن عيسى قال سمعت يوسف بن يعقوب يقول : لما مرض أبو زيد مرضه الذى مات منه كنا نأتيه بالدواء فيقول لنا دعوه حتى تناولنيه ابنتي ، فأحضرنا له دواء فلم يأخذه الى أن مات ، فوقفت علينا مملوكته أم الخير فقالت لنا هل أفطر قبل موته ؟ فقلت لها لم يتناول شيئاً بمحضرنا ، فقالت سبحان الله مات وهو صائم ، فقلت لها ألسنا نمزج له الشراب في كل يوم ندخل اليه ؟ فقالت أليس كان يقول اتركوه حتى تسقينيه ابنتي ! فاذا خرجتم عنه رفعه، وما أفطر قط في مرضه إلا بعد المغرب :

تزود من الماء القراح فلن ترى — بوادى الغضا ماء نقاخاً ولا وردا
ونلْ من نسيم البان والرند نفحة — فهيهات واد ينبت البانَ والرندا
وكرَّ إلى نجد بطرفك إنه — متى تغد لا تنظرْ عقيقاً ولا نجدا
تلفتُّ دون الركب والعين غمرة — وقد مدها سيلُ الدموع بها مدا
لعلي أرى داراً بأسنمة النقى — فأطربنا للدار أقربنا عهدا
تلاعب بى بين المعالم لوعة — فتذهب بى يأساً وترجع بى وجدا

وحدثني علي بن عيسى بن ناصر قال كان القاضى أبو يوسف أمر أن يُؤتى بمخلوف القفاص فاشتدَّ البحث عليه والطلب إلى أن قبض بعد حين ، فلما أحضر بين يديه قال له أريد أن أخبرك ما شاهدته من العجب ، رأيت أبا زيد الامام قد خرج من باب المدينة فأردتُ الخروجَ في أثره ، فلما وصلتُ وجدته مغلقاً بالحجارة (1) .

وقال في نظم رجاله :

---

1) انظر التشوف ص 142 نمرة 46 .

ومنهمْ أبو زيد بأغمـــات قبــــره وصام مريضاً لا يحنُّ إلى الفطـــر

80) **أبو الطاهر بن عبد الله المراكشي** ، الشيخ المغربى نزيل مكة مات بها فى شوال سنة تسع وثلاثين وثمانمئة ، وكان قرأ على عبد العزيز الحلفاوى قاضى مراكش وغيرها ، وكان ليناً خيراً صالحاً .

ترجمه فى (إنباء الغمر) وفى (الشذرات) .

81) **أبو الطيب الصفاقسي** ، نزل مع أخويه محرز ومحمد أغمات وريكة بالموضع المعروف بايغيل ، وكانوا علماء فضلاء فأخفوا أنفسهم وكانوا يحضرون مجالس العلم ولا يتكلمون الى أن وصلت كتب من صفاقس الى أهل اغمـــات ينبهونهم على قدرهم ، فأخذوا عنهم ونفع الله بهم ، وكان محمد أصغرهم سناً ، وكان يخدم أخويه ، وكان أبو الطيب أعلمهم .

قال فى (التشوف) حدثنى علي بن عيسى ، قال حدثنى الحسن بن عبد الله قال تزوج تلميذ من تلامذة أبى الطيب فانقطع عن ورده خوفاً من الرياء، ثم مر إلى أبى الطيب يسأله عن ذلك ، فلما قرع الباب أجابه أبو الطيب من وراء الباب قبل أن يسأله وقال له لا رياء بين الرجل وزوجته ، فانصرف وقــد سمع الجواب .

وحدثنى الشيخ أبو يحيى أبو بكر بن إبراهيم الهزرجي قال أكبر ظنى أن أبا علي الحسن بن عبد الله حدثنى عن عجوز تخدم أبا الطيب قالت وقع لى يوماً الدلو فى البئر فلما قام بالسحر الى ورده خجلت ، فرأيته جاء الى البئر وقد ارتفع الماء منه بحيث يمكنه الوضوء منه ، فجعل يتوضأ حتــى فــرغ من ضوئه .

قال وكان أبو الطيب عزباً مفرداً ، فقيل له هلا تزوجت ؟ فقال ما رغبت عن الزواج عجزاً عنه ، وانى لفحل من الفحول وقويٌ على الجماع ، فما

منعني منه إلا قوله تعالى في الزوجات (وعاشروهن بمعروف) فأنا أخاف أن لا أقدر على معاشرة الزوجة بالمعروف (1) .

وقال في نظم رجال :

وفي الاخوة الغر الثلاثة ملجأ لنفس ذوت في السير من ثقل الوقر

82) **أبو لقمان بن يورجان بن يعقوب الأسود من أهل تلقايط من** عمل مراكش قدم مرة واحدة لحضرة مراكش لعيادة علي بن عبد المعطى اليماني المعلم ، وكان أبو لقمان صديقاً لأبي شعيب ، وعليه نزل أبو شعيب لما قدم مراكش .

توفي أبو لقمان عام 570 سبعين وخمسمئة .

قال في (التشوف) حدثني غير واحد أن بعض الرؤساء لطمه في وجهه وقال له أيها العبد لئن جئت إلى هذا المكان ولم تفعل كذا وكذا لأقتلنك ، فقال له أبو لقمان لئن عدت ولم أفعل ذلك فافعل، وركب فرسه وسار ميلين أو ثلاثة فهمز فرسه ورده باللجام فانكب عنه وسقط على قفاه فمات بعد أن انقطعت أعضاؤه كلها .

وحدثوا عنه أنه جاء الى وادى تانسيفت وهو ملآن من الضفة إلى الضفة فقعد أبو لقمان على شاطئه وأخذ في الذكر ، فقال له تلميذه أما ترى هؤلاء المشاة على الماء ؟ فقال له أبو لقمان أنظر أنت هؤلاء المشاة في الهواء ، فرفع بصره فرأى قوماً يمشون في الهواء .

وكانت لأبي لقمان شجرة يجلس إليها فكان كلما ختم القرآن ختمة علم فيها علامة فقطعها بعض الولاة فما مرت عليه ثلاثة أيام إلا وهو قد نكب .

وحدثني عنه أبو عبد الله بن عيسى في صفر سنة ست عشرة وستمئة قال كنت في شبيبتي تصيبني غاشية لهم ، فعانتني أمي إلى أن اعياها أمرى ،

---

1) أنظر **التشوف** ص 140 نمرة 45 .

فقالت لها امرأة كان لى ولد يعتريه مثل هذا فحملته إلى أبى لقمان فمسح رأسه بيده فصح ، فحملتنى أمي إلى أبى لقمان فانتظرناه بداره الى أن وصل ، فقالت له أمي ياأبا لقمان هذا الولد يعتريه الصرع ، فقال لها لست بطبيب فاحمليه الى الأطباء ، فقلت له أنا أمّا الأطباء فقد عجزوا ولم يبقَ الا طبيب الله تعالى ، فلما سمع كلامى قربنى ومسح بيده على رأسى ، فما أصابنى الصرع من حينئذ إلـــى الآن .

83) **أبـــو نافع** ، من علـــوج مراكش الذيـــن استخـــدمهم الملـــوك السعديون ، كان على خزانة السلطان سيدى محمد بن عبد الله أميناً كاتباً ثقة عنده ، ثم قتل بأمر السلطان المولى عبد الرحمان فى محرم ، قاله سيدى عبد السلام بن الخياط القادرى الذى لقيه فى شوال عام 1254 .

84) **أبـــو النـــور** ، محمد بن أحمد بن أبى عبد الله بن أبى الخليل مفرح الأموى مولاهم الاشبيلي الأصل المراكشى ، وأظنه صاحب الضريـــح بالحارة خارج باب دكالة ، صرح الامام ابن عبد المالك فى (الذيل والتكملة) أنه كان جاره بمراكش صحيفة 280 من الجزء الأول فى ترجمة والده أبى العباس النباتى المسند الراوية ، المبتدأة من صحيفة 188 منه الى صحيفة 213 منه ، كما صرح فيه بأنه أخذ عن والده المذكور منسلخ ربيع الأول سنة سبع وثلاثين وستمئـــة .

85) **أبو النور** ، الولي المعروف عند العامة ، بنيت عليه قبة صغرى بالحجارة خارج باب دكالة رحمه الله (1) .

86) **أبو العباس الجباب** ، المقعد من أهل مراكش .

قال فى (التشوف) زرته مرات وأنا صغير ، وكان خياطاً يأكل من كد يمينه ، وكان عبْداً صالحاً ، توفي عام اثنين وتسعين وخمسمئة ، ودفـــن بباب تاغزوت ، سمعت عيسى ابـــن أبى عيسى السوسى يقـــول : سمعنا

---

1) أنظر **التشوف** ص 289 نمرة 140 و **السعادة الأبدية** 2 : 14 .

الشيخ أحمد بن ابراهيم المروى يقول : بت ليلة مـع أبى العباس الجباب ، فرأيته فى جوف الليل قام واقفاً الى ورده يصلى ، فقلت له ياأبا العباس ما هذا ؟ فقال اكتم علي .

وستأتى (I) ترجمة أبى العباس أحمد بن عبد الرحمان الجباب من أهل أزمور ، وسكن الجانب الشرقي من مراكش وبه مات عام 492 أيضـاً وقد ترجم لكل واحد منهما فى (التشوف) ، وفيه قال ناظم رجاله :

ولا تهمل الجباب تدنُ من الوفر .

وقال فى الآخر :

وأحمد من صنهاجة رئيس الدير .

قال فى الشرح وأحمد هو أبو العباس بن عبد الرحمان الصنهاجى الجباب وكان من أهل **المعرفة بعلوم الاعتقادات** وكان كبير الشأن .

87) أبـو العباس السبتى (سيـدى بلعباس) ـ أحمد بـن جعفر الخزرجى السبتى المراكشى ، دفينها .

كتبت فى ترجمته فى (إظهار الكمال) ما نصه :

وأحمد المجد يعلو قدره أبـداً ... إفضاله عمَّ لا يخشى من اقتـار
أما كراماته فالعدُّ ممتنـع ... جلت عن الحصر لا تحصى لاكثـار
لدى الحياة وفى الممات قد ظهرت ... بعد الممات لها قد أكثر البـارى
قد قال ذلك زروقٌ كذا حسـنٌ ... يوسيُّهم فاضلا الأعلام الأحبـار
إن الوجود له بالجود منفعـل ... ما للحكيـم ابن رشد فضل زخار
وفى العلوم له تحقيقها اتضحـا ... والنفع فيه له جميل أخبـار
وللتصدق كل الشرع يرجعـه ... وفى التشوف فيه حسن اءثـار

I) فـى الأصل وتقدمت اعتباراً لتقديم الاحمدين فـى طبعة فاس ، وستاتى ترجمته فيما بعـد .

الاعراب : أل في العد نائبة عن المضاف إليه الضمير أي فعدها ، واللام في الاكثار لام العلة ، ولدى الحياة وفي الممات متعلقان بظهر ، وبعد الممات متعلق بأكثر .

اللغة : أحمد اسم تفضيل في الأصل من الحمد ، ثم سمي به الامام القطب أبو العباس بن جعفر السبتي ، والمجد الشرف والكرم ، والعلاء الرفعة ، والأبد الدهر والدائم ، والافضال الاحسان ، والعموم الشمول ، والخشية الخوف ، والاقتار الفقر ، وجلّت أي عظمت ، والاحصاء العد ، والأعلام جمع علَم وهم المشهورون ، والاحبار جمع حبر وهو العالم ، والانفعال تأثر الشيء عن الشيء ، والحكيم من يتعاطى علوم الحكمة ، والزخار البحر ، والتحقيق إثبات المسألة بدليلها ، وإثباتها بدليل آخر تدقيق ، والتعبير عنها بفائق العبارة الحلوة ترقيق ، ومراعاة علم المعاني والبديع في تركيبها تنميق ، والسلامة فيها من اعتراض الشرع توفيق ، والنفح المقصود به (نفح الطيب) للمقري ، والجميل الحسن ، والاخبار جمع خبر وهو الحديث أي ما يخبر به ويحدث ، والتصدق الصدقة ، وكل الشرع أي دلائله ، و (التشوف) تقدم ، والآثار جمع أثر وهو الخبر أيضاً لأنه يوثر أي ينقل .

المعنى أي يارب أتوسل اليك بجاه أبي العباس السبتي الكريم الذي يعلو قدره عندك على مدى الأحقاب ، المحسن الى خلقك فقيرهم وغنيهم غير خائف من فقر ، ذي الكرامات التي لا تعدّ ولا تحصى لكثرتها الظاهرة في حياته وبعد وفاته ، وقد أكثرتَها له بعد مماته ياخالق العباد كما قال ذلك الشيخ زروق بتقريره ، وقاله الشيخ الحسن اليوسي بنقله، الشهيران العالمان، كما انه لما كان يجود بما في يده على خلقك جعلت له الوجود يفعل فيه ما شاء من رفع وخفض وتولية وعزل واعطاء ومنع على حسب ما قدرته في أزلك ، وأما الحكيم ابن رشد فليس له مقام أبي العباس السبتي إذ هو بحر لا يدرك قعره ولا ينزف غوره وهمته قل من يدركها من أولياء العباد ، وقد كان اية في العلوم محققاً لجميعها ، وقد نقل في حقه في (نفح الطيب) أخباراً جميلة ، وكان رضي الله عنه يرد مسائل الشرع الى الصدقة ، وقد ذكر له في (التشوف) آثاراً حسنة ، قال فيه :

بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وءاله .

الحمد لله حق حمده ، وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وعبده ، وعلى ءاله وصحبه وجنده ، والتابعين لهم باحسان من غير تقييد لعهده ، أما بعد فاني لما شرعتُ في تأليف أخبار صالحي المغرب الذين جمعتهم في كتابي الموسوم بـ (التشوف إلى رجال التصوف) أشار عليَّ جماعةٌ من الفضلاء أن أذكر فيهم الشيخ الفقيه الصالح أبا العباس أحمد بن جعفر الخزرجي المعروف بالسبتي ، فتوقفتُ في ذلك إذ لا يكفي في ذكره الاختصار لما وقع من الاختلاف فرأيت أن أفرد ذكره وأبسط أخباره حتى يعلم من ذلك الواقف على مجموع عيون أخباره حقيقة أمره ، وبالجملة فان شأنه من عجائب الزمان ، وانما أثبت من أخباره ما ينوب عن العيان ، فكان رحمه الله قد أعطى بسطة في اللسان وقدرة على الكلام لا يناظره أحد إلا أفحمه ، وكان سريع الجواب ، وكان القرآن ومواقع الحُجَج على طرف لسانه عتيدة حاضرة يأخذ بمجامع القلوب ويسحر العامة والخاصةَ ببيانه ، يأتي من ياتي للانكار عليه فما ينصرف عنه الا وقد سلم له وانقاد لقوله ، وسأثبت لك من أخباره ما يقضي به العجب ، وبالله أستعين على ما يزلف لديه من القوة والعمل ، وأسأله العصمة من الخطأ والزلل ، وهو حسبي ونعم الوكيل .

وهو أبو العباس أحمد بن جعفر الخزرجي ، مولده بسبتة عام أربعة وعشرين وخمسمئة ، نزل مراكش وبها مات عام أحد وستمئة ، وذلك في يوم الاثنين الثالث من شهر جمادى الآخرة (26 يناير سنة 1205 م) ودفن بباب تاغزوت ، وشيخه محمد الفخار صاحب الشيخ الفقيه العالم عياض بن موسى اليحصبي ، وكان أبو العباس رحمه الله جميل الصورة أبيض اللون ، حسن الثياب ، فصيح اللسان ، قديراً على الكلام ، مفوهاً حليماً صبورا ، يُحسن إلى من يؤذيه ، ويحلم على من سفه عليه ، رحيما عطوفاً محسناً إلى اليتامى والأرامل ، يجلس حيث أمكنه الجلوس من الأسواق والطرق فيحضُ الناس على الصدقة ، ويأتي بما جاء في فضيلتها من الآيات والآثار ، تناول له الصدقات فيفرقها على المساكين وينصرف ، وأهلُ مراكش الى زماننا هذا مختلفون ،

فمنهم من يراه ولياً وأنه على مذهب الملامتية من أجل ما يتكلم به من الكلمات المأثورة عنه التي يأتي ذكرها بعد هذا ، ومنهم من يراه قطباً ، ومنهم من يكفره ، ومنهم مَن يبدعه ، ومنهم مَن يقول ساحر ، إلى غير ذلك من الأقوال التي تقال فيه ، والله أعلم بحقيقة أمره .

باب في أصول مذهبه

حضرت مجلسه مرات فرأيت أصل مذهبه يدور على الصدقة ، وكان يرد أصول الشرع إلى الصدقة ويقول مَن لم يفهم معنى الصلاة فلم يصل فان أول الصلاة تكبيرة الاحرام ، وذلك أن ترفع يديك وتقول الله أكبر ، والمعنى الله أكبر من أن نضن عليه بشيء ، فمن رأى شيئاً من متاع الدنيا في نفسه أكبر فلم يُحرمْ ولا كبر للصلاة ، ومعنى رفع اليدين للتكبير قد تخليت عن كل شيء ، لم أمسك قليلا ولا كثيراً ، ثم يتكلم على أجزاء الصلاة بهذه المعارف ، وكان يتأول الركوع على المشاطرة ، والسلام من الصلاة على الخروج من كل شيء ، وكان يقول سر الصوم أن تجوع ، فاذا جُعت تذكرت الجائع وعلمت قدر ما يقاسيه من نار الجوع فتتصدق عليه ، فاذا صمت ولم تعطفْ على الجائع ولا أحدث عندك الصومُ هذا المعنى فلم تصم ولا فهمت المعنى المراد بالصوم ، والزكاة انما فُرضت عليك في كل عام لتتدرب على البذل والاعطاء ، وإلا ففي الأموال حقٌ سوى الزكاة ، وليس المقصود أن تُعطي في وقت مخصوص وتمسك في غيره ، وفرض الحج سره أن تبرز في زي المساكين بحلق الرأس والشعَث ولبس النعلين والتجرد من ثياب الرفاهية والبذل لله تعالى واظهار العبودية ، وسر الجهاد بذل النفس في مرضاة الله تعالى والتخلى له عن كل شيء وترك التعلق بأسباب الدنيا ، ومعنى التوحيد توحيد الله تعالى دون أن تجعل معه إلاهاً غيره من متاع الدنيا ، وكل ما استولى على الانسان فهو إلاهه : (أفرأيتَ من اتخذ إلاهه هواه) .

حدثني أبو علي عمر بن يحيى الزناتي ، قال حدثني أبو القاسم عبد الرحمان بن إبراهيم الخزرجي ، قال بعثني أبو الوليد ابن رشد من قرطبة وقال لي إذا رأيت أبا العباس السبتي بمراكش فانظر مذهبه وأعلمني به ،

قال فجلست مع السبتي كثيراً الى أن حصلت مذهبه فأعلمته بذلك فقال لى أبو الوليد هذا رجل مذهبه أن الوجود ينفعل بالجود ، وهو مذهب فلان من قدماء الفلاسفة ، وكان إذا أتاه امرؤ يأمره بالصدقة يقول له تصدق ويتفق لك ما تريده ، وأخباره كثيرة عجيبة اختصرت عيونها .

باب في ابتداء أمره

حدثنا الفقيه أبو عبد الله بن الفقيه أبى العباس عن أبيه أنه أخبره قال : كان ابتداءُ أمرى أنى كنت صغيراً فسمعت أقوال الناس فى التوكل ، فتفكرت فى حقيقته إلى أن رأيت أن التوكل لا يصحُ إلا بترك كل شيء ، ولم يكن عنده بد ، فتركت الأسباب واطرحت العلائق ولم يبق فى نفسى تعلــق بمخلوق ، فخرجت سائحاً متوكلا وسرت نهارى كله فأجهدنى الجوع والتعب ، وقد كنت نشأتُ فى رفاهية من العيش ، وما تقــدم لى مشيٌ على قدمى ، فبلغت الى قرية فيها مسجد فتوضأت من الساقية ودخلت المسجد فصليت المغرب وأقمت فى المسجد إلى أن صليت العتمة ، فخرج الناس من المسجد فقمت لأصلي فلم أقدر من شدة الجوع والتألم بالمشي ، فصليت ركعتين ثم قعدت وأنشأت أقرأ القرءان الى أن مضى من الليل جزء ، فاذا قارع يقرع باب دار بعنف ، فاستجاب له صاحب الدار ، فقال له هل رأيت بقرتى ؟ فقال لا ، فقال له إنها ضلت وقد أكثر عجلها الحنين إليها فطلبتها فلم نجدها فى القرية ، فقال بعضهم لعلها دخلت فى المسجد وقتَ العتمة ففتحــوا بــاب المسجد ودخلوا فوجدونى فى المسجد ، فقال لى صاحب البقرة ما ظننتك أكلت الليلة شيئاً فجاءنى بكسرة خبز وقدح لبن ، ثم مر يأتينى بالماء فوجد بقرته وعجلها بوسط الدار ، وكانت فى مكان لم يروها ، فخرج صاحبها إلى جيرانه وقال لهم ما زالت البقرة من الدار وما كان خروجى إلا من أجل هذا الفتى الجائع الذى بات فى المسجد ، فجاء إلي ورغبنى أن أمشي معه إلى منزله فأبيت ، فانصرف وتركنى .

حدثنى يوسف بن عبد الله بن سليمان ، قال حدثنى أبو بكــر بن القاضى أبى عمران بن حماد الصنهاجي ، قال كان أبو العباس السبتي فى

ابتداء أمره يسكن بالفندق الذى بأجدير المعروف بفندق مقبل ، وكان يقرىء الحساب والنحو ويأخذ على ذلك أجرة ، فكان له رسم فى بيت المال مع طلبة الحضر ، فكان القراء الواردون على مراكش من طلبة العلم يأوون إليه فينفق عليهم جميع ما يكون عنده ، وكان عليه سروال من صوف على جسده ، وكان يمسك فى يده سوطاً يمشى به فى الأسواق ويذكر الناس ويضربهم على ترك الصلاة فى أوقاتها ، وكان يأتينا بالطعام على رأسه ويوفر علينا أجرة الحامل ، وكثر الواردون عليه فبتنا عنده ليلة بالفندق فارتفعت أصواتنـــا بالمذاكرة فاذا بالحرس قد قرعوا باب الفندق فاستجاب لهم القيم بخدمته ، فقالوا له ما هذه البدعة ؟ أما تعلمون أنه من رفع صوته بالليل يقتل ؟ فقعد اثنان من ذلك الحرس عند باب الفندق ليحملونا اذا طلع الفجر لنقتل ، فجاءنا القيمُ فأخبرنا بذلك ، فأدركنا خوف عظيم وأيقنا بالهلاك ، فأخذ أبو العباس يضحك بنـــا ويمزح على عادته ولا يبالى ، فلما كان عند السحَر خلا بنفسه ساعة ثم جاءنا فقال لنا لا خوفَ عليكم قد استوهبتكم من الله ، وهذان الحرسيان الواقفـــان عليكم يقتلان غداً إن شاء الله ، فقلت له اليس الجزاءُ عندك على الأفعال من الخير والشر وهما لم يفعلا ما يستوجبان به القتل وجزاؤهما يروعان كمـــا روعانا ؟ فقال العلماء ورثة الأنبياء وترويعكُم عظيم لا يقابله منهم إلا القتل ، فما زلت أنازعه فى هذا وأقول كيف يقتلان على ترويعنا الى ان قال لنا فعقوبتهما أن يضرب كل واحد منهما مئة سوط ، فاجتاز بالليل عبد الله الخراز صاحب الوقت بالجامع الأعظم فوجد حانوته مفتوحة ورأى الحرسيين على قرب منها فلم يشك أنهما فتحاها فحملا إلى رحبة القصر قبل طلوع الفجر ، فقال لنا أبو العباس احضروا على ضربهما كما أرادا قتلكم ، فاتبعناهما وحضرنا إلى ضرب كل واحد منهما مئة سوط .

وحدثنا علي بن أحمد الصنهاجى ، قال خدمت أبا العباس السبتى أربعة أعوام وأنا أعتقد فيه الكفر ، فاذا كان صبيحة يوم عرفة صليتُ الصبح فى المسجد ، فلما خرجت من المسجد لقيتُه فقال لى ماهذا اليوم ؟ فقلت له يوم الاثنين ، فقال لى وأي يوم هو ؟ فقلت له يوم عرفة ، فقال لى تريد أن تعرف اليوم ؟ فقلت له نعم ، فمشيت معه الى باب الدباغين فوجدناه مغلقاً فقال لى ان

كان معك شيء يمكنك الخروج عنه فامش معى وإلا فارجع ، فقلت له كلُ ما معى يمكننى الخروج عنه ، وكانت معى سبعة دراهم ونصف درهم ، فقال لى ادفعها لأول داخل من الباب واقصد بذلك وجه الله تعالى ولا تتغير ولو وقعت بيد يهودى ». فأول ما لقيت عند فتح الباب عجوز فدفعتها إليهـا فخرجنـا الى بحيرة الرقائق ، فتقدمنى وهو يرمق بطرفه إلى السماء ويحرك شفتيه الى أن انتهينا إلى ءاخر البحيرة الى الصهريج عند غابة الرمان ، فقال لى أريد أن تنتصب على أربع ، فقلت له هذا الكلام فى مثل هذا اليوم ؟ فقال لى إنما أمرتك بعادتك من الصلاة ، فدخلت بين أشجار فاستقبلت القبلة وركعت ركعتين وهو ينظر إلي ». فقلت فى نفسى إن لم يقع منه استحسان للصلاة قتلته على زندقته وارتحت منه ، فلما فرغت من الصلاة أتيت إليه فأخذ بيدى وقبلها وقال لى مرحباً بقران فهم معنى القرون ، فقلت له لم غيرتَ قلبى بهذا الكلام ؟ فقال لى ليس هذا الكلام شتماً وانما تكون هذه الكلمة شتماً لو قلت لك قرنان ، وإنما أردت بقولى إليك قران انك قرنت بين الصلاة والصدقة ، قال وكان بظهر الصهريج عنصر ماء الساقية فقال لى إنما سمي هذا اليوم يوم عرفة لأنه تنتشر فيه الرحمة على مَن تعرف إليه بالطاعة ». والموضع الماور بالتعرف فيه لا يمكننا الوصول اليه ، فنمثل به هذا المكان ونعمل كما يعملون لعل الله يتغمدنا برحمته معهم ، فمثل بالعين الكعبة ، وبعنصر ماء الساقية الحجر ، ومثل بموضع منه مقام إبراهيم عليه السلام ، فطاف بالعين سبعاً وانا أطوف بطوافه ، وكبر على العنصر فى كل طواف وصلى فى مثال المقام ركعتين تامتين ، وأطال السجود فى الثانية ، ثم استند إلى شجرة وفى نفسى منه عظيم لا أقدر أن أعبر عنه ، فأطرق ملياً ثم قال لى ادنُ منى ». فجلست بين يديه فقال لى اذكر كل حاجة لك من حوائج دنياك تقضى لك ، فان الله تعالى وعد فى هـذا اليوم مَن تعرف إليه أن يقضي حاجاته ، فقلت له مرادى التوفيق لا غيـر ، فقال لى ما خرجت من باب المدينة حتى وفقت ». لكن اذكر غرضك من الدنيا ولا تذكر إلا ما يليق بك ، فقلت له ما أريد إلا التوفيق والعمل بطاعة الله تعالى ، وما لى غرض فى شيء من أمر الدنيا ، فقال لى أفى نفسك شيء ؟ قلت بل أشياء كثيرة ،فقال لى أخبرنى عما فى نفسك ». فقلت له لا يفيدنى ذلك شيئاً ، فانى

خلوت بك فى مواضع كثيرة فلم تتحصل لى منك حقيقة ، فقال والله الذى خرجنا إليه لا أخفيت عنك ظاهراً ولا باطناً ، فقبلت يده على ذلك ، ثم قلت له ياسيدى يقول الناس تبيح الفروج بغير نكاح شرعى ، فقال مُيز الشيطان بالاغـواء والكفار بالاصغاء ، فقلت له ما هذا ؟ فقال لى حصلت بين مقامين مقام الشيطان ومقام الكفار ، فانك أصغيت إلى مَن قال ثم افتريت الآن علي فتُب عن هذا ولا تعتقده، ومن اعتقد تحليل فرج بغين نكاح شرعى فهو كافر، وأقوال الناس كثيرة، وقد قالوا إن لله صاحبة وولداً تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً ، ثم قال لى أرأيتنى أنكحت محرماً أو قلت بتحليل محرم ؟ فقلت له لا ، فقال لى اذكر ما تحققه منى ، فقلت له رأيتك تمر فى أوقات الصلاة بالمساجد ولا تصلى فيها ، فقال لى ما وجدت شفيعاً أقدمه للشفاعة ، فان النبي صلى الله عليه وسلم قال : أيمتكم شفعاؤكم فانظروا بمن تستشفعون ، وهذا الذى قُلت انه عندك حقيقة ليس كذلك فانى لم أقل لك بترك الصلاة ، ومن قال بتركها فهو كافر ، ولكن اذكر شيئاً إذا سئلت بين يدي الله تعالى وقيل لك ما تعرف فى هـذا شهدت به ، فقلت له أعرف حقيقة كلامك بالفحش ، وقد قال الله تعالى (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) ، فقال أتذكر حديث معاذ فى ذكر الحفظة ، فقلت له الحديث مشهور ، فقال لى أذكر اخر الحديث فأتيت به إلى قولـه اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه فانه أراد به غيرى وأنا رقيب على ما فى قلبه ، فضرط لى بفيه ، فقلت له ما هذا ؟ فقال لى هذا جوابك ، فان الملائكة شهدت له بالأعمال الصالحات ، فلم يقبل من هؤلاء إلا ما عقدت عليه الضمائر ، وفى حديث إنه يؤتى يوم القيامة بأناس إلى الجنة حتى إذا دنوا منها واستنشقوا ريحهـا ونظروا إلى قصورهـا نودوا أن اصرفوهم عنهـا لا نصيبَ لهـم فيهـا فيرجعون بحسرة ما رجع الأولـون بمثلها ، فيقولون ربنا لو أدخلتنـا النار قبـل أن ترينا كان أهون علينا ، قـال ذلك أردت بكم ، كنتـم إذا خلـوتم بارزتمونى بـالعظائم ، وإذا لقيتم النـاس لقيتموهم مخبتيـن تراءون الناس بخـلاف ما تعطونى بقلبكم ، هبتـم الناس ولم تهابونـى ، أجللتـم الناس ولـم تجلونى ، ركنتم الـى الناس ولم تركنـوا إلي ، فاليـوم أذيقكم العـذاب مع ما حرمتكم فـى الآخرة من الثواب ، ثـم قال لى ما الذى تنكر علي من الفحش ؟ فقلت له مما أنكر عليك قولك للناس تيوس وهو كلام يغير القلوب ، فقال لى أعنى به المتقدمين وما رأيت أحـداً

من الناس إلا وهو يحب التقدم ، ومن شأن التيس التقدم ، فقلت له وتقول للمحاطب ياقطيم ، فقال لى القطيم عندى هو الذى يحرص على تحصيل الدنيا ويجمعها ولا يخرج شيئاً ، فقلت له ومن شكا اليك بشيء أمرته بالصدقة ، فان لم يكن عنده شيء قلت له اجعل على ظهرك أسود ، فقال لى ما ءامر الناس إلا بما ينتفعون به ، وما من شيء ينزل بالانسان إلا وله مدفع من الكتاب والسنة أو كلام الحكماء ، فان لم يكن عنده ما يستدفع به أمرته أن يتحمل مشقة الصلاة بالليل ، فقلت له هلا قلت للانسان قم الليل ؟ قال لى لو قلت له ذلك لقبل يدى ودخلني العجب والكبر وما طرد الله إبليس من جواره الا بالعجب والكبر ، فسألته عن بدايته إلى نهايته وبما تنفعل له الأشياء فقال لى هذا لا يعرف إلا بالعمل ، ثم قال لى أول أمرى انى كنت بمدينة سبتة يتيماً وكانت أمي تحملنى الى البزازين فافر منهم الى مجلس أبى عبد الله الفخار فتضربنى إلى أن قال لها أبو عبد الله الفخار لم تضربين هذا الصبي ؟ فقالت له إنه يتيم ويأبى أن يعمل شغله وليس عندى شيء ، فقال لى يابني لم لا تفعل ما تأمرك به أمك ؟ فقلت له إنما أحب هذا الكلام الذى أسمعه منك ، فقال لها اتركيه وأنا أدفع لك قدر أجرته وادفع عنك للمعلم الذى يقرئه ، فقرأت القرءان الى أن حفظته ، ثم قرأت الأحكام الى أن بلغ سنى عشرين سنة ، فأتيت إلى إيكليز ومراكش فى الحصار ، وقال لى ابنه سمعت أبى يقول وصلت إيكليز وأنا ابن ستة عشر عاماً ، قال علي بن أحمد الصنهاجي فى حديث عن أبى العباس فوجدت ءاية فى كتاب الله ترد على قلبى كثيراً وعلى لسانى وهي قوله تعالى (ان الله يأمر بالعدل والاحسان) فتدبرت ذلك وقلت لعل هذا السبب وأنا المطلوب بهذه الآية ، فلم أزل أبحث عنها الى أن وقعت على (غريب التفسير) ، وفيه نزلت حين واخى النبي صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار ، وأنهم سألوا النبي صلى الله عليه وسلم أن يعلمهم المواخاة فأمرهم بالمشاطرة فعلموا أن العدل المامور به هو المشاطرة ، ثم نظرت إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم وستفترق أمتى على اثنين وسبعين فرقة كلها فى النار إلا فرقة واحدة وهي ما أنا عليه وأصحابى ، وانه قال ذلك صبيحة اليوم الذى ءاخى فيه بين المهاجرين والأنصار وأن الأنصار ذكروا أنهم شاطروا

المهاجرين . فقال لهم ذلك بإثر ذلك ، فعلمت أن الذى عليه هو وأصحابه هو المشاطرة والايثار ، فعقدت مع الله تعالى ألا يأتينى شيء إلا وأنا أشاطر إخوانى المومنين من الفقراء ، فعملت هذا عشرين سنة وءاثر هذا الحكم بالخاطر ، فلا أحكم خاطرى على شيء إلا صدق ، فلما أتت عليَّ أربعون عاماً صار عقل ءاخر ، فرجعت إلى الآية أتدبرها ، فوجدتُ العدل هو الشطر والاحسان ما زاد عليه ، فنظرت الثالثة فعقدت مع الله عهداً ألا يأتينى شيء قليل أو كثير إلا أمسكت الثلث وصرفت الثلثين إلى الله تعالى ، فعملت على ذلك عشرين سنة ، فئاثر لى هذا الحكم فى الخلق بالولاية والعزل . فأولى مَن شئت وأعزل مَن شئت ، ثم نظرت بعد كمال العشرين سنة أول فرض افترضه الله تعالى على العباد فى مقام الاحسان ، فوجدت شكرَ النعمة بدليل إخراج الفطرة عن المولود قبل أن يفهم ويعقل ، ووجدت الأصناف الذين تصرف عليهم ثمانية أصناف إلا أنها للصدقة الواجبة . ووجدت سبعة أصناف ءاخرين أصرفها للاحسان والزيادة على العدل . وذلك أن لنفسى حقاً وللزوجة حقاً وللرحِم حقاً ، ولليتيم حقاً وللضيف حقاً ، وذكر صنفين ءاخرين . فانتقلت إلى هذه الدرجة وعقدت مع الله تعالى عقداً أن كل ما يأتينى من خير قليل أو كثير أمسك منه سُبُعَيَن حق النفس وحق الزوجة وأصرف خمسة أسباع على مستحقها ، وأقمت على هذا أربعة عشر عاماً . فائر لى ذلك الحكم فى السماء ، فما قلت يارب إلا قال لى لبيك ! ثم قال لى والله أعلم بتمام عمرى ، وهو أن تنقضي ستة أعوام تكملة العشرين عاماً ، قال فأرختُ ذلك اليوم ' فلما مات وحضرت جنازته تذكرت التاريخ الذى كتبته وحققت العدد فنقصت من تلك الأعوام المذكورة ثلاثة أيام ، فيحتمل أن يكون ذلك من الشهور الناقصة والله أعلم .

قال أبو الحسن قال أبو العباس كل ما يأتينى أقسمه على سبعة أجزاء ، فئاخذ السبُع لنفسى ، والسبع الثاني لمن وجبت عليَّ نفقتُه كالزوجة ومَن فى حكمها من ولد غير بالغ ومملوك ومملوكة وعددهم اثنان وثلاثون شخصاً ، فنظرت فيمن أستجلب أرزاقهم فاذا هم الأيتام المهملون الذين لا والد لهم ولا أم ، فأخذت منهم كعدد مَن تجرى عليهم نفقتى ممن تقدم

ذكرهم وهم المقيمون لا يفقد أحد منهم بنكاح أو موت إلا عوضت منه غيره ، ثم نظرت في ذوى الرحم فاذا هم أربعة وثمانون شخصاً ، ولهم حقان حق الرحم وحق المسكنة ، فاستجلب أرزاقهم بالذين في كتاب الله تعالى وهم الفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضرباً في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف ، وهم الذين لا تمكنهم المسألة ، فوجدتهم في ذرية علي بن يوسف وبنى العزيز الذين كانوا ملوكاً وصاروا فقراء ، فأخذت من عددهم كعدد ذوى رحمي ومتى فقد منهم أحد عوضت منه غيره ، فأنا أؤدى هذه الحقوق أربعة عشر عاماً لا أنقص ذلك .

وحدثنى أبو بكر بن مساعد بن محمد اللمطي وكان خاصاً بأبى العباس قال جاء بعض السلاطين لأبى العباس وهو راكب فقال له كلاماً معناه إلى متى تشير ولا تصرح لنا عن الطريق ؟ فقال له هو الاحسان ، فقال له بين لنا ، فقال له كل ما أردت أن يفعله معك فافعله مع عبيده .

وحدثنى عبد الله بن أبى العباس قال لما احتضر أبى دنا منه أبو يعقوب الحكيم وكان صديقه فقال له أوصنا بما نفعله بعدك ، فقال ليس إلا الاحسان ولسانه ثقيل لا يكاد يبين الكلام ، ولما مات أبو العباس رحمه الله لم يرثه أحد بأوصافه غير صديقه أبى يعقوب يوسف بن احمد بن الحسين الأنصارى رحمة الله عليهما بهذه الأبيات :

أطال الليل أرزاء" تطول — وأحزان" تحلُّ وما تحول
دهانا من خطوب الدهر خطبٌ — تكاد الراسيات له تزول
لقد عظمت رزيتُنا وجلّت — وعمّ لفقده خطب جليل
فُجعنا بالفقيه فلا عزاء — عليه فما يعادله عديل
فيالَهفى عليه وياعويلى — وما يغنى التأسف والعويل
وقد أودى المبرز فى المعالى — وعاجله من الدنيا الرحيل
وغيب فى الثرى عنا كشمس — مغربة تعجلها أفول
وكنا نستدلُّ به فأودى — فكيف بنا وقد فُقِدَ الدليل
يدل بنا طريق الحق قصداً — فليس يعوج عنه ولا يميل

وعمدتـه عـلى التنزيـل مـا ان يفـارقـه وما قـال الرسـول
مثـاثـره لنشـر العلـم يبـدى غرائبـه وءاونـة ينيـل
فمن علـم يبينـه ومـال يفرقـه وأيتـام يعـول
فيمنـاه سحـاب واكفـات ومنطقـه البيـان إذا يقـول
فيوسعنا نـدى غمراً وعلمـاً كأنهمـا لنـا بحـر ونيـل
فتنعش من عوارفـه جسـوم وتنعـم من معـارفـه عقـول
ويبعثنـا على كسب المعـالى وهمته التهانى والوصـول
إلى أقصى المنازل ليس يـرضى بأدونهـا كمـا يـرضى البخيـل
عفا رسمُ المعالى إذ تقضَّـى أبو العباس وانـدرس السبيـل
فحق لفقـده تبكـى عيـون وتجرى من مدامعهـا السيـول
فلولا أن تعـودنـا التـأسـى فعـاد لنـا بـه الصبـر الجميـل
لَسالتْ أنفس منـا عليـه وحـق لهـا بفجعتـه تسيـل
ولكن التصبـر فيـه أولـى فمـا لبقـاء مخلوق سبيـل
وحكم الموت فينا حكـم عـدل قضاه فمـا لنـا عنـه عـدول
فصبراً واحتسابـاً يابنيـه فحـظ الصابريـن غـداً جزيـل
سقـى قبـراً تضمنـه سحـاب يغاديـه ويعقبـه الأصيـل

باب في ذكر فضائلـه

حدثنا أبو بكر بن مساعد اللمطى قال ما اغتاب أحد قط أحداً مـن الناس بمجلس أبى العباس السبتى ، ولقد قلت له يوماً من أشعر ؟ ابن حبوس أم أبو العباس الخراز ؟ فأبى من الجواب ، وقال لى أتريد أن أغتاب الناس ، فقلت له وما فى ذلك ؟ فقال لو فضلت أحدهما على الآخر وهما حاضران لعز ذلك على أحدهما، والغيبة هي أن يذكر الانسان فى غيبته بما يكره، وما حضرت معه قط فأنشد أحد شعراً فى الغزل إلا قال له دعنى من هذا وأخذ فى مدح الله تعالى ، وسمع منشداً ينشد من أبيات (رفعوا الهوادج للرحيل وسلموا) فـقـال :

رفعوا الأنامل للصلاة وكبروا فبدا الخشوعُ لخوفهم يترنم
وبدت سواكب دمعهم مسبولة خوفاً لما قد أخروا أو قدموا
هاذى صلاة المتقين وغيرهم نائى الفؤاد والسن تتكلم

وسمع منشداً ينشد من أبيات (ياأخى قم ترى النسيم عليلا) فعارضه بهذه الأبيات :

ياأخى قم ترى الكتاب دليلا واجعل الذكر والسجود سبيلا
واطلبنْ للالاه جنةَ خلد بخضوع يراك فيه ذليلا
إن رب العباد يدعوك ليلا إن فضلى لمن يكون سئولا
أسعِفُ العبد بالاجابة منى ليس فضلى عليك عبدى قليلا

وكان أبو العباس يلهج فى حياته بهذه الأبيات لشيخه أبى عبد الله الفخار :

عقدت عليك مكمنات خواطرى عقد الرجاء فألزمتك حقوقا
إن الزمان عدا عليَّ فزادنى علماً بأنك خالقى تحقيقا
ما نالنى كرب بوجه مساءة إلا عبرت به إليك طريقا
امض القضاء على الرضى منى به أنى وجدتك بالعبيد رفيقا

فاذا سمعها يخرُّ ساجداً ، فأنشده إياها حفيده أبو زكرياء وهو فى النزع ، فمدَّ يده اليه الى أن أخذ بيده فقبلها ، قال فقلت له قل لا إله إلا الله ، فأخذ بيدى الى موضع قلبه كأنه يقول لى هي فى قلبى .

وأنشد عبد الله بن أبى العباس لأبيه :

إنى أمنت طوارق الحدثان لما تعلق بالالاه جنانى
وحصلت فى فردوس نعمته التى كانت مثوبة أوبتى وجنانى
فلذاك أورثنى مُغيَّبَ سره فالعلم علمى والبيان بيانى

وأنشدنى أيضاً لأبيه رحمه الله :

ألا بأبى مَن بات يدعو إلاهَـــــهُ
لقد هاجنى شوق الى ذلك الـورد
تبيت على قطع المراحل بالتقـــى
سبوقاً إلى الخيرات فى جنة الخلد
ومثلى على فرش البطالة غافــــل
فياأسفى من قرب غيرى ومن بعدى
أأنأى عن الفردوس فى جنة العـلى
ويحظى بها ذو الدمع سكبا على الخد

وحدثنى عبد الرحمان بن يوسف الحسنى رحمه الله من أهل البيت عليهم السلام قال رأيت النبيءَ صلى الله عليه وسلم فى النوم ، فقلت له يارسول الله أريد أن أراك فى النوم كل ليلة ، فقال لى هذا لا يمكن ، فانى مطلوب فى المشرق والمغرب فشكوت له حالى وفقرى ، فقال لى البخل أضرُّ بك ، فمر علينا أحمد بن دوناس وهو رجل صالح من الأولياء الأخفياء من أهل اغمات لا يمسك شيئاً ، وربما تجرد من أثوابه فيوثر بها ويستتر بالأبواب، فسلم علينا وانصرف فقلت له يارسول الله وهذا ، فقال لى البخل أضر به فحرت لما أعرف من كثرة إيثاره ، فقلت له بين لى هذا البخل ، فقال لأقولن لك فيه قولا لم ينقله إليكم علماؤكم اذا حضر لأحدكم خاطر بالعطاء ثم عقبه خاطر ءاخر بالمنع فالتردد بالخاطر الأول بخل ، فسألته عن أبى العباس السبتى وكنت سيءَ الاعتقاد فيه ، فتبسم ثم قال لى هو من السباق فقلت بين لى ، فقال لى هو ممن يمر على الصراط كالبرق ، فأصبحت وخرجت ، فلقيت أبا العباس السبتى فقال لى ما سمعت وما رأيت ؟ فقلت له دعنى ، فقال لى والله لا تركتك حتى تعرفنى ، فذهبت معه الى حانوت ابن مساعد ، فأنشأت أحدثه إلى أن قلت له التردد فى الخاطر الأول بخل ، فصاح وغُشِيَ عليه ، ثم قال كلمة الصفا من المصطفى ، وصار متى ما تذكر هذا الكلام يغشَى عليه .

حدثنى علي بن زكرياء قال سمعت أبا العباس السبتى يقول أنـا هو القطب .

باب في ذكر أخباره

حدثنى علي بن زكرياء بن عبد الله قال جلست يوماً مع أبى وكان معنا أبو العباس السبتى فجاء إلى أبى يتيم فسأل منا شيئاً فأعطاه أبى نصف

درهم ، فقال له أبو العباس أعطه درهماً كاملا ، فأخذ أبى منه نصف الدرهم ودفع له درهماً كاملا ، فقال له أبو العباس ردّ إليه نصف الدرهم يفتح الله عليك فى أربعة دراهم ونصف درهم ، فما برحنا من مكاننا حتى وقفتْ على أبى امرأة من الخدماء ، فقالت له أتعرفنى ؟ فقال لها لا أعرفك فمن أنت ؟ فقالت له كنتُ قد اشتريت منك نطعا ببلد داي بأربعة دراهم ونصف درهم ثم طرأ على أهل داي ما طرا من الجلاء عن بلادهم وافتراقهم فى البلاد عام تسعة وخمسين وخمسمئة ، فافترقنا وبقي لك عندى ثمن النطع إلى الآن فخذه ، فأخذ منها تلك الدراهم .

قال وجلس أبو العباس السبتى يوماً بدكان صديقه أبى يعقوب الحكيم إلى أن جاءه رجل خليع فقال له أطعمنى فانى جائع ، فقال له أبو العباس ليس عندى شيء ، ثم عاد عليه ثانياً وثالثاً وهو يقول ليس عندى شيء ، ثم قال لأبى يعقوب هل عندك ثمن خبزة ؟ فدفع له أبو يعقوب درهماً فاشترى به خبزة ودفعها له ، ثم قال له لعلك قلت فى نفسك كيف أعطى ما أخذ منى هذا الخليع ؟ فقال له لقد خطر ذلك بخاطرى ، فقال له لو لم يكن خليعاً لكنت أنت ذاك الخليع ففداك ولم تعرف قدر ما أنعم به عليك .

حدثنى غير واحد أن أبا العباس بات ليلة مطر فغلبه البرد فأمر أن يغطَى باللحاف ، فلم يندفع عنه البردُ فزيدت عليه اللحاف والبرد لم يندفع عنه ، فقام من فراشه يمشى بالمحلة التي هو فيها ويقرع أبواب الديار ولا يستجيب له أحد إلى أن قرع باب دار فاستجاب له أهلها ، فعلم أنهم لم يناموا من مكابدة البرد ، فقال ما لكم لم تناموا ؟ فقالوا له قد ابتلت أثوابنا بالمطر فنحن نجففها على النار ، فقال من هاهنا علبنى البرد ، فقال أبو العباس لأهله احملوا لهم هذه اللحاف فسيقت إليهم وتغطوا بها ، ودخل أبو العباس فى فراشه وجعل على نفسه الغطاء التى جرت عادته أن يغطى بها دون تلك اللحاف فزال عنه البرد ونام .

وحدثنى عنه انه قدم له أهله ليلة عشاءه فلم يشته الأكل ، فقال لأهله لعلكم بقي منكم مَن لم يأكل فلذلك لم يطب لى الطعام فحفوا به كلهم

وقالوا والله ما بقي منا أحد إلا وقد أكل ، فقال لهم اطلبوا ففتشوا ، فلما ذهبوا لباب الدار وجدوا امرأة مسكينة نائمة لم تتعش ، فرفع إليها عشاءها فأكلته وجعل لها فراشاً تنام عليه .

وحدثنى أحمد بن علي الصنهاجى قال احتبس المطر فى بعض الأوقات فقال أبو الحسن البلنسى الجنان لأبى العباس أما ترى ما فيه الناس من احتباس المطر فقال له انما احتبس لشحّ الناس فلو تصدقوا لمطروا ، فقل لأصحابك من الفلاحين تصدقوا بمثل ما أنفقتم تمطروا ، فقال له أبو الحسن لن يصدقنى أحد ، ولكن مرنى فى خاصتى فما أمرتنى بـه أفعله ، فقال تصدقْ بمثل ما أنفقت ، فقال إذا مطرت أخرجت من ثمن الغلة مثل ما أنفقت ، فقال له إن الله تعالى لا يعامل بالدين ! ولكن استسلفها فاحتال فيها وتصدق بها كما أمره ، قال أبو الحسن فخرجت الى البحيرة وكنت اعتمرتها والشمس شديدة الحرارة وقد أيست من المطر ، ورأيت جميع ما غرسته قد أشرف على الهلاك ، فأقمت ساعة فرأيت سحابة قد أمطرت البحيرة إلى أن رويت وبلت ثيابى وظننت أن الدنيا كلها كذلك قد أمطرت ، فلما خرجت من البحيرة رأيت المطر لم يجاوزها ، وهذه القصة مشهورة صحيحة ، سمعت أبا يعقوب الحكيم وجماعة يحدثون بها ، وكان أبو العباس يعضدها بحديث حذيفة المخرج فى الصحيحين .

وحدثنى علي بن احمد الصنهاجى قال جلست مع أبى العباس فى جماعة من المريدين وقد احتبس المطر ، فمر الصبيان بنا وهم يستغيثون ويسألون المطر ، فقيل لأبى العباس أما ترى ما أصاب الناس من القحط والجفوف فهلا استغثت لنا ؟ فقال قوموا فخرجنا من باب الدباغين ومعنا أبو يعقوب الحكيم وجماعة من المريدين والشمس شديدة الحرارة ، فقال لنا أبو العباس مَن كان عنده شيء فليتصدقْ به ، فقلت له أما أنا فليس عندى شيء فان أمرتنى أن ءاتي بشيء فعلت ، فقال لا إنما أمرت مَن حضر عنده شيء الآن أن يخرج عنه ومعنا رجل شديد الفقر يعرف بالطراز ، فقال ليس عندى غير ثمن درهم أعددته للزيت فقال له تصدق به ففعل ، فقال أبو العباس فى

هذا جاء الخبر سبق درهم مئة ألف ، فقال فلقيَنا محمد بن يوسف بن جذع الجذامى فنزل عن دابته وسلم على الشيخ ، فقال له إلى أين خرجتم ؟ فقلت خرجنا نستسقى ، فضحك بنا وقال صدقتم هذا الشيخ الأحمق ارجعوا ، فقلت له أما أنا فلا يمكننى الرجوع ، فتقدم أبو العباس وهو ينظر الى السماء ويحرك شفتيه ثم قال لنا قولوا سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم فان الخلائق يرزقون بهذا ، فكنا نقول ذلك ونرفع به أصواتنا وأقمنا على ذلك ساعة ، ثم قال لنا بادروا المطر وخذوا نعالكم بأيديكم ، فضحك ابنُ الجذع وقال هذا والله هو الحمق ، يقول لكم هذا القول والشمس شديدة الحر ، فقلت أما أنا فلا أكذبه ، فأخذت نعلى بيدى فوالله ما وصلنا باب الدباغين حتى غيمت السماء وانهملت بالأمطار ، فبقي ابن الجذع مذعوراً ، فقال لأبى العباس اغفرْ لى سيدى فانى أتوب إلى الله تعالى مما ظننت ، فقال له لن تقبل توبتك هكذا حتى تتصدق بشيء ، فأخرج خمسة دنانير وقال لى دفعت هذه الخمسة دنانير لى امرأة من كرائم مردنيش أن يدعى لها أن تحبب إليها الصلاة ، فقال أبو العباس ما خرجت إلا لأخذ مئة دينار ، ولكن بهذه الخمسة توجد فربطها فى عمامته وانصرف ابن الجذع إلى تلك المرأة ، فأعلمها أنه دفع لأبى العباس خمسة دنانير ، فقالت له احمل إلى الفقيه مئة دينار يضعها فى موضعها ، فجاء بها ابن الجذع إلى أبى العباس ، فقال إنما طلبت هذه المئة لصبية بكر قبضت لها جدتها نقدها من زوجها فأكلتْه لحاجتها فطولبت بالنقد لتجهيزها له فشكت إلي وعلمت صدقها فخرجت أستسقى ليفتح الله لها فى مئة دينار ، فدفع الى العجوز المئة وقال لها جهزى حفيدتك بالمئة وخذى هذه الخمسة وانتفعى بها ، فقال ابن الجذع لأبى العباس عسى أن تعلمنى بأي شيء علمت نزول المطر حين أخبرتنا بذلك ، فقال مرت ريح باردة فى خدى فلما وجدت بردها رفعت بصرى إلى السماء فرأيت سحابة بطرف جبل درن فعلمت أنها سحابة مطر .

وسمعت جماعة كثيرة من خاصته منهم أبو بكر بن مساعد بن محمد اللمطى وكلهم يقول : كان عيسى بن شعيب من تلامذة أبى العباس قد أدركه عجب بنفسه ، وظن أنه قد زاد على مقام شيخه ، فغير قلبه وسار من مراكش

وكانت تحته ابنة أبى العباس ، فجاءت يوماً اليه ابنته فقالت ياأبت إن زوجى غاب عنى فما أفعل ؟ فقال لها ليس هو بزوجك اعتدى فانه مات الآن قال أبو بكر فأرخنا ذلك اليوم فجاء بعد ذلك خبره بأنه مات فى قرية الحدادين فى ذلك اليوم، وسمعت أبا يعقوب الحكيم يذكر هذه القصة وهي مشهورة صحيحة.

وحدثنى ابن مساعد قال أصاب الناس قحط بمراكش فدخلت مع أبى العباس دار الاشراف وكان النظر فيها لأبى بكر بن يوسف الكـومى ، وكانت بينهما صحبة ، فسلم عليه أبو العباس وأشار الى السماء كأنه قال له تصدق يسقى الناس ، فقال إن الله غني عنها ، فولى أبو العباس وهو يقـول سبحان الله هذا الرجل عزل نفسه ، ثم قال أرخ هذا اليوم ، قال فأرخته ثم قلت له من أين هذا القول فقال لى قال الله عز وجل (هانتم هؤلاء تدعون لتنفقوا فى سبيل الله فمنكم من يبخل) إلى ءاخر السورة ، قال ابن مساعد بنحو ثلاثة عشر يوماً من التاريخ جاء من اشبيلية أبو محمد بن أبى يحيى بن عبد الصمد بعزلة أبى بكر بن يوسف عن دار الاشراف .

وحدثنى أبو بكر بن مساعد اللمطى قال خرجت مع أبى العباس ومعنا رجل ثالث وأتينا إلى باب بحيرة الناعورة ، وكان مغلقاً ، فلما وصل اليه أبو العباس انفتح له الباب فدخلنا البحيرة فظننا أنه فتح له رجل خلف الباب فنظرنا يميناً وشمالا فلم نر أحداً فتعجبنا من ذلك ، فالتفت إلينا فقال أتعجبون من انفتاح الباب ولا تعجبون من هذه السحابة التى استدعيتُها حتى أظلتنى ، فرفعنا رءوسنا فرأينا سحابة فوق رأسه تظله .

قال أبو بكر بن مساعد وجئت يوماً مع أبى العباس فى جماعة إلـى باب الدباغين وهو مغلق ونحن خارج الباب ، فقال للبواب افتح لنا فأبى ، فقال لى ياابن مساعد أعطه قيراطاً ليفتح لنا فأبى ، فقال أعطه درهماً فأبى ، فولى أبو العباس مغضباً وهو يتكلم ، فرأيت صبياً صغيراً رفع العمود فانفتح ، فقال أبو العباس إن هذا البواب يموت ، فأقام البواب ثلاثة أيام فمات ، قال ابن مساعد أنا رأيت ذلك الصبي رفع العمود وهو صغير لا يطيق رفع ذلك العمود لثقله ، وما أدرى كيف انفتح له .

وخرجت معه يوماً إلى بحيرة الطلبة خارج باب ينتان ومعنا رجل يعرف بالغزال كان خفيفاً على الشيخ ، فقال له أبو العباس يابني اشتر لنا شواء ، فقال له الغزال انه تلحقني فى شرائه من السقاية مشقة ، ثم مر فكان أبو العباس ينتظره الى أن يئس منه ، فانقبض عنا ونحن نرى الكراهية فى وجهه ، فقال له أبو يعقوب أعلى شهوة تتنكد هذا النكد ؟ فقال والله ما تنكدت من أجل شهوة ، وانما ذلك من أجل أني ما أجلت خاطرى على شيء إلا تيسر وانا الآن صرحت بلساني فلم يتيسر فلا أدرى من أين أوتيت ، فمكث ساعة فاذا بالطراز قد جاء إلينا وعلى وجهه أثر التعب ، فقال لقد أتعبتمونى فى طلبكم فلم أزل أسأل عنكم إلى أن أتيتكم، فقال له أبو يعقوب أعندك شواء؟ قال نعم خرجت من باب ينتان فوجدته ولم يكن عندى غير ربع درهم فاشتريت به منه لكم ، فتناول منه أبو العباس مضغتين وهو منكس ، ثم تركه .

وأخباره كثيرة عجيبة وقد جمعها أصحابه وكتبوا من كلامه كثيراً وفى هذا القدر الذى ذكرنا كفاية لمن أراد أن يستشرفها ، نسأل الله تعالى توفيقاً إلى مرضاته وعملا زكياً يكون ذخراً لديه يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

باب جامع لمنازعه

حضرت غير مرة مجلس أبى العباس وسمعت احتجاجه على منازعه ومعاهده ، وكان يقول أصل الخير فى الدنيا والآخرة الاحسان ، وأصل الشر فى الدنيا والآخرة البخل ، قال الله تعالى (فأما مَن أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى ، وأما مَن بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنُيسره للعسرى) ، وقال حكاية عن إبليس (ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم) ، وفى الخبر الأكثرون هم الأخسرون ورب الكعبة إلا مَن قال بماله هكذا وهكذا وذكر العطاء من هذه الجهات الأربع، ولما أراد الله تعالى هلاك فرعون وأهله دعا عليهم موسى عليه السلام بالبخل (ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا فى الحياة الدنيا ، ربنا ليضلوا عن سبيلك ، ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يومنوا حتى يروا العذاب الأليم ،

قال قد أجيبت دعوتكما) وقال تعالى (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقنَّ ولنكونن من الصالحين ، فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون ، فأعقبهم نفاقاً فى قلوبهم الى يوم يلقونه) ، وقال تعالى فى الأنصار (ويوثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوقَ شحَّ نفسه فأولئك هم المفلحون) . وقال تعالى (إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة) الى تمام القصة ، وقال عليه السلام (اتقوا النار ولو بشق تمرة)، فلم يذكر وقاية النار الا بالعطاء ، وقـال تعالى (سارعوا الى مغفرة مـن ربكم) الى قوله (إن الله يحب المحسنين) وقـال تعالى (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبـل المشرق والمغرب ، ولكن البرُّ مَن آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيئين وآتى المال على حبه) الآية .

وحدثنى محمد بن خالص الأنصارى قال حضرت مجلس أبى العباس السبتى يوما وقد ذكر قوله تعالى (انـا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال) الآية ، فقـال هذه الأمانة هي الـرزق فالسماوات أعطت ماعندهـا مـن الماء وهو المطر ، والأرض أعطت ماعندها مـن النبات والثمار ومافيهـا من الأرزاق وأبت مـن إمساكها فصار الانسان خازنا لما يجتمـع عنده فيمنع منه المساكين إنه كان ظلوماً جهولا .

وحدثنى محمد بن خالص قـال كان أبو العباس السبتى آخـر عمره كثيراً ماينزع بهذه الآية (أفرأيتَ الـذى تولى وأعطى قليلا وأكـدى) أي واقطع (أعنده علـم الغيب فهو يرى)ان الصواب ما يفعل (أم لـم ينبأ بمـا فى صحف موسى وإبراهيم الذى وفَّى ألا تزر وازرة وزرَ أخرى . وأن ليس للانسان إلا ماسعى) أي أعطى إلـى ءاخر الآية ، قال سمعته يقـول قصدت أنا وحدى الى عين الخير دون سائر العلماء والأمر كله انما يدور على العطـاء والبذل ، ومـا تصدقت بصدقة لوجه الله تعالى إلا بربـع درهم ، وانما تصدقت لأجازى ، وما تصدق لوجه الله تعالى العظيم خاصة إلا محمد صلى الله عليه وسلم وغيره مـن الأنبياء الذين لم ينالوا من الدنيا إلا البلاء ، وكان يقول كلُّ مَن قـال إن الله لا يجزى على الصدقة فقد وافق اليهود على الفرية عـلى الله

تعالى فإن اليهود قالوا (يد الله مغلولة) أي لا يجازى ولا يثيب ، فقــال تعالى (غُلت أيديهم ولعنوا بما قالوا ، بل يداه مبسوطتان يُنفق كيف يشاء) ، وكان يقول فى قوله تعالى (والذين يكنزون الذهب والفضة) إلى قوله (فتكوى بهـا جباهُهم وجنوبهم وظهورهم) قــال كويت هذه المواضــع لأن الغنيَّ إنما يعرض عن المساكين بوجهه ثم بجنبه ثم يوليه ظهره ، فعوقب فــى هذه المواضــع بالكي بالنار على الاعراض بهــا عن الفقراء .

حــدثنى محمد بن خالص الأنصــارى قال حدثنى أخى أحمد قــال حدثنى أبو يعقوب الحكيم قــال خرجت مع الفقيه السبتى مــن باب الدباغين وقــد أوقد فرن الجيارين والريح جوفية تهب بالدخان الى جهتنا فقــال أبو العبــاس أي ريح تحب أن تهب ؟ فقلت الريح الشرقية ، فقــال ستهب الآن قــال فرأيت الريح قد هبت شرقية فحملت الدخان الى جهة أخرى .

قال وحدثنى أحمد السيفى قال بات عندنا أبو العباس السبتى ليلة بباب ايلان فمنع النوم فقام يضرب على الأبواب الى أن وجد قوماً يتحدثــون فى دهليز فسألهم عــن حالهم فأخبروه أن قطر سقف البيت منعهم من النوم ففروا الى دهليز الدار فبعث إليَّ شملته فتغطوا بها وانصرف وقال من أجل هذا منعت النوم .

وحدثنى ابن مساعد اللمطى قال سمعت أبا العباس السبتى يقول والله مــا بلغت نعل أبى الحسن البلنسى وانما انا مومن وتاجر شحيح انــما أفعل ما أفعــل لأجازى ، وقال له رجل وأنا حاضر مالك لا تتكلم على الصلاة ؟ فقال إنما تكلمت على العلة العظمى التى عمت وهي البخل ، قال وإنما أودعكم السر الــذى لم يطلع عليه كل أحد باعطــاء الشطر تكون الوقاية اتقو النــار ولو بشق تمرة كما قال عليه السلام ، وباعطاء الثلثين يحكــم فى المخلوقات كالاستسقاء والولايــة والعزل ودخول الجنة وأمثال ذلك ، وباعطاء خمســة أسباع يستجاب الدعاء وتكون الكائنات ، قــال ابن مساعد وانتهى أبو العباس الى اعطاء تسعة أعشار وتمسك بالعُشُرْ وهي النهاية ، قلت وانما قال وهي

النهاية لأنها الواجب فيما يبقى للمساكين فمن خرج عن تسعة أعشار وتمسك بالعشر فقد أخذ لنفسه الواجب وأعطى للمساكين ما يجب له وهو الملك .

قال ابن مساعد وقلت لأبى العباس أكره ما تتكلم به من الفحش فان الله تعالى يقول (ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد) فقال لى اذا تكلمت بالكلمة أليس الله يطلع على قلبى مالا يطلع عليه مثلك ؟ فقلت له بلى (I)، فقال لى فماذا اضرّ اذا علم الله تعالى منا ما طويت عليه ضمائرنا ؟ فقلت له لم كانت الخلافة لمعاوية دون الحسن بن علي رضى الله عنه ؟ فتغير وسكت عنى ساعة ثم قال لى فلو كان الحسن خليفة فهل يجمل أن يحاسب عن رعيته وجده محمد صلى الله عليه وسلم أكرم الخلق على الله يشاهد مطالبته ومحاسبته ، وذكر بمحضره فعل اليزيد بالحسين رضي الله عنه فما زال يصيح يامحمد يامحمد مالك أمة الى أن غشي عليه .

قال ابن مساعد وخرجت مع أبى العباس وأبى يعقوب المبتلى وأبى الحسن البلنسى الى بحيرة خارج باب أغمات وقد رغبنا أبا الحسن أن يستسقي لنا وكان وقت جدب ، فأحضر لنا أبو الحسن طعاماً كثيراً فجعلنا نأكل وأبو يعقوب المبتلى يقول متى يستسقى لنا أبو العباس فانى ما رأيته دعا فلما رجعنا الى المدينة قلت له ياسيدى خرجنا للاستسقاء فلم تستسق لنا، فقال قد استسقينا لكم يعنى بالطعام، وقد رويت البلاد، واليوم لغيرنا، ونسقى نحن غداً إن شاء الله، (فقلت له : ولِمَ لا اليوم ؟)، فقال لأن ساقيَ القوم آخرهم شرباً ! قال والله لقد مطرنا فى اليوم الثانى مطراً وابلا ، وسألت عن تلك الجهات الواصلين منها فأخبرونى أنهم مطروا قبلنا بيوم ، قال وخرجت معه يوماً إلى بستان خارج باب دكالة وكان قد شوقنى فيه بعض أصهارنا فأتحفنا بما كان عنده من الفواكه فسر بذلك الفقيه أبو العباس ودعا العامل فى البستان فقال له ما الذى تريد أن يكون ؟ قال ياسيدى ما أريد شيئاً وانما نحن معاشر الجنانين (I) قد تضررنا بالريح الشرقية فانها أفسدت علينا

I) فى الأصل نعم وذلك خطأ .

I) ج جنان كنجاز عامل الجنة فى الاصطلاح المغربى الأندلسى ، أى ما يقابل البستانى فى الاصطلاح المشرقى .

النوار ولا نريد الا أن تكون الريح غربية ، وكان اذا أراد مــن الله أمراً أطرق ساعة وينقبض فلا يجسر على كلامه أحد ، ففكر ساعة ثم قال لنا استنشقوا الريح فاستنشقناها فاذا هي غربية .

قال ابن مساعد : وحضرت معه يوماً فأنشده بعض الحاضرين بيتين من قصيدة ابن عمار التى أولها (أدر الزجاجة فالنسيم قـد انبرى) (1) ، فقطع انشاده وكره سماع القصيدة وقال لابد أن نكفر هذين البيتين اللذين سمعتهما بهذين البيتين :

أقم الصلاة مهاجِراً سِنَةَ الكـرا — واجعل صباحك عنده حمد السرى
واطو المراحل بالعروج لمن لــه — لطف ينزله اذا هجع الـــورى

حدثنى محمـد بن خالص الأنصارى قال حدثنى أبو إبراهيم بـن نجا قـال أبو العباس السبتى وانا بسوق الغزالين وهو يقول مَن يعطى درهميـن يزال عنه وجع الرأس ، فناولته درهمين ، وكان يعترينى وجع الرأس ، فوالله ما أصابنى بعد ذلك وجع الرأس .

وحدثنى ابـن مساعد قال حضرت بمجلس أبى العباس يوماً وقـد اجتمع اليه الناس فقال لهم إنما تكلمت عليكم لقوله عز وجل (فلولا كان من القرون مـن قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد فـى الأرض إلا قليلا ممـن أنجينا منهم) فانا أولو بقية ، أتدرون ما هذا الفساد الذى ينهون عنه هـو اهلاك الحرث والنسل بالبخل المؤدى الى الجدب ، قـال تعالى (واذا تولى سعـى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل ، والله لا يحب الفساد) ثـم قال (ألم يان للذين ءامنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ومانزل مـن الحق) الى قوله (يحيى الأرض بعد موتها) ، قال فكأنه قيل له بماذا يحيى الأرض بعد موتها فقال (ان المصدفين والمصدقات) الآية ، ثم تلا هذه الآية (ان ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستـة أيام) الى قوله (تضرعـا

(1) راجعها فى صحيفة 306 من ج 1 من نفح الطيب وراجع 356 من ج 3 من الشذرات .

وخفية) الى قوله (من المحسنين) أي مطره ، فذكر كيف ينزله فقال (هو الـذى يرسل الرياح نُشُراً بين يديْ رحمته) الى ءاخر الآية .

وحدثنى محمد بن خالص الانصارى قال سمعت أبـا العباس السبتى يقول تحية المسجد ركعتان انما معناه أن المحيى يضع أعز اعضائه عـلى الأرض وهو الوجه ، ومن أخذ ما هو أعز الأشياء عنده فوضعه فى المسكين الـذى هو كالأرض لمسكنته وفقره فقد أحياه .

وسألت ابن مساعد فقلت لـه أنت لازمت أبا العباس مدة طويلـة وخلوت به فأخبرنى عن أعجب ما رأيت منه ، فقال كل شأنه عجب ، وأنا أخبرك بما رأيـت فى نفسى من العجب ، وذلك أنى أصابنى تشنج سترتـه عـن أعين الناس فى منزلى ، فبعثت إليه رضي الله عنه أن يأتينى ، فقـال للذى بعثت إليه أبـو بكر رجل شحيح ، ولولا ذلـك لكان شأنه عظيماً ، ووعد الذى جاءه بالقدوم علي وكنـت التفتت الى منازعه ومقاصده فقلت للـذى بعثت إليه كم عدد درج المصرية التى نحن فيها ؟ فقال ثلاث عشرة درجة ، فقلت له سيطلب منى الشيخ ثلاثة عشر ديناراً عـلى عدد الدرج ، فلما صعـد إليّ قال تعطينى ثلاثة عشر دينارا فقلت كذلك قلت قبلك وأمرت بعـدّ الدرجات فعجب من ذلك ، ثـم سألنى عن حالي فقلت لـه إنى أرى أحـلاماً رديئة ، فقال لى أنا أطببك ، فكـم نفقتك فى الشهر ؟ فقلت لـه ستة دنانير ، فقال لـى اخرجها فأخرجتها فأخذ مسحاة وكتب فيهـا حرف الزاي وقال لى اجعلها تحت رأسك مـع تلك النفقة ، فأخذت المسحاة والدنانير فجعلتهـا تحت رأسي فزالـت تلك الأحلام الرديئة ورجعت عنى ، وكنـت أنفق من تلك النفقة الى أن بقي منهـا ديناران فأخذتهما وعادت تلك الأحلام فرددتهما فزالت عنى فأعلمته فعجب مـن اختبارى لذلك فقلت له داونى مـن هذا التشنج ، فقال لى أعطنى ثلاثة عشر ديناراً فشكوت اليه ضيق الحال ، فقال لى أنـا أحاسبك بما انفقته عـلى نفسك وعيالك منذ أصابتك هذه العلة ، فأعطيتـه الباقي بعد الحساب فقلت له متى أستريح ؟ فقال تأتينى الى منزلى وأكتب لك فى الزمام فأتيته وكتبنى وقد استرحت مما أصابنى .

وقال أبو بكر قلت له ما للعلماء يعادونك ويكرهونك ؟ فقال لأني موقن بخبر الله تعالى حيث قال (وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين) ، وهم غير موقنين بذلك .

وكان يقول ركن العلماء الى الدنيا وبخلوا بها وغلبوا جانب الرجاء وفيهم يقول الله تعالى (فخلف من بعدهم خلْفٌ ورثوا الكتاب ياخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا وان ياتهم عرض مثله ياخذوه ، ألم يوخذْ عليهم ميثاق الكتاب ألا يقولوا على الله الا الحق ، ودرسوا ما فيه ، والدار الآخرة خير للذين يتقون ، أفلا تعقلون ؟ والذين يُمسّكون بالكتاب وأقاموا الصلاة إنا لا نضيع أجر المصلحين) .

وكان من الأغنياء ثم افتقر فحدث أنه وصل الى أبي العباس السبتي وعليه ثوب خلق تظهر منه عورته ، فشكا إليه حالته ، فأخذ بيده ومر حتى خرج معه من باب تاغزوت وجاء الى موضع فيه الماء يتطهر منه الناس ، قال فدخل فيه أبو العباس ونجرد عن أثوابه وناداني ، فقال لي خذ هذه الثياب فأخذتها ، وكان ذلك بعد العصر فأردت أن أرى ما يكون من أمره ، ثم صعدت على حائط وجلست أنتظر ما يكون من أمره ، فبقيتُ هناك الي وقت غروب الشمس وقد رد البواب الباب الواحد ، فاذا بفتى قد خرج من باب تاغزوت وهو على دابة وأمامه رزمة من الثياب ، فلما رأيته نزلت اليه فقال لي أين الفقيه أبو العباس ؟ فقلت له هو في تلك الساقية عريانا ، فقال لي أمسك هذه الدابة ، فسمعت الفقيه يقول أين تلك الثياب ؟ فأخذها منه ، فلما رءاني قال لي مالك هاهنا ؟ فقلت ياسيدي خفت عليك فلم أقدر على الانصراف وأتركك ، فقال لي أما ترى الذي فعلت من أجله مافعلت يتركني ، ثم سأل الفتى عن سبب وصوله ، فذكر له أن احدى الكرائم أمرتْه أن يحمل إليه تلك الثياب ، وقالت له لا تدفعها الا للفقيه أبي العباس وقل له لا يلبسها الا هو ، وهذه القصة مشهورة صحيحة ، وأخباره كثيرة عجيبة ولو استقصيتها لطال الكتاب وفيما ذكرته كفاية .

انتهى كلام (التشوف) في مناقب أبي العباس السبتي (1) .

وقال الشيخ الأكبر في (الفتوحات المكية) في آخر الباب الموفى ستين وثلاثمئة في معرفة منزل الظلمات المحمودة والأنوار المشهودة وإلحاق مَن ليس مـن أهل البيت بأهل البيت وهو من الحضرة المحمدية عند تعداد علوم هـذا المنزل ما نصه : وفيه علـم ما يذهب الفقر من النكاح وبه كان يقول أبـو العباس السبتي صاحب الصدقة بمراكش ، رأيته وعاشرتـه ، فرأيته وقد جاءه انسان يشكو الفقر ، فقال له تزوج فتزوج اثنتين فشكـا إليه الفقر ، فقـال له تزوج ثلاثاً فشكا إليه الفقر ، فقال لـه ربِّع ، فربَّع ، فقال الشيخ قـد كمل فاستغنى ووسع الله في رزقه ولم يكن فـي نسائه اللاتي أخذهن مَن يكون عندها شيء من الدنيا فأغناه الله .

انتهى من صحيفة 386 من الجزء الثالث .

وقد وقفت على تأليف في فضائل أبي العباس السبتي رحمه الله تعالى الـذي لخص بعضه صاحب (المعزى) في ثلاثة كراريس من القالب الثماني ، قـال في أوله : سمعنا من فقرائه وأصحابه الذين شهدوا بركاتـه رضي الله عنه فـي حياته واشتهرت كراماته بعد وفاتـه حتى انها لاتحصى يعرفهـا القريب والبعيد مـن استغاث به يجده حاضراً بعد أن يعطـى الفتوح ، وكل ذلـك من بركاته ، ومن أراد التبرك به فليكتب هذه الفضائل ويجعلها فـي منزله ويتوسل بالشيخ فـي كل ما يريد عنده ويقدم فتوحاً لأن أمور الشيخ كلها لا تدور الا عـلى الفتوح ، وكان رحمه الله ورضي عنه يقول لا يفعل موجود إلا بالجود ولا بلغ اصحاب رسول الله صـلى الله عليه وسلم إلا بسخاوة النفس وسلامة الصدور والصدقة والايثار ، قال الله العظيم فـي كتابه العزيز المنزل على نبيه الكريم (ويوثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) لا بـكثرة جوع ولا صيام .

---

1) لم يرد في (التشوف) المطبوع تعريف بأبي العباس السبتي ، وما تقدم هو تأليف لصاحب التشوف خاص بأبي العباس السبتي ، فربما كان يريد أن يقول : انتهى كلام صاحب التشوف .

باب في ابتداء أمره رضي الله عنه

ثم ساقه بابسط عبارة فــي قضية دخوله صنعة الحياكة وهروبــه منها للمكتب وتعلمه فيه القرآن العظيم والعربية وسؤاله عــن العدل والاحسان بعــد أن بلغ سورة النحل وزيادة البركة عــلى الشيخ أبي عبد الله الفخــار بسبب مخالطتــه وقضية ذبح الصبيان غيره الطيور ثــم طلبه من الشيخ السفر لحضرة مراكش واذنه له ، قال وانصرف عنه قاصداً مدينة مــراكش فصحبه فقير يخدمه ، فصــار يجد السير إلى وقت العصر ، فــدخل قرية فصلى معهــم العصر والمغرب والعشاء جماعة ، وانصرف أهــل القرية فقام المؤذن الى القنديل فاطفأه ومضى الى داره ، فمــر شيخ القرية على المسجد فــاذا بالقنديل على حاله يضيء ، فتعجب المؤذن وشيخ القرية ، وكان أبــو العباس رضي الله عنه يكره الظلام ، فدخل شيخ القرية هــو والمؤذن فوجد الشيخ مستقبلَ القِبلــة وهو يصلى ، فخرج وأفاق الناس وذبحوا له رأساً مــن البقر وعملوا له كريمة ، قال فلما صــلى الشيخ الصبح انصرف هــو والفقير ، فما زال يجدُّ السير الى قرب وقت العصر ، فدخل قرية وقصــد المسجد فصــلى معهم العصر والمغرب والعشاء جماعة ثــم انصرف الناس عنه وإذا بشيخ القرية فقد عجلا ولد له في تلك الليلة ، ففتشوا القريــة كلها فلــم يجدوه ، وأتى شيخ القرية الى المسجد ليفتشــه فقال الشيخ ما شأنــك ؟ قال فقدت عجلا ولدته البقرة الليلــة وقد ضاع ، قال له إرجَــع فان ولدها بازائها ، فرجع الى منزله وأهل القرية معه فوجــدوا العجل بازاء أمه كما قــال الشيخ ، فتعجبوا وعلموا أن ما أصابهم مــن الهول هو مــن بركة الشيخ الذى لم يضيفوه فذبحوا له رأساً من البقر وضيفوه وتبركوا به ، فلمــا أصبح الصباح انصرفوا فما زالــوا يجدون السير الى أن قــرب العصــر ، فدخلوا قرية وقصدوا المسجــد فصلوا فيها العصر والمغــرب والعشاء جماعــة وانصرف أهل المنزل الى منازلهم فقــال له الفقير الذى معه ياسيدى اشتهت نفسى الكسكس بالسمن والبصل والقديد ، فقــال له الشيخ الله يعطيك شهوتك ، واذا بانسان من أهل المنزل دخل عليهــم المسجد فصلى صلاة الظهر والعصــر والمغرب والعشاء وجعل ينقرها نقراً خفيفاً ، فلمــا

فرغ الرجل من صـلاته رءا الشيخ جالساً فتقدم له وأخذ بيده فقبلها وأوقـع الله فى قلبه هيبته ، فقال له الشيخ ما هذه الصـلاة تصلى ؟ قـال له ياسيدى والله ما عرفت ما صليت وما تركت ، فقـال له الشيخ ما بالك قال ياسيـدى كنت أملك أربعاً من البقر نحرث عليهم ويعيش أولادى بهم فسرقوا لى وأنـا أفتش عليهم نهارى كله ونبيت ليلى مهموماً ، قال له وكم لهم منذ سرقـوا ؟ قـال أربعة أشهر ، قال له الشيخ إذهب عـلى بركة الله ، إعمل عشاء هـذا الفقير الذى معى كمـا أصف لك الكسكس بالسمن والبصل والقديد يجمعك الله بهـم ، قال فخرج من عند الشيخ وبـه من الفرح مالا يوصف ، فأعلـم زوجته بذلك وكانت امرأة عاصية لا تطيعه ، فقالت له والله لا أصنـع شيئاً وإن الذى قـام إليك وقال هذا الكلام مجنون ، فبقرك اليوم لهم أربعة أشهر وأنت تطمع فيهـم فعاركها تصنع الطعام فأبت فمشى الى أخته فصنعت لـه العشاء عـلى نحو ما أمره الشيخ وحملـه الى المسجد وطرحه بيـن يدي الشيخ فأمر الشيخُ الفقير بالأكل ، فأكل حتى شبع ، فقال له طعامك الى دارك ، فقالت له زوجته وأين ثيرانك ؟ فقال لها سألنى عـن ألوانهم وقال لى اترك باب دارك مفتوحاً لا تغلقه فانهم يأتونك ان شاء الله ، فقـالت له أما أنا فلا أبيت لـك فى الدار ، هذا سارق أراد أن يسرق دارك ، فحملـت حوائجها وخرجت لدار جارتها ، وجلس الرجل وهـو فرح بما قال له الشيخ ، فلما كـان آخر الليل سمع الحكّ فى ركن بيتـه ، وكان ثور منهم يفعل ذلك عنـد رواحه ، فقام الرجل وخرج إلى وسط الـدار فوجد ثيرانه الأربعة فـى وسط الدار ، فصاح وقام أهل القرية يتعجبون لأن باب القرية مغلـوق ، فسألوه فقصّ عليهم القصة مـن أولها الى آخرها ، ودلهم على الشيـخ فدخلوا عليه وتبركوا بـه وعملوا له كرامة عظيمة ، فمازال فـى كل بلدة تظهر عليه الكرامات الى أن وصل مدينة مراكش ، فصعد الى جبل بازائها يقال لـه كليـز ، فانبع الله فيه عيناً من ماء ، وجعـل يتعبد فى ذلك الجبل والفقيـر يخدمه ، فقال له الفقير يوماً ياسيدى قد أصابنى الحفا ثم ذكر قضية بناء الدار وسقوطها ، ثـم نقل عن الشيخ أنه قال لصاحب الدار أو ما علمـت أن الله تعـالى قدرتـه عظيمة (انما أمـره اذا أراد شيئاً أن يقـول له كن

فيكون) أتتوب الى الله تعالى وتستغفره ؟ قال نعم ، قال أعطه أجرته وأعطه فتوحا للفقراء ودارك ترجع على هيأتها التى كانت بقدرة الله ، قال فأعطى الفقير أجرته مئة دينار ذهباً وألف دينار للفقراء ، فقال الشيخ للفقير تصدق بالجميع بعد أن تشتري نعلا لرجليك ، فنزل الفقير وصاحب الدار من عند الشيخ الى المدينة ، ونادى الفقير فى الفقراء والمساكين فما زال يفرقه عند باب الدار المهدومة حتى لم يبق منها إلا أربعة دراهم للنعل كما أمر الشيخ ، واذا بالدار على حالها واقفة فى أحسن ما يكون كما كانت أول مرة ، فتعجب الناس مما رأوا من مواهب الله تعالى لأوليائه نفعنا الله بهم ، فبلغ الخبر الى أمير المومنين يعقوب المنصور وأعيان المدينة فطلعوا إلى الشيخ وجعلوا يتبركون به ، فعند ذلك قال أمير المومنين أنا أنزله من الجبل وأدخله المدينة ولا أترك مثل هذا الشيخ هناك ، ثم أدخله الأمير المدينة وحبس عليه مدرسة للعلم والتدريس وداراً للسكنى ، وانقسم الناس على قسمين معتقد الصلاح ومنقص ، وتزوج الشيخ وتزايدت له أولاد رضى الله عنه ونفعنا ببركاته ءامين .

على قدر تقوى الله تأتي المواهب   وتأتي على قدر الذنوب المصائب

ومن بركاته رضي الله عنه ونفعنا به أنه سمعت به امرأة وكان لها ولد قد ابتلي بعلة الجذام أعاذنا الله منه بمنه وكرمه ، وليس لها ولد غيره ، فأتت إلى الشيخ تبكى ، فقال لها ما شأنك ؟ فاعلمته بخبر ولدها وعلته أعاذنا الله منها ، فقال لها الشيخ رضي الله عنه وأين الفتوح ؟ فأخرجت له درهماً صغيراً ، فقال لها اشتريه خياراً وتصدقى به إلا خيارة واحدة أطعميه منها ونرجو من الله الفرج ، فانصرفت من عنده واشترت خياراً وتصدقت به وأطعمته واحدة ، فانطلق بطنه وعرق عرقاً كثيراً ثم نام نوماً طويلا وهو مغطى فاستيقظ من نومه وقد برىء معافى فى بدنه ونزع جلده كما ينزع الحنش من فسخه ، وخرج يمشى بين الناس وعافاه الله ببركة هذا الشيخ المبارك نفعنا الله به ، ثم ذكر قضية قافلة وهران وتثقيفهم وتسريحهم ببركة الشيخ ، ثم قال ما نصه : ومن بركاته رضي

الله عنـه بينما هو جالس فى الزاوية مع الناس إذ دخل عليه رجل يبكـى فقال له الشيخ ما يبكيك قـال له ياسيدى بينما أنا فى بستانى فى بلـدى مـع أولادى فى نعيم وسرور فى يوم من الأيام ولما كانت ذات ليلة ممطـرة مظلمـة اذ خرجت علينا سريـة من العدو فأسرتنـا جميعاً ، وها أنا قـد قاطعت عـلى نفسى وأولادى بثلاثمئة دينار على صدقة المسلمين ، وقـد أعطينا ضامناً وقصدتك ياوليٌ الله ورمى بالعقد الذى فيه الفدية بين يـدي الشيـخ ، فقال له الشيخ رضى الله عنه اجلس لا يكون الا الخيـر ، فجلس الأسيـر مع الفقراء فى الزاوية نحوا من ثلاثة أشهر فقنط الأسير وقـال فى نفسه لـو كنت أطلب فى أسواق المسلمين لتخلصت الفدية أو قربـت ، ثـم تفكر فى أهله وأولاده وماهم فيه من الضنك والجور عليهم فبكـى بكاء شديداً حتى أبكى كـل من فى الزاوية والشيخ رضى الله عنه جالس ، فلمـا سكتوا من بكائهم قام اليه الشيخ رضي اللّه عنه فقال ما يبكيك ؟ قال لـه وكيف لا نبكى ياسيدى وأولادى فـى يد العدو ويضربونهم وهم فـى كرب عظيم ، قال فسكت الشيـخ عن كلامه ودخل الخلوة على قدر ما تشوى فيـه البيضة فخرج وبيده سكين وقال للأسير خذ هذا السكين واخرج على بـاب المدينة وبقل لنا بقولا ، فأخذ الأسير السكين وقال ان هذا الشيخ مهبـول أنا أبـكى وأشكى له وهو يضحك ويقول بقّل لنا بقولا لا بقيت عنـده الا اليوم وخـرج ممتثلا ما أمره الشيخ به ، فلما مشى قليـلا نظر الى السكين التى أعطاه الشيخ فقال هـذه سكين النصرانى الذى أنا وأولادى عنده ، ثـم تيقن بالفرج ورجع عن كلامه الأول الذى قال فى الشيخ وندم عـلى ما خرج من فيه ، فمشى قليـلا واذا هو بامرأة جالسة ومعها ثلاثة أولاد فنظر اليهـم وعرفهم فاذا هم أولاده ، فسلم بعضهم عـلى بعض فقال لهم أبوهم كيف كـان خلاصكم ؟ فقالوا له من أين هذا السكين ؟ فقال لهم أعطانيها سيدى أبـو العباس السبتى ، وقال بقل لنا بقولا فقالوا هو الذى أجلسنا هنا وهـذا السكين هـو للنصرانى الذى كنا عنده ، فبينما نحن فى بلـد الروم واذا بالشيـخ أبى العباس السبتى دخل علينا فوجد هذا السكين فقطع به قيودنا وأخذ بأيدينا وقـال لنا اجلسوا هنا حتى يصل اليكم صاحبكم فانه يبكـى

وأبكانـا ، فحمل روجته وأولاده وجعل يصيح في مدينة مراكش هـؤلاء أولادي وهـذه زوجتي أخرجهم الله من الاسر من بركة هـذا الشيخ رضي الله عنه ، فبقي فـي المدينة كذلك حتى وصل زاوية الشيخ وانصرفـوا لبلدهـم أجمعين نفعنا الله به وبأمثاله . وراجع هذه الكرامة فـي تأليف (بستان الأزهار ، في مناقب زمزم الأخيار ، ومعدن الأسرار ، سيدي أحمد ابن يوسف الراشدي النسب والدار) لمحمد بن محمد بن أحمد بن علي الصباغ القلعي فقد نقلها عن سيدي موسى بـن عيسى المازوني ثم ذكـر قضية زوج ابنته التي أمرها أن تعتد منه عدة الوفاة بعد أن أضرّبها فمات فـي الوقت الذي أخبر به الشيخ ، قال ومن بركاته رضي الله عنـه أنه كان بمراكش رجل من أهـل القرآن وكان معلما للصبيان فأصبحت زوجتـه ذات يوم نفساء ، ولم يكن عنده ذلك اليوم ما ينفق ، فتغير مـن ذلك تغيراً شديداً فصـلى الصبح وخرج ماشياً ودخل المكتب وجلس يقرأ القـرآن والمكتب ليس فيـه الا ولد أو اثنان فبينما هو يقرأ القرآن واذا بالشيـخ دخل عليـه المكتب ففسح له الفقيه فجلس الشيخ بازائه وقال له نهـارك مبارك يامعلم ، ثم جلس الشيـخ والفقيه يقرءان اذ جاز رجل من الحومـة فقال مـا أغفلنا عن هذا الفقيه وسيدي أبو العباس يزوره ، ثم جاء بـولده ومعـه نصف دينار ففرح الطالب وقـال يكفي أهلي اليوم اذ جاءت امـرأة ضعيفة وهي تطلب شيئاً فأخذ الشيـخ نصف دينار وأعطاه لها فقال الفقيـه إنـا لله وإنا اليه راجعون لو علم الشيخ مـا أنا فيه من الضيق ما أعطـاه للمرأة ، فقال الشيخ إقرأ يافقيه فجعل الفقيه يقرأ وهـو مشوش اذ جاء رجل مـن أهل الحومة فنظر الى الشيخ وهو جالس في المكتب عنـد الطالب فقال مـا أغفلنا عن هذا الطالب الذي يزوره الشيخ ، فجاء بولده ومعه دينار، فقبل يـد الطالب وأعطاه الدينار ، فقال له الشيخ هات ما أتى بـه الصبي فأعطاه الدينار وهو كاره لذلك اذ جاز رجـل مديان وصاحب الدين يطلبه فأعطاه الشيخ الدينـار فانصرف ، فقال الطالب لا حـول ولا قوة الا بالله العليّ العظيم ، فقـال له الشيخ إقرأ يافقيه أنا أقول لك نهارك مبـارك ، فقـال له الفقيه هذه بركات تعـود على غيري ، فجعل الفقيه يقـرأ القرآن

والشيـــخ جالس بازائه اذ جاز رجل آخر من أهل الحومة فنظر الى الشيـــخ فقال ما أغفلنا عن هذا الفقيه ، فأتى بولده ومعه عشرة دنانير ذهباً فـدخل وقبل يد الشيـــخ وحطها فى يده فتغير الفقيه وقال والله سيلحقها بالأخرى ، فما تم كلامــه الا وأسير يطلب الفدية ، وهو يقول بقيت لى عشرة دنانيــر من يدفعهــا عنى ويعتقنى فى سبيل الله ؟ فأعطاه الشيخ العشرة دنانيــر وتغيــر الفقيه تغيراً شديداً وأراد أن يقوم غضبان فقال لــه الشيخ يافقيه ما تكون الا الخير ، فجلس وجعل يقرأ القرآن اذ جاز رجل من وزراء الأمير يعقــوب المنصور فنظر الى الشيخ وهــو جالس عند الفقيه فــى المكتب والوزير يسكــن فى تلك الحومة فأتاه بولده ومعــه خمسون دينارا فــى قرطاس ، فنزل الوزير ودخل بولده وقبل يد الشيخ أبى العباس السبتــى وأعطاه القرطاس وانصرف الوزير ، واذا بالفقيه وثب عــلى القرطاس وهرب مــن المكتب حافياً وهو يجرى ، فناداه الشيخ رضى الله عنــه ورجع إليه ، فقال ما هذا الذى تصنع يافقيه ؟ فقال له ياسيدى ان لى زوجة أصبحــت نفساء وما عندنا ما نقتات به ، فقال له الشيـــخ أنا أعلم بذلك وما أتى بى إلا فاقتك لو تركتنى أتجر لك مـــع الله الى أذان الظهر أملأ فناءك هذا ذهبــاً ، ولكــن ما أعطاك الله إلا ما أخذت ، ثم قام الشيـــخ رضى الله عنه وانصرف ولــم يزل الفقيه رحمه الله ورضي عنه ، ثم ذكر قضية العقد المعمول فيــه المرفوع الى السلطــان الذى تبدل فيه كل لفظ قبيح بضده ، وأنــه تصدق فى طريقــه الى المنصور بربع درهم وكان طالع معــه خديمه ثم قال لخديمه كيف رأيت درهما لله كذب الجميع ، ثــم قال ومن بركاته رضى الله عنه بينما هــو جالس اذ دخلت عليه ابنة الأمير وهي تبكى فجلست بين يديه ، فقــال لها ما يبكيك ياحرة ، قالت له ياسيدى ان لى ابنة ولم يرزقنى الله غيرهــا تركتها تعالــج سكرات الموت وان ماتت أمُتْ عليها ، فقال لها الشيـــخ رضى الله عنه وأيــن الفتوح ؟ قالت له ياسيدى هذه ألف دينــار ذهباً لله عز وجل ، ثــم طرحت المئة بين يديه ، قال وكان الشيخ رضى الله عنه له بنات كبار وصغار فقــال لها ياحرة كم هو سن ابنتك من هؤلاء البنات ؟ قالت لــه قدر هذه وأشارت الى بنت مــن بنات الشيخ ، فنادى الشيخ زوجته فقــال

لها يأمة الله أتبيعين لى ابنتك هذه بألف دينار نفدى بها بنت هذه الحرة ؟ قالت لـه ياسيدى ومن يطيق فـراق الأكباد ؟ قال لها الشيخ هذه الألـف تصدقى بها فى سبيل الله عـلى مَن ظهره عريان وبطنه جائع وعينه ساهرة من الدين وابنتُه صغيرة ما وجدت ما تتجهز به ، فمازال الشيخ مع زوجته يلاطفهـا الى أن رضيت ، فأمر الشيخ ابنته أن تودع أمها فأخذتها أمهـا فقبلتها ثـم أخذها الشيخ وطرحها فى حجره وقبلها ودمعت عيناه عليهـا وخرجت روحها باذن الله تعالى ، ثـم قال الشيخ قومى ياحرة لمنزلك فقامت لمنزلها فوجدت ابنتها جالسة كأنها لم يكن بها مرض ، هذا ما فعل رضي الله عنه ببنته وتصـدق تلك الليلة بالمال كله .

ومن بركاته رضى الله عنه أنه أتاه خياط فقال لـه ياسيدى ان لى ولداً لا أعلـم غيره وقد تركته يعالج سكرات الموت فان مات أموت عليـه ، فقال لـه الشيخ يفرج الله عنه وأين الفتـوح ؟ فقال إن فرج الله عنه وقـام من هـذا المرض فانى أعطيك مئة دينار لله عز وجل ، ثـم انصرف الشيخ ودخـل الخياط داره فوجد ولده جالساً ما به داء ولا علة بقدرة مَن يقـول للشيء كن فيكون ، فبقي أياماً وخرج مع أبيه للحانوت فجلس الولد عـلى كرسيه يخيط إذ رأى الخياطُ الشيخ أبا العباس السبتى قد أقبل من بعيد فقال لولده ادخل الخزانة حتى يجوز هذا الرجل ليلا يشمت فينا ، فقام الولد ودخل خلف الخزانة كما أمره ، فمازال الشيخ يمشى حتى وصـل حانوت الخياط ، فقال لـه ياخياط كيف حال ولدك ؟ قال ياسيدى قد مات ، قـال صدقت هـو ميت ، فلما غاب الشيخ نادى الخياط ولده فلم يجبْه فوجـده مضطجعاً عـلى ظهره وبطنه تجهر دوداً بقدرة الله عز وجل ، ثـم ذكر قضية الخياط الفقير الذى دفع للشيخ دينارا ليفتح عليه بعشرة ، ثم بعد الفتـح بها دفعها للشيخ أيضاً ليفتح عليه بمئة ، فنالها ، ثم قال بعدها ما نصه : ومن بركاته نفعنـا الله به وبأمثاله أنه كانت امرأة فقيرة لازوج لها ولها ولـد صغيـر لم يبلغ الحلـم ، فأعطته غزلا وقـالت له بعْ هذا الغزل واشتر لنـا خبزاً وزيتاً ، فان هذه ليلة مـن رمضان وهي ليلة مباركة نوقد قنديلنـا ونتسحـر بالزيت والخبز وإياك أن تضيـع الدراهم وتبطىء علي ، قـال

فخـرج الصبيُ ممتثلا ما أمرته به ، فباع الغزل بأربعة دراهم ، فبينما هـو ماش فـى بعض الأسواق ليشتري الخبز والزيت إذ لقيه سيدى أبو العباس وهـو يقول فى كلامه أين مَن يعامـل الله تعالى فى هـذه الليلة المباركة ويعطي لهـذه المرأة أربعة دراهم يعطيـه الله عشرة دنانير ذهباً وكسـوة جديدة ومائدة مـن الطعام والحلوى وأنا ضامنٌ له هذا كله فـى هذه الليلة إن شاء الله ، قال فجعل الولدُ يتبعه ويدبـر فى نفسه ويقول الشيخ صادق لكـنَ إن أعطيته الدراهم لا أطيـق ألقى أمي بغير ما أمرتْنى به ، فجعـل يتبـع الشيخ ويقول هذا ويتردد فيه مع نفسه الى أن لحق بالشيخ وقـال ياسيدى ان والدتى أعطتنى غزلا وأمرتنى أن نشتريَ لها خبزاً وزيتاً وهـي أحوج مـن هذه الفقيرة ولا عندنا الليلة الا هذه الأربعة دراهم فـان أسلمتها لـك أحق ما تقول ؟ قال نعم يابني ، وكـان الصبيُ يقرأ القرآن ، قـال الشيـخ أما سمعت قوله تعالى (مَن ذا الـذى يقرض الله قرضاً حسنـاً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة) ، فأسلـم الولد للشيخ أربعة دراهم وأقبل الى والدتـه فرحاً مسروراً يعلمها بما قال الشيخ ، فلما دخل قالت له وأيـن الخبز والزيت ؟ قال لها لقيت أبا العبـاس السبتى يطلب لامرأة فقيـرة ويقول مَن يعطى لهـذه المرأة الفقيرة أربعة دراهم له عند الله الليلة عشـرة دنانير وكسوة جيدة وطعام طيب وحلوى ، فما الأحسن ياأمة الله ما قـال الشيخ أو الخبز ؟ قالت لـه وأعطيت الدراهم الأربعة ؟ قال نعـم ، فلطمتْه لطمة على وجهه وخرَّ مغشياً ، فما زالت تجره وتلطمه حتى أخرجتْه على باب الـدار وقالت له يايتيم سوء لا تبيت فى دارى الليلة ، عصيت أمـرى وسمعت من رجـل مهبول صفته كذا وكذا وجعلت تتكلم فى الشيخ بالكلام المغرور ، وغلقت الباب فـى وجهه ودخلت دارها ، فجعل الولدُ يبكـي عند بـاب الدار اذ مرَّ زوج عمته فنظر الى الولد مهموماً ودمعه عـلى خده وهو ملطوم ، فقـال إنا لله وإنا إليه راجعون ، هذه أول ليلة مـن رمضان كسر فيها قلوب الأيتام ، ثـم أيقظه من نومه وحمله معه الى داره ، فلمـا رأتـه عمته بكتْ فسألته فقصَّ عليها القصة ، فأرادت أن ترده الى أمـه ، فحلف الرجل وقال اعملى لـه ماء سخونا وطهريه واكسيه ثوباً مـن ثياب الأولاد ونحمله الى الجـامع يصلى معنا هذه الليلة من رمضان ، ففعلتْ مـا

أمرها بـه زوجها وتوضأ الرجل وقدم أولاده وخرج الى المسجد وحملـه معهم ، وكان هذا المسجـد مسجداً مباركاً وله إمام يصلى فيه كل شهـر رمضان التراويح ، فغيبه الله تعالى تلك الليلة حتى أبطأ على الجماعة ، وكان فى ذلك المسجد وزير لأن المسجد كان على باب داره ، فلما رأوا الامام أبطأ قام الوزير وصـلى بالناس صلاة العشاء ، فلما صلى بالناس العشـاء قال هل فـى الجامع مَن يقرأ القرآن فيصلي التراويح بنا فى هذه الليلـة المباركة لِيـلا يشمت بنا الشيطان ؟ فقام زوجُ عمته وقال هنا صبيٌّ يتيـم فقيـر لا أب له يحفظ القرآن وله صـوت جيد ، فقام الولد باذن الوزيـر واستفتح القرآن فتعجب الـوزير ومَنْ معه من صوته ، وحضرت معه بركـةُ الشيخ ، فلما فرغ من أول تسليمة جاء الامام يصـلى فمنعه مَن حضر ، فكمل الولد عشر ركعات بخمس تسليمات ، فقـام الوزير وقبل فم الولد وأخـذ بيده وأتى بـه الى منزله وأجلسه بازائه وحضر الطعام فأكلا ، وأمر الوزيـرُ للصبيّ بكسوة فكساها للولد وربط لـه عشرة دنانير ذهباً فى عمامتـه ومائدة مـن الطعام الطيب ولحم الضأن والبقر والطير وطبق مـن الحلوى وأمر بما ذكر أن يحمـل معه ، وأمر الخدم يمشون بالمباخر وهـم يولولون عليه ، فلما رأى الولدُ ذلك بما وعده الشيخ بكى فقال له الوزير ما يبكيك ؟ فقـال له ياسيدى قد اتفق لى مع والدتى كذا وكذا ، وقص عليه القصـة من أولهـا الى آخرها فبكى الحاجب وقال لا إلاه إلا الله محمد رسـول الله صـلى الله عليه وسلم ، إن لامامنا فى هذا المسجد فى كل ليلة مـن رمضان بعد صلاته كـلَّ عام هذه الكسوة والعشرة دنانير والطعام والحلوا ، ولـه على ذلك الحال مدة طويلة ، ولكن ما يصـلى بنا أحد غيرك ، ثم أمرهم بالمشي معه على ضوء الشمع ، فحملوا الطعام فسمعت أمـه الهدير فنظرت من البـاب فلم تجد ولدها فمازالت تبكى حتى دخـل عليها على تلك الهيأة وهو يقـول ياأماه أكـلام الشيخ صادق أم كاذب ؟ قالت صادق ، وأنا تائبة لله تعالـى عـلى ما صدر منى ، ومازال ذلك الولد يؤم أهـل المسجد وأقبل عليه الخير من تلـك الليلة إلى أن جاز الشهر المبارك ، هذا من بركة الشيخ ، ثـم ذكر قضية صاحب الليـل وما وقع فيها المتقدمة عن (التشوف) بزيـادات

منها أنــه غرم صاحب الليل ما ضاع فــى حانوت الموقت وضرب خمسمئة سوط بعــد أن قال الناس لصاحب الليل هؤلاء فقهــاء يتحدثون في موضع الشيخ أبى العباس فقال أنا لا أعرف سيدى أبــا العباس السبتى ولا غيره ، وان ذلك وقع فــى دار الشيخ ، وقال صاحب الليل فى حق أصحاب الشيخ إنهم قــوم شقوا العصا ولم يمتثلوا أمــر الأمير كل ليلة أسمع صوتهــم وأتجافى عنهم ، وفــى هذه الليلة كثر صوتهم وهدوا المدينة عــلى الأمير المنصــور ، فقال له الموقت هؤلاء كلهــم رحمة وصوتهم بركة ، فقــال صاحب الليل لا أقول حتى نشعف بهــم غيرهم ، ثم قال له الموقت بعد أن رأى حانوته مسروفة ما سرقها إلا أنت ، وشكى به الى السلطان ، فنسي صاحب الليل مسألة الطلبة بمسألة الموقت بعد أن بحث صاحبُ الليــل وأصحابه عــلى السراق فلم يجدوا شيئاً ، ثم قال ومن بركاتــه رضى الله عنه كــان يجلس عند حائط بقرب حمــام الحرة فجاءته عجوز وقالت لــه عندى أربعُ بنات بالغات قادرات عــلى الزواج وليس لهن أب ولا مال والناس لا يتزوجون الا من عند من كان لــه مال وأنا فقيرة قصدتك ياولي ً الله اليــوم نريد أن تظهر بركتك على بناتى ، فقال لها الشيــخ اقعدى ، فقعدت مقابلة للشيخ واذا برجل جندى عليه أثــر ثياب الحزن ودخل على الشيخ وقبــل يده وقال ياسيدى أنــا ولد فلان وقد توفي بالأمس وأوصانى عــلى شيء من المال ندفعــه لك ، قال كم هو قال مئة دينار ذهباً ، فقالــت العجوز فى نفسها هذا عُــلى سعد بناتى ، إذا بسكران يتمايل بين الحيطان ويصيــح فلما قرب من الشيخ صار يعدل ثيابه ومشى معتدلا حتى وقــف على الشيخ رضى الله عنــه فسجد على الأرض ورفع رأسه بيده ، وقال له ارفــع هذا الذهب فرفــع السكران المئة دينار ، فقالت العجوز فى نفسها السكــران أحق بها منى ، مــا هذا الذى فعل هذا الشيخ وأساءت به الظــن وأرادت الانصراف ، فقال لهــا الشيخ اقعدى مكانك حتى يأتيك رزقك ، فقعــدت ساعة واذا بتاجر جزولى وهــو يسأل عن الشيخ ، فدل عليه وسلم عليــه قال له ياسيدى أنــا رجل جزولى خرجنا من بلدنا فالتقتنا اللصوص فــى الطريق فاستغثنا بــك فأعمى الله أبصارهم عنا ، وهذا شكر لله عز وجــل

وأصحابى ياتونك بالفتوح وخاطرنا معك ياوليّ الله ». وحط فى يد الشيخ خمسة دراهم ، فنادى الشيخ العجوز وقال لها خذى هذه الخمسة دراهم واشترى بها ما أقول لك ولا تسيئى الظن بالله ، اشترى بثلاثة دراهم كتاناً وبدرهمين شحماً ولفى الشحم فى الكتانة وألقيها على رأسك وامشى بها إلى بناتك ، ففعلت ما أمرها به الشيخ ومضت الى منزلها واذا بطائر خطف الكتان فوق رأسها وبقيت باهتة لا تدرى ما تصنع وهي متفكرة فى قول الشيخ ، فقالت لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، وقالت فى نفسها هذا الأمر لا أعلم به أحداً حتى أرى أوله وآخره ، وكان الشيخ أوصاها لا تأتيه حتى يبعثَ إليها ، فدخلت دارها مع بناتها وبقيت مدة من عشرة أيام ». فنزل مركب بمدينة آسفى وأنزلوا تجارتهم ومعهم الرئيس وهو صاحب البحر فأقبلوا يجدون السير لمدينة مراكش وأتوا الى الشيخ فوجدوه جالساً فسلموا عليه ، وقالوا ياسيدى جئناك بهذا المال تقبله لله تبارك وتعالى قال لهم كم هو قالوا أربعمئة دينار ذهباً ، قال لهم الشيخ رضي الله عنه مَن ياتينا بالعجوز صاحبة الكتان ؟ فتعجب التاجر من ذلك ونظروا إلى الشيخ ثم قال لهم أين بلدكم ؟ قالوا مدينة اشبيلية ، ثم قالوا خرجنا بتجارتنا وركبنا البحر وغرق المركب وما معنا شحم ولا كتان وقد سمعنا ببركتك فتوسلنا بك وبالنبيّ صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام الى الله تعالى وقلنا ياسيدى أبو العباس خاطرك معنا واذا بطائر فى لجج البحر أتانا الله به فرمى علينا شحماً وكتاناً فى هذه الخرقة فنقلنا الماء وشددنا بالكتان والشحم وعملنا لك نصيبا فى أموالنا ، فقال لهم الشيخ حفظكم الله وحفظ أموالكم وأخذ منهم الخرقة ». وإذا بالعجوز واقفة بين يديه فقال لها يامرابطة أتعرفين هذه الخرقة ؟ قالت له نعم ياسيدى التى عملت فيها الكتان والشحم ، ثم قال لها الشيخ أما ما كان من المئة دينار التى أخذها السكران فهي حرام لم أرضها ، وأما الخمسة دراهم فهي من الحلال اتجرنا لك بها مع الله عز وجل ، وهذه أربعمئة دينار ذهباً لكل واحدة من بناتك احمليها بارك الله لك فيها ». فحملتها الى بناتها فتزوجن فى شهر واحد ببركته رضي الله عنه .

ومن بركاته رضي الله عنه أن أهل مراكشة قحطوا فى زمان يعقوب المنصور رحمه الله تعالى فأمر الناس بالخروج حتى لم يبق أحد فى المدينة وخرج إليها اليهود والنصارى والبهائم والنساء وأولادهم وبقوا مدة طويلة والقحط واقع بهم ، فسأل أمير المومنين عن سيدى أبى العباس هل خرج أم لا فقالوا لا فقال الأمير عليّ به ، فأرسل اليه فقال له الحاجب أجب أمير المومنين فقال السمع والطاعة ، فمضى مع الرسول حتى وقف بين يدي الملك ، فقال له أمير المومنين أما تنظر ما نحن فيه ياسيدى ؟ فقال الشيخ أنت أردت ! قال وكيف الأمر ؟ فقال له الشيخ لو أردت صلاحَ المسلمين ينزل المطر الآن ، قال الأمير دلنى على ما أصنع لعل الله يرحمنا ، فقال الشيخ فوض لى الأمر ساعة واحدة فقال له فوضت لك الأمر فى كل ما أردت ، فأمر الوكلاء على بيت المال أن يعطوه كل ما يحتاج الشيخ من الثياب والزرع ولا يمنعه أحد فى كل ما أراد ، فصار رضي الله عنه يفرق المال على الفقراء والمساكين والضعفاء ويقول لا يرحم الله من عباده الا الرحماء مدة من ثلاثة أيام حتى لم يبق مسكين ولا مسكينة الا ورضي ، فأتى الشيخ الملك وقال الآن قد رضي الله ربنا برحمتك للضعفاء وللمساكين لا يرحم الله من عباده إلا الرحماء اليوم تمطرون ان شاء الله ، فلما صلينا العشاء بعث الله ريحاً باردة بلا رعد ولا برق ، فأمطرت بماء منهمر ثلاثة أيام بلياليها حتى أشفق الناس من الغرق والهدم ، ولم ينزل بقصر الملك شيء بقدرة الله تعالى ، فبعث المنصور الى سيدى أبى العباس السبتى وقال له ياسيدى البركة والعافية أنت الذى سقيت قومك وما نزل بقصرى قطرة واحدة ، فقال له الشيخ أما سمعت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ساقى القوم آخرهم شرباً الليلة يمطر قصرك ان شاء الله تعالى ، ففرح الملك واستبشر بقول الشيخ ، فلما جنّ الليل نزل المطر بقصر الملك حتى روي .

ومن بركاته رضي الله عنه أنه خرج ذات ليلة مع الفقراء لبعض تلامذته بالحوز فبعث الخديم أنه قادم عليهم فتلقاهم الرجل وسلم عليهم وعلى الشيخ وأنزله وأكرمه غاية الاكرام ، فلما أصبح أخذ الفقير فى حزب

الشيخ ، فلما فرغ من الحزب دعا الشيخ بصاحب المنـزل فسأله عن حاله فأخبره أن عليه سبعين قنطاراً من الزيت ديناً أخذه وأطعمه للفقراء ، وأخبر الشيخ أن يجاوزه والزيت لم يلد ولو حبة واحدة وهـو من هذا فى كـرب عظيم ، فقال له الشيخ يابخيل خذ قنطاراً من الزيت وزده فى زيتك تـر عجباً فقام مـن ساعته لبعض التجار الذين يتجرون فى الزيت فأخذ منـه قنطاراً من الـزيت وأطعمه للفقراء وكان فى أوان الزيت الزيتون فلما فـرغ الزيتون أرسل الله سبحانه ريحاً قوية فاذا بأهل القرية يهرعون إليـه واحداً بعـد واحد ويقولون له أدرك زيتونك ليلا تأكله الغنم ، فقال لـه شركاؤه ظهرت عليـك بركة الشيخ ، فركب فرسه وطاف بالبحائر كلها فوجدهـا مملوءة بالزيتـون والذى كان فى الأعواد فى الشجر مازال على حالـه حتى سقط الى الأرض ، وقال هذه بركة عظيمة ، ونادى فى القرية ألا من له ديْن على فلان فلْيات فأدى دينـه وأخذ زيتونه وبنى زاوية ببركة الشيـخ نفعنا الله بـه .

ومن بركاته رضي الله عنه أنه وقف عـلى والى مراكش ومعه فقراء ، فقـال الشيخ هات الفتوح لهؤلاء المساكين وكان معـه جماعة من المساكين يتبعونه، فقال له الوالى ما هو الفتوح؟ قال الشكر، قال وما هذا؟ قال الصدقة، قال لمن؟ قال الشيخ : لوجه الله تعالى ، قال الوالى ان الله غنيٌّ عنها ، فتحول الشيخ رضي الله عنـه الى خادمه وقال : هذا الوالى معزول عـزل نفسه ، فقال له الخادم وكذلك يقول جل من قائل (وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثـم لا يكونوا أمثالكم) هذا رجل تعودنا منه خيرا وهو معزول اليـوم فى هذه الساعة ، فورخوا ذلك فى الحيـن ، وكان السلطان فى قرطبة أعادهـا الله للاسلام بجاه سيدنا ونبينا ومولانا محمد صـلى الله عليه وسلم وآلـه وصحبـه الأعلام ، وبعدها عن مراكش خمس وعشرون يوماً ، وفى تلـك الساعة عزله .

ومن بركاته رضي الله عنه أنه أتاه أهل ضيعة يشكون لـه قلة المطر وقـد يئسوا من زرعهم ومواشيهم فرغبوه فى الدعاء ، فقال لهم هاتوا الفتوح ، فخـرجوا من عنده وأتى كل واحد منهم بما أطلق الله على يده ، فأخذ واحـد

منهــم بضاعة وأتى بها ، فلما كان فى الطريق قال هذا شيء كثير ، فأخذ منها وأعطـى الباقي للشيخ ، فقال لهم الشيخ تمطرون ان شاء الله فمضــوا ونزل المطر عليهم ولم ينزل بمكان الرجل الخوان قطرة واحدة ، فرجــع الى الشيخ وقــال له ياسيدى ما نزل بمكانى شيء ، قال خنت الله تعالى فى الشكــر ، وأخذت ثمن الماء الذى يكفيك ويرويك .

ومن بركاته رضي الله عنه أنه أتاه رجل الى قبره وقال ياسيدى انى أريد الحج لبيت الله الحرام ، وأنا رجل فقير وليس بيدى شيء مــن المال نتوجه به ، فبينما هو كذلك إذا برجل أتى بصرة فيها دراهم كثيرة ووضعها عــلى القبر ، فأخذها وانصرف للحج .

ومن بركاته رضي الله عنه كان ذات ليلة ماشياً حتى قرب من الحمام واذا تركية خرجت من الحمام وخدمها أمامها وهي كأنها أشرفــت على الموت فنظر إليها الشيخ وأخرج تفاحة فــى غير أوانها فمدها الى الشابة المحمولة ، فلما نظرت إليه وإلى التفاحــة كادت ترمى نفسها على الشيخ فردها السائس والخدام ، وبقيت واقفــة ساعة وهي تشم التفاحة حتى رجع اليها عقلهــا وفاقت مــن غشيتها ، فضربت بغلتها ومضت ، واذا ببعض الفقهاء نظــروا إلى الشيخ حين مدَّ يده بالتفاحة إليها ووقوفها بين يديه ساعة ، وقالوا هذا هــو المنكر ، فسألوا لمن المرأة ؟ فقيل لهم زوجة الوزير جامع ، قالوا هــو سيدنا ، وسألوا عــن الشيخ قيل لهم هو سيدى أبو العباس السبتى ، قالوا لا يفعل هذا إلا الزنديــق ، وكانوا يحسدونه ، فمضوا إلى الوزير وسلمــوا عليــه ورحب بهم وقال ما حاجتكم ؟ قالوا أنت سيدنا وما رأينا مَن يقــوم بحوائج أهل العلــم فى بساط الملك غيرك ، وجئناك فى أمر لا نطيق الصبر عليــه ولا الكتمان ، فقال لهم ما الفاحشة التى رأيتم ؟ قالوا رأينا امــرأة خارجة مــن الحمام ووقفت فى الطريق على بغلتها فرمى إليها رجــل بتفاحة فأعطاها إياها وهذا ما وجدنا عليه صبراً وجئناك لنعرفك بــه ، فقال لهم اقعدوا مكانكم ودخل الدار متغير الوجــه وغاب عن الفقهاء ساعة وسأل المرأة عمن أعطاها التفاحة ، قالت له ملك من الملائكة ، قــال لها كيف كان سبــب ذلك ، قالت له دخلت الحمام وجعلت الحناء فــى رأسى فشممت رائحة التفاح

فأراد الجنيـن أن يسقط من بطنى ، فبعثت الخادم تفتش عـلى التفاح فلم تجده ، واذا بامرأة فـي الحمام دخل ولدها الى الجنان فوجد تفاحة يلعـب بها حتى دخلت الحمام فأكلتها وشممتُ رائحة التفاح وخفت عـلى نفسى أن يسقط الجنين من بطنى فى الحمام ، فبادرت الى الخروج ولم أغسل رأسى مـن الحناء وأخرجت رأسها للوزير والحناء فيه ، فلما شممت التفاحة رجعت لأنها من الجنة ولا يكون مثلهـا فى الدنيا وليس هذا وقت التفاح وأخرجتهـا للوزير فلما نظـر اليها قال صدقت ياأمة الله ، وخرج إلى الفقهاء وقال لهـم مَن هـو الرجل الذى أعطى التفاحة ؟ قالوا أبو العباس السبتي ، قال لهـم ما هـو والله من أصحاب الزنى ولا من أصحاب الزنادقة ، وحاشاه أن يفعـل هذا وأن يكون زنديقاً ، وإنمـا هو صديق ، وأخذ التفاحة ودخل بها عـلى الملك وأخبره بالقصة من أولها الى آخرها ، فعلموا أن التفاحة مـن مواهب الله لأوليائه ، فنـال بذلك الشيخُ عند الملك والناس عزاً وكرامة نفعنا الله بـه وبأمثاله .

ومن بركاته رضي الله عنـه أنه أتاه خديمه بكرة فوجده خرج مـن المنزل ، فبقي يتبع أثـره ويبحث عليه حتى وجده بباب الدباغين داخـل مراكشة ، فقال لـه خرجت نسأل عنك ونتبع أثرك حتى وجدتك هـنا ، فلما وصـل الخديم الى الشيخ قال له ما تريد منى ؟ قال له ياسيدى لا فراق بينى وبينك والله فى الدنيا والآخرة ، قال الشيخ تسير معى على شرط إن كان معك شيء من الدنيا تصدق به والا فارجع عني ، قال لـه ياسيدى معـى تسعة دراهم ، فقال له الشيخ أخرجْها وتصدق بها لأول رجـل يلقاك وان كـان يهودياً أو نصرانياً ، فخرج الفقير واستقبل بهـا الباب فأول من دخل من الباب عجوز سوداء مـن البادية فدفع لها الدراهم بمعاينة الشيخ ، وقال للخديم ادنُ منى ، فدنا منه ، فقال له الشيـخ تريد أن تخبرنى كل ما يقول الناس فيَّ من خير وشر إلى آخر القضية المتقدمة عن (التشوف) بزيادة ونقـص .

وبهذه القضية تمَّ كتاب فضائل أبى العباس السبتى ، وقد أوردنا منه القضايا التى لم يلخصها صاحب (المعزى) فيـه ، ونورد ما بقي منه بواسطة صاحب (المعزى) وإن كان تصرف فيه .

ثــم اعلم أن أبا العباس سيدى أحمد السبتى رضي الله عنه وافقــه فى اسمه وكنيته ولفظــة السبتى وليٌ آخر متقدم ، وذكره فى (وفيــات الاعيان) قال فــى 66 من الجزء الأول من الوفيات ما نصه : أبو العبــاس أحمد بن هارون الرشيد بن المهدى بن المنصور الهاشمى المعروف بالسبتى كــان عبداً صالحاً نرك الدنيا فى حياة أبيه مع القدرة ولــم يتعلق بشيء من أمورها ، وأبوه خليفة الدنيا وآثر الانقطــاع والعزلة وإنما قيل له السبتى لأنــه كان يكتسب بيده فــى يوم السبت شيئاً ينفعه فى بقية الأسبــوع ويتفرغ للأشتغال بالعبادة ، فعرف بهذه النسبة ، ولــم يزل على هذه الحــال إلى أن توفي سنة أربع وثمانين ومئة قبل موت أبيه رحمهما الله ، وأخبــاره مشهورة فــلا حاجة الى التطويل بها ، وذكره ابن الجوزى فى (شــذور العقــود) وفى (صفوة الصفوة) وهــو مذكور فى كتاب (التوابيــن) و (المنتظم) أيضاً هـ .

وقال فــى (التشوف) فى ترجمة تلميذ الشيخ أبى العباس مــا نصــه :

أبو يعقوب يوسف بن أحمد بن الحسن الأنصارى المعروف بابــن الحكيم أصله من الأندلس ونزل بالجانب الشرقى من مراكش وبه مات فى جمادى الأولى من عام خمسة وستمئة من آكابر أصحاب أبى العباس السبتى ، وفيه يقــول :

ومنفرد بالله هــــام بحبـــــــه ... فليس له أنس بشيء سوى الــرب
تفرد فى الدنيا بطاعة ربـــــــه ... فأورثه علم الكتاب بلا ريــــــب
وآثر حب الله فانكشفتْ لـــــه ... عجائبُ أسرار ثواباً على الحـــب
فمن كان فى دعوى المحبة صادقــاً ... تجلت له الأنوار من غير ما حجب
فيرتعُ فى روض المعارف دائمــاً ... ولذتها أشهى من الآكل والشــرب
تخاطبه الأحوال من كل جانـــب ... فيفهم عنها بالضمير وبالقلـــب
يكاشف بالأسرار من ملكوتهـــا ... فيأتى عليه الفيضُ من عالم الغيب

وقال الامام الصومعى فــى (المعزى) فى الباب الثالث ما نصه :

وقد روى سيدى أحمد زروق رضي الله عنه : أبو يعزى كرامته بعد مماته كمثل حياته ، وقال أبو العباس بن عاشر رضي الله عنه الكرامات لا تنقطع بموت الولي ، وهذا أبو العباس السبتى كراماته بعد موته أشهر من حياته ، قال أبو العباس زروق لما تكلم على الزيارة لا سيما من ظهرت كراماته بعد مماته أكثر من حياته كالشيخ أبى العباس السبتى ومن ظهرت بركاته فى حياته ومماته سواء كالشيخ أبى يعزى هـ . قال العارف أبو محمد فى (روض الرياحين فى حكايات الصالحين) السادسة والخمسون بعد الأربعمئة ، روي أن أمير المومنين بالمغرب المسمى يعقوب رحمه الله تعالى رأى مرائي وأحوالا من أحوال المريدين ، وسببه أنه قتل أخاه غيرة على الملك ، فندم على قتل أخيه ندماً أورثه توبة أثرت فى باطنه أحوالا حسنة وتغير عليه من نفسه ما لا يعهده لثمرة التوبة ، فما كان أبركه عليه ذنباً ، وفى مثل هذا قال القائل :

ورب قطيعة جلبت وصالا   وكم ذا فى الزوايا من خبايا

فشكى ما يجده لمريدة كانت تدخل قصره ، فقالت له هذه أحوال المريدين ، فقال كيف أعمل بنفسى ومن يعرفنى ويداوينى ؟ قالت له الشيخ أبو مدين سيد هذه الطائفة فى هذا الزمان ، فبعث يعقوب إلى الشيخ أبى مدين وطلبه حثيثاً والتجأ اليه فاقتضى إجابة الشيخ أبى مدين له ، فقال قولوا له تطيع الله عز وجل بطاعته وأنا ما أصل اليه بل أموت بتلمسان ، وكان الشيخ يومئذ فى بجاية فلما وصل الى تلمسان قال لرسل يعقوب سلموا على صاحبكم ، وقولوا شفاؤك على يد أبى العباس السبتى ونفعك على يده ، ومات الشيخ أبو مدين بتلمسان رضي الله تعالى عنه ونفعنا به ، ومضت الرسل إلى يعقوب فأخبروه بما أوصى به الشيخ له ، فطلب الشيخ أبا العباس السبتى طلباً حثيثاً وسير إليه فى كل الجهات الى أن ظفروا به فأخبروه بما عليه من الطلب فوجد من الحق سبحانه إذنا بالاجتماع به ، فمشى اليه واجتمع به ففرح يعقوب بذلك ، ثم أمر بذبح دجاجة وخنق أخرى وأن يطبخ كل واحدة منهما على حدة وقدمهما بين يدي الشيخ وسأله أن يتناول ، فنظر الشيخ إليهما وأمر الخادم برفع المخنوقة ،

وقــال هذه جيفة وأكل من الأخرى ، فسلم يعقوب نفسه لــه وأنزل نفسه منزلة خادم وفتح له عــلى يده وترك الملك وسلمه لابنه واشتغل مــع الشيخ وثبت قدمه فــى الولاية ببركة الشيخ أبى العباس واشارة الشيخ أبى مدين رضي الله عــن جميعهم ونفعنا بهم ، وممــا جرى ليعقوب أن الناس كانــوا محتاجين المطر فقال أبو العباس ليعقوب بعد أن خرجا الى خارج البلد صل واستســق للمسلمين ، فقال له يعقوب أنت أحق بذلك يــاسيدى وأولى ، وقال له الشيخ بهذا أمرت ، فصلى يعقوب ودعا ، فنزل المطر عــلى الفور رضي الله تعالى عنهما ونفعنا بهما والمسلمين ءامين .

انتهى من (الروض) بلفظه .

وقال فــى (المعزى) بعد نقله أيضاً فى الباب الرابع قبل تمامــه بنحو ستــة أوراق ما نصه : قلت وهذا أبو العباس هــو أحمد بن جعفر الخزرجى الانصارى السبتى الأصل ، ثــم ارتحل الى مراكش عام أربعيــن وهو ابــن ستة عشر سنة ، وتوفي بها عام واحد من القرن السابع ، ولــه عجائب وغرائب فى إغاثة الملهوف ، ولكنــه أعماله كلها مبنية على الفتــوح والصدقة ، ولابد أن تقدم بين يدي جميع ما تطلب ، وكــان أهل مراكش اعتقادهم فيــه خبيث ، وكان يحلم عليهم ويحتملهم ، وما ظهرت بركاتــه واتفقوا على محبته حتى كمل القرن الذى مات فيه ، وحينئذ اتفقت القلوب على محبته .

قال الامــام ابن الخطيب : سمعت يهودياً يستغيث بــه ويتوسل به فقلت له فى ذلك قال لى والذى أنزل التوراة على موسى ما أقول لك الا حقاً كنت فى قافلة ودابتى موقورة بحمل ، فعرجت واذا باللصوص فبكيت وقلت ياسيدى أبا العباس واذا بعارض عرض للقافلة فوقفت ، واذا بدابتى خف عرجهــا ولحقت بالقافلة وخلصت من اللصوص ، وهذا الامام مما اتفق الناس عــلى إجابة الدعاء عنده وانه مجرب مع تقديم الصدقة ، وتقدم قــول أبى العباس زروق رضي الله عنه لا سيما مَن ظهرت بركاته بعد مماته أكثر مــن حياته كالشيخ أبى العباس السبتى ، قلت وهذا الشيخ بينه وبين الشيخيــن أبى مدين والشيخ الأوحد سيدى أبى يعزى مناسبة ، لأن الشيخ سيدى أبــا

العباس أخذ عن أبى عبد الله بن الفخار عن الامام سيدى عياض بن موسى اليحصبى السبتى الفاسى القيروانى اليمنى هذا نسبه الصحيح ، وأردنا الاختصار فلذلك أضربنا عن تحقيق ذلك والتدقيق فيه ، وهو قد أخذ عن الامام أبى بكر بن العربى ، وسيدى الشيخ أبو يعزى أخذ كما تقدم عن أبى بكر بن العربى كما عرف به الامام ابن باديس فى شرحه للنفحات القدسية وسيدى أبو مدين أخذ عن سيدى أبى يعزى وأخذ أيضاً عن سيدى علي بن حرازم عن سيدى أبى بكر بن العربى ، وقدمنا سلسلتهم فى ذلك وسنزيد فى ذلك ان شاء الله بياناً فى اتصال سلسلتنا بهؤلاء الشيوخ نفعنا الله بهم فى الدنيا والآخرة آمين . قلت هؤلاء الشيوخ الأربع هم أركان هذه الطريقة فى إغاثة الملهوف : سيدى أبو يعزى ، وسيدى أبو مدين . وسيدى أبو العباس السبتى ، وسيدى عبد القادر الجيلانى ، وهم أحمى للحمى من كل كدر بقدر الصدق فى محبتهم والاضطرار ، ثم قال قلت ما ذكر عن يعقوب المنصور أنه امتحن أبا العباس السبتى بالدجاجتين حتى ظهر له منه الصدق فما زالت الملوك على ذلك الا أنهم على قسمين منهم من يفعله ليكون على بصيرة من أمره كما فعل يعقوب فان وجدهم على بصيرة والا نهب أموالهم وتسلط عليهم بالاذاية وغيرها ، وهذا من قلة فهمهم ، فانهم ان لم يكونوا على حقيقة الصدق فيرعى فيهم حق نسبهم لله ، إذ هم منسوبون للحق ، وقد قال سيدى عبد القادر الجيلانى إن لم يكن صاحبى جيداً فأنا جيد ، ثم قال وأبو مهدى هذا له من الكرامات والخوارق ما جاز حدّ التواتر فى عصره ، إلا أنه لم تظهر الا فى حياته ولم تواتر عنه بعد مماته كالشيخ أبى يعزى وأبى مدين وأبى العباس السبتى ، ثم ذكر فى الباب السادس ما نقلناه فى خاتمة القاضى عياض فى تعداد المجربة الأجابة عند قبورهم ، وأن منهم السبتى رضي الله عنه ، ثم قال بعده بنحو ورقتين قلت وعلى هذا النمط قبر الشيخ الامام الذى نحن بصدده سيدى أبى يعزى فما قصده قط أحد بصدق وعزيمة الا قضيت حاجته بسهولة وحسن تيسير حتى أنى رأيت جماعة من الظلمة المتورطين فى الظلم والجرأة على الله وجنوا على أنفسهم ما لا تغفره الملوك عادة فوجدوا بركة الشيخ فغفرت لهم الملوك

جميع ذلك ، وأما القاصدون فــي المهمات والملمات وتفريج الكربات فهــذا موجود من بركاته فى كــل من قصده وكان بيده التى قصد مقضية وكــان عــلى هذا الشيخ الامام سيدى أبو العباس السبتى الا أنه لابد مــن تقديم الصدقة بهــذا جرت عادته رضي الله عنه ، واعلم أن هذا الامام ممن أكــرم بالخصوصية من صغــره إلى كبره ، وممن حفظه الله عز وجل مــع كثرة الأعداء إذ كان أهلُ مراكش يقذفون فيه كثيراً ويتكلمون فيه بكل مكروهة ويسمعون لــه الأذى ويحلم عليهم ، فعامله الحق برعايته ، واكتنفه بكلاءته ، وتولاه الله بلطفه حتى خرج مــن الدنيا وحتى أن بعض العلماء قصدوه للاذاية فحفظــه الله منهم ووقع بهم مكروه ، كما قال عز وجل (ولا يحيق المكــر السيّءُ الا بأهلــه) ، يحكى عنه أنه كان فى ابتداء أمره وهــو ابن عشر سنيــن بمدينة سبتة ومات والده ،وكانوا فقراء لا مال لهم ، وكانت والدتــه كيسة فــى دنياها وأرادت أن تعلمه الصناعة ليستعين بذلك وما يعود عليــه مــن نفع تعليم الصنعة وأراد الحق به خصوصيته وما سبــق له من الفضــل فــى سابق علمه ، فحملته الى معلم الحياك ليتعلم فلمــا ذهبت به إليهم فر عنهــم فألهمه الله تعالى أن أتى الى مكتــب أبى عبد الله بن الفخار وكان من الأتقيــاء الأخفياء وله فراسة وبــركة اكتسبها من بركــة الشيخ سيــدى عيــاض رضي الله عنهم ، وكان متقناً فى القراءة والفقه والعربية وفنــون من الأدب مع تقوى وورع زائد وولاية ظاهرة وأنوار شارقة ، فقال ياسيدى أردت أن تعلمنى لله وأنا يتيم فنظر إليه فألقى الله محبته فى قلبه ،فقــال له على بركة الله يابني مرحباً بك وسهلا ، ثم أجلسه مع الصبيان ، فرُوي أن الشيخ أحس ببركة زادت عليه من ساعته ، فأراد أنْ يختبر أمــره فاشترى طيوراً على عــدد الصبيان وقال لهم كل واحد منكم يذبح طيره حيث لا يطلع عليه أحد ، فمــا كان إلا ساعة واذا بهم قد أتوا بطيورهم كلها مذبوحــة واذا بأبى العباس قــد أتى بطيره حياً لم يذبحه ، فقال له وأنت لِمَ لمْ تذبــح طيرك ؟ قال ياسيدى أمرتنى أن أذبحه حيث لا يراه أحد ، فما وجدت موضعاً الا والله مطلع عليه وناظر إلي ، فمــن أجل ذلك لم أذبحه ، فقال لــه يابني بــارك الله فيك ان عشت ليكون لك شأن عظيم ، قــال له ياسيدى ذلك بيد

الله يفعل في ملكه ما يشاء ، فزاد حظوة عند الشيخ وصار يحمله الى داره ويحسن إليه ، وزادت من بركاته الخيرات وفاض الاحسان ، ثم إن والدته افتقدته عند معلم الحياكة فقال لها إن ولدك لم يجلس عندنا بل في الحين خرج عنا وتبعه بعض المتعملين حتى دخل على ابن الفخار في مكتبه ، فذهبت تسأل حتى وجدته عند أبي عبد الله يقرأ مع الصبيان ، وكان حسن الحفظ فتكلمت للشيخ فقالت ياسيدى هذا ولدى وهو يتيم ونحن فقراء لا مال لنا وأردت أن أعلمه الصنعة ، فقال لها يأمة الله بكم تكريه بالشهر ؟ قالت بعشرة دراهم ، قال لها دعيه لى وأنا أعطيك في الشهر عشرين درهماً فانى رأيته تقياً نقياً مع ما رأيت له من البركة وأنه دخل علينا بها ، قالت ياسيدى أو توفى لى بذلك ؟ قال لها يأمة الله إن من الايمان الوفاءَ بالعهد ، فأدخل يده في جيبه وعدَّ لها عشرين درهماً وقال لها هكذا أفعل معك إن شاء الله في كل شهر ، فتركتْه واستقبله الشيخ بهمته مع ما فيه من حب الخير فجد في قراءته . ويحكى عنه أنه لما بلغ (ان الله يأمر بالعدل والاحسان) قام اليه فقبل يده وقال ياسيدى ما معنى هذه الآية الكريمة (إن الله يأمر بالعدل والاحسان) ، فنظر الشيخ إليه متعجباً من حسن عقله مع صغره ، وقال ليكونَنَّ لهذا الشاب شأن ، وقال له يابني لى كذا وكذا أعلم الصبيان فما سألني عنها أحد منهم ، وهي المشاطرة أن يكون بينك وبين إنسان مال فتقسمه على السواء وهو العدل ، ثم تحسن له من شطرك فهو العدل والاحسان الذى أمر الله به ، قلت هذا على ما فهم هذا الامام رضي الله عنه ، والا فان العدل هو استواء السريرة والعلانية والاحسان أن تكون السريرة أحسن من العلانية ، ولك أن تقول تحقيق العلم والعمل والاحسان كما صح في الحديث أن تعبد الله كأنك تراه ، ثم انه ما أتت عليه ست سنين من دخوله المكتب إلا وقد حفظ القرآن والرسالة وفنوناً من الأدب والعربية ، ووافق أربعين سنة من القرن السادس ، وقويت عزيمته على السفر برسم طلب العلم ولقاء المشايخ ، فقام إلى الشيخ وقال له ياسيدى إني عزمت على المسيرة الى مراكش أطلب العلم فيها ، فانها مدينة العلم والخير والصلاح . فقال له يابني والله إنه ليعزُّ علي فراقُك ،

ولكن فـي طلب العلم يهون عليّ سفرك ، فوادعه وانصرف عنه فمازال يجد السير إلى مدينة مراكش ، واتفقت لـه فى الطريق كرامات أضربنا عنهـا اختصاراً ، وقد تعب فى طريقـه إذ لم يتعود السفر مع صغر سنه ، ولكنْ إنْ لله ألطافـاً خفية شملته فـي جميع أحواله ، وانقطع بأحواز مـراكش بالجبل المعروف بكَليز للعبادة وانتظار الاذن من الله فى الدخول على عادة الأكابر ألا يدخلوا فـي أمر إلا باذن الله تعالى كما قال صاحب الحكـم فان نزلـوا إلى سماء الحقوق وأرض الحظوظ فبـالاذن والتمكين ، والرسـوخ واليقين ، وقـد أوضحنا ذلك فى كتابنـا (مطالع الأنوار السنية) عـلى (الحكم) عند قول المؤلف سيـدى ابن عطاء الله هذا رضي الله عنه ، وكان فقير تعلق به وانقطع لخدمه الشيخ ومصاحبته ، وقد شكاه يوماً بالحفـا وأراد نعلا ، فطلب مـن الشيخ أن يأذن له فى دخول المدينة حتى يخـدم بما يشترى به نعلا يلبسه ، فأذن له ودخل المدينة وسأل عن موضع يخدم فيـه ، فقيل له سرْ إلى الموقف ، فبينما هو واقف إذ أتـاه إنسان فحمله الى منزلـه يخدم البنيان ، فخدم يومه كله ، فقال المعلم لصاحب المنـزل هذا الرجل يخدم فى دارك مـا يخدمه اثنان ، فان أعطيتَه أجرته ينصـرف عنـك ولا تجده ، فقال له الآن تواعده ولا تعطيه شيئاً حتى تكمـل بنيان دارك ، فمازال يخدم معهـم حتى أكمل بنيان الدار ، فطلب أجرته فماطلـه بهـا وطول عليه كل يوم يعده إلى أن أعيته الحيلة وهـو مسكين وصاحب الدار من المعتبرين ، فانصرف عنه آيساً فصعد إلى الشيخ وقـد أثر الجير فى يديه ورجليه اذ كان يخدم عـلى نيته ولا يتوقى الجير كما تفعل الخدمـة فـي الحذر من حرقه ، فلما رءاه الشيخ عـلى تلك الحالة أبشع ما يكـون حافيَ القدمين فاستعظم أبـو العباس ذلك وسأله ، فأخبره بقصته ، وكانت للشيخ همـة فى توجهه الى ربه كما قال بعض العلماء فى أوصافه ونظرائـه مَن أراد اليوم عبادة الحسـن البصرى أو زهد داوود الطائى أو علـم أبى حامـد الغزالي أو حال أبى يزيد البسطامى أو رياضة سهل بـن عبد الله التسترى أو ورع إبراهيم بـن أدهم البلخى أو كرامات سيدى عبـد القادر الجيلانـي أو مكاشفة أبى يعزى الايـلانى أو معارف أبى مدين القطنيـانى

العَبَّادى أو تربية أبى الحسن الشاذلى أو معرفة شيخ الاسلام الهـروى أو حقائق أبى العباس المرسى أو همة أبى العبـاس السبتى أو مشاهدة ابن أبى جمرة الأندلسى وأمثالهـم كثير رضي الله عنهم فقد طلـب الشيء فى غير إبانه ، وقصده فى غير مكانه ، وذلك أن ضوء الشمس بالظهيرة فـى وسط النهار ليس كالذى بعد مغيب الشمـس أو قرب مغيب الشفق ، فافهمْ هـذه الاشارةَ .

قلت هذا الكتاب انمـا وعدنا ذكر كرائم الشيخ أبى يعزى ومن أخذ عنـه ، وله معه نسبة ، ولما كانت بينـه وبين هذا الشيخ نسبة حقيقـة يلتقى معه عند أبى بكر بـن العربى المعافرى الأندلسى دفين فـاس بين المدينتين حسن هنـا أن نذكره ونذكر بعض أوصافه إذ هـو عجيبة من عجائب الزمان ، ووحيد الأقران ، ثـم نقل كلام (التشوف) ، ثـم قال بعده قلت قوله يسحر العامة والخاصـة يذعنون إليه بحلاوة اللسان قـوله وحقيقة أمره فيحبونـه ويعظمونه كما تقول العامة فيمَن كان حلو اللسان فلان سحار وأنـا أثبت إن شاء الله من بعض أخباره ما صح عن الثقات ، وإن كانت شمس خصوصيته لا تحتاج الى دليل وجبله المحيط الى مرساة ، قدمنـا أن مولده بسبتة عـام أربع وعشرين وأنه قدم الى مراكش عام أربعين فـى حصار الموحدين للمتون ، وأنه تعبده ما شـاء الله نزل مدينة مراكش حين نزولـه من جبل گليز الذى كانت به الجيوش أيـام الحصار ، يحكى أن سببه فـى ذلك الفقيـر المتقدم ، وأن الشيخ توجه بهمته ، وقال له اذهبْ إلى صاحب الدار وقل لـه يعطيك أجرتك والا وقعت داره فى الحيـن ، وكان الرجل صادق الاعتقاد فأتى الرجلُ صاحبَ الدار وهو جالس عـلى دكان فى بابها ، فقال له أوفنى أجرتى فماطله على العادة استهزاءاً واستحقاراً وهو مع جملـة مـن أصحابه ، وقال له حينئذ الفقير : إن لـم تعطنى أجرتى وقعت دارك فـى الحين والوقت ، فضحك الرجل هو وأصحابه استهزاءاً بقول الفقيـر ، فقـال له إذن انطحها برأسك أو قال بكبشتك ، فقال له الفقير الذى ثم تراه ثـم انصرف عنهم قاصداً للجبل إلى الشيخ ، فلما غاب الفقير عـن أعينهم وهم يتضاحكون ويتفكهون بقول الفقير وإذا بالدار بقدرة مَن يقول للشيء كن

فيكون وقعتْ فى الأرض ولـم تهلك أحداً ممن كان فيهـا . فضاقت حينئذ بصـاحب الدار الرحاب ، فبحث هـو وأصحابه على الفقير فلم يجدوه ولا علموا أين ذهب ، وشـاع الخبر فى مراكش فأقبل الناس ينظرون كدية من تراب لا حجر مع آخر ، وكان الرجل ذا وجاهة ومال فبكى وخاف خوفـه كله وقال الذى هـدم الدار وهي جديدة قادر على أن يذهب بالايمان مـن قلبى ، فمازال يفتش عـلى الفقير الى أن كان يوم الجمعة وكان من عادتـه ينزل يوم الجمعة حتى يصلي ويطلع عنـد الشيخ ، فلما رآه صاحب الدار بـعد صلاة الجمعة تعلق به وصاح وبكى بكاءاً شديداً ، واجتمعت عليـه الناس ، فجعل يقبل يديه ورجليه ويطلبه فى الصفح والعفو وأعطاه دراهـم كثيـرة وأبى من قَبول شيء ، قال لـه لا أقبل منك درهماً واحداً إلا إن قبله الشيخ أو قال إن أمرنى الشيخ ، قال له ومَن هو شيخك ؟ قـال أبو العباس أحمد بـن جعفر السبتى . قال له وأين هو ؟ قـال له فى جبل گليز ، قال بفضلك إلا ما حملتنى إليه ، فمشى معه فدخلا عـلى الشيخ بخلوته بعد أن أذن الفقير له ، فوجداه وهـو جالس يقرأ القرآن ، فاستأذن عـلى صاحب الـدار فأذن له الشيخ بالدخول ، فدخل وقبـل يديه وبكى وتضرع إليه ، قـال له ما هذا البكاء قال له ياسيدى إن فقيرك هذا خدمته أياماً فـى دار كانت لى ولمْ أنصفه لما أراد الله تعالى أن يكون ، فانصـرف عنى غير راض فوقعت الدار وتهدمت وخفت عـلى دينى أن يتهدم كذلك ، وقد أعطيته دراهم فأبى أن يقبلها وقال حتى يأذن لى سيدى ، وقـد جئت لوجه الله تعالى أن يقبلها منى ويرضى علي . فقـال له الشيخ حين كان يطلب منك أجرتـه استهزيت بالفقراء وقلت له انطحهـا بكبشتك ، أما علمت أن قـدرة ربى عظيمة ؟ (إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون) ، فقـال له ياسيدى نتوب وأنا أستغفر الله ولا أعود أستهزىء بفقير أبداً وأشهدك وأشهـد الله أن له فـى مالى مئة دينار ، وأعطى صدقة الف دينار ، فكانت هذه القصـة سببَ اشتهار الشيخ فى مدينة مراكش .

ثم قال فى (المعزى) ويحكى عن يعقوب المنصور أنه كان كثيـر التعظيم له كما قدمناه فيمـا نقله صاحب (روض الرياحين) ، وأنه حبّس

عليـه زاوية للفقراء ورباطاً ومدرسة ، وزعموا أن ذلك كان بأحواز الكتبيين والله أعلم، ثم نقل كلام (التشوف) في أصول مذهبه ، ثم قال قلت وهذا كله منزع معروف عند أهل الصفوة يعرفه من مارس طريق القـوم ولا ينكره إلا جاهل بأصولهـم غير محقق بطريقهم ، وليس هو من الشطحات ولا الطوام المحذر منها ومذهب الاقتباس عند العلماء المحققين معروف ، قالوا وكمـا نوضحه إن شاء الله تعالى فى ترجمة أبى العباس المرسى وشيخه سيدى أبى الحسن بحول الله وقوته من تفسيرهما الآية القرآنية ببعض ذلك ، وقال بعد ذكر كـلام (التشوف) فـى رسول ابن رشد الحفيد وما قال له فى مذهب أبى العبـاس ما نصه : وروي أنه قال لما حدثه باخباره وأنه يقـول مَن يعطنى كذا وكذا يكون لـه كذا وكذا فقال له ما أراه إلا قدرياً ثم قال الرجل دعنى حتى أرى هـذا الرجل ، وروي أنـه قدم مراكش وافداً عـلى يعقوب المنصور ونزل جوار الشيخ أبى العباس السبتى فدخل إلى أبـى العباس ينظر هـل بقصد أو اتفاقى ، فقيل ذلك لأبى العباس السبتى قال فقيـه الأندلس وابن فقيهها يفتح الله فـى ضيافته ، وإذا بالحرة زوجة يعقـوب المنصور بعثت له خمسمئة دينار ، فقال لبعض أصحابه قم بنا نزور هذا الفقيه واحمل الدراهم أو قال الذهب معـك ، فلما بلغه سلم عليه وطـرح المال بين يديه وقال لـه هذه ضيافتك ، فقال لهم من أين أنتم رحمنـا الله بكـم ؟ فقال عبيدكم أحمد السبتى فشكر سعيه ، فزعموا أنه لما خرج قـال الفقيه هـذا رجل سحار أو كلاماً هذا معناه ، فروي أن الشيخ أبـا العباس أخذته الحمى فى تلك الليلة ، وقال لأصحابه هذا رجل عاملناه بالخيـر فدعى علينا بالحمى وزعموا فيما روا أنه قـال اللهم سلط عليه الموت أوكلامـاً هذا معناه فضربه وجع فى تلـك الليلة فما أصبح حتى خرجت روحه ، ولكن الظن بالشيخين جميل ، ولا تظـن فى واحد منهما أنه يحب للآخر الهـلاك ، ولان ذلك عالم مـن علماء المسلمين والشيخ من أئمة الصالحين ، وان كـان روي أن الحفيد هذا كان فيه نزغة اعتزالية ، فله تواليف عجيبة كـ (بداية المجتهد ونهاية المقتصد) و (الهداية) وغيرهما ، وانه توفي عام خمسـة وتسعيـن وبقي بقبره مئة يوم وأتت أسلافـه ونبشوا عليه وحملوه إلـى

قرطبة ، ومن عجيب الأمر أن موضــع قبره فيما زعموا لما مات أبــو العباس عــام أحد وستمئة دفن فيه الشيخ رحمه الله تعالى ، وقــال بعد نقل كلام (التشوف) فى حمله الطعام لأصحابه بنفسه ليوفِّرَ عليهم أجرة الحمــل قلت وليذل نفسه ويهينها بامتهانها ، وقــال بعد قضية ضرب الحرسييــن قلت وهمــة أبى العباس السبتى فى مثل هذا كثيرة ، ولهــذا قالوا الهمة لأبى العباس السبتى قل مَن يدركها من شيوخ المشرق والمغرب ، كمــا أن مكاشفات الشيخ سيدى أبى يعزى قل مَن يتحقق بها على كمالها ، وقال بعد قولــه كلما أردت أن يفعله الحقُ معك فافعله مــع عبيده ، قلت مصداقه الحديث الخلق عيــال الله وأحب الخلق الى الله أرفقُهم بعياله ، الحديث ، الرحماء يرحمهم الرحمان ، مَن لا يرحــم لا يُرحم ، وارحم مَن فى الأرض يرحمك من فى السماء ، وفى هذا المعنى قيل :

وارحم بنيَّ جميعَ الخلق كلهــم   وانظر إليهم بعين الرفق والشفقــه
وقرْ كبيرهم وارحمْ صغيرهـــم   وراع فى كل خلق حقَّ مَن خلقه

وقال بعد ذكر موت أبى العباس ما نصه : قلت وإنما لم يرثْه أحــد من أصدقائه لصعوبة طريقه إذ هي مبنية عــلى البذل والايثار الكلي فلــم يستطع أن يسلكها بعده أحد من أصدقائه ، بل ولا فى حياته .

قال كاتبه عباس عفــا الله عنه : صاحب (المعزى) سيدى أحمــد الصومعي فهم أن مقصود صاحب (التشوف) بقوله لــم يرثه من الاراثة مــع أنه انما هو مــن الرثاء ، راجع ما تقدم قبل قصيدة أبى يعقوب اللامية تعلم ذلك ، ثم قال صاحب المعزى وكان أبو يعقوب هذا كثير التأسف والتلهف عــلى شيخه أبى العباس حتى مات بحبه فهو معه كما قيل :

أفض إليَّ فان الروحَ قد زهقــا   وهاك حبه منى سابق الرمقـــا
لولا العيون التى سالت مدامعهــا   على الخدود لَذاب القلب واحترقــا
والله يعلم ما فى القلب من كمـــد   ليت الفراق وليت الحب ما خلقــا
كنا كغصنين فى عود فخانهمـــا   ريب الزمان وأوما البين فافترقــا
فاصفرَّ عودهما من بعد خضرتــه   وأسقط البين من أعلاهما الورقــا

ليت الحمام الذى حن لألفتنـــــا هب عليه نسيم المسك فاعتبقـــا
أو الغراب الذى نادى لفرقتنـــا طارت عليه شرار النار فاحترقـــا
سيكتبون على باب الجنان غـــدا مَن لم يمت عاشقاً بالنار يحترقـا

وقال فى قضية التردد فى الخاطر الأول بخل ، قلت هـذه إشارة الى قـول أبى الحسن البوسنجى وهو من أيمة هذا الشان ، وصدور الطريق أحـد فتيان خراسان ، لقي من الأكابر أبا عثمان وابن عطاء الله والجريرى ومات عام ثمانية وأربعين وثلاثمئة ، قال جامعه عباس بن إبراهيم راجع تمام ترجمته فى طبقات الامام الشعرانى .

ثـم قال فى (المعزى) فالسخاء الحقيقي إذا أن تعطي بالخاطـر الأول ولا تميز من أعطيت ومهما ميزت فأنت متردد ، وذلك عيـن البخل ، وهـو مذهب المحققين ، وقال بعد قضية ري بحيرة أبى الحسـن باستسقاء أبى العباس لهـا وحدها ما نصه : واعلم حفظك الله تعالى أن أبـا العباس له همة عالية ، وكـان بقدرة العزيز الجبار تنفعل له الأشياء عـلى مقتضى مراده ، فكان يتعجب منه العدو ويزيد فى محبته الصديق وقال بعد قضيـة تبيين معاملته من بدء أمره إلى منتهاه ما نصه : وهـذا مذهبه رضي الله عنه حتى لقي الله ، وتأمل هـذا مع الشيخ سيدى أبى يعزى كان يأخذ فى حرثـه العشر ويصرف سائر التسعة الأعشار للمساكين ، فالفروع مختلفـة الحال والأصول متفقة ، وهو ترك الهوى وبغض الدنيا ، وكـل على بينة وبصيرة من ربه ، وكـل واحد منهما رزق من باب فلازمه ، وأنت الـزم محبتهما والتصديق فيهما مع التمسـك بالكتاب والسنة وحسن الخلق مع السخـاء إن لم يكن كماله فطرف منـه وقد صح اتقوا النار ولو بشق تمـرة ، وصح أن الصدقة تقى مصارع السوء ، ومَن تصـدق فى يوم لا تناله نكبة ، وحكاية محمد بـن وضاح إمام الأندلس وعالمها شهيرة ، فروي أنه كان يوماً فـى مجلس تدريسه وأتاه رجل فقـال له يا أبا عبد الله إن ولدك مات قد دهكتـه العجلة فلم يلتفت لكلامه واشتغل بقراءته ، فأتاه آخر فقال لـه البشارة إن ولدك سلم ، قـال قد علمت ذلك ، قالوا له بم علمت ذلك ؟ قـال لهم حديث

النبي صلى الله عليه وسلم وذكر ما تقدم ، وقد رأيته اليوم تصدق بصدقة فعلمت أن العجلة لا تقتلـه أو كلاما هذا معناه ، فروي أنه لما أتت العجلة دهكتْ ثيابه وتخطته لم تصبه هـ . قلت ابن وضاح المذكور ترجم له فى (الديباج) وذكر أن به وببقي بن مخلد صارت الأندلس دار حديث ، ومن وقته اعتمد أهل الأندلس على رواية ورش ، وقال فى (المعزى) ومن عجب أمر هذا الشيخ يعنى أبا العباس السبتى أنه لما كان فى أموره رضي الله عنه ملامتي المذهب فلم تقبله النفوس ، فكان المنتقد عليه أكثر من المعتقد فيه وخصوصاً جماعة من الفقهاء ، فيحكى أنهم عملوا له عقداً فيما ظهر لهم والله أعلم بقصدهم ونيتهم شهد فيه جماعة أنه زنديق ، فحملوه لملك المغرب فى عصره يوسف بن عبد المومن الموحدى فلما رءاه السلطان زعموا أنه بعث للقاضى وإلى الشهود الذين شهدوا فى العقد فقال القاضى ما عندى ما أقول فيهم يعنى أنهم ذوو عدل مزكون ، فروي أن السلطان بعث إلى الشيخ أبى العباس فامتثل الأمر وطلع إليه فتصدق فى طريقه بربع دينار ، فلما دخل على السلطان قام كل مَن فى المجلس تعظيماً للشيخ فسلم عليه ، فقال للسلطان ما حاجتك ياأمير المومنين ؟ قال ياسيدى هؤلاء الفقهاء كتبوا كتاباً وأردت أن يقرأ عليك وبحضرتك لأن القاضي أجاز ما فيه ، فقال الشيخ على بركة الله الذى كتبه هو يقرأه ، فقرأه على رؤوس الأشهاد والمجلس غاص بالناس ، وإذا فيه كل ما كان من القبيح بزعمهم بدل بقدرة مَن يقول للشيء كنْ فيكون مليح ، وكل كلمة باطلة انقلبت بضدها مثل الزنديق رجع صديق ، والطالح صالح ، ووجدوا فيه من الخير ما لا يصفه واصف ، فروي أن القاضي دخله خجل عظيم ، وأدركت السلطان هيبتُه وعلم أنه محمي محفوظ ، وبقي مَن حضر وسمع الكتاب أولا ثم سمعه آخراً متعجباً ، وعلموا أنه آية من آيات الله ، وأنه لا سبيل إليه ، فقال الشيخ حينئذ ياأمير المومنين هؤلاء ذكرونا بخير جزاهم الله عنا خيراً ، ثم انفصل المجلس ، فلما كان الشيخ فى أثناء الطريق التفت إلى الخديم المرافق له قال له كيف رأيت ربع دينار كذب الجميع ، وروى فى بعض هذه الحكاية أن السلطان أدب الشهود وعزلهم

عــن الشهادة وتاب القاضي واستغفر أنه لا يتعرض فــي أمر الشيخ أبداً ، وحاصل أمر أبي العباس فــي هذا المعنى كله عجيب ، وتأملْ فيما تقــدم أنه قال احكــم بالخاطر وكلما أردته كان والثاني قوله احكم في السمــاء ، وقوله أولى وأعزل فمن أحببتــه وليته ، ومن كرهته عزلته ، ولما كــان ملامتيُّ المذهب كان أكثر الناس يبغضه حتى من أصحابه الذين يخدمونــه وهــو عالم بهم ويحلم ولا يكافيهم بل يسامحهم ويحسن إليهــم ، فكان من خواصِ أمره أن الذي يكرهه ويبغضه ويقذف فيــه يحسن إليه ، ثم قال بعد قضية التعرف المتقدمة : فعجائبه لا تتناهى ، ولكــن في أحواله قلَّ من يصدقه فيها لكثرة ما يلبس بحاله حتى لا يصدقه إلا صديق فتح له ، فلذلك ظهرت بركاته وكراماته بعد مماته أكثر من حياته ، ثم قال ويحكى عنه رضي الله عنه أنه كان كثيراً ما يلهج بهذه الأبيات وهي معروفة في زمن التابعين :

إن الزمان عدا عليَّ فزادنـــــــي ... علماً بأنك مالكي تحقيقـــــــــا
ما مسَّني ضرٌّ لأجل إساءتـــــي ... إلا عبرت به إليك طريقـــــــا
فاقضِ القضاء مع الرضى مني به ... إني وجدتُك في البلاء رفيقـــــا

انتهى كــلام (المعزى) وقد تقدم عن (التشوف) ذكــر الأبيات الثلاثة مع بيت آخر باختلاف قريب ، ونسبهــا لأبي عبد الله الفخار شيــخ أبي العباس .

ثم قال في (المعزى) بعد قضية الليلة الممطرة التي غلب الشيــخ في أولها البرد المتقدمة ما نصه : وكــان رضي الله عنه من عادته لا يتغذى ولا يتعشى إلا إذا لم يجد مــن يستحقُ ذلك الطعام وإلا دفعه لــه وطوى هو أو يفتح الله من فضلــه ، وقال بعد قضية الاستسقاء الذي حضر فيــه ابن الجذع ما نصه : قلت وهذا معروف مــن علو هممهم رضي الله عنهم ، وصدق خواطرهم كما اتفق لامام الطائفة مع خيرون النسَّاج وأبي يزيــد مع الذي قال لــه احتاجت الناس للمطر فقال للخــادم أصلح الميزاب فما استكمله حتى نزلت الأمطار ، وهمة أبي العباس شهيرة الى يومنا هــذا ، وأما قسمهم عــلى الله فكثير مما تواتر عنهم في ذلك ، ثم قال لما وقــع بقوة

العزيمة صدق الخاطر بنزول المطر فألقى في خلده علماً ضرورياً أن ذلك كائن الساعة ، فوجد العلامة والامارة ، فقال ما قال من غير اختيار منه وإلا فشأنهم كتمان الأسرار ، وأعلم أن هذا الشيخ في همته وصدق خاطره وكثرت كراماته لا يحيط به الحصر ومع هذا كراماته بعد الموت أكثر ، قال أحمد ابن الخطيب (1) : سمعت الشيخ أبا العباس أحمد بن عاشر الأندلسي بمدينة سلا عام ثلاث وستين وسبعمئة سأله أحد الفقراء فقال هل تنقطع الكرامة بموت الولي ؟ قال فأنكر عليه سؤاله ، قال لا تنقطع الكرامة بموت الولي ، ثم قال انظر السبتي ، قال أبو العباس ؟ يشير إلى الفقيه العالم المحقق أبي العباس السبتي المدفون بمراكش وما ظهر عند قبره من البركات في قضاء الحاجات بعقيب الصدقات ، وقد أسلفنا عن ابن الخطيب أنه سمع يهودياً يلجأ ببركاته وينادي باسمه عند أمر أصابه من المسلمين ، فسألته عن ذلك فأخبر أنه وجد بركته في غير ما موطن ، وتأمل بقية حكايته فيما سلف ، قال ابن الخطيب هذا ولقد وقفت على قبره مراراً وسألت الله في أشياء يسَّر لي ذلك منها سألت أن أكون ممن يشتغل بالعلم ويوصف به ، وأن ييسر عليَّ فهم كتب عينتها ، فيسر الله عليَّ ذلك في أقرب مدة ، وكان السبتي آية في المناظرة وأوذي باللسان كثيراً جداً فكان يصفح ويتجاوز هـ . قال في موضع آخر روضته الآن مائدة من موائد الحق تجتمع فيها الألف من الذهب ، قال في (المعزى) تغير الحال في ذلك اليوم وذهبت بقدرة الله منه البركة وان كانت بركة الشيخ في ذلك ظاهرة ، والسبب أنه تولى أمرها من اشتدت شوكته من أرباب الدولة ، فصار يصرف في ذلك على غير وجهه وفي غير محله ليلا ينزع من يده ، وما من شيء فسدت أصوله إلا ذهبت البركة من فروعه وان كان قائم العين ، ثم قال بعد قضية زوج بنت الشيخ في موته قال بعض من تعرض لكرامات الشيخ إن ذلك الزوج مازال يعدو عليها ويضربها وتغضب إلى أبيها وتشتكي عليه فيردها إليه الى ذات يوم أتت إليه وشكت اليه على عادتها

1) أحمد بن الخطيب القسنطيني المعروف أيضا بابن قنفذ صاحب كتاب (انس الفقير وعز الحقير) ستاتي ترجمته في الجزء الثاني من هذا الكتاب .

فبقي الشيــخُ يلاطفها فبكت وصاحت وقالت والله مــا بقي لى إلا أن أرمي نفسى فى هــذا البئر وأستريح ، وأما هذا الرجل لا يزول عــن فعله القبيح أبداً . ثم إن الزوج لما أتى الى المنزل سأل عنها فقيل له ذهبت فاستحيا وقال لا يليــق إلا أن أغيب رأسى حتى يذهب غيظ الشيــخ وأجد خاطره ، فروي أنه خرج للغابة لبعض أماكــن أحواز مراكش ، ولما قالت البنــتُ ما قالت ذهبت بسرعة إلى البئر قال لها ارجعى وصاح عليهــا ، فرجعت إليه حتى تسمــع كلامه ، فقال لها إذا كان عند العصر فاعتدّى عِدّة مَن مــات عنها زوجها ، فروي أنه خرجت عليه اللصوص فقتلوه فى وقت العصر الذى قال الشيــخ ، وذلك من قوة همتــه وصدق خاطره ، ثــم قال ويحكى عن الشيــخ أبى العباس أنه وردت قافلة مــن تنس ووهران (I) بتجــارة وافرة ، فأخذ منها عــلى عادة الملوك من الفوائــد ، فلما قضوا مرغوبهــم واشتروا ما هــو نافد فى بلادهم . قام بعض الظلمة يسعى بهــم إلى السلطان وقال لــه إنهم أخفوا الكثير من أموالهم ولم يظهروها ، فأمر عليهم أن يحبسوا حتى يــردوا وربما حبس بعض كبار القافلة فقيل لبعضهــم لو ذهبتم للشيخ أبى العباس لوجدت بركته ، فان همته عالية ، فذهب الرجلُ فسلم عليــه وسألــه فى الدعاء أن يخلصهم الله ، قــال له وأين الفتوح ؟ فأعطاه عشرة دنانير ، فرءا بعض المنتقدين على الشيخ فقال أخسرتم دراهمكم ، أعطيتموها لرجــل مهبول أو قال أحمق ، فأفسد عقائد بعضهــم ، وقال بعضهم نحن فعلنــا وقصدنا الله تعالى ثم انهم كلموه مراراً وهــو فى ذلك كله يسكت عليهم وقنطوه ولحقت الضيعــة دوابهم وتذكروا فيما بينهم كلام المنتقدين فــى الشيخ ، فقال لهم بعضُ المعتقدين كم دفعتم للشيخ ؟ قالــوا عشرة دنانير ، قال لهم انصرفوا ، فلما ذهبوا مشى وحده للشيخ فوجده نائمــاً تحت شجرة تيــن . وكان ذلك زمان الحر ، وكان وقت الظهر فجلس بازائه حتى استيقظ مــن نومه ، فلما رءاه قال له أنت الوهرانى ؟ قال له نعــم ، قال له مازلتم مــن عير سراح ؟ قال نعم ، لقــد والله ضعنا هاهنا ، قال لقد

I) فى الأصل تونس وذلك خطأ ، فان المدينة القريبة من وهران هى تنس بفتح الأول والثانى الواقعة على ساحل البحر المتوسط بينها وبين الجزائر .

زلتم من بالي وقام وعليه سروال من صوف وسلهام صوف في يده عصا فوثب في الهواء وضرب بالعصا وقال الساعة تسرح أهل وهران ، فما كان إلا قليل قدر ما يتوضأ الانسان واذا بمناد طبق المدينة ياأهل وهران الذى بقي هنا إلى العصر تلحقه العقوبة الشديدة ، وروي أن سبب ذلك ان السلطان كان نائماً فى قبته مع بعض نسائه واذا بالحائط قد انشق ودخل عليه الشيخ وهو فى مئزر صوف فضرب بها على بطنه ، وقال له سرح أهل وهران ، وغاب فى أسرع من لمح البرق ، فأصابه وجع شديد لو دام عليه لقتله ، فبعث السلطان فى الحين إلى حاجبه أن يسرح أهل وهران ولا يبقي منهم أحداً ، واعلم أن مثل هذه الهمم لهم كثير ، ولولا الاختصار لأتينا من ذلك بعجائبهم وما وقع موقع العيان كقصة ابن مرزوق مع يغمراسن وأبى الحسن النورى سيدى علي ابن حرازم وغيرهم كثير ، وقال بعد قضية عزل الكومى عن دار الاشراف قلت وهذه الهمة فى التولية والعزل هي التى كانت شعاره ، حتى لقي الله بها ومازال اليوم يقصده الناس لمثل هذه فيخلصون بمثاربهم كرامة من الله تعالى يختص برحمته مَن يشاء ، وكنت مرة فى ضيق وشدة فأخذتنى سنة فرأيته واقفاً قدامى ، فأخذ بيدى ، فاذا أنا واقف وغاب عن بصرى فى أقل من طرفة عين وفرجت عنى تلك النكبة فى الحين والساعة ، وكان بعض الثقات يحدثنى عن شيخنا سيدى علي البوزيدى (1) أنه عدا بعض رؤساء المملكة ممن له السلطة الكاملة والكلمة النافذة على بعض المنتمين لزاويته ، فلاطفه بكل وجه فلم يزده ذلك الا فظاظة وجرأة ، وفعل الشيخ حضرة عظيمة فى محبة النبيّ صلى الله عليه وسلم ثم ختم بأن استغاث بالشيخ ، فقال فى بعض ذلك واصرختك يابلعباس للضعيف ما أعجلها عوج عوج ياعز الفقراء ودعوتك استجيب لها ، فنزلت بذلك الرئيس علة عظيمة أتت عليه ، ثم قال بعد قضية انفتاح الباب من غير فاتح واظلال السحابة ما نصه : وكان شيخنا أبو العباس الدرعى (2) رحمه الله تعالى يحدثنا أيام قراءتى للقرآن عليه والرسالة

---

1) هو سيدى علي بن ابراهيم البوزيدى راجع 24 من **الصفوة** (مؤلف) .
2) هو أحمد بن علي الدرعى راجع 24 من **الصفوة** (مؤلف) .

وغير ذالك أنه عزم مدة على الخروج من تعليمه الطلبة والصبيان قال فرأيت رجالا لم يسمهم لنا أتوا وأنزلوني من الدكان الذى كنت عليه ، وإذا بأبى العباس عليهم واقف ، فانتهرهم وزجرهم وقال لهم ما لكم وإياه نحن الذين وضعناه هنالك ، فلا سبيل لأحد عليه ، ثم إنه قال لى اجلس يابني هذا موضعك أو قال هذا مقامك ، ومازال الشيخ بقدرة الله يروم الخروج من الحضار مراراً فلم يساعده الحال حتى مات كما قال له الشيخ حين قال له هذا مقامك ، وكان رحمه الله مهما وقعت له ضيقة يقف عليه ويقول له المخرج لك من تلك المسألة كذا وكذا ، ثم قال بعد قضية رفع الصغير عمود الباب ما نصه : وما أدرى كيف كان أمره ، ولكن تحقق عندى همة الشيخ فى ذلك ، وكان رضي الله عنه ما جال فى خاطره شيء أو تهمم إلا كان وتيسر فى الوقت كما أخبر بذلك عن نفسه ، وقد قدمنا أن أحوال أبى العباس كلها عجائب وأوصافه كلها غرائب إلا أنه أول أمره وآخره مبني على الصدقة لا بد أن تقدم ، قلت والصدق والمحبة والتسليم لا بد أن نمزج بالجميع مع دوام الاستقامة ولزوم الكتاب والسنة ، فمن صدق فى ذلك تأتيه مادته على كل حال بفضل الله وكرمه ، ثم قال بعد نقل أصل الخير فى الدنيا والآخرة الاحسان الخ ما تقدم ما نصه : ومن تأمل كلامه بالمعيار وجده كله على حقيقة مذهبه هذا بلا إشكال ولا شك ولا ريب إلا مَن طبع الله على قلبه أو جاهل للحق متجاهل أو منحرف عن الحق ارتكب الباطل ، ولما كان أمرهُ بُني على الصدقة وترك البخل والشح وهما أصل هلاك ابن آدم كما قال عليه الصلاة والسلام دب إليكم داء الأمم قبلكم الشح والبخل فهذا كان أصل مذهبه وقد أكمل الله فيه مرغوبه فكان فى السخاء لا يشق غباره ولا تجهل آثاره ، فمازال بذلك كما أخبر عن نفسه ، وقد تقدم فكان يحكم بالخاطر ويولي ويعزل وكان تاجر الله بين خلقه ، ويحكى عنه أنه كان ينادى على ذلك فى الأسواق ويجلس حيث أمكنه الجلوس ولا يبالى بالسوق والأزقة ولا غير ذلك ولا عليه فى نفسه ولا يبالى بمن تكلم فيه ، بل الغالب أنه يعاملهم بالعفو والصفح حتى كأنه لا علم له بهم وهو يسمع فيهم بل ربما أحسن إليهم غاية الاحسان .

قال كاتبه عباس : قال العارف الحلفاوى فـى (شمس المعرفة) قـال فى (لطائف المنن) لما أورد أحوالهم فى بساط مـس ظلمهم وهم أربع طبقات مـن دعا لما اثر منه الظلم والقرح اتقوا دعوة المظلوم ، وقسـم إلى الله لجئوا فى طلب النصرة وتعجيل الاذاية مفوضين لـه ومَن يتوكل على الله ، الثالث لـم يلجئوا ولم يدعوا وفوضوا الارادة .، الـرابع وهم الطبقة العليـا إذا ظلموا مَن ظلمهم ، ثـم إن النبيّ صلى الله عليه وسلم دعا عـلى عتبة وغيره ، ودعا لقومه بعد أن كسروا رباعيته بقوله اللهم اغفر لقومى فـانهم لا يعلمون ، وفوض يـوم الغار ، وعرض يوم بدر ، ثم قال فـى (المعزى) ويحكى عنه أنه مر يوماً فـى وسط المدينة وهو ينادى أين مَن يعامـل الله ؟ الدينـار بعشرة ! والعشرة بمئة ! فكان أهـل مراكش إذا سمعوا ذلـك يحمقونه وربما يسمونه بغيـر هذا كالطرمون وغير ذلك من الأسمـاء وهم يتضاحكون منه ويتغامزون عليه وهو عنهم متغافل لصـدقه مع الله تعالى ، فاجتاز يوماً فـى طريقه على حانوت خياط فقال له بعضُ الصناع ياسيدى إن أعطيتك دينارا تعطينى عشرة ؟ قال له نعم ، فتكلم لـه الخياط فقال له اليوم ما نحسبهم الا عندى ، قال لـه نعم وقت الظهر إن شاء الله يكـونوا عندك ، فناولـه الخياط الدينار وذهب الشيخ فأعطاه لمستحقه ، فتكلـم بعض المنتقدين فقال للخياط ما أنت أول مـن فعل به هذا ، فمازال به الى أن ندم الخياط فى إعطائـه للشيخ الدينار ، ثم شرع يخاطب نفسه ويقول أنا هـو المهبول الذى كان دينار بيدى وأعطيته لرجل مهبـول وغير ذلك مـن القول ، وزاد عليه أصحابه حتى كاد يبكى ، فلمـا سمع أذان الظهر نزل من الحانـوت وبقي متحيراً ولم يهن له أن يشتغل بصنعته ، فدخل بعض ديار الوضـوء ليتوضأ فبينما هو يتفكر وهـو جالس على السنداس فنظر فى الشقّ فرأى خيوطاً حمراً وصفراً وخضراً ، فمدّ يده لينظر ذلك حتى تلوثت يـده ، فلما أخرجهم وجد فيهم خريطة فغسل يده والخريطة فتوضـأ وخرج ففتحها فاذا فيهـا عشرة دنانير ذهباً ، ففرح فرحاً شديداً كـاد يذهب عقله ، وصـلى صلاة الظهر وطلع للحانوت واجتمع أصحابه يسخرون منـه ويضحكون ويقولون له قـد اتصلت بعشرة دنانير ، قال لهـم لا تقولوا إلا

خيرا ، فلما رأوها سلموا وصاروا يثنون على الشيخ ويقولون هو ولي الله ، وكل واحد ومايقول من كلام الاحسان ، ثم إن الشيخ اجتاز عليهم على عادته ينادى الدينار بعشرة والعشرة بمئة ، وفضل الله لا يحصَر فسمعه الخياط فنزل اليه وقال له ياسيدى ان أعطيتك عشرة دنانير أتعطينى مئة ؟ قال له نعم ، والضامن ثقة ، هو مولانا عز وجل (من جاء بالحسنة فله عشرُ أمثالها) ، وقال عز وجل (وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه) ، فالله عز وجل هو الذى يعطيك يابني ، وإنما أنا دلال خير وواسطة بين الخلق وخالقهم أدلهم على فضله واحسانه ، قال له ياسيدى أنا الذى أعطيتك بالأمس الدينار ، فقال له الشيخ وكيف رأيتَ فعل الله معك ، قال ياسيدى والله لقد أعطيت ذلك كما وعدتنى الا انى لم أتصل بها إلا بعد قذارة يدى وقذارتها ، قال له إنما ذلك من نجاسة يدك لما تلوثت ، ولو كانت نيتك طيبة لوجدتهم فى مكان طيب ، قال له الخياط ياسيدى أشهد الله وأشهد انى تائب لله تعالى ، ثم أعطاه العشرة دنانير واعتمد على الله وصدق فى توكله وانه هو المخلف كما قال مولانا وصدق بوعد الشيخ قال له ان شاء الله اذا كان وقت الظهر تعطى المئة دينار قبل الصلاة ، فانصرف الشيخ وصرف الدنانير على مستحقها واذا برجل من أكابر التجار كان مصاحباً لبعض القواد الظلمة وكان التاجر يعامله فوقعت شحنة وعداوة عظيمة فسعى به الظالم يريد حتفه وتلف أمواله فندم التاجر وخاف خوفه كله ، وكان يدبر كيف يكون أمره ومَن يكون واسطة بينهما حتى يصطلح ليلا يهلكه فدله بعض أصحابه أن يعطيه مئة دينار ويحملها إليه تكون صلحاً بينه وبين الظالم ، فعد مئة دينار وجعلها فى قرطاس بازائه ، فبينما هو كذلك ، واذا بهاتف مزعج فى قلبه يقول احمل المئة دينار وأعطها أول رجل يلقاك ، فخرج ووقف بالباب واذا بالخياط جائز ، فقال فى نفسه هذا خياط كأنه استحقره أن يكون أهلا للمئة دينار ، فلم يعطه فدخل لداره بالقرطاس وإذا بالهاتف قد تقوى عليه أعط المئة لأول مَن تلقاه ، فخرج أيضاً فرأى الخياط وعجب من ذلك وقد سمع الهاتف وهو يقول : أعطها لأول مَن يلقاك ، والله يكفيك ، ثم قال سبحان الله فنادى الخياط فأجابه

قال له أخبرني بقصتك ولا تكتم عني شيئا من أمرك ، فاني أراك طالع وهابط ولا هنأ لك قرار ، فقال له اتركني بالله ولا تسألني ، قال له سألتك بالله إلا ما أخبرتني وتقوى ظنه فيه أنه هو المخاطب باعطاء المئة ، قال له الخياط سألتني بالله وأنا أخبرك ، دفعت للشيخ أبي العباس عشرة دنانير قبل صلاة الظهر فأنا أمشي وأجيء في ميعاده ، فلما سمع التاجر مقالته وقال له صدقت ياأخي هات يدك فمد الخياط يده فأعطاه القرطاس ودخل التاجر فتوضأ ولبس ثيابه وخرج لصلاة الظهر ، فلما سلم الامام نادى المؤذن للصلاة على الجنازة فلما نظر إلى الجنازة رأى بعض غلمان ذلك القائد وقوفاً عند الجنازة ، فالتفت عن يمينه ورأى سيدي أبا العباس السبتي رضي الله عنه قال له أدفعت المئة دينار للخياط ؟ قال له نعم ياسيدي ، فزاد تعجبه ، فقال له شيع إذا جنازة صاحبك فان الله قد كفاك شره وحاق به مكره ، وقال بعد نقل قوله وباعطاء خمسة أسباع يستجاب له وتكون الكائنات طوع يده بقدرة العزيز العلي حتى لا يحب شيئا إلا كان ما نصه : قلت وهذا كان مقام الشيخ رضي الله عنه ، وقال بعد نقل الشيخ انتهى الى اعطاء تسعة أعشار والتمسك بالواحد قلت وهذا كان حقيقة مذهب الشيخ سيدي أبي يعزى في اعطائه تسعة أعشار من زرعه ، ويكتفي هو بالعشر ، كما قدمنا من رواية أبي عمران سيدي موسى ابن محمد بن معطى العبدوسي فكان لهذه السادات بما جاهدوا كمال التصرف في الكائنات ، وحاصل أمر هذين الشيخين أبي يعزى وأبي العباس أنهما من عجائب الزمان . ولنختصرها هنا ، إذ الشيخ لا تحصى عجائبه في كل وقت وزمان ، وقال في آخر الباب السادس : اِعلم أن كرامات الشيخ سيدي أبي يعزى رضي الله عنه لا تحصى ، ومادته حياً وميتاً لا تنضبط ، وكذا سيدي أبو مدين رضي الله عنهما ، وأما الشيخ سيدي أبو العباس السبتي فلا تكفي فيه أسفار لكثرة كراماته بعد مماته أعظم من حياته كما قدمنا ، وإنما سقنا هذا النزر من كراماته لما بينه وبين الشيخ سيدي أبي يعزى من المواصلة كما قدمنا أنه يلتقي معه عند الشيخ سيدي أبي بكر بن عبد الله المعافري المعروف بابن العربي الأندلسي ، وقال في الباب السابع في

ترجمة القطب سيدى عبد القـادر الجيلانى رضي الله عنه ما نصه : وأمـا شهادة شيوخ العصر له والذين قبلـه والذين بعده فهذا مما تواترت بـه الأخبار عـن الأكابر ولم يبلغ أحد فى الثناء مثل ما بلغ هذا الامـام ، وكذا الشيـخ سيدى أبو يعزى وعلى منوالهما سيدى أبو العباس السبتى كمـا تقدم ، ولهـم أيضاً مواصلة من طريق أبى علي الصدفى فانه لقي حجـة الاسلام ببغداد وأبو علي مـن شيوخ أبى الفضل وأبى العباس بن العريف ، وأبـو الفضل كما تقدم أيضاً ممن أخذ عن الامام ابن العربى ، وأبـو عبد الله بن الفخار من شيـوخ الشيخ سيدى أبى العباس ، وهـو قد قرأ على أبى الفضل وقد تقدم هذا مستوفى ، ثـم قال وقال الشيخ أبو العبـاس المرسى رضي عنه العامة إذا رأوا انساناً ينتسب إلى طريق الله تعالى جاء مـن البرارى والقفار أقبلوا عليه بالتعظيم والتكريـم ، وكم من بدل وولي بين أظهرهم فلا يلفون إليه بالا ، وهو الذى يحمل أثقالهم ويدفع الأغيـار عنهم ، فمثلهم فى ذلك كمثل حمار الوحش يدخل البلدة فيطوف بـه الناس يتعجبون بتخاطيط جلـده وحسن صورته والحمر التى بيـن أيديهم مستقرة هي التى تحمل أثقالهـم فلا يلتفت إليها ، والغالب على الولي أنه لا يعظمه أهل زمانه ، وإنما يعظـم بعد مماته غالباً كما اتفق لأبى العباس السبتى إنمـا عظم بعد انقضاء أهل جيله كلهم .

انتهى ما ذكره صاحب (المعزى) فى أبـى العباس السبتى رضي الله تعالى عنهما فى مواضع متفرقة فى الكتاب كله ، ولـم أحذف منه الا كلام (التشوف) لتقدمه ، وقد ذيله بفوائد هي التى نقلناها عنه .

وقال فى (ابتهاج القلوب) ما نصه : ومن المحْكى عن الشيخ سيدى أبى العبـاس السبتى نفعنا الله به أنه لما وشي به إلى يعقوب المنصـور وتوضأ وصـلى ثم اشترى رغيفاً فتصدق بنصفه وأطعم نصفه كلباً فبلـغ ذلـك الملك فزاد حنقاً ، فلما سأله قال أيهما أشد غضبك أو نـار جهنم ؟ وقد قال صـلى الله عليه وسلم اتقـوا النار ولو بشق تمرة ، فأمر بأن يعطى الصحيفة التى كتب فيها عيوب نسبوها إليه افتراء عليه ، فاذا بها انقلبت

كلها خيراً ، فتاب القاضي وسلمه الله ، فانظر دقة هذا الأخذ وقوة هـذا الايمـان نفع الله بهم ما أعلمهـم بالكتاب والسنة وأقـواهم فهماً فيهمـا ، والحكايـة مذكورة في مناقب سيدى أبى العباس من دون ذكر للصدقـة ، ولكن سمعت الشيخ الوالد يحكيها على نحو ما ذكرناه . هـ .

وقد علمت أن المناقب ذكرت فيها الصدقة كمـا تقدم عن تأليف المناقب والمعزى مبسـوطاً وفى السابع والتسعين من الجزء الثانى مـن (نفح الطيب) فـى ترجمة الشيخ تاج الدين بن حمويه السرخسي ما نصه : وذكر أنه أدرك الشيـخ الولي العارف بالله سيدى أبا العباس أحمد بن جعفر الخزرجـى السبتى صاحب الحالات والكرامات الظاهـرة والطريقة الغريبـة والأحوال العجيبة ، قـال أدركته بمراكش سنة أربع وتسعيـن وخمسمئة وقد ناهـز الثمانين ومهما حصل عنده مال فرقه فى الحال وتـركته فى سنة ثمان وتسعين حياً يرزق ، وولي الله السبتى قـد ذكرت فى غير هذا الموضع بعض أحوالـه فلتراجع فى الباب الثامن من ترجمة لسان الديـن ابن الخطيب ، ومحله مقصود لقضاء الحاجات ، وقد زرته مراراً عديـدة سنة IOIO .

وقـال لسان الدين فى (نفاضة الجـراب) عن السلطان الغنـي بـالله محمد بن يوسف بن نصر ونحـن بفاس يخاطب الضريح المقصـود المنهل المورود والمرعى المنتجع والخوان الذى يكفى الغرثى ويمرض المرضى ، ويقوت الزمنى ويتعداهم الى أهل الجدة زعموا والغنى ، قبر ولي الله سيدى أبى العباس السبتى نفعنا الله به وجبر حالنا وأعاد علينا النعم ودفع عنـا النقـم :

يا وليَّ الالاه أنت جـــــواد	وقصدنا إلى حماك المنيـــع
راعنا الدهرُ بالخطوب فجئنـــا	نرتجى من نداك حسنَ الصنيـع
فمددنا لك الأكفَّ نرجـــى	عودةَ العزِّ تحت شمل جميـــع
قد جعلنا وسيلة تربَك الـــزا	كى وزلفى إلى العليم السميـــع
كم غريب أسرى إليك فوافـــى	برضى عاجل وخير سريـــع

ياوليّ الله الذى جعل جاهه سبباً لقضاء الحاجات . ورفع الأزمات ، وتصريفه باقياً بعد الممات ، وصدق نقول الحكايات ظهور الآيـات ، نفعنى الله بنيتى فى بركة نربـك ، وأظهر عليّ توسلى بك إلى ربك ، مزق شملى ، وفـرق بينى وبين أهلى ، وتـعـْدي علي ، وصـُرفت وجوهْ المكـائد إلي ، حتى أخرجت مـن وطنى وبلدى ، ومالى وولدى ، ومحـل جهادى ، وحقى الذى صار لى طوعاً عـن آبائى وأجدادى ، عن بيعة لم يحل عقدتها الدين ، ولا نبوت جرحة تشمين ، وأنا قد قرعت باب الله سبحانه بتأميلك ، فـالتمس لى قـبولك ، وردنى إلى وطنى عـلى أفضل حال ، وأظهر عليّ كرامتك التـى تشد إليهـا ظهور الرحال ، فقد جعلت وسيلتى إليك رسـول الحق إلى جميع الخلق ، والسلام عليك أيها الولي الكريم ، الذى يأمن به الخائف وينتصف الغريم ، ورحمة الله تعالى . وقول (نفح الطيب) فليراجع فى الباب الثامـن الخ اعله تحريـف من الناسخ ، فانه لم يذكرها فى الباب الثامن وإنما ذكرها فى الباب السابع بموحدة ، قال فيه فـى صحيفة 354 من الجزء الرابع فـى ترجمة ابن زمرك : وكـان الغني بالله يعنى ابن الأحمر معتقدا فى الصالحين ، حتى أنه كتب وهو بفـاس مخلوع إلى ضريح وليّ الله سيدى أبى العبـاس السبتى بمراكش مـن إنشاء وزيره لسان الدين عـلى لسانه (ياوليّ الالاه أنـت مطاع) الأبيات والنثر بعـدها ، وقد ذكرتهما فى الباب الخـامس فراجعه ، وكـان بفضل الله تعالى عنوان رجوعه إلى ملكه ، ونظم تلك الأماكن فى سلكـه ، حتى حصل له من السعد ما لم يحصل لغيره حسبما يعلـم ذلك من كلام لسان الدين ابن الخطيب وابن زمرك وغيرهما ، والسبتيّ المذكور ، هـو سيدى أبو العباس أحمد بـن جعفر الخزرجى الوليّ الصالح العالـم العارف بالله القطب ذو الكرامات الشهيرة، والمناقب الكثيرة، والأحوال الباهرة، والفضائـل الظاهرة ، والأخلاق الطاهرة ، نزيل مراكش وبها توفي سنـة إحدى وستمئة ، وولادته بسبتة عـام أربع وعشرين وخمسمئة ، ودفـن خارج مراكش ، وقبره مشهور مقصود باجابـة الدعاء ، وقد زرتـه مـراراً كثيرة ، فرأيت عليه من ازدحام الناس ما لا يوصف ، وهو ترياق مجرب .

قال لسان الدين ابن الخطيب رحمه الله تعالى كان سيدى أبو العباس السبتى رضي الله تعالى عنه مقصوداً فــي حياته مستغاثاً به فى الأزمات ، وحاله من أعظــم الآيات الخارقة للعادة ومبنى أمره عــلى انفعال العالم عن الجود وكونــه حكمة فى تأثير الوجود ، له فى ذلك أخبار ذائعة ، وأمثــال باهرة ، ولما توفي ظهر هذا الأثر على تربته ، وتشبث بلحده وانسحب على مكانه عادة حياته ، ووقع الاجتماع على تسليم هذه الدعوى وتخطى النــاس مباشــرة قبره بالصدقة إلى بعثها له من أماكنهم عــلى بعد المدى وانقطاع الأماكن القصوى ، تحملهم أجنحة نياتهم فتهوى إليه بمقاصدهم من كل فج عميق ، فيجدون الثمرة المعروفة ، والكرامــة المشهورة وقال ابن الزيات الخ ثــم قال فى (نفح الطيب) ما نصه : وقــال ابن الخطيب القسمطينى فى رحلته : حضرت عند الحاج الصالح الورع الزاهد أبى العباس أحمد بــن عاشر بمدينــة سلا وقد سأله بعض الفقراء عن كرامة الأولياء فقــال له لا تنقطــع الكرامة بالموت ، انظر إلى السبتى يشير الى الشيخ الفقيه العالم المحقق أبى العبــاس السبتى المدفون بمراكش ، وما ظهر عند قبــره من البركات فى قضاء الحاجــات بعقب الصدقات ، سمعت يهودياً بــمراكش يلجأ لذكره وينادى باسمــه فى أمر أصابه مع المسلمين ، فسألته عــن سببه فأخبرنى أنه وجد بركته فى غير موطن ، فسألته عما بدا له فى وقت ، فقال لى وحق ما أنزل عــلى موسى بن عمران ما أذكر لك الا ما اتفق لى ، سريت ليلة مــع قافلة فى مفازة فعرجت دابتى فما شككت فى قتلى وسلــب مالى ، فجلست وبكيت وبينى وبين الناس بعد ، وقلت ياسيدى أبا العباس خاطرك قال لى والله ما أتممت الكــلام إلا والقافلة أصابهم سبب وقفــوا به ، وضربت دابتى وخف عرجها ثم زال واتصلت بالناس ، فقلت له ولم لا تُسلم ؟ فقال لى حتى يــريد الله تعالى وعجبت من كون ذلك اليهودى وهــذه شهادة من عدو الدين ، ولقــد وقفت على قبره مرات ، وسألت الله تعالى فــى أشياء يسر لى فيها سؤالى منها أن أكون ممــن يشتغل بالعلم ويوصف به ، وأن ييسر عليَّ فهمَ كتب عينتها ، فيسر الله تعالى علي ذلك فى أقرب مدة ، وكان السبتى آية فــى أحواله ما أدرك صحبته إلا الخواص من الناس ، وكان

أصل مذهبه الحض على الصدقة ، وكان أمره عجباً في إجابة الدعاء بنزول المطر واختصاصه بمكان دون آخر ، وقال لأصحابه أنا القطب ، وكان تفقه على أبي عبد الله الفخار ، ووقفت على قبره وله بركات وأنوار ، وكان السبتي آية في المناظرة وأوذي باللسان كثيراً جداً فصفح وتجاوز ، ورأى عبد الرحمان بن يوسف الحسني النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال له يارسول الله ما تقول في السبتي ؟ قال وكنت سيء الاعتقاد فيه فقال لي بعد أن تبسم هو من السباق ، قال فقلت بين لي يارسول الله ؟ فقال هو ممن يمر على الصراط كالبرق ، قال فخرجت بعد الصبح فلقيني أبو العباس فقال لي ما رأيت وما سمعت والله لا تركتك حتى تعرفني ، فعرفته فصاح كلمة الصفا من المصطفى صلى الله عليه وسلم هـ . ببعض اختصار . وقال ابن الزيات الخ .

ثم نقل في (نفح الطيب) ما نصه : وقال ابن الخطيب وروضته بباب تاغزوت أحد أبواب مراكش غير حافلة البناء ربما يتبرع متبرع باحتفالها فلا تساعده الأقدار ، وزرتها فرأيت فيها أشياخاً من أهل التعفف والتصوف يسارقون خفية النظر إلى مساقط رحمات الله تعالى عليها لكثرة زائريها فيقحم ذو الحاجة بابها خالعاً نعله مستحضراً نيته ويقعد بازاء القبر ويخاطبه بحاجته ويعين بين يدي النجوى صدقة على قبره ويدسها في أواني في القبر معدة لذلك ، ومَن عجز عن النقدين تصدق بالطعام ونحوه ، فاذا خف الزائر آخر النهار عمد القائم الى التربة الى ما أودع هناك في تلك الأواني وفرقه على المحاويج الحافين بالروضة ويحصون كل عشية ويعمهم الرزق المودع فيها وان قصر عنهم كملوه في غده ، قال ابن الخصيب لسان الدين وترافع خدام الروضة لقاضي البلد وتخاصموا في أمر ذلك الرزق المودع هناك فسألهم القاضي عن خرجه اليومي فقالوا يحصل في هذه الأيام في اليوم الواحد ثمانمئة مثقال ذهباً عيناً وربما وصل في بعض الأيام لألف دينار فما فوقها ، فروضة هذا الولي ديوان الله تعالى في المغرب لا يحصى دخله ولا تحصر جبايته ، فالقبر يفيض ، واللجين يسيل ، وذو الحاجات كالطير تغدو خماصا وتروح بطاناً ، (يختص برحمته

مـن يشاء ، والله ذو الفضل العظيم) وقال وانا ممن جرب المنقول عن القبر فاطرد القيـاس وتزيفت الشبهة وتعرفت من بدء زيارته ما تحققت من بركاته وشهد عـلى برهان دعوته هـ . وقال الشيخ أبو الحجاج التادلى الخ ثـم قال في (نفح الطيب) ما نصه : وحدث إبراهيم بن أبى يعمور أنه دخـل صحبة الشيخ سيدى أبى العباس السبتى الى الأمير السيد أبى سعيد عثمان يعوده فقـال له أدع الله لى أيها الشيخ ، فقال له ارجع الى الله تعالى حق الرجـوع بحيث تتحقق أنـه الممرض والمعافى واخرج عن بعض ما عندك مـن فضول الدنيا لأبناء الجنس لتكون ممن وقي شح نفسه فحينئذ يحصل لك ما ترجوه من الـدعاء ثم التفت الى الحاضرين وقال فى المرض فوائد لا ينبغى أن تجهل الأولى معرفة قدر العافية، الثانية تمحيص بعض الذنوب ، الثالثة توقع الثواب، الرابعة تنقية الجسم مـن فضول الأخلاط ، الخامسة كثـرة ذكر الله تعالى والتضرع اليه ، السادسة حدوث الرقة والشفقة ، السابعة وهي العظمـى الصدقة والخروج عن رذيلة البخل هـ .

وحدثنا الكاتب أبو القاسم بن رضوان عـن أبى بكر بن منظور عن بعض أعيان مراكش إنه توفي وأوصى ابناً له كـان من أهل البطالة أن يعمد الي ألف دينار من متخلفه فيدفعهـا للشيخ سيدى أبى العباس السبتى وقال للشيـخ إن أبى توفي وأوصانى أن أدفـع لك هذه الألف دينار تضعها حيث شئت ، فقال له الشيخ قـد قبلتها وصرفتها إليك ، فقال له ياسيدى ومـا تأمرنى أن أفعل بها قال خدها قال فانصرفت من عنده وسؤت ظنـاً بقولـه ، ثم قلت وأنا أنفق مثل ذلك على عادتى فى الوجه الذى يَلذ لى ، فلأفعلن بها ما أفعل بغيرها ، فأخذتها فى محفظة وخرجت ألتمس الزنا فاذا امرأة عـلى دابة وغلام يقودها فـأشرت الى الغلام فقال لى نعم واتبعنى الى بستان لى ، فنزلت المرأة فأدخلتها إلى قبة كانـت فى البستان وأخذ الغلام الدابة وصار إلى ناحية وقال أغلق الباب ففعلت ثـم أقبلت الى القبة فـاذا المرأة تبكى بكاء شديداً حتى طال بكاؤها وبكيت لبكائهـا فقلت لها ما شأنك ؟ فقالـت إفعـل ما دعوتنى لأجله ودع عنك هذا ونحيبها يزيد ، فقلت لهـا إن المعنى الذى دعوتك لأجله لا يصلح معه البكاء ، بـل مع الأنس وانشراح الصـدر

وزوال الانقباض ورفع الخجل ، فقالت نترك البكـاء ونرجع للأنس على ما تحب ويوفى غرضك ، فقلت لا حتى أعلـم سببَ بكائك وألححت عليهـا ، فقالت أتعـرف حاجب الملك الذى سجنه ؟ قلت نعـم ، قالت فأنا ابنته ولم يبق له أحد غيرى وقد سجنه الملك وأخذ أمواله فما زلت أبيع ما ترك أبـى وأنفقه عليه حتى لم يبق بيدى شيء ، فلما أعيتنى الحيلة فيمـا أنفقه ألجأت نفسي ووقفت هـذا الموقف وأنا بكر ما رأى لى أحـد وجهاً قط ، فرميت لها بالألف دينار وقلت لها والله لا قربت منك على هذا الوجه أبداً ، فأنفقى الدنانير عـلى والدك الى أن تنفد وابعثى لى غلامك أعلمه بمنزلى ولازمى دارك واستمـرى على صيانتك والا فضحتك ، وتريننى والله ما أزال أبيع أملاكـى وانفقها عـلى والدك حتى أموت أو يفنى كل ما أملكه ، ثـم خرجت ألتمس الغلام واذا بجماعة يطلبون البنت وقالوا إن الملك رضي عن والدها ورد عليه ضياعه وأملاكـه ووصله بعشرة آلاف دينار ، وقعد يلتمس بنته فلـم توجد ، فسقط فـى يد الغلام الذى كان مع الدابة وظـن أن الأمر على ما جرى بينى وبين البنت ، فبادرنه وقلت لـه لا عليك فتجاهل فـى خبرها حتى ينصرفوا، ودخلت إلى البنت وقلـت لها إن الملك قد رضي عن والدك ورد عليه مالـه ووصله ، فسيرى الى دارك فركبت دابتها وانصرفت فدخلت عـلى والدها فقال لهـا أين كنت ؟ وما الذى أخرجك عن دارك وهم بهـا ؟ فقالت له أخرج عنى كلُّ مَن فى الدار ففعـل ، فأخبرته أمرها مع الشاب مـن أوله الى آخره، ورمت إليه بالألف دينار ، وقالت له هذا الذى أعطانى لأنفق عليـك ، فقال أبوها هذا والله الكبـريت الأحمر ، والله لو كان أبوه كنافاً ما أنفت أن ازوجك منـه ، فوجه العبد الذى كان معها إلى الشـاب ، وقال له إن سيدى يدعوك ، قال فخفت أن يوضع عنـده الأمر على غير وجهه ، ثم أقدمت إقدام مَن علـم براءة نفسه فدخلت عليه فقام عـلي وعانقنى وقد عرف لى مقامى ، فقـال أما الآن وأنت من أعيان الناس فقد قرتْ بـك عينى ، وقال والله لو كـان أبوك كنافاً ما أنفت أن أزوجك منها ، فما قام مـن المجلس حتى وجه الى العدول وأشهد عـلى نفسه بأنه زوج ابنته فلانة من هذا الشاب ونقدهـا عنه الشطر الأول من العشـرة آلاف دينار التى وصله بها الملك وأجل لها عنـه

الشطر الثانى وأهدى لها من الحلي كذا وكذا ومن الثياب كذا وكذا حتى أتى على أكثر أملاكه حتى أنفقها على ذلك ، فحصل من إشارة الشيخ السبتى رضي الله عنه فى تلك الألف دينار أضعاف مضاعفة من الأموال وظفر ببنت صاحب الملك هـ . كلام (نفح الطيب)كله فى ترجمة الشيخ السبتى محذوفاً منه كلام (التشوف) لا غير .

وقال فى (كفاية المحتاج) : أحمد بن جعفر الخزرجى أبو العباس السبتى الولي الزاهد الغوث العارف بالله تعالى ، ذو الكرامات الظاهرة ، والأخلاق الطاهرة ، نزيل مراكش ، وبها توفي ، وقبره بها مجرب الاجابة والبركة ، زرته ما ينيف على خمسمئة مرة وجربت بركته مراراً هـ . نقل فى ترجمته عن ابن الخطيب وعن ابن الزيات وقد ترجم لنفسه فى آخر (الكفاية) وقال وقال بلدينا فى (الصفوة) ما نصه : فى ترجمة سيدى أحمد بابا السودانى بعد أن ذكر أنه رأى بخطه : رزته أي أبى العباس السبتى أزيد من خمسمئة مرة ، وكانت عنده بطاقة مختوم عليها اذا جاء للقبر يضعها عليها فيقول إنى أسألك ما فى هذه البراءة لأنه قد يحضر له بعض الملازمين ، وإذا كان يوم الجمعة لا تشاء أن تلقاه فى أي ناحية من المدينة إلا لقيته يطلب المزارات الكامنة ، واستخرج منها عدة من شدة اعتنائه ، وفى (نزهة الحادى) أن الشيخ الغوث سيدى أبا العباس السبتى رضي الله عنه رئي فى غزوة وادى المخازن جهاراً على فرس أنثى وهو يحضّ الناس على التقدم ، ولا يستنكر هذا فان الشهداء أحياء عند ربهم هـ .

وقال الشيخ زروق فى (عدة المريد) ثم بساط كل أحد فى ظهور كرامته على حسب حالته ، ومن ذلك انتفاع الناس بالسبتى رحمه الله فى باب العلل أكثر من غيره ، وجرت عادة الناس بالنذر لمقابر الصالحين ، وقد تكلم على ذلك الأيمة ، وظاهر كلام ابن عروفة جوازه . وقال فى (الصفوة) ما نصه : ومنهم الولي الشهير أبو عمران موسى بن علي المقعد المشهور على ألسنة العامة بالزحاف كان من الأفراد ومن سلمت بركته وثبتت كرامته ، وكان أصل أمره أنه نشأ وهو زمن وكانت له

أخت تحمله عـلى ظهرها الى موضع يتعرض فيه للسؤال ، فاذا جـن الليل حملته الى منزله فتركته ذات يوم اما ذهلت عنه وإما ملت من حمله ، فلما عسعس الليل مرَّ عليـه جماعة من الناس فظن أنهم من الأحياء فتعـرض لهم بالسؤال عـلى عادته فمروا ولم يلتفتوا لـه إلى أن قام رجل من أخرياتهم فقال لهم كيف أعرضتم عن هذا السائل ولـم تكترثوا به ؟ فقالوا لـه حين نبهتنا فأنت أولى مَن يقوم بواجبه ، فيقال إنه تفل فى فيه ،.وقيل انه أعطاه روحانيا وقال له هذا يتولى أمورك ، وقـال أنا أبو العباس السبتي فأصبـح أبو عمران وقـد خفقت على رأسه رايات الاشتهار وظهرت عـلى أسرته مخايل الأسرار ، وعـاد يحدث بكشوفات وأمور المغيبات فتظهر كفلق الصبـح ، فقصده الناس مـن كل جانب وازدحموا على زيارته من كل جهة ، وكراماته شهيرة توفي رحمه الله فـى عشرة السبعين ودفن داخل باب الدباغ بالباب الشرقي من مراكش ، ثـم قال ومنهم الفقيه المشارك أبو العباس أحمـد ابن الفقيه الموقت أبى عبد الله محمد الولتى المراكشى إمام أهل التعديـل والميقات فى وقته ، وكانـت له اليد الطولى فى علم الازياج والحدثان ، أخذ عن أبيه ، وكان عارفاً بهذا الشأن ومن المهرة فيه ، وكان أبـو العباس يحدث أن أباه حضر فى بعض الأندية يوماً فجرى ذكر علم الرصد والأحكام ، فقـال لهم ان الرجل اليـوم ليقدر أن يستعمل ما يتوصل به لابقاء الدول والمماليك إلى قيام الساعة ، فعزم على العناية بذلك ، فرأى فى نومه أنه حمل ليقطع رأسـه وهو ينادى هذا جزاء مَن يطلع عـلى حريم السلطان ، فلما كـان بالمجزرة المعدة للقتل اذا بالشيـخ أبى العباس رضي الله عنه جاء فقـال لهم اتركوا هذا الرجل عنكم فانه كان مدحنى بقصيدة فخلوا سبيله فانتبه مرعوباً وكان قـد مدح قبل ذلك بسنين أبا العباس السبتى بقصيدة ، وكان صار صاحب الترجمة كأبيه موقتاً بجامع الحرة .

وقال العلامة سيدى محمد بـن موسى الناصرى فى كتابه (الـدرر المرصعة فى التعريف بصلحاء درعة) ما نصه : وله أي العلامـة الافرانى صاحب الصفوة أيضاً حسبما أنشدنيها بعض الطلبة يمدح القطب أبا العباس السبتى رضي الله عنه :

إن ترد نيل الأمانـــــي | فى سرور مع تهــــان
أو تكن فى ضيق حـــال | من ملمات الزمـــــان
زر أبا العباس تظفـــر | دون شك بالامانـــــى
فهو غوث الناس طـــرا | فى عراق مع يمـــــان
وهو سر الله فينـــــا | ما له فى السر ثانـــــى
أعطِي التصريفَ حقـّاً | فى الورى انس وجـــان
وكساه الله عـــــزا | عند قاصيهــــم ودان
وله فى الأرض صيـــت | زاده تعظيم شـــــان
انما السبتيُّ ذخـــــر | ومـــلاذ للمعانـــــى
انما السبتيُّ كنـــــز | ليس بالانفاق فـــــان
انما السبتيُّ بحـــــر | ليس يفنى بالأوانــــى
يا أبا العباس جد لـــى | واكفنى ما قد عنانـــى
واقض حاجاتى وصنـــى | من عدو قد رمانـــــى
يـــا وليَّ الله داوى | علتى طال امتحانـــى
للهوى أصبحت عبــــدا | والهوى أصل الهـــوان
أطلب الدنيا وقلبـــى | من هواها فى افتتـــان
لا أنام الليل حزنـــا | ان يضع لى درهمـــان
واذا من دينى شـــىء | ضاع بات القلب هانـــى
كل طاعاتى ريـــــاء | أو نفاق باللســــان
يا وليَّ الله هـــــذى | قصة العبد المهـــان
فاشفه مما اشتكـــاه | دون بطء أو تـــوان
وصلاة الله تتـــــرا | دائماً فى كـــــل ءان
مع تحيات على مَـــن | جاء بالسبع المثانـــى

وقال العلامة الهداجي فى (الروض اليانع الفائح) ما نصه • ومن بركاته يعنى سيدى الصـالح ما حدثنى به سيدى المعطى أيضاً أدام الله وجوده عـن الرجل المذكور اعلاه أيضاً وهو أخونا علي بن عامر قـال يعنى سيدىالمعطى بقي الرجل يعنى ابن عامر المذكـور بجوارنا الى أن وقـع

التكساب فرحـل لمراكش واستوطنها ثم لما أمر من لـه الأحكام بالمدينة المذكورة بالخدمة فى الصهـريج الكبير ولحق أهل مراكش بسبب ذلك كلفة عظيمة ترك الرجل المذكـور أولاده بالمدينة المذكورة وقدم برأسه لأبـى الجعد فراراً من تلك الكلفة فبقي فيه نحو السنتين ، ثم أراد الرجوع لأولاده فقال للشيخ سيدنا الصالح ان كانت لـك معرفة بأحد هنالك أردت أن تكتب لى اليه وصيـة علي ، فقال له الشيخ نعم أكتب فلما عزم عـلى السفر كتب له كتاباً للشيخ الجليل العارف الكامل الأصيل سيدى أبى العبـاس السبتى نفعنا الله به ودفعه اليه وقـال له هذا الرجل ، وصل هذا الكتاب إليه ، قـال فلما وصلت للمدينة قبضنى أهـل الخدمة بمجرد دخولى وأدخلونى السجـن الى أن دفعت لهـم الأربعة مثاقيل ، فقلت فـى نفسى هذه وصية الشيـخ علي ، ثـم لما خرجت من السجن وأنا سائر لدارى ليلا فاذا برجل ينـادى علي يافلان ، فالتفت اليه فناولنى صرة ولم أجده ففتحها فاذا فيهـا العدة التى أعطيتها لأهل الخدمة من بركاته نفعنا الله بـه ، قلت وهذ مقامهم رضي الله عنهم فى اخفاء السر وعدم افشائه ، فقد كان بعضهم يسأل ربه أن يبره ويكرمه ، فقام ليلة لاحيائها ، فنظر اليه بعض أصحابه فرأى فوق رأسه قنديلا معلقاً من النور بشعاع لناظريه فقال له فى ذلك فقال :

ياصاحب السر إن السر قد ظهرا ولا أريد حياة بعدما اشتهـــــرا

ثم سجد فقبض فى سجوده رضي الله عنه ثم قال بعد ذلك بكراريس

ومـن كراماته نفعنا الله به ما حدثنى به الفقيه الاجل الدين الخير الأمثـل محبنا فـى الله عز وجل سيدى أحمد الفتوح رحمه الله تعالى قال أخبرنـا الشيـخ سيدنا الصالح نفعنا الله به أنه رأى رؤياً فى صغره وقصها عـلى والده الولي العارف الجليل سيدى محمد المعطى فـى حياته وذلك أنه قـال كنـت نائماً فرأيت الشيخ أبا العباس السبتى جـاء راكباً على فرس عال مع جماعة من الصالحين وهـو فى وسطهم كالمنار من شدة علوه ، فقـال لى قل لوالدك يتكلم الى الملك وفتـح تكة السروال وأخذ يوسعها حتى صارت مقدار الدنيـا كلها وقال لى هنالك درجة لا تنال إلا بالبلاء ، فلما قصصتهـا عـلى والدى قال نعم ياولدى نتكلم الى الملك فأخذ فى التجهيز وعـلى أهبة

السفر الى مراكش حرسها الله وأخذ كفنه معه فمات فى تلك السفرة رحمة الله عليه ودفن بباب الدباغ وقبره بها معروف وبدفع الاسقام مشهور مألوف، وقد كان رضي الله عنه بعث فى حياته للشيخ البركة المقتدى به فى السكون والحركة سيدى محمد بن ناصر الدرعي يسأله يبعث له كفناً سنياً لنفسه يعده ليوم حلوله فى رمسه فبعث له الشيخ ثوب احرامه مبالغة فى تعظيمه واكرامه ، وقال له رضي الله عنه كنت ادخرته لنفسى وأنا آثرتك به عليها وبه كفن رضي الله عنه ثم بعد وفاته ظهرت على ولده المذكور الأغر المبرور صاحب الرؤيا أعلاه أشرق الله فى سماء المعالى أقماره وسناه أسرار الخصوصية ومازال والحمد لله يترقى فى درجات المحبوبية الى أن ظهرت عليه إمارة العارف الكبير والعالم الشهير سيدى أبى العباس السبتى المذكور أولا فنزلت بجسمه الكريم علل كثيرة هي بفضل الله بنيل الدرجات كفيلة تزيد على الخمسين مع الصبر والرضى والتسليم لمن بيده الأمر والقضا ، هـ . واعلم أن هذه الرؤيا كررها فى الكتاب المذكور ثلاث مرات وذكرها أيضاً فى (يتيمة العقود الوسطى) وراجع قصائد فى (الروض اليانع الفائح) فيها ذكر التوسل بالشيخ أبى العباس السبتى وغيره من صلحاء مراكش كالقاضى عياض والامام السهيلى وغيرهما ، وقضية الطيور التى أعطاها شيخه للصبيان مع سكين وطير لكل صبي فذبحوا كلهم حيث لا يراهم أحد كما أمرهم الشيخ الا أبا العباس رضي الله عنه فانه رد الطير قائلا ما من موضع الا رأيت ربى فيه يرانى المتقدمة عن (المعزى) ذكرها أيضاً الشيخ سيدى أحمد بن مبارك فى (الابريز) ، وكذا الشيخ جسوس على (الرسالة) عند قولها وهو فى كل مكان بعلمه وان لم يعين الشيخ جسوس الصبي فقد عينه غيره .

وقال الفقيه سيدى محمد بن عبد الكريم العبدونى فى (يتيمة العقود الوسطى فى مناقب أبى عبد الله سيدى محمد المعطى ومناقب أبيه سيدى محمد الصالح الطيب الشيم والخطا ، ومناقب آبائهما وأجدادهما المشهورين صلحاء المغرب بالولاية والصلاح وكمال التصرف فى الأخذ والعطا) حاكياً عن الشيخ سيدى المعطى شيخه فيما قاله فيه ما نصه : وأنت معى

كالشيخ أبى العباس السبتى مع سيدى مسعود هـ . وسيدى مسعود هذا هو خديم الشيخ أبى العباس المشهور على ألسنة الناس انه صاحب الدار المتقدمة عن (المعزى) بإبهام اسمه .

وقال فى (اليتيمة) أيضاً وقد ذكر الشيخ الامام رئيس الأيمة الاعلام سيدى الحسن بن مسعود اليوسى فى بعض تآليفه يعنى (المحاضرة) مَن لهم التصرف فى المغرب بعد وفاتهم ثلاثة : الشيخ أبو العباس السبتى والشيخ عبد السلام بن مشيش بفتح الميم وفى رواية بشيش بالباء ذكرها الشيخ أحمد زروق فى شرح الصلاة المشيشية ، والشيخ أبو يعزى يلنور ابن عبد الرحمان الهسكورى وفى رواية الفرجى ذكره سيدى أحمد بن قاسم الصومعى التادلى فى بعض تآليفه يعنى (المعزى) ، أما الشيخ أبو العباس السبتى فله التصرف فى أمور الدنيا والله أعلم ، وأما الشيخ عبد السلام بن مشيش ففى أمور الآخرة ، وأما الشيخ سيدى أبو يعزى ففى أمور الدنيا والآخرة ، ثم قال بعد ذلك هذا فى الغالب فقط هـ .

وقال فى (اليتيمة) عن الشيخ الأكبر سيدى المعطى صاحب (الذخيرة) التى فى نحو ستين مجلداً كما فيها ما نصه : وقد سمعت منه بعض الأيام وهو جالس مع الفقهاء أنه قال للفقيه المحترم الوجيه المعظم أبى العباس سيدى أحمد بن محمد الشاوى الزرارى فى حال المباسطة مسكين مسكين سيدى أحمد الشاوى يظننى أنى من فقراء هذا الزمان وأنا لست كذلك ، بل أنا من أقران الشيخ أبى العباس السبتى والغزالى وأمثالهم ان حللت فمى يبقى فك حنكى الأسفل فى الأرض ويصل الأعلى الى السماء قلت والأولياء لا يمازحون ، بل كل ما قالوه حق لأنهم على قدم النبوة ، والنبي صلى الله عليه وسلم كان يمازح ولا يقول الا حقاً هـ . وقضية أهل وهران المتقدمة عن (المعزى) ذكرها فى (اليتيمة) بمخالفة يسيرة ونسبها لمن ألف فى مناقب الشيخ أبى العباس رضي الله عنه .

وقال شيخنا العلامة، أبقاه الله بالسلامة (1) فى (سلوة الأنفاس) فى 55

1) يعنى الشيخ محمد بن جعفر الكتانى صاحب سلوة الأنفاس .

من الجزء الثالث ما نصه : ومنهم الولى الصالح الأنصح، العارف الأفلح، ذو القدم الراسخ وجبل الفضل الشامخ ، سبتي زمانه ، وفريد عصره وأونه ، المسن البركـة الواضح سيدى الصالح بن الحـاج محمد ابن الطيب البنانى كـان رحمه الله فاضلا صالحاً بـركة واضحاً حلو الشمائل جليل الفضائل يركـب على فرس أنثى ويدور فى الأسواق يسأل الأغنياء ويعطى الضعفاء والمساكين والفقراء ، وكان له فى الايثار والسماح والجـود القدم الراسخ والمكـان المحمود وظهرت لـه فى ذلك بركات وعجائب وكرامات حج رحمه الله مـع الشيخ سيدى الحاج العربى الوزانى ويحكى عنـه أنه لما وصل للمدينـة المنورة طلبَ من الله أن يريه المصطفى صـلى الله عليه وسلم يقظة فاستجاب الله دعاءه وحصلت له الرؤية المذكورة ولما اجتمـع به قال له يارسول الله أريد منك أن مَن خالطنى أو خالط ذريتى يعطى خير الدنيا والآخرة ، وقال له صـلى الله عليه وسلم هكذا يكون إن شاء الله ويذكر أنه اجتمع بالنبي صـلى الله عليه وسلم بالقرويين بسارية هنـاك قريبة من الثريا الكبيرة نحواً من ثمانين مرة مـا بين يقظة ونوم ، وكان يقول درهم سيـدى أبى العباس السبتى بعشرة ، ودرهمى بألف ومَن جرب أصاب ، ومَن كذب خاب ، مفاتيح الرجال التجاريب ، ويقول مَن وقف على قبرى قضيت حاجتـه ويقول أيضاً أعطانى الله عز وجـل التصرف حياً وميتاً وكثيراً ما كان أهلـه يصنعون الطعام فيجيء السائل فيخرجه إليه ويتركهم خالين بلاشيء ويرغبهم فـى ذلك حتى تنشرح نفوسهم ، وكـان الضعفاء والمساكين والفقراء يتواردون عليه منهم مَن يقول خصنى كذا ومنهم مَن يقول كذا فلا يرد أحداً منهـم خائباً يعطى ما عنده ويسأل ما ليس عنده ويعطيه لمن طلبه منـه ، كان الملوك يرسلون له بالعطايا الجزيلة ، ويفرقها ساعة وصولها بتمامها ، ولا يترك لنفسه ولا لأهلـه منها شيئاً مع احتياجهم ، والحكايات عنه فـى هذا لا تنحصر كثرة ، توفي رحمه الله عن سن عاليـة بعد أن مضى له من العمـر نحو من المئة عـام وعشرة أعوام يوم الاثنين رابع وعشري شعبان الأبرك عـام سبعين ومئتين ، ودفن قريباً من صاحب الترجمة قبله من ناحية بـاب قبته وقبره مزدج ليس عليه الآن بناء ولا غيره ، وحلف ولـده سيدى عبـد

القادر بناني فكانـت له أيضاً يد في الصدقة والمعروف ، وكان خيراً دينـاً صالحاً يتهمـه كثير بالخير والبركة وربما حدث بعضهم ببعض الكرامـات عنه وكان يأوي الى مولانا ادريس رضي الله عنه ويتردد الى ضريحه لزيارته ، توفي رحمه الله سابع عشر رمضان المعظم عام ستة وثلاثمئة وألف ودفـن قريباً من والده أمامه بينـه وبينه نحو مـن قبر واحد وقبره أيضاً مزدج .

(تنبيه) :

أبو العباس السبتي المذكور هو الشيخ الفقيه الامام العلامة الهمام العارف المحقـق الكامل المدقق أعجوبة زمـانه وفريد عصره وأوانه ذو الكرامات البينات التي لا تحصى والآيات البـاهرات التي لا تستقصى القطب الرباني والنور اللامع الساطع الايقاني أبو العبـاس سيدي أحمد بن جعفـر الأنصاري الخزرجي السبتي الأصل المراكشي الوفاة ولد رحمه الله بسبتـة سنة أربع وعشرين وخمسمئة ، ثـم انتقل منها لمراكش سنة أربعين وهـو ابن ست عشرة سنة فقطن بهـا وكان آية في أحواله له عجائب وغرائب فـي إغاثة الملهوف ، وأعماله كلها مبنية على الفتوح والصدقة والحث عليها ، وكان مجاب الدعوة وظهر على يده من الكرامات ما لا يحصى ، وكـان يقول لأصحابه أنا القطب ، تفقـّه على يد أبي عبد الله الفخار السبتي تلميذ القاضي عياض وكـان آية في المناظرة وأوذي باللسان كثيراً جداً فكان يصفـح ويتجاوز ، وشـِي به عند المنصور فأرسل وراءه فلما كان في الطريق اشترى رغيفـاً وتصدق بشطره عـلى انسان وبالشطـر الآخر على كلب ، فلمـا وصل الى السلطان قـال له ما الذي فعلت وكان قد أخبره بما فعل مـَن كان معـه ، فقال له أيهما أعظم ؟ غضبك أو غضب جهنم ؟ قال غضب جهنم ، قال فاذا كان غضب جهنم يتقى بشق تمرة فكيف بغضبك ، ورأى عبد الرحمان بن يوسف الحسني من أهل البيت الكريم النبي صـلى الله عليه وسلم قال فقلت يارسول الله ما تقول فـي السبتي وكنت سيء الاعتقاد فيه إلى آخر القصة المتقدمـة ثـم قال وكراماته بعد وفاته مثلها في حياته أو أكثر ر الدعاء عند قبـره مستجاب وقضاء الحاجات لمن ينذر له شيئاً من الصدقات أمر مستفيض حتى

عند كثير من اليهـود والنصارى ، ومناقبه جمة وقد أفردت بالتـأليف رضي الله عنه ونفعنا به هـ . أفردها الناس بالتأليف من عصره إلى هلم جراً وممن أفردهـا بالتأليف العلامة البوجمعوى فى نحو خمسة عشر كراساً شحنهـا بقصائد الأمداح ، وقال القاضى أبو بكر فى تقييده ومناقبه وكراماتـه رضي الله عنه لا تحصى منها جملة فى (التشوف) وجملة وقفت عليها فـى تقاييد فقيدتها بيدى فى غير هذا فلا نطول بهـا ولو أفشيت ما وقع من كراماته فى خصوص نفسى لجعلت ذلك كراريس متعددة لكن الغرض من هذه العجالـة انما هو ذكر وفيات سبعة رجال فقط كما قدمنا أولا .

وقال فى (المجد الطارف) فاذا وصلت مقام الشيخ يعنى أبا العباس السبتى فانك تجد بالباب عن يمينك فى مصراعه هذا البيت مكتوباً بالتزليج:

على بابنا قف عند ضيق المناهـج   تفوز بأعلا القدر من ذى المعـارج

وفى المصراع الثانى على اليسار :

ألم تر أن الله أسبغ نعمـــــة   علينا وأولانا قضاء الحوائـــج

وقد ضمنت معنى هذين البيتين فى بيتين من قصيدة فائية امتدحته بها فقلت أخاطبه :

وعند ضيق مناهج ببابكـــــم   مسطر شارح صدر الذى وقفـــا
والله أسبغ نعماه عليـــــك وأو   لاك الحوائج تعظيما بغير خفـــا

ثم قال بعد كلام ولنا معه أمور باطنية ذكرناها فـى ترجمته يعنى السبتى رضي الله عنه من كتاب (الارتجال) .

قال مقيده عباس وقاه الله من كل بأس ذكر لى الشريف الوجيـه الفقيه النبيه المذاكر الثقة سيدى الحاج عبـد السلام اليعيشى أنه سمع من الفقيه العـلامة سيدى العربى بن عبـد الله الادريسى اليعيشى الـذى كان قاضياً ستين سنة عـلى بنى مسكين وتادلة والسراغنة أن شيخه الولـي

الصالح سيدى العربى بن الولي الكامل سيدى المعطى صــاحب (الذخيرة) قال لــه أنت صاحب السلطان وبين له أن المقصود به الشيخ أبــو العباس السبتي ، فصار سيدى العربى القاضى المذكور يزور أبــا العباس كل سنة ويجد قبته كديوان السلطان فيه أرباب الخطط ، مات القــاضى المذكور فى أوائل العشــرة الأخيرة من القرن الثالث عشر كما ذكر لى أنه أخرج لــه شاشية وقال انها للشيخ سيدى العربى أعطاها له وكــانت فى محل واحترق ولم تحترق هي وانه خاطبه فى بعض الأيام بلفظة القاضى ولم يكــن إذ ذاك قاضياً فقال له لا أراك الا قاضياً فكان كذلك ويذكر عن سيدى العربى بــن المعطى أنه رأى الشيخ أبا العباس السبتى ماداً يده للزائرين يقول أعطونى ، وفى مناقبه ألف حفيده الفقيه سيدى الحاج العربى بن داوود كتابه المسمى بــ (الفتح الوهبي ، فى مناقب الشيخ سيدى العربى) ، وقال سيدى العربى الشرقاوى المذكور نفعنا الله به :

حقــق الله ظـــــن حــــب ودود	أجاد مدحه لنا وأطــــــــــــالا
ظن انى من الذين أطاعــــــوا	والضد دابهم مقالا وحــــــــالا
والبكا والدعاءُ فى الليل شــــأن	لهم لم يزل سواه محــــــــــالا
غير أنى بحال نفسى عليــــــم	لست أطمع أن أنال محــــــالا
بل أنا عبدهم وانى محــــــــب	بهم أرتجى أنال الكمــــــــالا
حبهم مذهبى وفرضى ونفلـــــى	وهو فى القلب كامن لن يــــزالا
حيثما خيموا فخديَّ نعْــــــل	لهمُ وبذا أنال الوصـــــــالا
سيما سبعة رجال كـــــــرام	بمراكش قد أناخوا الرحــــــالا
قد حباهم إلاهُهم كلٌّ فضــــل	وكساهم بين الأنام جــــــلالا
صاحب الغار سيدى ابن علـــي	يوسف من إلى المعالى استطـــالا
وأبو المفضل من شفا بشفـــاه	كل قلب الى المعارف مـــــالا
والشيخ أحمد الذى هو يدعـــى	أبا العباس فى المواهب جــــالا
والشريف الامام نجل سليمـــا	ن الذى نوره هنا يتـــــــلالا
والسيد التباع ذو الفضل والسؤ	دد الذى من علا منه نــــــالا
والغزواني ذو المفاخر والمجـــــ	ـــد الذى فى الورى به قد صـــالا

والسهيلي ذو المكارم والعلــــــ ... ــم الذى عنه دائماً ما مــــــالا
نورهم طالع على كل أفـــــق ... يخجل البدر مشرقا والهــــلالا
انى وحقهم محب علاهـــــــم ... وفى مدحهم أجيد المقــــــالا
ليتنى كنت زائراً كل وقــــت ... لهم والسرور لى يتـــــــوالا
فلتجد أيها المحب علينـــــا ... بالدعا عندهم وخل المطــــالا
والله يمنح الجميع رضاهــــم ... فرضاهم يزين الأحـــــــوالا
والله يختم الأمور بخيـــــــر ... للجميع ويذهب الأهـــــوالا
بالنبيء الرسول خير البرايـــا ... مَن به ربنا العثار أقــــــالا
وعليه من العبيد صــــــــلاة ... تمنح رحمة الالاه تعالـــــى

وهي أربعة وعشرون بيتاً قيدتها كما وجدتها بخطي منذ أزمـان ، وراجـع (كشف الظنون) فى الكلام على الزايرجة ومقدمة ابن خلدون فيهـا وصحيفة تسعة ومئتين من الجزء الأول من (الاستقصا) .

ثم اعلم أن من كرامات أبى العباس السبتى رضي الله عنه أن بعض مَن كـان يمد يده فى مال الربيعة رآه مناماً خرج من القبة فيلا عربياً وصـار يضربه عـلى بطنه ويستغيث به المضروب ويقول له إنى أعرفك خيـراً فلا يلتفت إلى كلامه ففى صباحه أصبح بطنه منتفخاً ومازال ينتفـخ الى أن مات بعـد نحو سبعة أيام بعد أن طولعت له (حياة الحيوان) ليعلم تعبير الرؤيا فرأى المطالع فيها ما يدل على موته وكتمه عنه ، ووقعت هذه القضية فـى شعبان عام 1316 أجارنا الله تعالى من مكره ، ثم إن الميت المذكور رءاه بعضهم بعد موته فى حالة حسنة والظن بالله تعالى جميل أن يعاملنـا بمحض فضله وكرمه ونص المقصود من (حياة الحيوان) ومن افترسه فيل نزلت به آفة من سلطان وان كان مريضاً مات هـ .

ورأيت بخط الفقيه ابن إدريس وزير أمير المومنين مولانا عبـد الرحمان رحمهما الله تعالى ما نصه :

الحمد لله ولكاتبه أيضاً عفا الله عنه على لسان أمير المومنين فى مدح قطب العارفين سيـدى أبى العباس السبتى واستمطار جدواه واستنشـاق نفحاته ورياه :

ذكر الاله ذخيرة الأكيـاس … ومطيب الخطرات والأنفـاس

وتقى المهيمن خير' ما ادخر الفتى … والعلم أفضل حلية ولبـاس

ومحبة الصلحاء سر ظاهـر … ووسيلة للقرب والاينـاس

حضراتهم قدسية وعلومهـم … وهبية من غير مـا دراس

وحماهم للملتجي والمرتجـي … أمن" ويمن" فى الندا والبـاس

أنسوا بأوصاف الحبيب وذكـره … وأداروا خمر الصدق فـى أكواس

قد عتقت قبل الوجود وروقـت … بالسر والاخلاص والقسطـاس

مَن ذاقها عاد الوجود باسـره … فى أسره وغدا الجميع مـواس

ويروح شاربها فريد زمانـه … فى العلم بالأصناف والأجنـاس

كم منتش رفض الوجود لأجلهـا … وغدا بحضرته من الجـلاس

ومتيم قد أسكرته وسالـك … نجته من هم ومن وسـواس

ملك الولاية لا يزول نعيمـه … والأولياء وسيلة الأكيـاس

فاقصدهم' تنل السعادة والغنـى … لاسيما الأرضى أبا العبـاس

سلطان مراكش ومظهر سرهـا … وضياؤها المغنى عن النبـراس

مولى المناقب كالثواقب قد بـدت … بسما المغارب دون ما إلبـاس

متصرف بالله فى قصـاده … يعلي ويخفض مَن يشا ويواسـى

بحر لعمرى بالمكارم زاخـر … تجرى عوارفه بغير قيـاس

غيث لأنواع البرية نافـع … غوث لأصناف العلا بـل ءاس

بدر بآفاق الولاية كامـل … جبل لعمرى بالمعـارف راس

ياسيداً قصاده فى رفعـة … وكرامة ومجانب فى يـاس

خرق العوائد عند قصدك ظاهـر … ونداك مورود بلا حـراس

ونزيل بابك بالمواهب فائـز … والملتجى لك بالمفاخر كـاس

كم حاجة قضيتها وكرامـة … أبديتها ومزية للنـاس

ولكم وضيع منكم نال العـلا … وفقير قد نجيت من إفـلاس

وأغثت كم من ضارع وأعنت كـم … من عاجز وألنت كم من قـاس

أيطيق حصر علاك مع إعجـازه … قلم يخط النقس فى قرطـاس

لكنما هذى المدائح تحفـة … تزهى الكريم وتوقظ المتنـاس

إنى قصدتك والرجا بك صـــادق ... ان تسعد الراجى لكم وتواســى
وتنيلنا من فضل ربك نفحــة ... تدنى القصيّ وتستلين القاســى
وتمدنا بعناية ورعايــة ... يهدى بها للرشد بعد شمــاس
وأروم من ربى صلاح عبــاده ... وهداهم للرشد والقسطــاس
وبكم أنال توصلى بتوسلــى ... فبجاهكم كل الأمانى تواســى
فاقبل وذد وارفع ودافع واعتنــى ... واعطف ووال المكرمــات وواس
يارب وفق كل خلقك واهدهــم ... وأزل حجاب الشك والاليــاس
واجعل خلافتنا عليهم رحمــة ... وسلامة وهداية للنــاس
ثم الصلاة على النبيّ وآلــه ... وصحابه أهل الندى والبــاس
ما فاح زهر الحمد فى روض الثنا ... فزرى عبير نسيمه بـالآس
وتنسمت روح القَبول مع الرضى ... أرواحنا حقاً بغير إيــاس
وترنم الداعى بمدحة صــادق ... ذكر الالاه ذخيرة الأكيــاس

انتهت بحمد الله .

وله أيضاً رحمه الله :

إنى نزيلك ياأبا العبــاس ... لا أبتغى بدلا بكم فى النــاس
باب المهيمن أنتم مَن حلــه ... لا يخش طول حياته من بــاس
تفنى الدهور وفضلكم لا ينقضــى ... للمعتفى من سائر الأجنــاس
ثبتت إغاثتكم لملهوف ومــن ... أزرى به مثلى الزمان القاســى
جار لكم يبغى العوائد لم تــزل ... معهودة بشهادة الاحســاس
حاشى لمجد علاكم حرمان مَــن ... بسط الأكف لما لكم فى الكــاس
خلف أتى يروى على سلف مضــى ... فضلا لكم لا ينتهى بقيــاس
دارك بلطف ياأبا العباس مَــن ... قد بات ساهر ليله العسعــاس
ذابت حشاشته بمطل قد أتــى ... منه على ضرب من الوســواس
رفض الوسائط ما عداكم فى الورى ... اذ أنتم للكل منه الــراس
زالت كروب المستغيث بجاهكــم ... يانخبة الابدال والاجــراس
طرز الولاية أنتم وعمادهــا ... وضياؤها المغنى عن النبــراس

ظنى بكم حسن وقصدى ان أرى ... بمراد منكم طيب الأنفاس
كسب المعالى أروم يابحر الوفا ... وكشوفكم تغنى عن القرطاس
لو لامنى اللوام فيها أجبته ... بحكاية تعزى الى مدراس
غوثاً على عجل لمن قد جاءكم ... يبغى قضاء مراده الوعاس
مفتاح باب الحاج عندك حاضر ... فافتح لحاج قبل رجف إلياس
أنزلت سؤلى فى فنائك أرتجى ... ما يرتجى مَن جاء للاكياس
قل هاك ياقوت الجمال ومثلكم ... يعطى اليواقت مع جلوس كراسى
مالى براح عنك ياغوث الورى ... حتى يغرق نيلكم مقياس
أنت المؤمل فى المقاصد والذى ... أبنى عليه فى الأمور أساس
دارك بعطف مرتجى أندائكم ... حتى يئوب بقصده المتناس
فلطالما حركت أرحاماً غدت ... من بعد عطف كالحديد القاس
ولطالما قرعت يدى أبواب مَن ... أرجو شفاءه كالطبيب الآس
حتى يئست فجئت بابك قاصداً ... يامَن يقود القصد بعد شماس
فاقت مآثرك الرمال فمَن لها ... بالعد يحصى ياأبا العباس
جد جد بعطف كامل ومكمل ... حتى يشيع ثناؤها فى الناس
واقبل مدائح مَن أناخ ببابكم ... قلق الفؤاد فأنت طود راس
هبت عليك من المهيمن رحمة ... يسرى سناها لساكن الارماس
ما أم بابك مَن تعسر أمره ... فأتاه ريح النصر بالايناس
ثم الصلاة على النبي وآله ... وعلى الصحاب العاطر الأنفاس

وله أيضاً :

تخذتُ محبةَ الصلحاء حصناً ... فنلت بحبهم عزاً وأمنا
وألبسنى سعودهم برودا ... من التوفيق نلت بهن يمنا
فانهم لفضل الله باب ... وبابهم لأهل الخير مغنى
ولاسيما أبا العباس من قد ... سما بين الورى حسا ومعنى
هو السبتى مشهور المزايا ... مواهبه على الصدقات تُبنَى
هو القطب الذى حاز المعالى ... ونال بربه عزاً وحسنى
هو الغوث المغيث لمَن دعاه ... وان بعدت منازله فحنا

هو البحر الزلال لوارديـــه فلا يلقون تكديراً ومنـــا
له سر التصرف فى البرايـــا بقولة كن فكم أغنى وأقنـــى
وكم ذى ذلة قد نال عـــزا وذى خفض غدا للرفع يبنـــى
وكم صعب ييسره عـــلاه وكم قاص من الآمال يدنـــى
مقام ضريحه للناس أمـــن وروضته بها الآمال تجنـــى
أبا العباس قد أنزلت رحلـــى حماك وقد تخذت علاك حصنـــاً
أبا العباس أنا لكم ضيـــوف وأنت بحاجة الأضياف تعنـــا
أبا العباس كيف يخاف عبـــد بجاهك قد تترس واستجنـــا
أبا العباس أنت لنا مـــلاذ فهل نخشى وحصنك قد نزلنـا ؟
أبا العباس أنت لنا معـــاذ فكن فى سائر الأحوال عونـــا
بجاهك نرتجي نصراً وفتحـــا وتمكيناً وتوفيقاً وصونـــا
وتيسيراً لاصلاح الرعايـــا وأرزاقاً ميسرة ويمنـــا
وستراً شاملا دنيا وأخـــرى وعزاً كاملا وعلا وحسنـــا
وكبت ذوى الدعارة والأعـــادى وأن يلقى ذوو الاسواء حينـــا
وصلى وسلم المولى تعالـــى على خير الورى المبعوث أمنـــا
وآله والصحابة ما تلونـــا تخذت محبة الصلحاء حصنـــا

ورأيت للفقيه سيدى محمد بن دح أحد عشر بيتاً فى التوسل بأبى العباس ، وللفقيه ابن الصغير خمسة أبيات فى ذلك ، ولغيرهما هائية فـى واحد وعشرين بيتاً وعينية فى خمسة عشر بيتاً ، تركت الجميع مخافـة الطول واستغناء بما ذكرنا .

(تنبيه) :

ينشد بعض الناس اليوم هذه الأبيات هكذا :

ألا عرج على بابى فانـــى سخيٌّ لا أخيب مَن أتانـــى
وواصلنى إذا ما هال هـــول ترى الفرج الجليَّ بلا توانـــى
ومرغ فى مقامى الخد وابشـــر بما تهواه من نيل التهانـــى
أنا السبتى الذى قد طاب أصـــلى وقربنى المهيمن واجتبانـــى

أنا الطود الذى قد بان فضـــلى ... وزال الران بى عمن رءانـــى
أنا الليث الهصور بغير شـــك ... أذود الروع عمن جاء جانـــى
أنا الروض الأريض هلم نحـــوى ... فما لى فى الندا والجود ثانـــى
أنا فخر الهُداة بكل قطـــر ... أنا العز المؤمل فى الهـــوان
فكم فرجت من كرب وهـــم ... وكم فككت بعد اليأس عـــان
وكم طهرت من قلب فاضحـــى ... بعيد البعد من مـــولاه دان
فحطّ الرحل وانزل فى مقامـــى ... همام عزّ بين الناس شأنـــى
وقد أولانى ما أهواه ربـــى ... ومن كأس الصفا أيضاً سقانـــى
فيا مَن رام أن يحظى بســؤل ... أنا مفتاح أبواب الأمانـــى
فلا يخطر ببالك غير أنـــى ... سخيٌّ لا أخيب مَن أتانـــى

أصل هذه القصيدة للولي الصالح القطب الواضح سيدى الصالح الشرقاوى فى جده سيدى محمد الشرقى الغوث الأكبر ، فبدل بعض الناس محل الشرقى بالسبتى ، ولما مدحه بهذه القصيدة رآه مناماً بعد عشر سنين وقال له كل ما مدحتنى به فى تلك القصيدة من الأوصاف أعطاكه الله وزادك مقاماً فوق ذلك فأخرجها سيدى صالح لأصحابه وحدثهم بذلك فصاروا يمدحونه بها ويطلبون منه ما قال فيها فكل مَن سأله شيئاً بها قضاه الله كما فى (يتيمة العقود الوسطى) وذكر هذه القصيدة ، أيضاً فى (المرقى) اللهم إنا نتوسل إليك بنبيك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبحرمة أصحابه وحرمة أوليائك كلهم احشرنا فى زمرتهم ومُنَّ علينا بالعتق من النار وأسكنا معهم من غير مناقشة ولا حساب ولا توبيخ ولا عتاب وجد علينا بالعفو والعافية واللطف والستر فى هذه الدار وفى تلك الدار ياأكرم الأكرمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً .

(خاتمة) :

نقل فى (الارتجال) عن (الفتوحات المكية) فى خمسة مواضع أنه قال مؤلفها رضي الله عنه دخلت مراكش فوجدت أبا العباس السبتى يولى ويعزل ويخفض ويرفع ويعطى ويمنع فتمنيت هذا المقام فدخلته عند

الظهر وخرجت منه عنـد العصر هـ . وكتاب (الارتجال) المنقـول منه هنا ذكـر مؤلفه العلامة سيدى محمد الأمين بن عبـد الله الحجاجى الجعفـرى الحسنى أنه ألفه فـى وفيات رجال هذه الحضرة المراكشية التى برقم حلل كرامات أوليائها موشية وبسبب دعائهم قبل نشأتهـا صارت منشية ، كمـا أخبرنا به بعض أوليـاء الله تعالى من أهلها ثم قال وقد كان بعض طلبة العلـم المعاصرين صنع تاريخاً جديداً لم يصنه من شين الهجاء ، بـل صيره ميداناً لا ضاحك للسفهاء فمجته من هذا أهـل الذوق السليم ولسعته الحذاق بمـا هو أوجع من لذع السليم وجدير لمـن تعرض لهتك الأعراض بالاغـراض أن يرد عليه ويقمع بمعراض الاعتراض ، ثم قال وقد سميت هذا الكتاب بكتاب (الارتجال ، فى مناقب ومشاهد سبعة رجال ، وما اشتهـر فى مراكش أو دخلها مـن مشاهير صلحاء الرجال) وكل مشهد مشهور فى طريق زيـارة السبعة الشهيرة أو قريب من الطريق بحيث تأتيه طائفة الزوار أو تستفتح له حالـة مسامتتهم لمقامه ووعد بذكر طرف من خبر الملوك وتفسيـر اللغات الغريبة وانه يختم الكتاب بخاتمة سماها بالمنهج المختار والكوثر المـدرار فـى مناقب الشيخ المختار وأشياخه الأخيار الأبرار ثـم انه ترك تمام هـذا الكتاب واشتغـل بتأليف مقدمته التى أكثر فيها من الاستطراد ، وقـد نقلنا منها أيضاً وسبب تأليف تلك المقدمة سؤال صاحب (الاستقصا) له لمـا أطلع على ما خرجه من الارتجال عـن أولية سبعة رجال وسبب تسميتهم بهـذا العلم المشهور ووقت شهرتهم به فأجابه بما ذكره فـى تلك المقدمة ، وقـد بحثنا معـه بما بيناه فى مقدمة شرحنا هـذا وذكر فى الارتجال أنه قال له الولي سيدى عبد القادر العلمى إنه مكث بضعاً وعشرين سنة بمراكش وكل يوم يزور سبعة رجال أو يزور الأربعة المتقاربة من أبى العباس الى الغزوانى أو يقتصر على السبتى هـ . باختصار . وسمعت من بعض أشياخنا جـزى الله تعـالى جميعهم عنا خيراً أن الوليّ سيـدى عبد القادر المذكور مكـث بالمصرية التى بباب الثلاثة فحول فى مجاورة ضريح الشيخ التباع بمراكش نحـو ثلاثة عشر عاماً ، وما تقدم عن (المعزى) عن بعضهم فـى كلام فى تعداد خصائص الأولياء المشهورين مـن أن همة أبى العباس السبتى لا تدرك

ومَن طلبهـا بعده ففد طلب الشيء في غير إبانه ، نقله العارف الحلفـاوى عن الشاطبى عن بعض السادات ، ثم اعلم أن صاحب (الكواكب السيارة ، فى البحث والحث عـلى الزيارة) لما عرف بسبعة رجال بدأ أولا بأبى العباس السبتي ولم يزد في ترجمته على إيراد جملة كثيرة مما في (التشوف) فى نحو سبعة أوراق غير أنه قال فى أواخر الترجمة ولقد وقفت على قبره المرة بعد المرة، ووجهنا حوائجنا عنـد ذلك الضريح فتقضى باذن الله وحوله وقوته فهو ترياق مجرب لا شك فيه أنه يتصرف اذ كثير مـن النوازل تنزل بذلك المكـان الشريف ونتكلم بها معه فـى أسرارنا فيرحمنا الله هـ .

وفى هذه الأيام قلت فى سنة تجديد الضريح الشريف ليكتب فى بعض الأماكن فيه بعد طلب ذلك منى عام 1324 .

إن ترد نيل ما أنت رائـــم	فالتجيء للامام ركن الدعائـــم
أحمد نجل جعفر ذى المزايـــا	والعطايا جلت وبحر المكـــارم
وقفنْ بالضريح وادع لديـــه	بدعاء يضم شمل المغانـــم
وقت تجديده البديع يـــؤرخ	حسنه رائق بديع المراســم
دون طل تكامل الأمر فيـــه	أحمد الله رب كل العوالـــم

(تنبيه) :

تقدم أن أبا العباس السبتي لما جاء إلى مراكش وجدها فى الحصار فأقام بگليز وهـو بالزاي وتصحف عـلى صاحب القاموس بالنون فجعلـه إيجلين وذكره فى مادة و ج ل قال وإيجلين جبل مشرف عـلى مراكش هـ ، ويقال فيه جليز بحذف الألف والياء بعدها ويقال گليز والله أعلم .

ومن أدعيته رضي الله عنه اللهم أفضلت فعم أفضالك وأنعمت فتـم نوالك وغفرت الذنوب فتكامل احسانك وسترت العيوب فتواصل غفرانـك اللهم لك الحمد عـلى عقل ثقفته ولك الحمد على فهم وفقته ولك الحمد عـلى توفيق هديته جل جلالك وتعالى ، وانهل جودك وتوالى ، وجـرى رزقك حلالا وتعاليت فى دنوك ، وتقربت فى علوك ، فلا يدركك وهم ، ولا يحيط بك فهم ،

وتنزهت فــي أحديتك عن بداية ، وتعاظمت فى إلاهيتك عــن نهاية ، أنت الواحد لا من عدد والباقي بعد الابد لك خضع من ركع كما ذل لك مــن سجد قــل هــو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن لــه كفوًا أحد اللهم كيف يحيط بك علم خلقته أم كيف يدركك بصــر أنت شققته أم كيف يدنو منك فكــر أنت وفقته أم كيف يشكرك لسان أنت أنطقته إذا تلمحت البصائر عادت بنــور سلطانك كليلة واذا تجمعت عظائــم الجرائم كانت فى جنب غفرانك قليلــة سبقت السبق فأنت الأول وخلقت الخلق فعليك المعــول وعدت إذ جدت ياخير مَن تطول ، عجباً لقلوب كيف استمرت على الانس بسواك ولأرواح كيف شكرت مــن لا يقدر على شيء لولاك ولنفوس سكرت مــن شراب جدواك ولأكف جمعت وقــد استقرضتها هلا جادت بــذاك كيف يناجيك فى الصلوات مــن يعصيك فى الخلوات أم كيف يدعوك للمهمات من ينساك للشهوات إلاهى كيف ختمت الألسن بالليل وقد قلت هــل من سائل وكيف كفت الأكف وسبيل الجود سائل وكيف سها عن خطابك من لا تعطه الوسائل وكيف يبيع ما يبقى بما يفنى وإنمــا هي أيام قلائل ياروح القلوب أين طلابك يارب الأرباب أين أحبابك يانور السماوات والأرض أين قصادك ؟ يامسبب الأسباب أين عبادك؟من الذى عاملك بلبه(فلم)يربح؟ومن الذى جاءك بكربه فلم يفرح ؟ أي صدر صدر عن بابك الكريم فلم يشرح ؟ مَن ذا الذى لاذ بجنابك العلي فاشتهى أن يبرح ؟ واهاً لقلوب مالت إلى غيرك مــا أرادت ، ولنفوس تحب الراحة هلا طلبت منك واستفادت ولعزائم سعت الى مرضاتك مــن ذا الذى ردها فعادت هل تنقصت أموال اقترضتها وحقك بــل زادت سبقت أقدارك فبطلت الحيل وجرى مقدارك فلم ينفع العمل ، وتقدمت محبتك قبل خلقهم فى الازل ، وغضبت على قوم فلم ينفع مطيعَهم ما فعل ، فلا حول من عصيانك الا بارادتك ولا قوة عــلى طاعتك إلا باعانتك ولا ملجا ولا منجــا منك الا إليك ولا خير يرجي الا فى يديك يامَن بيده القلوب اصلح قلوبنــا ويامَن قلت فى حلمه الذنوب اغفــر ذنوبنا ويامصلح الأسرار صف أســرارنا ويامزيح الأكدار عــف أكدارنا قد أتيناك طالبين فــلا تردنا خائبين وجئناك تائبين فاجعلنا برضاك آمنين وحضرنا ببابــك سائلين فلا تجعلنا الى غيرك

مائلين واصلح كل قلب منا قسا فعسى أن يلين واسلك بنـا منهاج المتقيـن وألبسنا خلع الايمان واليقين وحصنا بدروع الصدق فانهن يقين ولا تجعلنـا ممن يعاهد عـلى التوبة فيكذب ويمين وانقلنا من أهل الشمال الى أهـل اليمين ياأرحم الراحمين ، وصلى الله عـلى سيدنا محمد إمام المرسلين ، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين ، وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العلمين .

انتهى ما ذكرته فـي (إظهار الكمال) حاذفاً منه ما لا تعلق بغرضه في هـذه الترجمة .

وقال في كتاب (الطريفة والتالدة) ما نصه : ثم هو من يرد عـلى المسلوب ما سلب منه بالعناية كمـا حُكِي عن بعض أكابر مشايخ هـذه الطائفة حكى أنه لا يأتي ضريح سيدى أبى العباس السبتى مسلوب الا رد الله عليه ما سلب منه ونقل مثل ذلك عن سيدى أحمد البدوى هـ .

وقال في (الروضة المقصودة) ما نصه : وذكر في (الحلل المدودة) أن مولانا عبد السلام رضي الله عنه قيل إنه أخذ عـن قطب الواصلين أبى العباس السبتى نفع الله به هـ .

وذكر فى (المنح البادية) أن الشاذلى أخذ عن سيدى عبد السلام عن سيدى أبى العباس السبتى عـن أبى محمد صالح عن أبى مدين وذكر شيخ شيوخنا القشـاش أن سيدى عبد السلام أخذ عن أبى مدين بلا واسطة قال شيخنا أبو سالم والتاريخ يقبله هـ .

وقال فى (الفتوحات) فيظهر صاحب هذا الشهود بصورة الملـك فيظهر بالاسم الظاهر فى عالم الكون بالتأثير والتصريف والحكم والدعوى العريضة والقوة الالاهية كعبد القادر الجيلى وكأبى العباس السبتى بمراكش لقيته وفاوضته أعطِي ميزان الجود ، وعبد القادر أعطِي الصولة والهمة ، فكان أتم من السبتى فى شغله هـ .

وقال بعضهم فيه أيضاً :

إني إلتجأت بمَن نال العلا كرمـــا   أبو المساكين غوث الخلق فى الكرب
من التصرف بعد الموت أعطيـــه   مثل الذى حازه حياً بلا كـــذب
لك الخصال التى العيون قد بهـرت   من ذاك إنجاؤكم قدما من العطـب
إن عز بالجاه والترئيس من سمحت   له بذاك دناه فهو فى عجـــــب
فلي اعتزاز بشيخ كامل فاضـــل   حامى الذمار وللجوار مرتقـــب
إليك أسندت ظهرى ياابن جعفر ال   رضى ومثلك مَن ينجى من الرهب
لقد رمانى بنو الدهر بأسهمهـــم   وليس لى ناصر سواك فى نصـب
وحاش مجدك ان أخشى الهوان وقد   أويت للحرم السبتيّ فى هـــرب
بك اعتصمت وحسبي منك معتصما   أنت الجواد الذى ترقى إلى الرتـب
أثبنى عزاً على رغم العدا حاصـــلا   يشفى الغليل بلا هم ولا تعـــب
مستشفعاً لك بالمختار من هاشـم   عين الوجود وخير العجم والعـرب
وبجميع صحابه الكرام ومـــــن   قد حاذى حذوهم فى الجري والخبب
ثم الصلاة على المختار سيدنـــا   هو الشفيع غدا فى جلوة الكـــرب
وآله السادة الغر الذين بهـــــم   قد أظهر الله دينه بلا عجــــب

وقول (التشوف) فيما تقدم وسمع منشداً ينشد من أبيات ياأخي قـم ترى النسيم عليلا الخ هي ثلاثة أبيات للوزير أبى بكر بن عبد العزيز بن سعيد البطليوسى ذكرهـا فى (القلائد) و (الاحاطة) وفى (نفح الطيب) وهي هذه :

ياأخي قم ترى النسيم عليـــــلا   باكر الروض والمدام شمــــولا
فى رياض تعانَق الزهر فيهـــــا   مثلما عانق الخليل الخليــــلا
لا تنم واغتنمْ مسرة يــــــوم   ان تحت التراب نوماً طويــــلا

وقد نقل فى (الابتهاج) أيضاً قضية موت ابنته فداء لبنت الملـك مختصرة ، وأحال على كتاب (المناقب) أيضاً ». وقول (التشوف) وكان أبو العبـاس يلهج فى حياته بهذه الأبيـات لشيخه أبى عبد الله الفخـار عقدت عليك مكمنات خواطرى الأبيات الأربعة وتقدم عن المعزى أن الأبيات الثلاثـة منها معروفة من زمن التابعين ، ثم وقفت فى ص 152 من ج 2 من (تلخيص معالم

الايمان) أنه أنشد عن عقال ابن غلبون الزاهد المتوفى بالحرم المكّى سنة 291 رحمه الله الأبيات الثلاثة الأولى المذكورة فى التشوف مع تبديل كرب بيوت وابدال البيت الرابع بهذا :

حسبي بأنك عالم بمصالحـــــى   إذ كنت مأموناً علي شفيقـــــا

وما نقله فى (نفح الطيب) عن ابن الخطيب القسنطينى فى رحلته الـخ نحوه له فى (أنس الفقير وعز الحقير) وعنه نقله صاحب (البرهان الواضح الكسبى) ، وقال فى (الضوء اللامع) لدى ترجمة أبى زرعة أحمد بن محمـد البارنبارى المصرى الشافعى انـه يحكى عن جده لأمه وكـان من الصالحين ، أنـه سمعه يحكى عن أبيه عن جده عـن ولي الله أبى العباس السبتى أنه قال يصلى العشاء بجامع عمْرو فى مصر كل ليلة مئة رجل من رجال القيروان وقابس وبعرفات والصبح ثمانون منهم هـ صحيفة 160 ج 2 .

وقال بلدينا الافرانى فى (درر الحجال) ومن خطه نقلت ما نصه : وقد سأل شيخنا الفقيه الصالح بلدينا سيدى العربى بـن أبى القاسم الافرانى رحمـه الله الامام قاضيّ القضـاة شيخنا سيدى العربي بـن أحمد بردلـة رحمـه الله عن حكم تفريـق هذه الصدقات المـرفوعة لضريح الأوليـاء ، وقال له ياسيدى إننى أحمـل صدقة مثلا للشيخ أبى العباس السبتى فهـل أفرقها بيدى على المساكين ببابـه أو أجعلها فى الصندوق المعد عنـد رجله لجمـع الصدقات ؟ فأجابه بان قال له اجعلهـا فى الصندوق كما يجعل الناس ولا تفرقها أنت ، فقال له ياسيدى إن هذه الصدقات المجموعة فـى الصندوق شاهدناها تفرق عـلى كثير ممن لا يستحقها وممّن يظن به انفاقها فـى ما لا يليق ، فقـال له اجعلها حيث جعلها الناس والشيخ نفع الله بـه هو أعرف بتفريقها لأن القـوم أحياء فى قبورهم ، فكان شيخنا بعد ذلـك اذا زار زج الصدقة فـى الصندوق ولا يسأل عما وراء ذلك ، وهكذا بلغنى عـن الامام اليوسى رحمه الله أنه كـان يفعل هـ .

وقال فى الفصل الثامن والعشرين منها ما نصه .

(فائدة) :

أخبرني صاحبنا الفقيه أبو سرحان المغاري رحمه الله أن بعض الأولياء اجتمع بالشيخ أبي العباس السبتي يقظة فقال له الشيخ إذا أتيت لضريحي بصدقة فاجعلها ذبيحة لأن الروحانيين من الجن ملازمون للضريح وهم ينتفعون بدم الذبيحة وظلفها دون غيرها فانه لا يحصل لهم منها كبير فائدة هـ .

وقال ابن عبد السلام الناصري في رحلته ما نصه : ومن أمثل الطلبة بهذه البلدة الفقيه النحرير المفتي أبو القاسم بن محمد بن عبد الملك التجمعتي ، ثم نقل عنه أن ابن الفخار شيخ أبي العباس السبتي هو مقرى الصبيان وليس شيخ أبي العباس الا في القراءة ، فقلت له انه ابن الفخار الفقيه فقال لا الفقيه منهما معاصر لابن عتاب وابن مالك الفقيهين ، فقلت اما إذا كان معاصرا لهذين الامامين فهو من أهل القرن الخامس كهما وأبو العباس من أهل القرن السادس فلا يبعد أن يدركه اذ ليس بينهما من الزمان كثير فقد ذكر غير واحد ان الفخار توفي سنة 419 وان ابن عتاب ولد سنة ثلاث وثمانين وثلاثمئة وتوفي سنة 462 هـ . قلت الصواب مع التجمعتي فان الشيخ أبا العباس لم يولد الا بعد موت ابن الفخار الفقيه بنحو مئة سنة وست سنين ، إذ ولادته كانت سنة 524 ثم قال ولنا ممن ينسب هذه النسبة ثالث من أهل القرن التاسع وأوقفني عليه في (نفح الطيب) هـ .

وفي الطرة هذا الذي بنفح الطيب هو الامام ابن الفخار النحوى وهو غير أبي عبد الله الفخار دفين تطوان شيخ أبي العباس وهو مختبر الصبيان بالطيور كما في (الابريز) وهناك ابن الفخار رابع ترجم له في (التشوف) وهو ابن كامل دفين داخل باب الدبغ هـ .

وستأتي في المحمدين ترجمة ابن الفخار الحافظ المتوفى سنة 590 .

88) **أبو العباس الشبلي** ، الشيخ المتصوف بمراكش ، أخذ عن أبي عبد الله البقروى ، والشيخ عبد الرحمان الهزميرى ، وسمع من

الأخير أن الحوض بعد الميزان لما اختلفوا بمجلس الأول ، وذكره في (إثمد العينين) ، وحدث عمن يثق به عنه .

89) **أبو العباس الوراق** ، السيد الفقيه الأجل البليغ ، كان ينتصب لقراءة القرآن بين يدي الشيخ الكامل سيدى أبى عمرو المراكشى إلى العصر ، فاذا فرغ أصحابه من ورد العصر المعتاد سرد الوراق المذكور كتاب (الشفا) للامام القاضى عياض ، فاذا أكمل منه نبدة سرد بعده نبدة من كلام سيدى مَحمد بن عباد على (الحكم) ، وربما ذكر الشيخ فى بعض الفصول ما يذهل العقول بكلام جلبة يطول ، عن همة عالية بعبارة نورانية وحكم روحانية ، فيعطى كل ذى حق حقه من النفحات الرحمانية .

ذكره الزروالى .

90) **ابوعزة بن أمير المومنين مولانا عبد الرحمان العلوى** ، وكان جليل القدر ، نبيه الذكر ، أديباً نبيلا جواداً مجالساً للعلماء مخالطاً لأهل الخير ، سالكاً للطريق المستقيم ، أخذ عن مؤدبيه وإخوته بمراكش ، منهم العلامة السيد علي المسفيوى ، والفقيه ابن عزوز ، ومولاي أحمد بوغربال ، والفقيه السيد أحمد بن مبارك ، وغيرهم ، استوطن مراكش وبها توفي آخر العشرة التاسعة بعد مئتين وألف رحمه الله .

91) **أبو علي الشريسي** : البكاء ، أصله من شريش ، قدم حضرة مراكش ، وكان من كبار الأولياء ، شديد الخوف من الله تعالى لا تكاد ترقأ له دمعة ، فاذا سمع آيه من كتاب الله تعالى تهمل عيناه بالدموع :

يابرد هذا الجوى على كبدى — وزين هذا السقام فى جسدى
وحسن هذى الدموع ينبطها — أوار شوق من معدن الكبد
زد كبدى يامُذيبها حرقا — إن صحت مما أكن واكبدى

قال فى (التشوف) حدثنى محمد بن علي بن عبد الرحمان الهوارى قال كان أبو علي قد جال فى بلاد المشرق وحج نحو عشرين حجة ، وقدم

مراكش ثم خرج منها فنزل على علي بن حمود (1) بمدينة سلا وحضر جنازة الزاهد الفاضل عبد الله بن يوسف بن علي بن عشرة ، ثم انصرف إلى الدار التى نزل بهـا فوجدته جالساً مع باب البيت فسلمت عليه فأمرنى بالدخول فدخلت البيت فقال لى ما اسمك ؟ فقلت له محمد بن علي ، فقال حمدك الله وأعلاك أو كلاماً معناه هذا ، ثم خطر بفكرى أن أنهض إلى مراكش فى حاجة لى ، فرفع رأسه إلي وقال لى لو اجتمع أهل السموات والأرض على أن يعطوك ما لم يقدر لك لم يقدروا، فجاءته امرأة فدعا لها، ثم جاءه رجل فدعا له، ثم جاءه رجل آخر فدعا له ، فقلت فى نفسى لعله يناله عجب من رغبة النـاس فى بركة دعائه ، فقـال لى يابني لعل الناس إنما ينتفعون بحسن نيتهم ، فكيف ينـال العجب أحداً ، فنظرت إلى تلامذته فاذا هـم نحو الخمسين تلميذاً ، فقلت فى نفسى هل يُصلي ورده بين تلامذته أو وحده ؟ فقال لى يابني إذا كان لك عمل من النوافل فلا يطلع عليك أحد الا الله تعالى، فانه أبعد من الرياء، فنظرنى وأنا أتعجب من شدة فراسته ، فقال لى يابني لا يعلم الغيب إلا الله ، ولكن هذه فراسة المومن، فانطلقت من عنده فذكرت ذلك لعلي بن جمود (2) فعجب من انبساطه معى، ثم قال لى أنا أحدثك بأغرب من هذا، بتنا معه ليلة فكان يحدثنا وكنت خلفه أفرك له رماناً فى طبق، وكان الرمان من موروث حلال ورثناه من ءابائنا ، فجاءه رجل يعرف بسير اللجام برمان غير حلال فاذا ناولته الطبق برماننا أكله ، وإذا ناولته من الرمان المختلط بذالك الرمان الحرام رده، واذا ناولته من ذلك الرمان الحرام وحده رده، وما كان ينظر إلينا وإنما كان وجهه إلى غيرنا وقد ولانا ظهره ، فعجبنا من ذالك فسألته بالنهار عن فعله ذالك معنا ولمَ يأخذ مرة ويرده أخرى ؟ فقال كان لى شيخ بالشام وكانت بينه وبين الله تعالى إمارة فى الحرام ، فاذا قدم إليه طعام حرام نبض عرق فى إبهام يده اليمنى فَيَكفُّ عن الأكل .

وقال فى نظم رجاله :

وهذا الشريشى خائف من ذنوبـه لدوم من التفريط فى سالف العصر

---

1 ــ 2) فى التشوف : حمدون .

وقال في الاتحاف :

ومنهم الشيخ أبو علـــي ... يعرف بالبكاء ياولـــي
بالشريشي من قديم اشتهـــر ... وكان ذا خوف من الله بتـــر
شيخ طريف عارف مرٌ بـــي ... وذو كرامة بدت بعجـــب
مكاشفا بحالة القلـــوب ... يميز بين الحال والمشـــوب
وذاك سر لم يزل معروفـــاً ... ظل به عند النهي موصوفـــا
تكررت حجاتُه عشرينـــا ... ومات في ثغر سلا يقينـــا
بُعَيْدَ خمسة القرون وجُهِـــل ... في أي عقد قد تولى بجميـــل (1)

92) **أبو علي بن صمّغ** : الفقيه الذى غسل يوسف بن علي المبتلى قال في (التشوف) سمعت علي بن سحنون بن ميمون الهزرجى الشاهد يقول حضرت غسل يوسف بن علي وكان الفقيه أبو علي بن صمغ يغسله فقال رأيته الآن وأنا أغسله يتبسم (2) .

93) **أبو علي بن احمد الملياني** : كان والده كبير وقته علماً وديناً ورواية ، وكان عالي السند في الحديث ، فرحل إليه الأعلام ، وأخذ عنه الأئمة ، وأوفت به الشهرة على ثنايا السيادة ، فانتهت إليه رياسة بلده على عهد يعقوب المنصور وبنيه ، ونشأ ابنه أبو علي في جو هذه العناية ، وكان جموعاً للرياسة ، طامحاً للاستبداد ، وهو مع ذلك خلو من المغارم ، فلما هلك أبوه جرى في شأو الرياسة طلقاً ، ثم رأى ما بين مغراوة وبني عبد الواحد من الفتنة فحدثته نفسه بالاستبداد ببلده ، فجمع لما جرى ، وقطع الدعاء للخليفة المستنصر سنة تسع وخمسين وستمئة ، وبلغ الخبر إلى تونس فسرح الخليفة أخاه في عسكر من الموحدين في جملته دون الرنك ابن هرنده من ءال أذفوش ملوك الجلالقة كان نازعاً إليه عن أبيه في طائفة من قومه ، فنازلوا مليانة أياماً ، وداخل السلطان طائفة من مشيخة

---

1) انظر التشوف ص 181 ع 70 .
2) انظر التشوف ص 309 .

البلد المنحرفين عن ابن المليانى فسرب إليهم جنوداً بالليل اقتحموها من بعض المداخل ، وفر أبو علي المليانى تحت الليل وخرج من بعض البلد فلحق بأحياء العرب ونزل على يعقوب بن موسى من آل العطاف من بطون زغبة فأجاره الى أن لحق بعدها بيعقوب بن عبد الحق ، فلما ملك يعقوب مراكش عقد لمُحمد بن علي بن محلى على أعمال مراكش فحارب إسحاق أخا المرتضى الموحدى فى تينمل ، فافتض عذرة الجبل فى ربيع من سنة أربع وسبعين واقتحمه عليهم عنوة بعد مطاولة النزال والحرب ، وهلك الوزير لدولة الموحدين ابن عطوش فى جوانب الملحمة ، وتقبض على خليفته المستضعف وجنبوا الى مصارعهم بباب الشريعة بمراكش فضربت أعناقهم وصلبت أشلاؤهم ، وكان فيمن قتل منهم كاتبه القبائلي وأولاده ، وعاثت العساكر فى جبل تينمل واكتسحت أمواله ونبشوا قبور خلفاء بنى عبد المومن واستخرج شلو يوسف وابنه يعقوب المنصور فقطعت رؤوسهم وتولى كبر ذلك أبو علي المليانى النازع إلى السلطان يعقوب المرينى ، وكان السلطان أقطعه بلد أغمات إكراماً لوفادته واستقر بها ، وحضر هذه الغزاة فى جملة العساكر ، ورأى ان قد شفى نفسه باخراج هؤلاء الخلائف من أرماسهم والعيث بأشلائهم لما نقم منه الموحدون وأزعجوه عن قراره ، فنكرها السلطان لجلاله ، وتجاوز عنها للمليانى تأنيساً لغربته وجواره ، وعدها من هناته ، وأرصد له المصامدة الغوائل لما كان منه فى ذلك ، ولما هلك يعقوب بن عبد الحق استعمله يوسف بن يعقوب على جبال المصامدة فلم يضطلع بها وسعى به مشيختهم عند السلطان أنه احتجن المال لنفسه وحاسبوه فصدقوه السعاية ، فاعتقله السلطان وأقصاه وهلك سنة 686 فأخذ بثاره ابن أخيه أحمد بن علي كما سياتى فى ترجمته .

ذكره ابن خلدون فى مواضع ثلاثة مفرقة من تاريخه (1) .

94) **أبو عمر بن حجاج** : لما كان أبو بكر بن عبد الحق المرينى استولى على سجلماسة سنة خمس وخمسين وستمئة وتقبض على واليها

---

1) انظر **كتاب العبر** (تاريخ بن خلدون) 6 : 656 و 657 و 7 : 101 و 479 .

عبد الحق ابن أصكو من مداخلة من خديم له يعرف بمحمد القطراني بنواحي سـلا ، وكان القطراني شرط على أبي بكر أن يكون والي سجلماسة فأمضى له شرطه وأنزل معه بها من رجالات بني مرين حتى إذا هلك أبو بكر بن عبد الحق أخرجهم محمد القطراني واستبد بأمر سجلماسة وراجع دعوة عمر بن اسحاق المرتضى الموحدى واعتذر إليه وشرط عليه الاستبداد فأمضى لـه شرطه إلا فى أحكام الشريعة ، وبعث أبا عمر بن حجاج قاضياً مـن حضرة مـراكش وبعض السادات للنظر فـي القضية وقائداً من النصارى بعسكـر للحماية . فاعمل ابن حجاج الحيلة فى قتل القطراني وتولاه قائد النصارى واستبد السيد بأمر سجلماسة بدعوة المرتضى .

ذكره ابن خلدون .

95) **أبو عمر بن أبي خالد** : الوزير ، توفي بمراكش فـي شعبان سنة إحدى وسبعين وستمئة ذكره فى (الذخيرة السنية) (1) .

96) **أبو عمرو بن سيدى أحمد الأمين ابن أبي القاسم القسطلي** : المراكشي الدار والمنشأ والمدفن ، الغوث العارف بالله لسان النظر ، وامام الهمة والبصر ، ومهذب أهل البدو والحضر ، ولد رضي الله عنه عام 912 بحومة قاعة ابن ناهض من مراكش ، وتوفي يوم الجمعة منتصف شوال عام 974 عن اثنيـن وستين سنـة ، قال تأدب عمرنا مع عمر رسول الله صـلى الله عليه وسلم بسنة ، وكـان يوم وفاته يوماً مشهوداً ، ينتمى إلى الخليفة عثمـان رضي الله عنه وأرضـاه ، من حَضَر مراكش وأعيانهم وذوى الحسب والأصالـة والوجاهة فيهم . صاحب الشيخ أبـا محمد عبد الكريم الفلاح وانتسب إليه وعول فى شأنه عليه ، ولقي أيضاً الشيخ أبا محمد الغزواني ، كـان سيدى عبـد الكريم بن عمر الفلاح شيخه يقول أتـرك لكم الخلافة فى رجل أمي لا يفرق بين الراء والزاي ، فكان سيدى أبى عمْرو لا يكتب ولو لمستشفـع بـه ، ويقول نحن لا نكتب ولا نحسب . وتغرب فى سلوكه عن أبناء جنسه ،

1) **الذخيرة السنية** ص 136 طبع دار المنصور .

وانقطع فى حضرة مولاه حتى دعي مجنوناً وانفرد بـذلك الحال نحو سبعة عشـر عاماً أو أزيد حتى كان من غيبته فى الله لا يفرق بيـن أولاده وأولاد سواه ، فقال له شيخه سيدى عبد الكريم يوماً ألا تطلق تلك المرأة وتبيع تلك الـدار ؟ فتغافل عنه ، ثـم أعاد عليه كلامه ، فقال له ياسيدى اعطس واطلع الرمـل ، فان كانت هذه السكرة تدوم لى فـلا علي إذا طلقت المرأة وبعت الدار ، وإن كانت لا تدوم فاترك لى زوجتي وداري ، فقال لـه الشيخ انظروا سيدى أبا عمرو الذي تقولون إنه بهلول ، ثم قـال له أعطاك الله حالة أهل الجنة ، ثياب لا تبلى ، وطعام لا ينقطع ، فبقي على سكـوته نحو سبعة عشر عاماً ، وكان الناس يزدحمون عليه للطعام دائماً ، وكـانت الثياب عنده موفرة زائدة عـلى لباسه ، وكان اشتهر بذلك ، وكـان شيخه إذا أتـاه لحاجة ربما دله عليه ، وكـان صاحب الترجمة إذا طلب عنده أحـد حاجة نظر ، فان كانت لا تقضى صرفـه عنه ، وان رآها تقضى قال له كيـت وكيت فيعطيا ذلك فتقضى حاجته باذن الله ، وكان أهل دار الشيخ إذا طلبوا عنده حاجة يفعل معهم ما يفعل بغيرهم ، وسـرق سارق مرة سلهاماً من دار الشيخ فـذهب إليه ووجده يصبنه وقال له أربابه يحتاجونه بـلا غسل مكاشفة منه بحاله ، وكان شيخه سيدى عبد الكريم يعتنى به وينوه بقدره ، وأنه الخليفة بعده ووارث أسراره ، وكـان المترجم نشأ فى وسط الحضرة ، وجبـل على كمال الحقيقة من أول نظرة ، تصديقاً لقول شيخه سيدى عبد الكريم الفلاح نهايتنا هي بداية سيدى أبى عمرو رضي الله عنـه حامل راية عصره ورئيس حداة ركبـه ، غوث الأغوات وشمس الكون بعد ظلامه القطب الأشهر ، حمـل فى صغره إلى سيدى عبد العزيز الحرار زائراً عـلى سبيل التبرك ، فقيل للشيخ إن أم هذا الصبي تطلب بركتـك فيه ، فان الأولاد يعيشون بهـا ، فاستفهم الشيخ عـن اسمه فقيل له فقال نعمره ونثمره بفضـل الله تعالى ، فكان من أمـره ما كان ، ويروى أن سيدى أحمد الأمين والده لمـا أراد سيدى عبد العزيز الحرار سكنى القبابين وهب لـه بقعة وامتنع من أخذ ثمنها ، فدعا له أن يرزقه الله ولداً صالحاً ، فحملت أم الشيخ سيدى أبو عمرو بنُورة تلك الليلة ، ولمـا مات شيخه سيدى عبد الكـريم بقي متواصلَ الأحـزان ولا

ينبسط ولـو ساعة من زمان ، تجافى جميع أولاده وأقرانه ، وأقبل عـلى فضله وبيانه ، حتى وضعت السلسلة فى عنقه ممتداً إلى أبى يعزى يـلاطف الروح بمصاحبـة اللوح ، وسبب ذلـك صبي صبر هناك نعـت له حرف الراء والزاي وعجز عن الـراء والزاي ، قال وحقرت نفسى وصرت مجتهداً فى القراءة نحواً مـن خمسة أعوام فى تعمير الأوقات بالقراءة والأوراد حتـى استفدت وأفدت ، قال ورأيت فـى تلك الأيام أنى راكب عـلى فرس وأصعدته فوق صومعة أبى يعزى رضي الله عنه ، وتوجهت إلى مولانا إدريس لم تظهر لى قط صبوة ولا إنهاك ولا هفوة ولا ميل للدنيا ولا تتبع عثـرة ، واشتغلت بالأهم فالأهم ، وفيما لا يعنينى لا أتكلم ، افتحت همتى على قراءة المختصر للشيخ خليل والنحو مـا يزيد على أربعة أعوام ، وكان سبب قراءة مختصر الشيخ خليل أن رجلا سألنى عن مسألة فـى الفرائض المهمة فعجزت عـن الجواب ، فاحتقرت نفسى وصغرت فى عين همتى وانقطعت للقـراءة بكليتى حتى رأيتم ما رأيتم من حالتى ، وقد كان رضي الله عنه أعجوبة فـى درسه له وآية فى فهمه له .

وقال رضي الله عنه كنت ذات يوم فـى بعض الخلوات بقرب فاس البالى منفرداً للدراس ، خالياً من الوسواس ، ولم أقتصر فيه عـلى حد ولا قياس ، فبينما أنا أجول فى مسارح أقطار المؤلف وأتفهم فيما لـه فى ذلك من التكلف ، بأفضل عبار وأحسن التصرف ، إذ خرج علي رجلان واحـد شبهته بسيدى عبد العزيز الحرار والآخر مثل الغزوانى لم أر أحسن منهما ، وقالا لى ما مرادك ياشاب من هذا الاجتهاد والتكلف ؟ فقلت لهمـا المراد الأصلي الحقيقي القيوم القديم الباقى وما يعرض علي من الخواطر المغبرة فى المقصد لا معول عليها ولا مستند عند جميع من تحقق وتجدد ، قـال الشيخ رضي الله عنـه فقبلنى أحدهما فوق عينى ، وبعد ذلك غابوا عنـى وبقيت صورتهما فى عيني ، وكان يحضر مجالس العلماء العاملين ويقتصـر عـلى من توسم فيه أنه من الصالحين وله قوة ادراك فى العلوم ، شهد لـه بذلك أهل الرسوخ بعد أن تكرر عليهم سؤاله وامتحنوا أبحاثه وأحوالـه ، وتحققوا أن تدقيق الورع كثير أحواله ، فقال له أحدهم قلَّ مَن يسأل عن

هذه المباحث التى تسأل عنها وربما لا نجد لها نصاً ورأى فى عالم النــوم سيدى عبد العزيز الحرار يأمره بسلوك طريق أهل المعرفة والوصال ، لأن طريق الدليل ، غايتها معرفة الواجب والجائز والمستحيل ، فامتثل الاشارة ، وكانت له محبة عظيمة فى تلميذه الامام الزروالي ، كان المترجم رضي الله عنه ربما اجتمع عليه أولاده الصغار فى بعض الليالى فيجلس معهم حتى يؤذن بالصبح ويصــلي بهم ويستفتح لهم الأوراد حتى تطلع الشمس حتــى يذكرهم بالنصيحة ، وعند مقيل النهار يطوف بين أزقة الديار فمــن وجد من أولاده الصغــار يدخله الرباط المبارك ويلبسهم بمــا يحفظ به عقولهم ويحدثهــم بأحاديث فضل صلاة الجماعة وأنها أقرب للقبول من أجل امتثال أمر الرسول ، وكــان ينهى أصحابه عن اللغو بفضول الكلام ، لأنه مــن شأن العوام الذين لا يعبأ الله بهم بين الأنام ، ويأمرهم بالصبر على إذاية المؤذى فيظهر انتقام الله فى الحين لمن يؤذيهم ويهلك فى الهالكين فى قضايا كثيرة إلا إذا أقلع وأناب ، وكــان دائم الحضور بين يدي مالكه لا يضطرب من إذاية الخلق لــه فى العرض والمال والبدن ، ورأى كثيراً مــن أهل الخير قرب ظهور هــذا السيد الجليل مرائي عديدة تــدل على خصوصيته ، ولمــا أذن له فى التصريف فتح باب زاويته فاستكثــر مقدمه فصار . . . . . وقال لاتبقــى خراجها بهذا الحال ، فأجابه بقوله إنما أمرناكم بالأسباب لا بتدقيق الحساب ، وأما زاويتنا فلا يستقيم حالها حتى يتوفى سيدى عبد الكريم الفلاح ونرث عنه سبب الفلاحة ويتوفى سيدى سعيد بن أبى بكر ونرث عنه الحــكم وسيدى سعيــد بن عبد النعيم ونرث عنه الحــكمة ويتوفى سيدى عبد الله بن ساسي ونرث عنــه المسكن ، ويتوفى سيدى عبد الله الــكوش ونرث عنه المائــدة ، ويتوفى سيــدى حمزة بن علي ونرث عنه الزهد ، ويتوفى سيــدى علي بن ابراهيم ، ومالذى نرث منــه ؟ ليس عنده إلا الحبة هي التى خرقتنا ، فصدق الله وعــده فى أكمل الحالات ، ونقل مــولاه السادات الى أعلى الدرجــات ، فاستقام الحال كما ذكر ، ولما آن وقت ظهور دعوته البالغة خرج لخدامه مع تلامذته المخصوصين فــى سادس عشر رجب عام اثنين وخمسين وتسعمئة ، ومشوا فــى الطريق نحواً من أربعة أيام ، فذكرهم وحضهم عــلى طاعة الله ،

ووصف لهم قال الأستاذ وقال مـن نديم يعاشرنا على هذا الطريق المستفاد بصـدق العزيمة وفوة التصديق والأوراد لعلنا نورده موارد التحقيـق والاسترشاد وإذا تحيل المفسدين من العرب فتكلم السيـد الفاضل سيدى علي الشربة الفاسى ان كان لك سيف تقهر به نفوسنا فان خيل المفسـدين من العرب أرادت تنهبك وتنهب مَن معك ، فأخذ رضي الله عنه حفنة مـن التراب ورمى بهـا يميناً وبأخرى يساراً ، ثم بأخرى خلفاً ، فخرج من ذلـك التراب كالسيل من النحل ، فشردت منه خيل العرب حتى غابت عـن أعينهم ، فلما أصبحوا أتى العرب عـلى أرجلهم بالبقر والغنم والابل ونساؤهم وأولادهم يتبركون بالشيخ ويستعطفونـه ويشكون بضرر النحل ، لأنه عطب النـاس والبهائم فـى تلك النواحى ، وكانت العرب يأتون الركب فى الليـل فيجدون عليه سورا من حديد لا يقدر أحد عـلى صعوده ، فكل من سمعه فى ذلـك مـن الشيوخ والكهول والأطفال أجاب دعوته بالحال والمقال ، وخـرج فى الحبن عن المال والأهل والبنين ، واتفق أن كانت أم المؤلف الزروالى فـى دار الشيخ فى ليلة فاضت فيها أنواره ، فوجهت عليه ، ولمـا وصل فتح له الباب ، وقال محمد الزروالى هذا ، فقال نعـم ، فقال أبشر بأفضل يـوم ولدتك أمك ، قال له الله يمدك بعنايته ظاهرا وباطناً ثلاثا .

ومن كراماته رضي الله عنه أن رجلا من تلامذته شغف بحب النسـاء واشتكى عليه فى ذلك ، فقال إذهب وافعل ما شئت فان الله قادر ألا تفعـل ، ثـم جاء فى الغد مصفراً وقال ذهبت إلى امرأة لتبيت عندى فأتت فهممـت بمواقعتها فاذا هـو كالمفلوج لا يستطيع تحريك عضو من أعضائـه ، فبقي كذلك إلى أن طلع الفجر فسمع صوت الشيخ يقول أتتوب الى الله ياهذا ؟ فقال أنا تائب إلى الله ، فقال لـه قم الى صلاة الصبح فنهض فاذا هـو قائم كأنمـا نشط من عقال ، فلما دخل على الشيـخ قال ياصاحبنا ما فعلـت ؟ فقال ياسيدى مَن يكون فى رعاية مثلك لا يخشى عـلى نفسه غواية ، ولما غضب الوزير على مشورى من أصحابه احترم بزاوية الشيخ ، فبعث الوزير الى الشيخ بالأمان عليه فقال المشورى يقتلنى، فقال يقتله الله إن قتلك، فلما قتله سلط الله على الوزير أكلة فى جسمه فتمزق ، ومن ذلك الوقت احترم الناس

والسلطان زاويته غاية الاحترام ، وصار الأمراء يتحامون من احتمى بها خوفاً من العاهات ، وبشر رضي الله عنه زوجته الصالحة بولادة سيدى محمد الكامل ، وأنه سيكون خاتمة دائرة الأعيان ، فكان مولده يوم الاثنين قرب الاصفرار فى أواسط رمضان عام 1060 ستين وألف ، ولما ختم سورة (لم يكن) أمر الشيخ بالفتوح يكون ، وقال له كل ما أطلعنى الله عليه هو لك ولا غاب عنى إلا ما غاب فى ذات الحق ، فقال سيدى الكامل لما أعطى له على الولاية منثوراً ، وشاهد من فضل ربه ما كان سابقاً مسطوراً ، إن ما بلغت إذ ذاك لم يكن شيئاً مذكورا ، وهو عبارة عن فناء الفناء الذى هو عين البقاء .

وزار مرة شيخه سيدى عبد الكريم وحمل اليه ولده سيدى محمد الكامل ، فلما زار ونار خرج وقال ياولدى ما رأيت من أحق بالسفينة منك ، ووجده الشيخ يبكى فقال للحاضرين ارفدوه حتى يرفدكم . وقال له مرة لما رءاه حزناً حيث منعوه من لوحه اللوح لك وما ملكنى الحق هو لك ، وقد ملكنى من الفرش الى العرش ، ولما خرج مع إخوانه لبعض أجنتهم يوم الخميس غرس كل واحد منهم غرساً وعلمه ، فلما اطلع الشيخ على غرس ولده سيدى الكامل اقتلعه فلما دار يوم الخميس خرج الصبيان على عادتهم لغرسهم ، فكلٌ وجد غرسَه لم يتغيرْ غيرَه ، فأخبر بأن الشيخ فعل به ذلك، فضحك عليه إخوانه ، فلما رجعوا أخبر الشيخ بذالك وقال لأمه النظرْ إلى زينة الدنيا على ولدى محمد حرام فضلا عن التشاغل بها بين الخصوص والعوام ، فانى رفعت همته عن الولاية الصغرى ورسخته فى الغوثية الكبرى ، ودفنته فى أرض الخمول ، وغيبته عن كل فضول ، وسيرته سير الصحابة حتى يظهر الله شمسه فى سماء أهل الوصول ، وكان الشيخ مرة بين أصحابه فطلع عليهم سيدى الكامل فتهلل وجه الشيخ وقال رضي الله عنه أنا خاتم مختتم الأولياء المرفع عند الله بجميع الأصوات فى الأرض والسماوات ، شمس القرن العاشر الذى طال فى كل باع قاص وظهر من فضلنا كل خير باهر محمد الكامل المحفوظ من الصغائر ،

المعصوم مــن جميع الكبائر ، المرشح لتنوير البصائر ، الذى يكــل عند مشيه كل غائر وطائر . ولما كــان يوم عاشوراء واجتمع عنده العوائد جمعها في صرة وقال لأمه هذه الدراهم لسيدى ، وقولى لــه يدعو لى ، فقال لا إلاه الا الله ، سبحان الله ، هكذا وقع لى مع أبى .

وجمعــه الشيخ مرة مع إخوانــه الصغار وأجلس معهم وجلا مــن أصحابه الأخيار . فاستخبره عن أحوالهم ، فقال لم أر قابلية تامة الا فــى سيدى محمد الصغير . فقال له إنما سألتك عن حال إخوته، وأما هذاك فاني أدرى به ، وقال سيدى محمد بن الكبير ابن الشيخ أبى عمرو لما توفي أخونا سيدى قاسم الأكبر المشهور أنــه صاحب الخلافة بعد الشيخ سيدى أبى عمــرو فاجتمع الاخــوان وقال له ياسيدى كنا نظن أن سيدى قاسم الخليفة فــى الأصحاب ، فقال لو عاش قاسم يكون صالحاً عــلى قبيلته ، فزاد السائل نســأل الله أن يجعل البركة في سيدى محمد الكبير . فأجابه الشيــخ بأن صاحبها هو موجود في الحال ، ولا مطمع فيها لغيره من الأبطال ، ومــراده سيدى الكامل . وكان جلساء الشيخ اذ ذاك المؤلف الفقيه الأستاذ المريــد المهذب المشهور بين العباد والزهاد ، المحيط بالسنة بالعمل والاجتهاد ، سيدى محمد الزروالى ، والسيد العالم العامــل ، الزاهد الفاضل ، سيدى عباد المشهور بالفواضــل ، فعينه لهم سيدى عباد بأن المراد بــه سيدى الكامل وعينه الشيخ مرة بأن الخليفة بعده هــو الذى يلتقى بالولي الكامــل مــولاي عبد الله بن حسين فينزع الشيخ العمامة من عــلى رأسه ويكسيهــا للوارث بعده ، وكــان من عادة أولاد الشيــخ زيارة مولاي عبد الله بن حسين سوي سيدى الكامل لما كان عليه من الخمول . فلما دخل مرة عــلى الشيــخ سلم عليه فصعد فيه النظر وأزال العمامة عن رأسه وكساه إياها بيده ، ولما تلف مرة فسافر فى وقت عشاء قال ياسيدى أبا عمرو هذا الشهد لك ، وأنا عارى كله عليك . فما أتم كلامه حتى أغاثه وغطاه ببرنس ومعه ولده سيدى الكامــل وهو نحيف أصفر لطيف ، مما دل عــلى كونه خليفة حيث لم يفارقه حتى في وقت الاغاثة وبات فى أمان الله ، فلما دخل عليه قــال له أعطنى متاعى ودفع له الشهد ، ورأى بعض الأحباب فى منام سيدى الكامل يأكــل فداوش

بين يدي والده ، فأراد أن يأكل معه ، فصار علقاً يجرى بين يديه ، فأولـه يكون لـه شأن ، ولما انتقل الشيخ لدار الخلود فى صبيحة يوم الجمعـة منتصف شوال عام أربعة وسبعين وتسعمئة لم يُلف الا باكياً محزوناً ، أو ذاهلا عن حاله مفتوناً ، ولما زاره مولاي عبد الله السعدي بعد أن اقترح عليـه أحد خواصه ما يقـوم دليلا على ولايته وقال نقدم عليه غداً مـن غير إعلام ويقدم لنا من الطعام كـذا وأنا أستظهر بالصيام ويمكن لى الشيخ خبـزة أمامك ويقول لى أنت صائم فافطر عـلى هذه ، فقدموا على الشيخ فجأة وقدم لهم الطعام بعينه وأعطى الخبـزة للمقترح ، وقال خذ هذا من طعامنا لتفطـر عليه ، وقال له أما يكفيك منى ؟ الى متى تقيسنى بحجارتك ؟ أما تخاف أن أضربـك على قلبك ، فما تنقر منه ، فكـان سبب توبته ، ووعد الشيـخ الأمير بأنه يموت عـلى فراشه بين أهله فى وسط فرحه وأنسه ، فصدق الله قوله ، وقدم ذات يوم بعد الاعلام فقدم لهم من الطعام ما كان يـكون خارجاً عن صنع الأنام ، فلما تعجبوا من ذلك قال الشيخ لولا حياء من رســول الله صـلى الله عليه وسلم حتى أخرج له من الجنة أنواع الطعام ، وقـال الشيخ إذا رأيت الولي فى بـاب ملك من ملوك فاعلم أن كليهما من الأصفيـاء ، وتـكررت زيارة هذا الملك إليه وقد حضر يـوم موت الشيخ لدفنه مـع خاصته وجنده ، وتقدم وصـلى عليه ووقف على القبر وحث التراب بيـده ودموعه مع ذلـك تسيل ، ووجد عليه أهل مراكش ما لم يجدوا قبل عـلى غيره كأنهم لم يُصابوا برزية قبل ذلك اليوم .

كـان المترجم رضي الله عنـه عظيم الحال باهر الخوارق كثيـر الكرامات ، بحيث عزت عن الحصر وملأت الوجود ، كثير المكاشف كثيرا ما يُخبر عن الشيء قبل أن يكون ، وكانت له الاغاثة فى البر والبحر والخطوة ، وكـان يقف بعرفة ، وكان يجرى فى كلامه الأخبار عن اللوح المحفوظ ورؤية ما فيه كبير الشأن جليل القدر شهير الذكر فـى سائر بلاد المغرب فياض المدد قوي الحال عريض فى مقامات الأولياء ، فكان يدعى أنه الغوث ، وأنه صاحب الوقت ، وله في معنى ذلك قصيدة تائية يقول فيها :

ومن معدن التحقيق كان نصيبنـــا وجملة أنواع اليقين فى قبضتـــى
وكل بحور العلم طراً ورثتهــــــا وأنواع أحكام الطريقة حرفتـــــى
وأقطاب أهل الأرض مادتهم منـــا والأجراس والأوتاد تحت إمارتـــى
والأبدال والأوتاد من حول بابنـــا بذل وفقد واحتقار وفاقـــــــة
فكل رجال الله نالوا بعزنــــــــا وأظفرنا بأعلى كل ولايـــــــــة
أقروا بأنني وحيد زمانــنـــــــا وقدوة كلهم وهم لى فتيتــــــــى
بأرواحهم أعنى أقر بملكنـــــــا وأعناقهم طراً أناخوا لرتبتــــــى
ولو بان بعض ما شهدت من عجائب لأقطاب وقتنا لذاقوا المنيـــــــة
وشاهدت غيب الغيب عيناً وعينــه وأبصرت أنوار الجمال بنظـــــرة
وأبصرت ما يأتى وما كان قبلنـــا بنور جلال الله نارت بصيرتــــــى
وعينى عينه وأمرى بأمـــــــــره وسرى سر خير كل البريـــــــة
مريدى حيث كان شرقاً ومغربـــاً وجوفاً وقبلة فى حرز حميتـــــى
وان أمَّنى فى البعد كنت أمامـــه وكنت له حصنا حصينا وجنتـــــى

قال سيدى عبد الجليل بن سيدى محمد الكبير بن سيدى أبى عمْرو قال صـــلى جدى رضي الله عنه يوم الجمعة بجامع المنصور وإذا بالأميـــر صلى وخرج ، وإذا بامرأة زغرتت عـــلى السلطان أحمد الأعرج (السعـــدى) وإذا بجدنا رضي الله عنه يقـــول للمرأة زغرتى علي أنا سلطان الدنيا والآخـــرة ، فاذا بالحراس تخاصموا مع أصحاب الشيخ ، وذهب الشيخ إلى السلطـــان أبى العباس الأعرج فأغلظ له الشيخ وواجهه بما يكره ، فلما خرج من عنده لامـــه بعض أقاربه وقال له ألا تخاف السلطان حيث تواجهه بما واجهته به ؟ فقال له أخاف من المذبوح ! والله لأرى الذبحة فى عنقه من الأذن إلى الأذن ، والله إن لم أرفـــع أنا فريسته لم يرفعها أحـــد ، فكان الأمر كذلك ، وكـــان السلطان محمد الشيخ قتله جماعة من الأتراك كانت فى جنده فغدروه بموضع يقـــال له أكلكل بازاء جبل درن عـــلى طريق رودانة وهو قاصد إليها وحزوا رأسه وذهبوا به ، وقتل معه الفقيه مفتى مراكش علي بن أبى بكر السجناتى ، والكاتب أبو عمران الوجانى ، وذهب خدام السلطان المقتول فدخلوا عـــلى أخيه أبى العباس الأعرج فى السجن وكان أخوه انتزع الملك منه وسجنـــه

وذلك سنة ست وأربعين وتسعمئة فقتلوه هو ومن معه من أولاده مخافة أن يخرجه الناس فيبايعوه ، وكان ابن سيدهم عبد الله الغالب نائباً بفاس إذ كـان ولي عهد أبيه بها فلعل أولئك الذين كانوا في السجن بقوا بلا دفن لم يتجرأ أحـدهم على دفنهم حتى احتملهم سيدى أبـو عمْرو رضي الله عنه ودفنهم ، وأنكر عليه بعض الناس تقبيل اليـد فقال له أنت رأيتهم يقبلون يدى فالله يقطعها مئة قطعة بالنار ، فانهم ليسوا يدى يقبلون ، إنما يقبلون فضل الله ، والله لولا أن تنسب الناس أكثر مما انتسبوا لخرجت له قصبة من الحائط ومن قبلها قضى حاجة .

ومـن كرامات الشيخ أن رجلا عمـد الى عكازه فجعله فـي داخل حانوته فلما سأله عنه قال أحرقته النار فاحترقت حانوته فى تلك الليلة إلا عكاز الشيخ ثم تاب من ذلك فأخلف الله عليه .

وقال الشيخ رضي الله عنه من اهتدى بى فاز ، ومـن اهتدى بى سـار ، ومن استشفع بى جاز ، فانأولي الله قطعاً و لاأبالى فكل مـن رءانى ووصل مقامى حصل له بذلك مقام عالي ، فقد بعثنى الله فيكم لاقامة السنـة المحمدية الحنيفة فى كلام آخر ، فازدحم الناس عليه حتى كاد يقتل بعضهم بعضاً ، فخرج من باب الرباط وهو يقول أنا أقتل باذن الله وأحيى فاذا برجل من أكـابر علماء الوقت مفتى مراكش وهـو علي السجتانى متمسك بالأمير وهو يتكلم مـع الشيخ بكلام قريب من العجمية وليس بعجمى وذكر فيـه ما أمكن ، فقال سيدى أسكت قال الله تبارك وتعالى (وما أرسلنا من رسـول إلا بلسان قومه) فانقطـع كلام الفقيه ، وقد كان يقلب بمثـل هذا ولا يغرب منه فأنف ووسع الأكمام مع من هـو على شاكلته ، وبلغ الخبر الى الأمير عبد الله الغالب وأمر بجمع علماء الوقت بجامع الكتبيين ومرت نحو أربعة أيام فاذا بأصحاب الأمير أتوا لـه بفرس فركبه والناس أمامه يردون عنه الخلـق ليفسح المسير الى قرب الجامع حتى غلقت الحوانيت وتعطلت الأسـواق والنـاس يهرولون ، ونادى بأعلى صوته ابن علي الشربة ، فقال لـه نعم سيدى ، فقال له إذهب إلى سخان الحمام وأتنى بـه عزماً ، فجاء بالسخان ،

فقال له الشيـــخ أردناك تجاوب هؤلاء العلماء وتنوب عنا ، فأطـرق السخان وقال له ياسيدى ومولاي إنى لا أعرف الفاتحة فضلا عن جواب الموت والحياة والسلطان هناك فغلظ عليه الشيخ فانتفض وقال له عبدك بعناية الله ظاهراً وباطناً ، فلمــا دخلوا الى الجامع ودخلت الخلائق معهم كأنهم جراد منتشــر فصار السخان يفـور بالعلم ويتكلم مع العلماء ويجاوبهم بالشريعة ، فكلمــا قالوا له بالشريعة فتح عليه ويفرغها لهم بأربعمئة تأويل ، وكلما قالوا له بالحقيقة أكثر فأكثر فصار يفور بالعلم الذى لا حصر لــه لأنه نزه بذاتــه لا يقدر عــلى كتمه ، فاذا بالعلماء والسلطان خرست ألسنتهم وازدادوا هيبة وحياء ، فعلموا أن الاستسلام واجب ، فقبلوه وهــو يقول أنا ولي الله بــلا كذب ، فكثر البكاء والضجيج ، وجعلوا يتساقطون عــلى رجليه ، واستفتح الشيخ وصعد الى المنبر ، وأظهر هناك من العجائب ما يعجز عن وصفــه البشر ممن كان فى ذلك المجمع ، ثم قال الشيــخ يقول الله تعالى (أومَن كان ميتــاً فأحييناه وجعلنا له نوراً) الآية ، فهذا أحييناه بعناية الله ، وأنتم أمــوات بعناية الله ، هاتوا ما عندكــم ، فصمتوا كلهم فخرجوا من جميــع الأوصــاف البشرية واتصلوا بالحضرة المحمدية ،وشهدوا لــه بالتحقيق ، ثم قال الشيخ لولا حياء من رسول الله صــلى الله عليه وسلم لقلت لــكم هذا مومن وهذا كافر ، وهذا مذبوح ، ولكن توبوا الى ربكم ، ثــم وعدهم الشيخ بباب الرواح الذى يلى القبلــة ، فركب عــلى الفرس واستفتح خطبة أخرى .

وله رضي الله عنه كــلام كثير ، وله رضي الله عنه رسالة رشيقــة رصيفة أجاب بها رسالة الشيخ الخروبى أفاد فيها وأجاد ، وبيــن الطريق لمن أراد ، وقد أثبتها الزروالى فى تأليف مناقبه .

وكانت للشيخ رضي الله عنه همة رفيعة فى إطعام الطعام عــلى قدر طبقته، فسار الناس يأكلون خبز الشعير وما وجد من الفاكهة معها، وفى الصبح الدشيش ، وفى المســاء الكسكس ، ومن هو أعلى مرتبة خبز القمح وخالصه والتمــر والعسل ، ومَن هــو أعلى مرتبة يأكل اللحــم والدجاج والأفــراخ والثريد ، ومن هو أعلى قدراً من المذكورين يقرب لــه الحريرة المتخذة مــن

لباب الخبز الخالص مقصرة بفصوص البيض مفوهة بالقرفة والزعفران ولحم الضأن المطبوخ باللفت ، تقوم الآنية بنحو خمسين أوقية لكل آنية ، وأنواع الفواكه التى لا توجد فى خزائن الملوك ». ولقد قضى أرباب الملك العجب من جودة طعامه وكثرته بحيث لا يوجد له نظير ، ومَن يتأمل ذلك يعلم أنه لا يقدر أحد على تلك الكفاية الا مَن ينفق عليها بيوت الأموال أو تكون له مادة ملكوتية ، وكل واحدة من قدور مطبخه يطبخ فيها الثوران والجملان، ويذبح كل يوم البقر والغنم والابل ». وعنده بلاط يبرد فيه الكسكس بالألواح كما يفعل بصابة الزرع عند التذرية والتصفية ، والعجب أن له على كل نوع من أنواع الطعام وكيلا مخصوصاً ، فاذا قال علي بفلان يأتيه فى الحين بكل ما يكون من ذلك النوع أما مشوياً أو مطبوخاً أو فاكهة أو عسلا أو سكرا على جميع أنواع الطبخ ، وذلك فى كل وقت من ليل أو نهار على الدوام ، ولما حضرته الوفاة أوصى بنيه وقال لهم ابنوا باب الرباط ولا تتعرضوا لما كنت أنا متعرض له ، فذاك سر إلاهي لا يقدر عليه الا مَن أذن له فيه ، وقبره مزارة عظيمة عند أهل مراكش ». وعليه قبة فى غاية الاحتفال على مقربة من ضريح الشيخ سيدى محمد الجزولى بروض العروس رحمة الله عليه .

وكان رضي الله عنه ذا سمْت حسن ، وجهه تلوح عليه الأنوار يقول رائيه هذا ولي الله حقاً إذا تكلم تكاد الجراوات تستمع اليه لا يكاد يسقط لسامعه من كلامه حرف ، وله سلطنة وهيبة وقهرية يعطى كل ذى حق حقه يحضر زاويته العلماء والفقراء فيقول لهم هاتوا ما عندكم ويسأل كل واحد عما أشكل عليه فيجيبه ، وكان من صوفية الحقائق والأذواق لا من صوفية الرسوم والأوراق ،مشتغلا بالسنة فى جميع أموره ، مواظباً على الأوراد والأذكار وأنواع النوافل ولو فى المرض لا تكاد تراه الا مبتسماً يتكلم مع الناس فيما يتكلمون ويضحك مما يضحكون ، ولا يخالف ظاهره ظاهرهم ولا يواطن باطنه باطنهم لا يزيد فيه إقبال الخلق وتعظيمهم ولا ينقض منه إدبارهم ». تنزل به النوازل العظام ولا يظهر لها عليه أثر ، ترياق مجرب لأمراض القلوب وعللها .

وقال رضي الله لو أتاني كافر متغمس فى كفره لوصلته الى الله من حينه وقال أولادى تطعمهم الطعام وتسيرهم فى الظلام ونعبر لهم الأصنام أي أصنام الدنيا المرجفة أي تطلبهم حيث كانوا ولا يتعبون فى طلبها ، وقال رضي الله عنه الدنيا حلفت لتعبث بأولاد الفقراء كما لعبت بها آباؤهم وبرت بيمينها الا أولادى فليس لها عليهم من سبيل ، وقال رضي الله عنه من تعلق بالأولين ضعفت نيته ، ومن تعلق انتظار الآخرين طال أمله ، ومن تعلق بأهل زمانه تنور ، وقال من زار ولياً ميتاً أحيى نفسه ومات قلبه ومن زار ولياً حيا أحيا قلبه وأمات نفسه ، وقال المريد مستمد من شيخه ومن أخيه مستعد ، وقلبه لربه منفرد ، وقال رضي الله عنه من نظر إليّ نظرة فله بها أجر سبعين حجة وهي نظرة خاصة بخصوص ، وقد كثر مريدوه رضي الله عنه حتى عرف منهم نحو السبعة عشر ألفاً ، وقال رضي الله عنه عندنا من أولاد القلب مَن هو فى عدوة النصارى ، وأصحابه لا يحصى لهم عدد كولده لصلبه الملقب بسيدى محمد الصغير ، ثم الكامل ، ظهرت له نفحة ربانية لو طال عمره ، ومن أعيان أصحاب الشيخ الولي المداح الزعري ثم الحفيانى الدودى ، والسيد عزة الفشتالى ، وأحمد المزروعى ، والسيد عيسى ابن عبد الرزاق ، وأحمد بن منصور المعروف بالحداد ، والفقيه أحمد بن يحيى ، والفقيه أحمد بلقاسم ، والشيخ العارف المحب محمد الشرقى ، والعارف أبو بكر المجاطى ، والسيد حمامة ، وصاحب الكميل أبو يعقوب يوسف الأحمدي ، نهؤلاء سادات الأصحاب وأعيان الأحباب ، ومنهم الشيخ محمد بن عيسى ، ومن كلام الشيخ رضي الله عنه من أحبنا لدنياه فهو محجوب عنا ، ومن أحبنا فى ذات ربنا نال الولاية من حينه على أيدينا القريبة إلينا ، من تقرب وسار بسيرنا وتخلق بأخلاقنا فهو منا ولو كان بيننا وبينه ألف سنة ، ولما وقع قحط بمراكش أتاه أهلها بمفاتيحهم وطلبوه بالمال فأخذه من عند السلطان عبد الله الغالب بالله ودفعه لهم على يد صاحبه سيدى علي الشربة ، وكتب على كل واحد بطاقة بذلك ، ثم وجه له أصحاب البطائق الأموال فردها عليهم مع البطائق وطالبه بالمال السلطان ، فقال له فى موضعه ، فسأل خازن بيت المال هل وصله منه شيء فقال

لا ، فأعاد اليه الكتابة فاغتاظ الشيخ وقال للحراس قولوا لسيدكم المال في محله ، فقدم الأمير بنفسه لبيت المال فوجده مملوءاً وكان رضي الله عنه يشيع المرضى واذا التقى بأحد من الأمراء وأرباب الأموال يقول له اشتر مني وتكلم معي بكذا فان فعل قال له كنت في أمان وان لم يفعل قال له أنت معزول أو مقتول ، فيكون ذلك بقدرة الله .

وكراماته وكلامه رضي الله عنه ونفعنا به كثيرة لا حصر لها ، وكان رضي الله عنه من أهل الخطوة حضر جنازة ببغداد ورآه الامام الزروالى في الطواف مراراً حين جاور بمكة ، ولم يسافر الشيخ الى الحجاز قط ، وحدث بعد رجوعه بذلك بمحضره فلا ينكر عليه بل . . . . بذلك .

وقد ألف في مناقبة العلامة الزروالى تأليفاً في مجلد رتبه على مقدمة وأربعة أبواب وخاتمة ، المقدمة في تمهيد أصول الكتاب وقواعده التي تنبنى عليها جميع الأبواب ، الباب الأول في إثبات نسبته المرضية واسناد طريقته المروية وتسمية أشياخه واحداً عن واحد الى خير البرية ، الباب الثاني فيما دل على تخصيصه باشارة أشياخه وحسن سيرته ، الباب الثالث في ظهور دعوته البالغة وبراهينه البازغة وحججه الدامغة ونفحاته السابغة ، والباب الرابع في شيء من كلامه المشكور وتفسير ما تيسر منه على حسب الفتح والنور ، وكراماته الظاهرة وخصائصه الباهرة ومحاسنه الزاهرة ، الخاتمة في ذكر وفاته وما ظهر على بعض خواص حضرته من فضل بركاته ، وقد لخصت مقاصد هذا الكتاب في هذه الأوراق ، وقد ذكرنا حكاية تبشير شيخه به في ترجمة سيدى عبد الله بن ناصر صاحب سيدى عبد الله بن حسين فراجعها هناك ، وكذلك ذكرنا شيئاً من أحواله في ترجمة صاحبه سيدى علي بن مهدى وسيدى محمد بن عبد الرحمان المراكشي ، وفي ترجمة القاضي عياض ، وسيدى محمد أحمد الحلفاوى وأبي العباس الوراق ، وفي مقدمة هذا الكتاب في ذكر فضل مراكش ، وفي ترجمة سيدى سعيد ، وسيدى الحسن المداح ، وعبد الرحمان بن عبد الهادى السجلماسي، وسيدى عبد الله الطربلسي ، وسيدى مبارك بن تعلوت .

ومـــن تلاميذه رضى الله عنه سيـــدى عيسى بن محمد التلمسانـــى المشهور بأبى معدة كما في الرحلة العياشية والناصرية .

97) أبو عنان فارس بن أبى الحسن علي بن أبى سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المرينى (I) .

لقبه المتوكل على الله .

أمه أم ولد رومية اسمها شمس الضحى .

مولده بفاس الجديد المدينة البيضاء فى الثانى عشر لشهر ربيع الأول عام تسعة وعشرين وسبعمئة .

بويع بتلمسان في حيـــاة أبيه ، لأنه غدر أباه في الملك لما غـــزا إفريقية ، يوم الثلاثاء منسلخ شهر ربيع الأول عام تسعة وأربعين وسبعمئة ، وكانت دولته تسعة أعوام وتسعة أشهر ، وهو الذى أحدث بمدينة فـــاس العلم الأزرق فى الصومعة .

صفته أبيض اللون تعلوه صفرة ، طويل القامة يشرف الناس بطوله . . . . . أعين أدعج جهوري الصوت فى كلامه عجلة حتى لا تكاد تفهم ما يقول ، عظيم اللحية تملأ صدره أسودها ، واذا تمر به الرياح تتفرق بنصفين حتى يستبين موضع لحم السبلة ، وكان فارساً شجاعاً يقوم فى الحرب مقام جنده، وكان فقيهاً يناظر فى الفقه العلماء الأجلة ، وكان عارفاً بالمنطق وأصول الدين وله حظ صالح من العربية والحساب ، وكان حافظاً للقرآن عارفاً بناسخه ومنسوخه حافظاً للحديث عارفاً برجاله فصيح القلم كاتباً بليغاً حسن التوقيع .

أولاده أبوزيان محمد وهو الذى ولي بعده .

كتابه أبو القاسم بن رضوان ، وأبو القاسم البرجى .

قضاته محمد المقرى ، ومحمد بن أحمد الفشتالى ، وعبد الله بن محمد الأوربـــى .

I) ترجم المؤلف لأبى عنان فى موضع اسمه فارس من حرف الفاء ، وقد آثرت اثبات ترجمته فى مكان كنيته (أبى عنان) من حرف الألف ، لأنه لا يعرف الا بها .

ومن نظمه يتغزل :

يارامياً بالنبـال من غنـج وطائلا بالنصال من دعـج
وبادياً كالهـلال فـى سحـب وطافحـاً من سلافـة الفلـج
وباسمـاً عن لئالىء سلفـت وناسمـاً كـل عـاطر أرج
رفقـاً بقلبى فان فيه هـوى ولا تطل فى المـلال والحـرج

وله أيضاً فى الحكمة :

واذا تصدر للرياسة خـامـل جرت الأمور على الطريق الأعـوج

قال ابن الأحمر : كنت يوماً جالساً معه بمقعد ملكه من المدينـة البيضاء من فاس العليا فدخل عليه رجل متصلح ، فلما نظر اليه قال بديهة :

تراهم فى ظواهرهم كرامـاً ويخفون المكيـدة والخداعـا

قال ابن الأحمر فى (نثير الجمان) : أخبرنى الفقيه الامام المفتى المدرس قاضى الجماعة بفاس وقاضى الحضرة المرينية بالمدينة البيضاء محمد القرشى المقرى قال كنت يوماً عند أمير المومنين المتوكل على الله أبى عنان فقال لى ياأبا عبد الله كنت يوماً بقصرى وكانت فى يدى تفاحة فحضرتْنى جارية من جواري كنت أحبها حباً مبرحاً فرميتها بالتفاحة وقلت على البديهة :

خذها إليـك هديـة من كـف ملـك مـالـك
يُبـدى العطـايـا دائمـاً ويُبيد شملَ الفاتـك

وله أيضاً :

صباح سعد قربُك منـى يامشبه الغصن فى التثنـى
أشبهت بدراً وفقـت حسنـاً وزدت فى الهجـر والتجنـّى
فامنُنْ بوصـل ولا تُطلْـه فـان بالبعـد زاد حـزنـى
فأنت نَوْر وأنت نُـور وأنت بـدر بـدا بغصـن

وله أيضاً :

ألف الفــرار فؤاديــــــــــا فغـدا اشتياقــى ناميـــــــا
واطال لهــف تشوقــــــــى فبــدا اصطبــارى نائيـــــا
وتوقدت نارُ الحشـــــــــا فطلقت دمعاً هاميــــــــــا
بالله ياعرب النقـــــــــا ردوا عليّ سلاميــــــــــا

وله أيضاً :

ياعاذلى فى غــــــرامـــــى دعنــى وطــول المــــــلام
دع مستهاماً كئيبـــــــــاً جفاهُ طيبُ المنــــــــــام
وجسمه قد تمــــــــادى عليه فــرطُ السقـــــــام
وحبــه لــن يحـــــــولا مخلـداً للقيـــــــــــام

وله أيضاً :

جسمى أضرَّ به السقــــــــام والجفن قــد عدم المنـــــام
ياهاجــرى مــنى عــــــلى أنوار غرتك الســـــــلام

وله أيضاً :

ياظبية نفرت عنى ففارقنـــــــى نومى فرقّى على مَن ليس ينساك
ملكتنــى ففــؤاد هائــم دنـــــف وحزت رميا لما تحويــه عينـــاك
مُنى علي بما أهوى فهــا كبــدى تحن شوقاً وأشجانا لذكـــــراك

وله أيضا :

خليليَّ هذا البين جار فلم يــدع لدى اصطباراً أو فؤاداً ولا عقـــلا
سألتُكما رقا لحالة وامــــــق ومهلا على أهل الهوى والنوى مهلا

ومن توقيعاته لبعض عماله . . . . (بياض) .

وفى أيامه قدم الامام ابن خلدون الى فاس فاستعمله أبو عنان على كتابته.

وفى كتاب (الحقائق والرقائق) ما نصه :

وقيقه اخبرنى أميــر المومنين المتوكــل أبو عنان أن جده أميــر المسلمين عثمان رحمهما الله تعالى سأل كاتبه عبد المهيمن الحضرمي عــن

تهادى أهل الحب التفاح دون الخوخ وكلاهما حسن المنظر طيب المخبر شديد الشبه بأخيه شديد تشبه الوجنات بـه لتوخيه ، فقال من عند مولانا فقال أرى ذلك لاشتمال التفاح على الحب الذى يذكر بالحب ، والخوخ على النوى الذى يكون اسمه صفر الهوى . انتهى كلام الكاتب المذكور .

قلت ومثل هـذا يقال فى قولهم وصل الحبيب أحلى من الزبيب ، ولم يقولوا من التمر لما ذكر ، ولنكتة أخرى كالسجع ، وفى (الديباج) و (الجذوة) فى ترجمة ابن مرزوق الجد نقلا عن ابن الخطيب قال : وحدثنى الثقة من خدام السلطان أبى عنان مُخبراً عن نفسه يعنى السلطان وكان أبو عنان قد غضب عليه يعنى على المترجم المذكور ثم أجاره من سخطه عليه قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فأمرنى بذلك وكفى بهذا جاهاً وحرمة .

ونقل فى (أزهار الرياض) من خط بعض الأعلام من تلامذة الشيخ ابن غازى رحمه الله ما نصه وقد تكرر السماع من علماء فاس ولا سيما من السيد القدوة محمد ابن غازى رحمهم الله أنهم قالوا رأى بعض صلحاء فاس نفع الله بهم السلطان أبا عنان وهو بحالة حسنة وثياب حسان ، فقال له ما فعل الله بك ؟ فقال غفر لى وأدخلنى الجنة ، فقال له وبم ذلك ؟ قال على قراءة الشفا للقاضى عياض بمساجد فاس ، غفر الله لى وضمن عنى الحقوق وهنا رجاء عظيم وذلك قليل فى حق المصطفى صلى الله عليه وسلم .

قلت رأيت بخط الفقيه القاضى الكاتب الرحال إبراهيم بن الحاج النميرى رحمه الله فى تاريخ له بعد كلام ما نصه : ثم ولي بعده ابنه المتوكل على الله أبو عنان ، وهو الذى تميز بأمير المومنين من بنى مرين وحده ، وتلقب بالمتوكل على الله ، وهو الجامع لكمالات الملوك ، المنفرد بما لم ينفرد به أحد ، وكان مُحباً فى العلم وأهله يحصل له المسائل العلمية ويطالع الكتب ليله أجمع لم تهزم له قط رايه ، وخلد آثاراً عظيمة ، وبنى بكل بلدة من بلاده زاوية لاطعام الطعام ، ولم يكن له قصد الا فى تحصيل الأجور واكتساب المحامد والمعالى ، ورئي فى النوم فقيل له ما فعل الله بك ؟ فقال غفر لى وأدخلنى الجنة ، فقيل له بصدقاتك ؟ قال لا ، رجع كل شيء إلى أربابه وانما نفعتنى قراءة سورة الأنعام فى كل ليلة ، ورآه بعضهم

أيضا فقال له كيف حالتك ؟ فقال أنا في أتم النعم وأكمل الخيرات بمحبتي في آل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد يجمع بين هذه الأشياء بأن بجميعها حصلت له المغفرة ، وفضل الله واسع ، نسأله سبحانه أن يمن علينا بالرضوان ، ويقينا في الدارين مسالك الذل والهوان بجاه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

توفي مقتولا خنقه وزيره الحسن بن عمر الفودودي يوم السبت الثامن والعشرين لذى حجة مختتم عام تسعة وخمسين وسبعمئة (1 دجنبر سنة 1358 م) .

ترجمه في (الحلل) و (الاحاطة) و (تاريخ الدولتين) و (الجذوة) و (درة السلوك) و (المونس) وذكر فيه الحافظ في (الدرر الكامنة) سطرين ، وذكر أنه ولي السلطنة خمس سنين ، وهو خلاف ما تقدم .

ومن آثاره العظيمة بفاس المدرسة البوعنانية ، وخزانة كتب القرويين العلمية ، وخزانة المصاحف القرءانية ، وبسلا المدرسة التى صارت الآن فندقاً يسمى أسكور ، وكانت لدراسة الطب ، وبتلمسان مسجد سيدى الحلوى ، وراجع ص 318 من ج 1 من (نفح الطيب) .

فائدة :

قال في (الكشف) **الدرة السنية ، والوسيلة النبوية** رسالة لأبى عنان ملك المغرب .

98) **أبو عسرية بن منصور** : الفقيه الناظم الناثر ، له منظومة في المراحل الحوزية رائقة رشيقة ظريفة وعظية جغرافية تاريحية ، نظمها وذكر دخوله لمراكش صحبة السلطان سيدى محمد بن عبد الله واغداقه عليه جزيل الاكرام منها :

وليس في أيام ربى من أثـــر — في شيء ما في حضر ولا سفـــر
وانمـــا المؤثـــر الالاه — فلا توثر أحداً ســـــواه

عند الضحى خرجت من مكاننـا ... ونحن إذ ذاك أمام جدنـا
سيدنا محمد بن منصـور (1) ... قطب العوالم الرضيُّ المشهـور
ضريحه جزيرة البسابـس ... بغربنا المذكور لا تلابـس
من بعد ما له قرأنا الفاتحـه ... وربنا يُنيلنا مفاتحـه
طلبت من الإهنا الوهـاب ... سلامةَ الذهاب والايـاب
على طريق السيد الموالـى ... سيدنا محمد المـلالـى
به طلبنا ربنا تعالـى ... بلوغ كل نعمة توالـى
معى من الاخوان مَن يناسـب ... إعانة إن عدم المناسـب
منه الى وصولنا وادى سبـو ... وماؤه أجل ما يناسـب
عليه حلة بنى عطيـة (2) ... أنالنا الله مُنَى العطيـة
منهم أتانا مخبر وناصـح ... قال اقطعوا على مجاز صالـح
لأنه من أسهل المجـاز ... وربنا بمنه المجـازى
به قطعنا مع بعض النـاس ... فما بدا لنا به من بـاس
وقصدنا محلة العبيـد ... بمشرع الرملة يامفيـدى
فى موعد المحلة المسافـرة ... مع الشريف كي نرى مآثـره
ورفقة معروفة الاحسـان ... يرعون حرمتى من الجيـران
بتنا فى حفظ ربنا ذى الفضـل ... عند بنى فضل (3) من أهل الفضل
أجلُّهم فى وقتنا ادريـس ... ثم محمد الأخ الأنيـس
قد أكرموا نزولنا وفرحـوا ... فوصلنا إليهم وذبحـوا
وذلك الفرح أمره شهيـر ... دل على أنهم أصل كبيـر
إذ كل فرع تابع لأصلـه ... جزاهم الاهنا بفضلـه

---

1) **محمد بن منصور المصباحي** : أحد مشاهير صلحاء الغرب فى القرن العاشر ، صاحب الضريح الشهير بقبيلة المناصرة شمالى مدينة القنيطرة؛ توفى فى العشرة الثالثة من القرن العاشر ؛ واقبر بالمكان المعروف بالبسابس أو جزيرة البسابس من أرض أولاد جلون ، ورد فى بعض التقاييد أنه من ذرية سيدى عبد الله بن منصور الحسنى دفين قرية عين الحوت القريبة من تلمسان .

تنظر ترجمته فى **دوحة الناشر** ص 56 .

2) توجد هذه الحلة ببطن سفيان من قبيلة المناصرة .

3) توجد حلة بنى فضل اليوم ببطن التوازيت من قبيلة عامر السفلية باقليم القنيطرة .

وفي غد صباح يوم الأربعـــا ... ركب جمعنا بخير مسرعـــا
جزنا على الولي نجل جدنـــا ... سيدنا يحيى بن منصور (1) دنـــا
بطرف المحلة المذكـــورة ... قبته قائمة مشهـــورة
بجاهه طلبت القلـــوب ... كل المنى وذلك المطلـــوب
بقربه يعمر سوق الأربعـــا ... إليه تنسب فكن متبعـــاً
وبينما نحن به إذا قبلـــت ... محلة الشريف ثم نزلـــت
بقربه لها قباب وخبـــا ... لأجلها العدا تصير كالهبـــا
ومعه القبائل المذكـــوره ... أقامها أمر الأمير ســـوره
من بعد ما قد بُنيت وصلنـــا ... إلى مرادنا الذى قصدنـــا
وهي المنا قائدنا المذكـــور ... ابن المفضل الرضى المشهـــور
فأكثر الترحيب والتبجيـــلا ... وكان منى طلب التعجيـــلا
فهيأ المسكن والمركوبـــا ... وحمل المأكول والمشروبـــا
فلم أكلف سفرتي بـــزاد ... إذ كنت مثل واحـــد الأولاد
وكمل المراد بالاحســـان ... جزاه ربنا العظيم الشـــان
من فضله أفضل ما يجـــازى ... به ذوو الاحسان إذ تجـــازى
وذى المحلة التى وصلنـــا ... رسومها وأرضها حللنـــا
هي من أحداث بديع الزمـــن ... بادت بأهلها كأن لم تكـــن
وربما تعرف وضع أصلهـــا ... لكن إذا تشاء قل فى وصفهـــا
محلة ويالها محلـــه ... قد أخذت من دهرها محلـــه
كانت ولاة أهلها على طـــرب ... وفـــرح طاب لهـــا كـــل أرب
ساعدها الزمان والسلطـــان ... طاعت لها الجبال والأوطـــان
كانت ملوكاً زيها زي الملـــوك ... قائمة بأمر مالك الملـــوك
لها مع السلطان إسماعيـــل ... أشد صولة على ما قيـــل
عزٌ وجاهٌ وجيوشٌ وافـــرهٌ ... بكل ما يريد منها ظافـــرهٌ
فلو سمعت ذكرهم ممن حضـــر ... لقلت هذا الأمر مما يعتبـــر

---

1) يوجد ضريحه بالقرية المنسوبة اليه الواقعة بقبيلة عامر السفلية على الطريق الرابط بين القنيطرة ومكناس عبر سهول الغرب .

لما تولت مدة السلطـــان ... صالوا بحال الظلم والطغيـان
فأصبحت ديارهم بلاقـــع ... ومـا لأمر الله من مدافـع
أبادهم عدم حمـــد الله ... وشغلهم بكثرة الملاهـي
بقت آثارهم ديار خاليــة ... بها منازه مبان عاليــة
فيها أشد عبرة للمعتبـــر ... تذكرة تقول هل من مذكـر
فمن رآني فليجد في العمـل ... ولا يغره هوى طـول الأمـل
بها أقمنا بعد ذا يوميــن ... في مأمن الالاه دون ميـن

من المقرن الى سيدى عبد العزيز

ثم من الغد ارتحلنا في الأحـد ... بغابة بها منى كل أحـد
بها من الوحوش ما لا يحصـى ... عدده وأمره مستقصـى
رأيت فيها كثرة الأرانـب ... تدور حولها من كل جانـب
والذئب والخنزير فيما يذكـر ... من الوحوش أمرها مشتهـر
على الحويمض إلى السمنطـو (1) ... ومشينا مع الطريق شـرط
وهو وادٍ طوله مديـد ... أيام حمل ماؤه يزيـد
فيه وجدنا حُلَلَ الأعـراب ... خيامهـا مصونـة الأطنـاب
سألنا مَن همُ قالوا العبابدة (2) ... ومعهم حلل قوم زائـدة
منها طلعنا في فيافي وقفـار ... واسعة الفضاء مشتهى النظـر
مرت بنا الطرق على فنـزارة (3) ... خالية ليس بها عمـاره
كانت بها دور مصونة البنـا ... أبادها أمر الالاه ربنـا
تدل ذا العقل على الرحيـل ... من هذه الدنيا بلا مقيـل
لأنها كمَثَل السـراب ... عامرها يصير للخـراب

---

1) **السمنطو** : سهل واقع بين قرية سيدى يحيى الغرب وقرية سيدى علال البحراوى ، به وادى يسمى به ، وبه حلتان احداهما شمالية ببطن التوازيت من قبيلة عامر السفلية ؛ والثانية جنوبية ببطن المحاتميين من قبيلة آيت على بن الحسن الزمورية .

2) **العبابدة** : بطن من قبيلة عامر السفلية من اقليم القنيطرة .

3) **فنزارة** : اسم قبيلة بربرية قديمة كانت بطونها منتشرة في السابق بين وادى بهت وغابة المعمورة ؛ ويظهر ان المكان موجود بين قرية سيدى علال البحراوى وقبيلة السهول .

سوقاً وجدنا خلفها قد عمــــــرا
قضى ذوو الأغراض منه وطـــــرا
في قربه طلع ذيب من خـــــــلا
تعرضت له خيول نبــــــــــلا
فأخذوه مكرهاً لا طوعـــــــــا
وتركوه ميتاً وصرعـــــــــى
منها وصلنا ولجةَ العـــــودات
بوادى المجاز ذى الثبــــــات
عند صلاة الظهر ياخليــــــــل
وكان فيه عندنا المقيــــــــل
ثَمَّ آثارُ الباشاة القسطالـــــى
رحمه الله الكريم العالـــــــى
كانت له العرصة بالأشجـــــار
يغشاها بالليل وبالنهـــــــار
يخرج فى الصيف وفى الشتـــاء
منزهاً في جري ذاك المــــــاء
حتى إذا أتاه وارد الحِمـــــام
تركها ومرَّ عنها والســـــــلام
يامالكى المعروف بالاحســـــان
قابله بالرضى وبالغفـــــــران
وحلة السهول حول الـــــوادى
معهم البعض مـــن الأولاد
منه طلعنا مع غوط غــــــوط
طويل الامتداد عالي الشـــــط
ثم طلعنا فهبطنا أيضـــــــاً
مـع
وبتنا خلف سيدى عبد العزيـــز
فى حفظ ربنا وحصنه الحريـــز
من بعد ما أتى من الأخيـــــار
بعضهم بأحسن الثمـــــــار
قال لنا من عرصة الولـــــيُّ
سيدنا العربيُّ التقــــــــيُّ
نجل الذى سهامه لا تخطِـــى
نحرَ أعاديه الامام المعطـــــى
اخذها من بعض أهل البلـــــد
بالثمن المرضيُّ لا تفنـــــد
بها من الثمار أمر عجـــــب
ترضى الذى يبصرها وتعجـــب
أشار به الولي بما تيســـــرا
وربنا يفتح ما تعســــــــرا
طلبنا للولي ضيـــــفَ الله
ولا يخيب عائذاً بـــــالله

من سيدى عبد العزيز الى مشروع المسناوى

ثم من الغد ارتحلنا بالســـلام
لقصدنا وكان قصدنا أمـــــام
فى يوم الاثنين الذى يلى بـــلا
تعطل مع سراة نبـــــــــلا
منها قبضناها طريقاً واضحـــة
من بعد ما له قرأنا فاتحـــة
به سـألنا
سلامة الذهاب والايـــاب

سرنا مع الطريق فى فيآفـــى   واسعة الفضاء والأعطـــاف
كثيرة الشعاب والأشجـــار   فيها مُنى الأسماع والأبصـــار
كثيرة الوحوش للصيـــاد   فيها المنى وغاية المـــراد
وهذه البلاد تدعى بالبيـــان   على لسان أهلها بين الســـودان
. . . . قربنا مولانا إدريس (1)   على اليسارِ زره' ياأنيـــس
مياه أغبـــال (2)   مَن زاره له المنا والاقبـــال
زرنا ضريحه بحمـــد الله
وحوله بعض منِ السهـــول   خيامهم قائمة الأصـــول
بانت لنا أمامنا شعـــاب   عويصة ساكنها مهـــاب
فيها هبطنا مع شط الـــوادى   وادى برقراق (3) منى الأثمـــاد
ثم شعاب وجبال وشجـــر   كثيرة الوحوش مشتهي النظـــر
ثم سباع وذئاب ونمـــور   عادية إياك صاح والغـــرور
إن جئتها كن ضابطاً وحازمـــا   ذا أهبة ميقظاً وعازمـــا
عساك أن تفوز بالمـــراد   مع السلامة بلا نكـــاد
فكم جرى
وكم   وقليل" ما هم
كان مقيلنا بهذا الوادى فـــى   زوال يومنا بلا تكلـــف
وماؤه فى غاية العذوبـــه'   فنال كل شارب مطلوبـــه
منه طلعنا لبلاد جامعـــه   ذات فجاج وفيافى واسعـــه
بلاد حرث وكلآ للماشيـــة   وكثرة الخيرات فيها فاشيـــة

---

1) **مولاى ادريس** : المراد بـه مولاى ادريس المدفون بالمكان المدعو أغبال ببطـن المعابفة من قبيلة أولاد عزيز الزعرية بحوز الرباط . عليه ضريح مقصود ؛ وينعقد به كـل أسبوع سوق يضاف الى اسمه .

2) **الحبـال** : المراد به هنا اغبال الموجود ببطن المعايفة من قبيلة أولاد عزيز الزعرية بناحية الرباط ؛ وبه ضريح مولاى ادريس المشار اليه فى التعليق المتقدم .

3) **ابو رقراق** : نهر شهير بالمغرب ينبع من ناحية خنيفرة بالأطلس المتوسـط ؛ ويسير متعرجاً فى اتجاه شمالى غربى متضخماً بما ينضاف اليه من الروافد حتى يصب فـى المحيط الأطلسى بين الرباط وسلا ؛ ومن أسمائه القديمة وادى سمير ؛ ووادى الرمان .

فيها وجدنا حلة كبيـــرة   لها مواش نعم كثيـــرة
مثل حارث فقال لا نكيـــر   أولاد ميمون (1) فريق من زعير (2)
وان تشأ نفسك خبر ما بغـــت   فهاذه بلادنا تلمَّغـــت
وذى طريق سوق بونجاجـــه   فاسلكْ سبيلنا وعى فجاجـــه
ثم لقيتنا الطريق من ســـلا   واضحة وقيتَ أنواع البـــلا
لما وصلنا السوق سلنا ماجـرى   فجاءنا البشير قال خبـــرا
ان الأمير حط ليل البارحـــه   فج كرامة بقوم فارحـــه
واليوم صار عازماً ذا حاجـــه   يرجاكم (3) فى صخرة الدجاجـــة
فسرَّنا خبرُه اليقيـــن   وصار فى القلب له التمكيـــن
منه قصدنا مشرع المسنـــاوى   وكل قاصد إليه يـــاوى
حطت به قبل اصفرار الشمـــس   هازمة وزال كل لبـــس
احدى مشارع وادى زبيـــدة   وكانت الجيوش مستعـــدة
خرج ثم القائد الجيلانـــى   للصيد والبعض من الأعيـــان
مصادفاً فى الحين عشر حجـــلات   فقسمت مع الشريف بالثبـــات
إذ لم تكن فى ليلة مئونـــه   ولا هناك حلة مصونـــه
فكان هذا الصيد من أحسن مـــا   يكون فى الوقت عشاء لهمـــا
وبات فى أمان رب العالميـــن   جميعنا فهو الحفيظ والمتيـــن

من مشرع المسناوى المذكور الى بلاد جدى المشهور

ثم من الغد ارتحلنا تابعيـــن   إمامنا المقصود والله المعيـــن

---

1) **اولاد ميمون** : قبيلة شهيرة من مجموعة زعير القبلية بناحية الرباط .

2) **زعيـــر** : مجموعة قبلية كبيرة بناحية الرباط بالمغرب الأقصى ؛ تنقسم الى فرقتين كبيرتين : فرقة الكفيان ؛ وفرقة المزارعة ؛ فالفرقة الأولى تشتمل على القبائل التالية : الحلاليف؛ والنغامشة ؛ وأولاد عمران ؛ وأولاد دحو ؛ وأولاد موسى ؛ وأولاد زيد ، والغوالم ، والرواشد ، والسلامنة ، والفرقة الثانية تشتمل عـلى القبائل التالية : بنى عبيد ؛ وأولاد كثيـر ؛ وأولاد ميمون ؛ والمراكشية ؛ والنجدة ؛ وأولاد على ؛ وأولاد عزيز ، وأولاد خليفة ، وأولاد كثير ؛ وأولاد ميمون .

3) أى ينتظركم .

من بعد ما وصلنا الرقـــاس (I)   عبد الحفيظ قال يا أنـــاس
إن الأميرَ آمرٌ بخيـــر   وهو أن ترفَّقوا في السيـــر
إلى المواضع التي يحلهـــا   تبادرون أنتم محلهـــا
جزنا على العوينة الحمـــراء   قرب المبيت صافياً المـــاء
في قربها لقي بعض الطلبـــة   قائدنا والكل منهم طلبـــه
فما تيسر له أعطـــاه   والعبد لا يتركه مـــولاه
أتوا له بلوحة مصلصلـــه   وفيها قد كتب بعد البسملـــة
مع التعوذ الذي يوضـــح   (إنا فتحنا) مع (إن تستفتحوا)
فكان من أحسن فال حمـــدا   لقيه والفتح أمر قصـــدا
سرنا وفي تلمَّغت مهامـــه   فيها القطا تحار مَن لنا بـــه
فجاجها تفجي عن القلب الكـــرب   وتدفع الهمَّ وتجلب الطـــرب
لها تحركت ولاة الأمـــر   من قومنا والخيل عند الأمـــر
رابضة لها صهيل ونفيـــر   عند التحرك وأمرها شهيـــر
جمع كل علفة تكنـــه   والقائد الجيلاني ذاك فنـــه
أغار بالخيل على البيـــان   للقائد الهاشمي بن الحفيانـــي
إغارةَ الأعراس والأفـــراح   أو شارب مثقل بالـــراح
سار وربي ناصرٌ أعلامـــه   حتى تساقطت له العمامـــه
على جواد أدهم قد أدبـــه   فصار عند الأمر مهما ركبـــه
ثم أغار القائد الحفيانـــي   بخيله وقومه الأعيـــان
وهاكذا وجل ذاك اللعـــب   لغرض الخليفة المهـــذب
ساروا طويلا والبارود يُسمَـــع   له انين والبريق يلمـــع
حفظهم من ماكر غـــدار   إلاهُنا بالليل والنهـــار
بقت على يميننا الهراتـــك   بلاد كل صائل وفاتـــك
لا يدركون أهلها بحيلـــه   لانها حمت كم من قبيلـــه

I) **الرقـاص** : ناقل البريد من مكان الى مكان وموزعه في الاصطلاح الاداري المغربي القديم ؛ ويطلق أيضاً في العرف على من يخدم الناس وعلى كل انسان كثير الحركة ؛ يقال فلان يرقص علينا أي يخدمنا . وهو بالصاد لا بالسين .

ثم على يسارنا الجبـــال جبال بطنة فلا تنـــال
ساكنها ينال كل عـــز لأنها شهيمة فى حـــرز
بها جرت لقومنا وقائـــع فى مثلها يحار كل سامـــع
مع زعير مانعى المعـــروف قيد حياة الهاشمى المعروفـــى
فصار من أعيان قومنا كثيـــر ومنهم لرحمة العلي الكبيـــر
عساه يرحـم

وشرحها فى أمره عبـــارة وانما جئت بذا اشـــارة
والفج ثم ظاهر بريـــز وكل ساكن بـه عزيـــز
ثم هبطنا لشعاب خاليـــه متصلات بجبال عاليـــه
على طريق كلها أحجـــار ثابتة وكلها أشجـــار
ملتفة على اليمين والشمـــال قاصمة ظهر أولائك الجبـــال
حتى لحقنا لغدير مـــاء كان به المقيل يامنائـــى
وهذه الجبال لا محالـــه تدعى بخيمة أبى خلالـــه
كان رئيساً قائماً فى وقتـــه ذا رفعة حتى ثوى برمســـه
رحمه الله الكريم المتعـــال بفضله إنه واسع النـــوال
وموضع الخيمة ثم ظاهـــر معلما لمن يراه باهـــر
يقول ياهذا الذى رءانـــى إياك أن تغتر بالزمـــان
أنظر لحالى واسمعن مقالـــى ما فاز غيرُ صالحى الأعمـــال
فاستعمل الجد وجد فى العمـــل ولا توخر صالحاً إلى الأمـــل
ثـم ركبنا وقبضنا ذا الطريـــق وربنا خير حفيظ ورميـــق
وهي رمال ذات أشجار طـــوال قد أخذت يميننا مع الشمـــال
منها خرجنا لبلاد عاريـــة لا غابة بها تراها عاليـــة
بقت على يسارنا الصفـــاف خلف عيون البل ياخـــواف
وهي ربا متصلات عاليـــة تظهر عن بعد تراها خاليـــة
مرت لها من هذه طريـــق واضحة يسلكها الرفيـــق
رغنا على طريقة اليميـــن أمننا الله فى كل حيـــن
وكل هذه البلاد لزعيـــر تعرف عند قومها بلا نكيـــر

إلى مواضع بماء تعـــــــــرف ... بدار برغوث كذاك توصـــــــف
بتنا على بلاد جدى يافتـــــــى ... والله حافظ لكل من أتـــــــى

من دخول بلاد جدى الى عين مازه

ثم ارتحلنا يوم الأربعـــــــاء ... ببلدة طيبة الهـــــــواء
كثيرة الربا كثيرة الشنعــــوب ... قليلة الماء قليلة العشـــــوب
فما رأت عينى بها عمـــــاره ... وكل باد يفهم الاشـــــارة
راحة كل بدوي فى كسبـــــه ... وحيث لا رعي فلا ينزل بـــــه
ووقتنا هذا كذاك وجـــــدت ... وقيل إنها سترضـــــى إن روت
وما ترى إلا غراب البيــــن ... يعوق فيما بينها وبينـــــى
وذى بلاد جدى إن تسائـــــل ... هي الحدود ما بين القبائــــل
تنزلها الحلل فى وقت الربيـــع ... لاسيما إن كان ذا غيث مريـــع
تأتى زعير وزيان مع بنـــــى ... مكيلد وغيرهم فاستبـــــق
تأتيه ورديغة كم من حلـــــة ... وكل واحد يلى محالـــــه
لاغصابها الأنعـــام ... أعشابها تصلح للأدامـــــى
وأرضها تصلح للزراعـــــه ... معروفة عندهم نفاعـــــه
كم حارث حرث حرثه القليـــل ... فجاءه الزرعُ الكثير يانبيـــل
وهكذا أسرار فضـــــل الله ... فى خلقه ليس لها تناهـــــى
سرنا وبعض الطرق تشتهيهـــا ... ذات رمال لا اعوجاج فيهـــا
لها تحركت نفوس البعـــــض ... من قومنا للبسط بعد القبـــض
فصار يبدى علفة فى علفـــــة ... وليس فى ذاك عليه كلفـــــه
على عواد أزرق مجمـــــوع ... به ولوع غاية الولـــــوع
باروده يسمع من بعيـــــد ... وما على ذلك من مزيـــــد
ونحن سائرون إذ وصلنـــــا ... من كان خلفنا قريباً ودنـــــا
. . . . طريق الحجر المثقـــوب ... على اليسار فزت بالمطلـــوب
سرنا قليلا فلقتنا ساقيـــــة ... من ماؤه من الظماء وافيـــــه
قِلنا بها مقدار ما تنفســـــت ... أرواحنا وخيلنا وشربـــــت

واجتمعت أعياننا جماعـــــه وأكلوا بقدر الاستطاعـــــه
لما ركبنا داخلين يالبيـــــب بلاد ورديغة فزت بالنصيـــب
لقينا بعض من الفرســـان فقال ها محلة السلطـــان
أمامكم روغوا يساراً واطلبـــوا مبيتكم وفى غد تأهبـــوا
إلى لقا إمامنا الأميـــــر فقد وصلتمُ بلا نكيـــــر
رغنا وبتنا فى أمـــان الله بأعيُنٍ كثيرةِ الميـــــاه
وهم عيون مازة المذكـــورة قبل ففى الْمواطن المشهـــورة
لكي تحدث اذا رجعـــــت بكل ما رأيت أو سمعـــت

من مازة الى صخرة الدجاجة ومُلاقاة السلطان فيها أعظم حاجه

يوم الخميس أصبح الصبـــاح وربنا لا غيره الفتـــاح
تحزمت مصونة خيولنـــا تيقظت ناشطة عقولنـــا
وكل فارس على جـــواد يروضه لغاية المـــراد
تصافقت خيولنا جميعـــا والكل كان سامعاً مطيعـــا
تركبت وخفقت بنـــود على رؤسها لها صعـــود
وءالة الحرب بأيدى القـــوم صقيلة لمثل هذا اليـــوم
ومَن يرد تأهبا يصـــون وجه اللقاء هكذا يكـــون
هازمة ترهب من يراهـــا وأهلها وثيقة عراهـــا
إذا أتى أوجهها الشريـــف خليفة الكل الرضى المنيـــف
من بعد ما أدت له الخلافـــة وليس يبغى أحد خـــلافه
امامه أمرهم بالانصـــراف والكل طوع أمره دون خـــلاف
لأنه خليفة الامـــام فى جيشه وناصر الأعـــلام
ساروا كما أراد من ولاتهـــا كل قبيلة على حدتهـــا
إلى إمام الكل قاصدينـــا وللقاهُ متأهبينـــا
حتى إذا تقابل الجمعـــان وبان ظل مولانا السلطـــان
تصافقت تلك الجيوش كلهـــا وعمرت ذاك الفضا خيولهـــا
جاء الخليفة إذاً أمامهـــا وخلفه قد نشرت أعلامهـــا

ما بين لون أبيض وأخضر ... وأحمر قان وأصفر

وأخرجوا زي الملوك حاضرون ... كما تشا والناس ثم حاضرون

وهي إذا قد عدها الذى حضر ... هازمة الأعادى تسعة عشر

ثلاث مرات كما فى العادة ... من غير ما نقص ولا زيادة

لما انجلى أتت إلينا غائدين ... رسلُ مولانا الأمير قائلين

إن أميرنا يقول لكم ... قبيلة قبيلة تقدموا

ففهموا المعنى الذى قصده ... وامتثلوا الأمر الذى أراده

لما رأى الذى محكم السلوك ... غيره إياك غيره الملوك

فامتاز كل قائد بخيله ... عن غيره وضمها لأهله

وسار مولانا الشريف أولا ... إلى الأمير قاصداً معجلا

وبعده تتابعت مبايعة ... من خلفه جيوشه وطائعه

وأقبلت ولاتنا عليه ... والكل كان شائقاً إليه

أول ما بدأ بالسلام ... منشرحاً للبسط والاكرام

أدى جميعنا له الخلافه ... والقلب منها آمن مخافه

فقال مولانا لقد سبقتم ... إلى هنا أجيب من يطيقكم

إن الأمير آخذ بالجد ... وحسبنا اتباعه للوعد

وصلتموها آمنين فابشروا ... ولتحمدوا الله عليها واشكروا

هذى مدينة الملوك الأقدمين ... رحمة ربنا عليهم أجمعين

هذى مزارات قبور الصالحين ... وذى آثار العلماء العاملين

تأهبوا الى الدخول طالبين ... من ساكنيها أن تكونوا آمنين

دنيا وأخرى من آفات الدهر ... وكل ما هول وكل مكر

فطلب الجميع ما هواه ... والله لا يرد من دعاه

سرنا على زاوية ابن ساسى ... وما بسيرنا بها من باس

وحطت الأثقال قبل العصر ... بقرب قنطرة ذاك الجسر

طلبنا ضيف الله من أهل البلد ... فبتنا ءامنين فى العيش الرغد

من القنطرة المذكورة الى المدينة المشهورة

ثم غدا ياصاح بالبيـــان   تاسع شهرنا جمادى الثانــى
كان الرحيل يوم الأربعـــاء   بنية الدخول للحمـــراء
أمرنا إمامنا الأميـــر   من حيننا أمامه نسيـــر
والزي مازال وإلا أكثـــرا   محكماً لمن يراه مبهـــرا
سرنا على أجنة الزيتـــون   ذات غياض فوق ما مظنـــون
بها مررنا غابة مشهـــورة   كأنها من غابة المعمـــوره
وكثرة النخيل كالعيـــال   تميلها الريح ولا تبـــالـى
أزانها صاح ماءُ الخطاطـــر   داخلُها بعمده مخاطـــر
سرنا كذاك خارج المدينـــة   بهيبة الوقار والسكينـــة
وسار مولانا الأمير بالجنـــود   خافقة على رؤوسها البنـــود
وهي إذا عقلت تهزم العـــدا   وتقطع الشك الذى كان بـــدا
وكل مَن كان مُحِبّاً يفـــرح   بها ومن كان عدواً يقـــرح
والناس خلفه أمامه تقـــول   ياأيها الأمير يانجل الرســـول
نصرك الله على رغم العـــدا   نصراً عزيزاً دائماً مؤبـــدا
كل يقول من أطاع أو أبـــى   أهلا وسهلا سيدى ومرحبـــا
حتى إذا وصل دار الملـــك   وزال كل قنط وشـــك
وجدها خالية قفْـــراء   من بعد ما كانت ترى عـــدراء
وما بها من رائح أو غـــادى   عدى لسان حالها ينـــادى
هذى مراسم أمير المومنيـــن   رحمه الاله رب العالميـــن
سيدنا محمد بن عـــبـــد الله   أناله اللهُ الرضى يوم لقـــاه
وهذه دياره المنشيـــة   بها قباب ظهرت مشيـــة
وهذه هي عراصى النيـــل   محكمة فى غاية التأويـــل
بها من الثمار ما تشـــاء   وربنا يفعل ما يشـــاء
وذا القصير وهو الأخضـــر   مصونا لمن يراه يبهـــر
وهذه قبته الستينيـــه   أمامها الصهريج والخمسينيـــة
وهذا هو قصره المنصـــور   وقبة الكتب يامغـــرور

وهذى هي قبة الصويرة ... وحولها الصهريج فيه عبرة
وذى البنائق وهذا المشور ... وكل مَن كان يراه يبهر
وذا البلتر فى جنان رضوان ... يارب أدخلنا جنان رضوان
وهذه ياسائلى دار البديع ... حافلة وكلُّ ما فيها بديع
وهذى هي داره البيضاء ... قبابها خالية فقراء
وهذى ياقاصدى دارُ الهناء ... تفاؤلا وما بدارنا هنا
توذن بالدنيا بأنها سراب ... وأنها وإن تطل دار خراب
وأنه ليس لمالك مُقام ... إلا لمن له البقاء والدوام
سبحانه أفنى القرون الماضية ... فأصبحوا والأرض منهم خاليه
دخلها متعظاً مفكراً ... فيما مضى من قبله معتبرا
دخلها على جنان العافية ... سائل ربنا الهنا والعافية
وخلف الجيوش خلف السور ... فى مأمن المهيمن الغفور
فنزلت فى حفظ رب العالمين

وأنزل العربى ... بقبة الكتب أشهى مطلب
ثم إلى عرصة مولانا إدريس ... أمره بالانتقال ياأنيس
فامتثل الأمير فى الذهاب ... لأنها واسعة الرحاب
نزلنا أضياف الأئمة الكرام ... أهل البلاد حاشا ضيفهم يضام
من عرفوا قدماً بسبعة رجال ... فزرهمُ صاحِ فانك تنال
قيل لنا كيفية الزيارة ... قد أخذوها عن ذوى الاشارة
تبدأها بيوسف نجل علي ... مَن زاره فاز بكل أمل
ثم أبى الفضل عياض اليحصبى ... ثم أبى العباس عالى المنصب
ثم الجزولى سيدى محمد ... نجل سليمان الرضي الأنجد
ثم الذى عرف بالتباع ... عبد العزيز وافر الأتباع
ثم أبى محمد الغزوانى ... مولاي عبد الله عالى الشان
ثم السهيلي سابع الأعلام ... أكرمْ بهم من سادة كرام
نقل أعلام الهدى وشهدوا ... كيفية تؤخذ عنهم تذكر
من زارهم كذا على الترتيب ... فاز بعالى الحظ والنصيب

ونال من مولاه ما يريــد دنيـا وأخرى فزت يامريــد
لكن بشرط أن تكون ماشيــا ذا خشية ولا تكون لاهيــا
ولازم االأدب إن وصلــتَ مقامهم تنال ما طلبــتَ
وذى الزيارة تكون نسقــاً فى يومها ولا تكن مُفرقــا
وسل إذا وصلتهم فى عافيــة من الالاه عفوه والعافيــة
وكل ما تريد أو تشــاء فربنا يعطيك ما تشــاء
لما سمعنا هذه الروايــة من عند أهل العلم والدرايــة
زرناهم كذا واذ وصلنــا أبوابهم زاهية فقلنــا
ياربنا بجاه سبعة رجــال أئمة الهدى وأبحر الكمــال
عمارة المدينة الحمــراء إغاثة الشدة والرخــاء
أبى الجمال يوسف نجل علــي ذى الغارِ زرْ تفزْ بكل أمــل
ثم أبى الفضل عياض المقتفَــى بحر الشريعة مؤلف (الشفــا)
ثم أبى الندا أبى العبــاس مورده الشفا لكل بــاس
ثم أبى عبد الله الجزولــى نجل سليمان شفا المعلــول
ثم أبى فارس التبــاع عبد العزيز فضله نراعــى
ثم أبى محمد الغزوانــى مولاي عبد الله عالي الشــان
ثم السهيلي سابع الأعــلام بهم تنال غايةَ المــرام
وجاه الأقطاب حماة الديــن ادريس وابنه الرضى الأميــن
والقطب عبد القادر الجيلانــى مغنى الوفود سرحة اللهفــان
ثم الامام عابد الســلام نجل مشيش قدوة الاســلام
ووارث السر الامام الشاذلــى ثم أبى سلهام فى السواحــل
وذى الجزيرة الامام المشهــور سيدنا محمد بن منصــور
ثم أبى عزة عالى الجــاه بحقهم عندك يا إلاهــى
ثم أبى شعيب يُدعَى الساريــة بفضله حدث كذا علانيــة
اجعل لنا من كل هم فرجــا واجعل لنا من كل ضيق مخرجــا
واسبل رداء سترك الجميــل علينا فى المقام والرحيــل

99) **أبو فارس الفقيه العمراني** ، قاضي مراكش أيام السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني ذكره في (القرطاس) ، وقدمه العبدري في رحلته قال فيها : فلو انتهت خطة القضاء إلى عليان أو ماني ، لم تكن في الشناعة كانتهائها إلى العمراني بحضرة مراكش كلأها الله ولا كلأ القاضي المذكور حياً وميتاً ، فانه منجنيق ظلم به ترمى قواعد الدين ، ونفط فساد يضرم قلوب المهتدين ، وقد وفق الله لخضد شوكته ، واخماد جمرته ، أمير المومنين أيده الله ، فأغمد من جوره سيفاً قاطعاً ، وعوض المسلمين من ظلامه ضياء لامعاً ، ومن بعض غرائبه التي شاهدتها أن قوماً ادعِي عليهم القتل وأثبت المدعِي دعواه بوثيقة عليها إعلامه بصحتها ، فاحتجوا بأن لهم مدفعاً ، فطلب المدعي تثقيفهم كما يجب شرعاً ، فقال له القاضي هؤلاء كبراء الناس وأعيانهم ومَن لا يتغيب ، وهذه سنة إسرائيلية أحياها هذا اللعين لا حياه الله ولا صفح عنه ، فما أعظم جرأته على الله عز وجل (1) .

100) **أبو الفضل بن محمد بن علي بن طاهر بن تميم القيسي المعروف بابن محشرة** من أهل بجاية ، الفقيه البارع ، كان رحمه الله من أهل العلم والفضل والدين والتقى والنبل في الكتابة والبلاغة في الترسيل ، كتب ليوسف بن عبد المومن ثم لولده المنصور ثم لحفيده الناصر ، ذكره في (القرطاس) وقال في (عنوان الدراية) ما نصه :

ومنهم الشيخ الفقيه الجليل ، العالم الصدر النبيل ، النبيه الذكي السني القدر ، الكاتب البارع أبو الفضل بن محمد بن علي بن طاهر بن تميم القيسي من أهل بجاية ، وأصله قد اشتهر ، ويعرف بابن محشرة ، يكنى أبا الفضل وأبا العلى ، كان أبوه قاضياً ببجاية ، له علم متسع المدى ، وتخصص ووقار بما سبيله فيما يقتدى ، كان متمكن المعرفة ، حسن الشارة والصفة ، له الهمة السنية ، والأخلاق المرضية ، وكان وجيهاً مكرماً ، ومشرفاً معظماً . استدعاه الخليفة يوسف بن عبد المومن الى حضرتهم بمراكش ، فارتحل من بجاية وهو كاره لارتحاله ، مع علمه أنه استدعاه لمنصب يسمو به على أمثاله ، ولكن عزة العلم أغنته عن الناس ، وحصلت له من المزية في الأنفس أزيد مما يقاس .

---

1) **الرحلة المغربية** ص 12 طبع جامعة محمد الخامس .

أخبرنا شيخنا الفقيه عبد الحق بن ربيع (1) أن سبب استدعائه أن كاتب سر الخليفة فى ذلك الزمان توفي ، واهتم أمير المومنين لذلك غاية الاهتمام ، وكان مسعود بن سلطان الرياحى (2) المعروف بمسعود البلطى ، وفد على أمير المومنين من هذه البلاد ، وكانت له عنده مزية ، وكان يحضر معه أكثر الأوقات فى الخلوات . قال : فدخلت عليه يوماً فوجدته مغتماً وقد ظهر التغير فى وجهه ، فقلت له ياسيدنا ياأمير المومنين ما الذى أهمكم لا أهمكم الله ؟ فقال لى ان كاتب سرنا فلاناً قد مات ، وقد احتجنا الى من نقيمه مقامه وما وجدنا ، لأنه يحتاج فى كاتب السر أن يكون على صفة كذا وعلى نعت كذا . فقلت له بشراك ياسيدنا ياأمير المومنين ، هذا الرجل ببجاية أبو الفضل ابن محشرة ، ووصف له من صفاته ما وقع منه موقع القبول ، فكتب إليه أمير المومنين من حينه ، وأمر والي بجاية أن يحتفي به ويحمله خير محمل ، فلم يمكنه بعد وصول الأمر الا طاعة أمير المومنين ، ولم يمكنه التخلف ، ولما وصل الى حضرة مراكش ومثل بين يدي الخليفة رأى من حسن سمته وروائه ووقاره ما أغناه عن اختباره ، فأكرم نزله ، ورفع منزلته ومحله ، ولما وقع الاطلاع على ما عنده من فنون العلم علم أن الكتابة التى وقع الاستدعاء بسببها إنما هي بعض صفاته ، واحدى آلاته وأدواته ، وكان من عادته أنه اذا وجه اليه أمير المومنين ليأتي محله ، يتأنى ويتربص ، ويأتي على التؤدة والتأنى والوقار واصلاح الهيأة واستكمال الزينة ، ولم يزل ذلك دأبه الى أن وشى به عند الملك مَن غصَّ منه ، فقال انه لا يأتى الا على قعود عن الخليفة ، وقال ماشاء الله أن يقول ، فوقع فى نفس الملك من ذلك شيء ، فاستدعاه وأعجله ، فتأنى وجرى على عادته ، ولما حضر بين يديه عاتبه وقال له : يافقيه كثيراً ما تبطيء علينا اذا استدعيناك ، فما هذا منك ؟ فقال له : ياأمير المومنين ، أنت إمام المسلمين ، وما أحسب أن محل الامامة الا كمحل الصلاة ، فكما آتى الى

1) انظر ترجمته فى عنوان الدراية ع 7 ص 59 طبع بيروت .

2) هو مسعود بن سلطان بن زمام ؛ أبو سرحان ؛ أمير بنى رياح ؛ كان من الخارجين على ملوك الموحدين ؛ انظر عصر المرابطين والموحدين ج 1 ص 302 و ج 2 ص 107 و 156 .

الصلاة آتى الى هذا المحل ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون ، وأتوها تمشون ، وعليكم السكينة ، فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا) ، فاستحسن ذلك منه أمير المومنين وزاد في تقريبه ، وتركه على حاله ، وحاجة الخليفة كانت اليه أكثر من حاجته ، وله رواية عن أبى القاسم السهيلى رضي الله عنه وعبد الحق بن عبد الرحمان الاشبيلي وسمع منه ، قال أنشدني عبد الحق لنفسه :

قالوا صف الموت ياهذا وشدته ... فقلت وامتد مني عندها الصوت
يكفيكم منه أن الناس لو وصفوا ... أمراً يروعهم قالوا هو الموت

توفي سنة ثمان وتسعين وخمسمئة . وولد سنة أربعين وخمسمئة أو قبلها بيسير .

ومن نثره البليغ ، وترسله الرفيع الرسالة التالية التى كتبها على لسان مخدومه أمير المومنين الخليفة يوسف بن أمير المومنين عبد المومن بن علي إلى أهل قرطبة :

من أمير المومنين بن أمير المومنين ، أيده الله بنصره ، وأمده بمعونته ، إلى الطلبة والموحدين والشيوخ والأعيان والكافة بقرطبة ، أدام الله كرامتهم بتقواه ، وأطلع عليهم وفود بشراه ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أما بعد ، فأنا نحمد إليكم الله الذى لا إلاه إلا هو ، ونشكره على آلائه ونعمه ، ونصلى على محمد نبيه ورسوله ، والحمد لله الذى جعل الأمر العزيز عقبى الدار ، وشرف الايراد والاصدار ، وأيده من نصره وجنده ، ومعونته وعضده ، بما يضمن له عادة الاعزاز والاظهار ، ويبوئه مبوأ الصدق من الاستيلاء والغلبة والاقتهار ، وختم لهذه الطائفة المباركة بأنهم المنصورون والمصيبون والمفتوح لهم وعداً يتمشى لهم انتجازه مع اتصال الأعصار ، وتظهر آيات الله فيه لائحة لذوى الأبصار والاستبصار ، حتى ينقاد فى زمامه مصحباً ذو الشراد والنفار ، ويأوى الى ذراه الأمين ، وربوته ذات القرار والمعين ، الصعب

الجامح في طلق الاباية والاستكبار ، ويدخل في الله مبادراً إلى رحماه من لم يكن ترجى منه إنابة البدار ، فتلتقى على الشهادة بأنه أمر الله ألسنة الناطقين بالاقرار ، وأحوال الصامتين التي هي أدل الدلالات عند ذوى اليقين والاسماع والابصار ، والصلاة على نبيه المصطفى محمد الصادق الأمين المختار ، المبتعث الى الأحمر والأسود آخذاً بحجزهم عن النار ، المبشر بأن ملك أمته يبلغ ما زوي له من مشارق الأرض ومغاربها من الانجاد والاغوار . وعلى آله وصحبه الكرام الطيبين الأبرار ، الذين كان لهم في تعزيزه وتوقيره ونصره واقامة أمره أزكى الأثر والآثار ، والرضا عن الامام المعصوم ، المهدى المعلوم ، القائم بأمر الله مجاهداً أهل الاعراض عنه والادبار . المحيى سنة الله تعالى وقد اماتها أهل الجهل والجحد والانكار ، الداعى الى الله على بصيرة مؤيدة بأوضح الأنوار المالىء الأرض قسطاً وعدلا وقد ألحد فيها أهل الكفر والاصرار ، وعن صاحبه وخليفته المنصور الناصر لدين الله سيدنا أمير المومنين مؤازره في القيام بأمر الله عند عدم المؤازرين له والانصار ، ومبلغ دعوته العالية الى منتهى أمدها من الانبساط على البسيطة والانتشار ، ووارث مقامه العظيم المخلد شرفه عالية باقياً حتى يرث الله أكلأ الأعمار .

وكتابنا اليكم - كتب الله لكم من أقسام السعادة ، والبشائر المعادة ، ما يخلص الى قلوبكم بطيب مسراه ويحييكم وافده بما يجيئكم به الله - من حضرة تونس - حرسها الله - والذى نوصيكم به تقوى الله تعالى والعمل بطاعته والاستعانة به والتوكل عليه والشكر له سبحانه أولا وآخراً على ما أولى أولياء أمره من معونة نهجت لهم في جميع محاولاتهم السبيل ، وعرفتهم فيها البركة والتسهيل ، والخيرة التى جمعت لهم النجاح الميسر الجميل ، والصنع الذى خرق العوائد وجاز الأمنية والتأميل . والله سبحانه يوزعنا أن نشكر فضله الجزيل ، ويلهمنا من محامده الجامع البليغ الحفيل ، بمنه .

وقد انتهى إليكم - وفقكم الله - ما سنى في هذه الوجهة الميمونة من الأمور الشريفة والفتوح الجليلة التى جاوزت مدى الافهام وفاقت بمبالغ الظنون والأوهام ، وقامت أزكى شهيد على مراد الله في هذه الدعوة العزيزة

التى هي نظام الاسلام ، والحافظة شمل الخيرات على الأنام ، والسامية فى مرافى شرفها مدى الليالى والايام ، حتى تبلغ الأمة برحمة الله سبحانه الى دار السلام ، وأعلمناكم أيضاً ــ وفقكم الله ــ بما كان من صرف الموحدين ــ أعزهم الله ــ الى هذه الجهات الساحلية بعد الغزوة المباركة التى أعلى الله بها منار الاسلام والايمان ، وأخزى أهل الشقاق والنفاق والطغيان ، حرصاً على ازاحة نفوس أهل التوحيد من مشقات احتملوها فى طاعة الرحمان ، واجماماً للسيوف حتى تتبين مواقعها من رؤوس أهل المرود والعصيان . وخلال ذلك جمع أشياخ العرب وأعيانهم والمشار إليهم من رؤسائهم ووجوههم وكبرائهم من جميع قبائل رياح ــ وفقهم الله ــ فذكروا بحقوق هذا الأمر العظيم وآلائه الجزيلة ومننه الجسام ، ونبهوا على ما كان لسلفهم من العرب من كريم السوابق فى أول الاسلام ، وان الله قد وعد هذه الطائفة المنصورة أن تملك العرب كما بشر به المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام ، وحرضوا على أن يكون لهم فى نصر هذا الدين ما كان لسلفهم القديم من الآثار الكرام ، وعرفوا ان الغرض فيهم إنما هو غزو الروم الذين بجزيرة الأندلس ــ مهدها الله ــ فقد طال استشراؤهم، واملى الله لهم فزاد عليه اجتراؤهم ، وندبوا الى أن ينفروا الى ذلك بقضهم وقضيضهم ، نفرة من انبت عن الوطن ، ونبذ علق المسكن والسكن ، وان كانت هذه البلاد هي التربة التى مست أولا جلودهم ، وقضوا فيها من الشباب عهودهم ، فالذى ينتقلون اليه من الرباط فى سبيل الله يجمع لهم الخير فى الدين والدنيا ، والشرف بالكون فى عداد كلمة الله العليا ، وبين لهم أنهم إذا استقبلوا هذا الغزو السعيد ، والغرض الحميد ، بنيات متجردة ، وعزائم فيه متجددة ، ونفروا اليه بجملتهم من غير استثناء ، واستصحبوا معهم من تتعلق به الخواطر من أهل وابناء ونعم وشاء ، وجعلوا ذلك كله وراءهم حيث ما يرسم لهم من بلاد الأندلس ــ مهدها الله ــ ثم صمدوا لعدوهم ، وتفرغوا لرواحهم فى سبيل الله وغدوهم ، كانت خواطرهم لغزو أعدائهم أفرغ ، ومصاعهم لأقرانهم أصدق ، ووطأتهم على أهل الشرك أثقل ، وطيرانهم لكل هيعة يسمعون أسرع ، واقدامهم فى كل موطن يقظ للكفار أثبت .

وذاكرنا الجماعة المذكورة فى ذلك ذكرى أفضت الى قلوبهم ، وخلصت الى نفوسهم ، وتقلقلت فى بواطنهم ، فتحركت الى ذلك حفائظهم ، وثارت لنصر دين الله عزائمهم ، وسعت بهم الى هذا القصد الميمون نياتهم وخواطرهم ، وتلقى جميعهم ذلك من البدار اليه ، والسرور به والوعد بالتشمير فيه ، بما يرجى ان الله تعالى سيحقق أملنا وأملهم فى نصر دينه ، وإعزاز كلمته ، وجهاد أعدائه ، وأخذ من حاد الله ورسوله معرضاً عن أمره ، وناصب الايمان باشراكه وكفره . ولم يبق من جموع رياح كلها ، على اختلاف قبائلها ، وتعدد عشائرها واتساع افخاذها وعمائرها ، الى من حضر ذلك من أعيانهم ، وذوى حلومهم وأسنانهم ، وكل أظهر من جميل البدار ، وكريم الاهطاع ، والتأثر لهذا الغرض الجميل الذى يعود عليكم بكرم المآل وجزيل الثواب ما أقر العيون ، وشرح الصدور ، وملأ بالبشرى القلوب ، وودع جميعهم على الأخذ فى الحركة على هذه الصفة المباركة من التفويض بالرحيل والتسليم لهذا الأمر العظيم ، والرضا بهذا الغرض الجميل ، وان يكون رباطهم فى سبيل الله عوضاً عن عشواء فى الفتنة خبطوها ، وعمياء فى الضلالة ركبوها ، وآثار فى الفساد والعناد آثروها وارتكبوها .

وقد أخذوا فى الحركة بعون الله على طرق شتى بعضها بالصحارى وبعضها بالسواحل ، كل قبيل منهم اختار أقرب الطرق الى الموضع الذى منه مبدأ انتقاله ، وارفقها بنفسه وأهله وماله ، وأعودها عليه باليسر والسعة فى أحوال ترحاله ، ورأينا أن ذلك لهم أوفق ، وبهم أرفق ، حتى لا يزدحموا فى المسير ، ولا يتضايقوا مع اتساع هذا الفضاء الحامل منهم للجماء الغفير ، وقد اصحبوا من الطلبة والحفاظ - أكرمهم الله - من يقيم منآدهم ، ويحفظ اعدادهم ، والله يكرم مقصدهم ، ويجعل التقوى زادهم ، وقد سالت بهم الأباطح ، وامتلأت بجموعهم المواهى الفسائح ، وأخذوا فى النقلة على ما تحتمله المذاهب وتحمله المناسك ، وان جموعهم - وفقهم الله وأكرمكم جميعاً بتقواه - لتكاثر الحصا ومعاد الدبى ، وتملأ الغيطان والربى ، وسيصل منهم على تلكم الجهات ما يرد الطرف حسيراً ، ولا تنتهى اليه الخواطر والأذهان تحصيلا وتقديراً ، بحول الله تعالى وهو المستعان .

وكان ممن حضر لهذا المجتمع السعيد ، والخير الجديد ، والذكر المحفوظ بالتوفيق والتسديد ، الشيخ أبو سرحان مسعود بن سلطان ابن زمام ـ أكرمه الله ـ فظهر منه في هذه المشاهد الكريمة ، والمذاكرات المباركة ، والمحاضر الشريفة ، التي هي كلها من جملة أعمال الايمان ، وطاعات الرحمان ، من جميل الأقوال والأفعال ، التي تنبىء عن صادق العزم في جميع الأحوال ، ما شكر فيه منابه ، وصدق فيه احتسابه ، ثم أخذ كما أخذ سائر الأشياخ من العرب في الرحيل بنفسه وأهله وولده وجملة من تعلق به ، واتصل بسببه ، من جماعته وقبيله وذوي نسبه، ومن كان توقف بتوقفه وتأخر بتأخره، وتقدم من ذلك تقدم الموفق السعيد ، والمبارك الرشيد ، وسار في الرعيل الأول مبادراً الى السعادة ، مسارعاً الى الامتثال والطاعة ، والجد نصب عينيه واستبصاره ، والجهاد في سبيل الله شغل خواطره وأفكاره ، وكل من كان من هؤلاء العرب قد اساء الظن بما ركب قبل من جرم ، واكتسب من اثم ، وتوقف على داعي الله وقد دعاه الى ما يحييه على بصيرة وعلم ، فقد بادر الآن بالامتثال ، وفوض للانتقال ، ورجا أن يخيم عمله بالرباط في تلـك الجزيـرة محتسباً على الله بنفسه ، باذلا في طاعة مولاه جهده ، مبايعاً بذلك ربه حتى يمحو ما سلف ، ويستقبل من هذا الخير ما ائتنف ، ويستبشرون ببيعتهم التي بايعوا بها من لا يضيع أجر المؤمنين ، ويرى الله عملهم والمؤمنون ، ومن استخلفه الله على المؤمنيـن .

وليس يبقى بعد هذه الغزوة المؤيدة ، والنية المجردة ، بهذه البلاد كلها من العرب من يتطلع بعد الى استجلابه ، ولا يتشوف الى وصوله الى البلاد الغربية واقترابه ، فقد وعبوا في التخلي عن هذه الأوطان ، وتركوها لمن كان فيها من القطان ، سوى من سكن من قبائل سليم بجهات طرابلس وما وراءها مشرقاً ومصحراً الى برقة والاسكندرية ، وقد وصل منهم قبل هذا جمع ظاهر من أشياخهم وأعيانهم وذوكروا فيما ذوكرت فيه قبائل رياح اخوانهم ، ووعدوا في ذلك بعدات أعطوا فيها صفقة ايمانهم ، وقد خوطبوا ، وكوتبوا ، وبشروا ، وانذروا ، وان سمعهم النذير ، وكفاهم ما وعـوه من التأنيس والتبشير ، والتخويف والتحذير ، ووفوا بما عاهدوا عليه الله ، فسيحمدون لسواهم ،

ويتلقون مشافهة بشراهم ، ويدخلون مدخل اخوانهم ، ويصلون حبـل الله بايمانهم ، ويفوزون بتصحيح عقائدهم وأديانهم ، ويزدادون بالجهاد فى سبيل الله ايماناً مع ايمانهم ، والا فمن وراءهم طالب مدرك ، وآخذ من جند الله مهلك ، ولعل الله سيصلحهم ويهديهم ، ويعصمهم مما يرديهم ، ويحشرهم الى مقـام يطهر قلوبهم من سالف اعتدائهم وتعديهم ، بحول الله .

ولو لم يكن فى هذه الحركة ، السعيدة المباركة ــ وفقكم الله ــ الا ما كان الآن من أمر العرب وكف ايديهم عن هذه البلاد ، وصرفهم الى ما استنفروا اليه من الجهاد ، واجابتهم جميعاً بنفوس على الطاعة مقبلة ، ووجوه ببشرى المتاب متهللة ، وقلوب على الخير مصفقة ، ونيات على اجابة داعى الله متفقة ، لكبر بذلك دليلا على ان هذا الأمر العزيز لا ترتقى الى فهمه العقول ، ولا تنتهى اليه الخواطر والظنون ، وانه مؤيد من الله بنور ينور به قلب من وفقه لرضاه ، وييسره ليسراه ، فقد كانت العرب أولا وآخراً لا تنقاد لقائد ، ولا تلين فى يد قاهر ، ذهاباً بنفوسها وطاعة لانفتها ، واستكباراً على خالقها ، وابايةً عما تظنه انه يضع من شرفها ، فألان قلوبهم الآن لهذا الأمر العظيم ، حتى ألقت إليه مقاليد التفويض والتسليم ، من الانهاء لرسوله ــ عليه الصلاة والتسليم ، حتى ذلت له صعابهم ، وخضعت له رقابهم ، فنصروا دين الله حتى استقر فى نصابه ، وضربوا على الباطل والكفر من لم يات الحق من بابه ، وانقادوا مع أمر الله ورسوله وكتابه ، ثم ضربوا المبطلين على تأويله حتى دمغوا الباطل فزهق ، وارهقوا عسراً من كان رهق ، ونرجو أن الله يستشرح صدور هؤلاء بنور هذا الأمر العزيز حتى ينصروه حديثاً كما نصروه قديماً ، ويتمموا بذلك شرفهم تتميماً ، (ومَن اوفى بما عاهد عليه الله فسنؤتيه أجراً عظيماً) .

وعجلنا اليكم ــ وفقكم الله وأكرمكم بتقواه ــ هذه البشرى ، لتعلموا انكم لم تعموا عن الخواطر والأفكار ، وان جهاتكم لا يشغل عنها شيء من شواغل هذه الأقطار ، وانكم معتمدون أبداً من العناية ، والرعاية ، بما يعود عليكم بتبليغ الأوطار ، فبثوها ــ وفقكم الله ــ فى أصقاعكم ، واجعلوا حديثها فى قلوبكم واسماعكم ، واعقدوا بشكر الله على ما منح بها معاقـد أنديتكـم

واجتماعكم ، والله يونيكم من رحمته ونعمته ، ما يعم به ملأكم ، ويكـرم به متبوأكم ، بمنه ، لا رب غيره وهو حسبنا ونعم الوكيل .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كتب منتصف شهر شوال سنة ست وسبعين وخمسمئة (1) .

101) **أبو الفضل بن السلطان أبي الحسن علي المرينـي** : عقـد له والده أبو الحسن عـلى تونس لما ركب البحر من تونس إلى المغـرب ، ولما أقلع عنها ثار أهل البلد وشيعة الحفصيين عليه فأخرجوه عنها ولحـق بأبيه فكان معه الى أن هلك وخلص الأمر الى السلطان أبي عنان فلحق بـه هو وأخوه أبو سـالم ، ففكر أبو عنان فى أمرهما وخشي عاقبة ترشيحهمـا فأشخصهما الى الأندلس ليكونا مـع الغزاة والقرابة فى إيالة السلطان يوسف ابن الأحمر ثم ندم عـلى ذلك ، ولما استولى على تلمسان والمغرب الأوسـط ورأى أن قد استفحل أمره واعتز سلطانه أنفذ الرسل الى ابن الأحمـر فى أن يشخصهما اليه ، لأن مقامهما عنده أحوط لجمع الكلمة بخلاف ما إذا غابا عـن حضرته ، وخشي يوسف بن الأحمر غائلته عليهما فأبى مـن إسلامهما اليه وأجـاب الرسل بأنه لا يخفر ذمته ولا يسيء جوار المسلمين المجاهدين لديه ، فغضب السلطان أبـو عنان لذلك وقام وقعد ، وأمـر حاجبه ابن أبي عمرو أن يكتب اليه ويبالغ فى التوبيخ واللوم ففعل الحاجب المذكور .

قال ابن خلدون وقد أوقفني الحاجب على ذلك الكتاب ببجاية فقضيت العجب من فصوله وأغراضه ، ولما قرأه يوسف بن الأحمر دس الى أبي الفضل وكان أكبـر الأخوين باللحاق بالطاغية ، وكانت بينهما ولاية ومخالصـة ، فنزع اليه أبـو الفضل وجهز الطاغية له أسطولا أركبه فيه وأنزله بساحـل السوس من أرض المغرب ، ونذر السلطان أبو عنان بذلك فـأوعز الى قائد

---

1) هذه الرسالة ليست فى الأصل ؛ وانما الحقناها بترجمة منشئها منقولة من (مجموع رسائل موحدية) المطبوع بالرباط سنة 1941 وانظر فى هذا المجموع رسائل أخرى من انشاء ابن محشرة .

أسطوله باعتراض أسطول الطاغية فاعترضه وأوقع بــه ، وكتب ابن الأحمر أثناء ذلك كتاباً الى السلطان أبى عنان يعتذر عن أمر أبى الفضل من إنشاء وزيره لســان الدين بن الخطيب ونصه :

المقام الذى شهد الليل والنهار باصالة سعادته ، وجرى الفلــك الدوار بحكم ارادته ، وتعود الظفر بمن يناوئه فاطرد والحمد لله جريــانُ عادته ، فوليه متحقق لافادته ، وعدوه مرتقب لابادته ، وحلل الصنائع الالهية تضفو عــلى اعطاف مجادته ، مقام محــل أخينا الذى سهم سعده صــائب ، وأمل كــل مَن كاده خاسر خائب ، وسير الفلــك المدار فى مرضاته دائب ، وصنائع الله تعالى له تصحبها الألطاف العجائب ، فسيان شاهد منه فــى عصمة وغائب ، السلطان الكــذا بن السلطان الكذا أبقاه الله تعالى مســدد السهم ، ماضيَ العزم ، تجلُ سعوده عن تصور الوهم ، ولازال مرهوب الحد ممتثل الرسم ، موفور الحظ من نعمة الله تعالى عند تعدد القسم ، فائــزاً بفلج الخصام عند لَددِ الخصم ، معظم قدره ، وملتزم بره ، المبتهج بما يُسببه الله تعالى له من إعزاز نصره ، وإظهار أمره ، فلان ، سلام كريم ، طيب بر عميم ، يخص مقامكم الأعــلى ، ومثابتكم الفضــلى ، التى حازت فــى الفخر الأمد البعيد ، وفازت مــن التأييد والنصر بالحــظ السعيد ، ورحمة الله تــعالى وبركاتــه .

أما بعد حمد الله الذى فسح لملككم الرفيع فى العــز مدى ، وعرفه عوارف الائه وعوائد النصر عــلى أعدائه يوماً وغداً ، وحرس ســمــاء علائه بشهب من قدره وقضائه ، (فمَن يستمع الآن يجدْ له شهاباً رصدا) ، وجعل نجح أعماله وحسن مثاله قياساً مطرداً :

فرب مريد ضره ضر نفســـــه وهادٍ إليه الجيشَ أهدى وما هدى

والصــلاة والســلام عــلى سيدنــا ومولانــا محمد نبيه ورسولــه الــذى مــلأ الكــون نــوراً وهــدى ، وأحيى مــراسم الحــق وقــد صارت طرائــق قــدداً ، أعــلى الأنــام يداً ، وأشرفهــم محتداً ، الذى بجــاهه نلبس

أثواب السعادة جددا ، ونظفر بالنعيم الذى لا ينقطع أبداً ، والرضى عن آله وأصحابه الذين رفعوا لسماء سنته عمدا ، وأوضحوا لسبيل اتباعه مقصداً ، وتقبلوا شيمه الطاهرة ركعا وسجداً ، سيوفا على مَن اعتدى ، ونجوماً لمن اهتدى ، حتى علت فروع ملته صعدا ، وأصبح بناؤها مديداً مخلدا ، والدعاء لمقامكم الأسنى بالنصر الذى يتوالى مثنى وموحدا ، كما جمع لملككم ما تفرق من الألقاب ، على توالى الأحقاب ، فجعل سيفكم سفاحاً وعلمكم منصوراً ورأيكم رشيداً وعزمكم مؤيداً ، فانا كتبناه اليكم كتب الله تعالى لكم صنعاً يشرح للاسلام خلداً ، ونصراً يقيم للدين الحنيف.أوداً ، وعزماً يملأ أفئدة الكفر كمداً ، وجعلكم ممن هيأ له من أمره رشداً ، ويسر لكم العاقبة الحسنى كما وعد فى كتابه العزيز والله أصدق موعداً ، من حمراء غرناطة حرسها الله ولا زائد بفضل الله سبحانه الا استطلاع سعودكم في آفاق العناية ، واعتقاد جميل صنع الله فى البداية والنهاية ، والعلم بأن ملككم تحدى من الظهور على أعدائه بناية ، وأجرى جياد السعد فى ميدان لا يحد بغاية ، وخرق حجاب المعتاد بما لم يظهر الا لأصحاب الكرامة والولاية ، ونحن على ما علمتم من السرور بما يهز لملككم المنصور عطفاً ويسدل عليه من العصمة سجفا ، نقاسمه الارتياح لمواقع نعم الله نصفاً ونصفا ، ونعقد بين أنباء مسرته وبين الشكر لله حلفاً ، ونعد التشيع له مما يقربنا الى الله زلفى، ونومل من امداده ، ونرتقب من جهاده ، وقتاً يكفل به الدين ويكفى، وتروى غلل النفوس وتشفى .

والى هذا وصل الله سعدكم ، ووالى نصركم وعضدكم ، فانا من لدن صدر عن أخيكم أبى الفضل ما صدر من الانقياد لخدع الآمال ، والاغترار بموارد الآل ، وفال رأيه فى اقتحام الأهوال ، وتورط فى هفوة حار فيها حيرة أهل الكلام فى الأحوال ، وناصب من أمركم السعيد جبلا قضى الله له بالاستقرار والاستقلال ، ومن ذا يزاحم الأطواد ويزحزح الجبال ؟ وأخلف الظن منا فى وفائه ، وأضمر عملا استأثر عنا باخفائه ، واستعان من عدو الدين بمعين فلا وري لمن استنصر به زند ، ولا خفق لمن تولاه بالنصر بند ، وان الطاغية أعانه وأنجده ، ورأى أنه سهم على المسلمين

سدده ، وعضب للفتنة جرده ، فسخر له الفلك ، وأمل بان يستخدمه بسبب ذلك الملك ، فأورده الهلك ، والظلم الحلك ، علمنا أن طرف سعادته كاب ، وسحائب آماله غير ذات انسكاب ، وقدم عزته لم يستقر من السداد فى غزر ركاب ، فان نجاح أعمال النفوس مرتبط بنياتها ، وغايات الأمور تظهر فى بداياتها ، وعوائد الله تعالى فيمن نازع قدرته لا تجهل ، ومن غالب أمر الله خاب منه المعول ، فبينما نرتقب خسار تلك الصفقة المعقودة ، وخمود تلك الشعلة الموقودة ، وصلنا كتابكم يشرح الصدور ويشرح الأخبار ، ويهدى طرف المسرات على أكف الاستبشار ، ويعرب بلسان حال المسارعة والابتدار ، عن الود الواضح وضوح النهار ، والتحقق بخلوصنا الذى يعلمه عالم الأسرار ، فأعاد فى الافادة وأبدا ، وأسدى من الفضائل الجلائل ما أسدى ، فعلم منه مآل مَن رام أن يقدح زند الشتات من بعد الالتئام ، ويثير عجاجة المنازعة من بعد ركود القتام ، هيهات تلك قلادة الله تعالى التى ما كان ليتركها بغير نظام ، ولم يدر أنكم نصبتم له من الحزم حبالة لا يفلتها قنيص ، وسددتم له من السعد سهماً ما له عنه من محيص ، بما كان من ارسال جوارح الأسطول السعيد فى مطاره ، حائلا بينه وبين أوطاره ، فما كان الا التسمية والارسال ، ثم الامساك والقتال ، ثم الاقتيات والاستعمال ، فيا له من زجر استنطق لسان الوجود فجدله ، واستنصر البحر فخذله ، وصارع القدر فجدله لما جد له ، وان خدامكم استولوا على ما كان فيه من مؤمل غاية بعيدة ، ومنتسب الى نصبة غير سعيدة ، وشانىء غمرته من الكفار ، خدام الماء وأولياء النار ، تحكمت فيهم أطراف العوالى وصدور الشفار ، وتحصل منهم من تخطاه الحمام فى قبضة الاسار ، فعجبنا من تيسير هذا المرام ، واخماد الله لهذا الضرام ، وقلنا تكييف لا يحصل فى الأوهام ، وتسديد لا تستطيع إصابته السهام ، كلما قدح الخلاف زندا أطفأ سعدكم شعلته ، أو أظهر الشتات ألماً أبرأ يمن طائركم علته ، ما ذاك الا لنية صدقت معاملتها فى جنب الله تعالى وصحت ، واسترسلت بركتها وسحت ، وجهاد نذرتموه اذا فرغت شواغلكم وتمت ، واهتمام بالاسلام يكفيه الخطوب التى أهمت ،

فنحن نهنيكم بمنح الله ومننه ، ونسأله أن يلبسكم من اعانته أوقى جننه ، فأملنا أن تطرد آمالكم ، وتنجح فـي مرضاة الله أعمالكم ، فمقامكم هو العمدة التى يدافع العدو بسلاحها ، وتنبلج ظلماته بصفاحها ، وكيف لا نهنيكم بصنع على جهتنا يعود ، وبأفقنا تطلع منه السعود ، فتيقنوا ما عندنا من الاعتقاد الذى رسومه قد استقلت واكتفت ، وديمه بساحة الود قد وكفت ،. والله عز وجل يجعل لكم الفتوح عادة ، ولا يعدمكم عناية وسعادة ، وهو سبحانه يعلى مقامكم ، وينصر أعلامكم ، ويهنى الاسلام أيامكم ، والسلام الكريم يخصكم ورحمة الله وبركاته (I) .

ولما نزل ابو الفضل بساحل السوس لحق بعبد الله السكسيوى صاحب الجبل المنسوب إليه ودعا لنفسه ، وكان ذلك أثر مقدم الحاجب ابن أبى عمرو من فتح بجاية سنة أربع وخمسين وسبعمئة ، فجهز السلطان أبو عنان إليه عسكره من تلمسان وعقد على حرب السكسيوى وأبى الفضل لوزيره فارس بن ميمون بن وردار ، فسار حتى نزل على جبل السكسيوى وأحاط به وأخذ بمخنقه واختط مدينة لمعسكره وتجمير كتائبه بسفح ذلك الجبل سماها القاهرة ، ولما اشتد الحصار على السكسيوى بعث الى الوزير يسأله الرجوع الى طاعته المعروفة ، وأن ينبذ العهد الى أبى الفضل ففارقه وانتقل الى جبال المصامدة ودخل الوزير فارس أرض السوس فدوخ أقطارها ومهد أكنافها ، وسارت الألوية والجيوش فى جهاتها ، ورتب المسائح فى ثغورها وأمصارها ، وسار أبو الفضل ينتقل فى جبال المصامدة الى أن انتهى الى صناكة ، وألقى بنفسه على ابن الحميدى منهم مما يلى بلاد درعة ، فأجاره وقام بأمره ونازله عامل درعة يومئذ عبد الله بن مسلم الزردالى من مشيخة بنى عبد الواد كان السلطان أبو الحسن رحمه الله قد اصطعنه أيام فتحه لتلمسان ،. فاستقر فى دولتهم واندمج فى صنائعهم ، فأخذ بمحنق ابن الحميدى وأرهبه بوصول العساكر والوزراء اليه وداخله فى التقبض على أبى الفضل وأن يبذل له من الأموال فى ذلك ما أحب ، فأجاب

I) أنظر الرسالة فى نفح الطيب 4 : 420 – 424 .

ولاطف عبد الله بن مسلم الأمير أبا الفضل ووعده من نفسه الدخول في الأمر وطلب لقاءه ، فركب اليه أبو الفضل ، ولما استمكن منه ابن مسلم تقبض عليه ودفع لابن الحميرى ما اشترط له من المال وأشخصه معتقلا الى أخيه السلطان أبى عنان سنة خمس وخمسين وسبعمئة فأودعه السجن وكتب بالفتح الى القاصية ثم قتله لليال يسيرة من اعتقاله خنقاً بمحبسه (1) .

102) **أبو الفضل بن السلطان أبى سالم المرينى** ، أمير مراكش ، نصبه عامر بن محمد الهنتاتى صورة واستوزر له ، وتمكن سلطانه وعلا ذكره ، وصارت مراكش وأحوازها كأنها دولة مستقلة حيث اتفق عامر وعمر بن عبد الله الوزير على الحلف على مقاسمة المغرب شق . . . . ولما فتك السلطان عبد العزيز بالوزير عمر سولت لأبى الفضل نفسه مثلها فى عامر لاستبداده عليه ، وأغراه بذلك بطانته، فأحس عمر بالشر فتمارض بداره من مراكش، ثم استأذنه فى الصعود الى معتصمه من الجبل ليمرضه هنالك حرمه وأقاربه ، فارتحل بجملته ، واحتل بحصنه ، وكان أعز من الأبلق الفرد ، فيئس أبو الفضل من الاستمكان منه ، ثم أغرته بطانته اذ فاتهم عامر بالفتك بعبد المومن بن علي وكان قد انضاف اليه بعد إجفاله عن سجلماسة ، فسكر أبو الفضل ذات يوم وبعث عن قائد الجند من النصارى فأمره بقتل عبد المومن بمكان معتقله من قصبة مراكش ، فجاء برأسه إليه ، وطار الخبر الى عامر فارتاع ، وحمد الله إذ خلص من غائلته ، وبعث ببيعته الى السلطان عبد العزيز وأغراه بأبى الفضل ورغبه فى ملك مراكش ووعده بالمظاهرة ، فأجمع السلطان أمره على النهوض الى مراكش ونادى فى الناس بالعطاء وقضى أسباب حركته وارتحل من فاس سنة تسع وستين ، واستبد أبو الفضل من بعد مهلك عبد المومن واستوزر طلحة النورى وجعل علامته لمحمد بن محمد بن منديل الكنانى . وجعل شواره لمبارك بن ابراهيم بن عطية الخلطى ، ثم أشخص طلحة النورى لسعاية الكنانى

---

1) هذا كله منقول بالحرف من الاستقصا انظر ص 186 – 191 من ج 3 طبع الدار البيضاء .

وبعد هاذه الترجمة ترجم المؤلف لأبى الفضل بن محمد العقاد المكى ، ثم ترجمه مرة أخرى فى باب المحمدين ترجمة أوسع فارتأينا أن نرجىء ترجمته الى مكان اسمه من حرف الميم .

فقتله واعتمد منازلة عامر ، ولما فصل لذلك من مراكش جاءه الخبر بحركة السلطان عبد العزيز إليه ، فانفض معسكره ولحق بتادلة ليعتصم بها في معقل بني جابر ، وعاج السلطان بعساكره عن مراكش إليها فنازله وأخذ بمخنقه وقاتله فلّ عسكره ، وداخله بعض بني جابر في الاخلال بمصافه يوم الحرب على مال يعطيه لهم ففعلوا ، وانهزمت عساكر أبي الفضل وجموعه وتقبض على أشياعه وسيق مبارك بن إبراهيم الى السلطان فاعتقله الى أن قتله مع عامر عند مهلكه كما نذكره ، وفر الكناني الى حيث لم يعلم مسقطه ، ثم لحق بعامر بن محمد ولحق أبو الفضل بقبائل صناكة من ورائهم، وداخلهم أشياع السلطان من بني جابر ، وبذلوا لهم المال الدثر في إسلامه فأسلموه ، وبعث السلطان إليهم وزيره يحيى بن ميمون فجاء به أسيراً وأحضره السلطان فوبخه وقرعه واعتقله بفسطاط جواره ، ثم غط من الليل وكان مهلكه في رمضان من سنة تسع وستين وسبعمئة لثمان سنين من إمارته على مراكش .

103) **أبو الفضل بن الفقيه السري الماجد الفاضل الخير الأوحد أبي محمد بن أبي مدين العثماني** الفقيه الحبيب ، كان من سراة الفضلاء وكبار الحسباء وقد قدمت ذكره وولايته للعلامة .

ذكره ابن مرزوق في (المسند الصحيح الحسن) .

104) **أبو الفضل الشهير بالبجيري** : الفقيه العدل الأرضي ، حدث عنه في (إثمد العينين) سبب ورود والده على مراكش حيث التقى بسبع عشرة مسألة من الأصول والفقه والفرائض وغيرها ليبحث عنها عبد الرحمان الهزميري فلقي بمراكش أبا العباس ابن البنا وذهب معه لزيارة الهزميري فأجاب عنها مسألة مسألة .

105) **أبو القاسم ابن الجد** المعروف بالأحدب ، أحد رجال البلاغة ، وأحد كتاب أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين الذى كان من أول إمارته يستدعى أعيان الكتاب من جزيرة الأندلس وصرف عنايته لذلك حتى اجتمع له منهم ما لم يجتمع لملك كما في III من (المعجب) .

106) **أبو القاسم بن عبد الرحمان بن سعيد بن عبد الملك بن أحمد بن عبد الرحمان بن علي بن علي بن ادريس بن علي الناصر بن حمود بن ميمون بن أحمد ابن علي بن عبد الله بن حمزة بن ادريس بن ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبى طالب** الولي الصالح الامام الفقيه ، أخذ عنه السيد عبد الرحمان الشريف بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمان بن سعيد الشريف ، وهو ابن عمه ، قرأ عليه (الأحكام الصغرى) بمراكش ، وسمع من الشيخ الامام أبى الحسن ابن القطان الحديث والقراءة ، وأجاز له عام اثنين وثمانين وستمئة .

ذكره ابن السكاك فى القسم الخامس من (نصح ملوك الاسلام) الأوسط وحلاه فى (الدر النفيس) بالقاضي ، وراجع ما ياتى فى ترجمة ابن عمه عبد الرحمان المذكور عن (الدر النفيس) .

107) **أبو القاسم بن أبى محمد قاسم بن محمد بن أبى القاسم بن سودة المرى الغرناطى** ، الشيخ الامام ، الأوحد الهمام ، الصدر الشهير ، الأستاذ الكبير ، ذو الشيم المرضية ، والسير المحمودة الزكية ، العالم النوازلى المتقن القاضى الأعدل ، قاضي مراكش .

كان رحمه الله عارفاً بالفقه والمنطق والأصول ، ولي القضاء بمراكش فى ثالث رمضان عام ثلاثة بعد الألف ، فمرض فى تلك الأيام ثم من العام القابل فى تاسع شوال منه بعثه السلطان أحمد المنصور المعروف بالذهبى إلى فاس بلده ، فبلغها يوم الأحد موفى عشرين من شوال عام أربعة وألف ، فاستمر مرضه إلى أن توفي لخمس وعشرين مضت من ذلك الشهر رحمة الله عليه ، وكان قبل ذلك ولي قضاء تازة حاضرة بلاد مكناسة من بلاد وادى ملوية ، وقضاء بلاد زمور وقبائل بنى حسن من عمل مكناسة الزيتون ، وحمدت سيرته فى القضاء مع التعفف والنسك وحسن الأحوال ، وكان سكناه بالدرب المسمى الآن بدرب القاضى من عدوة فاس القرويين ، وإليه إضافته وبقي أولاده من بعده الى الآن .

أخذ عن سيدى رضوان الجنوى ، والقاضي الحميدى وغيرهما ، وأخذ عنه خلق لا يحصون بفاس ، من أجلهم أحمد بن يوسف الفاسى ، وكذلك أخذ عنه جماعة بمكناسة الزيتون ومراكش وتازة وغيرها من بلاد المغرب .

توفي رحمه الله بفاس فى يوم الجمعة الخامس والعشرين من شوال عام أربعة وألف ، ودفن بجوار سيدى عبد الرحمان الهزميرى .

قال فى (الصفوة) قال . . . . . أبو محمد عبد الله الفاسى رحمه الله وقد وقفت على ظهير من إنشاء عبد العزيز الفشتالى عن إذن المنصور إلى ولده زيدان وكان إذ ذاك خليفة أبيه على مكناسة ونصه بعد الصدر : أما بعد فكتابنا هذا إليكم من حضرتنا العالية مراكش حاطها الله ، والذى أوجبه أسعدكم الله أنه لما جاء خبر وفاة قاضى مكناسة أعملنا النظر فيمن يليق تقلده هذا المنصب من أهل العلم والدين والجارى على سنن المهتدين ، فلم يقع اختيارنا إلا على الفقيهين العالمين المحصلين المختصين خديمي إيالتنا العالية ، وصنيعي دولتنا الامامية الأحمدية ، المتخرجين بكريم عنايتنا والمتشبثين بجزيل نعمتنا ، القاضيين أبى القاسم بن أبى النعيم ، وأبى القاسم ابن سودة ، لما قام بهما من أوصاف زائدة على وصف العلم ، وهي الانتماء بصريح الخدمة وصحيح المحبة إلى جانبنا العالى الامامى ، وإعمال رحلة الشتاء والصيف سنين عديدة إلى بابنا الكريم السامى ، حتى انتظما بذلك فى سلك مَن شملته عنايتنــا واخنصته بالايثار ، وتنبيه المقدار ، فلم يتعداهما لذلك الى الغير اختيارنا ، ولا يتجاوزهما لمن سواهما إيثارنا ، وبحسب هذا ومن أجله قلدنا أحدهم ولاية قضاء تلك الحضرة المحروسة مكناسة ، لأنها عندنا من حواضرنا الشريفة ومن عظم الأمصار التى لها الخطر والبال ، ولنا بها فى كل حال شديد الاعتناء والاهتبال ، وقد شفعنا لهما هذا الأمر الجسيم بابقاء جميع ما كان لنظرهما ولاية القضاء بالبوادى وغيرها ، وما بأيديهما من الأحباس والدروس ، اسباغاً للنعمه ومجازاة على جميل الخدمة ، وعرفناكم هذا أسعدكم الله لتعاملوهما بمقتضى ما لهما بهذا المقام العالى من جميل الرعي والايثار ، وتتلقوهما بما ألفوه من كريم جنابنا من البر الذى يشملهما فى حالة الايراد والاصدار ،

وأنتم بحول الله ممن لا يحتاج الى مزيد الايصاء ، فيمن تمحض لوصف الانتماء الى إيالتنا العالية ، وامتاز بسمة الاخلاص والمحبة لدولتنا الكريمة السنية ، وبه وجب الكتاب إليكم ، والله يصل رعايتكم ، ويوالى حمايتكم بمنه والسلام .

ترجمه فى (المطمح) ، و (الصفوة) ، و (النشر) ، و (التقاط الدرر) ، و (الروضة المقصودة) ، و (السلوة) ، وغيرها .

وقال فى (النشر) أيضاً :

ووقفت على ظهير آخر من إنشاء الكاتب أبى عبد الله الفشتالى نصه بعد الصدر بيد الفقيه الأرضى الأثير الأحظى المرعى النبيه الوجيه الأخلص الأصفى الأنصح الأوفى الأحب الأفضل الانجب الاكمل العالم العلامة المدرس الفهامة أبى القاسم ابن سودة لما كان سدده الله ممن انتخبته مقدمة الاختيار ، وخلص خلوص التبر على النار ، وصرفت أفعاله المحمودة فلم يتطرق إليها اعتلال ، ورجعت فى المسيرة الحسنة أخباره على حالها فأنصب الآن على تلك الحال ، وممن شهد لتقدمه التحرير والتربية ، ورسم الاختبار بصحة اشهادها فى باب التزكية ، فقضى حاكم النظر باستحقاقه التولية ، وممن خب فى جنان مرضاة الجنان الهامى وأوضع ، وأوعى عن عرفانها وأوسع ، وسابق فى ميدان فضائلها مجلى ، وفاز من أقداح اختصاصها وايثارها بالمعلى ، وجمع فى أسباب مرضاتها جمعاً سالما ، اقتضت الهمة الامامية أعلى الله منارها ، وأعظم آثارها ، أن نعصب جبينه بتاج الرعاية ، وتُضفيَ عليه برود العناية ، بولاية تبع فيها سليم الاختيار صحيح الاختيار ، محبتها برهانية نشأت عن مقامات يقينية ، فبنى أيده الله حماته وانصاره وأيد عزازته وأنصاره فولاه أبقى الله جلاله وأسعد غدوه وآصاله ، قضاء بنى حسن وبنى علي على ما كان بيد صاحبه الفقيه أبى القاسم ابن أبى النعيم تولية أمد يده على قضاء بلده تازة وعلى حاله من حبس الاقراء بالحضرة الفاسية حاطها الله ومثار هذه الزيادة أنه لما قصر مصرف الأحكام الشرعية بالحضرة المكناسية حماها الله انتقى النظر الامامى المنصورى أيده الله لمنصبه الفقيهين النجيبين الأعرفين الأخلصين المثليين المدرسين العلامتين القاسمين ابن سودة وابن أبى النعيم ، فاختص الفقيه بن أبى النعيم

بالمنصب المذكور ، وتولى قرنه ابن سودة المذكور قضاء القبيلتين المذكورتين وأنعم أيد الله أمره ، وأعز نصره ، بابقاء ما بأيديهما على الاقراء من الأحباس بحاضرة فاس مأذوناً للفقيه ابن سودة فى النيابة عن صاحبه المذكور فيما يتأتى فيه نيابة من درسه وما لا فليستنب ، فليمض لهذا الوظيف الدينى الذى ألقى أيده الله عصابته على جبينه ، وجعل زمام عهدته بيد علمه ودينه ، والتوفيق بفضل الله رفيقه ، والاستيضاء بمصباح مشورة الأئمة الأعلام فى غياهب مشكلات النوازل والأحكام فصليته التى تؤيه وفريقه ، عارفا قدر النعمة ومسديها ، مستفرغاً وسعه فى القيام بحق معيد الولاية ومبديها ، وعهد أبقاه الله سعيد الأيام ، مظفر الولاية والاعلام ، لجملة القبائل المذكورة بالكون عند نظره والانقياد لأحكامه والجري على العوائد المطردة فى أجرة قضائه ، والله ولي التوفيق ، لا رب غيره ، والسلام .

وممن أخذ عنه أحمد ابن يوسف الفاسى . هـ نصه فى (المطمح) .

قال فى (النشر) بعده : قلت وقد اشتمل الظهيران على أنواع من فنون البلاغة والبراعة ، وجودة الانشاء وكمال اليراعة ، سيما ما فى ثانيهما من التوريات النحوية والفقهية والمنطقية وغير ذلك من محاسن هذه الصناعة ، فهو من أجل ما به يلفظ ، ويكنز فى ذخائر الطروس ويحفظ ، ومع ذلك فلولا ما فيها من الثناء على صاحب الترجمة ومن معها وبيان حالها ما ألممت بشيء من مقالهما لطولهما وبعد محصولهما مع ما فى الظهير الأول من العلو والاغراق والاطراء فى المخلوق بما هو من صفة الخلاق ، والتصريح بما ينفر طبعاً من قبض أجرة القضاء منهم الذى هو ممنوع شرعاً سامحنا الله وإياه، وعاملنا بفضله ورضاه ، وفى الظهيرين وحال أصحابه أعظم عبرة وأجل تنبيه للمغتر بالرياسة على موانع الحسرة ، فقد انقضى الوليان ومووليهما وأحواله ، وفرغت شهادة الكل وأهواله ، وبقيت عهدة الولاية وأوحالها ، وعز فراغ ملامتها وترحالها ، فسبحان الملك الخلاق ، المنفرد بالدوام الفاعل ما يشاء على الاطلاق .

رجع لصاحب الترجمة .

قال فى (التنبيه) لما مات الشيخ المنجور ليلة الاثنين سادس عشر ذى القعدة عام خمسة وتسعين وتسعمئة أي بمثناه فيهما كان سيدى أبو القاسم ابن أبى النعيم وسيدى أبو القاسم ابن سودة وسيدى أبو القاسم القصرى غائبين بمراكش ، فنفذ ابن أبى النعيم وابن سودة جميع أحباس المنجور بكتاب السلطان ، فلما قدما لفاس وجدا سيدى يحيى السراج نفذ كرسي التفسير لزيادة فائده على الكرسي الذى بيده ، فتولى سيدى أبو القاسم ابن أبى النعيم الكرسي الذى كان بيد سيدى يحيى ، وتولى سيدى عبد الواحد كرسي مُسلم بين المغرب والعشاء، وتولى سيدى أبو القاسم بن سودة الكرسي الكائن تحت السبع عن يمين الخارج من باب جامع الجنائز كان يقرأ بين الظهر والعصر عليه ابن الحاجب وصغرى الشيخ السنوسى ، وتولى سيدى ابن أبى النعيم كرسي الرسالة والصغرى بين المغرب والعشاء على المستودع الكائن عن يمين الداخل من باب الحفاة لصحن القرويين وقراءة نظم ابن زكرى عليه يوم الخميس والجمعة فقط .

قلت وخلف صاحب الترجمة هذا ولده العالم المدرس سيدى محمد ، وهذا ولده القاضى الجليل العلامة الأثيل سيدى محمد ، وتأتى ترجمة كل منهما وكان سكناه بموضع من عدوة فاس القرويين وهو المسمى الآن بدرب القاضى ، واليه إضافته وأولاده الآن بدار سكناه منه رحم الله الجميع بمنه .

وسيأتى (1) ذكر جده أبى القاسم محمد ابن سودة ، والمترجم جد القاضى أبى عبد الله ابن سودة المشار له فى قول العمل (وحلف ابن سودة الشهودا) .

وسيأتى (2) ذكر عصري المترجم أحمد بن الحاج علي بن الحاج قاسم ابن سودة كما يأتى ذكر أحمد بن التاودى ابن سودة ويأتى ذكر والده ويأتى ذكر أحمد بن الطالب بن سودة وذكر أخيه سيدى المهدى فى حرف الميم .

---

1) فى الأصل وتقدم اعتباراً لتقديم الأحمدين والمحمدين فى الأصل .

2) فى الأصل وتقدم اعتباراً لتقديم الأحمدين والمحمدين فى الأصل .

108) أبو القاسم بن محمد الزعرى بن عمر بن حم بن مهدى بن حمامة بن سعيد بن عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن سليمان بن سمير ابن يعقوب بن فاضل بن عمر بن موسى بن أحمد بن محمد بن مرداس بن هلال ابن عمر بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، هكذا وجدت نسبة المترجم بخط حفيده الفقيه النبيه سيدى محمد التونسى بن سيدى محمد الشرقى بن أبى القاسم المذكور المكنى أبا محمد ، ونظمه الأديب الفاضل الحاج أحمد بن فتوح التازى فى مقصورة له وزاد عمر بين عبد الملك وعبد العزيز ، وجعل يحيى فى موضع سمير ، وزاد مسعود بين عمر وموسى ، ونقل فى (اليتيمة) فى نسبهم عن تاريخ ابن جزى المختصر من تاريخ سيدى عبد الله بن خلدون ؟ وعن العلامة سيدى عبد الرحمان القيرواني فى كتابه المسمى بـ (روضة الأزهار ، فى نسب آل النبي المختار ، وصحابته السراة الأطهار ، مثل سيدنا أبى بكر ، وسيدنا عمر ، وسيدنا عثمان ، وسيدنا علي وغيرهم من الأحبة الأبرار) .

كان أبو القاسم المذكور من الشيوخ المعتمدين والأولياء البالغين ممن لهم القدم الراسخ فى الطريق وممن نفع الله بهم خلقه وهداهم به إلى سواء الطريق ، ممن اشتهر صيته ، وبانت خصوصيته ، أخذ عن الشيخ عبد العزيز بن عبد الحق المعروف بالتباع المراكشي ، وكان ظاهر الخصوصية ذا زهد تام وانزواء عن الدنيا ، وكان مؤآخياً فى الله لسيدى سعيد المسناوى (أمسناو) ومتعاهداً لزيارته ، وقيل إنه من أصحاب الشيخ عبد الله الغزوانى ، والمعروف الأول كما فى (الممتع) ، وكانت حرفة صاحب الترجمة فى ابتداء أمره رعاية الغنم ، وكانت له جبة من الصوف يلبسها للعبادة رضي الله عنه ولزهده فى المفانى . وكان رضي الله عنه من الأبدال وتواترت عنه كرامات ، وظهرت على يده علامات ، مما يدل على ولايته وكمال معرفته ورسوخ قدمه .

قال فى (المرقى) حدثنى بعض الفضلاء عن سيدى يعنى الشيخ سيدى صالح بن المعطى الشرقى أن الشيخ سيدى أبا القاسم كان ذات يوم يسير مع أصحابه فى فلاة من الأرض فأراد أن يتوضأ فأتوه بالماء فتنحى عنهم

بموضع قريب منهم فافتقدوه وبقوا ساعة وهم يرجونه ولا يدرون أين هو ، فبينما هم جالسون إذ ظهر معهم فسألوه أين كان ، فذكر أن رجلا من الصالحين مات فذهب لينظروا من يجعلون في موضعه ، وقال لهم لما مات بقيت الأرض تهتز فجعلت هذه الأصبع في مكانه وأشار لأصبع من أصابعه حتى استخلفنا في مكانه رجلا .

ومن كراماته الظاهرة الدالة على ولايته ما حدثني به بعض إخواننا أن الشيخ سيدى أبا عمرو المراكشي رضي الله عنه ونفعنا به تزوج من بلاد تادلة امرأة من قبيلة بني ملال المعروفة بها ، فلما وصل وقت تجهيزها واشتغل أهلها بذلك وفعلوا ما هو العادة أن يفعله أهل العروس بها وكان سيدى أبو القاسم جالساً مع جماعة من أصحابه فسمع حسن ذلك ، فقال لهم ماذا قالوا ياسيدى زوجة سيدى أبى عمرو ابنة أبى الليل وهو اسم أبيها أرادوا أن يبعثوها إليه ، فقال لهم هي زوجة محمد الشرقي ولدى ، ثم قال لهم ولولا التأدب مع الله لقلت يتزوجها محمد الشرقي ويلد معها هاؤلاء ، وأشار إلى أصابعه وقبض على ثلاثة منها ، فلما وصلت لسيدى أبى عمرو وقع لها النشوز ونفرت منه ، وقالوا لما أراد أن يقرب منها قالت ياسيدى بحرمة الشيب الذى بوجهك إلا ما خليت سبيلي وتركتني ، فقال لها إذهبي يتزوجك الزلال الذى يطلي الحنا في الرزة يعني به سيدى محمد الشرقي ، فرجعت إلى بلادها تادلة ، وقدر الله أن يتزوجها سيدى محمد الشرقي فتزوجها وولد معها ثلاثة أولاد ، أحدهم سيدى عبد السلام الولي الصالح المشهور ، والباقيان أختان له ، فكان الأمر كما أخبر سيدى أبو القاسم نفعنا الله به ءامين .

وحدثني بعض الناس أن صاحب الترجمة ذهب لزيارة شيخه سيدى عبد العزيز التباع كلما اذا وصل مفصل الشتاء يقول لأولاده سيقدم عليكم أبو القاسم ان شاء ببقرات الحليب ، فيقدم هو بذلك عليهم رضي الله عنهم .

وبالجملة فالشيخ سيدى أبو القاسم رضي الله عنه اشتهرت ولايته ، وظهرت علامته ، وبانت خصوصيته ، وبانت على يده الخوارق العظام ، والمزايا الجسام ، ولاحت عليه أمارات من الهدى والرشد ، ووصل المرتبة العالية في

الزهد ، والأوصاف الحميدة ، والأخلاق الرفيعة ، وشهرته تغنى عن التعريف به ، وقبره مزارة عظيمة للناس ، عليه قبة عظيمة بضفة وادى أم الربيع نفعنا الله به ، وكان والده سيدى محمد الملقب بالزعرى من أولياء الله الصالحين العامنين ، وزوجة أبى القاسم السيدة رحمة بنت حمزة والدة سيدى محمد الشرقى كانت أيضاً من الصالحات ، وكانت تقدم مع زوجها لزيارة سيدى أبى عثمان وشيخها وأعطت مرة لأهله ما عليها من الحلي والحلل لما رأينها لابسة لذلك وتغيرن .

ثم قال فى (المرقى) حدثنى بعض الثقات أن الشيخ سيدى عبد العزيز التباع أرسل يوماً إنساناً بالأجرة فى مدينة مراكش فى المساجد والأسواق ينذر الناس ويجمعهم ليغنموا فضل الشيخ ويسقوا من فيضـه ويقول إن سيدى عبد العزيز يقول هلموا الي لتغنموا فضلى فاجتمعوا إليه ولم يحضر سيدى أبو القاسم فى ذلك الوقت ، ثم حضر بعد ذلك ، فقال للشيخ ياسيدى سمعت وأنك فعلت وفعلت يذكر ما سلف فما أعطيتنى أنا وأين حقى ؟ فقال له أعطيتك درهماً ينفق منه أهل المشرق والمغرب يعنى به وجود سيدي محمد الشرقى .

وممن أخذ عن المترجم ولده سيدى محمد الشرقى كما فى (المرءاة) و (الممتع) و (المرقى) و (الصفوة) و (نشر المثانى) ،.وقد نبه فى الأخير على أن لصاحب الممتع تقييداً فى المترجم ، ونقل منه ونصه لدى ترجمة ولده سيدى محمد الشرقى : وفى تقييد لمؤلف (الممتع) فى والد صاحب الترجمة هو من بنى جابر ثم من ورديغة ثم من الرثمة ثم من أولاد بحـر ، ثم من أولاد سمير ، وكلهم ينسبون إلى سيدنا عمر بن الخطاب ، قلت وذكر ابن حزم فى ترجمة العمريين بالمغرب فقال ومنهم قوم سكنوا بصرة المغرب وقد بادوا ورحل منهم الى فاس وأوطنها ادريس بن عامر بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عمر بن عبد الله بن علي بن أبى بكر بن سالم بن عبد الله بن عمر ، وذكر آخرين منهم فانظره ، ولم نعلم الآن من ينتسب لعمر بن الخطاب رضي الله عنه .

قال المسناوى فى تقييد له ما نصه الزعرى اسم لوالد أبى القاسم وعلم عليه كما هو معلوم عند أهله ، وقوله فى (المرآة) فى أبى القاسم المعروف بالزعرى يقتضى أنه لقب لا اسم السيد وليس كذلك ، وأنت ترى أن اسم والد أبى القاسم محمد وأن الزعرى لقب له ، وراجع ما تقدم فى ترجمة عبد الله الغزوانى .

109) أبو القاسم بن محمد بن أبى النعيم ، الغسانى الغرناطى الأندلسى

نسباً الفاسي ولادة ومنشأ ووفاة ، من رهط أبى علي الغسانى ، الشيخ الامام الشهير ، العالم العلامة الكبير ، الفهامة الفقيه المشارك المتفنن ، الدراكة المحقق المتقن ، قاضى الجماعة بفاس وخطيب حضرتها العلية .

كان رحمه الله من كبار الشيوخ بفاس الذين لهم الشهرة والصيت فى العلم بها ، وكان متضلعاً فى الفنون ماهراً فى المعقول والبيان والتفسير والكلام ، وولي القضاء بفاس فحمدت سيرته ، وكان خطيباً بليغاً .

وفى (الصفوة) نقلا عن صاحب كتاب (بذل المناصحة) قال بلغنى عن سيدى أحمد بابا السودانى أنه كان يعيب عليه وعلى غيره من الخطباء اعتناءهم بالأحاديث الموضوعة فى الخطب ، فان الموضوع تحرم روايته إلا مبيناً كما نص عليه علماء الحديث .

أخذ رحمه الله عن المنجور وهو عمدته ، وأبى القاسم ابن إبراهيم ، وابن مجبر المسارى ، وأبى العباس القدوى ، ويحيى السراج ، وعبد الواحد الحميدى ، وغيرهم ، وأخذ عنه جماعة من أعيان فاس كالحافظ المقْرى ، وابن عاشر ، وسيدى العربى ، وسيدى أحمد وعلي السوسى ، وسيدى عبد القادر الفاسى ، والشيخ ميارة الأكبر ، وأضرابهم ، قال الشيخ ميـارة فى (معين القارىء) ولا أذكر الآن له تاليفاً لاشتغاله بخطة القضاء بل والفتوى فى غالب الأوقات . انتهى .

وفى (درة الحجال) أبو القاسم بن محمد بن أبى النعيم الغسانى ، أديب مشارك متفنن ، وهو قاضى قبيلة زمور ، أخذ عن أحمد بن علي المنجور ،

وعن غيره كيحيى السراج ، وعبد الواحد الحميدى ، وله نظم ، وهو أحد القواسم بفاس ، إلا أنه أفضلهم فى الدراية والمنطق والعروض والأصلين ، وفهمه جيد ، ثم قال ولد أبو القاسم بن محمد المذكور صاحب الترجمة فى شهر رمضان سنة اثنتين وخمسين وتسعمئة ، ولم يذكر وفاته لكونه كان حيـاً زمن تأليفه ، بل تأخرت وفاة صاحب الترجمة عنه ، وقد ذكروا أنه رحمه الله كان فظاً غليظاً على أهل الفساد يفضحهم ويسبهم فتوسموا فيه أنه يريد كسر شوكتهم وانقراض دولتهم ، فتمالأوا على قتله ظلماً على سعة علمه وكبر سنه ، فرموه ببندقية بطالعة فاس قيل بالزربطانة وقيل بباب مدرسة أبى عنـان وقيل بين باب درب الحرة وباب سويقة ابن أبى صافى ، وذالك إثر رجوعه من صلاته بالسلطان صلاة الجمعة خامس القعدة الحرام سنة اثنتين وثلاثين وألف ، وثار قتال بفاس بين الأندلسيين واللمطيين بسبب موته ، ودام أحد عشر شهراً لارادة الأخذ بثاره . قال بعضهم فى تأليف له : ولما رمي سقط الى الأرض فحمل لداره التى بأسفل سوق الشراطين من فاس القرويين ، ومات بها من حينه ، وجهز فى غده وصلي عليه ودفن بالكغادين بروضة بنى عمه أولاد الوزير الغسانيين رهط أبى القاسم المشهور الآن بالوزيـر وقديمـاً بالغسانى ، وهي المشتركة مع بنى الأرجبى الأندلسى ، وبني على ضريحه منها قوس فى الجدار المجاور للطريق الممرور عليها لوادى الزيتون وهو معروف إلى الآن يزار .

وممن ترجمه تلميذه الشيخ ميارة فى كبيره على المرشد وفى معين القارى ، وصاحب الصفوة ، والنشر ، والتقاط الدرر ، إلا أنهم لم يعينوا موضع دفنه وعينه بعضهم كما ذكرناه والله أعلم .

وقال الشيخ أحمد بابا السودانى فى عد من حضر عليه ما نصه : ولازمونى بالاقراء على قضاتها كقاضى الجماعة بفاس العلامة أبى القاسم بن أبى النعيم الغسانى وهو كبير ينيف على ستين : وقال فى ص 13 من ج 1 من النشر فيمن توفي عام 1025 ومنهم محمد بن أبى القاسم أبى النعيم أظنه والد القاضى الآتى ذكره : وهو كذلك راجع (درة الحجال) :

110) **أبو القاسم القصرى** ، كان مع أبى القاسم بن أبى النعيم وأبى القاسم ابن سودة غائبين بمراكش كما تقدم فى ترجمة أبى القاسم ابن سودة .

111) **أبو القاسم بن سعيد العميرى الجابرى التادلى** ، قاضى مكناسة الزيتون ، كان مولده بفاس القرويين فى يوم الخميس لخمس بقين من شعبان عام ثلاثة ومئة وألف ، ثم انتقل به والده لمكناسة الزيتون فنشأ فى عزة أهل ورفاهية واحترام ، ولم تكن له راحة إلا فى المكتب ، وان والده كان له اتصال بمولانا إسماعيل ، وذلك سبب انتقاله لمكناسة ، وكان فى بدايته يستقضيه فى عساكره ، ولقي المترجم سيدى أحمد بن عبد القادر التساوتى ، واستقضي على مكناسة وأخر عن قضائها عام تسعة وأربعين ومئة وألف ، وسافر لنواحى الريف ، ولقي هناك قاضي غمارة ، وواحد تلك العمارة ، الفقيه الزكي الألمعى النزيه السيد أحمد المدعو أبو سلام الحميدى ورجع منها ولقي العلامة أبا مدين الفـاسـى .

قرأ المترجم على والده سعيد من التفسير جملة وافرة وصحيح البخارى وشفاء عياض وشمائل الترمذى والربع من صحيح مسلم وجملة من كبرى الشيخ السنوسى ومن مختصره ومن شامل ابن عرفة ، ومن شرح المقصور والممدود لابن مالك ، ومن مختصر خليل ، وقرأ عليه ألفية ابن مالك وشرح الألفية لابن هشام وجملة من لامية الأفعال وسلم الأخضرى ولامية الزقاق وشرحها لميارة ، وطلب من سيد الكبير السرغينى أن يتحفه بأسانيد الكتب فاعتذر له بأنه ليس عنده منها إلا سند البخارى والمرشد المعين ، وطلب من العلامة السيد أحمد بن عبد الله الغربى الرباطى مثله واستجازه لكونه ارتحل للمشرق فأجازه عام 1166 ستة وستين ومئة وألف ، وتملك نسخة من السعد على العضد من تركة والده وفى آخرها بخط ابن مرزوق أنه أجاز من كتب له ذلك الكتاب وأجاز ذريته وكل من نظره وطالعه وتملكه إجازة ، وأنه قرأ مختصر خليل على العلامة سيدى أحمد بن أحمد الشدادى من أوله الى آخره ، وقرأ على الفقيه العالم البركة سيدى البهلول البوعصامى الضرير ألفية ابن مالك وصدراً من شرح المرادى عليها ، ومن السلم ، وعلى سيدى الحسن بن رحال وسيدى محمد بن أحمد المسناوى

والعالم سيدى علي التدغي وسيدى عبد القادر بن شقرون وسيدى المعطى صاحب الذخيرة وكتب له أنه أخذ الطريقة الخضرية عن والده عن جد والده عن سيدى محمد بن ابراهيم قائلا وقد زرت قبره رحمه الله بباب أغمات أحد أبواب مراكش حرسها الله والحمد لله وهو أخذها عن سيدنا الخضر عليه السلام مشافهة عن النبي صلى الله عليه وسلم .

انتهى ما لخصته من فهرسة المترجم .

ورحل لأداء فريضة الحج في رفقة السيدة خناثة بنت بكار المغافرية ، وأخذ عن علماء تلك الديار ولم يستجز واحداً منهم لأنه كان لا يعتنى بالرواية حتى فاته استجازة كثير من أهـل المغـرب ، وترجمه فى (نشر المثانى) و (التقاط الدرر) وله فتاوي مذكورة فى المعيار الجديد ، وقال فى النشر الفقيه أوحد الأول وأعدل قضاة هذا الزمان شرح العمل الفاسى شرحاً فريداً وأقبل الناس فى هذه الأزمنة على الشرح ، والمشروح ، واتضح النفع به غاية الوضوح ، وقال فى محل ءاخر انه أمر بمنع الناس من الخروج من مكناسة حين وقوع الزلزلة بها .

توفي المترجم عام ثمانية وسبعين ومئة وألف رحمه الله ، ودفن بمكناس بضريح سيدى أحمد بن خضراء عن خمس وسبعين سنة فى يـوم الجمعة تاسع وعشري جمادى الثانية ، وحلاه الشيخ التاودى فى فتوى له بالقاضى أفضل أهـل زمانه العلامة ، وراجع ص 59 من ج 9 من (المعيـار الجديد) ومن تأليفه (الورد الندي ، في ترتيب ما تضمنه التسميط المحمدى) فى مجلد ضخم من القالب الكبير فرغ منه عام 1144 اختصر به (صلة السمط وسمة المرط) لمحمد بن على المصرى لقباً ابن الشاط ، شرح تخميسـه للقصيدة الشقراطية فى نحو أربعة أسفار كبار ، والشارح المذكور توفي فى يوم السبت 11 ربيع الثانى سنة 681 ودفن فى مدينة توزر ، وقبره مـزار معروف الى اليوم ، والشقراطيسى اسمه عبد الله بن مجبر بن على المتوفى فى يوم الثلاثاء لثمان خلون من ربيع الأول سنة 466 وشرحها ناظمها ، وغلط صاحب (كشف الظنون) حيث جعل اسمه محمد بن عبد الله ، ولها شروح عدة وتخميسات كما فى (رحلة العبدرى) ، ولسيدى العربى الفاسى شرح

عليها وخمسها أيضاً الفقيه الفاضل الأديب القاضي عثمان بن عتيق المعروف بابن عرية . والفقيه الأديب الفاضل الأوحد أبو بكر بن محمد بن الحسن بن يوسف بن حبيش وكرر تخميسها ثلاث مرات وسماها (القرب الثلاب) .

112) **أبو القاسم بن احمد بن علي بن ابراهيم الزياني** المؤرخ الرحال الأديب الكاتب الجماع المعمَّر وزير الدولة المغربية وسفيرها ، وقفت على تحليته بخط تلميذه ابن رحمون بالعلامة المؤرخ الصدر المشارك سيدى بلقاسم بن الخير الناسك السيد الحاج أحمد بن علي بن ابراهيم الصياني . وحلاه عصريه المسند محمد بن محمد الصادق ابن ريسون فى أول فهرسته بالفقيه العلامة النحرير الفهامة الكاتب البارع ، الجامع المانع ، المشتغل بما ينفعه دنيا وأخرى وملكته عليه قاصرة من نشر العلم وتأليفه وتدوينه على أسلوب حسن واصطلاح مستحسن لم يسبق إليه ، ولم يعرج من قبله عليه ، فتئاليفه كلها حسنة رفيعة ، نفيسة بديعة ، يستحسنها كل من رءاهـا ، ويغتبط بها كل من يقرءونها ، وذلك دليل سعادته وحسن نيته وجميل طويته، الشيخ الأشهر والعلم الأطهر ، الضابط للألفاظ ، المحقق للمعانى ، سيدى أبو القاسم قاسم بن أحمد الزيانى .

وهي أي (فهرسة محمد ابن ريسون) فهرسة عجيبة على نسق بديع وتحبير غريب فى عدة كراريس ، وقد اختصرها تلميذه المذكور المسند ابن رحمون ، وانظر ما سياتى فى سليمان من حرف السين .

والزيانى المذكور هو أبو القاسم بن أحمد بن الأستاذ علي بن ابراهيم الزيانى، ولد بفاس سنة 1147 وأخذ بها عن أحمد بن الطاهر الشرقى، وابن الطيب القادرى صاحب (النشر) ، والقاضى بوخريص ، وعمر الفاسى ، والتاودى ابن سودة ، وبنانى ، ونسخ حاشيته على (ز) ، ورحل إلى الحجاز عام 1169 صحبة والده ، ثم رحل ثانياً إلى الأستانة سفيراً عن السلطان سيدى محمد بن عبد الله عام 1200 ثم سنة 16 أيضاً، ولقي باسطنبول الشيخ كمال الدين أحمد بن ركن الدين مصطفى ابن خير الدين ، واختصر تئاليفه فى التاريخ ، وأجازه به وبمؤلفاته ، ولقي بمصر الشيخ سليمان

الفيومــي ، والمؤرخ عبد الرحمان الجبرتي ، وإسماعيــل العباسي المؤرخ بدمشق سعد الدين حفيد الشيخ عبد الغنى النابلسي وكمال الدين الغزى وغيرهما ، وروى إجازة عن السلطان سيدى محمد ابن عبد الله حديث أبى ذر الطويل عن ابن عبد السلام بنانى من طريق ابن غازى كما فى فهرسته ، وألف فى التاريخ رحلته الكبرى فى مجلد ، و (الترجمان المعرب عن دول المشرق والمغرب) فى مجلد ضخم ، و (الروضة السليمانية ، فى الدولة الاسماعيلية ومن تقدمها من الدول الاسلامية) والثلاثة عندى ، و (البستان الظريف ، فى دولة أولاد مولاي علي الشريف) فى مجلد كبير ، و (ألفية السنوك ، فى وفيات الملوك) ، و (تحفة الحادى المطرب ، فى ذكر شرفاء المغرب) ، وهو أحد التصانيف التى سماها صاحب (السلوة) ءاخرها ، ولم يعرف مصنفها ، وهي للمترجم وقد ادرجها فى تأليفه (البستان الظريف) و (رسالة السلوك ، فيما يجب على الملوك) و (الدرة السنية الفائقة ، فى كشف مذاهب أهل البدع من الخوارج والروافض والمعتزلة والزنادقة) ، و (رحلة الحذاق ، لمشاهدة البلدان والآفاق) و (جوهرة التيجان ، وفهرسة اللؤلؤ والياقوت والمرجان ، فى الملوك العلويين وأشياخ مولانا سليمان) ، وهي هذه ، و (التاج والاكليل ، فى مآثر السلطان الجليل) و (تحفة النبهاء فى التفرقة بين الفقهاء والسفهاء) ، وقد أدرج هذا فى الذى قبله وهو عجيب ، و (إباحة الأدباء والنحاة ، فى الجمع بين الأخوات الثلاث) ، وهي رحلتــه الثالثه ، و (تحفة الاخوان والأولياء ، فى صنعة السيمياء) و (كشف أسرار المحتالين الأشقياء ، الذين يزعمون علم الكمياء) .

مات بفاس عصر يوم الأربعاء 4 رجب عام 1249 (17 نونبر سنة 1833) عن نحو مئة سنة وخمس سنوات كما قيده بذلك القاضى أبو الفتح ابن الحاج ، ودفن بالزاوية الناصرية بفاس .

وقد أجاز الزيانى للسلطان سليمان بن محمد العلوى ، وللمسند ابن رحمون مختصر فهرسته هذه ، ولقاضى فاس مولاي عبد الهادى بن عبد الله العلوى ، وقفت على استدعائه منه بخطه يتصل به من طريق ولده العالم الفاضل

الناسك المعمر إدريس عن أبيه عنه ، وابن رحمون المذكور هو محمد التهامي بن المكي بن عبد السلام ابن رحمون الفاسي .

ذكره السيد أبو الاسعاد .

113) **أبو القاسم السجلماسي** ، الولي الصالح ذو العرف الناسم البركة كان رضوان الله عنه من أفاضل أهل الله وأكابر المحبين في جانب مولانا رسول الله، ذا نسك وعبادة وصلاح وزهادة، ظاهر البركات، مصحوباً بالعناية في السكنات والحركات ، وكان أستاذاً لأهل (دلائل الخيرات) ، يجتمعون عليه ويقرأونه بين يديه ، وكانوا يتنافسون في أخذه عنه رضي الله عنه ، وهو من أهل الصدق والمتسمين بقول الحق ، إنه ذهب لزيارة شيخ المشايخ وقطب الأقطاب سيدي محمد بن سليمان الجزولي رضي الله عنه أوان طلبه لحفظ (الدلائل) ، فلما وصل حضرة مراكش سكن بضريحه رضي الله عنه مشتغلا بالذكر وقراءة الدلائل ، قال فأخذته عينه في بعض الليالي في ضريحه الأنور رضي الله عنه ، فوقف عليه الشيخ وأمره بقراءة (الدلائل) فاستحسنه و صار يسرده وينسخه رضي الله عنه مصغ اليه فأخطأ في ضبط بعض الكلمات فرده الشيخ إلى الصواب ، وقال هكذا قرأه علي حبيبي صلى الله عليه وسلم ، ولما فرغ من القراءة أذن له الشيخ بالانصراف ، فمن الغد خرج قاصداً لهذه الحضرة الادريسية وقد أشرقت عليه أنوار العناية ، ولاحت له شموس الهداية ، وقد انتفع به خلق كثير ، فقد أخذ الله كريمتيه في ءاخر عمره رضي الله عنه .

توفي رحمه الله في 11 جمادى الأولى عام 1296 ودفن بسيدي علي المصالي رضي الله عنه .

ذكره القاضي الصقلي في تقييده .

114) **أبو القاسم بن عبد العزيز المدعو الشاهد** . المراكشي داراً ومنشئاً الأندلسي أصلا ، وقفت على كراسة فيها إجازة أشياخه له لما أراد السفر إلى الحج المبارك عام 1217 فيهم سيدي محمد بن عبد السلام الشرقاوي الآتية ترجمته قال وأذن للفقيه المبجل ، الوجيه الأفضل ، في كل ما تحرك

من الرقية والكتابة وغير ذلك إذناً مباركاً مؤبداً ، وختم إذنه بقوله أسأل الله تعالى أن يمن علينا وعليه بالسعادة والغفران ، وكذا الوصول لتأوله الى درجة الأخبار ءامين ءامين ءامين ، وكتب في التاسع عشر من جمادى الأولى عام 1217 عبد ربه تعالى محمد بن عبد السلام الشرقاوى ، ومنهم سيدى محمد المعطى ابن أحمد الطيب بن محمد اير الأندلسى أجازه فى مفتتح جمادى الثانية من العام المذكور قائلا أجزنا الفقيه الأجل المشارك الأحفل سيدى أبا القاسم المذكور فى كل ما سمعه علينا من علمي الحساب والميقات وبعض الأزياج وبعض الآلات التوقيتية كربع الجيوب وربع المقنطرات والشكازية والزرقالية على الشرط المعتبر ، ولقيه سيدى محمد الذى مر عليه بقصد زيارة مولانا إدريس الأكبر وحلاه بالفقيه الأجل الخير الأمثل السميذع المنيف والنحرير وانه على أكمل الأحوال من الدين والنسك والمكانة العالية من العلم الخ، ومنهم سيدى عبد الودود الحسنى وحلاه بالفقيه العالم العلامة الأحظى النحرير المدرس المشارك اللوذعى ، مَن العلمُ حشو ثيابه ، والآداب ملء إهابه ، الذى ورد عليه بالزاوية الوزانية قائلا وكنت أعرفه قبل ذلك من الحضرة المولوية قاعدة الملك بالمغرب ودار الأمراء ثم مدينة مراكش وموطن العلماء ، ثم سماه وقال التعريف لى به وبباعه فى العلم وإجازته ، وذكر أنه أجازه سيدى محمد الورزيرى العلامة المشارك المرحوم حاج بيت الله الحرام الذى كان مستقراً بتطوان المتوفى بالوباء عام 1214 إجازة عامة بعد أن قرأ عليه صدراً من الموطأ وشيئاً من صحيح البخارى ومن تفسير ابن عطية من سورة الأعراف عن الامام الكردى ، وبفهرسة سيدى عبد القادر الفاسى وسيدى عبد الرحمان العارف وسيدى عبد الله عياش ، وسيدى الحسن بن مسعود ، وقال سيدى عبد الودود المذكور وأنا أقول مثل ما قال ، ومنهم عبد السلام الحلو قائلا أجزنا الفقيه المشارك سيدى أبا القاسم بن سيدى عبد العزيز فى كل ما سمعه منا من حساب وغيره على الشرط المعتبر فى الاجازة ، ومنهم العلامة سيدى محمد الطيب بن عبد المجيد بن كيران وحلاه بالفقيه الأجل العلامة الأحفل وأجازه إجازة عامة ، وممن لقيه العلامة سيدى عبد القادر الكوهن وحلاه بالفقيه والبحر الزاخر اللوذعى وأوصاه بوصية نافعة ، وممن لقيه إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد

النور الطرابلسى داراً وقراراً اليزليتنى منشئاً وحلاه بالشيخ الفاضل والنحرير الكامل الذى تستخرج به الفوائد ، وتستنتج به الفرائد ، المولى الأسعـد واللوذعي الأمجد ، فى فاتح رمضان من العام المذكور ، وأجازه إجازة عامة على قاعدة رواية الأكابر عن الأصاغر من أشياخه عمه شقيق والده سيدى عبد النور ، وان سيدى علي بن عبد الصادر جده للأم وعمه يروى عن أخيه والده عن الشيخ سيدى عبد الله معروف عن سيدى محمد النعاس التاجورى وأخذ المجيز عن سيدى محمد العربى الشريف وسيدى محمد السكلاشى ومنهم بمصر سيدى عبد الطحلاوى المالكى ، ومنهم سيدى خليل المصرى مولـداً التونسي الأصل ، ومنهم سيدى محمد بن الطيب الفاسى ، وأجازه فى الشمائل والبخارى عن شيخه المسناوى عن شيخه سيدى عبد القادر الفاسى ، ومنهم سيدى أحمد الأسكندرى الصباغ ، وسيدى محمد البليدى ، وسيدى عبد الله الشبراوى ، وممن لقي المترجم خديم الفقراء أحمد بن محمد بن الحـايف العريب والطرابلسى وحلاه بنادرة الزمان ، وفكاهة الاخوان ، الذهب الابريز أخونا فى الله سيدى قاسم الخ ذكر أنه طلب منه أن يرسم له بأنامله بعض أدعية شاذلية وأذكار دسوقية وان يأذن له فى ذلك ، كما تلقى عن عدة مشايخ وقد روينا عنهمبالسند التوصية بحفظ حزب البحر والحفيظة فأذن له فى قراءة جميع أحزاب سيدى أبى الحسن الشاذلى فى أي وقت شاء إذا لم يرد التوظيف والا فحزب البحر بعد صلاة العصر وحزب البر بعد صلاة الصبح ، ومنهم السيد أحمد بن السيد خليل الحضرمى الشافعى الرشيدى الأشعرى الخلوتى نزيل القطب السيد علي المحلى برشيد فى 7 من شوال عام 1217 وحلاه بالعلامة الفاضل المهذب الكامل أبو القاسم بن عبد العزيز الخ ، وأجازه إجازة عامة فى الحديث والتفسير وسمى له من أشياخه العـارف بالله محمد بن سالـم الحنفاوى الشافعى ونور الدين علي الصعيدى العدوى المالكى الأول عن شيخه محمد بن محمد البديرى ، والثانى عن سيدى محمد عقيلة ثم أسند له صحيح البخارى وبقية كتب الحديث وغيرها عن الحفناوى عن البديرى عن العارف إبراهيم الكردى ، عن المعمر عبد الله بن المولى سعد الله اللهورى عن القطب محمد النهروانى عن والده أحمد عن نور الدين أبى الفتح أحمد الطاووسى عن المعمر

بابا بوسف الهروى عن محمد الفرغانى عن يحيى بن عمارة الحتلانى عن الفربرى عن البخارى ، ومنهم الشيخ عبد الله الشرقاوى قائلا وقد أجزت حبيبى اللبيب الفاضل والنحيب الكامل العلامة الفهامة ، وله فى كل فن علامة ، سيدى القاسم بن عبد العزيز الشاهد المراكشى فى كل ما تجوز لى وعنى روايته الخ . وممن لقيه السيد محمد الشافعى من ذرية مولانا عثمان بن عفان صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم القاطن بفريانة من أولاد الشيخ سيدى أحمد التليلى نفعنا الله به ، ومهم أبو القاسم بن علي بن عبد الجبار نسباً الفرشيشى موطناً بالدغرة فرقة بالقصارين راوية التليلى .

115) **أبو القاسم بن راشد القيسى** كان انقطع الى سكنى مراكش كما فى (الذيل والتكملة) فى ترجمة أبى الحسن ابن قطرال .

116) **أبو سعيد الشريف التلمساني** ، من ذرية أبى عبد الله الشريف شارح (الجمل) خطيب جامع الكتبيين .

توفي بمراكش ليلة السبت سابع عشر رمضان عام ألف .

ذكره فى (لقط الفرائد) .

117) **أبو سهل القرشي** ، وصل من بلاد المشرق فدخل المغرب ونزل برباط تاسماط من عمل مراكش فمات به ، قال فى التشوف وقبره معروف يتبرك به إلى الآن ، ونقل الخلف عن السلف أنه جاء من المشرق على قدميه وعلى عاتقه مخلاته التى جعل فيها كتبه ، فمشى يوماً إلى أن كلمه جمل بازائه فقال له ياأبا سهل اجعل عليّ مخلاتك لتستريح منها :

دع المطايا تنسب الجنوبـــا ⁂ إن لهـا لنبـأ عجيبـــا
حنينهـا وما شكت لغـوبـا ⁂ يشهد أن قد فارقت حبيبـا
تـروح إما أشرفت كثيبـا ⁂ يسر مما أعلنت نحيبـا
يمشى إذا حنت لهـا مجيبـا ⁂ يطر بها اذا انتشت طروبـا
إن الحنين يبعث النسيبـا ⁂ لو غادر الشوق لهم قلوبـا

إذاً لآثرن بهـا اللبيبـــــــــا　　　إن الغريب يسعد الغريبـــــــا

وقال فى نظم رجاله :

عليك أبا سهل ليسهل كل مـــا　　　تريد فورق الجود من كفه يجـرى

قال فى الشرح عليك بمعنى اِلزم أبا سهل .

118) أبو شعيب (مولاي بوشعيب) : ايوب بن سعيـد الصنهاجى

من أهل بلد أزمور ، ومـن أشياخ أبى يعزى ، ويقال إنه من الأبـدال ، قـدم مراكش بعد عام واحد وأربعين وخمسمئة ومات ببلد أزمور يوم الثلاثـاء العاشر من ربيع الثانى عام واحد وستين وخمسمئة ، وكـان فى ابتداء أمره معلماً للقرآن بقرية يليكساون من بلد دكالة ، فكان يتوكأ على عصاه واقفاً لا يقعد إلى وقت انصراف الصبيان من المكتب، ثم خاف ألا يكون وفّى بما عليه من الحقـوق فتصدق بجميع ما اكتسبه فى تعليم الصبيان ، ورأى يوماً بقرة لـه أهوت بفيها فى فدان جاره فجرى اليها وأدخل يده فى فيها فأخرج منه النبات وأمر أن ترد إلى داره ويجمع لها الحشيش ولا تترك تخرج الى المرعى ثلاثة أيـام وأن يتصدق بلبنها فى تلك الأيـام الثلاثة ، وزاره عبـد الخالق بن ياسين من سبت بنى دغوغ من بلد أيلان وهو بأزمور وحمل معه إليه حمل زبيب فقال له أبو شعيب مـن أين لك هذا الزبيب ؟ فقال هـو من جنتى ، فقال له بماذا تسقيها ؟ فقال له مـن ماء الساقية المشتركة ، فقال له رد زبيبـك الى دارك ، فانى لا آكل زبيباً يسقى بالماء المشترك ، فرجع عبـد الخالق الى بلده وأنفق فى ساقية انفردت بها جنته مئة ريال ، فكان يسقى بها جنته .

قال فـى (التشوف) وحدثنى أحمد بن إبراهيم عـن عيسى بن عبد العزيز قـال أراد والى أزمور قتل جماعة من أهـل بلده فجاءه أبو شعيب شفيعا فيهم ، وكان أسمر اللون ، فلما رآه الوالى انتهره ، فلما ولّى عنه أبو شعيب أصابه وجـع شديد ، فقيل له ان الرجل الذى رددت هـو أبو شعيب ، وهو من الأولياء ويخشى عليك من رده ،. فأمر أن يؤتَى به وشفعه فى أولائك الذين أمـر بقتلهم فارتفع عنه الوجع ، فـكان ذلك الوالى اذا عزم

عـلى قتل قوم وراه مقبلا اليه يصرفهم قبل وصول أبى شعيب فأمر الوالى يوماً باحضار جماعة للقتل ففـزع الناس الى أبى شعيب فأخـذ فى البكاء وقال لهم والله ما ابتنيتم بهذا الأمـر الا من أجلى ، ولو مت لاسترحتم ممـا نزل بكـم .

وحدثنى أحمد بـن عبد الله ، قال حدثنى ابـن صاحب الصلاة أن أهله أسروا بأيدى الـروم من جزيرة الأندلس . قال فقدمت مراكش لأنظـر فى فكّهم من الأسر ، ثـم نهضنا إلى بلد أزمور فدخلت مسجد أبى شعيب فوجدته جالساً ورأسه تحته فصليت بازائه ، فسمعت على الحصير كصوت وقع المطر فرفع رأسه فاذا دموعـه كانت تقطر على الحصير ، فذكرت لـه أسر أهـلى فدعا لهم بالسراح ، فوالله ما كمـل العام حتى جمع الله بينـى وبين مَنْ أسر من أهلى بمراكش ، وأجاب الله دعوته فيهم .

وحدثنى اسماعيل بـن عبد العزيز بن ياسين عن محرز بن عبـد الخالق بن ياسين قال رأيت أبا شعيب بمسجد أغمات يأتيه المؤذن إذا أقيمت الصلاة فيصيح فى أذنه يؤذنه بالصلاة ، وكان ذلك المؤذن خاصـاً به ليـلا يصلي الناس عنه وهو لا يشعربهم لغيبته فى صلاته عن الاحساس بالناس ، وكان اذا وقف فى صلاته يطيل القيام ، فبذلك سمي أيوب السارية .

وحدثنا عبد الرحمان بن يوسف بن أبى حفص قال قلت لمحمد بن أبى شعيب أخبرنى بـما رأيت لأبيك من الكرامات ، فقال صـلى صلاة عيد الأضحى بأغمات وجاءنا بأزمور اثر انصراف النـاس من صلاة العيد وكنـا عزمنا أن نذبح كبشاً لأضحيته فقال لنـا اذبحوا هذا الكبش الآخر .

وحدثنى هارون بن عبد الحليم قال حدثنى خالى يحيى بن ابن ينور ، قال جاءنى أبو شعيب فى يوم عيد بقرية يليسكاون ليسلم على أبى ، وكان من أشياخه . فاستأذنا له فأذن له الشيخ بالدخول ، فلما سلم عليه قلت لـه ألا تنزل عندنا لتصيب من أضحيتنا ؟ فاعتذر وفهمت عنه أنه يريد أن يذبح أضحيته بأزمور ، فتقدم ومشيت فى أثره ثلاث خطوات فلم أدركه فغاب عنى .

وحدثني إسماعيل بن عبد العزيز بن ياسين عن عمه عبـد الخالق ابن ياسين حدثه قال ذهبت الى زيارة أبي شعيب فوجدته بقرية واوزكارت فدخلت عليه وتحدثت معه فسمعت زئير الأسد وهـو قريب منا ، فقلت له إن هذا الأسـد يزأر على دوابنا ، وما جاء إلا اليها فانقطع عنـا صوت الأسد من ساعته ومر عنا .

وحدثني عمـر بن يحيى ، قال حدثني إبراهيم بن يعقوب ، قـال جلسنا مع أبي شعيب يوماً الى أن قـال لنا ان الله تعالى يعطى الدنيا كما يعطى الآخرة ، فمن كـانت له حاجة من حاجات دنياه فليذكرها لنسأل الله تعالى فـي قضاء حاجته ، فقـام رجل من الحاضرين فقال أدعُ الله أن يوسع علي الدنيا فاني فقير كثير العيال ، فدعا له فلم نفترق من ذلك المجلس الى أن وقف علينا سائل فقال أنا رجل فقير ناقه من مرض ولي عيال فانظروا في أمري ، فقال أبو شعيب أين الرجل الذي سأل أن يوسع عليه فقام إليه فقال له أبو شعيب قم مع هذا وادفع اليه الخمسة الدنانير التي عندك ، فقام معه الى الوادي فدفع له ثلاثة دنانير فقط ، فانصرف السائل فرحاً وعاد الرجل الى مجلسه فقعـد معنا ، فوقف علينا رجل تاجر من الأندلس ، وقال ياأبا شعيب أنـا من تجار مالقة وصلت بتجارتي الى هـذا البلد فمرضت ولا أطيق السفر في البحر ولا المسير في البـر ، وعندي خمسمئة دينار فدلني عـلى ثقة اقارضه بها إلى أن أستقل من مرضي ، فقـال أبو شعيب أين ذلـك الرجل الذي سأل أن يوسع الله عليه ؟ فقام اليه ، فقال له ادفع ذلك المال الى هذا الرجل ، فلما قبضه قال له أبـو شعيب إِذهب إلى المرسى واشتر السلعـة التي تجدها هنالك وسافر بها ، فذهب الى المرسى فوجد به قمحاً فاشتراه وحمله في المركب فتوجه الى مالقـة فباعه فاشترى بثمنه تيناً وغيره مـن السلع ، فلما توسط البحر هال البحر واضطرب فخفف أهل المركب ممـا عندهم ورموا في البحر كثيراً مما عندهم ، ثم طاب البحر الى أن حطـوا بمرسى أزمور ، فباع ما كـان عنده بألف ومئة دينار ، وجاء بالمال الى أبي شعيب فبعث إلى صـاحب المال فسأل أبو شعيب ذلك الرجل عن تجارته وما جرى له في سفره ، فأخبره بكل شيء ، وأن جملة الربح ستمئة دينار ،

فتغير وجه أبى شعيب وقـال له لعلك لم تدفع للسائل جميع خمسة دنانير التى أمرتك أن تدفعها اليه ، فقال انما دفعت له ثلاثة دنانير وقلت أمسك الدينارين لعيالى فانه لم يكن عندى غيرهما ، فقال له أبو شعيب ما أضعفك بيقين ، لو دفعت اليه خمسة دنانير كلها لحصل لك فى ربحك خاصة خمسمئة دينار ، ولكنك نقصت فنقص لك ، فدفع الى التاجر فى رأس ماله خمسمئة دينار وأخذ الربح الذى هـو ستمئة دينار فقسمه بينهما بالسوية وأعطى كل واحد منهما ثلاثمئة دينار .

وحدثنى عبد الرحمان بن علي الصنهاجى قال حدثنى علي بن أبى عبد الخالق عبد العظيم بن أبى عبد الله ابن أمغار عن أبيه قال دخل أبو شعيب على أبى وأنا حاضر ، وكانت عادته إذا دخل بمكان ألا يقعد حتى يركع ركعتيـن ، وكانت عندنا حُصُر" كثيرة ، فلم يسألنا عن الحصير الطاهر منها ، فمد يده الى حصير فبسطه وصلى عليه ، فقال أبى انظروا الى فراسة أبى شعيب كيف اهتدى الى الحصير الطاهر منها ولم يحتج الى سؤال .

وحدثنى عبـد الرحمان بن يوسف ابن أبى حفص عن أبيه أن أبـا حفص ذهب مـع أبى شعيب فى حاجة لأبى عبد الله بن أمغـار ووصلا الى عدوة وادى أزمور ثم رجعا ، فقال أبو حفص لأبى شعيب أرانا لم نعبر الوادي فى ذهابنا ولا فى رجوعنا ، فقال له أبو شعيب ما دعاك الى السؤال عن هذا ؟ اذا انتهى أحد الى حاجته فلا فائدة فى السؤال ، قال أبو حفص وخرجت ليلة لأتوضأ فى الوادى وكـان البرد شديداً فسمعت كلاماً عـلى بعد فأصخت فاذا برجل يتهدد ويوبخ ، فدنوت منه ، فاذا أنا بأبى شعيب قد رمى بنفسه فى الوادى ، واذا به كان يعاتب نفسه إذ نازعته فى استعمال الماء البارد ، فحملته الى منزلى وأوقدت النار ، فلما زال عنه ألم البرد سألته عن فعله فقال دعنى فانها نفس خبيثة :

أقلل ما بى فيك وهو كثيـــر — وأزجر دمعى فيك وهو غزيـــر
وعندى دموع لو بكيت ببعضهـا — لفاضت بحور بعدهن بحـــور

قبور الورى تحت التراب وللهوى رجال لهم تحت الثياب قبـــــور
سأبكى بأجفان عليك قريحـــــة وأرنو بألحاظ إليك تشيـــر (I)

وممن عرف به صاحب (المعزى) قال : قدم مراكش عام واحـد وأربعين وخمسمئة ، أشخصه عبد المومن بن علي ، فلما رآه شاحب اللون أشفـق عليه ، ثم أراد أن يناظره فهابه لما رآه من بعض مكاشفاته ، فصرف مناظرته الى بعض المتجـرين أصحاب الامام المهدى ، فسأله عن حقائـق التوحيد المصطلح عليها عندهم ، فأجابه بجواب السلف مـن الآية القرآنية ، وروي أنه لما سأله قال له أبو شعيب الله لا الاه الا هو ، الحي القيوم ،. الآيـة فقال له واسنار ماهذا هو التوحيد ، قال له أبو شعيب لا أماته الله عليـه ، فتطير منها عبـد المومن وعلم أنه لابد أن تصيبه دعوته ، ثـم سأله بعـد ساعة فقال ما التوحيد أيها الشيخ ؟ فقال له (شهد الله انه لا إلاه إلا هـو والملائكة وأولو العلم) الى العزيز الحكيم ، فكرر عليه الشيخ الدعاء والعياذ بالله ، ثم بعـد ساعة قال ما التوحيد أيها الشيخ ؟ فقال له قال الله تعـالى عز رجل : قـل هو الله أحد ، الله الصمد ، الى آخر السورة ،. فكرر عليـه الجواب الأول ، فكرر عليه الشيخ الدعاء ، واذا بهزة عظيمة وقعت في القصر الذى لعبـد المومن ، فتغير من ذلك وعلم أنه ما أصيب الا من جهـة الشيخ ، فعظمه وأمر بزيارته وقضاء مآربه ، فقال لا حاجة لى بشيء الا أن تشفعنى فى نساء علي بن يوسف ونســاء أولاده وتسرحهم حيث شاءوا ، ثـم انتقم الله من وسنار فى قصـة غريبة أضربنا عنها اختصاراً ونشر والعيـاذ بالمنشار وهـو يقول ياويلاه حتى مات على تلك الحالة ،. وصـرف الشيخ لبلاده أزمور مكرماً عزيزاً بالله تعالى .

وله كرامات لا تحصى ، كان يصـلى بأغمات عند سيدى عبد الجليل ابن ويجلان وأبى محمد المليجى رحمهما الله ، وذكر السمعانى فـى (الذيل) له أنه هو الذى صلى على حجة الاسلام سيدى الغزالى وذلك أنه قال لهم اذا أنا مت فكفنونى وضعونى عـلى سريرى على شفير القبر حتى يجيء رجـل

I) ما تقدم كله منقول بالحرف عن التشوف انظر الترجمة ع 62 ص 166 منه .

بدوي لا يُعرف هــو الذى يصلى علي فذكروا أنهم امتثلوا ، فبينما هــم ينتظرون وعد الشيخ واذا برجل أسمــر عليه عباءه فلما لحق بهم قال السلام عليكم ثــم تقدم فكبر فكبر الناس ، فلما سلم ذهب مــن حيث جاء ولــم يتجاسر أحد أن يسأله ، كــذا ذكره ابن الزيات فى صدر كتابه .

ومن أشياخ أبى شعيب أبو النور عبد الجليل بن وركيس الدكالــى المشنزائى ، وأبــو محمد عبد الجليل بــن ويحلان الآتية ترجمته إن شــاء الله شيخ أبى النور المذكور أيضاً ، وقد تقدم عــن (التشوف) التصريــح بأن سيدى بنور من أشياخ أبى شعيب ، وسيأتى فــى ترجمة أبى يعزى أن من أشياخ أبى شعيب أيضاً أبا عبد الله بن أمغار وقــد تقدم ذكر زيارته لــه وخدمته عن (التشوف) ، وقد ذكر كثيراً من أخبار أبى شعيب فى تاليــف مناقب بنى أمغار ، ومن أشياخ أبى شعيب أيضاً أبو علي المنصور بن ابراهيم المسطاطى كبير الشأن من أهل العلم والعمل ، مات بأزمور عام أربعيــن وخمسمئة ، وكان أبو شعيب اذا وقف عــلى قبره يقول أي رجل دفن هاهنا ما رأيت مثله ، ذكره فى (التشوف) أيضاً ، ومــن أقرانه أبو عيسى ورجيج ابن ولدون الصنهاجى مــن أهل أغيور ببلد أزمــور من أهل العلم والعمل ، قال فى ترجمته مــن (التشوف) حدثنى عبد الرحمان بــن يوسف بن عمر قال حدثنى سليمان بن عبد النور قال رأيت طائفة مــن متصوفة المشرق وصلوا الى بلــد أزمور لزيارة أبى عبد الله بــن أمغار وأبى شعيب وأبــى عيسى فوجدوهم قد ماتوا فزاروا قبورهم فقيل لهم من أيــن وصلتم ، فقالوا وصلنا من بلاد اليمن ، فقيل لهم مالذى أوصلكم ؟ فقالوا نــام بعضنا فرأى الجنة فى منامه ، ورأى فيها قصوراً فقال لمن هذه القصور ؟ فقيل لقوم مــن صنهاجة أزمور ، وهــم ابن أمغار ، وأبو شعيب ، وابو عيسى وقد ذكر هذه القصة فى كتاب (مناقب بنى أمغار) أيضاً .

وقال فى نظم رجال (التشوف) :

طلبنا أبا عيسى بن ولدون نصرة ومن جاءه يوماً تدرع بالنصــــر
أيوب أن تطرد عبيداً ببابكـــــم فمن بعدكم يدنيه من مربع التجر

قال فى الشرح فى أبـى عيسى : من أهل ايغيور عن قرب من بلاد أزمـور .

وقال فى (الاستقصاء) ما نصه : قال مؤلفهعفا الله عنه قلت زرت ضريح هذا الشيخ سنة ثمانين ومئتين وألف ومدحته بقصيدة سلكت فيها مسلك الأدباء من النسيب وغيرهم وأنشدتها عند ضريحه ، فرأيت لها بركة والحمد لله فأحببت أن أذكرها هنا وهي هذه :

لله ياربع ما هجيت من شجـــن ... على الفؤاد ومن ضنى على البـــدن
وقفت فيك ركاباً طالما وقفـــت ... على القصور على الأطلال والدمـــن
أيام فيك حسان ما أشبههـــــا ... بالشمس حسناً ولا فى اللين بالغصن
وفيك أسد من الملوك عادتهـــا ... بذل النضار وصون البيض والحصن
يحمون منك عراصاً كنت أعهدهـا ... مأوى السرور فعادت موقف الحزن
عاثت يدُ الدهر فيهم منذ أزمنـة ... كأن بأسهم المحذور لم يكـــن
قوم عرفت نداهم قبل معرفتـــى ... نفسى وفاجأنى فى المهد بالمنـن
ومذ ترعرعت لم أعلق بغيرهـــم ... حتى كأنى رضعت الحب فى اللبن
قضيت حق الشباب فى منازلهـم ... أيام عيش لنا أحلا من الوســـن
منظن بالدهر خيراً فهو منخـدع ... فوده هدنة تبنى على دخـــن
لا أنتحى منهلا إلا شرقت بـــه ... ولا أحل مكاناً ليس بالخشـــن
ولا أصاحب من هذا الورى بشراً ... الا حصلت على زق من الأحـــن
حتى توهمت أننى جنيتُ لهـــم ... حرب البسوس وأننى أبو الفتـن
وما لذى الفضل من ذنب يلام بـه ... سوا فضيلته فى دهره الـــزمن
فعد ياقلبى عن شكوى أضيق بها ... ذرعا فشكواك لى ضرب من الوهن
ولست أحسب هذا الدهر مرعويا ... ولو تعلقت منه بابن ذى يـــزن
كلا لقد علقت يدى بمن علقـــت ... أيدى العفاة به فى الشام واليمن
بأعظم الناس منزلا ومنزلـــــة ... وأسمح الناس كفاً بالندى الهتـن
وأشمخ الناس قدراً فى الورى وعلا ... وأحكم الناس للفروض والسنـــن
ذاك الولي الذى كل الأنام غـــدا ... يتلو مناقبه فى السر والعلـــن
أبو شعيب الذى من بحره انشعبت ... جداول اليمن فى الأحياء والمـدن

بدر غدا فى سماء المجد مكتمـلا — به علا ذكر آزمور فى الوطـــن
أرض اذا الضرع المحروم يممهـا — ألفى بها بدل الأهلين والسكـــن
أود من أجل ثاويها حجارتهـــا — واجعل الترب لى مسكاً بلا ثمـــن
وكيف لا تطبى قلبى منازل مَـــن — به أكون من الأحداث فى جُنـــن
مجلى الغياهب مبذول المواهب مقـ — ـفو المذاهب بالجنيد والقرنـــى
بحر الحقيقة والغوث الذى لهجـت — به القبائل فى المقام والطعــــن
مازال يرقى الذرى من كل صالحة — حتى اكتسى شهرة النيران فى القُنن
ياخير من أمه العافى ولاذ بـــه — أهل الجرائم والأوزار والمحــــن
انى خدمتك فى شعر عنيت بـــه — وليس لولا حلاك الزهر بالحسـن
أشكو اليك سقاماً أنت مبرئـــه — ولست أرجو سواك منه ينعشنـــى
وشد أزرى فانى كنت معتقـــدا — إذا بلغتك قدت الدهر بالرســـن
وانظر بفضلك مـن وافاك معتفيـا — فان نظرتَ فكل الخير يشملنـــى
وأعظم السؤل منك النفس تصلحها — وطهر القلب م الأمراض والــدرن
وامنحه نوراً وتوفيقاً ومعرفـــة — أرى بها عملى والبر فى قـــرن
فجد بما رمت من جدواك يا أملـى — فبحر جودك عذب ليس بالأجـــن
سقى ضريحك غيث مايزال بـــه — بستان أنسك وهو مورق الفنـــن
بجاه أفضل خلق الله كلهـــــم — محمد ذى المزايا الغر والمنـــن
عليه أزكى صلاة الله ما تليـــت — صحف وما نسج القريض ذو لسن
والآل والصحب والأزواج قاطبـــة — ومن قفا نهجهم فى كل ما زمـــن

واعلـم أن التعلق بأولياء الله رضي الله عنهم يجب أن يكون مـع استحضار أن الله تعالى هو المطلوب عـلى الحقيقة والفاعل للأشياء كلهـا لا معبوذ غيره ولا مرجو سواه ، وانما التمسك بأهل الله لأجل التبرك بهـم والاستشفاع بهم الى الله تعالى لأنهم أبواب الله والدالون عليه ، نفعنا الله بهم وأفاض علينا من مددهم آمين (1) .

---

1) أنظر الاستقصا 2 : 207 .

119) **أبو شعيب بن محمد بن زيد الدكالى الزبوجي المراكشي** نزيلها ، ورد اليها عام واحد وسبعين ومئتين وألف ، كان رحمه الله فقيهاً عدلا مرضياً مفتياً ذا حزم وانقباض وجد ، كان ينوب فى القضاء من حدود العشرة الأخيرة من القرن الثالث عشر ، توفي رحمه الله عام 1312 اثنى عشر وثلاثمئة وألف ، وقد وقفت على عدة فتاوى بامضاء صلح الناظر عن الأحباس بعد تشعب الدعوى والطعن فى حجج الأحباس والمفتون هم السادة محمد بن أحمد كنسوس ، والمترجم ، وسعيد جيمى ، والسباعى ، وعبد الوهاب ، ومحمد بن عبد الله ، وعمر بن عبد الواحد الدويرى ، والطيب ابن عمير الشرقى ، وحكم فى القضية عن إذن المولى الحسن فى خلافته الصغرى عام خمسة وثمانين ومئتين وألف أول المفتين والسيد المطيع ، والقاضى ابن عبد الواحد الدويرى .

120) **أبو بكر بن جلداسن الصنهاجي** (1) كان بسجلماسة، قدم مراكش فمات بها فى حدود التسعين وخمسمئة ، وكان عبداً صالحاً ، قال فى (التشوف) حدثنى محمد بن أبى القاسم عن أبيه قال بعث أبو بكر الصنهاجي إلى يحيى بن عمر المعتصم وكان خاصاً بهم أن يبعث تمراً من التمر الميوارى فبعث به إليه ، فلما سيق إليه امتنع من أكله ، فقلت له لِمَ امتنعت من أكله ؟ فقال لى إنه اقتطفته امرأة حائض فكرهت أكله ، قال أبو القاسم فبعث إلى أبى زكرياء أن يبعث لى من ذلك التمر فبعث لى شيئاً منه فى طبق ، فأكل منه أبوبكر ، فقال أما هذا فاقتطفه ولده علي ، قال أبو القاسم فقمت من فورى الى دار أبى زكرياء فسألته عن التمر الأول والثانى ، فقال لى أما الأول فاقتطفته امرأة ، وأما الثانى فاقتطفه ولدى علي ، وسمعت ابن أبى القاسم يقول كان أبو بكر يأوى إلى أبى فاقترح عليه ألا يصنع له الطعام الذى يأكله غير أختى الصغرى ميمونة ، فكانت تصنع له عصيدة الشعير دون إدام ، فحملتها الخادم

---

1) هذا المترجم والثلاثة الذين يلونه كان من حقهم أن يذكروا مع من اسمه أبو بكر ، ولكن المؤلف ذكرهم بكناهم (أبو يحيى) فى حرف الياء من آخر الجزء العاشر ، فآثرنا أن نذكرهم بأسمائهم الحقيقية (أبو بكر) ونلحقهم بآخر هذا الجزء ولو فى غير الموضع الذى يجب لهم من الترتيب ، لأننا لم نتفطن لذلك الا بعد استيعاب الكتاب بالمراجعة بعد طبع الملازم الأولى من هذا الجزء .

إليه يوماً وقالت في نفسها ما لهذا الشيخ لا يأكل إلا ما تصنعه ميمونة ، فلآكلن منه حتى أرى هل يعلم ذلك أم لا ، فأخذت من وسطه باطراف أصابعها ، فلما وضعت الطعام بين يديه أكل من أطراف الصحفة ولم يأكل من وسطها ، فقال له أبي أراك تركت من طعامك ، فقال له إن الخادم قالت في نفسها لآكلنّ من طعام هذا الشيخ حتى أرى هل يعلم بذلك أم لا ؟ فأكلت منه فتركت الموضع الذي مسته ، وحدثني ابن أبي القاسم قال دفع محمد بن البوني وكان رجلا صالحاً لأبي بكر دراهم ، وقال له ابعث بها إلى أمك فتركها وديعة عند أبي القاسم فجعلها في صدع حائط ، ثم إن أبا بكر طلبها من أبي القاسم فطلبها أبو القاسم في الصدع الذي كان قد جعلها فيه فلم يجدها ، فقال له أبو بكر لا تتعبْ في طلبها ، فان ابنك عبد الله جاء يطلب الأقلام في هذا الصدع فوجدها فيه فطلبها عند ابنه عبد الله فوجدها وأعطاها لأبي بكر (1) .

121) **أبو بكر بن محيو الصنهاجي المعروف بأبي يحيى السائح** قال في (التشوف) رأيته بمراكش ، وكان قد رحل الى بلاد المشرق وغيرها ومات بأغمات وريكة عام خمسة وستمئة ، وكان لا يعرف أصله ولا يحدث أحداً بذلك ، وكان عبداً صالحاً زاهداً في الدنيا لم يتلبس منها بشيء ولا ركن لشيء من الدنيا إلى أن لقي الله تعالى ، وأقام بمصر أحد عشر عاماً ثم ساح في بلاد جزولة ثم نهض الى نون لمطة وجاز إلى بلاد دكالة ودخل جزائر بحر المغرب الأقصى ونفع الله به خلقاً كثيراً ، حدثنا أحمد بن محمد بن اسماعيل الهواري قال سمعت أبا بكر السائح يقول وجدت في جزائر بحر المغرب أقواماً لا يعرفون الاسلام فعلمت الرجال والنساء الاسلام والشرائع ولم أفارقهم حتى كانوا يصلون صلاة التسبيح ، ثم دخلت بلاد السودان فرغب إليهم ملكهم أن أقيم عندهم ويسلم لي أمره :

قالوا نراك كثير السير مجتهدا	في الأرض تنزلها طوراً وترتحل
فقلت لو لم تكن في السير فائدة	ما كانت الشمس في الأبراج تنتقل (1)

1) انظر التشوف ع 152 والسعادة الأبدية 2 : 114 .

2) انظر التشوف ع 232 .

122) **أبو بكر بن مساعد اللمطى** ، كان خاصاً بأبى العباس السبتى رضي الله عنه ولازمه مدة طويلة ولقيه صاحب (التشوف) وحدث عنه بأحواله وشاهد كثيراً من كراماته .

123) **أبوبكر بن القاضى أبى عمران بن حماد الصنهاجي** ، ممن لقي الشيخ أبا العباس السبتى وشاهد بعض أحواله وحدث فى (التشوف) عن يوسف بن عبد الله بن سليمان عن المترجم وستأتى ترجمة والده قاضى مراكش .

124) **أبويَعَزّى (مولاي بوعزة) يلنور بن ميمون** ، وقيل بن عبد الله وقيل بن ميمون بن عبد الله وقيل ابن عبد الله ابن ميمون بن عبد الرحمان بن أبى بكر ، وقيل إنه أبو يعزى عبد الله بن عبد الرحمان بن ميمون الدكالى الهزميرى ، قال قوم إنه من هزميرة إيروجان ، وقيل من بنى صبيح من هسكورة ، وقيل غير ذلك .

ويلنّور بتشديد النون المضمومة أي صاحب النور بالعربية ، وأبو يَعَزّى بفتح العين وتشديد الزاي ، وسكون العين وتخفيف الزاي (يَعْزَى) ، ويقال باسقاط الياء أوله مع التشديد (أبوعزة) ، مات بالطاعون شهيداً ، وقد أناف على مئة سنة بنحو الثلاثين سنة ، وقيل إحدى وسبعين ، وقيل أحدى وستين ، ودفن بقرية تاغيا وبنيت عليه قبة عظيمة وقبره هناك مزارة مشهورة معروفة عند الخاصة والعامة ، وهو مزار يتبرك به إلى الآن ، وكان قطب عصره وأعجوبة دهره .

قال فى (التشوف) سمعت أبا علي الصواف يقول سمعت أبامدين يقول رأيت أخبار الصالحين من زمن أويس القرنى إلى زماننا هذا فما رأيت أعجب من أخبار أبى يعزى ، قال ونظرت فى كتب التصوف فما رأيت مثل الاحياء للغزالى .

وسمعت أحمد بن إبراهيم الأزدى يقول سمعت محمد ابن الكتانى يقول نقلت كرامات أبى يعزى نقل تواتر وذكره الشيخ أيوب (أبو الصبر)

بن عبد الله الفهرى قال لقيت الشيخ الفاضل الزاهد الرفيع ، ءاية وقته ، أبا يعزى يلنور ، وكان أعجوبة فى الزمان وعدة للايمان وبلغ من مقامات اليقين مبلغاً لا يبلغه إلا الأفراد من العارفين ، واشتهر عنه من الكرامات ما وقع موقع العيان وشهد بشهرته الكافة والأعيان ، ولولا خيفة إنكار البطالين المنكرين والغافلين المدبرين لأوردنا من بعض ما شاهدنا منه من الكرامات ما يعرفه المحققون ، ويرتاح لسماعه المتقون .

وسمعت أحمد بن إبراهيم الأزدى يقول سمعت أبو يعزى يقول ما لهؤلاء المنكرين لكرامات الأولياء ؟ والله لو كنت قريباً من البحر لأريتهم المشي على الماء عياناً .

قال أيوب (أبو الصبر) حضرت عنده فرأيت رجلا جاءه فسلم عليه ، فقال له أبو يعزى لِمَ تخونُ أخاك وتأتى زوجه وهو غائب ؟ فقال له الرجل أتوب إلى الله تعالى من ذلك ، قال وجاءه يوماً كتاب من أبى شعيب من أزمور يقول له فيه استر عباد الله ولا تفضحهم ! فقال له والله لولا أنى مأمور بهذا ما فضحت أحداً ، ولسترت على الخلق ، وقيل له إن فقهاء فاس أنكروا عليك لمس صدور النساء والنظر إليهن ، فقال أليس يجوز عندهم أن يلمس الطبيب تلك المواضع ويراها للضرورة فهلا عدونى واحدا من أطبائهم ؟ وأنا إنما ألمس ذوات العاهات للتداوى بذلك .

وكان أبو يعزى يقول خدمت نحواً من أربعين ولياً لله تعالى ، منهم من ساح فى الأرض ، ومنهم من أقام بين الناس إلى أن مات .

وحدثنى محمد بن أحمد الزناتى قال حدثنى أبو علي مالك بن تامجورت قال كنت أحمل إلى أبى يعزى حملا من زبيب ، كل عام من نفيس إلى جبل ايروجان ، فمشيت إليه فى بعض الأعوام بحمل زبيب ، فدفعته إلى مؤذنه ففرغه فى بيت وقعدت أتحدث معه ، فقال لى عسى أن تكلم الشيخ أبا يعزى أن يستر الناس لا يفضحهم ، فان الرجل جاهل لا علم عنده ، فيقول للواصلين إليه سرقت ياهذا وزينت ياهذا وفعلت ياهذا كذا فيذكر

لكل واحد فعله، ثم انقطع كلامه ، فرأيته وقد منع من الكلام وكلمته فلم يجبني، فبينما أنا معه كذلك إذ أقبل أبو يعزى وعصاه في يده فسلم علي وسألني عن الحال والأهل ، وجاء إلى مؤذنه ومد يده الى حلقه يمسح عليه ويقول له يابني صدقت فاني جاهل لا أعلم إلا ما علمني مولاي ، ثم طارت علقة دم من حلقه فتكلم وهو يقول أتوب إلى الله تعالى ، وأبو يعزى يقول له ولِمَ تتوب وأنت قلت الحق ؟ فاني جاهل لا أعرف إلا ما عرفني مولاي .

وحدثني غير واحد أن أبا يعزى قدم مراكش بعد عام واحد وأربعين وخمسمئة فحبس في صومعة الجامع أياماً ثم خلي سبيله ، وكانت معه أقراص من دقيق البلوط فكان يجعل معها أوراق اللبلاب يعني الخبيزة ويطحنها فاذا صلى المغرب أخذ قدر نصف رطل فاقتات به وما كان يأكل إلا من نبات الأرض ولا يشارك الناس في شيء من معاشهم ويطعم الواصلين إليه العسل والضأن ولحم الدجاج .

وذكروا أنه كان في ابتداء أمره راعياً ، وكان يصنع له كل واحد من أرباب المواشي التي يرعاها رغيفين كل يوم ، فكان يأكل رغيفاً واحداً ويؤثر بالرغيف الثاني رجلا منقطعاً في المسجد لقراءة القرآن ، فانقطع في المسجد رجل ءاخر لقراءة القرآن فدفع له الرغيف الثاني وجعل يأكل من نبات الأرض ، فلما رأى أنه يكفيه النبات عن الطعام قال ما أصنع بأكل الطعام ونبات الأرض يغنيني عنه ؟

سمعت محمد بن علي يقول سمعت أبا عبد الله الباجي يقول رأيت الشيخ أبا يعزى يجمع له الخبازى فيطبخ ويجفف ويرفع فاذا أراد أن يأكل منه جعله في القدر فيأكل منه لقمة أو لقمتين فيأكلها وهو يزأر كالقاهر لنفسه ويقول لها ليس لك عنده إلا هذا .

قال ومررت به يوماً وهو يأكل قلوب الدفلى فناولنيها فأكلتها فوجدتها حلوة ، وكان لباسه برنوساً أسود مرقعاً إلى أسفل ركبتيه ، وجبة من تليس مطرف وشاشية من عزف، وكان طويلا رقيقاً أسود اللون، وكان إذا جنه الليل

دخل في شعراء كثيرة السباع فيصعد في أعلا الجبل فيأتي آخر الليل إلى مسجده والناس يصلون في مسجده النافلة بامام ، فاذا قرب الفجر قال لهم أوجزوا فقد قرب الفجر ، فاذا طلع الفجر أعلمهم بطلوعه وهو معهم في المسجد فيخرجون فيتأملون الفجر فاذا هو قد طلع ، حتى ظنّ بعض الحاضرين أنه يرى طلوعه من كوة أمامه في المسجد فنظر الجدار وليس به كوة ، فسأل عن ذلك فقيل له هذه عادته منذ أزمان يخبر بطلوع الفجر وقت طلوعه .

وحدثني يوسف بن سليمان قال حدثني إبراهيم بن ولجوط قال حدثني ميمون بن وابور الباروطي قال زرتُ الشيخ أبا يعزى فأقمت عنده ، فجاءت اليه جماعة من المنكرين عليه من أهل فاس فخرج مع جماعة إلى لقائهم بالغابة ، فلما رأوه نزلوا عن دوابهم ليسلموا عليه ، فخرج من الشعراء أسد فوثب على دابة أحدهم فصاح عليه أبو يعزى ودنا منه إلى أن أخذ باذنيه ونحن ننظر إليه فقال لأصحابه اركبوه ! فهابوا ركوبه ، قال ميمون فوثبت على ظهره وركبته وأجريته مرات والواصلون للانكار على أبي يعزى ينظرون إلي على ظهره ، وكنت أحس وبره قد نفذ من ثوبي الى جلدي ، فأقمت ساعة كذلك ثم نزلت عنه فذهب .

وحدثني موسى بن وركون الخطابي قال حدثني عبد العزيز بن مسرى الهسكوري تلميذ أبي يعزى قال سمعت أبا يعزى يقول اقمت عشرين سنة في الجبال المشرفة على تينمل وليس لي بها إلا إسم أبو وجرتيل ومعناه بالعربية صاحب الحصير ، ثم انحدرت الى السواحل فأقمت بها ثمانية عشر عاماً لا اسم لي بها الا أبو ونلكوط وهو نبات معروف يأكله ، فمررت في سياحتي بالسواحل بجارية وهي تستغيث من وجع عينيها فمددت يدي إلى عينيها فمسحتهما وذهبت ، فسمعتها تقول مَن مسح على عيني ؟ فقد استراحتا ! وأنا أجد في السير حتى انقطع عني سماع كلامها .

وحدثني عبد الرحمان بن محمد بن عبد الخالق ابن خنوسة قال سمعت محمد بن عبد الكريم الوراق يقول كنت عند أبي يعزى في جماعة فدخل

علينا يوماً وقال اخرجوا لتعاينوا عجباً، فقمنا معه فرأينا الحمر راقدة والسباع قريبة منها فلم تنفر الحمر من السباع ولا وثبت السباع على الحمر ، وكانت تلك الحمر للواصلين لزيارته .

قال وحدثنى محمد بن عبد الكريم أنه ذهب معه يوماً إلى المسجد الجامع يوم جمعة فى عام جدب ، فلما صلى الناس الجمعة خرج من المسجد فتبعته جماعة وشكوا إليه احتباس المطر عنهم ، فرمى شاشية العزف عن رأسه وبقي رأسه أبيض كانه تغامة وتجرد من برنوسه وأرسل عينيه بالبكاء وقال كلاماً معناه بالعربية يامولاي هؤلاء السادة يرغبون من هذا العبد أن يستسقي لهم ، وما قدرى أنا حتى يطلب منى هذا ؟ وما زال يبكى ويتضرع إلى أن غيمت السماء وهملت بالأمطار حتى نزعت نعلى من رجلى ومشيت حافياً من كثرة المطر ، وقد أجاب الله دعوته .

وحدثنى محمد بن خالص الأنصارى قال سمعت الشيخ أبا الحسن يحيى بن محمد الأنصارى المعروف بابن الصائغ يقول : زرت أبا يعزى فلماكان وقت غروب الشمس خرجت إلى الوضوء مع جماعة فبعدنا عن القرية فحال الأسد بيننا وبين القرية ، فقيل لأبى يعزى حال الأسد بين أصحابك وبين القرية ، فأخذ أبو يعزى عصاه فى يده وجعل يضرب بها الأسد إلى أن فر وقربنا منه ، فجعل يأكل عيون الدفلى فقال لترجمانه قل لأبى الحسن ما تقولون أنتم معشر الفقهاء فيمن أكل عيون الدفلى ؟ فقلت له قل له من أكل عيون الدفلى طرد الأسد فأعلمه الترجمان بقولى فرأيته يتبسم .

وحدثنى أحمد بن ابراهيم الأزدى قال حدثنى غير واحد عن الحاج ابن عاصم قال زرت أبا يعزى فلما أردت الانصراف من عنده قال لى ضحيتك عندى من غنمى فقلت له من يوصلها إليَّ من هاهنا الى سبتة وفى توصيلها تعب ؟ فقال لى ما عليك تعب ، فأخذ حمارى وحك فم الكبش الذى عيَّن لى فى عرقوب حمارى ، فركب الحمار والكبش يتبعه كالولد خلفَ أمه ، فاذا لقي قطيعاً من الغنم وقف يرمقه بنظره ساعة ثم يجرى إلى أن يصل الى الحمار فيتبعه إلى أن وصلت إلى مدينة سبتة .

وحدثني موسى بن وركون الهسكورى قال حدثني برباط شاكر أبو علي مالك بن تماجورت قال تزوج صاحب من أصحاب أبى يعزى فطلبت منه زوجته مملوكة ولم تكن عنده ، فقال لى أبو يعزى أنا أنوب مناب المملوكة ، وكان أسود لا شعر بوجهه فتزيا بزي مملوكة وأقام يخدمه وزوجته عاماً كاملا فيطحن ويعجن ويخبز ويسقي الماء بالليل ويتفرغ بالنهار للعبادة فى المسجد ، فلما كمل العام قالت الزوجة لزوجها ما رأيت كهذه المملوكة تعمل بالليل جميع ما يعمل بالنهار ولا تظهر بالنهار، فأعرض عنها وتغافل عن جوابها ، فما زالت تسأله فقال لها ما خدمك إلا أبو ونلكوط ، وليس بمملوكة ، فعلمت أنه أبو يعزى فقالت والله لاخدمني بعد هذا أبداً ولأخدمنّ نفسي ، فجعلت تخدم نفسها من حينئذ .

وحدثني غير واحد أن ذلك الصاحب الذى خدمه أبو يعزى على أنه مملوكة هو الشيخ أبو شعيب أيوب السارية ، وأنه لما أخبر زوجته بخدمة أبى يعزى لهما دخل المسجد على أبى يعزى وهو يتبسم ، فقال له أبو يعزى ومالك تتبسم ؟ فأخبره بما كان بينه وبين زوجته ، فقال له أبو يعزى فهلا تركتني أخدمكما كما كنت .

حدثني أبو القاسم عبد الرحمان بن محمد قال سمعت عبد الله بن عثمان يقول : ذهبت الى زيارة أبى يعزى مع صاحب من أصحابى من أهل فاس فدخلنا فى بيت اجتمع فيه الواصلون اليه الى أن جاءنا أبو يعزى فرأينا رجلا طويلا أسود فانكب على رؤوس زائريه يقبلها واحداً بعد واحد فقال لى صاحبى هذا أسود ممخرق ، فقلت له احفظ لسانك ولا تتكلم فى ولي من الأولياء ولم يسمع كلامه غيرى ، فلما انتهى أبو يعزى إلي قبل رأسي ولم يقبل رأس صاحبى ومسح بيده على صدره وقال أما هذا فلن أقبل رأسه حتى يذهب من قلبه ما فيه فعجب صاحبى من ذلك وقال لى تبت الى الله تعالى مما كنت فيه ولا أعود فأمر لنا أبو يعزى أن نكون فى بيت نتفرد فيه عن الناس وقال أنتم لا تحتملون أن تكونوا مع الجموع فحملنا الى بيت نظيف خال فانفردنا فيه فأتانا بعض خدمته بطعام الشعير وعليه الخبازى فى صحفة فقال لى صاحبى ما سقتنا إلا لأكل الشعير وبقل البرارى ، فقلت له ألم تتب إلى الله تعالى من

أمثال هذا ؟ فاذا نحن بالشيخ أبى يعزى قد أقبل إلينا بطبق فيه رغيفان وصحفة فيها لحم مشوى من لحوم الضأن ، فقال لى قل لصاحبك لو أقام عندى شهراً ما أطعمته إلا هذا الطعام فعلامَ يغيرك وإنما غلط الخديم فجاءكم بذلك الطعام قبل أن آمره بما يأتيكم به من الطعام ، فاشتد عجب صاحبى من ذلك وقال والله لاعدت لمثل هذا أبداً .

وحدثنى عبد الرحمان بن محمد بن عبد الخالق قال حدثنى الحاج ابن هارون وكان خديماً لأبى يعزى قال رأيت أبا يعزى يوماً وقد أتته صبية بها علة لتستشفي بمسه ، فأدخل يده الى جسدها ليمسح عليه فوجدت من ذلك فى قلبى شيئاً فكرهت المقام عنده فاستأذنته فى الانصراف ، فقال لى لا تنصرف حتى آمرك ، فانصرفت قبل أن يأذن لى فضللت الطريق وكنت به عارفاً وأخذت فى طرق متعبة خرجت منها الى مكناسة الزيتون وقد أجهدنى التعب والجوع وكان الناس حينئذ يقتلون على ترك الصلاة فى أوقاتها قال فقبض على جماعة كنت فيهم ، فحملنا لنقتل ، فلما كان فى تلك الساعة قال أبو يعزى لأصحابه ارفعوا أيديكم الى الله تعالى وادعوا أن يخلص صاحبكم من المحنة التى أصابته فلما قدمت للقتل رءانى رجل كان يعرفنى فقال للوالى ليس هذا ممن يترك الصلاة ولو لم يصل أحد لصلى هذا وحده ومن شأنه كذا وكذا فأمر الوالى باطلاقى ، فانطلقت ورجعت فوراً إلى أبى يعزى ، فلما أبصرنى قال لى أبيت أن يزول ما فى قلبك الا بعد المحنة فقلت له تبت الى الله تعالى .

وحدثنى يحيى بن محمد الزناتى قال سمعت أبا جعفر محمد بن يوسف الذى كان بتاغزوت من بلد تادلة يقول قلت يوماً فى نفسى : ماهذا الذى يصدر من أبى يعزى ؟ فلأفعلن فعلا لا يطلع عليه أحد إلا الله تعالى حتى أعلم حقيقة ذلك ، وكنت أشاطره فى كل ما استفيده ، فجمعت دراهمى وقسمتها وأنا فى بستان وحدى ، ثم نظرت إلى عنقود من عنب فوق شجرة مرتفعة وددت انه أكله الشيخ أبو يعزى ثم مر بى حنش فقلت والله ان عدت إلي لأقتلنك ، فخرجت فجاءتنى إمرأة فدفعت لى خمسة دراهم وقالت لى اعطها لمن يأتيك من المريدين

فأخذت من دراهم أبى يعزى خمسة دراهم وجعلت تلك الدراهم التى أعطتنى تلك المرأة فيها عوضاً عما أخرجته منها ، فتوجهت من تاغزوت إلى جبل ايروجان فدخلت دار أبى يعزى فوجدته يصلى فى بيته فلما سلم قال لى يامحمد بن ورقا أتغتابنى ؟ فقلت له وما ذلك ؟ فقال لى ألم تقل فى نفسك ما هذا الذى يصدر من أبى يعزى ثم نظرت إلى عنقود العنب فقلت وددت أنه أكله الشيخ أبو يعزى ثم مر بك حنش وتوعدته وظننت أنه حنش وهو من مومنى الجن، فناولته الدراهم فأخرج منها خمسة دراهم وقال لى هذه دراهم فلانة قال وكنت عوجت أطرافها بأسنانى فاذا هي باعيانها قد رماها فعلمت من حينئذ ان الذى يصدر منه إنما هو على فراسة صادقة وتبت الى الله تعالى من سوء الظن به .

وحدثنا أحمد بن إبراهيم الأزدي قال سمعت أيوب (أبا الصبر) يقول زرت أبا يعزى على حمارى فنزلت فقيل لى إن حمارك أكل من شعير أبى يعزى فاشرف على الموت فقلت لأبى يعزى أكل حمارى من شعيرك وها هو يموت من أجل ذلك ، فقال لى أنا وشعيرى متاعك ولن يموت حمارك ، فجاءنى الخبر وقال لى إن حمارك قد أشرف على الموت ، فأعلمته فقال لى لن يموت فقلت له يموت حمارى وانت تقول لن يموت فقام معى إلى الحمار فوجدناه لاصقاً بالأرض فأخذ بمشفريه وفتح فاه فبصق فيه فقام الحمار من ساعته فركبت عليه .

قال أبو الصبر وكنت يوماً جالساً مع أبى يعزى ونحن نتحدث إذ قام عنى فسمعته وهو يضرب دابة بعود ثم بعد عنى فسمعت لغطاً كثيراً فبقي ساعة فجاء وهو يقول من أين دخل الحرام فى كسبى ؟ ثم جعل يحدثني ويقول دخل الأسد فى ماشيتى فلم أزل أضربه إلى ان فر فسألت أهل المكان فقالوا كان بنو فلان قد أغاروا على ماشيتنا فذهبنا إليهم فأخذنا من مواشيهم مثل ما أخذوا لنا فجبرنا منها ما نقص من ماشيتك فأمرتهم أن يخرجوا من ماشيتى ما أدخلوا فيها من تلك المواشى .

وحدثنى غير واحد أن الناس كانوا يأتون إلى أبى يعزى من كل بلد فيطعمهم من عنده ويعلف دوابهم ، وان الفتوح كانت تأتيه من إخوانه فى الله تعالى فينفقها على زائريه وان أهل القرى كانوا يضيفون الواصلين لزيارة أبى

يعزى ويتبركون به ، فلما مات أبو يعزى رئي في النوم وهو يطير في الهواء فقيل له بما نلت ما نلت ؟ قال باطعام الطعام .

وأخبار أبى يعزى كثيرة عجيبة اختصرت منها هذا القدر الذى أوردته فى هذا الباب (1) .

وقد صنف فى أخبار أبى يعزى رضي الله عنه جماعة من أهل العلم منهم المختصر والمطول وزبدتها هو ما تقدم عن التشوف منهم الامام أبو العباس العزفى وصاحب النجم الثاقب ترجم له فى حرف الياء هكذا عبد النور ابن عبد الله الهزميرى سيدى أبو يعزى كذا قرأت نسبه بخط الامام القاضى أبى عبد الله ابن عبد الملك فلا نطول بالخلاف الواقع فيه بين علماء المغرب .

وممن عرف به الامام ابن قنفذ فى (أنس الفقير) ، وشراح الباديسية وصاحب بهجة الأسرار ، وصاحب قلائد الجواهر ، وصاحب لواقى الأنوار ، وصاحب نظم بهجة الأسرار ، ورجال التشوف ، وصاحب الجذوة ، ونقل عن الكتانى عن الشيخ رضي الله عنه أن الشيخ قطع رجله ومنهم أبو العباس الصومعى صنف فيه كتابه الذى سماه (المعزى فى أخبار أبى يعزى) ينحصر فى سبعة أبواب وخاتمة ، الأول فى نسبه ومجاهدته وما لقي فى ذلك من التعب ، والثانى فى الأشياخ الذين لقي وخدم وانتفع ببركة خدمتهم ، وتأدب بآدابهم ، وسلسلة ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم والتعريف ببعضهم بما أمكن من أوصافهم السديدة وما لهم من علي المقام ، والثالث فى بعض ما له من الكرامات وما أظهر الله على يده من الخوارق وكرائمه إلى هلم جرا ظاهرة ، والرابع فى بعض من أخذ عنه من المشايخ وما فتح عليه ببركاته ومازال بقدرة الله الفتوح على يديه إلى اليوم حتى قيل ان مادته لا تنقطع إلى يوم القيامة ، والخامس فى إخوانه الذين شهدوا له بالرتبة العالية وأكابر الصديقين الذين عاصروه والذين بعدهم من الكبراء ، والسادس فى آداب زيارته وزيارة غيره من الأحياء والأموات ، والسابع فى اتصال نسبته بهذا الامام إلى النبي صلى

1) جميع ماتقدم منقول بالحرف من التشوف ص 195 عدد 77 .

الله عليه وسلم ، وكذا سيدى عبد القادر الجيلانى لما كان بينهما من المحبة والخاتمة فيما ينبغى من التسليم للمنتسبين ، والمحبة والتعظيم ، وبذلك يكون الانتفاع .

قال فى الباب الأول :

وحدثنى الثقات عنه من وجوه شتى مختلفة الألفاظ متفقة المعنى أن السلطان عبد المومن بن علي بعث له عام أحد وأربعين وخمسمئة فورد عليه راكباً على حمار فحبس فى صومعة الجامع اعنى جامع الكتبيين فى الصومعة السفلى التى كانت للمتونيين إذ هم الذين بنوها واما الكبرى إنما بنيت فى ءاخر أيام يعقوب المنصور فى حدود أربع وتسعين من القرن السادس ثم خلى سبيله لما اتفق لعبد المومن معه فقال لأصحابه اتركوه ولا سبيـل لكـم عليه ، وقال فى الباب الثالث قد روى أبو العباس ابن مرزوق رضي الله عنه : أبو يعزى كراماته بعد مماته كمثل حياته ثم ذكر ان أبا يعزى كان لا يحسن اللسان العربى وإنما يترجم عنه المترجم ، وقال فى الباب الرابع بعد نقل كلام صاحب حذر الاتقياء إن أبا يعزى أخذ عن أبى بكر ابن العربى المعافرى ما نصه قلت ظاهر كلام هذا الشيخ ، إن الشيخ سيدى أبا يعزى أخذ عن الامام ابن العربى ومن تلامذة أبى يعزى أبو محمد يسكر الجورائى التـادلى الفاسى كان وحيد زمانه علماً وعملا ، ومنهم الولي الصالح أبو زكرياء يحيى بن محمد بن صالح المزطاوى الهسكورى والولي الصالح أبو يلبخت ياللتـن الأسود المتقدمة ترجمته ، ومنهم الولي الصالح أبو يحلو الصديقى التادلى ، ومنهم أبو الصبر أيوب الفهرى السبتى المتقدمة ترجمته ، ومنهم أبو علـي مالك بن تماجورت المتقدم الترجمة أيضاً ، ومنهم الولي الصالح أبو جعفر محمود بن يوسف الصنهاجى التادلى الساكن بتاغزوت ، ومنهم ولده الولي الصالح أبو علي يعزى الآتية ترجمته إن شاء الله ، ومنهم الشيخ الامام الحجة أبو عبد الله محمد بن يعلى التاودى الفاسى ، ومنهم الشيخ أبو الامان عبد الحق بن عبد الصمد الهسكورى ، وذكر فى الباب الخامس ان ممن شهد للشيخ أبى يعزى بعلو المقام وانه حاز قصب السبق فى هذه الطريق على التمام وقطع

المقامـات وسلك المعـالى من الرتب علي ابن حـرزهم الآتية ترجمتـه ، وسيدى عبد القادر الجيلانى ، وأبا عمران موسى العبدوسي ، وأبا محمد يسكر، وسيدى أبامدين ، وقال فى الباب السابع قال الأسكندرى ويقال انه يعنى أبا يعزى من ذرية لقمان الحكيم ، نقل المعزى وقال ابن الوزبيدى فى شرحه على النفحات القدسية ، وصاحب النجم الثاقب والعزفى ان السلطان عبد المومن بن علي بعد ان صرفه عام أحد وأربعين تواترت اليه عند كثرة الجموع فقال له هذه الجموع يخشى على الدولة منها فيحكى عنه أنه خرج بمحلته يرحل وينزل حتى عمل بينه نصف مرحلة فبعث إليه ليأتيه فأتاه راكباً على حمار، فلما لحقه كلّمه بأشياء تعجّب منها ، ثم قال للترجمان ، زيد من المكاشفة شيئاً ، فشاهده بالعيان قال إن حمارى يأكله الأسد الليلة ، فقال عبد المومن ايتوا لى بحماره واجعلوه فى وسط مربط خلينا وبيت الحرس عليه إلى طلوع الفجر، ففعلوا ذلك وباتوا يحرسونه إلى الفجر، فتفرقوا، وإذا بالأسد قد افترس الحمار وبقي هناك رابضاً ، فلما طلع النهار عرف الخليفة بما كان ، فأمرهم أن يعرفوا الشيخ بذلك ، فقال أريد أن أقف عليه فسار حتى وقف عليه ووجد السبع رابضاً، فتقدم إليه فضربه بعصاه ضربة خر بها ميتاً، فنقل ذلك للخليفة فقال لجلسائه اعتبروا بهذه القصة وإن كانت عجباً فانه ما ضربها لكم إلا مثلا ، وجعلها لكم تأديباً كانه يقول أنا رب الحمار ، فقتله الأسد فسلطت عليه فقتلته وأنا عبد ربى فان قتلتمونى غضب لى ربى فيفعل بكم ذلك أو أشد لمن قتلنى .

قال أبو العباس العزفى هذا من الشيخ اعتبار عجيب وخاطر من الفراسة يـصيـب .

وممن كان يصلي التراويح برمضان بأبى يعزى أبو الصبر أيوب الفهرى المتقدمة الترجمة .

وقال فى المعزى قبيل الباب الرابع واعلم أن الشيخ أبا يعزى رضي الله عنه ما من سنة إلا وتظهر له كرامة وكرامات ، وقد قدمنا كلام أبى العباس زروق إن كراماته فى مماته كحياته ، وقال مرة أخرى أكثر منها فى حياته وهذا باب لا يخص .

وجعل فى المعزى فى الباب الأول الشيخ أبا شعيب السارية من أشياخ أبى يعزى ، وقد تقدم عن التشوف ان أبا شعيب من أصحاب أبـــى يعزى ، وقد حكى كلام التشوف المذكور فى المعزى أيضاً ثم قال : وقد لقي أيضا غير أبى شعيب كأبى عبد الله بن أمغار وأبى موسى عيسى ايغور وغيرهم كثير كما تقدم يعنى ما حكاه صاحب التشوف انه خدم أربعين ولياً لله تعالى .

وقال مؤلف مناقب بنى أمغار أن الشيخ أبا عبد الله محمد بن الشريف بن امغار هو شيخ المشايخ فى عصره وهو شيخ الولي الصالح أبى شعيب أيوب السارية وأبو شعيب شيخ الولي الشهير أبى يعزى وأبو يعزى شيخ الولي الذى بانت فضائله واستقرت كرامته أبى مدين التلمسانى ، وأبومدين شيخ الولي الصالح أبى محمد صالح الماجرى ثم الدكالى .

وذكر فى التشوف فى ترجمة أبى شعيب السارية انه شيخ أبى يعزى ، قلت فتحصل من هذا ان تعبير صاحب التشوف نقلا عن غيره انه من أصحاب أبى يعزى ليس المراد المعنى المصطلح عليه فى الصاحب انه التلميذ لتصريحه فى محل آخر بأنه شيخه فاعلم ذلك والله الموفق .

وما أحسن قول ابن باديس فى سينيته التى نظم بها رجال الروض الناضر فى مناقب الشيخ سيدى عبد القادر فى رجال الأربعين الذين اثنوا على جنابه العالى :

واما أبو يعــزى فشيــخ شعيبهــم — وبالغرب حــلا للافــادة والحــرس
وحالهما قد عم الأقطار نورهــــا — فمقتصد فى وصفه معجــز النفس

ولم يزد شارحها أبو العباس الورنيدى المعروف بابن الحاج فى شرحه (أنس الجليس ، فى جلْو الحناديس ، عن سينية ابن باديس) ، على ذكر بعض ما فى (بهجة الأسرار) فى ترجمتها قال فى شرح البيت الثانى يعنى ان أحوال هذين الشيخين وفضائلهما قد شملت جوانب الأرض ، وطبقت ءافاتها فـــى الطول والعرض وسمع بها البادى والحاضر والبر والفاجر ونال بركاتهما

العاصي والمطيع ، والعاجز والمستطيع ، وأقر بها المحب والحسود ، والسيد والمسود ، وتوسل بهما القوي والضعيف ، والدنيء والشريف ، حتى لو أراد أحد أن يكتب أقلها لأفنى بحار المداد كلها ، ولو رام نصفها لما بلـغ نصفها .

وقال في (بهجة الأسرار) الشيخ أبو يعزى المغربي هذا الشيخ من أعيان المشايخ وصدور الأولياء ، له الكرامات الخارقة والتصريف النافذ ، والمقامات السنية ، والأوصاف العلية ، والأحوال الجليلة ، وهو أحد أوتاد المغرب ، واجلاء العارفين وعظماء الزهاد المحققين بها ، واحد أركان هذه الطريقة وأعلام العلماء ، له القدم الراسخ في المعالي والتمكين ، والنظر الخارق ، والكشف الصادق ، الحلي من المغيبات والمهابة الشديدة في القلوب والوضاءة الظاهرة في الأبصار ، ومقصود لزيارات من بلاد المشرق والمغرب ، وكان دائم المراقبة ، شديد المناقشة لنفسه ، قوياً على المجاهدة ، بصيراً بأدواء الباطن فيما يحل مشكلات فتوحات السالكين ، وإليه انتهت تربية الصادقين بالمغرب ، وتخرج بصحبته جماعة من أكابر مشايخها منهم الشيخ أبومدين رضي الله عنه وغيره ، وقال بارادته خلق لا يحصون كثرة من أصحاب الأحوال ، وكان أهل المغرب يستسقون به فيسقون، ويرجعون إليه في المعضلات فتنكشف ، وكان له كلام عال في المعارف ثم أورد بعضه وجملة من كراماته الباهرة كتكليم الجمادات وأمرها ونهيها فتطيع وإجابة دعائه في الاستسقاء على الوجه الذي يطلب وتحضيض على زيارة الشيخ الامام سيدى عبد القادر الجيلاني وان علمه ونسبه قد ميزاه على الأولياء تمييزاً واضحاً كثيراً ونحوه في قلائد الجواهر وطبقات الشعراني الكبرى فراجع الجميع تستفد .

وقال أبو العباس التاستاوتي في نظم رجال بهجة الأسرار ولم يطلع إلا على مختصرها :

وبالمغرب الأقصى إمـام معظـــم ... وقطب أبو يعزى وغوث بشـــدة
فضائله مشهـورة تمـلأ الفضـــا ... وفي كل عـصر للـورى قد تبـدت
وها أنا قد ألزمت نفسي ببـابـه ... وقوفـاً لعـلي أن أفوزَ بنفحـــة

قال فى الشرح وهو كذلك رضي الله عنه ما من قرن منذ مات إلى الآن إلا والناس تتحدث عنه بالعجائب والغرائب ، وقد شاع على ألسنة العامة والخاصة أنه من أهل التصرف بعد مماته رضي الله عنه .

وقال أيضاً فى نظم رجال التشوف :

بشيخ الشيوخ العارفين ومن إذا
جرى ذكره يغنيك فى الفضل عن غيرى
مددت يدى أرجوا النجاة بجاهه
واسأل تخفيفاً من الله عن ظهرى
كان جميع الصالحين بوقته
طيور وهذا الشيخ يظهر كالصقر
لجأت أبا يعزى لبابك راغباً
ألا ليت شعرى هل أعامل بالستر

وايروجان بكسر الهمزة وضم الراء وتشديد القاف المعقودة كما فى ابتهاج القلوب ، قال فيه وقد ذكر الحاتمى فى الفتوحات المكية ان هذه كانت حالة الشيخ أبى يعزى دائماً وإنه كان يتبرقع لما به من النور الذى غشي طلعته فمن وقع بصره عليه عمي .

ذكره بعد ان حكى قصة عمى أبى مدين لما زاره وبقي بالجوع ثلاثة ثم مسح بثوب الشيخ على وجهه فابصر ثم قال فى ترجمة الشيخ الصالح سيدى محمد بن مخلوف الضريسى انه كان يزور الشيخ أبا يعزى فى كل سنة مرة يمشى إليه حافياً من مكناسة إلى قبره بتاغيا ، وكان يقول من زار هذا الشيخ ويسأل الله تعالى عند قبره حاجة واحدة فى كل زيارة فانها تقضى له على القطع ، توفي بمكناسة الزيتون سنة اثنتين وأربعين وتسعمئة ، ودفن خارج باب عيسى منها ، وراجع اتحاف الخل الواطىء عند ترجمة أبى عبد الله بن طاهر الهوارى بعد أن ذكر هناك أن مَن لم تمكنه زيارته فليكتب له أبيات الشيخ سيدى عبد القادر الجيلانى الرائية ويوجهها لتوضع فى تابوته مع بيان الحاجة فانها تقضى بحول الله عز وجل .

ترجمه التادلى فى (التشوف) والعزفى ، وصاحب بهجة الأسرار ، وابن قنفذ فى أنس الفقير وشراح الباديسية ، وصاحب لواقح الأنوار ، وصاحب قلائد الجواهر ، وصاحب النجم الثاقب ، وصاحب الذيل والتكملة ، وصاحب المعزى والجذوة والمناوى فى طبقاته ، وصاحب نظم رجال التشوف ، ورجال بهجة الأسرار .

وجرى ذكره فى كفاية المحتاج ، والمنح البادية ، والدوحة ، وترجمه فى درة الحجال بعد ترجمة تلميذه أبى عصفور شيخ سيدى يوسف ابن علي وغيرهم .

ومن أحفاده رضي الله عنه يحيى بن يعزى المتوفى سنة 891 قاضى فاس الجديد أو سنة 889 .

ثم منّ الله علي بزيارة الشيخ المترجم رضي الله عنه فى يوم الجمعة منتصف ذى قعدة الحرام عام 1344 أكتريت سيارة خاصة من وادى زم فقطعت بنا المسافة فى نحو ساعتين ونصف ذهاباً ، وصلينا الجمعة فى مسجده ودعوت عند قبره بما أرجو من الله قبوله .



فهرس

تقديم

صحيفة

مقدمة تشتمل على فصول

تراجم الكتّاب

حرف الألف

صحيفـة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

الإعلام

بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام

تأليف

العباس بن إبراهيم السملالي

قاضي مراكش

راجعه

عبد الوهاب ابن منصور

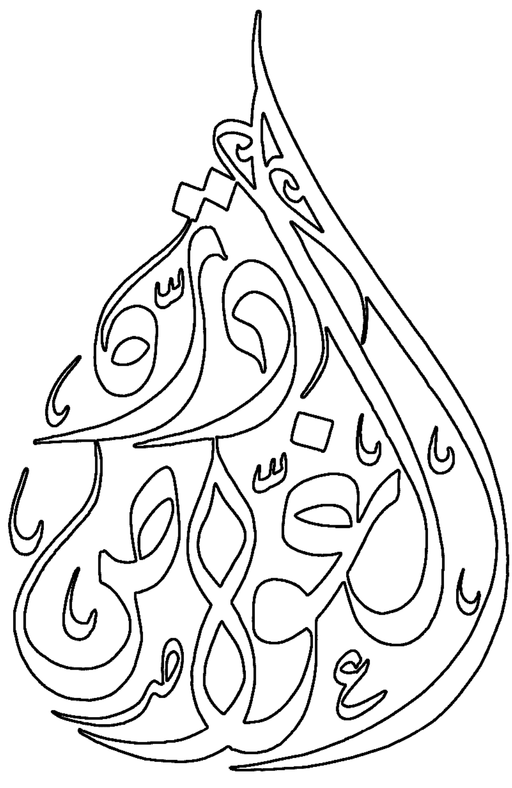
مؤرخ المملكة عضو أكاديمية المملكة المغربية

(الطبعة الثانية)

1413 هـ - 1993 م

المطبعة الملكية - الرباط

الجزء الثاني



الإعلام

بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام

تأليف

العباس بن إبراهيم السَّمْلالي

قاضي مراكش

راجعه

عبد الوهاب ابن منصور

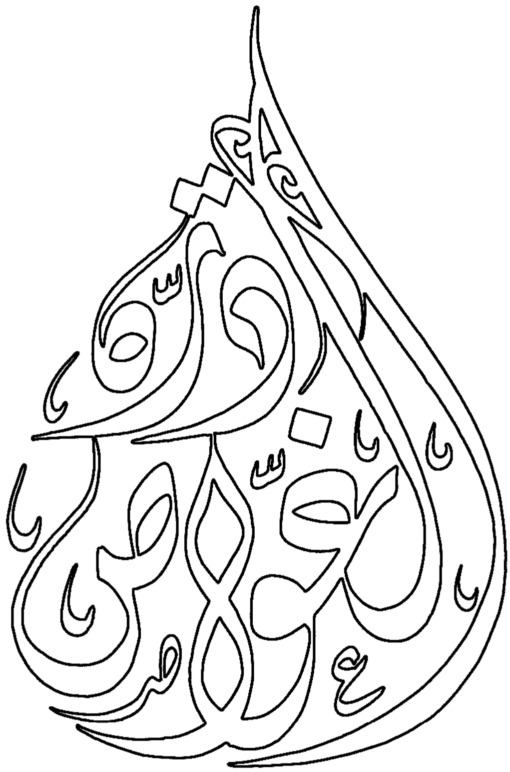
مؤرخ المملكة عضو أكاديمية المملكة المغربية

الجزء الثاني

(الطبعة الثانية)

1414 هـ - 1993 م

المطبعة الملكية - الرباط



بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

الأحمدون

125) **أحمد ابن العريف الصنهاجي** : أحمد بن محمد بن موسى بن عطاء الله الصنهاجي من أهل المرية يعرف بابن العريف .

روى عن يزيد مولى المعتصم ، وعمر بن أحمد ابن رزق ، وعبد القادر ابن محمد القروي ، وخلف بن محمد بن العربي ، وسمع من جماعة من شيوخ ابن بشكوال ، وكانت عنده مشاركة فى أشياء من العلم وعناية بالقراءات وجمع الروايات واهتمام بطرقها وحملتها ، وقد استجاز من ابن بشكوال تأليفه (الصلة) وكتبه عنه ، وكتب إليه بإجازته مع سائر ما عنده ، واستجازه ابن بشكوال أيضاً فيما عنده ، فكتب له بخطه ولم يلقه وخاطبه مرات ، وكان متناهياً فى الفضل والدين ، منقطعاً إلى الخير ، وكان العُبَّاد وأهل الزهد فى الدنيا يقصدونه ويألفونه فيحمدون صحبته ، وسُعي به إلى السلطان فأمر باشخاصه إلى حضرته مراكش فوصلها ، وتوفي ليلة الجمعة صدر الليل ، ودفن يوم الجمعة 23 من صفر من سنة 536 هـ ، واحتفل الناس لجنازته ، وندم السلطان على ما كان منه فى جانبه ، وظهرت له كرامات .

ذكره ابن بشكوال فى صلته (1) .

---

1) الصلة 1 : 81 ع 176 طبع الدار المصرية للتأليف والترجمة .

وقال فى (بغية الملتمس) فى ترجمته :

فقيه زاهد إمام فى الزهد ، عارف محقق ، صحبه ابن عم أبى الزاهد أبو جعفر ، قال لي عنه القاضي أبو القاسم بلديه إنه كان يكتب سبعة خطوط لا يشبه بعضها بعضاً . توفي سنة 536 ، وشعره فى طريقة الزهد كثير ، ومما أنشدت فيه :

شدّوا الركاب وقد نالوا المنى بمنى ... وكلهم بأليم الشوق قد باحا
راحتْ ركابُهُمُ تندى روائحها ... طيباً بما طاب ذاك الوفد أشباحا
ياواصلين إلى المختار من مضر ... زرتُم جسوماً ونحن زرنا أرواحا
إنا أقمنا على عذر وعن قدر ... ومن أقام على عذر كمن راحا

وقال ابن الأبار فى (معجم أصحاب الامام الصدفي) لدى ترجمة ابن العريف ما نصه :

أصل أبيه من طنجة ، وكان بقصبة المرية فى رجال ابن صمادح ، ونشأ ابنه هذا وقد مسته الحاجة فرفعه فى صغره إلى حائك يعلمه ، وأبى هو إلا تلعمَ القرءان وتعلقَ الكتب ، فكان ينهاه ويخوفه ، ودار له معه ما كاد يتلفه إلى أن تركه لقصده ، فجاء نسيج وحده ، اقتضبت هذا مما حكى أبو عمر بن عياد عن أبي بكر بن نمارة فى أوليته ، وأخبره عنه أن أباه كان يقول فى زيارتهم إياه رأيُ ابنى كان أرشدَ من رأيي ، إني لأعلم أني به أكرم أو ما هذا معناه ، قال وقرأ القرءان على أبي الحسن البرجني بالمرية ، وعلى أبي القاسم ابن النخاس ، وأبي جعفر الخزرجي بقرطبة ، وسمع الحديث عن أبي علي الصدفي ، وله رواية ببلده عن يزيد مولى المعتصم ، وعمر بن رزق المعروف بابن الفصيح ، وعبد القادر بن الحناط القروي وغيرهم ، وروى كتاب (الفصوص) لصاعد عن أبي محمد الركلي عن أبى مروان بن حيان عنه ، ويرويه أيضاً عن أبى القاسم ابن النخاس عن أبى مروان بن سراج عن ابن حيان سمعه عليه مع ابنه عمر بن حيان بقراءة مهاجر بن محمد بن حزم فى شعبان سنة 444 عن صاعد ، وتصدر بالمرية للاقراء وقد أقرأ بسرقسطة وولي

الحسبة ببلنسية ، وكان ينوع خطه فيجيد ، وبعُد صيته فى الزهادة والعبادة وكثر أتباعه على طريقته الصوفية حتى نمي ذلك إلى أمير الملثمين علي بن يوسف بن تاشفين ، ويقال إن فقهاء بلده اتفقوا على إنكار مذاهبه فسعوا به إلى السلطان وحذروه من جانبه فأمر باشخاصه إليه من المرية مع أبي بكر محمد بن الحسين الميورقي من غرناطة وأبي الحكم بن برجان مـن إشبيلية وكانوا نمطاً واحداً فى الانتحال والاتصاف بصلاحية الحال ، ولأبي الحكم الشفوف عليهم حتـى قيل فيه غزالي الأندلس ، فسُيِّروا جميعاً إلى مراكش ولم يقم بها ابن العريف إلا قليلا وتوفي فى صفر سنة 536 هـ واحتفل الناس بجنازته ، هذا ما أورد ابن بشكوال فى تاريخه من خبر وفاته ، قال وندم السلطان على ما كان منـه فى جانبه ، وظهرت له كرامات . وحكى ابن عياد عن أبي عبد الله الغزال وكان مختصاً بابن العريف أن ابن تاشفين أنكـر عليه تسرعه إليه وقـرر فضله وصلاحه لديه ، فورد أمره بتخلية سبيله وقد بلغ الموكلون به سبتة فمرض بعقب ذلك وتوفي هناك ، وقيل إنه سم فى طريقه بعد ما أجاز البحر ، والأول أصح . وقبره وقبر ابن برجان بمراكش متلاصقان .

حدثنا محمد بن أحمد الأندرشي الحاكم، قال حدثنا(1)أبو بكر بن خليفة المقري الاشبيلي، حدثنا أحمد بن محمد بن موسى الزاهد يعنى المترجم، قال قرأ على أبي علي حسين بن محمد الامام الحافظ يعنى الصدفي وأنا أسمع. أخبرنا الشيخ الصالح عبد الواحد بن علي بن محمد بن فهد العلاف قراءة مني عليه ببغداد، حدثنا الشيخ محمد بن أحمد بن أبي الفوارس إملاء بجامع الرصافة ، أخبرنا محمد بن أحمد بن الصواف ، حدثنا عبد الله بن الحسن هو أبو شعيب الحراث ، حدثني يحيى يعنى ابن عبد الله ، حدثنا الأوزاعي قال ، حدثني هارون بن رباب قال : دخل الأحنف بن قيس مسجد دمشق فاذا برجل يـكثر الركوع والسجود ، فقال والله لا أبرح حتى أنظر على شفع يدري ينصرف أو على وتر، قال فلما انصرف الرجل قال له الأحنف : يا عبد الله هل تدري على شفع انصرفت أم على وتر ؟

---

1) فى الأصل نا وهو رمز الرواية ومعناه حدثنا ؛ وهناك رمز رواية آخر انا ومعناه اخبرنا ؛ وقد ضربنا صفحاً عن هذه الرموز ؛ واثبتنا بدلها مدلولاتها الصريحة الواضحة .

قال إلا أكن أدري فان الله يدري . سمعت خليلي أبا القاسم صلى الله عليه وسلم ثم بكى ثم قال : سمعت خليلي أبا القاسم صلى الله عليه وسلم ثم بكى ثم قال : سمعت خليلي أبـا القاسم صلى الله عليه وسلم يقـول : ما من عبد سجد لله سجدة إلا رفعه الله بها درجة أو حط عنه بها خطيئة ، قلت مَن أنت ياعبد الله ؟ قال : أنا أبو ذر ، قال : فتقاصرت إلي نفسى مما وقع فى نفسي عليه .

وبه إلى أبي الفوارس قال : حدثنا عمر بن أحمد الوراق، حدثنا يحيى بن محمد المدني،حدثنا الحسين بن الحسن المروزي، أخبرنا نوح بن الهيثم، حدثنا خلف ابن خليفة عن سلمة بن نبيط قال:كنا بخراسان جلوساً عند الضحاك ابن مزاحم، فأتاه رجل فسأله عن قول الله عز وجـل (إنا نراك من المحسنين) ما كـان إحسان يوسف عليه السلام ؟ قال : كان إذا ضاق على رجل مكانه وسع له ، وإن احتاج جمع له أو سأل له ، وإن مرض قام عليه .

ومن شعر ابن العريف الذى يستجلى به الخطب البهيم ويستجفى له رطب النسيم ، ما يرويه أيوب (أبو الصبر) بن عبد الله الفهري ، وحدثني غير واحد عنه قال : أنشدني سليمان بن عمر بن يوسف الكناني المالقى بمنزله فى منازل المعز بمصر ، قال : أنشدنى الفقيه الزاهد أحمد ابن العريف لنفسه :

سلوا عن الشوق من أهوى فانهم ... أدنا إلى النفس من وهمي ومن نفسى
ما زلت مذ سكنوا قلبي أصون لهم ... لحظي وسمعي ونطقي إذ هم أنسى
فمن رسولي إلى قلبى ليسألهـــم ... عن مشكل من سؤال الصب ملتبس
حلّوا فؤادي فما يندي ولو وطئوا ... صخراً لجاد بماء منه منبجـــس
وفى الحشا نزلوا والوهم يحرقهم ... فكيف قروا على أذكى من القبـس
لأنهضن إلى حشري بحبهـــــم ... لا بارك الله فيمن خانهم ونسي (I)

وهذه الأبيات أنشد أبو بكر ابن خير فى برنامجه أربعة منها وقال : سألته أن يجيز لي جميع ما رواه وألفه وأجاب فيه وجميع منثوره ومنظومـه فأجاز لي ذلك كله فى ذي القعدة سنة 534 هـ وحدثنا عن ابن خير جماعة من

I) نفح الطيب 3 : 229 تحقيق الدكتور احسان عباس .

شيوخنا قد ذكرت بعضهم وأنشدناها بجملتها صاحبنا الكاتب عبد الواحد بن عمر الربعي بحضرة تونس كلأها الله قال : أنشدني أبو سهل يونس بن يوسف الجذامي بها ، قال أنشدنا عبد الله بن محمد بن مليح الحضرمي قال أنشدنا الأستاذ النحوي أبو عبد الله ابن المدرة قال أنشدنا ابن العريف لنفسه فذكرها ، وقال أدنا إلى الوهم فى البيت الأول ، وقال فمن رسولي إليهم كي يسائلهم فى البيت الثالث ، وقد حدثنا من أصحابنا أحمد بن يوسف السلمى ابن فرتون مكاتبة من سبتة ، وأبو عمرو عيشون بن محمد اللخمي لفظاً بتونس وغيرهما قالوا أخبرنا أحمد بن عمر بن أحمد الخزرجي القرطبي نزيل مدينة فاس عن ابن العريف هـ (1) .

وكتب الامام ابن رشيد على هذا المحل من (المعجم) ما نصه : أنشدنا الشيخ الامام المحدث الصوفي خطب الدين أبو بكر محمد بن أحمد بن علي القسطلاني أبقاه الله غرة شعبان المكرم عام 684 بالقاهرة ، قال أنشدني أبي كمال الدين أحمد ، قال أنشدنا سليمان بن عمر المالقي ، قال أنشدنا ابن العريف ، وكتب محمد ابن رشَيْد . انتهى من خطه بواسطة .

وذكر ابن الأبار فى ترجمة محمد بن يونس الطرطوشي وفى ترجمة محمد بن عبد الله بن عيسى الكتامي الأديب من قصر عبد الكريم المعروف بابن المدرة وفى ترجمة أبي بكر محمد بن أبي بكر المعروف بابن ولم من (التكملة) أنهم صحبوا ابن العريف . وذكر فى ترجمة القاسم بن علي المقرىء أنه أخذ القراءات عن ابن العريف .

(تنبيه) :

قلت قول الامام ابن الأبار وقبره وقبر ابن برجان بمراكش متلاصقان غير صحيح ، بل بين ضريحيهما مسافة وكلا ضريحيهما مشهور .

كان المترجم أحد رجال الأولياء الأفراد المتسمين من سمتي العلم والعمل بأعلا درجات الزهاد ، كان رحمه الله من الفقهاء والمحدثين والقراء

---

1) المعجم فى أصحاب الامام أبى على الصبدفى ص 15 ع 14 طبع القاهرة 1967 .

المجيدين ، ثم غلب عليه الزهد والورع والايثار مع الاقلال ، فأصبح علماً من أعلام المتصوفة وأحد رجال الكمال ، وكان بينه وبين القاضي عياض مخاطبات معلومة ومكاتبات مستحسنة مرسومة ، وله الكرامات المستطابة ، والدعوات المستجابة ، حدثونا عنه أنه كان ببلده المرية ، على أحواله الحسنة المرضية ، فى الجد والاجتهاد ، وملازمة الأذكار والأوراد ، وصحبة العباد والزهاد ، فغار منه قاضي المرية المعروف بابن الأسود ، وحمله مقت الحسد على أن كتب للخليفة بمراكش أمير المومنين علي بن يوسف بن تاشفين ، وكان أمر الأندلس إليه ، وخوّفه في الكتاب من حال ابن العريف ، فكتب الخليفة لعامله بالمرية أن ابعث إلينا ابن العريف ، فأمر به العامل فأدخل فى القارب ليخرج به في البحر الى سبتة ، فأشار القاضي على العامل بتكبيله ، فبعث إليه من يقيده فأدركه رسول العامل وهو فى البحر لم يخرج منه بعد فكبله ، وذهب راجعاً فى البحر الى المرية ، فقال ابن العريف روّعنا روعه الله تعالى ، فلقيه العدو فى البحر فحمله أسيراً ، فلما وصــل ابن العريف إلى سبتة وافــاه رسول السلطان بالأمان وأن تحل قيوده ويسرح ، فقال ابن العريف كنت أريد أن لا يعرفني السلطان وقد عرفني الآن فلابد من رؤيته ، فوصل إلى مراكش وأقبل عليه السلطان وعظمه وأبان حقه وأكرمه وسأله عن حاجاته ، فقال ليس لي حاجة إلا أن أخلى أذهب حيث شئت ، فأذن له فى ذلك ، فلما خاب سعي القاضى ابن الأسود فيما أراده من فساد ابن العريف تحيل عليه في أن جعل له سمّاً فى طعام الباذنجان فأكله ابن العريف فمات رحمه الله بمراكش سنة ست وثلاثين وخمسمئة ، واحتفل الناس لحضور جنازته ، وندم السلطان على ما كان منه إليه ، وصار يبحث عن أصل ذلك وسببه ، فأنهي إلى السلطان خبر القاضي ابن الأسود وقتله ، فقال السلطان والله لأفعلن به ما فعل بذلك الولي ، ولأغربنه ولأقتلنه بالسم ، فبعثه مقيدا الى سوس الأقصى وأن يسقى هنالك سما ، فكان ما أمر به السلطان ومات القاضي مغربا عن وطنه مسموماً .

قال فى (النجم الثاقب) :

ومن فوائد شيخنا محمد التنسي فيما حدثني به ونقلته من خطه قال : جاء بعض أصحاب الشيخ ابن العريف اليه وسأله أن يجمع له كلمات يدعو بها

فى مهمات أمره ، فكتب له هذا الدعاء المجرب الاجابة : اللهم إني أسألك بأنك أنت الله فى حقائق محضر التحصيل ، وبأنك أنت الله بكل وجه من وجوه الجملة والتفصيل ، وبأنك أنت الله على كل حال من أحوال الجد والتعويل ، وبأنك أنت الله المقدس بخصائص الأحدية والصمدية عن الضد والنقيض والنظير ، وبانك أنت الله الذى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، أن تصلي على محمد وعلى ءال محمد وعلى كل من يحب محمداً ، وأن تقضي حاجاتي كلها قضاء يكون لي فيه خير الدنيا موصولا بخير الآخرة محفوفا بالنهايات ، محفوظاً من الآفات ، ملحوظاً بخصائص العنايات ، يا عواداً بالخيرات ، يا من هو فى حق الحقيقة أهل التقوى وأهل الحسنات ، اللهم إنها مسألة خادم لعز ربوبيتك باظهار مسألتك ، فانك علام الغيوب ، ومشاهد حقائق المطالب قبل مباشرتها للقلوب ، فتممها بخير الخاتمة يا خير مطلوب ، وصلى الله على سيدنا محمد حبيب القلوب .

وأنشد ابن الزيات لابن العريف قوله :

شدوا الرحال وقد نالوا المنى بمنى ... وكلهم بأليم الشوق قد باحا
راحت ركائبهم تندى روائحها ... طيباً بما طاب ذاك الوفد أشباحا
نسيم قبر النبي المصطفى لهم ... روح اذا سكروا من ذكره فاحا
يا واصلين الى المختار من مضر ... زرتم جسوماً وزرنا نحن أرواحا
انا أقمنا على شوق وعن قدر ... ومن أقام على عذر كمن راحا (1)

وما أحسن قول الذهبي فى (مشتبه النسبة) ابن العريف عارف معروف هـ .

وقال فى (النجم الثاقب) فى ترجمة سيدى إبراهيم التازي ما نصه : حدثني شيخنا محمد التنسي قال كان شيخنا أبو إسحاق مجبولا على الكرم والايثار لا يدخر شيئاً ولا يلوي على سبب ، قال ومما أنشدناه فى الجملة قول الزاهد العارف ابن العريف نفع الله به :

---

1) التشوف ص 99 طبع الرباط 1958 ونفح الطيب 4 : 331 طبع بيروت 1968 .

تعاتبنى فى الجود والجود شيمتى ... وما لي بتبديل الطباع زعيـــم
ولم أر مثلَ الجود ، أما حديثـه ... فحلو ، وأما حبُّه فقديـــم
ولا خير فيمن لا يعاش بعيشـه ... ولو أنه فوق السماكِ مقيـــم
ذرينى فان البخلَ عارٌ بأهلـه ... وما ضرَّ مثلي أن يقال عديـــم
أرى كلَّ طلق كل خلق حميمـه ... وليس لمقبوض اليدين حميـــم
وكيف يخاف الفقر أو يُحرم الغني ... كريم وربُّ العالمين كريـــم

وقد عارض بها كما في (الرحلة العبدرية) أبيات إسحاق الموصلي التى أولها :

وءامرةٍ بالبخل قلت لها اقصـرى ... فذالك شيء ما إليه سبيـــل
أرى الناسَ خلان الجواد ولا أرى ... بخيلا له فى العالمين خليـــل
أمن خير حالات الفتى لو علمتـه ... إذا نال شيئاً أن يكون يسيـــل
فعالي فعال المكثرين تجمـــلا ... ومالي كما قد تعلمين قليـــل
وكيف أخاف الفقر أو أدع الغنـى ... ورأي أمير المومنين جميـــل

وفى (فتح الالتجا ، فى بيان نسب وطريقة القطب سيدى سالم أبي النجا) نزيل فوه المتوفى سنة 537 هـ ما نصه :

أجل شيوخه وأشهرهم الامام أحمد بن موسى بـن عطاء الصنهاجي الشهير بابن العريف نزيل المرية والمتوفى بمراكش سنة 536 هـ وأحال على الحافظ ابن حجر فى (التبصير) ، ثم ترجـم لرجال السلسلة وهي مذكورة أيضاً فى ترجمة أبي سعيد ابن الأعرابي فى (التحفة القادرية) .

وممن أخذ عن المترجم أخوه المترجم فى (التكملة) قال فيها :

إسماعيل بن محمد بن موسى بن عطاء الله الصنهاجي من أهل المرية يكنى أبا الوليد ويعرف بابن العريف ، روى عن أخيه أحمد الزاهد ، وكتب عنه كثيراً من شعره ، وعن عباد بن سرحان ، حكى ذلك بعض أصحابنا عن ابـن مومن هـ (I) .

I) التكملة I : I85 ع 492 طبع القاهرة 1955 .

فتبين لك منه أن صاحب (النجم) و (النيل) أسقطا فى نسبه بين محمد وعطاء موسى ، كما أسقط فى (فتح الالتجاء) محمد بين أحمد وموسى .

وقد كنت قلت فى المترجم هذه الأبيات التى أثبتها فى مقدمة (إظهار الكمال) مع تغيير يسير :

أبا العباس قد حازت كمـــــالا	مئاثركم كرمت بها فعـــــالا
تناهيت اكتساباً للمعالـــــي	وأهل الفضل فقتهم كمـــالا
وأهل الخير قد حمدوا انحياشـاً	إليك وكنت بينهم هـــلالا
وصلت ابنَ العريف إلى مقـــام	به حازت مئاثركم جـــلالا
وقاتلك البغيض جبت يــــداه	إليه بسقيه سماً وبـــالا
ومن قبل استُجيب لكم دعـــاء	بترويع لمن نال اعتقـــالا
أبا العباس زرتكم التماســـاً	لأن يوفي لنا الله النـــوالا

وقد جدد مقامه بمراكش القائدُ عبد الله بن بيهِ الحيحي سنة 1286 وصرف عليه مالا له بال ، وبعده بسنة مات القائد المذكور ودفن خلفه .

وبجنب ابن العريف أبو العباس العطار الزاهد المتوفي سنة 1105 الآتية ترجمته إن شاء الله ، والمترجم من أول الأولياء المشاهير صنهاجة المدفونين بمراكش .

(فائـدة) :

الصنهاجي نسبة إلى صنهاجة ، وجعل ابن حزم فى جمهرته حين عد بيوتات البربر الذين كانوا بالأندلس صنهاجة منهم ، وهذا على رأيه فيهم أنهم من البربر ، وهو خلاف ما عند غير واحد من المؤرخين المعتمدين من أنهم من عرب اليمن ، ثم من حمير منهم ، وانهم لا نسب بينهم وبين البربر ، وإنمـا تبربرت ألسنتهم وتغيرت لغتهـم بالمخالطة التى لهم مـع البرابر بالجـوار والصهر ، كالحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني صاحب كتاب (الاكليل) ، وابنُ الكلبي الذى ذكره ابن خلدون فى خطبة تاريخه فى المؤرخين الذيـن

ذهبوا بفضل الشهرة والامامة المعتبرة فى فن التاريخ ، وأبي عبيد القاسم بن سلام الذى فى غزارة علمه ومتانة دينه وجلالة منصبه أشهر من نار على علم نقل ذلك عنهم عبد الله بن علي اللخمي الأندلسي الشهير بالرشاطي المتولد سنة 466 هـ المتوفي سنة 540 هـ (فى اقتباس الأنوار ، والتماس الأزهار ، في أنساب الصحابة ورواة الآثار) فى لفظ الصنهاجي ، وكالزبير بن بكار علامة قريش فى علم الأنساب نقله عنه صاحب (الحلل الموشية ، في الأخبار المراكشية) ، وكابن خلكان فى تاريخه (وفيات الاعيان) ، فانظر ذلك فى ترجمة باديس بن المنصور الحميرى الصنهاجي أمير أفريقية للحاكم العبيدي صاحب مصر ، وكصاحب (القاموس) فانظر ذلك فيه فى فصل الصاد من باب الجيم .

وقد قال الرشاطي بعد نقله عن الأيمة الثلاثة المذكورين نسب صنهاجة إلى حمير وقصة خروجهم إلى المغرب وما كان لهم من الرياسة والملك قبل ذلك وبعده ما نصه :

فشرف صنهاجة أصيل ، ومجدهم أثيل ، ورياستهم قديمة ، ونسبتهم إلى حمير معلومة .

وقال أيضاً في لفظ الحميري بعد كلام :

وحمير الأكبر شعب عظيم وفيه قبائل وعمائر وبطون وأفخاذ كثر الانتساب إليها فقلّ من ينتسب إلى حمير لذلك هـ أي لاكتفائهم بالانتساب إلى ما اندرج فيه من الفروع ، ودخل تحته من تلك الأفراد والجموع ، لأن ثبوت الأخص يستلزم ثبوت الأعم كما هو معلوم هـ من خط الامام المسناوي بواسطة مع زيادة إيضاح ، وقد اختصره فى (النشر) فى ترجمة أبي بكر الدلائي ولم ينسبه له ، ونحوه فى (البدور الضاوية ، فى مناقب الزاوية الدلائية) في الباب الأول ، وزادت نسبة ذلك لابن خلدون فى تاريخه الكبير ، وعبد الغني الاشبيلي فى (اختصار اقتباس الأنوار) ، وعبد الحق الامام المالكي في اختصاره وأبي القاسم بن جزي فى (القوانين) وأبى السعد السمعاني فى

كتابه (المنسوبات) ، وأبي الحسن ابن الأثير فى اختصاره له فى جماعة من غيرهم سلفاً وخلفاً . وقول ابن حزم فى جمهرته بخلاف هذا فى نسب صنهاجة كأنه خرق للاجماع والله أعلم بما حمله عليه . هـ .

ونصُّ كلام ابن خلدون فى 89 من ج 6 وأما شعوب البرانس فعند النسابين أنهم يجمعهم سبعة أجذام ، وهي أزادجة ، ومصمودة ، وأوربة ، وعجيسة ، وكتامة ، وصنهاجة ، ووريغة ، وزاد سابق بن سليم وأصحابه لمطة ، وهسكورة ، وكزولة . وقال ابن حزم يقال إن صنهاج ولمط انما هما ابنا امرأة يقال لها بصكي ولا يعرف لهما أب تزوجها أوريغ فولدت له هوار فلا يعرف لهما أكثر من أنهما أخوان لهوار من أمه ، قال وزعم قوم من أوريغ أنه ابن المثنى ابن السكاك من كندة وذلك باطل ، وقال الكلبي إن كتامة وصنهاجة ليستا من قبائل البربر وانما هما من شعوب اليمانية تركهما افريقش ابن صيفي بافريقية مع مَن نزل بها من الحامية ، هذه جماع مذاهب أهل التحقيق فى شأنهم هـ .

ثم قال فى 97 منه :

ولا خلاف بين نسابة العرب أن شعوب البربر الذين قدمنا ذكرهم كلهم من البربر إلا صنهاجة وكتامة ، فان بين نسابة العرب خلافاً والمشهور أنهم من اليمنية ، ثم قال والحق الذى شهد به المواطن والعجمة أنهم يعني البربر بمعزل عن العرب إلا ما تزعمه نسابة العرب فى صنهاجة وكتامة وعندى أنهم من إخوانهم ، والله أعلم هـ .

وممن قال بأن صنهاجة وكتامة من العرب الطبري والجرجاني والمسعودي والسهيلي وجميع النسابين من العرب ، وراجع 370 من ج 1 من (صبح الأعشى) .

وقال فى (ابتهاج القلوب) :

وصنهاجة من ولد صنهاج بن عامل بن زعزاع بن تيمنل بن سدور بن مزلان ، بن مسبرا ، بن بنوا ، بن مكسليت ، بن ديقوس ، بن جلجال ، بن سبا

الأصغر ، ابن كعب بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس معاوية بن جشم بن الملك ميدان ، ابن الملك قطن ، بن الملك عريب ، بن الملك زهير ، بن الملك ايمن ، بن الملك الهميسع ، بن الملك عبد شمس ، بن الملك وائل ، بن الملك الغوث ، ابن الملك حمير ، بن الملك سبأ ، بن الملك يشجب ، بن يعرب ، بن قحطان .

قال ابن خلكان :

الصُنهاجي بضم الصاد المهملة وكسرها نسبة إلى صُنهاجة قبيلة مشهورة من حمير وهي بالمغرب هـ .

وفي (القاموس) :

صنهاجة قوم بالمغرب من ولد صنهاجة الحميري هـ .

وقال في شرحه (تاج العروس) :

وصنهاجة قال ابن دريد بضم الصاد ولا يجوز غيره، وأجاز جماعة الكسر، قال شيخنا والمعروف عندنا الفتح خاصة في القبيلة بحيث لا يكادون يعرفون غيره قوم بالمغرب كثيرون متفرعون ، وهم من ولد صنهاجة الحميري ، وقد نسبت إليه جماعة من المحدثين هـ .

وقال في (الروض الأنف) عند ذكر ملوك حمير وأفريقش بن قيس الذي بنى أفريقية وبه سميت وساق إليها البربر من أرض كنعان هـ .

(فائدة أخرى) :

قال الشيخ الأكبر في الباب الثالث من (الفتوحات المكية) في معرفة تنزيه الحق تعالى عما في طيّ الكلمات التي أطلقت عليه في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم من التشبيه والتجسيم تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً ما نصه :

لا مناسبة بين الله تعالى وبين خلقه البتة وإن أطلقت المناسبة يوماً ما عليه كما أطلقها الامام الأوحد أبو حامد الغزالي رضى الله عنه في كتبه وغيره

فبضرب من التكلف وبمرمى بعيد عن الحقائق ، وإلا فأيّ نسبة بين المحدث والقديم ؟ وكيف يشبه من لا يقبل المثل من يقبل المثل ؟ هذا محال كما قال أحمد ابن العريف الصنهاجي فى (محاسن المجالس) التى تعزى إليه ليس بينه وبين العباد نسب إلا العناية ولا سبب إلا الحكم ولا وقت غير الأزل ، وما بقي فعمى وتلبيس ، وفى رواية فعلم بعد قوله فعمى ، فانظر ما أحسن هذا الكلام وما أتم هذه المعرفة بالله وما أقدس هذه المشاهدة نفعه الله بما قال هـ .

وقد جزم فى (كشف الظنون) بنسبة كتاب (محاسن المجالس) للمترجم ، وذكره فى موضعين ، مرة فى مجالس ، ومرة فى محاسن المجالس ، وقد نقل منه صاحب (سعادة الدارين) فيها .

وقال في (نفح الطيب) عند ذكر ترجمة ابن ليون : وأنشد لسيدي أحمد ابن العريف فى (محاسن المجالس) وهي أحسن ما قيل فى طول الليل :

لست أدرى أطال ليلـــــيٌ أم لا — كيف يدرى بذاك مَن يتقلـــــى
لو تفرغت لاستطالة ليلــــــي — ولرعْي النجوم كنت مخــــــلا
إن للعاشقين عن قصر الليــــــ — ـــل وعن طوله من الفكر شغلا (1)

(فائد أخرى) :

قال فى (نفح الطيب) ، وقال الأستاذ ولي الله سيدى أبو عبد الله بن العريــف :

مَن لم يشافهْ عالما بأصولـــــه — فيقينه فى المشكلات ظنــــون
مَن أنكر الأشياء دون تيقــــن — وتثبت فمعاند مفتــــــون
الكتب تذكرة لمن هو عالــــم — وصوابها بمحالها معجــــون
والفكر غواص عليها مخــــرج — والحق فيها لؤلؤ مكنــــون (2)

---

1) محاسن المجالس ص 89 ونفح الطيب 5 : 598 قال محققه الدكتــور احسان عبــاس وليست الأبيات لابن العريف .

2) نفح الطيب 5 : 597 قال محققه الدكتور احسان عباس لم ترد فى (محاسن المجالس) طبع باريس 1933 .

وقال فى محل ءاخر فى ترجمة ابن ليون :

فمما أنشده رحمه الله تعالى لأحمد ابن العريف صاحب (محاسن المجالس) من لم يشاور عالما بأصوله الخ . . الأبيات المتقدمة هـ .

وفي معناه قال أبو حيان :

يظن الغمر أن الكتب تهدى أخا فهْم لادراك العلوم
وما يدرى الجهول بأن فيها غوامض حيَّرت عقل الفهيم
إذا رمت العلوم بغير شيخ ضللت عن الصراط المستقيم
وتلتبس الأمور عليك حتى تصير أضلَّ من تومى الحكيم

وقال أيضاً :

أمدعياً علما ولست بقارىء كتابا على شيخ به يسهل الحزن
أتحسب أن الذهن يوضح مشكلا بلا موضح كلا لقد كذب الذهن
وان الذى تبغيه دون معلم كموقد مصباح وليس له دهن

وقال الامام ابن عساكر :

وإنك لن ترى للعلم شيئاً يحققه كأفواه الرجال
فكن يا صاح ذا حرص عليه وخذه عن الرجال بلا ملال
ولا تأخذه من صحف فترمى من التصحيف بالداء العضال

وأبو عبد الله الشمنى المغربي :

مَن ياخذ العلم عن شيخ مشافهة يأمَن من الزيغ والتصحيف فى حرم
ومَن يكن ءاخذاً للعلم عن صحف فعلمه عند أهل العلم كالعدم

وقال ءاخر :

كل من يدعي العلوم فريداً دون شيخ فانه في ضلال
ليس فى الكتب والقراطيس علم إنما العلم فى صدور الرجال

وما أحسن قول الامام ابن عرفة :

اذا لم يكن فى مجلس الدرس نكتة — لتقرير إيضاح لمشكل صـــــورة
وعزو غريب النقل أو حل مقفـل — أو اشكال أبدته نتيجة فكـــــرة
فدع سعيه وانظر لنفسك واجتهد — ولا تتركنْ فالترك أقبح خلـــــة

فأجابه عنها تلميذه الامام الأبي بقوله :

يميناً بمن أولاك أرفع رتبـــــة — وزان بك الدنيا بأحسن زينـــــة
لمجلسك الأحظى الكفيل بكلهـــا — على حين ما عنه المجالس ولـــــت

(تنبيه) :

ممن أخذ عن المترجم ابـن العريف الشيخ العارف علي بـن خلف ابن غالب الأنصاري من أهل شلب المتوفّى بالقصر الكبير دفينه عام 568 هـ ويقال سنة 573 هـ والمترجم هو شيخه على التحقيق ، وعليه اعتماده فـي الطريق وإن أخذ أيضاً عن الامام العارف المحقق أبي الحكم بن برجان ، وقد صحب ابن العريف جماعة من الأيمة من علماء الأمة ، منهم الامام أبو بكر عبد الباقي بن محمد برال الحجاري ولبس منه وروى عنه ، وصحب أبو بكر هذا جماعة من الجلة أقدمهم فى الطريق قدما وأوضحهم فى الزهد والعبادة أممـاً الامام أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد الله الطلمنكي فخر بصحبته أقرانـه ، وباهى برؤيته وروايته زمانه ، وكان أبو عمر هذا قد رحل وجال ، ولقي أعلام الرجال ، واعتمد منهم فى الطريق والتحقيق على أبى عمر أحمد بن عون الله فلازمه مدة حياته وصحب بمكة الحسن بـن عبد الله الجرجانى خادم أبـي سعيد بن الأعرابي ، وهو صحب أبا محمد سلم بن عبد الله الخراساني ، وهو صحب الفضيل بن عياض ، وهو صحب هشام بن حسان ، وهو صحب الحسن البصري ، وهو صحب جماعة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، وراجع (المنح الصفية) .

وقال فى (روض الرياحين) :

الحكاية التسعون بعد الأربعمئة عن الشيخ أحمد ابن العريف رضى الله تعالى عنه قال كنت يوماً قاعداً وإذا برجل غريب قد دخل على المسجد وقال : ياسيدى أنت أحمد ابن العريف ؟ قلت نعم ، قـال رأى راء البارحـة رؤياً ، قلت له قل ، فقال كأنه يرى فساطيط صغاراً حول العرش ، وعليهن فسطاط عظيم قد اكتنف الجميع ، فقال لمن هذا الفسطاط ؟ فقيل له للفقيه أحمد ابن العريف ، فقال وهذه الصغار ؟ فقيل لأصحابه ، قال ابن العريف رضي الله تعالى عنه : فتغيرت عليه وقلت له ما حملك على إتيانك بمثل هذه الرؤيا لرجل مذنب مثلي ؟ فلما رأي تغيرى قال هونْ على نفسك أيها الشيخ ، فلعلك قنعت بيسير الرزق من الله تعالى فقنع منك بيسير من العمل ، قال ثم التفتُ إليه فلم أره ، فقلت لأصحابي هذا أتاكم يعرفكم فقركم رضي الله تعالى عنهما ونفعنا بهما ءامين هـ .

وراجع الحكاية الثالثة والستين بعد الأربعئة والتى تليهما فقد نقل فيهما عنه .

وذكر فى (نفخ الطيب) فى الجزء الأول في ترجمة أبي العباس ابن الاقليشي صاحب كتاب (النجم ، من كـلام سيد العرب والعجم) أنـه لقي بالمرية ولي الله سيدي أحمد ابن العريف (1) وفيه أيضاً بعد أن ذكره أيضاً فى الجزء الثاني قلت وقد زرت قبره المعظم بمراكش سنة عشر وألف وهو ممن يتبرك به فى تلك الديار ، ويستسقى به الغيث الخ .

وقال فى محل ءاخر منه :

وقال الأستاذ العارف بالله سيدي أحمد ابن العريف الأندلسي دفين مراكش وقد زرت قبره عام 1010 :

إذا نزلتْ بساحتك الرزايـــــا ... فلا تجزعْ لها جزعَ الصبـــــيٍّ
فان لكل نازلة عـــــــــزاء ... بما قد كان من فقد النبـــي (2)

وقال فى (النفح) فى الجزء الخامس فى خاتمته ما نصه (3) :

---

1) نفح الطيب 2 : 599 تحقيق الدكتور احسان عباس . طبع بيروت 1968 .
2) نفح الطيب 4 : 331 .
3) نفح الطيب 7 : 497 .

ولا بأس أن نورد هنا من كلام أهل الأندلس بعض الأمداح النبوية زيادة على ما ذكر هنا ، فنقول : قال العارف بالله تعالى ابن العريف في كتاب (مطالع الأنوار ومنابع الأسرار) :

وحقك يامحمد إن قلبـــــــي ... يحبك قربة نحـــــــو الالاه
جرتْ أمواه حبك فى فـــــؤادى ... فهام القلبُ فى طيب الميــــاه
فصرتُ أرى الأمور بعين حـــق ... وكنتُ أرى الأمورَ بعين ســـاه
إذا شغف الفؤادُ بــــه ودادأ ... فهل ينهاه عن ذكراه نـــاه
يهيم بذكره ويحنُّ شوقـــــاً ... حنين المستهام إلى الملاهـــي
يخامره ارتياح منه حتـــــى ... يقول أولو الجهالة ذاك لاهـــي
وما هو حق فضل قـــــد رءاه ... فصار يجدُّ فى طلب الملاهـــي
فسوف ينال فى الدنيا ســـروراً ... وفى الدار الأخيرة كلَّ جـــاه
ويعطي ما تمنى من أمـــان ... كما قد حب محبـــوب الالاه

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

ياعاذلي في طلابـــــــي ... دعني من العذل دعنـــــــي
سأعمل العيس شوقـــــاً ... بالعزم دون التأنـــــــي
إلى ضريح رســـــــول ... مصدق حسن ظنـــــــي
أشدو على كل فـــــج ... حين الحمام يغنـــــــي
ياأطهر الخلق إنـــــى ... بذلتى عبد قـــــن
فأعتقِ اليوم رقّـــــى ... وانظر بعطفك منـــــي
فأنت مـــــلاذى ... إياك إياك أعنـــــى
إن غبتَ عن عين جسمـــى ... ما غبتَ عن عين ذهنـــي
لولاك كنا أناســـــا ... أشر من كل جـــن
فاذ بعثت رســـــولا ... فخير فضل ومـــن
لله خالص شكـــــرى ... عساه يصفح عنـــى
فانني عبد ســـــوء ... قلبتُ ظهرَ المجـــن

وقال في خاتمة ذلك الكتاب :

صلى الالاه على النبيّ الهـــادى ... ما لاذت الأرواح بالأجســـاد
صلى عليه الله ما اسودّ الدجـــا ... فكسا محيا الأفق برد حـــداد
صلى عليه الله ما انبلج السنـــا ... فابيضّ وجهُ الأرض بعد ســـواد
صلى عليه الله ما همع الحيـــا ... فسقى البلاد برائح أو غـــاد
صلى عليه الله ما هفت الصَّبـــا ... وشدا على فنن الأراكة شـــادى
صلى عليه الله ما ألف الكـــرى ... جفن فخامره لذيذ رقـــاد
صلى على المختار أحمد ربُّـــه ... ما استمسكت نار بطي زنـــاد
صلى على خير الأنام محمـــد ... مَن خصه بالنور والارشـــاد
صلى الالاه على رسول حاشـــر ... حشر الأنام لديه فى الميعـــاد
صلى الالاه على رسول عاقـــب ... فى الدهر وهو بفضله كالهـــادي
صلى الالاه على رسول خاتـــم ... ختم النبوة بالكتاب الهـــادي
صلى الالاه على المقفى ما اقتفـــى ... بشرٌ نبوته بغير عنـــاد
صلى على ماحي الضلال إلاهـــه ... ما غردت طير على الأعـــواد
صلّى الالاهُ على رسول فاتـــح ... فتح الظلام بنوره الوقـــاد
صلى الالاه على نبي مصلـــح ... بالملّةِ الغراء بعد فســـاد
صلى الالاه على نبي راحـــم ... رحم الالاه به من الابعـــاد
صلى الالاه على نبي طالـــع ... بملاحم قصمتْ فؤاد العـــادي
صلى عليه الله فهو نبيـــه ... ناداه بالارشاد خير منـــادي
صلى عليه الله فهو رسولـــه ... أعطاه راية عزمة ورشـــاد
صلى عليه الله فهو خليلـــه ... أسدى إليه منه كل ســـداد
صلى عليه الله فهو صفيـــه ... صفَّى سريرته من الأحقـــاد
صلى عليه الله فهو وليـــه ... والاه فى الاصدار والايـــراد
صلى عليه الله فهو المصطفـــى ... من كل حضّار العباد وبـــادي
صلى عليه الله فهو المجتبـــي ... يجبى إليه الخير دون نفـــاد
صلى عليه الله فهو المنتقـــى ... نور الزمان وواحد الآحـــاد
صلى عليه مَن براه مطهـــراً ... واختاره طوداً من الأطـــواد
صلى عليه مَن براه بفضلـــه ... وأعاده حياً لخير معـــاد

صلى عليه مَن أراه جلالـــــــه — وأناله من ذاك كلَّ مـــــــراد
صلى عليه مَن أحل فـــــــؤاده — فى ظل عرش ثابت الأوتـــــاد
صلى عليه مَن غذاه بنعمـــــــة — فتضاعفت كتضاعف الأعـــــداد
صلى عليه من كساه عوارفـــــاً — واختصَّه منه بخير أيـــــــاد

انتهى . نقل نفح الطيب .

ومما يُنسب له رضي الله عنه :

بدا لك سرٌّ طال عنك اكتتامُــــه — ولاح صباح كنت أنت ظلامــــــه
فأنت حجاب القلب عن سرٍّ غيبــه — ولولاك لم يطبع عليه ختامـــــــه
فان غبت عنه حل فيه وأطنبـــــت — على موكب الكشف المصون خيامه
وجاء حديث لا يمل سماعــــــــه — شهي إلينا نثره ونظامـــــــــــه
إذا سمعته النفس طاب نعيمهـــا — وزال عن القلب المعنى غرامـــــه

وذكر المواق فى كتابه (سنن المهتدين) ما نصه :

وحدثنى شيخي المنتوري بسنده إلى أحمد ابن العريف قال ، كنت جالساً فى مجلس أستاذي أبي عـــلي الصدفي أقرأ عليه الحديث فقرأ يومـاً الحديث ثم أغلق الكتاب وجعل يحكي حكايات الصالحين ، فوقع فى نفســي كيف يجيز الشيخ أن يقطع حديث رســول الله صلى الله عليه وسلـم ويحكي حكايات الصالحين ، قال فما تمَّ لي الخاطرُ حتى نظر إلي الشيخ شزراً وقال لي يا أحمد ، الحكايات جند من جنود الله يثبت بها قلوب العارفين من عباده ، قال فما بقي فى جسدي شعرة إلا قطر منها العرق ، فلما رءانى دهشت قال لي يا أحمد أين مصداق ذلك من كتاب الله تعالى ؟ قلت الشيخ أعلم ، قال قوله تعالى (وكلاّ نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك) الآية هـ .

واقتصر فى (نيل الابتهاج) في ترجمة الامام ابن العريف على بعض ما في (صلة) ابن بشكوال ، و (النجم الثاقب) ، وممن ترجمه ابن خلكان

راجع وفياته ، وكذلك صاحب (الشذرات) ، ومن تلامذته أحمد ابن اليتيم الأندرشي كما فى (غاية النهاية) (1) .

فائدة فى الكلام على زيارة الأولياء والتوسل بهم الى الله تعالى

قال فى (المدخل) فان كان الميت المزار ممن تُرجى بركته فيتوسل إلى الله تعالى به ، ثم قال ثم بالصالحين من أهل تلك المقابر في قضاء حاجاته ومغفرة ذنوبه ، ثم يدعو لنفسه ولوالديه ولمشايخه ولأقاربه ولأهل تلك المقابر ولأموات المسلمين ولأحيائهم ولذريتهم إلى يوم الدين ولمن غاب عنه من إخوانه ، ويجأر إلى الله تعالى بالدعاء عندهم ، ويكثر التوسل بهم ، لأنه سبحانه اجتباهم وشرفهم وكرمهم ، فكما نفع بهم في الدنيا ففي الآخرة أكثر ، فمن أراد حاجة فليذهب إليهم ويتوسل بهم ، فانهم الواسطة بين الله تعالى وبين خلقه ، وقد تقرر فى الشرع وعلم ما لله تعالى بهم من الاعتناء ، وذلك كثير مشهور هـ .

وفى (الابريز) أن من جملة الأسباب الموجبة للانقطاع عن الله تعالى الطارية على هذه الأمة من غير شعور لأكثرهم بها التوسل الى الصالحين بالله عز وجل ليقضوا الحاجة ، فيقول الزائر قدمت لك وجه الله يا سيدى فلان إلا ما قضيت لي حاجتي ، قال وإنما كان سبباً للانقطاع لأن الزائر قلب الواجب وعكس القضية ، فانه كان من حقه أن يتوسل لله عز وجل بأوليائه لا أن يعكس هـ .

قال الشريف المحقق في (السلوة) : وسبب هذا الجهل الصادر منهم أنهم يعتقدون فى الأولياء أنهم يضرون وينفعون ، ويعزون ويذلون ، ويعطون ويمنعون ، ويولون ويعزلون ، إلى غير ذلك مما هو مختص بالباري تبارك وتعالى ، ولذلك تجد أحدهم يأتى إلى ضريح الولي ويقول له ياسيدى

---

1) تنظر ترجمة ابن العريف فى اعمال الاعلام لابن الخطيب ص 249 طبع بيروت 1958 والاستقصا للناصرى 2 : 68 وبغية الملتمس ص 154 وتحفة القادم ص 17 والمغرب 2 : 211 والمطرب ص 90 ومعجم اصحاب الصدفى ص 18 ونيل الابتهاج ص 30 والصلة ص 48 والسعادة الأبدية 1 : 109 والوافى بالوفيات ، ووفيات الاعيان 1 : 168 ع 68 طبع بيروت ؛ والتشوف ص 96 ع 18 طبع الرباط .

فلان أسألك بالله إلا ما شفيتنى وإلا ما رفعت عنى هذا الضرر أو إلا ما أعطيتنى كذا ، أو إلا ما سهلت عليَّ كذا ، إلى غير ذلك من سؤالاتهم الفظيعة ، وأحوالهم الذميمة الشنيعة ، التى يوهمون بها وجود شريك مع الباري سبحانه ، وقائل ذلك ونحوه إن اعتقد أن الولي هو الذى يؤثر فى قضاء حاجته ويوجدها بقدرته على حسب إرادته كما يوجدها الباري سبحانه كفر وكان مرتداً ، لأنه أشرك مع الله غيره ، وان اعتقد أنه يؤثر فيها بما جعله من القوة والسر كان مبتدعاً وفي كفره خلاف ، وان اعتقد نفي التأثير عنه رأساً وكان يرى أن الفاعل المختار فى جميع الأشياء هو الله سبحانه لا غيره من جميع المخلوقات ولاكنه يرى أن هذا الولي لعظيم مكانته عند مولاه ورفيع منزلته لديه رزقه الله التصرف فى مملكته فهو يولي فيها ويعزل ويعطي ويمنع ويضر وينفع باذن منه سبحانه على حسب ما جرى به علمه تعالى وتعلقت به إرادته فى سابق أزليته بحيث لا يولي إلا من أراد الله توليته ولا يعزل الا من أراد الله عزله وهكذا كان مصيبا فى اعتقاده المذكور موافقا فيه لاعتقاد أهل السنة والجماعة ، الا أنه مخطىء من جهة اسناده الفعل ظاهرا إلى من ليس له على الحقيقة ، مع أن المقام لا يصلح لذلك لما فيه من شدة ايهام التأثير لغيره سبحانه ، سيما إن وقع ذلك بحضرة الجهال ومن لا علم عندهم بالعقائد ووقع من شخص مقتدى به ولو فى الجملة فانه ربما يوقعهم فى كلامه فى اعتقاد الكفر من حيث لا يشعر ولا يشعرون ، فاجتنب ذلك هداك الله ووفقك ولا تنسب الأشياء الا الى خالقها وبارئها ولا تسألها الا منه سبحانه ، نعم التوسل اليه سبحانه بأوليائه لا بأس به كما سبق ، بل هو مطلوب محبوب لكونهم أبواب الله تعالى وحجاب حضرته ، فلا يخرج منها خير لأحد الا من جهتهم وعلى أيديهم .

ثم وجدت فى تأليف فى الرد على المبتدع الوهابي للفقيه العدل سيدي أحمد بن عبد السلام البنانى نقلا عن العلامة المحقق سيدى أحمد بن القسنطيني قال ما نصه : من يتوجه الى الأنبياء والأولياء فى النصر على العدا ، وقمع ذوى الردى ، وقضاء الحاجات ، وتفريج الكربات ، يسأل ما ذكر من الله سبحانه متوسلا بمن أظهر الله عليه فضله وأبانه وعظم جاهه وقدره ونشر فى الخافقين ذكره لا أنه يطلب ما ذكر من المتوسل به والمتوجه اليه ، اذ العقيدة السنية

أن الله تعالى منفرد بالايجاد والاعدام ، وأن لا معول فى الحقيقة الا عليه ، وان صدر من المتوسل عبارات مثل انصرني على أعدائي واقض لى الحاجات فمراده كنْ وسيلة بينى وبين ربي فى حصول بغيتي والظفر بطلبتي وهذا ليس فيه محذور ، إذ هو غير مكروه ولا محظور هـ ومراده أنه ليس فيه محذور من جهة الاعتقاد فلا ينافي أن فيه محذورا من جهة اللفظ من حيث أنه أسند الفعل الى من ليس له على الحقيقة فى مقام يحصل فيه ايهام أنه له ، والله أعلم هـ .

والوهابية نقل عنهم أنهم يقولون بعدم جواز تعظيم الأيمة والأولياء ، وراجع ما يتعلق بهم فى (تاريخ الجبرتي) وفي (نديم الأديب) وغيرهما مما ألف فى الرد عليهم والانتصار عليهم .

قال مؤلفه عباس وقاه الله تعالى من كل باس :

قد وقفت على التأليف المذكور المسمى بأسام عديدة منها (الصواعق والدواهي ، الواردة على المبتدع الوهابي ، المشتغل بالمناكر والمناهى ، التى نهى عنها المناهى ، وكل ما ضاهاه فـــى مذهبه الساقط الواهي) ، ومنهـــا (البرهان الواضح الكسبي ، فى الرد على المبتدع الوهبي) فى مسودة مؤلفه، جرده من كتابه (النور اللامع ، وكنز رواة المجامع ، وبستان الفوائد العظيمة المنافع ، الحاوي لذم المحدثات البدائع) التى من جملتها ذم بدعة الوهبي الوقتية الخ وهذه المبيضة فى نحو ثلاثة كراريس ملحقة بالهوامش ، ووقع فيها الضرب والتشطيب ، وسيأتي النقل عنهم بخلاف هذا فى ترجمة قاضي مراكش سيدى محمد بن ابراهيم الزداغي ، وراجع رسالة الوهبي وجـــواب قاضي تونس الفقيه عمر بن المفتي أبي الفضل قاسم المحجوب فى (الترجمانة الكبرى) لأبي القاسم الزيانى قبل ذكر القصيدة النونية لأبي الفتح البستـــى فقد أحسن فى الجواب المذكور عن الرسالة المذكورة ، وأتى بالدلائل على رد شبهه فى نحو ورقتين جزاه الله خيراً .

ورأيت في (روح البيان) ما نصه عند قوله تعالى (وإن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعوا) أي دعاءكم فضلا عن المساعدة والامداد، وهذا بخلاف التوجه

الى روحانية الأنبياء والأولياء وان كانوا مخلوقين فان الاستمداد منهم والتوسل بهم والانتساب اليهم من حيث أنهم مظاهر الحق ومجالي أنواره ومرائي كمالاته وشفعاؤه في الأمور الظاهرة والباطنة له غايات جليلة ، وليس ذلك بشرك أصلا ، بل هو عين التوحيد ، ومطالعة الأنوار من حيث مطالعها ، ومكاشفة الأسرار من مصاحفها .

وقال فى (ابتهاج القلوب) نقلا عن العارف سيدى عبد الرحمان الفاسي ما نصه :

والقول الفصل أن تصرفات الأولياء بالله فى النفع والضر كتصرف الملائكة بالله سواء لاستوائهم فى شهودهم أنهم بالله قائمون ، وعن كسبهم مسلوبون ، وبأوصاف ربهم متصرفون، ولعل في هذا كفاية وبه يتضح الجواب عن بقية السؤال ، وان الأمر خارج عن قانون تكليفات العقل التى وقف عند حدها صاحب السؤال هـ .

وقد تكفل العلامة الفاضل الشيخ يوسف النبهاني فى كتابه (شواهد الحق ، في الاستغاثة بسيد الخلق) صلى الله عليه وسلم برد بدعة الوهابية ومتبوعهم ابن تيمية وتلميذيه ابن قيم الجوزية وابن عبد الهادي ، وأتى في الأبواب الأول الخمسة من أبواب كتابه الثمانية بالدلائل الكثيرةالنقلية والعقلية وأقوال أئمة الاسلام من علماء المذاهب الأربعة فى اثبات مشروعية ما زعم ابن تيمية وأتباعه كونه شركا وضلالا ونقل فى الباب السادس والباب السابع والباب الثامن كلام أكثر من مئي عالم من المذاهب الأربعة نثراً ونظماً ، وفيهم كثير من أكابر الأولياء والأيمة الصوفية وأعيان الفقهاء والمحدثين رضى الله عنهم ونفعنا ببركاتهم وجعلنا واياهم من المقبولين عنده وعند حبيبه الأعظم سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وصحبه أجمعين .

وقال فى التنبيه الثاني من القسم الثانى من مقدمة الكتاب المذكور :

ومهما كان من شأن ابن تيمية وسائر الوهابية ومن كان على شاكلتهم من شذاذ المذاهب الاسلامية من منعهم الاستغاثة والسفر لزيارة الأنبياء

والصالحين حتى الحضرة المحمدية فلا يجوز لنا أن نكفرهم بذلك ، وانما يجوز لنا أن نقول انهم أهل بدعة . انتهى باختصار .

ثم قال فى التنبيه الخامس : ومهما تجرأت عليهم فجراءتهم على حقوق سيد المرسلين وسائر الأنبياء والصالحين ومن يزورهم أو يستغيث بهم من جميع المومنين وعدهم بذلك من جملة المشركين أعظم من جراءتي عليهم بما لا يقدر ولا يقبل النسبة ، فهم بذلك أجرأ وأجسر ، وبشدة الملامة أولى وأجدر ، وعذرهم أنهم انما يحامون بذلك عن توحيد الله تعالى عذر ظاهر البطلان ، وهو عند جميع العقلاء المنصفين من أهل الايمان يُعد من نوع الخيالات الفاسدة والهذيان ، ومع ذلك فقد نقلت فى الرد عليهم عبارات من هو مثلهم وأعلا منهم وأدنا منهم من أيمة العلماء ، فهم فى الحقيقة الذين ردوا عليهم وزيفوا كلامهم وحذروا الناس من بدعتهم ونبهوهم على زلتهم وشنعتهم غيرة منهم على الدين ونصرة شريعة سيد المرسلين . انتهى باختصار .

ونقل فى الباب الرابع عن العلامة السيد أحمد دحلان في كتابه (خلاصة الكلام) ما نصه :

وشبهة هؤلاء المانعين للتوسل أنهم رأوا بعض العامة يتوسعون فى الكلام ويأتون بألفاظ توهم أنهم يعتقدون التأثير لغير الله تعالى ويطلبون من الصالحين أحياء وأمواتاً أشياء جرت العادة أنها لا تطلب إلا من الله تعالى ويقولون للولي افعل كذا وكذا ، وربما يعتقدون الولاية فى أشخاص لم يتصفوا بها بل اتصفوا بالتخليط وعدم الاستقامة وينسبون لهم كرامات وخوارق عادات وأحوالا ومقامات ليسوا بأهل لها ولم يوجد فيهم شيء منها فانما أراد هؤلاء المانعون للتوسل أن يمنعوا العامة من تلك التوسعات دفعاً للايهام وسداً للذريعة وان كانوا يعلمون أن العامة لا تعتقد تأثيراً ولا نفعا ولا ضراً لغير الله تعالى ، ولا تقصد بالتوسل إلا التبرك ، ولو أسندوا للأولياء شيئاً لا يعتقدون فيهم تأثيرا فنقول لهم إذا كان الأمر كذلك وقصدتم سد الذريعة فما الحامل لكم على تكفير الأمة عالمهم وجاهلهم خاصهم وعامهم ؟ وما الحامل لكم على منع التوسل مطلقاً ؟ بل كان ينبغى لكم أن تمنعوا العامة من الألفاظ الموهمة

وتأمروهم سلوك الأدب فى التوسل مع أن تلك الألفاظ الموهمة يمكن حملها على الاسناد المجازى مجازا عقليا كما يحمل على ذلك قول القائل هذا الطعام أشبعنى ، وهذا الماء أروانى ، وهذا الدواء أو الطبيب نفعنى ، فان ذلك كله عند أهل السنة محمول على المجاز العقلي ، فان الطعام لا يشبع ، والمشبع هو الله تعالى ، والطعام سبب عادي لا تأثير له ، وكذا ما بعده ، فالمسلم الموحد متى صدر منه إسناد الشيء لغير من هو له يجب حمله على المجاز العقلي وإسلامه وتوحيده قرينة على ذلك كما نص على ذلك علماء المعاني فى كتبهم وأجمعوا عليه ، وأما منع التوسل مطلقاً فلا وجه له مع ثبوته فى الأحاديث الصحيحة ومع صدوره من النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وسلف الأمة وخلَفها ، ثم قال بعد أوراق فهؤلاء المنكرون للتوسل والزيارة فارقوا الجماعة والسواد الأعظم وعمدوا إلى ءايات كثيرة من ءايات القرءان التى نزلت فى المشركين فحملوها على المومنين الذين تقع منهم الزيارة والتوسل وتوصلوا بذلك إلى تكفير أكثر الأمة من العلماء والصلحاء والعباد والزهاد وعوام الخلق ، وقالوا إنهم مثل أولائك المشركين الذين قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا إلى الله زلفى ، وقد علمت أن المشركين اعتقدوا ألوهيةَ غير الله تعالى واستحقاقه العبادة ، وأما المومنون فلم يعتقد أحد منهم هذا الاعتقاد فكيف يجعلونهم مثل أولئك المشركين ؟ سبحانك هذا بهتان عظيم ! هـ .

قلت قد سبقهم الى هذه الجرءة الطائفة الحرورية ، ففي صحيح الامام البخاري فى باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم ما نصه :

وكان ابن عمر يراهم شرار خلق الله ، وقال إنهم انطلقوا الى ءايات نزلت فى الكفار فجعلوها على المومنين هـ .

قال فى (فتح الباري) وصله الطبري فى مسند على من تهذيب الآثار من طريق بكير بن عبد الله بن الأشج أنه سأل نافعاً كيف كان رأي ابن عمر فى الحرورية ؟ قال كان يراهم شرار خلق الله ، انطلقوا الى ءايات الكفار فجعلوها فى المومنين ، قلت وسنده صحيح هـ .

وكتاب (شواهد الحق) هذا جليل فى بابه جامع مانع قد أعطى المسألة حقها ، جزى الله تعالى مؤلفه خيراً .

وقال فى (الاختصار) ، قال فى (بذل المناصحة) ، قال الشيخ زروق رضى الله عنه :

اعلم أن روح الاسلام حب الله تعالى وحب رسوله صلى الله عليه وسلم وحب الآخرة وحب الصالحين من عباده ، وعنه عن شيخه الحضرمي قال ورأى بعض الصالحين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فى المنام ، فسأله عن أفضل الأعمال ، فقال عليه السلام وقوفك بين يدي ولي من أولياء الله تعالى قدر حلب شاة أو ناقة ، قال قلت حياً أو ميتاً قال صلى الله عليه وسلم : حياً كان أو ميتاً .

وأورد أبو نعيم فى (الحلية) : أفضل ما تعبد به المتعبدون التحبب إلى أولياء الله تعالى بما يحبون ، وان علامة محبة الله محبة أوليائه .

وعن سيدى عبد الرحمان الثعالبي بسنده إلى الامام الطبري قال : مات غريب عندنا بمكة فأخرجناه الى باب المعلاة وجلسنا لاصلاح دفنه ، فاستوى جالساً قلنا ألست قدْ مت ؟ قال بلى ، ولكن رجعت لأحدثكم وأبشركم أنفع ما عندنا محبة الصالحين وموالاتهم ثم رجع ميتاً هـ .

ولما ذكر الشيخ أبو المحاسن في بعض أجوبته قوله صلى الله عليه وسلم للرائي حين سأله عن أفضل الأعمال جلوسك بين يديْ ولي ولو بقدر حلب شاة الخ قال وإن كان في هذا بحث فهو مؤيد بالنصوص ، وقد ذكره الامام الغزالي وغيره وأثبتوه فى كتبهم وصيروه دليلا هـ .

وقال ابن عرضون : اعلم أن التوسل بأولياء الله عموماً سبب في قضاء الحاجات ونيل الكرامات ، وكذا التوسل بأهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم لكرامتهم عند الله تعالى فما بالك بمن اجتمع فيه الوصفان كسيدى عبد القادر الجيلانى وكالشيخ القطب الغوث الجامع سيدي عبد السلام بن مشيش الحسني

رضى الله عنه ونفعنا ببركاته ءامين ، فالمتوسل به والدعاء عند قبره رضي الله عنه مجرب النجاح والاجابة بفضل الله تعالى ولله در القائل :

اطلب بسر ابن مشيش ما تريد   تناله وإن يكن عنك بعيد

وفى (طالع الأمانى) ما نصه : وفى (شرح الرقعي) قال الفقيه الراشد ويجوز أن ينتفع الحي من الميت بزيارته ويطلب من الله قضاء حاجته ، فمن أراد أن تقضى حاجته فليخرج على باب عجيسة إلى قبر سيدي مَحمد بن الحسن ويدعو الله بازاء قبره فتقضى حاجته ، وقد جربناه فوجدناه صحيحاً ، وتكون الزيارة عشية يوم الخميس كذا رويناه هـ .

وذكر الفندلاوى فى كتاب (المستفاد) أن الدعاء مستجاب عند قبر الشيخ الشهير والقطب العالم الكبير أبي جيدة بن أحمد اليزغيثني دفين باب المسافرين سنة بضع وستين وثلاثمئة ويقال ان من لازم زيارة قبره فى حاجة دينية أو دنيوية أربعة أيام وقيل أربعين يوماً من أيام الأربعاء متوالية فان حاجته تقضى باذن الله تعالى ولم يزل الفقهاء والطلبة ممن يقتدى بهم ملازمين لزيارة قبره رضي الله عنه ونفعنا به فى الدارين ءامين .

ولما تكلم الشيخ زروق في قواعده على زيارة المقابر قال كل من يجوز التبرك به فى حياته يجوز التبرك به بعد موته ، كذا قال أبو حامد الغزالي رضى الله عنه في كتاب (آداب السفر) ، قال ويجوز شد الرحال لهذا الغرض ، ولا يعارضه حديث لا تشد الرحال إلا الى المساجد الثلاثة لتساوى المساجد فى الفضل دون الثلاثة وتفاوت العلماء والصلحاء فى الفضل فتجوز الرحلة عن الفاضل للأفضل ، ويعرف ذلك من كراماته وعلمه وعمله ، سيما من ظهرت كرامته بعد موته مثلها فى حياته كالسبتي ، أو أكثر منها فى حياته كأبي يعزى ، أو من جرب إجابة الدعاء عند قبره وهو غير واحد فى أقطار الأرض ، وقد أشار إليه الشافعي رضى الله عنه حيث قال قبر موسى الكاظم الترياق المجرب ، وكان شيخنا أبو عبد الله القورى رحمه الله يقول إذا كانت الرحمة تنزل عند ذكرهم فما ظنك بمواطن اجتماعهم على ربهم ويوم قدومهم

عليه بالخروج من هذه الدار وهو يوم وفاتهم ، فزيارتهم فيه تهنئة لهم ، وتعرض لما يتجدد من نفحات الرحمة عليهم ، فهي إذاً مستحبة إن سلمت من محرم أو مكروه بين في أصل الشرع كاجتماع النساء وتلك الأمور التى تحدث هنالك هـ .

وذكر الشيخ الامام أبو عبد الله بن النعمان فى كتابه (سفينة النجا) ما نصه : تحقق ذوو البصائر والاعتبار أن زيارة قبور الصالحين والتشفع بهم معمول به عند علمائنا المحققين من أيمة الدين . انتهى . فمن أراد حاجة فليتوسل بهم إلى الله تعالى فانهم الواسطة بين الله وبين خلقه ، وليقدم على ذلك التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم لما قال أبو عبد الله ابن الحاج فى (المدخل) وزيارتهم فى الحقيقة مواصلة للنبي صلى الله عليه وسلم وكذا التوسل بهم فاستحضر هذا المعنى عند زيارتهم والتوسل بهم يكمل حالك ، وتحصل ءامالك .

وفي بعض أجوبة الشيخ أبي المحاسن رضى الله عنه : المعروف عند المحققين وأرباب القلوب من العلماء المهتدين ولا مخالف في ذلك أن زيارة الأولياء والعلماء رضي الله عنهم مواصلة له صلى الله عليه وسلم ، إذ كل خير وبركة قلت أوجلت منه حصلت ، وبطلعته ظهرت ، وكيف وسائر العلماء والأولياء رضى الله عنهم صورة تفصيله صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه ومظاهر تعيناته فما منهم إلا وهو سابح فى نوره ومستمدٌ من بحوره على حسب مقامه ، فهو الجامع لما افترق والرسول على الاطلاق فلا زائر ولا مزور إلا له ومنه صلى الله عليه وسلم ، فجميع الأولياء بل وجميع الأنبياء منسوبون إليه ، ومستمدون منه ، فلا ترى على الحقيقة كرامة ولا ءاية ولا خرق عادة إلا وهي له صلى الله عليه وسلم . انتهى المراد منه .

فباستحضار كون زياتهم مواصلة للنبي صلى الله عليه وسلم حقيقة تكمل أحوال الزائرين وتحصل ءامال الطالبين كما تقدم .

وفى (الحصن الحصين) وقد جربت استجابة الدعاء عند قبور الصالحين بشروط معروفة ، قال شارحه المحقق محمد بن عبد القادر الفاسى

رحمه الله تعالى ما نصه : ويعنى أن التجربة دلت على حصول الاستجابة وليس الخبر كالمعاينة ، فان قلت فما نقول فى قول القاضي ابن العربي لا يزار قبر ينتفع به غير قبره صلى الله عليه وسلم وكذا قول الشارمساحي قصد الانتفاع بالميت بدعة ؟ قلت هو خـلاف مذهب الجمهور وما عيله الأمة ، قـال شيخ شيوخنا الامام العارف عبد الرحمان لعل ما نقل عن ابن العربي ينظر إلى سد الذرائع وحسم مادة البدع المحدثة المتطرقة فى ذلك ، ومع هذا فلا معول عليه، ولا التفات اليه ، وعمل الأمة على خلافه ، والانكار جحد للضرورات والله أعلم .

ثم قال شارح (الحصن) وقال الشيخ زروق فى كتابه (عدة المريد) :
وأما التمسك بالأموات فهو من قلة الاعتقاد فى الأحياء ، وذلك من نقص الهمة اللهم إلا أن يكون ذلك على سبيل التعرض لنفحات الرحمة بالزيارة لطلـب الزيادة ، فمدد الميت أقوى من مدد الحي ، لأنه فى بساط الحـق ، ولأن التعلق به عري عن الأغراض والعوارض من الاستيناس ونحوه كما قال لنـا شيخنا أبو العباس الحضرمي رضي الله عنه ، وكرامة الله لأوليائه لا تنقطع بموتهم ، بل ربما زادت كما هو معلوم فى كثير منهم ، قال ثم ذكر رضى الله عنه فصلا بعد هذا فيما يتعلق بالتبرك بالآثار من الآداب قال فيه : من ذلك أن الآداب أنه لا يصلى على المقابر ولا يبنى عليها مسجد للتبرك ، ثم قال قالوا ولا يتمسح بالقبر لأنه من فعل النصارى ولا يدهن بالماء الذى يكون عليه ولا يرفع منه تراب لأنه حبس ، وفى المطروح قصداً نظر .

وفى (سنن المهتدين) للمـواق رحمه الله كان سيدي المنتـوري لا يزال ينشد :

اسرد حديث الصالحين وسمهـم	فبذكرهم تتنزل الرحمـات
واحضر مجالسهم تنل بركاتهـم	وقبورهم زرها اذا ما ماتـوا

وفى كلام الشيخ سيدي إبراهيم التازي نزيل وهران أحد المشاهير المسلم لهم العلم والعمل فى وقته :

زيارة أرباب التقى مرهم يبـــرى ومفتاح أبواب الهداية والخيـــــر
وتحدث في الصدر الخلــي إرادة وتشرح صدراً ضاق من شدة الوزر
وتنصر مظلوماً وترفع خامــــــلا وتكسب معدوما وتجبر ذا كســــر
وتبسط مقبوضاً وتضحك باكيـــاً وترفد بالبذل الجزيل وبالأجـــــر

إلى أن قال :

وكم من بعيد قربته بجذبـــــــة ففاجأه الفتح المبين من البــــــر
وكم من مريد أظفرته بمرشـــــد خبير بصير بالبلاء وما يبــــرى
فزرْ وتأدبْ بعد تصحيح توبـــة تأدب مملوك مع المالك الحــــــر
ولا فرق في أحكامها بين سالــك مرب ومجذوب وحي وذي قبـــــر

وقال ابن باديس في سينيته :

ولا تسمعن من قاصر النفع فيهـم على من يكن حياً فذاك من الطلس
فان شهود النفع ينفى مقالــــــه ولا سيما والقوم نصوا على العكس

فلازم زيارتهم وذكرهم يفتح لك الباب ، ويرفع عن قلبك الحجاب ، فان من شيمهم الفاضلة وأخلاقهم الكريمة أن يقبلوا من قصدهم ، ولا يخيبوا من التجأ اليهم وأحبهم ، ويرحم الله سيدي رضوان حيث قال :

فنحن كلاب الدار طبعا ولم نـزل نوالي مواليها ونحرس بابهـــــا
نسبنا لهم إذ كانوا أهل عنايـــــة فان كرام العرب تحمى كلابهـــا
اذا طردت يوماً كلاب قبيلـــــة فقومى كرام لا تهين كلابهـــــا

يشير إلى أن الأولياء قوم كرام لا ينكب من أقبل عليهم ، ولا يضــام من استند إليهم ، قاله العلامة ابن زكري ، وفى كلب أهل الكهف أقوى شاهد لذلك ، اللهم إنا نتوسل إليك بحبهم فانهم أحبوك وما أحبوك حتى أحببتهم ، فبحبك إياهم وصلوا إلى حبك ، ونحن لم نصل إلى حبهم فيك إلا بحظنا منك ، فتمم لنا ذلك مع العافية الشاملة التامة الكاملة حتى نلقاك ياأرحم الراحمين هـ .

وهذا الدعاء الذى ختم به فى الاختصار الكلام على التوسل ختم به الشيخ زروق كتابه (النصيحة الكافية) ونقله فى صدر شرحه لحزب البحر عن محمد بن علي الترمذى الحكيم وقلت فى الرائية :

يارب بالمصطفى المختار سيدنـا   حبيبك المجتبى أبر الأبـــــرار
وسائر الأنبيا والرسل قاطبــــة   سلام ربي عليهمُ باكثـــــــار
يارب والآل بضعة النبيٍّ ومَــــن   تطهيرهم فى الكتاب يقرأ القـاري
والصحب أجمعهم من بالجلال علوا   بقية الأمة الأزكين الأطهـــــار
وأوليائك ربي أينما وجــــــدوا   أجب دعائيٍّ واقض كل أوطـــار
صلى الالاه على الهادي وشيعتـه   ما بالتوسل حل عقد إعســــار

(المصطفى) علم على نبينا صلى الله عليه وسلم ، وهو فى الأصل من الاصطفاء بمعنى الاختيـار ، فقال الله تعالى (وإنهـم عندنا لمن المصطفيـن الأخيار) ، احتج العلماء بهذه الآية على إثبات عصمة الأنبياء عليهم السلام ، لأنه تعالى حكم عليهم بكونهم أخياراً على الاطلاق ، و (سيدنا) أي سيد الخلائق كلهم كما تقدم و (حبيب) الله تعالى معناه المحبوب لله ، ومقام المحبوبية يسمو على جميع المقامات ، وهو الغاية القصوى من الغايات ، والنهاية العظمى من النهايات ، والدرجة التى تسامت على سائر الدرجات ، وما قبله مقام إلا وهو مقدمة من مقدماته ، ولا بعده مقام إلا وهو ثمرة من ثمراته ، ولا يكون العبد محبوباً لله إلا ويكون محباً له تعالى فمتى كان محبوباً كان محباً بـلا ريب ، و (الاجتباء) الاختيار ، وذكر بعضهم أن اجتباء الله تعالى العبدَ تخصيصه إياه بفيض إلاهي يتحصل منه أنواع من الكرامات بـلا سعي من العبد ، وذلـك مختصٌ بالأنبيـاء عليهم السلام ومن يقاربهم من الصديقين والشهـداء والصالحين، نقله فى (روح المعاني)، و (أبر الأبرار) أي أتقى المتقين، و (سائر الأنبياء) أي باقيهم ، و (الرسل قاطبة) أي جميعاً عليهم من المولى تعالى سلام كثير وأمان دائم يليق بمقامهم العلي، و (ءال النبي) صلى الله عليه وسلم أقاربه ، و (بضعته) أي المتنسلون منه عليه السلام المشهود لهم بالتطهير فى كتاب الله تعالى (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويُطهركم تطهيراً) ،

و (الصحب) أي الصحابة،وهم الذين اجتمعوا بالنبي صلى الله عليه وسلم مومنين به ورتبتهم بعد رتبة النبي صلى الله عليه وسلم وفوق باقي الأمة لا يعدلهم فى مزاياهم أحد ولو بلغ ما بلغ، و (الجلال) العظمة، و (العلو) السمو والشرف ، و (الأزكين) الأتقين، (الأطهار) جمع طاهر من كل ما يشين، و (أولياؤك) أي عبادك الصالحون أينما كانوا ، و (الصلاة) على الأنبياء عليهم السلام الرحمة المقرونة بالتعظيم ، و (الشيعة) الأتباع ، و (الاعسار) ضد الايسار ، و (التوسل) بالنبي صلى الله عليه وسلم مرغب فيه إجماعاً ، ولا عبرة بمن لا يعتد به ، ففى الحديث الصحيح الذى رواه الترمذي وابن ماجة والحاكم عن عثمان بن حنيف : اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة ، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى لي ، اللهم فشفعه في بجاهه عندك ، وهذا الدعاء أمر به النبيء صلى الله عليه وسلم رجلا ضريراً بأن يدعو به بعد أن أحسن الوضوء وصلى ركعتين ، قال عمر والله ما تفرقنا حتى دخل الرجل كأن لم يكن به ضرر ، وراجع الفصل الثاني من الباب الثاني من (خلاصة الوفاء) ، وراجع (شرح الدلائل) قبيل اخر الربع الثالث من فصل الكيفية ، والتوسل بالأنبياء عليهم السلام مطلوب، فقد قال أنس رضى الله عنه لما ماتت فاطمة بنت أسد يعني أم سيدنا علي كرم الله وجهه دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس عند رأسها وقال رحمك الله يا أمي بعد أمي ، وذكر ثناءه عليها وتكفينها ببرده وأمره بحفر قبرها ، قال فلما بلغوا اللحد حفره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخرج ترابه بيده ، فلما فرغ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاضطجع فيه ثم قال الله يحيي ويميت ، وهو حي لا يموت ، اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ، ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء من قبله ، فانك أرحم الراحمين . وقال صلى الله عليه وسلم ما أعفي أحد من ضغطة القبر إلا فاطمة بنت أسد ، قيل يا رسول الله ولا القاسم ، قال ولا إبراهيم ، وكان إبراهيم أصغرهما كما فى (خلاصة الوفا) فى مشاهد البقيع فى الفصل الخامس من الباب الخامس ، وقد تقدم أن التوسل بعباد الله الصالحين سبب لقضاء الحاجات ، ونيل المطالب ورفع الدرجات ، بما يشفى ويكفى فراجعه .

وقـال العارف سيدى عبد الرحمـان الفاسي فى (حواشي الحـزب الكبير) ما نصه :

قوله أقسمت عليك الخ . جاء فى بعض الأحاديث أنه عليه السلام علّم الناس الدعاء فقال اللهم إني أقسم عليك بنبيك محمد نبي الرحمة ، قال عز الدين فان صح فينبغي أن يكون مقصوراً عليه لأنه سيد ولد ءادم ولا يقسـم على الله بغيره ، قال البرزلي وكان شيخنا الفقيه يعني ابن عرفة يختار الجواز ويحتـج بسؤال عمر بن العباس في قضيـة الاستسقاء وبقول العبد الـذى استسقى بالبصرة بحبك لي إلا ما سقيتنا الساعة ، وقال الحطاب إنما هذا توسل وهو غير القسم هـ . ولعل موضوع الخلاف بينهما بعد اتفاقهما فى حمل القسم فى الحديث على التوسل كمـا ورد فى طريق ءاخر اللهم إني أسألـك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة أنه هل يجوز التوسل بغير النبي أم لا ؟ فأجازه ابن عرفة لقضية الاستسقاء وغيرها ومنعه ابن عبد السلام ، وأما القسم فلا يجوز بحال بغير الله خلافا لابن حنبل ومن تبعه ، وأما كلام الحطاب ففيه نظر من حيث حمله القسم على حقيقته وفهمه أن الخلاف في ذلك ، ولذلك رد استدلال ابن عرفة ، ويشهد لما ذكرناه من أن الخلاف إنما هو فى التوسل بغير النبي ما وقع في (المعيار) في جواب لأبى القاسم العبدوسي بعد ذكره أن الحي ينتفع بالميت فى الزيارة ، قال لكن هل يتوسل به إلى الله فيقول بحق هذا الصالح افعل لي كذا ، هذا نص معروف الكرخي رضى الله عنه فى (الحلية) أو إنما يعتقد أن البقعة بقعة مباركة يدعو الله فيها من غير توسل ، هذا هو الذى عمل عليه الشيوخ هـ . وعـلى التوسل يحمل مـا فى رسالة القشيري عن معروف الكرخي رضى الله عنه مَن كانت له إلى الله حاجة فليقسم عليه بي ، وأما ما وقع فى الحزب من قوله أقسمت عليك ببسط يديك الخ . فهو قسم بصفات الله تعالى ، ثم قال : وبالجملة فلا يكون الادلال ولا القسـم إلا عن استغراق واستهلاك فى الحقيقة بحيث يكون صاحب تلك الحالة مترجماً عن ربه بربه ، وليس لغير ذلك إلا على سبيل التلاوة لاذكاره الخ هـ .

وقال العلامـة الشيخ الحاج محمد نـوري الرفاعي في (النفحـات الهدائية ، على ورد السادات الأحمدية) ما نصه :

(تنبيه) :

في قوله رضي الله عنه جعلناهم وسيلتنا إلى الله التوسل بالصالحين من عباد الله وفي قوله دفعنا بهم شر الزمان وقوله أخذناهم درعاً الخ . الالتجاء لأحباب الله والتحصن بجاههم والتمسك في المهمات والملمات بمحبتهم وذلك جائز لا محالة ، فلا يتردد فيه إلا ذو جهالة ، ولا ينكره إلا أهل الضلالة ، كيف والله تعالى يقول في آياته الجليلة ، (وابتغوا إليه الوسيلة) ، وأجمعت الأمة على جواز التوسل بالأنبياء والأولياء الكرام ، ولم يخالف في ذلك سوى مَن لا خلاق له كالوهابية ومن حذا حذوهم ، وقد أفردت هذه المسألة بالتأليف ، وأحسن ما رأيت في هذا الباب ما كتبه بقية الآل الأنجاب سيدي وقرة عيني في كتابه (نور الانصاف ، في كشف ظلمة الخلاف) الذى صنفه جواباً لأسئلة رفعت إليه وعرضت عليه ، وقد تأملتُ جوابه في ذلك ، فوجدته سلك أحسن المسالك ، قال أمده الله تعالى بمدد جده النبي الأمين ، وأيده بأنفاس أجداده الطاهرين ، ونفعنا به في الدارين آمين : أما الاستغاثة بالنبي صلى الله عليه وسلم وباخوانه النبيئين والمرسلين ، وبالأولياء والصالحين ، فهي عبارة عن سؤال الشفاعة من الأنبياء والأولياء لقضاء الحاجات ودفع النوائب وتفريج الكرب والأخذ بالثار ، ولا ريب أن كل مَن يناديهم من أمة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فهو عالم حق العلم أنه لا يعبد إلا الله ، ولا يدعو إلا الله ، ولا يفعل ما يراد ويمنح ما يطلب إلا الله ، وقد أرشدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم للاستغاثة بعباد الله فيما رواه الحافظان الجزري والسيوطي طاب ثراهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر لمن انفلتت دابته بأرض فلاة أن يقول يا عباد الله احبسوا ثلاث مرات ، وفي رواية أخرى إذا أراد عوناً فليقل يا عباد الله أعينوني ، ثم ذكر قضية الزائر قبر النبي صلى الله عليه وسلم المستشفع به في غفران ذنبه فنودي من القبر أنه قد غفر لك ، ثم قال وقد أطبق المسلمون من عهده عليه الصلاة والسلام على التوسل به والالتجاء في المهمات إليه صلوات الله عليه ، ثم ذكر توسل السيدة زينب الطاهرة بنت البتول عليهما السلام في مصرع الحسين رضي الله عنه وإجابة دعوتها كما في ابن الأثير وغيره ، ثم قال وقد استفاض بين المسلمين توسل ءال النبي

صلى الله عليه وسلم طبقة بعد طبقة به عليه السلام وبذريته وءال بيته، وهم بيت النبوءة ومعدن أسرار الوحي وكنوز الشريعة ، ونقش بعض الأئمة خواتمهم بمثل هذا ، ثم ذكر كلام الكشاف فى تفسير قوله تعالى (وابتغوا إليه الوسيلة) ، ثم قال وقد توسل الأنبياء والمرسلون عليهم الصلاة والسلام بنبينا صلى الله عليه وسلم قبل خلقه كما صحَّح ذلك عمدةُ الثقات ، منهم الحاكم ، ثم ذكر توسل سيدنا ءادم بالنبي عليهما الصلاة والسلام ، ثم قال ومن هنا يعلم أن التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم بل وبكل من أحبه الله تعالى جائز أيضاً وهو المقبول المرضي عند الله سبحانه وتعالى ثم ذكر يا عباد الله أعينوني ، وقال عن الطبراني بعده وقد جرب ذلك ، ثم ذكر حديث الضرير وإجابة دعوته ، ثم ذكر حديث توسله صلى الله عليه وسلم بنفسه الطاهرة وباخوانه الأنبياء الذين من قبله ، فكيف تمنع أمته من التوسل به وباخوانه النبيئين والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين ؟ وأما التوسل به صلى الله عليه وسلم بعد وفاته فقد سبق خبر الأعرابي ، ثم قال وقد رويت هذه القصة الشريفة يعني قصة الأعرابي بحضور أعيانهم وأكابر تابعيهم يعني الصحابة رضوان الله عليهم فما أنكرها منهم أحد مع أنهم أهل الحق ولا ينحرفون قدر شعرة عن الصدق ، ثم ذكر حديث الذى كان يختلف إلى عثمان رضي الله عنه فلا ينظر فى أمره إلى أن دعا بدعاء الضرير فاعتنى به ، ثم ذكر أن ذلك ببركة النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم نقل عن (الوظائف الأحمدية) ما نصه : ولا بدع فان الله يفرج كروب المكروبين حرمة لأوليائه وأحبابه ، ويقضي له بشفاعتهم عنده حاجاته ، ثم ذكر قبر موسى بن جعفر عليه السلام ثم قال عن (الوظائف الأحمدية) ما نصه : لا يخفى عليك أن جعل الوسيلة لله إنما هو من اعظام جانب التوحيد ، فان العبد يشهد سوء حاله وكثرة ذنوبه فلا يجد له وجهاً ولا سبيلا للسؤال من ربه الفعال المطلق ، فتجتمع همته على جعل وسيلة لله من أوليائه وأحبابه اعترافاً بالذنب وانكساراً للرب وإعظاماً لقدرته بأنه هو الفعال لا غيره ، وأحبابه الوسائل المرضية عنده لأتباعهم نبيه الكريم ، ووقوفهم عند أمره العظيم ، ثم ذكر أن هذا أدب الأحمديين رضي الله عنهم ، ثم ذكر قبر معروف الكرخي وموسى الكاظم رضي الله تعالى عنهما ، ثم قال وأما مَن أفرط واعتقد أن الأنبياء والأولياء والصالحين متصرفون مستبدون

قادرون بأنفسهم على الفعل والقطع والوصل من غير التجاء إلى الله تعالى وتوجُّه إليه فهو محكور مبعود ، وقوله مردود ، وهو من الضلال بمكان والعياذ بالله تعالى ، ومَن فرطوا وقاسوا الأنبياء والأولياء والصالحين بالأصنام والمسلمين المستمدين منهم الذين اتخذوهم شفعاء إلى الله بعبدة الأوثان فهم أقبح من أولئك وأسوأ وأضل سبيلا ، ويقال بشأن مثلهم قول القائل (ويل لمن شفعاؤه خصماؤه) ، اللهم إنا نعوذ بك من الشيطان الرجيم، اهدنا الصراط المستقيم . وملخص ما قاله شيخ الأمة وسيدنا السيد أحمد الكبير الرفاعي رضي الله عنه فى برهانه وحكمه وكثير من كتبه أن التوسل بالأولياء إنما هو بمحبة الله تعالى ومحبة الله لعباده الصالحين صفة له سبحانه ونعم الوسيلة إليه تعالى صفته جل وعلا وما بقي بعد هذا إلا العناد واختراع التأويلات الباطلة على غير المراد هـ ، ثم مدح هذا الجواب راجعه .

ولصاحب الجواب المذكور توسلات عديدة منها توسل فى آخر قصيدة فى مدح الصحابة والنبي صلى الله عليه وسلم والجناب الرفاعي :

رب إني باسم الرسول أناجيـــــ ـــك وما خاب بالرسول الرجـــاء
وبأصحابه وءال وأتبـــــــــا ع بهم طاول السما الغبــــــراء
لا تدعني أسير ذنبي وهل للـــ ـــعبد عزم إذا تناهى القضــــاء
وتدارك باللطف يامَن بطرف الـــ ـــعين إن شاء تكشف الجــــلاء
وأغثني بنفحة تصلح الشـــــأ ن فقـــد برحـــت بـــيّ الأدواء
أنت بالفضل تجبر الكسر والـــ ـــداء له من ندا رضــــاك دواء
يا إلاهي إني ضعيف ومـــا زا ل ينادي إحسانَك الضعفـــاء
حيني بالقبول فضــــلا وإلا طحنتني من البلا الأرحــــاء
يانصيرَ اللاجين ياعمدة الـــرا جين يامَن يمضي كما يشـــاء
يا حكيماً بأمره يتدلــــــى للبرايا الضراء والســــراء
صف سرى بنظرة الفتح إنـــي نازعتني بجيشها الأهـــواء
واكفني وصمة الذنوب فمنهـــا عين قلبي مطموسة عميــــاء
أنت نعم الكريم حاشاك يخـــزي مَن له من نوالك استجـــداء

قد دعوناك ياغني وانـــــــا لك يا منتهى الرجا فقـــــراء
نفس إلكرب يسر الأمر يامَـــن هو باق والحادثات فنــــــاء
وعلى الهاشمي صل وسلــــم ما ادلهمَّ الدجا ولاح الضيـــاء
وعلى الآل والصحابة ما هـــــ ـبَّت على الكون نسمة خضـــراء
وانطوى بارز وقام كميــــــن وتوارى من الظهور الخفـــاء

راجع مبدأها إلى التوسل فى (العقود الجوهرية) .

انتهى ما كتبته فى (إظهار الكمال) فى شرح الأبيات الستة المذكورة.

ومن التآليف المؤلفة فى الرد عليهم كتاب (الصواعق الالاهية ، فى الرد على الوهابية) للعالم العلامة ، والنحرير الفهامة ، الشيخ سليمان بن عبد الوهاب فى الرد على أخيه محمد بن عبد الوهاب النجدي وأتباعه ممن كفـر المسلمين وحكم بردتهم بدون وجه صحيح ، قال فيه يخاطبهم : ولكن من أين لكم أن المسلم الذى يشهد أن لا إله الا الله وأن محمداً عبده ورسوله إذا دعا غائباً أو ميتاً أو نذر له أو ذبح لغير الله أو تمسح بقبر أو أخذ مـن ترابه ان هذا هو الشرك الأكبر الذى مَن فعله حبط عمله وحل ماله ودمه ، وأنه الذى أراد الله سبحانه من هذه الآية وغيرها فى القرءان ، فان قلتم فهمنا ذلك من الكتاب والسنة قلنا لا عبرة بمفهومكم ولا يجوز لكم ولا لمسلم الأخذ بمفهومكم ، فان الأمة مجمعة كما تقدم أن الاستنباط مرتبة أهل الاجتهاد المطلق ، ومع هذا لو اجتمعت شروط الاجتهاد فى رجل لم يجب على أحد الأخذ بقوله دون نظر ، قال الشيخ تقي الدين : مَن أوجب تقليداً لامام بعينه دون نظر أنه يستتاب فان تاب والا قتل ه وإن قلتم أخذنا ذلك من كلام بعض أهل العلم كابن تيمية وابن القيم لأنهم سموا ذلك شركاً قلنا هذا حق ونوافقكم على تقليد الشيخين أن هذا شرك ، ولكن هم لم يقولوا كما قلتم إن هـذا شرك أكبر يخرج من الاسلام وتجري على كل بلد هذا فيها أحكام أهل الردة ، بل مَن لم يكفرهم عندكم فهو كافر تجري عليه أحكام أهل الردة ، ولكنهم رحمهم الله ذكروا أن هذا شرك وشددوا فيه ونهوا عنه ، ولكن ما قالوا كما قلتم ولا عشر معشاره ، ولكنكم أخذتم من قولهم ما جازلكم دون غيره ، بل فى كلامهم رحمهم الله ما يدل على أن هذه الأفاعيل شرك أصغر ، وعلى تقدير أن فى

بعض أفرادها ما هو شرك أكبر على حسب حال قائله ونيته فهم ذكروا فى بعض مواضع من كلامهم أن هذا لا يكفر حتى تقوم عليه الحجة التى يكفر تاركها كما يأتي فى كلامهم ان شاء الله مفصلا ، ولكن المطلوب منكم هو الرجوع إلى كلام أهل العلم والوقوف عند الحدود التى حدوا ، فان أهل العلم ذكروا فى كل مذهب من مذاهب الأقوال والأفعال التى يكون بها المسلم مرتداً ولم يقولوا من نذر لغير الله فهو مرتد ، ولم يقولوا من طلب من غير الله فهو مرتد ، ولم يقولوا من ذبح لغير الله فهو مرتد ، ولم يقولوا من تمسح بالقبور وأخذ من ترابها فهو مرتد كما قلتم أنتم ، فان كان عندكم شيء فبينوه ، فانه لا يجوز كتم العلم ، ولكنكم أخذتم هذا بمفاهيمكم وفارقتم الاجماع وكفرتم أمة محمد صلى الله عليه وسلم كلهم حيث قلتم مَن فعل هذه الأفاعيل فهو كافر ، ومن لم يكفره فهو كافر ، ومعلوم عند الخاص والعام أن هذه الأمور ملأت بلاد المسلمين وعند أهل العلم منهم أنها ملأت بلاد المسلمين من أكثر من سبعمئة عام ، وان من لم يفعل هذه الأفاعيل من أهل العلم لم يكفروا أهل هذه الأفاعيل ولم يجروا عليهم أحكام المرتدين بل أجروا عليهم أحكام المسلمين بخلاف قولكم حيث أجريتم الكفر والردة على أمصار المسلمين وغيرها من بلاد المسلمين ، وجعلتم بلادهم بلاد حرب حتى الحرمين الشريفين اللذين أخبر النبي صلى الله عليه وسلم فى الأحاديث الصحيحة الصريحة أنهما لا يزالان بلاد الاسلام ، وأنهما لا تعبد فيهما الأصنام ، وحتى ان الدجال آخر الزمان يطأ البلاد كلها إلا الحرمين كما تقف على ذلك إن شاء الله فى هذه الرسالة ، فكل هذه البلاد عندكم بلاد حرب كفار أهلها لأنهم عبدوا الأصنام على قولكم ، وكلهم عندكم مشركون شركاً مخرجاً عن الملة ، فانا لله وإنا إليه راجعون ، فوالله إن هذا عين المحادة لله ورسوله ولعلماء المسلمين قاطبة ، انتهى المقصود .

ثم نقل عن صاحب (الاقناع) ما لفظه : ويكره المبيت عند القبر وتجصيصه وتزويقه وتخليقه والطواف به وتقبيله وتبخيره وكتابة الرقاع إليه ودسها فى الأنقاب والاستشفاء بالتربة من الأسقام لأن ذلك كله من البدع هـ . وأنتم تكفرون بهذه الأمور ، ثم قال : وهؤلاء يحكون مذهب

أحمد بن حنبل والتقليد للمجتهد لا للحاكي ، ثم قال وهذه الأمور حدثت من قبل زمان الامام أحمد فى زمان أئمة الاسلام وأنكرها مَن أنكرها منهم ما زالت حتى ملأت بلاد الاسلام كلها وفعلت هذه الأفاعيل كلها التى تكفرون بها ولم يُروَ عن أحد من أئمة المسلمين أنهم كفروا بذلك ولا قالوا هؤلاء مرتدون ولا أمروا بجهادهم ولا سموا بلاد المسلمين بلاد شرك وحرب كما قلتم أنتم ، بل كفرتم مَن لم يكفر بهذه الأفاعيل وإن لم يفعلها ، أيظنون أن هذه الأمور من الوسائط التى فى العبارة الذى يكفر فاعلها إجماعاً وتمضي قرون الأئمة من ثمانمئة عام ومع هذا لم يرو عن عالم من علماء المسلمين أنها كفر ، بل ما يظن هذا عاقل ، بل والله لازم قولهم ان جميع الأمة بعد زمان الامام أحمد رحمه الله تعالى علماؤها وأمراؤها وعامتها كلهم كفار مرتدون ، فانا لله وإنا إليه راجعون ، واغوثاه إلى الله ، ثم واغوثاه ، أم تقولون كما يقول بعض عامتكم إن الحجة ما قامت إلا بكم وإلا قبلكم لم يعرف دين الاسلام يا عباد الله انتهوا . انتهى ، وراجعها فانها كلها درر ، فقد اشتملت على 126 صفحة ، وقوله عن (الاقناع) ويكره المبيت عند القبر الخ . هذا (الاقناع) هو لقاضي دمشق العلامة المتبحر شيخ الاسلام المحقق أبى النجا شرف الدين موسى الحجاوى المقدسي المتوفي سنة 968 وكلامه المنقول هو فى صحيفة 233 من ج 1 من أربعة أجزاء وهو متن فى فقه الامام أحمد بن حنبل ، أما (الاقناع) للخطيب الشربيني فهو شرح على متن أبى شجاع فى فقه الامام الشافعي ، وهو فى أربعة أجزاء أيضاً مع حاشيته .

ومن الكتب المؤلفة فى الرد عليهم تأليف العلامة سيدي محمد الطيب بن عبد المجيد بن عبد السلام ابن كيران الفاسي المتوفي عام تسعة وعشرين ومئتين وألف ، ألفه بأمر السلطان مولانا سليمان على رسالتين منسوبتين لسعود بن عبد العزيز ، إحداهما فى نحو ورقتين ، والأخرى نحو كراسة ونقضهما عروة عروة ورد أبحاثهما وأجاب عنهما بما يعلم بالوقوف عليه ، وهو مطبوع بمطبعة « التقدم العلمية » سنة 1327 بهامش (إظهار العقوق ، فى الرد على مَن منع التوسل إلى الله تعالى بالنبي والولي الصدوق) تأليف العلامة سيدي محمد بن مصطفى المشرفي الراد للفتويين

الصادرتين من محمد موسى من محلة فرنوي مجيره ، ومن الشيخ الامام محمد عبده المردود عليهما أولا بـ (النصح الخالص لكافة المسلمين ، بالتوسل إليه تعالى بأصفيائه المقربين) لمفتي فاس سيدى المهدي الوزاني ، ولمحدث الحجاز ومسنده محيي السنن الشيخ محمد عابد الأنصاري الخزرجي السندي مولداً الحنفي مذهباً النقشبندي طريقة تلميذ القاضي الشوكاني ، والشيخ السيد أحمد بن ادريس دفين صبيا المتوفى فى 18 ربيع الأول عام 1257 رئيس العلماء بالحجاز مؤلف (حصر الشارد ، من أسانيد محمد عابد) في مجلد ضخم رسالة فى جواز الاستغاثة والتوسل وصدور الخوارق من الأولياء المقبورين عمد فيها إلى الاستشهاد بالآثار وهي في كراسين من أحسن ما كتب في هذا الباب وأفيد وأجمع وقفت عليها ، ورسالة أخرى فى كرامات الأولياء هل هي جائزة الوقوع ؟ وهل التصديق بها واجب أم جائز سواء وقعت فى حال الحياة أو غيرها ؟ وهل ورد فى الأحاديث أن الصحابة كانوا يقبلون يد رسول الله صلى الله عليه وسلم الكريمة ؟ أو رأسه ؟ أو قدميه الشريفتين أم لا ؟ وهي كراسة وقفت عليها ، وهما فى خزانة السيد عبد الحي الكتاني فى مجموعة سندية الخط ، وهما من الغرابة بمكان ، وللشيخ أبي الحسنات عبد الحي بن عبد الحليم اللكنوى الأنصاري الهندي خاتمة علماء الهند المتوفي عام 1304 فى مسألة زيارة القبر النبوي وشد الرحال له مصنفات ، منها (الكلام المبرم ، في نقض القول المحكم) ، و (الكلام المبرور ، فى رد القول المنصور) ، و (السعي المشكور ، فى رد المذهب الماثور) قال رحمه الله ألفتها رد الرسائل من حج ولم يزر قبر النبي صلى الله عليه وسلم وحرم زيارة قبره المعهودة فى العصور الاسلامية . انتهى من كتابه (إبراز الغني ، الواقع فى شفاء العي) وكتبه هذه الثلاثة هي كالرد على (الصارم المنكي) لابن عبد الهادي الحنبلي الذى قال عنه المذكور أيضاً فى محل ءاخر راجعته فوجدته ينقلب على نحر شيخه ودعوى أنه لم يقدر أحد من المخالفين على معارضته صادرة عن الغفلة فقد رده على أحسن وجه ابن علان ورددت كثيراً من مواضعه فى (السعي المشكور) ، انتهى . ورسائل (من حج ولم يزر) هي للأمير صديق حسن القنوجي ، ومنها ستة رسائل أولها رسالة فى حكم التوسل بالأنبياء والأولياء لحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ

محمد حسنين العدوي وكيل الجامع الأزهر ومدير المعاهد الدينية سابقاً جمع فيها ما تشعب من أطراف هذا الموضوع فى مقال واف ، وأزال ما خالج بعض النفوس من الشبه ببيان شاف ، ثم فسر التوسل وقسمه إلى أنواع عشرة : أولها أن يتوسل الانسان إلى الله تعالى بالنبي أو الولي ويريد طلب الدعاء منه أو قال : يا فلان ادع لي ، وهذا ونحوه مما لا نزاع فى جوازه ، وهذا أصل يرجع إليه جميع التوسلات التى بمعنى طلب الدعاء ، ولا فرق فى ذلك بين كون المتوسل به حياً أو ميتاً لما تقرر أن أرواح الموتى بعد مفارقة أبدانها لا تزال حية باقية عالمة سامعة مبصرة متكلمة ، وأنها تخاطب كما تخاطب الأحياء ، وأن الأرواح فى البرزخ متصرفة ، وأن تصرفها بعد الوفاة أقوى من تصرفها حال الحياة ، فالفرق بينهما تحكم لا وجه له ، الثاني التوسل بالذات ، وهو أن يتوسل الانسان بالأنبياء والصالحين على معنى الاستشفاع بذواتهم إكراماً لذواتهم الشريفة ، (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) الآية ، ولا فرق بين كون المتوسل به حياً أو ميتاً ، الثالث التوسل بالأسماء ، الرابع التبرك بذكر أسماء الصالحين والمجاهدين ، الخامس التبرك بآثاره صلى الله عليه وسلم ، السادس التوسل بجاهه وحرمته صلى الله عليه وسلم ، السابع الاقسام على الله تعالى ، الثامن التوسل بحقه صلى الله عليه وسلم وحق أوليائه ، (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به) ، التاسع التوسل بحق السائلين عليه ، العاشر التوسل بطلب الفعل من الوسيلة واسناده إليها نحو : يانبي الله أو ياسيدي فلان اشف مريضي أو رد ضالتي أو ارزقني أو أدخلني الجنة أو نجيني من النار ، أو نحو ذلك مما شأنه أن يسند إلى الله تعالى فان كان على معنى طلب السعي منه في ذلك والتسبب فى حصوله معتقداً أن النبي أو الولي لا يملك من ذاته ضراً ولا نفعاً فهذا السعي وان كان جائزاً وواقعاً لكثير من الأنبياء والأولياء فكم شفي مريض بتوجهاتهم ، وكم قضيت حاجات بارادتهم وإرشاداتهم ، فقد صح أنه صلى الله عليه وسلم ردّ عين قتادة بعد أن سالت على وجنته ، وشفى ابن ملاعب الأسنة من استسقائه بتفالة على حثوة من تراب بعد إعياء حيلته ، إلا أنه لا يجوز دعاء النبي أو الولي به ولا طلبه منه بمثل هذه الصيغ التى من شأنها أن تسند إلى الله تعالى لأن فى ذلك إيهام أن للنبي أو الولي شيئاً

من صفات الألوهية ، أما إن اعتقد أنه يملك الضر والنفع من ذاته فهذا لا شك في منعه وانه شرك وضلال يستتاب صاحبه فان تاب والا قتل ، ولكن لا يكفر به فاعله كفراً ينقله عن ملة الاسلام حتى تقوم عليه الحجة التى يكفر تاركها وليس من قبل الموهم نحو : أغثني أو أعني يارسول الله أو ياسيدي فلان ، بل هو سائغ جائز ، فطلب الاغاثة بمعنى السعي فى التخلص من الشدة يصحُ إسناده إلى العباد ، وبمعنى خلق التخلص من البلية مختص به تعالى واتخاذ الأسباب المشروعة وطلبها من العباد لتحصيل أفعال الله تعالى لا يعد عبادة لغير الله ولا ولاية لتلك الأسباب ، بل هو امتثال لأمر الله تعالى ومجاراة لوضعه فى ترتيب المسببات على أسبابها ، وغير المشروع لا يعد عبادة ، لأن الفعل المسند إلى العبد فيه مصروف عن ظاهره إلى ما يجوز حصوله منه ، ودعاء الموحدين بالصيغ المتقدمة مراداً منها طلب السعي والتسبب المار ليست من التشبه بدعاء المشركين فى شيء ولا من قبيل العبادة والولاية لغير الله تعالى ، فان الطائفة المشركة تعظم وتعبد تلك الوسائط وتتخذها ءالهة أولياء من دون الله وتخصها بأنواع العبادات وتعتقد أنها تملك النفع والضر ، والموحدون ينفون كل ذلك ويخصون الله تعالى بالعبادة دون غيره ، ويعتقدون أنه المالك للضر والنفع متوسلين إليه بأنبيائه وأوليائه فى كسب ما هو لهم من السعي والتسبب فى حصول ما هو مختص بالربوبية من خلق الأرزاق وإنزال الأمطار وإنبات الأشجار ونحوها ، وليس في ذلك شرك ولا عبادة لغير الله تعالى وغاية ما يؤخذ عليهم صُدور ذلك منهم بألفاظ موهمة يجب صرفها عن ظاهرها بقرائن أعمال الاسلام وعقائد الايمان .

وثانيها (النقول الشرعية ، فى الرد على الوهابية) للشيخ مصطفى ابن أحمد بن حسن الشطي ، وقسمها إلى خمس مقالات ، الأولى فى بحث الاجتهاد وشروطه ، والثانية فى تقسيم الشرك إلى جلي وخفي ، وكذلك البدعة إلى أقسامها المشهورة ، والثالثة فى حياة الأنبياء والشهداء ومن أكرمه الله تعالى من عباده فى قبورهم وأنهم ليسوا بأموات بصحيح الأخبار وصريح الآيات ، والرابعة فى جواز التوسل والاستغاثة بالأنبياء والصالحين أحياء وأمواتاً وإثبات كراماتهم كذلك وأن لهم عند ربهم ما يشاءون ، الخامسة

في حكم زيارة القبور وجواز شد الرحل إليها سيما لزيارة قبره عليه السلام ، والخاتمة فى طرف من التصوف ونبذة مـن العقائد الدينية وغيرها وهـي الرسالة الثالثة . والرسالة الرابعة (المقالات الوفية ، في الرد على الوهابية) تأليف حسن بن حسن خزبك المدرس بمدرسة مصر الجديدة الأميرية اشتمل على مقدمة ومقالات ، المقال الأول تأريخ الوهابيين مذهبهم وعقائدهم ، المقال الثاني أحوال الوهابيين فى الحجاز واجب العالم الاسلامي ، المقال الثالث المناقشة التي حصلت بينه وبين شيـخ أئمة الوهابيين فى مكة المكرمـة موضوع الوسيلة ، المقال الرابع الأدلـة القاطعة على صحة التوسل بـل استحبابه من الكتاب والسنة والاجماع والقياس ، دحض حجة الوهابيين ، توسـلات لبعض العلمـاء الأعلام ، المقـال الخامس العقيدة المستحدثـة للوهابيين ، التفريق بين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية ، المقال السادس روح الاسلام الاعتدال ، كرامات الأولياء ، الزيارة وءادابها ومشروعيتهـا ، المقال السابع الرد على وهابي متستر تحت عنوان عالم أزهري ، وعلى هذه الرسالة الخامسة تقريظ فضيلة الشيخ يوسف الدجوي من هيأة كبار العلماء الخامسة كلمة وجيزة فى تصرف الأولياء للعلامة الدجوى المذكور ، السادسة الخاتمة بحث بديع لعالم كبير وإمام من أئمة هذا العصر ، وهذه الرسائـل الستة مطبوعة بمطبعة الكمال ، بشارع رقعة القمح ، بجوار الأزهر الشريف بمصر مع (الصواعق الالاهية ، فى الرد على الوهابية) فارجع إليها .

ولنرجع إلى الكلام على ما تقدم فى الاختصار الذى كلامه مأخوذ من كلام الشيخ الطيب ابن كيران فى كتابه المتقدم ذكره ، فقوله فى الاختصار وفى بعض أجوبة الشيخ أبى المحاسن الخ . نص كلامه رضي الله عنه حسبما فى (مرءاة المحاسن) فى الفصل العاشر فى جمل من أجوبته بعد أن قال وسئل رضي الله عنه عن قول الشيخ أبي محمد الشارمساحي رحمه الله زيارة الموتى بترحم الأحياء وقصد الانتفاع بالميت بدعة إلا في زيارة قبر المصطفى صلى الله عليه وسلم وقبور المرسلين صلى الله عليهم أجمعين ، فأجاب بأن قال : إعلم بأن ما ذكره من ذلك قد سبقه به غيره قال ليس من طريق القوم ، وذكره ابن العربي وقال إنه لا يزار قبر ينتفع به غير قبره صلى الله عليـه

وسلم ، ولكن الذى عليه الجمهور وجرى به العمل فى سائر الآفاق زيـارة قبور الصالحين والانتفاع بهم واقتباس بركاتهم ، إذ هم أبواب الله ، قال حجة الاسلام فى كتاب ءاداب السفر من (الاحياء) وكل ما يتبرك بمشاهدته فى حياته يتبرك بزيارته بعد وفاته ، ويجوز شد الرحال لهذا الغرض ، ولا يمنع من هذا قوله صلى الله عليه وسلم : لا تشد الرحال إلا الى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدى ، والمسجد الأقصى ، لأن ذلك فى المساجد لأنها متماثلة بعد هذه المساجد ، وإلا فلا فرق بين زيارة قبور الأنبياء وبين الأولياء والعلماء فى أصل الفضل ، وإن كانت تتفاوت فى الدرجات تفاوتاً عظيمـاً بحسب اختلاف درجاتهم عند الله ، ثم قال وأما البقاع فلا معنى لزيارتها سوى المساجد الثلاثة وسوى الثغور والرباط بها ، فالحديث ظاهر فى أنه لا تُشَدّ الرحال لطلب بركة البقاع إلا المساجد الثلاثة هـ . وقال الأبي فى (شرح صحيح مسلم) ولا يقال إن النهي مخصوص لجواز شدها لطلب العلم والجهاد وزيارة الصالحين على قول مَن يقول بجواز شدها لزيارتهم ، لأن هـذه المذكورات لا يتناولها اللفظ حتى يخصص باخراجها لأنه إنما يتناول شدها للصلاة ، وقال البرزلي عن ابن عبد البر حديث لا تعمل المطي مخصـوص بالصلاة ، قال وتوقف بعض الناس فى زيارة القبور وءاثار الصالحيـن ولا توقف في ذلك ، لأنها من العبادات غير الصلاة ، ولأنها من الزيارات والتذكر ، وقال ابن حجر فى (شرح صحيح البخاري) : اختلف فى شد الرحال إلى غيرها كالذهاب إلى زيارة الصالحين أحياء وأمواتاً وإلى المواضع الفاضلة لقصد التبرك بها والصلاة فيها ، فقال أبو محمد الجويني يحرم شد الرحال إلى غيرها عملا بظاهر هذا الحديث ، وأشار القاضي حسين إلى اختياره وبه قال عياض وطائفة ، والصحيح عند إمام الحرمين وغيره من الشافعية أنه لا يحرم ، وأجابوا عن الحديث بأجوبة منها أن المراد أن الفضيلة التامة إنمـا هي فى شد الرحال إلى هذه المساجد بخلاف غيرها فانه جائز وهو ظاهر ما فى رواية أحمد الآتية ، ومنها أن النهي مخصوص بمن نذر على نفسـه الصلاة فى مسجد من سائر المساجد غير الثلاثة ، فانه لا يجب الوفاء به ، قاله ابن بطال ونحوه للخطابي قائلا لفظه خبر ومعناه إيجاب ، ومنها أن المراد حكم المساجد فقط ، وأنه لا تشد الرحال إلى مسجد من المساجد للصلاة

فيه غير هذه الثلاثة ، وأما قصد غير المساجد لزيارة صالح أو قريب أو صاحب أو طلب علم أو تجارة أو نزهة فلا يدخل فى النهي ، ويؤيده ما رواه أحمد من طريق شهر بن حوشب قال : سمعت أبا سعيد وذكرت عنده الصلاة فى الطور فقال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي للمطي أن تشد رحالها إلى مسجد تبتغي فيه الصلاة غير المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي ، وشهر ابن حوشب حسن الحديث وإن كان فيه بعض الضعف ، قال بعض المحققين قوله إلا إلى ثلاثة مساجد المستثنى منه محذوف ، فاما أن يقدر عاماً فيصير لا تشد الرحال إلى مكان فى أي أمر كان إلا إلى الثلاثة أو أخص من ذلك لا سبيل إلى الأول لافضائه إلى سد باب السفر إلى التجارة وصلة الرحم وطلب العلم وغيرها ، فتعين الثاني ، والأولى أن يقدر ما هو أكثر مناسبة وهو لا تشد الرحال إلى مسجد للصلاة فيه إلا الى الثلاثة فيبطل بذلك قول من منع شد الرحال لزيارة القبر الشريف وغيره من قبور الصالحين انتهى كلام ابن حجر .

قال الحافظ أبو القاسم العبدوسي الخروج لزيارة قبور الصالحين والعلماء جائز طال السفر أو قصر ، وممن نص على ذلك القاضي أبو بكر ابن العربي وحجة الاسلام الغزالي ، انتهى المقصود من (مرءاة المحاسن) . فقوله قال حجة الاسلام في كتاب السفر الخ . مثله له أيضاً في (فضيلة المدينة الشريفة على سائر البلاد) من كتاب (أسرار الحج) قال فى شرحه لدى قوله وقد ذهب بعض العلماء إلى الاستدلال بهذا الحديث فى (المنع عن الرحلة لزيارة المشاهد وقبور الصالحين) ما نصه : وحمل النهيُ على التحريم ، وعني بهذا والد شيخه إمام الحرمين ، ووافقه القاضي حسين ومن المالكية القاضي عياض ، ومن الحنابلة شيخ الاسلام أحمد بن تيمية ، وألفا في ذلك رسائل ، وقد رد عليه التقي السبكي فى هذه المسألة بكتاب مستقل ذكر فيه الأحاديث التى وردت فى إباحة شد الرحال لزيارة الأنبياء والصالحين ، وقد نقل النووي مقالة الجويني والقاضي حسين والقاضي عياض ، وقال هو غلط ، ومعنى لا تشد لا فضيلة فى شد وسبقه المصنف إلى ذلك فقال : وما تبين لي أن الأمر كذلك بل الزيارة مأمور بها الخ . وكلام

الأبي في صحيفة 480 من ج 3 وقوله وقال البرزلي عن ابن عبد البر الخ . نقل في (المعيار) عن السيوري عن ابن عبد البر مثله ، قال في 58 من ج 2 منه وسئل يعني السيوري عمن نذر زيارة قبر رجل صالح أو حي فأجاب يلزمه ما نذر ، وإن عمل فيه المطي ابن عبد البر كل عبادة أو زيارة أو رباط أو غير ذلك من الطاعة غير الصلاة فيلزمه الاتيان إليه ، وحديث لا تعمل المطي مخصوص بالصلاة ، وأما زيارة الأحياء من الاخوان والمشيخة ونذر ذلك والرباط ونحوه فلا خلاف في ذلك ، والسنة تهدي إليه من زيارة الأخ في الله والرباط في الأماكن التي يرابط فيها ، وتوقف بعض الناس ، وءاثار الصالحين ولا يتوقف في ذلك لأنه من العبادات غير الصلاة ، ولأنه في زيارة القبور من باب الزيارة والتذكر لقوله : زوروا القبور تذكركم الموت ، وكان صلى الله عليه وسلم يأتي حراء وهو بمكة ويأتي قباء وهو بالمدينة والخير في اتّباعه صلى الله عليه وسلم واقتفاء ءاثاره قولا وفعلا سيما مَن ظهرت الطاعة فيه ، انتهى . وكلام ابن حجر في 52 من ج 3 وقوله ويؤيده ما رواه أحمد الخ . هذا الحديث في ص 64 من ج 3 من (مسند أحمد) ، وقوله : فيبطل بذلك قول من منع شد الرحال لزيارة القبر الشريف الخ . قال ابن حجر في (أنباء الغمر) لدى سنة 784 ما نصه : فيها كائنة الشيخ صدر الدين علي ابن العز الحنفي الذى أنكر التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم وانكار العلماء عليه ذلك من أهل المذاهب خصوصاً أهل مذهبه ، فأمر سلطان مصر بحضور العلماء في ذلك وان من البدع إظهار مذهب ابن تيمية وطلب النائب القضاة وغيرهم فحضر أولا القضاة ونوابهم وبعض المفتين فقرىء عليهم المرسوم وأحضر خط ابن العز على قصيدة الأديب علي بن أيبك الصفدي في وزن بانت سعاد فوجد فيه حسبي الله هذا لا يقال إلا لله ، وقوله اشفع لي قال : لا يطلب منه الشفاعة ومنها توسلت بك قال لايتوسل به ، وقوله المعصوم من الزلل قال : إلا من زلة العتاب ، وقوله ياخير خلق الله الراجح تفضيل الملائكة إلى غير ذلك ، فسئل فاعترف ، ثم قال رجعت عن ذلك وأنا الآن أعتقد غير ما قلت أولا ، فكتب ما قال وانفصل المجلس ، ثم طلب بقية العلماء فحضروا للمجلس الثاني وحضر القضاة أيضاً فقال بعضهم يعزر ، وممَّن حضر ابن رجب ، وابن مفلح وأخوه ، وسعد الدين النووي ، وجمال الدين الكردي ،

وشرف الدين العزي ، وشهاب الدين ابن حجي فتواردوا على الانكار على ابن العزّ فى أكثر ما قاله ، واتفق رأيهم على أنه لابد من تعزير ابن العز إلا الحنبلي فحكم القاضي الشافعي بحبسه ثم حكم برفع ما سوى الحبس من التعزيرات ونفذه بقية القضاة وكتبوا بالجميع لمصر فجاء المرسوم باخراج وظائف ابن العز واستمر فى الاعتقال الى شهر ربيع الأول والسنة المقبلة ، وأحدث عقب الصبح التوسل بجاه النبي صلى الله عليه وسلم أمر القاضي الشافعي بذلك المؤذنين ففعلوه الخ . وقوله قال الحافظ أبو القاسم العبدوسي الخ قد نقل جوابه المطول فى 262 من ج 1 من (المعيار) قال فيه : ولا يعترض علينا بقول النبي صلى الله عليه وسلم لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد ، إذ معناه شدها للصلاة لا لغير ذلك ، وممن نصّ على ذلك الامام أبو الحسن ابن بطال فى (شرح البخاري) ، وأبو حامد الغزالي فى (الاحياء) ، ثم قال : وأما الخروج إلى زيارة قبور الصالحين والعلماء فجائز طال السفر أم قصر ، وممن نصّ على ذلك الامام أبو بكر ابن العربي فى (القبس) في شرح الموطأ ، والامام الغزالي فى (الاحياء) فى كتاب الحج وكتاب السفر ، ثم قال وقال ابن العربي إنما ينتفع الميت بالحي لا الحي بالميت ، والذى يعتقد أن الحي ينتفع بالميت لكن هل يتوسل به إلى الله ؟ فيقول بحق هذا الصالح افعل لي كذا هذا هو نص معروف الكرخي رضي الله عنه نص عليه فى (الحلية) أو إنما يعتقد أن البقعة بقعة مباركة يدعو فيها الله من غير توسل هذا هو الذى عليه عمل الشيوخ ، انتهى المقصود ، وقال فى (نسيم الرياض) لا يكره شد الرحال لبعض الأماكن المتبرك بها أو الزيارة من الصالحين الخ . راجعه فى 574 من ج 3 وقال المواق عند قول خليل فى باب النذر إلا القريب جداً فقولان ما نصه عياض قال بعضهم وانما يمنع أعمال المطي للناذر ، وأما لغير الناذر ممن يرغب فى فضل مشاهد الصالحين فلا هـ . وقال الحطاب عند قوله ومشى للمدينة ما نصه : (فرع) قال الشيخ زروق فى (شرح الارشاد) وتوقف الشيخ عيسى الغبريني فى ناذر زيارته صلى الله عليه وسلم لعدم النص ، واستظهر غيره اللزوم لتحقق القربة ، وأنكر ابن العربي زيارة قبر غيره عليه السلام للتبرك ، وعده الغزالي فى المندوبات وأجاز الرحلة له فى

باب السفر ونقل ابن الحاج كلامه بنصه وحروفه هـ . ونقل فى (الروضة المقصودة) عن الامام العلامة المعقولي أحمد بن يعقوب الولالي فى (مباحث الأنوار) ان المدد فى الحياة وبعد الممات أخبر أهل البصائر أنه لم يثبت إلا للأفراد مثل الجيلاني وأبى مدين وأبي العباس السبتي رضي الله عنه ، ثم اعلم أن صحبة الحي أفيد وأنفع من زيارة الميت لما يوجد مع الحي مـن المشافهة والمخاطبة والتعليم ورؤية الأفعال والأحوال وزيارة الميتِ أسلم لقاصد التبرك ، لأن الزائر لا يتصنع له ولا يأتيه بقصد الاختيار والميزان إلا أن التمسك بالأموات وهجران الأحياء مذموم ، فقد قالوا المحروم مَن حرم بركة أهل زمانه ، ثم نقل كلام الشيخ زروق المتقدم وأتى بعده بفوائد فراجع تمامه ، وذكر فى (الصفوة) فى ترجمة سيدى أحمد بابا السوداني بعد أن ذكر أنه رأى بخطه (زرته) أي أبا العباس السبتي أزيد من خمسمئة مرة ، وكانت عنده بطاقة مختوم عليها إذا جاء للقبر يضعها عليه فيقول إني أسألك ما في هذه البراءة لأنه قد يحضر له بعض الملازمين انتهى . قال صاحب (البرهان الكسبي) بعد أن نقل ما تقدم ما نصه : ولا يخفى أنه إنما يدفع الكتاب لمن يقرؤه ويفهمه ، فلو لم يعتقد ذلك فيه لم يكن في ذلك فائدة وكان مما لا معنى له ، والرجل كان من أهل العلم والعمل والرسوخ والتثبت فأقواله وأفعاله كلها حجة ، ثم نقل كلام الشعراني فى ترجمة سيدي محمد بن عراق من (الطبقات) ، ثم اعلم أنه لا شيء أنفع للقلوب من زيارة الصالحين والعلماء العاملين فيتعين على جميع الناس حفظ مقابر العلماء والصالحين ودفع أهل الفساد والزيغ عنها وانه لم يزل الناس يبنون على مقابر الصالحين وأئمة الاسلام شرقاً وغرباً والزائر للأولياء المجهولين على نيته ، واذا لم يحصل له منهم نفع لم يحصل ضرر ، وانه لا يكون الولي إلا على شكل أهل وقته ، وإن لحوم العلماء مسمومة ، وعادة الله فى هتك أستار متنقصيهم معلومة ، والعصمة لغير الأنبياء محالة ، وورد فى الحديث كما فى (جمع الجوامع) للسيوطي ذكر الأنبياء من العبادة ، وذكر الصالحين كفارة للذنوب ، وجاء عن معروف الكرخي ، وسفيان بن عيينة ، وسفيان الثوري عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة ، وكان الامام المازري كثير الحكايات فى مجلسه ويقول إنها

جند من جنود الله وأنه تحرم زيارة الكفار على وجه الصحبة والمواصلة لهم وانه تطلب زيارة العلماء الأتقياء وإن لم يشتهروا بولاية أو صــلاح ، وأن العلماء سرج الأزمنة ولولاهم لصار الناس كالبهائم ، وان أبا حنيفة والشافعي قالا : إن لم يكن العلماء أولياء فليس لله من ولي ، وان المحققين على تفضيل درجة الولاية على درجة العلم ، والعارفون بالله أفضل من العارفين بالأحكام ، بل ومن أهل الأصول والفروع ، وان سبعين صديقاً أخبروا عن الخضر أنهم رأوه بأعينهم ، ويجوز على ما فى (المعيار) أخذ التراب من قبور الأوليــاء للاستشفاء وان الناس قد افتتنوا بقبر عبد الله بن غالب وكان تراب قبــره مسكاً وأقل ما ينبغي أن يمكث الزائر بين يدي الولي قدر حلب شاة وان من حمل السبحة بقصد الذكر كتب من الذاكرين الله كثيراً وإن لم يستعملها ، وإن وقفة على ولي حي أو ميت خير مــن عبادة سبعين سنة ، وانه ينبغــي للزائر أن ينفض نعله من الغبار كلما زار ولو يعلم الزائر ما فى الزيارة لجعل عمره كله زيارة ما لم يطلب الدنيا ومن أعظم نعم الله علينا وجود الأوليــاء وظهورهم وظهور أضرحتهم ، ولا يقع نظر إنسان على الولي من غير معرفة إلا غفر له ولوالديه ولسبعين من أهل بيته ، ولا يعادل مجالسة الأشياخ شيء من النوافل والأذكار وغيرها والأنبياء والرسل والملائكة والعلماء والشهداء والأولياء وءال البيت يشفعون يوم القيامة ، وما من مومن إلا وله شفاعة يوم القيامة ، وقال العارف فى تفسير سورة الزخرف عند قوله تعالى (إلا من شهد بالحق) ما نصه : قال القشيري فى الآية دليل على أن جميع المسلمين تكون شفاعتهم غداً مقبولة انتهى . وأدنى انتساب للأولياء وأقل قرب منهم نافع غاية ، ومن لم يحي بحي أبداً ولو زار ألف ميت ، والمدار فى الزيارة على النية الصالحة الصادقة ، وقلوب أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لها شأن عظيم عند الله ، وقد يكون الرجل مشهوراً بالولاية وتقضي بالتوسل به الحاجات ولا نصيب له فيها والمزور الخالي من الولاية يرجى له الخير بسبب ما يهدي له من الدعاء وغيره ، ومن كرمه تعالى أنه يرحم عبده بمــا يعذبه به ، وقول بعض العامة : (كم من كرابز تحت الدرابز) بشيع وغير صحيح ، ومن الشيوخ مَن كان لا يمنع مريديه من الزيارة مطلقاً . ولا ينتقل

المريد عن الشيخ ولو رأى أعلا منه ، وقد يوذن لبعض الخواص من الأكابر فى التربية بعد الموت والدعاء بوصول ثواب القراءة للولي أولى والدعاء يصل للميت وينتفع به بلا خلاف ، والمحققون على وصول ثواب القراءة للميت وإن لم يدع بوصولها له ، وإذا نوى القارىء النيابة عن الميت فالصحيح أن الميت لا ينتفع بذلك ، والعمل شرقاً وغرباً على قراءة القرآن على القبور ، والرحمة تنزل عند القراءة ، ومشهور مذهب مالك كراهة قراءة القرآن على القبور ، وينبغي لمن وفق أن يقرأ ويذكر ويسبح ويهدي ثواب ذلك لكل عبد صالح فى السماء والأرض ، وينبغي للانسان كلما مر بقبر ولي أو عالم عامل أن يقرأ الفاتحة ويهدي ثوابها إليه ، ومن آداب الزيارة ألا يزور وعليه دين فرض فانها من المعاصي حينئذ تجب التوبة منها ، والمندوب إذا أدى لترك واجب أو أدائه بعد خروج وقته وجب تركه ، والزائر لله تعالى لا يكتب عليه الملك صاحب الشمال شيئاً ، والطهارة الصغرى مطلوبة فى الدخول على الملوك والعظماء ، ونص غير واحد على استحباب وضوء زيارة الصالحين ، والقلب المشغول بقاذورات الدنيا لا يصلحُ أن يصل إليه شيء من المدد ، وينبغي فى الزيارة تقديم الأحياء على الأموات ، ويتأكد على الراكب النزول إذا وصل للمقابر وعدم المشي فيها راكباً وتحية المسجد مقدمة على السلام على الولي وعلى السلام على مَن بالمسجد من الناس واستقبال المومن خير من استقبال الكعبة ، وتجوز الزيارة من قيام ، وعرفنا الجلوس أبلغ فى الأدب ، والأدب يتبع العرف كخلع النعلين للزائر ، ولا بأس بالحفاء فى القدوم على قبر ولي ، ويسن المشيُ مع الحفاء فى القرب ، والدخول للقبة الادريسية جائز وإن أدي إلى وطء القبور ، لأنه تعلق بالدخول غرض ديني ندب الشرع إلى فعله وهو الصلاة والذكر والعبادة ، وينال السائل بالذل والانكسار ما لا يناله بالعز والافتخار ، وكان عليه السلام يلصق صدره ووجهه بالملتزم ، وما دعا بالملتزم ذو عاهة إلا برىء ، والانحناء للقبر بدعة قبيحة ، وأقبح منه تقبيل الأرض بين يدي الولي ، وأقبح منهما السجود له ، وتحرم الصلاة إلى قبر نبي أو ولي تبركاً به وإعظاماً له ، وتجوز الصلاة فى المقبرة وإليها إذا كانت طاهرة ، وقبر إسماعيل عليه السلام في المسجد الحرام عند الحطيم ، وما

بين المقام إلى الركن الى بئر زمزم إلى الحجر قبر سبعة وسبعين نبيــاً ، وصلى فى مسجد الخيف بمني سبعون نبياً وأقبر فيه سبعون ، وتجــوز الصلاة فى جامع الشرفاء حذاء قبر مولانا إدريس بلا حرج ولا كراهة ، والصلاة فيه أفضل من الصلاة فى غيره في بلدة فاس ، وغسل الامام أحمد قميصاً للشافعي وشرب الماء الذى غسله ، وتبرك الشافعيّ ببلل قميص الامام أحمد والتبرك بآثار الصالحين ومن يعظم شرعاً معمول به عند كثير من المشايخ ، وكان الناس يحملون تراب قبر سيدنا حمزة فى القديم من الزمان ، وجرى عمل العوام بنقل تراب ضريح أبي يعزى وضريح أبي غالب الصاريوي ، وما يذبح فى ضرائح الأولياء بقصد العار فان اعتقد الذابح أن التأثير في قضاء الحاجات لذلك الولي فمذبوحه حرام ، وإن اعتقد أن التأثير لله ولذلك الولي فمكروه ، وإن اعتقد أن التأثير لله وحده وإنما ذبح على الولي لجريان عادة الله بأن مَن فعل ذلك تقضى حاجته فمذبوحه لا بأس بأكله مع اسم الله فى الأقسام الثلاثة ، والغالب على مَن صح إيمانه وعلم أنه لا تأثير لشيء من الكائنات عدم اعتقاد التأثير لغير الله لا فى الذبح ولا في غيره ، وما يذبــح للجان فان لم يذكر اسم الله عليه لم يؤكل ، وإن ذكر اسم الله عليه كره أكله إن ذبحه لصالحي الجن فى قضاء مرغوبه ، ونهى صلى الله عليه وسلم عــن الذبح للجان مطلقاً وإن قصد التقرب بذلك الى الجان كما يتقرب إلى الله لكون الجان فى اعتقاده قادراً على ضر مَن شاء فهو كافر ، وراجع 85 مــن ج 2 من (تفسير الرازي) ، وما تذبحه قبيلة على أخرى عند الفتن فان اعتقدت أن الذبح هو الذى يؤثر في الألفة بينهم حرم مذبوحهم ، وإن اعتقدت أن التأثير فى ذلك لله وللذبح كره ، وإن خصت به الله سبحانه وتعالى فمذبوحها لا بأس به ، نعم لا بد فى قسمي الكراهة فى جميع ما ذكر من تقييده بنسبة التأثير إلى الله تعالى حقيقة بالذات ، وللولي بالقوة ، لأنه حينئذ يكون فاسقاً بالاعتقاد إلا إن اعتقد أن التأثير للولي بالذات لا بالقوة فهو كافر إجماعاً ، وذكاته لا تؤكل ، لأنه مرتد ، والناس إلى آداب الزيارة أحوج منهم إلى الزيارة ، ومما جرب لقضاء الحاجات الاتيان بهدية للولي من فلوس وغيرها ، والعامة أقوى نية فى زيارة الصالحين من فقهائهم ، وحكم اتخاذ المواسم للأولياء في الجملة

ومن حيث ذاتها هو الاباحة ، ولكن غلبت فيها المنكرات الشنيعة ، وما يذكر من حضور النبي صلى الله عليه وسلم أو حضور غيره من الأولياء فى المواسم لا تبعد صحته ، والنبي صلى الله عليه وسلم له تعلق معنوي ومرافقة روحانية لأمته فى سائر شؤونهم ، ومن المعمول بـه بناء القباب على مقابر العلماء والأولياء ووضع الستور على مقابرهم وإيقاد القناديل والشموع عندها ، وأفضل ما يزار فيه الولي يوم وفاته ، ومن أراد تقريب ولي له فليقرأ سورة الاخلاص ألف مرة ويهديها إليه ، ويستحب أن يقصد الانسان بميته قبور الصالحين ، ويحرم دفن الميت بمسجد بني للصلاة ، ومن واظب على زيارة مولانا إدريس أربعين يوماً يصلي الصبح مع الجماعة هناك كل يوم ويسأل الله تعالى عقب الصلاة أن يجمعه بقطب الوقت أو أن يعطيه شيئاً أو أن يرفع عنه مكروهاً أعطاه الله تعالى ما يرجو وأمنه مما يخاف ببركته رضي الله عنه ، ودرج فى بلدة فاس من العلماء ما لا ينحصر كثرة ، واعتناء أهل المغرب بالتاريخ قليل ، وكم فيه من فاضل قد ضاع من قلة اعتنائهم بالتاريخ ، ولم يكن للمتقدمين اعتناء بالتآليف ولا بالبناء على القبور ، والمؤلفات هي سبب الشهرة فى الحياة وبقاء الذكر بعد الممات ، وسلك الشيخ مولانا عبد السلام بن مشيش طريق القوم وهو ابن سبع سنين ، وبقي قطباً عشرين سنة ، وتنبغي زيارته بقدر الاستطاعة والامكان ، ويجب على من وجد محققاً ملازمته وعدم مفارقته حتى يأذن له أو تنفتح بصيرته ، وكان الشيخ أبو بكر الحضرمي يجتمع به عليه السلام يقظة ، وما نفع القلب شيء مثل الزهد فى الدنيا والجلوس بين يدي الأولياء ، وأبو محفوظ الكرخي ممن يمد فى الحياة والممات ، وقال سيدي مَحمد بن عبد الله السوسي : بعثني الله لأسقي حياً وميتاً ، والعلم الخشية لله لا مجرد الطلب ، وعلم الباطن يفتر عن الظاهر ، وصفة التعليم معرفتها موقوفة عليه صلى الله عليه وسلم ، والأولياء إنما هم مصرفون لا متصرفون ، ومملكون لا مالكون ، ومشفعون لا متشفع إليهم ، وزيارة القبور مندوبة بلا حد أو وقت ، وراجع أصول هذه الجمل المختصرة فى (المدخل) ، وفى (شروح المختصر) ، وفى (سنن المهتدين) ، وفى (المعيار) ، وفى (رحلة العياشي) ، وفى (الدر المنظم) ، والشيخ الأمير علي المجموع ، وفى (السلوة) ، وسيأتي بقية ما يتعلق بذلك فى ترجمة سيدى يوسف بن علي المبتلي .

(مسـألـة) :

قال فى I6I من ج I من (الفروق) المسألة الأولى : اتفق الناس أن السجود للصنم على وجه التذلل والتعظيم له كفر ولو وقع مثل ذلك في حق الولد مع والده تعظيماً له وتذللا أو فى حق الأولياء والعلماء لم يكن كفراً ، والفرق عسير ، قال ابن الشاط فى حاشيته قلت : أغفل الوصف المفـرق فعسر عليه الفرق ، والوصف المفرق أن سجود مَن سجد للأصنام لم يسجد لها لمجرد التذلل والتعظيم بل لذلك مع اعتقاد أنها آلهة وأنها شركاء لله تعالى ، ولو وقع مثل ذلك مع الوالد أو العالم أو الولي لكان ذلك كفراً لا شك فيه ، وأما إذا وقع ذلك أو ما فى معناه مع الوالد لمجرد التذلل والتعظيم لا لاعتقاد أنه إلاه وشريك لله عز وجل فلا يكون كفراً وان كان ممنوعاً سـدا للذريعة انتهى .

126) **احمد بن عبد الرحمان الهواري** من أهل أغمات وريكة ، وكـان عبداً صالحاً كثير الايثار والصدقات ، مات قبل الأربعين وخمسمئة ، حدثوا عنه أنه كان فى عام مجاعة شديدة فأدخله الدلال فى دار يشتريها بخمسمئة دينار ، فأراد أن يدخل بيتاً منها ليقلبه فقيل له إن فيه المرأة التى تبيعها مع بناتها ، ولولا حاجتهن ما باعتها ، فخرج من الدار وبعث الى المرأة بخمسمئـة دينار فأمسكتها المرأة ولم تنفقها إلى أن بعثت إليه وقالت له عسى أن يكمل التبايعُ بيننا لأتصرف فى الثمن ويقبض مني داره، فبعث إليها فى السر أن الدار باقية على ملكك والمال مالك ، فانتفعي به فانما بعثته إليك لتسدي به فاقتك :

تعاتبني فى الجود والجود شيمتي ... ولم يقو تبديل الطباع زعيـم
ولم أر مثل الجود ، أما حديثـه ... فحلو وأما حبه فقديـم
أرى الناس خلان الجواد ولا أرى ... بخيلا له فى العالمين حميـم
ولا خير فيمن لا يعاش بعيشـه ... ولو أنه فوق السماك مقيـم
ذريني فان البخل عار بأهلـه ... وما ضر مثلي أن يقال عديـم
وكيف يخاف الفقر أو يحرم الغني ... كريم ورب العالمين كريـم

ترجمه فى (التشوف) ، (1) . وقال فى نظم رجاله :

وفى أحمد الهواري الجود خلقة

وتقدمت الأبيات الستة فى ترجمة ابن العريف مع تغير يسير .

127) **أحمد بن حسين ابن قَسيِ** أبو القاسم .

قال فى (لسان الميزان) صحيفة 247 من ج 1 ما نصه : قَسِي بفتح القاف وتخفيف السين قرأته بخط بعض أئمة المغرب وكان فى بدء أمره على سنن الجمهور ثم نزع عن ذلك وأقبل على التصوف واقتفى سبيلهم فى تحريف النصوص وتأويل الظاهر ، ثم رحل إلى ابن العريف بالمرية أقام عنده وكثر أتباعه فنمى الأمر الى علي بن يوسف بن تاشفين فأرسل إلى ابن العريف وإلى نظيره رأياً ابن برجان من إشبيلية فأسكنهما مراكش ، وعاد ابنُ قسي الى شلب وابتنى مسجداً ببعض قراها وتحدث بالأباطيل من غزا وجد طعم العسل من لبنها وزنابير من بطون الثمار يستخرجها وتبعه كثير من الأعيان ، وكاتب أهل مرية يدعوهم إلى خلع الملثمين ، وغلب على شلب ولبلة ومرية ، ثم قبض عليه أحد قواده واتباعه محمد بن وزير فهرب منه إلى عبد المومن بفاس ، ثم سافر فى عسكرهم سنة 540 إلى شلب فحاربوا ابن وزير الى أن أذعن بالطاعة ، وأقام ابن قسي بشلب ثم خالف بها واستظهر بأمير من بقايا الملثمين ، فعمل عليه ابن وزير الحيلة حتى قلبه عليه ، ثم استظهر ابن قسي بجماعة من الفرنج ليقاتل بهم أهل الاسلام ، فأطلع على ذلك بعض أتباعه فأشعر به جماعة منهم فأنفوا من ذلك واتفقوا على قتله فقتل وذلك بعد الأربعين .

قرأت بخط العلامة أثير الدين أبي حيان ، قال أبو العباس العزفي ، قال أنشدني بعض أشياخي أنشدنا ابن قسي لنفسه :

---

1) **التشوف** 38 ص 131 .

أزرر عــلى قوس العُلا أوتـــــاره وارم العــدا بسهامهـا العقــاره
وابلغ مناك بشلب مفتتح البـــلا د المجتباة وأمها المختـــــاره
ويكون ذاك إذا تكـاثرت العــدى وتمـلأت قنــن الجبـال نصــاره

قال فكلمه بعض من حضر فى قوله نصاره فقال كذا أنشدني الملَك(1)

وذكره الذهبي فى (تاريخ الاسلام) وحكى بعض ما أوردناه عــن عبد الواحد المراكشي ، وذكر انه لما أحضر إلى عبد المومن قال له : بلغني عنك أنك دعيت إلى الهداية ، فقال : أليس الفجر فجرين صادق وكـاذب ، قال بلى ، قال : فأنا كنت الفجر الكاذب ! وذكره فيمن مات بين الخمسين والستين وخمس مئة (2) .

وقال أبو العباس العسقلاني سمعت الشيخ أبا محمد المفاوز يقول : سمعت الشيخ أبا الحسن السقاء يقول : كان فى قلبي على الشيخ أحمد ابن قسي إنكار ، فبت ليلة من الليالي فرأيته فــى المنام وأنا أرفع يدي عليــه لأضربه ، فقال لي دعْني فقد غُفر لي بثلاث ، فقلت ما هي ؟ قال : قمت لله ، وقتلت ظلماً ، وصنفت كتاب (خلع النعلين) . قلت وفى صحة هذا نظر فان خلع النعلين كتاب مشهور قد شرحه ابن العربي على طريقته والله المستعان .

ونص كلام (المعجب) :

أحمد بن قسي ، كان فى أول أمره يدعى الولاية وكان صاحب حيل ورب شعبذة ، وكان مع هذا يتعاطى صنعة البيان وينتحل طريق البلاغــة ، ثم ادعى الهداية ، بلغني ذلك عنه من طرق صحاح ، ثم لم يستقم له شيء مما أراد واختلف عليه أصحابه ، وكان قيامه بحصن مارتلة ، وقد تقدم اسم هذا الحصن فى أخبار الدولة العبادية ، فأسلمه كما ذكرنا أصحابه واختلفوا عليه

---

1) قال ابن الخطيب فى اعمال الأعلام ص 252 طبع بيروت : (ولما نقد عليه فى قوله نصارى (نصاره) غضب وقال : كذا قال لى قل نصاره فمضى على هذا السبيل) .

2) ذكر ابن الخطيب فى اعمال الأعلام أن وفاة ابن قسى كانت فى جمادى الأولى عام 546 فلذا قدمناه فى الترتيب على المتاخرين عنه وفاة .

ودسوا إليه مَن أخرجه من الحصن بحيلة حتى أخذه الموحدون قبضاً باليد ، فعبروا به إلى العدوة فأتوا به عبد المومن رحمه الله فقال له : بلغني أنك ادعيت الهداية فكان من جوابه أن قال : أليس الفجر فجران كاذب وصادق ؟ فأنا كنت الفجر الكاذب ! فضحك عبد المومن وعفا عنه ، ولم يزل بحضرته إلى أن قتله بعض أصحابه الذين كانوا معه بالأندلس ، ولابن قسي هذا أخبار قبيحة مضمونها الجراءة على الله سبحانه والتهاون بأمر الولاية منعنى من ذكرها صرف العناية إلى ما هو أهم منها .

انتهى (1)

وقول الحافظ إن كتاب (خلع النعلين) الخ يظهر من عد الطابع أنه جعل المترجم رجلين مع أنهما واحد ، فقد تقدم له قبله ما نصه :

أحمد بن قسي مصنف كتاب (خلع النعلين) فلسفي التصوف مبتدع ، أراد الثورة فظفر به عبد المومن وسجنه انتهى . واصطلاحه إذا قال انتهى أنه علامة على انتهاء كلام الميزان ، وما زاده بعده فهو ملحق بالترجمة التى قبلها ، فهما واحد فتصحف بابن قيسي فى مطبعة (لسان الميزان) وهو نص ما فى (الميزان) غير أنه تصحف فى (الميزان) صحيفة 60 بأحمد ابن نيسي .

وقال فى (كشف الظنون) صحيفة 473 و (خلع النعلين ، فى الوصول الى حضرة الجمعين) للشيخ أحمد ابن قسي شيخ الصوفية ، وهو مختصر أوله الحمد لله الذى أوجد بالحرفين دائرة الوجود الخ وشرحه الشيخ محيي الدين محمد بن علي بن عربي المتوفي سنة 638 ثمان وثلاثين وستمئة ذكر فيه أن المصنف كان من أهل العربية والفضل متضلع من اللغة فلا يقصد إلى كلمة إلا لحكمة يراها ، وشرحه أيضاً الشيخ عبدي شارح (الفصوص) انتهى . فظاهر اصطلاحه أنه وقف عليه كما صحف فى الطبع في (لسان الميزان) ابن برجان بابن مرجان ، والمرية بالمزيلة ولبلة بليلة (2)

1) المعجب ص 126 طبع سلا بتحقيق الأستاذ محمد الفاسى .

2) ينظر عن ابن قسى **المعجب** لعبد الواحد المراكشى ص 126 طبع سلا ؛ **واعمال الأعلام** ص 248 طبع بيروت **والحلة السيرا** 1 : 197 ع 142 .

128) **أحمد بن أبى جعفر بن محمد ابن عطية القضاعي** من أهل مراكش ، وأصله القديم من طرطوشة ، ثم بعد من دانية يكنى أبا جعفر .

حاله :

كان كاتباً بليغاً سهل المأخذ منقاد القريحة سيال الطبع رائق الخط .

مشيخته :

أخذ عن أبيه وعن طائفة كثيرة من أهل مراكش .

نباهته :

كتب عن علي بن يوسف بن تاشفين ، وعن ابنه تاشفين ، وعن إسحاق، (2) وكان أحظى كتابهم، ثم لما انقطعت دولة لمتونة دخل فى لفيف الناس وأخفى نفسه ، ولما أثار الماسي (3) الهداية بالسوس ورمى الموحدين بحجرهم الذى رموا به البلاد وأعيى أمره وهزم أشياعهم وجيوشهم التى جهزوها إليه وانتدب منهم الى ملاقاته أبو حفص عمر بن يحيى الهنتاتي فى جيش خشن من فرسان ورجالة كان أبو جعفر بن عطية من الرجالة مرتسماً بالرماية ، والتقي الجمعان فهزم جيش الماسي وظهر عليه الموحدون وقتل المدعي المذكور وعظم موقع الفتح عند الأمير الغالب يومئذ أبى حفص عمر ، فأراد إعلام الخليفة عبد المومن بما سنّاه الله ، فلم يلق فى جميع مَن استصحبه من يجلي عنه ويوفي بما أراده ، فذكر له أن فتى من الرماة يحاضر بشيء من الأدب والأشعار والرسائل فاستحضره وعرض عليه غرضه فتجاهل وتظاهر بالعجز فلم يقبل عذره واشتد عليه ، فكتب رسالة فائقة مشهورة ، فلما فرغ منها قرأها عليه فاشتد عجبه بها وأحسن إليه واعتنى به واعتقد أنه ذخر

---

2) خلط ابن الخطيب صاحب (الاحاطة) الذى ينقل القاضى المؤلف عنه بين أحمد ابن عطية المترجم ؛ وبين أبيه أبى جعفر بن محمد ابن عطية ؛ فان الذى كتب لعلى بن يوسف ثم لابنه تاشفين هو الاب لا الابن ، أما الابن المترجم فقد كتب لاسحاق وربما لأبيه تاشفين .

3) محمد بن عبد الله بن هود ؛ ثار فى شوال من عام 541 (22 مارس 1147 م) وهو الشهر الذى دخل فيه الموحدون مراكش . ينظر عن ثورته البيان المغرب لابن عذارى ؛ الجزء الثالث ص 26 طبع تطوان .

يتحف به عبد المومن وأنفذ الرسالة ، فلما قرئت بمحضر أكابر الدولة عظم مقدارها ونبه فضل منشئها وصدر الجواب ومن فصوله الاعتناء بكاتبها والاحسان إليه واستصحابه مكرماً ، ولما أدخل على عبد المومن سأله عن نفسه وأحظاه لديه وقلده خطة الكتابة وأسند إليه وزارته وفوض إليه فى أموره كلها ، فنهض بأعباء ما فوض إليه وظهر فيه استقلاله وغناؤه واشتهر بأجمل السعْي للناس واستمالتهم بالاحسان ، وعمت صنائعه وفشا معروفه ، وكان محمودَ السيرة منجبَ المحاولات ناجحَ المساعى سعيد المأخذ ميسر المآرب وكانت وزارته زيناً للوقت كمالا للدولة .

محنته :

قالوا واستمرت حالته إلى أن بلغ الخليفة عبد المومن أن النصارى أخذوا قصبة المرية (1) وتحصنوا بها واقترن بذلك تقديم ابنه يوسف على أشبيلية ، فأصحبه أحمد ابن عطية وأمره أن يتوجه بعد استقرار ولده بها إلى المرية وقد تقدم إليها السيد أبو سعيد بن عبد المومن وحصر مَن بها من النصارى وضيق عليهم ليحاول أمر إنزالهم ثم يعود إلى إشبيلية ويتوجه منها مع واليها الى منازلة الثائر بها علي الوهيبي ، فعمل على ما حاوله من ذلك واستنزل النصارى من المرية على العهد بحسن محاولته ، ورجع هو والسيد أبو سعيد إلى غرناطة مزعجين إليها حتى يسبقا جيش الطاغية (2) ثم انصرف إلى إشبيلية ليقضي الغرض من أمر الوهيبي ، فعند ما خلا منه الجو وجد حساده السبيل إلى التدبير عليه والسعْي به حتى أوغروا صدر الخليفة ، فاستوزر عبد المومن عبد السلام بن محمد الكومي وانبرى لمطالبة ابن عطية وجدَّ في التماس عوراته وتشنيع سقطاته وأغرى به صنائعه وشحن عليه حاشيته فبروا وراشوا وانقلبوا ، وكان مما نقم على أبى جعفر نكاة القرح بالقرح فى كونه لم يقف فى اصطناع العدد الكثير من اللمتونيين

---

1) كان احتلال النصارى للمرية عام 542 هـ الموافق سنة 1147 م فى عهد الفونسو ريموند يس ملك قشتالة ؛ وحاولوا الاحتفاظ بها بمعاونة حليفهم ابن مردنيش ؛ ولكن الموحدين تمكنوا من استرجاعها بعد عشرة أعوام (552 — 1157) وأفرجوا عن حاميتها النصرانية بالأمان .

2) يقصد الفونسو ريموند يس ملك قشتالة الذى حكم من سنة 1126 الى سنة 1157 م .

وانتياشهم من خمولهم حتى تزوج بنت يحيى الحمار من أمرائهم وكانت أمها زينب بنت علي بن يوسف (1)، فوجدوا السبيل بذلك إلى استئصال شأفته حتى نظم منهم مروان بن عبد العزيز طليقه ومسترق اصطناعه أبياتاً طرحت بمجلس عبد المومن :

قل للامام أطال الله مدته	قولا تبين لذى لب حقائقه
أن الزراجين (2) قوم قد وترتهم	وطالب الثأر لم تومن بوائقه
وللوزير الى آرائهم ميل	لذاك ما كثرت فيهم علائقه
فبادر الحزم فى إطفاء نارهم	فربما عاق عن أمر عوائقه
هم العدو ومن والاهم كهم	فاحذر عدوك واحذر من يصادقه
الله يعلم أني ناصح لكم	والحق أبلج لا تخفى طرائفه

قالوا : ولما وقف عبد المومن على هذه الأبيات البليغة فى معناها وغر صدره على وزيره الفاضل أبى جعفر وأسر له فى نفسه تغيراً ، فكان ذلك من أسباب نكبته ، وقيل أفضى إليه بسر فأفشاه ، وانتهى ذلك كله إلى أبي جعفر وهو بالأندلس فقلق وعجل الانصراف إلى مراكش فحجب عند قدومه ثم قيد إلى المسجد فى اليوم الثاني بعده حاسر العمامة ، واستحضر الناس على طبقاتهم وقرروا ما يعلمون من أمره وما صار إليهم منه ، فأجاب كل بما اقتضاه هواه ، فأمر بسجنه ولف معه أخوه أبو عقيل عطية ، وتوجه عبد المومن فى إثر ذلك زائراً تربة المهدى فاصطحبهما معه منكوبين بحال ثقاف ، وصدرت عن أبي جعفر فى هذه الحركة من لطائف الأدب نظماً ونثراً في سبيل التوسل بتربة إمامهم عجائب لم تجد مع نفوذ قدر الله فيه ، ولما انصرف من وجهته أعادهما معه قافلا إلى مراكش ، فلما حاذى تاغمرت أمر بقتلهما بالشعراء المتصلة بالحصن على مقربة من الملاحة هنالك ، فمضيا لسبيلهما رحمهما الله .

---

1) الذى فى المعجب لعبد الواحد المراكشى أن زوجة أبى جعفر ابن عطية هى بنت أبى بكر بن يوسف بن تاشفين المعروفة ببنت الصحراوية ؛ واخوها (لا أبوها) هو يحيى ابن الصحراوية فارس المرابطين المشهور .

2) الزراجنة جمع زرجان : طائر أسود البطن أبيض الريش ؛ سمى المهدى بن تومرت المرابطين بهذا الاسم لأنهم بيض الثياب سود القلوب بزعمه ؛ انظر نظم الجمان لابن القطان ص 85.

شعره وكتابته :

كان مما خاطب به الخليفة عبد المومن مستعطفاً كما قلناه من رسالة :

تالله لو أحاطت بي كل خطيئة ، ولم تنفكّ نفسي عن الخيرات بطيئة، حتى سخرت بمن في الوجود ، وأنفت لآدم من السجود ، وقلت إن الله لم يوح ، بالفلك إلى نوح ، وبريت لقدار ثمود (I) نبلا، وأبرمت لحطب نار الخليل حبلا ، وحططتُ عن يونس شجرة اليقطين ، وأوقدت مع هامان على الطين ، وقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها ، وافتريت على العذراء البتول فقذفتها ، وكتبت صحيفة القطيعة بدار الندوة ، وظاهرت الأحزاب بالقصوى من العدوة ، وذممت كل قرشي ، وأكرمت لأجل وحشي كل حبشي ، وقلت إن بيعة السقيفة ، لا توجب للامامة خليفة ، وشحذت شفرة غلام المغيرة بن شعبة ، واعتلقتُ من حصار الدار وقتل أشمطها بشعبة ، وغادرتُ الوجهَ من الهامةِ خضيباً ، وناولتُ من قرع سنّ الخمسين قضيباً ، ثم أتيت حضرة المعصوم عائذاً ، وبقبر الامام المهدي لائذاً ، لقدْ آن لمقالتي آن تُسمع ، وأن تُغفر لي هذه الخطيئات أجمع :

فعفواً أمير المومنين فمن لنـــــا ... بحمل قلوب هدّها الخَفَقَـــان

* * *

عطفاً علينا أمير المومنين فقـــد ... بان العزاءُ لفرط البث والحـــزن
قد أغرقتنا ذنوب كلها لجـــج ... وعطفة منكم أنجا من السفـــن
وصادفتنا سهام كلنا غـــرض ... لها ورحمتكم أوقى من الجُنَـــن
هيهات للخطب أن تسطو حوادثـه ... بمن أجارته رحماكم من المحـــن
مَن جاء عندكم يسعى على ثقـــة ... بنصره لم يخف بطشاً من الزمـن
فالثوب يطهر بعد الغسل من دنس ... والطرف ينهض بعد الركض في رسن
أنتم بذلتم حياة الخلق كلهـــم ... من دون مَنٍّ عليهم لا ولا ثمـــن
ونحن من بعض من أحيت مكارمكم ... كلتا الحياتين من نفس ومن بـدن
وصبية كفراخ الورق من صغـــر ... لم يألفوا النوح في فرع ولا فنـن
قد أوجدتْهُم أيادٍ منك سابغـــةٌ ... والكل لولاك لم يوجد ولم يكـــن

I) أوقيدار : عاقر ناقة صالح .

ومن فصول رسالته التى كتب بها عن أبي حفص وهي التى أورثته الكتابة العلية والوزارة كما تقدم قوله :

« كتابُنا هذا من وادي ماسة بعدما تجدد من أمر الله الكريم ، ونصره تعالى المعهود القديم ، وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم ، فتح فاق الأنوار إشراقاً ، وأحدق بنفوس المومنين إحداقاً ، ونبه للأماني النائمة جفوناً وأحداقاً ، واستغرق غايةَ الشكر استغراقاً ، فلا تطيق الألسن لكُنْهِ وصفه إدراكاً ولا لحاقاً ، جمع أشتات الطلب والأرب ، وتقلبَ فى النعم أكرم منقلب ، وملأ دلاء الأمل إلى عقد الكرب » :

فتح تفتَّحُ أبوابُ السمــاء لـــــه وتبرز الأرض فى أثوابهــا القشب

« وتقدمت بشارتنا به جملة ، حين لم تعط الحال بشرحه مهلة ، كان أولئك الضالون المرتدون قد بطروا عدواناً وظلماً ، واقتطعوا الكفر معنــى واسماً، وأملى لهم الله ليزدادوا إثماً، وكان مقدمُهُمُ الشقيُّ قد استمال النفوس بخزعبلاته ، واستهوى القلوب بمهولاته ، ونصب له الشيطان من حبالاته ، فأتتْه المخاطبات من بعد ومــن كثب ، ونسلت إليه الرسل من كــل حدب ، واعتقدته الخواطر أعجب عجب ، وكان الذى قادهم إلى ذلك ، وأوردهم تلك المهالك ، وصول مَن كان بتلك السواحل ممن ارتسم برسم الانقطاع عن الناس فيما سلف من الاعوام ، واشتغل على زعمه بالصيام والقيام ، ءانــاء اليل وأطراف الأيام . لبسوا الناموس أثواباً ، وتدرعوا الرياء جلباباً ، فلم يفتح الله لهم للتوفيق باباً .)

ومنها فى ذكر صاحبهم الماسي المدعى الهداية :

« فصُرع والحمد لله لحينه ، وبادرت إليه بوادر منونه ، وأتته وافدات الخطيّات عن يساره ويمينـــه ، وكان يدعى أنه بُشـِّر أن المنية فـــى هذه الأعوام لا تصيبه ، والنوائب لا تنوبه ، ويقول فى سواه قولا كثيراً ، ويختلق على الله إفكا وزوراً ، فلما عاينوا هيأة اضطجاعه ، ورأوا ما خطته الأسنةُ فى أعضائه وأضلاعه ، ونفذ فيه من أمر الله ما لم يقدروا على استرجاعه ،

هزم مَن كان لهم من الأحزاب ، وتساقطوا على وجوههم تساقطَ الذباب ، وأعطوا عن بكرة أبيهم صفحة الرقاب ، ولم تقطر كلومهم إلا على الاعقاب ، فامتلأت تلك الجهات بأجسادهم ، وءاذنت الآجالُ بانقراض ءامادهم ، وأخذهم الله بكفرهم وفسادهم ، فلم يعاين منهم إلا مَن خرَّ صريعاً ، وسقى الأرض نجيعاً . ولقي من وقع الهنديات أمراً فظيعاً ، ودعت الضرورة باقيهم إلى الترامي في الوادى ، فمن كان يؤمل الفرار ويرتجيه ، ويسبح طامعاً في الخروج إلى ما ينجيه ، اختطفته الأسنةُ اختطافاً ، وأذاقته موتاً ذعافاً ، ومن لجَّ في الترامي على لججه ، ورام البقاء في ثبجه ، قضى عليه شَرَقُه ، وألوى بذقنه غرقه ، ودخل الموحدون إلى البقية الكائنة فيه يتناولون قتالهم طعناً وضرباً ، ويلقونهم بأمر الله تعالى هولا عظيماً وكرباً ، حتى انبسطت مراقات الدماء ، على صفحات الماء ، وحكت حمرتُها على زرقته حمرة الشفق على زرقة السماء ، وجرت العبرة للمعتبر ، في جري تلك الدماء جريَ الأبحر » .

دخوله غرناطة :

احتل بغرناطة عام أحد وخمسين وخمسمئة لما استدعى أهل جهات المرية السيد أبا سعيد إلى منازلة مَن بها من النصارى وحشد ونزل عليها ونصب المجانيق على قصبتها واستصرخ مَن بها الطاغية فأقبل إلى نصرهم ، واستمدَّ السيد أبو سعيد الخليفة فوجه إليه الكبير أبا جعفر بن عطية صحبة السيد يوسف ابنه ، فلحق به واتصل الحصار شهوراً سبعة ، وبذل الأمن لمن كان بها وعادت إلى ملك الاسلام ، وانصرف الوزير أبو جعفر صحبة السيد يوسف إلى اشبيلية ، وجرت أثناءَ هذا أمورٌ يطول شرحها ، ففى أثناء هذه الحركة دخل أبو جعفر غرناطة وعد فيمن ورد عليها .

مولده :

بمراكش عام سبعة عشر وخمسمئة .

وفاته :

على حسب ما تقدم ذكره لليلة بقيت من صفر سنة ثلاث وخمسين وخمسمئة (الثلاثاء 1 ابريل 1158 م)

انتهى من (الاحاطة) (1) .

قال ابن خلدون : وكان أبوه أبو أحمد بن عطية كاتباً لعلي بن يوسف وابنه تاشفين وتحصل فى قبضة الموحدين فعفا عنه عبد المومن .

وقال فى (النفح) صحيفة 295 ج 2 وكان الكاتب أبو بكر محمد بن نصر الأوسى مختصاً بوزير عبد المومن أبى جعفر بن عطية فقال فيه :

أبا جعفر نلت الذى نـال جعفـر ... ولا زلت بالعليـا تسر وتحبـر
عليك لنا فضل وبـر وأنعـم ... ونحن علينـا كل مـدح يحبـر

وحدث من حضر مجلس الوزير ابن عطية وقد أحس من عبد المومن التغير الذى أفضى الى قتله وقد افتتح ابن نصر مطلع هذه القصيدة فتغير وجه أبى جعفر لأن جعفر بن يحيى كان أمره الصلب ، فكأنّ هذا قد عمم الدعاء ، والعجب أنه قتل مثل جعفر بعد ذلك ، وهذا الشاعر هو القائل :

وما أنا عن ذاك الهـوى متبـدل ... وذو الغدر بالاخـوان غير كريـم
بغيرك أجرى ذكر فضلك فى الندى ... كما قد جرى بالروض هب نسيـم
وان كان عندى للجديـد لـذاذة ... فلست بنـاس حرمـة لقـديـم

ولما وقف عبد المومن على قصيدته السابقة : عطفاً علينا أمير المومنين فقد الخ وقع عليها الآن وقد عصيتَ من قبل وكنت من المفسدين .

ومما كتب به من السجن :

أنوح على نفسى أم انتظـر الصفحـا ... فقد ءان أن تُنسى الذنوب وأن تمحى
فها أنا فى ليل من السخط حائـر ... ولا أهتدى حتى أرى للرضى صبحا

وامتحن عبد المومن الشعراء بهجوه ، فلما أسمعوه ما قالوا أعرض عنهم ، وقال ذهب ابنُ عطية وذهب الأدب معه .

---

1) الاحاطة 1 : 263

وكان لأبى جعفر أخ اسمه عطية قتل معه ، ولعطية هذا ابن أديب كاتب ، وهو أبو طالب عقيل بن عطية ، ومن نظمه فى رجل تعشق قينة كانت ورثت مالا من مولاها فكانت تنفق عليه منه ، فلما فرغ المال ملّها فقال أبو طالب :

لا تلمه إن مل من حبهـــا   فلم يكن ذلك عن ود
لما رءاها قد صفا مالها   قال صفا الوجدُ مع الوجد

ويروى أن الوزير ابن عطية رحمه الله مرّ مع الخليفة عبد المومن ببعض طرق مراكش، فأطلتْ جارية بارعة الجمال من شباك، فقال عبد المومن :

قدت فؤادي من الشباك إذ نظرت

فقال الوزير مجيزاً له :

حوراء ترنو إلى العشاق بالمقال

فقال عبد المومن :

كأنما لحظها فى قلب عاشقهــا

فقال الوزير :

سيف المؤيد عبد المومن بن علي

ولا خفاء أن هذه طبقة عالية رحم الله الجميع بمنه (1) .

129) **احمد بن عبد الجليل بن عبد الله يعرف بالتدميري** لأن أصله منها ونشأ بالمرية ، روى عن أبى علي الصدفي ، وأبي محمد ابن عطية ، ويوسف ابن يسعون، وأبي محمد الرهيري ، ومحمد بن عمر ، وأبي الوليد ابن الدباغ ، وكان عالماً بالعربية واللغات والآداب ، واستأدبه السلطان بمراكش لبنيه ، وله حظ من قرض الشعر وسكن بجاية وقتاً وألف بها لمحمد بن علي ابن حمدون وزير بنى الناصر الصنهاجيين كتاباً سماه (نظم القرطين ، وضم أشعار السقطين) جمع فيه أشعار (الكامل) للمبرد ، و (النوادر) لأبي علي البغدادي ، وله كتاب (التوطئة) فى العربية ، وله (شرح فى كتاب

1) ينظر عن احمد بن عطية ذكريات مشاهير المغرب ع 5 والغصون اليانعة ص 151 والمعجب ص 119 طبع سلا .

الفصيح) لثعلب ، وله أيضاً فى شرح أبيات الجمل للزجاجي كتاب مفيد كبير الحجم كثير الامتاع سماه (شفاء الصدور) ، وآخر اختصره منه سماه (المختزل) وفرغ من تأليف الأول سنة ثمان وثلاثين وخمسمئة ، وله أيضاً كتاب (الفوائد والفرائد) .

وتوفي بمدينة فاس مرجعه من المهدية وحضور فتحها سنة خمس وخمسين وخمسمئة .

ترجمه فى (التكملة ، لكتاب الصلة) ومنها كتبها صاحب (الجذوة) .

وقال ابن عبد الملك فى (الذيل والتكملة) (I)

أحمد بن عبد الجليل بن عبد الله ، مروي ، التدميري إذ كان أصله منها ، روى عن يوسف بن يبقى ابن يسعون وأبوي عبد الله : ابن أحمد موسى بن وضاح وابن عمر ابن سليمان الأنصاري ، وأبوي محمد : ابن الرُّهيري بفتح الراء وكسر الهاء بعدها ياء مسفولة آخره راء منسوباً ، وعبد الحق ابن عظيمة ، وأبى الوليد يوسف بن عبد العزيز ابن الدباغ ، وكان متقدماً فى صنعة الاعراب ، ضابطاً للغات ، حافظاً للآداب ، ذا حظ من قرض الشعر ، سكن بجاية مدة ، وألّف فيها لمحمد بن علي ابن حمدون وزير بني الناصر الصنهاجيين كتاباً سماه : (نظم القرطين ، وضمّ أشعار السقطين) : كامل الثمالي ، ونوادر القالي ، وقفت عليه بخطه ، وكان جيدَ الخط ، ومن تصانيفه (التوطئة) فى النحو ، و (شرح الفصيح) وقفت عليه ، وشرح (أبيات الجمل) بكتاب جم الافادة كثير الامتاع وسماه (شفاء الصدور) ، وفرغ من تأليفه سنة ثمان وثلاثين وخمسمئة ثم اختصره فى كتاب سماه : (المختزل) ، وله كتاب (الفوائد والفرائد) ، وشرح شواهد (نزهة القلوب فى غريب القرآن) لأبي بكر محمد بن عُزير بعين غفل وزاي مصغراً آخره على لفظ الواقع فى سورة

I) هذه الترجمة ليست فى الأصل المطبوع ؛ وانما استلحقها المؤلف بعد طبع الجزء الخامس بعد اطلاعه على الجزء الأول من الذيل والتكملة ؛ ولهذا الحقناها فى هذه الطبعة الجديدة .

التوبة (1) السجستاني وسماه : (تسديد قواصد الميز ، فى شرح شواهد ابن عزيز) وهذا تفقير مبني على أن عزيزاً بزايين وقد نبّه على ذلك فى صدر هذا الكتاب ، والصواب ما قدّمناه ، بيّنه الحافظ المقيّدُ المفيد الضابط أبو بكر محمد بن عبد الغني بن أبي بكر بن شجاع يعرف بابن نقطة البغدادي وذكره كذلك غيره ويمكن تصحيف زاي الفقرة الأولى الواقعة عنده براء عملا على الصحة فى هذا الاسم فتأمله .

ومن نظمه قوله في استيلاء الجهل على أهل مصره :

ألا ليت شعري هل أبيتنّ ليلـــة   أخاطب فيها صافي الذّهن ماجـدا
فيفهم عنّي ما أقول فطالمـــــا   عرفت من الأقــوام أبله جامـــــدا
كفى حزناً أني مقيـم ببلـــــدة   أعــد بها شخصاً من النّاس واحدا

ومنه قوله فى نحوه :

قيل اطّرحت فقلت القوم فى شغل   عنّي بأهوائهم والحق مطّـــــرح
للقوم شُربان من جهل ومن حمُق   صرفاً فمغتبق طوراً ومصطبـــح

واستأدبه عبد المؤمن بن علي لبنيه بمراكش ، وتوفي بفاس مقفله من المهدية وحضور فتحها سنة خمس وخمسين وخمسمئة (2) .

وقال فى (بغية الوعاة) ما نصه :

أحمد بن عبد الجليل بن عبد الله التدميري الأصل المروي ، قال ابن عبد الملك كان مقدماً فى صنعة الاعراب ، ضابطاً للغات حافظاً للآداب ، ذا حظ من قرض الشعر ، روى عن أبى الحجاج يبقى بن يسعون ، وابن وضاح ، وعبد الحق بن عطية ، وصنف التوطئة فى النحو ، وشرح الفصيح ، وشرح أبيات الجمل ، ومختصره ، وشرح شواهد الغريب للعزيزي ، وغير ذلك .

مات بفاس سنة خمس وخمسين وخمسمئة (3) .

---

1) فى قوله تعالى : وقالت اليهود عزير بن الله .

2) الذيل والتكملة 1 : 236 ع 307

3) ينظر عن أحمد بن عبد الجليل التدميرى التكملة 1 : 65 ومعجم اصحاب ابى على الصدفى ص 39 وجذوة الاقتباس ص 138 ع 183 زيادة على الذيل والتكملة .

130) **أحمد بن حسن بن سيـد الجراوي المالقي** ، من كبـار النحاة والأدباء بالأندلس ، درس النحو والأدب كثيراً ، وكان شاعراً كاتباً بليغاً . روى عن ابن الطراوة ، ومحمد بن سليمان بن أخت غانم ، وعنه أبو عبد الله ابن الفخار وغيره ، ونالته وحشة من القاضي أبى محمد الوحيدي لأمور تُقُولت عليه اضطرته إلى التحول من مالقة الى قرطبة ، ثم بعد أربعة أعوام استمال جانب الوحيدي حتى لان له وخاطبه بالعود إلى وطنه فرجع مكرماً إلى أن ولي القضاء أبو الحكم ابن حسون فاختص به ، ثم صار إلى مراكش فأدب بني عبد المومن ، فسما قدره وعظم صيته ، ومات بها بعد الستين وخمسمئة بيسير ، وليس هذا باللّصّ وان استويا فى الاسم والكنية والنسب ، فان هذا متقدم الوفاة ، نبه عليه ابن الأبار (1) وترجمه فى (بغية الوعاة) .

قلت سياتي أن ممن سمع من المترجم أبا القاسم عبد الرحيم ابـن الملجـوم .

وقال فى (النفح) ولا يلتفت إلى قول أحمد ابن سيد فيه يعني فى أبي الحسين بن فندلة :

الموت لا يبقى على مهجـة   لا أسداً يُبقـى ولا نعثـلـة
ولا شريفاً لبني هاشـم   ولا وضيعاً لبني فنـدلـة (2)

وكان ابن سيد مسلطاً على هذا البيت ، قال ابن سعيد وانما ينبح الكلب القمر انتهى .

وقد ترجم في (النفح) لأحمد ابن سيد الاشبيلي النحوي المبرز فى الشعر المشهور باللص فى ج 2 منه (3) .

---

1) **التكملة** 1 : 69 ع 182 .

2) البيتان لابن سيد اللص وليسا لابن سيد المترجم .

3) ينظر عن ابن سيد زيادة على التكملة ، المقتضب من كتاب تحفة القادم ص 44 والذيل والتكملة 1 : 92 ع 108 .

131) **أحمد بن عبد الرحمان بن محمد بن عبد الرحمان بن محمد بن الصقـر الأنصاري الخزرجي** من أهل غرناطة ، يعرف بابن الصقر ، كذا قال فيه أبو الربيع بن سالم أنه من غرناطة ، وقال غيره إنه ولد بالمرية ، وأصله من سرقسطة خرج منها والده عبد الرحمان وسكن بلنسية ثم انتقل إلـى المرية ، سمع من أبي الحسن ابن الباذش ، وأبي القاسم ابن الأبرش ، وأخذ عنهما العربية والآداب ، وعن جماعة سواهما ، وكان معروفاً بالفقه والأدب والمشاركة في قرض الشعر مع نباهة القدر وبراعة الخط ، وولي القضاء باشبيلية لوالي المغرب ، وكان ممن يحضر مجلسه مع أكابر الطلبة ، وتمشى له ذلك في مدة الوالي بعده .

قال في (التكملة ، لكتاب الصلة) : وأنشدني له بعض أصحابنا :

أرض العدو بظاهر متصنـــــــع ... إن كنت مضطراً إلى استرضائـه
كم من فتى ألقي بوجه باســـــم ... وجوانحي تنقد من بغضائـــــه

حدث عنه ابنه ، وأبو خالد بن رفاعة ، وتوفي بمراكش في جمادى الأولى سنة تسع وستين وخمسمئة ، ومولده بالمرية في شهر ربيع الأول سنة اثنتين وتسعين وأربعمئة انتهى .

وقال أيضاً :

لله إخوان تناءت دارهـــــــــم ... حفظوا الوداد على النوى أو خانوا
يهدي لنا طيب الثناء ودادهـــم ... كالند يهدي الطيب وهو دخـــان

وقال في حقه ابن عبد الملك في (الذيل والتكملة) (1)

أحمد بن عبد الرحمان بن محمد بن عبد الرحمان بن محمد ابن الصقر الأنصاري الخزرجي ، أصله من الثغر الأعلى من سرقسطة حيث منازل الأنصار

---

1) ترجمة ابن الصقر المنقولة من الذيل والتكملة ليست واردة في الأصل المطبـوع ؛ ولكن المؤلف نبه عليها بعد طبع الأجزاء الخمسة الأولى من الكتاب وعثوره على الجزء الأول من الذيل ولتكملة ؛ فلهذا نلحقها بهذه الطبعة احتراماً لارادته .

هنالك ، وانتقل جد أبيه عبد الرحمان بابنه محمد صغيراً منها لحدوث بعض الفتن بها إلى بلنسية ، فولد له بها ابنه عبد الرحمان أبو أحمد هذا ثم انتقل به أبوه إلى المرية فولد بها أحمد ، ونقله أبوه منها إلى سبتة ابن نحو سبعة أعوام وأقام فيها به مدة مديدة ، ثم تحول إلى مدينة فاس فاستقرَّ بها ، ثم استوطن أبو العباس أحمد مراكش بعد رحلته إلى الأندلس كما سيذكر بحول الله تعالى .

تلا برواية ورش أبي سعيد ـ ويقال أبو عمرو وأبو القاسم ـ عثمان بن سعيد المصري عن أبي عبد الرحمان ويقال : أبو رؤيم وأبو الحسن وأبو عبد الله ، نافع بن عبد الرحمان بن أبي نعيم مولى جعونة بن شعوب الليثي حليف حمزة بن عبد المطلب ، ويقال حليف العباس بن عبد المطلب ، ويقال حليف بني هاشم ، تلا بها على أبية وأكثر عنه وأجاز له ، وبها أيضاً على أبي عبد الله بن حسين الطليطلي المقرىء قال : هو أول من قرأت عليه ، وبقراءة نافع على الحسن بن عبد الله المروي وأبى عبد الله بن عبد الله ، وبقراءة أبي عمرو على أبي عبد الله بن أحمد ، وبالسبع على أبي العباس بن فيره بن مفضل اليحصبي ، وأبي القاسم عثمان بن ادريس ، وأخذ عنه جملة صالحة من مصنفات أبي عمرو الداني ، وتلا على أبي العباس بن عبد الله بن الغربال ولم يعين متلوه ، وكلهم بعد المروي طليطلي ، روى عن أبي إسحاق بن أبي الفضل ابن صواب وأبي بحر سفيان بن العاصي وآباء بكر : عبد الله بن طلحة اليابري ، وغالب بن عطية ، وابن أغلب وأكثر عنه ، وابن العربي ، ويحيى بن عبد الله التجيبي ، وأبوي جعفر : ابن الباذش وتدبَّج معه ، ومحمد بن حكم بن باق وأكثر عنه ، وأبوي الحجاج : ابن عبد العزيز بن عُدَيْس ، وابن موسى الكفيف ، وأبوي الحسن : عبد العزيز ابن شفيع وحضر إقراءه القرآن وسمع عليه جملة ، وعباد بن سرحان وأكثر عنه ، وابن محمد بن دري وحضر عنده ، وأبوي الربيع : ابن سبع ، وابن عبد الله ابن البيغي ، وآباء عبد الله : ابن أحمد بن وضاح ، وابن حسون ، وبني أعْبد الرحمان : ابن المحتسب وابن معمر النميري وأجاز هو له وابن عبد العزيز اليعمري وابن عمر الزبيدي وابن عيسى التميمي وابن يحيى الأزدي وأكثر عنه وآباء عامر : أحمد بن الفرج

وأبي ميمون بن ياسين اللمتوني وأبي عِمران بن أبي الربيع القشوبري وأبي الفضل عياض ولازمه ، وأبوي القاسم الخَلَفين : ابن بشكوال وابن يوسف بن الأبرش ، وآباء محمد : ابن أحمد الوحيدي بمالقة وابن علي سبط أبي عمر بن عبد البر بأغمات وريكة ، وعبد الحق ابن عطية بغرناطة ، وعبد المجيد ابن عبدون بمراكش ، أخذ عنهم قراءة وسماعاً ، وجالس أبا عبد الله بن أبى الربيع الونتي كثيراً وأجازوا له ، وسمع أبا عبد الله بن أحمد الجياني البغدادي وناوله ، ومالك بن وهيب ولازمه بمراكش ، وأبا القاسم محمد بن هشام بن أبى جمرة واختص به ولم يذكر أنهم أجازوا له ، ولقي أبا الأصبغ عبد العزيز بن عيسى بن عبادة الجياني ، وأبا الحسن بن محمد بن كوز قديماً وحضر مجلسه ، وأبا عبد الله بن داود العكي ، وأبا علي منصور بن الخير ، وأبوي محمد جابر بن المعتمد بن عباد ، وابن محمد النفزي المرسي وناوله ، وأبا الوليد هشام بن أحمد بن بقوي وأجازوا له ، وأجاز له أبو الحسن بن الباذش ولم يذكر لقياه إياه ، وله شيوخ غير هؤلاء لا أتحقق الآن كيفية تحمله عنهم ، منهم : أبو عبد الله بن الريوطي وأبو العباس بن عثمان ابن مكحول .

روى عنه ابنه أبو عبد الله ، وأبو خالد يزيد بن رفاعة ، وأبو محمد بن محمد بن علي بن وهب القضاعي ، وكان محدّثاً مكثراً ضابطاً مقرئاً مجوّداً حافظاً للفقه ذاكراً لمسائله عارفاً بأصوله ، متقدماً فى علم الكلام ، عاقداً للشروط ، بصيراً بعللها ، حاذقاً بالأحكام ، كاتباً بليغاً شاعراً محسناً آنق أهل عصره خطا وأجملهم فيه منزعاً ، وكتب من دواوين العلم ودفاتره ما لا يحصى كثرة وجودة وضبطاً ، وعني به أبوه فى صغره فأسمعه كثيراً من الشيوخ وشاركه فى بعضهم ، منهم أبو بحْر وآباء بكر : ابن طلحة وابن العربي ، وابن عطية ، وأبو الحجاج ابن عديس ، وأبو الحسن ابن شفيع ، وأبو الربيع ابن البيغي ، وآباء عبد الله : ابن المحتسب ، وابن عمرو ، وابن عيسى ، وابن يحيى ، وأبو العباس ابن مكحول ، وأبو محمد سبط ابن عبد البر ، وأبو الوليد بن بقوي المذكورون . عني هو بنفسه واشتدّ كَلَفُه بالعلم وحرصه عليه وتواضع فى التماسه شغفاً به فأخذه عن الكبير والصغير

والنظير من كل من قدّر عنده فائدة ، واستكثر من ذلك حتى اتسعت روايته وجلت معارفه ، وكتب عن القاضي أبي عبد الله بن حسون ابن البزاز أيام استقضائه المدة الأولى بمراكش سنة سبع وعشرين إلى أن صرف ، ولما خبره أبو القاسم بن أبي جمرة المذكور وتعرف ما عنده من العفاف والتصاون والادراك حظي لديه وقبض عليه بكلتا يديه واستصحبه إذ ولي قضاء غرناطة فانتقل إليها بجملته ، ونوه به أبو القاسم كثيراً واستخلصه ، وكانت له فيه آمال حال الموت بينه وبين توفيتها إياه ، ولما توفي أبو القاسم هذا واستقضى بغرناطة أبو الفضل عياض اشتمل عليه واستكتبه وآثره لصحبة قديمة كانت بينهما ومواتٌ متأكدة وقراءته عليه قبل ، إلى أن صرف عنها سنة أربع وثلاثين بأبي عبد الله بن علي الأزدي الجياني بن الحاج الأفطس ، فقدمه إلى الأحكام والصلاة بوادي آش فأقام بها إلى أن توفي أبو عبد الله سنة ست وثلاثين فعاد إلى غرناطة . وذكر ابن الزبير أنه استقضي بغرناطة فحمدت سيرته وشكر عدله وشهرت نزاهته ، ودام بها حتى ظُنَّ من أهلها .

قال المصنف عفا الله عنه : توليّه القضاء مستبداً طويلا لا أعرفه ، إنما كان مدة يسيرة كما سأذكره إن شاء الله ، ولعله كان بحكم النيابة أحياناً عن مُستكتبيه من القضاة أو بعدهم ، فان معظم أخباره لخصتها من رسمه في كتاب : (أنوار الأفكار ، فيمن حلّ جزيرة الأندلس من الزهاد والأبرار) ، وهو كتاب ابتدأ تأليفه أبو العباس هذا وتوفي دون إتمام غرضه منه ، فكمله وهذبه ونقحه ورتبه أبو عبد الله ابنه ومع ذلك فلم يذكر فيه استنابته في القضاء بغرناطة أصلا وإنما ذكر استقضاءه بها مدة لا تشعر بطول ، ولو كان الأمران أو أحدهما لما أغفله والله أعلم .

ولأول وصوله إلى مراكش عرفه أحد سراة لمتونة وتحقق ما عنده من الانقباض وحسن الهدي، وكان ذلك اللمتوني حينئذ عامل دكالة، فرغب منه أن ينقطع إلى صحبته ويخرج معه إلى عمالته ذلك العام وضمن له أن يعطيه ألف دينار ذهباً مرابطية فامتنع من ذلك وقال : والله لو أعطيتني ملء الدنيا على أن أخرج عن طريقتي وأفارق ديدني من خدمة أهل العلم ومداخلة الفقهاء والانخراط

فى سلكهم ما رضيت ، فعجِب اللمتوني من علو همته ورغب فى صحبته على ما أراده ، وكان من أماثل أهل طبقته وأعيان قومه وكبار رؤسائهم فصحبه على الطريقة المحمودة والسبيل المشكورة إلى أن فرق المـوت بينهما ، ووافق ذلك عود أبي عبد الله بن حسون إلى قضاء مراكش ثانية فاستدعاه إلى الكتابة عنه لثقته به ، ولما تحققه قبلُ من حاله فقدم عليه واستعمله إلـى أن صرف ، واستقر أبو العباس بمراكش متولي أحكامها والصلاة بمسجدها إلى أن اختلت أحوال اللمتونيين وآذنت أيامهم بالادبار ودولتهم بالانقراض ، فاستعفى عن الأحكام فأعفى ، ورُغِّب فى التزام خطة القضاء فامتنع ، وبقي على الامامة بالجامع إلى أن تغلب عبد المومن وحزبه على مراكش يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شوال أحد وأربعين وخمسمئة على الوجه المشهور واستبيحت دماء كل مَن اشتملت عليه من الذكور البالغين إلا مَن تستـر بالاختفاء فى سرب أو غرفة أو مخبأ وتمادى القتل فيهم ثلاثة أيام ثم نودي فى سككها بالعفو عمن أسأرته تلك الفتكة الشنعاء والبطشة الكبرى ، فظهر منهم عدد ليس بالكثير ، يقال إنهم نحو سبعين رجلا وبيعوا بيـع الأساري المشركين هم ونساؤهم وذراريهم وعفي عن بعضهم ، فكان أبو العباس هذا ممن شمله احترام عبد المومن وعرف جلالته وفضل عمله فألحقه بجملة طلبة العلم الملازمين حضور مجلسه وبالغ فى الاحسان إليه والتحفّي به وقدمـه إلى الأحكام لحضرته مراكش فأقام بها مدة ، ثم ولاه قضاء غرناطة ، ثم صرفه عنها إلى قضاء إشبيلية صحبة ابنه ولي عهده يوسف ، ولما صار الأمر إلى يوسف ألزمه خطة الخزانة العالية وكانت عندهم من الخطط الجليلة التي لا يعين لتوليها إلا عِلـْية أهل العلم وأكابرهم ، وكانت مواهب عبد المومن له جزيلة وأعطياته مترادفة وصلاته متوالية ، وربما وصله فى المرة الواحدة بخمسمئة دينار ونحوها فلا يبيت عنده منها شي ولا يقتني منها درهماً ولا يدخر منه قليلا ولا كثيراً لما نشأ عليه وألفه واعتاده مدة حياة أبيه من الزهد فى الدنيا والتخلي عنها ، إنما كان يصرف ما يصير إليه منها فى المحاويج من معارفه وأهله والضعفاء والمساكين من غيرهم ، واستمر له هذا الحال مع ابنه يوسف الوالي بعده لما تقرر لديه من سداد أحواله وتبين عنده من استقامة

أموره ، لم تختلف له حال ولا تبدلت لـه سيرة ولا اكتسب قط شيئاً مـن غرض الدنيا ولا وضع مدرة على أخرى ، مقتنعاً بالسير راضياً بالدون مـن العيش مع الهمة العلية والنفس الأبية ، على هذا قطـع عمره ، وهذا كـان دأبه إلى أن فارق الدنيا ، ولم تكن همته مصروفة إلا إلى العلم وأسبابه ، فاقتنى من الكتب جملة وافرة سوي ما نسخ بخطه الرائق كما تقدم ، وامتُحن فيها مرات بضروب من الجوائح كالغرق والنهب بغرناطة ، فقد كان استصحب إليها من مراكش خمسة أحمال ، ولما فصل عنها تركها مع ما صار له منها مدة مقامه بها ، فأتي عليه النهب في الكائنة على أهل غرناطة عند قيامهم على لمتونة وتحصن لمتونة بقصبتها وما دار بينهم من القتال إلى أن تغلب أهـل القصبة على أهل البلد وتمكنوا من البلد تمكن عنوة ، واستباحوه استباحة قهر ،وفر معظم الناس عن منازلهم ، فكان ممَّن فر عن منزله عيال أحمد هذا وبعض ولده الذين تركهم بها حين توجه إلى مراكش ، فنهب ما كان بداره من كتب وغيرها ، وكذلك طرأ له بمراكش حين دخلها عبد المومن وطائفته ، فقد كان جمع منها بمراكش عظيماً وأخبر أنه كان في حين حصار مراكش ـ والحال بها ضيق والسعر شديد ـ أنه كان يخرج بالدرهم ليشتري به قوتاً لنفسه ولعياله فربما صادف في طريقه كتاباً بيد إنسان فيشتريه منه بذلك الدرهم ويرجع دون قوت ويبقى هو وعياله طاوياً إلى أن ييسر الله في غيره ، وكان مع تقدمه وتبريزه في المعارف بكيء اللسان قصير باع الكلام ، لا يكاد يؤلف بين كلمتيْن لفرط حياء كان قد غلب عليه حتى ملكه ، فاذا خلا بنفسه لانشاء أو تصنيف أو فاوض مَن عادتُه التبسط معه والتأنُس به تفجرت منه بحور علم لا يكدرها الدلاء .

وله تصانيف مفيدة تدل على إدراكه ، وجودة تحصيله وإشرافه على فنون من المعارف كشرحه (الشهاب) فانه أبدع فيه ماشاء ، ومن شعره في الطريقة الزهدية التي لا ينفذ فيها من الشعر إلا من قويت عارضته وتوفرت مادته ، وعـُلمت في الاجادة رتبتـُه ، قوله :

إلاهي لك الملكُ العظيمُ حقيقـة   وما للورى مهما منعت نقيـــــر

تجافى بنو الدنيا مكاني فسرنـي وما قدر مخلوق جداه حقيـر
وقالوا فقير وهو عندي جلالـة نعم صدقوا إني إليك فقيـر

وقوله :

أرض العدو بظاهر متصنـع إن كنت مضطراً الى إرضائـه
كم من فتى ألقى بثغر باسـم وجوانحي تنقد من بغضائـه

وقوله في وداع القبر المكرم قبر النبي صلى الله عليه وسلم :

حسبُ المحب من الحبيب سـلام يقضى به يوم الوداع ذمـام
رحنا وروع البين يخرس نُطقنـا ومن الدّموع إشارة وكـلام
ياأرضَ يثرب لا عداك غمـام أنت المنى لو تُسعف الأيـام
للقلب في تلك العراص عرامـة مضمونها كلفٌ بها وغـرام
قبر تضمَّن أعظماً تعظيمُهـا عنه يصحُّ الدين والاسـلام
ورَدتْ بها نفسُ المشوق مناهلا كلُّ المناهل بعدهن حـرام

وشعره في هذه المناحي كثير ، وكله سلس المقـادة دالٌّ على جودة الطبـع .

ولد بالمرية كما تقدم في أحد شهري ربيـع سنة اثنتين وتسعيـن وأربعمئة ، وتوفي بمراكش بين صلاتي الظهر والعصر من يوم الأحد لثمان خلون من جمادى الأولى سنة تسع وستين وخمسمئة ، ودفن يوم الاثنين بعده عقب صلاة الظهر ، وصلى عليه القاضي حجاج بن يوسف ، وكانت جنازتـه عظيمة الحفل كثيرة الجمع برز لها الرجال والنساء ورفعوا نعشه على الأيدي رحمه الله ، وبلغ نبأ وفاته جاره وصديقه أبا بكـر ابن طفيل وهو باشبيليـة صحبة ركاب يوسف بن عبد المومن فكتب إلى ابنيه يعزيهما به وبعث مـع الكتاب قصيدة رثاه بها وهي :

لأمر ما تغيرت الدهـور وأظلمت الكواكب والبـدور
وطال على نجي الهم ليـل كأن النجم فيه لا يغـور

لنبأة صارخ وطروق خطـــب ... تكاد له الجوانح تستطيـــر
مجيري بل كبيري كـان أودى ... وما يبقى الصغير ولا الكبيـــر
فبان لوجده أسف وحـــزن ... وبان لفقده كرم وخيـــر
وضنّ الدهر أن يأتي بمثـــل ... له والدهر ولاّد حصـــور
وأنّى للزمان به سمـــاح ... وأمُّ الدهر مِقلاة نَـــزور
أبا العباس جادتك الغـــوادي ... ولاقتْك الكرامة والحبـــور
لقد فقد الأيامي واليتامـــى ... مكانك والمحافلُ والصـــدور
وعُطلت المدارس من مُفيـــض ... علومَ الوحي ليس له نظيـــر
تمثل قائل فأجاد فيـــه ... وقد يتقدم المعنى الأخيـــر :
(لعمرك ما الرزية فقْد مـــالُ ... ولاشاةٌ تموت ولا بعيـــر
ولكن الرزية فقْد قـــرم ... يموت بموته بشر كثيـــر)
حبيب بان لا خبرٌ يوافِـــي ... بفيئته ولا يأتي بشيـــر
إذا قفل الرفاق صددت عنهـــم ... لعلمي أنه فُقد الخبيـــر
وان أهدى السلام أخو اشتيـــاق ... إلى العَرَصات شاقتْنى القبـــور
فلا برحت قبور الغرب يهـــدى ... إليها الري والعذب النميـــر
ولازَبها مع الريحـــان روح ... ورُحمى ما تطاولت العصـــور

ولم يتخلف رحمه الله ديناراً ولا درهماً ولا عبداً ولا أمة ولا عقـاراً ولا ثياباً إلا أشياء لا قدر لقيمتها لما كان عليه من المواساة والصدقة والايثار نفعه الله (1) .

وقال في (الاحاطة) بعد ذكر اسمه وآبائه إلى الخزرجي ما نصه :

يكنى أبا العباس من الثغر الأعلا .

أوليته :

من سرقسطة حيث منازل الأنصار هناك ، انتقل جد أبيه عبد الرحمان بابنه الصقر منها لحدوث بعض الفتن بها إلى بلنسية ، فولد له ابنه عبد الرحمان أبو أبي العباس هذا ، ثم انتقل به أبوه إلى ألمرية فولد له أبو العباس بها ونقله أبوه إلى سبتة فأقام بها مدة .

1) **الذيل والتكملة** 1 : 223 ع 292 .

حـالـه :

كان محدثاً مكثراً مجوداً ، حافظاً للفقه ، ذاكراً للمسائل ، عارفـاً بأصوله ، متقدماً فى علم الكلام ، عاقداً للشروط ، بصيراً بعللها ، حاذقـاً بالأحكام ، كاتباً بليغاً ، شاعراً محسناً ، أتقن أهل عصره خطاً وأجلهم منزعا ، ما اكتسب قط شيئاً من متاع الدنيا ولا تلبس بها ، مقتنعاً باليسير راضياً بالدون ، مع الهمة العالية والنفس الأبية ، على هذا قطع عمره ، وكتب من دواوين العلم ودفاتره ما لا يُحصَى كثرة مع شدة ضبط وحسن خط ، وعني به أبوه فى صغره فأسمعه كثيراً من الشيوخ ، وشاركه فى بعضهم نفعه الله .

نباهته :

استدعاه أبو عبد الله بن حسون قاضي مراكش إلى كتابته إلى أن صُرف واستقر هو فتولى حكمها وأحكامها والصلاة فى مسجدها ، ثم ترك الأحكام واستقرَّ في الامامة ، ولما تصيَّر الأمر للموحدين ألحقه عبد المومن بجملة طلبة العلم وتحفَّى به وقدمه الى الأحكام بحضرة مراكش فقام بهـا مدة ، ثم ولاه قضاء غرناطة ثم نقله إلى إشبيلية قاضياً بها مع وليِّ عهده ، ولما صار الأمر إلى (ابنه) يوسف ألزمه خدمة الخزانة العلمية وكانـت عندهم من الخطط التى لا يُعيَّن لها إلا الأكابر من أهل العلم وعليتهم ، وكانت مواهب بني عبد المومن له جزيلة ، وأعطياتهم مترادفة كثيرة .

مشيخته :

قرأ القرءان على أبيه وأكثر عنه وأجازله ، وعلى أبي الحسن التطلي قال وهو أول من قرأت عليه .

من روى عنه :

روى عنه أبـو عبد الله وأبو خالد يزيد بـن يزيد بن رفاعة ، وأبـو محمد بن علي بن وهب القضاعي .

دخوله غرناطة :

صحبة القاضي أبي القاسم بن حمزة ونوه به واستخلفه إذْ وليها وقبض عليها بكلتا يديه ، ثم استقضي بها أبو الفضل عياض بن موسى فاستمسك به واشتمل عليه لصحبة كانت بينهما إلى أن انصرف عنها أبو الفضل عياض ، فانتقل إلى وادي آش فتولى أحكامها والصلاة بها ، ثم عاد إلى غرناطة سنة ست وثلاثين وخمسمئة إلى أن استقضي بغرناطة في دولة بن عبد المومن بن علي فحمدت سيرته وشكر عدله وظهرت نزاهته ، ودام بها حتى ظن من أهلها .

شعره :

وشعره في طريقة الزهد لا ينفذ فيه إلا من قويت عارضته ، وتوفرت مادته :

إلاهي لك الملك العظيم حقيقة	وما للورى مهما منعت نقير
تجافى بنو الدنيا مكاني فسرني	وما قدر مخلوق جزاه حقير
وقالوا فقير وهو عندي جلالة	نعم صدقوا إني إليك فقير

وشعره في هذا المعنى كثير ، وكله سلس القياد دال على جودة الطبع .

تصانيفه :

له تصانيف مفيدة تدل على إدراكه وإشرافه كشرحه للشهاب فانه أبدع فيه ، وكتاب ، (أنوار الأفكار ، فيمن دخل جزيرة الأندلس من الزهاد والأبرار) ابتدأ تأليفه وتوفي دون إتمام غَرضِه فيه ، فكمَّله عبد الله ابنه .

محنته :

كان ممَّن وقعت عليه المحنة العظمى بمراكش يوم دخول الموحدين إياها يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شوال عام أحد وأربعين وخمسمئة على الوجه المشهور في استباحة دماء كل من اشتملت عليه من الذكور البالغين إلا من تستر بالاختفاء في سرب أو غرفة أو مخبأة ، وتمادى القتل فيها ثلاثة أيام ثم نودي بالعفو عمن اسأرتْه الفتكةُ الكبرى ، فظهر من جميع

الخلق بها ما يناهز السبعين رجلا بيعوا بيع أسارى المشركين وذراريهم ، ثم عُفي عنهم ، فكان أبو العباس ممن تخطته المنية ، واستنقذه من الرق العفو ، وحسبك بها محنة ، وضاعت له في ذلك وفي غيره كتب كثيرة بخطه وبغير خطه مما تجل عن القيمة .

مولده :

بالمرية في أواخر شهر ربيع سنة اثنتين وخمسمئة (1) .

وفاته :

توفي بمراكش بين صلاة الظهر والعصر في يوم الأحد لثمان خلون من جمادى الأولى سنة تسع وخمسين (2) وخمسمئة ، ودفن يوم الاثنين بعده عقب صلاة الظهر ، وصلى عليه القاضي أبو يوسف حجاج ، وكانت جنازته عظيمة المحفل كثيرة المجمع برز إليها الرجال والنساء ، ورفعوا نعشه على الأيدي رحمه الله .

ومما رثاه به جاره وصديقه أبو بكر ابن الطفيل وهو باشبيلية قصيدة بعث بها إلى ابنه مع كتاب في غَرَض العزاء :

لأمر مَّا تغيرت الدهور ... وأظلمت الكواكبُ والبدور
وطال على العيون الليل حتى ... كأن النجم فيه لا يغور

انتهى كلام (الاحاطة) (3) .

وقوله مولده سنة اثنين وخمسمئة تقدم عن (التكملة) أنه سنة اثنتين وتسعين وأربعمئة ، وقوله في وفاته سنة تسع وخمسين الخ . تقدم عن (التكملة) سنة تسع وستين الخ . فقد نقص له من عمره في (الاحاطة) عشر سنين والله أعلم بغيبه .

وقال في (الديباج) بعد ذكره :

1) كذا والصواب أن مولده كان عام 492 هـ .

2) كذا ؛ والصواب سنة 569 هـ .

3) الاحاطة 1 : 182 .

أصله من الثغر الأعلى من سرقسطة ، ثم تحول الى سبتة ثم الى فاس وأقام بها ثم استوطن مراكش بعد رحلته إلى الأندلس ، قرأ بالسبع على أبى العباس بن فيره بن مفضل اليحصبي ، وقرأ على غيره من مشايخ القرى ، روى عن أبى إسحاق بن أبى الفضل اليحصبي ابن صواب ، وسفيان ابن العاصي ، وغالب بن عطية ، وابن أغلب وأكثر عنه ، وابن العربي ، ويحيى بن عبد الله التجيبى ، وأبى جعفر بن الباذش وتدبج معه ، وأبى عبد الله بن أحمد بن وضاح ، وابن عمر الزبيدي ، وأبي الفضل عياض ولازمه ، وخلف ابن بشكوال، وأبي علي سبط أبي عمر بن عبد البر، وعبد الحق ابن عطية بغرناطة، وشيوخه كثيرون ، روى عنه ابنه أبو عبد الله ، وأبو محمد بن محمد بن علي بن وهب القضاعي ، وغيرهما ، ثم قال واشتد كلفه بالعلم وحرصه عليه وتواضع فى التماسه شغفاً به ، فأخذه عن الكبير والصغير والنظير ، واستكثر من ذلك حتى اتسعت روايته وجلت معارفه ، ثم قال وفى رحلته إلى مراكش عرفه أحد سراة لمتونة ، وكان اللمتوني حينئذ عامل دكالة ، فرغب منه أن ينقطع إلى صحبته ويخرج معه إلى عمالته ذلك العام ، وضمن له أن يعطيه ألف دينار ذهباً مرابطية ، فامتنع من ذلك وقال والله لو أعطيتنى ملء الأرض على أن أخرج عن طريقتى وأفارق دينى من خدمة أهل العلم ومداخلة الفقهاء والانخراط فى سلكهم ما رضيت ، فعجب اللمتوني من علو همته ، ورغب فى صحبته على ما أراده ، ثم قال وربما وصله عبد المومن فى المرة الواحدة بخمسمئة دينار فلا يبيت عنده منها شيء ، ولا يقتني منها درهماً ، بل يصرفه فى المحاويج من معارفه وأهله والضعفاء والمساكين من غيرهم ، ما اكتسب شيئاً قط من عرض الدنيا ولا وضع مدرة على أخرى ، مقتنعاً باليسير ، راضياً بالـدون من العيش ، مع الهمة العلية ، والنفس الأبية ، على هذا قطع عمره إلى أن فارق الدنيا، ولم تكن همته مصروفة إلا للعلم، ثم قال:كان معه عند توجهه إلى مراكش خمسة أحمال كتب ، وجمع منها بمراكش شيئاً عظيماً ، وله تصانيف مفيدة تدل على إدراكه وجودة تحصيله واشرافه على فنون من المعارف ، كشرحه الشهاب فانه أبدع فيه ما شاء ، ثم ذكر ولادته ووفاته كما تقدم عن التكملة ، ثم قال ولم يخلف رحمه الله ديناراً ولا درهماً ولا عبداً ولا أمة ولا عقاراً ولا

نياباً إلا أشياء لا قدر لقيمتها لما كان عليه من المواساة والصدقة والايثار رحمه الله تعالى (1) .

وقد حذفت منه ما تقدم فقط إلا ما لابد منه .

132) أحمد بن علي الطرطوشي

قال ابن عبد الملك :

كان متكلماً ماهراً حياً بمراكش سنة إحدى وعشرين وخمسمئة (2) .

133) أحمد بن عبد الرحمان الوقشي الكناني

قال ابن عبد الملك :

أحمد بن عبد الرحمن بن أبى أحمد الكناني : بلنسي سكن مالقة وتردد إليها كثيراً ، أبو جعفر الوقشي .

روى عنه ابنه علي ، وعبد الله بن محمد ابن قرشي ، وكان من بيت جلالة وحسب شهيراً سري الهمَّة أديباً بارعاً فاضلا شاعراً مطبوعاً كاتباً بليغاً ، كتب بجيان عن أبى اسحاق ابن همشك ، ولما توفي ابن همشك قصد إلى مراكش ومدح بها الأمير يوسف بن عبد المؤمن بقصيدة فريدة أطال فيها وتعرض لذكر الأندلس ووصف حالها ، وذلك فى رمضان أربع وستين وخمسمئة ، مطلعها :

أبت غيرَ ماءٍ بالنخيل وُرودا ... وهامت به عذب الجمام مرودا
وقالت لحاديها أثمَّ زيادة ... على العشْرِ فى وِردي له فأزيدا
عدمتك ما هذا القنوع وها أنا ... عهدتكِ لاتثْنين عنه وريدا
أنوناً إذا ما كنت منه قريبة ... وضبّاً إذا ما كان عنك بعيدا

1) الديباج المذهب ص 48 .

2) الذيل والتكملة 1 : 346 ع 440 والترجمة المذكورة مما استلحقه المؤلف بعد عثوره على الجزء الأول من الذيل والتكملة .

رِدِيِ حضرة المَلْك الظليل رِواقه ‏ ففيها لعمري تَحمديـــــن وُرودا
بحيث إمامُ الدين يوسع فضلــــه ‏ جميع البرايا مبديا ومعيـــــــدا
أعاد إلينا الأنس بعد شـــــروده ‏ وأحيا لنا ما كان منه أُبيـــــدا
وليّن أيام الزمان بِعدلـــــــــه ‏ وكانت حديداً فى الخطوب حـديداً
فلا ليلة إلاّ تروقك سحــــــرة ‏ ولا يوم إلاّ عاد يفْضُل عيــــدا

ومنها يصف حال الأندلس ويبعث على الجهاد :

ألا ليتَ شعري هل يُمَدُّ لى المدى ‏ فأُبصر حفل المشركين طريـــــدا
وهل بعدُ يُقضى فى النصارى بنصرة ‏ تغادرهم للمرهفات حصيــــــدا
ويغزو أبو يعقوب فى شنت ياقبٍ ‏ يعيد عميد الكافرين عميـــــــدا
ويلقي على إفرنجهم عبء كلكـــل ‏ فيتركهم فوق الصعيد هجـــودا
يغادرهم جرحاً وقتلا مبرّحــــا ‏ ركوعا على وجه الفلا وسجـــودا
ويفتكُّ من أيدي الطغاة نواعمــاً ‏ تبدلن من نظم الحجول قيـــودا
وأقبلن فى خشن المسوح وطالما ‏ سحبْن من الوشي الرقيقِ برودا
وعفّر منهن التراب ترائبـــــــاً ‏ وخدّد منهنّ الهجير خـــدودا
فحق لدمعي أن يفيـــض لأزرق ‏ تملّك دعجاء المدامع ســـودا
ويا لهف نفسي من معاصم طفلـة ‏ تجاور بالقيد الأليم نهـــــودا
ويا أسفا ما إن يزال مـــرددا ‏ على شمل أعمار أُعيدَ بديـــدا
وآهاً أمدُّ الصوت منتحباً علـــى ‏ خلو ديار لو يكون مفيـــــدا
لعل أمير المؤمنين يُعيدهــــــا ‏ إلى أفضل من حالها فتعـــودا

وآخرها :

حملت إليه من نظامي قِـــــلادة ‏ يُلقبها أهلُ الكلام قصيـــدا
غدت يوم إنشاد القريض وحيــدة ‏ كما قصدتْ فى المعلوات وحيـدا

وقد مرت (١) من نظمه الأبيات فى وصف المصحف الأعظم مصحف عثمان بن عفان فى رسم أبى المطرف أحمد بن عبد الله ابن عميرة .

---

١) كذا بالأصل ؛ وستاتى القصيدة قريباً في ترجمة ابن عميرة التي استلحقها المؤلف من الذيل والتكملة .

ودخلت على يوسف المذكور زرافة فعدلت إلى ناحيته فاستدعى لها بطيخاً وأطعمها إياه بيده فارتجل في ذلك :

حشرتْ إليكَ غرائبُ الحيـــوان | مجنوبة من نازح البلـــــدان
وأجلها يدعونها بزرافـــــــة | صدقوا لقد جاءت عن الوحـــدان
لبستْ من الصفر الأنيق مــلاءة | مرقومة الجنبات بالعِقيـــان
وكأنما قد قُسّمت في خلقهـــا | فأتتكَ بين الخيل والبُعـــران
وكأن قرنيها إذا مثلت لنـــا | قلمان قُلم منهما الطرفـــان
طالت قوائمها وطال تَليلهـــا | حتى لقد أوفى على الجــدران
وتفاوتت في سمكها فوراءهـــا | ثلث لها ، وأمامها ثلثـــان
سجدت إليك كرامة فبوجههـــا | حجم أطاف بجرمه العينـــان
لم لا وقد أدنيتها حتى لقـــد | سمحت لها بالقوت منك يـــدان
عجباً لها كيف اهتدت حتى اغتدت | ما بيننا من جملة الضيفـــان
يا أيها الحيوان جاهك نافـــق | عند الامام خليفة الرحمـــان
والنوع أفضل رتبة فابشر بمـــا | يحوي لديه عاقل الحيـــوان

واستوهب منه نسخة من الموطأ مما قرىء بين يديه فقال :

أيا سيد الأملاك والناس كلهـــم | ولست بمستبق على الأرض ماشيا
تعبدتني نعمي فمن لي بشكرهـا | ولو أنني صغت النجوم قوافيـــا
وتتميمها عندي موطأ مالـــك | أسير به عن حضرة الملك راويـــا
واسنده عنكم لخير خليفـــة | غدا ثاني المهدي للخلق هاديـــا
أقدمه ذخراً ليوم معادنـــــا | وألبسه فخراً على الدهر باقيـــا

ومن نظمه في كتمان السر :

ومستودع عندي حديثاً يخاف من | إذاعته في الناس أن ينفد العمــر
فقلت له : لا تخش مني فضيحـة | لسر غدا ميتا ، وصدري له قبــر
على أن ما في القبر يرجي نشوره | وسرك لا يُرجى له أبدا نشـــر

وكانت بينه وبين أبي الحسين ابن جبير صهره على ابنته أم المجد عاتكة وأبيه أبي جعفر ابن جبير مخاطبات نثراً ونظماً ومراجعات .

توفي بمالقة يوم الثلاثاء عقب محرم أربع وسبعين وخمسمئة ، وكان الحفل فى جنازته عظيماً شهدها الخاص والعام وحضرها والصلاة عليه والي مالقة حينئذ الأمير أبو محمد بن الأمير أبي حفص بن عبد المؤمن بن علي ، ودفن بمقبرة باب فنتناله خارج باب الكحل بسفح جبل فاره ، قال ابنه علي : لما وصل إلى مالقة يريد حضرة مراكش خرج متفرداً فوقف بموضع قبره وقال هذا موضع ما أظن ببلاد الأندلس آنق منه ، وودت لو دفنت به ، فلما قفل من حضرة مراكش لم يلبث بها إلا يومين وتوفي هو وابنه يوسف ودفنا بذلك الموضع ، وصلى عليهما الخطيب أبو كامل (1) .

134) أحمد بن يوسف الوراق القيسي

أحمد بن يوسف بن عبد العزيز بن محمد بن رشد بن عبد الله بن محمد القيسي الوراق من أهل قرطبة يكنى أبا القاسم .

روى عن أبيه وشاركه فى أكثر شيوخه ، وعن ابن عتاب ، وابن رشد ، وأبي بحر الأسدي ، وابن طريف ، وأبي عامر بن اسماعيل ، وأبي محمد اللخمي ، وابن غشيان ، وأبى الفضل بن عياض سمع منه ، وأجاز له سائرهم ، وحدث عن السلفي باجازته لمن بقرطبة من الطلبة فى حياته بسؤال عبد الملك المرجوني ، وأخذ عنه ابن بقى وابن حوط الله وأبو الحسن ابن قطرال وغيرهم ، وكان أصم .

ولد فى صفر سنة ثلاث عشرة وخمسمئة ، وتوفي بمراكش يوم منى ودفن يوم عرفة بعد صلاة الجمعة سنة اثنتين وثمانين وخمسمئة .

ترجمه فى (التكملة) (2) .

---

1) الذيل والتكملة 1 : 197 ع 270 ؛ وتنظر ترجمته أيضاً فى الحلة السيرا 2 : 257 ونفح الطيب 2 : 271 والترجمة المذكورة مما استلحقه المؤلف بالاعلام بعد عثوره على الجزء الأول من الذيل والتكملة .

2) التكملة 1 : 84 ع 222 طبع القاهرة 1955 .

135) أحمد بن علي ابن مرطير

قال ابن عبد الملك

أحمد بن علي بن مرطير (I)، بلنسي ، قدم مراكش في جمادى الآخرة سنة ثلاث وثمانين وخمسمئة واستوطنها وكان طبيباً ماهراً بارعاً في التعاليم حسن القيام عليها .

انتهى من الذيل والتكملة (2) .

136) أحمد بن عبد العزيز أبي طَوْرينة الأنصاري

قال ابن عبد الملك

أحمد بن عبد العزيز بن خلف الأنصاري : بلنسي ، أبو العباس أبي طورينة بطاء مهملة مفتوحة وواو ساكنة وراء مكسورة وياء مدّ ونون مفتوحة وهاء سكت .

روى عن أبي بكر ابن العربي ، وأبي الحسن بن ابراهيم ابن معدان ، وأبي علي منصور ابن الخير ، وأبي عمر ميمون ابن ياسين ، وأبي عمران بن عبد الرحمان ابن أبي تليد ولقيه بمراكش .

روى عنه أبو الحسن بن موسى ابن النقرات .

وكان محدثاً مكثراً عدلا ثقة فيما يرويه .

انتهى من الذيل والتكملة (3) .

I) في بعض النسخ مرطى .

2) **الذيل والتكملة** I : 341 ع 427 وهذه الترجمة استلحقها المؤلف بالكتاب بعد عثوره على الجزء الأول من **الذيل والتكملة** .

2) **الذيل والتكملة** I : 242 ع 316 وهذه الترجمة غير مطبوعة بالأصل ؛ بل هي مما ألحق بالكتاب بعد العثور على الجزء الأول من الذيل والتكملة .

137) أحمد بن محمد ابن بيرة الأنصاري

قال ابن عبد الملك

أحمد بن محمد بن علي بن أحمد بن بيرة الأنصاري الخزرجي ، وبيرة بكسر الباء بواحدة وياء وراء مفتوحة وهاء بسكت ، كذا وقفت عليه في خطه ، وبعضهم يقول فيه بَيْرة بفتح الباء بواحدة واسكان الياء ، والمُعَول على الأول .

أخذ بمراكش عن أبي الحسن بن محمد ابن الحصار ، وأبي زكريا بن حسان المرجيقي ، وأبوي محمد : ابن سليمان ابن حوط الله ، وابن . . . . ابن حموية في آخرين .

وكان من أهل العناية التامة بهذا الشأن حافظاً للآداب والتواريخ ، ذاكراً للرجال ، وله تاريخ حفيل في التعريف بمن قدم مراكش من العلماء وقفت على معلقات منه بخط أبي العباس بن علي بن هارون .

انتهى من الذيل والتكملة (1) .

138) **أحمد بن عبد الرحمان الصنهاجي الجباب** ، من أهل بلد أزمور وبه نشأ ، ثم نزل بالجانب الشرقي من مراكش ، ومات به عام اثنين وتسعين وخمسمئة ، كان من أهل المعرفة بعلوم الاعتقادات ، وكان كبير الشأن .

قال في (التشوف) سمعت أبا علي عمر بن عبد الله الصنهاجي يقول: كنت أخرج مع أحمد الجباب من مراكش قرب الزوال فيصلي الظهر بمسجد عقبة (2) الذي بعدوة وادي نفيس وحدثني محمد ابن خالص قال : سمعت محمد بن يعقوب يقول ، قعدت مع أحمد الجباب فوق السطح في ليلة مرجوة

---

1) **الذيل والتكملة** 1 : 167، ع 700 وهذه الترجمة مما الحق بالكتاب بعد العثور على الجزء الأول من **الذيل والتكملة** .

2) هو المعروف برباط سيدي شاكر وقد زعم البكري ان هناك كانت مدينة نفيس التي اندثرت ورد عليه العبدري بان ذلك لم يكن ولا وجود لها كما ياتي في ترجمته في المحمدين وقد جرى ذكرها في صحيفة 101 من هذا الجزء وقد تكلم على رباط شاكر الحافظ السيد عبد الحي

الخير والفضل ، فكان يدعو إلى أن غاب ، فرأيت العرق يتصبب من جسده ، فكنت أمسح عنه العرق بقميصي حتى ابتل كله وعصرته كما يعصر الثوب المغسول بالماء فأقام ساعة على ذلك الحال ثم سري عنه .

نظر الغرام إليه من نظراتـــــه   فلمن يلوم وداؤه من ذاتـــــه
لم يدر ما لاقى ولو وصفوا لـــه   ما ذا يلاقى مات عند صفاتـــه

سمعت محمد ابن خالص الأنصاري يقول ، سمعت أحمـد الجباب يقول كنت فى موضع مشرف على بحر أزمور ، فلم أزل انحدر منه إلى جهة البحر حتى حصلت فى حفرة فى الحجر المشرف على البحر ، فرأيت ماء البحر قريباً مني ، فنظرت إلى المكان الذى كنت عليه فاذا هو فوقي ، فنظرت فى الرجوع إليه فاذا ذلك بعيد صعب فأيقنت بالهلاك ، فغلبت علي حالة غبت فيها عن نفسي ، فلم أرجع إلى نفسي إلا وأنا فى الموضع المشرف الذى كنت فيه أولا ، ولا أدرى كيف وصلت إليه ولا كيف كان ذلك ، وعجبت مـن حالي غاية العجب .

قال وسمعت أحمد الجباب يقول أتت علي أوقات" أعتقد فيهـا أن الواجبات إنما تعينت عليّ وحدي ، وهي أحسن الأوقات عندي ، وكنتُ إذا أشكل عليّ أمر يفتح علي فى تيسير كتاب أنظر فيه فأجد فيه بيان ما أشكل عليّ وكنت أخيط الجبة بخمسة دراهم فأجيد خياطتها حتى تقوم بعشرة دراهم فأرضى بما ينالني من الغبن مع التحري مني ، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم فى النوم فعلمني كيف أخيط ، وأراني قدر ما يكون بين الغرزتين ، فكنت أخيط بعد ذلك على ذلك المثال (I) .

الكتاني بما فيه غنية ؛ وراجع ذلك فى عدد ربيع وجمادى عام 1355 السنة الخامسة من (مجلة المغرب) ؛ وقد زرت رباط شاكر عن طريق الشماعية ثم رجعت منه على الطريق المزوضية وهى أقرب من الشماعية ؛ وراجع ما سيأتى فى ترجمة الكبير المراكشى وعقبة (مؤلف) .

I) **التشوف** ص 311 ع 159 طبع الرباط .

وانظر ترجمة أبى العباس الجباب فى ص 233 ع 86 من الجزء الأول من هذه الطبعة ؛ فما أظنهما الا رجلا واحداً .

139) أحمد ابن الصيقل الأنصاري اللورقي

قال ابن عبد الملك :

أحمد بن سلمة بن أحمد بن يوسف بن سلمة الأنصاري ، لورقي ، نشأ ببلنسية ثم نزل تلمسين ، يكنى أبا العباس وأبا جعفر ، والأولى أشهر ، ابن الصيّقل ، وقال فيه أبو جعفر ابن الزبير : أحمد بن محمد بن سلمة الأنصاري فغلط في اسم أبيه واختصر نسبه كما ترى ، روى عن أبوي إسحاق : ابن خلف ابن فرقد ، وابن يوسف ابن قرقول ، وآباء بكر : ابن (...) ابن أزهر ، وابن خير ، وابن عبد الله ابن الجد ، وأبي عبد الله ابن إبراهيم ابن الفخار ، وآباء القاسم : خلف ابن بشكوال ، وابن عبد الله السهيلي ، وابن محمد ابن حبيش ، وأبي محمد بن محمد الحجري ، وأبي الوليد يوسف بن عبد العزيز ابن الدبّاغ ، روى عنه أبو إسحاق ابن علي بن أبي خزن ، وآباء عبد الله : ابنه ، وابن عبد الله ابن الصفار ، وابن قاسم والنقاش ، وأبو جعفر بن محمد ابن الطيسان ، وأبو الحسن ابن محمد ابن القطان ، وأبو زكرياء ابن أبي يحيى أبو بكر ابن عصفور بن عبد الله العبدري التلمسيني ، وأبو عيسى محمد بن محمد ابن أبي السداد ، وأبو القاسم بن محمد ابن الطيسان ، وكان محدّثاً حافظاً كامل العناية بالحديث ومن أهل المعرفة به ، ضابطاً متقناً وافر الحظ من علم العربية درسها بتلمسين ، واستدعاه يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي إلى حضرته مراكش ليسمع بها عليه الحديث فقدمها وأسمع بها ، ثم عاد إلى تلمسين في ذى قعدة سنة خمس وثمانين وخمسمئة ، وقال فيه أبو الحسن ابن القطان : عدل إمام في الحديث ، وقال أبو زكريا ابن عصفور : توفي إما في آخر حجة من سنة سبع وإما في أول المحرم من سنة ثمان وتسعين وخمسمئة ، وقال أبو عبد الله ابن الأبار : في سادس محرم ثمان وقال غيره في صفر .

انتهى من (الذيل والتكملة) (1) .

---

1) لم تطبع هذه الترجمة في الأصل ؛ وانما الحقت بالكتاب من **الذيل والتكملة** 1 : 125 م 177 .

140) أحمد بن عبد الرحمان ابن مضا اللخمي القرطبي

أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن سعيد بن حريث بن عاصم ابن مضا بن مهند بن عمير اللخمي . قاضى الجماعة من أهل قرطبة ، وأصله من قرى شذونة ، يكنى أبا العباس وأبا جعفر .

سمع ببلده من جماعة منهم أبو عبد الله بن أصبغ ، وعرض عليه (الموطأ) ، وأحمد بن عبد العزيز ، وابن عمه أبو بكر ، وأبو جعفر البطروجي، وابن أبى الخصال ، وأبو الطاهر التميمي ، وابن مسرة ، وأبو بكر بن مدير ، وأبو القاسم بن رضى وأخذ عنه القراءات ، وغيرهم ، وأخذ العربية والآداب عن أبى بكر ابن سمجون ، وأبى العباس ابن خصيب ، ورحل إلى اشبيلية فأخذ عن شريح قراءتي نافع وابن كثير ، ولازم أبا القاسم ابن الرماك لتعلم العربية وسمع منهما ومن أبى بكر بن العربي بعد سماعه منه بقرطبة ، ولقي بألمرية عبد الحق بن عطية ، وأبا عبد الله بن وضاح ، وأبا الحجاج القضاعي ، وأبا عبد الله بن أحمد الحمزي ، وأبا الفضل بن عياض ، وأجاز له ابن موهب ، وابن فندلة ، وأبو مروان الباجي ، وأبو العباس بن شعبان ، وغيرهم ، وأكثر من الروايات ، إلا أنه امتُحِن بضياع اسمعته عندما استولى الروم على مدينة ألمرية ، ومال إلى علم العربية وله فيها تقديم وتحقُّق بذلك ، وولـي قضاء فاس ، ثم نقل إلى قضاء الجماعة بمراكش يوم وفاة القاضى عيسى بن عمران فى شعبان سنة ثمان وسبعين وخمسمئة ، وكان جميـل السيرة ، كريم الخلق ، أديباً له حظ من الكتابة والشعر ، مشاركاً فى فنون شتى ، وله فى العربية التى شهر بها تأليف مفيد سماه بـ (المشرق) ، وكتاب (تنزيه القرآن ، عما لا يليق من البيان) ، وقد ناقضه علي ابن خروف ورد عليه فى هذا التأليف (1) .

حدث ابن الأبار عن جماعة من شيوخه عنه .

1) اسم كتاب ابن خروف (تنزيه ائمة النحو ؛ عما نسب اليهم من الخطأ والسهو) . ولما بلغ ذلك ابن مضا قال : نحن لا نبالي بالكباش الناطحة ويعارضنا أبناء الخرفان !

مولده بقرطبة يوم عيد الفطر سنة إحدى عشرة وخمسمئة ، وقال ابن الطيلسان ليلة عيد الفطر سنة ثلاث عشرة ، وحكي عنه أنه أجاز عند موته لكل من أراد الرواية عنه .

وتوفي باشبيلية مصروفاً عن القضاء يوم الخميس السابع والعشرين من جمادى الأولى سنة اثنتين وتسعين وخمسمئة ، وقال ابن حوط الله توفي سنة ثلاث وهو وهم منه ، وحكى غيره أنه توفي قبل صلاة العصر من يـوم الخميس المذكور قبل إلا أنه قال الثاني والعشرين من جمادى الأخيرة ، ودفن بعد صلاة الجمعة ، فكان مدة عمره سبعاً وسبعين سنة غير ثلاثة أشهر وسبعة أيـام .

وقال ابن عبد الملك فى (الذيل والتكملة) (1) :

أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن سعيد بن حريث بن عاصم ابن مضا بن مهند بن عمير اللخمي ، كذا نسبه فى معجم شيوخه الذى جمعه له أبو الخطاب عمر بن حسن ابن الجميل وطالعه به فوافقه عليه إلا فى ذكره مهند بن عمير فانه أنكرهما وقال : لا أعرفهما فقال له أبو الخطاب ياسيدي هما جداك ، ذكرهما فلان ، يشير إلى بعض المؤرخين فتوقف الشيخ .

قال المصنف عفا الله عنه : وهو مع ذلك فيما يظهر لي نسب منقطع لبعد زمان أحمد من زمان حريث . فقد ذكر الحُكَيِّم عبد الله بن عبيد الله — وتوفي منتصف رمضان أحد وأربعين وثلاثمئة — فى كتابه الذى ذكر فيه الخلفاء ومَن تناسل منهم بالأندلس ومن سائر قريش ومواليهم وأهل الخدمة والتصرف لهم ومشاهير العرب الداخلين الى الأندلس من المشرق من غير قريش ومواليهم ومشاهير قبائل البربر الذين احتلوا الأندلس ورفعه للناصر أبى المطرف عبد الرحمان بن محمد سنة ثلاثين وثلاثمئة ، فذكر أن بجيان من لخم بيت مهند بن عمير قال : وهم هناك جماعة أهل فضل ودين ، ولهم

---

1) هذه الترجمة غير واردة فى الأصل المطبوع ؛ وهى مما استلحقه المؤلف بعد طبع الأحمدين والمحمدين وعثوره على الجزء الأول من (الذيل والتكملة) .

فرسان شجعان بلديون ، منهم عبد الرحمان بن وافد بن عبد الرحمان بن يحيى بن حرب بن يحيى بن مهند القسام بلديون ، ومنهم النجاشي بن حريث ابن عاصم بن مضاء بن مهند ، فاقتضى هذا أن النجاشي أخا سعيد أبي جد أحمد المترجم به وعبد الرحمان بن يحيى جد عبد الرحمان بن وافد المذكورين في قعدده إلى مهند ، ومولد أحمد هذا فيما صح سنة ثلاث عشرة وخمسمئة ، فبين مولده ووفاة الحُكَيِّم مئة سنة وثلاث وستون سنة ، ومن البعيد اللاحق بالمحال عادة أن يكون بينه وبين حريث ثلاثة آباء هذا على تقدير كون النجاشي معاصراً الحُكَيِّم وذلك من أبعد التقديرات ، فان قدرناه أقدم منه وهو الأظهر قطعنا باحالة اتصال ذلك النسب والله أعلم . وقد ذكر أبو محمد بن أحمد الرازي وفاته في استيعابه الذى جمعه للناصر أيضاً مضا بن مهند بن عمير ، وذكر أنه كان رئيس جيان وأحد عباد الله الصالحين .

وأحمد المترجم به قرطبي جياني الأصل قديماً ثم شرانيه ، أبو جعفر وأبو العباس وأبو القاسم ، والأخيرة قليلة ، أكثر عن أبى الحسن عامر زوج عمته وأبى الحسن شريح ، وتلا بقراءتي الحرميين عليه ، وأبى بكر بن عبد الله ابن العربي ، وأبى بكر بن محمد ابن المرخي ، وأبى جعفر بن عبد الرحمان البطروجي ، وأبى الطاهر محمد بن يوسف الأشتركوني ولازمه مدة ، وآباء عبد الله : جعفر حفيد مكي ، وابن محمد ابن المناصف ، وابن مسعود بن أبى الخصال ، وأبي عمر أحمد بن صالح ، وأبى القاسم عبد الرحمان بن أحمد ابن رضى ، وتلا بالسبع عليه ، وسمع أبا بكر عبد العزيز ابن مدير ، وأبا الحجاج بن . . . . الأندى ، وأبا عبد الله بن موسى ابن وضاح وآباء محمد : ابن علي الرشاطي ، وابن . . . . . المرسي ، وعبد الحق ابن عطية ، وأبوي مروان : عبد الرحمان بن محمد ابن قزمان ، وابن مسرة ، وصحب أبا عبد الله بن أحمد بن الحمزي ، ولقي بسبتة أبا الفضل عياضا ، وكلهم أجاز له ، وتلا بحرف نافع على أبى الحسن عبد الجليل بن عبد العزيز ، وروى عن أبى جعفر بن محمد ابن المرخي ، وأبى الحسن عبد الرحيم الحجاري ، وأبى عبد الله بن عبد الرحمان ابن معمر ، وأبى العباس ابن خصيب ، وتأدب في العربية بأبى بكر بن سليمان بن سمحون ، وأبى القاسم عبد الرحمان بن . . . . . .

ابن الرماك ، ودرس عنده كتاب سيبويه ، وأخذ عن الشريف أبى محمد عبد العزيز بن الحسن كلامه نظماً ونثراً ، ولم يذكر أن أحداً من هؤلاء أجاز له ، وكتب اليه مجيزاً ولم يلقه أبو بكر بن عبد الغني ابن فندلة ، وأبو الحسن ابن عبد الله ابن موهب ، وأبو مروان بن عبد العزيز الباجي ، هؤلاء شيوخه الذين تحققنا وجوه تحمله عنهم ، ومنهم مَن لا نعرف الآن كيفية روايته عنهم – أبو الحسن عبد الرحمان بن . . . . ابن بقي ، وأبو العباس ابن شعبان ، وأبو القاسم ابن بشكوال ، فهؤلاء شيوخه . . . . . . وحمله يوسف بن يحيى ابن عيسى بن عبد الرحمان التادلي المراكشى ابن الزيات (1) الرواية عن أبى بحر سفيان بن العاصي ، وأبى الحسن يونس بن محمد ابن مغيث ، ويبعد عندى ذلك لاغفال أبى جعفر هذا عدهما فى شيوخه ، فقد كانت روايته تعلو عنهما ولاسيما عن أبى بحر منهما .

روى عنه آباء بكر : غالب ابن الشراط ، والمحمدون : ابن عبد الله القرطبي ، وابن عبد النور ، وابن محمد ابن محرز ، وأبو جعفر بن محمد أبو حجة وأبو الحجاج : ابن حسين بن عمر وابن عبد الصمد ابن نموي ، وآباء الحسن : ابن عبد الله ابن قطرال ، وكتب عنه بعض مدة استقضائه ، وابن عبد الصمد ابن الجنان، وابنا المحمدين البلوي والشاري، وابن منصور، وابن نجبة ، وأبو الحسين : عبيد الله الدايري ، ومحمد بن محمد بن سعيد ابن زرقون ، وأبو الخطاب : عمر بن حسن ابن الجميل ، ومحمد بن أحمد ابن خليل ، واختصا به ، وأبو زكرياء هلال ابن عطية ، وابن حوط الله أبو سليمان وأخوه أبو محمد ، وأبو عمر محمد بن أبى محمد ، وآباء عبد الله : ابن عبد الله الأزدي مقيم سبتة ، وابن عبد الحق التلمسيني ، وابن . . . . . الصميل ، وأبو العباس : المورورى ، وابن محمد البطبط ، وأبو علي : الحسن ابن حجاج ، وعمر بن محمد ابن الشلوبين ، وآباء القاسم الأحمدان : ابن أحمد البلوي شيخنا ، وابن يزيد ابن بقي ، والمحمدان : ابن عبد الواحد بن محمد الملاحي ، وابن محمد بن عبد الرحمان ابن الحاج ، وعبد الرحيم بن ابراهيم

---

1) صاحب كتاب **التشوف** .

ابن الفرس ، وأبو محمد بن الحسن القرطبي ، وأبو الوليد محمد بن أحمد ابن الحاج وغيرهم .

قال لي شيخنا أبو القاسم البلوي : سمعت عليه في جماعة كبيرة (المشرق) أحد تصانيفه بقراءة أبي محمد ابن حوط الله في إشبيلية ، فلما فرغ من قراءته استجازه لنفسه وللحاضرين فأجاب إلى ذلك وأجاز لنا ، وسأله أبو الخطاب أحمد بن أحمد ابن واجب في صدر محرم اثنتين وتسعين وخمسمئة الاجازةَ العامة في كل ما يصح إسناده إليه على اختلاف أنواعه لجميع مَن أراد الروايةَ عنه من طلبة العلم الموجودين مِن حينئذ فأسعف بذلك وأجاز لهم ، فروى عنه بهذه الاجازة جماعة منهم : شيخنا أبو إسحاق ابن أحمد ابن القشاش ، والحسن بن علي الماقري ، وأبو القاسم بن محمد ابن الطليسان رحمهم الله وسواهم ، وكان مقرئاً مجوداً محدثاً مكثراً قديم السماع واسع الرواية عاليَها ضابطاً لما يحدث به ثقة فيما يأثره ، نشأ منقطعاً إلى طلب العلم وعني أشد العناية بلقاء الشيوخ والأخذ عنهم فكان أحد مَن خُتمت به المئة السادسة من أفراد العلماء وأكابرهم ، ذاكراً لمسائل الفقه عارفاً بأصوله متقدماً في علم الكلام ماهراً في كثير من علوم الأوائل كالطب والحساب والهندسة ثاقبَ الذهن متوقد الذكاء وغير ذلك متين الدين طاهر العرض حافظاً للغات بصيراً بالنحو مختاراً فيه مجتهداً في أحكام العربية منفـرداً فيها بآراء ومذاهب شذ بها عن مألوف أهلها ، وصنف فيما كان يعتقده منها كتابه (المشرق) المذكور ، و (تنزيه القرآن ، عن ما لا يليق بالبيان) ، وقد ناقضه في هذا التأليف علي بن محمد ابن خروف ورد عليه بكتاب سماه (تنزيه أئمة النحو ، عن ما نسب إليهم من الخطأ والسهو) ، وكان بارعاً في فن التصريف من العربية ، كاتباً بليغاً شاعراً مجيداً في معقول ومنقول ، غير أنه أصيب بفقد أصول أسمعته عند استيلاء الروم دمرهم الله على المرية . . . . . . ، وكان طيب النفس كريمَ الأخلاق حسن اللقاء جميل العشرة ، لم ينطو قط على احنة لمسلم عفيف اللسان صادق اللهجة نزيه الهمة كامل المروءة ، وأدركه عند استحكام شبيبته بغي أحد حَسَدته من بني عصره وأهل مصره اضطره إلى التحول عن وطنه قرطبة والاضطراب في الأرض حتى

لحق بجبل تينملل أحد الجبال الشامخة القريبة من مراكش ، فاستقرّ به مدرساً العلم ناشراً ما لديه من المعارف ، وذلك فى عشر الأربعين وخمسمئة ــ ودولة عبد المومن وطائفته حينئذ فى إقبالها ورونقها وجدتها ــ فأخذ عنه هناك أهل ذلك الموضع وغيرهم ، وأقرأ أبناء عبد المومن مدة وانتفع به حتى اشتهر وعلم قدره وفضله وعرف منصبه وعظم صيته ، وتعرف مكـانه من العلـم وجلالته يوسف بن عبد المومن وتقرر لديه ما هو عليه من التفنن فى المعارف وحسن المشاركة فى العلوم على تفاريقها فاستدعاه واستدناه ونوه به ما شاء وأحظاه وكان هو وإخوته عاملين على إيثاره ، متنافسين فى إعظامه وإكباره ، وتوجــه مع أبى الحسن منهم إلى فاس كاتبــاً عنه سنة . . . . . وخمسين وخمسمئة ، ثم توجه إلى قرطبة سنة ثلاث وستين مع أخيه أبي إسحــاق كالشيخ له ، والناظر فى مسائل الحضر وقاضيها حينئذ أبو محمد بن مغيث ابن الصفار ، وبها من رؤساء الطلبة أبو محمد بن يغمور ، فجرت بينهــم مناقضات أثمرت وحشة بين أبي جعفر وأبوي محمد ، غير أن أبا جعفر لم يشغل باله بأمرهما ، ولا أخطر بفكره الالمام بذكرهما ، وان كان خواصّه كثيراً ما يعرضون إليه بثلبهما لديه فيعرض عنهم ولا يسمع منهم إلى أن تحرك السيد أبو إسحاق مع وفد قرطبة إلى زيارة يــوسف بن عبــد المومن باشبيليــة واستصحب أبا جعفر مكرماً على جاري عادته ، وفى تلك المدة كتب أحــد المتشبعين بالعلم ممن كان له تردد على أبي جعفر وتشيع فى جانبه ويعرف بالأرجوني وكان ممن يسخر به لجهله وهزله كتاباً إلى أبي جعفر أودعه ضروباً من الازراء على أبي محمد ابن الصفار والتهكم به وتمثل فيه بهذا الشعر :

هذا أوان الشدّ فاشتدى زيــم

يحرض فيه عــلى مطالبة أبي محمد ابن الصفار ، فكــان مــن سوء الاتفاق أن وقعت الرقعة بذلك إلى يد يوسف بن عبد المومن وكان رجلَ جدّ وتصميم فى البعد عن الهزل ، فأكبر أمرها وأنف لأبي جعفر من انحطاطه إلى مشافهة ذلك النذل واستعماله مثله ومسامحته إياه فى مكاتبته إياه بمثل ما تضمنته تلك الرقعة ، فصرف أبا جعفر عن حضور مجلسه ووالى الاعراض عنه مدة إلى أن اقتضى رأي يوسف صرف أخيه أبي زكرياء إلى بجاية ، فلما حان وقتُ

وداعه شفع عنده لأبي جعفر بقديم انقطاعه إليهم وكبير حرمته لديهم ، ورغب في العفو عنه وتقديمه قاضياً ببجاية ، فأشفعه في ذلك كله ، وانصرف معه أبو جعفر موفَّى الحق من البر والاكرام ، مُجرّى على معهوده من التنويه والاحترام ، وأقام ببجاية قاضياً الى أن توفي السيد أبو زكرياء ، فاستقدمه يوسف الى حضرته ، وأعاده الى مكانه ومنزلته، وبقي من كبار حُضَّار مجلسه إلى أن توفي قاضي الجماعة عيسى بن عمران بمراكش يوم . . . . . لخمس بقين من شعبان سنة ثمان وسبعين وخمسمئة فقلّد أبو جعفر قضاء الجماعة ذلك اليوم ، وقد كان استقضي قبل بجاية بفاس ، وبعد موت أبي زكرياء بتونس فتقلده واستقر قاضياً إلى أن توفي يوسف بن عبد المومن في العشر الأواخر من شهر ربيع الأول سنة ثمانين وخمسمئة وصار الأمر بعده إلى ابنه يعقوب المنصور فأقره على قضاء الجماعة إلى أن تحرك معه إلى افريقية الحركة الثانية المنسوبة إلى قفصة ، وفصل عن مراكش إليها لثلاث خلون من شوال اثنين وثمانين ، ولما دخل المنصور القيروان وجال فيه معتبراً بآثاره وعمل على الاراحة فيه اعتلّ القاضي أبو جعفر ، وكان للمنصور غرض في إنهاض أبي عبد الله بن علي بن مروان المذكور بعد في موضعه من هذا الكتاب إن شاء الله باسناد قضاء الجماعة إليه تسبب لذلك بمرض أبي جعفر ، وقدم أبا عبد الله مكانه وأقلع من القيروان الى تونس فاستقر بها أبو جعفر وفصل المنصور الى حضرة مراكش ، ثم أبلّ أبو جعفر وخاطب المنصور يستأذنه في القدوم على مراكش ، فكتب له بالتقديم على قضاء بجاية فتولاه برهة ثم أخر عنه ، وتوجه الى الأندلس للقاء المنصور بها فاستقر باشبيلية يُسمعُ الحديث ويؤخذ عنه ضروب ما كان عنده من العلوم .

وما ذكره أبو الخطاب ابن الجميل من أن أبا جعفر كان المُستعفِي من القضاء معتذراً بكبرة السن والضعف عن الوفاء بما يجب من القيام بالأحكام وأن المنصور أسعفه في ذلك وأعفاه مكرماً مبروراً فقول لم ينبن على تحقيق ، وكذلك ما ذكره الأستاذ أبو محمد طلحة من أن أبا القاسم ابن بقي ولي خطة قضاء الجماعة لما أسن أبو جعفر ابن مضاء (غير) صحيح أيضاً ، وانما ولي أبو القاسم قضاء الجماعة لما صرف عنه أبو عبد الله ابن مروان باشبيلية لسبب سيذكر في اسم ابن مروان ان شاء الله تعالى .

ولما قدم أبو جعفر الأندلس تفرغ لافادة العلم صابراً محتسباً ممكناً طلابه منه إلى أن توفي عفا الله عنه باشبيلية قبيل صلاة العصر من يوم الخميس لثمان بقين من جمادى سنة اثنتين وتسعين وخمسمئة ، وصلي عليه بجامع اشبيلية عقب صلاة الجمعة من اليوم الثاني ليوم وفاته ، ودفن إثر الصلاة عليه بمقابر السادة خارج باب جهور أحد أبواب اشبيلية .

ومولده بقرطبة ليلة عيد الفطر من سنة إحدى عشرة وقيل ثلاث عشرة وخمسمئة ، وهو أصح .

قرأت على شيخنا أبى الحسن الرعينى رحمه الله ونقلته من خطه : قال لي صاحبنا المقرىء أبو القاسم : أنشدني أبو القاسم ابن بقي وأبو بكر ابن غالب قالا : أنشدنا أبو العباس ابن مضاء لنفسه وقد اشتاق إلى قرطبة وطنه وهو ببلاد العدوة :

ياليت شعري وليت غيرُ نافعة ... من الصبابة هل فى العمر تنفيس
متى أرى ناظراً فى جفن قرطبة ... وقد تغيب عن عينيَّ نفيس

وقد أنبأني بهذين البيتين اجازة إن لم تكن سماعاً شيخنا أبو القاسم البلوي عن قائلهما (1) .

ترجمه فى (التكملة) (2) وفى (الديباج) ، وفى (الجذوة) ، وقد اختصر فى ترجمته فى (غاية النهاية) فى طبقات القراء شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد ابن الجزري .

141) أحمد بن الحسن ابن حسان القُضاعي

أحمد بن الحسن بن أحمد بن حسان القضاعي ، مُرسي أندي الأصل ، سبط القاضى عبد الحق بن غالب ابن عطية من بنته أمة الرحمان

---

1) الذيل والتكملة 1 : 212 ع 291 .

2) التكملة 1 : 89 ع 234 .

المدعوة بأم هانىء ، روى ببلنسية عن أبي الحسن ابن عبد الله ابن النعمة ، وأبى عبد الرحمان محمد بن عبد الرحمان ابن طاهر ، ثم رافق محمد بن أحمد ابن جبير فى رحلته الأولى إلى المشرق ، وفصلا لها عن غرناطة أول ساعة من يوم الخميس لثمان خلون من شوال ثمان وسبعين وخمسمئة ، وحجَّا سنة تسع بعدها وتجولا بتلك البلاد البلاد المشرقية ولقيا بها طائفة من بقايا أهل العلم ومشاهير الزهاد الصلحاء منهم بمكة ــ شرفها الله ــ ضياء الدين أبو أحمد عبد الوهاب بن الأمين ــ بالنون ــ أبى منصور بن علي بن عبيد الله ابن سكينة بالكاف والنون مصغراً ــ وهي أم أبي منصور ــ ، وإسحاق التونسي ، وعمر بن عبد المجيد الميانجي ، وأبو جعفر بن علي القرطبي ابن الفنكي ، وأبو (محمد) عبد اللطيف بن محمد بن عبد اللطيف الخُجَنْدي بالخاء المعجمة مضمومة والجيم مفتوحة والنونِ ساكنة ودال منصوباً ، وأبو سيف ابن أحمد ابن محمد بن إبراهيم البغدادي ، وببغداد أبو الفرج ابن الجوزي ، وبدمشق أبو الحسين أحمد بن حمزة بن علي بن الحسين بن الحسن بن علي بن عبد الله ابن العباس السلمي ابن الموازيني ، وأبو الطاهر بركات بن إبراهيم ابن أبي الفضل طاهر بن بركات بن إبراهيم بن علي بن هبة الله بن أحمد بن محمد بن العباس بن هاشم القرشي المعروف بالخشوعي نقلت نسبه من خطه هكذا وبذلك أشهر ما يعرف ، وبالجَيْروني بالجيم مفتوحة والياء بثنتين من أسفل ساكنة والراء مضمومة بعدها واو آخره نون منسوباً إلى باب جيرون بدمشق لسكناه به ، ويقال فيه الفُرْشي بالفاء مضمومة والراء ساكنة منسوباً إلى بيع الفُرش ، وعماد الدين محمد بن محمد بن حامد بن محمد بن عبد الله بن علي بن محمود بن هبة الله بن أله الأصبهاني ، وأبو سعيد عبد الله بن محمد بن أبى عصرون ، وغلط ابن الأبار فى كنيته فكناه أبا محمد ، وأبو محمد عبد الرزاق بن نصر بن مسلم النجار ، والقاسم ابن أبى القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله بن الحسين يعرف بابن عساكر ، وأبو الحسين بن هبة الله بن محفوظ بن صصري الربعي التغلبي ، وأبو القاسم عبد الرحمان بن الحسين بن الخضر بن عبدان ، وأبو عبد الرحمان بن إسماعيل بن أبي

سعيد الصولي ، وإسماعيل بن علي بن إبراهيم ، وأجازوا له ، وسمع على بعضهم ، وأبو عبد الله المرادي الاشبيلي نزيل دمشق ، وبحران العارف المتكلم الصوفي أبو البركات حيّان بن عبد العزيز وابنه الحاذي حذو أبيه أبو علي عمر ، وحمله أبو جعفر ابن الزبير الرواية عن أبي الطاهر السِّلَفي زاعماً أنه لقيه وذلك وهم بيِّن لتقدم تاريخ وفاة أبي الطاهر على تاريخ رحلة أبي جعفر هذا إذ كانت وفاة أبي الطاهر ليلة الجمعة الخامسة من شهر ربيع الآخر من سنة ست وسبعين وخمسمئة ، وقد تقدم تاريخ رحلة أبي جعفر هذا، وأفحش من هذا الوهم تخيله الرواية عن أبي القاسم ابن عساكر ، وكانت وفاته سنة إحدى وسبعين ، وإنما يروي عن ابنه أبي محمد القاسم ، وأرى أن هذا الوهم جره عدم التثبت حال النقل ، فلعله كان أبا محمد القاسم ابن عساكر فزل بصره عن محمد المكنى به القاسم الابن فصار أبا القاسم وهي كنية علي المذكور والله أعلم ، وقفل إلى الأندلس ، روى عنه أبو الحسن ثابت بن خيار الكلاعي ، ثم تحول إلى مدينة فاس فاستوطنها داراً ، واتخذ بها ضياعاً وعقاراً ، وكان من سروات الرجال وأفاضلهم كامل المروءة كريم الطباع ماهراً فى الصناعة الطبية متقدماً فى المعرفة بالتعاليم ، حسن المشاركة فى غير ذلك من فنون علم اللسان العربي ، وصنف فى الطب مختصراً نبيلاً سماه بـ (الجمل والتفصيل) فى تدبير الصحة ، وفى الموسيقى من فنون التعليم المدخل إليه ، واختصار كتاب أبي نصر محمد بن محمد الفارابي فيه ، كل ذلك مما برز فيه وشهد بفضل معرفته به .

وتوفي بمراكش سنة ثمان أو تسع وتسعين وخمسمئة ، وقال أبو جعفر ابن الزبير أنه توفي بمدينة فاس .

انتهى من (الذيل والتكملة) (1) .

---

1) **الذيل والتكملة** 1 : 87 ع 104 وانظر أيضاً **التكملة** 1 : 93 ع 241 **ونفح الطيب** 2 : 283 طبع بيروت . وهذه الترجمة المنقولة من **الذيل والتكملة** ليست واردة فى الأصل المطبوع ؛ بل هى مما استدركه المؤلف بعد عثوره على الكتاب المذكور ؛ وقد اكتفينا بها لشمولها عن الترجمة المنقولة من **التكملة** فى طبعة فاس ؛

142) أحمد بن يحيى ابن عميرة الضبي

أحمد بن يحيى بـن أحمد ابن عميرة الضبي ، من أهـل مرسية ، أخذ عن أبى عبد الله بن حميد ، وهو أول من قرأ عليه وسنه دون العشر ، وصحب أبا القاسم ابن حبيش مدة طويلة ، وسمع ابن عبد الله بسبتة ، وابن الفخار بمراكش ، وعبد الرحمان ابن القصير ، وأبا الحسن ابن كوثر ، وابن عم أبيه أحمد بن عبد الملك ابن عميرة (1) وأجاز له ابن بشكوال وغيره .

ثم رحـل حاجاً فلقي في طريقـه ببجاية عبد الحـق الاشبيلي ، وبالأسكندرية أبا الطاهر بن عوف ، وأبا عبد الله بن الحضرمي ، وأخاه أبا الفضل ، وأبا الثناء الحراني ، وابن دليل ، وأبا الفضل الغزنوي ، وأبا الرضا أحمد بن طارق بن سنان ، وقد سمع معه أبو الرضا هذا من علي بن أحمد الحديثي ، قال وله أحاديث ساوى بها البخارى ومسلماً ، وأبا محمد ابن بري ، وأبا القاسم البوصيرى ، وعساكر بن علي ، وإسماعيل ابن قاسم الزيات ، وهؤلاء الأربعة سمعوا مع السِّلَفي على بعض شيوخه ، ولقي بمكة الميانشى وغـيـره .

وكان حسن الخط ، صحيح النقل والضبط ، ثقة صدوقاً ، جلداً على الوراقة محترفاً بها تأثل منها مالا كبيراً ، وكتب بخطه علماً كثيرا ، وربما تسور على النظْم ، روى عنه جماعة من شيوخ ابن الأبار وكبار أصحابه ، وتوفي بمرسية شهيداً سقط عليه هـدم فأخرج منـه وبـه رمـق فمـات بسرعة ، وذلك ظهر يوم الأحد الخامس والعشرين لشهر ربيع الآخر سنة تسع وتسعين وخمسمئة ، ودفن عصر يوم الاثنين بعده بمسجده ازاء جنته التى وقع حائطها عليه ، وكانت جنازته مشهودة ، وهو ابن بضع وأربعين سنة . وقال ابن حوط الله : توفي فى جمادى الأولى من السنة ، وهو وهم منه .

ذكره فى التكملة (2) .

---

1) **معجم اصحاب الصدفى** ص 52 ع 37 . **والذيل والتكملة** 1 : 264 ع 344 **وبغية الملتمس** ص 181 **والتكملة** 1 : 79 ع 211 .

2) ج 1 ص 79 ع 211 .

وقال القاضي محمد ابن عبد الملك المراكشي (1) : كان ءاية من ءايات الله الكبرى فى سرعة الكتابة ، كلفه بعض ولاة بسطة نسخ الموطأ واقترح عليه أسطراً ودفع إليه كاغداً اختاره وكان يوم الجمعة بعد الصلاة ، فلما كان يوم الجمعة التالي وافاه بالكتاب كاملا على وفق اقتراحه وأتقن ما قرره منه ، فكان هذا من أظفر ما يتحدث به، وصنع (مطلع الأنوار، لصحيح الآثار) ، جمع بين صحيحي البخاري ومسلم ، وكتاب (الأربعين عن أربعين) ، و (المسلسلات المبوبة) ، و (بغية الملتمس ، فى تاريخ رجال الأندلس) ، ذيل به (جذوة المقتبس) للحميدى ، و (فهرسة رواياته) ، استظل بحائط جنة له فانقض عليه فكشف عنه وبه رمق فمات صبيحة ذلك اليوم وهو يوم الأحد لخمس بقين من ربيع الآخر سنة 599 رحمه الله تعالى وإيانا بمنه وكرمه .

وسيأتي فى ترجمة شيخه أبي عبد الله ابن الفخار أنه قرأ عليه بمراكش صحيح الامام مسلم (2) .

143) أحمد بن يحيى ابن السعود العبدري

أحمد بن يحيى بن أحمد ابن السعود العبدري ، من أهل قرطبة ، سمع من أبى جعفر البطروجي ، وأبى عبد الله بن أبى الخصال ، وأبى الطاهر التميمي ، وغيرهم ، وكتب لبعض الأمراء ، وكان أديباً حافظاً ، حلو النادرة قوي العارضة ، صاحب منظوم ومنثور ، يشارك فى فنون ، من أبرع الناس خطاً واقتنى من الدفاتر كثيراً تبلغ قيمتها ستة ءالاف دينار ، حدث ابن الأبار عن ابن سالم عنه ، وقال توفي بمراكش سنة تسع وتسعين وخمسمئة هـ وعين بعضهم أن ذلك فى يوم عاشوراء .

---

1) بترجمة أحمد بن يحيى ابن عميرة الضبى يبتدىء الجزء الثانى من كتاب **الذيل والتكملة** وهو لحد الآن مفقود ؛ ولا شك أن المؤلف نقل عمن نقل عنه .

2) خلط المؤلف فى الأصل المطبوع بين أحمد بن يحيى ابن عميرة المتوفى سنة 599 المترجم ؛ وبين شيخه وقريبه أحمد بن عبد الملك ابن عميرة المتوفى سنة 577 تلميذ أبى على الصدفى المترجم فى معجم أصحابه ؛ وقد اكتفينا من الترجمة الأصلية المطبوعة بما نقله المؤلف عن ابن الأبار فى **التكملة** وعن ابن عبد الملك فى **الذيل والتكملة** وحذفنا ما عداه تحرياً للصواب وابعاداً لمن ينقل عن **الاعلام** فى المستقبل عن أخطاء قد يقع فيها اتباعاً للمؤلف الذى لم يتثبت فوقع هو فيها قبله .

ترجمة فى (التكملة) (1) .

وقال ابن عبد الملك فى (الذيل والتكملة) :

أحمد بن يحيى بن أحمد بن سعود العبدري : قرطبي نزل بمراكش،أبو جعفر وأبو العباس ، وقال فيه أبو عبد الله ابن الأبار : أحمد بن يحيى بن إبراهيم ووهِمَ فى ذلك،روى عن أبى إسحاق بن مروان بن حُبَيش،وأبى بحر سفيان بن العاصى،وأبى بكر بن عبد الله ابن العربى،وأبوي جعفر:ابن عبد الرحمان البطروجي، وابن علي ابن الباذش ، وأبوي الحسن : شريح ، ويونس بن محمد ابن مغيث ، ومحمد بن يوسف التميمي ، وأبوي عبد الله : جعفر حفيد مكي ، وابن مسعود ابن أبى الخصال ، وأبوي القاسم عبد الرحمن بن أحمد ابن رضا ، وعبد الرحيم ابن الفرس ، روى عنه أبو الربيع بن موسى بن سالم ، وأبو عبد الله بن محمد ابن دادوش ، وأبو يعقوب بن يحيى بن عيسى بن عبد الرحمان التادلى ابن الزيات ، وحدثنا عنه شيخنا حسن الماقري الكفيف ، وكان مشاركاً فى فنون من العلم محدثاً مسنداً عالي الرواية حلو النادرة قوي العارضة صدراً فى مشيخة أهل العلم بمراكش حظياً عند الأمراء مقدماً فى مجالسهم مقبول القول لديهم ، مبرزاً عند الخاصة والعامة ، صاحب منظوم ومنثور واجادة فيهما ، بارع الخط ، كتب قديماً عن بعض أولي الأمر ، وكان الأدب ومعرفته أغلب عليه واقتنى من دفاتر العلم ما قوم بعد وفاته بستة آلاف دينـار أو أزيد ، وقد كثُر منه الاجتراء على الأمراء من آل عبد المومن وتكرر تنكيتُه عليهم وتشنيع أحوالهم حتى أثر ذلك عندهم واستثقلوه منه ، وله فى نحو ذلك أخبار ، منها أن يعقوب المنصور قدم بنيه وصغار إخوته وبنى أعمامه وذوي قرابته ولاة فى البلاد ترشيحاً لهم وإشادة بمكانتهم لديه وتنبيهاً لقدرهم ، ووافق ذلك فصل شدة القيظ ، فأنكر ذلك أبو العباس هذا أو أنكره غيره من رؤساء الدولة ، فسنح له أو سئل منه الاحتيال فى فسخ ذلك التقديم ، فعمد إلى أزياء الملابس التى جرت عادة المُترفين باستعمالها فى فصل شدة

1) **التكملة** 1 : 94 ع 243 وقد أحال المؤلف فى ملحق الأحمدين على ابن عبد الملك صاحب **الذيل والتكملة** ؛ فلذا ننقل ترجمته من الكتاب المذكور الى محلها هنا لما فيها من الفوائد .

القر كالفرا وثياب الملف والقباطي والبرانس ، فاستكثر من لباسها وظاهر بعضها ببعض وحضر بهذا الرياش بمجلس خواص الطلبة ومجتمعهم بـدار الامارة فعجبوا من استعماله مثل تلك الشارة فى ذلك الفصل واستشعروا أن فعله ذلك لاحدى فواقره ، ومقدمة لبعض نوادره ، فسألوه عن سبب مظاهرته بتلك الملابس فى ذلك الفصل الذى لا يستطيع أحدٌ استعمالَ مفرداتها فيه ، فقال لهم : إنما قدرت أنه فصل القر وشدته ، وأنا منه فى شهر ينير بلسان الروم ، وهو كانون الآخر بالسريانية ، وهو طوبه بالقبطية ، فقيل له وما الذى حملك على هذا التقدير؟ فقال إنى رأيت المدائن فُرقت على الصبيان والأطفـال يعبثون بها ويعيثون فيها ثم يأكلونها ، يُورى عن المدائن وهي البلاد بالمدائن التى عهد ببلاد المغرب والأندلس عملها فى النيروز من الدقيق الحوارى الملثوث بالزيت المحكم العجن بالماء المتخذة رغفاً مفاريد أو مثنيات أو مثلثات كيفما اختير عملها وتنقش وتصنع فيها أشكال من العجين مركبة على البيض المصبوغ بالحمرة أو الخضرة أو بغير ذلك من الألوان بحسب المتخير لها ثم يقدم الجميع بالزعفران ويطبخ فى الفرن ويجمع إليه أصناف الفواكه ويحتفل كل إنسان فى انتخابها وتجويد صنعتها ريتباهَى فى الانفاق فيها على قدر وسعه واعتنائه بذلك ، ثم يدفع ذلك كله إلى الأصاغر إدخالا للسرور عليهم ، وتوسيعاً فى الترفيه لأحوالهم ، وتبشيراً بخصب عامهم ، وتفاؤلا لبسط الرزق فيه لهم فيبتهجون ويتمكن جذلهم ويتفاخرون بمقاديرها بينهم ويتمادى (. . . . . .) لديْهم أياماً بحسب كثرتها وقلتها ، ثم يأتون عليها أكلا وتفكهاً بما معها من أصناف الطرف والفواكه ، فكان فعلُ أبى العباس هذا سبباً فى فسخ ذلك التقديم وصرف أولئك الأصاغر عن تلك الولايات فى البلاد ، وله أشباه لهذه الفعلة مع الأمراء حتى استجفَوْهُ واستثقلوه ، ومع ذلك فلم يزل يحاضر طلبة العلم بمجلس المنصور الخاص بهم ويذاكرهم بين يديه مرعيَّ الجانب ملحوظاً بعين التكرمة محترماً لشاخته واضطلاعه بالمعارف ، إلى أن وجد منه يوماً بمجلس المنصور ريحٌ مسكر فاستثبت أمره بالاستنكاه وتحقق ، فعند ذلك أمر المنصور باقامة الحد عليه وجلده بين يديه ، ولما بلغ جالدُهُ أربعين جلدة أشار إليه أبو العباس بأن يكفّ وابتدر لباسَ ثيابه

وقال للمنصور : أنا أحدُ عبدانكم ولا يجب علي سوى أربعين جلدة منتهى حد العبد ، فقبل ذلك المنصور منه على علمه بما في طيه من التنكيت عليه ، وإنما أشار بذلك أبو العباس إلى معتقد آل عبد المومن وطائفتهم قديماً وحديثاً أن كل من خرج عن قبائلهم المعتقدة هداية مهديهم وعصمته فهم عبيد لهم أرقاء ، فصرفه المنصور إلى منزله واستمرّ هجرانه إياه ومنعه حضور مجلسه إلى أن توفي المنصور وولي ابنه الناصر فتركه مغضباً على ما كان عليه آخر أيام أبيه، إلا أنه أباح له التصرفّ في حوائجه ولقاء مَن يريد لقاءه من أصناف الناس ، وقد كان ذلك مما حظره عليه المنصور ، فاستقرّ حال أبي العباس على ما ذكر من الاخمال إلى أن توفي عن سن عالية بمراكش يوم عاشوراء تسع وتسعين وخمسمئة .

انتهى من (الذيل والتكملة) (1) .

144) **أحمد ابن خالص الأنصاري** ، من أهل مراكش وبها مات قبل عام أحد وستمئة ، ودفن خارج باب الدباغين وكان من أهل المجاهدة والتجرد والزهد في الدنيا ، وكان جميع مؤنته في الشهر ربع دينار لا يزيد عليه .

قال في (التشوف) سمعت محمد ابن خالص يقول : حدثني أحمد أخي قال سمعت يوماً نباح كلب فاذا هو يقول الحمد لله بكلام فصيح ، ولما احتضر قلت له ياأحمد اذكر الله ، فانتهرني ، فسمعته يقول عند ءاخر رمق خذني إليك ، خذني إليك ، فقضى نحبه رحمه الله تعالى :

قالت لي النفس أتاك الردى ... وأنت في بحر الخطايا مقيم
وما ذخرت الزاد قلت اقصرى ... هل يحمل الزاد لدار الكريم
واخجلى منه إذا جئتُهُ ... والعبد مطلوب بدين قديم
وما أرى يطلبني اذ درى ... أنيّ محتاج اليه عديم
ولست محتاجاً إلى شاهد ... لأن مولاي بحالي عليم
وحكمه المقسط لا يقتضي ... هلاك مديان بمال الغريم (2)

---

1) **الذيل والتكملة** 1 : 564 ع 871 .

2) **التشوف** ص 426 ع 234 .

145) احمد بن محمد الغساني ، من أولياء مراكش قال فى (التشوف) فى حكاية الرؤية ما نصه : ولقد حدثني محمد بن محمد بن أبى القاسم قال سمعت أبا زيد الدقاق وكان رجلا خيراً يقول : رأيت النبيّ صلى الله عليه وسلم فى النوم عند أحد أبواب مراكش ، فقلت يارسول الله أفي هذه البلدة أحد من الأولياء ؟ فقال سبعة ، فقلت يارسول الله مَن هم ؟ فقال لي هؤلاء ، فاذا سبعة رجال خرجوا من الباب ما عرفت منهم إلا أحمد بن محمد الغساني (1) .

146) احمد ابن دوناس ، الولي الصالح ، من الأولياء الأخفياء ، من أهل أغمات ، لا يمسك شيئاً ، وربما تجرد من أثوابه فيوثر بها ويستتر بالأبواب ، ذكره صاحب (التشوف) فى ترجمة أبى العباس السبتي ، راجع ما نقلناه عنه فيها (2) .

147) احمد بن علي الصنهاجي ، من أصحاب أبي العباس السبتي ، حدث عنه في (التشوف) ببعض كرامات السبتي ، وكان يعضدها بالحديث وتقدم ذلك (3) .

148) احمد السيفي أبو الفضل ، من أصحاب الشيخ أبي العباس السبتي ، كان يسكن بباب أيلان من مراكش ، وحدث عنه فى (التشوف) ببعض كرامات السبتي التى تقدمت فى ترجمته (4) .

149) احمد بن عتيق الذهبي

أحمد بن عتيق بن الحسن بن زياد بن جرج : بلنسي مروي الأصل أبو جعفر وأبو العباس الذهبي ، تلا بالسبع على أبي عبد الله بن جعفر ابن حميد ، وروى عن أبى بكر ابن بيبش ، وأبى جعفر ابن مضاء ، وأبوي

---

1) **التشوف** ص 3 و 302 و 303 و 410 .

2) أنظر مثلا صفحة 247 من الجزء الأول من الأعلام .

3) يسميه المؤلف فى الأصل المطبوع احمد بن على الصنهاجى مرة ؛ ويسميه اخرى على بن احمد الصنهاجى ويزيد فيكنيه أبا الحسن مما يدل على أن الاسم الثانى (على) هو الصحيح . أنظر مثلا ص 244 و 247 و 255 من الجزء الأول طبعة فاس ؛ وص 239 و 242 و 243 و 249 من الجزء الأول طبعة الرباط .

4) أنظر مثلا صفحة 254 من الجزء الأول من الأعلام .

القاسم عبدي الرحمان : ابن اسماعيل التونسي ، وابن محمد ابن حبيش ، وكان دونَه سناً وعلماً ، وتأدب بأبي محمد بن يحيى عبدون ، وأجاز له أبو الطاهر بن عوف ، وأبو عبد الله بن عبد الرحمان بن محمد بن منصور بن محمد ابن الفضل بن منصور بن أحمد بن يونس بن عبد الرحمان بن الليث بن عبد الرحمان ابن المغيث بن عبد الرحمان بن المغيث بن عبد الرحمان بن العلاء الحضرمي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعامله على البحرين ، وأبو القاسم مخلوف بن جاره ، روى عنه ابنه أبو بكر عتيق ، وأبو جعفر بن علي ابن عيشون ، وأبو عبد الله بن الحسن بن التجيبي ، وكان أعلم أهل زمانه بالعلوم القديمة وبالتعاليم منها خصوصاً ، ماهراً في العربية وافر الحظ من الأدب ، يقرض يسيراً من الشعر فيجيد فيه ، متحققاً بأصول الفقه ثاقب الذهن متوقد الخاطر غواصاً على دقائق المعاني بارع الاستنباط ، ورد مراكش مستدعى إليها من قبل يعقوب المنصور فحظي عنده وجلت منزلته ونال عنده وعند ابنه محمد الناصر بعده جاهاً عريضاً ، وكان من أجلّ مَن يحضر مجلسَهما من أهل العلم ، وقدمه يعقوب المنصور للشورى والفتوى في القضايا الشرعية ، فكانت الفتاوى في نوازل الأحكام تصدر عنه فتبلغ القاضي الحافظ أبا العباس بن محمد بن علي بن جوهر الحصار فينسب كل فتوى إلى قائلها من أهل المذهب المالكي وكثر ذلك منهما فأنهي إلى أبي جعفر فقال ما أعلم من قال بتلك الأقوال التي أفتي بها ولكني أراعي أصول المذهب فأفتي بما تقتضيه وتدل عليه فكان يقضي العجب من حذق أبي جعفر وادراكه وجودة استنباطه ومن حفظ أبي العباس واشرافه على أقوال الفقهاء وحضور ذكره إياها ، وكان العجب من أبي جعفر أكثر ، وقد قيد عنه من أجوبته على المسائل الفقهية وغيرها الكثير الحسن البديع ، ولما امتحن أبو عبد الله بن إبراهيم وأبو محمد بن أحمد ابن رشد محنتهما المشهورة حسبما سنلمع بنبذة في رسم أبي الوليد إن شاء الله لحق أبو جعفر هذا بقاشْرْهْ (1) واختفى بها حذراً من إدخاله معهما في تلك المحنة ولم يعرف بمكانه حتى خلصا فظهر ، وفي ذلك يقول متبرماً بحاله :

---

1) في الأندلس قريتان بهذا الاسم ؛ احداهما من عمل قرطبة ؛ والأخرى من عمل لبلة

أفي الحق أن أقضي وما أنا مُذنبٌ — وأترك تجفي اللحْظَ عني النواظر
غريباً عن الأوطان والأهل لا أرى — أنيساً سوى ما تجتليه الخواطر
ويقصد ظلمي ليس إلا لأنني — أحسُ بتقصير الذى هو قاصر
فيارب مبغي عليه فقم له — بنصر فقد أوجبت أنك ناصر
وقلّبْ له قلبَ الخليفة علّه — تنظم أشتات" له وأواصر

وفى أنسه بنفسه، وفقده فى تلك الحال ملائمه من أهل جنسه، يقول :

إذا كان أنس الناس بالناس لم يكن — أنيسي سوى نفسي وما هو من نفسي
أيؤنسني شيء سواها وبعضُ ما — أشاهد فيها عالما الحسِّ والقدس

ثم إن يعقوب المنصور استدعاه واستخلصه وبسط أمله ولم تزل مكانته لديه تترقى حتى بلغ الغاية التى ليس وراءها مطمح ، وتلمذ له يعقوب المنصور فى بعض ما كان ينتحله من العلوم النظرية ، فيذكر أنه فهم يوماً من إلقائه عليه مسألة منها حسن موقع فهمه إياها منه وسر بتحصيلها فوصله بألف دينار من ضربه ، ولم يزل إحسانه إليه متوالياً عليه حتى أثرت حاله وتأثل أموالا جمة ، وقال له يوماً : ياأبا جعفر ما صدر عنا من إنعام عليك فليكن مستوراً لا يطلع أحد عليه ، فان ببابنا قوماً سلفت لأسلافهم خِدَم لا يبعد أن تدركنا غفلة عن معاهدتهم بما يؤملونه منا ، فان بلغهم الخبرُ عن إحساننا إلى مَن لم تتقدم لأوليته خدمة لهذه الدولة أمكن أن يؤثر ذلك فى نفوسهم فيكون داعية الى تغير بواطنهم وسبباً فى فساد ضمائرهم ومنشأ لحسدك والبغي عليك .

مولده سنة أربع وخمسمئة ، وتوفي بتلمسان صحبة محمد الناصر إلى افريقية سنة إحدى وستمئة .

وفى الرواة عن أبي الحسن ابن هذيل سنة ثلاث وستين وعن أبي الحسن ابن النعمة ووصفه بالمقرىء النجيب سنة سبع وستين أبو جعفر أحمد بن عتيق بن الحسن الكتامي ويغلب على الظن أنه الذهبي هذا ، فان يكن إياه فهو من أصدق الدلائل على قدم نجابته والله أعلم .

انتهى من (الذيل والتكملة) (1) .

150) أحمد بن علي بن خلف التجيبي

قال ابن عبد الملك :

أحمد بن علي بن خلف التجيبي : إشبيلي أبو القاسم بن علي ، أخو الحاج أبى بكر بن علي ، روى عنه ابن أخته إسماعيل بن إبراهيم ابن الأديب ، وكان من الفقهاء الحفاظ ، ذا معرفة تامة باللسان العربي ، كثير التقييد ، مُكباً على الطلب عفيفاً مبرزاً فى عقد الشروط ، وكان يؤم ببعض مساجد إشبيلية فضيق عليه أبو حفص بن عمر أيام استقضائه باشبيلية وصرفه عن الامامة فيه وانتزع من يده دار ذلك المسجد ، وكان أبو القاسم يقول إنه بناها بماله ، فاضطره ذلك إلى التحول عن إشبيلية ، فقدم مراكش وتعرف فيها بأبى القاسم ابن مثنى أوجَهِ خَدَمَةِ الأمير حينئذ ، فأقبل عليه واستأدبه لولده ، فأقام عنده نحو عام ، ثم رغب فى العود إلى وطنه ، فأصحبه ابن مثنى كتاباً إلى أبى حفص بن عمر يتضمن الوصاة به والاعتناء بجانبه ، فردَّ عليه إمامة مسجده وداره وعاد إلى دكان توثيقه ونوه به ، واستمرت حاله كذلك إلى أن استقضي أبو محمد ابن حوط الله باشبيلية فولاّه حسبة السوق فحسن فيها غناؤه ، وذكر فيها بنقاء الجانب وتوفية النظر فيما يعود على المسلمين بالمنفعة الشاملة ، وكان مشهوراً عند العامة والخاصة ولم تطل مدته فى هذه الخطة ، وتوفي فى سن الاكتمال رحمه الله عقب ذى الحجة من سنة اثنتين وستمئة (2) .

---

1) الذيل والتكملة 1 : 279 ع 358 وانظر أيضاً التكملة 1 : 55 والمغرب 2 : 321 والغصون اليانعة ص 36 ورايات المبرزين ص 82 وطبقات الأطباء 2 : 81 والوافى 7 : 85 والديباج ص 52 وبغية الوعاة ص 144 .

وقد كان المؤلف نقل ترجمة أحمد بن عتيق الذهبى من بغية الوعاة ؛ ثم استدركه لما اطلع على الجزء من الذيل والتكملة فاكتفينا بهذه الترجمة لشمولها وضربنا صفحاً عن الترجمة الأولى.

2) فى الأصل المطبوع بفاس 1 : 350 صحفت اثنتين وستمئة فكتبت ثلاثين وستمئة .

وهذه الترجمة مما استلحقه المؤلف بالأحمدين بعد عثوره على الجزء الأول من الذيل والتكملة فاكتفينا بها لشمولها .

انتهى من (الذيل والتكملة) (1) .

151) **أحمد بن محمد العزفي** ، من أهل مراكش ، وبه مات في شهر ذي الحجة عام ثلاثة وستمئة كان عبداً صالحاً صابراً على شدة الفقر معرضاً عن الدنيا وأهلها :

تبارك الله وسبحانه ما جهل الله بذاك الفقير
مَن ذا الذي تلزمه فاقة وذخره اللهُ العليُّ الكبير ؟

قال في (التشوف) حدثني أبو القاسم عبد الرحمان بن محمد ، قال أخبرني أبو الحجاج يوسف بن علناس الزناتي قال : مات أبو العباس أحمد بن محمد فلم يكن عنده شيء يكفن فيه ، فأراد أقوام أن يجمعوا له ثمن كفن فأدر كتني عليه رقة ، فقلت لهم لا تنظروا في كفنه فان عندي كفناً أعددته لنفسي واشتريته بدراهم نحو ثلاثة دنانير ، وكان أعطانيها بعض الأكابر ، وقد حصلت لي في بعض واجبي من الغنيمة ببلاد الروم ، فآثره بها رحمه الله تعالى (2) .

152) أحمد بن محمد ابن مقدام الرعيني

أحمد بن محمد بن أحمد ابن مقدام الرعيني : إشبيلي أبو العباس وأبو القاسم ، تلا بالسبع على أبوي الحسن : شريح ، ومحمد بن عبد الرحمان ابن عظيمة ، وأبي عمر بن صالح ، وروى عن أبي بكر ابن العربي وصحبه كثيراً وكان معه في وجهته إلى مراكش إذ استدعاه عبد المومن ولازمه إلى مدينة فاس فلم يبلغها حتى توفي بمقربة منها ، وأبي الحكم عمرو بن بطال ، وتأدب في العربية بأبي الحسن بن محمد ابن مسلم ، وأبي القاسم عبد الرحمان . . . ابن الرماك ، وحدث بالاجازة عن أبي الطاهر السِّلفي ، روى عنه أبو اسحاق بن أحمد اللخمي ، وابن

1) **الذيل والتكملة** 1 : 306 ع 388 وانظر ايضاً **بغية الوعاة** ص 148 .

2) **التشوف** ص 391 ع 204 **والسعادة الأبدية** 2 : 113 .

علي بن المنذر ، وآباء بكر : عبد الله بن أبي مروان بن الدب ، وابن أحمد بن سيد الناس ، وابن جابر السقطي ، وابن عبد الله القرطبي ، وابن عبيد الله ابن العاصي ، وابن عبد الرحمان بن أبي زيد ، وابن عبد النور ، وابن محمد بن عبد العزيز ابن أخت ابن صاف ، وأبو الحسن بن عبد الصمد ابن الجنان وأبو الخطاب محمد بن أحمد ابن خليل ، وأبو العباس بن عبد الله ابن سيد الناس ، وابن محمد بن عيسى ، وآباء علي : الحسن بن هشام العبدري ، وعمر بن أحمد السلمي ، وعمر بن محمد ابن الشلوبين ، وأبو عمر . . . بن أبي محمد ابن حوط الله ، وهو آخر الرواة عنه بالأندلس ، وأبو عمرو سليمان بن يحيى الدقره ، وآباء القاسم : القاسم ابن الطيلسان ، والمحمدان : ابن عبد الواحد الملاحي ، وابن عامر ابن فرقد ، وأبو محمد : ابن الحسن ابن القرطبي ، وابن سليمان ابن حوط الله ، وأحمد بن عيسى ابن حجاج ، وأحمد بن محمد بن أحمد بن عيسى ، وعبد الوهاب بن أبي بكر محمد بن عبيد الله بن القاضي المذكور ، وحدثنا عنه شيخنا أبو القاسم أحمد بن محمد البلوي رحمه الله ، وكان مقرئاً عارفاً بالتجويد راوية للحديث عدلا فيما ينقله ثقة فاضلا زاهداً حافظاً للآداب يستظهر (سقط الزند) من شعر المعري ، وأسنّ وعُمّر طويلا .

مولده في رمضان ست عشرة وخمسمئة ، وقال محمد بن عامر ابن فرقد سنة اثنتين وخمسمئة ، وتوفي بين عيدي الفطر والأضحى سنة أربع وستمئة ، قال أبو عبد الله ابن الأبار : وانفرد بالأخذ عن شريح ، قال المنصف عفا الله عنه : يريد أنه آخر التالين عليه وليس كذلك، فقد بقي بعده أبو زكرياء ابن أحمد ابن مرزوق الى أن توفي في حدود ثمان وستمئة .

انتهى من (الذيل والتكملة) (1) .

---

1) **الذيل والتكملة** 1 : 384 ع 537 وانظر أيضاً **غاية النهاية** 1 : 104 **والتكملة** 1 : 97 وعنها ترجمة **جذوة الاقتباس** .

وكان المؤلف نقل ترجمته عن **التكملة** في الأصل المطبوع !! ثم لما اطلع على الجزء الأول من **الذيل والتكملة** استلحقه ؛ فاكتفينا بما اثبتناه لشموله ؛ واغفلنا ترجمة **التكملة** .

153) أحمد بن علي ابن عيشون الأنصاري

أحمد بن علي بن عبد المجيب بن علي بن أحمد ابن عيشون الأنصاري ، من أهل بلنسية سمع أبا عبد الله بن نوح وتفقه به ، وتعلم العربية عنده ، وسمع أيضاً أبا عبد الله ابن حميد ، والحاج أبا بكر بن علي ابن هذيل ، وغيرهم ، وناظر على أبي جعفر الذهبي في فنون تحقق منها بالعربية ، وكان من كبار أصحابه وأذكيائهم وأهل الفهم والتحصيل .

توفي بمراكش سنة خمس وستمئة ، ومولده سنة اثنتين أو ثلاث وستين وخمسمئة .

ترجمه في (التكملة) (1) .

154) أحمد بن عبد العزيز السلالجي الخراز ، من أهل الجانب الشرقي من مراكش ، توجه إلى مكة فمات ببجاية في صدر عام ستمئة ودفن بملالة ، وكان صاحب مجاهدات وسياحة ، وكان إذا سمع بخروجه من مراكش يشيعه المريدون وغيرهم وتطرح عليه أنواع الثياب فيطرحها على الفقراء ويبقى بمرقعته ، وكان يسافر على التجرد ، قال في (التشوف) وحدثني أنه كان يعدل في سياحته عن العمران ولا زاد معه ، ويتجنب المواضع التي فيها أصحابه ومعارفه حتى لا يروه وييسر الله له رزقه من حيث لا يدري ، وأنه ينزل حيث شاء من الأرض فلا يتعذر عليه شيء :

أنا في حاليَّ الذى قد تـــــراه	إن تفكرت أحسن الناس حـــالا
منزلي حيث شئت من مستقـــر	الأرض أسقى من المياه الــزلالا
ليس لي كسوة أخاف عليهــــا	من مغير ولا ترى ليَّ مــــالا
أجعل الساعد اليمينْ وســـادى	ثم أثني إذا انقلبت الشمــــالا
قد تخلقت حقبة بأمــــور	لو تدبرتها لكنت خيـــالا

وكان أبو العباس ممن لا يروض نفسه إلا بالجد والتشمير ، وكان يعمل بيده فيطعم إخوانه من كد يمينه ، وإذا كان معهم في موضع خال كان خديمهم ، وعقد مع الله تعالى أن لا يبيت وعنده معلوم يركن إليه .

---

1) **التكملة** 1 : 97 ع 253 **والذيل والتكملة** 1 : 311 ع 398 .

سمعت يوسف بن محمد الخزرجي يقول ، كان ليلة عند أبي العباس ربع درهم ، فطلب فقيراً يتصدق به عليه فلم يجده ، فخرج إلى المسجد فلم يجد فقيراً يتصدق به عليه ، فجعله فى كوة حائط ودخل منزله حتى لا يبيت معه شيء يشغل سره .

أخبرني مخبر أن رجلا وصل من بجاية أخبره عن وفاة أبي العباس أنه نزل فى في فندق يخرز فيه ويعتزل الناس فى بيت يعمل فيه ، فجاءت إلى بجاية جماعة من الصالحين المنقطعين وسألوا عن الفندق الذى نزل فيه أبو العباس وقالوا أين هذا المراكشي ؟ فأرشدوا إليه ، فلما اجتمعوا به قال لهم أريد أن لا تشهروني عند الناس فاتركوني ، فقالوا إنما جئنا لنحضر جنازتك ، فانا أمرنا فى اليوم أن نأتي لحضور جنازتك ، ثم ودعوه وهو صحيح وخرجوا من الفندق ، فدخل بيته وأغلقه على نفسه ، فافتقده أصحابه فوجدوه فى البيت ميتاً مستقبل القبلة انتهى (1) .

وترجمه فى (النجم الثاقب) أيضاً بما هنا ذاكراً أنه توفي عام ستة وستمئة .

(تنبيه)

ليس المترجم هو السلالجي صاحب (البرهانية) ، فذاك اسمه عثمان بن عبد الله السلالجي المتوفي سنة 564 وستأتي ترجمته أيضاً فى موضعها من هذا الكتاب ان شاء الله ، وبيت بني السلالجي بيت عربية وقيسية ، وقد جرى ذكر المترجم فى ترجمة سيدى يوسف بن علي أحد الرجال السبعة بمراكش .

155) **أحمد بن عبد السلام الجراوي** ، الشاعر ، سكن مراكش ، وأصله من تادلة ، ونسبه فى بني غفجوم ، له رواية عن أبي الفضل ابن الأعلم ، وأبي العباس ابن سيد ، وغيرهما ، وكان عالماً بالآداب ، حافظاً بليغ اللسان ، شاعراً مفلقاً .

---

1) **التشوف** ص 384 ع 199 .

قال ابن الأبار بعد إيراد ما تقدم : وقد وقفت على ديوان شعره ، وألف للسلطان كتاباً فى معنى الحماسة لحبيب ، سماه (صفوة الأدب ، ونخبة كلام العرب) ، أخذه الناس عنه ، وأثنى على هذا التأليف أبو الحسن سهل بن مالك شيخ ابن الأبار وحدثه به عنه هو وأبو الربيع بن سالم ومحمد بن عبد الجبار الرعيني وغيرهم ، ودخل الأندلس متكرراً عليها ، وتوفي باشبيلية فى السابع والعشرين لصفر سنة تسع وستمئة عن سن عالية ، ونقل إلى مراكش فدفن خارج باب الدباغين .

ترجمه فى (التكملة) .

وممن أخذ عنه أبو الحسن علي بن محمد الغافقي الشاري المتوفي سنة 649 المترجم فى (الجذوة) (1) .

(تنبيه)

الجراوي بفتح الجيم ثم راء بعدها ألف المد ثم واو قال فى (مشتبه النسبة) الكَوارئي بتثقيل الواو وبعد الراء مدة أحمد بن عبد السلام شاعر المغرب بعد 600 بديع القول انتهى . ونبه بعض المهمشين على أنه الجراوي كما قدمنا .

وقال فى (كشف الظنون) :

(صفوة الأدب ، وديوان العرب) لأحمد بن عبد السلام الكَراوي الأديب ، وهو كتاب يحتوي على فنون الشعر كالحماسة ، وهو عند أهل المغرب كالحماسة عند أهل المشرق ، ومؤلفه من شعراء ملوك الموحدين ، توفي فى ءاخر أيام يعقوب الموحدي ، ألفه فى مختار الشعر ، وهو من أحسن المجاميع ، وتوفي الأمير يعقوب الموحدي سنة خمس وتسعين وخمسمئة . انتهى .

قلت قوله توفي فى آخر أيام يعقوب الخ ... غير صحيح لما علمت عن ابن الأبار أنه توفي بعد ذلك بنحو أربعة عشرة عاماً سنة 609 .

---

1) **جذوة الاقتباس** ص 485 ع 550 طبعة دار المنصور بالرباط .

وقال في (نفح الطيب) قلت وتذكرت بما أنشده في الهجاء قول الباقعة الشاعر المشهور أحمد الغفجومي الشهير بالجذامي وعامة المغرب يقولون الجراوي يهجو قومه بني بني غفجوم وهم بربر بتادلة متوصلا بذلك الى هجو أصلاء فاس بني الملجوم ، ومستطرداً في ذلك ما هو في اطراده كالماء المسجوم ، وهو :

يا ابن السبيل إذا مررت بتـــادلا	لا تنزلنّ على بني غفجـــــــوم
أرض أغار بها العدو فلن تـــرى	إلا مجاوبة الصدى للبـــــــوم
قوم طووا ذكر السماحة بينهـــم	لكنهم نشروا لواء اللـــــــوم
لا حظّ في أموالهم ونوالهـــــم	للسائل العافي ولا المحـــــروم
لا يملكون إذا استبيح حريمهـــم	إلا الصراخَ بدعوة المظلـــــوم
يا ليتني من غيرهم ولو أننـــــي	من أرض فاس من بني الملجـوم

وقد ذكر غير واحد من المؤرخين أن أحد بني الملجوم قضاة فاس وأصلائها بيعت أوراق كتبه التى هي غير مجلدة بل متفرقة بستة ءالاف دينار ، ويكفيك ذلك في معرفة قدر القوم ، ومع ذلك هجاهم بهذا والله سبحانه يغفر الزلات . انتهى (1) .

وقد قال في (الاستقصا) في ترجمة السلطان يوسف بن عبد المومن ما نصه : ومما يستظرف من أخباره رحمه الله أن الأديب أحمد بن عبد السلام الكرواني وكروان قبيلة من البربر منازلهم بضواحي فاس كان نهاية في حفظ الأشعار القديمة والمحدثة وتقدم في هذا الشأن ، وله فيه تآليف ، وكان مع ذلك صاحب نوادر جالس بها عبد المومن ثم ولده يوسف ثم ولده يعقوب ، فمن نوادره أنه حضر يوماً إلى باب أميرِ المومنين يوسف بن عبد المومن المذكور وحضر إليه أيضاً الطبيب سعيد الغماري ، فقال أمير المومنين لبعض خدمه انظر مَن بالباب من الأصحاب ؟ فخرج الخادم ثم عاد إليه فقال ياسيدى أحمد الكرواني وسعيد الغمارى فقال أمير المومنين يوسف من عجائب الدنيا

1) **نفح الطيب** 2 : 502 طبع بيروت .

شاعر من كروان ، وطبيب من غمارة ، فبلغ ذلك الكرواني فقال (وضرب لنا مثلا ونسي خلقه) ، أعجبُ منهما والله خليفة من كومية ! فيقال إن أمير المومنين يوسف لما بلغه ذلك قال أعاقبه بالحلم عنه ، ففيه تكذيب له (1) .

ومن شعر الكرواني من جملة قصيدة يمدح بها أمير المومنين يوسف المذكور وهو بديع :

إن الامام هو الطبيب وقد شفـــا   عللَ البرايا ظاهراً ودخيـــــلا
حمل البسيطة وهي تحمل شخصه   كالروح يوجد حاملا محمـــــولا

وجراوة من قبائل زناتة ، وهم ولد كراوين بن الديرت بن جانا كما فى تاريخ ابن خلدون .

وقال المليتي فى (البستان) وأنشد أحمد الجراوي لنفسه رضي الله عنه (2) .

وبين ضلوعي للصبابة لوعـــــة   بحكم الهوى تقضي علي ولا أقضي
جنى ناظري منها على القلب ما جنى   فيامَن رأى بعضاً يعين على بعض

وسياتي ذكره فى ترجمة صفوان التجيبي ، وفى ترجمة أبي بكـــر يحيى ابن مجبر (3) .

156) أحمد بن هارون ابن عات النفْزي (4)

أحمد بـــن هارون بـــن أحمد أبـــو عمر ابن عـــات النفزي ، شاطبي سمع بالأندلس على الحافظ أبي محمد أبيه ، وأبي الحسن بن محمد بن هذيل ،

1) **الاستقصا** 2 : 157 طبع الدار البيضاء .

2) **البستان** ص 312 .

3) ينظر عن احمد الجراوى **ذكريات مشاهير المغرب** ع 6 **والغصون اليانعة** ص 98 **وزاد المسافر** ص 7 ؛ وللأستاذ الوزير السيد محمد الفاسى كتاب درس فيه حياة الشاعر وجمع فيه اشعاره واخباره سماه **ابو العباس الجراوى شاعر الخلافة** .

4) ضبطه صاحب **الشذرات** بالنقرى بضم النون والقاف وراء ؛ نسبة الى نقر بطن من احمس ؛ والصواب ما ضبطه به ابن عبد الملك في **الذيل والتكملة** وهو ما اثبتناه ؛ منسوباً الى قبيلة نفزة الشهيرة .

وأبي يوسف ابن سعادة ، وأجاز له أبو الخطاب ابن واجب ، وأبو القاسم ابن بشكوال ، ورحل إلى المشرق ، فلقي عبد الحق الاشبيلي بن الخراط ، وبالأسكندرية أبا الطاهر السِّلَفي ، ولقي أبا القاسم ابن العريف ، وخلائق بمصر وغيرها ، ومن شيوخ مكة أبا محمد عبد الدائم العسقلاني ، وبدمشق من ابن عساكر أبي القاسم ، وبالموصل من أبي الفرج عبد الرحمان بن علي ابن الجوزي ، والكاتبة شهرة ، ومَن لا يحصى كثرة ، وقد ضمن ذكرهم وجملة صحيحة من مروياته برنامجيه أحدهما يسمى بـ (النزهة ، والتعريف بشيوخ الوجهة) وهو كتاب جليل نافع جامع ، والآخر بـ (ريحانة النفس وراحة الأنفس ، فى ذكر شيوخ الأندلس) ، وروى عنه عالم كثير كعلي ابن القطان ، وأبي الحسن صاعد ، وأبي الخطاب ابن واجب المتقدم ذكره ، وأبي العباس ابن سيد الناس ، وأبي محمد عبد الرحمان ابن برطله ، وأبي بكر ابن مسدى، وكان من أكابر المحدثين ، وجلة الحفاظ المسندين للحديث والأدب بلا مدافعة ، يسرد الأسانيد والمتون ظاهراً فلا يخل بشيء منها ، ثقة عدلا مأمونا مرضياً ، متوسط الطبقة فى حفظ فروع الفقه ومعرفة المسائل ، إذ لم يُعْنَ بذلك عنايته بغيره ، وكان أهل شاطبة يفاخرون بأبي عمر بن عبد البر ، وابن عات ، وكان على سنن الصالحين فى الانقباض ونزاهة الكلام ومتانة الدين وأكل الحشف ولباس الخشن ولزوم التقشف والزهد فى الدنيا ، قال أبو عامر ابن نذير : لازمته مدة من ستة أشهر فلم أر أحفظَ منه ، وحضرت لسماع الموطأ والبخاري منه ، فكان يقرأ من كل واحد من الكتابين نحو عشرة أوراق عرضاً بلفظه كل يوم لا يتوقف فى شيء من ذلك ، وقال ابن مسدي كان يستظهر عدة كتب ، وحضر مجلس السلطان بمراكش فتذاكروا علم الكلام فانقطع عن المجلس ، وحفظ فيه نحوا من مئتي ورقة ثم رجع يذاكرهم ، وكان مهيباً وقوراً ، وكان ذا حظ وافر من الأدب قائلا لجيد الكلام نظماً ونثراً ، وله تصانيف ، وفقد رحمه الله فى وقعة العقاب من ناحية جيان فلم يوجد حياً ولا ميتاً سنة تسع وستمئة ، وهذه الواقعة هي السبب الأقوى فى تحيف الروم بلاد الأندلس حتى استولوا على معظمها وأفضى الحال الى خلائها من أهل الملة الحنيفية ، فأنا لله وإنا إليه راجعون .

قال في (الديباج) أثر ما ذكر : وما نقلته من غير كتاب (الذيل والتكملة) من تعاليق شيخنا الشيخ عفيف الدين المطري ومن تاريخ مصر لقطب الدين رحمه الله انتهى .

وقال في (نفح الطيب) في ترجمته وذكر نحو ما تقدم ما نصه : قال ابن عبد الملك المراكشي في (الذيل والتكملة) : حدثنا عنه شيخنا حسن بن علي ابن القطان ، ثم قال وحكى أنه حضر في جماعة من طلبة العلم لسماع السير على بعض شيوخهم ، فغاب الكتاب أو القارىء بكتابه، فقال أبو عمر أنا أقرأ لكم ، فقرأ لهم من حفظه ، ثم قال : وقال بعض المؤرخين انه كان آخر الحفاظ للحديث يسرد المتون والأسانيد ظاهراً لا يخل بحفظ شيء منها موصافاً بالدراية والرواية ، غالباً عليه الورع والزهد ، على منهاج السلف يلبس الخشن ويأكل الحشف وربما أذن في المساجد ، وله تآليف دالة على سعة حفظه مع حظ من النظم والنثر ، ثم قال : قال ابن الأبار وهو ممن أجاز له المذكور فيما رواه أو ألفه رحمه الله تعالى .

وقال في (النفح) في غير ترجمته ، قال في (عنوان الدراية) عند ذكر الحافظ أبي الخطاب عمر ابن دحية مجد الدين الأندلسي الظاهري : رأيت له تصنيفاً في رجال الحديث لا بأس به ، واتحل إلى المشرق في دولة بني أيوب فرفعوا شأنه وقربوا مكانه وجمعوا له علماء الحديث وحضروا له مجلساً أقروا له بالتقدم وعرفوا أنه من أهل الضبط والاتقان والتفهم ، وذكروا أحاديث بأسانيد حولوا متونها فأعاد المتون المحولة وعرف عن تغييرها ، ثم ذكر الأحاديث على ما هي عليه من متونها الأصلية ، ومثل هذه الحكاية اتفق لأبي عمر ابن عات في كتاب مسلم بمراكش ببيت الطلبة منها ، وترجمه في (الشذرات) أيضاً وضبط النُقْرى بضم النون والقاف وراء نسبة إلى نُقْر بطن من أحمس .

وقال ابن عبد الملك :

أحمد بن هارون بن أحمد بن جعفر بن عبد الملك ابن عات النفزي : شاطبي ، أبو عمر ، أخذ بالأندلس قراءة وسماعاً عن الحافظ هارون أبيه ،

وأبوي الحسن : ابن محمد ابن هذيل ، وعليم ، وأبوي عبد الله : ابن عبد الرحيم ، وابن يوسف ابن سعادة وأكثر عنه ، وأجازوا له وتأدب أول قراءته بأبي محمد بن يحيى ابن عبدون ، وصحب أبا بكر عبد الرحمان ابن مغاور ، وأبا عبد الله بن أبي بكر ابن عفيون ، وأبا عمرو إبراهيم بن محمد ابن ينق ، ولم يذكر أنهم أجازوا له ، ولقي أبا بكر بيبش صهره ، وابن أحمد بن أبي جمرة ، وأبا الحسن بن عبد الله ابن النعمة ، وأبا عبد الله بن جعفر ابن حميد ، وأبا محمد عاشراً وفاوضه ، وأجازوا له ، وأجاز له أبو بكر ... ابن نمارة ، وأبو الحجاج بن عبد الله بن يوسف ، وأبو الخطاب أحمد بن محمد ابن واجب ، وأبو الحسن بن عبد الله ابن فزارة ، وأبوا عبد الله : ابن إبراهيم ابن الفخار ، وابن عبد الرحمان ابن عبادة ، وأبو العطاء وهب بن ندير ، وآباء القاسم : خلف بن عبد الملك ابن بشكوال ، وعبد الرحمان بن عبد الله السهيلي ، وابن محمد ابن حبيش ، ومحمد بن ... بن وضاح ، وأبو محمد بن محمد الحجري ، ولم يذكر أنه لقيهم ، ورحل إلى المشرق بنية الحج ، فلقي ببجاية نزيلها عبد الحق الاشبيلي ابن الخراط ، وبالاسكندرية الأحمديْن : ابن محمد السلفي أبا الطاهر ، وابن مُسَلَّم بفتح السين الغفل وتشديد اللام اللخمي ، وأبا طالب التنوخي ، والاسماعيليْن أبويْ الطاهر : ابن عبد الرحمان بن يحيى بن إسماعيل بن علي بن محمد بن إسماعيل بن الوليد بن عمرو بن محمد بن خالد بن محمد الدباج بن عبد الله المِطْرف بكسر الميم وسكون الطاء الغفل بن عمر بن عثمان بن عفان رضي الله عنه ، والديباجي ابن أبي اليابس ، وابن مكي بن عوف ، وقد تقدم ذكره في رسم أحمد بن إبراهيم القنجايري ، وحسن بن اسماعيل بن حسن بن أبي بكر اللكي أبا علي بن المؤذن ، وعبد السلام بن محمود بن أحمد الفارسي أبا المعالي ، وعبد الواحد بن عسكر بن أبي الحسن بن عبيد الله المخزومي الوليد أبا محمد النجار ، والعلييْن : ابن محمد بن خلف الحجاري أبا القاسم بن العريف ، وابن أبي المكارم المفضل المقدسي أبا الحسن بن العصارة ، وابن مهدي بن علي بن محمد بن علي أبا القاسم بن قُلُنْبي بقاف ولام مضمومتين ونون ساكنة وباء واحدة مفتوحة وياء لا أتحقق الآن أهي ساكنة أم رسمت بدلا من ألف ، والمحمدين : ابن عبد

الله بن الحسين بن علي بن أبي نصر بن أبي طلحة الهروي ثم الأشْكِيذباني بفتح الهمزة وشين معجم ساكن وكاف مكسور وياء مد وذال معجم مفتوح وباء بواحدة وألف ونون منسوباً ، وابن عبد ... أبو عمر بن عات هذا أبا عبد الله وابن عبد الرحمان بن محمد ابن منصور الحضرمي أبا عبد الله ، وابن محمد بن الحسن الكركنتي أبا عبد الله ، ومخلوف بن علي بن عبد الحق أبا القاسم بن جارة ، فقرأ عليهم وسمع وأجازوا له ، والقاضي أبا محمد عبد الله الديباجي أخا أبي الطاهر المذكور فأجاز له ولم يهيأ له السماع عليه لمرض أبي محمد ، وأجاز له من أهل الفسطاط أبو الجيوش عساكر بن علي بن اسماعيل بن نصر المقري ، وأبو المظفر منصور بن طاهر بن أبي القاسم الدمشقي ، ويحيى بن علي بن عبد الرحمان القيسي الداني أمام مسجد العَيْثَم بمصر بفتح العين الغفل وسكون الياء المسفولة وثاء بثلاث مفتوحة وميم ، وهو المسجد الذى بناه الحكم بن عبد الرحمان ... عبد العزيز بن مروان بن حكم ووقف فيه مصحفاً وأجرى على الذى يقرأ ثلاثة دنانير كل شهر ، ومن شيوخ الحرم زاده الله تشريفاً نزلاؤه اسماعيل بن علي بن عبد الله الموصلي ابن السراج ، وإمام المقام عبد الدائم بن عمر بن حسين بن عبد الواحد الكناني العسقلاني ، وعلي بن حُمَيْد مصغراً بن عمار الأنصاري المصري ، وعمر بن عبد المجيد بن عمر بن حسن بن أحمد بن محمد القرشي الميانشي ، وأبو محمد المبارك بن علي بن الحسين بن عبد الله بن محمد البغدادي ابن الطباع ، ومن أهل دمشق : بهاء الدين أبو محمد القاسم بن أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين الشافعي ابن عساكر ، ومن أهل الموصل : الواعظ أبو الفرج عبد الرحمان بن علي بن محمد بن علي ابن الجوزي ، وأبو ... القزويني ، والكاتبة شهدة بنت أبي نصر أحمد بن الفرج بن عمر الدينوري يعرف بابن الأبَري بكسر الهمزة وفتح الباء وراء منسوباً ، وقد ضمّن ذكرهم وجملة عامة من مروياته عنهم برنامجيه اللذين سمّى أحدهما (النزهة ، فى التعريف بشيوخ الوجهة) وهو كتاب حفيل جامع ، والآخر بـ (ريحانة النفس وراحة الأنفس ، فى ذكر شيوخ الأندلس) وهو على مقدار النصف من (النزهة) ويكون فى سفر جيّد

يشف على (التقصي) لأبي عمر بن عبد البر ، ومـا يعادله ويقاربه ، وجمع بينهما على اقتضاب وتلخيص فى مختصر نبيل جرد فيـه أسماءهم وبعض التعريف بهم ويسيراً مما أخذه عن بعضهم .

روى عنه أبو إسحاق بن غالب ابن بشكوال ، وابن محمد الحضرمي ، وأبو أمية إسماعيل بن سعد السعود ابن عفير ، وآباء بكر : ابن أحمد ابن سيد الناس ، وابن أحمد ابن مشليون ، وابن جابر السقطي ، وابن المرابط ، وابن غلبون ، وآباء جعفر : ابن زكرياء بن مسعود ، وابن محمد ابن شهيد ، وابن محمد بن وهب، وابن علي المالفي ، وابن الفحام ، وابن مالك بن السقا ، وأبو الحسن بن صاعد، وابن عبد الرحمان بن جوير، وابن محمد بن سماعة ، وأبو عامر بن نذير ، وأبو العباس بن عبد اللهابن سيد الناس ، وابن علي ابن مِطْرف ، وابن عمرو سالم بن صالح بن سالم ، وأبو الفضل يزيد بن محمد ، وآباء القاسم : أحمد بنمحمد بن نجوت ، والمحمدان : ابن عبـد الواحد الملاحي ، وابن عامر ابن فرقد ، وآباء محمد : ابن عبد الرحمـان ابن برطله ، وابن قاسم الحرار ، وعبد العزيز ابن أبي حي ، وأبو المطرف أحمد بن عبد الله ابن عميرة ، وأبو الوليد محمد بن أحمد بن الحاج ، ومنذر ابن محمد البلغي ، وحدثنا عنه شيخنا أبو محمد حسن بن علي ابن القطان .

وكان من أكابر المحدثين الجلة الحفاظ المسندين للحديث والآداب بلا مدافعة يسرد الأسانيد والمتون ظاهراً فلا يخل بحفظ شيء منها عدلا ثقة مأموناً مرضياً متوسط الطبقة فى حفظ فروع الفقه ومعرفة المسائل إذ لم يُعْنَ بذلك عنايته بغيره ، فكان أهل شاطبة يفاخرون بأبوي عمر : ابن عبد البر وابن عات ، وكان على سنن السلف الصالح فى الانقباض ونزارة الكلام ومتانة الدين وأكل الجشب ولباس الخشن ولزوم التقشف والتقلل من الدنيا والزهد فيها والمثابرة على كثير من أفعال البر كالأذان والاقامة وبذل المعروف والتوسيع بالصدقات على الضعفاء والمساكين، وكان مهيب اللقاء (فى الأول) حتى إذا خالط معاشره وداخله ودّ أن لا يفارقه لوطأة أكنافه وحسن أخلاقه وجميل انبساطه ، قال أبو عامر بن نذير : لازمته مدة من ستة أشهر لم أر أحفظ منه وحضرت

لسماع الموطأ وصحيح البخاري سنة فكان يقرأ من كل واحد من الكتابين نحو عشرة أوراق عرضاً بلفظه كل يوم عقب صلاة الصبح لا يتوقف فى شيء من ذلك .

وقال أبو بكر بن جابر السقطي : أخبرنا بعض الشرقية أن أبا عمر ابن عات حضر فى جماعة من طلبة العلم لسماع السير على بعض شيوخهم فغاب الكتاب أو القارىء بكتابه فقال أبو عمر ابن عات أنا أقرأ لكم ، فقرأ لهم من حفظه وقال أبو محمد بن قاسم الحرار : ما رأيت أشد انقباضاً ولا أهيب من أبى عمر ابن عات، وما أخذت عن أحد أجل فى نفسي علماً وعملا منه رحمه الله .

كان الأمراء من آل عبد المؤمن يخاطبونه ويعتمدون رأيه وإشارته فى مصالح بلده شاطبة وأهلها ثقة بدينه وركوناً إلى نصيحته ، وكان ذا حظ وافر من الأدب قائلا لجيد الكلام نثراً ونظماً ، وقد ضمن جملة وافرة منهما كتابيه : (النزهة) و (الريحانة) المذكورين وغيرهما من تصانيفه ، ومن ذلك قوله يرثي الشيخ الامام الأوحد عبد الله بن عبد الرحمان العثماني الديباجي بن أبي اليابس رحمه الله :

خطب كبير فى مصاب كبير ... ما بعده من سلوة وسرور
لا تسألوا عمن أصيب بفقده ... حلّت رزيته على المعمور
أسفاً لأهل العلم غُيِّبَ نورهم ... تحت الصفيح فما لهم من نور
فجعوا بعثمانيهم فتناثرت ... عبراتهم كاللؤلؤ المنثور
ياشيبة تقبيلُها كفارة ... للحوب أذكى من شذا الكافور
ما كان أدأب ليلها ونهارها ... فى طاعة المكتوب والمسطور
ما كان آثرها لأهل الفضل فى ... تسميعها للنقل والمأثور
ما كان أنزهها عن الدنيا وعن ... طلابها ترميهم بالمور
أين السماحة والشجاعة والتقى ... ها إنها قبرت مع المقبور
يافائتي بزمانه ومكانه ... ولئن ظفرت برؤْيةٍ وحضور
أشكو إليك تعطّشي وتوحشي ... لما حللت بربعك المهجور
ماذا أصاب الفضل بعدك من شجى ... حتى ليرنو من عيون عور
أخليت صدر الدست فاختلت به ... إذا ناب قوم ماهمُ بصدور

فالآن يعرف قدر فضلك إنمـــــا ... يُدرى ضياء الشمس بالديجـــور
فأحلَّك الرحمان دار نعيمـــــه ... وحبوره مـــع جدك المحبـــور
وكساك فى الفردوسِ حلياً فاخراً ... من لؤلؤ وزبرجـد وشـــــذور

وسيأتي بعض ذلك فى رسم أبى محمد بن يحيى عبدون وغيره إن شاء الله .

ولد قبيل الزوال فى ساعة الرواح إلى الجمعة لخمس خلون من شوال اثنتين وأربعين وخمسمئة ، ومن الاتفاق الغريب أن كنيه أبا عمر بن عبد البر المذكور آنفاً ولد يوم الجمعة والامام يخطب لخمس بقين من ربيع الآخر سنة ثمان وستين وثلاثمئة فبينهما موافقه ما ، واستشهد أبو عمر ابن عات رحمه الله فى وقيعة العقاب من ناحية جيان على المسلمين يوم الاثنين منتصف صفر تسع وستمئة فُقِد فيها فلم يوجد حياً ولا ميتاً ، وكانت هذه الحادثة الشنعاء مع الناصر محمد بن المنصور يعقوب من بنى عبد المؤمن ، وهي التى كانت السبب الأقوى فى تحيف الروم بلاد الأندلس حتى استولوا على معظمها وأفضى إلى خلائها من أهل الملة الحنيفية ، إنا لله وإنا إليه راجعون .

أنشدنى القاضى أبو محمد ابن القطّان رحمه الله قال : أنشدنى الحافظ الشهيد أبو عمر ابن عات رحمه الله قال : أنشدنى الحافظ المتفنن أبو الحسن ابن المفضل المقدسى رحمه الله لنفسه وهو من تجنيس القوافي البديع :

أيانفس بالمأثور عن خير مرســل ... وأصحابــه والتابعيــن تمسكـي
عساك إذا بالغت فى نشر دينــــه ... لما طاب من نشر له أن تمسكــي
وخافي غداً يوم الحساب جهنَّمــاً ... إذا لفحت نيرانهـــا أن تمسكـي

انتهى من (الذيل والتكملة) (1)

---

1) ترجمة ابن عات المنقولة من **الذيل والتكملة** ليست واردة فى الأصل المطبوع ؛ وانما استلحقها المؤلف بعد عثوره على الجزء الأول من الكتاب المذكور ؛ فالحقناها احتراماً لارادته

ينظر عن ابن عات : **الذيل والتكملة** 1 : 556 ع 858 **والتكملة** 1 : 101 **والديباج المذهب** ص 58 **ونفح الطيب** 3 : 357 **وابو المطرف احمد بن عميرة المخزومى** تاليف الأستاذ محمد بن شريفة ص 77 .

157) أحمد بن محمد البكري الشريشي

قال ابن عبد الملك :

أحمد بن محمد بن أحمد البكري ، شريشي استوطن سلا ، أبو العباس ، روى عن أبي إسحاق بن يوسف ابن قرقول ، واستقضي بسلا ثم بمكناسة ، وتوفي فى أوائل إحدى عشرة وستمئة ، ذكره محمد ابن الأبار ، واحمد ابن فرتون فى الأندلسيين ، ولا ينبغي عندي أن يذكر فيهم لأننا لم نتحقق مولده بشريش ، وإنما كان يعرف بالنسبة إليها ونزل سلفه سلا ، وبها لقي أبا إسحاق ابن قرقول ، وهو والد أبي زكرياء يحيى المستقضي بمراكش من قبل المرتضى من آل عبد المومن فى أواخر سنة إحدى وستين وستمئة ، وتاج الدين الشريشي المتصوف بالقاهرة (1) ، ولأحمد المترجم به عقب بسلا إلى الآن .

انتهى من (الذيل والتكملة) (2) .

158) أحمد بن محمد ابن دحيون

قال ابن عبد الملك :

أحمد بن محمد ابن دحيون (بفتح الدال الغفل وإسكان الحاء الغفل وضم الياء المسفولة وواو ونون) بن مرين (بفتح الميم وكسر الراء وياء مدّ ونون) بن سليمان بن عبيد الله ، مالقي ، روى عن أبي بكر بن . . . . بن أسود لقيه بمراكش .

انتهى من (الذيل والتكملة) (3) .

---

1) هو تاج الدين أبو العباس أحمد الشريشي المترجم تحت رقم 170 من هذا الجزء .

2) **الذيل والتكملة** 1 : 387 ع 543 **والتكملة** 1 : 105 وهذه الترجمة مما استلحقه المؤلف بالأحمدين بعد عثوره على الجزء الأول من (الذيل والتكملة) .

3) **الذيل والتكملة** 1 : 423 ع 622 وهذه الترجمة مما استلحقه المؤلف بالأحمدين بعد عثوره عن الجزء الأول من (الذيل والتكملة) .

159) أحمد بن عبد الرحمان الحرمل الطنجي

أحمد بن عبد الرحمـان المعروف بالحرمـل ، من أهـل طنجة ، ومات بها عام اثني عشر وستمئة ، قدم مراكش فكان لا يخرج من بيته إلا فى يوم الجمعة ، وجال فى بلاد الأعاجم فنفع الله به خلقاً كثيراً ، وكان مقامه فى التوكل لا يُلحق ، فكان يدخل الصحراء بأهله وأولاده على التجرد ، وسئل عن دخوله مراكش فقال دخلتها لأصحح توكلي .

قال فى (التشوف) سمعت محمد بن أبى القاسم يقول : دخل أحمد الحرمل مراكش فسمعت أنه يتكلم على الخاطر ، فدخلت عنده وجلست بين يديه، فقلت فى نفسي هلا قال لي قم إلى دكانك ، فقال لي على أثر هذا الخاطر قم إلى دكانك ، فسلمت عليه وخرجت :

لي بالمغارب إخوان وأخـــدان ... بان العزاء وقلبي يوم هم بانــوا
أنا الذي بان جسمي عن ديارهـم ... لكنهم في فؤادي حيثما كـانــوا
شأني من الدهر تذكاري لمجدهـم ... وكلُّ صب له من دهره شـان (1)

160) أحمد بن محمد ابن واجب القيسي

أحمد بن محمد بن عمر بن محمد بن واجب بن عمر بن واجب بن عمر بن واجب القيسي ، من أهل بلنسية ، يكنى أبا الخطاب حامل راية الرواية بشرق الأندلس وآخر المحدثين المسندين، سمع جده عمر، وأبا الحسن ابن هذيل وأخذ عنه القراءات ، وأبا بكر بن نمارة ، وأبا عبد الله بن سعادة ، وأبا الحسن ابن النعمة وعنده تعلم العربية وعليه قيَّد كتب اللغات والآداب ، وسمـع بمرسية من أبي بكر بن أبي ليلي ، وأبي عبد الله بن عبد الرحيم ، وسمـع من أبي القاسم ابن حبيش وأبى عبد الله بن حميد يسيراً ، وكان ابن حبيش منهما يُجله ويُرفـِّعه عن الأخذ عنه لمساواته إياه ببعض شيوخه ، ورحل إلى غرب الأندلس مراراً أولاها سنة أربع وستين وخمسمئة ، فسمع بقرطبة من أبي القاسم ابن بشكوال وأكثر عنه فى رحلته هذه وبعدها واقتصر عليه دون

---

1) التشوف ص 452 ع 259 .

الرواة من أهلها ، ولقي بأشونة أبا مروان ابن قزمان وقد أسن وثقل ، وهو أعلا شيوخه إسناداً فسمع منه وأجاز له ما رواه مع جلة من أصحابه استجازه لهم حينئذ ولأهل عصره ، ولم يكثر عنه لتكلفه الاسماع من أجل كبرته ، وسمع باشبيلية من أبي بكر ابن خير كثيراً ، ومن أبي الحسن الزهري وأبى إسحاق ابن فرقد وأبي بكر بن محرز البطليوسي يسيراً ، وأخذ عن أبي عبد الله ابن زرقون (التقضي) لأبى عمر بن عبد البر وبعض روايته، وكتب إليه أبو بكر ابن العربي، وأبو الوليد ابن الدباغ، وأبو مروان ابن مسرة، وأبو الوليد ابن خيرة، وأبو بكر بن رزق وأبو العباس الخروبي ، وأبو محمد بن موجوال ، وأبو إسحاق الغرناطي ، وأبو محمد بن دحمان ، وأبو عبد الله بن الفخار ، وأبو محمد ابن عبيد الله وغيرهم ، ولقي الخطيب أبا علي بن عريب ، وأبا العباس بن إدريس ، وأبا محمد بن عاشر فأجازوا له ولم يسمع منهم ، وكتب إليه أيضاً من أهل الشرق آباء الطاهر : السلفي وابن عوف والخشوعي فى آخرين ، وكان على انتقائه من يأخذ عنه ينتقي ما يسمع منه ، وساوى شيوخه العلية فى درجة الرواية بابن قزمان فصار لا يعدل به أحداً من أهل وقته عدالة وجلالة وسعة أسمعة وعلو إسناد وصحة نقل وضبط ، إلى تقلب فى العليا ، وتقلل من الدنيا ، مع رسوخ القدم فى الدين والورع ، تخنقه العبرة للرقائق ، وتعلوه الخشية للمواعظ ، مع عناية كاملة بصناعة الحديث وبصر به ، وتحقق بحمله ، وذكر لرجاله ، وتهافت على جمع كتبه وما يتعلق بفنه ، ومحافظة على إسماعه ونشره ، وترغيب لأهله فيه ، وكانت الرحلة إليه في زمانه ، وولي القضاء ببلنسية وشاطبة حقباً عدة وأوقاتاً مختلفة ، فما نقمت عليه سيرة ولا وقعت به استرابة سوى حدة متعارفة منه ، ثم صرف أشد حاجة منه حين ولي ، ولم يكن شأنه ولا الغالب عليه سوى الحديث ، إليه جنح ومال ، وفي سماعه رحل وجال ، واقتنى من الأصول العتيقة والدفاتر النفيسة كثيراً، وربما سافر فى تحصيلها ، وهي كانت جل ما أورث .

سمع منه الناس قديماً وحديثاً ، وانتفعوا بلقائه ، وأخذ عنه جماعة من شيوخ ابن الأبار وكبار أصحابه ، وقد حكي عنه شيخه أبو بكر بن خير في فهرسته الكبرى في وفاة أبى الحسن بن هذيل .

قال ابن الأبار ورزقت منه قبولا وبه اختصاصاً ، فمعظم روايتي قديماً عنه ، وأجازلي غير مرة خطاً ولفظاً ، وكان يرتاح إلى الآداب وكتب منها كثيراً بخطه ، واختصر تأليف ابن بشكوال فى الغوامض والمبهمات ورتبه ترتيباً مفيدا ، واختصر أيضاً كتاب الفصل للوصل المدرج فى النقل لأبي الخطيب ، وله فى غير ذلك تنابيه نبيهة ، واستدراكات حسنة ، واستلحق على أبي عبد الله المرزباني فى (معجم الشعراء) ما يدل على مطالعته واحاطته .

مولده ببلنسية سنة سبع وثلاثين وخمسمئة .

توفي رحمه الله بمراكش فى رحلته إليها لاستدرار جار من بيت المال انقطع عنه ، فقبض بها بعد مضي نحو الثلث من ليلة يوم الاثنين السادس لرجب سنة أربع عشرة وستمئة وهو ابن سبع وسبعين سنة .

ترجمه فى (التكملة) (1) وفى (الديباج) (2) .

وقال ابن عبد الملك :

أحمد بن محمد بن عمر بن محمد بن واجب بن عمر بن واجب القيسي : بلنسي باجي الأصل بغرب الأندلس انتقل منها عمر أبو جد أبيه فاستوطن سرقسطة ثم بلنسية ، أبو الخطاب ، أخذ قراءة وسماعاً وإجازة عن جده عمر وأبى إسحاق بن . . . ابن فرقد ، وآباء بكر : عبد الرحمان بن . . . بن أبى ليلى ، وابن أحمد ابن نمارة ، وابن خير ، وابن . . . . ابن محرز ، وآباء الحسن ابني الأحمدين : الزهري ، وابن كوثر ، وابن عبد الله ابن النعمة ، وابني المحمدين : ابن فيد ، وابن هذيل ، وآباء عبد الله : ابن جعفر ابن حميد ، وابن سعيد ابن زرقون ، وابن عبد الرحيم ابن الفرس ، وابن يوسف ابن سعادة ، وأبى العباس بن . . . . . بن ادريس ، وحسين ابن عريب ، وخلف بن عبد الملك ابن بشكوال ، وعبد الرحمان بن محمد ابن حبيش ، وأبوي محمد : ابن محمد الحجري ، وعاشر ، وأبى مروان عبد الرحمان بن محمد ابن

---

1) التكملة 1 : 106 ع 276 .

2) الديباج المذهب ص 56 .

قزمان ، وأجاز له ولم يلقه من أهل الأندلس أبَوا بكر : محمد بن عبد الله ابن العربي ، ويحيى بن محمد ابن رزق ، وأبو الوليد الحسن بن . . . . . بن هلال، وأبو العباس بن محمد الخروبى ، وأبو الوليد يوسف بن عبد العزيز بن الدباغ ، ومن أهل المشرق أبو طالب . . . . . التنوخي ، وآباء الطاهر : السِّلَفي أحمد بن محمد ، واسماعيل ابن مكي ، وابن عوف ، وبركات بن ابراهيم الخشوعي ، وأبو عبد الله الحضرمي .

روى عنه ابناه : عبد الله ، ومحمد ، وآباء الحسن : ابن عمه لحاً (1) أحمد بن محمد ، وابن محمد ابن القطان ، وابن محمد ابن نوح ، ويكنى أيضاً أبا عبد الله ، وآباء بكر : ابن جابر السقطي ، وابن الطيب ، وابن غلبون ، وابن محمد ابن عيشون ، وابن محرز ، وآباء جعفر ابن زكرياء ابن مسعود ، وابن صالح ، وابنا العليين : ابن عثمان ، وابن الفحام ، وابن محمد ابن شهيد، وابن ملك ابن السقا ، وابن يوسف ابن الدلال ، وأبو الحسين عبد الله بن محمد بن عبد الله ابن مفوز ، وأبو زكرياء بن زكرياء الجعيدي ، وآباء عبد الله : ابن أحمد الرندي ، وابن أحمد بن عبد العزيز ، وابن عبد الله ابن الأبار وابن عبد الرحمان ابن جوبر ، وابن علي ابن عسكر ، وابن يوسف بن جعفر ، وأحمد بن يوسف ابن فرتون ، والحسن بن محمد ابن هشام ، وأبو محمد : ابن قاسم الحرار ، وابن موسى الركيبي ، وأبو المطرف أحمد بن عبد الله ابن عميرة ، وأحمد بن محمد بن حلالة ، وعبد الله ابن أحمد بن علي ابن هذيل ، واستجازه لنفسه ولابنيْه أحمد ابن عات فأجاز لهم .

وحدثنا عنه جماعة من شيوخنا : أبو جعفر بن يوسف الطنجالى ، وأبو الحسن بن محمد الرعينى والحسن بن أبى الحسن الماقري ، وأبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد العزفي ، وكان وجيه البيتة ببلده ، شهير البيتة فى أهلها ، نبيه القدر فاضلا كامل الاستقلال بعلم الحديث حافظاً له متسع الرواية ثقة عدلا ضابطاً نبيل الخط حريصاً على الافادة والاستفادة وافرَ الحظ من علم العربية والأدب والتاريخ والنسب ، مع الدين المتين ، استقضي بشاطبة

---

1) يقال هو ابن عمه لحاً أى خالصاً ، والفائدة انه يقال انه ابن عمه على التقريب .

وكان بها قاضياً فى محرم سبع وتسعين وخمسمئة ، وببلنسية مرتين أولاهما بتقديم يعقوب المنصور وأخراهما من قبل ابنه محمد الناصر ، فحمدت فيهما سيرته ، وعُرف بالعدالة والذكاء وإعداء المظلوم على الظالم ، وردع المفسدين ، واقامة الحق والصدع به .

مولده ببلنسية سنة سبع وثلاثين وخمسمئة ، وقدم مراكش مرات آخرها عام وفاته ، ولم يمكث بها حينئذ سوى عشرة أيام أو نحوها فانه قدمها فى العشر الأخر من جمادى الأخرى وتوفي بها ليلة الأحد الخامسة من رجب أربع عشرة وستمئة ودفن عصرها بجبانة باب نفيس أحد أبوابها الغربية .

انتهى من (الذيل والتكملة) (1) .

161) أحمد بن عبد الله السكوني

قال ابن عبد الملك :

أحمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد السكوني ، قرطبي ، سكن مراكش ، أبو العباس .

روى قراءة وسماعاً عن أبى بكر عتيق بن علي الصنهاجي ، وأبى جعفر محمد بن يحيى الوزغي ، وآباء الحسن : ابن محمد ابن حفص ، وابن موسى ابن النقرات ، وابن يحيى الأخفش ، وأبى زكرياء بن محمد بن خلف الهوزني ، وأبوي محمد : ابن سليمان ابن حوط الله ، وعبد العزيز بن عبد الرحمان القيسي ، وأبى يحيى بن بكر بن علي بن أحمد الحاج القلعي الضرير ، وأجاز له أحمد بن يحيى ابن عميرة ، وأبو زكرياء ابن حسان المرجيقي ، وأحمد بن يزيد ابن بقي ، وعبد الرحمان بن ابراهيم ابن الفرس ، وعبد المنعم بن محمد ابن تيسيت ، وأبوا محمد ابنا المحمدين : ابن أبى السداد ، وابن عيسى التادلي .

---

1) **الذيل والتكملة** 1 : 473 ع 714 وهذه الترجمة مما استلحقه المؤلف بعد عثوره على الجزء الأول من (الذيل والتكملة) .

وكان من أهل العناية بالعلم ولقاء المشايخ ، جيد الخط ، مُجوداً للقرآن العظيم ، متقناً بآدابه ، راوية للحديث ، ذا حظ وافر من العربية .

انتهى من (الذيل والتكملة) (1) .

162) أحمد بن إسحاق الطوسي الهمْداني

قال ابن عبد الملك :

أحمد بن إسحاق بن ابراهيم بن أحمد بن عامر الهمْداني بسكون الميم والدال الغفل ، غرناطي ، سكن مراكش ، أبو جعفر الطوسي ، روى عن أبي الحسن سهل بن مالك واختص به كثيراً ولازمه طويلا ، وصحبه فى تغريبه (2) إلى مرسية فى أيام المتوكل على الله محمد بن يوسف ابن هود .

وكان أديباً كاتباً بليغاً من أبرع الناس خطاً حسن الخلق نظيف الملبس كريم العشرة .

توفي بمراكش .

انتهى من (الذيل والتكملة) (3) .

163) أحمد بن عبد المومن ابن مومن القيسي

قال ابن عبد الملك :

أحمد بن عبد المومن بن موسى بن عيسى بن عبد المؤمن القيسي ، وكان أبو الحسن بن لُبَّال يثبت نسبهم فى بني أمية : شريشي أبو العباس . وأخبرني شيخنا الحسن ابن علي الماقري أنه يعرف بابن مؤمن وان ذلك لقب له عند أهل بلده ، ولم أتلقَّ ذلك ولا سمعته عن غيره ، ولعل ذلك إن صح تغيير من عبد المؤمن لمكان التقية من غيرة آل عبد المومن من مشاركتهم فى الشهرة بالانتساب إلى جدهم ، فكثيراً ما كانوا يفعلون ذلك ويغيرون الأسماء والكنى والأنساب والشُّهَر على الجملة بسببه والله أعلم .

---

1) **الذيل والتكملة** 1 : 150 ع 230 والترجمة المذكورة مما الحق منه بالاعلام .

2) ينظر تغريب سهل بن مالك فى ترجمته فى الجزء الرابع من هذا الكتاب ص 101—124.

3) **الذيل والتكملة** 1 : 71 ع 70 والترجمة مما استلحق منه بالاعلام .

روى ابن مومن ببلده عن آباء بكر : ابن (   ) بن عبيد ، وابن مالك ، ويحيى بن عيسى ابن أزهر ، وأبى الحسن بن أحمد ابن لُبَّال ، وأبى العباس بن عبد الواحد القلاد ، وباشبيلية عن أبوي بكر : ابن عبد العزيز السلاقي ولزمه حولا كاملا ، وابن علي ابن المرخي ، وأبى الحسن نجبة ، وأبى الحسين محمد (بن محمد ابن) زرقون ، وأبيه أبى عبد الله بـن سعيد ، وأبى العباس بن محمد ابن مقدام ، وبها ثم بفاس عن أبى ذر مصعب بـن محمد ، وبفاس عن أبوي الحسن : ابن عتيق بن مؤمن ، وابن موسى بن النقرات ، وأبى الحسين يحيى بن محمد ابن الصائغ ، وأبـوي عبد الله : ابن عبد الكريم ابن الكتاني ، وابن علي ابن السقاط ، وبسبتة عن أبوي الحسن ابني المحمدين : ابن خروف ، وابن عبد الله الحضرمي ، وأبي الحسين محمد بن أحمد ابن جبير ، وأبى الصبر أيوب ، وأبى العباس بن محمد بن أحمد العزفي ، وبها وبسجلماسة قبلها عن أبى العباس بن محمد بن علي بن جوهر الليثي الفاسي الحصار ، وكتب عنه أيام استقضائه بسبتة وقدمه فى خطة المناكح بها ولازمه كثيراً ، وبالجزيرة الخضراء عن الخطيب بها أبى الحسن حاجز ، وبقرطبة عن أبى جعفر بن محمد بن يحيى ، وأجاز له أبو القاسم عبد الرحمان بن عيسى ابن الملجوم رآه ببلده فاس وباشبيلية ولم يشافهه ، وممن لم يلقه من أهل المغرب والأندلس آباء عبد الله : ابن احمد بن عبد الله الهمداني من أهل الجزيرة الخضراء ، وابن ابراهيم الفخار ، وابن عبد الحق التلمسيني ، وابن قاسم بن عبد الكريم ، ومن أهل المشرق محمد بن محمد بن الحسن الربعي الكركشي .

روى عنه محمد بن عبد الله ابن الأبار ، وأحمد بن يوسف ابـن فرتون ، وشيخنا أبو الحسن بن محمد الرعيني ، والحسن بن علي الماقري ولقيه بمراكش ، وحدث عنه بالاجازة جماعة ، منهم أبو بكر بن أحمد ابن البناء الكاتب ، وأبو الحسن بن يحيى ابن عمريل الكناني ابن الفخار .

وكان كاتباً بليغاً فاضلا ثقة فيما يأثره قديم النجابة ، عُنِيَ بالرحلة فى طلب العلم ، مبرزاً فى المعرفة بالنحو ، حافظاً للغات ، ذاكراً للآداب ،

شهر بحفظ تصانيف لغوية وأدبية وجملة من الأشعار الجاهلية والاسلامية وكثير من كتب الحديث المختصرة ، وتفريع أبي القاسم عبيد الله بن الحسن (   ) ابن الجلاب وغير ذلك ، وتصدر لاقراء اللغة والأدب والعربية والعروض ببلده وبسواه ، وصنف فى شرح (مقامات الحريري) ثلاثة تصانيف : بسيطاً امتع فيه بذكر مقاصده الأدبية ، ووسيطاً انتخبه من هذا البسيط ، ووجيزاً اقتصر فيه على شرح ما اشتملت عليه من اللغات ، وله فى شرح (الايضاح) كتاب حافل ، وفى شرح (الجمل) كذلك ، وألف فى العروض ، وجمع مشاهير قصائد العرب ، واختصر أمالي أبى علي القالي ، وكل ذلك مما شهد بتقدمه وإدراكه وسعة حفظه وجودة انتقائه .

توفي بشريش فى عشر ذى حجة من سنة تسع عشرة وستمئة .

انتهى من الذيل والتكملة (1) .

164) أحمد بن إبراهيم ابن فرقد العامري القرشي

قال ابن عبد الملك :

أحمد بن ابراهيم بن خلف بن محمد بن الحبيب بن عبد الله بن عمرو ابن فرقد القرشي العامري ، إشبيلي ، موروي الأصل ، أبو جعفر ، نقلت هذا النسب إلى العامري من خط أبيه فى غير موضع ، وزاد أبو جعفر هذا بعد فرقد : ابن محمد بن عبد الرحمان بن محمد بن عبيدة بن وهب بن عبد الله بن يوسف بن عياض بن يوسف الفهري أمير الأندلس المخلوع بعبد الرحمان الداخل ابن معاوية ، وهو يوسف بن عبد الرحمان بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع بن عبد قيس بن لقيط بن عامر بن أمية بن الظرب بن الحارث ابن فهر ، وكذا قال الرازي فى نسب يوسف ، وقال ابن حيان : زعم أبو بكر ابن القوطية (2) أنه يوسف بن عبد الرحمان بن أبى عبيدة بن عقبة بن نافع

---

1) **الذيل والتكملة** 1 : 268 ع 349 وانظر أيضاً عن ابن مومن **التكملة** 1 : 111 **وبرنامج الرعيني** ص 90 **وبغية الوعاة** (نقلا عن ابن عبد الملك) ؛ وفيها أحمد بن عبد المنعم وصوابه ابن عبد المومن ؛ **ونفح الطيب** 2 : 316 **والوافي بالوفيات** 7 : 97 وهذه الترجمة استدركها المؤلف بعد عثوره على الجزء الأول من الذيل والتكملة .

2) **تاريخ افتتاح الأندلس** ص 21 طبع مدريد .

الفهري ، قال وما وجدت هداية إلى أن يوسف هذا الوالي بالأندلس ولد له ، يعني لعبد الرحمان المتغلب على ملك إفريقية ولا وجدت منتماه في جذم قومه ، فالله أعلم بشأنه .

قال المصنف عفا الله عنه : قد ذكره علي بن أحمد ابن حزم في (جماهر النسب) (1) بما يقتضي موافقة ما قاله أبو بكر ابن القوطية ، وما وقع في خط أحمد بن يزيد ابن بقي من نسب إبراهيم شيخه أبي أحمد المترجم به مخزومياً فوهم" بيّن فاعمله .

روى احمد ابن فرقد هذا عن أبيه ، وعمه أبي محمد ، وأبي جوهر بن عمر .

روى عنه قريبه أبو القاسم محمد بن عامر ابن فرقد ، وآباء بكر : ابن أحمد ابن سيد الناس ، وابن جابر السقطي ، وابن عياد ، وأبو جعفر بن مالك ابن السقاء ، وأبو زكرياء بن محمد القطان ، وأحمد بن يوسف ابن فرتون ، وأبوا محمد : طلحة ، وابن عبد الرحمان ابن برطلة ، وحدثنا عنه من شيوخنا أبو الحسن بن محمد الرعيني ، وأبو عبد الله بن علي ابن هشام .

وكان محدثاً زكياً فاضلا ثقة فيما يُحدّث به ، كتب الكثير بخطه الجيد وقيد أكثره ، وكان متقن الضبط فيما يعاني تصحيحه من كتبه ، ويوجد له فيما سوى ذلك أوهام ، واستقضي بغرناطة وسلا وغيرهما من المواضع النبيهة .

مولده سنة ست وأربعين وخمسمئة .

توفي باشبيلية ليلة يوم الأربعاء الحادية عشرة من ربيع الآخر سنة أربع وعشرين وستمئة ، ودفن ضحى الخميس بعده بمقبرة مشكه .

انتهى من (الذيل والتكملة) (2) .

---

1) كذا يسمى ابن عبد الملك **الجمهرة** لابن حزم في كتابه **الذيل والتكملة** .

2) **الذيل والتكملة** 1 : 37 ع 29 وينظر عنه أيضاً **التكملة** 1 : 113 وبرنامج الرعيني 132 – 133 وكذلك **التكملة** 1 : 153 في ترجمة والده ؛ وهذه الترجمة مما استلحقه المؤلف بعد عثوره على الجزء الأول من **الذيل والتكملة** .

165) أحمد بن يزيد ابن بقي الأموي

أحمد بن يزيد بن عبد الرحمان بن أحمد بن محمد بن أحمد بن مخلد بن عبد الرحمان بن أحمد ابن بقي بن مخلد بن يزيد الأموي ، قاضي قضاة المغرب من أهل قرطبة ، يكنى أبا القاسم .

سمع أباه يزيد ، وجده عبد الرحمان ، وأبا عبد الله بن عبد الحق الخزرجي ، وابن بشكوال ، وأبا خالد المرواني ، وابن مضاء ، وابن فرقد ، وأبا العباس ابن اليتيم ، وغيرهم ، وسمع من السهيلي تأليفه (الروض الأنف) ، وأجاز له شريح بن محمد وهو ابن عام ، وابن قزمان ، وأبو الحسن بن حنين ، وابن الرمامة ، وابن مسرة ، وسواهم ، وكان من رجالات الأندلس جلالا وكمالا ، ولا يعرف فيها أعرق من بيته فى العلم والنباهة إلا بيت بني مغيث بقرطبة وبيت بني الباجي باشبيلية ، وله التقدم على هؤلاء، وولي قضاء الجماعة بمراكش مضافاً ذلك إلى خطتي المظالم والكتابة العليا ، فحمدت سيرته ، ولم تزده الرفعة إلا تواضعاً ، ثم صرف عن ذلك كله ، وأقام بمراكش مدة طويلة إلى أن تقلد قضاء بلده وصرف عنه قبل وفاته بيسير ، فسمع منه الناس وتنافسوا فى الأخذ عنه ، وكان أهلا لذلك .

كتب إلى ابن الأبار باجازة ما رواه ، وهو آخر مَن حدث عن شريح باجازة ، وانفرد برواية (الموطأ) عن ابن عبد الحق قراءة عن ابن الطلاع سماعاً ، قال ابن الأبار وأنشدنا الخطيب أبو بكر اليعمري قال أنشدنا القاضي أبو القاسم ابن بقي لنفسه :

ألا إنما الدنيا كراح عتيقة	أراد مديروها بها جَلْب الأنس
فلما أداروها أثارتْ حقودهم	فعاد الذى راموا من الأنس بالعكس

توفي اثر صلاة الجمعة الخامس عشر من رمضان سنة خمس وعشرين وستمئة ، ودفن بمقبرة ابن عباس إزاء قبر جده .

ومولده بعد مضى أربع ساعات من يوم السبت الثاني عشر لذى قعدة سنة سبع وثلاثين وخمسمئة .

ترجمه فى (التكملة) (1) وفى (النيل) ، وقال فى (مشتبه النسبة) البقوي القاضى أبو القاسم أحمد بن يزيد البقوي من اولاد بقى بن مخلد الحافظ وأقاربه . وقد ذكر فى (نفح الطيب) فى الجزء الثالث فى ترجمة أبى بحر صفوان أديب الأندلس تهنئته للمترجم بخطة القضاء ، وذكر فى (الشذرات) أنه كان ظاهري المذهب مسند أهل المغرب وعالمهم ورءيسهم ، قال وآخر مَن روى عنه عبد الله بن هارون الطائي .

166) أحمد بن عتيق ابن قَنْتَرال الأموي

قال ابن عبد الملك :

أحمد بن عتيق بن علي بن خلف بن أحمد بن عمر بن سعيد بن محمد بن الأيمن بن يحيى بن سعيد بن الأيمن بن عمرو بن يحيى بن وليد بن محمد بن عبيد بن عمر ، وعمر هذا من ولد أبى المطرف عبد الرحمان الداخل إلى الأندلس بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان الأموي : مالقي سرقسطي الأصل ثم مرباطريه ، أبو القاسم ابن قنترال بقاف مفتوحة ونون ساكنة وتاء معلوة مفتوحة وراء وألف ولام .

روى عن أبيه ، وأبى القاسم محمد بن عبد الواحد الملاحي ، وكان من جلة أهل العلم ونبهائهم معروفاً بحسن التصرف فى الطب والاعتناء بعلوم الأوائل حتى غلبت عليه ، واستقضي بشريش فاستحسنت سيرته واختص بادريس المتلقب بالمامون بن يعقوب المنصور ، وكان أثير المحل عنده كثير الحظوة لديه،ومنقبلها أتي عليه حين وجهه من الأندلس إلى قبائل العدوة فتكلم مع ولاتها وجلة شيوخها إذ كتبوا إليه ببيعتهم ليتوثق له منهم ، فحسن منابه فى ذلك وأنجحت سفارته ، فتأكدت لديه أثرته حتى كان فوق أكابر وزرائه ، ثم لما فصل ادريس عن الأندلس قاصداً العدوة صحبه إلى سلا ، ثم بدت له مخايل الهرج الذى وقع بعدُ بالعدوة فاستأذنه فى العود إلى الأندلس فأذن له عن تغير خاف ابن قنترال سوء مغبته ، فأسرع اللحاق بالأندلس ، ولما وصل

---

1) **التكملة** 1 : 115 ع 292 .

مالقة ألفى أهلها وقد خلعوا المأمون ونبذوا عهده ونزعوا عن دولة آل عبد المومن رأسا وقد قاموا بدعوة العباسيين داخلين فى طاعة الأمير محمد بن يوسف ابن هود المتلقب بالمتوكل على الله أمير المسلمين ، فأحاطت العامة بموضع نزوله ظنّاً منهم أنه إنما وصل داعياً لصاحبه المامون وعن إذنه فى ذلك ، ومحرضاً أصناف الناس ببلاد الأندلس على ابن هود ، فاستدعاه والي البلد واستطلعه أمره حتى تحقق براءته مما اتهم به ، وهمّ بالكتْب فى شأنه إلى المتوكل ، فأبت العامة إلا قتله ، وتحرشوا للوالي حتى خاف منهم ثورة عليه أو اختلال حال ، فأخرجه اليهم وقتله ضحوة يوم الاثنين لست بقين من ربيع الآخر من سنة سبع وعشرين وستمئة رحمه الله ونفعه .

ومن غرائب الاتفاق ما ذكره أبو القاسم ابن عمران ونقلته من خطه قال : كنت بسبتة عام سبعة وعشرين فرأيتنى عند الفقيه شيخنا أحمد العزفي رحمه الله فى دويْرة داره المعلومة له وقد اجتمع حوله حلقة من طلبة العلم ، فبينا نحن نتذاكر قال قائل : أتى السيل أتى السيل ونال الحاضرين لذلك روع ، ثم سمعت من سأل من أين جاء ؟ قيل من أزمور وها هو أحمر منحدر إلى البحر ، فقال لي شخص كان يقابلني من أولئك الطلبة أجز :

قد أتى الوادي بسيل .

فقلت :

أحمر للجّ قاصد .

فلم يجبني فقلت :

فهما لابسُ درع ** قرنه فى الماء راقد

فجعل يقول ما معنى هذا ؟ فقلت له معناه بيّن ، عادة الشعراء أن تشبه النهر إذا جرت الريح على متنه بالدارع فهذه صفته قبل أن يرد عليه السيل ، ولون السيل أحمر ، فالوارد الآن هو المتشحط فى دمه ، فضرب على ركبتي إنسان كان على يساري ولم أكن عرفت مَن هو ، وقال لي صدقت

صدقت ، فالتفت فاذا هو أبو القاسم بن عتيق ، فلم تمر إلا أيام يسيرة وجاء وعبر البحر إلى مالقة فقتل بها لمدة قريبة رحمه الله ورزقنا العافية بمنه .

انتهى من (الذيل والتكملة) (1) .

167) أحمد بن محمد ابن عياش التجيبي

أحمد بن محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمان بن عبد الله بن عياش التجيبي . . . . سكن مراكش برشانيُّ الأصل حديثاً سرقسطيُّه قديماً، أخذ عن أبيه وأبي الخطاب أحمد بن محمد ابن واجب ، وأحمد بن يزيد ابن بقي ، وكانت له عناية تامة بالأدب ، وكتب عن المستنصر يوسف بن محمد الناصر من آل عبد المؤمن ، والمامون فمَن بينهما ، وكان كاتباً محسناً بارع الخط رائق الطريقة فيه سري الهمة وطيء الأكناف نفاعاً لأصحابه وذوي معرفته بجاهه وماله ، مغشي الجناب ، كان منزله مألفاً لطلبة العلم يأوون إليه ويحتكمون فيه احتكامهم فى أماكنهم ، يسره تبسطهم فيما اشتمل عليه واقتراحهم على خدمته بأغراضهم غاب أو حضر ، واستقضي بتلمسين وبسبتة ، وتوفي متلبّساً بالكتابة عن المأمون ، وقيل توفي بسبتة قاضياً له فى محرم تسع وعشرين وستمئة (2) .

168) أحمد بن محمد العشاب النباتي اللخمي المالقي

قال ابن عبد الملك :

أحمد بن محمد بن عمر اللخمي ، مالقي ، أبو جعفر العشاب والنباتي لاشتغاله بالنبات وتبريزه فى المعرفة به ، روى عن أبي بكر بن عبد الله ابن

---

1) **الذيل والتكملة** 1 : 282 ع 359 وهذه الترجمة مما استلحقه المؤلف بالأحمدين بعد عثوره على الجزء الأول من (الذيل والتكملة) .

2) **الذيل والتكملة** 1 : 464 ع 688 وانظر ايضاً **التكملة** 1 : 119 وهو ولد محمد ابن عياش المترجم فيهما ؛ وفى **المغرب** 2 : 81 **وزاد المسافر** ص 94 والمصادر التى ذكرت فى حاشيته ؛ **والاعلام** 3 : 94 طبع فاس ؛ ولا علاقة للمترجم وابيه بعبد الملك ابن عياش القرطبى كاتب الموحدين ايضاً المترجم فى **الذيل والتكملة** 5 : 26 وفى **زاد المسافر** ص 93 .

الجد ، وأبي جعفر بن علي الحصار الغرناطي ، وأبي الحجاج بن محمد ابن الشيخ ، وأبي الحسن صالح بن عبد الملك الأوسي ، وأبوي عبد الله : ابن إبراهيم ابن الفخار ، وابن سعيد ابن زرقون ، وأبي علي (...) ابن فتحون المليلي ، وأبي القاسم عبد الرحمان بن عبد الله السهيلي لقيه بمراكش ، وأبي محمد بن عبيد الله ، ورحل الى المشرق وأدي فريضة الحج ولقي هنالك جماعة من أكابر أهل العلم ، منهم أبو حفص وأبو عبد الله السهروردي ، وعبد الله ابن عبد الوهاب بن أبي الطاهر ابن عوف ، وغيرهما ، وقفل إلى بلـده .

روى عنه أبو العباس بن يوسف ابن فرتون ، وحدثنا عنه شيخنا أبو الحسن الرعيني رحمه الله .

وكان شيخاً فاضلا سنياً ظاهري المذهب ، مقتصداً فى أحواله ، ديناً مؤثراً ، حسن المشاركة فى حوائج الناس مبادراً إلى قضائها ، ممتع المحاضرة ، ذاكراً للآداب ، أنشدت على شيخنا أبي الحسن الرعيني رحمه الله وقال : أنشدني بلفظه يعني أبا جعفر النباتي هذا قال : أنشدني شهاب الدين أبو حفص هذا يعنى السهروردي لأبي حامد :

لئن كان لي من بعدُ أوبٌ إليكم ... قضيت لبانات الفؤاد لديكم
وإن تكن الأخرى ولم تك أوبة ... وحان حمامي فالسلام عليكم

وقد تقدم إنشادهما فى رسم أبي العباس بن عمر بن افرند وذكر ما بين الروايتين من خلاف .

مولده عام اثنين وستين وخمسمئة .

انتهى من (الذيل والتكملة) (1) .

---

1) هذه الترجمة ليست مما طبع فى الأصل ؛ بل هى مستلحقة بالكتاب من **الذيل والتكملة** 1 : ع 717 .

169) أحمد بن محمد الخزرجي الساعدي

قال ابن عبد الملك :

أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن خلف بن يونس بن طلحة الخزرجي الساعدي : شقري ، أبو العباس .

روى عن أبي الحسن ابن حريق ، روى عنه أبو عبد الله بن علي بن ادريس الغرليطشي وهو فى عداد أصحابه ، وأبو القاسم عبد الكريم ابن عمران وهو فى رتبة أشياخه ، وكان أديباً بارعاً شاعراً مجيداً كاتباً بليغاً بديع الخط ، ورد مراكش وامتدح بها لمة من وزراء دولة عبد المومن ، وجرت بينه وبين جماعة من الأدباء بها مخاطبات ومراجعات شهدت باجادته واقتداره وبراعة إنشائه ، كتب إليه الكاتب الشاعر أبو عبد الله بن علي الفاسي المعروف بابن عابد الآتي ذكره بموضعه إن شاء الله من هذا الكتاب ، وهما بمراكش ، وضمن بيت الشريف الرضي عام ثلاثة وعشرين وستمئة ، ونقلتها من خط أبى عبد الله ابن عابد :

شعر ابن طلحة فى تنميقه الحسن ... ينسي بدائع بشار أو الحسن
لآلىء هي معنى السحر أحرزها ... بالغوص فى أبحر الأفكار والفطن
لو أنها سلفت من قبل أودعها ... ضناً بها تاجه سيف بن ذى يزن
أو كان أبصرها المامون قلد من ... تؤامها الغر بوران ابنة الحسن
والطرس يودعه من خطه بدعاً ... تبدى لمبصرها ما شاء من فتن
لو بان للزهر أو للزهر منظرها ... لم يطلعا بعد فى أفق ولا غصن
سقى جزيرة شقر صوب خاطره ... فلست أرضى لها صوب الحيا الهتن
أرض بودى أن أحظى بها عوضاً ... عن الحظيين من أهل ومن وطن
إذ استجار أخو حزن بساحتها ... أضحى مدى الدهر فى أمن من الحزن
محل كل رئيس ليس همته ... إلا ابتياع العلا بأنفس الثمن
ولا تصرف غير العضب راحته ... أو اليراعة أو أشباهها اللدن
عندي أبا جعفر من رعي ودك ما ... يرضى إخاءك واخبر ذاك وامتحن

ود كشعرك لا عيب يدنسـه بادي الصفاء من الأقذاء والـدرن
حسب الذى هو بالاسهـاب متصف مقاله فيك هذا نخبة الزمـن
(أنت الكرى مؤنساً طرفي، وبعضهم مثل القذى مانعاً جفني من الوسن)

فأجابه أبو العباس وعرض بقوم بغوا عليه حسداً له ، أشدهم فى ذلك أبو مروان ابن زغبوش ، بقوله :

أنا المليءُ بما يُسلي عن الوطـن وقد حصلت على كنز من الفطـن
إني وجدت حلال السر منطويـاً فى قطعة الظرف طي المنطق اللحن
تثني المثاني إذا تُبدي صحيفتهـا من كل قافية سجعاً عـلى فنـن
وتجتلي العين من لألاء أسطرهـا ما شاءه الحسن من زهر على غصن
ما إن تجاوزها سمعي ولا بـصرى لأنها فتنة للعيـن والأذن
لو أنها فوق عطف الشام كان بها يزهى على الوشي من صنعاء فى اليمن
ما لي مكافأة عنهـا ولـو نسقـت آدابي الغرُّ غُررَّ الشهب فى قـرن
مهما أبارِ الذى أسدى بهـا يـده يستنُّ دوني فى شأو العلى وأنـي
إن العلي علياً حيـن جـاء بـه فذ المحاسن كنـوه أبا الحسـن
خذها إليك وقد أججت من فكـرى ما يضرم النار فى أحشاء مضطغـن
إن ضل مبصرها حلمـاً فان لـه عذراً بما جمعت فى الطرس من فتن
أو دل حاسدها ضغناً فلا عجـب ذل الغبي اعتزاز الأروع الفطـن
أغصصت بالريق قوماً ما جنيت لهم إلا نفائس ما قلدت من حسـن
إني قتلت غبياً ما برزت لـه إلا تقلب فى أثـواب مندفـن
إن سل غرب ذكائى حد قافيـة فى النوم أدرج من ثوبيه فى كفـن
قد كابر الحق بهتاً وهو معتقـد فى السر إثبات ما ينفيـه فى العلن
وأبصرت عينه الآيـات بـاهـرة لا تستسر لساه لا ولا طبـن
فلازم البغي واستهوتـه منقصـة كأنه عاكف منها عـلى وثـن
ما للغضاضة سلطان عـلى أدب تحدى به العيس من مصر إلى عدن
هذا الكلام كمال لا يلـم بـه تنقيص أخرق بادي العي واللكـن
طما به البحر لما ظل مرتكبـا لج اللجاج بخرقـاء من السفـن
فورطته الرياح الهوج عاصفـة فى برزخ الحنث بين الهون والوهن

يا باذل العلق بخساً من سفاهته قد كان أرجح لو غاليت فى الثمن
لو كنت تعلم ما فارقت من غصن ما كنت تجمع بين الجفن والوسن
إني سأثني عناني فى ثناء أخ أسدت أياديه بيضاً اوجه المنن
حمدى خلال خليل لا نظير له أولى من الأخذ فى المستوهن الوهن
وما بعثت بما فى الصدر من كمد إلا ليعلم ما عندى فيعذرني
قد خان فيَّ فلم أعتب على قدر دهر على كل حر غير مؤتمن
نقدت لي من صريح الود مبتدياً ما لم يزل فيه هذا الدهر يمطلني
فاسلم لدر نفيس كي تنظمه عقداً بهياً يحلى لبة الزمن
واحو القريض على ما شئت من ظفر بابن الحسين وبالطائيّ والحسن

وشعره كثير ، وقد دون بعضه باقتراح أبي القاسم ابن عمران بعد ما ضاع له ، وقد امتدح بالأندلس جملة من أمراء بنى عبد المومن ورؤسائهم ، وامتدح أيضاً محمد ابن هود المتوكل على الله ، ومن قوله ارتجالا فى القبة السوداء المبعوثة إلى المتوكل من قبل المستنصر الخليفة العباسي لما ضربها المتوكل وأشار وزيره أبو محمد الرميمي علي أبى العباس بذلك فقال :

أحببْ بهذى القبة السوداء فلقد غدت من أبدع الأشياء
هي مقلة أصبحت وسط سوادها إنسان عين المجد والعلياء
فعلى طليطلة ترى مضروبة وعلى مدينة جدك البيضاء

يريد سرقسطة هي التى تدعى البيضاء ، وكانت دار مملكة بنى هود . . . . واستقر أبو العباس هذا بأخرة فى كنف الأمير بسبتة الموفق بالله أحمد بن أبى عبد الله بن أبى الفضل مبارك المعروف بالييناشتي وامتدحه بقصائد فرائد ، ولم يزل بسبتة إلى أن قتل بها فى أواخر ثنتين أو أوائل ثلاث وثلاثين وستمئة .

انتهى من (الذيل والتكملة) (1) .

---

1) هذه الترجمة مما استلحقه المؤلف بالأحمدين بعد اطلاعه على الجزء الأول من **الذيل والتكملة** 1 : 377 ع 531 وينظر عنه أيضاً **المقتضب من تحفة القادم** ص 175 **واختصار القدح المعلى** ص 114 **والمغرب** 2 : 364 **والاحاطة** 1 : 243 **ونفح الطيب** 4 : 284 **والوافى بالوفيات** 8 : 21 .

170) أحمد بن محمد (1) الشريشي التيمي البكري

أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن خلف الشريشي التيمي البكري سلوي الأصل حديثاً بشريش .

نشأ بمراكش ، واستوطن الفيوم من مصر ، ولقبُه تاج الدين أبو العباس الشريشي ، أخذ عن جماعة بمراكش ، وجال في طلب العلم ، وأخذ بفاس عن محمد بن علي بن عبد الكريم الكتاني ، وأبي مصعب بن أبي ركب ، وأبي العباس بن القاسم ابن القفال ، ووصل إلى الأندلس فأخذ عن بعض أهلها ، ثم شرق وحج ، وروى ببغداد عن أبي صالح نصر بن عبد الرزاق بن عبد القادر الجيلاني ، وأبي الحسن محمد بن أحمد بن عمران القطيعي ، وأبي محمد قميص بن فيرون عبد الله الحنبلي ، وأخذ علم الكلام عن أبي العز مظفر بن محمد الفتوح ، وأصول الفقه عن أبي الحسن الأبياني بالأسكندرية ، والتصوف عن شهاب الدين أبي حفص السهروردي ، والطبَّ عن ابن بنان ، روى عنه محمد بن إبراهيم العنبني السلوي لقيه بالفيوم من مصر، وكان وافر الحظ من علم البيان نحواً وآداباً ، شاعراً محسناً ، محققاً لعلم الكلام ، بارعا في أصول الفقه ، مقدما في التصوف وإليه انقطع ، وعليه عول ، وفيه صنف ، ونظم في مقاصده وتدريج سلوكه وأحواله ومقاماته قصيدته التي سماها بـ (أنوار السرائر وأسرار الأنوار) أودعها ما ضمن كتاب (منشور الخلاف) في مشهور الأبواب تصنيف الأستاذ أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري بن عبد الملك بن ظلمة القشيري إلى فوائد ألحقها من غيره ألحقها بها وأدرجها فيها ، أخذها الناس عنه وطارت كل مطار لاجادة في نظمها وضبطها أحكام ما اشتملت عليه من ذلك الفن .

مولده بسلا سنة إحدى وثمانين وخمسمئة ، وتوفي رحمه الله بالفيوم من مصر في ربيع الأول سنة إحدى وأربعين وستمئة ، وقيل منتصف شهر

---

1) تقدم في ترجمة أحمد بن محمد البكرى الشريشى (ع 157 ص 125 من هذا الجزء) المنقول من **الذيل والتكملة** أنه والد تاج الدين الشريشى المتصوف بالقاهرة ؛ وعلى هذا فيكون اسمه أحمد بن أحمد بن محمد لا أحمد بن محمد .

صفر سنة ثلاث وأربعين وستمئة ، نفعنا الله به وغفر لنا وله ، وقصيدته رضي الله عنه حض عليها الأيمة ورأى بعضهم عليها رؤيا نبوية قال له النبي صلى الله عليه وسلم عليك بهذا البيت وأومأ لقوله :

ففى التوب والزهد المقامات كلها فروضُهما من طيبه عبقُ النشـر

ترجمه فى (إثمد العينين) وأورده في (نتيجة التحقيق) و (السر الظاهر) و (المنح الصفية) ، وممن شرح رائيته المذكورة أحمد بن القاسم الصومعي ، وأحمد بن أبي المحاسن الفاسي .

وقال فى (فوات الوفيات) (1) :

أحمد بن محمد الشريشي كمال الدين ، كتب إلى بدر الدين بن الدقاق ناظر أوقاف حلب :

مولاي بدر الدين صل مدنفـــاً صيره حبك مثل الخـــلال
لا تخش من عار إذا زرتنـــي فما يعاب البدر عند الكمـــال

فلما بلغ الشيخ صدر الدين بن وكيل بيت مال هذان البيتان قال :

يا بدر لا تسمعن قول الكمـــال فكل ما نمق زور محـــال
فالنقص يعرو البدر فى تمـــه وربما يخسف عند الكمـــال

فزار البدر المذكور الشريشي فلم يحفل به فكتب :

إن كمال الدين إذْ زرتـــه أصلحه الله على كل حـــال
وجدتُ حظي عنده ناقصـــاً فصحَّ أنَّ النقصَ عند الكمـــال

وكتب إلى ابن الرفاقي يستعفيه من وكالة بيت المال وقد بلغه أنه سعى له فيها :

1) **فوات الوفيات** 1 : 109 ع 47 وقال محققه محمد محيى الدين عبد الحميد انه مترجم فى **شذرات الذهب** 6 : 47 وولادته فى سنة 653 وتوفى فى سنة 718 ؛ وهو غير هذا قطعاً ؛ بل هو ولد شارح المقامات كما سياتى فى آخر هذه الترجمة .

إلى بابك الميمون وجهت آمالـــي — وفي فضلك المعهود قصدي وإقبالى
وأنت الذى فى الشام مازال محسناً — إليّ ، وفى مصر على كل أحـــوالي
أتتْني أيادٍ منك فى طيٍّ بعضهـا — تملك رق الحر بالثمن الغالـــي
وقمت بحق المكرمات وإنمـــا — هو الرزق لا ياتي بحيلة محتـــال
عليّ لكم أن أعمر العمر بالثنـــا — وبالمدح مهما عشت من غير إخلال
وقد بقيت لي بعد ذلك حاجـــةٌ — لها أنت مسؤول فلا تُلْغِ تسـآلى
أرحنيّ مِن باب الوكالة عاطفـــاً — عليّ باحسان بدأت وإفضـــال
وصنْ ماء وجهي عن مشاققة الورى — فهذا على أرض وهذا على مـــال
ولا تتأولْ فى سؤاليّ تركَهـــا — فوالله ما لى نحوها وجهُ إقبـــال
ورزقي ياتيني وإني لقانـــــع — براحة قلبي من زماني باقـــلال
وحاليّ حالٌ بافتقار يصونُنـــى — ولبسيّ أسمالي مع العز أسما لي
وتجبر وقتي كسرة الخبز وحدها — وأرضى ببالي الثوب مع راحة البال
فهذي إليكم قصتي قد رفعتهـــا — لِتغتنمُ أجري ورأيكم العـــالـي

فقطع ابن الرفاقي الأبيات كلها من الورقة وأبقى البيت الأخيـر ، وكتب تحتها : العالي أن تعود إلى شغلك وعملك ! هـ . فهكذا يكون الزهد والفقر ، ولكن مقصوده بالشريشي المذكور هو المترجم أيضاً فى (الدر الكامنة) أحمد بن محمد بن أحمد البكرى كمال الدين ابن الشريشي المتوفي سنة 740 هـ فهو غير هذا وان توافق معه فى اسمه واسم أبيه واسم جده ونسبه ، وترجم أيضاً لولديه على بن أحمد ، ومحمد ، فى (الدرر الكامنة) ولحفيديْه محمد ، ومحمود ، وأما أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله البكرى الشريشي الشيخ الامام الزاهد الورع العلامة جمال الدين المتولد بشريش سنة 601 وتوفي برباط الملك الناصر بسفح قاسيون سنة 685 فى 23 رجب ، ودفن قبالة الرباط ، وتولى مشيخة الرباط الناصرى المترجم فى 12 من ج 2 من (نفح الطيب) فهو غير المترجم كما ترى ، وكذلك أحمد بن أبي بكر محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن سجمان البكرى الشريشي المتوفى بمنزلة الحسا بين الكرك ومعان وهو متوجه إلى الحجاز فى منسلخ شوال سنة 718 هـ

ثمان عشرة وسبعمئة المذكور فى (الدرر الكامنة) فهو غير هذا ، وهو ولد شارح (المقامات) المتوفى فى 24 رجب سنة 685 هـ .

وشريش ككريم مدينة بشذونة .

171) أحمد بن علي بن محمد ابن هارون السماتي

تُرجالي الأصل ، بتاء مضمومة وراء ساكنة وجيم وألف ولام ، من بيت هارون بن ميسرة ، كان أحد شيوخ أهل العلم ، عُني طويلا برواية الحديث ولقاء حملته ، وكثر تهممه بتقييد العلم وتخليد التواريخ ، وله تعاليق وفوائد شهدت بطول إكبابه على خدمة العلم ، وكان مع ذلك فقيهاً حافظاً عاقداً للشروط بصيراً بها مميزاً فى المعرفة بعللها والضبط لاحكامها ، وكان أكبر العاقدين للشروط بمراكش ، مكبراً عند الخاصة والعامة ، معروف القدر والجلالة عند القضاة والرؤساء ، مستمراً على ذلك إلى أن توفي بها سنة تسع وأربعين وستمئة ، وقد ناهز الثمانين .

ترجمه فى (الديباج) (1) .

وقال ابن عبد الملك :

أحمد بن علي بن محمد بن هارون بن خلف ابن هارون السُّماتي ، إشبيلي ، ترجالي الأصل ، نزل مراكش ، أبو العباس ابن هارون ، من بيت هارون بن ميسرة بن عبد الله .

وسُمات الذى ينسب هو إليه يقال هو سنومات (2) بن يطفت بن يفجاون بن لوا الكبير بن رجيج بن مادغيس بن برّ بن سقفوا بن أبدح بن وليل بن كراط بن يام بن يريم بن ماش بن أدم بن يام بن حام بن نوح النبي صلى الله على نبينا وعليه وسلم .

---

1) الديباج المذهب ص 53 .

2) هو جد قبيلة سماته (وسوماتة أيضاً) المتوطنة باقليم تطوان بين قبائل بنى عروس وبنى يسف وأهل سريف وبنى جرفط .

روى عــن أبيه وآبــاء محمد : ابن أحمد ابن جمهور جــدّه لأمــه ، وابن سليمــان ابن حــوط الله ، وعبد المنعم بــن محمد ابــن الفرس ، وأبى إسحاق بن خلف السنهوري ، وأبي بكر عتيق بن علي بــن قنترال ، وعلي بن محمد ابن خروف النحوي ، وأبى ذر مصعب بن أبي ركب ، وأبي عمرو بكر المسفر ، وأبويْ القاسم الأحمدان : ابن عبد الودود ابــن سمجون ، وابن يزيد ابن بقي ، وأبي بكر ابن عيسى ، أخذ عنهم بين سماع وقراءة وأجازوا له ، وقرأ على أبي بكر بــن طلحة وذكر أنه لم يجزْ لــه ، وعلى أبي الحسن بن عبد الله بن آمنة ، وأبي الحجاج بن الفتح الباجي وتدبج معه ، وأبي الحكم (....) بن عبد الرحمان بن نعمان ، وأبي عبد الله بن عبد الكريم ابن الكتاني ، وآباء العباس : ابن علي اللخمي المتصوف ، وابن محمد المخزومي ابن النجار ، وابن محمد بن مفرج النباتي ، وأبي عيسى يوسف بن عيسى الشريشي ، وأبي كامل تمام بن غالب ، وأبي الوليد إسماعيل بــن إبراهيم بن الأديب ، ولم يذكر أنهم أجازوا له ، ولقي أبا يحيى بن محمد بن حفص ، وأبا جعفر بن علي بن عون الله الحصار ، وأبا الخطاب أحمد بن محمد ابن واجب ، وأبويْ عبد الله : بن إسماعيل ابن خلفون ، وابن عبد الملك ابن نسرة ، وأبا العباس بن علي بن ثابت ، وأجازوا له ، وكتب إليه مجيزاً ولم يَلْقَهُ أبو اسحاق بن حسن الشطامي وأبو الصبر أيوب الفهرى ، وأبو القاسم محمد بن علي ابن البراق ، وأبو محمد بن محمد التادلي ، وأجاز له ولم يذكر لقياه إياه أبو جعفر بن محمد بن يحيى ، ومن شيوخه غير مَــن سُمي ممَّن لم أتحقق كيفية حمله عنهم أبو أمية إسماعيل بن سعد السعود ابن عفير ، وأبو بكر بن عبد الملك ابن زهر ، وأبو جعفر بن عبد الرحمان ابن مضاء ، وأبو الحجاج بن عبد الصمد بن تَمُوي ، وابن أخت ابن وهبون كذا ذكره والذى أعرف الآن يوسف بن إبراهيم بن عبد العزيز بن وهبون الكلاعي ولعله هذا ونسب إلى خاله ، فكثيراً ما يوجد مثل هذا كبني أبي وغيرهم ، وأبو الحكم (....) بن حجاج ، وأبو الربيع بن موسى بن سالم،

وأبو زيد بن يخلفتن الفازازي ، وآباء العباس : بن جعفر الرعينى اللبلي ، وابن محمد العزفي ، وابن (....) ابن الأصفر ، وأبو الفضل العباس بن عبد العزيز بن الغرابيلي ، وأبو المتوكل الهيثم ، وأبو نصر الطفيل بن أبي الحسن محمد بن عطية ، وأبو يعقوب بن (....) التادلي .

روى عنه من كبار أصحابه المعدودين فى شيوخه أبو الحجاج بن الفتح الباجي المذكور وتدبجا ، وأبو عبد الله بن أحمد الرُندى .

وكان أحد شيوخ أهل العلم ، عُني طويلا برواية الحديث ولقاء حملته باشبيلية وغيرها من بلاد الأندلس وبسبتة وفاس ومراكش وغيرها من مدن العدوة، وكثر تهممه بتقييد العلم وتخليد التواريخ، وكتب بخطه الكثير الجيد من الدواوين الكبار والدفاتر الصغار ، وقطع فى ذلك عمره الممتد، وتخلف من ذلك أحمالا من التصانيف الكبار والصغار والتعاليق والفوائد شهدت بطول إكبابه على خدمة العلم وإن كانت تشتمل على أوهام عثرت على كثير من ذلك فيها . وكان مع ذلك فقيهاً حافظاً عاقداً بها ، مبرزا فى المعرفة بعللها والضبط لأحكامها ، ذاهبا فى كتبها إلى الاختصار مع جودة إحكام عقودها ومتعلقات ما تقتضيه ، أدركته وعاينته بدكان انتصابه لعقد الشروط وبغيرها شيخاً نقيّ الشيبة حسن القد نظيف الملبس وقوراً أجل كبار العاقدين للشروط بمراكش والمقدمين فى العدالة بها ، مكبراً عند الخاصة والعامة ، معروف القدر والجلالة عند القضاة والرؤساء ، مستمر الحال على ذلك الى أن توفي رحمه الله بها فى منتصف ذي قعدة من عام تسعة وأربعين وستمئة ، وقد ناهز الثمانين أو اربى عليها .

انتهى من (الذيل والتكملة) (1) .

---

1) **الذيل والتكملة** 1 : 324 ع 417 ؛ وهذه الترجمة المنقولة من (**الذيل والتكملة**) هى مما استلحقه المؤلف بعد عثوره على الجزء الأول منه .

172) **أحمد بن محمد بن بشار السبائي** ، مروى أبو جعفر ، درس النحو على عيسى بن عبد العزيز القزولي بمراكش ، وله إجازة من أبى محمد بن محمد الحجري ، وكان متحققاً فى النحو حافظاً للفقه ذا نباهة فى بلده وجلالة وقدر ، وأخذ عنه ما كان عنده .

وتوفي سنة خمسين وستمئة .

انتهى من الذيل والتكملة (2) .

173) **أحمد بن محمد بن عبد الملك الجذامي** الطبيب .

أصله من قرطبة وسكن سبتة وبها نشأ ، وأقام باشبيلية وقتاً ، له رواية عن أبي محمد بن عبيد الله وغيره ، وكان مع مهارته فى الطلب عارفاً بالحديث صاحب ضبط واتقان مشاركاً فى الأدب .

توفي بمراكش فى سنة خمسين وستمئة .

ترجمه فى (التكملة) (2) .

174) **أحمد بن عبد الله ابن عميرة المخزومي**

قال ابن عبد الملك :

أحمد بن عبد الله بن محمد بن الحسين بن أحمد ابن عميرة المخزومي، كذا وقفت على نسبه بخطه فى غير موضع ، وكان كثير من الناس ينفونه عن هذا النسب ، فحكى الحكيم إبراهيم بن (محمد) الشاطبي المعروف بابن الحاج وكان تاريخياً أن الرئيس أبا الحسين بن عيسى ــ وكان ينتسب إلى سعد بن عبادة ــ سأل يوماً أبا (الحسن) الزيات سأله فقال له : ما تقول فى مخزومية ابن عميرة ؟ فقال له : إن كانت سعديتك مثل مخزوميته فأنت

1) **الذيل والتكملة** 1 : 403 ع 585 وهذه الترجمة مما الحقه المؤلف بالأحمدين .

2) **التكملة** 1 : 129 ع 326 .

صادق (...) قال أبو اسحاق الحكيم : يعرض بأن ابن عميرة ليس بمخزومي ، وأن جده أو أباه كان لقيطاً لرجل من آل عميرة الشقريين ، قال الحكيم وهم فى الأصل يهود ، والعهدة' فى هذا علي ابراهيم ابن الحاج والله أعلم .

وكان أبو المطرف روى عن أبي الخطا بأحمد بن محمد ابن واجب ، وأبى الربيع بن موسى ابن سالم ، وأبي عبد الله بن أيوب ابن نوح ، وأبي علي عمر بن محمد ابن الشلوبين ، وأحمد بن هارون ابن عات ، وأبي محمد بن سليمان ابن حوط الله ، لقيهم وقرأ عليهم وسمع وأجازوا له ، وصحب أبا بكر عزيز بن عبد الملك ابن خطاب قبل توليه ما تولى من رئاسة بلده مرسية وانتفع به كثيراً ، وأجاز له من أهل المشرق : أبو الفتوح نصر بن أبي الفرج بن علي الحصري .

روى عنه ابنه أبو القاسم ، وأبو بكر بن عبد الله ابن خطاب ، وأبو الحسن طاهر بن علي الشقري ، وأبو عبد الله بن أبي بكر البري ، وحدثنا عنه من شيوخنا أبو جعفر ابن الزبير ، وأبوا عبد الله : ابن ابراهيم بن عمر السلوي الخطيب ابن البراذعي ، وحدثنا عنه ، وابن يحيى ابن ربيع، وصاحبنا أحمد بن محمد ابن شنيف ، وحدثنا عنه أبو محمد مولى أبي عثمان سعيد بن حكم .

وكان أول طلبه العلم شديد العناية بشأن الرواية فأكثر من سماع الحديث وأخذه عن مشايخ أهله ، ثم تفنَّن فى العلوم ونظر فى المعقولات وأصول الفقه ومال إلى الآداب فبرع فيها براعة عد بها من كبراء مجيدي النظم ، فأما الكتابة فانه علمها المشهور ، وواحدها الذى عجزت عن الاتيان بثانيه الدهور ، ولا سيما فى مخاطبة الاخوان ، هنالك استولى على أمد الاحسان ، وله المُطوّلات المنتخبة ، والقصار المقتضبة ، وكان يملح كلامه نظماً ونثراً بالاشارة الى التواريخ ، ويودعه إلماعات بمسائل علمية منوعة المقاصد تشهد بتمكنه فى المعارف على تفاريقها ، كقوله وهو مما استفتح به مخاطبه :

ياغائباً سلبتْني الأنسَ غيبتُـــه   فكيف صبري وقد كابدت بينهما ؟
دعواي أنك فى قلبي يُعارضهـــا   شوقي إليك، فكيف الجمع بينهما ؟

وكتب إليه أبو عبد الله بن أبي الحسين كتاباً افتتحه بقوله :

شكرى بفاتحة الخطاب منـــــزه   عن حصره بالوصف والتّحبيـــر
ومودتي وقفٌ عليكم واجــــب   عارٍ عن التوسيع والتخييـــــر
كبَّرت للبشرى أتت وسماعهـــا   عيدى الذى لشهوده تبكيــــرى
وكذلك الأعياد سنة يومهـــــا   مختصةٌ بزيادة التكبيـــــــر

وله فى غرض آخر :

بايعونا مودة هي عنـــــــدى   كالمصراة بيعها بالخـــــداع
فسأقضي بردَّها ثم أقضـــــي   معها من ندامتي ألفَ صــــاع

وله فى معنى فقهي آخر :

شرطت عليهم عند تسليم مهجتــي   وعند انعقاد البيع قُرباً يواصـــل
فلما أردت الأخذ بالشرط أعرضوا   وقالوا يصحُ البيعُ والشرط باطل

فافتتح جوابه (1) بقوله :

أفدى الكتاب أتى وساحة طرسـه   روض موشى بالبديع موشـــع
وله حقوق ضاق وقت وجوبهـــا   ومن الوجب مضيَّق وموسَّـــع

ومنه قوله من أبيات :

ورفعت من أملي بأكرم شيمـــة   نزلت وأنت البدر منزلة السهـــا
وتواضع أسلفته فى ســـؤدد   وربما رأيت العقد إلاَّ هـــا وهـــا

ومن هذه الأبيات :

---

1) لعلهما جواب أبيات أبى عبد الله بن أبى الحسين السالفة .

عندى يد لك بعد أخرى قـــــررت من ودك الذخر المعد لما دهـــــا
والدهر عن حظى سها أفينبغـــــى من ذى اليدين سكوته عمن سها(1)

وله من هذا النحو كثير نظماً ونثراً .

ومنه فى النّثر قطعة من رسالة هنّأ بها المستنصر بالله أبا عبد الله ابن الأمير الأجل يحيى ابن الشيخ أبي محمد ابن الشيخ أبي حفص باجرائه ماء السقاية بجامع تونس حرسها الله وجميع بلاد الاسلام وهي :

الحضرة العلية ، أبقى الله الاسلام بها قرير الناظر ، قريب الناصر ، يقرن مساعيها بيمن الطائر ، ونجح الموارد والمصادر ، ولازالت مآثرها سائرة مع المنجد والغائر ، زارية على الماضى والغابر ، وآثارها حجة للمفاخر ، بما ترك الأول للآخر .

ومنها :

فكتب العبد كتب الله للمقام العالي الكريم تأييداً يملك أمر الورى ، وسعوداً تعلو فوق الذرى ، وتنزل الى ما تحت الثرى ، من قابس ، وبركة الامارة العزيزة أيدها الله تخرق المعتاد خرقاً ، وتجوب البلاد غرباً وشرقا ، وتبشر باغي الورود ، بالعذب البرود ، وما رأى عارضاً ولا شام برقاً ، وإنما هي هداية ألقيت فى جنانها ، وآية استأخرت الى زمانها ، وهمة أنبطت بعد طول الاكداء ، وسقيت قبل قلب الرداء ، وأشعرت ونتاجها حيث أجهضت الحوامل ، وعلاجها قد عجزت عنه الأوائل ، بأن أمرها يعلو كل أمر ، ويوماً منها كلية القدر خير من ألف شهر .

ومنهـــا :

الحمد لله الذى أحيى بها البلد الميـْت ، وألهمها قوله (وما رميت إذ رميـْت) تفويضاً لمن قدّر الأحوال طوراً وطوراً ، ودرج النبات ورقاً ونوراً ، وقال لخلقه (قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غوراً) ، وقد أتى به سبحانه بعزيمة

1) يشير الى حديث الصحابى ذى اليدين : أقصرت الصلاة أم نسيت يارسول الله ؟

صدق حاملها ، ونية رضى عمل عاملها ، وعن روية أنشرته بعدما أقبرتـه ، وكأنما خيرته وما أجبرته ، وبمرادها الذى خبأته اخبرته ، فأصاخ بالأذن الواعية وجاء بحكمة الانشاء فى ظلمة الأحشاء ، حتى أفضى متواريه إلى الافشاء ، وأغنى جاريه عن الدلو والرشاء ، فكأن المسجد الجامع استسقى لقومه ، واقتضى حق أمسه ليومه ، ورأى أن ما يوعيه بسبب الخلق ، من سيْل الودق ، ربما نضبت ثميلته ، وكذبت مخيلته ، فشفع للظماء ، فى معيـن المـاء ، واستغاث يد الجود ، للركوع والسجود ، ولجأ فى إسباغ الطهور ، لسابغ الكرم المشهور ، فلم يلبث أن سمع النّداء لبيك ، وهذه السّقيا تنتهى إليك ، وتستهل حواليك لا عليك ، فان كنت قد دعوت بأن تروي الضلوع الحرار ، وترضي الصفوة الأبرار ، فالدعوة بحمد الله مجابة ، والديمة لا مقلعة ولا منجابة ، نشأت بحرية لأعظم البحار هي منسوبة ، برية لأنها من جانب البر مجلوبة ، تعد كونية عند من يعقل ويحصّل ، كوثرية لأن ماءها إلى الكوثر يوصل ، وكيف لا ومسيله إلى شطر الايماء وسيلة ، وغرفاته للغرة والتحجيل مطيلة ، والنظر إليه كاستعماله عبادة ، وخروج الخطايا مع آخر قطرة فضيلة . من الخبر مستفادة ، فما أعظم منة جالبه ، وأجلّ قدر هبته من مواهبه ، وأحراه بأن يكون له من ثواب المتطهرين والله يحبهم ، وفى حزبه هو حزبهم ، ما يرفعه إلى الدرجات العلى ، ويزينه من شرف الذكر الحلى ، ويجزيه عن كل كبد رطبة سقاها ، ومشقة صعبة وقاها ، بكل صعبة أجر يقود إليه منه أفضل ألف ، ويضاعفه إلى مئة ألف ضعف ، بل يتعدد بتعدد وارديه على الأنـام ، ومشاهديه مع الأيام والأعوام ، والله يضاعف لمَن يشاء ، وينابيع جوده لا يغيضها الصباح والمساء .

وقطعة من رسالة أجاب بها أبا العباس ابن أمية وقد أعلمه باستيلاء الروم قصمهم الله على بلنسية رجعها الله :

بالله أي نحو ننحو ، وسطور نثبت أو نمحو ، وقد حذف الأصل والزائد ، وذهبت الصلة والعائد ، وباب التعجب طال ، وحال اليأس لا تخشى الانتقال ، وذهبت علامة الرفع ، وفقدت سلامة الجمع ، والمعتل أعدى الصحيح ، والمثلث أردى الفصيح ، وامتنعت العجمة من الصرف ، وأمنت زيادتها من الحذف ، ومالت قواعد الملة ، وصرنا إلى جمع القلة .

وفصل من رحلته مع عبد الواحد الرشيد بن إدريس المأمون بن يعقوب المنصور بن الأمير يوسف بن الأمير عبد المؤمن بن علي وقد خرج معه من سلا إلى حضرته مراكش قال فيه يصف المصحف :

وبرز الامام بين يديه الامام (1) ، وأمامه النور الذى يضيء به الوراء والأمام ، حبل اعتصم به المعتصمون ، وحجة انقطع بها قوم خصمون ، وذخيرة الخلائف ، وبقية العهد السالف ، عاصر الصحابة ، وعاشر جيلهم الطيب بطابة ، وباشرته أيد جمعت التنزيل ، وأخذته عن الرسول عن جبريل ، فالقارىء فيه للكتاب المنزل ، يحل محل آخذه عن الصدر الأول ، قد شهد مع الشهيد الدار ، وكان معه يوم دار ما دار ، فرأى ما نال نائله ، وتوسط تلك المواقف الهائلة ، فهو يصنع الخشوع لمن كان متصنعاً ، ويصدع القلوب وإن كان ذلك منها متمنّعاً ، (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً) ، حفظت صدفة الوجود لآلئه ، وكان الاعتناء الرباني كالئه ، إلى أن بلغ محله ، وعقد آل القرآن إلّه ، فأخذوه بقوة ، وجلوا منه أشرف عروس مجلوة ، فهو عندهم (لا يمسه إلا المطهرون) ، ولا يلي أمره إلا الذين هم بأمره يظهرون ، وسار يتقدم أمام الخلق ، وتتقدمه راية الحق ، فهو على ما ورد فى وصفه ، (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) .

قال المصنف عفا الله عنه :

استعمل الجيل بمعنى القرن غلطاً ، وانما هو بمعنى الأمة ، فالعرب جيل ، والروم جيل ، وكذلك الفرس والترك وغيرهم .

وقد استدعى هذا الفصل تبيين أمرين قد يشكلان على بعض مطالعي هذا الكتاب، ، أحدهما : شأن هذا المصحف ، والثاني : كيفية الترتيب الذى أشار إليه الشيخ أبو المطرف فى هيأة هذا البروز .

قصة مصحف عثمان بالمغرب

أما المصحف فان عبد المؤمن بن علي وآله من بنيه وأتباعهم كانوا يصرحون بمعتقدهم فيه أنه الامام مصحف أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي

---

1) الامام الأول الخليفة ؛ والامام الثاني المصحف الامام .

الله عنه ، وعلى ذلك كان إطباق أهل الأندلس ، فقد قال الرازي في تاريخه : وفي يوم الأحد لثمان خلون من جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وثلاثمئة احتمل المصحف المرتب في جامع قرطبة لقراءة الامام فيه صبيحة كل يوم بعد صلاة الصبح ، وهو مصحف أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه ومما خطه بيمينه إلى دار صاحب الصلاة محمد بن يحيى ابن الخراز عن عهد أمير المومنين أبقاه الله احتراساً به وتحفياً عند فتح الحنايا التي يفضى منها إلى موضع الزيادة التي زادها أعزه الله في الجامع ، وكان فتحها في هـذا التاريخ ، وقد ذكر التاريخي الحافظ الحافل حيان بن خلف ابن حيان في كتابه (المقتبس) نمّقه بحسن عبارته المعهود من كلام الرازي في ذكره نقلته من خط الراوية أبي القاسم ابن بشكوال وهو : ولما احتيج في هذا الوقت إلى خرق سور القبلة المقدمة لهذه البنية الحكمية لاتصال قطع بنى المسجد بعضها ببعض واتساقها احتمل المصحف المدعو بالامام المخزّن كان بمقصورة هذا الجامع المرتب لقراءة أول الفريضة فيه كل يوم عند فراغه من صلاة الصبح وهو مصحف أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه خطه بيمينه ، وله عند الأندلس شأن عظيم واحتفاء شديد ، أمر الخليفة من أجل ذلك باحتماله الى دار صاحب الصلاة الثقة المأمون محمد بن يحيى بن عبد العزيز المدعو بابن الخراز وإخزانه لديه احتراساً به وتحفظاً بمكانه إلى أن ينقضي أمر القبلة الجديدة وتتحصن بمقصورتها المحدثة الموثقة ، فيعاد المصحف إلى مكان إحرازه بها ، ففعل ذلك بالمصحف ، واحتمله مشيخةُ السدنة الى دار ابن الخراز ، وذلك يوم الأحد لثمان خلون من جمادى الآخرة من سنة أربع وخمسين وثلاثمئة ، انتهى الفصل منقولا من خط الراوية أبي القاسم ابن بشكوال كما ذكر ، وبخطه في الحاشية اليمنى محاذيا بأوله آخر هذا الفصل ما نصه : اخرج هذا المصحف عن قرطبة وغرب عنها ليلة السبت الحادية عشرة من شوال سنة اثنتين وخمسين وخمسمئة وحمل صبيحة يوم السبت وجوز إلى العدوة أخذ الله من سعى في تغريبه وخروجه عن الحضرة أخذ آسف ولا أمهله بالذى لا إلاه إلا هو وعجل بصرفه إلى مكانه بقدرتـه ، لا يعجزه شيء ، جل جلاله وعظم سلطانه .

انتهي نصّ هذه المعلقة في الحاشية المنبه عليها كما ذكره .

ورحم الله أبا القاسم ابن بشكوال ونفعه بمقصده ، فانما استأثر بعلق نفيس ، واستكثر من خير جليس وأفضل أنيس ، وتأثر لانتقال موقوف على محله الأحق به حبيس ، فلذلك اتبع خبره عنه نفثةً مصدور عن قلب قريح ، ولهو موتور ذى فؤاد بمؤلم هذا الملم جريح ، ولو كوشف رحمه الله بحال قرطبة من بلاد الأندلس وسواها ، وانتهاك عبدة الصليب محوط حماها ، واستيلائهم على ما اشتملت عليه من كثير من المصاحف غير ذلك المصحف الكريم ، وابتذالهم ما عني أكابر العلماء بصيانته من ذخائر دواوين العلم على العهد القديم ، لسر باخراجه عن قرطبة واحتماله ، وأعان بالتخصيص نصحاً له على انتقاله ، إنقاذاً له من أيدى المشركين ، واستدامة لبقائه فى كلاءة المسلميـن .

وكان إخراجه فى التاريخ الذى ذكره الراوية أبو القاسم ابن بشكوال فى أيام عبد المومن بن علي وبأمره ، وفى ذلك يقول الشاعر المجيد محمد بن حسين ابن حبوس الفاسي من قصيدة يمدح بها عبد المؤمن بن علي :

سيشكر المصحف اكبابكم — عليه اذ أوجده الفقد
أذكرتم الأيام ما أغفلت — من بره إذ قدم العهد
مصحف ذى النورين عثمان ما — كان لكم عن صونه بد
ما اختار شيئاً مؤنساً غيره — حين أتى واقترب الوعد
أوسعتم الدنيا اطراحاً وما — كان لكم إلا به وجد
يحنو عليه العطف منكم ولا — يغبه الاشفاق والود
صبابة منكم به لم تكن — تثيرها جمل ولا دعد
أحببتم المولى فأحببتم — ما خطه من وحيه العبد
ألبستموه حلية لم يكن — يسمح للكف بها الزند
لم تدرك الأعراب ما كنهها — ولا ادّعت إدراكها السُّغد
لأسفرت سفرتكم هذه — عن واضحات نجحها نقد
تكفل السعد بمقصودكم — وبانت الوجهة والقصد
عناية الله بكم جمة — له عليها الشكر والحمد

وقال فيه أخرى وهي عندى من غرر قصائده (1) :

فعل امرىء دل على عقله — والفرع منسوب إلى أصله
إن الذى يكرم فى جنسه — هو الذى يكرم فى فصله
والمرء لا يُشْكَرُ عن نفسه — وإنما يُشْكَرُ من فضله
والخير والشر ، لهذا وذا — أهل ، فرجِّ الخيرَ من أهله
لا يترك اللازم ملزومه — والشخص لا ينفكُّ عن ظله
وكلّ مفطور على شيمة — لابد أن تظهر فى فعله
لا يدرك الطّرفُ على شده — ما يدرك الطّرفُ على رِسْله
والناس أشتات وفى الطبع ما — قد يعطف الشكلَ إلى شكله
إضافة السفل الى علوه — إضافة العلو إلى سفله
ما غاية العالم فى علمه — كغاية الجاهل فى جهله
ولا الذى يشكر عن بذله — مثل الذى يشكر عن بخله
عمري لقد حمل أمر الورى — مضطلع بالعبء من حمله
مَن لم تزل أنواء أفكاره — تهمي على المُمحل فى محله
ذاك سراج الكل بل شمسُه — بل عقله الفَعَّال فى عقله
تضىء أنوار النهى حوله — فى عقده المبرم أو حله
زنّنا ؟ الفضل إلى وقته — فيقدم المثل على مثله
هذا كتاب الله جلَّ اسمُه — بخط عثمان وفى دخله
خير إمام آخر جاءه — خيرُ إمام كان من قبله
إليه ينمى كلُّ ما مُصْحَفِ — تأنّق العالمُ فى نقله
أجرى ابن عفان إلى نصره — وخصلكُم زاد على خصله
أنيسه فى وحشة الدار إذ — تواطأ القتل إلى قتله
رمى به الخابط فى غيّه — وضمّه الحاطبُ فى حبله
وصار من أوكد شغل امرىء — فى تركه الأعراض عن شغله
صيانة الشيخ له أوجبت — لجاجة الباغين فى بذله
حتى أتى الأمة من نبهت — شهادة الرسل على عدله

---

1) القصيدة أيضاً لابن حبوس ؛ وقد وهم ابن فرحون صاحب **الديباج المذهب** فنسبها لابن عميرة .

فأيقظ الأجفان من نومه ... صحا بها المخبولُ من خبله
عرف ما يجهل من حقه ... وضم ما فرق من شمله
ومال في تعظيمه مَيْلَة ... أعادت الفرعَ إلى أصله
ألبسه من رائق الحلي ما ... يعجِز جيد الدهر عن حمله
وزاد ما أبطن من بره ... على الذى أظهر من حفله
نشز يضيء النجم فى علوه ... ونيرات الشهب فى سفله
فمن حصى الياقوت حصباؤه ... وتبره يغنيه عن رمله
كأنما الأصباغ فيه وقد ... تألّف الشكلُ إلى شكله
زخارفُ النوار فى روضة ... هراق فيها الليلُ من طلّه
فاض أتيُّ الحسن فى كله ... فكله يعجب من كله
لم ترَ عينٌ قطُّ شبهاً له ... ولم تُصِخْ أذن إلى مثله
أذاعت الحكمة سر النهى ... فيه ومات الخبط فى جهله
تقيّد اللحظُ به فهو لا ... يصرفُه الناظرُ عن نبله
ذلك من فضل إمام الهدى ... وكلنا نُعْزَى إلى فضله
كأنما العمال آلاته ... تفعل ما يصدر عن فعله
جهابذ الآفاق قد بلدوا ... فى فصل ما يفصل أوْ وصله
وكلهم برز فى سبقه ... وأحرز الخصل على مهله
ما خطوُ مَن يعدو به سابح ... كخطو من يعدو على رجله
وليس مَن يغرف من نهره ... مثلَ الذى يغرف من سجله
ولا الذى يمرح مرخى له ... مثل الذى يمرح فى شكله
ولا حسام نال منه الصدا ... مثل الذى بولغ فى صقله
التمر معزو إلى نخله ... والشهد منسوبٌ إلى نحله
والقدس محفوظ على أهله ... وأنتمُ تالله من أهله
عجائب العالم مختصة ... بأولياء الله أوْ رسله

قال المنصف عفا الله عنه :

أثبتُّ هذه القصيدة الفريدة بأسرها استجادة لها واستغراباً لما حوته من أنواع الحكم والأمثال السائرة ، وفى نحو ذلك يقول الأديب الحسيب

أحمد بن عبد الرحمان الوقشي من قصيدة يهنىء بها الأمير يوسف بن عبد المؤمن بعيد الفطر :

ومصحف عثمان بن عفـان اهملت ... ملـوك الـورى من حقـه كـل لازم
فأشفقت من جهـل الجميع بشأنه ... وأهلته صونـاً لـه بـرَّ عـالـم
وألبستَه تبـراً يـروق مُرصَّعـاً ... وقد كان فى برد من الجلد قاتـم

قال الوقشي : لما انتهيت بالانشاد إلى هذا البيت قال الأمير يوسف من أعلمك بهذا ؟ والله لقد كان كما قلت . رجعنا إلى بقية الأبيات :

وأبرزتـه للعـالميـن ونـوره ... يفيض عليه من جواهـر نـاظـم
تكنفـه منهـن نخبـة معـدن ... تجـاورها فيه يتيمـة عـائـم
فجـاء يـروع الناظريـن بحسنه ... ويخجل أجيـاد الحسان الكرائـم
وداخله نـور من الحـق ساطـع ... يقـود إلى حظ من الخلـد دائـم
فأصبـح ذا النّورين كاسـم وليِّه ... وخير له فى بدنـه والخواتـم
فليت أبا عمـرو (1) يعاين شكلـه ... فيشكر أفعالَ الحفيِّ المكـارم

وفى مثل هذا الغرض يقول أبو عبد الله بن عبد العزيز ابن عياش ويصف تحلية المنصور يعقوب ابن يوسف المذكور إياه أيضاً :

ونقلته من كلِّ ملك ذخيـرة ... كأنهم كانوا برسـم مكاسبـه
فان ورث الأملاك شرقاً ومغربـا ... فكم قـد أخلّوا جاهلين بواجبـه
وألبستَه الياقـوتَ والدرَّ حِليَةً ... وغيرك قد روّاه من دمِ صاحبـه

وقد أكثر شعراء دولة عبد المؤمن وبنيه بعده من هـذا المعنى وتواطأت أقوالهم بناء على معتقداتهم أنه مصحف عثمان بن عفان الذى كان بين يديه حين استشهد رضي الله عنه ، ويذكرون أن دمه كان منه بموضعين أحدهما قوله سبحانه (فسيكفيكهم الله) ، والثاني قوله تعالى (فعقروا الناقة) ،

---

1) يقصد عثمان بن عفان (ض) .

وهذا كما تراه ظاهر التصنع ، وهو والله أعلم غلط بيّن تبع فيه بعضُ الناس بعضاً ، فان المتقرر من شأن مصحف عثمان بن عفان أنه ضاع بالمدينة فى بعض الفتن الطارئة عليها، ولكن أبا بكر محمد بن أحمد بن يعقوب بن شيبة بن الصلت بن عصفور بن شداد بن هميان السدوسى مولاهم قال : رأيت بخط جدي يعقوب بما أجازه لي ثم حدثني به أبى أحمد بن يعقوب بعدُ عنه حدثنى أبى : رأيت الامام مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه وأرضاه فى شهر ربيع الأول سنة ثلاث وعشرين ومئتين قد بعث به أبو اسحاق أمير المؤمنين وهو المعتصم بالله بن أمير المؤمنين أبى جعفر هارون الرشيد لتجدد دفتاه ويُحَلَّى فشبرت طول المصحف ، فاذا هو شبران وأربع أصابع مفرقة ، وعددتُ سطور بعض ورق المصحف ، فاذا فى الورق ثمانية وعشرون سطراً ورأيت أثر دم فيه كثيراً فى أوراق من المصحف كثيرة بعض الورق قدر نصف الورقة وبعض قدر الثلث وفي بعض الورق أقل وأكثر وعلى أطراف كثير من الورق ، ورأيت عظم الدم نفسه فى سورة النجم فى أول الورقة كأنه دم عبيط أسود على (ما أنزل الله بها من سلطان ، إن يتبعون إلا الظنَّ وما تهوَى الأنفس) ، ثم بعده أيضاً ورأيت أثر نقطة من دم على هذا الحرف (فسيكفيكهم الله) ، فسألت الذى رأيت المصحف عنده : ما لهذه دارسة ؟ فقال : مما يمسح الناس أيديهم بها ، ورأيت أثر مسح الأيدي بيّناً وأثر النقطة بيّن ، انتهى المقصود من الواقع فى صفة مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه عند أبى بكر محمد بن أحمد بن يعقوب بن شيبة المذكور ، وقد ذكر كما سمعت رؤيته ذلك ، ولا يمكن أن يكون هذا الذى كان بالأندلس ، لأنه لم يطرأ على بنى العباس ما يخرجه عن أيديهم ويصيره إلى الأندلس ، ثم إن أثر الدم فى هذا الذى كان بالأندلس كان فى الموضعين المذكورين لا غير بخلاف ما ذكر ابن شيبة ، والذى يظهر لي والله أعلم أن هذا المصحف الذى كان بالأندلس هو أحد المصاحف الأربعة التى بعث بها عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى الأمصار : مكة والبصرة ، والكوفة ، والشام ، فان يكن أحدَها فلعله الشامي استصحبه الأمير أبو المطرف عبد الرحمان الداخل إلى الأندلس بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبى العاصي بن أمية بن عبد شمس ، وكان

دخوله إلى الأندلس غرة ربيع الأول سنة ثمان وثلاثين ومئة ، أو يكون مما بعثت إليه أخته به من الذخائر والتحف والهدايا التى كانت توالى توجيهها إليه من الشام ، أو يكون مما اجتلب الى غيره من ذريته والله أعلم . ويؤيد ما ذهبت إليه من ذلك أن مقدار حجم الذى وصفه أبو بكر بن شيبة حسبما تقدم إيراده مخالف مقدار حجم الذى كان بالأندلس ، فقد وصف لي جماعة ممن شاهدوه وباشروه ، منهم شيخنا أبو الحسن الرعيني ، ويحيى بن أحمد ابن عتيق رحمهما الله وغيرهما ، فاتفقوا على طوله دون الشبر ، وأن اسطاره دون العشرة ، فاقتضى ذلك أن أوراقه أكثر من أوراق الذى وصف أبو بكر ابن شيبة ، وقد ذكر لي واصفوه المذكورون أنه كان ضخماً لكثرة ورقه ، وذكر لي بعضهم أنه عاين المعوذتين فى صفحتين منه ، كل واحدة منهما فى صفحة ، ولما أجازه عبد المومن إلى بر العدوة احتفـل فى الاعتناء بكسوتـه وأبدلها وكانت من جلد بألواح مصفحة بصحائف الذهب ، وقد نظم فى مواضيع منها لآلىء نفيسة وأحجار ياقوت وزمرد من أرفع ما كان عنده ، ثم لم يزل بنوه بعده يتفننون فى زيادة جليل الجواهر وفاخر الأحجار على ما كان محلّى به حتى استوعبوا دفتيه بذلك بما لا قيمة له ولا نظير ، وكانوا أبداً يحضرونه فى مجالسهم فى ليالى رمضان ويباشرونه بالقراءة فيه ويصفحون ورقه بصفيحة ذهب مستطيلة شبه المسطرة ، ويستصحبونـه فى أسفارهـم وحركاتهـم متبركين به ، إلى أن احتمله معه المعتضد بالله علي بن إدريس المأمون بن يعقوب المنصور المذكـور قبل على عادة سلفه حيـن توجه إلى تلمسيـن آخر سنة خمس وأربعين وستمئة فقتل بمقربة من تلمسين فى آخر صفر سنة ست بعدها ، وقدم مكانه ابنه إبراهيم ثم قتل ثاني يوم تقديمه ، واختلّ الجيش ووقع النهب فى خزائن السلطان واستولت أيدي العرب وغيرهم على جميع من كان بالعسكر ممن لا قدرة له على مدافعة عن نفسه ، فكان مما نهب ذلك الوقت هذا المصحف الكريم ، ولم يعلم منتهبه قدراً له ولا قيمة ، فدخل به تلمسين وعرضه على البيع ، فأخبرني الشيخ أبو الحسن الرعيني رحمه الله أنه رآه بيد سمسار ينادي عليه بسوق الكتب بتلمسين بسبعة عشر درهماً وقد ضاعت منه أوراق ، فأنهي خبره إلى صاحب تلمسين حينئذ يغمراسن بن

زيان الزياني من بني عبد الواد وهو الذى قصده علي المعتضد المذكور للدعاء له بالدخول فى طاعته ، فحين علم به انتزعه من يد الذى ألفاه عنده وأمر بصونه والاحتياط عليه ، ولم يزل بعد يطمع به المرتضى من بنى عبد المؤمن والمستنصر من بنى حفص صاحب افريقية والغالب بالله أبا عبد الله ابن يوسف أمير الأندلس المدعو بابن الأحمر فلا يحلون منه عنه بطائل حتى توفّوا جميعاً فى حياة يغمراسن المذكور ، فأورثه بنيه فهو عندهم إلى هذا التاريخ ، وهو سنة اثنتين وسبعمئة ، فهذه نبذ من التعريف بشأن هـذا المصحـف .

ترتيب حمل المصحف الامام

فأما الترتيب الذى أشار إليه الشيخ أبو المطرف ابن عميرة فهو أن أمراء بني عبد المؤمن كانوا إذا تحركوا لغزو أو سفر جعلوا أمامهمْ بمقربة منهم راية كبيرة بيضاء يعتام لها أتم العصي طولا لترشد إلى موضع السلطان من العسكر فيهتدي إليه مَن أراد قصده وهي التى عبر عنها أبو المطرف بقوله : وأمامه النور ، وبقوله : تتقدمه راية الحق ، وبقوله : من بين يديه ويليها المصحف الكريم ــ وهو الذى عناه بقوله : بين يديه الامام ــ محمولا عـلى أضخم بختي يوجد ، وقد جعل فى قبة حرير ارتفاعها نحو عشرة أشبار ، وعرض كل وجه من وجوهها الأربع نحو أربعة أشبار ، وبأعلاها جامور محكم الصنعة على نحو جوامير الأخبية من أتقن ما أنت راء جمالا ، وفى أعلى كل ركن من أركان القبة عصية ركّب فيها سُنَيِّن" مذهب وقد ربطت بها راية حرير لا تزال تخفق عذباتها بأقل ريح ولو لم يكن إلا بهز الجمل إياها فى سيره ويسمى جمل المصحف ، ويتبعه بغل من أفره البغال يحمل ربعة كبيرة مربعة الشكل فى ارتفاع ذراع أو نحوها وقد غشيت كذلك بحرير وضمنت الموطأ لمالك ، وصحيحي البخاري ومسلم ، وسُنني أبى داود والنسائي ، وجامع أبى عيسى الترمذي ، وكان عوامُّ ذلك الوقت يقولون فيه بغل المصحف وهو غلط منهم ، ويليه الأمير فى صدر الجيش والعساكر عن يمينه وشماله وخلفه وهو الذى عبر عنه أول بقوله : وبرز الامام وآخر بقوله : امام الخلق ، وبقوله : ولا من خلفه . فهذه هيأة الترتيب ، وقد شاهدته مرات فى بروز

المعتضد والمُرتضى المذكورين وأبى العلى ادريس ابن أبى عبد الله بن محمد بن عمر بن عبد المؤمن آخر أمرائهم المعتبرين عندهم ، وبقتله على يد الأمير يعقوب بن عبد الحق الزناتي المريني انقرضت دولـة بنى عبد المؤمن ، فسبحان مَن لا يبيدُ ملكه ولا يفنى سلطانه ، جل جلاله وتعاظم شأنه ، وكأن لسان حال هذه الهيأة يقول : إن هذه الراية منذرة باطلال صاحبهـا عـلى مقصوده ، وأنه داع إلى ما يقتضيه الكتاب والسنة ، فمن أطاعه كان مسلماً له ، ومن عصاه حاربه بهذا الجيش الذى هو من حزبه .

قال المصنف عفا الله عنه :

قد أطلنا فى هذا الفصل إطالة أخرجتنا عن المقصود ، ولكنا أودعناه فوائد منوعة يعز وجودها ، وقد آن لنا أن نرجع إلى ذكر أبى المطرف ابن عميرة فنقول :

وله فصول وعظية على طريقة الامام أبى الفرج ابن الجوزي منها قوله :

إذا عرجت شياطين الهوى إلى سماء العقل وجدتْها مليئة حرساً شديداً وشهباً ، تطلب غرة النفس والرقيب قريب إلا مَن خطف الخطفة ، وتنصب لها حبالة يعدهم ويمنيهم فيمنعها من أن تقطع فيها حاجز (إن عبادي ليس لك عليهم سلطان) ، إنها لَتسافر فى عالم الكسب فتعترضها فى تلك الفلاة ، وتختتلها عند الغفلات ، والحارس ينادي ياخيل الله اركبى .

ومنها فى قصة بلال وأمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح واسمه تيم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مُدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان وكان ممن يعذب بلالا على الاسلام .

المرء بخيره لا بغيره ، وبفضيلته لا بفصيلته ، تقوى الرجل سبب تهـنُ عنده الأسباب ، ونسب تهون معه الأنساب ، دعي إلى الاسلام أخو جمح فجمح وما جنح ، وكان فى رقه بلال فرقً قلبُ الرقيق ، وصدق عتيق الصديق، يوم الفتح تبين خطِلُ ابن أخطل وقد عاذ بمكانه ، ونعم بال بلال حين غاظ بعض

السامعين بأذانه ، ما ضر الحبشي لونه وإن ازدروه ، ولا نفع القرشي كونه أحد من داروا حوله وداروه ، ما أقرضه بمكة سلاً لسيف العدوان وانتضاه ، فعلى القليب قضاه اياه ، وخياركم أحسنكم قضاء ، لم يرع له ولاية الحق ، فأعرض عن حرمة أسره المستحق ، أغرى به سفهاء مكة فحشر عليه سراة يثرب ، أقعده فى الرمضاء حتى حمي فضربه بسيوف الأنصار حتى برد :

صاحب رجاء غد عسى الأيام أن ... يرجعن قوماً كالذى قد كانوا
واستعمل البقيا حذار جناية ... تجرى بها فكما تدين تدان
ضل امرؤ جعل الاساءة عادة ... ويرى المثوبة أنها إحسان

وله مجالس وعظية كان يصنعها للواعظ الفاضل الصالح أبى محمد بن علي بن أبى خرص رحمه الله ومن قِبَلِهِ استفدناها ، منها فى قصة آدم وإهباطه من الجنة إلى الأرض :

روى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه قال . بينا آدم يبكي بعد أن أهبط من الجنة جاء جبريل عليه السلام فسلم عليه ، فبكى آدم حتى بكى جبريل لبكائه ثم قال ياآدم ما هذا البكاء ؟ قال ياجبريل وكيف لا أبكي وقد حولني ربي من السماء إلى الأرض ، ومن دار النعيم إلى دار البؤس ، كان إذا رأى الملائكة ذكر الوطن فهاجت حسراته ، ومتى تفكر فيما إليه نزل سالت بالدم عبراته ، وكيف لا يتجرع الأسف كلّه ، ومن سجد له بالأمس يرحم اليوم ذلّه :

كفى حزنا مثواي فى أرض غربة ... وقلبي بأخرى مستهام متيم
أقول لبعد الدار ياطول شقوتي ... كأني بطيب القرب لم أك أنعم
أصانع لحظ العين عندك خيفة ... وأكتمُ ما بي فيك والله أعلم
وألثم علويّ الرياح إذا سرت ... وما كنت لولا أنت للريح ألثم
ربيعيّ ذاك الوجه لو كان زائري ... وأول عامي من هواه المحرم

ويح ابن آدم ، أما يذكر قصة أبيه ؟ ويقيسُ يسير جنايته بعظيم ما يجنيه ؟ زاد عليه فى المخالفة طولا وعرضاً ، فليته أعطي من ندامته ولو بعضاً ، زلّة أهبطته من جنة المأوى ، وأدنفته حتى أعلى بالشكوى :

أتـى الخيـــام بقلـب — مـع الأصحـــاء صاح
وراح منهـا سقيمـاً — نشوان من غيـر راح
ولـم يكـن ما شجـاه — منهـا يلـوح لـلاح
لـولا إفـاضـة دمـع — قضى لـه بافتضـاح
والله ما راق عينـي — سنـا جبيـن الصبـاح
ولا انثنـاء غصـون — ولا ثنـايـا أقـاح
مُـذْ قـدر اللهُ بعدي — عن أرضكـم وانتزاحـي

ومنها فى الوعظ والتوبيخ :

ياهذا مِدادُ الذنوب إنما يمحوه ماء الدمع ، أفلا تعد له عيناً باكية ؟ وخطر العقل يقتل غلام الهوى وأنت تقول أقتلت نفساً زاكية ؟ اعترضتك شبهة الغي فهذا دليل الرشد قد تبين ، وإن خرجت خائفاً من مصر المعصية فاجهد نفسك على أن تردَ ماء مدين ، عزم الكرام وكيل أمين الغيب ، وهمّة الرجال ما التأنيث لاسمها بعيب ، قالت أسماء لولدها وقد خشي المثلة · الشاة الميتة لا تألم السلخ ، ونادى ابن أدهم مَن شجه أن الرأس الذى يحتاج إلى . . . . . . تركته ببلخ :

أيعلم من أودى بصبري ما ألقـى — وأن نعيمى فى هواه بأن أشقـى
إذا قيل هذا عاشق قلت ميـزوا — فأكثر من تلقونـه يدعى العشقـا
ويابأبي ذاك الحبيب الـذى ثـوى — من القلب مثوى لم أسامـح به خلقا
تجافيت عن إعراضه وجفائـه — فمن حقـه أن لا أرى معه حقـا
وجمجمت فى شكواي إذ لم أجد لها — محلا لالقائي ولم أستطـع نطقـا
وكنت أري والصدق شانيٌ فى الهوى — بأني على حالي سأجزَى به صدقـا
فأخلف ظني والمحب ظنونـه — متى حاولت جمعـاً تحوله فرقـا
وللشرق فى قلبى لبانة عاشـق — فياليت شعري مَن يبلغها الشرقا ؟
ألا إن ماء فيه ما كنت أشتكـى — لهيب الحشا لو كنت يوماً به أسقى
وطيب نسيم لا يرى من أضلـه — سوى اليأس منه أو يرى ذلك الأفقا
فمَن مبلغ سكانه أن عهدهـم — وإن هم أضاعوهُ على حفظه أبقـا
سلام عليهم كيف كانوا فانهـم — وإن لم يرقوا لا أزال لهم رقّـا

ومحاسنه فى هذا الباب كثيرة .

ومن نظمه وله تعلق بنوع من التاريخ فى ذكر ملك اختلت حاله بداخلة دخلت عليه :

أخذ وترك لا تأمـــل فيهمـــــا ... للحـال فى المتـروك والمأخـوذ
نبـذوا عهودهـم ويالك ضلـــة ... من نبذهـا لمشـــرد منبـــوذ
عمَّتْ إذاياتُ الزمان ودون مـــا ... صرنـا إليه كـل أمـر مـــوذي
فاعجب لفار السـّد فى وهن القوى ... حيث انتهـى وبعوضة النمـــروذ

وله فى الحنين إلى الأوطان ، وما لقي به من التقلب فى البلـدان ومفارقة الاخوان :

كـم التنقل فى سكر بلا طـــرب ... مشي النـّزيف صريع الجنب بالبنج
من منزل نحو ثانٍ ليس يُشبهه ... كأنمـا حملتنا خيـل شطرنـــج

وهذان البيتان وان كانا كما تراهما فى غاية من تحسين المبنى وتحصين المعنى فقد شذ فى قافيتهما عن المعهود فى مثلهما من التزام الردف لحذف ما حذف منه على ما أحكم فى علم القوافي .

وفى نحو من ذلك وكتب إلى صاحبه أبى عبد الله بن محمد المرسي ابن الجنـّان الكاتب رحمه الله :

تذكر عهد الشرق والشرق شاسع ... وذاب أسى للبرق والبرق لامـــع
وأتبع ذكر الجزع أنة موجـــــع ... له أبداً قلب على الجزع جـــازع
كفى حزناً نأيٌ عن الأهل بعدمـا ... نأينا عن الأوطان فهي بلاقـــع
نوى غربة حتى بمنـزل غربـــة ... لقد صنع البين الذى هو صانـع
أحنُّ إلى أرض تقـادم عهدهـــا ... ومن دونها أيدي الخطوب الموانع
وكيف بشقر أو بزرقـة مائـــه ... وفيه لشقر أو لزرق مشــــارع

هكذا قال ، ووقفت عليه بخطه ، ولو قال أو بزُرق مياهه، وفيها لكان أتم فى التجنيس فتأمله .

ومنه وكتب به إلى شيخنا أبى الحسن الرعينى رحمه الله :

صاح بهم صائح الرحيـل فمـــا فيهم على البين واحد سلمـــا
وجاس بالروع عقـر دارهـــم من بعد ما كان سربهـــم حرمـا
فهم عباديد فى البــلاد ولا شمـل بكف الخطـوب منتظمـا
قد أقسم الدهـر أن يُفرقهـم وجنب الحنث ذلـك القسمـا
ياسائلي عـن بكـاي بعدهـم بكيت دمعـاً حتى بكيت دمـا

وفى الأدب وحُرفته :

أدب وحُرفته وها أنا منهمـا مع مبصر صنع وأعمى أخـرق
ما فكّ قيد الحظ ذا إلا بـدا لأخيه فيه فـرده للمطبـق

ومن تضميناته العجيبة قوله من قصيدة يمدح بها المستنصر بالله :

ونقد أقدت من الزمان فكـاذب من قولهم : جرحُ الزمان جُبـار
وأطلت أيام السرور فلـم يصب مَن قال : أيـام السرور قِصـار

وكان يُستحسَن كثيراً من كلامه هذا البيت :

لك الفضل يحيى خالداً بك ذكـره فلا ذكر للفضل بن يحيى بن خالد

لترديد ألفاظ الذكر ويحيى وخالد فى العجز السابقة فى الصدر ، وهو من أبيات خاطب بها الأمير أبا العباس :

أسيدنا الأعلى إذا المرء لم يجـد نداك على حـال فليس بواجـد
وإن هو لم ينعم بوجهك ساعـة من الدهر لم تظفر يداه بفائـد
لك الفضلُ يحيى خالداً بك ذكره فلا ذكر للفضل بن يحيى بن خالد
تخطت بلاكدٍّ إلى غير طالـب وأخصب مرعاها على غير رائـد
وقد علِم الأقوامُ أنك فيهـم أجلُّ اللآلي بين أبهى القلائـد
بفضلك قلنا والمقال مزيـف إذا كان لايؤتى عليه بشاهـد
أولئك جادوا والزمان مساعـد وجدت لعمري وهو غير مساعـد

ومنه وذكر بعض بني النعمان الهنتاتيين (1) وهو من حسن التجنيس وتـامـّـــه :

في الروع أوجههم كأقمار الدجــى ۝ وسيوفهم كشقائق النعمـــــــان
والمعلوات ولدن فيهم فهـــي إن ۝ نُسبت يقال شقائق النعمـــان

قال المصنف عفا الله عنه : صدر هذا البيت الذى هو : بفضلك قلنا من أردإ الصدور وأقبحهـا نظماً لتمحضه اذا انشد وحده للهجـاء ولا ينصرف إلى ما قصد به من المدح إلا باتباعه عجزه فتأمله والله الموفق .

وقد ألممتُ بمعنى البيت الأخير من هذه الأبيات فقلتُ من قصيدة طويلة أمدح بها الرئيس الأطول أبا علي عمر بن الفقيه الأ جل العلم الشهير أبي العباس الملياني وصل الله أسباب سعادته وهي أول ما رفعتُ إليه :

يامَن يقيس به سواه فى النـــدى ۝ ألغيث فى النظر اعتبـــار الجامــع
هذا يجود وفى الموانع كثــــــرة ۝ وســـواه ضنٌ مــع ارتفاع المانــع

وساذكر إن شاء الله سبب هذه القصيدة فى رسم أبى الحجاج بن (. . .) ابن الجنان .

ولأبي المطرف رسائل بديعة أغرب فيها بالتزام بعض الحروف فى جميع كلمها ، منها رسالة كتب بها إلى الرئيس أبى الحسين بن عيسى بشاطبة زاوج فيها بين السين والشين ، فالتزم السين فى كلمة والشين فى التى تليها إلى آخر الرسالة ، وقد جرى عليه الوهم فى ثلاثة مواضع منها سقط له منها الشين ، ورسالة خاطب بها صاحبيه شيخنا أبا الحسن الرعينى ، وأبا عبد الله ابن الجنّان ، والتزم فيها حروف النون فى كل كلمة سأثبتها فى رسم شيخنا أبى الحسن الرعينى إن شاء الله تعالى، ورسالة خدم بها المستنصر

---

1) ينظر عن بنى النعمان الهنتاتيين ممدوحى ابن عميرة **العبر** لابــن خلدون 6 : 633 طبع بيروت .

بالله التزم فيها الدال فى كل كلمة ، وهذه الرسائل الثلاث مشتملة على نظم ونثر ، ورسالة رفعها للرشيد عبد الواحد من بنى عبد المؤمن التزم فيها حرف الراء لا نظم فيها ، وله تأليف فى كائنة ميورقة وتغلّب الروم عليها نحا فى الخبر عنها منحى عماد الدين محمد بن محمد الأصبهاني فى تأليفه (الفتح القسي ، فى الفتح القدسي) وتعقّب على الامام فخر الدين عبد الله محمد بن عمر بن الحسين بن علي البكري الطوسي ثم الرازي المعروف بابن خطيب الريّ فى كتابه (المعالم) فى أصول الفقه ، ورد على كمال الدين أبى محمد عبد الواحد بن عبد الكريم بن خلف الأنصاري المعروف بالسماكي فى كتابه المسمى بـ (التبيان ، فى علم البيان ، المطلع على إعجاز القرآن) وسمّاه بـ (التنبيهات ، على ما فى التبيان من التمويهات) ، واقتضاب نبيل من تاريخ ثورة المريدين لأبى محمد عبد الملك بن أحمد ابن صاحب الصلاة ، إلى غير ذلك من التعاليق ، وإنما أطلت فى ذكر هذا الشيخ وأكثرت من إيراد آثاره ، ولاسيما ما جلبته من أشعاره ، لأن طائفة من أهل طبقته كانت تستقصر منظومه وتدفعه عن الاجادة فيه ، وهو كما رأيت وسمعت بلاغة وبراعة وان كان ينزل عن نثره ، وكان يذكر أنه رأى فى منامه النبيّ صلى الله عليه وسلم فناوله أقلاماً وكان يرى ويرى له أن تأويل تلك الرؤيا ما أدرك من التبريز فى الكتابة وشياع الذكر بها والله أعلم ، وقد كان شيخنا أبو الحسن الرعينى يصفه بالتقدم فى الكتابة على أهل زمانه ، وكان يمسه بشيء فى اعتقاده الله أعلـم بـه .

وورد مراكش صحبة ركاب عبد الواحد الرشيد من سلا واستكتبه بمراكش مدة يسيرة ثم صرفه عن الكتابة وقلده قضاء بلد هيلانة من نظـر مراكش الشرقي ، فتولاه قليلا ثم نقله إلى قضاء رباط الفتح وسلا ، وسيأتي ذكر الاشارة إلى ذلك فى جواب أبي عبد الله ابن الجنان إياه عن رسالة كتب بها إليه ان شاء الله ، وأقام بتولاه الى أن توفي الرشيد وولي مكانـه أخـوه علي المعتضد بالله فأقره عليهما مدة ، ثم نقله إلى قضاء مكناسة الزيتون ، وكان قد بلغه أن المعتضد قدم على مكناسة عمر بن الأمير أبي إبراهيم بـن يوسف بن عبد المؤمن بن علي وهو الوالي مكان المعتضد بعد وفاته المتلقب بالمرتضى ، فأعد له أبيات تهنئة بتلك الولاية ، ثم اقتضى نظر المعتضد تولية

عمر المذكور مدينتي سلا (1) فبعث بها إليه وهي عشرة أبيات لم يعلق منها بحفظ ممليها عليَّ إلا هذه الأبيات السبعة وهي :

توحدتَ في الفضل من غير ثـــان ... فما لك عنه من الخلق ثـــان
ولاسمك ياعمر الجود مـــا ... لروح الجنـان وروح الجنـــان
فان يمنـع العـدل من صرفـــه ... فعدلك يمنـع صرف الزمـــان
على اليمن متصـلا بالأمـــان ... وبشر التهـادي ببشرى التهانـي
قدوم قد استشعرت عنـــده ... نفوسُ الأنـام نفيسَ الأمـــان
أبرت خصالك يوم الفخـــار ... وكان لك الخصل يوم الرهـــان
فملئت عـزاً حصين المجـــن ... وهنئتَ عيشاً خصيب المجانـي

وكان شديد التطارح على خدمة الرؤساء كثير الحرص والرغبة في ضم حطام الدنيا متظاهراً بالاقلال ، فقد وقفت له بخطه على قصيدة رفعها للأمير أبي العباس المذكور حين ولي سلا مهنئاً بولايته إياها، وقدم عليها نثراً وأخر عنها مثله ، منه عقب إيراد القصيدة : هذه أيد الله المولى بنت فكر بكي ، وخاطر فطر على عي ، ثم لم تزل به الأيام حتى أبدت صبابته ، واستشفت صبابته ، وتركته نظماً شتيتا ، وذا عسرة لا يملك بيتا . ومنه : وقد ألمعت في البطاقة الواردة مع هذه الخدمة بما أرغب أن يعيره المولى طرفه ، ويثني نحوه عِطفه وعَطفه ، وما يشرف به عبده من تفضل بجوابه ، واستخدام في بابه ، فنظره إليه سام ، ودهره منه في جذل وابتسام . فهذه إشارة إلى ما كان يتظاهر به من رقة الحال والاستجداء ، ثم لما قتل المعتضد كما تقدم الأخبار عنه اغتنم أبو المطرف تلك الفترة وفصل من مكناسة قاصداً سبتة ، فلقي الرفقةَ التى كان فيها جمعٌ من بني مرين سلبوه وكلَ من كان معه ، فذكر لي الشيخ أبو الحسن الرعيني رحمه الله أنه كتب إليه يعلمه بهذه الحادثة عليه ، وأن المنهوب له من ماله يعدل أربعة آلاف دينار عشرية وكان ورقاً وعيناً وحلياً، فأين هذا مما تضمنه الفصل الذى خاطب به الأمير أبا العباس المذكور حسبما قصصناه ، ثم ركب البحر من سبتة متوجهاً إلى بلاد افريقية ، وهذه الرحلة هي التى وصف في الخدمة التى قدم بها على الأمير أبى يحيى

1) أى سلا ورباط الفتح ؛ وكان الرباط فى القديم يضاف الى سلا دائماً .

زكرياء وهو والي بجاية ابن الأمير أبى زكرياء فأبدع فى إجادتها ما شاء ، ولم يزل مذ فارق جزيرة الأندلس معمور الخاطر بالتخلص إلى بلاد أفريقية ، وقد كان كتب وهو بسبتة حين وصوله إليها من مكناسة قبل قدومه على تونس مقدماً بين يدي ما أمله من القدوم على الأمير أبي زكرياء رسالة بديعة خدم بها الأمير أبا زكرياء ودفعها إلى الوزير الحسن ابن خلاص فألفيت فى متاعه الذى خلص إلى تونس ، وهي مشتملة على نظم ونثر فى الغاية من براعة الانشاء .

وكان حسن الخَلْق والخُلُق جميل السعي للناس فى أغراضهم حسن المشاركة لهم فى حوائجهم متسرعاً إلى بذل مجهوده فيما أمكن من قضائها بنفسه وجاهه ، تصحبه غفلة ، ولما قدم تونس مال إلى صحبة الصالحين بها والزهاد برهة ، ثم نزع عن ذلك رغبة فى خدمة الملوك ، فاستقضي بالأربس من بلاد إفريقية ، ثم نقل منها إلى قابس أكثر مقامه بأفريقية ، ثم استدناه المستنصر بالله وأحضره مجالس أنسه ، فيُذكَر أنه داخله مداخلة أنكرها المستنصر وحاشيته عليه حتى ليوثر من كلام المستنصر فى حقه وقد سئل عنه : ذلك رجل رام إفساد دنيانا علينا فأفسدنا عليه دينه ، وكانوا يرون أن تشبعه بتلك العلوم القديمة التى كان يتعاطى منها مَا لا يحسن أخلّ به في معتقده وقاده إلى فساد دخله والله أعلم بسريرته .

مولده بجزيرة شقر وقيل ببلنسية فى رمضان اثنتين وثمانين وخمسمئة ، وتوفي بتونس ليلة الجمعة الموفية عشرين من ذى الحجة ثمان وخمسين وستمئة ، ووهم أبو جعفر ابن الزبير فى وفاته إذ جعلها فى حدود الخمسين وستمئة أو بعدها ، قال : وذكر لي أنه تغيرت حاله آخر عمره وافتتن ، والله أعلم بحاله ، ونسأله العفو عن الجميع وحسن العاقبة بمنه .

انتهى من الذيل والتكملة .

---

1) **الذيل والتكملة** 1 : 150 ع 231 وهذه الترجمة مما استلحقه المؤلف بالأحمدين ، وقد قدمناها على الترجمة المنقولة من **الاحاطة** الواردة فى الأصل لتقدم ابن عبد الملك زماناً على ابن الخطيب .

وينظر عن ابن عميرة كتب لا حصر لها جمعها الدكتور محمد بن شريفة فى الكتاب الذى الفه عنه المسمى : أبو المطرف احمد ابن عميرة المخزومى .

وقال فى (الاحاطة) بعد ذكر اسمه ونسبه :

أوليتـه :

لم يكن من بيت نبـاهة ، ووقع لابن عبد الملك فى ذلك نقـل كان حقه التجافي عنه لو وفق (1) .

حالـه :

قال ابن عبد الملك : كان أول طلبه العلم شديد العناية بشان الرواية فاستكثر من سماع الحديث وأخذ عن مشايخ أهله وتفنن فى العلوم ونظـر فى العقليات وأصول الفقه ، ومال إلى الأدب فبرع فيه براعة عُدَّ بها من كبار مجيدي النظم ، وأما الكتابة فهو علمها المشهور ، وواحدها الذي عجزت عن ثانيه الدهور ، ولاسيما فى مخاطبة الاخوان ، هناك استولى على أمـد الاحسان ، وله المطولات المنتخبة ، والقصار المقتضبة ، وكان يملح كلامـه نظماً ونثراً بالاشارة إلى التاريخ ويودعه إلماعات بالمسائل العلمية منوعـة المقصد ، قلت وعلى الجملة فذات أبي المطرف فيما ينزع إليه ليست من ذوات الأمثال ، فقد كان نسيج وحده إدراكاً وتفنناً بالعلوم محدثاً مكثراً راوية ثبتا متبحراً فى التاريخ والأخبار ريان مضطلعاً بالأصلين قائماً على العربية واللغة ، كلامه كثير الحلاوة والطلاوة ، جمُّ العيون غزير المعاني والمحاسن شفاف اللفظ حر المعنى ثاني بديع الزمان فى شكوى الحُرفة وسوء الحظ ورونق الكلام ولطف المأخذ وتبريز النظم على النثر والقصور فى السلطانيات .

مشيختـه :

روى عن أبي الخطاب أحمد ابن واجب ، وأبي الربيع بن سالم ، وأبي عبد الله بن فرج ، وأبى علي الشلوبين ، وأحمد ابن عـات وأبى محمد ابن حوط الله ، لقيهم وقرأ عليهم وسمع منهم وأجازوا له ، وأجاز له من أهـل المشرق أبو الفتوح نصر بن أبي الفرج وغيره .

---

1) انظر صفحة 149 من هذا الجزء .

من روى عنه

روى عنه ابنه أبو القاسم، وأبو بكر ابن خطاب، وأبو إسحاق البلقيني الجعيد ، والحسن بن طاهر الحفيد الشقوري ، وأبو عبد الله البري ، وحدث عنه أبو جعفر ابن الزبير وابن شنيف وابن ربيع وغيرهم مما يطول ذكره .

نباهته :

صحب أبا عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله ابن خطاب قبل توليته ما تولى من رياسة بلده وانتفع به كثيراً ، وكتب عن الرئيس أبي جميل زيان بن سعد وغيره من أمراء شرق الأندلس ، ثم انتقل إلى العدوة ، واستكتبه الخليفة عبد الواحد الرشيد بمراكش مدة يسيرة ثم صرفه عن الكتابة وولاه قضاء مليانة من نظر مراكش الشرقي فتولاه قليلا ثم نقله إلى قضاء رباط الفتح ، وتوفي الرشيد فاقره على ذلك الوالي بعده علي المعتضد أخوه ، ثم نقله إلى قضاء مكناسة الزيتون، ثم لما قتل علي المعتضد لحق بسبتة وجرى عليه بطريقها ما يذكر في محنته ، ثم ركب البحر منها متوجهاً إلى افريقية ، فقدم بجاية على الأمير يحيى بن يحيى الحفصى ، ثم توجه إلى تونس فنجحتْ بها وسائله ، وولي قضاءَ مدينة الأربس ، ثم انتقل إلى قابس وبها طالت مدة ولايتـه ، واستدعاه المستنصر بالله محمد بن يحيى ولطف محله منه ، حتى كان يحضر مجالس أنسه ، وداخله بما قرفته الألسنُ بسببه حسبما يُذكر في وصمته .

مناقبه :

وهي الكتابة والشعر ، كان يذكر أنه رأى في منامه النبيَّ صلـى الله عليه وسلم فناوله أقلاماً فكان يرى ويرى له أن تأويل الرؤيا ما أدرك من التبريز في الكتابة وشياع الذكر والله أعلم .

ومن بديع ما صدر عنه ، فيما كتب في غرض التورية ، قطعة من رسالة أجاب بها العباس بن أمية وقد أعلمه باستيلاء الروم على بلنسية فقال :

بالله أيَّ نحو ننحو؟ أو مسطور نثبت أو نمحو؟ وقد حُذف الأصل والزائد ، وذهبت الصلة والعائد ، وباب التعجب طال ، وحال اليأس لا تخشى

الانتقال، وذهبت علامة الرفع ، وفقدت سلامة الجمع، والمعتلُ أعدى الصحيح، والمثلث أردى الفصيح ، وامتنعت الجموعُ من الصرف ، وأمنت زيادتها من الحذف ، ومالت قواعد الملة ، وصرنا جمعَ القلة ، وظهرت علامة الخفض ، وجاء بدل الكل من البعض .

ومن شعره في المقطوعات التي روى فيها بالعلوم قوله :

قد عكفنا على الكتابـة حينـاً ... وأتتْ خطة القضاء تليهـا
مع كلٍّ لم نلق للجهـد الا ... منزلا نائياً وعيشاً كريهـا
نسبة بدلت ولم تتغيـر ... مثل ما يزعم المهندس فيهـا

وكقوله مما افتتح به رسالة :

ياغائباً سلبتْني الأنسَ غيبتُـه ... فكيف صبري وقد كابدت بينهما
دعواي أنك في قلبي يُعارضهـا ... شوقي إليك فكيف الجمع بينهما ؟

وفي مثل ذلك افتتاح رسالة أيضاً :

أفدي الكتاب أتى وساحة طرسه ... روض مُوَشًى بالبديع مُوَشَّع
وله حقوق ضاق وقتُ وجوبهـا ... ومن الوجوب مضيق وموسـع

وفي مثل ذلك استفتاح رسالة أيضاً :

كبرت بالبشرى أتت وسماعهـا ... عيدى الذى لشهوده تكبيـري
وكذلك الأعياد سنة يومهـا ... مختصة بزيادة التكبيـر

وفي أغراض أُخَر :

بايعونا مودة هي عنـدي ... كالمصراة بيعها بالخـداع
فسأقضي بردها ثم أقضـى ... بعدها من ندامتى ألف صاع

وله في معنى ءاخر :

شرطت عليهم عند تسليم مهجتي ... وعند انعقاد البيع قرباً يواصل
فلما أردت الأخذ بالشرط أعرضوا ... وقالوا يصح البيع والشرط باطل

تصـانيفـه :

له تأليف فى كائنة المرية وتغلب الروم عليها نحا فيها نحو العماد الأصفهانى فى (الفتح القدسي) وكتابة فى تعقبه على فخر الدين الخطيب الرازي فى كتاب (المعالم) فى أصول الفقه منه ، ورده على كمال الديـن أبي محمد بن عبد الكريم السماكي فى كتابه المسمى بـ (التبيان ، فى علم البيان) ، واختصار نبيل من تاريخ ابن صاحب الصلاة وغير ذلك من التعاليق والمقالات ، ودون الأستاذ أبو عبد الله ابن هانىء السبتي كتابته وما يتخللها من الشعر فى سفرين بديعين أتقن ترتيبهما وسمى ذلك (بغية المستطرف ، وغنية المتطرف ، من كلام إمام الكتابة ابن عميرة أبي المطرف) .

دخوله غرناطة :

شيخنا أبو الحسن ابن الجياب أخبر بذلك عن شيوخه ، والرجـل ممن يركن إليه فى أخباره ، فيما أخفوا ؟ قال المخبر : عهدى به طويلا نحيف الجسم مصفراً أقنى الأنف أصيب بمالقة أحوج ما كان إليه ، وقد استقبـل الكبرة ونازعه سوء الحظ ، قال الشيخ أبو الحسن الرعيني إنه كتب إليه يعلمه بهذه الحادثة عليه ، وأن المنهوب من ماله يعدل أربعة ءالاف دينار عشرية ، وكان ورقاً وعيناً وحلياً ، وذلك أنه لما قُتل المعتضد اغتنم الفترة وانفصل عن مكناسة قاصداً سبتة ، فلقي الرفقة التى كان فيها جمعٌ من بني مرين فسلبوه وكل من كان معه .

مولده :

بجزيرة شقر وقيل ببلنسية فى رمضان عام اثنين وثمانين وخمسمئة.

وفاتـه :

توفي بتونس ليلة الجمعة الموفية عشريـن ذى الحجة عام ستـة وخمسين ، قال ابن عبد الملك ووهم ابن الزبير فى وفاته إذ جعلها فى حدود الخمسين وستمئة أو بعدها هـ .

وقال فى (الديباج) فى ترجمته ما نصه وله :

عندي يد لك بعد أخرى قـــررت من ودك الذخر المعد لما دهـــا
والدهر عن حظى سها أفينبغـــي من ذى اليدين سكوته عمن سها(1)

ولـه :

فعل امرىء دل على عقلـــه والفرع منسوب إلى أصلـــه
إن الذى يكرم فى جنســـه هو الذى يكرم فى فصلـــه
والمرء لا يشكر عن بغيـــة وإنما يشكر عـن عقلـــه
والخير والشر لهـــذا وذا أهل يوم الخير من أهلـــه
لا يترك اللازم ملزمـــه والشخص لا ينفك عن ظلـــه
وكل مقصور على شيمـــة لابد أن تظهر فى فعلـــه
والناس أشتات وفى الطبع مـــا قد يعطف الشكل إلى شكلـــه
ما خطو مَن يعدو به سابـــح كخطو مَن يعدو على رجلـــه

ثم ذكر أن ما كتبه على (التبيان) سماه بـ (التنبيهات ، على ما فى البيان من التمويهات) هـ .

قلت وهي عندي .

وقال فيه فى وفاته : توفي سنة ثمان وخمسين وستمئة هـ . وحكى الوفاتين فى (الجذوة) .

وقال فى ترجمته فى الجزء الأول من (نفح الطيب) التى أطال فيها والغاية فى هذا الباب ما كتب به رحمه الله من جملة كتاب لبعض ذوى الألباب ونص محل الحاجة منه :

نخص الجهة البعيدة الصيت ، الشهيرة العمل والعلم ، درة تاجنا ، وضوء سراجنا ، ونكتة احتجاجنا ، أبقاها الله تعالى فى أعيننا مناراً ، ولأندلسنا فخارا ، على أنه وان بقيت المفاخر ، فقد أودى المفاخر ، وان اضاء الطالع ،

1) يورى بحديث الصحابى ذى اليدين : أقصرت الصلاة أم نسيت يارسول الله ؟ .

فقد درجت المطالع، وغلب عليها عراة زَوَوْا عنها وجوهنا، وأزوا فيها مكروهنا، حتى أني أتيت بشعر فيه استسقاء للديار على عادة الاشعار فقلت :

زدنا على النائين عن أوطانهم — وان اشتركنا فى الصبابة والجوى
أنا وجدناهم قد استسقَوْا لها — من بعد أن شطت بهم عنها النوى
ويصدنا عن ذاك فى أوطاننا — مع حبها الشرك الذى فيها ثوى
حسناء طاعتها استقامت بعدنا — لعدوها أفيستقيم لها الهوى ؟

قلت : وما رأيت ولا سمعت مثل هذه الأبيات فى معناها ، العالية فى مبناها ، فان فيها الاشارة إلى استيلاء النصارى دمرهم الله على تلك الديار وثبوت قدمهم فيها على طبق ما حصل لهم فيه اختيار ، مع ادماج حبه لها الذى لا يشك فيه ولا يرتاب ، واشتمالها على المحاسن التى هي بغية الرائد ونجعة المنتاب ، ولكل أجل كتاب ، وإذا نفذ سهم المقدور فلا عتاب . هـ .

ونقل ترجمته عن (تحفة القادم)لابن الأبار ، وعن بعض علماء المغرب .

وقال فى الجزء الثاني من (النفح) ما نصه : وقال الأديب الكاتب القاضي أبو المطرف ابن عميرة المخزومي لما قص شعر ملك الأندلس زيان ابن مردنيش مزين فى يوم رفع فيه أبو المطرف شعراً فخرجت صلة المزين ولم تخرج صلة أبي المطرف :

أرى مَنْجاء بالموسى مُواسَى — وراحةَ من أذاع المدح صفراً
فأنجح سعيُ ذا إذ قصَّ شَعْراً — وأخفق سعيُ ذا اذ قصَّ شِعْرا

وجرى ذكر المترجم فى (رحلة العبدري) وأنشد أبو المطرف وقد انصرف من قبر أبى لبابة فى قابس :

خبر الأحبة ما ألذَّ مساقه — وجنى القطيعة ما أمرَّ مذاقه
وهوى القلوب بها عليها شاهد — سبقت مناطق ما لها استنطاقه
أين المنازل إن ذكرت عهودها — فتهيج من كلف بها أشواقه

ومنها :

لكن بقبر أبي لبابة لي هـــــوى ما من هوى للنفس الا فاقـــــه

وراجع (رحلة التجانى) و (رحلة أبى سالم العياشي) ، وترجمـه فى (لسان الميزان) ببعض ما لابن عبد الملك .

175) أحمد بن محمد البلوي

قال ابن عبد الملك ·

أحمد بن محمد بن عبد الرحمان بن محمد بن عبد الله بن علي القضاعي ثم البلوي ، إشبيلي ، قرطبي السلف كانوا يعرفون فيها ببني علي ، أبو القاسم البلوي .

أكثر عن أخيه للأب أبي الحسن البلوي ، وروى عـن خاله الحـاج أحمد بن عمر القرمادي ، وتـلا بالسبع على أبي الحسين (. . . .) بـن عظيمة ، وبحرف نافع على أحمد بن محمد ابن مقدام ، وسمع على أبي إسحاق ابن الشرفي ، وأبوي جعفر : ابن عبد الرحمان ابن مضاء ، وابن محمد ابن يحيى ، وأبي الحجاج بن حسين بن عمر ، وأبي الحكم يوسف بن أحمد ابن عياد الملياني ، وأبي عبد الله ابن عبد العزيز ابن عياش ، ورأى أبا عبد الله ابن سعيد ابن زرقون ، وحضر مجلس سماع أبي محمد بن أحمد ابن جمهور ، وأجازوا له ما كان عندهم ، وأجاز له من أهـل الأندلس : أبو القاسم ابـن بشكوال ، وعبد الرحمان بن محمد الشراط ، ومن أهل المشرق : أبو الطاهر الخشوعي ، وطائفة كبيرة معه ، وكان فيما أرى آخر الرواة عن أبي عبد الله ابن زرقون ، وأبوي القاسم المذكورين . سمعته رحمه الله يقول : أدخل علي أخي وكبيري أبو الحسن رحمه الله إلى منزل أبي وأنا فى المهد ابن أربعين يوماً الراوية أبا القاسم ابن بشكوال وأراه إياي واستجازه لي فدعا لي بخير وكتب لي حينئذ الاجازة وضعها بيده على صدري وانصرف رحمه الله .

روى عنه من شيوخنا أبو الحسن بن محمد الرعيني وجماعة من أصحابنا ومَن يتنزل منزلة شيوخنا ، وقرأت عليه كثيراً من الحديث والآداب وتلوت عليه بعض القرآن برواية ورش وتدربت بين يديه في علم العروض وصنعة الحساب وعمل الفرائض ، وأجاز لي إجازة عامة غير مرة ، وكان عددياً مهندساً فرضياً عدلا مرضيا شديد الشغف بالعلم حريصا عليه لا يأنف عن استفادته من الصغير والكبير ، ولقد ذاكرني بمسائل وأنا ابن ست عشرة سنة أو نحوها فذكرت له ما عندي فيها ثم بعد حين وقفت عليها مقيدة بخطه وقد ختمها بقوله أفادنيها الطالب الأنجب الأنبل محمد بن عبد الملك حفظه الله ، وكان عاقداً للشروط ممتع المجالسة ، طيب النفس ، رقيق القلب ، سريع الدمعة ، أديباً بارعاً صاحب منظوم ومنثور ، سهل الارتجال في النوعين، كتب بخطه الكثير ، وكان ينحو به طريقة شيخه أبي عبد الله ابن عياش المذكور وان كان يضعف عنها ، وعُني طويلا بخدمة العلم ، وكان من قدماء النجباء فيه ، وكتب زمنَ شبيبته عن غير واحد من ولاة بلاد الأندلس من آل عبد المومن باشبيلية وغيرها كأبي زيد ، وأبي موسى بن عيسى المعروف بالعابد ابنا عبد المومن ، وأبي عمران بن أبي موسى المذكور ، وأبوي إسحاق : ابن يوسف بن عبد المومن ، وابن يعقوب المنصور بن يوسف المذكور ، وسليمان بن عمر بن عبد المومن ، وأبي عبد الرحمان (. . . .) ابن أبي إسحاق بن عبد المومن ، ثم ترك ذلك والتزم كتب الشروط ، فكان من ذوي التبريز في عقودها والنفوذ فيما يتعلق بمعانيها ، وله تصانيف أدبية ، وكتابة في الترسيل المجموع من كتب أهل العصر ومن قبلهم من أحفل الموضوعات في فنه وسماه : (تشبيب الابريز . . . .)، وضمنه جملة وافرة من نظمه ونثره، وكان جمعه إياه باقتراح المشرف أبي عبد الله بن عبد الرحمان ابن سهيل ، ووصله عليه لما رفعه إليه بمال جسيم وكسى فاخرة ، ومجموعاته الثلاثة في العروض كذلك ، وهي كبير ، وصغير ومتوسط ، وجعلها كلها مع مختصر في القوافي مجموعة في ديوان واحد قال في صدره : ورجوت ألا يحتاج مع تناهيه في البيان ، وإبداء شرحه للعيان ، إلى مقرىء يشرحه ، إذ لا أترك للناظر فيه مغلقاً لايفتحه، وجعلته تأليفين مختصراً ومطولا ابدأ منهما بالمختصر أولا ، فالمختصر

يجـزي ويكفي ، والمطول يكمل ويشفي ، أسمي المختصر بـ (المقطوف من تدقيق وضـع الميزان ، لعلم العـروض والأوزان) ، وأسمي المطـول (المعطوف من تحقيق العيان ، للفرش والمثال فى غاية البيان) ، ينال بالأول فتح الباب ، ورشف الرضاب فى الاقتضاب ، ويدرك بالثاني تمكين الابهام فى الافهام ، وتحقيق الأحكام للأحكام ، فجلوتهما عروسين على منصتين ناوياً منصتين جلوة الحسناء على منصة الأجزاء ، وجلوة البارعة الجمال ، على منصة الكمال ، ولما فرغ من هذا الثانى عقبه بقول مقتضب فى القوافي ، وافتتحه بقوله : كثيراً ما قفى العروضيون علم العروض بعلم القوافي ، فجعلوهما في الاتصال والاقتران بمنزلة القوادم مع الخوافي ، فاقتديب بهم فى ذلك ، وسلكت فى هذا التأليف تلك المسالك ، وأتى بعلم القوافي على غاية من الاختصار ، ولما أتم غرضه من هذا الكتاب وصله بمختصر فى العروض سماه (عمدة الاقتصار ، وزبدة الاختصار) ، وكان تأليفه إياها الثلاثة برسم رئيس الطلبة أيام المعتضد بالله بن المأمون إدريس بن المنصور يعقوب ، وكان قد شرع آخر عمره في تأليف كتاب فى منتقى الأشعار على فنون الشعر سماه (روض الأديب ، والمنزه العجيب) ضاهى به (صفوة الأدب ، ونخبة ديوان العرب) لأحمد بن عبد السلام الجراوي ، فرغ منه نحو الثلث وعجز للكبرة عن إتمامه ، ويتجزأ كتاب الجراوي مما تحصل منه بمقدار الربع ، أنشدني منه كثيراً ، وكذلك أنشدني من شعره ما لا أحصيه كثرة ، وشاهدت من ارتجاله إيـاه وسرعة بديهته بما أقضى أبدا منه العجب ، وسمعته يقول غير مرة لو شئت أن لا أتكلم فى حاجة تعرض لي مع أحد وأحاوره إلا بكلام منظوم لفعلت غير متكلف ذلك .

ومن انشاءاته بدائع نظمها فى صباه وهو لم يكمل العشرين من عمره أغرب بكبراها المقسومة بثلاثة وعشرين مربعا عرضاً وثمانية وعشرين طولا ، اشتملت على نظم ونثر وموشحة وزجل ، وخاطب بها صديقه أبا بكر بن مفضل ابن مهيب ، وله خواتم بديعة وكل ذلك مما أجاد فيه .

وقدم مراكش فى أيام الناصر محمد بن يعقوب المنصور أو قبلـه ، وانقطع الى أبي عبد الله بن عبد العزيز ابن عياش واختص به ، فكان فى كنفه

إلى أن فصل عن مراكش إلى الأندلس ثم عاد إليها مع وفد أهل اشبيلية على المعتضد بالله علي المذكور آنفا ، وذلك سنة أربعين وستمئة ، وقام بين يديه بقصيدة فريدة وخطبة بارعة وأتبعهما بقصيدة أخرى وخطبة بديعتين ، فالأوليان في التهنئة بصيرورة الأمر إليه بعد الرشيد ، والثانيتان فى تهنئته بعيد وبغير ذلك ، ومن الأولى قوله :

الحمد لله بشرى بعدها بشـــر ... خليفة بشر يهدى به البشـــر
نامت رعيته فى حجر إمرتـــه ... وفي رعايتها من شأنه السهـــر
وأشرق الأنس من بعد الرشيد به ... كأنما هو فى ليل الأسى قمـــر
فضائل الخلفاء الراشدين لـــه ... مجموعة فيه من آياتها الكبـــر
كأنما نحل الصديق شيمتـــه ... فى الصدق فالخبر صدق منه الخبر
تأتي الفتوحات فى أيامه نسقـــا ... كأنما هو فى أيامه عمـــر
ومن فضائل عثمان الحياء لـــه ... على محياه من أنواره أثـــر
له الوصي سمياً وهو يشبهـــه ... فى سيفه فبه يشقَى الأُلَى كفروا
سيف غدا فى يد القهار قائمـه ... لا يكهم السيف أمضت حده القدر
لا شك فى الحق، لكن شك بعضهم ... أسيفه فى الوغى أمضى أم القدر ؟
يغني اسمه إن نضاه عن عساكره ... فلا يبالي أقل الجيش أم كثـــروا
كالشمس تغني إذا ذرت أشعتهـا ... عن المصابيح حيث النور منتشر

ومنهـا :

تتلى مدائحه والمؤمنون بهـــا ... كأنما هي إذ تتلى لهم ســـور
كأنما هي إذ تُجْلى محاسنـــه ... عرائسُ الحسن قد راقت لها صور
لما رأيناه خلنا عند بهجتـــه ... أن الأئمة من آبائه حضـــروا
وأنهم حين أحيتهم خلافتـــه ... إذ أنشر الله موتاهم به نُشِـروا

ومنهـا :

وافاكم وفدُ حِمْص المستجير بكم ... وقد أعزوا بكم وعداً وقد نصروا
صالَ العدوُ عليهم فى جوارهـم ... حتى لَقلّوا فمذ أمرتم كثُـروا

وأيقنوا أن نصر الله نصركـــم فالفتح مرتقَب والنصر منتظـــر
إرادة الله تمضي ما تريـــد إذا أمرتَ ، فالفلك الدوار مؤتمـــر

ومنهـــا :

يهني الشريعة أن أصبحت كافلها فالروح أنت لها والسمع والبصـــر
بأمركم حاط سرب الدين ناصره تحيى العباد وتحميهم وتنتصـــر
متنى الهدى عصبة التوحيد ظاهرة وأنت لاشك معناها اذا اعتبـــروا
رمى بك الله أهل الكفر تسحتهـم وأنت معتضد بالله منتصـــر
فالله رام وأنت السهم فى يـــده والقوس طائفة التوحيد والوتـــر

وهي طويلة ، وإجادته فيها ما سمعت ، وسنّه حينئذ خمس وستون سنة ، وكان معظم عمره محدوداً لم تساعـده الأيام بأمل إلا فلتات قليلـة ، وأدركتْه آخر حياته فاقة" شديدة اضطر من أجلها الى الانتقال إلى حاحة من أعمال مراكش وبواديها القريبة إليها على نحو أربع مراحل منها لتعليم العربية بعض بني أحد رؤساء البربر بها ، فأقام عنده نحو سبعة أشهر وعاد الى مراكش ببعض ما أسدى إليه ذلك الرئيس أيام مقامه عنده وكان نزراً أجرى منه ما أقام أوده على تقتير مدة قصيرة فنفِد ، وأرى ذلك كان فى سنة ثلاث وخمسين أو نحوها ، وبقي فـى حال ضعيفة يرتزق من عائد إليه فـى عقد الشروط لم يكن يفي بأقل مؤنة ، حتى قيض الله له وصول الواعظ أبي عبد الله بن أبي بكر بن رشيد البغدادي المذكور فى موضعه من الغرباء فى هذا المجموع ، فتعرَّف به وتحقق فضله ، فصيَّره فى كفالته ، وقام به أحسن قيام جزاه الله أفضل جزائه ، وكان ذلك من أقبح ما جرت به الأقدار مـن موجبات النقد على صنفه وجيرانه من المنتمين الى العلم والمرتسمين به وغيرهم من رؤساء حضرة مراكش ، فقد كان الجار الجنب لشيخنا أبي الحسن الرعيني رحمه الله لا يفصل بين داريْهما دار أحد من خلق الله ، وشيخنا أبو الحسن هذا أوفر أهل الحضرة مالا وأعظمهم جاهاً وهو بلديه وقد انتفع به كثيراً فى طريقته التى بها رأس ، وبالاستعمال فيها شهر ، وهي الكتابة عن السلطان ، فلم تجر له على يده قطُّ منفعة ولا نال من قبله ولا بسببه فائدة ، فانا لله وانا اليه راجعون .

وكان رحمه الله كثيراً ما يقول وسمعته غير مرة منه أن من أكبر أمنياتي على الله أن أعمر عمر أبي ، ويقول ان أباه توفي ابن اثنين وثمانين عاماً ، فلما كان منتصف جمادى الأخرى من عام وفاته أقبل الى دكانه الذى كان يتصدى فيه لعقد الشروط فصعد إليه وقعد منه بموضعه المعلوم لـه واستعبر طويلا وأنا حاضر ، ثم قال : اليوم بلغتَ من السن ما كنت أتمنى على الله أن يعمرنيه ، فأنا اليوم ابن ثنتين وثمانين سنة ، ثم عاش بعد ذلك شهرين وعشرين يوماً .

وكان مولده فيما أخبرني به غير مرة ونقلته من خطه فـي السدس الأول من ليلة يوم الأحد لأربع عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة عام خمسة وسبعين وخمسمئة .

وتوفي رحمه الله بمراكش ودفن بجبانة الشيوخ لأربـع أو خمس خلون من رمضان سبع وخمسين وستمئة .

حدثني الشيخ المسن الأديب أبو القاسم البلوي رحمه الله إجازة إن لم يكن سماعا قال : حدثنا الراوية أبو القاسم ابن بشكوال إجازة قال : أخبرنا الشيخ أبو محمد ابن عتاب قراءة مني عليه غير مرة قـال : حدثنا الحافظ عثمان بن أبي بكر بن حمود الصدفي الصفاقسي إجازة قال : حدثنا أحمد ابن عبد الله الناقد باصبهان قال : حدثنا محمد بن أحمد أبو بكر المفيد قال : حدثنا أحمد ابن عبد الرحمان السقطي قال : حدثنا يزيد بن هارون قال : أخبرنا عاصم الأحول ، عن أنس بن مالك قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : الموت كفارة لكل مسلم ، قـال عثمان الصفاقسي : هذا حديث عـال على شرط البخاري ومسلم رحمهما الله .

انتهى من الذيل والتكملة (1) .

---

1) **الذيل والتكملة** 1 : 453 ع 674 ؛ وهذه الترجمة مما استلحقه المؤلف بالأحمدين بعد عثوره على الجزء الأول من **الذيل والتكملة** .

176) أحمد بن الولي الصالح أبى محمد صالح

كان جليل القدر ، عظيم الخطر ، له فضائل عجيبة ، وأحوال غريبة ، ظهرت منه فى بدايته الى نهايته ، وبرزت منه فى أحواله وفى سفره وفى إقامته ، قال حفيده فى (المنهاج الواضح) فمنها ما حدثنى به غير واحد ممن أدركت من شيوخ هذه الطائفة قال : سمعت الشيخ رحمه الله يقول لما ولد أحمد رأيت نوراً نزل من السماء إلى الأرض حتى غشي وجهه وحنكته بريقها جملة وافرة من البدلاء ، ومنها ما حدثني به العم الفاضل عبد الرحمان بن أحمد ابن أبي محمد صالح والشيخ الفاضل الفقيه أبو يعقوب بن يونس بن معاوية الهسكوري رحمه الله قالا حدثنا الفقيه العالم محمد بن أبي بكر الدكالي رحمه الله بموضع تعبده من بلد دمشق المحروسة قال حججنا مع الشيخ أبي العباس أحمد ابن الشيخ أبي محمد صالح رحمه الله وكان مع صِغَر سِنّه حينئذ قد رزق قوة فى الوصال وكان لا يفطر إلا عن عشرة أيام ، فلما قضى الله تعالى لنا مناسك الحج جاورت تلك السنة ، فبينما نحن ذات يوم قعود فى الحرم ونحن عازمون على السفر فى القرب الى زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم إذ غشيني شاب تركماني ، فقصد نحو الشيخ أبى العباس حتى دنا منه وصافحه قال صحبتكم لله صحبتكم لله ، فما زال يردد ذلك حتى وقع مغشياً عليه ، فوضع الشيخُ رأسه فى حجره الى أن أفاق ، فقال له الشيخ متى وقع لنا سفر سرنا جميعاً ، فمضى الشابُ عنا ولم نره بعد ، فلما توجهنا تلقاء المدينة بعد ذلك بيوم أو بيومين سرنا على الطريق ، حتى إذا قربنا من المدينة فسرنا ليلا خوفاً من شدة الحر وكان الليل مقمراً ، فتقدمت أنا ورفيق لي إذ رأينا تحت شجرة من شجر أم غيلان شبح إنسان مطروح ، فقصدناه فاذا هو صاحبنا الشابُ التركمانى ، فأعلمنا به الشيخ وأصحابنا فخرجنا إليه وأخذنا عصينا وصنعنا له منها محملا وحملناه عليها ، فأصبحنا عند المدينة فدخلنا به إلى منزل بعض المغاربة فتركناه في المنزل ، وأمر الشيخ بعمل حساءٍ له وجعل رأسه فى حجره ودهن فمه وحلقه بدهن وجعل يقطر ذلك الحساء فى فيه إلى أن أفاق وقام ، فلما صلينا الصبح من الغداة أخذنا فى قراءة السبع ، حتى إذا بلغنا التشهد رفع الشيخ رأسه وكان مربعاً

ورأسه على ركبتيه قال : قوموا بنا حتى نقبل على الشاب التركماني فانه واقف لنا فى الاستغفار بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقام وقمنا ، فوجدناه واقفاً فى الروضة المكرمة ، فأخذه الشيخ بالذراعين وعانقه وتماسكا وهما يتباكيان حتى وقعا ، فلما أفاق ورجعنا إلى موضع نزولنا فما تمالكت أن قلت للشيخ بالذى فضلك إلا ما أعلمتنى كيف علمت أن التركمانى واقف فى الاستغفار ، قال كنت كما رأيتمونى مربعاً إذ سمعت صوت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول ياأحمد قم فأقبلوا على أخيكم التركماني فانه قد غلب عليه حبي حتى نسي صحبتكم ، فقمت مسرعاً وقلت لكم ما قلته ، هذه حكاية صحيحة ، وقد اختصرتها عن طولها ولخصت بالتحرير ما ذكر فى فصولها والله تعالى هو المنعم بذلك ، والمترجم فى الثواب هنالك .

ومنها ما حدثنى به بعض فقراء صنهاجة قدم علينا الشيخ أبو العباس بعد موت الشيخ وهو واردٌ إلى بلد سجلماسة المحروسة ، فأنزلته فى غرفة لي صغيرة وفيها شيء من الشعير قليل ، فقعد فى موضع بقرب ذلك الشعير ، فأخذ منه فى يده ، فقال ماهذا ؟ فقلت ياسيدى هذا الذى نعمله لنفقة سنتنا ما لناغيره، فرده إلى موضعه وقال بارك الله تعالى لكم فيه ، فما زلنا نأخذ منه نفقتنا منذ سنين حتى كالته العجوز يوماً وأنا مسافر ، فنفِد فى تلك السنة .

ومنها ما حدثنى به بعض فقراء كَلاوة وكان فاضلا يسمَّى يحيى بن فاطمة قال لما ورد الشيخ أبو العباس بلدنا أنزلته فى منزلي ، فلما رحل نسي الخديم كرسيه الذى يتوضأ عليه فأخذته ودفنته فى شعير كان عندنا قليلا ، فما زلنا نأخذ منه نفقتنا زماناً طويلا والكرسي مدفون فيه لا يظهر حتى سافرت مرة أخذت العجوز الكرسي منه وحملته ، ففنِيَ فى تلك السنة .

ومنها ما حدثنى به الفاضل سليمان بن ينصارن قال قدم علينا الشيخ أبو العباس فأنزلته فى بيتى فلما أصبح طلب ماء يتطهر به من عذر أصابه تلك الليلة ، فاتيته بماء فاغتسل فى موضع داخل البيت ، فما زال ذلك الموضع إلى هلم جراً كل امرأة قد عسُر نِفاسُها فى بلدنا تأتى إلى ذلك الموضع ، فعند وقوفها فيه تلدُ مسرعة بقدرة الله تعالى .

ومنها ما حدثني به الشيخ الفاضل يوسف بن مالك الكلاوى بأرض تمدلين ، قال لما قدم علينا الشيخ أبو العباس نزل عند الحاج محمد بن عيسى، وكان هو مقدم الحجاج ببلدنا ، وكان وادينا أكل جملة من أرض البلد حتى كان فى حيز الثلث وزيادة ، وكنا معه على التلف ، فأرسل محمد بن عيسى المذكور إلى قبيلنا غداً تصبحون على هذا الشيخ برجالكم وصبيانكم وتدخلون عليه دخيلا أن يمشي على أطراف بلدكم من ناحية الوادي ، قال ففعلوا ذلك ، فركب الشيخ وهدمنا له بالفاس موضعاً نزل منه إلى الوادي ومشى فيه ونحن معه بالذكر صغاراً وكباراً وطلع معه حتى تباعد عن البلد ثمّ نزل معه ، فوالله ما عدا علينا الوادي من ذلك اليوم إلى هلم جراً ولا جاز المواضع التى مشيناها ببركة دعائه .

ومنها ما حدثني به الحاج الأكرم عبد الرحمان بن عبد الكريم الكلاوى خديم الفقراء بموضع تادولا وكنت معه بموضع تماسينت من وادى ورزازات ونحن فى صحن الجامع ، فقال لي لم يزل هذا الوادي يعدو على هذا الموضع حتى أكل جله حتى انتهى إلى هذا الجامع، فبات هنا الشيخ أبو العباس فقال له أهل البلد ادعُ الله لنا أن يرد عنا هذا الوادي ويرده عن هذا الجامع ، فانا قد أيسنا منه ، قال فركب وتبعه خديمه الزبير وبيده عصا فحينما سلك الشيخ خط الزبير بالعصا خطاً كأنه يحد له حداً حتى رجع ، فوالله ما عدا الوادي بعد ذلك العام تلك الحدود إلى هلم جراً .

هاتان الحكايتان عند أهل القبيلة قد اتفق على صحتهما صغيرهم وكبيرهم وخاصهم وعامتهم ، فكل مَن سألته عن هذه الحكاية أجابنى عنها لشهرتها .

حدثنا الشاب الأكرم يعقوب بن محمد بن يحيى بن عيسى الصنهاجي الشهير بوادي دادس قال سمعت والدى يقول قدم علينا الشيخ أبو العباس فدخل عليه ناس من أهل الموضع على أن يطلب أماناً من أهل الحصن الذى لنا ، فطلبهم فامتنعوا وأبوا عليه، فرحل عنهم مغاضباً، فأرسل الله تعالى سحاباً وريحاً فامطرت برداً على زروع أهل الحصن دون زروع الذين طلبوا الأمان ،

وكانت الفدادين متداخلة بعضها فى بعض ، فكان البرد يضرب فداناً بين فدانين وفداناً حذاء فدان ، فتعجب الناس من ذلك ، ودخل القوم من ذلك اعتبار اضطرهم حتى أعطوا الأمان للذين طلبوا منهم الأمان ، والله على كل شيء قديـر .

ومنها ما حدثني به الحاج عبد المومن بن ياكريان الهسكوري قـال سمعت رجلا من حجاجهم ذكر لي أن اسمه شبيبة يقول سمعت الشيخ الفاضل المسن بيدار يقول لما مات الشيخ رحمه الله اختلف الفقراء فى تقديم ولديه عبد الله وأحمد ، فكانت الهساكرة مع عبد الله ، فكشف لي عن دعوات أبى العباس حين دعا على الهساكرة ، فكنت أرى دعوته كالدبروة العظيمة وتستقبل بلاد الهساكرة كما يستقبلها حجر المنجنيق ، فما علمت موضعاً وقعت فيه إلا أهلكه الله ، فبينما أنا يوماً جالس إذ رأيت صخرة قد أقبلت نحوي وعلمت حينئذ أنها دعوته ، فألهمني الله تعالى فأخذت ميزان الصلاة فاترست به فردها عني ، فمن ذلك اليوم عرفت بركة ميزان الصلاة فلم أفارقه ، فدخلت حينئذ وأخذت عجوزى وحوائجي وشرقت هارباً أمامه وأقمت بالخليل من أرض الشام مدة من سنين حتى سمعت بموت الشيخ أبى العباس ، وحينئذ رجعت إلى المغرب فهذه حكاية صحيحة عن هذا الشيخ الفاضل ، وكان قديم الهجرة .

ومنها ما حدثني به أولاد الشيخ الفاضل يوسف بن أبى بكر الصنهاجي ببلد تيكرماط رحمه الله قالوا لما قدم علينا الشيخ أبو العباس وكانت عين بلدنا التى منها سقاؤنا قد يبست منذ سنتين أو ثلاثة سلكنا به على العين وأعلمناه بيبسها وطلبنا منه الدعاء فدعا بماء فنزل ثم توضأ داخل العين ودعا الله تعالى ، فلما انصرف من بلدنا نزل مطر فحمل الوادي حتى دخل فى العين ثم ركد الوادي وجرت العين وعادت كما كانت .

ومنها ما حدثني به جملة وافرة من فقراء بلد سجلماسة المحروسة قالوا لما قدم علينا الشيخ أبو العباس نزل مرتين خمس من أخماس سجلماسة بموضع يعرف ببير حسن فى زمن الخريف ، ففرشنا له على سطح الدار من شدة الحر ، وكان هذا الموضع كثير الأعناب ، فسمع عياطاً للسكارى من كل

جانب ، فقال ما هذا الصياح ؟ فقلنا سكارى ! فقال اللهم اقلع لهم ما يشوشهم، فما مضت سنتان على ذلك الموضع حتى لم توجد فيه شجرة واحدة من عنب ، بل أرسل الله تعالى عليه ريحاً ورملا ويبسا حتى هلكت تلك الدور والجنات وأكلها الرمل ، فكلما مررت بهذا الموضع يقول الناس جدك أبو العباس كان سبب خراب هذه البلدة ، دعا عليها فصارت كما رأيت ، ثم ذكر قصة دخوله لبلد اغمات وستاتى ترجمة أبى محمد عبد الحي إمام الجامع الأعظم به .

ثم قال ومنها ما حدثنى به غير واحد ممن أدركت من خدامه ، قال خرج علينا أبو العباس يوماً وهو ضاحك فقلنا وما الذى سررت به ؟ فقال زاد عند ولدي إبراهيم ولد فسماه باسمى ، فبعد حين ورد الخبر علينا بذلك من بلد اسكندرية كما قال .

ومنها ما حدثنى به الحاج المتعبد بيدار بن سعيد الهنتاتي قال سمعت الشيخ الفاضل محمد بن عمران الهيلانى يقول وهو من مئة وعشرين سنة ، نزل عندنا الشيخ أبو العباس بعد موت والده فى زمن الخريف ، ومعه جملة وافرة من الفقراء ، فأنزلتهم فى هذا الجنان ، ولم يكن بهذا الموضع جنان عنب غيره ، ففرشنا مقعده تحت هذه النخلة وكانت ذكار النخل ، فتوسع الفقراء فى الجنان ، فأكلوا ما وجدوا فيه ، فلما عزموا على السفر نظر الشيخ إلى الجنان قد نفِد كلُّ ما كان فيه ، فقال لى أريد أن أعطيك ثمن غلة هذا الجنان ، فقلت قد وهبت ذلك لله ولرسوله ، فقال لي بعد ما دعا لي بالبركة أسقه ماء وأغلقْه ولا تفتحْه إلا بعد ثمانية أيام ، قال ففعلت ذلك ، فبعد الثمانية دخلت فوجدته كما كان حتى يظن كل من رءاه أنه لم تنله يد فى تلك السنة ، فأخذنا منه خيراً كثيراً ، وقلب الله تلك النخلة الذكار التى قعد فى أصلها رطبا اجل ما يكون من الرطب بعد ما كانت ذكاراً للنخل وهي باقية إلى الآن ، ولقد غرس الناس بعد ذلك حول هذا الجنان أعناباً كثيرة وعمروا جنات كثيرة حتى أعنبت ثم انقعر جلها من الجوائح والكبر حتى يبست ، والجنان إلى الآن لم يزل غضاً يانعا يظنه الظان كما غرس ، وما علمت في هذا البلد غرساً قد تقدمه وذلك كله ببركة الشيخ أبى العباس ، وهذا الجنان

والرجل والنخلة بأرض مسكيسة من وادى نفيس من حوز بلد مراكش المحروسة .

ومنها ما حدثنى به الجم الغفير من فقراء الرباط وغيرهم قالوا سمعنا الشيخ أبا العباس يقول متى رأى ولده الصغير علياً : أولادى كلهم يحجون سوى علي فانه لا يحج ، ولقد رأيته سافر نحو الحج فما يعدو بلد بجاية المحروسة حتى مات بقطرها وقد حجت أخوته كلهم رحمة الله على جميعهم.

ومنها ما حدثنى به الجم الغفير والخلق الكثير ممن أدركته من شيوخ الرباط وغيرهم قالوا سمعنا الشيخ أبا محمد رحمه الله يقول وقد سئل عمن يكون خليفة من بعده فقال رضي الله عنه ولدي أحمد ، ولقد بلغ فى المجاهدة أكثر مما بلغته ، ولقد حج أكثر مما حججته ، ولقد حج إحدى عشرة حجة وما حججت أنا سوى واحدة ، وزاد علي فى الوصال إلى حد لم أخبر به ، ثم ختم أيضاً كلاما فى فضائله واستشهد ببيت

وما شهد الناس فرعاً سواه إلى فضله يعتزى المنصب

مات الشيخ أبو العباس يوم الأحد الرابع عشر من شهر جمادى الأولى سنة ستين وستمئة ، وكان مولده عام أحد وستمئة ، ودفن فى التربة على يمين الداخل خلف قبر والده رضي الله عنه ورحمه .

ولله در القائل :

عزيز من أهل القرب حتى قبورهم عليها تراب العز بين المقابر (1)

177) أحمد بن ابراهيم بن أبى محمد صالح الماكري

أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن الولي الصالح أبى محمد صالح ابن ينصارن الماكري المغربي .

---

1) بعد هذه الترجمة عنون المؤلف لأحمد بن محمد ابن عذارى المراكشى ثم ذكر أن اسمه سيأتى فى المحمدين !

كان رحمه الله فقيهاً مشاركاً راوية لقي الشيخ الفاضل بقية السلف وذخيرة الخلف يحيى بن محمد بن حجاج الصفواني ببلد بجاية حين توجهه للحج وأجازه سنة ست وتسعين وستمئة ، والفقيه الصالح الخطيب محمد بن صالح بن أحمد بن محمد الكناني الشاطبي ببجاية أيضاً ، وأجازه في التاريخ المذكور ، ولقي كثيراً من مشايخ المغرب من تلامذة جده وسمع منهم ، كالشيخ الفاضل سليمان ابن ينصارن ببلد سجلماسة ، ولقي عمه الحاج المتصوف عبد الرحمان بن أحمد بن أبي محمد صالح ، والشيخ الفاضل سليمان بن عبد الملك بن موسى بن أبي حبوش الحسناوي بزاويته من قطر بجاية ، والشيخ الفاضل الحاج المسن سليمان بن أبي بكر بن أبي عمار المسيلي ببجاية ، والفقيه محمد بن يحيى بن داوود الكلاوي ، وسمع من والده إبراهيم ، والشيخ الفاضل الفقيه أبي يعقوب بن يونس بن معاوية الهسكوري ، والشيخ الفاضل يوسف بن مالك الكلاوي ، ولقي الشيخ الفاضل المسن الشريف الحسني عبد العزيز الداريني بموضعه من مدينة مصر ، والفقيه الفاضل أحمد بن عبد الرحمان الدكالي ببجاية ، والشيخ الفاضل الفقيه عبد الواحد بن ياجريان الكلاوى ، وألبسه الخرقة الشيخ الفاضل المحدث خلف بن عبد العزيز بن محمد بن خلف الغافقي الاشبيلي القبتوري رحمه الله سنة خمس وتسعين وستمئة بسنده فيها ، ولقي الفقيه الأستاذ العالم أبا علي ناصر الدين منصور بن أحمد بن عبد الحق الزواوي المشدالي ، والفقيه العالم مفتي المسلمين ببلد اسكندرية أبا إسحاق التونسي ، ولقي بمراكش محمد بن أبي طلاق وحدثه عن الفقيه الحاج المدرس أبي عبد الله اليقوري أنه سمعه يقول لما قدمت القدس في بلاد الشام دخلت على الشيخ الفاضل أبي يعقوب الفكريتى الحيحاي وأنا زائر له ، فسألته عن شيخه في الطريق ، فقال ما أدركت شيخاً وإنما شيخت حكاية ، ثم قال لما قدمت هذه البلاد اعتقدت أني ءاخذ بيد الشيخ الفاضل الفخر الفارسي ، فأدركته قد مات ، فعاشرت جملة من أصحابه ، فسمعتهم يقولون كتب الفخر الفارسي إلى الشيخ أبي محمد صالح ببلد المغرب كتاباً يقول فيه : كيف الوصول إلى الطريق ؟ فلما نظر الشيخ أبو محمد فيه أخذ قرطاساً أبيض وطواه ثم

طبعه وأعطاه للرسول ، فلما قدم الرسول بالكتاب على الفخر الفارسي فتحه فوجده قرطاساً أبيض فتغير حاله لذلك ، ثم دخل خلوة ومكث فيها ما شاء الله ثم خرج منها متهللا مسروراً ، قالوا فسألناه عن سبب انقباضه عند دخوله في الخلوة وعن سروره عند خروجه من الخلوة ، فقال كتبت للشيخ أبي محمد صالح فلما لم يجبني بشيء اتهمت نفسي في ذلك ، فدخلت الخلوة ممتحناً لها ففتح علي في خلوتي بفهم جواب الشيخ ، فاذا هو يقول بلسان حاله في بطاقته اطرح عنك ما سواه يَصْفُ لك الوقت كما هذا القرطاس ، فسررت بفهم ذلك كما ترون ، قال أبو يعقوب فاتخذت هذه الحكاية شيخاً واطرحت عنى كل ما سواه هـ .

ولقي المترجم أيضاً الفقيه الفاضل بقية المتعبدين موسى بن عيسى الهزرجى ، والفقيه الفاضل سليمان بن محمد القيرواني بموضعه من بلد بجاية ، والفقيه الفاضل نخبة زمانه محمد بن يحيى الصنهاجي وغيرهم ، صنف كتابه (المنهاج الواضح ، في تحقيق كرامات أبي محمد صالح) بعد وقوفه على تأليف العلامة أبي العباس العزفي في كرامات الشيخ أبي يعزى ، وتأليف الشيخ عبد اللطيف البغدادي في كرامات الشيخ عبد القادر ، ورتبه على صدر وثلاثة أقطاب وخاتمة ، أما الصدر ففيه مقدمة وخمسة فصول ، المقدمة في بيان ما رغبه في جمع هذا التأليف ، والفصل الأول في وصيته ، والثاني في فضل مرتبة المشايخ ودليل علو مقام منصبهم الشامخ ، والثالث فيما وجب استعماله لكل مريد صادق في بدايته وما يعتمد عليه من تعرض لتربية المريد وهدايته ، والرابع في التحريض على اتخاذ القدوة متى صح الاعتقاد ، وبيان ما يلزم المريد متى ظهر من قدوته ما يوجب عليه الانكار والانتقاد ، والخامس في تحريض الخديم على الخدمة للثواب ، مع ما يستحب له من السير والآداب . والقطب الأول فيه مقدمة وثمانية فصول ، المقدمة فيما لابد للمريد من معرفته واعتقاده ، وما يجب تردده في الذهن تفهماً في كل وقت وافتقاده ، الفصل الأول في معنى الولاية والولي ، وبيان مدلول ألفاظهما بمقال واضح جلي ، والفصل الثاني في الشروط التى ألزمها الأيمة لأهل الولاية وجعلوها من شروط الصحة في الكرامة ، والثالث في أسئلة

تزيد بياناً لأحوالهم ، وقوة في الاعتقاد للتمسك بأفعالهم ، والرابع فيما يختص بصفاتهم ، وما وقع به التمييز ظاهراً من علاماتهم ، والخامس في بيان ما منحوا من أخلاقهم السرية وحسن اعتقادهم ، وما امتحنوا به في عصرهم من عسف المتعسفين عليهم وانتقادهم ، والسادس في بيان مدلول الكرامة لغة واصطلاحاً ، وفي حدها الجامع استنباطاً واقتراحاً ، والسابع في صحة جوازها عقلا ، ووقوعها نقلا ، والثامن في وقوعها سمعاً ، وجوازها شرعاً ، والقطب الثاني فيه فصول ستة ، الأول في معرفة نسبه وبلده ، وتاريخ موته ومولده ، والثاني في تسمية أولاده وعددهم ، والثالث في ذكر أشياخ قدوته ، وتسمية مَن اختصّ منهم باشعال جذوته ، والرابع في ذكر جمل من سيره المألوفة ، وبيان بعض أحواله المعروفة ، وتكلم فيه على لبس المرقعة واستعمال السبحة واتخاذها والتقليد بها لطلب المآرب في بلوغها وانفاذها وجواز لزوم العصا واتخاذها وجواز اتخاذ الركوة وهي أفضل ما سنته القدوة ، وفي فضل الحلاق ودليل جوازه ، وفي جواز استعمال لبس الشاشية ، والخامس في بيان سيرته المعروفة ، وشرح جمل من أفعاله المالوفة بين الذكر الذى كان يستعمله والجهر به واجتماع فقرائه على الذكر بعد صلاة المغرب إلى وقت العشاء الآخرة ، وهي خمسة أذكار أولها لا إلاه إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، الثاني اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله، الثالث أستغفر الله إن الله غفور رحيم، الرابع يا ألله ، يا رحمان يا رحيم ، الخامس الحمد لله رب العالمين خمسين مرة لكل ذكر ، وأذكار الصبح ثمانية ، أولها سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم ، وأستغفر الله ، الثاني سبحانك ربنا وبحمدك ، اللهم اغفر لنا ، الثالث سبحان الدائم القائم ، سبحان الباعث الوارث ، الرابع ربنا اغفر لنا ، ربنا تب علينا ، الخامس اللهمصل على محمد وعلى ءاله ، السادس أستغفر الله إن الله غفور رحيم ، السابع يا ألله ، يا رحمان يا رحيم ، الثامن الحمد لله رب العالمين خمسون لكل ذكر ، والسيرة الرابعة قراءة السبع بعد صلاة الصبح وبعد صلاة العصر ، وهي التى تعلمها الخضر من النبي صلى الله عليه وسلم ، وهي المسبعات العشر المعلومة ، والسيرة الخامسة الدعاء بعد

القراءة ثم مسح اليد على الوجه بعد الفراغ منه ، ثم الوصال ، والفصل السادس فيما يلزم من الدخول في الخلوات من الأذكار الفاضلة وعظيم الدعوات ، والقطب الثالث في ذكر كراماته المشهورة ، وتفاضل علامات ولايته المنشورة ، وفيه تمهيد واثنا عشر فصلا ، التمهيد في ذكر الرؤيا وفضلها ومدلول حقيقتها وأصولها ، والفصل الأول في ذكر بعض رؤياه في بداية أمره من مبشرات تدلّ على علو مقامه وجلالة قدره ، والثاني فيما تحقق من أفعاله وأقواله مما يوجب التصديق لمتابعة الكتاب والسنة في جميع أحواله وأعماله ، وجرى فيه الكلام على شراب الدبس المعروف عندنا بالرب ، وعلى الكيمياء ، والفصل الثالث في ذكر شيء مما يتعلق بالبدايات من أحوال تدل على الكرامات ، والرابع في شواهد دلت على جلالة قدره وعظم أمره ، والخامس فيما ورد من كراماته دليلا على صحة توكله ، لأنه أساس لقاعدة أفعاله ، وعمدته في جميع أحواله ، والسادس في ورعه ، والسابع فيما ورد من كراماته من دلائل زهده وقوة عزمه في ذلك وصحة عقده ، والثامن فيما ورد من كراماته باجابة دعائه ، وما ورد من نفوذ مكاشفاته ، والتاسع فيما بلغه من كراماته المشهورة ، من اطلاعه بنور البصائر على ما في الضمائر من الأسرار المستورة ، والعاشر فيما شوهد من كراماته بالعيان ، وما اشتهر فيها من خرق العوائد بقلب الأعيان ، والحادي عشر فيما ثبت لديه من الكرامات كزيارة الجن ورؤيتهم وحديثهم ومؤانستهم وضيافتهم ، والثاني عشر فيما ورد عنه من الكرامة في انزواء الأرض في الأسفار البعيدة ، وماشوهد له من اعانة الفقراء من تلاميذه في الفيافي والقفار عند الكروب الشديدة ، ثم تكلم على تحريضه للمريدين على لزوم الحج وزيارة النبي عليه السلام وجعل ذلك في تمهيد وفنين وخاتمة ، التمهيد في تحريض الشيخ على الحج لكل تائب ، والفن الأول في الحج ، والثاني في قطع العلائق المانعة ، والخاتمة في ذكر زيارته عليه السلام .

وقال في ءاخره هذا مما قد سمحت به القريحة في جواز وقوع الكرامات ، وإثبات الولاية بصدق العلامات ، موضوحاً بدلائل المنقول ، معضوداً بشواهد المعقول ، مما تبين به عند الامتحان الغث من السمين ، ويبين به في مضمار التناصف الزائف من الثمين ، مع ما أوردناه في ذلك من كرامات شيخنا رحمه الله وفضله ، وما شرحناه في طريقه المشهور من قوله

أو فعله ، على أني جمعت من ذلك ما يباري الشمس ظهوراً ، ويشاكل القطر وفوراً ، على أنه في الاختصار وحي ايماض ، أو زهرة من رياض ، أو نقطة من متلاطم بحر فياض ، وسلكت في ذلك من حق الاخوان أنهج المسالك ، وأوضحت فيه كل ما خشيت أن يخفي غموضه على المريد السالك ، من كل ما غمضت عنه في عصرنا جفون الأحداق ، وانسدل عليه بالجهالة حجاب الأوراق ، وقد توسطت فيه بين الاختصار المنزه عن الخلل ، وبين الاكثار المستدعي للملل ، تحسيناً للايراد ، وتحصيناً للقصد والمراد ، فلم نبق في ذلك للمعتسفين نزاعاً ولا لبطلان قولهم بحكمنا انتزاعاً ، ولقد كان البعض من أولاد شيخنا رحمه الله ونفع به وبهم أولى بهذا الشان مني لفضلهم وعلمهم وعلو سناهم من سناءي ومني ولقد ظهر فيمن بقي من خلفهم وبركات سلفهم ما أعمى الحسد عنه أبصار المشاهدين ، وحجب الجميل عنه بصائر الجاحدين ، فلا جرم أن اليواقيت ، تكسد في بعض المواقيت ، حتى يهون الدر النفيس النافد ، إذا بار السوق الخسيس الكاسد ، قال الفضل بن سهل لا تكسد بضاعة رئيس إلا في أخبث مكان وشر زمان ، فلكل زمان رجال ، ولكل مقال ارتجال .

ثم ختم هذا الكتاب بقصيدتين في المديح النبوي الأولى لأمية البوصيري ، والثانية الشقراطيسية ، وهذا الكتاب في مجلد ضخم ، ورأيت على أول ورقة منه بخط الفقيه العلامة أبي محمد عبد الله بن أبي بكر الناصري قائلا الحمد لله ولكاتبه عبد الله بن أبي بكر بن علي لطف الله به ءامين :

طالع كتاب المنهج الواضـــح ... فهو ثمال الغاد والرائـــح
ورض به نفسك عن غيهـــا ... وابشر بذاك المتجر الرابـــح
لله من نشر به ضائـــع ... ونور يانع جنى فائـــح
زهر التقى والعلم والعمل الـــ ... ـمحض وبدر ملهدى لائـــح
لذ بحمى قطب السلوك أبـــي ... محمد غوث الورى صالـــح
وقل به ياخالقي فاحمنـــي ... من كيد كل حاسد كالـــح
واعفُ وسامح مذنباً قد عـــلا ... متن جواد بالخطا جامـــح
في سوحك الرحب أنختُ فجـــد ... منك بفضل وافر راجـــح
ولتقرني بنيل ما أرتجـــي ... من خالق مهيمن مانـــح

بجاه أشياخ لكم يرتضى | نهجهم من كل ما ناصح
وكل تلميذ لكم ءاخذ | بحقوكم من دان أو نازح
فينجلي عسري وأحظى بما | مولى بجاه الخاتم الفاتح
صلى عليه الله مع حزبه | عد الحصا والطير والسابح
وما شدا عبد كمالكم : | طالع كتاب المنهج الواضح

في شعبان عام 1305 هـ وهي من بحر السريع .

178) أحمد بن محمد ابن شنيف العقيلي

قال ابن عبد الملك :

أحمد بن محمد بن سليمان ابن شنيف العقيلي ، بلنسي ، أبو جعفر .

روى عن أبي الربيع بن موسى بن سالم، ومحمد بن عبد الله ابن الأبار، وأبي العباس بن (. . . .) بن أمية ، وأبي علي ابن الشلوبين ، وأبي القاسم أحمد بن علي ابن حريق ، وأبي المطرف أحمد بن عبد الله ابن عميرة ، وقدم مراكش دفعات أخراها من أفريقية سنة ثمان وستمئة (1) وخلف فوائد جمة ، وتعاليق أدبية كثيرة ، وجملة وافرة من كلام أبي المطرف ابن عميرة نثراً ونظماً ، وكان نبيل الخط متقن التقييد ، كتب الكثير وعُني بالآداب كثيراً ، جالسته طويلا وانتفعت من قبله ببعض ما أوصله مما ذكر ، وصارت إليه من قبلي فوائد أدبية قد كان شديد الطلب لها كثير الحرص عليها باحثاً عنها بالأندلس وافريقية فلم يلقها ، وصار إليّ معظم ما قدم به بعد وفاته رحمه الله ، وكان قبل خبرته بادي الجفاء ظاهر النفور ، حتى إذا ألف وتُؤلف انبسط واسترسل وأمتع مجالسه من الأنس بما شاء .

توفي ببلد حاحة أحد أعمال مراكش ، وكان قد توجه إليها مصرفاً في بعض مجابيها السلطانية سنة أربع وستين وستمئة ، وتحدث عند وفاته بأنه اغتيل بأمر عاملها حينئذ حسبما نفذت به الاشارة إليه من قبل المرتضى

---

1) كذا بالأصول المخطوطة (للذيل والتكملة) ولعل كلمة محذوفة بين كلمة ثمان وكلمة ستمئة : اذ المدة طويلة جداً (56 سنة) بين سنة قدومه الأخير على مراكش (608) وبين سنة وفاته (664) .

عمر بن الأمير إسحاق بن الأمير يوسف بن عبد المومن ، إذ كان أبو العباس (1) هذا من مداخلي إدريس بن الأمير محمد بن الأمير عمر بن عبد المومن الخارج على المرتضي داعياً لنفسه المتلقب بعد استيلائه على مملكة المرتضى الواثق بالله المعتمد على الله ، وشاع التشنيع بذلك على المرتضي وقبح الناس ما أتى من ذلك ، والله بالمرصاد وإليه المصير .

انتهى من الذيل والتكملة (2) .

179) أحمد بن عيسى ابن عبد البر البكري

قال ابن عبد الملك

أحمد بن عيسى بن عبد البر بن محمد بن عيسى ابن عبد البر البكري : قرموني استوطن إشبيلية ، أبو القاسم وأبو العباس .

روى باشبيلية عن أبي بكر ابن خير وأكثر عنه ، وأبي الحكم . . . . . . بن حجاج ، وبقرطبة عن أبي بكر يحيى بن . . . . بن زيدان ، وأبي القاسم ابن بشكوال وأكثر عنه ، وببعض بلاد الأندلس عن أبي اسحاق (بن خلف) ابن فرقد ، وبمراكش عن أبي عبد الله بن . . . . بن خليل ، وذكر محمد ابن الآبار روايته عنه بقرطبة لا غير ، ووقفت على قراءته عليه بمراكش فلعله لقيه فيهما والله أعلم ، وأجاز له من أهل الأندلس أبو مروان عبد الرحمان بن محمد ابن قزمان ، ومن أهل المشرق أبو الطاهر السِّلَفي .

روى عنه أبو بكر بن تميم البهراني اللبلي حدث عنه بالاجازة أبو القاسم القاسم بن محمد ابن الطيلسان ، وحدثنا عنه شيخانا أبو الحسن بن محمد الرعيني ، وأبو محمد جابر ابن جبيرة ، وكان من المتقدمين في تجويد كتاب الله العظيم الموصوفين بحسن آدابه ، محدثاً متسع الرواية منسوباً إلى الثقة والضبط لما رواه وحدث به من أهل العلم العاكفين عليه ، ومن بيت نباهة في بلده وجلالة .

انتهى من الذيل والتكملة (3) .

---

1) يكنيه ابن عبد الملك الآن بأبي العباس وقد سبق له ان ذكر أن كنيته أبو جعفر .

2) الذيل والتكملة I : 430 ع 641 وهذه الترجمة مما استلحقه المؤلف بالأحمدين .

3) الذيل والتكملة I : 354 ع 468 وهذه الترجمة مما استلحقه المؤلف بالأحمدين .

180) أحمد ابن فرح اللخمي

قال ابن عبد الملك :

أحمد بن فرح بن أحمد بن محمد اللخمي ، خولاني من قلعة خولان من نظر اشبيلية ، أبو العباس ابن فرح (1) .

أخذ باشبيلية عن أبي الحسن ابن جابر الدباج وغيره ، وقدم على مراكش بعد الخمسين وستمئة ، وصحبنا مدة عند شيخينا أبي زكرياء ابن عتيق ، وأبي القاسم البلوي ، ثم فصل عن مراكش مشرقاً فجال فى تلك البلاد واستوطن دمشق ولقب شهاب الدين ، ومن شيوخه هناك زين الدين أحمد بن الدائم بن نعمة المقدسي ، وتقي الدين إسماعيل بن بهاء الدين ابراهيم بن اليسر التنوخي ، وأبو حفص عمر بن محمد بن أبي سعد الكرماني ، و . . . . . أبو المكارم محمد بن يوسف بن مسدي .

وكان أديباً فاضلا حسنَ الخَلْق والخُلُق والصحبة ذا حظ صالح من رواية الحديث .

مولده قبل الثلاثين وستمئة فى حدود ست وعشرين ، كتب إليَّ وإلى ولدي محمد من ظاهر دمشق (2) .

انتهى من (الذيل والتكملة) (3) .

---

1) يكتب بالجيم أحياناً وليس بصواب .

2) فى **الوافي بالوفيات** أنه توفى فى 9 جمادى الأخرى سنة 699 هـ .

وابن فرح المذكور هو صاحب القصيدة الغزلية فى القاب الحديث المعروفة بفرامي صحيح .

3) **الذيل والتكملة** 1 : 359 ع 484 وهذه الترجمة مما استلحقه المؤلف بالأحمدين بعد عثوره على الجزء الأول من (الذيل والتكملة) .

وينظر عن المترجم **نفح الطيب** 3 : 282 ودرة **الحجال** 1 : 16 ودائرة **المعارف الاسلامية** 1 : 251 .

181) أحمد بن إبراهيم ابن القفال المخزومي

قال ابن عبد الملك :

أحمد بن إبراهيم بن جابر بن عمر بن عبد الرحمان بن عمر المخزومي، إشبيلي ، فاسي الأصل ثم مراكشي ، سكن مراكش مدة ثم شرق واستوطن قوصر (1) ، أبو العباس ابن القفال .

روى عن أبيه، وشاركته فى قراءة (الحماسة) على شيخنا أبى زكرياء بن أحمد ابن عتيق ، وكان أسنَّ مني بأزيد من عشر سنين ، ثم فصل قديماً إلى المشرق ، وكان فاضلا عفيفاً يرجع إلى صحة باطن وجودة وانقباض عن خلطة الناس .

انتهى من (الذيل والتكملة) (2) .

182) أحمد بن محمد ابن العارض البكري

قال ابن عبد الملك :

أحمد بن محمد بن خلف البكري : بطليوسي ، نزل مراكش ، أبو العباس ابن العارض (3) .

روى عنه شيخنا أبو اسحاق بن أحمد ابن القشاش .

وكان مقرئاً مجوداً مفسراً نحوياً متكلماً مفتياً فى معارف غير ذلك ، حسن الخط كثير النسخ والتقييد ، صالحاً فاضلا ، أكتب بمراكش طويلا بالمكتب لصق مسجد ابن الأبكم بمحلة الشرقيين أسفل ممر باب أغمات .

---

1) الصواب قوصرة وهى جزيرة تعرف عند الأوربيين ببنتلارية توجد أمام الساحل التونسى بينه وبين جزيرة صقلية ؛ وهى واقعة اليوم تحت الحكم الايطالى .

2) الذيل والتكملة 1 : 36 ع 28 وهذه الترجمة مما استلحقه المؤلف بالأحمدين من الكتاب المذكور .

3) فى بعض النسخ : ابن الفارض .

توفي في حدود العشرين وستمئة (1) .

انتهى من (الذيل والتكملة) (2) .

183) **احمد بن البنا المالقي** ، نزيل مراكش غير ابن البنا الأزدي ، أخذ عن خليل المراغي ، وعبد العزيز الحراني ، أجاز له سنة أربع وثمانين وستمئـة .

ترجمه في درة الحجال (3) .

184) **احمد بن علي الملياني**

أحمد بن علي بن العلامة المحدث أبي العباس أحمد المليانى ، من أهل مراكش ، يكنى أبا عبد الله وأبا العباس .

قال في (الاحاطة) بعد ذكره ما نصه : صاحب العلامة بالمغـرب ، الكاتب الشهير البعيد الشان في اقتضاء الترة (4) المثل المضروب في الهمة وقوة الصريمة ونفاذ العزيمة .

حـالـه :

كـان نبيه البيت شهير الأصالة رفيع المكانة ، على سجية غريبة من الوقار والانقباض والصمت ، آخذاً بحظ من الطب ، حسن الخط مليح الكتابة ، قارضاً للشعر يذهب بنفسه فيه كل مذهب .

وصمتـه :

فتك فتكة شهيرة أساءت الظن بحملة الأقلام على ممر الدهر ، وانتقل إلى الأندلس بعد مشقة .

---

1) كان من حقه ان يرتب تحت رقم 164 بعد ترجمة أحمد ابن مومن القيسى المطبوعة فى صفحة 131 من هذا الجزء ؛ ولكنه تاخر سهواً اثناء اثبات المستلحقين الى هذه الصفحة وهذا الرقم ؛ فليتنبه .

2) **الذيل والتكملة** 1 : 422 ع 616 وهذه الترجمة مما استلحقه المؤلف بالأحمدين بعد طبعه أجزائه الخمسة الأولى .

3) لا ترجمة لابن البناء المالقى فى الطبعتين المغربية والتونسية (لجذوة الاقتباس) .

4) الترة بالمثناة كعدة : الذحل ؛ وقد وتره جعل شفعه وتراً (المؤلف) .

وجرى ذكره فى كتاب (الاكليل) بما نصه :

الصارم الفاتك ، والكاتب الباتك ، أي اضطراب فى وقار ، وتجهم تحته أنس العقار ، اتخذه صاحب المغرب صاحب علامته ، وتوجه تاج كرامته ، وكان يطالب جملة من أشياخ مراكش بثار عمه ، ويطوقهم دمه بزعمه ، ويقصر على الاستنصار منهم بنات همه ، إذ سعوا فيه حتى اعتقل ، ثم جدوا فى أمره حتى قتل ، فترصد كتاباً الى مراكش يتضمن أمراً جزماً ، ويشمل من أمور الملك عزماً ، جعل الأمر فيه بضرب رقابهم ، وسنّي أسبابهم ، ولما أكد على حامله فى العجل ، وضايقه فى تقدير الأجل ، تأنى حتى علم أنه قد وصل ، وأن غرضه قد حصل ، فر إلى تلمسان وهي بحال حصارها ، فاتصل بأنصارها، حالاً بين أنوفها وأبصارها ، وتعجب من فراره ، وسوء اغتراره ، ورجمت الظنون فى ءاثاره ،ثم وصلت الأخبار بتمام الحيلة ، واستيلاء القتل على أعلام تلك القبيلة ، فتركها شنيعة على الأيام ، وعاراً فى الأقاليم على حملة الأقلام ، وأقام بتلمسان الى أن حل مخنق حصرها ، وأزيل هميان الضيقة عن خصرها ، فلحق بالأندلس ، ولم يعدم براً ، ورعياً مستمراً ، حتى أتاه حمامه ، وانصرمت أيــامــه .

شعـــره :

من شعره الذى يدل على بأوه : وانفساح خطاه فى النفاسة وبعد شأوه ، قــولــه :

العزُّ ما ضربت عليــه قبــابــي … والفضل ما اشتملت عليه ثيابـــي
والزهرُ ما أهداه غصنُ يراعتـــي … والمسك ما أبداه نقس كتابـــى
فالمجد يمنع أن يزاحم مـــوردى … والعزم يأبى أن يضام جنابـــى
فاذا بلوت صنيعة جازيتهـــــا … بجميل شكرى أو جزيل ثوابـــى
إذا عقدت مودة أجريتهـــــا … مجرى طعامي من دمي وشرابـــي
إذا طلبتُ من الفراقد والسهـــا … ثاراً فأوشك أن أنال طلابـــى

وفاته :

توفي بغرناطة يوم السبت تاسع ربيع الآخر عام خمسة عشر وسبعمئة ، ودفن بجبانة باب البيرة ، تجاوز الله تعالى عنه هـ (I) .

واختصر كلام (الاحاطة) في (الجذوة) ، وسياتى ذكر عمه أبى علي بن أحمد ، ولما وصل الكتاب المذكور إلى ولد السلطان علي أخرج أولئك الرهط المعتقلين إلى مصارعهم ، وحكم السيف فى رقاب جميعهم ، فقتل علي بن محمد كبير هنتاتة ، وعبد الكريم بن عيسى كبير كدميوة ، وبنوه الثلاثة عيسى ، وعلي ، ومنصور ، وابن أخيه عبد العزيز بن محمد ، وطير الأمير علي بالاعلام إلى والده مع بعض وزرائه وهو يرى أنه قد امتثل الأمر واستوجب الشكر ، فلما وصل الرسول بالخبر الى السلطان بطش به فقتله غيظاً عليه ، وأنفذ البريد فى الحال باعتقال ولده ، وقام وقعد لذلك ، ومن ذلك الوقت قصر السلطان علامته على مَن يختاره من ثقات الكتاب وعدولهم ، وجعلها يومئذ للفقيه الكاتب عبد الله بن أبى مدين ، وكان من الكُفاة المضطلعين بأمور الدولة المتحملين لكثير من أعبائها .

185) أحمد بن علي التونسي

أحمد بن علي بن إسحاق التونسي، الأستاذ العالم الحبر الأثيل الراصد بمراكش، على مذهبه وضع الامام أحمد ابن البناء المراكشي زيجه (منهاج الطالب ، لتعديل الكواكب) بعد وقوفه على ما خلفه مقيداً فى بطائقه مما اعتمده فى الحركات والتعاديل بعد تحريره واعتباره لذلك وهو دون الجداول فى ثلاثة كراريس ، أبوابه أربعة وعشرون كما نص عليه ابن البناء فى كتابه المذكور الآتي فى ترجمته اثره .

I) **الاحاطة** I : 284 (طبع القاهرة سنة 1973) **ووجذوة الاقتباس** ص 146 ع 97 طبع الرباط ؛ **ودرة الحجال** I : 14 ع 14 طبع تونس ؛ **ونفح الطيب** 6 : 266 طبع بيروت .

186) أحمد بن محمد ابن البنا الأزدي المراكشي

أبو العباس أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي المراكشي عرف بابن البناء كان أبوه محترفاً بالبناء ، وطلب هو العلم فوصل فيه الغاية القصوى ، حتى قال فيه الامام ابن رشَيْد المتوفى فى السنة التي توفي فيها المترجم وهو مَن هو : لم أر عالماً بالمغرب إلا رجلين ابن البنا العددي بمراكش ، وابن الشاط بسبتة هـ . نقله أبو زكرياء السراج فى فهرسته فى ترجمة شيخه الرعيني عنه عن ابن رشيد .

وقال غيره كان إماماً معظما عند الملوك ، أخذ من علوم الشريعة حظاً وافراً ، وبلغ فى العلوم القديمة غاية قصوى ورتبة عليا .

قال تلميذه عبد الرحمان اللجائي : كان شيخنا وقوراً حسن السيرة قوي العقل مهذباً فاضلا حسن الهيأة معتدل القد أبيض يلبس رفيع الثياب ويأكل طيب المآكل ، يُديم السلام على مَن لقيه ، ما تحدث معه أحد إلا انصرف عنه راضياً ، محبوباً عند العلماء والصلحاء ، حريصاً على الافادة بما عنده قليل الكلام جداً لا يتكلم بهذر ولا بما يخرج عن مسائل العلم ، وإذا تكلم فى مجلس سكت لكلامه جميع مـن فيه ، مُحققاً فى كلامه قليل الخطا .

وقال ابن شاطر كان ينظر فى النجوم وعلوم السنة مشتغلا بها ، أخذ فى الطريقتين بالحظ الوافر ، يلازم الولي عبد الرحمان الهزميري ودخل فى طريقته فأعطاه ذكراً من الأذكار ودخل به الخلوة نحو سنة ودعا له وقال له مكنك الله من علوم السماء كما مكنك من علوم الأرض ، فأراه ليلة وهو متيقظ دائرة الفلك مشاهدة حتى عاين مجرى الشمس ، فوجد فى نفسه هولا عظيماً ، فسمع الشيخ الهزميري يقول اثبت ياابن البناء حتى إذا رأى ما رأي مستوفياً قال له الهزميرى إن الله تعالى فتح لك فيما أراك ، فأخذ من وقته فى علم الهيأة والنجوم حتى أدرك منه الغاية ، وكان يستعمل الصوم والخلوة طلباً لتصحيح مراده يدوم فيها أياماً ، فرأى بين يديه فى صلاة يصليها صورة قبة نحاس مصنوعة لم ير مثلها فى عالم الحس ، والقبة محبوسة فى الهواء ، وفى

داخلها شخص يتعبد ، فهاله ذلك ولم يثبت لما رأى من صور مفزعة حفت بها وأصوات هائلة تناديه أن أدن منا يابن البنا ، فلم يقدر على الثبات فأغمي عليه ، وبلغ خبره الشيخ الهزميري فجاء ومسح على صدره ورأسه ، وأزال عنه ما صنعوا له من الدواء ، ورجع فى الحين إلى حسه ، فقال له الشيخ الهزميري أنا كنت ذلك الرجل الذى فى القبة وأمرت أن أخبرك فى ذلك المقام فلم تقدر ، أنا أمرت أن أخبرك به فى عالم الحس ثم أخبره بما طلب .

قال ابن شاطر كنت قاعداً معه بمراكش فاذا رجل جاء إليه وقال له ياسيدي توفي ولدي وهو متهم بالمال ولم يترك لي شيئاً ، وقيل لي ماله بداره ، فنحب خاطرك معي لوجه الله تعالى فنظر الشيخ برهة فى نفسه ، فقال للرجل صور لي صورة الدار فى الرمل ، فصورها ثم أمره أن يزيل صورتها فأزالها ، فأمره باعادتها ثانياً ففعل ، ثم هكذا ثلاثاً ، فقال له إن مالك فى هذا الموضع منها ، فانصرف الرجل وبحث فى الموضع فوجد فيه المال كما ذكره .

ويذكر أن السلطان أبا سعيد المريني سأله عن زمن موته فأجابه أن موته عند اشتغاله ببناء موضع فى قبلة تازا فكان كذلك ، وأخباره فى هذا المعنى كثيرة .

قرأ القرءان بمراكش على أبي عبد الله بن مبشر ، وعلى الصالح الأحدب ، والعربية على القاضي الشريف محمد بن علي بن يحيى ، قرأ عليه بعض الكتاب ولازمه وذاكره مسائل من كتاب (الأركان) لأوقليدس الحكيم كان الحق معه فيها ، وقرأ جميع (كتاب سيبوية)، و (الكراسة)على أبى إسحاق بن عبد السلام الصنهاجي العطار ،وأملى عليه حال قراءته عليه كراسة شرحه المعروف له عليها أي على الكراسة لأبى موسى عيسى الجزولي ، وكتب له بخطه وصححها له ، وأخذ العروض والفرائض على أبى بكر القللوسى الملقب بالفار لقيه بمراكش، وأخذ الحديث عن أبي عبد الله وأخيه ولدي محمد بن عبد الملك بن سعيد الأنصارى الاوسى الشهير بابن الدهاق ، قرأ عليه الموطأ رواية يحيي ، وعروض ابن السقاط ، وتأدب به فى عقود الوثائق ،

وانتفع به كثيراً ، وتفقه على موسى الزناتي المراكشي الدار ، قرأ عليه شرحه على الموطأ ، وعلى أبى الحسين محمد بن عبد الرحمان المغيلى القاضي الكاتب (ارشاد أبى المعالى)، وعلى أبى الوليد ابن أبى بكر بن حجاج الأندلسى (المعيار) و (المستصفى) لابى حامد ، وفرائض أبى القاسم الحوفي ، وتفقه عليه فى (التهذيب) ، وأخذ علم السنن عن قاضي الجماعة بفاس يوسف بن أحمد بن حكم التجيبى المكناسى ، وأبي يوسف يعقوب ، وابن عبد الرحمان الجزولى ، وأبى محمد الفشتالى ، ومحمد ابن سعيد بن عثمان ، وأخذ علم الطب عن الحكيم المعروف بالمريخ ، وأخذ علم الحساب عن عبد الله المعروف بابن حجلة ، وعلم النجوم على أبى عبد الله ابن مخلوف السجلماسي نزيل مراكش ، وألّف كثيراً كتفسير الباء من البسملة ، وجزء صغير على سورتي (انا أعطيناك ، والعصر) و (عنوان الدليل ، فى مرسوم خط التنزيل) و (حاشية على الكشاف) ، وكتاب آخر في منحى (ملاك التاويل) ، و (الاقتضاب والتقريب ، للطالب اللبيب) ، فى أصول الدين ، و (منتهى السول ، فى علم الأصول) ، و (تنبيه الفهوم ، على مدارك العلوم) ، و شرح تنقيح القرافي ، وكليات فى المنطق وشرحها ، وجزء في الجدول وشرحه ، ورسالة فى الرد على مسائل مختلفة فقهية ونجومية ، وله الرد على من يقول إن وقت العصر يعلم بوقوع قرص الشمس على بصر القائم مقابلا لها ، وبين أنه لا يصح فى بلد دون بلد ولا زمن دون زمن ، وكليات فى العربية ، و (الروض المريع ، فى صناعة البديع) ، و (مراسم الطريقة ، فى علم الحقيقة) ، وشرحه، تاليفان لم يسبق بمثلهما ، والاختصار ، و (عواطف المعارف) ، وكتاب عمل الفرائض ، وكتاب الفصول فى الفرائض ، وقد شرحه بعض أصحابه ونقل عن هذا الشرح الرسموكي فى شرح فرائضه ، وشرح بعض مسائل الحوفي ، ومقالة فى الاقرار والانكار ، ومقالة أخرى فى المدبر ، والتلخيص فى الحساب ، وشرحه رفع الحجاب ، ومقدمة فى أقليدس ، والمقالات الأربع ، والقوانين وضعه لابن القاضي العمراني ، والأصول والمقدمات ، وجزء فى ذوات الأسماء والمنفصلات ، وجزء فى العمل بالرومي والقانون سماه (الاقتضاب) ، ومقالة فى المكايل الشرعية ، وجزء فى المساحات ، و (منهاج

الطالب ، فى تعديل الكواكب) و (المستطيل واليسارة ، فى تعديل السيارة) ، وله المناح في تعديل الكواكب ، والمناح في رؤية الأهلة ، والمناح في تركيب الأرياح ، وتآليف فى أحكام النجوم ، ومداخل ثلاثة إلى صناعة الأحكام النجومية ، ومقالة فى علم الاسطرلاب ، ورسالة العمل بالصفيحة الشكازية وبالزرقالية ، وله رسالة على الكرة ، ومختصر رسالة ابن الصفار ، ورسالة فى ذكر الجهات وبيان القبلة والنهي عن تغييرها ، وجزء فى الأنواء فيه صور الكواكب، واختصار فى الفلاحة ، وله رسالة فى العمل بالميزان يعرف بـ (الكامل المغرب) ، وله مقالة فى الحملاء الستة بجدول ، وقانون فى معرفة الأوقات بالحساب ، وقانون فى فصول السنة ، وقانون فى ترحيل الشمس ، ومقالة فى عيوب الشعر، وقانون فى معرفة الشعر، وقانون فى الفرق بين الحكمة والشعر ، ومقالة شرح فيها لغز عمر بن إسماعيل ابن الفارض ، ورسالة فى ذكر العلوم الثمانية ، وكتاب تسمية الحروف وخاصية وجودها فى أوائل سور القرءان ، ورسالة فى طبائع الحروف ، ورسالة فى إحصاء أعداد أسماء الله الحسنى ، ورسالة فى الفرق بين الخوارق الثلاثة : المعجزة والكرامة والسحر ، وموضوع فى صناعة الأوفاق ، ورسالة فى المناسبات ، وكلام على العزائم والرقى ، وكلام فى عمل الطلسمات ، وكلام على الزجر والفال والكهانة ، وكلام على خط الرمل ، وكتاب الجبر والمقابلة وهو موجود فى المكتبة الخديوية .

مولده بمراكش بقاعة ابن ناهض منها تاسع ذى الحجة عام أربعة وخمسين وستمئة . وقال ابن زكرياء نقلا عن شيخه أبي جعفر ابن صفوان وصل شيخنا ابن البناء فى الهيأة والنجوم غاية لم يلحقها أحد من أهل زمانه مع اتصافه بطهارة الاعتقاد واتباع السنة هـ . وذكر ابن الخطيب القسنطيني وابن الأحمر أن وفاته عام أحد وعشرين وسبعمئة ونحوه فى فهرسة الحضرمي عن شيخه أبى البركات أنه رأى فى بعض التقاييد أن المترجم توفي فى سادس رجب من العام المذكور، قال : ولي تقييد" فى سيره وأخباره هـ . ولفظ ابن قنفذ فى (أنس الفقير) بعد ذكر طوائف التصوف بالمغرب حين ذكر الطائفة الغماتية وشيخها عبد الرحمان الهزميرى وتلميذه المترجم أنه مازال يقصده

فى حل المسائل العلمية التى تشكل عليه من هندسة وغيرها ، قال وما زلت أمضي إليه فأجد الازدحام عليه ، فنسمع جوابي من طرف الحلقة وننصرف من غير سؤال منى إليه ، حدثنى غير واحد ممن لقيت من الاعلام أن انتفاع ابن البنا فى علومه ومنزلته الدينية والدنيوية إنما كانت من بركة الهزميري لأنه بلغ فى دينه النهاية وفى دنياه الغاية هـ . ونحوه فى (إثمد العينين) قال فيه وحدثني الشيخ الأجل المنقطع الى الله تعالى أبو عبد الله السلوي رحمه الله قال حدثنى الشيخ العالم العلم القدوة أحمد الشهير بابن البنا قال كنت إذا اشكل علي شيء ركبت دابتي وانصرفت إلى أغمات وريكة ، فاجتمع بسيدى عبـد الرحمان فيشرح لي ما أنبهم عـلي من المسائل ثم أعـود إلى منزلي ، ولقد كنت أسير إليه فى بعض الأحيان فأجد الناس قد أحدقوا به فلا أجد كيف اجتمع به ، فأقعد خلف السارية التى كان يستند إليها فيتكلم على المسائل التى جئت أستفتيه فيها مسألة بعد مسألة حتى ياتي على ءاخر المسائل فأخرج وأركب دابتي وأرجع إلى مراكش من يومي :

بالعلم يرتفع الفتـــــــــــى ... لا بالمروءة والحســـــــــــب
قد يكسب المال الفتـــــــى ... والعلم أفضـل مـا كســـب

وقال في (الافادات والانشادات) :

إفـادة :

حدثنا شيخنا الفقيه القاضي المقْري رحمه الله قال : سئل أحمد ابن البناء رحمه الله وكان رجلا صالحاً فى قولـه تعـالى (قالـوا إن هذان لَساحران) لِمَ لمْ تعملْ إنَّ فى هذان ؟ فقال : لمَّا لمْ يؤثر القول فى المقول لم يؤثر العامل فى المعمول ، فقال له ياسيدى إنه لا ينهض جواباً ، فانه لا يلزم من بطلان قولهم بطلان عمل إنَّ ، فقال له إن هذا الجواب نوارة لا تحتمل أن تُحَك بين الأكف !

ثم قال :

إفــادة :

حدثنى أخي وسيــدي الفقيه الأستاذ أبــو جعفر بن الراويــة أكرمه الله قال : حدثني الفقيه الامام المحقق أبو جعفر ابــن صفوان أنه تذاكر مع الفقيه الأستاذ أبي بكر القللوسي فى الجبر والمقابلة لأحمد ابن البنا ، فقال له القللوسي انه مستنسخ من كتاب القرشي ، فأنكرت ذلك عليه إنكاراً شديداً لما كنت عليه من اجلال الشيخ وإعظامه ، فتركني وذهب إلى داره ثم جاء بكتاب القرشي وقال : خذ بيدك كتاب ابن البنا فأخذته فقرأ علي فما غادر منه حرفاً ، قال فتعجبت من ذلك كل التعجب ، قلت وكنــت أقرأ على صاحبنا أبي جعفر المذكور جبر ابن البنا ، فأحال فى الكتاب على مسألة أنها تقدمت فلم نجد لها فيما تقدم ذكراً ، فقال لعل هذه المسألة فى كتاب القرشي ويكون ذلك مما نقله نسخاً ، وحكى لنا أن التلخيص لابن البناء أيضاً مستخرج من كتاب فى التعليم لبعض الناس هـ .

قلت سياتى ما يشرح ذلك فى التلخيص عن (كشف الظنون) . والذى فى (أزهار الرياض) نقلا عن بعض المتأخرين فى الكلام على صناعة التأليف الذى أورده فى (روضة الاقحوان) ما نصه : وانتهت صناعة التأليف فى علماء المغرب على صناعة أهل المشرق لشيخ شيوخ العلماء فى وقته ابن البناء العددي المراكشى فى جميع تصانيفه أوجب ذلك براءة نسبه من البداوة وملكته فى التصرف التى هي نتيجة تحصيله هـ وما نسب للمترجم فى كتاب الجبر والمقابلة والتلخيص نسب نحوه لغير واحد من الأيمة كالامام الرازي فى كتابه المحصول فى أصول الفقه ، وكالامام سراج الدين بن الملقن ، راجع حوادث سنة 804 من (انباء الغمر) ، وكبدر الدين العيني فى تاريخه ، راجع مقدمة (انباء الغمر) للحافظ ابن حجر ، ومن تآليف المترجم (منهاج الطالب). لتعديل الكواكب)،ذكر فى خطبته أنه وضع هذا الزيج على مذهب الأستاذ العالم الحبر الاثيل الراصد بحضرة مراكش حرسها الله تعالى احمد بن علــي بن إسحاق التونسي رحمه الله بعد وقوفه على ما خلفه مقيداً فى بطائقه مما اعتمده فى الحركات والتعاديل بعد تحريره واعتباره لذلك وهو دون الجداول فى ثلاثة كراريس ، أبوابه أربعة وعشرون ، وفى مدحه يقول العلامة سيدى سليمان الفشتــالي :

كتب التعادل يأخي جليلـــة　　لكنها لا تعـدل المنهـاجـا
فلـطالمـا أبدى غوامضهـا التـي　　كـان الحكيـم لعلمهـا محتـاجا
فـارحـم مؤلفـه بمـا أسـداه من　　علم كسا كل الورى به تاجـا

وقد وقفت عليه وعلى (النجم الوهاج ، فى حل عقدة المنهاج) لمحمد بن مسعود المريني .

وسياتى بعض ما يتعلق بابن البنا فى ترجمة أبى عبد الله الكومي .

ومن نظمه كما ذكره أبو عبد الله الحضرمي عن شيوخه عنه قوله :

قصدت إلى الوجازة فى كـلامـي　　لعلمي بالصواب فى الاختصـار
ولـم أحذر فهومـاً دون فهمـي　　ولكـن خفـت إزراء الكبـار
فشأن فحـولة العلمـاء شأنـي　　وشأن البسط تعليـم الصغـار

فـائـدة

قال بعض المغربيين القراءة تصحيح المتن وتبيين ما أشكل وتتميم ما نقص ، وما زاد عليه فضرره على المتعلم أكثر من نفعه ، واليه أشار مَن قال :

تصحيح متن وبيان المشكـل　　تتميم ما نقص الاقراء اجعـل
وغيره ضرره أكثر مـن　　نفع به فهو الى الترك قمـن
قلت وذا بنسبة للمبتـدى　　أما سواه فبقـدره زد
عزواً ونقلا وفروعاً ناسبـت　　إيراد أبحاث عن الفهم أبـت

قال فى (النيل) ورأيت فى بعض التقاييد أن من كرامات صاحب الترجمة أن خديمه عدا عليه شرطي فضربه فقتله ، فلما رأى ذلك عمل ما عمل من هندسة فاذا بالشرطي مصروعاً قتيلا فأخرجا معاً فى ساعة واحدة وقد بلغ الغاية فى دينه ودنياه النهاية رحمه الله تعالى .

ومن تواليفه غير ما تقدم مختصر الاحياء للغزالى ، أخبرنا به صاحبنا الحاج الفرضي أحمد بن أبي العافية قاضي سلا حفظه الله تعالى وله تواليف

فى الحساب وغيره هـ . ترجمه فى (الجذوة) و (النيل) وغيرهما ، ومقام ابن البناء بمراكش بالبرج الركني شهير .

فائـدة :

الأزدي نسبة إلى الأزد، وهو الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن أدد بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، وقيل اسم الأزد رداء وإليه جماع الأنصار ، كان أنس رضى الله عنه يقول : إن لم نكن من الأزد فلسنا من الناس ، ويقال فيه الأسد لقرب السين من الزاي ، والأزدي أيضاً من أزد شنوءة ، ومن أزد الحجر ، ولكن هما مندرجان فى الأول ، لأنهما من ولده ، والنسبة فاليه قاله الحازمي نقله فى (مشتبه النسبة) ، وراجع مـا كتبناه فى ترجمة سيدى قاسم الغساني الوزير ، وممن ترجم المترجم أيضاً الحافظ ابن حجر فى (الدرر الكامنة) .

فائدة أخرى :

قال فى (كشف الظنون) عنوان الدليل فى مرسوم خط التنزيل ، لأبي العباس المراكشي هـ .

قلت هو المترجم كما تقدم، ثم قال فى الكشف كتاب الحساب لابن البنا المراكشي ، وهو مفيد لخص فيه ضوابط أعماله ثم شرحه بكتاب سماه رفع الحجاب وهو مستغلق على المبتدىء لما فيه من البراهين الوثيقة المباني ، وهو كتاب جليل القدر كان المشايخ فى المغرب يعظمونه وهو جدير بذلك ، سرق فيه المؤلف كتاب جمعة الحساب والكامل ولخص براهينهما وغيرها عن اصطلاح الحروف الى علل معنوية ظاهرة وهي سر الحروف وزبدتها وكلها مستغلقة هـ . وقال أيضاً تلخيص أعمال الحساب للشيخ أحمد ابن البناء ، وهو على ضربين الأول فى المعلوم ، والثانى فى المجهول ، وشرحه عبد العزيز بن علي بن داوود الهواري وهـو شرح ممزوج أولـه الحمد لله ولي النعم الخ وعلي بن حيدرة هـ . وقد تصحف فيه ابن هيدور بابن حيدوره ، وستاتى ترجمة ابن هيدور صاحب التقييد على رفع الحجاب أيضاً المتوفي بمجاعة فاس سنة 816 ست عشرة وثمانمئة ، وممن شرح تلخيص ابن البناء

فى الحساب أحمد بن رجب بن طنبغا القاهري الشافعي المتوفي فى 11 ذى قعدة سنة 850 المعروف بابن المجدى ، وهو شرح عظيم الفائدة ، راجع ترجمته فى (البدر الطالع) المترجم فيه للمترجم أيضاً ، وفى (الضوء اللامع) ، وممن اختصره وسمى مختصره بالحاوي أحمد بن محمد بن عماد بن علي الشهاب أبو الشهاب القرافي المصري الشافعي المعروف بابن الهائم المتوفي سنة 815 المترجم فى (الضوء اللامع) .

فائـدة :

ممن نظم تلخيص المترجم الامام محمد ابن غازي المكناسي وشرح نظمه وعليه حاشية لبنيس ، وقد طبع الكل بفاس ، وممن نظمه أيضاً أحمد ابن القاضي مؤلف (الجذوة) .

تنبيـه :

من تلامذة المترجم ابن البنا أبو جعفر ابن صفوان ، وأبو البركات ابن الحاج البلفيقي الآتية ترجمتهما إن شاء الله ، وابن النجار التلمساني الآتية ترجمته أيضاً (1) .

187) أحمد بن مسعود القسنطيني .

أبـو العباس الشهير بابن الحاجة الامـام المقرىء المتفنن المتعبـد المتهجد صاحب الأوقات وامام الحضرة العلية بجامع قصبة الخلافة الموحدية ، أخذ عن ابن يدال ، والوادياشي ، وأبى لعباس الزواوي الحافظ وغيرهم ، وأخذ عنه البرزلي وأبو الطيب ابن علوان وغيرهما .

ترجمه فى (التوشيح) و (النيل) .

---

1) ينظر عن ابن البنا **الدرر الكامنة** 1 : 278 **ونيل الابتهاج** ص 65 **ودرة الحجال** 1 : 14 ع 17 طبع تونس ؛ **وجذوة الاقتباس** ص 148 ع 99 طبع الرباط ؛ **وسلو الأنفاس** 2 : 52 **ومشاهير رجال المغرب** ع 32 .

188) أحمد بن محمد المالقي .

قاضي أغمات ، توفي بمراكش عام أربعة وعشرين وسبعمئة ، ومولده لسبعة وأربعين وستمئة ، ذكره فى (النيل) فى ترجمة ابن البنا نقلا من خط الحضرمي فى فهرسته ، وذكره فى (لقط الفرائد) .

189) أحمد بن عبد الله بن محمد الأزدي المراكشي ، نزيل القاهرة النحوي أبو العباس . أخذ عن الشريف أبي علي وغيره ، وشارك فى العلوم وجنح إلى التصوف الفلسفي ، ونسخ (الفتوحات المكية) ، و (التنزلات الموصلية) ، فكان أبو حيان لذلك يرميه بالزندقة ، وصار هو يحطئ على أبي حيان ويقول أبو حيان ظاهري حتى فى النحو ، وصنف كتباً ، وكان فيه زهد وانقباض وبذاذة وشراسة مع ملازة الصلاة ، وكان يلثغ بالراء غيناً مثل الركن بن القوبع ، وعرض عليه علاء الدين القونوي أن يتنزل بالخانقاة فأبى فمات فى حدود الثلاثين وهو ابن الثمانين .

قاله الذهبي نقله الحافظ فى (الدرر الكامنة ، فى أعيان المئة الثامنة) ، وقوله فى حدود الثلاثين يعنى بعد السبعمئة بموحدة .

190) أحمد بن إبراهيم ابن صفوان

أحمد بن إبراهيم بن أحمد ابن صفوان من أهل مالقة ، يكنى أبا جعفر، ويعرف بابن صفوان ، بقية من أعلام أدباء هذا القطر وصدر من صدور كتابه ومشيخة طلبته ، إمام فى الفرائض والحساب والأدب والتوثيق ، ذاكراً للتاريخ واللغة ، مشاركاً فى الفلسفة والتصوف ، كلف بالعلوم الالاهية ، ءاية من ءايات الله عز وجل فى فك المعمًى لا يجاريه فى ذلك أحد ممن تقدمه ، كثير الدءوب والنظر والتقييد والتصنيف على كلال الجوارح وعائق الكَبرة ، وله شعر قرأه على الأستاذ أبي محمد الباهلي ، وقرأ بمراكش على محمد بن عبد الملك المؤرخ قاضي مراكش ، وأحمد ابن البنا ، وألف كتباً منها (مطلع هلال الأنوار الالاهية) ، و (بغية المستفيد) وشرح كتاب القرشي فى

الفرائض لا نظير له ، وله تقاييد كثيرة وديوان شعر رائق ، فمن ذلك قوله يخاطب تلميذه لسان الدين ابن الخطيب :

قدمت بما سرَّ النفوس اجتلاؤه ... فهنئت ما عم الجميع هناؤه
قدوماً بخير وافر وعناية ... وعز مشيد بالمعالي بناؤه
ورفعة قدر لا يداني محلها ... رفيع وأرضاها السماك اعتلاؤه

ومنها :

فياواحداً أغنت عن الجمع ذاته ... وقام بأعباء الأمور عناؤه

ومنها :

وقد جاءني داعي السرور مؤديا ... لحق هناء فرض عين أداؤه (I)

وقد ذكرها في (نفح الطيب) .

ولما مات أبو عمر ابن منظور قاضي بلده بعد أن وقعت بينه وبينه مقاطعة أدت إلى خروجه إلى غرناطة مضطراً فمات ابن منظور في أثناء ذلك قال المترجم متشفياً :

وقالوا قضاء الموت حتم على الورى ... يدير صغير كأسه وكبير
فلا تنتسم ريح ارتياح لفقده ... فانك عن قصد السبيل تجور
فقلت بلى حكم المنية شامل ... وكل إلى رب العباد يصير
ولكن لتقديم الأعادي إلى الردى ... نشاط يعود القلب منه سرور
وأمن ينام المرء في برد ظله ... ولا حية للحقد ثَمَّ تثور
وحسبيَّ بيت قاله شاعر مضى ... غدا مثلا في العالمين يسير
(وإن بقاء المرء بعد عدوه ... ولو ساعة من عمره لكثير)

مولده في سنة خمس وتسعين وستمئة ، وتوفي بمالقة في ءاخر جمادى الثانية من عام ثلاث وستين وسبعمئة .

I) تنظر القصيدة بأجمعها في **نفح الطيب** 6 : 39 .

جميع شعره (1) محمد ابن الخطيب عـام 744 وأجاز له ولابنه عبـد الله روايته ، أطـال في ترجمته في الاحاطـة (2) واختصر منها جملـة صاحب الديباج (3) وترجمه في الكتيبة الكامنة (4) أيضاً .

وقال فى النفح (5) عند ذكر ترجمة أبي البركات ابن الحاج ما نصه : ولما وقع بينه وبين ابن صفوان ما يقع بين المتعاصرين رد عليه ابن صفوان فانتصر لأبي البركات بعض طلبته بتأليف سماه (شواظ من نار ونحاس ، يرسل على مَن لم يعرف قدره وقدر غيره من الناس) ، وهو قدر رسالـة الشيخ أو أطول ، وألفي على ظهره بخط الشيخ أبى البركات ما صورته :

قد شبع الكلب كما ينبغـــــي	من حجر صلد ومن مقـــــرع
فان يعد من بعد ذا للـــــذى	قد كان منه فهو ممن نعـــــي

وقال في النفح (6) فى فصل حكايات الأندلس يبين فى المجون ومـا يجرى مجراه وقال أبو جعفر ابن صفوان المالقي رحمه الله تعالى :

سألته الاتيان نحوي مقبـــــلا	فقال سل نحـوي كي تحصـــلا
قرأت باب الجمع من شوقي لــه	وهــو بالاشتغال عني قد سـلا
للاستغاثة ابتدأت تاليـــــاً	وهو لأفعال التعدي قد تـــلا
وكلما طلبتُ منه في الهـــوى	عطفاً غدا يطلب مني بـــدلا
وإن أرم محضَ إضافة لـــــه	أعمل في قطعي عنه الحيـــلا
في ألف الوصل ظللت باحثـــاً	وهو بباب الفصل قد تكفـــلا
فلست موصولا وليس عائـــداً	وليس حالي عن أسى منتقـــلا
فيامُنَى نفسي ومن لفهمـــه	دانت فهوم الأذكياء النبـــلا
وجدي موقوف عليـــك لا أرى	عنك مدى الدهر له تنقـــلا
فما الذى يمنع من تسكينـــه	والوقـف بالتسكيـن حكم انجلا

1) سمى ابن الخطيب هذا الديوان **الدرر الفاخرة واللجج الزاخرة** .

2) **الاحـاطة** 1 : 221 وليت شعرى لم نقل المؤلف ترجمته مختصرة ومن عادته أن ينقل التراجم من الاحاطة مطولة ؟

3) **الديباج المذهب** ص 43 .

4) **الكتيبة الكامنة** ص 216 ع 77 .

5) **نفح الطيب** 4 : 149 طبع بيروت .

6) **نفح الطيب** 5 : 478 طبع بيروت .

والحب مرفوع إليك مفـــــــرد فلم ترى لضمه مستثقـــــــلا
بالقسم للمرفع غدا علامـــــــــة في مفرد مثلي فأوضح مشكــــلا
لا زلت لاهيام عني رافعــــــــاً للوصل ناصباً لقولي معمـــــــلا
للشوق مسكناً لهجري صارفـــــاً بالقرب من حال البعاد مبـــــدلا
تجزم أمراً فى الأماني ماضيـــــاً وتبتدي بما تشا مستقبـــــــلا

وقال في (الكتيبة الكامنة) ومن مقطوعاته :

كففت عن الوصال طويل شوقـــي إليك وأنت للروح الخليـــــــــل
وكفك للوصال فدتْك نفســـــى قبيح ليس يرضاه الخليـــــــل

ومن ذلك التورية بالعروض أيضاً :

ياكاملا شوقي إليه وافـــــــــر وبسيط وجدى فى هواه عزيـــز
عاملت أسبابي لديك بقطعهـــــا والقطعُ في الأسباب ليس يجــوز

191) **أحمد بن شعيب الجزنائي** ، أبـو العباس الفقيـه المشـارك التعاليمي الفاضل الطبيب الأديب النباتي النخبة ، أحد فضلاء وقته ونبـلاء زمانه طبقة في قرض الشعر عالية ، وإماماً في التعاليـم ، وواحد بالمعرفـة بالأشجار والنبات ، بارع الخط يحسـن الكتابة ، من كُتاب أبـي الحسن المريني ، وكان ينفر عنه لموجب والله أعلم بحقيقته ، ولا يبدو على ظاهره ما يدل على طعن في طريقته فى المعتقد ، ولقد خبرته وذاكرته وباحثته علم الله غير مرة فما أطلعت والله منه إلا على ما يرضي ، تجاوز الله عنا وعنه وغفر لنا أجمعين بفضله ورحمته ، وبالجملة فكان من صدور العلماء .

ذكره ابن مرزوق فى المسند الصحيح الحسن (1) .

192) **أحمد بن إبراهيم المريني**

أحمد بن السلطان أبي سالم إبراهيم بن السلطان أبي الحسن علي المريني يُكنَى أبا العباس ، لقبه المستنصر بالله ، أمه الحرة نزهة بنت أبى العباس خضر بن أبى محمد السبائي (القحطاني الأندلسي) .

---

1) أنظر عنه **نثير فرائد الجمان** لابن الأحمر ص 335 ع 22 **والمسند الصحيح الحسن** ص 68 **ودرة الحجال** 1 : 45 ع 56 طبع تونس ؛ **والاحاطة** 1 : 280 ؛ وكانت وفاة أحمد بن شعيب يوم عيد الأضحى سنة 749 بتونس .

بويع بمدينة طنجة في شهر ربيع الآخر من عام خمسة وسبعين وسبعمئة ، وبويع البيعة التامة بالمدينة البيضاء من فاس الجديد يوم الأحد السادس من محرم سنة ست وسبعين وسبعمئة ، وخلع بالموضع المعروف بالركن يوم الأحد الموفي ثلاثين لشهر ربيع الأول من عام ستة وثمانين وسبعمئة ،وقيده موسى ابن أبي عنان وبعث به إلى ابن الأحمر ، وكانت دولته هذه عشر سنين وشهرين وأربعة وعشرين يوماً ، ومن وزرائه في هذه الدولة محمد بن عثمان بن الكاس المجدولي ، ومن كتابه عبد المهيمن بن أبي سعيد بن عبد المهيمن الحضرمي ، وأبو القاسم ابن رضوان ، وأبو يحيى بن أبي مدين ، ثم بويع بيعته الثانية يوم السبت سابع رمضان عام تسعة وثمانين وسبعمئة .

صفته

كان أبيض اللون ، ربعة من الرجال ، تعلوه صفرةٌ رقيقة ، أدعج أسود الشعر أكحل الحاجبين ، ضيق الفلج أسيل الخدين براق الثنايا ، جميل الوجه مليح الصورة ، ظريف المنزع لطيف الشمائل ، حسن الشكل إذا ركب ، وكان شاعراً مدركاً بديع التشبيه ، فمن نظمه :

أما الهوى ياصاحبي فألفتــــه — وعهدته من عهد أيام الصبــا
ورأيته قوتَ النفوس وحِلْيَهـا — فتخذته ديناً إلي ومذهبــا
ولبِستُ دون الناس منه حلــة — كان الوفاء لها الطراز المذهبــا
لكن رأيت له الفراق مُنغصــاً — لا مرحباً بتفرق لا مرحبــا

ومما نسب إليه :

ياعاذلي دع عنك عذل العـــاذل — واخلع عذارك في الحبيب الواصل
وإذا ذكرت عشية بمحاســن — فاذكر عشايانا بدار العــادل

وقال في (إنباء الغمر) لدى سنة 785 فيها حصر أبو العباس بن أبي سالم المريني مدينة تازا وخرب قصورها ثم ملك مراكش هـ . وترجمه أيضاً في (الدرر الكامنة) .

ولما نهض السلطان أحمد إلى مراكش وحاصر بها عبد الرحمان بن أبي يفلوسن فتح مراكش وقتل الأمير عبد الرحمان ، وقال في (تاريخ الدولتين) ولما دخل الأمير أحمد بن الأمير أبي سالم إلى فاس بادر

إلى القبض على ابن الخطيب الأندلسي لما كان أوصاه به ابن الأحمر صاحب الأندلس فأودعه السجن ثم قدم رسول ابن الأحمر يهنئه بالملك فقتل ابن الخطيب بمحبسه هـ . ولما استولى السلطان أبو العباس على الأمر نزل لابن الأحمر عن جبل طارق فمحا دعوة بني مرين من وراء البحر ، وكانت وفاة السلطان أبي العباس بمحل مقامه من تازا وهو يشارف أحوال ابنه أبي فارس ووزيره صالح بن حمو الياباني وكان قد قدمهما لفتح تلمسان والبلاد الشرقية فأصابه حمامُه هنالك ليلة الخميس السابع من محرم فاتح سنة ست وتسعين وسبعمئة وحمل إلى فاس ودفن بالقلة وسنه يومئذ تسع وثلاثون سنة ، فكانت دولته الثانية ست سنين وأربعة أشهر ، ومن وزرائه في هذه الدولة إدريس بن موسى بن يوسف الياباني ، وصالح بن عمر الياباني ، ومحمد بن يوسف بن علال الصنهاجي ، حاجبه أحمد بن علي القبائلي ، كتابه الشريف أبو القاسم محمد بن عبد الله الحسني السبتي ، والقائد محمد بن موسى بن محمود الكردي ، ويحيى بن الحسين بن أبي دلامة التسولي ، قضاته إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم اليزناسني ، ثم ابنه عبد الرحمان اليزناسني ، ومن أخباره أن كاتبه أبا زكرياء بن أحمد بن عبد المنان دخل عليه عشاء فقال له أنعم الله صباحك مولانا ، فأنكر السلطان ذلك وظن أنه ثمل ، فتفطن أبو زكرياء لما صدر منه وتدارك ذلك فأنشد مرتجلا :

صبّحتُه عند المساء فقال لــــي ماذا الكلامُ وظن ذاك مزاحــــا
فأجبته إشراق وجهك غرنــــي حتى توهمتُ المساء صباحــــا

قال بعضهم وقبر أبي العباس المريني بالقلة ينظر إلى فاس ، لـه قبة عالية ، وقد أثنى عليه ابن السكاك في كتاب (نصح ملوك الاسلام) ، وقال كان مثلا مضروباً في شأن ما هو من سيد الأكوان بسبب كالأشراف وغيرهم ، إذا رأى اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبله ويبكي ويسجد شكراً هـ .

وقال في (النفح) في ترجمة علي بن محمد ابن الخطيب شاعر البيت بعد أبيه النبيه ، وكان مصاحباً للسلطان أحمد المريني المستنصر

بالله بن السلطان إبراهيم بن السلطان علي المريني رحمهم الله تعالى وحكى بعضهم أنه حضر معه فى بستان سح فيه ماء المذاكرة الهتان ، وقد أبدى الأصيل شواهد الاصفرار ، وأزمع النهار لما قدم الليل على الفرار ، فقال المستنصر لما لان جانبه ، وسالت بين سرحات البستان جداوله ومذانبه :

يافاس إنيَّ وايمُ الله ذو شغف ... فى كل ربع به مغناه يسبيني
وقد أنست بقرب منك يا أملى ... ونظرة فيكم بالأنس تحييني

فأجابه علي ابن الخطيب ، بقوله المصيب :

لا أوحش الله ربعاً أنت زائره ... يابهجة الملك والدنيا مع الدين
ياأحمد الحمد أبقاك الالاه لنا ... فخر الملوك وسلطان السلاطين

وقال ابن خلدون : كان علي بن زكرياء شيخ هسكورة وكبير المصامدة فى دعوة عبد الرحمان بن أبي يفلوسن أمير مراكش فتلافى أمره مع صاحب فاس أحمد بن السلطان إبراهيم المترجم ، ومد إليه يداً من طاعته ، ثم انتقض على الأمير عبد الرحمان ودخل فى دعوة السلطان وبعث إليه الأمير عبد الرحمان مولاه منصوراً يستألفه ، فأرصد إليه فى طريقه من حاشيته مَن قتله وبعث برأسه إلى فاس ، فنهض السلطان فى عساكره الى مراكش ، واعتصم الأمير عبد الرحمان بالقصبة وقد كان أفردها عن المدينة بالأسوار وخندق عليها ، فملك السلطان المدينة ورتب على القصبة المقاتلة من كل جهة ونصب الآلة وأدار عليها من جهة المدينة حائطاً وأقام يحاصرها تسعة أشهر يغادي بها القتال ويراوحها ، وكان أحمد بن محمد الصبيحي من الذين بوءوا المقاعد لقتالها ، فهمَّ بالانتقاض وحدثته نفسه بغدرة السلطان والتوثب به ، وسعى بذلك إلى السلطان فتقبض عليه وحبسه ، وبعث السلطان بالنفير إلى أعماله فتوافت الأمداد من كل ناحية ، وبعث إليه صاحب الأندلس مدداً من العسكر ، فلما اشتدَّ القتال والحصار بالأمير عبد الرحمان ونفدت الأقوات وأيقن أصحابه بالهلكة وأهمتْهم أنفسهم وهرب عنه وزيره محمد بن عمر شيخ الهساكرة والمصامدة لعهد السلطان أبي الحسن وابنه ، فلما لحق هذا بالسلطان وعلم أنه إنما جاء مضطراً قبض عليه وحبسه ، ثم انفضَّ الناس

عن الأمير عبد الرحمان ونزلوا من الأسوار ناجين إلى السلطان وأصبح فى قصبته منفرداً وقد بات فى ليلته يراوض ولديه على الاستماتة وهما أبو عامر وسليم ، وركب السلطان من الغد فى التعبية وجـاء إلى القصبة فاقتحمهـا بمقدمته ولقيهم الأمير عبد الرحمان وولداه مباشراً إلى الميدان بين أبواب دورهم فجالوا معهم جولة قتل فيها وولداه ، فتهلم علي بن إدريس وزيان بن عمر الوطاسي ، وطال ما كان زيان يمتري يدي نعمهم ويجر ذيله خيلاء فى جاههم ، فذهب مَثلا فى كفران النعمة وسوء الجزاء ، والله لا يظلم مثقال ذرة ، وكان ذلك خاتم جمادى الأخيرة سنة أربع وثمانين ، لعشر سنين من إمارته على مراكش ، ثم رحل السلطان منقلباً إلى فاس وقد استولى على سائر أعمال المغرب وظفر بعدوه ودفع المنازعين عن ملكه ، والله أعلم (1) .

193) أحمد بن محمد ابن الشماع الأوسي المراكشي

أحمد بن محمد بن إبراهيم الشهير بابن الشماع بن محمد بن إبراهيم الأوسي المراكشي ، الامام الخطيب ، الأستاذ الأصولي الفرضي ، أبو العباس .

أجازه ابن جابر الوادي ءاشي ، والشريف السبتي ، والخطيب ابن مرزوق ، وطبقتهم ، له فهرسة رواها عنه ابن الأحمر وابن مرزوق الحفيد وأبو زكرياء السراج وولده أبو القاسم ، ومن تلامذته الشيخ الفقيه أبو عبد الله ابن حياتي المتوفي سنة 781 أو سنة 788 .

قال ابن قنفذ فى وفياته : شيخنا الأستاذ محمد ابن حياتى كان له تحقيق فى النحو وفى القراءات طلب منه بعض الناس أن يقرأ عليه الجزولية فى النحو فأخذها الأستاذ من يده وقصد شيخنا ومفيدنا أحمد ابن الشماع المراكشي لمعرفته بفن المنطق ، وقرأ عليه استفتاحها فى الجنس والنوع وأنا حاضر ، ثم قرأها فى عشية يومه ذلك ، وهذا من إنصافه وتحقيقه رحمه الله . انتهى (2) .

1) **روضة النسرين** ص 34 و 38 **والأنيس المطرب بروض القرطاس** ص 112 ع 42 .

2) **الوفيات** ص 375 طبع بيروت .

وذكر السراج فى فهرسته فى ترجمة ابن حياتي المذكور ما نصه : وكتب لشيخنا محمد ابن حياتي بالاجازة العامة من مراكش الشيخ الفقيه أحمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الأوسي وما ألفه وجمعه . انتهى المقصود .

وقال فى (أنس الفقير) ما نصه : وحدثني أيضاً هذه الحكاية الكومي مع ابن البنا والبقوري المتقدمة شيخنا الفقيه الثعالبي أحمد الشماع المراكشي بفاس المحروسة بالمدرسة التى كان يؤم فيها بالطالعة من البلد المذكور وقال لي انتفع بالهزميري كثيراً (1) .

وقال الامام سيدي يحيى السراج فى فهرسته ما نصه : ومنهم رضى الله عنهم الشيخ الفقيه الخطيب الأستاذ المقرىء النحوي الأصولي المتفنن الأكمل أحمد بن الشيخ الأجل الأبر الأنزه المرحوم محمد بن إبراهيم الأنصاري ، كان رحمه الله عالماً بعلوم جمة كأصول الدين والفقه واللغة ، والعربية ، إماماً فى الفرائض والحساب ، عارفاً بالمنطق والهندسة والتوقيت، ءاخذاً بحظ من الرواية ، ذا حالة حسنة ، مبتلى بأمراض قلّ أن تراه صحيحاً نفعه الله ونفع به ، أخذ عن العالم محمد الآبلي ولازمه كثيراً وانتفع به ورحل إليه من مراكش إلى سبتة وقرأ عليه بها وبغيرها ، وعن الشيخ الفقيه أحمد بن الحسن بن عبد الرحمان الحميري الشهير بالقباري ، قرأ عليه جميع كتاب (تنقيح الفصول ، في علم الأصول) لشهاب الدين القرافي وغير ذلك ، وأجازه له إجازة عامة ، وما صدر منه من تصنيف أو تأليف أو منظوم أو منثور ، وعن الفقيه المدرس الصالح عبد العزيز القيرواني سمع منه جميع مسلسلات القاضي أبي محمد الديباجي بشروطها وغير ذلك ، وأجاز له إجازة عامة ، وعن الشيخ الفقيه الشريف الأمام الأوحد لسان الأدب ، وترجمان العرب ، قاضي الجماعة بغرناطة ، محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الله الحسني ، سمع من لفظه صدراً من شرحه للخزرجية فى علم العروض ، وأباح له رواية شرحه لمقصورة حازم وجميع ما يتحققه أنه من نظه أو من تأليفه أو من مروياته وأن يحدث بجميع ذلك عنه ، وعن الشيخ الأستاذ النحوي سليمان بن سعدون قرأ عله من أول (حرز الأماني ، ووجه التهاني)

---

1) أنس الفقير ص 68 ولا ندرى وجه اقحام الثعالبى هناك .

لأبي القاسم ابن فيره إلى سورة المائدة ، وجميع الأرجوزة التي في العروض من نظمه ، وعن الخطيب يحيى بن رشيد قرأ عليه جميع (حرز الأماني) ، وعن الأستاذ المقرىء جابر بن علي بن جابر الأنصاري جميع عروض ابن السقاط وحدثه به عن الأستاذ أبي يحيى بن القالوني ، وأجاز له جميع تواليفه ، وعن المحدث الرحال محمد ابن جابر الواداياشني قرأ عليه وسمع منه وعليه وناوله عدة كتب وأجازه إجازة عامة ، وعن الشيخ المقرىء المكتب محمد بن محمد بن أحمد الطنجي وأجاز له ، وعن الحاج محمد بن عبد الواحد الرباطي سمع عليه (العمدة) للحافظ أبي محمد عبد الحق ، وعن الخطيب محمد بن يوسف اليحصبي اللوشي قرأ عليه بعض كتاب الله تعالى برواية قالون من طريق أبي نشيط وبعض برنامج الأستاذ أحمد ابن الزبير وناوله جمعية وأجاز له إجازة عامة ، وأخذ عن غير من ذكر ، شاركته في الشيخين الأخيرين والحمد لله ، قرأت عليه وسمعت منه وناولني عدة كتب وأجزاء ، وأجاز لي إجازة عامة غير مرة ، وكتب لي بذلك خطه ، وكذلك سمع عليه ولدي أبو القاسم محمد الأكبر سناً من سميه بقراءتي ، وناوله عدة كتب وأجزاء ، وأجازه إجازة عامة هـ المقصود ، ثم حدث عنه بحديث الرباط الذى سمعه منه في يوم الخميس 26 رجب سنة 772 وحديث من مشى في حاجة أخيه ، وحديث مَن نفَّس عن أخيه كربة ، وحديث العفو يوم القيامة ، وحديث رضيت بالله رباً وبالاسلام ديناً حين يسمع المؤذن يتشهد ، وحديث ينصب للغادر لواء ، وحديث دعاء الفرج ، وبحديث الديك الأبيض المسلسلين ، وبحديث اللهمَّ إني أسالك رحمة من عندك تهدى بها قلبي ، وبحديث أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليَّ صلاة ، ثم قال توفي رحمه الله ليلة الثلاثاء الثامن لصفر عام تسعة وسبعين وسبعمئة هـ .

ومن مجموع الفقيه ابن المعطي ما نصه :

ولابن الشماع

ذهب الزمان بجملة العلماء — وبقيت في ظلما وفي عمياء
وخلتْ لك الأجواء حتى نلت ما — قد شئته من رتبة الرؤساء
فلذاك زغت عن الطريق ونهجه — وخبطت في عشوا وفي ظلماء

ولعل قائل هذه الأبيات هو أحمد بن محمد الهنتاتي شهر بالشماع أحد تلامذة ابن عرفة ، أخذ عنه الشيخ عبد الرحمان الثعالبي ، وولي قضاء محلة السلطان أبي فارس ووقع بينه وبين الحافظ البرزلي نزاع كبير فى مسألة العقوبة بالمال ، هل هي جائزة باق حكمها أو منسوخة ؟ ألف كل واحد فى الرد على صاحبه ، ووقع بينهما هجو عفا الله عن الجميع ، ونقل ذلك في (المعيـار) ، قال فـي (النيل) بعد ذكر ما تقـدم في ترجمة الأخير مـا نصه ولم أقف على وفاته ، والنزاع فى هذه المسألة وقع عام 828 ثمان وعشرين وثمانمئـة .

194) أحمد بن علي القبائلي

بيت بنى القبائلي بيت مشهور فى الوزارة والحجابة والكتابة من لدن الدولة الموحدية بمراكش إلى أوائل القرن التاسع ، وكان المترجم رئيساً فقيهاً كاتباً مشهوراً وحاجباً منكوراً ، وكان قد بذَّ الأقران ، وتصدر عـلى الأعيان ، وباشر الأعمال السلطانية ، وتميز فى معرفة الحساب وصناعـة الديوان ، فلما ظهر السلطان أبو الحسن (المريني) ثم قدمه وناصحه ، وقام بعده بولاية ولده عبد العزيز ثم عقد لأخيه أبى عامر ثم بيعه أخيه أبى سعيد ، وبلغ من الجاه ونفوذ الكلمة مبلغاً عظيماً ، وكان يحابي بالخطـط السلطانية الأقارب والأرحام لا يعدل بها عمن سواهم ، فاضطغنت عليه القلوب وكثرت فيه السعايات إلى أن نفذ أمر الله فأوقع به السلطان عثمان بن أحمد بن إبراهيم المريني وقعة شنعاء كان من خبرها أنه كان للحاجب المذكور ولد اسمه عبد الرحمان وكان من فضلاء وقته وكان لعبد الرحمان هذا ولد اسمه علي وكان من نجباء الأبناء ، فكان لجده أحمد لذلك ميل إليه ومحبة وافتتان به ، فاتفق أن مرض هذا الحافد ذات يوم فنزل جده أحمد من الحضرة بفاس الجديد لعيادته بدار ولده عبد الرحمان من عدوة القرويين من فاس القديم وكانت الدار بزنقة الجيلة من الطالعة ، فبات الشيخ عند حافده تلك الليلة ، وكان منذ ولي خطة الحجابة لم يغب عن دار الملك ليلة واحدة ، بل كان يأخذ فى ذلك بالحزم بحيث يسدُّ أبواب الحضرة ويفتحها ويباشر سائر الأمور

السلطانية بنفسه ، فلما أراد الله إنفاذ قدره غطى على عقله وبصره ، فتساهل في تلك الليلة وبعث ولده أبا القاسم ليقوم مقامه في غلق الأبواب وفتحها مع صاحب السقيف ومساهمه في القيام بالأمور السلطانية عبد الله الطريفي فغلقا الأبواب على العادة ، ولما كان الصباح من الغد تقدم الولد أبو القاسم لأخذ المفاتيح من دار الخلافة فأخرجت إليه وتولى فتح الأبواب وحده دون أن يحضر الطريفي المشارك له في ولاية السقيف ، فلما جاء عبد الله المذكور ورأى الأبواب مفتحة بدون حضوره أخذه من ذلك ما قدم وما حدث ، وأسرها في نفسه ، حتى إذا كان المساء وحضر الوقت المعهود لغلق الأبواب طلع للحضرة ولد ءاخر من ولد الحاجب القبائلي يعرف بأبي سعيد ، فبادر عبد الله فسدّ الأبواب في وجهه قبل أن يصل إليه وأمسك المفاتيح عنده واستبد بها ، فطلب منه أبو سعيد أن يفتح له الباب فتجهّمه وامتنع وكأنه أمر دبر بليل ، ثم تقدم القائد عبد الله المذكور الى السلطان عثمان فأعلمه بما اتفق له مع اولاد الحاجب، فأوعز إليه السلطان أن لا يفتح الباب بعد غلقه إلا وقت فتحه المعتاد ، وزاد في الوصية بأن لا يفتح ولا يغلق إلا بمحضر السعيد بن السلطان أبي عامر رحمه الله ، ولما رجع أبو سعيد إلى والده بعدوة القرويين من فاس أعلمه بما اتفق له مع القائد الطريفي فامتلأ غيظاً وقامت قيامته وكانت فيه دالة على السلطان ، فتخلّف عن الحضور ولم يذكر ما قالته الحكماء : إذا عاديتَ مَن يملك ، فلا تلمْه أن يهلك ، ثم استعطفه السلطان فأبى أن يعطف ثم بعث إليه ببراءة بخطه ليزيل ما بصدره من الموجدة ، فكتب الحاجب جوابها وأقسم أن لا يطأ بساطاً فيه فارح بن مهدي العلج ، وكان فارح هذا بعين التجلة من السلطان ، فلما وقف السلطان عثمان على جواب الحاجب حمي أنفه وأظلمت الدنيا في عينيه وأمر بالايقاع بالحاجب في الحين ، فذبح هو وولده عبد الرحمان يوم الخميس الموفي ثلاثين من شوال سنة اثنتين وثمانمئة (24 يونيو عام 1400 م) .

وكان عبد الرحمان هذا فاضلا شاعراً فمن شعره في الغزل قوله :

أتسمع في الهوى قول اللواحي ... وقد أبصرتَ خشف بني رياح
غزال خلّف الصبَّ المعنى ... من الوجد المبرح غير صاح
وقد قتلتْ ولا إثم عليها ... مراضٌ جفونه كل الصحاح

يقـول ولحظُه بالعقل يـــزري ... على م تطيـل وصفي وامتداحـى ؟
فقلت فنون سحـر فيك راقـت ... قضت للقلب بالعشـق الصـراح
جبينك والمقلـد والثنـايـا ... صباح فى صبـاح فى صبـاح !

وبقى الحافد علي بن عبد الرحمان المذكور مرتباً فى جملة الكتاب ، وكان فاضلا شاعراً أيضاً ، ولما مرض السلطان عثمان فى شعبان سنة سبع وثمانمئة وصحّ من مرضه هنأته الشعراء بقصائد كثيرة ، فكان من جملتهم علي المذكور فقال :

هنيئاً لنـا ولكـل الأنـام ... براحـة فخـر الملـوك الهمـام
إمام أقام رسـوم العـلا ... وحلّ من المجد أعـلا السنـام
به قرت العيـنُ لمـا بـدا ... صحيحـاً وما إن بـه من سقـام
وهل هـو إلا كبـدر الدجـا ... يُوارى قليـلا وراء الغمـام
ويظهر طـوراً فيجلـو بـه ... عن النـاس ياصاح ساجى الظلام
أو الليث يعكـف فى غيلـه ... فتحذر منه السبـاع اقتحـام
أمولاي عثمان بحـر النـدا ... ومُـردى العداة ونجلَ الكـرام
لقد رفعوا الله مقـداركـم ... فنفسي الفـداءُ لكـم من إمـام
أمولاي عبدك قـد ضـره ... أفول رضاكـم وبعـدُ المـرام
وأضحى كئيبـاً لابعـادكـم ... مشوقاً لتقبيـل ذاك المقـام
فكن راحماً ياإمـام الهـدى ... عطوفـاً بمملـوكـك المستهـام
لعـلّ الذى نالـه ينقضـي ... وتشمـلَ منك هبـاتٌ جسـام
فأيدك الله بالنصـر مـا ... ترنّـم فـوق الغصـون حمـام

وكان المترجم حاجباً للسلطان أحمد بن إبراهيم المتقدمة ترجمته لدخوله لمراكش ، وممن ترجمه ابن حجر فى (انباء الغمر) والسخاوي فى الضوء اللامع (I) .

I) **روضة النسرين** ص 38 و 40 و 41 **وجذوة الاقتباس** ص 125 ع 58 .

195) أحمد بن حسن ابن الخطيب القسنطيني

أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب بن قنفذ القسنطيني أبو العباس الشهير بابن الخطيب ، وبابن قنفذ ، الامام العلامة المتفنن الرحلة القاضي الفاضل المحدث المشارك المصنف ، أخذ عن جماعة كحسن بن أبى القاسم ابن باديس ، والامام الأوحد الشريف أبى القاسم السبتي ، والامام العلامة الشريف أبى عبد الله التلمساني ، والشيخ الحافظ الحجة موسى العبدوسي ، والعلامة الحافظ القباب ، والامام المحدث الرحلة الخطيب ابن مرزوق الجد ، والامام النظار أبى عبد الله ابن عرفة ، والحافظ المفتي عبد الله الوانغيلى الضرير ، والشيخ عبد الرحمان اللجائي ، والامام النحوي ابن حياتى ، وعبد الحق الهسكوري ، عمر الرجراجي ، فى جماعة ءاخرين من الأعلام ، ولقى جماعة كثيرة من الأولياء وتبرك بهم ، كالسيد الزاهد أحمد بن عاشر وغيره ، ارتحل من بلاد إفريقية عام تسعة وخمسين وسبعمئة الى المغرب الأقصى ، وبقي هناك ثمانية عشر عاماً فحصل علوما كثيرة ، واعتنى بلقاء الصالحين وجال بلادها ، فلقي بها الشريف أبا القاسم السبتى وأخذ عنه ، وقال فى وفياته بعد الثناء عليه : وبالجملة فهو ممن يحصل الفخر بلقائه .

وألف تواليف عدة فى فنون ، منها شرح الرسالة فى أربعة أسفار سماه (تقريب الدلالة ، فى شرح الرسالة) ، وشرح الخونجى فى جزء صغير سماه (تلخيص العمل ، فى شرح الجمل) ، فى المنطق ، وشرح أصلي ابن الحاجب سماه (الطالب ، لمسائل أصول ابن الحاجب) ، وشرح تلخيص ابن البنا سماه (حط النقاب ، عن وجوه الحساب) وشرح ألفية ابن مالك سماه (ءاية السالك ، فى بيان ألفية ابن مالك) و (أنوار السعادة ، فى أصول العبادة) فى شرح بُني الاسلام على خمس فى كل قاعدة من الخمس أربعون حديثاً وأربعون مسألة ، و (تيسير المطالب ، فى تعديل الكواكب) ، وذكر أنه لم يهتد أحد من المتقدمين إلى مثله ، وكتاب (بغية الفارض ، من الحساب والفرائض) ، و (تحفة الوارد ، فى اختصاص الشرف من قبل الوالد) ، و (وسيلة الاسلام ، بالنبيء عليه السلام) ، وقال إنه من أجل الموضوعات فى السير مع اختصاره ، و (أنس الفقير ، وعز الحقير) فى

ترجمة الشيخ أبي مدين وأصحابه ، وله غير ذلك من المؤلفات ، منها شرح أرجوزة علي بن أبي الرجال وقفت عليه في مجلد بخط اليد ، واختصر الجلاب سماه (اللباب) ، وبيته بيت علم وخطابة بقسنطينة ، وقد عرف في وفياته بأبيه وجده وجد أبيه وغيرهم من أسلافه ، وذكر فيها كثيراً من تواليفه ، وروى عنه الإمام ابن مرزوق الحفيد وغيره .

مولده في حدود الأربعين وسبعمئة وتوفي عام عشرة وثمانمئة ، ذكره الونشريسي في وفياته ، ونقل عنه المازوني في نوازله والقلشاني في شرح الرسالة ، ومن شعره :

الفقه إن فكرت فيه رأيتـــــه ... قـد دار بين قواعـد متتاليـــه
فاطلبه في القـرءان أو في سنـة ... واعقـده بالاجمـاع واتـرك تاليه

قال في (أزهار البستان) يعني القياس ، فلا مدخل له في هـذا الباب ، وحسبك الاجماع والسنة والكتاب .

وله أيضاً :

مضت ستون عاماً من وجـــودي ... وما امسكت عـن لعـب ولهـــو
وقد اصبحت يـوم حلول إحـدى ... وثامنة عـلى كســل وسهـــو
فكم لابن الخطيب من الخطـايـا ... وفضل الله يشملـه بعفـــو

ترجمه في (الجذوة) وفي (النيل) وأول (النشر) ، وذكر المترجم في وفياته التي ختم بها شرحه لقصيدة غرامي صحيح دخوله لمراكش وقراءته على جماعة من شيوخها ذكرنا ذلك في تراجمهم ، وقد سمى ابن سليمان الروداني في (صلة الخلف) جملة من تآليفه وذكر مؤلف تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية أن المترجم قاضي قسنطينة توفي في ليلة الجمعة الثانية عشرة لربيع الأول من سنة تسع وثمانمئة ، وقال في طبقات المالكية توفي رحمه الله عام عشرة وثمانمئة (1) .

---

1) درة الحجال 1 : 121 ع 150 ونيل الابتهاج ص 75 وشجرة النور الزكية 1 : 250 ع 903 ومقدمة كتابه انس الفقير : وعز الحقير طبع الرباط ؛ وجلوة الاقتباس ص 154 ع 103 طبع الرباط .

196) أحمد بن عبد الله ابن عروس الهواري

أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن عروس الهواري ، وكان يقول نحن من عرب تميم ، وأمه مسراتية النسب ، واسمها سالمة ، تأيمت بموت زوجها والد الشيخ ، وتزوجت وحملته معها لبيت زوجها لصغر سنه دون أخويه الأكبرين أبي بكر وعبد المغيث ، ثم فرّ إلى تونس قبل بلوغه وءاوى إلى زاوية الشيخ محمد المحجوب وكان شيخها عبد الرحمان ابن البناء ، وجوّد القرءان على الشيخ المقرىء محمد الحبيب بسويقة عساكر من تونس ، وكان يحضر مجلس الفقيه عبد الله الباجي بمدرسة المعرض من تونس ، ولازم خدمة مقام سيدى محمد بن خلَف ، وخدم وقّافاً بفرن الجمال قرب زاوية عبد العزيز المهدوي ، وبفرن زاوية عبد العزيز الطَبلبي بطبلبة قرية من عمل المهدية ، وخدم فى عمل البنيان ووقف بفرن القصيبة وبلد بنزرت ، وكان وصوله من تونس لبنزرت ثم انتقل إلى باجة ثم مِلية وجلس بها لتأديب الصبيان ، ثم انصرف إلى المغرب وأقام بمقام أبي مدين شعيب بعُبّاد تلمسان ، ووصل إلى مراكش ، ودخل سبتة ، وأقام بالمغرب الأقصى مدة طويلة ثم عاد إلى تونس وقد ثبت واكتمل ، وعلى ما أمل له من المعارف الربانية اتصل ، وكان يرعى الدواب وكان حينئذ حسن الهيأة ، ثم انتقل إلى الفندق الذى هو اليوم زاويته ، وأقام فى البيت بعد غلقة عليه مدة تقرب من سبعة أيام ، وكان الفندق من الأملاك السلطانية ، وبقي فى هذا البيت نحواً من ثلاثين شهراً ، ومنهـا ظهر فوق السطح فى عـام واحد وأربعيـن وثمانمئة ، وأقام فيه نحو سنة ليس بينه وبين الحر والبرد حاجز ، وأواخر عام 865 تنزل إلى مخالطة الناس ، وقال فيه الولي سيدى سعيد الصفروي هو من أولياء الله وهو من السبعة الأبدال ، وقال الحاج النفاتي دخلت بلـد العناب واجتمعت فيها بالشيخ الصالح عبد الوهاب المراكشي وكان مـن كبار أولياء الله تعالى ومن أهل خرق العادة ، فقال أتيت بجوار الشيخ ابن عروس وفى البيت الذى عن يساره إلى آخر ما ياتي فى ترجمة سيدي عبد الوهاب المذكور .

وكـان المترجم موسومـاً بتخريب العادات والاخلال فى الظـاهر بأمر العبادات ، وله الكرامات الظاهرة ، والمناقب السنية الباهرة ، وجعل

اليافعي في كتابه (نشر المحاسن الغالية) هذه الشطحات من أنواع التخريب ، وكان رضي الله عنه أزهر اللون ضخم العظام بعيد ما بين المنكبين عريض الصدر ربعة في قده إلى الطول كث اللحية أشهل العينين ، عريض الوجه مستديره مع الجمال البارع في البنية الكاملة السوية ، والصورة القويمة القويـــة .

توفي رحمه الله صبيحة يوم السبت ثامن صفر عام 868 ثمانية وستين وثمانمئـة .

وكان رحمه الله في بداية أمره من أهـل الخير والعبادة وصـلاح الحالات ، وملازمة الجمعات والجماعات ، وحضور مجالس العلم ومحبة العلماء والصالحين والزهد فيما في أيدي الناس والاشتغال بتلاوة القرءان ، وابتذال النفس في خدمة المساجد والزوايا والاخـوان ، ومواضع القرب كمدافـن الصالحين وزيارة من يشار إليه منهم حياً أو ميتاً مع العفاف وعلو الهمة عن مشاكلة أبناء الدنيا لنيل ما في أيديهم وملازمـة الصمت والحياء والوقـار والسكينة والفرار عن الناس وانفراده بأماكن الخلوة والوحشة دون أماكن الايناس ، مع ما كان عليه من الشفقة والرحمة والحنان والعطف والرقة واللين وخفض الجناح لسائر عباد الله وتعظيم سائر أهل موضعه له ، وتوسمهـم الصلاح والخير فيه ، وعدم إشغال نفسه بأمور الدنيا إلا ما فيه نوع مجاهدة وقمع هوى وقهر نفس وكسر شهوة ، واستمراره على ذلك مع كمال الاستقامة في حالي الظَّعَن والاقامة ، ثم بعد ظهور واردات الأحوال عليه وانتهائها إما بطريق الجذب أو السلوك إليه خفي عن إدراك العقول من الضعفة والغالب عليه معاملة الناس بالصبر والاغضاء والحلم وتعظيم جانب أيمة الأمة الواقفين في أمره مظاهر العلم .

قال الشيخ الفقيه محمد بن عبد الكريم ابن الكماد قال تكلم علينـا يوماً الشيخ الصالـح الولي سعيد الصفـروي رضي الله عنه فـي مجلسه الجمهوري ، فقام الناس يقولون ابن عروس لا يصلي ، ووالله إنـه ليصلي خلفه من الخلـق صفوف لا يعلمها إلا الله ، والذي يراه الناس في أوقات

الصلوات ليس هو ذلك فانه من الأبدال إذا كان فى عبادة أو فى شغل يخلفه فى مكانه مَن يتكم بكلامه فى صورته حتى لا يعلم أنه قد فقد هـ .

وله رضيَ الله عنه كرامات عديدة جاوزت المئتين ، وقد ألف فيه العلامة سيدى عمر بن علي الجزائري الراشدي (ابتسام الغروس ، ووشي الطروس ، بمناقب الشيخ أحمد ابن عروس) ، ورتبه على مقدمة وثلاثة أبواب ، أما المقدمة فتشتمل على فصول وأصول من علوم القوم ، والباب الأول فى التعريف بالشيخ ، والثاني فى الكشف عن طريقته والرد على منكر ولايته ، والثالث فى ذكر طرف من مناقبه وكراماته التى هي باثبات ولايته كفيلة ، طبع بمطبعة الدولة التونسية بحاضرتها المحمية سنة 1303 فـى صحائف 517 وأنشد فيه :

بتقوى الله والاخلاص فيهـــــا يعيش العبد فى شرف وأنـــس
ويعزل مَن يشاء كما يولـــى ويمضى الحكم فى جن وإنـــس

وقد مرت (1) ترجمة تلميذه سيدى إبراهيم الزواري ، وأن المترجم ابن عروس أخذ عن الشيخ الولي الكبير فتح الله العجمى بسنده ، وقال فى (نزهة الانظار) وفى ثانى صفر توفي بتونس الشيخ الولي الصالح أحمد ابن عروس ودفن بزاويته المشهورة به قرب جامع الزيتونة ، وقد ألف الامام العارف الشهير بالقطر الطرابلسي سيدي عبـد السلام الأسمر المتوفـي سنة 981 عن نحو مئة سنة (الأنوار السنية ، فى أسانيد الطريق العروسية) وفقد أخذها الأسمر عن عبد الواحد بن محمد الدكالي عن فتح الله بن أبي رأس القيرواني عن أحمد بن عبد الله الرشيد الساحلي عن أبي راوى الفحل ، عن الشيخ أحمد ابن عروس ، عن الشيخ فتح الله العجمي ، عن الشيخ ياقوت العرشي ، عن المرسي ، عن الشاذلي .

وقال المناوي فى طبقاته ما نصه : أحمد بن عروس التونسي المغربي العبد الصالح المجذوب الكبير الشأن ، كان من كبار الأولياء من أهل الحديث

1) ص 179 ع 23 من الجزء الأول من هذا الكتاب ؛ وكان فى الأصل : وستاتى ترجمة الخ اعتباراً للترتيب الأول للكتاب .

بتونس ، له كرامات ظاهرة ، وأحوال باهرة ، منها أنه كانت الطيور الوحشية تنزل عليه وتاكل بين يديه ، ومنها أنه كان عنده جمع وافر من الفقراء فكان يمد يده في الهواء ويحضر لهم ما يكفيهم من القوت ، ودخل عليه رجل لزيارته فرأى طول أظفاره وتشعث رأسه ، فحدثته نفسه بشيء ، فقال له السبع يكون بالأظفار ، وكان مهاباً جداً بحيث لا يقدر على لقائه كل أحد ، بل يقشعر البدن لرؤيته ، وكان جالساً على سطح فندق بتونس ليلا ونهاراً ولم يزل كذلك حتى مات بها سنة نيف وسبعين وثمانمئة هـ . وترجمه في (الشذرات) أيضاً بما في طبقات المناوي ، وجعل وفاته سنة 871 وتقدم أنها عام 868 وذكره في (الضوء اللامع) ص 259 ثم 260 ج 2 وقال في ترجمة الشرفي إنه خدم أحمد بن عروس أبا السرائر المجذوب فعادت عليه بركته ص 329 ج 2 .

197) أحمد بن محمد الوطاسي

أحمد بن محمد المعروف بالبرتقالي ابن محمد الشيخ بن أبي زكرياء يحيى بن زيان الوطاسي ءاخر ملوك مدينة فاس من بني وطاس ، بويع يوم خلع عمه أبي حسون ءاخر ذي الحجة متم سنة اثنتين وثلاثين وتسعمئة ، قال ابن القاضي : وقد رأيت البيعة التى كتبت له بخط الامام عبد الواحد بن أحمد الونشريسي وإنشائه وعليها خطوط جماعة من فقهاء فاس كأحمد الحباك والفقيه أحمد الماواسي وغيرهما ، قال في (النزهة) وانظر ما وجه كتب البيعة لأحمد مع أن خلع أبي حسون لم يكن لموجب ، والونشريسي من أهل الورع ، ولعله لأمر لم يظهر لنا والله أعلم هـ .

وكان أبو العباس الأعرج يتلاقى مع أحمد الوطاسي بتادلة وأحوازها ، قال في (النزهة) وكانت بينهما معركة بموضع يقال له ءانماي في ذي القعدة سنة 935 خمس وثلاثين وتسعمئة فافترقا على اصطلاح ، وءانماي موضع قرب مراكش به زاية الشيخ أبي العز رحال الكوش ، ثم في حدود أربعين وتسعمئة وقع الصلح بين الطائفتين على أن للأشراف من تادلة إلى السوس ، ولبني وطاس من تادلة إلى المغرب الأوسط ، وممن حضرة قاضي الجماعة بفاس علي بن هرون المطغري بطاء مطغرة تلمسان ، وكتب عقده الامام عبد

الواحد الونشريسي ، ثم في عام ثلاثة وأربعين وتسعمئة 943 وقعت بين الطائفتين وقعة أبي عقبة بوادي العبيد فأفنى بعضهم بعضاً إلا قليلا إلى أن كانت الهزيمة على الوطاسيين عشية يوم الجمعة ثامن صفر من السنة المذكورة فرجع الوطاسي لفاس ، وبقيت محلته وقصبة تادلة بيد الشريف السعدي ، ثم إن المترجم خلعه عن ملكه محمد المهدي وحمله أسيراً لمراكش بعد أن أخرجه من الملك سنة ست وخمسين وتسعمئة 956 وتوفي بمراكش بقرب الستين والملك لله وحده ، وجدد المترجم جسر وادي الرصيف الذى أرخ تجديده عبد الواحد الونشريسي وقد ذكرنا أبياته في ترجمة سيدي محمد الفاطمي الصقلي وفدى من الأسر محمد الملقب جار الله خروف التونسي الأنصاري شيخ الامام القصار كان قرأ في تونس ومصر وغيرهما وأقام بفاس بعد الفداء من الأسر تقرأ عليه علوم المنطق والأصلين والبيان ، فهو مجدد سند تعليمها بها ، وعنه أخذت على الحقيقة ، وكان ذا دكان للشهادة إلى أن توفي بفاس سنة ست وستين وتسعمئة كما نقله في (النشر) عن خط الامام المسناوي في ترجمة تلميذه المذكور ، وهو في (خلاصة الاثر) في ترجمة الامام القصار ، وقد ترجم للتونسي تلميذه المنجور في فهرسته وغيره ، قال فيها قدم فاس من أرض العدو وحين افتكّه سلطانها المريني أحمد من الأسر في حدود السبعة والأربعين قدم به وآسره النصراني طالباً منه أن يقرئه النحو كشأنه معه في أرضهم فانه كان يقرأ عليه (المفصل) هناك للزمخشري ليتوصل الأمير المذكور إلى فهم القرءان ، فانه كان ينظر فيه ويتطلب فهمه ويفهم في النحو بعض فهم ما ، فأفتى شيخنا الامام بمنعه من ذلك بعد أن كان الفقيه أسيره يعده بذلك ولذا قدم معه وشيخنا الامام هو السبب في فدائه بالحاحه على المريني ومدحه إياه له فعرفه بتلك البلاد هـ .

كان من جملة وزراء السلطان أحمد ولده محمد المذكور في (الدوحة) في ترجمة سيدي سعيد بن أبي بكر المشنزائي دفين مكناسة الزيتون ، وكان للسلطان أحمد اعتقاد في المتصلحين وأرباب الأحوال فمن فوقهم من أهل العلم ، راجع (الدوحة) في ترجمة على الصنهاجي المعروف بالدوار ، وكان السلطان واقفاً عند إشارة الفقيه عبد الواحد الونشريسي ابن

صاحب (المعيار) ، وقد خرج الناس يوماً إلى الصلاة يوم العيد فانتظروا السلطان فأبطأ عليهم ولم يأت إلى وقت خروج الصلاة ، وحينئذ أقبل السلطان فى أبهته ، فلما انتهى إلى المصلى نظر الشيخ عبد الواحد فرأى أن الوقت قد فات ، فرقي المنبر وقال معشر المسلمين عظم الله أجركم فى صلاة العيد فقد عادت ظهراً ، ثم أمر المؤذن فأذن وأقام الصلاة فتقدم الشيخ عبد الواحد وصلى بالناس الظهر ، فخجل السلطان أحمد واعترف بخطيئته ، رحم الله الجميـــع .

ترجمه فى (الجذوة) و (النزهة) و (الاستقصا) وغيرها (1) .

198) أحمد الأعرج بن محمد القائم بأمر الله السعدي

أحمد الأعرج بن الأمير محمد القائم بأمر الله أبو العباس السلطان .

بويع بولاية العهد من أبيه سنة ثمان عشرة وتسعمئة ، ولما توفي أبوه سنة ثلاث وعشرين وتسعمئة اجتمع الناس على بيعته من سائر الآفاق ، وءاتوه طاعتهم عن رضامنهم وإصفاق ، فاستقام أمره وصرف عزمه إلى تمهيد البلاد واقتناء الأجناد وتعبيئة الجيوش فى الثغور ، وشن الغارات على العدو فى الآصال والبكور ، فى أحواز تيلمست وءاسفي وغيرهما ، وكان النصارى قد خيموا بشاطىء البحر وكانوا فى تلك السواحل فأجلاهم عنها وطهر تلك البقاع من رجسهم وأراح أهلها من شؤمهم ونحسهم ، وفي ذلك يقول الفقيه مخلوف بن صالح يمدحه :

فلله هذا الهاشمي وفضلــــــــه ... فلولاه صال الكفر أعظمَ صولـــة

ولما اشتهر إيقاعه بنصارى السوس ودخلت فى طاعته سائر البلاد السوسية فعند ذلك كاتبه أمراء هنتاتة ملوك مراكش يرومون الدخول فى طاعته ، فأجاب داعيهم وانتقل إلى مراكش فدخلها فى حدود الثلاثين وتسعمئة واستولى عليها ، وفى سنة ثلاثين المذكورة كان ابتداء دولته على ما فـــى (النشر) لدى حوادث سنة 1003 وبعضه فى (مرءاة المحاسن) وذلك بعد

---

1) **عروسة المسائل** ص 28 **وجذوة الاقتباس** ص 114 ع 43 .

أن قبض على أبى حسون علي بن محمد بن محمد بن بوزكري الوطاسي وأشهد عليه بخلعه من ملكه ، وكتبها بخطه الشيخ عبد الواحد الونشريسي وعليه خطوط جماعة من الفقهاء ، واستمر أحمد الأعرج فى ملكه إلى أن تغلب عليه أخوه محمد الشيخ المهدي فنزعه عن ملكه وثقفه مع جملة أولاده سنة إحدى وخمسين وتسعمئة ، وكانت ولادته سنة إحدى وتسعين وثمانمئة وهي سنة وفاة القلصادي ووفاة قاضي فاس الجديد يحيى بن حامد من أحفاد سيدى أبي يعزى ، وفيها قدم ابن غازى على فاس ، وفيها استولى النصارى على لوشة فى جمادى الأولى ، انتهى منه .

وما ذكره صاحب (النشر) من أن المترجم قبض على أبي حسون المذكور الخ لا يعرف فلهذا أعرض عنه صاحب (الاستقصاء) فان الذى حارب الوطاسيين بفاس هو أخوه محمد الشيخ وراجع ما تقدم فى ترجمة ابن أخيه أحمد الوطاسي خالعه ءاخر ذى الحجة من سنة اثنين وثلاثين وتسعمئة 932 كمافى (النزهة) .

ثم فى سنة ثلاث وثلاثين وتسعمئة خرج البرتغال من ءاسفى ونقلوا جميع ما كان فى ءاسفى من عدة وأثاث إلى الجديدة بعد ما خربوها وأفسدوها وأوقدوا فيها النار ، وبقيت اثنتي عشرة سنة وهي مخربة إلى أن أصلحها السلطان محمد الشيخ ، وأخلوا أيضاً ثغر أزمور وأصيلة من غير قتال لما أوقع أحمد بنصارى السواحل ، وكان وزيره هو اخاه ابا عبد الله الشيخ ، فكانت كلمتهما واحدة وأمرهما جميعاً إلى أن دخل الوشاة بينهما فأفسدوا قلوبهما حتى تقاتلا مدة إلى أن استفحل أمر الوزير حيث كان جل القبائل السوسية صاغية إليه لما نشأ بين أظهرهم وسبروه من نجابته ، وغلب على أخيه أحمد فقبض عليه واستولى على ما بيده ثم أودع أخاه وأولاده السجن ووسع عليهم فى الجرايات وأصبح ملكاً مستقلا بعد أن كان وزيراً وذلك سنة ست وأربعين وتسعمئة ، وقيل سنة إحدى وخمسين وتسعمئة ، ولم يزل أحمد فى حكم الثقاف إلى أن قتل يوم مقتل أخيه الشيخ بعد ثمان عشرة سنة أو نحوها بجبل درن بموضع يقال له آكلكال بظاهر رودانة فى يوم الأربعاء التاسع والعشرين من ذى الحجة سنة اربع وستين وتسعمئة ، ولما بلغ خبر مقتله إلى خليفته بمراكش القائد أبى الحسن بن أبى بكر ازناك

بادر بقتل أحمد الأعرج المخلوع وأولاده ذكوراً وإناثاً كباراً وصغاراً خشية أن يخرجه أهل مراكش فيبايعوه ، ولما قتلوا لم يتجرأ أحد على دفنهم فبقوا مصرعين حتى دفنهم الشيخ أبو عمرو القسطلي المراكشي بمقربة من ضريح الشيخ الجزولي ، وهي ، القبة التي قرب الضريح المذكور وتسمى قبور الأشراف فيكون توفي أوائل محرم سنة 1065 بمقدار ما يصل الخبر من محل قتل أخيه المذكور ، وكانت دولته من يوم بويع إلى أن قبض عليه أخوه ثلاثاً وعشرين سنة ، وكان من حجابه محمد بن علي الأنكراطي اليملالي ، ومحمد بن أبي زيد المنزاري ، ومن كتابه سعيد بن علي الحامدي رحمهم الله .

ذكره في (النزهة) و (النشر) وأورده في (المتع) وفي (الاستقصا) وغير ذلك (1) .

199) **أحمد بن موسى الجزولي ثم السملالي** أبو العباس ، الشيخ الجليل الشهير ، الولي الكبير ، العابد السائح ، المجمع على ولايته وعلو مقامه ، وهو أشهر من أن يذكر ، ومناقبه كثيرة ، وكراماته شهيرة ، وكان في بداية أمره سياحاً طاف أكثر المعمور ، ولقي كثيراً من الأولياء ، يقال إنه بلغ إلى جبل قاف وشاهده ، وكان كثير المكاشفة والكلام على هواجس الضمائر ، وظهرت له العجائب من الكرامات ، ويقال من كراماته أن السلطان عبد الله الغالب ما وجد البركة في مدته وملكه إلا به ، وذلك أنه قال للأستاذ أبي عبد الله الترغي إني أجد في نفسي إرادة وطلباً للشيخ فامض فاطلب لي شيخاً ، فذهب يطوف على مشايخ المغرب وكانوا إذ ذاك متوافرين حتى أتوا على الشيخ صاحب الترجمة ، فوجده شيخاً جليلا سنياً متواضعاً زاهداً ظاهراً الورع حسن الأخلاق باهر الكرامات واضح الطريقة جامعاً لمحاسن الخلال والأوصاف ، فرجع إليه وجعل يصف له كل من رأى من المشايخ بما ظهر له فيه حتى على ذكر صاحب الترجمة ، فقال له هو ولي ثم ولي سبعاً ، فقال له كأنك تدلني عليه وأنه مطلوب وأنه المقدم على غيره ، فقال له لا أدلك عليه ولا عندي ما أعرف به تقديمه إلا أن هذه الذى ظهر لي ، فأزمع السلطان الرحيل إليه ، فلما بلغ الشيخ قدوم السلطان إليه خرج يتلقاه وقد

---

1) ينظر عن احمد الأعرج السعدى **تاريخ الدولة السعدية** ص 5 و **سلوة الأنفاس** 3 : 226 و **درة الحجال** 1 : 106 ع 146 **ونزهة الحادى** ص 19 .

هيأ له النزول وما يصلحه وأعدّ له ما يناسبه من الأطعمة الرفيعة النفيسة وقدم إليه التمر الجيد واللبن الحليب ، ولما خرج أتاه بعضهم بفرس وكان من عادته لا يركب ، وإذا أتاه أحد بمركوب لا يرده عليه بل يستصحبه معه ويعلفه له حتى يرجع ، ففعل ذلك وتلقى السلطان ورجع به معه وأنزله عنده ، فمكث في ضيافته ثلاثة أيام ، فطلب منه أن يتخذه وسيلة إلى الله وسأله مع ذلك تمهيد الملك ، واعتذر له بأنـه لا يمكنه العيش بدونه ولا يأمـن على نفسه ولا تأويه أرض إن هو تخلى عنه ، فقال الشيخ ياعرب يابربر ياسهل ياجبل أطيعوا السلطان مولاي عبد الله ولا تختلفوا عليه ، ثم بعد الثلاثة أيام انصرف السلطان إلى بلده ، فبقي مدة وهو مسكن في عافية ممهد الملك ، ثم أتى التركُ الى بوغاز طنجة وسبتة فخافهم وتشوش منهم كثيراً ، ولم يهنأ له عيش ، فجعل أهل دائرته يـُهونون عليه أمرهم ، فقال لهم دعوني منكم حتى أستقي من رأس العين ، فبرد بريده إلى الشيخ ، فلما لحق إليه سمعه يقول ياترك ارجعوا إلى بلادكم ويامولاي عبد الله هنأك الله في بلادك بالعافية ، فتقدم الرسول فسلم عليه وبلغه سلام السلطان ثم انقلب من فوره وأرخ وقت سمِع الشيخ يقول ما قال ، فلما بلغ إلى سيده أخبره بما كان من الشيـخ من القول ومنه من التاريخ ، ثم قعدوا ينتظرون ما يكون فاذا بالخبر ورد عليهم بأن الترك قد ارتحلوا وانصرفوا ، وإذا بارتحالهم كان وقت قال الشيخ ما قال ، ثم إن الشيخ قدم إلى مراكش زائراً مَن بها من أهل الله ، فرغب إليه السلطان المذكور أن يدخل داره هو وأصحابه ويصنع لهم طعاماً وشرط على نفسه أن لا يطعمهم إلا الحلال ولا يطعمهم ما فيه شبهة ، وحلف له على ذلك ، فساعفه على مرغوبه ، فلما حضر الطعام جعل الشيخ يده عليه ولم يصب منه ، فلما خرج قال له بعض الحاضرين مالك لم تتناول من طعام السلطان وقـد حلف ألا يطعمكم إلا الحلال ؟ فقال له من أكل طعام السلطان وهو حلال أظلم قلبه أربعين يوماً ، ومَن أكله وفيه شبهة مات قلبه أربعين سنة رضي الله عنه ونفعنا به ، وشكا إليه بعضـُهم نفسه فقال له مالك ولها دعها ومولاها ، وسأله بعضهم هل تعرف النحو أو تحفظ ألفية ابن مالك ؟ فقـال لا أحفظ منها إلا شطرين أحدهما : فما أبيح افعل ودع ما لم يبح ، والآخر : فما لنا إلا اتباع أحمدا . ولم يكن يحفظ من الشعر إلا قول القائل ٠

تأملْ أصولَ الكائنات فانهـــا من الملك الأعلا إليك رسائـــل
ولا تلتفت للغير فالكل هالـــك (ألا كل شيء ما خلا اللهَ باطـل)

وفى (المرءاة) بعد ذكره : وهو من أصحاب الشيخ عبد العزيـز التباع ، وعلى يديه فتح له ، ثم أمره بالمسير إلى الشيخ سيدى أحمد بن يوسف الراشدي فأخذ عنه ولازمه عامين ، ثم أمره بالسياحة فساح سنين ثم رجع إلى مراكش سنة سبع وعشرين وتسعمئة ، وهي سنة الجموع الكبير، فأقام على قبر شيخه سيدى عبد العزيز التباع سبعة أيام ، وكان قد عهد إليه بذلك وانصرف إلى بلاده من السوس الأقصى انتهى . وقبره ببـلاده أشهـر من أن يعرف به وتوفي سنة إحـدى وسبعين وتسعمئة ، وصـدر الحضيكي طبقاته بالتعريف به ، وذكر كثيراً من كراماته ، منها ما سياتي فى ترجمة سيدى موسى بن شعيب الدمجي نزيل مراكش ، ونص ما ذكره في سلسلته : أحمد بن موسى بن عيسى بن أبي بكر بن سعيد بن محمد بن عبد الله بن يوسف بن صالح بن طلحة بن أبيجمعة بن علي بن عيسى بـن الفضيل بن عبد الله بن حنيد بن عبد الرحمان بن محمد بن أحمد بن حسين بن إسماعيل بن جعفر بن عبد الله بن حسين بن الحسن بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه السملالي الجزولي نزيل تازروالت هـ . وذكر فى ترجمة سيدي أحمد بن عبد الرحمان المسجدادي التزركي المتوفي سنة 958 أنه قال ما فى أولياء الله تعالى القدماء من المناقب ففى سيدي أحمد بن موسى أكثر من ذلك ، وذكر أن سيدي محمد الدراوي ألف فى شيخه سيدي أحمد بن موسى كتاباً فى مناقبه .

وممن أخذ عن المترجم سيدي أحمد أذفال نزيل مراكش ، والشيخ علي بن محمد الحارثي دفين الرميلة مـن فاس ، والشيخ الصالـح سيدي موسى بن داوود البعقيلي السوسي المترجم في (الصفوة) والشيخ الصالح سيدي عبد الله بن السيد الحاج خالد البعقيلي المترجم فيها ، والشيخ البركة محمد بن أحمد بن إبراهيم التمنارتي المغافري والد أبي زيد صاحب (الفوائد الجمة) المترجم فيها أيضاً ، وستاتي ترجمة حفيده سيدي الحسن بن علي بن

الحسن صاحب الترجمة ، ومن أحفاده رضي الله عنه الشيخ البركة الفقيه الرحالة سيدي الحاج علي السوسي من أصحاب الشيخ سيدي أحمد بناصر .

ترجم المترجم فى (الدوحة) و (الممتع) و (طبقات الحضيكي) وجرى ذكره في (اقتفاء الاثر) و (المنح البادية) و (الصفوة) وغيرها .

تنبيه :

قال فى (المرقى) أخبرني مخبر أنه رأى ثلاثة كراريس من رحلة سيدي أحمد بن موسى ذكر فيها أن شيخه سيدى محمد الشرقي أمره بالقدوم لموضع بنى عياط القبيلة المعروفة من البربر هـ . وليس هو المترجم وهذا ءاخر نعم حفيده سيدي الحسن بن علي بن الحسن بن أحمد بن موسى السملالى هو تلميذ لسيدي محمد الشرقي كما ياتي فى ترجمته (1) .

200) **أحمد بن عبد الله بن حسين المغاري** أبو العباس ، قال فى (الدوحة) بعد ذكره ءاخر ترجمة والده ما نصه : ناهيك به فضلا وكرماً وسخاوة نفس ونزاهة فعل وعلو همة ، وله فى الايثار وبسط المؤانسة وحسن العشرة ءاثار جليلة ، صحبته مدة مديدة ، وحمدت صحبته وشكرت أفعاله الجميلة ، ولقد حضرت عنده بزاوية أبيه فى بعض المواسم ، فرأيت العجب من ازدحام الخلق عليه وكثرة الوفود ، وقد ذبح لهم بين يوم وليلة سبعمئة شاة من الغنم ومئتين من البقر ونحو عشرين من الابل ومطابخ الطعام شيء لا يقدر على وصفه ، وقد هيأوا للطعام أحواضاً عظيمة وحضر الغذاء فرتبوا الناس للأكل وجعلوا عشرة أنفس فى كل دائرة ، فنال عدد مَن حضر اثني عشر ألفاً ونيف وخمسمئة ، وهو الآن بقيد الحياة أواسط العشرة التاسعة ، ثم توفي رحمة الله عليه فى سنة خمس وثمانين ، ودفن مع أبيه بتامصلوحت رضي الله عنهما (2) .

وتقدمت ترجمته ولده ابراهيم (3) (وستاتي ترجمة) والده عبد الله .

---

1) ينظر عن سيدى احمد بن موسى **ايليغ قديماً وحديثاً** ص 19 و **دوحة الناشر** ص 83 و **درة الحجال** 1 : 165 ع 191 و **طبقات الحضيكى** 1 : 2 .

2) **دوحة الناشر** ص 79 .

3) أنظر ص 181 من الجزء الأول من هذا الكتاب ؛ وكان فى الأصل وستأتى ترجمة ولده ابراهيم ووالده عبد الله ؛ اعتباراً للترتيب القديم فعدلنا الفقرة بما يناسب الترتيب الجديد .

201) **أحمد بن يحيى الهوزالي** الأديب الناظم الناثر قائد قواد ولي العهد أبى عبد الله مولانا محمد المامون بن مولاي أحمد الذهبي المنصور ، وكانت له مشاركة فى فنون ، وكان رجلا عاقلا لبيباً حلو الشمائل ظريف المقال ، قال فى (الجذوة) من نظمه ومن خطه نقلت يمدح المخدوم أحمد المنصور الشريف الحسني خلد الله ذكره بمحمد وءاله :

ياصاحبي مهـلا عليَّ وعرجـا ... وخذا معـي بأعنـة الأفـراس
هذى ربـوع المستقى قد بـرزت ... فى وشيهـا هـذى منازل فـاس
تلك القباب الخضر إيوان الدمـى ... ومقيـل كـل خريـدة ميـاس
كم جؤذر صاد القلوب وصيد فـى ... تلك القباب وكم ظبـاء كنـاس
هذى الدوالب كالعشـار حنينهـا ... ذاك المصلى مضوع الجـلاس
هذا الحمى والنهر فى بطحائـه ... مغنى الغواني أو مـدار الكـاس
والنور قد وشى الفضـا وكسا الربا ... ببدائـع منهـا عـلى أجنـاس
أسدى الغمام بها جداه فأصبحـت ... فى حلة من نسجـه ولبـاس
وتعطرت أرجـاؤها وتتابعـت ... أنواؤهـا بالعـارض البجـاس
لما غنتها نفحـةٌ مسكيـة ... ملكية من طيب الأنفـاس
سبط الرسول وفخر كل مفاخـر ... ملك الملوك أخو الندى والبـاس
نور الهدى سم العدا أسد الـردى ... تـاج السلاطيـن أبـو العبـاس
لا زال منصور اللـواء مؤيـداً ... محمودة ءاثـاره فى النـاس
ما غردت ورق الحمـام ورجعـت ... أم الحسيـن عـلى قضيـب الآس

توفي بمرض الحصا سنة أربع وتسعين وتسعمئة .

ترجمه فى الجذوة ، وذكره فى المنتقى المقصور (1) .

202) **أحمد بن علي المنجور المكناسي**

أحمد بن علي بن عبد الرحمان بن عبد الله المنجور المكناسي النجار الفاسي الدار والمولد والقرار ، شيخ الاسلام ، علم الأعلام ، ومفتى الأنام ، محي الدين والسنة ، ونجم الأمة ، الفقيه المعقولي ، المحدث الأصولي ، خاتمة علماء المغرب ، وشيخ الجماعة فيه فى جميع الفنون .

---

1) **جـذوة الاقتباس** 1 : 159 ع 110 .

كان رحمه الله ءاية من ءايات الله في المعقول والفقه ، وكان أحفظ أهل زمانه وأعرفهم بالتاريخ والبيان والمنطق والكلام والأصول والحديث والتفسير، متبحراً فى العلوم كلها من معقول ومنقول ، شديد العناية بالتحصيل ، قويّ التحقيق حسنَ الالقاء والتقرير ، معتنياً بالمطالعة والقراءة ، لا يمل ولا يضجر منصفاً فى البحث جَنُوحاً للصواب إذا تعين ، صدوقـاً فى النقل ثبتاً قـوي الادراك ثابت الذهن صافي الفهم ذا خط رائق ، وأدب فائق ، خدم العلم عمره حتى صار شيخ الجماعة ، وكان يقول إن العلوم كلها نافعة ، فكان يبحث عنها كلها ويتعلمها حتى أنه تعلم لعبة الشطرنج فأتقنها وتلاحين عود الغناء ، فكان يحركه وبلغ الغاية العليا فى علم العقائد ، وأما الأصول فذلك عشه فيه يدرج ، ويعرف كيف يدخل فيه ويخرج ، وانفرد عن أهل زمانه بمعرفة تاريخ الملوك والسير والعلماء على طبقاتهم ومعرفة أيامهم ، وكانت معه حدة فى بعض الأوقات تمنع المتعلم من مراجعته ، والاكثار من مباحثته ، وكان مولعاً بأمثلة العامة خصوصاً عامة الأندلس يستحسن لغتهم ولكنتهم ، ويثنى عليهم وعلى بلادهم الجزيرة ويستحسنها ويتشوف إليها ، وكان يقال فيه فهمه لا يقبل الخطأ وله صناعة فى التدريس ، يجيد ترتيب المنقول ويتأنق فى كيفية الإلقاء ، وكان من عباد الله الصالحين لا يفتر عن قراءة القرءان إلا فى زمن المطالعة أو التأليف أو الاقراء أو ضرورياته ، وكان أروع الناس فى النقل كاد أن لا يفارق لسانه لا أدرى أو حتى أنظر أو كلاماً يقرب من هذه ، وكان دمث الأخلاق رقيق الحاشية متقشفاً قانعا بما تيسر من الماكول والملبس لا يحسن تدبير الدنيا ، وبالجملة فهو كما قال بعضهم ءاخر الناس بالمغرب ، ولم يكن مثله فى الفنون بالمغرب ولا جاء بعده من يقربه فى علومه ، وفى (كفاية المحتاج) : هو آخر فقهاء فاس لم يخلف بعده مثله .

وقال فى (درة الحجال) : صارت الدنيا تصغر بين عيني كلمـا تذكرت أكل التراب للسانه والدود لبنانه .

وما يوجد فى بعض نسخ (الكفاية) من انه كان ينبز بالهنات لعله مدخل وملحق من وضع الحسدة ، وإلا فامامته مشهورة ، وتلك الزيادة لا توجد فى النسخ العتيقة ، وثناء سيدى أحمد بابا عليه شهير فى غير ما كثير من تئاليفـه .

أخذ رحمه الله عن شيوخ وقته جميعاً كاليسيتني وهو عمدته ، وسقين ، وابن هارون ، وعبد الواحد الونشريسي ، والزقاق ، وغيرهم ممن اشتملت عليهم فهرسته ، وأخذ عنه هو جماعة من الأعيان كالشيخ أبي المحاسن الفاسي ، وأخيه العارف بالله وولده أحمد ، وأحمد ابن القاضي ، وقاضي مراكش عيسى السجتاني ، والشيخ أحمد بابا السوداني وغيرهم ، وألف تآليف منها شرح (المنهج المنتخب ، إلى قواعد المذهب) ، وحاشية كبرى على شرح الكبري للسنوسي فى العقائد ، وأخرى صغيرة عليه ، وشرحان على قصيدة سيدى أحمد ابن زكري فى الكلام مطول اسمه (نظم الفرائد ، ومبدأ الفوائد ، لمحصل المقاصد) ، ومختصره ، وفهرستان كبرى وصغرى ، و (مراقي المجد ، فى ءايات السعد) ، وشرح نظم علاقات المجاز لابن الصباغ الخزرجي المكناسي ، و (المختصر المذهب ، من شرح المنهج المنتخب) ، وشرح المختصر من ملتقط الدرر ، وله نظم رائق ، وشرح (أيضاح المسالك) للونشريسي ، وشرح (الخلاصة) لابن مالك بطلب المنصور وغير ذلك . قال النيجي وكان لا يقرأ فناً إلا أقرأه إقراءَ مَن لا يعرف إلا ذلك الفن .

ولد رحمه الله سنة ست وعشرين وتسعمئة ، وتوفي يوم الاثنين سادس عشر القعدة من سنة خمس وتسعين وتسعمئة ، ودفن خارج باب الفتوح متصلا بقبر شيخه اليسيتْني بمطرح الجنة ، كان المترجم يدرس بفاس وبمراكش ، وكان يفد على المنصور كل سنة بحضرة مراكش .

ترجمه ابن القاضي في (الجذوة) و (الدرة) ، وأبو العباس السوداني فى (النيل) و (الكفاية) ، وذكره صاحب (الدوحة) فى ترجمة شيخه اليسيتْني وصاحب (الابتهاج) و (المطمح) و (الصفوة) وان كان توفي قبل الحادية ، وصاحب (المرقى) فى ترجمة تلميذه سيدي الغزواني بن سيدي محمد الشرقي وصاحب (زهر البستان) فى ترجمة شيخه سيدي سقين السفياني والحضيكي فى طبقاته ، والمدرع فى منظومته بقوله عند عده لأولياء خارج باب الفتوح من فاس :

وأحمد إمامنا المنجور ... سؤدده بين الورى مشهور
كان رئيسَ العلم في المعقول ... والفقه والبيان والأصول

وقد أجاز المنصورَ بفهرسته المذكورة إجازة عامة ، وله أبيـات في مدح الولي سيدي محمد الشرقي مذكورة مع سببها في ترجمة الممدوح في (الصفوة) وغيرها ، ومن تلامذته سيدي أحمد بن يوسف الفاسي كما تقدم ، وقد صرح بذلك في مِنـَحِه ، وقد بين المترجم في فهرسته المشار لها ءانفاً ما أخذه عن شيوخه تفصيلا وإجمالا وقيد موالدهم ووفياتهم وأسنانهم تحقيقاً أو تقريباً وأشياخهم وما قرأوه دراية أو رووه فقط ، وما حفظ مـن محاسنهم ، وألفها في السفر ، وأنه لم تحضره إذ ذاك مقيداته وكنانيشـه وما صنفه الناس .

ومن شيوخه عبد الرحمان سقين وصافحه وشبك يده بيده وتوضأ بمحضره ومسح على الخفين وأجازه عامة ، وعـلي بن هارون المطغري ، وعبد الواحد الونشريسي ، وعبد الرحمان بن محمد بن إبراهيم الدكالي ، وأبو عمْرو عثمان بن عبد الواحد اللمطي ، وأبو محمد بلقاسم بن إبراهيم الدكالي ، وأبو عبد الله ابن مجبر المساري ، ومحمد بن علي بن عدة الأندلسي ، وأبو عبد الله اليسيتْني ، وأبـو عبد الله العبسي ، وابـن خروف التونسي ، وعبد الوهاب الزقاق ، وعلي الراشدي ، وعبد الحق المصمودي ، وأبو الحسن بن علي الورياجلي ، وأبو شامة بن عبد الرحمان بـن إبراهيم ، وأبو عبـد الله الزقاق ، وأبو العباس ابن جيدة ، وأبو عبد الله الصغير الزجني ، وأبو العباس الماواسي ، وأبو سالم اللمطي ، والأستاذ أبو سالم بن مخلد ، وغيرهم ممن استفاد منهم واستفادوا منه ، وذكر فيها أن المشارقة عجزوا عن إسناد مذهب مالك من الشيخ أبي محمد المنوفي شيخ الشيخ خليل حسبما أشار إليه بدر الدين القرافي في ذيل الديباج المذهب حيث ذكر سؤال الشمس اللقاني لعلماء عصره في اتصال السند إلى الامام ولم يذكر لهم جواباً ومنَّ الله سبحانه على هذا القطر باتصال السند في ءاكد أمر وأهمه هـ . ثم تكلم على الانقطاع الواقع في سند المشارقة فيه ، قلت قد جمع الامام المسند سيدي عيسى بن محمد الثعالبي سلسلة الفقه المالكي جمعاً لم يُسبَقْ إليه بعد ما حارت فيه فحول الأيمة في نحو نصف كراس ، راجعه في رحلة الامام أبي سالم العياشي ، وأبي العباس ابن ناصر ، وقد أدرجها في فهرسة (كنز الرواة) ، وقال في

(اقتفاء الأثر) فى أواخرها عند ذكر سلسلة الفقه المالكي إلى النبي صلى الله عليه وسلم ونصلها إن شاء الله من طريق أشياخنا المغاربة ، لأن اتصالها من طريق المشارقة متعسر إلا مع مسامحة فى انقطاع ما كما نص على ذلك الحطاب والقرافي ، وإن كان شيخنا الأجهوري فيما كتب لنا به قد حاول وصلها من طريق أخرى ، لكن طريق أشياخنا المغاربة أولى لأنها رواية ودراية فى جل السند بخلاف الأولى ، ثم قال وللمغاربة فى ذلك طرق كثيرة ، وقد أشار إليها الشيخ المنجور فى فهرسته (1) .

203) **أحمد الأمين بن أبي القاسم القسطلي المراكشي** والد الولي الصالح سيدي أبي عمرو ، لقي الشيخ سيدي عبد العزيز الحرار ، ولما أراد سكنى القبابين بمراكش وهب له المترجم بقعة وامتنع من أخذ ثمنها فدعا له أن يرزقه الله ولداً صالحاً فحملت أم الشيخ سيدي أبي عمرو تلك الليلة بقدرة الله تعالى به .

204) **أحمد الفيرم بن سيدي عمر الشيخ الكنتي** كان ولياً صالحاً تواتر عنه أنه كان يقرى تلاميذ الجن والانس ، ومن كراماته الماثورة عنه أنه بينما هو فى قافلة كبيرة وهم يريدون توات إذ عاينوا جيشاً وعاينهم الجيش ، فلما كان ذلك أمرهم بحبس القافلة فحبست ثم أشار بأصبعه إلى جهة العدو فقال لهم قد كفيتموا العدو ، فانزلوا ففعلوا ما أمرهم به ، فجاء العدو إلى القافلة فاذا هي حجارة فيما يرون ، فأخذ رجل من العدو رمحه وقال والله لقد كان هذا الحجر رجلا على جمل أبيض وعليه ثياب بيض ، فصادف ذلك سنه فكسرت وبذلك لقب بالفيرم للفرمة التى وقعت فى سنه ، ثم قال لهم أيها الناس إن كنتم ناساً فأزيلوا الحجاب فيما بيننا وبينكم ، فلكم عهد الله وميثاقه ألا نضركم ما يقينا ، وإذا الطباخون يطبخون ، وإذا الابل والأمتعة كما هي ، فتاب كادن وطائفة من العدو وذريته إلى الآن فى كنته ، ورجع سائرهم إلى أهله من غير أن يرزأهم شيئاً .

---

1) ينظر عن المنجور **جذوة الاقتباس** ص 135 ع 78 **ودرة الحجال** 1 : 156 ع 186 طبع تونس ؛ **ونيل الابتهاج** ص 65 **وسلوة الأنفاس** 3 : 60 و **صفوة من انتشر** ص 4 **وشجرة النور الزكية** 1 : 287 **واتحاف اعلام الناس** 1 : 319 .

وكان رضي الله عنه عابداً متنسكاً فى الدنيا لا يفتر عن تلاوة القرءان إلا حالة التدريس ، ثم ورثه ابنه سيدي محمد الرقاد ، وسبب تلقيبه أنه أتاه قوم يختصمون فى معضلة فوجدوه نائماً فقضى بينهم وهو نائم ، ثم جاءه تلاميذه ففسر لهم وهو نائم ، فلذلك لُقب بالرقاد ، وذكر عنه أنه حفظ ألف مجلد ، وكان يعزى إليه من العلوم ما يعزى لجده سيدي عمر الشيخ ، وله كرامات ، وخلف ولده سيدي أحمد بن محمد الرقاد بن الفيرم ، وانتشر منه سبع بنين كلهم أولياء علماء نجباء ، وباب مدينة العلم وسلسلة الذهب فــى بني الرقاد ، منهم سيدي المختار كان ولياً عابداً عالماً ، وأبوه سيدي محمد الأمين كذلك ، وأبو سيدي المختار كذلك ، وأبوه سيدي عمر كذلك ، وأبوه سيدى أحمد الرقاد ، وأبوه سيدى محمد الرقاد ، وأبوه سيدي أحمد الفيرم ، وأبوه سيدى عمر الشيخ ، وأبوه سيدى أحمد البكاي ، كلهم علماء أولياء عباد ، وشاع أن مَن توسل بأربعين من ذرية سيدي محمد الكنتي فى كل أمر مُهم وجد الفرج عن قريب ، كما نظم ذلك الوليُّ الصالح سيدي محمد بن محمد العلوي قائلا وقُضيت حاجته كائنة ما كانت ، وهو إن كان في ورطة عوفي ، وإن كان خائفاً أمِن .

ونسب الكنتيين إلى عقبة بن عامر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو عقبة المستجاب ابن عامر بن عبد الله بن عمر بن عبد مناف بن ضيمة بن زيد بن عبد مناف بن سعيد بن عبد الله بن فهر بن مالك ، وهو الذى فتح المغرب على يديه ودوخ البربر والنصارى حتى بلغ منتهى موطيء الخف والحافر ، وأسلم على يديه كثير من خلق الله ، وكانت قبائل العرب والبربر تتبرك بهم وتأخذ الدين عليهم والعلوم واحداً بعد واحد ، حتى كان زمان سيدي أحمد البكاي انتشرت حينئذ ذريتهم وتفرعت فروعهم ، وبنوه ثلاثة لا غير ، سيدي عمر الشيخ ، وهو أصغرهم سناً ، وأبو بكر الحاج ، وسيدي محمد الكنتي الصغير ، سماه على جده سيدى محمد الكنتي بن علي بن يحيى ، وهؤلاء الثلاثة ما منهم من أحد إلا وقد بلغ القطبانية العظمى ، وانتفع ببركته خلق كثير .

دخل المترجم مراكش مع أخويه السيد المختار والسيد الوافي فى أيام السعديين كما ذكر ذلك حفيد الأخير القطب السيد المختار الكنتي فى

كتاب التوحيد له ، ثم أعلم أن عقبة المستجاب فاتح إفريقية والسوس الأقصى هو عقبة بن نافع الفهري كما فى الاستيعاب ، وأما عقبة بن عامر إلى ءاخر النسب المتقدم الذى ذكره سيدي المختار الكنتي فلا يوجد فى (الاستيعاب).

وقال في الوسيط (1) بعد ذكر الشيخ سيدي المختار الكنتي ما نصه : وقفت على سلسلة نسبه متصلة بعقبة بن نافع الفهري الصحابي الذى فتح بلاد المغرب ، وهذا يعارضه ما ثبت عند النسابين فى أرض الصحراء من أن كُنت من بنى أمية ، لكن يمكن الجمع بينهما بأن الشيخ من كُنْت بطريق الموالاة من طريق النسب كما يوجد فى كثير من الناس ه . وأمية ليس من متحد الأنساب ، بل يوجد أمية بن عبد شمس القرشي ، وأمية بن الظرب بن الحارث بن فهر القرشي ، وهذا الثاني هو جد عقبة بن نافع بن عبد القيس بن لقيط بن عامر بن أمية المذكور فافهم .

205) **أحمد بن علي بن مسعود الشاطبي** ، أبو القاسم ، ابن قاضي مراكش المحروسة ، فقيه مشارك وهو نائب أبيه على القضاء بها وعلى الخطابة بجامع المنصور من قصبة مراكش المحروسة ، كان حياً سنة تسع وتسعين وتسعمئة 999 .

ذكره فى (درة الحجال) ، وسياتي أن اسم والده علي وأن كنيته أبو القاسم (2) .

206) **احمد التقليتي** ، عارف بالحساب والتعديل والمساحات وبعض مبادىء الهندسة ، وهو شيخ جماعة الفنون المذكورة بمراكش المحروسة ، كان حياً سنة 999 تسع وتسعين وتسعمئة .

ترجمه في درة الحجال (3) .

207) احمد بن احمد العُبادي التلمساني

أحمد بن أحمد بن محمد بن يعقوب العُبادي التلمسانيّ الشيخ الفقيه العالم العلم العلامة ، قال في (الدوحة) بعد ذكره : هذا الرجل من فحول

1) **الوسيط** ص 361 .

2) **درة الجال** 1 : 172 ع 215 طبع تونس ؛ وفيها أحمد بن قاسم بن علي الخ وهو غلط كما نبه عليه المؤلف .

3) **درة الحجال** 1 : 172 ع 217 طبع تونس .

العلماء كبير الهمة غزير العلم كريم السجية ، له نفس أبيه ، وهمة علية ، مع شجاعة وإقدام ، لقى المشايخ وأخذ عنهم ، وتفقه على والده ، ولما قدم على فاس عام ثمانية وستين (وتسعمئة) فى جملة فقهاء تلمسان حين وقعت الفتنة بينهم وبين الترك واستغاثوا فأمرهم الأجناد ونقلهم إلى فاس ووصل كلا منهم على قدر حاله ووصله بألف مثقال ذهباً وأمر له بكساء وإقامة جليلة ، وقال لا تسووه بأحد من الفقهاء وغيرهم ، فان همته كبيرة ، ولما اشتغل بالتدريس انثالت عليه الناس من كل ناحية ، وعجب الناس من حسن عبارته وتحقيقه ونقله ، ثم انتقل إلى مراكش جبراً لأمور يطول شرحها ، ورجع منها إلى تلمسان واستقر ءاخراً بمليانة ، وأظنه الآن فى قيد الحياة ، لقيته وأخذت عنه مروياته ، وأجازني فى سلسلة مشايخ الصوفية حسبما تقدم الكلام عنه فى ترجمة شيخنا يوسف الشريف من صدر هذا الكتاب ، وأجازني أيضاً فى الحاجبين الأصلي والفرعي ، وكتب لي بما نصه : أجاز لى والدى رحمه الله الحاجبين عن شيخه سيدي محمد بن عيسى البطوءي عن علامة الوقت سيدى أحمد ابن زكري ، عن العالم سيدى محمد بن العباس العُبادي عن مولانا الجد أي أبي أم سيدى محمد بن مرزوق شارح البردة رحمهم الله ، عن شيخه الامام ابن عرفة ، عن الامام القرافي ، عن الامام ابن الحاجب نفع الله بهم ، قيدت هذه الاجازة هنا مع سلسلة هذا الشيخ لمَن أمره لى لازم متحتم ، وطاعته فرض لا تكتم ، وهو سيدنا الامام القاضي العلامة نجل السادات الكرام وأظرفة الوقت بالتمام ، ولدنا الأبر سيدى محمد عسكر وصل الله له الخيرات ، وحفظنا وإياه من جميع الآفات ، ونقبل راحته طالباً من مقامه صالح الدعوات ، عسى تفرج الكربات يارب العلمين ياعالم الخفيات ، والسلام الكريم على مقامه الكفيل بالمسرات ، من عُبيد الله الفقير الى رحمته أحمد بن أحمد بن محمد بن يعقوب العُبادي جبر الله صدعه وجمع شمله بكل التفرقات ، ولطف به فيما هو ءات (1) .

---

1) دوحة الناشر ص 87 وطبقات الحضيكى 1 : 26 لم اقف على وفاته ؛ وتوفى أبوه أحمد بن محمد عام 868 .

وقد اختصر هذا الحضيكي في طبقاته ، ثم اعلم أنه وقع سقط في السند بين ابن عرفة والقرافي ونص ما تقدم لصاحب الدوحة في ترجمة سيدي يوسف الشريف الفجيجي بعد ذكر السلسلة النورانية وقد أخبرني بصحة هذا السند أيضاً الفقيه الحافظ الراوية أحمد بن الشيخ أحمد بن محمد العُبادي التلمساني سنة ثمان وستين وتسعمئة باجازة أبيه له في ذلك ، وأجازني هو في رواية عنه من طريق أبيه عن الشيخ محمد بن سليمان الجزولي، لكن أكثر ما ينتهي السند إلى الشيخ عبد الرحمان المدني . هـ المقصود .

208) **أحمد بن أحمد بن محمد البوسعيدي الدرعي المعروف بآكحيل ،** أخذ عن أبي القاسم التفنوتي الملقب بالشيخ ، وله معرفة بالنوازل والفقه ، وهو قاضي تزلين من درعة المحروسة ولد بعد العشرين وتسعمئة ، من فوائده أن ذرعة بالمعجمة ، وفي القاموس أنها بالمهملة ، كان من كبار العلماء ، لازم سيدي أبا القاسم الشيخ حتى تبحر عليه وتخرج ، قرأ على فقهاء فاس فلما مرَّ على سيدي أبي القاسم الشيخ قال أنت الفقيه ونعم الفقيه ، إذهب إلى فاس تتعلم العبارة ، فدخل فاساً فوجد المنجور يُقرىء الفقه فجلس إليه وأقبل يباحثه بأبحاث متينة والمنجور يتعامى ، فلما كان الغد مضى المنجور وقد طالع كتبه واستعد له فلم يتعرض البوسعيدي له ، وحدث سيدي الصغير من بني وتليس أنه بمراكش حتى قدم البوسعيدي قال وأوصيته فقلت له إن أهل الحضرة لا يقدرون عليك في الفقه ، وانهم يحاولون أن يجروك إلى النحو فلا تطاوعهم فانك لا تقدر عليهم فيه وحفظ وصيته مدة ، ثم إنهم حاولوا حتى جروه فقيل له أيجوز اجتماع ثلاثة مضافات ؟ فقال قياساً لا فان العرب لا تركب ثلاثة أشياء فقال بعض الطلبة أحسبك تشدو شيئاً فاذا بك لا تحسن حتى الأجرومية ، قال فيها باب معرفة علامات الاعراب ، قال وليس ممن أدركنا في بلدنا ولا فيمن كان قبلهم ممن انتهى إلينا خبره أفقهُ منه .

انتهى من (الدرر المرصعة) باختصار .

209) **أحمد بن الشيخ أبي عمرو القسلطي المراكشي ،** السيد الفاني، المؤيد الرباني ، الزاهد في الفاني ، حليف الاشارات والمعاني ، المتضلع

بالمعارف والعلوم ، صاحب السر المكتوم ، الامام المعلوم ، ذو المثل المعدوم، وصاحب القدم الراسخ ، والعلم الشامخ ، والحال الناسخ ، طيب الأخلاق والأنفاس ، الشهير بما هو أكثر من هذا عند الناس ، كان يكثر الثناء على أخيه سيدي الكامل ويشير إلى ما يصير إليه حاله وينشد :

بقية أعمار الكرام هدية ... وليس لها من قيمة تتناهى
زيادة أعمال وعلم وهمة ... لذي حالة تسمو على ما سواها
وتوبة بطال وتشريف نسبة ... بطول مقام الروح فى مشتهاها
من التيه والعتب الشريف بحاله ... وحالة سخط فى الرضى يتناهى
وترويع يوم الوصل بالهجر عندنا ... يدانى من الحال العجيب صفاها
فهل مثل أيام الغرام هداية ... فواهاً لأيام الصبابة واها
لك الله من أيام وصل تصرمت ... فياطيب شمس ليلها وضحاها
ليالي وصل من زمان غنمتها ... فهل لها من عود محالا أراها
أياليلة قد غيب الله صبحها ... لأنسى وأفراحي وغاب دجاها
فياليت شعرى هل لها من إعادة ... أقص عليها ما أراني نراها
كأني بها أحلام يوم تسارعت ... فياله من إسراعها فى خطاها
كأنها برق ضاء فى ظلمة الدجى ... بشمس وبدر والنجوم تضاهى
لأنهم يوم الرياض ملائك ... بحضرة خير الخلق عزاً وجاها
سرت نفحات الحق فيهم كأنهم ... بأجمعهم أغواث لا تتناهى
ويوم على واد الوزارة شمسه ... تخالها من وجه الحبيب ضياها
ونور على ذاك الجبين لو أنه ... تشطر بين الخلق طراً كفاها
فغني بأيام الرباط وحوزه ... ديار بها نلنا المنى بفناها
وغنى بأيام مضت ولياليا ... تذكر عهد المصطفى بصفاها
فليتني لم أخلق ليوم وصالها ... وياليته إذ كان لا يتناهى
فجاء على تلك المعاهد من فتى ... يبين لهم منهم بهم يتباهى
فحي على تلك الربوع التى حوت ... سراجاً به نارت وما قد حواها
بناز سمت نحو العلا بسموه ... عليها سلامي أرضها وسماها

ذكره فى (شمس المعرفة) ، ومراده بالرباط رباط الشيخ أبيه الذى بزاوية الحضر أمام جامع ابن يوسف وحوزه تلك الحومة وما والاها .

210) **أحمد بن محمد بن الحكيم التونسي** ذكره في (المنتقى المقصور) في مواضع ونقل عنه أنه أنشده بمحلة السلطان أحمد المنصور بظاهر مراكش لما وفد عليها لأيالته وأورد كثيراً من إنشاداته ، ثم قال ومما أطلعني عليه رقع مشتملة على نظم ونثر من امرأة مكية كانت تراسله بذلك ، ومن خطها نقل ، فمن ذلك نثرية وهي : بعد بثّ الشوق الجزيل إلى الذات المحروسة ، والطلعة البهية المانوسة ، مَن لا تسع بعض شوقي إليه الطرووس ، وتشتاق لذكره القلوب والنفوس ، وتغرب عند مقابلة طلعته البدور والشموس ، وبعد فان المملوكة على ما يعهده سيدها من الحب القديم ، والوداد المستقيم ، الذى لا تغيره الليالي والأيام ، ولا عذل الوشاة من الأنام ، وأقول :

سـواك ببالـيّ لا يخطـر   إذا ما نسيتك مَن أذكـر ؟
ويـوم سروري يـوم أراك   أظـل برؤيـاك أستبشر
إذا غاب شخصك عن ناظري   فمَن ذا الذى بعد أنتظـر ؟

ثم قالت من المحب المخلص الوداد إلى مليك القلب والفؤاد :

وما نظرت عيني التى أنت نورهـا   إلى أحد إلا وشخصُك ماثـل
وما هجعتْ إلا رأيتُك فى الكرى   فانك فيما بين جنبي نـازل

ولها أيضاً فى مكتوبها :

يُقبل الأرض والأقـدام معتقـد   صب على الحب والاخلاص لم يزل
إن حال بدر الدجا واسودّ أبيضُه   فانني عن قديم العهـد لـم أحـل

ومنها :

غبتم فما سرني أنسي بانسـان   إني وذكركم للخلـق أنسانـي
وما تذكرت منكم ما سـررت بـه   إلا وجدد ذاك الذكـر أحـزانـي

211) **أحمد ربـوح** المدفون مع سيدي مبارك بن تعليوت المراكشي دفين داخل باب الشريعة من مراكش ، ومع سيدي الناصر اليحياوي ضجيعه ،

وسيدي أحمد ربوح شيخ أحدهما وانه إنما بين سيدي الناصر والشيخ التباع شيخ واحد ، قاله في (ممتع الأسماع) ، والضريح المذكور هو الآن بارز في طريق الكتبية ، وستاتي ترجمة سيدي مبارك وسيدي الناصر المذكورين

212) **احمد بن عبد الرحمان الخطيب** ، الولي الصالح ، المهذب الناصح ، ذو العلم الواضح ، أبو العباس ، اجتمع به سيدي الكامل بن الشيخ سيدي أبي عمرو المراكشي بخزانة جامع ابن يوسف فتصاحبا ، وعلى فنون المحبة تزاحما ، إلى أن كان ربما يخطر الخاطر لأحدهما فيتفق معه الآخر عليه ، ويتواردا على رؤية واحدة ، فرأيا في ذلك من اللطائف ما خرق جميع العوائد ، واتصل منهما بكل الفوائد ، كالقوة والتيسير ، ونفي الاختيار والتدبير ، والسلامة من كل هول عسير ، وصفاء القلوب والسرائر ، وتنوير الوجوه والبصائر ، والظاهر يؤيده الباطن ، والباطن يؤيده الظاهر .

ذكره في (شمس المعرفة) .

213) **احمد بن حُمَيْدة المطرفي** بحاء مضمومة المطرفي الشيخ الأستاذ الفقيه الرحالة الموقت المعدل أبو العباس دخل فاس واخذ عن شيوخها ، وأخذ بمصر عن عبد الرحمان الأجهوري ، وعبد الرحمان التاجوري ، وعن جماعة يطول ذكرهم ، له شرح على (روضة الأزهار) للجاديري ، وله معرفة بالتعديل ، قال في (الجذوة) لقيته وأجاز لي عن أشياخه كل ما يحمله عنهم .

توفي بمدينة مراكش المحروسة في ثالث عشر المحرم سنة إحدى وألف ، وذكره في الصفوة والنشر والحضيكي في طبقاته (1) .

214) **احمد بن علي الصنهاجي الزموري** أحمد بن علي بن أبي بكر بن أحمد بن الحسن بن محمد المرابط الصنهاجي الزموري ، انتقل جده وأبوه لفاس حين غلبت النصارى على ثغر أزمور أول رجب سنة سبع عشرة وتسعمئة،

---

1) **صفوة من انتشر** ص 105 **ودرة الحجال** 1 : 91 ع 129 **وجذوة الاقتباس** ص 160 ع 112 **ونشر المثاني** 1 : 21 .

ولد المترجم بفاس بعد الثلاثين وتسعمئة ، وكان أحد مشايخها وأعلامها ، له معرفة بالمقارىء السبعة وبالعلوم القرءانية وغيرها من رسوم وءاداب وتفسير وحديث وعربية وغير ذلك ، وكان يدرس التفسير بالقرويين ويحفظ مختصر ابن الحاجب الفرعي ويقوم عليه ، ويحفظ أيضاً غالب تسهيل ابن مالك عن ظهر قلب ، وله نظم كثير ، وكان السلطان أحمد المنصور يبعث إليه في رمضان يستقدمه لمراكش يصلي به التراويح لحسن صوته وجودة حفظه ، وفي (المنتقى المقصور) أن المنصور أعطاه ذات سنة نحواً من خمسة ءالاف أوقية وجناناً بمراكش وأرض حرث وغير ذلك .

أخذ عن اليَسَّيتْني ، وابن مجبر ، وأبي القاسم بن محمد بن إبراهيم الدكالي ، وغيرهم ، وبالاجازة عن نجم الدين محمد بن أحمد الغيطي خاتمة الحفاظ بمصر ، وأخذ عنه جماعة كأحمد ابن القاضي ، وأبي العباس بن محمد ابن جلال ، وأبي الحسن بن عمران ، وعلي بن الزبير ، وسيدي علي ابن جلون ، وسيدي يوسف السبع القصري ، وسيدي علي بن العربي ، وكان حلو العبارة فصيح اللسان جيد الحفظ دقيق الفهم ، وكانت له مخالطة لعلم الأدب ، وشعره لا يقصر عن درجة الحسن ، وقد ذكر منه طرفاً في (نزهة الحادي) ، ودخل مرة على الشيخ سيدي رضوان فوجده مع الفقراء وهم مجتمعون للذكر ، فلما فرغوا سلَّم على الشيخ وقال كلمة لم يستحسنها الشيخ رضوان منه وأعادها كالمنكر عليه وغلَّظ له القول ، فعمل ذلك عنده ، وقال في نفسه إن هذا الشيخ راض عن نفسه وسقط الشيخ بذلك من عينه ، فرأى صاحب الترجمة الشيخ رضوان في النوم وفي يده سوط يهدده به ويقول تعاتبني ويكررها عليه ، ثم يقول له لولا ما في صدرك من العلم لأوجعتك ضرباً بهذا ، فقال فانتبهت وبقلبي ارتجاف لما رأيت ، فاستغفرت وتبت لله من الانكار على أوليائه .

توفي رحمه الله بفاس ليلة السبت أول يوم من رجب سنة إحدى وألف (3 أبريل سنة 1593) وحضر جنازته خلائق عديدة وسائر فقهاء فاس إلا الحميدي ، ودفن ظهر ذلك اليوم بروضة سيدي أبي عبد الله الخياط بالدوح من طالعة فاس .

ترجمه فى الجذوة (1) و الدرة (2) و (تنبيه الصغير من الولدان) ، والصفوة (3) والنشر (4) ، ولم يعرف صاحبه هل نسبته لأزمور البلدة أو زمور القبيلة ، وقد علمت أنها للبلدة كما فى (الصفوة) وغيرها ، وترجم في (النشر) لحفيده القاضى أحمد بن محمد بن أحمد المذكور ، وأورد حفيده فى (المورد الهني) وترجم للمترجم في (التقاط الدرر ، ومطمح النظر) وطبقات الحضيكي (5) والسلوة (6) وغيرها .

215) أحمد بن عبد الواحد الحسني السجلماسي

أحمد بن مفتي مراكش عبد الواحد بن أحمد الشريـف الحسنـي السجلماسي ، الفقيه ، لقيه المقّري فى مراكش ، كان أديباً برع في فنه ، وجمع العلوم على حداثة سنه ، طلع بأفق الحضرة بدر هالة ، وانتمى له الفهم الثاقب وانتهى له ، أخذ عن أبيه وأحمد ابن القاضى ، وسيدي أحمد بابا ، وعن قاضى الجماعة محمد الرجراجي ، وابن أبى النعيم ، وابن عمـران ، وغيـرهـم .

من نظمه قوله :

مَن منقذى من شـادن فـاتــن	يوثـره البـدر عـلى نفسـه
إذا انتضى مـن لحظـه مُرهَفـاً	ما أقـرب الانسانَ من رمسـه !

وعارضه الأديب الكاتب سيدي محمد بن رئيس الكتاب عبد العزيـز الفشتالي فقال :

مـَن مُنقذي من شادن فـاتــن	قداً ونقشُ المسك فى طرفـه
يحكى اعتدالَ الغصن فى هـزه	يوثره البـدرُ عـلى نفسـه

---

1) جذوة الاقتباس ص 136 ع 79 .
2) درة الحجال 1 : 154 ع 178 طبع تونس .
3) صفوة من انتشر ص 96 .
4) نشر المثانى 1 : 19 .
5) طبقات الحضيكى 1 : 39 .
6) سلوة الأنفاس 1 : 270 وانظر أيضاً شجرة النور الزكية 1 : 294 .

إذا انتضى من لحظه مُرهَفاً ... ألْفيتَه كالليث في خيسه
أو إن مشى يختالُ في مشيه ... ما أقربَ الانسانَ من رمسه

وقال رحمه الله :

قلت له إذ ساءني معرضاً ... وحسنه يهزأ بالسرب
هبك تجافيت وأبعدتني ... تقدر أن تخرج من قلبي ؟

وقال رحمه الله :

حين اختفى عنّي أتت ... عيني بدمع منهمر
لا تعجبوا من سحبه ... فالودق من دون القمر

وقال رحمه الله :

كانت لعينيَّ به نزهة ... في روضة من نرجس وأقاح
فاحتجبتْ عن ناظريْ مُدنف ... قد أثخنَتْ أحشاؤه بالجراح

إلا أنه عاجله الحمام ، وكسف بدره قبل التمام ، فتوفي بالطاعون سنة تسع وألف .

ذكره أحمد المقْري في (روضة الآسْ) ، ونقله في (الصفوة) و (المطمح) و (الاعلام) و (النشر) و (التقاط الدرر) (1) .

216) **أحمد بن محمد بن الطالب** ، أبو العباس ، الفقيه ، تولى الخطابة بمراكش ، وكان أميناً على دار سكتها ، وإليه ينسب الدينار الفاسي المسمى بدينار ابن الطالب .

توفي سنة إحدى عشرة وألف ، ذكر هذا في (المطمح) ولم يزد عليه ونقله في (النشر) .

---

1) **روضة الآس** ص 202 ع 13 و **الصفوة** ص 104 **ونشر المثاني** 1 : 57 .

217) أحمد المنصور بن محمد الشيخ السعدي

أحمد المنصور الملقب بالذهبي ابن الامام العالم العابد سيدي محمد الشيخ المهدي بن محمد القائم بأمر الله الحسني .

كان رحمه الله أحد ملوك مراكش وفاس العظام ، وأقيالها الفخام ، ملك ملك حبات القلوب ، وتطاير ذكره بين نقطتيْ الشروق والغروب ، بفضائل لا تحصى ، وشيم جميلة لا تستقصى ، قد اجتمع له من الحسب والملك والعلم والحلم وحسن المعاشرة وكرم الأخلاق وكثرة البذل والتودد لرعيته وجبر قلوبهم والشفقة عليهم والرأفة بهم ما لم يجتمع لملك قبله .

ولد بفاس سنة ست وخمسين وتسعمئة وعُقدت له البيعة بوادي المخازن سنة ست وثمانين وتسعمئة وتمتْ بمدينة فاس ، ومنذ كانت الهزيمة على الكفرة في غزوة وادي المخازن تمهد ملكه وملك من بلاد السودان وصقعيْ توات وكورارة (تيجرارن) وغير ذلك ، وكان مشتغلا بالاستفادة والافادة من العلماء الأعلام بأنواع العلوم كالتفسير والنحو واللغة والتاريخ والأدب والمنطق والبيان ، ويجمع لذلك علماء الأمصار ، ويشتغل بقراءة صحيح البخاري في رمضان مستحضراً لشروحه الكثيرة كفتح الباري والارشاد ، ويكون كأحد العلماء حالة القراءة ، وكان يهتبل بذوى الحسب والمجد ويجعلهم جلساءه كالمحدث مولاي عبد الواحد العلوي ، والزاهد أبى الحسن التاملي ، وقائد قواده أبى سالم السفياني ، والمشارك أبى الحسن الشيظمي ، والأديب عبد العزيز الفشتالي ، والكاتب أبى عبد الله الفشتالي ، وظهر فى وقته العلم والحرف المهمة التى لم تكن بالمغرب قبل كالمنطق والنحو والبيان والعقائد والفقه والفرائض والحساب والهندسة والمساحات وغير ذلك ، وكثُر تعاطي الآداب وحفظها وإنشاؤها ، وتنافس الناس فى كل ما ذكر ، وأجاز على القصائد والرسائل ، وفك من الأسارى كثيراً كالمؤلف أحمد ابن القاضي ، وبذل الأموال الكثيرة فى أفعال البر ، وكثر عليه من أجل ذلك الوافدون من الحرمين الشريفين وبيت المقدس ومصر والشام والعراقيين وأهل الهند وغيرهم ، فاجتمع لديه مرة مدني ومكي وقدسي خليلي يقال له

إمام الدين بن محمد بن قاسم البطائحي الخزرجي ، وأنشده بيتين سياتيان ، وهمته دائمة السمو ، وممن وفد عليه محمد بن أبى الفضل المكي (1) كان أديباً فاضلا فكاهة مدحه بموشحة عارض بها موشحة ابن سهل وابن الخطيب عارضه المترجم فيها وكذلك كتابه وشعراء دولته .

كان رحمه الله جميل الخلْق والخلُق ، ذا فضل وإدراك حسن وميز وعقل تام شجاعاً مقداماً ، وله أجوبة على أبحاث في (الكشاف) ألَّفها قائده أبو الحسن الشيظمي ، شهد له بجودة الفهم شيخه أحمد المنجور قائلا : إنه استفاد منه أكثر مما أفاده هو ، ألَّف له المنجور فهرسة جمع فيها كل ما اتفق له معه وقفت عليها ، كان ياتي في قراءة البخاري بما يزرى بالعقول ، ويشرف المنقول ، من أخْذ نكتة عجيبة ، أو فائدة غريبة ، وجواب عن معارضة بما يشهد له بالرتبة العلية ، كان ينزل الناس منازلهم ورفع للدين ألويته كان يؤنس الوافدين عليه بالكلام الطيب والتودد والبذل والتواضع دون الكبر ، كان محافظاً على التكاليف الشرعية والأعمال البدنية والاعتقادات الأشعرية ، مواظباً على الصلوات في أوقاتها ، محافظاً على مفروضها ومسنونها ، لا يرى إلا على طهارة يؤم الناس فى مسجده ويلازم تراويح رمضان ويعمل فيه بالسنة ، وكان يقرأ بين يديه عقائد الأشعري كعقائد السنوسي وغيره ووسائله كالمنطق وكتب الأدب كاللغة والنحو والتصريف والبيان وتوابعه من البديع وتواريخ القرون الخالية والسيرة ويقرض الشعر ، وكان يهتبل بكل ليلة موسم كالعيديْن والميلاد النبوي وعاشوراء والمحرم والأشهر الثلاثة من رجب وشعبان ورمضان بل فى كل وقت من السنة ، ويصرف فى ذلك الأموال الطائلة ، وفى كل أربعة أشهر يخرج ستة ءالاف للضعفاء والمساكين ، وفدى من الأسر الامام ابن القاضي بما يعادل عشرين ألف أوقية ، وكان يستقل بحوائج المستضعفين وقرى الواردين ومحادثة وزرائه وكتبته فيما يعود نفعه على رعيته فى يوم السبت أو الاثنين أو الأربعاء ، ويحضر لكل من يحضر من حشمه وقواده في هذه الأيام موائد من ألوان الطعام ، وأما يوم الأحد والخميس

---

1) المعروف بالعقاد ؛ توفى فى القسطنطينية بعد التسعين وتسعمئة ؛ ستاتى ترجمته فى المحمدين من هذا الكتاب ؛ ينظر عنه جلوة الاقتباس ص 326 ع 345 .

فيجتمع فيهما بخواصه في رياض المسرة (1) والبديع الذى أنشاه ، وقد يشتغل بالتوقيع على الرقاع المعدة لقضاء حوائج المسلمين ، وأما يوم الجمعة فشأنه فيه بعد الصلاة رفع ظلمات الظالم إلى أن يصليَ العصر عند ضريح والده أو بالمقصورة أو بالبديع ، وربما مكث فى ذلك إلى المغرب ، وفى يوم السبت وما ذكر معه من أيام الديوان يدخل عليه أشياخ القبائل والواردون الكبراء ويحضر الطعام ، وربما مكث فى قضاء الحوائج إلى أن يغلب النوم على الحاضرين ، فكانت أوقاته من ليل أو نهار معمورة بعمل ديني أو بدني ، كان عدلا في رعيته رفع في أقطار ملكه المكوس كلها كأعشار السلع في المراسي والأبواب وغير ذلك من الوظائف السلطانية ، فكانت الرعية معه فى رغد عيش ، ومن ظهر عليه شيء من المخالفة للشريعة يؤدبه ويقيم الحدود على مَن وجبت عليه ينتصف ولو من نفسه وأبنائه وأقاربه ، ومن دأبه فى الميلاد النبوي جزل البذل لأهل القصائد ، يعطي كلا على قدره من ثلاثمئة إلى خمسة ءالاف ، وقد أنال الفقيه سيدي أحمد الأزموري ذات سنة خمسة ءالاف أوقية ، وأناله جناناً بمراكش وأرض حرث وغير ذلك ، ويحسن إلى أبناء عمه الشرفاء فى غير الميلاد ، وأما فيه فيحسن إلى شرفاء مملكته كلهم ، وقد تعطاهم أرزاقهم فى شعبان ، كان معتنياً بالعلماء وأهل الفضل ، استأذنه مرة شيخه المنجور في الذهاب من مراكش لفاس فلم يأذن له ، فحمل حمولته وخرج بغير إذنه فلم يعتب عليه ، وقد بلغه عن بعضهم ما يوجب قطع رءوسهم فعفا عنهم ، كان كثير الزيارة لأولياء الله كسيدي دراس بن اسماعيل ، وابن حرزهم ، وابن العربي ، وأبى عبد الله الهزميري ، وأبى العباس السبتي ، والقاضي عياض ، والسهيلي ، وأبي مدين ، وغيرهم ، متوكلا على الله فى أموره كلها ، حسن الظن به سبحانه ، جامعاً بين الرجاء والخوف ، فمهد له البلاد والعباد ، كان حسن النظر لرعيته لابد أن تعرض عليه فى كل يوم زيادة على أيام الديوان السبت والاثنين والأربعاء ، ويعين لشأن الرعية مَن يثق بنصحه ، ويعين فى كل سنة من يتفقد أحوال رعيته حتى لا يخفى عليه شيء قل أو جل ، وربما شق مراكش راكباً

1) اصله المصارة وحرف الى مسرة .

ليفحص أحوال رعيته ويأمر بالنداء فى البلدان برفع ذلك إليه ، ونودي بذلك سنة 994 فى سواحل البحر ، فشقَّ على النصارى صدور هذا العدل العظيم منه ، كان مهتماً بالخبر الذى ينقلون إليه ، يتفقد أمر عدوه قبل أن يشتد ، قويت سياسته فكبرت رياسته ، كان كثير الصبر يقابل الاساءة بالاحسان حلماً منه واحتساباً لله عز وجل ، كافاً عن متابعة الهوى ، محافظاً على الأوامر والنواهي ، صبر لقتال الكَفَرة فى يوم وادي المخازن حتى وقع له النصر المبين والفتح الكبير ، كان فى ذلك اليوم من إقدامه وثباتة كبحر شامخ ، كان حسَن الخط ، ظفِر به بأنواعه المشرقية والمغربية ، ومن كرمه أن ابن عمر الكاتب طلع عليه خمسون قنطاراً من عشر الزيت فى سنة من السنين ، فمدحه بأبيات فترك له أعشار زيته ما دام حياً ، كان كثير الحياء لا يسأل شيئاً إلا أعطاه ، وكان يقضي الحاجات على يد الوسائط ولا يواجه بها خوف أن لا يريد قضاءها فيتيقَّن القاصد له أنها لا تقضى بعد ، كان باراً بأمه شديد البرور لها أطوع الناس لها وياتيها فى منزلها كل يوم ويقبل يديها ، ما خالفها فى شيء قط ، ويقبل شفاعتها دائماً ، كان مراعياً لأهل ود والده متعاهداً لزيارة قبره ، كان باراً بأهل العلم ، جمعهم من سائر أقطار مملكته ، ويجرى عليهم الجرايات الجمة ، أحب العلوم إليه سماعُ الحديث ، وأخذه رواية عن الشيخ رضوان الجنوي ، وأجازه المنجور وألبسه خرقة التصوف وسلسل له الأحاديث المسلسلة بالأولية وغيرها كحديثي المصافحة والتشبيك ، وحديث الوضوء ، وكان يختم صحيح البخاري فى كل رمضان ، مجلسُه منزه عــن الغيبة والنميمة ، كان يقبل المعذرة ويعفو بعد المقدرة ، صرف الهمة فى تمهيد الطرق على المسافرين بمنازل وخيام أمر بسكناها على الطريق بين المنزلة والمنزلة ما يقرب من أربعة عشر ميلا يسكنها أهل البادية ، وأجرى لهم ما يكفيهم ثواباً على سكناهم ، وأمرهم ببيع الشعير والطعام واللحــم والعسل وغير ذلك مما يحتاج إليه المسافر ، وإن باتت لهم قافلة يحرسوها ليلا ونهاراً ، وإن ضاع شيء ضمنوه لربه ، وإن كان ضياعه بين المنزلتين ضمنه أقربُهما منه ، فيكون المسافر كأنه بين أهله ، ولا يُعطي على ذلــك كله شيئاً إلا ربع دينار على كل حمل بباب المدينة ، كان عالي الهمة عظيم السطوة ضخم الملك ، دخل فى طاعته ما لم يدخل فى طاعة غيره ، كصقعي

گورارة (تيجرارن) وتوات وما اتصل بذلـك من بلاد السودان ، وملـك السودان بجيش جهزه ورأس عليه وصيفه جـوذر الخصي فحارب اسكيـا أعظم ملك هناك في طاعته ما ينيف على سير ستة أشهـر ، فأمَّهم اسحاقُ ملك السودان بما ينيف على مئة ألف من جنوده فوقع عليه السلب في الحين، وهذا الفتح من غرائب الفتـوح ، وبنى الحصن العظيم الذى شاده بمدينـة العرائش والتسع التى حصن بها مدينتيْ فاس والخصة العظيمة التى حبسها على مسجد القرويين بعثها من مراكش إليها سنة 996 وبعث معها توراً رائقاً من المرمر توضع عليه ، ومن حسن سيرته ترجاه أهـل مصر وغيرهـم أن يكون ملكهم ، وصار العرب يفخرون به على الترك ، وأهل المشرق قلوبهم منجذبة إليه ، وأخلى النصارى أصيلة خوفاً منه من غير قتال عام 997 بعـد أن عملوا مكيدة البارود الذى يتفرقع عند دخول المسلمين فحفظهم الله منه باعلام نصراني هرب منهم وأعلم المسلمين بذلك ، فهذه الخصال التي منحه الله لا تكون إلا لولي ، وأعانه الله على الباغية من الثوار ، فان المغرب كثير الثوار لضعف عقول البرابر الذين بشواهق الجبال ، والأمر لله الكبير المتعال .

لخصت ترجمة الامام المنصور هذه من كتاب أحمد ابن القاضـي فيه الذى سماه (المنتقى المقصور ، على مآثر خلافة المنصور) وهو فـي نحو سبعة عشر كراساً من القالب الرباعي ، وقد أتيت بمقاصده كلها فى ثلاثة أوراق ، وترجمه أيضاً فى كتابيْه درة الحجال وجـذوة الاقتبـاس (1) وقد عده الامام القصار من المجددين على رأس القرن العاشر فى أبيات وجدها بخطه الامام اليفرني وذكرها فى نزهته .

مرض صاحب الترجمة بظاهر فاس الجديد يوم الأربعاء 11 ربيـع النبوي عام 1012 اثني عشر وألف فدخل من محلته راجعاً إلى فاس الجديد والتزم الفراش إلى ليلة الاثنين الموالي لتاريخه ، فتوفي رحمه الله ، وكانت وفاته بالوباء ودفن يوم الاثنين عند صلاة العصر بفاس العليا ، ثم بعد مدة من دفنه أمر ولده زيدان بنقله إلى مراكش فنقل إليها ودفن بها فى قبور الأشراف ، وقبره شهير هنالك .

1) **درة الحجال** 1 : 106 ع 146 **وجذوة الاقتباس** ص 114 ع 44 .

وممن أفرده بمؤلف أيضاً كاتبه البارع محمد بن أحمد بن عيسى ، وترجمه أيضاً في نزهة الحادي (1) ونشر المثاني (2) و (التقاط الدرر) ، وأثنى عليه شيخه المنجور في فهرسته والشهاب الخفاجي في رحلته ، وممن ترجمه أيضاً صاحب (خلاصة الأثر) إلا أنه وقع له غلط في أول ترجمته ، قال مولاي أحمد بن عبد الله بن محمد الشيخ : أبو العباس المنصور بن الخليفة المهدي بن أبي عبد الله القائم الخ فقوله ابن عبد الله غلط ، الصواب إسقاطه والاقتصار على محمد الشيخ ، وقال الفشتالي وكان عازماً على جمع أشعار الشرفاء من أهل البيت وتفردها هـ . ومن تآليفه كتاب (السياسة) ذكر خطبته في (النزهة) ، وكتاب في الأدعية فيما يقال في العبادات والعادات وسائر الحركات والسكنات والمساء والصباح ، وذكر الزياني في الفهرسة التي ألفها لمولانا سليمان ما نصه : ولقد وقفت على تأليف للسلطان أحمد المنصور ذكر فيه شعراء أهل البيت فزاد على الألف ولم يستوفهم هـ . وفي كشف الظنون ديوان مولاي السلطان أحمد الشريف الفاسي صاحب المغرب المتوفي سنة 1012 اثنى عشر وألف انتخبه بعضهم ، ذكره الشهاب في الخبايا هـ . وذكر الزياني في (الترجمان المعرب) عن كتاب (مناهل الصفا) الرؤيا النبوية التي رءاها المنصور مبشرة له بالخلافة فراجعها فيه ، وذكرها أيضاً في النزهة ، وقال في (در ةالحجال) له قدم راسخ في كل فن من عروض الشعر والخبر والمنطق والبيان والأصلين والفقه واللغة والتفسير وعلوم الحديث والحساب والهيأة والهندسة والنحو وغير ذلك ، أخذ عن أحمد المنجور ما اشتملت عليه فهرسته التي عد فيها مقروآته ، وأخذ النحو عن أحمد بن قاسم القدومي الأندلسي ، وعن عبد الواحد بن أحمد الحميدي ، وأخذ الحديث عن أبي النعيم رضوان بن عبد الله الجنوي وأجازه له سقين عن زكرياء والقلقشندي عن ابن حجر ، وقرأ كتاب الله العظيم على الفقه الأستاذ أبي عبد الله الدرعي وعلى الفقيه القاضي سليمان بن إبراهيم ، وأخذ الرسالة عن الفقيه أبي عمران السوسي ، وقرأ خليلا وأخذ الرسالة أيضاً عن عبد

---

1) نزهة الحادي ص 71 .
2) نشر المثاني 1 : 73 .

العزيز بن إبراهيم الدمناتي ، وقرأ مقدمة ابن ءاجروم وألفية ابن مالك ولامية الأفعال والتفسير على أحمد بن علي بن عبد الرحمان المنجور وعلم الحساب وفتح الله عليه في فهم كتاب أوقليدس من غير شيخ لعزة وجوده بالمغرب ، فكان يفكّ شكلا في كل يوم مع ذلك من أشكاله إلى أن أتى عليه ، وله نظم وتآليف حسنة وتقاييد على بعض الأحاديث أجاب عنها بأجوبة حسنة ، وهي كلها مع غالب نظمه في (المنتقى المقصور) ، وهو أيده الله من أهل العقل والفضل وحسن السيرة وبعد الهمة واقتناء المحمدة واصطناع الرجال ، له ءاثار وأعلام جليلة ، وهو الذى شيد الحصنَيْن اللذيْن على فاس البيضاء القديمة . انتهى (1) .

وقال في (النزهة) وقال الفشتالي : بدأ بقراءة القرءان على معلم أولاد الملوك في الدولتيْن الأستاذ محمد بن يوسف الترغي ، ثم قرأ بعده على الامام الأصولي سليمان بن إبراهيم ، ثم بدأ الرسالة على الفقيه موسى الروداني ، وقرأ أيضاً سرداً ودراية على النحوي عبد العزيز بن إبراهيم ، وقرأ أيضاً علم الحساب وأخذ أيضاً علم العربية على نحوي زمانه أحمد القدومي صاحب الحواشي علي المرادي ، وأخذ أصول الدين على الامام أحمد المنجور وسمع عليه مؤلفات السنوسي وحاشيته على الكبري وشرحيْه الكبير والصغير (ملخص المقاصد) لابن زكري ، وسمع عليه أيضاً شرح الخزرجية مرتين ، ومختصر السعد على التلخيص ، وسمع عليه أيضاً كافية ابن الحاجب في النحو ، والشمسية في المنطق ، وجمع الجوامع لابن السبكي وأجازه في كل ما تضمنته فهرسته حسبما في أولها ، وأخذ الفقه على الحميدي والمنجور ، وأخذ الكتب الخمس عن ولي الله سيدي رضوان ، وعن الرجل الصالح سيدي محمد بن علي عن العلقمي عن السيوطي ، وحضر أيضاً عند الامام مفتي المغرب سيدي شقرون بن عبد الله الوهراني مجالس في التفسير والفقه والنحو والكلام ، وأخذ عن الامام الصدر مفتي فاس سيدي يحيى

---

1) البرج الجنوبي المسمى بستيون باب فتوح ؛ والبرج الشمالي المسمى بستيون باب الجيسة ؛ وفي أيام الحماية الفرنسية كان الفرنسيون يسمونه برج نورد بلغتهم أي برج الشمال ؛ فحسبها بعض العوام برج النور أي الضياء وصاروا يدعونه كذلك .

السراج ، ورزقه الله من ثقوب الفهم ما لم يكن لغيره ، حتى أنه فهِم كتاب أقليدس فى الهندسة بغير أستاذ لعدم وجوده فى المغرب ، فكان يفكُ كل يوم شكلا من أشكاله ، وله أيضاً بعض معرفة بعلم التعديل والهيأة ، قــال الفشتالي نقلت مقروآته المذكورة من ورقة بخط يده هـ . وأجازه سيدي رضوان ، والامام البكري زين العابدين محمد ، وبدر الدين القرافي من ذرية الامام ابن أبي جمرة ، ومن مآثر المنصور كما فى (روضة الآس) للمقْري بناء القناطر المتعددة كقنطرة تانسيفت ، قال كنت بمراكش فذهب السيل بنحو أربعة أقواس منها ، فأخبرني الثقات أنه قد بناها ، وكذا قنطرة بين المدن من محروسة فاس بنى كليهما فى هذه السنة ، وأخبرت أنه مشتغل فى هذه الأيام بالقنطرة العظيمة التى على وادي سبو وهي من مفاخر والده أمير المومنين المهدي انتهى .

وقال فى (النفح) وقد ألف يعنى لسان الدين ابن الخطيب رحمه الله تعالى فى هذا الفن كتابه المسمى بـ (جيش التوشيح) وأتى فيه بالغرائب وذيل عليه صاحبنا وزير القلم بالمغرب العلم الشهير المنفرد فى عصره بحيازة قصب السبق فى البلاغة سيدى عبد العزيز بن محمد الفشتالي رحمه الله تعالى بكتاب سماه (مدد الجيش) ، واستهلّه بقوله : حمداً لمن أمدَّ جيش محمد بعترته ، وأتى فيه بكثير من موشحات أهل عصرنا من المغاربة ، وضمنه من كلام أمير المومنين مولانا المنصور أحمد الشريف الحسني رحمة الله تعالى ورضوانه عليه ما زاده زيناً ، وأخبرني رحمه الله تعالى أنه ذكر فيه لأهل العصر فى أمير المومنين ولأمير المومنين المذكور أزيد من ثلاثمئة موشح ، ولا حرج في إيراد بعضها هنا ، فمنها قول أحد الوافدين من أهل مكة على عتبة السلطان مولانا المنصور وهو رجل يقال له محمد بن أبي الفضل العقاد وقد عارض بها موشحتيْ لسان الدين وابن سهل السابقتين :

ليست شعرى هل أروى ذا الظما ... من لمى ذاك الثغير الألعـــس
وترى عيناي ربات الحمـــى ... باهيات بقدود ميـــس
يدخلون السقم من دار اللـــوى ... كلم الهجر فؤادي واســـر
هدَّ من ركن اصطبارى والقـــوى ... مبدلا أجفان نومي بالسهـــر

حين عز الوصل عن وادي طوى   هملت أعين دمعي كالمطر
فعساكم أن تجودوا كرماً   بلقاكم في سواد الحندس
وتداووا قلب صب مغرماً   من جراحات العيون النعس
كلما جنّ ظلامُ الغَسَقِ   هزّني الشوق إليكم شغفا
واعتراني من جفاكم قلقي   مذ تذكرتُ جياداً والصفا
وتناهت لوعتي من حرقي   ثم زاد الوجد فيّ التلَفا
فانعموا لي ثم جودوا لي بما   يطفي نيرانَ الجوى ذي القبس
ساعة لي من رضاكم مغنماً   وتداوى جثتي مع نفسي
كنت قبل اليوم في زهو وتيه   مع أحبابي بسلع العـب
ومعي ظبي باحدى وجنتيه   مشرق الشمس وأخرى مغرب
فرماني بسهام من يديه   ضارب البين فقلبي متعب
لست أرجو للقاكم سلماً   غير مدحي للامام الأرأس
أحمد المحمود حقاً مَن سما   الشريفُ بنُ الشريف الكيِّس

ومنها قول بعض المراكشيين :

واخجلتا للصباح والشمس   إذ لاح جوذر
ساقٍ يدير الكؤوسا   تضيء حمراً وتزهر
تقادمت في الدنان   من عهد نوح تُروّق
في لونها البهي ماني   تدار فينا وتعبق
قد أطلعت من عناق   من عن صبوح يرقق
يسعى بها من ملاح   مَن كان باللحظ يسكر
بالحسن يصبي الجليسا   ويستخفُ الموقر
يثير كامن وجد   في قلب كل سقيم
يسطو علينا بقد   يزري بغصن قويم
أشقى بعشقي وودى   في جنة ونعيم
من ذي الوجوه الصباح   يا شادناً غن واذكر
وهات لحناً نفيسا   نرويه عنك وناثر
في مدح مَن ساد طفلا   هذى البرايا وفاقا

من حاز مجدا وفضـــــلا · بين الأنام وفاقـــــا
في عدله قال قـــــولا يسرى فيعدو العراقـــا
في أحمد ذى السمـــــاح في الشرق والغرب ينصـــر
أحيا الهدى والنفوســـا أذل ملة قيصــــر
تراه سلماً وحربـــــاً من رايه في جنــــود
يختال لم يبغ عجبـــــاً من عزه في بـــــرود
يهوى المعاليّ كسْبـــاً ويقتنيهـــا بجـــود
فخار أهل البطـــاح وعز مَن قد تمصـــر
ثناه يملا الطروســـا عن صورة المجد عبـــر
ملك بنى في البديـــع منـــازلا كالـــدراري
فياله من صنيـــع الروض والماء جـــاري
وقل بصوت رفيـــع إذ بان فجر النهـــار
أهدي نسيم الصبـــاح مسكاً شميماً وعنبـــر
وجىء بها خندريســـاً من خدٌ ساقيْه تعصـــر

ومن موشحات السلطان المنصور المذكور :

ريان من ماء الصبـــا أهيف وممتلى البـــرد
كالغصن هزته الصبـــا فوق الربا الشهـــب
قد قلت لما أن سبـــا بحسنـــه يسبـــى
من عينه سل ظبـــا وغمدهـــا قَلبـــى
أسرني ماضي الشبـــا أوطف مرنحُ القـــد
يافاضح الروض سنـــا ومخجل البـــدر
وقاطعي ظلماً عنـــا ومن مقره صـــدرى
ألم تكن شمس دنـــا فانهـــا تجـــري
علقته من الظبـــا أسجف يسطو على الأســـد
قلت له وقد نهـــد وجـــد فى حربـــى
وغلب الظبي الأســـد وفـــاز بالغلـــب
الشمس برجها الأســـد فاسْـــعَ إلى قلبـــي

ولم يحضر الآن تمامها .

ومنها قوله يعارض لسان الدين وابن الصابونـي قلت نسبه فـي (الجذوة) للحسن المسفيوي راجع ص 115 منها في ترجمة المنصور (1) .

وليالى الشعور إذ تســــــري ... ما لنهر النهار من فجـــــر
حبذا الليلُ طال لى وحــــــدي ... لو تراني جعلتُه بـــــــردى
فاطمياً فى خلعة الجعــــــدى ... هي ليلي أخت بني بشـــــر
فأين أنت ياأبا بـــــــدر ؟

كم سقطنا ألطف من طــــــل ... واجتمعنا وما دري ظلـــــي
واسترحنا من كاشح نـــــذل ... رب ليل ظفرت بالبــــــدر
ونجوم السماء لم تـــــدر

وبنفسي مهفهف ألمــــــي ... ومطيع قد غرني لمـــــا
سألته وقانعي ممـــــا ... في رباط قسمتني صـــــدري
لحنين وناظري بــــــدر

وهلال في حسنه اكتمـــــلا ... هو شمس وأضلعي الحمـــــلا
قام يشدو ويُنشيء الحُـلَـــلا ... قسماً بالهوى لذي حجـــــر
ما لليــل المشوق من فجـــر (2)

ثم عنَّ لنا أن نورد هنا جملة من مقطوعات مولانا السلطان المنصور مما تلقينا عنه أيامَ كوننا فى إيالته الشريفة ، فمن ذلك قوله راداً على من قال فى ابن أبي الحديد :

لقد أتى بارداً ثقيـــــلا ... ولم يرث ذاك من بعيـــــد
فهو كما قد علمت شـــــيء ... أشهر ما كان في الحديـــــد

---

1) نص عبارة الجذوة . . . . ناظماً للشعر ؛ فمن ذلك ما انشده لكاتبه الحسن بن أحمد المسفيوى فى مجلس ملكه من حاضرة مراكش فى ذى الحجة عام واحد والف من توشيح وانشدنيه عنه ؛ والواقع أن صاحب الجذوة لم ينسبها للمسفيوى ؛ وانما عبارته القريبة من العامية اوقعت فى الالتباس ؛ ومعنى انشد لكاتبه العامية : انشد كاتبه الفصيحة ؛ ثم ان هذا الكاتب انشد أحمد ابن القاضى مؤلف الجذوة موشح المنصور سماعاً منه وحكاية عنه .

2) وقع فى نص هذا الموشح تحريف كثير وتقديم وتاخير ؛ والنص الوارد هنا أقرب الى المعنى من غيره .

ما صورته :

لقد أتى صارماً صقيـــــــــــلا ولم يرث ذاك من بعيـــــد
شديد بأس متى يُعـــــــادي وشدة البأس في الحديــــد

ومن نظمه قوله :

لله تـــمـــر طيـــــــب وافى على البشر انطـــــوى
ياحسنه مجتمعــــــــــاً يحلو لنا بلا نــــــــــوى

وقوله معمياً فى قمر على جهة الاكتفاء :

معذبي أعجزني نيلـــــــــه من لي بمن مسكنُه في السمــا
لم أنسَ إذ قال ألا تكتفـــــي قلت بمن بالطرف قلبي رمـــى

وقـــولـــه :

تبدي وزند الشوق تقدحه النوى فتوقد أنفاسي لظاه وتضـرم (1)
وهشَّ لتوديعي فأعرضتُ مشفقاً عـلى كبد حـرا وقلْب يقســـم
ولولا ثواه بالحشى لأهنتهـــــا ولكنها تعزي إليه فتكـــــرم
فاعجب لآساد الشرى كيف أحجمت على أنه ظبي الكناس ويقـــدم

وقال قدس الله تعالى روحه مورياً :

إن يوماً لناظري قد تبـــــدى فتملى من حسنه تكحيــــــلا
قال جفني لصنوه لا تلاقـــــي إن بيني وبين لقياك ميــــــلا

وقد تبارى خدام حضرة هذا السلطان فى تخميس هذين البيتين ، ومن أشهر ذلك قول الأستاذ الحافظ سيدى أحمد الأزمورى رحمه الله تعالى وكان يصلى بالسلطان التراويح :

ورقيب يردد اللحــــــظ رداً ليس يرضى سوى ازديادي بعداً
ساءه الطرف مذ جنى الخدَّ وردا (إن يوماً لناظري قد تبــــدى
فتملى من حسنه تكحيـــــلا)

1) قال هذه الأبيات الأربعة لما خرج لزيارة أغمات فى جمادى الأولى سنة 992 هـ (مؤلف).

وتصدّى من فحشه فى استباق ... يمنع اللحظ من جنى واعتناق
أيأس العين من لحاظ التلاقي ... (قال جفني لصنوه لا تلاقي
إن بيني وبين لقياك ميلا)

ومن نظم السلطان المذكور وهو من أوليات شعره قوله فى وردة مقلوبة بين يديْ محبوبه :

ووردة شفعت لي عند مرتهنى ... راقت وقد سجدت لفاتر الحدق
كأن خضرتها من فوق حمرتها ... خال على خده من عنبر عبق

وقال أيضاً من أولياته (1) :

شادن نمّ عليه عرفه ... مَن خلاصى من سهام كامنه ؟
أحلال فيه إني خائف ... وغزالي بعد خوفي امنه !

وقال فى وصف رقيب ملازم :

رقيبي كأن الأرضَ مرءاة شخصه ... فأين تولى الطرفُ منّي يراه
مقيم بوجه الوصل حتى كأنما ... وصالي هلال والسواد صداه

وقال :

أيا روضة ضنّت علي بزهرها ... ولم يتلق ناظراي سواك
أبيحي لنفسي من شذاك بقاءها ... إذا فتّ طرفي علّ أنفي يراك

وقال أيضاً :

على جدول غطت عليه بشعرها ... ليلا يرى الشمس الرقيبة لي طرف
فبت أرى فى جدول البدر وجهها ... غريقاً ونقطات العبير به كلف

وقال :

طرقتُ حماه والأسود خوادر ... به فتولى في الظبا وهو يبعد

---

1) قالها فى جارية من حظاياه اسمها آمنة كما فى النزهة (مؤلف) .

فعلمتُ ءاساد الشرى كيف تقدم وعلم غزلانَ النقا كيف تشــــرد

وقـــال :

لما نأى المحبوب رقّ لي الدجـــا وأتى يعللني برعْي كواكبـــــه
أولى غراب البين ردك ياحشــــا والبين مزقي الصباح كواك بـــه

وقال معمياً باسم حظيته الشهيرة الحسن والاحسان نسيم :

ياهلالا طلوعه بين جفنـــــي وغزالا كناسه بين جنبـــــي
إن سهمــاً رميت غـادر همّـــاً لو تناهي ما شكّ ءاخر قلبــــي

ورأيت بخطه على هذا المحل ما صورته : قولي إن سهماً تنصيص ، وغادر همّاً إسقاط ، وهو إشارة لاسقاطهما من هذا الاسم ، وقولي لو تناهي انتقاد ، والانتقاد الاشارة إلى بعض أجزاء الكلمة ليوخذ جزء الاسم المطلوب كأن يُذكَرَ الوجه أو الصدر أو التاج أو الرأس ويعنى به الحرف الأول من الكلمــة ، والقلب والجـوف والحشـا والخصر ويراد بـه الوسط ، والآخـر والمنتهى والختام ويقصد به ءاخر الكلمة ، فقولي لو تناهي معناه أنه أخذ لفظة هم غير متناه فبقيت الميم من هما ، وقولي ما شك ءاخر قلبي انتقاد أيضاً وأردت بآخر قلبي الياء ويسمى أيضاً التسمية ، وهو أن تذكر الاسـم وتريد المسمى ، أو تذكر المسمى وتريد الاسم ، وقد تمّ الاسم ، واعلم أنهم لم يشترطوا في استخراج الاسم بطريق التعمية حصولها بحركاتها وسكناتها ، بل اكتفوا بحصول الكلمة من غير ملاحظة لهيآتها الخاصة ، فاذا وقع ذلك فمن المحسنات ، ويسمَّى العمل التذييلي . .

انتهى كلامه على البيتين فى اسم نسيم .

وقال فى اسم غزال وقد جمع تعميتين ولغزاً :

وأملد مطوي الحشا زال ردفــه فلا خصر إلا إن تصورته وهمـــا
بنصف اسمه يرمي القلوب وعكسها بقي أبداً أذن المحب به أصمـى

وكتب عليه ما صورته : قولي أملد أردت بـه بعمل الترادف غصـن ومطوى الحشا انتقاد ، وزال ردفه قضيت به غرضين ، أزلت به النون بعمل الاسقاط الباقي من غصن بعد طي الصاد التى بوسطه ، واثبته أعنى زال في موضعها أي النون من غصن والحال ان الصاد محذوفة وذلك بعمل الانتقاد ، وأوضحت ذلك بقولي فلا خصر وان كنت لا أحتاج إليه ليلا يكونَ في البيت شيء خارج عن التعمية .

انتهى تفسيره رحمـه الله تعالى ويعني بقوله بنصف اسمـه يرمي القلوب غزلانه نصف غزال ، ويعني بقوله وعكس ما بقي إلى ءاخره لفظة لا لأنها مقلوب ما بقي وهو ال .

وقال في اسم سلاف على منهاج ما تقدم :

وأحور وسنان الجفون كأنمـــا	سقى لحظه من ريق فيه بقرقــف
نضى صارماً لافُلّ صارمُ لحظـه	تزايد فيه منذ سل تلاه فــــى

وفسره بقوله قولي تلاه من طريق التعمية ، وفي من العمل التذييلي وهو ان ياتى بالكلمة بحركاتها أو سكناتها وهو من المحسنات كما سبق هـ .

وقال في اسم ءامنة من التعمية أيضاً :

من شقائي قنصته وهو خشـــف	في رضاه عن الملوك ابتذلـــت
أملد منه مذ تحلل خصـــــر	وتثنيٌ عن حبه ما عدلــــت

وكتب عليه ما صورته : قولى أملد أردت الألف بعمل التشبيـه ، وخصر منه انتقاد ، وأردت بالخصر وسط لفظة منه ، وتحلله أن ينحل منه السكون الذى على النون ، وقولي وتثنى أي الألف من التثنية لا التثني فتم الاسم بحركاته وعدده . انتهى تفسيره .

وقال وقد لبس منصورية من النوع الذى يقال له قلب حجر والمنصورية نوع ليس معروفاً بالمغرب استخرجه السلطان المذكور وأضافه إلى إسمه :

وصفوا اشتياقى للحبيب وسرهـم قول الحبيب أنـا أنـافيـــه
قلبي له حجـر فقلت مغـالطـــاً للعـاذل الموذى أنـا فيــــه

قال وفى هذين البيتين عدة من المحسنات غير التعمية ، منهـا جناس التركيب المسمى بالملفق ، وحدوده بأن يكون كل من الركنين مركباً من كلمتين ، وهذا هو الفرق بينه وبين المركب ، وقل من فرق بينهما ومنها الانسجام ، ومنها الاستخدام ، وعهدى بالفقيه علي ابن منصور الشيظمى تعرض إلى شرحهما في كراسة ، والتعمية فى هذين البيتين بالعمل الحسابي ، وهو كثير ، إلا أن هذا العمل أحسبُنى أبا عذرته ، إذ لم أره لغيري ، ومادة التعمية فيه أنا أنا فيه قلبى له حجر فقولى أنا أنا فيه معناه أن تضرب أنا فى 5 وقولى في 5 نص فى الضرب ويخرج من هذا مئتان وستون عدد حروف هيمانى وحقك ، وقولي قلبى له حجر بعمل القلب يصير رجح فصار المجموع هيمانى وحقك رجح ، وفيه التورية وحقك الخارج من هذا الضرب فيه تهكم بالواشي ، فهو من المحسنات أيضاً أعني قوله وحقك ، ويصلح أن تسمى هذه التعمية بالافتنان ، لأن الافتنان عندهم أن يفتن الشاعر فيأتى بفنين متضادين من فنون الشعر فى بيت واحد ، وهذا وقع التضاد فيه فى كلمة واحدة فظاهر أنا أنافيه يضاد هيماني وحقك رجح الذى يخرج بطريق الحساب فافهمه ، ويمكن استخراج تعمية أخرى من قولي للعـاذل المـوذي أنا فيه انتهى . والاستخدام الذى أشار إليه هو فى قوله أنا فيه أي فى هذا الثوب المسمى بقلب حجر كما دلت عليه الحكاية ، وأما المعنى الثاني لقوله أنا فيه فظاهر .

وقال وقد قطف وردة من روض المسرة فى زمن النرجس :

وافى بهـا البستان صنوك وردة يقضي بها لما مطلت وعـــودا
أهدى البهـار محاجراً وأتى بهـا في وقته كي ما تكـون خــدودا
فبعثتُهـا مرتادة بنسيمهـــا تثني من الـروض النضير قدودا

وقال :

لي حبيب ياتى بكـــل غريـــب هـــو عندي منكـــر ومعـــــرف

لست أشكو لصيرفي ونحوي
أنه بى نحا وفيّ تصرف
فعلُه فيّ لازم متعدد
ومزيد مجرد ومضعف

وقال :

لا وطيف علم السيف فقد
في قوام كقنا الخطّ نهد
ووميض لاح لما بسمت
فأرتْنا منه دراً أو برد
ما هلال الأفق إلا حاسد
منه حسناً وعلاء وغيد
ولذا عاش قليلا ناحلا
كيف لا يفنى نحولا مَن حسد ؟

وقد ضمن قوله ما هلال الأفق أديب زمانه الشيخ إمام الدين الخليلي الوافد على حضرته من بيت المقدس فقال :

قسماً بالبيت والركن الذى
طاب حجاً واستلاماً للأبد
ما هلال الأفق إلا حاسد
منه حسناً وعلاء وغيد

وقد اتفق لامام الدين هذا أنه اجتمع بالحضرة المنصورية هو والعقاد المكى السابق والشريف المدني وهو رجل وافد من أهل المدينة انتمى إلى الشرف ، فقال إمام الدين ياأمير المومنين إن المساجد الثلاثة التى تشد إليها الرحال شد أهلها إليك الرحال ، هذا مكي ، وذاك مدني ، وأنا مقدسي ، ثم أنشد :

إن أمير المومنين أحمد
بحر الندى وفضله لا يجحد
فطيبة ومكة أهلهما
والمسجد الأقصى بذاك شهدوا

رجع إلى نظم المنصور وقال :

وكيف بقلب في هواه مقلب
واني له بين الضلوع مقام
فيا شادنا يرعى الحشا أنت بالحشا
أما لمحل أنت فيه ذمام ؟

وقال يخاطب رئيس كتابه صاحبنا سيدي عبد العزيز الفشتالى السابق الذكر :

ياكـاتبـاً ألفـاظُـه تغـرس روضـاً ذا فنـن
إن جـوابى الـذى يشكو دنـاه اردد حـزن

وقال موريا بمصانعه الثلاثة البديع والمسرة والمشتهى :

بستان حسنك أبدعت زهراتـه ولكم نهيت القلب عنه فما انتهى
وقوام غصنك بالمسرة ينثنـى ياحسنـه رمانـة للمشتهـى

ولولا خوف الاطالة المملة لذكرت من محاسن مولانا أمير المومنين المنصور رحمه الله تعالى بعض ما أؤدى به حقه سقى الله تعالى عهاده ، وقد بسطت الكلام على السلطان المذكور فى كتابي (روضة الآس ، العاطرة الأنفاس ، في ذكر من لقيت' من أعلام مراكش وفاس) ، وأطال الكلام على ترجمته صاحبنا الوزير الكبير الشهير سيدي عبد العزيز بن محمد الفشتالي في كتابه المسمى بـ (مناهل الصفا ، فى فضائل الشرفا) وعهدى به أكمل منه ثمان مجلدات ، وهو مقصور على دولة السلطان المذكور وذويه ، وألف كاتب أسراره الرئيس محمد بن عيسى فيه كتاباً سماه (الممدود والمقصور ، من سنـا السلطـان المنصور) ، وهذه التسمية وحدها مطربة ، رحم الله تعالى الجميع .

ومن شعر المنصور رحمه الله المذكور فى النزهة :

من عنبر الشحر أم من مسك دارين بلى ومنه نسيمـات الرياحيـن
مهفهف إن تثنَّى قلت مقتضـب من قضب نعمان أو من كثب يبرين
ذنبي إليه ولا ذنب محبتـه من أجلهـا بسهام اللحظ يرمينـي
ياما أميلحَه ظلمـاً رميت بـه لو أنه دام منه كـان يكفينـي
معذبى قد حرمت النـوم بعدكـم فامنُن بنـوم هنيء غير ممنـون
ومض على ورد ذاك بـرق فـم يعوض الورد من خـد بنسريـن

قال فى (النزهة) وقد وقفت على شرح هذه الأبيات فى نحو كراستين اشتملت على ما فيها من المحسنات البديعية والنكت الاعرابية والملح الأدبية ، ويقال إنه لسيدي الحسن الزياتي رحمه الله تعالى .

ومما كتب به للقطب سيدي محمد البكري

ولما نأيت ولم أستطـــــــع وصولي إليكم بنقـــل القـــدم
اتيت إليكـــم برجـــل الرســول وخـــاطبتكُـــم بلســـان القلـــم

فأجابه الشيخ المذكور :

فان زرتـــم وتفضلتُـــــم وشرفتمونـــا بنقـــل القـدم
فليس بعـــارٍ ولا منقـــــص دخول الموالي بيـــوت الخـــدم

هكذا وجدت فى كناش عليه خط سيدي المعطى صاحب (الذخيرة) .

ورأيت فى (المنتقى المقصور) ، ما نصه : وللامــام سيدي محمد البكري الصوفي كتبها للامام المنصور أيده الله :

ولما نأيتـــم ولـــم أستطـــع أسيـــرُ لحضرتكـــم بالقـــدم
سعيتُ إليكـــم برجـــل الرسول وخاطبتكُـــم بلســـان القلـــم

وأورد بيتيْ الحافظ النجم الغيطي :

إذا زرتـــمُ وتفضلتـــــم وشرفتمـــونـــا بنقـــل القـدم
فليس بعـــار ولا منقـــــص دخـــول الموالي بيـــوت الخـــدم

تـنـبـيـه

موشح المكي الذى أوله ليت شعري هل أروى ذا الظما المتقدم عن نفح الطيب لما نقله فى النزهة كتب بهامشها محمد كنسوس مـا نصـه : لما وصلت المقابلة مع الأخ فى الله الفقيه اللوذعـي عبد الســلام بن محمد الزموري لهذا المحل وكان بياض بالأصل المنتسخ منه وبأصل ءاخر بثاخر الموشح يسرته وغاظنا أن يبقى ذلك البياض على حاله فطلبت من الأخ المذكور إنشاء بيت على منهج ذلك يسدُّ به ذلك البياض ، ويزول عن الكاتب الاعتراض، فأنشأ فى الحين البيت المكتوب ءاخراً بالموشح المذكور وهو :

من غدت أبوابـــه لى حـــرمـــاً كيف ما كنت مطيعاً أو مُســي

وفيه من التورية ، ما ليست بخفية . وهذا البيت جعلاه ءاخر هـذا الموشح وما ظناه انه بقى من الموشح شيء حيث بقي ذلك البياض ، فالموشح كامل ، وءاخره هو الشريف ابن الشريف الكيس كما في النفح ، وتبعه فى النزهة والله تعالى أعلم .

وقال فى النزهة أمّا ما جمع من تقاييد المنصور المتفرقة فكثير ، فمن ذلك حاشية على التفسير تكلم فيها مع الزمخشري وغيره ، جمعها قائده الفقيه علي ابن منصور الشيظمي ، وكان المنصور حريصاً على التآليف ، يأمر الفقهاء بالتقييد ، فأمر الفقيه الصدر العلامة سيدي محمد بن عبد الرحمان الرجراجى أن يجمع من تقييد الامام البسيلي وتقييد السلوي عن شيخهما ابن عرفة فى التفسير ، ففعل ذلك ، وأمر الامام المنجور بشرح ألفية ابن مالك شرحاً يجمع ما تفرق فى الشروح والحواشي بحيث يغني عن سائر ما قيد عليها ففعل فجاء فى مجلدين ضخمين ، وأمره بشرح (ملخص المقاصد) ، ثم قال : وكانت للمنصور عناية تامة باقتناء الكتب والتنافس فى جمعها من كل جهة ، فاجتمع فى خزانته من غرائب الدفاتر ما لم يكن لمن قبله ولا يتهيأ مثله لمن بعده ، وجلُّ كتبه طالعه كلا ووقف عليه بخطه ونبه على الغامض وشرح الغريـب .

ووقع فى النفح والنزهة تخليط فى نسبة أبيات : لا وفرع كدجا الليل غسق الخ نبهنا عليه فى ترجمة صاحبها محمد بن أبي الفضل المكي (1) ، وقول المنصور فى بيتي : وصفوا اشتياقي للحبيب وسرهم الخ فى البيت الأول أنا أ'نافيه محتمل لمعنيـين قريب وبعيد كما هو معلوم فى التعميـة ، والبعيد هو المراد منهما لأنه إن حمل على معناه القريب صح وهو الذى يفهم بسرعة من المنافاة لفظاً ومعنى ، وإن حمل على البعيد وهو المراد صح أيضاً لأن مراده منه أن يضرب عدد كلمة أنا بحساب الجمل وهو اثنان وخمسون فى الهاء ليخرج فى الضرب ما يساوى قولك هيمانى وحقك ، وذلك 260 بقرينة حرف في الداخل على المضروب فيه ، كأنه يقول استفدنا من كلام محبوب قولا

---

1) هذا الشاعر الوافد من مكة على المنصور يسميه المؤلف وغيره مرة أبو الفضل بن محمد المكى ؛ ومرة محمد بن أبى الفضل المكى ؛ وهو محمد العقاد المترجم فى **جذوة الاقتباس** ص 321 ع 345 وقد ترجمه المؤلف مرتين فى الكتاب مرة مع حرف الألف ومرة مع حرف الميم ؛ واقتصرنا نحن على اسم محمد اجتناباً للخلط .

يلايم السرور ، وينافي الشرور ، وهو هيماني وحقك رجح ، وما ذكره في (نفح الطيب) من أن المترجم المنصور هو صاحب الموشح الذى أوله وليالي الشعور إذ تسرى المتقدم يخالفه ما ذكره فى ترجمة المنصور فى الجذوة من أن التوشيح المذكور هو لكاتبه الحسن المسفيوي بانشاد المنصور له عنه (I) حسبما ياتى فى ترجمته ، وبين إنشاديهما أيضاً نوع مخالفة فراجع ما سياتى هناك ، وما ذكره فى النزهة من أن المنصور أمر أبا عبد الله بن عبد الرحمان الرجراجى بجمع تفسير ابن عرفة الخ فقد ذكر فى الدرة ما ياتى فى ترجمة محمد بن عبد الله الرجراجى أنه أمره باختصار الكشاف والكلام معه فى مواضع سقطه ، ثم اعلم أن علم المعمى أولع به الأدباء ، وقد جمع قواعده والتمثيل لها الامام عبد القــادر بن محمد الحسينى الطبري امام مقام خليل الرحمان المتوفى فى سنة 1033 سلخ رمضان فى الفن الخامس علم المعمى من الفنون الأربعين التى ألفها في كتابه (عيون المسائل ، من أعيان الرسائل) المطبوع منها ثلاثون فناً فى مطبعة السلام بمصر القاهرة سنة 1316 والثلاثون المذكورة هي ذيل العشرة الأولى التى أكملها أولا ثم شرع فى تذييلها بالثلاثين المطبوعة .

ومما نقش على رخامة قبر المنصور هذه الأبيات

هذا ضريح مَن غــــدت ... بــه المعــــالي تفتخــر
أحمد منصــور اللـــوا ... لكــل مجـــد مبتكـــر
يارحمـــة الله اسرعـــى ... بكــل نعمـــى تستمر
وبــاكر الرمس بمـــا ... ء من رضــاه منهمـــر
وطيبى ثـــراه مـــن ... نــد كذكره العطـــر
وافــق تاريـخ الوفـــا ... ة دون تفنيــد ذكـــر
مـقـعـد صدق داره ... عند مليــك مقتـــدر

وقد وقفت على خطه رحمه الله وهو جميل ، فقد كتب على الجزء الأول النصف من شرح الدلجي على الشفا بخط مشرقي فى إلحاقه بحبس والدته على جامع الحرة ونصه : الوقف صحيح ، وكتبه بخطه عبد الله ووليه أحمد المنصور بالله أمير المومنين بن مولانا أمير المومنين بن أمير المومنين الشريف

I) هذا سوء فهم من المؤلف ؛ انظر التعليق رقم I من ص 262 من هذا الكتاب .

الحسنى خار الله له بمنه . وتاريخ ذلك عـام 1001 وترجمـه فى 140 مـن ريحانة الألبا (1) .

218) **أحمد الشهاب الحجري الأندلسي** المعروف **بآفوقاي** ، رحـل مهاجراً بدينه من الأندلس إلى المغرب ، ووفد على المنصور بمراكش وألف رحلته المسماة بـ (رحلة الشهاب ، إلى لقاء الأحباب) وعدها فى الصفوة من الكتب التى اعتمد عليها فيها ، قال فى (زهر البستان) ما نصه : ففي رحلة شهاب الدين الحجري الأندلسي المعروف بآفوقاي قال لما تغلب العدو الكافر على جزيرة الأندلس واستولى الكفر على مَن بها من المسلمين وبقُوا تحت ذمة النصارى دمرهم الله وفتنوهم فى دينهم خرج مختفياً مهاجراً بدينه يطلب النجاة من بلاد النصارى إلى بلاد المسلمين ، فذكر ما جرى له فى طريقه إلى أن ركب فى سفينة بمرسى شنتمرين جاءت بالزرع للبريجة ، فوصـل إليها ، قال وصلنا إلى البريجة فى يومين ، قال ودخلنا عند القبطان وسألنا من أين جئتم ؟ فكتموا إسلامهم وأخبروه بأنهم من نصارى إشبيلية وأنهـم وقع لهم ما أوجب الخوف على رقابهم فهربوا إلى البريجة ، قال وطلبنا منه الاذن فى الرجوع لبلادنا متى أردنا ذلك وكنا عزمنا على الهروب منها لبلاد المسلمين ، فلما رأينا مَنَعَتَهَا بالسور الذى عرضه ثلاثة عشر ذراعاً والبحر دائراً بها من جهتين وخندقوا عليها من الجانبين الآخرين استعملنا الحيلـة فى التخلص منها ، وبقينا فى استعمال الحيلة مدة إقامتنا بها حتى جاءت سفينة من بلاد الأندلس وعزمت على الرجوع ، فقلت للقبطان أحبُّ أن أرجع إلى بلادي فى هذه السفينة ، وإذا احتجت لشيء فى بلاد الأندلس أعطني زماماً أبعثْ به إليك ، قال فخرجت مع صاحب لي عشية النهار بجميع ما نحتاج إليه من الطعام فى السفر ووجدنا قارباً صغيراً بالمرسى ينتظر مَن يركب فيه يمشي إلى السفينة ، فأعطيته الطعام وحوائج اللباس ، وبقينا ننتظـر التاجر صاحب السفينة إلى أن خرج من البريجة ستة من النصارى عيوناً

---

1) ينظر عن السلطان احمد المنصور السعدى الشهير بالذهبى : **روضة الآس** طبع المطبعة الملكية بالرباط سنة 1964 **والمنتقى المقصور** (خطى) **ومناهل الصفا** ؛ **وتاريخ الدولة السعدية** ؛ وغيرها .

يتجسسون ليلا كمائن المسلمين ويرجعون صبحاً ، فمروا بنا ومضوا لسبيلهم ونحن ننتظر التاجر ، فخرج من السفينة بحري وسألنا عن بحيرة يشترى منها الخيار ، فدافعناه فى طريق يسلك بها من غير مسلك ، وبقينا ننتظر التاجر حتى أظلم الليل فصلينا العشاء ، وقلت لصاحبي هذا وقت الخير ننجو فيه بأنفسنا من بلاد الكفر إلى بلاد المسلمين ، فعدلنا عن الطريق التى تمشي لأزمور مخافة أن تلحقنا خيل النصارى إذا أحسُّوا بهروبنا ، ومشينا على حاشية البحر من جهة اليمين ، ثم رأينا صومعة ببلاد المسلمين فى رابطة تسمى طيط خالية من أهلها ، ولما بدا انشقاق الفجر أخلوا فى البريجة النفض الكبير ، وخرج النصارى عن ءاخرهم فى طلبنا ، فدخلنا فى شجرة من الدرو وجلسنا النهار كله حتى رجعوا وبقينا يوماً نسمع حس البارود حتى أيسوا منا ، ولما سمع قائد أزمور وهو القائد محمد بن القائد إبراهيم السفياني حسَّ النفض الكبير علم أنه حدث فى البريجة شيء عند النصارى ، وأمر بالفكاك أن يمشي عندهم ليتكلم فى بعض الأسارى ، ويعرف ما حدث عندهم ، فلقيهم بالفحص وسألوه عن نصرانيين هربا من إشبيلية للبريجة ثم هربا من البريجة لبلاد المسلمين ، فقال لهم الفكاك بلغوا عندنا صبحاً وانما قال لهم الفكاك ذلك ليغيظَهم ويؤيسهم ، وبقينا بالشجر إلى الليل وسرنا قاصدين أزمور ، وبسبب الغيم لم نر نجوماً نهتدي بها لجهة أزمور ، وبقينا جل الليل سائرين فى الفحص إلى أن وصلنا عين ماء وشربنا منها وجلسنا هناك إلى أن صلينا الصبح وسألنا عن طريقنا بعد وصولنا لمراكش رجل من أولاد الولي سيدى علي بن أبى القاسم ممن يعرف تلك البلاد ، فأخبرناه عن حالنا ، فقال لنا ما نعرف عين ماء في تلك الأرض ، وبعد أن صلينا الصبح سرنا لجهة أزمور وبسبب الغيم لم نر الشمس إلى أن كانت فى وسط السماء ، وكنا نطلب الماء من شدة الحر ، فوجدنا هنالك آباراً يابسة ، ورأينا شجرة كبيرة فمشينا إليها وصلينا العصر واسترحنا لظلها من حرارة الشمس ، فلما استرحنا سمعنا موج البحر ففرحنا لأنا إذا كنا فى حاشيته نعرف الطريق ، فوصلنا إليه عند المغرب وعلمنا أنا كنا بين طيط والبريجة ، فقال لي صاحبي نمشي إلى طيط لنشرب من آبارها ، فقلت له إن مشينا إلى طيط لم تبق لنا قوة

على المشي من هناك لما لحقنا من الجوع ، فخالفني ثم رجع إلى رأيي وولينا عن طيط ووجدنا طريقاً متسعة وسرنا إلى نصف الليل فتحققنا أنه طريق البريجة ووقفنا على الموضع الذى تقف فيه طلائع النصارى ، وجزنا من ذلك الموضع وتركنا البريجة عن شمالنا ووصلنا إلى حاشية البحر ، ومشينا إلى جهة أزمور ، وطلعنا على جبل رأينا المسلمين فيه مشغولين بالحصاد ، ولما رأونا جاءوا إلينا بأسلحتهم فقلنا لهم نحن مسلمون ، ففرحوا بنا وأعطونا الماء والخبز ، وكان عهدنا به منذ ثلاثة أيام ، ومشينا معهم لأزمور ، فا دخلونا على القائد محمد بن القائد إبراهيم السفياني ففرح بنا وأكرمنا ، وقال لنا أين كنتم هذه ثلاثة أيام ؟ فقد بعثنا فى طلبكم ولم نر منكم خبراً ، وتكلم معنا فى أمور الديانات فأجبته عنها ، وكتب للسلطان مولاى أحمد الذهبي رحمه الله بذلك وأخبره بحالنا ، فأجابه السلطان أن يستصحبنا معه فى حضوره العيد مع السلطان ، وكان عيد الأضحى قرب ، فخرجنا مع القائد محمد متوجهاً بنا لمراكش لحضور العيد مع السلطان مولاي أحمد رحمه الله ، فنزلنا قريباً من موضع فيه سوق بدكالة ، فقال القائد محمد لبعض أصحابه اركب معه إلى أن يراه أهل السوق ، فكان السوقة يتركون بيعهم وشراءهم ويأتون إلينا يتعجبون بنا ويسألون عن حالنا يحسبوننا نصارى فيقولون لنا اشهدوا شهادة الحق ، فسكتنا عنهم حتى أكثروا علينا فقلت أشهد أن لا إلاه إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، فقالوا والله إنه قالها خيراً منا ، فمشوا عنا مسرعين ثم رجعوا إلينا بالتمر والدراهم والخبز ، قلنا لهم لا نأخذ منكم شيئاً ، فلما رجعنا إلى القائد محمد بن إبراهيم قال لنا ما ظهر لك فى سوق المسلمين ؟ قلت خيراً والحمد لله ، ثم وصلنا إلى محلة السلطان مولاي أحمد وهي مخيمة بتانسيفت بسبب وباء كان بالمدينة ، وكان استصحبنا من طريقنا إلى مراكش مع القائد محمد بن إبراهيم أكثر من ألف فارس من سفيان بثياب بالية رثة خلقة ، ولما قربنا من محلة السلطان أمر القائد المذكور باعطاء كل فارس خنباج (I) ملف وعمامة وذلك كله بالزمام ، فخرجوا يوم العيد كتائب كأنهم

I) كذا ؛ وينطق به اليوم غنباج بالعين ؛ وهو شبيه بالجلباب الا أنه أضيق منه ؛ ولعل الكلمة تركية الأصل .

شقائق النعمان ، وكل قائد من قواد مولاي أحمد أعطى لأصحابه يوم العيد مثل ما أعطى القائد محمد بـن إبراهيم لأصحابه ، فتبدلت علينا أحـوالهم وظهر لنا منهم ما لم نكن نعرفه قبل ، وعندما تكتبت كتائب المسلمين يوم العيد وتجندت الأجناد جاء من عند السلطان مولاي أحمد الذهبي كاتب يحسب على كل قائد أصحابه يعملهم فى ديوان ويعرضهم على السلطان ، فسألت الكاتب عن نهاية ما بلغ من العدد ، فقال لي تسع وعشرون ألفاً ، فقلت لو أن السلطان ذهب، بما معه من الجيش لاستنقاذ بلاد الأندلس من يد النصارى.

انتهى محل الحاجة منه . انتهى نقل زهر البستان .

وقال في (النزهة) نقلا عن رحلة المترجم بالمعنى إن جزيرة الأندلس التى استردادها من أيدي الكفار سهل واسترجاعها منهم قريب ، ولما دخلت مراكش فى أيام المنصور ووجدت عنده من الخيل نحواً من ستة وعشرين ألفاً فلو تحركت همته لِفَتْحِها لاستولى عليها فى الحين ، انتهى بالمعنى ونقلته من حفظي وكذلك غالب أنقال هذا الكتاب كلها من حفظي والله وليُ التوفيق هـ. وقد علمت أن نقل زهر البستان أصح من هذا لكونه بلفظ صاحب الرحلة وهو قد ذكر فيها فى عدد الجيش ما تقدم .

219) احمد بن أبي القاسم الشعبي الهروي الزمراني

أحمد بن أبى القاسم بن محمد بن سالم بن عبد العزيز بن شعيب الشعبي الهروى الزمراني دفين الصومعة من بلاد تادلة أبو العباس العالم ذو التصانيـف العديدة ، والسيـرة الحميدة ، مـن مشاهير الأولياء ، وأحـد المشمرين للعبادة ، وكان يصوم الدهر ويفطر كل يوم على تمرة حتى يسمع لمفاصله إذا مشى كصوت السطل المنقور .

وقال فى بعض تآليفه ونقله فـى المطمح والصفوة وعن الأول فـى النشر : كنت فى أول أمري تسلط علي الوسواس فى الطهارة حيناً ، ثـم انتقل لي في الاعتقاد وأنا محقق في الدليل والبرهان ، ومع ذلك يتسلط عليّ حتى لا أجد راحة الا بالنوم ، وربما أنام فى بعض الأحيان من كثرته فى قلبي،

فبعد مدة دفعه الله عني ولا أعلم له سبباً إلا أنه طال علي ، ثم أيِس منى وذهب، ووالله لا أدرى كيف ذهابه إلا أني كنت أقرىء الطلبة والصبيان ، ثم لازمت دلائل الخيرات وغيره من الأوراد حتى كنت أبلغ إلى مئة ألف من الأسماء التى كنتأتلوها وربما كنت أخرج السلكة وربما كنت أجعل فى بسم الله الرحمان الرحيم سبعين ألفاً ومثلها فى الهيللة والله وكنت أسمع أن من كثر قـراءة الاخلاص كثر توحيده ، فكنت أخلو بها وجعلتها وردى مدة مديدة ، وربما أجعل فيها كل يوم ما يقرب من أربعين ألفاً ولعلها هي السبب فى قوة التوحيد مع أنى لا أغفل عن الذكر بالكلية ، ثم حبب الله إليَّ الخلوة وبغِّض إلي ملاقاة الناس حتى كنت أفرُّ منهم إذا لقيتهم ، وكان قيض الله لي جملة من الحيوانات البرية تأتى الى أن تقرب مني تتبرك بي ، وكان القلبُ أصفا ما يكون ، وما أحسن قول القائل :

منازل كنت تهواها وتألفهـــــا أيام كنت على الأيام منصـــورا

وقال فـي (المعزى) : كنـت أولا أعلـم الصبيان والطلبة الغربـاء الواردين وأهل المنزل ، فقالت لـي النفس إن أردت الوصول الـى مقامات الأولياء فتجرد عن هذا والزم السواحل ، فعزمت على ذلك وبعثت لزوجتى عدلين بطلاقها ، فسألتْهما عن سبب ارادة طلاقي لها ، فأخبراها فقالت لهما إن كان هذا قصده فأنا طلقته لله عز وجل وأنا صابرة حتى يقضي الله فـي أمري وأمره ، فلما كان اليوم الذى عزمت على الخروج أصابني كسل فـي بدني ، فنمت فرأيت شخصين أسودين عظيمين وأنا كأني فى وسط منار مع رجلين ، وهنالك طاقة ، فرفع الأسودان الرجلين ورمياهما من تلك الكوة ، ثم أرادا رميي منها أيضاً ، فجاء رجل ضخم البطن مثلهم فجعلني بين رجليه ، وقال لهما دعاه فأنا جعلته هنا أو قال أقمناه هنا فذهبا ، فقال الذى أنقذنى منهما الرجلان هو أبو يعزى والشيخ عبد الله بن مسعود الكوش ، وأنا عبد الله الغزواني ، وأرادا اخراجك من تعليم الصبيان وأنت اجلس فى موضعك حتى يكون خروجك بالله فقمت من نومي وقد غسلت عني تلك الخواطر هـ .

وقال الشيخ الحافظ أحمد المقْري التلمساني في (روضة الآس ، العاطرة الأنفاس، فيمن لقي بمراكش وفاس) : لقيت صاحب الترجمة بحضرة الامامة مراكش حاطها الله ، وأخذت عنه واستفدت منه ، قال وهو نفع الله بعلومه آية من آيات الله فى المجاهدة لا يكاد يفتر عن ذلك أصلا ، استغرق نهاره وليله فى أنواع الطاعات من صلاة وذكر وقراءة قرءان واقراء علوم الحقيقة ، شاهدته وكثير من تآليفه تقرأ بين يديه ، وشاهدت من كثرة حفظه لحكايات الصالحين عجباً يذكر بكل محل ما يناسبه ، وياتي مع ذلك أيضاً ببعض الحكايات التاريخية ، وله ولوع باقتناء الكتب والمطالعة (حتى لقد ترك يوم موته ما يقرب من ألف وثمانين مجلداً) (I) ، وقصد الناس زيارته من البلاد الشاسعة ،ورأيته يوم الجمعة بجامع الكتبيين والناس يزدحمون على تقبيل يده وطلب الدعاء منه حتى لا يخلص منهم إلا بعد جهد جهيد ، وقد استجزتُه رضيَ الله عنه فأجازني كل ما يجوز له وعنه روايته وجميع تآليفه وما أخذ عن شيوخه كالامام الشهير أبي عبد الله الخروبي الطرابلسي وغيرهم ممن يطول تعداده ، ومن تآليفه رضي الله عنه (سراج الباحث) فى ثلاثة أجزاء ومختصره ومختصر مختصره ، ومنها (الدرر النفيسة ، فى فضائل الادعية الشريفة) و (الزهرة المنيفة) في فضل (حزب المريد الحاذق) ، ومنها (لباب اللباب ، فى معاملة الملك الوهاب) ومختصره فى جزأين ثم مختصره يطلع فى جزء واحد ، ومنها (الزهرة العالية ، فى فضائل الوسيلة الكافية) ، ومنها (بداية المريد المقدام ، ومقدمات الأحلام ، فى تحقيق مبادىء الاسلام) ، ومنها (تصحيح البداية ، وتحقيق النهاية) ، ومنها (مطلع الأنوار السنية ، فى بعض معانى الحكم العطائية) يطلع فى أربعة أجزاء ، ومختصره فى جزأين، ومختصر مختصره فى جزء واحد ، ومنها (بداية المريد فى الجد والمجاهدة ، وتحقيق المراقبة والمشاهدة) ومنها (نزهة الناظرين ، ومصباح السالكين ، وشمس العارفين) ، في بعض معاني مقامات السالكين ، ثم مختصره ومختصر مختصره ، ومنها أرجوزة (مفتاح السعادة) على بيان المقامات العشر التى ذيل الأنصاري واختصرها ابن العريف وهي تنيف على ألف بيت ، ومنها

I) هذه العبارة غير واردة فى روضة الآس .

رجز يحتوي على من لقيه من العلماء الأعلام ، وأرباب التصوف أهل المقام ، ومنها (نور المصباح ، فى فضائل حزب الفلاح) يحتوى على جزء ، ومنها رجز على الحكم سماه (نتائج الأفكار) ينيف على ألف بيت ، ومنها كتاب في الحض على المعروف شرح رجز له على الأربعين حديثاً التى احتوت على فعل المعروف واغاثة الملهوف ، ومنها رجز سماه (نصيحة الضعيف ، الراغب فى ذروة المنيف) ، ومنها آخر سماه (وسيلة الصديق ، يصل به لكعبة التحقيق) ومنها (غنيمة الدهر) فى الأدعية والأذكار ، وبعض فضلها واسم الله الأعظم ، وشرح حزب البحر ، ومنها شرح الشريشية على مقامات الصوفية لأبي العباس الشريشي ، وهي رائيته المشهورة ، ومنها مآثر الشيخ أبي يعزى رضى الله عنه ونفعنا به ، وفيه أيضاً مآثر الشيخ أبى مدين والشيخ أبى العباس السبتي رضى الله عن جميعهم ونفعنا بهم ، ومنها (شمس المراسم ، فى معرفة الولي وحقيقة الولاية والقطب والغوث والخاتم) ، ومنها أجوبة أحمد بن عبد الله السجلماسي عن حقيقة الولي والقطب وما يتعلق بذلك من الأسرار وما لهم من بعض حقائق الأنوار ، سماه (إنشاد الشريد ، إلى مقامات حقائق التفريد) ، ومنها شرح ءاخر غير الذى تقدم على الحكم العطائية فى ثمان وسبعين كراسة ، ومنها حزب (الوسيلة الكافية لمن أراد أن يختم الله له بالعافية) فى الدنيا والآخرة تقرأ صباحاً ومساء ، ومنها (حزب المريد الحاذق) ، ومنها (حزب الفتح المستبين) ، إلى غير ذلك من تآليفه رضي الله عنه التى لم تحضرنى الآن تسميتها ، ويوم استجزته حفظه الله أخرج لى ستين مجلداً كلها من تصنيفه .

انتهى كلام الحافظ المقّري (1) .

ثم قال وقد سألني صاحب الترجمة وأكد علي أن أستجيز له من مولانا العم الشيخ المفتي العلم سيدى سعيد بن مولانا الجد أحمد بن أبي يحيى بن عبد الرحمان بن أبي العيش المقّري أدام الله وجوده ، وما ذاك إلا لحرص صاحب الترجمة حفظه الله على أنواع العلوم ، وإلا فقد شارك مولانا العم فى الخروبى وغيره وقاربه فى السن ، لأنه أناف

1) روضة الآس ص 300 وبعض العبارات حققناها وصححناها من الكتاب المذكور .

على الثمانين ، وكانت له زاوية بتادلة يطعم فيها الطعام ، ثم سكن مراكش وترك بعض بنيه بالزاوية مقتفياً به سننه .

وفى (المحاضرات) للامام اليوسي وقد حدثوان عن صلحاء تادلة أنه لما قام على أحمد المنصور ابـن أخيه أو ابن عمه الناصر قـال سيدى أحمد بن أبي القاسم الصومعي ان الناصر يدخل تادلة بمعنى دخول الملك ، فلما بلغ الخبر الى سيدى محمد الشرقى قال مسكين بابا أحمد رأى رأس الناصر قد دخل تادلة فظن الناصر يدخل فكان الأمر كذلك ، لأنه هزم فى نواحي تازة ثم قطع رأسه وجلب الى مراكش فدخل تادلة فى طريقه ، ذكر هذا بعد أن قرر أن أهل الفراسة من الصالحين يقع لهم اختلال فى الادراك فيظهر بهم الكذب وانما يوتون من عدم تمام التجلي أو من غلط فى فهم خطاب ونحو ذلك . انتهى وسياتي نحو هذا فى ترجمة أحمد بن إبراهيم التاملي .

وذكر فى (المُمتع) أنه أخبر أن للمترجم شرحاً جليلا ممتعاً على حزب سبحان الدائم ، وكانت للمترجم زاوية الصومعة يطعم بها الطعام ، ثم سكن مراكش وترك بعض بنيه بالزاوية مقتفياً سنته فى ذلك ، وذكر صاحب (الفوائد الجمة) أن السلطان نقله لمراكش بسبب بغضة بينه وبين أميـر تادلة ولده زيدان بن أحمد ، فلم يزل بمراكش حتى مات هـ . ولعل سبب البغضة المذكورة ما يحكى أنه لما ألف كتابه (المعزى فى أخبار أبي يعزى) عارضه زيدان بن السلطان المذكور بأنـه لا يجوز أن يقال المعزى لأنه مـن الرباعي ، وإنما قالت العرب عزا فقياسه المعزو ، فصمم صاحب الترجمة على الانكار إلى أن لطمه زيدان بنعله على وجهه ، فشكا به إلى أبيه المنصور ، فقال له المنصور لو لطمك وهو المخطىء لعاقبته ، أما حيث كان على الصواب فى قوله فأنت جدير بلطم نعله ، ولما رأى المنصور ما وقع بين الشيخ وولده نقله لمراكش فكان بها يحضر مجالس المنصور فى البخاري وغيره ، ووقع له امتحان مع طلبة المجلس فى مسائل ، منها أنه قال لهم فى اسم بعض الرواة ممن نسب الى ثقيف فقال هو الصواب الثقفي بسكون القاف ونسب ذلك لبعض الأيمة ، فلم يوجد ذلك كذا فى الأصلية ، وذكر بعضهم أنه قال فى النسبة الى ثقيف ثقيفى بالياء فأنكروا ذلك عليه والله أعلم .

ومن كراماته رحمه الله ما حدث به عنه بعض أصحابه الثقات أنه بات معه ليلة فلما عسعس الليل واسودَّ ديجوره طفىء السراج فأخذه صاحب الترجمة وصاحبه ينظر إليه ومده الى نجم من نجوم السماء فاتَّقد من حينه ، ومنها أنه كان يميز بين من يصلى وبين تارك الصلاة حتى كان يدخل عليه الرجل النظيف الأعضاء النقي البزة فيقول له إنك لا تصلي ، فيقر له بذلك ويقول إنى لأرى على وجه تارك الصلاة دخاناً ودكنة .

ومن فوائده ما روا صاحب (الصفوة) بخط بعض تلامذته قال كان صاحب الترجمة ينشدنا بيتي أبي نواس فى قصيدته المشهورة :

خذ العلومَ ولا تعبأْ بناقلهـــــا   واقصد بذلك وجه الخالق البــاري
إن الرجال كأشجار لها ثمـــــر   فاجنِ الثمارَ وخلِّ العودَ للنــار

ويقول صوابه : وخل العود للباري يعنى الله تبارك وتعالى أو الذى يبريه وينحته .

أخذ رحمه الله عن سيدى علي بن إبراهيم ، وبعد وفاته لازم الشيخ سيدى أحمد بن علي الدرعي وكان ممن جمع له بين العلم والعمل والحال مع كمال الخصال ، حتى ختم له بذلك ، قال فى (المعزى) وكان اتخذ الرسالة للقشيري والتنبيه لابن عباد والمنهاج للغزالى والبغية للساحلي فجعلهم بين عينيه يسلك على منوالهم ، وهو أخذ عن الغزواني وابن عبد المنعم وابن موسى السملالي ، وأخذ أيضاً عن سيدي يعزى الجزولى عن الحطاب عن زروق ، وعن سيدى أبي عمرو ، وعن سيدى عبد الله بن ساسي ، وعن سيدى عبد الله بن حسين ، قال فى (المعزى) وكان يقول لي يعنى سيدي عبــد الله بن حسين : إن هذه الطريقة ستحيى بك على ما كانت عليه فى الصدر الأول .

توفي المترجم رحمه الله سنةثلاث عشرة وألف ، ودفن بالصومعة ، وقبره بها شهير .

ترجمه فى (الصفوة) و (المطمح) و (الاعلام بمن حضر وغبر ، من أهل القرن الحادى عشر) لعبد الله بن محمد بن عبد الرحمان الفاسي الفهري ، إلا أنه زعم أنه دفن بمجشر الصومعة من بلاد تادلة ، وصاحب النشر الذى لم يعرف نسبته الهروي لماذا مع أنها نسبة لهراوة احدى فرق زمران الست ، والحضيكي فى طبقاته وغيرهم (1) .

220) أحمد بن علي الفشتالي ،الكاتب البليغ ، رمز المكلاتي لوفاته بقوله :

وأحمد فشتال تلا لشعيبه — شجايا تروق فى القضاء المفضل

وذكره فى (النشر) .

221 أحمد بن محمد ابن الغرديس التغلبي

أحمد بن محمد بن القاضي محمد ابن الغرديس التغلبي ، الأديب البليغ الكاتب المشارك المتفنن ، كاتب أبي عبد الله المامون بن السلطان أحمد المنصور ، كاتب مجيد ناظم ناثر ، قدوة أهل زمانه ، وواحد وقته وأوانه ، وهو صاحب المظالم لديه متولى الشكايات ، وبيتهم بيت علم وثروة ، علي في الفضيلة والسرواة ومكارم الأخلاق وكرم النفس .

من نظمه ما أنشده عنه فى (درة الحجال) يمدح مخدومه المأمون :

أهدى النسيم تحية المشتاق — وأذاع ذكر الشوق في الآفاق
في طيب مسراه ولين هبوبه — سر يشب لواعج الأشواق
لما سرت للروح منه رويحة — حيت فأحيت مبتلى بفراق

ومنها تخلصها :

هم أتبعوا بالسيف كلَّ معاند — ضرباً على الأذقان والأعناق
هم ألحموا الكفار كل وقيعة — فسقوهم بالطعن كأس دهاق

1) **صفوة من انتشر** ص 22 و**نشر المثانى** 1 : 84 .

فعلا على الأديان دينُ نبينـــــــــا   من بعد شرك ثابت ونفـــــــاق

وفيها يقول :

سعِد الأنــامْ بليلـة سطعت بهـا   شمس النبوءة تـامة الاشـــــراق
وافترَّ ثغرُ الصبح عن ميلاد خيـ   ـر العـالميـن الطيب الأعـــراق
أكرم بها وبيومها من ليلـــــــة   منها انتشار الحق فى الآفـــاق
وفى الامام المرتضى الهـامـون من   مقدارها بالبذل والانفـــــاق
وأفاض إجلالا وتعظيماً لهـــــا   أصناف نعمى جوده الدفـــاق

ومنها ختاماً :

فالدين عـالٍ كعبـه بمقـــامـه   والكفر في ذلٍّ وفى إرهـــاق
لازلتَ في عز ونصر ضافيـــــاً   حلل الهنا مرقومة الأطـــواق (1)

أخذ عن أبي راشد كتاب الحوفي وفهمه من أول مرة ، وعن جماعة ، وله فهم جيد وحذق واسع الايثار متين الحرمة عالي الهمة حسن الخط فصيح القلم زكي الشيم نفقت لموجوده للأفاضل أسواق ، وأشرقت بامداده للفضائل آفاق ، وهو مولع باقتناء الكتب ، وخزانة كتبهم بفاس مشهورة كاد ألا يفقد فيها كتاب أصلا .

ولد الكاتب المذكور سنة سبع وأربعين وتسعمئة ، ذكره فى (درة الحجال) ، وقال فى (الصفوة) أحمد بن محمد الغرديس التغلبي الفقيه الكاتب ، أخذ عن أحمد بن يوسف الفاسي وغيره ، وكان كاتباً عند الشيخ السلطان بن المنصور ، قال الشيخ سيدي العربي الفاسي فى شرحه لدلائل الخيرات عند قوله كان لي جار نساخ الخ ما صورته : وكان الشيخ الكاتب الرئيس أحمد بن محمد الغرديس شيخ كتاب الانشاء استعار منى كتاب (الأنباء ، فى شرح الأسماء) للاقليشي ، ثم مرض مرض موته فعدته فوجدت الكتاب عند رأسه ومعه كراريس منسوخة وأخرى معدة للنسخ ، فقال لي

1) تنظر القصيدة بتمامها فى روضة الآس ص 183 .

إني اذا وجدت راحة كتبت ما قدرت عليه فاذا غلبني ما بي أمسكت ، فقلت له ولِمَ تكلف نفسك بذلك ؟ فقال لي إني عصيت الله بهذه الأصابع ما لا أحصيه، فرجوت أن أكون ما أعانيه على هذه الحالة من نسخ هذا الكتاب خاتمة عملي بها وكفارة لذلك ، فكمل الله قصده وأتمَّ الكتاب ، وتوفي فى مرضه ذلك وقد طال به سنة تسعة عشر وألف هـ .

وقد وقع فى (الصفوة) سقط ، ونص ما نقل فى النزهة عنه بعد أن ذكر جميع ما تقدم : وتوفي رحمه الله من مرضه ذلك وقد طال به من عام تسعة عشر الى عام عشرين وألف ، وعلى كل حال فالنسخ من الحرف المهمات والاشغال العلميات هـ .

وله يقول الشاعر :

تمتعت ياغرديس والدهر راقـــد وأنت بفاس وابن حيون واجـــد
لسعدك راحت خيزران لقبرهـــا (مصائب قوم عند قوم فوائـــد)

وقال فى (النشر) : أحمد الغرديس ، أهله ينتسبون لبني تغلب ، كان عالماً كاتباً مؤرخاً نسابة ، ومن نظمه :

فلما انقضى سبعون حان حماميـا وأذهلني ما ذا ألاقى أماميـــــا
وبدل مني كل وصف بضـــــده وأقعدني عما أروم سقاميـــــا
فلا أنا حي أرتجي لمهمـــــة ولا أنا ميت أكف هم ملاميــــا

توفي عام 1021 واحد وعشرين وألف هـ منه وقد علمت أنه توفـي قبل ذلك بعام واحد .

وقال في (الاستقصا) عند ذكر بقية أخبار الشيخ ابن المنصور ما نصه : ومن كتابه الأديب المتفنن أحمد بن محمد ابن القاضي ، وأحمد بـن محمد الغرديس التغلبي ، وكان من أهل الاجادة والتبريز فى صناعة الانشاء ، قال الشيخ أبو زيد الفاسي فى شرحه لدلائل الخيرات عند قوله وكان الخ ما تقدم هـ وقد وقع له فيه وهمان : أولهما جعل أحمد بن محمد بن القاضي

غير أحمد بن محمد الغرديس مع أنك قد علمت أنه هو ، والثاني قوله أبو زيد الفاسي والصواب العربي الفاسي (1) .

222) **أحمد بن جامع الزروالي** الشيخ الكامل ، كان رحمه الله من أهل الجد والاجتهاد فى العبادة ، زاهداً فى الدنيا ورعاً ، ومن بليغ ما يحكى عنه من ورعه أنه كان إذا سافر يحمل شيئاً من تراب أرض له ليتيمم عليه ويتحامى أن يتيمم على تراب أرض غيره ، وقال القاضي عبد الواحد الحميدي حسبما نقل عنه المرابي فى كتابه (تحفة الاخوان) لم أر في عصرنا أحسن من رجلين فى الصلاح سيدي رضوان وسيدي أحمد بن جامع،وكان الحميدي المذكور ذهب لزيارة صاحب الترجمة لموضعه بالجبل وأخذ عنه وظيفة الشيخ زروق ، وقال سيدي المنجور حسبما نقل عنه أبو القاسم بن أبى النعيم فى فهرسته ما رأينا فى هذا الزمان أمثل ولا من يظن به الصلاح غير سيدي أحمد بن جامع ، أخذ رحمه الله عن أبي عمرو المراكشي عن الفلاح عن التباع .

توفي رحمه الله سنة إحدى وعشرين وألف ، ودفن فى داره من بلاد الهبط ، وقبره مشهور هنالك . ذكره فى (الصفوة) ، ومن تلامذته الشيخ الامام حسين الزرويلى المتوفي سنة 1031 المدفون بعقبة سيدي علي المصالى بفاس (2) .

223) **أحمد بن قاسم بن الفقيه معيوب الأندلسي** ، الفقيه الموقت ، كان له معرفة بالتعاليم من حساب وهيأة وغير ذلك ، وهو مؤلف كتاب (اليسارة ، فى تقويم السيارة) ، وهو كتاب لا بأس به ، أخذ عن يوسف الجولاصي وغيره ، قال فى (الصفوة) ورأيت بخطه نسخة من كتاب (السر المكتوم) فى علم السحر ، ونسبه للامام ابن الخطيب الرازي فخر الدين ، والذي قال السبكي فى طبقاته فى ترجمة الفخر المذكور ان كتاب (السر المكتوم ، فى مخاطبة النجوم) لم يصح أنه له ، والله أعلم .

---

1) **درة الحجال** 1 : 103 ع 144 **وصفوة من انتشر** ص 108 **وروضة الآس** ص 183 **ونزهة الحادى** ص 172 **ونشر المثانى** 1 : 113 .

2) **صفوة من انتشر** ص 14 **ونشر المثانى** 1 : 114 .

توفي رحمه الله بمراكش عام اثنين وعشرين وألف مسموماً ، سمه السلطان زيدان بن المنصور ، وذلك لأن زيدان سأله أن يخبره وقد كان سائراً في بعض حروبه لمن تكون الغلبة ؟ فقال له اعفني من هذا ، فأكد عليه ، فقال له لا أخبرك حتى تعطيني الأمان ، فقال له والله لا سالت منك قطرة دم ، فأخبره أنه مغلوب غلبة شنيعة ، فخاف زيدان أن يخبر الناس بذلك ، فسمّ له دجاجة فقدمها له فأكلها فمات من حينه ، ورأى زيدان أنه لم يحنث في يمينه ، لأنه لم يسل له دماً ، نسأل الله الحفظ من مخالطة الملوك ، انتهى (1) .

وسياتي الكلام على نسبة التأليف المذكور في ترجمة أبي الحسن الحرالي المراكشي، وذكر في المنح البادية أن المترجم ابن الفقيه معيوب كان رحمه الله عالماً بالتعديل والأحكام النجومية،وأخذ علم ذلك عن يوسف الجولاصي المتوفى سنة 936 وأخذ عن المترجم المعدل سعيد بن محمد بن عبد الرحمان بن أبي القاسم بن عيسى بن عبد الله بن الفقيه السجلماسي ثم الورتاجني الشهير بالبردعي المتوفي بازجان سنة 1036 شيخ أبي العباس ابن زاكور المتوفي سنة 1048 وأبي العاس أحمد بن الحاج الوجاني المتوفى سنة 1036الراوي عنهما ذلك أبو محمد الطليط شيخ صاحب العمل الفاسي ، توفي المترجم بمراكش سنة إحدى وعشرين وألف ، وقد ترجم لأبي محمد عبد القادر الطليط المذكور المتوفي عام 1077 في نشر المثاني وابن معيوب الأندلسي سياتي ذكره في ترجمة أبي الحسن الغرناطي .

224) **أحمد بن عبد الله ابن أبي مَحَلّي الفيلالي التستاوتي العباسي** ، الفقيه المتصوف الرئيس ، قال الشيخ اليوسي في محاضراته لما تكلم على آفات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من غير شرطه ما نصه : وممن ابتلي بهذا قريباً أحمد بن عبد الله ابن أبي مَحَلّي،وكان صاحب ابن مبارك التستاوتي في الطريق حتى حصل له منها نصيب من الذوق ، وألف فيها كتباً تدل على ذلك ، ثم نزغت به هذه النزغة فحدثوا أنه في أول امره كان معاشراً لابن أبي بكر الدلائي ، وكان البلد إذ ذاك قد كثرت فيه المناكر وشاعت ، فقال لابن أبي بكر ذات ليلة هل لك في أن نخرج غداً إلى الناس فنامر بالمعروف

1) صفوة من انتشر ص 104 .

وننهي عن المنكر ؟ فلم يساعفه لما رأى من تعذر ذلك لفساد الوقت وتفاقم الشر ، فلما أصبحا خرجا ، فأما ابن أبي بكر فانطلق إلى ناحية النهر فغسل ثيابه وأزال شعثه بالحلق وأقام صلاته وأوراده فى أوقاتها ، وأما ابن أبي مَحَلّي فتقدم لما همّ به من الحسبة فوقع فى شر وخصام أداه الى فوات الصلاة عن الوقت ، ولم يحصل على طائل ، فلما اجتمعا بالليل قال له ابن أبي بكر فأما أنا فقد فقضيت مآربي وحفظت ديني وانقلبت فى سلامة وصفاء ومن أتى منكراً فالله حسيبه أو نحو هذا، وأما أنت فانظرْ ما الذى وقعت فيه، ثم لم ينته إلى أن ذهب إلى بلاد القبلة ودعا لنفسه وادعي أنه المهدي المنتظر، وأنه بصدد الجهاد، فاستخف قلوب العوام وتبعوه، فدخل بلد سجلماسة وهزم عنه والي الملوك السعدية واستولى عليهم، ثم أخرجهم من درعة ثم اتبعهم إلـى حضرة مراكش ، وفيها زيدان بن أحمد المنصور فهزمه وأخرجه منها ـ فاستغاث بأهل السوس الأقصى فخرجوا إلى ابن أبي محلي فقتلوه وهزموا عسكـره شذر مذر ، فكان ءاخر العهد به ، ورجع زيدان إلى ملكه ، وحدثونا أنه كان ذات يوم عند أستاذه ابن مبارك قبل ذلك ، فورد عليه وارد حال ، فتحرك وجعل يقول أنا سلطان أنا سلطان ، فقال له الأستاذ يأحمد إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا،وفى يوم آخر وقع للفقراء سماع فتحرك وجعل يقول ثلاث سنين غير ربع، ثلاث سنين غير ربع وهذه هي مدة ملكه، وقد رمزوا له ذلك فقالوا قام طيشاً ومات كبشاً ! أي قام فى تسعة عشر بعد الألف ومات فى اثنين وعشرين بعدها، وزعموا أن إخوانه من الفقراء دعوا إليه حين دخل مراكش برسم زيارته وتهنئته ، فلما كانوا بين يديه أخذوا يهنئونه ويفرحون له بما حاز من الملك وفيهم رجل ساكت لا يتكلم ، فقال إنك لا تتكلم وألحّ عليه فى الكلام ، فقال له الرجل أنت اليوم سلطان فان أمنتني على أن أقول الحق قلته ، فقال له أنت آمن، فقل، فقال إن الكرة التى يلعب بها يتبعها المئتان وأكثر من خلفها وينكسر الناس وينجرحون وقد يموتون ويكثر الصياح والهول فاذا فتشت لم توجد إلا شراويط ملفوفة فيها أي خرق بالية ، فلما سمع ابن أبي مَحَلّي هذا المثال وفهمه بكي وقال رمنا أن نجبر الدين فأتلفناه ، واعلم أن هذه الدعوى أي دعوى الفاطمية بلوى قديمة كما أشار الى ذلك بعض الأيمة، وكان الشيعة ادعوا ذلك لزيد بن علي فلما قام على هشام ظفر به يوسف بن عمر فصلبه ، فقال بعض شعراء بني مروان يخاطب الشيعة :

صلبنا لكم زيداً على جذع نخلـة ولم نر مهدياً على الجذع يصلـب

وأول من تظاهر بهذا الأمر ببلاد المغرب فيما علمناه مهدى الموحدين ، انتهى المقصود (1) .

وقـد نقله عنه فى النزهـة والنشر ، قال فـى النشر بعد كـلام ساقه فى المهدوية ومن أشنع ما يحكى أن طائفة من شيعة أبي محلى صاحب الترجمة لم يصدقوا بموته ، فكانوا بعد موته بأزمنة طويلة ينتظرون ظهوره ، وربما بقي البعضُ منهم إلى الآن فيما يحكى ، وهذه ركاكة قوية أوجبت فقد العقل بالكلية ، أوجبها التعصب ، ولهذا نظائر فى قديم الزمان ، فان الطائفة المعروفة بالزيدية ينتظرون ظهور السيد زيد بن علي بن الحسين المذكور قريباً ، وطائفة أخرى ينتظرون ظهور الحسن العسكري بن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا ، وادعوا أن له عقباً ولقبوا أخاه جعفرا بجعفر الكذاب فى زعمهم لادعائه ميراث أخيه وهو فى ذلك صادق ، فان الحسن المذكور لا عقب له ، وادعوا أنه دخل السرداب وبقوا ينتظرونه المرة بعـد المرة كما أفصح به المورخون (2) .

وقد ذكر فـى أزهار البستان قصيدة لسيدي محمد زيـن العابدين البكري أجاب بها عن السؤال الذى كتب لـه ابن أبي مَحَلِّي وهي خمسـة وسبعون بيتاً منها :

فان غربت شمس الجمال بمغرب فمن مشرق لاحت بأحسن طلعـة

قال المترجم فى كتابه (الاصليت الخريت) ما ملخصه :

كانت ولادتي سنة سبع وستين وتسعمئة بسجلماسة ، والذى تلقيته من أبى وكافة عمومتى أن أولاد أبى محلى من ذرية العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه ، وأما جدنا الأشهر المكنى بأبى مَحَلِّي بفتح الميم والحاء وكسر اللام المشددة بعدها ياء تحتية ساكنة مع كبير شهرته لا علم لي الآن

1) المحاضرات للحسن اليوسى ص 90 .

2) نشر المثاني 1 : 121 .

بسبب تكنيته بذلك ولا بتفاصيل أحواله بعد البحث عنه ، قال وبخطة القضاء اشتهر نسبنا ، فنعرف بأولاد القاضي ، وزاويتنا بزاوية القاضي ، ولم تزل بقية العلم في دورنا وخصوصاً دار أبي ، وقال صاحب البستان أبو مَحَلّي هذا اسمه أحمد بن عبد الله وينتسب إلى بني العباس ويعرفون فى سجلماسة بأولاد ابن اليسع أهل زاوية القاضى ، أما الانتساب إلى سيدنا العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه فقد أنكر ابن خلدون وجود النسبة العباسية فى المغرب ، قال في فصل اختلاط الأنساب وما بعده ما نصه ولم يعلم دخول أحد من العباسيين إلى المغرب لأنه كان منذ أول دولتهم على دعوة العلويين أعدائهم من الأدارسة والعبيديين ، فكيف يسقط العباسي إلى أحد من شيعة العلويين ، ثم قال أبو مَحَلّي فى الكتاب المذكور فلما نشأت فى حجر والدي بذل مجهوده فى تعليمي وقد كانت أمي رأت وهي حامل بي ولياً من أولياء الله تعالى أحد شيوخ التربية ببلدنا ، وهو الشيخ علي بن عبد الله السجلماسي قد سقاها قدحاً من لبن ، وأرجو الله صدق تأويلها بالعلم والدين وحق اليقين ، قال وكان خروجي لطلب العلم بفاس فى حدود الثمانين وتسعمئة وأنا يومئذ مراهق أو بالغ الحلم ، ولا همة لي إلا في العلم ، فأقمت بفاس نحو خمس سنين إلى أن جاء النصارى إلى وادي المخازن فدهش الناس واستشرت أخاً من الطلبة فدلني على الخروج إلى البادية حتى ينجلي نهار الأمن ، فخرجت إلى كريكرة فحفظت فيها الرسالة وقد كنت ما حصلت بفاس إلا النحو ، ثم رجعت إلى فاس بعد أن زال الدهش بهزيمة النصارى وولاية المنصور والنحو صنعتي ، وفى الفقه رغبتي ، وقد كنت فى الخرجة الأولى إلى البادية زرت قبر الشيخ أبى يعزى رضي الله عنه ، فطلبت الله عنده أن أكون من الراسخين فى العلوم بأسرها وتوبة يتقبلها ، فما دار عليّ الحول إلا وأنا بزاوية الشيخ سيدى محمد ابن مبارك الزعري لا عن قصد لكوني إذ ذاك مولعاً بالعلم ، أما طريق الفقر فلا تخطر لي ببال ، لأن المعتمد يومئذ فى فقـراء الوقت اخلاق الضلال ، فكنت أشد الناس حذراً منهم إلى أن انكشف الستر فرأيت ما رأيت ووعيت ، فصاحبت شيخي الذى لولاه مع فضل الله لهلكت ، ولولا هدايته باذن الله لضللت ، أعني مولاي محمد بن مبارك الزعري القبيل ، الجراري السبيل ، وهو رضي الله عنه من قبيلة عرب بالمغرب يقال لهم زعير بصيغة التصغير والنسب إليها زعري على التكبير ، وهي قبيلة من عرب السوس بالمغـرب

الأقصى قال فبقيت في صحبة شيخي المذكور نحواً من ثمان عشرة سنة وما فارقته إلا عن أمره ، إذ هو الذى وجهني إلى بلدي سجلماسة من غير اختيار قائلا لي صلاحهم فيك ، ثم ناولني عصاه وبرنسه ونعله من غير طلب مني لشيء من ذلك ، وجعل فى رأسي قلنسوة كالخرقة بيده اليمنى عند الوداع ، فلما استوطنت بلدي عن اذنه زرته منه احدى عشرة مرة ، وفى الأخيرة منها وذلك بعد مقفلي من الحجة الأولى التى كانت سنة اثنتين بعد الألف دعا لي بقوله : بلاك الله أكثر مما بلاني ، فتأولتها إقبال الخلق كما ترى ، وقد صاح عندها صيحة عظيمة لم أر مثلها منه منذ صحبته ، إذ عادته كانت الطمانينة ، ولما توفي رحمه الله بقيت نحواً من ثلاث سنين عاطلا ، ثم تحلى النحر بدرر لطائفه الموعود بها ، فله الحمد على ما أسدى ، وله الشكر فيما أولى ، ثم ذكر بقية أشياخه كالشيخ أحمد المنجور ، والشيخ أحمد بابا السوداني ، والشيخ سالم السنهوري ، وغيرهم ممن يطول ذكرهم ، قال ثم كملت الفائدة بعد المقفل من الحج فرجعت الى الديار المغربية ، ونزلت بوادي الساورة ، ثم تحولت بجميع عيالي إلى الوادي المذكور .

هذا ملخص أوليته منقولا من كتابه المذكور .

وقال الشيخ أحمد التواتي رحمه الله فى رسالته التى سماها (مقامة التحلي والتخلي ، من صحبة الشيخ أبيمَحَلّي) وهي رسالة طويلة مسجعة : قال كان الفقيه أبو مَحَلّي فى أول امره فقيهاً صرفاً ، ثم انتحل طريقة التصوف مدة حتى وقع على بعض الأحوال الربانية ، ولاحت له مخايل الولاية ، فانحشر الناس لزيارته أفواجاً ، وقصدوه فرادى وأزواجاً ، وبعد صيته وكثرت أتباعه ، قال فلما سمعت بذلك ذهبت إليه وجلست عنده مدة الى أن وجدته يشير إلى نفسه بأنه المهدى المعلوم المبشر به فى صحيح الأحاديث ، فتركته وراء ، ونبذته بالعراء .

وصار ابن أبى مَحَلّي يكاتب رؤساء القبائل وعظماء البلدان يامرهم بالمعروف ويحضم على الاستمساك بالسنة ويشيع أنه الفاطمي المنتظر ، وأن من تبعه فهو الفائز ، ومن تخلف عنه فموبق ، وربما كان يقول لأصحابه

محرضاً لهم على نصرته : أنتم أفضل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، لأنكم قمتم بنصر الحق فى زمن الباطل ، وهم قاموا به فى زمن الحق ، ونحو هذا من زخارف كلامه ، وإلى هذا أشار الفقيه يحيى بن عبد المنعم الحاحي فى بعض قصائده معرضاً بأبي مَحَلّي المذكور :

يا أمة المصطفى الهادي أليس لكـم — فيمن مضى إسوة من سائر العلما ؟
نسيتم دين خير الخلق وافترقـت — آراؤكم فغدا الاسـلام منقسمـا
أتحسبون بأن الله تـاركـكـم — سدى وخلقكـم قـد تعلمون لمـا
ناشدتكـم بالذى فى العرض يجمعنا — أما فطنتم ؟ وما لاهٍ كمن فهمـا
بأن مغربكـم قـد عمـه سخـط — من المهيمن يالله معتصمـا
إن قيل للناس إن الهرج يوبقكـم — قالوا الفقيه فلان قبلنـا اعتزمـا
لو لم يكن جاز ما افتى الامـام به — ولا أتاه ألا تبنـوا الذى انهدمـا
ومَن يقل قال خير الخلق قيل له — هاصاحب الوقت يكفينا الذى علما
ونحن أفضل من صحب الرسول لنا — أجر يضاعف فى أجفارنا نظمـا
وزخرفوا ترهات القـول فانفعلت — لهم نفوس عوام رشدهـا عدمـا

ولما كثرت جموع أبى مَحَلّي وانثال الناس عليه كان يصرح بوجوب القيام بتغيير المنكر الذى شاع فى الناس ، ويقول إن أولاد المنصور قد تهالكوا فى طلب الملك حتى فني الناس فيما بينهم وانتهبت الأموال وانتهكت المحارم ، فيجب الضرب على أيديهم وكسر شوكتهم ، ولما بلغه فعل الشيخ من إجلاء المسلمين عن العرائش وبيعها للعدو الكافر استشاط غضباً وأظهر أنه غضب لله لا لشيء سواه ، فخرج يؤم سجلماسة وكان خليفة زيدان عليها يومئذ يسمى الحاج المير فخرج عامل زيدان لمصادمته وهو فى نحو أربعة الاف ، وابن أبى مَحَلّي فى نحو أربعمئة ، فلما التقى الجمعان كان الدبرة على جيش زيدان وأشاع الناس أن الرصاص يقع على أصحاب أبى مَحَلّي بارداً لا يضرهم ، ونفخ الشيطان في هذه الفرية فسكنت هيبته فى القلوب وتمكن ناموسه منها ، ولما دخل سجلماسة أظهر العدل وغير المناكر فأحبته العامة ، وقدمت عليه وفود أهل تلمسان والراشدية يهنئونه ، وفيهم الفقيه

العلامة سعيد الجزائري المعروف بقدورة شاح السلم ، وهو من تلامذة ابن أبي مَحَلّيّ كما ذكره في (الاصليت) ، ولما بلغ خبر الهزيمة إلى زيدان وانتهى إليه فلّها جهز إليه من مراكش جيشاً وأمَّر عليه أخاه عبد الله ابن المنصور المعروف بالزبدة ، فسمع به أبو مَحَلّيّ فسار إليه ، فكان اللقاء بينهما بدرعة ، فوقعت الهزيمة على عبد الله ابن المنصور ومات من أصحابه نحو الثلاثة ءالاف ، فقوي أمرُ أبي مَحَلّيّ واشتدت شوكته ، وجمع بين سجلماسة ودرعة ، وكان القائد يونس الأيسي قد هرب من زيدان لأمر نقمه عليه وقصد إلى أبي مَحَلّيّ ، فجاء معه يقوده ويطلعه على عورات زيدان ويهون عليه أمره ، وما زال به إلى أن أتى به إلى مراكش فبعث زيدان إليه جيشاً كثيفاً فهزمه أبو مَحَلّيّ وتقدم فدخل مراكش واستولى عليها ، وفر زيدان إلى ثغر أسفي وهم بركوب البحر إلى بر العدوة ، ولما دخل أبو مَحَلّيّ قصر الخلافة بمراكش فعل فيه ما شاء ، وولد له هناك مولود سماه زيدان ، ويقال إنه تزوج أم زيدان وبنى بها ، ودبت في رأسه نشوة الملك ونسي ما بنى عليه أمره من الحسبة والنسك ، ولما التفَّ الرعاعُ من العامة على أبي مَحَلّيّ وكثرت جموعه وعلم زيدان ضعفه عن مقاومته كتب إلى الفقيه يحيى بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم الحاحي ثم الداودي مستغيثاً به ، ثم وفد عليه بنفسه ، وكان يحيى بزاوية أبيه من جبل درن وله شهرة عظيمة بالصقع السوسي وله أتباع ، فأتاه السلطان زيدان وقال له إن بيعتي في أعناقكم ، وأنا بين أظهركم ، فيجب عليكم الذب عني ومقاتلة من ناوأني ، فلبَّى يحيى دعوته وحشر الجيوش من كل جهة وخرج يوم مراكش في ثامن رمضان عام اثنين وعشرين وألف ، ولما انتهى إلى فم تانوت موضع على مرحلتين من مراكش كتب إليه أبو مَحَلّيّ بما نصه : بسم الله الرحمان الرحيم ، من أحمد بن عبد الله إلى يحيى بن عبد الله ، أما بعد فقد بلغني أنك جندت وبندت ، وفي فم تانوت نزلت ، اهبط إلى الوطاء ، ينكشف بيننا الغطاء ، فالذيب ختال ، والأسد صوال ، والأيام لا تستقيم إلا بضرب القنا وضرب الحسام ، والسلام . فأجابه يحيى بما نصه : من يحيى بن عبد الله إلى أحمد بن عبد الله ، أما بعد فليست الأيام لي ولا لك ، إنما هي للملك العلام ، وقد أتيتك بأهل البنادق الأحرار ، من الشبانة ومن

انتمى إليهم من بنى جرار ، ومن أهل الشرور والبؤس ، من هشتوكة إلى بنى كنسوس ، فالموعد بيني وبينك جليز ، هنالك ينتقم الله من الظالم ويعز العزيز ، ثم زحف يحيى إلى مراكش فى جموعه ، فنزل بقرب جليز جبل مطل على مراكش ، وبرز إليه أبو مَحَلّي والتحم القتال بينهما ، فكانت أول رصاصة فى نحر أبي مَحَلِّيٌّ فهلك مكانه ، واندعرت جموعه ونهبت محلته واحتز رأسه وعلق على سور مراكش ، فبقي معلقاً هناك مع رؤوس جماعة من أصحابه نحواً من اثنتي عشرة سنة ، وحملت جثته فدفنت بروضة الشيخ أبي العباس السبتي تحت المكتب المعلق هناك عند المسجد الجامع ، وزعم أصحابه أنه لم يمت ، ولكنه تغيب ، قال الأفراني : وحدثني من أثق به من أهل وادي الساورة أن فيهم إلى الآن مَن هو على هذا الاعتقاد ، ويذكر أنه لما طاف بالبيت في وجهته الحجازية سمع وهو يقول يارب إنك قلت وقولك الحق (وتلك الأيام نداولها بين الناس) فاجعل لي يارب دولة بينهم ، قالوا ولم يسأل حسنَ العاقبة فرزق الدولة وءال به الأمر إلى ما أبرمته يد القدرة .

وكان أبو مَحَلّي رحمه الله فقيهاً محصلا له قلم بليغ ونفس عال ، وله تآليف منها (الوضاح) و (القسطاس) و (والاصليت) و (الهودج) و (منجنيق الصخور ، فى الرد على أهل الفجور) وجواب الخروبي عن رسالته الشهيرة لأبي عمرو القسطلي رد فيه عليه ، وأجاب عن شيخ شيخه المذكور وغير ذلك ، وقد وقعت بينه وبين يحيى بن عبد الله بن عبد المنعم مراسلات ومهاجيات نظماً ونثراً كقوله :

أيحيى الخسيس النذل ما لك تدعى	بزور شعاراً للفحول الأوائـــــل
كدعواك فى بيت النبوءة نسبـــة	وأنت دنيء من أخس القبائـــل
ووجهك وجه القرد قبح صـــورة	ورأسك رأس الديك بين المزابل

ويزعمون أن يحيى كان معاشراً لأبى مَحَلّي أيام الطلب بالمدرسة بفاس ، قال الافرانى وحدثنا صاحبنا القاضي أبو زيد أنه وقف على تأليف كبير مشتمل على ما وقع بين يحيى وأبي مَحَلّي من الشعر في غرض الهجاء

وغيره ، ولما قتل ابن أبي محلى دخل يحيى مراكش واستقر بدار الخلافة منها ، ثم انقلب إلى بلاده هـ .

وممن ترجمه صاحب (المرقى) عند ذكر تلامذة سيدي محمد الشرقي ، ونسب صاحب الترجمة سيأتى بقية الكلام عليه فى ترجمة قاضي مراكش محمد السعيد القاضوي .

225) أحمد بن محمد ادفال الدرعي

أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد الشيخ العارف بالله المعروف بأدفال الدرعي منشئاً الحسني نسباً على ما وجد بخطه ، وأنهم من شرفاء فكيك ، وكان يقال له السوساني نسبة إلى سوسنة قرية بافريقية ، خرج جده من فكيك إليها فوجدهم فى حصار ، فلما دخل عليهم وسألوه عن نسبه قال أدفال ، فسمي من ذلك الوقت أدفال .

كان رحمه الله صدراً من صدور الشريعة ، وبحراً زاخراً من بحار الحقيقة ، ولد قرب الثلاثين وتسعمئة ، وتوفي أبوه وهو صبي فأوصى عليه الولي الصالح سيدي محمد بن علي التفجروتي ، ونشأ فى كفالته وأخذ عنه ، وهو عن سيدي عبد العزيز بن خليفة القسطيلي ، وعن سيدى محمد بن مهدي الجراري وأجازه ، وهو أخذ عن سقين ، وعن سيدى عبد الله بن عمرو المدغري ، كلاهما عن ابن غازي ، وأدرك المترجم أيضاً سيدي عبد الله بن محمد بن مسعود التفجروتي شارح خليل واهل بلده ، ولما اشتد فى الطلب بعثه وصيه المذكور لفاس ، وأدرك مشايخ ذلك الوقت ، واخذ بها عن سيدي عبد الوهاب الزقاق ، وسيدى علي بن هارون ، ثم رحل إلى قطب زمانه سيدي أحمد بن موسى السملالي فأخذ عنه ، وبقي فى صحبته عشرة أعوام يزوره فى كل عام مرة ، وجرت بينه وبينه أحوال عجيبة وءاثار غريبة حسبما ذكر ذلك فى تأليفه فى مناقب الشيخ ، وكان الشيخ يقبل عليه وأعطاه عكازه ، وبعد وفاة سيدى أحمد بن موسى رحل إلى المشرق ، فلقي عدة من المشايخ ، أجلهم قدراً الامام المتفق على علمه وولايته إمام أهل زمانه ، سيدى محمد بن

أبي الحسن البكري الشيخ الشهير ، وتلقى عنه وأجازه ، قبضه بين عينيه بابهامه وبسبابته ، وقال له هذا ظهير وعلامة تمتاز بها غداً يوم القيامة في المحشر ، ويقولون هذا طابع محمد الصديقي ، وظهرت لمعة بيضاء حسنة بين عينيه أعنى أدفال إلى أن مات ، وكان أدفال يفعل ذلك ببعض مريديه ، ونقل من خط صاحب الترجمة أن البكري المذكور تكلم على نقطة باء البسملة فى ألفيْ مجلد وألفيْ مجلس ، (واللّه يوتي فضلَهُ مَن يشاء) ثم عاد فى المرة الثانية ولقيه أيضاً ، وكانت بينهما مكاتبات كثيرة دلت على كمال فضله ، وناهيك بمن يقبل عليه ذلك الشيخ مثل ذلك الاقبال ، وأخذ بمكة أيضاً عن سيدى يحيى الحطاب ، وابن أخيه سيدي بركات الحطاب ، وهما أخذا عن سيدي محمد بن عبد الرحمان شارح المختصر والد سيدي بركات عن الشيخ زروق ، ولقي سيدي أدفال مشايخ ءاخرين بمكة والمدينة ومصر وكلهم أجازوه ، وممن أجازه نجم الدين الغيطي والشمس العلقمي والسيد المقدسي ، وسيدي محمد بن عيسى التلمساني ، وسيدي عبد الوهاب الهندي، وبالسند المتقدم إلى الشيخ زروق كان يحدث أن الشيخ زروق كلمه النبيء صلى اللّه عليه وسلم مشافهة فى يقظة قد ذكرناها فى ترجمة الشيخ زروق لدى ترجمة سيدي أحمد بن جعفر السبتي فراجعها هناك فى (اظهار الكمال)، ومن فوائد صاحب الترجمة أنه كان يرى فى المرأة التى يخلو بها الأجنبي أنه يجب عليها الاستبراء لغلبة الفساد ، وكثيراً ما يقع هذا فى البوادي ، ووقعت بينه وبين شيخه سيدى محمد بن مهدي الجراري فى ذلك مراجعة يطول بنا تتبعها ، وكانت وفاة صاحب الترجمة عام ثلاثة وعشرين وألف عن سن عالية ، ودفن بدرعة ، وقبره مزارة شهيرة .

ترجمه فى (اقتفاء الاثر) حين ترجم مؤلفه لوالده فى أوله ، وفى (الصفوة) و (الدرر المرصعة) وبه بدأ والحضيكي فى طبقاته (1) .

226) أحمد بن محمد ابن القاضي المكناسي

أحمد بن محمد بن محمد بن الفقيه قاضي مكناسة الزيتون أحمد المترجم فى (الجذوة) و (درة الحجال) و (السلوة) بن علي بن عبد

---

1) صفوة من انتشر ص 21 وطبقات الحضيكي 1 : 41 .

الرحمان بن القاضي الأعدل أبي العز بن أبي العافية ، أبو العباس الشهير بابن القاضي ، قال في (الصفوة) : سلفه ينتسبون للقائم موسى بن العافية المكناسي (1) انتهى .

وقال في (الروضة المقصودة) هو من بيت عريق في الحضارة ، بل ليس في بطون زناتة في المغرب بفاس ومكناسة وغيرهما مثل أولاد ابن القاضي من بني موسى بن أبي العافية في تقدم الرياسة وتعدد الأيمة الأعلام وتنوع الخطط والتمكن في الثروة الى قرب هذا العهد ، ولله الأمر من قبل ومن بعد ، وقال في (البدور الضاوية) هو من أولاد ابن القاضي الزناتيين المكناسيين ، وبينهم بيت كبير في العلم والحسب ، وهم نسل الأمير موسى بن أبي العافية كما صرح به هو رحمه الله في كتابه (جذوة الاقتباس) ورفع نسبه فيه إليه ثم تبرأ من فعله بأهل البيت ، انتهى يعني في ترجمة موسى بن أبي العافية ، وقال أبو زيد الفاسي في (ابتهاج القلوب) وفي (بيوت فاس في القديم) له وبسبب قضاء أبي العز المذكور جرى عليهم لقب ابن القاضي فيما نظن هو انظر هذا مع ما ذكره الحلبي في (الدر النفيس) من أن موسى بن أبي العافية المذكور استأصل شافة ذريته يوسف بن تاشفين اللمتوني وقطع نسله من الغرب ولم يبق فيه أحداً منهم ، وعزا التصريح بهذا لابن السكاك علي بن أبي زرع ، قال وما قيل من أن أولاد ابن القاضي منهم لا يصح ولم يثبت فهو دعوى كاذبة ، والذى صحَّ عندي عن بعض الأخيار أنهم من برابرة تازة ، وقد ذكر الامام ابن السكاك أنه من عرب حُصَيْن الواردين على مكناسة وتبرأ من أولاد ابن أبي العافية ، وأخبر بمحوهم ، ولم يذكر أحد من المؤرخين ان أولاد ابن القاضي منهم والله أعلم .

ولد المترجم رحمه الله عام ستين وتسعمئة بالمثناة أولا ، وكان حافظاً ضابطاً محققا مؤرخاً أخبارياً ثقة سيال القريحة بالشعر ، حسن العبارة ، لطيف الاشارة ، مستجمعاً لعلوم الأدب ، ماهراً في معرفة علوم الأوائل ، مشاركاً في غير ذلك للأيمة الأماثل ، وانفرد بعلم الحساب والفرائض في

1) صفوة من انتشر ص 77 .

وقته شرقا وغرباً ، فكان يطير فيهما طيران البازي فى جو السماء ، وينصرف فيهما تصرف الحوت فى البحر ، وكان له اعتناء بنشر العلم وتدريسه ، يختم مختصر خليل فى أربعة أشهر ، ذلك دأبه أبداً مع ما هو عليه من الأخلاق المرضية والأحوال المهدية والكرم الوافر والتواضع ولين الجانب وحسن السنية .

أخذ بفاس وغيرها من المغرب عن والده ، وعن القصار ، والمنجور ، والسراج ، ويعقوب اليدري ، وابن مجبر المسارى ، وابن جلال ، وسيدى أحمد بابا ، وغيرهم ممن تضمنته فهرسته (رائد الصلاح) ، ومنهم محمد بن يوسف الترغي ، ومحمد بن محمد بن أبي بكر التواتي ، ويحيى بن علي الخصيبي المالكي وعبد الواحد الشريف المراكشي ، ومحمد بن أحمد الحضري الوزروالي، وكان يتردد إلى الشيخ يوسف الفاسي ويحضر مجالسه ، ورحل الى المشرق المرة الأولى فحج وجاور ، وأخذ به عن إبراهيم العلقمي ، وسالم السنهوري ، ويوسف بن فجلة الزرقاني ، ويحيى الحطاب ، والبدر القرافي ، وغيرهم ، ورجع لبلده بعد أعوام ، ثم رحل الى المشرق مرة ثانية عام أربعة وتسعين ، فأسر بيد النصارى وبقي عندهم فى بلاء عظيم من الجوع والبرد والضرب والتكليف بما لايطاق ، فافتداه منهم السلطان أحمد المنصور السعدي بعد أن استصرخه لفدائه برسائل نظماً ونثراً (1) ، وكان فداؤه له بما يعدل عشرين ألف أوقية ، وكانت مدة اسره نحواً من أحد عشر شهراً ، لأنه أسر يوم الخميس رابع عشر شعبان عام أربعة وتسعين ، وخرج من الأسر سابع عشر رجب من السنة التى تليها .

وله رحمه الله تآليف عديدة منها (درة الحجال ، فى أسماء الرجال) المكمل لتاريخ ابن خلكان (2) ، و (المنتقى المقصور ، على مآثر أبي العباس المنصور) ، و (درة السلوك ، فيمن حوى الملك من الملوك) وشرحها (بدر

1) انظر قصيدة استصرخ بها السلطان احمد المنصور فى نشر المثانى 1 : 129 .

2) طبع مرتين الأولى بالرباط فى جزاين ؛ والثانية بتونس فى ثلاثة أجزاء ؛ وشتان بينه وبين وفيات الأعيان .

الحلوك) ، و (لقط الفرائد ، من حقق الفوائد) ذيل وفيات ابن قنفذ ، ألفه عام 1000 بمراكش ، وتقييد على جداول الحوفي ، و (الفتح النبيل ، بما تضمنه من أسماء العدد التنزيل) و (غنية الرائض ، فى طبقات أهل الحساب والفرائض) ، ومدخل فى الهندسة ، ونظم تلخيص ابن البنا ، ونظم منطق السعد،و (جذوة الاقتباس، فى ذكر مَن حل من الأعلام مدينة فاس) (1)،و(نيل الأمل ، فيما بين المالكية جرى العمل) وفهرسته المسماة (رائد الصلاح) ، وقد اعتمد من بعده من الأئمة الاثبات هذه التآليف وعولوا عليها وراج أكثرها بين يدي أحمد المنصور السعدي وتلقاها بالقبول مع تضلعه فى العلوم وكثرة مَن بمجلسه من الأئمة الأعلام وحذاقهم ، وولى رحمه الله القضاء بسلا فأقام به مدة ثم عزل عنه ، فلزم فاساً وصرف همته للتدريس ، وآخر ما أقرأه بها صحيح البخاري ، فكان يدرسه بجامع اللبارين ويحضره عيون الطلبة ، وقارئه هو الفقيه العلامة سيدى عبد الواحد بن عاشر ، وكان فى هذه الختمة يجيز الحاضرين فى آخر مجلس كل يوم لتحصل الرواية لمن سمع ولو حديثاً واحداً حسبما عند المشارقة ، قال في (الصفوة) ومن نظمه :

فمن السحت عندنا ما رأينا ثمن السحر ثم مهر البغي
ثمن الجاه والرشا والكهانة وذو وصف ما فاز منه بشي (2)

وأخذ عنه الناس كثيراً كأحمد بن يوسف الفاسي ، وأحمد المقْري ، والشيخ مياره ، كما فى شرح الزقاقية له ، وكان المترجم سافر لزاوية الشيخ الشهير العارف الكبير سيدى أبى بكر الدلائي فأقام عنده مكرماً يقرىء بنيه مدة فانتفعوا به غاية ، ولاسيما أكبرهم وأشهرهم وهو سيدى محمد ، ثم من لدن رجع عنهم والشيخ سيدى محمد بن أبى بكر المذكور يتعاهده بتتابع الاكرام فى كل عام إلى أن توفي قبله فى صفر عام 1025 خمسة وعشرين وألف هكذا ذكر وفاته غير واحد ، وقال بعضهم توفي فى سادس شعبان عند المغرب من السنة المذكورة ، وأشار المكلاتى لوفاته بقوله :

---

1) طبع أولا بفاس عام 1309 هـ فى 358 صفحة ؛ وطبع بالرباط سنة 1973 و 1974 فى مجلدين فى 694 صفحة مع فهارس متنوعة .

2) الصفوة ص 78 .

وخير شهاب الدين أحمد من بــه   وهو شهاب ظلمة الليل تنجـــلى

وصلى عليه بالقرويين إمام الوقت سيدى أحمد المقْري ، ودفن بباب الجيسة قرب سيدى محمد بن الحسن نفعنا الله به .

وقال فى (الأعلام بمن حضر وغبر) ومن نظمه ما ما رأيته بخطه : ومما نظمته بمراكش فى ليلة الثلاثاء سابع وعشري ذى القعدة عام واحد وألف:

ياMالكي رفقاً عــلى جسمي الــذى   أضنيته بجمالك الفتـــــان
واستوص بى خيراً فانى مدنـــف   عيني تجود بدمعي الهتــــان
فبخالك المسكي الــذى عاينتـــه   فى جبهة بمقــاعد التيجــــان
لا تحرمَن شفتىَّ من شمٍّ لـــــه   ولوجنــة حمــراء كالعقيـــان

ترجمه فى (النيل) فى ترجمة أحمد ابن البنا المراكشي ، وفى (الأعلام) و (الصفوة) و (النشر) و (البدور الضاوية) و (الدرر البهية) و (السلوة) (1) .

227) أحمد بن علي ابن سودة المري الفاسي

أحمد بن الحاج علي بن الحاج قاسم بن محمد ابن سودة الأندلسي الأصل الفاسي القرار والمنشأ ، الفقيه النبيه العالم النزيه .

قال فى (الروضة المقصودة) كان بديع الخط من أهل المئة العاشرة لأنى عثرت على شرح الصفدي بخطه ، ذكر أنه كتبه بمراكش فى شهر المحرم سنة 992 ، قلت وقفت على خطه الحسن وعندي منه النسخة التى كتبهـا بمراكش من شرح العلامة ابن أبى جمعة المراكشي للامية العرب ، وهي أول نسخة كتبت منه من أصل المؤلف ، وأول نسخة سافرت لفاس فهي أصح النسخ كما قال ، وهذا الشرح أول شرح بالمغرب لها ذكر فى آخر انتساخها أيضاً أنه كتبها بتاريخ 1006 وعندي بخطه شرح الطبري للامية العجم نسخه بتاريخ مكمل قعدة من عام 1026 ست وعشرين بعد الف ، سكن المترجم مراكش سنين كثيرة خالط فيها المؤلف المذكور أولا كما ذكر ذلك فى هامش الشرح المذكــور .

1) نشر المثانى 1 : 128 وسلوة الأنفاس 3 : 133 .

230) أحمد شقرون الفخار الأندلسي الأصل الفاسي المنشأ والفصل ،
كذا تسميته بأحمد فى (المقصد) و (الالماع) و (تحفة أهل الصديقية) و (النشر) و (الروض) وغيرها ، وفى (الابتهاج) بخط مؤلفه انه أبو عبد الله محمد شقرون به دعي .

كان سيداً أثيلا ولياً صالحاً جليلا ذا سيرة مرضية ، وأخلاق حسنة مهدية ، ودين متين ، وغيبة وتمكين ، ونور باهر ، ورحمة وحنان ظاهر ، محباً صادقاً متوكلا على مولاه من أهل الأحوال الصادقة والطريقة المستقيمة ، وأحد المعتبرين من أصحاب الشيخ أبى المحاسن وأجلائهم ، وقد وصفه فى (المقصد) بالشيخ الولي المكين ذي النور اللائح ، والجذب الواضح ، والمحبة الصادقة ، والهمة السابقة ، والتوكل على الله ، والرضى عن الله ، والنهج القويم ، والخلق الكريم ، المعمر المبرور ، الغزير البركة والحكمة والنور ، ثم قال كان رضي الله عنه من جلة أصحاب الشيخ أبى المحاسن الفاسي ومشاهيرهم وذوى الأحوال منهم ، وممن فتح له على يديه ، ثم استخلف بعده أخاه الشيخ عبد الرحمان وسلب له الارادة ولازمه ، قال له الشيخ أبو المحاسن يوماً ياولدي أتصبر لله ؟ فقال نعم ياسيدي ! فقال أتصبر فى الله ؟ فقال نعم ! فقال أتصبر عن الله ؟ فقال لا وصاح صيحة ، فقال له هنا صاح قبلك فلان وفلان وسمى بعض أكابر ، وربما كان يظهر عليه الوجد ويلوح عليه اثر الفيضان ، وغلب عليه الوجد يوماً وهو بمولاي إدريس نفعنا الله به ، فصعد الدرج التى بباب الودع وعكازه بيده ، ثم توجه للزائرين المجتمعين خارج الباب ، وقال أقول لكم ؟ فقالوا له تكلم ياسيدي ، فقال ما رأينا قط مَن كان صادقاً مع الله وضيعه الله ، قال الشيخ سيدي محمد بن عبد الله لما حكى عنده هذا الكلام إنما قال ذلك لأنه كان هنالك مَن هو محتاج إليه ، وجاء يوماً دار الشيخ سيدي محمد بن عبد الله لزيارة ابنته فلما خرج من عندها رأى يهودياً ماراً بالطريق ، فاعتراه حال فوقف واستند الى حائط وتعوذ بالله وغطى وجهه ، ثم جعل يقول حسبي الله ويكررها ويجهر بها حتى كاد يغشى عليه ، ثم سري عنه وورد عليه وارد ءاخر ، فجعل يقول الحمد لله ويكررها ماداً بها صوته ، وظهر عليه أثر الوجد والطرب والفرح بالله عز وجل ، وكان

ذا رتبة عليا فى الرضى والتوكل والزهد فى الدنيا ، وله فى ذلك حكايات وبركات ، ومآثر وآيات ، وكان رضي الله عنه أول أمره قد لقي الشيخ الامام العارف الكامل سيدي عبد الله بن حسين الشريف ، وفد عليه ووالده بتامصلوحت وزاره بها ، ولما جلس بين يديه نظر إليه الشيخ فدعا ببطيخ وكان سيدى شقرون لا يأكله ولا يقدر أن يشم رائحته ويكرهه كراهة طبيعية لا يستطيع الانفكاك عنها ، فتحير إذ ذاك فى أمره حيرة عظيمة مخافة أن يحمله على أكله فلا تمكنه مخالفته ، فعندما وضع البطيخ بين يديه أمره بالأكل فانفجر من أنفه دفعة واحدة دم قوي ، فقال الشيخ ذاك شيطانه انفقس يعنى انفطر قلبه وهلك ، ثم أكل منه امتثالا لأمر الشيخ ، فمن يومئذ أطلق عليه أكله ولم تبق معه تلك النفرة الطبيعية البتة .

وكان رضي الله عنه شديد المحبة والاتباع للسنة رفيع الهمة مائلا عن زخرف الدنيا عظيم البركة كثير الكرامات ، وكثيراً ما كان الشيخ سيدى أحمد بن عبد الله معن الأندلسي يذكره بما يقتضي الثناء عليه فى خصوصيته ، ويحكى عنه فى الطريق حكايات وءاداباً حسنة ، وزوج رضي الله عنه ابنته وهي عائشة المتقدمة من الشيخ سيدى محمد بن عبد الله معن الأندلسي بربع دينار عن أمر شيخهما وهو الشيخ سيدى عبد الرحمان الفاسي ، ثم بقرب انعقاد النكاح بينهما بينما الشيخ سيدي محمد بمنزله لم يستعد للزفاف ولا تواعدوا عليه إذا بصاحب الترجمة يدق عليه الباب وابنته معه فمكنه منها وانصرف .

توفي رحمه الله فى حدود سنة ثمان وعشرين وألف ، ولم يكن له عقب إلا من البنات ، ودفن بروضة الشيخ أبى المحاسن عند رأس قبر الشيخ سيدى محمد بن عبد الله وراء حائط قبته ، وزاره مرة الشيخ سيدى أحمد بن عبد الله فاستعظم أمره ، وقال سبحان الله ما أحنّ هذا الرجل ، يشير بذلك إلى وصف حاله وما هو الغالب عليه مخبراً عن كشفه وبصيرته رضي الله عنهم أجمعين ، ونفعنا ببركاتهم ءامين .

ترجمه فى (المقصد) و (الصفوة) و (الابتهاج) و (النشر) و (التقاط الدرر) و الحضيكي فى طبقاته وصاحب (السلوة) (1) .

231) أحمد بن محمد بن عبد العزيز بن الشيخ سيدى أبي عمرو القسطلي المراكشي

كان فقيهاً مشاركاً أخذ عن العارف الفاسي التفسير والحديث وغير ذلك ، وتوفي فى حدود الثلاثين والألف .

ترجمه فى (أزهار البستان) ومنها كتبها فى (النشر) ولم ينسبها له .

232) أحمد بابا بن أحمد التنبكتي السوداني

أحمد بن أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت بن علي بن يحيى بن كدالة بن مكي بن نيق بن لف بن يحيى بن تشت بن تنفر بن حيراى بن النجر بن نصر بن أبى بكر بن عمر الصنهاجي المسوفي الماسني التكروري التنبكتي ، أبو العباس عرف ببابا السوداني ، وليس هو من السودان بل من صنهاجة من قبيلة يقال لها مسوفة وبيته بيت علم وصلاح توارث العلم فيه نحو خمسمئة سنة وذكر فى ذيل الديباج جماعة من أقاربه الذين تقدموا فى العلم وتولى منهم خطة القضاء جماعة ببلدهم ، فكانت دارهم دار علم ولا إشكال .

قال فى (بذل المناصحة) سمعته يقول : أنا أقل عشيرتى كتباً نهبت لى ست عشرة مئة مجلدة وناهيك ببيت علم جمعت فيه الأجداد للأحفاد والآباء للأبناء ، وقد عرف بنفسه فى ءاخر (كفاية المحتاج) فقال مولدي كما وجدته بخط والدي ليلة الأحد الحادي والعشرين من ذي الحجة ختام ثلاث وستين وتسعمئة، فما هي نسخة الطبع من نشر المثاني (2) من أنه ولد عام ستين وتسعمئة سبق قلم سقط منه ثلاث ، ثم قال فى الكفاية : ونشأت فى طلب

---

1) صفوة من انتشر ص 57 وسماه فيها شقرون فقط ؛ ونشر المثانى 1 : 135 وسلوة الأنفاس 2 : 303 وسماه فيها محمد شقرون .

2) نشر المثانى 1 : 152 .

العلم فحفظت بعض الامهات وقرأت النحو على عمي أبى بكر الشيخ الصالح ، والتفسير والحديث والفقه والأصول والعربية والبيان والتصوف وغيرها على شيخنا العلامة بغيغ ولازمته سنين وقرأت عليه جميع ما تقدم عنى فى ترجمته هـ . ونص ما قال فى ترجمته : لازمته أكثر من عشر سنين ، فقرأت عليه بلفظي مختصر خليل وفرعي ابن الحاجب قراءة بحث وتحقيق وتحرير ختمتهما عليه ، أما خليل فمراراً عديدة نحو عشر مرات أو ثمان بقراءتي وقـراءة غيـري ، وحضرت عليه التوضيح كذلك لم يفتني منه إلا يسير من الوديعة إلى الأقضية ، وختمت عليه الموطأ قراءة تفهم ، وحضرته كثيراً فى المنتقى والمدونة بشرح المحلي ثلاث مرات ، وألفية العراقي فى علم الحديث مع شرحهما ، وحضرتهما عليه مرة أخرى ، وختمت عليه تلخيص المفتاح مرتين وبعض الثالث بمختصر السعد وصغرى السنوسى مع شرح الجزيرية ، وحضرت عليه الكبرى وشرحها ، وقرأت عليه حكم ابن عطاء الله مع شرح زروق عليه ، ونظم أبى مقرعة والهاشمية فى التنجيم مع شرحها ، ومقدمة التاجورى فيه ، ورجز المغيلي فى المنطق ، والخزرجية فى العروض بشرح الشريف والدمامينى ، وكثيراً من تحفة الحكام لابن عاصم فى الأحكام مع شرح ولده عليها ، وسمعت بقراءته هو كثيراً من البخاري ومسلماً كله ودولا من مدخل ابن الحاج ، وبقراءة غيري دروساً من الرسالة والألفية وغيرهما ، وسمعت بلفظه جامع معيار الونشريسى كاملا وهو مجلد كبير ، ومواضع أخر منه وباحثته كثيراً فى المشكلات وراجعته طويلا فى المهمات ، وبالجملة فهو شيخي وأستاذي ما انتفعت بأحد انتفاعي بـه وبكتبه رحمه الله ونفعه ، وأجازنى جميع ما يجوز له وعنه ، وكتب لي بخطه فى ذلك وأوقفته على بعض تآليفي وتقاييدي فكتب لي بخطه الثناء والموافقة ، بل كتب عني أشياء من أبحاث لحسن نيته ، وسمعته ينقل فى دروسه بعضها لانصافه وتواضعه وقبوله الحق حيث تعين وكان حاضراً معنا يـوم الكائنة العظمى علينا بتنبكت فنجاه الله تعالى فكان ءاخر عهدي به ، انتهى .

ثم قال فى (الكفاية) وأخذت عن والدي الحديث سماعاً والمنطق وقرأت الرسالة ومقامات الحريري تفقهاً على غيرهم ، واشتهرت بين الطلبة بالمهارة على كلال ومهل فى الطلب ، وألفت عدة كتب تزيد على أربعين تاليفاً

كشرحي على مختصر خليل من أول الذكاة الى اثناء النكاح ممزوجاً محرراً وحواشي على مواضع منه ، والحاشية المسماة منن الرب الجليل فى مهمات تحرير خليل يكون فى سفرين ، وفوائد النكاح على مختصر كتاب الوشاح للسيوطي ، وغيرها .

قال الثقة محمد بن يعقوب الأديب المراكشي فى فهرسته فى ترجمته كان أخـونا أحمد بابا من أهـل العلم والفهـم والادراك التام الحسن حسـن التصنيف كامل الحظ من العلوم فقهاً وحديثاً وعربية وأصلين وتاريخـاً ، مليح الاهتداء لمقاصد الناس ، مثابراً على التقييد والمطالعة ، مطبوعاً على التأليف ، ألف تآليف مفيدة جامعة فيها أبحاث عقليات ونقليات وهي كثيرة ، كوضعه على مختصر خليل من الذكاة إلى اثناء النكاح في سفرين ، وتنبيـه الواقف على تحرير نية الحالف فى كراس وتعليق على أوائل الألفية سماه النكت الوفية بشرح الألفية ، وءاخر سماه النكت الزكية لم يكملا ، ونيـل الأمل فى تفضيل النية على العمل ، وغاية الاجادة فى مساواة الفاعل للمبتدا فى شرط الافادة ، والتحديث والتأنيس فى الاحتجاج بابن ادريس ، يريد بألفاظه على العربية فى ورقات ، وجلب النعمة ودفع النقمة بمجانبة الظلمة فى كراسين ، وشرح الصغرى للسنوسي فى أربعة كراريس ، ومختصر ترجمة السنوسي فى ثلاثة كراريس ، ونيل الابتهاج بالذيل على الديباج ، والمطلب والمارب فى أعظم أسماء الرب فى كراسة ، وترتيب جامع المعيار للونشريسي كتب منه كراريس ، وله أسئلة فى المشكلات ، ثم امتحن فى طائفة من أهل بيته بثقافهم فى بلدهم فى المحرم سنة اثنين بعد الألف على يد محمود بن زرقون لما استولى بلادهم وجاء بهم أسارى فى القيود ، فوصلوا مراكش أول رمضان من العام ، واستقروا مع عيالهم فى حكم الثقاف إلى أن أحجم أمر الفتنة فسرحوا يوم الأحد الحادى والعشرين لرمضان سنة أربع بعد الألف ، ففرحت قلوب المومنين بذلك جعلها الله لهم كفارة لذنوبهم ، ثم ذكر مقروآته على صاحب الترجمة ، قال وكان من أوعية العلم صان الله مهجته هـ .

قال المترجم ولم ألق بالمغرب أثبت منه ولا أوثق ولا أحذق ولا أعرف بطرق العلم منه ، ولما خرجنا من المحنة طلبونى للاقراء فجلست بعد الاباءة

بجامع الشرفاء بمراكش من أنوه جوامعها أقرىء مختصر خليل قراءة بحث وتحقيق ونقل وتوجيه ، وكذا تسهيل ابن مالك وألفية العراقي ، فختِمت عليَّ نحو عشر مرات ، وتحفة الحكام لابن عاصم ، والسبكي ، والحكم ، والجامع الصغير ، قراءة تفهم مراراً ، والصحيحين مراراً ، ومختصرهما ، والشفاء ، والموطأ ، والمعجزات الكبرى للسيوطي ، والشمائل والكلاعي وغير ذلك ، وازدحم عليَّ الخلق وأعيان طلبتها ولازموني بالاقراء على قضاتها كقاضي الجماعة بفاس العلامة أبي القاسم بن أبي النعيم الغساني ، وهو كبير ينيف على ستين ، وكذا قاضي مكناس الرحلة المؤلف صاحبي أحمد ابن القاضي المكناسي ، له رحلة للشرق لقي فيها الناس وهو أسن مني ، ومفتي مراكش الرجراجي وغيرهم ، وأفتيت بها لفظاً وكتباً بحيث لا تتوجه الفتوى فيها غالباً إلا إليَّ ، وعينت إليَّ مراراً فابتهلت إلى الله تعالى أن يصرفها عني ، واشتهر اسمي في البلاد من سوس الأقصى الى بجاية والجزائر وغيرهما ، وقد قال لي بعض طلبته لما قدم علينا مراكش : لا نسمع في بلادنا الا باسمك فقط ، هذا مع قلة التحصيل وعدم المعرفة وانما ذلك كله مصداق قوله صلى الله عليه وسلم إن الله لا ينزع العلم الحديث ، وقد ناهزتُ الآن خمسين سنة بتاريخ يوم الجمعة مستهل صفر عام اثني عشر بعد الألف هـ كلامه .

كان صاحب الترجمة رحمه الله دءوباً على نشر العلم معتنياً بالمطالعة حريصاً على التآليف ، ولما دخل على السلطان أحمد المنصور داره المسماة بالبديع وجده اتخذ حجاباً بينه وبين الناس وهو من وراء الستارة يتكلم ، فقال الشيخ قال الله تعالى (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب) ، وأنت تشبهت برب الأرباب ، وإن كانت لك حاجة في الكلام معنا فانزل لنا وارفع الحجاب عنا ، فنزل السلطان ، فقال له الشيخ أي حاجة في نهب متاعي وتصفيدي من تنبكت الى هنا حتى سقطت من على ظهر الجمل وانكسرت رجلي ؟ فقال له السلطان أردنا كي تجتمع الكلمة ، فقال له الشيخ هلا جمعت بترك تلمسان ؟ فقال له السلطان قال النبي صلى الله عليه وسلم : اتركوا الترك ما تركوكم ، فقال له الشيخ ذاك زمان وبعده هذا زمان قال ابن عباس لا تتركوا الترك وان تركوكم ، فسكت السلطان ، وكان لسان المترجم

رحمه الله معقولا لا يفهم إلا بعد ممارسة ، ولم يزل رحمه الله بعد تسريحه بمراكش الى أن توفي المنصور فأذن له ولده زيدان فى الرجوع الى وطنه ، فانفصل عن المغرب عام أربعة عشر ، وكان مدة اقامته بمراكش كثير الزيارة لقبور الصالحين ، خصوصاً سيدي أبا العباس السبتي ، قال فى الصفوة رأيت بخطه قال زرته أزيد من خمسمئة مرة ، وكانت عنده بطاقة مختوم عليها إذا جاء للقبر يضعها عليه فيقول انى أسألك ما فى هذه البراءة ، لأنه قد يحضر له بعض الملازمين واذا كان يوم الجمعة لا تشاء أن تلقاه فى أي ناحية من المدينة إلا لقيته يطلب المزارات الكامنة ، واستخرج منها عدة من شدة اعتنائه ، وكان يحكى عن والده كرامة له وقعت مع الشيخ البكري بمصر وأن والده كان بمصر يتردد الى الامام البكري فدخل عليه يوماً واجماً فقال له البكري ما لك ؟ فقال له هذه مدة انقطع عني خبر تنبكت واستوحشت الأقارب كأني أتوقع فى نفسي نازلة بهم ، قال فمدَّ له الشيخ ثم كُمَّ قميصه وقال له أدخل رأسَك هاهنا ، فأدخل رأسه فى كمه فرأى تنبكت ورأى الدار والعشائر يتصرفون على حال السلامة لم يطرقهم طارق ! وهذه الحكاية كان يذكرها عند ذكر قول أبى العباس المرسي لو حجب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم الخ فاذا استغرب الحاضرون ذلك وقالوا هل بالبصر أو بالبصيرة ذكر لهم الحكاية ، ومن تآليفه رحمه الله الدر النضير ، وخمائل الزهر ، ونشر العبير ، الثلاثة فى الصلاة على النبي الصلى الله عليه وسلم ، وغير ذلك . قال سيدى أحمد وعلي السوسي لما نسخت له تاريخه تذييل الديباج أكد علي فى إخفائه ، وله شعر وسط ، أخذ عنه جماعة وتوفي رحمه الله بتنبكت سنة ست وثلاثين وألف هـ كلام (الصفوة) وذكر وفاته فى النشر كذلك ، وقال فى خلاصة الأثر قلت ومن لطائفه ما نقله عنه بعض الشيوخ اذا حضر طالب العلم مجلس الدرس غدوة ولم يفطر نادى مناد من قعر جوفه الصلاة على الميت الحاضر ، وكانت وفاته فى سابع شعبان سنة اثنين وثلاثين وألف رحمه الله تعالى ، انتهى . واهل مغربه أدرى بتاريخ وفاته والله أعلم بغيبه .

ومن تلامذة صاحب الترجمة رحمه الله أحمد المقْري نقل عنه فى أزهار الرياض وحلاه بشيخنا ، وممن ترجمه الحضيكي فى طبقاته ، ومن

تلامذته أيضاً الفقيه العدل النسابة سيدى التهامي بن محمد بن أحمد بن رحمون العلمي حلاه بشيخنا فى كتابه (شذور الذهب ، فى خير نسب) ونقل عنه فيه من (نيل الابتهاج) فى فصل التكلم عل صحة الانتساب إليه صلى الله عليه وسلم مـن جهة الأمهات حيـن ترجم للامام السنوسي ، ولمـا خرج المترجم من مراكش بقصد بلده شيعه أعيان الطلبة فأخذ بعضهم بيده عند الوداع وقرأ قوله تعالى (إنَّ الذى فرض عليك القرآنَ لرادُّك الى مَعاد) على ما جرت به العادة من قراءتها عند وداع المسافر فيرجع سالماً ، فنزع سيدي أحمد بابا يده بسرعة وقال لا ردَّني الله الى هذا المعاد ، ولا رجَّعني لهذه البلاد ، وسلم عليهم وذهب لبلاده بسلامة وأمان رحمة الله عليه .

ذكره فى النزهة ، والمترجم يختصر كلام صاحب الجذوة ولا ينسبه له فى تراجم المتأخرين ، وقد تتبعت ذلك منه وقد يزيد فى بعض المواضع (1)

233) **أحمد بن (2) علي السالمي** ، أبو العبـاس الشيخ الامام الصدر الشهير قال فى (الصفوة) : كان رحمه الله من أهل الرسوخ فى العلوم ، ومن أهل البراعة فى المعقول والمنقول ، ولـي الفتوى بمراكش سنين عديـدة ، فقام بها أحقَّ القيام ، ووقعت بينه وبين قاضي الجماعة أبي مهدي السجتاني محاورات فى مسائل شتى ذكر بعضها فى أسئلة أبي مهدى المذكور ، وكان يرى فى عشبة الدخان الوقف عن التحليل والتحريم لتعارض الأدلة فيها وهو أسلم ، وكان من الموسع عليهم فى المعيشة متمولا .

توفي رحمه الله عام أربعين وألف بعد كبر سنه ،وأخذ الهرم منه ، نام فى بيته صحيحاً فاصبح ميتاً من غير شعور منه ، قاله أبو زيد فى الفوائد ، ورأيت بخط أبي زيد أيضاً فى كناشه أن الفقيه سيدى محمد بن الحسن كتب لصاحب الترجمة أبياتاً يمدحه فيها على جواب أجابه به فى نازلة بطبق المفصل وهـي :

---

1) **روضة الآس** ص 303 **وصفوة من انتشر** ص 52 **ونشر المثانى** 1 : 151 .

2) فى **درة الحجال** وطبقات الحضيكى أحمد بن محمد بن عل السالمى .

يأيها المؤتمُّ مراكشـــــــــا	ألمْ بربع الماجد العالـــــــم
الأوحد الصدر الجليل الرضـــى	مفتى الأنام أحمد السالمـــــــي
السالم الصدر البعيد المــــــدى	فى السؤدد البرىء من ثالـــــم
وحيــه من ملــزم امــــــــرىء	صبٌّ به من بينه ءالـــــــــم
فما يزال بعد قرض النـــــــوى	حب لها شجو الحشا كـــــــادم
لله أنت من مجيب شفــــــــــى	مستأصلٍ للوهم لا قالـــــــم
مقدر المعنى بلفظ حـــــــــلا	محرر مهذب سالـــــــــــــم
فمن رأى أن لكمْ فى الحجـــــا	والعلم مثلا فهو كالحالـــــــم

وقال الحضيكي فى طبقاته فى ترجمته ما نصه : أحمد بن محمد بن علي السالمى العالم العلامة مفتي مراكش ، كان له رضي الله عنه قدم راسخ فى العلوم والعمل ، ووقعت بينه وبين أبي مهدي السكتاني محاورات فى مسائل .

توفى رضى الله عنه منتصف ذي قعدة عام أربعين وألف بعد كبر سنه ، نام فى بيته صحيحاً فأصبح ميتاً من غير شعور به هـ .

ومن تلامذته يحيى بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم الحاحي (1) .

234) أحمد بن محمد المقري التلمساني

أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى بن عبد الرحمان بن أبي العيش بن محمد المقْري التلمساني المولد ، المالكي المذهب ، نزيل فاس ثم القاهرة حافظ المغرب جاحظ البيان ومن لم ير نظيره فى جودة القريحة وصفاء الذهن وقوة البديهة .

ولد سنة 986 وكان آية باهرة فى علم الكلام والتفسير والحديث ، ومعجزاً باهراً فى الأدب والمحاضرات ، وله المؤلفات الشائعة ، منها (نفح الطيب ، من غصن الأندلس الرطيب ، وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب)،

---

1) درة الحجال 1 : 173 ع 218 طبع تونس ؛ وصفوة من انتشر ص 110 وطبقات الحضيكى 1 : 48 .

و (فتح المتعال ، في مدح النعال) ، و (إضاءة الدجنة ، في عقائد أهل السنة) كُتِبَتْ منها في حياته أكثرُ من ألفيْ نسخة ، و (أزهار الكمامة ، في العمامة) في مجلد ، ألفه تجاه رأس النبي صلى الله عليه وسلم ، و (أزهار الرياض ، في أخبار القاضي عياض) ، و (قطف المهتصر ، في أخبار المختصر) ، و (إتحاف المغرى ، في تكميل شرح الصغرى) ، و (عرف النشق ، في أخبار دمشق) ، و (الغث والسمين ، والرث والثمين) ، و (روضة الآس ، العاطرة الأنفاس ، في ذكر من لقيته من أعلام مراكش وفاس) ، و (الجنابذ) ، وهما فهرستان نقل عنهما العياشي في الفهرسة ، و (الدر الثمين ، في أسماء الهادى الأمين) ، وحاشية شرح أم البراهين ، وكتاب (البدأة والنشأة) كله أدب ونظم ، وله رسالة في الوفق المخمس الخالي الوسط ، وغير ذلك .

ولد بتلمسان ونشأ بها وحفظ القرءان وقرأ وحصل بها على عمه الشيخ الجليل العالم سعيد بن أحمد المقْري مفتي تلمسان ستين سنة ، ومن جملة ما قرأ عليه صحيح البخارى سبع مرات ، ورحل الى فاس مرتين مرة سنة تسع بعد الألف (1) وأخذ بها عن القصار وابن أبي النعيم ، وأحمد بابا السوداني (2) وأحمد ابن عمران ، وغيرهم ، ثم رحل لمراكش عام عشر فأقام بها سنتين (3) ثم رجع إلى فاس سنة ثلاث عشرة (4) ، وصارت الفتوى اليه والخطابة عام اثنين وعشرين ، ولما اختلَّتْ أحوال المملكة ارتحل تاركاً للمنصب والوطن لما اتهم بالميل لشراكة وأضرابهم في أواخر رمضان سنة سبع وعشرين بعد الألف قاصداً حج بيت الله الحرام ، وأنشد السلطان الشيخ صاحب مراكش متمثلا قول علي بن عبد العزيز الحضرمي :

---

1) كان وصوله الى فاس للمرة الأولى قادماً اليها من تلمسان يوم 4 صفر من السنة المذكورة .

2) كان أخذه عن سيدى أحمد بابا السودانى بمراكش لا بفاس وأجازه بمراكش فى منتصف محرم من عام 1010 هـ .

3) ليس بصحيح ؛ فان المقرى غادر مراكش يوم السبت 15 ربيع الثانى عام 1010 عائداً الى فاس ؛ ثم غادر فاس يوم الخميس 17 ذى القعدة من السنة نفسها راجعاً الى تلمسان .

4) أى من تلمسان .

محبتي تقتضي مقامـــــــي وحالتي تقتضي الرحيـــــــلا

فأجابه صاحب مراكش بقوله :

لا أوحش الله منك قومـــــــاً تعودوا صنعك الجميـــــــلا

وقال عند خروجه من فاس : دخلت كمائها وخرجت كمائها ، ثـم ورد الى مصر بعد أداء الحج في رجب سنة ثمان وعشرين وألف ، وتزوج بها من الوفائية وسكنها ، وقد سئل عن حظه بها فقال قد دخلها قبلي ابن الحاجب وأنشد فيها قوله :

ياأهل مصرّ وجدتُ أيديكـــــم في بذلها في السخاء منقبضـــــه
لما عدمت القِرى بأرضكـــــمُ أكلتُ كتبي كأنني أرضـــــه !

وأنشد هو لنفسه :

تركتُ رسوم عزي في بـــــلادي وصرتُ بمصر منسيَّ الرســـوم
ونفسي عفتها بالذل فيهـــــا وقلت لها عن العلياء صومـــــي

ثم زار بيت القدس في شهر ربيع الأول سنة تسع وعشرين وألف ، ورجع الى القاهرة وكرر منها الذهاب الى مكة فدخلها بتاريخ سبع وثلاثين خمس مرات ، وأملى بها دروساً عديدة ، ووفد على طيبة سبع مرات ، وأملى الحديث النبوي بمرأى منه صلى الله عليه وسلم ومسمع ، ثم رجع الى مصر في صفر سنة تسع وثلاثين ، ودخل القدس في رجب من تلك السنة وأقام خمسة وعشرين يوماً ، ثم ورد منها الى دمشق فدخلها في أوائل شعبان ، وأنزلتْه المغاربة في مكان لا يليق به ، فأرسل إليه أحمد ابن شاهين مفتاح مدرسة الجقمقية ، ولما دخل اليها أعجبته فنقل أسبابه اليها واستوطنها مدة إقامته وأملي صحيح البخاري بالجامع تحت قبة النسر بعد صلاة الصبح ، ولما كثُـر الناس بعد أيام خرج الى صحن الجـامع تجاه القبة المعروفـة بالباعونية ، وحضره غالب أعيان علماء دمشق ، وأما الطلبة فلم يتخلفْ منهم أحد ، وكان يوم ختمه حافلا جداً اجتمع فيه الألوف من الناس وعلت الأصوات

بالبكاء ، فنقلت حلقة الدرس الى وسط الصحن الى الباب الذى يوضع فيه العلم النبوي فى الجمعات من رجب وشعبان ورمضان ، وأتي له بكرسي الوعظ فصعد عليه وتكلم بكلام فى العقائد والحديث لم يسمع نظيره أبداً ، وتكلم على ترجمة البخاري وأنشد له بيتين وأفاد أن ليس للبخاري غيرهما وهما :

اغتنم فى الفراغ فضل ركوع ... فعسى أن يكون موتك بغته
كم صحيح قد مات قبل سقيم ... ذهبتْ نفسُه النفيسةُ فلته

وفي بعض المجاميع نقلا عن الحافظ ابن حجر أنه وقع للبخاري ذلك أو قريب منه ، وكانت الجلسة من طلوع الشمس الى قرب الظهر ، ثم ختم الدرس بأبيات قالها حين ودع المصطفى صلى الله عليه وسلم وهي قوله :

ياشفيعَ العُصاة أنت رجائي ... كيف يخشى الرُجاة عندك خيبه
وإذا كنت حاضراً بفؤادي ... غيبة الجسم عنك ليست بغيبه
ليس بالعيش فى البلاد انتفاع ... أطيب العيش ما يكون بطيبه

ونزل عن الكرسي ، فازدحم الناس على تقبيل يده ، وكان ذلك نهار الأربعاء سابع وعشري رمضان سنة تسع وثلاثين وألف ، ولم يتفق لغيره من العلماء الواردين الى دمشق ما اتفق له من الحظوة وإقبال الناس ، وكان بعد ما رأى من أهلها ما رأى كثر الاهتمام بمدحها ، وقد عقد فى كتابه (نفح الطيب) فصلا يتعلق بها وبأهلها ، وأورد فى مدحها أشعاراً ، واتفق للمقْري مجلس فى دعوة بعض الأعيان ، وكان المفتى العمادي والشاهيني صحبته فى تلك الدعوة ، فمسَّ ثلجاً وقال ألماس هذا ؟ فأنشد الشاهيني مرتجلا :

شيخنا المقَّريُ وهو الناس ... والذى بالأنام ليس يقاس
مسَّ ثلجاً وقال ألماسُ هذا ... قلت الماسُ عندنا الماس

وكانت إقامته بدمشق دون الأربعين يوماً وعاد الى دمشق مرة ثانية فى أواخر شعبان سنة أربعين ، وحصل له من الاكرام ما حصل فى قدمته الأولى ، وحين فارقها انشد قوله :

إن شام قلبي عنك بارق سلـــوة ... ياشام كنت كمن يخون ويغـــدر
كم راحل عنها لفرط ضــــرورة ... وعلى القرار بغيرها لا يقـــدر
متصاعد الزفرات مكلوم الحشـــا ... والدمع من أجفانه يستحـــدر

ولله در القائل :

أما دمشق فجنات معجلـــــة ... للطالبين بها الولدان والحـــور

ودخل مصر واستقر بها مدة يسيرة ، ثم طلق زوجته الوفائية وصار لا يكلمه بمصر أحد إلا رجل حداد ، وأراد العود إلى دمشق للتوطن بهـا ، ففاجأه الحمام قبل نيل المرام ، وكانت وفاته في جمادى الأخيرة سنة احدى وأربعين وألف ، ودفن بمقبرة المجاورين .

وقال الأديب إبراهيم الأكرمي في تاريخ وفاته :

قد خُتِمَ الفضلُ بـــــه ... فـــارخـــوه خـــاتـــم

والمقَّرى بفتح الميم وتشديد القاف وءاخره راء مهملة، وقيل بفتح الميم وسكون القاف لغتان أشهرهما الأولى نسبة الى قرية من قرى تلمسان (1) وإليها نسبة آبائه، وانتقل منها جده إلى تلمسان صحبة شيخه ولي الله سيدي أبي مدين ، وهو قرشيُّ النسب ، ودارهم كانت دار علم بتلمسان وفاس وغيرهما ، وقد كثر الآخذون عنه بالمشرق ، ومن جملة تلامذته بالمغرب الشيخ سيدى محمد بن أبى بكر الدلائي ، وسيدي عبد القادر الفاسي ، والزاهد سيدي أحمد بن علي البوسعيدي ، والشيخ مياره شارح المرشد ، وغيرهم ، وأثنى على جلالته الكثير من أهل العلم ومدحوه نظماً ونثراً ، أورد بعض ذلك في (نفح الطيب) و (أزهار الرياض) وغيرهما ، وترجمه الشهاب في (الريحانة) وأثنى عليه كثيراً ، والبوسعيدي في (بذل المناصحة) والشيخ مياره فـي شرح المرشد ، وصاحب خلاصة الأثر ، والصفوة ، والنشر ، وذكره اليوسى

---

1) بل سكون القاف هو الصحيح ؛ كما لا يزال الناس ينطقون به في بلده تلمسان ؛ وبلد هجرته فاس ؛ وقد حكى هو الوجهين في **نفح الطيب** . وان كان يشدد القاف في أشعاره لضرورة الشعر ؛ ومقرة المنسوب اليها من عمل الزاب لا من عمل تلمسان .

فى محاضرته ، والعياشي فى رحلته وفهرسته ، والحضيكي فى طبقاته ، وقول صاحب (خلاصة الاثر) ان المترجم ولي الفتوى بفاس زمان أبى العباس المنصور غلط ، اذ هو إنما وليها عام 1022 بعد وفاة المنصور بنحو عشر سنين ، وقال فى (النفح) وقد حضرت بمراكش المحروسة سنة عشر وألف قراءة كراسة الشيخ يعني ابن عبـاد شارح الحكم فى المولد النبوي عـلى صاحب الصلاة والسلام بين يدي مولانا السلطان المرحوم أحمد المنصور بالله الشريف الحسني رحمه الله ، وقد احتفل لذلك المولد بأمور يستغرب وقوعها جازاه الله عن نيته خيراً ، وقد أشرتُ الى ذلك فى كتابي الموسوم بـ (بروضة الآس ، العاطرة الأنفاس ، فى ذكر مَن لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس) ، وسردت جملة من القصائد والموشحات فى وصف ذلـك الصنيع ، ورحمة الله وراء الجميع انتهى .

وقال فيه عند ذكر الولي الصالح سيدى أحمد ابن عاشر دفين سلا : وقد زرته ولله الحمد عند توجهي إلى حضرة مراكش سنة ألف وتسعة ، والناس يشدون إليه الرحال من أقطار المغرب ، وقال فى (النفح) أيضاً وتلمسان هذه هي مدينتنا التى علقت بها التمائم ، وقد نزلها من سلفنا عبد الرحمان بـن أبي بكر المقري بن علي صاحب الشيخ أبي مدين ، الذى دعا له ولذريته بما ظهر فيهم قبوله وتبين ، وهو الأب الخامس ، ثم قال وقد كنت بالمغرب نويت أن أجمع فى شأنها كتاباً ممتعا أسميه بـ (أنواء نيسان ، فى أنباء تلمسان) ، وكتبت بعضه ثم حالت بينى وبين ذلك العزم الأقدار ، وارتحلت منها إلـى حضرة فاس حيث ملك الأشراف ممتد الرواق ، فشغلت بأمور الامامة والفتوى والخطابة وغيرها ، ثم ارتحلتُ بنية الحجاز ، وجعلت الى الحقيقة المجاز ، وها أنا ذا الى الآن فـى البلاد المصرية ، وفى علـم الله تعالى ما لا نعلـم ، والتسليم لأحكام الأقدار أسلم .

ثم قال فى النفح فى خاتمته : وأعلم أن هذا الكتاب معين لصاحب الشعر ، ولمن يعانى الانشاء والنثر ، من البيان السحر ، وفيه من الوعظ والاعتبار ، ما لم ينكره المنصف عند الاختيار ، وكفاه أنه لم ير مثله فى فنه فيما علمت ولا أقوله تزكية له ، ويعلم الله تعالى أنى تبرأت من هذا العارض هـ .

وراجع قصيدة فى مدحه فى ص 118 من (ريحانة الألبا) ، وترجمته فى ص 285 منها ، وفى ص 589 من السلافة (1) .

235) أحمد بن علـي بن محمد السوسـي البوسعيدي الهشتوكـي الصنهاجي ، السيد العلامة الدراكة الفهامة عالم عصره ، وسيد أهل دهره ، الورع الزاهد العارف العابد ، الشيخ الكبير المحقق الشهير المتفق علـى ديانته وفضله وكماله ونبله .

كان رحمه الله أحد الأعلام المجتهدين ، والأيمة المهتدين ، والفضلاء الصالحين ، والعلماء العاملين ، متفقاً عـلى صلاحه وولايته ، ورعاً زاهـدا متقشفاً مقتصراً على الضرورة من الماكل والمشرب ، ولايتقوت إلا من زرع يحرثه بيده فى بليدة وهبها له بعض أهل الخير والدين ، فيعمل قرصة من العجين ، ويجعلها فى النار ويتبلغ بها ، هذا دأبه مع أن الناس يقصدونه من الآفاق البعيدة بالعطايا الجزيلة والصدقات الوافرة ، فلا يمدُّ لذلك عيناً ولا يلقي له بالا ، ويذكر أن بعض أعيان فاس أصابه مرض أعيا الأطباء وأتعب الراقين فأشار بعض على المريض بزيارة صاحب الترجمة فقصده ببيتـه بالمدرسة المصباحية وشكا له مرضه المزمن ، فتناول الشيخ شيئاً من دقيقه ولاثه له وأمره بشربه فعوفي من حينه ، فقال له الشيخ إن الحلال تريـاق الأمراض الصعبة ، وما أكل مريض من حلال إلا كان كأنما نشط من عقال ، ومن ورعه رحمه الله أنه كان لا يمرُّ بصحن جامع القرويين لأن بعض ولاة الأمر هو الذى فرشه بالآجر ، فكـان يتحامى المشْي عليه ، وإذا أراد الدخـول للمسجد المذكور يطلع من مدارج المستودع الكائن هناك فينزل منها للمسجد، ومن ورعه أيضاً أن الشيخ مياره لما شرح المرشد المعين الشرح الكبيـر أُتِيَ بالشرح إليه ليكتب له عليه ، فلما تصفحه استحسنه ، لكنه عاب عليه كونه لم يتعرض فيه لشيء من أحوال الدار الآخرة وكونه اذا عرف فيه بأحد

---

1) ينظر عن المقرى كتاب **المقرى وكتابه نفح الطيب** تاليف الدكتور محمدبن عبد الكريم ؛ ومقدمة **روضة الآس العاطرة الأنفاس طبع** المطبعة الملكية بالرباط . وعشرات من الكتب والمقالات الصحفية المنشورة عنه .

من أشياخه يقول فى حقه القطب أو العارف بالله أو نحو ذلك ، وكتب فى ذلك رسالة ذكرها بحروفها الشيخ ميارة ءاخر شرحه المذكور ، وحلاه عند إيرادها بالسيد الأجل العالم العلامة الدراكة الفهامة ، عالم عصره ، وسيد أهل وقته ، الورع الزاهد العارف العابد ، ثم قال أبقى الله بركته وعظم حرمته ونفعنا به وبأمثاله هـ .

وكان رحمه الله يبعد نفسه من أن يتبرك به أو تنسب اليه خصوصية، ولا يألف مخلوقاً ولا يقبل من أحد شيئاً ولا يتلبس من الدنيا الا بالقليل الذى لاغنى للضرورة البشرية عنه ، حتى أنه لم يكن له عداثوب واحد ، فاذا أراد غسله خرج لوادي الزيتون فيشق الثوب نصفين فيلتحف بالنصف ويشتغل بغسل النصف الآخر ، فاذا جفّ التحف به وغسل النصف الآخر ، فاذا جفّ خاط الثوب كما كان .

قرأ القرءان ببلده على سيدى محمد بن أحمد البوعقيلي من أصحاب المرغيتي ، وقرأ الفقه والعربية على سيدى محمد بن عبد الرحمان الكرسيفي ، ولازم الشيخ الصالح سيدي عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم الحيحي الى أن مات ، قال فى تأليفه (بذل المناصحة) : وقد انتفعت به فى داره فى هذا الأمر انتفاعاً يوجب شكره ثم دخل الى فاس فكان ياوى بالمدرسة المصباحية منها إلى أن توفي ، وقرأ بمراكش أيضاً على سيدي أحمد بابا السوداني وصافحه وأجازه ، وعلى الشيخ عبد الله بن علي بن طاهر الحسني، وعلى الفقيه القاضي أبي القاسم بن أبي النعيم ، وأخذ بفاس عن ابن عاشر ، وعن الحافظ أحمد المقري ، سمع عليه المقصورة التى ألفها فى سور القرءان ، ولازم سيدى عبد الرحمان الفاسي ، فكان يحضر مجالسه كثيرا ، ويحضر قراءة الألفية ، فاذا قال له سيدى عبد الرحمان أنت فى غنى عن قراءتنا ، قال له دعني أحلل مسكني بالمدرسة ليلا أكون تاركاً للقراءة المحبس عليها سكنى المدرسة ، وألف رحمه الله تآليف شهيرة منها (وصلة الزلفي ، فى التقرب بآل المصطفى) و (بذل المناصحة ، فى فعل المصافحة) وتاليف فى التعريف بالعشرة الكرام وبالازواج الطاهرات ، وءاخر فى أهل بدر سماه

(اشراق البدر ، في التعريف بأهل بدر) ، وانظام في مدحه عليه الصلاة والسلام ، وغالب كلامه في الورع والوعظ والايقاظ والتذكير بأحوال الآخرة والانذار بأهوال يوم القيامة ، ويتكلم في الحقائق ويتنازل للغوامض ، وله مشاركة واطلاع في العلوم .

ولد في حدود التسعين وتسعمئة ، وتوفي ليلة الجمعة ثالث عشر أو رابع عشر أو سادس عشر ذي القعدة سنة ست وأربعين وألف ، وأوصى أن يصلى عليه عند القبر إحياء للسنة ، وكان هو حفر قبره وقبَّله على حسب ما اقتضاه اجتهاده في القبلة ، فجاء منحرفاً عن القبور التي هو بينها ، ودفن بالكغادين بروضة الشرفاء الطاهريين القريبة من وادي الزيتون عن يمين الطالع من رأس زاوية المخفية ، وقبره رحمه الله في أولها قريب من الطريق وهو معروف إلى الآن يدور به حوش صغير فيه محراب صغير منحرف الى جهة اليسار ، وكشف عن قبره بعد نحو مئة سنة من دفنه لأمر اقتضاه فوجد صحيحاً لم تعدُ عليه الأرض في شيء من جسده .

ترجمه في (الروض) و (الصفوة) و (النشر) و (التقاط الدرر) والحضيكي في طبقاته وفي السلوة (1) .

236) أحمد بن عبد الحميد المعروف بالمريد المراكشي .

قال في (الصفوة) : كان إماماً في جميع الفنون حكيماً ماهراً في الطب ، دمث الأخلاق متواضعاً ساقط الدعوى . توفي سنة ثمان وأربعين وألف ، قاله صاحبنا الأديب سيدي عبد الله الفاسي رحمه الله في كتابه (الاعلام) .

وحدثوا عنه أنه كان يقرىء بالقبة التي تحت منار جامع علي بن يوسف من مراكش ، وهي موضع درسه دائماً ، فوقفت عليه يوماً امرأة من البهاليل ، فقالت يامعشر الحاضرين إن هذه القبة أرادت أن تسقط فلم يفهم

---

1) **سلوة الأنفاس** 2 : 85 .

الناس مرادها وظنوا أن بناءها قديم ، فأسرعوا فراراً منها لصحن المسجد ، فلم يلبث الشيخ الا أياماً يسيرة فتوفي رحمة الله عليه ، فكان هو القبة الساقطة ، ورأيت بخط العلامة أبى عبد الله المامون ما صورته : كان شيخنا الامام علم الاعلام حجة الاسلام المحقق المجيد سيدى أحمد بن عبد الحميد المريد أطال الله عمره بمنّه يقرأ الارشاد لامام الحرمين وشرحه المقترح وكان يبدى فيهما العجب فأنطقنى المولى سبحانه فى ذلك فقلت :

ياباذل الجهد فى إرشاد جهال ... أذهبت ياطيب الانفاس بلبالي
وجئتنا بأمور ليس يدركها ... عقل ولا خطرت من قبل بالبال
فالجهل والعلم في إرشادنا غديا ... مُقسَّمَيْن لادبار وإقبال
فلو رءاك تقيُّ الدين تظهر ما ... قد كنَّه تحت ايجاز واجمال
لقال جهراً على رغم الحسود لكم ... جزيتَ خيراً فقد بيّنت أقوالي
تالله لو خيرت نفسي بمملكة ... مع ملء أودية الدنيا من أموال
أو أن أرى جاثياً بالذل مرتدياً ... وجه عليم لكل البر مفعال
ما قلت الا جهاراً فى الورى أبداً ... مكثي حميداً بذلك الندى الحالي (1)

وترجمه الحضيكي فى طبقاته أيضاً (2) .

وقال فى النزهة وقد رمز تاريخ ثورة أبي مَحَلّي ووفاته الشيخ الفقيه أحمد المريد المراكشري فقال : قام طيشاً ومات كبشاً ، ولا يخفى ما فيه بعد افادة التاريخ من حسن التلميح وبديع التورية انتهى .

فـائـدة :

قال الشيخ الفقيه الصالح سيدي محمد بن سعيد المرغيتي صاحب المقنع فى جواب له ما نصه : وأما من كان يقرأ القرءان بلا تجويد على شيخه واستمر على ذلك ولا يشتغل بتجويده ولا نوى ذلك فقد ورد فيه سؤال من أهل السوس الأقصى من قبل السيد عبد العزيز بن أبي بكر بن يعقوب

1) **صفوة من انتشر** ص 110 .
2) **طبقات الحضيكى** 1 : 69 .

الرسموكي الجزولي رحمه الله تعالى الى علماء مراكش ، وكان شيخنا السيد عيسى بن عبد الرحمان السجتاتي حياً وشيخنا السيد أبو بكر بن يوسف حياً وشيخنا سيدى محمد بن يوسف التاملي حياً وشيخنا أحمد المريد حيـاً وغيرهم من كبار الطلبة الحذاق ، فاتفقوا فى أجوبتهم على المنع من قراءة القرءان بلا تجويد أصلا الا اذا كان القارىء متعلماً مبتدئاً فى التجويد علـى الشيوخ لم يقطع التعلم ، وأما اذا اشتغل بالدنيا وأعرض عن السؤال عما يجهله من ذلك فهو فاسق لا تجوز قراءته ولا إمامته ولا شهادته حتى يتوب من قراءة القرءان بلا تجويد ، وتوبته بأحد أمرين : إما أن يشتغل بالتجويد على الشيوخ ، واما أن يترك قراءته أصلا الا ما فرض منه على المكلف كالفاتحة وسورتين من القرءان بعد تجويد أيضاً ، واذا ترك القراءة أصلا على سبيل التوبة فله أجر من يقرأه بالتجويد ، وهو من المتقين الذين قال الله فيهم : (إنما يتقبل الله من المتقين) ، والجواب كبير جداً واختصرناه لكم وهذا حاصله.

237) **أحمد بن الفقيه الموقت محمد الولتي (1) المراكشي** ، الفقيه المشارك ، إمام أهل التعديل والميقات فى وقته ، وكانت له اليد الطولى فى علم الازياج والحدثان ، أخذ عن أبيه ، وكان عارفاً بهذا الشان ومن أهل المهارة فيه ، وكان أبو العباس يحدث أن أباه حضر فى بعض الأندية يوماً فجرى ذكر علم الرصد والأحكام ، فقال لهم ان الرجل اليوم ليقدر أن يستعمل ما يتوصل به لابقاء الدول والمماليك إلى قيام الساعة ، فعزم على العناية بذلك ، فرأى فى نومه أنه حمل ليقطع رأسه وهو ينادى هـذا جزاء مَن يطلع عـلى حريم السلطان ، فلما كان بالمجزرة المعدة للقتل اذا بالشيخ أبي العباس السبتي رضى الله عنه جاء فقال لهم اتركوا هذا الرجل عنكم فانه كان مدحني بقصيدة فخلوا سبيله ، فانتبه مرعوباً ، وكان قد مدح قبل ذلك بسنين أبا العباس السبتي بقصيدة ، وكان صار صاحب الترجمة كأبيه موقتاً بجامع الحرة ، وأخذ عنه ابن سعيد المرغيتي وغيره .

وتوفي سنة احدى وستين وألف بمراكش .

ترجمه فى (الصفوة) والحضيكي فى طبقاته (2) .

---

1) فى طبقات الحضيكى الولاتى .

2) **الصفوة** ص 162 وطبقات الحضيكى 1 : 74 .

238) أحمد بن محمد الشيخ الأصغر السعدي

أحمد أبو العباس المدعو على لسان العامة مولاي العباس بدون ذكر صدر الكنية ، بـن محمد الشيخ الأصغر ، بن زيدان ، بـن أحمد المنصور الذهبي السعدي .

لما توفي والده مولاي محمد الشيخ سنة أربع وستين وألف على ما فى (النزهة) أو ثلاث وستين على ما فى (النشر) بويع ابنه أحمد وقام مقام أبيه فى جميع ما كان بيده الا أن حي الشبانة وهم أخواله قويت شوكتهم فى أيامه وغلظ أمرهم عليه ووثبوا على الملك ، ولما رأت أمه الأمر لا يزيد عليه الا شدة كلمته فى أن يذهب الى أخواله ويأخذ بقلوبهم ويزيل ما فى نفوسهم عليه ، فذهب اليهم فلما تمكنوا منه قتلوه غيلة وأقبلوا لمـراكش مسرعين ، وبويع فيها لأميرهم عبد الكريم بن أبي بكر الشباني ثم الحريزى ، وكان قتله سنة تسع وستين وألف ، وبموته رحمه الله انقضت الدولة السعدية وانطوى بساطها وانهار جرفها ، فسبحان مَن لا يبيد ملكه ولا يتحول سلطانه، هكذا فى (النزهة) ، وقال فى (النشر) لدى سنة 1065 خمس وستين وألف : ومات أبو العباس بن محمد الشيخ بن زيدان بن أحمد المنصور ، وهو ءاخرهم، وبه انقطعت دعوتهم أصلا هـ .

قال فى (النزهة) وقد ذكرتنى هذه الفعلة قول مولاي محمد بن الشـريف :

أما الشبانة فاحذرن من غيهـــا   لا بُدَّ تغـدر بالأخير وتخـــذل

فكان الأمر كما قال ، مع أن مولانا محمد بن الشريف كتب بالقصيدة المذكورة لمولاي مَحمد الشيخ سنة تسع وخمسين وألف ، وغدر الشبانة بمولاي أبى العباس كان سنة تسع وستين وألف ، فبين ذلك عشر سنين ، ومولانا محمد بن الشريف تلقى ذلك من بعض أهل الكشف ونحوه ، فـان كلامه كثيراً ما يقع فيه ذلك ، وكانت مدة هذه الدولة السعدية نحواً من مئة وخمسين سنة ، وعدد ملوكها على ما سلف بضعة عشر ملكاً هـ .

وقال فى (تذكرة المحسنين) أمير مراكش مولاي العباس عام 1070 سبعين وألف ، هـ فلم يوافق ما فى (النزهة) ولا (النشر) والله أعلم بغيبه .

239) **أحمد الخطيب** ، الفقيه النبيه المحترم الوجيه قاضي مدينـة مراكش وأعمالها ، وأحد قضاة العدل فى المغرب على اختلاف أعمالها ، بهذا حلاه أبو سالم العياشي كما فى أول رحلته ، وكتب له يستحثه للتهيء للخروج للحج سنة اثنتين وسبعين وألف ووجده قد تهيأ له ، ثم قال لما ذكر نزولهم ببلاد أوكرت من بلاد تجوران .

لطيفة :

وكنـا نزلنا بقرب زاويـة سيدى عمر بـن محمد صالح الأنصـاري الخزرجي الشامي ، ولقيت بها رجلا ممن ينتحل الفقه اسمه سيدى محمد بن محمد بن علي بن أبي بكر ، وهو فى غالب الظن من أهل الخير ، وله بعض الخبرة بفروع الفقه ، وكان قد وجه الى الركب بسؤالين أحدهما فى نازلة الأحباس ، والآخر فى نازلة من البيوع ، وألزمني بالكتب على الأخيرة منها ، ومضمن السؤال وكان فيه طول أن رجلا اشترى من ءاخر ستة أجزاء أو قريباً من ذلك من ماء عين جلبت من بعيد بالفقاقير وذلك وصف ماء هذه البلاد كلها ، وثمانية أجزاء من عين أخرى والعينان مختلفتان فى القلة والكثـرة والبعـد والقرب وغير ذلك من الأوصاف التى تختلف بها رغبة الناس فى المشترى اختلافاً كثيراً ، ثم ان هذا المشترى باع من ءاخر أجزاء معلومة العدد مـن كلتا العينين كخمسة مثلا ولم يبين ما لكل عين من الأجزاء ، فأجبت بفساد هذا البيع للجهل بالمثمون ، إذ لا يدري ما له من العين المرغوب فيها وما له من الأخرى ، ثم ان خصم هذا المستفتي وجه بسؤال فيها الى القاضـي سيدى أحمد الخطيب ، إلا أنه زاد فى السؤال أن الماءين يجتمعان فى بركة حتى يصيرا ماء واحداً ، ثم بعد ذلك يجزأ أجزاء ، وأن الأجزاء المبيعة إنما هي من الماء بعد اجتماعه فى ذلك المحل ، فأجاب بالصحة ، لأن الماء بعد اجتماعه فى ذلك المحل صار معلوم القدر ، وذكر لي أن هذه المسألة كثيرة الوقوع عندهم ببلاد مراكش ، لأن أكثر بساتينهم بالخطاطير ويسميها أهل هذه

البلاد الفقاقير ، وهو أنسب لأنها ءابار متعددة يفقر من جنب كل واحد الى الآخر فيبرز ماؤه وينمو بزيادة ماء غيره عليه ، ولا يزال كذلك حتى يخرج على وجه الأرض فتسقى به الجنات والمزارع ، ويجزأ أجزاء كثيرة بالأيام ، وقد يجزأ اليوم الواحد بأجزاء كثيرة ، فتباع تلك الأجزاء ، ولما كتبت الجواب على النازلة المذكورة على الوجه الذى ذكر فى السؤال ذهب به المستفتي إلى القاضي المذكور ليضع خطه فيه بالتصحيح ، فأبى وقال ان الجواب صحيح وتحيَّل فى عدم الكتب بعذر أبداه ، فلما لقيته سألته عن عدم تصحيحه للجواب فقال لى انه قد وجه الى بسؤال فى النازلة على خلاف ما وجه به إليك ، وأجبتُ بالصحة فلا أحب أن يوجد خطي فى سؤالين متناقضين فى نازلة واحدة ،وان كان كل منهما صحيحاً بالنظر الى ما ذكر فى سؤاله الخ ثم نقل عنه أيضاً ما نصه : وعلى سيادة سيدنا أفضل السلام واطيبه وءارجه ، هذا وان صاحب السؤال فى علمي مجهول لا يعرف ، ونكرة لا تتعرف ، فان كان ممن توسمناه حين تكلمنا على سؤاله الأول فانما يعمله بشر فليستعمل الكل منا غاية فى الفحص عن ميسمه ، والتفرس فى توسمه ، وليس من ناحية حضرتنا قطعاً وقد طالعنا السؤال والجواب وما لكم فى ذلك من حسن محاضرة الخطاب ، فلكم أجر من سئل فأجاب ، وأرشد وأصاب ، ومسألة أمره صلى الله عليه وسلم مناماً لا جائز أن يكون زائداً على مضمون الأوامر الشرعية لكمالها (اليوم أكملت لكم دينكم) ، ولا مخالف لهذا ، إذ لا يقع ذلك منه صلى الله عليه وسلم وان كان موافقاً فاللزوم من غيره والا لزم تحصيل الحاصل فليتأمل سيدنا بذهنه الثاقب ، ثم قال العياشي بعده وهو كما ترى مع وجازة لفظه وإبرازه فى صورة التحقيق بحصر الأقسام وإبطالها كلام من لم يحط بالمسألة خبراً أو ذهل عما ذكره العلماء فيها طراً وتكلم فيها بمقتضى نظره ، ومع ذلك فان فى تقسيمه تداخلا وتدافعاً ، واعلم أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم لا يمتنع أن يامر بشيء أو ينهى عن شيء فى النوم على خلاف المشروع ، لأن الرؤيا من عالم المثال وهو أوسع من عالم الحسن واكثره انما يوافق بالتاويل ، وان رؤياه عليه السلام حق ، وأوامره فيها حق ، فما

وافق المشروع أجرى على ظاهره ، وما خالف أول ، ويكفى فى ذلك ما نقله ابن الحاج فى مدخله عن المرجانى وابن أبى جمرة وغير ذلك وتحصيل الحاصل فى الموافقة لا يلزم ، إذ قد يكون لأحد الجائزين المامور به فى النوم مصلحة فيه للمأمور فيترجح فقد أفادت تأكيداً وإرشاداً لمصلحة ، ولو قال قائل إن هذه الأخبار المنقولة عنه عليه السلام فى النوم تنزل منزلة الحديث الضعيف والشاذ فيعمل به فى الفضائل وتحصل به الشواهد والاعتبارات لم يبعد ذلك فان فهم الانسان منها ما يوافق المشروع عمل به ، وإلا توقف من غير أن يحكم ببطلانها جملة ، هذا ملخص ما عند الامام العياشي فيها ، فراجع بسطه فى ذلك من رحلته ، وقد ذكر المترجم فى الرحلة الناصرية وحلاه فيها بصاحبنا القاضى سيدى أحمد بن إبراهيم المراكشي ، وليس هذا المترجم هو سيدى أحمد بن إبراهيم المراكشي العطار كما يعلم مما ذكرناه فى ترجمته .

240) أحمد بن محرز بن المولى الشريف العلوي

أعلن أهل فاس بنصره فى يوم الخميس العشرين من جمادى الثانية سنة 1084 أربع وثمانين وألف بعد أن مات عمه المولى الرشيد ، ونهض إلى مراكش وغلب على تلك النواحي ، ثم توجه المولى إسماعيل الى مراكش ودخلها عنوة يوم الجمعة سابع صفر من السنة التى قبلها وأجفل ابن محرز وشيعته الى حيث نجوا ، ثم وصل ابن محرز الى تازة فنهض اليه المولى إسماعيل فحاصره بها أشهراً ففرّ عنها ابن محرز ودخل الصحراء ثم عاد المولى إسماعيل الى فاس الجديد أواسط جمادى الثانية سنة 1084 وطاولهم ولم يحدث معهم حرباً الى أن أذعنوا الى الطاعة فعفا عنهم ، ثم فى سنة خمس وثمانين عاد المترجم الى مراكش واستولى عليها وخرج المولى اسماعيل لحربه فى العساكر على طريق تادلة فكان اللقاء بينهما على أبى عقبة من وادي العبيد ، فاقتتلوا وانهزم ابن محرز وقتل كبيرُ جيشه حياة الطويرى ورجع أدراجه إلى مراكش فتبعه السلطان وألقى بكلكله عليها أوائل سنة 1086 ست وثمانين ،

ثم استمرَّ محاصراً لها إلى ربيع الثاني من سنة سبع وثمانين فشدد فى الحصار وازدلف إليها فى جنوده ، فوقع قتال عظيم مات فيه من الفريقين ما لا يحصى ، وانحجر المترجم داخل البلد ، وبقي يقاتل من أعلا الأسوار ، ثم تمادى الحصار إلى ثاني ربيع الثاني من سنة ثمان وثمانين فاشتدَّ الأمر على المترجم وضاق ذرعاً فخرج فاراً عن مراكش ناجياً فيما أبقته الحرب من جموعه ، ودخل السلطان المدينة عنوة فاستباحها وقتل سبعة من رؤسائها وكحل ثلاثين منهم ، وهدأت أيام المحنة والله غالب على أمره ، ثم فى سنة أربع وتسعين سار السلطان إلى مراكش فأراح بها ثم نهض منها إلى السوس فالتقى بالمترجم فى أواخر ربيع الثانى من السنة ، وقامت الحرب بينهما على ساق واستمرَّ القتال نحواً من خمسة وعشرين يوماً هلك فيها من الفريقين ما لا يحصى ، ودخل المترجم رودانة بها ، وكان الوقت وقت غلاء ، فضاق الأمر على أهل الحركة فجعلوا يهربون وكثُر فيهم السجن والضرب والرد إليها فى الحين ، ثم كان بينهما حرب أخرى هلك فيها خلق كثير نحو ألفين ، وجُرح السلطان وابن محرز فى أواسط جمادى الثانية من السنة ، واستمرَّ الحال على ذلك الى رمضان منها ، قال محمد كنسوس حدثنى بعض الثقات أن المولى إسماعيل رحمه الله لما أعياه ابن أخيه المذكور أصبح ذات يوم دهشاً كئيباً ، فقال لوزيره الفقيه أحمد اليحمدى إنى رأيت فى هذه الليلة رؤيا أحزنتني إلى الغاية ، فقال وما هي يامولانا وعسى أن تكون خيراً ، قال رأيت كأن هذه الجنود التى معنا ما بقي منها أحد ، ولم يبق إلا أنا وأنت مختفييْن فى غار مظلم ، فسجد الوزير اليحمدى شكراً لله تعالى وأطال السجود ثم رفع رأسه وقال أبشر يامولانا فقد نصرنا الله على هذا الرجل ، فقال له السلطان ومن أين لك ذلك ؟ فقال له من قوله تعالى « ثانيَ اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزنْ إنَّ الله معنا » ، قال عليه الصلاة والسلام فما ظنك باثنين الله ثالثهما ، فسُرَّ السلطان بذلك غاية السرور ، وانسرى عنه ما كان يجده من الغم ، وعلم أن رؤياه بشارة من الله تعالى له ، وعلى أثر ذلك وقع الصلح بينهما فى رمضان ، ورجع السلطان الى حضرته فدخلها فى أواخر ذى القعدة

من السنة المذكورة ، ثم في سنة ست وتسعين بلغ السلطان المولى إسماعيل وهو بمكناسة أن أخاه المولى الحران وابن أخيه المترجم قد دخلا قصبة رودانة واستحوذوا على تلك الجهات ، فنهض اليهما ووالى السير حتى أناخ بكلكله على رودانة وحاصرهما بها أياماً ، فاتفق أن المترجم خرج ذات يوم فى جماعة من عبيده لزيارة الأولياء فلقيه جماعة من زِرَارَة أصحاب السلطان فلم يعرفوه وظنوا أنه بعض قواد ابن محرز ، فشدوا عليه فما صعهم هنيأة ثم قتلوه فاذا هو ابن محرز ، ولما اتصل الخبر بالسلطان خرج حتى وقف عليه فعرفه وأمر بتجهيزه ودفنه ، فدفن مع الغرناطي أحد قواد الجيش ، وكان قد قُتِل ذلك اليوم ، وكان مقتل المولى أحمد رحمه الله فى أواسط ذى القعدة من السنة المذكورة بعد تشغيبه على السلطان أربع عشرة سنة ، ثم بعد أيام خرج أهل رودانة ليلا إلى قبر المولى أحمد فنبشوه ونبشوا قبر الغرناطي لأنه كان التبس عليهم به فاستخرجوهما حتى عرفوا المولى أحمد فحملوه فى تابوته وتركوا الغرناطي على شفير قبره ، ولله الأمر من قبلُ ومن بعد .

ترجمه فى زهر البستان والنشر والبستان والجيش والاستقصا وغيرها (1) .

241) **أحمد بن سعيد الكنسوسي المراكشي** الشيخ الفقيه العلامة كان يظهر عليه أنوار وبركات من أصحاب الشيخ سيدى محمد بن عبد الله السوسي الذى ألف الولالي فيه وفى مَن لقيه (مباحث الأنوار فى أخبار بعض الأخيار) وسافر معه للمشرق كما ياتي فى ترجمة شيخه المذكور ، وصفه فى (مباحث الأنوار) بالشيخ العالم النحرير المشارك العلامة من حذاق طلبة مراكش ومن المشاركين فى الفنون ، وأذن له الشيخ فى تربية التلميذ بالحرمين الشريفين .

242) **أحمد بن أبى بكر الهشتوكي** الفاضل ، لقيه سيدى الحسن اليوسي بمراكش ونقل عنه فى كتابه (المحاضرات) ما نقلنا عنه فى ترجمة القطب الجزولي .

---

1) **الاستقصا** 7 : 46 وما بعدها .

243) **أحمد بن مسعود البوعمري المراكشي** لقى الشيخ اليـوسي بمراكش ، فطلب منه أن يكتب له وصية فى عام 1094 أيام سكنـاه بهـا ، فكتب له :

رب اهدنا وأخى أبا العبـــاس ... سبـل الفـلاح بغيـر ما إلبـاس
وتولنـا بعنايـة وحمايـة ... وكفايـة كل الأذى والبـاس
وتجمل من حلية الايمان والـ ... ـايقان والتقوى بخير لبـاس
ووقاية من شرُ أنفسنا ومـن ... شر الهوى والهامز الخنـاس
وسلامة من كل ما لا يُرتَضَـى ... وطهارة من جملة الأدنـاس
وأمدنا من فضلك المبذول بالـ ... ـأصناف والأنواع والأجنـاس
وارفع مناصبنا واكرمْنا بمـا ... أكرمت مَن صافيْتَ بين النـاس
وافتح علينا بما فتحت على الألى ... ولاَّهتهم بالبرّ والاينـاس
واصقل بصائرنا وأسرجْ دائمـا ... فيها بفضلك نَيِّرَ النبـراس
واملأ بأنوار اليقين قلوبنـا ... واجعله كالطود المنير الراسـي
وافجر بها ينبوع علم فائـض ... ما ليس يدركه ذوو الاطـراس
علماً لَدُنِّيّاً مَن استهدى بـه ... لم يفتر لدراسة الـدراس
وأدر علينا من سُلافِ رُوِّقـتْ ... للواصلين الصفوة الأكيـاس
صهباء من عين الصفاء فأرونـا ... من صرفها أبداً بأروى كـاس
وتلافنا بتعلق وتخلـق ... وتحقق فى كل ذات نفـاس
وتثبت وتحفظ وتبصـر ... وتشمر لحراسة الأنفـس
وتتبع لخلال أرباب النهـى ... وتنزهٍ عن شيمة الأجفـاس
وابسط علينا الرزق واجعله لنـا ... زاداً ولا تجعلْه فتنة نـاس
وانشر علينا رحمة واختم لنـا ... بالفوز إذ يدعى بكل أنـاس
واضمُمْ إلينا نسلنا فى كل مـا ... نرجو وكل أخ وكل مواسـي
واغفر لمن قد زلَّ واقبل مَن دعا ... وارزق خشوعاً كل قلب قاسـي
ثم الصلاة على النبي المصطفـى ... وعلى الأكارم ءاله وصحابـه
من جاءنا بالدين والقسطـاس ... ما فاحَ غبَّ الغيث روضَ الآس

244) أحمد بن إبراهيم العطار الأندلسي المراكشي الشيخ العالم الصوفي.

قال فى (الصفوة) :

من أهل العلم والعمل والاجتهاد فى العبادة مصحوباً بالخشية مؤيداً بالورع والسكينة ،عرض عليه قضاء الجماعة بمراكش فامتنع بعد الالحاح عليه ، وكان لا يأكل إلا من عمل يده ، ينسخ الكتاب فيتبلغ به ، وعرض عليه بعض من العُمال ما بأيديهم فلم يمد لذلك طرفاً ، وكان له الباع المديد فى العلوم المعقولات ، بصيراً بمعضلاتها مطلعاً على دقائقها ، أخذ عن قاضي الجماعة أبى مهدى السكتاني ، وأبى عبد الله المزوار وغيرهما من أيمة مراكش ، ورحل لفاس فأخذ عن عبد القادر الفاسى وأجازه ، وأخذ فنّ القراءات عن ابن سعيد المرغيتي ، وكان عارفاً بعلم الطب خبيراً برجز ابن سينا فيه ، وفيه يقول الأديب محمد ابن زاكور الفاسي يطلب منه قراءة أرجوزة ابن سينا :

ما ذا على العطّار لو أهدى لنا ... نفضاته من جونة (1) الأرجوزه
وأباحنا أسرارها تلك التى ... هي لم تزل من دوننا محروزه
وغصون روض الشكر وهي نضيرة ... ما إن تزال بذكره مهزوزه
لا أرتضي لكماله حاشاه أن ... تبقى المعارفُ عنده محزوزه

وله طرر كثيرة ، وتقاييد فى مسائل شتى وقعت بينه وبين سيدى الحسن اليوسي فى إبطال التسلسل ، وتخرج به جماعة من الأعيان ، وأخذ علم الباطن عن سيدى محمد بن عبد الله الأندلسي دفين جنان بنشقرة المتقدم ، وعن أحمد بن إبراهيم التاملي امام جامع الكتبيين ، وهو أخذ عن الخضر عليه السلام يقظة حسبما ذكره شيخنا فى فهرسته ، ثم قال توفي رحمه الله عام خمسة ومئة وألف .

انتهى كلام الصفوة (2) .

---

1) الجونة : سليلة تكون مغطاة بالجلد تخبع فيها العطور ؛ وهى من الفصيح الذى يستعمله عوام المغرب الا أنهم يتوسعون فى اطلاقه ؛ تخبع فيها الأشياء عندهم من غير تخصيص ؛ ومن الأهازيج العادية عند الأطفال : (دب (طب) الفار فى الجونة ؛ أكل لى خبزة وزيتونة) .

2) الصفوة ص 214 .

وقد قدمنا في ترجمة الامام أحمد ابن العريف أن المترجم أحمد العطار الزاهد المترجَم هنا دفن بجنب الاملم ابن العريف .

وقال فى (المنح البادية) ما نصه :

وأخبرنا الفقيه الزاهد محمد المعطي بن عبد الخالق بن الولي الشهير سيدى محمد الشرقي عن أحمد بن ابراهيم المراكشي عن الخضر ه منها بلفظها ، وهذا هو الكلام الذى أحال عليه في (الصفوة) ، فيكون روى عن أحمد بن ابراهيم المراكشي الراوي عن الخضر شيخان : المترجم أحمد بن ابراهيم العطار ، والولي سيدى محمد المعطى الشرقي ، وفى ديوان الامام سيدى الحسن اليوسي وقال أيضاً مجيباً لأحمد بن ابراهيم العطار المراكشي رضي الله عنهما ثم أورد قصيدة فيها اثنان وستون بيتاً منها :

فقل لريح الصبا أقصر فان لنا ... من الجنوب نشوقاً غير مردود
ريح إذا ما جفت أهدت لنا أرجاً ... من كل حب شقيق القلب مودود
أحبة ما ذكرناهم على ظمأ ... إلا شفينا الحشا منهم بتبريد
حلوا السويداء والحمراء منزلهم ... فاعجب لقرب كسوناه بتبعيد
إذا سرت سحرة أرواحهم حييت ... أرواحنا وصفت من كل تنكيد
وجاء فيها من العطار عنبره ... ومسكه وهو مسك غير معهود
مسك متى ترج في الغزلان مشبهه ... فقد ترجيت شيئاً غير موجود
مسك مداد من الأرواح منبعه ... بالغيب لامن دم فى الجيد مغلود
طيف به فى صفاء ثم أنزل من ... علو إلى هيكل للوث ممهود
وما الوداد الذى وافى وداد هوى ... لكن حياة وريحان لمفؤود
وماكلام أبى العباس يبرزه ... لفظ ولكن ثمين الدرّ في الجيد
تنافست فيه لبات الصدور كما ... تنافس الدر ربات المناجيد
لله درك من غواص أبحره ... بلا جبين بنضح الموج مكدود
ومخرج اللؤلؤ الرطب الذى عدمت ... أمثاله فى نحور الخرد الرود
وممتع النفس بالصهباء تفرغها ... من فيك صافية لا من نواجيد
تديرها من بنات الفكر يعقدها ... ذكا ذكائك لا من بنت عنقود

طابت مذاقاً وفاحت معبقاً ووقـت   شروبها من أذى نزق وتفنيـــد
وما القريض الذى أبدى سوى زهر   غض بأجرع ذي شرجين معهـود
سقتْه كاساً جواري الجو سائلة   من الحيا ساريات غير تصريـد
فاهتزَّ لما تعاطى الكأس منتشياً   مكتسياً ثوب جثجاث ويعضيـد
بكت لتنزيلها من جوها حزنـاً   فضحك الزي مرتاحاً لتصعيـد
يمشي النسيم سفيراً من خمائله   بين الأحباء فى ود بتجديـد
والنرجس الغض أبدى ثغره فرحاً   ووجنة الورد أضحت ذات توريد
والدوح تختال في أثوابها مرحـاً   ويكتسى بعد عري كل أملـود
كأنما القُضْبُ قبل الغيث فى هرم   فعدن فى عنفوان يوم تسخيـد
والطل يحكى عليه الدر تحملـه   نحور حور ولكن غير منضـود
والوُرْقُ تشدو وتطري قلب ذىشجن   فوق الوريق بتطريب وتغريـد
والنهر كالأرقم المنساب مرتفعـاً   طوراً ومنخفضاً فى كل أخـدود
بل جئت بالزهر لا بالزهر تنزلها   من السماء بمنثور ومعقـود
هذا ولا غرو أن ترقى الى أفق الـ   ـمجردات بتشمير وتجريـد
وأن تكون قنوص شارد بحجـى   ركبت منه على قيد الأوابيـد
وأن تفوق عبيرَ عنبر خلـق   فربَّ طيب من العطّـار محمـود
فقد أتت لسن هذا الشان زاحفـة   حبْواً إليك وألقـت بالمقـاليـد
وقد ملكت بما أبديت أفئـدة   لنا فدانت وآذنت بتسعيـد
وصرت من ذاك قد قلدتنا مِنَنـاً   إذ صار ودك علمـاً غير تقليـد
وكـان ودك فى الأرواح ترسلـه   وأصبح اليوم من أقوى المسانيـد
فقد أبحناك منا روضة أنُـفـاً   من زاهـر الـود فيحـاء المقاليد
بل قد حللت من الأحشاء منزلـة   مستوطناً جـار إيمان وتوحيـد

وقال فى (النشر) فى ترجمة اليوسي ما نصه : ومدحه الشيخ الامام الزاهد سيدي أحمد العطار المراكشي الأندلسي بقصيدة مطلعها :

صددت والصد منك غيـر معهـود   وبالوصال قصرت كـل ممـدود
فما اجترامي وما أمسيت مشتكيـاً   بنقض عهد ولا إخـلاف مـوعـود

إلى أن قال فيها :

متى نظمت عقوداً من علاك حكـت — شمائل الحسن الرضى ابن مسعود
فتى له قدم فى الفضل راسخــة — ومنزل فى العفاف غير مجحـــود

فأجابه بقصيدة مذكورة فى ديوانه فلينظرها من شاء .

وقرأت بخط الامام أبى عبد الله المسناوي في إجازته للمنور ما نصه : ومن شيوخنا بالاجازة فقط أحمد بن إبراهيم العطار الأندلسي صالح علماء مراكش ، ولم تتفق لي القراءة عليه لما كان به من المرض حين لقيته بها فطلبتُ منه الاجازة لمكان علمه فأسعف بها جزاه الله خيراً . قال فى طرتها بخط المجيز المذكور أيضاً ما نصه : وذلك فى أواخر شوال سنة أربع ومئة وألف . وقال فى (تذكرة المحسنين) ما نصه : عام 1115 خمسة عشر ومئة وألف توفي فيه أحد أعلام مراكش ومفتيها وقاضيها أحمد بن إبراهيم العطار ، وفيه وهمان أحدهما انه توفي عام خمسة ومئة وألف كما تقدم عن (الصفوة) ، والثاني قوله قاضيها لم يكن قاضياً ، لأنه وإن عرض عليه القضاء بها امتنع منه كما فى (الصفوة) ، وكأنه اشتبه عليه بقاضيها أحمد الخطيب المذكور فى (الرحلة العياشية) المتقدمة ترجمته ، وممن أخذ عن المترجم أحمد العطار ، سيدى عبد الكبير بن أحمد بن عبد الكبير بن الحسين الدرعـي المترجم فى (الدرر المرصعة) ، وقد وقفت على نسخة ظهير يتضمن احترام أولاد الفقيه سيدى أحمد بن إبراهيم العطار ، وهم الفقيه السيد المهدي ، والسيد العربي ، وابن أختهم السيد الكامل بن المولى سيدى محمد بن إبراهيم فى متم حجة عام 1106 ستة ومئة وألف ، وهو يؤيد ما فى (الصفوة) من موته عام 1105 والله تعالى أعلم .

وقد ترجمه صاحب المرقى والحضيكي فى طبقاته ، ويأتى ذكره فى ترجمة سيدي أحمد بن إبراهيم التاملي (1) .

245) **أحمد بن إبراهيم التاملي** ، إمام جامع الكتبيين بمراكش ، أخذ عنه الامام أحمد بن إبراهيم العطار المراكشي ، وهو أخذ عن الخضر عليه السلام يقظة كما فى (المنح البادية) ونقله فى (الصفوة) أيضاً قال فيها

1) **صفوة من انتشر** ص 214 **وطبقات الحضيكى** 1 : 111 .

لدى ترجمة تلميذه المذكور ما نصه : ووقعت له مع إبراهيم وقيعة ، وذلك أن شيخه أحمد بن إبراهيم قال يوماً قيل لي تتزوج ءامنة بنت أحمد السالمي وتلد معها ولداً من وصفه كذا وكذا ، فظنّ هو أنه الامام العالم سيدى أحمد السالمي وكانت موجودة فى الوقت مرغوباً فيها لمالها وجمالها ، إلا أنه عقد عليها أقاربُها ولم يبن بها بعد ، فوُشِي بأبى العباس لأمير الوقت فاعصوصب عليه بعض المنحرفين عنه من المتفقهة ، فلم يزل يسعى به حتى أمر الأمير بالنداء عليه فى الأسواق جزاء مَنْ يخطب امرأة وهي ذات زوج ، فطيف بأبي العباس فسمعه بعض الثقات حال المناداة عليه وهو يقول اللهم إن كان فى هذا رضاك فزدني منه ، ثم انه بعد مدة عرض صاحب الترجمة ابنته على أبى العباس فسمعه بعض الثقات حال المناداة عليه وهو يقول اللهم إن كان في أن صاحب الترجمة سالم من النار أو نحو ذلك ، على أن الأولياء قد يحصل لهم الغلط فى الكشف كما يحصل للعلماء فى الفهم والله تعالى أعلم .

وقد تقدم نحو هذا فى ترجمة أحمد بن أبى القاسم الصومعي .

246) **أحمد المراكشي** الفاضل الأجل الصالح المبارك خديم الشيخ سيدي عبد الرحمان الدرعي وملازمه ، كان رحمه الله عند الشيخ أميناً على الطعام وداره معدة للضيفان الواردين رحمه الله تعالى .

ذكره فى (دوحة البستان) .

247) **أحمد الشريف المراكشي**

دخل على الشيخ سيدى محمد بن عبد الله السوسي فقال له كلمتْنى البارحة السيدة فاطمة بنغمتك وكان له حب عظيم فى الشيخ سرى به بعض أسرار الشيخ فى قلبه ، ولما بلغته وفاة الشيخ جعل يبكي ويقول أي سن تضحك لنا بعد الشيخ ؟ لقد منعنا من صحبة غيره لعلمنا بنفى نظيره ذكره فى (مباحث الأنوار) .

248) **أحمد المراكشي** ، الولي الصالح نزيل بسكرة ، أخذ عن سيدى الشميخ بن أحمد ، ولقي سيدى محمد بن الفقيه بها لما صح وظهرت للمترجم كرامات وخوارق عادات ، وكان من أهل المكاشفة والأسرار الربانية وكانت له زاوية بها وتلامذة .

ذكره فى (سلوة المحبين) فى نحو ورقتين منها فراجعها .

249) **أحمد الزاوية الدليدي** ، الشيخ الصالح ، من أصحاب الأحوال الصادقة والبصيرة النافذة ، وكانت تعتريه عند السماع هزة يخرج بها عن حسه ويثب وثبان الشباب وهو مرتعش من الكبر ، وظهرت له كرامات ، وأخبر بمغيبات ، أخذ عن سيدى عبد الله الحواوي وخدم بزاوية سيدي إبراهيم بن أحمد سنين ، ولقي جماعة من المشايخ .

توفي رحمه الله فى حدود ستة ومئة وألف، ودفن خارج باب الخميس، وقبره هناك شهير ، بنيت عليه قبة صغرى ، وفوقه دربوز كبير من الخشب بداخل مراح كبير عن يمين الداخل وهو بلصق المزارة .

غريبة :

قال بلدينا الافرانى فى (درر الحجال) ومن خطه نقلت ما نصه : وكان بعض الشيوخ مقعداً فاذا حضر السماع ودخله الوجد قام قائماً ، وعلى هذه الحالة كان الشميخ الصالح سيدى أحمد الزاوية ، فكان بعض الأمراء ينكر عليه ويقول إن الزاوية يصلي قاعداً ويرقص قائماً ، وكأن الأمير المذكور أخذ ذلك مما رأيته فى نفح الطيب هـ .

قلت وقرأت فى الشذرات فى ترجمة السيد الشريف محمد بن نصير بن علي الحسيني المتوفي سنة 687 ما نصه وروى عن الشافعي رضي الله عنه قال : رأيت بالمدينة أربع عجائب جدة عمرها إحدى وعشرون سنة ، ورجلا فلسه القاضي فى مُديْن من النوى ، وشيخاً كبيراً يدور على بيوت القيان يعلمهن الغناء فاذا حضرت الصلاة صلى قاعداً ، ورجلا يكتب بالشمال أسرع مما يكتب باليمين هـ .

ترجمه في الصفوة والحضيكي في طبقاته (1) .

250) **أحمد بن عبد الحي الحلبي** المنشأ والـدار ، الفاسي الرحلـة والقرار ، الشافعي مذهباً ، القرشي فيما يقال نسباً ، الشيخ الامام العلامة الدراكة الهمام الولي الأظهر ، والبركة الأشهر ، الفقيه الأديب ، الناثر الناظم الأريب ، الشائع البلاغة في المدح النبوي ، المفصح بالشوق والمحبة في الجناب المصطفوي ، سراج الدين ، وضياء المحبين إمام مشهور ، وهمام مشكور ، وبحر لاتكدره الدلاء ، وحبر يفاخر أعلام الدلاء (1) ، ذاق الحب النبوي وساغه ، وحمل فيه لأهـل زمانه راية البلاغـة ، وأنفق بضاعته في مـدح المصطفى ، وأخرج من بحر المعجزات ما رسب من درر البلاغة أو طفا ، فعلا في الناس قدره ، وامتلأ بالأنوار صدره ، نشأ ببلده حلب ، وفيها حلب من ثدي العلوم ما حلب ، ثم رحل لفاس ، وصارت له خير كناس ، فأعظم أهلها بعد الاختبار أمره ، وأصغروا دونه زيد الأدب وعَمْره ، وعرف علماؤها من حقيقته الفصل والخاصة ، وانتهى بينهم الى مقام خاصة الخاصة ، وتلمذ له الأكابر ، وخوطب بولايـة الكراسي والمنابر ، فأغنته الغيبة عـن الظهور ، (ومَن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور) ، وكان رضى الله عنه شافعيـاً ولم يتحول قط مالكياً ، لأنه قدوة في ذلك المذهب ، وإليه المفزع في أحكامه والمهرب ، وله مؤلفات في أغراض مختلفات ، أكثرها لم يكشف عن مخدراته سواه ، ثم لم يكد أن يبلغ فيه مداه ، وله ديوان في الأمداح النبوية ، ومقامات فيها أيضاً تعارض الحريرية ، سماها بالحلل السندسية ، في مدح الشمائل المحمدية ، كتب عليها أكثر أيمة العصر في المشرق والمغرب ، وأوسعوا في الثناء عليه بما شاهدوه من أمره المعجب ، وقد ذكر أكثرهم في كتابه كشف اللثام ، عن عرائس نعم الله تعالى ونعم رسوله عليه الصلاة والسلام ، وهذا الكتاب ذكر فيه مراءيه الالاهية والنبوية ، الدالة على أعظم البشائر الدنيوية والأخروية ، وبمطالعته يعرف قدره ، ويظهر مكانه وفخره ، وكذا بمطالعة

---

1) **الصفوة ص 215 وطبقات الحضيكي** 1 : 84 .

1) الدلاء الأول جمع دلو ؛ والدلاء الثاني الزاوية الدلائية .

غيره من تآليفه كالدر النفيس ، فى مناقب مولانا ادريس ، والسيف الصقيل ، في الانتصار لمدح الرب الجليل ، ومعراج الوصول ، فى الصلاة عنى أكرم نبي ورسول ، ومناهل الصفا ، فى جمال ذات المصطفى ، ومناهل الشفا ، فى رؤية المصطفى ، والروض البسام ، فى رؤيا غيره عليه السلام ، والكنـوز المختومة ، فى السماحة المقسومة لهذه الأمة المرحومة ، فى أربعة أسفار ، وفتح الفتاح ، على مراتع الأرواح ، وهو شرح له على قصيدة له كبيرة عينية سماها بمراتع الأرواح ، فى كمالات الفتاح ، والسيف المسلول ، فى قطع أوداج الفلوس المخذول ، وهو رجل أنكر عليه نداء النبي صلى الله عليه وسلم مجرداً عن السيادة فى قصيدة له ، وريحان القلوب ، فيما للشيخ عبد الله البرناوي من أسرار الغيوب ، فى مجلد ، وله رحمه الله فى الأمداح النبوية قصائد رفيعة كثيرة ، وأزجال بديعة شهيرة ، تارة يتغزل فيها على طريق النسيب ، وتارة يصرح أولا بالمديح وياتى فى كل بالعجب العجيب ، وله أيضاً فى مدح الأولياء وخصوصاً الادريسيين ما ينشرح به الصدر وتقر به العين ، ومراء الاهية ، ومخاطبات رحمانية ، وأخرى نبوية محمدية ، وأخرى شريفة إدريسية ، وهي أكثر من أن تحصى ، وأوسع من دائرة الاستقصا ، وقد ذكر شيئاً منها في كتبه ، وأثنى عليه أهل عصره فيما كتبوه بخطوطهم على تئاليفه ، وممن أثنى عليه منهم الشيخ سيدي محمد بن عبد القادر الفاسي ، وأخوه سيدي عبد الرحمان ، والقاضي العميري ، وأبو عبد الله القسنطينى ، والقاضي أبـو عبـد الله المجاصي ، والقاضي أبـو مدين السوسي ، وأبـو العباس المجيلدي ، وأبو العباس بن يعقوب ، وغيرهم ممن يكثر ، ومن أشياخه رحمه الله الشيخ سيدى محمد الرفاعي الحسيني شيخ مشايخ البصرة فى وقته ، وهو من حفدة القطب سيدي أحمد الرفاعي الكبير ، أخذ عنه صاحب الترجمة وانتفع به واستفاد منه ، وكان يقول فيه شيخي ووسيلتي الى الله تعالى ، ومما سمعه منه نقلا عن جده سيدى أحمد الرفاعي قال : مَن لم يعاتب نفسه فى كل نفس لم يحسب مـن الرجال ، ولازم رحمـه الله القراءة بهـذه الحضرة الفاسية بعد وروده عليها على شيوخها كالشيخ سيدي عبد القادر الفاسى وغيره ، وكان العلامة اليوسى من المعجبين بنظمه ، وكان يقضي له

كل ضرورياته من ماله لغربته ونفاسة علمه ، حتى نظم قصيدة تكلم فيها على لسان الحق فنقم عليه الشيخ اليوسي ذلك ونهاه سداً للذريعة ، وحماية لجانب الشريعة ، مخافة أن يقتدى به فى ذلك من ليس له حظ هنالك فلم ينته صاحب الترجمة عن فعله ، لعلمه أنه فيه على بصيرة من ربه ، وانه يتكلم بلسان الوجد والحال ، لا بلسان التمشدق والابتذال ، فهجره اليوسي رحمه الله واغتاظ عليه ، وقطع عنه ما كان يوجهه اليه ، فلم يبال صاحب الترجمة بما عنه صدر ، وأقبل على ما هو بصدده مما يعود عليه نفعه فى كل ورد وصدر ، وبالجملة فهو أديب شهير ، وعالم صوفي كبير ، ولوع بالأشواق النبوية ، والأمداح المصطفوية ، ظهر صدق توجهه فى محبة المصطفى ، واغترف من بحار البلاغة ما أعزه وكفى ، وأعجز كل مديح ، وحاز فى هـذا الباب الفخر الصريـح ، ودام على ما كان عليه الى أن قبضه الله اليه ، وذلك فى جمادى الثانية من عـام عشرين ومئة وألف ، ودفن بهذا الخارج على مقربة من ضريح سيدي دراس بن اسماعيل أسفل منه ، وقبره معروف الى الآن مقصود للزيارة ، يقابل الباب الذى سد بازاء الباب المفتوح اليـوم ، والدعـاء عنده مستجاب رحمه الله ونفع به .

ومما أنشده فيه العلامة الأديب سيدى الشاذلي بن الشيخ سيدى محمد بن أبي بكر الدلائي حسبما فى (البدور الضاوية) :

كيف لا يرفل فى برد العجـب	مَن يكن منشأه أرض حلـب
نجل عبد الحي مَن أحيا العـلا	بفنـون رائـقـات وأدب
زاده الله سناء وسنـا	وحباه الخلدَ يوم المنقلـب

ترجمه جماعة ، منهم الفقيه الأديـب سيدى محمد الطيب الشريـف العلمي فـى (الأنيس المطـرب ، فيمن لقي مـن أدباء المغرب) ، وصاحـب (النشر) ، و (التقاط الدرر) ، و العلامة أبو الربيع الحوات فيما رأيتـه بخطه فى بعض تقاييده التى قيدها على رؤيا صاحب الترجمة الآتية ، وأشار إليه الشيخ المدرع فى منظومته فقال :

ومنهم الامام مداح النبـــــــــي الشيخ أحمد الأديب الحلبـــــــي
قد ألف الأسفار في مدح الرسول من شعره الذى به يسبي العقـول

وقد رأيت برسم بيد شرفائنا عليه شكل العلامة الفقيه سيدى عبد الواحد بن محمد بن أحمد بن مَحمد بن عبد القادر الفاسي وبرسم ءاخر بخط الفقيه المحدث الصالـح سيدى عبد الرحمان بـن الحافظ ادريس العراقـي الحسني ناقلا له عن خط عبد الواحد المذكور ما نصه : الحمد لله ذكر العلامة الأديب الآتى من سحر البلاغة بكل عجيب ، سيدى أحمد بن عبد الحي الحلبي الشافعي رحمه الله فى كتابه المسمى بـ (كشف اللثام) ما نصه : رأيت رب العزة يعني فى المنام وهو يخاطبني خطاباً حسناً ويعدنى وعدا جميلا من الفضل والعطاء والجميل ، وذلك أظنه فى سنة سبع وثمانين وألف ، فسمعت ذلك الخطاب العظيم بمعنى لا أقدر على التعبير عن كيفيته الآن من غير صوت ولا حرف يقول لي : ياعبدى وعزتي وجلالي لأدخلنك الجنة ، وعزتي وجلالي لأغفرنَّ لك ذنوبك ، وعزتى وجلالي لأجعلنَّ من ذريتك الشرفاء ، هذا ءاخر ما سمعت منه تعالى وما بقى من الوعد الكريم لم أحفظه كله الآن لطول العهد بيني وبين هذه الرؤية ، انتهى من خطه رحمه الله ، وقد أعطاه الله سبحانه ما وعده به من جعل ذريته شرفاء ، فان بنته المسماة فاطمة كانت زوجاً للشريف الجليل ، المبجل الماجد الأصيل ، سيدي مَحمد بن الشريف المعظم الفاضل المحترم مولاي العربي بن مولاي مَحمد بن مولاي علي الذى هو مجتمع فروع قبيلة ساداتنا الشرفاء الكتانيين أهل عقبة ابن صوال الحسنيين الادريسيين حسبما وقفت على رسم صداقه معها بتاريخ ذي الحجة الحرام متم عام تسعة ومئة وألف ، وأولاد هذا الشريف زوجا الذين منهم عقبه كلهم من زوجه المذكورة حسبما وقفت عليه بزمام تركته ، وهم الشرفاء الأجلة الأربعة مولاى العربي ، ومولاى الفضيل ، ومولاي الزمزمي ، ومولاى أحمد ، ولكل واحد منهم عقب معلوم ، وفر الله عددهم ، وبمعونته وتأييده أمدهم ، فيالها من مزية لهؤلاء السادات الأشراف ما أسناها ، ويالها من بركة لهم ما أعلى قدرها وأسماها ، لهم بها من سمو الفخر ما لا يحتاج لبيان ، ومن علو القدر ما لا يكاد يبين عنه لسان ، نفعنـا الله بمحبة ءال بيت نبيـه الكرام ، وجعلنـا من

المحشورين فى زمرة جدهم المصطفى عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام ، فمن وقف على ما ذكر كما ذكر ، ووعاه كما قرر وسطر ، قيده هنا أوائل ربيع النبوي الأنور من عام واحد بعد المئتين والألف انتهى ما رأيته بحروفه .

قلت : ومن منن الله علينا أن جعلنا وجل الموجودين الآن من هذه الشعبة الكتانية من حفدة هذا السيد الجليل صاحب هذه الرؤيا ، وهو صاحب الترجمة من بنته فاطمة المذكورة ، وكانت وفاتها حسبما فى زمام تركتها بخط العلامة محمد بن الطيب القادرى صاحب (نشر المثاني) وغيره سنة سبعين ومئة وألف ، وخلفت من زوجها المذكور كما تقدم أربعة أولاد أولهم المسن البركة مولاي العربي ، وكانت وفاته سنة ست وتسعين ومئة وألف، والثانى مولاي أحمد وكانت وفاته سنة ثلاث وتسعين ومئة وألف ، والثالث الفقيه الأجل التالي كتاب الله عز وجل ، مولاي الفضيل وكانت وفاته سنة ست وثمانين ومئة وألف ، والرابع الفقيه الأجل الامام بمسجد الحوت (1) مولاي الزمزمي وتاتى وفاته عند ترجمته قريباً ان شاء الله ، وبه يتصل نسب جامع هذا التقييد عفا الله عنه ، وقد أثنى على هذه الشعبة بسبب الرؤيا المذكورة نظماً ونثراً جماعة من الأيمة الاعلام ، كالعلامة سيدي عبد الواحد الفاسى المذكور ، والشيخ سيدى عبد القادر بن شقرون ، والمحدث الصوفي سيدى سيدى حمدون ابن الحاج السلمي ، المرداسي ، والفقيه المشارك سيدى العربي بن أحمد بن التاودى ابن سودة المري ، والأديب البارع سيدى أحمد بن محمد ابن شقرون الحسني العلمي الموسوي ، والعلامة الدراكة الأديب مولانا سليمان بن محمد الحوات الحسني ، وغيرهم .

ومما أنشده فى ذلك سيدى حمدون ابن الحاج :

حزتم من الشرف الأثيل ما به قد	زاحمتم منكب الجوازء فى أفــــق
وان رؤيا ابن عبد الحي فيكم قد	أتاه تاويلها يضيء كالفلـــــــــق
منيطة بكم الذكر الجميل كمــــــا	تنيط حسناء عقد الدر فى العنــق

---

1) هو المعروف بجامع الحوت فى مدخل جزام ابن عامر من جهة رحبة التبن بفاس .

ومما أنشده فيه سيدى العربي ابن سودة المري :

حزتم برؤيا ابن عبد الحي منقبة ... زدتم بها شرفاً حقاً على شرف
وذاك غير غريب فى بيوتكم ... بيت النبوءة مأوى الفضل والشرف

ومما أنشده فيه أيضاً سيدى أحمد شقور العلمي :

نلتم برؤيا ابن عبد الحي مكرمة ... من دونها الشمس اذ تحل فى الحمل
والله خصكُم بها فلا أحد ... يفي بحقكم فى القول والعمل
لا غرو ان حزتمُ الفضل الجسيم فلم ... تنكر مزيتكم فى السهل والجبل
بقيتم ببقاء الدهر فى شرف ... وقدركم دائما يعلو على زحل

وأنكر الفقيه العلامة الصوفي المحدث البركة النفاعة سيدى عبد القادر بن أحمد الكوهن دفين المدينة المنورة فى بقيعها فى شهر صفر سنة أربع وخمسين ومئتين وألف أن تكون فى هذه الرؤيا منقبة لهؤلاء الأشراف قائلا : لا يخفى على ذى لب أن رائيها هو الذى حاز بها شرفاً واكتسب بها فى الدارين علواً بالقرب من المصطفى حيث اتصل نسبه بخير الأنساب ، ودخل فى زمرة هؤلاء السادات الأنجاب ، قال وأما هؤلاء السادات فشرفُهم الذى سما فوق طباق السماوات فى غنى عن التأكيد ، غير محتاج إلى التأييد ، إذ هو أشهر من نار على علم ، وأعز من أن يعبر عنه اللسان والقلم هـ وقصد رحمه الله بهذا بيان سمو رتبة هذا الشعبة الكتانية وعلو مكانتها وظهور عزتها ورفعتها وأن نسبها ثابت صحيح ، لا يحتاج الى زيادة تصحيح ، والا فلا يخفى أن هذه الرؤيا قد اشتلمت لهذه على مزيتين عظيمتين الأولى شهادة الله الذى يعلم ما ظهر وما خفى بأنهم من ذرية نبيه وحبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم وكفاهم هذه الشهادة فضلا ومنقبة وذكراً ، وثناء جميلا وفخراً ، ولم نسمع بصدور مثلها منه سبحانه وتعالى لقبيلة من قبائل الأشراف على كثرتها واتساعها (والله يوتي فضله مَن يشاء ، والله ذو الفضل العظيم) .
والثانية ذكر الله تعالى لهم بذاته المقدسة وكلامه القديم ، وفى ذلك من الاعتناء بهم والتنويه بقدرهم ما لا يخفى ، والدليل على أن ذكر الله تعالى لعبده من

أعظم المناقب الكتاب والسنة ، أما الكتاب فقوله تعالى (اذكروني أذكركم) ، فجعل سبحانه جزاءَ ذكر العبد له ذكره تعالى بنفسه لعبده ، ولولا أن في ذلك الذكر من تفخيم العبد وترفيع قدره وجنابه ما يجلُّ عن الحصر ما جعله جزاء عن ذكره ، وقيل في قوله تعالى (ألا بذكر الله تطمئنُّ القلوب) أنه بذكره تبارك وتعالى اياهم تطمئن قلوبهم ، وأما السنة فأخرج الشيخان والترمذي عن أنس رضي الله عنه قال ، قال رسول الله عليه وسلم لأُبَيّ بن كعب ان الله أمرني أن أقرأ عليك (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب) ، قال وسماني الله تعالى لك ، قال نعم ، فبكى أُبَيّ يعني بكاء فرح وسرور بذكر الله عز وجل له ، وفي رواية للبخاري في التفسير من حديث أنس أيضاً أن الله أمرني أن أقرئك القرءان ،قال الله سماني لك قال نعم ، قال وقد ذكرت عند رب العالمين قال نعم ، فذرفت عيناه والله تعالى أعلم ، وقد قال الشيخ مولانا سليمان بن محمد الحوات الحسني في بعض ما كتبه عن الرؤيا السابقة ما نصه : ومما يزيدهم الفضل على الفضل ، ويشهد لهم برد الفرع الى الأصل ، ما حدثني به بعض فضلاء أهل النسب ممن عزز الله له وصفي العلم والدين بثالث من لدنه شاهد له بالفتح المبين أن الشيخ أبا شعيب بن عمرو المطيري نزيل مدرسة العطارين عدوة فاس القرويين ثار به الشوق المزعج الى أداء فريضة الحج وزيارة ساكن طيبة ، التي هي من أعظم قربة ، فرأى ذات ليلة في المنام سيد الوجود عليه الصلاة والسلام وفي وجهه تباشير الاقبال كأنها توذن بالمأمول في الحال قبل الاستقبال ، وصدقها صلى الله عليه وسلم من فصل خطابه بصادق الوعد لا يماطل معه غريم السعد وانه سيقضي ضماره من حقوق الحج والعمرة والزيارة في صحبة شريفين من صرحاء ذريته ، ثم ينعطف معهما استكمالا لأمنيته ، نحو القدس ومدينة الخليل ، لزيارة مَن بها من مشاهد الأنبياء وعلى الله قصد السبيل ، فلم يلبث الا يسيراً وكان مزجَى البضاعة ، ثم يسَّر الله له من حيث لا يحتسب أسباب الاستطاعة ، وسافر صحبة الركب الفاسي في عشرة شريفيْن من ذرية المصطفى تحقيقاً من الله لو عد مَن اذا وعد وفى صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ، والشريفان هما السيد البركة الديِّن عبد الرحمان بن عبد الواحد العراقي الحسني من أفاضل

الشعبة العراقية التى هي فى سماء الشهرة راقية ، والسيد المكين الخير أبو طالب بن عبد الله الكتاني الحسني وهو أنضر الفروع فى الشجرة الكتانية ، الذين تمت لهم العناية بالرؤيا الأولى والثانية ، ولم يفارقهما قطك حتى ظفر بالسول ، من حج البيت وزيارة الرسول ، ثم قدس معهما وخلل ، واستكمل ببركة جدهما صلى الله عليه وسلم ما أمل ، فهذه أيضاً منقبة سنية ، وشهادة لشعبتي الشريفين بأنهما من صفوة الذرية ، ولقد اعتد بهذه المرائي النبوية واعتبرها غير واحد من أفاضل العلماء وأكابر الأيمة المتقدمين والمتأخرين وعدوها من الآيات الظاهرة والمناقب الباهرة ، انتهى المراد من كلام سيدى سليمان الحوات المذكور ومن خطه نقلت والشيخ أبو شعيب هذا كان موصوفا بالعلم والتقوى ، محبوباً فى السر والنجوى ، زاهداً ورعاً خاشعاً ولياً صالحا خاضعا زوارا للصالحين محبا فى المساكين ممن أقبل على الله وأعرض عن الدنيا مجانباً هواه واتصل بالقطب مولاى أحمد الصقلي ، وتربى به وتهذب ، وتجلى فى مقعد الصدق وتقرب ، وكانت وفاته بمصر القاهرة سنة أربع وثمانين ومئة وألف نفعنا الله به ، ولرؤياه هذه نظائر تتعلق بهذه الشعبة أضربنا عنها مخافة الطول .

انتهى من (السلوة) .

والى هذا أشرت بقولي فى مشجر تضمن أبو الاسعاد عبد الحي :

إن الامام أبا العباس من حلب	مداح خير الورى وآله النجب
بمدحه نال فى العليا رغائبه	وفاز بالعز والتشريف والأرب
وقد رأى ربنا رؤيا وخاطبه	أعظمْ بها رتبة من أشرف الرتب
أناله ما تمنى فوق رغبته	فضلا ومَنّاً بما يرجوه فى الطلب
لا ذنب يبقى عليه تم سؤدده	بجعل أعقابه من أشرف النسب
سعادة نال فى وعد بجنته	تزوجت بنته بفرع خير أب
عالي المقام شريف فى مجادته	كتاني من عمود المجد والحسَب
اعقب منها من الأشراف أربعة	نالوا مفاخرهم بالارث والأدب
دامت مآثرهم تتلى وتحفظ فى	شرق وغرب لدا الأجزاء والكتب
عمت مناقبهم اذ وضحت وجلت	كالشمس رأدّ الضحى فى سائر الحقب

بهم تشرف ذاك الحبر اذ حصلت ... له بهم نسبة فخر لمنتســـــب
دامت عليه من الرحمان رحمتـــه ... أمداحه كسبائك من الذهـــب
الله أكرمه والله شرفـــــــه ... بجعل أعقابه من فرع خير نبـــي
لله ما فيه من اظهار مكرمـــــة ... لذلك البيت بيت السادة النجـب
حووا من المجد والآثار ظاهـــرة ... ما جل مقداره عن سبر محتسـب
يارب بالمصطفى الهادي وعترتـــه ... أمن عبيدك يوم الهول والرهـــب
يارب صل على المختار سيدنـــا ... وآله الماسكين أوثق السبـــب

وقد وقفت على تأليفه (المقامات السندسية ، فى المقامات الأحمدية القدسية) ، وقد وقفت على مجلد من شعره قدم له خطبة وهو من عرائس الأفكار ، فى مدائح المختار أولها همزية مطلعها :

بدء مجدك فى المعالى انتهـــاء ... للنبيئين والورى شهـــــداء

ومـــنـــهـــا :

وسرى للعباس فى القلب حــــب ... مثـــل عـــود سرت بـــه الأنـــواء
ما أجل العباس عمّاً لطــــه ... وبه من بعده الاستسقـــــاء

وختامهـــا :

السلام عليك والمسك ختمــــى ... بشذاك تأرج الأرجـــــــاء

وعدتها 284 بيتاً ، وبعدها لامية مطلعها :

صلاة ثم تسليم على مَـــــن ... أتانا بالهدى ومحا الضــــلالا

وختامهـــا :

وكيف يضيع ذا الحلبي يومـــاً ... وأدلى بالمديح لكم ومــــالا

وبعدها دالية مطلعها :

صل يارب على من نــــوره ... يجتلى للأوليا قبل الوجـــود

وبعدها كافية مطلعها :

الصلاة عليك ياخير خلـــــــق ما سبى العاشقين نـور سنـاك

وبعدها فائية مطلعها :

أزكى الصلاة عليك ياخير الورى ما هـام صبٌ فى جمالك متلـف
قلبي بكم أبدا يهيم ويكلـــــف يامن بغير هواهم لا أعـــــرف

وبعدها دالية مطلعها :

صل يارب على الهادى الـــذى مـــلأ القلب بغالـــــــي وده
حوز محبوبى الحشا من سعــده فأدام الله عليا مجـــــــــــده

وبعدها بائية مطلعها :

صل يارب على خير الـــــورى سيد الكونين طه المجتبـــــــى
كلما هبت نسيمات الصبـــــا هزني الشوق إليكم طربــــــا

وبعدها لامية مطلعها :

صلاتى والسلام على التهامــــي هو الهادي محمد الرســـــول
خليلي كم دها خطب جليــــل اذا حل التودع والرحيــــــل

وبعدها واوية مطلعها :

صل يارب على خير الــــورى من له حب على القلب احتـــوى
يارعى الله غزالا قد ثــــــوى بفؤادي وبوادي ذي طــــوى

وبعدها همزية مطلعها :

صلاة ثم تسليم كريـــــــــم على مَن يُرتَجى منه الهنـــاء
لعمرك ما البكـــا الا دواء على مَن فقده للقلـــب داء

وبعدها تائية مطلعها :

صل ياربنا وسلم على مَــــن حاز فى الرسل أرفع الدرجـات
لا يفيق الحجا من السكــرات وعليه احتوى الحبيب المواتـــي

وبعدها بائية مطلعها :

صلاتي والسلام على حبيـــب ... له ذكر بسمعي مستطــــاب
ظباء الحيّ بعدكم اقتـــراب ... وصدكم لديّ مستطـــاب

وبعدها جيمية مطلعها :

صل ياربنا وسلم على مَـــن ... بحرُ أنواره لدينا يمـــوج

وبعدها حائية مطلعها :

صل يارب على خير الـــورى ... مَن شذاه المسك فى الأطلال فاح

وبعدها دالية مطلعها :

صلاتي والسلام على التهامـــي ... شفيع الخلق فى يوم التنـــادي

وهاك بقية مطالع قصائده :

صل ياربنا وسلم على مَـــن ... جاء بالحقّ رحمة للنـــاس
صل ياربنا وسلم على مَـــن ... خص بالاصطفاء والاختصـــاص
صل ياربنا وسلم على مَـــن ... عمنا بحره به الفيـــاض
فى بحار الهوى أطلت شروعـــي ... فيك يايوسفَ الجمال البديـــع
صلّ يارب على مَن فى قبـــا ... نشره ريح الغوالي يعبـــق
صلّ يارب على طه الـــذى ... فـاق كل الأنبيـا والفضـــلا
سلام على خاتم المرسليـــن ... منَ الله فى كل وقت وحيـــن
ألا صل وقل طول الزمـــان ... جمالك يامحمد قد سبانـــي
صلّ ياربنا وسلم على مَـــن ... حاز لما سرى مقاماً عليـــا
مامُنى النفس غير طيب الحبيب ... إن طيب الحبيب أطيب طيـــب
صلّ ياربنا وسلمْ عـلى مَـــن ... جاءنا بالســـرور والآلاء
صلاتي والسلام على حبيبـــي ... بطيب لقاه تنجبر القلـــوب
الصلاة عليك ياخير خلـــق ... ما سمعت صلاتنا فأجبـــت
ألا صلوا على الهادي الذى قـــد ... أضاء بمهجتي أبدا وعينـــي

الصلاة ثمَّ السلام على مَـــــن … خضعت لجنابه العظمـــــــــاء
صلاتي والسلام على حبيبــــي … مليح الوجه معدن كل طيــــب
صل يارب على خير خلــــق … سيد الرسل الكرام الهـــــداة
أزكى صلاة الاله دائمـــــة … على الشفيع المنيل للفـــرج
صل وسلم ذا الجلال على الــذى … يفدى بـــه الأولاد والأرواح
عليك صلاة الله ما هبت الصبـــا … وما دامت الأكوان منك تطيـــب
قلب المحب من الأشواق منهوب … وموته فى هوى الأحباب محبــوب
صلاتي على المختار من نسل هاشم … ومن هو فى يوم القيامة شافـــع
سلام كنشر الغوالي علــــى … مَنِ اختصّه الله باري النســـم
صلاة ثم تسليم كريـــــم … على من جاء بالذكر المبيــــن
الصلاة عليك يامَن تعالـــــى … يشهد الملكوت مع جبريـــــلا
صل يارب على طه الـــــذى … أذهب الله به عنّا الحـــزن
ألا صلّوا قياماً أو قعـــودا … على خير الورى ياعاشقينــــا
يامعشر العشاق صلـــــوا … على خير الورى الهادى محمـــد
محمد مالك قلبي محمـــــــد … وما سكن الحشا الا محمــــد

وباقي أبياتها مفتتح ومختتم بمحمد وعدتها 59 بيتاً

يارسول الله كن لى شافعـــــاً … ومغيثاً عند هول المحشــــــر
صل ياربنا وسلم على مــــن … قد أتانا مبشرا ونذيــــــرا
صلاتي والسلام على الرســـول … منيل المومنين هدى وعـــــزا
صل يارب على من نــــوره … يتجلى مستطيلا فى الحلــــك
صل ياربنا وسلم على مَـــن … نشر ريّاه بالحجاز محيــــط
صلاة الله تترى كل وقـــت … على خير الورى قطب المـــلاح
صل ياربنا وسلم على مَـــن … نوره فى قلوبنا وهـــــاج
صلاة ثم تسليم دوامــــــا … على المختار ذى الوجه المليـــح
رب صل عـلى النبيء وسلـــم … ما تجـول الأطيار فى فى الأدواح
صل يارب ثم سلم عـــلى مَـــن … سلب العقـل بالبهـا والجمـــال

سلام طيب إلمليح وجـــــــه | به فى النـاس يستسقـى الغمام
يارسول الله يابحــر الصفـــا | يامَن المـولى سنـــاه وصفـــا
ببســم الله نبـدأ فى النظـــام | ونحمـده عـلى طـول الـدوام

وهي فى الأسماء الحسنى

دعوتـك ياالله جدْ لي بتوبـــة | فانك للداعي مجيـب وسامـــع

وهي فى التوحيد

بدأت ببسم الله كنزي ذخيـــرتي | وتمجيد ربى ذي الصفـات البهية
أزكى الصلاة على النبي المصطفى | زين الأنـــام وسيد الشفعـــاء

كل بيت منها اشتمل فى أوله على حرف من حروف المعجم

يارب صل على النبي محمــــــد | من بحر شرح صفاته لا ينتهـــى
صلاة ثـم تسليـم كريـــــم | على مَن عمنـا منه الهنــــاء
ألا أيها العشاق بالله فاخضعـوا | وصلوا على من بالشفاعـة سابـق
صلاة وتسليم على خير مرســل | حبيب شذاه المسك فى الكون يعبق
سلام على من للنبئين خـــاتـــم | ومـن لنبوءات الأوائــــل وارث
صل يارب عـلى خيـر الـــورى | سيد الكونيـن تـــاج الأرؤس
صل يارب على خير الـــورى | سيد الكونين قطب المرسليـــن
صلاتي والسلام على التهامــــي | هو الهادي محمد الأميـــــن
صلاة وتسليم على خير مرســل | صلاة بها نرجو البشارة والأمنـا
صلاتي والسلام عليك يامـــن | له طرف على الملكوت يقـــوى
صل يارب على مَن سمـــا | للسماوات العــلا والمستـوى
صلاة وتسليم وأزكا تحيـــة | على راكب اليعفور والناقة القصوى
صلاتي والسلام على حبيـــب | تنزه فى المحاسن عن شبيــــه
صل يارب على المختار مـــن | فاق كل الخلق حسناً وبهـــا
صلاة وتبسليم وأزكى تحيـــة | على المصطفى شمس الملاحة والبها
أيا صابراً انْ شئت قرب محمـــد | فصل عليه واسأل العطف والفضلا

صل يارب على مَن خيره ... لم يزل يجري على ميت وحي

صلاتي والسلام عليك يامَن ... سما قدراً لدى المولى عليا

صلاة وتسليم على خير مرسل ... حبيب أتى من حضرة الله راضيا

صل ياربنا وسلم على من ... لم يزل نور وجهه وقادا

يارب صل على الهادي وشيعته ... مَن حبه فى صميم القلب قد نفذا

عليك أزكا سلام طيب عطر ... ما صافح الزهر غصن الروض واعتنقا

صلى عليك الله ياخير الورى ... ما دامْ نورك في العوالم يشرق

صل ياربنا وسلمْ على مَن ... طيب رياه فاح فى الآفاق

عليك أزكى صلاة لا نفاد لها ... ياصورة المصطفى ما فاح رياك

عليك أزكى صلاة الله عاطرة ... يامَن محاسنه جلت عن الشركا

يارب صل على الهادي وعترته ... ما صاح طير على النبات والأرك

صلى عليك الله ياخير الورى ... ما اخضرَّ روض بالأزاهر يضحك

صل ياربنا وسلمْ على مَن ... قدره فوق كل قدر لديكا

عليك أزكى صلاة الله طيبة ... يامن لنا في رضاه القصد والسول

صلى عليك الله يانور الهدى ... ما دام قدرك في الانام جليلا

يارب صل على الحبيب المصطفى ... شمس الملاحة ذي المقام الأكمل

صل ياربنا وسلم على مَن ... بالمدينة نوره يتلالا

صل يارب على خير الورى ... سيد الكونين سلطان الجمال

صلاة وتسليم وأزكا تحية ... على مَن له ريح من المسك أطيب

صل يارب على خير الورى ... قرة العينين عالي الرتبة

يارب صل على بحر الصلاح ومن ... نرجو به في غد بشرى وأفراحا

أزكا الصلاة على الحبيب المصطفى ... ما طاب جسماً فى الأنام وروحا

صل ياربنا وسلم على مَن ... طيبه بالحجاز كالمسك فاحا

صل يارب على خير الورى ... مَن له البدر بمهد قد صغا

صلاتي والسلام عليك يامن ... له ريق من الأسقام شافي

صلى عليك إلاه العرش ما طلعت ... شمس وما اهتزت الأشجار فى الورق

عليك أزكا سلام طيب عطر ... ما صافح الزهر غصن الروض واعتنقا

صلى عليك الله ياعلَم الهـــدى ... ما دام ذكرك في القلوب لذيـــذا
صل يا ربنا وسلم على مَـــن ... نوره قد أزال كل ظـــلام
يارب صل على الهادي وعترتـه ... ما دامت الشمس فى الأبراج تنتقل
صلاتى والسلام عليك يامـــن ... بفيض كمال فضل الله خصـــا
صلاتىْ والسلام عليك يامـــن ... بخيْر من عطا الرحمان يرضـى
صل يارب على خير الـــورى ... مَن له نور بمجد أومضـــا
صلاة وتسليم على أكرم الـورى ... صلاة بها نرجو غدا الفوز والرضى
صلاتي والسلام عليك يامـــن ... أنال المومنين هنا وبسْطـــا
صل يارب على خير الـــورى ... مـن به الكون ازدهى وانبسطـا
صلاة وتسليم على من ضريحـه ... لأنوار ذي العرش المهيمن مهبط
صل يارب على المختار مـــن ... باللقا فى قاب قوسين احتظـــا
صلاتي والسلام عليك يامـــن ... رعى امحبه أبدا حفاظـــا
صلاتي على المختار من عنه للورى ... جميع علوم اللوح تروى وتحفـظ
صلاة وتسليم من الله دائمـــا ... علي مَن له نور بطيبة ساطـــع
صلاة وتسليم على المصطفى الذى ... حلا ذكره فى مهجتي ومسامعـــي
صل يارب على خير الـــورى ... من له القدر العظيم الأرفـــع
صلاتي والسلام على حبيـــب ... رحيب القلب محمود المساعـــي
صلاتي والسلام على حبيـــب ... لدى أنواره الأقمار تلغـــا
صلاتى على مَن جاء بالحق والهدى ... وكان به جيش الأباطل يدمـــغ

قافية الألف :

سلام قريب العهد من رافع العـلا ... على من حماه للبرية ملجـــأ

البـاء :

صلاتك ربي والسلام مؤبـــداً ... على مَن له فى حضرة القدس مركب

التـاء :

صلاة كعد الرمل والقطر والحصـا ... على من به يُمْحا الضلال ويكبت

الثـاء :

سلام عبيق النشر فى الأرض والسما ... على من سناه للهداية مـــورث

الجيـم :

صلاة من الرحمانِ دائمة الشــذا ... على من بذكراه الأوائل تلهــج

الحـاء .

سلام منيل الكون نوراً وبهجــة ... على مَن حلا فيه الثنا والتمـدح

الخـاء :

صلاة من القيوم يسمو دوامهـا ... على مَن له قدر على الرسل يشمح

الـدال :

سلام كريم زاهر متــأرج ... على من أتى بالحق يهدى ويرشد

الـذال :

صلاة نفيس مستبد ورودهـا ... على من غدا فى الحشر للخلق يُنقِذ

السين (I)

سلام به تحيا القلوب من الصـدا ... على من سرى ليلا الى حضرة القدس

الشين :

صلاة" من المولى على خير مرسـل ... أجل الورى قدراً من الفرش للعرش

الصاد :

صلاة من المولى على أحمد الـذى ... غدا بالعلا فى قاب قوسين مختصا

الضاد :

صلاة وتسليم على المصطفى الـذى ... أضاء محياه السماوات والأرضـا

الطاء :

صلاتي على مَن قد تجلى جمالـه ... بطيبة يعلو بالجلال وينحـط

الظاء :

صلاة وتسليم على خير مَن أتـى ... رءوفاً رحيماً لا غليظا ولا فظـا

I) أغفل الشاعر أو المؤلف عند الطبع حرفى الراء والزاى .

العين :

صلاتي على قطب الوجود محمـــد حبيب به سر المهيمن مـــودع

الغين :

صلاتي على من قد تجلى بوجهـــه فصار سنا الأقمار من وجهه مُلْغى

الـفـاء :

صلاة من الرحمان ثم سلامـــــه على من أتى بالرشد للخلق يتحف

القاف :

صلاتي على مَن عطر الكون نشره حبيب شذاه المسك بالغور يعبق

الكاف :

صلاة وتسليم وأزكا تحيـــــة على المصطفى المختار أذكا من المسك

الـلام :

صلاة على قطب النبيئين أحمـــد حبيب له وجه من البدر أكمـــل

الميم :

صلاة على البدر المنير محمـــد حبيب له الأملاك والرسل تخـدم

النون :

صلاتي على المختار ما طاب ذكره وما دام مع ذكر المهيمن يقـــرن

الهـاء :

صلاتي علىمن صار فى الرسل مفردا له الرتبة العليا من الرسل أوجـه

الـواو :

صلاة وتسليم على خير مرســـل محمد المنجي من الهول والبلوى

اليـا :

صلاتي على الهادى الشفيع محمد حبيب أتى بالرشد والحق داعيا

وختامها :

أزكا صلاة وتسليم ومرحمـــــة على حبيب بروح القدس مشمول
وقد غدوت بأقصى الغرب مرتهنـاً مضني قريح الحشا والأنس مبتول

أشدو وأنشد فقداً للحبيب جوى (بانتْ سُعاد فقلبي اليوم متبول)

وهذا مطلع موشح :

يارب صل على المختـــــــار باب الله الساطع الأنـــوار

ثم مطلع ءاخر :

مرحباً وسهلا ياربيـــــع الأول جئتنا بطه أحمد المفضـــــــل

وقال فى مطلع قصيدة مدح بها مولانا ادريس الأكبر من الخفيف :

ها أتينا لبابكم سائلينــــــا وبرحب جنابكم خاضعينـــــا

وفى مطلع أخرى مدح بها مولانا إدريس الأزهر دفين فاس على لسانه :

طاب الوجود بدولتي وولائـــي من ذا يداني رفعتي وسنـــائـي

وقال أيضاً يمدحه :

ما بال دمعي يصب صب أمطـار ألبُ قلبي قديم الـداء أم طارى ؟

وقال :

عج بادريس الرضا والغيـــر دع واطلب الاحسان من باب الـودع

وقال فى مطلع :

قف باحتشام ذليل القلب واعتمد مولاي إدريس بحر الجود والمدد

وقال فى مطلع :

عرج بذا القبــر ثـم نـــــاد مولاي إدريس مـن لصـــــاد

وقال فى مطلع :

على قبرنا قف عند ضيق المناهج تفز بعليٍّ القدر من ذي المعـارج
ألم تر أن الله أسبغ نعمـــــة علينا وأولانـا قضاء الحـوائـج

وقال فى مولانا عبد السلام بن مشيش قصيدة مطلعها :

دعتني دواعى الشوق والقلب أكمد وزفرة تبريح الغرام تزيـــــد

وقال في سيدي أحمد الشاوي قصيدة مطلعها :

ضريح الرضا الشاوي قد فزت بالسر بسر إلاه العرش يالك من قبـــر

وله في سيدى علي أبى غالب قصيدة مطلعها :

إذا ضقت من سقم غـالـب فلذ أبالولـي أبي غـالـب

وقال في سيدي أبي يعزى قصيدة مطلعها :

بدور الحسن لاح لها ابتسـام بمنت فانجلى عنهـا الظـلام

وقال في سيدى علي بن حرزهم على لسانه أخرى مطلعها :

وإذا أصابتك الشدائد لذ بنـا نحن الكرام وليس يشقى ضيفنـا

وقال في سيدى محمد بن عباد قصيدة مطلعها :

ألا قف على القبر عند الشدائـد وقل ياابن عباد لديك مقـاصدي

وقال في سيدي أبي جيدة قصيدة مطلعها :

أفكري إن ترد نيـل المـرام فبـادر بامتـداحـك للكـرام

وقال في مولانا عبد القـادر الجيلاني قصيدة مطلعها :

دار كاس الصفا بخيـر الأوانـي من مدام لهـا القلـوب أوان

وقال في مطلع :

لمن نلتجى يامن إليه تصيـر أمور جميـع الخلـق وهو بصير

وقال :

يارب صل على عين الوجود ومـن من نوره خلـق الكرسي والقلم

وختامهـا :

وما شدا حلبـي من صبابتـه أرقت والدمع فوق الخد ينسجـم

وهذه النسخة التى وقفت عليها من ديوان المترجم كتبت عام 1130 من أصل صحيح جيد عتيق ، وقد ذكر فى (الأنيس المطرب) تقاريظ عدة على هذا الديوان ، منها تقريظ سيدى عبد القادر الفاسي ، وولديه سيدى محمد ، وسيدى عبد الرحمان ، وشيخ الجماعة سيدى محمد بن مبارك المغراوي الوراق ، وقاضى فاس الجديد سيدى محمد بن علي السليماني ، ومنهم مَن لم يذكر تقاريظهم وهم القاضى أبو عبد الله المجاصي ، والشيخ أحمد بن حمدان والشيخ محمد المرابط الدلائي شارح التسهيل وأخوه الشيخ محمد الملقب بالشاذلي ، والشيخ الحسن اليوسى ، والشيخ محمد الهشتوكي نزيل مراكش ، والشيخ علي بركة التطاوني ، والخطيب الشيخ محمد البوعناني ، وكتب له على مقاماته محمد بن أحمد الكماد ، والقاضى عبد الملك التاجموعتي ، ومفتي تونس محمد بن إبراهيم المعروف بفتاته ، وزين العابدين سيدى محمد البكري الصديقي ، وكتب له على (الدر النفيس) التاجموعتي المتقدم والمجاصى والشيخ محمد أبو مدين المكناسي ، والكماد ، والشاذلي ، والشيخ عبد الواحد البوعناني ، وكتب له على (فتح الفتاح) القاضي الشيخ أحمد بن سعيد ، والكماد ، والشيخ محمد بن محمد البوعناني ، والشيخ محمد بن عبد القادر الفاسي ، وأخوه أبو زيد ، والمجاصي ، وأبو مدين ، والشاذلي ، والشيخ أحمد بن العربي بن الحاج ، والشيخ سعيد بن أبى القاسم العميري ، والشيخ أحمد بن يعقوب الولالي ، وقد نقل ذلك كله المترجم فى كتابه (كشف اللثام) وبمطالعة هذا الكتاب وغيره من مصنفاته يعلم مقدار هذا الرجل ، وسياتي فى ترجمة المرغيتي سيدى محمد أن المترجم لازمه سنة مدة إقامته بمراكش .

وقال المترجم فى ءاخر كتابه (الدر النفيس) ما نصه : خلقت ونشأت أنا وءابائى وأجدادى فى مدينة حلب من أرض الشام ، وهي الأرض المقدسة ، وكان أصل أجدادي قبل ذلك من مدينة تدمر بتاء فوقية مفتوحة ودال مهملة ساكنة وميم مرفوعة وراء وهي مدينة قديمة أزليّة بين الشام والعراق ، وقد سمعت أن نسبنا ينتهى إلى سيدنا ومولانا عبد الرحمان بن عوف الزهري أحد العشرة المبشرين بالجنة ألحقني الله بذلك بمنه وكرمه ،

وأماتنا على محبة النبي صلى الله عليه وسلم ، وعلى محبة آله وصحبه رضي الله تعالى عنهم أجمعين .

251) **احمد بن العلامة علي المراكشي** ، الفقيه العالم القاضي ، توفي فى ليلة عيد الفطر من سنة تسع وعشرين ومئة والف ، وصُلي عليه من الغد ودفن بالموضع المسمى بالعلو من رباط الفتح ، هكذا فى الاستقصا فى 54 من ج 4 والذى رأيته بخط العلامة سيدى أحمد بن عاشر الحافي فى كناشه ما نصه : وتوفي الفقيه العالم القاضي سيدى أحمد بن العلامة الحافظ الدراكة سيدى علي المراكشي رضي الله عنهما ليلة عيد الفطر ، وصلي عليه من الغد ، ودفن بالموضع المسمى بالعلو من محروسة الرباط عام 1123 هـ ولا شك أن الصواب هو الثاني لكونه معاصره .

252) احمد بن محمد احزي الهشتوكي

أحمد بن محمد بن داوود بن يعزى بن يوسف الجزولي التملي نسباً ، أحزى لقباً ، الهشتوكي شهرة ، أخذ الله بيده سراً وجهرة ، هكذا سمى نفسه فى اجازته لأبى العباس الدمنهوري المجيز له عامة بما أجازه سيدى عبد القادر الفاسي حسبما أورد ذلك المجاز فى ءاخر فهرسته وأودع فيها فهرسة أبى السعود المذكور .

كان رحمه الله علامة مشاركاً ناسكا ، ووقفت على فهرسته المذكورة المسماة (قرى العجلان ، على إجازة الأحبة والاخوان) ، ذكر فى أولها أسماء مشاهير الآخذين عنه من أهل سوس وسجلماسة والصحراء ، وترجم لمشايخه وما قرأه عليهم ، وهم أبو عبد الله ابن ناصر الدرعي ، وأخوه الحسين ، والحسن اليوسي ، وابن حمدان التلمساني ، وغيرهم ، وأطال فى ذكر أشياخ أشياخه المذكورين وتنقلات شيخه اليوسي وجملة من أجازه عامة الشيخ ابن ناصر وابن سعيد المرغيتي وأبو السعود الفاسي وولده أبو زيد وأبو سالم العياشي واليوسي والخرشي والزرقاني والشهاب أحمد العجمي ، واحمد بن حمدان التلمساني ، والملا إبراهيم الكوراني ، وغيرهم ، وذكر الحضيكي في طبقاته أن للمترجم فهارس .

ولد المترجم يوم الخميس منتصف رجب 1057 وتوفي فى جمادى الأولى سنة 1127 بدرعة ، ودفن بتامكروت ، وله رحلة حجازية ذكر فيها من لقي ، وله (إنارة البصائر ، فى ذكر مناقب الامام ابن ناصر ، وأتباعه الأكابر).

ترجمه فى (الدرر المرصعة) والحضيكي فى طبقاته .

253) أحمد بن عبد القادر التاستاوتي

أحمد بن عبد القادر بن القطب سيدى محمد بن مبارك التاستاوتي ، قال العميري فى فهرسته ما نصه : وممن لقيته من جلة الأئمة ، وأعيان الأمة ، الماجد الأسمى ، سيدى أحمد بن عبد القادر التاستاوتي ، كان انتقل لهذه الحضرة لقدر جرى عليه ، وانه كان آية فى نيل الفضائل ، ومعرفة حقوق الأفاضل ، وانه وفد عليه فتية من أولاد الشيخ سيدى أبى يعزى فى خروجهم لصيد وأكرمهم وأكرم كلابهم ووقف عليها بنفسه حتى أكلت ، ثم ذكر أنه دخل على المترجم فى اليوم الذى توفي فيه ، وكان يحكي له أموره الخاصة والعامة ، حتى قال له يوماً إنه كان في داره لا يصلي صلاة من الصلوات إلا بغسل من جنابة لقوة باءته ، وكان إذ ذاك متسع الحال فى المناكح والسراري ، وكان سئولا عن العلم ، وهو عجيب البديهة فى النظم .

ورأيت فى كتاب الديوان للمترجم الذى جمعه تلميذه أحمد بن عاشر الحافي ما نصه : وقال رضي الله عنه ولنا وقد رجعنا من زيارة أقمار مراكش .

قد رجعنا من الزيارة والألـ ـباب موقنة بنيل المرام
كيف لا ولقد وقفنا على قبر ابن جعفر الامام الهمام
وأتينا ضريح عبد العزيز الـ ـغوث بحر الندا وبحر التمام
ومددنا الأكف عند عياض خادم المصطفى سراج الظلام
وطلبنا الالاه أن يقضي الأو طار بالامام الغزواني خير إمام
وحططنا الرحال عند الجزولي الـ ـكريم الحليم قطب الأنام

وقرأت في إجازة الولي الصالح سيدى محمد الصالح الشرقي للمنور التلمساني ما نصه : وكتب لي شراب الحقائق والرقائق سيدى أحمد بن عبد القادر بن القطب سيدى محمد بن مبارك التاستاوتي بنحو ذلك يعني أنه يحبه في الله ، وهو بضعة منه يسره ما يسره ويضره ما يضره الخ وقد وقفت على نزهة الناظر وبهجة الخاطر الغض الناضر التى جمعها تلميذه الحافي من رسائل المترجم التى تضمنت تقييد ما فتح الله به عليه من محفوظات الأذكار ومراسلات ومكاتبات وأسئلة وأجوبة ومستملحات من الأشعار وملحونات منها ما كتبه لشيخه سيدى محمد بن ناصر فأجابه عنه ، ومنها ما كتبه له غيره ، وقد وقفت من تآليف المترجم على (عقد جواهر المعاني ، في مناقب الشيخ عبد القادر الجيلاني) ، وهو شرح قصيدة أولها :

أقول لمن أعيى الطبيب علاجـــه ... وقد ملَّ من شرب الدواء لعلــــة
ألا لذ بمحي الدين ياطالب المنى ... وعول عليه في الأمور المهمــــة

وهو عول في ذلك على مختصر (بهجة الأسرار) ومنها نظم رجال الحلية رضي الله عنهم وشرحه أول النظم :

بدأت ببسم الله والحمد أرتجـــى ... بلوغ مرادى من كريم المبــــرة
وأسأله تيسير نظـم مرونـــــق ... بذكر رجال الحليـــة الأعطريـــة
على حسب الترتيب أذكر زهرهـم ... وناتي بهم في النظم في حسن هيأة

ومنها شرح نظم رجال (التشوف) الذى أوله :

أقول وما قولى بشيء وإنمـــــا ... يروق مقال المرء بالحمـد والشكر
وأفضل أعمال العبـاد صلاتهـم ... على أحمد المبعوث للعبد والحــر
وبعد فان عنَّت خطوب وخيمـت ... بباب امرىء مثلي كئيب من الـوزر
فلا شيء أنجا من توسلنا إلى الـ ... ـكريم بأهل الله في الضيق والعسر
بهم يرحم الله العبـاد بفضلــه ... ومنهم علينا تنهمى سحب القطــر
هم الناس كل الناس من أمَّ بابهم ... يُتوجْ بتاج العز والمجد والفخـر

فهاك رجال النادلي كأنهـــــم لئالىء فى سلك بديع مـن التبـر

ومنها شرح نظم رجال (الممتع) له الذي أوله :

يقول ابن عبد القادر المذنب الذى يروم من المولى انتصاراً جلاليـا

ثم قـال :

عنيت بهم مـن كان فى عـاشر الـ ـقرون وقد أمضوا لمن كان حاديا
واذكر مَن أدركته أو راءه مَـن لقيت ومَن قد كان فى الوقت داعيا

وعلى شرح نظم رجال طبقات الامام الشعرانى أوله :

يقول ابن عبد القادر المذنب الذي أتى نحو أبواب الكرام مهـرولا

وقال فى (النشر) لدى العام الثامن من العشرة الثالثة من الحاديـة بعد الألف ما نصه :

أحمد بن عبد القادر التاستاوتي الشيـخ الأديب ، الولي الصالـح العارف الأريب ، كانت له ملكة فى نظم الشعر ، وله عارضة فى الأدب وانتحى طريق الفقر والتصدى للتربية ، والتصريح بالمقامات العلية ، أشار لنفسه بأنه شفع فى مئة رجل ، وأنه بعدذلك بشر بأنه أعطى شفاعة أهل عصره ، حكى عنه ذلك تلميذه أحمد بن أبى عسرية بن أحمد الفاسي وكتبه في كناشه ، ثمسأله أن يوقع له عليه بخطه ، فوقع لـه صاحب الترجمة المذكور عقبـه بخطه ما نصه : هذا صحيح كما سطر أعلاه ، والله المستعان ، وكتب أحمـد بن عبد القادر كان الله له ، ومن خطه نقلت ، وله معه مكاتبات كثيرة جداً ، فمنها الحمد لله، وصلى الله وسلم على مولانا محمد وءاله ، محبنا الأكرم الأفخم سيدى أحمد بن أبى عسرية إلى أن قال ونحن نوصيكم بالاتفـاق ، واياكـم والاختلاف ، والمرجو مـن الله تعالى إن اتفقتم واشتغلتم بمـا يعنيكم وأمرتم السنة عليكم يعلو أمركم ويكثر خيركم وكل مَن ءاوى إليكم وبلغ إلينا واستمع منا وأقبل علينا فهو إن شاء الله من المقبولين ويكون تحت أمركم ونهيكم ،

وأنتم النائبون عنا فى أمره ، حتى إذا أشرقت شمس الوصال من سماء الجمال وظهر الكمال كان الكل لكم ، انتهى المراد منه .

قلت وهذا مخالف لأحوال كل ما تقدم لنا ذكره من الاولياء ، فـان هذا التصريح هكذا تنفـر منه النفـوس الخلية عن ذوق صحيح ، ولا ينتج لأمثالنا منه مجرداً من غير برهان إلا الانكار ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وقد كان أنهى خبر صاحب الترجمة بعض أقاربه إلى السلطان فتغير عليه وسجنه ثم سرحه وحمله على استيطان مكناسة الزيتون فرحل إليهـا وبها توفي رحمة الله علينا وعليه هـ وكان سجنه بفاس الجديد بسبب أنه يشير إلى نفسه أنه صاحب الوقت أو المهدى أو ما أشبه ذلك ، فتخوفت عشيرته أن ينالـهم من السلطان مكروه بسببه ،فأنهى بعض أقاربه أمره إلى السلطان مولاي إسماعيل رحمه الله فسجنه سنة أربع ومئة وألف ، وبقي فيه نحو سنتين ثم سرحه وصدرت عنه وهو فى السجن رسائل وأشعار فائقة تضمّنها كتاب (نزهة الناظر) ، وكتاب (الديوان) له ، وما ادعوا عليه بأنه المهدي يرده ما فى كتابه (نزهة الناظر) فى كتاب ذكر أن المهديين ثلاثة راجعه فيما كتبه فى 8 جمدى الثانية سنة 1095 ومراده بالأول مهدي الموحدين ، والثاني ذكر أنه يقال فى أول المئة الثانية عشرة ، والثالث هو الذى يحضر فى زمن الدجال ويكون والله أعلم فى أول المئة الثالثة عشرة ، هكذا قال ، وقد علمت أنه لم يظهر شيء من ذلك إلى الآن عام 1337 والله أعلم بغيبه وأحكم .

وقال فى (طلعة المشتري) بعد أن نقل كلام (النشر) المتقدم ما نصه: قلت ولا مخالفة ولا إنكار ولا توقف مع الايمان لقدرة الله تعالى وسعة جوده وكرمه ، قال القاضي عيـاض فى ترجمة ربيع القطان القيرواني من كتـاب (المدارك) ما نصه : قال بعضهم خطر ببالي يوما وأنا عند ربيع القطان من بعض كرمات الأولياء ما هالني واستعظمته ، فنظر إليّ وقرأ (قالوا أتعجبين من أمر الله) هـ وهذا السيد أحمد ابن عبد القادر كان فى ابتداء أمره يقسم لشيخه بالله الذى لا إلاه إلا هو الرحمان الرحيم ما من ذنب صغير أو كبير إلا وقد ارتكبه ، ثم صرح فى ءاخر أمره بأنه بلغ من منزلته عند ربه أنه شفـع

في أهل عصره ، ومن صدق في المقالة الأولى وصرح ولم يستحي ولم يداج فينبغى أن نظن به الصدق فى مقالته الثانية ، والله على كل شيء قدير ، قلت وفى كتـاب (خلاصة الأثر) فى أعيان القرن الحـادى عشر للفاضل المحبي الدمشقي فى ترجمة عقيل ابن عمران اليمني أنه كان يقول شفعت فى أهل وقتى من قاف إلى قاف هـ .

وللمترجم أخوان : الولي الكامل سيدى محمد الحاج بن عبد القادر التاستاوتي ، والعالم الجليل سيدى العياشي ، وضريح المترجم بمكناسـة الزيتون عند روضة الشيخ سيدى عبد الله بن حـمَـد رضي الله عنهم ونفعنـا بهم ، وذكر فى (الاستقصا) أن وفاة المترجم كانت سنة 1167 وهو مخالف لما تقدم عن (النشر) ولم أدر من أين أتى به .

254) أحمد بن محمد ابن ناصر الدرعي الاغلاني .

أحمد بن الشيخ سيدى محَمد فتحا بن محَمد بن أحمد بن محَمد بن الحسين ابن ناصر بن عمر هكذا كان والده يكتب رضي الله عنه فى نسبه ، الدرعي الاغلاني ، الشيخ الامام الأوحد ، نقل صاحب الدرر من خطه ما نصه : حدثني والدي رحمه الله أن أمي لما حملت بي وحان وضعها نام والدي يوماً فى بيت سيدى عبد الله بن حسين رضي الله عنه دخل خلوته فأتاه ءات فى المنام فقال أسعد الله المولود ، قال فاستيقظت فلم أجد أحداً ، فقلت إن يكن هذا من عند الله يمضه .

ولد كما بخط والده رضي الله عنه نصف ليلة الخميس الثامن عشر من رمضان عام سبعة بموحدة وخمسين وألف ووافق سابعه يوم ختم صحيح البخاري ونشأ فى صيانة وعفاف ، وتخرج على والده الشيخ سيدى محمد واستخلفه بعده وحضر عليه فى التفسير والحديث والعربية وأصول الديـن وغير ذلك ، وعن الامام أبى سالم العياشى سمع منه الصحيح وأجازه فيه وفى غيره ، وعن الشيخ أبى عبد الله سيدى محمد بن أبى الفتوح التلمساني ، وعن الفقيه أبي العباس الجزولي ، وغيرهم من أصحاب أبيه ، وحج مع والده سنة

1076 ست وسبعين وألف وسنه يومئذ تسع عشرة سنة ، واجتمع بعلماء مصر والحرمين الشريفين ، وأخذ عنهم ، ولما مرض والده دخل عليه المترجم ليلة من رجب سنة 1084 فقال إذا أنا مت فخليفتى أحمد ، وقد أشار الصالحون بذلك قبل ولادته ، فلم يلبث بعد ذلك أن توفي بنحو سبعة أشهر ، وكان سنه إذ ذاك سبعاً وعشرين سنة وخمسة أشهر ، ووفد عليه للتعزية سيدى الحسن اليوسي وسيدى أحمد بن عبد القادر التاستاوتي وغيرهما ، حج المترجم أربع حجات ، الأولى مع أبيه فى التاريخ المتقدم ، والثانية سنة 1096 ست وتسعين وألف ، وزار فى طريقه سيدنا عقبة بن نافع الفهري ، وكان معه فيها بعض أصحابه كالقاضي سيدى أحمد بن إبراهيم المراكشي، والفقيه سيدى عبد الله بن إبراهيم السملالي إمـام مسجد طلحة ، وسيدى محمد بن عبـد العزيـز الرسموكي ، وحضروا فى طرابلس الجهاد مع العدو الكافر ، ولما حلّ بالمدينة المنورة مدحه شعراؤها ، واجتمع بالشيخ إبراهيم الكوراني مجيزه ، والشيخ إسماعيل واجازه وأسند له قراءة القرآن والحديث عن الشيخ علي الشبرملسي عن الشيخ الحلبي صاحب السيرة عن القاضى شمهروش عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وتلاقى بمصر بشيخه علي بن محمد الزعتري وقرأ عليه مـن كتب التوقيت رسالة الشيخ محمد الحطاب وأبى الفتح فى العمل بنصف الدائرة ، وأجازه عامة فى أواسط شوال عام 1107 قدم المترجم على السلطـان مولاي إسماعيل بداره من مكناسة الزيتون وقد ظن بعض الجهلة ان السلطان يقتله أو يمثل به لأجل التنافر المعتاد بين العلماء والملوك ، فكان ذلك بالعكس ، ولعل سبب التنافر هو عدم ذكره للسلطان فى خطبته ، وزار المترجم مولانا إدريس الأكبر ومولانا إدريس الأزهر ومولانا عبد السلام بن مشيش وغيرهم من أولياء المغرب وذهب إلى دار الشيخ أبى علي اليوسي رحمه الله بقصـد التعزية فيه بعد وفاته ، وكانت حجته الثالثة سنة 1109 تسع ومئة وألف ، وزار قبر أبى لبابة الصحابي رضي الله عنه ، ولما وصل قرأ على الزعتري رسالة أبى الفتح المتقدم ، ورسالة فى علم الأسطرلاب ، ورسالة فى علم كرة العالم ، واجتمع بالمقرىء الشيخ محمد بن قاسم البقرى فقرأ عليه الفاتحة وصدراً من سورة البقرة إلى المفلحون بقراءة ورش ، وأجازه ، وممن أخذ عن

المترجم الشيخ سيدي محمد الصالح الشرقي ، وأخذ عنه الورد الناصري ، وقد وقفت عام 1337 على كتاب له بخط يده فى ذلك ولله الحمد بأبى الجعد فى مجموعة كلها بخط الشرقي المذكور والعلماء الذين كاتبوه ثم عقد الرحلة لزيارته بدرعة ، وأخذ عنه أيضاً ولده سيدى المعطى صاحب (الذخيرة) ، وسيدى أبو العباس الشرادي ، والسيد الحسين المدعو شرحبيل ، وفى سنة خمس عشرة ومئة وألف بنى المترجم زاويته المسماة زاوية الفضل وغيرها من الزوايا والمساجد والمدارس ، ثم ترادفت عليه الوفود من علماء المغرب وصلحائه ، منهم سيدى أحمد بن عبد الحي الحلبي ، وأحمد بن عبد الله الشكوري ، وأحمد بن محمد البرنسي الشفشاونيان ، وقاضي شفشاون محمد بن عبد الله الحوات ، وكانت حجة المترجم الرابعة سنة إحدى وعشرين ومئة وألف ، وقد جمعت رحلته الكبرى المشهورة هذه الرحل كلها ، وهي المشهورة الموجودة بأيدي الناس فى سفرين رباعيين ، ومن تآليفه كتاب (الأجوبة) ، وتأليف فى الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وكلام فى الطريق ، وحضّ على اتباع السنة ، ومما أنشده فيه أبو عبد الله الدقاق الدغيمي :

لئن فاتنا المرسي قطب زمانـــه ... ولم نجن من ذاك الرياض له قطفا
فعنه أبو العباس نجل ابن ناصر ... كفانا وأغنانا ولان لنـــا عطفـــا

وذكر بعض أهل الكشف انه كان من الأبدال ، وذكر بعضهم أنه أخذ عنه من مومني الجن أحد وعشرون ألفا أو اثنان وعشرون ألفا ، وأنه مات منهم يوم موته ثلاثة من الازدحام عليه ، وممن أخذ عن المترجم أيضاً قاضي رباط الفتح أبو عبد الله مرينو الأندلسي ، وزار فى هذه الحجة خلوة سيدى عبد الرحمان الأخضري صاحب السلم وغيره ، وقد ألف العلامة على بن أبى القاسم البوسعيدي النجار المراكشي الدار فى مناقب الشيخ المترجم وذكر كراماته ، وقد جمع مناقبه تلميذه ومرافقه فى رحلتيه العالم الصالح أبو محمد سيدى الحسين بن محمد شرحبيل الدرعي ، واجتمع المترجم بالشيخ عبد الله بن سالم المصري وأجازه سائر مقروآته ومروياته ، وبالشيخ محمد أكــرم بن عبد الرحمان مفتي الهند ، ودخل البيت الحرام باشارة الأخ الحاج بوعزة

المراكشي ، ثم دخل مرة أخرى ليلة 22 ذى حجة ، واجتمع أيضاً بالشيخ مصطفى بن فتح الله الحموي ولازم الصلوات الخمس فى الروضة الكريمة إلا صلاتين أوقعهما خارجها فى المسجد ، وما مرَّ بقرية أو بلدة إلا وتسابق إليه أهلها بالهدايا والترحيب والاكرام ، وأخذ عنه العهد والورد الجم الغفير من أهل البلاد ، وممن كان يزور المترجم الولي الكامل سيدى محمد الحاج بن عبد القادر التاستاوتي ، وثناء الأيمة على المترجم كثير ، منهم صاحبو الصفوة ، والروض الفائح ، ونشر المثاني ، وغيرهم ، وكان يحضر مجلسه العلامة سيدى محمد الملقب بالصغير الورزازي ، والعلامة سيدى عبد الكريم ءاسكى السوسي ، والعلامة سيدى أحمد الهشتوكي ، والفقيه الصالح سيدى إبراهيم الأستاذ ، وسيدى حسين شرحبيل ، وأخوه سيدى محمد بن محمد بن ناصر ، وولده سيدى موسى بن محمد المذكور وغيرهم من الوافدين عليه .

وزوايا درعة خمس : زاوية تامگروت أسست سنة 983 ، وزاوية أغلان ، وزاوية الفتح ، وزاوية البركة ، وزاوية الفضل .

وقال العلامة أبو الحسن المراكشي فى تأليفه ما نصه : أخبرني بعض الفقراء من بلاد الجريد من أهل الشلالة ، قال أخبرني الفقيه العلامة سيدى محمد بن مساهل من أهل فجيج ، قال رأيت النبيَّ صلى الله عليه وسلم فى عالم النوم ، ورأيت معه الأولياء كل واحد برايته ومعه أتباعه ، ورأيت راية قديمة على رأس النبي صلى الله عليه وسلم وهي أقرب الرايات إليه ، فدنوت منها ، فاذا هي راية الشيخ سيدى أحمد بن ناصر ، قال فقلت فى نفسي سبحان الله بمَ كان الشيخ أقربَ إلى النبي صلى الله عليه وسلم من غيره من الأولياء ؟ فقال قائل بمتابعته لسنته وكثرة استقامته وسيره على منهاج الحق .

توفي المترجم كما فى الدرر المرصعة رضي الله عنه بين العشاءين من ليلة الجمعة التاسع عشر من ربيع الثاني سنة تسع وعشرين ومئة وألف ، وتولى غسله أزواجه ، وصلى عليه الخليفة من بعده ولد أخيه سيدى موسى ، ودفن عقب صلاة الجمعة بروضة الأشياخ ، وحضر جنازته وصلى عليه من

المخلوقات ما لا يحصيهم إلا خالقهم ، وبكى الناس لفقده فى جميع البلاد شرقاً وغرباً ، ورثوه نظماً ونثراً ، منهم قاضى الجماعة بدرعة عبد الكريم بن أحمد التنفوي بقصيدة مطلعها :

مـات أبو العبـاس شيخ الـورى فاربدّ وجه الأفـق واستغبـرا

ثم قال :

جمع كل المجد فى ذاتـــه وليس ذا في العقـل مُستنكَـرا
قد أخمد البدعـة فى عـصره وسنةَ المختـار قـد أظهـرا

ثم قال مضمناً التاريخ :

سحت دمـوع من يرى ملحـداً فيه التقى والعلم قـد أقبـرا

وهي طويلة .

ومنها قصيدة قاضى شفشاون سيدى محمد الحوات ويقدم أمامها بيت:

صـلاة الله مـاهبـت ريـاح عـلى خير الخلائـق أجمعينـا
أريج أحبة بانـوا صلينـا فانا من بعـادهـم صلينـا

ثم قال :

أبى العباس محيي كل فضـل ودين قـد أميت مذ سنينـا
أبى العباس منبـع كل سـرٍّ يـروى وارديـن وصادرينـا

وهي طويلة أيضاً .

ولم يخلف رحمه الله عقباً ، لأنه لم يلد ذكراً ولا أنثى قط ، حدثنا أقاربه الناصريون وغيرهم أن المترجم دخل مزاكش مرات ، وإليه ينسب الدرب الكائن بقاعة ابن ناهض منها .

وقال فى (الصفوة) فى ترجمته : كان رحمه الله إمام وقته علماً وعملا قوالا بالحق شديد الشكيمة على أهل البدع ، لا تأخذه فى الله لومة لائم ، متصاوناً مقبلا على ما يعنيه متابعاً للسنة فى أقواله وأفعاله حريصاً على أحياء السُنَن وإماتة البدع ، فهدى الله به أقواما ونفع به أناساً كثيراً ، ولقد كان بعض أشياخ العلم بفاس يقول فى الحديث الشهير لا تزال طائفة من أمتى بالغرب ظاهرين على أمر الله لا يضرهم مَن خالفهم حتى ياتي أمر الله إن لم تكن هذه الطائفة الآن بتامكروت فلست أدرى مَن هم ؟ لاقامة السنن فيها على وصفها المالوف ، وكان رحمه الله مثابراً على التعليم مكباً على المطالعة قائماً على البخاري وغيره من الكتب الحديثية ، مقسماً أوقاته ، معمراً لها بأنواع الطاعات من تلاوة ومطالعة وتقييد ونوافل ، وكان حافظاً للسانه عارفاً بزمانه مستعملا للجد فى سائر أموره ، ثم قال بعد ذكر أشياخه وكانت له مشاركة فى القراءة وعلم الرسم عن عدة مشايخ ، منهم الفقيه محمد المغربي المصري وأجازه فى ذلك ، ثم قال وحافظ على سيرة أبيه فى شؤونه كلها ، ثم قال ومن كراماته الشهيرة ما حدثني به مَن لا أردُ حديثه عن بعض الفقهاء قال لما دخل الشيخ المدينة المشرفة فى حجته الأخيرة جلس تجاه الحجرة الشريفة والناس يزدحمون عليه لأخذ العهد وتلقين الأوراد وهو منبسط لذلك ، قال فقلت فى نفسي إن هذا الرجل لمغررو راض عن نفسه ، وإلا فكيف تصدر فى هذا المكان الذى تتضاءل فيه الأملاك وتخضع رقاب العارفين ، وإذا طلعت الشمس خبئت السرج ، قال فكاشفنى الشيخ بما فى نفسي ، فالتفت إلي وقال والله ما جلست لما ترون حتى أمرني النبيُ صلى الله عليه وسلم به ، وما أذعنت له حتى هددت بالسلب ، قال فسقطت على يده أقبلها وقلت له ياسيدى إني تائب إلى الله تعالى ، فدعا وانصرفت ، وحدث عنه بعض ثقات أصحابنا أنه كانت بعض طلبة الجن تتعاهده للقراءة عليه ويرجعون إليه فيما استصعب عليهم من مسائل العلم ، وكان صاحب الترجمة يحكى عن الامام العارف بالله عبد الرحمان بن محمد الثعالبي أنه قال من رآنى إلى سبعة ضمنت له الجنة بشرط أن يقول كل لمن رآه أشهد انى رأيتك فيشهد له وهو رأى أباه محَمد بن ناصر كذلك عن شيخه أبى الحسن الدرعي عن أبي زيد المهدي عن أبي

عبد الله الرقي عن عبد الكبير المهدي عن سيدى عبد الرحمان الثعالبي ، فكان الناس يستشهدونه على الرؤية فيشهد لهم ، وهذا كله من باب تحسين الظن وتغليب جانب الرجاء ، وله وجه من السنة ، انظر بسطه فى كتابنا الغمامة ، ثم قال توفي رحمه الله ثالث عشر من ربيع النبوي عام ثمانية وعشرين ومئة وألـف هـ .

وقد تقدم عن صاحب الدرر خلاف هذا فى وفاته .

255) أحمد بن علي المداسي السوسي المراكشي

أحمد بن علي بن محمد بن علي بن صالح المداسي المراكشي الشهير بالسوسي لقباً ، الشيخ الصالح ، ذو السر الواضح ، وبنو مداس شعب من شعوب المصامدة .

ولد رحمه الله بمراكش فى حدود الخمسين وألف ، وسافر به جده لأمه للحجاز ، فحجَّ به وهو صبي ، ثم قفل به للمغرب فلبث بمراكش يعاني بعض الصنائع ، ثم تاقت همته للسلوك على يد شيخ يصفيه من رعونات نفسه ، ويرقيه عن أطوار حسه ، فتجول فى بلاد المغرب يلتمس شيخاً تجتمع عليه همته ، ويسلم له باطنه ، فطاف على المنتسبين للمشيخة وأعمل الرحلة للمتسمين بالتصوف بأرجاء المغرب كله . فلم يجد عند أحد منهم ضالتــه المنشودة ، وأمنيته المقصودة ، إلى أن أدته خاتمة المطاف للشيخ أبي القاسم ابن للوشة السفياني فقصده ولبث عنده أياماً فلم يظهر له ما يقنعه ، فرجــع إلى فاس واستقرَّ بجامع منها ، وشمر للعبادة ذيله ، وعمر بالطاعة أوقاته ، فكان على ذلك مدة إلى أن قيض الله له بعض أهل البصائر فكان يتعاهــده ويفاوضه فى مسائل الطريق ، فذكر له أنه بحث عن شيخ كامل فى الوقت يتوجه إليه بكليته ، ويداوي به عضال عيوب نفسه ، فلم يجده . فقال له إن هذا فى وقتك لموجود على وفق ما قصدته ، وهو أبو القاسم ابن للوشة ، فقال قد جئت من عنده فما رأيت شيئاً فقال له لو رأيت أصحابه وما هم عليه من

المحبة والاجتهاد فى العبادة لَظهر لك مصداق ما أشرت به عليك ، فسار به إلى رابطتهم التى يجتمعون فيها ، فعاين من أحوالهم عجباً عجاباً ، ورأى عليهم من العناية جلباباً ، وبقرب ذلك ذهبوا لزيارة شيخهم ، فسار معهم فلما أقبلوا على الشيخ قال له من بينهم مرحباً بالسوسي فطعن فى قلبه ، وأخذ منه بسويداء لبّه ، ووجه إليه الشيخ همته ، فاستنار باطنه ، واستقام أوده ، وتمكنت محبة الشيخ منه بحيث صار أقرب إليه من نفسه التى بين جنبيه ، فجلس بزاوية شيخه يستقي الماء للزائرين ويطبخ لهم ، ويقال إن الشيخ أخذ برأسه ورأس علي بن عزوز المكناسي نزيل زيوار من تونس وقارن بينهما ، وقال هذه الزوجة أردت أن أحرث بها ، وأشار برأسه نحو المشرق ، ولم يزل بزاوية شيخه المذكور والشيخ لا يناديه إلا بالسوسي حيثما كان ، فشاع ذلك عليه بين الفقراء ، وبقي له لقباً إلى الآن ، ثم إن الشيخ أمره فى لمة من الفقراء أن يذهبوا للمشرق ، فذهبوا فجاور هو وعلي بن عزوز المذكور ، ثم استقرّ بهما الرحل بتونس ، فتصدر هنالك علي بن عزوز وشاعت بركاته وكثر زائروه ، وكان منه ما كان ، وبقي صاحب الترجمة فى صحبته إلى أن أذن له فى التصدر للمشيخة ورفع الراية لتربية المريدين ، فخرج من تونس بعد أن أتاه جماعة من أرباب القلوب وأصحاب البصائر وأمروه بالتوجه إلى مراكش وأخبروه أن بها يكمل أمره وهددوه إن لم يفعل ، فقدم مراكش فى عشرة الثمانين . وانثال الناس لزيارته وقصدوه من كل جهة ، وطار له بها طائر الاشتهار ، فتلمذ له قوم ونفع الله به ، وكان رحمه الله عالي الهمة على بصيرة من أمره ، متعففاً غير مكترث بولاة الأمر ولا مداهن لهم ولا يغشى أبوابهم ، وطالما حاولوا منه ذلك فلم يحصلوا منه على طائل ، ورزق من الفهم فى طريق التصوف والخبرة بكلام القوم ما لم يكن لغيره ، فتجده يغوص على دقائق الاشارات ويهتدى لأسرار كلام الأولياء بحيث تجد عند مجالسته سائر الكلام واضحاً جارياً على القانون ، وكان رحمه الله عاكفاً على العبادات مثابراً على أفعال البر حريصاً على إطعام المساكين محسناً للعفاة والأرامل مولعاً بكثرة الطعام ، وكان يحدث أنه وقف بمصر على سماع فيه جماعة

من الأولياء ، فخرج من بينهم رجل فأخذ بيده وقال مسكين أحمد زاوية فى ظهره أينما سار تتبعه . فكان كذلك حيث قصد رحمه الله يطعم صنوف الطعام ويبدى من ذلك ما هو خرق العادة ، وزاويته بمراكش أكثر زوايا المغرب إطعاماً للصادر والوارد ، ونالته رحمه الله إذايات من بعض سفهاء مراكش ووشوا به لولاة الأمر ولم يتأثر بشيء من ذلك ولا قطعه عما هو بسبيله ، ومن كراماته الشهيرة أن نفراً من الطلبة قصدوه برسم اختباره فى مسائل علمية ، فكلما سألوا عن مسألة أجاب عنها بأحسن جواب ، فعجبوا منه مع أنه لم يمارس شيئاً من علم الظاهر قط ، فقال لهم والله ما جلستم بين يدي حتى وقف سيدى أبو قاسم على رأسي ، فكل مسألة ألقيتموها علي لقننى جوابها ، وأخبر رحمه الله بمغيبات كثيرة فوقعت على وفق ما أخبر به ، وتتبع ذلك يطول . وقد لازمته مدة ورافقته حضراً وسفراً وانتفعت بمجالسته وشملني دعاؤه ، وأخبرني وأنا فى زمان الحداثة سوف أراك تهتز على كراسي مراكش ومنابرها ، فحقق الله رجاءه وصدق فراسته ،وبعث له بعض الأشياخ من فاس رسالة بليغة فكلفني أن أجيب عنها وأنا اذ ذاك فى مبادىء الطلب ، فقلت له ياسيدي أنا لا أفهم غالب ألفاظ هذه الرسالة ، فكيف أطيق الجواب عنها ؟ فقال لي أجب عنها والله يفتح عليك ، فأجبت عنها بجواب حسن ، فدعا لي ومن ثَمَّ سهل الله عليَّ صناعة الانشاء حتى صارت المعاني تتزاحم على قلبي اذا رفعته والحمد لله على ذلك .

توفي رحمه الله عام ثلاثين ومئة وألف ، ودفن قريباً من ضريح الشيخ الجزولي ، وبنيت عليه قبة هائلة لم ير مثلها .

انتهى من (الصفوة) .

وذكره الحضيكي فى طبقاته . ومن تلامذته الشيخ الصالح علي المدعو الحجام المتوفي بفاس دفين زاويته داخل باب بني مسافر ، والعلامة سيدي عبد المجيد المنالى الزبادي ، والحاج قاسم الزموري المتوفي بفاس .

256) **أحمد بن سليمان الجزولي الرسموكي المراكشي** ، أحد أعلام مراكش ومشاهيرها ، الشيخ الفقيه العلامة المؤلف الناظم الناثر الدراكة الفهامة البحاث النقاد الواعية الحيسوبي الفرضي العروضي ، شيخ الاسلام ، نظم النظم الذى أكمل به رجز أبي سالم بن قاسم السملالي فى الحساب ، وشرحه بشرحين ، ونظم رجزية فى الفرائض سماها بالجواهر المكنونة فى صدف الفرائض المسنونة ، شرحها بثلاثة شروح استوعب فى الكبير منها مسائل الفرائض والوصايا فقهاً وعملا . وحرر المناط وأفاد وأجاد ، وألف معونة الاخوان على مسألة أولاد الأعيان ، وشرح روضة الأزهار ، والأبيات الثمانية فى العمل بالزايرجة لأبي العباس السبتي ، وله أجوبة فقهية وتقاييد عدة ومنظومة فى العروض تمم بها مقصورة الخزرجي ، وشرحها سيدي التهامي الأوبيرى ، أخذ عنه من الأيمة الأعلام سيدي أحمد العباسي ، وترجمه الحضيكي فى طبقاته .

توفي رحمه الله عام 1133 ودفن بجانب سيدى أبى ابراهيم السفاج خارج باب الدباغ من مراكش ، وليس المترجم هو سيدي أحمد بن سليمان الرسموكي المترجم فى الصفوة المذكور أنه كان ابن المبارك الأقاوى المتوفي فى خمسة عشر وألف المترجم فى الصفوة يستشيره ، لأن هذا متقدم جداً على المترجم ، وأبو زيد مترجمه توفي فى حدود 1070 كما فى الصفوة أيضاً . وإنما توافق معه فى اسمه واسم والده ونسبته كما يقع كثيراً ، وقول بعض القاصرين المخلطين انه هو جهل منه بالتاريخ ، وقد وقفت على أجوبة فى النحو فى المنادى المضاف للياء والاستغاثة والندبة والترخيم لسيدى أحمد بن سليمان بن يعزة الرسموكي .

فـائـدة :

قال ابن عبد السلام الناصرى فى رحلته : وجدت فى جواب شيـخ شيوخنا أحمد الرسموكي المراكشي بخط تلميذه محمد بن عبد الله الأريزى ما نصه : وينبغى للمسمع أن يجعل صوت تكبيره لجلوس التشهدين مخالفاً لصوت باقي تكبيراته الخ .

257) أحمد بن السلطان مولاي اسماعيل العلوي

أحمد الملقب بالذهبي لبسط يده بالعطاء ابن أمير المومنين المولى إسماعيل العلوي .

لما توفي والده في الثامن والعشرين من رجب عام تسعة وثلاثين ومئة وألف بويع باشارة العبيد الشبيهة بالجبر ، ولم يكن ذلك عن عهد من أبيه ، وكتبوا بيعته الى الآفاق ، كان مُستبَداً عليه في كثير من الأحوال ، يشير العبيد عليه فيفعل ، قتل علي بن يشو القبلي رئيس البربر ، وثنى بأحمد بن علي أمير الأعمال الفاسية وما اتصل بها من بلاد الهبط ، وقيل دسّ عليه على بن يشو مَن ذبحه في السجن وقت بيعة المترجم ، وقتل الباشا ابن الأشقر ، ومرجان الكبير قائد عبيد الدار وصاحب بيوت الأموال ، وقتل جماعة من القواد والكتاب سوى مَن تقدم ، وطاف على بيوت الأموال ومخازن السلاح والكسى فأمر باخراج ذلك وتفرقت على العبيد وقواد الجيش ، وأعطى من ذلك فوق الكفاية ، وعمّ العلماء والأشراف والطلبة بالنوال ، وخص أفراداً من العسكر بألوف ، ودخل داره وعكف على لذته وترك الناس وشأنهم ، فهلك بشر كثير ، وسقطت هيبة الخلافة ، وانحلّ نظام الدولة بالمرة لا سيما مع ما دهاها من قتل رجالها القائمين بأمورها ، وامتدت أيدي النهب بالطرقات، وكثرت الشكايات بباب السلطان ، وفي المحرم من سنة أربعين ومئة وألف أغار الودايا على سوق الخميس من فاس فنهبوا وقتلوا ، ثم دخل العبيد على السلطان المولى أحمد وقبضوا عليه وأخرجوه من دار الملك مخلوعاً وسجنوه بداره التي كان يسكن بها قبل البيعة خارج القصبة ، وكان ذلك في شعبان من السنة المذكورة ، ثم بايعوا أخاه المولى عبد الملك فتفقد أخاه المخلوع المولى أحمد فبعث به إلى فيلالة ، وكتب إلى عامله بها أن يسمل عينيه بفور بلوغه ، فنمى ذلك الى المولى أحمد ففرّ الى زاوية الشيخ سيدي سعيد أحنصال ، وكان مقدم الزاوية يومئذ السيد يوسف بن الشيخ سعيد المذكور ، وكان يتكلم في الحدثان ، فقال للمولى أحمد انك سترجع الى ملكك فكان كما قال ، ثم بويع المولى أحمد البيعة الثانية في ذي الحجة من

السنة المذكورة ، وقدم مكناسة ، ثم نهض الى فاس فاتح محرم سنة احدى وأربعين فى عسكر العبيد وودايا مكناسة ، ونزل عليها ثاني يومه حيث تخلف عنه أهل فاس ، فلم يقدم عليه أحد منهم ، ونصب عليها المدافع والمهاريس وءالات الحصار ، وانشلى العسكر على بساتينها وبحائرها فانتسفوا ثمارها واجتاحوا غللها ، وأمر الطبجية بموالاة الكور والبنب والحجارة عليها ليلا ونهارا ففعلوا ، ودام ذلك الى أن عمها الخراب وتهدم الكثير من دورها وهلك عدد وافر من رجالها بعضهم فى القتال وبعضهم بالهدم والحجارة ، واستمر الحصار نحو خمسة أشهر فضاق بهم الحال وضعفوا عن القتال ، وقلَّت الأقوات وارتفعت الأسعار ، فأذعنوا للطاعة وصالحوا المولى أحمد على اسلام أخيه المولى عبد الملك اليه وتمكينه منه على الأمان ، ثم أمر به أن يحمل الى مكناسة مقبوضاً عليه ، فوصل الى مكناسة وسجن بدار الباشا مساهل ، ثم رحل السلطان المولى أحمد عن فاس قافلا الى مكناسة ، وعند حلوله بها مرض مرضَ موته ، ولما أحسَّ من نفسه بالموت أمر بخنق أخيه المولى عبد الملك فخنق ليلة الثلاثاء أول يوم من شعبان من السنة المذكورة ، ثم توفي السلطان المولى أحمد يوم السبت رابع شعبان الذكور ، فكان بين وفاتيْهما ثلاثة أيام رحمهما الله .

وكان المولى أحمد أشبه الناس بالأمين بن الرشيد العباسي فى زيه ولهوه وإكبابه على شهواته وتضييع الحزم والجد حتى فسدت الأحوال وتراكمت الأهوال ، وذكر معاصروه أنه لم يكن شهد حرباً قط قبلُ خلافته ، وكان مع ذلك جواداً متلافاً ، فآلت به الأمور الى ما ذكر .

قال فى (البستان) : كان السلطان المولى اسماعيل قد عهد بالأمر إلى ولده المولى أحمد المذكور ، وكان يعبر عنه بولي العهد ، وأنكر فى (الجيش العرمرم) أن يكون السلطان المذكور قد عهد لأحد من أولاده ، قال كما أخبرنا بذلك السلطان العالم المولى سليمان بن محمد رحمه الله مراراً ، وكان يحكي فى ذلك خبراً وهو أن المولى اسماعيل لما أيقن بالموت دعا وزيره وعالم حضرته أبا العباس اليحمدي ، وقال له اني فى ءاخر يوم

من أيام الدنيا فأحببت أن تشير عليَّ بمن أقلده هذا الأمر من ولدي لأنك أعرف بأحوالهم مني ، فقال له يامولانا لقد كلفتني أمراً عظيماً ، وأنا أقول الحق أنه لا ولد لك تقلده أمر المسلمين ، كان لك ثلاثة : المولى محرز ، والمولى المامون ، والمولى محمد ، فقبضهم الله اليه ، فقال له السلطان جزاك الله خيراً وودعه وانصرف ولم يعهد لأحد ، وإنما كانوا يقدمون مَن شاءوا ويؤخرون مَن شاءوا ، وكان المولى سليمان يحكي ذلك عند ما يعرض له ذكر أولاده هو ، ومن العجب أن الزياني قال انه سمع هذه الحكاية من مولانا سليمان بن محمد كما سمعناها منه ولا بعد فيه ، ثم يقول انه ولي العهد مع أن مولاي أحمد الذهبي كان لا ينفع حتى نفسه لعدم صحوه ، فهو طافح دائماً ، وقد حضرنا مرة فى مجلس القائد الأجل الرئيس الأفضل البركة السيد عبد الملك أبهِ الحاجي رحمه الله ، وذكر بعض طلبته هذه القضية ، فقال له السيد عبد الملك سبحان الله هذا غير صحيح ، يعنى العهد لمولاي أحمد ، أن مولاي أحمد من يوم مات والده وقدمه العبيد ما أفاق من سكرته إلى سكرات الموت ، غفر الله لنا أجمعين بمنه .

258) **أحمد اليحمدي** وزير مولانا إسماعيل ، الفقيه الأديب ، قال فى (الجيش العرمرم) أما الوزير أحمد اليحمدي فقد كفانا مئونة التعريف به الفقيه العلامة الداهية السيد علي المصباحى فى تأليفه المسمى بـ (سنا المهتدي ، الى محاسن اليحمدى) وهو تأليف عجيب ، ملأه مؤلفه آداباً غضة أنصع من جوهري الذهب والفضة ، وهو موجود تقر به عين مَن وجده ، وملك لؤلؤه وعسجده ، وهو من أنفس الذخائر التى يفاخر بها مَن يفاخر ، رأيت نسخة منه بخط مؤلفه بفاس عند بعض حفدة المؤلف ، ذكر فيه المؤلف أن اليحمدي منسوب الى بنى يحمد مضارع حمد يحمد ، فهو إذن بفتح الميم لا بكسرها كما يجرى على الألسنة ، وهي قبيلة من قبائل جبال الزبيب ، وكفى هذا الوزير ثناء عليه ما تقدم لنا فى راية مخدومه السلطان الأعظم مولانا إسماعيل بن الشريف أنه لما ولي ولده مولاي المامون مراكش أمره أن يذهب الى رئيس الحضرة وامام الكتاب الفقيه الكبير أحمد اليحمدي ليأخذ منه رسم التقليد ويسمع وصيته ويعمل بها ، وكان مولاي المامون يكره اليحمدي

أشدء الكراهة فتوجه اليه كرهاً ، وأخذ المكاتب منه وسمع وصيته جبـراً عليه ، وعاد والده وقال له يامولاي ان اليحمدى ينقصك ويزعم أنه هو الذى علمك الدين وأنك جاهل لا تعرف الفرض والسنة ، فقال له السلطان والله إنه لصادق ان قال ذلك ، هو الذى علّمنى ديني وعرفني بربي هـ فهذا يدل على فضل السلطان والوزير والله ذو الفضل العظيم هـ .

وقد وقفت على (سنا المهتدي) المذكور ، وسيأتي ذكر المترجم فى المحمدين .

259) **أحمد الدراق** الفقيه الطبيب الماهر ، طبيب المولى محمد بن عبد الله ، ليس هو من ذرية الحكيم السيد عبد الوهاب الدراق طبيب مولانا إسماعيل ، بل هو من قومه وقبيلته ، وكان هذا القبيل فى فاس من قديم الزمان لهم الرياسة فى هذا الحرفة ، كانت منزلته عند سلطانه عالية الفناء فى براح الاعتناء ، ملازماً له فى جميع حضراته يطلع كل بكرة وعشية فيتفقد أحوال السلطان وأحوال مـَن يحتاج الى ذلك من أهل الدولة ، وكان يحمل رامته فى الأسفار على أزيد من ثلاثين من البغال ، وكان السلطان فى حركته لتادلة أصابه مرض شديد فى القصبة التى على أم الربيع ، وكان طبيبـه المذكور يباشره حتى أفاق من علته ، وعاوده ما عـُرف من صحته ، فأعطاه ألف دينار ، وقال له هذه دية المسلمين الأحرار ، فقال له الطبيب ياسيدى هذه هدية مطلق الناس ، فزاده ألف دينار أخرى .

ذكره فى (الجيش العرمرم) وحكاه الزياني من غيـر ذكر قـول الطبيب مع الزيادة المذكورة .

260) **أحمد العباس بن سيدي أحمد السوسي المراكشي** دفينها ، كان رحمه الله شيخاً عارفاً بالله تعالى زاهداً ورعاً معرضاً عن الدنيا وزهرتها ، كان له رضي الله عنه أرض خارج مراكش وغرسها له أصحابه بأشجار الزيتون والتين ودوالي العنب ، وسخر الله فيه حتى ظهرت غلته ، ولما خرج من مراكش بقصد الحج وجاز على الجنان المذكور فرءاه مـُخضراً فسأل عنه فقالوا له هو

جنانك الذى غرسنا لك فدعا عليه باليبس ، فما رجع من الحج حتى وجــده يابساً محطوباً أرضاً كما كان قبل غرسه ، كان رحمه الله مستجاب الدعوة صاحب أحوال ربانية ، قال فى (سلوك الطريق الوارية) اجتمعت معه بدارنا مع أخي المذكور يعنى سيدى عبد المجيد المنالي الزبادي تلميذ المترجــم كما سيأتي ، وذلك حين كان قاصداً للحج ، ولما رجع من الحج نزل بدار الحلوي من زنقة الجياد ذات الصهريج والأشجار عام ثمانية وأربعين ومئة وألف ، ومدة إقامته بتلك الدار والناس مجتمعون عليه من كل الطوائف الليل والنهار والأسواق تعمر وتفرغ وكانت عشية يوم من تلك الأيام اجتمع فيها كثير من أهل الخير كأخينا سيدى عبد المجيد المذكور والعلامة الشريف سيدى عبد الهادي العراقي الحسيني المتقدم ذكره ، والشيخ مولانا أحمد الصقلي الحسيني الآتي ذكره إن شاء الله تعالى ، والعلامة سيدى علي قصارة المتقدم ذكره ، والفقيه المؤدب سيدى الحاج العربي بن الكبير الطويري ، والأحب فى الله سيدى الحاج عبد القادر بن الحسن ، وأخونا فى الله السيد الحاج قاسم الزموري ، والفقيه المؤدب سيدى الحاج عبد الواحد الحريشي ، وشيخنا سيدى محمد بن عبد العزيز الصنهاجي الآتي ذكره إن شاء الله ، وأمثال هؤلاء وغيرهم من الفقراء ، فكانوا يذكرون الله بالجلالة وغيرها من الذكر والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وكلام الششتري وكلام سيدى عبد الرحمان المجذوب وسيدى محمد الشرقي ، وحضرت فى تلك العشية نفحة من نفحات الله التى يتعرض لها وسكن القوم وتهول الشيخ سيدى أحمد العباس وجعل يحلف لا يكون سلطاناً غير مولانا عبد الله بن إسماعيل ، وجعل الشيخ سيدى محمد الصنهاجي المذكور يحلف على خلاف ذلك ، ورجع كل منهما أسداً حتى كان كل واحد منهما يشتم الآخر وتعانقا معا وتخانقا ولم يقدر أحد من الناس أن يقبل عليهما ويزعم على فراقهما حتى التويا هذا على هذا وخرجا كذلك من القبة وسقطا معاً فى الصهريج الذى بوسط الدار ونزل الناس إليهما وأخرجوهما وأدخلاهما إلى القبة ونزعوا عنهما ثيابهما وألبسوهما ثياباً أخر وغابا عن الوجود فى تلك الليلة ، وما صحا واحد منهما حتى أصبح الصباح ، وأنكر كل منهما مقالته وحلفه ، وكان من مراد الله أن برهما معاً ،

فتولى مولاي عبد الله على حلف سيدى أحمد العباس وعلى حلف سيدى محمد الصنهاجي بعد ما تولى كان لا عبرة له ساقط صولة الملك حتى مات كذلك أوائل صفر عام إحدى وسبعين ، وأخذ سيدى أحمد العباس صاحب الترجمة عن والده سيدى أحمد السوسي رضي الله عنهما ووالده عن الشيخ سيدى قاسم نفع الله به ، ويوم سفره رضي الله عنه من فاس لمراكش خرج الفقراء القاسميون يشيعونه وطلبوا منه أن يعين لهم مقدماً يتقدم عليهم ، فقال لهم رضي الله عنه أروني شيخكم أركم المقدم ، فقالوا شيخنا هو سيدى قاسم ، وسار عنهم وسكتوا مع ما أراد الله تعالى ، ولو قالوا له أنت شيخنا لقال لهم المقدم فلان ، وحين سكتوا ولم يلهمهم الله تعالى إلى ذلك بقي الأمر كما أراد الله ، « والله غالب على أمره » ، لأن قصده رضي الله عنه منهم أن الشيخ هو الحي، وهو الذى يؤدب ويهذب ويأمر وينهي ، وأما الشيخ فمهما مات لم يبق إلا الوسيلة به ، وغير هذا انتقل للحيّ الذى خلفه ، وكان رضي الله عنه يوماً يتوضأ عندنا بدارنا ، ولما فرغ من وضوئه وجد أخي سيدى أحمد يخاصمني ، فنفض يده بالماء فى وجهي وضرب بسبابته فى جبهتي ، وقال احشم ، الحمى ، وسافر من الغد ، فأخذتْني الحُمى الباردة وبقيتْ فيَّ عشرةَ أشهر ولا نفعت كتابة ولا بخور ولا عزيمة ولا دهن ولا غير ذلك حتى طلب الفقراء من أخينا سيدى عبد المجيد أن يقرئهم الديانات أو التصوف بمسجد القرويين وامتنع من القراءة بالقرويين وأراد مسجداً غيره ، فكتب أخونا سيدى عبد المجيد رحمه الله إلى الشيخ سيدى أحمد العباس يستشيره فيما يقرأ وأين يقرأ وأخبره بمرضي فأجابه رضي الله عنه أما ما ذكرت لنا على القراءة فأين ما وجدت قلبك من الله فخيم ، وأما ما ذكرت من حُمَّى أخيك محمد فاكتب له بيدك بالعسل وقلم جديد فى ءانية نظيفة بما يظهر لك يبرأ إن شاء الله ، فكتب لي كما قال ، وشفانى الله منها ، وجعل أخي رحمه الله يقرأ بالقرويين بين المغرب والعشاء بظهر الصومعة ، وكان له هناك مجلس كبير حفيل قرأنا عليه فيه (النصيحة الكافية) و (شمائل الترمذي) ومنظومة القرطبي ، ورسالة ابن أبي زيد رحمه الله .

وتوفي صاحب الترجمة رحمه الله تعالى سنة إحدى وخمسين ومئة وألف بمراكش ، ودفن بقبة والده المذكور يمنة الداخل لها :

« **فصل** » في ذكر أصحاب الشيخ المترجم سيدى أحمد العباس رضي الله عنه ، فمنهم العلامة الصوفي العارف بالله المربي الشريف سيدى عبد المجيد بن سيدى علي بن مولانا محمد المدعو الزبادي بن سيدى علي بن سيدى محمد بن السيد أحمد بن المنالي صاحب الرحلة التى ألفها فى حجه سنة 1159 المترجم فى تأليف صنوه (سلوك الطريق الوارية) وتأليف تلميذه (النشر) وغيرهما المتوفى فى عاشر شعبان عام ثلاثة وستين ومئة وألف ، أخذ رحمه الله الطريقة القاسمية عن الشيخ الكامل العارف الواصل سيدى أحمد السوسي دفين مراكش ، وولده سيدى أحمد العباس رضي الله عنهما ، وصافحه بالسند الآتي ، وكان له رضي الله عنه أصحاب وأتباع ، ومنهم العالم الفاضل المؤرخ النسابة الصوفي سيدى محمد الزبادي صنو سيدى عبد المجيد المذكور ومؤلف (سلوك الطريق الوارية ، فى الشيخ والمريد والزاوية) ، وهذا الكتاب فريد فى بابه فى مجلد بحر التصوف والتاريخ والأنساب .

ومنهم الشيخ الفقير السالك المجذوب خديم الفقراء السالكين والمجاذيب ورفيقهم سيدى الحاج محمد غازي المدعو عزيزي القنيت الدباغ حرفة ، كان رحمه الله يتبع المجاذيب والبهلاء يشرب معهم الخمر والدخان ويأكل الحشيش ولا يبالي بشيء من ذلك من أحد كأبي دحيم الخطار ، وسيدى أبي عياد ابن جلون ، وسيدى حسين طرطورة ، وسيدى علي بناصر الورياجلي، وعثب وأمثالهم ، وكان له أخ اسمه سيدى محمد من أصحاب سيدى أحمد السوسي ، وكان يتألم من حال أخيه القنيت ، ولما أن جاء سيدى أحمد العباس المترجم من الحج وخرج يوماً مع الفقراء لزيارة الشيخ سيدى أبي جيدة رضي الله عنه خارج باب المسافرين ورجع من الزيارة لقي القنيت هابطاً بطنجيته على كتفه ودواة الدخان على فمه ، فقال سيدى عبد المجيد الزبادي لسيدى أحمد العباس هذا هو القنيت أخو السيد محمد غازي ، فحصروه وكان من جملة الحاضرين السيد الطيب بصري وعبد الملك البهلول فقبضوه كلهم

وقالوا ارم عنك هذه دواة الدخان وهو يقول أنا لا أقدر على تركها أو رميها ، وإذا أردتم تركها اتركوها أنتم عني ، فقالوا أردنا أن تتبع سيرة أخيك وتتركها فرفع سيدى أحمد العباس يده بالفاتحة فقرءوها ودعوا له وأمروه بالحج واتفقوا على ذلك ، وكان هو سبب الخير له وظهرت بركاتهم عليه ، وصار يخبرهم بالمغيبات ، وله فيها قضايا عجيبة استوفاها فى (سلوك الطريق الوارية) ، توفي فى أواخر ذى القعدة سنة 1196 ستة وتسعين ومئة وألف ، وأخذ القنيت عن جماعة من السوسيين كسيدى أحمد العباس ، وسيدى الطيب بصري ، وسيدى عبد الملك البهلول ، وسيدى عبد المجيد الزبادي ، والشيخ محمد ّنشك ، وكلهم عن سيدى أحمد السوسي عن الشيخ سيدى قاسم بوعسرية رضي الله عنهم .

ومنهم العالم المدرس النفاع المحقق الصدوق الثقة سيدى محمد الهادي أو عبد الهادي بن محمد العراقي الحسيني المتوفى عام ثلاثة وستين ومئة وألف ، قال فى (نشر المثاني) فى ترجمته ما نصه : وله سند فى المصافحة حسبما وجدت بخطه فى كلام على المصافحة ، ونص المراد منه بعد كلام طويل : صافحنى شيخي سيدى أحمد بن الولي الصالح سيدى أحمد المراكشي وشابكني وكتب لي بخطه سند المصافحة ، ونص ما كتب لي صافحنى أخي فى الله الشريف سيدى محمد الهادي العراقي وشابكته كما صافحنى وشابكني أخي فى الله سيدى محمد بن محمد بن أبى عبد الله السكتاني كما صافحه وشابكه شيخه العارف بالله تعالى أبو طاهر بن الشيخ الملا إبراهيم الكردي نزيل طيبة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام قال صافحه وشابكه شيخه حسن بن علي العجيمي ، وأجازه أن يصافح ويشابك من شاء بجميع أسانيده فيها ، قال من ذلك أنى صافحت وشابكت شيخنا العارف بالله تعالى سيدى عيسى بن محمد المغربي الثعالبي الجعفري ، وقال صافحت وشابكت الشيخ أحمد حجي الوهراني ، قال صافحت وشابكت شيخنا الأستاذ العارف بالله سيدى صالح الزواري رضي الله عنه ، وقال صافحت الشريف محمد الفاسي نزيل الأسكندرية وهو صافح والده الشريف عبد الرحمان وعاش من العمر مئة وأربعين سنة ، وهو صافح أحمد بن عبد الغفار بن نوح القوصي ،

وهو صافح أبا العباس الملثم ، وهو صافح المعمر ، وهو صافح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال مَن صافحني أو صافح مَن صافحني دخل الجنة . وكتب لي بعده الحمد لله أجزت محبنا وأخانا في الله محمد الهادي العراقي في المصافحة والمشابكة كما أجازني الفقيه سيدي محمد المذكور أعلاه ، وكتب عبد الله تعالى العباس بن أحمد بن علي السوسي غفر الله له .

قلت وهذا المصافح هو ولد سيدي أحمد السوسي صاحب الضريح الذي فيه المزارة والحرم بمراكش ، وهو مدفون عند رجلي أبيه المذكور أو حذاءه ، وفي السند أمور ، الأول المصافحة وأحاديثها مذكورة في كتب الحديث ، كترغيب المنذري وغيره ، فلا نطيل بنقلها ، الثاني ما في السند من ذكر المعمر الذي صافح رسول الله صلى الله عيله وسلم فقد وقع فيه اضطراب ، فالذي جزم به الحافظ الذهبي عدم وجوده وألف في ذلك تأليفاً واستفتحه بقوله تعالى « سبحانك هذا بهتان عظيم » ، وجزم بوضع الأحاديث الواردة عنه ، ثم قال الذهبي ولئن سلمنا ظهوره بعد ستمئة سنة فهو إما شيطان ابتدى في صورة بشر إلى أن قال وإما شيخ ضال أسس لنفسه بيتاً في جهنم بكذبه على النبي صلى الله عليه وسلم ، ولو نسبت هذه الأخبار لبعض السلف لكان ينبغي لنا أن ننزهه عنها فضلا عن سيد البشر ، ثم قال وقد اتفق أهل الحديث على أن ءاخر مَن رأى النبي صلى الله عليه وسلم أبو الطفيل عامر ابن واثلة ، وثبت في الصحيح أنه صلى عليه وسلم قال قبل موته بشهر ونحوه أرايتكم ليلتكم هذه فان على رأس مئة سنة منها لا يبقى على وجه الأرض ممن هو اليوم عليها أحد . انتهى كلام الذهبي وحدفنا منه كثيراً لطوله . وقال في (الاصابة) وقد تكلم الصلاح الصفدي في تدكرته في تقوية وجود المعمر ، وأنكر على مَن ينكر وجوده ، قال وعول في ذلك على مجرد التجويز العقلي وليس النزاع فيه ، وإنما النزاع في تجويز ذلك من قبل الشرع بعد نبوت حديث المئة في الصحيحين هـ نعم أنكر صاحب القاموس على الذهبي إنكار وجود المعمر ، قال والذي يظهر أنه قد طال عمره فادعى ما ادعى ثم تمادى على ذلك حتى اشتهر ، ذكر ذلك عنه ابنُ حجر ، ثم قال لو كان صادقاً لاشتهر في المئة الثانية أو الثالثة أو الرابعة أو الخامسة ، لاكنه لم ينقل عنه

شيء إلا فى أواخر السادسة ، ثم فى أوائل السابعة ، ثم اختلف فى سنة وفاته والله أعلم ، وقد أطال فى (الاصابة) فى حرف الراء لأنه سماه رتن فانظره ، ولفظ صاحب (القاموس) فى فصل الراء من باب النون ورتـن محركاً بن كربال بن رتن البترندي ليس بصحابي ، وانما هو كذاب ظهر بالهند بعد الستمئة ، فادعى الصحبة وصدق ، وروى أحاديث سمعناها من أصحاب أصحابه ، وأما الملثم فعرف به السبكي فى طبقاته فقال هو أحمد بن محمد بن الشيخ الصالح أبى العباس الملثم ، قال وعرف بالملثم لأنه كان دائماً بلثام ، وكان من المعمرين ، بالغ فيه قوم حتى قالوا إنه من قوم يونس عليه السلام ، وقال ءاخرون إنه صلى خلف الشافعي وانه رأى القاهرة أخصاصا قبل بنائهم لها ، ومن أخص الناس لصحبته تلميذه الشيخ الصالح عبد الغفار بن نوح صاحب كتاب (الوحيد ، فى علم التوحيد) ، وقد حكى فى كتابه هذا كثيراً من كراماته ونقل عنه أنه قال ما أنا من قوم يونس ، إنما أنا شريف حسيني ، وانه لما قال له أصليت خلف الشافعي تبسم وقال له فى النوم يافتى ، انظر بقية كلامه ، فعلى تبريه من كونه من قوم يونس ومن كونه صلى خلف الشافعي فليس فيه ما ينكر إلا ما فى هذا السند من مصافحة المعمر الذى ادعى الصحبة ، ويلزم عليه ما لزم فى المعمر من الوجوه الممنوعة إلا أن يقال إنه لم يدع المصافحة ولا طول عمر المعمر ، وإنما هو رجل صالح عمر من العمر ما يقرب من الشبه فلا امتناع والله أعلم ، ثم قال السبكى توفى أبو العباس يوم الثلاثاء رابع عشر شهر رجب سنة اثنتين وسبعين وستمئة وهو مدفون برباطه بمدينة قوص مقصود بالبركة ، فعلى كل حال فالسند غير صحيح ، وهو مذكور عند بعض مَن شرح البردة فى شرحها وعند صاحب (بذل المناصحة) وكل ذكر بزيادات مع ما فيه من المنع والله أعلم . انتهى كلام النشر ، وقال فى شرح القاموس تاج العروس بعد قول القاموس البترندى ما نصه بكسر الموحدة وسكون الفوقية وفتح الراء وسكون النون وبترنده مدينة بالهند ، ثم قال قلت وكان فتح الهند فى المئة الرابعة على يد السلطان محمود بن سبكتكين الغزنوي المشهور بالعدل والانصاف ، ثم قال وفى التبصير للحافظ رتن الهندي الذى ادعى فى المئة السابعة أنه ادرك الصحبة فمقته

العلماء وكذبوه ، قلت والأحاديث التى رواها وتلقاها عنه أصحابه وأصحاب أصحابه قد جمعت فى كراسة وتسمى بالرتنيات كنت اطلعت عليها سابقاً ، وأطال الذهبي فى الميزان فى ترجمته ، وكذا الحافظ فى لسانه ، وفى (الاصابة) انتهى .

ولقى المترجم الشيخ سيدى أحمد العباس العلامة الولي الصالح القطب الواضح سيدى المعطى بن صالح مؤلف (الذخيرة) وزاره ، ولما رجع من عنده من تلك الزيارة لقيه الفقيه العالم سيدى الصغير الوفرانى المراكشي فظهر لسيدى الصغير فى سيدى أحمد العباس الزايد ، فقال له من أين لك هذا ؟ فقال له من الشيخ المعطى ، فقال سيدى الصغير علينا بزيارته ، فرحل رحمه الله اليه بجم غفير من أصحابه ، فزاروه وسقى كل واحد منهم على قدر مشربه وذوقه .

وراجع ما ياتي فى العباس بن أحمد بن علي السوسي ، وتكلم فى (الاصابة) على رتن ص 532 ج I وفى الميزان ص 336 ج I وفى لسانه ص 450 ج I .

261) أحمد بن محمد العباسي السملالي

أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الله العباسي السملالي ، فقيه جزولة ومدرسها ومفتيها ، كان رحمه الله فقيهاً علامة أخذ عن جماعة من أيمة بلده وأيمة درعة وأيمة مراكش وفاس ، وعن والده ، وممن أخذ عنه من شيوخ فاس الشيخ محمد القسنطيني ، والشيخ أحمد ابن الحاج ، والشيخ العربي بردله وغيرهم ، ومن شيوخ درعة أحمد بن ناصر وأصحابه الهشتوكي والصغير الورزازي وسيدى حسين الشرحبيلي ، والشيخ عبد الله التدغوغي ، ومن أهل مراكش شيخ السنة سيدى عبد الله بن الحسن الووكدمتى ، ثم السجتاني الشهير ، والشيخ سيدى العربي الوفراني ، والشيخ سيدى محمد البوعبدلي ، والشيخ الأكبر سيدى أحمد بن سليمان الرسموكي ، وسيدى محمد بن علي المنبهي وغيرهم ، ومنهم الامام إبراهيم الأناني وغيرهم ، وأخذ عن المترجم جماعة من أهل العلم منهم الولي الماهر والحكيم الباهر عبد الله بن محمد بن عبد الرحمان ابن إبراهيم بن بيروك الأسغركيسي المترجم فى ذيل فهرسة

أبى عبد الله البيروكي ، والعلامة الحضيكي صحبه نحو خمس سنين وحضر عليه مختصر خليل مراراً والرسالة والألفية والتحفة ولامية الزقاق والشمائل وصحيح البخاري خمس مرات وألفيتي العراقي فى الاصطلاح والسيرة ، والنفحات القدسية السنية لابن باديس ، وسكن الفؤاد للشيـخ بن وفـا ، والاكمهية للمراكشي ، وعمدة الموثق وغير ذلك من كتب الوثائق والفوائد ، وقيد عنه فوائد جمة .

توفي المترجم ليلة الاثنين ثامن ذى الحجة سنة 1152 وصلى عليه الشيخ الزاهد الصوفي سيدى محمد بن يحيى المترجم فى ذيل فهرسة البيروكي ودفن بمقبرة القطب الكبير سيدى أحمد بن موسي قريباً من قبره ، وهو صاحب الأجوبة العباسية المتداولة بأيدي الطلبة رحمه الله .

ترجمه الحضيكي فى طبقاته ، ومحمد بن عمر الأسغركيسي فـى الفهرسة وذيلها ، وذكره المسند تليمذه يحيى بن عبد الله بن مسعود بن الولي الصالح سيدى شعيب بن مبارك البكري الجراري السوسي فى فهرسته ثالث شيوخه ، وأخذ عنه القرءان العظيم وعلم القراءات والتفسير والحديث والطب والتوحيد والفقه والنحو ودلائل الخيرات وأحزاب الشاذلي والجزولي والصلاة المشيشية والمسبعات ، ولقنه الذكر وصافحه وشابكه وبعض علم الأسماء وسر الحـرف .

262) **أحمد بن عبد الله بن مبارك الشرادي الزراري القضاعي** . كان ولياً صالحاً عارفاً ناصحاً ذا برهان واضح ، وعز كامل راسخ ، بحر أنوار ، ومعدن أسرار ، وكهف الوفود والزوار ، شاع ذكره فى الحواضر والبوادي ، وهو صاحب الزاوية الشرادية على نصف مرحلة من مراكش ، ينتسب للشيخ أحمد ابن ناصر الدرعي وإن لقى غيره من السادات ، وأخذ عنهم وكان له فى وقته وبعده بيسير أتباع لطريقته بتلك النواحي ، فحصلوا له على صيت كبير ، وذكر علي قوي شهير ، ثم انقطع أتباعه بانهدام زاويته المذكورة والبقاء لله تعالى وحده ، ما زال أولاده موجودين عليهم أثر خير وبركة قرب وادي رضم على قدر مرحلة جيدة من فاس وبعض أحفاده بمراكش ، وممن أخذ عنه وذكره

فى فهرسته الشيخ يحيى المذكور سابقاً وأخذ عنه مثل ما أخذ عن العباس رواية ودراية ، أخذ المترجم عن سيدنا شمهروش رضي الله عنه تعالى عنه الفاتحة ، قال فى (مواهب الرحمان) قال أبو محمد هاشم بن زيان العراقي فى تأليفه المنقول عنه غير مرة وأخذها أيضاً سيدنا الوالد رضي الله عنه عن سيدنا شمهروش الجني من طريق الشيخ الربَّاني أحمد الشرادي . انتهى بلفظه ومن خطه ، ونقله عنه من جملة ما نقل الشيخ عبد الله المدعو الوليد العراقي فى ترجمته من (الدر النفيس) .

توفي المترجم كما فى (نشر المثاني) عام 1160 ستين ومئة وألف هـ وهو يروى أيضاً عن أبى سالم العياشي والحسن اليوسي والمرسلي التمجروتي وغيرهم ، وأخذ عنه هو السلطان سيدى محمد بن عبد الله أوراد الشاذلية ، والمعمر يحيى بن عبد الله الجراري السوسي المذكور ، عاش إلى أواسط القرن الثالث عشر ، وهو يروى عن أبى سالم بواسطة واحدة ، ومن الغريب إهمال الناس له ما عدى ابن رحمون والمهدي ولد أبى عبد الله محمد بن المترجم عاش بفاس مرحلا مزعجاً عن وطنه وزاويتهم إلى عام 1244 ففيها مات رحمهم الله

تنبيـه وفـائـدة

زرت قبر المترجم بزاويته المذكورة فى رمضان عام واحد وثلاثين وثلاثمئة والف ، وهو فى قبة واسعة الأرجاء ، وعليه دربوز كتبت عليه أبيات سينية فى التعريف به ومدحه ، وبجانبه جامع الخطبة الذى بناه سيدى محمد بن عبد الله ، اشتمل على أربع بلاطات ، كل بلاط خمسة أقواس كبار متقن البناء لا جبس فيه ونحوه نحو ذرع أقواسه العشرين ، وله بابان أحدهما يخرج منه إلى ضريح أبى العباس والآخر فى جنوبيه يقابله ، وهو فى وسط القرية ، صعدنا إلى قنة صومعته فظهر لنا فيها جميع أطلال القرية المتهدمة التى لم يبق من آثارها إلا المسجد الجامع المذكور وصومعته والحمام الذى بجانبه وقبة أبى العباس المذكور والجنات التى كانت محتفة فى شرقيها وهي من قواعد الزيتون من أحباس المسجد المذكور التى تسقَى من العينين اللتين ما زالتا من تاريخ بناء الزاوية المذكورة ، وهي كبيرة يظهر فى رأي العين أنها مثل قصبة مراكش ، وبناؤها غالبه بالطابية القديمة ، وترابها صحيح ،

وبها الآن من السكان نحو الأربعين كانوناً من قبيلة الوداية وقوادهم هم الذين يتصرفون فى أحباسها يستغلونها لأنفسهم ولا يقيمون من أمر الجامع المذكور شيئاً ، وبها بتنا ليلة عشرين منه ، ورأيت حفيد المترجم العباس بداره بالقنارية بمراكش سنة 1321 المتوفى فى العام الذى بعده سنة 1322 عن نحو تسعين سنة حضر وقعة زاويتهم راكباً على فرسه ، ووالده سيدى المهدي وقع فى مدته هدم زاويتهم ، وهو ولد محمد الآتية ترجمته بن أحمد المترجم ، كانت لهم رياسة عظيمة حسبما دلت عليه ءاثار زاويتهم واتساع أبنيتها ، واشتدت شوكتهم بحيث قاوموا الملوك وكانت شجى فى حلوقهم إلى أن دارت عليهم الدائرة سنة أربع وأربعين ومئتين وألف .

263) **أحمد بن عاشر بن عبد الرحمان الحافي السلوي** ، وقفت على فهرسته التى ترجم فيها لأشياخه ، أولهم الشريف سيدى محمد بن سيدى عبد السلام مرصو العلمي المشيشي الحصني ، حفظ عليه كتاب الله العزيز المتوفى فى شوال 7 منه أو 8 عام 1132 فى حصن العلم ، ومنهم العلامة أبو البركات ابن عبد السلام مرصو شقيقه المتوفى فى حصن العلم فى حدود الخمسين ومئة وألف ، ابتدأ عليه قراءة الأجرومية ، ومنهم الفقيه أبو طيب بن عيسى البرنسي قرأ عليه الألفية كلها ، توفي بزاوية سيدى أحمد الطالب قرب الجامع الأعظم من سلا عام 1112 ، ومنهم شيخه وحفيده الذى انتفع بتعليمه وبكتب خزانته الفقيه النبيه سيدى عبد السلام بن العلامة الفهامة حافظ المغرب سيدى علي المراكشي دفين محروسة مكناسة ، قال المؤلف كان والده المذكور من قضاة العدل ، صرح بأنه مراكشي فى ترجمة شيخهما ابن زكري فى مكاتبته لهم ، لا يخشى فى الله لومة لائم ، ممتثلا فى ذلك أمر شيخه الامام القطب الهمام سيدى محمد بن ناصر الدرعي فانى وقفت على كتاب كتبه له شيخه المذكور بخط يده المباركة ، وهو يحضه فيه على قول الحق ولا يخشى فى الله لومة لائم ، ومن جملة فصوله فانك منا وإلينا وأنت محروس بعناية الله وعناية الشيخ ، وقد كان شيخنا سيدى عبد السلام المذكور كريم الطبيعة جواداً ، وقد صحبناه حضراً وسفراً ، وسافرنا معه لمحروسة فاس عام 1110 بقصد قراءة العلم والأخذ عن علمائها ، توفى رضي الله عنه صغيراً عام

1115 ودفن قرب ضريح الولي الصالح سيدي الحاج ابن عاشر وراء الجامع من محروسة سلا ، ومنهم العلامة سيدى أبو القاسم بن الحسين الغريسي المعروف بأبى زائدة ، قرأ عليه رسالة ابن أبى زيد كلها ، والمختصر إلى باب الوصية والصغرى ونتفة من الألفية ونحو النصف من (الشفا) و (شمائل الترمذي) و (ألفية العراقي) فى السير ، ونبذة من (التلخيص) ونحو النصف من (مختصر السنوسي) فى المنطق وجمل الامام المجراد ، وغير ذلك ، توفي عام 1115 ، ومنهم القاضى العلامة سيدى أحمد بن محمد بن ناجي السجلماسي حضر عليه فى التفسير والرسالة وصحيح البخاري ومسلم والشمائل ، توفي بمكناسة 24 رجب عام 1122 ، ومنهم العلامة سيدى محمد السويسي المنصوري من حفدة سيدى محمد بن منصور دفين جزيرة البسابس ، قرأ عليه الألفية ومختصر السنوسي فى المنطق ، وحضر عليه فى قراءة صحيح البخاري ، ومنهم العلامة سيدى علي بن محمد العكاري قرأ عليه السلم ونبذة من صحيح البخاري وغير ذلك ، ومنهم العلامة سيدى محمد بن محمد الدقاق قرأ عليه جل مختصر خليل وبعض تلخيص المفتاح وسرد عليه جزءاً وافراً من مطول السعد ، وهو تلميذ العلامة سيدى محمد بن أحمد القسنطيني ، والعلامة سيدى العربي بردلة ، ومنهم العلامة المسناوي تلميذ سيدى علي العكاري ، ومنهم العلامة السيد عبد السلام الرندي الفاسي قرأ عليه مختصر خليل ، ومنهم العلامة سيدى مسعود بن محمد جموع الفاسي وأجازه عامة سمع عليه الشمائل و (الدرر من أخبار سيد البشر) له ، و (الشفا) وصدراً من مولد الغيطي وشرح ليلة الاسراء له ، وصحيح البخاري ، ومنهم العلامة سيدى أبو بكر الفرجي المراكشي قرأ عليه مختصر خليل كله مرتين والتلقين والسلم ومختصر السنوسى فى المنطق والشمسية وجمل الخونجي ونبذة من ألفية ابن مالك ولامية الأفعال لابن مالك ولامية الزقاق والقصيدة الكعبية والتلخيص، وسرد عليه نبذة من شرحه للسعد وجمع الجوامع لابن السبكي والخزرجية فى علم العروض ، والشمائل مرتين والشفا كله ، وسرد عليه الثلث الأول من التاج والاكليل ، وجل سنن المهتدي ، وغير ذلك ، ومنهم العلامة ابن زكري الفاسى قرأ عليه نصف الألفية وكل المحاذي وبعض المغني والجمل

والرسالة والسلم وأكثر من نصف المختصر والتحفة والشمائل وبعض الحكم وبعض صحيح البخاري والكتاب الأول والثاني من جمع الجوامع والفن الأول والثاني من التلخيص قرأ عليه بسلا وفاس وأجازه إجازة عامة وتاريخ الاستدعاء أواخر شعبان عام 1134 وترجمته ءاخر التراجم التى وقفت عليها من هذه الفهرسة وقدر ذلك أربع كراريس ، ووقفت على تأليفه (تحفة الزائر ببعض مناقب الولي الصالح سيدي الحاج أحمد بن عاشر) نقل فيه عن (السلسل العذب) و (الـروض الهتون) و (كفايـة المحتاج) و (النجم الثاقـب) و (نفاضة الجراب) ورحلة ابن قنفذ ، ورسائل ابن عباد ، ووجدت مقيداً بعده ما نصّه : ومما نقل عن الفقيه سيدى محمد ابن دحو أنه سمع من والده أنه وجد مقيداً بخط سيدى الحاج أحمد بن عاشر المذكور منسوباً إليه من شعره هذين البيتين :

سلا كل قلب غير قلبيَّ ما سـلا   أيسلو بفاس والأحبة فى سـلا
بها خيموا والقلب خيم عندهـم   فأجروا دموعى مرسلا ومسلسلا

ووقفتُ على كناش المترجم ، ومن جملة فوائده فيه بخط يده أنه ولد يوم الخميس الأول من رمضان عام 1091 واحد وتسعين وألف ، ومنه أنـه وجد بخط شيخه المسناوي ءاخر جواب :

أبنت فتاوي الفقه واخترت بعدها   من العلم ما يروي البراء وعـازب
ولولاك ما راجعت عصمة طالـق   أبينتْ ولاكنِّي إلى الله تـائـب

وعندي بخطه (ابتهاج القلوب) لأبي زيد الفاسي كتب عليه أنه دخل مراكش عام 1156 .

وقال في (الاتحاف) :

ومنهم بركة الديـــار   علامة الثغر بلا ممـــارى
شيخ التقى أحمد بن عاشـر   ابن أبي زيد الجميل المخبـر
يعرف بالحافي الجليل القـدر   الناسك الأرضي الرفيع الذكـر

كان فقيهاً صالحاً مشاركاً ... محدثاً راوية وناسكاً
وهو غريب الحال والأشكال ... وفضله باد بلا إشكال
علَم' علمٍ بديارنا سلا ... وشيخ أشياخ السراة النبلا
دام على العز مكباً جامعاً ... ما بين تحصيل وتقييد معاً
وفي اقتباس الغير حيثما بدا ... مواصلا أوقاته طول المدى
بذاك يعرف حديثاً وقديم ... وحل فاسا لتعاطيه العميم
له بها من الشيوخ الكبرا ... أعيان ذاك الدهر أقمار الورى
نظم جمعهم بتلك الفهرسة ... وبسلا بث اللباب دارسه
وهو مجاز ومجيز يرتضَى ... وبالتصوف تملا وأضا
عن ابن ناصر مع التستاوتي ... وكم معانٍ لعلاه دلت
وهو مؤلف أخو أوضاع ... تحسن للفيد والاطلاع
كنزهة الناظر والديوان ... والفهرسين فى نبا الأعيان
وتحفة الزائر فى أخبار ... شيخ سلا ابن عاشر المعطار
وكم له في الشعر والآداب ... من ملح تزكو بلا حساب
وهو أجل مَن أفاد وكتب ... فى بعض أخبار سلا ممن غرب
مضى بها شيخاً عظيماً يقصد ... وعمدة في دينه يُعتَمد
عام ثلاثة وستين وألف ... ومئة ورد فى أكمل وصف
وقبره فيها وراء الجامع ... بروضة ذات سناء لامع

264) أحمد الحبيب بن محمد الصديقي السجلماسي

أحمد الملقب الحبيب بن محمد بن صالح بن أحمد بن يحيى بن محمد بن يحيى الصديقي السجلماسي اللمطي ، نسبة للمط بالتحريك رهط من سجلماسة ، ولمط أيضاً قرية بالمدينة العامرة من سجلماسة خربت قبل ، ذكر شقيق' المترجم خاتمة قراء المغرب أبو محمد صالح وتلميذه فى إجازته لتلميذه سيدي محمد بن أحمد الحضيكي أن أخاه المذكور التقي مع سيدي الحسن اليوسي بمدينة مراكش وعظم كأخيه قدر الفقيهين اللذين كانا بمراكش سيدي علي العكاري وأخيه سيدي محمد .

كان المترجم رحمه الله ولياً شهيراً عاملا علامة زاهداً كبيراً وصفه تلميذه العلامة سيدي أحمد بن عبد العزير الهلالي فى (الزواهر الأفقية) بقوله : فريد العصـر ، ذو المآثر التى لا يدركهـا الحصر ، المتضلع مـن المعقول والمنقول ، المتحلي من الفضائل والفواضل بما يبهر العقول ، المجلى فى الحفظ والتحقيق بين مشاهير القراء ، وسائر أرباب العلوم الغراء ، مَن حاز المجد الراسخ ، والولاية التى ما لمُحكم ءاياتها بحمد الله من ناسخ ، سيدنا المتبرك به شرقاً وغرباً ، المتخذ حبه وسيلة إلى الله وقرباً ، شيخنا أحمد الحبيب السجلماسي ، أدام الله وجوده ، وأصبغ عليه فى الدارين ءالاءه وجوده ، ونظمنا وأحباءنا فى سلك مَن صحت نسبته إليه ، وفتح بالمقصد الأسني على يديه هـ .

قال فى (النشر) كان رضي الله عنه من أكابر الزهاد ، وممن شاعت كراماته وفضائله فـى الأرض والبلاد ، وممـن أجمع الخاصة على ولايتـه ، واعترف الكلُّ بتحقيقه للعلوم ودرايته ، طويل المكث فى داره لا يخلص أحد لملاقاته الا بعد المدة مع حرص الناس على ذلك ولزومهم بابه ، أخذ العلم والطريقة عن عدة شيوخ من المغرب والصحراء وغير ذلك ، ومن شيوخه سيدنا الجد رحمه الله ، صرح بذلك سيدى أحمد بن عبد العزيز بعد كلامه السابق فى شرح نظم الجـد المسمى بـ (الزواهر الأفقية ، فـى شرح الجواهـر المنطقية) فذكر فيه أنه قرأ عليه وأثنى عليه بالتحقيق ولم يحضرني غير ذلك ، وأخذ عنه جم غفير من سجلماسة وغيرها .

توفي رابع المحرم عام خمسة وستين ومئة وألف ، ودفن بداره من سجلماسة ، وبني عليه ضريح كما يكون على الأولياء نفعنا الله ببركاتهم ءامين انتهى .

وحلاه أحمد الهلالي فى فهرسته فى أول سند ذكر لصحيح البخارى بما نصه : أخبرنا به شيخنا العالم علم الأعلام ، وغوث الاسلام ، الجم المآثر والمناقب ، الموفي من علم الظاهر والباطن على أسمى المراقب ، غاية مناي والتماسي ، سيدى أحمد الحبيب السجلماسي ، قدس الله روحه الطيبة ،

وأفاض علينا فتوحه الصيبة ، قراءة عليه لأوله وأنا أسمع وأجازة لجميعه الخ وأسند عنه في ءاخرها فهرسة الامام أبي سالم العياشي بروايته لنا عنه وهو يرويها عن العلامة سيدي ابن عبد الجبار العياشي عن مؤلفها ، وقد وقفت على خط المترجم في إجازته العامة للعالم سيدى أبي القاسم بن أحمد بن محمد بن عبد القادر الفاسي ، ولسيدي أحمد العياشي ، وذكره في (المورد الهني ، بأخبار الامام المولى عبد السلام الشريف القادرى الحسني) ، وممن أخذ عن المترجم الامام يحيى السوسي الجراري ، وذكره في فهرسته ، وهو الشيخ الثالث عشر فيها ، أما سيدى أحمد حبيب بالتصغير فهو غير هذا ، راجع ترجمته في (السلوة) (1) .

265) **أحمد بن عبد الله الدكالي الغربي الرباطي** ، خاتمة علماء المغرب ومدرسيه ونساكه ، أخذ رحمه الله عن القطب أحمد بن ناصر وخليفته العلامة سيدي الحسين بن محمد الشرحبيلي المتوفى سنة 1142 والعلامة النحرير البحر علي بن محمد العكاري المراكشي ، وعن المتفنن المحقق أحمد بن يعقوب الولالي المتوفى 1128 والقاضي أبي مدين السوسي ، والشيخ أحمد العماوى قرأ عليه الموطأ وشرحه للزرقاني بتمامه وغير ذلك ، وأجازه عامة ، والشيخ أحمد الجوهري الخالدي حديث الأولية وأجازه ، والشيخ أبي الطاهر محمد بن الشيخ إبراهيم الكردي شيخ الحرم المدني الشافعي سمع عليه المسلسل بالأولية وأحاديث من أول البخارى وغير ذلك ، وأجازه في محرم عام 1140 إجازة عامة ، والشيخ محمد بن حسن العجيمي الحنفي المكي ، والعلامة محمد تاج الدين بن عبد المحسن بن سالم المكي الشهير بالقلعي حضر عنده التفسير والبخاري وغيرهما ، وأجازه عامة ، ولقي المترجم بمكة الشيخ سالم بن عبد الله البصري وصافحه وأجازه عامة ، حج المترجم وجاور وتكرر مروره بمصر ، وممن أخذ عن المترجم أبو القاسم العميري ، وقد أثبت إجازته في فهرسته التي ضمنها إجازات أشياخه المشارقة ، والحضيكي

---

1) **سلوة الأنفاس** 2 : 365 .

مترجمه فى طبقاته ، والشيخ التاودى ذكره فى فهرسته ، وأثبت اجازته له أيضاً ، دخل المترجم مراكش كما ياتي فى ترجمة مولاى أحمد الصقلي قريباً .

توفي رحمه الله عام ثمانية وسبعين ومئة وألف (1) وترجمه أيضاً الأسغركيسي في الفهرسة .

266) احمد بن مَحمد الصقلي

أحمد بن الولي الصالح البركة مولاي مَحمد فتحاً بن أحمد بن إبراهيم الصقلي الحُسيني العريضي من أبناء سيدي علي العريضي بن جعفر الصادق .

كان سيداً إماماً ، عارفاً هماماً ، ذا كرامات كثيرة لا تعد ولاتحصى ، وكشف صريح ومفاخر جليلة لا تحدُّ ولا تستقصى ، وهمة خافضة رافعة ، وقوة جالبة دافعة ، وأخلاق زكية ، ومواهب سنية ، صدر الصدور ، الظاهر الحكمة والنور ، القطب الجامع ، والغوث الهامع ، المسن الأخْيَر ، الصالح البركة الأنور ، الركن الأعمد .

ولد رحمه الله كما نقله فى (الروضة المقصودة) عن خط ولده سيدى محمد عنه سنة اثنتي عشرة ومئة وألف ، ونشأ مكفولا بالصيانة والعفاف ، راضعاً لبن الاتصاف بجميل الأوصاف ، حفظ القرءان وجود رسمه، وأدمن تلاوته ليله ويومه ، وتفقه ما شاء الله على علماء عصره ، ولازمهم فى تعليم ما يقيم به شعائر دينه فى سره وجهره ، ثم تجرد للعمل كيما يظفرَ بالأمل ، فكان يصوم بعض الأيام ويقوم بعض الليل ، ويتلو ما تيسر من القرءان ويطلب طريق التصوف ويطالع كتب القوم سيما شرح الشيخ ابن عباد على الحكم فانه كان لا يفارقه ليلا ولا نهاراً ، وكان له دكان يبيع فيه

---

1) فى الأصل عام سبعين بموحدة ومئة والف ؛ وقد اعتمدنا فى تصحيح تاريخ وفاته على ما فى طبقات الحضيكى 1 : 102 وفهرس الفهارس والأثبات 1 : 80 .

العطر بالعطارين الكبرى من ناحية المدرسة لا تراه فيه إلا مكباً على الشرح المذكور ، وما ذهب لموضع إلا وكان معه تحت إبطه ، وكان مع ذلك رطباً هيناً ليناً ذا أخلاق كريمة ، وسيرة جميلـة جسيمة ، طويل الصمت دائـم الفكرة مشتغلا بما يعنيه ، تاركاً لما لا يعنيه ، وذهب الى وزان فزار بها الشيخ مولاي الطيب بن محمد الوزاني اليملحي الحسني وتبرك به فأعطاه موزونة واحدة فضة ، فبشره بعض أصحابه أي أصحاب مولاي الطيب بأنه يكون له أتباع بمدينة فاس ، لأن المدن من أهل الورق ، فصدقه الله فـي ذلك ، وكانت له صحبة كبيرة وأخوة عظيمة مع الفقيه العلامة الصوفي سيدي عبد المجيد المنالي الشهير بالزبادي ، فكان كثيراً ما يبيت عنده ، وزار معه الشيخ مولانا عبد السلام مراراً وحجًا معاً فى رفقة واحدة عام ثمانية وخمسين ومئة وألف وقفلا فى السنة التى بعدها ، واجتمعا فيها بمصر مع الشيخ محمد فتحا بن سالم الحفناوي المصري الشافعـي ، وأخذا عنه الطريـق والاذن ، واعتمد عليه صاحب الترجمة فكمل له المقصود ولاحت عليه الأنوار من كل جانب ، وظهرت له علامـات الخير منه ، ولقـي أيضاً غيره من أهـل مصر والحرمين وطرابلس والجريد ، وانتفع به هنالك قوم ، ولما رجع من حجته هذه فشا سره وشاع أمره ، واجتمع عليه الناس وقصدوه ، وأخذوا عنه ، ثم أعلن بالأمر ودعا الى الله فى السر والجهر ، وأذعن إليه المنتسبون ، وأتوه من كل حدب ينسلون ، بعد ما حج الحجة الثانية عام سبعين ، فكان بعد ما حجَّ يحيى مع أصحابه الليالي بالذكر ويعطى الورد ويبوح بالسر ويفعل الذكر أيضاً نهاراً فى بعض النزهات أو عنـد بعض الأصحاب والخلوات ، وفـي المواسم والأعياد ، وكثيراً ما كان يجتمع مع أصحابه أيضاً فى المكتب الذى بالدرب الطويل عند دار الشرفاء الصقليين ، ولما كثروا طلبوا منه أن يبنوا زاوية فقال تكفينا روضة سيدى أبى عياد الورياجلي التى بالصاغة ، فكانوا يذكرون فيها عشية يوم الجمعة وأكثر ما تراه صامتاً وهم يذكرون ثم ينطق بالكلمة أو الكلمتين أو يقول قولوا كذا ، ومقدم أصحابه حينئذ الشيخ سيدي أبو شعيب المطيري ، وظهرت له رضي الله عنه كرامات ، وخوارق عادات ، ذكر بعضها الشيخ سيدى التاودي ابن سودة المري في فهرسته ، وصاحب

سلوك الطريق الوارية وغير واحد ، واستفاضت الأخبار بقطبانيته ، واستنارت الأرجاء بعرفانيته ، ومن الشائع أنه كان يقول في بيت سكناه من داره بزنقة حجامة بفاس بيتي هذا مقامه كمقام ابراهيم مَن دخله كان ءامناً ، ورأى وهو بمكة البيت يطوف به ، وقد ذكر السيوطي فى كتابه (القول الجلي ، في جواز تطور الولي) أن جماعة من الأولياء شاهدوا الكعبة تطوف بهم ، وكان الشيخ سيدى أحمد التيجاني رضي الله عنه يقول لم يدفن قطب بداخل سور مدينة فاس سوى مولانا أحمد الصقلي ، وكان الشيخ التاودي ابن سودة يعترف له بالقطبانية أيضاً ، ووصفه بها فى فهرسته ، وقال أخبرني مَن وثقت به أنه وقع خصام مع بنت عم له وزوجها فجاءهما إلى الدار ليصلح بينهما ، فقيل للمرأة هذا ابن عمك مولاي أحمد فقالت كالمستهزئة وهو يسمع جاء سيدى أحمد البرنسي أو سيدى أحمد الشاوي ، فقال قولوا لها جاءها القطب أحمد الصقلي هـ وكان أعنى الشيخ التاودي يقول فى ءاخر أمره ذهب من أيدينا مولاي أحمد ولم يعرف أحد قدره وذكر هو عن نفسه أنه رأى فى مبدإ أمره البيت وهو يصلى فى القرويين وراءه منحرفاً على نحو ما يصلى الناس وأنه قرأ مرة فى خطوة واحدة خمسة أحزاب من القرءان ، وقال يوماً للشيخ التاودي ابن سودة اذا عرضت لك مسألة أو دهمتك نازلة أو معضلة فقل (سبحانك لا علم لنا إلا ما علـَّمتـَنا إنك أنت علامُ الغيوب) فانها تنجلى ويسهل عليك أمرها ، وقال له يوماً ءاخر كأنك ارتخيت ، قال فقلت له نعم ياسيدى ، فقال أرى نحزم لك ، قال فرأيت بركة ذلك ، قال وزرت معه القطب مولانا عبد السلام مراراً قبل الحج وبعده وظهرت منه أمور أي كرامات وبركات ، وفضائله رضى الله عنه وكراماته ومعارفه وأسراره وفتوحاته لا يفي بها القلم ، وهي بمكان الشهرة كنار على علم ، ومازال الناس بعد وفاته يلهجون بذكره ، ويتعجبون من أمره ، ويتواصون على السلوك في طريقته ، والاغتراف بالانتساب إليه من عين حقيقته ، وقد قال بعض مَن عاصره ولو تتبعتُ كراماته لملئت منها الدفاتر ، على أنها قد بلغت من الشهرة عند الخاصة والعامة إلى رتبة المتواتر ، انتهى .

وطريقته رضى الله عنه شاذلية خلوتية، وقيامها الآن بالمغرب إنما هو من جهته ، وأهلها انما يطوفون لالتماس الخيرات بكعبته ، وعمدته فيهـا هـو الشيخ الحنفاوي المذكور وهو عن الولي الأكبر سيدى مصطفى البكري رضي الله عنه ، وقد أخذ هذه الطريقة عن صاحب الترجمة بغير واحد من الشيوخ ، كالشيخ العارف سيدى محمد بن يونس الشريف الريفي الفاسي دفين خارج باب الفتوح ، والشيخ سيدى عبد الوهاب التازي دفينها أيضاً ، والشريف السالك السني الخاشع سيدى محمد بن علي العلمي ، والعارف المستغرق فى بحر الحقيقة وفى محبة النبي صلى الله عليه وسلم سيدى محمد بن حميدة عرف به ، والشريف الأفضل الأكمل سيدى محمد بن علي الصقلي الحسيني ، والشيخ سيدى علي محمود السلوي ، والشيخ سيدى محمد بن الحسن البناني ، والشيخ سيدى التاودي ابن سودة المري ، والشيخ سيدى عبد الكريم بن علي اليازغي ، والشيخ سيدى محمد ابن الحسن الجنوي الشريف ، والعالم العامل الولي الصالح أبى شعيب المطيري ، والولي المكاشف مولانا محمد أبى الغيث الحسني السجلماسي ثم الطرابلسي وغيرهم ، ولقيه القطب الرباني مولاي أحمد التيجاني لما قدم لفاس أول مرة قدم إليها سنة إحدى وسبعين ومئة وألف ، إلا أنه لم يأخذ عنه شيئاً ، بل لم يكلمه ، وذكر بعض أصحابه فى بعض كتبه أنه بعد ما فتح عليه بما فتح ، ومنح من سر التخصيص ما مُنِح ، كان كثيراً ما يلهج به وينيء عن حقيقة أمره وينوه عـلى رؤوس الأشهاد بعلي قدره وسني فخره ، ويصرح بأنه أدرك القطبانية العظمى والامامة الكبرى على أهل عصره ، ويفصح بأن دفنه داخل حضرة فاس ، من المزايا التى تتأرج بها من بقاعها الأنفاس .

ولم يزل أمره رضي الله عنه فى ازدياد ، وصيته ينتشر فى الحواضر والباد ، إلى أن توفي ، قال فى (غاية الأمنية) بعد عصر يوم السبت سابع رمضان ودفن من الغد ظهراً بعد الصلاة عليه بمسجد القرويين فى دار بأقصا درب سبع لويات حيث بنيت زاويته المباركة ، وذلك عام سبعة وسبعين بموحدة فيهما ومئة وألف هـ .

قال فى (النشر) فى بعض نسخه : ولما احتضر أوصى بأن يدفن إما فى جبل الولي الرباني سيدى أحمد بن سيدى علي البرنسي خارج باب الجيسة ، أو بالجنان الموقوف المدفون فيه سيدى أحمد بن عبد الله معن ، والشيخ سيدى أحمد اليمني خارج باب الفتوح ، فامتنع الأهل والأصحاب من ذلك واشتروا داراً بأقصى درب السبع لويات ودفنوه وبنوها روضة عليه وفتحوا لها باباً من جهة باب النقبة ، واجتمع بها أصحابه على تداول الأوراد والأحزاب واتخذوها مقبرة لدفن الأموات نفعنا الله به ءامين .

قال فى (الروضة المقصودة) وزاويته اليوم مجتمع المنتسبين له من الفقراء ومن بقي من أتباعه الفضلاء ، قال وقطب رحاهم الذى عليه المدار ، فى القيام بجمع أفرادهم على حلق الأذكار ، هو ولده محمد الطالع فى سماء الدراية كالبدر تنبعث عنه أنوار الهداية فى سمت أبيه وسعيه وخلقه وخلقه وهديه بارك الله فيه ، وأجرى الحكمة على فيه .

ترجمه فى (النشر) و (الروضة المقصودة) و (سلوك الطريق الوارية) ، والشيخ سيدى التاودي فى فهرسته ، وصاحب (الاشراف) وغيرهم ، وقد ذكر صاحب (سلوك الطريق الوارية) أنه رأى صاحب الترجمة مناماً فى موضع عال وهو يقول لولده مولاي علي الصقلي هات يدك فقبض فى يده ، وقال للرائي المذكور ولرجل ءاخر معه أعينوه فأعاناه من مؤخره حتى طلع عند أبيه ، فلما استيقظ ذهب من الغد لولده المذكور بحانوته بالعطارين فوجدها مشدودة فسأل عنه فقيل هو مريض ومن الغد أو بعده توفي فغسله هو ، وكان الرجل الذى رأى معه فى الرؤيا يرشُّ عليه الماء ودفن فى الزاوية مع أبيه رحمه الله .

قال فى (السلوة) .

تـنـبـيـه

تقدم تبعا لصاحب الاشراف وغيره نقلا عن الشيخ سيدى أحمد التيجاني رضي الله عنه أنه لم يدفن قطب بداخل سور مدينة فاس سوى

مولاي أحمد الصقلي المذكور وهو مشكل الظاهر لأنه دفن بها قبله بانيها وهو موصوف بالقطبانية بل هو أعلا منها كما سبق ، وكذا دفن بها قبله غيره ممن وصف بها كالولي الكبير العارف الشهير ذي الكرامات العديدة ، والمناقب العجيبة الحميدة ، سيدي عبد الرحمان الهزميري دفين روضة الأنوار داخل باب الفتوح جوار روضة أبى مدين ، وممن وصفه بها الشيخ القصار فى مكاتبة له نقلها صاحب (سلسلة الذهب المنقود) فراجعها فيه ، وكالشيخ سيدى محمد ابن عباد دفين كدية البراطيل داخل باب الفتوح فانه وصفه بها الشيخ سيدي أحمد بابا السوداني في (نيل الابتهاج) في ترجمة سيدي الحاج أحمد ابن عاشر الأندلسي نزيل سلا ودفينها ، وكذا وصفه بها غيره ، وكالعارف بالله سيدى محمد الطالب الزمراني دفين زاوية شيخه الغزواني بالقليعة قريباً من ضريح سيدى أبى غالب الصاريوي ، وقد ذكر فى (تحفة الاخوان ، بمناقب ساداتنا أهل وزان) أنه ورث القطبانية من شيخه المذكور ، وكالشيخ سيدى عبد القادر الفاسي فقد نقل ولده فى (تحفة الأكابر) قطبانيته عن أبى سالم العياشي عن بعض أكابر أهل الوقت ، قال وشاع ذلك فى الألسنة ولهج به العموم والخصوص ، ولم ينكره الشيخ رضي الله عنه ، وفى (عناية أولى المجد) أنه يقال شائعاً أنه مكث فى القطبانية سبع سنين ، وكالولي الصالح سيدى الحاج الشعير دفين حومة القلقليين صدر زاوية الشيخ أبي محمد المذكور ، فانه وصفه غير واحد كصاحب (المنح البادية) وصاحب (الصفوة) بأنه خاتم أولياء زمانه ، والخاتم فى عرفهم هو الذى يختم الله به الولاية المحمدية فلا يكون فى الأولياء المحمديين أكبر منه ، وحينئذ فهو القطب الجامع الذى عليه المدار ، وكالشيخ سيدى محمد بن الفقيه دفين مدارج العيون ، فانه وصف نفسه بالقطبانية غير ما مرة ، بل قال إن مقامه الذى حل فيه لم يتقدم إلا لرجلين ، وكان يقول أنا القطب أنا الجرس أنا الغوث أنا الوتد ، ومَن قال شيئاً فهو أنا ووفاته سنة ست وثلاثين ومئة وألف، فهي قبل وفاة صاحب الترجمة ، والأقرب عندي أن يكون أراد أنه لم يدفن قطب بداخلها من خصوص الذرية الحسينية لا مطلقاً سوى مولاي أحمد ، فغفل الناقل عن موضوع كلامه أو نسيه والله أعلم .

وقال المحدث ابن عبد السلام الناصري في كتابه (المزايا ، فيما أحدث بأم الزوايا) ما نصه : قلت وكان الشيخ أحمد بن عبد الله الغربي الناصري الطريقة برباط الفتح بسلا ينكر على مولانا أحمد الصقلي الفاسي الدار أول ما قدم من مصر في رجوعه من الحرمين بهذه الطريقة الخلوتية ، وقد كان ربما تواجد في جمع أصحابه فينشأ عن ذلك اهتزاز وما يشبه الرقص، فقدم مولاي أحمد لمراكش بالامام الغربي واستضافه وهما في بيت وأصحابه يتواجدون بقصائد برحبة الدار ، فلم يملك الغربي نفسه أن خرج فرقص بالذكر في وسطهم ، فقيل له هذا الذى كنت تنكر ؟ فقال المقدار الذى رأيت اليوم ما فيه منكر ، وأنا مغلوب غائب عن حسي ، قلت ونحن اليوم إنما أنكرنا ما شهدنا من هؤلاء المنسوبين اليوم لما شاهدنا من بدعتهم (1) .

267) **أحمد بن العربي المراكشي** ، كان فقيهاً عالماً مشاركاً بركة قدوة صالحاً توفي عام 1185 ذكره في (الروضة المقصودة) فيمن صحب العارف سيدى يوسف الناصري لما جاء لمبايعة السلطان سيدى محمد بن عبد الله ، وبعد انفصاله من المبايعة زار مولانا عبد السلام ومر على شفشاون وكان بصحبته أيضاً العلامة سيدى أحمد بن عبد الله الغربي الدكالي الرباطي .

268) أحمد بن محمد الورزازي

أحمد بن محمد بن عبد الله الورزازي الدليمي الحميري ، الشيخ الامام العلامة المشارك المحقق الورع ، قرأ عليه بتطوان الشيخ سيدي محمد بن الحسن الجنوي في ترجمته ، وقال الضعيف في تاريخه ما نصه : وفي 1177 أو في أول التى قبلها قدم الفقيه العلامة على السلطان بمراكش ، وهو العارف بالله سيدى أحمد الورزازي من تطوان ، فلما أقبل على السلطان وكان بالمسجد مع بعض خاصته وكان لايعرفه فقال يا هؤلاء الناس مَن فيكم السيد محمد بن عبد الله ؟ فلما عرف به تصافح معه وقال له لايحلُّ لك من الله أن تسكن النصارى في مدائن المسلمين ويرفعون فوق ديارهم العلامات

1) ينظر عن مولاى أحمد الصقلي **سلوة الأنفاس** 1 : 133 .

وفيهن التصاوير ، وقال له أيضاً لماذا تعطى المال من بيت المسلمين لمن لا يستحقه فأنت المسؤول عنه بين يدي الله ، وقال له كلاماً لا يقدر أحد أن يقوله إلا هو ، ولما أراد الرجوع لتطوان أعطاه السلطان خمسمئة ريال وردها عليه فقال له السلطان هي حلال من ورث ، فقال له : إن كان ولابد فافْدِ بها بعض الأسارى من بلاد الروم ، وأما أنا فلا حاجة لي بها ، وكان لاياكل طعامه رحمه الله هـ .

وممن أخد عنه الحضيكي وأجازه وسمع منه كثيراً من مختصر خليل وجمع الجوامع وورقات إمام الحرمين كلها وغير ذلك ، وخدمه مدة إقامته بسوس الأقصى ، ونسخ له كتاب (المصباح) في علم البيان لابن مالك ، ورحلة ابن بطوطة ، وقال إنهما كتابان عزّ وجودهما .

توفي المترجم رحمه الله عام تسعة وثمانين ومئة وألف ، ووقفت على خطه في إجازته للحضيكي وعلى فهرسته ، وسيأتي في ترجمة محمد بن محمد التهامي الرباطي أن ابن عبد السلام الناصري أخذ عن المترجم وأجازه في الرحلة العياشية عن شيخه سيدي أحمد ابن ناصر عن مؤلفها فراجعه .

269) **أحمد بن الفقيه الكاتب الأديب السيد المهدي الغزال** ، الفقيه الأديب ، الكاتب الرئيس الأريب ، كان رحمه الله آخر أدباء الوقت ، وبعثه السلطان سيديمحمد بن عبد الله سفيراً لجزيرة الأندلس عام تسع وسبعين ومئة وألف مثل أبيه قبله ، فألف في سفره رحلة أفاض القــول فيهــا في عجائب تلك الأرض ، وهي فى عشرة كراريس من القالب الرباعي ، وله غيرها من التئاليف فى الأدب .

توفي رحمه الله كما رأيته بخط العلامة سيدي عبد الواحد الفاسي عند طلوع فجر يوم الأحد خامس عشر جمادى عام أحد وتسعين ومئة وألف ، ودفن ظهراً بزاوية الشيخ سيدى عبد القادر الفاسي فى صحنها ، وكان له خط رائق ..

راجع ما كتبناه في ترجمة مولاي إدريس بن عبد الهادي العلوي وستاتي ترجمة والد المترجم .

270) أحمد بن محمد ابن شرحبيل الأنصاري

أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الله بن عبد العزيز الأنصاري الدرعي ، سبط الولي الصالح الحسين بن محمد ابن شرحبيل .

قال الشيخ مرتضي في معجمه ورد علينا مصر سنة 1197 فسمع عليَّ أشياء ، وحضر بعض دروسي ، وكتبت له الاجازة ، ثم قال فيه في ترجمة أخيه عبد الله الآتية في حرف العين ما نصه : وهما في نهاية من الصلاح والتقوى والبرور بالأم وحسن القيام في طاعة المولى مع التوجه اليه في السر والعلن ، وقد توجها الى مراكش بارك الله فيهما .

271) أحمد بن الرضي بن عثمان المكناسي ، من العلماء المحدثين الذين نقلهم السلطان سيدى محمد بن عبد الله العلوي وفرقهم على مساجد مراكش وصاروا يدرسون بها ويحضرون مجلسه السعيد كما في (الترجمانة الكبرى) ، كان رحمه الله محدثاً مشاركاً نقاداً ناظماً ناثراً ، أخذ عن عمر الفاسي ، والشيخ التاودي والشيخ بناني وغيرهم .

272) أحمد بن محمد التامري السوسي ، كان علامة مشاركاً حريصاً على التحصيل ، صالحاً جليلا .

توفي بمراكش أواخر 1200 ذكره الشيخ الطالب بن الحاج في بعض مقيداته .

273) أحمد بن محمد بن العربي أحضري ، الأندلسي أصلا المراكشي داراً ومنشئاً ، سمع من الأديب الأريب سيدي محمد بن مولاي عبد الرحمان الشريف عن شيخه الفقيه النزيه المتفنن النبيه سيدي مبارك بن سيدي عبد الله تكدمت ، ألف ديوان الأمداح النبوية وذكر النغمات والطبوع وبيان تعلقها بالطبائع الأربعة ، ونقل عن شيخه الفقيه الأديب سيدي العربي بن محمد

الغواشي وعن الفقيه الأديب المتفنن سيدي مَحمد البوعصامي ، ثم صور شجرة الطبوع فجعل الغريبة المحررة تميل لكل طبع أصلا بلا فروع ، وجعل الماية أصل رمل الماية انقلاب الرمل والحسين والرصد للدم وفصل الربيع ، وجعل الزيدان أصل حجاز كبير حجاز مشرقي حصار زور كند أصبهان للبلغم وفصل الشتاء ، وجعل المزموم أصل غريبة الحسين المشرقي الصغير حمدان للصفراء وفصل الصيف ، وجعل الذيل أصل عراق العجم مجنب الذيل رمل الماية رصد الذيل استهلال للسوداء وفصل الخريف ، ثم ذكر الطبوع وفصولها ، ومَن استخرج الطبوع وأنشأها ، ومَن أنشدها في محاسنها وشيعها ، وديوان الأمداح المذكور في مجلد لطيف بخط اليد عندنا ، وسيدي عبد الله تكدمت ستاتي ترجمته فيمَن اسمه عبد الله ، وهو من أهل القرن الثاني عشر ، وقد وقفت في المكتبة الوطنية بمدريد على كتاب في الغناء فسر فيه مؤلفه البسيط المسمى عند المشارقة بالمحجَّر بأنه مبني على ست نقرات أزمنة وفسر القائم ونصف وتسمية المشارقة من أهل أفريقية بالبطايح وأهل مصر بالمثمن ، وهو من نقرات يكون حثها في العمل أسرع من حث البسيط شيئاً ما ، الثالث البطايح وتسميه أهل أفريقية المصدر ولم اسمعه بمصر إلا أن نقراته تخالف القائم ونصف وأزمنته تختلف ، فلذلك احتيج الى ردها الى أزمنة فتصير ستة عشر ، والرابع القدام وتسميه المشارقة بالدارج وهو على أنواع دائرتها كلها من دائرة مثلثة من أزمنة ثم فسر خواص الطبوع . وبعده كتاب الروضة في أصول الغناء وفيه أن طبع الحسين استخرجه حسين بن أمية ، وأن طبع الماية وطبع الصيكة استخرجه صيكة بن تميم العراقي ، طبع الاستهلال وهو فرع من الذيل استخرجه الحاج علال البطلة بمدينة فاس في أيام السلطان مولانا محمد الشيخ ، طبع عراق العرب استخرجه صيكة المذكور وهو فرع من الذيل ، طبع الرصد استخرجه وهو فرع من الماية محمد بن الحارث طبع الحصار وهو فرع من الزيدان لانحصار نغماته استخرجه عنان ابن فراك اليماني . طبع الزيدان ، وهو رصد البلغم استخرجه محمد بن عبد الله الحبشي وهو يضاد خلوط الصفراء . طبع الزوركند . طبع القرموح . طبع غريبة الحسين . طبع عراق العجم . طبع العشاق . طبع الذيل . طبع المشرقي .

طبع مجنب الذيل . طبع الحجاز الكبير . طبع حجاز المشرقي . الأصبهان استخرجه جابر بن الأصعد الأصبهاني ، وهذا الكتاب في مجلد لطيف من القالب الرباعي وفيه زيادات عن غيره بغير خط كاتبه وناسخه عدد 5307 ووقفت فيها أيضاً على كتاب (الامتاع والانتفاع ، في مسألة سماع السماع) لاستيثاره بالكفاية والغناء في أحكام أهل الغناء والرد على من نغص على المسلمين بتحريم ما أبيح لهم منه في مظان المسرة والهناء أو في حال اجتماع أرباب التهمم بالسماع ليتبعوا أحسنه أحسن الاتباع وأولي الاعتناء ، وعلى ظهره تملك هذا عبد الله ووليه أبو فارس بن أمير المومنين بن أمير المومنين بن أمير المومنين الشرفاء الحسنيين خار الله له ، والورقة الأولى منه مبتورة ، ألفه مؤلفه باسم أمير المسلمين يوسف بن يعقوب بن عبد الحق ، ذكر فيه أنه سأله بعض الطلبة عن إعطاء الأجرة على السماع فأجابه بالاجازة فيما أجيز منه والمنع بما حكم فيه بالامتناع لقول الفقهاء كل ما أبيح شرعاً فالأجر عليه مباح وبعضهم أقر بأن منه ما حكم فيه بحله وأصر على تحريم الأجرة على مثله بدعوى الاجماع ، وبعضهم زاد على ذلك القول بعموم تحريم السماع ، وفرقة ثالثة منهم غلب عليها جمود البلادة أنكرت الشعر رأساً وأنه ألف هذا الكتاب اتباعاً لمن تقدم من الشيوخ الجلة في أخذهم بالرخصة الواردة في هذا المعنى فان الله يحب أن تُوتَى رُخَصُه كما يحبُّ أن تجتنب شدائده والرد على الطائفة الشرذمة الطاعنة والمخلطة فيما نقموا من تحريم الحلال وان الامام الأسعد العالم المشاور أبا القاسم بن الشيخ أبي العباس اللخمي ثم العزفي هو الذى جعله من خاصة الأمير المذكور ، وهذا الكتاب فيه ثلاثة أبواب ، الأول في حقيقة الغناء وشرح ءالاته ، الثاني في حكم الآلات المتخذة للتحريك على موازنة نغماته ، الثالث في حكم الأجرة على ذلك كله على اختلاف أنواعه وصفاته والعزفي المذكور شيخه وكذلك أبو الحسين بن أبي الربيع ويوسف بن موسى الغماري ثم الحساني وطرق المؤلف الى البخاري تنيف على المئة ، ومنهم سراج الدين أبو بكر عبد الله بن أحمد بن إسماعيل التميمي السعدي ، وذكر في ءالاته احدى وثلاثين ءالة ، وهي الدف . والغربال والمصافق . والكبر. والأصف . والمزمر . والعود . والرباب . والكوان . والصنج . والكيثار .

والمعزف . والعرف . والمزمار . والناي . والقصابة . والبوق . والطبل . والكوس . والكوبة . والعيد . والطنبور . والبربط . والقضيب . والشاهين . والسفاقس . والشيزان . والكبارات . والعرطبة . والصفارة . والشبابة . أما الدف العربي فهو المدور بوجه واحد ، والغربال هو الدف ، والمصافق تطلق على الأكف ، والكبر طبل له وجه واحد وهو الأصف ، والمزمر العود ، والكران العود الذى يضرب بالأوتار ببضعة فى الصدر تسمى الكوان ، والصنج ءالة رومية ، والكيثار اسم مولد ، والمعزف ضرب مـن الطنابير والمعازف الملاهي والمزمار هو الناي محدث ، والقصابة المزمار ، والبوق منقاب ينفخ فيه ، والطبل معروف ، والكوس الطبل ، والكوبة هو الطبل الذى يضيق فى وسطه ويتسع فى طرفيه ويضرب من الناحيتين جميعاً مثل السفاقس من شعار المخنثين والعيد الطبل أيضاً والطنبور من ذوات الأوتار والبربط من أسماء العود والقضيب معروف والشاهين مولد والسفاقس الشيزان والكبارات هي العيدان وقيل الدفوف والعرطبة من أسماء العود والصفارة جوفاء يصفر فيها الغلام والشبابة محدثة مركب أمرها على الصفارة ثم ذكر فى الباب الثاني عن ابن حزم أن عبد الله بن جعفر وعبد الله بن عمر رضي الله عنهما سمعا الغناء بالعـود هـ

وأما سماع المغنيات فالرجل إن سمع غِناءَ جاريته (جاز له)، والأحاديث الدالة على المنع كلها ضعيفة والأحاديث المعارضة لها فى الصحيحين أما الممنوع فهو أن يكون المسمع امرأة لا يحل النظر إليها والفتنة مخوفة فى سماعها وفى معناها الصبي وان كانت أجنبية صغيرة لا يخشى منها الفتنة جاز ، وذكر فى الثالث بيان وجه إجماع تحريم أجرة الغناء ، وأنه خاص بالغناء الممنوع واعلان النكاح بالدف مثلا أكثر من الشهادة عليه وذكر ان المراد فى كلام مالك ودعا لعابين وجعل لهم من ذلك جعلا وان ذلك لا يحسب على اليتيم ما يفعله اللعابون من جعل خشبة على أصبعه ومشى على حبل وضم قدميه الى رأسه وغير ذلك من أنواع اللعب ، ثم نقل عن ابن حزم واتفقوا على الاتساع فى المكاسـب والمباني من حل إذا أدى جميع حقوق الله قبله مباح ، ثم اختلفوا فمن كاره ومن كاره ، ثم نقل عن أبي الوليد بن رشد في مسألة أجر المعازف واللهو ان ما يجوز من اللهو مثل الدف فارى أن يقضي به ، وأما مثل المزمار والعود فلا

أرى الاجازة فيه ولا يقضي فيه باجارة ، ثم نقل عن القاضي عياض أنه ليس كل مباح تجوز الاجارة عليه هـ وهذا الكتاب فى مجلد فى القالب الرباعي بخط جميل نفيس فى ءاخره كمل الكتاب بمن الله ويمنه وحسن توفيقه عز وجل والحمد لله حق حمده ، والصلاة على سيدنا محمد رسوله وعبده ، وعلى ءاله وأصحابه والتابعين لهم باحسان من بعده على يد العبد الفقير الى رحمة ربه محمد بن إبراهيم الشلافي وذلك فى النصف لشهر شعبان المكرم عام أحد وسبعمئة ، انتهى .

274) **أحمد أشقراق** ، كاتب السلطان المولى سليمان بعثه مع الجيش لدرعة سنة ست عشرة ومئتين وألف فدخلها واستولى على قصورها المغصوبة وأخرج منها العرب والبربر ، وجبى أموالها ومهد نواحيها ، وأمن سبلها حتى صار ما بين السوس ودرعة والفايجة مجالا للتجار وممراً لأبناء السبيل يغدون به ويروحون ءامنين على أموالهم وأنفسهم .

275) **أحمد بن علال الشرابلي** ، كان ولياً صالحاً أخذ عن الشيخ سيدي أحمد السوسي دفين مراكش دخل يوماً عليه فقال ما صنعتك فقال شرابلى فجعل الشيخ يقول شراب لى قال الشيخ التاودي فى فهرسته عند التعرض لذكر من لقيه من صالحى المغرب وانتفع به وحصل له منه شيء أو كاشفه بأمر من الأمور ما نصه دخلت عليه بداره بالقصور من مدينة مراكش قبل موته بيوم قيل لى هنا رجل يذكر بالصلاح ولكن الناس يتقولون فيه كثيراً فقلت في نفسي أنا أزوره وأعوده لله تعالى، وإن لم يكن صالحاً فلا علي، فتبركت به ودعا لى بخير فلما كان من الغد قيل لى انه قد مات فحضرت جنازته وحضر من الخلق ما لا يحصى، وجعل الناس كلهم يتأسفون على فقده ويُثنون عليه خيراً ويذكرون من كرامته .

وذكر لي بعض أصحابه ممن حضر ملاقاتي معه انه لما صدرت عنه قال لهم هذا الفقيه زارنا لله ونرجو الله الا يخرج من البلد الا بخاطره وإذا حط احمال فضل الله يتلقال وغبط أصحابه في وكانوا يأتون الي وأوقفوني على كلام فى ديوان له بالملحون بين توسلات ومقامات نحو ما للساحلي فى منازل السائرين وادعية وأحوال الصالحين .

ومن كلامه .

بسم الله حلا نبداها في سلوك الدهبان والجواهر تشرق بجمالو ، والدر الوهاج ، بمديح المختار راحة روحي ومناها ، ديني مذهبي ملتي خالص نهديها لو ، فداخل المهاج ، صلى الله عليه ما نشرت شمس ضياها ، وما غسق الليل وانفاجا بعد الفجر كحالو ، وكواكب الابراج ، عين الرحما كامل السنا زهو وانزاها ، ونعيم سلوان ، صار مدح للقلب اشغال غاية كل اعلاج ، عين اليقين الحقائق رفع غطاها ، وتوضحت مسالك الشريعة من فضل كمالو ، وسبل المنهاج ، وانصر دين الله لامتو وانشرت سناها ، ونفا نهج الشرك فلغياهب خافض فضلالو ، هو الدين المعواج ، يارسول الحق صرختك دايم نرجاها ، ما تخفى لك حالتى اوراقى فى الغصن ذبالو ، بادر بالفرج ، ياعين الوجود الشفاعة ليك اعطاها ، رب ران باق اغزولى ، زايد تخبالو ، وانا ليك نراج ، صلى الله عليك ما صب أمطار مياهـا ، وما دعا داع وصاح بحسن واستحلى لو ، وافرتن الأمواج ، حرمة ليـْلا اسرى بك ربنا للمنتهي ، واجتباك قربت دنيت للحجب جلالو ، ورفع لك ادراج ، اجذبنى لوطا أوطانكم غرضى نوطاها ، ونمرغ وجهي على الثرا ، والمقصود ننالو ، ودموعي مواج ، فى باب الرحما مع السلام شربا نسعاها ، ما بين الصفين نطرب حين نروم وصالو ، تذهب كل حراج ، يارب صل عـلى الرسول كما ترضاها ، وعلى ءاله مع أصحابو دايم تتلالو ، وعلى الأزواج ، هذي حديقتي منوعا فاقت ببهاها ، في نشيد المغروم بالنبي رب تقبلها لو ، فى بابك محواج ، ياخالق الأرواح روحي بالعفو تلقاها ، فى يوم نلقاك لا تخيب رغبي وأمالو ، واجعل لي مخراج ، يانعم المجيب صرختك ما لي سواها ، في جواز الصراط والقبر والمحشر وأهوالو ، وقيام الحجج ، صلى الله على الهاشمي البحر طه ، من لا خلق الله في السماء ولا في الأرض بحالو ، أحمد مولى التاج .

كما يشهـد كاتبه الامى الفاني المؤمـل عطفة أهل الفضل مثـل العالم البركة الحجة الفاضل كاتب ما سطر فـوق القصيدة أعلاه أدام الله النفع به وأبقى البركـة في عقبه ومن قيل فيه مسطـوره حيث أشير وبالمحول وامـام منحه الله عطفهم على الدوام وان ما حكاه أكرمه الله عـن سيدي الحاج أحمد بن علال من مقامه معه رحمه الله قد تكلم معي به المرحوم المذكور باثر خروج الفقيه المذكور من عنده من الدار وذلك انه قال لى هذا الفقيه زارنا لله الخ الى قوله فضل الله يتلقاه وزاد نفدناه عليك يارب نفدناه

عليك يارب ثم قال لى اله الا الله عليها يامولاي قلت لا اله الا الله عليها ياسيدى قال لا اله الا الله مولانا محمد رسول الله عليها ثم من جملة ما سمعته منه فى جانب شيخه المذكور سيدى أحمد بن علي السوسي المشهور انه قال لى وقع لي معه يوماً ونحن بطريق الشرق يدندن مع رأسه وهو بالمحفة يقول :

قولوا لمكا الزينـا مـع المدينـا   خيرهم بان علينـا يـابـابـا
من بغـا يـزور يجينـا يطلب لنا   الـوقـت راهو لـنـا يـابـابـا

هذا مقبوض باليد فدخلت عليه فعانقنى وقلت المعاملة لله فقال من هذا علالى قم الله يجعلك بحال الجرف الذى طرحت طحت عليه تدققه ولى طاح عليك ادقق فقلت المعاملة لله فأعاد قوله فقلت ما قلت فأعاد قوله فقلت أيضاً بعد الثالثة فقال قم بلا بسالة ، هذا الذي جاب الله ، ودخلت عليه يوماً فعانقني وقال مرحباً بك والله لو جاء معك اليهود والنصارى حتى يسلموا ويروا المزية وكررها كما انه يوماً واحنا بالمشرق كان يتوضأ والناس وقوف يرغبون بقية وضوئه فقال أين ابن علال فجاءني رسوله وذهب بي إليه فوجـده قابضـاً للطاسة من خرصتها فناولني وقال اشرب وإن كنت صائماً فشربت فقال متى عطشت فعليك بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فما رأيت العطش .

وهذا السيد الحاج أحمد بن علال مقامه بالقصور من مراكش ويعمل له الموسم فى أول كل ليلة من رجب وينشدون أزجاله المشهورة فى مدح مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بقعر الدرب المسمى به وبنى عليه بيت هناك عن يسار الداخل .

276) **أحمد السوسي** ، قاضي مراكش الفقيه العلامة ، قال فى ديوان سيدى حمدون ابن الحاج وقال وقد سأله وهم طالعون بحضرته يعني مولانا سليمان لحضرة مراكش قاضيها سيدى أحمد السوسي وهو بأرض يقال لها الجـدى .

أقاموس علم فاض فينا عبابـه   وفي كل فن رق در له ثـدي
أتاني لغَيْزٌ منك كالدر نظمـه   عنيت به أرضاً يقـال له الجـدي

رسمنا بناثار الخيول أهلة ... بها فارتقت فما يفاخرها جدي
وحل بها شمس الملوك مباهيا ... لشمس وبدر في الدياجي له هدي

277) **أحمد الشاوي** ، أصلا المراكشي وطناً كان عارفاً بالفقه والنحو ، وأخذ عنه صاحب (إتحاف الخل المواطى) بعضاً من الألفية وصدراً من الرسالة .

278) **أحمد بن الشريف العلوي** ، من أحفاد مولاي عبد الرحمان المدعو الحاج من أولاد مولانا يوسف ، كان ولياً صالحاً عابداً رابحاً مقدم طائفة سبعة رجال بمراكش وكان يسكن بالزاوية العباسية منها ملازماً لضريح القطب السبتي مقصوداً للتبرك به والزيارة إلى ان توفي عام 1234 وليس لـه عقـب .

ذكره في (الشجرة الزكية) و (الدرر البهية) .

279) **أحمد بن التاودي ابن سودة** المري الفاسي الامام العلامة الهمام المشارك القدوة الفهامة ولد رحمه الله سنة ثلاث وخمسين ومئة وألف ، ونشأ فى حجر أبيه فى عفة وصيانة ومروؤة وديانة لا يلاعب الصبيان فى ملعب ولا يخالطهم فى غير مكتب ، ثم أخذ في الاعتناء بالمتون على حسب المتداول بين الناس فى الفنون ثم لما نجب وجد فى الطلب أخذ فى قراءة العلوم وتصدر لمعرفة المنطوق منها والمفهوم فقرأ على عدة من الأشياخ منهم والده وهو عمدته وعنه أخذ أكثر الفنون من تفسير وحديث وفقه وأصول وكلام ومنطق وبيان ونحو وتصريف وتصوف وغيرها وقرأ أيضاً على الشيخ محمد بن الحسن الجنوي ، والشيخ محمد بن الحسن بناني ، والشيخ عمر الفاسي والشيخ عبد القادر بوخريص الفيلالي والحافظ أحمد بن عبد الله الغربي وغيرهم ، ثم لما تأهل للأخذ عنه والانتفاع به أذن له والده فى التدريس فدرس وأفاد وتصدى لنفع العباد وانحشر الى مجلسه أكابر طلبة فاس وأخذوا عنه وانتفعوا به وأقامه والده لما أراد السفر للحج سنة إحدى وثمانين مقامه فى اقراء صحيح البخاري فى الأشهر الثلاثة وأمر أعيان مجلسه ونجبائه أن يحضروا مجلسه للسماع منه والقراءة عليه، فحضروا حضور استفادة،وأيقنوا معه أنه من أولى التحصيل والاجادة ، وكان رحمه الله قد خطب فى حياة أبيه بالسلاطين

ووجدوا منه في الوقت ما يجدونه من أفاضل الوعاظين وسلم له في الوقت قلم الفتوى فيما يعرض من نوازل الدعوى مع المهارة في صناعة التدريس والسير في اظهار الحق على مثلى الطريق في خط رائق ولفظ فائق وتولى خطة القضاء ءاخر الدولة المحمدية وصدرا من المملكة اليزيدية بفاس الادريسية مرة وأخرى بالمرينية (1) وكان السلطان سيدي محمد بن عبد الله رتب له في الولاية الأولى بفاس الادريسية مرتباً لم يعهد مثله لغيره ولما بويع السلطان مولانا سليمان استأنف له ولاية لم ير الراءون مثلها إذ كان دون غيره أحق بها وأهلها مفوضاً له بالنظر في جميع القضاة يفعل فيهم ما يشاء من نفي أو اثبات فاحسن السيرة في الناس لا يعدل في الحكم عن النص أو القياس وكان شديد التعظيم للشريعة عظيم الصولة في سد الذريعة لا يداهن ولا يماري ولا يخشى الا سطوة الباري ولم يشغله ما كان يعانيه من فصل الدعاوي بين الخصوم على كثرتها عن تدريس العلوم ولا عن الأوراد والاذكار التي كان يذكرها في الليل والنهار وكان قد أسند إليه والده ما عهد له به أشياخ الطريقة الناصرية من تلقين أورادها ثم جدد له الأذن بعد ذلك شيخ الطريقة الشيخ الصالح علي بن يوسف ابن ناصر الدرعي التمجروتي ، وله رضي الله عنه أجوبة حسنة في مسائل عديدة من أبواب الفقه ، ومن المفاخر التي ما زال يذكر بها انه لما ضعف بصره عاده السلطان مولانا سليمان بن محمد العلوي بزاوية والده تعظيماً له وللعلم الشريف الذي قام به ولم يزل رضي الله عنه على حالة مرضية وشارة حسنة زكية إلى أن توفي سنة خمس وثلاثين ومئتين وألف ، ودفن بزاوية والده بفاس وراءه متصلا به .

ترجمه في (الروضة المقصودة) ، وأورده في (ثمرة أنسي) ، وقد عده الكوهن في فهرسته من أشياخه الذين لم يترجم لهم ، وذكره العراقي في (الدر النفيس) في ءاخره في جملة شيوخه ، وفي (الشرب المحتضر) و (السلوة) ، وقلت فيه في منظومة السند ، من سند الشيخين الأولين أعني مولاي الصادق العلوي وسيدي أحمد المرنيسي شيخي شيخنا سيدي محمد بن إبراهيم السباعي :

---

1) يقصد بفاس الادريسية المدينة العتيقة ؛ وبالمرينية فاس الجديد .

أحمد الأمجد بدون ميـن
نجل الذى كان هلال المغرب | التاودي نفاع أهل الطلب
نشأ فى العفة والصيانة | وفى المروءة مع الديانة
وحفظ الأصول والمتونا | ودرس العلوم والفنونا

ووقفت على كناش سيدي المدني ابن جلون بخط يده من جملة مافيه نص مكاتبة بخط الشيخ التاودي المترجم حين كان مدرساً بالسويرة فى ايام سيدى محمد بن عبد الله إذ كان يوجه العلماء لها للتدريس فيها قال فى ءاخره وإذا وصلت مراكش فسلم منا على جميع المحبين من الفقهاء والمرابطين وغيرهم والله يجمعنا بكم عن قريب ءامين والسلام وفى ليلة السابع عشر ربيع الأول عام 1196 ستة وتسعين ومئة وألف هـ نقله من خطه صاحب الكناش رحمهم الله (1) .

280) **أحمد الصنني** ، كان فقيهاً ديناً بليغاً يدرس فى مراكش ، بلغني أنه ماهر فى النحو والبيان وانه نظم قصيدة رائقة فى البيان حج ورجع عرفت تلامذته ولم ألقه ذكره أبو زيد عبد الرحمان الجشتيمي فى تأليفه فى شيخ شيوخه أبي عبد الله الحضيكي وذكر مناقبه وتلامذته ومن عاصرهم ، وهذا التأليف فى نحو كراسين من القالب الرباعي .

281) **أحمد بن مبارك** ، وزير مولانا سليمان الوزير الأكبر الحاجب الأشهر الرجل الصالح كان مع طول رياسته ونفوذ كلمته فى جميع مملكة المغرب واتصال عزه وعدم منازعته ومشاركته في مرتبته ما نقلت عنه قط مظلمة ارتكبها، ولا موبقة تعمدها،ولا مسألة خان فيها مخدومه أو لبس عليه فيها، أو مضرة كتمها عنه أتباعاً لهواه أو موبقة لغيره كان سلطانه العادل يذكر عنه ذلك ويمدحه فى كثير من المقامات رحمهما الله تعالى ، كانت وزارته ممتدة بطول ولاية سيده نحواً من ثلاثين سنة ولا أظنه فاتته صلاة فى جماعة حضراً ولا ولا سفراً ولا يفارقه دلائل الخيرات فى قبه كلما وجد فسحة من الأشغال أخرجه وقرأ ما تيسر منه مع ملازمة أوراده واقامة الرواتب المشروعة هكذا رأيناه واما مباشرة الناس وملاقاة الضعفاء وذوى الحاجات والضرورات فكان

1) ينظر عن أحمد بن التاودى ابن سودة **سلوة الأنفاس** 1 : 115 .

أرحم وأرفق بهم من الوالدة بولدها ولا يخاطبهم إلا بالسيادة والتمويل (1) وأما أن يقهر أحداً أو يسبه فهو من البعد الا بعد عن ذلك وكان هو ووالده واخوته مماليك لمولانا السلطان العادل رحمه الله أعطاهم له والده السلطان سيدي محمد فنشأ الوزير في كفالته وتخلق بأخلاقه من زمن الصبا إلى مماته ، وكانت حياته مقرونه بسعادة السلطان العادل فانه من يوم قتله رحمه الله سنة خمس وثلاثين ومئتين وألف (2) انثنى نظام مملكته واختلت أسبابها ، فلم تزل في اضمحلال حتى انطفأ سراجها وكان قتله عبيد البخاري ظلماً وعدواناً بعد رجوع السلطان من وقعة زيان ، وكان السلطان بعد قتله يقول في كثير من الأمور لو كان أحمد حياً ما وقع هذا أو لكان هذا ، ومن مناقبه الدالة على فضله الذى لا يطمع فيه إلا أفراد الرجال انه خرج من الدنيا ولم يخلف قليلا ولا كثيراً الا كسوته التى على ظهره مع ما ذكرناه من عظم المرتبة وعلو الشأن ونفوذ الكلمة في أقطار الأرض فانه كان هو السلطان في حقيقة الحال ، حدثنا السلطان العادل رحمه الله تعالى وقد ذكره يوماً وأكثر من الثناء عليه حتى قال والله لولا أني كفنته وجهزته ما وجد ما يكفن به ، فاننا وجدنا في صندوقه مفتاحه الذى وجدنا معلقاً معه ستمئة مثقال ، ووجدنا زماماً بخطه عليه من الدين ستمئة مثقال فقضينا ذلك الدين بتلك الدراهم فخرج من الدنيا كيوم وضعته أمه مع ما ظفر به من الشهادة هـ . فمن سمع هذا وتحققه فليعلم أن من سبقت له السعادة لا يضره شيء فهذا رجل قد خاض في غمرات الدنيا وقام في مقام مجموع الفتن ومزرعة المظالم والسيئات التى تستفز الرجال ووقف مع الذين قيل أنهم دعاة على أبواب جهنم فلم يتعلق به من تلك الأدناس شيء وأدرك الفوز الذى وقف دونه أطماع السابقين فسبحان المتفضل الكريم الواسع الحليم ، ومن تشوف إلى البرهان على ما ذكرناه يقال له طلبك البرهان على مثل هذا مما لا تقول به أولو العقول والأذهان ، فهل رأيت هذا الرجل شيد القصور أو غرس البساتين أو تأصل الأسوار أو ادخر الذخائر أو استعد للنوائب كما يفعله من عمر دنياه ؟ ولم يبال بما تخرب من أخراه عافانا الله بفضله ءامين .

---

1) أي بقول سيدي ومولاي .

2) قتله عبيد البخارى برصاصة بغابة حمرية من مكناس ودفن على يمين الخارج من باب بوعماير وعلى قبره بناء .

قال في الجيش العرمرم (1) .

282) أحمد بن محمد الرفاعي القسطالي

أحمد بن الفقيه مولاي محمد بن العلامة الصالح مولاي محمد المدعو القسطلاني ابن الشيخ الناسك سيدي قاسم بن مولاي موسى بن الولي مولاي أحمد المدعو البطاش ، دفين أفزار ببلاد تامسنا بن الولي الصالح سيدى موسى بن العالم سيدي أحمد الرفاعي الأندلسي الغرناطي القادم من العدوة الأندلسية بن سيدي عبد الله بن سيدي أحمد بن سيدي عبد الله بن سيدي أحمد بن سيدي عبد الله بن محمد بن عبد الله بـن سيدي محمد كولان جـد أشراف بني كولان القاطن بوادي زا ، وقبره هناك مشهور ، بن عبد الله بن سعيد بن عيسى بن عثمان بن إسماعيل بن عبد الوهاب بن يوسف بن سيدال بن عامر بن يحيى بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن إدريس بن إدريس ، وقفت على نسبه هكذا مرفوعاً في ورقة فيها شهادة تلميذه سيدي محمد بن التهامي بن محمد بن عمر بن قاسم الرباطي نزيل مراكش له بالشرف قائلا فيه أوله : يشهد كاتبه الواضع شكله بمعرفة شيخه فى الله ذى المروءة التامة والأخلاق الطيبة العامة والمبرة الوافية الكاملة والفواضل النامية الهاطلة الشيخ العلامة الكاتب الأبرع والتحرير الأوحد الأرفع مولاي أحمد إلى آخر ما تقدم، ثم ذكر بعده من أبنائه الفقيه المجود المعتكف على قراءة العلوم وحفظ دواوينه مولاي علي وشقيقه سيدي محمد وأخاهما للأب شريف الطرفين مولاي عبد القادر وأنه كان لشيخه المذكور شقيق اسمه سيدي محمد الهادي ، ومن أولاد أخيه المذكور الطالب مولاي المهدي ، ومـن أولاد المهدي سيدي محمـد الهادي وشقيقه مولاى الطاهر ومولاي المكي ومولاي الحسن ومولاي العربي ، ثم ذكر أنه يعرف هذه النسبة الصحيحة الشريفة بما أوجب له العلم بما تلقاه يانعاً وكهلا من أفواه الثقات والنقلة الأثبات ، وغاص عليه بحور الدواوين المعتمدة وطالعه من شهادة الأيمة الفحول الأكابر وظهائر الملوك فى هذه السلالة كابراً عن كابر من غير مدافع فى ذلك ولا طاعن فيه ثم أرخ ذلك بتاريخ غرة ربيع النبوي عام 1243 ، وعطف عليه العالم المفتي سيدي محمد المكي بن عبد الله بن

1) اتحاف اعلام الناس 1 : 367 .

محمد بن عبد السلام بناني الرباطي ، ثم محمد بن محمد ، ثم في ربيع الثاني عام 1248 وقف على هذه الشهادة سيدي صالح بن أحمد الحكمي قاضي الرباط قائلا جميع ما تضمنته شهادة السادة الجلة وعلماء الملة المرسومة أشكالهم أعلاه حق وصدق وأنا أشهد لساداتنا المتمسكين فيه بمضمونه اذ هو مما استفاض ، ثم عطف عليه محمد بن عبد الله بو علو ، وأحمد بن المعطى الغربي ، ومحمد بن عبد الرحمان ، ومحمد الأوسي ، وأحمد الطالبي الأندلسي ، وأحمد بن الطيب ، ومحمد بن محمد البوعزاوي ، وعبد القادر بن محمد بوعياد الخطيب بالمسجد الأعظم ، والطاهر بن الحسين بوحدو ، ثم كتب بمثله الطيب ابن إبراهيم بسير قاضي الرباط وغيرهم ممن لم أتمكن من حل أشكالهم ، وكان المترجم يعلم أولاد السلطان مولاي سليمان ، ثم في سنة 1232 عزل وصيفه ابن عبد الصادق عن فاس ، وولى كاتبه المترجم عليها وأوصاه أن يسير بالعدل في الضعفاء والمساكين ويشتد على الفجرة والمتمردين ، ثم في السنة التي بعدها عزله عنها لعجزه عن القيام بالخطة ، وولي على فاس خديمه الحاج محمد الصفار من بيت رياسة ، وذكر المترجم في كتابه المسمى (حلية الكتاب ، ومنية الطلاب) في نحو خمسة عشر كراسا من القالب الرباعي الذي شرح به منظومته الرجزية المسماة (نظم لئالي السمط ، في حسن تقويم بديع الخط) أنه تعلم على الشيخ البركة المسن الوقور الزاهد الذاكر على الدوام سيدي عبد السلام سباطة الأندلسي الرباطي ، وعلى ابن عمه مولاي أحمد ، وأنه لقي بفاس زمن القراءة شيخه سيدي محمد التهامي بن مولانا محمد بن مولانا عبد الله الشريف العلمي الوزاني فأخرجه من فاس إلى داره بقبيلة بني ورياجل بمدشر الدردار بوادي ورغة بقصد الكتابة فكتب له كتباً عديدة ءاخرها صحيح الامام البخاري ، وأقام عنده أربع سنين فسمع به الشيخ العارف مولانا علي بن أحمد بن مولانا الطيب بن مولانا محمد بن مولانا عبد الله الشريف المذكور ، فوجه عليه وصار ينسخ له مدة أربع سنين أيضاً ، ثم طلبه منه ولده سيدى محمد التهامي ، إلى أن اطلع على خطه في بعض الرسائل السلطان مولانا سليمان فسأل عنه سيدي محمد التهامي المذكور فعرفه به فقال له إذا جئتمونا هذه المرة فأتوا به معكم فوافق الحال بعد ذلك أن كان سيدى على المذكور عائداً لمولانا سليمان في مرض اعتراه بمراكش فأشخصه معه إليه فلقياه بتامسنا بموضع يقال له كيسر

فعرضه عليه بواسطة شيخه العلامة سيدى محمد بن الصادق الشريف الريسوني العلمي فأنزله رحمه الله بمحلته السعيدة مكرماً ووجه سيدي علي المذكور لمراكش بقصد زيارة سبعة رجال وللتبرك به ، ثم أمر المترجم أن يقرىء ولده أبا حفص فلازمه حتى حفظ القرءان ولما افضت الخلافة لمولانا عبد الرحمان اتخذه لتأديب ولده مولاي أحمد ، ولما كان يؤدب مولاي عمر المذكور حضه شيخه العلامة الزاهد سيدى عمر بن المكي الشرقي على أن يجعل منظومة فى صناعة الخط فنظم هذه المنظومة واشتهرت بالمغرب وطلب منه شرحها وأول هذه المنظومة :

قال الرفاعي الفقير أحمد ... الله جل وتعالى أحمد
مصلياً على الرسول الهادى ... المصطفى سيد كل هادى
وءاله صفوة خلق الله ... وصحبه ذوي العلا والجاه
وبعد فاعلم أن حسن الخط ... أجل مقتني وخير أعطى

قال فى الشرح بدأ رحمه الله بتسمية نفسه لأن معرفة مؤلف الكتاب من مهمات الأمور وهو حقق الله نسبته أحمد بن محمد بن قاسم الرفاعي نسبا القسطالي لقبا الحسني الرباطى داراً ومنشئاً ، تعلم الخط على شيوخ واشتهر به ، انتهى المقصود .

ووقفت على (مثير الغرام ، إلى دار السلام) في الجهاد للامام أحمد بن إبراهيم النحاس لم يؤلف مثله فى مجلد ضخم وطبع مختصره فى الاستانة عام 1294 وهو بخط المترجم سيدي أحمد بن محمد القسطالي ، لقبا الرفاعي نسباً الرباطي داراً ومنشئاً وهو جميل جداً (1) .

283) **أحمد بن الطاهر الأندلسي** أصلا المراكشي مولداً ووطنا ، كان رحمه الله جامعاً مانعاً موصوفاً بالديانة والورع كثير الصيام وكان يصوم الأشهر الثلاثة متتابعة رجب وشعبان ورمضان ، وله فضل معرفة بعلم الأدب

1) أورد المؤلف بعد هذا ترجمة قصيرة لاحمد الحميرى الودانى الشنجيطي وقال ان ترجمته ستأتى فيمن اسمه الطالب ؛ فلهذا ارجانا ذكره الى حرف الطاء .

واللغة والتصريف والحديث والفقه والنحو شاعراً مجيداً وله أيضاً معرفة بالاحكام النجومية من التعديل والتوقيت والازياج وبعلم الهندسة وبعلم الجدول ، وهو عمدة الامام السكياطي ورفيقه محمد التهامي الحمري فى قراءتهما عليه بمراكش فى الفقه والنحو والأدب ، مات رحمه الله قبيل الوباء الذى كان عام 1250 بعد ما حج قرب قدومه من بيت الله الحرام بمراكش ، ودفن بروضة باب أغمات .

ترجمه فى (إتحاف الخل المواطي) .

تنبيه :

قول بعض القاصرين بعد إيراد كلام (إتحاف الخل المواطى)، أما الوباء المشهور العام عياذاً بالله فكان سنة أربع وخمسين وألف هـ . تدجيل منه وجهل بالتاريخ الذى قصد صاحب المؤلف المذكور .

284) احمد بن محمد ابن نافع البدوي

أحمد بن محمد بن عبد القادر بن أحمد بن صالح بن أحمد البدوي ابن نافع ، أبو نافع ، كان رحمه الله حافظاً ضابطاً نزيهاً فقيها نحويا مشاركاً نبيها له مجالس بالقرويين وغيره ، يدرس فيها النحو وغيره ، أخذ عن الشيخ سيدي حمدون ابن الحاج ، والشيخ التاودي ابن سودة وولده أحمد وأجازاه وعن غيرهم من أهل طبقتهم وأخذ عنه هو جماعة من الطلبة بفاس وبمراكش وله رحمه الله شرح على الألفية فى سفرين وفهرسة ضمنها شيوخه الذين أخذ عنهم وانتفع بهم مع إجازاتهم له ، ويذكر عنه أنه كان يقول عندي أربعة وعشرون علماً لم يسألني عنها أحد، قال فى (السلوة) وأخبرني ثقة أنه مر يوماً بطريق وكان هناك العلامة سيدي ادريس البكراوي فقال للحاضرين : لو علم الناس قدر سيدي أبي نافع لفرشوا له الذهب فى الطريق يمشي عليه وأخبرني أيضاً أنه منع مرة من دفع كسوة العلماء إليه لتقليله الدرس أو تركه له فبلغ ذلك سيدي أحمد المرنيسي فقال حين كان يدعى عالماً لم يكن علماء هذا الوقت مذكورين .

توفي رحمه الله بفاس البالي بغريفة القرويين فجأة بعد زوال يوم الخيمس رابع وعشري ذى القعدة الحرام عام ستين ومئتين وألف ،

ودفن بفاس الجديد بضريح جده بالمباح المتصل برجليه هـ . ومن تلامذته سيدي أحمد بن الطاهر الأزدي المراكشي دخل المترجم مراكش ، راجع ترجمة سيدى محمد بن عبد الرحمان العمراني الآتية فى المحمدين فقد ذكرنا فيه كتابه لمولانا سليمان يطلب منه انزاله بمراكش لما حلها فأنزله عند قاضيها العمراني حفيد سيدى محمد المذكور (I) .

285) **أحمد بـن علي الدبـاغ المراكشي** ، مـن المنتسبين أهـل الخصوصية بمراكش ، ممَّن كان يعتقدهم السلطان مولانا عبد الرحمان قدسه الله توفي بها بالوباء عام I27I ، ودفن بروضة باب أغمات أحد أبواب حمراء مـراكش .

ذكره فى (حديقة الأزهار) .

286) **أحمد بن الأمين الوداني** وطنا اليعقوبي نسباً نزيل مراكش، كان من خاصة جلساء السلطان سيدى محمد بن مولانا عبد الرحمان وكان فقيهاً أديباً ماهراً عارفاً بالهندسة أقراها بمراكش بعد أن كان يتذاكر مع المولى المذكور الذى حل أشكالها وبرع فيها بقوة ذهنه من غير تعلم على شيخ ، وكان الناس يظنون أن المترجم هو شيخ السلطان فيها فاذا به مرض ، ومن عادته يحقق نصابه رحمه الله على السلطان ويقرأ مع الطلبة بالمدرسة فلما مرض واحتاج القارئون إلى مَن يقوم مقامه باشرهم السلطان المؤيد وقرأ معهم أنصبة عديدة وبعد برئه من مرضه التمسوه كعادته معهم فوجدهم على يقين ومعرفة فى الانصباء التى قرأوها على السلطان وامتحنوه فيها فألفوه جاهلا وهم عالمون فعلموا حينئذ أنه تلميذ السلطان وأنه بعد قراءته مع السلطان يرجع لهم ما قرأ عليه لا شيخاً له .

ولما ختم السلطان كتاب (أقليدس) فـى علم الهندسة قال فيـه المترجـم :

بشراك قد لاح ليل الوصل بشراك — وعم أبشاره من نال ادراكـــــ
وأقبل السعد فى الأبراج معتـــدلا — مناظراً أسعدا ترنو محيـــــاك

I) **فهرس الفهارس والاثبات** I : 84 .

وأصبح البعد قرباً كنت تأمله   وعاد بشراك وصلا هجر سعداك
واستقبلتك ليالي الوصل مقمرة   فيها تساهر من تهوى ويهواك
فيها تساير غزلانا خمائلها   سهام مخروطة خلال أحشاك
فى القلب مسكنها سبحان خالقها   من قاتلات عيونهن أسلاكا
يصرعْن ذا الحلم صرعاً في مناسكها   ويستلبن قلوب القوم نساكا
يخربن عامرة جهرا مساكنها   تخريب سيدنا حصون أعداك
تحكي وقائعها فينا وقائعه   كأننا عندها ندبن أشراكا
لا حرص ينفعهم لا حصن يمنعهم   من فتك شهم حديد القلب فتاكا
ملك تفجع صبيان العدو به   حتى غدت صبية العدا يتاماكا
كما القصيل اذا ما اخضر عارضه   واهتز خمر السيوف سيف يمناك
ملك تجمع أشتات المعالى له   وقبلها جمعها قد عز أسلاكا
تهوى العفاة لقاه كل آونة   لكن عتاة عوان الحزن تخشاكا
ثم رياح الجنوب الغيث تسكبه   مثل امتراء المديح جود يمناكا
لأن مسعى الملوك فى بوائنها   ففى معالي خصال المجد مسعاكا
وان يكن ملك بالجهل متصفاً   فالعلم والحلم مجموعين وصفاكا
وفى البيان أبنت من عجائبه   ما أعجز البلغا سعداً وسكاكا
وفى الرياضي رضت كل شاردة   وفى الالهي لاه الناس فحواكا
فقهت فى الفقه أهل الفقه قاطبة   فى النحو تنحو نحاةُ العصر منحاكا
لو يجمع العلم حبر كنت جامعه   أو يجمع الجود راج كان كفاكا
فالبحر يحمل فى هذين يشبهه   يابحرُ هيهات لا تُجديك عدواكا
لو كان بالغرب قدر علم هندسة   بل كان عنقاؤه حديث أفاكا
حتى تصدى له ماضى العزيمة ذو   حزم وعلم غزير الفهم دراكا
مازال يبحث عن أسرار غامضه   حتى أقر بها عينيك مولاكا
حتى امتلا غربنا من غربه حكماً   وفاض بحر لأهل الجهل شكاكا
أضحت غرائبه به قرائبه   وفصله وصله والجهل أدراكا
أمسى عدوك فى هم وفى نكد   حتى اشتغلت بهذا العلم ينهاكا
وقبل ذاك العدو كان يمدحه   وسر نهي العدو ليس يخفاكا
على الذى عابه من عيبه درك   عنا نفي عينه الادراك ادراكا
حيث احتويت على تلك العلوم وكم   ذمتك شاردها هل ضر اعداكا ؟

ما ضرهم غير اتقان المضر لهـم | فافرغ الجود فيه طول محياكـا
كون الامام مهندساً أضر لهـم | من كل ضر به تبيد أعداكـا
ففي السطوح علوت سطح أسطحها | وفى الحسوم مصيب سهم مرماكا
أشكالها ينتفي أشكالها ببـرا | هين الامام التى نقبن ما حاكـا
لما تقول نصير الدين منتصـرا | والابهرى بهره ما كان تلقاكـا
حجاج حج بما أمطرنا من حجـج | وثابت أثبتت دعواه دعواكـا
كيف العلوم التى أبوك مجمعهـا | والجدُّ منبعُها يوماً تعدّاكـا
صلى الالاه على مَن كان منبعهـا | والآل والصحب ما أدار أفلاكـا
شرعاً نؤرخه (I27I) فى يوم مختمه | والختم من نعم أولاك مولاكـا

287) **أحمد بن محمد السوسي الأقصوي الاجناني** ، بكسر الهمـزة وسكون الجيم وفتح النون وبعـده ألف وكسر الثانية نسبة لـواد بسوس التمجدشتي بفتح ميم بين كسر وشد جيم ففتح دال فسكون نقط شين بمثناة فوق نسب لموضع سكناه ، كان إماماً جلياً فى الدراية ولياً راوية نفع الله به البلاد السوسية ، أخذ رضي الله عنه عن الهمام سيدي محمد بن يحيى السوسي الاوَجِّي بفتحتين فشد جيم ، وهو يروي عن الامام محمد بن أحمد الحضيكي ، وأخذ عـن سيدي ابراهيم الاكـراري ، وممـن أخذ عن المتـرجم الامـام علي بن سليمان الدمناتي المراكشي ، وأجازة عامة بما تداولته الأيمة منظوماً ومنثوراً لغة وأصولا حديثاً وتفسيراً وغيره فروعاً ونحواً وبياناً وغيره ومنطقاً وغيره ذكره فى فهرسته المسماة أجلى مساند على الرحمان دخل المترجم مراكش كولده الامام العارف الحسـن صاحب الفتوحـات ، وتمكدشـت قرية من قرى أكْنَن بضم الهمزة وسكون الكاف وفتح النون ، وحدثني الفقيه العالـم ابراهيم بـن أبي القاسم السـوسي اليونسي الكـاملي المراكشي أن المترجم دخل مراكش مسجوناً فى أيام المولى عبد الرحمان بوشايـة بو مهدي الهواري عامل رودانة، وجاء مع طلبته يقرئهم، فسرحه السلطان وطلب منه الدعـاء له ولولده سيدي محمد ، كمـا طلب منه المترجم الدعـاء لولده الحسن وانزله بعرصة المزوضي بمراكش وممن أخذ عنه المعمر الفقيه سيدى محمد بن عبد الملك السوسي وسيدى عبد الله أُتِـنْ وَضْو بضم الهمزة وكسر

التاء وسكون النون وفتح الواو وضم الضاد دفين تينـزْرت بكسر المثناة وسكون النون وفتح الزاي وسكون الراء برأس الواد قرب رودانة بنحو مرحلة المتوفى عام 1315 عن نحو سبعين سنة وله شرح على الألفيه ومنهم السيد الحسن إمْل بكسر الهمزة وشد الميم من إرَزَن بكسر الهمزة وفتح الراء المهملة والزاي المنقوطة المشددة قرب تيوت بناحية رودانة الدرقاوي الطريقة المتوفى أواخر القرن الفارط عن نحو الثمانين سنة وامل قبيلة من قبائل سوس وكلهم من أهل العلم والفضل درسوا بمدارسهم التى تجتمع فيها عليهم طلبتهم وتخرج بهم عدد كثير منهم وتوفى المترجم بتمكدشت فى حادى عشر رمضان عام 1274 ووقفت على خطه رحمه الله على رسم نسب الفقيه المذكور إبراهيم ونص ما كتب فيه الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ما ذكر من النسب الشريف ومن المنتسبين صحيح لا شك فيه رزقني الله محبة أهل النسبة بجاه خير البرية صلى الله عليه وسلم، وبه فى أوائل جمادى الأولى عام 1268 أحمد الضعيف بتمكدشت لطف الله به آمين ، انتهى بلفظه وقد أفردت ترجمته وأسانيده بتأليف فى مجلد يوجد بزاوية رسموك ، وبمكتبة المخزن ، بفاس ، وهو يروي أيضاً عن والده الفقيه الصوفي أحمد بن إبراهيم الجرسيفي ، وعلي بن سعيد الهلالي ، وعبد الله الطاطائي بن البرحيلي، وعن محمد بن الحسن الطويلي الولتيتي ، وهو يروي الطريقة الناصرية عن مسعود المرزقوني عن الشيخ أحمد بن ناصر ورثاه ولده سيدى الحسن بقصيدة مطلعها قوله :

نفسي الفداء لقبر ساد ساكنـــه　　　بالعلم والدين والارشاد والسنــن

288) **أحمد بن عبد الوهاب الحوضي الغريني الغـلاوي** الأصـــل ، المراكشي القرار والدار ، الفقيه الصوفي ، أخذ عنه الفقيه السيد الحاج عبد المعطى السباعي العقائد والتصوف ومقدمة ابن أجروم ، وقفت له على منظومة فى التنديد على مَن يُكفر عوام المسلمين .

توفي بمراكش سنة 1284 أربع وثمانين ومئتين وألف ، وقد وقفت على تقريظه لشرح (الهدية) فى الطب لسيدى محمد بن إبراهيــم النظيفي الآتية ترجمته .

289) **أحمد بن محمد بن أحمد بن الطاهر الأزدي** المراكشي الـدار ، الفاسي الرحلة والمزار ، المدني الهجرة والمدفن .

قال في (إتحاف الحفيد) : ورد على فاس بقصد طلب العلم ، فنزل بالزاوية الصقلية التي بأقصى درب سبع لويات ، وبقي بفاس يطلب العلم نحواً من ثنتي عشرة سنة ، وكان أحد القارءين بين يدي شيخ الزاوية إذ ذاك العالم المحدث الصالح مولاي أحمد بن محمد بن أحمد الصقلي مع الأخذ عن شيوخ فاس كالشيخ بدر الدين الحمومي الحسني المتوفى سنة 1265 والشيخ عبد القادر بن أحمد الكوهن المتوفى سنة 1254 ومحمد بن العربي قصارة المتوفى سنة 1257 والعباس بن محمد ابن كيران المتوفى سنة 1271 والفقيه ابن عبد الرحمان الحجرتي المتوفى سنة 1275 وعبد الواحد بن أحمد بن التاودي ابن سودة المتوفى سنة 1253 والشهاب أحمد المرنيسي المتوفى سنة 1277 وخال جدي محمد بن حمدون ابن الحاج المتوفى سنة 1274 والشهاب أحمد ولد بونافع ، ومحمد بن سعد بن محمد بن الحاج بن سعيد التلمساني المتوفى سنة 1264 وغيرهم ، وأجازه كل هؤلاء بما لديهم إلا الأخير ، فبخصوص الصحيح كالمترجم له يعني السيد العربي الزرهوني وقد وقفت على مجموع اجازته بالمدينة المنورة من كل من ذكر وغالبها مورخة بتسع وأربعين ومئتين وألف وانقلب إلى بلده مليىء الجراب بالعلم، ريان بالادراك والفهم، وبلغ إلى ملك وقته عنه شيء فأمره بالتوجه الى الشرق فحج وزار وحط عن نفسه الآثام والأوزار ولقي الشيخ فتح الله السمديسي والشيخ مصطفى بن رمضان البولاقي المتوفى سنة 1263 والنور حسن القويسني المتوفى سنة 1254 وسمع عليه أوائل البصري وشرحه على السلم، والشيخ فتوح البجرمي الشافعي، وأبا الفوز أحمد المرزوقي المالكي وأخاه المفتي محمد الحسني المكي والبرهان ابراهيم السقا وأجازوه بما لديهم ، وحلاّ الأخيرُ المترجَمَ له بأستاذنا ، وطلب منه أن يجيزه أيضاً وناهيك بذلك في ترجمته ثم رجع إلى وطنه وممن أجاز له من المغاربة أيضاً مولاي الشريف بن عبد الهادي بالاذكار والأحزاب والعلامة الأديب أبو حامد العربي بن محمد الدمناتي ، والعلامة عبد القادر بن عبد الله المشرفي المعسكري عامة ما لهما وأجاز الأخير لأولاده وأحفاده أيضاً وذلك سنة سبع وأربعين ومئتين وألف ثم حبب الله اليه الهجرة الى المدينة فانتقل بأهله ورجاله

إليها واختار الله له جوار نبيه فدفن بالبقيع الأنور وذلك سنة 1287 وقد أخذ عنه جماعة بمراكش وغيرها ومن الآخذين عنه بالمدينة شيخنا محدث الحجاز نور الدين علي بن طاهر الوتري المدني المتوفى سنة 1322 وشيخنا فى دلائل الخيرات محمد بن رشيد الامغاري الفاسي ثم المدني وشيخنا فيه أيضاً محمد أمين بن أحمد رضوان، وأخوه الشمس محمد بن أحمد رضوان، وغيرهم، ومازال للمترجم عقب بمراكش ، وقد وقفت فى المجموع الذى ذكرت سابقاً على اجازة الشيخ أبى حامد الزرهوني للشهاب أحمد بن الطاهر الأزدي العامة وذكر له فيها روايته عن أبى حامد الشرقي والبدر ابن عامر المعداني وغيرهما، كلاهما عن محمد بن أبى القاسم السجلماسي عن أبى العباس الهلالي بأسانيده ، وقد وقفت على هذا المجموع المذكور بالمدينة المنورة عند الشيخ العمري ووقفت على اجازة العلامة سيدى العربي الدمناتي للفقهاء الثلاثة سيدى محمد بن عبد القادر الكردودي ، وسيدي الطالب ابن الحاج ، والمترجم سيدي أحمد بن الطاهر الأزدي قال فيها ما نصه ، وثالثهما السيد الذى له الملكة البارعة والمشاركة الفارعة الألمعي الذى أنوار علمه فى المحافل اجتليت ودرر معانى بيانه بمنصة الجمال قد جليت فارس اليراعة المعلم وحجة البراعة التى تسلم والبطل الذى لا تُرَدُّ شباة نقده، ولا تُحَلُّ مبرمات عقده، الذكي الذى يناظر فيأتي بكل عجيبة ويستنتج البدائع بين طبع فحل وفكرة نجيبة داعي البيان بنفس سميعة مجيبة اللوذعي الذى راض صعاب البيان وساسها وتتبع أنواعها وأجناسها وأحكم ضروب العبارة ونظم قياسها الى ذهن ياتى الغوامض فتنبلج ويقرع أبواب المعميات فيلج الصدر الباهي الباهر السيد أحمد بن الطاهر الأزدي ، أبقاه الله للقلوب ينقى أدرانها، ولأردية العلوم يسبغ أردانها ، ولعمري انه لجدير بأن يقال فى حقه ، ما هو أبهى لجيد الحمام من طوقه :

ودع الصبابة جانباً وترنـــم ... لحديث من أهوى ومـدح أحمد
العالم اللسن الـذى اوصـافـــه ... بعبيرهـا تغنى عـن الروض الندى
فلكـم دقيقـة معضل وافـى بهـا ... شنفـا لاذن السامـع المسترشـد
ومباحث ما السعـد فى اتقانهـا ... ومقاصد تـزرى بقـول السيـد
فاذا علينا قـد أدار مـدامـه ... أغنى عـن البكر الشمول الصرخد

وكتب فى شأن المترجم للوزير السيد العربي الجامعي أبو عبد الله كنسوس بما نص المقصود منه : ومما يتأكد انهاؤه اليكم أعزكم الله، أن أخانا الفقيه العلامة النحرير البركة الحازم الأمين سيدى أحمد ابن الطاهر كان سيدنا نصره الله شرفه على الحرم السبتي وعلى مقدمه فظهرت فى ذلك فائدته وغناؤه كل الظهور فاوصل الحقوق إلى محلها وانتزعها من غير مستحقها ولم يخف فى ذلك لومة لائم فوقف فى حلوق المشرف عليهم كالشجا ففزعوا إلى جميع المكايد واستعانوا بمن قدروا عليه ممن كان يأكل معهم فاختلقوا أموراً ونسبوها إليه ورفعوها إلى حضرة مولانا الخليفة فنظر فيها فرءاها بنورانية الحق وظهر له ان ذلك محض افتراء وفجور وتفطن لسبب ذلك كما أشرنا اليه فأقره فى محله وأيده وزاد فى حرمته وأبهته التى اقتضاها الاتصاف بالصدق والأمانة ثم انهم لما سمعوا بقدوم مولانا المنصور أيده الله طمعوا أن يتغفلوه فى ذلك ففزعوا إلى نوع ءاخر من المكايد وأعلمناك بهذا لتكون على بصيرة فى أمره وقد علمنا ان مثلك لا تقرع له العصا ولا ينبه بطرق الحصا حفظ الله علاك ، وتاريخ ذلك عام 1269 .

قلت الذي حدثني به بعض ثقات بلدنا المعمرين أن المترجم صدر منه انكار على الولي سيدى الحاج العربي الوزاني فدعا عليه بأن يبث فيه حب النساء فكان يتعرض لهن فى السكك حتى أدى ذلك إلى خروجه عن مراكش وأيا ما كان فقد طهره الله تعالى من تلك الرذيلة ويقال انه كان يقرأ صحيح البخاري بضريح الشيخ الجزولي بمراكش فدخل عليه سلطان الوقت فجلس بحذائه ولم يقطع الدرس فسعى به ساع إلى الأمير وعظم له القضية فوجد فى نفسه ما يجده الملوك لمثلها ، فرأى السلطان المذكور المصطفى عليه السلام فى المنام وهو يقول ان الرجل عظم حديثي فان ءاذيته انتقمت له فقام السلطان مفجوعاً لها وأرسل للشيخ مستعطفاً له وشاكراً له أدبه مع السنة .

ومن علو همته ما حدثني به شيخنا الفقيه السباعي أنه لما كان يقرىء مختصر الشيخ خليل بمراكش ووصل إلى الحج قال للطلبة اذهبوا فاني لا أقرئه إلا إذا حججت وأتقنته فعلا فقطع الدرس حتى حج رحمه الله وكان من أشياخ سيدى محمد ابن مولانا عبد الرحمان قدسه الله وسيدى الهادي الصقلي تغمده

الله برحمته ، وكان جل قراءته عليه ، وحدثني أيضاً ان علماء مراكش كالسيد عبد الوهاب والسيد الحسن المزميري والحاج علي القرمودي والتادلي والسيد عبد الله بن وقاص والسيد أحمد بن مبارك ومولاي أحمد بوغربال كلهم أخذوا عن المترجم رحم الله الجميع وممن أخذ عنه الشيخ إبراهيم بن حسن السقا المصري الأزهري (1) .

290) **أحمد بن الحاج العباس الدكالي المراكشي** ، أبو حسوة يعرف ، وسبب تقليب والده بذلك انه كان أميناً على صدقات الحسوة فى الغلاء ، كان رحمه الله فقيهاً نبيهاً وجيهاً ذا خط بارع موثقاً متقنا يضرب المثل به فى أحكام الوثيقة فيقال هل كتبته عليَّ بعقد أبى حسوة ؟ لعلمه ومعرفته ونزاهته ووقفت على ما يدل على أنه كان يشهد من تاريخ سبعة وثلاثين ومئتين وألف إلى واحد وسبعين كان يسكن فى الزاوية العباسية وولى الحسبة فى مراكش توفى رحمه الله عن نحو التسعين سنة أواخر دولة سيدى محمد .

291) **أحمد بن الطاهر الأزموري** الفقيه عامل مراكش أخذ عن الفقيه السيد محمد الزداغي بها قبل ولايته بأزمور ، وكان فى وقت عمالته ينسخ الكتب محبة فى العلم كان كاتباً عند عامل أزمور ، فلما توفي ولي بعده فبقى عليها مدة مديدة ثم ولى على مراكش عام 1280 وبقى والياً عليها الى عام 1284 كان فقيهاً متضلعاً نبيهاً ذا سمت حسن مهيباً وقوراً جميلا فى الهيأة والملبس رفيع الهمة ذا شيبة حسنة ، وله خط رائق ، وانشاء فائق ، توفي بمراكش عام 1284 ثم ولي بعده أحمد بن داوود ، ثم بعده ولده محمد عام 1289 ثم بعده أخوه العباس عام 1304 وعزل عام 1318 وولي القائد عبد الحميد الرحماني إلى أن مات عام 1320 وفى أيامهما استعمل خليفة عنهما الحاج عبد السلام الورزازي وبقى خليفة إلى أن عزل فى رجب عام 1325 ومات فى تلك السنة ولم يعلم بالعزل ، وولي الباشا التهامي بن محمد المزواري إلى عام 1329 فأخر وولى الحاج ادريس بن منو ، ثم أخر عام 1330 وولي الباشا الحاج التهامي المذكور ، ولما توفي أخوه السيد المدني الآتية ترجمته أضيف إلى نظره جميع مَن كان فى إيالته من القبائل فكان اليه منتهى الرياسة فى الحوز بلا مدافع ، سدده الله ووفقه لما فيه رضاه !

---

1) **فهرس الفهارس والأثبات** 1 : 84 .

292) **أحمد بن الشكر السباعي** ، عامل أولاد أبى السباع ببوجمادة خارج مراكش بنحو مرحلة ، كان عالماً عاملا عابداً صدوقاً وسبب توليته على قبيلته حادثة السويرة عام 1260 حيث اختلط أمر القبائل المجاورة لها، جبره المولى عبد الرحمان على الولاية ووعده أنه يخرج منها عند صلاح الأمر وحيث تم سد تلك الثلمة وانجبر ما انصدع سأله التخلي كما وعد به ، فغضب السلطان حتى ظهر الغضب فى وجهه ، وقال له الناس يروننا ويظنون فرحنا بهذا الملك لمكان نيلنا منه شهواتنا ومستلذاتنا ، ووالله الذى لا إله إلا هو لولا أنى خشيت مواخذة الله لي بحق المسلمين أن فسدوا بتركي اياهم لانسلخت من هذا الملك ولحقت بموضع اشتغل فيه باصلاح خاصة نفسي حتى ألقى الله، ولو كان استفافُ التراب يمكن لآثرته على ما آكل من هذا الملك ، ومَن حسُن فيه ظننا منكم يرينا إيثاره نفسه .

وكتب له مرة محبنا الفقيه مولاي أحمد السباعي السلام عليكم ورحمة الله وبعد فقد استفهمت جانبنا عن أمر الذين توجههم لجباية الزكاة هل يعطون أجرتهم منها أو من غيرها وهل الزكاة كلها توخذ باعيانها غنماً وابلا أو تأخذ القيم الخ ما بينت فاسلك فى ذلك كله جادة الشريعة وصميمها وان جاءك من جانبنا كتاب يخالفها فلا تعمل بمقتضاه والسلام كان مقيماً بقصبة مراكش قرب التسعين حدث بذلك عنه شيخنا السباعي فى كتابه سيف النصر لدفِع الايهام .

293) **أحمد بن مُحمد ضماً بن احمد ازنيط المراكشي** ، الفقيه العلامة المشارك الحافظ أخذ عن والده وغيره وأخذ عنه أهل مراكش منهم أخوه الحاج مَحمد فتحاً ، كان يُدرس بجامع ابن يوسف على يسار الداخل له من باب زاوية الحضر وكان شرح الخرشي على المختصر عنده محفوظاً حج عام الثمانين ومئتين وألف فى رفقة علماء مراكش عبد الوهاب ابن البهلول، والفقيه التادلي ، وسيدي علي بن الفاضل ، وقاضي مسفيوة السيد مَحمد فتحا والد السيد علي .

توفي رحمه الله فى عشرة التسعين من القرن الفارط .

294) **أحمد بن الحسن بن قاسم بوغربال المراكشي** ، ينتسب للشريف سيدي أبي درقة المترجم في هذا الكتاب ، أخذ عن الفقيه السيد الحسن الفيلالي المراكشي، وسيدي أحمد ابن الطاهر المراكشي ، وغيرهما ، وعن علماء فاس ، وفيها ابتدأ القراءة لما كان والده مرحلا بها حيث أقام بمراكش ثورة على عاملها العربي الهداجي ولم يقبل ولايته في أيام المولى عبد الرحمان ، كان المترجم عارفاً بالنحو واللغة لا يدرك فيهما شأوه حتى أنه اذا كان يدرس النحو لا يحضر طلبة المدارس وغيرهم في وقته عند غيره ، فلما شرع القاضي سيدي محمد بن عبد الواحد الدويري في الدرس في الوقت الذي يدرس فيه المترجم الألفية لم يحضره الطلبة فسأل عنهم فقالوا له إنهم توجهوا لحضور درس المترجم ، فأمره بأن يعين وقتاً ءاخر لدرسه فامتثل .

توفي رحمه الله سنة إحدى وتسعين ومئتين وألف ودفن بروضة باب أغمات، ووقفت على خط والده مولاي الحسن الحسن الرائق ، المؤرخ 29 رمضان عام 1209 قيد به كتباً نفيسة مملوكة له منها (داعي الطرب ، في أنساب العرب) في سفر .

فائدة :

حدثني المقرىء أحمد بن العربي المراكشي أنه سمع من الفقيه الكاتب السيد إبراهيم النظيفي المراكشي أن السلطان مولانا عبد الرحمان كان وجه صلة لتقسم على شرفاء مراكش مع كتاب قرىء على المنبر وفيه أنه لا يدخل فيها المتشرفة بمراكش كالمكي الباعمراني والحسن بوغربال ، انتهى .

وستاتي ترجمة المكي المذكور الذي ينتسب إلى العمرانيين الذين بدادس، والكلام على تحقيق نسبه الشريف بما فيه كفاية .

295) **أحمد بن القائد عمر بن أبي ستة المراكشي** ، قرأ العلم على شيوخه حتى أجازوه وكناش إجازة شيوخه مع إجازة شيوخ سيدي إبراهيم الصويري له عند الفقيه سيدي محمد بن الحسن المراكشي ، ونسخ بخطه شرح ابن أبي جمرة لمختصره من البخاري في ثمانية عشر جزءاً وقفت عليه ، ولي المترجم عمالة مراكش من أيام المولى عبد الرحمان وهو ثالث ولاتها في دولته أولهم القائد العربي الرحماني الهداجي ، ثم القائد محمد زروال

الرحماني ، ثم المترجم ، أما والد المترجم فكان والياً عليها أيام المولى سيلمان ، ثم أخر المترجم عن ولاية مراكش وولي عليها الجيلاني بن حمُّو الحمزاوي المنجم البخاري قائد المشور عند مولاى عبد الرحمان وسيدي محمد عام 1279 ، ثم بعده ولي عليها الفقيه السيد أحمد بن الطاهر الأزموري ، ثم ولي المترجم عاملا على أزمور .

قال شيخنا في (البستان) في ترجمة القائد الطالب أحمد بوستة ما نصه : من جملة حسناته أنه نشر دلائل الخيرات فى الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم للجزولي فى جميع الآفاق ، كان له طائفة من الطلبة يكرمهم ويكريهم على ملازمة انتساخ الدلائل ثم يجمع عدداً ثم يسفره ويجلده ، وحيثما جاءت الأركاب من الآفاق يعطيهم عدداً من النسخ مجاناً يأمرهم بالذهاب بها وإعطائها لمَن يستحقها حتى انتشرت فى الأقطار كالصحاري ونحوها ، ثم زاد أن جعل للعميان الملازمين مقام أبي العباس السبتي خراجا على حفظه فلم يبرحوا أن حفظوه عن ظاهر قلب ، وبعد ذلك تنافس فى حفظه المبصرون فهو السبب فى ذلك ، ثم عمد إلى أنفس بساتينه فحبَّسه على مَن يقرأه تجاه الروضة الشريفة بالمدينة المنورة فأطلع عليه السلطان مولانا عبد الرحمان فأمضاه ، انتهى .

وقد تكلمنا على ما يتعلق بحبْسِه المذكور فى ترجمة قاضي مراكش محمد الفلاق .

توفي المترجم بفاس فى واحد وعشري جمادى الثانية عام اثنين وتسعين ومئتين وألف ، ودفن فى الركن المقابل لباب الصومعة من زاوية سيدي عبد القادر الفاسي .

296) أحمد بن محمد المرتضى ابن الكبير العمراني

أحمد بن محمد المرتضى بن محمد الكبير ابن الكبير العمراني المراكشي ، ينتسب إلى العمرانيين الذين بدادس ، ولد عام 1255 ، أخذ العربية وغيرها عن سيدى الحسن الفيلالى، والعربية عن السيد عبد الله بن وقاص ، وعلم الأدب وغيره عن السيد محمد بن أحمد كنسوس ، والفقه عن السيد سعيد جيمي ، والقاضي ابن عبد الواحد الدويري ، وكان قارىء مجلسه

بمراكش ، والحساب والتوقيت عن السيد بريك الشاهد ، وأخذ علم الحقائق عن العارف السيد محمد بن أحمد وعلى يده فتح عليه وانطلق لسانه ، كان رحمه الله فقيهاً بارعاً عارفاً بعقد الشروط مطلعاً على نكت من الفقه ودقائق ، حافظا لنوادر وغرائب ، وكان يكتب السؤالات التى تتوجه للمفتين بمراكش فى عصره ويدمج فيها الاشارة إلى نصوص الفقه فى القضية بحيث لا يبقى للمفتي الناظر فى النازلة الا مراجعتها فى محلها ليوافق عليها ، وتعدى عليه قاضي مراكش أحمد الرحيلي حيث سجنه لما كتب وثيقة بخطه وعلمها عدلان فى حالة نزعه من العدالة وسرح بواسطة المولى علي بن عبد الرحمان ، فرجع كاتباً عند المولى الحسن ووقعت له مع الوزراء نوادر وأبحاث فـى المبيضات التى تكتب فى القضايا التى تعرض فى أمور المخزن المهمات وكان يجلى فيها وياتي بالتنديرات العجيبة والألفاظ السمحة التى ربما ينكرونها فيوقفهم عليها فى بطون دفاتر اللغة ويقرون له بالفضل ، وكان رحمه الله من جلساء السيد الجليل مولاي علي بن مولانا عبد الرحمان وقع بيدي كتاب كان فى ملك الشريف المذكور ورأيت المترجم حلاه فيه بتحليات عالية ، كما أنني وقفت على نسخة لشرح حديث أم زرع للقاضي أبي الفضل عياض، وهو والد صاحبنا الشريف الوجيه الفقيه الكاتب البارع مولاي المرتضي المراكشي المستوطن الآن فاساً حرسها الله من كل باس ووالده المذكور هو الذى كان يؤدب السيد محمد بن عبد الكبير الدمناتي المراكشي المستوزر في ءاخر عمره ، وعلّمه حسن الخط والترسيل وبه تخرج .

توفي المترجم رحمه الله سنة 1299 عن أربع وأربعين سنة قدر عمر والده ، وستاتي ترجمة جده سيدي محمد بن عبد الرحمان ، وسيدى محمد الكبير وسيدي محمد بن ادريس وسيدى محمد المكي بن الحسن وترجمة أخيه سليمان بن محمد المرتضى .

297) **أحمد الرامي** ، الولي الصالح كان يسكن بحومة سيدي أحمد السوسي من مراكش ، وهو من أهل المحبة والمدح والوجد ، لقيه الاميـن الصحراوي وكتب عنه فـى مقدمة كتاب الارتجال ما نقلناه عنه فـى ترجمة الغزوانـي .

298) **أحمد المتوكي المصلوحي** ، كان يسكن بمصلوحة (تامصلوحت) خارج مراكش ، الفقيه العلامة الحافظ كان فقيهاً فرضياً محدثاً حيسوبيـاً يحفظ البخاري ، أخذ عنه الفقيه السيد الحبيب ابن كيران الفرائض بالعمل والحساب بشرح الرسموكي ، وحفظ عليه مختصر خليل فى العشرة السابعة من القرن الثالث عشر .

299) **أحمد بن الحبيب العلوي المدغري**

أحمد بن الحبيب بن علي بن عبد الواحد المدغري من ذرية مـولاي أحمد بن علي بن طاهر العلوي .

كان عالماً فاضلا أخذ عن القاضي مولاي محمد العلوي وطبقته وكان من أجواد الأشراف وتولي نيابة القضاء بمدغرة وورد مراكش لأخذ ميراث أبيه المتوفي بها ، ومنها توجه لقراءة العلم بفاس ، توفي أواسط العشرة الأولى من هذا القرن عن نحو أربعين سنة .

300) **أحمد بن العربي البلغيثي** ، ارتقى ذروة الجوزا ، وعلا أفق الثريا ، وحل فى برج المعالى حلول الاكليل والتاج ، وطلع فى سماء الفصاحة والبلاغة طلوع البدر فى الداج ، وحل فى أعلا برج العلوم وسلك فيه أرفع مقام المحاج، بيت المعالي المحترم ، وركـن المجد المستلم ، كاتـب الحضرة العالية والحائز المراتب السنية ، ومن شعره قصيدة قرىء بعضها فى ليلة المولد الشريف عام 1298 عند تمام البردة والهمزية ، وقرب طلوع الفجر بحضرة أمير المومنين نصها :

طاب السرور بأسعد الأوقـــات ... فاشرب كؤوس السكر باللـــذات
وأصخ سماعك للمديح وســرده ... بترنم الألحان والنغمـــات
قرط به الآذان إنَّ سماعَـــه ... يحيى وينعش مدمن الغفـــلات
وامزج رحيقك بالزلال مصافيـا ... وموافقا ومواتيا لسقـــاة
دارت كؤوس الفضل بين أفاضـل ... من راحة الهيفاء بالحضــرات
أنسية حضرية فتانـــة ... تشدو بحسن الصوت فى المايات

منها استعار الحسن حلة حسنة ... وكذا عيون الظبي فى اللفتات

نفرت نفار الظبْي في جفلاته ... والروع يشرفه من الهضبات

تركت حشاشات الفؤاد فى زفرة ... وانهل مزن الوبل بالعبرات

قامت دلالا والدلال يزينها ... لسعت بمثل أساود الحيات

برزتْ سعادُ فأخجلت شمس الضحى ... وتسترت بالصون فى الهالات

من كاعب الأتراب فرع شبيبة ... عذراء ناظرة بعين مهاة

ممشوقة القد القويم كأنها ... لدن الغصون وأشرف الرايات

سكنت بدير العز فى أرض التقي ... وتعززت بالأهل والحجرات

وبقيت فى هلع وحر تلهف ... بين الرياح ومزعج الحركات

نادى منادي الرشد أيه يافتى ... أوَلستَ تعلم موقِفَ الحسرات

إن لم يكن لك واعظ فانظر لما ... شهدت به الأملاك من زلات

واذرِ الدموع وقل بصوت خافت ... يامن هو المقصود فى الأزمات

أني سلوت فمدني ياسيداً ... بمواهب الأسرار والعطفات

مالي وسعدي والرباب وزينب ... والفود شاب ولم أتب لنجاة

أبغى التعلق بالنبي محمد ... هو الشفيع لمذنب وجناة

ياخير من يرجي لكل ملمة ... يامن به المَنجىَ من الهلكات.

أن لم تغثني يامنائي عاجلا ... بشفاعة أضحي بها فى ثبات

أنت الذى قد كنت نوراً أولا ... أصلا لكل الكون فى النشآت

العرش والكرسي وكل مصور ... من نورك المكنون فى المشكاة

لما برزت إلى الظهور طلعت فى ... افق النبوءة واضحَ البينات

فى وقت سعد والزمان مساعد ... والشهر ميمون بديع سمات

لما نظرت إلى السماء بنظرة ... بعد السجود تشير للميقات

فبدت قصور الشام أعظم ءاية ... فلك النجوم تدلى للشارات

ظهرت بمولدك السعيد خوارق ... حكمت بأنك سيد السادات

اما بحيرة ساوة فحديثها ... خبر صحيح ثابت بثقات

وأسال دهاقينَ فارس عن نارهم ... وخمودها المشهود بالحدقات

كسرى به وبما عرا ايوانه ... هجر المنام وعقله فى شتات

الملك والملكوت سر بأسره   وتباشر الأملاك بالخيرات
حور الجنان تزينت فى قصورها   وتبخترت بأباطح الجنات
وهواتف الجن استمر حديثها   ولد الرسول وجاء بالبينات
وتساقطت أوثان كل ضلالة   وتناثرت كتناثر الحبات
إبليس رن كدأبه عند الردى   بتكرر الانات والرنات
إذ جاءه النور الذى كان لم يرـ   عند السجود فآب بالنكبات
ورأى شهاب الشهب تطرد من سما   يبغي استماع الوحي بالسرقات
فاسمع حديث الفتح جاء معنعنا   بتوافق النقاد والرواة
بمواطن نصر النبي بكلها   بدر وأحد فاللوا بظباة
وتضمية الأحزاب حين تحزبوا   ركبوا الفرار فى مهمه الفلوات
وتعززت بالفتح ملة أحمد   واجتث أصل الكفر بالصدمات
يالمرجال وهاجرين ديارهم   فزتم وسدتم سائر النسمات
أنصار خير الخلق نلتم رتبة   بوفائكم بالنصر والنيات
فبجاهه وبجاهكم أبغي العلا   والنصر للمولى سليل سراة
السيد الأسما الذي من حمله   عادت به الأشياء للغايات
فيء البنود مقيله ووطاؤه   ظهر الخيول تصول فى الغارات
أسد عزائمه النصال وكيف لا   وهو الكمي الثبت فى الوثبات
انسان عين العلم حسن ذكائه   يبدي المعاني فى أسرع اللحظات
ملك حوى فضل الملوك جميعها   فاق الأنامَ بعفّة وأناة
ملك لمبغضه الجحيم وراثة   والناصحين فى أفضل الغرفات
ملك تسامى وارتقى فى ذروة   فوق الملوك بأرفع الدرجات
ملك تعزز بالالاه وذكره   يحيى الدجا بتواتر السجدات
ملك سخي أريحي سجية   يعطي الألوف ونافل الميات
يأأبا عليٍّ عطفة من فضلكم   هي الرضا وتكرر الدعوات
ماذا أبث من الثنا فى سيد   ذاتي النعوت وغيره فى صفات
إن رمت حصر صفاته متكلفا   فانفد مياه البحر بالآلات
فلتهن ياتاج الملوك وشمسهم   بالموسم المحفوف بالبركات

وشهيٌّ أمداح الرسول وسردها بترنم وتفنن ولغات
بعريسك المحروس من مكناسة في ليلة من أسعد الأوقات
بالمسجد الأبهى تكامل محفل في ساعة من أشرف الساعات
دم ءامناً متيامناً متحصناً بمواهب الأسرار والآيات
وكذا بنوك وكلهم شمس العلا الله يحفظهم من الآفات
حق الأمير على الرعايا دعاؤها في سائر الأوقات والصلوات
إنَّ الدعاء له علينا واجب بتواطؤ الاعلان والطويات
صلى الالاه على النبي محمد والآل والأصحاب خير هداة

301) **أحمد بن مبارك الرحماني الجرني المراكشي** ، الفقيه العلامة ، أخذ عن سيدي الحسن الفيلالي وسيدى أحمد بن الطاهر المراكشي ، كان للمترجم اختصاص بعلم النحو وله لسان فصيح ونفس عال فيه وهو أحد العلماء الذين كانوا يقرئون أولاد المولى عبد الرحمان ، كمولاي أبي عزة ، ومولاي رشيد ، ومولاي علي ، ومولاي العباس .

توفي رحمه الله عام أربعة وثلاثمئة وألف ، عن نحو ثمانين سنة ودفن بروضة باب أغمات .

302) **أحمد بن التونسي الدكالي الرحيلي العوني** ، تولى قضاء مراكش في كهولته في العشرة الأخيرة من القرن الفارط بوساطة بعض المنتمين للمخزن كان منحاشاً إليه ، وظهر منه طيش بالترامي في الوقوف في القضاء ، فصار يخبط خبط عشواء وبقي بها قاضياً نحو ثلاث سنين ودرس ألفية ابن مالك ، كان يحكم أولا بمقصورة أزبزط حذاء الغسال ثم انتقل لحكومة ابن يوسف التي صارت الآن مكتباً للصبيان بجوار باب زاوية الحضر وبها كان يحكم السيد قاسم وابن المدني ، وكان يسكن أولا بزاوية الحضر ثم صار يسكن بازبزط ، وفي مدة قضائه كان يحكم بالمدينة ثلاثة قضاة : ابن المواز بحكومة الطالعة بابن يوسف ، والرحيلي بحكومة أزبزط ، وابن الهادي بمقصورة المواسين . ولما ورد مراكش طالب بعض المقدمين وهم بوبكر كسوس بفرش محله ففرشه له وصير عليه من مال المحاجير أولاد مولاي المامون بن الخضر من سكان قاعة ابن ناهض ، وبعد ذلك ورد كلام

المخزن للقاضي بدفع المال لأربابه فاعتل المقدم المذكور بأنه صيره عليه فى الفرش المشار إليه ، فقال له : لم آمرك بذلك وسجنه مكبلا ، فرفعت القضية للمخزن وأصدر أمره للقاضي السيد عبد الواحد ابن المواز بأن يحكم عليهما بمقتضى الشرع ، فكان يسلكه معه عنده الى أن وجب عليه الحق ، ومن القضايا التي وقعت عنده أن العدل السيد البشير بن عطية سجل عليه مرة فريضة ، فلما أتى له بها ليثبتها قال له هذه الشهادة زور كتبتها قبل أن أثبتها ، وأراد أن يطوفه وسجنه عنده بباب داره فبلغ الخبر ولده السيد الفاضل كاتب المحتسب السيد عبد الله البوكيلي ، فأعمله فوجه على كبير عمال دكالة ابن الدرقاوى مستشار السيد موسى فى دكالة وأخبره بالقضية ، فتوجه عند الرحيلي وعاتبه على ذلك ، وما خرج من عنده حتى أطلقه ، ومنها أن ابن عبد السلام مقرىء أولاد الوزير موسى كان يشتري الكتب من المدرسة ، ففي بعض الأوقات زاد فى كتاب بخط العدل السيد محمد بن هاشم العلوي الذى نزل عليه فتوجه عند المترجم ليحوزه له منه ، فطالبه بذلك ويعطيه ثمنه لأنه يريده للوزير فأبى وقال له : هو بخطي وخرج من يدي ، فقال لأصحابه تعرضوا له وائتوني به عريان الرأس حافي القدم ، وكان من عدول سماط ابن المواز ، فبلغه الخبر فكتب له بطاقة للوزير وأعلمه بالقضية ، فوبخ ابن عبد السلام وكف الرحيلي عن التعرض له ، ولما كان يتحاكم عند ابن المواز ويمر بابن هاشم يتهكم عليه الشريف المذكور ويسبه ، ثم طلب من المخزن الذهاب للحج فساعده على ذلك وأذن له ثم طلب جعل نائب عنه فلم يساعد عليه ، فذهب وحج عام ثمانية وتسعين ومئتين وألف ، وولي فى مكانه السيد بوبكر بناني ثم رجع من الحج فأمر الناظر بفرش محكمته فذهب الى العامل فنهاه عن ذلك، ثم ذهب عند السلطان فى حركته فجعله قاضي المحلة ، فلما وصل للحاضرة بقي مهملا ثم رجع كاتباً عند وزير الخارجية السيد المفضل غريط عام أربعة وثلاثمئة وألف ، ثم توجه لناحية الريف فى الايالة الشرقية لتصفية الديون التى بينها وبين الايالة الجزائرية ، فلما رجع وأراد الهبوط لمرسى طنجة سقط من حاشية الفلوكة أو من أعالى المركب فمات غريقاً ، ودفن بمقبرة طنجة فى السنة المذكورة .

303) **أحمد أكناو المراكشي** ، وأكناو بالبربرية لقب معنـاه الكبش الأجم ، أخذ العلم عن العلامة سيدي الحسن إمل تلميذ العلامة سيدي أحمد التمكدشتي ، والفقيه السيد سعيد جيمي الحديث وغيره ، وعن الفقيه سيدي عبد الله بن وقاص كان خيراً ديناً محققاً لعلم الفرائض ، عارفاً بالعربية متضلعاً فيها ، يقرأ الألفية ويشرحها بمسائل التسهيل والكافية حافظاً لشواهدهـا متحققاً بمعانيها رأيت مجلسه يغص بطلبة المدارس بمراكش وغيرهم ، الى أن أصيب برجله حيث سقط من حائط فترك التدريس إلى أن برئت فصار يقرأ عليه صاحبنا أبو عبد الله بن عطية نهجة السيوطي ، فكان يقرر له ألفاظها ويتمم له شواهدها ويشرحها له، وكان يكتب ما يسمعه منه على هوامش نسخته منها ، فاخترمته المنية حين وصل إلى الفاعل رحمه الله وكان لا يتزيى فـي فى اللباس بـزي الطلبة مقتصراً عـلى لبس الجلابـة تاركاً للبس الكساء والبرنس ، وكان يسكن بحومة الجزولي لقيته مرات ، وعنه أخذ العربيـة صنونا حسن الأخلاق والشمائل الفقيه السيد محمد بن إبراهيم المراكشي (1)، المتولد سنة 1288 ثمانية وثمانين ومئتين وألف ، قارىء مجالسنا العلميـة من حديث وتوحيد وفقه وملازمنا ليلا فى جامع رياض العروس نحو ست سنين.

توفي المترجم رحمه الله فى العشرة الثانية من القرن الرابع عشـر ولم يتزوج قط .

304) أحمد بن خالد الناصري السلَوي

أحمد بن خالد بن حماد بن محمد الكبير بالضم بن أحمد بن مَحمد الصغير بالفتح بن الولي الصالح الشيخ سيدي محمد ابن ناصر الناصري ، العلامة المحقق النسابة المؤرخ الشهير الفيلسوف المشارك النحرير .

ولد بمدينة سلا وقت طلوع الفجر من يوم السبت الثاني والعشرين من ذي القعدة الحرام سنة 1250 خمسين ومئتين وألف ، وقرأ القرءان بالقراءات السبع على عدة شيوخ ، وحفظ منظومة الشاطبي وابن بري وخلاصة ابـن مالك وتلخيص المفتاح ، وجمع الجوامع ومختصر خليل وغير ذلك ، أخذ

---

1) توفى رحمه الله عام 1339 (مؤلف) .

مبادىء العربية على المحقق سيدي محمد بن عبد العزيز محبوبة : الأجرمية بشرح الأزهري ، وجبريل والخلاصة بشرح المرادي ، والجمل والمرشد ، والسلم ، ونحو النصف من المختصر وغير ذلك ، وعن الفقيه العلامة أبي بكر عواد وعليه أتم دروسه وهو عمدته فى النحو والمنطق والأصول والمعاني والفقه والسيرة والتصوف ، ثم عكف على اقراء التفسير وغيره من العلوم النقلية والعقلية كمقدمة ابن رشد والتبصرة لابن فرحون وابن برى والمطول على السعد والمغنى وغيره وانتفع الناس بعلمه يوضح المشكـلات ويحـل المقفلات فصيح اللسان ملحوظاً بالتعظيم والاجلال عند الخاص والعام أخلاقه حسنة تأخذ بمجامع القلوب رقة ولطفاً ونزاهة وظرفاً وفكاهات مجالسه فى المحاضرة نزه للاسماع والأرواح ومسرات للقلوب والأشباح وكان له ولـوع بحفظ الشعر والبحث عن نفائس الكتب وانتساخها وبذل ما عز وهان فى جلبها واقتنائها ألف التاريخ الكبير فى أخبار ملوك المغرب وسماه بالاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، ولقد أحسن فى تلخيص هذا التاريخ من كتب التاريخ المعتمدة كابن خلدون والقرطاس والدوحة والنزهة والمرءاة والصفوة والنشر وتواريخ الزياني والجيش ولا يبقى معه احتياج للبستان ولا للجيش ولا لغيرهما فى خصوص دول المغرب، فقد جمع فأوعى مع التحري في العبارات وحذف ما يقع بسببه اللوم والسكوت عنه أو الاتيان به فى عبـارة مؤديـة للمقصود لا طعن فيها ولا ثلب مع التنبيه على مواقع الاعتذار والحمل على محامل حسنة ولكن فيه بعض الأوهام وقد بينا بعضها فى كتابنا هذا خلال تراجمه وكتبنا ذلك على هامش نسختنا من الاستقصا ومنها زهر الأفنان من حديقة ابن الونان استوفى فيه فنون اللسان العربي الا قليلا واستوعب شرح ما لمح له الناظم من الأمثال والحكم والأخبار والنوادر فجاء شرحاً بديعاً فى بابه وهما مطبوعان الأول بمصر والثاني بفاس ومنها طلعة المشتري ، فى النسب الجعفري استوعب فيه الكلام على نسب ءال ناصر وجمهرتهم الموجودة وحققه فى مجلد ضخم وقد طبع بفاس ومنها كتاب تعظيم المنة بنصرة السنة استوفى فيه الكلام على البدع المحدثة فى الدين جمعه من المدخل لابن الحـاج ومعيـار الونشريسي وقفت عليه فى مجلد بخط اليد ومنها شرح مساعدة الاخـوان للشيخ سيدي محمد ابن ناصر ، ومنها الفوائد المحققة في ابطال دعوى من قال

ان الناء طاء مرققة ومنها الفلك المشحون من نفائس تبصرة ابن فرحون بفي فيه نحو الربع لم يكمل ومنها رسالة فى الرد على الطبيعيين ممن ينكر الشرائع ومنها رسالة أخرى فى تحقيق أمر سبعة رجال دفناء مراكش وديوان ما بقي من شعره وقفت عليهما وله تقاييد أخرى فى فتاوي وأجوبة ، وقد أثبتنا من شعره قصيدته التى مدح بها أبا شعيب السارية فى ترجمته (1) وهي مذكورة فى الاستقصا كما أثبت فيه أيضاً قصيدته فى مدح المولى الحسن التي أولها :

قلب كواه من النوى مقبـــاس فغـدا بـه الوسواس والخنـاس

دخل مراكش رحمه الله مرات وسكن بها فى بعضها مدة وكانت وفاته فى صبيحة يوم الخميس لدى طلوع الفجر سادس عشر جمادى الأولى عام 1315 خمسة عشر وثلاثمئة وألف ودفن فى ضحى يوم وفاته خارج باب المعلقـة وراء ضريح سيدى هشام بمحروسة سلا ولما فرغ الناس من دفنه جاء الغيـم والسحاب ثم أرسل الله الغيث فسقى قبره ثم توالت الأمطار وعصفت الرياح حتى سقطت الحيطان واقتلعت الأشجار .

ورثاه تلميذه المؤرخ الأديب محمد بن علي الدكالي بقصيدة مطلعها :

ما ذا يكف مدامعـي وهيـامـي وقد انكـوى قلبي بنـار حمـام

إلى ان قال :

كمصيبتي فى فقد أحمد ذى العـلا أعنى أبا العبـاس خير امـام
شيخي وشيخ العصر غير منـازع فى الفقه والآداب والأحكـام

وقال فى تاريخ وفاته منها :

أرخت عـام وفـاته فاتى بـذا شرف له يتـلى عـلى الأيـام

1) فى الأصل : فى ترجمته الآتية ان شاء الله الخ لأن المؤلف ترجم لأبى شعيب فـى حرف الشين حسب اصطلاحه الذى عدلناه كما أشرنا اليه فى المقدمة ؛ انظر ترجمة الشيخ ابى شعيب السارية دفين ازمور فى الجزء الأول ص 396 ع 118 وقصيدة الناصرى فى مدحه فـى ص 402 من الجزء نفسه .

ورثاه أيضاً الأديب السيد الحاج الطيب عواد بقصيدة مطلعها :

أهالى الطول بعد الطـول ترثـــى بما اكتسبـوه تعصيبـاً وارثـــا
لقد كانوا محـل الـروح منـــا كما كانوا لتلك الـروح جنثـــا

إلى ان قال بعد تسميته :

ومن نشر العلـوم بحسن قصـــد وعن تحصيلهـا القـوم استحثـا
له فيها اليد الطـولى جميعـــاً ويعطى صعبهـا نظـراً وبحثـــا

إلى ان قال :

وحقك ما رأيت له نظيـــــرا ولست تـــرى لقـول الحق حنثـا
على فقدانـه تبكـى البواكـــى فقـد أمسى رداء المجـد رثـــا
وموئل من تـراه الى فنـــاء أبى المولى بـدار الحزن لبثـــا
سقـى مزن الرحيـم لـه ضريحـا يصاحب روحـه نشراً وبعثـــا

وترجمته واسعة

305) **أحمد بن مُحمد ضما بن مَحمد فتحا الكاملي** الضرير الـدرعي أصلا ومولداً ، ولد بدرعة بمزجيطة قرية من قرى درعة عام 1255 قرأ القرآن وسائر العلوم على والده العلامة سيدى محمد المذكور ثـم رحـل للزاويـة الناصرية بتمكروت ، ولقي أفاضلها وعلماءها ، منهم الفقيه سيدي محمد بن علي السملالي نزيل مراكش وسيدى أحمد بن طلحة الناصري وسيدى محمد فتحا بن علي الناصري نزيل مراكش أيضاً وسنه إذ ذاك مراهق ثم رحل لمراكش فى العشرة السابعة من القرن الفارط ونزل ضيفاً عند الخليفة مولاي علي بن عبد الرحمان ، واجتمع بأفاضلها كالفقيه كنسوس ، والفقيه سيدي محمد بن المدني السرغيني وحضر مجالس علمائها ثم رحل لفاس فى عشرة الثمانين ولقى فضلاءها ثم رجع من فاس وارتحل للديار السوسية إلى أن القى عصا التسيار بأكلميم من وادي نول، ثم رحل للسودان، وفى كل قطر يجالس علماءه ويذاكرهم ويستفيد منهم ويقيدون عنه انشاداته وفوائده ثم استقر بأرض غب

منها بين سانيكان وتنبوكتو ولقى أولاد الحاج عمر الفوتي صاحب الرماح وملوك تلك الديار وعلماءها ، ولقي الحاج عمر أيضاً وقت مقاتلته لـمَـمْـبَـرا (1) قبيلة من قبائل السودان ليعانقوا الاسلام ويتقلدوا الطريقة التجانية وجمع هناك أموالا عديدة وصله بها ملوك السودان ثم حج وزار الديار الشرقية وما ترك بلدة من المعمور إلا دخلها براً وبحراً وعمل عدة رحل من املاءاته كتبت عنه وفى كل بلدة يقيم أياماً ثم يرحل عنها ولم يقم فى بلدة كثيرا إلا دمشق الشام مكث فيها سنة وكان يكتب عنه فى املاءاته الكاملي نسباً الدرعي أصلا السائح ديدناً وقال الشعر كثيراً وأجاده كان لطيف الشمائل حلو المذاكرة سريع الحاضرة ممتع المجالسة وقع لولده انقباض فسألته أخته عن موجبه فأجابها بأنه تهيأ وقت الذهاب للمكتب فقال فى ذلك على لسانه مجيباً لأخته :

قالت أراك صموتاً غير منبسط — قلت اسكتي إنما بي دوخة الجمعه
ولى الخميس وما يحويه من نشط — والأربعاء به الخيرات مجتمعه

كان عالماً فاضلا مشاركاً فى فنون من العربية والآداب متضلعاً من الحديث كاد يحفظ صحيح البخاري ومسلم بأسانيدهما وكتب الأخبار والآداب ودواوين الشعراء القدماء والمولدين كان حافظاً واعية سريع الحفظ كان يحفظ القصيدة عن تسميعها له مرتين وفى الثالثة يسردها من حفظه وقال فى مدح صحيح الامام مسلم :

أصخوا وعوا هذى المقالة وافهموا — وتنبهوا وتدبروا وتحكموا
إن الأيمة أجمعين أيمة — وإمام هذا الشأن عندي مسلم
لله در أبى الحسين فانه — شمس الهداية والأكابر انجم
من قال أكرم ما أجل كتابه — بابن الحجاج فأنت ذاك المكرم
طوبى لنيسابور طوبى انها — بك قدرها بين البلاد معظم
ان قيل انك لا تزال معظما — لمقامهم ان العظيم يعظم

---

1) ويقال بنبارة والسحر فيهم حائد عن القياس (مؤلف) .

شأن الأفاضل ان يؤيد بعضهم بعضاً ليعلم جاهم من يعلم (1)
فعليكم ءال الحديث تحية تبقى ويشفعها السلام الاودم
اذ أنتم ءال الرسول وحزبه وسيوف نصرة دينه والاسهم

وقال أيضاً :

نحن بنو الدنيا وسكانها هذا الرئيس الشهم اسماننا
لو قيل للدهر من المجتبي لقال عباس وما ماننا
يامن إذا يممه ءامل لا يتقي رداً وحرماننا
هدية الهدهد وافتكم فلتقبلوها كسليماننا

وقال فى هجو الجنكى الهجاء محمد :

تبت يداك اما تبقى ولا تذر عرضاً من الذم هذا الشوم والبطر
مالى ومالك لا حييت من رجل صيَّرتني هدفاً يرمى ويهتصر
ولم يكن بيننا ذخل فتطلبه

وقال أيضاً في أحمد بن موسى وقد ابل من مرضه بعض شيء فى رمضان عام 1315 خمسة عشر وثلاثمئة وألف :

ألق سمعك نحوها واعدها ان فى حل رمزها لمناك
كلمات تسعى اليك ببشرى من محب قلى وداد سواك
قائلا والأسى يخفض صوتا بك يعلو مقبلا يمناك
سيدى كيف حالك اليوم انى وحياتك فى ضنني من ضنناك
مزق المرجفون منى فؤادا فى هواك يحرم الاشراك
وسقونى لما حكوا عنك سقما ما سقيت البغاة والفتاك
مذ أتانى عنك الذى لست أهوا ه أرقت أسامر الاحلاك
فاقتبست من الطوالع ان لا بأس يلقى ولا ردى يلقاك
وحمدت الذى سألت يبقيـ ـك لنا ملجئا وقد أبقاك

---

1) والجاهلين تباغض وتحاسد وتضارب (مؤلف) .

فلتذب أنفس الحـواسد غمـــــا ... حيث طابت نفـوس من يهـــــواك
أشهـد الله والنبيئيـن والـرسـ ... ـل الكـرام والكتب والامـــــلاك
ان حبك وامتداحـــك فرضـــــا ... ن عليّ فلا حُرمت رضـــــاك
لو درى الناس كنه قدرك عند اللـ ... ـه لم يكبـروا الــــــذى أولاك
ان هـذا الذى تعجب منـــــــه ... عـارفـوك وجاهلـــو معنـــاك
نقطةٌ من بحار ما سوف تعطَـــى ... وتقـــر بنيلـــه عينـــــاك
كيف لا والرسول أعطـاك يوم الـ ... ـقبـــة الأمـر كلـه وحبـــاك
ولقطب الأقطـاب ذى القـدم الرا ... سخ مـاء العيـون حفظ حمـّـاك
لم يزل عنك فى دفـــاع باسمـــا ... ء عظـام تطاطـىء الأفـــــلاك
طالما رمتُ كتْمَ ذا فأبى اللـــ ... ـه سـوى ان أبثـه لعــــلاك
وجميـع أكابـر الحضـــرة اليـو ... م يـودون ان يطـــول مـــداك
أنت حـــرز الأماني للمغرب الأقـ ... ـصـــا وسعـد سعـوده بهـداك
ياسميّ الرسول أحمد انــــــي ... أحمد الله حيث أنت كـــــذاك
هاكهـا واحتفظ بهـا فستـــدري ... بعد ذا انهـا تفـــوق السمـــاك
يـوم لا يسـدل الحجـاب ولا يطـ ... ـوي بساط الدنو من أدنــــاك

وله فى غيره

سبحان ربي تعظيماً وتوحيـــــدا ... علماً يقيناً وما سبحت تقليـــــدا
تبارك الله معطى كل منقبـــــة ... أماجد العصر أقيالا صناديــــدا
فهم بدور المعالى كلما غربـــت ... أنوار بدر وخلت العز مفقـــودا
بدا أخوه فأحيا نور طلعتـــــه ... ميت الكمال وزاد المجد تشييـدا
لله دركم من فتية كرمـــــــوا ... أصلا وفرعاً وأخلاقاً وتوليـــدا
ما زلتم فى عيون الحاسدين قــذا ... وفي حناجرهم سماً وتغديــــدا
ياابن الأمير وصنو الماجدين ومن ... حوى من الفضل مطروفاً ومتلودا
ياأسبق الناس للعلياء أجمعهـــا ... دم للمفاخر محفوظاً ومحمـــودا
من معشر طفلهم لو قاسه أحــد ... بألف شيخ لصار الألف مفـــؤودا

هنئت بالأجرِ إنّ الصوم منهـزم | وجند العيد بالأفراح تجنيـــــدا
كأنه ملك قد جاء من سفـــــر | له لواء غدا بالنصر معقـــــودا
فبث في الناس معروفاً يليق بـه | شكراً وأوسعهم بذلا وتمهيـــدا
وبعد فاعلم أبيت اللعن من رجـل | جلت محاسنه كهلا ومولـــــودا
إن الغلامين لو لا ما أكابـــــده | من الضرورة محجوباً ومقعـــودا
لم يحملا ذل وقاف يسومهمـــا | سوم الاهانة إيقاعاً وتهديـــــدا
فطالما طرداً يوماً وما منحـــا | أجراً وقد خدما ظلماً وتمريـــدا
فما أتقاك ولم يحفظ مقامـــك إذ | لولاك ما قصدا تلك المقاصيـــدا
حكم الرؤوس هو الماضي متى حكموا | ما بال أذنابها أضحت عرابيـــدا
إن البيوت من الأبواب مدخلهـــا | وقد فعلت وكان النقب مســـدودا
ومن يكن بعض أهل المجد ناصره | لابد يصبح بين الناس محسـودا
ما لابن آدم هل في الطين من حسد؟ | أشكو إلى الله أجلافاً مناكيـــــدا
مني عليك سلام الله مجتهـــــدا | واجعل لجاهك حراساً أجاليـــدا
لو كان ثَمَّ أبو العباس سيدنـــا | شمس الوزارة ركن الملك موجودا
لساءه ما أقاسيه وأنصفنـــــــي | من الزمان وأبدى البِرَّ والجـودا
لا أبعد الله ذاك الوجه إن لـــــه | حوض المواهب طول الدهر مورودا

وتلاقى المترجم مع الشيخ داوود الكلكتي بالهند خليفة أبي العباس التجاني وتلميذه للأخذ عنه مباشره المعمر نحو 200 سنة ، وأخذ عنه المترجم الطريقة التجانية تجديداً ثم رجع لتيندوف من بلاد الصحراء واستوطنها وهي مسكن قبيلة تجاكانت ، فأقام بها نحو العشر سنين من أول عام 1299 إلـى عام 1309 ، ثم انتقل إلى مراكش عام 1313 فبقى بها الى أن مات رحمه الله في 20 ذي الحجة عام 1315 ودفن بزاوية شرقاوة داخل قوس بقاعة ابن ناهض ، وقال في إرشاد المغفلين ما نصه : ولقد أحسن رجل الدنيا وواحدها الرحالة الرحلة الشيخ أبو العباس أحمد الكاملي الضرير دفين مراكش حيث قال من جملة رسالة بعثها إلى سيدنا الوالد لما كان أخونا أبو الفيض حالا بمراكش حيث قال :

الله أكبر هذا المجد أجمعـــــــــه | وهكذا الارث والتحقيق والمـــدد
أمنك أم من أبيك الفرد نعجب أم | من ابنك الختم نعم الأهل والولـد
رام الحواسد لا كانوا ولا ظفـروا | إطفاءَ نور جديد خصه الصمـــد
وليس في محنة الاخيار من عجب | أي الأكابر لم يحلـل بـه نكـد

ونص الرسالة بتمامها بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على رسوله الكريم وعلى ءاله الطيبين وأصحابه المنتخبين أخانا فى الله وحبيبنا من أجله مَن أحيى الله به حياة الأرواح المقدسة وعطر أركان الأكوان بمسك فعله وعنبر قوله سيدنا ومولانا الكبير بن سيدنا ومولانا محمد الكتاني السلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته أما بعد فاني أحمد إليك الله جل ثناؤه وتقدست صفاتـه وأسماؤه إذ أنت ذاك ، بين ذاك وذاك ، ومن حيث أخفاك ابداك ، وبما هداك أهداك ، فهناك بما ءاتاك ، وحياك بحقيقة جوهر ما هناك وتولاك :

فللمنـازل نـزال وأنـــــوار | وللرمـوز مقـامـات وأســـرار
وللتفاصيل أوقـات وأطهـــار | وللنفـوس تباشير وانـــــذار
وللنواميس ءاثـار وأخبــــار | وفى الطوالـع اقبـال وادبـــــار
وهالة البدر ءالات وأخبـــــــار | وهامة الشمس انهـار وءابــــار
والطور للدور والادوار أطــــوار | والحزن سهل ووعت اللغز أوعـار

والسلام من أخيكم أحمد بن محمد الكاملي الحسني الادريسي .

ذاك الذى كل لحظ فى مودتكـــم | يرقى معارج لا يحصى لها عـــدد
الله أكبر هذا المجد أجمعـــــه | وهكذا الارث والتحقيـق والمـدد
أمنك أم من أبيك الفرد نعجب أم | من ابنك الختم نعم الأهـل والولد
رام الحواسد لا كانوا ولا ظفـروا | اطفاء نور فريد خصه الصمـــد
فوفق الحـق مولانـــا وسيدنـــا | عبد العزيز فخان الكيد والحسـد
وللوزير ابن موسى فى قضيتــــه | يد أشعتهـا كالشمس تتقـــد
لله در ابن موسى انه رجــــــل | كأنه من نسيـم اللطف منعقـــد
ارخى على الملك ستراً من سياسته | كأنه الدهر لا يقوى له أحــــد

وليس فى محنة الأخيار من عجب أي الأكابر لم يحلل به نكـــد

فى أواخر جمادى الآخرة عام 1314 .

306) أحمد بن محمد ابن الحاج السلمي

أحمد بن العلامة محمد بن حمدون ابن الحاج ، العلامــة المحقــق المشارك المدقق الكثير التحصيل والتحرير ، الواضح التعبير ، المسن البركة الأسعد المؤرخ الضابط الأمجد .

أخذ عن والده وعمه سيدى الطالب وشيخ الجماعة ابن عبد الرحمان وسيدى علي قصارة وسيدى أحمد المرنيسي والولي الصالح سيدى محمد الحراق وغيرهم وممن أخذ عنه مجيزنا سيدى محمد بن قاسم القادري مترجمه فى فهرسته كان رحمه الله فقيهاً عالماً أديباً حافظا محرراً لبيبا ذا مـروءة واستبصار ومعرفة بنوادر التاريخ والأخبار وصناعة فى الانشاء يتصرف فى القول كيف شاء وخلق حسن وسمت مستحسن وله فى أكثر الفنون المشاركة التامة مع الاستحضار العجيب والاطلاع الغريب وألف رحمه الله تآليف عديدة منها حاشية على المكودي على الألفية ، وحاشية على الأزهري على الأجرومية اللتان وقع بهما النفع التام لدى الخاص والعام ، وحاشية على شرح الشيخ التاودي على التحفة لم تكمل ، والتاريخ المسمى بـ (الدر المنتخب الحسن ، في بعض مآثر أمير المومنين مولاي الحسن) ، وتأليف في علم الطب سماه (الدرر الطبية ، المهداة للحضرة الحسنية) ، وتأليف في تفضيل ليلة المولد على ليلة القدر ، وتأليف فى زيارة الأولياء ، وفى الذب عن النسب العلوي وغير ذلك .

ولد رحمه الله سنة خمس وثلاثين ومئتين وألف كما ذكره سيدى الطالب فى رياض الورد وتوفى بعد عصر يوم الاثنين سابع وعشري ذى الحجة الحرام متم سنة ست عشرة وثلاثمئة وألف ، وصلي عليه من الغد بعد صلاة الزوال بضريح مولانا إدريس نفعنا الله به ودفن فى زاوية سيدى أحمد بن علي اليملاحي الوزاني عند الشرفاء الوزانيين بالشرشور بالموضع الذى أحــدث

بداخلها وكتب له ظهير شريف علوي حسني منيف نصه : الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وءاله وصحبه وسلم تسليماً وبداخل الطابع الشريف الحسن بن محمد الله وليه ومولاه وبأركانه ، الله محمد أبو بكر عمر عثمان علي ، وبزواياه : وما توفيقي إلا بالله ، عليه توكلت ، وإليــه أنيب ، وبدائرتــه :

ومَن تكن برسول الله نصرتــــه إن تلقه الأسد في ءاجامهـا تجـم
مَن يعتصم بِك ياخير الورى شرفا فالله حافظه من كـــل منتقـــم

يعلم من كتابنا هذا شرف الله قدره وعظم جاهه وجعل اليمن والعز والاسعاد تجاهه اننا بحول الله وقوته وشامل يمنه ومنته جددنا لماسكيه الاخيار الأجلة الأبرار حفدة الفقيه العلامة الذى كان تحرير كل عويصة له علامـة فأضاء بذلك من غهيب الجهل كل داج ، أبى عبد الله السيد حمدون ابن الحاج على ما بأيديهم من ظهائر أسلافنا الكرام القائمين بحول الله بالذب عن حوزة الاسلام ، قدس الله أرواحهم ونعمَ في الجنات أشباحهم ، وأقررناهم على ما عهد لهم فيها من التسربل ببرود التكريم والاحترام الكافية ، وسدل أردية التوقير والاجلال الوافية والحمل على كاهل المبرة والاكرام والرعي الجميل المستدام رعياً لنسبهم الطاهر الأصيل المتصل بالعباس بن مرداس الصحابي الجليل ولمن كان منهم من العلماء الأعلام أيمة الهدى ومصابيح الظلام وخصصنا منهم شيخنا الفقيه العلامة النزيه الذى سلك بمعلومه الطرق الفجاج أبا عبد الله السيد أحمد بن محمد ابن الحاج ، سلك الله بنا وبه أقوم المحاج، بغاية الاجلال والاعظام وبالبرور والاكرام والمراعاة التى لا يلحقها على ممر الأوقات والدهور بحول الله انصرام والحقنا به أولاده أصلحهم الله فلا جرم يكون لهم غاية التوقير المزيل عنهم لأجله كل وصف حقير مراعاة للعلم الشريف والاستظلال بظله الوريف ومن حام حول حماهم بما ينقص ناله بحو الله من عقوبتنا ما ينغض تجديداً يصل تالد العناية بالطارف ويضاعف لهم أسباب المنى والعوارف فنامر الواقف عليه من العمال ومن وليناه شيئاً من الأعمال أن يعمل بمقتضاه ويعمل حده كلما انتضاه ، صدر بهذا أمرنا الشريف المعتز بالله فى 13 جمادى الأولى عام 1291 أورده المترجم فى كتابه الذى شرح به الكتاب الحسني الذى أجيب

به فى متم رمضان عام 1290 وهذا نصه : الحمد لله وحده صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه الحسن بن محمد الله وليه ومولاه العلامة الفقيه البركة السيد أحمد ابن الحاج ، سددك الله وسلام عليكم ورحمة الله ، وبعد وافى كتابك المتوجه المطوق المشنف المقرطق قد حلى بالحسن وكلل وجلل بالجمال وهلل أطلع النجوم بلا رجوم واسمع وارى بما بهر واظهر الوجوم مهنيا جانبنا العالي بالله بالوفود ذى الفتوح والسعود مشفعاً بالقصيد الفريد الجامع للفوائد والفرائد الدامغ لجيشات القصائد معززاً بالمقامة الحمرية المغنية عن المدامة الخمرية وبالاجازة العالية الغالية المزرية بسك المسك طالباً تعجيل رد الجميع فها الكل يوافيك طبق المقترح والقصيدة وصلت وطاب بها الخاطر وانشرح وسردها المشار به والمقامة تصفحت باستيعاب فالفيت فى غاية التحرير والتحبير والاتقان والجمع ومشتهى النفس ولذة السمع فلله أبوك ولافض فوك هكذا هكذا وإلا فلا لا تقبل الله النية والأعمال وجزيت خيراً جزاء اولى الصفاء والكمال وتوافيك صحبته مئة ريال صلة واعانة وإكرام والسلام . فى متم رمضان الأعظم عام 1299 هـ قال عند شرح قوله وسردها ما نصه انشدها بحضرتنا عند ختمنا صحيح البخاري صباح يوم الجمعة سادس وعشري رمضان عام تسعة وتسعين ومئتين وألف خارج مراكش يوم قدومنا من سوس .

وأنشد فى الكتاب المذكور من قصائده فى المولد الشريف عام 1294 .

نور الهدا قد بدا فى العرب والعجم ... سعد السعود علا فى الحل والحرم
نور السعادة أشرقت مطالعها ... من قبل فتق الثرى ورتق مرتكم
نور به العرش والكرسي قد بهرا ... حسنا وما لاح من لوح ومن قلم
نور السماوات والأرض استضاء به ... نجم وبدر وشمس وهي من ضرم
نور به دارت الأفلاك وابتهجت ... وروضة الكون لم تشمم ولم تشم
بمولد المصطفى أصل الوجود ومن ... لولاه لم تخرج الأكوان من عدم
عروس مملكة بهاء تكرمة ... نسج الجلال طراز للكمال نمي
نوارة القدس ريح الأنس فاتحها ... نور الهداية نور غير منحسم

محيي البرايا جميع الكون سار به ... نسيم بره سير البرء فى سقم
ياقوت تاج الوجود فص خاتمه ... معناه بيت القصيد درة النظم
لولاه لم تك جنة مزخرفة ... ولا سماء ولا أرض وذو نسم
بالله يامنشداً مديحه طرباً ... إني مشوق لما تلقى من الكلم
أقول من شوقنا له ومن شغف ... ياأكرم الرسل من عرب ومن عجم
إن لم تر العين طلعة لحسنكم ... هذى مدائحكم تشفي من السقم
فى ليلة اشهدتنا ذاته وبدت ... فى أفق قلب تزيل سدفة الدجم
بحضرة الملك السامي مكارمه ... وقد أضاءت به الأرجاء في غسم
سبط الرسول وتابع طريقته ... بعدله صار أصل الظلم فى عدم
مصباح هذا الزمان قطب دائرة ... يمين كعبته فاشدد لها إزم
شمس البسيطة شرقها ومغربها ... بدر المعالي وبحر الجود والكرم
فخر السلاطين جامع مآثرهم ... بحر العلوم بفهم غير منحسم
بحسن سيرته الأيام باسمة ... وزانها زينة الثغور بالكلم
كل الملوك إلى علياه خاضعة ... تود تقبيل راحة مع القدم
بالحلم والدين والصلاح نشأته ... اكرم به حسناً شمساً على علم
ليس له فى مجال الحرب من مثل ... جيوشه عضد لكل معتصم
والأسد فى قفص تنقاد خاضعة ... إليك ياسيدى من سائر الأمم
هذا وحقكم سيدنا حسن ... ركن الفخار علا لكل مستلم
وقام للدين عن شكر ومعرفة ... ولم ينل سر فضل الله بالقيم
لله ما فيه من شمائل ورثت ... فى جده الهادي خير الخلق كلهم
نصر وفتح قريب عم وجهته ... بالعز متزر والرعب من أمم
ياأيها الطالع السعيد مرتقياً ... أفق المعالي وماحي الجهل والظلم
سر حيث شئت مسير الشمس في حمل ... لا تخش أسد الوغا فى الحرب والسلم
وقمت فينا بأمر الله ياحسن ... واقبل النصر ساعياً على قدم
بشراك ربك كاف حافظ لكم ... فى السر والجهر فى بدء ومختتم
ابقاك ربك للعباد ناصرهم ... مقيم ليلة مولد على كرم

وله فى المولد الشريف قصائد كثيرة منها قصيدة همزية قالها عام 1295 مطلعها :

معشر المسلمين حق الهنـــاء　　وتوالى الســرور والعليــاء

ومنها أخرى على وزن التى قبلها ورويها قد قالها عام 1297 مطلعها :

بشرى بمولد خير العرب والعجم　　بشرى باحمد طه المفرد العلـم

ومنها قصيدة تائية قالها عام 1298 مطلعها :

هنيئاً لك البشرى بنجم الهداية　　وبالعز والاقبال فى كل لحظة

وقد أورد الجميع فى تأليفه في ليلة المولد الشريف فراجعها فيه .

ورأيت على ظهر كتاب شرح الظهير ما نصه :

كتاب يزدرى بالبـدر حسنـا　　وسمت به زمانك وهو غفـل
مآثـر تعبـق الآفـاق عنهـا　　يشيب بها عدوك وهو طفـل
أبا العباس ياابن الحـاج بشرى　　فأنت الفرض والاغيـار نفـل
بقيت الدهـر فى رغس ودثـر　　بسمك الأوج والأعداء سفـل

ثم أبيات أخر من الطويل :

أهذى نجوم الجو أو جوهر العقد　　وهذا فتيت المسك أو نقرة النقد
وهذى رياض الزهر في فصل آذر　　تفوح بعرف العطر والقسط والند
بلى هذه الزهر الزواهي تنازلت　　ترصع هذا الشرح بالرونـق العد
فلله بحر العلم أحمد من أتـى　　به معجز الآيات ينبى عن المجـد
فاحـج بابن الحاج أحمد من غـدا　　إمام علوم الدين بالحق والجـد
جـزاه إلاه العلميـن بفضلـه　　مـآثـر لا تحصى بعـد ولا حـد

307) أحمد بن محمد بن عبد القادر الكردودي الكلالي

ولد في حدود 1240 أخذ عن والده العلامة، والفقيه سيدي محمد بن عبد الرحمان الحجرتي وطبقتهما كان له ولوع بالتاريخ والأدب والانشاء والطب معتكفاً عليه حتى أنه من كثرة انكبابه على التذكرة قيد عليها حواشي كثيرة وله خط رائق نسخ به عدة كتب ومروءة تامة وجد واقتصاد وسمت حسن ونباهة كان عدلا موثقاً ثم استخدم كاتباً فى الشكايات مع الفقيه الوزير الصفار ، ثم نقل للكتابة مع الحاجب موسى بن أحمد ، وبقي معه مدة ، وفي اثناء خدمته عين فى سفارة القائد المعطي بن عبد الكبير الشاوي التزامزي لفرنسا ، وحمله السلطان مولاي الحسن المراقبة على السفير لأن للسلطان فيه اعتقاد الصدق وبعد اتمام المأمورية رجعوا إلى أوطانهم وعين أيضاً مع النائب الطريس مندوباً لسفارة البابا ليون الثالث عشر بايطاليا ، ووقعت الملاقاة معه في 19 جمادى الثانية عام 1305 الموافق 3 مارس سنة 1888 بقصد تهنئته ببلوغ فقاهته خمسين سنة ، وعقد أسباب المحبة معه ، وعين في سفارة القائد عبد الصادق بن أحمد الريفي لاسبانيا فى 25 شعبان عام 1302 وصنف في هذه الوجهة الثانية رحلة سماها (التحفة السنية، للحضرة الشريفة الحسنية ، بالمملكة الاسپنيولية (1) وقفت عليها بخطه في نحو خمسة كراريس في قالب لطيف ، ووقفت على تقريظ عليها للقاضي سيدي أحمد ابن سودة بخطه على ظهر أول ورقة منها نصه : الحمد لله حق حمده، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى ءاله وأصحابه وأتباعه من بعده وبعد لما وقفت على ما نفثه يراع الأخ الأعز الحبيب الفقيه الكاتب الشريف الأمجد الحسيب أبى العباس سيدى أحمد بن شيخنا وسيدنا وقدوتنا خاتمة المحققين وامام المدققين المعقولى الجامع لأشتات العلوم ومالك أزمة الفهوم الشريف الأمجد الخير البركة الأسعد سيدى محمد الكردودي الحسني فى وجهته لقضاء الغرض المولوي بثغر الأندلس ردها الله دار اسلام بجاه من له الجاه العظيم الأنفس الفيته مجموعاً دل على كمال فضل جامعه وتوقد قريحته وحسن ذكائه ونباهته وكيف لا والدر من معدنه الأكرم ، وقدماً قيل ومن يشابه أبه فما ظلم ، فالله

---

1) طبعت بالمطبعة الملكية بالرباط .

يحفظه ويرعاه برعايته ، ويحوطه بعنايته ، ويديم شرف مجادته ، ويثيبه على حسن طويته ءامين وكتبه عن عجل معترفا بقصوره وتقصيره في عاشر شوال عام سبعة بعد ثلاث عشرة مئة أحمد بن الطالب بن سودة الله وليه ومولاه ، وسافر أيضاً في قضية الشنئان الواقع بين شرفاء وزان الذي أدى إلى ترحيل سيدي عبد الجبار الوزاني من وزان عام 1301 ثم عين رئيس اللجنة المؤلفة لتصفح الديون بطنجة ، ولما جرت المذاكرة مع السلطان في شأن الأمور الخارجية عينه كاتباً بوزارة الخارجية مع الوزير المكلف بها أثر السفارة لايطاليا ، وبعد موت السلطان مولاي الحسن رجع كاتباً في ديوان الصدارة ، ثم توجه لأسفي لتصفح ديون المخزن ، وبعده للحادثة الواقعة بالرباط ، فطمن الأفكار وأزال سوء التفاهم بين المخزن ونائب فرنسا وأزال القاضي السيد محمد بن عبد الرحمان البريبري ، وعين مكانه الفقيه السيد علي دينية ، ومنها إلى وزان للحادث الهائل الواقع مع شرفاء وزان وبني مستارة ، وبعد انتهاء تلك المامورية طلب من المخزن اعفاءه رعياً لكبر سنه فساعده السلطان بواسطة أبي العباس وألزمه بتوجيه أكبر أولاده بدلا عنه وأناله عطايا جزيلة فبقي بفاس نحو ثلاثة أشهر فاخترمته المنية في 15 محرم عام 1318 ، ودفن بضريح سيدي محمد بن الفقيه بفاس في جوار سيدى محمد بن يخلف مؤلف مناقب الولي المذكور .

مستملحة :

وقفت على ورقة بخط المترجم نصها لكاتبه سامحه الله :

أأنام أم ءاوي لكس ناعـــم — فيه لحمق الأير أي عــلاج
غلظت جوانبه ونظف سطحـه — بالنتف فاستدعى إلى الازعـاج
واحمرَّ باطنه لفرط حـلاوة — وحرارة تدني إلى الانضـاج
من ظبية فَتَنت بحسن جمالهـا — مزجت مراشفها بعذب مـزاج
وبكسها ما يُشتهَى لمجامـع — مع ضيق مسلكه عن الايـلاج
ونعومة ملأت أكف ضجيعهـا — وإذا لمست وجدته كالتـاج
ياأيرُ قُمْ وانهض وسارع واغتنم — وقت السلو بغادة مغنـاج
ياأيرُ واصعد على صدر التـي — حسنت محاسن وجهها الوهـاج

ياأير ما هذا التكاسل والـــذى ... تهواه قد أهوى إليك يراجـــى
ياأير ما هذا التأني والتــــي ... تختار ترفل فى حلا الديبـــاج
ما بين محمر وبين معصفـــر ... كالشمس تشرق فى سنا الابراج
هذى المحاسن لا ينام سميرهـــا ... فانهض الى الادخال والاخـــراج
أو ما يسارع للتيقظ نائـــم ... ءاوى لذات حر بليــــل داج
لا روع يلحقه ولا مـا يقتضـــى ... منعاً يصد ولا رقيب يفاجـــى
ياويح من لم ينهضن فعجـــزه ... داء يرى الولدان كـــالأزواج
لا ينهضن الا لقبح سريـــرة ... وفضيحة ثارت بقبح عجـــاج
وملامة ولئامة وسخافـــة ... أخسس بها وبخسة الملتـــاج
دع عنك ذاك ومل لخير حليلـة ... واقض الفوائت وانهجن منهاجـي
إني وحقك لا أزال مثابـــراً ... عن شكرها غسقاً وفـي الادلاج
أغدو ألاعبها وأرشف ريقهـــا ... وأضم ما هو شبه حق العـــاج
وأعض وجنتها وأغمز خصرهـــا ... وأثير شهوة ما لها من حـــاج
حتى إذا أرخت ذيول دلالهـــا ... أتبعت ذاك بفاتــــك ولاج
لا أختشي عتباً ولا أدع التـــى ... تختار من رهز ومن ادمـــاج
حتى إذا ما نلت ما أملتـــه ... وأنلتها ما ترتجي وأراجـــي
قالت لك البشرى بنيكك للـــذى ... أحببته يابغية المحتـــاج
وأجبت مسروراً هنيئاً بالـــذى ... فيه لحمق الأير أيُّ عـــلاج

ووقفت على ورقة أخرى بخطه فيها ما نصه :

قالت وقد لعب الغرام بعطفهـــا ... فى جنح ليل سادل الاحـــلاك
ياليل هل لي في دجاك مسامر ؟ ... أم هل لهذا الكس من نيـــاك ؟
ضربت عليه بكفها وتنهـــدت ... كتنهد الأسِفِ الحزين الباكـــي
يامسلمين أما تقوم أيوركـــم ... هل فيكم أحد يغيث الشاكـــي ؟
فانقض من تحت الغلائل قائمـاً ... أيري وقال لها أتاكِ أتـــاك !
وغدوت أرعزها بمثل ذراعهـــا ... رعز اللطيف يضر بـــالأوراك
حتى إذا ما نمت بعد ثلاثـــة ... قالت هناك النيك قلت هنـــاك

ولأبي نواس :

وناظرة إليّ من النقـــــاب تلاحظني بطرف مستـــــراب
كشفت نقابها فاذا عجـــوز مموهة المفارق بالخضـــاب
فما زالت تحمسني طويـــلا (1) وتأخذ فى أحاديث التصابـــى
تحاول أن يقوم أبو زيـــاد ودون قيامه شيب الغـــراب
أتت بجرابها تكتال فيـــه فقامت (2) وهي فارغة الجـــراب

308) **أحمد بن موسى بن أحمد بن مبارك**، ولد في سنة 1257 قرأ على الفقيه الحاج محمد كنون بالقرويين وغيره، ثـم صار حاجباً لخليفـة فاس مولاي إسماعيل، ثم انتقل بعد ذلك لحجابة السلطان مولاي الحسن بعـد بيعته عام 1290، ثم استوزره السلطان المولى عبد العزيز مكفوله وتعلقت به آمال الدولة وأجرى الأمور على نظام مخدومه السابق وأوقع باعدائه أولاد الجامعي واستنزلهم من وظائفهم وترك دورهم، كان رجلا نبيهاً له حظ من الدهاء ومعرفة السياسة، كثير الصمت، مستبداً بأموره، يشاور فى أمور خاصة تتوقف فيها الأنظار على الأخذ برأي غيره وكان له اعتناء بأمور ديانته، كملازمة الصلوات، والمحافظة على الطهارة، والاقبال على بعض الاذكار، وله اعتقاد تام فى بعض أهل النسبة كالشيخ ماء العينين والسبب الوحيد أن محمد فاضل من مريدي الشيخ الذين كانوا يسكنون هنا في أيام السلطان مولاي الحسن شكا له المترجم ما وجد من مخدومه السلطان مـن الانحراف عنـه بسبب وشاية أعدائه أولاد الجامعي، فوجه هذا المريد للشيخ فرجع له من عنده بأن الأمور سترجع إليه فليطب نفساً، فعما قريب مات السلطان المذكور وتوصل بالأمور وأوقع باعدائه بعد مقاساة أهوال وشدائد منها أنه لما مات السلطان وبايعوا المولى عبد العزيز بالبروج من بلد بني مسكين، أراد الوزير الكبير الحاج المعطي والعلاف السيد محمد الصغير أن يرجعا فى البيعة، ثم طمن خاطرهما فلما وصلوا للرباط أظهروا بعض الغلظة والجفاء له وذلك أنه

1) فى رواية وتغرى بدل طويلا .
2) فى رواية فعادت بدل فقامت .

لما صار الناس يعزون المولى عبد العزيز وهو يبكي استعطفه المترجم وقرب منه فجذب بطرف برنسه الحاج المعطي وقال له : إنا لم ننصر اثنين انما نصرنا السلطان وحده ، فلما انتقلوا لمكناس كانوا يتربصون له الدوائر للفتك به ، فمرة دخل عند السلطان علي عادة الوزراء لدفع المكاتب للتوقيع فأمره السلطان بدفعها للمترجم فامتنع من ذلك وقال له : اعمل معنا العرف الجاري فى أيام والدك ، وقال له : أنا أمرتك بذلك فتركها بازائه وخرج مغضباً ، فلما انفصل عنه أمر قائد مشوره إدريس ابن العلام البخاري بأن يامره بلزوم داره وبعد ذلك أمر بقبضه على يد باشا مكناس الباشا حمّو بن الجيلاني البخاري ، ثم قبض صنوه محمد الصغير ولم تنتطح عليهما عنزان ، ثم قبض على صهرهما السيد العربي الزبدي والسبب فى ذلك أنهما كانا أرادا خلع المولى عبد العزيز وصارا يروجان فى ذلك مع الغير إلى أن أشاع ذلك مولاي الطاهر البلغيثي ومولاي أحمد الصويري وكان ذلك سبباً فى رفعة منزلتهما عنده بعد أن كان الأول من لفيف الحاج المعطي ، وعمل بذلك موجبات وأفتى عليهما بعض علماء فاس ثم بيعت تركاتهم فى عواصم المغرب ، ولما تربص بفاس نحو عامين بعد البيعة وسكن هرج الفتنة الحوزية ورتب قواد قبائل الحوز مثل أحمد بن الحاج محمد العبوبي على السراغنة ، والعربي الزمراني على زمران تحرك لناحية الحوز بعد ترتيب جيش كبيره سيدي محمد الأمراني ، فيهم عمال دكالة وخيم معه باقي عمال الحوز وتلاقى مع الرحامنة وراودهم في الصلح ولم ينتج أمرهم فتحرك الوزير المذكور صحبة مخدومه بعد ترتيب الجيوش وتحرك معه جميع قبائل الغرب بجموع البربر كلهم كبني مطير ، وكروان ، وزمور ، وءايت يوسى . وبجموع العرب كبني حسن ، وقواد الغرب وخيلهم ورجلهم ، ثم خيم بالرحامنة بوادي أم ربيع وفرق على قبيلة الرحامنة نحو سبعة جيوش عقد عليها للشرفاء وكبـراء الجيش منهم : المولى الأميـن ، ومولاي عبد القادر ، ومولاي عبد الملك فأحاطوا بقبيلة الرحامنة وجاسوا خلال ديارها فرضخوا للطاعة وأدوا المراهين ، فوجههم مساجين لمراكش وأعاد العمال الذين نزعتهم العامة إلى ولايتهم كعبد الحميد ووظفوا على الجميـع المغارم الباهظة ووجه على كبيرهم مبارك بن الطاهر بن سليمان الرحماني

بأقرض زاوية سيدي علي بن إبراهيم بتادلة وأتوا به مع ولده الفاطمي وأخيه سليمان وجعلوه فى قفص من حديد،والمساجين دائرة به هو وكاهنه المسمى أمهمر وعلى الجميع الحرس المسمون بالمسخرين مع قائدهم وانطفت جمرة ذلك الفساد وممن فتك به من الرحامنة الفخذ المسمى بأولاد سيدى مخلوف شتتوا جمعهم وانتهكوا حرمهم وسلبوا من العدة والمال ، ثم دخلت المحلة فى منتصف العشر الأخير من رمضان عام 1313 ثم تحرك أيضاً فى أوائل عام 1315 إلى ناحية الشاوية لفرقة يقال لهم الاعشاش ، وكانت لهم شوكة قوية فخيم عليهم ودخلهم بالسياسة إلى أن قبض منهم المراهين وأخر عن القضاء السيد أبا بكر بناني وولى فى محله السيد العربي المنيعي وعن قضاء المنشية العلامة الفقيه السيد العربي الرحماني بعد السيد عبد الواحد ابن المواز المولي بعد الفقيه مولاي المصطفى فيها ، المولي بعد الحاج علي القرمودي ، وولى السيد محمد بن العربي الحاجي فيها بعد أن استقدمه من درعة لوشاية من القائد المدني الجلاوي عامل الصحراء إذ ذاك ، وولى على مصلوحة عاملا السيد عبد الواحد ابن المواز .

وهذه نسخة من الكتاب الذى كتبه المترجم عقب تسكين فتنة الحوز نصه : الحمد لله وحده ، محبنا الأرضى مقدم الضريح الادريسي نفع الله به الحاج عبد السلام الرامي ، أمنك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله وبعد ، فموجبه اعلامكم بأن سيدنا المنصور بالله لما نهض من الرباط فى عز وظفر وانبساط مر بمحلته المنصورة السعيدة فى جيوشه وعساكره الموفورة ذات الاعداد العديدة على قبيلة الشاوية ، فوجدهم بفضل الله على غاية الاستقامة مبتهجين بطلعته السعيدة ومر ببلادهم فى عز كامل وحفظ شامل الى أن خيم بعين كيسر من بلاد أولاد بندواد ، وأقام هنالك مدة فى استنشاق أخبار فساد الرحامنة ورئيسهم النحيس بن النجس ، فلم تكن الا مدة يسيرة حتى سار قوادهم القدماء للحضرة الشريفة ويتلاحق بهم أهل الصلاح الباطني منهم متبرئين من سعيهم في الفساد ، ومصرحين بأنهم كانوا مجبورين عليه من الفاسد الكبير وشيعته ومعلنين بالتوبة والانابة ، وهنالك كانت الأخبار تتوارد بأن المرجفين مازالوا يستحيلون قدوم الجناب الشريف

للحوز وينكرون ذلك ويحسبونه عظيماً وهو عند الله هين وباثر ذلك نهض أعزه الله في جيوشه السعيدة ونزل بمحلته المنصورة على ضفة وادى أم الربيع في زي بديع ومكث هنالك أياماً قلائل ، وأذن للمحلة في العبور وبقي هو دام علاه في الساقة الى أن تكامل العبور وعبر هو بعدهم في جنده الداخلي وخيم على الضفة الأخرى بتراب الرحامنة فغشيهم من الهم ما غشيهم وسقط في أيديهم ولم يسعهم إلا إعطاء يد الانقياد والقدوم للمحلة السعيدة خاضعين متذللين مصحوبين بالصبيان والمشايخ والمتجالات والذبائح والعارات ملتزمين بكل ما يومرون به ويشترط عليهم ولا غرض لهم إلا في الابقاء على أنفسهم ، فوظف عليهم نصره الله أربعمئة ألف ريال وعشرين ألف ريال ، وألفاً من الخيل بسروجها وعدتها ، وألفين من العسكر ، فالتزموا ذلك وشرعوا حينا في الدفع ولم تكن الا مدة يسيرة حتى اكملوا الخيل والعسكر وجل المال ولم يبق منه الا البعض ومازالوا يدفعون ، وفي أثناء هذه الاقامة أمكن الله من الفاسد الغوات (1) الدمناتي الذى كان حامل راية فساد النحيس ابن النجس ، وأتي به فطيف به في المحلة السعيدة على حمار ، وصفد وسجر ، وبعده أتي بسالم الرحماني كاتب الفاسد المذكور فألحق بالغوات في السجر وكانا كالبشيرين بحصول رفيقهما الفاسد الكبير فلم تكن الا مدة يسيرة حتى أمكن الله منه كذلك ، وأتي به للمحلة السعيدة مصفداً ذليلا حقيراً فعاينه سيدنا المنصور بالله وجمع عليه كبراء الجيوش والعساكر السعيدة وأعيان الحضرة وقواد القبائل ، فعاينوه على هذه الحالة المقررة ثم أركب على جمل أعرج وطيف به في المحلة السعيدة عاري الرأس والصفع في قفاه وسخط الله ينزل عليه من كل ناحية حتى كاد أن يموت من العذاب ، ثم صفد من يديه ورجليه وعنقه وسجن في قفص من حديد كالخنزير أو الكلب العقور ومازال أيده الله ينظر في أمره بعد أن جمع القضاة والعلماء على نازلته وحكموا عليه بما حكم به الشرع في المحاربين ، ولم يبق من فضل الله وسعادة مولانا المنصور بالله من يشار إليه بفساد بالحوز أصلا (فقطع دابر القوم الذين

1) الغوات كنجار في الاصطلاح المغربي القديم المستنصر ينادى الناس للثورة بكلمة واغوثاه ! والغوثة الفتنة : مثلها في المعنى مثل العيطة .

ظلموا والحمد لله رب العالمين) ، وحتى رفيقهم دحان الصنهاجي السرغيني الذى كان معهم على الضلال ساقته العناية قبلهم فى خفارة ولد سيدى بنداود تائباً خاضعا متذللا ، فاقتضت المصلحة تأمينه لظهور أدلة صدق توبته وولاه سيدنا نصره الله على اخوانه وهو الآن على غاية من الاستقامة وأعلمناكم بهذا على سبيل الاجمال والتعجيل ريثما ترد المكاتيب الشريفة بتفصيله لما نعلمه من تشوفكم لأخبار ذلك ولتسروا بحقيقة الواقع ولم يبق ان شاء الله الا دخول سيدنا أيده الله لحضرته الشريفة المراكشية رافلا فى حلل العز والسعادة والاقبال بمنة الله الكبير المتعال وهو المسؤول سبحانه أن يحسن فى الباقى كالماضي ويجرى الأحوال على ما يراد ويرضي وعلى المحبة والسلام فى 19 شعبان المبارك عام 1313 ، أحمد بن موسى بن أحمد لطف الله به ، انتهى .

وكاتب الرسالة المذكورة هو الكاتب السيد محمد بن عبد الله ملين الرباطي، ثم لما صفت له الوزارة وجبيت له الأموال الطائلة ، ووقع بالرعية الاجحاف من العمال ، التفت الى البناء فبنيت له قصور هائلة بمراكش وفاس ومكناسة وغرس أكدال بمراكش وأنبع عيناً خاصة به وعمل صهريجاً متسعاً وغرسه بأنواع الأشجار ، وكان الوزير المذكور يعتريه مرض البلغم في رجليه ويده اليمنى ، وفى ءاخر عمره تواتر عليه حتى ثقلت عليه اليد اليمنى وكان يعتريه ذلك فى غالب الأوقات حتى صار يلازم الفراش ، ولما قربت منيته فصده طبيب سفير اسپانيا بين كتفيه قرب عنقه وأعاد الفصد له طبيب سفير فرنسا فوجد خفة فى مزاجه واعتراه النوم ، فلما أريد ايقاظه وجد ميتاً بعد صلاة الصبح فى 17 محرم عام 1318 ، ومما رقم فى رخامة قبره من انشاء الفقيه البليغ سيدى أحمد ابن المواز مؤرخاً وفاته :

قضى ابن موسى وزير الملك أحمد مَن … أبقى مآثره فى ألسُن الزمن
وسط المحرم من عام يؤرخه … فالخير زف له من واهب المنن

ودفن بمزارة المولى علي الشريف ، وحضر السلطان فمن دونه في جنازته وكان توفي قبله أخوه السعيد وزير الحرب فى ليلة سابع وعشري رمضان عام 1317 ، ثم توفي أخوهما الحاجب إدريس فى 26 حجة عامه ، وفى

يوم الاثنين فاتح محرم عام 1318 توفي قائد المشور ادريس بن العلام ، وكان توفي قبلهم فى 1317 أيضاً البشير صنو الثلاثة الأولين وفى مثل هذا قلت :

كم أناس قد رأيناهم علـــــوا ملكوا الأمر ونالوا ما نـــــووا!
ثم لما كملت أيامهـــــــم ضعضعت أركانهم ثم هــــووا

فائدة وتنبيــه

عد السيوطي فى كتابه فى الاجتهاد أن ممن يشترط فيه الاجتهــاد وزير التفويض ونصه ، ومنها وزارة التفويض ، وهي أن يستوزر الامام من يفوض إليه تدبير الأمور برأيه وإمضاءها على اجتهاده ، يشترط في تقليد هذه الوزارة شروط الامامة عدى النسب ، وتسمى الآن بالسلطنة ووزارة التنفيذ لا يشترط فيها الاجتهاد هـ .

309) أحمد المجذوب بن عبد الرحمان العلوي البلغيثي المراكشي ،

كان رحمه الله فى أول أمره يقرأ على الفقيه البركة السيد عبد القادر الدكالي ، ثم أخذه جذب فصار ينطق بالكلام الذى تشمئز منه النفس ويفعل الأمور التى ينكرها الشرع ككتب الأسماء على الحيطان بما ينهى عن كتبها به ، ورأى الناس له كرامات منها أخباره بالمغيبات على وجه الاشارة الذى يظهر صدقها كفلق الصبح والدخول على المواضع وأبوابها مغلقة على ما أخبرني به غير واحد ، وكان يدخل على دار الوزير السيد أحمد من غير إذن ويعطيه الكساوى الفاخرة ويركبه بهائمه ويساعده على كل ما أراد ولاينكر عليه شيئاً من أفعاله ، لقيته مرات وكان دائماً يلهج بلفظة الفرنسيس ، وكان يرد على مجلس شيخنا الفقيه السباعي وهو يتكلم بالكلام الذى يعتاده فيقول له الشيخ : يامولاي أحمد (ان الذين فتنوا المومنين والمومنات) الآية فيذهب إلى حال سبيله، توفي رحمه الله فى تاسع وعشري محرم سنة 1318 ، ودفن بداره ببيت هناك بقعر درب أعرجان وجعل عليه دربوز فالله أعلم بحاله .

فائدة وتنبيه :

قال بلدينا الافرانى الحافظ فى الفصل السادس مـن درر الحجال ومن خطه نقلت ما نصه : قلت وقد كثر قوم يمشون فى الطرقات منكشفى

العورات ومرتكبين لمباحات ومحرمات ويسميهم الناس بالمجاذيب وعادتي انا فيهم أن أعرض عنهم فلا أعرض لهم بانكار ولا بتسليم وقال الامام السخاوى في كتابه (الجواهر والدرر ، فى مناقب ابن حجر) ما نصه : كان ابن حجر ينكر على كثير مـن هؤلاء الذين ينسبـون للجذب وهم منكشفـو العورات متضمخون بالنجاسات ناهبون البضائع بالطرقات ومتلذذون بالشهوات ممن لم يعلم صلاحه قبل هذه الحالات ويقول نص أهل العرفان من علماء هـذا الشان على ان من كان قبل طروء مثل هذا على الكتاب والسنة فهو وارد رباني والا فهو شيطاني ، ومن يقدر ينازع فى هذا نسأل الله التوفيق وقد نقل صاحب كتاب (مجمع البحرين) وهو الشريف الواسطي عن الموفق بن قدامة أنه سئل عن هؤلاء المعتوهين الذين تمر بهم أوقات الصلوات ولا يصلون ، فقال : هؤلاء قوم سلبهم الله ما سلب ووهب لهم ما وهب ، فاسقط عنهم ما وجب لما سلب ، انتهى . والى ما نص عليه أهل العرفان أشار الشيخ زروق فى قواعده حيث قال : لدى قاعدة 157 إذهاب العقل إن كان بخيالات وهمية سقط اعتبار صاحبه ظاهراً وباطناً، وبحقيقة إلاهية اعتبر صاحبه من أنه ظرف لمعنى شريف، ويدل على كل اشاراته بحاله ومقاله كقول بعض المجانين يامناجيس لا يغرنكم ابليس فانه ان دخل النار رجع لداره وانتم يجتمع عليكم العذاب والغربة وقال الشيخ أبو محمد عبد القادر رضي الله عنه : ان لله عبادا عقلاء ومجانين ، والعقلاء خير من المجانين أو كما قال : ولما نظر بعض القضاة لرجل قد أعطى التحول فى الصورة وهو على مزبلة قال فى نفسه : ان الذى يعتقد هذا لخسيس العقل، فناداه فى الحال يافقيه قال نعم ، قال : هل أحطت بعلم الله ؟ قال لا ، قال : انا من علم الله الذى لم تحط به ، انتهى . وهو عجيب فسلم تسلم ، انتهى .

وقد اجتمعت جمعية من العلماء التأمت برياسة حضرة الأستاذ الفاضـل الشيخ حسونه النووي وكيل مشيخة الجامع الأزهر للنظر فى الأمور الماسة للآداب العمومية فى شعبان سنة 1312 فرفعوا تقريراً الى جانب حكومة مصر مذيلا بامضاءاتهم يتضمن التماس أبطال المواد التسع الآتية، وهي بنصها : أولا زفة الفار فانها اشتملت على ما هو من أكبر الكبائر كما هو معلوم للخاص والعام

فلا يحتاج إلى توضيح وبعض الناس يتوهم انها من الدين وليست منه فى شيء بل هي مفسدة عظمى ، ثانياً : ما يوجد فى الاحتفالات فى الموالد وغيرها من خروج النساء فى زي الرجال أو ظهورهن متبرجات عليهن علامات الفجور ومعلنات أنهن من الفواجر ، ثالثاً : رقص النساء المسلمات فى الأماكن العمومية كالشوارع والقهاوي والمغنيات فيها وكل مكان يوجد الناس فيه مع ما في ذلك من الأمور المُخلة بالآداب المحركة للشهوات ، رابعاً : النائحات والنادبات فى المآتم وعمل الزار فى الأضرحة والمنازل ، خامساً : ما يصدر من بعض أهل الطيش من الخطاب للمارة من النساء بذكر محاسنهن ونحو ذلك مما يمس بالاعراض ومن تجارئهم على سب الدين والملة والتجاهر بالفطر فى رمضان ، سادساً : قراءة القرءان الشريف على قوارع الطرق وما يفعله قراء القرءان من تعقب ذلك بالغناء فى المنازل والمحافل ، سابعاً : ما اتخذه بعض أرباب الطرق صنعة من أكل النار والدجاج واللعب بالثعابين على ايهام أن هذا من الكرامات وخوارق العادات والحال أنه ليس منها فى شيء ، ثامناً : التلاعب فى ذكر الله وضرب الطبول ونحوها فى المساجد ودخول الاشاير فيها كما يفعله أرباب الطرق ويظن أن هذا من الدين ، تاسعاً : ما ياتي به مَن يدعى أنه مجذوب مما يخل بالأدب أو ينافى حرمة الدين ويتخذون ذلك وسيلة للتعيش ويزعمون ذلك من الولاية وغير ذلك من كل ما فى ارتكابه انتهاك حرمة الدين والاخلال بالأدب ، انتهى . وعلقت نظارة الداخلية على هذا التقرير ملاحظات تؤيد طلبهم وتسهل العمل به فى رمضان سنة 1312 ، وزفة الفار المراد بها ما يفعل فى مولد الشيخ ابراهيم ، الفار كان من أصحاب الكرامات وله ضريح فى زاوية التشتمرى بجامع أبي بنات بشارع درب الحصر فى القاهرة يعمل له محضر كل أسبوع ويحتفل بمولده كل سنة ويتفق مولده مع مولد السيدة سكينة ، وفى ءاخر يوم من مولده يركب خليفته فى موكب حافل ومعه جماعة من أرباب الأشاير والطرق ويزعم العامة أن من ولد له ولد وأراد أن يعيش فليحضر به سنة فى مولد الفار ويركبه مع الخليفة ، أما ركوب الخليفة أن ياتي الناس بأولادهم وقد ألبسوهم ألبسة مختلفة الألوان وجعلوا

على رؤوسهم الطراطير المنوعة وحملوا لهم الطبول والزمور ، فيركبون على هيأة موكب يتقدمه الخليفة حوله جماعة من النقباء بالمباخر والقماقم وبعض الضابطة لمنع الازدحام ووراءه الأحداث وبعض الشبان بين راكب على حصان أو حمار أو مركبة ، وماش وبعضهم على رأسهطرطور أحمر وءاخر طرطور أصفر أو أزرق ، فيخرجون الموكب من شارع درب الحصر الى شارع الركيبة فشارع الصليبة فالمنشية ، ثم يعودون إلى شارع درب الحصر ويكررون هذه الدورة ثلاث مرات ومدة كل دورة ساعة واحدة فيبدأون نحو الظهيرة وينتهون عند العصر ويرافق هذا المولد ازدحام الناس ولا سيما النساء ، ويقع فيه من القصف والخلاعة ما تأباه النفوس الأبية ، مع أن الاحتفال بموالد الأولياء لا يليق بأن يدنس بالرذائل والفحشاء ذكره بعضهم .

310) **أحمد بن العربي التنغراسي** المراكشي الدار والقرار ، من فخذ بسجلماسة ينتسبون للشرف الادريسي ، منهم قريبه السيد محمد بن أحمد المدعو بالسيد دفين مراكش ، ولد المترجم عام خمسين ومئتين وألف ، ولقي بفاس سيدى أحمد البدوي زويتن ، وأخذ عنه الطريقة الدرقاوية ولازمه مدة. وكان ورد إلى مراكش قبل ذلك ، ثم رجع إليها فقرَّ بها قراره ، وبسببه أخذ السيد الحاج عبد السلام بن عمر الورزازى الورد الدرقاوى قبل أن تبنى الزاوية بأبي العبادة فى حياة والده ، ثم لازم صديقنا الفقيه الأجل المعتنى سيدى الحاج عبد السلام بن عبد الواحد اليعيشي الى وفاته ، وكان يقوم بمؤونته، كان منقطعاً متجرداً عن الدنيا لا يملك منها شيئاً ولم يتزوج قط عارفاً بطريقة التصوف ، وله معرفة بالشعر عارفاً بالتوحيد له ولوع بمطالعة كتب القوم قائما بها عارفا لها مستحضراً لمسائلها ، لم يتعلق قلبه بشيء من أمور الدنيا ولم يتزود منها شيئاً محافظاً على الأوراد ، وغاية نهمته مطالعة كتب القوم وتدبرها يحب الخلوة يقصد الجنات البعيدة كجليز وجنان ابن الحداد والكتبية اجتمعتُ به فيها مرات .

توفي رحمه الله بمراكش في رمضان عام تسعة عشر وثلاثمئة وألف في دار صديقه المذكور وجهزه ودفنه في روضتهم بجوار سيدي محمد المعطى خارج باب الدباغ في مجاورة القبة .

311) **أحمد بن الطيب الشريف العلوي الصوصي** المراكشي الدار والقرار والمدفن المقرىء المجود المعمر .

كان رحمه الله حافظاً لقراءة ورش متقناً لها عارفا بالتجويد يخرج الحروف من مخارجها حسن النغمة بالقرءان ، ولم أر مشبهه في ذلك إلا صاحبنا الفقيه الحافظ السيد المكي الضرير الدرعي المراكشي ، وكان له معرفة ببعض العلوم ، وله خط رائق نسخ به عدة كتب ومجاميع ، وكانت له عناية بكتب مناقب الصالحين ، أخذتُ عنه رحمه الله قراءة ورش ، وكان يودني ويرشدني الى مكارم الأخلاق ، وكان رحمه الله شريفاً ناسكاً تقياً نقياً لا يلهو مع اللاهين ولا يلغو مع اللاغين ، مشتغلا بما يعنيه تاركاً لما لا يعنيه ، حسن السمت جميل الهدي أمَّ ببعض مساجد مراكش كجامع السبتيين وبها كان يسكن ، ورد رحمه الله من بلده سجلماسة إلى مراكش واشتغل فيها بتعليم كتاب الله وعليه اقتصر الى أن تغمده الله في رحمته في العشرة الثانية من هذا القرن الرابع عشر .

312) **احمد بن محمد الرشيدي** أصلا المكناسي داراً ومنشئاً ، ولد بمكناسة الزيتون وبها نشأ وحفظ القرءان على شيخه الأستاذ البركة السقاط، ثم ابتدأ في طلب العلم على الشيخين السيد المفضل ابن عزوز والسيد المفضل السوسي ، ثم رحل الى فاس فى أواسط العشرة الأولى وأخذ عن شيوخها واعتمد منهم سيدى محمد بن التهامى الوازاني ثم سيدي محمد القادرى وسيدى جعفر الكتاني ، وبقي يطلب العلم بها الى عام ثلاثة عشر ، وأخذ عن الشيخ أبى الفيض ولازمه وسلب اليه الارادة ، وكان هو القارىء بين يديه فى شرح الشيخ الطيب ابن كيران على المرشد في القرويين والبخاري والشمائل والهمزية بالزاوية ، وحضر على السيد أبي الاسعاد فى الشمائل بها ، ثم رحل الى بلده وبقي به إلى أواخر العشرة الثانية فاستقدمه

إليها الشيخ مولاي عبد الكبير الكتاني وصاهره على أخته وتزوج المترجم بفاس ثم صار يدرر بها وثابر على تعليم الكتاب الكريم الى أن مات بها عام عشرين وثلاثمئة وألف ، كان رحمه الله فقيهاً نحوياً أدبياً منشئاً للشعر ومنشداً له حلو الصوت رائقه صاحب حال ومذاكرات ونوادر محبوباً عند الكافة ، له تأليف في دليل شق الرؤوس لمن غلب عليه الحال في نحو ثلاثة كراريس ، وله قصائد عديدة نبوية مولدية وأخرى كتانية في مدح الشيخين وقصيدة غزلية مطلعها :

سعد الزمان بأهيف قد زارنـــي بشراي بشرى بابن عبــــد الله

فيها 16 بيتاً وكلها مختومة بابن عبد الله ، ولـه مرثية في شيخـه محمد بن التهامى الوزاني نونية ، وكان في ءاخر أمره يسافر إلى مراكش في كل سنة مع المنشدين في ليلة المولد الشريف بحضرة سلطانها ، وبالجملة فهو ءاخر القوالين بفاس الذين يعلمون مـا يقولون ويحسنون النطق بمـا ينشدون ويتأثرون بما يسمعون ، ودفن بالقباب خارج باب الفتوح من فاس ، وضريحه قرب ضريح سيدى دراس بن اسماعيل فى روضة الكتانيين هناك .

ذكره السيد أبو الاسعاد ، وقـال غيره توفي فى تاسع ذى حجـة عـام 1319 .

313) **أحمد بن عبد الله الحسني الادريسي التناني** من تنانة (إدا وتنان) بسوس المعروف بالصويري لنشأته بها المراكشي داراً وقراراً .

كان رحمه الله عـارفاً بالحساب والتوقيت والتنجيم وعلم الأحكـام الفلكية والتعديل وتسطير الرخامات وعلمها وما يتعلق بها وعلم الهيأة ، وله مشاركة في العربية والحديث والفقه ، قرأ بمراكش بالجامع اليوسفي على علمائها ، وله كناشة فيما سمعه من فوائد أشياخه بها ومؤلفات وتعاليق في فن الحساب والجبر والمقابلة وفي أغريتم ، وحلَّ أشكالا هندسية ونقلها إلى الاعمال الحسابية ، وكان يُفزَعُ إليه في فنون التعاليم كما يرجع إلى الفقيه في الفتاوى الفقهية ، واستعمل كاتباً وخليفة وزير الحرب في العشرة الثامنة

من القرن الثالث عشر ، وكانت له حظوة عند السلطان سيدى محمد بن عبد الرحمان ثم سلك مسلكه في ذلك ولده مولانا الحسن ، وكان رئيس طلبة الحساب والمهندسين في حضرته الشريفة ، وله نفس عالية وهمة كريمة ، وكان صموتاً لايتكلم الا فيما يفيد ، كريماً معطاء يبذل الكساوي والدراهم والبغال وغيرها كريم المائدة ، وكان لا يأكل وحده ، ويفرق الضحايا على المئة من المساكين ، وكان يحضر في مجلس البخاري بحضرته الشريفة ويوجهه على القضايا المهمة ، وأخذ عنه الفاضل سيدى إدريس بن الطائع البلغيثي مشاركه في الأخذ عن عبد الرحمان العلج ، وممن استفاد منه ودنا الموقت الحيسوبي السيد محمد ابن شقرون ، وصاحبنا البارع في التعليم الكاتب السيد الطاهر ابن المحجوب الحَمْري المراكشي صاحب (الدستور ، فى أوقات المعمور) ، كما استفاد منه المترجم ، وله أولاد من أنجبهم ولده مولاي عمر الساكن فى دار والده المذكور بدرب سيدى أبى عمرو القسطلي .

توفي المترجم رحمه الله بضريح سيدي عبد الله غياث ونقل من هناك ودفن بضريح سيدى يوسف بن علي ، وجعلت على رأسه مقبرية من الرخام عليها وفاته فى يوم الجمعة الثالث والعشرين من محرم عام عشرين وثلاثمئة وألف عن نحو أربع وتسعين عاماً ، وكان والده مولاي عبد الله نديم مولاي عبد الرحمان بن هشام لما كان والياً بالصويرة ، وبسببه تعرف بولده المترجم ، فضمه الى ولده سيدي محمد فقرآ معاً على العالم عبد الرحمان العلج ، ولما ولي مولاى عبد الرحمان ملك المغرب قدم والده لمراكش مع ولده عام 1238 ومن هناك استوطن مراكش ، ولما بويع سيدى محمد جعله رئيس المهندسين، ثم بعد وفاته جعله ولده مولاي الحسن رئيس قواد الطبجية وخليفة وزير الحرب ، وأخذ عنه علم الهندسة السيد محمد بن المكي المسفيوى المراكشي المهندس ، والسيد عبد القادر العلج الذى أسلم عام 1295 لقيتُه والسيد محمد بن سعيد الجرجوري من نجباء طلبة الهندسة ، واستعمل باشا بالصويرة والسيد محمد بن أحمد المكناسي أمين الصائر على الطبجية وغيرهم .

314) أحمد بن محمد أبو ضربة المراكشي ، كـان رحمه الله فقيهـاً نزيهاً ناسكاً خيراً ، أخذ عن علماء مراكش والواردين اليها كالعلامة الحـاج المهدي ابن سودة ومدحه بقصيدة فـي بعض ختماته عام اثنين وسبعيـن ومئتين وألف ، ثم تولى الخطابة بجامع الشرفاء بمراكش في أيام سيدى محمد بن عبد الرحمان والوعظ به بعد الصبح ، وكان حسن الصوت جهوريه ، وكان والده وأخوه الكبير السيد محمد خطيبين به قبله .

توفي رحمه الله بعد الزوال من يوم الخميس ثالث عشر صفر عام عشرين وثلاثمئة وألف ، واحتفل بجنازته ودفن بباب أغمات ، وولي بعده خطابة المسجد المذكور ولده الفقيه المشارك محمد اعانه الله .

315) أحمد بن الطالب ابن سودة المرّي

أحمد بن الطالب بن مَحمد بن مَحمد ، فتحاً فيهما ، بن الفقيه العلامة الصالح أحمد دفين وزان ، بن الفقيه الكاتب مَحمد ، فتحاً ، بن الفقيه الكاتب مُحمد ، ضماً ، بن الفقيه الكاتب عبد الرحمان ، بن الفقيه العلامة السيـد حمدون بن الفقيه العلامة عبد الله بن الفقيه علي بن القاسم الحفيد بن محمد بن أبى القاسم بن محمد المكنى بأبى القاسم القادم من غرناطة سنة 754 عـلى فاس بن محمد بن علي ابن سودة المري .

كان رحمه الله حاملا راية العلوم ، متحققاً بالمنطوق منها والمفهوم ، مع دماثة أخلاق ، وكرم أعراق ، ونباهة أصل علامة وقته فتوجهت وجهة الآمال اليه فلاتراه الا منخفضاً فى رفعه ، ومنتصباً لرفع علم جنسه ونفعه ، فرمقته العيون بالاعظام والاكبار ، وتشوفت لطلعته السراة الكبار ، فهو فارس مقدمة الفنون ، المحيط بعنوان تراجمها وأبوابها وبأسرار سرها المصون ، حسن التبليغ لكل طالب وسائل ، وهو القاموس الذى لا يدرك له ساحل ، متبحراً فى المعقـول والمنقول ، متمكـن فى الحديث والتفسير والأصلين والفقـه والعربية ، رأيت بخطه رحمه الله على أوائل نوازل الفقيه الرندي حين ذكر ما قرأه على شيخه العلامة سيدى محمد بن عبد الرحمان الحجرتي ما مضمنه

أنه حضر عند الفقيه ابن عبد الرحمان فى السلكة الرابعة من قراءة المختصر التى افتتحها سنة ثلاث وستين ومئتين وألف إلى الحج ، فذهب للحج وان السلكة الثالثة التى افتتحها سنة احدى وخمسين ومئتين وألف حضر فيها من البيوع الى ءاخر المختصر ، وان الثانية التى افتتحها سنة ثلاث وأربعين حضر فيها من الفرائض ، وان المرة الأخيرة من قراءة التحفة حضرها ، وكذلك المرة الأخيرة من الزقاقية وبعض أبى الحسن هـ .

ولما حج رحمه الله وقفل من حجه وحل بتونس تلاقى بمفتي المالكية الامام الشريف سيدى محمد بن أحمد النيفر وقرأ عليه فأجازه إجازة عامة عام 1268 وقرأ بها أيضاً على الشيخ سالم بوحاجب ، وممن تلاقى به في رحلته فى المدينة المنورة الشيخ سيدى محمد بن علي السنوسي وأجازه اجازة عامة وألبسه الخرقة وأذنه فى اعطاء الأوراد ، وممن أخذ عن المترجم العلامة الشريف سيدى المهدى الوزاني وقد ذكر اجازته فى فهرسته ، وممن أجازه أيضاً أديب فاس عبد السلام الأزموري بما تلقاه عن شيخه سيدى أحمد بن التاودى ابن سودة خاصة .

ولي المترجم أمامة وخطابة مسجد مولانا ادريس الأزهر ، دخل مراكش مرات لقراءة الصحيح بها مع سلاطين وقته ، تولى قضاء أزمور في الخامسة والثمانين ومئتين وألف ، وعين بعد ذلك هو والعلامة عبد الله البكراوي والقاضى عبد السلام بن حمّو الوزاني وقاضى رباط الفتح محمد بن ابراهيم لفصل بعض الدعاوى بين الأهالي والأجانب ، فتوجهوا الى طنجة ، وفى سنة 1292 عين قاضياً بطنجة ، وفى 94 بعدها توفي أخوه أبو عيسى فتولى مكانه قضاء الجماعة بمكناسة الزيتون ومشيخة الحديث بالحضرة السلطانية وبقي عليها إلى أن لقي ربه ، أما أشياخ السماع فقد سمع على العلامة عبد الله المدعو الوليد العراقي وأخيه أبى عيسى صحيح البخاري وصحيح مسلم على أخيه المذكور والشمائل عليه أيضاً وعلى سيدى الطالب ابن الحاج ، والتفسير على العارف محمد الحراق الحسني دفين تطوان وأخيه أبي عيسى والشفا على العباس ابن كيران وفرائض المختصر على العلامة بدر الدين الحمومي ورسالة

ابن أبي زيد ومختصر خليل على شيخ الجماعة سيدى محمد بن عبد الرحمان الحجرتي وجمع الجوامع لابن السبكي والسنوسية على العلامة عبد السلام بوغالب وأخيه أبى عيسى والوليد العراقي ، وعلم البيان على أخيه أبى عيسى وأحمد بناني كلا ، ومحمد بن عبد القادر الكردودى ، وسيبويه زمانه أحمد المرنيسي ، والنحو على محمد الكردودى ، والشيخ أبي بكر بن الطيب ابن كيران ، وأخيه ، والمنطق على أخيه والكردودي ، ولقى فــى رحلته للحــج سنة 1268 فى رفقة أخيه عمر بالاسكندرية الشيخ مصطفى بن محمد الكبابطى الجزائري أصلا الاسكندري وطناً المالكي فأجازه وأسند له صحيح البخاري عن شيخه علي بــن عبد القادر شهر بابــن الأمين عن الشيخ علي بن مكرم الصعيدى الخ وحضر بمصر درس الشيخ ابراهيم الباجورى وسأله من أين أنت فقال من فاس ، فقال له أنت فاسٍ بتنوين السين ! فقال نعم . فقال له إذاً لا تصح صلاتك فقال له كلانا سواء ، وقفت من تآليفه على تأليفه المسمى بـ (تحرير المقال من غير اعتساف ، في الردّ على من يَبسمِل في الفرض تورعاً من الخلاف) ، وتكميله المسمى بـ (تكميل تحرير المقال فى البسملة ، لحسم مادة القيل والقال فى المسألة) وختمته لصحيح البخارى وهي أي الثلاثة مطبوعة بمطبعة فاس ، وجمع أدعية البخارى ، وله تقاييد عليها .

توفي المترجم رحمه الله فى صبيحة يوم الجمعة عاشر رجب الفرد عام 1321 واحد وعشرين وثلاثمئة وألف ،ودفن بعد صلاة العصر والصلاة عليه بالضريح الادريسي بزاوية أبي العباس الشرادي الكائنة بدرب الدروج عدوة فاس الأندلس عن يمين محرابها ، وحضر جنازتهخلق كثير رحمه الله تعالى .

316) أحمد بن عاشر الحداد الخمليشي

أحمد بن عاشر بن محمد الحداد لقبا الخمليشي أصلا ونسباً الرباطى داراً ومنشئاً .

قال الحاج عبد العزيز بيك المصرى مولداً ووطناً ابن مصطفى حافظ بيك بن محمد المنتسبين بالحب والخدمة ووجه من وجوه النسب الى بيت

النبوءة الأشرف الأمجد في رسالته المسماة بـ (مختطفات الشوق من مقتطفات الذوق) ، ملتزم طبعها مع الحزب الأعظم للقارى شارح الشفا سنة 1300 ما نصه: ثم بعد هذا السيد الجليل الظاهر اجتمعت بشيخ ذاكر مذاكر مغربي الجنس والمقام وأدبى الخلق والكلام ، يقال له الشيخ أحمد الحداد بن عاشر صحبته رضي الله عنه أياماً بعد رجعته من الحج والزيارة ، فوجدت فى ظاهر أحواله على عمارة باطنه أكبر اشارة ، ووقع بينى وبينه من المحبة والألفة ما أهلني لأخذ أوراده جميعها من غير كلفة ، وقد كفاني فى فضله ما رأيت له من الأوراد والصلوات الالهامية مع ما هو عليه من الأيمة والعامية كما أني استدللت مما يظهر عليه من الوجد والهيام الذى ينجذب له كل من رءاه من الأنام أن الشيخ رضي الله عنه خارج من حضيض أراضي الطبائع والعادات عارج فى أوج السعداء والسادات هـ .

وقد وقفت على مجموع أحزابه المسمى (مجموع الأحزاب ، وتيقظ أولي الألباب ، ومفتاح الأبواب ، لمن أراد القرب من رب الأرباب) أوله عقد الدرر فى فى الصلاة على النبي المختار ، قال فى دبياحته قد كنت رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في عالم الأرواح فقال لي قل اللهم صلّ على روح الأرواح المطهرة من مخالفة شهود الغير وعلى ءاله وصحبه وسلم فعلمت أنه مفتاح فى أذن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ، فوظفت الصلاة التى هي فى أوائل الكتاب فانتفع بها مَن شاء الله نفعه ، وبعد ذلك بأربع سنين فانيف أذنت من الله من طريق الالهام بتوظيف الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وان لم أكن لذلك أهلا فيد الحق بالتفضل أولى أن تبدل سيآتي حسنات ونقائصى كمالات ، هكذا هكذا الفضل والا فلا فقيل لى اكتب وسمه عقد الدرر فى الصلاة على النبي المختار يستدل بكواكبه السائرون ويلج فى ضياء فجره المستشرقون ، ويتأنس بـه الحائرون ، ويتفنن فى روض معانيه الواصلون ، جعله الله خالصاً لوجهه ، وامتثالا لأمره ، ومحبة فى نبيه ، ونسأل الله من فضله أن يكسو قارئه من حلل جماله وبهائه ، وأن يزيل رتق الحجاب عن قلبه وأن يجذبه الى حضرته بمحض جوده وكرمه ، وأن يجعله أكسير النفوس

والأرواح والقلوب والأسرار بحق أنبيائه ورسله وأوليائه المقربين والأبرار وبحق جبريل وميكائيل وعزرائيل وإسرافيل ، وبحق الروح وحملة العرش وأهل الكرسي وملائكة السموات والأرضين وأملاك الجنان والنيران وبالطائفة التى اخترتها لنفسك وقربتها بك اليك وباسمك الله الحي القيوم الباقي الذى لا يزول وبجميع أسماء الاجابة التى اذا سئلت بها أعطيت احرس قارئه وحامله بعينك التى لاتنام ، واكنفه بكنفك الذى لا يرام ، واجعله فى حرزك الذى لا يضام ، بحق مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى ءاله هـ .

وهو فى نحو ثلاثة كراريس فى القالب الصغير أخرج من مبيضة مؤلفه سنة 1278 وبعده صلاة الأنوار ومفتاح الأسرار أولها اللهم صل على من أشرقت أنواره على أرجاء الملك والملكوت ، فانقادت قلوب المحبين والمحبوبين بأزمة السعادة لحضرته المحمدية لتلقى العلوم اللدنية ولطائف الالهام فبه عرفوه وبه استدلوا عليه من عرفنا لله بالله لا يحجبه توهم شيء معه الخ وهي فى أربعة أوراق ، وبعده حرز النجاة وحزب المناجاة افتتحه بالفاتحة ، وبعدها اللهم صل على فيضة الأنوار الأحدية وبحر العلوم اللدنية وكنز الأسرار الربانية الخ وهو فى ثمانية أوراق ، وبعده حزب الفتح افتتحه بأول سورة الفتح وبعده اللهم افتح لنا باب الفهم عنك وفهم العلم بك المأخوذ عنك فانا لا نفهم عنك إلا بك ، واغفر لنا ما تقدم من ذنوبنا وما تأخر منها بسابق سعادتك الأزلية الخ وهو فى ستة أوراق ، وبعده حزب النور أوله اللهم أزل عن قلبي نقطة غين الأغيار ، وطهرني تطهيراً نصلح به لحمل الأسرار ، ونزهني في أسرار ملكوت السموات والأرضين وارفع عني كل حجاب يحجبنى عن كمال الاعتبار وانشلني الى حضرة قدسك بفضلك واجعل عنايتك بنا كائنة فى سابق علمك وأيدنى بروح من عندك كما أيدت خاصة المقربين اليك الخ وهو فى خمسة أوراق وبعده حزب النصر أوله اللهم ياعظيم بعظمة ذاتك وعز سلطانك وسرك السارى في ملكك وملكوتك وجبروتك هب لنا من مواهب فضلك واجعلنا من خاصة أهل حضرتك الخ وهو فى خمسة أوراق وبعده حزب الحمدلة أوله بعد البسملة الحمد لله رب العالمين حمداً يوافي نعمه الظاهرة والباطنة ، إذ كل نعمة من الله الخ وهو فى سبعة أوراق وبعده صلاة الحافظة أولها اللهم صل على سيدنا

ومولانا محمد وعلى ءال سيدنا ومولانا محمد وبارك على سيدنا ومولانا محمد حبيبك العظيم الماحى لظلمات الكفر ومشيد منار الاسلام الخ وهي في نصف كراس وهي خاتمته .

سكن المترجم رحمه الله مراكش مدة ، وتلاقى بها مع سيدي محمد الفران وغيره ، ولما بقي هناك أربعة أعوام قال متوسلا بالرجال السبعة هذا الزجل :

أهل الحما فحماكم زايك أوزار — واش ما عارْ عليكم سربت الغنادر
اليوث الحضرا ياباهيين الاسرار — بالنبي نتشفع خير الورى الطاهر
أنجوم ضياها وياسحب الامطار — للذى أرض عطشانا بشوم قاهر
أهل البهجا الحمرا سيوفكم بتار — مالْ سيفي ما بين سيوفكم قاصر
سيدى يوسف بن علي غارا لله — يابدر النور يابها ضي انجالي
حاشا من هو كريم ما يكرم من جاه — ظني فالله نلت قصدى وسؤالى
نتشفع للكريم ببواب أهل الله — نعم المولى الكريم يقبل سؤالى

من وفق للدعا يبلغ ءامالى

الروض العابق بنوار طيب لحديث — الشافى لغليل لجميع من يحدث
صاحب الشفا من سرو حكيت كالغيث — من استغاث بحرمو لابد كان غايث
والذى بحماه انادى بر وبحر — باح سر وضحى بين العباد شاهر
غارة الله أبا العباس باش تذكر — بالغارا حرم المولى كن غاير
أهل البهجا الحمرا سيوفكم بتار — مال سيفى ما بين سيوفكم قاصر
عنى ياكوكب الضيا وارفد بالعار — دمع عيان القليب ساحت قطارا
اكثر ضعفى وباح عنى الاضطرار — وسألت الله بالاحباب ولغارا
كالجزولى صاحب صلاة المختار — اخلصها للكريم وبقت تجارا

راسى تحت الاقدام من غير حزارا

الرحمان الخ

أبن أحمد عطفا لله حرم لملاك — واملاك عرش اللي عظيم مالك
القطب الربانى ما يخيب من جاك — من تشفع بمثالك ما يكون هالك
الامام السهيلى ياحجاب الأسوار — اذا يجنى بشار حماكم نتباشر

بالزهو والسلوان يطيب عيش الاعمار   اشموس ضياها فجميع المظاهـر
أهل البهجا الحمرا سيوفكم بتـار   مال سيفى ما بين سيوفكم قاصر
اعمر قلبي طيب فضل فاح شذاه   وجميع الكائنات تنشد بلغاهـــا
بلسان الحال تنشد فضل ما احلاه   اسعد الى كساه محبوب بهـــــا
وانا بالباب قلت عمرى ما نخطـاه   ادبى زيت فيه سلوى ونزاهـــا
العبيد الى زقت شكرت مولاهـــا

من شانكم الجود أباهرين لوجود   سريع ياتى فضل المولى بغير مدا
ما سالت انى من هو فقير مفقـود   اذا سالت العاجز فيّ شفيت العدا
التباع أروح الروح بخير مضـــر   لذت بحماك أكهف الجود كن غاير
الشيخ الكامل عاقنى كثير الاوزار   ولفضل احملنى وانا بقيت داســر
أهل البهجا الحمرا سيوفكم بتـار   مال سيفى ما بين سيوفكم قاصر
نسعى من باب الفضل نعم الستار   نعم المولى الكريم من فضل باصر
باهل المصر السعيد ذاالقرب والابرار   أحيا وأموات والذى غـاب وحـاضر
بنسا ورجال والعبيد وجمع أحـــرار   نتشفـع للمغيث يلطـف بمقـــادر
يفجى غيم العبيد بسط يتواتر

من قصد باب كريم وجاه ما يطـــرد   حاشا الكريم يطرد اللي جاه قاصـد
جوارحـــي وأعضايا عني كيشهـــــد   رفاقتي واضطراري ما احتاجت شاهد
ما برحت على بابك طول ليل ونهـار   شف من حال العبد إلى غريم حاصر
أهل البهجا الحمرا سيوفكم بتــــار   مال سيفى ما بين سيوفكم قـــاصر
حاشا من جا لبابكم يبـات حقيـــر   وسيوف نصرتكم ديما غـــــــــزارا
قاصد سيدى سعيد ياك الخير كثـير   وفضل ربي ما حصت لعبـــــــارا
نسعد بفيض لمداد يسطع شميس غزيـر
يفرح القلـب وتـواتـر البشـــــــــرا

فلحين يغثنى من له اغارا

نختم بصلاة الماحى فجاتْ الكـروب   من هواه سكن فحشايا وحاص لبـــي
وآل بيتك وأصحابك ياطيب القلوب   على الجميع نصلي أيا حبيبْ ربـــــي
ما لقحت البيدا وما لغت الأطيـــار   فى منابر الأدواح عن بعضها تثامــر

وما سقت أرباب المعنى اتبات الأفكار   فى محافل طاب شذاها بخمر عاطر
السلام نهب فعقود فاق درر   فاق در الكونين حسن شهير باهر
أهلّ البهجا الحمرا سيوفكم بتار   مال سيفى ما بين سيوفكم قاصر

توفى المترجم رحمه الله فى 9 ربيع الثاني عام 1326 .

317) **أحمد بن محمد بن موسى السلَوي** من همساوة فخذ من بني حسن ، ولد قرب 1280 أخذ النحو عن الفقيه البركة السيد المكى بن محمد الصبيحي المتوفى سنة 1295 بسلا دفين الزاوية الدرقاوية هناك وعن الفقيه سيدي أحمد الناصري المنطق والفقه والقاضى سيدى عبد الله بن خضراء النحو والتصريف والبيان والفقه والعقائد والفقيه السيد الحاج علي بن محمد فتحاً عواد النحو والفقه وأخذ الطريقة التيجانية عن سيدي العربي ابن السائح ولازمه فى سرد صحيح البخاري كل سنة من أوائل المئة 14 إلى أن مات الشيخ المذكور وخلفه فى قراءته كل عام بضريحه ، وكان يملي ختمات عليه من حفظه ، وله تقاييد حسنة ، كان فقيهاً نبيهاً له مشاركة فى الآداب النحو والبيان والحديث ، وله عارضة قوية فى الحفظ فصيح العبارة ، سكن المترجم مراكش مدة وأقرا بها الصحيح للإمام البخاري بالزاوية التيجانية ، ثم رجع لبلاده ، وتوفي بها فى 21 رمضان أو فى شوال عام 1328 .

318) **أحمد بن عبد الرحمان الكشتيمي السوسي التيوتي** من أكشتيم بتيوت بفتح الهمزة والكاف وسكون الشين وكسر التاء المثناة برأس الواد قرب رودانة بسوس ، من أهل العلم والفضل وأصحاب المدارس بسوس التى تجتمع فيها الطلبة عليهم للقراءة ، وتخرج به عدد كثير من الطلبة هناك ثم قدم مراكش وكان إماماً بالمولى الحسن يلازمه حضراً وسفراً ، وأقام بها مدة يعلمه صنعة الاكسير .

توفي رحمه الله عام ثمانية وعشرين وثلاثمئة وألف عن نحو الثمانين سنة ، وستاتي ترجمة والده مؤلف مناقب الحضيكي .

319) **أحمد بن محمد الزعيمي** الفقيه المحدث الصوفي الأديب البارع الرباطي ، ولد بالرباط فى العشرة الثامنة من المئة الثالثة عشرة ولازم دروس العلم ، أخذ عن سيدى إبراهيم التادلي وبه انتفع فى علم الظاهر وصحب الولي العارف سيدى الحاج محمد بن العربي الدلائي البيضاوي دفين زاويته بها أشهر تلاميذ سيدى محمد الحراق ومدون مناقبه وصحبه مدة وانتفع به فى طريق القوم ، ثم صحب بعده أكبر خلفائه العارف المنور سيدي أحمد بن عاشر الخداد دفين الرباط وصاهره ، وكان يحدث عنه بالعجائب وظهر فضله بالرباط ودرس وخطب به، ثم ورد فاس، واستخدم فى بنيقة المالية عام تسعة عشر ولازم فى تلك المدة الشيخ سيدى عبد الكبير الكتاني وولده السيد أبا الفيض وانقاد اليهما ثم سافر للرباط واستعفى من الخدمة وبعدها توجه الى مراكش ثم ولى قاضياً بالدار البيضاء بعد الاحتلال وما زال بها إلى أن توفي عام ثمانية وعشرين وثلاثمئة وألف كان بشوشاً وقوراً محباً فى الخير وأهله سريع الدمعة خفيف الروح يستحضر أحاديث البخاري كأنه نصب عينه وله فهم فى طريق القوم ميالا للآداب وإنشاد الشعر وإنشائه ، حج وزار أوائل هذه المئة ، وله تقريظ بارع على مجلى أسرار الفرقان ذكره السيد أبو الاسعاد وللمترجم مرثية فى العلامة سيدى جعفر الكتاني المتوفى بفاس فى عشري شعبان عام ثلاثة وعشرين وثلاثمئة لما كان بمراكش مطلعها :

الله حي قديم دائـــم بـــاقـــي ... سبحانـــه من بديـــع الصنع خلاق

إلى ان قال :

كركن فاس وحبرهـا وواحدهـــا ... علامة المغرب الأقصـى باطـــلاق
شيخ المشايخ فى كل الفنون وفى ... حسن الظنون وحسن طيب أخلاق

ثم قـــال :

هو الشريف الهمام جعفر النور من ... له المعارف أعلنت بأشـــــواق

ثم قـــال :

قد كان جعفرنا الاواه ذا ولـــهٍ ... فى حب خالقه جليـــل انفـــاق

وكان منذ نشا لله مجتهـــــــداً ... معمراً بالعلوم خيـر أســــــواق
جلـداً دءوبـاً على حفظ الشريعة لا ... يصده عن حماهـا خـوف امـلاق
وقد كسا من مطارف محبــــــرة ... قوماً وقلد جيدهـم باطـــــــواق
حتى أتاه اليقين وهــو منقطـــع ... لطاعـة الله فى صبـح واشـــراق
سقاه كاس المنون الحتف مترعـة ... هلا رفقت بهذا الشيخ ياساقـي ؟
قد كان بالرفق موصوفاً ومذهبـه ... لجوده خلقـاً وجــوب ارفـــاق

وكتب له عليها المفتي أبو الحسن بن محمد الحسني هذه الأبيات :

الا ياأديب الحبر لم أر ان تجزى ... بما دون اقليد به تفتـــح الكنزا
فهذا حلال السحر فى رقم نسجكم ... يهيج أشجانا ويستطعـم المـزا
وينعش أحزانا ويرسـل عبــرة ... ويهتز ساكن الفؤاد به هـــــزا
نعمْ هكذا فليرثِ راثٍ ونــادب" ... والا فما سلى المصـاب ولا عـــزا
فدم هكذا مبدى العجائب فكركــــم ... ودم فى الورى مثل السماء لها الجوزا
ودم فى العلا أنت الزعيمي لنيلهـــا ... فما الجند من دون الزعيم يرى العزا
وأسأل للمرثي ولي ولكم ومـــــن ... تشهد بالاسلام من ربنا الفـــــوزا

وللمترجم أيضاً مضمن ما انفصل عليه مولانا عبد الكبير الكتاني فى اقتران الهيللة بالرسالة :

بشراك ياذاكراً والـورد كتانـــــــي ... دخلت فى الأمن من جهـل وبهتـــان
وقــد صفا لـك مـــــورد ووارده ... وجاءك الغيث من فتـــح وعـــرفـان
وقد حصلت على مثلى الطريق فكـــن ... لفضلهـا شاكراً محب اخــــــوان
واقرن شهادتيْ التوحيد مبتهجـــاً ... بذاك واذكره فى سـر واعــــلان
فذاك منهج أهل الله مذهب مـــــن ... سادوا الـــورى شرفا بحسن إيمـان

وهو زموري الأصل وأولاد زعيم بدكالة وحدثني سيدى العربـي التهامي الرباطي ان والد المترجم ورد من الدار البيضاء وسكن الرباط وكان يعدل بها .

320) **أحمد بن الحاج العباس الشرايبي** ، المراكشي ، الفقيه العالم المفتى صاحب الدلائل النبوية والمكارم المحمدية فى الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في مجلدين كمل نسخه فى متم رمضان عام أربعة وعشرين وثلاثمئة وألف بمراكش وقرظه فى 29 ربيع الثاني المولي علي بن محمد وسيدى محمد بن مبارك ، وسيدى أحمد الحاحي ، وسيدي محمد الطيب ابن كيران ، ومولاي عبد الملك بن محمد الأيوبي ، وسيدي عبد السلام بن المعطي، والحاج بوبكر الدمناتي وحبسه جامعه على خزانة الكتب بجامع الشرفاء .

توفي رحمه الله قبل الشروق من يوم السبت ثالث حجة عام تسعة وعشرين وثلاثمئة وألف .

321) **أحمد العلمي الفلاحي الشهير بالدمناتي** ، المراكشي ، كان رحمه الله خطيب جامع الكتبيين معمراً واعية لأخبار أهل مراكش ونسابتها ، لقي جدى رحمه الله ولقيته أوائل هذا القرن وكان لم يرني قبل فقال لي : أنت ابن الفقيه ابن إبراهيم فقلت له نعم ، فقال لي إن الله تبارك وتعالى خلقك على صورة جدك الفقيه سيدي محمد وهذا من فراسته التامة ، كان يحبني رحمه الله محبة خاصة ويستعير منا بعض الكتب إذا طلبه الغير فى القراءة عليه وكان يسكن بحومة الجزولي ولا تفارق يده المروحة فى الصيف ويلبس الكتان المصبوغ بالزرقة ، أخذ عن العلامة السيد البهلول وغيره ، وأقرأ الخزرجية والسلم المرونق .

توفي رحمه الله بمراكش عام تسعة وعشرين وثلاثمئة وألف ودفن بالمزارة التى بقرب بيت الجنائز من حومة الجزولي رضى الله عنه .

322) **أحمد بن قاسم جسوس الفاسي** أصلا الرباطي داراً ومدفناً الفقيه العلامة الأديب الناظم الناثر .

أخذ رحمه الله عن عدة من الشيوخ بَيَّنَهُمْ في إجازته العامة لصاحبنا الفقيه النبيه النزيه الأديب الأريب النسيب الحسيب الشريف سيدى محمد

المدني ابن الفقيه النزيه الزكي سيدي محمد الغازي ابن الحسني العلمي ، قال فيها : أما المشايخ الذين أخذنا عنهم وسمعنا منهم فهم كثيرون ترجمنا معظمهم في كناشنا فمنهم الامام الكبير والعارف الشهير سيدي محمد العربي ابن السائح الشرقي أخذنا عنه صحيح الامام الأعظم أبي عبد الله البخاري رضي الله عنه برواية ابن سعادة ، وهو عن سيدى عبد القادر الكوهن ، وأسانيده كثيرة في فهرسته ، ومنهم الامام سيدى أحمد بن أحمد بناني حضرت عليه فى جمع الجوامع ، وفى شفا القاضي عياض ، ومنهم العلامة سيدى الحاج محمد كنون حضرت عليه فى مختصر خليل وغيره ، ومنهم العلامة سيدى الحاج ابراهيم بن محمد التادلي حضرت عليه رحمه الله فى كثير من المتون والعلوم المتداولة وخصوصاً فى صحيح الامام البخاري جميعه وأجازني أيضاً فيه وفى غيره وأسانيده معلومة عن المشارقة والمغاربة ، ومنهم العلامة سيدي الحاج محمد بن عبد الواحد ابن سودة حضرت عليه فى الألفية الخلاصة ، ومنهم العلامة سيدى محمد بن التهامي الوزاني حضرت عليه فى مختصر خليل والتحفة ومختصر السنوسي فى المنطق ، ومنهم العلامة سيدى محمد بن قاسم القادري حضرت عليه فى توحيد المرشد وفى مختصر خليل ، ومنهم العلامة سيدى الحاج الطيب بن أبي بكر ابن كيران حضرت عليه فى خليل والسلم والتصريح ، ومنهم الفقيه الموثق العلامة سيدى عبد السلام بن حمو الوزاني حضرت عليه فى فرائض خليل ، ومنهم الفقيه العلامة القاضي سيدى أبو بكر بن العربي بنانى حضرت عليه فى الخلاصة ومختصر السعد وغيرهم من علماء فاس وبلدنا الرباط وطنجة وتطوان ومراكش ومصر وشنكيط ، كما حصلت الاجازة فى فهرسة الامام الشهير المحدث الكبير سيدنا صالح بن محمد العمري الشهير بالفلاني فأجازني بها حبيبنا العلامة الصوفي سيدى محمد الحاج محمد ابن بابا الشنكيطي العلوي وهو ناظم (منية المريد) بما أجازه به الصوفي العلامة سيدى أحمد بن سيدى محمدى والشيخ المختار ابن بابا بما أجازهما به سيدى محمدي المذكور ، وأجازني بها أيضاً الحاج الأديب سيدى محمد الأمين بن سيدى أحمد المذكور بما أجازه به شيخه الصوفي أحمد بن سيدى محمد الحافظ بما أجازه سيدى محمدى المذكور بما أجازه به العلامة محمد الحافظ بن المختار بن حبيب العلوى الشنكيطى بما أجازه به سيدى صالح المذكور فى شعبان الأبرك عام 1217

اجازة مطلقة عامة حسبما رأيت ذلك بخط الفلاني ، وهو يروى صحيح البخاري عن شيخه محمد ابن سنة قراءة عليه باجازته من المعمر أحمد بن محمد ابن العجل عن مفتى مكة قطب محمد بن أحمد النهروالي عن الحافظ نور الدين أحمد بن عبد الله الطاوسي عن المعمر بابا يوسف الهروي عن محمد ابن شاذبخت الفارسي الفرغاني ، عن أبي لقمان عمار بن مقبل بن شاهان الختلانى، عن محمد بن مطر الفربري ، عن الامام البخاري ، قال بيني وبينه ثمانية ، وتقع لي ثلاثياته باثني عشر ، ويروى غيره من كتب الحديث وجميع عياض وكتب السيوطي كلها بأسانيد مبينة في فهرسة عليها خطه وهى التى أجاز فيها لسيدي محمد الحافظ وقد أجزت بها أيضاً سيدى محمد المدني المذكور حسبما أجازنى مَن ذكر ، ثم أرخها بأواخر ربيع الثاني عام ثلاثين وثلاثمئة وألف .

ومن شعر المترجم على لسان محبنا الوجيه المحترم المعتني الأكرم سيدى محمد بن المدني القباج الفاسى أصلا المراكشي داراً ووطناً :

نحن الكرام إذا ما حل ساحتنا	ضيف أقمنا له الأفراح في الحين
وليس يقنعنا شيء نقدمه	مع الأتاي سوى بين الطواجين (1)
أو الكباب به يجاء فى القضب	منظماً ذا بذا من غير تدخين
دَع المخلل مغدوراً لمن عجزت	أضراسه فهو سلوى كل محزون
أو الفراريج فى عز يجاء بها	مكتوفة الأيدى فى طوس وفى صين
أوسفة سبكت سبك اللجين بها	فرخ الحمام دفينا فى دراصين
أو الشواء نضيجا وهو أطيبها	والحمد لله في كل الأحايين

وخمستها بقولي :

عج بالرياض تنل منا كرامتنا	نحسن اليك بما يسنى مقامتنا
ولانقصر فليس ذاك عادتنا	نحن الكرام اذا ما حل ساحتنا

ضيف أقمنا له الأفراح في الحين

محلنا لقرى الأضياف نسلمه	بقهوة وحليب طاب قَيِّمُه

1) لعله يقصد اللون المسمى فى فاس بين نارين .

قرن الغزال له شكل نقومـــــه وليس يقنعنا شيء نقدمـــــه
مع الأتاي سوى بين الطواجيـــن

مثل السفنج ملوناً كما ذهـــبِ معمراً بالخليع لذّ للشمنـــب
أو الأرز بسمنه مع الحلــــب أو الكباب به يجاء في القضـــب
منظماً ذا بذا من غير تدخيـــن

فانه سيد اللحوم جاء ثبـــت عن الجماعة تفضيلا له نسبـــت
أفعاله حسنت بين اللحوم زكـت دع المخلل مغدوراً لمن عجـــزت
أضراسُه فهو سلوى كل محـزون

قد عرفوه بسكباج له انتبهـــا له منافع يدريها الذى انتبهـــا
فامضغه فى مهل كيما تفوز بهـــا أو الفراريـــج فى عز يجـــاء بهـــا
مكتوفة الأيدى فى طوس وفى صين

فانها أعدل الطيور جـاء بهـــا داوود فى كتبـه نصـاً كفاك بهـا
فانه الفذ فى التحقيـق قد نبهـا أوسفة سبكت سبك اللجيـن بها
فرخ الحمام دفيناً فى دراصينى

مثل الكساكس تسمين بها اتجها تولد الدم جيداً عليـك بهـــا
أما دفائنهـا فالفضل حـق لهـــا أو الشواء نضيجـاً وهو أطيبهـا
والحمد لله فى كل الأحايين

نظمت هذا التخميس بعد 1320 .

سكن المترجم رحمه الله مراكش مدة ، ومن شعره رحمه الله وقد وقفت منه على كراسة بخطه الرائق ·

لطيبة فاركب ناقة الشوق أو طرفا وغض عن الأحباب كلهم الطرفـــا
وخل الهوى واربأ بنفسك جاهداً فما بالونى نال الألى سبقوا الالفا
أما تدعى الشوق المبرح بالحشا وأن قد سيقت الحب فى حانه صرفا
وشب بأنحاء الضلوع لهيبـــــه وليته لا يخبو وليته لا يطفـــا
فسر يارعاك الله فى ذمـم الهـوى وودعْ مهاةَ الحيِّ والشادن الخشفا

وكن قمراً يفرى الدجـا بمسيـره | فتحمد عند الصبح ذاك السرى ألفا
وان جئت سلعاً والعقيق ورامـة | هناك فعرس فالسرور بها التفـا
هنالك تبدو طيبـة بسنائهـا | معطرة الأرجاء تندى لهـا عرفـا
كساها البها والحسن وشياً مطرزا | فلله ما أسنى ولله ما أضفـا
تعالت على الشعرى ومن دونها السها | وصارت ثريا الأفـق فى أذنهـا شنفا
وبذت بقاع الأرض طراً وبـرزت | وحيدة فخر فهي شامخة أنفـا
أليست مثار النور والسر والعـلا | وملجأ كل الخلق والحرز والكهفا
أليست ديار اليمن والأمن والمنى | ومنبع إيمان ومنهلـه الأصفـا
أليس بها من جنة الخلد روضـة | وذاك حقيقي لا مجـاز به يلفـى
أليس بها الدين الحنيفي أشرقت | شموسه حتى قد أمنا لها كسفـا
أليس لها تحدو المطيَّ رجالُهـا | فتقذفهم أيدي النواء بهـا قذفـا
أليس لها الأملاك تاتى صغيـرة | تُعفر في تربانها الخد والأنفـا
أليس بها خير الخلائـق أحمـد | ثوى يقظاً من غير نـوم ولا إغفـا
يرد سلام القوم من كل مسلـم | ويوسعهـم نعمى ويوسعهم لطفـا
ويشفع عند الله دوماً له وقـد | أنيل المنى منا من الله أو عرفـا
ألا يارسول الله ياابن أيمـة | غطارفة يكفـون مَن بهم استكفى
فأنت كريم من كرام جحاجـح | ولاكنك البحر الخضم الذى شفـا
لك الكوثر الفياض فضلا منحتـه | يحاكى نداك الغمر ترسلـه وكفا
لك الموكب الأبهى وجبريل خادم | وجند السما شوقاً لطلعتك اصطفا
بك الله أسرى واجتباك لحضـرة | بها السر مجلو لديـك فما يخفى
رقيت مقاماً ما سواك له ارتقـى | ونلت الدنو التم والقرب والأصفا
وأسمعك الله الكريم كلامه الـ | ـقديم ولا صوتاً لديه ولا حرفـا
وقوى فؤاداً منك حتى شهدتـه | عياناً ولكن لا مثال ولا كيفـا
وهذه إحـدى ما سبقت بهـا الـورى | وكم لك من حسنى وكم لك من زلفى
فأنت لهذا الخلـق إنسان عينـه | فلولاك لم تبصر ولا قلبت طرفـا
وأنت الذي قد جئتنا بمعـارف | أنارت لدينا العقل واجتثت السخفا
وأنت الذى توجتنـا بمفـاخـر | وحليتنـا عقد السعـادة والوقفـا

ثم قـال :

ألا يارسول الله دعوة مشفـق أسير ذنوب ألهبتْ قلبه خوفـا
ألا يارسول الله دعوة شيـق يرجيك تدنيه وتمنحـه عطفـا

وله من طائية :

فياقاصداً دار الحبيب وربعـه لك الله لا تخشى اغتراباً ولا شحطا
فان ما دنا وادي العقيق ورامـة وفاح كباء يفضح المسك والقسطا
وشمت بروق النور تلمع من قبـا ولاحت قباب دونها زحل انحطـا
وصرت تجاه المصطفى بسكينـة تنظم عقداً من دموعـك أو سمطا
هنالك فاذكرني وأنهِ تحيتـي وعفرْ مصون الحد في الترب منحطا
وقل يارسول الله ياخير هاشـم وخير الورى طراً وأشرفهم رهطـا
وأفضل خلق الله والسيد الـذي له كلُّ هذا الكونِ بايع أو طائطـا

وله من قافية :

وسر قاصداً باب السلام مهنئـاً بملك كبير شامخ لـك شاهـق
إلى القبة الخضراء والبقعـة التـي حوت أسَّ هذا الكون خير الخلائق
تسامت على كل البقاع وعرشهـا لما جمعت مجلى العلا والحقائـق

وقـال :

شلق المحب وهاجه محبوبـه فالدمع يجرى للنـوى مصبوبـه
والجسم ينحل بالضنا ويذيبـه من حر أنفاس الغـرام مذيبـه
يا هل ترى يدنو اللقـاء فيشتفي صب معنًّى بالهوى مغلوبـه

إلى أن قـال :

أوَليته يخطـو بربعي زائـرا فأنـال ملكـاً خالداً موهوبـه
وأمرغ الوجنـات فى خطواتـه تمريـغ ذي ولَهٍ بدا محبـوبـه
وأقول يانفسي لك البشرى فقـد ظفرت يمينك والهنا لك طيبـه
مني السلامُ عليك ما هبَّ الصبا فاهتزَّ من غصن الرياض رطيبـه

وله من أخرى :

رحماك ربي بالفقيـر فانـــــه قد جاء بابك بائساً مغمومـــا
يرجو غناك مع الرضى والفوز في الـ ـعقبى ويجأر ضارعاً وعديمـا
وامحُ السوى من قلبه حتى يرى عبداً تخلص واستحال حكيمـا

وقال في عام 1303 :

أكسيت عزاً مذهـب الديبـــاج ومنحت فضلا ما تشا من حـاج
ولقد عهدتك في الشبيبة قاعـداً متكاسلا عن أقـوم المنهـــاج
رهن البطالة والصبابـة لاهيـا تسبيك ذات العقـد والديبـاج
إن أسفرت فالشمس طالعـة وإن بسمت فشمْ برقـاً بدا من عـاج
وإذا تهادت في حلاها وازدهــت تركت قليبك في الهوى الوهـاج
وإذا بسهْم جفونها قد أقصدتــ ـك فلا أراك من الفنـاء بنـاج
فمن الذي نحاك عن سبـل الهوى وحباك من نـور الهـدى بسـراج
فأنـار قلبك واصطفـاك لحـضرة فيحاء ذات مرابـــع وفجــاج
من غير ما جوع ولا عـــطش ولا سيــــر تسيــر إليـه بالادلاج
بل بالمواهب والتفضـل والرجـا رواك كاساً لم تُشَنْ بمــزاج

وقال في مطلع قصيدة :

خليلي هذا الشوق عـز انحصاره وأربت على كل الطوال قصـــاره
ألم تر يادمعي إذا هبت الصبـــا تسيـل بأخدود الخدود غـــزاره
وان كفكفت أيدي الترحم ودقـــه دها القلب داءٍ لا يُطـــاق أواره
لك الله من قلب يقلبه الهـــوى على الجمر لا تخبو مدى الدهر ناره

وقال في مطلع أخرى :

هذى المعاهد فاسقهـا بعيـــون فشئون جفني بالنوى كعيـــون
كم وقفة لي في حماها مشفقــــاً من أسر خُرَّدِها الظباءِ العِيـن
أهفو وأهتف والهيام معنفـــــي والشوق يقلق والهـوى يضنيني
ياعاذلي في حبهم قَدْكَ اتَّئِــدْ فالحب عقدي والصبابة دينــــي

وقف المطيَّ هنيئة يرقا لهـا دمعي وتهـدأ لوعتـي وأنينـي
واسأل عريب البان عن قومي وعن جيران رامةَ والصحاب الجـون
أتراهم حلـوا عذيبـاً والنقـا أم يمموا سحـراً حمى جيـرون
أوْ يمَّموا صبّاً تولّه قلبُـه من حبهم فغـدا كمـا المجنـون
خدي لوطء نعـالهـم مبذولـة ان يفعلوا قرتْ بذاك عيونـي

وله من مطلع أخرى :

أبدينْ من تحت البراقـع يوحـا فملكن شوقا عقلنـا والروحـا
ورمين من قوس الحواجب أسهما غادرن كل غضنفر مطـروحـا
ومشين في جنح الظلام تستـراً فوشى بهن المسكُ يفضح ريحـا
متلفعات بالشباب يدرن مـن خمر التصابي جامـه المصبوحـا
ويملن تيها عن قـدود ميـد غصن الرياض غدا بها مفضوحـا
لهفى على ذاك الجمـال فانـه مذ لاح خلّى في الحشا تبريحـا
ويحى على شرخ الشباب أضعتـه ان لم أفز يوما به ممنوحـا

وله من أخرى في رسالة :

وافت وحيتْ فأحيت ميت الفكـر حوراء تسبى النهى بالغنج والحور
حسناء كالشمس في رأد الضحى طلعت هيفاء ترفـل في الديبـاج والحبـر
سرت لتخفى السرى ليـلا فنم بهـا فواح مسك شذاهـا الطيب العطـر
منت بوصل وما كـادت لعزتهـا والحسن ذو عزة معلومـة الخبـر

وله ختمة الشمائل وقفت عليها في نحو كراسة سماها (زهـر الخمائل ، من دوح ختم الشمائل) .

توفي رحمه الله عام 1332 .

323) **أحمد بن أبي بكر الناصري** ، كان فقيهاً بركة ذا سمت حسن وهدى مستحسن على أثر أسلافه في ملازمة الأوراد وسرد الحديث سكـن مراكش أعواماً عدة إلى ان تُوفي ابنُ أخيه السيد الحنفي بن محمد بن أبي بكر

فولاه المولى عبد الحفيظ أمر زواياهم ، ثم سافر لتمكروت وبقي بها قائماً بطريقة أسلافه إلى أن اغتيل عام 1337 فتولى الزاوية بعده ولده السيد عبد السلام المتولد سنة 1302 والله تعالى يصلح الأحوال بمنه .

324) **أحمد الهبة بن الشيخ ماء العينين** ، ولد في رمضان المعظم عام 1293 ونشأ في حجر والده وصحبه حضراً وسفراً وأخذ عنه ودخل مراكش وفاس ولقي أعيانهم ونظم الشعر ونثر ، فلما توفي والده المذكور بتيزنيت في 24 شوال عام 1328 قام مقامه في تربية المريدين وجمع عليه تلامذة والده وصار يبث في القبائل ما يوجب محبته من ذكر النصائح والتظاهر بالديانة والدعاية إلى نصرة الاسلام والقيام لمنافحة من رام الاستيلاء عليه بدعاية الاصلاح وكان في هذا كله يسر حسواً في ارتغاء مترقبا وثوبه على الملك ، وركوبه الشدائد في ذلك ولو أدت إلى الهلك ، ودام ذلك نحو ثلاث سنين وقد كان يكاتب سلطان المغرب سابقاً (1) ويزعم انه عضد له بسوس، ومن جملة مكاتيبه له التي وقفت عليها حين كنت بفاس في ربيع عام 1330 ما نص المقصود منه:سيدنا أمير المومنين، وناصر الملة والدين، غيثنا وغوثنا، مولاي عبد الحفيظ، بعد السلام التام فان الشيخ أحمد بن الشمس يكتب لنا بنشر محاسنك ونحن ننشرها للقبائل هنا وقد خلفته عنا بفاس كما كان والدنا يفعل معه ، وإنني أنصح القبائل السوسية في عدم بيعهم الأملاك للأجانب التي تسارعوا إلى بيعها واذكر لهم ان متابعتك فيها لهم الخير كله وان الأولى لهم هو اتباع سياستك والتمشي على مقتضى اشارتك وقد رجع جلهم عن ذلك فوقع عليها بقلمه تواقيع ثلاثة الأول على فصل نشر المحاسن جزاه الله خيراً والثاني على استخلاف المذكور الشيخ أحمد بن الشمس توجه للمشرق والثالث على نصح القبائل ورجوع جلهم ، الله أسأل أن يسلك بالجميع مسلك الصواب ، ومن هذا وشبهه يتبين لك ان الرجل كان على وشك التوثب على الدعاية فانه بقرب التاريخ المذكور دعا لنفسه باسم الامام المجاهد لما أشيع ان السلطان المذكور مات حين وقوع المذبحة الهائلة بفاس في ثامن وعشري ربيع الثاني من العام المذكور ولنقسم الكلام على ما يتعلق بثورته الى أربعة فصول (2) .

1) مولاي عبد الحفيظ بن مولاي الحسن الأول .

2) يظهر قلق في الأسطر الأخيرة ربما حذف منها شيء أو سقط في الأصل .

الفصل الأول

في دعايته لنفسه بسوس الأقصى ، وكيفية خداعه لقلوب العامة الجهلة واستهوائهم لمساعدته على ما رامه وامله

لما ان وقعت المذبحة الهائلة بفاس فى أواخر ربيع الثاني من عام 1330 وأشاع المرجفون ان السلطان توفى وتناقلته الأخبار ، عمد أحمد الهبة إلى دعوة أهل سوس لبيعته باسم الامام المجاهد ، وقال : إن مولاي عبد الحفيظ مات وان العلماء بفاس قتلهم الفرنسيس واستولى على فاس وفرق أتباعه بين فرق أهل سوس المجتمعين لديه وأمرهم أن يبايعوه ان قال لهم انظروا لأنفسكم من تبايعونه للقيام بالذب عن الاسلام ، فقام كل مريد وقال له امدد يمينك أبايعك عن ذلك وتبعهم من معهم وتم له ما قصد وصار يبين لهم ان نصرة الاسلام واجبة وان التخلف عن ذلك يوجب البوار وسوء المصير فى دار القرار وأطلق مناديه فى أسواق سوس بتبليغ ذلك ، وأمر الناس بعدم اعطاء شيء من الكلف لنعمال وان الذى يوخذ هو الزكاة والاعشار دون ما عداها مما حرم فى الشريعة المحمدية وانه لا غرض له الا في نصرة الاسلام والذب عن حوزته ، فاستمال بذلك قلوب العامة وفروا عن العمال لظلمهم وعيثهم فى البلاد والتفت عليه الجموع وصار يعدهم بانكسار العدو أمامهم في أول وهلة دون احتياج إلى كبير تعب ومشقة ، وان مدافعه لا تخرج الا ماء ولا يصلهم منها شيء وان العفاريت تخدمه وتنصره وترد عنه كيد الخائنين وان الناس يتبعون جنابه دون حرب ولا ممانعة ، وان من خالفه يقع له ما يحمله على متابعته واختلق لهم أصحابه كثيراً من الكرامات وصار يشيع ذلك فى القبائل وتتوارد عليه الوفود إلى أن تمت الحيلة على قواد سوس حيث تعصبت عليهم العامة وتخلوا عن متابعتهم فخافوا على الفتك بهم ان تخلوا عنه ، فتساقطوا على حضرته زرافات ووحداناً وبايعوه على متابعته فى المنشط والمكره ، واعانته بالمال والرجال وافسد النظام وسلط العامة على العمال فكان أول من انخدع لتلك الترهات قبائل السوس البربرية وهم بسطاء العقول لا يميزون بين الماء والبقول ، وفي ذلك الوقت كانت قبائل

الحوز مضطربة خصوصا ما بين كبار ولاتها ، فصار كل واحد منهم يود لغيره ما يود له من الفتك فتطايرت مكاتبهم إليه ، وكل يود السابقة كي ينال مراده في عدوه فتقوى بذلك جأشه واطمأنت نفسه وأيقن أن مراكش في قبضة يده حصلت ، فصار يولي ويعزل على ما هو أبعد من الثريا ، وعين الولاة على الجزائر وتونس ، وتشوف لباريز ، فرحل بجموعه من تيزنيت ، وكل قبيلة قصدها تجمع هديتها وحركتها وتلتف حواليه الى أن بايعه قطر سوس كله حاضرته وباديته ووجه خليفته للاستيلاء على رودانة ، وكان عاملها أحمد بن علي الكابة عزم على مخالفته فرأى أن لا طاقة له بمقابلته فاسلم البلد إليه بعد أن وعده بأماني كاذبة لم يصح منها شيء ، وصار يكاتب القبائل ويبث رسله فيهم لدعوته ، وشاعت أخباره، وتناقلت الوفود كراماته المختلقة، وحصل الهناء في سوس ورخصت أسعاره ، وكان من عجيب الاتفاق أن بلادهم أخصبت في هذا العام بعد أن كانت قبله مجدبة فتيمن الناس بطلعته وعدوا ذلك من بركته، وحدثوا عن القبائل المخالفة له أولا أنه وقع لها بعض الآيات الموسوية كالضفادع والقمل وغيرهما مما لا حقيقة لشيء منه، فان مَن ادعى ما ليس فيه كذبته شواهد الامتحان اذ ظهر بعد أن جميع ما يعدهم ويمنيهم ليس منه في رأس ولا ذنب ولم يقع منه شيء البتة .

الفصل الثاني

في قدومه لحضرة مراكش ومبايعة أهلها له لسلطته مع قدوم القبائل المجاورة لها لنصرته

لما ان تناقلت الوفود أخبار قيام الثائر المذكور بسوس ومبايعة أهله والتفاف رجاله حواليه لنصرته وشاع أن له كرامات تفوق الحصر، وحصل له بذلك ناموس في قلوب العامة الاغمار وخاف الولاة من غائلته وتأخيرهم عن ولايتهم ان قدم مراكش حيث بلغهم أنه قاصد اليها ، كاتبوه على أنهم يقومون بنصرته وكانت لهم في ذلك أغراض حملتهم على ذلك ، منها بقاؤهم مستبدين بفوائد جباية ولايتهم والأمن على أنفسهم من العزل ، وكانت الطريق من سوس الى

مراكش منحصرة فى ثلاثة : الأولى طريق أكدير ، والثانية طريق أمسكروط ، والثالثة طريق كندافة، فكتب له الزعيم بالورود على طريق أكدير وكان غرضه فى ذلك أن لايمر على إيالته فيفسدها عليه ، وان يمر على أكدير ليناوشه العسكر الفرنسوي هناك ويستريح من غائلته وان جاز من دون مقاتلة هناك يمر على أعدائه عمال حاحة ، فكتب له قواد حاحة بعكس ذلك وأشاروا عليه بقصد أمسكروط والجواز عليه ، وكان قصدهم فى ذلك ما قصده بهم الزعيم مبينين له أنهم فى طاقته وانه ان لم يستول له على قبائله المولى عليها ربما يخونه على عادته ، فتبع رأيهم واحتل أمسكروط . فحين بلغ الزعيم ذلك سقط فى يده ووجه أخاه لملاقاته ومحاربته ان كانت له قدرة على ذلك ، فلما وصله وكان أثر فيه ما وشى به الواشون في جانبه وقدم عليه فى مخيمه لما لم تكن له طاقة على محاربته أمر الثائر المذكور اتباعه برميهم بالحجارة ففعلوا ونزع منهم نحو أربعين فرساً ، فاصلح ذات بينهم بعض أتباعه ، وتشفع فيه فكف عنهم وأرجع لهم خيلهم ، وكان الثائر المذكور مهما وصل محلا فيه مكس أحرقه وأمر المنادى ينادى باسقاطه ، وبان لا فريضة على العامة توخذ منهم الا ما أوجبه الله تعالى عليهم حسبما تقدم وان نتيجة ذلك محبة العامة له وفرارهم عن الولاة الظالمين لهم ، وكانت جموعه منقسمة الى قسمين : الأول جعله طليعة مع أخيه المسمى مربيه ربه ، وهو خليفته ووزيره لم ير أحد مثله فى طلاقة اللسان والخلابة والليونة مشرقا ومغربا ، والقسم الثاني معه وسمي الجيوش الواردة معه من سوس المهاجرين وبعض القبائل من غيرهم ممن تظاهر بنصرته الانصار ، وكانت المسافة بين الجهتين قريبة مهما احتل أحدهما منزلة نهض الآخر الى التى كان فيها قبلها بعد أن يتركها له الأول سامعة مطيعة تفد عليهم بالهدايا والرجال وجدوا فى السير الى أن وصل الأول ضواحي مراكش ، فاتفق زعماء كلاوة ومتوكة وعامل مراكش والقنصل الفرنسوي على أن يخيموا بخيلهم ورجلهم بباب الرب أحد أبواب مراكش لمحاربته ، فضربوا الأبنية فى المحل المذكور عشية يوم الأربعاء متم شعبان فأقاموا هناك تلك الليلة ، ففى الصباح توجه العسكر الذى معهم بعدته ولحق بالمعسكر الشنكيطى الذى مع الخليفة فلما رأى رؤوس الجمع ما حل بهم

اتفق رأيهم على الاقلاع والدخول للمدينة ، فلما دخلوا قامت غوغاء الرعاع وأوباش الناس وهاجوا في المدينة وماجوا ، وطفق العسكر الذى في قشلة جامع الفنا النظامي يخرج بعدته فقصدوا فنادق الأجانب ونهبوا ما فيها وضاعت في ذلك أموال ودماء ونفق سوق الهرج ، وكانت المدينة فى خطر وهدمت قشلة العسكر وبعض بناء الأجانب ودام ذلك نحو ثلاثة أيام ، وكذلك نهب بعض محلات أصحاب الحماية ، وكان الأمر في ذلك فظيعاً مدهشاً ، حتى أن الأمْن تعذر فى داخل البلد أكثر من خارجها ، وفى تاريخ رجوع المخيمين المذكورين خرج القونصو الفرنسوي المسيو مكريه من مراكش فى ذلك اليوم مع خليفته مسيو مونج، والكمندان مرلت هنين، والليوتنان هرنك، والحرابة(1) الفرنسيس، وخرجت معهم نحو الثلاثين من الخيل من باب دكالة ليذهبوا على طريق آسفي فبعد ان جاوز جبل جليز خارج مراكش تعرضت لهم الخيل فأفلتوا طلقاً على افراسهم ورجعوا الى المدينة ناجين بأنفسهم فقط دون ما معهم ، وقد كان كاتب القونصو السيد عبد السلام القباج سقط من بغلته فنجاه الله تعالى بمعرفته لبعض المتعرضين وحماه من القتل ورجع أيضاً لمراكش بعد حين ، ثم نودي فى المدينة بنصر الثائر المذكور وكان يصحب المنادى عدة من الخيل التى فى البلد ، ثم وصلت محلة صنوه المسمى مربيه ربه وخيمت ظاهر باب الرب ، ثم دخلت وربطت فى المشاور ، ثم بعده حل الثائر المذكور بالمنارة خارج الباب المذكور ، وفى يوم الأحد 5 رمضان دخل فى جموع عديدة وكانت الخيل مصطفة صفين ممتدين من ظاهر المنارة أحد جنات المخزن الى باب يغلى وقد عجبت من كثرة تلك الجموع وانخداع قلوب أهلها لكل من يتظاهر لهم بالديانة ، فعمروا ديار المخزن هنا كدار أحمد وأكدال والمشاور وغير ذلك ، ثم كلف أهل مراكش بضيافتهم كل يوم وباعطاء مئونة خيل نحو ثلاثمئة وخمسين تكون حرساً بالأبواب وعلى ضواحي المدينة ، ونودي باسقاط المكس والفريضة ، وفى الغد طلع أعيان البلد علماء وأشراف وغيرهم

---

1) الحرابة جمع حراب ؛ وهو فى الاصطلاح العسكرى المغربى القديم مدرب الجند ومعلمهم الحرب .

لتهنئته ، ثم نادى المنادى أيضاً بمقتضى الحدود الشرعية الاقتصاصية وبالنهي عن الحرابة وغيرها من أنواع الفساد وبأن صداق الثيب بسيطة ونصف ، وصداق البكر ثلاث بساسيط (I) وبقي ولاة مراكش كل واحد في محله ولم يعزل منهم أحد ، ثم وجه على الاعيان وأمرهم بمبايعته ، فكتبوا له خطوطهم بذلك ثم كتبت له بيعة أخرى بسيطة حازها قبل تاريخ فراره بنحو يومين ووجدتا معا فى مخلفه بعد هروبه وأحرقتا كما تستحقان وتواردت عليه القبائل المجاورة لمراكش وأدوا له الطاعة ووعدهم بالنصرة وجعل عليهم مقدمين عوضا عن العمال الذين كانوا عليهم ولم يسمهم قوادا زيادة فى التعمية على العامة لنفرتهم منهم ، واحتجن أموالا كثيرة وكراعا أهدى له جميع ذلك ووجه على المستفاد الذى كان موفرا عند قابضيه فحازه منهم وأمر نظار الأحباس الكبرى بدفع الوفر الذى عندهم فاجابوا بأن لا وفر فأمر بمحاسبتهم وانكبت العامة على الشكاية لديه فى القضايا الشرعية وغيرها ، فصار يحيلهم على قاضيه ابن عبد العزيز وغيره ، فكان يحرق الرسوم ويأمر بالدعوى ، ثم الجواب عنها ، ثم يفصل بينهما وصارت تتردد بين الولاة أتباعه ببنادقهم وتؤدى الأوامر مشافهة وصار أتباعه يلعنون كل من رأوه فى الطريق حسن اللبسة ويقولون له انه محمي ويتبعهم الرعاع على ذلك واتخذوه ديدنا وربما تعرضوا لبعض الناس فى الطريق بعلة ذلك فلا يفلت منهم الا اذا دفع لهم دراهم أو غيرها ، وتعذر السلوك فى طرق المدينة الخالية عن المارة من أجل ذلك ووقع العدوان على بعض الأشراف حتى رجموا بالحجارة وكادت روحهم تبلغ تراقيهم لولا أن مَنَّ الله تعالى بمن حماهم من غائلتهم ، وشاهدنا من ذلك ما ينفطر له القلب :

أمور يضحك السفهاء منهـــا ... ويبكي من شناعتها الحليـــم

I) جمع بسيطة : الوحدة النقدية الاسبانية ؛ كانت مستعملة فى المغرب حتى حل محلها الفرنك الفرنسى فى منطقة الحماية الفرنسية بعد فرض الحماية على المغرب سنة 1912 ولا تزال الكلمة مستعملة فى العامية المغربية الى الآن .

ودخل الثائر المذكور لعرصة النيل من دور المخزن وأخرج الخيلفة مولاي بوبكر من داره بباب الريال ، ونزل بدار سعيد بن موسى بن أحمد برياض الزيتون وعيال المخزن السابق أبقوه في الدار الكبيرة وأغلق الباب بينها وبين عرصة النيل ، وحين رجع القونصو ومَن معه أسكنهم القائد الحاج التهامي الكلاوي عنده ، فلما بلغ خبرهم للثائر المذكور أمره بايصالهم إليه فلما وصلوه أودعهم دويرة بأروى (1) دار المخزن ولم ير لهم وجهاً وكلموا فى مباشرة أمره مع دولتهم فكتبوا لها بذلك فلم يجيبوهم الا بتوجيه الجند المستخلص لهم كما سياتى تفصيله وقد بذل له فى فدائهم نحو المئة والخمسين ألف ريال فلم يقبل وحدثني المحدث الحافظ العلامة قاضي الجماعة بمراكش إذ ذاك ، وخطيب الحرم المكي زاده الله عزاً وتشريفاً ، الفقيه الوزير السيد أبو شعيب بن عبد الرحمان الدكالي أصلا المكي هجرة أنهم وجهوا عليه بتاريخ 18 رمضان ليلا فتلاقى بخليفته مربيه ربه وكان فى المجلس القاضي ابن عبد العزيز فقال له الخليفة:هل عرفته ؟ يعنى الشيخ أبا شعيب فأجابه بأنه شيخ الاسلام مشرقاً ومغربا الا أنه ارتد فأجابه الشيخ المذكور بأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إذا قال الرجل لأخيه ياكافر فقد باء بها أحدهما فلا شك ان واحدا منا مرتد ، وإننى أتيقن أن لست هو ، وأنك أقررت لي بأني شيخ الاسلام وعلومي هي الحديث والتصوف والفقه ولا أستدل بالحديث ليلا يعتقد فى أننى من أهل الاستدلال ولا أدعى هذا القدر . وأما التصوف فاننى وان كنت عرفته أوراقاً فلم أكن أجيد فيه أذواقاً فلم يبق الا الفقه ، فهل تحفظ باب الردة من المختصر ؟ فقال لا أعرضه فاملاه عليه وقال له فى أي قسم منها تجعلني ؟ فقال أخى لا أدرى ، فقال له هل هذه الاخوة أخوة الاسلام من باب قوله تعالى (انما المومنون اخوة) أو اخوة البشرية من باب قوله تعالى (وإلي عاد أخاهم هودا) ، فقال له : إنك تلعن المجاهدين على رؤوس المنابر ، فقال لم أفعل وهذا لا يوجب الردة لأنه ليس فيه تعيين وعلى أنه لو عين لم

1) الأروى الاسطبل فى عامية المغاربة ؛ وكلتا الكلمتين قاموسية ولكنها من العربى الدخيل .

يكن فيه كفر ولعله من باب قوله تعالى (ويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون) ، فذكروا لك أني أقف على (ويل للمصلين) ولا أقيد أو (لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى) ، فنقلوا لك أني أقرأ (لا تقربوا الصلاة) وأقف ، والا فاني اذم المجاهدين الذين يكونون سبباً في أخذ بلاد الاسلام فحذفوا لك القيد كابي عمامة وأبي حمارة وزعماء الشاوية وبني مطير واضرابهم ممن لا أحصيهم كثرة في شرق الأرض وغربها فكشف الهبة' الستارة وقال إنه فكراش أي رجل شجاع ، ثم قال له انك تضعف المسلمين وتقول ان أوربا تسع عشرة دولة فقلت له نعم انها تسع عشرة دولة ، واما المسلمون فما ضعفتهم فقال : انه يحاربها جميعا فقال قائد المشور ان والد سيدنا واعدنا بذلك وانه ليس بكذاب ، وهاهنا انقطع الكلام في المذاكرة ثم قال له : ارسل الى دكالة ياتون والى السيد عيسى بن عمر ، فقال له : لا أستطيع ذلك فقال له : (لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم) ثم قال له ان هؤلاء الولاة لم يعطونا ذهباً ولا فضة ، فقال له : إن الأولى لك معاملتهم بالرحمة ، وفي يوم الأربعاء الثاني والعشرين من رمضان وردت عليه قواد حاحة بخيلهم ورجلهم نحو الأربعمئة وانزلهم بدور عامل مراكش سابقاً السيد العباس ابن داوود وتلاقوا به باحمال موقرة هدايا وبكراع كثير وبعدة وقرطاس (1) وفي صبيحة اليوم الذي دخل قواد حاحة فيه وقعت بين اتباع الثائر المذكور وبين أتباع زعيم متوكة مراماة بالقرطاس في المحل المعروف بدار البارود قرب جامع الكتبيين حيث تعرضوا لهم عن الخروج وجعلوا حرساً على أبواب الزعيم المذكور حيث اتهموه بأنه أراد الهروب من البلد بعد أن كانوا قبل ذلك أخرجوا أتباعه من صومعة الكتبيين وعرصة مولاي علي ودار البارود المذكورة وسكنوا هناك كي يضبطوا أحواله .

1) القرطاس والقرطوس في العامية المغربية عمائر البنادق وأصل الكلمة عجمي : كارتوش .

الفصل الثالث

في توجيهه جيوشه لمحاربة الحملة الفرنسية واندحارهم وإدبارهم أمامها في أقرب وقت خلاف ما كان يوحيه لاخوانه من عدم خذلانهم

لما وصل الثائر المذكور لمراكش وصل الخبر ان الحملة الفرنسوية احتلت أربعاء الصخور (1) وحرقت مداشر هناك وتضاربت معها قبيلة الرحامنة وانكشفوا عنها وأشاع أتباع الثائر المذكور أن رؤوس قتلى الحملة ومساجينهم ترد في الحين ، وأن النصرة للمسلمين ، فلما كشف الغيب أن الكرّة على الرحامنة ورد بعضهم إليه طالبين توجيه مدده لاعانتهم ، فوجه معهم عدة مئين من خيل أهل سوس الواردين معه واستخلف عليهم ابن عمه الاغظف بن مصباح ، فحين وصلوا بلاد الرحامنة خيموا في المحل المعروف بالأوهام منها وتقاتلوا معها في يوم الخميس تاسع رمضان ومات عدد كثير وجرحت جرحى من الفريقين وتبين لهم ان كور المدافع يقطع رؤوس خيلهم ويشتت جموعهم وان الخيل لا تستقر بعد سماع قعقعة المدافع وكان فاجأهم الضرب أثر نزولهم ففر بعضهم ووقع النهب في محل تخييمهم ورجعوا إلى ابن كرير فخيموا هناك ووصلت الأخبار بذلك إليه ، ثم في الجمعة 17 رمضان وقعت معركة ثانية كانت قاضية بتشتيت شملهم ووصل مدبروهم إلى أبواب مراكش ، فحينئذ أمر أخاه مربيه ربه بالنهوض الى مقابلة الحملة ومقاتلتها صحبة جموع كثيرة من الفرسان والرجل فبنى خيمته بباب الخميس وظلت الجموع تتلاحق به هناك من الصباح إلى المغرب فبعضهم يقول ان هذا الجيش مقداره خمسة عشر ألفاً ، وبعضهم يقول أقل من ذلك ، وفي الغد توجهوا للقنطرة بعد أن أوقفهم نحو ربع ساعة وهو يقرأ وينفث عليهم ، وصحبوا معهم الأقوات والأبنية والمدافع والقرطوس ، معجبين بأنفسهم معتمدين على قوتهم ، كل واحد منهم أمير نفسه . والثائر المذكور يقول لهم لا خوف عليكم والنصرة لكم ، ولو بلغ العدو أبواب البلد ، فكان بعض الحذاق يقول : ان بلغ باب البلد خرجت

---

1) صخور الرحامنة بين مراكش ونهر أم الربيع .

من الباب الآخر وتركتنا ، ثم انتقلوا إلى سيدي أبي عثمان خارج مراكش بنحو خمس ساعات وخيموا هناك ، وكان يعدهم بالنصرة بعد خروج رمضان حيث تسرح مردة الجن خدامه الى غير ذلك من الخرافات المختلفة ، وانه لا يتضارب معهم الا بعد ليلة سبع وعشرين من رمضان ، ففى صبيحة ليلة 24 منه وقعت بينهم وبين الحملة المذكورة معركة هائلة كان القرطوس فيهـا يتقاطر كتقاطر المطر الوابل ، والمدافع تسمع قعقعتها كالرعود القاصفة ، ودام ذلك نحو ساعة ونصف ، وكان (مربيه ربه) يدعو ويرمي فى وجوه الحملة تشبيهاً بما فعله النبي صلى الله عليه وسلم ، فأحاطت الحملة بهم وفروا أمامها، واحتوت على محلتهم بما فيها ، وسمعت قعقعة المدافع بمراكش وارتاع أهل البلد ، وخرجت الخيل الباقية معه لاغاثتهم ، ثم أشيع أن الحملة انهزمت بعد ما كانت غلبت ، فسكنت روعة أهل البلد بسبب ذلك ، وفي الغد تبين أن تلك الجموع توجهت إلى حال سبيلها ناجية بأنفسها ، ولم يبت منها خارج البلد أحد بعد أن كانت هذه الوقعة في المحل المعروف بنزالة الأعظم ، ومات فيها عدد كثير من المقاتلين ، ورجع أخوه مربيه ربه إلى مراكش قرب العشاء من ليلة 25 منه ، وفى صبيحة تلك الليلة فروا من مراكش وقصدوا جبل درن على طريق كيك كما سياتي بيانه ان شاء الله .

الفصل الرابع

في تاريخ فرار الثائر المذكور عن حضرة مراكش ووصول الحملة الفرنسوية لها وتشتيت أسرته ، بعد ما تبين لأصحابه الفارين عن نصرته ، بطلان ما كان يعدهم ويمنيهم بخدعته ، فرجعوا ناكصين على أعقابهم ناكبين عن دعوته ، بعد ان سلبوا من المال والعدة والكراع ، وتفرقوا شذرَ مذر بعد الاجتماع

تقدم أن الثائر المذكور بلغه صنوه (مربيه ربه) قرب العشاء من ليلة 25 رمضان ، ولما بلغه حكى له ما وقع بالمحلة ، واجتمع عنده قواد حاحة

وتشاوروا في أمرهم ، فاتفق رأيهم على المدافعة فى نحر عدوهم فى الغد ، ووعدهم بالنصرة أيضاً وكتم عنهم ما عزم عليه من الفرار ، وفى صبيحة ذلك اليوم تكلمت مدافع الحملة خارج مراكش ، وسمعت قعقعتها داخله ، فبمجرد أن سمع صوتها وتحققه ، ركب فرسه فى جملة من بقى معه من أصحابه وخرج من دار المخزن وتوجه لحال سبيله ظاناً أن عدوه معه فى البلد ربما يقع تحت أسره ، فأفلت ناجياً بنفسه وقصد كيك ، فتبعتهم الخيل وتضاربوا معهم الى أن أفلتوا طلقاً على خيلهم وتركوا ما جمعوا ، وقتل بعضهم داخل المدينـــة وخارجها ووقع القبض على من وجد من أتباعه ، وربما قتل بعضهم وتركت أموالهم واستصفيت أمتعتهم ، ورجعوا بخفى حنين قانعين من الغنيمة بالاياب ، ومن جملة ما خلفه وراءه قلنسوته الطويلة المخيطة بالحروز داخلها ، فلا هي نفعته حيث كان متلبساً بها ، ولا هو اعتنى بها حيث تخلى عنها ، ومظله الذى ورد به من سوس وبعض عياله :

ألقى الصحيفة كي يخفف رحلــــه   والزاد حتى نعله ألقاهـــــــــــــا

فوصل لدار المخزن بعد خروجهم القائد ادريس أمنو ، والقائد الأنجد والفارس الأمجد السيد المدني الجلاوي الوزير سابقاً ، وصنوه الباشا الأسعد السيد الحاج التهامي وغيرهم ، وبحثوا عن أعيان الدولة الفرنسية الذين كانوا تحت أسره ، فوجدوهم بالمحل الذى سجنوا به ، لم يقع بهم باس ولا لحقهم ضرر ، فكتبوا بذلك لكبير الحملة إذ كان كتب لأهل مراكش كافة بأنه اذا وقع بهم شيء فانهم يواخذون بهم ، وكان وصل هذا الكتاب فى ظهر 24 رمضان فازعج الرؤساء وصاروا فى حيص بيص لأنهم لا قدرة لهم على تنفيذ ما أمروا به فيه وكانوا يتوقعون حلول البوائق بمراكش فتشاوروا وأجمعوا أمرهم على أن يكاتبوه بالحال فأجابهم بتعليق العلم الفرنسوي على دورهم وتوجيه بطائق تتضمن الأمن عليها وببيان الأعيان لأجل ذلك ودام هذا الحال الممض من ظهر التاريخ المذكور إلى الساعة الثامنة من غده فعدت من قبيل الفرج بعد الشدة ورفعت عبارات الحمد على انصراف الضيق وذهاب الضنك وانتفاء المخاوف ونجاة القطر مما كانت تلك الأحوال تتوعده بشر أعظم من حلول بلاء التلف

والاصابة بضرر مما كان عزم على اجرائه كالنهب والسلب والاحراق والـردم والهدم وغير ذلك من الاضرار فكان كما قال الشيخ مصطفى بن إسماعيل المصري فى الهدية الأولى الاسلامية للملوك فى الداء والدواء لدى تعرضه لما أثاره السفلة الذين التفوا حول أحمد عرابي من عاصفة الفتنة والهياج وزعزعوا أركان السكينة والأمن وخدعوا الأمة وخدعوا الأمة بأن قيامهم هو لله ولخير خلق الله، ولكن أبى الله إلا أن يكشف الستر عن دنيء أغراضهم، وخبث منازعهم، حتى أدى ذلك إلى مفاجأة جند الانكليز جندَ مصر وإحاطتهم بهم ونصه : وما أصبح حتى رأينا الرايات الظافرة تخفق والأبواق تصدح بمزعجات الغلبة والانتصار فى طول البلاد وعرضها فلم يلبث العاقل المستبصر ان عد احتلالهم مظهراً للرحمات، ومخرجاً من أصعب مضايق الآفات، فى قالب نقمة وبلاء، وغمة وشقاء فرحمة ولطف لأن سهم النصر وحظ الغلبة لو أصاب مرمى الآمال من هؤلاء السفلة الأوغاد لكنت رأيت ما لا يطاق والعياذ بالله من مفجعات الفضائع وما لا يخطر على قلب بشر من فاحش الحوادث ومحزنات الفتن ونقمة وبلاء لأنه قطع بمقارضه حبل كل عيشة رغد واستاثر أصحابه بالطارف والتالد ولاشى عدة البلاد وقوة الحصون ، انتهى .

وفـي الحين نودي بنصـر السلطان مـولاي يوسف بن مـولاي الحسن ، وهدأت الروعـة وسكنت الفتنة ، ولم يقـع في المدينة نهب ولا غيره غير ما وقع فى أتباع الثائر المذكور ، وقد أخذ الله تعالى فيهم الوعيد لأنهم كانوا متجبرين متلصصين ينهبون الناس فى الطرقـات بأدنى سبب وهمجيتهم لا تعد ولا تحصى وقد رأينا بعضهم يشرب الدخان فى رمضان جهاراً فى الحضر من غير مرض ولا اهتبال لهم بالطهارة المائية صغـرى وكبـرى والحاصل ان دخولهم لهذه المدينة كان مشئوماً ضاعت بسببه دماء وأمـوال وعدد أيام مكثهم بمراكش نحو ثلثى الشهر لزم أهل مراكش فيها وظائف لم يتقدم لهم بها عهد نسأل الله تبارك وتعالى اللطف فيما جرت به المقادير وفى هذا اليوم ركبنا مع الشريف الجليل الماجد الأصيل قاضى الجماعة بمراكش ونواحيها وصهر السلطان المنصور بالله المقدس مولانا الحسن ، أبو عبد الله سيدى محمد المصطفى ابن النقيب سيدى عبد القادر الحسني العلوي المدغري

سدده الله للديوان الشريف، مهنئاً به الخليفة الأنور، مولانا أبا بكر، بعود الدر إلى معدنه ، وتشتيت شمل الناقض لعهدهم ، ربيّ نعمتهم ، الثائر على ملكهم ، فحث على التعجيل بكتب البيعة لصنوه السلطان المعظم مـولاي يوسف ، وبعد ذلك كتبت بخط رائق وانشاء فائق بعد الاشهاد على الأعيان بها وفى هذا اليوم وصلت الحملة الفرنسوية التى عدتها نحو ثلاثة ءالاف وخيمت بسفح جبل جليز بالمحل المعروف بعوينة ابن قاسم وفى هذا السفح كان حاصر مراكش عبد المومن بن علي وبنى به مدينة إلى أن فتح مراكش كما هو فى كتب التاريخ شهير كما دخل بعض الحملة للمشور واكدال كما كـان فعل الثائر المذكور وبقى المترجم بسوس إلى أن بلغنا أنه توفي بكردوس في 24 رمضان عام 1337 غفر الله لنا وله .

325) أحمد بن خالد المالقي .

قال أحمد الغبريني في عنوان الدراية :

الشيخ الفقيه الأصولي المشارك المحصل ، قرأ بالأندلس وقـرأ بمراكش ، ولقي جملة أفاضل ، ولازم الفقيه الامام أبـا عبد الله الموماني ملازمة كثيرة ، سمعته يقول إنه لازمه مدة عشرين سنة ، وكـان يقول إن مثل هذه المدة لازم أرسطو أفلاطون . كان متحملا لأصول الفقه ولأصول الدين على طريقة الأيمة المتقدمين ، وكان لا يرى بطريقة فخر الدين ويرى فيها تخليطاً في إدخاله طرفاً من المنطق في الأصليـْن ، واكانتله مشاركة في الطب ، وله مشاركة في الحكمة في الطبيعيات والالهيات ، وكان قليلَ الكلام كثيرَ الملكة في إمساك نفسه في البحث .

جلس للاقراء ببجاية وكان يُقرأ عليه في منزله ، قرأت عليه جملة من (الارشاد) ، وجملة من (المستصفى) ، وقرأت عليه في بدإ أمري بعض (معيار العلم) في علـم المنطق ، وقرأ عليـه بعضُ أصحابنا (الاشـارات والتنبيهات) لابن سينا من فاتحتها إلى خاتمتها ، وكان مسدد النظر حسن الفكر ، وكان يعد نفسه رحمه الله من أهل التوكل ويقول إني ما ادخرتُ قط شيئاً وإنما جريان الحال بحسب ما يحتاج إليه الوقت ، وكذلك كانت حاله

رحمه الله لم يكن عنده شيء وكانت حاجته لشيء ، وكان أحسن الناس خلقاً وأطيبهم نفساً ، كنا اذا تحدثنا معه رحمه الله في تصور الحركة وفيما قال الناس فيها يستبعد الأمر في تصورها ويستعظمه ، وكان رحمه الله يقول إنه كان يوماً على شجرة لاقتطاف جنى وهو يفكر في معنى الحركة ، فلما أن لاحت له حقيقة المعنى وتصوره سقط عنها وبقي فى ظلها مَغشياً عليه قدر نصف يوم ، وكان له تحقيق في أمر يظن الناس أنها حاصلة ، وهي بالحقيقة غير حاصلــة .

توفي رحمه الله ببجاية في عشر الستين وستمئة ، ودفن بحومة باب أمسيون ، بالمقبرة التى قرب الشجرة المسماة بـ (زاد رخص) بها ، وهي شجرة عظيمة وليس في تلك الناحية ولا في غيرها من نواحي البلد شجرة زاد رخص سواها (1) .

وممن لم اقف على تراجمهم

326) **أحمد الملقب بالمواسين** الولي الصالح بُني عليه بيت بلصــق صومعة مسجد حومة المواسين الكبير .

327) **أحمد بن ادريس أبو العباس** الولي الصالح بُني عليه بيت بلصق ضريح الغزواني .

328) **أحمد الركراكي أبو العباس** الولي الصالح بُني عليه بيت بأول الدرب المسمى بدرب أعرجان عن يسار الداخل .

329) **أحمد الراحة** المراكشي دفين تروال بقنة جبل بقبيلة بنى مزكلدة الولي الصالح يعمل له موسم فخيم لم أقف على تاريخ وفاته .

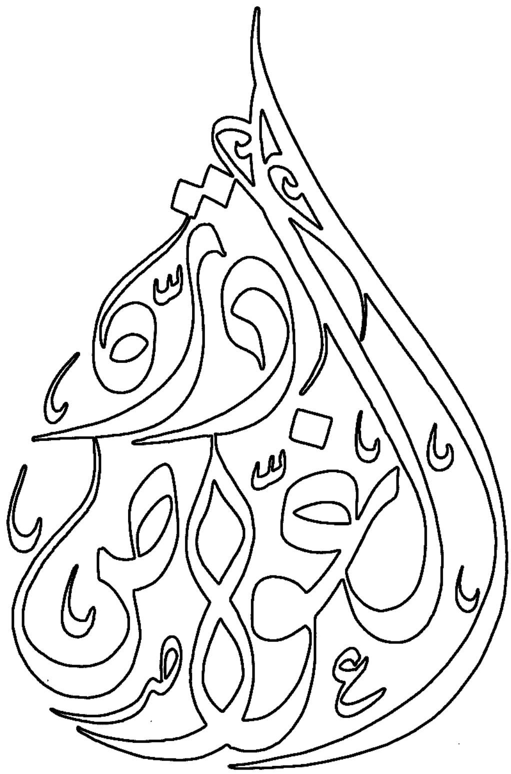
---

1) هذه الترجمة استلحقها المؤلف من كتاب (عنوان الدراية) بعد طبع الأحمدين من (الاعلام) وكان من حقها أن تثبت فى هذا الجزء بعد ترجمة احمد بن محمد البلوى (رقم 175 ص 178) ؛ ولكننا لم نعثر عليها الا بعد أن مضينا فى الطبع فاثرنا اثباتها فى الأخير .

ينظر عن أحمد بن خالد المالقى **عنوان الدراية** ص 75 ع 12 .

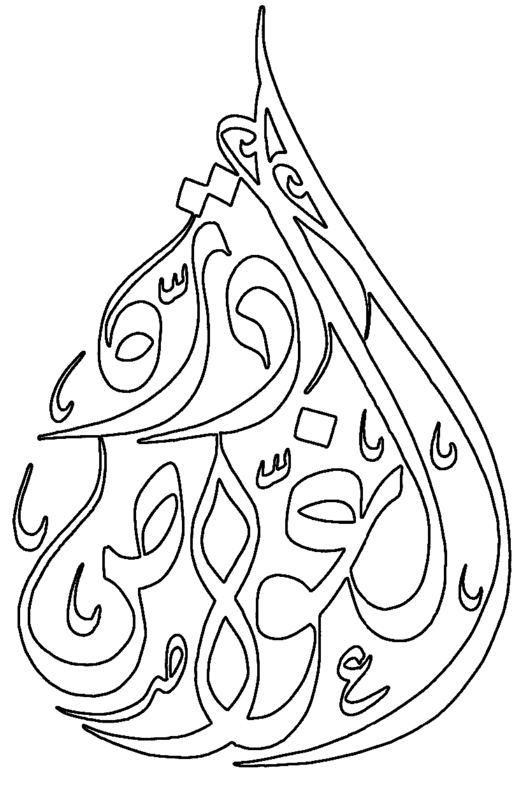
330) أحمد المدعو فرفق (1) .

وبه تمت تراجم الأحمدين من الاعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام ، والحمد لله أولا وءاخراً ، وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وصحبه وسلم ، وكان تمام تخريج هذا الجزء المشتمل على الأحمدين من مبيضة مؤلفه ومقابلته بأصله في منتصف صفر الخير عام 1338 ثمانية وثلاثين وثلاثمئة وألف ثم أضيفت إليه زيادات بعد ذلك .



1) استلحقه المؤلف بالكتاب وكتب ما يلي : يكتب من صفحة عدد 630 وقد بحثنا في الصفحة المذكورة وكذا في الترجمة عدد 630 من ترتيب التراجم لديه فلم نجد له ذكراً ؛ فهل يكون هو أحمد بن محمد بن عامر ابن فرقد القرشي الاشبيلي المتوفى سنة 689 هـ المترجم في **بغية الوعاة** ص 159 **ودرة الحجال** 1 : 152 ع 175 ؟

وقد ترجم المؤلف لأحمد بن ابراهيم ابن فرقد المتوفى سنة 624 (أنظر الترجمة عدد 164 ص 133) من هذا الجزء .



فهرس

تراجم الجزء الثاني من الاعلام

الأحمدون

صحيفة

صحيفة

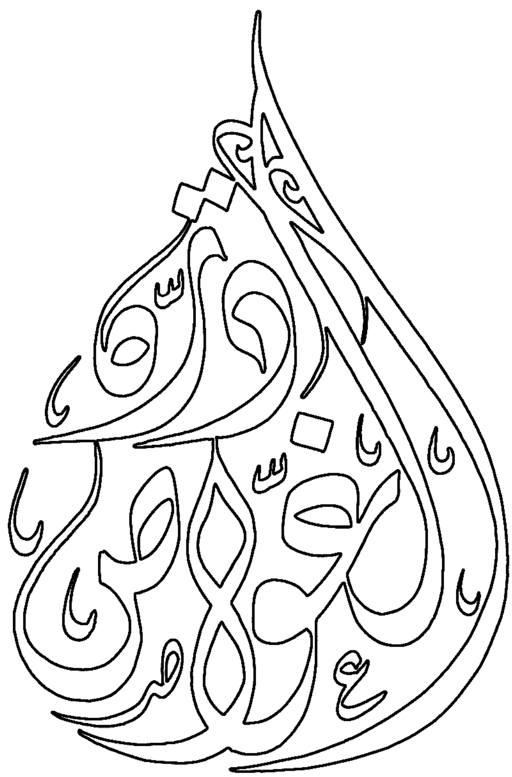
صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة



الإعلام

بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام

تأليف

العباس بن إبراهيم السملالي

قاضي مراكش

راجعه

عبد الوهاب ابن منصور

مؤرخ المملكة عضو أكاديمية المملكة المغربية

(الطبعة الثانية)

1413 هـ - 1993 م

المطبعة الملكية - الرباط

الجزء الثالث



الإعلام

بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام

تأليف

العباس بن إبراهيم السملالي

قاضي مراكش

راجعه

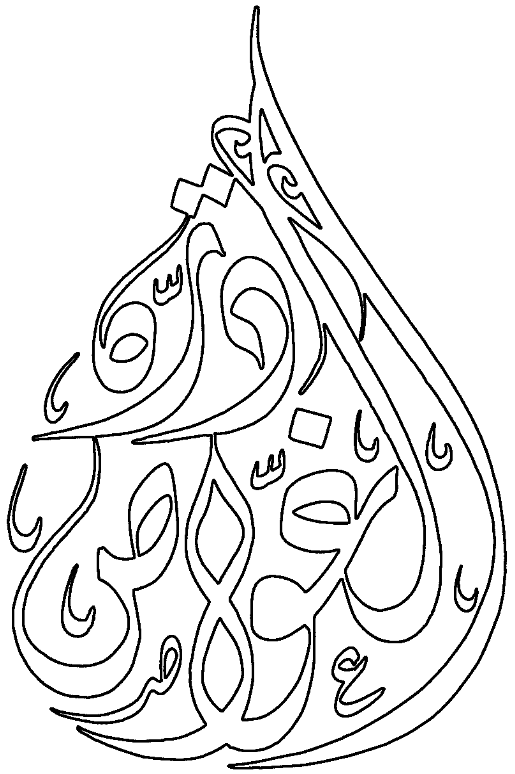
عبد الوهاب ابن منصور

مؤرخ المملكة عضو أكاديمية المملكة المغربية

الجزء الثالث

الطبعة الثانية

1418 هـ - 1997 م



بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

من اسمه إدريس

331) ادريس (المامون) بن يعقوب (المنصور) الكومي الموحدي

إدريس بن يعقوب بن يوسف بن عبد المومن بن علي أمير المومنين الملقب بالمامون ، مامون الموحدين ، بويع باشبيلية في أوائل شوال (1) سنة 624 وبايعه أهل الأندلس والموحدون بمراكش ، ثم لما انفصل البريد ببيعته من الحضرة مراكش ندم الموحدود على ذلك لما يعلمون من شهامته وصرامته وتخلقه بأخلاق الحجاج بن يوسف ، وتخوفوا أن يأخذهم بدم ابن عمه عبد الواحد المخلوع ثم أخيه عبد الله العادل ، فاتفق رأيهم على مبايعة يحيى بن محمد الناصر بن يعقوب المنصور ، وهو شاب غر كما بقل عذاره ، وإنما وقع اختيارهم عليه ليكون أطوع لهم ، فان سنه كانت يومئذ ست عشرة سنة ، فبايعوه بجامع المنصور من قصبة مراكش بعد صلاة العصر من يوم الأربعاء الثامن والعشرين من شوال سنة أربع وعشرين وستمئة ، وامتنع عرب الخلط وقبائل هسكورة من بيعته وقالوا قد بايعنا المأمون فلا ننكث بيعته ، وتأخر قدوم المأمون الى مراكش ، وبقي بالأندلس لأسباب يأتي شرحها ، وأقام يحيى بمراكش واستتب أمره بها بعض الشيء ، وجهز جيشاً من الموحدين والجند الى قتال الخلط وهسكورة وهم يومئذ في طاعة المأمون ، فهزم جيش

---

1) يوم الخميس 2 شوال (16 شتنبر سنة 1227 م) .

يحيى وقُتل منه خلق كثير وعاد مفلولا الى مراكش ، ثم اطلع يحيى على مداخلة أبى زيد بن يرجان للعرب وهسكورة فى الغارة على مراكش ، واطلع على ذلك أبو زكرياء يحيى بن الشهيد فقتل أبا زيد بن يرجان وابنه عبد الله ونصب رأسيْهما على باب الكحل وطوّف جسميْهما بأسواق المدينة ، ثم اضطربت الأحوال على يحيى وانتقضت البلاد وغلت الأسعار وعم الخراب والفساد بلاد المغرب ، واستولى بنو مرين على ضواحيه وضايقوا الموحدين في كثير من أمصاره، واقتضوا جبايته ونبغت الثوار فى الأقطار على ما نذكره .

ثورة محمد ابن أبي الطواجين الكتامي بجبال غمارة

ولما كانت سنة خمس وعشرين وستمئة ثار بجبال غمارة محمد ابن أبى الطواجين الكتامى المتنبى ، وكان أبوه من قصر كتامة منقبضاً عن الناس ، وكان ينتحل صناعةالكيمياء ، فكان يلقب بأبي الطواجين لكثرة الظروف التى يستعملها فى ذلك بزعمه ، وتلقّن ذلك عنه ابنه محمد هذا ، ثم ارتحل إلى سبتة ونزل على بنى سعيد بأحوازها ، وادعى صناعة الكيمياء ، فتبعه الغوغاء ثم ادعى النبوءة وشرع الشرائع وأظهر أنواعاً من الشعبذة ، فكثر تابعوه ، ثم اطلعوا على خبيثته فنبذوا إليه عهده ، وزحفت إليه عساكر سبتة ففر عنهم ، ثم قتله بعض البرابرة غلية بوادى لاو من بنى سعيد وبلاد بنى زيات ، وابن أبي الطواجين هذا هو الذى تسبب فى قتل الشيخ عبد السلام ابن مشيش رضي الله عنه على ما نذكره بعد إن شاء الله .

اخبار الثوار بالأندلس وما آل إليه أمر الموحدين بها

لما ضعف أمر الموحدين بالمغرب وكثرت الفتن فى أقطاره ونواحيه وانتزى السادة منهم بنواحي الأندلس كلٌّ في عمله ، واستظهر كل واحد منهم على أمره بالطاغية ونزلوا له عن كثير من الحصون – فَسَدَتْ من أجل ذلك ضمائر أهل الأندلس عليهم ، وتصدى للثورة على الموحدين محمد بن يوسف ابن هود من أعقاب بنى هود الجُذاميين ملوك الطوائف بسرقسطة ، وكان يؤمل لها وربما امتحنه الموحدون لذلك مرات ، فخرج فى نفر من

الأجناد سنة خمس وعشرين وستمئة ، وجهز اليه والي مرسية يومئذ السيد أبو العباس بن موسى بن يوسف بن عبد المومن عسكراً ، فهزمهم وزحف إلى مرسية فدخلها واعتقل السيد بها وخطب للخليفة المستنصر العباسي صاحب بغداد ، وفي ذلك يقول ابن الخطيب في (رقم الحلل) عند ذكره لبني هود هـــؤلاء :

وكان من أعقابه الأميـــــــــر محمد بن يوسف الأخيــــــــر
وكان باسلا شديد البــــــأس وبايع المستنصر العباســـــــي

ثم زحف اليه السيد أبو زيد بن محمد بن عمر بن عبد المومن وهو أخو البياسى المتقدم الذكر من شاطبة ، وكان والياً بها كما مر ، فهزمـه ابن هود ورجع الى شاطبة واستجاش بالمامون وهو يومئذ باشبيلية ، فخرج في العساكر ولقيه ابن هود فانهزم ، واتبعه المامون الى مرسية فحاصره مدة وامتنعت عليه ، فأقلع عنه ورجع الى اشبيلية ، ثم انتقض على السيد أبى زيد ببلنسية زيان ابن أبي الحملات مدافع بن يوسف بن سعد ابن مردنيش وخرج عنه الى أبذة ، وذلك سنة ست وعشرين وستمئة ، وكان بنو مَرْدِنيش هؤلاء أهل عصبية وأولي بأس وقوة ، فتوقع أبو زيد اختلال أمره وبعث إليه ولاطفه في الرجوع فأبى ، فخرج أبو زيد من بلنسية ولحق بطاغية برشلونة ودخل في دين النصرانية والعياذ بالله ، وبايع أهل شاطبة ابن هود ، ثم تتابعت بلاد الأندلس على بيعته ودخل في طاعته أهل قرطبة واشبيلية بعد رحيل المأمون عنهم إلى مراكش ، ولم يبق للموحدين بالأندلس سلطان .

ثم في سنة تسع وعشرين وستمئة ثار محمد بن يوسف ابن نصر المعروف بابن الأحمر بحصن أرجونة من أعمال قرطبة ودعا لأبى زكرياء الحفصى صاحب أفريقية ، ثم دخل في طاعته أهل قرطبة ، وتنازع ابن الأحمر وابن هود رياسة الأندلس وتجاذبا حبل الملك بها ، وكانت خطوب استولى الطاغية فيها على كثير من حصون الأندلس ثم استقر قدم ابن الأحمر في الملك وأورثه بنيه من بعده ، والله غالب على أمره .

قدوم إدريس بن المنصور من الأندلس إلى مراكش
وما اتفق لـه في ذلـك

قد تقدم لنا أن الموحدين بمراكش خنقو العادل وبايعوا أخاه المامون ، وبعد انفصال البريد بالبيعة ندموا وبايعوا ابن أخيه يحيى بن محمد الناصر ، فوصلت بيعة الموحدين الى المامون وهو يومئذ باشبيلية ، فسُر بها وأمر باقرائها على منابر الأندلس ، ثم أخذ في التجهيز والحركة الى مراكش دار ملكه ، فسار حتى اذا وصل الى الجزيرة الخضراء اتصل به الخبرُ أن الموحدين قد نكثوا بيعته وبايعوا ابن أخيه يحيى ، فوجم لذلك وأطرق ملياً ، ثم أنشد متمثلا بقول سيدنا حسان رضي الله عنه .

لتسمعنَّ وشيكاً في ديارهـــــم الله أكبر ياثارات عثمانـــــــــا

ثم كتب من حينه إلى ملك قشتالة يستنصره على الموحدين ويسأله أن يبعث له جيشاً من الفرنج يجور بهم الى العدوة لقتال يحيى ومَن معـه من الموحدين ، فشرط عليه صاحب قشتالة عشرةَ حصون مما يلي بلاده يختارها هو ، وأن يبني بمراكش إذا دخلها بجيش النصارى الذين معه كنيسة يظهرون بها دينهم ويضربون فيها نواقيسهم لصلواتهم ، وأن مَن أسلم منهم لا يقبل اسلامه ويُردُ الى إخوانه فيحكمون عليه بأحكامهم الى غير ذلك ، فأسعفه المأمون في جميع ما طلب منه .

وكان يحيى بن محمد الناصر صاحب مراكش لما رأى اختلال أحواله بها كما قلنا ومبايعة أكثر أهل المغرب لعمه المأمون خرج فاراً بنفسه إلى تينملل، وكان ذلك في جمادى الأخرى سنة ست وعشرين وستمئة، ولما فرَّ يحيى عن الحضرة قدم أشياخ الموحدين الذين بها واليهـا يضبطها للمامون ريثما يقدم عليهم وجددوا له البيعة وكتبوا له يخبرونه بفرار يحيى إلى الجبل ويرغبون إليه في القدوم عليهم ، وكتب إليه أيضاً هلال بن حميدان أمير الخلط ، واستمر يحيى معتصمـاً بالجبل أربعة أشهر ، ثم بدا له فعاد الى مراكش وقتل عامل المامون الذى قدمه الموحدون بها ، واستمرُ بها نحو سبعة أيام ، ثم خرج الى جبل كليز وعسكر به ، وأقام منتظراً قدوم المامون ودفاعه عن مراكش ، ثم بعث صاحب

قشتالة الى المامون جيشا من اثني عشر ألفاً برسم الخدمة معه والمقاتلة دونه على الشروط المتقدمة ، وكان وصولهم اليه فى رمضان سنة ست وعشرين وستمئة ، ثم عبر بهم من الجزيرة الخضراء إلى سبتة فى ذى القعدة من السنة المذكورة ، وهو أول مَن أدخل عسكر الفرنج أرض المغرب واستخدمهم بها ، فأراح بسبتة أياماً ثم نهض الى مراكش ، حتى اذا دنا منها لقيه يحيى بجيوش الموحدين ، وذلك عشي يوم الخامس والعشرين من ربيع الأول من السنة الداخلة فانهزم يحيى وفرَّ إلى الجبل وقُتل كثير من جيشه ، ودخل المامون حضرة مراكش وبايعه الموحدون وصعد المنبر بجامع المنصور، وكان علامة أديباً بليغاً ، فخطب الناس ولعن المهدي على المنبر ، وقال لا تدعوه بالمعصوم وادعوه بالغوي المذموم ، ألا لا مهدي الا عيسى ، وانا قد نبذنا أمره النحس ، ولما انتهى إلى آخر خطبته قال : معشر الموحدين لا تظنوا أني أنا ادريس الذي تندرس دولتكم على يده ، كلا إنه سياتي بعدي إن شاء الله ، ثم نزل وأمر بالكتب الى جميع البلاد بمحْو اسم المهدي من السكة والخطبة وتغيير سننه التى ابتدعها للموحدين وجرى عليها سلفهم ، ونعى عليه النداء للصلاة باللغة البربرية وزيادته في أذان الصبح (أصبح ولله الحمد) وغير ذلك من السنن التي اختص بها المهدي ، وأمر بتدوير الدراهم التى ضربها المهدي مربعة ، وقال : كل ما فعله المهدي وتبعه عليه أسلافنا فهو بدعة ولا سبيل إلى إبقائه ، وأبدأ في ذلك وأعاد ، ثم دخل قصره فاحتجب عن الناس ثلاثاً ، ثم خرج في اليوم الرابع فأمر بأشياخ الموحدين وأعيانهم فحضروا بين يديه ، فقال لهم : يامعشر الموحدين انكم قد أظهرتم علينا العناد ، وأكثرتم في الأرض الفساد ، ونقضتم العهود ، وبذلتم في حربنا المجهود ، وقتلتم الاخوان والأعمام ، ولم ترقبوا فيهم إلاً ولا ذمام ، ثم أخرج كتاب بيعتهم الذى بعثوا به اليه ، واحتج عليهم بنكثهم الذي نكثوا بعده ، فقامت الحجة عليهم ، فبُهتوا وسُقط فى أيديهم ، والتفت إلى قاضيه المكيدي وكان بازائه قد قدم معه من اشبيلية ، فقال له ما ترى أيها القاضي في أمر هؤلاء الناكثين ؟ فقال : ياأمير المومنين ان الله تعالى يقول : (ومَن نكث فانما ينكثُ على نفسه) الآية ، فقال المامون صدق الله العظيم فانا نحكم فيهم

بحكم الله ، (ومَن لم يحكم بما أنزل الله فأولائك هم الظالمون) ، ثم أمر بجميع أشياخ الموحدين وأشرافهم فسحبوا الى مصارعهم وقتلوا عن آخرهم ، ولم يبق على كبيرهم ولا صغيرهم ، حتى انه أتي بابن أخت له صغير يقال إن سنه كان ثلاث عشرة سنة ، وقد حفِظ القرآن ، فلما تقدم للقتْل قال له : ياأمير المومنين اعفُ عني لثلاث ، فقال ما هي ؟ قال : صغر سني ، وقرب رحمي ، وحفظي للكتاب العزيز ، فيقال ان المامون نظر إلى القاضي كمستشير له ، وقال له : كيف ترى قوة جأش هذا الغلام واقدامه على الكلام في هذا المقام ؟ فقال القاضي : ياأمير المومنين (إنك إن تذرهم يُضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً) ، فأمر به فقتل رحمه الله ثم أمر بالرؤوس فعلقت بدائر سور المدينة ، ذكر ابن أبي زرع أنها كانت تنيف على أربعة آلاف رأس ، وكان الزمان زمن قيظ ، فنتنت بها المدينة وتأذّى الناس بريحها ، فرفع إليه ذلك فقال إن هاهنا مجانين ، وإن تلك الرؤوس حروز لهم لا يصلح حالهم إلا بها ، وإنها لعطرةٌ عند المحبين ، ونتنةٌ عند المبغضين ، ثم أنشد :

اهل الحرابة والفساد من الـورى	يعزون في التشبيه للذكـــــار
ففساده فيه الصلاح لغيـــــره	بالقطع والتعليق في الأشجـــار
فرؤوسهم ذكرى اذا ما أبصِـــرت	فوق الجذوع وفي ذرا الأســوار
وكذا القصاص حياة أرباب النهـا	والعدل مألوف بكل جـــــوار
لو عمَّ حلمُ الله سائرَ خلقـــه	ما كان أكثرهم من أهل النـــار !

وهذه الفتكـة التى ارتكبها المامـون بالموحديـن أنستْ فتكـة الحارث بن ظالم والبراض الكناني والحجاف ابن حكيم ، وهي التى استأصلت جمهورهم وأماتت نخوتهم ، وأذن المامون للنصارى القادمين معه في بناء الكنيسة وسط مراكش على شرطهم المتقدم ، فضربوا بها نواقيسهم ، وكانت الكنيســة في الموضع المعــروف بالسجينــة ، وقبض على قاضي الجماعـة بمراكش وهو عبد الحق بن عبد الحق ، فقيده ودفعه الى هلال بن حميدان الخلطي فحبسه حتى افتدى منه بستة آلاف دينار ، وأقام المامون بمراكش خمسة أشهر ، ثم نهض الى الجبل لقتال يحيى بن محمد الناصر ومَن معه

من الموحدين ، وذلك في رمضان سنة سبع وعشرين وستمئة ، فالتقى معه على الموضع المعروف بلكاغة ، فانهزم يحيى وقتل من عسكره ومن أهـل الجبل خلق كثير سيق من رؤسهم الى مراكش أربعة آلاف رأس .

وفي هذه السنة استبد الأمير أبو زكرياء ابن الشيخ أبي محمد بن أبي حفص الهنتاتي بافريقية ، وخلع طاعة الموحدين ، وفي سنة ثمان وعشرين بعدها نفذت كتب المامون الى سائر البلاد بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وفيها خرجت بلاد الأندلس كلها من ملك الموحدين ونفاهم عنها ابن هود الثائر بها وقتلهم العامة في كل وجه ، وفي سنة تسع وعشرين بعدها خرج على المامون أخوه السيد عمران بن يعقوب المنصور بمدينة سبتة وتسمى بالمؤيد ، فاتصل الخبر بالمامون فخرج اليه وبلغه في طريقه أن قبائل بني فازاز ومكلاتة قد حاصروا مكناس وعاثوا في نواحيها ، فسار إليهم وحسم مادة فسادهم وعاد الى سبتة فحاصر بها أخاه السيد عمران مدة فلم يقدر منه على شيء ، وكانت سبتة من أحصن مدن المغرب ، ولما طالت غيبـة المامون عن الحضرة اغتنم يحيى بن محمد الناصر الفرصة فنزل من الجبل واقتحمها مع عرب سفيان وشيخهم جرمون بن عيسى ومعهم أبو سعيد بن وانودين شيخ هنتاتة وعاثوا فيها وهدموا كنيسة النصارى التي بنيت بها وقتلوا كثيراً من يهودها وسلبوا أموالهم ، ودخل يحيى القصر فحمل منه جميع ما وجده به الى الجبل ، واتصل الخبر بالمامون وهو على حصارسبتة فارتحل عنها مسرعاً الى مراكش ، وذلك في ذي الحجة من السنة المذكورة ، ولما أبعد عن سبتة عبر عمران صاحبها الى الأندلس فبايع ابن هود وأعطاه سبتة ، فعوضه ابن هود عنها بالمرية، فكان السيد عمران بها إلى أن مات، وانتهى الخبر إلى المامون وهو في طريقه بأن ابن هود قد ملك سبتة ، فتوالت عليه الفجائع فمرض أسفاً ومات بوادي العبيد وهو قافل من حصار سبتة ، وكانت وفاته في آخر يوم من سنة تسع وعشرين وستمئة ، وكانت أيامه أيام شقاء وعناء ومنازعة ، افترقت دولة الموحدين فيها فرقتين ، فرقة معه ، وفرقة مـع يحيى بن محمد الناصر ، وكان محق دولة الموحدين واستئصال أركانهـا وذهاب نخوتها على يده ، قالوا ولولا أن الأمور قد استحالت الى ما ذكر لكان

المامون موافقاً كأبيه المنصور في كثير من الخلال ، ومتبعاً سننه في جل الأحـوال .

وكان المامون فصيح اللسان ، فقيهاً حافظاً للحديث ضابطاً للرواية ، عارفاً بالقراءة حسن الصوت والتلاوة ، مقدماً فى علم اللغة العربية والآداب وأيام الناس ، كاتباً بليغاً حسن التوقيع ، لم يَزَلْ سائر أيام خلافته يسرد كتب الحديث مثل البخارى والموطأ وسنن أبي داوود ، وكان مع ذلك شهماً حازماً مقداماً على عظائم الأمور ، ولي الخلافة والبلاد تضطرم ناراً ، والممالك قد توزعتها الثوار ، فكان المامون اذا فكرَ في حال الثوار وما آل اليه حال الدولة معهم وما دهاها من كثرتهم ينشد متمثلا :

تكاثرت الظبـاء عـلى خـــداش فما يدري خـداش مـا يصيـــد

يشير إلى حاله معهم ، وأنه لم يدر ما يتلافى من ذالك ، والله تعالى أعـلـم (1) .

ترجمه ابن خلدون ، وصاحب الحلل الموشية ، والاحاطة ، والاستقصا ، وغيرهم (2) ، وجعل وفاته فى الشذرات سنة 630 ، وقد علمت أنه توفي آخر يوم من السنة التى قبلها ، ولأبى بكر بن زهر الأصغر ، ابن عم الأكبر ، يخاطب المامون المترجم :

والله ما أدري بما أتـوســـل إذ ليس لي ذات بهـا أتوصـل
لكن جعلت مودتي مع خدمـــة لعلاك أحظى شافـع يتقبـــل
ان كنت من أدوات زهـر عـاطلا فالزهـر منهنٌ السماك الأعـــزل

332) إدريس (أبو دبوس) بن محمد الموحدي (السلطان)

إدريس بـن محمد بـن عمـر بـن عبد المومـن بن علي الكـومي الموحدي ، يكنا أبا دبوس ، لأنه كان فى بلاد الأندلس لا يفارق الدبوس فكُني

1) هذه الترجمة منقولة بالحرف من **الاستقصا** .

2) **تاريخ ابن خلدون** 6 : 528 طبع بيروت **والحلل الموشية** ص 136 **والاحاطة** 1 : 409 **والاستقصا** 2 : 233 طبع الدار البيضاء ؛ **والانيس المطرب بروض القرطاس** ص 249 **والبيان المغرب** ص 253 طبع تطوان .

به وصارت له به شهرة ، كانت مدته من حين استقراره بدار الخلافة بمراكش سنتين وأحد عشر شهراً وعشرة أيام ، وهو الذى انقرضت عليه دولتهم .

لقبه الواثق بالله .

أمه أم ولد رومية اسمها شمس .

صفته أبيض اللون أشقر أزرق طويل القامة طويل اللحية ، بطل شجَاع داهية مقدام فى الأمور ، دخل مدينة مراكش على عمر المرتضى غدراً ، ففر أمامه فملكها وبويع له بجامع المنصور ، بايعه كافة الموحدين والأشياخ والوزراء والقضاة والفقهاء وأشياخ العرب والمصامدة ، وذالك يوم الأحد الثالث والعشرين لمحرم سنة 665 خمس وستين وستمئة ثاني يوم دخوله المدينة ، وكان سبب تملكه مراكش أن المرتضى أراد قتله لأشياء رفعت له عنه ، فشعر أبو دبوس بذلك فخرج عن مراكش فاراً بنفسه ، فوصل إلى أمير المومنين يعقوب بن عبد الحق المريني مستنصراً به ، فألفاه بمدينة فاس ، فأقبل عليه وبالغ فى إكرامه ، فطلب منه الاعانة على حرب المرتضى وضمن له أخذ مراكش ، فأعطاه يعقوب جيشاً من ثلاثة آلاف فارس من بنى مرين ، وأعطاه بنوداً وطبولا وعشرين ألف دينار برسم النفقة ، وكتب إلى عرب الحشم أن يكونوا معه يداً واحدة ، وشرط له أبو دبوس أن يعطيه نصف ما يغلب عليه من البلاد ، فانصرف أبو دبوس بجيشه ونشر بنوده وضرب طبوله ، فوصل إلى مدينة سلا ، فكتب منها إلى أشياخ الموحدين والعرب والمصامدة الذين في طاعة المرتضى يدعوهم إلى بيعته ويعدهم ويُمنيهم ، فتلقته وفود العرب والهساكرة ببعض الطريق فبايعوه وساروا معه حتى نزل بلاد هسكورة ، وكتب إلى خاصته من وزراء المرتضى أن يعلموه بأخبار مراكش فراجعوه أن أسرع السير وأقبل ولا تخف ، فان الجند قد فرقناه فى أطراف البلاد ، وهاذا وقت انتهاز الفرصة فقد أمكنك وقتها ، فأسرى أبو دبوس تلك الليلة فأصبح على مراكش فدخلها من باب الصالحة على حين غفلة من أهلها ، وذالك فى يوم السبت الثاني والعشرين من المحرم عام 665 خمسة وستين وستمئة ، فسار حتى وقف على باب البنود من قصبتها ، فغلقت الأبواب فى وجهه ووقف عليها العبيد يقاتلونه، فلما رأى المرتضى أن القصبة قد اشتركت معه خرج فاراً بنفسه

ودخل أبو دبوس القصر وبويع ، فاستقام له الأمر ، وسار المرتضى إلى أزمور ، وكان بها صهره ابن عطوش والياً له عليها ، وكان قد أسِر فافتكّه المرتضى بمال جليل ، وزوجه ابنته ، وولاه أزمور ، فلما فرَّ عن مراكش قصد إليه ووثق به ، فأخذه ابن عطوش وكبله وبعثه لأبى دبوس وقتل فِى الطريق ، فاستقل أبو دبوس بملك مراكش وأنحائها ، فاتصل الخبر بيعقوب المريني فكتب إليــه يهنئه ، فلما وصله الكتــاب أدركه الكبــر والعجب ، فقــال لرسوله تقول ليعقوب بن عبد الحــق يغتنم سلامته ويقنع بما بيده مــن البلاد وإلا أتيته بجنود لا قبل له بها ، فلما وصل الرسول إلى يعقوب وأبلغه مقاله ودفع إليه كتابه فاذا هو يخاطبه مخاطبة الخلفاء إلى عمالهم والرؤساء إلى خدامهم ، فتحقق غدره على ما وقع عليه الاتفاق بينهما ، فخرج إلى غزوه فالتقى الجمعان ببلاد دكالة ، وكانت بينهما حروب باشر أبو دبوس الحرب فيها بنفسه ، فقتل وهزم عسكره وحمل رأسه ليعقوب فأمر ببعثه لمدينة فاس فطيف به فى أسواقها ، ثم علق على باب المدينة ، وكان قتله وانقراض دولة الموحدين بموته منسلخ ذى الحجة سنة سبع وستين وستمئة ، والملك لله وحده ، والأرض لله يورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين ، وعدد ملوك الموحدين أربعة عشر رجلا ، هذا آخرهم ، وفي تلك القضية قال في (رقم الحل) عند ذكر يعقوب المريني :

وجــاء إدريس لــه منتدبــــــا	يبغى إلى الظهــور منه سببــــــا
عاهده إن تــم ما يــريــــــده	عهــداً عــلى شرط بدا تأكيــــده
وكان فى بــاطنــه يكيـــــده	والله لا يسلمــه تأييـــــــده
وسار عنه بعدمــا أمــــــده	بقـــوة وعـــدد وعـــــــده
فتمَّ فى مراكش مـــــــراده	ولـــذّ فى قصورهــا ســــواده
وفرَّ منها المرتضى بنفســــــه	والجنسُ يشقى دائماً بجنســــه

يُحكى أن رجلا من الصالحين ببجاية أنشد فى منامه هاذين البيتين فورخ ذلك اليوم فوجده يوم مقتل أبى دبوس ، وهما :

ملك بنى مومن تولَّــــــــى	وكان فــوق السمــاك سمكُــه
فاعتبــروا وانظــروا وقــولــوا	سبحــان مَن لا يبيــد ملكُــه

قال الوزير علي ابن سعيد العنسي لما استولى الهدم والخراب على معظم ديار مراكش بالفتنة المتصلة وانقراض دولة الموحدين وجدتُ على بعض قصورها مكتوباً بفحم :

ولقد مررتُ على رسوم ديارهم ... فبكيتها والربع قاع صفصف
وذكرت مجرى الجور في عرصاتهم ... فعرفت أن الدهر فيهم منصف

قال فتناولت بياضاً من بقايا جيار وكتبت تحته :

لهفي عليهم بعدهم بمثالهم ... بالله قل لي فى الورى هلْ يخلف
مَن ذا يجيب منادياً لوسيلة ... أم من يُجير من الزمان وينصف
إن جار فيهم واحد من جملة ... كم كان فيهم من كريم يعطف

ورحم الله الوزير الحسيب ابن سعيد وشكر امتعاضه لمواليه ، وكانت مدتهم من أول ظهور المهدي إلى وفاة أبي دبوس مئة سنة واثنتين وخمسين سنة .

ترجمه في الحلل الموشية ، والجَذوة (1) .

فائدة :

مات المترجم بمشنزاية ، قال الفقيه السيد عبد الكبير ابن الكريم الشاوي المراكشي فى جواب له المشنزائي نسبته الى مشنزاية ، وهي قبيلة من قبائل عرب دكالة ، كانت لها الشوكة والصيت العالى بين القبائل ، وكان سكانها بالمدينة التى يقال لها مشنزاية سميت باسمه من باب تسمية المحل باسم الحال فيه ، ويقال انها من بنائهم بنوها فى أول الاسلام وتحصنوا بها حين تضايق البربر مع الافرنج . ومن غريب الاتفاق ما قيل إن هذه المدينة على شكل مدينة المصطفى صلّى الله عليه وسلم ولم يبق منها إلا الآثار ، ورسوم الديار بالبلاد الغربية من وسط صقع بلاد دكالة ، واتصل سكنى قبيلة

---

1) ينظر عن ادريس ابى دبوس آخر خلفاء الموحدين **تاريخ ابن خلدون** 6 : 547 **والحلل الموشية** ص 141 **والاستقصا** 2 : 256 **والبيان المغرب** ص 441 طبع تطوان ؛ **وجذوة الاقتباس** ص 114 ع 162 .

مشنزاية بها إلى أن اندرست عمارتها في المئة السابعة في أوائل دولة بني مرين ، وبها مات الواثق المعروف بأبي دبوس آخر ملوك الموحدين سنة سبع وستين وستمئة ، فتفرقوا حينئذ في أقطار الأرض ، وانتقل أكثرهم الى مدينة مراكش وتحضروا بها ، ومازال بها الجم الغفير من أعيانها من العلماء والصلحاء والأولياء وأهل الخير رحمهم الله تعالى ، وسياتي ذكرها في ترجمة الوليد بن زيدان بن أحمد المنصور .

333) إدريس بن محمد العراقي الحسيني

إدريس بن العلامة الامام النحوي سيدي محمد بن ادريس بن حمدون بن عبد الرحمان الشريف العراقي الحسيني ، الشيخ الامام ، الفقيه العلامة المحدث الراوية الهمام ، حامل لولاء الحديث في زمانه ، وسيد أهل عصره وأوانه ، كان رحمه الله أحمد أيمة الدين ، وأكابر العلماء المتبحرين، سلطان المحدثين في وقته في الآثار النبوية ورئيسهم وأعلمهم بالصنعة الحديثية ، قل نظيره في وقته ، بل عدم أو كاد في الحديث والرواية والأسناد والضبط والتخريج والأسانيد وما يتبع ذالك عند ذوي الألباب ، واستدرك أحاديث كثيرة على الجامع الكبير للجلال السيوطي تنيف على الخمسة آلاف ، وألف تآليف مفيدة ، منها شرحه على الشمائل ، وشرحه على إحياء الميت في فضائل آل البيت ، وشرحه على الثلث الأخير من الصاغاني باذن مولوي ، وتاليف لطيف ذكر فيه اعتناء جماعة من الشيوخ بالصلاة والسلام على آل الأنبياء كلهم واستعمالهم ذالك في ابتداء دواوينهم المؤلفة في الحديث وبين فيه وجه ذلك وقرره وكتب عليه بالتصحيح جماعة من أهل وقته ، وله طرر على هوامش كتب الحديث كالشفا والشهاب القضاعي والجامع الكبير وغيرها ، لو جمعت لجاءت منها تآليف عديدة .

اخذ رحمه الله الحديث وغيره عن شيوخ فاس كوالده ، والشيخ علي الحريشي ، وأحمد بن سليمان الأندلسي ، وأحمد بن مبارك اللمطي ، وسيدي الكبير السرغيني ، وسيدي محمد بن زكرى ، وسيدي محمد بن عبد السلام بناني ، وسيدي محمد كسوس ، وسيدي محمد ميارة الأصغر ، وغيرهم ، وكان يبالغ مع بعض أشياخه المذكورين في تحقيق مسائل

الحديث ، وكانوا يراجعونه فيه في مجالس درسهم ، ومما يُحكى ويد على قوة باعه ، وشدة اطلاعه ، أن الشيخ أحمد بن مبارك المذكور كان يدرس كبرى السنوسي في علم الكلام ، فجرى ذكره لبعض الأحاديث ، فسأل صاحب الترجمة عمن خرجه ، فذكر لـه ست طرق ، فقال لـه لله درك ، لقد تعب ابنُ حجر ولم يخرج له سوى طريقين ، وفي (الدر النفيس) لسيدي الوليد العراقي نقلا عن الشيخ سيدي عمر الفاسي رضي الله عنه أنه كان يقول لتلامذته في شأنه هاذا سيدي وسيدكم ، ويقول أيضاً أنه أحفظ من ابن حجر ، كذا نقل عنه ، وقد ذكروا في الحافظ ابن حجر أنه أمير المومنين في الحديث ، وأنه سيد حفاظه ، وأنه جاوز فيه مرتبة الذهبي وأضرابه ، وأنه بلغ فيه مرتبة لم يبلغها أحد بعده ولا كثير من قبله ، وأن عليه المدار فيه في الدنيا بأجمعها واليه المرجع فيه شرقاً وغرباً باطباق من بعده ، ومن طالع كتبه الحديثية وكتب غيره علِم صحة هاذا وتيقنه ، وقد كتب الشيخ القصار بخط يده على أول ورقة من شرحه على البخاري المسمى بفتح الباري ما نصه : إعلم أنه لم يؤلف في فقه معلن علم الحديث مثل هاذا الشرح في ملة الاسلام ، وذكر الشهاب الخفاجي في شرحه على الشفا لعياض أن الحافظ بالمعنى المصطلح عليه عند المحدثين انقطع في عصره وزمانه ، وأن آخر الحفاظ السخاوي والسيوطي فانظر ذلك ، والله أعلم ، وممن شهد لصاحب الترجمة بالتبحر في علم الحديث من شيوخه الشيخ سيدي محمد كَسُّوس فانه ذكر في إجازة أجازه بها أنه ممن حاز قصب السبق في علم الحديث حفظاً ورواية ودراية ، وصل في ذلك الي غاية الغاية قال بحيث لم يصل اليها أحد في عصرنا فيما نعلم .

قال في (نشر المثاني) : ولم يكن له في حال قراءته اعتناء ببعض فيها بكلام كاف واضح شاف ، فالله يجازيه على ذالك .

قال في (نشر المثاني) : ولم يكن له في حال قراءته اعتناء ببعض العلوم نحو النحو والبيان والمنطق ، ومع ذالك كان اذا سرد كتاباً لا يلحن في شيء منه ، بل فصيح النطق قوي الدراية على ذالك ولا ينطق بشيء غير مستقيم ، وكان رحمه الله مقبلا على شأنه مجتنباً ما يخلُّ بمروؤته ، ذا سمت

حسن وهيأة ووقار ، قوياً في دينه ملازما لأوقاته قائماً بما ولي من الولايات من إمامة وتوريق وغيرهما ، وأخذ عنه علم الحديث جماعة منهم ولداه عبد الله وعبد الرحمان ، وابن عمه العلامة سيدي زيان ، والعارف بالله سيدي محمد بن القطب مولانا أحمد الصقلي الحُسيني .

توفي رحمه الله ونفعنا به في شعبان سنة ثلاث وثمانين ومئة وألف ، هاكذا ذكر وفاته في (نشر المثانى) ، وقال في (غاية الأمنية) توفي عام أربعة وثمانين ومئة وألف ، ودفن بروضة الشيخ مولاي أحمد الصقلي ، وقبره عن يمين محرابها تحت الخزانتين الصغيرتين هناك قبالة ضريح مولانا أحمد المذكور ومن معه .

ترجمه صاحب (نشر المثاني) وكذا قريبه مولاي الوليد العراقي في تأليفه المسمى بـ (النفيس) ، وترجمه في (السلوة) ، ونص على دخوله لمراكش ولده سيدى عبد الرحمان في كتابة كتبها بخط يده .

وهاذه نسخة ظهير شريف لسيد محمد بن عبد الله العلوي في اعانة المترجم نصه :

كتابنا هذا أيد الله تعالى أوامره العلية ، وخلد في صفحات الدهر مآثره السنيـــة ، يستقر بين حامله الشريف الأصيـــل ، الفقيه المحـــدث النبيل ، مولاي ادريس بن الفقيه الأرضى ، المحقق المرتضى ، مولاي محمد العراقي الحسيني ، ويعلم منه أننا نفذنا له عند انقضاء كل سنة خمسمئة درهم فضة من سكتنا المضروبة على الدرهم الشرعي ، ويضاف اليها ست شقق من كتان الكامرة الفرانسسية ، وخمسة أذرع من الملف من أي لون كان ، وثمنه من خمس عشرة أوقية للذراع الى عشرين أوقية ، تنفيذاً تاماً وافياً ان شاء الله ، يقبضه على الأبد ، يستعين به على ما يعرض له من الضروريات ، وبث العلم ونشره فى جميع الأوقات ، اخترنا له ذلك مما يفيء الله تعالى علينا من مرسى الصويرة يقبضه ويستوفيه من خديمنا الأرشد القائد محمد الصفار، وقيد التنفيذ في شهر ربيع الأول النبوي الشريف الآتي في عام ثمانيـــن

المتصل بعام تاريخه ، وعليه بالجد والاجتهاد ، في بث العلم ونشره اذ هو خير زاد ، وأحبُ الخلق الى الله من نفع الله امرءاً مسلماً على يديه ، والله تعالى يعينه على القيام بأمور الدين ، ويسلك بنا وبه سبيل الموفقين المهتدين ، والسلام . في أوائل رمضان المعظم عام تسعين ومئة وألف . صح منه مباشرة .

وقد وقفت على فهرسته التى جمعت من خطوط يده على كتب متفرقة فيها ذكر أشياخه وسماعه منهم واجازاتهم له وثناؤهم على تآليفه التى يعرضها عليهم ، وهي في نحو كراس من القالب الكبير .

334) **إدريس بن سيدي محمد بن أحمد المنجرة** ، سيأتي تمام نسبه في ترجمة ولده سيدى عبد الله المنجرة ، من أشياخه عثمـان السوداني ، قرأ عليه بعض ألفية ابن مالك وباحثه في غيرها من العلوم ، وكانت له ملكة في النحو مع خبرة بالفقه والبيان ، وكان كوريٌ اللسان ، توفي رحمه الله في حدود العشرة الأولى ومئة وألف ، ومنهم الفقيه الأستاذ المحقق الصوفي علي بن أبي القاسم جميل ، أخذ عنه قراءة ورش والمكي والبصري وبقية السبعة بضمن الحرز وأصله ، وسمع عليه المورد وذيله والدرر والحرز قراءة تحقيق وغير ذالك وأجاز له عامة ، وكان رحمه الله لين العريكة صفوحاً عن الهفوات صواماً قواماً ، توفي رحمه الله يوم الاثنين 24 رمضان سنة 1102 ، ومنهم الفقيه الأستاذ العدل الأرضى سيدي محمد بن عياد المسراء ، قرأ عليه القرآن بالروايات العشر ، وأجازه عامة ، توفي في حدود العشرة الأولى من القرن الثاني عشر، ومنهم الشيخ الفقيه الأستاذ المحقق المعمر سيدي محمد بن عبد الله السرغيني الهواري شيخ الاقراء بفاس القرويين ، قرأ عليه القراءات السبع بمضمن التيسير والشاطبية ، وعرض عليه المورد وذيله والدرر والجرومية وغير ذلك ، وأجاز له عام سنة 1099 وهو يـروي عن سيدي الصغير بـن منيار ، توفي رحمه الله في 20 رمضان عام 1104 ، ومنهم الشيخ الامام سيدي محمد بن عبد القادر الفاسي ، قرأ عليه وسمع منه وقيد عنه وأجاز له 7 رجب عام 1114 في داره المباركة بوادي الشرفاء من فاس ، كما أدرك والده الشيخ الامام سيدي عبد القادر الفاسي وتبرك به ودعا له وكتب له بخطه في لوحه

آيــات من القرآن العزيز عند ما ختمه على السادات ، وكذلك أدرك الشيخ سيدي الحسن اليوسي وتبرك به وأجازه بخطه في ذي الحجة سنة 1099 ، ثم رحل للحرمين الشريفين تاسع رجب سنة 1106 لأداء فرض الحج وزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، فالتقى بمكة شرفها الله بالعلامة سيدي عبد الجواد المنوفي الضرير الشافعي وقرأ عليه وأجازه ، ومنهم العلامة أبو التأييد سيدي منصور الضرير المنوفي الشافعي وأجازه وقرأ عليه ، ومنهم المتفنن أبو العباس بن محمد المصري الشافعي وقرأ عليه وأجازه عامة ، ومنهم الصوفي سيدي أحمــد البقراوي ، ومنهــم البركة سيدي عبــد الحي بن عبد الحــق الشرنبابلي الحنفي المصري وأجازه ، ومنهم الفرضي سيدي صالح بن حسن المصري الحنبلي حضر عنده وأجازه ، ومنهم العلامة محمد بن قاسم بــن اسماعيل البقري المصري الشافعي الضرير المتوفى سنة 1111 عن أكثر من مئة سنة وحضر عليه وأجازه ، ومنهم المســن الدراك الحيسوبي سيــدي محمد بن موسى الشريف التستوتي قرأ عليه الحساب والأوفاق وأخذ عن الشيخ أحمد بن الحاج اللمطي وغيره ، ومن غريب ما حدث به أن ابن الحاج المذكور احتاج يوماً الى بخور اللبان قال فدخلنا معه الى دار وأخذ قرطاساً وكتب فيه ، ثم جعله تحت كسكاس وبخر بشيء وململ شفتيه هنيْأة واذا بالكسكاس اهتز ثم سكن ، فأخذه ورفع القرطاس واذا به جوابه لم ييبس ، ولفظه : وعليكم السلام والرحمة والبركة والله لا أعرفه إلا عند ظالم بين القرويين ودرب الطويل ، ولا علم له به ، ولو أني قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها لأتيناكم به والسلام ، ومنهم الفقيه الامام الأستاذ المحقق المشارك الصوفي أبو السماح سيدي أحمــد ضرغام البقري بلداً الشافعي ، قرأ عليه وأجازه عامة ، وكان حياً سنة 1134 .

وأما الأشياخ في الدين والانتفاع والتبرك فمنهم الشيخ الصوفي الفقيه الرباني ، المكاشف المراقــب العرفاني ، سيدي محمد بــن سعيد الطرابلسي ، لقيه بطرابلس وذكره ولقنه وقال له انى أحبك ، ومنهم الشيخ الامام سيدي أحمد بن محمد بن ادريس اليمني المتوفي سنة 1113 ، ومنهم العارف الكامل سيدى أحمد بن العارف سيدي محمد بن عبد الله المتوفــي

سنة 1110 صاحَبَه حضراً وسفرا ، ولقنه وانتفع به ، ومنهم المربي النفاع القدوة سيدي أحمد بن العارف سيدي محمد ابن ناصر أخذ عنه العهد والورد وناوله السبحة وصافحه وشابكه ولقنه وأسند عنه إني أحبك وسمع عليه كثيراً من سيرة ابن سيد الناس اليعمري بزاوية الأشياخ محل مأواه من درعة في جمادى الأولى سنة 1127 ومنهم الشيخ الامام المعمر سيدي أحمد بن محمد الحبيب لقيه وتبرك به وبات عنده وصافحه وأضافه على الأسودين (1) توفي عام 1164 ومنهم عمر بن محمد التسولي ، ومنهم الشيخ سيدي علي بن الحسن التيرسي ، ومنهم الشيخة الصالحة أم الربع الحسناوية نزيلة صفرو لقيها بمحلها سنة 1136 واستفاد منها ، ومنهم السيدة الصالحة آمنه بنت عبد الله ، ومنهم الشيخ سيدي عبد العزيز بن عبد الله الصنهاجي المتوفي عام 1134 ، ومنهم صاحب الكرامات سيدى محمد بن عبد الرحمان بن . . . . المراكشي ، ومنهم الولي أبو الصفا الحاج أحمد ابن مسعود الشاوي الأصل الفاسي الدار والمنشأ المعروف بالحاج الشهير ترجمه في ص 223 من الصفوة المتوفى سنة 1114 ، ومنهم المجذوب الحاج عبد الله بن محمد الورياجلي ، ولقي بمراكش الشيخ المريني نزيلها ، ومنهم الشيخ عجلان المصري ، ومنهم الشيخ عنتر الخُلطي ، ومنهم الشيخ محمد العياشي الحميري ، ومنهم وهو أولهم والده سيدي محمد بن أحمد المنجرة كان يحترف بالنجارة وكان يدعو له على الخصوص ويهتم به دون اخوته ، وطلب وهو متعلق بأستار الكعبة وفي المواجهة الله سبحانه وتعالى أن لا يخرجه من الدنيا حتى يترك من صلبه مَن يقرأ القرأان كما أنزل ، وذلك في سنة 1081 كانت همته الذكر لا تراه إلا ذاكراً ويتردد لضريح مولاي إدريس في كل يوم ويحضُّ على زيارته، قال ولده المترجم ادريس فى آخر فهرسته وقد رأيت والحمد لله النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرى النائم وانه على شط نهر جالس وبين يديه طعام هو الثريد العربي ، وأنا جاث على ركبتي وأنظر إلى طلعته السنية ورجلان معي ، أحدهما عن اليمين والآخر عن الشمال ، وأمرنا بالأكل فجعلنا نأكل معه، وأكرع من ماء النهر وأشرب كاد أن يكون ذلك النهر بحراً ، فقال لي صلى

1) التمر والماء .

الله عليه وسلم أتعرف هاذين ؟ فقلت لا يارسول الله ، فقال (ص) أتعرف هذين ؟ فقلت : لا يارسول الله ، فقال : هذا يعني الأيمن عمر بن الخطاب، وهذا الرجل الصالح سعد بن معاذ ، وبقي شيء لم أذكره ، ورأيته مرة أخرى ليلة الأربعاء سابع أو ثامن ربيع الثاني سنة ست وثلاثين ومئة وألف في مكتب الشهود قرب جامع القرويين وهو على كرسي يقرأ وبين يديه أناس لم أعرف منهم الا ولدي الفقيه سيدي عبد الرحمان ، وصبي ولدنا الأرضى سيدي حفيد لا أقدر أكيف نورية تلك الصورة ، بل كلما حققت النظر ازداد النور ، وبقي أمر آخر لم أذكره أيضاً .

وفهرسته هذه في نحو كراستين ونصف ، ومنها لخصت ترجمته ، ووقفت على شرحه لدالية سيدى محمد بن مبارك السجلماسي الفاسي المولد الذى سماه (المقاصد العالية فى شرح الدالية) وعلى شرح ولده سيدي عبد الرحمان لها المسمى (المقاصد النامية ، فى شرح الدالية) .

توفي رحمه الله بفاس عام 1137 .

135) **ادريس بن قاسم بن ادريس الدباغ** قال فى ص 37 من (الدر السني) ما نصه : ومن هذا الفرع ابن عمهم المستوطن الآن بمدينة مراكش السيد ادريس بن قاسم بن ادريس المذكور ثالثاً من ادريس المصدر به هذا الفرع الخ .

336) ادريس بن محمد ابن ادريس العمراوي

ادريس بن الوزير محمد بن ادريس بن الحاج الزمورى العمراوي ، كان فقيهاً أعجزت مفاخره كل ناقل ، وعجز عن بلاغته سبحان وائل ، صار فى علم البديع بحراً ، وفى علم البيان والمعاني والقريض بدراً ، وله قصيدة أنشدت عام 1294 بفاس بين يدي مولانا الحسن بالحضرة العالية أجاد فيها بالفصاحة والبلاغة نصها :

علامات إضمار المحبة لا تخفـــى ... ونار هوى المحبوب فى القلب لا تطفا
وجيش الصبابات المروع للحشـــا ... يكر على صبري فيهزمه زحفـــا

وكيف أواري الحب أو أكتم الجوى ... ودمع مئاقي العين قد ساجل الوطفا
عريب النقا ما ذا لقينا من الضنـا ... فهل نرتجي مما عرا بكم كشفـا
إذا باكرت من بطن نعمان نسمـة ... تجدد للصب المصاب بكم لهفـا
وإن لمع البرق اليمانيُّ موهنـاً ... أثار بأحشائي بذكراكم لهفـا
بحق هواكم بالفؤاد ترفقـوا ... ورقوا لهيام فقد جاوز الوصفـا
اذا لم يكن وصل فوعد بـزورة ... وإن أنتمُ لم تسمحوا فابعثوا الطيفا
على أنكم مذ غبتمُ هجـر الكـرى ... فما نام طرفي بعدكم لا ولا أغفـا
أحبةَ قلبي هل تعود عهودنـا ؟ ... وهل تنظرنْ عيني المحصَّب والخيفا
وهل أردنْ ماء العذيب وبـارق ... وتمنحني بالمنحنَى أسرتي عطفـا
وهل بحمى الجرعاء والجزع أحتمي ... وأنشق بالبطحاء من عالجٍ عرفـا
معاهد أحبابي وملء محاجـري ... سقاها الحيا الوسميُّ بالديمة الوطفا
أردد ذكراها وأهتف باسمهـا ... لعلي بذكراها من الوجد أنْ أشفَى
وهيهات لا يشفِي المحبَّ من الأسى ... سوى أن يرى عند الحمى ذلك الالفا
على مَ أصدُّ النفس معتسفاً بهـا ... وما لي أرجِّيها بعليَّ أوسوفـا ؟
فهلاَّ امتطيت العزم مطرحاً سوى ... مراقي تدنيني إلى المورد الأصفـا
وإن شفائي لو وجدت مساعـداً ... سماع حداة العيس ترمي بها عسفا
إلىطيبة تطوى المفاوز لا تنـي ... تبادر لا تخشى شتاء ولا صيفـا
إلى روضة المختار أحمد مَن بـه ... تمهَّد دينُ الحق واتخذ الأكنفـا
نبي الهدى المبعوث للناس رحمة ... ومن جعل المجد الصميم له وقفـا
ومن لعباد الله أصبح هاديـاً ... فنالوا به الزلفى وقد أمِنوا الخوفا
وبلغ للخلق الرسالة ناصحـاً ... فلله ما أبدى ولله ما أخفـى
وأعلا منار المسلمين بهديـه ... وأعمل فيمن ضل عن سبْله السيفا
وأوضح دين الحق فاتصلت بـه ... موارد مَن يسلكْ بها يأمنِ الحتفا
وخُصَّ من المولى بكل كرامـة ... تجاوزت الأعداد والشبه والكيفـا
به ختم الله النبيئين منَّـة ... وفضَّله من بينهم وله استصفـا
وقدم فى الاسراء فهو امامهـم ... وقد جعلوا من خلفه كلهم صفـا
وفى الحشر يأتي الرسل تحت لوائه ... وقد عمَّهم من فضله الكنفُ الأوفا

به أظهر الله الجمال جميعَــــــــه ... وأعطى لفرد الحسن يوسفِ النصفا
وأخدمه جبريل في حضرة بهــــا ... سقاه شراباً من مَبرته صرفــا
غداة تدنَّى قاب قوسيْن أو أدنـا ... وفي الموقف الأعلا له المجد قد زفا
فنال مناه باجتباء ورفعــــــة ... وعاد قرير العين بالقرب والزلفى
وفي المولد الأسما بدت معجزاته ... خوارق عادات شفتنا بها الشفـا
كايوان كسرى إذ تداعى بنـــاؤه ... وما كان يخشى من وثاقته صرفـا
وتنكيس أصنـام ورجــم مخـاتـل ... يروم استراقَ السمع من جهله خطفا
وغارت عيون الفرس عند خمودها ... لهم من وقود لم يكن أبداً يطفـا
ومن قبل مبداه أتتْنا بشائـــر ... من الحقّ في الآذان تقذفها قذفـا
الى أن بدا النور الذى ملأ الفضـا ... فلا شرق يُخفي ما استنار ولا جوفا
كما أنجاب عن شمس الهداية ليلُها ... فلما تزلْ تبدو ولما يزلْ يخفـى
وكم من علامات وكم من كرامـة ... له مع ترداد العصور به تلفـى
فقل للذى يرتاد حصر صفاتـه ... أردت محالا ياعديم الحجا كُفّـا
لو اجتمـع الأمـلاك والجـن دفعـة ... كذا الانس ما استوفوا من أوصافه حرفا
إذا الله حلاه ونوه باسمـــــه ... فكيف يجيل العقل في وصفه طرفا

* * * * *

نبي الهدى المبرور عدةُ خائـف ... يمد على بعدٍ لمعروفك الكفــا
غريب بأرض الغرب أعيت أموره ... وضاقت مساعيه فناداك واستكفى
يناديك والأوجـال تضعف صوتـه ... وحمل اكتساب الوزر قد أثقل الردفا
يروم نهوضاً ثم يعجزه الونـــا ... ويغلب لا يسطيع عن نفسه صرفا
فلبِّ رسول الله صوت مؤمــل ... وأسدل على عوراته كرماً سجفـا
وأولِ ابنَك المنصور بالله عطفـة ... يحلُّ بها فوق السماك ولا خوفـا
ووالِ له سعداً وفتحاً مؤيـــدا ... يسوق به للمعتدى الهلك والحتفا
فقد يارسول الله أعمل جهـــده ... وما حاد عن نهج الرشاد بلى عفا
وقام بنصر الدين محتسباً بـــه ... يجدد ما استبلى ويوضح ما استعفى
وأسهر فى ليل المكارم طرفـــه ... وأعطى على الاصلاح مهجته وقفـا
فساس وواسى ثم آسى بعدلـــه ... ولان لمَن والى وقد جانب العسفا

وشاد بناء ثابت الأسّ بالتقـــى وساد وبالمعروف قد بسط الكفّــا
وجرد للأعداء ماضيَ عزمــه وأسرج مرتاداً لنيل العلا طرفــا
هو الحسنُ السامي لأعلا مثابــة له الحسن والاحسان حازهما وصفا
أنلْه رضى يكسوه حلة مفخــر وعزاً منيعاً شامخاً يغلب الكيفــا
الى أن يراه العالمون مجــدداً لسنتك الغراء ماح بها الظلفــا (1)
حنانيْك للبر العطوف الذي بــه تبدى جبينُ العدل من بعد ما استخفى
حنانيك للفرع الكريم الذى زكــا وطابت مزاياه وبالعهد قد وفّــى
حنانيك للحبر الهمام فلم يــزل لخرق عداة الحق من جده يرفــا
أعنْه أعنْه ياسلالة هاشــم وياخير مَن والى ومن أكرم الضيفا
وكن ناصراً حزب الاله بسيفــه وأنزلْ على أعدائه الخِزيَ والخسفا
ومثلك مَن حامى وواسى وإننــا على ثقة أن يحرز الحب والعطفا (2)
سلام على ذاك المقــام مضمــخ بأطيب طيب عرفه يملأ السوفا (3)
وأزكا صلاة من حمى القــدس يزدهي لها العرش والأملاك تستوعب الصحفا
وللآل والأصحاب أوفى تحيــة ننال بها من ربنا العطف واللطفــا

وقال رحمه الله هذا الموشح عام خمسة وتسعين ومئتين وألف وأنشد بين يدي أمير المومنين بمراكش :

ياحادياً يقطع السباســب ينشد طبعاً من النسيــب
استدم السير في الغياهــب لا تخش من حادث مهيــب

* * * * *

سق المطايا تلق المــزايــا واطو فيافى البعاد طــي
حتى ترى النوق كالحنايــا وارم بها نحو أرض طــي
نعم وحاذر وقع المنايــا إن جزت حول الحمى بحــي

* * * * *

1) الظلف : الباطل .

1) فى **فواصل الجمان** العصفا ؛ وشرحه مؤلفه بأنه بقل الزرع ؛ وعليه فيكون الحب قبله بفتح الحاء .

2) السوف جمع سوفة : الأرض .

وارع هناك الغُرُّ العـرائـــــب   الصائدات القرم الأريـــــــب
بوتر الغنج والحواجـــــــب   تستعبد الأورع النجيـــــــب

* * * * *

عرب بتلك البطاح حلـــــــوا   دم المعنى لهم حـــــــلال
عن الخنا والخلاف جلـــــــوا   للسعد في ربعهم مجـــــــال
وهجر مضناهم استحلـــــــوا   ولم يخن عهدهم بحـــــــال

* * * * *

حازوا مُنَى الصب والرغائـــــب   قـد جاوروا منـزل الحبيـــــب
وانشر حلا الوجد والغرائـــــب   وانشد فؤاد الحب الغريـــــب

* * * * *

وحي عني ربا المعلـــــــى   والشعب والوادى الظليـــــل
ونور سلع اذا تجلـــــــى   والبـرق في ضوئـه كليـــــل
هناك بين الربا تمـــــــلا   تستنشق الشامي البليـــــل

* * * * *

معاهد ذكرهن واجـــــــب   على المعنى البر اللبيـــــب
إن بان طرف لها وحاجـــــــب   يعتاد قلبي بها وجيـــــب

* * * * *

وإن رأيت المقام الأسعـــــــد   حزت الرضا من منى وســـــول
مقام خير الورى محمـــــــد   المصطفى الهاشمي الرســـــول
مَن بمزايا العلا تفـــــــرد   وغيره ما له وصـــــــول

* * * * *

لما تجلى بدت عجائـــــــب   في حضرة السميع المجيـــــب
نال بها منتهى الرّغائـــــــب   وشاهـد الحق من قريـــــب

* * * * *

فكان ثم الفرد المنادى   وجبريل له خديم
خلّف جبريل ثم زادا   لمقعد المجتبى الكريم
واستكمل القصد والمرادا   بفخره الطارف القديم

* * * * *

وهو في الحشر خير عاقب   إذا ادلهمّ اليوم العصيب
تلوذ فيه به عصائب   عند اشتداد الحر المذيب

* * * * *

إذ يبلغ القلبُ للحناجر   إلى علاه يلجا ويصمد
أول ذا الخلق والأواخر   كل ينادي الشفيع أحمد
تنصب للأنبيا منابر   ثم يقوم المقام الأحمد

* * * * *

وكم تبدت لنا مناقب   يعجز عن عدها الخطيب
حين تدلت له الكواكب   بمولد ما له مغيب

* * * * *

أتت بميلاده البشائر   بألسن الجن والبشر
قس سطيح سعدى تماضر (1)   كل له عنده خبر
ينقله البدو للحواضر   حيث حوى فخره مضر

* * * * *

نشأ في أشرف المناسب   من كل فحل نام حسيب
يُجاذب المجد كل جانب   فكل فخر له جنيب

* * * * *

---

1) قس بن ساعدة الأيادى ؛ الحكيم العربى البليغ ؛ وسطيح كاهن بنى ذيب ؛ وتماضر بنت عمرو بن الشريد هى الخنساء .

مطلعه أبرك المطالـــع		نجم الهدى فيه قد طلـــع
وقبره أشرف المواضـــع		لتربه العـرش قـد خضـــع
شنّف بأمداحـه المسامـــع		واتلُ المزايا التى جمـــع

* * * * *

ودم على ذكره وواظـــب		إن تكن الحاذق الأديـــب
بلفظـه طيـب المـــآدب		يغنى شـذاه عن كل طيـــب

* * * * *

أنقذنـا من هـوى المهـالـك		من بعـد جيـل بهـا هلـــك
وأوضـح السبـل والمسالـك		طوبى لعبد بهـا سلـــك
لـولاه ما انجـابت الحـوالـك		كلا ولا استجمـــع الفلـــك

* * * * *

ولـه نلجـأ من النـوائـــب		إذا التحت (I) عودنـا الصليب
فالجـأ لمغنـاه غيـر هـائب		وقل بلفـظ الجانى الكئيـــب

* * * * *

ياسيد الأنبيـاء طـــه		ياذا المقـام السامـي النزيـــه
فخرك فى الخلـق لا يضـاهـى		ومالـه فى العـلا شبيـــه
يامن تسامى فخـراً وجـاهـا		المشفـع المرتضـى الوجيـــه

* * * * *

يامن بـه ضاءت المـواكـــب		وانخذلت دولـة الصليـــب
ياخير مَاش يخطـو وراكـــب		ياصاحب التـاج والقضيـــب

* * * * *

عبدك بالغـرب مـد كفـــا		لنيلـك الزاخـر المديـــد
ودمعـه يستهـل وكفـــا		يرجـو الذى يأمـل العبيـــد
لو ساعد البخت جـاء زحفـــا		يبث شكـــواه بالوصيد (2)

* * * * *

I) التحت : قشرت .
2) الوصيد : الباب .

فكن لعبـد حشـاه دائـب ... مـا بين ليث عـدا وذيـب
وذنبُـه أوهـن المنـاكـب ... والعفـو من فضلكـم قريـب

* * * * *

واعطف عـلى نجلـك المفـدى ... بالأهـل والمـال والبنيـن
بـدر صلاح وقـد تبـدى ... فى المنهـج الواضـح المُبيـن
سار وللقصـد مـا تعـدى ... بهديـه المشـرق الجبيـن

* * * * *

وقـام فى الدين خير نائـب ... ولعُـلا أمركـم منيـب
وحاز فى الفضل سهـم صائـب ... ورأيُـه فى العـدا مصيـب

* * * * *

بسيفـه شيـد المعـالـي ... وبالهـدى والتقـى ارتفـع
صنو النـدا صادق المقـال ... فمجـده فى السما لمـع
جيد رعايـاه منه حـال ... باليمن والأمـن قـد صـدع

* * * * *

أحلف بالله غيـر كـاذب ... ومـا مقـالـي بـذا غريـب
ما في ملـوك الزمـان كاسب ... لفخـره أوْ لـه نصيـب

* * * * *

الحسن الهاشمـي شهـم ... ينميـه للمصطفـى هشـام
في راحتيـه بحـر خضـم ... نـال نـداه حـام وسـام
وإن بدا للشقاق نجـم ... محـاه من بأسـه الحسـام

* * * * *

كم من مسيء أتـاه تـائـب ... فـوجد الصافـح المثيـب
وبـائس نـاوش المصائـب ... بمده اكتال والجريـب

* * * * *

فالغرب بالعـدل منه رائـــــق والسعد في أفقه رقـــــــــى
أدواح خيراتـــه بـــواســـــق سقاها منه الـذى سقـــــــــى
والعلم في راحتيه نافـــــــق يدعـو لـه الدهـر بالبقـــــا

* * * * *

مذهبـه أحسنُ المذاهــــب ودهـــره النـاعـم الخصيـب
بـه لدينـا انهلت مـــواهــــب عند ذراه السهـل الرحيـــب

* * * * *

أوقـاته كلهـا سعـــــــود يحـوطهـا اليمـن والسعـاده
ولمقــــامــــاته صعــــــود تُتلا بها الفاتحات عـــــــــاده

* * * * *

بــــروق نصــر لهـــا رعـــود على العدا ترة معـــــــــــاده
يقـود عند الوغـا كتـائـــــب ينهد من وقعهـــا الكثيـــــــب
من كل قـرم حـام مضـــــارب يستعذب الحتف كالضريـب (I)

* * * * *

ليـوث حـرب تحت المغـافـــر عودهـا فى العـدا الظفـــــر
من صادق الطعن وهو سافـــــر تشبهـه الأسـد إن سَفـــــر
وساحب السيف فـــوق نـافـر يقول للقـــرنِ لا مفــــــر

* * * * *

مشـارق الأرض والمغـــارب عـادت لصـولاتـه تنيـــب
والمارق الخارج المحـــــارب بدم عتنونه خضيـــــــب

* * * * *

I) الضريب : العسل الأبيض .

أعمـل في الصالحـات جهـــده وكبت الـزائـغ المريـــد
ألهـم في المكرمـات رشـــده وسار سير الرضى الرشيـــد
فأظهـر الله ثـم جنـــــده ومنك يستوهب المـــزيـــد

* * * * *

فكـن لـه الحـافظ المراقـــب وقلدنه العضب الخشيـــب (1)
مهد لـه أرفـع المراتـــب واحفظـه في القـرب والمغيـب

* * * * *

عطف عليه القلـوب جمعـــا وكـن لـه النـاصر الحميـــم
وحـام عنه دفعـاً ونفعـــا وافتـح لـه فتحـك العميـــم
واكس المناوي ذلا ووضعـــا وأوردنْه الـردى المليـــم

* * * * *

واحرس علاه من كل جـانـــب وأره صنيعـك العجيـــب
أمَّ نداكـم راج وراغـــب حاشا لعليـاك أن يخيـــب

* * * * *

مـولاك يهنيـك ما تسنـــى لِسعـدك الفـائـز المتيـن
وابشر بنيـل الـذى تمنـــى من فضل مـولاك كـل حيـن
واسعد بعيـد بكـم يهنـــا وانعـم بهـذا العقـد الثميـن

* * * * *

روق من وصفكـم مشـــارب فازدان منشـوره الذهيـــب
عارض في النظـم وهـو راهـب ما لابن سهل وابن الخطيـــب

* * * * *

---

1) الخشيب : المطبوع الصقيل .

ياأهــل بيت النبي أنتـــــــم   لمدحــي البـــدء والختـــــام
أفلــح كعبي إن قبلتــــــــم   وما علي من غلا مـــــــــلام
طــاب شذا مدحكـم وطبتـــم   عليكــم منكـــم الســـلام

* * * * *

ســــلام ربـي عليه دائـــــب   ما اشتــاق مضنى إلى الحبيـــب
وما له من آل وصاحــــــب   ما صاح في الروض عندليـــــب

وله رحمه الله غير ذلك في المولد الشريف عدة قصائد طنانة منها ما قاله عام 1296 وأمير المومنين بمراكش نونية من الطويل مطلعها :

أكاتـم أنت أم هواك إعـــــلان   وهل يفيدُ الهـوى العذريَّ كتمان

وهي طويلة أنشدها أحمد ابن الحاج في مولده .

وقال رحمه الله :

أحب من الدنيــا لقـــاء وليــــدة   رَداح حوت من لطفهــا غاية الظرف
كحيلة أحداق خفاف خصورهـــا   ثقيلة ردف الكفل بينة الظـــرف
يطيب بها عيشي وتأنسها نفسي   ويزهو بها لبي ويلهو بها طرفـــي
وأحسن آمالي وأشهها مقاصـــدي   مواخاة طرف واستواء على طـرف

ومما سار من شعر المترجم سير الشمس تخميسه على قول سيدي علي بن وفا عودوا إلى الوصال عودوا الخ ونصه :

أحبتي طالت العهــــــــود   وفوا لمضنى بكم عميــــد
ليس على ذا الجفا مزيــــد   (عودوا إلى الوصال عــــودوا
فان وصلي بكم جديـــــــد)

أقسم بالسبعة المثانـــــــي   ما في فؤادي سواكم ثانـــــي
فحركوا رنّة المثانـــــــي   (وقربوا الوصل والتدانـــــي
فالقرب للعاشقين عيـــــد)

مضنى ذووه قد أو حشـــــــوه   بالمطل والتيه أعطشـــــــوه
فداركوه وأنعشـــــــــــوه   (خذوا فؤادي وفتشـــــــوه
وقلبوه كما تريـــــــــد)

أقلقه بعدكم نواكـــــــم   وهو المحل الذي حواكـــم
ما حلّ فيه سوى هواكـــم   (فان وجدتم فيه سنواكـــم
علي زيدوا البعاد زيــــدوا)

وخمسها أيضاً الطالب الشيخ محمد الفيلالي بما نصه :

حبي لكم سادني شديـــــــد .   شغلي بكم قادتي أكيـــد
فما جفوتم أعيدوا وأعيـــدوا   (عودوا إلى الوصال عـــودوا
فان وصلي بكم جديـــــــد)

فشنفوا السمع بالمغانـــــي   وروحوا الروح بالتهانـــي
وريحوا القلب بالأمانـــــي   (وقربوا الوصل والتدانـــي
فالقرب للعاشقين عيـــــد)

بالغير والله لا أفـــــــوه   وشاهد الروح فاسألـــــوه
فان أبيتم تصدقـــــــوه   (خذوا فؤادي وفتشـــــوه
وقلبوه كما تريـــــــد)

وعاهدوه على وفاكـــــم   وحملوه رضا قضاكـــــم
وكلفوه قضا هواكـــــم   (فان وجدتم فيه سواكـــم
علي زيدوا البعاد زيـــدوا)

كان المترجم رحمه الله فقيهاً أديباً كاتباً بارعاً ناظما ناثراً ، وله ملكة في الترسيل ، صاحب أخلاق حسنة ، وأفعال مستحسنة ، مقتصداً في أمور معيشته ، وكان ينهى نساءه عن ترفيه أولاده ولا يتركهم يبالغون في الاسراف ، عيبة سر الوزير موسى بن أحمد وجامع أسراره وأشغاله ساعياً فـي قضاء

حاجات الناس ، كان يسكن بدارهم بحومة سيدى ميمون من مراكش ، وأرجع له السلطان مولاي الحسن عرصتهم بباب الرب ، ولما أفضت الخلافة للسلطان سيدي محمد قـدس الله روحه وجـه المترجم سفيراً ، قـال في (الجيش العرمرم) : وقد وجه مولانا نصره الله كاتبه الفقيه الأديب الصادق ، الأمين الحازم الناظم الناثر ، الحسيب الأديب ، سيدي الحاج إدريس بن الوزير الأعظم الأجل الأكرم العلامة سيدي محمد ابن ادريس فى هذه القضية وفي غيرها من شؤون المملكة التى تقتضيها السياسة والعادة المقررة بين الدول إلى جنس الفرنسيس ، ومرة ثانية إلى جنس الاسپانيول ، وسفارته إلى فرنسا هذه خرج إليها من فاس العليا في ثالث عشر ذي القعدة عام ست وسبعين ومئتين وألف ، وأقام بباريس اثنين وأربعين يوماً ، وبعدما رجع أملى رحلة سماها (تحفة الملك العزيز ، بمملكة باريس) طبعت في فاس في صحائف 109 .

وقـد وقفت للمترجم رحمـه الله على تقييد مهم ذكر فيه أنـه لما طالع (السر الظاهر ، فيمن أحرز بفاس الشرف الباهر ، من أعقاب الشيخ عبد القادر) تشوق إلى الانخراط في سلك مَن تطفل على كريم بابهم ، فنظم قصيدة في مدحهم ، وسرد فيها نسبهم المبارك مبتدأ من أخيه في الله ومحبه فى ذاته الشريفة الوجيه النبيه الذاكر الناسك المتواضع مولانا محمد الطائع بن مولانـا عبد الهادي بن عبد الله بن محمد بن طـاهر بن عبد السلام مؤلف (الدر السني) القاطن تاريخه بثغر السويرة ، وتاريخ هذا التقييد عام 1287 سبعة وثمانين ومئتين وألف ، وهذه المنظومة من الخفيف أولها .

حب آل النبي خير وسيلـــــة ومـوالاتهم هدى وفضيلـــــة

وعدتها 43 بيتاً ، وهو الذى جمـع ديوان والدي رحمه الله لأميـر المومنين مولانا الحسن :

وكم أبصرت من حسن ولكـــن عليك من الورى وقع اختيــاري

ورتبه على حروف المعجم وقفت منه على مجلد في القالب الرباعي في نحو ستة وعشرين كراساً وصل هذا المجلد إلى حرف النون .

توفي المترجم رحمه الله بنزلة حدثت له بعد موت الوزير السيد موسى وسفره مع الوزير السيد محمد بن العربي ، ودفن بضريح سيدي فاتح برباط الفتح في 14 جمادى الثانية عام 1296 . ورثاه سيدي محمد الندرومي المراكشي بقصيدة طويلة لامية من الخفيف منها :

كيف لا والمنايا طاشت بادريس ... وغالته بغتة باغتيال

ثم قال :

ندبته طلوله ورثته ... ومحتها يد الصبا والشمال
قد تعاطى القريض دهراً طويلا ... وروت قوله فحول المقال
وجرى في الانشاء فرداً وأسمى ... مجده منشيء السحاب الثقال
أتحفتْه راية المجد والحز ... م ترى في يمينه والشمال
هو أبهى من الرياض تجلت ... من زهور ومن نبات الدوالي
هو أجلى من الغزالة صحوا ... قد علا كعبه بجاه وحال
أي وجه تحكم الترب فيه ... بالبلا وعتا بذاك الجمال
أي بدر توارى بالقبر عنا ... وجرى النقصُ فيه بعد الكمال
أي فضل تخطفته المنايا ... أي مجد هوى فياللرجال
أي فخر سدت ذراه البلايا ... بعد أن حاز غاية في المعالي
أي جود ثوى بلحد مضيق ... طالما سح مزنه بالتوالى
أي سعد تقاصر السعد عنه ... أي صدر جلا بغير مثال
أي حلم تعجب الطود منه ... أي رأي وعفة واحتمال
يالها همة تود الثريا ... رفعها إذ أجلها ذو الجلال

ثم قال :

ياعيون السحاب صبّي على قبر ... ه عند البكور والآصال
كان غيث الندى جسيم العطايا ... وجميل الثنا حميد الخصال

ثم قال :

صاده الموت حين رقت حـــلاه وبدا وجهه كوجه الهـــلال
هذه الرحلة التى أوردتـــه مورد الموت كم بها من رحـــال

ثم قال :

يامليك الملوك يارب فاغفـــر ذنبه وقِه من الأهـــوال
وصلاة الالاه تترى على خيـــر الورى ظلنا وصحـــب وآل

وهذا نص ما كتب على ضريح المترجم قرأته في رخامة على رأسه في ليلة 14 محرم عام 1336 ، وقد وجد بخطه فى جيبه :

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبيه وعبده ، وعلى آله وصحبه ، هذا ضريح الفقيه الأجل ، الكاتب النزيه المبجل ، المرحوم بكرم الله عز وجل ، سيدي ادريس بن الفقيه العلامة الأجل ، الوزير الأفضل ، المرحوم بمنة الله عز وجل سيدي محمد ادريس العمراوي ، توفي رحمه الله صبيحة يوم الخميس 14 جمادى الثانية عام 1296 ستة وتسعين ومئتين وألف تغمده الله برحمته ، وأسكنه فسيح جنته ، وألحقنا به مسلمين آمين .

وحدثني قيم ضريح سيدي فاتح سيدي المكي بن محمد التطوانـــي الناسك المعمر الملازم للضريح المذكور أن المترجم كان فيه مفرط ، وأنه مهما أتى للصلاة فيه إلا أكرمه بهدية ، وأنه مرض في بوزنيقة ، ثم قدم الرباط ومات بالوباء في التاريخ المذكور ، وكان ينزل بالرباط قرب الضريح المذكور في دار إمامه سارت اليوم أروى ، وكان ملازماً للصلوات به ، وكان يجلس في محل قبره بين ساريتي القوس الأخير الموالي للحائط الغربي منه على يسار الداخل .

ومن نثره رحمه الله ما كتبه عن أمير المومنين مولانا الحسن قدس الله روحه لقضاة مراكش : وبعد فقد بلغنا من أخبار متعاضدة ، وطرق عن التحامل متباعدة ، أن خطتي القضاء والافتاء (1) صارتا ملعبة ومتجراً ، لا يعرف

---

1) هذا كل ما أورده المؤلف من هذه الرسالة فى الأصل ؛ وقد أكملناها من كتاب **فواصل الجمان** للكاتب الأديب المرحوم محمد غريط .

أصحابها فيها سآمة ولا ضجرا ، وأن الرشى تقبض فيها سرّاً وعلانية ، والأحكام تصدر بنية وبلا نية ، قد عدل فيها عن منهاج العدل ، من غير اكتراث بتانيب أو عذل ، والحقوق نزلت بمعرض الضياع ، والمراتب المعظمة بهذه البقاع كسراب بقاع ، وان بعض القضاة حمله ما حمله إلى التطاول للدعاوي البعيدة منه ، واستجلاب القضايا المصروفة عنه ، وتوجيه أعوانه للاتيـان بالخصماء من البلاد التى قضاتها لهم الاستقلال ، ولم يصده عن الترامي لذلك ما يستقل به من الأثقال ، مع العلم بأن مَن صُرفت عنه قضية ، فقد صُرفت عنه بلية ، لو لم يكن الغرض الدنيوي الذي أغراه ، والشره الذى استحوذ عليه وأغواه ، حتى ظهرت على القضاة أمارات الغنى والرفاهية ، ودهتهم من الميل للزخارف كلُّ داهية ، وتبختروا فى الحلل والنمارق ، وذهلوا عن الأثر الماثور مَن ولي القضاء ولم يفتقر فهو سارق ، كما بلغنا أن طائفة من العدول أذن لهم فى الشهادة افتياتاً من غير اعتبار الشروط التى شرطناها ، ولا وقوف مع الحدود التى بيناها وحددناها ، واتخذ منهم ومن الأعوان والوكلاء أشراك للطمع ، وجسور بناها التهور والهلع ، يمر عليها ما يمر بأجرة الخطاب وحق العلم ، وتعد للاستتار بها حالتي الحرب والسلم ، مع أن الله تعالى لا تخفى عليه خافية ، ومن أسر سريرة ألبسه الله رداها ، والحق أبلج .

ومهما تكن عند امرىء من خليقــة · وإن خالها تخفى على الناس تُعلم

هذا مع أنا بالغنا في اختياركـم لتطهير الصحيفة ، وإبعاد ساحـة الشريعة عن الأمور الشنيعة المخيفة ، واختبرنا وخبرنا ، وانتقينا وأبقينا ، ولاكن صدق الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم : « الناس كابل مئـة لا تكاد تجد فيها راحلة » .

إني لأفتح عيني حين أفتحهـــــا على كثير ولاكن لا أرى أحـــــدا

فاذا كان أهل العلم تصدر منهم هــذه الفعال ، فأي شيء تركـوه للجهال ؟ واذا كان منصب الشريعة تحاز به البراطيل ، وتبدو من جانبه الرفيع هذه الأباطيـل ، فأي ملام يتوجه على عامَّـة الناس ، على اختلاف الأنـواع والأجناس .

من غص داوى بشرب الماء غصته فكيف يصنع من قد غص بالماء ؟

كيف ولم تزل تتلى عليكم آيات كتاب الله ، وأحاديث رسول الله صلى الله عليه عليه وسلم ، أأنتم عنها ساهون ؟ أم أنتم عن التذكرة لاهون ؟ أفلا تتدبرون قول الله ؟ (ولا تاكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتاكلوا فريقاً من أموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون) ، وقوله صلى الله عليه وسلم : (لعن الله الراشي والمرتشي والرائش) أي الذى يمشي بينهما ، وقوله عليه السلام : (من ولي القضاء فقد ذبح بغير سكين) ، وقوله عليه الصلاة والسلام : (القضاة ثلاثة : واحد فى الجنة واثنان فى النار ، فأما الذى فى الجنة فرجل عرف الحق فحكم به ، ورجل عرف الحق فجار في الحكم فهو فى النار ، ورجل قضى للناس على جهل فهو فى النار) . وقوله عليه الصلاة والسلام : (لياتين على القاضي العدل يوم القيامة ساعة يتمنى أنه لم يقض بين اثنين فى تمرة واحدة قط) ، وقوله عليه الصلاة والسلام : (يوتَى بالقاضي يوم القيامة فيوقف للحساب على شفير جهنم ، فانأمر به دفع فهوى فيها سبعين خريفاً) ، وقوله عليه الصلاة والسلام : (إن أعتى الناس على الله وأبغض الناس إليه وأبعد الناس من الله رجل ولاه الله من أمر أمة محمد شيئاً ثم لم يعدل بينهم) ، وقال صلى الله عليه وسلم : (إن القاضي يأتي يوم القيامة مغلولة يداه الى عنقه فيطلقهما عدله ويوثقهما جوره) ، هذا واسألوا عن سيرة مَن تقدم من قضاة هذه الحضرة المراكشية كالفقيه السيد محمد عاشور ، والفقيه السيد الطالب ابن حمدون ، فقد كانوا من الدين والخير بمكانة ، وأعطوا الخطة حظها من العفاف والصيانة ، وخرجوا منها بيضَ الصحائف حُمر الوجوه ، فاعرفوا فضلهم ، واقتفوا سبيلهم ، وتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم ، واعلموا أننا بحول الله لا نزال نبحث عن أحوالكم بالتنقيب والتنقير ، ونعاملكم بالتحذير قبل التعزير ، وباللين ثم الجد ، وبالصفح ثم الحد ، لأنَّ الله كلفنا بكم ، وسائلنا عنكم ، وأمور الشريعة عندنا أهم من كل مهم وآكد من كل أكيد ، وما على هذا من مزيد ، (إن أريد إلا الاصلاح ما استطعت ، وما توفيقيَّ إلا بالله ، عليه توكلت ، وإليه أنيب) .

والله يوفقنا ويوفقكم وجميع المسلمين لما يحبه ويرضاه والسلام (1) .

---

1) فواصل الجمان ص 142 واتحاف اعلام الناس 2 : 32 .

337) **إدريس بن محمد الجعيدي السلوي** الشريف الأديب الفقيه فلكي العصر . في ربيع الثاني من سنة سبْع وتسعين ومئتين وألف ورد كتاب السلطان مولاي الحسن قدسه الله على قاضي سلا لتهييئه للذهاب إلى مراكش برسم القيام على إحصاء صائر السلطان بها بدلا عن الفقيه عبد الله بن خضراء ، فامتثل الشريف المذكور وسافر في التاريخ المذكور ومدح جناب السلطان أسماه الله بهذه القصيدة التي يقول فيها :

لبيك يامنقذى من لجة العـــدم ... سعياً على الجفن لا مشياً على القدم
فذا أوان سعود كنت أرصـــده ... وذي مناي كما في سابق القـــدم
فهو المرام وكل العز يعقبـــه ... ولا يخـال بأني أحقـر الخـــدم
قصدت أعتاب ملك شامخ بهـــج ... يقري الضيوف ويغني صاحب العدم
أنزلت رحلي بها وعندها أملـــي ... وهل يخيب نزيل الجود والكرم ؟
شمرت عن ساعدى والأذن واعية ... فهاب أهل الحسام سطوة القلـم
أرضى بذاك الذي أضاء مغربنـــا ... بعدله فغدا يميس في نعـــم
أزكى الأئمة شيمة وأرفعهـــم ... قدراً وأسبقهم لكل مغتنـــم
أميرنا الحسن المحمود سيرتـــه ... تروع صولته الأسود في الأجـم
نجل السلاطين قد أحيى مآثرهـم ... ونـال ما عجزت عنه ذوو الهمـم
قد شاد للدولة الغراء مفخرهـــا ... فساد عند ملوك العرب والعجـم
تاج الملوك وفخرهم وسيدهـــم ... وخير مَن قد مضى في غابر الأمـم
قد لاحظته السعودُ وهي في شرف ... وكل نحس عداه وهو عنه عـم
النصر سابقه والسعد قائـــده ... والفتح يخدمه من جملة الخـــدم
والجود سيرته والحلم حليتـــه ... والجد عادته فاحذر من النـــدم
ليث إذا ما أحس الحي سطوتـــه ... ألقوا سلاحهم مخافة النقـــم
غيث إذا الأرض يوماً مسها عطش ... غوث توسلْ به لبارئـى النسَـم
مدبر عالم مفكر فطـــــن ... ومفحم باهر بأفصح الكلـــم
كل الفهوم له ألقت أزمتهـــا ... ونوره يهتدى به لدى الظلـــم
بها يقاوم من بغي ويدمغـــه ... بها يدافع أهل الريب والتهـــم
كم دبر الروم من مكر ومن حيـل ... ترجو النجاح بها والنجح في عقـم

يرى بنور حجاه كل عاقبـــــة وعين تدبيره للأمر لم تنــــم
فصل الخطاب حباه الله مكرمـــة وحكمة عظمت من أبدع الحكـــم
فاطلب رضاه ودم على محبتــــه مدى الدهور وجانب داعي السأم
فهو المنى لِذوي الحجا وبغيتهـم وسيب يمناه مثل الزاخر العــرم
يدني الأصول إلى نيل الوصول ويحييـ ـنا بنعمته كالأرض بالديـــم
مازال يحيي بها بلاد مغربنـــا فاقرع بصدقك باب الجود تغتنـم
واسلك سبيل الصفا تنلْ به شرفاً واقبل نصيحة مَن حباك واستقم
ياغاية القصد إني راغب طــرب مستمسك بجوار منك لم يضـم
مولاي يامن مزاياه وأنعمــــه في الناس أشهر من نار على علـم
مولايَ أنت الذي تغني الضعيف إذا ما الدهر أفضى به لقبضة الهـرم
بشراك إن الفرنج سوف يدركهـا منكم صغار" به تُداس بالقــدم
فأنت ذو مدد وهم ذوو نكــد وأنت ذو جذل وهم ذوو غمــم
مولاي جد برضاك لي وخذ بيـدي واحرس جنابي به من سائر الألـم
واجعل ثياب الرضا ستراً علي،ولا يرى به حبل عُروتي بمنفصـم
فها أنا ذاك عند باب سيدنــا أرجو قَبولا ووصلا غير منصــرم
أبقاك ربك في عز ومكرمـــة بالله أمرك نافذ على الأمـــم
أدامك الله منصور اللواء علــى كل الأعادي ولا برِحت في نعـم

وكان وجهه سنة ثلاث وتسعين ومئتين وألف برسم القيام بخطة الكتابة بالسفارة التي وجهها الى دول الافرنج مثل دولة فرنسا والانكليز والطليان والبلجيك ، فوصلوا إلى أهل هذه الدول وقضوا الغرض على أكمل الوجوه وأحسنها وعادوا مسرورين في أواخر شعبان من السنة المذكورة ، وفي هذه الرحلة قيَّد صاحبنا ادريس المذكور رحلته البديعة المسماة بـ (تحفة الأحبار ، بغرائب الأخبار) ، قد اشتملت على كل نادرة وغريبة وأفصحت عن صنائع الفرنج وحيلها العجيبة ، وعند قفوله وقدومه على حضرة السلطان أيده الله مدحه بقصيدة جيدة مطلعها :

أسالم دهري في المرام وفي القصد | فينقض ما أبرمت للصلح من عقـد
وأسأله الرحمى فيُبـدى ازوراره | ونفرته عني فياعظم ما بيـــدي
وكم لي أسترضيه وهو مغاضـــب | ولا يرعوي عما جناه على عمـــد

ومنها في آخرها :

وهذى بناتُ الفكر منيَ هديـــة" | إلى الملك المنصور ذي الجود والرفد
فان أهملت عدلا فاني مهمــــــل | وإن صادفت وقت القَبول فياسعدي
وما كنت في باب القريض مبـرزاً | شهيراً ولكني تعاطيته جهـــــدي
لأجل امتحاني لذت فيه بربنـــــا | فأصبحت ذا وجد وقد كنتُ ذا فقد
فها أنا ضيف زائر لحماكـــــــم | وحسبي رضاكم فهو نفس المنى عندي
وياربنا اعطى الأمير مرامــــــه | وظفره بالمطلوب منك وبالقصـــد

338) **إدريس بن الطيب بن اليماني أبو عشرين** وزير سيدي محمد بن عبد الرحمان بعد وفاة والده وزيره ، ثم تخلى عن الوزارة بعد موته وان كان بقي فيها بعد موته مدة قليلة فى أيام المولى الحسن إلى سنة 1293 فتولى بعده موسى بن أحمد .

كان كاتباً بارعاً مترسلا عارفاً بالانشاء بليغا تخرج عليه كثير من الكتاب كالفقيه سيدي عباس الفاسي ، كان سوداوي الطبيعة فيه حدة تعتريه، كان يسكن بدار الزليج بروض الزيتون بمراكش ، حج وزار ، ولما أراد أن ينتقل للمدينة المنورة مرة ثانية عام 1294 باع عرصته للوزير موسى بن أحمد فجاور بالمدينة الى أن مات بها عام خمسة وثلاثمئة وألف عن خمسة وأربعين سنة فى يوم الأربعاء خامس رجب ودفن ببقيع الغرقد قرب مشهد الامام مالك .

ومن شعره فى تاريخ بناء روضه بالمدينة المنورة :

بالله والجار طـــبـــــه | حل الهنا والتدانـــــــي
والفوز دنيا وأخـــــرى | بنجل ابن اليمانـــــــي
إذ تمَّم الله قصـــــداً | له بأسنى مكـــــــان
تاريخه في حــــروف | أبـشر بـه بـأمــ 1304 ــان

339) إدريس بن علي السناني المدعو الحنش

إدريس بن المقرىء علي بن علي مرتيْن بن الغالي بن المهدي بن مَحمد فتحاً بن الطاهر بن الراضي المالكي البكري السناني المدعو الحنش ، ذكر في كتابه (نزهة الأعْيان ، وتبصرة الاخوان) الذي ألفه في طريق التصوف وما غفل عنه فقراء الزمان كدرقاوة في نحو خمس كراريس فى القالب الرباعي أنه رأى في المنام الفقيه سيدي أحمد بن الفقيه أبي عبد الله السجدالي بعد موته ، وكان يسمع منه حلية أبي نعيم بجامع القرويين فقال له : ما فعل الله بك ؟ مرتين ، فقال له فى أذنه بصوت رقيق : لم يؤاخذنى ربي بغفلاتي ، ثم طلب منه الدعاء فوضع كفه على صدره وقرأ شيئاً ، فانتبه في ثامن ذى القعدة عام ست وثمانين ومئتين وألف ، ثم ذكر فيه أنه أخذ الطريق عن شيخه الامام العارف سيدي محمد بن عبد الواحد الكتاني سنة ست وسبعين ومئتين وألف ، وأنه رأى له مكاشفات وخوارق عادات ، وأجازته له فى الطرق القادرية وسنده ، ثم ذكر أخذه للشاذلية عن الصالح سيدى إبراهيم بن علي الغماري المتوفى بدار تلميذه سيدي محمد السلَوي بالنواعريين من فاس ، وابراهيم هو مؤلف (بهجة الأنوار ، في طريق السادات الأخيار) تلميذ سيدي عبد السلام الأزهر ، والعالم الزاهد الحاج أحمد بن عبد المومن الغماري تلميذ مولاي العربي الدرقاوي .

كان المترجم رحمه الله أديباً ماهراً شاعراً ناثرا له القصائد الطنانة موزوناً وملحوناً ، وذكر صاحبه القاضي مولاي أحمد البلغيثي كثيراً من مساجلاته معه في ديوانه ، وذكر لي أن المترجم كان فقيراً لا يملك شيئاً وحرفته الخرازة ، دخل مراكش في أوائل دولة المولى عبد العزيز ، وكان عند الشريف المولى عبد المالك لا يتركه يذهب عند غيره ، ولما وقع لجاج بين العلامة مولاي الكامل المراني وزوجته الشريفة المصونة السيدة فضيلة أخت المولى الحسن ذهبت عند أخيها وامتنعت من الرجوع عند زوجها بعد أن راودها بجميع أنواع الملاطفات ، وبقيت ناشزاً حولا كاملا ، فعمل المترجم قصيدة من الملحون على لسان زوجها يستعطفها بذلك فمجرد ما وصلتها

وعرفت ما فيها رجعت عند زوجها وطاب خاطرها عنه ، وهي قصيدة مشهورة :

قولوا لغزالي التايها روفي روفي   لاش ذا الجفا عطفي على الخليـل
مالك على الرسام غافــــــــلا   أمشموم البنات الغزال فضيلـــلا

ومن تقاييد المترجم رسالة سماها (الشهاب الكاوي، لأهل التمشدق والدعاوي) ألفها في عاشر شوال عام 1285 قال في طالعها : يقول العبد الفقير إلى ربه ادريس بن الفقيه علي بن علي بن الغالي المغربي المالكي البكري السناني نسباً الفاسي داراً ومنشأ الغماري مذهباً خديم الطائفة الدرقاوية ، وفقه الله لسلوك المحجة النبوية ، ولما طالعها الفقيه العدل محـب الفقراء سيدى محمد بن العربي بن القاضي بفاس سيدى محمد الزعري المباركي مدحها بقوله :

انظر إلى درر من بحرهــا قطعــت   كأنها في بساط الطـرس نرجيس
ترمي الأعادي بشهب في فؤادهم   كا الشهاب الذى يخشاه إبليـــس
هي الشهاب لمن أضحى يعارضها   أتى بها كاوياً الحبــر إدريـــس
تبارك الله من صنع عجيب بـــدا   من فكر حبر تتابعـه الطياليــس

وهي فى ثلاثة أوراق فى الرد على هل الدعاوي الكاذبة فى الولاية ، وله رسائل غيرها وقفت عليها في مجموع كتب الجميع بخط محمد العربي قصارة بتاريخ 14 حجة متم عام 1296 وله تقريظ على الرحلة الكتانية بقصيدة مطلـعهــا :

لله در العـــارف الكتـــــانـــي   ما إن له فى فتحـــه من ثـــــان

ثم وقفت على ديوانه الضخم المشتمل على قصائد فى مدح السلطان المولى الحسن والمولى عبد العزيز والجناب المحمدي فى مولديات وغيرهــا وصلحاء المغرب ورؤسائه وفقهائه وعلمائه ، وله غزليات ومسامرات ومحاورات لا غنى للأديب عنها وهو فى صحائف 249 من جمعه بطلب بعض الأشراف ورتبه على حروف المعجم ، وسماه بـ (الروض الفائح بأزهار النسيب والمدائح)

وهذه النسخة التى وقفت عليها بخط ولده علي فرغ من كتابتها يوم الخميس ثامن ربيع النبوي عام 1316 وهذا التاريخ بعده زاد المؤلف فيه لأنه ذكر فيه شعره أواخر جمادى الأولى عام 1318 ثم 26 ذو الحجة من العام المذكور ، قال :

تأملت بالفكر السليم كما ترى ـ فلم أر شخصاً عن هدى الحق مدبرا
كمثل الذى يأتي الذكور من الورا ويولج عضو النسل فى مَخرج الخرا
ألا فالعنوا مَن لا يزال بخبثه على مذهب الفساق يزرع من ورا

وقال :

الأيرُ أعظم شافع مقبول عند النسا لمذاقه المعسول
قد كان مسمار المحبة والهوى فيه ترى للود أيُّ حصول
فاذا الحليلة خاصمت بعلا لها أعرضْ ولا تكُ ياأخي بفضولي
لو جئتَها يوماً بألفيْ طرفة لم يُرضِها في الصلح غير الفول (1)

وقال مخاطباً بعض الأصحاب :

نذير الشيب للتقوى دعاني وعن غشيان مجلسكم ثناني
أيجمل باللبيب يضيع وقتا بغير مَزية والمرء فان
تسير به الليالي كلَّ آن وسير زمانه سيرُ السواني
فمَن ولَّى الشبابُ وسار عنه أحقُّ الناس ضنـاً بالزمان
فدعني من ملامك شبَّ عَمْرو" عن الطوق المناسب للتواني
سأفري ما يعوق من الملاهي وإلا فلست أدعا بالسناني

وله قصيدة ضادية من الطويل مطلعها :

خليلى إن الدهر جاء بما يرضي وتاب من الاخلاف والنقص والنقض

وقال :

---

1) من أسماء الأير والخصيتين في العامية المغربية .

صـدر الدهـر وضيعـاً فتسامـى في انقبـاض
قلت دعْ نخـوة نفـس لا تكـن عنهـا بـراضـي
لست فينـا بمليـك إنمـا نـائـب قـاضـي
بشر النفـس بعـزل اثـره أي انخفـاض
ان رأيتَ الدهـر أعطـى فانتظـر حـال التقـاضـي

وقرظ على كتب كثيرة منها (الدرر البهية) ، و (وصل الأفعال) و (زهرة الأفكار) ، و (تحرير المقال) .

وقال في الحثّ على طلب العلم :

اطلب العلم ما حييت بجـدٍّ ولْتباعد أهلَ الهوى والتراخـي
فأخو العلم في البرايا أميـر ملكه محكم بغير انفسـاخ
وأخو الجهل لو حوى ملك كسرى ظلُّ وقتٍ فلم يزل في انتسـاخ

وقال قُبيل السحر :

عرفُ الصباح تضوعت نفحاتـه بالأفق من طيب النسيم مضمـخ
والفجرُ أقبل يزدهي في بهجـة أنواره تمحو الظلام وتنسـخ
والروضُ أومأ بالسجود لحسنـه والطيرُ تشدو ، والزواقي تصرخ
والليلُ ولّى والنهارُ بحكمـة يمتاز من طي السواد ويسلـخ
شمِّرْ ذيولك هذه سويعـة عُقَد المتاب بيمنها لا تفسـخ
هذا الكريم يقول هل من مُقبـل فأجب تدع رأس اللعين يُشدَخ
من قد أضاع نصيبه من ليلـه هو لا محالة بالشقاء ملطـخ

وقـال :

اجتنب خلطة أبناء اليهـود ولتعاملْهم دواماً بالصـدود
لا تخالط من أناس ورثـوا بغضَنا من عهد آبـا وجـدود
ملئوا بالغش حتى لا تـرى أحداً منهم يُوفّي بالعهـود

وقـــال :

بأبي مليحاً أمـــــــــــــــــــردا | حمـل الفنـار (I) ليرشـــــــدا
ومشى أمامي ليلــــــــــــــــة | حذراً عليَّ من الــــــــــــــردى
يكفي ضياء جمالـــــــــــــــــه | فبه لنا نورُ الهـــــــــــــدى
مالي وللأضـــــــــــــــــواء إذ | ذاك البها منه بـــــــــــدا

وقـــال :

خزائن رب العرش ليس لها عـدُّ | وفضل إلاهي لا يحيط به الحـــد
فحسِّن عبيدَ الله ظنك بالـــــذي | له الخلق والتعريف والحلُّ والعقد
فسبحانه من مُنعم متفضـــــــــل | فما زال في إنعامه يرفـل العبـد

وقال في أبي حفص الزجلي :

قلت لما أن تراءى وظهـــــــــر | وهو كالغصن قواماً والقمــــــر
يا مليكاً قد عفا مع قـــــــدرة | وأتانا دون وعد منتظـــــــــر
قد نشرتَ العدلَ فينا عطفـــــة | بعد جور وتجنٍّ قد صـــــــدر
قال لا تعجبْ لهذا واتئـــــــد | أو َليس العدل من شأن عمـــــر

وقـــال :

جفاني الذي كنت أحسبــــــــه | يراعي العهود بحفظ الشـــــروط
وأصبح غيري له صاحبـــــــاً | وأضحى يراني بعين السقـــوط
وما ليَّ ذنب ســـوى أننـــــي | لعمرك ذو عفة لا ألــــــــوط

وقال أيضاً :

إلى الله أشكو أذى زوجـــــــة | تُجرِّع قلبي هموم الشطـــــط
تزوجتُها طلباً للســـــــــــرور | فجاء وللسين منه نقــــــط
أرى مَن تزوج في وقتنـــــــا | تعرض من فوره للسخـــــــط

وقـــال :

I) الفنار فى عامية المغرب هو الفانوس فى عامية المشرق .

إن كنت فى الجسم والأحوال محفوظاً — وكنت في العلم بالأحكام محظوظاً
فته على من حوى الدنيا بأجمعها — وإن رءاك لأجل الفقر ملفوظاً

وقال :

فلله ظبي لوذعي مهفهف — على صغر في سنه يتصوف
له سبحة في الجيد تحسب أنها — نجوم وذاك الوجه بدر مشرف
فلا عجب إذ صار يرقص بالهوى — فللغصن بالريح انثنا وتعطف

وقال :

ألأقل للجهول إذا لحاني — بتركي للتسبب والمعاش
فكم حرم القوي بحال كد — وكم رُزق الضعيف على الفراش
أليس الرزق مقسوماً قديماً — تساوى قاعد فيه وماشي
فلا تكُ ذا اعتراض أو جدال — وسلم فالدليلُ لديك فاشي
فمن غذّى الجنين ببطن أم — فأضحى في نمو وانتعاش ؟

وله رسالة سماها (تأنيس المسجونين ، وتنفيس المحزونين) ألفها بسبب سجن سيدي محمد بن قاسم الصادقي .

توفي رحمه الله ونفذ له السلطان مولاي الحسن مئة مثقال مفردة صلة له على إنشاء قصيدة بتاريخ 30 صفر عام 1303 .

340) إدريس بن عبد الهادي العلوي

مولاي ادريس ابن قاضي فاس مولاي عبد الهادي العلوي ، قال في (المجد الطارف) عند ذكر مؤلفه لرحلته بفاس في أوائل العشرة الأخيرة من القرن الفارط ما نصه : وصرت أتردد في مجالس أهل العلم بالقرويين وزيارة الصالحين ، فتلاقيت فيها مع الشريف العلامة المنيف مولانا ادريس ابن شيخنا الفقيه العلامة قاضي القضاة بفاس مولانا عبد الهادي بن مولاي التهامي العلوي ، وهذا الشريف مولاي ادريس من أعيان علماء حاضرة فاس ، ومن أنفس أشرافها الأكياس ، وبيتهم من فيلالة بيت علم قديم ، وكان والده

المرحوم يحبنا وبنوه بنجابتنا عند الامام سيدي محمد بن عبد الرحمان ، حيث كان خليفة قيد حياة أبيه سنة ست وخمسين ومئتين وألف أوان شبابي ، فأين تلك الأيام التي كأنها أحلام ، قال :

ثم انقضت تلك السنون وأهلهـا   فكأنها وكأنهم أحـــــــلام

فقد اعتنى بنا الشريف المذكور أتمّ اعتناء وأكرم ضيافتنا مراراً ، وكان قبل قدومي بقريب ، ختم مختصر خليل ختماً نفيساً ، وكان يوماً مشهوداً أكرم به جميع العلماء وأرباب الدولة ، وأعانهم على الختم صهره أمير المومنين مولانا الحسن بألف ريال فيما بلغني ، وقد جعل أماكن لاكرام الناس على مراتبهم ، فينزل الناس منازلهم ، فكان هذا الفقيه الشريف ينزل كل إنسان منزلته ويذاكره ويشرح صدره بحسب حاله وعقله ، وما رأيته تلك الأيام خيب رجاء مرتج له من جاه أو مواساة اقتداء بقوله (ص) من قطع رجاء مَن يرتجيه قطع الله رجاءه يوم القيامة ، وقد ابتنى للاكرام قصراً مشيداً قرب جامع الأندلس فهو جدير بقول الشاعر :

شاده مرمراً وجلله كلـــــــ   ــساً فللطير في ذراه وكـــور

وقد غرس فيه رياضاً يانعة ، وأجرى فيه حياضاً بالماء نابعة ، وغرس فيه خمائل أزهار حياض أنوار متنوعة مبتدعة ، وهو من أبدع قصور فاس ، أعده هذا الشريف للاكرام ، وأحسن بهذا من مرام ، ولما رأيته أهلا لأن يجازى بالثناء الجميل ، وتخليد مآثره وفضله الجزيل ، جازيتُه بقصيدة دالية فائقة وإن كان كان مقامه أعلا مما ذكرت ، فقلت :

حيّتْك حوراً مليحة الدلال أيـــا   نجل الشريف المنيف عابد الهادي
قاضي القضاة بغربنا وعالمــــه   الحبر الحلاحل في فقه وإسنـــاد
وطارحتْك حديثاً في محاضـــرة   في مجلس نعم ذاك المجلس النادي
فأنبأتنا وأخبرت تحدثنـــــــا   بأطيب الخبر من إنشائها الشادى
أن الشريف ابن عبد الهادي أوحد عصـ   ـره تواتر من جمع وآحـــــاد

أفادنا من نفيس علمـــــه درراً … أزرت بجوهر أطواق بأجيـــــاد
أهدى لنا أرجاً من علمه عطِـــراً … مولانا إدريس من بعلمه هـــادي
فالروح مستروح" إلى مذاكـــرة … من فيه فهي كنقع غلة الصـــادي
فلا غرابة فالفنون معدنهــــا … هذا الشريف بلا ريب وإلحـــاد
يفيد بالعلم مَن أتاه يطلبـــه … وبالقرى رائحاً إليه أو غـــادي
وليس يجحد فضله الشهير سوى … وغد خسيس من أرذال وأوغـــاد
أو حاسد حسبنا الله الوكيل من أشـ … ـرار الحسود ومبغض وحقـــاد

ثم قال :

هذا هو الشرف الذي يخصُّ بـه … إلاهُنا مَن حدا بصيته الحـــادي
هذا هو السند العالي المصحح في … كل الأسانيد إسناداً عـن إسنـاد
فالعين إن نظرت في حسن عزتكم … تقرُّ والنورُ فوق وجهكم بـــادي
وما تفوه به من العلوم علـــى … قلبي لأشهى من الشهادي الحادي
تهنيك سيدنا إدريس مرتبـــة … سارت بأتهامها عيس" وأنجـــاد
أثنتْ عليه حواضر وباديـــة … من حاضر ساكن في فاس أو بادي
أنت الجدير بجدوى كل فائـــدة … لاسيمـا مجتد علـوم أمجـــاد
خدها إليك غريبة الثناء هديتـــي … من قلب حـــب بحب الله ودادى
أهديتها تتهادى في مدائحكـــم … يابن الشريف المنيف عابد الهادي
كأنما صيغ من تبر ومن فضـــض … أبياتها حسنها أغنى عن إنشـــاد
لازلت بدراً منيراً في مجالسنـــا … بالهاشمي الشفيع يومَ ميعـــاد
صلى عليه إلاه العرش ما طلعـت … شمس البلاغة في قصدان قصـاد

وهذا الشريف بفاس ، حرسها الله من كل بأس ، والشريف اللوذعي الألمعي مولانا علي بن أمير المومنين مولانا عبد الرحمان بمراكش أعزها الله تعالى هذان الشريفان في وقتنا هما نيرا فلك مجد الاكرام ، ومحط رحال الأفاضل والأعيان وعلماء الاسلام . انتهى المقصود .

وقال في (الدرر البهية) ما نصه : وأما الفرع الثاني ، وملجأ الخائف والجاني ، الدر النفيس ، أبو العلاء السيد ادريس ، فهو البحر الزاخر الذى لا يُدرك ساحلُه ، وينبوع المفاخر الذى لا تعد فضائله ، والحفيُّ الذى لا يخيب سائله ، إن ذكر العلماء الأذكياء حاز مقام الزهرة والثريا ، تصدى لنشر العلوم رواية وتدريساً ، حتى غدا إماماً رئيساً ، عرف الأصول والفروع، والمتروك والمشروع ، والصحيح والموضوع ، فصار قوة في الأقوال والأفعال ، عمدة في جميع الأحوال ، شاع ذكره في المشارق والمغارب ، وامتطى في الفضل السنام والغارب ، وأحبه الأجانب والأقارب ، واشتهر اشتهار البدر المنير ، أو الشمس اذا بدت بأحد وتبير ، جمع أشتات المعالي ، وأحرز المقام العالي ، وبالجملة فهو أحد الأمجاد الموجودين ، والأفراد المعدودين ، فلا يذكر أهل الفضل إلا كان واسطة عقدهم ، ولا أهل البذل إلا كان في أولهم ، ذو أحوال سنية ، وأفعال سنية ، وهمم سرية ، ونعوت مرضية ، وعلى ما أتاه الله مولاه ، من الجلالة والمهابة والجاه ، يلقى الضعيف والخطير بوجه مستنير ، ويعامل الكل معاملة الأبرار ، الفضلاء الأخيار ، وصول للأرحام ، رحيم للضعفاء والأيتام ، عزيز الجار ، حسن الجوار ، حصل حسن المحاضرة ، حلو المذاكرة ، وسيع الصدر ، نافذ الأمر ، سالك سبيل الاقتصاد ، مسارع الى مرضاة رب العباد ، عامل بكتاب الله ، وسنة رسول الله ، كثير الصيام ، طويل القيام ، أبقى الله جلالته المنيفة ، وحفظ ذاته الشريفة ، بمنه آمين .

صاهره خاله أمير المومنين سيدي محمد رحمه الله بابنته الشريفة المنيفة الجليلة السيدة عاتكة، فلما توفيت تزوج بأختها الشريفة المنيفة السيدة حليمة فتوفيت أيضاً ، وهو الآن في قيد الحياة أطال الله حياته ، وهو أحد أسلافنا الذين انتفعنا بهم .

انتهى كلام (الدرر) .

قلت في سابع شعبان عام ستة وعشرين وثلاثمئة وألف ، أضافني المترجم ورحب بي غاية الترحيب ، وأجلسني في أعز أماكنه ، وكان عنده

أضياف آخرون فأدخلهم بمحل آخر وجلس معي بعد صلاة الجمعة إلى أن صلينا العصر ، وحدثني برحلته الى الحجاز والشام ومصر ، وذكر لي شيوخه، منهم سيدي ابراهيم السقا المتوفي عام 1298 ، وسيدى حسن العلوي، والشيخ عليش ، وسيدي أحمد دحلان ، وان رحلته كانت أواخر القرن الثالث عشر إلى أوائل هذه المئة ، وذكر لي المواضع التى كان ينزل بها بمراكش حين كان يفد على الحضرة الشريفة بقصد قراءة صحيح الامام البخاري ، وسفره مع المولى الحسن بسوس في حركة سوس الثانية ، وحكى لي عن الفقيه العلامة سيدي الحاج محمد كنون ، أنه كان اختفى عن وضع علامته فى بيعة المولى الحسن إلى أن بحث عنه وأدخله لذلك المحل الذى أدخلني به وأمره بذلك وعرفه عاقبة المخالفة ، وأنه لما أراد أن يخرج منه كتب فيه (إن الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد) ، وأمرني بذلك أيضاً ، ورأيت عنده من شروح صحيح الامام البخاري ، والمساند التى جمعها السلطان سيدى محمد بن عبد الله ونسخة صحيح البخاري خطية نفيسة في القالب الكبير ، وذكر أنه سرد شرح والده (تيسير الوصول) مرتين ، وذاكرني في أشياء ومجَّد وبجَّل وما قصر من البرور جزاه الله خيراً ، وحدثني عن رفقائه وما نسخه من الدواوين والكتب العلمية ، ورأيته لا يشرب الماء خلال الطعام لكونه تربّى بذلك ، وأن الشرب في ذلك الوقت ليس من الالتهاب والا لعم الناس ، وإنما هو اعتياد ، وذكر لي أن الفقيه المرنيسي كان يقرأ في كل يوم أربعة أنصبة ويؤنس الطلبة ويقتصر في التدريس على المقصود ويأتى بالمضحكات العجيبة ، وكان يقرأ عليه أولاد أكابر الرؤساء وغيرهم ، وأولاد الرؤساء يباسطهم ويقول لهم أنتم لا أريد منكم البوس ، وإنما أريد منكم الفلوس ، وأترك الفقراء يبوسون ، وأنه كان سليم الصدر من منافرة أهل عصره ، وأنه كانت بين الفقيه كنون والقاضي مولاي مَحمد منافرة ، وأنه تلاقى مع سيدي ابراهيم السنوسي ، وبين له قاعدة شرفاء الحرم المكي والاصطلاح في توليتهم وكيف كانت تولية الشريف عون ، وأن الشريف يكون كالخليفة والباشا يكون من الترك ، وأن من شارك الشريف في كونه مستحقاً للامارة هناك يكون بالاستانة حتى يموت المتولي ويتولى هـو ،

ويتحافظون على هذه القاعدة ، وأنه لما توفي الشريف الذى كان قبل الشريف عون ، أراد الباشا تولية بعض الأشراف الذين كانوا هناك بمكة وقاوله بثلاثين ألف ريـال ، ولما جاء الموسم قـام بوظيفه ، ففي يـوم الخطبة جـاء الشريف عون من اصطنبول يفرمان ولايته ، وبقي الشريف الذى كان طمع فيها من خدامه وأتباعه بعد أن كان هو المتولي وركب مع الناس قبل ، وهذا الأمر شاهده المترجم بالتاريخ الذى كان بالحجاز ، وأجلسني بصدر المجلس وجلس إلى جنبي وسألني عن أهلي ، فأخبرتُه بأني حفيد الفقيه ابن ابراهيم، فقال الدر من معدنه ، وذكر لي أنه كان ينزل برياض ابن ابراهيم بالزاوية العباسية ، وسمَّى لي من أشياخه الفقيه ابن عبد الرحمان رحمه الله ، وأنه حضر عنده في وقت الاحتضار وأن الناس الذين أدرك كانت فيهم قوة واحتفال بالأمور ، وأخبرني أن الحاج العربي المشرفي هجا السيد عبد الله بن أحمد ، واحترم بمولانا ادريس نحو عاميْن ، وصار يصلي وأنه كان قبل ذلك لا يصلي، وأنه دار في بعض الأوقات على العمال الكبار بالمغرب كالشرقي وأضرابه ، ولم يحصل له منهم غير الزرع فهجاهم فى ستمئة بيت ، وأخبرني أن الفقيه ابن سودة حيث تعطل في يوم العيد قال السلطان المولى الحسن : هل فيكم مَن يحفظ خطبة أو هي في دليله ؟ فقال له : واذا جاء الخطيب ، فأجابه بأن في المختصر وبكونه الخاطب الا لعذر ، فعجب من استحضاره لِذلك ، فأخبرته بأن هذه القضية وقعت في خلافة أبي العلاء فعنفني على عدم تقدمي للصلاة والخطبة حين تأخر الخطيب لما يعهد فيَّ من الاقدام ، وأنه دخل خزانـة الكتب المصرية ورأى فيها مصحفاً يتبرك به، أوائل سُطوره كلها ألف ما عدا السطر الأول ، وكلمات سطوره متساوية بحيث لا زيادة فيها ولا نقصان وهو أمر عجيب ، ثم في الجمعة الثانية أرسل إلي وعاملني بما عاملني به قبل ، وتجارينا في المذاكرة كذلك ، وأخبرني أن شرح العلامة علي المتيوي لِقصيدة سيدي ابراهيم الرياحي فى مدح المولى ابراهيم بن أمير المومنين مولانا سليمان يدل على تضلعه في علم البيان ، وأراني نسخـة من منتخب كنـز العمال خطية في ثمانية أجزاء كان اشترى أولها وانتسخ له باقيها السيد عبد الرحمان الراشدي ورفيقه حيث كانا في السجن ، وبمُجرد ما أتم انتساخها

سرح ، ثم اشتراه مطبوعاً بهامش مسند الامام أحمد في ستة أجزاء ، وأراني جزءاً من (البيان والتحصيل) للامام ابن رشد من عشرين جزءاً كان أمر بنسخه أمير المومنين سيدي محمد بن عبد الله عام أربعة وسبعين ومئة وألف، وكلف أربعة علماء لتصحيحه : الشيخ التاودي ، وسيدي عمــر الفاسي ، وسيدي محمد بن عبد القادر ، وسيدي عبد القادر بوخريص ، ومن النساخ الكاتب سيدي أحمد الغزال ، واستخرج هذا الكاتب كما رأيته بخطه في هذا التاريخ عجائب من اسم الأمير ومن اسم العلماء ومن اسمه ، نص الأول كتب للأمير محمد بن عبد الله ، ونص الثاني محمد التاودي أبو حفص محمد عبد القادر ، ونص الثالث أحمد بن المهدى الغزال ، ثم أضافني مرة أخرى وحدثني أنه قرأ على والدهم (فتح الباري) في ثمان سنين وتفسير أبي السعود ثلاث مرات ، وبعض تفسير النسفي لأنه مات قبل تمامه ، وأنه لازمه في القراءة من شبابه الى أن مات في المساجد وفي داره ، وأنه لازم الشيخ دحلان في القراءة نحو ثلاثة أشهر في هذه المئة ، وسمعه مرة وصف أهلَ المغــرب بالجفاء ، فاستحيى أن يرد عليه هذه المقالةَ بمحضر أهل العلم ، فأمهله حتى ختم الدرس ، فقال له ياسيدى إنكقلت في أهل المغرب ما قلت ، فبين لي سببه لأجيبك أو أسلم معك جفاءهم ، فقال له إن السيد عبد الكبير الفاسي لما حج كان أتى معه بسفر من شرح الأحياء للشيخ المرتضى ، فانتسخته منه وطلب من شريف مكة أن يكتب لسلطان المغرب مولاي الحسن بأن يوجهه له فما وصله الجواب ، فأجابه بأن السيد عبد الكبير ما وصل من حجه إلى أهله لأنه ذهب الى ملاقاة السلطان المذكور فى قضية الأمانة التى كانــت موضوعة عنده من قبل الشبلي فأكرمه بنحو سبعمئة ريال ما بين مركوب وكسوة ودراهم ، فلما وصل الى شبالة مات ، والآن اكتبْ أنت للسلطان ، فانك شريف عالم لا تحتاج إلى وساطة شريف مكة ، فان لم يصلك جواب فالعهدة علي ، فكتب له فأوصله إلى السلطان وطلب منه الجواب فأجابه بأنه سيبعثه له ، فأمر بطبعه فطبع منه بفاس نحو أربعة أجزاء فطالبه بتوجيهها له فأمر الوزير بالكتابة له ولأمناء دار عديل بتوجيه الأسفار له ، فبعد نحو ستة أشهر سأل عن توجيهها له بعض أمناء دار عديل فأخبره أنه لم يصلهم شيء ،

فكتب الى السلطان بذلك فبالغ في عتاب الصنهاجي على ذلك ، وقال الصنهاجي لمحدثي إن السلطان لم يقابله بالجلال في قضية مثل هذه ، وإن المكاتب تلفت له ولم يقع له مثل ذلك قبل ، ثم وصلته أسفار تسعة ووصله الخبر بموت الشيخ دحلان ، فحاز الأسفار التسعة لنفسه وكتب الى السلطان بذلك ، فسبحان مَن لا يقع في ملكه ما لا يريد ، وأجازه الشيخ أحمد دحلان بالاجازة العــامــة .

توفي المترجم رحمه الله بالمدينة المنورة يوم الثلاثاء سابع محرم الحرام فاتح عام واحد وثلاثين وثلاثمئة وألف ، ودفن بالبقيع عن نيــف ثمانين سنة .

وللأديب الحاج إدريس السناني مدائح فيه كثيرة راجعها في ديوانه ، فقد بلغت نحو عشرين قصيدة ، منها قصيدة لمــا سرد كتاب (تيْسيــر الوصول) بشرح والده المسمى (تنوير العقول بكلام الفحول) مطلعها :

نفحة التيسير وافت بالقَبــــول   في صباح قد أتى بالأمــــــــل

وألف رحلة مختصرة فى رحلته الأولى عام 1283 ، عد فيها تنقلاته من يوم خروجهم من فاس الى رجوعهم اليها ، وذكر فيها مَن اجتمع به من علماء ذلك العصر بالحرمين ومصر والاسكندرية ، ولم يذكر أنه استجاز أحداً في هذه الرحلة .

341) **إمام الدين بن محمد بن قاسم البطايحي الخزرجي الخليلي** ، قال فى (المنتقى المقصور) ما نصه : ومن غريب مــا اتفق بين يديه يعنى أحمــد المنصور الذهبي ذات يوم نفر اليه أيده الله ثلاث نفر من المساجد الثلاثة التى تشد الرحال اليها ، أحدهم مدني ، والآخر مكي ، والثالث خليلي قدســي (يقال) له امام الدين بن محمد بن قاسم البطايحي الخزرجي ، ثم إنه ألقي في خاطره ما اتفق من اجتماعهم على ايالته ، فأنشد بيتين فى الحال ومن معه من (العلماء) حاضرون أعني الذين قصدوا إيالته العلوية (من المساجد) المكية والمدنية ، فقال على قدميه وقال :

إن أمير المومنين أحمـــــــــد بحر ندى وفضله لا يجحـــــــد
فمكة وطيبة وأهلهـــــــــا والمسجد الأقصى بذاك يشهـــد

فلما بلغ الى قوله فمكة وطيبة أشار بيده الى كل من صاحبيه ، ولما بلغ الى قوله والمسجد الأقصى أشار بيده الى نفسه ، ثم قال : نصرك الله لم يتفق هذا لملك قصدت ايالته قبلك ، فتبسم لذلك أبقاه الله ، وقد أجزل لهم فى العطاء واجراء النفقة عليهم كما دأبه بكل وافد عليه من أي بلد كان .

وقال في (الصفوة) لدى ترجمة عبد الرحمان ابن الوقاد ما نصه : من أشياخهم أيضاً إمام الدين الخليلي وافد المشرق على المنصور ، وكان الخليلي جال فـي البلاد ولقي المشايـخ بالحجاز ومصـر والشام وسكـن القسطنطينية مدة ، ومنها انتقل لمراكش فنزلها ، قال ابن الوقاد : أنشدني أبو البركات العتدي لنفسه :

عن النبي أتانا من رأى امـــرأة فحلَّ في قلبه للحسن موقعهـــا
أن يأتي زوجته ويقضي حاجتـــه فان ما معها هو الذى معهـــا

توفي الخليلي في رجوعه من رودانة لمراكش قتيلا بالطريق سنـة تسع وتسعين وتسعمئة ، وقد حلاه الشريف العلامة السيد علي المعروف بابن معصوم المدني فى كتابه (سلافة العصر، فى محاسن الشعراء بكل مصر) فى ترجمة أبي الفضل بن محمد العقاد المكي بالشيخ الامام غرس الدين الخليلي . نقلا عن (نفح الطيب) صحيفة 244 من السلافة ، وترجم لغرس الدين الخليلي صحيفة 399 وأطال فيها فراجعها .

342) **الامان الأسود** أبو إسماعيلْ من أهل مراكش وبها مات في آخر شوال عام ستة عشر وستمئة ، كان عبداً صالحاً مقبلا على الله ، صحب أبا يعزى وأبا ابراهيم السفاج وغيرهما ، قال في (التشوف) : سمعت عيسى بن أبي عيسى بن جعفر السوسي وكان عبداً صالحاً يقول قدم مراكش رجل من الأولياء يقال له إبراهيم بن بسطام يحدث عنه بالعجائب ، فدخلت عليه فقال لي من أين اقبلت ؟ فقلت له حضرتُ جنازة رجل صالح يعرف بالأمان ، قال لي

كنت قاعداً في مصلاي فسمعت هاتفاً يقول يموت اليوم ولي ، وهو هذا الذى حضرت جنازته ، قال وقلت له ياسيدي سمعت عنك خبراً فأريد أن أسمعه منك ، فقال لي وما هو ؟ فقلتُ له كيف كوشفت بأبي بكر الصديق رضي الله عنه ؟ فقال لى حضرت مجلس واعظ ، فلما فرغ من وعظه سأل بحق أبي بكر الصديق وفي كمي درهم ليس معى سواه ، فهممت باعطائه له ثم توقفت ، فرأيتُ صورة أبي بكر الصديق وهو في عباءة واقفاً أمام الواعظ ، قد مدَّ يده الي لياخذ مني الدرهم ، وقال هاته فصحت وناولته الواعظ ولم يدر أحد ما ادركني (I) .

343) **اعتماد الرميكية** جارية المعتمد بن عباد وأم أولاده وتشتهـر بالرميكية نسبة الى رميك بن حجاج ، اشتراها منه فنسبت اليه ، وكان قد اشتراها في أيام أبيه المعتضد وأفرط فى الميل اليها وغلبت عليه ، ولما خلع المعتمد وسجن بأغمات قالت له ياسيدي لمَ قدمنا هنا ؟ فقال :

قالت لنا هنا هنـــــــــــــــــــــا مولاي , أين جاهُنـــــــــــــــــا ؟
قلت لها إلى هنـــــــــــــــــــا صيـَّرنا إلاهُنــــــــــــــــــــا

وحكى أنها قالت له وقد مرض ياسيدي مالنا قدرة على مرضاتك من من مرضاتك ! ولما قال الوزير ابنُ عمار قصيدتَه اللامية الشهيرة في المعتمد والرميكية ، أغرت المعتمدَ به حتى قتله وضربه بالطبرزين ، ففلق رأسه وترك الطبرزين فى رأسه، فقالت الرميكية قد بقي ابن عمار هدهداً، والقصيدة أولــهـــا :

ألا حيٌ بالغرب حياً حـــــــــــلالا أناخوا جمالا وحازوا جمـــــــــالا
وعرج بيومين أم القـــــــــــــرى ونم فعسى أن تراها خيـــــــــالا

ويومين قرية باشبيلية كانت بها أولية بنى عباد ، ففي هذه القصيدة يقول معرضاً بالرميكية :

I) **التشوف** ص 469 ع 274 **والسعادة الأبدية** 2 : 114 .

تخيرتَها من بنات الهجـــــان رميكية لا تساوى عقـــــالا
فجاءت بكل قصير العـــــذار لئيم النجاريْن عمّاً وخـــالا
قصار القدود ولكنهــــــم أقاموا عليها قروناً طـــوالا
أتذكر أيامنا بالصبـــــا وأنت إذا لحت كنت الهـــلالا
أعانقُ منك القضيب الرطيـــب وأرشف من فيك مـــاء زلالا
وأقنع منك بدون الحـــرام فتقسم جهدك أن لا حـــلالا
سأهتكُ عرضك شيئاً فشيئـــاً وأكشف سترك حالا فحـــالا

ومـنـهـا :

فياعامـرَ الخيـــل يازيـدها منعت القـرى وأبحتَ العيــالا

وسبب قول ابن عمار هذه القصيدة أن المعتمد ندّر به وذيَّل على قصيدته الرائية المذكورة فى القلائد بعد قوله :

كيف التفلتُ بالخديعة من يـدي رجل الحقيقة من بنى عمـــار

وسخر به في أبيات مشهورة .

كان المعتمد كثيراً ما يأنس بجاريته المذكورة ويستظرف نوادرها ، ولم تكن لها معرفة بالغناء ، وإنما كانت مليحة ، حسنة الحديث حلوة النادرة ، كثيرة الفكاهة لها في كل ذلك نوادر محكية ، ومن أخبارها القصَّةُ المعروفة في قوله (ولا يوم الطين) ، وذلك أنها رأت الناس يمشون في الطين فاشتهت المشي في الطين ، فأمر المعتمد ، فسحقت أشياء من الطيب ، وذرت في ساحة القصر حتى عمته ، ثـم نصبت القرابيـل وصب فيها مـاء الـورد عـلى أخلاط الطيب ، وعجنت بالأيدي حتى كانت كالطين فخاضتها مع جواريها ، فغاضبها فى بعض الأيام ، فأقسمت أنها لم تر منه خيراً قط ! فقال ولا يوم الطين ؟ فاستحيت واعتذرت ، وهذا مصداق قول نبينا (ص) في حق النساء : لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ثم رأت منك شيئاً قالت ما رأيت منك خيراً قط ، ولعل المعتمد أشار في أبياته الرائية إلى هذه القضية حيث قال :

يطأن في الطين والأقدامُ حافيـــة كأنها لم تطأ مسكاً وكافـــورا

من قصيدة مطلعها :

فيما مضى كنت بالأعياد مسرورا فساءك العيد في أغمات مأسورا
ترى بناتك في الأطمار جائعـــة يغزلن للناس لا يملكن قطميـــرا
برزن نحوك للتسليم خاشعـــة أبصارهن حسيرات مكاسيـــرا
يطأن في الطين والأقدام حافيـــة كأنها لم تطأ مسكاً وكافـــورا
لا خد إلا تشكى الجدب ظاهـــره وليس إلا مع الأنفاس ممطـــورا
أفطرت في العيد لا عادت مساءته فكان فطرك للأكباد تفطيـــرا
قد كان دهرك إن تأمره ممتثـــلا فردّكَ الدهرُ منهياً ومامـــورا
مَن بات بعدك في ملك يُسَرُّ به فانما بات بالأحلام مغـــرورا

قال في (النفح) : وقد جعل الله تعالى له كما قال ابن الأبار في (الحلة السيراء) رقة في القلوب وخصوصاً بالمغرب ، فان أخباره وأخبار الرميكية إلى الآن متداولة بينهم ، وإن فيها لأعظم عبرة رحم الله الجميع .

ولما قال ابن عباد لما هبت الريح على صفحة نهر الوادي الكبير في إشبيلية :

حاكت الريح من المـــاء زرد

ثم استجاز ابنَ عمار فارتجّ عليه ، فقالت غسالة في الضفة :

أي درع لقتال لو جمـــد

فعلم أنها جارية لرميك فاشتراها كما تقدم .

وكتبت له مرة :

غرضي أن يكون منك وصـــول بخُطى تسبق الرياح حثـــاث
ثم تعلو صدري وتحرث بطنـــي . . . . . يخط كالمحـــراث
وإذا ما حصلت . . . . فـرضي لم تدعني الى بلوغ الثـــلاث

فبلغها مناها .

وقال المعتمد فيها هذه الأبيات المشجرة باسمها :

أغائبة الشخص عن ناظــــرى وحاضرة في صميم الفــــؤاد
عليك السلام بقدر الشجــــون ودمع الجفون وقدر السهــــاد
تملكت مني صعب المـــــرام وصادفت ودي سهل القيـــاد
مرادي لقياك في كل حيــــن فياليت أنيّ أعطى مـــــرادي
أقيمي على العهد ما بيننـــا ولا تستحلي لطول البعـــــاد
دسست اسمك الحلو في طيـــه وألفت فيه حروف اعتمـــــاد

344) إسحاق بن علي اللمتوني (السلطان)

اسحاق بـن علي بن يوسف بـن تاشفين ، لما بويع ابـن أخيه ابراهيم بن تاشفين بن علي وألفاه المرابطون مضعفاً عاجزاً خلع وبويع عمه اسحاق المترجم ، وعلى هيأة ذلك وصل الموحدون إلى مراكش وقد ملكوا جميع بلاد المغرب عليه ، فخرج إليهم في خاصته فقتلهم الموحدون .

ذكره ابن خلدون (1) .

345) اسحاق بن محمد : الهزرجي ، أبو ابراهيم ، من أهل الجانب الشرفي من مراكش ، وبه توفى ليلة النصف من شعبان عام أحد وثمانين وخمسمئة ، ودفن خارج باب الدباغين ، وكان من الأفراد ، وهو صاحب الضريح الشهير هناك يعرف بسيدي إبراهيم السفاج حذفوا صدر الكنية كما فعلوا في سيدي أبي اسحاق البلغيثي .

قال في (التشوف) سمعت محمد بن أحمد الزناتي يقول سمعت الشيخ الصالح محمد بن تميم النجار يقول أخبرني أبو ابراهيم أنه رأى رب العزة في النوم ، فقال له يا إسحاق أنا آخذ بيد السخي كلما عثر ، أنا آخذ

1) أنظر ص 149 ع 3 من الجزء الأول من هذا الكتاب .

بيد السخي كلما عثر ، أنا آخذ بيد السخي كلما عثر ، يقولها ثلاث مرات ، فلما أصبح أبو إبراهيم تصدق بجميع ماله وأعتق مماليكه، وكان يتفقد الصبيان فى مكاتبهم فيسأل عن الأولاد الأيتام وأولاد الفقراء فيكسوهم ويشتري الطرف فى أول إبانها فيفرقها عليهم ، وَأخبرني الشيخ الصالح يحيى بن أبى بكر الزناتي قال رأيته يجرد أولاده من ثيابهم ويكسو أولاد الفقراء ، وكان أبوإبراهيم شديد الصفرة من كثرة الصيام والعبادة ، فاذا صلى الصبح خرج إلى دكانه ليبيع الاسفنج والهريسة فيشمر أكمامه فاذا أخذ ما يقوم به وبأصحابه أطعم المساكين بقية الاسفنج والهريسة ثم يمرُّ إلى بعض المساجد فيصلي الضحى ويتفرغ باقيَ يومه للعبادة وزيارة إخوانه فى الله ، وكان له إخوان واخاهم فى الله تعالى فيقوم بمئونتهم ويجرى عليهم ما يكفيهم ، حدثنى محمد بن عبد الله وغير واحد من الثقات قالوا حدثنا محمد ابن تميم أنه كان تكلم مع أبى إبراهيم فى شأن القبلة وقد شرق أبو ابراهيم ، فقال له أبو ابراهيم لي منذ كذا وكذا سنة وأنا أعاين الكعبة .

سمعت محمد ابن تميم يقـول لـما مـات أبـو إبراهيم حملنـا نعشه فى الغلس فخرجنا من باب الدباغين فأبصرت النعش فوق أيدي حامليه وكلهم يظن أنه كفاه غيره ورفعه عنه ، وقال لي عبد الله بن أبى بكر وكان رجلا صالحاً سمعت محمد ابن تميم يقول لما رفع نعش أبى إبراهيم سمعت هاتفاً يقول ارفعوا مَن رفعه الله ، قال عبد الله بن أبى بكر وحدثني موسى بن عبد الخالق قال رأيت أبا ابراهيم بعد موته فى النوم فقلت له ياأبا إبراهيم لو رأيت احتفال الناس بجنازتك فانها حضرها خلق كثير ، فقال لي لو رأيت احتفالها فى الآخرة لرأيت أمراً عظيماً حضرها جبرائيل وإسرافيل ومدَّ صوته باسرافيل حتى انتبهت من نومي .

وحدثنـا محمد ابن تميـم قـال أخبرتني امـرأة حضرت جنـازة أبى إبراهيم قالت لما اصطفَّ الناس للصلاة رأيت النخلات التى ببحيرة الرقائق تأخرت حتى صارت خلف الجنازة ، فلما سلَّم الامام رأيتها قد عادت إلى موضعها .

وحدثنى علـي بن موسى قـال سمعت يخلـف بن ورزج غيـر مـرة يقـول : رأيت أبا إبراهيم لمس عنبـاً في قفـة ليشتريه ثم اشترى غيره فاشتريت القفة التى قلبها وعصرت عنباً وجعلته فى ظرف عادته أن يكون فيه عصير العنب يوماً وليلة فيصير سكراً فأشربه فمكث فى ذلـك الظرف إلى أن مر عليه عام كامل وهو حلو لم يتخمر ، فمرّ بي أبو إبراهيم يوماً وقال لي إلى متى تنتظر العصير أن يعود لك خمراً أشربه حلواً فانه لن يصير خمراً ، فشربته حلواً .

وحدثنى عبد الله بـن موسى قـال بعثنى أبـو إبراهيم مـع خديم له إلى رجل من أصحابى ببلد رجراجة فقال لي الرجل الذى بعثنى معه عسى أن تصحبني إلى رجـل بهذه البلـدة لنزوره ، فذهبت معـه إليه ، فتحدث معه ساعة ثم قـال لي عند هذا الرجل دراهم صنعهـا ، فما ترى فى حملها إلى مراكش لنصرفها ونقسمها أثلاثا لكل واحد منا ثلثها فانه يعرف الكيمياء ، فأعرضت عن قوله وقضيت الأمر الذى بعثنى فيه أبو إبراهيم ونويت الرجوع إلى مراكش وحدي فأدركنى صاحبى فى الطريق ، فقال لي سألتك بالله العظيم إلا ما كتمت علي ما سمعته مني وسترتنى عند أبى إبراهيم ، فقلتُ له لن أخبره بشيء من ذلك ، فوصلنا دار أبي إبراهيم بمراكش فقرعت الباب فخرج لنا أبو إبراهيم ، فقال لذلك الرجل اذهبْ عنى ولا تأت أبداً ، فاني لا أصحب من يصحب أهل التدليس ، ثم قال لي بارك الله فيك ، وأنشأ يحدثني بكل ما جرى ، فعجبت من ذلك كل العجب ، وعلمت أنه كوشف بذلك .

قال عبد الله بن موسى وبعثنى أبو إبراهيم ليلة إلى أبى حسون ليبيت عنده، فأتيت به وقال لي ونحن فى الطريق أشتهى أن آكل عند أبى إبراهيم مثل الحوت الذى كنت أكلت عنده ، فلما دخلنا الدار قال لي أبو ابراهيم اِذهب إلى أحمد الحوات وقل له بعنا لنا الليلة حوتاً طيباً مثل الذى كان بعت لنا يأكله الليلةَ أبو حسون .

قال أبو عبد الله بن موسى وحضرت يومـاً بدار أبى إبراهيم إلى أن جاءته جماعة من الصالحين من أهل البادية لا أعرفهم ، فقال لي سق من

السوق اسفنجاً طيباً وعسلا ، فأتيتهم بذلك ، وقلت فى نفسي ليتنى دخل هؤلاء الصالحون بيتىِ لأتبرك بدخولهم فيه ، فلما فرغوا من الآكل قال لي أبو إبراهيم تقدم إلى منزلك لتدخل عندك هذه الجماعة كما تمنيت ، فتقدمتهم ودخلوا البيت فسمعوا بكاء ولدي كما فطم ، فقالوا لي ما لهذا الولد يبكى ؟ فقلت لهم قد فُطِم عن الرضاع فلم يفتر من البكاء ، فأمرنى أن آتيهم به فمسحوا على رأسه فسكت الصبي ولم يبكِ بعد ذلك على الرضاع (1) .

346) **إسحاق ابن ويعزان :** أبو ابراهيم من أهل رباط تاسماط من عمل مراكش ، وكان من الأولياء الأخفياء ، قال فى (التشوف) حدثني الثقة قال سمعت الشيخ عبد الله بن عثمان الصنهاجى يقول كان إسحاق ابن ويعزان ملازماً لمسجد تاسماط يواصل فيه سبعة أيام على الدوام ، فاذا قرب أوانُ الحج غاب أياماً ثم يظهر ، فيقال إنه كان يحج فى كل عام ثم انتقل إلى أغمات وريكة وبها مات رحمه الله تعالى .

حرام على الركب العراقي مسراه ... إذا لم ترد ماء العذيب مطاياه
وتلبث فيه اليعملات هنيئة ... وترتاح في أشجاره وخزاماه
سألت حداة العيسِ هل سقي الحما ... وطاب لهم ذاك الكثيب ومغناه ؟
يبثون ما ألقاه شوقاً إليهم ... جهاراً ولولا بينُهم ما جهرناه
أحنُ إلى ذاك الكثيب وطيبه ... وأصبو إلى ذاك الكثيب ومغناه
وأشتاق إن هبت صباحاً نُسيمة ... تذكرنا من حاجر ما عهدناه (2)

347) **إسماعيل بن سعد السعود ابن عفير الأموي**

إسماعيل بن سعد السعود بن أحمد بن هشام بن إدريس بن محمد بن سعيد بن سليمان بن عبد الوهاب ابن عفير الأموي من أهل لبلة ، وسكن إشبيلية ، يكنى أبا أمية ، وبنو عفير ينتمون فى الصريح من ولد عثمان بن

1) **التشوف** ص 227 ع 96 **والسعادة الأبدية** 1 : 124 .

2) **التشوف** ص 220 ع 90 .

عفان رضي الله عنه ، ويقال إنهم من موالي الأموية ، ودارهم التى نزلوها أول دخولهم لبلة .

روى عن أبيه أبى الوليد وأبى بكر بن صاف، وأخذ عنه القرآت وسمع عنه صحيح البخاري وغير ذلك، وسمع بقرطبة أبا بكر ابن خير قرأ عليه بساباط جامعها الأعظم صحيح مسلم وكتباً سواه ، ولقي ابن زرقون وابن بشكوال وأبا إسحاق ابن فرقد وأجازوا له كما أجاز له السهيلي وغير هؤلاء ، وولي قضاء مراكش فى الفتنة ثم صرف عنه وانصرف إلى إشبيلية ، وكان من أهل العلم والأدب مع النباهة والنزاهة ، حدث وأخذ عنه أصحابنا .

مولده يوم الخميس ثامن صفر سنة ثمان وخمسين وخمسمئة .

وتوفي سنة سبع وثلاثين وستمئة (1) .

348) **إسماعيل بن ابراهيم التونسي** أبو الطاهر ، أصله من تونس وأشخص إلى مراكش فقدمها ، ثم استقر أخيراً بتلمسان فأقرأ بها العلم وأعرض عن الدنيا وأهلها ، ومات بها عام ثمانين وستمئة ، وكان على سنن العلماء الفضـــلاء .

حدثنى عبد الله بن محمد قال سمعت أبا الطاهر يقول : رأيت أبا المعالي فى النوم فقلت له لقد تكلم فيك الناس من أجل ما قلته فى كتاب (البرهان) ، فقال لي يابني مَن عرض عقلَه على الخلق لم يأمن من القول ، وحدثنى أبو علي بن محمد قال حضرت مجلس أبى الطاهر وقد دخل عليه عمرو بن العباس المعروف بالحياك ، فقال له أبو الطاهر ياأبا علي أدنُ مني ، فدنا منه ، فقال له رأيتك ألبارحة فى النوم وأنت تنشدني :

أجيرونـــي فاني قـــد وحلــت وفى نفـــي وإثـبــــات حصلـت
أنــزه خــالقي عن ذا وعـــن ذا وأعرفـــه وليس كمـــن جهلـت

---

1) التكملة 1 : 187 ع 496 .

فممَّ أجيرك ؟ فقال له سيدى ما وحلت إلا فى هذا ، فلما انقضى المجلس خلى بعمر فى حديث كان بينهما لم أعلمه .

349) إسماعيل بن الشريف العلوي (السلطان مولاي)

إسماعيل بن الشريف بن علي الحسني أمير المومنين أبو النَصر رضي الله عنه ، ولد سنة ست وخمسين وألف ، وبويع فى الساعة الثامنة من يوم الأربعاء خامس أو سادس عشر ذى الحجة الحرام متم عام اثنين وثمانين وألف ، وكان سنه يوم بويع ستاً وعشرينَ سنة ، وكان رحمه الله ملكاً عظيماً وسيداً مهاباً فخيماً ، دانت له الرقاب ، وعم نشره البقاع والرحاب ، واتسعت مملكته ، وعظمت على البغاة والعتاة صولته ، مع الكرم والجود ، والسعي فى تطهير هذه البقاع المغربية من أنجاس أهل الكفر والجحود ، ومن مآثره رحمه الله فتحه لعدة من المدن كانت بيد النصارى ، ومن ذلك المعمورة المسماة بالمهدية ، ومدينة طنجة ، ومدينة العرائش ، ومدينة أصيلة ، ومنها بناؤه لضريحي الامامين القطب مولانا إدريس الأكبر بزاوية زرهون ، والقطب مولانا إدريس الأنور بمدينة فاس ، وزيادة فيها مع التأنق فى ذلك غاية ، ومنها بمكناسة مسجد الرخام ، ومنها أمره بقراءة حديث الانصات يوم الجمعة بعد خروج الخطيب وجلوسه على المنبر وذلك سنة عشرين ومئة وألف الى غير ذلك .

توفي رحمه الله ظهر يوم السبت الثامن والعشرين من رجب عام تسعة وثلاثين وألف ، وتولى غسله سيدى أحمد بن أبى القاسم العميري ، وصلى عليه الفقيه العلامة سيدى الحسن ابن رحال المعداني ، ودفن بروضة الشيخ سيدى عبد الرحمان المجذوب من حضرة مكناسة الزيتون ، وضريحه الآن هناك مزارة عظيمة نفعنا الله به ، وقد أفرد العلامة اليفرني صاحب (النزهة) و (الصفوة) ترجمته بمؤلف مستقل فلينظر .

وقال فى (الروضة السليمانية) إن المترجم بلغ من تمهيد السوس إلى طاطا وآقاوتسنت وشنكيط ، وقدمت عليه وفود العرب أهل الساحل والقبلة مغافرة ودليم وبربوش ومطاع وجرار وودي ، وأدوا طاعتهم ، وفى ذلك

الوفد جاءته خناثة بنت الشيخ بكار ، فتزوجها وبنى بها ، وحجت ودوّن حجتها عبد القادر المدعو الجيلالى الاسحاقى ، ورحلته المذكورة موجودة بخزانة القرويين بفاس ، ثم إنه شبه قضية الحراطين بما فعله المعتصم بن الرشيد من جمع المماليك من الأتراك .

قـال في (المقصد الأحمد) وممـا اشتهـر من تصريفـه يعنى سيدى أحمد بـن عبد الله وانتشـر ، وبـرز للعيـان وظهـر ، حتى علـم به الحاضرون والبادون ، والأقربون والأبعدون ، تصريفه فى أمراء الزمان ، وولاة الأوان ، ولى على يده غيبا باذن الله تعالى غير واحد منهم كسلطان الوقت مولاي إسماعيل بن الشريف الحسني أيده الله وغير واحد من قواده حسبما تشتهر بذلك قضايا واقعة له فيه ، ويشير اليه كلامه فى بعض الأحيان أيضاً ، وقد صرح زمن محاصرة السلطان مولاي إسماعيل سدده الله لأهل فاس حيث ثاروا عليه بأنه أعطى مفتاح فاس فوجد أسنانه معوجة فقومها وفتح البـاب للسلطان ، ثم قال انه رجل يعنى بيده أو من التصريف فليسددها ، صرح بذلك قبل زمن الصلح بين أهل فاس والسلطان المذكور ، وقال صاحبنا الكاتب سليمان بن عبد القادر الزرهوني بعد مضي زمن الصلح عند ما أراد السلطان إضرار عامة الناس ، قال له أما كنت تضرع الى الله وأنت في خبائك وحدك ، وتبكي وتعاهد الله إن رد عليك ملكك أن لا تضر أحداً ، ولم يوافق أحد يعني من أهل الله عليه حتى جاء الرجل يعنى نفسه ، وقال له أنا أضمنه يعني في شأن أهل فاس ، ثم قال للكاتب المذكور والى الآن اذا دار ندور ، وكان بعض البهاليل بجامع الأبارين يقول لم يبق مع هذا السلطان أحد الا ابن عباد فان يده عليه ، فكان سيدنا أحمد اذا ذكر ذلك يضحك منه ويقول انه خلط عليه ويشير الى أن المراد بذلك ابن عبد الله يريد نفسه كما بينه مرة لبعض أصحابنا اذ سألَه عن ذلك وأنا حاضر ، وقد شاع وذاع ، وملأ الأفواه والاسماع، واشتهر على ألسنة القوم ممن ينتسب للكشف وغيرهم حتى العوام أن سيدي أحمد بن عبد الله هو الذى يده على هذا السلطان بحيث لا يقدر أن يخلص اليه أحد من أهل الزمان حتى نجد بعض أهل الرياسة والحسد يتمنون زوال يده عنه ليفسد ملكه فيمن فسد ، وما كان سيدنا أحمد يتجاوز أمر الله فيه

أويحيد عنه لمنافسيه لأجل ما لهم من المنى فيه ، (وربك يخلق ما يشاء ويختار ، ما كان لهم الخيرة) ، انتهى . ثم ذكر أنه كان يحضُّ عن الجهاد السلطان المذكور بواسطة كاتبه المذكور الفقيه الكاتب الخير كاتب الدولتين سليمان بن عبد القادر الزرهوني ، فأمر به قائد القصر الكبير وبلاد الهبط عمر بن حدو البطوئى فحاصر طنجة أزيد من ثلاثة أشهر وأخذها والحمد لله عنوة ، ثم بعث القائد المذكور الى المعمورة فلم ينشب أن أخذ ما حولها ولحق به السلطان فأخذها ، وذلك غدوة يوم السبت حادى عشر ربيع الثانى سنة اثنتين وسبعين وألف ، ثم ذكر حصره لابن أخيه مولاي أحمد بن محرز بمراكش ، ثم ذكر نص جواب سيدنا أحمد المذكور للمترجم بعد أن استدعاه لمعرفته واللقاء معه وطلب الدعاء ، وراسله بكتب شتى فما التفت لشيء من ذلك ، ثم راسله بكتاب أسند النظر إليه فى خارج روضة الشيخ سيدى علي بن حرزهم ليعطيها على يده لمن شاء ، فما قبل ذلك ثم طلب الجواب منه ملحاً الكاتب المذكور ، فكتب له جواباً قال فى آخره وما طلبه الأمير منا من الدعاء فها نحن داعون له آناء الليل وأطراف النهار بالسداد والتوفيق ، والجري على أقوم طريق ، وكل المسلمين يجب عليهم أن يدعو للأمير بخير ، ونحن من جملتهم ، فلما بلغ السلطان هذا الكتاب سُرَّ به عظيماً وقبله بفيه ورفعه على رأسه بعد أن أيس من ملاقاة صاحبه رضي الله عنه .

وما ذكره في قضية مفتاح فاس قد نقل نحو في (الالماع) وقال في (نشر المثاني) : أحيا الله بالامام مولاي اسماعيل رسوم الدين بعد دروسه ، وأضحك به وجه الزمان بعد طول عبوسه ، وأخمد به الفتن بعد تأجج نارها ، وأحيى به المعالي بعد الأخذ بثارها ، وبسط الله له اليد على رعيته فعلت أقداره ، ولاحت في آفاق الدنيا شموسه وأقماره ، وتكاملت في الحسن أنجاد المغرب وأغواره ، وشمخ فيه ملكه ، فدار بالنصر والتمكين فلكه ، فانتعش به كل الأرامل والأيتام ، ورسمت فيه للدين أئمة وأعلام ، وأولاه الزمان زمامه، وأكمل السعد واليمن مرامه ، فشدا بذكره صادحاً ، وما أحسن قول من قال فيه مخاطباً له ومادحًا :

وأطلت أيام السرور فلم يُصب — مَن قال أيام السرور قصار
وجبرت من جرح الزمان فكذبت — أقوالهم جرح الزمان جبار

ومن مفاخره ، وكريم مآثره ، أن هدّ حصوناً في المغرب للكفرة ، وخرب دياراً لأهل الشرك والفجرة ، فمنها فتح المهدية بالمعمورة ، فأخذها عنوة يوم الجمعة ثالث عشر ربيع الثاني عام اثنين وتسعين وألف قيل بقتال وقيل بغير قتال ، وانما أخذها بقطع الماء عنها ، ومن لطف الله أنه لم يمت أحد من المسلمين وغنم مَن كان بها من النصارى وجعل الله له ذلك من العمل المقبول الذى ينال به رضى الله عنه ، ومنها فتح طنجة ، ففى رابع وعشرين من المحرم عام تسعين وألف وقعت غزوته بها فمات من المسلمين نحو خمسين ومن الكفار نحو ثلاثمئة ، وأخذ لهم منها قصبة بأربعة أبراج ، ثم في ربيع الأول من عام خمسة وتسعين وألف أخذها من غير قتال ، فتركها الكفار وهربوا بما قذف الله في قلوبهم من الرعب منه بعد أن خربوا دورها ، جعل الله له ثوابها من الذخائر التى يجدها يوم لقاه ، ومنها فتح العرائش ، ففي آخر شوال عام مئة وألف أنزل عليها الجيوش وحاصرها ، ثم أمر بارسال البارود تحت أسوارها بحفر العملة ، ثم أرسلوا فيها النيران حتى تصدعت أسوارها ففتحها عنوة وغنم ما فيها من النصارى ، وكان عددهم ألفاً وسبعمئة ، ومنّ على أميرهم بالعتق ، وفرح المسلمون بهذا الفتح وصحبهم منه سرور عظيم ، ومما قال في ذلك سيدنا الجد رحمه الله القصيدة التى هو مطلعها وذكر فيها الفتوحات المتقدمة ومدح مولانا صاحب الترجمة :

علا عرش دين الدين الله كل العرائش — وهدّ بنصر الله حصن العرائش
وكل عريش منه ثلت عروشه — ورجت به رجاً صواعق نابش
وأسلم للاسلام من بعد كفره — بوقع سيوف لا برشوة رائش
أتاه من الايمان جيش مؤيد — فناجزهم ما بين راح ورائش
وثار عليهم كل شهم غشمشم — وكل كميٍّ مسرع الضرب باطش
علوهم بأسياف أسالت رؤوسهم — فساروا سريعاً بين طاو وطابش
وحاشوهم حوش البزاة بغاتها — وقد أثخنوهم فيه إثخان فاتش

فما لبثوا أن طالبوا الأمن في الوغا ... وذلوا لدين الله ذلة داهـش
وهان عليهم كل هول وهائـل ... وربقة أسر بعد طول تهـاوش
ترى كلهم في الأرض بادي ذلـة ... كسيفاً كئيباً بالُه غير ناعـش
يساق بسوق الجيش سوق مهانة ... يهز خساه الخوف هزة راعـش
يعض يداً وينتف الرأس واللحـي ... لأن لم يمت من قبل موت الهوارش
كأنهم الغربان قصَّ جناحهـا ... وبلت بوبل من سواكب حافـش
هنيئاً بعز المومنين وجمعهـم ... واذلال أهل الكفر أهل الفواحـش
بهذا ليهن عيش كل موفـق ... بهذا ليفرح دائماً كل عائـش
لنا النصر والبشرى لنا بامامنـا ... هزبر الوغى غيظ العدو المناقش
أبي النصر اسماعيل ناصر ديننا ... وحامي الحمى بالمرهفات البواطش
زعيم سلاطين الثرى وهمامهـم ... وسيد أقيال الورى دون حـادش
مليك له يمن به سار كلنـا ... يروح ويغدو في أجل معايـش
مبارك ميمون النقيبة في الثـرى ... له الفتح في أوساطها والهوامـش
أباد حصون الكفر بالسيف والقنا ... وما أذعنتْ من قبله لمباشـش
فسل غاوي معمورة عن فتـوحه ... وسل طنجة من قبل هذى العرائش
لقد كان ديناً فتحها فانقضى بـه ... كذلك ما في الأرض من كل هامش
به سعدت أهل المعارف كلهـا ... فأشرق من جدواه لهفة عاطـش
نعم انه من نبعة نبويـة ... وفرع زكي طيب النشر عـارش
لذاك ملوك الأرض طراً تهابـه ... فكلهم ما بين مدهي وداهـش
وما الترك الا في دواهِ دهتْهـمُ ... صدورهم جاشت بأعظم جائـش
له سطوة في أرضنا هاشميـة ... يذوب لها قلب الحسود المخادش
لك الفتح ممدود فجاهد عدونـا ... وحشهم وما أوفى لهم كل حائـش
فلا تخش حياً ما حييت فانـه ... لك النصر عند الملتقى والتهاوش
عليكم من الرحمان عين كـلاءة ... تصاحبُكم عند اشتداد المداهش
ودام لكلّ المسلمين ظلالُكـم ... ودمنا به في طيبات المعايـش

وكانت بيعة مولانا اسماعيل رحمه الله في يوم الأربعاء خامس عشر ذى الحجة عام اثنين وثمانين وألف ، واشتد حزمه في تمهيد المغرب حتى تمهد

له من أقصا الظهراء الى وادى نون والساقية الحمراء ، ومن البحر الى أقصى الصحراء قبلة ، ورزق من بركة العمر ما ألحق به الأحفاد بالأجداد ، وكان فيه حياة الأغوار والأنجاد ، فكثرت عمارته جداً ، وجدد الناس في أيامه للعلوم عهداً ، فكانت أسواق العلوم في دولته عامرة ، ونجوم أفلاكه نيرة زاهرة ، وأدرك الهناء في أيامه كثيراً من الضعفاء والأيتام ، وقام فيه كثير من الناس بالعلم والدين أتم قيام ، وكان الناس في أيامه يغبطون حياته وذلك اغتباطاً بما أمد الله على رعيته من الظل الظليل ، ونالوا من بركته من العز الجليل ، كما نقول ذلك نحن في أيام المنصور بالله سلطان وقتنا هذا أدام الله مفاخره ، وخلد مآثره ، ونسأله اللطف والرحمة وجميل ستره أول كل أمر وآخره .

وكان ابتداء مرضه في ثاني يوم من شهر جمادى الأولى عام تسعة وثلاثين ومئة وألف ، وكانت وفاته يوم السبت ثامن وعشرين من رجب من العام المذكور ، وتولى غسله الفقهاء ومنهم سيدي أحمد بن سيدي أبي القاسم العميري ، وكان الذى تقدم إماماً للصلاة عليه العلامة سيدى الحسن ابن رحال المعداني ، وجعل الله له هذا المرض آخر عمره ليرفعه به أعلا الدرجات ، لأنه آخر ما يثاب عليه الانسان ، وسبحان من له البقاء والدوام ، رحمه الله تعالى ورضي عنه ونفعنا به وبنسبه الطاهر آمين .

وكل ما قيدته هنا في هذه الترجمة وفي غيرها من الحوادث والتواريخ كله وجدته مقيداً بخط مَن يظن به الثقة ، والعلم عند الله تعالى في كل شيء وإليه ترجع الأمور .

وأما أمره في الحلم والجود والشجاعة وعلو الهمة وغير ذلك من خصال الكمال فمما لا يعبر عن لسان ، ولما خطب به أبو مدين السوسي العلامة القاضي قال في الخطبة الثانية : لورآه والده الجليل ، في هذا الجمع الحفيل ، لَقال الحمد لله الذى وهب لي على الكِبَر اسماعيل ، فأعجب به وخلع عليه ، وهو من جيد التورية التى يقل مَن يهتدى لها في مثل هذا .

ترجمه الأفـراني وصاحب (الـدر السني) و (زهر البستـان) و (النشر) و (الأنيس المطرب) و الزياني ، والكنسوس ، وصاحب (نصرة العترة الطاهرة) وغيرهم ، وقد قدمنا ما يتعلق بدخوله لمراكش في ترجمة ابن أخيه مولاي أحمد بن محرز وما جرى له معه مفضلا . .

350) **الأشرف بن الأعز بن هاشم العلوي** النسابة من أهـل حلب ، ذكر أنه سمع جامع أبي عيسى الترميذي من الكروخي قال ابن النجار ولم يكن موثقاً به فيما يقوله ، اجتمعت به بحلب وأنشدني من شعره ، وقال أبو الخطاب ابن دحية : كان كذاباً ، وقال يحيى بن أبي طي أخبرني هذا الشريف ولقبه تاج العلاء ولد سنة اثنتين وثمانين وأربعمئة قال وقد اجتمعت بالقاضي علي بن عبد العزيز الصورى فسمعت عليه مجمل اللغة لأبي فارس وعمره يومئذ خمس وتسعون سنة وهو يفهم صحيح السمع والبصر مع تضعضع في أعضائه ، قال وذكر لي حال القراءة عليه أن ابن فارس قدم عليهم صدر سنة أربـع وأربعين ، فأفرد له الشيخ الشافعي أبو الفتح سليم الرازي داراً ، وسمع عليه المجمل من أوله الى آخره ، قال وقال لي تاج العلاء اجتمعت بالحريري صاحب المقامات سنة احدى وعشرين وخمسمئة بالبصرة وهذه جراءة عظيمة وغباوة ، كيف صدقه ابن أبي طي على ذلك والحريري قد مات قبل هذا التاريخ بمدة ، قال وصنف كتباً كثيرة منها كتاب في تحقيق غيبة المنتظر ، وشرح القصيدة الثانية للسيد الحميري ، وكان رافضياً ، مات سنة عشر وستمئة وهو بزعمه قد بلغ مئة وثمانية وعشرين عاماً ، ونقلت من مصنف لابن دحية أنه لقيه بالرملة فيقول : دخلت المغرب الأقصى ، وسكنت القيروان ، وأردت المشي منها الى مراكش ، فوصلت اليه في ستة أيام فقلت له في اليقظة قال نعم على جمل ! فقلت له بين القيروان ومراكش ثلاثة أشهر ، قال وجعل يذكر أسماء الصحابة الى أن قال : كان لدحية ابن خليفة أخ يقال له علي ، وله عقب كثير بالمغرب والشام ، قال ابن دحية وقد قيد أهل حلب عن هذا الرميلي أحاديث في النسب والحديث ، وكان يزعم أن البخارى ما روى عنه الا الفربري .

انتهى من لسان الميزان .

351) **أيوب بن عبد الله الفهري (أبو الصبر)** : من أهل سبتة ، قدم مراكش واستشهد في وقيعة العقاب منتصف صفر عام 609 تسعة وستمئة ، صحب أبا يعزى وأبا مدين وابن غالب، ورحل إلى المشرق، فلقي العلماء الفضلاء .

قال في (التشوف) سمعت أحمد بن ابراهيم الأزدي يقول : قال لي أبو الصبر رأيت عبد الله البكري المجاور بالحرم الشريف ينظر الى السماء ويقول : ألا تنظرون الى أبواب مفتوحة مالكم لا تنظرونها ؟ قال أبو الصبر : وأخبرني أبو محمد قال : غلبت في ابتداء أمري فان تكلمت هلكت ، وان سكت هلكت ، فذهبت إلى بلاد العجم فأتكلم بتلك الأشياء ولا يفهمونها لعجميتهم ، فلما سكن عني ذلك عدت إلى الناس .

سمعت حسن بن محمد الغافقي الصواف يقول : سمعت أبا مدين يقول: جاء أبو الصبر بصفحة كبيرة من عود من عمل الروم من مدينة سبتة إلى جبل ايرجان وهي على رأسه فأعطاها أبا يعزى، فكان أبو يعزى يطعم فيها الضيفان الواصلين إليه .

وحدثني حسن بن محمد الغافقي الصواف قال حدثني ابن راضية قال : كان لأبي الصبر أم من الصالحات ، فاذا غاب عنها وجاءها أخبرته بما جرى له في مغيبه (1) .

وقال في (المعزى) في ترجمته : كان هذا الامام كبير الشأن في العلم والعمل والزهد والورع ، مات شهيداً في وقعة العقاب في عام تسعة وستمئة في الهزيمة العظمى التى كانت على المسلمين في أيام محمد الناصر بن يعقوب المنصور ، ويحكى أن قواده جروا عليه تلك الهزيمة كذا ذكر ابن الخطيب وغيره من أئمة السير ، وكان هذا السلطان تحرك من مراكش الى بلد افريقية بجنوده فدوخها ومهدها لما نافق عربها ، وفتح ميورقة ثانية من بلاد الأندلس ، ثم انه حشد بعد وقعة العقاب وجمع جمعاً لم يجمعه مـَن تقدمه من الملوك ولا بلغه ، فلما بلغ الى سلا أدركه هادم اللذات فمات وانقطع أمله

1) التشوف ص 431 ع 240.

ولم يمسح معرة الهزيمة ، ولكن قالوا الموت في طلب الثار ، خير" من الحياة مع العار (I) .

وكان هذا الامام أبو الصبر قرأ على ابن غالب شيخ أبي مدين الذى كان اذا أشكلت عليه مسألة علمية ينظر يميناً وشمالا في ركن بيته فيراها مكتوبة ، وكانت هذه الكرامة لجماعة من الأولياء حتى أن منهم من يرى الجواب مكتوباً في جبهة السائل ، ومنهم مَن يراه في الدواة والحائط الذى يقابله والحصير ، وما ذلك على الله بعزيز ، وصحب أيضاً أبو الصبر سيدي أبا مدين، ثم رحل الى الشرق فلقي به الأعلام من العلماء والفضلاء ، ثم حكى ما تقدم عن (التشوف) .

قلت ممن روى عن المترجم أبي الصبر من المشاهير : ابراهيم المعروف بابن الكماد المرادى الفاسي الحافظ .

وقال في (الجدوة) في ترجمة أبي الصبر : أيوب بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن عمر الفهري من أهل سبتة ، يكنى أبا الصبر ، وهو الزاهد الورع الفاضل ، تجول في الأندلس وأخذ بقرطبة عن ابن بشكوال كثيراً ، وبمالقة عن السهيلي، وأبي العباس الأندرشي، وصالح الأوسي وغيرهم، وأخذ بغيرها من بلاد الأندلس وبسبتة عن عبد الله بن عبيد الله وأكثر عنه، وروى عن ابراهيم ابن قرقول وأخذ بفاس عن القاضي أبي عبيد الله ابن الرمامه ، وعن الحاج أبي الحسن بن حسن ، وأخذ الموطأ عن صالح الرعيني ، ورحل الى المشرق فحج ولقي في رحلته الميانشي وأبا عبد الله الحضرمي ، وأبا الطاهر ابن عوف، وأبا الفضل الغزنوي وغيرهم ممن ضمه برنامجه ، ولقي أعلاماً من الصالحين كأبي يعزى يلنور ، وأبي مدين ، وأبي الربيع المالقي وغيرهم رضي الله عنهم ، وأظن رحلته الى الشرق تكررت ، وكان محدثاً راوية شاعراً صوفياً جليلا من بقايا الشيوخ الصوفية السنية ، وأخذ الناس عنه كثيراً ، وقعد بجامع سبتة لتدريس العلم أعادها الله دار اسلام ، وعلا صيته وجل قدره،

I) هذا غير صحيح ؛ فان الخليفة الموحدى محمد الناصر لما هزم فى وقيعة العقاب وعاد الى مراكش اخذ البيعة لابنه يوسف المستنصر ؛ ثم دخل قصره فاحتجب عن الناس وانغمس فى ملذاته حتى سمته احدى جواريه فى كأس خمر فمات من حينه يوم الأربعاء II شعبان عام 610 (22 دجنبر سنة 1211 م) أنظر **الانيس المطرب بروض القرطاس** ص 240 .

واشتهر بالعلم والعمل ، وزاره الملوك بموضع سكناه متبركين برؤيته ، ولم يزل حاله على ذلك الى أن استشهد فى كائنة العقاب يوم الاثنين الرابع عشر من صفر عام تسعة وستمئة (16 يوليوز سنة 1211 م) ، فختم عمله بالشهادة .

أخذ عنه جماعة كثيرة كأبي الحسن الغافقي وأبي عبد الله الأزدي وغيـــرهم .

انتهى من الذيل لابن سعادة (1) .

352) **أيوب بن الحسن** : الولي الصالح الشهير دفين الحومة المسماة به يغتسل من محل من ضريحه من مرض الحمى بقصد الاستشفاء ، وبنى عليه السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام قبة صغرى .

لم أقف على تاريخ وفاته (2) .

353) **أبو جمعة الشامي** ، وممن لم أقف على تاريخ وفاته الولي الصالح المعروف عند العامة بسيدى بوجمعة الشامي وهو بقعر عرصة المسفيوي يميناً وعليه حوش متهدم (3) .

354) **أبو إسحاق الزهري** قاضي مراكش ، قال فى (الشهب اللامعة) : ومن أحسن التيقظ ما أخبرنا به بعض الأصحاب من أن بعض ملوك المغرب أراد أن يقدم قاضياً بمراكش ، فنبه على جماعة من فقهائها فوجه عنهم ، وكان ممن وجه عنه القاضي أبو إسحاق الزهري ، فقال ذلك أقدح لأنه رجل معتدل ،

---

1) **التكملة** 1 : 202 ع 536 **وجذوة الاقتباس** ص 168 **والتشوف** ص 431 ع 240 **وشجرة النور الزكية** 1 : 184 ع 607 .

2) بهذه الترجمة تنتهى تراجم حرف الألف من هذا الكتاب ؛ وتجدر الاشارة الى أن المؤلف أدرج عدداً آخر من التراجم تحت هذا الحرف ؛ ولكن اصحابها اما مترجمون تحت كناهم كأبى بكـر ابن القصيرة وأبى بكر الصيرفى ؛ واما مترجمون تحت القابهم أو أنسابهم التى اشتهروا بها كابن مرج الكحل وابن مزاحم وابن المليح ؛ وأغلب هؤلاء المترجمين أعاد المؤلف ترجمتهم تحت أسمائهم الحقيقية ؛ فلهذا أخرناها الى أمكنتها الحقيقية اجتناباً للتكرار وحسماً لمادة الكنى البشيعة التى توقع الباحثين والدارسين فى أخطاء كثيرة وتقتضى منهم أوقاتاً ثمينة هم فى أشد الحاجة الى صرفها فى المجدى المفيد .

3) هذه الترجمة أثبتها المؤلف على عادته فى حرف الجيم ؛ فآثرنا اثباتها فى حرف الألف تبعاً للترتيب الجديد للكتاب ؛ ولم نتفطن لها فى الأول لنجعلها فى المكان الذى يجب لها .

فسأله بعض خاصته عما رأى من اعتداله ، فقال إني عددت خطاه عندما دخل فاذا هي بعدد خطاه عند ما خرج .

انتهى من آخر الباب الحادي عشر (I) .

حـرف الـبـاء

355) بلة ابن عزوز الرحماني المراكشي

هو مراد الشيخ محمد الحضيكي في تأليفه الذي ألفه في الرد عليه حيث قال : وبعد فلقد بلغنا عن شخص معرف ببلة ابن عزوز سكن مدينة مراكش حرست ووقيت كل مكروه ، أخبار تدل على بدعة صاحبها وزندقته عياذاً بالله تعالى ، وذلك أن كل مَن أتاه زائراً واعتقده وراءه راغباً محترماً له ومعظماً لقدره حسن له في تـرك الأعمال الصالحة وطرح أحكام الشريعـة المحمدية من صلاة بشروطها وأركانها وأحكامها كلها ، ورفض القواعد الشرعية المعلومة من الدين ضرورة ، ويقول لأصحابه الذين اعتقدوه : صلوا واذكروا واقرأوا واعبدوا بعلومكم خاصة ، هذا هو المشروع المطلوب من العباد ، ولا تشرع عبادة غير هذه ، ولا يومرون بركوع ولا بسجود ولا قراءة بل بحركة لسان فقط ، وكذا لا تشرع لهم الطهارة مطلقاً لا لحدث أصغر ولا أكبـر ، فصار أصحابه على هذه الصفة وترك ذلك كله جملة وتفصيلا ، فلا يرى قط واحد منهم يصلي الصلاة المشروعة ولا ذاكراً الله تعالى ولا قارئاً ، قد تركوا الاسلام ونبذوه بجملته رأساً وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون ، وبهذا أخبرنا غير واحد من الطلبة ، ومن جملتهم طالب قارئي للقرآن ثقة من طلبة هشتوكة، أخبرنا أنه قد وقع في حبالة ذلك الشخص واصطاده بها ، ثم تخلص منها للعناية السابقة ، ذكر أنه لما بلغه أمره أتاه في حانوته بالسوق ، فطلب منه

I) هذه الترجمة سقطت سهواً اثناء طبع الجزء الأول فآثرنا اثباتها هنا فى آخر حرف الألف ؛ ولعلها مما الحقه غير المؤلف بالكتاب ؛ لأنها مكتوبة فى الهامش بغير خطه هكذا : وفاته ابو اسحاق الزهرى قاضى مراكش الخ .

أن يدخله في سلكه ، فقبله وأمره أن ياتي أصحاباً له في جبل گليز خارج المدينة يعلمونه ويؤدبونه ووعده أن سيرى إذا استمرّ في طريقه أسراراً تقوى حزمه وعزمه ، قال فلحقت بهم في گليز ، فاذا هم في شر وبؤس شديد لا يأكلون إلا علقة من دقيق غير منخول ولا مطبوخ ، قال فمكثت عندهم على تلك الحالة لا يصلون ولا يتطهرون من حدث ولا خبث ، ولا يذكرون الله قط ، وقالوا هذه طريقة شيخهم يعنون بلة ابن عزوز ، وهي أقوم وأسهل ، وبها جاء الكتاب هكذا إلى يوم الجمعة ، فنزلنا إلى المدينة ومررنا بجامع المواسين ، وسمعنا دوياً عظيماً من أخلاط أصوات أهل الجامع في الذكر قبيل الخطيب ، فجزنا مسرعين ، وفي نفسي حزازة وحسرة فمضينا . . . . . أهل المدينة سموها جامع الفناء ، فتمرغوا فيها كالحمير ساعة ثم رجعوا إلى جبل گليز على حالتهم المذكورة وعادتهم المعهودة ، حتى يوم الجمعة الثاني ، فنزلوا إلى المزبلة ليتمرغوا فيها على عادتهم ، فلما مروا في جامع المواسين ، وسمع المسلمين في الجامع يذكرون الله تعالى ، كل يجهد نفسه ولا يالوا جهداً في عبادة الله قال فندم وبكى واختفى عن أصحابه ورجع عن ضلاله إلى دين الاسلام من وقته ، قال فكتب قضيتي وما وقع لي إلى سيدي بن العربي إمام السلطان أعزه الله بجامع الكتبيين يسأله هل ارتدّ بفعله ؟ وهل يعذر بالجهل ؟ وما الحكم في نازلته ، قال فلم يجبني بشيء، فزادت حسرتي، ثم أتيته مشافهة بأمري كله إلخ . وهذا خبر هذا الطالب التائب تاب الله علينا بكرمه آمين ، ثم أتانا بعده آخر من حاحة مخفياً داءه ، والأول جاءنا نادماً متحسراً بما فرط منه ومما فرط في جنب الله ، فلما عثر على إلحاحي جعل ينكر معرفة بلة ابن عزوز أصلا ، فلما ثبت أنه من أصحابه جعل يكابر ويحمي صاحبه ويحترمه وينزهه عما شاع عنه فيما مرّ من الزندقة والضلال والاضلال ، ثم اعترف ببعض ما وقع فيه من الضلال المبين ولا شعر بما دهاه قبله ، (قل هل أنبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ظل سعيُهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً) ، وقال لهم : ما مل قيدات يعني الرسالة التي جاءتنا من قبل الله تعالى كلمة لا إلاه إلا الله ، محمد رسول الله ، يقولها المكلف بلسانه حتى تنزل في قلبه فحينئذ تركها رأساً ، وأما غيرها من الأذكار ومن

تلاوة القرآن والتسبيح والصلاة على النبي (ص) ونحو ذلك من تعلم وتعليم فلا يشرع ولا يفيد ، وكذا صلاة الجماعة في المساجد وأن بيت المومن قبله ، وإنما تعبد القلب خاصة فيما ذكر من جميع أنواع العبادات ، وكان هذا الرجل الحاحي تالياً للقرآن ومجتهداً يقوم به الليل فلما لقي بلة ابن عزوز زهده فيه فتركه ونسيه عياذاً بالله ، وهذا والعياذ بالله رفض للشريعة بالجملة وكفر صراح لا شك ولا مرية ونعوذ بالله من الخذلان و البدع المضلة ، ونسأله تعالى أن يكفي المسلمين شرَّ هذه الشرذمة الغاوية وان يخمد بدعتهم الحادثة، وقد تفرقوا في بعض القرى واشتهروا بترك الصلاة والطهارة على ما مر أباد الله خضراءهم ، واستأصل شافتهم ، وأراح منهم الاسلام قبل أن يظهروا ويكثروا ، ويجب على والي المسلمين أعزه الله ونصر به الدين أن ينظر في هذا الرجل بلة ابن عزوز وأصحابه ويرى فيه رأيه وينفذ فيه حكم الشرع ويحسم مادة هذه البدعة قبل أن تشيع نكالا له وردعاً لأمثاله ، وفي الخبر أن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن ، أي يدفع .

انتهى المقصود بلفظه .

ثم ذكر فصلا وقسمه إلى أبواب أربعة ، الأول في فضل القرآن وأهله ، الثاني في آداب التلاوة في الظاهر ، الثالث في الأعمال الباطنة عند التلاوة ، الرابع في جمعهم القرآن وتفسيره لا لرأي وغيرهم ، ثم قال فى آخره : ومن أظلم ممَّن ابتدع وتزندق ومرق من الدين جملة وتفصيلا ، ودعا عوام المسلمين إلى زندقته وكفره من بلة ابن عزوز وشيعته ، فجحدوا دين الاسلام وأنكروه وأبغضوا أهله ومن يعلم به ، ونبذوا الشريعة المطهرة جملة أصولها وفروعها ، وأبغضوا حملة العلم والشريعة وتراهم قد نزع الله منهم الاعتقاد في سائر الأولياء والعلماء والصالحين ، فلا تكاد تذكر لهم أحداً إلا جرحوه ووقعوا فيه ولا يحترمون واحداً من علماء المسلمين من متقدمهم ومتأخرهم ، لا فقيه ولا محدث ولا صوفي عندهم على ما بلغنا عنهم ، وقد شاهدنا بعضهم على ذلك الوصف أذلهم الله وأطفأ نارهم وقيض مَن يسْتأصل شافتهم من وال محتسب لله غيور ناصر لدين الله عاجلا ، وليس أولى بذلك من والي الوقت أعزه الله ونصر به الدين وأذل به الكفر وأهله آمين .

وهذه النسخة كتبها أحد تــلامذة المؤلف في أوائل حجة الحــرام عام 1195 ، وهي في أزيد من خمس كراريس من القالب الرباعي (1) .

356) **البشير بن عبد الحي البربوشي الصحراوي** دفين مراكش ، العلامة الفاضل الصوفي ، أخذ الطريقة المختارية عن الشيخ سيدى المختار الخليفة بن محمد بن المختار الكنتي ، وأخذ عنه الدعوات والأذكار ، وأخذ أيضاً عن الشيخ عبد الرحمان بن سعد بن عثمان بن سعد بن طاهر الطريفي شيخ رواق دار فور بالجامع الأزهر المتوفى عام ثمانية وثمانين ومئتين وألف ، وزار ولقي جماعة من الأبرار ، وممن لقي المترجم الشيخ الصالح سيدى هاشم بن سليمان المرقطاني المتوفى عام 1336 والشيخ المعمر الرحال سيدى أبو شعيب بن الجيلالى الدغوغي نزيل الدار البيضاء وصافحاه بمصافحته للشيخ عبد الرحمان المذكور بمصافحته للشيخ الفيومى الصعيدي للشيخ شمهروش بمصافحته لمولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما هو مبسوط فى (الأنجم السوابق الأهلة) و (معجم السيد عبد الحي الكتاني) (2) قال أسعده الله الذى يظهر لي أن الفيومى المراد به الشيخ عبد العليم الفيومى المالكي الضرير المترجم فى معجم الشيخ المرتضى وتاريخ الجبرتى وغيرهما ، إلا أنه مات فى أوائل القرن المنصرم عام أربعة عشر ومئتين وألف فيبعد أن لا يكون بينه وبين شيخ رواق دار فور المذكور واسطة (3) ويقرب أنه المراد اشتهاره بعلوم الأسرار ومعالجة الجن ويحتمل انه غيره لأن الفيوم خرج منها جماعة من الأولياء ، وممن لقي المترجم أيضاً المعمر الفاضل حفيظ برادة وتلقى عنه بعض الأذكار ، ودفن المترجم بروضة الامام السهيلى بمراكش أو بروضة ابن العريف بها فى حدود التسعين من القرن الفارط ، وولده المهدي ترجمناه أيضاً.

---

1) هذه الترجمة كثيرة التصحيف والاضطراب كما يظهر ؛ وقد حاولنا جهدنا تقويم اعوجاجها ؛ ولو كان وقع لنا كتاب الحضيكى لصححناها منه .

2) فى الأصل ومعجم السيد أبى الاسعاد؛ وأبو الاسعادكنية الشيخ عبد الحى الكتانى الفاسى.

3) ليت شعرى كيف استبعد أن لا تكون بين البربوشى وبين الشيخ الطريفى واسطة بينما هو لا يستبعد مصافحة الشيخ الفيومى للقاضى شمهروش ؛ ومصافحة هذا القاضى الخيالى للنبى صلى الله عليه وسلم ؟ عجائب تضحك والله وتبكى على ما آلت اليه عقول المسلمين فى قرون الانحطاط .

357) **البشير بن محمد الدرقاوي** الحاج الأبر ، الولي الصالـح ، الدالُّ على الله بحاله ومقاله ، له زاوية وأتباع .

توفي أواسط العشرة الأولى من القرن الرابع عشر ، ودفن بزاويته بالمحل الذى تصنع فيه الحصر بمراكش .

358) البهلول بن علي بوسلهام الرحماني

البهلول بن علي بن سيدى مَحمد فتحاً بن الحسن الرحماني بوسلهام البوبكري المحمدي المراكشي الدار والقرار الفاسي الوفاة والمدفن ، أخـذ القراءات والعلم عن الأستاذ الصالح سيدي محمد بن هدي السرغيني الزرادي بمدرسته باولاد زراد ، وعن غيره كسيدى عبد السلام الأزمى لما رحل لمراكش، وكانت مقروءاته مرسومة فى حائط مجلس درسه بجامع ابن يوسف قرب الباب فى جهة الجنوب منه .

كان المترجم عالماً مدرساً فاضلا ، وكان يسكن بالمحمديين من قبيلته ، ولما تلاقى بالمولى عبد الرحمان ورأى من علمه ما بهره ألزمه سكنى الحاضرة مراكش ، وقال له مثلك لا يسكن فى البادية .

ولد فى العشرة الأخيرة من القرن الثاني عشر ، وكانت له كلمـة مسموعة فى قبيلته وعند المولى عبد الرحمان مع رفيقه الأستاذ ابن حمـو الرحمانى قاضى الرحامنة ، وكان ولاه السلطان على أخذ زكاتهم وإليه ترجع أمورهم ، وكان السلطان يستشيرهما فى تولية عمال الحوز ، ويحضره في جملة العلماء فى قراءة البخاري بمجلسه ، وكانت له به عناية ويفضله عـلى علماء فاس ويحتج به عليهم ، كان يدرس بجامع سيدى أبى العباس السبتي ، أخذ عنه أولاده الثلاثة عبد الرحمان ، وعبد الوهاب ، وعمر الفقيه المتوفى فى يوم الأحد فاتح ربيع الأنور عام 1296 ومولاي أحمد الدمناتى اليملحي ، والفقيه العدل سيدى محمد بن هاشم العلوي ، والفقيه السيد أحمد بلقزيز وغيرهم ، ثم وشى بهما عامل الرحامنة علال بن عبد الله الشيظمي وزروال زاعمين أنهما أعنى المترجم ورفيقه المذكور ما داما في الرحامنة لا يستقيم لها أمر ، فقبضا

عام سبعين بموحدة ، ثم رحلا لفاس ، وبقي المترجم به إلى أن مات عن نيف ثمانين سنة عام اثنين وسبعين ومئتين وألف ، ودفن بروضة العلماء هناك ، وقد وقفت على رسم إيصاءه الواقع فى حال مرضه بعدول فاس وخطاب القاضى مولاي عبد الهادي بن عبد الله العلوي المؤرخ فى 8 رجب عام 1271 هـ المحلى فيه بالفقيه الأجل العالم البركة المبجل الذى أسنده لزوجته زهراء بنت السيد عمر ولولديه السيد عبد الرحمان والسيد عبد الوهاب ولابن أخته السيد محمد بن رنون على أولاده من زوجته المذكورة السيد محمد وعبد العزيز وعمر ومن غيرها أحمد ورحال ومن مات منهم استغل الباقي . . . . (1) .

حـرف الـتـاء

359) **تاحضريت** دفينة درب الرماد من مراكش عن يسار الداخـل إليه ، وكان عليها بناء اندثر جله ، وذكر ابن خلدون أن أبا الحسن المريني سلطان المغرب أنكح ابنته تاحضريت العزيزة عليه عليّ ابن السلطان أبى علي المريني المكنى بأبي يفلوسن وولد له منها محمد الذى قتله السلطان أبو سالم خاله وهو في حجرها وحجره استرابة بما نمى عنه وولد له عبد الرحمان أيضـاً .

360) **تـانوت بن علي الأيلاني** أبو ولجوط من أهل حومة ثلاثا موسى ابن يلول من عمل مراكش ، مات عام أحد وسبعين وخمسمئة ، وهو شيخ عبد الغفور بن يوسف الآتية ترجمته ، وكان من أهل العلم والعمل ، وأقام معتكفاً على العبادة ثلاثين سنة .

ترجمه فى التشوف (2) .

---

1) كلمات بالهامش لا تقرأ .

وبعد هذا ترجم المؤلف بالهامش لبثينة بنت المعتمد بن عباد ترجمة قصيرة ثم ضرب عنها صفحاً وشطب عليها بالقلم الأزرق .

2) **التشوف** ص 236 ع 101 .

361) تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين اللمتوني الصنهاجي

أمه أم ولد رومية اسمها ضوء الصباح ، بويع فى الثامن من رجب سنة سبع وثلاثين وخمسمئة فى معظم أيام الفتنة ، وقد قام الموحدون وظهر أمرهم واشتد سلطانهم وملكوا كثيراً من بلاد العدوة ، فكانت بينهم وبين عبد المومن بن علي حروب عظيمة ووقائع كثيرة ، ولما خرج عبد المومن بن علي يريد فتح المغرب وخرج تاشفين من مراكش واستخلف عليها ولده إبراهيم فكان يتبع عبد المومن من حيثما توجه ، إلى أن وصل تلمسان ، فدخل تاشفين وأتى عبد المومن فنزل عليه بها ، فخرج تاشفين إلى قتاله ، فنزل عبد المومن بجيوشه بظاهر تلمسان مما يلي الجبل ، ونزل تاشفين بجيوش صنهاجة بالوطا مما يلي الصفصيف (1) فزحف الموحدون لقتال المرابطين ، فهُزم المرابطون وفرّ تاشفين إلى مدينة وهران ، فاتبعه عبد المومن ، فلما اشتدّ الحصار على تاشفين خرج ليلا ليضرب فى محلة الموحدين فتكاثرت عليه الخيل ففرّ أمامهم وكان بجبل عال على البحر ، فظنّ أن الأرض متصلة فهوى من شاهق عال بازاء رابطة وهران ، فمات فى ليلة مظلمة ، وهي ليلة السابع والعشرين لرمضان المعظم سنة تسع وثلاثين وخمسمئة ، فوجد من الغد بازاء البحر ميتاً ، فحُزّ رأسه وحُمل إلى تينملل .

وكان بطلا شجاعاً حسن الركبة والمشية ، وكان يسلك طريق الشريعة ، ولاه أبوه الأندلس على عهده ، فقوى الحصون وسد الثغور وأذكى العيون على العدو ، وآثر الجند ، لم تنل عنده الحظوة إلا بالغناء والنجدة ، فحمل على الخيل وقلد الأسلحة وأوسع الأرزاق واستكثر من الرماة وأركبهم وأقام هممَهُم ، وعني بالغزو ومباشرة الحرب ، فهزم الجيوش وافتتح الحصون وتهيَّبه العدو ، ولم ينهض إلا ظاهراً ولا صدر إلا ظافراً ، ومهَّد أحوالها بالحزم ، وملك نفوس الرعية بالمعدلة وقلوب الجند بالنصفة ، له فيها غزوات مشهورة ، ووقائع مذكورة ، هنأه الفقيه الكاتب يحيى الصيرفي

1) واد صغير يقع قريباً من تلمسان الى الشرق منها وبه يبتدىء سهل زيدور ؛ به قرية حديثة تسمى به ؛ كان قديماً يسمى سطفسيف .

بالسلامة من بعضها في قصيدة عينية ، وحذره من خدع الحرب ونبهه على أحكامها وما ينبغى أن يفعل فيها ، مطلعها :

ياأيها الملك الذى يتقنّع   من منكم البطل الهمام الأروع

وهي طويلة بليغة عدتها ستة وخمسون بيتاً أوردها فى الحلل الموشية (1) .

وكان له فى ممارسة الحروب مع الموحدين جملة سنين لم يستقر فيها ببلد ، ولا اجتمع بوالد ولا لد ، وسياتي بعضها فى ترجمة الصيرفي المذكور فى حرف الياء .

ترجمه فى (الحلل الموشية) و (الاحاطة) و (الجذوة) و (الشذرات) وغيرها (2) .

ومما يدل على اهتمامه بأمر دين ما حكاه فى بدائع السلك فى الحكاية الثابثة من المسألة السادسة من المطلب الأول من القاعدة السابعة عشرة من الباب الثاني من الكتاب الثانى قال : ذكر يعنى الرشاطي أيضاً عن ابنه يعنى ابن علي بن تاشفين ولي عهده أنه ركب يوماً فمرّ بزقاق متحصر ، واذا بصبي على زامل (3) هجين قد تعرض به فى ذلك الزقاق ، وهو لا يقدر على رده إلى الطريق ، وإزالته عن ذلك المضيق ، فوقف ولي العهد مدة حتى تهيأ للصبي الزوال دون أن يقال له في ذلك شيء ، وحينئذ مشى الى مقصده ، قال الحاكي فعجبت من ذلك وقلت له يامولاي : تكون ولي عهد المسلمين وتقف هذا الموقف لصبي صغير على زامل هجين لا يزحزح عن طريقك ؟ قال فقال لي وما يدريك لعل مقداره في الآخرة أرفع من مقدارنا ! فازددت تعجباً ، ثم إني حدثت بذلك أمير المسلمين والده ، فلما انتهيت الى قوله لعل مقداره

1) **الحلل الموشية** ص 103 .

2) **الحلل الموشية** ص 99 **والاحاطة** 1 : 446 **وجذوة الاقتباس** ص 170 طبع الرباط .

3) الزامل الدابة يحمل عليها ويركب ؛ مؤنثه زاملة ج زوامل ؛ استعاره عوام المغرب للطفل والشاب يركب الناس ظهره للفاحشة !

فى الآخرة أرفع من مقدارنا ، قال لي أمير المسلمين نعم ، ومن يعلم مجاري الأقدار ، وتصاريف الليل والنهار ، قال فازددت تعجباً من ذلك .

362) **تاشفين (الموسوس) بن علي المريني،** كان هذا السلطان محجوباً لوزيره عمر بن عبد الله الفردودي لا يملك معه ضراً ولا نفعاً ، أمه أم ولد اسمها ميمونة ، صفته طويل القامة ، عظيم الهيكل ، بعيد ما بين المنكبين ، أعين أدعج ، وكان فارساً بطلا قوي الساعد ، إلا أنه كان ناقص العقل ، بويع ليلة الثلاثاء التاسع من ذي القعدة سنة اثنتين وستين وسبعمئة ، وكان نقصان عقل تاشفين من أجل الأسْر الذى أصابه بوقعة طريف أيام والده السلطان أبي الحسن إلى أن افتدي وبقي ناقص العقل مختل المزاج ، ولمَّا رأى وزيره المذكور أن الأمر لا يستقيم له بنصب الموسوس المذكور بادر باستقدام أبي زيان محمد بن أبي عبد الرحمان يعقوب بن السلطان أبي الحسن ، وكان عند الطاغية بدار الحرب ، فقدم وخلع الوزير المذكور سلطانَه الموسوس يوم الاثنين الحادى والعشرين من صفر سنة ثلاث وستين وسبعمئة ، وكانت دولته ثلاثة أشهر ويومين ، ومات وسنه ستون سنة (1) .

363) التجاني بن بابا العلوي

التجاني بن بابا بن أحمد بيب بن عثمان بن سيدى محمد بن عبد الرحمان بن الطالب يحم بن حبيب بن أبيج من قبيلة إد وعلي ، وهو مؤلف (منية المريد) .

قال شارحها عند قولها :

قال ابن بابا العلوي نسبـــــــه   المغربيُ المالكيُ مذهبـــــــه

مـا نصه : والعلـوي نسبـة لقبيلـة إد وعلـي ، وهي قبيلـة معروفـة من قبائل شنگيط ، وهم ينتسبون الى سيدي محمد ابن مولانا علي كرم الله

1) روضة النسرين ص 31 وجذوة الاقتباس ص 171 ع 127 .

وجهه ، وقيل الى علي آخر هو جد القبيلة ، والقبيلة عند قائل هذا منسوبة الى مولانا الحسن السبط رضي الله عنه ، هذا الذى سمعته من الناظم رحمه الله ، المغربي نسبة الى المغرب القطر المعروف وذلك لأن بلدة شنكيط هي أقصى المغرب ، والمالكي نسبة الى عالم المدينة امام دار الهجرة على مشرفها أفضل الصلاة وأزكا التسليم ، امامنا وامام الأئمة مالك بن أنس رضي الله عنه ، وأراد رحمه الله بهذا البيت التعريف بنسبه ، وجرى في البداءة به على سنن المقتدي بهم فى تسمية أنفسهم أوائل تصانيفهم ، واشارة إلى ما يفيد التعريف بهم وبأنسابهم ومذاهبهم في تآليفهم ، وذلك كما هو اللائق بحسن الظن بهم للاعتماد عليهم لا للافتخار، فان الفائدة إذا عرف مفيدها عظم في القلوب موقعها، وفي ذلك فوائد أخرى يحتاج الى معرفتها عند أهل النظر ، وهي على قسمين : قسم يحتاج اليه داخل التصنيف ، وقسم لا يحتاج اليه الا خارجه عند أهل التعريف ، فمن فوائد القسم الأول معرفة عقل المصنف ودينه ليعلم هل هو ممن يوثق بنقله ويعتمد عليه فى قوله أم لا ؟ ومنها معرفة مرتبته فى العلم وخصوصاً في الفن المتكلم فيه ليعلم هل هو حجة في ذلك أم لا ؟ وذلك لأن قول الحجة حجة ، ومنها معرفة مذهبه ليتمكن من قبول كلامه أورده أو تضعيفه أو تصحيحه أو تشهيره وترجيحه ونحو ذلك ، ومن فوائد القسم الثاني التعرض لدعاء داع أو ثناء مثن أو وداد أخ ، قاله المحقق اليوسي رحمه الله تعالى . قلت وفى هذه الفوائد ما لا يخفى من البركات الماثورة والخير المتزايد أو التعرض لداع فانه من أجل ما يعتنى به اللبيب ،وأفضل ما يهتم به الأريب ، لأنه من مظان الاجابة لما ورد من أن دعوة الأخ لأخيه فى ظهر الغيب مستجابة ، وأما الثناء فكذلك ، ويكفى أنه مما يستوجب به العبد الجنة بفضل الله تعالى لحديث من أثنيتم عليه خيراً وجبت له الجنة ، ولا سيما ان كان الثناء من أهل الخير كالعارفين والصديقين ، لما ورد أن شخصاً مات على عهد رسول الله (ص) فشهد الناس كلهم بالشر الا أبا بكر الصديق رضي الله عنه ، فأوحى الله تعالى الى رسول الله (ص) أن الذين يشهدون فى فلان بالسوء صادقون ، ولكن الله تعالى أجاز شهادة أبي بكر تكرمة له ، ذكره الشعرائي فى (الميزان) ، وفيه أن الثناء من أهل الكمال ترجا بركته على كل حال .

لطيفـة :

ومن هنا يرجو بعض الناس بركة التحلية من أهل الخير والصلاح ، ويحصل له بها السرور والانشراح ، وربما يستأنس في هذا بما ذكره الفخر الرازي رحمه الله تعالى في تفسيره على قوله سبحانه وتعالى هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين الآية ، كيف سماهم الحق تعالى ضيفاً ولم يكونوا ، قال الفخر نقول لما حسبهم إبراهيم عليه السلام ضيفاً لم يكذبه الله تعالى في حسابه إكراماً له ، وأما التعرض لوداد الأخ في الله فانه من أخلاق الصالحين ومن مكارم الأخلاق التي تدلُ على لطف الشمائل وطيب الاعراق ، ولا يخفى ما فيه من الفضل ، وفي الحديث رأس العقل بعد الايمان بالله تعالى التودد إلى الناس ، واسم الناظم رحمه الله تعالى التيجاني سماه به والده على ما أخبرني به عن نفسه تبركاً باسم سيدنا الشيخ رضي الله عنه ، وذكر لي رحمه الله أن له أخوين اسم أحدهما الشيخ ، واسم الآخر أحمد ، قصد والدهم حصول بركة التسمية باسم الشيخ رضي الله عنه، والتسمية بأسماء الأنبياء والصحابة والأولياء من السنن الواضح المعروف قديماً وحديثاً،وفي الحديث ولد لنا الليلة ولد" فسميته بأبي إبراهيم عليه السلام، ولما نزل قوله تعالى ياأخت هارون الآية قالوا يارسول الله كيف تكون أخت هارون وبينهما دهر طويل ؟ فقال عليه الصلاة والسلام إنهم كانوا يسمون بأسماء أنبيائهم فهو هارون آخر مسمى باسم هارون النبي عليه السلام ، واسم والده بابا حسبما تقدم مصرحاً به في النظم ، وكان عالماً ناسكا فاضلا مشاراً إليه في بلده وجيله ، ملحوظاً بعين التعظيم في معشره وقبيله ، وأخبرني ولده الناظم رحمه الله أن له شرحاً على التحفة العاصمية وتكملة التكملة للديباج انتهى فيها إلى ذكر أهل القرن الثاني عشر فترجم للشيخ التاودي ابن سودة والشيخ عمر الفاسي وغيرهما ، وأخذ طريق الشيخ رضي الله عنه عن قريبه العلامة الكبير والقدوة الشهير سيدي محمد الحافظ العلوي وهو ابن نحو عشرة أعوام ، وهذه إحدى المزايا التي كان يلحظ من أجلها عند الخاصة من أهل الطريق ، وبالجملة فبيت الناظم رحمه الله بيت علم وفضل ، لأنه من ذرية علامة شنكيط سيدي الطالب العلوي الشهير الذكر ببلدهم ، ومن أولاده العلامة سيدي عبد الله بن الطالب كان قرأ على الشيخ أبي الحسن الأجهوري فكان أعلم أهل زمانه ، وإليه المرجع في إقليمه ، فالناظم رحمه الله التيجاني بن بابا بن أحمد بيبا بن عثمان بن عبد الرحمان بن الطالب

المذكور حسبما هو عندنا بخط يده ، وكانت له اليد الطولى فى العلم وخصوصاً فى فن السير والفقه والأصول والبيان والنحو والتصريف واللغة والمنطق والعروض وأشعار العرب وأيامها وغير ذلك من الأخبار والنوادر، وأما التصوف فقد رزق من الذوق الغريب فيه ما يشهد له بالتقدم التام ، وستقف فى نظمه هذا على بعض الرشحات والدقائق التى تحار فى دركها الافهام مع إفراغه ذلك فى قوالب العقائد العلمية ، ستراً لما له مع الله تعالى من أحوال الخصوصية، ولم نظم ذكر فيه أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وبنيهن منه عليه السلام ، وما لبناته من بنين وبنات أيضاً قرأناه عليه وكتبنا عليه من إملائه فى مواضع منه ، وكتب لنا بخط يده فى مواضع من هوامشه كذلك أيضاً ، وأذن لنا فى شرحه ، وقد قيدنا عليه بحسب ما تيسر لنا فى الوقت ، وله عليه شرح نفيس فى مجلد أبدع فيه غاية ، ولم يمكنا كتبه لاستعجاله ، وله أرجوزة نظم فيها الورقات للشيخ أبى المعالى إمام الحرمين رحمه الله تعالى ، وله رحلة التزم فيها ذكر مَن لقيه من الأعلام فى وجهته لبيت الله ، وابتدأ بأشياخه الذين قرأ عليهم ببلده كوالده ووالدته وغيرهما رأيتها عنده وقد كمل منها مجلد ، وذلك قبل أن يجتاز ببلاد الواسطة (1) والجريد وتونس والبلاد المشرقية ، وله هذه المنظومة المباركة نظمها بزاوية عين ماضي أيام اقامته بها بأمر من سيدنا العالم الفاضل الناسك العارف بالله تعالى أبى المواهب سيدى محمد الحبيب نجل سيدنا ومولانا الشيخ رضي الله عنه ، وقد أومانا إلى بعض ذلك فى طالعة الكتاب ، وأخذ الطريقة من العلامة الأوحد الفاضل الأمجد سيدى محمد المدعو محمد الملقب بالخليفة لقيامه بالخلافة فى إعطاء الطريق بعد وفاة شيخه سيدى محمد الحافظ رضي الله عنه ، وله خمسة جدود كل واحد أعلم أهل زمانه ، وهم أبو سيدى عبد الله بن سيدى أحمد الفغ (الفقيه) ابن سيدى محمد بن سيدى عبد الله المعروف بالقاضى وهو الذى تقدم لنا أنه قرأ على الشيخ الأجهوري ابن علامة شنكيط سيدى الطالب المتقدم الذكر ، وفيه يجتمع نسبه مع الناظم رحمه الله تعالى ، وقد تقدم ذكر كيفية تلقينه إياه وما عامله به من

1) الواسطة فى الاصطلاح المغربى القديم بلاد المغرب الأوسط (الجزائر) والنسبة اليها واسطى ؛ ولا تزال الكلمة معروفة الى الآن .

الاعتناء فى ذلك ، وكان لهذا السيد على ما أخبرنى به الناظم رحمه الله باع فى العلوم ، وله فى مدح شيخه الحافظ ومولانا الشيخ رضي الله عنه قصائد كثيرة ، وكان يقال له حسان الطريق لقوله فى قصيدة يمتدح الشيخ رضي الله عنه ويرد على المنتقدين على طريقتنا :

وإنى لحسان الطريق وأهلها … أذودُ أبا جهل النكير وأزجر

وكان الناظم رحمه الله تعالى من أعاجيب الدهر فى الذكاء والفطنة ومكارم الأخلاق وحسن الشيم وعلو الهمة عن الخلق والتجافى عن سفاسف الأمور ، مع ما هو عليه من الجد والاجتهاد فى طاعة رب العباد ، وكان اجتيازه بنا بمكناسة الزيتون عام سبعة وخمسين ومئتين وألف ، ومكث عندنا ثلاثة أشهر صاحبناه فيها وذاكرناه واستفدنا منه ما نرجو الله تعالى أن ينفعنا به فى الدين والدنيا والآخرة بفضله وكرمه ، وكانت وفاته رحمه الله أوائل العشر التى بعد الستين ومئتين وألف ، وذلك قبل وفاة والده بما يزيد على العشرة أعوام بالمدينة المنورة على مشرفها أفضل الصلاة والسلام .

تكميل

ما قدمناه من الخلاف فى نسبة قبيلة الناظم رحمه الله تعالى سمعنا منه ما يرجح القول الثاني وأن النسبة إلى علي جد القبيلة وهو من ذرية مولانا الحسن بن مولاتنا فاطمة الزهراء رضي الله عنهما ونفعنا بمحبتهما ، وذلك أنه أخبرنى مراراً وجد أهله وأقاربه ينتسبون إلى سيدى محمد ابن الخليفة نجل مولانا علي كرم الله وجهه ، فكان والده يسر إليه أنهم من أولاد مولانا الحسن ، وأن النسبة المذكورة هي إلى علي أحد أجدادهم لا غير ، وكان الناظم رحمه الله لا ينفكُ عن التردد فى ذلك فى باطنه حتى رأى ذات ليلة فيما يرى النائم كأنه دخل إلى بستان ، وإذا فيه ماء نهر يجري وإذا إلى جانب النهر حوض يجتمع فيه الماء وامرأة تتوضأ من ذلك الحوض كاشفة عن ساقيها حاسرة عن بعض أعضائها كما هي حالة المتوضيء ، وإلى جانبها شابان واقفان ينظران إليها فوقع فى باله أنها ليست بذات محرم منه ، فلا يحلُ له أن ينظر إليها ،

فأراد أن ينحرف عنها فأشارت إليه أن تقدم ، فزال عنه كونها ليست بذات محرم منه ، فتقدم إلى أن دنا منها فاستيقظ فقص رؤياه على بعض من كان مشهوراً بالتعبير ببلدهم ، وقال فى تعبيرها لعل لهذا الرؤيا نسبة إلى مولاتنا فاطمة الزهراء رضي الله عنها ، وهذه الرؤيا تحققها حيث لم تستتر منه ، والشابان الحسن والحسين ، وقد دعته إلى الدنو منها ، هذا ملخص ما عبر به المعبر ، فسر الناظم بذلك وزال عنه ذلك التردد لما كان يسره إليه والده ، لأنه بقي فى الظاهر على ما عليه عامة الناس فى ذلك كما هي عادة أهل الفضل والدين في عدم التظاهر بالأنساب والتفاخر بها ميلا منهم إلى ما هو شعار السلف الصالح من عدم التمييز عن أبناء الجنس وترك كل ما يشير إلى الرضى عن النفس رضي الله عنهم وأرضاهم آمين .

وقال فى (الوسيط) ظهرت عليه إمارة النجابة فى صغره واشتغل على والده فى أول أمره وعلى والدته العالمة الصالحة خديجة بنت المختار بن عثمان ، وتوجه إلى المشرق وهو شاب على طريق الغرب براً ثم نزل من مراكش إلى الجديدة فركب فى البحر إلى طنجة فأصابه الميل الشديد فعزم أن يحج براً وفعل ذلك ، ولما نزل فى طنجة توجه إلى مكناسة فى غالب ظني ، فقد أخبرنى بعض شيوخ مكناسة الزيتون حرسها الله أنه دخل عليهم فى زاوية سيدنا الشيخ أحمد التجاني رضي الله عنه وبات معه فسألوه عن طريقه فأخبرهم أنه رافق رجلا ودخلا مكناسة وترك عنده كتبه وفيها أربعون ريالا وهو لا يعرف اسمه ولا أين نزل،قال فقلنا له إن الكتب والدراهم مضت لسبيلها، قال لا يكون ذلك ، فانى قد حصنتها بئاية الكرسي ، قال فبينما نحن وقوف على باب الزاوية من الغد إذا بالرجل ماراً قال هاهو رفيقى ، فوجد عنده الكتب بحالها فقال فتعجبنا من ذلك ، ووجد فى الزاوية سيدى العربى ابن السايح الرباطي ووقعت بينهما محبة زائدة ، وهو الذى أحيا منظومته (منية المريد) بشرحه لها المسمى (بغية المستفيد) ثم قال حدثني العلامة عبد الجليل برادة رحمه الله تعالى سنة سبع عشرة وثلاثمئة وألف بالمدينة المنورة أن له فى ذلك العام ستين سنة وهو متوفى ، وأبرز لى ورقة صغيرة فيها مقطعة من نظم صاحب الترجمة وقد كتبتها منه ثم ضاعت مني قبل أن أحفظها وأولها :

الدهر يأتي بأفراح وأحـــــزان وكل شيء على ظهر البـرا فـــان
والموت بئر جميع النـاس وارده ولاحب فيه يمشي كل إنســـان
لو كان بالموت من عار ومنقصـة ما مات أحمد عالي القدر والشان
أو كان فى غيره عز ومنقبـــة ما عاش من بعده يوماً فلانـــان
قل للذين هما بموته شمتــا قد مات جاراً لطه خير عدنـــان

وهي أكثر من هذا وقال : إن أحمد المذكور كان صديقاً لصاحب الترجمة فشمت به اثنان من شنكّيط كانا فى المدينة المنورة ، وكان يحسدان صاحب الترجمة ، قال ومدة إقامته بالمدينة سنة ، وتزوج بها إحدى بنات أهل المدينة ، وأخبرني أنه مات هو وصديق له اسمه المختار فى يوم واحد ودفنا بالبقيع رحمهما الله تعالى ، ولم اعرف المختار ولا أحمد الذى ذكر فى أبياته ، وقد رأيت قصيدة رائية عند العبدلاوي الفاسي فكنت أريد أن أنسخها منه فوقع مانع منع من ذلك وأول منظومته التى شرحها سيدى العربي ابن السائح رحمه تعـالـى :

قال ابن بابا العلويُّ نسبُـــه المغربـي المالكـي مذهبــه
الحمـــد للجـاعل الأوليـــاء ورثـة الكُمَّـل الأنبيـــاء
والجاعل النبي خيـــر الأنبيــا وشيخنا أحمد خيـر الأوليــا
حمداً يدوم بـدوام النعـــم على الخلائق وكل مسلـــم (1)

364) تميم بن بلقين الصنهاجي

تميم المستنصر ابن بلقين بن لقمان بن باديس بن حبوس الصنهاجى المالقــي .

قال فى (الحلل الموشية) عند ذكر أخيه عبد الله المظفر بن بلقين بن باديس حين ذكر الجواز الثالث للأندلس ليوسف بن تاشفين ما نصه :

كان جوازه الثالث فى سنة ثلاث وثمانين وأربعمئة ، سببه أنه لما كان على حصن لييط (2) نقل إليه عن ملوك الأندلس كلام أحفظه وأوغر صدره عليهم وهو الذى أزعجه إلى العدوة ، ولما تبين لهم تغيُّره عليهم وإعراضه عنهم نظر

1) **الوسيط** ص 69.

2) لييط وبالاسبانية Aledo حصين يقع الى الشمال الغربى من مرسى قرطاجنة بالاندلس؛ وقد صحف في **الحلل الموشية** الي لبيط وقلده المؤلف في التصحيف .

كل واحد منهم لنفسه بغاية حزمه ، فأول من شهر ذلك وتظاهر به وجد فيه (المظفر) عبد الله بن بلقين بن باديس ، واتصلت أنباؤه بيوسف بن تاشفين فاشتدّ غضبه وزاد حرجه عليهم ، ولما احتل بالجزيرة الخضراء وافاه ابن عباد فتلقاه بعادته من التعظيم ، واحتفل فى التضييف والتكريم ، وتوالت عليه الأخبار من الأمير عبد الله بن بلقين بما يغيظه ويحقده ، فاستنزل من مالقة أخاه (المستنصر) تميم بن بلقين وتوجه الى غرناطة فلقيه (المظفر) عبد الله بن بلقين خارج الحضرة فسلم عليه وترجل إليه ودخل معه البلد فسلم إليه الأمر وأقام ينظر في توطئة البلاد وتمهيد الأمور واحتمله وأخاه المستنصر تميماً الى العدوة وأسكنهما بأغمات (1) .

وقد استوفى الكلام فى هذا الأمير عبد الله بن بلقين فى الكتاب الذى ألفه فى دولة قومه (2) وحفيده يحيى بن حسن بن تميم ، ذكره فى صفحة 148 من (المعجب) كما ياتى ذكر أخيه عبد الله المذكور ، وسياتى ذكر حفيده الحسن بن علي بن يحيى بن تميم المذكور .

فائدة وتنبيه :

وقال في (الشهب اللامعة) في الباب الثامن : قلت وفي معنى هذا التحكيم في الأمانى المطلقة ومن الحزم أن لا يفعل فانه ربما أدى الى ما لا يرضى الملك كما حكاه صاحب الجذوة وغيره من أن الحسن بن الأشكري المصري قال : كنت رجلا من جلاس الأمير تميم بن أبى تميم المعز ، وممن يحف عليه قال : فأرسلني الى بغداد فابتعتُ له جارية رائقة فائقة الغناء ، فلما وصلت اليه دعا جلساء له قال : وكنت فيهم ثم مدت الستارة وأمرها بالغناء فغنت :

وبدا له من بعدما اندمل الهوى ... برق تألق موهنا لَمَعانُه
يبدو كحاشية الرداء ودونه ... صعب الذرى متمنع أركانه
فمضى لينظر كيف لاح فلم يطق ... نظراً اليه وصده أشجانُه
فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه ... والماء ما سحَّتْ به أجفانُه

---

1) **الحلل الموشية** ص 57 .

2) نشر الجزء الأكبر من هذا الكتاب ــ وهو كل ما عثر عليه لحد الآن ــ الأستاذ الكبير ليفى بروفانصال بالقاهرة سنة 1955 (مطبعة دار المعارف) تحت عنوان : مذكرات الأمير عبد الله آخر ملوك بنى زيرى بغرناطة .

فأحسنت الجارية ما شاءت ، فطرب الأمير تميم ومن حضر ثم غنت :

ستسليك عما فات دولة مفضل أوائله محمودة وأواخره
ثنى الله عطفيه وألف شخصه على البر من شدت عليه مآزره

قال فطرب الأمير ومن حضر طرباً شديداً ، قال ثم غنته :

استودع الله في بغداد لي قمراً بالكرخ في فلك الأزرار مطلعه

وهذا البيت من نظم محمد بن زريق الكاتب البغدادي في قصيدة طويلة ، فلما اشتدّ طرب الأمير تميم وأفرط جداً قال لها تمنيْ ما شئت ، قالت : أتمنى عافية الأمير وسلامته ، قال والله لا بد أن تتمنَّيْ ، فقالت على الوفاء أيها الأمير مما أتمنى ، فقال نعم ، فقالت أتمنَّى أن أغني بهذه النوبة ببغداد ، فامتقع لون الأمير وتغير وجهه وتكدر المجلس وقام وقمنا ، قال ابن الأشكري فلقيني بعض خدمه وقال لي ارجع فالأمير يدعوك ، فرجعت فوجدته جالساً ينتظرني ، فسلمت وقمت بين يديه فقال : ويحك أرأيت ما امتحناه به ؟ فقلت نعم أيها الأمير ، قال لابد من الوفاء لها ولا أثق في هذا بغيرك ، فتأهبْ لتحملَها الى بغداد فاذا غنت هناك فاصرفْها ، فقلت سمعاً وطاعة ، قال ثم قمت وتأهبت وأمرها بالتأهب وسرت بها الى العراق فلما وردنا القادسية أتتني خادمها فقالت تقول لك سيدتي أين نحن ؟ فقلت لها نزولا بالقادسية ، فانصرفتْ اليها وأخبرتْها ، فلم أنشب أن سمعت صوتها قد ارتفع بالغناء، فغنت الأبيات المذكورة ، فتصايح الناس من أقطار القافلة أعيدي بالله ، فما نسمع لها كلمة ، ثم نزلنا الباسرية وبينها وبين بغداد خمسة أميال في بساتين متصلة ينزل الناس بها فيبيتون ليلتهم ، ثم يبكرون لدخول بغداد ، فلما كان وقت الصباح اذا بالخادم قد أتتْني مذعورة ، فقلت ما لك ؟ فقالت ان سيدتي ليست بحاضرة ، فقلت ويلك وأين هي ؟ قالت والله لا أدري ، قال فلم أقف لها على أثر بعد ذلك ، ودخلت بغداد وانصرفت إلى الأمير تميم فأخبرته خبرها فعظم ذلك عليه واغتمّ غماً ، ثم ما زال بعد ذلك ذاكراً لها واجماً عليها (١)

انتهى نقل الشهب اللامعة .

---

١) خلط المؤلف عند ما نقل هذه الحكاية بين تميم بن بلقين الصنهاجي المترجم وبين تميم بن معد بن اسماعيل بن محمد بن عبيد الله الفاطمي شاعر بني عبيد بلا منازع ؛ وأعجب من هذا الخلط ان المؤلف يصر في السطور التالية على أن القضية وقعت لتميم الصنهاجي لا لتميم العبيدي ؛ سامحه الله .

وذكر الشريشي فى شرحه للمقامة الثامنة عشرة ص 348 من ج الأول قائلا : وأسكن من القرية التى ولد بها موسى عليه السلام وأشار الى هذه القصة فى صفحة 111 من ج الأول من (الوسيلة الأدبية) ونسبها لبعض ملوك مصر من العبيديين الفواطم الخ ، وهذا غلط فان القضية وقعت لتميم المذكور ابن أبى تميم المعز الصنهاجى لا للمعز العبيدي .

365) **تميمة بنت يوسف بن تاشفين** أخت علي بن يوسف ، تكنى أم طلحة ، كانت كاملة الحسن ، راجحة العقل مشهورة بالأدب والكرم ، وسكنت مدينة فاس ، ورآها يوماً كاتب لها ، فبهت وكانت قد أمرت بمحاسبته ، فلما نظرت اليه عرفت ما دهاه ، ففطنت لما عراه ، فأومأت اليه وأنشدته :

هي الشمسُ مسكنها فى السماء ... فعزّ الفؤادَ عزاء جميلا
فلن تستطيع اليها الصعود ... ولن تستطيع إليك النزولا (1)

366) **التهامي بن أحمد المدغري المسعودي** صاحب الأزجال الشهيرة ، أخذ عن سيدى الغازي السجلماسي ، كان رحمه الله أديباً ماهراً فصيحاً بليغاً ، برع فى فن الأزجال وفاق بها أهل زمانه ، ويأتي فيها بالتخيلات العديدة والنوادر الغريبة ، مطلعاً على دواوين العرب والمولدين ، عارفاً بنكتهم ، عارفاً بالتاريخ ، مشيراً في ضمن قصائده الى قضايا بالتلميح والتصريح ، وكانت له معرفة بالعربية ، درسها في جامع ابن يوسف بمراكش ، وكان يقرض الشعر الموزون أيضاً ، كان نديم الفقيه القاضي السيد السعيد القاضوي ، وهو يأمره على لسان سيدي محمد بن مولاي عبد الرحمان في خلافته الصغرى بنظم الأزجال على الكيفية التى يحب ، فهام في الغيد الحسان حتى صار شيخ الغرام ، وقضيب الوجد والهيام ، ولما ختم الخليفة المذكور كتاب اقليدس في الهندسة عام 1271 قال فيه المترجم :

برزت على قدر لنا أشكالها ... من صدرها في طيها أشكالها
وحكت مقالتها المقادر بعدما ... صحّت نتائجها وصحّ مقالها
أشكالها تحكى قباب محلة ... تحت الخليفة خيلها ورجالها

---

1) **جذوة الاقتباس** ص 173 ع 130 .

أوخلتها شجراً صغيراً مثمـــــرا
أو خلتها خيلا بدت عربيـــــة
ما شئت من قوس رنت أوتارهـــا
رنت وأنَّت في فنا أقطارهـــا
لكنها قد خيمت لمعاقـــــل
واستوطنت قنن الجبال صعابهـــا
ورقت مفاخر مجدها في منعـــة
ظنت بأن الجو خالٍ من مـــدى
فعلت معاقلها الرجال وفلهـــا
بل لو رأت ليث الكتائب خلفهـــا
أو لو رأته لدرسها متهيئـــــاً
ياهند غرتك السنية أوضحـــت
قد جئتنا في همة شماء فـــــي
فهوت بها أطيار ذهن ثاقـــب
وأتت به ليث الوغى ماســـورة
فاقتضَّها (I) قهراً وكانت قبلـــه
فغدت حضيضاً صفصفا في كفـــه
وغدت فتوح سرها طوعاً لـــــه
فانظر لهندسة تلاشى حصنهـــا
لولا الخليفة بثّها في أرضنـــا
لولا الخليفة معرقاً في فنهـــا
لولا الخليفة لم تزل بغطائهـــا
لو لا الخليفة ما سمت شرفاتها
لولا الخليفـة ما علت أعلامهـــا
لولا الخليفة ما علا مقدارهـــا
لولا الخليفة عطلت راياتهـــا
لولا الخليفة معتن بدليلهـــا

فاجْنِ الثمار ولو بدت عُذالُهـا
برباطها قبل العدا أبطالهـــا
ترمي البغاة سهامُها ونصالهـــا
وحمت مناشرها الحمى ونضالها
صفت بمشكلها فعزّ وصالُهـــا
فعلت بها بين الجبال جبالهـــا
فتكبرت وتجبرت أقيالهـــــا
ظفر البزاة فلا تطيش نبالهـــا
سيف الحجا فتمزقت أوصالهـــا
ضاقت مذاهبها وضاق مجالهـــا
خضعت لديه سهولها ورمالهـــا
برموزها عجباً فبان جمالهـــا
أوج العلا مرفوعة آمالهـــــا
من جوها ياحبذا ارسالهـــــا
حلت غنائمها وحل منالهـــا
رتقاء لم تفتح اذاً أقفالُهـــــا
لم يخف عنه حالها ومآلهـــــا
اذ بايعته يمينها وشمالهـــــا
لولا الخليفة ما بدت أضلالهـــا
غربت حقيقة شمسها وخيالهـــا
محيت معالمها وقُدّ شكالهـــا
لولا الخليفة ما استضاء جمالهـا
فوق الثريا واستنار هلالهـــا
كلا ولا انتشرت لديـك ظلالهـا
لولا الخليفة ما صفا منهالهـــا
وعدت عـلى حذاقهـا جهالهـا
ضلت على وجه الفلاة جمالهـــا

I) الاقتضاض بالقاف كالافتضاض بالفاء ؛ الا أن الأول يكون للصغيرات غير المطيقات ، والثاني يكون للكبيرات المطيقات .

لولا الخليفة قادها عن خبــــــرة تاهت على لجج الظلام رحالهـــــا
لولا الخليفة جدّ في إحيائهـــــا هلكت فما ظفرت بهـا سؤالهـــا
لولا الخليفة ما استجــاد نظامهـا كف الزمان ولا بدا إقبالهــــــا
لولا الخليفة صانها بمراحهــــــا ضجّت نجائبها وضاع عقالهـــــا
لولا الخليفة بالسياسة راضهــــا ضاعت على موج الفضا أحمالهـــا
لولا الخليفة قيدت أقلامــــــــه شرادها قُدت بها أغلالهـــــــــا
لولا الخليفة حدها بحدودهـــــــا كثرت طرائقها وطال جدالهـــــا
قل للخليفة حزت سبقاً فاختمـت بحما علاك نساؤها ورجالهــــــا
ظهرت علينا بالهنا أسراركـــــم عند الختام مفصلا إجمالهـــــــا
خذها إليك خريدة أهدى لهــــا مسك الختام جنوبها وشمالهـــــا

وله قصيدة من البسيط يخرج من أبياتها الأربع الأولى بيتان من الكامل ، ثم من الثلاثة التى تليها الطويل والمديد ، ثم من الثلاثة التى بعدها الوافر والهزج ، ثم من الخمسة التى تليها الخفيف والزجل ، ثم من الستة الباقية السريع والمنسرح ، وهي هذه :

ظبيُ الفلاة على البعــاد بالمُقــــل عمداً دهاني أسى بالسحر والكحل
ختلا دهانى فقلت يالقومـــــــى ألا لمن رماني بنبل اللحظ عن عجــل
بالحظ زاد هوى بقلب ما عن أسا يشير جرحاً إلى جرح إلى علــــل
فافعل بغير سنان ما تشاء ففــــي لحاظك السمر فتك السمر والأسل
عطفا أيامائس الاعطاف مائلهـــــا ويا سنا بدر تَمٍّ فـاتك الشهــــل
بالغنج والحور الهندي نلت منــى وما على قدك الوسمى من خجــــل
وما بدا من ندى مخجل الاصباح من شذاه والقمر السعدي والبجــــل
ألا ياظبي النقا بالوادي مرتعـــــه أنت المفدى فدتك النفس من أمل
شاد كحيل بحق الغنج والـــود لا تهجر محباً حشاه من هواك صلي
مشتبكا في حجى صاد يميل إلــى شمس المحيا من الميزان والحمل (1)

1) بقيت من القصيدة عشرة أبيات كثيرة التصحيف عجزنا عن تصحيحها فحذفناها مثلما عجزنا عن تصحيح كثير من كلمات الأبيات المتقدمة .

أما أزجاله فهي تشذ عن الحصر ، وبها يغنى المغنون ، ويتنافس فى حفظها أرباب الملحون .

توفي رحمه الله بفاس ودفن بضريح سيدى أبى نافع ضحوة يوم الأحد الواحد والعشرين من المحرم فاتح سنة ثلاث وسبعين ومئتين والألف .

367) **التهامي بن المهدي المزوار المكناسي** الفقيه العدل الكاتب كان أديباً ماهراً حائزاً قصبة السبق في الفصاحة والبلاغة ، ناظماً ناثراً هماماً لا يقاوم ، وماجداً لا يزاحم ، سما في سماء التوثيق بدراً ، وارتفع فى سلم العلوم سراً وجهراً ، ومن شعره قصيدة فى المولد الشريف أنشأها عام 1298 نصها :

هذى السعادة قد مدت إليك يداً ... والوصل أنجز عزماً ما به وعــدا
أم هذه نفحة الأحباب قد وفــدت ... من نحو ليلى وهذا عطفها وفــدا
أهدت لنا طرباً أهدت لنا أربــاً ... أهدت لنا قرباً لا تنتهي أبــــدا
قد طال ما كنت أرعاها وأرقبهــا ... قدماً وأطلب منها الوصل والرفد (1)
حتى غدوت بها فى كل آونــــة ... أهفو وألهج لا أخشى بهــا أحــدا
هيهات لي كيف أسلو عن هواها وهل ... أقوى وهل أستطيع الصبر والجلدا
لا يسلنى أبداً عنها سوى شغفى ... بمولد المصطفى أجل مَن ولــدا
خير الورى وشفيع الخلق قاطبــة ... يوم الزحام إذا الاحجام عنها بــدا
أعلا الخلائق جاهاً عند خالقـــه ... وخير مَن يرتجا يوم القيام غــدا
أصل الوجود ومن لولاه ما خُلِقت ... أرض ولا كان كون لا ولا وجـــدا
فهو البشير النذير المستغاث بــه ... وهو الذى رحم المولى به وهــدى
كم آية ظهرت في آن مــولـــده ... كم نعمة بهرت دانٍ ومَن بعـــدا
ياسيد الرسل داركنا بمرحمـــة ... تكسو الجميع على مر المدى بـردا
واسدل على نجلك الميمون سيدنا ... عطفاً وهيء له من أمره رشَـــدا
هذا الامام الذى جلت مآثــــره ... عن أن يحيط بها مَن رامها عددا
هذا الامام الشريف الطيب الحسن الـ ... برُّ الذى صهوة الاحسان قد صعدا
هذا ابن فاطمة الزهراء مَن شرفت ... أخلاقه وعلت في المعلوات يــدا
هذا هو ابنُ رسول الله كعبتنـــا ... هذا الذى قد غدا في الحِلم منفردا

---

1) فى اتحاف اعلام الناس : والرغدا .

هذا الذى هو مأوى الخير أجمعِـه | هذا الغنى للذى أبوابـه قصـــدا
هذا الذى أسعد اللهُ الوجودَ بـه | فضلا ومناً فلم يترك بــــه أودا
هذا الذى أصبحت فينا سيادتـه | كهفاً منيعاً وحصناً لم يزل سندا
هذا المؤيد والميمون طالعـــــه | هذا الذى بعلاه الخلق قد سعـــدا
فخر الملوك ومَن صارت مناقبُه ال | ـغراء حرزاً بها نستدفع الكمـدا
فليهن علياك ياتاج الملوك ويــا | ابن المصطفى ليلة خصت بكل ندى
خصت بمكرمة خصت بمرحمـــة | خصت بمرتبة قعسا وكل هـدى
نلنا بها من بها علياك كلَّ منـــى | نلنا بها الربح والأوطارَ والرشدا
دم سيدى لابساً ثوب السرور على | مر الدهور فما ترضاه قد وجـدا
لازال نصر وفتح يخدمان معـــاً | هذا الجناب الذى أروى الورى مددا
واليمن والسعد والاسعاد يتبعـه | مـع السلامـة إصداراً وإن وردا
ما أمَّ ركبُ أمين الله رحمتـــــه | فراح والعطف قد أولى إليه يــدا

توفي رحمه الله (في محرم) عام 1310 بفاس (1) .

368) التهامي بن المدني كَنون

التهامي بن الحاج المدني بن علي بن عبد الله كَنون ، الفقيه العلامة النبيه ، فارس هيجاء مجالس العلوم ، وممارس السنة وعلمها المعلوم ، البدر الساطع خلال سحائب ، والبحر الفائض اللافظ بنفائس الغرائب ، مجالسته رحمة، ومذاكرته حكمة، ومثافنته نعمة، يقتطف من رياض المعاني كل نوع جليل، ويرصف من متقن المباني ما يشفي الغليل، لم تزل أفكاره فى بحار العلوم سابحة، وبروق ألفاظه من ثنايا التحقيق لائحة ، تخاله وقد ضمه المجلس أسـداً بين أشبال ، أو قمراً منيراً حواليه نجوم واضحة عوال ، أو شجاعاً ماهراً مارس الأهوال وقارع الأبطال ، أو خطيباً قام على منابر التبريز ناطقاً بالحكمة وفصل الخطاب ، وقد نظم ونثر من جواهر الألفاظ ويواقيت المعاني ما يسحر الألبــاب .

---

1) له ترجمة أطول وأشعار أكثر فى **اتحاف اعلام الناس** 2 : 94 .

أخذ عن أخيه وأقرانه وعنه خلق كثير ، وله تآليف منها تعليق على الشفا سماه (المورد الأصفى) ، وتعليق على الموطأ سماه (أقرب المسالك) ، وتعليق على البخاري ، وآخر على مسلم ، وشرح على ابن يامون في آداب النكاح سماه (قرة العيون) ، و (نصيحة المومن الرشيد ، في الحضّ على تعلم عقائد التوحيد) ، و (هدية المحبين ، إلى مولد سيد المرسلين) و (هدية المحب المشتاق المستهام ، لرؤية مَن أثنى عليه الملك الخلاق في المنام) ، و (إرشاد الخلائق ، لآداب زيارة منبع الحقائق) وأربعون حديثا في لا إله إلا الله ، وأخرى في الصلاة ، وأخرى في الزكاة ، وأخرى في الصيام ، وأخرى في الحج ، وأخرى فى فضائل يوم الجمعة ، وأخرى فى فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وتقييد في بر الوالدين ، وختمة للامام البخاري ، وأخرى للامام مسلم ، وأخرى للمرشد المعين ، حسبما تلقيته منه ونقلته من خطه .

قاله في الدرر البهية (1) .

ثم قال إن مرجع أولاد كّنون القاطنين بفاس إلى عبد الله الجد الرابع من الموجودين الآن ولا يعرف مَن عداه حسبما تلقيناه من أعيانهم وممن يعرفهم وغيرهم من الأعيان ، وقال أيضاً إعلم أن عندنا بفاس أولاد كّنون وهم من مشاهير عوام فاس وليسوا من النسب فى شيء من صحيفة 16 من ج 2 منها ، ومن تآليفه شرحه على نظم التثبيت فى ليلة المبيت ، ومنها تقييد فى فضل البسملة وإعرابها ، وله أيضاً تتميم لبترات فى حاشية ابن زكري على صحيح البخاري التى لم يكملها شقيقه الشيخ الامام ، وختمة لمختصر خليل ، وختمة لرسالة ابن أبي زيد القرواني .

سكن المترجم رحمه الله مراكش ، وكان عدلا بها أيام قضاء أخيه العلامة سيدى الحاج محمد بها .

ولد المترجم عام ثلاثة وخمسين ومئتين وألف ، وتوفي رحمه الله في 7 رجب عام واحد وثلاثين وثلاثمئة وألف ، ودفن بمطرح الجنة خارج فاس.

1) الدرر البهية 2 : 370 .

تـنـبـيـه

حدثنى الفقيه الحاج العربي انه سمع من المترجم أنه شريف ، وذكر المشرفي في (الدر المكنون ، في التعريف بشيخنا سيدى محمد كنون) في أواخره فصلا فيما يتعلق بشرفه وهو مطبوع ، ولكن بحث قضاة فاس الثلاثة فى نسب أولاد كنون بفاس بأن مرجع حججهم إلى أمرين السماع الفاشي والاقرار من الكنونيين، أما الأول فلا يتم، لكون السماع الفاشي ليس بمستفيض، وهو لا يفيد كما في المفيد ، وأما الاقرار هنا فهو شهادة فيشترط فيه شروطها، وقد عدمت ، فلهذا أمروهم بالكف عن هذا الانتساب ، وأعلموا بذلك عالي الجناب ، فأمضاه فى شوال عام ست وعشرين وثلاثمئة ، وفى ليلة تاسع وعشري قعدة عام 1326 ، سرد علينا الفقيه المفتي الشريف سيدي الحسين بن محمد بن مولاي الوليد العراقي بعض تآليفه (صوارم المنون ، في قمع من نقص بالنسبة الشريفة الحاج محمد كنون) بناه على مقدمات ثلاث ومقصد ولواحق ثلاث ، المقدمة الأولى في بيان ما يجب على الأمراء من البحث عنه قبل تعميمه ، الثانية في بيان أن التحليات من العدول وغيرهم لا تحرز النسب بانفرادها ، الثالثة في أن بينة السماع لا تفيد الا الحائز ، ولا ينتزع بها من يد حائز ، المقصد في نقض ما زاده المشرفي المعرف للشيخ من النسبة الشريفة ، وتزييف الأقوال الضعيفة ، اللاحقة الأولى في موضوع النقابة ، الثانية فيما يجب على الأمراء من المحافظة على النسبة الشريفة ، الثالثة في التعريف بالدر المكنون ، الحاج محمد كنون ، وسرد علينا أيضاً بعض تآليفه المسمى (الشهب المحرقات ، أكبادَ مَن سوى بين شرف الآباء والأمهات) ألف هذا الكتاب عام ثلاثة وعشرين وثلاثمئة وألف ، وهو في نحو أربعة عشر كراساً ، كما سرد علينا في تلك الليلة الفقيه المفتي سيدي أحمد بن العباس تقييده في الشرف من قبل الأم ، وتأييد احترام صاحبه ، ونقل كلام البكري الصديقي في (عمدة أهل التحقيق) وكلام الامام الصبان في (اسعاف الراغبين) وغيرهما ، وهذا الفقيه سيدي أحمد توفي بعد ذلك رحمه الله في أواسط ذي الحجة الحرام عام 1337 بفاس ، وخلف خزانة حافلة من الكتب .

369) **التهامي بن عبد القادر ابن الحداد المراكشي** المكناسي النشاءة والاقبار ، استأدبه السلطان المولى الحسن لتأديب أولاده وإخوته ، فأخذ عنه المولى عبد الحفيظ والمولى المهدي ، وسكن مراكش مدة ، كان فقيهاً أستاذاً مجوداً عالما بقراءة السبع ، أخذ عن الأستاذ العربي والأستاذ الحاج فضول بن شمسي المكناسي ، ودرس بمسجد المواسين درب تزكارن ، وعين في دولة المولى عبد الحفيظ قاضي فاس الجديد ، وكان لا يباشر الأحكام ، وأناب عنه الفقيه السيد محمد بن عبد القادر ابن سودة ، وحج عام ثمانية وعشرين وثلاثمئة وألف ، ودخل مصر ، وشرح منظومة الياقوتة في الفقه في مجلدين ، وشرع في شرح على مولد شيخنا سيدى محمد بن جعفر الكتاني، وله تأليف في الجهاد ، أخذ عن المفضل ابن عزوز والمفضل السوسي ، ومولاي عبد الله الكامل المراني ، والشيخ ماء العينين ، والفقيه الحاج محمد بن المدني كنون ، وسيدي محمد بن التهامي الوزاني ، وشيخنا سيدي محمد بن قاسم القادري ، وسمع من أبي جيدة الفاسي المسلسل بوضع اليد على الرأس عند قراءة آخر سورة الحشر ، وممن أخذ عنه السيد محمد السوسي ، وسيدي مشيش بن المختار الشبيهي .

توفي رحمه الله في فاتح (1) شعبان عام ست وثلاثين وثلاثمئة وألف ، ودفن بضريح سيدي بوطيب (2) .

370) **تونارت ابن واجرم الهزميري** أبو ولجوط ، من أهل نفيس من عمل مراكش ، وبه مات في حدود الثمانية وستمئة ، شيخه عبد الخالق ابن ياسين ، وكان أبو ولجوط في حداثته يغني في الأعراس ، ثم تاب إلى الله تعالى ، وكان يتكلم بالحكمة وهو مع ذلك أمي ، قال في (التشوف) وبت معه ليلة في مراكش عند رجل من المريدين ، فقطع الليل كله بأنواع من الحكم والأمثال من غير تلعثم ولا تردد ، والفضل من الله يوتيه من يشاء ، وكان يتكلم على المصامدة في الرباطات بمواعظ لا يهتدي إليها الخطيب المصقع :

---

1) الذى فى اتحاف أعلام الناس أن وفاته كانت يوم الاثنين آخر يوم من شعبان ؛ وهو الأصح .

2) له ترجمة أوسع فى **اتحاف اعلام الناس** 2 : 107 .

ما تقبلون لواعظ نصحـــــــــاً ... وهـو الطبيبُ وأنتم الجرحـــى
ياراقداً في ليل غفلتــــــه ... ضيعت رأس المال والربحـــا
ياخاسراً في بيع صفقتــــه ... والشيب قد أبدى له صبحـــا
إن أبعدوك فقف ببابهـــم ... متضرعاً واسألهم الصفحـــا

حدثني عمر بن يحيى رحمه الله قـال : حضرت ليلة بربـاط عقبة من بلد نفيس وهـو المعروف برباط سيدي شيكر ، فقام أبو ولجـوط وتكلم على المصامدة بلسانهم ، فوعظهم موعظة بليغة وزهدهم في الدنيا ، فكان من كلامه أن قال لهم : ياهاؤلاء ، إنما مثلكم مثل قوم نصبت لهم قنطرة يعبرون عليها فجاءوا إلى أعلا القنطرة فطلبوا الاقامة عليها في غير منزل ، وكذلك أنتم طلبتم الاقامة فى الدنيا وليست بدار قرار ، وإنما هي معبرة للآخرة ، والآخرة الموطن ، فلا ينبغي لكم أن تستوطنوا داراً لا قرار لها :

أرى أشقياء الناس لا يسأمونهـــا ... على أنهم فيها عراة وجُـــوَّع
أراها وإن كانت تحبُّ فانهـــا ... سحابة صيف عن قريب تقشَّـع

أخبرني الثقة عن مخبر أخبره قال : كنت مع أبي ولجوط بنفيس ، فسمعته يؤمن ولا أسمع الدعاء ، فلما فرغ من تأمينه سألته فقال لي إن الشيخ أبا يلبخت دعا بجبل دمنات فسمعت دعاءه فأمنت عليه رحمهم الله تعالى (1) .

حـرف الجيـم

371) **جابر المغربي** الولي الصالح الشهير دفين الخميس من مراكش، له قبة حافلة ومسجد ومرافق يرتفق بها فيه تدل على أنه كان للناس فيه اعتقاد تام ، واحتفال واهتمام ، وقد تلاشى الجميع فسبحان الباقي الدائم ، وأهل مراكش كانوا يزورونه كثيراً ويبيتون فيه بقصد الحفظ والبراعة في الانشاء والانشاد والقراءة ، وعليه دربوز ، وله مغارة ينزل إليها بدرجات يظهر أنها كانت محل معبده ، ولله في خلقه عجائب ، وأظنه هو تلميذ محمد بن محمد

---

1) **التشوف** ص 412 ع 223 .

القللوشي الآتي الترجمة الذي أجازه وحلاه بقوله : صاحبنا الفقيه النبيه الزكي المجتهد النحوي العروضي جابر ابن الشيخ الأجل المبرور المقدس المرحوم علي بن جابر الأنصاري ، وكتب له الاجازة بعد أن نسخ له قصيدته في نكت القوافي ، وبآخر الكتاب المفضوض عن خلاصة علم العروض ، ونقل من خطه جابر بن علي بن جابر الأنصاري بمدينة مراكش .

وقال المراكشي فى (إثمد العينين) وحدثني مَن أثق به قال حدثني الشيخ الفاضل المبارك جابر الشهير بابن درهم قال أردت الحج قلت لا أنصرف إلى الحج حتى استأذن فى ذلك سيدى أبا زيد ، وكان إذ ذاك بتلمسان ، وشددت وسطي حتى وصلته فاستأذنته فى ذلك فاذن لي ، وقال إذا أصابتك شدة فناد باسمي فودعته وانصرفت إلى الحج فحججت ثـم رجعت إلى أن بلـغت الاسكندرية ونحن قد استقبلنا المغرب ، فصعدنا فى سفينة فانكسرت بنا فغرق الناس فناديت ياسيدى أبا زيد خاطرك معي ، فأغاثنى الله عز وجل بصندوق من خشب قد انكسر وبقيت بجوانبه فتعلقت به وإذا بأبي عبد الله البقوري قد تمسك أيضاً بالجانب الآخر ، فلما رآنى أخذ يشجعنى ويقول لى كن رجلا ويقول لي أما سمعت قول الله تعالى (وأذنْ في الناس بالحج ياتوك رجالا) ، فما زلنا متشبثين بذلك الصندوق حتى خرجنا إلى الساحل ، فما كان من أبى عبد الله إلا أن قام وانصرف ، وأما أنا فرفعت رأسى إلى مسجد هنالك ثم أغمى علي فما أفقت الا فى دار شيخ بين أهله وأولاده وقرابته قد داروا بى جميعهم ، ورأيت منهم من الحنانة والشفقة ما يقصر عنه الوصف كأننى ربيتُ معهم ، وذلك ببركته رحمة الله عليه :

إذا زرت أرضاً زارها منك وابـل … فديتك لا ينفك منك مكـــــــان
فأنت غياث للأنـــام ورحمــــــة … وحـرزهـمُ من دهرهـم وأمـــان

وممن يسمى بجابر المغربى جابر بن حيان مؤلف الارشاد والتعبير .

372) **جابر بن مخلوف الرياحي ثم الطليقي** وقد تصحف فى مطبعة المرآة بصابر ، الشيخ أبو جبر ، قال فى (الصفوة) من أهل الولاية والبركات،

وكان كثير الطعام ، وشوهدت من طعامه بركة عظيمة ، قال سيدى العربي الفاسي حدثنى غير واحد من رعاة غنمه أنهم ربما ذبحوا الشاة وفى الغد يجدونها فى الغنم يعرفونها ولا يشكّون فيها ، وكان قد صحب الشيخ يوسف الفاسي وانتسب إليه ، فكان يأمره بالبذل والمبالغة فى إطعام الطعام والضيفان. وكان مسكنه من شعر فزاد فى طوله حتى بلغ خمسمئة وأربعين ذراعاً فاتسعت حالته ، وكان صاحب الترجمة صحب أولاد سيدى محمد بن علي المختار من أصحاب ابن عيسى فكان يشير له بصحبة سيدى يوسف وهو لا يفهم إلى أن أمره بصحبته صراحة وسلب له الارادة (1) .

ومن كراماته ما ذكره فى (مرءاة المحاسن) قال قدمنا فى ركب لزيارة سيدى أبى سلهام فنزلنا على صاحب الترجمة إذ كانت منازله قريبة من سيدى أبى سلهام ، فوصلناه بعد جهد جهيد من ترادف الأمطار ، فقال لابدَّ أن تقيموا عندي ثلاثةَ أيام ، فقلنا له نخاف المطر ، فقال ضمِنتُ لكم رفعَ المطر حتى تصلوا الى فاس ، فأقمنا عنده حتى قدمنا وعرضت لنا إقامات أخرى فى الطريق ، فلما بلغنا فاس غيمت السماء من يومها وأمطرت من حينها .

توفي فى حدود ثلاثة وألف .

وترجمه فى المرآة وأزاهير البستان والنشر وطبقات الحضيكي ، ودخل مراكش مع شيخه سيدى يوسف الفاسي (2) .

373) **جلداسن بن إسحاق الركوني** صحب عبد الخالق بن ياسين ، وكان من الأفراد ، توفي ببلده برباط أوجدام من بلد ركونة عام سبعين وخمسمئة .

قال فى (التشوف) سمعت أبا ابراهيم بن عبد العزيز يقول كان جلداسن أقطع اليدين من الكعبين ، وسبب ذلك أنه صعد وهو صغير على

---

1) **صفوة من انتشر** ص 41 .

2) **مرآة المحاسن** ص 221 **وطبقات الحضيكى** 1 : 175 .

شجرة تين فسقط منها على كفيه فانكسرت يداه فاعتلتا حتى سقطتا ، وكان مع ذلك يكتب فى خلوة ولا يدرى كيف يكتب .

وحدثنى أبى رحمة الله وغير واحد أنه كان يدخل فى الحائط ويخلو بنفسه ، فيسمع صوت الحفر والخدمة ، وكان يخدم حائطه بنفسه ولا يخدمه له أحد ، وحدثوا عنه أنه وجد مرة عند بئر وعلى وجهه أثر الماء من الوضوء ولا دلو عنده ولا آنية ، ويوثر عنه من الكرامات عجائب ، والفضل بيد الله يوتيه من يشاء (1) .

وسيأتى فى ترجمة شيخه عبد الخالق بن ياسين حكاية حلوله بمراكش .

374) **جعفر بن محمد ابن عطية القضاعي** من أهل طرطوشة ، وقيل من قطر دانية ، يكنى أبا أحمد ، كان من أهل الحفظ للحديث والمعرفة بالتوثيق ، وسكن مراكش فحظي عند علي بن يوسف بن تاشفين ، وولد له بها أولاد ، ولما انتقل الأمر للموحدين دخل فى طاعتهم على ما ذكره بعضهم ، ثم صلب وقتل بفاس عند محاصرة عبد المومن لها سنة أربعين وخمسمئة .

ذكره في الجذوة والسلوة (2) .

375) **جؤذر** : القائد أحد قواد أحمد (المنصور) السعدي من مماليكه الأعلاج ، وهو الذى استفتح بلاد السودان سنة تسع وتسعين وتسعمئة ، قال في (درة الحجال) ولقيت مولانا يعنى أحمد المنصور بقصيدة في هذا الفتح المذكور وتولى قراءتها بين يديه الفقيه الأستاذ أحمد بن علي الزموري :

خبرٌ من المسك المفتق أعطـــر ... عن غرة النصر المبـارك يُسفـــر
يأأيها المنصور أبشرْ بالمنـــــى ... النصر حقـاً من لوائـك ينشـــر

1) **التشوف** ص 210 ع 80 .

2) **جذوة الاقتباس** ص 175 ع 133 **وسلوة الأنفاس** ص : 258 .

عقدت يمين النصر عنكم سنجقاً (1) فبذاك أهل الأرض طراً تقهـــر
فلذا كذا فتح البلاد إذا سعـــت همم الملوك إلى المــآثر يذكـــر
خيل رمت نحو الجنوب خيامهـــا فارتج مصر" والعــراق وتــــوزر
قطعت رؤوس المعتدين سيوفهـــم من مات منهم فى الحواصل يُقبَـر
قادوا من الأبطال كل غضنفـــر أسد هصور في الكريهـــة أكثـــر
ملئت بهم عين الزمان وقلبـــــه واسودّ وجهُ الكفر فهو الأغبـــر
أما الجنوب فان جندك لم يـــدع شخصاً بها ينوى الشقاق فيعــذر
أجليتهم منها وجسمك ثاويـــــاً مراكشاً هذا لعمـــرك أكبـــــــر
تركوا لك الأوطان دون منــــازع تالله إن التـّرك مـــوت أحمـــــر
لا زلت بالسيف المهند بانيـــاً شرفاً به نحن الموالي نفخــر (2)

وهناه وزير القلم عبد العزيز بن محمد الفشتالي (3) بقصيدة مطلعها :

هنيئاً لسلطان المغــارب قد أتـى بشير توالت بالســرور بشائــره

وجؤذر هذا ذو حزم وعزم وقوة على الحرب ، كان حياً سنة 999 تسع وتسعين وتسعمئة .

ترجمه فى درة الحجال ، وكان ذلك الفتح فى إحدى الجمادين منها ، فتح منه تنبكتو وكاغو وجنا وما والى ذلك ينيف على مسيرة أربعة أشهر من المعمور ، ذكره فى درة الحجال فى ترجمة سعيد بن عبد الله السملالي قاضى بعض جهات السوس .

376) **الجيلالى الروكي السفياني** ، كان من عرب سفيان رجلا خامل الذكر ساقط القدر ، حرفته رعْيُ البهائم ونحو ذلك من عمل أهل البادية ،

---

1) السنجق باللغة التركية هو اللواء .

2) **درة الحجال** 1 : 233 ع 348 .

3) القصيدة نسبها ابن القاضى فى درة الحجال لمحمد التورغى لا لعبد العزيز الفشتالى الذى له قصيدة قافية شهيرة فى موضوع فتح جؤذر للسودان .

فوكل به جني أو شيطان ففاه بالمخارق وتبعته العامة فثار ببلاد كُرْتْ وتقدم إلى دار القايد عبد الكريم بن عبد السلام ابن عودة الحارثي السفياني في أخلاط من الأوباش بالعصى والمقالع ، فحاصر القائد المذكور في داره من الظهر إلى الغروب ، ثم اقتحم العامة عليه داره فقتلوه وقتلوا جماعة من إخوته وبني عمه ونهبوا ما وجدوا بداره وكان شيئاً كثيراً من المال والأثاث ، وبقي أولئك القتلى مصرعين بفناء الدار ثلاثة أيام لم يدفنوا ، وافتتنت العامة بهذا الروكي ونسبوا له الخوارق والكرامات من غير استناد إلى دليل ، ووعدهم بأنه يستولى على الملك ويحكم المتمسكين بدعوته في الأحوال كيف شاء ، وضاعت نفوس في تلك الفتنة ، ونهبت أموال ، واختلط المرعي بالهمل ، وكنت حاضراً لهذا الخطب العظيم / فكان من افتتان العامة بهذا المعتوه واعتقادهم فيه وجهلهم المركب في أمره ما لا يكاد يصدق به إذا حكي ، وكان السلطان سيدي محمد رحمه الله يومئذ برباط الفتح ، فاهتزَّ لهذا الخطب ، لأن الشيطان كان قد نفخ في أباطيل الروكي ، وشاعت في العالم حتى اهتزَّ لها النصارى الذين كانوا بتطاون وحدثوا أنفسهم بالفرار ، ثم إن السلطان رحمه الله أغزاه أخاه المولى الرشيد ، فلما سمع الروكي بمجيئه وعد أوباشه بأنه سينتصر عليه وأن خيل السلطان تكون غنيمة له ، وقال لهم اتخذوا الشكائم أي الأرسان من الدوم وأعدوها لتأخذوا بها خيل السلطان ، فاتخذ جمع عظيم من العامة الحبال والأرسان ، وتوشحوا بها تحت الثياب وجعلوا يتبعون الروكي أينما ذهب انتظاراً لوعده ، ولما قرب المولى الرشيد منه أخذ أمره في النقصان وناموسه في البطلان ، ولما كان المولى الرشيد قرب سوق الأربعاء من بلاد سفيان ، جعل الشكامة (1) يقربون من المحلة ويتطوفون حولها مختفين بالأودية والشعاب والكدي ، ينتظرون هزيمتها بخارق من خوارق دجالهم ، فأعلم المولى الرشيد بمكانهم ، فبعث الخيل فالتقطوهم في ساعة واحدة ولم يفلت منهم إلا القليل ، وسيقوا الى رباط

1) الشكام صانع الشكيمة أو ماسكها ؛ والمفهوم من العبارة أنهم الأوباش الذين طلب منهم الفتان المذكور أن يعدوا الشكائم والأرسان لخيل السلطان التى يغنمونها بعد انهزام محلته . والشكام فى العامية المغربية هو الجاسوس .

الفتح فسجنوا به مدة ، وأما الروكي فانه قصد جبل زرهون ، ودخل روضة المولى إدريس الأكبر رضي الله عنـه ، فاجتمع عليه جماعة مـن الأشراف الأدارسة والعلويين وغلقوا القبة وتقدم إليه شريف علوي ، ففتك به وأراح الناس من شره واحتزوا رأسه ويده وحملوهما الى السلطان ، فبعث بهما إلى مراكش ، فعلقا بجامع الفناء مدة ، وكان جهلة العوام لا يصدقون بموته ، وبقوا ينتظرون رجعته سنتين أو ثلاثاً ، (ومن يُضلل الله فما له من هاد) ، وكان مقتل الروكي في أواسط شعبان سنة ثمان وسبعين ومئتين وألف ولم تجاوز مدته أربعين يوماً .

وكان مما كتبه السلطان في شأنه ما نصه : وبعد ، فان فتاناً مـن سفيان مرق من الدين ، وفتن بأمور شيطانية مَن اغترَّ به من المسلمين ، وجمع عليه أوباشاً من أمثاله ، وأضرابه وأشكاله ، وتقدم بهم لدار خديمنا ابن عودة فقتلوه ، ثم تقدم بهم للشراردة فقاتلوه ، ثم تقدم بهم لزاوية مولانا ادريس فقاتله أهلها قتالا يرضى الله ورسوله ، ولم يحصل لهم من قتالـه ضجر ، ثم قبضوا عليه وقتلوه وعلقوا رأسه بباب الزاوية المسمى بباب الحجر ، وأغلقوا الأبواب بعد ذلك على مَن دخل معه من أتباعه ، وأنصاره وأشياعه ، فقبضوا عليهم وجعلوهم في السلاسل والأغلال ، ونحن على نية اقامة الحد عليهم ان شاء الله جزاء وفاقاً على ما ارتكبوه من الفساد وقبيح الأعمال ، ومَن كان منهم حينئذ خارجاً عن الباب تخطفته الأيدي ، وجنوا ثمار ما سعوا فيه من البغي والتعدى ، وقطع دابر جميعهم ، فالحمد لله حق حمده ، وما كلُّ نعمة الا من عنده ، وأعلمناكم لتكونوا على بصيرة ، اذ ربما يبلغ المرجفون على عادتهم النازلة على غير وجهها والسلام .

في ثامن عشر شعبان المعظم عام ثمانية وسبعين ومئتين وألف .

انتهى من الاستقصاء (1) .

---

1) **الاستقصا** 9 : 108 طبع الدار البيضاء .

حرف الحاء

377) حازم بن محمد الأنصاري القرطاجني

حازم بن محمد بن حسن بن محمد بن خلف بن حازم الأنصاري القرطاجني ، قال في (بغية الوعاة) ما نصه بعد ذكره القرطبي النحوي : أبو الحسن هنيء الدين شيخ البلاغة والآداب ، قال أبو حيان : كان أوحد زمانه في النظم والنثر والنحو واللغة والعروض وعلم البيان ، روى عن جماعة يقاربون ألفاً، وروى عنه أبو حيان وابن رشيد، وذكره في رحلته فقال : حَبر البلغاء، وبحر الأدباء ، ذو اختراعات فائقة ، واختيارات رائقة ، لا نعلم أحداً ممن لقيناه جمع من علم اللسان ما جمع ، ولا أحكم من معاقد علم البيان ما أحكم من منقول ومبتدع ، وأما البلاغة فهو بحرها العذب ، والمتفرد بحمل رايتها أميراً في الشرق والغرب ، وأما حفظ لغات العرب وأشعارها وأخبارها فهو حماد روايتها وحمال أوقارها ، يجمع إلى ذلك جودة التصنيف وبراعة الخط ، ويضرب بسهم في العقليات ، والدراية أغلبُ عليه من الرواية .

صنف سراج البلغاء في البلاغة ، وكتاباً في القوافي ، وقصيدة في النحو على روي الميم ، ذكر منها ابن هشام في (المغني) أبياتاً في المسألة الزنبورية ، وقد ذكرناها في الطبقات الكبرى مع أبيات أُخَر .

مولده سنة ثمان وستمئة ، ومات ليلة السبت الرابع والعشرين من رمضان سنة أربع وثمانين وستمئة .

ومن شعره :

من قال حسبي في الورى بشــر   فحسبي الله حسبي اللـــــه
كم آيـــة للالاه شاهـــــدة   بأنـــه لا إلاهَ إلا هـــــو

وقال من الجزء الأول من (نفح الطيب) وكان جماعة من أعلام الأندلس رحلوا منها فلما وصلوا إلى العدوة أقاموا بها ولم يذهبوا إلى البلاد المشرقية ، منهم الشيخ النحوي الناظم الناثر أبو الحسن حازم بن محمد القرطاجني ،

ثم قال له رحمه الله عدة تآليف ، وولد سنة 608 وتوفي ليلة السبت 24 رمضان سنة أربع وثمانين وستمئة بتونس ، وممن أخذ عنه الحافظ ابن رشيد الفهري وذكره في رحلته وأثنى عليه كما أثنى عليه العبدري في رحلته فقال حازم ، وما أدراك ما حازم ، وقد عرفنا به في (أزهار الرياض) بما يغني عن الاعادة ، وكان هو والحافظ محمد ابن الأبار فرسيْ رهان ، غير أن ابن الأبار كان أكثر منه رواية .

وقال في الجزء الثاني منه : ولما ألف ابن عصفور كتابة (المقرب) في النحو انتقده جماعة من أهل قطره الأندلسيين وغيرهم ، منهم ابن الصائغ وابن هشام الجزيري ، وله عليه (المنهج المقرب ، في الرد على المقرب) وفيه تخليط كثير وتعسف :

وفي حسد من يحسد الشمس نورها ويأمل أن يأتي لها بضريـــــــب

. ومنهم ابن الحاج ، وأبو الحسن حازم القرطاجني الخزرجي وسماه (الزيار ، على جحفلة الحمار) وابن مومن القيسي وبهاء الدين ابن النحاس .

ومن شعر حازم الأندلسي :

لم تدر إذ سألتك ما أسلاكهـــــا أبكت أسى أم قطعت أسلاكها (1)

وعارضه التجاني بقوله :

ياساحر الألحاظ يافتاكهـــــــا فُتيا جواز الصدّ مَن أفتاكَهـا ؟

انتهى المقصود .

وقد وقفت على معارضة أبي الحسن ابن فرحون لتصدير حازم لقصيدة امرىء القيس (2) حيث أنه لم يعن بترتيب أبياتها وسقط من أبياته ستة أبيات ثابتة عند المشارقة في جميع الروايات ، ونصها :

1) تنظر القصيدة كاملة في **قصائد ومقطعات صنعة حازم القرطاجني** ص 176 ع 38 .

2) كان من واجب المؤلف أن يثبت القصيدة التي صدر بها حازم معلقة امرىء القيس ؛

خليلي إن وافيتما خير مرسـل	(قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل)
ولا تبكيا ظلماً ولا منزلا عفـا	(بسقط اللوى بين الدخول فحومل)
فطيبة أولى أن تحنا لربعهـا	(لما نسجتها من جنوب وشمـأل)
فحب قلوب العالمين بربعهـا	(وقيعانها كأنه حب فلفـل)
وقفت بها أبكي ذنوبي كأنهـا	(لدى سمرات الحي نافق حنظل)
وزم أصيحابي الركاب بمـا رأوا	(يقولون لا تهلك أسى وتجمـل)
ولا تغش رسماً غير رسم محـرم	(فهل عند رسم دارس من معول)
فقلت لهم حسبي بطيبة منـزلا	(وجارتها أم الرباب بمـأسـل)
فمكة قد فاقت بطيب نسيمهـا	(نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل)
على بعدها أيضاً دموعي قد جـرت	(على النحر حتى بلّ دمعيّ محملي)
ألا حبذا وقت بمكة قد مضـى	(ولاسيما يوم بدارة جلجـل)
رحلنا إليها العيس تحمل شوقنـا	(فياعجباً من رحلها المتحمـل)
وقد عذلتني النفس أن جد شوقها	(فقلت لك الويلات إنك من جلي)
ولو غير هذا القصد عنّ لردنـي	(عقرت بعيري ياامرأ القيس فانزل)
ولكن جوابي أن أقول لها ارحمـي	(ولا تبعديني من فناك المعلـل)
بثثتُ لها شوقي وصدق تلهفـي	(فألهيتها عن ذي تمائم مغيلـي)
ولما رأتني قد شغفت تحولـت	(بشق وشق عندها لم يحـول)
على أنها أبدت ملامي وأعتـدت	(عليّ وآلت حلفة لـم تحلـل)
فناديتها لما دهاني دلالهـا	(أفاطم مهلا بعض هذا التدلـل)
فقلت لها خليّ المـلامَ وأقصري	(وإن كنتِ قد أزمعت صرمي فأجملي)
ويانفس إني بالمدينة قاطـن"	(فسلّي ثيابي من ثيابك تنسل)

لا معارضة ابن فرحون له ؛ لكن المؤلف سامحه الله أغفل قصيدة من يترجم له ؛ وأثبت قصيدة من لم يترجم له .

تنظر قصيدة حازم ومطلعها :

لعينيك قل ان زرت افضل مرسـل (قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل)

في **ازهار الرياض** 3 : 178 **ونفح الطيب** 5 : 520 **وقصائد ومقطعات صنعة حازم القرطاجني** ص 179 ع 39 .

وقصيدة حازم احلا وأبلغ من قصيدة ابن فرحون .

ولا تحسبي أني ببينْكِ باخــل (وأنكِ مهما تأمري القلب يفعل)
قليتك فاستبقي وإن شئت فاضربي (بسهميكِ في أعشار قلب مقتل)
تعرض لي منهم أمـور عظـائـم (تعرض أثناء الوشاحِ المفصل)
يعز عليهم أن نضوت ملابسـي . (لدى الستر إلا لبسة المتفضل)
أيا عاذلي دعني فلست كهيأتـي (وما أن أرى عنك الغواية تنجلي)
فكم قد جررنا نحو طيبةَ في الفلا (على إثرنا أذيالَ مرط مرجـل)
وكم فدفد جبنا إليها وكم نبـا (بنا بطن حقف ذى ركام عقنقل)
وكم غادة رامت سلوي وأشرفـت (علي هضيم الكشح ريا المخلخل)
مهاة تغير البدر منها محاسـنٌ (ترائبُها مصقولة كالسجنجل)
وتبدي محيا يخجل الشمس قد سطا (بناظرة من وحش وجرة مطفل)
فليس فؤادي من هواها بسالـم (إذا هي نصته ولا بمعطـل)
وزينت بقد ثم جيـد وفـاحـم (أثيث كقنو النخلـة المتعثكل)
ضللت بها دهراً عن الرشد مثلما (تضل العقاص في مثنى ومرسل)
وغودرت مفتوناً بخصر كرقتـي (وساق كأنبوب السقي المزلل)
إلى أن هدى نفسي الاله' وكم غدت (نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل)
وما هي قد أضحت تشابهُها ضنى (أساريع ظبي أو مساوىء أسحل)
تسوق إلى أرض تضيء كأنهـا (منارة ممسى راهب متبتـل)
وقد هجرت في حبها كـل طفلـة (إذا ما اسبكرَّت' بين درع ومجول)
منازل وحي الله أولى بصبوتـي (غذاها نمير الماء غير محلـل)
صبوت' إليها لا أتوق لغيرهـا (وليس فؤادي عن هواها بمنسل)
فيا مَن نأى عنها أطعْ قول عاذل (نصيح على تعذاله غير مؤتلـي)
فكم كربة للدهر ذادت وقد عـدا (علي بأنواع الهمـوم ليبتلـي)
وأضحت ملاذاً لي وقد جر حـده (وأردف أعجازاً ونـاء بكلكـل)
فبادر وقل للعزم إن كنت حـازماً (ألا أيها الليل الطويل ألا انجل)
إليها رسول الله هاجر فاستتـر (بصبح وما الاصباح منك بأمثل)
محبته بالقلب نيطتْ كأنمـا (بكل مُغار الفتل شدت بيذبل)
عقلت فؤادي عن هوى غير أحمـد (بأمراس كتان إلى صم جنـدل)

تحملت فيه كل ضيم وشـــدة (على كاهل مني ذلول مرحـــل)
ويارب سبروت إليك قطعتـــه (به الذئب يعوي كالخليع المعيل)
أقول لخدنى سر وإلا فكلنـــا (قليل الغنى إن كنت لما تمول)
إذا لم تواف ِ المصطفى لم تنل غنى (ومن يحترث حرثي وحرثك يهزل)
رسول دها بالرعب مَن راح واثقاً (بمنجرد قيد الأوابد هيكـــل)
وتزهق من خوف قلوبُ عـــدوه (كجلمود صخر حطّه السيلُ من عل)
إذا برز الليث استزلّ فـــؤاده (كما زلت الصفواءُ بالمتنـــزل)
يقود من الأملاك جيشاً كأنـــه إذا جاش فيه حميه غليُ مرجـــل)
على سابحات لا تكلُّ ولم يعـــل (أثرن غباراً بالكديد المركـــل)
أقلهم يبتزُّ مَن شاء نفســـه (ويلوي بأثواب العنيف المثقل)
وقد أشمت الأعداء عدتهم فتـــى (يقلب كفيه بخيط موصـــل)
إذا أدبروا شدوا كشد نعامـــة (وإرخاء سرحان وتقريب تنفل)
وقد تركوا خوف الهلاك نفوسهم (بضاف فويق الأرض ليس بأعزل)
وناسبهم حسناً وخبث سرائـــر (فداك عروس أو صلاية حنظل)
دماؤهم أضحت تسيل كأنهـــا (عصارة حناء بشب مرجـــل)
أيسطو بحزب الله قوم كأنهـــم (عذارى دوان ٍ فى الملاء المذيل)
وقائده خير الورى والذى سمـــا (بجيد معم فى العشيرة مخول)
نبي له دانت نفوس أبيــــة (جواهرها فى صرة لم تزيـــل)
فكم من عدو قد سقاه بسيفـــه (دراكاً ولم ينضح بماء فيغسل)
كريم السجايا كم أجاد لضيفـــه (صفيف شواء أو قدير معجـــل)
وقد زانه خلق" كريم وخلقـــه (متى ما ترق العين فيه تسهل)
نظمت مديح المصطفى وتلوتـــه (وبات بعيني قائماً غير مرسل)
حكى الشمس نوراً لا كبرق وميضه (كلمع اليدين في حبي مكلـــل)
هداه مضيء لا كمصباح راهـــب (أهان السليط بالذبال المفتـــل)
فقد عم أهل الأرض ما بين مغـــرب (وبين العذيب بعدما متأمـــل)
وأيمنه فى الشرق قد ذاع ســـره (وأيسره على الستار فيذبـــل)
فكم ملك أضحى مطيعاً لأمــــره (يكبُّ على الأذقان دوح الكنهبل)

وكم طود ملك قد تابَّى بجهلـــــه (فأنزل منه العصم من كل منزل)
ولم يبق للأعداء حصناً يقيهـــم (ولا أطماً إلا مشيداً بجنـــدل)
فذو الفقر بالاسلام أضحى مملكـاً (كبير أناس في بجاء مزمــل)
وصار غدير الكفر تعلوه قيمـــة (من السيل والغثاء فلكة مغـزل)
نزلت على خير الخلائق كلهـــم (نزول اليماني بالعياب المحمل)
وأطرب أعضائي المديحُ كأنمــا (صبحت سلافاً من رحيق معلفل)
كأن فؤاداً عاينهم بطيبــــة (بأرجائه القصوى أنانيش عنصل)
فصلى إلاهُ الخلق بدأ وعـــودة (على من ثوى فيها وحسبى به ولي)

وأورد في (أزهار الرياض) في ترجمة المترجم أن وجيه الدين منصوراً كتب اليه رحمه الله بقوله إني أجزت لحازم بن محمد ، صدر الأفاضل والامام السيد ، مجموع ما رويته فرويته عن ألف شيخ من رواة المسند ، في مصرها مع شامها وعراقها وحجازها من متهم أو منجد ، وجميع ما صنفته وجمعته في علم فقه الشافعي محمد ، فليرو عني ما رويت رواية مشروطة بتوثق وتشدد ، ولين في روض العلوم منعماً بسعادة وسيادة وتأيد ، ثم قال بعد سياق كلام السيوطي ولنوردْ نحن ما أمكننا حيث لم يوف السيوطي بحقه في الطبقات الصغرى لأنها مبنية على الاختصار ، ولم نقف على الطبقات الكبرى التى أحال عليها فنقول : قال بعض المؤرخين هو حازم بن مُحمد بن الحسن بن حازم الأنصارى فجعل والد الحسن حازماً وجعله السيوطي محمداً ، فلا ندرى هل هذا من النسبة الى الجد ؟ فيرجع مـع ما عند السيوطي الى وفاق أم همـا مختلفان ؟ القرطاجني منسوب الى قرطاجنة من سواحل كورة تدمير مـن شرقي الأندلس ، وهو خاتمة شعراء الأندلس الفحول مع تقدمه في معرفـة لسان العرب وأخبارها ، ونزل افريقية بعد خروجه من بلده ، فصار له بهـا صيت وعمر الى أن مات بتونس حضرة ملوكها ليلة السبت الرابع والعشرين من رمضان من سنة أربع وثمانين وستمئة ، وفى بعض المجاميع الأدبية من تأليف ابن المرابط نزيل تونس ، أنه كان بحضرة مراكش أيام الرشيد ، قلت : وله فى الرشيد أمداح كثيرة أنشدها في (الاشادة) ، ومدح الأمير أبا زكرياء صاحب افريقية وولده أبا عبد الله المنتصر ، وله المقصورة الشهيرة

وقصر محاسنها على مدحه ، ومدح أخاه أبا يحيى ، ومن بديع نظمه رحمه الله قصيدة جيمية غريبة المنزع ، لها صيت عظيم عند الحذاق من الفضلاء ، عارض بها في المعنى رائية ابن عمار الوزير للمعتمد بن عباد وفضل غير واحد هذه الجيمية الحازمية على تلك الرائية العمّارية وهي :

أدرِ المدامةَ فالنسيمُ مــؤرج   والروض مرقوم البرود مدبج (1)

ثم أوردها ، ثم قال ومن قوله من قصيدة :

فتقَ النسيم لطائم الظلمـــــاء   عن مسكة قطرت مـع الأنـداء (2)

وقال سامحه الله من قصيدة في المنتصر :

أمن بارق أورى بجنح الدجا سِقطا   تذكرت مَن حلّ الأبارق فالسقطا (3)

وله مطلع من قصيدة :

سلطان جيش عليه للصبا علـــم   إذا رأته جيوش الصبر تنهـــزم

وقال رحمه الله يصف الوردة البيضاء :

ومبيضّة الأثواب تدعى بـــوردة   تقلُّ لها الأشباهُ عند التماسها (4)

ومن بديع نظمه رحمه الله تضمينه قصيدة امرئ القيس وصـرف معناها الى مدح المصطفى (ص) وهي من أعز القصائد :

لعينك قل ان زرت أفضل مرشـد   (قفنا نبك من ذكرى حبيب ومنزل)

وقد أوردها كلها في (النفح) أيضاً ، ثم قال رحمه الله في مثل هذا

1) تنظر القصيدة فى قصائد ومقطعات صنعة حازم القرطاجنى ص 105 ع 10 .

2) تنظر القطعة فى الكتاب السابق ص 75 ع 2 .

3) تنظر القصيدة فى الكتاب السابق ص 154 ع 28 .

4) تنظر بقية القطعة فى الكتاب السابق ص 145 ع 26 .

الغرض مؤدياً من مدح رسول الله (ص) بعض المفترض ، مضمناً قصيدة أخرى لا مرىء القيس :

أقول لعزمي أو لصالح أعمالـــــي (ألا عِمْ صباحاً أيها الطللُ البالي)

ثم أوردها كلها ، وقال عقبها قلت هكذا وجدت بخط بعض أعـلام مراكش نسبة هذه القصيدة لحازم المذكور ، واعتمدت على هذه النسبة ، ثم بان لي خطؤها ، وأما هذه القصيدة فهي من نظم الفقيه العلامة أبي بكر ابن جزي الكلبي الغرناطي حسبما نصَّ على ذلك غير واحد ، وهو ولد أبي القاسم ابن جزي صاحب التفسير المؤلف له الأنوار السنية ، وذكر العبدري في رحلته أنه قرأ على أوحد البلغاء علي بن ابراهيم التجاني التونسي قصيدة حـازم الأندلسي القرطاجني التى أولها :

لعينيك قلْ إن زرت أفضلَ مرسل (قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل)

قال أجاد فيها وأبدع ماشاء ، ورام منه المرام الصعب فطاوع الانشاء ، وهي مما ينبغي أن يقيد ولا يهمل ، فلذلك رأيت اثباتها وحدثه بها عن منشئها المذكور ، واقتصر الشريف الغرناطى في شرح المقصورة على نسبة تضمين المترجم جميع قصيدة امرىء القيس قفنا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ، راجع ص 101 من الجزء الأول منه ، وقال في تاريخ الدولتين : وفي السادس والعشرين لذى الحجة من السنة المذكورة يعنى سنة 684 توفي حازم القرطاجني شاعر الحضرة ، وذكر وفاة الغرناطي الشريف المذكور في 14 ذى الحجة سنة 692 ، انتهـى .

وقال في (كشف الظنون) :

منهاج البلغاء في علم البلاغة والبيان لحازم بن محمد القرطاجنـي المتوفي سنة ، قلت وقع فى نسختي الطبقات السيوطية انسراج البلغاء والعلم عند الله .

وما تقدم عن (أزهار الرياض) فى قرطاجنة نحوه فى حاشية الشمس على المغني ، قال القرطاجني بفتح القاف وراء ساكنة وطاء مهملة فألف فجيم مفتوحة فنون فياء نسبة من قرطاجنة الأندلس لا من قرطاجنة تونس ، انتهى .

نقل ترجمته في الشذرات ، وراجع ص 38 من ج 6 من طبَقات ابن السبكي ، وممن نقل عن كتابه في البلاغة والبيان الشريشي فى ص 317 ج 1 من شرحه للمقامات عند ذكر التجنيس .

378) الحبيب بن عبد الهادي العلوي

الحبيب بن عبد الهادي ابن هشام بن قاسم بن أبي بكر بن عبد الله بن محمد السعيد بن محمد بن يوسف بن مــولاي علي الشريف العلوي الفقيــه العلامة ، كان من العلماء العاملين ، والأخيار الكاملين ، تولي الخلافة بفاس والخطابة بمسجد القرويين ، صاهره أمير المومنين مولانا سليمان ببنتــه السيدة أسماء ، ثم رجع لفيلالة ، وتوفي بمراكش سنة 1257 سبع وخمسين ومئتين وألف ، وهو ابــن ست وثمانين سنة ، ودفن بضريح مــولاي علي الشريف .

ترجمه في الاشراف ، والدرر البهية ، وذكره الزياني في الفهرسة في تلامذة مولانا سليمان قائلا والعالم الشريف مولانا الحبيب ، أخذ من علومه كل نصيب ، والمترجم هو جد مولانا ادريس بن الطيب بن حمادي بن الحبيب المترجم ، وقد وقفت على رسم تضمن أن ولده سيدي حمادي تعاوض مــع مولانا عبد الرحمان بالقصبة المخلفة عن المترجم بعرصتها بوادي يفلي قرب بلدة صوصو وأخنوس التي ورثها من زوجه السيدة أسماء المذكورة ، وحاز ثلاثة ديار فى زاوية سيدي أبي العباس وعرصة بباب تاغزوت بمراكش ، غير أن الشهادة المذكورة فيها اجمال في المشهود به وفى مستنده ، فليس فيها الشهادة بالملك ولا بشروطه ولا مستند التعاوض ، هل بالاقــرار أم بالسماع الفاشي المنزل منزلة القطع ولا بيان الديار ولا معرفة المشهود لهم وعليهــم .

379) **الحبيب بن علي بن عبد الواحد العلوي** ، من ذرية مولاي أحمد بن علي بن طاهر ، دخل مراكش ، وكان عالماً كبيراً ، وصلى هناك اماماً صلاة الاستسقاء ، وبها توفي ، وولده الصالح سيدي أحمد قرأ على مولاي محمد القاضي وطبقته ، وكان جواداً تولى نيابة القضاء بمدغرة ، دخل مراكش لأخذ ميراث أبيه ومنها توجه لقراءة العلم ، توفي أواسط العشرة الأولى من هذا القرن عن أربعين سنة .

380) **الحبيب بن التهامي بن حمدون ابن كيران الفاسي** أصلا المراكشي مولداً ووطناً ووفاة ، قدم جده حمدون من فاس لمراكش عام الثلاثين ومئتين بعد الألف ، فاتخذها دار قراره ، ومات ولده التهامي في جمادى الثانية عام واحد وثمانين .

ولد المترجم عام ستين ومئتين وألف ، وأخذ النحو عن مولاي أحمد بوغربال ، قرأ عليه الألفية بموضح ابن هشام قراءة تحقيق خمسة وعشرين بيتاً فى الدرس ، وعن سيدي عبد الله ابن وقاص ، ثم وجهه والده لمصلوحة (تامصلوحت) فحفظ بها مختصر خليل على سيدي أحمد الشتوكي وقرأ عليه الحساب بشرح الرسموكي والفرائض بالعمل ، ثم رجع لمراكش فأخذ العربية وجمع الجوامع والتلخيص على ابن وقاص والسيد عبد الوهاب ، وأخذ الفقه عن القاضي ابن المدني وابن المعطي والسيد ابن الفاضل ، والفقه والحديث عن السيد سعيد جيمي والسيد علي المسفيوي والسباعى ، وعن الحاج محمد زنيط الفقه والعربية ، لازم القراءة على شيوخه المذكورين نحواً من عشرين سنة عدى جيمى فانما قرأ عليه أخيراً ، وكان له ادراك تام ، وأجازوه كلهم عدا المتوكي ، وكان رفيقه فى القراءة السيد الطاهر ابن جلون ، ثم فى عام1297 حين ولي القاضي ابن خضراء على قضاء مراكش تولى خطة التوثيق ، وله تقييد فى الباغية لما قام فساد الرحامنة فى موت المولى الحسن ، وولي الخطابة بالحضرة الشريفة وبقي يخطب بعده إلى أن مات وولي عدلا مع مقدمي الربيعة العباسية قبل موته بمدة قليلة ، كان المترجم فقيهاً وجيهاً عدلا رضى عاقداً للشروط مقصوداً فى ذلك نجيباً نبيلا نبيهاً حافظا للأمهات المتداولة ومختصر خليل وجمع الجوامع والتلخيص والرسالة ولامية الزقاق ، وكان يكتب بخطه كثيراً من التآليف التى كان يقرأ بها .

توفي رحمه الله في ليلة الجمعة منتصف رجب عام ثمانية عشر وثلاثمئة وألف .

381) **حجاج بن يوسف الهواري** ، وبنوه ينتسبون في تجيب ، قاضي الجماعة بمراكش وخطيبها ، وهو من ناحية بجاية ، كان من أهل العلم والأدب فصيحاً مفوهاً بليغاً مدركاً ، ونال دنيا عريضة وأورث عقبه نباهة ، دخل الأندلس مراراً ، وروى عن علمائها ، وأخبر عنه بحكاية أبو عبد الله ابن المجاهد .

وتوفي مكفوف البصر في الطاعون بمراكش أول سنة اثنتين وسبعين وخمسمئة ، وصلى عليه السلطان وحضر دفنه .

ذكره في التكملة وفي الحلل الموشية (1) .

382) **حكم المدعو خير الدولة بن محمد المعتمد بن عباد** ، يكنى أبا المكارم ، قرأ على مالك بن وهيب وتأدب به ، ومال إلى الهجاء في خموله فتحومي لسانه وتجول بأقطار المغرب ، ثم أستقر بمدينة فاس يكتب الوثائق كأخيه يحيى إلى أن توفي .

وكتب إليه بعض أصحابه (2) :

تتسامى الحِكَمُ ... مذ وشاها حَكَم
فخر الطرس به ... وتباهى القلم
وزهت لخم به ... فهو فيها علم
من صناديد علا ... بالثريا خيموا
آل عباد وقل ... آل أمجاد هم
إن سطا الدهر بهم ... فكفى مجدهم

---

1) **التكملة** 1 : 279 ع 745 **والحلل الموشية** ص 132 **والمعجب** ص 150 وفيه حجاج بن ابراهيم التجيبي من أهل مدينة اغمات من أعمال مدينة مراكش ؛ **والأنيس المطرب بروض القرطاس** ص 206 طبع الرباط .

2) لم يذكر المؤلف القصيدة وجوابها في الأصل ؛ بل أحال على (الحلة السيرا) فرجعنا اليها ونقلناهما منها .

فجاوبه بقوله :

ما لمجد علم والزمان حكم
وقضاياه غدا جورها يحتكم
رائد الشؤم به محبر أو قلم
ونبيه فطن بيت شعر ينظم
درس الفضل به وتفانى الكرم
وغدا كل أخ وده يتهم
غير خل ماجد فضله منتظم
سفرت عنه لنا كلم بل حكم
عظمت اذ نظمت مجد قوم عدموا
صاح إنا عرب ملكتها عجم
كل فضل ونهى عدم عندهم
آه من دهر غدا حره يهتضم
آل عباد بهم غائر نجمهم
لعب الدهر بهم ومحا رسمَهم
ليت شعري والمنى خُلُبٌ أو حلم
هل إلى أندلس نظرة تغتَنَم ؟

وسياتي (1) خير الدُولة هذا في ترجمة والده (2) .

383) حمدون بن عبد الرحمان ابن الحاج السُلَمي

حمدون بن عبد الرحمان بن حمدون بن عبد الرحمان الشهير بابن الحاج السُلَمي أصلا وحسباً المِرداسي نسباً الفاسي داراً ومنشأ الشيخ الامام العالم العلامة الهمام المفسر المحدث الصوفي الفقيه ، المبجل المعظم الوجيه النزيه ، أديب الزمان ، وفريد العصر والأوان ، العارف بالله ، القائم بسنة رسول الله ، الممد بالمنح الالهية ، والمواهب الاختصاصية .

1) في الأصل : وتقدم اعتباراً للترتيب القديم .

2) الحلة السيرا 2 : 77 .

كـان رحمه الله ممن انتهت إليه الرياسة في جميـع العلـوم ، قال ولده سيدي الطالب ابن الحاج في (رياض الورد) مترجماً لحال والده الشيخ حمدون في المبدإ والعنوان في خمسة أبواب .

الأول في نشأته في البداية وما منّ الله عليه من أسرار العلوم في النهاية ، قرأ العلوم على جلة شيوخ عصره حتى صار علامة الدنيا في أقرب مدة ، فصار يقرىء غيره وهو ابن نيف وعشرين سنة ، كان سيدي حمدون يستحضر حديث الصحيحين وجل الكتب الستة لا يعزُب عنه من صحيح البخاري حرف ولا كلمة ولا ما يتعلق به من اللغة وغيرها ، وتعليقه للبخاري مضمنه ذكر كل من اتفق معه في اخراج حديثه ومناسبة كل ترجمة لما قبلها وما بعدها ومصداق كل حديث من كتاب الله .

ولد الشيخ حمدون عام 1174 ، وقرأ التفسير عـام 1208 باشارة نبوية رآها العارف سيدى إبراهيم المعروف بالرباطي ، كان هذا الشيخ يختم دلائل الخيرات في اليوم مرات ، ودفن في المدينة المنورة .

قال الشيخ سيدى أحمد التجاني في سيدى حمدون إنه سيد علماء وقته ، وإنما أسأل الله تعالى أن يكتبه في ديوان لا يتصرف فيه مخلوق ، وسيدي الطيب ابن كيران كان يعده من نظراء البوصيرى وابن الخطيب ، وكتب مولانا السلطان لعلماء فاس في قضية ـ أجاب عنها سيدى حمدون ـ ما نصه : أشهد بالله أن هذا الكاتب أديب الزمان ، ولا يوجد في المغرب ولا الديار المصرية ، ولولا الأدب لَعينتُ جميع الأقطار وإن كان الكمال فضل رسول الله وفيضـه .

أخذ عنه الكوهن التفسير بالبيضاوي والمواهب اللدنية والاكتفـاء لسليمان الكلاعي ، والحكم لابن عطاء الله وميمية في السير ووترياته وهمزية البوصيرى ، ومختصر السعد مرتين بحاشيته عليه ، والمحلى ومختصـر السنوسي في المنطق والصغرى في التوحيد .

ومن أشياخ المؤلف سيدي الطالب ابن الحاج ، وتلاميذة والـده العلامة الرحلة الأديب البارع اللغوي الكاتب سيدى العربي الدمناتي .

والباب الثاني في أحواله السنية وأخلاقه السنية ، كان عاملا بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم تالياً لكتاب الله في الحزب وسلكة في كل أسبوع وفي العواشر ربما ختم سلكة في اليوم واليومين ويتهجد ويلازم الاذكار . . . . وهنا تكلم على العلم دون العمل ، ونقل كلام القرافي المشهور والقلشاني وتكلم على فضل التعليم قال المؤلف أدركته رضي الله عنه في آخر عمره يقرأ صحيح البخاري في ضريح مولانا ادريس بعد صلاة الصبح ثم يقرأ مختصر خليل فى العاشرة بجامع القرويين مع تداول شروحه التتائي والخرشي والزرقاني وحواشيهم والحطاب والمواق وشرح الشيخ جسوس يعارض بين الأدلة ويرجح ويضعف ويصحح ويبين أصل كل صورة من الكتاب والسنة ، ثم يقرأ بين الظهرين تلخيص المفتاح بالمطول والمختصر وحواشيهما، ثم يقرأ بعد صلاة العصر التفسير بالبيضاوي وحواشيه زاده والأسيوطي وزكرياء مع مراجعة الكشاف وحواشى الطيبي والسعد وزكرياء مخرج أحاديثه ومختصراته كأبى السعود ، وكان يعتمده ويبتهج بذكره وابن كمال باشا والنسفي ويراجع النيسابوري وابن عرفة وابن عادل والثعالبي وابن كثير والبقاعي ، وأحكام ابن العربي الخ ، ثم يقرأ بين العشاءين التفسير أيضاً ولا يتقيد بتفسير ، بل يذهب حيث ما ذهب التحقيق ، وكان يحضّ على علم السير ومطالعة كتبه وممارستها ، لا ريب إن مدح الأفاضل ، تعرض لاحسانهم الهاطل ، وكان يحضّ على قراءة علم التصوف والاكباب على مطالعة كتبه وكان يحب الأشراف محبة شديدة ، وكان متصفاً بمكارم الأخلاق ، كان شجاعاً جواداً باع جناناً كبيراً له بالمرج بألفي مثقال وأنفقه في سبيل الله ، وكان شديد الاقدام على السلطان فى الصدع بالأمر المعروف والنهي عن المنكر فيما يرتكبه الولاة من الجور ، وقد أمر مرة بسل لسانه فنجاه الله منه ، وقال له مرة أتعرف الحالة التى قتل عليها ابن زمرك ؟ ولم يكن يرده ذلك فى الغالب عن مخاطبته بما ذكر لصدق نيته وحسن طويته وربما تناعس وأنشد لنفسه :

دع الأمير وسوقه فانما نحن سوقه
يلقى جزاء هواه وجوره وفسوقه

قال أخبرني الشريف العالم الأديب أحمد بن ادريس العبدالسلامي أحد تلامذة الشيخ أنه كان هجا الشيخ بأبيات وسامحه لشرفه وأعطيت له بدرب جنيارة بفاس دار مناصفة بينه وبين العلامة المحقق البليغ محمد بن عمر الزروالي ، فآثره على نفسه في حظه ، وسلم له فيه لله ، وكان سيدى حمدون من الزاهدين العارفين ، وانقبض عن الدولة بعدما كان له بها الجاه العريض ، وكان قبل ذلك خيره السلطان على تولية خطة الأحكام بنواحي الغرب وأقعده فى ثغر العرائش وطار بعد له طائر الاشتهار فى سائر النواحي من القرى والأمصار ، ثم استعفاه بقصيدة رائية من مجزو الكامل فأعفاه ، وكان متصفاً بالحرية الخ .

هذا ما تيسر من سيرته السنية ، والمجمل من أخلاقه السنية ، وختم هذا الباب بقصائد له ثلاث ، الأولى عارض بها لامية ابن الماوردي ، والثانية فى معارضة لامية الطغرائي ، ولم يكمل هذا التأليف رحمه الله .

وقد وقفت على ديوان المترجم ، وفيه قصائد ، منها قصيدة عارض بها قصيدة ذى الوزارتين ابن عمار : أدر الزجاجة فالنسيم قد انبرى الخ فى مدح مولانا سليمان ، وقال وقد أتاه البشير ، بغنيمة بدوام النصر تشير ، وقد كان وافقاً فى قراءة التفسير على قوله تعالى : واعلموا أنَّ ما غنمتم الخ وقال يصف حالته وما وقع له مع أهل الغرب حين كان عاملا عليه وقد خرج لجباية زكاتهم وأعشارهم وذلك عام 1219 وقال يتشفع له أن يخلصه من عمالة العرائش وأحوازها فأعفاه أول عام 1221 وقال مولدية قرئت بين يديه ، وقال منها عن أمره قضبان النور المسمى بالفن بالقدود ، من الجواري الأسيلات الخدود ، وقال فى نور الفن أيضاً يستعطفه على أديب سلا سيدى محمد بن الفقيه شارح الشمقمقية ، وقال يهنئه عند قدومه من سفر ، ويبشر مَن رأى طلعته المنيرة بالمنى والظفر ، وقال عند ورودهم على صخرة الرجافة :

أتينـــا على ريـــح رخـــاء لصخـــرة ... لصخرة بيت القدس كادت تفاخر
بملك سليمان علت وتقدســـــت ... بجيش كأنه البحور الزواخـــــر

وقال وقد سأله وهم طالعون بحضرة مراكش قاضيها سيدي أحمد السوسي وهو معهم ، وهو بأرض يقال لها الجدي :

أقاموس علم فاض فينا عبابُـــه وفي كل فن رق در له ثـــدي
أتاني لغيز" منك كالدر نظمـــه عنيت به أرضاً يقال لها الجـدي
رسمنا بآثار الخيول أهلـــة بها فارتقت فما يفاخرها جـدي
وحلّ بها شمس الملوك مباهياً لشمس وبدر في الدياجي له هدي

وقال قد جاءه نساء أهل الحوز يطلبن منه أمان حيّهن :

عرضت غزلان لما أبصرنـــه فيك من نور أحمد كالغزالـــة
طالبات الأمان عن صائديهـــا فذكرنا بها حديث الغزالـــة

وقال يوم ختمه كتاب الكشاف طالباً منه أن يرد لأهل العلم ما كان منحهم قبل من الأوقاف ، وقال ينعي على البرابرة وقد فروا لرؤوس الجبال ، وقد خافوا منه الدوائر ، وقال مولدية قرئت بين يديه مطلعها :

عيد السرور لأول ولآخـــر يوم تجلت فيه شمس مفاخـــر
يوم به ولد النبيُّ محمـــد بدر البدور وفخر كل مفاخـــر

وقال يوم ختمه لتفسير البقاعي مستشفعاً له أن يردّ سيدي العربي ابن المعطى لوطنه بسلام ، وأن يصلح ثغور الاسلام :

طاب المقامُ وطاب السيرُ والسفرِ وما تشاءه فيه النصر والظفـــر

وقال يستدعي المحب الصديق من حفدة مولانا عبد الله بن علي بن طاهر السجلماسي المدغري بحضرة السلطان مولاي سليمان :

أزكى تحية تبـاري المنـــدل والند والرند وعرفُ الصنـــدل
والعنبر الشحري ومسك داريـــن وعطر ورد نافح ونسريـــن
وقسمة الثغور من أبكـــار من شفة المزاح بالاسكـــار
على مقام نخبة الأشـــراف وزينة المجالس الظـــراف

الأنبه الدراكة النبيـــــــــه روض العلـــوم العـادم الشبيـه
الصادق الفراسة الصديــــق أبي العلاء سيدي الصديـــــق
وبعد فلتُجبْ أمير المومنيـــن مرد السحاب إن يُقَسْ به ضنين

وقال يستعطفه ولد أخيه مولاي الحسين بن اليزيد ، وقال عند ما قدم عليها أهل الريف برؤوس من أهل الكفر في السلاسل والأغلال ، يحثه على تحصين الثغور وإزالة ما بطلبة العلم من الاعلال ، وقال مولدية مظهراً ما وقع له الظفر ، على مَن طغى وكفر :

كفاك فخاراً أنك ابن محمـــــد سليل هدى سليل ملك مسرمـــد

وقال منبهاً على الأعداء ، الذين جاوزوا الحد في الاعتداء ، ومشيراً لما له من النكت على تفسير البيضاوي ، وقال مظهراً اشتياقه لرؤيته ، وطالباً منه الغض من زلته ، وقال مهنئاً لقدومه من سفر ، ويستعطفُه على الفقيه السيد علي بن عبد الله المتيوي وقد شهد له بالنجابة ، وقال في جواب له حين استدعاه بأن يقدم عليه في بعض أسفاره لمكناسة الزيتون برسالة أولهـا

سـيـدي :

لك البشارةُ فالبسْ بردة الظفر واخلع سواها فما بالدهر من غير

وقال في بطانة السوء الدائرة بأمير المومنين ، وقال يستعطفه على قبيلة بني ورياغل لما راغوا عن محاربته ، واحجموا على محاربته ، وقـال يستعطفه ويحثه على الصبر لما توفي ولده الطالب الأمجد الخير الأحب سيدى محمد ويرثيه :

برداء صبر يرتـــــــدى من بالبنوءة يهتـــــــدي

وقال على لسانه هذه القصيدة الغرا ، التي قلدت جيد الأدب يواقيت ردرا ، يعظ فيها سعود الوهابي وينذره ، وينبهه من سنته ويذاكره ، لما عاث في أقطار الحجاز ، وتعدى عتوا الى الحريين الشريفين ، ووجه كتبا الى أقاليم أهل السنة يدعوهم لاتباع مذهبه الفاسد ، وسوقه الكاسد ، ومن تأمل في

هذه القضية وأنصف ، علم أنها في نحور الوهابية سنان مرهف ، لظهورهم فاقره ، ولبطونهم باقرة ، ولآذانهم واقرة ، وللسانهم عاقره ، وهي تناهز 200 بيـت .

وقال يحثه على الصبر لما توفي أخوه مولاي عبد السلام ويرثيه في سنة 1227 .

فيكم لنا خلـق" عن كل مَن سلفا   والله يبقيكـم ذخراً لنـا وكفـى

وقال مجيباً عن مضمون سؤاله عن وجه قراءة هشام إبراهيم بفتح في بعض المواضع دون البعض ، وقال لما ألف السلطان كتابه المسمى بالأسماع بتحرير ما التبس من حكم السماع :

هذه حضرة الرسـول تجلـت   عن جنان قد أزلفت وأظلـت

وقال يستعطفه على الفقيه سيدى التهامي بن حمادى ، وقال وقد وقفت على سيدى أبى القاسم الشاطبي ، قل للأمير مقالة الخ ، وقال يمدحه وولده مولاي إبراهيم وقد كسر شوكة أعدائه ، ورمى شياطينهم بثاقب من ملك سمائه :

اليوم أخمدت الضلالة نـارهـا   واستعمرت دار الهـدى عمارهـا

وقال يهنيه بقدوم ولده المذكور من الحج معارضاً لقصيدة الرياحي :

بشراك إبراهيـم بالأقبـال   وبنيل سؤال ما جرى فى بـال

وقال فى صدر رسالة جواب كتبه أبيه :

أتاني أمير المومنين 'كتـاب   كريم لنا فيه الهدى والثـواب

وقال لما قام ابن الشريف على ملك الجزائر :

ملك الجزائر لا محالة اندثـرا   وسلكه بانتظام جـوره انتثـرا

وقال يشكوه بعض الظلمة من الولاة :

الملك ملك إلاه العرش محتـرس   من الشياطين بالشهـاب والرصد

وقال عن أمره قصيدة بعثها لأهل الجزائر :

حمداً لمن نصر الاسلام فانتصـرا   وبدد الكفر والضلال فانتشـــــرا

وقد يشكوه بعض الظلمة ·

أمطلع ملك الله مخجلا الشمســـا   بك الله مبد فى خليقته أنســــا

وقال فى خطيب كانت نفسه لا تطيب إلا بالخطابة بحضرة السلطان :

إذا كنت الخطيب تطيب نفســـا   فطب نفساً فأنت هـو الخطيــب

وقال مولودية قرئت بين حضرته ، وقال عن إذنه يهجو ديكـا رآه بحضرته ، قال فى آخرها :

لا أطيل القـول فيه فكفــــى   له هجواً أنه ينكـر ناســـــه

وقال فى جواب رسالة بعثها إليه فى شأن قبض الفقيه سيدى عبد السلام المسناوي من جملة فصولها، لو تشفعت فيه بسطر بيت لرددت عليه ماله وأمثـالـه :

كلام المليك مليك الكـــــلام   وفهمـه للحـــد مـاضي الحسام

وقال فى صدر رسالة جواب كتاب بعثه إليه فى شأن المسناوي :

أياملكـاً له كلّ اهتمــــــام   بكل الرعايا بمحـو اغتنـــــام

وقال رافعاً له شكاية ببعض الأشراف من بعض قضاة العصر ، وبها ختم ديوانه الجامع له فى الأمداح السليمانية ، وقد وقفت منه على أزيد من ست كراريس من القالب الرباعي ، وستأتي حائيته التى ذكرها فى سفره لمراكش مطلعها :

خيمة ما بها سـوى قـائـل آح ... وبهـا مـد صوتـه وترنـح

في ترجمة سيدى محمد بن عمرو الزروالي .

ورأيت في ديوان الفقيه ابن ادريس قصيدة في مدح المترجم أولها :

أما ودر نظيم تحت شاربه ... وريق ثغر غدا خمراً لشاربه

إلى أن قال :

شيخ المشايخ حمدون الذى حمدت ... به المعالي وراقت من مناقبه
وعالم المغرب الأقصى وسيده ... وشاعر العصر فى الدنيا وكاتبه
محاسن العصر بعض من محاسنه ... وزينة الدهر بعض من مواهبه
مبوأ من ذرى العلياء أرفعها ... فليس يدرك قرب من مناصبه

وختامها :

واسلم لدهر غدوت شمسه شرفاً ... ودم عزيزاً رفيعاً فى مراتبه

وعدتها سبعة وثلاثون بيتاً .

من تلامذته العلامة سيدى الوليد العراقي لازمه فى التفسير كثيراً والبخاري ومختصر خليل وتلخيص المفتاح مع شرح السعد عليه بحاشيته فيه وفى شرحه على ميميته وغير ذلك كما فى مؤلفه (الدر النفيس) .

وقال فى رحلة الفتح المبين .

منقبة وبشارة لسيدى حمدون المتقدم أول السند .

قال عبيد ربه جعفر مقيد هذه الرحلة لمؤلفها سمعت من الفقيه الأجل ، العالم العلامة الأفضل ، سيدى المهدي ابن العالم سيدى محمد ابن العالم سيدى حمدون ابن الحاج المذكور أنه سمع من الفقيه العالم الزاهد الورع سيدى الحاج أحمد كنبور الجايي أنه رأى فيما يرى النائم كأن النبي

صلى الله عليه وسلم وسيدى حمدون جالسان على كرسي وتحتهما خلق كثير ، وسيدى حمدون يقرر للمذكورين مسائل من العلم ويلتفت عقب كل تقرير للنبي صلى الله عليه وسلم ويقول هل هذه المسألة كما قررت ؟ فيقول له نعم ! وانه قرأ على سيدى حمدون المذكور أن الرؤيا المذكورة كانت فى حياته ، توفي سيدى الحاج ابن الحاج المذكور فى نصف ليلة الخميس ثامن عشر ربيع الثاني سنة 1283 ودفن بزاوية مولاي عبد الرحمان الشريف بالجاية قرب العصر من اليوم المذكور ، وحضر جنازته خلق كثير من سلاس والجاية وبني زروال ، والحياينة ومزيات ، وأذن مولانا المنصور بالله سيدى محمد بن عبد الرحمان بالبناء عليه فى رسالة كتبها لخدامه بالجاية ، وحج معنا ولده الطالب سيدى الحاج عبد السلام فى حجتنا هذه كما حج معنا فيها الشريف سيدى محمد بن سيدى علي الحمومي دفين البليدة وابن عمه سيدى محمد بن سيدى عبد السلام .

قال السيد عبد الحي الكتاني عن قوله الحاج أحمد كنبور فى موضعين : صوابه الحسن .

وهذا ظهير أمير المومنين المقدس مولانا سليمان فى حق المترجم ونصه :

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وصحبه وسلم تسليما

ثم الطابع الشريف

وبعده شد الله ذو القوة المتين أزره ، وأبقى فى سماء المعالي شمسه وبدره ، يستقر كتابنا هذا السمي بالله بيد ماسكيه قبيل العلامة الأفضل ، القاضي الأعدل الأنبل ، السالك أقوم المحاج ، العارف بالله سيدى أحمد ابن الحاج ، المتشعبين من فصوله ، والمفترعين من أصوله ، من أهل فاس وتطوان ، صانهما الله من طروق العدوان ، يعلم الواقف عليه ، والواصل إليه ، أننا جددنا لهم حكم ما بيدهم من ظهائر أسلافنا الكرام الأعلام ، الحامين بيضة الاسلام ، من إجرائهم على منصة التوقير والاحترام ، وحملهم على كاهل المبرة والاكرام ، رعياً لنسبهم الزاهر المستنير ، المنتهى إلى العباس ابن مرداس

الصحابي الشهير ، ولمن كان منهم من العلماء المتميزين ، والقادة المتبرزين ، فرسان الأقلام والمحابر ، وثمرات أعواد الكراسي والمنابر ، الطالعين بالعدوتين طلوع المشرقين ، بل زدناهم توفيراً واحتراماً ، وإجلالا وإكراماً ، رعياً لجانب مَن له الحظوة المحظوظة ، والمكانة المحوطة المحفوظة ، الذى أثمرت أفنان علومه ونفعت ، وطلعت شمس آدابه وبزغت ، ذاك محبنا فى الله المحبة الوثيقة ، ورضيعنا فى ثدي العلوم الدقيقة ، أبو عبد الله حمدون ابن الحاج ، سلك الله بنا وبه أقوم منهاج ، ومن اطلعت لهم زمام التصرف والأحكام، من حملة السيوف والأقلام ، أن يقتدوا بما رسمنا ، ويقتفوا لما زعمنا ، ومن خالف منهم ذلك خاف على رأسه ، ولا لوم إلا على نفسه ، والله تعالى يتولانا وإياهم بما عليه المدار ، مما يسعدنا فى الدار الآخرة ونعم عقبى الدار .

وكتب فى أواخر ذى الحجة الحرام متم عام ثمانية ومئتين وألف .

وبخط الأمير المذكور أعلا الظهير هذا شيخنا ومحبنا فى الله السيد حمدون عندنا فوق ما هو مرسوم .

سليمان بن محمد بن عبد الله كان الله له وللمسلمين فى اليوم المعلوم .

نقله فى شرح الظهير الحسني حفيده أبو العباس سيدي ابن الحاج ، ثم قال فيه : وهذا مولانا المقدس مولانا سليمان مدحه جدنا الشيخ حمدون ابن الحاج رحمه الله بقصيدة فأعطاه داراً كبيرة متهدمة من دور بني مرين بأعلا عقبة ابن صوال ، وجعله خليفة فى ثغر العرائش وما والاها مدة من عامين عدى ثلاثة أشهر ، وسامحه فى زكاة وأعشار تلك المدة ليبني بذلك الدار المذكورة وبناها وبقيت بيد ورثته يفعلون بها ما أرادوا إلى عام أربعين المتصل الفروط . فتنازع الورثة فى السكنى ، وأراد بعضهم البيع ، ورفع أمره لمولانا المقدس مولانا عبد الرحمان فأذن من له خبرة بتقويمها فقومت بقيمة العصر وزاد لهم غبطة خمس القسمة واشترى الورثة بذلك دوراً ، وما شاع أنه انتزعها من الورثة باطل .

وقال ابن إدريس يمدحه أيضاً فى تهنئة بعيد قصيدة مطلعها :

بوجودكم تتزيـن الأعيـــاد وبمجدكـم يتطـرز الانشـــاد

وقال فى (السلوة) :

كان رحمه الله ممن انتهت إليه الرياسة فى جميع العلوم ، واستكمل أدوات الاجتهاد على الخصوص والعموم ، أحرز قصبات السبق فى مجـال الاستنباط ، وارتبطت بذهنه العلل ومسالكها أي ارتباط ، وانفرد بالمهارة والتبحُّر في جميع الفنون وخصوصاً التفسير والحديث والتصوف المؤيـد بالكتاب والسنة والأصلين وعلوم العربية مع الخشية والخضوع والوقار والبكاء والاعتبار والاستغراق فى مجد العشق المحمدي والخبرة فيه بدلالة المهتدي والمقتدي ومحبة أهل البيت ، والانحياش لأهل الخير الحي منهم والميت ، وناهيك بقول الشيخ سيدى أحمد التجاني رضي الله عنه من رسالة بعثها لبعض أصحابه : إنه سيد علماء وقته ، وأنا أسأل الله أن يكتبه فى ديوان السعداء وأن لا يتصرف فيه مخلوق ، وكان الشيخ سيدى الطيب ابن كيران يعده من نظراء البوصيري فى الأمداح النبوية وابن الخطيب فى أمداح الملوك ، وكان رحمه الله تولى حسبة فاس وبالغ فيها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكان أتم الأمور عنده الصلاة ، فكان يقيم الناس من حوانيتهم لاقامتها وأداء فريضتها ولا يدعهم يتركونها ، ثم تولى قيادة الغرب فأحيى فى أهله السنة وأزال الظلمات التى كانت قبله ، وقبض الوظائف الشرعية وترك المغارم المخزنية ، وقام على ساق الجد معهم فى الصلاة التى هي أساس جميع العبادات حى قام بها مَن وفقه الله منهم ، ثم عزل نفسه واشتغل بالتدريس ، ورحل إلى المشرق وحج وزار ورجع بعلم غزير وفضل كثير ، وكان رضي الله عنه كثيراً ما يرى النبي صلى الله عليه وسلم فى عالم نومه ، ويستمدُّ من بحره ومرائيه كثيرة ، كان فى أول أمره يقيدها ثم كفَّ عن ذلك ، وفى ميميته حين استطرد الكلام على السادات العراقيين :

وقـد رأيتـه في نومي وأخبرنـي بأنهـم بضعـة منه ولـم أنـــم

أخذ رحمه الله عن صاحب الترجمة قبله (1) وشاركه في عدة من شيوخه كالشيخ بناني والشيخ التاودي وسيدى عبد الكريم اليازغي وسيدى عبد القادر ابن شقرون، وأجازه الشيخ سيدى محمد بن عبد السلام الناصري الدرعي والشيخ سيدي مرتضى الحسيني شارح الاحياء والقاموس ، وألف تآليف عديدة ، كالحاشية على تفسير أبي السعود ومتبوعه البيضاوى ، وعلى مختصر السعد ، وتفسير سور من القرآن ، ومنظومة ميمية في السيرة على نهج البردة اشتملت على نحو أربعة آلاف بيت وشرحها له في خمسة أسفار ، وأرجوزة في المنطق ، واخرى في علم الكلام ، ومقصورة في علمي العروض والقوافي ، ونظم الحكم لابن عطاء الله ، ونظم مقدمة ابن حجر وشرحها له في سفر سماه نفحة المسك الداري ، القارىء صحيح الامام البخاري (2) إلى غير ذلك ، وله أنظام كثيرة وقصائد شتى ووتريات على نسق وتريات البغدادي ، ومن شعره في ميميته المذكورة :

وقل لمن نابه خطب وضاق به ... أكرم بني المصطفى تكرم بمغتنم
فان مَن أكرم البنين يكرمه ... جزماً أبوهم ومن يضمهم يضم

ولد كما ذكره في (رياض الورد) بفاس سنة أربع وسبعين ومئتين وألف ، وتوفي عشية يوم الاثنين سابع ربيع الثاني في عام اثنين وثلاثين ومئتين وألف ، وكان لجنازته مشهد عظيم ومحفل كريم شهدها الأكابر والأصاغر ، ودفن عند قبر شيخه سيدى الطيب ابن كيران باذن مولوي .

ترجمه في امداد ذوى الاستعداد وغيره ، وألف فيه ولده سيدي محمد الطالب تأليفاً سماه (رياض الورد ، الى ما انتهى اليه هذا الجوهر الفرد) تعرض فيه لنفسه ولشيوخه وتلامذته وأحواله من الولادة الى الوفاة وما يتبع ذلك (3) .

---

1) يعنى الشيخ الطيب ابن كيران .

2) طبع بفاس عام 1329 هـ بأمر السلطان عبد الحفيظ .

3) سلوة الأنفاس 3 : 4 .

384) **حمزة بن علي بن عبد الله المراكشي دفينها** ، حلاه سيدي أبو عمرو المراكشي بسلطان الزهاد كما في (شمس المعرفة) ، وقال الحضيكي في طبقاته بعد ذكره ما نصه : الولي العارف بالله زاهد زمانه ووريعه ، وحليف الفضل وصنيعه ، كان رضي الله عنه عالي الهمة ، له قدم راسخ في مقام الزهد والورع ، وكان رضي الله عنه در"اراً يعلم الصبيان كتاب الله ، وكان الملوك والأمراء يأتونه من بعيد للزيارة والتبرك به ، فاذا سلموا عليه رد عليهم السلام بلفظ السلام فقط ، ولا يكلم أحداً كان مَن كان حتى يتفرغ من تعليم الصبيان ، فاذا انصرفوا عنه التفت الى مَن جاءه وكلمه وسأله عن حاله ، وكان لا يقبل من أحد شيئاً ، قائماً على الجادة في مقام الزهد والورع والتعفف عن الدنيا حتى خرج منها ولم يلتصق به منها شيء .

قال الفاضل عبد الرحمان ابن تودة العمراني جاء الخبر الى السلطان محمد الشيخ بأن الشيخ حمزة في النزع ، فقال لأولاده اذهبوا لحضور هذا الولي ، فذهب اسلطان عبد القادر والسلطان محمد المعروف بالحران فذهبتُ أنا معهما ، فدخلنا دار الشيخ حمزة ، فوجدناه قد فاضت نفسه ولم يكن بداره سوى حصير بال وهيدورة عليها نحو الصاع من شعير يشمس كان يقتات به ، فقال السلطان عبد القادر اليوم شاهدنا رجلا من الأولياء عاش في الدنيا وخرج منها ولم يتعلقْ به منها شيء ، قال فبكينا على أنفسنا وحضرنا جنازته وقد حشر الناس اليها من كل مكان ، قال العمراني وكنت أطلب منه الدعاء في كل وقت أن يثبتني في باب الجهاد في سبيل الله تعالى ، فيقول لي إن شاء الله تعالى ، إلى يوم من الأيام فجيئته على العادة ، فقال لي ياأخي قد أجيبت الدعوى ، والله سيبلغك مرادك من الجهاد فيسبيله ، فقال فمن ذلك اليوم وأنا مستبشر بما وعد لي ، إلى أن تغلب السلطان محمد الشيخ الشريف على سائر أقطار المغرب فقلده ولاية الثغور الهبطية ، فكان من أمره ما هو مشهور في الغزوات والوقائع ونكاية الكفرة .

توفي الشيخ حمزة رحمه الله في أواخر العشرة الخامسة من القرن العاشر ، ودفن بازاء ضريح الشيخ سيدي عبد العزيز التباع ، وقبره مزارة مشهورة نفعنا الله بهم (1) .

---

1) **طبقات الحضيكي** 1 : 179 .

ومقامه صار اليوم محلا للزمنى والمرضى لا يكاد يخلو منهم خصوصاً النساء ، وفيه قلتُ متوسلا :

يار بنا أنت الغفـــور ... عني أزل كلَّ الشـــرور
فبحق حمزة ذي التقـــي ... قد فاق في الزهد البـــدور
في غاية الورع ارتقـــى ... وتسنَّم الفضل الكبيـــر
ليس الركون لغيركـــم ... من دأبه طول الدهـــر
قد كان دراراً لـــدى ... وقت العشي وفي البكـــور
فتولني بحياطـــة ... وعناية تولي الحبـــور
بحلى الفضائل حلنـــي ... واسق الحشا خير الخمـــور
وأنل صلاتك كلهـــا ... خير الورى القرم الشكـــور
ذاك النبي المُجتَبَـــى ... الطاهر النسل الطهـــور
سلم عليه وآلـــه ... ما دام في الجنات حـــور
وأنـل عبيـدك سُؤلَـــه ... يامَن غدا نعم النصيـــر

385) **الحسن بن عبد الأعلى الكلاعي** ، الفقيه ، قال القاضي عياض في (الغنية) بعد ذكر ما تقدم ما نصه : من أهل صفاقس ، سكن المغرب كثيراً والأندلس في بلاد المصامدة ، واستوطن بلدنا أخيراً ، وشاوره بها بعضُ القضاة وأريد على قضاء الجزيرة فامتنع ، وكان منقبضاً فاضلا لم يجلس الى التدريس ولا تصدر للفتيا ، تكررت عليه وجالسته كثيراً وأخذت عنه غير شيء وانتفعت به ، وكان محققاً فقيهاً أصولياً متكلما عارفا بعلم الهندسة والحساب والفرائض وغير ذلك من المعارف ، وكان تفقه بأبي الحسن اللخمي وعليه كان اعتماده ، وأخذ أيضاً عن ابن سعدون الجياني وغيرهما من مشايخ إفريقية والمغرب والأندلس .

توفي بأغمات في محرم سنة خمس وخمسين وخمسمئة ، وترجمته في (التكملة) أيضاً نقلا عن عياض وخط ابن حبيش ، وزاد على ما تقدم الى سماعه عن اللخمي كان ببلده صفاقس وأنه سمع من أبى علي الغساني (1) .

1) **التكملة** 1 : 269 ع 716 .

386) الحسن بن علي ابن باديس الصنهاجي

الحسن بن علي بن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس بن المنصور بن بلكين بن زيرى بن مناد ، لما مات والده علي ولي بعده ابنه الحسن غلاماً يفعة ابن اثنتي عشرة سنة ، وقام بأمره مولاه صندل ، ثم مات صندل فقام بأمره مولاه موفق ، وكان أبوه أصدر المكاتبة الى روجار عند الوحشة يهدده بالمرابطين ملوك المغرب لما كان بينه وبينهم من المكاتبة ، واتفق أن غزا أحمد بن ميمون قائد أسطول المرابطين صقلية وافتتح قرية منها فسباها ومثل بأهلها سنة ست عشرة (وخمسمئة) فلم يشك روجار أن ذلك باملاء من الحسن، فنزلت أساطيله إلى المهدية وعليهم عبد الرحمان بن عبد العزيز وجرجي ابن مخائيل الأنطاكي ، وكان جرجي هذا نصرانياً هاجر من المشرق وقد تلعم اللسان وبرع في الحساب وتهذب في الشام بأنطاكية وغيرها ، فاصطنعه تميم واستولى عليه ، وكان يحيى يشاوره ، فما هلك تميم أعمل جرجي الحيلة في اللحاق بروجار فلحق به وحظى عنده واستعمله على أسطوله ، فلما اعتزم على حصار المهدية بعثه لذلك ، فزحف فى ثلاثمئة مركب وبها عدد كثير من النصرانية فيهم ألف فارس ، وكان الحسن قد استعدَّ لحربهم ، فافتتح جزيرة قوصرة (1) ، وقصدوا الى المهدية ونزلوا الى الساحل وضربوا الأبنية وملكوا قصر الدهانين وجزيرة الأملس ، وتكرر القتال فيهم إلى أن غلبهم المسلمون وأقلعوا راجعين إلى صقلية بعد أن أستحرَّ القتلُ فيهم ، ووصل بأكثر ذلك محمد بن ميمون قائد المرابطين بأسطوله فعاث في نواحي صقلية ، واعتزم روجار على اعادة الغزو الى المهدية ، ثم وصل أسطول يحيى بن العزيز صاحب بجاية لحصار المهدية ، ووصلت عساكره في البر مع قائده مطرف بن علي ابن حمدون الفقيه ، فصالح الحسنُ صاحب صقلية ووصل يده به واستمد منه أسطوله ، واستمد الحسن أسطول روجار فأمده وارتحل مطرف إلى بلده ، وأقام الحسن مملكاً بالمهدية ، وانتقض عليه روجار وعاد الى الفتنة معه ، ولم يزل يردد أليه الغزو الى أن استولى على المهدية

1) جزيرة بساحل تونس تحتلها ايطاليا وتسميها بانتيلاريا .

قائد أسطوله جورجي ابن مناسل سنة ثلاث وأربعين وخمسمئة ، ووصلها بأسطوله في ثلاثمئة مركب ، وخادعهم بأنهم إنما جاءوا مدداً له ، وكان عسكر الحسن قد توجه صريخاً لمحرز بن زياد الفادغي صاحب علي بن خراسان صاحب تونس ، فلم يجد صريخاً فجلا عن المهدية ورحل واتبعه الناس ودخل العدو الى المدينة وتملكوها دون دفاعٍ ، ووجد جرجي القصر كما هو لم يرفع منه الحسن الا ما خفّ ، وترك الذخائر الملوكية ، فأمَّن الناس وأبقاهم تحت ايالته ، ورد الفارين منهم إلى أماكنهم ، وبعث أسطولا إلى صفاقس فملكها ، وآخر الى سوسه فملكها أيضاً ، ثم إلى طرابلس كذلك ، فاستولى روجار صاحب صقلية على بلاد الساحل كلها ، ووضع على أهلها الجزية ، وولي عليهم كما نذكره ، إلى أن استنقذهم من ملكة الكفر عبد المومن شيخ الموحدين وخليفة امامهم المهدي ، ولحق الحسن بن علي بن يحيى بعد استيلاء النصارى على المهدية بالعرب من رياح وكبيرهم محرز بن زياد الفادغي صاحب القلعة فلم يجد لديهم مصرخاً ، وأراد الرحيل الى مصر للحافظ عبد المجيد ، فأرصد له جرجي ، فارتحل الى المغرب وأجاز الى بونه ، وبها الحارث بن منصور وأخوه العزيز ، ثم توجه الى قسنطينة وبها سبع بن العزيز أخو يحيى صاحب بجاية ، فبعث اليه من أجازه الى الجزائر ، ونزل على ابن العزيز فأحسن نزله وجاوره الى أن فتح الموحدون الجزائر سنة 547 بعد تملكهم المغرب والأندلس ، فخرج الى عبد المومن ، فلقاه تكرمة وقبولا ، ولحق به وصحبه إلى افريقية في غزواته الأولى ثم الثانية سنة 557 ، فنازل المهدية وحاصرها أشهراً ، ثم افتتحها سنة خمس وخمسين وخمسمئة ، وأسكن بها الحسن وأقطعه رحيش ، فأقام هنالك ثماني سنين ، ثم استدعاه يوسف بن عبد المومن ، فارتحل بأهله يريد مراكش وهلك بتامسنا في طريقه إليها بآبار زلو سنة ست وثلاثين ؟ والله وارث الأرض ومَن عليها ، وهو خير الوارثين ورب الخلائق أجمعين . انتهى (1) .

---

1) هذا النص منقول بالحرف من **تاريخ ابن خلدون** 6 : 330 طبع بيروت .

وقال في (القرطاس) : فلما وصل عبد المومن الى الجزائر بجيوش الموحدين وجد فيها الحسن بن علي المذكور ، فخرج اليه وبايعه وصاهره عبد المومن وحمله الى مراكش فأقام معه الى سنة ثلاث وخمسين .

انتهى المقصود منه نقله عن البرنسي .

387) **الحسن بن محمد بن الحسين البطليوسي** ، قال ابن عبد الملك : . سكن مراكش وكان مقرئاً نحوياً تصدر لاقراء ذلك ، وروى عن أبى بكر ابن خير ، وكان حياً سنة ست وسبعين وخمسمئة .

نقله في (البغية) .

388) **الحسن بن حجاج بن يوسف الهواري** ، وأهل بيته ينتمون في تحبيب ، أصله من ناحية بجاية ، وسكن مراكش ، روى عن أبيه وغيره ، وتفقه بالقاضي أبي موسى بن عمران ، ودخل الأندلس مراراً وباشبيلية ولي الخطبة بعد أبي الحسن ابن المالقي فى سنة ثمانين وخمسمئة ، وكان بليغاً فصيحاً ، سماه أبو الربيع ابن سالم في مشيخته ، وقال لي ابنه عبد الرحمان بن الحسن إنه توفي بمدينة فاس سنة ثمان وتسعين وخمسمئة ، وأحتمل بعد أشهر الى مراكش فدفن بها .

ذكره في (التكملة) و (الجذوة) ، وقال في (السلوة) بعد نقل كلام (الجذوة) ما نصه : ونحوه لبعضهم فى تاريخ له قديم ، نقلا عن ابن صاحب الترجمة عبد الرحمان ، وتقدمت ترجمة والده قاضي مراكش وستاتى ترجمة ولده محمد (1) .

389) **حسن بن علي المطغري** (2) المؤذن ، قال فى (التشوف) نزل عندنا بالجانب الشرقي من مراكش ، ثم رحل إلى المشرق على قدميه فحج ،

1) **التكملة** 1 : 271 ع 722 **وجذوة الاقتباس** ص 180 ع 140 **وسلوة الأنفاس** 3 : 259 .

2) كذا فى بعض نسخ **التشوف** ؛ وفى بعض نسخه كتب اسمه هكذا : أبو علي حسون بن علي المطعون .

ثم أراد الرجوع الى المغرب فمات بالأسكندرية عام ثلاثة وستمئة ، وكان عبداً صالحاً يعيش من كد يمينه ، وإذا أراد أحد أن يستأجره على دبغ الجلود وغير ذلك يشترط على مستأجره أن يتوضأ متى انتقض وضوءه وأن يصلي الظهر والعصر مع الجماعة ، فاذا أخذ أجرته أخذ منها قوته ويتصدق بالباقي على المساكين ، وكان إذا انتقض وضوءه جدده ، فقيل في ذلك ، فقال : أخاف أن يأتي أمرُ الله وأنا على غير طهارة ، وأصابته فاقة شديدة فقال له بعض جيرانه هلا أعلمتني بحالك ؟ فقال : أتريد أن يبتليني فاشكو اليك ! وكان الغالب عليه التفكر والاعتبار ، فاذا قام بالسحَر الى الصومعة ليؤذن سبح وهلل ، ثم ركع ركعات قليلة وقعد وأدخل رأسه في جبته يتفكر إلى طلوع الشمس (1) .

390) حسن بن محمد ابن كسرى الأنصاري

حسن بن محمد بن علي الأنصاري من أهل مالقة ، يعرف بابن كسرى ، أخذ عن أبي بكر بن ميمون القرطبي بمراكش وصحبه هنالك ، وسمع من أبي عبد الله الرصافي ديوان شعره ، وكان أديباً صاحب منظوم ، روى عنه أبو عمْرو بن سالم وغيره .

توفي بمالقة سنة ثلاث أو أربع وستمئة .

ذكره في التكملة (2) .

وقال في (نفح الطيب) ما نصه : ووفد الحسن ابن كسرى المالقي الشاعر المشهور على ملك اشبيلية السيد ابراهيم بن أمير المومنين يوسف بن أمير المومنين عبد المومن بن علي فأنشده قصيدة طار مطلعها في الأقطار كل مطار وهـــو :

---

1) التشوف ص 392 ع 205 .

2) التكملة 1 : 264 ع 700 .

قسماً بحمص إنه لعظيـــــــــم فهـي المقـام وأنت ابراهيـم (1)

391) **حسن (2) بن عبد الله ابن يابو الأندلسي** من أهل أغمات وريكة ، وبها مات عام أربعة وستمئة ، قدم مراكش ، وكان عبداً صالحاً أدرك علي ابن حرزهم وخدمه ، ولقي بأغمات الامام أبا بكر بن العربي .

قال في (التشوف) : سمعت علي بن عيسى يقول : سمعت ابن يابو يقول حضرت عند أبي بكر بن العربي بأغمات ، وقد وصل اليه بعض فقهائها ، فقال له أريد أن أصلي بحضرتك حتى ترى هل أحسن الصلاة أم لا ؟ فلما فرغ من صلاته قال له صلاتك مكروهة بالاجماع ، فقال له ما أخللت بشيء من الفريضة والسنة ، فقال له أبو بكر : بلى فان القراءة فى الركعة الثانية أطول من القراءة في الركعة الأولى ، والسنة أن تطول قراءة الركعة الأولى وتكون الثانية دونها .

وحدثه علي بن أحمد الصنهاجي قال : جلست مع عبد الله بن محمد القناع وأبى الحسن العربي وجماعة من المريدين ونحن بمراكش الى أن قال لنا القناع حدثتْني نفسي أن ابن يابو يموت ، فلنذهب الى أغمات نحضر جنازته ، فذهبنا الى أغمات ، فدخلنا عليه فوجدناه مريضاً ، فأردنا أن نبيت عنده فقال لنا لن أموت الليلة وانما أموت غداً ان شاء الله تعالى بالليل ، فانصرفنا عنه ، فلما أصبح أتينا اليه فاقمنا عنده وهو في النزع الى العتمة ، قال علي : فقلت له ياأبا علي : حسِّن ظنك بالله عز وجل ، فانك أفنيت طول عمرك في طاعة الله تعالى ، فقال لي : ياقوم لا تغروني وذكروني بالله تعالى ، ثم قال : أي وقت هذا ؟ فقلنا له هذا أول وقت العتمة ، فاستقبل القبلة وتوجه وقال الله أكبر ، فخرجت نفسه رحمه الله تعالى ، فحضرنا جنازته ورجعنا الى مراكـش .

---

1) **نفح الطيب** 3 : 399 وانظر أيضاً **المقتضب من كتاب تحفة القادم** ص 91 .

2) فى النسخة المطبوعة من **التشوف** : حسين لا حسن .

وحدثني علي بن أحمد الصنهاجـي قال : رأيت بأغمات رجلا ملهوفاً يستغيث بالمسلمين فسألته عن شأنه ، فقال لي أنا من أهل فاس ، احترق ما كان عندي بقيسارية فاس فانقلبت الى مراكش وصرت دلالا بقيساريتها ، فسمعت أن زوجتي وأولادي قد وصلوا من فاس فخرجت من مراكش لأتلقاهم فاستعرت فرساً ألقاهم عليه ، فلقيني عبيد فنزعوا مني الفرس وسلبوا مني ثوبي ، فلم أزل أتبع أثرهم الى أغمات فما وجدت منهم أحداً ، فقلت له تطهر وتأهب لأحملك الى رجل صالح يدعو لك ، فلعل الله تعالى أن يرد عليك ما سلبت ، فتطهر الرجل ودخلت به الى ابن يابو فأخبره الرجل بشأنه ، ورغب أن يدعو له ، وكان ابن يابو متربعاً ، فجلس على قدميه وأطرق ساعة ، ثم قال له لو دخلت مراكش اليوم لوجدت ما سلبت منه ، ولكن بت الليلة هاهنا ، فاذا انصرفت غداً وجدتـه ان شاء الله تعالى ، فبات عنده تلك الليلة فلما أصبح عاد إلى مراكش ، فلقيته بعد ذلك ، فحدثني وقال : خرجت من أغمات فلما وصلت باب أغمات من مراكش وقفت متحيراً ، فأتاني رجل وقال لي أنت الرجل المسلوب ، فقلت له نعم ، فقال لي سر معي لأريك الدار التى فيها العبيد الذين سلبوك ، فأقعدني عند باب دار فقرعت الباب وذهب الرجل الى الحرس ليأتيني بهم ، فخرج من الدار رجل فلما رآني عرفني ، فدخل اليهم ، ثم خرج وقال : استرنا ونحن نرد لك ما سلبناه ، فأخرجوا الفرس والثياب ، فأخذت جميع ذلك منهم وانصرفت (1) .

392) **الحسن بن علي بن محمد الأغماتي** وأصله من تلمسان ، روى عن أبى عبد الله بن عبد العزيز اللخمي من أصحاب أبى الحجاج القضاعي ، وسار إلى جزيرة ميورقة قبل الستمئة واقام فيها وقتاً ، ثم خرج منها وعاد إليها ثانية وأقرأ بها العربية وأخذ عنه إلى أن سُعي به عند واليها وبجماعة معه فأزعجهم منها ، واجتاز علينا ببلنسية فى سنة خمس عشرة وستمئة ، فلقيته حينئذ بدار الامارة منها ، وسمعت منه بعض منظومه ، ولم يكن بالقوي ، وبلغنى أنه توفي بمراكش بعد ذلك بيسير (2) .

---

1) **التشوف** ص 402 ع 216 .

2) **التكملة** 1 : 271 ع 723 .

393) الحسن بن علي ابن الفكّون القسنطيني

الحسن بن علي بن عمر القسنطيني المعروف بابن الفكّون ضبطه الحضيكي بضم الفاء والكاف المشددة ، الشيخ العلامة .

قال في (نفح الطيب) بعد ذكره أحد أشياخ العبدري صاحب الرحلة : وله قصيدة مشهورة عند العلماء بالمغرب ، وهي من در النظام وحر الكلام ، وقد ضمنها ذكر البلاد التي رءاها في ارتحاله من قسنطينة إلى مراكش (1) .

قلت فيه نظر ، العبدري لم يلقه ولم يجدْ مَن يروى عنه قصيدته وإنما لقِي مَن أدركه ، قال العبدري في رحلته سألت عنه (يعني ابن الفكّون) حسن بن بلقاسم بن بادس بقسنطينة ، فذكر لي أنه أدركه وهو طفل صغير ، ولم يحفظ له مولداً ولا وفاة ، ورمتْ أن أجد مَن أروي عنه قصيدته المشهورة في رحلته من قسنطينة الى مراكش فلم أجده فقيدتها هناك غير مروية (2) .

ثم اعترض عليه في هذه القصيدة في مواضع منها في ترجمته .

وقال في (الجذوة) ودخل مدينة فاس في رحلته لمراكش ، له قصيدة مشهورة في رحلته من قسنطينة إلى مراكش كتب بها إلى أبي البدر ابن مردنيش وهو بقسنطينة ، وهي :

ألا قل للسريّ ابن السريّ ... أبي البدر الجواد الأريحيّ
أيا مغنى السيادة والمعالي ... ويابحرْ الندى بدر النديّ
أما وبحقك المبدي جلالا ... وما قد حزت من حسَبٍ علي
وما بيني وبينك من ذمام ... وما أوتيتَ من خلُق رضي
لقد رمت العيون سهامَ غنج ... وليس سوى فؤادي من رميّ
فحسبك نار قلبي من سعير ... وحسبك دمع عيني من أتيّ
وكنت أظنّ أن الناس طراً ... سوى زيد وعمْرو غير شي

---

1) نفح الطيب 2 : 483 .

2) الرحلة المغربية ص 33 طبع الرباط .

فلما جيئت ميلة (1) خيــــر دار   أمالتني بكــل رشا أبــــــــي
وكم أورت ظباءُ بنـــي ورار (2)   أوار الشـــوق بالريـــق الشهــي
وجيئت بجاية (3) فجلت بـــدوراً   يضيق بوصفهـا حرفُ الـــرويّ
وفي أرض الجزائر هام قلبـــــي   بمعسول المـــراشــف كـوثــري
وفى مليانة (4) قد ذبتُ شوقـــاً   بلين العطف والقلب القســـــي
وفى تَنَس (5) نسيت جميل صبري   وهمت بكل ذي وجه وضــــي
وفى مازونة (6) ما زلت صبّــاً   بوسنان المحاجر لوذعـــــي
وفي وهران قد أمسيت رهنـــاً   لظامي الخصـــر ذي ردف روي
وأبدت لي تلمسان بـــــدوراً   جلبن الشوقَ للقلب الخلـــي
ولما جئت وجدة همتُ وجـــداً   بمنخنث المعاطف معنـــوي
وفى تازا (7) غزا قلبي مليـــح   وقال اعشقْ عن الأمر السمـــي
وحلّ رشا الرباط (8) رشا رباطي   وتيّمني بطرف بابلـــــي
وأطلع قطر فاس لي شموســـاً   مغاربهُن في قلبي الشجـــي
وما مكناسة إلا كنـــــاس   لأحوى الطرف ذي حسن سنـــي

---

1) ميلة مدينة عتيقة تبعد 49 كلم عن قسنطينة الى الشمال الغربى منها .

2) وفى بعض النسخ : بنى اوار ؛ ولم نستطع تصحيح الاسم ولا تحديد موقعه ، وهو واقع بين ميلة وبجاية .

3) بجاية من حواضر المغرب العربى الكبرى وعواصم ممالكه ؛ مدينة ساحلية تقع بين الجزائر وعنابة .

4) مليانة احدى حواضر المغرب الأوسط ؛ تقع فى الجنوب الغربى لعاصمة الجزائر فى الطريق بينها وبين الاصنام .

5) تنس بفتح التاء والنون مدينة ساحلية جميلة بالقطر الجزائرى واقعة فى منتصف الطريق الساحلى بين الجزائر ووهران ؛ وكثيراً ما تلتبس كتابتها على النساخ بتونس وتنيس .

6) مازونة : قرية شهيرة بعمالة وهران قريبة من مرسى مستغانم ؛ اشتهر أهلها بالعلم وتبحرهم فى الفقه ؛ واليها نسبة (النوازل المازونية) .

7) هذا البيت يرد فى بعض الكتب دون بعض ؛ ويظهر أنه اقحمه شاعر ظريف فى القصيدة ليثبت جميع محطات الرحلة وهو يجهل أن الرباط المذكور فى البيت التالى لا يعنى محطة أخرى غير تازة .

8) الرباط يراد به رباط تازة ؛ وبه كانت تعرف مدينة تازة الحالية فى القديم .

وإن تسأل عن أرض سلا ففيهـــا ظباء صائدات للكمـــــــي
وفي مراكش ياويح قلبـــــي أتى الوادي فطمٌ على القـــري
بدور بل شموس بل صبــاح بهيٌّ في بهيٌّ في بهـــي
أتحن مصارع العشاق لمـــا سعيْن به فكم ميت وحـــي
بقامة كل أسمر سمهـــــريٌّ ومقلة كل أبيض مشرفـــي
إذا انْسَونِيَ الولدانَ حسنـاً أنسيّهم هوى غيلان (1) مـــي
فها أنا قد تخذت الغـــربَ داراً وأدعى اليوم بالمراكشـــي
على أن اشتياقي نحو زيــــد كشوقي نحو عمرو بالســوي
تقسمني الهوى غرباً وشرقـــاً فيالَلْمشرقي المغربـــي
فلي قلب بأرض الشرق عــانٍ وجسم حلٌ بالغرب القصـــيٌّ
فهذا بالغدو يهيمُ غربـــا وذاك يهيم شرقاً بالعشـــي
ولولا الله متُّ هوى وشوقـــاً وكم لله من لطف خفـــيٌّ

قال في (عنوان الدراية) عند ذكر الشريفة عائشة في ترجمة والدها أبى الطاهر عمارة بن يحيى ابن عمارة ما نصه : ومن شعر الشريفة عائشة رحمها الله .

أخذوا قلبي وســـــاروا واشتياقي أودعونـــــي
لا هَنَا إن لم يعـــــودوا فاعذروني أو دعونـــــي

ويقال إنها بعثت بهما الى ابن الفكون شاعر وقته ، وقالت عارضْهما أو زد عليهمـا ، فكتب لهـا معتذراً عن الجـواب أن الاقتصار عليهما هـو الصـواب (2) .

وذكر في (نفح الطيب) حفيده عالم قسنطينة وصالحها وكبيرهـا

1) هو الشاعر المشهور ذو الرمة ومية صاحبته .

2) **عنون الدراية** ص 48 طبع بيروت .

ومفتيها سلالة الأكابر ، ووارث المجد كابراً عن كابر ، المؤلف العلامة سيدي عبد الكريم الفكون عالم المغرب الأوسط غير مدافع ، المائل للتصوف (1) .

وقال في (عنوان الدراية) : كان المترجم الحسن ابن الفكون من الأدباء الذين تستظرف أخبارهم ، وتروق أشعارهم ، غزير النظم والنثر ، وكأنهما أنوار الزهر ، رحل الى مراكش وامتدح خليفة بني عبد المومن ، وكانت جائزته عنده من أحسن الجوائز ، وله رحلة نظمها في سفرته من قسنطينة الى مراكش ، ووافق في مقامه بمراكش طلوع الخليفة لزيارة قبر الامام المهدي رضي الله عنه فنظم في ذلك (2) ، وله ديوان شعر وهو موجود في أيدى الناس ومحبوب عندهم ، وهو من الفضلاء النبهاء ، وكان رفيع المقدار ، وممن له الحظوة والاعتبار ، وكان الأدب له من باب الزينة والكمال ، ولم يكن يحترف به لاقامة أود أو لاصلاح حال ، وأصله من قسنطينة من ذوي بيوتاتها ، ومن كريم أروماتها ، وتواشيحه مستحسنة ، ومن مليح شعره :

دع العراق وبغداداً وشامَهُمُ ... فالناصرية ما إن مثلها بلد
بر وبحر وموج للعيون به ... مسارح بأن عنها الهمُّ والنكَد
حيث الهوى والهواء الطلقُ مجتمع ... حيث الغنا والمنى والعيشة الرغد
والنهر كالصل والجنات مشرفة ... والنهر والبحر كالمرءاة وهو يد
فحيثما نظرت راقت وكل نوا ... حي الدار للفكر والأبصار تتقد
إن تنظر البرّ فالأزهار يانعة ... أو تنظر البحر فالأمواجُ تطرد
ياطالباً وصفها ان كنت ذا نصف ... قل جنة الخلد فيها الأهل والولد

والناصرية هي بجاية واشتهرت بالناصرية في ذلك العصر نسبة الى مجددها .

1) نفح الطيب 2 : 480 وترجمة عبد الكريم الفكون توجد فى صفوة من انتشر ؛ ورحلة العياشى ؛ واليواقيت الثمينة 1 : 232 .

2) ربما كانت هى القصيدة التى أوردها عبد الواحد المراكشى غير منسوبة فى كتابه المعجب .

ثم قال : ومن نظمه رحمه الله تعالى هذه القصيدة القافية والقطعة الميمية التى ذكر بعدها ، نظمها في بعض سادات بني عبد المومن رحمهم الله تعالى ، قال في سياق ذكره وقد ذكروا جمال قصر الربيع :

عشونا إلى نار الربيع وإنمـــا عشونا الى نار الندى والمحلــق
ركبنا بواديه جيــــاد زوارق نزلنا اليها عن ضوامر سبـــق
وخضنا حشاه والأصيل كأنـــه بصفحته يبدو مروق زنبـــق
وسيدنا قد سار فيه كأنــــه بزورقه إنسان مقلــــة أزرق
فقلت وطرفي يجتلى كل عبــرة وزورقه يهوي به ثم يرتقــــي
أياعجباً للبحر عبٌ عبابــــه تجمع حتى صار في بطــن زورق
ولما نزلنا ساحة القصر راعنـــا بكل جمال مبهج الطرف مونــق
فما شئت من ظل وريف وجـدول وروض متى تلمم به الريحُ يعبــق
وشادٍ مغاني الحسن في نغماتـه يجاوبه شدوُ الحمام المطــوق
فياحسن ذاك القصر لا زال آهـلا وياطيب ريا نشره المتنشـّــق
رتعنا به في روضة الأنس بعد مـا هصرنا به غصن المسرة مــورق
ويضحكنا طول الوصال وربمـــا يمر على الأوهام ذكر التفــرق
فتضحي مصونات الدموع مدالـة ونحن على طرف من الدهر أبلـق
لمثلهما من منزه ونزاهــــة يجرر ذيلَ الدل كل موفـــق
فلله ساعات مضين سوانـــح عليهن من زي الصبا أي رونــق
خلعنا عليها النسك إلا أقلـّــة وان عاودت نخلع عليها الذى بقي !

ولما نضب ماء الأصيل ، ورق نسيمه العليل ، وهم العشي بانصرام ، ووداع النهار بسلام ، وأرخى الليل فوقنا سدوله ، وجرد على الأفق ذيوله ، عدنا الى زورقنا ذلك ومحيا الجو غير محتجب ، ووجه الأفق غير متلفع بثوب الغمام ولا منتقب ، وقد تشكلت الكواكب في الماء ، فكأنما يجري بنا زورقنا في السماء ، فأمروا أعزهم الله بوصف تلك الحالة ، فبادرتهم بهذه العجالة :

وليل مسرة ما زلت منهــــا أمرُّ على صراط مستقيـــــم
لبست ثيابه عزاً الــــى أن تحدرت الرجوم من النجـــوم

بنهر كالسجنجل قد تـــــراءت — على شطيه جنات النعيـــم
يسر النفس في نظر وشـــم — من المرأى الوسيم أو النسيـــم
تشكلت الكواكب فيه حتـــى — جرت في قعره شهب الرجـــوم
وأشكل منظراً علواً وسفـــلا — من الفلك الأثير الى التخـــوم
فما تمتاز أرض من سمـــاء — وحوت الماء من حوت النجوم (1)

394) الحسن بن عبد الرحيم المرادي

الحسن بن عبد الرحيم بن محمد بن علي بن عبد الرحمان البكرى المراكشي ثم الدمشقي ، بدر الدين بن النجم سبط الشيخ أبي شامة ، ولد في جمادى الأخيرة سنة 660 ، وكان جندياً وسمع من ابن عبد الدائم مشيخته تخريج ابن الظاهري ومن ابن أبى اليسر وجماعة ، وأجاز له عبد الكريم بن عبد الصمد الخرستاني وعبد الله بن أحمد بن طعّان وغيرهما وحدث .

ومات في 28 ربيع الأول سنة 722 .

ذكره في الدرر الكامنة (2).

395) حسن بن قاسم ابن أم قاسم المرادي

حسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المرادي المراكشي ، الامام العالم النحرير بدر الدين المالكي الشهير بابن أم قاسم لامرأة تبنته تدعى أم قاسم ، كـانت من بيت السلطان ، كـان اماماً في العربية ، شرح ألفية ابـن مالك والتسهيل وغيرهما ، وصنف كتاباً في معانى الحروف نظماً وشرحه ، ورأيت بخط العلامة شهاب الدين الأبذى ما صورته ، قال محمد بن أحمد بن حيدرة الأنصاري معرفاً للشيخ المرادي انه شـرح الجزولية والكافية والشافيـة والتسهيل والفصول لابن معطي والحاجبية النحوية والعروضية والشاطبية ، وكان عارفاً بالفقه المالكي والأصول ، وله كرامات كثيرة ، منها أنـه رأى

---

1) عنوان الدراية ص 334 ع 103 .

2) الدرر الكامنة 2 : 100 ع 1514 .

النبي (ص) في النوم فقال له : ياحسن اجلس انفع الناس بمكان المحراب بجامع مصر العتيق بجوار المصحف ، انتهى .

وقد ذكره العفيف المطري في ذيل طبقات القراء فقال المصري المولد الأسفي المحتد ، اللغوي الفقيه البارع بدر الدين المعروف بابن أم قاسم ، وهي جدته أم أبيه واسمها زهراء ، وكانت أولَ ما جاء تمن الغرب عرفت بالشيخة ، وكانت شهرته تابعة لشهرتها .

وقال أخذ العربية عن أبي عبد الله الطنجي ، والسراج الدمنهوري ، وأبي زكرياء الغماري ، وأبي حيان ، والفقه عن الشرف المغيلي ، والأصول عن الشيخ شمس الدين ابن اللبان ، وأتقن العربية والقراءات على المجد اسماعيل الشستري ، وصنف وتفنن وأجاد ، وذكر من مصنفاته غير ما تقدم شرح المفصل وسمى كتابه في حروف المعاني بالجنى الداني ، وذكر أن وفاته يوم عيد الفطر سنة 749 ، وقد رايت بخطي ولا أدري من أين نقلته وكانت وفاته سنة 755 فالله أعلم .

انتهى من الدرر الكامنة (1) .

وذكر أبو الخير محمد بن محمد الجزار المتوفي سنة 833 في (غاية النهاية) في طبقات القراء في ترجمة المترجم : وله تفسير القرآن في عشر مجلدات أتى فيه بالفوائد الكثيرة ، وإعراب القرآن ، وأفرد باب وقف حمزة في مصنف ، وذكر فيه احتمالات أكثرها لا يصح ، ثم ذكر بعد تاريخ وفاته ودفن بسر ياقوس .

وذكره في (حسن المحاضرة) في أئمة النحو واللغة الذين كانوا بمصر (2) .

---

1) الدرر الكامنة 2 : 116 ع 1546 .

2) المترجم ليس مغربياً وان كان أصله من أسفى أو مراكش ؛ فلست أدرى لماذا ذكره المؤلف وهو ليس من شرطه ؛ المجرد انتمائه الى أصل مراكشى ؟

396) **الحسن بن عمر الفودودي** الوزير ، كانت بينه وبين ولي العهد أبي زيان محمد بن السلطان أبي عنان نفرة مستحكمة لما بلوا من سوء طويته وشر ملكته، فاتفق الوزير المذكور مع مَن كان على رأيه من أهل مجلس السلطان على تحويل الأمر عنه إلى غيره من أبناء السلطان، فأجمعوا أمرهم على الفتك به والبيعة لأخيه أبي بكر السعيد طفلا خماسياً ثم أغروا الوزير مسعود بن عبد الرحمان ابن ماساي بتطلب أبي زيان ولي العهد في نواحي القصر والتقبض عليه ، فدخل اليه وتلطف في إخراجه من بين الحرم وقاده الى أخيه السعيد فبايع ، وتل إلى بعض حجر القصر فأتلفت فيها مهجته ، واستقلّ الحسن ابن عمر بالأمر يوم الأربعاء الرابع والعشرين من ذي الحجة من سنة 759 والسلطان أبو عنان أثناء ذلك يجود بنفسه ، وارتقت الناس دفنه يوم الخميس والجمعة بعده فلم يدفن ، فارتابوا وفشا الكلام ، فدخل الوزير — زعموا — إليه بمكانه من قصره ثم غطه حتى أتلفه ودفن يوم السبت ، وحجَب الحسن بن عمر الولد السعيد المنصوب للأمر ، وأغلق عليه بابه وتفرد بالأمر والنهي دونه ، وهذا أول مرض نزل بالدولة المرينية (1) .

وقال في (الجذوة) : توفي السلطان أبو عنان قتيلا خنقه وزيره الحسن بن عمر الفودودي يوم السبت الثامن والعشرين من ذي الحجة سنة تسع وخمسين وسبعمئة وسنه يوم توفي ثلاثون سنة ، ثم إن أخاه السلطان ابراهيم المريني لما استولى على ملك فاس والمغرب عقد للحسن بن عمر على مراكش ووجهه إليها تخففا منه وريبة بمكانه من الدولة ، فاستقر بها وتأثلت له بها رياسة نفسَها عليه أهل مجلس السلطان وسعوا فيه عنده حتى تنكر له وأظلم الجو بينهما ، وأحسّ الحسن بن عمر بذلك فخشي على نفسه وخرج من مراكش في صفر سنة إحدى وستين وسبعمئة فلحق بتادلة منحرفا عن السلطان ومرتكبا للخلاف ، فتلقاه بنو جابر من عرب جشم وأجاروه واعصوصبوا عليه ، فسرح اليه السلطان ابراهيم وزيره الحسن بن يوسف الورتادي فاحتل بتادلة وانسحب الحسن بن عمر الى الجبل بها فاعتصم به ومعه كبير بني جابر، الحسين بن علي

---

1) تاريخ ابن خلدون 7 : 621 طبع بيروت .

الورديغي ، فأحاطت به العساكر وأخذوا بمخنقهم ، وداخل الوزير بعض أهل الجبل من برابرة صناكة في الثورة بهم وسرب اليهم المال ، فثاروا به وانفضّ جمعهم ، وتقبضوا على الحسن بن عمر وقادوه برمته الى الحسن بن يوسف فاعتقله وانفكأ راجعاً به إلى الحضرة فدخلها في يوم مشهود ، أركب السلطان فيه الجند وجلس ببرج الذهب مقعده من ساحة البلد ، وحمل الحسن بن عمر على جمل فطيف به بين تلك الجموع ، ولما قرب من مجلس السلطان أومأ إلى تقبيل الأرض من فوق جمله ، ثم ركب السلطان إلى قصره وانفضّ الجمع وقد شهر الحسن بن عمر وأصحابه فصاروا عبرة لمن اعتبر ، ولما دخل السلطان قصره جلس على كرسيه واستدعى خاصته وجلساءه وأحضر الحسن بن عمر فوبخه وقرر عليه ذنوبه فتلوى بالمعاذير وفزع إلى الانكار .

قال ابن خلدون وحضرت هذا المجلس يومئذ فيمن حضره من العلية والخاصة ، فكان مقاماً تسيل فيه العيون رحمة وعبرة ، ثم أمر به السلطان فسحب على وجهه ونتفت لحيته وضرب بالعصيّ وتل إلى محبسه ثم قتل بعد ليالي قصعاً بالرماح خارج البلد ، وصلب شلوه بباب المحروق رحمه الله (1) .

397) **حسن بن علي المراكشي** ، الشيخ الامام الأوحد مؤلف (جامع المبادىء والغايات ، في علم الميقات) وهو أعظم ما صنف في هذا الفن ، أوله أما بعد حمد الله والصلاة على محمد ذكر أنه رتبه على أربعة فنون ، الأول في الحساب وهو يشتمل على سبعة وثمانين فصلا ، والثاني في وضع الآلات وهو يشتمل على سبعة اقسام ، الثالث في العمل بالآلات ، وهو مشتمل على خمسة عشر باباً ، الرابع في مطارحات يحصل بها الدربة والقوة على الاستنباط وهو يشتمل على أربعة أبواب في كل منها مسائل على طريق الجبر والمقابلة .

ذكره في (كشف الظنون) في حرف الجيم ، وقال في حرف الألف ءالات التقويم لأبي علي المراكشي .

---

1) تاريخ ابن خلدون 7 : 642 .

وقد طبع نصفه المترجم الى اللغة الفرنسية في مجلدين ، وهـو بالمكتبة الرباطية ، ولم نقف على نسخة منه تامة بالمغرب بعد البحث عنه ، وهو موجود بالمكتبة الوطنية بمصر .

وقال في (صبح الأعشي) عند الأصل الخامس : علم الهيأة وفيه خمسة علوم ، الأول علم الزيجات ، والثاني علم المواقيت ما نصه : ومـن المبسوطة (جامع المبادىء والغايات) لأبي علي المراكشي ، الثالث ، علم كيفية الأرصاد ، الرابع علم تسطيح الكرة ، ثم قال ومن الكتب المحدثة فيه : آلات التقويم للمراكشي .

انتهى من صحيفة 477 من ج 1 .

وقال في (معجم المطبوعات) صحيفة 1725 ما نصه : المراكشي أبو علي أو أبو الحسن علي بـن عمر المراكشي نبغ سنة 627 جامـع المبادىء والغايات في علم الميقات ومعه ترجمة فرنسية ، وفيه 38 لوحة مرسومة ، جزء في پاريس 1834/5 ص 630 ، وذكر في الحاشية بالفرنسية مـا ترجمته : وقال المؤرخ سيديو في (خلاصة تاريخ العرب) ما نصه : وأبو الحسن الذى جاب فـي أول القرن الثالث عشر من البلاد جزيرة اسپانيا وجزءاً من شمال افريقية ، وحدد ارتفاع القطب الشمالي في احدى وأربعين مدينة ، أولهـا افرانة على الساحل الغربي من بلاد المغرب وأخرها القاهرة وألف كتابـه البدايات والنهايات .

وذكر في هامش المحاضرات السنيور كرلو نلينو في علم الفلك بعد أن ذكر المترجم بأبي علي الحسن المراكشي صفحة 42 منها ما نصه : المتوفي سنة 660 هـ (1262 م على التقريب) ، وفي بعض النسخ وفي النقل الفرنسي أسمه أبو الحسن علي فهو غلط ، وهو أول من ذكر السوائع المتساوية التى لم يستعملها اليونان ، فقد كان الأقدمون يقسمون كل نهار وليلة الى اثني عشر قسماً ، وكانت هذه الأقسام تختلف قِصَراً وطولا بحسب الفصول ، وذلك ما يسمى بالسوائع الوقتية بالنسبة لما اصطلح عليه من السوائـع

المتساوية ، وقد احتفظ المعاصرون بهذه السوائع الأخيرة ، ويظهر أن الفضل في ذلك يرجع إلى أبي الحسن علي نفسه ، نبه عليه مسيو بيكوردان عضو معهد التنجيم بباريس في كتابه (علم التنجيم) .

398) **حسن الشوشاوي** ، الفقيه الأصولي له شرح على تنقيح الامام القرافي ، ذكره في (كشف الظنون) .

399) **الحسن بن محمد الوزان الفاسي**

الحسن بن محمد القرطبي المعروف بالأسد الأفريقي ، ساح فى إفريقية وبعض آسيا في القرن العاشر ، وعمل فى ذلك رحلة دون فيها ما شاهده ، وقال بعضهم حسن بن محمد الوزان الغرناطي ، ثم الفاسي الشهير في أوريا بجان ليون ، قرأ بفاس بعد أن سكنها ، كان ركب البحر فأسره الطليان وذهبوا به لسلطانهم ، وهو الذى أسس تعليم العربية برومة ، وكان يحسن اللسانين الطالياني والصبانيولي ، ورحلته هذه باللسان الأعجمي في ثلاثة أجزاء ضخام ، طبعها المؤرخ شفير الفرنسي في پاريس عام 1895 م ، وعلق بهامشها فوائد وتنبيهات من كلام مرمول في تاريخ أفريقية له ، وبكلام غيره (1) . وسياتى فيمن اسمه محمد ولد المترجم محمد بن الحسن الوزان .

400) **الحسن بن علي بن ابراهيم الدرعي** ، الولي الصالح الزاهد الورع ، كان رضي الله عنه من المكثرين للصلاة على النبي (ص) آناء الليل وأطراف النهار ، مشغول الفكرة بها مدة ثلاثة وسبعين عاماً ، كثير الاجتماع به (ص) في المنام ، أخذ عن سيدي علي بن ابراهيم وأبي عمر الفيلالي المعروف بالعناية وغيرهما ، وكثيراً ما يجرى على لسانه (قل الله ، ثم ذرهم في خوضهم يلعبــون) .

توفي رحمه الله يوم عرفة سنة تسع وسبعين وتسعمئة ، ودفن بصحن ضريح الامام الجزولي بازاء قبة الامام البقوري ، وقبره مزدج في حائطه رخامة وفاته وترجمته .

---

1) قصر المؤلف تقصيراً مخلا فى التعريف بهذا النابغة المغربى العظيم المولود سنة 1496 م (915 هـ) ؛ ينظر عنه **حياة الوزان الفاسى وآثاره** تاليف محمد المهدى الحجوى .

401) **الحسن بن سعيد الشريف الحسني** ، الشيخ الفاضل ، العالم العامل ، المتعلق بالفواضل والفضائل ، أخذ عنه سيدي محمد الكامل بن الشيخ أبي عمرو المراكشي صغرى السنوسي .

ذكره في شمس المعرفة .

402) **الحسن المداح** ، سأل الله تعالى أن يريه صاحب وقته متوسلا بالشيخ أبي يعزى ، فدُلَّ على سيدى أبى عمرو المراكشي ، فلازمه نحواً من ثلاثين سنة حتى ادعى بعده الكبرى ، وله كلام في الحقيقة نظماً ونثراً كغيره من خاصة الأصحاب .

ذكره الزروالي .

403) **الحسن السريفي** تلميذ الشيخ علي بن عثمان اليروتني ، وفي (الدوحة) أعجوبة اتفقت له مع تلميذه الحسن السريفي المذكور أخذ عنه وأقام في خدمته مدة من السنين الى أن اشتهر حاله وانتشر صيته وكثر أتباعه، وانتقل إلى موضع يقال له أبو نين ؟ فعمر سوقه وشاع في المغرب خبره ، وظهرت على يده كرامات لا تحصى ، فرأى أنه أبلغ من شيخه وأنف من الانتساب اليه ، وذهب الى مراكش مع تلامذته للأخذ عن شيخ شيخه سيدي أبي محمد الغزواني ، فلقيه وانتسب اليه وترك النسبة الى شيخه اليروتني ، ولما رجع من الزيارة أقام الشيخ اليروتني مدة ينتظر زيارته له فلم ياته ، فقال لأصحابه اعزموا على السفر إلى زيارة الشيخ عبد السلام ابن مشيش بجبل العلم،ويكون جوازنا على صاحبنا السريفي،فلما جاوزوا عليه نزل الشيخ اليروتنى بالمسجد الأعلا من مساجد المدشر وبعث إليه فلم يأته وبعث إليه بالطعام ، فقال الشيخ اليروتني لأصحابه قوموا بنا ولا تاكلوا شيئاً من هذا الطعام ، إنما جئنا للأمانة التي كانت لنا هاهنا وقد حملناها فانصرفوا ، ثم رأى السريفي فيما يرى النائم أن قمراً خرج من صدره وصعد الى السماء وكان ذلك بسبب سلب الحكمة عنه ، فما اجتمع اليه بعدها اثنان ، وبقي على ذلك الى أن مات ، ولما بلغ ذلك الشيخ سيدي محمد الغزواني قال ذلك جزاء من يكفُر باحسان صاحبه (1) .

---

1) دوحة الناشر ص 28 .

404) **الحسن بن أحمد المسفيوي المراكشي**، الفقيه الكاتب المحقق البليغ البارع (1) ، وقد لقي المترجم أحمد ابن القاضي وأنشد عنه في كتابه (المنتقى المقصور) ، وقال في (النفح) : وما أنشدينه بعد العصريين من المغاربة لصاحبنا المذكور الفقيه الكاتب المحقق الحسن بن أحمد المسفيوي المراكشي أحد مشاهير الكُتاب بباب أمير المومنين المنصور بالله أحمد الشريف الحسني ملك المغرب صب الله تعالى على الجميع أمطار الرضوان مما كُتب في بعض مباني صاحبنا الوزير العلامة الأجل سيدي عبد العزيز الفشتالي رحمه الله تعالى وهو :

أجل المعلّى من قداح سروري — وأدر كؤوس الأنس دون شرور
خلعت على عطف البهاء محاسني — فكست بها الآفاق ثوب حبور
وتناسق الوشيُ المفوف حلتي — نسق الشذور على نحور الحور
شأو القصور قصورها عن رتبة — لي بالسنا المدود والمقصور
في المبتنى المراكشي وأفقه — أزرى علي الزوراء والخابور
أعلا مقامي البارع الأسما الذى — قد حاز سبق النظم والمنثور
فاذاً أقل بنانه اقلامَه — نفثت عقود السحر بين سطور
عبد العزيز أخو الجلالة كاتب — سر الخليفة أحمد المنصور
لازال في يمن وأمن ما شدت — ورق بروض بالندى ممطور

وبعضه كتبتُه بالمعنى من لفظي لطول العهد ، انتهى (2) .

ونقلها من النفح أيضاً في (النزهة) ، وقال بعد إيرادها ما نصه : وقد ذكر في (نفح الطيب) مراسلة كتب بها إليه فراجعها .

---

1) اورد المؤلف بعد هذا عبارة (جذوة الاقتباس) المتعلقة بانشاد المترجم لاحدى موشحات السلطان أحمد المنصور الذهبي ؛ وهي عبارة عامية توهم أن الموشحة للحسن المسفيوى مع أنه انما انشدها رواية عن سلطانه ؛ ومن الثابت الصحيح أن الموشحة هو للمنصور لا للمسفيوى ؛ والمؤلف نفسه أوردها في ترجمة المنصور من هذا الكتاب (ج 2 ص 252 ع 217) ؛ فلم نر داعياً لاثبات الموشحة من جديد رغم حرصنا الشديد على عدم التصرف في نص الكتاب بزيادة ولا نقص ؛ وذلك تجنيباً للباحثين والدارسين من الوقوع في أخطاء وقع فيها المؤلف أو من ينقل عنهم .

2) **نفح الطيب** 6 : 49 طبع بيروت .

وكانت وفاته يعنى الحسن المترجم رحمه الله سنة اثنتين وثلاثين والف حسبما ذكره صاحبنا فى (الأعلام) . وإلى تاريخ وفاته أشار الأديب الكاتب محمد بن أحمد المكلاتي فى لاميته فى الوفيات فقال :

يد الدهر أمست وهي شلاً لصاحب … به جيد هذا الدهر غير معطل

وما في ص 76 من الجزء الثالث من (الاستقصا) من تكنيته بأبى الحسن وتسميته علي بن أحمد سبق قلم (1) .

405) **الحسن الشريف** صاحب الأحوال بمراكش .

توفي سنة سبع وستين وألف .

ذكره فى (تذكرة المحسنين) .

406) **الحسن بن علي السملالي** ابن الولي الصالح سيدى أحمد بن موسى السملالي ، العبد الصالح ، كان رحمه الله عالماً عاملا من البُلْه في أمور الدنيا مع قوة إدراكه فى العلوم ، أخذ عن سيدى عبد الله بن يعقوب ، وسيدى علي بن أحمد الرسموكي ، وأخيه الحافظ سيدى محمد بن علي وغيرهم ، وكان يدرس التفسير بجامع الحرة ، وكان من شدة ورعه ينقل كلام المفسرين فيقول قال ابن عطية ما نصه : فسيرده بلفظه ، ثم إذا فرغ منه يقول انتهى بلفظه ، وقال فلان وهكذا كل ذلك من تحريه فى النقل ، ولم أسمع بهذا الورع من غيره ، وكان رحمه الله معظماً عند السلاطين مقبول الشفاعة عندهم غير متصنع فى الكلام لهم ، ولذلك يُحكَى أن السلطان الرشيد (بن الشريف العلوي) رحمه الله سأل عنه حيث كان بمراكش وقال ما له لا ياتينا مع العلماء ؟ فقيل له إنه رجل مغفل لا يتصنع ولا يعرف من المباشرة ما يعرفه أبناء جنسه ، وإن أردت حقيقة ذلك فاسأله عن أل الموصولة هل تدخل على الفعل المضارع فانه يقول لك لا محالة تدخل ، وينشد قول الفرزدق :

---

1) ولد المترجم سنة 968 هـ ينظر عنه **روضة الآس** ص 163 **ونفح الطيب** 6 : 49 **ودرة الحجال** 1 : 240 ع 357 طبع تونس .

ما أنت بالحكم الترضى حكومته ! بتاء الخطاب ، فبعث له فكان رده كما أخبر به عنه ، فعلم بصحة ما قيل فيه .

توفي رحمه الله فى عشرة الثمانين والف ، ودفن بحاحة ، ثم نقل لمراكش فدفن داخلها قريباً من جامع الحرة ، وبنيت عليه قبة .
ترجمته فى (الصفوة) و (طبقات الحضيكي) وذكر فى (المرقي) عند ذكر تلامذة سيدى محمد الشرقّي (1) .

وسياتى ذكره فى الترجمة التى بعده وهي :

407) **الحسن بن علي الهلالي الهشتوكي** كان رحمه الله مجتهداً فى التعليم والتعلم، وحفظ كتبه كلها عن ظهر قلب، خليلا، وجمع الجوامع، وتلخيص المفتاح، والكبرى ، ومختصر السنوسي فى المنطق ، حفظاً جيداً ، وكابد فى ذلك مشقة عظيمة إلى أن نال من ذلك حاجته وبلغ مراده ، له معرفة جيدة لمختصر الشيخ خليل يقرره تقريراً عجيباً ، وكان فيه محرراً لبيباً ، وله معرفة بغيره من العلوم ، وقد تصدر لقراءته بالزاوية البكرية بالجامع الكبير ، فقرأه قراءة بحث وتحرير وتدقيق ، أخذه عن شيوخ جلة منهم القاضى ابن سعيد المجلدي ، ورحل لفاس فأخذ عن شيوخه كسيدى أحمد بن الحبيب الأبار والشيخ ابن سودة وسيدى ميارة ، وأخذ الأصول عن سيدى عبد القادر الفاسي ، وأخذ قبل على علماء بلده سوس برودانة ، ثم منها إلى مراكش فأخذ عن علمائهـا كالشيخ سعيد الهوزالي ، والشيخ المزوار ، وعيسى السجتاني ، والرحالة أبى بكر بن يوسف وغيرهم ، وتولى القضاء بمدينة مراكش ، وتوفي بها بالوباء الواقع آخر العشرة العاشرة من المئة بعد الألف ، وأخذ عن الامام اليوسى أيضاً ، وأخذ عنه صاحب قرى العجلان فترجمه فيه وترجمه الحضيكي فى طبقاته نقلا عنه(2) ، ونقل عنه عالم مراكش أحمد بن سليمان الرسموكي فى كتابه (معونة الاخوان ، على مسألة أولاد الأعيان) جواباً له وحلاه بالقاضى العلامة الهمام

---

1) صفوة من انتشر ص 203 وطبقات الحضيكى 1 : 186 .
2) طبقات الحضيكى 1 : 181 .

شيخ بعض شيوخنا سيدى الحسن بن علي الهلالي ، ونص السؤال مع جوابه :
الحمد لله إذا انقرض مَن رجع إليه الوقف من البنات والأخوات هل يرجع لمَن هو أحقُ بميراثهن من الأولاد والاخوان أو ينتقل لعصبة المحبس بعدهن ؟
الحمد لله ، وعليك السلام أيها المحب ، إذا علمت أن الملك للواقف وأن الحكم في استحقاق الانتفاع به شدة القرب من المحبس والفقر ، وأن مفهوم المرجع شرعاً مقول على موارده بالتواطىء وأن صدقه في البنات من حيث وجود هذا الوصف في كل من يدلي به ، وإذا اعتبرته فيمَن هو أولى بميراث البنات ووجد فيه كان استحقاقه حينئذ من حيث وجد فيه هذا الوصف كما كان موجوداً في البنات حيث أنه أولى بميراث البنات ، كما أنه لا استحقاق للبنات من حث أنهن بنات ، والحاصل أنك إذا اعتبرت الوصف المعتبر شرعاً في كل من يدلي بالمرجعية من أقارب المحبس طرداً وعكساً زالت عنك الحيرة في ذلك ، والله المسدد .

انتهى جوابه المفيد العجيب ، أسكنه الله في أعلا الجنان مع الحبيب .

ووقفت على نسخة رسم مؤرخة عام 1107 سجلت على قاضي مراكش محمد بن بركة من رسم مؤرخ عام 1082 ذكر فيه أمر السلطان مولانا الرشيد قاضي القضاة بحمراء مراكش قاضيها ومفتيها وخطيبها ومدرسها الحسن بن علي الهلالي أن ينصب للشرفاء نقيباً وممن شهد في هذا الرسم محمد بن ابراهيم الهشتوكي ومحمد بن سعيد المرغتي وسعيد بن ابراهيم الهوزالي والأستاذ الواعظ سيدى أحمد بن الحاج الآكاسي ، والفقيه النبيل السيد يحيى بن داوود الهشتوكي ، والجامع بين الشريعة والحقيقة سيدى الحسن بن علي ، والمرابط الخير الفقيه الحسيب السيد الوافي ابن الولي الصالح السيد إبراهيم بن أحمد ، وسيدى أحمد بن العلامة سيدى محمد المرابط الرجراجي عرف بهم وأنه من أهل العدالة إلى أن ماتوا عدى الأخير ، والتعريف به مؤرخ في 23 شعبان عام 1107 ، والمعرفان : محمد بن أحمد المريني وسعيد .

انتهى ما أمكنني نقله من هذه النسخة لتقطع بعضها ، وذكر في هذه النسخة الشريف الجليل مولاي عبد الرحمان بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمان بن ادريس العبد السلامي .

408) **الحسن بن إبراهيم البعقيلي** القاطن بتناغملت بعد انتقاله من مراكش المحروسة ، زاره عبد الله محمد السحاقى وحلاه بالعالم العلامة التقي الزاهد الفاضل المبارك واستفاد منه وهو الذى أمره بانتساخ تفسير ابن جزي بعدما شاوره على انتساخ تفسير الواحدي وقال له ان ابن جزي أحسن منه بهذه المقدمة التى قدمها أول كتابه لولاها لتساويا ، فامتثل أمره ، وقال له إن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن رد خمسة أشياء : التمر ، واللبن ، والفرش ، واللحم ، والطيب ، وقد جمعها فى بيت وهي هذه :

عن رد خمس قد نهي النبي الحبيب　　تمـر ولبـن وفـرش لحـم طيب

وكان رضي الله عنه ذا إنصاف مع سلامة صدر هيناً ليناً مهما سئل عن شيء من الأشياء التى لم يعلم تأويلها يقول للسائل لا أدري لعلم علـم اندرس ، واستوطن بتناغملت فى آخر عمره إلى قرب وفاته ، وانتقل بنفسه فقط دون عياله لبوحم بسبب اشتراطه على العلامة سيدى أحمد الهوزالي ومات فى تلك السنة هنالك ، رحمة الله عليه وقبره مشهور هناك .

409) **الحسن بن مسعود اليوسي**

الحسن بن مسعود بن محمد بن علي بن يوسف بن أحمد بن إبراهيم بن محمد بن أحمد بن علي بن عمرو بن يوسف وهو أبو القبيلة ، بن داوود بن يدراسن بن يلنتن اليوسي ذكره المترجم فى محاضراته (1) الشيخ الامام ، علم الأعلام ، شيخ الاسلام ، ءاخر علماء المغرب على الاطلاق ، ومَن وقع على علمه وصلاحه الاجماع والاتفاق .

ولد رحمه الله عام أربعين وألف كما فى (النشر) ، وقال فى (الصفوة) نسبة إلى بني يوسي قبيلة فى عداد برابر ملوية ، وأصله اليوسفي نسبة إلى يوسف جدهم ، إلا أنهم يسقطون الفاء من يوسف كما هي لغة أهـل تلك النواحي ، وقد ذكر فى فهرسته أولية أمره فقال كنت فى صغري نفوراً من

1) **المحاضرات** ص 10 .

التعليم ، فكنت أتنكَّبُ المكتب وأكمن فى طريق الصبيان حتى إذا خرجوا من المكتب جئت معهم إلى أهلي كأنى قد قرأت معهم ، وسبب ذلك أنى كنت شديدَ الحياء فى صغري حتى كان الحياء يمنعني من ضروريات نفسي ، لأنه ألقي فى وهمي أنه مَن دخل المكتب ، كيف يتأتَّى له أن يخرج لقضاء حاجة الانسان ، وكيف يمكنه أن يذكر ذلك ويشاور عليه المؤدب ، فلم يمكنني إلا الهروب ، فمكثت على ذلك مدة ، ثم تُوفيتْ والدتي فتنكرت عليَّ الأرضُ وأهلهـا :

فما الناس كالناس الّذين عهدتهم ولا الدار كالدار التى كنت تعرف

وكان ذلك سبب الفتح ، فألقى الله فى قلبى قبول التعليم ، فدخلت أتعلم ، ولم ألبث إلا قليلا حتى جعلت أطلب من والدي أن يُقربنى إلى الأمصار طلباً للقراءة ، فقربني لناحية القبلة فختمت القرآن العظيم ، ثم رجعت لبلادنا فذهبت لزيارة الولي الصالح سيدى أبى يعزى وقد وقع فى سمعي أن الناس يطلبون الحوائج عنده ، فحضر فى قلبى ثلاث حاجات : العلم ، والمال ، والحج ، وذلك مبلغ عقلي فى صغري ، فحصل ذلك والحمد لله ، وكان معلمي للقراءة هو أبو إسحاق بن يوسف اليوسي ، واستفدت منه فوائد ، وكان عنده مجموع فيه المورد العذب ، وبحر الدموع للامام ابن الجوزي ، فكنت آخذه أنظر فيه حكايات الصالحين كأويس القرني ، وإبراهيم بن أدهم ، وإبراهيم الخواص ، وغيرهم ، فانتشرت تلك المآثر فى عقلي ووقعت حلاوتها فى قلبي ، فكان بدءاً لما أنعم الله به علي من الايمان بالطريقة ومحبة أهلها والتسليم لهم ، ثم شرعت فى طلب العلم إلى أن فتح الله علي بما فيه فتح ، وكانت قراءتي كلها أو جلها فتحاً ربانياً ، ورزقت ولله الحمد قريحة وقادة وفطنة ذكية ، فكنت بأدنَى سماع وأدنَى أخذ ينفعني الله ، فقد أسمع بعض الكتاب ويفتح الله علي فى جميعه فتحاً ظاهراً وأبلغ فيه ما لا يبلغه من سمعته منه ، ورب كتاب لم أسمعه أصلا غير أن سماع البعض فى كل فن فكان بدوا للفتح وتتميماً لحكمة الله في سنة الأخذ عن المشايخ ولا تستوحش مما ذكرناه من قلة سماع الكتب والفنون ظناً منك أن الربح يكون أبداً على قدر رأس المال ، كلا فقد يبلغ الدرهم ألف مثقال ، وما ذاك على الله بعزيز .

انتهى من الفهرسة باختصار وزيادة ونقص .

وقال في (المحاضرات) إني أرجو أن أكون إن شاء الله رؤيا والدي ودعوة أستاذي ، أما رؤيا والدي فانه قال رأيت عينيْ ماء إحداهما لي والأخرى لعلي بن عثمان والد ابن عمنا أبي عثمان بن علي اليوسي المتقدم ، والتي هي لي أقوى ماء وأكثر فيضاً إلا أنها خرجت لناحية أخرى ، ففسَّر ذلك بمولودين ينتفع بهما ، فولد لعلي ابن عثمان عثمان فانتفع ونفع حسبما تقدم ، وظهر أنه العين المذكورة لأبيه ، وولدتُ أنا وقد اتفق خروجي عن البلد كما قال ، وأما دعوة أستاذي وهو شيخ الاسلام ، وعلم الأعلام ، مَحمد ابن ناصر فانه لما قدم من المشرق في حجته الثانية صنعت القصيدة الدالية في مدحه وتهنئته بالحج ، فأدخلها اليه ولده الناسك الفاضل الفقيه عبد الله ، فخرج إلي وقال : يقول لك الشيخ جعلك الله عيناً يسقى منها أهل المشرق وأهل المغرب ، وشمساً يستضيء بها أهل المشرق والمغرب .

انتهى باختصار .

وقد حقق الله الدعوتين ، وأظهر فيه مصداق الفراستين ، فنشأ رحمه الله في العلم بحراً زاخر العباب ، وشمساً منيرة في سائر الآفاق ، وكان معظمُ قراءته في الزاوية الدلائية ، فيها أورى زنده واشتعلت جذوته ، وظهر في مضمار الأذهان تبريزه ، وكان يجول في بلاد المغرب قبل أن يلقي بها عصى التسيار ، فأخذ بسجلماسة ودرعة وسوس ومراكش ودكالة عن عدة من المشايخ اشتملت عليهم فهرسته ، وكان لرئيس أهل الدلاء الفقيه محمد الحاج مزيد اعتناء به واحتفال لما رأى له من البراعة في العلوم والتمهر في الفنون ، فكان عنده بالحظوة التامة ، ولم يزل سيدي الحسن يدرس العلم بالزاوية الى أن استولى عليها السلطان الرشيد بن الشريف ، فثل عرش أهلها وردّ سماءها أرضاً وطولها عرضاً ، وذلك في عام تسع وسبعين وألف ، فنقله السلطان المذكور لمدينة فاس ، فلما احتلّها أقبلتْ عليه طلبة العلم مثنى وثلاث وتزاحمت على بابه الركب ، فتصدرها للتدريس بجامع القرويين ، ووقع له من الاقبال ما لم يعهد لغيره ، فتخلف عن حضور مجلسه جماعة من أعيان طلبتها ، وغلبهم ما هو المألوف من الطبع الآدمي مع أنهم في الحاجة لاشتغاله ، فقال في ذلك سيدي الحسن :

ما أنصفت فاس ولا أعلامُهـــــا علمي ولا عرفوا جلالة منصبـــــي
لو أنصفوا لصبوا إليّ كما صبـــا راعي السنين الى الغمام الصيب(1)

ولما بلغهم البيتان أجاب عبد الرحمان ابن شيخ الجماعة عبد القادر الفـاسـي :

بل أنصفت فاس" ومن إنصافهـــا أبداً سقوط المدعي والمعجـــب.
تنفى الدجاجل عاجلا أو اجـــلا منها كنفي قريظـة من يثـــرب

ولما وقع الجواب بيد سيدي الحسن طالع به شيخ الجماعة سيدي عبد القادر الفاسي فقال له البادىء أظلم ، وأنت أزلت عنك جلباب الوقار ، وبخست مقدارك بتصديك لمعارضة الأحداث ، وإصغائك لمقال مَن لم يساووك في علم ولا دين .

وذكر سيدي الحسن فى بعض رسائله أن حسدته بفاس لم يقنعهم إلا أن سحروه ، فكان اذا صعد لكرسيه بجامع القرويين أصابه صداع عظيم ، فاذا نزل من الكرسي زال عنه ، فلما رأى ذلك تخلى عن التدريس بجامع القرويين ، ووقعت بينه وبين طلبة فاس محاورات في مسائل شتى ، وكان رحمه الله تضلع بالعلوم العقلية وبرز فيها على أبناء وقته ، حتى قال فـي تأليفه المسمى بـ (القول الفصل ، في الفرق بين الخاصة والفصل) ، إنه بلغ درجة الشيخ سعد الدين التفتزاني والسيد الجرجاني وأضرابهما بحيث يقبل من كلام العلماء ويرد ، وسأله يوماً سائل بدرسه عن مسألة فقال له اسمع ما لم تسمعْه من انسان ، ولا تجده محرراً فى ديوان ، ولا مسطراً ببنان ، وانما هو من مواهب الرحمان ، ولما دخل مراكش تصدر فيها لاقراء علم التفسير بجامع الأشراف ، فمكث فى تفسير الفاتحة قريباً من ثلاثـة أشهر وهو يبدي في كل يوم من التحقيق أسلوباً ، ويلقي مـن التحريرات صنوفاً ، فعجب الناس لحسن إلقائه وغزارة مادته ، مع أنه ربما يبيت في ضريح بعض الأولياء والناس معه ، ولا يطالع كتاباً ولا يراجع مؤلفاً ، فاذا أصبح قعد على كرسيه وأطلق لسانه بما يبهر العقول ويحير الأذهان ، ذلك

1) ذكره فى ص 73 من **المحاضرات** (مؤلف) .

فضل الله يوتيه من يشاء ، وبالجملة فهو آخر العلماء ، بل خاتمة الفحول من الرجال ، حتى كان بعض أشياخنا يقول هو المجدد على رأس هذه المئة لما اجتمع فيه من العلم والعمل ، بحيث صار امام وقته وعابد زمانه ، ولذلك قال الامام عبد الله العياشي فيه :

مَن فاته الحسنُ البصريُ يصحَبُه   فليصحَبِ الحسنَ اليوسيَّ يكفيه (1)

قلت وكأنَّ العياشي ألمَّ في هذا البيت بقول شرف الدين ابن التاج في مدح الشيخ أبي الحسن البكرى :

خوف الضلال أمِنَّا حينَ قام بنا   داع لمعرفة بالحق يهدينا
إن فاتنا الحسنُ البصري موعظة   عنه أبو الحسنُ البكريُ يُغنينا

أخذ رضي الله عنه علم الظاهر عن جماعة ، منهم قاضي الجماعة عيسى السجتاني ، وسيدي محمد المزوار المراكشي ، وابن ابراهيم الهشتوكي ، وأبو فارس الرسموكي ، وأبو عبد الله ابن ناصر ، واستجاز عبد القادر الفاسي ، ومحمد بن سعيد المرغيثي وغيرهم ممن اشتملت عليه فهرسته ، وأما علم الباطن فعمدته فيه هو الامام مَحمد ابن ناصر ، هو طبيب علته ، ومبرد غلته ، قال فى الفهرسة : وهذا الشيخ هو الذى أخذتُ عنه العهد والورد واليه أنسب ، وكل من نذكره سواه فانه على طريق انتفاع ما ، وكان شيخه المذكور ينوه بقدره ويوصى أصحابه به تعظيماً ويحضهم على اجلاله واكباره ، ويهش له اذا راءاه مقبلا ، وقال فى (المحاضرات) كنت وردت عليه فى أعوام الستين وألف بقصد أخذ العلم ، فامتدحته بقصيدة قدمتها بين يدي نجواي ، فانبسط الي بحمد الله، وأفتتحنا بقراءة (التسهيل)، فلما قرأنا الخطبة دخل مسروراً فكتب الي :

أبا علي جُزيت الخير والنعما   ونلت كلَّ المنى من ربنا قسما
يامرحباً بك كل الرحب لا برحت   قرائح الفكر منك تجتنى حكما (2)

---

1) ذكره فى ص 10 من **المحاضرات** (مؤلف) .
2) ذكره فى ص 28 من **المحاضرات** التى بدأ فى تصنيفها سنة 1095 (مؤلف) .

فلم أزل بحمد الله أتعرف بركة دعائـه وإقبـال قلبه إلى الآن ، انتهـى .

وقد أذن له في تلقين الأوراد نيابة عنه ، فكان يلقنها في حياته ، فهرع الناس اليه يزفون ، ووقع له من اقبال الخلق عليه ما لم يُعهَدْ مثله ، وكان كثير الزيارة لقبور الصالحين بحاثاً عن قبورهم حتى استخرج عدة مزارات غـابـرة .

ألف رحمه الله عدة تآليف ، منها حاشية على الكبرى ، وحواشي على مختصر السنوسي في المنطق ، وكتاب في معنى لا اله الا الله في مجلـد ، والمحاضرات ، وشرح على جمع الجوامع للسبكي لم يكمل بلغ فيه الى اذا الفجائية ففاجأه الموت ، ولو كمل هذا الشرح لأغني عن جميع شروح ذلك الكتاب وحواشيه ، وهو من أمتع كتبه وأدلها على قوة عارضته ، وكتاب زهر الأكم ، في الأمثال والحكم لم يكمل ، وهو حسن في بابه ، وكتاب القانون ، والدالية وشرحها ، وفهرسته ، والقول الفصل في الفرق بين الخاصة والفصل، ومسائل فقهية نظماً ونثراً، ورسائل وأدعية منظومة وغير ذلك، وكان شاعراً مفلقاً، النظمُ عنده أسهل من النثر، حتى كان يقول لوشئت لا أتكلم الا بالشعر لفعلت، وله ديوان شعر جمعه بعض أصحابه ، ومن شعره قوله يخاطب جماعة من الفقهاء فأتوا عنده أضيافاً ، فبعث بهذين البيتين صحبة الطعام :

كلوا واعذروني في التخلف عنكم　　فانّ اتباع الظرف ليس من الظرف!
وأحسن ظرفي تركُ ضيفي كما يشا　　وليس ارتقاب الطرف من شيم الظرف

وأخباره رحمه الله وفوائده لا تسعها مجلدات .

توفي رحمه الله بعد قفوله من الحج عام اثنين ومئة وألف ، ودفـن بتمززيت بمقربة من قرية صفرو ، ونقل بعد عشرين عاماً إلى موضع ءاخـر فوجد كما دفن .

ومما يعد من مناقبه أن قوماً ذهبوا لزيارته ، فبينما هم في الطريق ، رأى رجلٌ منهم في نومه أن الشمس قد غربت فقصها على أصحابه ، فقالوا له لعل الشيخ قبض الليلة ، فلما بلغوه وجدوه قد توفي تلك الليلة .

وقد راجعت فهرسته المذكورة فوجدته ذكر فيها خمسة فصول ومقدمة ، الأول في أشياخه ، وهم أبراهيم بن يوسف الحداد اليوسفي ، وأبو زيان بن محمد الندى ، وأبو محمد الحسن بن أبي بكر التعلاليني ، وأبو محمد الحسن بن محمد المدوري ، ومحمد بن الحسن المدور ، والعلامة أبو بكر بن الحسن التطافي والأستاذ أحمد الدراوي ، والمدرس الفاضل عبد العزيز الفاسي ، والمحقق محمد التاجموعتي ، والمحقق أحمد بن محمد التاجموعتي ، والعلامة عيسى السجتاني ، حضر عنده جملة من مختصر الشيخ السنوسي المنطقي ، وجملة من محصل المقاصد لابن زكري ، والعلامة محمد المزوار المراكشي ، والمتفنن محمد بن ابراهيم الهشتوكي ، والماهر عبد العزيز بن أحمد الرسموكي ، والامام سيدي محمد ابن ناصر ، والعلامة سيدي أحمد علي بن عمران ، والمدرس أحمد بن سعيد ، وخاتمة النحاة محمد بن محمد بن أبي بكر المعروف بالمرابط (1) شارح البسط والتعريف ، وشيخ الجماعة عبد القادر الفاسي ، ونقل نص اجازته في (النشر) ، والعلامة محمد بن سعيد المرغيتي ونقل في (النشر) نصَّ أجازته له ، ثم ذكر في الباب الثاني الشيخ سيدي محمد ابن ناصر (2) .

وممن عرف بالمترجم صاحب (الدرر المرصعة) خلال ترجمة تلميذه سيدى أحمد الجزولي الهشتوكي في حرف الألف ، وذكر في ترجمة اليوسي نحو سبعة أوراق ، وصاحب (يتيمة العقود الوسطى) ، وذكر أنه من شيوخ سيدي الصالح ، وذكر في آخر اليتيمة عن سيدي صالح أن الامام اليوسي كان ساكناً بحومة جامع المواسين بمراكش ، ووقفت على رسالة له في التقوى في كراسة واحدة . ومن تلامذته الشيخ المنور سمع عليه نحو النصف من صحيح البخاري أيام اقامته بفاس ، ومنهم محمد بن قاسم ابن زاكور الفاسي ذكر في فهرسته المسماة (نشر أزاهر البستان ، فيمن أجازني بالجزائر

---

1) راجع ص 141 من **المحاضرات** (مؤلف) .

2) وراجع خاتمة **المحاضرات** ؛ فقد ذكر فيها سرداً من حضر الآن في فكره ممن لقي وتبرك به ممن اتسم بالخير واشتهر بالصلاح تبركا بهم ؛ وذلك من ص 235 الى ص 237 (مؤلف) .

وتطوان (3) أنه تمتع به في الحضر والسفر ، وأخذ عنه مختصر الشيخ خليل مرتين ، وجمع الجوامع كذلك ، ومختصر الشيخ السنوسي ، والجمل للخونجي ، وصغرى الشيخ السنوسي وكبراه ، وجملة صالحة من التسهيل ، وشيئاً من ألفية ابن مالك ، والشرح المختصر على التلخيص ، ومتن تلخيص المفتاح ، ونحو النصف من مختصر ابن الحاجب الأصلي ، وأماكن من صحيح البخاري ، وجميع شمائل الترمذي ، وكتاب الشفا ، والاكتفاء للكلاعي ، وغير ذلك ، ومن تلامذته سيدى عبد الكريم التدغي المترجم فى (نشر المثاني) وسيدى عبد الوهاب الدراق المترجم فيه أيضاً ، وممن ذكره أحمد بن عبد الوهاب الغساني فى تأليفه فى التعريف بمولاي عبد السلام القادري ، وأبو عبد الله الفاسي فى (المورد الهني) ، وذكر الزياني فى (الروضة السليمانية) أن المترجم حج عام واحد ومئة وألف صحبة المعتصم بن السلطان يعنى المولى إسماعيل ، وذكر فى (تحفة الزائر) أن الامام اليوسي شرح فى مجلد ضخم قصيدة :

أقول لمن أعيى الطبيب علاجه ... وقد ملَّ من شرب الدواء لعلة
ألا لذْ بمحيى الدين ياطالبَ المنى ... وعولْ عليه في الأمور المهمة

وهذه القصيدة لأحمد بن المختار بن عبد القادر بن أحمد المشهور بابن خدة (مرضعته) الراشدي سماها (عقد جواهر المعاني ، فى مناقب الغوث عبد القادر الجيلاني) ، ذكر فيها مناقبه وكراماته وأحوال المشايخ الذين اعترفوا بفضله وتقدمه على أولياء زمانه وجميع ما بلغه من أحواله ، ووقفت على تقريظ المترجم لكتاب (النبذة اليسيرة ، واللمعة الخطيرة ، فى مسألة خلق الأفعال الشهيرة) للعلامة سيدى المهدي الفاسي الذى ردَّ به على الشيخ إبراهيم الكوراني المتوفى عام واحد ومئة وألف ، ووقفت على الرسالة التي كتبها المترجم لسيدى العربي وسيدى عبد السلام ابنيْ الطيب القادري الحسني ، وسيدى المهدي الفاسي ، وقد ذكرها فى (نشر المثانى) في ترجمة سيدى إبراهيم الكوراني .

---

1) **نشر ازاهر البستان** ص 88 طبع المطبعة الملكية بالرباط .

وقـال في (إفـادة النبيـه ، من ادعـى الاجتهـاد أو ادعى فيه) ما نصه : ومنهـم عـالم المغرب ونـادرة الدنيـا في وقتـه ، الحسن بـن مسعود اليوسي رضي الله عنه ، سمعت مَن يقول من وعاة التاريخ ببلدنا : لو كان له مذهب لاتبع ، قلت ورأيت في آخر كتابه العجيب (القول الفصل ، في تمييز الخاصة من الفصل) قوله : قد يقع لنا ما لا تعهده أيها الناظر ولا تجده عند غيرنا ، فلا تعجل بانكاره توهماً لندائنا ممن يتصدى لحكاية أقوال الناس وتلفيق كلامهم ، ومَن قُصارى علمه ومنتهى جهده أن يقول قال فلان وفلان ، كلا والله لنا إن شاء الله في ذلك أشد ولا لذلك العنق . وإنما نعوذ بالله أن ننسخ وجوه القراطيس ونكثر هذه الدفاتر بمجرد ما للناس لفظاً ومعنى على نهج التقليد صنع كل بليد ، ولم يكن أحد من علماء العقلاء وعقلاء العلماء يقيم للمقلد التابع كل ناعق أو يثبت له فضلا أو يعده عالماً أو فقيها ، وإنما كان يعد في نحو نوادر القصاص وأصحاب الخرافات ، فانه لا فرق بين مقلد ينقاد وبهيمة تنقاد ، فليكن في علمك أيها الناظر أننا ما أودعنا هذا أو غيره من الموضوعات إلا ما اعتقدنا صحته تصوراً أو تصديقاً عن ضرورة أو بينة وصحة ، فلا يهجس في وهمك طمع تعارضه بكلام أو رأي لغيرنا ممن تقدم أو تأخر يخالف ما رسمناه فتنقاد إليه ، اللهم إلا أن تظهر بعد صحته ، ولا تنظر أيها الناظر أن الذين أسايرهم أهل زمانك ، كلا ولكن حجة الاسلام وفخر الدين وعضد الدين وسعد الدين وسائر المحصلين على أن لا أقلدهم تحكيماً ولكن أذكر ما ذكروا إن صحت عندي صحته وإلا نبذته إلى وراء ، وليس يحطني عن درجة قولُ جهول ليس بعشك فادرجي ، ولا قول واعظ ناصح : (ولا تزكوا أنفسهم) لعدم علمه أن تزكية النفس إنما هي اعتقاد براءتها من العيوب ، وما كان الذى يقع لنا من حكاية كلام الأئمة أحياناً باللفظ إلا لتطمين نفوس بعض من ترى أيها الناظر في زمانك من المتشبّهين المشغوفين باعتقـاد الأموات ، واعتبر بقول الامام ما قاله الرسول فعلى الرأس والعين ، وما قاله الصحابة فنأخذ منه وتترك ، وما قاله غيرهم فهم رجال ونحن رجال ، وقول الشافعي كيف أفتح بقول من لو عاصرته لحججته ؟

انتهى منه ملخصاً .

وله رسالتان خاطب بهما السلطان مولانا إسماعيل وضمنهما من التصريح فى القول والاخلاص فى النصح ما يشهد بعلو مكانته وفضله .

ولما رجع من الحج إلى المغرب أيقن أنه ما بقي بالبلاد المشرقية من تشدٌ له الرحال فى طلب العلم ، وأنه لم يلق شيئا مما كان يحدث به عن مصر وغيرها ، كما أومأ اليه ولده فى رحلته .

والمترجم سيدى الحسن اليوسي هو الذى أنشأ الزاوية الناصرية برياض العروس بمراكش على ما حدثنى به سيدى الأمين الناصري ، وكان يشترى بها كتب الدلائيين التى تباع بها .

410) **الحسن بن محمد العكاري** ، الفقيه الولي الصالح ذو المكاشفات الظاهرة ، كان يقرأ القرآن بروايات زيادة على رواية نافع ويجوده ويتقنه غاية الاتقان ، وكان إماماً يصلى الخمس بالسلطان مولاي إسماعيل ، ثم لقي الشيخ سيدى علي بن عبد الرحمان الدرعي التادلي فلقنه وألقى اليه زمام نفسه وأخذ عنه الطريقة الشاذلية ولاحت عليه أنوار الغيبة فى المحبة والشهود ، كان في أول أمره يفضح الناس بالمكاشفة ويقول تُبْ من كذا ، فلما رآه شيخه يفعل ذلك ضرب بطنه وصار لا يتكلم لأحد ، كان المترجم يأتى للرباط من مراكش كل سنة زائراً شقيقه أبا الحسن ويستصحب معه صلة وافرة من زيت وفاكهة وتحف للشيخ أخيه ، ولم يزل ذلك دأبه وحالته الى أن توفي بمراكش ودفن بمقبرتهم المشار اليها ءانفا .

خلف المترجم ولديه سيدى أحمد وسيدى محمد .

ترجمه فى البدور الضاوية .

411) **الحسن بن علي أوللوا** العلامة المفتي بمراكش، الشيخ الامام الجليل، كان اماماً فهامة نقادة ، محققاً مدققاً ، بارعاً نظاراً ، بلغ كلامه من التحقيق الغاية ، ومن التدقيق النهاية ، محرراً منقولا ومعقولا .

قال في (الانصاف ، فى القضاء بين النقيب وبين من انتسب الى بيت النبوءة من الأشراف) فى باب اثبات النسب الشريف خصوصاً بشهادة السماع ، وفيه مقدمة وتنبيه وثلاثة فصول ما نصه : فاعلم ثبتنا الله واياك بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة أن هذه المسألة وقع السؤال عنها بمحروسة مراكش ، وأجاب عنها العلامة السيد الحسن بن علي أوللوا رحمة الله بما نصه : شهادة السماع فى هذا النسب الشريف هي كغيرها من سائر الأنساب إذا ثبت ذلك كما يجب ، لكن وقع في هذا الزمان من تساهل العوام وبعض الخواص ما يوجب الغاءها الا من فاضل فطن لا يُخدَع ، لأن غالب العامة يعتمد فى شهادتها بالشرف المحمدي على اطلاق لفظ المولى عليَ المشهود له فى خطابه ومحاورته أو على سماعه ممن لا يوثق به أو يوثق به فى أن المشهود له شريف ولفظ الشرف مشترك بين الشرف العربي والشرف القرشي والشرف الهاشمي والشرف المحمدي ، كما ورد فى الحديث الكريم ، وحيث لم تحد العامة والعرف أنه قصد الانتساب الى النبي (ص) فشهادتهم غير عاملة لاجمالها وعدم بيان المراد بها ، وفي . . . . الادخال فى الشرف المحمدي بمشاهدة الشهادة الصادرة من الشهود على الوجه المذكور والأخذ بالجزاء فيه ما لا يرضاه ذو ديانة ، وبالجملة فجلُ مستند العامة فى هذا الشأن عن حقيقة ما سمعوا من مطلق الشرف بحيث لم يكن عرف يخصص الشرف المحمدي عند الاطلاق أو إطلاق المولى وعمن سمعوه هل عن الثقات أم غيرهم ؟ وهل حاز هذا النسب المحمدي من غير منكر عليه ولا مغير الى غير ذلك حتى تؤدّى على الوجه الشرعي المراد منه ، قال فاستفيد من كلامه رحمه الله أنها كغيرها من سائر الأنساب من باب لا فارق ، وما وقفت على جواب العلامة سيدي علي بن هارون مفتي فاس وعالمها تضمن شيئاً من هذا ، ونصه : لا يحصل الشرفُ بمجرد قول الشهود الحسني ، اذ يحتمل أنه مولاهم بالحلف أو بالجوار أو بالولاء أو غيره . ثم قال فى (الانصاف) : فى باب الشروط التى لا بد منها فى شهادة السماع ، وفيه فصول أربعة ما نصه : قال الشيخ السيد الحسن أوللوا فى جواب له ما نصه : أما الطعن على المشهود له فهو قادح ، لا سيما إن كان الطاعن من أهل الفضل والقرابة ، إذ

فيه زيادة الداعية الطبيعية الى البحث عن حقيقة نسبه ، فهو بالقبول أجدر ، أما على كلام ابن الهندى ومثله كلام البرزلي فانه جعل السلامة من الطعن اما جزءاً من صورة شهادة السماع أي حقيقته ، واما شرطاً فيها ، وقد تقرر عند علماء المعقول أن الماهية تختل باختلال جزئها وشرطها ، واما على كلام المفيد ومثله آخر كلام البرزلي فلأنه شَرَطَ فى الشهادة بهذا الشأن أن تكون فى الظهور والتسليم على حد الضرورة التى لا يسعُ أحداً من العقلاء انكارها ، وأي ضرورة تدعو الى الدخول فى أمر وقع فيه الطعن من عاقل واحد ، فكيف من قبيلة ، فان قلت معقولية الطعن تقبل الشدة والضعف فما المعتبَر منه ، قلت لا خفاء أن المعتبر منه ما ثبت فيمن يستقل به الحكم لا ملطقه ، اذ ربّ خبيث طوية لا حسب له ولا دين لا نزهة له الا فى التفكه بأعراض المسلمين بالطعن في مثل هذه المرتبة ، وما درى أن ذلك كمالٌ للمطعون فيه ، وتذكر ما قيل فى ذلك :

واذا أتتْك مذمتي من ناقـــــص فهي الشهادة لي بأنيَ كامـــل

فلا جرم يجب تحريره ، فان قلت اذا ثبت هذا الطعن كما يجب فهل هو من ظهور قادح فى بينة السماع أو قيام معارض لها مع صحتها فى نفسها فيفزع الى الترجيح ؟ قلت الظاهر أنه من باب العثور على القادح ، اذ لو علمت به ذات السماع وأخفيته كان ذلك قادحاً فى شهادتها ، قال تعالى (ومَن يكتمْها فانه آثم قلبه) ، ولك أن تلاحظ صحة السماع ظاهراً فتكون الطاعنة قد علمت من الباطن ما لم تعلمه السامعة ، وفى علمك أن العالمة أعلم على ما أحكمته قاعدة الاثبات والنفي ، والله أعلم .

فأنت ترى ما اشتمل عليه كلام هذا الامام الجليل من نهاية التدقيق وغاية التحقيق ، يعنى أن النافية اذا كان معها مزيد علم المثبتة ، ثم قال فى باب الأمور التى لا تفيد شرفاً بعد أن قرر أن الظهائر لا تفيد وحدها شرفاً من غير اشتهار صاحبها بذلك خارجاً ما نصه : ثم بعد كتب هذا وقفت عـلى كلام للعلامة السيد الحسن أوللوا مطابقاً لما كتبته ونص الحاجة منه باختصار بعد أن تكلـم على أن عقـود الأشرفـة لا تفيـد شرفاً لأن ما تضمنته من

الشرف ليس مقصوداً بالاشهاد ، قال فان ما ذكرت مسلم" فى العقود ، لأن الموثق انما يذكر مثل ذلك على سبيل الألف والعادة لا على سبيل القصد دون الظهائر ، فان الظاهر اعتبار وصف الشرف فيها بدليل اعتبار ترتيب الاعطاء أو التحرير عليه وهو وصف مناسب ، فيشعر بعليته فيكون مقصوداً بالاعتبار ، قلت اعتباره باعثاً على الاكرام لا يستلزم تحقيق ثبوته لشخص خارجاً ، بل الاكرام مرتب على تقدير ثبوته ، وهذا القدر كاف فى مقام الفضل والكرم ، اذ هو فيض ينال بأدنى خطابة ، وهذا هو المعروف من الملوك ، فانهم يستندون فى أعطياتهم وتحريراتهم على وسائط يثقون بها ، فرب عالم يقدمه السائل وسيلة فى ترتيب عطاء أو تحرير فيتقدم له ويذكر للملك أن فلاناً ينسب للشرف مثلا وطلبنى أن أطلب للسلطان أن يرتب له عطاء أو يحرره ، وملوك الاسلام يغلب عليهم الحياء مع ما جُبلت عليهم هممهم من الميل الى معالي الأمور ، فشاهد المقام يقطع باتحاف السايل بمطلوبه وانجازه لمرغوبه من غير تردد ولا توقف فى الخاطر الأول لما يستشعر الملك من صحة ذلك الوصف المطلوب لأجله ، وإذا كان هذا فتكون قضية الاعلام تترتب الاكرام وصف شخص بالشرف حقيقة لا خارجية ، وقد تقرر فى علم الميزان أن الحقيقة أعم من الخارجية ، ولا إشعار لأعم شخص بأخص معين ، فاذاً لا يصح استنتاج الثبوت الأخص من اعتبار الأعم على طريق الحجة وهو المسؤول عنها على طريق الخطابة ، والله المسدد .

انتهى باختصار بعضهم .

412) **الحسن بن علي** والدته رقية بنت موسى بن محمد الكبير بن الشيخ سيدى مَحمد ابن ناصر ، كان بمراكش ، وله أدب وإباية نفس ، حلو الفكاهة ، بهذا حلاه العلامة سيدى موسى المتوفى سنة   دفين فاس بن محمد المعطى بن موسى المذكور فى تائيته حيث قال :

وزوج علي بنت مـوسى رقيــــة ... فجاءت بأولاد حسان أجلـــــــة
محمد منهم عـالـم ذو مـــــروءة ... أديب إمـام فى علــوم جليلـــة
بمراكش صنــو لـه الحسن اسمه ... أديب أبيُّ النفس حلو الفكـاهــة

413) **الحسن بن علي بن أبى بكر المنبهي الشهير بالشبباني** ، الامام المقرىء ، له (كشف الغمام ، عن ضبط مرسوم الامام) الموضوع لضبط منظومة الخراز فى مجلد من القالب الكبير ، وقفت عليه بخط اليد . والمنابهة يسكنون خارج مراكش ، وهو صنو القاضي بمراكش محمد بن علي الآتي .

414) **الحسن بن أحمد بن محمد بناني** ، كان عالماً أديباً ، وكتب له الشيخ أحمد التجاني بخط يمينه سورة الرحمان وصل إليها فى القراءة فى الكتب فى لوحة موجودة تحت يد بعض أقاربه ، وكان يدعو له بالفتح ، وخصه بلقمات من طعامه المخصوص ، وكان عند أصحابه معظماً مبجلا ، وتلقى طريقته بعد وفاته من المقدم السيد موسى ابن معزوز .

توفي رحمه الله سنة إحدى وسبعين ومئتين وألف ، ودفن بمراكش حسبما حدث بذلك ولده الفقيه السيد عبد السلام ، وهو صنو العلامة سيدى أحمد كلا رحم الله الجميع .

وحلاه فى (اللؤلؤ المكنون ، فى اختصار ابن عيشون) بالفقيه الأجل العالم المدرس المذكور ، قال أخذ رضي الله عنه عن أشياخ عديدة ، وله مجالس بالقرويين وجامع فاس الجديد فى النحو والمنطق والبيان وغير ذلك ، يصلى إماماً بجامع الرنج بزقاق الحجر ، وصفه قصير القد ، رقيق البدن ، أخذ عن الشيخ سيدى أحمد التجاني ، كثير الذكر والتلاوة ، توفي بمراكش فى ربيع الأول سنة إحدى وسبعين ومئتين وألف ودفن بها .

415) **الحسن السوسى الهشتوكي** المعروف بسيدى الحسن الصالح المراكشى ، الفقيه الورع الناسك الزاهد ، المعروف باجابة الدعوة للغائب والشاهد ، قال ابن المعطي فى فهرسته : وقد وافق لقبهُ مسماه اللائح ، كان من كبراء العلماء العالمين ، وجملة الزهاد المحسنين ، مثابراً على الاجتهاد فى العبادة ، نفوراً من الخلق ، منقطعاً إلى الله عز وجل ، سالكاً طريق الافادة ، فكانت حركاته وسكناته على وفق الشريعة ، متواضعاً صموتاً عن كلام اللغو ، ذا مرتبة منيفة ، أجمع مَن يعتدُ به من أهل المصر ، أنه جنيد هذا العصر ، قد بلغ

الذروة العليا فى التحري والورع وعدم التشوف إلى الخلق ، لا يلتفت منهم إلى طمع ، فهو كما قال بعض العارفين إنما تكون السلامة بترك الطمع فى المخلوقـات .

هي القناعة لا تبغي بهـا بـــدلا   فيها النعيـم وفيها صحة البـدن
انظر لمَن ملك الدنيـا بأجمعهـا   هل راح منها بغير اللحد والكفن ؟

كان رفوعاً للهمة عن الحكام وولاة الأمر ، وأولي الجاه والغنى وكل ذي قدر ، رجع ذلك كان عندهم معظماً محترماً يقبلون شفاعته ، ويخلون سبيل الملتجيء إليه ، ويعظمون وسيلته تؤثر عنه كرامات ، من ذلك أن وزعة عامل البلد فى الوقت أتوا إلى المدرسة اليوسفية بحمراء مراكش صانها الله لأخذ مفاتيح البيوت التى لا سكّان بها ، وكان بيده رحمه الله مفتاح بيت لطالب غائب وتركه عنده على وجه الايداع ، وأغلظوا على الشيخ الكلام ، وقالوا لا نفارقك أو تدفعه لنا ، فاغرورقت عيناه ورمى به لهم وقال الله وليُ مَن لا وليَ له ، وفى ذلك اليوم وقع حريق بأسواق المدينة عجز الناس عن إطفاء ناره ، فأتى بعض الناس والمحتسب يتضرعون إليه وقدموا له غطاء ضريح الشيخ الغزواني نفعنا الله به والتمسوا منه الخروج معهم إلى إطفاء الحريق ، فخرج ليمرَّ بالسوق ، فقرأ ما شاء الله أن يقرأ ورمى بشيء كان بيده على النار فخمدت فى الحين ، شهد ذلك العام والخاص من الناس ! وحضرت يوماً معه وهو داخل للصلاة بقبة المدرسة اليوسفية وقد أسفر الصبح ، فمرَّ ببعض الأسفاه ؟ فقال ما بال هذا ينام حتى تطلع الشمس وياتى للصلاة بالناس ، وتكلم ببذاءة وفحش لا يمكن ذكره هنا ، فقام طالب من طلبة الشيخ انتصاراً للشيخ وأجاب ذلك الانسان بكلام ، فالتفت إليه الشيخ وقال له دعه عنك ولا تجبه بسوء ، فصلينا معه الصبح وقرأنا معه حزب القرآن وخرج رحمه الله إلى داره بحارة الصورة ، وذلك البعض مازال فى مجلسه الذى صدر فيه منه ما صدر من البذاءة ، فوقع بينه وبين شخص آخر كلام في شيء بينهما فضربه ذلك الشيخ ضربة أهريق بها دمه وحمل مغشياً عليه ، وحصل لي فى بعض الأحيان صداع عظيم برأسي أذهب عني النوم جملة ، فذهب إليه فوجدته فى مجلس إقرائه ،

فتصبرت حتى فرغ ، فدنوت منه وذكرت له ذلك ، فوضع يده المباركة على ناصيتى وقرأ ما شاء الله أن يقرأ ، فوجدت بيده المباركة برداً وسكن ذلك الألم فى الحين ، وقمت كأنما نشطت من عقال ، وكان بعض الناس معتقلا وطال سجنه وتعذر خلاصه ، وكان له بي تعلق ، فكلمته فى شأنه ، فكتب تميمة فقال لي قل له يجعلها على رأسه ففعلت فسرح بعد اليوم أو اليومين ، وكراماته رحمه الله كثيرة ، وكانت له المشاركة الكاملة في جميع العلوم العقلية والنقلية ، كعلم التفسير والحديث والفقه ، مستحضراً لذلك غالباً مجيباً عما سئل عنه بديهة مع تثبت وتحقيق وتحرى الصواب ، يستوي عنده الشريف والمشروف عند الاستئذان عليه ، وربما يأتي بعض الكبراء ويقيم برهة ببابه فلا يأذن له باللقاء ، وكانت الهدايا تاتيه من الناس ولا يرد على أحد شيأ ، ومن كان ماله منهم مشوباً تصدق الشيخ بما أتى به ولا يخص الشيخ نفسه إلا بما يعلم خلوص حلّيته ، وكان لي به مزيد اختصاص ، انتفعت والحمد لله بمجالسته ومذاكرته ، ودعوته لمنزلي مرات وأجاب ، وخضت معه فى مسائل من التفسير والحديث وعلم القوم ، وأخبرنى بمسائل متوقعة فكانت كما قال رحمه الله ونفعنى به ، وكان يؤخر المغرب إلى أن يبقى لمغيب الشفق قدر ما يصلّي فيه ويقرأ حزب القرآن ، وربما تكلم بعض الناس فى ذلك وما ذلك إلا لجهلهم بالسنة ، فان القول بامتداد المغرب إلى الشفق مشهور أيضاً لأنه مذهب مالك فى الموطأ ، وقول أشهب فى مدونته وقول ابن مسلمة ، وأخذه الباجى وابن العربي والمازري من المدونة وعليه أكثر الناس ، وقال فيه ابن العربي في العارضة إنه الصحيح ، وفي الاحكام أنه المشهور من مذهب مالك فى الموطأ والمدونة ، وقال الرجراجي إنه المشهور .

توفي رحمه الله يوم الخميس خامس ربيع النبوي عام تسع وسبعين ومئتين وألف ، ودفن بباب مقبرة باب الدباغ على يسار الخارج من المدينة بعد مجاوزة العين الجارية بعد الوادي بقرب الطريق على نحو خمسة أذرع، وقد ألف فيه تأليفاً ، وقفت له على شرح منظومة الهبطي فى العدد بخط اليد فى مجلد رباعي أتمه فى عشية فاتح شعبان بمدرسة ابن يوسف بمراكش سنة اثنتين وخمسين ومئتين وألف وعندى تأليفه .

416) **حسن الفيلالي** المراكشي شيخ الجماعة في علم النحو بها ، كان درقاوي الطريقة ، وله فيها تآليف ، فقيهاً علامة مشاركاً في عدة فنون ، أخذ عنه جماعة من علماء مراكش كالفقيه السيد عبد الله بن وقاص والفقيه ابن مبارك الجرني ، والفقيه الفجيمي وغيرهم .

توفي في دولة مولانا عبد الرحمان في العشرة الثامنة من القرن الثالث عشر شرح الصلاة المشيشية والحزب الكبير ومقدمة ابن آجروم بالاشارة ، ولقي مولانا العربي الدرقاوي وانتفع به خلق كثير .

417) **الحسن بن أحمد بن محمد المكدشي** قرأ على والده أحمد نزيل مراكش ، وأخذ الطريقة الدرقاوية عن الولي العارف سيدي محمد العربي المدغري وحلاه في رسالة كتبها عام 1284 لفقراء مراكش بالأخ في الله الأسعد الفقيه السيد الأمجد ولي الله تعالى سيدي الحسن بن أحمد التمكدشتي ، كان المترجم علامة مشاركاً عارفاً جليلا إماماً محققا محدثاً مفسراً ، وقفت له على كتاب جليل في الفتوحات السنية المشتملة على الأنوار القدسية المسماة (بفتح الملك الوهاب ، فيما استشكله بعض الأصحاب ، من السنة والكتاب) ، في ستة كراريس ونصف من القالب الرباعي ، دخل مراكش مرات آخرها أواخر القرن المنصرم ، ونزل بأزبزط ، ووقفت على رسالة لتلميذه الأدوزي نزيل مراكش حلاه فيها بنور السعادة ، ومعدن الافادة ، شيخ الاسلام ، وقدوة ذوي الأحلام ، شيخنا سيدي الحسن بن شيخنا الأعظم قطب الدائرة سيدي ومولاي أحمد بن محمد التمكدشتي بتاريخ عام 1284 ووقفت له على رسالة نصها :

باسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً

محبنا في الله تعالى ، وأعز ما لدينا ، القائد الأرضى ، اللبيب الناسك الأحظى ، سيدي محمد بن الحاج أحمد الكندافي ، أعانك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله ، أما بعد ، فقد وصل الأعز كتابك ، وصار

بالبال ما تضمنه الوجيز خطابك ، فسفرك مبارك مسعود إن شاء الله ، طول الله يدك ، ووفر باعك ، وحفظك بما حفظ به الذكر ، وكان لك وتولاك ، وأولاك ما تحب وتأمل آمين ، وقد سرنا أن شرح الله صدرك بالسمع والطاعة للامام أعزه الله ، ولن ترى إلا ما يسرك ويغيظ أعداءك ، ويكفيك عزاً أن ظفرت برضاه ، وانغمست فى الأمن مع مَن ولاه ، هنيئاً لك وسعداً ، غنمك الله وردك سالماً ميموناً مباركاً آمين ، وهذا يجب به الاعلام ، وعلى المحبة التامة ونسألكم صالح الدعاء والسلام .

في 18 جمادى الأولى عام 1294 .

الحسن بن أحمد أمنه الله .

وكانت رحلته لمراكش عام 1293 وصحبه فيها تلميذه الأدوزي ، وألف فيها رحلته إلى مراكش وتوفي رحمه الله عام 1296 ودفن حذاء أبيه فى القبة بتمكدشت التى بينها وبين عين الجرارية نحو أربع وعشرين ساعة بسير البهائم ، وستأتي ترجمة تلميذه الأدوزي ، وقد ألف المؤرخ السيد العربي بن علي المشرفي كتاباً فى مجلد ضخم سماه (مناقب أهل تمكدشت) وذكر فيه تلامذة المترجم وتلامذة والده (1) .

418) **الحسن المراكشي الشريف** ، الولي الصالح ذو القدر المنيف ، كان رضي الله عنه من أخص أهل الله المستغرقين فى محبة الله ذا دين متين ، ونسك تام ، واتباع لسنة الرسول عليه السلام ، وكان أستاذاً أقام بضريح مولاي عبد السلام ابن مشيش رضي الله عنه [illegible] . أولاد الشرفاء ويؤذن بالضريح الشريف ، وكان للشرفاء أهل جبل العلم فيه اعتقاد كبير ، وهم يذكرون له كرامات عديدة مما شاهدوا له ، وكانوا يأتمنونه على الفتوحات التى تاتي للضريح لما عرفوا من حاله رضي الله عنه ، وقدم إلى هذه الحضرة الادريسية فى العام الذى ولي فيه المنصور بالله مولانا

1) اسم الكتاب **نزهة الأبصار ؛ لذوى المعرفة والاستبصار** توجد منه نسخة بالمكتبة الملكية بالرباط تحت رقم 5616 .

الحسن أدام الله وجوده ونصره وعزه وعلاه ، وهو عام التسعين ، فأنزله مولاي محمد القاضي رحمه الله بمسجد الأبارين ، فأقام ببيته فيه معتكفاً على التلاوة والعبادة ، وكان رضي الله عنه كثير الصمت يصوم الدهر ، ولما بقي من عمره نحو السنة لم يكلم أحداً قط حتى لقي مولاه ، وقد لقيناه بضريح مولاي عبد السلام وتبركنا به رضي الله عنه ونفعنا به ، وكان آدم اللون ، نحيف الجسم .

توفي رحمة الله عليه بالمسجد المذكور فى أواسط شعبان عام 1296 ودفن بالقباب رضي الله عنه .

ذكره العلامة القاضي سيدى التهامى الصقلي بتقييده فى العلماء والأوليــاء .

419) الحسن بن محمد بن عبد الرحمان العلوي (السلطان مولاي)

الحسن بن سيدى محمد، بن عبد الرحمان العلوي، السلطان الجليل، الماجد الأصيل، الكبير المتعلق بأهل الله، الزوار لأولياء الله، المتخلق فى محبتهم بالخلق العظيم الحسن ، أمير المومنين وكان رحمه الله دؤوباً على الذكر والقيام ، صابراً على ذلك على الدوام ، ويقرأ البخاري فى الأشهر الثلاثة فى مجلس حفيل من العلماء وغيرهم من القراء النجباء كما كان يفعل ذلك والده وجده الناسك :

بأبيه اقتــدى عــديٌ فى الكـــرم   ومَن يشابِه أبــاه فمــا ظلــم

زواراً للصالحين ، وأولياء الله المفلحين ، كثير التطواف على أمكنتهم ، بحاثاً عن أضرحتهم ، وكم جدد لهم من مقام ، وشيد من قباب ضخام ، شكر الله له ذلك ، وأجزل له المثوبة على فعله هنالك ، ومن مآثره الرسالة التى كتبها لسائر الأمصار ، يحضهم فيها على التقوى والتسنن بسنة النبي المختار، رضي الله عنه وعلى آله ما دام الليل والنهار ، ومنها بناؤه لضريح الشيــخ أحمد البرنسي الذى بأول بلاد لمطة من خارج باب الجيسة من أبواب هذه الحضرة وتوسعته أكثر مما كان وإعماله فيه لبعض المرافق ليتنفع بها الزوار ، ومنها تجديده لكثير من قباب الأولياء خارج باب الفتوح واصلاحه لما يحتاج للاصلاح منها وتجديده أيضاً لأضرحة السادات أهل وزان نفعنا الله بهم .

قال محمد الكنسوس : لما استخلف المولى الحسن حفظه الله لم تشغله شؤون الخلافة المترادفة آناء الليل وأطراف النهار ، ولا ما في قصوره السلطانية من الحدائق والأزهار ، عن وظائف الدين ، وأسباب اليقيـن ، من نوافل الخير من صلاة وصيام وتلاوة ، كما حدثني بذلك بعض بطانته ، وأنه يجد لها في خلوته لذة وحلاوة ، فلما توفي السلطان كما قلنا كان المولى حسن أيده الله غائباً عن الحضرة بأبي ريقى من بلاد حاحة فكتب إليه رؤساء الدولة بما حدث من موت السلطان واجتماع الناس على بيعته ، فقدم مراكش في السابع والعشرين من رجب سنة تسعين ومئتين وألف ، ولما دنا منها خرج للقائه الوزراء والقضاة والأشراف والأعيان وسائر أهل مراكش برجالهم ونسائهم وصبيانهم ، فملأوا تلك البطاح وضاقت بهم الأرض ، وأخذوا يعزونه ويهنئونه ، وهو أيده الله يقف لكل جماعة منهم على حدتها ، حتى النســاء والصبيان إشفاقاً عليهم وتطييباً لنفوسهم ، وكان يوم دخوله لحضرة مراكش يوماً مشهوداً وموسماً من مواسم الخيرات معدوداً ، ولما استقر بدار الملك قدمت عليه الوفود من جميع الأمصار ، ونسلوا إليه من سائر نواحي الأقطار ، وكل وفد يأتي ببيعته وهديته ، واغتبط الناس بولايته ، وتيمنوا بطلعته ، وقابل أيَّده الله كلا بما يستحقه من الاكرام ، وأفاض على الرعية جلائل الانعام ، وشرع في تجهيز الجيوش وفتح بيوتَ الأموال ، فغمر الناس بالعطاء ، وكسا وأركب ، ونهض من مراكش يوم الاثنين رابع رمضان من السنة المذكورة قاصداً حضرة فاس والوقوف على الرعايا والنظر بما يصلحها ، فمرَّ على بلاد السراغنة وخرج إلى البروج ومنها إلى كسير من بلاد تامسنا ، فاتصـل به هنالك خبرُ فتنة أهل فاس وايقاعهم بالأمين الحاج محمد بن المدني بنيس ، وكان السبب في ذلك على ما قيل أنه لما وصل خبر وفاة السلطان إلى فاس وأن الناس اجتمعوا على بيعة أمير المومنين المولى حسن أعزه الله واجتمع أهل فاس لعقد البيعة أيضاً اشترط عامتُهم لا سيما الدباغون أن يزال عنهم المكس ، فقيل إن بعض مَن أراد جمع الكلمة من العلماء والأعيان تكفل لهم بذلك عن السلطان ، ولما تمت البيعة أصبح الأمين بنس غادياً على عمله من ترتيب وكلائه لقبض الوظيف من الأسواق والأبواب وغيرها ، فكلمه بعض أعيان فاس في

التأخر عن هذا الأمر قليلا حتى تطمئنّ النفوس ويثبت الحق فى نصابه ، وحينئذ يؤتى الأمر من بابه ، فأبى وأصرّ على ما هو بصدده ، فثار به العامة وهدموا داره وانتهبوا أثاثه واستصفوا موجوده وأرادوا قتله ، فاختفى ببعض الأماكن حتى سكنت الهيعة ، ثم تسرب الى حرم المولى إدريس رضي الله عنه فأقام به وأمن على نفسه ، وكانت فتنة عظيمة يطول شرحها ، واتصل بالسلطان وهو بكسير أيضا خبرُ فتنه أهل أزمور وقتلهم لنائب عاملهم ، وكان عاملهم يومئذ أحمد بن عمر بن أبى ستة المراكشي ونائبه هو أحمد المؤذن الفرجي من سكان أزمور، وكان قتلهم إياه فى تاسع عشر رمضان من السنة، ثم إن أهل فاس كتبوا الى السلطان أعزه الله وهو ببلاد تامسنا رسالة بليغة يتنصلون فيها من فعلة بنيس ويرمون بها العامة والغوغاء ومن خَلاقَ لهم ، ثم دخل السلطان المولى حسن أعزه الله رباط الفتح صبيحة يوم الخميس التاسع والعشرين من رمضان المذكور ، وكان العيد يوم السبت ، فأقام السلطان أيده الله سنة العيد برباط الفتح وختم به صحيح الامام البخاري على العادة ، وكان فقيه المجلس ومدرسه يومئذ الفقيه العلامة السيد المهدي بن الطالب ابن سودة الفاسي، وحضر ذلك المجلس وفود المغرب وقضاة العدوتين وعلماؤهما وحضرنا فى جملتهم ، (وهنيء) السلطان بقصائد بليغة ، واحتفل أعزه الله بهذا الختم بأنواع الأطعمة والأشربة والطيب ، وفرق الأموال على مَن حضر ، ثم وصل أهل العدوتين من علمائها وقرائهما ومؤذنيهما وطبجيتهما وبحريتهما على العادة ، وهناك قدم عليه أهل أزمور متنصلين مما صدر من عامتهم فى حق المؤذن ، فقابلهم بالبشر والصفح الى أن بحث عن رؤوس الفتنة بعد ذلك فعاملهم بما يستحقونه ، وأقام السلطان أعزه الله برباط الفتح إلى يوم السبت الثاني والعشرين من شوال من السنة المذكورة، فنهض قاصداً مكناسة، فعبر المجاز ومعه من جنود الدولة وعساكر القبائل ما يجل عن الحصر ، وكان نهوضه عن ازعاج بسبب ما اتصل به من خبر المولى عبد الكبير بن عبد الرحمان بن سليمان ولد الذى كان ثار لأول بيعة السلطان سيدى محمد بن عبد الرحمان ، فسلك هذا الولد مسلك أبيه ، وأطمعه شياطين البربر فى الملك حتى أوردوه مورد الردى وحان ، وسقط العشي به على سرحان ، ولما كان السلطان أعزه الله

ببلد بني حسن بلغه خبر القبض عليه ، ثم تقدم السلطان أعزه الله إلى دار ابن العامري فأوقع بأولاد يحيى فرقة من بني حسن ، وكانوا قد ثاروا بعاملهم عبد القادر بن أحمد المحروقي فهدموا داره وانتهبوها ، وعاثوا فـي الطرقات وأخافوها ، فأوقع بهم السلطان المولى الحسن أعزه الله وقعة كادت تستأصلهم وتاتي عليهم ، فتشفعوا إليه وتطارحوا وأظهروا التوبة والخضوع ، فقبل توبتهم وولى عليهم ثلاثة عـمال ، ووظف عليهم مالا له بال ، ونهض أعزه الله الى مكناس في سابع ذى القعدة من السنة فدخلها مظفراً منصوراً ، وفي يوم الاثنين ثالث شهر ربيع الأول (1291 هـ) نهض أيده الله إلى فاس فدخلها يوم الخميس السادس منه بعدما تلقاه أشرافها وأعلامها وأعيانها وجميع رماتها حتى النساء والصبيان مع العامل والقاضي ، واجتمعت به مقدمتهم بوادى النجاة ، فألان جانبه لهم ، ونزل لملاقاتهم تطييباً لنفوسهم ، ولما وصل الى البلد لم يعرج على شيء دون قصد ضريح المولى ادريس رضي الله عنه وزيارته والتبرك به ، وانهال عليه الضعفاء والنساء والصبيان يقبلون أطرافه ويتمسحون بأذياله ، وقدم الذبائح للحرم الادريسى وغيره ، وأفاض مـن العطايا على الضعفـاء والمساكين ما جاوز الحصر ، وكان يوم دخوله يوماً مشهوداً ، وموسماً من مواسم الخيرات معدوداً ، وعيد بفاس عيد المولد الكريم ، وقدمت عليه الوفود من كل ناحية ، واجتمعت ببابه وجوه القبائل من كل قاصية ودانية ، وازدان العصر ، وعم الفتح والنصر ، واستقامت الأمور ، ونادى منادي السرور ، في الخاص والجمهور ، ولما فرغ السلطان أعزه الله من شأن العيد أمر أحمد بن محمد ابن شقرون المراكشي أن يرتب الوظيف المجعول على أبـواب فـاس وأسواقها على ما كان عليه في حياة السلطان سيدى محمد رحمه الله ، ففعـل ، وكان ذلك أواخر الشهر المذكور ، ولما جلس الأمناء كلٌّ بمحله واستقامت الأحوال ، وذهبت الأهوال ، ثقل ذلك على الدباغين ومرضوا فيه وذهبوا الى الشريف الفقيه المولى عبد الملك الضرير وقالوا له : أنت الذى أوقعتنا في هذا كله بضمانك اسقاط المكس أولا حتى صدر منا في حق بنيس ما صدر ، والآن أخرجْنا مما أوقعتنا فيه اما باسقاط المكس واما باخراج بنيس من بين أظهرنا ليلا تدول له دولة علينا ، والرجل قد صار عدوا لنا ، فقام الفقيـه

المذكور وقدم على السلطان أعزه الله وذكر له ما عزم عليه السفلة من الدباغين، فأعرض السلطان أعزه الله عن ذلك وقابله بالجميل ، فقال الفقيه المذكور إن لم يكن شيء مما ذكرت لسيدنا فالأولى بي أن أنتقل إلى فيلالة ولا أبقى بين أظهر هؤلاء القوم ، فأسعفه السلطان وبعث جملة من الحمارين لحمله وحمل أولاده ، ولما رأى الدباغون ذلك نفخ الشيطان فيهم وعمدوا الى الحمارين فطردوهم ، وارتجّت فاس وماجت الأسواق ، وقامت الفتنة على ساق ، واتصل الخبر بالسلطان أيده الله فاستدعى عامل فاس ادريس بن عبد الرحمان السراج وكان مُتَّهماً بالخوض فى وقعة بنيس وما ترتب عليها بعد ، فأظهر الطاعة والامتثال ، وركب بغلته يريد القدوم على السلطان بفاس الجديد ، فقام الدباغون دونه ومنعوه من الذهاب الى السلطان وتهددوه بالقتل ان فعل ، فقعد ووقع ذلك منه الموقع (الحسن)، لأنه كان متخوفاً على نفسه، ولما رأى السلطان أيده الله تمادي هؤلاء الطغام ولجاجهم بعد أن بالغ فى إلانة الجانب والمقابلة بالجميل ، ومن ذلك اعراضه أعزه الله عن الكلام في أمر بنيس ، أمر بحصارهم والتضييق عليهم لعله يرجعون ، ثم لم يكفهم عصيانهم حتى صعدوا على منار المدرسة العنانية وعلى غيرها مما يُطل على فاس الجديد وأخذوا في الرمي بالرصاص حتى أصابوا بعض مَن كان بأبى الجلود ، ولما انتهوا من سوء الأدب الى هذه الغاية أمر السلطان أيده الله بمقابلتهم على قدر جريمتهم ، فطافت بهم العساكر ورموهم بالكور من كل ناحية ، ثم اقتحمت طائفة من العسكر سور فاس من جهة الطالعة وأخذوا فى النهب والقتل وعظم الخطب واشتد الكرب ، وفى أثناء ذلك بعث السلطان أعزه الله وزيره محمد الصفار يعظهم ويعرض عليهم الأمان بشرط التوبة والرجوع الى الطاعة فأذعنوا وامتثلوا ، وانطفأت نار الفتنة وانحسمت أسباب المحنة ، فعجل السلطان أيده الله بالكتابة لجميع الآفاق ، وتلطف واعتذر ، بأنهم الذين بدأوا بالحرب والبادى أظلم ، ومع ذلك فبمجرد ما أذعنوا الى الطاعة كف عنهم رحمة بهم وإبقاء عليهم ، وكان هذا الحادث يوم الثلاثاء رابع ربيع الثانى من السنة ، ثم ان السلطان أعزه الله قبض على عامل فاس ادريس السراج وعلى ولده واثنين آخرين معه من رؤوس الفتنة وغربهم الى مراكش ، وولى على فاس

القائد الجيلاني بن حمو البُخاري أحد قواده ، واستقامت الأحوال ، ثم شرع السلطان أعزه الله في جمع العسكر وتنظيمه زيادة على ما كان في حياة والده ، فألزم أهل فاس بخمسمئة ، وألزم أهل العدوتين بستمئة ، وألزم غيرهما من الثغور بمئتين مئتين ، ولم يتخذ من مراكش ولا أعمالها شيئاً ، فصعب على الناس ذلك وجمعوا منه ما قدروا عليه ، واعتنى السلطان أعزه الله به فكان يباشر عرضه وترتيبه بنفسه .

وفي أيام مقامه بفاس نبغ نابغ بأعمال وجدة يقال له أبو عزة الهبرى من هبرة بطن من سويد ، وسويد من عرب بني مالك بن زغبة الهلاليين ، وكان هذا الرجل فيما زعموا يخطط في الرمل ويتعاطى بعض السحريات ، فتبعه بعض الأوباش الذين لا شغل لهم ، وتأشبوا عليه ودنا من أطراف الايالة وقوِيَ حسُّه ، وكان السلطان أعزه الله عازماً على النهوض إلى تلك الناحية وتمهيدها ونفْي الدجاجلة عنها ، فاستعدَّ غاية الاستعداد ، وجدد الفساطيط وكسا الجنود فرسانها ورماتها قديمها وحديثها وعرضها كلها ، ثم نهض من فاس منتصف رجب سنة احدى وتسعين ومئتين وألف ، ولما بات في الليلة الثانية بآيت سغروشن أغار على المحلة ليلا أبو عزة الهبرى ومعه سعيد بن أحمد السغروشني ويقال انه ادريسي النسب ، فماجت المحلةُ بعض الشيء ثم تراجع الناس وأخذوا مراكزهم وصوبوا المدافع وآلات الحرب نحو عدوهم فشردوهم ، فكان ذلك آخر العهد بهم ، وقبض على عدد من أصحابه وقطعت رؤوس منهم ، وتقدم السلطان أعزه الله في جموع مؤلفة من الجيش السعيد المظفر وأنجاد نظام العسكر وغزاة القبائل الغربية بربرية وعربية الى بني سادن وآيت سغروشن فأوقع بهم وقتل وأسر وانتسفت الجيوش زروعهم ، وبعثرت أرضهم وديارهم ، فلجأوا الى بني وراين ، فأمر السلطان أيده الله بقتال الجميع ، ثم جاء بنو وراين متنصلين متبرئين الى السلطان منهم ، فقبلهم وولى عليهم رجلا من أعيانهم ، ثم جاء بنو سادن وآيت سغروشن تائبين خاضعين فعفا عنهم ووظف عليهم مئة ألف مثقال وزيادة أربعمئة من الخيل، فأذعنوا لأدائها واستوفاها السلطان أعزه الله منهم في أوائل شعبان من السنة ، ثم تقدم إلى تازة فدخلها في أوائل الشهر المذكور ، ولما

احتلَّ بها قدمت عليه وفود قبائلها متمسكين بحبل الطاعة ، داخلين فيما دخلت فيه الجماعة فرحين مغتبطين ، وبكل ما أمكنهم من الخدمة متقربين ، وجاءت الأحلاف ومَن جاورهم حاملين هوادجهم المحلاة بأحسن حلية وشاراتهم التي يستعملونها في مواسمهم وزيهم ، فقابل السلطان أعزه الله كلا بما يجب من المجاملة وحسن المعاملة ، ما عدا ثلاث فرق من غياثة المجاورين لتازة وهم بنو أبي قيطون ، وأهل الشقة وأهل الدولة ، فانهم كانوا يُضِرُّون بأهل تازة ويغيرون عليهم ، فألزمهم السلطان أيده الله بأداء ما تعلق لهم بذمتهم فأدوه في الحال ، ثم وظف عليهم ثلاثين ألف ريال أخرى لبيت المال فأدوها أيضاً عن طيب أنفسهم ، ومَن عداهم من أهل غياثة فانما أدوا الزكوات والأعشار وأظهروا حسن الطاعة والامتثال ، وفي هذه الأيام جيء إلى السلطان بالهبري أسيراً ، فانه لما خرج السلطان أعزه الله في طلبه وطلب غيره أبعد في الصحراء ولم تزل تلفظه البلاد ، وتتدافعه الشعاب والوهاد ، إلى أن ساقته خاتمة النكال إلى قبيلة بني كلال وهم على أربع مراحل من تازة فقبضوا عليه وجاءوا به إلى السلطان أسيراً ، حتى أوقفوه بين يديه مصفداً كسيراً ، فأظهر الهبري الجزع ، وتضرع وخضع ، فحقن السلطان أعزه الله دمه ، وأمر به فطيف به في المحلة على جمل ، ثم أمر ببعثه إلى فاس فسجن بها بعد أن طيف به في أسواقها ، ثم مضى السلطان أعزه الله لوجهته حتى بلغ قصبة سلوان على طرف الايالة المغربية من جهة الشرق ، فوفدت عليه قبائل تلك النواحي وأهدوا وأظهروا غاية الفرح والسرور ، حكى من حضر أنهم كانوا يزدحمون عليه لتقبيل يده وركابه ، ووضع ثيابه على أعينهم تبركاً به .

وفي أوائل رمضان من هذه السنة (1291 هـ) في ليلة الخامس أوَ السادس وقع تناثر في الكواكب وتداخل واضطراب عظيم على هيأة مفزعة بعضها مشرق وبعضها مغرب وبعضها إلى هيأة أخرى ، فكان الحال كما وصف الأعمى بقوله :

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا   وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

دام ذلك إلى قرب السحر .

وأقام السلطان أعزه الله بهذه البلاد حتى عيد بها عيد الفطر ، وكان المشهد هنالك عظيماً ، والموسم فخيماً ، وحضر بنو يزناسن ومعهم كبيرهم الحاج محمد بن البشير بن مسعود فأهدى هدية كبيرة ، وولاه السلطان على تلك القبائل من بنى يزناسن وغيرها وقفل أعزه الله راجعاً فأدركه فصل الشتاء بتلك الجبال والفيافي ، فاشتد البرد وقلت الأقوات وهلك بسبب ذلك عدد كثير من الجند ، ولحق الناسَ مشقة فادحة ، وأظهر السلطان نصره الله يومئذ من الشفقة والبرور ما تناقله الناس وتحدثوا به ، فانه كان يسير سير الضعيف ويقف على المرضى حتى يصلح من شأنهم ويأمر بدفن مَن يدفن وحمل مَن يحمل ، وإذا سقط لأحد دابته أو رحله وقف عليه بنفسه حتى يعان عليه ، وهكذا إلى أن دخل حضرة فاس بحيث أدرك بها عيد الأضحى من السنة ، فعيد بها وتفرغ للنظر في أمر العسكر ، يقوم عليه بنفسه ويعرضه على عينه ، ويتصفح قوائم مئونه ورواتبه ، فاطلع أيده الله على ما كان يدسه القائمون على ذلك من الزيادة الباطلة ، فعزل مَن عزل وأدب مَن يستحق التأديب ، ثم قبض على كبير العسكر السوسي وهو الحاج منو الحاحي ، وكانت فيه شجاعة وإقدام ، إلا انه كان مفرطاً فى التهور والادلال على الدولة وكبرائها ، فأدى ذلك إلى الانتقام منه بالضرب والسجن والاحتياط على ماله وضياعه ، وما زال مسجوناً إلى الآن ثم سرح من السجن واستوطن مراكش عام ألف وثلاثمئة وخمسة .

وفى هذه المدة شرع السلطان أعزه الله فى بناء داره العالية بالله العامرة المزرية بمصانع المعتمد وقباب الزهراء ، وذلك في البستان المعروف ببستان آمنة داخل فاس الجديد ، عمد أعزه الله إلى ناحية من ذلك البستان فقطع ما كان بها من الشجر وبنى فيها قبة فارهة فائقة الحسن بديعة الجمال ، يقال إنه ضاهى بها بعض قباب المعتمد بن عباد باشبيلية ، ثم بنى الدار الكبرى بازائها وهي من عجائب الدنيا حسبما بلغنا ، بالغ أيده الله في تنجيدها وتنميقها وأودعها من النقش العجيب والترخيم البديع والزليج الرفيع المزري بخمائل الزهر وقطائف الهند وبديع الطوس بحيث جزم كل مَن رأى ذلك بأن مثله لم يتقدم فى دولة من دول المغرب ، وجلب لقبابها الأبواب من

بلاد الأروام ، يقال أن ثمن أحد الأبواب خمسة عشر ألف ريال ، مساميره من أفضل أنواع العود لا تعرف له قيمة ، وفيه من النقش ما يدهش الفكر ويحير النظر ، وباقي الأبواب من البلور الصافي المذهب آلمودع فيه كـل نقش غريب وبها خوخات مركبة بهية بديعة ، كل ذلك قد عمه الذهب النضار ، الذى يدهش الأبصار ، وجلب لذلك من الأثاث الرومى ما قيمته ألوف من الريال ، وفيها من الفرش والحائطيات المزخرفة ما لا يدرى ثمنه ، ولا يعرف معدنه وموطنه ، إلى غير ذلك من المقاعد الحسنة ، والمنازل المستحسنة ، الرائقة الطرف ، البديعة الصنعة والرصف ، وفي مدة مقام السلطان أيده الله بفاس بلغه عن ولد البشير بن مسعود بعض استبداد ، فاقتضى نظر السلطان أعزه الله أن يبعث من قِبَله عاملا لجباية تلك النواحي ، فعقد لأخيه المولى علي على جيش وأضاف إليه القائد عبد الرحمان ابن الشليح الزراري بمنزلة الوزير والظهير ، وبعثهما إلى ناحية وجدة ، وكان ابن الشليح المذكور يومئذ يتولى عمالة تازة وكان أهل وجدة وأعمالها يكرهون ولاية ولد البشير عليهم ، ويحبون ولاية ابن الشليح إذ كان له ذكر وصيت فى تلك الناحية ، وربما كاتبه عرب انقاد وكاتبهم ، ولما أحس ولد البشير بذلك انصبغت العداوة بينه وبين ابن الشليح فلم يكن إلا كلا ولا حتى وجه السلطان أيده الله ابن الشليح المذكور والياً على وجدة وأعمالها ، وجالباً لأموالها ، وناظراً فى شؤونها وأحوالها ، فقامت قيامة ولد البشير وعلم أنه لا يصفو له عيش معه ، فعزم على أن يطرده من تلك البلاد ويرده من حيث جاء ، وكان ولد البشير هذا حسن الطاعة للسلطان ، إلا أنه أفسد أمره بما ذكرناه ، ولما قرب ابن الشليح من أرضه خرج عليه فى خيله ورجله ، ولما التفت مقدمة الجيش به انتشبت الحرب بينهم وقامت الفتنة على ساق ، وكان غرض ولد البشير أن يضم إليه أخا السلطان وجيشه ويقوم بخدمتهم ويطرد عنه عدوه فقط ، فلم يستقم له ذلك ، وكان رأيه هذا خطأ ، إذ ليست هذه بطاعة كما لا يخفى ، ثم انهزم الجيش وعمدت بنو يزناسن والعرب إلى المحلة فانتهبوها ، فعاد عبد الرحمان ابن الشليح إلى السلطان أعزه الله وهو بفاس فأخبره الخبر وباثر ذلك كتب ابن البشير إلى السلطان يتنصل من أمر ابن الشليح ومحلته ، وإنه ما زال عـلى

الطاعة لم يبدل ولم يغير ، وإنما الذى انتهب المحلة هم السفهاء من غير إذن لهم ولا موافقة على ذلك ، وحتى الآن فكل ما ضاع من تلك المحلة يؤديه بأكثر منه ، فطوى له السلطان أيده الله عليها وأرجأ أمره إلى وقت آخر ، وكان قد اتصل به في ذلك الوقت خبر ابى عبد الله الكندافي صاحب جبل تينمل ، وكان أصل هذا الرجل أنه كان من أشياخ قبيلته ، وكان المتولى عليهم هو قائد الجيش السوسي إبراهيم بن سعيد الجراوي ، وكان الكندافى هذا أحذر من غراب ، وأمنع من عقاب ، قد اتخذ حصناً فى رأس جبل تنمل حيث كان ظهور مهدي الموحدين حسبما يمر فى أخباره ، وتحصن به وصار يؤدي للقائد الجراوي ما يأمره من غير توقف إلا أنه لا ينزل إليه ، ولما تُوفي الجراوي المذكور وولى السلطان على الجيش السوسي وما أضيف له وصيفه القائد أحمد بن مالك ضايق الكندافي بعض الشيء وسار معه بغير سيرة الجراوي قبله، فأنف الكندافى من ذلك وأعلن أنه في طاعة السلطان ومتقلد لبيعته يموت عليها ولا يقبل ولاية أحمد بن مالك ولو ألقي فى النار ، فكتب أحمد بن مالك إلى السلطان وهو بفاس يعلمه بأن الكندافى قد خلع الطاعة ، وفارق الجماعة ، وأشاع المرجفون أنه يحاول الاستقلال بالأمر التفاتاً إلى ما كان لسلفه من أهل ذلك الجبل منذ سبعمئة سنة ، وربما حنَّ هو إلى ذلك أيضاً ، وقد حكي ابن خلدون أن أهل ذلك الجبل كانوا فى زمانه على هذا الاعتقاد :

تخرصاً وأحاديثاً ملفقة   ليست بنبع إذا عُدت ولا غرب

واستأذن أحمد بن مالك السلطان أعزه الله فى غزو هذا الكندافي فأذن له ، فبعث إليه كتيبة من الجند، ففضَّها الكندافي، فازداد المرجفون تقولا وتخرصاً، ثم بعث إليه ابن مالك جيشاً آخر أعظم من الأول فهزمه الكندافى أيضاً وقبض على جماعة منهم باليد ، فمَن كان فى جيش السلطان سرحه إظهاراً للطاعة ، ومَن كان من عمال قبائل المجاورة له ضرب عنقه وكانوا عدداً وافراً ، فتفاحش أمر الكندافى فى الحوز ، وكاد يستحيل الى فساد ، فبعث إلى حضرة السلطان بفاس ، وكتب له يشرح قضيته وأنه مظلوم من قِبَل أحمد بن مالك ، وما ارتكبه فى حق الجيش إنما هو مدافعة عن نفسه ، وأنه لم يقتل جندياً قط ،

وبالغ فى التنصل وتقديم الشفاعات والذبائح والعارات ، فأرجأ السلطان أعزه الله أمره ونهض من فاس منتصف رمضان سنة اثنتين وتسعين وألف فوصل إلى رباط الفتح ليلة عيد الفطر ، فاتفق أن وقع بها نادرة وهي أن جماعة من شهود اللفيف اثني عشر جاءوا الى القاضى محمد بن إبراهيم رحمه الله ليلة التاسع والعشرين من رمضان وشهدوا عنده أنه رأوا هلال شوال بعد الغروب برؤية محققة لم يلحقهم فيها شك ولا ريب ، فسمع القاضى بشهادتهم وسجلها وكتب للسلطان بذلك وهو بغرميم ، فارتحل السلطان فى جوف الليل ودخل داره ، وأصبح من الغد معيداً وعيد أهل العدوتين وأعمالهما والجمُّ الغفير من أهل المغرب الذين حضروا مع السلطان ، ولما أن كان ظهر ذلك اليوم هو التاسع والعشرون من رمضان حقق الفلكيون من أهل الدولة أن العيد لا يمكن أن يكون فى ذلك اليوم ، وتكلموا بذلك وباهوا به ، فكثر الكلام بذلك ، وكان جلُّ الناس على شكأيضاً ، ولما حان وقت الغروب ارتقب النـاس الهلال والسماء مصحية ليس فيها قزعة فلم يروا له أثراً فأمر السلطان أعزه الله بالنداء وأن الناس يصبحون صياماً لأن رمضان ما زال ، فصام الناس من الغد وبعد ذلك ظهر الهلال ظهوراً معتاداً وتبين كذب الشهود فسجنوا ثم سرحوا بعد حين .

ولما قضى السلطان أعزه الله سنة العيد نهض إلى مراكش ، فلما قرب من زاوية ابن ساسي بين بلاد الرحامنة وزمران نزل هنالك على الرحامنة وكانوا قد حصل منهم اعوجاج وتمرض ، فوظف عليهم من الأموال ما أثقل ظهورهم ، وفرض عليهم من العسكر والخيل ما امتحنوا في إدائه ولم يقم عنهم حتى أدوا جميع ذلك وحتى خـرج الأشراف والمنتسبون مـن أهـل مراكش إلى السلطان للشفاعة فيهم والرغبة إليه في دخول منزلـه ، فقبل السلطان أيده الله شفاعتهم وارتحل عنهم ، ودخل مراكش آخر ذي القعدة من السنة ، وكانت مدة مقامه على الرحامنة ستة عشر يوماً ، وكان يوم دخوله إلى مراكش يوماً مشهوداً ، وفي مهل ربيع الثانى من السنة المذكورة خرج من مراكش يؤم بلاد اغرب فجعل طريقه على ثغر الجديدة ، فأقام بها أياماً بعد أن زار تربة بنى أمغار برباط تيط ، وتفقد أحوال ثغر الجديدة ووقف على

أبراجها وأسوارها ، وباشر في الرماية بالمدافع ، وكان رميه صواباً بحيث أصاب الغرض أعزه الله ، وأهدى له جميع تجارها من المسلمين والنصارى واليهود فقبل ذلك وكافأ عليه ، ولما احتل السلطان أعزه الله بالدار البيضاء طاف في أبراجها وأمر الطبجية بنصب الأغراض المسماة بالقريبيات في البحر ، ثم أمر برميها وهو حاضر وربما باشر معهم ، ثم اجتاز بعد الفراغ على باب المرسى ومحل وضع السلعة للتجار به ، ووقف عليه وتأمله كما فعل بثغر الجديدة ووعد باصلاح المون على شاطيء البحر لأن البحرية يتعبون فيه وقت إنزال السلع ووسقها ، وأقام بالدار البيضاء بالمحلة خارج البلد يومين ، وأهدى له تجارها من النصارى واليهود والمسلمين ، وأظهر النصارى الفرح وأكثروا من تعليق السناجق وإيقاد الحراقيات بالليل وإرسالها بالجو ، فقابلهم السلطان أعزه الله بالجميل ، وحمل النصارى منهم على خير مكافأة لهم على هديتهم ، فطاروا بذلك فرحاً حتى أنهم كتبوا بذلك لأهل دولهم ونشروه في كوازيطهم (1) وأجوبتهم ، ثم إن السلطان أعزه الله نهض من الدار البيضاء ومعه الجند الوافر والعسكر المجر والجمُ الغفير من قبائل الحوز وأهل دكالة وتامسانا فأوقع بعرب الزيايدة أهل تامسنا ، وتقدم إلى رباط الفتح فدخله غرةَ جمادى الأولى من السنة فمكث به نحو سبعة أيام وعبر إلى سلا ، فزار أولياءها ودخل مسجدها الأعظم وصلى الظهر به وأمه في صلاته يومئذ صاحبنا الفقيه العلامة البارع عبد الله بن الهاشمي ابن حضراء ، ودخل السلطان أعزه الله خزانة الكتب العلمية بالمسجد المذكور وتأملها ومعه يومئذ شيخنا الفقيه العلامة القاضي سيدي أبو بكر بن محمد عواد ، فطلب من السلطان أيده الله أن يزيد من شراء الكتب للخزانة المذكورة ، فأذن له بأن يشتري من ذلك ما ثمنه نحو مئة ريال ففعل وهي يومئذ بالخزانة المذكورة ، ووصل رحمه الله علماء العدوتين ومجاهديها على العادة ، ثم نهض السلطان أعزه الله من رباط الفتح في عاشر جمادى الأولى سنة ثلاث

---

1) جمع كازيطة La Gazetta الصحيفة في العامية المغربية القديمة ؛ والكلمة مما دخل إلى اللهجة المغربية من اللغة الاسبانية ؛ يقال ان بعض علما المغرب الجامدين الف في بداية هذا القرن الرابع عشر الهجرى كتاباً سماه (الضرب بالزراويط على رأس من يقرأ الكوازيط) ! .

وتسعين ومئتين وألف قاصداً مكناسة ، وجعل طريقه على زمور الشلح ، فخرجوا إليه متذللين خاضعين متقربين إليه بالهدايا والضيافات ، فضرب عليهم الأتاوة والبعث فانقادوا ، ثم دخل أعزه الله مكناسة ثامن عشر الشهر المذكور ، فمكث بها أياماً يسيرة ثم عاد إلى فاس فمكث بها أياماً كثيرة كذلك ريثما اجتمعت إليه الجنود وخرج قاصداً بلاد وجدة وبنى يزناسن وكبيرهم الحاج محمد بن البشير بن مسعود ، وكان خروجه من فاس منتصفَ جمادى الثانية من السنة فاجتاز بتازة وأناخ على قبيلة غياثة جاعلا الهضَبةَ المعروفة بذراع اللوز أمامه قبلة ووظف عليهم المئونة ، قيل إنه وظف عليهم مـئـة صفحة من القمح والشعير فدفعوا شيئاً يسيراً وعجزوا وتعللوا بأن هذا الذى جرت العادة أن يدفعوا للملوك من قبل ، وكانت هذه القبيلة لم يهجْها هيج منذ قديم لتحصنهم بجبالهم وأوعارهم ولهم استطالة على أهل تازة يركبونهم كل خسف فظهر للسلطان أعـزه الله قتالهم فقاتلهم يوم الخميس أواخـر الشهر المذكور واقتحم عليهم حصنهم المعروف بالشقة وهو خندق بـيـن جبلين فيه واد على حافته بناءات ودور ، فحرق ذلك كله وهدمه ، وانتسف ما فيه من قمح وشعير وإدام وغير ذلك ، وقطع منهم رؤوساً يسيرة ، ولما كان الغد وهو يوم الجمعة السادس والعشرون من الشهر المذكور ركب السلطان أيده الله وركب معه أهل المحلة إلا قليلا وقدم المدافع والمهاريس أمامه واقتحم الشقة فتبعه الناس فدخلـوا بـلاد غياثة وتوسطوها وقاتلوا أهلها فهزموهم والسلطان أمام الجيش في موكبه ، فسار حتى وصل المداشر ورمى عليها من الكور والبنب (1) شيئاً يسيراً ، وكانت غياثة قد وضعت الكمائن على الأنقاب وشحنوها بالرماة وتركوا منفذاً واحداً يفضي إلى مهواة متلفـة ذات شقوق غامضة وأشجار شائكة وصخور متراكمة لا يدرك قعرها ولا يبصرها إلا من وقف عليها ، ولما وغل الجيش في مزارعهم ومداشرهم خرجت الكمائن من خلفهم ورموهم عن يد واحدة بالرصاص ، فدهش الناس وتذكروا فعلهم القديم من الانهزام على الملوك بلا موجب إذ لم يكن في شوكة غياثة

---

1) جمع بومبة Bomba القذيفة فى العامية المغربية ؛ وهى مما دخل فيها من اللغة الاسبانية ؛ ولا تزال مستعملة الى الآن .

هؤلاء وكثرتهم ما ينهزم منه ذلك الجيش اللهام ولو تلبثوا يسيراً وقاوموهم لهزموهم في الحال كما هزموهم أول مرة ، ولكن العادة هي العادة ، فولوا مدبرين لا يلوون على شيء ، وتكاثر الرصاص على موكب السلطان حتى سقط حامل الراية وجرح المولى عرفة أخو السلطان وقتل سيدي محمد بن الحبيب نقيب الأشراف بالعدوتين ، وأما الجيش وقواده فانهم لـما أنهزموا صرفوا وجوههم إلى المهواة التي ذكرنا وقصدوها على عمياء وقد ارتفع دخان البارود وغبار الخيل فتهافتوا فيها تهافت الفراش في النار ، لايعلم اللاحق ما وقع بالسابق إلى أن امتلأت من الخيل والرجال والأثاث وما كادت ، وكان ذلك قضاء من الله وتمحيصاً منه ، فهلك من الناس والخيل ما لا يحصَى ، وبقيت أشلاؤهم ناشبة في تلك الأوعار تلوح مثل المجزرة ، وترجل السلطان أعزه الله عن فرسه حتى خلص من تلك الشقوق ، ثم ركب واجتمع الناس عليه فراجعوا به بصائرهم بعد الكائنة ، ثم انشمر غياثة بعدها إلى رؤوس الجبال وتركوا المداشر والجنات ، فاقتحمها السلطان بعد يومين أو ثلاثة عليهم فلم يقف أمامه منهم أحد ، فعاث فيها وحرقها وجعلها حصيداً كأن لم تغن بالأمس ، ثم استمرّ أعزه اللهّ مقيماً بفاس وجد في بناء مقاصيره ومتنزهاته ببستان آمنة من فاس الجديد ، وكتب أيده الله إلى وصيفه أحمد بن مالك قائد الجيش السوسي بالمنشية من حضرة مراكش أن يبني له على الباب المعروف بباب الرئيس من الدار الكبرى من الحضرة المراكشية قبة فارهة ويبالغ في رفعها وتنجيدها وتنميقها ، فشرع فيها في شوال من السنة المذكورة ، وكنا يومئذ نتولى إحصاء صائرها وصائر غيرها من البناءات المراكشية ، فكان ما صير على القبة وحدها أكثر من مئة ألف مثقال ، وكذلك بنى بمكناسة القبة العظيمة التى طاولت السماء ترفعاً ، وذهبت في الجو صعداً ، بحيث أشرفت على ما حولها من بسيط سايس وغيره حتى صارت مثلا في الطول والاشتهار ، وبنى أعزه الله قبة عظيمة حفيلة على ضريح الشيخ العارف بالله تعالى سيدي محمد الصالح بن المعطى الشرقاوي بأبي الجعد ، فصيَّر عليها أكثر من ثلاثين ألف مثقال تقبل الله منه .

وفى جمادى الأولى من سنة 1294 هـ أخذ السلطان أعزه الله فى الاستعداد بالحضرة الفاسية للحركة استعداداً لم يتقدم له مثله ، حتى أنه كتب إلى أخيه وخليفته بمراكش المولى عثمان بن محمد أن يوجه إليه من العدة الرومية وهي مكاحل مركبة فيها توافلها (1) ما قدره ألف وخمسمئة وعشرون مكحلة تخرج أبخاشها (2) بالحبة الرومية ، وأن يوجه إليه أربعمئة ألف وعشرة آلاف من الحبة المذكورة وعشرة قناطير من البارود ومئة قنطار من ملحه ومدفعين ، وكتب أعزه الله إلى أمناء الصائر بأن يبعثوا إليه بثلاثمئة وثلاثين سرجاً وستمئة كسوة من الملف للعسكر ، وخمسة عشر ألف من البلغة ومثلها من النعالة ، وبعث أعزه الله عمه المولى الأمين بن عبد الرحمان إلى رباط الفتح فجمع عساكر الثغور وحشد قبائل دكالة وتامسنا والغرب وبنى حسن وغيرهم ، ووجه أخاه المولى الحسن الصغير لحشد قبائل الدير والجيش المتفرق بها ، ثم كان خروج السلطان من فاس إلى مكناسة آخر الشهر المذكور ، ولما سمعت قبائل البربر بخروجه ارتابت وحذرت ، وظنت كل قبيلة أنها المقصودة ، ففرت مجاط وبنو مطير إلى رؤوس الجبال ، وفرت عرب عامر من بنى حسن إلى زمور الشلح ، وكان الناس يظنون أن السلطان يغزو فى هذه السنة برابرة الجبال والصحراء فخرج الأمر بخلاف ذلك ، وفى هذه المدة وفد على السلطان أيده الله عدة باشادورات للأجناس ، مثل باشادور الفرنسيس والاصبنيول والبرتغال وغيرهم ، وتكلم الفرنسيس فى شأن بابور البر والتلغراف واجرائهما فى المغرب كما هما بسائر المعمور ، وزعم أن في ذلك نفعاً كبيراً للمسلمين والنصارى ، ثم نهض السلطان نصره الله من مكناسة فى أواخر رجب فى جمع وافر وعدة كاملة فاجتاز ببلاد زمور الشلح فأظهروا له غاية الطاعة والخضوع ، وقدمت عليه وفودهم من كل جانب رافعين أعلامهم وشاراتهم وزينتهم التى يستعملونها فى مواسمهم وأعيادهم ، وأدوا له من المال والمؤون والضيافات ،

---

1) جمع تافالة : المدية تركب فى جعبة المكحلة (البندقية) فى الاصطلاح العسكرى المغربى القديم .

2) جمع بخش : يراد به الرصاصة والبارود الذى يدفعها : والسياق يخصصها هنا بالرصاصة : والمراد بالحبة الرومية الكارطوش (القرطوش) العصرى .

فاستكثر الناس ذلك وتحدثوا به ، ثم زحف إلى عرب السهول من أعمال سلا فأوقع بهم وشرد بهم مَن خلفهم ، وكتب أعزه الله فى العشرين من رمضان إلى الآفاق يعلمهم بما أتاح الله من الظهور والنصر والسعادة وخضوع قبائل البربر له وتباريهم فى طاعته وخدمته ، وبذلهم من الجباية ما لم يكونوا يبذلون القليل منه لغيره ، وذكر فى كتابه أن ذلك كله بمحض فضل الله ومجاري السعادة وحسن السياسة من غير ضرب ولا طعن ولا سفك دم ، حتى أن قبيلة بنى حكم قد أظهروا بعض الاعوجاج ، فقام إليهم إخوانهم من زمور فقوموا اعوجاجَهم حتى فاءوا إلى أمر الله ، وكفى الله السلطان أمرهم ، ثم ذكر فى كتابه أعزه الله أمر السهول ، وأنه بعد أن أوقع بهم أمر بجمع فلهم ، ورأى استصلاح كلهم بتامين جلهم لعمارة بلادهم بهم ورجاء نفع ما تقدم من أدبهم ، وفى ليلة الجمعة الرابع عشر من شعبان من السنة خسف القمر خسوفاً كلياً بحيث ذهب نوره واختفى شخصه حتى لم ير منه شيء ، وبقي كذلك نحو ساعتين ثم أخذ فى التجلي شيئاً فشيئاً إلى أن عاد إلى امتلائه .

وفى هذه المدة قلت فلوس النحاس بمراكش وأعمالها حتى كادت تنعدم وذلك بسبب غلاء الريال الافرنجي بمراكش ورخصه بفاس ، فكان صرفه بمراكش يومئذ بثلا[illegible] [illegible]ن رحيه ، وصرفه بفاس بثلاث وخ[illegible] [illegible]ن رحيه ، فصار التجار يجلبون فلوس النحاس من فاس إلى مراكش [illegible] بالريال [illegible] في كل ريال نحو مثقال وتمالأوا على ذلك وتوفرت دواعيهم عليه ، حتى قلت الفلوس بمراكش و[illegible] الناس عليها لما فيها من الربح وتعطل معاش الضعفاء بذلك ولحق الناس ضرر كثير ، فكان الرجل يطوفُ بالبسيطة والريال فى الأسواق فلا يجد من يصرفه له ولا يتأتى له أن يشتري من ضروريات معاشه ما قيمته أقل من بسيطة ، واتصل الخبرُ بالسلطان أعزه الله فكتب إلى الآفاق يأمر الناس برد صرف الريال إلى ثلاثة مثاقيل وربع مثقال ، فامتثل الناس ذلك ونودي به فى الأسواق ، فانعكس الحال على التجار وتقاعدوا على الريال والبسيطة ، وفاضت الفلوس فى الأسواق حتى صارت معاملة الناس ليست إلا بها وحصل للتجار حينئذ من الضرر فى رخص الريال ما كان حصل للضعفاء فى قلة الفلوس ،

لأن التجـار حينئذ صاروا يبيعون سلعهـم التي بذلوا فيها الريـال الغالي بالقراريط النحاسية التي صار صرف الريال فيها على النصف ، فأمسـك الناس سلعهم وامتنعوا من بيعها وتعطلت المرافق أو كادت ، فكتب السلطان ثانياً برد أسعار السلع والأقوات على النصف مما كانت حتى تحصل المساواة بين الأثمان والمثمنات ، فنشأ بذلك هرج كبير وضرر للناس في معاشهم ، وأبى الله إلا أن تعود السكة إلى حالتها التي كانت عليها ، وقد بينا العلة في ذلك قبل هذا، وأن السكك والأسعار لا تزال في الزيادة ما دامت المخالطة مع الفرنج تكثر بكثرتها وتقل بقلتها ، ثم عيد السلطان عيد الفطر من هذه السنة بزبيدة من بلاد زعير ولم يدخل رباط الفتح على قربه منها ، ووفدت عليه هنالك قبائل المغرب وأهل الأمصار فشهدوا العيد معه وأجازهم وكساهـم على العادة ، ولما فرغ من أمر العيد عين عامل رباط الفتح وهو القائد عبـد السلام بن محمد السوسي،وعين الحاج عبد الكريم بن أحمد بريشة التطواني والحاج محمد بن عبد الرزاق ابن شقرون الفاسي للذهاب إلى مدريد دار ملك الاصپنيول بقصد السفارة عنه الى دولتهـم والمكافاة لهم عـلى مجيىء باشادورهم (1) حسبما مرّ التنبيه عليه ، ففعلـوا وعادوا بحيث أدركـوا عيد الأضحـى مع السلطان أعزه الله بمراكش ، ثم نهض السلطان بعد عيد الفطر من زبيدة يؤم البلاد المراكشيه ، فاجتاز بتادلة وسكن قبائلها وأوقع ببني عمير وقبض منهم على ما يناهز أربعمئة مسجون سيقت في السلاسل والاغلال الى السجن وفر بنو موسى الى رؤوس الجبال حتى استنزلهم السلطان على الأمان ودخلوا في الطاعة والتزموا الخدمة ، ثم نهض السلطان أيده الله الى مراكش فدخلها في عشر ذي الحجة من السنة ، فكان بها عيد لم يعهد الناس مثله منذ قديم، وكتب الى الآفاق يعلم الناس بما منّ الله به من النصر والتأييد، والفتح والعز المديد ، وأقام السلطان بمراكش في هذه المرة مدة طويلة ، ثم كان نهوض السلطان أيده الله من مراكش قاصداً بلاد الغرب غـرةَ جمادى الأولى سنة ست وتسعين ومئتين وألف ، فاجتاز في طريقه بتادلة وأناخ على

---

1) الباشادور السفير فى العامية المغربية ؛ وهى مما دخل فيها من اللغة الاسبانية ، ولا تزال الكلمة مستعملة الى الآن مزاحمة لكلمة السفير .

قبيلة آيت عتاب ، فأوقع بهم في أوعارهم وأعز معاقلهم وأوكارهم ، وقطع منهم واحداً وعشرين رأساً ، ثم زحف الى بنى موسى فأدوا الطاعة وقاموا بواجبها ، ثم سار محفوفاً بالنصر واليمن الى أن دنا من مكناسة الزيتون ، فزحف الى بني مطير ، وكان شررهم قد استطار فى تلك النواحي كل مطير ، فانه لما سافر السلطان نصره الله عن مكناسة سنة 1294 كما مر زحف بنو مطير هؤلاء الى عرب دخيسة وأولاد نصير الذين أنزلهم السلطان بسايس وبوأهم إياه عوض مجاط فأوقعوا بهم وقعة شنعاء ، وقد صبرت العرب في ذلك اليوم صبراً جميلا حتى أن جماعة منهم قد عقلوا أنفسهم في حومة الحرب ليلا يفروا ، وقاتل إخوانهم دونهم حتى كثرهم البربر فقبضوا عليهم باليد وضربوا أعناقهم وقتلوا منهم نحو مئتين ، وهلك من البربر مثل ذلك أو أكثر ، ولما انهزمت العرب عمد بنو مطير الى مجاط فأنزلوهم بسايس على ما كانوا عليه ، ثم انطلقوا في الطرقات بالعيث والافساد فيها والنهب للمارة ولم يدخروا شيئاً من الشيطنة ليوم اخر ، وكثرت الشكايات بهم على السلطان وهو بمراكش ، فلما قدم أعزه الله قدمته هذه لم يقدم شيئاً على تأديبهم ، فنهض إلى رأس بلادهم ومزرعة فسادهم آكراي والحاجب وغيرهما ، وتقرى آثارهم في تلك الجهات حتى جاوزت عساكره الحاجب بمسايف كثيرة ، وتوغلت البربر في قنن الجبال ، فأمر السلطان أدام الله علاه بني مكيلد أن يزحفوا إليهم من ناحية قبلة آكراي ، فزحفوا وانثوا على حدودهم الى غابة آفقفاق التى هي الحد بين بني مكيلد وآيت سغروشن وآيت يوسي ، فحصروهم من تلك الجهات ، ثم نزل بازائهم آيت يوسى وآيت سغروشن وآيت عياش وآيت والان من جهة الشمال ، وامتدوا الى حدود وادى النجاة ، وربط حذوهم من جهة الغرب وراء وادي النجاة القائد العربي بن محمد الشرقي المدعو ببًا محمد (1) ووصل جناحه عليهم قبائل الحوز والغرب ، وصار بنو مطير في مثل أفحوص القطاة ، وضاق بهم رحب الفضاء ، وأيقنوا بالهلاك والبوار ، ولفظتهم السهول والأوعار ، ونهبت الجنود زروعهم القائم منها والحصيد ، واستخرجت من مخزونهم الكثير والعتيد ، ولما انتهى الحال بهم الى هذه

---

1) واليه نسبة قرية أبا محمد بشمال فاس .

الغاية تطارحوا على السلطان بالشفاعات ، وأكثروا من التوسل بالذبائح والعارات ، فرقّ لهم وأقلع عنهم بعد أن ألزمهم إعطاء خمسمئة مرهون ، ووظف عليهم مئة وخمسين ألف ريال بعد أداء الحقوق ورد المظالم ، وشرط عليهم اخراج قبيلة مجاط من بين أظهرهم ، وضمنهم طريق مكناسة وفاس ، وجعل العهدة فيها عليهم جرياً على عادتهم القديمة من جعلهم النزائل بها والحراس ، فالتزموا ذلك كله وأدوه ، وبعد ذلك نهض السلطان عنهم إلى مكناسة فدخلها آخر رجب الفرد من السنة ، واستمر بها الى سنة سبع وتسعين ومئتين وألف ، فنهض الى فاس ، ولما احتل بها فرق الجيوش فى النواحى لجباية الزكوات والأعشار والوظائف المخزنية ، فانتهت السرايا والبعوث الى آيت يزدك من برابرة الصحراء فأذعنوا وأدوا ما كلفوا به من الزكوات والأعشار وغيرها ، والى آيت يوسى وغيرهم فأطاعوا وأذعنوا الا آيت حلي وهم بطن من آيت يوسى فانهم انحرفوا عن عاملهم وأبوا من أداء ما وظف عليهم فأوقع جيش السلطان بهم وقطعوا منهم عدداً من الرؤوس وساقوا مثلها من المساجين فعلقت الرؤوس بأسوار فاس ، وبعد ذلك أذعن آيت حلي للطاعة فقبلهم السلطان أيده الله وألزمهم ولاية عاملهم الذى كانوا منحرفين عنه ، وكان ذلك فى أواخر صفر من السنة المذكورة ، ثم كان عيد المولد الكريم فاحتفل له السلطان على العادة .

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين ومئتين وألف فيها تحددت الشروط بين السلطان أعزه الله وبين أجناس الفرنج في سبيل تأكيد المهادنة وجلب التجارة ، وكان من جملتها أن النصارى وأهل حمايتهم يلزمون بغرامة الوظائف المخزنية المرتبة على الأبواب كسائر رعية السلطان ، وقدر ذلك الوظيف ستة بلايين (1) لكل حمل ، وفي هذه المدة التي هي أواسط السنة المذكورة أخذ السلطان أعزه الله في التأهب للحركة والنهوض من مكناسة الزيتون قاصداً حضرة مراكش الحمراء فاحتلّها في آخر السنة المذكورة وعيد بها عيد الأضحى .

---

1) جمع بليون : اسم لكسر البسيطة يساوى ربعها ؛ مبلغه 25 سنتيماً ؛ كان المغاربة يتصارفون به ؛وهو القرش أيضاً ؛ والكلمتان الأوليان مما دخل فى العامية المغربية من اللغة الاسبانية .

ثم دخلت سنة تسع وتسعين ومئتين وألف ، فيها تحرك السلطان أعزه الله لغزو بلاد سوس الأقصى ، فأخذ فى التأهب والاستعداد لذلك ، وأمر قبائل دكالة وتامسنا بحمل القمح والشعير والتين الى مرسى الجديدة ومرسى الدار البيضاء ليحمل منها فى المراكب الى ساحل سوس الأقصى بقصد ارفاق الجيش واعانته ، وكان السبب فى ذلك أن جنس الاصبنيول كان متشوقاً لتملك بعض المراسي السوسية منذ انعقاد الهدنة معه عقب حرب تطاوين ، وكثيراً ما كانت مراكبه الحربية والتجارية تتردد الى تلك النواحي فيستهوى أهلها بأسباب التجارة ونيل الأرباح ، فربما سكنوا اليه وربما نفروا منه ، وتكلم السلطان أعزه الله مع كبرائه في ذلك ، فاحتجُّوا بأن صلح تطاوين كان منعقداً على فتح بعض المراسي السوسية لأنهم الآن قد عزموا على الأخذ بشرطهم المذكور ، وإلا أفضى الحال الى ما لا يليق ، فرأى السلطان أعزه الله أن من الواجب أن ينهض الى تلك البلاد ليباشر أمرها بنفسه ، وكان أهلها قد بعد عهدهم باجراء الأحكام السلطانية فيما بينهم على مقتضياتها ، فنهض اليها فى رمضان من السنة المذكورة فانتهى منها الى ما وراء وادي نون ومهد أقطارها وولي على أهلها القضاة والعمال واتخذ هناك مرسى للوسق والوضع تسمى أساكا (1) .

وفي أواخر صفر عام اثنين وثلاثمئة وألف ، قام نواب الاصبنيول من مراسى المغرب الأقصى بعد أن أقاموا بها نيفاً وعشرين سنة لاستيفاء ما وقع الصلح عليه في حرب تطاوين ، وكان جملة المال المُصَالَحِ عليه عشرين مليوناً من الريال الكبير ، وكان السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان نصره الله قد دفع منه عشرة ملايين معجلة والعشرة الباقية هي التى استوفاها الاصبنيول في المدة المذكورة ، أقام أمناءه مع أمناء السلطان في مراسي المغرب ، فكان كل فريق يستوفي نصف الداخل حتى تمَّ العمل .

---

1) أنظر الكتاب الذى كتبه السلطان مولاى الحسن الأول فى شأن هذه الرحلة فى **الاستقصا** 9 : 175 طبع الدار البيضاء .

ثم في أواسط ربيع الأول من سنة 1303 ورد أمر السلطان أيده الله بتسريح ما كان موظفاً على أبواب المدن والقرى مما كانت تؤديه العامة على أحمال السلع والتجارات من المكوس (2) .

وفي هذه السنة اشتدّ حرصُ أجناس الفرنج على تنقيص صاكة الأعشار وطلبوا من السلطان أيده الله أن يحط عنهم من صاكة السلع الموسوقة التي كانت مسرحة من قبل ، وأن يسرح لهم ما كان مثقفاً قبل ذلك ، وأبدأوا في ذلك وأعادوا ، وقاموا فيه وقعدوا .

ولما دخلت سنة خمس وثلاثمئة وألف غزا السلطان مولاي الحسن أيده الله آيت ومالو من برابرة فازاز،وهم بطن من صنهاجة يشتمل على أفخاذ كثيرة مثل صيان، وبني مكيلد، وشقيرن وآيت سخمان، وآيت يسري وغيرهم أمم لا يحصيهم إلا خالقهم ، قد عمروا جبال فازاز وملأوا قننها وتحصنوا بأوعارها منذ تملك البربر المغرب قبل الاسلام بأعصار طويلة ، فلما كانت السنة المذكورة خرج السلطان من مكناسة الزيتون عاشر رمضان منها بقصد غزو هذه القبائل العاصية وتدويخ بلادها إذ لم تكن تبذل الطاعة الا للواحد بعد الواحد من ملوك دول المغرب في الأعصار المتراخية حسبما يعلم مما أسلفناه في هذا الديوان من أخبارهم وأخبار غيرهم ، فانتهى السلطان الى تلك الجبال ودوخها ، ثم الى قصبة أدخسان التي بناها المولى إسماعيل رحمه الله ، فوفد عليه هناك جل تلك القبائل وبذلوا الطاعة وأظهروا الخضوع وبذلوا المئون والأنزال للجيش والهدايا للسلطان ، إلا ما كان من آيت سخمان فانهم أظهروا الطاعة أولا كغيرهم وطلبوا من السلطان أن يبعث معهم طائفة من الجيش ليدفعوا المؤون وما وظف عليهم من الهدايا والأنزال ، فأرسل معهم السلطان مئتيْ فارس وعقد عليهم لابن عمه الشريف الفاضل الناسك مولاي سرور بن إدريس بن سليمان ، وجده سليمان هذا هو أحد ملوك هذه الدولة العلوية حسبما تقدم ، فلما

2) أنظر كتابا متعلقاً بالموضوع بعث به السلطان مولاى الحسن الأول الى عامله على سلا الحاج محمد ابن سعيد السلوى فى **الاستقصا** 9 : 179 طبع الدار البيضاء .

توسطوا حلة آيت سخمان مع العشي تناجوا فيما بينهم والشيطان لا يفارقهم ، فاتفقوا على الغدر بأصحاب السلطان وفرقوهم على مداشرهم وحللهم ، فلما كان وقت العشاء الأخيرة أظهروا علامة بينهم ، وسعت كل طائفة إلى مَن عندها من أصحاب السلطان فأوقعوا بهم فقتلوا منهم نحو العشرين على ما قيل ، وأفلت الباقون بجريعاء الذقن ، وكان فيمن قتل منهم كبيرهم الشريف مولاي سرور المذكور وكان من خيار عشيرته رحمة الله عليه ، رموه برصاصة وطعنوه بتفالة (1) ، وكانت هذه الفعلة الشنعاء باشارة كبيرهم علي بن المكي من بقية آل مهاوش الذين تقدم الخبر عنهم فى دولة السلطان مولاي سليمان رحمه الله ، ثم أسروا من ليلتهم تلك فلم يصبحوا إلا بآيت حديدو وآيت مرغاد وغيرهم من قبائل البربر ، وتفرقوا شذر مذر ، وبقي نفر يسير على ما قيل ، فقبض عليهم من الغد وضربت أعناقهم ، وقال بعض مَن حضر الوقعة إنهم لما فعلوا فعلتهم هربوا من تحت الليل وتركوا زروعهم وأمتعتهم فى مداشرهم ، ولما انتهى الخبرُ إلى السلطان بعث فى طلبهم طائفة من عسكره وضم إليهم خيل شقيرن إخوانهم وكانوا راكبين مع السلطان مظهرين للطاعة ، فانتهبوا أمتعتهم وانتسفوا زروعهم وهدموا أبنيتهم وحرقوا بيوتهم وبالغوا في النكاية ، وتحامت خيل شقيرن ذاك إبقاء على إخوانهم وتعصباً للبربرية ، وربما دسّوا إليهم مَن أعلمهم بالحال وأمرهم بالابعاد فى الارتحال ، ولما اطلع السلطان على خبيئة شقيرن أمر بنهب حللهم وأسر مَن ظفر به منهم وقتله ، فأوقع بهم جيش السلطان وقعة شنعاء ، فأسروا منهم عدداً وافراً وضربوا أعناق نحو الثلاثين منهم وانتهبوا حللهم ومداشرهم حتى كأنْ لَم تغن بالأمس ، ومن الغد جاءت نساؤهم وأطفالهم فاستجاروا بالمدافع واستغاثوا بالسلطان فرقّ لهم وسرح مساجينهم وكساهم وعفا عنهم ، وكان هذا كله فى أواخر ذى القعدة من السنة المذكورة ، أعني سنة خمس وثلاثمئة وألف ، ثم فقل السلطان راجعاً فدخل مكناسة الزيتون أواخر ذى الحجة خاتمة السنة المذكورة .

---

1) مدية فى العامية المغربية .

ثم دخلت سنة ست وثلاثمئة وألف فيها غز السلطان جبال غمارة ، فخرج من حضرة فاس عاشر شوال من السنة المذكورة ، فسلك تلك الجبال ودوخها وزار تربة الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر عبد السلام ابن مشيش رضي الله عنه ، ثم تقدم إلى مدينة تطاوين فدخلها يوم الأربعاء ثامن الحرم من السنة المذكورة التى تليها أعني سنة سبع وثلاثمئة وألف ، فأقام بها نحو الخمسة عشر يوماً وزار صلحاءها وتطوف فى معالمها وتبارى وجوه أهل تطاوين وكبراؤهم فى الاهداء إليه وبذل المجهود فى الاعتناء بحاشيته هو وجيشه ، وأعجب ذالك السلطان وحاشيته ورأوا منهم ما تقرّ به أعينهم وأنعم عليهم السلطان بعشرة ءالاف ريال لبناء قنطرة يرتفقون بها فى واديهم المحيط بمدينتهم ، لكن لم يحصل مقصود بذالك لعدم إتقان بنائها فتهدمت فى الحال وضاع ذالك المال ، ثم سار السلطان من تطاوين إلى طنجة ثم منها إلى العرائش ثم عاد إلى فاس فأقام بها إلى أواسط شوال من السنة المذكورة ، ثم غـزا آيت سخمان الذين قتلوا ابن عمه مولاي سرور ، فأوقع بهم وقبض على نفر منهم ، ولم يتمكن منهم على ما ينبغي ، ثم سار إلى مراكش فأعرس لجماعة من بنيه وبناته ، ووفدت عليه الوفود من أقطار المغرب بالتهنئة وتباروا فى الهدايا والتحف على ما ينبغي ، وبالغ السلطان فى إكرامهم وإفاضة الانعام عليهم ، واستمرّ أيده الله على كرسي ملكه وأريكة عزه وسلطانه ، والأيام سلم له والدنيا مهنأه بعزه ونصره ، والرعية طوع نهيه وأمره ، إلا ما كان من نواب أجناس الدول فانهم أكثروا التردد إليه والاقتراحات عليه ، والتلونات لديه ، فمرة بالنصائح الفارغة ، ومرة بالتظلمات الباطلة والحجج الواهية ، وأخرى بطلب التخفيف من الأعشار والتنقيص من الصاكات إلى غير ذلك مما لا تكاد تقوم له الجبال الراسية وهو يدافعهم ويراوغهم وحيداً فريداً لا ناصر له ولا معين إلا الله الذى أيّد به الدين وعصم به الاسلام والمسلمين .

ولما كانت سنة عشر وثلاثمئة وألف خرج السلطان مولاي الحسن أيده الله غازياً صحراء فيلالة وقبائلها ، فخرج إليها من فاس عقب عيد الأضحى من السنة المذكورة ، فقضى الأرطار من تمهيد تلك الأقطار على ما ينبغي ، وكان رجوعه إلى مراكش على طريق الفائجة ، ولما انتهى إلى ثنية الكلاوي أصاب

الناس ثلج كثير وبرد شديد تألموا منه حتى السلطان ، ثم خلصوا منه بعد غص الريق ، وفي مدة غيبة السلطان هذه حدثت حرب شديدة بين زناته عصب الريق .

وفي مدة غيبة السلطان هـذه حدثت حـرب شديدة بين زِنـاتة الريف وبين نصارى الاصبنيول من أهل مليلية وما والاها فمحقتهم زناتة محقاً وشردوا دوابهم من خلفهم استئصالا وقتلا ، وكان السبب فى ذلك أنهم اقترحوا على السلطان أن يزيدهم فى مساحة أرض مليلية على عادتهم فى كثرة الاقتراحات والتلونات ، فأسعفهم وزادهم من أرض زناتة نحو الغلوة ، وصار الحد المشترك بين الفريقين قريباً من تربة ولي الله سيدى وارياش ، وهو عند أهل تلك البلاد عظيم القدر شهير الذكر ينتابونه للزيارة ويتبركون به ويدفنون عنده موتاهم ، فلم يحلُ لنصارى مليلية بناء العسات وغيرها إلا بمحل يشرف على تربة السيد المذكور ويكشف عنها ، فراودهم أهل الريف عن التخلي عن ذلك الموضع والبناء بغيره فأبوا وأصروا على الامتناع ، وربما لسعوهم بما أحفظهم من الكلام المؤلم على عادتهم فى ذلك ، فان هذا الاصبنيول منذ كانت له الغلبة فى حرب تطاوين وأهل المغرب معه فى عناء شديد من كثرة ما يتعنت ويتجنى عليهم ويسمعهم من محفظات الكلام وصريح الملام ، لاسيما أوباشهم ورعاعهم ، وتالله لقد سمعت أذناي من ذلك ما يضيق له الصدر ولا ينطلق به اللسان ، وإذا رفعت الشكاية بهم إلى أكابرهم غمصوا الحق وجادلوا بالباطل ، هذا دأبهم وديدنهم وإلى الله وحده المشتكي وله سبحانه العتبى حتى يرضى ولا حول ولا قوة إلا بالله ! فلما سلكوا هذا المسلك ونحوه مع أهل الريف أذاقوهم من بأسهم شديد العقاب وأليم العذاب كما هو معلوم ، فلما احتلَّ السلطان أيده الله بحضرة مراكش من هاذه السفرة قدم عليه وفدُ الاصپنيول يطلبون الانصاف من أهل الريف فى هذه النازلة واستصحبوا معهم سرباً من الحمام الطيار بالمكاتيب والأخبار ، ودار الكلام بينهم وبين السلطان فى النازلة وحكم فيها مَن لم يكن ذا بصيرة بمعضلات النوازل من غافل أو متغافل ، فوقع الفصل على أن يدفع السلطان عن دماء قتلاهم أربعة ملايين من الريال ، وتم الصلحُ على ذلك ، وكانوا فى تلك المدة كلما دار بينهم وبين السلطان كلام فى القضية أطاروا به الحمام إلى أرباب دولتهم فى مدريد ، والله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم بما يريد .

وفى ءاخر هذه السنة كانت وفاة السلطان مولاي الحسن بن محمد رحمة الله تعالى عليه ورضوانه ، فانه خرج من مراكش فاتح ذى القعدة من السنة المذكورة غازياً قبائل البربر الذين بجبال فازاز لاسيما آيت سخمان الذين غدروا بأصحابه وابن عمه حسبما تقدم قريباً ، وكان رحمه الله قدَ قدم من حركة فيلالة وهو مريض مرضاً خفيفا فى الظاهر ، ولكنه مزمن فى الباطن ، فكان يتكلف معه الخروج للناس وينفذ القضايا ويجلس للوفود ويخبرهم ويفعل جميع الأمور المخزنية ، ثم خرج من مراكش فى التاريخ المذكور على ما به من الألم والمرض وتحامل حتى انتهى الى وادى العبيد من أرض تادلة فأدركه أجله هنالك فى الساعة الحادية عشرة من ليلة الخميس ثالث ذى الحجة الحرام متم عام أحد عشر وثلاثمئة وألف (7 يونيو ، سنة 1894 م) وحمل في تابوت إلى رباط الفتح ، ودفن بازاء جده الأعلا سيدى محمد بن عبد الله رحمة الله على جميعهم ءامين .

وكانت مدة خلافته إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر ، وكان رحمه الله من خيار الملوك العلوية وأفاضلهم بما نشر من العدل وأصلح من الرعايا وأبقى من الآثار بالمغرب وثغوره ، فالله تعالى يجبر كسر المسلمين فيه ، ويعوضهم أجراً على مصابه ءامين .

انتهى ملخصاً من (الاستقصا) ومن المؤلفات التى ألفت باسمه نزهة الزمن وتهنية لمولانا الحسن ؟ لمؤلفه السيد عبد السلام بن ادريس بن أحمد بن علي الأودر السبيطي البهالي في ربيع الأول عام 1288 ثمانين وثمانية ومئتين وألف ، والمراحل السنية للأصقاع السوسية للفقيه السيد أحمد ابن المواز ، والدرة السنية فى ذكر الدولة الحسنية تأليف ابن داني العدل بمراكش ، والدر الحسن فى مناقب أمير المومنين مولانا الحسن ، وتحفة الأمن والأمان فى الادعية لمولانا الحسن للسيد محمد بن الحسن الدمناتي ، والفتوحات الوهبية السنية فى سيرة مولانا الحسن للعلامة الحسن بن عبد الرحمان السملالي ، ومن جملة مـآثره أنه قيل في ختمه البخاري سنة 1290 نيف وخمسون قصيدة ، أجاز الكلَّ عنها على قدر مراتبهم (1) .

---

1) انظر عن السلطان مولاى الحسن الأول **اتحاف اعلام الناس** 2 : 115 **والدرر الفاخرة** ص 97 .

420) **الحسن بن أحمد بن عبد الرحمان المزميزي** المراكشي الفقيه العلامة ، كان رحمه الله فقيهاً مشاركاً مفتياً متقنا حيسوبيا معدلا ، أخذ عن الفقيه أحمد كلا (بناني) ، وابن عبد الرحمان الحجرتي، وسيدى أحمد بن الطاهر المراكشي وغيرهم ، واستقضى عام ثلاث وثمانين ومئتين وألف بالصويرة ، ثم أعفي ورجع لمراكش ، ووقفت على ظهير شريف محمدي مؤرخ في 23 جمادى الأولى عام 1283 يخاطب ولده مولانا الحسن جواباً عن كتابه عما طلبه السيد ابن عبد الرحمان المزميزي الموجه قاضياً لثغر الصويرة في إبقاء المرتب المنفذ له على التدريس اعانة لأولاده فى غيبته حسبما فى نفولتهم التى وجهت فلا بأس بابقائه لهم والسلام . انتهى .

ودرس الفقه والعربية وعلم الفرائض والتوقيت وغيرهما ، وأخذ عنه جماعة من طلبة مراكش كالفقيه السيد الهاشمي بوعبولة والفقيه السيد علال امرايت وغيرهما ، وله حاشية على تأليف عبد الرحمان العلج فى علم أغريتم وتأليف فى علم تسطير الرخامات ، وكان يقرأ الكرة في الهيأة والجغرافية ممن حضره فيها السيد المحجوب وغيره ، والكرة هي التى يعبر عنها محمد بن جابر بن سنان المعروف بالبتاني المتوفى سنة 317 هـ ، الصابي لأنه صابي المذهب بالبيضة فى زيجه المعروف باسم الزيج الصابي ، وكانت للمترجم خزانة كبيرة فى فنون التعاليم صار بعضها الى صاحبنا السيد الطاهر الجراري . وعمِيَ المترجَم فى ءاخر عمره ، وتوفي رحمه الله أواخر العشرة الثانية من القرن الرابع عشر ، ودفن بصحن ضريح سيدي محمد بن صالح .

421) **حسن البغدادي** ، من بلاد الموصل ، نزيل مراكش ، كان فقيهاً حنفياً عارفاً بأصول الدين محققا للمعقول زاهداً ، أقام بمراكش نحو ثمانية عشر عاما من تاريخ 1299 الى عام 1317 ، كان يتعاطى العلوم العقلية ويقرىء جمع الجوامع بالمدرسة اليوسفية ، حضر عليه السيد الطاهر الهشتوكي وغيره ، وأقرأ الاستعارات والمنطق ، وكانت عبارته مغلقة ، وكان يكتب فى امضائه حسن القادرى ، كان شيخنا الحاج محمد ازنيط يقول : لو

لم تكن عندي.حاشية اليوسي ماذاكرته في التوحيد ولا قدرت على الأجابة عن المسائل التى يستشكلها ويذاكرها ، وكان قليل الأكل ياكل كأكل الطير، لا يملك شيئاً من الدنيا ، وعنده كتبه ومحفظته ، ولما سمع به مولاي الطاهر البلغيثي ألزمه باقراء أخيه وولده ، فكان يقرئهما علم الأدب وعمل له راتباً لذلك ، وكان حاله حال الصوفية ، لازم صديقنا الفقيه السيد الحاج عبد السلام اليعيشي وكان عنده يأكل مدةَ إقامته بمراكش ، ثم سافر للصويرة وصاهر أصهار أولاد ابن عبد السميح وهم أولاد الحاج حمو مثقال ، وولد له هناك ولد ونفّذ له بها راتب من الأحباس ، وأقرأ أولاد العامل السيد السعيد الشيظمي وجال بسوس أيضاً ، ثم توفي بعد ذلك رحمه الله .

422) الحسن بن عمر الكتاني الادريسي

الحسن بن عمر بن الطايع بن ادريس بن محمد الزمزمي بن العربي بن أحمد بن علي بن القاسم بن عبد العزيز بن القادم على فاس محمد الادريسي الكتاني ، قال فى (الدرر البهية) ما نصه : وأما الفقيه الأجل السيد الحسن فمن الشرفاء الأخيار ، وأهل الوفاء الأبرار ، ملازم للسنة مخالف سبيل البدعة، سالك سبيل المهتدين ، عامل بعمل أهل الدين ، وهو أحد عدول هذه الحضرة المبرزين ، وأفرادها المشهورين ، كان لأهل فاس عليه اقبال واذا رأى فجوراً غلب عليه الحال وخرج عن احساسه ، حدث عنه السيد العربي بن عبد الوهاب أنه كان مدة معه فى جامع القرويين وأراد المولى عبد العزيز صلاة الجمعة فيه فأخرج وزعته جميع مَن فى البلاط الأول منه حتى وصلوا المترجم فطلبوه بالنهوض ، فقال لهم ان المساجد لله وليست للسلطان ، ولم يحد عن محله ، ووقعت له نادرة مع قاضي فاس سيدي الهادي الصقلي حيث حكم على خصم وامتنع من تنفيذ حكمه ووجهه للمترجم مع الفقيه العدل السيد عبد الكبير ابن الحاج دفين مراكش يشهدان عليه بالامتناع ، فلما وصلهما قال لهما إنما يمتنع من الحكم عليه بدون مقال ولا جواب ولا يمتنع من الشرع ، فرجعه العون الى القاضي فرده لهما وأمرهما بالشهادة عليه بذلك ، فامتنعا منها فطبع حانوتهما ، ثم ورد الأمر بفتحها على يد وزير الشكايات علي المسفيوي،

قال السيد عبد الحي الكتاني : كان للمترجم طرف من الفقه وملازمة لدروس ابن عمه سيدي جعفر وغيره ، وصحب الشيخ سيدي محمد بوطربوش الدباغ وصافحه بالسبابة كما صافح بذلك شيخه المذكـور القاضي شمهروش ! وصحب أيضاً زوج والدته العارف بالله سيدي محمد بن عبد الواحد الكتاني وشاهد كثيراً من كراماته ، وأدرك جده الولي الكبير مولاي الطائع المعروف بالمسلطن وشاهد كثيراً من أسراره ، وكان له ورد من القرءان وصدقات سرية، وكان له اهتمام بأمر المسلمين عظيم ، دخل مراكش فيما سمعته منه ، ثم توفي رحمه الله عام واحد وعشرين وثلاثمئة وألف ، وحضر جنازته جل أهل فاس هـ.

وراجع (الأنجم السوابق الأهلة) و (مواهب الرحمان) .

تنبيـه :

أما الشريف سيدي الحسن بن عمر بن هاشم بن الطائع بن هاشم بن ادريس بن عبد الرحمان بن عبد العزيز بن أحمد بن علي بن القاسم فهـو غير المترجم يلتقي معه فى أحمد بن علي .

423) **الحسن بن العربي الرحماني المراكشي** ، الفقيه المشارك الخير الناسك ، كان رحمه الله قرأ العلم بمراكش على شيخنا الحاج محمد أزنيط وطبقته ، وحفظ المختصر الخليلي وغيره ، ودرس بجامع سيدي أبي العباس السبتي مدة ، وكان هيناً ليناً فاضلا متواضعاً ، وممن كان يحضر مجالســه صاحبنا الفقيه السيد حمّو بن محمد الضرير الفطواكي وغيره توفي رحمه الله .

424) **حسون بن عبد النور** الوزير الخير الثقة الأدين ، وهو مـن الحشم الذين لهم أصالة فى الوزارة وسابقة فى الدولة المرينية فى الرياسة ، كان هذا الرجل أشد الناس حياء وأحسنهم هدياً وألينهم جانباً وأجملهم اعتقاداً فى أهل الخير وأقلهم كلاماً ، يديم السكوت ولا تعتريه غفلة من ملاحظة أبى الحسن المرينى له فى الغالب ، وما أظنه كان يبتدىء كلاماً ولا ينشىء خطاباً ، وكان مشهوراً بالدين والعفاف والصدق وقبض اليد .

توفي رحمه الله فيما يغلـب على ظنى فى حركة الجزائر والله أعلم .

ذكره ابن مرزوق فى (المسند الصحيح الحسن) .

425) الحسين بن عبد الله ابن المالقي الأنصاري

الحسين بن عبد الله بن محمد بن عيسى الأنصاري يعرف بابن المالقي ، ولد باشبيلية ، ودار سلفه مالقة ، سمع أبا محمد بن عبيد الله ، وأبا عبد الله ابن الفخار ، وأبا عبد الله العزفي ، وأخذ العربية والأدب عن الأستاذ أبى عبد الله ابن الدراج ، وأجاز له أبو بكر بن محمد المتشانجى وأبو محمد التادلي ، وأبو بكر ابن الجد وعبد الحق الاشبيلي ، وولي قضاء قرطبة ، وكان بمراكش رئيس الطلبة وهي خطة لسلفه ، خطيباً مفوهاً ، له حظ من النظم ، حدث عنه ابن الطيلسان ، وقال توفي في آخر سنة سبع عشرة وستمئة، ومولده باشبيلية سنة سبع وستين وخمسمئة .

ذكره في التكملة .

426) الحسين بن محمد ابن ناصر الأغلاني الدرعي

الحسين بن محمد بن أحمد بن محمد بن حسين بن ناصر بن عمر بن عثمان الدرعي الأغلاني ، الفقيه العالم الصوفي الزاهد الولي شقيق الشيخ العارف بالله سيدى مَحمد ابن ناصر ، كان رحمه الله عالماً مشاركاً محصلا زاهداً وسيداً فاضلا عارفاً ، حصل علوماً على شيوخ ذكرهم في فهرسته التي ذكر فيها مقروءاته وبعض أحواله في نحو خمس أوراق ، منهم أخوه الشيخ العلامة الولي الصالح مَحمد ختم عليه مختصر خليل ست مرات ، وتسهيل ابن مالك نحو خمس مرات ، وغير ذلك ، ومنهم الشيخ أبو الحسن ابن جبور الفركلي قرأ عليه كتاباً فى علم الكلام والنحو والحديث ، ومنهم الشيخ محمد بن سعيد السوسي المرغتي ناظم المقنع قرأ عليه الروضة فى التوقيت ومختصر خليل وصحيح البخاري والموطأ وعلم الحساب بالمنية وغيرها وغير ذلك ، ومنهم الشيخ سلطان المصري والشيخ الزعتري كلاهما بالأزهر من مصر ، وأخذ التصوف والطريقة على مشايخ ، منهم أخوه أيضاً ومنهم شيخاهما عبد الله ابن حسين ، والشيخ سيدى أحمد بن إبراهيم وغيرهم كالبابلي وعبد المعطي المالكي المصري ، ولما قرب استقراره بأغلان سلم على سيدى أحمد ابن

ابراهيم يوماً ضحى ، قال صاحب الترجمة فى فهرسته فرفع بصره إليَّ وتبسم، وقال لي إذا أردت سكنى أغلان عند قضاء حاجتك من طلب العلم أذِنَّا لك ، فوقع فى قلبى ما الله أعلم به من مفارقة الأشياخ إذ عزت على مجاورتهم ومجاورة أوطانهم ، واستشعرت من كلامه وقوع السكنى ، قال وسيدى مَحمد أخوك ليس له مندوحة عن هذا الموضع واستيطانه ، وتواطأت أنا وصاحب لي على الدخول على القطب سيدى عبد الله فى روضته عام وفاته والاستشفاع به فى رؤية المصطفى صلى الله عليه، فلما كان بعد ثلاث دخلت عليه فرأى صاحبي النبي صلى الله عليه وسلم وبقيت أنا ودخلت على سيدي أحمد رضي الله عنه وأخبرته بما وقع لصاحبي ، وقلت ولعلني لست مسلماً ، فقال لا تقل ذلك ، ولاكن ادخل على الشيخ واطلب حاجتك منه ففعلت ، فرأيته صلى الله عليه وسلم بكراع بلاد المغاربة بتمجروت وماشيته إلى أغلان قرب مسجد ءأيت سيدى علي ، فدخل موضعاً وقال انتظرني حتى أرجع ، فانتبهت وتيقنتُ سكنى أغلان ومفارقة شقيقي وشيخي باشارة الشيخ سيدى أحمد ابن ابراهيم رضي الله عنه ومماشاة المصطفى صلى الله عليه وسلم من تمجروت إلى أغلان ، ثم قال بعثني الشيخ الشقيق رضي الله عنه عام ثلاثة وخمسين لزيارة رجال مراكش ورجال أغمات وعام أربعة وخمسين لزيارة ولي الله السيد أبى يعزى ، ثم عام ثلاثة وستين لحجٍّ بيت الله الحرام وزيارة المصطفى صلى الله عليه وسلم قال فحججنا وزرنا المصطفى صلى الله عليه وسلم وما جعنا وما عطشنا قط ، وكان أهل الركب وأميره يعجبون من سهولة سفرنا ، ثم لما شيعنا أحبتنا إلى المداكك وأخذوا فى وداعنا طرقني من وحش الشقيق ما لا أطيق ، فقلت :

حللنا بـواد للمداكك ينسـب ... فهيَّج لوعـاتٌ تـذيب وتشحب
فقلت ونـار البين توقـد حرهـا ... حبيبي رسول الله أحـلا وأعـذب
هنيئاً لنا إذ صرنا أهـلا لوفـده ... تزاح به عنا الكـروب وتذهـب
هنيئاً لنا إن السعـادة والمنـى ... بوفـد على هـذا النبي المقـرب

قال وما دخلنا لبلد قط إلا أحبنا صلحاؤها وأهلها وأكرمونا وأطعمونا وسقونا ، وما نزلنا بيراً ومعطشة إلا وجدنا فيها غديراً بفضل الله وبركـة

الأشياخ ، وأراد بعض أصحاب الأخ الشفيق ممن كان معنا زيارة رجل صالح يقال له سيدى محمد بن أبى علي فى بسكرة واسترفقنى فكرهت مخالفته فزرناه ، وطلب منه الصاحب الضمان فى الطريق ، فرأيت فى النوم الأستاذ سيدى أحمد بن إبراهيم فقال لي زلقت وزللت ياصبي ، إن البركة التى يشرب فيها الانسان يواظبها ويقيم عليها ولا يكدرها فكيف يطلب غيرها ؟ أتحسب وتظن أنك لم تبلغ فى تعب ومشقة ، والله لَقد كنت تنام معوجاً فئاتيك حتى أقومك ، أتريد ملاقاة سيدى عبد الله ؟ فقلت نعم ، فذهب بي حتى لقيته فسلمت عليـه ، وقـال لي سيدي أحمد إن حانت وفـاةُ أحدكم يعني في الطريق فان لم أحضره أنا فسيدى عبد الله ابن حسين يحضره لا محالة ، ثم مات جماعة من الفقراء رحمهم الله فى الطريق ، وهاج عليَّ شوقُ الأخ الشفيق أيضاً يوماً فقلت :

فياراكباً اما عرضت فبلغـــن	شقيقيَّ مَن حاز البهاء محمـــدا
وقولا له ياثمـرة القلب إننـــي	أسير ذنوب أورثتني تمــــردا
فمنّ بدعـوات بنيـل سعــادة	وإلا أرانى صرت فحمــاً مخلـدا

ورأيت الشيـخ أحمـد يومـاً في عالـم الّنـور يبكي ، فقلت لـه ياسيدى ما يبكيك ؟ قال أبكانى الفقراء لم يقوموا لنا حتى بالصلوات الخمس ، وقمت ليلة لوردي فوجدت قيامي لم يات فرجعت فنمت ، فرأيت الشيخ سيدى عبد الله بن حسين معرضاً عني إعراضاً شديداً ، فقلت له ياسيدى أستغفر الله وأتوب اليه ، ماذا أذنبت ؟ فقال لي لمَ قمت ورجعتَ إلى النوم ؟ وكان سيدى أحمد بن إبراهيم رضي الله عنه يقول قال سيدى أحمد بن علي بن داوود شيخ الشيخ سيدى عبد الله بن حسين رضي الله عنه : نوم السنة قيمته ربع مركالة . انتهى كلام صاحب الترجمة في فهرسته .

قال فى (النشر) بعد نقله وتركت منه كثيراً وبعضه نقلته بالمعنى وهو فى غاية اللطافة وعليه طلاوة بديعة الفطرة وأخذه بمجامع القلب وذلك من أنوارهم المشرقة وغيوث معارفهم المغدقة ، وفى كلام صاحب الترجمة هذا فوائد ، منها أنهم لا يريدون مريدهم يتشوق لغيرهم ، ومنها شدة اعتنائهم

بأصحابهم ، ومنها الاعتناء بهم من قبل الحق تعالى حتى قيض لهم من ينفعهم غيباً ويحرسهم فى حالة أسفارهم البعيدة ، فهذا غاية العناية وأكبر الولاية ، رزقنا الله محبتهم ، وأنالنا بركتهم ، ونفعنا بهم ءامين . انتهى .

توفي المترجم عام واحد وتسعين وألف (1) .

وممن أجاز المترجم سيدى الحسين المذكور الامام ابن سعيد المرغتي المراكشى شيخه مع أخيه العارف بالله سيدى مَحمد باجازة عامة طويلة الذيل في نحو نصف كراس أوردها في (فتــح الملك النــاصر) قال فيه نقلت من خط الامــام السيد محمد بن سعيد المرغيتي المراكشى المتوفى سنة 1089 رحمه الله ورضي عنه ما نصه :

بسم الله الرحمان الرحيم ، الحمد لله الّذي اصطفى على كل مصطفى من أصفيائه محمده ، ومنحه إذ سماه أحمد من كل خلق سني أسناه وأحمدَه ، ونصر له الدين ، بالأملاك المجندين ، رفع مناره المنير وشيده ، وأبلج حجته الساطعة وأبهج حجته الواسعة وآزره وأيده ، وأمده بجيوش الخوارق لأطناب الارتياب الممتدة ، فنادى ناديه قد تبين الرشد من الغي ثم وفقه الموفق الحكيم وسدده ، وجعل سبيل المنجاة للبرية فى سنن سنته السنية المرشدة ،فاهتدى بها من طلعت طوالع سعده في أفق رشده مقبلة ومسعدة ، وصدحــت ورق الرواية في أدواح الدراية ساجعة ومغردة ، فاجتنيت أزهار السلسلة المسندة ، ورنت أنوار العنعنة المطلقة والمقيدة ، فتنخترت حسن المعاني المباني في مسارح الناني أبصارا وأفئدة ، واستفيدت لمغابر الأثر الآثار عن عيون الأخبار المتهمة والمنجدة ، صلى الله عليه وسلم ، وشرف وكرم مــا لهــج اللسان باسمه الكريم ووعده ، وآله الطيبين المنتخبين القامعين لعداته المردة .

---

1) زاد المؤلف أو من ينقل عنه بعد كلمة ألف هذه العبارة : وهي السنة التى توفى فيها القطب سيدى عبد القادر بن على بن يوسف الفاسى ظهر يوم الأربعاء التاسع من رمضان ؛ ودفن من الغد يوم الخميس فى زاويته بمحل تدريسه بوصية منه ؛ وذلك بالقلقليين من فاس القرويين رضى الله عنه وأرضاه ونفعنا به آمين .

وقد آثرنا أن ننقل هذه العبارة المقحمة الى الهامش دفعاً لكل التباس .

وبعد فلما كان عام أحدى وخمسين وألف نبا بي الأوطان ، وخلفت الأهل والأخوان من خلف ، واستبدلت منهم كل صاحب وإلف ، وألقتني أيدي النوى المفزعة المفجعة في البلاد المحروسة ، ومن موائد إكرامه وسلسبيل انعامه شبعت ورويت ، علامة زمانه وفهامة أوانه ، الجهبد النحرير ، الناقد البصير ، الأديب الأريب ، اللبيب النجيب ، الخير البارع ، الديّن الطائع ، الفقيه الأجل النحوي ، التصريفي اللغوي، اللوذعي الظريف، ذو الحسب المنيف، محمد وأخوه الأبر الزكي الأمجد الحافظ الفاهم ، القوام الصواب ، اللبيب الزكي ، النجيب التقي ، الفقيه النزيه مقر العين الأنجب ، السيد الحسين ابني محمد بن أحمد بن ناصر بن عمرو الدرعي جعل الله مجدهما المحضى المرعى فوجدتهما والله خيرين كريمين وأفضل قرينين في كل خلق سني ظاهرين ، ومن كل فعل دنيء طاهرين ، وفي العلوم بحرين زاخرين ، وفي الفهوم حبرين باهرين ، وقد طرق سمعي قبل لقياهما ما شيد علياهما ، فلما كان اللقاء رأيت منهما أجل مما يؤثر عنهما ، كما قيل :

كانت مسايرة الركبان تخبرني ... فيما تحدث عنكم أطيب الخبر (1)
حتى التقينا فلا والله ما سمعت ... أذناي أحسن مما قد رأى بصري

فطفقت معهما أغتنم مجتمعهما في رياض العلوم نقطف أزهارها ، ونجتني بأيدي الفهوم ثمارها ، حتى استفدت منهما في ظني أكثر مما استفادا علي ، مع ما ألقاه من احسانهما الي ، غير أن الزمان العسير ، لم يسمح لهما الا بقراءة شيء يسير ، كمثل مواضع من صحيح محمد بن اسماعيل البخاري ومواضع من كتاب الموطأ لامام دار الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام مالك بن أنس الأصبحي وجميع الأنوار السنية ، في ألفاظ السنية ، للامام المفسر محمد بن محمد بن أحمد ابن جزى الكلبي ، وجميع روضة الأزهار ، في علم وقت الليل والنهار ، لعبد الرحمان بن غالب القادري الفاسي ،

---

1) أصل البيتين :

كانت محادثة الركبان تخبرني ... عن جعفر بن فلاح اطيب الخبر
حتى التقينا فلا والله ما سمعت ... اذني باحسن مما قد راى بصري

وجميع منية الحساب نظم وتلخيص الامام أحمد ابن البنا لشيخ الجماعة الامام محمد بن أحمد ابن غازي العثماني المكناسي ، وتجاذبنا أطراف الحديث في في سائر العلوم الشرعية حسبما يجرى فى مذاكرتها السنية مع تشويش البال بأمراض هائلة ، وأهوال نازلة ، أوجبت الفراق قبل الاتفاق فلما حان البين وعظم الخطب وجل ، وسحّ دمع العين وانهل ، طلبا عند ذلك مني اجازة تبيح لهما الرواية عني وتصل حبلهما بالسلف الصالح ، كما اقتضاه الدين الكريم من النصائح ، ولم يكن بدٌ من المساعدة ، كما اقتضتها المودة والمعاهدة ، مع أنى في ذلك ممن قيل فيه :

إذا غاب ملاح السفينة وارتمــــت ‏ ‏ بها الريح يوماً دبرتها الضفــادع

قصير الباع ، بليد الطباع ، لست من رجال ذلك ولا من فرسانه ، بل ولا من غلمانه وصبيانه :

ولاكنّ البلاد اذا اقشعـــــــرت ‏ ‏ وصوح نبتها رعي الهشيـــــــم

ولاكن ودهما الذى سكن الجنان ، حملني على مساعدتها بما كان ، فقلت وعلى الله المتكل ، فى كل قول وعمل ، أجزت السيدين المذكورين : مَحمد وأخاه الحسين ابني محمد بن أحمد بن ناصر بن عمرو الدرعي ، كان الله لهما خير ولي وأعز ناصر ، جميع ما فى فهرسة شيخ الجماعة ابن غازى وما فى فهرسة الشيخ شيخنا أحمد المنجور من العلوم الشرعية التى أنشد فيها شيخنا المحقق أبو بكر بن يوسف السكتاني فقال :

فقهٌ بتعبير الحديث مؤرخـــــا ‏ ‏ بوقت بيان الارث أصل المحجـــة
ولا تغفلن نحواً بضمن لقائـــــه ‏ ‏ تصوفْ بسر من علوم الشريعـــة
تنلْ به مرقى من مراقى أفاضــل ‏ ‏ وتحظَ بنيل المجد أبلغ منيـــــة

وأخبرني أن قوله أصل المحجة يتناول أصول الدين وأصول الفقه ، وقوله بسر يشير بــه إلى علم التصوف .... وأسبابها ، وعنوان السعــادة المطلوبة وبابها ، كما أجازني جازاه الله خيراً بقراءتي عليه وسماعي بعضه ،

ولكن من غير طريق الفهرستين المذكورتين ، فان الذى أجازني ما فيها وما فى فهرسة الامام العلقمي وما فى فهرسة الامام ابن مرزوق وما فى فهرسة ابن حجر وما فى فهرسة الامام المنثور بسماع بعض ذلك عليه بقراءة غيرى ، هـو مولاي وسيدي ومحطِ رجائي ومعتمدي ، خاتمة الحفاظ فـي المغرب الأقصى ، وراوية الرواة الذي جمع وأحصى ، المحدث الفقيه ، الأستاذ النبيه ، المفسر المحقق ، المؤرخ المدقق ، النحوي اللغوي الأصولي البياني العالم العلامة البارع ، الفهامة الزاهد الورع السني المتبع الناصح ، الولي الصالح ، التقي النجيب اللبيب ذو النسب الشريف ، والحسب المنيف ، الحبر الباهر ، البحر الزاخر ، ذو العلم الراسخ ، والفضل الباذخ ، والقدر الشامخ ، سيدى ومولاي عبد الله بن مولاي علي بن سيدي ومولاي طاهر بن سيدي ومولاى عبد الله بن سيدي ومولاي الحسن الحسني السجلماسي ، قرأت عليه قدس الله روحه وأناله أعلا الفردوس وبحبوحه ، ختمة من القرءان برواية نافع وابن كثيـر بطريقتي قالون وورش في الأولى والبرى قبل فى الثانية ، وأجازني رحمه الله فى ذلك ، وسمعت عليه ربع صحيح البخاري بقراءة الحجة المحقق سد عبد الهادي ، وسمعت منه كثيراً من سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكثيراً من التاريخ والفقه وعلوم الحديث وعلوم القراءة والرسم وغير ذلك من النحو والبيان والفقه وتفسير القرءان والناسخ والمنسوخ والغريب والتأويل وسبب النزول والاعراب والتصريف والتصوف والارشادات وغير ذلك مما يطول ذكره ، وحدثني رحمه الله بذلك كله وأباح روايته عنه ، ورواية ما رواه عن شيوخه وما وضعه من التآليف والفوائد فى كل علم نظماً ونثراً ، وكان ذلك عام سبعة وثلاثين وألف ببلاد الغيام جبل مدغرة أيام محنة شرفاء سجلماسة ، وكتب لي بخطه رحمه الله ، وأما شيوخه فكثيرة ، وكان يحدث عن أبيه ولي الله تعالى سيدى علي بن طاهر وعليه أخذ القرءان وجمع التفسير على غيره أيضاً ويحدثني عن الشيخ الناصح ، والولي الصالح ، السيد رضوان بن عبد الله وكان قارئه فيه خمس سنين ، وأخبرني بذلك رحمه الله ، يحدث عن الشيخ الأجل أحمد بن علي المنجور الفاسي ، وقرأ عليه البخاري ومسلم وغير ذلك ، ويحدث عن الشيخ القصار وهو محمد بن قاسم القصار وهما عن محمد بن

ابراهيم الشهير بخروف التونسي ، ويحدث أيضاً عن أبي القاسم بن عبد الجبار الفكيكي عن عمه ، وخروف المذكور والفكيكي عن كمال الدين الطويل القادري عن شهاب الدين عن أبى المجد عن الحجّار عن الزبيدي عن أبى الوقت عن الداودي عن ابن حموية السرخسى ، عن ابن مطر ، عن محمد بن إسماعيل البخاري ، هذا السند أعلا أسانيده فى البخاري من طريق كمال الدين القادري، وأما من طريق ابن غازي ومن طريق ابن حجر وغيرهما ولنذكر واحدا منهما فنقول : يروى الحديث كله عن أحمد المنجور عن الشيخ عبد الرحمن السفياني العاصمي الشهير بسقين عن شيخ الجماعة ابن غازي ، وأسانيد ابن غازي فى جميع العلوم كثيرة جداً مَن أرادها فليطالع فهرسته المسماة بـ (التعلل) فلا نطيل بجلبها ، ومن طريق ابن حجر فنقول يروى عن الشيخ القصار عن خروف التونسي عن شقيق المذكور عن شيخ الاسلام القلقشندي عن شيخ الاسلام ابن حجر ، ولنقصر على هذين السندين لكثرة أسانيده رضي الله عنه فى الطرق الثلاثة وغيرها .

وكان رحمه الله تعالى من عباد الله الصالحين ما رأيت أسرع منه دفعة عند سماع القرآن ، فلا يكاد يجدد الطالب لوحاً إلا ويكبر الله مرات أو أكثر ، وكذلك عند ذكر الله وذكر النبي صلى الله عليه وسلم وذكر المدينة المشرفة وعند ذكر الأولياء والصالحين ، ويعظم حرمات الله وحرمة النبي صلى الله عليه وسلم وحرمة الأولياء ، وكان شديد الغيظ على المبتدعة التاركين لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير التواضع لأهل العلم والطلبة والفقراء الصادقين يجود لهم بنفسه وماله ، ومناقبه وفضائله كثيرة ، ما رأيت معه فى مغربنا أتبع للسنة منه ، حركاته وسكناته كانت كلها علوماً وفوائد .

توفي رحمه الله عند طلوع الشمس من يوم السبت الثاني عشر من جمادى الثانية عام اثنين وأربعين وألف (1042) بمدغرة ، ودفن خارج قرية أولاد الحاج بها .

وأما شيخنا العلامة الفهامة الحجة المحقق المدقق الرحالة الراوية الفقيه الأديب ، النحرير اللبيب الكامل النجيب ، العالم العامل ، الحاج الفاضل،

المدرك الواصل ، الولي الصالح ، المجتهد الناصح ، سيدي أبو بكر بن يوسف السكتاني المغارتي فأجازني حفظه الله جميع العلوم التى أنشأ فيها ما تقدم مرتين بعد ما قرأت عليه ما شاء الله ، وذلك أني قرأت عليه البخاري كله ومسلما كله ، وسمعت عليه من لفظه جميع الجامع الصغير للامام السيوطي إلا درساً واحداً وبعضه ، وقرأت عليه مختصر خليل وجميع مناسكه وجميع مناسك الشيخ يحيى الحطاب وجميع كتاب الأنوار السنية ، في الألفاظ السنية للامام ابن جزي ، وسمعت عليه من لفظه جميع ألفية زين العابدين العراقي الحديثية ونخبة الامام ابن حجر ، وحضرت تدريسه في كثير من العلوم ، وسمعت منه مسائل كثيرة وفوائد جمة ، قيدت عنه في كثير من الفنون ، وكان أيده الله حجة في النقل وعزو المسائل ، وشيوخه كثيرون بالمغرب والمشرق ، حدثنا عن كثير من أهل المشرق في الحديث والعلوم ، وقرأت منه عليهم ، وأجازه منهم الشيخ حجة الاسلام ابراهيم اللقاني عن الشيخ سالم السنهوري والشيخ محمد البنوفري عن الشيخ محمد الرملي وعن نجم الدين الغيطي والشيخ محمد الرملي والشيخ محمد البنوفري كلاهما عن القسطلاني عن شيخ الاسلام أحمد بن علي ابن حجر والشيخ محمد الرملي أيضاً عن والده الشيخ أحمر الرملي ، وعن شيخ الاسلام الحجة الامام زكرياء ، وكلاهما عن حجة الاسلام ابن حجر ، وأيضاً حفظه الله عن الشيخ محمد مولانا الاسكندراني عن البنوفري المذكور ، ويروى أيضاً حفظه الله عن الشيخ عبد الرحمان الخياري عن الرملي عن والده كما تقدم ، كان الله له باللطف الجميل ، في المقام والرحيل ، مولعاً ببلاد المشرق يفضلها في العلم على بلاد المغرب في زماننا هذا ، رحل إليها ثلاثة في عامنا هذا الذي هو واحد وخمسون وألف، وكان أيده الله آية في المسكنة وحب الخمول لا تغزه الحياة الدنيا وزينتها ولا يميل إليها ولا يعظم أهلها ولا يراهم شيئاً شديد الاحتراس منهم ، كثير التحفظ لدينه كثير العلم والفوائد ، محققاً في القراءة السبع والعشر ، يعرف من أحكامها ما لا يوجد عند أهل زمانه ، وقرأت عليه القرآن إلى قريب من النصف برواية نافع وابن كثير ، وسمعتُ عليه أحكاماً ، وكان كثير النوادر والحكايات ، مجلسه أحسن مجلس رأيته في مغربنا ، متواضعاً يسأله كل أحد ويجيبُه على

قدر عقله ، صابراً حليماً ناصحاً محبوبا عند الخاصة والعامة لا يطوى بشر على أحد ، ويسعى فى قضاء حاجته لاسيما في الشفاعات ما لم تكن مخالفة للشرع ، وكنت قرأت عليه بمراكش في مسجد أم السلطان أحمد (المنصور السعدي) رحمه الله ، وبمسجد حومته قرب داره فى درب الحلفاويين ، وفيه كان يدرس غالباً ، نسأل الله تعالى أن يقرب اجتماعنا به على أحسن حال بمنه وكرمه . وتوفي سنة 1060 ، وقرأت على غير هذين الشيخين وأجازني فيما ذكر إلا قليلا منهم ، فمنهم أهل فاس المحروسة كالشيخ الامام العلامة التقي الصوفي السني ذى الحسب الشهير ، والنسب الأثير ، الحاج الرحالة الأستاذ الفقيه ، الطيب النبيه ، النحوي اللغوي ، السيد عبد الواحد ابن عاشر الأندلسي ، كان رحمه الله آية فى الفهم والتحقيق فى الفنون ، ومواظباً على العبادة والدين ، ومع ذلك لم تفته ديناه كما لم تفته آخراه ، سبحان من خصّه بذلك سبحانه ، وحضرت عليه من النكاحات فى المختصر إلى قريب من ختمه ، وسمعت عليه الفوائد الكثيرة وأبحاثاً دقيقة في العلوم ، وأجاز لي فى موضوعاته في الفقه وغيره نظماً ونثراً روايتها عنه يطول بنا ذكرها ، وقرأت عليه الفاتحة بمد ملك يوم الدين بسنده فيها إلى شمهروش الجني ! الذى سمعها من النبي صلى الله عليه وسلم وقرأها عليه فأجازني فيها خصوصاً ، وغيره من الأشياخ يطول بنا ذكر جميعهم ، وكبرزلي الزمان ، ومصباح الأوان القاضي الشهير ، والجهبذ النحرير ، إبراهيم المزياتي ، لقيته ببلاد غمارة واستفدت منه رحمه الله وغيره، وحاصل الأمر أنى أجرت السيدين المذكورين كل ما قرأته على أشياخى وأخذته وأجازوني فيه من العلوم الشرعية عقلية ونقلية وأصلية وفرعية ، ولولا الطول لذكرت أسانيدي في الفقه المالكي وغيره من العلوم ، وأذنت لهما أن يرويا عني كل ما رويته وأجزت فيه أو نسب إليّ من تقييد أو وضع نظماً ونثراً ، وأوصيتهما بتقوى الله وملازمة الرحمة للمومنين وتعليمهم وتعظيم العلم وأهله وتعظيم حرمة الله وحرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم والأولياء والصالحين بشرطه المعتبر عند أهله ، فالله تعالى يعيننا واياهم على رعاية ودائعه وحفظ ما أودعنا من شرايعه .

وكتب بذلك وقاله الفقير الحقير أسير ذنبه عبد ربه فى مفتتح محرم عام اثنين وخمسين وألف محمد بن سعيد السوسي ، وصلى الله تعالى على سيدنا ومولانا محمد وءاله الطيبين وأصحابه المنتخبين والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين ، والحمد لله رب العالمين (1).

وقال فى (قرى العجلان) : الحسين (2) بن محمد بن أحمد بن الحسين بن عمرو بن ناصر ، الولي الصالح أخذ عن شقيقه القطب سيدي مَحمد بن ناصر ، وحج رحمه الله ثلاث حجات ، واحدة فى أول عشرة الستين ، ولقي حينه جماهير من العلماء الكبار ، وأولياء الله الصالحين الأبرار ، وهي المرة الأولى ومرتين مع القطب أخيه ، وعزم على الرابعة مع ابن أخيه المتفق على صلاحه وولايته سيدي أحمد بن مَحمد بن ناصر نفعنا الله بهم ، ثم مات شهيداً بالوباء الأخير بالمغرب في ءاخر العشرة العاشرة من المئة بعد الألف ، قرأت عليه فى صغرى الكراريس والرسالة والجرومية والألفية ، وحضرت مجالسه حينئذ الى أن ارتحلت من بلدهم الى الزاوية الدلائية صدر أربعة وستين بعد الألف ، والله أعلم ، وممن أجاز المترجَم سيدي الحسين مع أخيه المذكور الشيخ محمد البابلي الشافعي اجازة عامة مؤرخة يوم الاثنين ثاني عشر ربيع عام واحد وتسعين وألف ، وهو يروي عن البرهان اللقاني وشيخ شيخة المذكور سالم السنهوري ، وإجازته لهما مذكورة فى (فتح الملك الناصر) ، وترجمه أيضاً فى (الدرر) وذكر أن ولادته سنة ثمان وعشرين وألف ، وأغلان قصبة بلاد درعة وبها دفن بزاويته منها ، وتولى غسله وكافة شؤونه الشيخ سيدى أحمد الخليفة وولده الشاب العالم سيدي عبد الله بن حسين ، وعمره يوم وفاته ثلاث وستون سنة ، كان يحفظ المدونة وله كرامات .

وممن أخذ عنه الشاب أحمد الشتوكي ، وقال سيدي المكي الناصري فى الرحلة عند ذكر زيارة المترجم فى أولها : توفي سنة احدى وتسعين وألف

---

1) حاولنا تحرير نص هذه الاجازة من أخطائه ؛ فوفقنا الى حد كبير ؛ ولكننا عجزنا عن تصحيح بعض العبارات لانعدام مراجع نقابل عليها فتركناها كما هى .

2) كتبت هذه الترجمة المنقولة من قرى العجلان فى الأصل وكأنها ترجمة مستقلة لشخص آخر غير الذى قبله ؛ فحذفنا عنوانها وجعلناها امتدادا لما قبلها .

بالوباء الداخل للمغرب في السنة المذكورة ، وقد استوفيت التعريف به في مؤلفي (الروض الزاهر ، في التعريف بالشيخ بن حسن ؟ وأتباعه الأكابر) ، فليراجع وهو يخالف ما تقدم .

427) حسين بن أمير المومنين سيدى محمد بن عبد الله العلوي .

بايعه الرحامنة بعد أن خلعوا أخاه المولى هشاماً ورجعوا به الى مراكش، فلم يرع المولى هشاماً إلا طبولهم تقرع حول القصبة وأرهقوه وأعجلوه عن ركوب فرسه ، فخرج يسعى على قدميه الى أن أتى ضريح الشيخ أبي العباس السبتي فعاذ به وثابت إليه نفسه ، وبعد أيام تسلل وسار في جماعة من حاشيته الى أسفي ونزل على وزيره القايد عبد الرحمان ابن ناصر ، فأكرم مثواه وأحسن نزله ، وغدا وراح في طاعته ومرضاته ، ودخل المولى حسين قصر الخلافة بمراكش فاستولى على ما فيه من الذخيرة والأثاث من متاع المولى هشام ومتخلف المولى يزيد ، فاضطرّ أهل مراكش حينئذ الى مبايعة المولى حسين والخطبة به ، وكان ذلك سنة تسع ومئتين وألف ، وافترقت الكلمة بالحوز ، فكان بعضه كعبدة وأحمر ودكالة مع المولى هشام ، وبعضه مثل الرحامنة وسائر قبائل حوز مراكش مع المولى حسين ، واتقدت نار الفتنة بين هؤلاء القبائل وتفانوا فى الحروب الى أن بلغ عدد القتلى بينهم أكثر من عشرين ألفاً ، هذا كله والسلطان المولى سليمان مقيم بفاس معرض عن الحوز ومتربص بأهله الدوائر ، الى أن ملوا الحروب وملتهم ، وكان ذلك من سعادته ، فصاروا يتسللون اليه أرسالا ، ويسألونه الذهاب الى بلادهم ليعطوه صفقة بيعتهم ، فكان يعدهم بذلك ويقول اذا فرغت من أمر الشاوية قدمت عليكم ان شاء الله ، ثم مات المترجم بالوباء الواقع عام اثني عشر ومئتين وألف ، ودفن بقبة الى جنب الشيخ الجزولي رضي الله عنه ، وقبره مشهور بمراكش .

ذكره فى (الجيش العرمرم) .

428) حسين (حساين) أعرجان

وممن لم أقف على تاريخ وفاته الولي الصالح المعروف بسيدى حسين (حساين) أعرجان بداخل المسجد المعروف به لصق الحائط ، وقبره مزارة شهيرة بقعر الدرب المسمى به .

429) **الحسين اليعقوبي** ، تخرج بمحمد بن يوسف الركني نسبة الى الركن قرية ازاء طاطا بسوس ، وتلميذه المذكور أعظم عالم فى تلك الجهة ، وأخذ العلم بمراكش ثم رجع الى ايمنتتلت ؟ فخرج كثيرين ، وهو من أحفاد محمد بن يعقوب الرجل الصالح الشهير الصنهاجي المشهور فى القرن العاشر ، وقد ظهر فى أولاده علماء كثيرون ، توفي المترجم عام 1318 ، وتوفي شيخه الركني عام 1286 ، وهو تخرج بشيخه الأزنكاضي نسبة إلى أق ازنكاض قرية أخرى قرب طاطا قامت فيها أسرة محمد الأزنكاضى ، وهي نسبته الى صنهاجة، لأن أزنكاض معناها صنهاجة ، وكذلك تازناخت أو تزنكت أو زناكة ، فالكل معناه صنهاجة ، وتربى فى حجر المترجم ولد شيخه الحسن بن محمد بـن يوسف الركني المتوفي في الحادي عشر من ذى حجة الحرام عام 1312 متردياً من فرس .

430) **حفصة بنت الحاج الركوني**

الشاعرة الأدبية المشهورة بالجمال والحسب والمال ، ذكرها في (الاحاطة) والملاحي فى تاريخه ، وأنشد لها الأخير مما قالته فى أمير المومنين عبد المومن بن علي ارتجالا بين يديه :

ياسيد الناس يامَـــــــــــن	يؤمل النّاس رفــــــــــده
امنن عليّ بطـــــــــــــرس	يكون للدهــر عـــــــــــده
تخط يمناك فيـــــــــه	الحمدُ لله وحـــــــــــده

وأشارت بذلك الى العلامة السلطانية عند الموحدين ، فانها كانت أن يكتب السلطان بيده بخط غليط فى رأس المنشور : الحمد لله وحده ، نقله في (نفح الطيب) واقتصر عليه (1) .

وقال في (الاحاطة) وذكرها الأستاذ في صلته فقال : وكانت أستاذة وقتها ، وانتهت الى أن علمت النساء في دار (يعقوب) المنصور ، وسألها يوماً أن تنشده ارتجالا فقالت :

---

1) **نفح الطيب** 4 : 171 .

امنُنْ عليَّ بصــــــــــكٌ يكون للدهر عــــــــــده
تخطُّ يمناك فيـــــــــه : الحمد لله وحـــــــــده

قال فمنَّ عليها وحرر ما كان لها من ملك .

انتهى نقل الاحاطة (1) .

ونحو ما للملاحي فى (تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية) قال : ولما نهض عبد المومن للجهاد واحتلَّ بسلا قدم عليه هناك وفـدُ الأندلس سنة ثلاث وخمسين وخمسمئة وفيهم حفصة الأديبة المعروفة بابنـة الحاج الركوني ، وكان يسمع عنها وعما توصف به من الجمال الباهر والأدب الظاهر ، فأمر باحضارها فقال لها أنت حفصة الشاعرة ؟ فقالت نعم خادمتك وصلتْ لتتبركَ بغرتك السعيدة ، ودنت فقبلت يده ، ثم أنشدته تستدعي منه ظهيراً لموضع ، فسئلت عنه فقالت :

ياسيد الناس يامَـــــــــن يُؤمل الناس رفـــــــــده
امنن علي بصـــــــــكٌ يكون للدهر عــــــــده
تخطُّ يمناك فيــــــــه : الحمد لله وحـــــــــده

فأعجب عبد المومن بها ووقع لها بالقرية المعروفة بركونة ، واليها تنسب ، فعاشت عيش الملوك .

انتهى (2) .

وقد أدركت من دولة المنصور ست سنين لأنها توفيت فى ءاخر ست وثمانين وخمسمئة ، وبويع المنصور سنة ثمانين وخمسمئة ، فيكون ذكرها هذه الأبيات للمنصور إنشاداً فقط ، وقد كانت أنشأتها لعبد المومن فقضت بها الغرضين عند الملكين .

---

1) الاحاطة 1 : 493 .

2) تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ص 10 طبع تونس .

وفي (بغية الملتمس) ما يخالف هذا ، قال فيها : الوادي ءاشية (1) شاعرة أديبة ، أخبرني بعض أصحابنا أنه عاينها بحضرة اشبيلية وقد رفعت الى الخليفة الامام أمير المومنين يوسف بن الخليفة أمير المومنين (عبد المومن) بيتيْ شعر تطلب فيهما صكّاً وهما :

امنُنْ عليَّ بصكٍّ يكون للدهر عُدَّه
تخطّ يمناك فيه الحمد لله وحده

وأنشدت من شعرها :

أباح الدمع أسراري بوادي به للحسن ءاثار بوادي
وبين الكِلتَيْن مهاة أنس سبت لُبِّي وقد ملكت قيادي
وقد سدلَتْ ذوائبها لأمر وذاك الأمر يمنعني رقادي
تخال الصبح مات له خليل فمن حزن تسربل بالحداد (2)

وأنشد لحفصة أبو الخطاب في المطرب (3) قولها :

ثنائي على تلك الثنايا لأنني أقول على علم وأنطق عن خبر
وأنصفها لا أكذب الله انني رشفت بها ريقاً ألذ من الخمر

وتولّع بها السيد أبو سعيد بن عبد المومن ملك غرناطة وتغير بسببها على أحمد بن عبد الملك بن سعيد كاتبه حتى أدى تغيره عليه أن عزله ، ثم قتله أبو سعيد بمالقة صبراً بسبب قوله : ما تُحبين في ذلك الأسود ؟ وأنا أقدر أن أشتري لك من سوق العبيد خيراً منه .

وقول ياقوت في (معجم الأدباء) في ترجمة حفصة المذكورة وتولع بها أمير المومنين عبد الموفق المذكور الخ غلط ، بل المتولع بما هو ولده أبو سعيد المذكور .

---

1) الوادي ءاشية هي حمدونة بنت زياد المؤدب ؛ فهي غير حفصة .
2) **بغية الملتمس** ص 545 ع 1590 طبع القاهرة سنة 1967 .
3) **المطرب** ص 10 .

وطلب منها أحمد بن عبد الملك ابن سعيد الاجتماع فمطلته قـدر شهرين ، فكتب لها :

يامن أجانب ذكر اسـ ... ـمه وحبي علامه
ما إن أرى الوعد يقضي ... والعمر أخشى انصرامه
اليوم أرجوك لا أن ... تكون لي في القيامه
لو قد بصرت بحالي ... والليل أرخى ظلامه
أنوح شوقاً ووجداً ... إذ تسريح الحمامه
صبٌ أطال هواه ... على الحبيب غرامه
لمَن يتيه عليه ... ولا يردُ سلامه
إن لم تنيلي أريحي ... فاليأس يثني زمامه

فأجابته :

يامدعي في هوى الحسـ ... ـن والغرام الامامه
أتى قريضك لكن ... لم أرض منه نظامه
أمدعي الحب يثني ... يأسُ الحبيب زمامه
ضللت كل ضلال ... ولم تفدك الزعامه
مازلت تصحب مذ كنـ ... ـتَ في السباق السلامه
حتى عثرتَ وأخجلـ ... ـت بافتضاح السئامه
فالله في كل حين ... يبدي الحساب انسجامه
والزهر في كل حين ... يشقُ عنه كمامه
لو كنت تعرف عذرى ... كففت غرب الملامه

ووجهت هذه الأبيات مع موصل أبياته بعد ما لعنته وسبته وقالت له لعن الله المرسل والمرسول ، فما في جميعكما خير ، ولا لي برؤيتكما حاجة ، وانصرف بغاية من الخزي ، ولما أطل على أحمد بن عبد الملك ابن سعيد وهو في قلق لانتظاره قال له : ما وراءك ياعصام ؟ قال : ما يكون وراء مَن وجهه خلف الى فاعلة تاركة ، اقرأ الأبيات تعلم ، فلما قرأ الأبيات قال للرسول ما

أسخف عقلك وأجهلك ، انها وعدتني للقبة التى في جنتي المعروفة بالكمامة ، سر بنا فبادروا الى الكمامة فما كان الا قليلا واذا بها قد وصلت ، وأراد عتبها فأنشدت :

دعي عد الذنوب اذا التقينـــــا تعالي لا نعد ولا تعــــــدى

وجلسا على أحسن حالة ، واذا برقعة الكتندى الشاعر لأحمد وفيها :

أبا جعفر يابن الكرام الأماجـــد خلوت بمن تهواه رغماً لحاسـد
فهل لك فى خلٍّ قنوع مهــذب كتوم عليم باختفاء المراصـــد
يبيت أذا يخلو المحب بحبــه ممتع لذات بخمس ولائـــد

فقرأها على حفصة فقالت لعنه الله ، قد سمعنا بالوارش على الطعام والواغل على الشراب ، ولم نسمع اسماً لمن يعلم باجتماع محبين فيـروم الدخول عليهما ، فقال لها سميه لنكتب له بذاك فقالت أسميه الحايل لأنه يحول بيني وبينك أن وقعت عيني عليه ، فكتب له فى ظهر رقعته :

يامن اذا ما أتانــــي جعلته نصب عينـــى
تراك ترضى جلوســاً بين الحبيب وبينــي ؟
إن كان ذاك فمـــاذا تبغي سوى قرب حينـي
والآن قد حصلت لـــي بعد المطال بدينـــي
فان أتيتَ فدفعـــاً منها بكلتا اليديـــن
أو ليس تبغي وحاشـــا ك أن ترى طيرَ بيْـــن
وفي مبيتك بالخمـــ ـــس كل قبح وشيْـــن
فليس حقـــك إلا الخلو بالقمريـــن

وكتب له تحت ذلك ما كان منها من الكلام ، وذيل ذلك بقولـه :

سماك من أهواه حايـــل ان كنت بعد العتب واصـــل
مع ان لونك مزعـــج لو كنت تحبس بالسلاســـل

فلما رجع اليه الرسول وجده قد وقع بمطمورة نجاسة وصار هتكة ، فلما قرأ الأبيات قال للرسول أعلمهما بحالي ، فرجع الرسول وأخبرهما بذلك فكاد أن يغشى عليهما من الضحك ، وكتبا اليه ارتجالا كل واحد بيتاً بيتا وابتدأ أحمد فقال :

قل للذى خلصنـــــــا … من الوقوع فى الخـــــرا
ارجع كما شاء الخـــــرا … يابن الخرا الـــــــى ورا
وان تعد يوماً الـــــــى … وصالنا سوف تـــــرى
يـا أسقط الناس ويـــــا … أنذلهم بلا مـــــــرا
هذا مـدى الدهر تـــــلا … قي لو أتيت في الكـــــرا
يالحية تشغف بالخـــــ … ـرا وتشتا العنبــــــرا
لاقرب الله اجتمـــــا … عاً بك حتى تقبـــــرا

ومن شعرهـا :

سلام يفتح فى زهـــــرة الـــ … ـكلام وينطق ورق الغصـــون
على نازح قد ثوى في الحشـــا … وإن كان تحرم منه الجفـــون
فلا تحسبوا العبد ينساكـــم … فذلك والله ما لا يكـــون

وقولها من أبيـات :

ولو لم يكن نجماً لما كان ناظـرى … وقد غبت عنه مظلماً بعد نـــوره
سلام على تلك المحاسن من شـــج … تناءت بنعماه وطيب ســـروره

وقولهـا :

سلوا البارقَ الخفاق والليل ساكن … أظل بأحبابي يذكرني وهنـــا
لعمري لقد أدهى لقلبى خفقـــة … وأمطرني منهلٌ عارضه الجفنـــا

ونسب بعضهم إليها البيتين المشهورين :

أغار عليك من عيني رقيبـــــي ومنك ومن زمانك والمكـــــان
ولو أني خبأتك في عيونـــــي إلى يوم القيامة ما كفانـــــي

والله تعالى أعلم .

وكتبت إلى أبي جعفر (أحمد ابن سعيد) :

رأست فما زال العداة بظلهـــم وعلمهم النامى يقولون لِمْ رأس ؟
وهل منكر أن ساد أهل زمانـــه جموح" إلى العليا حرون عن الدنس

وقال ابن دحية : حفصة من أشراف غرناطة ، رخيمة الشعر ، رقيقة النظم والنثر ، وقال أحمد ابن سعيد : أقسم ما رأيت ولا سمعت بمثل حفصة ، ولها أشعار كثيرة ذكرها في (الاحاطة) و (النفح) قال في الاحاطة قالوا توفيت بحضرة مراكش في آخر سنة ست وثمانين وخمسمئة .

431) حيان بن عبد الله بن حيان الأوسى

حيان بن عبد الله بن محمد بن هشام بن حيان بن عبد الله بن حيان بن فرحون بن علي بن عبد الله بن مومن بن مالك بن حمدون ابن حيان الأنصاري الأوسي ، من أهل بلنسية وأصل سلفه من أروش عمل قرطبة ، يكنى أبا البقاء ، أخذ القراءات عن أبي الحسن ابن النعمة ، وروى عن أبي محمد بن عبيد الله لقيه بسبتة ، وأبي الحسن نجبة بن يحيى ،وناظر عليه بمراكش في كتاب سيبويه ، وتأدب بأبي الحسن بن سعد الخير ، وكان نحوياً لغوياً أديباً شاعراَ يشارك في الكتابة ويستعمل العويص ، حسن الخط جيد الضبط ، وقد قرأ وقتاً بجامع بلنسية ، نصبه لذلك القاضي أبو عبد الله ابن حميد ، لقيته وسمعت مذاكرته ، وتوفي سنة تسع وستمئة .

ذكره في (التكملة) .

432) **خلف بن عمر الباجي** ، أبو القاسم ، روى عن محمد بن علي بن محمد الأنصاري الشاطبي المعروف بابن الصيقل المتوفي بمدينة فاس بعد

خمسمئة ، سمع منه صحيح مسلم بأغمات ، وحكى ابن فرتون أن جد جده إبراهيم ابن فرتون روى عنه .

ذكره في التكملة .

وقال ابن بشكوال (1) .

خلف بن عمر بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي من ساكني سرقسطة ، يكنى أبا القاسم ، سمع عمه القاضي أبا الوليد الباجي وأبا العباس العذري وأبا الليث السمرقندي وأبا محمد ابن فرتش وسواهم ، واستوطن أغمات من بلاد المغرب ، وولي قضاء أغمات ، وأخذ عنه ، توفي بها بعد الخمسمئة بيسير .

ذكره ابن بشكوال غير متوفي .

433) خلف بن محمد ابن فتحون

خلف بن محمد بن خلف بن سليمان بن خلف بن محمد بن فتحون ، من أهل أريولة ، يكنى أبا القاسم ، سمع أباه أبا بكر ، وأبا علي الصدفي وتفقه به ، وأبا جعفر ابن بشتغير ، وأبا بكر بن العربي ، وأجاز له جده أبو القاسم في صغره ، وأخذ القراءات عن أبي بكر بن عمر اللاردي إلا قراءة حمزة وتفقه عليه في المدونة وقد أخذ قراءة حمزة عن أبي الحسن ابن ميمون عن أبي محمد ابن سهل ، وكتب إليه أبو عبد الله الخولاني وابن رشد وابن عتاب وابن طريف وابن مغيث وأبو محمد ابن السيد ، ومن أهل المشرق أبو الحسن بن مشرف والسلفي ، وولي القضاء بمرسية للأمير أبي محمد بن عياض فحمدت سيرته وتوجه عنه رسولا إلى المغرب فأقام بمراكش وانصرف سنة ثلاث وأربعين وخمسمئة بعد موت ابن عياض ، ثم نُقِل إلى قضاء بلده

---

1) جملة وقال ابن بشكوال غير واردة في الأصل ؛ وانما أضفناها اضطرارا ليستقيم الكلام ؛ لأن المؤلف أورد ما بعد تلك الجملة المضافة على اعتبار أنه ترجمة لشخص آخر غير الذى قبله ؛ والحقيقة أن ترجمة خلف بن عمر الباجي المنقولة عن التكملة وترجمة خلف بن عمر الباجي المنقولة عن الصلة انما هما لشخص واحد .

أوريولة وتولاه مدة طويلة مقتصراً على جار مرتب المستخلص القديم الذي لا شبهة فيه ، وكان من قضاة العدل صارماً في أحكامه مهيباً وقوراً معروف بالباهة والعلم ، وكان الأمير أبو عبد الله ابن سعد يميزه في رجاله من غيره ، ويوجب له الحظ إذ كان المنظور إليه بمكانه ، وأحد الأفراد في زمانه ، رجاحة وجلالة وقولا بالحق وعملا به ، قال ابن عياض ولي قضـاء أريولة مرتين إحداهما سنة أربعين وأعيد ثانية بعد موت أبي العباس ابن الحلال ووصفه بالتيقظ والتحفظوالورع والنزاهة ، وبأنه لم يتغير له ملبس ولا مركب عما عهد منه قبل الولاية .

وتوفي في جمادى الأولى سنة سبع وخمسين وخمسمئة ، وثكله أهل بلده وبكوه دهراً ، وبعده ولي أبو بكر ابن أبي حمزة منتصف رمضان من السنـة .

ومولده في رمضان سنـة خمس وتسعين وأربعمئة وفي خبره عـن ابن شعبان وغيره .

434) **خلوف بن خلف الله الصنهاجي** من البربر، يكنى أبا سعيد دخل الأندلس وسمع بقرطبة من أبي بحر الأسدي وولي قضاء غرناطة للملثمين سنة عشر وخمسمئة بعد أبي بكر محمد بن أحمد القليعي ثم صرف بأبي عبد الله بن حسون الكلبي سنة خمس عشرة وولي قضاء مدينة فاس ، قال ابن بشكوال رأيته بقرطبة مرتين ، وكان يروي كتاب أبي اسحاق التونسي وولي قضاء الجماعة بمراكش ، وكان من العلم والفضل بمكان ، صادعاً بالحق ساعياً في أعمال البر ، لا تأخذه في الله لومة لائم .

وتوفي بفاس وهو يتولى قضاءها سنة 515 ولم يذكره في الصلة ، وحكي في تاريخ وفاته ما تقدم ، وقال غيره توفي سنة ست عشرة وخمسمئة

ذكره ابن الأبار في التكملة (1) .

---

1) **التكملة** 1 : 314 ع 850 .

وقد غلط في الجذوة حيث نقل عن التكملة حكاية القول بوفاته عام عشرة وخمسمئة ، فقد سقط من جملته ست وبقيت عشرة وستمئة وتبعه على غلطه في السلوة (1) .

435) **خليل بن صالح الخالدي التلمساني** الأصل الفاسي الرحلة ، أخذ عن الفقيه المرنيسي والشيخ كنون وسيدي عبد الله الأزمي المكناسي وسيدي المهدي ابن الحاج ، وسيدي أحمد كلا (بناني) والزمخشري ، والفقيه التازي مسواك ، غير أنه لم يحصل على طائل فى العلم ، إنما كان يلقي بعض الدروس فى النحو ، ولاقتصاره عليه كان يقال له النحوي ، وابتلي بصحبة أولاد الجامعي فكان معهم كما يريدون ، ونال منهم ما يريد ، ورحل مع الوزير الحاج المعطي الجامعي صحبة الركاب الشريف لسجلماسة ، ودخل مراكش ، ثم بعد ذلك ولاه السيد عبد الله بن خضراء النيابة عنه فى القضاء بفاس ، ثم ولي قضاء مكناسة الزيتون وعزله العامة لما خلعوا المولى عبد العزيز ورجع لفاس على أسوإ حالة ناجياً بنفسه من القتل ، ولزم الفراش إلى أن مات ، وكان الناس يتكلمون فيه لعموم الوشم ، ذكره السيد عبد الحي الكتاني ، وأخبرني العلامة سيدي المهدي الوزاني أن المترجم كان يقرأ الألفية نحو الثلاثين سنة بحاشية سيدي أحمد ابن الحاج لا غير ، وأن السيد عبد الله بن خضراء قال له : انه لا يعرف النحو وان الحاج المعطي الجامعي كان يوجه له بغلته بعد رجوعه من دار المخزن ليأتي عليها عنده ، فكان يراعى لذلك ، له رحلة الى سجلماسة صغيرة مطبوعة بفاس ، وله تقريظ على رحلة الامام أبى سالم العياشي المطبوعة بفاس عام 1316 .

توفي رحمه الله فى تاسع عشر قعدة عام 1326 ستة وعشرين وثلاثمئة وألف وأقر ولده الطالب والسيد عبد السلام على الامامة والوعظ بمسجد بوعقدة بفاس .

---

1) أصلح هذا الغلط فى الطبعة الجديدة **لجذوة الاقتباس** ص 193 ع 152 .

حــرف الدال

436) داوود بن ولال (1) الأيلاني ، من أهل أغمات ايلان ، وبها مات عام سبعة وستمئة ، وكان عبداً صالحاً . قال في (التشوف) أخبرني بعض الثقات قال أخبرني مخبر قال بات داوود الأيلاني ليلة عند أصحابه ، فجاءه سارق فنقب الجدار وسرق له بعض متاعه ، فجاء الى داوود فقال : سرقت الليلة ونقب السارق جدار داري ، فأخذ داوود بالتضرع والبكاء والدعاء ، وقال : وحقك يارب لا برحت من مكاني هذا حتى يرد لصاحبنا ما سرق له ، فما برح من مكانه حتى رمى الينا ما كان قد سرقه السارق بالدار (2) .

437) داوود بن سليمان ابن حوط الله الحارثي الأنصاري

داوود بن سليمان بن داوود بن عبد الرحمان بن سليمان بن عمر بن خلف بن عبد الله بن عبد الرؤوف ابن حوط الله الأنصاري الحارثي من أهل أندة عمل بلنسية وسكن مالقة ، يكنى أبا سليمان ، أخذ عن أبيه وأخيه عبد الله ، وتجول ببلاد الأندلس للسماع من علمائها والأخذ عن رواتها ، فلقي ببلنسية أبا عبد الله ابن نوح وغيره ، وبشاطبة أبا بكر ابن مغاور ، وبمرسية أبا القاسم ابن حبيش ، وأبا عبد الله بن حميد ، وأبا بكر بن أبي جمرة ، وأبا جعفر ابن عميرة ، وبقرطبة أبا القاسم ابن بشكوال . فأكثر عنه ولازمه نحواً من عامين ، قال في (التكملة) : سمعته يقول لم يتيسر لي من السماع على أحد ما تيسر لي عليه ، وسمع بها أبا عبد الله ابـن عراف ، وأبا الحسـن الشقوري ، وأبا الحسين بن ربيع ، وأبا عبيد البكرى ، وأبا القاسم الشراط وغيرهم ، ولقي باشبيلية أبا عبد الله ابن زرقون ، وأبا محمد ابن جمهور ، وأبا جعفر ابن مضا . وبمالقة أبا عبد الله ابن الفخار وعبد الرحمان السهيلي ، وعبد المنعم بن محمد الخزرجي في اجتيازه بها . وبالمنكب عبد الحق ابن بنونه وأبا القاسم ابن سمجون . وبغرناطة أبا عبد الله ابن عروس ، وأبا الحسن ابن كوثر ، وأبا بكر ابن أبي زمنين ، وأبا جعفر ابن حكم . ولقي بسبتة أبا محمد بن عبيد الله ، وغير هؤلاء جماعة سمع منهم وقيد الكثير عنهم ، وكتب

---

1) في النسخة المطبوعة من **التشوف** : ابن ومالال .

2) **التشوف** ص 428 ع 236 **والسعادة الأبدية** I : 69 .

اليه آخرون ، ومن المشرق كذلك من أعيانهم وأعلامهم أبو الطاهر ابن عوف ، وأبو عبد الله ابن الحضرمي ، وأخوه أبو الفضل ، وأبو الرضى أحمد ابن طارق ، وأبو الثناء الحراق ، وأبو الطاهر الخشوعي ، وأبو اليمن الكندي ، وأبو عبد الله بن أبي الصيف اليمني ، وكان لا يرى التحديث بالاجازة العامة عن السفلي ولا عن غيره ، وألف فى أسماء شيوخه كتاباً قرأته عليه بعد ما كتبه من خطه ونقلت منه هنا ما نسبته إليه وهم يزيدون على مئتي رجل ، ذكر أن معظم ما أورده من حفظه وكان شديد العناية بالرواية وهي كانت أغلب عليه من الدراية ، فمال الى الجمع والاكثار ، وأخذ عن الكبار والصغار ، وهو وأخوه عبد الله كانا أوسع أهل الأندلس رواية فى وقتهما لا ينازعان فى ذلك ولا يدافعان مع الجلالة والعدالة ، وحدثت عن أبي عمرو ابن الجميل أنه كان يفضل داوود منهما فى الورع والانقباض ، وولى قضاء الجزيرة الخضراء وغيرها ، ثم ولي قضاء بلنسية فى آخر سنة 608 بعد عبد الله ابن أصبغ، وبها اختلفت إليه وسمعت منه وأجاز لي غير مرة الى أن صرف بأبي القاسم ابن نوح فى سنة احدى عشرة مقدماً إلى قضاء مالقة ، والغالب على أحواله التواضع ولين الجانب وخفض الجناح وحسن السيرة والطريقة مع التحرى والنزاهة والعدل والاعتدال .

توفي بمالقة وهو على قضائها سحر ليلة السبت وقال ابن الطيلسان صبح يوم السبت زاد أبو عبد الرحمان ابن غالب اثر الصلاة وهو السادس من شهر ربيع الآخر سنة 521 ، ومولده بأندة سنة 442 هـ .

وسيأتي فى ترجمة أخيه عبد الله أنه سمع بمدائن الأندلس وسبتة ومراكش وسلا من عالم عظيم مع أخيه الخ ، وقرأ المترجم داوود كتاب الصلة على مؤلفها أبي القاسم ابن بشكوال سمع عليه جميعها فى ذى الحجة سنة 476 .

438) **رحال الكوش** ، أبو العزم ، دفين أنماي من حوز مراكش، الرجل الأسود الشيخ كان من الأبدال ، فلهذا يقال له البدلي (1) كان مستجاب الدعاء، له منه سهام صائبة وكراماته شائعة ذائعة ، أخذ عن الشيخ عبد العزيز التباع

1) ينطق بها عوام المغرب اليوم البودالي بمد الباء والدال .

المراكشي ، قال فى (الدوحة) : أخبرني ولده أنه كان يعيش على نبات البرية ويدخر زريعة الخرذل لقوته لكونه تعود ذلك من سياحته ، وكانت له شهرة عظيمة فى الخلق ، وكان ظهر مع وجود سيدي عبد الله الغزواني وبعد صيته وكثرت أتباعه ، فحرك اليه سيدى عبد الله ، فلما أشرف عليه قال لهم : ارجعوا فان العبدُ قِدْرُهُ غليانة ، ثم حرك اليه ثانية فقضى فيه غرضه .

وقال المترجم عن نفسه : أنا ركاب العرائس ! مَن لم أركب عروسه لا تركب ! وأنا صاحب الاغاثة فى البر والبحر ، ويحكى أنه قصد زيارة سيدي محمد بن داوود الشاوي فلما بلغ نهر أم الربيع وجده حاملا لا يعبر ، فقال عليه كلاماً متغنياً به فانشقَّ النهر الى نصفين وبينهما طريق بين ، فعبره هو وأصحابه فكوشف بمجيئه سيدي محمد بن داوود ، فجاء يتلقاه متغنياً بكلام آخر رضي الله عنهما ونفعنا ببركاتهما .

توفي فى آخر العشرة الخامسة من القرن العاشر ، ودفن بزاويته من أنماي .

وقد زرته بها فى عام خمسة وعشرين وثلاثمئة وألف ثم فى العام الذى بعده ، وعليه قبة هائلة ومزارة كبيرة ذات مرافق ، ويظل هنّاك أحفاده يتلقون الزوار ويأخذون منهم الزيارات .

ترجمه فى (الممتـع) و (الدوحة) ، وقال فى (المجـد الطارف والتالد) بعد ذكر الامام الجزولي ما نصه : ولا شك أن الشرف وشيخ العراقة في سملالة من قديم ، لكونهم آووا الأدارسة والسليمانيين بعد اجلائهم وخلعهم شارةَ الشرف واختفائهم في القبائل ولبسهم عباءة البداوة واستوائهم مع العامة حتى نسوا نسبهم ، ثم ذكر أن مشاهيرهم بعد الجزولي القطب سيدي أحمد بن موسى وسيدى رحال البدلى ، وقال سيدي محمد بن العربي الأدوزي : سيدي رحال البدلّي . توفي آخر العشرة الخامسة من القرن العاشر ، ونسبه رحال بن أحمد بن الحسن بن القاضي عبد الواسع بن ابراهيم بن عبد السلام بن عبد الواسع بن ابراهيم بن عبد السلام بن محمد بن عبد الله بن سفيان بن جابر بن علي بن سليمان بن عبد الله الكامل الخ النسب المشهور ، أصل أسلافه من تمدلت ، وهي مدينة قديمة عظيمة كان منها مُعظم قبائل جزولة .

وقال في (الممتع) في ترجمة سيدي عبد الله الغزواني : ثم ان سيدي رحال الكوش فيما يقال ظهر بمراكش ظهوراً يضاهي ظهور سيدي عبد الله الغزواني ، فقال له سيدي عبد الله إما أن تتركها لي أو أتركها لك ، وأما حنشان في غار فلا يجتمعان ، فقال له سيدي رحال أنا أخرج عنك وأتركها لك، فخرج إلى أنماي ، فذلك الذي أسكنه هناك إلى أن توفي رضي الله عنه .

وممن ترجمه أيضاً الوزير في شرح مقصورته والحظيكي في طبقاته .

ومن أولاد المترجم سيدي رحال : عبد العزيز شيخ سيدي أحمد بن عبد العزيز المصباحي المتوفى في خلافة السلطان الشيخ بن زيدان ، وظهرت له كرامات ، وولده أحمد بن عبد العزيز المذكور أخذ عنه سيدي محمد البهلول الشهواني دفين الشاوية ، وكأن من أهل الملامتة وظهرت له كرامات ، ذكر ذلك كله في صفحة 204 من (الصفوة) فيمَن لم يقف لـه على ترجمـة ، وذكرناهما أيضاً في ترجمة سيدي عبد العزيز فيمن اسمه عبد العزيز ، ومن تلامذة سيدي رحال الشيخ أحمد العروسي ، وكان صاحب حال وشهرة في الناس ، وله كلام على وزن كلام سيدي عبد الرحمان المجذوب يخبر فيه بالمغيبات يحفظ الناس منه ، ذكره في ص 100 من (الممتع) .

خـاتـمـة :

أذكر فيها أجوبة عن أسئلة سئلت عنها من بعض المستشرقين في ترجمة المترجم .

أولا نسبه : زعم محمد الأمين الصحراوي أنه من سملالة كما نقلناه عنه في كتابه (المجد الطارف والتالد) ، ومما نقلناه عن سيدي محمد بن العربي الأدوزي وهو مخالف في الأعداد للمتعارف من جعل ثلاثة لكل قرن واحد ، ولم يذكر من أين نقله .

ثانياً : الأبدال من المرتبة الثالثة من الولاية على سبيل الترقي ، لأن طبقات الأولياء سبعة ، منها الأولياء وعددهم ثلاثمئة ، والنجباء وعددهم سبعون، ثم الأبدال وعددهم أربعون ، ثم النقباء وعددهم عشرة ، ثم العرفاء وعددهم سبعة ، ثم المختارون وعددهم ثلاثة ، ثم واحد وهو الغوث .

ثالثاً : معرفة عمره تقريباً ، الظن أنه ولد فى العشرة التاسعة من القرن التاسع ، لأن شيخه سيدي عبد العزيز توفي عام 914 وتركه متهيئاً للمشيخة .

رابعاً : فى أي دولة كان فى ذلك الوقت حتى توفي عام 950 فالملك الذى كان فى ذلك الوقت على مراكش هو أحمد الأعرج إن بقي مملكاً الى عام 951 أو أخوه محمد المهدي الشيخ السعدي المتوفي سنة 964 ، وكان فى أيام ملك أبي عبد الله البرتغالي الوطاسي الذى بويع بالملك سنة 910 المتوفى سنة 932، وابنه أحمد الملك بعده المتوفى بمراكش قرب الستين وتسعمئة مخلوعاً من الملك سنة 956 ، وفي أيام محمد القائم السعدي المتوفي سنة 923 وفي أيام ولده أحمد الأعرج الذى تولى الملك بعد وفاة والده عام 923 ، وخلع عام 946 أو عام 951 ، وتوفي عام 964 ، وفى أيام أخيه محمد المهدى الشيخ على القول بأنه خلع أخاه عام 946 لا على القول الثاني بأن الخلع وقع عام 951 ، المتوفى عام 964 .

الحاصل أنه كان في أواخر الدولة الوطاسية وأوائل الدولة السعدية التي ظهرت سنة 915 .

خامساً : اسم ولده : صاحبُ (الدوحة) المنقول عنه لم يسمه ، وسماه عبد العزيز فى ص 204 من (الصفوة) .

سادساً : أحمد العروسي ترجمه في ص 100 من (ممتع الأسماع) .

سابعاً : أنماي هذا هو الذي كانت به المعركة بين الأحمدين الوطاسي والسعدي سنة 935، وهو المقرُ الذي توفي فيه وبعد سكناه به سمي بزاويته .

ثامناً : أبو العزم هي كنيته .

تاسعاً : وأما صائبة معناه هو كالسهم مصيبة .

عاشراً : وأما الخرذل فهو مشهور عند العشابين وهو من التوابل التى توضع في موائد الافرنج أي طلبت الأكل .

حادي عشر : وأما حركته كان ذلك بعد وفاة شيخهما سيدي عبد العزيز التباع الواقعة عام 914 ، وقبل وفاة سيدى عبد الله الغزواني الواقعة عام 935 .

ثاني عشر : أما ركاب العرائس ! المقصود بهذه العبارة أنه المتصرف في الولاية والعزل الخ .

439) **رضوان بن عبد الله الجنوي** ثم الفاسي داراً وولادة ومنشأ ووفاة ، أبو النعيم والرضى ، الشيخ الامام ، علم الأعلام ، حسنة الليالى والأيام ، حامل لواء المحبة والمراقبة والشهود والعيان ، القائم فى مقاماتها بميزان القسط على ما عرف من أكابر هذا الشأن ، سراج العارفين ، وشمس المريدين ، محيي رسوم طريقة الشاذلية بعد اندراس آثارها ، ومطلع شموسها وبدورها فى آفاق الحنيفية السمحة بعد خبو أنوارها ، القائم لله بحجته فى عباده وبلاده ، البالغ من النصح للشريعة المحمدية غير خائف فى الله لومة لائم أقصى مراده ، السيد الولي الصالح ، القدوة الحجة الناصح ، الورع الزاهد العالم العامل ، الوارث الكامل ، الموصل الواصل ، المحدث الصوفي المتفق على علمه وصلاحه ودينه ، المجمع على ورعه وزهده ويقينه ، أصله رحمه الله من جنوة مدينة من الروم بأقصى مشرق الأندلس مجاورة للبحر قدم منها والده فى حدود التسعين وثمانمئة أو ما يقرب منها ، وكان نصرانياً فأسلم وحسن إسلامه ، وكانت أمه أيضاً إسلامية من يهود جاءوا من بر النصارى فأسلمت وحسن إسلامها وتزوجها والده ، فولد له أولاد عدة ، منهم صاحب الترجمة ، فكان هذا يقول عن نفسه : خرجت من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين ، ويقال إن أباه رأى فى نومه أنه بال ياقوتة فعبرت رؤياه بأنه يلد ولداً صالحاً ، فكان كذلك ، وكان الولد هو صاحب الترجمة ، وكانت ولادته بفاس سنة 912 وبها نشأ ولقي الشيخ عبد الله الغزواني فى صغره فرشَّه بغرفة من ماء وجده يتوضأ منه، وذلك بزاويته بباب القليعة(1) فزرعت فيه الخير وأنبتت فيه خصال

---

1) المراد بباب القليعة رأس القليعة قرب باب فتوح بفاس بينه وبين ضريح سيدى على بوغالب .

البر ، وله فى هذه الرشيشة أمداح ، ثم إن الغزوانى انتقل إلى مراكش ، فبقي صاحب الترجمة متشوفاً إلى رؤيته متطلعاً إلى صحبته متشوقاً إلى زيارته ، فلما كبر تهيأ له ذلك فى رفقة من زواره ، فذهب إليه وانجمع بهمته عليه ، وكان لا يرى غيره ، ولا يؤمل إلا خيره ، خالي السر من كل شيء سواه ، مشغوفاً بمحبته وهواه ، وقدمه الشيخ للصلاة به وبقي معه على ذلك نحو الأربعة أشهر ، ثم قضى الشيخ نحبه (I) وبلغ أجله ، فبقي بعده بمراكش نحو العام يقرأ ويطلب العلم ، ثم عاد إلى فاس فوجد الشيخ سيدى محمد الطالب قد اجتمع عليه الفقراء بزاوية شيخه الغزواني برأس القليعة علــى مقربة من ضريح سيدى علي أبى غالب لشدة مجاهدته وخدمته ، ثم اشتغل بالقراءة وطلب العلم على شيخه عبد الرحمان سقين ، ولما رآه سقين يقصد زاوية سيدى محمد الطالب مع الفقراء قال له قد أفسدت نفسك وضيعت العلم ، فأجابه بقوله (والله يعلم المُفسد من المُصلح) ، وفي خلال هذه المدة زار الشيخ محمد بن علي الأندلسي البرجي الشهير بالشطيبي بموضعه بتازغدرة من بلاد بنى زروال ، وأخذ عنه ، وكان إذا ذكره يعظم أمره ويجل قدره ، ويكتب فيه شيخنا وطلبه فى النصيحة عند إرادة الانصراف عنه ، وقال له الله الله في الله ، والشطيبي هذا كان واسع العلم والمعرفة شهير الذكر ، فهو صاحب التآليف المشهورة ، أخذ عن زروق عن تلميذه الشيخ أحمد بن يوسف الراشدي وكانت ولادته عــام اثنين وثمانين وثمانمئة ، وتوفي بموضعه المذكور فى ربيع الثاني سنة ثلاث وستين وتسعمئة ، وأخذ أيضاً صاحب الترجمة عن الشيخ محمد بن علي الخروبي الطرابلسي شارح الصلاة المشيشية ونزيل الجزائر ودفين خارجها سنة ثلاث وستين وتسعمئة ، وكان يكاتبه بأسئلة فى التصوف فيجيبه عنها ، وزار الشيخ محمد المعروف بالكبير بن الشيخ يحيى بن عبد الله بن محمد ابن بكار بموضعه بالجبل المسمى بجبل وبلان ، ثم انتهت إليه الرئاسة بعد ذلك فى تربية السالكين وتهذيب المريدين ، وكشف مشكلاتهم وتفصيل أحوالهم ، وظهرت بركته وخيره على

I) يفسر العوام - وتبعهم فى التفسير الخواص المغفلون - قول الله فى القرآن (فمنهم من قضى نحبه) بمعنى مات ؛ والحقيقة أن قضاء النحب معناه أداء الواجب وليس الموت .

كثير ممّن صحبه وأخذ عنه ، وكان رحمه الله إمام أهل الزهد والورع والعلم والعمل على سنن السلف الصالح ، حافظاً للحديث راوية له في وقته ، ولم يشتهر من أصحاب الشيخ الغزواني الفاسيين غيره ، وكان شديد الخشوع والخشية كثير البكاء حتى كان شيخه عبد الرحمان سقين يسميه برضوان البكاء ، وكانت تصدر منه في بعض الأوقات إذا كان في القراءة أو غيرها صيحة تكاد القلوب تنفطر من عظمها لغلبة الوجد عليه وصفتها آه ثم لا يرى بعدها تغير" في بشريته كأنه على حاله ، وكان إذا رأيته في مجلسه قلت إنه شبه النائم مما هو فيه من السكينة والوقار والهيبة ، ومع ذلك لا ترقد منه شعرة ، حتى أنه لو غيّر أحد من أصحابه حرفاً أو حركة تفطن له من حينه وتكلم عليه ، وكان شريف الأخلاق لطيف الصفات كامل الأدب جليل القدر وافر العقل دائم البشر مخفوض الجناح كثير التواضع شديد الحياء متيقظاً في دينه ، ولا يغفل ولا يفتر ، مراعياً لأوقاته شديد الورع في تصرفاته وأحواله، شديد الاتباع لأحكام الشرع وآداب السنة ، محافظاً على استعمال الأذكار والدعوات المختلفة باختلاف الأحوال ، معمور الأوقات بالذكر والصلاة والتلاوة والمطالعة ، ويقول أوقاتنا كلها عامرة لو قيل غداً تموت لم أجد مستزاداً ، وكان محباً لأهل الصلاة والفضل ، مكرماً لأهل العلم ، شديد التحرز من الغيبة ، لا يذكر غائباً ولا يذكر بحضرته إلا بما أقتضاه العلم ، بعيـداً من الرخص ، مقبلا على الجد ، مدبراً عن الدنيا وأهلها ، زاهداً فيما فيها ، منزوياً عنها غير متوسع فيها ، ظاهر الهداية ، مقبول الولاية ، بريئاً من الدعوى ، لا يترك أحداً يقبل يده ، ويقول ما يمدّ يده للتقبيل إلا أحد ثلاثة : مأذون أو مجنون أو طرمون(1) ولست بواحد منهم، ويتبرأ من دعوى الشيخوخة ويقول لأصحابه إنما نتعاون على الدين فقط ولست لكم بشيخ ، ويقول ياأصحاب ويإخوان ، قال المرابي في (التحفة) ولقد سمعته غير مرة يقول للفقراء إياكم أن يظن أحد في أنى صالح أو أني شيخ ، فلا والله ما أنا بصالح ولا بشيخ ، إنما أنا رجل مسلم ، قال المرابي ووالله إنه لشيخ ، ولكن المومن

---

1) الطرمون في العامية المغربية المستهزىء بالناس ؛ وقد اشتقوا منه فعلا فهم يقولون فلان يتطرمن على فلان أى يستهزىء به .

يهضم نفسه ، ولعمري إن لم يكن هو شيخاً فمَن يكون الشيخ ؟ وكان رحمه الله صادقاً في أحواله كلها ، إذا فعل فعلا أو قال قولا فلم يظهر لأصحابه وجهه سألوه فأخبرهم لعلمهم أنه لا يتحرك ولا يسكن إلا بوجه صحيح ، وكان يقول لو مثلت لي الشريعة بين يدي كأنها دار أو حصن وقيل لي اختر لنفسك يارضوان إما أن تهتك هذا الحصن وإما أن يُحزَّ عنقُك لقلت يحزُّ عنقي ولا أسقط منه مقدار ذرة من التراب ، ووجد بخطه في بعض مسوداته الله الله لا تنساه ، الناس الناس اهرب منهم ، وأجمع العلماء والصلحاء على تعظيمه وتوقيره وحسن الثناء عليه ، قال في (الممتع) وصدق الشيخ محمد القصار رحمه الله حين قال : سيدى رضوان الرجل الصالح لو أدركه أبو نعيم لجعله صدر حليته أو قال مع أويس القرني . وقال المرابي في (التحفة) كان رضي الله عنه من القائمين بالليل ، الصائمين بالنهار ، القائمين بحدود الله، الناظرين للشريعة بنور الله الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم ، ولقد كان جُنَيدَ هذه الأمة ، وقد صدق الفقيه العالم صاحب الأخلاق المرضية ، والمكارم السنية ، محمد بن القاسم القصار حيث قال : سيدى رضوان الرجل الصالح لو أدركه أبو نعيم لجعله في صدر حليته ، وقال فيها أيضاً في محل آخر : وأما خاتمتهم يعنى خاتمة أصحاب الغزواني فشيخنا ووسيلتنا إلى ربنا أبو النعيم سيدى رضوان بن عبد الله الجنوي الذى يقول فيه بعض علماء العصر هو من الذين لم تر عيني مثله ، وصدق في قوله رضي الله عنه ، فقد كان أعجوبة الزمان ، وخلاصة الحقائق والعرفان ، وفيها أيضاً في محل آخر عن بعض علماء عصره أنه قال في حقه : إنه ممن لم يسمح الزمان بمثله من عهد ابن عباد إلى وقتنا هذا، وقد صدق رضي الله عنه فيما قال ، فقد كان أعجوبة الزمان وخلاصة العلم والعرفان ، وفيها أيضاً ما نصه : ولقد وجدت بخط المولى الصالح الورع الزاهد سيدي أبي الحجاج بن يوسف الشريف المقيم بخندق الزيتون ما نصه : كنت مدة بفاس أقرأ في المدرسة ، فاشتقت أنا وبعض الفقراء زيارة المولى الصالح سيدى يوسف الذى كان بالحارة من باب الجيسة ، فقصدناه والتقينا به ، فكان مما حصل عندنا من كلامه بعد أن قال كيف تزوروننا ولسنا أهلا لذلك ؟ لو تعلمون بالرجل الذى يظهر بعدنا لما كانت قلوبكم ، تطمئنُّ إلا به . فسألناه عنه فقال اسمه رضوان ، لو أقسم على الله لأبره .

وللمرابي فى (التحفة) من قصيدة يمدحه بها :

أكرمْ به حاز المعـالي كلهـا — طوبى لعبد قد رآه بمقلتـه
قطب الزمـان وغوثـه وإمامُـه — كهفُ الأنـام وملجـأ لرعيتـه
أقسمت ما شافت عيوني نظيـره — فى الناس لا بل ما رأيت كطلعتـه
راقت محاسنه وعزٌ قرينـه — إن القلوب تُحبُّه من صبوتـه
في وصفه تعيى العقول فكلـه — نور على نور يرى فى جلستـه
شيخ التقى بحر الندى علم الهدى — بدر بدا يسبي العقول بخلقتـه

وبالجملة فمناقبه جمـة لا تحصى ، وأوصافه كثيرة لا تستقصى ، وشهرته فى العلم والصلاح تغنى عن التعريف به .

قال فى (المطمح) وقد وضع الناس فى مناقبه وكراماته وأحواله المجلدات ، وممن ألف فيه تلميذه الشيخ الصالـح الفقيه أحمد بن موسى المرابي الأندلسي المتوفى عام أربعة وثلاثين وألف وسماه بـ (تحفة الاخوان ، ومواهب الامتنان ، فى مناقب سيدى رضوان) ، وهو فى مجلدين ، وبمطالعته تتعرف أحواله ومناقبه رضي الله عنه .

وقد ترجمه فى (الجذوة) فقال : رضوان بن عبد الله الجنوي ، الشيخ الورع الصالح المحدث أورع أهل زمانه ، وواحد وقته وأوانه ، أخذ عن عبد الرحمان بن علي سقين عن القلقشندي عن ابن حجر العسقلاني الحافظ ، توفي بمدينة فاس سنة إحدى وتسعين وتسعمئة ، ودفن خارج باب الفتوح بمطرح الجنة ، وكانت جنازته مشهودة حضرها الجم الغفير من أهل فاس ، ومناقبه فى الورع والدين لا تحصى رحمة الله تعالى عليه (1) .

وترجمة أيضاً فى (درة الحجال) فقال : رضوان بن عبد الله الجنوي المولى الصالح المحدث المكثر الراوية رحلة أهل زمانه ووقته وأوانه ، آخر المحدثين الصالحين بمدينة فاس ، أخذ عن عبد الرحمان سقين عن زكرياء

---

1) جلوة الاقتباس ص 197 ع 157 .

والقلقشندي وعبد العزيز بن فهد السخاوي كلهم عن ابن حجر ، وأخذ عنه خلق كثير ، وألف كتاباً فى الفقه ، وله نظم وتقييدات لا يحصى عددها ، ثم ذكر ولادته ووفاته وشيئاً من نظمه فراجعه .

وقد كانت وفاته رحمه الله بمنزله من زنقة العنوز من عدوة الأندلس من فاس عند العشاء أو قربها من ليلة الخميس الثالث عشر أو الرابع عشر من ربيع الأول سنة إحدى وتسعين وتسعمئة ، وصلي عليه من الغد بعد صلاة الظهر بجامع الأندلس ، صلى عليه الفقيه سيدى محمد المرابط بن الشيخ سيدى محمد ابن جلال التلمساني ، ودفن بجنان بأعلى مطرح الجنة عن يسار مصلى العيد أسفل منه ، وحضر جنازته أهل فاس البالي والجديد رجالا ونساء ، وأمير الوقت ، ولم يدفن إلا بعد صلاة العصر بعد مشقة عظيمة من الازدحام، ولم يرجع جل الناس من جنازته إلا بعد أن غاب القرص، وبني عليه بيت ، وجعل على قبره به مقبرية من حجر منقوش بجنبها اسمه ، وهو رضوان ، وعلى قبره هيبة ، والدعاء عنده مستجاب ، وقد جدد لهذا العهد بناءه بعد خرابه السلطان الأمجد ، والهمام الأصعد الأنجد ، مولانا الحسن بن مولانا محمد بن مولانا عبد الرحمان العلوي ، جدد الله عليه سحائب الرحمات ، وعند تجديده له أزيلت المقبرية المذكورة من قبره رضي الله عنه ونفعنا به ، ثم بعد دفنه بالجنان المذكور اتخذ مقبرة لدفن الأموات ، ودفن معه فيه بعده بعض أصحابه .

وقد قال المرابي فى (التحفة) وقفت يوماً على قبره فقلت :

هذا الذى كان في الدنيا على حذر ... هذا الذى نومَه قد باع بالسهر
هذا الذى طاع مولاه وقام على ... ساق التهجُد في الظلماء والسحر
هذا الّذى كان ذا زهد وذا ورع ... وذا انقباض وذا خوف وذا حذر
هذا الذى فاق أهل العصر قاطبة ... علماً وحالا وحلى القلب بالفكر
هذا التقيُّ أبو الخيرات سيدنا ... رضوان قدوتُنا مَن فاز بالظفر
الله يرحمه الله يكرمه ... الله يسكنه مع خيرة البشر
صلى عليه إلاه العَرْش ما هطلت ... سحب وما غنت الأطيارُ فى الشجر

ولم يخلف رضى الله عنه ولداً ذكراً إلا ابنة لها عقب بفاس يعرفون بأولاد ابن مبارك، وكان له فى حياته وبعد وفاته أتباع ولم يتخذ هو زاوية يجتمع معه فيها أصحابه ، بل كانوا يجتمعون معه في غير زاوية ، ثم اشترى بعد وفاته أصحابه موضعاً اتخذوه زاوية يتلون فيه أوراده ، وهي التى بزنقة الجياد من حومة البليدة بفاس القرويين ، وقد أشار لها صاحب (النشر) فى ترجمة الشيخ القصار أحد تلاميذ صاحب الترجمة فقال : وأما الزاوية التى تنسب له يعني سيدي رضوان اليوم بجوار حمام الجياد من حومة البليدة وفندق اليهودي من عدوة فاس القرويين فالذى سمعته من بعض أشياخنا الثقات أنها اشتريت بُقعتُها وجعلت زاوية بعد موت سيدي رضوان ، لأنه رضي الله عنه لم يترك من متخلفه بعد تجهيزه الا الحصيرة التى كان يصلى عليها ، والخيط الذى كان يشمر به أكمامه للوضوء لشدة زهده وورعه ، فبيع ذلك بثمن غال يزيد على السبعين مثقالا ونحو ذلك ، فدفع ذلك لابنة تركها ولم يترك عاصباً معها ، فامتنعت من قبضه ، وقالت ان الحصيرة والخيط لا يبلغان هذا السوم ، فاشتريت به البقعة المذكورة وجعلت زواية وبنيت كما هي الآن .

قال في (النشر) ولتلميذ سيدي رضوان أحمد المرابي كتاب سماه (تحفة الاخوان ، ومواهب الامتنان ، فى مناقب سيدي رضوان) هو الآن موجود بتلك الزاوية بخط مؤلفه المذكور ، وقد انقرض أصحابه فى هذه الأزمان ، وتهدمت الزاوية المذكورة وهي خراب الآن ، والبقاء لله وحده .

وممـن ترجمه صاحب (الممتـع) و (الابتهاج) و (الصفـوة) و (الروض) وغيره ، رضي الله عنه ونفعنا به وحشرنا في زمرته ءامين .

ومن تلامذته رضي الله عنه سيدي محمد ابن السائح المتوفى أواخر القرن العاشر أو أوائل الحادى ، وألف فيه مؤلفاً ، وهو دفين قرب روضة أبي عبد الله التاودي .

و (تحفة الاخوان) المذكورة تحتوي على أحد عشر باباً ، الباب الأول في التعريف به ومولده وطريقته وعمن أخذ هـذا الشأن من مشيخة ، وذكر

مَن لقي من الأكابر وأيام حياته ، الباب الثاني فى بدايته ومجاهدته ، الباب الثالث فى خوفه وزهده وورعه ، الباب الرابع في كراماته ومكاشفاته وما اتفق لبعض أصحابه معه ، الباب الخامس في سيرته وآدابه ومكاتباته وحسن معاملته مع إخوانه وأهل مودته ، الباب السادس في كلامه وحكمه وبعض نظمه يستشهد بها على علو همته وقدره ومجادته وفخره ، الباب السابع فى ترتيب أوراده وأذكاره ، الباب الثامن فى أدعيته التي أجراها الله على لسانه وكان يدعو بها فى أوقاته وأحيانه كما هي عادته الكريمة فى اجرائها على قلوب أهل عرفانه ، الباب التاسع فيما قيل فيه من الشعر فى أيام حياته وفضل مجلسه وأوقاته ، الباب العاشر فى وفاته وبيع تركته وما رثاه به أحبابه من أهل مودته ، الباب الحادي عشر فيما رآه من المرائي فى حياته وبعد مماته ، وسمَّى كتابه (تحفة الاخوان ، ومواهب الامتنان ، في مناقب سيدي رضوان) وللمرابي تأليف ختم به (التحفة) سماه (المسك المختوم ، فيما للشيخ أبي النعيم من المنظوم) ، وله تأليف فى ذم الغيبة ذكر فيه كلاماً وجده فى تآليف العلماء فيها ، ذكر هذا عند ذكر ورع الشيخ .

وقال السلطان المؤيد في (تقويم البلدان) ما نصه : قال ابن سعيد : وجنوة على غربي جون عظيم من البحر ، أعني بحر الروم ، والبحر فيما بينها وبين الأندلس يدخل فى الشمال ، وبالقرب من جنوة جبل الأنبردية وبلاد جنوة غربي بلاد اليازية ، قال الشريف الادريسي : وجنوة لها جنات وأودية وبها مرسى جيد مأمون ، ومدخله من الغرب ، وعن بعض أهلها أن جنوة فى ذيل جبل عظيم وهي على حافة البحر ، ولها ميناء عليه سور ، وهي مدينة كبيرة الى الغاية ، وبها بساتين فيها أنواع الفاكهة ، ودور أهلها عظيمة ، كل دار بمنزلة قلعة ، ولذلك اغتنوا عن عمل سور على جنوة ، ولها عيون ماء منها شربهم وسقي بساتينهم .

وممن ذكره صاحب (زهر البستان) ، ومن تلامذته السلطان أحمد المنصور كما في (المنتقى المقصور) ، وممن ذكره صاحب (مطلع الأشراف) والمسنـــاوي .

ومن شعره رضي الله عنه :

فنحن كلاب الدار طبعاً ولم نــزل … نحب مواليها ونحرس بابهـــا
نسبنا لهم إذ كانوا أهل عنايـــة … فان كرام العرب تحمي كلابهـــا
إذا طردت يوماً كلاب قبيلـــة … فقومي كرام لا تهين كلابهـــا

ذكرها فى أوائل (تحفة الاخوان) ، وفيه قلت رضي الله عنه فى تراجم رواة البخاري :

وهو يرويه عن الولـــي … رضوان مَن عُرف بالجنـــوي
أبو النعيم ذو المقام العالـــي … حسنةُ الأيام والليالـــي
كان إمام الزهد راوي الخبـــر … فى العلم والعمل سعيه بهـــر
وصاحب الحلية لو أدركـــه … كان به مبتدئاً فلكـــه
أو بالامام القرنيّ قرنـــا … فهو جنيد وقته بلا عنـــا
خلاصة العرفان والحقائـــق … شرب مشرباً روياً رائـــق
مولى القصور رشَّه برشـــه … كانت على مدى الظهور نعشـــه
شهرته في العلم والصـــلاح … تغني عن التعريف بالافصـــاح
بتحفة الاخوان طالع تطّلِـــعْ … على مناقب الامام المطلـــع
قد احتوتْ على مجلديـــن … لدى فضائل كنوز العيـــن
بقبره الدعاء يستجـــاب … به عليٌّ أنعم الوهـــاب

وذكر فى (أزهار البستان) بيتين للمترجم هما :

ما للنوازل والخطوب ننبهـــوا … إلا الزعيم ومن يسرو [illegible]ــا
فالق العنان لبابه مستشفعـــاً … وأت البيوت أخي من أبوابهـــا

وممن ترجمه الحضيكي في طبقاته ، وصاحب السلوة (I) .

ومما ينسب له :

I) سلوة الأنفاس 2 : 257 .

لا تركنن إلى أهل الامارة في … أمر تحاول دونه أملا
وإن أرادوك يوماً منّا على عمل … كُلِ التراب ولا تعمل لهم عملا

وسيجري ذكره في ترجمة تلميذه سيدي محمد بن قاسم القصار .

وأنشد ابن عبد ربه في (العقد الفريد) ص 385 من الجزء الأخير :

لا تصحبنَّ ذوي السلطان في عمل … تصبحْ على وجل تمسى على وجل
كُلِ التراب ولا تعمل لهم عملا … فالشرُّ أجمعُه في ذلك العمل

440) الرشيد بن الشريف العلوي (السلطان مولاي)

الرشيد بن الشريف بن علي السجلماسي العلوي أمير المومنين ، قال في (خلاصةالأثر)ما نصه:مولاي الرشيد بن الشريف بن علي الملك المؤيد الشريف الحسني ملك المغرب السلطان العظيم القدر السعيد الحركات المظفر الكامل ، كان من أمره أنه تسلطن أولا في بلاد فيلالة ، ثم وثب على مولاي محمد الحاج بن محمد بن أبي بكر سلطان فاس ومكناس والقصر وما والاها من أرض الدلاء وسلا وغيرها من أرض المغرب ، وكان له فى الملك أربعون سنة ، فانتزعه منه وحبسه إلى أن مات مسجوناً وخرب مدينتهم المعروفة بالزاوية ، سميت بذلك لأن والد محمد الحاج وهو محمد بن أبي بكر بنى بها زاوية عظيمة ، وكانت مأوى لمن يفد ، يطعم بها الطعام للفقراء والمساكين ، ورحل شيعة الحاج خوفاً منه الى تلمسان ، وهي كما تقدم من بلاد العثامنة سلاطين بلادنا أعزهم الله ونصرهم ، ثم قويت شوكة مولاي الرشيد ورغب الناس في خدمته وكثر جمعه وعظمت دولته وساس الرعيه سياسه لم يروها فى عهد سلطان من سلاطينهم ، وما زال يتملك بلداً بعد بلد حتى دخل السودان وتملك منها جانباً عظيماً ولم يبق بجميع أقطار المغرب من البحر المحيط الى أطراف تلمسان الا ما هو في طاعته ، وداخلٌ فى ولايته ، الى غير ذلك ، وتقدم فى ترجمة مولاي احمد المنصور أنه كان قسَّم الولايات بين بنيه ، وكان قد بقي الأمر على ذلك حتى ظهر مولاي الرشيد فجعلها ملكاً واحداً، وكان ملكاً معتدلا هاشمياً محسناً محباً للعلماء ، واستقام في السلطنة سبع سنوات وتوفي سنة

اثنين وثمانين وألف، وأخبرني بعض المغاربة في سبب موته أنه أصابه فيما يلي أذنه عود من شجرة في بستان له كان يركض جواده فيه، فنفذ العود ووقع المولى الرشيد ميتاً رحمه الله تعالى .

وقال العلامة سيدي عبد العزيز بن عبد الله الغريسي رحمه الله وهو من أجل تلامذة الشيخ الحسن اليوسي ما نصه : وفي أول عشر من المحرم سنة تسع وسبعين ظهر أمر الله وقضاؤه بالزاوية البكرية فخربت وأحرقت بالنار ، وأخرج منها أهلها الى فاس أخرجهم الامام المنصور في وقته رشيد بن الشريف بن علي الحسني بعد أن توجه اليهم من دار سكناه بفاس بجيوش عظيمة لا تكاد تحصى ، أخبرني قاضي المحلة سيدي عبد الملك بن محمد السجلماسي أن عدد خيله ثمانية عشر ألفاً وما من واحد منهم الا بخراجه عنده ومرتبه يأخذه كل شهر من السلطان ، وأما الرماة فأكثر من أن تحصى كل واحد أيضاً بخراجه ، واجتمع بالبكريين بقرب الزاوية عند سيدي محمد بن زيد ببلدة آيت هود بعد أن جمع البكريون قبائلهم مجاطة وغيرهم من أهل ملوية وتوجهوا اليهم بأموالهم كلها وأولادهم وبنفسه لقيهم هنالك وهزم البكريون ووقعت مقتلة عظيمة ، وتولى السلطان أموالهم كلها ومواشيهم وذلك يوم الأحد الثامن من محرم فاتح سنة ما ذكر (1079 هـ) وبالغد دخل الزاوية البكرية من غير قتال بعد أن خرج اليه العلماء والصلحاء من الناس طلبوا العفو فعفا عفو قادر عن الرقاب وأموال المساكين وأخذ أموال سيدي محمد الحاج وأولاده وهي لا تحصى كثرة تقرب من سبعمئة قنطار من ذهب وفضة على ما أخبرني به العدول وما انضم الى ذلك من أثاث وحرير وحوائج الملوك الخ .

قال فى (نشر المثانى) لدى ترجمة أحمد المنصور ما نصه : وأما قنطرة سبو فقد تهدم بعد ذلك نحو نصفها وجدده السلطان الأفخم ، الشجاع البطل الأعظم ، الجواد المفضال الأكرم ، المولى الرشيد الشريف السجلماسي الحسني وهو رحمه الله من عجائب السلاطين وستأتي ترجمته ان شاء الله .

وقال لدى حوادث عام 1069 تسع وستين وألف،وفى ثالث عشر رمضان خرج السلطان المظفر المولى الرشيد من فيلالة بعد موت والده ، وفي ثاني وعشرين من شوال وصل الى تدغة ثم الى دمنات ثم الى الزاوية البكرية ثم الى أزرو ثم الى دار ابن مشعل هكذا وجدت مقيداً عن الحافظ الفاسي وسياتى أن وصوله دار ابن مشعل كان عام خمسة وسبعين وموت أخيه المولى محمد ، وأن استيلاءه على فاس الجديد والقديم كان فى عام ستة وسبعين وألف ، وأن كتب البيعة له بفاس عام سبعة وسبعين وألف ، وفى عام تسعة وسبعين أخذ الزاوية البكرية ، وفى عام ثمانين أخذ فى حفر أساس قنطرة سبو ، وفى العام الذى بعده استولى على رودانة وسائر البلاد السوسية ، وفى العام الذى بعده وهو اثنان وثمانون توفي ، وكل ذلك ذكرنا منه ما وقفنا عليه فيما ياتي ، فحاصل أمره من موت والده عام تسعة وستين الى موته عام اثنين وثمانين .

وحدثني بعض الفقهاء الثقات عن والده وأعرفه من الثقات وقد أدرك هذا الزمن أن مولاي الرشيد لما نزل بالزاوية الدلائية على سبيل الوفادة وبقي مقيماً بها أقسم عليه بعض أهل الزاويـة أن لا يقيم بها وأن يسـرع بالخروج ، وأخبره أن مما هو شائع عندهم أن مولاي الرشيد هو الذى يخلي زايتهم تلك ، وأنهم استفادوا ذلك عن بعض الأخباريين عن كشف أو غيره مخافة أن يهجم عليه أحد من رؤسائهم بسبب ذلك ، وقد كانت لأهل الدلاء زيادة محبة فى أهل البيت عن غيرهم من أهل وقتهم ، فخرج المولى الرشيد من الزاوية فصادف قافلة خارجه منها فطلبوا منه أن يحميهم الى محلهم الذى يريدونه ، لأن الوقت وقت النهب ، ففعل وتعرض لهم بعض أهل البوادي يريدون نهبهم ، فأخبرهم المولى الرشيد بأنهم فى حمايته ليحترموهم بحرمته، اذ تلك كانت عادة أسلافه في حماية القوافل وغيرها ، فلم يعبأوا به ، فتجرد لقتالهم مع خلق كبير،له اثنان فقط من رقيق السودان وبيد كل واحد منهما مكحلة، فاخذ المكحلة من يد أحدهما وحمل بفرسه على القوم فأصاب واحداً منهم برصاصة ، ورد المكحلة للملوك وأخذ المكحلة الأخرى من يد الآخر فحمل

كذلك فأصاب رجلا آخر ، وما رد المكحلة حتى وجد المملوك الآخر عمر له المكحلة الأخرى فأصاب منهم آخر أيضاً ، وبقي كلما حمل عليهم أصاب واحداً منهم مع حفظ الله اياه منهم ، فما أمكن القوم الا الفرار منه مع كثرتهم ، فكان مقدمة لما قدر في سابق العلم من توليه إمارة الغرب ، فما رجع عنهم حتى أعطوه ثلاثة عشر فرساً التى أصاب فوارسها برميه ، فحمل على كل فرس رجلا ممن اختار لمتابعته ورجع فى الحين واستقبل فاس العليا ونزل أمامها فرآه رئيسها الدريدي من بعض بروج سورها فسأل من هو فأخبر به ، فأرسل اليه فى الحين دراهم نحو خمسة مثاقيل مع وسق من الشعير ، وقال لرسوله اليه قل له هذه عشاؤه يعني الدراهم ، وهذا علف دوابه يعني الشعير ، فليرتحل ولا يقيم عندنا سقطاً ، فرحل مسرعاً فوفد على رئيس يدعا الشيخ اللواتي ، وكان يتفقر ويعظم نسبة الشرف ، فبالغ فى اكرامه ، فبينما هو مقيم عنده إذ رأى رجلا بهيأة من خدم وأتباع ومماليك وهو يصطاد كهيأة الملوك ، فسأل مَن هو ؟ فقيل ابن مشعل من يهود تازة ، فتنحى سريعاً وجعل السكين فى فمه واستقبل الشيخ اللواتي ، فلما رآه بادر اليه لبيك ياسيدي لبيك ، لا أعز فيك رقبة ولا مالا ، لأن ذلك عندهم علامة على تأكيد الاستعطاف فى أخذ الثأر لمن ظُلم أو شبه ذلك ، واقترح عليه أن يهيىء خمسمئة أو نحوها من اخوانه الأبطال ليفتك باليهودى غيرة منه جزاه الله خيراً على دين الله ، فقال لا يتخلف عنك واحد منهم أينما توجهت ، فتواعد معهم أن يمروا خفية متفرقين ويلحقوا بـه لدار اليهودي ابن مشعل وهي على نصف مرحلة مـن تازة شرقاً في البيداء أو أزيد من ذلك ، ثم تقدمهم اليها واستضاف اليهودى فأضافه وتبعه الأبطال فأحاطوا بالدار بعد أن أظلم الليل بحيث لم يشعر بهم أحد وبحيث يتصل بهم ان احتاجهم ، واحتال حتى اتصل باليهودي فى خلوته ، فبطش به وقتله ، وأدخل الرجال باحتيال صادف به مرامه ، فاستولى على دار اليهودي وأخرج منها أموالا كثيرة وذخائر نفيسة ، فنال ما قدر الله له من موعوده ، وسطعت فى فلك السعادة منازل سعوده ، وألقت اليه المملكة زمامها ، ففض بعد تمنعها فى خذرها ختامها ، ولاح به للمغرب السعـادة

والبشائر ، وانتعش به بعد الأشراف على الموت كل حيوان من ناطق وصاهل وطائر ، وكل خير من ربنا الملك الوهاب ، ولكل أجل كتاب .

وذكر لي بعضهم مما هو شائع عند بني يزناسن بالزاي أن اليهودي المذكور كان بدار له محصناً بجبالهم وهم محزبون عليه ، فما زال المولى الرشيد يلاطفهم فى أمره حتى فهم اليهودي أنهم قد أسلموه ، فنزل اليه بهدية فقبض عليه وقتله ودخل داره واستخرج ما فيها من الأموال ، فالله أعلم أي ذلك كان وكيف كان .

ثم قال فى حوادث عام 1075 خمس وسبعين وألف ما نصه : فانتهض رؤساء فاس لأمر أهلها بشراء الخيل والمكاحل ، واجتمع أهل فاس والحياينة وصفرو والبهاليل وغيرهم خارج باب الفتوح للميز وتأكيداً لعدم الدخول فى طاعة مولاي الرشيد ، فأغني عنهم مولاي الرشيد وحاصر أهل فيلالة تسعة أشهر ، ثم نزل بتازة فخرج أهل فاس مع الحياينة الى الغارة عليه فى خامس عشر شوال فرجعوا فارين ، فتبعهم الى قنطرة سبو ورجع ، فبعثوا اليه بصلح، فلم يكمل بينهم وبينه حتى أكمل الله مراده وملكه أمر المغرب فأنقذه به من أهل العناد ، وأحيى الله به البلاد والعباد ، وكانت أيامه مباركة على كثير من المسلمين ، واتفق لهم فيها ما لم يتفق لغيره فى كثير من السنين ، وياتى ذلك ان شاء الله فى ترجمة عام اثنين وثمانين .

ثم قال لدى عام 1076 ستة وسبعين وألف ما نصه : ومن حوادث هذا العام نزول السلطان مولاي الرشيد الشريف السجلماسي الحسني على فاس فقاتل ثلاثة أيام وجرح برصاصة فى أذنه ، فرجع سالماً والحمد لله ، ثم عاد مرة أخرى فى ثالث ربيع الأول ، فأوقع فيهم القتل والجرح ما يقرب من سبعين رقبة ، ورجع لأنه لم يكن قد أتى مستعداً ، ثم سار الى الريف فحاصر أعراص وأخذه فى رمضان بعد منازلات ، وفى ضحوة الثلاثاء ثامن وعشرين من ذى القعدة نزل مولاي الرشيد أيضاً على فاس فحاصرها الى الخميس وبقي جيشه مقاتلا الى يوم الاثنين ثالث الحجة ، فأصبح بفاس الجديد وقد دخل من أعلا السور ليلا من جهة الملاح ، وفرّ رئيسهم الدريدي ، ثم نزل عشية فاس ،

ففرَّ ابن الصغير رئيس اللمطيين ليلا الى بستيون (1) باب الجيسة ، وفر أحمد بن صالح رئيس الأندلس صبيحة غده ، وطلع أهل فاس فبايعوا مولانا الرشيد ونصروه وقبض ابن صالح قبل الزوال بحوز البلد وقتل جماعة من أصحابه وسجن بباب دار ابن شقراء بفاس الجديد ، وولى القضاء سيدي حمدون المزوار يوم الخميس سادس الحجة ، وفي يوم الخميس الذى بعده قتل ابن صالح وابن الصغير، ثم خرج مولاي رشيد لحركة الغرب، فانهزم منه الرئيس الخضر غيلان ومن معه ، فتبعهم فدخل القصر وخرج الى أصيلة ورجع مولاي الرشيد من القصر ثم عاد لحصاره ، وكانت زلزلة لَيلا ، ومن المحكي أن ابن صالح والدريدي وأشياعهم لما أحسوا من الناس الضجر وكثُر ذكر مولاي رشيد على الألسنة والتشوق اليه لما اشتدَّ بهم الحال من الحصار والفتن وكان أعقب ذلك بشرفاء فاس أظهروا مشاجنة بينهم على سبيل المكيدة ، فاختصم الدريدى مع ابن صالح ، وأظهروا المقاطعة بينهما ، فجاء أشياعهم لكل من يعرفونهم من الشرفاء والفقهاء بحب مولاي رشيد وطلبوا منهم أن يصلحوا بين الرئيسين مدلين بأن هذا وظيف الشرفاء والفقهاء ، ومن جملة من كان فيهم العلامة سيدي حمدون المزوار وسيدى محمد أبو عنان الشريف وآخر من أقاربه ، فامتنعوا أولا كراهية الدخول فى أمر الولاة ، فاعتلَّ أهل فاس أن لا ملجأ فى مثل هذا الا لهم وحتَّموا عليهم ومن تغيب من الأشراف وغيرهم عما عزموا عليه تبعوه حتى حضر ، ومن تمارض كلفوه المشقة ، والبغص من الشرفاء اختفى من ذلك كل الاختفاء لكونه أخبر بالمكيدة من بعض أصدقائه حتى جمعوا جميع من قدروا عليه ممن يظنون به الميل الى

---

1) البستيون كلمة لاتينية معناها البرج والحصن ؛ وهي مما دخل الى العامية المغربية من اللغة الاسبانية ؛ وبفاس برجان أو بستيونان متقابلان يتحكمان فى المدينة وضواحيها ؛ أحدهما شمالى كان يعرف قبل بنائه فى عهد السلطان أحمد المنصور السعدى على يد اساراه البرتغاليين ببرج الكوكب ؛ وكان به مصلى عيد (شريعة) أهل عدوة القرويين وهو يواكب مدفن سيدى على المزالى ثم عرف بعد بنائه ببستيون باب الجيسة ؛ ودعاه الفرنسيون أيام احتلالهم ببرج النورد أى البرج الشمالى ؛ فصار من كان يخالطهم من العوام والمتحذلقين يدعوه برج النور ؛ ظنا منه أن النور يعنى الضياء ؛ وهو يعنى الشمال فى الفرنسية (نورد) ؛ أما البرج الثانى أو البستيون الآخر فيسمى بستيون باب فتوح ؛ وهو قريب من مصلى عيد (شريعة) أهل عدوة الأندلس ؛ وكان الفرنسيون يسمونه برج سود أى البرج الجنوبى ؛ ولا يزال بعض الذين تأثروا بثقافتهم وادارتهم يدعونه كذلك حتى هذه الساعة .

السلطان ووجهوه الى الدريدى لفاس الجديد على حالة الشفعاء فى أن يصطلح مع ابن صالح ، فلما أقبلوا عليه أظهر لهم الترحيب وأدخلهم مصرية وأنزل لهم مائدة من طعام ملون يعرف بطبخ الدار ، وقال لهم عشاؤكم من أسبوع بنية تزيدت لي ، وخروجكم من هذه المصرية يوم خروجكم لزفافها فعلموا أنهم مسجونون وأنه توعدهم بتطويل سجنهم جداً وأن توجيههم له انما هو مكيدة واحتيال من أصله ، وأنهم لو سجنوهم جهاراً لما أمنوا من انتصار بعض العامة لهم أو شبه ذلك ، فلما وقع جميعهم فى ذلك أسفوا وبقي الطعام بينهم لم يتناول أحد منهم منه شيئاً ، فقدر الله تعالى ظهور مولاي رشيد ودخوله فاس الجديد في تلك الليلة والمائدة ما زالت بموضعها وهم يسمعون الاعلان والصياح بنصر المولى رشيد فى كل جهة ، ففرج الله عنهم :

ربما تجزع النفوس لأمـــــر ولـه فرجة كحل العقـــال

فمنهم من لم يخرج الا بعد أن أكل من تلك المائدة زيادة فى الفرح ، ومنهم من حمل معه من ذلك الطعام وخرج مسرعاً ، ومنهم من بقي ثمه ، ثم دخل عليه السلطان مولاي رشيد ، ومنهم البوعنانيون المذكورون ، فسُر بهم وبقي يرعاهم ، وممن كان حاضراً فى هذه القضية سيدي محمد بن أحمد الشريف العراقي الحسيني ، سمعت هذه الحكاية من بعض أحفاده وهي شائعة عنه وعن غيره ويذكرونها بزيادات لم أذكرها لأن هذا هو الذى حققت منها ، لله الأمر من قبل ومن بعد .

وقال في حوادث عام 1078 ثمانية وسبعين وألف : ومن حوادث هذه السنة خروج مولاي رشيد لحركة الزاوية الدلائية ضحوة الخميس الثاني عشر من ذي الحجة ، وولى بفاس العلامة سيدى محمد بن أحمد الفاسي زوال يوم السبت من ربيع الثاني .

وقال فى حوادث عام 1079 تسع وسبعين وألف ومن حوادث هذا العام أن أخذت الزاوية الدلائية ، قال الشيخ الحسن اليوسي فى محاضرته : كان الرئيس محمد الحاج بن أبي بكر قد ملك المغرب سنين عديدة واتسع

هو وأولاده واخوته وبنو عمه في الدنيا ، فلما قام الشريف السلطان الرشيد بن الشريف ولقي جيوشهم ببطن الرمان فهزمهم وذلك أوائل محرم فاتح سنة تسع وسبعين وألف (يونيو سنة 1668 م) فدخلنا عليه وكان لم يحضر في المعركة لعجزه من كبر سنه فاذا بالفَلّ يدخلون ، فدخل عليه أولاده واخوته وأظهروا جزعاً شديداً عظيما ، فلما رأى منهم ذلك قال لهم ما هذا ؟ ان قال لكم حسبكم فحسبكم ! يريد الله تعالى ، وهذا كلام عجيب واليه يساق الحديث ، والمعنى ان قال تعالى لكم حسبكم من الدنيا فكفّوا راضين مسلمين ، انتهى المراد من كلام الشيخ اليوسي .

فكان أخذ الزاوية يوم الاثنين ثامن المحرم (18 يونيو 1668 م) ومن لطف الله بأهل الزاوية فيما سبق لهم في علمه ببركة جدهم ومحبته في أهل البيت أن جعل خلاء زاويتهم على يد مولانا الرشيد الذى حلم عليهم الحلم المعهود لأمثاله من صرحاء أهل البيت ، فما أسال من دمائهم قطرة ، ولا كشف لهم عورة ، وربما مدّ بعض الظلمة يده فانتقم منه أشد الانتقام ، ثم بعد أن فرغ مولانا الرشيد من إخلاء الزاوية في الثاني والعشرين من صفر (1 غشت سنة 1668 م) قصد مراكش وأخذها وقتل رئيسها عبد الكريم المدعو كروم الحاج الشباني مع جماعة من حزبه وقرابته ، وبعد موته بشهر رجع مولاي رشيد من حركته تلك يوم الجمعة سابع وعشرين من ربيع الثانى (الخميس 4 أكتوبر سنة 1668 م) ، وخرج صاحب فيلالة ابن أخيه مولاي محمد بن محمد بن الشريف مع أتباعه وخلى سبيل البلد ، وكذلك الخضر غيلان ذهب في البحر الى الجزائر وخلى سبيل أصيلة وعزل القاضي المزوار والمفتي سيدي محمد بن أحمد الفاسي زوال يوم الأربعاء تاسع وعشرين من جمادى الثانية (5 دجنبر سنة 1668 م) وولى سيدى محمد بن الحسن المجاصي القضاء يوم الجمعة بعد عزل المزوار المتقدم ، والفقيه سيدى محمد البوعناني خطبة القرويين بعد عزل سيدي محمد بن أحمد الفاسي ، ثم خرج المولى الرشيد للشاوية عصر يوم السبت سابع عشر رجب ورجع سابع رمضان (الجمعة 8 يبراير سنة 1669 م) فأمر باخراج أهل الزاوية الدلائية من فاس ، ثم سمح للبعض منهم وبقي البعض بضريح سيدي علي ابن حرزهم الى آخر العام ،

ثم سمح فردهم جميعاً ، ثم خرج لحركة آيت عياش ظهر يوم السبت سابع عشر ذي الحجة (18 ماي سنة 1669 م) وأحدثت السكة الرشيدية ثاني وعشرين من الحجة (23 ماي) ، وأقرض التجار من فاس وغيرها اثنين وخمسين قنطاراً مدة من سنة حتى ردوها وبها بنى قنطرة سبو ، وفي يوم السبت رابع عشر ذي القعدة أخذ في أهبة بنائها .

قلت دخلت الزاوية الدلائية في جمادى عام ستة وعشرين وثلاثمئة والف فرأيتها قاعاً صفصفاً ليس بها أثر الا أطلال دامسة وأثر صومعة وهي في ربوة ، والبقاء لله وحده .

ثم قال في (النشر) في حوادث عام واحد وثمانين وألف ما نصه : ومن حوادث هذا العام استولى مولاى الرشيد على رودانة وهي مدينة في أقصى سوس ، بها أنهار جارية ، وبساتين مشتبكة ، وفواكه مختلفة ، وأسعار رخيصة ، والطريق منها الى أغمات وريكة في أسفل جبل ليس في الأرض مثله الا القليل في العلو وطول المسافة واتصال العمارة وكثرة الأنهار والفواكه ، وبأعلا هذا الجبل أكثر من عشرين حصناً وقلعة ، منها حصن منيع وهو عمارة محمد بن تومرت ملك المغرب ، اذ أراد أربعة من الناس أن يحفظوه من أهل الدنيا حفظوه لمنعته ، فوقع فتح المدينة رابع صفر (الاثنين 23 يونيو 1670 م) واستولى على هشتوكة يوم الأحد ثامن عشر صفر وقتل منهم نحو الألف ونصف فيما قيل ، واستولى على أهل الساحل ومات منهم أزيد من أربعة آلاف على ما قيل يوم الأحد خامس عشر صفر ، وفي مهل ربيع الأول (السبت 19 يوليوز سنة 1670 م) أخذ أهل إيليغ دار ملك علي أبي حسون ، ومات منهم بسفح الجبل نحو ألفين على ما قيل ، وفي سابع ربيع الأول قتل بفاس خليفة السلطان نحو ستين من أولاد جامع وعلقوا بالبرج الجديد لأجل قطع الطريق ، وفي جمادى الأخيرة خرجت سكة الفلوس الجديدة المدورة وجعل أربعة وعشرون منها في الموزونة الرشيدية بعد أن كان لكل موزونة ثمانية وأربعون ، وبطلت الفلوس الاشقوبية المربعة ، وفي يوم الاثنين ثالث رجب (الأحد 16 نونبر سنة 1670 م) رجع مولاي الرشيد من حركة سوس ، وفي أوائل شعبان ابتدأ بناء

المدرسة التى بالشراطين من فاس المنسوبة لمولانا الرشيد بموضع دار عزوز ، وفى أواسط شعبان أمر المولى الرشيد ببناء قصبة بعرصة ابن صالح وديار لمتون والدكاكين ، وأعطي ألف مثقال لبناء سورها وأمر قواده ببناء الدور فيها ، وأمر شراقة ببناء قصبة الخميس وأعطى ألف دينار لبناء سورها ، وخرج لزيارة سيدى أبى يعزى نفعنا الله به رابع رمضان (الخميس 15 يناير سنة 1671 م) ثم إلى سلا ورجع لفاس ثامن وعشرين من رمضان (الأحد 8 يبراير سنة 1671 م)

ثم قال فى عام 1082 اثنين وثمانين وألف : فمنهم السلطان الجليل ، الماجد الأصيل ، محيي رسوم الدين ، وقاطع دابر المفسدين ، مفضال أهل البيت النبوي ، ومظهر الفخر الطاهر العلوي ، ليث الاقدام ، وبدر الظلام ، وشمس الأنام ، وظل الله للخاص والعام ، ورحمته للمسكين والضعيف ، مولانا الرشيد بن الشريف ، تقدم بعض ما يتعلق بعلي نسبهم الباهر ، وزكي فرعهم الطاهر ، فى ترجمة والده وأخيه ، كان سيدنا صاحب الترجمة من أهل المكارم التى لا تحصى ، والفضائل التى لا تعد ولا تستقصى ، ثم قال بعد إيراده كلام جده فى (الدر السني) فيه ما نصه : ولما مرَّ صاحب الترجمة بالموضع المسمى بالشط من الظهراء أمر بحفر آبار شتى وهي تدعى الآن بآبار السلطان، فهي مضافة له يسقى منها ركب الحجيج في مروره وإيابه ، فهي من مآثره تقبل الله منه، وكان على يديه هذا الفتح العظيم لِضَعَفَةِ المسلمين بل لجميعهم فى هذه المدة اليسيرة لما جُبل عليه من حسن السيرة ، إذ كان من السراة الغطارف ، ومن الأعجوبات فى الاقدام بين المراهف ، أحيى الله به رسوم الدين بعد دروسها ، وأنعم المساكين بعد شدة بؤسها ، وخاض أمواج الأهوال حتى أهمدها ، وقام فى نيران الفتن حتى أخمدها ، فيالَها من نهضة لله ما أحمدها تدارك الله به المغرب بما فيه من قوى وضعيف ، وأغنى به الوضيع والشريف ، وما زال بسيرته المباركة كريماً فاضلا زكي الأخلاق كاملا يتنازل على مقامه الرفيع ، فيجبر ظاهر المنخفض الوضيع ، ومن شيمه الجليلة ، ومنحه الجزيلة ، مجالسة العلماء وإكرامهم ، ومباسطتهم بين الملأ وإعظامهم ، ومع تحمله النهوض بأمر الخلافة حتى ألقت إليه زمامها فى مدة قليلة ، أبدى

مآثر فى مصالح المسلمين جليلة ، كبناء المدرسة التى بحومة الشراطين من فاس ، وأتى على بنائها من الأساس ، فبالغ فى إتقان صنعها ، وبذل المجهود فى احسانها ، وتجديد ما اندثر من القنطرة البديعة المعتبرة التى لا يعرف فى المغرب مثلها ، وقلما اتفق في معمور الأرض شكلها ، وهو أربعة قسي منها ؟ وهي على نهر سبو على نحو فرسخ من فاس ، وذكر الحافظ المقْري فى (نفح الطيب) أن عدد قسي نهر قرطبة سبعة عشر قوساً ، سعة كل قوس خمسون شبراً ، وبين كل قوس والقريب منه خمسون شبراً ، قلت وعدد قسي قنطرة سبو ثمانية وواحد صغير ، والكبيرمن أقواسها تُماثل سعتُه الواحد من قسي قنطرة قرطبة أو أقل أو أزيد بتقريب ، ولما أكمل السلطان الرشيد قنطرة سبو بالبناء نقشت فيها أبيات من نظم العلامةالقاضي محمد المجاصي ومنها :

صاغ الخليفة ذا المجـــــاز ملـك الحقيقـة لا المجـــــاز

فوقع الاعتراض عليه بأن ملك الحقيقة هو الله تعالى لا غيره ، فكيف يطلقه على غيره ؟ وأجيب بأجوبة ، فمنها أن الحقيقة تنقسم إلى عقلية وشرعية ولغوية وعرفية ، فمعنى العقلية لا يكون إلا لله وفى غيره مستحيل ، فيحمل على إحدى الحقائق الباقية ، والأقرب منه حمله على الحقيقة العرفية ، بمعنى أنه لا يقال فى العرف ملك حقيقة إلا له ، أما باعتبار الحاضرين فى زمانه فلا إشكال ، وأما باعتبار مَن مضى فهي على طريق المبالغة وذلك سائغ فى باب المدح ، والله الموفق .

ومن مزاياه العظيمة وعطاياه الفخيمة وفطره السليمة أنه كان حيثما دخل بلداً تعاهد مساجده ومدارسه وسأل عن مجالس إقراء العلماء به وعمن يحضرها وربما حضر مجلساً لبعض الكبراء ، فرأينا فى بعض التقاييد أنه حضر مجلس الشيخ اليوسي ، وكان يدخل للمساجد بنفسه ودخل فاساً مرة على حين غفلة من أهلها فدخل للقرويين ، وتلك كانت عادته فى دخولها ، ثم دخل المدرسة المصباحية فتعرض له الامام سيدى الحسن اليوسي مع فقيه آخر ، فأعطى لكل منهما مئة مثقال ، وما اجتمع مع علماء وقته إلا وحض فى مجلس اجتماعه معهم على نشر العلم وإتقانه وتحقيقه وتعظيم طلبه ، وقد صادف ذلك

كل مرام، وأحيى الله نعم الغرب بعد الانعدام، لطلوع شموسه، على حين تغير من وجه الدهر وعبوسه ، فجاء المغرب على فترة من ملكه ، وأنقذه الله به من هلكه ، فأقبل الناس على التعلم والتعليم ، وعمرت أسواق للعلم قد عفت منذ قديم .

* ولد رحمة الله عليه عام أربعين وألف ، وتوفي رحمه الله في ليلة السبت الحادي عشر لذى الحجة سنة اثنتين وثمانين وألف (9 أبريل سنة 1672 م) قرب الفجر بمراكش ، ووصل خبر موته لفاس ليلة الأربعاء خامس عشر منه ، ولوفاته رحمه الله أشار سيدنا الجد رحمه الله بقوله :

وأما الرشيد بن الشريف إمامهم　　　فشبّ له نصر بملك مكمـــــل

ووافت البيعة لأخيه السلطان المظفر مولاي إسماعيل يوم الأربعاء المذكور ، فوجه الجيوش من الغد للأقطار .

ولما احتضر السلطان صاحب الترجمة مولاي الرشيد سمعه بعض الأشراف من أقاربه يقول سبحانك يامَن لا يزول ملكه ، عبدك الرشيد زال ملكه ، ثم قال للبعض المذكور والله ما بقي فى خاطري إلا مسألة ، وهي أن بعضاً اخذت ماله ولا لي عليه شيء ، وآخر أعطيته إياه ولا له عليّ شيء ، فذكره سعةَ رحمه الله وعفوه فقضى من حينه .

وكان سبب موته أن أصابتْه شجرة فى ركوبه ، فكان فى ذلك أجله ، فسبحان مَن له الانفراد بالدوام الذى جعل للناس أبلغ موعظة فى حوادث الأيام ، وهدى مَن شاء بالتوفيق والالهام .

وقال فى ترجمة الرئيس محمد الحاج الدلائي وحكي لنا أن المولى الرشيد لما قدم الزاوية بقصد الاستيلاء عليها لقيه صاحب الترجمة فقال له ما تريد ؟ فقال له الملك ! فقال له هو الآن فى محله ، فبايعه ودفع له مالا وأخرجه عنها المولى الرشيد بأهله وحشمه لتلمسان ، فتوفي بها رابع المحرم عشية يوم الخميس يعني من هذه السنة ، ودفن من الغد قريباً من ضريح الشيخ الامام السنوسي .

ثم قال ومن حوادث هذا العام أن بعث السلطان المولى الرشيد خيلا للجهاد نحو طنجة أول صفر ، وبعث خيلا لسوس وقائدها عبد الله أعراص وذلك يوم الثلاثاء سابع عشر جمادى الأولى ، وسافر لتافراطة للصيد يوم الاثنين قرب الزوال ، فسمع قيام ابن أخيه فدخل فاسا يوم السبت حادي عشر رمضان ضحوة ، وخرج من يومه عصراً فلقيه محبوساً بيد خدامه عند فنزارة فبعثه إلى فيلالة وسار إلى مراكش ، وبعث قائده زيدان لفاس يوم الأربعاء تاسع ذي القعدة ليأتي بالجيش ، فأتاه أهل سوس وغيرهم طائعين ، ولم يبق للحركة موقع بعد أن خرجت الأخبية لوادي فاس ، ثم توفي مولانا الرشيد وبويع أخوه مولانا إسماعيل كما تقدم .

ذكره في (النشر) في ترجمة مولاي الرشيد في مواضع مفرقاً .

وقال في (المقصد الأحمد) وكذلك لما قدم السلطان مولاي الرشيد بن الشريف الحسني رحمه الله إلى فاس محاصراً لها حصاره الأول وذلك في محرم سنة ست وسبعين وألف صاح يعني الشيخ سيدى أحمد بن عبد الله معن وهو جالس أمام شيخه يعنى سيدى قاسم بن الحاج قاسم الخصاصى بالزاوية أنه إذا جاء يضرب ، وضرب بيده إلى الأرض مجموعة ، فضرب كما قال برصاصة إزاء أذنه وحجر في صدره عند روضة سيدي الحسن الدراوي خارج باب الفتوح ، وولى عن فاس منكسر الشوكة ، ولما قدم ثانياً وذلك في ذى القعدة من سنة ست وسبعين أيضاً قال وشيخه حاضر : إني لا ألقاه ، وإنَّ رجليَّ هذه المرة فاشلتان يريد أنه يغلب ، فكان له الظفر والغلبة ، ودخل فاس الجديد متسوراً عليها ليلا فما شعر أهلها إلا وهو بها مع جيشه واستولى على ملك فاس ثم على ملك المغرب بعدها ، ثم قال ومنها أن بعض الأشراف بفاس ممن لهم ظهور وقع بينه وبين السلطان مولاي الرشيد بن الشريف رحمه الله منافرة شديدة وعداوة وبغضاء لسبب يطول ذكره ، فذكر يوماً عنده فغضب غضباً مفرطاً ، وأقسم بالله ليقتلنه ، وكان شديد الشكيمة ماضي العزيمة إذا قال فعل ، كأنما القدر يجري على لسانه ، فسمع بحلفه الشريف ففزع فزعاً عظيماً ، وخاف خوفاً شديداً ، لما يعلم من بطشه وفتكه وبغضه إياه

وضاقت عليه الأرض بما رحبت فلجأ من فوره إلى سيدنا أحمد رضي الله عنه وجاءه مستغيثاً ، فلما أشرف عليه تلقاه ورحب به وسأله الخ .

ذكر المترجم فى (النزهة) و (الدر السني) و (السر الظاهر) و (الروضة السليمانية) و (التقاط الدرر) و (نشر المثاني) و (الاشراف) و (رياض الورد) و (نصرة العترة الطاهرة) وغيرها .

441) الرشيد بن عبد السلام الغالبي الادريسي

الرشيد بن العلامة الأصولي سيدى عبد السلام بن الطايع بن حمو بن السعيد بن حمو الادريسي الغالبي ، أبو غالب ، الفقيه المحدث الواعظ ، كان رحمه الله وقوراً مهيباً صموتاً خيراً صالحاً من أهل العلم والفضل والديانة والحفظ ، كان يحفظ (نفح الطيب) للمقري ، و (الاحاطة) لابن الخطيب ، عدلا بسماط القرويين مورقاً به ومدرساً ، ووقعت بينه وبين نظار القرويين منازعة فى بعض المنفذات له ، فتوجه لمراكش عام أربعة وثلاثمئة وألف بقصد الشكاية بهم للسلطان ، فكانت فيها منيته وبها أقبر فى السنة المذكورة ، وهو والد الشاعر المجذوب مولاي محمد رحمهما الله .

442) الرشيد بن أمير المومنين مولانا عبد الرحمان العلوي ، كان رحمه الله جليل القدر عظيم الخطر منشرح الصدر نافذ الأمر ، عالماً عاملا فاضلا تقياً نقياً مهذباً أديبا حسن الأخلاق .

أخذ بمراكش عن مؤدبيه واخوته ، منهم العلامة السيد علي المسفيوي، والفقيه ابن عزوز ، ومولاي أحمد بوغربال ، والفقيه السيد أحمد بن مبارك وغيرهم ، واستوطن رباط الفتح وبها توفي فى العشرة الأولى من هذه المئة (الرابعة عشرة) .

حرف الزاي

443) **زمور بن يعلى الهزرجي** من جيرون بتناسا ، كان عبداً صالحاً نهاية في الفضل ، أصله من كساطت من بلد هزرْجة ، وأقام مدة برباط تانورت انطبير من دكالة ، ثم قدم الى مراكش واستقر أخيراً بكساطت وبها مات سنة خمس وخمسين وخمسمئة ، ولما مات همت القبائل بالتفاني عليه ، فكل قبيلة قالت انما ندفنه عندنا لننال بركته .

وحدثوا عنه أنه كان بدكالة فحضر صلاة العيد بالمصلى ، فلما أرادوا أن يصلوا اختلفوا في القبلة اختلافاً كثيراً ، فقام مغلوباً من بينهم وقال ياهؤلاء العميان هذه القبلة ، أما تشاهدون الكعبة في هذه الجهة هاهي تتلاعب الرياح بأستارها فتساقط عليه الناس واحتفوا به فغاب من بينهم وعاد الى بلده :

سرى من ربا نجد شذا عرف رياها ... فأحيا قلوب العاشقين وحياهـــا
وذكّرها تلك العهود التي مضت ... على أنها محفوظة ليس تنساهـــا
وروح أرواح المحبين روحهـــا ... فتاهت بهم وجداً ووجداً بهم تاها
وهاموا فهامت عند ذاك رحالهـــم ... ترى علمتْ ما في حشاهم حشاياها
فيا سائقَ الأظعان مهلا فانهـــا ... بها من عظيم الشوق ما عند أغناها
تراءت لهم من جانب الطور نـاره ... فطارت فلم يدر السرى أين مسراها
حنيناً الى تلك الديار لأنهـــا ... متيمة تهوى الديار وتهواهـــا
ألم ترها مدت اليك رقابَهـــا ... وتدمى أماقيها وتذرف عيناهـــا
طواها السرى طيَّ السِّجِلِّ كتابه ... فعادت حروفاً تقرىء الغير معناها

ترجمه في (التشوف) .

444) **زهر بن عبد الملك ابن زهر الأيادي**

زهر بن عبد الملك بن محمد بن مروان بن زهر الأيادي ، أبو العلاء ، كان طبيباً ماهراً يكفيه النظر إلى قارورة البول ولمس النبض ليعرف الداء الذي يشكو منه المريض ، وكان طبيب يوسف بن تاشفين ، وقبله كان طبيب

المعتمد ابن عباد ، ذكر في (المعجب) أنه طببه بعد مرضه بأغمات ، ثم لما مات يوسف بقي طبيباً لولده علي واستوزره فطعن فيه عنده كاتبه الفتح بن خاقان كما فى (نفح الطيب) ، ثم توفي سنة 525 ودفن باشبيلية ، كان شاعراً ذا قريحة ولسان طلق ، وألف لولده أبى مروان تأليفاً سماه بـ (التذكرة) ، جمع فيه النكت الطيبة التى عثر عليها ليعلم الأدوية والأمراض الموجودة بمراكش ، وبين أن ركود الماء بمنابع المدينة هو سبب مرض الزحار ، وأن الهواء الجاف بمراكش يورث السعال ، ووجع الكبد يرى فيها كثيراً يعقبه داء اليرقان ، وكذلك داء الحصى موجود بكثرة بمراكش ، وبعد موته طلب علي بن يوسف الملاحظات الطيبة التى وضعها المترجم فجمعت وسميت بـ (المجربات) ، توجد منها نسخة فى خزانة الاسكوريال تحت عدد 844 .

وكتب فى أمراض الكلي كتاباً طبعت ترجمته باللاتينية سنة 1497 م ، وله كتاب فى الخواص يوجد فى پاريس ونقل منه ابن البيطار (1) .

أما والده عبد الملك فقال فيه فى (الذيل والتكملة) ما لفظه : عبد الملك بن محمد بن مروان ابن زهر الأيادي إشبيلي ثم داني، أبو مروان، وقد تقدم رفع نسبه فى رسم ابنه زهر، روى بالأندلس عن طائفة من أهلها، ورحل وحج ودخل القيروان ومصر، وأقام فى رحلته طويلا ثم قفل الى الأندلس فاستوطن دانية، روى عنه ابنه أبو العلاء، وكان فقيهاً حافظاً . . . ذاكراً متفنناً فى معارف ماهراً فى الطب تعلمه فى رحلته عند رؤساء أهله حتى برع فيه وشهر به وأورثه عقبه ، متقدماً فى التعاليم ، وجلب من المشرق دواوين من فنون العلم على تفاريقها . . . فهو أول من أدخله الأندلس ، وتوفي بدانية ودفن بازاء الجامع القديم مع قبر أبي الوليد .

وستاتي ترجمة حفيده سميه عبد الملك بن زهر بن عبد الملك بن محمد بن مروان ابن زهر .

---

1) كتب المؤلف بعد هذا هذه العبارة : يكتب تمام ترجمته من ص 1739 من دائرة المعارف العدد 3 وراجع ص 74 ج 4 من الشذرات ؛ وراجع ص 131 من شجرة النور الزكية ؛ وراجع ص 166 من ج 1 من نفح الطيب ؛ وراجع ص 259 منه .

445) زهراء بنت الولي الصالح سيدي عبد الله بن مسعود الكوش ، السيدة الفاضلة ، كانت من أهل القدم الراسخ فى العرفان ، ومن أهل الولاية الظاهرة ، أخذت عن أبيها المذكور ، ولم تتزوج قط ، وذكر جمالها للسلطان زيدان بن أحمد المنصور الذهبي فهمّ بها فظهر له من بركتها ما صرفه عنها والحكاية بذلك شهيرة .

توفيت رحمة الله عليها بعد العشرين والألف ، وضريحها بحومة الكتبيين .

ذكرها فى الصفوة وطبقات الحضيكي .

وحدثنى من وقع له ما يذكر معها رضي الله تعالى عنه أنه لما كانت النساء مجتمعات فى موسمها الذى يعملنه فى زاويتها بحومة الكتبيين ولِصَبَا الحاكي إذ ذاك أراد أن ينظر إلى النسوة المذكورة ولم يجد سبيلا إلى ذلك إلا بأن التحف لحفة النساء ودخل الزاوية المذكورة ، فلما دخل عمي وصار لا يرى شيئاً ، فرجع ناكصاً على عقبه فى الحال ، وتاب من ذلك ورجع له بصره واعتقد كمالها ، وقد كان من سكان الحومة المذكورة وهو يناهز الستين عفا الله تعالى عنا وعنه ، وذكر فى باب الاخلاص من (الاحياء) ما نصه : وقيل كان رجل يخرج فى زيّ النساء ويحضر كل موضع يجتمع فيه النساء من عرس أو مأتم ، فاتفق أن حضر يوماً موضعاً فيه مجمع النساء فسرقت درة فصاحوا أن غلقوا الباب حتى تفتش النساء ، فكانوا يفتشون واحدة حتى بلغت النوبة الى الرجل والى امرأة معه ، فدعا الله تعالى بالاخلاص وقال ان نجوت من هذه الفضيحة أعود الى مثل هذا ، فوجدت الدرة مع تلك المرأة فصاحوا أن أطلقوا الحرة فقد وجدت الدرة .

446) زهراء السوسية ، نزيلة مراكش الشابة الجميلة ، ولدت فى مراكش فى العشرة الأولى من هذه المئة ، وأخبرت بمغيبات ، وصدرت منها اشارات بان صدقها كما يبين الصبح لذي عينين ، منها أنه لما سافر المولى حسن عام 1311 من مراكش السفر الذي مات فيه صارت تغلق أبواب أسواق

مراكش وتنادى جهاراً بموته وتفتل في التراب كأنها تفتل الكسكسون وتقول لهم ان ذاك عزاؤه ، فبعد ذلك ورد الخبر على مراكش بنعيه رحمه الله أواخر سنة 1311 ، فلما ظهر أمرها خفيت ولم يعثر لها على خبر بعد ، لقيتها مرات نفعنا الله بأهل خصوصيته ، ثم أخبرت أنها توفيت بعد ذلك بقريب نفع الله بها .

447) **زيدان بن أحمد المنصور الذهبي السعدي** ، لما توفي والـده المنصور وفرغ الناس من دفنه اجتمع أهل الحل والعقد من أعيان فـاس وكبرائها وجمهور من جيش المنصور على بيعة ولده زيدان ، وقالـوا ان المنصور استخلفه في حياته ومات في حجره، وكان ممن تصدى لذلك القاضيان قاضي الجماعة بفاس أبو القاسم بن أبي النعيم والقاضي علي بـن عمران السلاسي ، والأستاذ محمد الشاوي والشيخ النظار محمد بن قاسم القصار وغيرهم ، ويحكى أن القاضي ابن أبي النعيم قام في الناس خطيباً وقال : أما بعد السلام عليكم ، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما مات اجتمع الناس على أبي بكر رضي الله عنه ، ونحن قد مات مولانا أحمد ، وهذا ولده مولانا زيدان أولى بالملك من اخوته ، فبايعه الحاضرون يوم الاثنين السادس عشر من ربيع الأول سنة اثنتي عشرة وألف (25 غشت سنة 1603 م) ، قالوا وكان زيدان لما توفي والده كتم موته وبعث جماعة للقبض على أخيه الشيخ المسجون بمكناسة ، فمنعهم من ذلك الباشا جوذر كبير جيش الأندلس ، وحمل الشيخ موثقاً الى مراكش حتى دفعه الى أخيه أبي فارس وكان شقيقاً له ،فلم يزل مسجوناً عنده إلى أن كان من أمره ما سيأتي في ترجمته فـي المحمدين والله تعالى أعلم .

ثم ان أهل مراكش انحرفوا عن طاعة زيدان وبايعوا أبـا فارس ، فنهض السلطان زيدان لحربه وانهزم بأم الربيع وفر الى تلمسان فأقام بها مدة ، وكان قد بعث الى ترك الجزائر يستمدهم ويستعديهم على أخويه فأبطأوا عليه وطال عليه انتظارهم ، فلما يئس منهم توجه الى سجلماسة فدخلها من غير قتال ولا محاربة ، ثم انتقل عنها الى درعة ومنها السوس ، فكتب اليه أهل مراكش وقد ندموا على ما فرطوا فيه من أمره والدخول فـي طاعته ،

فكتبوا اليه أن يأتيهم ولو وحده ، فتوجه اليهم ودخل عليهم ليلا فلم يفجأ عبد الله بن الشيخ الا نداء أهل مراكش بنصر السلطان زيدان وتحزبوا معه وتقدموا إلى قائدهم عبد الله أعراص الذى ولاه عليهم الشيخ فقتلوه ، وخرج عبد الله فاراً بجموعه من أهل فاس والغرب ، فحاصرهم أهل مراكش بين الأسواق والجنات وقتلوا من أصحاب عبد الله بموضع يعرف بجنان بكار نحو الخمسة آلاف وخمسمئة ، وأمر زيدان بقتل كل من تخلف عن عبد الله من جيشه ، فأتى القتل على كل من وجد بمراكش من جيش أهل فاس ، وذلك فى أواخر سنة خمس عشرة وألف ، وفر عبد الله بن الشيخ ناجياً بنفسه حتى قدم على أبيه بفاس فى أسوإ الحالات مفلول العساكر مهزوم الجموع ، معتاضاً من جيش النصر بجيش الدموع ، ثم عاد عبد الله بن الشيخ الى مراكش واستولى عليها وطرد زيدان منها سنة 1016 ، ثم استولى السلطان زيدان على فاس وفر الشيخ ابن أحمد المنصور عنها الى العرائش ، ثم الى طاغية الاصبنيول ، ثم عاد عبد الله بن الشيخ الى فاس واستولى عليها وقتل مصطفى باشا رحمه الله سنة 1018 ، ثم عاد السلطان زيدان الى فاس واستولى عليها ثم أعرض عنها سائر أيامه ، ثم ان أحمد بن أبى مَحَلِّي نهض إلى سجلماسة ودرعة واستولى عليهما ثم استولى على مراكش بعدهما سنة (1022) ؟ استصرخ زيدان إلى مراكش .

قال في (الاستقصا) : قد ذكر المؤرخ لوزير البرتغالي فى كتابه الموضوع فى أخبار الجديدة شيئاً من أخبار السلطان زيدان رحمه الله فقال : كان السلطان زيدان صاحب مراكش مسالماً لنا كافا عن حربنا ، وكانت القبائل تفتات عليه فى غزونا فكانت غاراتهم لا تنقطع عنا ، وكان هو أيضا معهم فى شدة ومكابدة من أجل اعوجاجهم عليه ، ثم ذكر أن من جملة مَن غزاهم فى دولته السيد سعيد الدكالي قلت وأظنه والد السيد اسماعيل صاحب الزاوية المشهورة ببلاد دكالة ، قال فنهض سعيد بحال غيرة وامتعاض للاسلام وسار إلى الجبل الأخضر وغيره فجمع من الجموع نحو اثني عشر ألفاً وزحف بهم الى الجديدة ووافقه على ذلك قائد أزمور وبعض أشياخ الشاوية

وكانوا في نحو مئتين وخمسين من الخيل ، وارتاع النصارى منه وخافوا خوفاً شديدا ، وأمرهم قائدهم بالجد في حراسة الأسوار والانقاب وأن يشدوا باب الجديدة ولا يفتحوا منه الا خوخته (1) . وحاصرهم المسلمون ثلاثاً ثم قضي الله بوفاة السيد سعيد فافترق ذلك الجمع ، قال لويز مات أسفاً على ما فاته من الفتك بالنصارى كما يجب .

وفي سنة أربع وثلاثين وألف خرج السلطان زيدان من مراكش وقصد ناحية أزمور ، ولما انتهى الى موضع معروف بأم غرس من بلاد دكالة حمل اليه نصارى الجديدة هدية نفيسة ، ثم قدم ثغر أزمور في نحو أربعين ألفاً من الخيل على ما زعم لويز ، ودخل البلد وأخرج أهل أزمور عدة مدافع من البارود فرحاً به ، ولما سمع نصارى الجديدة بذلك أخرجوا مدافعهم أيضاً فرحاً بالسلطان وأدباً معه .

وفي سنة ست وثلاثين وألف ثار على السلطان زيدان الفقير ابراهيم كانوت هكذا سماه لويز ، ولم أدر من هو ، قال وفي خامس عشر دجنبر من السنة تواقف جيش الثائر المذكور مع جيش السلطان للحرب ببلاد دكالة ، كانوت هكذا سماه لويز ، ولم أدر من هو ، قال وفي خامس عشر دجنبر من عبد الملك ، فانهزم ابراهيم وقتل جماعة كثيرة من أصحابه ، وقبض على ولده ، فبعثه السلطان مع عدد وافر من رؤوس أصحابه الى مراكش ، وأخرج نصارى الجديدة مدافع أيضاً فرحاً بهذا الخبر ، فبعث اليهم السلطان زيدان بفرس أحمر لقائدهم اكراما له ، وكتب اليهم بكتاب تاريخه سادس رمضان سنة ست وثلاثين وألف مكافأة لهم على أدبهم معه .

انتهى كلام لويز .

وقال اليفرني رحمه الله : كان السلطان زيدان من لدن مات أبوه أحمد المنصور وبويع بفاس في محاربة مع اخوته وأبنائهم ومقاتلة مع القائمين عليه من الثوار الذين تقدم ذكر بعضهم ، ولم يخل قط في سنة من سني دولته

1) الخوخة باب صغير وسط باب كبير ؛ وهي من العامي الفصيح .

من هزيمة عليه أو وقيعة بأصحابه ، ووقعت بينه وبين اخوته معارك يشيب لها الوليد ، وكان ذلك سبب خلاء المغرب وخصوصاً مدينة مراكش ، ومما عُدَّ من نحس زيدان واستدل به على فشل ريحه أنه بعث في بعض الوقائع كاتبه عبد العزيز، ومحمد التغلبي بعشرة قناطير من الذهب الى صاحب القسطنطينية العظمى ، وطلب منه أن يمده ببعض أجناده كما فعل مع عمه عبد الملك الغازي، فجهز له السلطان العثماني اثني عشر ألفاً من جيش الترك وركبوا البحر ، فلما توسطوه غرقوا جميعاً ولم ينج منهم الا غراب واحد فيه شرذمة قليلة .

وقال منويل : إن قراصين الاصپنيول غنمت في بعض الأيام مركباً للسلطان زيدان فيه أثاث نفيس من جملتها ثلاثون ألف سفر من كتب الدين والأدب والفلسفة وغير ذلك (1) .

قال اليفرني وكان زيدان غير متوقف فى الدماء ، ولا يبالي بالعظائم ، قلت وهو مخالف لما ذكره زيدان فى رسالته التى خاطب بها أبا زكرياء الآتية ترجمته فى حرف الياء من أنه ما سعى فى قتل أحد الا بفتوى أهل العلم ، والظن بزيدان أنه ما قال ذلك الا عن صدق ، والا فمن البعيد أن يفخر على خصمه ويدلي بشيء هو متصف بضده ، وكان زيدان فقيهاً مشاركا فـي العلوم ، وله تفسير على القرءان العظيم أعتمد فيه على ابن عطية والزمخشري، قال اليفرني وكان كثير المراء والجدال، كما وقع له مع الشيخ أحمد الصومعي (2) .

قلت الذى وقع له مع الصومعي هو أنه لما ألف كتابه الموضوع فى مناقب الشيخ أبى يعزى رضي الله عنه وسماه المعزى بضم الميم وفتح الزاي بصيغة اسم المفعول من الرباعي عارضه زيدان وهو يومئذ بتادلة والياً عليها من قبل أبيه بأنه لم يسمع الرباعي من هذه المادة ، وإنما قالت العرب عزاه يعزوه ثلاثياً ، فأصر الصومعي رحمه الله على رأيه الى أن لطمه زيدان على رجهه بالنعل ،

---

1) هذه الكتب هى أصل مكتبة الاسكوريال الموجودة قرب مدريد .

2) انظر الحكاية فى ترجمة أحمد بن أبى القاسم الشعبى الهروى الزمرانى الصومعى فى 2 : 280 ع 219 من هذا الكتاب .

فشكاه الى أبيه أحمد المنصور ، فقال له لو لطمك وهو المخطيء لعاقبته ، أما اذا كان الصواب معه فلا ، قلت كان زيدان يومئذ في عنفوان الشبيبة فصدر منه ما صدر :

فان يكن عامر قد قال جهــــلا فان مظنة الجهل الشبــــاب

ومع ذلك ما كان من حقه أن يفعل ، وأظن أن انتكاس رايته سائر أيامه إنما هو من آثار تلك اللطمة ، فان لله تعالى غيرة على المنتسبين إلـى جنابه العظيم وان كانوا مقصرين فنسأله سبحانه أن يجنبنا موارد الشقاء ، ويسلك بنا مسالك الرفق في القضاء .

وللسلطان زيدان شعر لا بأس به منه قوله :

فتنتنا سوالف وخــــدود وعيون مدعجات رقــــود
ووجوه تبارك الله فيهــا وشعور على المناكب ســود
أهلكتنا الملاح وهي ظبــاء وخضعنا لها ونحن أســود

وقوله عفا الله عنه :

مررت بقبر هامد وسط روضــة عليه من النوار مثل النمــارق
فقلت لمن هذا ؟ فقالوا بذلــة ترحم عليه إنه قبر عاشــق !

وكانت وفاته رحمه الله في محرم فاتح سنة سبع وثلاثين وألف ، ودفن بجانب قبر أبيه من قبور الأشراف قبلي جامع المنصور من قصبة مراكش، ومما نقش على رخامة قبره قول القائل :

هذا ضريح من بــه تفتخــر المفــاخــر
زيدان سبط أحمــد مبتكر المآثــر
حامي حمى الدين بكـــل ذابل وباتــر
أجل من خاض الوغــا وللأعادي قاهــر
لا زال صوب رحمة اللـــه عليه ماطــر

ومن شذا رضوانـــــــه نفحة كل عاطـــــــر
أرخ وفاةَ مَن غــــدا جاراً لرب غافـــــــر
بمقعد الصدق عــــلا أبو المعالى الناصـــــر

ووزراؤه الباشا محمود ، ويحيى أجانا الوريكي وغيرهما ، وكتابه عبد العزيز الفشتالي كاتب أبيه ، ومحمد بن عبد العزيز التغلبي وغيرهما ، وقضاته محمد الرگراگي وغيره ، وترك عدة أولاد ، منهم عبد المالك والوليد ومحمد الشيخ ، وهؤلاء ولوا الأمر بعده ، وأحمد وغيرهم ، رحم الله الجميع ، وفيه ألف قاسم ابن القاضي أنوار الزمان ، فى قدوم مولانا زيدان (I) .

448) **زيدان بن مولاي إسماعيل العلوي** ، بعثه والده سنة 1013 إلى فاس ، ولما ثار المولى مَحمد أخوه ببلاد سوس ودعا لنفسه وزحف إلى مراكش فحاصرها فى رمضان من السنة المذكورة وفى العشرين من شوال اقتحمها عنوة بالسيف فقتل ونهب ، ولما اتصل خبره بالسلطان بعث ولده المولى زيدان فى العساكر لقتاله ، فقدم مراكش ، فصادف المولى محمد قد خرج عنها وعاد إلى رودانة ، ولما احتل المولى زيدان بمراكش عاثت عساكره فيها ثم تبع أخاه المولى محمد العالم إلى السوس فنزل على رودانة واتصلت الحرب بينهما ، وفى الحادي والعشرين من صفر سنة ست عشرة ومئة وألف ورد الخبر باستيلاء المولى زيدان على رودانة وقبضه على أخيه المولى محمد العالم بعد محاربته ثلاث سنين هلك فيها أمم وقواد ورؤساء وأعيان يطول ذكرهم ، ولما دخلها المولى زيدان عنوة قتل جميع مَن بها حتى النساء والصبيان ، هكـذا فى (البستـان) .

ولما دخلت سنة سبع عشرة ومئة وألف ورد الخبر بموت المولى زيدان برودانة وحمل فى تابوت إلى مكناسة فدفن ليلا بجنب أخيه مولاي محمد العالم ، وهذا خطأ فانه واخى بينه وبين أخيه مولاي أحمد الذهبي أبوهمـا السلطان مولاي إسماعيل سنة سبع وثلاثين فى منتصف رمضان ، وعقـد المحالفة والمواخاة يوجد بالمكتبة الزيدانية .

I) **الاستقصا** 6 : 3 طبع الدار البيضاء .

449) زين العابدين بن المولى إسماعيل العلوي الحسني، أمير المومنين،
كان ابتداء أمر السلطان المولى زين العابدين أنه قدم مكناسة في أيام أخيه المستضيء، فلما سمع به أمر بسجنه قبل أن يجتمع به ، فسجن مدة ثم أمر يوماً باخراجه وضربه ، فضُرب وهو في قيده ضرباً وجيعاً أشرف منه على الموت ، ومع ذلك فلم ينطق بكلمة ، ثم رده إلى السجن ، ثم أمر ببعثه مقيداً إلى سجلماسة كي يسجن بها مع بعض الأشراف المسجونين هناك ، فلما سمع بذلك قواد رؤسهم (1) من العبيد بعثوا مَن رده من صفرو إلى فاس ، وهناك بعثوا به إلى القائد أحمد الكعيدي ببني يازغة وأمروه أن يحتفظ به مكرماً مبجلا ، ثم لما فرَّ المولى المستضيء عن مكناسة وراجع العبيد طاعة السلطان المولى عبد الله دخل المولى زين العابدين مدينة فاس فاطمأنَّ بها وسُرَّ بولاية المولى عبد الله وخلع المولى المستضيء ، ثم ذهب إلى مكناسة فأقام بها مدة ثم سار إلى طنجة فقدم على صاحبها الباشا أحمد بن علي الريفي فأكرم وفادته وأحسن مثواه ، واستمرَّ مقيماً عنده إلى أن كاتب عبيد الديوان في شأنه ووافقوه في بيعته ، فبايعه الباشا أحمد وبايعه أهل طنجة وتطاوين والفحص والجبال وخطبوا به على منابرهم ، ثم هيأ له الباشا أحمد كتيبة من الخيل من عبيد الديوان وغيرهم وبعثهم معه إلى مكناسة فدخلها في ربيع سنة أربع وخمسين ومئة وألف ، وبويع بها البيعة العامة ، وقدمت عليه وفود القبائل والأنصار فقابلهم بما يجب وتم أمره ، ففر السلطان المولى عبد الله من رأس الماء ودخل بلاد البربر ، ولم يقدم على المولى زين العابدين أحد من الودايا ولا من أهل فاس ، وكان فيه أناة وحلم لم يظهر منه عسف ولا امتدت يده إلى مال أحد ، إلا أنه لقلة ذات يده نقص العبيد من راتبهم فكان ذلك سبب انحرافهم عنه كما سيأتي .

ولما استقر السلطان المولى زين العابدين بحضرة مكناسة وتم أمره أقام نحو العشرين يوماً ثم تهيأ لغزو الودايا وأهل فاس الذين تخلفوا عن بيعته ، فقبض عليهم في جيش العبيد منتصف جمادى الأولى سنة أربع وخمسين ومئة

---

1) عبارة عامية معناها الضباط أو المتصرفون الاداريون الذين يتولون الوظائف استقلالا ويباشرون الأعمال استبداداً من غير رجوع الى سلطة عليا شرعية ؛ مفرده قائد راسو .

وألف ، ولما بات جيشهم بسيدى عميرة بقصد حصار فاس اختلفت كلمة العبيد ، ومن الغد قوضوا أبنيتهم وارتحلوا إلى مكناسة وكفى الله الودايا وأهل فاس شرهم ، لأنهم حرقوا بيادر الزرع التى كانت للودايا بالخميس ، ولما وصلوا إلى مكناسة نهبوا ثمار جناتها وأفسدوا ما قدروا عليه منها ، وانصرف جمهورهم إلى مشرع الرملة ، والذين دخلوا مكناسة مع السلطان طالبوه فى الراتب وشددوا فى اقتضائه ، فلم يكن عنده ما يرضيهم به فشغبوا عليه ومرضوا فى طاعته ، هذا والسلطان المولى عبد الله مقيم في جبال البربر ومطل على الحضرة ومتحفز للوثبة ،فلما علم بما فيه المولى زين العابدين من الاضطراب نزل من الجبل وتقدم حتى دخل فاس الجديد وذلك فى سادس عشر جمادى الأخيرة من السنة ، فلقيه الودايا وأهل فاس واهتزوا لمقدمه وطاروا به سروراً ، ثم خرج من يومه إلى دار الدبيبغ فاحتلّ بها ، ولما اتصل خبره بأخيه المولى زين العابدين ضاق ذرعه وخشعت نفسه وأصبح غادياً من مكناسة إلى حيث يامن على نفسه معرضاً عن الملك وأسبابه ، وكان ذلك آخر العهد به إلى أن توفي رحمه الله (1) .

450) **زينب بنت الخليفة يوسف بن عبد المومن بن علي** ، تزوجها ابن عمها عبد الرحمان بن عمر بن عبد المومن ، أخذت عن أبي عبد الله بن ابراهيم علم الكلام وغير ذلك ، وكانت عالمة صائبة الرأي فاضلة .

ذكرها في (التكملة) .

حرف الطاء

451) **الطالب أحمد المصطفى ابن طوير الجنة الصحراوى التشيتي** ، رحل للحج سابع جمادى الأولى عام 1245 ، وتلاقى بمراكش بمولاي عبد الرحمان سلطان المغرب ، وتلاقى بسيدي التهامى الأوبيري وأنزله السلطان بجامع الولي القطب سيدي ميمون الصحراوي ، وزار رجال أغمات ، وأصله

1) الترجمة كلها منقولة بالحرف من **الاستقصا** 7 : 154 ومن غير تعديل مناسب .

منها ، لأن جده السابع قدم منها ، ولقي سيدي محمد الفران وأضافه باللبن والخبز والادام ! وكتب السلطان لقائده بالعرائش ليركبه من العرائش إلى الاسكندرية ، ومن تأليفه (فيض المنّان ، فى الرد على مبتدعة هذا الزمان) ، وشيخه هو سيدي عبد الله بن الحاج ابراهيم العلوي ، وزار فى الاسكندرية المرسي والبوصيري وابن الحاجب ، وسيدى عبد الله المغاوري ، وزار بمصر الشيخ خليل وشيخه سيدي عبد الله المنوفي وسيدي عبد الباقي الزرقانى وسيدى محمد الخرشي والامام الشافعي ، وسافر من سويس الى ينبع البحر بقصد تقديم الزيارة ومكث فى المدينة سبعة أيام ، ومنها سافر لمكة فوصلها سادس ذى الحجة ، وخرج من مكة فى الثانى أو الثالث والعشرين من حجة ، ورجع الى المدينة المنورة ، فمكث بها 17 يوماً ، ولما وصل الى طرابلس الغرب لقي من علمائها قاضيها البنغازي ، ومن طرابلس ركب البحر الى صفاقس ومر بجزيرة جربة وزار بصفاقس الامام اللخمي وبسوسة الامام عبد عبد الحميد الصائغ ، وزار رجال المنستير الامام المازري وابن يونس وابن السراج ، وزار أبا زمعة البلوي بالقيروان وابن أبي زيد ، ومكث فى تونس ستة أشهر ينتظر سفينة إلى جبل طارق أو طنجة ، ولم يرد أن يمر على الجزائر لكون الأعراب يقطعون الطريق ، وزار سيدى محرز بن خلف ابن خالة سيدي عبد الله بن أبي زيد ، ثم خرج من تونس آخر يوم من جمادى الأولى فى البحر قاصدا الجزائر، فردتهم الريح لبجاية ، وبها لقي الولي الصالح سيدي محمد بن عبد الوهاب الادريسي وأنشده شيخه العلوي :

من سارروه فأبدى السر مشتهراً ... لم يأمنوه على الأسرار ما عاشا
وباعدوه ولم يحظ بقربهم ... وأبدلوه مكان الأنس إيحاشا

ومن هناك أركبه الفرنسيس فى مركب حربي هو ومن معه بعد أن بقوا فى الكرنتينة (1) عشرة أيام ، وأركبوهم فى القامرة ومانوهم الى أن وصلوا جبل طارق فاستدعاهم الحاكم هناك وضافوهم ، ثم ذهبوا إلى طنجة ،

---

1) مدة الحجز الصحى للمصابين بالوباء أو من يظن أنهم مصابون به ؛ وكانت المدة فى الأصل أربعين يوماً كما يدل عليه اللفظ العجمي ؛ ويقلب المغاربة نونها لاماً : كرنتيلة .

وهناك نزلوا من المركب المذكور ، ثم ذهب إلى مراكش ثم فاس ، ونزل في مقصورة القرويين ، واشترى هناك نفائس من الكتب بواسطة السلطان مولاي عبد الرحمان ، ثم ان السلطان المذكور أدخله على أهله زوجاته وبناته وجواريه ليتبركن به ، ثم سافر للصويرة ، ومنها سافر هلال صفر عام 1250 ، ذكر أنه لازم شيخه العلوي اثنين وعشرين عاماً ، أخذ عنه علومه كلها التى أخذها بفاس عن شيخه الشيخ بناني والتاودى .

انتهى من كتابه رحلته المسماة (رحلة المنى والمنة ، لجامعها ومنشئها الطالب أحمد المصطفى بن طوير الجنة) ، وممن أخذ عن المترجم وأجازه المسند الشريف سيدى محمد التهامى بن المكي بن عبد السلام ابن رحمون ، وله السراج في الحذف في رسم القرءان ، وهذا غير أحمد الأخير المتوفي عام 1318 هـ .

452) **الطالب بن أحمد بن التاودي ابن سودة** الفقيه البركة المسن الأحفل المجتني من بحر العلوم أنفس المطالب ، قال فى (السلوة) : ربي رحمه الله فى حجر أبيه منظوراً إليه بعين الرعاية من جده ، لا يكاد يسلو عنه فى وقت من الأوقات ، وقرأ القرآن قراءة تجويد وإتقان ، ثم أخذ فى تعلم العلوم على أبيه وجده ، فقرأ على أبيه مقدمة ابن أجروم والألفية وغيرها من كتب الوسائل المتداولة ، وسمع عليه صحيح البخاري مرتين ، وقرأ عليه مختصر خليل مرتين أو ثلاثاً ، ورجز ابن عاصم ، وسمع على جده جملة من تفسير القرآن العزيز وصحيح البخاري مرتين أو ثلاثاً ، ومختصر خليل وغير ذلك ، وحصلت له رحمه الله ملكة التدريس ، لكنه حصل له من اليسار ما شغله عنه ولم يجلس إلا قليلا ولم يحصل به كثير النفع ، وكان بعيد الساحة من كل ما يُخل بالمروءة كثير الأذكار آناء الليل وأطراف النهار ، كريم المعاشرة، جميل المباشرة ، رفيع القدر ، سالم الصدر ، نزيهاً صيناً ليناً خيراً دينا ، لا يقف به علوُ الهمم فى مواقف التهم ، ظاهر الانصاف ، واسع الاسعاف ، نزيه النفس عما لا يعني ، كثير السعي لما يعني من أسباب الدنيا والآخرة ، بجوارحه الباطنة والظاهرة .

ترجمه صاحب (الروضة المقصودة) إلا أنه لم يذكر وفاته فيه لكونه تأخّر بعده كثيراً ، وكانت وفاته سنة اثنتين وخمسين ومئتين وألف ، ودفن بزاوية جده المذكور قريباً من محرابها ، يتصل رأسه برجلي والده أحمد ، فقد رأيت أبياتاً مكتوبة قبالة وجه ضريحه من إنشاء ولده الفقيه الأديب البارع الخطيب سيدى جعفر رثاه بها ورمز فيها تاريخ وفاته نصها :

إن يوم الفراق يوم طويـــــــل فيه ذقنا كؤوس صاب وصبـــر
فتذرع إذا فقدتَ خليـــــــــلا وتضرع لدى الرزايـــا بصبـــر
قد قضى نحبه وراح لـــــــروح وحباه الالاه أجـزل صبـــــــر
قد قضى نحبه وراح لـــــــروح في نعيم يبقى وبشرى وبشـــــر
فهو في روضة الجنان مقيـــــم مرتد برداء سندس خضـــــــر
في سرير السرور ضاجع حـوراً ! قصرت في قصور نظم ونثـــــر
والسعادة أرخت في وفـــــــاة لاح وراء الرضا وفاح بنشـــــر
فسقى قبره سحائب رحمـــــــى ما تباهت آيات سحر بشعـــــر

وقد كان ولده المذكور شاعراً مجيداً خطيباً بليغاً يخطب بجامـع الأندلس من فاس وأخذ عن أبيه وجده أحمد ، توفي بالطاعون ثاني عشر ذيالحجة سنة 1276 ودفن بالزاوية المذكورة بازاء الحائط الممتدّ من باب الصومعة إلى الصحن .

453) **الطاهر بناني الرباطي** ، قاضي الجماعة بمراكش، وأديب الوقت، ذكر المولى عبد السلام في (درة السلوك) أن والده أمير المومنين سيدى محمد بن عبد الله له مع السلطان مصطفى العثماني مهاداة ومراسلات ، أولها الهدية الأولى سافر لها من الحضرة قاضي الجماعة وأديب الوقت بمراكش السيد الطاهر بناني ، وكان بعْث القاضى المذكور آخر سنة 1175 خمس وسبعين ومئة وألف مع الأمين الحاج الخياط عديل ، ثم بعثه معه أيضاً سنة 1199 تسع وتسعين ومئة وألف مع الفقيه السيد الطاهر بن عبد السلام السلوي وأصحبهما هدية نفيسة فيها خيل عتاق بسروج مثقلة بالذهب مرصعة بالجوهر والياقوت ونفيس الأحجار ، وفيها أسياف محلاة بالذهب ومرصعة بالياقوت المختلف

الألوان ، وفيها حلي من عمل المغرب ، فقبل ذلك السلطان العثماني وابتهج به ، ثم كافأ عليه بمركب موسوق من آلة الحرب : مدافع ومهاريز وبارود وإقامة كثيرة للمراكب القرصانية من كل ما يحتاج إليه .

وقال في (الأزهار الندية) ما نصه : ومنهم الفقيه العلامة النحوي النوازلي القاضي محمد المدعو طاهر بناني ، من أولاد بناني فاس الساكنين بمراكش ، ولما قدم لفاس أمير المومنين المجاهد في سبيل رب العالمين سيدى محمد بن عبد الله الحسني حيث توفي والده قدم معه لفاس ، فقرأ ألفية ابن مالك بفاس الجديد ، وبلغ فى تدريسه المكودي فقط ، ولما رجع السلطان إلى مراكش رجع معه لقضائه بمراكش ونواحيها ، وكان يرحل مع السلطان إلى أي بلد رحل ، ولما عزم السلطان على حصار مدن السواحل التى بأيدي الاصبنيول أهل قشتالة المتغلبين على بلاد الأندلس واحتاج إلى أن يعد الآلات العظمى التى ترمى بها المدن من البنب والمهاريس وأراد أن يصنع ذلك بالمغرب ويتعلمه أهل المغرب لأنه لم يسبق لهم فيه خبرة أرسل السيد طاهر هذا قاضي مراكش وكان فصيحاً متكلماً أديباً وجيهاً يحسن السياسة ومخاطبة الملوك ، ورفيقه شيخ الركب النبوي الحاج الخياط عديل وهو مثله في بعض الأوصاف ، فسارا إلى قسطنطينية العظمى ، فكلموا وزير السلطان . . . . العثماني التركي أن يأذن لمن يريد الخدمة أن يسير معهم ، فجاءوا بستة عشر رجلا من المعلمين ، منهم من يخدم المهاريس والبنب والنفط والكور ، ومنهم من يصنع الكمِّن (1) والسفن ، فاكرمهم السلطان ورتب لهم الأجرة والنفقة ووكل من يدفع لهم الاقامة ، فكانوا يخدمون البنب بتطاون إلى أن تعلموا عليهم بعد مرورهم بفاس ، وصناع الكمِّن والسفن ساروا إلى سلا ، فرتب بهم مثل إخوانهم ودخلوا دار الصنعة بالرباط مع المعلمين الذين كانوا

---

1) جمع كمنة ؛ حبال غليظة من القنب تشد بها السفن وترفع بها القلوع ؛ وهى أيضاً للخيام اطناب ؛ ما زالت الكلمة مستعملة فى حنطة الفرايكية بالقصور الملكية ؛ ولعلها كلمة تركية دخلت فى العامية المغربية .

بالمغرب ، فكان أهل اصطنبول أحكم صنعة من أهل المغرب ، وأهل المغرب أحكم تفصيلا في صناعة السفن ، فمكثوا السنين إلى أن أخذ ذلك عنهم فرجعوا إلى بلدهم مكرمين ، واستمرَّ صاحب الترجمة على خدمته إلى أن توفي بمراكش فى العشرة الثانية (1) والله أعلم ، وسار الخياط عديل إلى تونس فلحق بأخيه عبد القادر فهو بها الآن وكان رجوعهما من القسطنطينية في سنة إحدى وثمانين ومئة وألف .

454) **الطاهر بن محمد ابن جلون المراكشي** أخذ العلم رحمه الله أدباً وفقهاً وحديثاً على علماء مراكش كالفقيه مولاي أحمد بوغربال وابن وقاص وابن المدني وابن المعطي وابن الفاضل وصهره عبد الوهاب وجيمى والسباعى وأزنيط وأبى الحسن المسفيوي ، لازمهم نحواً من عشرين سنة وأجازوه ، كان رفيقه فى القراءة على شيوخه السيد الحبيب ابن كيران ، وكان المترجم فقيهاً كاتباً بارعاً تؤدة نبيلا شعلة فى الذكاء والحفظ حسن الوجه والخط والصوت ، استكتب بالبنيقة الكبرى، وكان خليفة الوزير السيد محمد الجامعي، شجى في حلق الفقه الكاتب السيد محمد الصنهاجي إذ ذاك إلى أن مات بفاس عام ثمانية وتسعين ومئتين وألف وعد فى (الحسام المشرفي) من السراد الذين يسردون صحيح البخاري فى الأشهر الفاضلة زمان خلافة السلطان سيدى محمد ــ ابن جلون ثم ولده بعد موته .

455) **الطاهر بن أحمد البلغيثي العلوي**

الطاهر بــن أحمد بن العربي بــن أحمد بن علي بن محمد بن الشريف بن عبد المومن بن محمد بن أبي الغيث بن يوسف بن مولانا علي الشريف السجلماسي العلوي البلغيثي ، الفقيه الأديب ، البارع النبيه الأريب ، الكوكب الزاهر، مَن سمح به الدهر ، وافتخر به العصر .

قال فى (الدرر البهية) بعد ذكره : طلع في سماء المعالي بدراً ساطعاً، وأشرق نور بهجته فى الآفاق نوراً لامعاً ، انتخب للانشاء والترسيــل فى

---

1) أى من القرن الثالث عشر الهجرى .

الحضرتين المولويتين الحسنية والعزيزية ، فامتاز دون سائر أبناء جنسه بكل مزية ، إن وشى بيراعه سجول الطروس ، نقش من ديباج الألفاظ ما تبتهج به النفوس ، وإن غاص فى بحر المعاني استخرج درراً فائقة ، ونظمها فى سلوك الأساليب الرائقة ، فتغنت بنغمات أوزانها على أدواح أغصانها أطيار القلوب الشائقة ، أو نثر فاخر جواهرها فى فسيح الأوراق ، عجز عن التقاطه فحولُ السباق ، وبالجملة فقد جزم مرفوع أفعال الأقران ، وانتصب لخفض من حاده من الأعيان ، وارتفع فى نصبه بين أبناء الزمان .

توفي رحمه الله سنة 1317 سبع عشرة وثلاثمئة وألف بمراكش فى نزهة بعرصة السيد علي المسفيوي عن نحو اثنين وأربعين عاماً ، لأنه ولد عام 1276 واستكتب بدار المخزن عام 1296 وتقدمت ترجمة والده (1) المتوفى عام 1307 بعد ان أصابه الفالج عام 1302 بسبب فرح مفرط حيث قدم عنده الوزير السيد محمد بن العربى الجامعي رحم الله الجميع .

وقال الأديب أبو الحسن السناني فى ديوانه : إنه استدعاه ليلة بقصد المسامرة ، وتعاطى كؤوس المذاكرة ، ولما أتى لبابه ، وقع التراخي في الاذن من بوابه ، فرجع فأمر بوابه بأن يأتي به فارتجل بيتين هما :

إعذرْ حُفظت فما رجوعي عن قِلا ... لكن لسوء طبيعة البوّاب
إني امرؤ ذو همة عربية ... تأبَى طباعي نخوةَ الحُجّاب

وفي أثرها وجّه له المترجم مجيباً عن البيتين بما نصه :

إصفح أخي عن هفوة البوّاب ... واقبلْ متابةَ خائفٍ أوّاب
واسمح هديت فانه أبدى لنا ... عذراً أزاح به عرى الأسباب
وأحال في فصل القضية عند مَن ... ردت إليه أعنةُ الآداب
انظر إلى المامون عند جوابه ... ولصنوه المحبوب فى الأركاب
تجد الشواهد قد قضت في حكمها ... بقبول عذر الواجل المنتاب

1) انظر 2 : 421 ع 300 من هذا الكتاب .

مع ذا وقد ألزمتُه من جنس مـــا ... قد حلَّ من ركب ومن إخبـــاب
متوجهاً في ظلمة من غير مـــــا ... ضوء يريـــه مسالكَ الأبـــــواب
إلا الجبين وخده الوضـــاح مـــع ... برق المباسم من سمـــا الأشنـــاب
متحصناً من تربه بلحاظـــــــه ... وبرمح قدٍّ كالمهـــا الربـــــراب
متشفعاً في جرمـــــه بشمائـــل ... أغنت عن الأحساب والأنســـاب
نعم الشفيع أتى بغير مشقـــــة ... فاهنـــأ أخي بمزيـــــة الايـــاب

وجده مولاي العربي الفقيه من أشياخ الفقيه سيدى سعيد جيمى كما ياتى ذكره إجازته في ترجمته .

456) **الطاهر بن حمو الدكالي الصديقي** ، قاضي الجماعة بمراكش ، أخذ عن الفقيه سيدى محمد بن ابراهيم السباعي وطبقته ، وأجازه الأول إجازة عامة ، ودرس الألفية بجامع ابن يوسف ، وكان مجيداً لالقاء الدرس ، وجلس بسماط العدول مدة ثم أنابه القاضي العلامة سيدى أبو شعيب قريبه لمـا استقضي على مراكش ، ولما ارتقى للوزارة آخر عام ثلاثين وثلاثمئة وألف استقل المترجم بقضاء مقصورة المواسين ، وكان لا يمضي إلا ما أشير به عليه في القضايا الشرعية ، وبقي بها قاضياً إلى أن ذهب لوطنه لدكالة قرب مدينة مشنزاية الخربة ، وتوفي هناك عام 1336 ، رحمه الله .

457) **الطيب ابن أمير المومنين سيدي محمد بن عبد الله العلوي** ، قال الضعيف في تاريخه إن السلطان مولاي سليمان بعث لأخيه مولاي الطيب على أن ياتيه من مراكش لأنه أراد القيام بها ، واستمالت إليه قبائل الحوز وأرادوا بيعته الخ ، وسياتي في ترجمة مولاي سليمان أنه عقد لأخيه مولاي الطيب على بني حسن وبعثه لاعتراض الزعري لما بلغه خبر مسيره إلى رباط الفتح ، فتوافى الجيشان معاً في الـرباط ووقع الحرب فانهزم الزعـري وشيعته ، وقتل العباس مرينو محتسب الرباط وفر أبو عبد الله المكي بن العربي فـرج إلى الزاوية التهامية فاستجار بها ، وقبض المولى الطيب عـلى الزعري وجماعة من أصحابه ثم سرحه بأمر السلطان المولى سليمان، ثم عقد له ثانياً على عشرة آلاف من الخيل وعين معه جماعة من قواد الجيش وبعثهم

إلى قبائل الشاوية وذلك أواخر سنة سبع ومئتين وألف ، ولما قدم المولى الطيب بلاد الشاوية تنافس قواد الجيش الذين معه وتنازعوا الرياسة وصار كل واحد منهم يرى أنه صاحب الأمر، وكان من أعظمهم تهوراً القائد الغنيمي كان من قواد المولى يزيد رحمه الله فأبقاه سليمان على رياسته تأليفاً له، فاستبد على سائر القواد اذ كان رديف الخليفة المولى الطيب وصاحب مشورته، فلما كان وقت اللقاء تخاذلوا عنه وجروا عليه الهزيمة وتركو أخبيتهم وأثاثهم بيد العدو ورجعوا مفلولين إلى رباط الفتح وهم عشرة آلاف فارس كما مر ، ثم ولاه سنة 1208 على قبائل الجبل وفوض إليه أمر الثغور وأنزله بطنجة ، وبقي المولى الطيب يدبر أمر القبائل الجبلية من تطوان إلى طنجة إلى العرائش وكلما بدت له فرجة سدها أو فرصة انتهزها ، وحارب قبائل الفحص إلى أن استكانوا وانقادوا إلى الطاعة ، ثم حارب أهل حوز طنجة وأصيلة من بني يدر والأخماس من أصحاب زيطان إلى آخر ما بيناه هناك ، ثم وجهه إلى أنفا، ثم بعد ذلك عام 1211 استخلف أخاه المذكور نائباً عنه بمراكش ، وتوفي في الوباء عام 1212 بمراكش رحمه الله كما أشير إليه في ترجمة محمد ابن عثمان المكناسي (1) .

458) **الطيب بن عمير الشرقي**، ولد في حدود الخمسين ومئتين وألف، وأخد العلم بفاس عن السيد الحاج المهدي ابن سودة قبل سفره للحج مع المولى علي بن عبد الرحمان الواقع عام أربعة وسبعين ومئتين وألف وعن طبقته ، وحصل ما كتب له من العلم ، ثم سافر لبلاده وولي خطة القضاء بها فيجهات ورغة أيام عمالة القائد محمد ولد أبا محمد ، ثم تشوش منه العامل وشكا به للسلطان سيدي محمد فاحترم بضريح سيدي أحمد الشاوي بفاس فخيره بين الذهاب لمراكش عند ولده وخليفته المولى الحسن أو يبقى بفاس مضيقاً عليه ، فاختار الذهاب لمراكش ، وورد لهابكتابه على خليفته المذكور ، ونفذ له مؤونته وأنزله عند قائد قصبتها إبراهيم بن سعيد الجراوي،وكان يوجهه للقضايا المهمة ، ونفذ له دار كاتبه ابن كبور بعد موت الجراوي وتتريكه ، واحترام ابن كبور بالمولى علي بن عبد الرحمان ثم نفذت له دار الفقيه ابن الطاهر بالقصور وبها بقي إلى أن سافر من مراكش عام1311 .

---

1) عنون المؤلف بعد هذا للطيب بن اليماني بوعشرين واشار الى أن ترجمته توجد مع المحمـديـن .

وكان فقيهاً ديناً خيراً محافظاً على ديانته ، أخذ الطريقة التجانية عن مقدمها ، وكان يزور الصالحين أحياء وأمواتاً ، ويخالف التجانيين في ذلك ، وكان يحب الصالحين ، كلفه السلطان المولى الحسن بخزانة كتبه ، ومباشرة النسخ والتسفير على يده ، وكانت له همة عالية لا يلتفت إلى كلام حاجب أو وزير ، وإنما كلامه مع مخدومه المذكور ، وكان يحترمه ويعظمه ويحسن إليه ويثق به فيما ينهيه إليه ، وكان يكتب البطائق في شأن ذلك للأماء بعلامته ، ثم ولي ذلك بعده صديقنا الثبت الخير الفقيه الكاتب البارع المنشيء العدل الواعية المؤرخ النبيه سيدي الحاج عبد السلام بن الفقيه السيد عبد الواحد اليعيشى .

كان المترجم يتعاطى الفتوى بمراكش ، وقفت على بعض الفتاوي في قضية وقع التداعي فيها عام 1286 ستة وثمانين ومئتين وألف ، وأفتي فيها سيدي محمد المطيع وسيدي سعيد جيمي وسيدي الحسن المزميزي ، والمترجم ، وسيدي عبد الوهاب وسيدي الحاج علي القرمودي وسيدي علي بن المختار ، وسيدي محمد بن المعطي ، وسيدي عمر بن عبد الواحد الدويري ، والسيد عبد الله الرجراجي وسيدي الحاج محمد أزنيط ، وسيدي أبو شعيب الدكالي ، وسيدي محمد بن عبد الهادي ، وحاصل فتاويهم إمضاء بيع الصفقة حيث اتحد المدخل ولا يتوهم ضم وقد ثبتت الحاجة وأمضى القاضي ، ثم في عام 1295 خمسة وتسعين ومئتين وألف حكم القضاة الثلاثة سيدي محمد ابن المدني وسيدي عبد الواحد ابن المواز ، وسيدي محمد ابن الهادي بما وقع به الافتاء لما انعقد الجمع بالأمر المولوي بحكومة المواسين ، ثم طلب أهل الشورى من المشترى أن يدفع للمنازعين جميع مئتي مثقال حسبة لله ويقطع بها مادة النزاع ففعل ذلك ، ثم سافر المترجم من مراكش عام 1311 لصلة الرحم والسكنى ببلاده باذن السلطان ، فبلغته وفاة السلطان بأزمور ثم وصل لفاس ثم انتقل لبلاده وتوفي عام اتنيعشر وثلاثمئة وألف .

وهؤلاء القضاة والمفتون كلهم مذكورون في هذا الكتاب عدى السيد علي ابن المختار .

459) الطيب بن الفقيه المحدث محمد ابن جلون المراكشي كان كاتباً بارعاً له رسائل ، موثقاً من عام ستة وستين ومئتين وألف ، كان له لسان حاد ومعرفة بالأسماء والأذكار وملازمة لها .

توفي في أواسط العشرة الثانية من القرن الرابع عشر .

حرف الكاف

460) الكبير بن عبد الكريم الشاوي المراكشي المعروف بابن حريرة ، قال في (السلوة) بعد أن ذكر أن جواب المرغيتى في رجال ركراكة ذكره بتمامه في كتاب (سلسلة الذهب المنقود) فليراجع ما نصه : صحيفة 238 من ج 3 وذكر فيه أيضا جواباً آخر فيهم الفقيه سيدي الكبير بن عبد الكريم الشاوي المراكشي المعروف بابن حريرة وفيه أن هؤلاء السادات هم المذكورون في هذا النظم ، هو قول القائل :

زيارةُ أهل الله من أعظم الذخــر — وكنز الفلاح في القيامة والحشــر
وقوم بأقصى الغرب سبع أجلــة — لهم رتب عليا على أهل ذا القطــر
بصحبة خير الخلق خصو وقدمــوا — بمغربنا الأقصى على كل ذي قــدر
فذاك ابن شماس ونجله صالـــح — بوسمين عبد الله أدناس ذو الســر
بوخافية عيسى ويعلى بن واطـــل — سعيد بن يبقى فى الملا طيب الذكر
بهم فخرت رجراجة وهم الأُلـــى — أتوا مصطفى الرحمان فى صحبه الغُر
فرد سلام القوم باللغــة التــــي — بها سلموا والسر منه لهم يسري
تأدب بتقديم الصحابة واغتنـــم — زيارتهم تحظى بمأدبــة الأجـــر
وأهدي صلاة للحبيب محمـــــد — تلاها سلام عرفه طيب النشـــر

قال فأما سيدى أبو بكر ابن شماس فمدفنه بساحل الشياظمة ببلاد آيت عيسى ويقال لهم أيضاً أولاد عيسى ، والموضع يعرف بأقرمود ، وولده سيدى صالح معه فى روضة واحدة ، وأما سيدى وسمين فمدفنه بجبل الحديد بمعظم بلاد الشياظمة ، وأما سيدى أبو عبد الله أدناس فمدفنه ببلاد الثوابت

أي وهي أيضاً من بلاد الشياظمة ، وأما سيدى يعلى ابن واطل فمدفنه برباط شاكر بالمعمورة ، وهو أبو سيدى شكر المنسوب إليه الرباط المذكور ، ومازال الناس بمراكش ورساتقها وأعمالها يقصدون هذا الرباط ليلة السابع والعشرين من رمضان يحضرون لختم القرآن بجم غفير من أخلاط الناس ، وبين الرباط المذكور ومراكش مسيرة يوم ، ثم سيدى سعيد ابن أبى يبقى مدفنه بطالعة الشياظمة ، ويقال لمحل دفنه تمازت ثم سيدى عيسى بوخابية مدفنه على طرف وادي تانسيفت بالقرب من سيدى عبد الله أدناس والله أعلم ، قال وهؤلاء السادات السبعة لهم فضل مشهور من قديم الزمان يقصدهم الناس بالزيارة من كل فج عميق فى كل فصل من فصول السنة ، ولاسيما فى فصل الربيع ، يكون الزوار فى غاية الكثرة ويتلقاهم أهل كل زاوية من زوايا ركراكة بالضيافة والاكرام ، وهكذا إلى الآن ، قال ونسبة الصحبة لهم نفعنا الله ببركاتهم شائعة ذائعة على ألسنة الناس خصوصاً عند أهل بلاد رجراجة وعموماً عند غيرهم ، كما شاع وذاع عند أهل سوس أن تلك الجبال الحائلة بين بلادهم وصحاري المغرب بقبلتها مدفن ثلاثة أنبياء ، أحدهم اسمه دانييل ببلاد تكمت وقبره معروف عندهم إلى الآن يستسقون عنده إذا نزل بهم قحط ، ويستشفون بترابه ويقصدونه فى قضاء حوائجهم ، وخرجت من عند رجلي القبر عين ماء غزيرة عم نفعها أهل تكمت كلهم ، وذكر أن بعض الظلمة تجاسر على قبره ببعض ما لا ينبغي فخرجت نار من القبر فأحرقته وأحرقت أناساً معه وما يزيد على ألف نخلة من نخل تلك البلاد والله أعلم ، والثاني اسمه سيدى ولكناس مدفنه على رأس جبل بين تزغت ووادي أسافن، قبره معروف عند أهل تلك البلاد معظم محترم يقصدونه للزيارة ويستشفون بترابه كذلك ولا يسكن أحد بالقرب منه إلا بعيداً ومن رام السكنى بقربه وسكن يظهر له ما يكره بالقرب عاجلا ، والثالث اسمه شناول مدفنه ببلاد تمدلت خارج الجبال المذكورة بناحيـة الصحراء ، وبقربة آثار مدينة عظيمة ، ويقال إن عمرانها كان قبل مدة لمتونة ، وبقربه أيضاً قبر مولاي عبد الله بن ادريس أي باني فاس ، وبينهما وبين وادي درعة قدر نصف مرحلة ، قيل وسبب دخول هؤلاء الأنبياء المغرب هو ان بخت نصر كان يقتل الأنبياء ، وفرّ هؤلاء بأنفسهم وركبوا البحر فلاح بهم الريح لرباط ماسة ، وخرجوا منها وتوجهوا ناحية القبلة ، قال وما يقال

من أن المغرب لم يدخله نبي إما أن يقال هذه القولة غير صحيحة ، وعلى صحتها يقال إن تلك الجبال ليست من حيز المغرب وانما هي من حيز الصحراء وما دون جبل دون هو المسمى بالمغرب ، ثم قال وينبغي أن لايستعبد شيء من هذه الأخبار ، لا من نسبة الصحبة لهؤلاء السادات السبعة ولا من دفن الأنبياء المذكورين بالمحل المذكور ، بل يجب علينا التسليم في ذلك كله ، واعتقاد تعظيم القبور المذكورة بما يعد تعظيما وبكل ما يليق من الاحترام ، ولو على تقدير توهم الصحبة لاسيما مع ما انضم إلى ذلك من الشيوع وتواطىء الألسنة على ما ذكر خلفاً عن سلف ، ومع ما قيده الشيخ سيدى محمد بن سعد المذكور ناقلا عن شيخه مولاي عبد الله بن طاهر مما يقتضى صحَّة نسبة الصحبة لمن ذكر كما تضمنه النظم المذكور والله أعلم بحقيقة ذلك ، ويقال كيف وصل الصحابة إلى هذه البلاد ؟ لأن بلاد هؤلاء المذكورين هي البلاد المذكورة ، وبعد مبعثه (ص) ذهبوا إليه بسبب ما حفظوا من أسلافهم ممن كان مع روح الله عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام وبشرهم بمبعثه (ص) على حسب ما يعتقده سائر مَن انتسب إليهم من قديم الزمان إلى الآن ، والله أعلم بذلك .

انتهى كلام ابن حريرة وقد راجعته في (سلسلة الذهب المنقود) .

وقال في (نشر المثاني) على ما في بعض نسخه في ترجمة الشيخ العارف بالله القطب سيدى محمد بن عبد الله السوسي ما نصه : ولما أجمع صاحب الترجمة على الخروج من المغرب قال للشيخ ابن سعيد أي محمد بن سعيد المرغيتي إني أرى من الأدب أن لا أخرج من المغرب حتى أودع الصحابة الكائنين به ، وهم الرجال السبعة بحاحة الذين ذكر عن بعض العلماء أنهم قدموا على رسول الله (ص) في حياته وكلَّمهم بلغتهم ، فمن أجل هذا كان الشيخ ابن سعيد يجزم بصحبتهم ويقول هذا الرجل نعرف أنه من كبراء أهل البصائر ، وما يقول أهل البصائر يجب الرجوع إليه ، لأن علمهم بنور إلاهي لا يعتريه غلط ، ولا يلفت إلى ما يقوله بعض أهل الظاهر من العلماء وهو أن العادة تبعد صحبتهم ، لأن ذلك مما تتوفر الدواعي على نقله لو كان ، فلو وقع لشاع من أهل الأرض ، انتهى .

وانظر (مباحث الأنوار) لأبي العباس الدكالي فى الكلام على القطب المذكور والله سبحانه وتعالى أعلم به .

وراجع الفصل الثاني من مقدمه (إظهار الكمال) في التنبيه الأول صحيفة 21 من ج 1 مطبعة فاس عام 1326 وراجع ما سياتي في ترجمة شيخه سيدى محمد بن سعيد المرغيتي ، وفى ترجمة سيدى محمد بن عبد الله السوسي المذكور ، وسياتي ذلك في ترجمة سيدي يوسف بن علي أحـد الرجال السبعة .

وقال الشيخ اليوسي عند ذكر مواضع في بلاد الغرب اشتهرت بمئاثر الصالحين ووقع التغالي فيها ما نصه : ومنها رباط شاكر بدكالة وهو مشهور ، وكان مجمعاً للصالحين من قديم ، وفي (التشوف) أن شاكر ذكر أنه من أصحاب عقبة ، إنما هي زاوية بنيت لقراءة حزب القرآن أمر ببنائها السلطان المستعين بالله إبراهيم بن علي (أبى الحسن) المريني ، وكان انتهاء بنائها في أواخر رمضان عام 762 اثنين وستين وسبعمئة ورتب فيهاطلبة يقرأون القرآن ويختمونه بطول سبعة أيام وأجرى لهم جرايات في كل شهر ينتفعون بها ، وقد غيروا اليوم ذلك الختم بما هم عليه اليوم ، فهذه حقيقة أمرها والله أعلم ، انتهى .

وسياتي خبر تردد الشيخ أبي عبد الله الهزميزي إليه في ترجمته ، وقد زرت رباط شاكر ، فاذا أردت الذهاب من مراكش فاقصد طريق الصويرة إلى أن تصل من المزوضية عند عدد56 كلم فترجع إلى اليمين فتصله بعد قطع 29 كلم ، المجموع من مراكش إليه 85 كلم ، وبين مراكش وأغمات وريكة نحو 48 المجموع 133 فأين قول البكري المتقدم (1) من وريكـة إلى نفيس خمسة وثلاثون ميلا ، إن كان قصد به محل رباط شاكر وقوله من نفيس إلى شفشاون ثلاثون ميلا إلخ ، فأعلم أن بين رباط شاكر وشيشاوة نحو 45 كلم وهو قريب من ثلاثين ميلا .

---

1) الأعـلام 1 : 101 طبـع الرباط .

حرف اللام

461) **لب بن عبد الوارث اليحصبي** ، أبو عيسى قال في (المغرب) من أهل المئة السابعة ، نظر في الفقه ثم مال إلى العربية فبلغ منها إلى غاية نبيهة ، قرأ عليه أبناء الأعيان بمراكش ، وله :

بدا ألف التعريف في طرس خده ... فيا هل تراه بعد ذلك ينكر !
وهل كان كافوراً فهل أنا تارك ... له بعدما حياه مسك وعنبر
وما خير روض لا يرفّ نباته ... وهل أحسن الأثواب إلا المشهَّر

انتهى من بغية الوعاة .

462) **لقمان السايوري** (1) الفقيه ، أصله من هسكورة ، وكان أسود فقيهاً جليل القدر من الأكابر ، حدثوا عنه أنه أمَّ الناس بجامع واطاس بأغمات وريكة نحواً من أربعين سنة أو خمسين ما سها قط فى صلاة من الصلوات إلا يوماً واحداً ، صلى الظهر بالناس ، فلما سلم سجد سجدتي السهو ، فعجب الناس منه وسألوه عن ذلك ، فقال لهم اشتغل خاطري فى الصلاة بقتل أخي ، فلذلك سجدت ، فجاءهم خبر قتل أخيه بعد أيام ، وأنه قتل بدكالة في الساعة التي مر بخاطر لقمان قتله :

صدق بأحوال الرجا ... ل وما تلقوا من فوائد
وإذا هويت شفوفهم ... فاسلك سبيلهم وجاهد
فوراء ذلك لذة ... يغتابها مَن لم يشاهد
صحَّت كرامات الرجا ... ل بنقل أرباب المسانِد
ما نائم ملأ الجفو ... ن كقائم لله ساجد

---

1) فى بعض نسخ التشوف الصابرى واليابورى والعيايورى .

هل يستوى هـــــذا وذا ما ناقص حالا كزائـــــد
ياراقداً في ليلـــــه وإذا تنبه فهو راقـــــد
أتركت جمهـــــور الأثـــ ـــمة واقتديت بقول واحـــد ؟
نظـر لعمـرك فـاســـد يقضي بأن القلب فـاســـد
بوقوع ما هو ممكــــن للقوم من خرق العوائـــد
شهـد الثقـات لهـم بهـــا فدع الخلافَ ولا تعانـــد

ترجمه في التشوف (1) .

وقال في نظم رجاله :

ولقمـــان لم يسجدْ سنين لسهوه وكان لأمر في صلاة من الظهـــر

463) **لقوط بن يوسف بن علي المغراوي** ، لما فتح المرابطون ماسة وورودانة وأغمات سنة تسع وأربعين وأربعمئة فرَّ أميرها لقوط المذكور إلى تادلة سنة إحدى وخمسين وانضاف إلى بني يفرن ملوكها،فقتل أبو بكر اللمتونى لقوط صاحب أغمات وقتل الأمير محمد واستلحم بني يفرن ، وكان لقوط آخر أمراء أغمات من مغراوة ، وتزوج امرأته زينب بنت اسحاق النفزاوية ، وكانت مشهورة بالجمال والرياسة ، وكانت قبل لقوط عند يوسف بن علي بـن عبد الرحمان بـن وطاس ، وكـان شيخاً عـلى وريكة وهزرجة بزمـن هيلانة في دولة إمغارن من بلاد المصامدة وهم الشيوخ ، وتغلب بنو يفرن على وريكة وملكوا أغمات ، فتزوج لقوط زينب هذه ، ثم تزوجها بعده أبـو بكر بن عمر كما كما ذكرنا ، ثم تخلى أبو بكر عنها سنة 453 ليوسف بـن تـاشفيـن .

ذكره ابن خلدون (2) .

---

1) **التشوف** ص 92 ع 15 .

2) **كتاب العبر** 6 : 376 .

حرف الميم

464) ماجد بن محفوظ ابن سيف البكري .

ماجد بن محفوظ بن مرعى بن طرخان ابن سيف ، الشريف الطلحي البكري ، من ولد طلحة بن عبد الله بَن عبد الرحمان بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، من بلنسية ، يكنى أبا المعالي وأبا الشرف ، سمع من أبي عبد الله ، بن نوح ، وأبي جعفر ابن عبد الغفور ، وغيرهما ،ولقي باشبيلية أبا عمران الميرتلي ، وأخذ عنه بعض شعره الزهدي ، وكان أديباً ماهراً شاعراً مجيداً من أبرع الناس خطاً وأكرمهم عشرة وأحسنهم سمتاً وأشهرهم تصاونا ، له معرفة بالشروط ، وقد قعد لعقدها .

وتوفي بمراكش معتبطاً سنة ثلاث أو أربع وستمئة .

أكثره عن ابن سالم ، قاله في التكملة (1) .

465) مالك بن يحيى ابن وهيب الأزدي

مالك بن يحيى بن وهيب بن أحمد بن عامر بن أيمن بن سعد الأزدي ، من أهل إشبيلية ، أحد رجال الكمال والارتسام بمعرفة العلوم على تفاريعها وأنواعها ، إلا أنه كان أضنّ الناس بها ، وكانت له رواية يسيرة عن أبى القاسم الحسن بن عمر الهوزنى ، وأبى عبد الله أحمد بن محمد الخولاني وغيرهما ، وأجاز له حاتم بن محمد جميع روايته ، وكانت الدراية أغلب عليه من الرواية .

قال ابن بشكوال : ولقد لقيته بقرطبة وماشيته ، وتوفي بمراكش فى سنة 525 وكان مولده باشبيلية سنة 453 واصله من لورة ، انتهى (2) .

وقال فى (بغية الملتمس) فى ترجمته فقيه حافظ مشهور حسن الخط ، اختصر كتاب (التمهيد) لأبى عمر ابن عبد البر اختصاراً أجاد فيه ، وسمي مختصره كتاب (التبصير) ، وجعله على التراجم ، وهو كتاب كثير الفـائدة (3) .

---

1) التكملـة 2 : 741 ع 1845 .
2) الصلة 2 : 621 ع 1365 .
3) بغية الملتمس ص 464 ع 1352 .

وفي (نفح الطيب) قال مالك ابن وهيب :

أراميتي بالسحـر من لحظاتهـا … نعيذك كيف الرمي من دون أسهم؟
ألا فاعلمي أن قد أصبت ، فواصلي … سهامك أو كُفِّي فلست بمسلـم
فانسان عين الدهر أصميت فاحذري … مطالبة بالقلب واليد والفـم
أما هو في غيل غدا غابُه القنـا … تحفُّ به آسادُ كل ملثـم
ولو أن لي ركناً شديداً بنجـوة … أويت له من بأس لحظكِ فارحمـي

وهو إشبيلي ، كان من أهل الفلسفة كما في (المسهب) ، قال وهو فيلسوف المغرب ، ظاهر الزهد والورع ، استدعاه من إشبيلية أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين إلى حضرة مراكش ، وصيره جليسه وأنيسه ، وفيه يقول بعض أعدائه :

دولةٌ لابن تاشفينَ علـيٍّ … طُهرت بالكمال من كل عيـب
غير أن الشيطان دسَّ إليهـا … من خباياه مالك ابن وهيـب

وأمره عليٌّ بمناظرة محمد بن تومرت الملقب بالمهدي الذى أنشأ دولة عبد المومن (1) .

وقال في (المعجب) : مالك بن وهيب كان قد شارك فى جميع العلوم ، إلا أنه كان لا يظهر إلا ما ينفق فى ذلك الزمان ، وكانت لديه فنون من العلم ، رأيت له كتاباً سماه (قراضة الذهب ، في ذكر لئام العرب) ضمنه لئام العرب في الجاهلية والاسلام ، وضم إلى ذلك ما يتعلق به من الآداب ، فجاء الكتاب لا نظير له فى فنه ، رأيته فى خزانة بنى عبد المومن ، ولمالك ابن وهيب هذا تحقق بكثير من أجزاء الفلسفة ، رأيت بخطه كتاب (الثمرة) لبطليموس في الأحكام وكتاب المجسطي في علم الهيأة وعليه حواشي بتقييده أيام قراءته إياه على رجل من أهل قرطبة اسمه أحمد الذهبي .

انتهى المقصود (2) .

---

1) **نفح الطيب** 3 : 479 .
2) **المعجب** ص 111 طبع سلا .

466) **مالك بن مروان اللجوسي** الضرير ، من أهل تيفنكط من بلد ايلان ، مات بتاصرداخت في بلد صودة عام أحد وثمانين وخمسمئة ، قدم مراكش وأخذ عن يوسف بن موسى الكلبي الضرير والامام أبى بكر بن العربي ، وكان عبداً صالحاً عالماً عاملا .

قال في (التشوف) أخبرنى بعض تلامذته مكاتبة قال قعد الفقيه مالك اللجوسي يوماً فى المسجد فدخل عليه رجل ، فقال له مالك : ياهذا تدخل المسجد وأنت جنُب ؟ فاستحيى الرجل وخرج من المسجد (1) .

467) **مالك بن تماجورت الهزميري** ، من بلد نفيس ، مات بمراكش عام اثني عشر وستمئة ، وحمل إلى بلده فدفن به ، وشيخه عبد الخالق بن ياسين ، وكان عبداً صالحاً من كبار المشايخ ، وكان الشيخ أبو يعزى يقدمه للصلاة به ، مات مالك وقد زاد على المئة .

قال فى (التشوف) زرته ببلده ، فلما دخلت عليه رفع صوته وقال : الناس سكارى من حب الدنيا فلا يصحون من سكرها إلا فى يوم القيامة .

سمعت محمد بن أحمد الزناتي يقول : سمعت مالك بن تماجورت يقول : توجهت من المغرب إلى مكة ، وكنت أواصل يومين وليلتين فضللت بصحراء عيذاب عن الركب ، فأقمت طاوياً يومين وليلتين وأنا مع ذلك أسير سيراً ضعيفاً من الجوع ، فاشتدّ ضعفي فى اليوم الثالث ، فأقمت كذلك يومين وليلتين ، فسقطت قواي وبقيت بالصحراء طريحاً لا أبصر من شدة الجوع ، ويئست من الحياة ، فجالت يدي فوقعت على طعام دافيء ، فعالجت يدي إلى أن قربتها من فمي فلعقت أصابعي وجعلت ذلك مرة ثانية وثالثة ، فقويت وفتحت عيني فأبصرت ، ثم قعدت لأنظر الصحفة التى تناولت منها الطعام فلم أر شيئاً ، فقمت ومشيت ، فاذا بى قد سبقت الركب ، فلما أدركونى سرت معهم .

---

1) التشوف ص 257 ع 113 .

وحدثت أن مالك قال حججت أربعين حجة ما فيها حجة يعرفها الناس إلا الحجة التى مشيت فيها على قدمي .

وترجم له فى (المعزى) كما فى (التشوف) ، وزاد أن المترجم كان كثير الزيارة لسيدى عبد الله الصنهاجي صاحب رباط تيط عين بالبحر المراد أنها بساحل البحر المحيط ، وهي مدينة قريبة خربت وبقيت أطراف أبراجها إلى الآن ، ومنها تعرف مساحتها (1) .

468) **المامون بن المولى إسماعيل العلوي** ، أبو اليمن ، لما أراد والده غزو فازاز بعث إلى مراكش ولده المذكور وأظنه صاحب المامونية بمراكش (2) .

469) **مبارك السكتاني** الفقيه المالكي ، توفي بمراكش المحروسة سنة ثمان وثمانين وتسعمئة ، أخذ عن أحمد المنجور وغيره ، وأخذ الفرائض عن أبى راشد اليدري ، قاله فى (درة الحجال) واختصره فى لقط الفرائد (3) .

470) **مبارك ابن تعلوت المراكشي** ، قال في (الممتع) ما نصه : وممن هو من الطائفة الجزولية التباعية على ما حكي لي ولا أعرف الآن اتصال سنده : سيدى مبارك ابن تعلوت المراكشي دفين داخل باب الشريعة بمراكش مع شيخه ، وكان صاحب الترجمة على ما ذكر لي قوياً مرتسماً فى الشريعة متسبباً فى الحياكة ، وكان له أصحاب يجتمعون إليه فى محل حياكته ، وأخذ عن سيدى الناصر اليحياوي ضجيعه ولم يسم لي باقي السند ، وذكر لي أن سيدى أحمد ربوح المدفون معهما شيخ أحدهما وأنه انما بين الناصر والشيخ التباع شيخ واحد والله أعلم (4) .

---

1) **التشوف** ص 439 ع 248 .
وبعد هذه الترجمة عنون المؤلف للمامون بن أحمد المنصور السعدى وقال سياتى فى المحمدين .

2) طبعت المطبعة الملكية سنة 1967 رسائل موجهة من السلطان مولاى اسماعيل الى ولده المامون .

3) **درة الحجال** 3 : 19 ع 914 طبع تونس .

4) **ممتع الأسماع** ص 187 .

وقال الزروالي في تأليف مناقب شيخه سيدى أبى عمرو المراكشي ما نصه : حدثني العارف الأكبر والولي الأشهر ، سيدى مبارك بن تعلوت رضي الله عنه قال : كنت سائحاً فى بلد المغرب وزرت العارف السائح ذا العجائب والغرائب ، سيدى أحمد بن موسى السوسي ، وذلك فى حياة الشيخ رضي الله عنه ، فجرت بين الثقة المذكور والعارف سيدى أحمد المذكور رحمة الله عليه مذاكرة حتى أتوا على قوله إن من الأولياء مَن يحضر مع الملائكة حين تطلع الشمس باذن الله تعالى على أيديهم أو كلاماً معناه ذلك ، حتى قال سيدي أحمد رضي الله عنه فى زماننا هذا سيدى أبو عمرو المراكشي رضي الله عنه ، ثم إن سيدى مبارك المذكور ذهبت به المقادير إلى حضرة مراكش حرسها الله فحضر مجلس إمامنا أبى عمرو رضي الله عنه جرى فيه ذكر الأولياء الذين تطلع الشمس على أيديهم مع الملائكة عليهم السلام ثم لا أدرى هل السيد مبارك سأله أم غيره أم تبرع بذلك وأظنه والله أعلم السائل ، فأجابه وسيلتنا رضي الله عنه بأن قال والسيد مبارك يسمع حين سئل عن شأنهم سيدى أحمد بن موسى السوسي يعرفهم ، هكذا جرى له حتى تمسك بحبله ووصله لربه من حينه .

وقال في (الصفوة) : ومنهم الشيخ سيدى مبارك بن تعلوت المراكشى دفين حومة الكتبيين من مراكش من أهل الخصوصية العظمى والولاية المشهورة ، وكان يحترف بصنعة الحياكة ، فيقال إنه كان إذا ذكر الله تعالى يسبح معه منواله ، وكان إذا أراد أن يخرج يقول لأصحابه كيف أخرج ؟ فيقولون له لا ندري ، فيقول أخرج اليوم سلطاناً فيخرج فلا يبقى أحد يمرُّ به إلا قام له وقبل يده حتى يرجع لمكانه ، وتارة يقول لهم اليوم أخرج مسكيناً فلا يسلم عليه أحد ولا يبالي به .

ومن كراماته أنه مرَّ برجلين يختصمان أحدهما يطلب الآخر بدين له عليه ، فكلمه الشيخ أن ينظره إلى ميسرة ، فأغلظ ربُّ الدين ولم يكترث بالشيخ ، فأدخل الشيخ يده فى طاقة بحائط الطريق وأخرج منها ذلك العدد من الدراهم كأنه كان معداً لذلك ، أخذ عن شيخه سيدى ناصر اليحيوي ضجيعه فى القبر .

توفي صاحب الترجمة فى حدود الأربعين والألف ، وممن ترجمه الحضيكي فى طبقاته (1) .

وقلت فيه من قصيدة مع غيره من أولياء مراكش :

وكالولي إمام الجلة النجب — مَن كان منواله مسبحاً معه
ان حاك في ذكره مستعمل الأدب — مبارك عظمت أحواله خرقت

471) **مبارك بن الشيخ المختار السباعي الدميسي** ، الشيخ البركة الصالح ، كان ابتلي بالجذام في الصحراء وهو سيد قومه فيها وصبر عليه وانتقل لمراكش فعلم به السلطان وأجله ، وكان يبعث إليه ويجالسه وهو أول مَن ابتدأ الجمعة فى الحارة وبنى صومعتها ، وكان ينفق على تلميذه سيدى عبد المعطى السباعي لما كان يقرأ بمراكش .

توفي رحمه الله عام أربعة وثمانين ومئتين وألف بمراكش ، ودفن فى الروضة التى تحت الحارة المواجهة لباب دكالة فى البيت الذى فى وسط الروضة ، ويزوره من الصبيان أهل العلة المعروفة بالعواية أو الشهاقة فيشفيهم الله .

472) **مجاهد بن محمد ابن مجاهد**، يكنى أبا الجيش، الأندلسي من حوز جيان ، سكن مراكش وحظي عند أمرائها هو وعقبه ، روى عن أبى علي الصدفي ، وأبى محمد ابن عتاب ، وأبى جعفر ابن غزلون ونظرائهم ، حدث عنه يعيش ابن القديم ، وقال لقيته بمراكش ، وبها توفي في ذي القعدة سنة خمس وثمانين وخمسمئة .

وقال فى (المعجم) : وحدثنى عن ابن القديم أحمد بن يوسف بن أحمد السلمي المعروف بابن فرتون الفاسي مكاتبة من سبتة في آخرين من أصحابنا ، ومجاهد هذا من آخر مَن حدث عن أبى علي ، وجعل أبو القاسم الملاحي آخر المحدثين عنه عبد الحق ابن بونة وهو الصحيح ، لأن أبا بكر ابن

---

1) **طبقات الحضيكى** 2 : 123 .

مغاور سمع منه ، وتوفي سنة تسع وثمانين في صفر ، وكانت وفاة عبد الحق في آخر هذه السنة (1) .

وترجمه في (التكملة) أيضاً مختصراً (2) .

473) **المحجوب بن عبد الرحمان الطالبي** أصلا المراكشي ، وقفت على الربع الأخير من شرحه على مختصر خليل في مجلد ، كتب على ظهره ولده ما نصه : وكان تمامه بزمان الطاعون ، ومات وهو مشتغل بهذا الكتاب المبارك ، قاله عبد ربه أحمد وفاه الله شحّ نفسه .

474) **محرز الصفاقسي**، نزل مع أخويه أبي الطيب ومحمد أغمات وريكة بالموضع المعروف بايغيل ، وكانوا علماء فضلاء فأخفوا أنفسهم ، وكانوا علماء يحضرون مجالس العلم فيستمعون ولا يتكلمون إلى أن وصلت كتب من صفاقس إلى أهل اغمات ينبهونهم على قدرهم فأخذوا عنهم ونفع الله بهم ، وكان محمد أصغرهم سناً ، وكان يخدم أخويه ، وكان أبو الطيب أعلمهم .

قال في (التشوف) حدثني علي بن عيسى بن ناصر عن مخبر أخبره أن محرزاً مرّ مع أخيه محمد بأغمات على جزار من معارفه ، فقال محمد لمحرز إن هذا الجزار من أمره كيت وكيت وأثنى عليه ، فقال له محرز بارك الله له ، فمكث ثلاثة أيام يبيع من لحم ثور كان في حانوته ، فرمى الجزار يوماً بالسكين من يده وقال والله لا يتمّ هذا الثور أبداً ولو حدثتكم بما بعت منه لقلتم ان هذا أحمق .

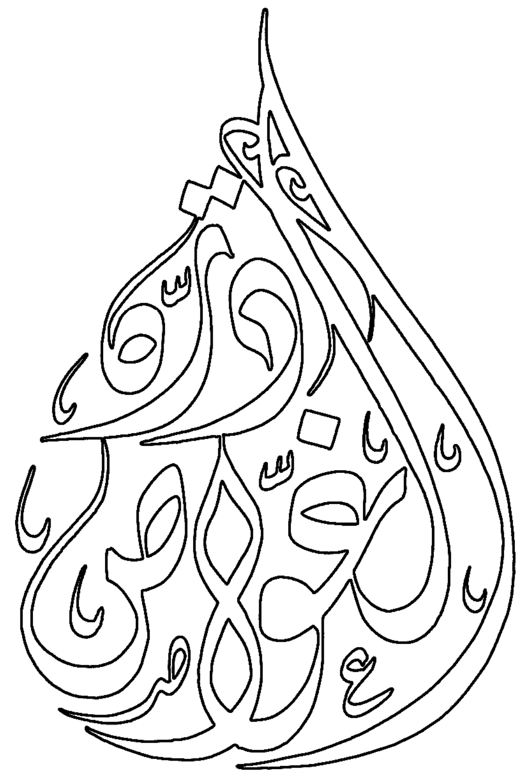
وحدثني الشيخ الصالح أبو بكر بن إبراهيم عن أبي عمران النعال عن أبي وكيل ميمون بن تيكرت قال حضرت مجلس الفقيه محرز مع جماعة من تلامذته فصاح علينا وقال : كيف تدخلون المسجد جنباً من معصية ؟ قوموا عني ! فقاموا وأردت أن أقوم فقال لي اجلس أنت ياميمون ، ما على المحسنين من سبيل (3) .

---

1) **معجم اصحاب الصدفي** ص 206 ع 179 .
2) **التكملة** 2 : 739 ع 1842 .
3) **التشوف** ص 140 ع 45 .

انتهى الجزء الثالث

ويليه الجزء الرابع يبتدىء بمن اسمه محمد



فهـرس

تراجم الجزء الثالث من الاعـلام

بقية حرف الألف

صحيفـة

صحيفة

حرف الباء

حرف التاء

حـرف الجيم

صحيفة

حـرف الحاء

صحيفة

صحيفة

حــرف الخاء

حــرف الدال

حرف الراء

حرف الزاى

حرف الطاء

تحت الطبع

انبعـاث أمّـة

الجزء الثاني والأربعون

* * *

أعلامُ المغرب العربي

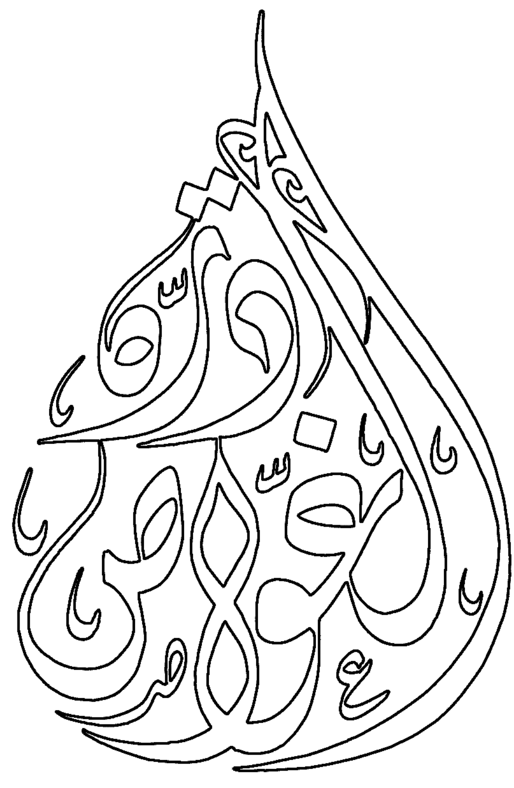
الجزء السادس

* * *

مع صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني في فاس وتازة ووجدة وتلمسان

(الطبعة الثانية)

رقم الإيداع القانوني : 964 / 1997
ردمك : 8 - 03 - 905 - 9981 (المجـموعـة)
ردمك : 9 - 08 - 905 - 9981 (الجزء الثالث)


درة الغواص

الإعلام

بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام

تأليف

العباس بن إبراهيم السملالي

قاضي مراكش

راجعه

عبد الوهاب ابن منصور

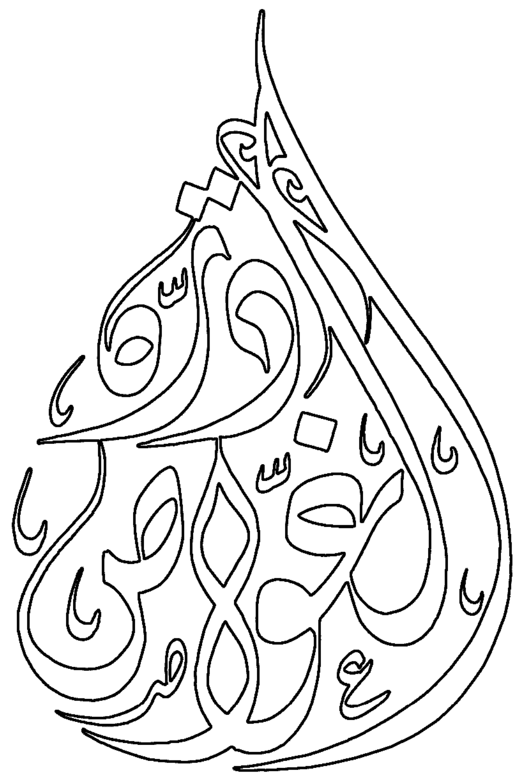
مؤرخ المملكة عضو أكاديمية المملكة المغربية

(الطبعة الثانية)

1413 هـ - 1993 م

المطبعة الملكية - الرباط

الجزء الرابع



الإعلام

بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام

تأليف

العباس بن إبراهيم السملالي

قاضي مراكش

راجعه

عبد الوهاب ابن منصور

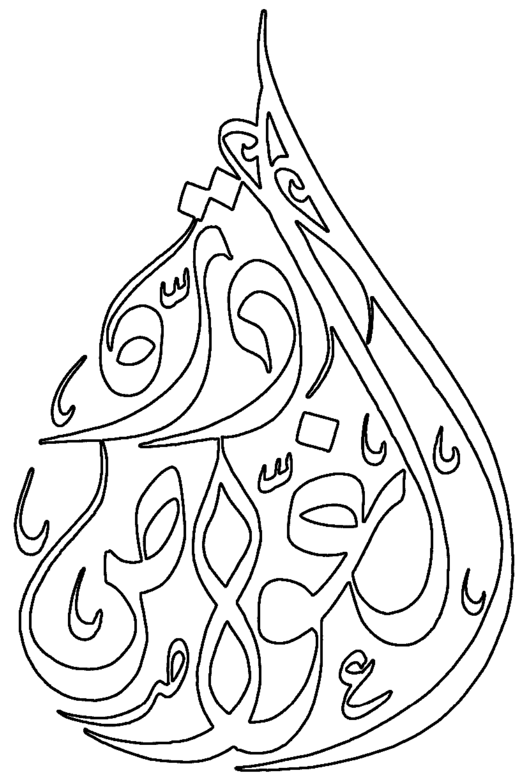
مؤرخ المملكة عضو أكاديمية المملكة المغربية

الجزء الرابع

الطبعة الثانية

1419 هـ - 1998 م

المطبعة الملكية - الرباط



بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

من اسمه محمد

475) محمد ابن حوقل البغدادي

محمد بن حوقل الحوقلي البغدادي ، نبغ نحو سنة 367 ووسع ما أخذه الاصطخرى عن كتاب البلخي ، وابن حوقل هو أحد السواح المشهورين في الاسلام ، وأصله تاجر من الموصل قام في سفره من بغداد وطاف في البلاد الاسلامية وبلاد البربر ، وجال في بلاد الأندلس ، ودخل العراق وأرض فارس وغيرها ، وبقي في رحلته نحو 67 سنة ، وذلك في القرن الرابع الهجري أي من سنة 331 إلى 359 ، والف في رحلته كتاباً سماه (المسالك والممالك ، والمفاوز والمهالك) ، طبعت منه عدة أجزاء في ليدن ويون سنة 1871 م ، وترجم إلى اللغة الفارسية ومنها إلى الانكليزية ، وسماه المترجم بالجغرافية الشرقية لابن حوقل ، ومع شهرته لم يخلُ كتابه من الغلط ، فان الحاج خليفة صاحب (كشف الظنون) قد خطّأ ابنَ حوقل في ضبط الأسماء ، وراجع كتاب (ءاثار الأدهار) .

وقد طالعت كتابه (المسالك والممالك) فرأيته ذكر فيه الأقاليم والبلدان ، على مر الدهور والأزمان ، وطبائع أهلها ، وخواص البلاد في نفسها ، وذكر جباياتها وخراجاتها ومستغلاتها ، وذكر الأنهار الكبار ، واتصالها بشطوط البحار ، وما على سواحل البحار من المدن والأمصار ،

ومسافة ما بين البلدان للسفار والتجار ، مع ما ينضاف إلى ذلك من الحكايات والأخبار، والنوادر والآثار ، وهو مختصر في صورة بلاد الاسلام ، وأخبارها بالكمال والتمام ، وكان اطلع على ما جمعه كتاب الامام العالم محمد ابن خرداذبه وقدامة بن جعفر وطبع في مدينة ليدن بمطبعة بريل سنة 1872 م وقفت على هذه النسخة في صحائف 406 مهمَّشة بتقارير عدة في غاية الاتقان أستوفيت مطالعتها وهي ممتعة مع شدة اختصارها ، لأنه يذكر الاقليم ويحده ويذكر تعداد البلاد التى فيه مع خصائصها ومنافعها وحدودها ومقاديرها وما بينها وبين غيرها مما يجاورها إلى غير ذلك من الفوائد .

وكان ابتداءُ سفره من بغداد يوم الخميس لسبع خلون من رمضان سنة 331 ، قال وقسمة الأرض على الجنوب والشمال ، فاذا أخذت من المشرق من الخليج الذى يأخذ من البحر المحيط بأرض الصين إلى الخليج الذى يأخذ من هذا البحر المحيط من أرض المغرب بأرض الأندلس وطنجة فقد قسمت الأرض قسمين ، ثم قال وأما مملكة الصين فان شمالها وشرقيها البحر المحيط وجنوبيها مملكة الاسلام والهند ، وأما غربيها فهو البحر المحيط لأن ياجوج وماجوج وما وراءهم إلى البحر المحيط من هذه المملكة ، ثم قال فمن مصر إلى أقصى المغرب نحو مئة وثمانين مرحلة ، فكان ما بين أقصى الأرض من المغرب إلى أقصاها من المشرق نحو أربعمئة مرحلة ، ثم قال وإن من أقصى الجنوب إلى أقصى الشمال مئتي مرحلة وعشر مراحل ، ثم قال وأرض الصقالبة عريضة طويلة نحو شهرين في مثلها ، وأما مملكة الاسلام فان طولها من حد فرغانة حتى تقطع خراسان والجبال والعراق وديار العرب إلى سواحل اليمن ، فهو نحو خمسة أشهر وعرضها من بلد الروم حتى تقطع الشام والجزيرة والعراق وفارس وكرمان إلى أرض المنصورة على شط بحر فارس نحو أربعة أشهر ، وإنما تركت في ذكر طول الاسلام حد المغرب إلى الأندلس لأنه مثل الكم في الثوب وليس في شرقي المغرب ولا في غربيه اسلام ، لأنك إذا جاوزت مصر في أرض المغرب كان جنوبي المغرب بلاد السودان وشماله بحر الروم ثم أرض الروم ، ثم قال ولو صلح أن يجعل طول الاسلام من فرغانة إلى أرض المغرب والأندلس لكان مسيرة مئتي مرحلة إلا مراحل ، لأن من أقصى فرغانة

إلى وادي بلخ نيفاً وعشرين مرحلة ، ومن وادي بلخ إلى العراق نحو ستين مرحلة ، وقد بيّنت في مسافات المغرب أن من مصر إلى أقصاها في جهة الغرب مئة وثمانين مرحلة ، ومن مصر إلى أن يحاذي آخر أرض الأندلس آخر أرض طنجة نصف هذه المسافة ودون ذلك ، ثم قال وعن يسار طريق فاس إلى سجلماسة إقليم أغمات ، وهو رستاق عظيم فيه مدينة أغمات ، وهي كثيرة الخير والتجارة إلى سجلماسة وغيرها ، ومن سجلماسة إلى أغمات نحو 8 مراحل ، ومثلها إلى فاس ، ومن ورائها إلى ناحية البحر المحيط السوس الأقصى وليس بالمغرب أجمع بلد أكبر ولا ناحية أوفر خيراً منها ولا أجمع لفنون المئاكل والمشارب منها ، وبها الأترج والجوز والنخل وقصب السكر والسمسم والقنب وسائر البقول التى لا تكاد تجتمع في غيرها ، وذلك أنها تجمع فواكه الصرود والجروم ، وأهل السوس فرقتان إحداهما فرقة موسويون يقطعون على موسى بن جعفر من أصحاب أورصند والغالب عليهم الجفاء وغلظ الطبع : والفرقة الثانية سنية مالكية حشوية ، وبينهم القتال المتصل ليلا ونهاراً ، والدماء الدائمة ، ولهم مسجد يصلي فيه الفريقان فرادي عشر صلوات إذا صلى هؤلاء أتى هؤلاء بعشر أذانات وعشر إقامات ، والمالكيون منهم فوق الشيعة في الفظاظة وغلظ الطبع وجباسة الأخلاق ، وبقدر ما لهم من مواد لذة العيش يتغالون في الجهل والطيش ، ثم ذكر أن داخل جميع المغرب رواية عن صاحب بيت المال سنة 350 فوق سبعمئة ألف ألف دينار ، وأن داخل الأندلس نحو أربعين ألف ألف دينار ، ثم قال وقد ألحّ الروم في وقتنا هذا على المسلمين الذين على سواحل بحر الروم يعني البحر المتوسط المعروف بالبحر الأبيض بالغارات واختطاف مراكبهم من كل جهة ولا غياث لهم ولا ناصر ، والملك فيهم حقير ذليل ، وهو جامع مانع والعالم يسرق ولا يشبع ويفتي بالتأويل على ما يختار ولا يخاف معاداً ولا مرجعاً ، والتاجر فاجر لا يعاف حراماً ولا مطعماً ، والزاهد ذيب أذرع ، في كل بلية يشرع ، وبكل ريح بلقع ، فالثغور والجزائر إلى الأعداء مسلمة ، والأرض إلى الله من أربابها متظلمة ، ثم قال والأرض مصورة على تصوير طائر ، فالبصرة ومصر الجناحان ، والشام الرأس ، والجزيرة الجؤجؤ ، واليمن الذنب ، ثم قال وقد انتهينا

في حد الشرق إلى آخر حدود الاسلام ، ولم نقصر إن شاء الله فيما قصدناه ، ولا أعلمنى توخيت فيه زيادة لتجمل ، ولا نقصاً لناحية بازراء وتقول ، وكان أكثر ما حداني على هذا الكتاب وتأليفه على هذه الصورة أنني كنت في حال الحداثة شغفاً بأخبار البلدان والوقوف على حال الأمصار كثير الاستعلام والاستخبار لسامرة النواحي ووكلاء التجار وقراءة الكتب المؤلفة فيها ، وكنت إذا لقيت الرجل الذى أظنه صادقاً وأخاله بما أسأل عنه خبيراً فأجده عالماً عند إعادة الخبر الذي أعتقد فيه صدقة ، وقد حفظت نسقه وتأملت طرقه ، ووصفه أكثر ذلك باطلا ، وأرى الحاكي بأكثر مما حكاه جاهلا ، ثم أعاود الخبر الذى ألتمسه منه والذكر ليسمع الذى استوصفته وأطالع معه ما صدر مع غيره في ذلك بعد روية وأجمع بينهما وبين حكايات ثالث بالعدل والسوية ، فتتنافر الأقوال وتتنافى الحكايات ، وكان ذلك داعية إلى ما كنت أحسه في نفسي بالقوة على الأسفار وركوب الأخطار ، ومحبة تصوير المدن وكيفية مواقع الأمصار ، وتجاور الأقاليم والأصقاع ، وكان لا يفارقني كتاب ابن خرداذبة وكتاب الجيهاني وتذكرة أبي الفرج قدامه ابن جعفر ، وإذا الكتابان الأول قد لزمني إن أستغفر الله من حملهما ، واشتغالي بهما عما يلزمني من توخّي العلوم النافعة والسنن الواجبة ، وليت أبا إسحق الفارسي وقد صور هذه الصورة لأرض الهند فخلطها وصورة فارس فجودها ، وكنت قد صورت أذربيجان التى في هذه الصفحة فاستحسنها والجزيرة فاستجادها وأخرج التى لمصر فاسدة وللمغرب أكثرها خطئاً ، وقال قد نظرت في مولدك وأثرك وأنا أسألك إصلاح كتابي هذا حيث ضللت فأصلحت معه غير شكل وعزوته إليه ، ثم رأيت أن أنفرد بهذا الكتاب واصلاحه ، وتصويره أجمعه وإيضاحه ، من غير أن ألم بتذكرة أبي الفرج وإن كانت حقاً بأجمعها وصدقاً من سائر جهاتها وكان يجب أن أذكر منها طرفاً في هذا الكتاب ، لكن استقبحت الاستكثار بما تعب فيه سواي ونصب فيه غيري هـ (1) .

---

1) ينظر عن ابن حوقل الاعلام للزركلي 6 : 344 والرحالة المسلمون في العصور الوسطى ص 39 ودائرة المعارف الاسلامية 1 : 265 .

476) **محمد بن سعدون بن علي بن بلال** ، مولده بالقيروان وهي بلد أسلافه ، قال في (تهذيب معالم الايمان) سمع من أبي بكر بن عبد الرحمان وأبي عبد الله بن محمد بن الناظور وأبي القاسم عبد الرحمان بن اللبيدي وغيرهم ، قلت منهم الحسين بن عبد الله الأجدابي وأبو القاسم السيوري ، ومحمد المالكي قال ثم رحل إلى المشرق فسمع بمصر من أبي الحسين ابن المنير ، وبمكة من أبي الحسين ابن صخر ، وأبي بكر بن علي المطوعي ، وأبي ذر بن أحمد الهروي ، وكان من أهل العلم بالفروع والأصول ، وكتب الحديث بمكة ومصر والقيروان ، حدث عنه أبو بحر ابن العاصي وأبو علي الصدفي وأبو الحسن بن مغيث وغيرهم ، وله تآليف منها كتاب (تأسي أهل الايمان ، بما طرأ على مدينة القيروان) ، وجزء فيه مناقب شيخه أبي بكر بن عبد الرحمان وأصحابه ، قلت وكتاب في الفقه على مذهب مالك بن أنس ، وكان خروجه من القيروان للتجارة ، فطاف بلاد المغرب والأندلس وأخذ الناس عنه هناك كأهل قرطبة وبلنسية والمرية وغير ذلك من البلاد وفتح الله لهم على يده ، قال : وتوفي بأغمات من المغرب الأقصى سنة خمسة وثمانين وأربعمئة وتبعه العواني ، وقال عياض توفي سنة ست ، ومولده عام ثلاثة عشر رحمه الله تعالى .

انتهى كلام التهذيب .

قلت وقد غلط صاحب (الديباج) فجعل ابن سعدون المترجم رجليْن ترجم كلا منهما بترجمة مع أن الثاني عنده هو الأول المترجم ، ونص ما أورد في الترجمة الأولى : محمد أبو بكر عبد الله بن سعدون بن علي ، قروي تفقه بها ، وسمع من شيوخها كابن الأجذابي وأبي بكر بن عبد الرحمان ، وأبي علي الزيات ، والبوني ، واللبيدي ، وغيرهم ، ثم حجّ فسمع بمكة من المطوعي ، وسمع بمصر من ابن ربيعة وأبي الطفيل ، وكان فقيهاً حافظاً للمسائل نظاراً على مذهب القرويين، كمل (التعليق) للتونسي على (المدونة) ، واشتغل بالتجارة ، فطاف بلاد المغرب والأندلس ، ولم تكن له أصول ، سمع منه الناس كثيراً ، فمنهم أبو علي الجياني والصدفي وأبو بحر

وابنا مفوز ، وسمع منه أهل سبتة القاضي محمد ابن عيسى التميمي ، وأبو علي النحوي وغيرهما ، وله تواليف في ذم بني عبيد وأفعالهم القبيحة بالقيروان وغيرها .

انتهى (1) .

ونص ما قاله في الترجمة الثانية : محمد بن سعدون بن علي بن بلال البدوي ، كان من أهل العلم بالأصول والفروع ، سمع من أبي إسحاق التونسي ، وابن باشاذ ، وله كتاب الاكمال لأبي إسحاق التونسي روى عنه أبو علي الصدفي وأبو علي الغساني .

توفي بأغمات سنة خمس وثمانين وأربعمئة هـ (2) .

وقد علمت أن بلالا والد علي ، وأما البدوي في هذه الأخيرة فقد تصحف عن القروي ، وقد ترجم له في الجزء الرابع من (النجم الثاقب) ، وحلاه بكونه من أكابر أولياء الله الزاهدين ، قال فيه محمد بن سعدون بن علي القروي ، كان رحمه الله من أكابر أولياء الله الزاهدين ، وعباده المخبتين ، مشهوراً بالكشف وإجابة الدعوة وظهور الكرامة ، ممّن جمع الله له العلم والعمل، وضُرب بفقهه وعبادته المثل، ذكره ابن الزيات أول كتابه (التشوف) (3) وقال إنه أخذ بمكة عن العالم الزاهد أبي بكر المطوعي ، ثم انتقل للمغرب فنزل أغمات وريكة ، وحدث عن ثقات أشياخه أن فقيهاً من فقهاء أغمات وقف عند قبر الولي أبي عبد الله بن سعدون فسمعه بعض الصالحين يتكلم معه ، فقال له ذلك الصالح سمعتك تتكلم عند قبر الولي ابن سعدون ، فقال له ذلك الفقيه أنت رجل صالح ، ولولا ذلك ما حدثتك ، فاكتم علي ، إعلم أنه قد أشكلت عليّ مسألة فبحثت عنها فلم أجدها ، فأتيت قبر هذا الولي ابن سعدون فذكرت له المسألة فقال لي من قبره أطلبها في الكتاب الفلاني ، وحدث عنه

1) الديباج المذهب ص 273 طبع القاهرة عام 1351 .
2) الديباج المذهب ص 311 طبع القاهرة عام 1351 .
3) التشوف ع 1 ص 61 طبع الرباط .

القاضي عياض في كتابه (المعجم) بحديث فيه سبعة من المحمدين قال حدثنا شيخنا القاضي محمد ابن عيسى ، قال أخبرنا محمد ابن سعدون القيرواني ببلدنا سبتة حين اجتيازه علينا لبلاد المغرب، قال حدثنا محمد المطوعي، قال حدثنا محمد ابن عبد الله بن البيع الحافظ ، قال حدثنا محمد بن يوسف الفقيه ، قال حدثنا محمد بن عبيد الله بن سليمان الحضرمي ، قال أخبرنا محمد بن سهل ابن عسكر ، قال أخبرنا عبد الرزاق ، قال ذكر الثوري عن أبي إسحاق عن زيد عن حذيفة قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن وليتموها أبابكر فقوي لين لا تاخذه في الله لومة لائم ، وإن وليتموها علياً فهادٍ مهتد يقيمكم على صراط مستقيم ، ومن حديثه عن أبي هريرة قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مَن نظر إلى أخيه المسلم نظرة مخيفة من غير حق أخافه الله عز وجل ، ومن حديثه ما خرجه له القاضي عياض قال أخبرنا الفقيه محمد ابن عيسى التميمي قال أخبرنا الشيخ محمد بن سعدون القروي قال حدثنا محمد المطوعي عن شيوخه عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجد العبد حلاوة الايمان حتى يومن بالقدر خيره وشره حلوه ومره ، قال أنس وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم على لحيته فقال آمنت بالقدر خيره وشره حلوه ومره ، قال علماؤنا : فينبغي لمن وصل إليه هذا الحديث أن يقتدي بالنبي صلى الله عليه وسلم ويقبض على لحيته ويقول آمنت بالقدر خيره وشره حلوه ومره ، وله أخبار ماثورة ، وكرامات مشهورة .

انتهـــى .

وترجم له أيضاً ابن بشكوال في (الصلة) (1) وذكر فيها ترجمة أبي عمران الفاسي أنه قرأ على المترجم ، وترجم له صاحب (التشوف) وروى أبو بكر بن خير فهرسة المترجم في فهرسته عن الشيخ عبد العزيز بن خلف بن مدير الأزدي إجازة فيما كتبه له بخطه عن المترجم ، وروى القاضي عياض في غنيته فهرسة المترجم وتآليفه عن أبي علي وأبي بحر وأبي عامر بن حبيب وابن عيسى وغيرهم عنه ، وذكر ابن الأبار في (معجم أصحاب الصدفي) لدى

---

1) **الصلة** 2 : 602 ع 1322 .

ترجمة أبي علي التاهرتي النحوي أنه روى عن المترجم ، وهناك ابن سعدون آخر ، وهو أبو عامر العبدري محمد بن سعدون ابن مرجا الميورقي الحافظ الفقيه الظاهري نزيل بغداد الذي قال فيه القاضي أبو بكر ابن العربي هو أنبل من لقيته ، وترجمه في (الشذرات) فيمن توفي سنة 524 وذكره الحافظ الذهبي في (تذكرة الحفاظ) ، راجع صحيفة 66 من ج 4 منها .

477) **محمد بن الحسن المرادي** الحضرمي القروي ، يكنى أبا بكر قدم الأندلس وأخذ عنه أهلها ، كان رجلا نبيهاً عالماً وإماماً في أصول الدين ، له نهوض في علم الاعتقادات والأصول ومشاركة في الأدب وقرض الشعر ، كان ذا حظ وافر من البلاغة والفصاحة ، دخل قرطبة في سنة 487 اختلف إلى أبي مروان ابن سراج في سماع التبصرة لمكي بن أبي طالب، وحدث بكتاب فقه اللغة لأبي منصور الثعالبي عن عبد الرحمان بن عمر بن محمد التميمي القصديري عن محمد بن علي بن الحسن بن البر التميميعن إسماعيل بن محمد بن عبدوس النيسابوري عن الثعالبي ، روى عنه أبو العباس المقري ، وله في أصول الدين توالف حسان مفيدة ، ومن أصحابه أيضاً يوسف الكلبي الضرير دفين مراكش أخذ عنه علم الكلام ، وكان المرادي أول مَن أدخل علوم الاعتقادات بالمغرب الأقصى ، فنزل اغمات وريكة ، فلما توجه أبو بكر بن عمر إلى الصحراء حمله وولاه القضاء فمات بأزكي (1) من صحراء المغرب سنة تسع وثمانين وأربعمئة فخلفه يوسف في علوم الاعتقادات .

ترجمه في الصلة (2) نقلا عن القاضي عياض وأبي العباس الكناني ، وذكره في (التشوف) في ترجمة تلميذه يوسف ، وترجم ابن الابار في معجم أصحاب أبي علي الصدفي لولده أبي الحسن علي المعروف بابن المرادي ، وذكر أنه سكن غرناطة ، وروى عن أبي علي ، وله رواية عن أبيه أبي بكر ، وأبي محمد بن أبي جعفر وغيرهما ، سمع منه أبو خالد ابن رفاعة وأبو القاسم

---

1) في الأصل بأركن ، وفي طبعة الصلة الاوربية اركز وبهامشها ازكد ، والغالب أنها تحريف ازكي القرية الشهيرة بصحراء المغرب .

2) الصلة 2 : 604 ع 1326 .

ابن سمجون وسواهما ، وترجم في (الديباج) لحفيده أبي العباس أحمد المتوفى بغرناطة سنة إحدى وخمسين وستمئة .

478) محمد المعتمد ابن عباد اللخمي .

محمد المعتمد على الله بن عباد بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن (1) قريش بن عباد بن عمرو ، بن أسلم ، بن عمرو ، بن عِطاف ، بن نعيم ، اللخمي من ولد النعمان بن المنذر اللخمي آخر ملوك الحيرة أبو القاسم .

قال فى الاحاطة (2) :

أوليتــه .

دخل الأندلس جده عطاف مع بلج بن بشر القشيري مــن أشراف الطائفة البلخية ، وهم من عرب حمص من أرض الشام ، وموضعه بها يعرف بالعريش فى آخر الجفار بين مصر والشام ، ونزل عِطاف بقرية تعرف بيومين من إقليم طشانة على ضفة النهر الأعظم من أرض إشبيلية ، ولما هلك قريش ورث السيادة إسماعيل ابنه وهو القاضي المشهور بالفضل والدهاء ، يكنى أبا الوليد ولي الشرطة الوسطى لهشام بن الحكم ، وخطة الامامة لصلاة الجمعة ، ثم خلفه أبــو القاسم محمد المنفرد برياسة إشبيلية المتحف فيهــا بخطط الوزارتين والقضاء والمظالم ، وعز جاهه ، وكثرت حاشيته ، وتعددت غلمانه ، وأذعنت له عداته ، ثم خلفه الأمير المعتضد عباد ولده ، وكان خيراً حازماً سديد الرأي مصنوعاً له في الأعداء ، فلما توفي صار الأمر إلى ولده المترجم به المكنى بأبي القاسم إلى حين خلعه .

حـالـه .

قالوا كلهم كان المعتمد رحمه الله فارساً شجاعاً بطلا مقداماً شاعراً ماضياً مشكور السيرة فى رعيته ، وقال الفتح فى قلائده : كان المعتمــد

---

1) زاد ابن الأبار فى الحلة السيرا محمد بن اسماعيل بعد محمد بن اسماعيل .

2) الاحاطة 2 : 108 طبع القاهرة 1974 م .

على الله ملكاً قمع العدا ، وجمع بين الباس والندا ، وطلع على الدنيا بدر هدى ، لم يتعطل يوماً كفه ولا بنانه ، آونة يراعه وآونة سنانه ، وكانت أيامه مواسم ، وثغور بره بواسم هـ .

لقب أولا الظافر ، ثم تلقب بالمعتمد ، كان كلفاً بجاريته اعتماد لما ملكها لتتفق حروف لقبه وحروف اسمها لشدة ولوعه بها .

وزراؤه

ابن زيدون ، وابن عمار ، وغيرهما .

أولاده الملكون .

عبيد الله يُكنَى أبا الحسن وهو الرشيد وهو الذي لم يوافق أباه على استصراخ المرابطين وعرض له بزوال الملك عنهم بذلك ، فقال رعْيُ الابل خيرٌ من رعْي الخنازير (1) ، وكان قد ولاه عهده وبويع له باشبيلية وهو المحمول معه الى العدوة ، ثم عباد (2) وهو الملقب بالمامون ، وكان قد بويع له بقرطبة وهو المقتول بها المحمول رأسه إلى محلة العدو المرابطين المحاصرة لأبيه باشبيلية ، ثم يزيد وهو الراضي ، وكان قد ولاه رندة فقتل لما ملكها اللمتونيون ، ثم عبد الله ويكنى أبا بكر . هؤلاء الأملاك الأربعة من جاريته اعتماد السيدة الكبرى المدعوة بالرميكية منسوبة إلى مولاها رميك بن الحجاج الذي أبتاعها منه المعتمد .

مُلمتُه

لما تكالب ألفونسو السادس عـلى الناس بعد أخذه مدينة طليطلـة ضيق بالمعتمد وأجحف به في الجزية التى كان يتقي بها على المسلمين عاديته وعلى ذلك أخذها وتجنى عليه وطمع في البلاد ، فحكى بعضُ الأخباريين أنه

---

1) فى نص الاحاطة المطبوع : فقال أحب الى أن أكون راعى ابل بالعدوة من القى الله وقد حولت الأندلس دار كفر .

2) فى نص الاحاطة المطبوع : ثم الفتح .

وجه إليه رسوله في آخر أمره لقبض تلك الضريبة مع قوم من رؤساء النصارى ونزلوا خارج باب إشبيلية فوجه إليهم المال فقال لهم لا أخذت منه هذا العيار ولا آخذ منه إلا ذهباً مشحراً ولا يوخذ منه بعد هذا العام إلا أجفان البلاد ، ونُقل كلامه إلى المعتمد فبادر بالقبض عليه وعلى النصارى ونكل بهم ، وقتل اليهودي بعد أن بذل في نفسه زنة جسمه ذهباً فلم يقبل منه ، واحتبس النصارى ، وراسله الطاغية في اطلاقهم فأبى واستصرخ اللمتونيين ، وأجاز البحر بنفسه ، وأقسم الطاغية بأيمانه المغلظة لا يرفع عنه يده ، وهاجت حفيظة المعتمد واجتهد في جواز المرابطين وكان ما هو معلوم من الايقاع بالطاغية في وقعة الزلاقة، فانه هو الذى أصلى نارها بنفسه ، فعظم بلاؤه وشهر صبره ، وأصابتْه الجراحُ في رأسه وبدنه رحمه الله ، وفي ذلك يقول أبو بكر بن عبادة :

وقالوا كفه جُرحت فقلنا ... أعاديه تواقعها الجراح
وما أثر الجراحة ما رأيتم ... فتوهنها المناصل والرماح
ولكن فاض سيل البأس فيها ... ففيها من مجاريها انسياح
وقد صحتْ وسحتْ بالأماني ... وفاض الجود منها والسماح
رأي منه أبو يعقوب فيها ... عقاباً لا يهاض له جناح
فقال له لك القدح المعلّى ... إذا ضربت بمشهدك القداح

ولما اتصلت به الصيحة بين يديْ دخول المدينة ركب في أفراد من عبيده وعليه قميص يشفُ عن بدنه ، والسيف منتضى بيده ، ويمم باب الفرج ولقي الداخلين فردهم على أعقابهم ، وقتل فارساً منهم ، فانزعجوا أمامه وخلفوا الباب ، فأمر باغلاقه وسكنت الحال وعاد إلى قصره وفي ذلك يقول :

إن يسلب القومُ العدا ... ملكي وتسلمني الجموع
فالقلب بين ضلوعه ... لم تسلم القلبَ الضلوع
قد رمت يوم قتالهم ... أن لا تحصّنني الدروع
وبرزت ليس سوى القميـ ... ـص عن الحشا شيء دفوع
وبذلت نفسي كي تسيـ ... ـل إذا يسيل بها النجيع

أجَلـي تأخـر لـم يكـن ... يهواه ذلِّي والخضـوع
مـا سرت قـط إلى القتـا ... ل وكـان مـن أملـي الرجـوع
شيـم الألـى أنـا منهـم ... والأصلُ تتبعـه الفـروع

جـوده

وأخبار جوده شهيرة ، وما يؤثر من ذلك على استصحاب حال العز ووفور ذات اليد وأدوات الملك غريب ، والشاهد المقبول بقاء السجية ومصاحبة الخلق الملكية مع الاقتار والايسار وتقلب الأطوار ، وتعرض له الحصري لغير حق (1) بخارج طنجة وهو يجتاز عليها فى أسوإ حال من قهر واعتقال بأشعار ظاهرة المقت ، غير لائقة بالوقت ، ولم يكن بيده زعموا غير ثلاثين ديناراً عبادية كانت بحقة معدة لضرورة ضرر وأزمة فطبع عليها وأدرج قطعة شعر طيها اعتذاراً عن نزرها ، راغباً فى قبول أمرها ، فلم يراجعه الحصرى بشيء عن ذلك ، فكتب اليه :

قـل لمـن قـد جمـع العلـ ... ـم ومـا أحصى صوابـه
كـان في الصـرة شعـر ... فتنتظـرنـا جـوابـه
قـد أثبنـاك فهـلا ... جلـب الشعـر ثـوابـه

حـلـمـه

رفع اليه صدرَ دولته شعر أغري فيه بأبي الوليد ابن زيدان وهـو شهير ، وتخير له موقع وترصد حين ، وانتظر به مؤجره ، وهو :

يـا أيهـا الملـك الأعـز الأعظـم ... اقطـع وريدي كـل بـاغ ينئـم
واحسمْ بسيفك داءَ كـل منافق ... يبدي الجميلَ وضد ذلك يكتـم
لا تحقرنَّ من الكـلام قليلَـه ... إن الكـلام له سيوفٌ تكلـم
والملك يمحـا ملكـه عن لفظـة ... تسري فتجلى عن دواه وتعظـم
فضـلا عن الكلم التى قـد أصبحت ... غوغاؤنا جهـراً بـه تتكلـم

---

1) راجع 385 من ج 3 من الشذرات (مؤلف) .

فالله يعلم أنَّ كلَّ مؤمل ... مثلي على حذر وخوف منهم
فالدمعُ من أجفاننا متهلل ... والنار في أحشائنا تتضمر
ولقد علمت ولن نبصرك الهدى ... فلأنت أهدى في الأمور وأعلم
إن الملوك تخاف من أبنائها ... فتحل من مهجاتهم ما يحرم
ولذاك قيل الملك أعقمُ لم يزل ... فيه الوليدُ يثير حرباً تضرم
فاحسمْ دواعي كل شر دونه ... فالداء يسري إن غدا لا يحسم
كم سقط زند قد نما حتى غدا ... بركان نار كل شيء يحطم
وكذلك السيل الجحاف فانما ... أولاه طلٌّ ثم وبلٌ يجسم
والمال يخرج أهله عن حدهم ... فافهمْ فانك بالبواطن أفهم
واذكرُ صنيع أبيك أول مرة ... في كل متهم فانك تعلم
لم يبق منهم مَن توقع شره ... فصفتْ له الدنيا ولذَّ المطعم
فعلامَ تنكل عن صنيع مثله ؟ ... ولأنت أمضى في الخطوب وأشهم
وجنانك الثبت الذى لا ينثني ... وحسامك العضب الذى لا يكهم
والحال أوسع والعوالي جمة ... والمجد أشمخ والصريمة ضيغم
لا تتركنْ للناس موضعَ شُبهة ... واحزم فمثلك في العظائم يحزم
قد قال شاعر كندة فيما مضى ... قولا على مرِّ الليالي يعلم
(لا يسلمُ الشرف الرفيع من الأذى ... حتى يراق على جوانبه الدم)

فوقع على الرقعة

كذبتْ مناكم صرحوا أو جمجموا ... فالدين أمتن والسجية أكرم
خنتم ورمتم أن أخون وإنما ... حاولتمُ أن يستخفَّ يلملم
وأردتمُ تضيقَ صدر لم يضق ... والسمر في ثغر النحور تحطم
ورجفتمُ بمحالكم لمجرب ... ما زال يثبت للمحال فيهزم
أنى رجوتم غدر مَن جربتم ... منه الوفاء وظلمَ مَن لا يظلم
أنا ذلكم لا البغيُ يثمر غرسه ... عندي ولا مبنى الصنيعة يهدم
كفوا والا فارقبوا لي بطشة ... يبقى السفيه بمثلها يتحلم

توقيعه ونثره في البديهة :

كتب مع الحمائم إلى ولده الرشيد عقب الفراغ من وقعة الزلاقة :

يا ابني، ومَن أبقاه الله وسلمه ، ووقاه الأسواءَ وعصمه، وأسبغ عليه آلاءه وأنعمه ، كتبتُه وقد أعزَّ الله الدين ، وأظهر المسلمين وفتح لهم على يديَّ الفتح المبين ، بما يسره الله تعالى وسناه ، وقدره سبحانه وقضاه ، من هزيمة أدفنش بن فردلند لعنه الله وأصلاه نكال الجحيم ، ولا أعدمه العيش الذميم ، كما قنعه الخزي العظيم ، وأتى القتل على أكثر رجاله وحُماته ، واتصل النهب سائر اليوم والليلة المتصلة به جميع محلاته ، وجمع من رؤوسهم بين يدي من مشهوري رجالهم ، ومذكوري أبطالهم ، ولم يختر منهم إلا مَن شهر وجرب ، وامتلأت الأيدي مما سلب ونهب ، والذي لا مرية فيه أن الناجي منهم قليل ، والمفلت بسيوف الجزع والبعد قتيل ، ولم يصبني بفضل الله إلا جرح أشوى ، وحسن الحال عندنا والله وزكا ، ولا يشغل بذلك بال ، ولا يتوهم غير الحال التى أشرت إليها حال ، والأذفونش بن فردلند إن لم يصبح تحت السيوف فسيموت لامحالة كمداً ، وإن كان لم تعلقه أشراك الحمام اليوم فغداً ، فاذا ورد كتابي هذا فمر بجمع الخاص والعام من أهل إشبيلية وجيرانها الأقربين وأصفيائنا المحبين فى المسجد الجامع أعزهم الله ، وليقرأ عليهم فيه ليأخذوا من السرة نصيبهم ، ويضيفوا شكر الله إلى صالح دعائهم ، والسلام .

تلطفه وظرفه

قال أبو بكر الداني (1): سألني في بعض الأيام عند قدومى عليه بأغمات قاضياً حق نعمته ، مستكثراً من زيارته ، مستمتعاً برائق أدبه على حال محنته ، عن كتبي ، فأعلمته بذهابها فى نهب حضرته ، وكنت قد جلبتُ فى سفرتي تلك (الأشعار الستة) بشرح الأستاذ أبى الحجاج الشنتمري الأعلم ، وكانت مستعارة فكتمتها عنه ووشى إليه الأصحاب فخجل بكرمه وحسن شيمته

1) محمد بن عيسى الدانى المعروف بابن اللبانة ، وسياتى .

من الأخذ معي في ذكر ما كتمته ، فاستطرد الى ذلك بغرض نبيل ، ونحا فيه نحواً يعرب عن الشرف الأصيل ، وأملَى عليَّ في جملة ما كان يمليه :

وكواكب لم أدر قبل وجوههـــا ... أن البدور تـــدور فـي الأزرار
نادمتها في جنح ليل دامـــس ... فأعرته مثلا من الأنـــوار
في وسط روضة نرجس كعيونهـا ... ما أشبه النـــوار بالنـــوار
فاذا تواصفنا الحديث حسبتَنـي ... ألهو كملتقط لـــدر نثـــار
وإذا اكتحلت ببرق ثغر باســـم ... سكبت جفوني أغزر الأمطـــار
حذر الملام وخيفة من جفـــوة ... تذر الصدور على شفير هـــار
ترك الجواري الآنسات مذاهبـــي ... وسولها ظفر بريشة الأشعـــار

فلم أتمالكْ عند ذلك ضحكاً ، وعلمت أن الأمر قد دس اليه ، فأعلمته قصتها فبسط العذر بفضله وتأول الأمر وقسم الأشعار على ثلاثة من بنيـه ذوي خط رائع ، ونقل حسن وأدب بارع ، أخذوا في نسخها وردَّ إليَّ الأصل لأجل قريب .

محنتـه

ولم يلبث أميراللمتونيين بعد جوازه إلى الأندلس وظهوره على طاغية الروم بها أن فسد ما بينه وبين رؤساء الطوائف بالأندلس وعزم على خلعهم، فأجاز من سبتة العساكر وسرب الأمداد وأخذ المعتمد بالحزم ، فحصن حصونه ، وأودع المعاقل عدته وقسم على مظان الامتناع ولده،وصمدت الجموع صمدة بنيه،ونازل الأمير سير إشبيلية دار المعتمد وحضرة ملكه ، ونازل الأمير محمد بن الحاج قرطبة وبها المامون ، ونزل جرور قواده رندة وبها الراضي ابن المعتمد ، واستمر الأمر واتصلت المحاصرة ووقعت أمور يضيق الكتاب عن استقصائها ، فدخلت قرطبة في جمادى الآخرة عام أربعة وثمانين وأربعمئة ، وقتل الراضي وجلب رأسه فطيف به بمرأى من أبيه ، وكان دخول إشبيلية على المعتمـد دخول القهر والغلبة يوم الأحد لعشر بقين من رجب ، وشملت الغارة واقتحمت الدور، وخرج ابن عباد في شكته (1) وابنه مالك للدفاع،فقتل مالك الملقب بفخر

1) أي في سلاحه وعدته .

الدولة،وزهقت ابن عباد الحيل فدخل القصر ملقياً بيده،ولما جنّ الليل وجه ابنه الأكبر الرشيد الى الأمير فاحتجب عنه ووكل بعض خدمه به ، وعاد إلى المعتمد فاخبره بالاعراض عنه ، فأيقن بالهلكة وودع أهله وعلا البكاء ، وكثر الصراخ ، وخرج هو وابنه فأنزلا في خباء حصين مراقبين بالحرس ، وأخرج الحرم من قصره وأخذ ما اشتمل عليه ، وأمر بالكتب الى ولده برندة ففعل ، ولما أنزل واستوصلت ذخيرته سلباً وأجيز المعتمد البحر ومَن معه الى طنجة فاستقرّ بها في شعبان من العام ، وفي هول البحر عليه في هذا الحال يقول رحمه الله :

لم أنس والموج يُدنيني ويقصيني ... والموت كاد من الربان يأتيني
أبصرت هولا لو أنّ الدهر أبصره ... لأبصر الدهر أمراً ليس بالدون
قد كنت ضناً بنفس لا أجود بها ... فبعتها باضطرار بيعَ مغبون
كم ليلة بت مطوياً على حرق ... في عسرة من عيون الدير في العين
فتلك أحسن أم أمر ظللت به ... في ظل عزة سلطان وتمكين
ولم يكن والذى تعنو الوجوه له ... عرضي مهاناً ولا مالي بمخزون
وكم خلوت من الهيجا بمعترك ... والحرب ترفل في أثوابها الجون
يا رب إن لم تهب حالا أسرُّ به ... فهب لعبدك أجراً غير ممنون

وجرى على بناته شيء يوم خروجهن واضطرتْهن الضيعة إلى معيشتهن من غزل أيديهن ، وجرت عليه محنٌ طال لها شجَنُه وأقعده قيده إلى أن نُقل إلى أغمات ، وحل عنه الاعتقال ، وأجرى عليه رزق تبلَّغ به مدة من أعوام اربعة واستنقذه حمامه رحمة الله عليه .

وصوله الى غرناطة

قال ابن الصيرفي وقد أجرى ذكر تملك يوسف بن تاشفين غرناطة وخلع أميرها عبد الله بن بلكين حفيد باديس يوم الأحد لثلاث عشرة خلت من رجب عام ثلاثة وثمانين وأربعمئة، ولحق ابن عباد وحليفه ابن مسلمة (1) بخيل

1) هو المتوكل ابن الأفطس صاحب بطليوس ، ويعرف بنو الأفطس أيضاً ببنى مسلمة .

ورجال ورماة وعدد، وكان ذلك من ابن عباد متضمناً لمسرة أمير المسلمين وتحققاً بموالاته ، فدخلوا عليه وقد تحكمت فى نفس ابن عباد الطماعية فـى اسلام غرناطة الى ابنه بعد استصفاء نعمة صاحبها عوضاً عن الجزيرة الخضراء ، وكان قد أشخصه معه ، فعرض له بغرضه ، فأعرض أمير المسلمين عـن الجميع إعراضاً كانت مُنية كل واحد منهما التخلص من يده والرجوع الى بلده ، فأعمل ابن عباد الحيلة فاستظهر عند أمير المسلمين بكتب زعم أنها وردت عليه من اشبيلية فيها أخبار تحثه على اللحاق بها لأنباء مهمة طرقت بتحرك العدو ، واستأذن في الصدور ، فأخذ له ولحليفه ابن مسلمة ، فانتهزا الفرصة وابتدرا الرخصة ولحق كلٌ بموضعه يظنُ أن قد ملك رياسة أمره .

مـولـده

ولد المعتمد على الله بمدينة باجة سنة احدى وثلاثين وأربعمئـة ، وولي سنة احدى وستين ، وخلع سنة أربع وثمانين .

وفـاتـه

كانت وفاة المعتمد بأغمات فى ربيع الأول سنة ثمان وثمانين وأربعمئة بعد أن تقدمت وفاتَه وفاةُ الحرة اعتماد ، وجزع عليها جزعاً أفضى بسرعة لحاقه بها ، ولما أحس بالمدينة رثى نفسه بهذه الأبيات وأمر أن تكتب على قبره :

قبرَ الغريب سقاك الرائحُ الغادى ... حقاً ظفرت بأشلاء ابن عبـــــاد
بالحلم بالعلم بالنعمى اذا اتصلت ... بالخصب ان أجدبوا بالري للصادى
بالطاعن الضارب الرامي اذا اقتتلوا ... بالموت أحمرَ بالضرغامة العادي
بالدهر فى نقم بالبحر فى نعـــم ... بالبدر فى ظلم بالصدر فى النادى
نعم هو الحق فاجانى على قــدر ... من السماء ووافاني بميعـــــاد
ولم أكنْ قبل ذاك النعش أعلمـه ... أن الجبالَ تهادى فوق أعـــواد
كفاك فارفق بما استودعت من كرم ... رواك كل قطوب البرق رعـــاد
يبكي أخاه الذي غيبت وابلـــه ... تحت الصفيح بدمع رائح غـــادي
حتى يجودك دمع الطل منهمـــراً ... من أعين الزهر لم تبخل باسعـاد
ولا تزال صلاة الله نازلـــــة ... على دفينك لا تحصَى بتعـــداد

بعض ما رثي به

قال ابن الصيرفي واختلف في وفاة المعتمد فقيل كانت في دي الحجة، ولما انفصل الناس من صلاة العيد حضر بقبره ملأ يتوجعون ويترحمون عليه ، وأقبل ابن عبد الصمد (I) فوقف على قبره وأنشد :

ملكَ الملوك أسامعٌ فأنادي — أم قد عدتك عن السماع عوادي
لما خلتْ منك القصور فلم تكن — فيها كما قد كنت في الأعياد
أقبلت في هذا الثرى لك خاضعاً — وتخذت قبرك موضعَ الانشاد (2)

ثم خرَّ يبكي ويقبل القبر ويعفر وجهه في التراب ، فبكى ذلك الملأ حتى اخضلوا ملابسهم وارتفع نشيجهم ، فلله درُّ ابن عبد الصمد وملأ ذلك البلد هـ .

وقال في (نفح الطيب)، وقال ابن اللبانة : كنت مع المعتمد بأغمات، فلما قاربت الصدَر ، وأزمعت السفَر ، صرف حيلَه ، واستنفد ما قبلَه ، وبعث إليَّ مع شرف الدولة ولده وهذا من بنيه أحسن الناس سمتاً ، وأكثرهم صمتاً تخجله اللفظة ، وتجرحه اللحظة ، حريص على طلب الأدب مسارع في اقتناء الكتب ، مثابر على نسخ الدواوين ، مفتح فيها من خطه زهر الرياحين بعشرين مثقالا مرابطية ، وثوبين غير مخيطين ، وكتب معها أبياتاً منها :

اليك النزرُ من كفٍّ الاسير — وان تقنعْ تكنْ عينَ الشكور
تقبلْ ما يذوب له حياء — وان عذرتْه حالاتُ الفقير

فامتنعت من ذلك عليه وأجبته بأبيات منها :

تركتُ هواك وهو شقيقُ ديني — لئن شقت برودي عن غدور
ولا كنت الطليقَ من الرزايا — اذا أصبحت أجحف بالأسير

I) في الشذرات أبو بحر عبد الصمد راجع 39I من ج 3 منها (مؤلف) .

2) أورد الفتح ابن خاقان القصيدة كاملة في قلائد العقيان .

جذيمة أنت والزباء خانـــــت ... وما أنا مَن يُقصر عن قصيـــر
تصرف في الندا حبل المعالـــي ... فتسمح من قليل بالكثيـــر
وأعجب منك أنك فى ظـــلام ... وترفع للعفاة منارَ نـــور
رويدك سوف توسعنى ســروراً ... اذا عاد ارتقاؤك للسريـــر
وكيف تحلنى رتب المعالـــي ... غداة تحلُّ فى تلك القصـــور
تزيدُ على ابن مروان عطـــاء ... بها ، وأزيد ثَمَّ على جريـــر
تأهبْ أن تعودَ الى طلـــوع ... فليس الخسف ملتزم البـــدور

وأتبعتها أبياتاً منها :

حاش لله أن أجيح كريمـــــاً ... يتشكى فقراً وقد سدَّ فقـــرا
وكفانى كلامك الرطب نيـــلا ... كيف ألقَى دراً وأطلب تبـــرا
لم تمت انما المكارم ماتـــت ... لا سقى الله بعدك الأرض قطـــرا

ورأى ابن اللبانة أحد أبناء المعتمد وهو غـلام وسيم وقد اتـخذ الصياغة صناعة ، وكان يلقب أيام سلطانهم من الألقاب السلطانية بفخر الدولة ، فنظر اليه وهو ينفخ الفحم بقصبة الصائغ وقد جلس فى السوق يتعلم الصياغة ، فقال :

شكاتُنا لك يا فخر العلا عظمــت ... والرزء يعظم ممن قدره عظمـــا
طوقت من نائبات الدهر مخنقـــة ... ضاقت عليك وكم طوَّقتنا نعمـــا
وعاد طرقُك فى دكان قارعـــة ... من بعد ما كنت فى قصر حكى إرما
صرفتَ فى ءالة الصواغ أنملـــة ... لم تدر الا الندا والسيفَ والقلما
يدٌ عهدتك للتقبيل تبسطهـــا ... فتستقل الثريا أن تكون فمـــا
يا صائغاً كانت العليا تصاغ لـــه ... حلياً وكان عليه الحليُ منتظمـــا
للنفخ فيالصور هول ما حكاه سوى ... هول رأيتك فيه تنفخ الفحمـــا
وددت اذ نظرت عينى اليك بـــه ... لو أن عينيَّ تشكو قبل ذاك عمـى
ما حطك الدهر لما حط عن شرف ... ولا تحيف من أخلاقك الكرمـــا
لحْ في العلا كوكباً ان لم تلحُ قمراً ... وقمْ بها ربوة ان لم تقمْ علمـــا
واصبر فربتما أحمدت عاقبـــة ... من يلزم الصبر يحمدْ غبَّ ما لزما

والله لو أنصفتك الشهب لانكسفت ولو وفي لك دمعُ العين لا نسجما
أبكي حديثُك حتى الدر حين غـدا يحكيك رهطاً وألفاظا ومبتسما(I)

وقال لسان الدين ابن الخطيب رحمه الله تعالى : وقفت على قبـر المعتمد ابن عباد بمدينة أغمات فى حركة راحة أعملتهاالى الجهات المراكشية باعثُها لقاء الصالحيـن ومشاهدة الآثار سنة 761 وهو بمقبرة أغمات فـى نشز من الأرض ، وقد حفت به سدرة ، والى جانبه قبر أعتماد حظيته مولاة رميك وعليهما هيأة التغرب ومعاناة الخمول من بعد الملك (2) ، فلا تملك العين دمعها عند رؤيتهما ، فأنشدت فى الحال :

قد زرت قبرك عن طوع بأغمـات رأيتُ ذلك من أولى المهمـات
لم لا أزورك يا أندى الملوك يـداً ويا سراج الليالي المدلهمـات
وأنت مَن لو تخطَّى الدهر مصرعه الى حياتى لجادت فيه أبياتـى
أناف قبرك فى هضب يميـزه فتنتحيه حفياتُ التحيـات
كرمتَ حياً وميتاً واشتهرتَ عـلا فأنت سلطان أحياء وأمـوات
ما ريء مثلك في ماض ومعتقـدي أن لا يرى الدهر في حال ولا ءات(3)

وقد زرت أنا (4) قبر المعتمد ابن عباد بمدينة أغمات سنة عشر وألف، ورأيت فيه مثل ما ذكر لسان الدين رحمه الله تعالى فسبحان من لا يبيد ملكه ، لا الاه إلا هو ، وأخبار المعتمد كثيرة هـ .

ثم قال ، وقال المعتمد ابن عباد :

اقنع بحظك فى دنياك ما كانـا وعزّ نفسك ان فارقت أوطانـا
فى الله من كل مفقود مضى عوضٌ فأشعر القلب سلواناً وايمانـا

I) **نفح الطيب** 4 : 96 طبع بيروت .

2) استمر القبران على هذه الحالة حتى تولى الملك صاحب الجلالة الحسن الثانى فأمر ببناء ضريح مناسب على قبر المعتمد وحظيته فبنى .

3) **ازهار الرياض** I : 297 .

4) الضمير يعود على احمد المقرى التلمسانى مؤلف **نفح الطيب** الذى ينقل عنه المؤلف هذه الفقرة من غير أن ينسبها اليه **نفح الطيب** 4 : 99 .

أكلما سخطت ذكرى طربت لهـــا ... مجت دموعك فى خديك طوفانـــا
أما سمعت بسلطان شبيهك قـــد ... بزته سود خطوب الدهر سلطـانا
وكنْ على الكره وارقبْ اثره فرجاً ... واستغنم الله تغنمْ منه غفرانـــا

ولما بلغ خبر قيام عبد الجبار ابـن المعتمد بحصن منت ميورقـة سنة 482 إلى ابن تاشفين ، أمر بثقاف المعتمد في الحديد ، وفى ذلك يقول :

قيدي أما تعلمني مسلمـــــا ؟ ... أبيت أن تشفق أو ترحمـــا
يبصرنى فيك أبو هاشـــــم ... فينثنى القلب وقد هشمــا (1)

وبقي الى أن توفي رحمه الله سنة 488 .

وقال أيضاً فى ذلك :

غنتك أغماتية الألحـــــان ... ثقلت على الأرواح والأبـــدان
قد كان كالثعبان قيدك فى الورى ... فغدا عليك القيد كالثعبـــان

الى أن قال :

هاتيك قينته وذلك قصـــره ... من بعد أي مقاصر وقيـــان

وقال من قصيدة :

أنباء أسرك قد طبقن افاقـــا ... بل قد عممن جهات الأرض إقلاقا
سرت من الغرب لا يطوى لها قدم ... حتى أتت شرقها تنعاك اشراقـا

قال ابن الأبار فى الحلة السيراء :

قد جعل الله تعالى له رقة فى القلوب ، وخصوصاً بالمغرب هـ .

وقد زرت أنا قبر المعتمد فى حدود الثلاثين وثلاثمئة وألف .

وذكر فى (الشذرات) أنه خلع من ملكه عن ثمانمئة سرية ومئـة وسبعين ولداً ، وكان راتبه فى اليوم ثمانمئة رطل ، قال جميعه فى العبر هـ .

---

1) راجع تمام هذه الأبيات فى 381 من ج 3 من الشذرات (المؤلف) .

وقال ابن اللبانة رحمه الله تعالى : ان الدولة العبادية بالاندلس أشبه شيء بالدولة العباسية ببغداد سعة مكارم وجمع فضائل ، ولذلك الف فيها كتاباً مستقلا سماه (الاعتماد ، فى أخبار بنى عباد) ، ولا يلتفت لكلب عقور نبح بقوله :

مما يزهدنى فى أرض أندلـــس تلقيب معتضد فيها ومعتمـــد
ألقاب مملكة فى غير موضعهـــا كالهرّ يحكى انتفاخا صولة الاسد

وقال ابن اللبانة من قصيدة عملها سنة 486 أيضا يشير الى انفكاك القيود عنه :

قيودك لانت فانطلقتَ لقد غـدت قيودك منهم بالمكارم أرحمـــا
عجبت لأنْ لان الحديدُ وأن قسوا لقد كان منهم بالسريرة أعلمـــا
سيُنجيك من نجّى منالسجن يوسفاً ويؤويك من ءاوى المسيح بن مريما

ولابن اللبانة المذكور الشهير بالداني عدة مقطعات وقصائد اشتمل عليها جزء لطيف صدر عنه فى هيأة تصنيف ، سماه (السلوك ، فى وعظ الملـوك) .

وحكى ابن خلدون أن علماء الاندلس والمغرب والشرق ، أفتوا ابن تاشفين بجواز خلع المعتمد وغيره من ملوك الطوائف وبقتالهم ان امتنعـوا ، ثم قال : واقتحم المرابطون اشبيلية عليه عنـوة سنة 484 ، وتقبض عـلى المعتمد وقاده أسيرا الى مراكش ، فلم يزل فى اعتقال يوسف ابن تاشفين الى أن هلك فى محبسه بأغمات سنة تسعين وأربعمئة 490 هـ ، وتصحف فى المطبعة بسبعين بالموحدة ، وتقدم عن الاحاطة أنه توفي سنة 488 ، وقال فى (المنتقى المقصور) سنة 481 ، وهو غلط كما ترى .

وفي نوازل البرزلي أن أكثر الفقهاء أفتوا بارتداد المترجم حيـن استغاث بالنصارى فى حرب المرابطين وأفتاه قاضيه مع بعضهم بعدم ارتداده ولم يبحْ دمه ، فأمضى الأمير ذلك وأخذه أسيرا ونقله الى أغمات الى أن مات فيها ، ونقله الزياتى فى نوازله بواسطة السكتانى .

وذكر في (المنتقى المقصور) أن المترجم لما قال :

مَن لي بساحرة الجفون غريـــرة تختال بين أسنة وبواتـــــــر

أجازه الشاعر النحلي له بقوله :

راقت محاسنها ورق أديمهـــــا فتكاد تبصر باطناً من ظاهـــــر
يندى بماء الورد مسبل شعرهـــا كالطل يسقط من جناح الطائـــر

فقال له أكنت حاضرا معنا ؟ فقال له ألم تسمع : « وأوحى ربك الى النحل » ، قال الثعالبي وهذه هفوة هـ .

وراجع وصف داره في رحلة الغزال .

ولما أشرف المترجم على درن قال :

هـــذي جبـــــــال درن مشـــوبـــة بالـــــــــدرن
ياليتني لم أرهـــــــــــا وليتها لم ترنـــــــــي
كأنها تخبرنـــــــــــي بـــأنهـــا تقبرنـــــــي

وقال أيضا :

قالت لنا هنا هنـــــــــــا مولاي أين جاهنـــــــــــا
قلت لها إلاهُنـــــــــــا صيَّرنا الى هنـــــــــا

وترجم لعباد والد المترجم في (بغية الملتمس) وغيرها ، وترجم في (الصلة) لجده إسماعيل قاضي إشبيلية ، وترجم في (قلائد العقيان) في ثلاث عشرة ورقة ، وبه بدأ ، وفي (وفيات الأعيان) وغيرهما ، وفي (الحلة السيرا) ، وترجمه في (الشذرات) ، وستاتي ترجمة شاعره ابن اللبانة وجاريته اعتماد الرميكية (1) ، وأولاده عبد الوهاب ، وحكم ، ويحيى .

---

1) كان المؤلف رتب كتابه ترتيباً قدم فيه الأحمدين والمحمدين على من عداهم ، فلهذا كانت ترجمة اعتماد الرميكية متاخرة في الأصل ، أما في ترتيبنا الجديد للكتاب فان ترجمة اعتماد تقامت في 3 : 56 ع 343 .

تنبيه

ترجم في (الضوء اللامع) لمحمد بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمان بن عبد الله بن أبي القاسم بن عبد الرحمان بن علي بن الحسين بن محمد بن أبي النصر فتوح بن المعتمد على الله أبـى القاسم محمد بن المعتضد بالله الخ النسب وكذبه حتى في نسبه ، فانه مرة ساقه كما قدمناه ، ومرة خالف فيه ، وقال مرة أنه سفياني ، ومرة وصل به الى علي بن أبي طالب بعد انتسابه لخمياً ، وذكر أن أكثر مَن سمي من شيوخ السند لا وجود له في الخارج ، وافتعل أسانيد لعدة من الكتب المشهورة .

479) محمد بن علي ابن الصيقل الأنصاري

محمد بـن علي بـن أحمد بـن محمد الأنصاري ، من أهـل شاطبة ، يعرف بابن الصيقل ، صحب طاهر ابن مفوز وبه انتفع ، وأبا عبـد الله ابن سعدون ، وأبـا علي الجياني ، ودخل سجلماسة فسمـع بها من أبي محمد بكار ابن الغرديس صاحب أبي ذر الهروي ، وكان من أهل صناعة الحديث ، وتوفي بمدينـة فاس بعد سنة خمسمئة ، نقل ذلك فـي (التكملة) عن عياض وابن حبيش ، وذكر ابن فرتون أن له رواية عن أبي شاكر ابن موهب وأبي القاسم خلف بن عمر الباجي سمع منه صحيح مسلم بأغمات ، وحكى أن جده أبي اسحاق ابن فرتون روى عنه ، قلت ولما كتب صاحب (الجذوة) (1) ترجمته فيها زاد على ما في (التكملة) لفظ رُوي قبل عن عياض وابن حبيش ، مع أن صاحب (التكملة) يقصد بذلك ومثله عند الختم ذكر من نقل ترجمة المترجم عنه ، ففهم صاحب الجذوة منه أنه أراد روى عن عياض وابن حبيش مع أن المترجم في طبقة كبار أشياخ عياض المتولد سنة 476 قبل وفاة المترجم بنحو خمسة وعشرين عاما ، فتنبه لذلك وراجع ما يفيده أوائل (التكملة) ، بل القاضي عياض نفسه المنقول عنه ، ترجم له في غنيته من أشياخه ونصه : محمد بن علي يعرف بابن الصيقل الشاطبي من أهل صناعة الحديث ، وممن يفهم هذا العلم ، صحب أبا الحسن ابن مفوز وبه انتفع ، وسمع ابن سعدون والجياني ، ورحل لسجلماسة فسمع من بكار ابن

---

1) أصلح الغلط في الطبيعة الجديدة للجذوة .

الغرديس صاحب أبي ذر الهروى ، وقد شاركنا في بعض شيوخنا ، وسمع منه الناس ، وأخبرني بحكايات ، واستوطن بفاس ، وبها توفي بعد سنة خمسمئة ، حدثنا محمد بن علي من لفظه قال : حدثني أبو الحسن طاهر ابن مفوز رحمه الله قال : كان عبد الله بن أحمد بن الحاج الهروى من أهل جزيرة شقر ممن لزم القاضي أبا الوليد الباجي وتفقه عنه ، فكان حسن الفهم ، وكان يميل الى مذهب أبي الوليد الباجي في جواز مباشرة النبي صلى الله عليه وسلم الكتابة بيده في حديث كتاب المقاضاة في الحديبية على ما جاء في ظاهر بعض رواياتها ويعجب به ، وكنت أنكر ذلك عليه ، فلما كان بعد برهة أتاني زائراً على عادته ، وأعلمني أن رجلا من اخوانه كان يرى في النوم أنه بالمدينة ، وأنه يدخل المسجد فيرى قبر النبي صلى الله عليه وسلم أمامه ، فيجد له قشعريرة وهيبة عظيمة يراه ينشق و ..... ولا يستقر فيعتريه منه فزع عظيم ، وسألني عن عبارة رؤياه ، فقلت : أختشي على صاحب هذا المقام أن يصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير صفته أو ينحله ما ليس بأهل أو لعله يفترى عليه ، فسألني من أين قلت هذا ، فقلت : من قول الله تعالى : « يكاد السموات يتفطرن منه » الى قوله تعالى : « ولداً » ، فقال : لله درك ياسيدى ، وأقبل يقبل رأسي وبين عيني ويبكي مرة ويضحك أخرى ، ثم قال : أنا صاحب الرؤيا واسمع تمامها يشهد لك بصحة تأويلك ، قال : انه لما رابني في ذلك الفزع العظيم ، كنت أقول : والله ما هذا الا أني أقول وأعتقد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب ، فكنت أبكي وأقول : اني تائب يارسول الله وأكرر ذلك مراراً ، فأرى القبر قد عاد الى هيأته أولا ويسكن فاستيقظت ، ثم قال لي وأنا أشهد بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كتب حرفاً قط ، وعليه ألقى الله تعالى فقلت له الحمد لله الذى أراك البرهان فاشكره كثيراً انتهى (1) .

1) أنظر عن ابن الصيقل التكملة لكتاب الصلة 1 : 408 ع 1154 وسلوة الأنفاس 3:263. وجذوة الاقتباس ص 251 ع 253 .

480) محمد (أبو حامد) بن محمد الغزالي

محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي ، أبو حامد الغزالـي الشافعي ، حجة الاسلام ، ومحجة الدين التى يتوصل بها الى دار السلام ، جامع أشتات العلوم ، والمبرز فى المنطوق فيها والمفهوم ، نصر الاسـلام بحملاته على المعطلين من الفلاسفة الطبيعيين ، يعد ظهوره خطوة كبيرة فى فى تاريخ الفلسفة القديمـة وانقلاباً مهما فيها من طـور الى طور على مـا يتبيـن بعد .

ولد بطوس سنة خمسين وأربعمئة ، وكـان والده يغزل الصـوف ويبيعه فى دكانه بطوس ، فلما حضرته الوفاة أوصى به وبأخيه أحمد الى صديق له متصوف من أهل الخير ، فعلمهما الخط وأدبهما الى أن فني ذلك النزر اليسير الذى كان خلفه لهما أبوهما وندبهما الى أن يلتجئا الى مدرسة يحصل لهما قوت يعينهما على وقتهما ففعلا ذلك حتى قال أبو حامد : طلبنـا العلم لغير الله فأبى أن يكون الا لله ، انتهى . فقد وطن الغزالي دعائم الاسلام بقوة برهانه فى مناهضته الفلاسفة الذين تكاثروا فى عصره وحملوا على عقائد الدين حتى اضطهدهم ولاة الأمور وأنشأوا المدارس الكبرى لمقاومة تعاليمهم لما تعلمه من ارتباط الدين بالسياسة فى الاسلام .

نشأ أبو حامد فى عصر المدارس الاسلامية والمجالس الجدلية التى أنشأها السلاجقة فـى الشرق والعبيديون فى الغرب ، الأولون يلتمسـون تأييد السنة والآخرون يرومون إثبات تعاليم الشيعة ، وكلاهما في خوف من أهل الفلسفة والتعطيل ، قرأ فى صباه طرفاً من الفقه ببلده على أحمد بـن محمد الراذكاني ، ثم سافر الى جرجان الى الامام أبى نصر الاسماعيلي ، وعلق عنه التعليقة ، ثم رجع الى طوس ، وكان منذ حداثته فطناً صحيح النظر قوي الحجة لم يكن يقرأ مقالة الا دقق النظر فى معانيها وقابل بين أجزائها واستخرج فاسدها من صحيحها ، وكان الناس فى عصره قد استغرقوا فـى الأبحاث الفلسفية وقامت القيامة بينهم وبين علماء الدين، فهمّه الامر وعمد إلى التوسع فى العلم ، فانتقل الى نيسابور وكانت حافلة بالعلماء والفقهـاء ،

وأشهرهم يومئذ أبو المعالى الجويني المعروف بامام الحرمين ، فتفقه عليه بالعلوم الاسلامية فى مدرسة نظام الملك وزير الدولة السلجوقية ، وظهرت نجابته حتى أعجب به أستاذه وفاخر به أصحابه ، وقال فيه الغزالي بحـر مغرق ، ومازال أبو حامد ملازما له حتى توفي سنة 478 ، وبرع فى المذهب الشافعي والخلاف والجدل والأصلين والمنطق ، فخرج من نيسابور وهـو يومئذ في الثامنة والعشرين من عمره الى العسكر ، وهو محلة بالقرب من نيسابور يقيم فيها نظام الملك ، وكان قد سمع الثناء على عقله وعلمه ، فقربه ورحب به وعظمه وبالغ فى الاقبال عليه ، وكان نظام الملك يعقد المجالس يجتمع فيها العلماء والفقهاء للمناظرة ، فحضر أبو حامد بعض مجالسهـم وجادلهم وظهر عليهم ، فاعجب نظام الملك بعلمه وقوة حجته ، ففوض اليه التدريس فى المدرسة النظامية ببغداد سنة أربع وثمانين وأربعمئة ، فقضى أبو حامد فى المدرسة النظامية بضع سنوات يعلم ويخطب ويجادل ، واطلع فى أثناء ذلك على كتب الفلسفة وكل مطلع عليها لأول وهلة يقع فى الشك وضعف العقيدة ، فاذا بقي على القليل منها تمكن الشك منه حتى يتعطـل ويمرق من الدين ، أما اذا استوعبها وتفطن لقواعدها وأعمل فكرته فى كلياتها وجزءياتها فربما رجع الى الدين عن بصيرة وروية فيعتقد ما يعتقده عن تعقل ونظر لا عن تقليد وقدوة كما هو شأن الأكثرين ، فالغزالى كان بصيرا عاقلا مع ميل الى التدين ، ورأي فيما أطلع عليه من أقوال الفلاسفة ما يخالـف ظاهره قواعد الدين ، وعمد إلى تحقيق ذلك بنفسه بالاطلاع على سائر أقوال الفلاسفة ، وأعمل فكرته في مقدماتها ونتائجها ، وكان فى مقدمة ما أطلع عليه منها كتب الكندى ، والفارابي ، وابن سينا ، واتبع طريقة هذا الأخير فـى البحث والنظر ، قضى فى ذلك أقل من سنتين ببغداد مع اشتغاله بالافادة والتدريس فى النظامية ، ثم انقطع عن التدريس سنة ثمان وثمانين وأربعمئة ، وسلك طريق الزهد ، وحج واقتدى بصحبة الفارمدى أبى علي الفضل بـن محمد بن علي من أعيان تلامذة أبى القاسم القشيرى والشيخ يوسف النساج ، ومن أشياخه فى الحديث أبو سهل محمد بن أحمد المروزي ، والحاكم أبـو الفتح نصر الطوسي ، وعبد الله الحواري ، ومحمد بن يحيى الزوزنى ، والحافظ

أبو الفتيان عمر الرؤاسي ، ونصر المقدسي ، وأما علوم الفلسفة فلا شيخَ له فيها كما صرح بذلك في (المنقذ من الضلال) ، وقضى عشرة أعوام في الأسفار بين الحجاز والشام وبيت المقدس على طريق الصوفية ، وهو يطالع ويبحث ويناظر ، وبلغه في أثناء ذلك ما كان عليه يوسف ابن تاشفين سلطان المغرب وصاحب مراكش من الرغبة في الدين وأهله وحب العلم والعلماء ، وأنه كان يكرمهم ويحكمهم في بلاده ويصدر عن رأيهم ، فأحب أبو حامد أن يسير الى مراكش للاجتماع به ، فجاء الاسكندرية على أن يسافر منها اليه فوصلها سنة 500 فبلغه موت ابن تاشفين ، واستمر يجول في البلدان ويتردد الى المشاهد ، ويطوف على الترب والمشاهد ، ويأوي القفار ، ويروض نفسه ويجاهدها جهاد الأبرار ، ويكلفها مشاق العبادات ، ويبلوها بأنواع القرب والطاعات ، الى أن صار قطب الوجود ، والبركة العامة لكل موجود ، وبعد اعمال الفكرة والدرس تبين له أن الفلاسفة على ضلال ، وثبت عنده الدفاع عن الدين ، فحمل عليهم حملة صادقة ، فألف الكتب وعلم وناظر وباحث ، فظهرت قوته في الدفاع عن الدين بالادلة الفلسفية ، وحارب الفلاسفة المعطلين بسلاحهم وجادلهم ببراهينهم حتى أصبح الدين وثيق العرى ، وانكشفت غياهبُ الشكوك وما كانت إلا حديثاً يُفتَرى ، فسمي لذلك حجة الاسلام ، وبعد أن أقام في طوس مدة ألزمه فخر المُلك جمال الشهداء العودَ الى نيسابور للتدريس في مدرستها ، فسار مكرها ولم يطل تدريسه فيها فعاد الى طوس وعاش فيها عيشة الصوفية ، فاتخذ خانقاه ومدرسة للمشتغلين بالعلم في جواره ووزع أوقاته على وظائف الخير من ختم القرءان ومجالسة أهل القلوب والقعود للتدريس الى أن توفاه الله في يوم الاثنين الرابع عشر من جمادى الآخرة سنة خمس وخمسمئة بالطابران قصبة طوس ، ودفن فيها ، ولم يعقب الا البنات .

مؤلفاته كثيرة في الفقه والتوحيد والجدل والمناظرة ، وقد ضاع بعضها وبقي منها نحو سبعين مؤلفاً، إليك أسماء أشهرها باعتبار مواضيعها : كتاب (البسيط) في الفروع على (نهاية المطلب) لامام الحرمين ، لم يطبع ولكن منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية بالقاهرة ، (الوسيط ، المحيط

بأقطار البسيط) لم يطبع ومنه نسخة خطية فيها أيضاً ، (الوجيز) طبع ، وكتاب (المستصفى) في علم الأصول ، طبع ، و (المنخول ، في الأصول) لم يطبع ومنه نسخة خطية في الخديوية أيضاً ، (غاية الغور في مسائل الدور) لم يطبع ، ومنه نسخة في مكتبة المتحف البريطاني ، (المعارف العقلية ، والحكمة الالاهية) لم يطبع ومنه نسخ في مكتبتي پاريس وأوكسفورد ، (تهافت الفلاسفة) طبع ، (مقاصد الفلاسفة) طبع في لايدن سنة 1888 مع شروح ، وكتاب (المنقذ من الضلال) و (المضنون به على غير أهله) ، و (فاتحة العلوم) طبعت ، و (حقائق العلوم ، لأهل الفهوم) لم يطبع ومنه نسخة في مكتبة پاريس، و (مكاشفات القلوب ، المطربة إلى علام الغيوب) طبع في بولاق ، و (رسائل) في مواضيع مختلفة في الفلسفة والجدل متفرقة في مكاتب أوربا ولاسيما برلين وپاريس،وكتاب (جامع الحقائق، بتجريد العلائق) لم يطبع ومنه نسخة خطية في مكتبة أبسال ، و (إحياء علوم الدين) طبع ، وكذا شرحه (إتحاف السادة المتقين) بفاس (1) وبمصر ، وكتاب (بداية الهداية) طبع ، وله شرح ومختصر ، وكتاب (ميزان الأمل) طبع في ليبسيك سنة 1839 م ، و (القسطاس المستقيم) طبع ، و (كيمياء السعادة) منه نسخة فارسية في مكتبة برلين ، و (التبر المسبوك) طبع بهامش (سراج الملوك) للطرطوشي ، و (سر العالمين ، وكشف ما في الدارين) يبحث في نظام الحكومات لم يطبع ، ومنه نسخة خطية في الخديوية ، وكتاب (أيها الولد) طبع مع ترجمة ألمانية في ڤيينا سنة 1842 ، و (مشكاة الأنوار) طبع ، و (نور الشمعة) منه نسخة خطية في لندن ، و (مدخل السلوك ، إلى منازل الملوك) بحث في حياة الصوفي لم يطبع ، ومنه نسخة خطية في الأسكوريال ، و (الزهر الفاتح) منه نسخة خطية في المتحف البريطاني ، و (منهاج العابدين) طبع ، و (جواهر القرءان) لم يطبع ، ومنه نسخة في الخديوية، و (فضائل القرءان) لم يطبع ومنه نسخة فيها ، وكتاب (العقيدة) لم يطبع ، ومنه نسخ خطية في برلين وأكسفورد ولندن ، و (الدرة الفاخرة ، في كشف علوم الآخرة) طبع

---

1) تاليف محمد مرتضى الزبيدى ، طبع سنة 1301 بالمطبة الملكية بفاس بامر السلطان مولاى الحسن الأول وعلى نفقته .

في القاهرة وغيرها ، و (إلجام العوام ، عن الحوشي في علم الكلام) ، وكتاب (التفرقة ، بين الايمان والزندقة) ، و (الأجوبة الغزالية في المسائل الأخروية) طبعت ، وله غير ذلك فى الأبحاث الصوفية أو الأخلاقية ، وفي الدين والالاهيات لم تطبع يطول بنا شرحها ، وقد استوفاها فى شرح الاحياء مرتبة على حروف المعجم، وله في الشعر كتاب (الغاية والنهاية) في مدح النبي صلى الله عليه وسلم وعدة قصائد لم تطبع .

كان الغزالى فقيها ديناً ويندر فى رجال الفقه والدين والتصوف من يعانى الفلسفة أو يطالعها لأنهم كانوا يعدونها من أكبر أعداء الدين وأهله ، أما الغزالى فقد طالع الفلسفة وتعمق فى درسها ليجادل بها أهلها ويحاربهم بسلاحهم ، وأهم ما كان من تأثير الفلسفة فى الاسلام أنهم بنوا عليها علم الكلام وأيدوه بها لتقوى حجتهم فيما قام بينهم من المجادلات المذهبية ، واشتهر علم الكلام فى المسلمين وعكفوا على درسه وخصوصا المعتزلة ، واشتهر به جماعة من علية القوم ، أما الفلسفة بحد ذاتها فقد كان أصحابها متهمين بالكفر، وكان الانتساب اليها مرادفا للانتساب الى التعطيل، ومن أقوالهم كان فلان سامحه الله يتهم بدينه لكون العلوم العقلية غالبة عليه ، وقد شاع ذلك فى بغداد والاندلس بين العامة حتى فى أيام المامون ، ولكنهم لم يكونوا يتظاهرون بذلك حتى ذهب عصر المامون والمعتصم والواثق وتنصب المتوكل فأصبح مريدو الفلسفة يتجنبون الظهور بها أو ينكرونها وهم كلفون بها ، فكانوا يشتغلون بها سرا ، وقد أصاب شبان البلاد لأول هذه النهضة فى القرن الماضى اذ تلقوا مبادىء الطبيعيات والرياضيات ورأوا ارتباط الأسباب بالعلل فأصبحوا بعد أن كانوا ينسبون كل حادث الى الخالق اذا أمطرت السماء قالوا الله أمطرها ، وإذا صحت أو أبرقت أو أرعدت نسبوا ذلك إليه يتمثلون بما دلت عليه الطبيعيات من أسباب المطر والصحو والبرق والرعد ، واحتفً بهم الغرور ، فأنكروا كل ما لا يقع تحت حواسّهم ، وأظهروا الكفر وبالغوا فى التعطيل يزعمون أنهم يقتدون بكبار الفلاسفة ولو بلغوا مبلغهم من سعة العلم لرجعوا عن غرورهم فأصاب المسلمين على أثر النهضة العباسية فى ترجمة الفلسفة مثل ذلك ، فتفشت الأفكار الكفرية بين العامة على سبيل

الاقتداء وولاة الأمور يطاردون الفلاسفة بالسيف والأيمة يقاومونهم بالطعن والتحقير ، وقل من جادلهم بالحسنى أو بسلاحهم حتى ظهر أبو حامد صاحب الترجمـــة ، فدرس كتب القوم في المنطــق ، والطبيعيات ، والرياضيات ، والالاهيات ، والعقليات وتفهمها ورد عليها من نوع أدلتها ، وله فى ذلك كتب عديدة أشهرها فى هذا الشأن كتاب (تهافت الفلاسفة) قال فى مقدمته : انه رأى طائفة من الفضلاء ضلوا عن الدين ومصدر كفرهم سماعهم أسامــي هائلة كسقراط ، وبقراط وأفلاطون ، وأرسطو وأمثالهم ، واطناب متبعيهم فى وصف عقولهم وحسن أحوالهم ودقة علومهم ، فأحبوا التجمل باعتقاد الكفر تحيزا الى غمار الفضـــلاء بزعمهم وانخراطاً فى سلكهم وترفعاً عن مساعــدة الجماهير واستنكافا من القناعة بأديان الآباء الى غير ذلك ، فأحب أن يبين لهم وجه الصواب بالبرهان العقلى والطبيعي ، فقسم ما يخالف الفلاسفة به سواهم من أهل الاديان الى ثلاثة أقسام ، ويتفرع عنها احدى عشرة مسألة ، قول الفلاسفة أولا ان العالم أزلي لا أول له ، وأنه أبدي لا فناء له ، ثانيا أن الله لا يحيط علماً بالجزئيات ، ثالثاً إنكار البعث وحشر الأجساد مع التلذذ والتألم فى الجنة والنار بالعذاب والآلام الجسمانية ، ويدخل فى ذلك تعليلهم الحوادث الطبيعية بأسباب طبيعية محسوسة كالخسوف والكسوف مما هو مبنى على العلوم الرياضية والطبيعية ، فالغزالي أنصفهم قبل كل شيء فيما يرجعون إليه من التعليل الطبيعى ، فقال : مَنْ ظن أن المناظرة فى ابطال هذا التعلل من الدين فقد جنى على الدين وضعف أمره ، فان هذه الأمور تقوم عليها براهين هندسية وحسابية لا تبقى معها ريبة ، فمن يطلع عليها ويتحقق أدلتها حتى يخبر بسببها عن وقت الكسوفين وقدرهما ومدة بقائهما الى الانجلاء اذا قيل له ان هذا على خلاف الشرع لم يسترب فيه ، وانما يستريبَ فى الشرع ، وضررُ الشرع ممن ينصره لا بطريقه أكثر من ضرره ممن يطعن فيه بطريقه ، وهو كما قيل عدو عاقل خير من صديق جاهل ، ثم أخذ فى ايراد أدلة الفلاسفة على المسائل الاخرى ورد عليها بما يدل على انصافه وسعة علمه وغيرته على الدين وان كانت طرقهم يومئذ فى الجدال والبرهان تخالف طرق عصرنا ، ولكن الغزالى أجاد فى ايراد الادلة وأفحم أخصامه وكتاباته أثرت تأثيرا كبيرا

فى دفع الشبهات من أذهان المسلمين فى عصره وبعده ، وكان لها دوي فى عالم الفلسفة ، فردً عليه الفيلسوف ابن رشد بكتاب ءاخر سماه (تهافت الفلاسفة) أيضا عارض فيه الامام الغزالى فى بعض المباحث ، ثم ظهر كتاب ثالث بهذا الاسم لخواجة زاده أحد علماء الروم المتوفى سنة 893 أراد به المحاكمة بين الامامين المشار اليهما فيما اختلفا فيه ، ألفه باشارة السلطان محمد الفاتح العثمانى ، وهذه الكتب الثلاثة كلها مطبوعة .

ومن كرامات الغزالى ما يحكى أن السلطان علي بن يوسف ابن تاشفين صاحب المغرب الملقب بأمير المسلمين وكان أميرا عادلا نزها فاضلا عارفا بمذهب مالك خُيل اليه لما دخلت مصنفات الغزالى الى المغرب أنها مشتملة على الفلسفة المحضة ، وكان ألمذكور يكره هذه العلوم ، فأمر باحراق (1) كتب الغزالى وتوعد بالقتل من وجد عنده شيء منها ، فاختلت حاله وظهرت فى بلاده مناكر كثيرة ، وقوي عليه الجند ، وعلم من نفسه العجز بحيث كان يدعو الله بأن يقيض للمسلمين سلطانا يقوى على أمرهم ، وقوي عليه عبد المومن بن علي ، ولم يزل من حين فعل بكتب الغزالى ما فعل فى عكس ونكد الى أن توفي ، وسياتى ذلك فى ترجمة علي المذكور ، والغزالى بتشديد الزاي وبتخفيفها نسبة الى غزالة قرية من قرى طوس ، ومن شعره رحمه الله :

ارفد ببال امرىء يمسي على ثقة ... أن الذى خلق الارزاق يرزقه
فالعرض منه مصون لا يدنسه ... والوجه منه جديد ليس يخلقه
ان القناعة من يحلل بساحتها ... لم يلقَ فى دهره شيئا يؤرقه

ومنه :

سقمي فى الحب عافيتي ... ووجودي فى الهوى عدمي
وعذاب ترتضون به ... في فمي أحْلا من النعم
ما لضر فى محبتكم ... عندنا والله من ألم

1) احراق كتب الغزالى سياتى ذكره فى ترجمة سيدى عبد الله المليجى ، وسيدى علي بن حرزهم (المؤلف) .

ومنه فى أيام سياحته :

قد كنت عبداً والهوى مالكـــي ... فصرت حراً والهوى خادمــي
وصرت بالوحدة مستأنســـاً ... من شر أصناف بنـــي ءادم
ما فى اختلاط الناس خيـــر ولا ... ذو الجهل بالاشياء كالعالــم
يا لائمي فى تركّكم جاهـــلا ... عذري منقوش على الخاتــم

ومـنـه :

فقهاؤنا كذبالة النبـــراس ... هي فى الحريق وضوءها للنــاس
حبر دميم تحت رائق منظـــر ... كالفضة البيضاء فوق نحـــاس

ومـنـه :

حلت عقارب صدغه فى خـــده ... قمراً يجل بها عن التشبيـــه
ولقد عهدناه يحل ببرجهـــا ... ومن العجائب كيف حلت فيـــه

ومـنـه :

حلت عقارب صدغه فى خـــده ... وحظيت منه بلثم خد أزهـــر
إنى اعتزلتُ فلا تلوموا انـــه ... أضحى يقابلنى بوجه أشعـــر

ومما أنشده الغزالى ببغداد فى أثناء درسه من الأحياء :

وحبب أوطان الرجال اليهـــم ... مآرب قضاها الشباب هنالكـــا
اذا ذكروا أوطانهم ذكرتهـــم ... عهود الصبا فيها فحنوا لذلكا (I)

وأنـشـد :

تركت هوى ليلى وسعدى بمعزل ... وعدت الى تصحيح أول منـــزل
فنادت بيَّ الاشواقُ مهلا فهــذه ... منازل مَن تهوى رويدك فانـــزل

ومما ينسب اليه هذه الابيات فى شبرح أسرار الفاتحة :

I) البيتان لابن الرومى .

اذا ما كنت ملتمساً لـــــرزق ... ونيل القصد من عبد وحــــر
وتظفر بالذى ترجو سريعـــــاً ... وتأمن من مخالفة وغـــــدر
ففاتحةُ الكتاب فان فيهـــا ... لما أملتَ سراً أي ســـر
فالزمْ ذكرها عقبى مســـاء ... وفي صبح وفي ظهر وعصـــر
وتمسي مقرياً فى كل ليـــل ... إلى التسعين تتبعها بعشـــر
تنل ما شئت من عز وجـــاه ... وعظم مهابة وعلو قـــدر
وستر لا تُغيره الليالـــي ... بحادثة من النقصان تجـــرى
وتوفير وأفراح دوامـــاً ... وتأمن من مخاوف كل شـــر
ومن عري وجوع وانقطـــاع ... ومن بطش لذي نهي وأمـــر

والامام الغزالى هو المجدد الخامس على رأس القرن الخامس :

والخامس الحبر الامام محمـــد ... هو حجة الاسلام دون تـــردد

وقال السيوطى :

والخامس الحبر هو الغزالـــى ... وعده ما فيه من جـــدال

وتلامذة المترجم كثيرون ، منهم محمد بن عبد الله بن تومرت الملقب بالمهدى صاحب دعوة سلطان المسلمين عبد المومن بن علي ، ومنهم أبـو محمد صالح بن محمد بن عبد الله بن حرازم ، والامام أبو بكر بن العربـي المعافرى وغيرهم ، قال فى (الشذرات) وذكر الشيخ علاء الدين علي بـن الصيرفي فى كتابه (زاد السالكين) أن القاضى أبا بكر بن العربى قال : رأيت الامام الغزالي فى البرية وبيدهِ عكازة وعليه مرقعة وعلى عاتقه ركوة ، وقد كنت رأيته ببغداد يحضر مجلس درسه نحو أربعمئة من أكابر الناس وأفاضلهم يأخذون عنه العلم ، قال : فدنوت منه وسلمت عليه ، وقلت له : ياإمام أليس تدريس العلم ببغداد خيرا من هذا ؟ قال : فنظر إليَّ شزراً وقال : لما طلع بدر السعادة فى فلك الارادة أو قال : سماء الارادة وجنحت شمس الوصول فى مغارب الاصول :

تركت هوى ليلى وسعدى بمعزل وعدت الى تصحيح أول منـــزل
ونادت بيَّ الاشواق مهلا فهـــذه منازل مَن تهوى رويدك فانـــزل
غزلت لهم غزلا دقيقا فلم أجـــد لغزليَّ نساجاً فكسرت مغزلـــي

وقال فى (الشذرات) أيضا : وينسب اليه تصنيفان ليسا له بل وضعا عليه ، وهما (السر المكتوم) ، و (المضنون به عله على غير أهله) هـ .

وثناء الأيمة عليه كثير ، وقد استوفى ترجمته الحافظ في (إتحاف السادة المتقين)،ونقلها عن (طبقات ابن السبكي)،و (طبقات المنادى)،و (ذيل تاريخ بغداد) لأبي إبراهيم الفتح بن علي البغدادى ، وعن ابن المقري فى (تحفة الارشاد ، إلى سبيل الرشاد) ، وعن أبى القاسم ابن عساكر في تاريخه، والحافظ ابن السمعاني ، وابن النجار فى (ذيل تاريخ بغداد) ، والامام أسعد الميهنى ، وعبد الغافر بن اسماعيل الفارسى ، وقطب الدين محمد الاردبيلي ، والشعراني ، والشيخ الأكبر ، وكتاب (القصد والسداد ، في مناقب القطب السيد عبد الله باحداد) ، ومحمد بن يحيى النيسابورى ، والحافظ السلفي ، (وبهجة الناظرين) للزمورى ، و (طبقات ابن كثير) ، وغيرهم ، وفصلها في واحد وعشرين فصلا ، وقال في (إفادة النبيه ، مَن ادعى الاجتهادَ أو ادعِي فيه) ما نصه : ومنهم الامام أبو حامد الغزالي ، ادعى ذلك في كتابه (المنقذ من الضلال) وأشار أنه المبعوث على رأس المئة الخامسة لتجديد الدين هـ ، ومنهم صاحب التحفة القادرية ، ولكنه تكلم فى حقه بما هو منه بريء ، ومن مجازفاته فيها أن الذهبي ترجمه في (الميزان) مع أنه لم يترجمه فيه، وكذلك لم يترجمه في (لسان الميزان) (1) .

481) محمد بن عيسى ابن اللبانة

محمد بن عيسى بن محمد اللخمى الدانى من أهل مالقة ، يكنى أبـا بكر ويعرف بابن اللبانة ، كان من جلة الأدباء ، وفحول الشعراء ، معين الطبع ،

---

1) هذه الترجمة ليست على شرط المؤلف ، لان الغزالى لم يدخل مراكش واغمات ولا أى بلد من بلدان المغرب ، وقد كدنا نحذفها لولا أمانة النقل وارتباط الغزالى واحيائه بتاريخ المغـرب .

واسع الذرع ، غزير الأدب ، قوي العارضة ، متصرفاً فى البلاغة ، وله تواليف، منها كتاب (مناقل الفتنة) ، وكتاب (نظم السلوك ، فى وعظ الملوك) ، وكتاب (سقيط الدرر ، ولقيط الزهر) ، وقد سمع منه بعضها بحاضرة المرية فى المحرم سنة 486 وشعره مدون ، وقد أخذ عنه أبو عبد الله ابن الصفار والد زياد المحدث ، ذكر ذلك ابن الدباغ ، وتوفي بميورقة سنة 507 ودفن بازاء أبى العرب الصقلي ، وكان طوالا ، وابن اللبانة دحداحاً ، وكان المعتمد على الله يميـزه بالتقريب ، ويستغرب ما يأتى بـه من النادر والغريب ، فمـن شعره فيه :

رأت بك أوجه العليا مناهـــا ... وعاد على لواحظها كراهـــا
وجاءت فيك ألسنة المعالـــي ... بآيات تشرف مَن تلاهـــا
سواك يسير فى أرض فأمـــا ... خطاك فبالمجرة لا سواهـــا
كأن الشهب اذ تجري لسعْــد ... تخطُ لك الطريق على ذراهـــا

وله عند ما فارق المتوكل ببطليوس :

رضى المتوكل فارقتــــه ... فلم يُرضِنى بعده' العالَــم
وكانت بطليوس' لي جنّــة ... فجئت' بما جــاءه ءادم

ترجمه فى (بغيـة الملتمس) ، و (التكملة) ، وقال ياقوت فـى معجمه : وقال محمد بـن عيسى المعروف بابن اللبانة يذكر المعتمد ابـن عباد صاحب اشبيلية وكان لما أزيل أمره وانتزع منه ملكه حمل الي أغمات فحبس بها :

انفضْ يديك من الدنيا وساكنهـا ... فالأرض قد أقفرت والناس قد ماتوا
وقلْ لعالمها الأرضيِّ قد كتمـتْ ... سريرة العالم العلويِّ أغمـــات

وهما من الأبيات السائرة من قصيدة له أوردها فى القلائد ، وقال فى (نفح الطيب) وذكر الوزير أبو بكر ابن اللبانة فى كتابه (سقيط الدرر ، ولقيط الزهر) أن المعتمد ابن عباد صنع قسيما فى القبة المعروفة بسعـد

السعود فوق المجلس المعروف بالزاهي وهـو (سعد السعود يتيه فـوق الزاهى) ، ثم استجاز الحاضرين فعجزوا ، فصنع ولده عبد الله الرشيد :

وكلاهما فى حسنه متناهـــــى
ومَن اغتدى سكناً لمثل محمــــد قد جلَّ في العليا عن الأشبـــاه
لازال يبلغ فيهما ما شــــــاءه ودهت عداه من الخطوب دواهـــي

وقوله رضا المتوكل البيتين الخ فى النفح ما نصه : ومـن حكايات أهل الاندلس فـى العفو أن المعتصم ابـن صمادح كان قـد أحسن للنحلي البطليوسى ، ثم ان النحلى سار الى اشبيلية فمدح المعتضد ابن عباد بشعر قال فيه :

أباد ابنُ عبادٍ البربـــــــــرا وأفنى ابنُ معن دجاج القـــــرى

ونسي ما قاله حتى حـل بالمرية ، فأحضره ابن صمادح لمنادمته وأحضر للعشاء موائد ليس فيها غير الدجاج ، فقال النحلي : يامولاي ما عندكم في المرية غير الدجاج ؟ فقال : انما أردنا أن نكذبك فى قولك وأفنى ابنُ معن دجاج القرى ، فطار سكرُ النحلى وجعل يعتذر ،فقال له خفضْ عليك ، انما ينفق مثلك بمثل هذا وإنما العتب على مَن سمعه ، فاحتمل منك في حق مَن هو في نصابه ، ثم أحسن اليه ، وخاف النحلى ففرَّ من المرية ثم ندم فكتب الـى المعتصـم :

رضا ابن صمادح فارقتــــــــه فلم يرضني بعده العالـــــــــم
وكانت مريتُه جنــــــــــة فجئت بما جــــــــــاءه ءادم

فما زال يتفقده بالاحسان على بعد داره ، وخروجه عن اختياره ، هـ .

وقال في (كشف الظنون) : (سقيط الدر ، ولقيط الزهر) فـي شعر بنى عباد لأبي بكر ، ثم ذكر اسم المؤلف المترجم ووفاته .

وقال الزياني في (البستان) : (نظم السلوك ، في وعظ الملوك) لأبي بكر ابن اللبانة ، ألفه في قضية امتحان المعتمد وأشعاره وأولاده وما كان منه في سجنه هـ .

وقال في (القلائد) ما نصه :

الاديب أبو بكر الداني المعروف بابن اللبانة رحمه الله تعالى المديد الباع ، الفريد الانطباع ، الذى ملك للمحاسن مقاداً ، وغدا له البديع منقادا ، أي مقال ينبىء عن معناه وفصله ، وأي إرقال ينتهي الى مداه وخصله ، وقد يشذ فما يشرك ، ويبدو فما يدرك ، رقي الى ما أحبه ، وقطع سنام كل معارض وجبه ، وتقلد النظام حساماً لا تنبو مضاربه ، وولد غرضا لا يدانيه أحد ولا يقاربه ، فبدا سابقا ، وغدا لفظه لمعناه مطابقا ، وقد أثبت له ما تبصر له لمعا وشروقا ، وتهصر غصنه ناعما وريقا ، كان المعتمد على الله يميزه بالتقريب ، ويستغرب ما يأتي به من النادر والغريب ، ويوليه انعاما واحسانا ، ويريه الزمان كله آذاراً ونيساناً ، فلما نبت صعاده ، وأعوزه من دهره إسعاده، ورحل به إلى المغرب ، وحلّ فيه محلّ النازح المغترب ، وغدرته الأيام غدر أهل خراسان لقتيبة ، وفى له أبو بكر بالرحلة إليه وفاءَ الظعينة لعتيبة ، وتراسلا هناك بأشعار شفى بها المعتمد نفسه ، واستوفى سلوه وأنسه ، وشكر له ما ناله من مسلاته ، وحمد عقد موالاته ، وصار له بذلك حق مشهور ، وفخر لا تبليه الدهور ، وقد أوردنا من ذلك فى أخبار المعتمد أعدل شاهد ، ووصفنا تلك المحاضر والمشاهد ، ومن بديع قوله يتغزل :

تولى السرب خيفة مَن يليه	وأفلت من حبائل قانصيه
على شرف الخميلة كان حتى	توجس نبأة من خاتليه
فمرّ على مهب الريح يعدو	بأسرع من مدامع عاشقيه
تعلق ءاخر البطحاء هضباً	تأمل منه خيبة ءامليه
وصادف عنده مرعى مريعاً	فأصبح يشرئب ويرتعيه
توجه حيث لم تقفى خطاه	بمنسوب الى ءال الوجيه
بمياع الأديم يكاد يعشى	بنقبته لواحظَ مبصريه

ودخل ميورقة فى عهد ناصرها ، وسلامة مقاصرها ، وهي باهرة الجمال ، عاطرة الصبا والشمال ، تقيد الناظر ببهجتها ، وتتيه بندى ملكها على لجتها ، فتلقاه ناصر الدولة بمعهود اجماله ، وصدق له ظنونَ ءاماله ، فقال يمدحه :

حنيت جوانحه على جمر الغضـــا ... لما رأى برقاً أضاء بذي الأضـــا
واشتم فى ريح الصبا أرج الصبا ... فقضى حقوق الشوق فيه بأن قضى
والتف فى عبراته فحسبتهـــا ... من فوق عطفيه رداء فضفضـــا
قالوا الخيال حياته لـــو زاره ... قلت الحقيقة قلتم لو غمضـــا
يهوى العقيق وساكنيه وان يكـن ... خبر العقيق وساكنيه قد انقضـى
ويودُّ عودته الى ما اعتـــاده ... ولقلَّما عاد الشباب وقد مضـى
ألف السرى فكأنّ نجما ثاقبـــاً ... صدع الدجا منه وبرقا مومضـــا
طلب الغنا من ليله ونهـــاره ... فله على القمريْن مال" يقتضَـــى
مهما بدت شمس يكون مذهبـــاً ... واذا بدا بدر يكون مفضضـــا
هذا أفاد وفاد غير مقصـــر ... جهد المقل بأن يموت مفوضـــا
ولرب ربة حانة نبهتهـــا ... والجوُّ لؤلؤٌ طلُّه قد رضرضـــا
وقد انطفت نار القرى وبقى علـى ... مسك الدجا مذرور كافور الغضـــا
والليل قد أسدى وألحم ثوبـــه ... والفجر يرسل فيه خيطاً أبيضـــاً
ومتى ركبت لها أعاليَ أيكـــة ... نشرت جناحاً للرياح معرضـــا
والبحر يسكن خيفة من ناصـــر ... أرضى الرياسة بعد موت المرتضى
ملك سمت علياه حتى دوحـــت ... وزكا ثرى نعماه حتى روضـــا
ماء الغمائم جرعة مما سقـــى ... وسنا الأهلة خلعة مما نضـــا
خففتْ عليه راية" وذؤابـــة" ... فكأن صلا نحو صل" نضنضـــا

وكان المرتضى رحمه الله هو الذى أورث ناصر الدولة الملك ، ونظم بلنبته ذلك السلك ، فلم يكفـر يده ، ولم ينثن عن مجازاة ما قلده ، ولـم يزل يتعهد سابقته ويعتقدها ، ويبر مَن كان يوالى دولته ويعتقدها ، الى أن ماتت أخته فاحتفل فى جنازتها احتفالا شكر فيه فعله ، ومشى الى لحدها وما ركـب الا نعله ، وندب الشعـراء الى رثائها وتأبينهـا ، وايضاح فضائلهـا وتبيينها ، فقام أبو بكر على قبرها وقال :

أبنتَ الهدى جددت منعى على منعى ... مضى المرتضى أصلا وأتبعه فرعا
جرى الموت جريَ الريح في منبتيكما ... فأدواك ريحاناً وكسره نبعـــا
على نسق جاء المصاب وانمـــا ... تقدمته وتراً وأتبعته شفعـــا

وقال يمدحه بقصيدة أولهـا :

هلا ثناك عليٌ قلب مشفـــــق فترى فراشاً في فراش يحـــرق
أنت المنية والمنى فيك استــوى ظل الغمامة والهجير المحـــرق
لك قدُ ذابلة الوشيج ولونهـــا لكن سنانك أكحـــل لا أزرق
ويقال انك أيكة حتـــــى اذا غنيت قيل هو الحمـــام الأورق
يا مَن رشقت الى السلو فردنـي سبقت جفونك كل سهم يرشـــق
لو في يدي سحر وعندي أخـــذة لجعلت قلبك بعض حين يعشـــق
جسدى من الأعداء فيك لأنــــه لا يستبين لطرف طيف يرمـــق
لم يدر طيفك موضعى من مضجعى فعذرته فى أنه لا يطـــــرق
جفت لديك منابعى ومنابتـــــى فالدمعُ ينشع والصبابة تـــورق
وكان أعلام الأمير مبشـــــر نشرت على قلبى فأصبح يخفـق
الخيزرانة تلتظي فى كفــــه والتاج فوق جبينه يتألـــــق
وكان صوب حيا وصعقة بـــارق ما ضمٌ منه نديه والمـــأزق
متباعد الطرفين جود غافــــل عما يحل به وعزم مطـــــرق
بأس كما جمد الحديـــد رواءه كرم يسيل كما يسيل الزئبــق
لا يعجب الأملاك كثرة مالهـــم النبع أصلب والأراكـــة أورق
ضدان فيه لمعتد ولمعتـــــف السيفُ يجمع والعطاء يفـــرق
وبنو الحروب على الحرابي التـي تردى كما تردى الجياد السبــق
خاضت غدير الماء سابحة بـــه فكأنما هي في سراب أنيـــق
ملأ الكماةُ ظهورها وبطونهـــا فأتت كما يأتي السحاب المغـدق

ولـــه :

رأت بك أوجه العليا مناهـــا وعاد على لواحظها كراهـــا
وجاءت فيك السنةُ المعالـــي بآيات تشرف من تلاهـــا
سواك يسير فى أرض فأمـــا خطاك فبالمجرة لا سواهـــا
كأن الشهبَ اذ تجرى لسعـــد تخطُ لك الطريقَ على ذراهـــا

وله أيضاً :

بكت عند توديعي فما علم الركـب أذاك سقيط الدر أم لؤلؤ رطب ؟
وتابعها سرب واني لمخطـــــيء نجوم الدياجى لا يقال لها سـرب
لئن وقفت شمس النهار ليوشـع فقد وقفت شمس الهدى لي والشهب
عقيلة بيت المجد لم ترها الدجـا ولا لمحتها الشمس وهي لها نرب
ظبى الهند مما ذب عنها وانمـــا تلطف لي فيها بخدعته الحـــب
سرت وبروج النيرات قبابهـــا وقدامها من كل خاطفة قـــب
وما دخلت الا المجرة واديـــاً فليس لها الا بأعطانها شـــرب
وبحر سوى بحر الهوى قد ركبته لأمر كلا البحرين مركبه صعــب
غريب على جنبي غراب نهوضــه بقادمتي ورقاء مطلبها شعــب
كأنى قذى فى مقلة وهو ناظـــر بها والمجاذيف التى حولها هدب
ولما رأت عينى جناب ميـــورق أمنت وحسب المرء بغيته حسب
نزلت بكافور وتبر وجوهـــــر يقال لها الحصباء والرمل والترب
وقلت المكان الرحب فيه فقيل لي ذرى ناصر العلياء أجمعه رحـــب

وسُعي به الى ناصر الدولة وبغي ، ونبذ حق نباهته وألغى ، فلم يرع انقطاعه ، ولا جوزي احسانه ولا ابداعه ، وهجر هجر الجرب ، وأقام مقام الحائر المضطرب ، وكانت عادة ناصر الدولة فى غير طار ولا ضيف النفي أو السيف ، فلم يفتح مع أبى بكر فى أحدهما باب ، ولا أغبه جزع ولا ارتياب، فكتب اليه يستسرحه :

عسى رأفة فى سراح كريـــــم أبل ببرد نداه الغليـــــــــلا
وعلّي أراحُ من الطالبيـــــــن فأسكن للأمن ظلا ظليــــــــلا
ومن بلّه الغيثُ فى بطـــن واد وبات فلا يأمنن السيــــــولا
لقد أوقدوا ليّ نيرانَهـــــــم فصيرنى الله فيها الخليـــــلا
أقر بنفسى وان أصبحـــــت ميورق مصر وجدواك نيـــــلا

وقال يمدحه :

عرجْ بمنفرجات واديهم عسى تلقاهم نزلوا الكثيب الأوعسا
أطلبهم حيث الرياض تفتحت والريح فاخت والصباح تنفسا
مثلْ وجوههم بدوراً طُلَّعاً وتخيل الخيلان شهباً كنسا
واذا أردت تنعماً بقدودهم فاهصرْ بنعمان الغصون الميسا
بأبى غزال منهم لم يتخذ الا القنا من بعد قلبى مكنسا
لبس الحديد على لجين أديمه فعجبتُ من صبح توشح حندسا
وأتى يجرُّ ذوائباً وذوابلا فرأيتُ روضا بالصلال تحرسا
لا ترهب السيف الصقيلَ بكفه وارهب بعارضه العذار الأملسا
زأم العدا قتلي عليه ففتهم والنجم ليس بممكن أن يلمسا
وفككت بغيهم وفزت وهكذا فكٌّ الصحيفة قبلي المتلمسا
كابد الى العز الهجير ولا تكن فى الذل ما بين الظلال معرسا
واذا وصلتَ الى الامير مبشراً فاجعل بساطك فى ثراه السندسا
نوعْ وجنِّسْ في مناك فانه ملك تنوع في العُلا وتجنسا

وكان بينه وبين وزيره أبى القاسم ذمام ائتلاف ، ومعاطاة سلاف ، وروحات والتها بكر ، وراحات راح السرور عليها وابتكر ، ووداد أشبه عصر الشباب ، وعهد أقفر من التعاهد حتى عاد كالقفر اليباب ، فلما وصل ميورقة تجدد دارسه ، وعادت اجاماً مكانسه ، فكان أبو بكر يظن أن تلك الموالاة تنفقه وان كسد ، وتخلصه وان حصل فى لهوات الأسد ، ولم يعلم أن لا جديد لمن لم تخلقه الايام ولم تبله ، ولم يسمع وجدت الناس أخبر تقله ، فلما تغير له ناصر الدولة وتنكر ، ورأى من قعود أبى القاسم عنه ما أنكر ، هبَّ من غفلته ، واحتال في نقلته ، فلاذ بالفرار ، وعاذ ببني حماد بحكم الاضطرار ، وجعل يستنزله ويستعطفه ، ويداريه من هناك ويستلطفه ، ليمنَّ باعادته ، وصرفه الى عادته ، بكل مقال يحل سخائم الاحقاد ، ولا تلين قناته لغمز الانتقاد ، فمن بديع ذلك قوله :

نسيمك حتى مَ لا ينبـــــري ؟ وطيفك حتى مَ لا يعتـــــــري ؟
أعيذك من عرض ان يكـــــون وأنت الذى كنت من جوهـــــر
أتذكر أيامنا بالحمـــــــى وأيامنا بذوي الأعصـــــــر
ألا رأفة من وفي صفـــــي ألا عطفة من سني سـســـــري
رمى زحلٌ فيَّ أظفـــــاره وحلَّ يداً عنيَّ المشتـــــري
عطارد هل لك من عـــــودة فأرجع منك إلى عنصـــــري
سيطلبني الملك مهمـــــا أراد لباس نسيج من المفخـــــر
ولو أن كل حصاة تزيـــــن لما جعل الفضل للجوهـــــر

فلم يراجعه بحرف ، ولم يطالعه بنفس منه ولا عرف ، فكتب اليه :

أذكر مَن لم ينس عهداً ولا ينسى وأبسطف في أكناف ساحته النفسا
وأنشئها خلقاً جديداً وأغتـــدي بظل علاه أعتدى معه الأنســـا
وألبس ريعان الشباب وطالمـــا لبست الخطوب الحمرما دونه ورسا
وإني واياه لمزن وروضـــــة يباكرني سقياً وأزكو له غرســـا
صفا بيننا من خالص الود جوهـر غلبنا به في نور جوهرها الشمسا
وما أنا إلا من علاه مكـــــون غدوت له نوعاً وأصبح لي جنســا
مكارمه مرعى إلى جنب معقـــل أرود اذا أضحى وءاوي اذا أمســى
وأورد خمساً كل يوم بمائـــه وكم لي دهر قد مضى لم أرد خمسا
أبا القاسم اشرب قهوة العز وانتقل ثنائيومن فضلالكؤوس اسقني كأسا
وخذ بيدي من عثرة قصرت يـدي وكنت أخا بأس فلم تبق لي بأسـا
رميت لها فضفاضتي ومهنـــدي وخطيتي والنبل والقوس والترسا
ثغور المعالي قابلتك ضواحكـــاً فصلثمها وامصصْ مراشفها اللعسا
وأجيادها مالت عليك نواعمـــاً كما مالت الأغصان فانعمْ بها لمسا
ولا ذكر في الأفواه حاشاك إنمـــا صفاتك ءايات ولعنا بها درســـا
إليك بها دراً تلقب أحرفـــــاً وقطعة ديباج يسمونها طرســـا
وفضلك في الاغضاء عما بعثتـــه فليس يُجيد الشعرمَن عدم الحسا

ولما نوى الانفصال ، خاف الانتهاب والاستيصال ، فأراد أن يكتم ذلك الفرار ، ويطوي اعلانه في إسرار ، وخشي أن يفطن بخروجه ، ويطلع عليه من خلال فروجه ، فعزم على موادعة بعض الاخوان ، ومطالعة ما في ذلك الخوان ، فكتب اليهم :

أقول تحية وهي الـــــــوداع ... خداعاً لي وما يغني الخـــداع
أعلل بالمنى قلباً شعاعــــاً ... ولن يتعللَ القلب الشعـــاع
وأترك جيرة جاروا وأشـــدو : ... (أضاعوني وأي فتى أضاعـــوا)
اذا لم يرع لي أدب وبـــأس ... فلا طال الحسام ولا اليـــراع
لقد باعتنيَ الأيام بخســـاً ... وعهدي بالذخائر لا تبـــاع
أجفَّتْني فلم ينبتْ ربيـــع ... وحطَّتْني فلم يثبت يفـــاع
ومكنت العدى مني فعاثــت ... بلحمي ضعف ما عاث السبـــاع

ولما لم يره اعلانه وتصريحه ، ولم تلق اعصاراً ريحه ، أعلن بوداعه، وفتن باحسانه وأبداعه ، فقال يخاطب ناصر الدولة مودعاً ومعاتباً :

سلام على المجد يندى بليـــلا ... كنشر الربى بكرة وأصيـــلا
سلام وكنت أقول الـــوداع ... ولكن أدرج قلبي قليـــلا
أخاف عليه انصداع الصفـــاة ... وألا يكون زجاجاً عليـــلا
جرحت يديك وكنت البـــرى ... كما يجرح اللحظ خداً أسيـــلا
ولو لم أكن ماضيَ الشفرتَيْـــن ... لما فلَّني الدهرُ عضباً صقيـــلا
أتت ذلة منك محبوبـــة ... فلم أرض بالعز منها بديـــلا
تلقيت فيها سواد الخطـــوب ... فأشبه عندي طرفاً كحيـــلا

وله متغزلا في صاحب خيلان :

لحظ النجوم بمقلتيه فراعهـــا ... ما أبصرت من حسنه فتـــردت
فتساقطت في خده فنظرتهـــا ... عمداً بمقلة حاسد فاســـودت

وله عند ما فارق المتوكل ببطليوس :

رضى المتوكل فارقتُـــــــــــه فلم يرضنى بعده العالـــــم
وكانتْ بطليوس لي جنـــــــــة فجئتُ بما جـــــــــــاءه ءادم

وله يتغزل في صبي نساخ :

أبصرت أحمد ناسخاً فرأيت مـــا أغمى وأعيا أن يحد ويوصفـــــا
فكأنما منح السماء صحيفـــــــة والليل حبراً والكواكب أحرفـــا

ولـــــه :

أبصرته قصَّر في المشيـــــه لما بدت فى خده اللحيــــــــه
قد كتب الشعر على خــــــده (أو كالذى مر على قريــــــه)

ولـــــه :

غناء يلذُّ ولا أكـــــــــــؤس تسكن من أنفس طائشــــــــــه
وأعجب كيف شدا طائـــــــر بروض منابته عاطشـــــــــــه

وابن خلكان في وفيات الأعيان لم يعرف وفاة المترجم قائلا انه لم يقف عليها فى شيء من الكتب لدى ترجمة ابن عباد ، والكمال لله تعالى وذكره فى (الشذرات) نقلا عن العبر (1) .

482) **محمد بن سليمان ابن القصيرة** الكلاعي ، يكنَى أبا بكر ، وهو من أهل اشبيلية ورأس أهل البلاغة فى وقته ، أخذ عن أبى مروان ابن سراج وغيره ، وكان من أهل الأدب البارع والتفنن فى أنواع العلم ، وتوفي سنة 508 عن سن عالية ، وخرف أصابه قبل موته عطله بحضرة مراكش .

ذكره ابن بشكوال .

---

1) ينظر عن ابن اللبانة **بغية الملتمس** ص 109 ع 313 و **قلائد العقيان** ص 282 طبع تونس ، و **التكملة** 1 : 410 ع 1162 و **الوافي بالوفيات** 2 : 514 ع 446 .

483) **محمد بن مسعود المكتب** قال في التكملة : أحسبه من أهل المرية ، سمع من أبي العباس العذري وغيره ، وحدث بيسير قال عياض : سمعت بعض حديثه يقرأ عليه ، وتوفي بعد سنة عشرة وخمسمئة هـ (1) .

وفي طرة هذه الترجمة بخط السيد عبد الحي الكتاني دخل المترجم فاسا ، وبها استقر الا أنه بمراكش توفي هـ .

484) **محمد بن أغلب ابن أبي الدوس** ، من أهل مرسية يكنى أبا بكر ، روى عن أبي الحجاج الأعلم وأبي الحسن المبارك بن سعيد الخشاب ، وعبد الدائم ابن مرزوق القيرواني ، وأبي الحسن العبسي ، وأبي بكر ابن نعمة العابد ، وأبي علي الغساني ، وأبي عبد الله بن معيون الفارض ، وغيرهم ، وكان عالما بالعربية والآداب مشاركاً في غير ذلك من أحسن الناس خطاً وأصلحهم نقلا وضبطاً وشهر بالاقراء .

وكان من المعلمين المتجولين ، أدب ولدي المعتمد ابن عباد الراضي يزيد ، والمامون الفتح ، وسكن المرية وأجاز البحر الى المغرب فنزل مدينة فاس واستقرَّ أخيرا بأغمات ، وله شعر صالح ، وألف في شرح الأمثال لأبي عبيد ما أفاد به .

روى عنه محمد ابن أبي الخصال ، وأبو بكر ابن الخلوف وأبو عبد الله بن أبي زيد ، وغيرهم ، وتوفي بمراكش سنة احدى عشرة وخمسمئة ، ذكره ابن عزيز وابن الملجوم وغيرهما (2) .

ترجمه في (التكملة) ، ومنها كتبها في (الجذوة) ، وسقط فيها الواو من وابن الملجوم مع سقوط يزيد بعد الراضي في نسخة المطبعة وتصحف استقر باستقر فيها .

485) **محمد بن أحمد بن نصر النفزي المعروف بالرندي**

قال ابن الأبار في المعجم : سمع من أبي علي مسند البزار بالمرية في آخر سنة 505 وله فيه فوات ، وقد ناوب أبا عبد الله بن أبي أحد عشر

1) **التكملة** 1 : 412 ع 1167 .

2) **التكملة** 1 : 412 ع 1168 .

في قراءة بعضه من آخره ، قرأت ذلك في أصل أبي علي بخط أبي عمرو الخضر بن عبد الرحمان وهو أحد السامعين جميعه بقراءة المذكورين إلا مجلساً واحداً من حديث أنس فاته من الديوان كله ، غير أنه وابن أبي أحد عشر يقولان فيه محمد بن نصر النفزى فينسبانه الى جده ، وتارة يصفه الخضر منهما بالمقرىء ، وله أيضاً رواية عن أبي عبد الله ابن جرج ، وأبي علي الغساني، وأبي محمد ابن عتاب، قرأ عليهم ثلاثتهم (الموطأ) من رواية يحيى بن يحيى ، وحدث به عنهم وعن أبى المطرف الشعبى وأبى عبد الله الخولانى ، وكناه أبا القاسم سهوا ، أجازاه له وعن أبى الاصبغ عيسى ابن خيرة مولى ابن برد ، ويروي أيضاً عن أبي بحر الأسدي وغيرهم ، وكان من أهل العناية بالرواية مع الاتصاف باقراء القرءان ، وربما خانه الضبط ، حدث عنه محمد بن عبد الله بن الراهب المذحجى وغيره ، وسماه أبو جعفر ابن الباذش فى مشيخته ، وقال كتبت عنه حديثاً واحدا وسمعت بقراءته الموطأ على ابن عتاب ، وكان هو يحدث به عن ابن الطلاع توفى بأغمات سنة 514 هـ (1) .

وعبارته في (التكملة) في ترجمته :

محمد بن أحمد بن نصر النفزي يعرف بالرندي ، لأن أصله منها ، روى عن أبيعبد الله ابن جرج ، وأبي علي الغساني ، وأبي الأصبغ ابن خيرة مولى ابن برد ، وأبي عبد الله الخولاني ، وأبي علي الصدفي ، وأبي محمد ابن عتاب ، وأبى بحر الاسدى وغيرهم ، حدث عنه علي ابن خلفون القروى ، وأبو عبد الله ابن الراهب المذحجي ، وغيرهما ، وسماه أبو جعفر ابن الباذش فى شيوخه وهو فى عداد أصحابه ، وقال : كتبت عنه حديثاً واحدا وسمعت بقراءته (الموطأ) على ابن عتاب ، وكان هو يحدث عن ابن الطلاع .

تُوفي بأغمات سنة أربع عشرة وخمسمئة هـ (2) .

وقال بعض الهجاءين في رندة :

قبحاً لرندة مثلما قبحت مطالعة الذنوب
بلدٌ عليه وحشة ما ان يفارقه القطوب

1) معجم اصحاب ابى علي الصدفى ص 104 ع 86 .
2) التكملة 1 : 415 ع 1178 .

ما حلَّها أحد فينـــــــــــــــ ـــوي بعد بين أن يـــــــؤوب
لم ءاتها عند الضحـــــــــى إلا وخيل لي الغـــــــــروب
أفق أغمُّ وساحـــــــــــة تملا القلوبَ من الكـــــــروب

أنشدها فى نفح الطيب :

486) محمد بن عمر ابن عبَّاد اللخمي

محمد بـــن عمر بن المعتضد عباد بـــن محمد بن إسماعيـــل اللخمي من أهل اشبيلية ، يكنى أبا القاسم ، كان له حظ من علم الوثائق ومشاركة فى الأدب ، وسكن مراكش بعد خلع عمه المعتمد محمد ابن عباد ، وتوفى فى حدود العشرين وخمسمئة .

نقله فى (التكملة) عن بعض أصحابه .

487) محمد بن أحمد ابن رشد

محمد بن أحمد بن أحمد ابن رشد المالكي قاضي الجماعة بقرطبـــة وصاحب الصلاة بالمسجد الجامع بها ، يكنَى أبا الوليد ، كان واحدَ وقته جلالة وفضلا ، وذكاء ونبلا ، ونزاهة وحلماً ، ومعرفة وعلما ، روى عن أحمد ابن رزق ، وتفقه معه وعليه اعتماده ، وعن أبى مروان ابن سراج ، ومحمد ابن خيرة ، ومحمد ابن جرج المعروف بابن الطلاع ، والحسين بن محمد الغساني، وسمع الجياني وابن أبى العافية الجوهرى ، وأجاز له أبو العباس العذرى ما رواه ، وكان فقيها عالماً حافظاً للفقه مقدماً فيه على جميع أهل عصره ، عارفا بالفتوى على مذهب مالك وأصحابه ، بصيرا بأقوالهم وأنقالهم واختلافهم ، نافذاً فى علم الفرائض والاصول ، من أهل الرياسة فى العلم ، والبراعـــة والفهم ، مع الدين والفضل والوقار والحلم ، والسمت الحسن ولهدى الصالح.

قال ابن بشكوال سمعت الفقيه عبد الملك ابن مسرة صاحبنا أكرمه الله ومكانه من العلم والفضل والثقة مكانُه يقول : شاهدت شيخنا القاضـــي أبا الوليد رحمه الله يصوم يوم الجمعة دائما فى الحضر والسفر ، ومن تواليفه كتاب (المقدمات) لأوائل كتب المدونة ، وكتاب (البيان والتحصيل ، لما في المستخرجة من التوجيه والتعليل) ، و (اختصار المبسوطة) ، و (اختصار مشكل الآثار) للطحاوى الى غير ذلك من تواليه ، قال ابن بشكوال : سمعنا

عليه بعضها وأجاز لنا سائرها ، وتقلد القضاء بقرطبة ، وسار فيه بأحسن سيرة وأقوم طريقة ، ثم استعفى عنه فأعفي ، ونشر كتبه وتواليفه ، ومسائله وتصانيفه ، وكان الناس يلجأون اليه ويعولون فى مهماتهم عليه ، وكان حسن الخلق سهل اللقاء كثير النفع لخاصته وأصحابه ، جميل العشرة لهم ، حافظاً لعهدهم ، كثير البرّ بهم .

وتوفى عفا الله عنه ليلة الأحد ، ودفن عشيّ يوم الأحد الحادي عشر من ذي القعدة سنة 520 ، ودفن بمقبرة العباس وصلى عليه ابنه أبو القاسم ، وشهده جمع عظيم من الناس ، وكان الثناء عليه حسناً جميلا ، ومولده في شوال سنة 450 هـ (1) .

فـــائـــدة :

قال أبو بكر ابن خير فى فهرسته لدى أواخرها تفسير الاجازة العامة ذكرت فيما تقدم عند ذكرى تواليف القاضى أبى الوليد محمد بن أحمد بن أحمد ابن رشد رحمه الله أنى أرويها عنـــه بالاجازة العامة وتفسير ذلـــك أنى نقلت من خط صاحبنا الفقيه المشاور محمد بن عبد الله بن أحمد القنطري الشلبي رحمه الله وحدثني به نقلي إياه قراة عليه قال : نقلت من خط الشيخ الامام الفقيه أبى الحسن محمد بن أبى الحسين المعروف بابن الوزان قال رحمه الله لما استخار الله تعالى شيخنا الفقيه القاضى أبو الوليد ابن رشـــد رحمه الله في النهوض إلى المغرب ملبياً دعوة علي بن يوسف ابن تاشفين إليـــه وأزمع على التوجه أول ربيع الآخر من سنة 520 ، سألته غداة يوم الاثنيـــن لليلتين خلتا منه أن يجيزني جميع ما يحمله من الكتب المؤلفة في ضروب العلم بأي وجه حمل ذلك من قراءة أو سماع أو مناولة أو إجازة ، وجميع ما الفه أو وضعه أو اجاب فيه في القديم والحديث ولجميع أصحابنا أهل المجلس وغيرهم من طلاب العلم ولكل من أحب الحمل عنه من المسلمين ممَّن ضمه وإياه حياة في هذا العام ليحمل كل ذلك عنه ويسنده إليه ، فتبسم واستغرب هذا السؤال ، ثم قال لي منشرح الصدر ، طلق الوجه ، ظاهر التبسم : نعم قد أجزتك ذلك كله ولجميع مَن سألت ممن أحب الحمل عني من جميع المسلمين حيث كانوا ، نفعنا الله بذلك وجعله لوجهه ، فشكرت الله تعالى وشكرته على إجابته وانصرفت عنه مسروراً والحمد لله ، وكان الذي أدل بي على ذلـــك

---

1) الصلـــة ص 576 ع 1270 .

وحداني إليه أني ألفيت بخط أبي بكر بن أبي خيثمة رحمه الله قد أجزت ليحيى بن أبي سلمة أن يروي عني ما أحب من كتاب (التاريخ) الذي سمعه مني قاسم بن أصبغ ، ومحمد بن عبد الأعلى ، كما سمعاه مني وأذنت له في ذلك له ولمن أحب من أصحابه ، فان أحب أن تكون الاجازة لأحد بعد هذا فأنا أجزت له ذلك بكتابي هذا ، وكتب أحمد بن أبي خيثمة بيده في شوال من سنة 276 ، وما حدثنا به القاضي العدل الحافظ أبو علي الحسين بن محمد الصدفي شيخنا رضى الله عنه إجازة ، وحدثنا به عنه جماعة من ثقات أصحابه ، قال لي أبو الحسن ابن الطلاء الشلبي منهم وجدت في آخر فهرسة أبي الفضل ابن خيرون البغدادي أصل شيخنا أبي الفضل ابن خيرون سمع مني هذا الكتاب الشيخ أحمد بن عبد الله الأنصاري بقراءة الشيخ أبى علي الحسين بن محمد الصدفي ، وقد أجزت لهم جميع ذلك مع سائر ما سمعته من جميع الشيوخ ، وما أجيز لي من جميع العلوم على اختلافها ، وقد أجزت لجميع بني هود ، ولمن أحبَّ الرواية عني من غيرهم من جميع المسلمين أهل السنة ممن هو موجود فى هذه السنة ، وللمقري أبي جعفر عبد الوهاب بن محمد الأنصاري كذلك أن يقولوا كيف شاءوا من أخبارنا إجازة ، وأجاز لنا وكتب أحمد بن الحسين بن خيرون بن إبراهيم في شهر رمضان من سنة 486 هـ ، قلت : قد ذكر هذا أيضاً بلفظه ابن الأبار في (معجم أصحاب الصدفي) في ترجمة أبي الحسن محمد بن الوزان المذكور منهم قائلا وهو الذي سأل أبا الوليد ابن رشد عند إزماعه الحركة إلى مراكش ليبين بها عند ابن تاشفين أمر الأندلس، وعيث الروم في بلادها وما جرَّ عليها معاهدوهم ، فكان السبب في تغريبهم وإجلائهم، قال وهو أخف ما يوخذون به الخ .

وقال في (كشف الظنون) الاجازة العامة أجازها جماعة من الحفاظ فجمعهم طائفة من العلماء كالشيخ تقي الدين محمد بن رافع المتوفى سنة اثنين وسبعين وستمئة ، فانه صنف فيهم جزءاً ، والحافظ محمد بن حسين بن بدر الكاتب البغدادي رتبهم على الحروف لكثرتهم ، (إجازة المجهول) لأبي بكر أحمد بن علي المعروف بالخطيب البغدادي الحافظ المتوفى بها سنة ثلاث وستين وأربعمئة هـ .

وقال القاضي عياض في (الغنية) في ترجمته ما نصه : زعيم فقهاء وقته بأقطار الأندلس والمغرب ، ومقدمهم المعترف له بصحة النظر وجودة التأليف ودقة الفقه ، وكان إليه المفزع في المشكلات ، بصيراً بالأصول

والفروع والفرائض ، والتفنن في العلوم ، وكانت الرواية أغلب عليه من الدراية ، كثير التصانيف مطبوعها ، ألف كتابه المسمى بكتاب (البيان والتحصيل) في شرح كتاب العتبي المستخرج من الأسمعة وهو كتاب عظيم ينيف على عشرين مجلداً، وكتابه على الكتب المدونة المسمى بـ (المقدمات)، وكتابه في اختصار الكتب المبسوطة من تأليف يحيى بن إسحاق بن يحيى بن يحيى ، وتهذيبه لكتاب الطحاوي و (مشكل الآثار) وأجزاء كثيرة في فنون من العلم مختلفة ، وكان مطبوعاً في هذا الباب ، حسن القلم والرواية ، حسن الدين ، كثير الحياء ، قليل الكلام، متسمتاً ، نزهاً، مقدماً عند أمير المسلمين، عظيم المنزلة معتمداً في العظائم أيام حياته ، ولي قضاء الجماعة بقرطبة سنة إحدى عشرة وخمسمئة ، ثم استعفى منها سنة خمس عشرة إثر الهيْم الكائن بها من العامة وأعفي وزاد جلالة ومنزلة ، وإليه كانت الرحلة للتفقه من أقطار الأندلس مدة حياته ، ثم قال : جالسته كثيراً ، وسألته ، واستفدت منه ، وسمعت بعض كتابه (اختصار المبسوطة) من تآليفه ، فقرأ عليه وناولني بعضها ، ثم حدث عنه عن أبي العباس العذري إجازة بسنده : مَن حفظ على أمتي أربعين حديثاً يبتغي بذلك وجه الله فيه الحلال والحرام ينذر بالحرام ويبشر بالحلال حشره الله يوم القيامة فقيهاً عالماً ، وبمسألة البيع والشرط التي نظمها ابن غازي بقوله :

بيع الشروط الحنفيُّ حرمه | وجابر سوغ لابن شبرمه
وسوغت لابن أبي ليلى الأمه | ومالك" إلى الثلاث قسمه

وقال غيره : كان القاضي أبو الوليد رحمه الله تعالى يصوم يوم الجمعة دائماً في الحضر والسفر ، توفي رحمه الله ليلة الأحد ودفن عشية الحادي عشر لذي القعدة سنة عشرين وخمسمئة ودفن بمقبرة العباس ، وصلى عليه ابنه أبو القاسم ، وشهد جنازته جمع عظيم من الناس ، وكان الثناء عليه حسناً جميلا ، ومولده في شوال سنة خمسين وأربعمئة ، وكتابه (البيان والتحصيل) و (المقدمات) ليس في مذهب مالك مثلهما ، قال ابن سعادة : سمعنا عليه بعض تآليفه وأجاز لنا سائرها هـ .

وقد نقلنا في مقدمة هذا الكتاب عن تأليف (مناقب شرفاء أمغار) عن صاحب (أنس العارفين) أن أمير المسلمين علي بن يوسف ابن تاشفين بعث إلى المترجم أن يأتي من قرطبة فأتاه إلى حضرة مراكش ، وأشار عليه ببناء

سورها ، فراجعه ثمه ، ونحوه في (الحلل الموشية) ، وقد عد المترجم أبو السعادات ابن الأثير في كتاب (جامع الأصول) من المجددين بمراكش على رأس المئة الخامسة مع أمير المومنين المستظهر بالله العباسي ، ومن الحنفية أبا بكر محمد بن الحسين فخر القضاة ، ومع أبي حامد الغزالي بطوس من الشافعية ، ومع أبي الحسن الزاغوني من الحنابلة ببغداد ، ومع النيسابوري من الزيدية الخ ، ونقله عنه في مقدمة (وفية الأسلاف) ، وذكر في الروضة الثالثة من (أزهار الرياض) أن المترجم جاز إلى المغرب ، ولقي أمير المسلمين المذكـور .

وقال في (الحلل الموشية) : وفي سنة تسع عشرة وخمسمئة جاز القاضي أبو الوليد ابن رشد إلى مراكش فتلقاه أمير المسلمين علي بن يوسف بالمبرة والكرامة ، وبين له القاضي أمر الأندلس وما أصيب به المسلمون من النصارى المعاهدين بها ، وما جروه إليها وجنوه عليها من استدعاء ابن ردمير وتقويته على المسلمين وإمداده ، وما في ذلك من نقض العهد والخروج عن الذمة ، فلقى نظره بالقبول وأفتاه بتغريبهم وإجلائهم عن أوطانهم وهو أخف ما يؤخذ به في عقابهم ، ونفذ عهده إلى جميع بلاد الأندلس بازعاج المعاهدين إلى ناحية مكناسة وسلا وغيرهما من بلاد العدوة فأنكرتهم الاهواء وأكلتهـم الطرق ، انتهى (1) .

ثـم كرر بعد ذلـك بقريب هذا المعنى قائلا بـعده : وكـان توجـه القاضي أبي الوليد ابن رشد إليـه لمراكش في غرضيـن : أحدهما إخراج النصارى المعاهدين عن الأندلس بسبب ما صدر عنهم من الاعانة لابن ردمير واستدعائه حسبما تقدم قبل هذا ، والآخر في عزل أخيه الأمير أبى الطاهر تميم على الأندلس وتقديم غيره (2) .

ورأيت من كتب خزانة الشريف الجليل العالم المعمر الأثيل مولاي إدريس بن قاضي فاس مولاي عبد الهادي العلوي جزءاً من (البيان والتحصيل) للمترجم من عشرين جزءاً ، كان أمر بنسخه السلطان سيدي محمد بن عبد

---

1) الحلل الموشية ص 75 طبع الرباط .

2) الحلل الموشية ص 80 طبع الرباط .

الله قدس الله روحــه عام أربعة وسبعين ومئــة وألف ، وكلف أربعة علمــاء بتصحيحه : الشيخ التاودي ، وسيدي عمر الفاسي ، وسيدي محمد بن عبد القادر ، وسيدي عبد القادر بو خريص ، ومن النساخ الكاتب سيدي أحمــد الغزال ، واستخرج هذا الكاتب كما رأيت بخطه لهذا التاريخ عجائب من اسم الأمير ، ومن اسم العلماء ، ومن اسمه نص الأول ، كتب للأمير 1174 محمد بن عبد الله ، ونص الثاني 1174 محمد التاودي أبو حفص محمد عبد القادر ، ونص الثالث 1174 أحمد بن المهدي الغزال ، كما رأيت المجلد الأخير من الكتاب المذكور وهو الجزء التاسع من تجزئة تسعة أجزاء كبار في خزانة السيد عبد الحي الكتاني ، وعلى هذا الجزء خط الحافظ أحمد الونشريسي ، ثم وقفت عليه تاماً بالخزانة الملوكية بمراكش ، ومن أحسن ما في خزانة القرويين نسخة من كتاب (البيان والتحصيل) للقاضي أبي الوليد ابن رشد في مجلد واحد بقلم واحد في رق غزال ، وقد طبع من كتب المترجم (المقدمات) مع (المدونة الكبرى) بمصر ، غير أنهم لم يطبعوا معها (الجامع) الذي ألفه مؤلفها من جملتهــا .

وولدُ المترجم أبو القاسم أحمد قاضي قرطبة أحد الرواة عن أبيــه المتوفى سنة 563 ترجمه في (الجذوة) وتصحف في نسخة المطبعة منهــا في ترجمة ابن فرج بابن قدح ، وابن رزق بابن رزوق (1) .

فـــائـــدة :

نظــم أبو زيد بن عبــد الله بن عمر السجلمــاسي المضغري تلميــذ اليسيتني الأيمة الأربعة الذين في أول مختصر خليل فقال :

فللخمي تاج حاز فضـــــــــلا	أبو بكر تفضل نـــــــــال أولا
وإن أبا الوليد ثوى كريمــــــاً	ومازري تراه واق ليـــــــــلا

أشار إلى وفاة كل إمام منهم في أوائل الكلم ، فللخمي حساب التاء ، والحاء ، والفاء 388 ، ولأبي بكر بن يونس التاء، والنون، والألف 541 وللمترجم الثاء والكاف 520 ، وللمازري التاء والواو واللام 536 .

1) جذوة الاقتباس 1 : 139 ع 86 طبع الرباط .

تـنـبـيـه :

قال المترجم في أول كتاب (البيان والتحصيل) : مَن جمعه إلى كتابه المسمى بـ (المقدمات) حصل على معرفة ما لا يسع جهله من أصول الديانات وعرف العلم من طريقه ، وأخذه من بابه وسبيله ، وأحكم رد الفرع إلى أصله ، وحصل في درجة مَن يجب تقليده في النوازل المعضلات ، ودخل في زمرة العلماء الذين أثنى الله عليهم في غير ما آية من كتابه ووعدهم بترفيع الدرجات هـ . ونقله الحطاب في (ديباجة المختصر) من (مواهب الجليل) .

فـائـدة :

قال في (النفح) ولما دخل أبو محمد الكلابي الجياني على القاضي ابن رشد قام له فأنشده أبو محمد بديهة :

قام لي السيد الهمـــام ... قاضي قضاة الورى الامـــام
فقلت قم بي ولا تقم لـــي ... فقلما يؤكل القيـــام

488) محمد (المهدي) بن تومرت الهرغي

محمد المعروف بالمهدي ابن عبد الله الملقب تومرت الهرغي ابن عبد الرحمان بن هود بن خالد بن عدنان بن صفوان بن سفيان بن جابر بن يحيى بن عطاء بن رباح بن يسار بن العباس بن محمد ابن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه . هكذا وجده ابن خلكان بخط أهل الأدب من عصره ، وهذا النسب فيه بتر كما نبه عليه الشيخ القصار في نسب المهدي هذا ، وفي نسب الشريف الغرناطي شارح (المقصورة) ، وانظر ترجمة الشريف المذكور في (نفح الطيب) ، وكذا (النبذة المفيدة) لسبط الشاذلي ، وقال ابن خلدون : بعض المؤرخين نسبه إلى سليمان بن عبد الله الكامل ، وبعضهم ينسبه إلى العباس المذكور هـ . وقيل هو دعيٌّ في هذا النسب ، ولد يوم عاشوراء سنة خمس وثمانين وأربعمئة ، وفي تاريخ الزركشي عن (البيان المعرب) لابن سعيد أن مولده سنة 491 ، وقال ابن الخطيب سنة 486 ، وقال الغرناطي سنة 471 ، والهَرْغي بفتح الهاء ، وسكون الراء ، وبعدها غين

معجمة ، هذه النسبة إلى هرغة وهي قبيلة كبيرة من المصامدة في جبل السوس في أقصى المغرب ، وتُوْمَرت بضم التاء المثناة من فوقها ، وسكون الواو ، وفتح الميم بعدها تاء مثناة من فوق وهو لقب والده ، وكان يلقب في صغره أمغار كما في (البيان المعرب) لابن سعيد ، وفي (تاريخ ابن خلدون) قال ابن خلكان : اجتمع محمد بن تومرت بأبي حامد الغزالي ، والكيا الهراسي، والطرطوشي وغيرهم ، وحج وأقام بمكة مدة مديدة ، وحصل قدرا صالحا من علم الشريعة ، والحديث النبوي ، وأصول الفقه والدين ، وكان ورعا ، ناسكاً ، متقشفاً ، مخشوشناً ، مخلولقاً ، كثير الاطراق ، بسّاماً في وجوه الناس ، مقبلا على العبادة ، لا يصحبه من متاع الدنيا الا عصا وركوة ، وكان شجاعاً ، فصيحاً في لساني العرب والبربر ، شديد الانكار على الناس فيمن يخالف الشرع ، لا يقنع في أمر الله بغير اظهاره ، وكان مطبوعاً على الالتذاذ بذلك ، متحملا للأذى من الناس بسببه ، وناله بمكة ـ شرفها الله ـ شيء من المكروه من أجل ذلك ، فخرج منها إلى مصر وبالغ في الانكار فزادوا في أذاه ، وطردته الدولة وكان إذا خاف من البطش وإيقاع الفعل به خلط في كلامه فينسب إلى الجنون ، فخرج من مصر إلى الاسكندرية وركب البحر متوجهاً إلى بلاده ، وكان قد رأى في منامه وهو في بلاد المشرق كأنه شرب ماء البحر جميعه كرتين ، فلما ركب السفينة ، شرع في تغيير المنكر على أهل السفينة وألزمهم إقامة الصلوات وقراءة أحزاب القرءآن العظيم ، ولم يزل على ذلك حتى انتهى إلى المهدية من أرض افريقية ، وكان ملكها يومئذ يحيى بن تميم بن المعز بن باديس الصنهاجي ، وذلك في سنة عشر وخمسمئة ، واجتيازه بمصر كان سنة إحدى عشرة بعدها والله أعلم بالصواب (؟) .

ولما انتهى إلى المهدية نزل بمسجد مغلق وهو على الطريق ، وجلس في طاق شارع إلى المحجة ينظر إلى المارة فلا يرى منكراً من آلة المناهى أو أواني الخمر إلا نزل إليها وكسَّرها ، فتسامع الناس به في البلد ، فجاؤوا إليه وقرؤوا عليه كتاباً من أصول الدين ، فبلغ خبره الأمير يحيى ، فاستدعاه مع جماعة من الفقهاء ، فلما رأى سمته وسمع كلامه أكرمه وأجله وسأله الدعاء

فقال له : أصلحك الله لرعيتك ، ولم يقم بعد ذلك بالمهدية إلا أياماً يسيرة ، ثم انتقل إلى بجاية فأقام بها مدة وهو على حاله في الانكار ، فأ'خرج منها إلى بعض قراها واسمها ملالة ، فوجد بها عبد المومن بن علي القيسي الكومي .

وقال ابن خلدون : انطوى المهدي راجعاً إلى المغرب بحراً متفجراً من العلم وشهاباً وارياً من الدين ، وكان قد لقي بالمشرق أيمة الاشعرية من أهل السنة ، وأخذ عنهم واستحسن طريقهم في الانتصار للعقائد السلفية والذب عنها بالحجج العقلية الدافعة في صدر أهل البدعة ، وذهب إلى رأيهم في تاويل المتشابه من الآي والأحاديث بعد أن كان أهل المغرب بمعزل عن اتباعهم في التأويل والأخذ برأيهم فيه اقتداء بالسلف في ترك التأويل واقرار المتشابهات كما جاءت ، فناظر المهدي أهل المغرب في ذلك وحملهم على القول بالتاويل والأخذ بمذهب الأشعرية في كافة العقائد ، وأعلن بامامتهم ووجوب تقليدهم ، وألف العقائد على رأيهم مثل (المرشدة) في التوحيد ، وكان من رأيه القول بعصمة الامام على رأي الامامية من الشيعة ، ولم تحفظ عنه فلتة في البدعة سواها ، واحتل بطرابلس الغرب معنياً بمذهبه ذلك مظهراً للنكير على علماء المغرب في عدولهم عنه اخذاً نفسه بتدريس العلم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ما استطاع حتى لقي بسبب ذلك إذايات في نفسه احتسبها من صالح عمله .

ولما دخل بجاية وبها يومئذ العزيز (1) بن المنصور بن الناصر بن علناس ابن حماد من أمراء صنهاجة ، وكان من المقترفين ، فاغلظ له ولأتباعه بالنكير وتعرض يوماً لتغيير بعض المنكرات في الطرق فوقعت بسببها هيعة نكرها السلطان والخاصة وائتمروا به ، فخرج منها خائفاً يترقب، ولحق بملالة على فرسخ منها وبها يومئذ بنو ورياكل من قبائل صنهاجة ، وكان لهم اعتزاز ومنعة فآووه وأجاروه وطلبهم السلطان صاحب بجاية باسلامه إليه ، فأبوا وأسخطوه وأقام بينهم يدرّس العلم أياماً ، وكان يجلس إذا فرغ

1) ستاتي ترجمته فيمن اسمه يحيى (مؤلف) .

على صخرة بقارعة الطريق قريبا من ديار ملالة ، وهناك لقيه كبير أصحابه عبد المومن بن علي حاجاً مع عمه ، فأعجب بعلمه وصرف عزمه إليه ، فاختص به وشمر للأخذ عنه .

وفي كتاب (المُعرب عن سيرة ملوك المغرب) أن المهدي كان قد أطلع على كتاب يسمى (الجفر من علوم أهل البيت) يقال أنه عثر عليه عند الشيخ أبي حامد الغزالي رضى الله عنه ، وانه رأى فيه صفة رجل يظهر بالمغرب الأقصى بمكان يسمى السوس وهو من ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الله أن يكون مقامه ومدفنه بموضع من المغرب يسمى باسم هجاء حروفه ت. ي. ن. م. ل. ل. ، ورأى فيه أيضاً أن استقامة ذلك الأمر واستيلاءه وتمكنه يكون على يد رجل من أصحابه هجاء اسمه ع. ب. د. م. و. م. ن. ويجاوز وقته المئة الخامسة للهجرة، فأوقع الله سبحانه في نفسه أنه القائم بهذا الأمر وأن أوانه قد أزف ، فما كان محمد يمر بموضع إلا ويسأل عنه ، ولا يرى أحداً إلا وأخذ اسمه وتفقد حليته ، وكانت حلية عبد المومن معه ، فبينما هو في الطريق رأى شاباً قد بلغ أشده على الصفة التى معه فقال محمد بن تومرت وقد تجاوزه : ما اسمك ياشاب ؟ فقال عبد المومن ، فرجع إليه وقال له : الله أكبر أنت بغيتي ونظر في حليته فوافقت ما عنده فقال له : من أين أقبلت ؟ قال : من كومية ، قال : أين مقصدك ؟ فقال : المشرق ، قال : ما تبغي ؟ قال : علماً وشرفاً ، قال : قد وجدتَ علماً وشرفاً وذكراً اصحبني تنله ، فوافقه على ذلك فألقى محمد إليه بأمره ، وأودعه سره .

قال ابن خلدون وارتحل المهدي إلى المغرب ، وعبد المومن في جملته ، ولحق بوانشريس فصحبه منها عبد الله الوانشريسي المعروف بالبشير ، قال ابن خلكان : وكان جميلا فصيحاً في لغتي العرب والبربر ، ففاوضه المهدي فيما عزم عليه من القيام فوافقه على ذلك أتم موافقة ، وكان البشير ممن تهذب وقرأ فقهاً ، فتذاكر يوماً في كيفية الوصول إلى المطلوب ، فقال المهدي للبشير : أرى أن تستر ما أنت عليه من العلم والفصاحة عن الناس ، وتظهر من العجز واللكن والحصر والتعري عن الفضائل

ما تشتهر به عند الناس لتتخذ الخروج عن ذلك واكتساب العلم والفصاحة دفعة واحدة سبيلا إلى المطلوب ، ويقوم لنا ذلك مقام المعجزة عند حاجتنا إليه فنصدق فيما نقول ، ففعل البشير ذلك ، ثم لحق المهدي بتلمسان وقد تسامع الناس بخبره ، فأحضره القاضي بها وهو ابن صاحب الصلاة ووبخه على منتحله ذلك ، وعلى خلافه لأهل قطره ، وظن القاضي أن من العدل نزعه عن ذلك ، فصمم عن قوله واستمر على طريقه إلى فاس ، فنزل بمسجد طريانة وأقام بها يدرس العلم إلى سنة أربع عشرة وخمسمئة ، ثم انتقل إلى مكناسة فنهى بها عن بعض المنكرات ، فثار إليه الغوغاء وأوجعوه ضرباً ، ثم لحق بمراكش وأقام بها ءاخذاً في شأنه ولقي بها أمير المسلمين علي بن يوسف بالمسجد الجامع عند صلاة الجمعة ، فوعظه واغلظ له في القول ، ولقي ذات يوم أخت أمير المؤمنين حاسرة قناعها على عادة قومها الملثمين في زي نسائهم ، فوبخها ودخلت على أخيها باكية لما نالها من تقريعه ، ففاوض أمير المسلمين الفقهاء في شأنه بما وصل إليه من سيرته وكانوا قد مُلِئوا منه حسداً وحفيظه لما كان ينتحل من مذهب الأشعرية في تاويل المتشابه ، وينكر عليهم جمودهم على مذهب السلف في اقراره كما جاء ، ويرى أن الجمهور لقنوه تجسيماً ويذهب إلى تكفيرهم بذلك على أحد قولي الأشعرية في التكفير ، فأغروا الأمير به فأحضره للمناظرة معهم ، فكان له الفلج والظهور عليهم .

وقال ابن خلكان كان محمد المهدي قد استدنى أشخاصاً من أهل المغرب جلاداً في القوى الجسمانية اغماراً ، وكان أميل إلى الاغمار من أولى الفطن والاستبصار ، فاجتمع له منهم ستة نفر سوى عبد الله البشير ، ثم انه رحل إلى أقصى المغرب ، وتوجه في أصحابه إلى مراكش وملكها يومئذ علي بن يوسف ابن تاشفين ، وكان ملكاً عظيماً ، حليماً ، ورعاً ، عادلا ، متواضعاً ، وكان بحضرته رجل يقال له مالك بن وهيب الأندلسي (1) وكان عالماً صالحاً ، زاد ابن خلدون عارفاً بالنجوم ، فشرع محمد المهدي في الانكار على جري عادته حتى أنكر على ابنة الملك فبلغ خبره الملك وانه يتحدث في تغيير الدولة ، فتحدث مع مالك بن وهيب في أمره فقال مالك بن

1) أنظر ترجمته في 3 : 276 ع 465 من هذا الكتاب .

وهيب : نخاف من فتح باب يعسر علينا سده ، والرأي أن تحضر هذا الشخص وأصحابه لنسمع كلامهم بحضور جماعة من علماء البلاد ، فأجاب الملك إلى ذلك ، وكان المهدي وأصحابه مقيمين في مسجد خراب خارج البلد فطلبوهم ، فلما ضمهم المجلس قال الملك لعلماء بلده : « سلوا هذا الرجل ما يبغى منا » فانتدب له قاضي المرية واسمه محمد بن أسود فقال : ما هذا الذي يذكر عنك من الأقوال في حق الملك العادل الحليم المنقاد إلى الحق المؤثر طاعة الله تعالى على هواه ، فقال له المهدي : أمّا ما نقل عني فقد قلته ولي من ورائه أقوال ، وأما قولك وانه يؤثر طاعة الله على هواه وينقاد إلى الحق ، فقد حضر اعتبار صحة هذا القول عنه ليعلم بتعريه عن هذه الصفة أنه مغرور بما تقولون لــه وتضرونه به مع علمكم أن الحجة متوجهة عليه ، فهل بلغك ياقاضي أن الخمر تباع جهاراً ،وتمشي الخنازير بين المسلمين وتؤخذ أموال اليتامى ، وعدّدَ من ذلك شيئاً كثيراً ، فلما سمع الملك كلامه ذرفت عيناه واطرق حيــاءاً ، ففهم الحاضرون مــن فحوى كلامه أنه طامع في المملــكة لنفسه ، ولما رأوا سكوت الملك وانخداعه لقوله لم يتكلم أحد منهم ، فقال مالك ابن وهيب ، وكان كثير الاجتراء على الملك ، أيها الملك إن عندي لنصيحة إن قبِلتهــا حمدتَ عاقبتها ، وان تركتها لم تأمن غائلتها ، فقال الملك : ما هي ، فقال : إني أخاف عليك من هذا الرجل وأرى أن تعتقله وأصحابه وتنفق عليهم كل يوم ديناراً لتكفى شره ، وإن لم تفعل فلتنفقن عليه خزائنك كلها ثم لا ينفعك ذلك ، فوافقه الملك على رأيه ، فقال له وزيره : يقبح بك أن تبكي من موعظة رجل ، ثم تسيء إليه في مجلس واحد ، وان يظهر منك الخوف منه على عظم ملكك وهو رجل فقير لا يملك سد جوعته ، فلما سمع الملك كلامه أخذته عزة النفس واستهون أمره فصرفه وسأله الدعاء .

وقال ابن خلدون : كان مالك بن وهيب حزاء ينظر في النجوم ، وكان الكهان يتحدثون بأن ملكاً كائن بالمغرب في أمة من البربر ، ويتغير فيه شكل السمكة لقران بين الكوكبين العلويين من السيارة يقتضي ذلك ، فقال مالك بن وهيب احتفظوا بالدولة من الرجــل فانه صاحب القران والدرهم المربــع ، فطلبه علي بن يوسف ففقده وسرح الخيالة في طلبه ففاتهم .

وحكى صاحب (المعرب) أن المهدي لما خرج من عند أمير المسلمين لم يزل وجهه تلقاءَ وجهه إلى أن فارقه ، فقيل له نراك قد تأدبت مع الملك إذ لم توله ظهرك ، فقال : أردت أن لا يفارق وجهي الباطل حتى أغيره ما استطعت ، انتهى كلامه .

فلما خرج المهدي وأصحابه من عند الملك قال لهم : لا مقام لكم هنا بمراكش مع وجود مالك بن وهيب ، فما نأمن أن يعاودوا الملك في أمرنا فينالنا منه مكروه ، وإن لنا بمدينة أغمات أخا في الله فنقصد المرور به فلن نعدم منه رأياً ودعاء صالحاً ، واسم هذا الشخص عبد الحق بن إبراهيم وهو من فقهاء المصامدة ، فخرجوا إليه ونزلوا عليه وأخبره محمد بن تومرت خبرهم وأطلعه على مقصدهم وما جرى لهم مع الملك ، فقال عبد الحق : هذا الموضع لا يحميكم وان أحصن المواضع المجاورة لهذا البلد « تينملل » ، وبيننا وبينها مسافة يوم في هذا الجبل ، فانقطعوا فيه برهة ريثما يتناسى ذكركم ، فلما سمع المهدي بهذا الاسم تجدد له ذكر اسم الموضع الذي رءاه في كتاب (الجفر) ، فقصده مع أصحابه ، وقال ابن خلدون : لما لحق المهدي بأغمات غيَّر المنكرات على عادته ، فأغري به أهل أغمات عليٌّ بن يوسف ، وطيَّروا إليه بخبره ، فخرج منها هو وتلامذته الذين كانوا معه في صحبته ، فلحق أولا بمسفيوة ، ثم بهنتاتة ولقيه بها الشيخ عمر بن يحيى الهنتاتي جد الملوك الحفصيين أصحاب تونس وأفريقية ، ثم ارتحل المهدي عنهم إلى هرغة فنزل على قومه ، وذلك سنة خمس عشرة وخمسمئة ، وبنى رابطة للعبادة ، فاجتمع عليه الطلبة من القبائل وأخذ يعلمهم (المرشدة) له في التوحيد باللسان البربري ، وشاع أمره ثم داخل عامل لمتونة على السوس أناساً من هرغة في قتله ونذر بهم اخوانهم ، فنقلوا المهدي إلى معقل من أشياعهم وقتلوا من داخل في أمره ودعوا المصامدة إلى مبايعته على التوحيد وقتال المجسمة دونه سنة خمس عشرة وخمسمئة ، فتقدم إليها رجالاتهم من العشرة وغيرهم ، وكان فيهم من هنتاتة عمر بن يحيى ، وأبو يحيى بن يكيت ، ويوسف بن وانودين ، وابن يغمور ، ومن تينملل عمر بن علي الصناكي ، ومحمد بن سليمان ، وعمر بن تافركين وغيرهم ، وأوعبت

قبيلة هرغة فدخلوا في أمره كلهم ،ثم دخل معهم كدميوة وكنفيسة ، ولما كملت بيعته لقبوه بالمهدي ، وكان قبلها يلقب بالامام ، وكان يسمِّي أصحابه الطلبة وأهل دعوته الموحدين تعريضاً بلمتونة في أخذهم بالعدول عن التأويل وميلهم إلى التجسيم ، ولما تم له من أصحابه خمسون سماهم ءاية الخمسين ، ثم زحف إليهم عامل لمتونة على السوس وهم بمكانهم من هرغة ، فاستجاشوا إخوانهم من هنتاتة وتينملل ، فاجتمعوا إليهم وأوقعوا بعسكر لمتونة ، فكانت تلك باكورة الفتح ، وكان المهدي يَعدهم بذلك فاستبصروا في أمره وتسابقت كافتهم إلى الدخول في دعوته ، وترددت إليهم عساكر لمتونة مرة بعد أخرى ففضوهم ، وانتقل لثلاث سنين من بيعته إلى جبل تينملل فأوطنه وبنى داره ومسجده بينهم ، وحوالي منبع وادي نفيس قاتل من تخلف عن بيعته من المصامدة فاستقاموا له ، هذا كلام ابن خلدون في سياقه هذا الخبر جئنا به مختصراً .

واقتضى كلام ابن خلكان أن ظهور المهدي ومبايعته لم تكن إلا بتينملل فانه قال عقب ما سبق له من أن الفقيه عبد الحق بن إبراهيم المصمودي أشار على المهدي بالمسير إلى تينملل ، وأن المهدي لما سمع هذا الاسم تجدد له ذكر فيه فقصده مع أصحابه ، فلما أتوه رءاهم أهله على تلك الصورة ، فعلموا أنهم طلاب علم فقاموا إليهم وأكرموهم وتلقوهم بالترحاب وأنزلوهم في أكرم منازلهم ، وسأل أمير المسلمين عنهم بعد خروجهم من مجلسه فقيل له إنهم سافروا فسرّه ذلك وقال : تخلصنا من الاثم بحبسهم ، ثم إن أهل الجبل تسامعوا بوصول المهدي إليهم وكان قد سار فيهم ذكره ، فجاءوه من كل فج عميق وتبركوا بزيارته ، وكان كل من أتاه استدناه وعرض عليه ما في نفسه من الخروج على السلطان فان أجابه أضافه إلى خواصه وإن خالفه أعرض عنه ، وكان يستميل الأحداث وذوي الغِرة ، وكان ذوو الحنكة والعقل والحلم من أهاليهم ينهونهم ويحذرونهم من اتباعه ويخوفونهم سطوة السلطان ، فكان لا يتم له مع ذلك أمر ، وطالت المدة وضاق المهدي من مفاجأة الأجل قبل بلوغ الأمل ، وخشي أن يطرأ على أهل الجبل من جهة الملك ما يحوجهم إلى إسلامه إليه والتخلي عنه ، فشرع في إعمال الحيلة فيما يشاركونه فيه ليعصوا

على الملك بسببه ، فرأى بعض أولاد القوم شقراً زرقاً وألوان آبائهم السمرة والكحل ، فسألهم عن سبب ذلك فلم يجيبوه فألزمهم الاجابة فقالوا : نحـن من رعية هذا الملك ، وله علينا خراج ، وفي كل سنة تصعد مماليكه إلينـا وينزلون في بيوتنا ويخرجونا عنها ويختلون بمن فيها من النساء ، فتأتـى أولادنا على الصفة وما لنا قدرة على دفع ذلك عنا ، فقال المهـدي : والله إن الموت خير من هـذه الحياة ، وكيف رضيتم بهـذا وأنتم أضربُ خلـق الله بالسيف ، واطعنُهم بالرمح ، فقالوا بالرغم لا بالرضى ، فقال : أرأيتم لو أن ناصراً نصركم على أعدائكم ما كنتم تصنعون ، قالوا : كنا نقدّم أنفسنا بين يديه للموت ، ثم قالوا : ومن هو ؟ قال : ضيفكم ، يعني نفسَه ، فقالـوا : السمع والطاعة ، وكانوا يغالون في تعظيمه فأخذ عليهم العهود والمواثيـق واطمأن قلبه ، ثم قال لهم : استعدوا لحضور هؤلاء بالسلاح ، فاذا جاءوكم على عادتهم خلّوا بينهـم وبين النساء ومِيلوا عليهـم بالخمور ، فاذا سكـروا فآذنوني بهم ، فلما حضر المماليك وفعل بهم أهل الجبل ما أشار به المهدي ، وكان ذلك ليلا ، أعلموه بذلك ، فأمر بقتلهم كلهم ، فلم يمض من الليل ساعة حتى أتوا على ءاخرهم ، ولم يفلت منهم سوى مملوك واحد كان خارج المنازل لحاجة له فسمع التكبير عليهم والايقاع بهم ، فهرب على غير الطريق حتـى خلص من الجبل ولحق بمراكش ، فأخبر الملك بما جرى ، فندم على فوات محمد بن تومرت من يده وعلم أن الحزم كان مع مالك بن وهيب فيما أشار به ، فجهز من وقته خيلا بمقدار ما يسع وادي تينملل ، فانه ضيـّق المسلك ، وعلم المهدي أنه لا بد من عسكر يصل إليهم ، فأمر أهل الجبل بالقعود على انقاب الوادي ومراصده ، واستنجد لهم بعض المجاورين ، فلما وصلت الخيل إليهم أقبلت عليهم الحجارة من جانبي الوادي مثل المطر ، وكان ذلك من أول النهار إلى ءاخره ، وحال بينهم الليل ، فرجع العسكر إلى الملك وأخبروه بما تم لهم ، فعلم أنه لا طاقة له بأهل الجبل لتحصنهم ، فأعرض عنهم ، وتحقق المهدي ذلك منه وصَفَتْ له مودة أهل الجبل ، فعند ذلك استدعى عبد الله البشير وقال له : هـذا أوان إظهار فضائلك دفعـة واحدة ليقوم لك مقام المعجـزة لنستميل بذلك قلوب من لم يدخل في الطاعة ، ثم اتفقا على أنه يصلي الصبح

ويقول بلسان فصيح بعد استعمال العُجمة واللكنة فى تلك المدة : إني رأيت البارحة في منامي أنه نزل إليَّ ملَكان من السماء وشقَّا فؤادي وغسلاه وحشواه علماً وحكمة وقرءاناً ، فلما أصبح فعل ذلك وهو فصل يطول شرحه ، فانقاد له كل صعب القياد ، وعجبوا من حاله وحفظه القرءان في النوم ، فقال له محمد بن تومرت : فعجل لنا بالبشرى في أنفسنا وعرفنا أَسعداء نحن أم أشقياء ؟ فقال له : أما أنت فانك المهدي القائم بأمر الله ومن تبعك سعد ومن خالفك هلك ، ثم قال : اعرض أصحابك عليَّ حتى أميز أهل الجنة من أهل النار ، وعمل في ذلك حيلة قتل بها كل من خالف أمر محمد بن تومرت ، وابقى من أطاعه ، وشرح ذلك يطول ، وكان غرضه أن لا يبقي في الجبل مخالفاً لهم ، فلما قتل مَن قتل علم محمد بن تومرت أن في الباقين من له أهل وعشيرة قتلوا ، وأنهم لا تطيب نفوسهم بذلك ، فجمعهم وبشرهم بانتقال مُلْك مراكش اليهم ، واغتنام أموالهم ، فسرهم ذلك وسلاهم عن أهلهم ، وبالجملة فان تفصيل هذه الواقعة طويل ، ولسنا بصدد ذلك ، وخلاصة الأمر أن محمد بن تومرت لم يزل حتى جهز جيشاً عدد رجاله عشرة ءالاف بين فارس وراجل ، وفيهم عبد المومن بن علي ، وعبد الله البشير وأصحابه كلهم ، وأقام هو بالجبل فنزل لحصار مراكش وأقاموا عليها شهراً ، ثم كسروا كسرة شنيعة ، وهرب من سلم منهم من القتل ، وكان فيمن سلم عبد المومن ، وقُتل البشير ، وبلغ الخبر المهدي وهو بالجبل ، وقد حضرته الوفاة قبل عود أصحابه إليه ، فأوصى من حضر أن يبلغ الغائبين أن النصر لهم ، وأن العاقبة حميدة ، فلا يضجروا وليعاودوا القتال فان الله سبحانه وتعالى سيفتح على أيديهم ، وأن الحرب سجال ، وأنكم ستقوون ويضعفون ويقلون وتكثرون ، وأنتم في مبدأ أمرٍ وهم في آخره ، وأشباه هذه الوصايا وهي وصية طويلة .

انتهى كلام ابن خلكان (1) .

وقال ابن خلدون : لما كان شأن عبد الله البشير وميز الموحد من المنافق، اعتزم المهدي على غزو لمتونة ، فجمع كافة أهل دعوته من المصامدة وزحف إليهم فلقوه بكبكب وهزمهم الموحدون واتبعوهم إلى أغمات فلقيتهم هنالك زحوف لمتونة مع أبي بكر بن علي بن يوسف ، وإبراهيم بن تاعماشت ،

1) وفيات الأعيان 5 : 45 تحقيق الدكتور احسان عباس .

فهزمهم الموحدون ، وفرَّ إبراهيم وجنده واتبعوهم إلى مراكش فنزلوا البحيرة فى زهاء أربعين ألفاً كلهم راجل إلا أربعمئة فارس ، واحتفل علي بن يوسف في الاحتشاد وبرز إليهم لأربعين من نزولهم ، خرج عليهم من باب أيـلان ، فهزمهم واثخن فيهم قتلا وسبياً وفقد البشير واستمر القتل في هيلانة وأبلى عبد المومن في ذلك اليوم أحسن البلاء ، وقيل للمهدي إن الموحدين قد هلكوا، فقال لهم : ما فعل عبد المومن؟ قالوا : هو على جواده الأدهم قد أحسن البلاء فقال ما بقي عبد المومن فلم يهلك أحد .

وقال ابن الخطيب في (رقم الحلل) كانت وقعة البحيرة بأحواز مراكش قـد استأصلت معظم أصحاب المهدي وكـادت تأتي عليهم ، ومع ذلـك لم تضع منه ولا وهنت صبره ، وكان يقول مثل هذا الأمر كالفجر يتقدمه الفجر الكاذب وبعده ينبلج الصبح ويستعلي الضوء ، ويأمرهم باتخاذ مرابط الخيل التي ينالون من فيء عدوهم بغدها ، وأنه يعطى الرجل على قدر ما أعد مـن المرابط إلى غيرذلك ، فهذا خبر المهدي مختصراً من ابن خلدون ممزوجاً بما نقله ابن خلكان من ذلك .

وقد ساق ابن أبي زرع في (القرطاس) خبر المهدي هذا وفيه بعض مخالفة لما تقدم فلنأت به وإن أدى إلى بعض التكرار زيادة في الامتاع وتحلية للأسماع ، فنقول قال ابن أبي زرع ما ملخصه : إن المهدي رحل إلى المشرق في طلب العلم ولقي مشايخ ، وسمع منهم وأخذ عنهم علماً كثيراً وحفظ جملة من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونبغ في علم الأصول والاعتقادات، وكان في جملة من لقي من العلماء الشيخ أبو حامد الغزالي رضي الله عنه ، ولازمه ثلاث سنين ، وكان الشيخ أبو حامد كثيراً ما يشير إلى المهدي ويقول: إنه لا بد أن يكون له شأن ، ونمى الخبر بذلك إلى المهدي فلم يزل يتقرب إلى الشيخ بأنواع الخدمة حتى أطلعه على ما عنده من العلم في ذلك ، فلما تحققت عنده الحال استخار الله وعزم على الترحال ، فخرج قاصداً بلاد المغرب غرة ربيع الأول سنة عشر وخمسمئة ، ولازم في طريقه درس العلم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى أن اجتمع به عبد المومن بن علي فبايعه على مؤازرته في

الشدة والرخاء والعسر واليسر ، ثم قدم بلاد المغرب واستقر بمراكش ، وكانت له فصاحة وعليه مهابة ، فأخذ يطعن المرابطين وينسبهم إلى الكفر والتجسيم ، ويشيع ، عند من يثق به ويسكن إليه ، أنه المهدي المنتظر الذي يملأ الأرض عدلا كما مُلئت جوراً ، وجرى منه بمراكش من تغيير المنكر ونحوه ما تقدم ذكره ، فاتصل خبره بعلي بن يوسف اللمتوني فأحضره وقال له : ما هذا الذي بلغنا عنك ، فقال إنما أنا رجل فقير أطلب الآخرة وءامر بالمعروف وأنهى عن المنكر ، وأنت أيها الملك أولى من يفعل ذلك فانك المسؤول عنه ، وقد ظهرت بمملكتك المنكرات ، وفشت البدع وقد وجب عليك احياء السنة وإماتة البدعة ، وقد عاب الله تعالى أمة تركوا النهي عن المنكر فقال : « كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، لبيس ما كانوا يفعلون » فلما سمع أمير المسلمين كلامه تاثر له وأخذه وأطرق مفكراً ، ثم أمر باحضار الفقهاء، فحضر منهم ما اغص المجلس ، ثم قال أمير المسلمين : اختبروا الرجل فان كان عالماً اتبعناه وإلا أدبناه ، وكان المهدي فصيحاً لَسِناً ذا معرفة بالأصول والجدل ، وكان الفقهاء الذين حضروا أصحاب حديث وفروع ، فدارت بينهم محاورة ومذاكرة أسكتهم فيها وبان عجزهم عنه ، فعدلوا عن المذاكرة إلى الممالأة وأغروا به أمير المسلمين وقالوا : هذا رجل خارجي وإن بقي بالمدينة أفسد عقائد أهلها ، فأمره أمير المسلمين بالخروج من البلد ، فخرج إلى الجبانة ، وضرب بها خيمة جلس فيها وصار الطلبة يترددون إليه لأخذ العلم عنه ، فكثر جمعه وأحبته العامة وعظموه ، وانتهى خبره إلى أمير المسلمين ثانياً ، ونقل إليه أنه يطعن في الدولة ، فأحضره مرة أخرى وقال له : أيها الرجل اتق الله في نفسك ، ألم أنهك عن عقد الجموع والمحازب وأمرتك بالخروج من البلد ؟ فقال : أيها الملك قد امتثلت أمرك وخرجتُ من المدينة إلى الجبانة ، واشتغلت بما يعنيني فلا تسمع لأقوال المبطلين ، فتوعده أمير المسلمين وهمّ بالقبض عليه ، ثم عصمه الله منه ليقضي الله أمراً كان مفعولا ، ولما انفصل المهدي عن المجلس أغرى الحاضرون أمير المسلمين به وشرحوا له جلية أمره وما يدعو إليه ، فاستدرك أمير المسلمين فيه رأيه ، وبعث إليه من يأتيه برأسه ، فسمع بذلك بعض بطانته فمر مسرعاً حتى إذا قرب من

الخيمة فرأ قوله تعالى : « ياموسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك » الآيــة ، فسمعها المهدي وفطــن لها ، فانسل من حينه وخرج حتى أتى تينملل ، فأقام بها وذلك في شوال سنة أربع عشرة وخمسمئة (يناير 1121 م) ، ثم لحق به أصحابه العشرة السابقون إلى دعوته والمصدقون بامامته ، وهم عبــد المومن بن علي الــكومي ، وعبد الله البشير الونشريسي ، وعمر بن يحيى الهنتاتــي ، وأبو يحيى بــن يكّيت الهنتاتي ، وعمر بــن علي ءاصناك وإبراهيم بن إسماعيل الخزرجي ، وأبو محمد عبد الواحد الحضري ، وأبــو عمران موسى بن تماري ، وسليمان بن خلوف ، وعاشر ، فأقاموا بتينملل إلى رمضان من سنة خمس عشرة وخمسمئة ، فعظم صيته بجبل درن ، وكثرت أتباعه ، فلما رأى ذلك أظهر دعوته ودعا الناس إلى بيعته ، فبايعه العشرة البيعة الخاصة عقب صلاة الجمعة خامس عشر رمضان من السنة ، ولما كان الغد وهو يوم السبت ، خرج المهدي في أصحابه العشرة متقلدين السيوف وتقدم إلى الجامع ، فصعد المنبر وخطب الناس وأعلمهم أنه المهدي المنتظر ، ودعاهم إلى بيعته فبايعوه البيعة العامة ، ثم بثّ دعاته في بــلاد المصامدة يدعون الناس إلى بيعته ويزرعون محبته في قلوبهم بالثناء عليه ، ووصفــه بالزهد وتحري الحق وإظهار الكرامات ، فانثال الناس عليه من كل جهة ، وسمّى أتباعه الموحدين ، ولقنهم عقائد التوحيد باللسان البربري ، وجعل لهم فيه الأعشار والأحزاب والسُّوَر ، وقال مَن لا يحفظ هذا التوحيد فليس بموحد لا تجوز إمامته ، ولا تؤكل ذبيحته ، فاستولت محبته على قلوبهم ، وعظموه ظاهراً وباطناً حتى كانوا يستغيثون به في شدائدهم ، وينوهــون باسمه على منابرهم ، ولم تزل الوفود تترادف عليه حتى اجتمع عليه جمّ غفير، فلما علم أن ناموسه قد رسخ وسلطانه قد تمكن قام فيهم خطيباً وندبهم إلى جهاد المرابطين ، وأباح لهم دماءهم وأموالهم ، فانتدب الناس وبايعوه على الموت ، فانتخب منهم عشرة آلاف من أنجاد الموحدين وقدّم عليهم عبد الله البشير ، وعقد له راية بيضاء ودعا لهم ، وانصرفوا فقصدوا إلى مدينة أغمات ، وانتهى الخبرُ إلى أمير المسلمين فجهز لقتالهم جيشاً من الحشم والأجناد ، فلما التقــوا انتصر عليهم الموحدون ، وهزموهم واتبعوهــم بالسيف حتى

أدخلوهم مراكش وحاصروها أياماً ، ثم أفرجوا عنها حين تكاثرت عليهم جيوش لمتونة، وكان ذلك ثالث شعبان سنة ستّ عشرة وخمسمئة، وقسم المهدي الغنائم التي غنموها من عسكر المرابطين وتلا عليهم قوله تعالى:« وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجّل لكم هذه » الآية ، وانتشر ذكر المهدي بجميع أقطار المغرب والأندلس ، وأركب جل جيشه من خيل المرابطين التي غنموها ، ثم غزا مراكش بنفسه فعبّأ جيشه وسار حتى نزل بجبل گليز بقرب المدينة ، فأقام محاصراً لها ثلاث سنين يباكرها بالقتال ويراوحها ، من سنة ست عشرة إلى سنة تسع عشرة ، ولما ضجر من مقامه هناك نهض إلى وادي نفيس وانحدر مع مسيله يدعو الناس لطاعته ويقاتل من أبى منهم ، فانقاد له أهل السهل والجبل وبايعته جدميوة ، ثم غزا بلاد رجراجة ، فأخذهم بالدعاء إلى توحيد الله وشرائع دينه ، وسار في بلاد المصامدة يقاتل مَن أبى ويسالم مَن أجاب ، ففتح بلاداً كثيرة ودخل في دعوته عالم كثير من المصامدة، ورجع إلى تينملل فأقام بها شهرين ريثما استراح الناس ، ثم غزا مدينة أغمات وبلاد هِزرجة (1) في ثلاثين ألفاً من الموحدين ، فاجتمع على حربه أهل أغمات وهزرجة وخلق كثير من الحشم ولمتونة وغيرهم ، فانتصر عليهم الموحدون فهزموهم وقتلوا منهم خلقاً كثيراً ، وقسم المهدي أنفالهم بين الموحدين ، ثم غزا أهل درن ففتح قلاعه وحصونه وطاع له جميع من فيه من قبائل هرغة وهنتاتة وجنفيسة وغيرهم ، ثم عاد إلى تينملل فأقام بها ريثما استراح الناس، ثم ندبهم إلى غزو مراكش وجهاد المرابطين ، وقدم عليهم عبد المومن بن علي وعبد الله البشير ، وخص عبد المومن بامامة الصلاة ، فساروا حتى انتهوا إلى أغمات ، فلقيهم بها أبو بكر بن علي بن يوسف في جيش كثيف من لمتونة وقبائل صنهاجة فاقتتلوا ودامت الحرب بينهم ثمانية أيام ، ثم انتصر عليهم الموحدون ، فهزموا أبا بكر وجيشه إلى مراكش وقتلوهم في كل طريق وحاصروا مراكش أياماً ، ثم رجعوا إلى تينملل ، فخرج المهدي للقائهم ،

---

1) تعريب كلمة ايزركا اسم قبيلة بربرية شهيرة ، والنسبة العربية اليها هزرجى بكسر بكسر الهاء ، والنسبة البربرية ايزركي والجمع ايزركيين، ولا تزال بقية القبيلة بناحية وادى درعة والساقية الحمراء ويعرفون بالايزركيين والزركيين .

فرحب بهم وعرّفهم بما يكون لهم من النصر والفتح وما يملكونه من البلاد ، ثم كانت وفاته عقب ذلك على ما نذكره إن شاء الله ، فهذا سياق ابن أبي زرع لهذه الأخبار والله أعلم بالصواب (1) .

بقية اخبار المهدي وبعض سيرته إلى وفاته

كان المهدي رجلا ربعة ، أسمر ، عظيم الهامة ، غائر العينين ، حديد النظر ، خفيف العارضين ، له شامة سوداء على كتفه الأيمن ، ذا سياسة ودهاء وناموس عظيم ، وكان مع ذلك عالماً ، فقيهاً ، راوياً للحديث ، عارفاً بالأصول والجدل ، فصيح اللسان ، مقدماً على الأمور العظام غير متوقف في سفك الدماء ، ويهون عليه إتلاف عالم في بلوغ غرضه ، وكان حصوراً لا يأتي النساء ، وكان متيقظاً في أحواله ضابطاً لما ولي من سلطانه ، أنشد صاحب كتاب (المعرب) في حقه :

آثاره تنبيك عن أخباره حتى كأنك بالعيان تراه

ثم قال:له قَدَم" في الثرى،وهمة" في الثريا،ونفس ترى إراقة ماء الحياة دون إراقة ماء المحيا،أغفل المرابطون حلّه وربطه حتى دب إليهم دبيب الفلق في الغسق وترك في الدنيا دوياً ، أنشأ دولة لو شاهدها أبو مسلم ، لكان لعزمه فيها غير مسلم ، وكان قوته من غزل أخت له في كل يوم رغيفاً بقليل سمن أو زيت ، ولم ينتقل عن هذا حين كثرت عليه الدنيا ، ورأى أصحابه يوماً وقد مالت نفوسهم إلى كثرة ما غنموه ، فأمر بضم ذلك جميعه وإحراقه ، وقال : من كان يتبعني للدنيا فليس له عندي إلا ما رأى ، ومن تبعني للآخرة فجزاؤه عند الله ، وكان على خمول زيه وبسط وجهه مهيباً منيع الحجاب إلا عند مظلمة ، وله رجل مختص بخدمته والاذن عليه ، وكان له شعر فمن ذلك قوله :

أخذت بأعضادهم إذ نأوا وخلفك القوم إذ ودعوا
فكم أنت تنهى ولا تنتهي وتسمع وعظاً ولا تسمع
فيا حجر السنّ حتى متى تسنُّ الحديدَ ولا تقطع

1) الأنيس المطرب بروض القرطاس ص 172 — 179 طبع الرباط مع تصرف .

وكان كثيراً ما ينشد :

تجرد من الدنيا فانك إنمـــــــا   خرجت إلى الدنيا وأنت مجـــــرد

وكان يتمثل أيضاً بقول أبي الطيب المتنبي :

إذا غامرت في شرف مـــــروم   فلا تقنع بما دون النجـــــــوم
فطعم الموت في أمر حقيـــــر   كطعم الموت في أمر عظيـــــم

وبقوله أيضاً :

ومن عرف الأيام معرفتي بهـــــا   وبالناس روى رمحه غير راحــــم
فليس بمرحوم إذا ظفروا بـــــه   ولا في الردى الجاري عليهم بآثـم

وبقوله أيضاً :

وما أنا منهم بالعيش فيهـــــم   ولكن معدن الذهب الرغـــــام

وقال ابن الخطيب في (رقم الحلل) : قالوا كان محمد بن تومرت يزعم أنه مأمور بنوع من الوحي والالهام ، وينكر كتب الرأي والتقليد ، وله باع في علم الكلام وغلبت عليه نزغة خارجية ، وكان ينتحل القضايا الاستقبالية ويشير إلى الكوائن الآتية ، ورتّب قومه ترتيباً غريباً ، فمنهم أهل الدار وأهل الجماعة ، وأهل الساقة ، وأهل خمسين ، وأهل سبعين ، والطلبة والحفاظ وأهل القبائل .

فأهل الدار للامتهان والخدمة ، وأهل الجماعة للتفاوض والمشورة ، وأهل الساقة للمباهاة ، وأهل سبعين وخمسين والحفاظ والطلبة لحمل العلم والتلقي ، وسائـر القبائل لمدافعة العدو ، كـان يعلمهم أوجه العبادات فـي العادات ، قلت من ذلك : إن طائفة من المصامدة عسر عليهم حفظ الفاتحـة لشدة عجمتهم فعدّد كلمات أم القرءان ولقّب بكل كلمة منها رجلا فصفهـم صفاً وقال لأولهم : اسمك الحمد لله ، والثاني رب العالمين . وهكذا حتى تمت كلمات الفاتحة ، ثم قال لهم : لا يقبل الله منكم صلاة حتى تجمعوا هذه الأسماء على نسقها في كل ركعة ، فسهل عليهم الأمر وحفظوا أم القرءان، ذكره صاحب

(المعرب) ، قالوا وهو أول من أحدث (أصبح و لله الحمد) في أذان الصبح،ومن جراءته وإقدامه وتهالكه على تحصيل مراميه ما حكاه صاحب (القرطـاس) قال : كانت بين الموحدين والمرابطين حرب فقتل من الموحدين خلق كثير ، فعظم ذلك على عشائرهم ، فاحتال المهدي بأن انتخب قوماً من أتباعه ودفنهم أحياء بموضع المعركة ، وجعل لكل واحد منهم متنفساً في قبره وقال لهم : إذا سُئلتم عن حالكم فقولوا : « قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً » ، وأن ما دعا إليه الامام المهدي هو الحق ، فجدوا في جهاد عدوكم ، وقال لهم : إذا فعلتم ذلك أخرجتكم وكانت لكم عندي المنزلة العالية ، وقصد بذلك أن يثبتهم على التمسك بدعوته ويهون عليهم ما لقوا من القتل والجراحات بسببه ، ثم جمع أصحابه عند السحر وقال لهم : أنتم يا معشر الموحدين حزب الله وأنصار دينه وأعوان الحق ، فجدوا في قتال عدوكم فانكم على بصيرة من أمركم ، وإن كنتم ترتابون فيما أقوله لكم فأتوا موضع المعركة وسلوا من استشهد اليوم من إخوانكم يخبروكم بما لقوا من الثواب عند الله ، ثم أتى بهم إلـى موضع المعركة ونادى : يا معشر الشهداء ما ذا لقيتم من الله عز وجل ؟ فقالوا : قد أعطانا من الثواب ما لا عين رأت ولا أذن سَمِعتْ ولا خطر على قلب بشر ، فافتتن الناس وظنـوا أن الموتى قد كلموهم ، وحكوا ذلك لبقية إخوانهـم فازدادوا بصيرة في أمره وثباتاً على رأيه والله أعلم بحقيقة الحال .

وفاة المهدي رحمه الله

كانت وفاة المهدي عقب وقعة البحيرة ، قال ابن خلدون لأربعة أشهر بعدها ، وقال ابن الخطيب وغيره : كانت وفاته يوم الأربعاء لثلاث عشرة ليلة خلت من رمضان سنة أربع وعشرين وخمسمئة ، وقيل غير ذلك ، وقال في (القرطاس) : لما رجع الموحدون من غزو مراكش إلى تينملل خرج إليهم المهدي ، فسلم عليهم ورحب بهم وأعلمهم بما يكون لهم من النصر والفتح ، وما يملكونه من البلاد وبمدة ملكهم ، وأعلمهم أنه يموت في تلك السنة فبكوا وأسفوا ، ثم مرض مرضه الذي مات منه ، وقدم عبد المومن للصلاة أيام مرضه، ثم توفي في التاريخ المتقدم .

وذكر بعض المؤرخين أن المهدي رأى في منامه قبل وفاته كأن ءاتيا أتاه فأنشده أبياتاً نعى له فيها نفسه وأعلمه باليوم الذي يموت فيه ، فكان كذلك ، أنظر (القرطاس) (I) .

وقد مر في هذه الأخبار ذكر كتاب (الجفر) وربما تتشوف النفس لمعرفة حقيقته ، فقد قال ابن خلدون في كتاب (طبيعة العمران) : واعلم أن كتاب (الجفر) كان أصله أن هارون بن سعيد العجلي ، وهو رأس الزيدية ، كان له كتاب يرويه عن جعفر الصادق رضي الله عنه وفيه علم ما سيقع لأهل البيت على العموم ولبعض الأشخاص منهم على الخصوص ، ووقع ذلك لجعفر ونظرائه من رجالاتهم على طريق الكرامة والكشف الذي يقع لمثلهم من الأولياء ، وكان مكتوباً عند جعفر الصادق في جلد ثور صغير ، فرواه عنه هارون العجلي ، وكتبه وسماه (الجفر) باسم الجلد الذي كتب فيه ، لأن الجفر في اللغة هو الصغير ، فصار هذا الاسم علماً على هذا الكتاب عندهم ، وكان فيه تفسير القرءان الكريم وما في باطنه من غرائب المعاني مروية عن جعفر الصادق رضي الله عنه ، وذكره ابن قتينة في أوائل كتاب (اختلاف الحديث) فقال بعد كلام طويل : وأعجب من هذا التفسير تفسير الروافض للقرءان الكريم وما يدعونه من علم باطنه بما وقع إليهم من (الجفر) الذي ذكره العجلي ، ثم قال ابن قتيبة :

ألم تر أن الرافضين تفرقـــوا	فكلهم في جعفر قال منكـــرا
فطائفة قالوا إمام ومنهـــم	طوائف سمته النبي المطهـــرا
ومن عجب لم أقضه جلد جفرهـم	بـرئت إلى الرحمان ممن تجفـــرا

في أبيات غير هذه ثم قال ابن قتيبة : وهو جلد جفر أدعوا أنه كَتب لهم فيه الامام جعفر الصادق كل ما يحتاجون إليه وكل ما يكون إلى يوم القيامة هـ، وهذا تزييف من ابن قتيبة لكتاب (الجفر) وخالف هذا المذهب أبو العلاء المعري فقال :

(I) الأنيس المطرب بروض القرطاس ص 179 طبع الرباط .

لقد عجبوا لأهل البيت لمـــــا أتاهم علمهم في مَسك جفـــــر
ومرءاة المنجّم وهي صغـــــرى أرَته كل عامرة وقفـــــر

والمَسك بفتح الميم الجلد ، والجَفر بفتح الجيم ما بلغ أربعة أشهر من أولاد المعز ، وكانت عادتهم في ذلك الزمان أنهم يكتبون في الجلود وما شاكلها لقلة الأوراق يومئذ ، وقال ابن خلدون : كتاب (الجفر) لم تتصل روايته عن جعفر الصادق رضي الله عنه ولا عرف عينه ، وإنما يظهر منه شواذ من الكلمات لا يصحبها دليل، ولو صح السند إلى جعفر الصادق لكان فيه نعم المستند من نفسه أو من رجال قومه ، فهم أهل الكرامات رضي الله عنهم .

وقال في (الشذرات) نقلا عن العبر بعد تحليته بأوصاف الزهد والنسك والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد ما نصه : ولكن جرّه إقدامه وجرأته على حب الرياسة والظهور وارتكاب المحظور ودعوى الكذب والزور من أنه حَسَني وهو هرغي بربري ، وإنه معصوم وهو بالاجماع مخصوم ، ثم قال : وابن تومرت في ذلك كله لون واحد من الزهد والتقلل والعبادة وإقامة السنن والشعائر لولا ما أفسد القضية بالقول بنفي الصفات كالمعتزلة ، وبأنه المهدي وبتسرعه في الدماء هـ .

وقال الحافظ الذهبي في (تذكرة الحفاظ) صحيفة 68 من ج 4 ما نصه : وفيها يعني سنة 524 مات محمد بن عبد الله ابن تومرت الذي ادعى أنه المهدي المعصوم هـ . وما تقدم من أنه لقي الغزالي قد ذكره أيضاً في (رقم الحلل) و (الحلل الموشية) و صاحب (المؤنس) واليوسي في (المحاضرات) ، ومؤلف (نشر المثاني) عنه، وصاحب (تاريخ الدولتين)، والشيخ مرتضى عده من تلاميذه ولم يجزم ابن خلدون بذلك في تاريخه ، وكذلك صاحب (المعجب) وقطع بنفيه ابن الأثير في (الكامل) .

489) محمد بن إسماعيل الزنجاني

محمد بن إسماعيل بن عبد الملك الصدفي من أهل إشبيلية ، يكنى أبا القاسم ويعرف بالزنجاني ، روى عن محمد بن فرج ، وأبي علي

الغساني وغيرهما ، وكان فقيهاً حافظاً للرأي ذاكراً للمسائل مفتياً ببلده معظَّماً فيه ، وتوفي في محرم سنة 529 بمراكش ، ثم سيق إلى إشبيلية فدفن بها رحمه الله .

ذكره ابن بشكوال في (الصلة) (1) .

وقال ابن الأبار في (المعجم) في ترجمته :

وكان بها يعني إشبيلية رأس الشورى مع السمت والسكينة ، وحملته المنافرة التي كانت بينه وبين أبي بكر ابن العربي على التوجه إلى مراكش للسعي عليه والمطالبة له عند ولايته القضاء ، فتوفي هنالك عند غروب الشمس لتسع بقين من المحرم سنة 529 ، ثم سيق إلى إشبيلية فدفن بها ، روى عن أبي علي قاله لي أبو الربيع الحافظ ، وأراه كتب إليه ، ووقفت على أسماء شيوخه في إجازته لأبي بكر بن خير وليس فيهم مذكوراً ، وهم كما رتبهم : أبو علي الجياني ، وأبو عبد الله ابن فرج ، وأبو محمد جابر بن محمد بن جابر ، والشعبي وكناه أبا زيد غلطاً ، وأبو محمد بن عتاب ، وأبو بكر بن خازم ، والعبسي ، وغيرهم ، ومن شيوخه ، ولم يذكره ، أصبغ بن محمد الأزدي ، فلعله أغفل كذلك أبا علي ابن سكرة فيهم ، وكان يثني على الغساني منهم ويرفع بذكره ، حُدثت عن الحافظ أبي طاهر السِّلفي قال : سمعت محمد بن أحمد ابن خلف الكتامي الحمصي بالأسكندرية يقول : سمعت محمد بن إسماعيل الزنجاني الصدفي الفقيه بحمص الأندلس يقول : لم أر أحفظ من أبي علي الجياني للحديث ولا أتقن منه (2) .

490) محمد بن يحيى ابن باجُه

محمد بن يحيى بن الصائغ أبو بكر ، ويعرف بابن باجُه بجيم مشددة ثم هاء ، وهي الفضة بلغة الفرنج بالمغرب ، التجيبي النسب بضم التاء وفتحها الأندلسي السَّرَقُسْطي بفتح السين والراء وضم القاف وسكون

1) الصلة ص 580 ع 1277 .

2) معجم اصحاب ابى على الصدفى ص 118 ع 101 .

السين ، الشاعر المشهور الأديب النحوي الفاضل الحكيم ، قال في (عيون الأنباء) وكان في العلوم الحكمية علامة وقته وأوحد زمانه ، وبُلي بمحن كثيرة وشناعات من العوام ، وقصدوا هلاكه مرات وسلمه الله منهم ، وكان متميزاً في العربية والأدب ، حافظاً للقرآن ويعد من الأفاضل في صناعة الطب ، وكان متقناً لصناعة الموسيقى جيد اللعب بالعود ، وقال علي بن عبد العزيز ابن الامام في صدر (المجموع) الذي نقله من أقاويل أبي بكر محمد بن الصائغ ابن باجه ما هذا مثاله : هذا مجموع ما قيد من أقوال أبي بكر ابن الصائغ رحمه الله في العلوم الفلسفية ، وكان في ثقابة الذهن ولطف الغوص على تلك المعاني الجليلة الشريفة الدقيقة أعجوبة دهره ونادرة الفلك في زمانه ، فان هذه الكتب الفلسفية كانت متداولة بالأندلس من زمان الحكم مستجلبها ومستجلب غرائب ما صُنف بالمشرق ونقل من كتب الأوائل وغيرها نضَّر الله وجهه ، وتردد النظر فيها فما انتهج فيها الناظر قبله سبيل ، وما تقيد عنهم فيها إلا ضلالات وتبديل ، كما تبدد عن ابن حزم الاشبيلي ، وكان من أجل نظار زمانه وأكثرهم لمن تقدم على إثبات شيء من خواطره ، وكان أحسن منه نظراً وأثقب لنفسه تمييزاً وإنما انتهجت سبل النظر في هذه العلوم بهذا الحبر وبمالك ابن وهيب الاشبيلي فانهما كانا متعاصرين ، غير أن مالكاً لم يقيد عنه إلا قليل نزر في أول الصناعة الذهنية ، وأضرب الرجل عن النظر ظاهراً في هذه العلوم وعن التكلم فيها لما لحقه من المطالبات في دمه لسببها، ولقصده الغلبة في جميع محاوراته في فوز المعارف ، وأقبل على العلوم الشرعية فرأس فيها أو زاحم ذلك ، لكنه لم يكن يلوح على أقواله ضياء هذه المعارف ، ولا قيد فيها باطناً شيئاً ألفي بعد موته ، وأما أبو بكر فنهضت به فطرته الفائقة ولم يدع النظر والتنتيج والتقييد لكل ما ارتسمت حقيقته في نفسه على أطوار أحواله ، وكيفما تصرف به زمنه وأثبت في الصناعة الذهنية وفي أجزاء العلم الطبيعي ما يدل على حصول هاتين الصناعتين في نفسه صورة ينطق عنها ويفضل ويركب فيها فعلَ المستولي على أمرها ، وله تعاليق في الهندسة وعلم الهيأة تدل على بروعه في هذا الفن ، وأما العلم الالاهي فلم يوجد في تعاليقه شيء مخصوص به اختصاصاً تاماً إلا نزعات تستقرأ من

قوله في (رسالة الوداع)،و (اتصال الانسان بالعقل الفعال)،وإشارات مبددة في أثناء أقاويله لكنها في غاية القوة والدلالة على نزوعه في ذلك العلم الشريف الذي هو غاية العلوم ومنتهاها ، وكل ما قبله من المعارف فهو من أجله وتوطئة له ، ومن المستحيل أن ينزع في التوطئات وتنفصل له أنواع الوجود على كمالها ويكون مقصراً في العلم الذي هو الغاية وإليه كان التشوق بالطبع لكل ذي فطرة بارعة وذي موهبة إلاهية ترقيه عن أهل عصره ، وتخرجه من الظلمات إلى النور ، كما كان رحمه الله ، وقد صدرنا هذا المجموع بقوله له في الغاية الانسانية على نهاية من الوجازة تعرب عما أشرنا إليه من إدراكه في العلم الالاهي وفيما قبله من العلوم الموطئة له ، وعسى أنه قد علق فيه ما لم يعثر عليه ، ويشبه أنه لم يكن بعد أبي نصر الفارابي مثله في الفنون التي تكلم عليها من تلك العلوم ، فانه إذا قرنت أقاويله فيها بأقاويل ابن سينا والغزالي وهما اللذان فتح عليهما بعد أبي نصر بالمشرق في فهم تلك العلوم ، ودونا فيها بان لك الرجحان في أقاويله وفي حسن فهمه لأقاويل أرسطو ، والثلاثة أيمة دون ريب ، وآتون ما جاء به مَنْ قبلهم من بارع الحكمة عن يقين تمتاز به أقاويلهم ، ويتواردون فيها مع السلف الكريم (1) .

أقول وكان هذا أبو الحسن علي ابن الامام من غرناطة ، وكان كاتباً فاضلا متميزاً في العلوم، وصحب أبا بكر ابن باجُه مدة واشتغل عليه، وسافر أبو الحسن علي ابن الامام من الغرب وتوفي بقوص ، وكان من جملة تلاميذ ابن باجه أيضاً القاضي أبو الوليد محمد بن رشد ، وتوفي ابن باجه شابا بمدينة فاس ودفن بها ، وأخبرني القاضي أبو مروان الاشبيلي أنه رأي قبر ابن باجه وقريباً من قبره قبر أبي بكر ابن العربي الفقيه صاحب التصانيف ، ومن كلام ابن باجة قال : الأشياء التي ينفع تعلمها بعد زمان طويل لا يضيع تذكرها ، وقال حسن عملك تفز بخير من الله سبحانه ، ولابن باجه من الكتب شرح كتاب (السماع الطبيعي) لأرسطوطاليس ، و (قول على بعض كتاب الآثار العلوية) لأرسطوطاليس ، و (قول على بعض كتاب الكون والفساد) لأرسطوطاليس ،

---

1) **عيون الأنباء** ص 81 طبع الجزائر سنة 1958 .

(قول على بعض المقالات الأخيرة من كتاب الحيوان) لأرسطوطاليس ، (كلام على بعض كتاب النبات) لأرسطوطاليس ، (قول ذكر فيه التشوق الطبيعي وماهيته) ، وابتدأ أن يعطي أسباب البرهان وحقيقته ، (رسالة الوداع) ، (قول يتلو رسالة كتاب اتصال العقل باللسان)، (قول على القوة النزوعية)، (فصول تتضمن القول على اتصال العقل بالانسان)، كتاب (تدبير المتوحد)، كتاب (النفس) ، (تعاليق على كتاب أبي نصر في الصناعة الذهنيـة) ، (فصول قليلة في السياسة المدنية وكيفية المدن وحـال المتوحد فها) ، (نُبذ يسيرة على الهندسة والهيأة) ، (رسالة) كتب بها إلى صديقه أبي جعفر يوسف بن أحمد بن حسداي بعد قدومه إلى مصر ، (تعاليق حكَمية) وجدت متفرقة ، (جوابـ) ـه لما سئل عن هندسة ابن سيد المهندس وطرقه (كلام على شيء من كتاب الأدوية المفردة) لجالينوس ، كتاب (التجربتين) على أدوية ابن وافد ، واشترك في تاليف هذا الكتاب أبو بكر ابن باجه ، وأبو الحسن بن سفيان ، (كتاب اختصار الحاوي) للرازي ، (كلام في الغايـة الانسانية) ، و (كلام في الأمور التي بها يمكن الوقوف على العقل الفعال) ، (كلام في الاسم والمسمى)، (كلام في البرهان)، (كلام في الاستطقسات)، (كلام في الفحص عن النفس النزوعية وكيف هي ، ولم تنزع وبماذا تنزع) ، (كلام في المزاج بما هو طبي) ، انتهى .

وقال في (بغية الوعاة) بعد ذكره ما نصه : ذكره أبو حيان في (النضار) فقال : كان عالماً بالأدب والنحو ونظر في كلام الحكماء فكان يشبه بابن سيناء ، ذكره الفتح ابن خاقان في (القلائد) ونسبه إلى الزندقة،وقال الرضي الشاطبي: دخل ابن الصائغ يوماً جامع غرناطة وبها نحوى حوله شباب يقرأون فقالوا : مستهزئين ما يُحسن الفقيه من العلوم ؟ وما يحمل وما يقول ؟ فقال لهم أحمل اثنيْ عشر ألف دينار وهاهي تحت إبطي، وأخرج اثنتيْ عشرة ياقوتة تساوي كل واحدة ألف دينار ، وأمـا الذي أُحسنه فاثنا عشر علماً أحسَنُها علـم العربية الذي تبحثون فيه ، وأما الذي أقول : فأنتم كذا وكذا وجعل يسبهم .

وقال لما حضر أجله :

حان الرحيل فدع مساكنك التـي ما كان ساكنها بها بمخلَّـــد
واضرع إلى الملك الجواد وقل له عبد ثياب الجود أصبح يجتـدي
لم يرض إلا الله معبـــوداً ولا ديناً سوى دين النبي محمـــد

وقال ابـن خلكان ذكره أبـو نصر الفتح بـن محمد بن عبيد ابـن خاقان القيسي صاحب (قلائد العقيان) فـي كتابه ، ونسبه إلى التعطيـل ومذهب الحكماء والفلاسفة وانحلال العقيدة ، وبالغ في أمره وجاوز الحد فيما وصفه به من هذه الاعتقادات الفاسدة والله أعلم بكنه حاله هـ (1) .

قلت كلام الفتح فيه لا يعول عليه ولا يلتفت ذوو علم إليه لما علـم بينه وبينه مـن المنافرة والمعاداة والمهاجـرة بسبب حكاية وقعت بينهمـا وخصومة سلفت لهما عفا الله عن الجميع بجاه النبي الشفيع ، وقد ذكر الشيخ العلامـة سيدي محمد بن قاسم ابـن زاكور الفاسي فـي شرحه للقلائـد ، أن صاحب الترجمة بريء مما رماه به الفتح ، يشهد بذلك ما حلاه به في كتابه (مطمح الأنفس في ذكـر رجال الأندلس) ، وشهرة الرجل بالخير والديـن والاستقامـة .

وقـال المقْري في (نفح الطيب) : قال في حقه ابن الخطيب فـي (الاحاطة) : إنه آخر فلاسفة الاسلام بجزيرة الأندلس ، قال : وكان بينه وبين الفتح ابن خاقان صاحب (القلائـد) معاداة ، فلذلك هجاه في (القلائـد) وجعله آخر ترجمة فيها ، ثم قال المقْري : وقال الأمير ركن الدين بيبرس في تأليفه (زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة) : أن ابن الصائغ كان عالماً فاضلا له تصانيف في الرياضة والمنطق ، وأنه وزّر لأبي بكر الصحراوي صاحـب سرقسطة ، ووزّر أيضاً ليحيى بن يوسف ابن تاشفين عشرين سنة بالمغرب ، وأن سيرته كانت حسنة فصلحت به الأحوال ونجحت على يده الآمال ، فحسده الأطباء والكتاب وغيرهم ، وكادوه فقتلوه مسموماً ، انتهى (2) .

---

1) قلائد العقيان ص 346 طبع تونس .

2) نفح الطيب 7 : 17 و 28 تحقيق الدكتور احسان عباس .

توفي رحمه الله بفاس مسموماً في باذنجان في شهر رمضان المعظم قيل سنة ثلاث وثلاثين وخمسمئة ، وقيل سنة خمس وعشرين ، وقيل سنة ثلاث وعشرين والأول أشهر والله أعلم ، وقد علمت أن قبره قريب من قبر الامام ابن العربي المعافري كما تقدم ، وترجمه في (وفيات الأعيان) ، وفي (عيون الأنباء) و في (بغية الوعاة) ، وفي (نفح الطيب) ، وفي (الجذوة) ، وفي (السلوة) ، وجعله في (السلوة) ممن لم يُعلم تعيين محل دفنهم .

491) محمد بن حسون ابن البزاز

قاضي مراكش آخر دولة المرابطين كما تقدم في ترجمة أبي العباس ابن الصقر آخر حدود 520 (1) .

492) محمد ابن القَبْطُرْنه

محمد بن سعيد بن عبد العزيز ابن القَبْطُرنه ، أحد كتاب أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين كما في المعجب (2) .

493) محمد بن إبراهيم ابن أسود الغساني .

محمد بن إبراهيم بن أحمد ابن أسود الغساني ، من أهل المرية يكنى أبا بكر ، روى عن أبي علي الغساني وغيره وله رحلة إلى المشرق لقي فيها أبا بكر الطرطوشي ، وأبا الحسن ابن مشرف وغيرهما ، وشوور

---

1) أنظر 2 : 75 من هذا الكتاب ، وابن البزاز ليست واردة في الأصل ، وانما أضفناها نقلا عن **الذيل والتكملة** .

2) وردت هذه الترجمة في الأصل هكذا : محمد بن محمد المعروف بالقنطرية ، أبو بكر ، أحد كتاب الخ وبمراجعة **المعجب** (ص 104 طبع سلا) يتبين أن ابن القبطرنه الواردة فيه تصحفت في طبعة **الاعلام** الفاسية بالقنطرية . أما كنيته ونسبه فقد أخطأ فيهما عبد الواحد المراكشي الذي لا يعتمد كثيراً على روايته لأنه أملى كتابه المعجب من ذاكرته ببغداد بعيداً عن كتبه . واسم كاتب علي بن يوسف هو الذي اثبتناه في الترجمة ، وكنيته أبو الحسن ، أما أبو بكر فكنية أخيه عبد العزيز ، ولهما أخ ثالث اسمه طلحة وكنيته أبو محمد .

وقد كتب أبو الحسن محمد منهم للمتوكل ابن الأفطس قبل ان يكتب لأمير المسلمين علي ابن يوسف ، وكانت وفاته كما ذكر ذلك ابن الأبار قبل سنة 520 هـ .

ببلده لمعرفته ومنصبه ، واستقضي بمرسية مدة طويلة لم تحمد سيرته فيها ، ثم صرف عن ذلك وسكن مراكش ، وتوفي بها في رجب من سنة 536 .

ذكره في (الصلة) (1) .

قلت وهو صاحب القضية المشروحة في ترجمة أحمد ابن العريف رضي الله عنه ، وهو الذي كان سبب ترحيله إلى مراكش (2) .

وقال ابن الأبار في ترجمته من (معجم أصحاب الصدفي) ما نصه : محمد بن إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن محمد بن عمر ابن أسـود الغساني القاضي أبو بكر من أهل المرية وفي أنبه بيوتاتها ، سمع أباه وأبا علي الغساني ، وأبا بكر عمر بن أحمد ابن الفصيح ، وأبا عبد الله ابن الفراء ، وأبا بكر عبد الباقي ابن برال ، وتفقه بمحمد بن يوسف ابن عطاف ، وأجاز له أبو علي الصدفي ، وقد حدث في برنامجه عنه من روايته بجامع الترمذي ، ومعجم ابن قانع ، وتاريخ أبي بكر الخطيب وحلية الأولياء لأبي نعيم ، ورياضة المتعلمين له ، وأدب الصحبة للسلمي ، ثم سمع في رحلته التي حج فيها من أبي بكر الطرطوشي ، ومحمد بن منصور ابن الحضرمي ، وأبي الحسن ابن مشرف الأنماطي ، وأبي عبد الله الرازي وغيرهم ، وله رواية عن أبي الحسن ابن شفيع ، وعبد القادر ابن الحناط وسواهما ، وإكثاره بالأندلس إنما هو عن أبيه إبراهيم وأبي علي الغساني ، وبالأسكندرية عن الطرطوشي وابـن الحضرمي ، وولي قضاء شرق الأندلس للملثمين دهراً طويلا ، ثم صرف عنه منكوباً واحتمل إلى مراكش مغرباً (وكان وروده مرسية قاضيا من المرية يوم الخميس ثامن شعبان (2) سنة 521 ، وصرف في المحرم سنة تسع وعشرين ، وتوفي بمراكش في نكبته سنة ست وثلاثين وخمسمئة في رجب منها ، وكان من جلة الفقهاء المشاورين ، وله تأليف في (تفسير القرآن) واعتناء بالحديث،

1) الصلـة ص 584 ع 1286 .

2) أنظر 2 : 10 من هذا الكتاب .

3) الزيادة من معجم اصحاب ابى على الصدفى .

وأول سماعه من أبيه في سنة 493 ، سمع منه شيخنا أبو بكر بن أبي جمرة ، وأجاز له ولابن بشكوال وصالح الأوسي وغيرهم ، ثم روى من طريق المترجم بسنده إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : يابني عبد المطلب إني سألت الله لكم ثلاثاً : أن يثبت قائلكم ، وأن يهدي ضالكم ، ويعلم جاهلكم ، وسألت الله أن يجعلكم جوداء مجداء رحماء ، ولو أن رجلا صفن بين الركـن والمقام فصلى وصام ، ثم لقي الله مبغضاً لآل بيت محمد صلى الله عليه وسلم دخل النار هـ (1) .

وقد اختصر في ترجمته من (نفح الطيب) جداً ، ونقل عن أبي جعفر ابن الزبير أن له كتاب (تفسير القرآن) وبيته بيت علم ودين هـ .

وقد ذكر ابن خلكان في ترجمة المهدي بن تومرت أن الذي انتدب لمحاورته بمجلس أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين بمراكش هـو قاضي المرية واسمه محمد بن أسود هـ .

وأما محمد بن علي عمر بن يحيى بن عمر بن أسود الغساني من أهل حمة وشـق من عمل المرية الغربي المتوفى فـي أوائل سنة ثمان وثمانيـن وسبعمئة المترجم في (الجذوة) وغيرها فهو غير المترجم كما ترى (2) .

494) محمد بن الحسين الميورقي الأنصاري .

محمد بن الحسين بن أحمد بن يحيى بن بشر الأنصاري أبو عبد الله وأبو بكر المعروف بالميورقي ، وسكن غرناطة ، وأبو عبد الله النميري يقول فيه الأزدي رفعاً في نسبته الأنصارية على جهة التدليس والتورية ، سمع من أبي علي وأجاز له ، ورحل حاجاً فسمع بالأسكندرية من أبي عبد الله الرازي وأبي بكر الطرطوشي ، وبمكة من أبي الفتح البيضاوي ، وأبي نصر النهاوندي، وعاد إلى الأندلس فحدث بغير بلد منها بتجوله ، وأخذ عنه الناس ، وامتحن بالقبض عليه مع أبي الحكم ابن برجان وأحمد ابن العريف ، وتخلص دونهما

---

1) معجم اصحاب ابى على الصدفى ص 130 ع 116 .

2) جذوة الاقتباس ص 297 ع 303 طبع الرباط .

فقصد المشرق ثانية وأقام بمدينة بجاية برهة في هربه من المغرب ، وحدث بها في سنة 537 ويحدث عبد الحق بن عبد الرحمان الاشبيلي بتفسير عبد بن حميد عن طاهر بن أحمد ابن عطية المري القاضي عن ابن بشر هذا ، عن أبي علي الصدفي ، عن العذري ، عن أبي ذر ، عن أبي محمد ابن حموية ، عن إبراهيم بن حذيم ، عنه ، وفي هذا الاسناد طول ونزول ، وقد حدثنى به في الاجازة أبو بكر بن أبي جمرة عن أبيه عن العذري ، فكأن عبد الحق يرويه عني وأنا أرويه عن واحد عنه ، وأعلا من هذا ما حدثنا به علي بن أبي المحاسن ابن بندار قاضي الديار المصرية وغيره عن عبد الأول بن عيسى بن شعيب السجزي عن أبي الحسن عبد الرحمان بن محمد بن المظفر الداودي عن عبد الله بن أحمد ابن حموية بمثله ، فكأني من طريق عبد الحق أخذته عن أبي علي ، واستشهد قبل مولدي بأزيد من ثمانين سنة رضوان الله عليه .

ذكره ابن الأبار في (معجم أصحاب الامام الصدفي) .

وقال فيه في ترجمة أحمد ابن العريف كما تقدم ، فأمر يعني علي بن يوسف بن تاشفين باشخاصه يعني ابن العريف إليه من المرية مع محمد بن الحسين الميورقي هو المترجم من غرناطة وأبي الحكم ابن برجان من أشبيلية، وكانوا نمطاً واحداً في الانتحال ، والاتصاف بصلاحية الحال ، ولأبي الحكم الشفوف عليهم حتى قيل فيه غزالي الأندلس، فسيروا جميعاً إلى مراكش هـ(1).

وفي (نفح الطيب) محمد بن الحسين الشهير بالميورقي لأن أصله منها وسكن غرناطة ، وروى عن أبي علي الصدفي ، ورحل حاجاً فسمع بمكة من أبي الفتح عبد الله بن محمد البياضي ، وأبي نصر عبد الملك بن أبي مسلم النهاوندي في شوال وذي القعدة من سنة 517 ، وبالأسكندرية من أبي عبد الله الرازي وأبي الحسن ابن مشرف وأبي بكر الطرطوشي وغيرهم ، وعاد إلى الأندلس بعد مدة طويلة ، فحدث في غير ما بلد بتجوله ، وكان فقيهاً ظاهرياً عارفاً بالحديث وأسماء الرجال ، متقناً لما رواه ، يغلب عليه الزهد

---

1) معجم اصحاب ابي علي الصدفي ص 16 .

والصلاح ، روى عنه أبو عبد الله النميري الحافظ ، ويقول فيه الأزدي تدليسا لأن الأنصار من الأزد ، وأبو بكر ابن رزق ، وأبو عبد الله ابن عبد الرحيم، وابن عبد المنعم ، وسواهم ، وصار أخيراً إلى بجاية هارباً من صاحب المغـرب حينئذ بعد أن حمل إليه هو وأحمد ابن العريف وأبو الحكم ابن برجان ، وحدث هنالك وسمع منه في سنة 537 رحمه الله تعالى هـ (1) .

495) محمد ابن أبي الخصال الغافقي

محمد بن أبي الخصال ، واسمه مسعود ، بن طيب ، بن فرج ، بن خلصة ، الغافقي أبو عبد الله ذو الوزارتين ، وقيل إن خلصة هو المكنى أبا الخصال ، وجد ذلك ابن الأبار بخط أبي بكر بن خير وغيره ، والأول قول أبي القاسم ابن حبيش ، سكن قرطبة ، وأوليته من قرية بشقورة تسمى فرغليط ، وبها نشأ ومنها تردد في طلب العلم والأدب ، وعلى أبي الحسن بن مالـك اليعمري القاضي بأبذة كان ينزل في اجتيازه ، وقد أخذ عنه يسيرا ، وخرج معه يوماً وهو فتي السن إلى حديقة له معروشة ، فقطف لهم من أعلاها عنقود عنب بعصى اهبط فيها على ترفق ، فقال القاضي محركاً له ومختبراً بديهته :

أنظرْ إليه في العصـــــــــــا

أجز يا محمد ، فقال مجيباً لفوره :

كراس زنجي عصـــــــــــا

فلحظ بعدها بعين أخرى ، وحكم له بما نال من مزية كبرى ، وشيوخه الذين سمع عنهم أبو الحسين ابن سراج ، وأبو محمد ابن عتاب ، وأبو بحر الأسدي ، وأبو بكر بن أبي الدوس ، وأبو تميم العز بن بقنة ، وأبو بكر غالب ابن عطية ، وأبو الحسن ابن الباذش النحوي ، وأخذ هو أيضاً عنه فتدبجا ، وأبو بكر ابن سابق الصقلي ، وقد ذكرت ابن مالك ، ولقي بالمرية أبا علي الصدفي فقرأ عليه (صحيح مسلم) ، و (جامع الترمذي) وسمع (مصنف أبي

---

1) نفح الطيب 2 : 155 تحقيق الدكتور احسان عباس .

داوود)، وأكثر (صحيح البخاري)، وكتاب عبد الغني وهو (مشتبه النسبة)، كان عند ابن الأبار منه أصل أبي علي،وسماعه في أوله ثابت بخط أبي الحسن ابن اللوان . وقراءاته في سنة 506 ، وأجاز له سائر ما يحمله ، وكتب إليه أبو عمران ابن أبي تليد ، وأبو علي الغساني ، وابن أخت غانم ، وأبو عبد الله المازري مع جماعة من المشرقين وغيرهم ، وعني بالحديث فأتقنه ، وأما البلاغة فاليه انتهت ، وعليه قصرت ، وبموته فقدت ، وصفه بهذا أبو القاسم ابن حبيش .

وقال فيه ابن بشكوال : مفخرة وقته ، وجمال جماعته ، وكان متفنناً في العلوم مستبحراً في الآداب واللغات ، عالماً بالأخبار ، ومعاني الحديث والآثار ، والسير والأشعار ، أحد رجال الكمال .

وقال ابن الأبار : وسمعت شيخنا أبا الربيع بن موسى يقول ، سمعت أبا الحسين عبد الرحمان بن أبي عامر الأشعري يقول ، سمعت الفقيه أبا مروان ابن مسرة يقول : لم ينطلق اسم كاتب بالأندلس على رجل مثل محمد ابن أبي الخصال ، وحكى لنا شيخنا أبو الحسين بن سراج أن خاله أبا بكر بن خير ، وأبا القاسم ابن بشكوال ، وأبا القاسم بن غالب المعروف بالشراط قصدوا ذات يوم قبر محمد ابن أبي الخصال وقد وعدوا أحد تلاميذهم أن يقرأ هنالك عليهم قصيدته البائية التي وسمها بـ (معراج المناقب ، ومنهاج الحسب الثاقب) ، قال : وكنت فيمن صحبهم لأخذها عنهم ، فسمعتهم يترحمون عليه ويقولون عند انتهائهم إليه : السلام عليك يازينَ الاسلام ، ومع كماله ، فلم يحظ من أمراء عصره بآماله، وهي عادة الأيام العادية في أمثاله، تواري مما بهر وخفي أضعاف ما ظهر ، وصار أخوه أبو مروان بالكتابة عنهم أشهر، والذي قعد بأبي عبد الله فهو قيام ابن الحاج أمير قرطبة على ابن تاشفين وثورته التي نكب عنها، ونجا، ولكن كيف، منها، وكان هو حينئذ أوثق حاشيته وأسبابه وألصق وزرائه به وكتابه ، مع أن اختصاصه لم يكن إلا بابنه أبي بكر بن أبي عبد الله حتى وسمه بذي الوزارتين ، فجرت عليه تخصيصاً بعنايته، ومكافأة لكفايته ، فكم جلى من تلك الخطوب الجلائل ، وأبلى باليراع

والرسائل ، مكان ذوات العمود والخمائل ، ولما استقل ابن الحاج وولي ما ولي من أعمال المغرب حسبما تقدم ذكر ذلك عاد ابن أبي الخصال لصحبته هنالك هو وأبو بكر بن عبد العزيز ، وطائفة انضوت من حرمته إلى الحصن والحرز الحريز، ذلك لشفوف هذا الأمير على أترابه ، وخفوف ذاته الراجحة في حقوق أصحابه ، ثم انهم انتقلوا بانتقاله إلى سرقسطة أم الثغر الشرقي حين حلها ذاباً عن أرجائها ، ومجاهداً لأعدائها ، حلول البر التقي ، وإذ حُمَّت شهادتُه قافلا مـن غزاته في التاريـخ المرسوم ، كسد مـا نفقَ في أيامـه من بضائـع العلوم ، وناصع المنثـور والمنظوم ، فلزم أبـو عبد الله داره خائفاً من تلك الأحقاد القديمـة ، وراضياً بالاياب إليها من الغنيمة ، وفـي أكثر عمره ارتدَّ على العقب مأموله ، وامتدَّ بطول مدة ابن تاشفين خموله ، وإن كان لا يسمى خاملا ، مَن شهد للحلم حاملا ، وعهد بالعلم عاملا ، وحسبك بما لَه من التواليف الدينية ، إلى أن حمت منيته بالفتنة الحمدينية، فاستشهد رحمه الله ودفن يوم الأحد الثالث عشر من ذي الحجة سنة 540 ، وكان دفنه ضحى بمقبرة ابن عباس ، وقال ابن حبيشٍ وقرأته بخطه : استشهد فـي الحادثة الكائنة بقرطبة يوم السبت الثاني عشر من ذي الحجة ، ومولده سنة خمس وقيل سنة 463 ، والظاهر في مقتله أنه اقتحمتْ عليه داره إذ دخلت المصامدةُ قرطبةَ عنوة في الحرب الواقعة بين ابن حمدين وابن غانية أول انقراض سلطان الملثمين بالأندلس ، ثم ذكر أن قاتله تيفوت قتل أيضاً بعد ذلك، ثم روى بسنده إليه حديث أبي داوود لا يرد الدعاء بين الأذان والاقامة(1).

وقال في (الجذوة) : محمد بن مسعود بن خلصة بن فرج بن مجاهد ابن أبي الخصال الغافقي الامام البليغ المحدث الحجة ، أصله من فرغليط من قصورة شقورة من كورة جيان ، سكن قرطبة وغرناطة ، وسكن مدينة فاس صحبة محمد ابن الحاج المسوفي ، كان من أهـل المعارف الجمة والاتقـان للحديـث والمعرفة برجالـه والتقييد لغريبه وإتقـان ضبطه ، والمعرفـة بالعربية واللغة والأدب والنسب والتاريخ ، مقدماً في ذلك كله ، وأما الكتابة

---

1) معجم أصحاب أبي علي الصدفي ص 149 ع 125 .

والنظم فهو إمامهما ، روى عن الغساني والصدفي وأبي الحسن ابن الباذش وأبي عمران ابن تليد ، وأبي بحر الأسدي وأبي عبد الله النفزي المالقي ابن أخت غانم الأديب وجماعة ، وتواليفه مشهورة ، روى عنه ابن بشكوال وابن جبيش وابن مضا وغيرهم .

من نظمه :

وافى وقد عظُمت عليَّ ذنوبـــــه ... في غيبة قبحت بها آثــــــــاره
فمحا إساءته لنا إحسانـــــــــه ... واستغفرتْ لذنوبه أوتـــــاره

ومن شعره وقد أقام بمراكش يتشوق إلى قرطبة :

سمت لهم بالغور والليل جامـــع ... بروق بأعلام العذيب لوامـــــع
فباحت بأسرار الضمير المدامـــع ... ورب غرام لم تنله المسامـــــع

مولده سنة خمس وستين وأربعمئة ، وتُوفي يوم السبت الثاني عشر من شهر ذي الحجة من سنة أربعين وخمسمئة في دخول المصامدة الأندلس مع رجالة أهل اللثام قتلوه وعبد الله بن عبد العزيز السقاط (1) .

وقال في (كشف الظنون) : (خطف البارق ، وقذف المارق) للفقيه الامام ذي الوزارتين محمد بن مسعود ابن أبي الخصال الغافقي المقتول شهيداً سنة 540 رد فيه على ابن غرسية في تفضيل العجم على العرب هـ .

وذكر ابن بسام أن الوزير ابن أبي الخصال وقف بباب بعض القضاة واستأذن عليه فحجب عنه ، فكتب إليه بديهاً :

جئناك للحاجة المطول صاحبهـــا ... وأنت تنعم والاخوان في بـــؤس
وقد وقفنا طويلا عند بابكـــــم ... ثم انصرفنا على رأي ابن عبدوس

أشار به إلى قول الوزير أبي عامر ابن عبدوس :

---

1) جذوة الاقتباس ص 257 ع 263 .

لما قاض له خلـــــــــــق | أقل ذميمه النـــــــــــزق
إذا جئناه يحجبنـــــــــــا | فنلعنـــه ونفتـــــــرق

وهو تلميح سامح الله تعالى الجميع ، نقله في (النفح) .

وقال في محل آخر نقلا عن علي ابن ظافر وأخبرني مَن أثق به قال : ركب المعتمد على الله أبو القاسم ابن عباد للنزهة بظاهر أشبيلية في جماعة من ندمائه وخواص شعرائه ، فلما أبعد أخذ في المسابقة بالخيول فجاء فرسه بين البساتين سابقاً فرأى شجرة تين قد أينعت وزهت وبرزت منها ثمرة قد بلغت وانتهت ، فسدد إليها عصا كانت في يده فأصابها وثبتت على أعلاها ، فأطربه ما رأى من حسنها وثباتها ، والتفت ليخبر به مَن خلفه فقال أجز :

كأنها فوق العصـــــــــــا

فقـال :

هامة زنجيٍّ عصـــــــــــا

فزاد طربه وسروره بحسن ارتجاله ، وأمر له بجائزة سنية هـ (١) .

وجعله في (المعجب) من كتاب أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين ، ووقفت على كتابه (ظل الغمامة ، وطوق الحمامة في مناقب من خصه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكرامة) ، بخط سيدي عبد القادر الفاسي ، رواه ابن خير في فهرسته سماعاً منه وسمع عليه رسالة كتبها للنبي صلى الله عليه وسلم ، وقطعة شعر كتبها إلى المصطفى على لسان بعض الزمني ، فلما وضعت عند القبر النبوي برىء المقعد .

496) محمد بن أحمد ابن السقاط الكونكي

محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن خلف بن سعيد بن شعيب الأنصاري الكونكي الأصل ، يكنى أبا القاسم ، ويعرف بابن السقاط ، انتقل سلفه إلى غرناطة ، كان من كتاب وقته وافر الحظ من المعارف

---

١) تقدم في صدر الترجمة أن هذا وقع له مع أبي الحسن بن مالك قاضي أبذة .

جيد النظم والنثر ، كتب عن أمراء لمتونة بمراكش مدة وتوفي مقتولا بمدينة فاس ، ذكره الملاحي ، وكانت وفاته في حدود الأربعين وخمسمئة ، وترجمه في (الجذوة) (1) .

497) محمد بن عبد الرحمان ابن عظيمة الاشبيلي

محمد بن عبد الرحمان بن الطفيل العبدي الاشبيلي ، و يعرف بابن عظيمة ، أخذ القراءات عن أبي عبد الله السرقسطي ، وروى عن أبي عبد الله الخولاني ، وأبي عبد الله ابن فرج ، وأبي علي الغساني ، وأبي داود المقري ، وأبي جعفر ابن عبد الحق ، وأبي الوليد ابن طريف ، ورحل حاجاً فروى بمكة عن رزين بن معاوية ، ثم بالأسكندرية عن محمد بن منصور ابن الحضرمي وأبي الحسن ابن مشرف الأنماطي ، وبالمهدية عن المازري ، وكانت رحلته مع أبي علي منصور ابن الخير الأحدب للقاء أبي معشر الطبري فبلغهما نعيه بمصر ، فلما قفلا من حجهما قعد منصور يقول : قرأت على أبي معشر واقتصر ابن عظيمة في تصدره للاقراء على التحديث عمن لقي ، فعرف مكانه من الصدق والعدالة وولي الصلاة ببلده ، وتقدم في صناعته واشتهر بها وتلاه أهل بيته فيها فأخذ عنهم الناس ، وله (أرجوزة في القراآت السبع) ، وأخرى في (مخارج الحروف) وشرح قصيدة الشقراطسي ، وله أيضاً كتاب (الفريدة الحمصية (2) ، في شرح القصيدة الحصرية) ، وإليه وإلى بنيه بعده كانت الرياسة في هذا الشأن ، ومن جلة الرواة عنه أبو بكر محمد ابن خير قرأ عليه (الشهاب) للقضاعي وأجاز له جميع رواياته وتواليفه في رجب سنة 536 ، وتوفي في حدود الأربعين وخمسمئة ، وروى عنه عنه أبو الضحاك الفزاري .

انتهى من (نفح الطيب) (3) .

---

1) جذوة الاقتباس ص 259 ع 265 .

2) سماها ابن خير في فهرسته ص 74 منح الفريدة الحمصية الخ .

3) نفح الطيب 2 : 155 .

وترجمه ابن عبد الملك في (**الذيل والتكملة**) **قائلا** (1) :

محمد بن أبي عمرو عبد الرحمان بن محمد بن عبد الرحمان بن أحمد بن الطفيل العبدي إشبيلي (2) أبو الحسن ابن عظيمة ، تلا بالسبع في بلده على أبي الحسن شريح ، وأبي عبد الله بن عبد الرحمان السرقسطي ، وروى به عن أبي عبد الله أحمد الخولاني ، وأبي عمر يوسف بن أحمد بن أبي يونس . ثم جال في بلده الأندلس طالباً للعلم ، فتلا بقرطبة على أبي الحسن القيسي ، وروى عن أبي بكر خازم بن محمد ، وأحمد بن عبد الحق الخزرجي ، وأبي عبد الله بن فرج ، وأبي علي الغساني ، وأبي القاسم ابن الحصار ، وأبي الوليد ابن طريف ، وأخذ بدانية عن أبي داوود الهاشمي ، ورحل إلى المشرق وحج ، ولقي في وجهته أبا عبد الله المازري بالمهدية ، وأبا القاسم عبد الرحمان بن أبي بكر بن أبي سعيد ابن الفحام ، وبالأسكندرية علي ابن المشرف ، وأبا عبد الله بن منصور الحضرمي ، وتلا عليهما ، والحسن بن خلف ابن بليمة ، وبمصر أبا الحسين يحيى ابن الخشاب ، وتلا عليه ، وبمكة وصل الله تكريمها أبا الحسن رزين بن معاوية ، وأخذ عنهم ، وقفت على شيوخه المذكورين في خطه ، وكانت رحلته مع أبي علي منصور ابن الخير ، وعملا على لقاء أبي معشر الطبري والأخذ عنه والتلاوة عليه ، فبلغهما نعيُه بمصر . ثم قفل إلى الأندلس وتجول في المغرب ودخل مراكش ، وعاد إلى إشبيلية ، فحدث عن مَن لقي من أهل العلم ، فعُرف مكانه من الصدق والعدالة ، وادعى أبو علي منصور لقاءَ أبي معشر وحدث عنه ، فرمي بالتكذيب وتكلم فيه .

روى عنه ابنه عياش ، وأخوه أبو العرب أحمد ، ومحمد ابن خير ، ومحمد ابن عبدون الحجري، ومحمد ابن مخلد ، وأبو جعفر ابن عباد الأنصاري، وآباء الحسن : ابن الضحاك وابنا عبد الرحمان : ابن بيطش ، والحصار ،

---

1) هذه الترجمة المنقولة من **الذيل والتكملة** غير واردة في الأصل المطبوع بفاس ، ولكن المؤلف أحال عليها في نسخة الكتاب المذكور الخطية المحفوظة بمكتبة باريس الوطنية تحت عدد 2156 قائلا انها في الورقة 142 من الجزء السادس ، وبما ان الجزء السادس من **الذيل والتكملة** قد طبع أخيراً في بيروت بعناية الدكتور احسان عباس آثرنا الحاق ترجمة **ابن عظيمة** منه احتراماً لاحالة المؤلف عليه .

2) أصله من اشبيلية ، أما ولادته فكانت بفاس ، فلهذا كتب بعضهم في هامش الجزء المخطوط من **الذيل والتكملة** : حقه ان يذكر في الغرباء .

وعبد السلام بن محمد بن أبي الليث ، وأبو عبد الله بن إبراهيم الأنصاري ، وأبو العباس ابن مقدام ، وأبو العيش نام بن محمد ابن نام اللخمي ، وخلف بن يحيى الخولاني ، وعبد الرحمان بن علي الجذامي السبتي ، ومحمد بن عبد الله الكلبي ، ومحمد ابن عثمان الجهني ، وآباء محمد : ابن إبراهيم بن نعمان ، وابن جمهور ، وابن عبد الرحمان اللخمي ، وابن محمد القيسي ، وإسماعيل بن يحيى ابن شجرة القيسي ، وأحمد بن محمد بن عبد الملك اللخمي ، وأحمد بن محمد بن فرج بن سلمة المرادي ، وإبراهيم بن محمد الطبراني ، وجابر ابن غالب ، وجابر ابن مصالة ، وحسين بن علي ابن غالب ، وسليمان بن عبد الرحمان البطليوسي ، وصالح ابن مزين ، وعبد الله بن حجاج ابن سمانة ، وابن محمد بن غالب ، وعبد السلام بن يحيى القرشي ، وعبد العزيز بن محمد ابن نوح الغافقي ، وعبد العزيز بن محمد الكلاعي ، وعامر ابن ميمون ، وعلي ابن فتحون القضاعي ، وعيسى بن محمد المغامي ، ومحمد بن أحمد ابن سهل ، ومحمد ابن خطاب ، ووليد ابن موفق .

وكان صدراً في أهل التجويد للقرآن العظيم ، مشاراً إليه في إتقان الأداء وجودة الأخذ عن القراء ، ذا حظ وافر من رواية الحديث ومعرفته ، حافظاً للتواريخ والآداب ، متقدماً في النحو ، شاعراً محسناً ، رجز في السبع أرجوزة مزدوجة ، وفي مخارج الحروف أخرى ، وصنف في القراءات وما يتعلق بها كتباً نافعة ، منها : (جالب الافادة) في مخارج الحروف ، و (منح الفريدة الحمصية ، في شرح القصيدة الحصرية) ، و (شرح قصيدة أبي محمد ... الشقراطسي في مدح النبي صلى الله عليه وسلم) ، وأورث عقبه بُعْدَ الصيت في تجويد القرآن ، فصارت الرحلة إليهم فيه ، وولي الصلاة بجامع بلده .

وتوفي في صفر ثلاث وأربعين وخمسمئة أثناء شدة إشبيلية ومحنتها، ابن نحو سبعين سنة (1) .

---

1) تنظر ترجمة ابن عظيمة ايضاً فى **التكملة** ع 445 ، و**نفح الطيب** 2 : 155 ، و**غاية النهاية** 2 : 166 .

498) محمد بن هود بن عبد الله الماسي المتسمى بالهادي ، كان قصاراً بمدينة سلا وكان أبوه دلالا يبيع الكنابيش ، خرج على عبد المومن الموحدي بعد أن حضر معه فتح مراكش وبايعه ، فغلب على بلاد تامسنا وأكثر بلاد المصامدة ، فبايعه جميع القبائل حتى لم يبق تحت عبد المومن الا مراكش ، فبعث إليه عبد المومن الشيخ أبا حفص في جيش عظيم من الموحدين ، فارتحل عن مراكش في أول يوم من ذي القعدة عام اثنين وأربعين وخمسمئة ، وخرج معه عبد المومن مشيعا حتى وصل تانسيفت ، ثم ودعهم ودعا لهم وانصرفوا فالتقوا بالماسي الخارج ببلاد تامسنا ، فكانت بينهم حروب عظيمة قتل فيها الماسي ، قتله الشيخ أبو حفص بيده ، وهزم عسكره، وذلك في شهر ذي الحجة عام اثنين وأربعين المذكورة .

ذكره في (الأنيس المطرب القرطاس) (1) .

وتقدم في ترجمة الوزير أحمد ابن عطية أن الوقعة مع الماسي المدعي للهداية وقعت بوادي ماسة من سوس ، وذكرنا الرسالة التي أنشأها في ذلك (2) ، وهذا غير محمد بن يوسف ابن هود الجذامي حفيد ملوك الطوائف بسرقسطة المتقدم ذكره في ترجمة إدريس بن يعقوب الموحدي (3) .

499) محمد بن عبد الله ابن العربي المعافري

محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد المعروف بابن العربي المَعافري أبو بكر وأبو يحيى ، الشيخ الامام ، عَلَم الأعلام ، حجة الاسلام ، الحافظ المتبحر الهمام، المقتدى به في الأقوال، المقتفَى أثره فما يبديه من الأفعال ، تاج المفرق ، وفخر المغرب على أهل المشرق ، القاضي الشهير الأعدل العالم العامل الأفضل المساق من حضرة إشبيلية ليدفن في الحضرة الادريسية ، ختام علماء الأندلس وآخر أيمتها وحفاظها ، خزانة العلم وقطب المغرب في

---

1) **الانيس المطرب بروض القرطاس** ص 190 طبع الرباط .
2) أنظر 2 : 61 من هذا الكتاب .
3) أنظر 3 : 6 من هذا الكتاب

العلوم العارف بالله تعالى ، والمَعافِري بفتح الميم وتخفيف العين المهملة وكسر الفاء نسبة إلى مَعافر بن يعفور أبي حيٍّ باليمن الاشبيلي بكسر الهمزة وسكون الشين نسبة إلى إشبيلية ، وهي مدينة عظيمة بجزيرة الأندلس وبها ولد رحمه الله ليلة الخميس لثمان بقين من شعبان سنة ثمان وستين ، ، وقيل سنة تسع وستين وأربعمئة ، وحفظ القرآن وهو ابن تسع سنين ، وزاد عليها ثلاثاً لضبط القرآن والعربية والحساب ، وبلغ ستَّ عشرة سنة وقد قرأ من الأحرف نحواً من عشرة بما يتبعها من إظهار وإدغام ونحوه ، وتمرن في الغريب والشعر واللغة ، وسمع بالأندلس أباه وخاله أبا القاسم الهوزني ، وأبا عبد الله السرقسطي ، وببجاية أبا عبد الله الكلاعي ، وبالمهدية أبا الحسن ابن الحذا الخولاني ، ورحل مع أبيه إلى المشرق عند انقراض الدولة العبادية وسنه نحو سبعة عشر عاماً يوم الأحد مستهل ربيع الأول سنة خمس وثمانين وأربعمئة ، ودخل الشام ولقي بها محمد بن الوليد الطرطوشي ، إذ كان سكن الشام مدة ودرس بها كما في ترجمته من (أزهار الرياض) ، وتفقه عنده ورحل إلى الحجاز في موسم سنة تسع وثمانين ، وحج وسمع بمكة أبا عبد الله الحسين الطبري ، وابن طلحة ، وأبا المعالي ثابت بن بندار الحمامي ، وقرأ الأدب على أبي زكرياء التبريزي ، ودخل بغداد مرتين وصحب بها أبا بكر الشاشي ، وأبا حامد الغزالي وغيرهما من العلماء والأدباء ، وأخذ عنهم واجتمع أيضاً بأبي حامد لما حج في المطاف وفرح به غاية ، ولقي بدمشق غير واحد كأبي الفتح نصر المقدسي ، وبمصر أبا الحسن الخلعي وغيره ، وبالأسكندرية جماعة كالأنماطي وأقام بها عند أبي بكر الطرطوشي فمات أبوه بها أول سنة ثلاث وتسعين ، فانصرف إذذاك إلى الأندلس ، وقدم بلده إشبيلية بعلمٍ كثير لم يأت به أحد قبله ممن كانت له رحلة إلى المشرق ، ونقل عنه أنه قال : كل من رحل لم يأت بمثل ما أتيت به من العلم إلا الباجي ، أو كلاماً هذا معناه .

ولما استقر ببلده شوور فيه ورحِل إليه للسماع منه ودرس الفقه والأصول وجلس للوعظ والتفسير ، وكان رضى الله عنه آية في الحفظ والاتقان والجلالة وعلو الشأن مستبحراً في العلوم كلها جامعاً لها

بأسرها متقدماً في المعارف متكلماً في أنواعها بما يبهر العارف نافذاً في جميعها حريصاً على أدائها ونشرها ثاقب الذهن في تمييز الصواب منهـا ، طبّق الآفاق بفوائده وملأ الشام والعراق بأوابده ، وكان موصوفاً بالفضـل والكمال مرتدياً برداء الديانة والعمل والحال ، حسن المعاشرة لين الجانب ، كثير الاحتمال ، كريم النفس ، حسن العهد ، ثابت الود ، جميل الأخلاق ، شديداً على أهل المناكر ، رفيقاً بالمساكين صلباً في الحق ، لا يخاف فـي الله لومة لائم ، فصيحاً ، أديباً ، شاعراً ، أريباً ، حجة ، حافظاً ، متقدماً ، لافظاً ، كثير المُلَح ، مليح المجلس ، وجلالته أعرف من أن تُنكر وأشهر مـن أن يُستدل عليها أو تذكر ، وعلمه في المشرق والمغرب شهير ، وشأنه فـي الوجود كبير ، حتى أنه كان يلقب بخزانة العلم وبقطب المغرب أي في العلوم. وكان رضي الله عنه جواداً عظيماً سخياً كريماً ، ومن كرمه ما نقل عنه أنه بنى سورمدينة إشبيلية بالآجر والجير من ماله الخاص له ، وكانت له أشعار رائقة ومؤلفات فائقة ، منها (أحكام القرآن الكبرى) وقفت عليها ، و (الصغرى) و (القبس ، على موطأ الامام مالك بن أنس) ، و (ترتيب المسالك، في شرح موطأ الامام مالك) ، وقفت عليه ، و (عارضة الأحوذي، على كتاب الترمذي) ، وقفت على بعضها بخط اليد ثم طبعت، و (نواهي الدواهي) و (مراقي الزلف) و (العقد الأكبر للقلب الأصغر) ، و (القول الصحيح في تعيين الذبيح) ، و (تفصيل التفضيل بين الحمد والتهليل) ، و (رسالة الكافي على أنْ لا دليل على النافي) ، وكتاب (السياسات) ، وكتاب (المسلسلات) ، وكتاب (حديث الأفك) ، وكتاب (شرح حديث جابر في الشفاعة) ، وكتاب (ستر العورة) ، وكتاب (ترتيب الرحلة) فيه من الفوائد ما لا يوصف ، يوجد بعض قطع منها في المكتبة الكتانية بفاس ، وكتاب (النيريْن على الصحيحين) ، وكتاب (مشكل القرآن والسنة) ، وكتاب (الناسخ والمنسوخ من القرآن) ، وكتاب (القواصم، والعواصم)، و (المحصول، في علم الأصول) أي في أصول الفقه ، و (سراج المريدين) ، وقفت على نسخة منه عليها خطه ، و (سراج المهتدين) ، وكتاب (المتوسط في معرفة صحة الاعتقاد) ، و (الرد على من خالف السنة من ذوي البدع والالحاد) ، وشرح (غريب الرسالـة) ،

وشرح (حديث أم زرع) ، و (الانصاف ، في مسائل الخلاف) عشرون مجلداً ، وكتاب (أعيان الاعيان) ، و (تلخيص التلخيص) ، و (قانون التأويل في تفسير الكتاب العزيز) ، وقفت على بعضه وقد نقل منه ابن غازي في (تكميل التقييد) قضية ركوبه البحر في رحلته من إفريقية ، ونقلها الشيخ الرهوني في (حاشيته) عند قول خليل وادامة شطرنج فراجعها هناك ، و (أنوار الفجر) في تفسير القرآن، يطلع في ثمانين سفراً، كل سفر سفر منها يطلع في ألف ورقة ألفه في عشرين سنة ، وذكر في (الديباج) عن بعض الثقات الصلحاء أنه رآه بخزانة السلطان أبي عنان المريني بمدينة مراكش ثمانين مجلداً لم ينقص منها شيء ، و (المقصد الأسني ، في شرح أسماء الله الحسنى) ، ومنها (الداوهي والنواهي) في الرد على ابن حزم، وكتاب (شعراء الأندلس)، و (مفتاح المقاصد ، ومصباح المراصد) ، و (المقتبس) في القراءات ، إلى غير ذلك .

وولي القضاء باشبيلية مدة أولها في رجب من سنة ثمان وعشرين وخمسمئة ، فنفع الله به أهلها لصرامته وشدته ونفوذ أحكامه والتزامه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، إلا أنه كانت له أحكام شديدة منها ما روي من أنه أمر مرة بثقب أشداق زامر فثقبت حتى أفسد زمره ، وكان له شرط يطلبون أهل الخمر فأتِيَ له يوماً برجل بيده كأس فيه خمر ، فسأله عنها فلقنه بعض الوزعة أن يقول إن عنده جارية نصرانية اشتراها لها ، فأطرق القاضي ملياً ثم رفع رأسه فقال : لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخمر عشرة : عاصرها ، ومعتصَرها ، وشاربها ، وحاملها ، والمحمولة إليه ، وساقيها ، وبائعها ، وآكل ثمنها ، والمشتري ، والمشتراة له ، ثم لعنه وأمر من بحضرته بلعنه ، فاستمرت عليه اللعنة في نواحي إشبيلية حتى كان ذلك سبب نفيه منها ، قال بعضهم : واستمرار اللعنة على الرجل في نواحي إشبيلية إنما هو كرامة لابن العربي رضي الله عنه هـ .

وأُخذ من فعله هذا أن مذهبه جواز لعن العاصي المعين ، لكنه خلاف ما له في (الأحكام) عند قوله تعالى : « إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار » الخ ونصه · فيها ثلاث مسائل ، ثم قال المسألة الثانية : فأما العاصي المعَيَّن

فلا يجوز لعنه اتفاقاً لما رُوي أن النبي صلى الله عليه وسلم جيء إليه بشارب خمر مراراً فقال بعض من حضر : لعنه الله ما أكثر ما يؤتـى به ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا تكونوا للشيطان على أخيكم » ، فجعل له حرمـة الأخوة ، وهذا يوجب الشفقة ، وهذا حديث صحيح ، وأما لعن العاصي مطلقاً وهي المسألة الثالثة فيجوز إجماعاً لما روي في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لعن الله السارق يسرق البيضة والحبل فتقطع يده » هـ. وحاصل ما ذكره في المسألة الأولى أن الصحيح عنده ، خلافاً لبعض أشياخه ، جواز لعن الكافر المعين بظاهر حاله كجواز قتله وقتاله ، قال : وكذلك إن كان ذمياً يجوز إصغاره فكذلك لعنه، ونقل الحطاب في (شرح مختصر خليل) عند قوله فيه : ولو قال يافلان فعل الله بك كذا لم تبطل ، عن ابن ناجي في (شـــرح الرسالة) ما محصله : أنه لا يجوز لعن المعين مطلقاً كافراً أو عاصياً ، ويجوز لعن غيره جمعاً بين الأحاديث فراجعه والله أعلم .

وكانت لصاحب الترجمة رحمه الله مسائل من هذا النمط، فأدّته شدته فيها إلى أن قامت عليه العامة ونهبوا داره وأخذوا كتبه وماله ، قال : ولولا أني تسترت بحريمي لكدت أن أكون كشهيد الدار يعني عثمان رضي الله عنه ، فأحسن الصبر على ذلك كله ، ثم صُرف عن القضاء وأقبل على نشر العلـم وبثه ، وقد أخذ عنه القاضي عياض باشبيلية ، قال في (الغنية) : واجتاز ببلدنا فكتبت عنه فوائد من حديثه وناولني كتاب (المؤتلف ، والمختلف) للدارقطني ، وحدثني به عن أبي الحسن الطيوري ثم قال : وحدثني بكـتاب (الاكمال في المؤتلف والمختلف) تأليف الأمين الحافظ أبي نصر ابن ماكولا عن أبي بكر محمد بن طرخان عنه ، وقرأت عليه مسألة الايمان اللازمة مـن تأليفه وأجازني جميع روايته ، ولقيته أيضاً باشبيلية وقرطبة ، ثم حدث عنه بالرباعيات التي يصير بها المحدث كاملا المروية عن البخاري ، وبقرطبة وفي اجتيازه بسبتة فناوله وكتب عنه واستفاد منه ، وأخذ عنه أيضاً أبو جعفر ابن باذش ، وأبو القاسم ابن بشكوال ، وأبو عبد الله بن خليل ، وأبو الحسن ابن النعمة ، وأبو بكر ابن خير ، وأبو عبد الله ابن عبد الرحيم ، وأبو القاسم ابن حبيش ، وأبو القاسم السهيلي ، وعالـم من نمط هؤلاء الجِلة ، وآخر من حدث

عنه بسماع أبو بكر ابن حسنون ، وآخر من حدث عنه باجازة علي بن أحمد بن علي ابن عيسى الغافقي الشقوري نزيل قرطبة ، وذكر ابن الآبار أن الشيخ الزاهد العابد أبا عبد الله بن مجاهد الاشبيلي لازمه نحواً من ثلاثة أشهر ، ثم تخلف عنه فقيل له في ذلك فقال : كان يدرّس وبغلْتُه عند الباب ينتظر الركوب إلى السلطان ، قال القاضي عياض : ولكثرة حديثه وأخباره ، وغريب حكاياته ورواياته ، أكثر الناس الكلام فيه وطعنوا في حديثه هـ .

قال في (فتح الباري) ما نصه : ثم نقل شيخنا ، يعني أبا الفضل العراقي الحافظ ، عن ابن مسدي أن ابن العربي قال : حين قيل له لم يروه ، يعني حديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عام الفتح وعلى المغفر إلا مالك ، قد رويته من ثلاثة عشر طريقاً غير طريق مالك ، وأنه وعد باخراج ذلك ولم يخرج شيئاً ، وأطال ابن مسدي في هذه القصة ، وأنشد فيها شعراً ، وحاصلها أنهم اتهموا ابن العربي في ذلك ونسبوه إلى المجازفة، ثم شرع ابن مسدي يقدح في أصل القصة ، ولم يصب في ذلك ، فراوي القصة عدل متقن ، والذين اتهموا ابن العربي في ذلك هم الذين أخطأوا لقلة اطلاعهم وكأنه بخل عليهم باخراج ذلك لما ظهر له من إنكارهم وتعنتهم ، وقد تتبعت طرقه حتى وقفت على أكثر من العدد الذي ذكره ابن العربي ولله الحمد .

انتهى المقصود (I) .

ونص الشعر المذكور كما في نقل الزرقاني في (شرح الموطأ) عن نكت الحافظ ابن حجر :

يا أهل حمص ومن بها أوصيكمُ	بالبر والتقوى وصية مشفق
فخذوا عن العربيّ أسمار الدجا	وخذوا الرواية عن إمام مُتقّي
إن الفتى ذَرِبَ اللسان مهذباً	إن لم يجد خبراً صحيحاً يخلق

وعنى بأهل حمص أهل إشبيلية هـ .

I) فتح البارى 4 : 5I .

وأما قول الحافظ الذهبي في (تذكرة الحفاظ) بعد أن أنشد الأبيات المذكورة التي هي لخلف بن حبر الأديب ، وبعد أن سمّى من فقهاء إشبيلية أبا بكر ابن المجري نقلا عن (معجم ابن مسدي) : قلت هذه حكاية ساذجة لا تدل على جرح صحيح (1) ولعل القاضي وَهِمَ وسرى فكره إلى حديث فظنه هذا ، والشعراء يخلقون الأفك ، فهو قصور وتقصير كما علمت من كلام ابن حجر ، وانه لم يقع وهْمٌ من المترجم .

توفي المترجم رحمه الله منصرفه من مراكش من الوجهة التي توجه فيها مع أهل بلده إلى الحضرة بعد دخول الموحدين مدينة إشبيلية، فحبسوا بمراكش نحو عام، ثم سرحوا فأدركته منيته وهو في الطريق قاصداً لبلده قريباً من فاس بموضع غرب منها بينه وبينها مرحلة يقال له مَغِيلة (2) بفتح الميم وكسر الغين المعجمة ومدها ، بسبب أنه أطعمه بعض رفقائه ممن أظهر أنه أراد القراءة عليه سمّاً في تمْرة أكلها فيقال إنه قال له : أطعمتنا في تمْرة قتلك الله ببقرة ، فنطحته بقرة فقتلته، وقيل انه مات برأس الماء (3) الهابط على مدينة فاس الذي يشقها بينها وبينه اثنا عشر ميلا، ثم انه احتمل على الأعناق ميتاً إلى فاس في اليوم الثاني من موته ، ودفن بها ، وكانت وفاته رحمه الله على الصحيح ليلة الخميس لثلاث خلت من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وأربعين وخمسمئة ، وقيل إن وفاته كانت في ربيع الآخر، قاله ابن بشكوال ، وقيل في جمادى الأولى من السنة المذكورة ، وقيل توفي سنة اثنتين وأربعين وخمسمئة ، ذكره بعض شراح الشفاء ، قال في (أزهار الرياض) وهو غير صحيح والله أعلم ، قال في (أنس الفقير) : وقبره بين المدينتين : فاس القديم ، وفاس الجديد ، وقد وقفت على قبره ولزيارته بركات هـ .

---

1) تذكرة الحفاظ 4 : 88 .

2) مدينة تاريخية بسهل سايس بين فاس ومكناس خربت أيام الموحدين ، كان الطريق بينهما يمر بها قبل أن يحول قليلا الى الجنوب فى بداية هذا القرن ، مازالت معروفة باسمها الى الآن ، ومازالت اطلالها ماثلة ترى عن يمين الذاهب من فاس الى مكناس عندما يسامت سوق المهاية .

3) ما زال معروفاً باسم راس الماء الى الآن ، بنى جلالة الملك الحسن الثانى على العيون التى تتفجر منه مربعاً ومصطافاً جميلا ، وبقربه محطة قطار بقرية تدعى أيضاً راس الماء .

وقال في في (نفح الطيب) ما نصه : وقع في عبارة ابن الزبير تبعاً لجماعة أنه دفن خارج باب الجيسة بفاس ، والصواب خارج باب المحروق كما أشبعت الكلام على ذلك في (أزهار الرياض) ، وقد زرته مراراً وقبره هناك مقصود للزيارة خارج القصبة ، وقد صرح بذلك بعض المتقدمين الذين حضروا وفاته ، وقال إنه دفن بتربة القائد مظفر خارج باب القصبة ، وصلى عليه صاحبه أبو الحكم ابن حجاج رحمه الله تعالى هـ .

وقال في (أزهار الرياض) : قال القاضي أبو الحسن ابن الحسن النباهي في كتابه (المرقبة العليا ، في القضاء والفتيا) بعد أن ذكر ما قدمناه، أي عن ابن الزبير من مدفنه بباب الجيسة ما نصه : والصحيح في القاضي أبي بكر أنه إنما دفن خارج باب المحروق من فاس ، وما وقع من دفنه بباب الجيسة وهم من ابن الزبير وغلط ، وقد زرناه وشاهدنا قبره بحيث ذكرناه أرضاه الله وغفر لنا وله هـ .

وبه يعلم ما في إنكار غير واحد من طلبة العلم قبل هذا أن يكون هو المدفون بهذا الخارج ، وقالوا :إنما هو خارج باب الجيسة مغترين بهذا الذي ذكره ابن الزبير وغيره كالقاضي عياض في (الغنية) من أنه دفن خارج باب الجيسة ، وجوابه أن باب الشريعة لم يكن فتح في ذلك الوقت ، وإنما فتح على راس ستمئة، فكان ذلك الخارج كله ينسب لباب الجيسة، ولا يقال يرد هذا ما في بعض التواريخ من أنه دفن على مقربة من حارة الجذمي ، لأنا نقول الجذمي كانوا هناك قديماً حتى تضرر أهل فاس بسكناهم على رأس مائهم فنقلوا إلى الموضع المعروف خارج باب الجيسة ، فان قلت ابن العربي المعافري يكنى بأبي بكر وهذا المدفون خارج باب الشريعة ذكر بعضهم أنه اشتهر بأبي يحيى قلت : هما كنيتان مترادفتان على مسمًى واحد ، كما ذكر ذلك العلامة ابن غازي في تأليفه المسمَّى بـ (الاشارات الحسان) فانظره .

وذكر بعضهم أن قبره كان عارياً بلا بناء ولا كبير احترام ، بل أدير عليه الحجارة المجموعة فقط ، ولما وقف السلطان أبو عنان المريني على المقالة الشنعاء التي نسبت له في كتابه (القواصم والعواصم) ، وهي أن الحسين بن

علي رضي الله عنهما قتل بسيف جده همّ في جانبه بأمر لا يسوغ وهـو أن يحرقه في قبره ، ثم إنه كُلـم في ذلك ونهي عنه لمكانته في العلم والديـن ، ولكون الفعل المذكور لا يسوغ فعله بأحد شرعاً ، ولأنه ربما تكون المقالة المذكورة مدسوسة عليه كما دسوا على غير واحد من الأكابر أشياء كثيرة ، وذلك هو اللائق بجلالته ، فرجع عما همّ به ، وفي (نصح ملـوك الاسلام) لابن السكاك أثناء ذكره لأبي عنان المذكور وما كان عليه من التشيع في حب آل البيت ، والتوسيع عليهم في المرتبات ما نصه : وكان قد همّ بتحريق قبر بعض الفقهاء لقولة أسندت إليه في آل البيت لـم تصح عنه ، وعلى تقديـر صحتها يتلطف في تأويلها وتخريجها على وجه يُذهِب سماجة ظاهرها وقبح صورتها ، فوجد بركة ذلك كله هـ .

وبقي قبره رحمه الله ورضي عنه على حاله إلى أن ولي الملك السلطان الأفخم والهمام الأعظم مولانا إسماعيل العلوي الحسني رحمه الله تعالى ووفد عليه إلى المغرب وفد المغافرة من بلاد الصحراء ، وتزوج منهم بالسيدة خناثة بنت بكار سيدهم يومئذ ، وبنـى بها فسألت عن قبر ابن العربي ، فأُخبرت به وبحاله فأمرت عامل فاس الروسي بموافقة بعلها مولاي إسماعيل على بنائه ، ففعل وبنى عليه الروضة القائمة البناء الآن ، وبالغ في إحكام صنعها وإتقانها وابداعها وجعل على قبره بها دربوزاً وجعل في الحائط الموالي لرأسه خزانة مكتوبة بتاريخ ولادته ووفاته ، وجعلها السلطان المذكور روضة أمنٍ لمـن احترم بها من أهل الجنايات والفساد ، وصرف الصدقة التي تُهدى له على من يقوم بخدمتها ، واستمر العمل على ذلك مدة ، ثم صرفت للغير ، والأمر لله كيف ما شاء فعل (1) .

وفي (المقصد) مانصه : وذكر للشيخ سيدي عبد الرحمان بن محمد الفاسي أحد مشاهير الصالحين الأموات وهو ابن العربي المعافري بالخصوصية فنفاها عنه ، وقال نحن أعطانا الله إدراك الشم نشم به روائحهم ، فذكر ذلك يوماً عند سيدنا أحمد ، يعني ابن عبد الله الأندلسي دفين خارج باب الفتوح رضي الله عنه ، فقال : إنما قال هذا تقريباً على المخاطب وعلى قدر فهمه ، وإلا فهو يعرفهم بشيء آخر .

---

1) جدد ضريحه سنة 1395 هـ (1975 م) صاحب الجلالة الملك الحسن الثانى .

ولما عد بعضهم من أشياخ أبي يعزى ابـن العربي هذا كتب عليـه العارف الفاسي بخطه هذا ليس بصحيح ، وان جوزه التاريخ ، فالمعروف من حال الجميع يمنه والباطن لا يمتد من مجرد الظاهر هـ .

قال في (المقصد) : يعني أن المعروف من حالهما أن الشيخ أبـا يعزى من أهل الباطن وابن العربي من أهل الظاهر فقط ، وأهـل الظاهر لا يستمد منهم أهل الباطن هـ .

والظاهر أن مراده بما ذكره أولا من نفي الخصوصية عنه ، وثانيـاً من أنه ليس له إلا مجرد الظاهر أنه ليس من أهل الخصوصية الخاصة المتعارفة عند خاصة الخاصة بحسب ما ظهر له هو كشفاً من حاله ، وما فهمه من مقاله ، وإلا ففضل ابن العربي لا يجهل ، ومكانته في الخير والصلاح والعلم والدين والصرامة في الحق لا تغفل ، وكفاه ذلك خصوصية وولاية ومكانة ومنزلـة وعنايـة ، وقد تقدم عـن صاحب (أنس الفقير) أن لزيارة قبـره بركات ، وعـده الشيخ العارف مـولاي العربي بن أحمـد الدرقاوي في رسائله مـن جملة أولياء هذه الحضرة ، بل عده فيها في محل آخر من شيوخ الطريقة ، وأمر بالبداءة به في (الزيارة) قائلا ما نصه : فاذا كنت بفاس أيها الفقير وأردت زيارة شيوخ الطريقة الذين هم هنالك ، فابدأ بسيدي المعافري الذي بين المدينتين البالية والجديدة حرسهما الله ، ثم سيدي علي ابن حرزهم ، ثم سيدي عبد الله التاودي ، ثم سيدي يوسف الفاسي ، ثم سيدي أحمد بن عبد الله ، ثم سيدي أحمد اليمني ، ثم سيدي علي الجمل أستاذنا وهو مـن بقيتهم هنالك هـ والله أعلم .

ترجمه ابـن بشكوال فـي كتاب (الصلـة) (1) وابن الزبير في (صلة الصلـة) ، والقاضي عياض فـي (الغنية) ، وابن خلكان فـي (وفيات الأعيان) (2) والذهبي في (طبقات الحفاظ) وصفه بالاجتهاد المطلق ،

---

1) **الصلـة** ص 590 ع 1297 .

2) **وفيات الأعيان** 4 : 296 ع 626 .

والحافظ في (بديعة البيان وشرحها) ، ومؤرخ الدولتين وابن فرحون في (الديباج) (1) والمقري في (نفح الطيب) (2) وفي (أزهار الرياض) (3) والشهاب وغيره من شراح الشفا، والزرقاني في (شرح المواهب اللدنية) ، وابن القاضي في (الجذوة) (4) وصاحب (الروض) ، و (الشذرات) ، و (التحفة القادرية) ، و (السلوة) (5) وغيرهم ممن لا يحصى ، وأشار إليه المدرع في منظومته فقال :

والشيخ ذو الاجلال قطب المغرب ... عمادنا محمد ابن العربي
يُكْنَى أبا بكر لدى الجمهور ... وهو المعافري في المأثور
المفرد العادم للمثال ... في الحال والعمل والمقال .

وترجم في كتاب (الترجمة) لأبي الحسن عبد الرحمان بن أبي بكر ابن العربي ، وترجم في (بغية الملتمس) لوالد المترجم عبد الله ، وقد دفن معه بروضه جماعة من الأعيان .

مستملحة :

حكي أن القاضي أبا بكر ابن العربي رحمه الله بينما هو جالس في محل درسه ، إذ دخل شاب من الملثمين وبيده رمح فهزه فقال القاضي أبو بكر رحمه الله :

يهز عليّ الرمح ظبي مهفهف ... لعوب بالباب البرية عابث
فلو كان رمحاً واحداً لاتقيتُه ... ولكنه رمح وثان وثالث

---

1) الديباج المذهب ص 281 .
2) نفح الطيب 2 : 25 .
3) ازهار الرياض 3 : 62 و 86 و 95 .
4) جذوة الاقتباس ص 62 ع 268 طبع الرباط .
5) سلوة الأنفاس 3 : 198 .

وينظر عن ابن العربي ايضاً · **شجرة النور الزكية** 1 : 136 ع 408 و **المرقبة العليا** ص 105 و **تذكرة الحفاظ** 4 : 129 و **شذرات الذهب** 4 : 141 و **بغية الملتمس** ع 179 و **المغرب** 1 : 149 .

وقد اختلف الأدباء في معنى الرمح الثاني والثالث ، وأكثرهم يقول هما القد واللحظ ، والله أعلم ، قال في (زهر الأكم) : وهذا غاية في قوة العارضة مع انسجام وحسن سبك وصحة معنى مع الارتجال وصعوبة القافية ، وقد وقع إشكال للأدباء في الشعر وما أريد به ، وذلك من حيث استعمال الرماح في العيون ، وإلا فهو واضح هـ .

وقال بعضهم وللقاضي أبي بكر ابن العربي لما أحْرق المعتمد ابن عباد كتبه باشبيلية :

دعونيَ من إحراق رق وكاغــد ... وقولوا بعلم كي يرى الناس مَن يدري
فان تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذي ... تضمنه القرطاس بل هو في صدري
يسير معي حيث استقلت ركائبـي ... وينزل إنْ أنزلْ ويدفن في قبري

انتهى .

ونسبها صاحب (النجم الثاقب) لغيره فانظره ، ونسبها بعضهم لابن حزم .

وله أيضاً

لئن أصبحت مرتحلا بجسمـي ... فقلبي عندكم أبداً مقيـم
ولكن للعيان لطيف معنـى ... لذا سأل المعاينةَ الكليـم !

500) محمد بن عبد الله القنطري

محمد بن عبد الله بن أحمد بن مسعود بن مفرج بن مسعود بن صنعون بن سفيان ، من أهل شلب يعرف بالقنطري ، ويكنى أبا القاسم ، وقنطرة السيف من الثغر الجوفي هي دار سلفه ، وبالنسبة إليها اشتهارهم .

سمع ببلده أبا بكر ابن غالب العامري ، وأبا الحسين ابن صاعد، وعيسى ابن هيبه ، وأبا بكر الأمروشي ، وأبا الحسين ابن الطلاء ، وباشبيلية أبا الحكم ابن برجان ، وأبا بكر ابن العربي ، وبقرطبة ابن مغيث ، وأبا بكر ابن المرخي وابن أبي الخصال ، وأبا الحسن ابن الوزان ، وأبا جعفر البطروجي ، وأبا

بكر ابن ريدان ، وأبا الطاهر التميمي ، وأبا الحكم ابن غشليان ، وبالمرية ابن موهب ، وأبا الحجاج القضاعي ، وسمع ابن معمر المالقي وغيرهم ، وكان من أهل المعرفة الكاملة بصناعة الحديث بعيد الصيت في الحفظ والاتقان والضبط ، جمَّاعة للدواوين والكتب من بيت فقه وحديث ، مشاركاً في فنون من العلم ، وقد شوور في الأحكام ، وله زيادة على ابن بشكوال في تاريخه قد كتبها بجملتها ابن الأبار ، حدث عنه يعيش ابن القديم الشلبي وغيره ، وذكر ابن خير أنه أجاز له ما انفرد به دونه من الرواية ، قال : وتوفي بمراكش ليلة الأربعاء ، ودفن يوم الأربعاء الرابع من ذي الحجة سنة إحدى وستين وخمسمئة ، وصلى عليه الخطيب أبو محمد ابن عمران مع من كان هنالك من جيرانه أهل شلب يعني في وفادتهم على مراكش .

ترجمه ابن الأبار وصاحب (الذيل والتكملة) (1) .

501) محمد ابن شريح الرعيني

محمد بن شريح بن محمد بن شريح بن أحمد بن محمد بن شريح بن يوسف بن عبد الله بن شريح الرعيني ، من أهل إشبيلية ، يكنى أبا بكر ، سمع أباه وصحب أبا بكر ابن العربي في وجهته إلى المغرب ، وكان من نبهاء بلده ووجوههم والمقدمين فيه بذاته وبسلفه ، قال ابن الأبار ولا أعلمه حدث ، وتوفي صدر يوم الخميس الرابع من جمادى الأولى سنة 563 ، ودفن إثر الصلاة بمقبرة مشكة لصق أبيه وجده ، وصلى عليه الخطيب أبو محمد ابن أبي الحكم ابن حجاج ، ومولده سنة 503 (2) .

وقد نص على صحبته لأبي بكر ابن العربي في وجهته إلى المغرب التي دخل فيها لمراكش في وفدة إشبيلية الذين وفدوا على عبد المومن بن علي الموحدي في (الحلل الموشية) أيضاً ، كما ترجم في (الغنية) وفي (الصلة) لأبيه القاضي شريح ، وهو أحد أشياخ مؤلفها وشيخ أبي بكر ابن

---

1) **التكملة** ص 498 ع 1377 و **الذيل والتكملة** 6 : 241 ع 700 .

2) **التكملة** ص 500 ع 1379 .

خير وقد أخرج عنه كثيراً في فهرسته ، كما ترجم في (بغية الملتمس) ، وفي (الصلة) ، و (نفح الطيب) لجده .

502) محمد بن عبد الله ابن ميمون العبدري

محمد بن عبد الله بن ميمون بن إدريس بن محمد بن عبد الله العبدري من أهل قرطبة يكنى أبا بكر ، روى عن أبي محمد ابن عتاب ، وابن رشد ، وابن طريف ، وأبي بحر ، وابن الحاج ، وأبي الحسن ابن بقي ، وابن مغيث ، وابن مكي ، وأبي عبد الله ابن أصبغ ، وعبد الجليل المقريء ، وشريح ، وابن معمر ، وابن أخت غانم ، وأبي الحسن ابن الباذش وغيرهم ، وكان متقدماً في علم اللسان ، متصرفاً في غيره من الفنون ، حافظاً حافلا شاعراً مجوداً ، خرج من بلده في الفتنة فنزل مراكش وأقرأ بها العربية والآداب ، وعُرف مكانه ، وله شرح في كتاب (الجمل) للزجاجي استعمله الناس ، و (معشرات) في الغزل كفرها بمثلها في الزهد وشرحها في سفر ضخم أفاد به ، حدث عنه يعيش ابن القديم وغيره ، وتوفي بمراكش عن إقلاع وإنابة سنة 567 بعضه عن ابن مومن .

ذكره في (التكملة) وقال فيها في ترجمة حسن بن محمد الأنصاري : إنه أخذ عن أبي بكر ابن ميمون القرطبي بمراكش ، وصحبه هنالك (1) .

وقال في (بغية الوعاة) ، في ترجمة المترجم ما نصه : قال في تاريخ غرناطة : استوطن مراكش وكان عالماً بالقراءات ذاكراً للتفسير ، حافظاً للفقه واللغة والأدب ، شاعراً محسناً كاتباً بليغاً مبرزاً في النحو ، جميل العشرة حسن الخلق متواضعاً فكه المحاضرة ظريف الدعابة ، روى عن أبي بكر ابن العربي ، وشريح وأبي الحسن بن الباذش ، وأبي الوليد ابن رشد ولازمه عشر سنين ، روى عنه يعيش ابن القديم ، وأبو زكريا المرجيقي وغيرهما ، ودخل غرناطة ، وألف شرحين على الجمل ، كبيراً وصغيراً ، وشرح أبيات

1) التكملة ص 511 ع 1396 .

الايضاح للفارسي ، وشرح المقامات ، و (مشاحذ الأفكار ، في مآخذ النظار) وغير ذلك ، كان يحضر مجلس عبد المومن مع جملة العلماء ويبدي ما عنده من المعارف إلى أن أنشد في المجلس أبياتاً كان نظمها في أبي القاسم عبد المنعم بن محمد ابن تيسيت وهي :

أبا قاسم والهوى جنـــــــــة وها أنا من مسها لم أفِـــــــق
تقحمت جاحم نار الضلـــــوع كما خضت بحر دموع الحـــدق
أكنت الخليل أكنت الكليـــــم أمِنت الحريق أمنت الغــــرق

فهجره عبد المومن ومنعه من الحضور في مجلسه ، وصرف بنيه عن القراءة عليه ، وسرى ذلك في أكثر من يتردد عليه على أنه كان في المرتبة العليا من الطاهرة والعفاف .

مات بمراكش يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة سنة 567 وقد قارب التسعين (1) .

503) محمد بن عمر الشواشي الشلبي

قال ابن الزبير ، أستاذ مجيد في إقراء القرآن والعربيـة والأدب ، شاعر كاتب حج وعرف بالخير وله ثروة المريدين بالأندلس (2) .

مات بمراكش في شوال سنة تسع وستين وخمسمئة .

انتهى من (بغية الوعاة) .

504) محمد بن عبد الله ابن خليل القيسي

محمد بـن عبد الله بـن محمد ابن خليل القيسي من أهـل لبلة (3) سكن مراكش وصحب مالك ابـن وهيب وأخذ عنـه ولازمه ستة أعـوام ،

---

1) ينظر عن ابن ميمون أيضاً فى الذيل والتكملة 6 : 319 ع 836 .

2) الذى يظهر ان له كتاباً عن ثورة المريدين .

3) الروايـة هنا عـن ابن الأبار ، وقد عقب عليها ابن عبد الملك فى الذيـل والتكملة (6 : 305) بقوله : وقال أبو عبد الله ابن الأبار انه لبلى ، وأرى أن موهمه فى ذلك ظنه بعض بنى خليل اللبليين ، وليس منهم وهو قيسى ، وأولئك سكونيون .

وروى عن ابن الطلاع ، وخازم بـن محمد ، وأبي علي الغساني ، سمع منـه (صحيح مسلم) وغير ذلك ، وقد حدث عنه به وبغيره ، وعن أبي عبد الله ابن حمدين ، وأبي الحسين ابن سراج ، وأبي علي الصدفي وكتب إليه ، وأبي الحسن ابن الأخضر ، وأبي بكر ابن عطية ، وأبي محمد ابن عتاب ، وأبي بحر الأسدي ، وابن طريف ، وابن رشد ، وأبي عبد الله ابن أصبغ ، وأبي بكر ابن أسود ، وأبي محمد ابن السيد ، وأبي بكر ابن العربي ، وأبي الحسين ابـن الطراوة ، وأبي الحكم ابن بُرجان ، روى عنه تواليفه وسمع من أبي القاسم ابن جهور (مقامات الحريري) ، وكان من أهل الرواية والدراية ، نزل مدينة فاس ، ثم انتقل إلى مراكش وأقـرأ وحدث ، وأخذ عنه جماعة منهم : أبـو عبد الله الأندرشي شيخ ابن الأبار ، وأبو عبد الله بن عبد الحق قاضي تلمسان ، ذكر أنه لقيه بمراكش وأجاز له في جمادى الآخرة سنة 569 ، وتوفي سنة سبعين بعدهـا (1) .

ذكره ابن الأبار في (التكملة) و (المعجم) ، وأسند من طريقه حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم تزوج حفصة أو بعض أزواجه فأولَم عليها تمْراً وسويقاً .

وقال فـي (الجذوة) : محمد بـن عبد الله بـن محمد ابن خليـل القيسي قال ابن الزبير : أحسبه من أهل قرطبة ، وقال ابن فرتون : من أهل إشبيلية ، ونسبه في موضع آخر إلى قرطبة وهو الأصح ، ذكره الشيخ الحافظ محمـد بن عبد الحق بـن سليمان في شيوخـه ، وكناه أبا عبـد الله ، أقام بمدينة فاس مدة وأخذ عنه بعض من كان بها ، ثم انتقل آخر عمره إلى مراكش وكُفَّ بصره ، وكان عالي الرواية ، متمكناً في الدراية ، شاذاً في المعارف ، وبرع في (مدارك العقول) بأبي عبد الله مالك بن وهيب عالم أهل زمانه، وقدوة أقرانه، لازمه ستة أعوام، وروى أيضاً عن أعلام جلة وشيوخ كبراء كابن الطلاع ، وأبي محمد ابن عتاب ، وأبي علي الغساني ، سمع منه (صحيح مسلم) وغير ذلك ، وأبي عبد الله ابن حمدين ، وأبي علي الصدفي ، وابن أبي

1) التكـملة ص 515 ع 1408 و الذيل والتكملة 6 : 305 ع 796 .

تليد ، وابن رشد ، وابن المناصف ، وابن العربي ، وأبي بكر ابن عطية ، وأبي الوليد ابن طريف ، وأبي الحسن ابن سراج بن أبي مروان ابن سراج ، وابن الأخضر ، وابن الطراوة ، وأبي محمد ابن السيد البطليوسي ، وأبي الحكم ابن برجان ، وأبي القاسم ابن جهور ، سمع عنه (مقامات الحريري) ، هؤلاء من سمى ابن عبد الحق من شيوخ ابن خليل وذكر ابن فرتون من شيوخه أبا القاسم خلف بن إبراهيم المعروف بابن النحاس ، وأبا بحر ، وابن خليل آخر من حدث عن حازم ، وابن الطلاع والغساني ، وابن سراج ، وابن حمدين، وابن برجان ، روى عن ابن خليل هذا محمد بن عبد الحق قاضي تلمسان ، وأبو عبد الله الأندرشي ، ويعيش ابن القديم وهانيء ابن هانيء ، والخطيب يحيى بن عبد العزيز ابن عزون الفاسي ، قال ابن الزبير وآخر مَن حدث عنه شيخنا أبو إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم ابن عامر ، وأجاز له سنة سبعين وخمسمئة ، وتوفي بمراكش آخر هذه السنة التي أجاز فيها ، انتهى (1) .

ذكره في (الشذرات) ونقل بعض كلام ابن الأبار .

505) محمد بن حسين ابن حبوس الفاسي

محمد بن حسين بن عبد الله ابن حبوس الفاسي ، وحبوس مولى بني أبي العافية الذين ملكوا المغرب الأقصى أيام بني أمية الأندلسيين فمَن بعدهم ، وأصلهم من بني مقرول بن تسول إحدى القبائل اللائي بحومة تازة ، وكان موضع بني أبي العافية حاضرة سلطانهم إلى أيام يوسف بن تاشفين ، فانتقض ملكهم ، وانتثر سلكهم ، وذهبت أيامهم ، وتلك عادة الله وسنته في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا .

روى ابن حبوس عن ابي بكر الأبيض ، روى عنه أبوا محمد بن محمد التادلي ، وعبد العزيز بن علي ابن ريدان ، وكان شاعراً مفلقاً من جلة فحول الشعراء ، متفنناً في معارف سوى ذلك من كلام ونحو ولغة ، ولد بفاس ونشأ

---

1) جلوة الاقتباس ص 265 ع 273 .

بها ، وتأدب بالعلماء من أهلها والطارئين عليها ، وقال : الشعر في صباه ، ثم رحل إلى تلمسان فأقام بها يسيراً ، ثم رحل إلى مراكش فأقام بها قليلا ، ثم قدم الأندلس فتردد في بعض بلادها معظم عصر شبيبته إلى أن ظهر أمر عبد المومن بالعدوة ، واستولى على مراكش ... بانتقال عبد المومن يصحب ركابه ويسير معه في حركاته ... عبد المومن من فتح المهدية سنة أربع وخمسين وخمسمئة ، فأقام ... عاد إلى فاس فاستوطنها ، وله في عبد المومن وبنيه أمداح ، ... عبد ... المومن ، وقد حل برباط الفتح من قصيدة :

الا أيهذا البحر جاورك البحـــــر ... وخيم في أرجائك النفع والضـــر
وجاش على أمواجك الحلم والحجا ... وفاض على أعطافك الامر والأمـر
وسال عليك البر خيلا كُماتهـــا ... إذا حاولت غزواً فقد وجب النصر
وليس اشتراك اللفظ يوجب مدحة ... ولكنه ان وافق الخَبَرَ الخُبْــر
فما لك من وصف تشاركه بـــه ... سوى خدع في النطق زخرفها الشعر
ومالك من معنى يشير الى التـــي ... تفوه به إلا السلاطة والعـــذر
فأنت خديم البدر والشمس عنوة ... وتخدمه في أمره الشمس والبـدر
ويحويك شطر الأرض تعمر بعضه ... وفي صدره الأفلاك والبحر والبـر

ومن هذه القصيدة :

هنيئاً لأهل الغرب ان حلها امـرؤ ... به تصلح الأيام إن فسد الدهــر
وبشرى لهذا السيف ما لحـــده ؟ ... لقد بهرت فيه السماحة والبشـر

ومـنهـا :

بني فرقة أم البلاد فكلهـــــــا ... يسح عليه من مراضعهـــــا در
تكنفها الملئان من كل جانـــــب ... نقيضان ذا حلو المذاق وذا مـــر
فهذا عليه المد والجز دائبـــــاً ... وذلك لا مد عليه ولا جـــــــزر

ومـنـهـا :

غدت نقطة في ضمن دائرة الدنـــا ... فلا أفق ينآني عليها ولا قطــــر
فمن حيث ما رمت الجوانب نلتهـا ... بيسر ولا كد عليك ولا عســـــر

فذلك أعماق الجسوم وطولهـــا — وان بعدت يعني بامدادها السحـر
يفوح تراب الأرض من طيب نشره — ففي معطش الأيام من طيها نشـر
... بموطىء رجلـــــــــــه — وتحسده فيه الفرائد والنســر
... فيه ولا كمـــــــــا — تنافس شهر الصوم كرم والفطـر
... من جل همهـــــــــــا — إذا احتل شهر انه ذلك الشهــر

... التوحيد ، والزهد ، والتمسك بالسنة :

... ظماءك في شريعة أحمـــــد — تسقى اذا ما شئت غير مصـــرد
... أعطان الديانة علهـــــــا — تدنيك من حوض النبي محمــــد
... بالنبوة واقتبس من نورهـــا — واسلك على نهج الهداية تهتـــد
وإذا رأيت الصادرين عشيـــــة — عن منهل الدين الحنيف فـــأورد
الدين دين الله لم يعبأ بمبـــــ — ـــتدع ولم يحفل بضلة ملحـد
قالوا بنور العقل يدرك مـــاورا — ء الغيب قلت قدى من الدعوى قـد
بالشرع يدرك كل شيء غائـــب — والعقل ينكر كل ما لم يشهـــد
من لم يحط علماً بغاية نفســـه — وهي القريبة ، مَن له بالأبعـــد ؟
ولقد نرى الفلك المحيط وعلم مـا — في ضمنه أعيا على المترصـــد
سعد المجرة بالكواكب دائـــم — في زعمهم وقسيمها لم يسعـــد
مَن خص بالسفليّ جرمَ البدر أم — مَن خص بالعلويّ جرمَ الفرقـد
ما شاهق الطود المنيف وإن عـلا — الا بمنزلة الحضيض الأوهـــد
وجواز عكس الأمر في ذا واضـــح — للعقل فازدد من يقينك ترشـــد
ذاك اختصاص ليس يعلم كنهـــه — من ليس يوصف بالبقاء السرمـد
خفض عليك أبا فلان انهـــــا — نوب تطالعنا تروح وتغتـــدي
سالت علينا للشكوك جـــداول — بعد اليقين بها ولما تنفـــد
وتبعقت بالكفر فينا الســـنُ — لا تفقد التضليل من لم تفقـــد
أعداؤنا في ربنا أحبابنـــــا — جرحوا القلوب واقبلوا في العـود
كشف القناع فلا هواد تريننـــا — حتى نغادرهم وراء المسقـــد
ستنالهم منا الغداة قـــوارع — ان لم تغلهم غولها فكأن قـــد

وتصوب فيهم سحبنا بصواعـــق تلك التي جلبت منية أربـــــــد
من كان يضربهم بسيف واحـــد فـأنـــا أضــــــــــرب ...
ولعمر غيرهم وتلك أليـــــــة" إن الحِمامَ لجمعهم بالمرصِـــد
قالوا الفلاسف قلت تلك عصابـة جـاءت مـن الدعـوى . . . . . .
خدعت بألفاظ تروق لطافـــــة فاذا طلبت حقيقة لم توجـــــــد
ذو علمهم لو كان شاهد علمنـــا ورأى جهابذة الكـــــــلام ...
لعراه من حسن هنالك لؤلـــؤ وأقام بين تحير وتبلـــــــد
اسفى ولو أني نصرت عليهـــم للثمت في المهجات كل مهنـــد
يلغي كتاب الله بين ظهورهـــم وجميع مسنون النبي محمـــد
يا قاتل الله الجهالة انهـــــا ورق لأغصان الشباب الأملـــد

ومنه في الوصايا ، والامثال وذم الزمان :

رد الطرف حتى توافي النميـــرا فرب عسير أتاح اليسيـــــرا
وارسل قلوصك طوراً شمــــالا وطوراً جنوباً وطوراً دبـــورا
وشن على غازيات البــــلاد من النص والرمل جيشاً مغيـــرا
وفر ماء وجهك حتى تجـــــم وأطف السَّموم به والهجيـــرا
وطر حين أنت قوي الجنــــا ح لا عذر عندك أن لا تطيـــرا
ولا تقعنَّ وأنت السليـــــــ ـم حيث تضاهي المهيض الكسيرا
فأم الترحل تدعى وليـــــدا وأم الاقامة تدعى نــــــزورا
وذو العجز يرضع ثدياً حـــدودا وذو العزم يرضع ثديـــاً درورا
يعزُّ على النبل أني غـــدوت أكنى أديباً وأسمى فقيـــــرا
واني ثبت لكف الزمـــان يعرق عظمي عرقاً مبيـــــرا
وما ذاك أنيَّ هيابـــــة أخاف الرحيل واشنا المسيـــرا
ولكن بحكم زمان عـــــدا يحطُّ الجيادَ ويُسمي الحميـــرا

قال المصنف عفا الله عنه : أغفل من بيت: (وأرسلْ قلوصَكَ.) ناحيةَ الشرق وهي فضلاها ، فبان بذلك نقصه ، وأرى أنه لو قال في بيتين :

وارسل قلوصك طولا وعرضـــا دجى أو ضياء سُرى أو مسيـــرا
وطوراً جنوباً وطوراً دبـــــورا

... لو في الجهات الأربع فكان أتم ، فتأمله والله الموفق .

وفي (الاعتبار) :

... حمامه عبـــــــــــرة وانما يعتبر العاقـــــــــــل
يذكر بالكونين من جنـــــــة ومن جحيم ذكرها هايـــــــل
وإنما يعرض أنموذجـــــــا من ذا وذا لو نبه الغافـــــــل
نعيمه فيه الشقاء' الـــــــدي يشفق منه العالم العامـــــــل
تكاد نفس المرء من حـــــره تزول لولا أنه زائـــــــــــل
يا صاحبي والجد لي شيمـــة وليس من أصحابي الهـــــازل
نحن طلبان فبادر بنـــــــا من قبل أن يقنصنا الحابـــــــل
بحر سلمنا منه في ساحـــــــل فما ترى إن عمر الساحـــــــل ؟
في حيث لا تنجي الفتى حيلـــة سواء الفارس والراجـــــــــل

وشعره كثير وقد جمع له بعض أصحابه المختصين به ما علق بحفظه منه أو أحضره ذكره ، أو اسأرته عوادي التنقل والاضطراب إلى آخر ربيعـي ستين وخمسمئة ، فناهز ذلك ستة آلاف بيت وخمسمئة بيت ، وقد وقفت منه على مجلد متوسط .

ولد سنة خمسمئة ، وتوفي سنة سبعين وخمسمئة .

ذكره في (الذيل والتكملة) ، واختصر في ترجمته في (التكملة) فذكر فيه أربعة أسطر (1) .

506) محمد بن عبد الرحمان ابن طاهر القيسي

محمد بن عبد الرحمان بن أحمد بن عبد الرحمان بن طاهر القيســي ، من أهل مرسية ورئيسها في الفتنـة ، يكنى أبا عبد الرحمان ، تفقـه ببلـده عند أبي جعفر ابن أبي جعفر ، ورحل إلى قرطبة فلقي أبا مروان ابـن مسرة

---

1) **التكملة** 2 : 677 ع 1711 .

وطبقته ، وسمع من أبي الوليد ابن الدباغ ، وأبي القاسم ابن ورد ، وأبي محمد ابن عطية ، وأبي بكر ابن برنجال ، وأجاز له ابن العربي وغيره ، وكان يذهب في جميع ما يحمله إلى الدراية وإدراكها بقراءته ، ثم طالع العلوم القديمة فبرز فيها ، وصار إماماً من أيمتها ، ورأس بمرسية بعد انقراض الملثمين يسيراً ، ثم تخلى عن ذلك وتلون للناس رغبة في السلامة ، وتوفي بمراكش سنة أربع وسبعين وخمسمئة .

نقله ابن الأبار عن ابن سفيان (1) .

507) محمد بن محمد الشريف الادريسي السبتي

محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس السبتي ، الشريف الادريسي ، من نسل الادريسيين الحسنيين الذين استولوا على غربي إفريقيا الشمالية من 172 إلى 314 ، المولود سنة 494 في مدينة سبتة ، وكان التجأ إليها جده بعدما خُلع من الملك ، وأتى الأدريسي هذا في صباه إلى قرطبة وساح في الأندلس وشمال افريقيا وآسيا الصغرى ، وأتى إلى جزيرة صقلية تلبية لصاحب ملكها روجرس الثاني ، وألف وهو مقيم فيها كتابه الذي فرغ من تأليفه سنة 549 المسمى (نزهة المشتاق ، في اختراق الآفاق) وهو وصف إفريقيا والأندلس ، قد طبع في لايدن باعتناء دوزي ودى جويه مع ترجمة فرنساوية وشروح ، واستخرج آماري الايطالياني كل ما قاله الادريسي في وصف إيطاليا وعنى بطبعه على حدته سنة 1883 م في رومية مع ترجمة إيطاليانية وشروح ، وللادريسي أيضاً (وصف فلسطين وبر الشام) طبع طبعاً في بون على نهر الراين سنة 1885 م في 28 صحيفة ، وقد اعتمد كتابه (النزهة) الأيمة ، وهي مرتبة على الأقاليم السبعة ، أورد فيها أوصاف الأحوال .

قال في (كشف الظنون) والمعروف أنه اختصره بعضهم هـ .

---

1) **التكملة** 2 : 521 ع 1418 وانظر أيضاً **الذيل والتكملة** 6 : 338 ع 896 .

وتقدم بعض الاشارة إلى ترجمته في المقدمة نقلا عن (وفية الاسلاف) عند ذكر أغمات ايلان ، وتقدم النقل عن المترجم أن وادي أغمات وريكة ربما جمد في الشتاء بها حتى يجتاز الأطفال عليه ، وأن ذلك عاينه بها غير مرة ، وتقدم أيضاً وصفه لمراكش وصف مشاهد لها (1) .

وقال في (رسائل البشرى) : ومنهم العلامة الشهير محمد بن محمد بن عبد الله المعروف بالشريف الادريسي ، ولد سنة 1099 ميلادية ، وتوفي في صقلية سنة1180 ، أخذ في قرطبة من علمائها ، واشتهر في فنون الهيأة ، والجغرافية ، والفلسفة ، والطب ، والنحو وقرض الشعر ، طاف ببلاد مصر والمغرب وآسيا الصغرى ، والقسطنطينة، والأندلس ، وفرانسا، وانكلترا، ثم دعاه إليه ملك صقلية وقتئذ المسمى روجرس الثاني فاصطنع له إجابة لطلبه كرة أرضية من فضة وكتب عليها بأحرف عربية كل ما عرفه من البلدان ، وشرح ما كتبه بها في كتاب سماه (نزهة المشتاق في أخبار الآفاق) ، ووصف فيه نباتات كل قطر، وقد ترجم إلى اللغة الفرانساوية وطبع باللغة العربية في روما سنة 1593 م هـ .

أما ذكره لسنة 1099 ميلادية لسنة ولادته فيوافقها سنة 494 من الهجرة النبوية ، وأما ذكره لسنة 1180 في وقت وفاته فيوافقها عام 576 من الهجرة ، وأما ذكره سنة 1593 م سنة طبعه فيوافقها عام 1003 من الهجرة .

وقال في (النخبة الأزهرية) : ثم الشريف الادريسي صاحب (نزهة المشتاق) المولود بسبتة في القرن الحادي عشر ، ضمنه شرح الكرة هـ ، يعني أواخر القرن الحادي عشر الميلادي الموافق لأوائل القرن الخامس الهجري كما تقدم (2) .

508) محمد بن عبد الله ابن الغاسل

محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد المقري ، من أهل غرناطة يعرف بابن الغاسل ، ويكنى أبا عبد الله، ... ذكر أنه لقيه (3) بمراكش، وأجاز

---

1) أنظر 1 : 61 من هذا الكتاب .

2) ينظر عن الشريف الادريسي **ذكريات مشاهير المغرب** ع 24 .

3) كذا في الأصل ولا ندرى على من يعود الضمير .

له النميري وصحبه طويلا ، وهو علمه ، وأفاده ، وندبه إلى لقاء الشيوخ والأخذ عنهم ، ورحل به للسماع منهم ، وكان ابن خاله ، فلقي من المقرئين أبا الحسن ابن الباذش ، وابنه أبا جعفر ، وأبا الحسن ابن ثابت ، وأبا القاسم ابن الفرس ، وأبا الحسن ابن لب ، وأبا بكر ابن الخلوف ، وأبا الحسين شريح بن محمد ، وعليه اعتمد في القراءات ، ومنه سمع كثيراً من تواليفه ولقي من جلة المحدثين وغيرهم أبا الحسن ابن مغيث ، وأبا القاسم ابن بقي ، وأبا بكر ابن العربي ، وأبا عبد الله مكي ، وأبا الوليد ابن بَقْوَة ، وأبا إسحاق ابن حبيش ، وأبا بكر ابن طاهر ، وأبا محمد ابن عطية ، وأبا بكر ابن بشر ، وأبا محمد النفزي المرسي ، وأبا بكر ابن بَرْنْجال ، وأبا محمد ابن أيوب ، وأبا بكر ابن فورتش ، وأبا الحسن ابن الوزان وغيرهم ، فسمع منهم وأجازوا له ، وممن لم يلقه فكتب إليه أبو محمد ابن عتاب ، وأبو بحر الأسدي ، وابن طريف ، وابن السيد ، وابن موهب ، وابن زغيبة ، وابن ورد ، وابن معمر ، وابن عفيف ، وأبو مروان الباجي ، وأبو الوليد ابن الحجاج ، وأبو بكر ابن فتحون ، وأبو عبد الله ابن وضاح ، وابن الطاهر الاشتركوني ، وأبو عبد الله الحمزي ، وأبو الحسن ابن هذيل ، وأبو عبد الله البونتي ، وأبو إسحاق ابن ثبات ، وأبو عبد الله ابن عبد الرزاق ، وأبو طاهر السلفي من الأسكندرية .

وكان مقرئاً ، فاضلا ، محدثاً ، حافلا ، حسن الخط ، جيد الضبط ، أخِذ عنه ، قال ابن الأبار بعد إيراد ما تقدم : ونقلت أسماء شيوخه من خطه في (إجازته) لأبي الحسن الفهمي الضرير سنة سبعين وخمسمئة .

وكانت وفاته بعد ذلك بمدة (1) .

509) محمد بن عبد الملك ابن طفيل القيسي

محمد بن عبد الملك بن طفيل القيسي أبو بكر الوزير الشهير طبيب يوسف بن عبد المومن الموحدي ، ولد بالأندلس سنة 494 واشتهر بالطب

1) قال ابن عبد الملك في **الذيل والتكملة** 6 : 319 ع 801 : توفي ليلة الاثنين عشرة جمادى الاخرى سنة 577 وليس فيها ولا في **التكملة** (2 : 517 ع 1413) ما يدل على أنه دخل مراكش .

والفلسفة والشعر ، له رسالة تدعى (حي بن يقظان) وهي تشتمل على أشهر آراء العرب الفلسفية ، ويقال انه أخذها عن ابن سينا وهي مطبوعة غير مرة ومتداولة ، وكان حاذقاً بصناعة الطب والجراحات ، قال في (المعجب) عند ذكر يوسف بن عبد المومن الموحدي : ولم يزل يجمع الكتب من أقطار الأندلس والمغرب ويبحث عن العلماء وخاصة أهل علم النظر إلى أن اجتمع له منهم ما لم يجتمع لملك قبله ممن ملك المغرب ، وكان ممن صحبه من العلماء المتفننين أبو بكر محمد ابن طفيل أحد فلاسفة المسلمين ، كان متحققاً بجميع أجزاء الفلسفة ، قرأ على جماعة من المتحققين بعلم الفلسفة منهم محمد ابن الصائغ المعروف عندنا بابن باجه وغيره ، ورأيت لأبي بكر هذا تصانيف في أنواع الفلسفة ، من الطبيعيات والالاهيات وغير ذلك ،فمن رسائله الطبيعيات رسالة سماها (رسالة حي بن يقظان) غرضه فيها بيان مبدإ النوع الانساني على مذهبهم ، وهي رسالة لطيفة الجرم كبيرة الفائدة في ذلك الفن ، ومن تصانيفه الالاهيات (رسالة في النفس) ، رأيتها بخطه رحمه الله ، وكان قد صرف عنايته في آخر عمره إلى العلم الالاهي ونبذ ما سواه ، وكان حريصاً على الجمع بين الحكمة والشريعة معظماً لأمر النبوات ظاهراً وباطناً، هذا مع اتساع في العلوم الاسلامية، وبلغني أنه كان يأخذ الجامكية (1) مع عدة أصناف من الخدمة من الأطباء ، والمهندسين ، والكتاب ، والشعراء ، والرماة ، والأجناد إلى غير هؤلاء من الطوائف ، وكان يقول : لو نفق عندهم علم الموسيقى لأنفقته عليهم ، وكان أمير المومنين يوسف شديد الشغف به والحب له ، بلغني أنه كان يقيم في القصر عنده أياماً ليلا ونهاراً لا يظهر ، وكان ابن طفيل هذا احدى حسنات الدهر في ذاته وأدواته ، انشدني ابنه يحيى بمدينة مراكش سنة 603 من شعر أبيه رحمه الله :

ألمَّت وقد نام المشيح وهوَّما ⁂ وأسرت إلى وادي العقيق من الحما
وجرَّت على ترب المحصب ذيلها ⁂ فما زال ذاك الترب نهباً مقسما
تناوله أيدي التجار لطيمة ⁂ ويحمله الداريُّ أيان يمَّما
ولما رأت أن لا ظلام يجنها ⁂ وأنَّ سراها فيه لن يتكتما

1) الراتب .

نضت عذبات الريط عن حر وجهها — فأبدت محيًّا يدهش المتوسما
فكان تجليها حجاب جمالها — كشمس الضحى يعشى بها الطرف كلما
ولما التقينا بعد طول تهاجر — وقد كاد حبل الود أن يتصرما
جلت عن ثناياها وأومض بارق — فلم أدر مَن شق الدجنة منهما ؟
وساعدني جفن الغمام على البكا — فلم أدر دمعاً أيُنا كان أسجما
فقالت وقد رق الحديث وأبصرت — قرائن أحوال أذعن المكتما
نشدتك لا يذهب بك الشوق مذهبا — يهوّن صعباً أو يرخّص مأتما
فامسكت لا مستغنياً عن نوالها — ولكن رأيت الصبر أوفى وأكرما

ومن شعره في الزهد رحمه الله ما قرأ عليَّ ابنه من خطه في التاريخ المذكور :

يا باكياً فرقة الأحباب عن شحط — هلاّ بكيتَ فراق الروح للبدن ؟
نور تردد في طين إلى أجل — فانحاز علواً وخلَّى الطين للكفن
ياشد ما افترقا من بعد ما اعتلقا — أظنها هدنة كانت على دخن
ان لم يكن في رضى الله اجتماعهما — فيالها صفقة تمت على غبن

وأنشدني بعض أصحابنا من الكتاب له رحمه الله :

ما كل من شم نال رائحة — للناس في ذا تباين عجب
قوم لهم فكرة تجول بهم — بين المعاني أولئك النجب
وفرقة في القشور قد وقفوا — وليس يدرون لب ما طلبوا
لا غاية تنجلى لناظرهم — منه ، ولا ينقضي لهم أرب
لا يتعدى امرؤ جبلته — قد قُسمت في الطبيعة الرتب

ولم يزل ابن طفيل هذا يجلب إليه العلماء من جميع الأقطار وينبه عليهم ويحضه على اكرامهم والتنويه بهم ، وهو الذي نبهه علي محمد بن أحمد بن محمد ابن رشد (1) .

---

1) **المعجب** ص 145 طبع سلا .

وقال في (تذكرة المحسنين) ما نصه : صاحب الأرجوزة محمد بن عبد الملك ابن طفيل القيسي الوادآشي توفي سنة 481 بمراكش وهو غلط واضح ، فانه توفي سنة 581 ، وقيل توفي سنة 578 ، وسياتي ذكره في ترجمة ابن رشد الحفيد (1) .

تنبيــه :

قد حرف الافرنج اسم المترجم بنقله إلى لغتهم وقالوا فيه : أبو باسي كما سموا ابن سينا أفيسنا ، وابن رشد أفيرويس ، وأبا حامد الغزالي الغازل، وأبا بكر ابن باجه المعروف بابن الصائغ أفمباس .

510) **محمد ابن إسماعيل الهواري** ، من أهل أغمات وريكة، قدم مراكش متوجهاً إلى مكة فمات بها قرب الزوال يوم السبت الرابع عشر من شهر ربيع الأول عام أحد وثمانين وخمسمئة،وكان عبداً صالحاً على سنن أهل الفضل والدين، نسخ (الاحياء) للغزالي فعمل به واستعمل ما فيه من الاذكار والادعية والأوراد، فلم يُخل بشيء من ذلك ، وكان إذا صلى الصبح قعد في مصلاه إلى أن يصلي الضحى، فيصلي الضحى إلى أن يتعالى النهار، ثم يصلي الظهر فلا يزال مصلياً إلى أن يصلي العصر ، ثم يقعد في المسجد إلى قرب غروب الشمس، وما سكن قط بأغمات إلا بالكراء ، ولا اتخذ فيها ضيعة ، فقيل له في ذلك فقال : أخاف أن اكتسب ملكاً فأحتاج إلى مصانعة العمال .

قال في (التشوف) : حدثني أبو بكر بن عبد الرحيم قال : سمعت حسن بن عبد الله يقول : كان محمد بن إسماعيل يصلي الضحى بثمانية أحزاب من القرآن على الدوام لا يخالف ذلك، وحدثني علي بن عيسى قال: بعث القاضي أبو حفص ابن عمر إلى محمد بن إسماعيل وكان صديقه ، فلما وصل إليه قال له القاضي : بقيت ثلاثة أيام لم يطب لي فيها طعام ، فقال له : ولم ذلك ؟ قال : لأن العامل كتب أحباس المسجد ليرفعها وأنا أرغبه ثلاثة أيام ألا يفعل

---

1) ترجمه ابن عبد الملك فى **الذيل والتكملة** 6 : 407 ع 1089 فى اربعة اسطر ، وابن ابى أصيبعة فى **طبقات الأطباء** 2 : 78 وابن الأبار فى **تحفة القادم** رقم 43 .

فلجً في ذلك وكتبها في زمامه ، فقال له الهواري : أنت تدافع عن الله تعالى من يحاربه انما ينبغى لك أن تنصر مخلوقاً مثلك فان الناقد بصير وهو يدافع عن بيته ، ثم دعا على العامل فأصابته ذبحة من ليلته فأصبح ميتاً ، وحمل إلى مراكش في السَّحر ، فسمعت مولاته تقول : لقد كان دخول أغمات علينا مشؤوماً ، وهي تنوح على مولاها ، قال أبو الحسن : وكان بأغمات رجل يتجسس على الناس في أملاكهم ، فجاء الناس إلى الهواري وهو في المسجد فشكوه إليه ، فدعا عليه فمكث ثلاثة أيام فبات ذلك المتجسس مع قوم فذبحوه وأراحهم الله تعالى منه (1) .

511) محمد بن علي بن مروان

محمد بن علي بن مروان قاضي مراكش ، قال في (الشهب اللامعة) : من وضع العقاب على نسبة العاقب ما روي من أن الشيخ عبد الواحد بن أبي حفص كان تزوج أخت الأمير يعقوب المنصور وأقامت عنده ثم حدثت بينهما منافرة ، فجاءت بيتَ أخيها ، وسير الشيخ عبد الواحد في طلبها وامتنعت عليه ، فشكا ذلك إلى قاضي الجماعة بمراكش ، وكان إذ ذاك محمد بن علي بن مروان ، فاجتمع القاضي بالأمير يعقوب وقال له : إن فلاناً طلب أهله ، فسكت الأمير ومضى على ذلك أيام ، ثم إن عبد الواحد اجتمع بالقاضي المذكور بقصر الأمير وأعاد طلب أهله ، فأنهى القاضي ذلك إلى الأمير فسكت ولم يجمعه بأهله إلا في الثالثة ، وهذا السكوت هنا نوع حسن من العقاب على عدم إرضائه لأهله ، وأمثال هذا كثير (2) .

512) محمد بن عبد الله ابن الجد الفهري

محمد بن عبد الله بن يحيى بن فرج ابن الجد الفهري ، الفقيه الحافظ المستبحر من أهل أشبيلية ، ودار سلفه لبلة من كورها وبها ولد ، يكنى أبا بكر .

---

1) التشوف ص 260 ع 118 و السعادة الأبدية 2 : 116 .

2) هذه الترجمة الحقها المؤلف بعد طبع المحمدين فى الأجزاء الخمسة الأولى المطبوعة بفاس .

وسمع ببلده من أبي الحسن ابن الأخضر، ودرس عليه (كتاب سيبويه)، وأخذ عنه كتب اللغة ، والأدب ، والغريب ، وسمع من أبي القاسم الهوزني (صحيح مسلم) ، ومن أبي الحسن شريح بن محمد ، وأبي القاسم ابن منظور ، ولقي بقرطبة أبا محمد ابن عتاب ، وأبا الوليد ابن رشد ، وأبا بحر الأسدي ، وأبا الوليد ابن طريف فحمل عنهم ، وناوله ابن رشد منهم كتاب (البيان) و (المقدمات) من تآليفه ، وسمع من أبي بكر ابن العربي (جامع الترمذي) وغير ذلك ، وكان لا يحدث عنه ولا عن شريح والهوزني ، وعني في أول أمره بالعربية فبرع فيها وعزم على الاقتصار عليها والتصدر لاقرائها ، ثم مال إلى دراسة الفقه ومطالعة الحديث والاشراف على الاتفاق والاختلاف بتحريض أبي الوليد ابن رشد إياه على ذلك وندبِه إليه لما رأى من سداد فطرته واتقاد فطنته ، فبلغ الغاية ونفع الله به ، وانتهت إليه الرياسة في الحفظ والفتيا ، وقدم للشورى مع أبي بكر ابن العربي ونظرائه من الفقهاء حينئذ باشبيلية في سنة 521 وأبو القاسم ابن ورد يلي قضاءها ، وتمادى به ذلك نيفاً على ستين سنة في ازدياد سمو الرتبة واطراد تمكن الحظوة عند الملوك مع أنه امتُحن وسُجن وقيد .

وكان في وقته فقيه الأندلس ، وحافظ المغرب لمذهب مالك غير مدافع ولا منازع ولا يدانيه أحد في ذلك ، واستفاد ثروة عظيمة ، وإليه كانت رياسة بلده والانفراد بها ، ثم ورثها عقِبُه بعده مع اشتغاله بالتدريس والاسماع وإن لم يكن الحديث شأنه ، وكان فصيحاً ، خطيباً ، مفوهاً ، يبلغ بالبديهة ما لا يبلغ بالروية ، أخذ عنه جلة أهل الأندلس والعدوة ، ورحلوا إليه وانتفعوا به ، ولم يشتغل بالتأليف على غزارة حفظه ومَعانة مادة علمه ، ووقف له ابن الأبار على (مجموع في الزكاة) أملاه قديماً حمل عنه وسمع منه ، وتوفي باشبيلية ليلة يوم الخميس الرابع عشر من شوال سنة 586 وهو ابن تسعين سنة ، واشهر مولده بلبلة في شهر ربيع الأول سنة 496 .

ترجمه ابن الأبار (1) .

---

1) **التكملة** 2 : 542 ع 1469 وانظر ايضاً عنه **الذيل والتكملة** 6 323 ع 840 **والمغرب** 1 : 343 **والديباج المذهب** ص 302 .

وذكر في (الحلل الموشية) أن الفقيه أبا بكر ابن الجد من وفد إشبيلية الذين قدموا على عبد المومن بن علي صحبة أبي بكر ابن العربي في وجهته إلى المغرب التي دخل فيها لمراكش ، وذكر في (الاستقصا) أن المترجم كان من الفقهاء الذين كانوا يجالسون المنصور الموحدي ويسامرونه ، وترجمه في (الشذرات) .

513) محمد بن محمد ابن باز اليحصبي

محمد بن محمد بن علي ابن باز اليحصبي ، من أهل بلس المعروفة بالسكة ، عمل بسطة ، أديب شاعر ماهر ، كان قاضياً ببلده ، وبه مات في سنة 587 ، سمع أبا القاسم ابن حبيش وغيره ، وحدث عنه بعض أصحاب ابن الأبار ، وذكر أنه قرأ عليه (مقامات الحريري) .

قال في (بغية الملتمس) :
أنشدني رحمه الله من قوله في لابس ثوب أخضر :

وكم قائل لم يدر وجدي ولوعتي … أرى لك في خضر الملابس مذهبا
فقلت له بل فاض دمعي صبابة … فعادت ثيابي من بكائي طحلبا

وصل الحضرة الامامية يعني مراكش في سنة 567 ، ومدحها بقصائد مطولة ، ونال من بركتها المباركة ، أنشدني منها قصيدة منها :

نهضوا ليوم الفتح في صولاتهم … بلغوا من الأبطال آلفَ مَلأم
لم يجتمع لقبيلة امثالهم … فهم الرجاء لمنجد أو متهم
ان الأصول إذا ... … ... طيبة الجنا والمطعم

ترجمه في (بغية الملتمس) ، وفي (التكملة) .

514) محمد بن عبد الملك ابن سعيد العنسي

محمد بن عبد الملك بن سعيد بن خلف بن سعيد بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن محمد بن عثمان بن محمد بن عبد الله بن عمار بن ياسر

رضي الله عنه العنسي المدلجي من أهل قلعة يحصب الأندلسي ، صاحب أعمال غرناطة وأعمال إشبيلية ، ولد عام اربعة عشر وخمسمئة ، وتوفي بشعبان عام تسعة وثمانين وخمسمئة بغرناطة ، كان المترجم وزيراً جليلا بعيد الصيت ، عـالي الذكر ، رفيع الهمة كثير الأموال ، وذكره أبن صاحب الصلاة في كتابه (تاريخ الموحدين) (1) ونبه عـلى مكانته منهم في الحظوة والأخذ في أمـور الناس ، واثنى عليه وذكره السهيلي في (شرح السيرة الشريفة) (2) حيث ذكر الكتاب الموجه من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هرقل ، وأن محمداً ابن عبد الملك عاينه عند أدفونش مكرماً مفتخراً به ، والقصة مشهورة ، ومدحه الرصافي بقصيدة أولها :

ذهناً يفيض وخاطراً متوقـــــدا ماذا عسى يثنى على علم النـــــدا

ولما أنشده قصيدته فيه التي أولها :

لمحلك الترفيع والتعظيـــــــم ولوجهك التقديس والتكريـــــم

حلف لا يسمعها ، وقال عليَّ إجازتك ، ولكن طباعي لا تحمل مثل هذا، فقال له الرصافي : ومن مثلك يستحق هذا في الوقت غيرك ، فقال له دعني من خداعك أنا وما أعلمه من قلبي .

وأنشد له حفيده أبو الحسن في (الطالع السعيد) :

فلا تظهرنْ ما كان في الصدر كامنا ولا تركبنْ بالغيظ في مركب وعر
ولا تبحثنْ في عذر من جاء تائبـاً فليس كريماً من يباحث في العذر

وولي للموحدين أعمالا كثيرة بمراكش ، وسلا، وإشبيلية ، وغرناطة، واتصلت ولايته على أعمال غرناطة ، وكان من شيوخها وأعيانها ، وكتب عليه عقد أن في داره من الحلي وأصنافه ما لا يمكن إلا في دار الملك ، وأنه إذا ركب

1) المن بالامامة على المستضعفين ص 251 .

2) الروض الانف .

في صلاة الصبح شوش ... (1) نباح الكلاب، فأمر المنصور بالقبض عليه وعلى ابن عمه صاحب أعمال إفريقية أبي الحسين سنة 593 ، ثم رضي عنهما ، وأمر محمد بن عبد الملك أن يكتب بخطه كل ما أخذ منه فصرفه عليه ولم ينقص منه شيئاً ، وغرم له ما فات منه ، وهذا مما يدل على قوة سعد محمد بن عبد الملك المذكور ونباهة قدرة ، وحسبه من الفخر مدح أديب الأندلس وشاعرها أبي عبد الله الرصافي له وهو ممن يمدح الخلفاء في ذلك العصر ، رحمه الله تعالى .

ترجمه في (الاحاطة) ، وفي (نفح الطيب) (2) .

515) محمد بن إبراهيم ابن الفخّار الانصارى

محمد بن إبراهيم بن خلف بن أحمد ، أنصاري ، من أهل مالقة ، وأصله من بلنسية ، يعرف بابن الفخار ، سمع من أبي بكر ابن العربي وأكثر عنه واختص به ، ومن أبي عبد الله ابن الأحمر القرشي ، وأبي مروان ابن بونه ، وأبي جعفر البطروجي ، وأبي عبد الله ابن معمر ، وأبي مروان ابن مسرة ، وأبي بكر ابن عبد العزيز ، وأبي محمد ابن فائز العكي وغيرهم ، وأجاز له أبو المظفر الشيباني ، وأبو طاهر السلفي ، وكان صدراً في حفاظ الحديث ، مُقدماً في ذلك معروفاً به يسرد المتون والأسانيد مع معرفة بالرجال وذكر الغريب ومشاركة في اللغة ومعرفة بالشروط ، وكان يتولى عقدها بباب فنتناله ، وربما أقرأ بالعربية والآداب ، سمع منه جلة ، وحدث عنه أيمة ، منهم الامام أبو جعفر ابن عميرة صاحب (بغية الملتمس) ، واعترف له بالحفظ أهل زمانه ، سمع ابن الآبار أبا سليمان ابن حوط الله يقول : سمعته يقول : إنه حفظ في شبيبته كتاب (السنن) لأبي داوود ، وقلما كان يخفى عليه منه شيء ، قال أبو سليمان : وأما في مدة لقائي إياه ، فكان يذكر (صحيح مسلم) أو أكثره ، قال أبو سليمان وسأله أخي يعني أبا محمد ابن حوط الله يوماً وأنا حاضر : هل كنت تستعين على الحفظ بشيء مما يذكر الأطباء ؟ فقال قد كان بعض ذلك .

---

1) بياض بقدر سطر ، وجاء في هامش احدى النسخ : هذا سطر بخط المؤلف رحمه الله ما قدرنا على استخراجه جبره الله تعالى .

2) الترجمة منقولة حرفاً من **نفح الطيب** 2 : 335 وانظر أيضاً **المغرب** 2 : 162 .

وقال أبو جعفر ابن عميرة نزيل مراكش في ترجمته من كتابه (بغية الملتمس) ما نصه : ما رأيت أحفظ منه لكتاب مسلم،قال لي صاحبنا الفقيه أبو محمد ابن حوط الله بحضرة مراكش، وكان قد حضر قراءتي عليه لكتاب مسلم فلما خرجنا من عنده قال لي :لو أضيف هذا الكتاب إليه-فقيل كتاب ابن الفخار- لكان أحق بالاضافة إليه منه إلى مسلم،وكان موصوفاً بالورع والفضل،مسلَّماً له في جلالة القدر ومتانة العدالة، مكرّماً لطلاب العلم متناهياً في الحفاوة بهم والبر ، واستدعي إلى حضرة السلطان بمراكش ليسمع عليه بها ، فتوفي هنالك بعد صلاة العصر من يوم الأحد السابع عشر وقيل الثامن عشر لشعبان سنة تسعين وخمسمئة ، ومولده بمالقة في التاسع لرجب سنة 511 ، قال في (بغية الملتمس) : حدثني الحافظ محمد ابن إبراهيم يعني المترجم وهو أول ما سمعته منه ، قال حدثنا الحافظ أبو بكر محمد ابن عبد الله قال : لما وصلت بغداد صحبة أبي ، أقمت بها مدة وكان لهم يوم لا تبقى فيه مخدّرة ولا صاحب دكان إلا خرجوا إلى منتزهاتهم فأقاموا بها عامة ذلك اليوم ، ثم انصرفوا ، ومن لا منتزه له قعد على شاطىء دجلة ينظر إلى الناس يمرون عليه ، وكان معنا من أهل الأندلس أديب شاعر يحضر معنا في المدرسة ، فخرجنا وخرج صحبتنا إلى ربوة تقرب من الطريق ، وقعدنا هناك والناس يمرون إلى أن مرت جماعة نساء وبينهم امرأة قد فرعتهم طولا ، وبهرتهم حسناً وجمالا ، فقام ذلك الفتي لما أبصرها وقال : لا بدّ لي من معارضة هذه المرأة ، فقلنا له : اتق الله تعالى ، وقمنا إليه لنمسكه ، فشد عنا ، ورأيناه قد خطر عليها وكلمها فأجابته ، ثم انصرف إلينا من فوره وسقط مغشياً عليه ، فقلنا له : ما الذي دهاك ؟ فأقام ساعة ثم سري عنه ، فقال لنا : خطرتُ على المرأة حيث رأيتموني وقلت :

من أين ياتي ذا الغزال الذي   قد كحلت بالسحر عيناه

فوالله ما أتممت الكلام حتى قالت :

من دوحة المجد ودار التقي   وسعيه يرضى به الله

فلم أملك نفسي من سرعة الجواب وجزالة اللفظ أن بُهتُ وأصابني ما ترون ، فسار النسوة مع المرأة غير بعيد ، ثم انصرفت منهن جارية فقالت لنا : تقول لكم السيدة : الحقوا بها تنالوا من بركتها ، فمشينا حتى انتهينا إلى بستان حسن ، فكنا في طائفة منه من خارجه عامة ذلك اليوم يطاف علينا بكل فاكهة إلى أن مضى النهار ، فخرجت إلينا جارية ومعها جملة دنانير فقالت لنا : تعتذر إليكم السيدة إذ لم تجدوا عندها أكثر من هذا ، فاقبلوا عذرها واستعينوا بهذا البر اليسير على ما أنتم بسبيله من الطلب ، فانصرفنا فرحين وسألنا عنها فقيل لنا : هي من ذرية الحسن بن علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، انتهى .

ترجمه في (بغية الملتمس) (1) وفي (التكملة) (2) والحافظ الذهبي في (تذكرة الحفاظ) ببعض ما في (التكملة) صحيفة 144 ج 4 .

وقال في (نفح الطيب) : ولما تألب بنو حسون علي القاضي الوحيدي المذكور ، يعني الفقيه العالم عبد الله الوحيدي قاضي مالقة ، صادر عنه العالم الأصولي محمد ابن الفخار ، طلع في حقه إلى حضرة الامامة مراكش وقام في مجلس أمير المسلمين ابن تاشفين وهو قد غص بأربابه ، وقال : إنه لمقام كريم نبدأ فيه بحمد الله على الدنوّ منه ، ونصلى على خيرة أنبيائه محمد الهادي إلى الصراط المستقيم وعلى آله وصحابته نجوم الليل البهيم ، أما بعد ، فانا نحمد الله الذي اصطفاك للمومنين أميراً، وجعلك للدين الحنيف نصيراً وظهيراً، ونفزع إليك مما دهمنا في حماك ، ونبث إليك ما لحقنا من الضيم ونحن تحت ظل علاك ، ويأبى الله أن يُلجهم مَن احتمى بأمير المسلمين ، ويصاب بضيم من ادرع بحصنه الحصين ، شكوى قمت بها بين يديك في حق أمرك الذي عضدك مؤيده ، لتسمع منها ما تختبره برأيك وتنقده ، وان قاضيك ابن الوحيدي الذي قدمته في مالقة للاحكام ، ورضيت بعدله فيمن بها من الخاصة والعوام ،

---

1) **بغية الملتمس** ص 57 ع 53 .

2) **التكملة** 2 : 547 ع 1480 .

وينظر عنه أيضاً **الذيل والتكملة** 6 : 87 ع 218 .

لم يزل يدل على حسن اختيارك بحسن سيرته ، ويرضى الله تعالى ويرضي الناس بظاهره وسريرته ، ما علمنا عليه من سوء ، ولا درينا له موقف خزي ، ولم يزل جارياً على ما يرضي الله تعالى ويرضيك ويرضينا ، إلى أن تعرضت بنو حسون إلى الطعن في إحكامه ، والهد من أعلامه ، ولم يعلموا أن اهتضام المقدم راجع على المقدم ، بـل جمحوا في لجاجهم فعموا وصموا ، وفعلـوا وأمضوا ما به هموا ، وإلى السحب يرفع الكف من قد جف عنه مسيل عيـن ونهر ، فملأ سمعه بلاغة أعقبت نصره ونصر صاحبه .

ومن شعر ابن الفخار المذكور ويعرف بابن نصف الربض قوله :

امستنكر شيب المفارق في الصبـا ... وهل يُنكر النور المفتح في الغصن
أظن طلاب المجد شيب مفرقـــي ... وان كنت في إحدى وعشرين منسني

وقـولـه :

أقلَّ عتابك ان الكريـــــم ... يجازى على حبه بالقِـــــلا
وخلِّ اجتنابك ان الزمـــــان ... يُمِرُّ بتكديره ما حـــــلا
وواصل أخاك بعلاتـــــه ... فقد يُلبس الثوب بعد البـــلا
وقل كالذي قاله شاعــــر ... نبيل وحقك ان تنبـــلا :
(إذا ما خليلٌ أسا مـــــرة ... وقد كان فيما مضى مُجمـــلا)
(ذكرتُ المقدمَ من فعلـــه ... فلم يُفسد الآخـــرُ الأولا)

وذكره في (الشذرات) .

516) محمد بن احمد ابن رشد

محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد ابن رشد من أهل قرطبة وقاضي الجماعة بها ، يكنى أبا الوليد ، روى عن أبيـه أبي القاسم ، استظهر عليـه (الموطأ) حفظاً ، وأخذ يسيراً عن أبي القاسم ابن بشكوال ، وأبي مروان ابن مسرة ، وأبي بكر ابن سمجون ، وأبي جعفر ابن عبد العزيز ، وأجاز له هو وأبو عبد الله المازري ، وأخذ علم الطب عن أبي مروان ابن جربول البلنسي ،

وكانت الدراية أغلب عليه من الرواية ، درس الفقه والأصول ، وعلم الكلام وغير ذلك ، ولم ينشأ بالأندلس مثله كمالا وعلماً وفضلا ، وكان على شرفه أشد الناس تواضعاً واخفضهم جناحاً ، وعني بالعلم من صغره إلى كبره حتى حُكي عنه أنه لم يدع النظر ولا القراءة منذ عقل إلا ليلة وفاة أبيه وليلة بنائه على أهله ، وأنه سوّد فيما صنف ، وقيد ، وألف ، وهذب ، واختصر نحواً من عشرة آلاف ورقة ، ومال إلى علوم الأوائل فكانت له فيها الامامة دون أهل عصره .

وكان يُفزع إلى فتواه في الطب كما يُفزع إلى فتواه في الفقه مع الحظ الوافر من الاعراب والآداب ، حكى عنه أبو القاسم ابن الطيلسان أنه كان يحفظ شعري حبيب ، والمتنبي ، ويكثر التمثل بهما في مجلسه ، ويورد ذلك أحسن إيراد .

وله تصانيف جليلة الفائدة منها كتاب (بداية المجتهد ، ونهاية المقتصد) في الفقه ، أعطى فيها أسباب الخلاف وعلّل ووجّه ، فأفاد وأمتع به ، ولا يعلم في فنه أنفع منه ولا أحسن مساقاً ، وكتاب (الكليات) في الطب، و (مختصر المستصفى) في الأصول ، وكتابه في العربية الذي وسمه بـ (الضروري) وغير ذلك .

وولي قضاء قرطبة بعد أبي محمد ابن مغيث ، فحمدت سيرته وتأثّلت له عند الملوك وجاهة عظيمة لم يصرفها في ترفيع حال ، ولا جمع مال ، إنما قصرها على أهل بلده خاصة ومنافع أهل الأندلس عامة .

وقد حدث وسمع منه أبو محمد ابن حوط الله ، وأبو الحسن سهل ابن مالك ، وأبو الربيع ابن سالم ، وأبو بكر ابن جهور ، وأبو القاسم ابن الطيلسان وغيرهم ، وامتحن بآخرة من عمره فاعتقله السلطان وأهانه ، ثم عاد فيه إلى أجمل رأيه واستدعاه إلى حضرة مراكش ، فتوفي بها يوم الخميس التاسع من صفر سنة خمس وتسعين وخمسمئة ، وقبل وفاة المنصور الذي نكبه بشهر أو نحوه ، ودفن بخارجها ، ثم سيق إلى قرطبة فدفن بها مع سلفه رحمه الله .

وذكر ابن فرقد أنه توفي بحضرة مراكش بعد النكبة الجارية عليه المشتهرة الذكر في شهر ربيع الأول سنة خمس وتسعين وخمسمئة ، وغلط ابن عمر فجعل وفاته تاسع صفر سنة ست وتسعين ، ومولده سنة عشرين وخمسمئة قبل وفاة جده القاضي بأشهر (1) .

انتهى من (بغية الملتمس) ، و (التكملة) (2) وعدّه في (وفية الاسلاف) من أكابر الحكماء في الملة الاسلامية قائلا : صنّف أكثر من سبعين كتاباً منها كتاب (الخليجة) وهو مقبول عند أهالي أوربا ومحترم ، وعلى ألسنتهم المختلفة مترجم ، هـ .

وترجم له في (طبقات الأطباء) في الجزء الثاني منها ترجمة واسعة ، واقتصر في (الديباج) على ما في (التكملة) ، وقال في الجزء الأول من (الفتوحات) في الباب الخامس عشر في معرفة الأنفاس ، ومعرفة أقطابها المحققين بها وأسرارهم بعد ذكر سلمة ابن وضاخ القرطبي ما نصه : ولقد دخلت يوماً على قاضيها أبي الوليد ابن رشد ، وكان يرغب في لقائي لما سمع وبلغه ما فتح الله به علي في خلوتي ، وكان يظهر التعجب مما سمع ، فبعثني والدي إليه في حاجة قصداً منه حتى يجتمع بي ، فانه كان من أصدقائه وأنا صبي ما بقل وجهي ولا طر شاربي ، فلما دخلت عليه قام من مكانه إليّ محبة واعظاماً ، فعانقني وقال لي : نعم ، فقلت له : نعم ، فزاد فرحه بي لفهمي عنه ، ثم استشعرت بما أفرحه من ذلك ، فقلت له : لا ، فانقبض وتغير لونه وشك فيما عنده،وقال: كيف وجدتم الأمر في (الكشف) و (الفيض الالاهي) ؟ هل هو ما أعطاه لنا النظر ؟ قلت له : نعم ، لا ، وبين نعم ولا تطير الأرواح من موادها والأعناق من أجسادها ، فاصفر لونه وأخذه الافكل ، وقعد يحوقل ، وعرف ما أشرت به إليه ، وهو عين هذه المسألة التي ذكرها هذا القطب الامام، أعني مداوي الكلوم ، وطلب من أبي بعد ذلك الاجتماع ليعرض ما عنده

---

1) التكملة 2 : 553 ع 1497 .

2) بل من التكملة فقط .

علينا هل هو يوافق أو يخالف ؟ فانه كان من أرباب الفكر والنظر العقلي ، فشكر الله تعالى الذي كان في زمان رأى فيه من دخل خلوته جاهلا ، وخرج مثل هذا الخروج من غير درس ولا بحث ولا مطالعة ولا قراءة ، وقال هذه حالة أثبتناها وما رأينا لها أرباباً ، فالحمد لله الذي أنا في زمان فيه واحد من أربابها الفاتحين مغاليق أبوابها ، والحمد لله الذي خصني برؤيته ، ثم أردت الاجتماع به مرة ثانية فأقيم لي رحمة من الله في الواقعة في صورة ضرب بيني وبينه فيها حجاب رقيق ، أنظر إليه منه ولا يبصرني ولا يعرف مكاني ، وقد شغل بنفسه عني ، فقلت : إنه غير مراد لما نحن عليه ، فما اجتمعت به حتى درج وذلك في سنة خمس وتسعين وخمسمئة بمدينة مراكش ، ونقل إلى قرطبة وبها قبره ، ولما جُعل التابوت الذي فيه جسده على الدابة جعلت تآليفه تعادله من الجانب الآخر ، وأنا واقف ومعي الفقيه الأديب محمد ابن جبير ، وصاحبي عمر ابن السراج الناسخ ، فالتفت أبو الحكم إلينا وقال : ألا تنظرون إلى من يعادل الامام ابن رشد في مركوبه ، هذا الامام وهذه أعماله، يعني تآليفه، فقال له ابن جبير : يا ولدي نِعْم ما نظرت لا فُضَّ فوك، فقيدتها عندي موعظة وتذكرة ، رحم الله جميعهم وما بقي من الجماعة غيري وقلنا في ذلك :

هذا الامام وهذه أعماله يا ليت شعري هل أتت آماله ؟

انتهى .

وسيأتي في ترجمة ابن جبير انه توفي سنة ستمئة وأربع عشرة ، وأن الشيخ الأكبر توفي سنة ستمئة و ثمانية وثلاثين ، وقال بعضهم : إن المترجم قرأ الطب على أبي جعفر ابن هارون ، فنبغ فيه وتفرد ، ثم رأى من نفسه ارتياحاً إلى الحكمة فطلبها على ابن باجه الفيلسوف الأندلسي المشهور، ولزم غيره من أرباب الحكمة حتى تمكن منها ، وكان ابن رشد في مراكش عام 548 ، ولعله استدعاه عبد المومن ليستعين به على ترتيب المدارس التي أنشأها في مراكش ، فتولى القضاء في المغرب مع البقاء على القضاء في الأندلس ، وهو ابن سبع وعشرين سنة ، وحظي أيضاً عند

يوسف بن عبد المومن ، وكان ابن الطفيل من المقربين عنده ، فعرف حق ابن رشد ومال إليه ، وعرف السلطان بمقامه من العلم والرياسة ،وكان يوسف محباً للعلماء وفيه ميل إلى الوقوف على حكمة القدماء ، وكان ما تُرجم من كتب أرسطو إلى ذلك العهد بين مشوه وناقص ، فتقدم إلى ابن رشد باشارة ابن الطفيل أن يشرح تآليف هذا الحكيم شرحاً يجمع بين الايجاز والصراحة، فأجابه وشرع في عقد الشروح التي وضعها على تصانيف أرسطو ، فتصفح تلك التآليف متروياً حتى حصلت له ملكة فيها ، فأدرك كنهها ، وحل رموزها ، وألف شرح كتبه في القياس التحليلي والطبيعيات والسماء والنفس والالاهيات ومجموع كتبه في المنطق دون القياس التحليلي ، وألف شرح كتاب الحيوان ومختصر المجسطي ، وكتاب (البيان) ، وختم رسالته في (جوهر الكون) في مراكش عام 574 ، وأكمل رسالته في الفقه في إشبيلية سنة 575 ، وله في الفلسفة نحو ثلاثين تأليفاً ، واستدعاه يوسف بن عبد المومن إلى حضرته في مراكش سنة 578 بعد وفاة طبيبه ابن الطفيل ، وولاه مكانه وأولاه جزيل الاحسان ، ثم بعد ذلك هاجت العامة في مراكش على القاضي بها لسوء سيرته ، وطلبوا خلعه وتولية ابن رشد مكانه ، فولاه يعقوب المنصور القضاء ، ولا يبعد أن يكون للسلطان في ذلك يد ، فلم يزل على القضاء إلى أن توفي سنة 595 .

ومن تآليفه (الكليات في الطب)، ترجم إلى اللاتينية وطبع، و (شرح أرجوزة ابن سينا في الطب) ، و (الضروري في المنطق) أُلحق به تلخيص كتاب أرسطو ، و (المزاج) ، و (القوى الطبيعية) ، وتلخيص كتاب (العلل والاعراض) ، و (التصرف والحميات) ، و (الأدوية المفردة) ، و (حيلة البرء) و (التهافت)،و (فصل المقال،فيما بين الشريعة والطبيعة من الانتقال)، وتلخيص كتاب (الحسن والقبح في الكلام) لمحمد بن محمد الحسني المشهور بالحكيمي ، وتلخيص كتاب (الكون والفساد) لأرسطو ، وله رحلة ، وغير ذلك من الرسائل والمقالات في القياس ، والعلم الالاهي ، والهندسة ، والحكمة وغيرها ، وقيل له في المثلثات الكروية رسالة ، واشتغل برصد الأنجم ، ورُوي أنه رأى كلفتين على وجه الشمس ، واثبت ذلك في (مختصر

المجسطي) ، ولم تستعمل النظارة الا بعد زمانه ، وقد حفظ علماء اليهود أكثر تآليف ابن رشد لأن مقاومة أمراء الموحدين للفلاسفة والحكماء المسلمين منعت من تداول كتبهم وتكثير نسخها ، وقد عني بها علما اليهود في إسپانيا وبروفنسة ، فاستنسخوها وترجموها إلى العبرانية واستكثروا من نسخها ، وأكثرها موجود باللغة المذكورة ، وقد ترجمت أيضاً إلى اللاتينية ، وقد كان المترجم رحمه الله ذهب إلى أن الحقائق الفلسفية هي الغاية السامية التي يمكن للانسان أن يصل إليها ، وعنده أن القليل من الناس يقدرون أن يصلوا إليه نظرياً ، وكان يعتقد أن الوحي النبوي واجب لنشر حقائق الفلسفة والدين الأدبية ، وقد قال إنه ينبغي للانسان في حداثته التمسك بالدين ، وأنه اذا توصل إلى معرفة حقائق الدين السامية نظرياً فلا ينبغي له أن يزدري بالمبادىء التي نشأ عليها ، وقد تعرض لهذا الموضع في كثير من كتبه ولا سيما في آخر رده على تهافت الغزالي ، وله رسالتان حاول فيهما جهده أن يوفق بين الدين والفلسفة، وقد أثبت في إحداهما ـ مستشهداً بآيات من القرآن الكريم ـ استطلاع الحقيقة بواسطة العلم ، وأن الدين يعلم حقائقه السامية بواسطة سهلة ممكنة لكل إنسان ، ولكن الفلسفة وحدها تطلع الانسان على كنه العقائد الدينية بواسطة التفسير ، فان العامة تكتفي بالمعنى الحرفي ، وفي الرسالة الثانية أثبت حقيقة معنى العقائد الدينية ، وناقض بعض المذاهب كالمعتزلة والباطنية .

ومن الذين كتبوا عن فلسفة ابن رشد رينان العالم الفرنساوي ، فانه ألف كتاباً قرر فيه سيرته ومؤلفاته ، وقال عنه إنه كان أعظم فلاسفة القرون الوسطى التابعين لأرسطو والناهجين سبيل حرية الأفكار ، وأقواله خالية من الميل ، وقد طبع هذا الكتاب في پاريس سنة 1892 م ، كان واسع العفو ، متلافاً للمال ، يتدفق كرماً ، كثير الأفضال على من لجأ إليه من الأصدقاء والأعداء ، وكان يقول : إني اذا أعطيت الصديق فقد فعلت ما أُحب ، ولا فضل لي في ذلك ، ولكن اذا أعطيت العدو فقد تبعت أحكام الفضيلة .

وكان واسع الرحلة كثير الرفق بالناس ، ولم يتعمد مدة قضائه الحكم بالموت على أحد ، وكان إذا دعت الحاجة إلى ذلك يحوله عنه إلى نوابه،

ومن أخباره في سعة العفو والحلم أن رجلا أهانه على مسمع من الناس ، فشكره لأنه امتحن بذلك صبر نفسه ، وأنعم عليه ووهبه مالا وقال له : خذ المال ، ولكن حذار من فعل مثل ذلك بغيري فاني أخاف من أنه لا يعاملك بمثل ما عاملتك ، وكان في صباه ينتحل الشعر ، وكان له في الغزل والحكم قصائد أحرقها في شيخوخته، وكان يُقرىء العلم جهاراً شأن غيره من الفلاسفة، وكان أكثر تلامذته من اليهود والنصارى ، وقلّ من كان يقرأ عليه من المسلمين لأنه كان يُرمي بضعف المعتقد .

راجع (المعجب) (1) .

517) محمد بن عبد الملك ابن زهر الايادي

محمد بن عبد الملك بن زهر بن عبد الملك بن محمد بن مروان ابن زهر الايادي من أهل إشبيلية يكنى أبا بكر ، قال في (التكملة) : أخذ عن أبيه عبد الملك وعن جده أبي العلاء علم الطب ، وانفرد بالامامة فيه في وقته مع الحظ الوافر من الأدب ، واللغة والحفظ لأشعار الجاهلية والمتأخرين والمولدين والمشاركة في سواها ، وحدث بالمقامات عن أبيه عبد الملك عن الحريري إجازة كتب بها إليه والى أبيه أبي العلاء ، واليه كانت رياسة بلده ، وكان لا يعدله أحد من رجلات الأندلس في الحظوة عند الأمراء ورفع المنزلة ، سمحاً جواداً نفّاعاً بجاهه وبماله ، ممدوحاً من رجال الكمال ، وقد حدث عنه أبو علي الشلوبين وغيره ، وكان أبو بكر ابن الجد يزكيه ، ويُحكى أنه يحفظ (صحيح البخاري) أسانيد ومتوناً ، وتوفي بمراكش غدوة يوم الخميس الحادي والعشرين من ذي الحجة سنة خمس وتسعين وخمسمئة ، وصلى عليه الخليفة ، ودفن بروضة الأمراء ، ومولده سنة سبع وخمسمئة ، وقيل توفي وهو ابن إحدى وتسعين سنة هـ (2) .

---

1) **المعجب** ص 147 طبع سلا .

2) **التكملة** 2 : 555 ع 1499 .

وقال في (عيون الأنباء) ما نصه : الحفيد أبـو بكر ابن زهر هـو الوزير الحكيم الأديب الحسيب الأصيل ، أبو بكر محمد بن عبد الملك ابن أبي العلاء ابن زهر ، مولده بمدينة إشبيلية ونشأ بها ، وتميز في العلوم ، وأخذ صناعة الطب عن أبيه ، وباشر أعمالها ، وكان معتدل القامة ، صحيح البنية ، قوي الأعضاء ، وصار في سن الشيخوخة ونضارة لونه وقوة حركاته لم يتبين فيها تغير ، وإنما عرض له في أواخر عمره ثـقل في السمع ، وكان حافظـاً للقرآن ، وسمع الحديث واشتغل بعلم الأدب والعربية ، ولم يكن في زمانه أعلم منه بمعرفة اللغة ،ويوصف بأنه قد أكمل صناعة الطب والأدب وعانى عمل الشعر ، وأجاد فيه وله موشحات مشهورة ويُغنى بها ، وهي من أجود ما قيل في ذلك ، وكان ملازماً للأمور الشرعية ، متين الدين ، قـوي النفس ، محباً للخير ، وكان مهيباً وله جرأة في الكلام ، ولم يكن في زمانه أعلم منـه بصناعة الطب ، وذكره قد شاع واشتهر في أقطار الأندلس وغيرها من البلاد .

وحدثني القاضي محمـد بن أحمد بن عبد الملك الباجي مـن أهل إشبيلية قال : قال لي الشيخ الوزير الحكيم أبو بكر ابن زهر أنه لازم لجدي عبد الملك الباجي سبع سنين يشتغل عليه وقرأ عليه كتاب (المدونة) لسحنون في مذهب مالك ، وقرأ أيضاً عليه (مسند ابن أبي شيبة) ، وحدثني أيضاً القاضي محمـد الباجي عن أبي بكر ابـن زهر أنه كان شديـد البأس يجذب قوساً مئة وخمسين رطلا بالاشبيلي ، والرطل الذي باشبيلية ستـة عشر أوقية ، وكل أوقية عشرة دراهم ، وأنه كان جيد اللعب بالشطرنج جداً، ولم يكن في زمانه أحد مثله في صناعة الطب ، وخدم الدولتين ، وذلك أنه لحق دولة الملثمين ، واستمر في الخدمة مع أبيه في آخر دولتهم ، ثمّ خدم دولة الموحدين ، وهم بنو عبد المومن ، وذلك أنه كان في خدمة عبد المومن هو وأبوه ، وفي أيام عبد المومن مات أبـوه وبقي هو في خدمته ، ثـم خدم ليوسف بـن عبد المـومن ، ثم لابنـه يعقوب الـذي لُقّب بالمنصور ، ثـم خدم ابنه محمد الناصر ، وفي أول دولته توفي أبو بكـر ابن زهر ، وكانت وفاته رحمه الله في عام ستة وتسعين وخمسمئة بمراكش ، وقد أتاها ليزور بها ، ودفن هنالك في الموضع المعروف بمقابر الشيوخ ، وعمَّر نحو

الستين سنة ، قال : وكان أبو بكر ابن زهر صائب الرأي حسن المعالجة ، جيد التدبير ، وقد عرف هذا منه حتى أنه يوماً كان قد كتب والده عبد الملك ابن زهر نسخة دواء مسهّل لعبد المومن الخليفة فلما رآه أبو بكر بعد ذلك وكان في حال شبيبته قال : يجب أن يبدل هذا الدواء المفرد منه بدواء آخر ، فلم يتناول عبد المومن ذلك الدواء ، ولما رآه أبوه قال : يا أمير المومنين إن الصواب في قوله، وبدل الدواء المفرد بغيره ، فأثر نفعاً بيناً وألف أبو بكر ابن زهر (الترياق الخمسيني) ليعقوب المنصور ، قال وحدثني من أثق به أن رجلا من بني الييناقي كان صديقاً للحفيد أبي بكر ابن زهر ، وكان يجالسه كثيراً ويلعب معه بالشطرنج ، وأنه كان عند الحفيد أبي بكر يوماً وهما يلعبان بالشطرنج ، فرآه الحفيد على غير ما يعهده به من الانبساط ، فقال له : ما لخاطرك كأنه مشتغل بشيء عرّفني ما هو ؟ فقال : نعم إن لي بنتاً زوجتها لرجل ، وهو يطلبها ، وقد احتجت إلى ثلاثمئة دينار ، فقال له : العبْ وما عليك ، فان عندي في وقتنا هذا ثلاثمئة دينار إلا خمسة دنانير تأخذها ، فلعب معه ساعة ، واستدعى بالذهب وأعطاه له ، فلما كان عن قرب أتاه صاحبه وترك بين يديه ثلاثمئة دينار الا خمسة ، فقال له ابن زهر : ما هذا ؟ فقال : إنني بعت زيتوناً لي بسبعمئة دينار ، وقد أتيت منها بثلاثمئة دينار إلا خمسة عوض الذي تفضلت به علي وأقرضتني اياه ، وقد بقي حاصلا أربعمئة دينار ، فقال له ابن زهر : ارفع هذا عندك وانتفع به فانني ما دفعت لك الذهب على أني أعود آخذه أبداً ، فأبى الرجل وقال : إني بحمد الله بحال سعة ولا لي حاجة أن آخذ هذا ولا غيره من أحد أصلا ، وتفاوضا في ذلك ، فقال له ابن زهر : ياهذا آنت صديقي أو عدوي ؟ فقال له : بل صديقك وأحَب الناس فيك ، فقال : إن الصديقين مالُهما شيء واحد ، فمتى احتاج أحدهما إلى شيء منه تناوله ، فلم يقبل الرجل ، فقال له ابن زهر ، والله لئن لم تأخذه لأعادينك بسببه ، ولا أعود أكلمك أبداً ، فأخذه منه وشكره على فعله .

قال القاضي محمد الباجي : وكان المنصور قصد أن لا يترك شيئاً من كتب المنطق والحكمة باقياً في بلاده ، وأباد كثيراً منها باحراقها بالنار ، وشدّد في أن لايبقى أحد يشتغل بشيء منها ، وأنه متى وُجد أحدٌ

ينظر في هذا العلم أو وجد عنده شيء من الكتب المصنفة فيه فانه يلحقه ضرر عظيم ، ولما شرع في ذلك جعل أمره مفوضاً إلى الحفيد أبي بكر ابن زهر، وأنه الذي ينظر فيه ، وأراد الخليفة أنه إن كان عند ابن زهر شيء من كتب المنطق والحكمة لم يظهر ولا يقال عنه انه يشتغل بها ولا يناله مكروه بسببها، ولما نظر ابن زهر في ذلك وامتثل أمر المنصور في جمع الكتب من عند الكتبيين وغيرهم ، وان لا يبقى شيء منها ، وإهانة المشتغلين بها ، كان باشبيلية رجل من أعيانها يعادي الحفيد أبا بكر ابن زهر ويحسده ، وعنده شر ، فعمل محضراً في أن ابن زهر دائم الاشتغال بهذا الفن والنظر فيه ، وأن عنده في داره شيئاً كثيراً من كتبه ، وجمع فيه شهادات عدة ، وبعث به إلى المنصور ، وكان المنصور حينئذ في حصن الفرح ، وهو موضع بناه قريباً من إشبيلية على ميلين منها، صحيح الهواء، بحيث بقيت الحنطة فيه ثمانين سنة لم تتغير لصحته ، وكان أبو بكر ابن زهر هو الذي أشار على المنصور أن يبنيه في ذلك الموضع ويقيم فيه في بعض الأوقات ، فلما كان المنصور به وقد أتاه المحضر نظره ثم أمر بأن يقبض على الذي عمله وأن يودع في السجن ، فَفُعل به ذلك ، وانهزم جميع الشهود الذين وضعوا خطوطهم فيه ، ثم قال المنصور : إنني لم أولٌ ابن زهر في هذا إلا حتى لا ينسبه أحد إلى شيء منه ، ولا يقال عنه ، ووالله لو أن جميع أهل الأندلس وقفوا أمامي وشهدوا على ابن زهر بما في هذا المحضر لم أقبل قولهم ، لما أعرفه في ابن زهر من متانة دينه وعقله .

وحدثني أحمد بن محمد بن أحمد الاشبيلي قال : كان الحفيد أبو بكر ابن زهر قد أتى إليه من الطلبة اثنان ليشتغلا عليه بصناعة الطب ، فترددا إليه ولازماه مدة ، وقرءا عليه شيئاً من كتب الطب ، ثم إنهما أتياه يوماً وبيد أحدهما كتاب صغير في المنطق ، وكان يحضر معهما أبو الحسين المعروف بالمصدوم ، وكان غرضهم أن يشتغلوا فيه ، فلما نظر ابن زهر إلى ذلك الكتاب قال : ما هذا ؟ ثم أخذه ينظر فيه ، فلما وجده في علم المنطق رمى به ناحية ، ثم نهض إليهم حافياً ليضربهم ، وانهزموا قدامه وتبعهم يعدو على حالته تلك وهو يبالغ في شتمهم وهم يتعادون قدامه إلى أن رجع

عنهم عن مسافة بعيدة ، فبقوا منقطعين عنه أياماً لا يجسرون أن يأتوا إليه ، ثم إنهم توسلوا إلى أن حضروا عنده واعتذروا بأن ذلك الكتاب لم يكن لهم ولا لهم فيه غرض أصلا ، وأنهم إنما رأوه مع حَدث في الطريق وهم قاصدون إليه فهزءوا بصاحبه وعبثوا به ، وأخذوا منه الكتاب قهراً ، وبقي معهم ودخلوا إليه وهم ساهون عنه ، فتخادع لهم وقبِل معذرتَهم ، واستمروا في قراءتهم عليه صناعة الطب ، ولما كان بعد مدة مديدة أمرهم أن يجيدوا حفظ القرآن ، وأن يشتغلوا بقراءة التفسير ، والحديث ، والفقه ، وأن يواظبوا على مراعاة الأمور الشرعية والاقتداء بها ، ولا يُخلوا بشيء من ذلك ، فلما امتثلوا أمره واتقنوا معرفة ما أشار به عليهم وصارت لهم مراعاة الأمور الشرعية سجية وعادة قد ألفوها ، كانوا يوماً ما عنده وإذا به قد أخرج لهم الكتاب الذي كان رآه معهم في المنطق ، وقال لهم : الآن صلحتم لأن تقرأوا هذا الكتاب وأمثاله عليّ ، وأشغلهم فيه فتعجبوا من فعله رحمه الله ، وهذا يدل منه على كمال عقله ، وتوفر مروءته .

وحدثني القاضي محمد الباجي قال : كان عبد الرحمان ابن يوجان وزير المنصور يعادي الحفيد أبا بكر ابن زهر ، ويحسده لما يرى من عظم حاله وعلو منزلته وعلمه ، فاحتال عليه في سمٍّ صيَّره مع أحد من كان عند الحفيد ابن زهر ، فقدمه إلى الحفيد ابن زهر في بيض ، وكانت مع الحفيد أيضاً بنت أخته ، وكانت أخته وابنتها هذه عالمتين بصناعة الطب والمداواة ولهما خبرة جيدة بما يتعلق بمداواة النساء وكانتا تدخلان إلى نساء المنصور، ولا يقبل للمنصور وأهله ولداً إلا أخت الحفيد أو بنتها لما توفيت أمها ، فلما أكل الحفيد من ذلك البيض وبنت أخته ماتا جميعاً ، ولم ينفع فيهما علاج ، قال : ولم يمت عبد الرحمان ابن يوجان إلا مقتولا ، قتله بعضُ أقاربه .

أقول وكان من أجَلّ تلامذة الحفيد أبي بكر ابن زهر في صناعة الطب والآخذين عنه ، أبو جعفر ابن الغزال .

ومن شعر الحفيد أبي بكر ابن زهر أنشدني مُحيي الدين محمد بن علي بن محمد العربي الحاتمي قال : أنشدني الحفيد أبو بكر ابن زهـر لنفسه يتشوق إلى ولده :

ولي واحد مثل فرخ القطـا — صغير تخلف قلبي لديـه
نأت عنه داري فياوحشتـي — لذاك الشخيص وذاك الوجيـه
تشوقني وتشوقتـه — فيبكي علي وأبكي عليـه
وقد تعب الشوق ما بيننـا — فمنه إليَّ ومني إليـه

وأنشدني القاضي محمد الباجي قال : أنشدني أبو عمران ابن عمران الزاهد المرتلي القاطن باشبيلية قال : أنشدني الحفيد أبو بكر ابن زهر لنفسه في آخر عمره :

إني نظرت إلى المرآة إذ جليـت — فانكرتْ مقلتاي كلَّ ما رأتـا
رأيت فيها شييخاً لست أعرفـه — وكنت أعرف فيها قبل ذاك فتـى
فقلت أين الذي مثواه كان هنـا — متى ترحلَ عن هذا المكان متـى
فاستجهلتني وقالت لي وما نطقت — قد كان ذاك وهذا بعد ذاك أتـى
هوّن عليك فهذا لا بقاء لـه — أما ترى العشب يفنى بعد ما نبتا
كان الغواني يقلن يا أخيَّ فقـد — صار الغواني يقلن اليوم يا أبتـا

وأنشدني أيضاً القاضي محمد الباجي عـن الحفيد ابن زهر له مـن أبيات (الكامل) :

أعد الحديث علي من جنباتـه — إن الحديث عن الحبيب حبيب (1)

وأنشدني شيخنا علم الدين قيصر بن أبي القاسم بن عبد الغني ابن مسافر الحنفي المهندس للحفيد أبي بكر ابن زهر ، وهي بديعة المعنى ، كثيرة التجنيـس :

---

1) لم يورد المقرى فى مقدمة (أزهار الرياض) الا بيتين أولهما هو :
يا من يذكرنى حديث أحبتـى — طاب الحديث بذكرهم ويطيـب
وثانيهما هو المذكور أعلاه .

(الكـامل) :

لله ما صنع الغرام بقلبــــــــه — أودى به لما ألبَّ بلبـــــــــه
لباه لما أن دعاه وهكـــــــذا — من يدعه داعي الغرام يلبـــــه
بأبي الذي لا تستطيع لعجبــــه — رد السلام وإن شككت فعج بـــه
ظبيٌ من الاتراك ما ترك الضنـــا — ألحاظه من سلوة لمحبـــــــه
ان كنت تنكر ما جَنَى بلحاظـــه — في سَلبه يوم الغوير فسل بـــه
أو شئت أن تلقى غزالا أغْيـــدا — في سربه أسد العرين فسرْ بـــه
يا ما أميلحه وأعذب ريقـــــه — وأعزه ، وأذلني في حبـــــه
أو ما أليطف ورده في خـــــده — وأرقها ، وأشد قسوة قلبـــــه
كم من خمار دون خمرة ريقـــه — وعذاب قلب دون رائق عذبـــه
كم من خمار دون خمرة ريقـــه — وعذاب قلب دون رائق عذبـــه
نادى بنفسج عارضيه تعمـــدا — يا عاشقين تمتعوا من قربـــــه

ومن موشحاته مما أنشدني محمد سبط الحكيم عبد الله ابن الحفيد أبي بكر ابن زهر ، وكان والد هذا المذكـور محمد وهو أحمد ابن القاضـي محمد بن أحمد بن عبد الملك الباجي قد تزوج ببنت عبد الله ابن الحفيد أبي بكر ابن زهر، ورزق منها محمد، وكان ــ أعني أبا مروان أحمد ــ قد ملك إشبيلية وبقيت في يده تسعة أشهر ، ثم قتله ابن الأحمر غدراً في سنة ثلاثين وستمئة، وكان عمره إذذاك سبعاً وثلاثين سنة، فمن ذلك قال وهي من أول قوله (المديد):

زعمت أنفاسي الصعـــــدا — أن أفراح الهوى نكَـــــد

* * *

هام قلبي في معذّبـــــه — وأنا أشكو لمطلبـــــــه
إن كتمت الحب مت بـــــه
وإذا ما صحت واكبـــــدا — فرح الاعداء وانتقـــــدوا

* * *

أيها الباكي على الطلـــــل — ومدير الراح بالأمــــــل
إن كتمت الحب مت بـــــه
فدع الدمع السفوح ســـــدى — وضرام الشوق تتقـــــد

* * *

مقلة جادت بما ملكـــــــــت   عرفت ذل الهوى فبكـــــت

وشكت مما بها ورثـــــت

وفؤادي هائم أبـــــــــدا   ما عليه للسلو يـــــــــد

* * *

إن عيني لا أذنبهـــــــــا   أتعبت قلبي وأتعبهـــــــــا

لنجوم بت أرقبهـــــــــا

رمت أن أحصي لها عـــــددا   وهي لا يحصى لها عـــــدد

* * *

وغزال يغلب الأســـــــــدا   جئت لاستنجاز ما وعـــــدا

فانزوى عني وقال غـــــدا

أترى يا قوم أشْ هو غـــــدا ؟   في أي مكان يسكنُ أو يوجـــــد

وقال أيضاً :

شمس قارنت بـــــــدرا   راح ونديـــــــــم

* * *

در أكؤوس الخمـــــــــر   عنبرية النشـــــــــر

ان الروض ذو بشـــــــــر

وقد درع النهـــــــــرا   هبوب النسيـــــــــم

* * *

وسلت على الأفـــــــــق   يد الغرب والشـــــــــرق

سيوفاً من البـــــــــرق

وقد أضحك الزهـــــــــرا   بـكـــاء الغيـــــوم

* * *

ألا إن لي مولـــــــــي   تحكم فاستولـــــــــى

أما إنه لـــــــــولا

دمع يفضح الســــــــرا   لكنت كتـــــــــوم

* * *

أنَّى لي كتمـــان ودمعي طوفـــان
شبت فيه نيـــران
فمن أبصر الجمـــرا في لـج يعـــوم

* * *

إذا لامني فيـــه من رأى تجنيـــه
شدوت أغنيـــه
لعل له عـــذرا وأنـت تلـــوم

* * *

وقال أيضاً : (الرمل)

أيها الساقي إليك المشتكـــي قد دعوناك وان لم تسمـــع

* * *

ونديم همت في غرتـــه وشربت الراح من راحتـــه
كلما استيقظ من سكرتـــه
جذب الزق إليه واتكـــا وسقاني أربعا في أربـــع

* * *

غصن بان مال من حيث استـــوى بات من يهواه من فرط الجـــوى
خفق الاحشاء موهون القـــوى
كلما فكر في البين بكـــى ما له يبكي بما لم يقـــع

* * *

ليس لي صبر ولا لى جلـــد يالقومي عذلوا واجتهـــدوا
أنكروا شكواي مما أجـــد
مثل حالي حقه ان يشتكـــى كمد اليأس وذل الطمـــع

* * *

ما لعيني عشيت بالنظـــــــر انكرت بعدك ضوء القمـــــر
وإذا ما شئت فاسمع خبـــــري
شقيت عيناي من طول البكـــــا وبكى بعضي على بعضي معـــي

* * *

كبد حرى ودمع يكـــــف يعرف الذنب ولا يعتـــرف
أيها المعرض عما أصـــــف
قد نما حبك عندي وزكـــــا لا يظن الحب أني مدعــــي

وقال أيضاً : (الكامل ، والرمل)

يا صاحبي نداء مغتبط بصاحـــب لله ما ألقاه من فقد الحبائـــب
قلب أحاط به الجوى من كل جانب
أي قلب هائـــــم لا يستريح من اللواحـــي
يا من أعانقه بأحناء الضلـــوع وأقيمه بدلا من القلب الصديـــع
أنا للغرام وأنت للحسن البديـــع
وكـلامُ اللائـــــم شيء يمر مع الريـــــاح
انحى على رشدي وافقدني صلاحي ثغر ثنى الأبصار عن نور الأقـــاح
يسقى بمختلطين من مســـك وراح
كالحباب العائـــــم في صفحة الماء القـــــراح
من لي به بدراً تجلى في الظـــلام علقت من وجناته بدر التمـــام
وعلقت من اعطافه لدن القـــوام
كالقضيب الناعـــــم لم يستطع حمل الوشـــاح
حمّلتني في الحب ما لا يستطـاع شوقاً يراع لذكره من لا يـــراع
بل أنت أظلم من له حكم مطـــاع
ومع أنك ظالـــــم أنت هو سؤلي واقتراحـــي

وقال أيضاً : (المجتث)

حي الوجوه الملاحـــــــا　　وحي كحل العيـــــــــون

* * *

هل في الهوى من جنـــــاح　　وفي نديــــــــم وراح
رام النصوحُ صلاحـــــــي
وكيف أرجو صلاحـــــــاً　　بين الهوى والمجـــــــون

* * *

يا غائباً لا يغيـــــــب　　أنت البعيد القريـــــــب
كم تشتقيك القلـــــــوب
اثخنتهن جراحـــــــاً　　واسأل سهام الجفـــــــون

* * *

أبكي العيون البواكـــــي　　تذكار أخت السمـــــاك
حتى حمـــــــام الأراك
بكى بشجو وناحــــــا　　على فروع الغصـــــــون

* * *

ألقى إليها زمامـــــــه　　صب يداوي غرامـــــــه
ولا يطيق الملامـــــــه
غدا بشوق وراحــــــا　　ما بين شتى الظنـــــــون

* * *

يا راحلا لم يـــــــودعْ　　رحلت بالأنس أجمـــــــعْ
والعجز يعطي ويمنـــــــعْ
مَروا وأخفوا الرواحــــــا　　سحراً وما ودعونـــــــي

وقال أيضاً : (البسيط)

هل ينفع الوجد أو يفيـــــــد　　أم هل على مَن بكى جنـــــاح ؟
يا منية القلب غبت عنـــــــي　　فالليل عندي بلا صبـــــاح

أفديه من معرض تولـــى ... لا عين منه ولا أثـــر
عذبني في هواه كـــلا ... لم يبق مني ولا يـــذر
يا عين عيني فليـــس إلا ... صبر على الدمع والسهـــر

ويفعل الشوق ما يريـــد ... في كبد كلها جـــراح
يا مخجل البدر لا تسلنـــي ... عن جوز ألحاظك المـــلاح

زاد على بهجة النهـــار ... من حسنه الدهر في ازديـــاد
لحظ له سطوة العقـــار ... يفعل في العقـــل ما أراد
خداه كالورد في البهـــار ... يقطف باللحظ أم يكـــاد

وذلك المبسم البـــرود ... حصاه در وصـــرف راح
أو مثل ما قلت ماء مـــزن ... يسقي به يانع الاقـــاح

يا من له أبدع الصفـــات ... يا غصن يا دعص يا قمـــر
غبت فلم يأت منـــك آت ... فاستوحش السمع والبصـــر
لو لا صبا تلكم الجهـــات ... لذاب قلبي من الفكـــر

يا أيها النازح البعيـــد ... جاءت بأنبائك الريـــاح
إن الصبا عنك اخبرتنـــى ... ما اهتز روض الربا وفـــاح

يا ساحرا فوق كل ساحـــر ... ومن له حسنه أصـــف
وجه له كالصباح باهـــر ... أردية الحسن يلتحـــف
كالروض حفت به الأزاهـــر ... يقطف باللحظ أم قطـــف

كالبدر في ليلة السعـــود ... اشـــرق لألاؤه ولاح
كالغصن اللدن في التثنـــي ... تهز أعطافه الريـــاح

من لي بمخضوبة البنـــان ... ممشوقة القد والـــدلال
من هجرها مشبه الزمـــان ... ماض ومستقبل وحـــال
فيها رثى عاذلي لشأنـــي ... ثم انثنى ضاحكاً وقـــال

وارض لمن يعشق المـــــــلاح

فدعه يهجر أو يصلنـــــــــــي ليس على ساحر اقتـــــراح

انتهى (1) .

وقال في (وفيات الأعيان) بعد ذكر المترجم أبي بكر ابن زهر مـا نصه : كان من أهل بيت كلهم علماء ، رؤساء ، حكماء ، وزراء ، نالوا المراتب العالية ، وتقدموا عند الملوك ، ونفذت أوامرهم ، قال الحافظ أبو الخطاب ابن دحية في كتابه المسمى (المطرب ، من أشعار أهل المغرب) : وكان شيخنا أبو بكر يعنى ابن زهر المذكور بمكان من اللغة مكين ، ومورد من الطب عذب معين، كان يحفظ شعر ذي الرمة وهو ثلث لغة العرب مع الاشراف على جميع أقوال أهل الطب ، والمنزلة العليا عند أصحاب المغرب ، مع سمو النسب ، وكثرة الأموال والنشب ، صحبته زماناً طويلا ، واستفدت منه أدباً جليلا .

وأنشدني من شعره :

وموسدين على الأكف خدودهـــم قد غالهم نوم الصباح وغالنــــي

ما زلت أسقيهم وأشرب فضلهـــم حتى سكرت ونالهم ما نالنــــي

والخمر تعلم حين تأخذ ثارهـــا أني أملت إناءها فأمالنـــــــى

ثم قال : سألته عن مولده فقال : ولدت سنة سبع وخمسمئة ، وبلغتني وفاته في آخر سنة خمس وتسعين وخمسمئة ، رحمه الله تعالى .

انتهى كلام ابن دحية (2) .

قلت أنا : وقد ألم ابن زهر المذكور في هذه الأبيات بقـول الرئيس أبي غالب عبيد الله بن هبة الله ابن صاعد وهو :

---

1) **عيون الأنبياء** ص 97 طبع الجزائر 1958 .

2) **وفيات الأعيان** 4 : 434 ع 672 طبع بيروت .

عقرتهم مشمولة لو سالمـــت ... شرابها ما سميت بعقـــار
ذكرت حقائدها القديمة إذ غـدت ... صرعى تداس بأرجل العصّـار
لانت لهم حتى انتشوا وتمكنـت ... منهم وصاحت فيهم بالثـــار

ومن المنسوب إليه أيضاً في كتاب جالينوس الحكيم المسمى (حلية البرء) — وهو من أجل كتبهم وأكبرها — قوله :

حلية البرء صنفت لعليـــل ... يترجى الحياةَ أو لعليلـــة
فاذا جاءت المنية قالــت ... حيلة البرء ليس في البرء حيلـة

ثم قال بعد أن انشد أبياته :

ولي واحد مثل فرخ القطـا الخ

وأنشدني : (إنـي نظرت إلى المـرآة إذ جليت) إلى آخـر الأبيات المتقدمة مع تغيير ما نصه : والبيت الأخير من هذا ينظر إلى قول الأخطـل الشاعر المشهور :

وإذا دعونك عمهن فانـــه ... نسب يزيدك عندهن خبـــالا
وإذا دعونك يا أُخيّ فانـــه ... أدنى وأقرب خلة ووصـــالا

وأوصى أنه إذا مات يكتب على قبره هذه الأبيات ، وفيها إشارة الى طبه ومعالجته للناس وهي :

تأمل بحقك يا واقفـــاً ... ولا حظ مكاناً دُفعنا إليـــه
تراب الضريح على وجنتـي ... كأني لم أمش يوماً عليـــه
أداوى الانام حذار المنـون ... وها أنا قد صرت رهناً لديـــه

وهذه المقاطيع إنما أخذتها مـن أفواه العلماء منسوبة إلى ابن زهـر المذكور والله أعلم بصحتها والعهدة عليهم في نقلها .

وقال ابن دحية أيضاً في حقه : والذي انفرد به شيخنا وانقادت لتخيله طباعه ، وصارت النبهاء فيه خـوله وأتباعه الموشحات ، وهي زبـدة الشعر

ونخبته ، وخلاصة جوهره وصفوته ، وهي مـن الفنون التي أغربت بها أهـل المغرب على أهل المشرق ، وظهروا فيها كالشمس الطالعة والضياء المشرق، وأورد له موشحاً حسناً .

وقال في حق جده أبي العلاء زهر : إنه كان وزير ذلك الدهر وعظيمه، وفيلسوف ذلك العصر وحكيمه ، وتوفي ممتحناً بعلة بيـن كتفيه سنة خمس وعشرين وخمسمئة بمدينة قرطبة .

ثم قال في حق جد أبيه عبد الملك : رحل إلى المشرق وبـه طبَّب زماناً طويلا وتولى رياسة الطب ببغداد ، ثم بمصر ، ثم بالقيروان ، ثم استوطن مدينة دانية ، وطار ذكره فيها إلى أقطار الأندلس والمغرب ، واشتهر بالتقدم في علم الطب حتى بذّ أهل زمانه ، ومات بمدينة دانية .

ثم قال في حـق جد جده محمد بن مروان : إنه كـان عالماً بالرأي ، حافظاً للأدب ، فقيهاً حاذقاً بالفتوى ، مقدماً في الشورى ، متفنناً في الفنون ، وسيماً فاضلا ، جمع الرواية والدراية ، وتوفي بطلبيرة سنة اثنتين وعشرين ووصفوه بالدين ، والفضل ، والجود ، والبذل رحمه الله تعالى .

وقد تقدم الكلام على الأيادي وعلى طلبيرة فلا حاجة إلـى الاعادة ، وزُهْر بضم الزاي وسكون الهاء وبعدها راء .

وذكر الدين الكاتب في كتاب (الخريدة) لأبي الطيب ابن البزاز في بعض بني زهر قوله :

قل للوبا أنت وابن زهـــــر   جاوزتما الحد في النكايـــه
ترفقا بالورى قليــــــلا   في واحد منكما كفايـــــه

ثم وجدت هذين البيتين لأبي بكر بن أحمد بن محمد الأبيض ، وأنه توفي سنة أربـع وأربعين وخمسمئة ، وكنيتـه أبو زيد ، ولم يذكر اسمـه رحمه الله تعالى والله أعلم انتهى .

وسياتي ذكر ولده عبد الله بن محمد بن عبد الملك ، وراجع 439 من ج 1 من (نفح الطيب) ، وقد ذكر المترجم في (الشذرات) ووقع فيها تحريف وتصحيف (1) .

518) محمد بن أحمد ابن الصقر الأنصاري

محمد بن أحمد بن عبد الرحمان بن محمد بن عبد الرحمان بن محمد ابن الصقر الأنصاري الخزرجي المراكشي

قال في (الذيل والتكملة) بعد ذكر ما تقدم ما نصه : وقد تقدم ذكر أصل سلفه في رسم أبيه وجده ، تلا على أبيه ولم يعين القراءات ، وأخذ عنه كثيراً من كتب الحديث والفقه وغير ذلـك ، ولازمه طويلا ، وبالسبع عـلى يحيى ابن الخلوف ، وبحرف نافع على أبي بكـر ابن مسعود ، وأبى جعفر بن علي ابن الباذش ، وأخذ عنهما غيـر ذلك ، وأبي عبد الله بن عبـد الرحمان النميري ، قال : وأفدت منه جملة هي معظم ما عندي وهو الذي شحذ فهمي وأنار خاطري ، وبقراءات الحرمين وأبي عمرو على أبي الحسن بن عبد الله ابن ثابت ، وسمع الحديث على أبي بكر بن الحسين ابن بشر ، والحديث وغيره على أبي الحسن بـن محمد ابن الضحاك ، وأجازوا لـه ، وأجاز له أبو الحسن شريح ، واستجاز لـه أبوه أبوي بكر بـن عبد الله التجيبي ، وابـن العربي ، وأبا جعفر ابن رزق ، وعباد ابـن سرحان ، وأبا عبد الله بـن عبد الرحمان ابـن معمر ، وابن عبد المومـن الطلبي ، وابن يحيى ، وابـن الحاج الجياني ، قال : وحملني إليه لما ولي القضاء بغرناطة وأنا ابن نحو من ثمانية أعوام ، وأبا الفضل عياض لما استقضى بغرناطة ، قال وحملني إليه وأنا ابن ستة أعوام ، فكان ....
.... (بياض بالأصل) وأبوي القاسم خلف ابن بشكوال ،

---

1) ينظر عن ابن زهر عدى ما تقدم : **المطرب** ص 203 **والمغرب** 1 : 266 **وزاد المسافر** ص 71 **والذيل والتكملة** 6 : 398 ع 1076 **ونفح الطيب** 2 : 247 **ومعجم الأدباء** 18 : 256 **والوافى بالوفيات** 4 : 39 **والعبر** للذهبى 4 : 288 **والشذرات** 4 : 320 وله موشحات فى **دار الطراز** .

ومحمد بن هشام بن ....إليه إذ استقضي بغرناطة وأنا ابن أربعة أعوام ، وآباء .... وابن علي سبط أبي عمر ابن عبد البر ، وعبد الحق ابن عطية .... وأبو الوليد هشام ابن بقوة ، وأبو الحسن ابن الضحاك أبا إسحاق ابن مروان ... أبا بكر بن أحمد ابن طاهر صاحب الغساني وأبا الحكم عبد الرحمان ابن غشليان ... عبد الله بن عبد الرزاق ، وأبو عبد الله النميري أبا الحسن يونس بن محمد ابن مغيث ، وأبا عبد الله جعفر بن محمد ابن مكي ، وأبا القاسم أحمد بن محمد ابن بقي ، فأجازوا كلهم له ، روى عنه ابنه أبو الحسين يحيى ، وأبو الخطاب عمر ابن الجميل ، وكان مقرئاً مجوداً محدثاً راوية مكثراً متسع السماع صحيحه ، عني به أبوه فأسمعه في صغره وسمع بنفسه ، ونشأ طالباً فاستكثر من الأخذ عن الشيوخ وشغف بتقييد العلم وجمع الفوائد معاناً على ذلك بجودة الخط سراية من أبيه وسرعة الكتب ، وكان عاقداً للشروط مبرزاً في أولي البصر بها ، زاهداً ، ورعاً ، فاضلا ، موثراً للخلوة والانقطاع إلى الله تعالى والانقباض عن خلطة الناس ، تعيش دهراً طويلا بالوراقة ، وكتب بخطه الكثير وأتقنه ، واستنيب على القضاء بمراكش في أوقات ، فشكرت سيره ، وحمدت أحواله كلها ، وكان ذا حظ من قرض الشعر صالح ، وأكثره في الزهد والحكم وما نحا ذلك ، وسلك تلك المسالك، فمنه قوله :

إليك إلاه العرش يشكو ترحماً ... عليل بأمراض الذنوب تألما
شكى قلبه لما تعاظم ذنبه ... فحط بأرجاء الرجاء مخيما
وعاج بربع الجود يسأل ضارعا ... عوارف رب لم يزل متكرما
يداوي سقام المذنبين بعفوه ... فيصفح افضالا ويسمح منعما
فكيف يرى في باب جودك خائبا ... وما خاب عبد قط جودك يمما

وله من هذا النمط كثير .

ومولده سنة سبع وعشرين وخمسمئة بمراكش ، وتوفي بها في حدود التسعين وخمسمئة ، وله عقب خامل بها إلى الآن ، والذين شهروا ببني الصقر فيها بآخرة هم بنو أخته من بني وليد فهو خالهم ، كانوا أصهروا إلى

أبيه بغرناطة ، وقد انقرضوا الا القليل الخامل إلا شيخاً نزل ....
الارتزاق من بأيديه .... له يرجع إلى جودة ونفور عن الناس ....
اسمه علي بن أحمد بن .... ابن وليد الانصاري ....

519) محمد بن عبد الله الصنهاجي

محمد بن عبد الله بن عثمان الصنهاجي ، من أهل مراكش ، وبها توفي عام تسعة وتسعين وخمسمئة ، وكان مسرفاً على نفسه ، ثم تاب إلى الله تعالى ، فكان نادماً على ما سلف ، كثير البكاء والحزن ، قال في (التشوف) : وما رأيته ضحك بعد ذلك إلى أن لحق بالله تعالى ، وكان يقول : إني إذا تفكرت ذنوبي ضاقت علي الأرض برحبها وليس للسرور في قلبي موضع :

صرح عن محضه الصريح ... وجد في وعظه النصيح
وقصرت أربعون عاما ... عمرك لو انه فسيح
طار غراب بها وجاءت ... حمامة بالردى تنوح
وأنت تلهو وكل يوم ... يفغر فاه لك الضريح
كم طلق للهوى بعيد ... جرى له طرفك الجموح
وكم نصيب من التصابي ... هفا به غصنك المروح
ومذهب للتقى جميل ... غيره فعلك القبيح
فجاهد النفس في هواها ... لعلها منه تستريح
وكيف تثني عنان نفس ... لها إلى غيّها جنوح
بادر إلى توبة بصدق ... لعلها توبة نصوح
والعمل الصالح اغتنمه ... فانه متجر ربيح
واسع وبادر سحابَ عمر ... تجري به للمنون ريح
واغد ورح في سبيل خير ... ما دام في الجسم منك روح

وكان محمد بن عبد الله رحمه الله تعالى يوصي لتلميذه ويقول له : ربما أتيت إلى باب مغلق فيفتح لي ، فأخاف أن يكون ذلك من الشيطان ليغرني ،

ورآه بعض أصحابه في المنام بعد موته فقيل له: هذا ولي من أولياء الله تعالى(1)

520) **محمد بن أحمد ابن الرايس البكي**

محمد بن أحمد بن أبي الفتح بن منصور البكي بموحدة ابن الرايس ، روى بمراكش عن أبي العباس أحمد بن محمد بن عبد العزيز القيسي ، وأبي عيسى يوسف بن عيسى الشريشي .

ترجمه في (الذيل والتكملة) .

521) **محمد بن أحمد ابن الصفار التجيبي**

محمد بن أحمد بن سليمان بن عبد الله التجيبي أريولي أبو عبد الله ابن الصفار .

قال في (الذيل والتكملة) بعد ذكره ما نصه : وهو والد أبي عمرو زياد ، روى عن أبوي بكر عبيد الله ابن أدهم ، وابن عيسى ابن اللبانة ، والكاتب أبي الحسن ابن اليسع ، وأبوي عبد الله ابن الفراء النحوي الأعمى ، وابن الحداد ، روى عنه أبو عامر محمد بن أحمد السالمي ، وأبو الوليد يوسف ابن الدباغ ، وكان أديباً تاريخياً حافظاً أيام الناس ، حسن السياسة لما يورده منها، ولي أحباس بلده ، وصنف في أخبار ابن عباد وشعره كتاباً سماه بـ (الدرر الافراد ، في شعر ابن عباد) ، وجال في الأندلس وبر العدوة ودخل مراكش .

522) **محمد بن جابر بن أحمد القيسي** ، روى باشبيلية عن أبي الحسن شريح .

قاله في (الذيل والتكملة) .

---

1) **التشوف** ص 382 ع 196 **والسعادة الأبدية** 2 : 113 .

523) محمد ابن صاحب الصلاة

أبو بكر، لما وفد أهل الأندلس على عبد المومن قام خطيباً ناثراً وناظماً، فأتى بالعجب ، وباهى به أهل الأندلس في ذلك الوقت .

وله في عبد المومن :

هم الأولى وهبوا للحرب أنفسهم   وانهبوا ما حوت أيديهم الصفدا
ما إن يغبون كحل الشمس من رهج   كانما عينها تشكو لهم رمدا

وقال يخاطب أخيل لما انتقل إلى العدوة :

لا تنكرن زماناً   رماك منه بسهم
وأنت غاية مجد   في كل علم وفهم
هذي دموعيَ حتى   يراك طرفيٌ تهمي
يا ليت ما كنت أخشى   عليك عدوان همّ
وانما الدهر يبدي   ما لا يجوز بوهم
ما زال شيهم مس   لكل يقظان شهم

ذكره في (نفح الطيب) (1) .

ولاشك أنه من وفد إشبيلية الذين وفدوا على عبد المومن صحبة أبي بكر ابن العربي ، ودخلوا مراكش ومكثوا بها مدة كما تقدم ذلك .

وأخيل هو أبو القاسم أخيل بن إدريس الرندي،وقد ذكره في (النفح) في الجزء الثاني .

وهناك ابن صاحب الصلاة آخر، اسمه محمد بن أحمد بن مسعود الأزدي الشاطبي المقرىء المتصدر المتولد سنة 542 ، المتوفى سنة 625 ، المترجم في (طبقات القراء) .

---

1) **نفح الطيب** 3 : 469 و 4 : 202 طبع بيروت وأخيل هذا ممن فات المؤلف ترجمته ، لانه سكن مراكش وصحب بها احمد ابن عطية القضاعى الكاتب الوزير ، وله معه أخبار ومراجعات، وكانت وفاته باشبيلية سنة 560 هـ ، له ترجمة فى **المن بالامامة** ص 224 و**الحلة السيرا** 2 : 241.

524) **محمد بن ياسين الرجراجي**

محمد بن ياسين بن سعيد الرجراجي المصمودي ، أبو عبد الله دفين المواسين ، (1) أخو الشيخ الشهير سيدي عبد الخالق دفين حوز مراكش قرب زاوية الشرادي ، المتوفي سنة إحدى وسبعين وخمسمئة بسبت بني دغوع ، وجده أبو عثمان سعيد الرجراجي المصمودي .

ذكره في مقدمة كتاب (الارتجال) .

قال صاحب (التشوف) : إن أبا عثمان المذكور كان من أكابر الأولياء ، وحدثوا عنه أن له جملة أصحاب من مومني الجن يخدمونه ، وانهم من نفر الجن الذين سمعوا القرآن من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

انتهى (1) .

525) **محمد بن عبد العزيز الرجيني السلاقي**

محمد بن عبد العزيز بن خلف الرجيني السلاقي الاشبيلي ، أبو بكر ، قال ابن الزبير : كان أستاذاً فاضلا جليلا نحوياً لغوياً مقرئاً أديباً ، روى عن ابن بشكوال وغيره ، أقرأ باشبيلية ، ثم نقل إلى مراكش فاقرأ بها إلى أن مات ، وكان مجلسه حافلا لتفننه في العلوم ، وكان ملحوظاً من الأكابر ، كريم الطبع ، حسيب الأصل ، نبيه البيت ، حسن النظم والنثر .

مات يوم الأربعاء ثالث صفر سنة إحدى وستمئة .

انتهى من (بغية الوعاة) .

526) **محمد ابن مفرج الأنصاري** من إشبيلية ، ونزل مراكش وبها مات عام أحد وستمئة ، من أصحاب موسى ابن عمران الزاهد ، وشيخهما

---

1) وصفه ابن الزيات التادلي في **التشوف** ص 93 بقوله : فقيه المصامدة ومفتيهم .

1) **التشوف** ص 93 ع 16 .

هو ابـن مجاهد الزاهد ، وكان ابن مفـرج زاهداً في الدنيا كلهـا ، أقبلت عليه فكـان يفرقها ولا يمسـك منها شيئاً ، وبنى خيمة بمسجد الصحراوي وكان يأوى فيها إلى أن لحق بالله عز وجل .

ترجمه في (التشوف) ، ومسجد الصحراوي بمراكش اثنان : أحدهما بناهض ، والآخر بالقصور كما تقدم التنبيه على ذلك في المقدمة (1) .

527) **محمد بن خلف ابـن غيدان المعافري** من أهل ميورقة ، أخـذ القراءات عن أبي محمد ابن سهل المنقوري ، وأبي إسحاق الغرناطي ، وأبي إسحاق ابن فتحون وغيرهم ، وتصدر للاقراء والتعليم بالعربية ، وتقدم أهل بلده في ذلك ، أخذ عنه جماعة منهم : أبو عبد الله ابن الشكاز ، وتوفي بمراكش سنة إحدى وستمئة .

ترجمه في (التكملة) (2) .

527) محمد بن يحيى ابن خزعل الطلحي

محمـد بن يحيى بن خزعـل بن سيف الطلحـي الشريف من ولـد طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمان بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، من أهل بلنسية، يكنى أبا عبد الله، سمع أبا عبد الله ابن حميد وأخذ عنه العربية، وقيَّد عنه اللغات والآداب ، وأجاز له أبو محمد ابن عبيد الله ، وأبو القاسم السهيلي وغيرهما ، وكان أديباً نحوياً بارعاً فاضلا .

توفي بمراكش سنة أربع وستمئة عن ابن سالم .

---

1) **التشوف** ص 387 ع 201 **والسعادة الأبدية** 2 : 113 .

2) **التكـملة** 2 : 570 ع 1528 .

وترجم المؤلف بعد ابن غيدان لمحمد بن على بن مروان ابن جبل الهمدانى الوهرانى ، وهو قاضى مراكش محمد بن على بن مروان الذى تقدمت ترجمته فى ص 121 ع 511 من هـذا الجزء ، فظهر ان المؤلف كرر ترجمته ، وفاتنا ان نثبت الترجمتين فى مكان واحد ، وسنلحـق ترجمة ابن جبل هذا المنقولة عن **التكملة** 2 : 681 ع 1719 بآخر الكتاب لما فيها من الفوائد التى ليست فى الترجمة الأولى .

ذكره في (التكملة) (1) .

528) محمد بن علي السلاقي النحوي الأديب

قال في (البدر السافر) : كانت له شهرة بمراكش ، وكان يقرأ كتاب سيبويه وغيره ، ومن أحفظ الناس للكامل وغيره من كتب الأدب ، مات سنة خمس وستمئة ، وله :

أترى يجمع شملي بكم أبدا يا أهل نعمان الأراك
كل يوم أنا شاك منكم وعليكم أنا طول الدهر باك

انتهى من (بغية الوعاة) .

وقال في (التكملة) : أبو بكر المعروف بالسلاقي من أهل اشبيلية وسكن مراكش ، كان عالماً بالعربية والآداب ، موصوفاً بالصلاح والفضل ، أقرأ وأُخذ عنه ، انتهى .

529) **محمد بن تميم الزناتي** أصله من داي ، ونزل الجانب الشرقي من مراكش وبه مات عام 607 ودفن خارج باب الدباغين ، وكان عبداً صالحاً مجاب الدعوة ، صحب أبا إبراهيم السفاج وأبا لقمان وأضرابهما .

قال في (التشوف) · سمعت أحمد بن إبراهيم بن محمد الأزدي يقول : أخبرني المريسي عن ثقات من المريدين قالوا : كنا مع ابن تميم بِجبل (إيجلين)، فأردنا أن نتوضأ من ساقية قريبة منا فلم نقدر أن نتوضأ من الساقية لغمقها(2) إلا بالنزول فيها ،فذهبنا إلى موضع فيها ليتمكن أن نتوضأ منه ، فلما رجعنا وجدنا أبا عبد الله قد توضأ من أعلى الساقية وآثار الماء حوالي الساقية ، فنظرنا فيها فرأينا آثار ماء الساقية قد ارتفع حيث يمكن القاعد أعلاها أن يتوضأ منه .

---

1) التكملة 2 : 574 ع 1534 .

2) الغمق والعمق كلمتان مترادفتان في العامية المغربية ، والكلمة قاموسية .

وأخبرني محمد بن عبد الله قال : أخبرني إبراهيم الزناتي ـ وكان من الأخيار ـ قال : لما نهض المسلمون من حضرة مراكش إلى جزيرة الأندلس لغزوة الارك رأيت في النوم النبي صلى الله عليه وسلم وقد تقدم خلقاً كثيراً من أهل مراكش ، ثم رأيت جمعا آخر كثيراً تخلفوا عنه وأنا معهم ، فعظم علي تخلفي عنه ، فرأيت محمد ابن تميم مع المتخلفين ، فكنت أعزي نفسي بذلك وأقول : هذا أبو عبد الله وهو رجل صالح قد تخلف ولي فيه اسوة فقعدت معه إلى أن جاءه أسود حبشي ، وقال له : بعثني إليك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : لا تنس أمتي .

وحدثني أحمد بن إبراهيم بن محمد الأزدي قال : حدثني عبد الله بن محمد القناع قال : أبِقَتْ لجارتي مملوكة فبكت عليها إلى أن اغمنَّى بكاؤها ، فأتيت أبا عبد الله ، فذكرت له ذلك وسألته أن يدعو لها أن ترجع اليها فسكت ، فقلت : أخِّر الدعاء إلى وقت خلوتك وحضور النية ، فشد بيده على يدي وقال لي · سترجع إليها مملوكتها إن شاء الله ، فخرجت من عنده مسروراً بقوله ، وعلمت أن قوله حق لا شك فيه ، فأتيت إلى المرأة وقلت لها هل رجعت إليك مملوكتك ؟ قالت : لا ، فقلت لها : سترجع إليك الآن إن شاء الله تعالى ، فما مرت علينا ساعة حتى دخلت علينا مملوكتها (1).

وترجمه في (النجم الثاقب) أيضاً بمثل ما هنا ذاكرا أنه توفي سنة سبع وستمئة .

530) محمد بن محمد الجُمَلِّي المرادي

محمد بن محمد بن عبد السلام بن محمد بن يحيى المرادي ، من أهل مرسية، يكنى أبا بكر، ويعرف بالجُمَلِّي، وجُمَلَّة من أعمال مرسية.

روى عن محمد ابن عبد الرحيم ، وتفقه به ، وأبي القاسم ابن حبيش ،

---

1) التشوف ص 405 ع 218 .

وأبي عبد الله بن حميد وغيرهم ، وسكن مراكش وولي بها خطة المناكح دهراً، وكان فقيهاً أديباً فكهاً ناظماً ناثراً ، ولأبيه رواية ، وتوفي سنة ثمان وستمئة أو نحوها .

ترجمه في (التكملة) (1) .

531) محمد بن أيوب ابن نوح الغافقي

محمد بن أيوب بن محمد بن وهب بن محمد بن وهب بن محمد ابن نوح الغافقي ، قدم مراكش في جمع من أهل الأندلس ، منهم : أبو عبد الله ابن حميد ، ذكره في (الذيل والتكملة) .

وقال ابن الأبار في (التكملة) ما نصه :

محمد بن أيوب بن محمد بن وهب بن محمد بن وهب بن نوح الغافقي من أهل بلنسية ، ودار سلفه النبيه سرقسطة ، وقد تقدم الرفع في نسبه ، أخذ القراءات عن أبي الحسن ابن هذيل وغيره ، وسمع منه ومن أبيه أيوب ، وأبي عبد الله ابن سعادة ، وأبي الحسن ابن النعمة ، وأبي عبد الله بن عبد الرحيم ، وأبي القاسم ابن حبيش ، وتفقه بأبي بكر يحيى بن محمد ابن عقال ، واستظهر المدونة عليه ، وأخذ العربية والآداب عن ابن النعمة ، وأجاز له أبو مروان ابن قزمان ، وأبو بكر ابن محرز البطليوسي ، وأبو مروان ابن سلمة الوشقي ، وأبو بكر بن أبي ليلى ، وأبو القاسم ابن بشكوال ، وأبو بكر ابن خير وسواهم ، وكتب إليه من الاسكندرية أبو طاهر السلفي ، وكانت الدراية أغلب عليه من الرواية ، مع وفور حظه منها وميله فيها إلى الأعلام المشاهير دون اعتبار لعلو الأسانيد ، وولي خطة الشوري في حياة شيوخه ، وزاحم كبارهم بالحفظ والتحصيل في صغره ، ولم يكن في وقته بشرق الأندلس نظير له تفنناً واستبحاراً ، كان رأساً في الراسخين من العلماء ، وصدراً في المشاورين من الفقهاء ، قد برع في علوم اللسان ، وتمرس

---

1) التكملة 2 : 585 ع 1557

حياته كلها بالمسائل ، وتقدم في الفتيا ، واطلع على الآداب ، واضطلع بالغريب ، وشارك في التفسير ، وتحقق بالقراءات ، وأما عقد الشروط فاليه انتهت الرياسة فيه ، وبه إقتدى من بعده ، لم يسبقه أحد من أهل زمانه إلى ما تميز به في ذلك حتى دونت عنه ، مع حسن الخط ، وبراعة الضبط ، وتدقيق النظر ، والامامة في المعارف ، والبصر بالحديث ، والحفظ للأنساب والأخبار، والايضاح لما استغلق من معاني الأشعار الجاهلية والاسلامية ، وله تنابيه في فنون شتى ، وتقييدات شاملة النفع والافادة ، ولو عني بالتأليف لأربى على من سلف ، وكان كريم الخلق ، عظيم القدر ، سمحاً ، جواداً ، وولي قضاء بعض الكور النبيهة ، وخطب بجامع بلنسية وقتاً ، ولم يحظ بعلومه حظوة غيره ، وامتحن بالولاة والقضاة ، وكانوا يستعينون عليه ويجدون السبيل إليه بفضل دعابة كانت فيه معروفة منه مع غلبة السلامة عليه في اعلانه واسراره ، واستغراق آناء ليله في تلاوة القرآن وأطراف نهاره ، نفعه الله بذلك ، وكان على سعة علمه مزجي البضاعة في نظمه ، ونثره أصلح منه ، وأنشدني ابنه أبو الحسن محمد غير مرة قال : أنشدني أبي لنفسه :

كأن يقيننا بالموت شك ... وما عقل مع الشهوات يذكو

أرى الشهوات غالبة علينا ... وعند المتقين لهن فتك

هكذا كان ينشدنا غير مرتاب ، ويفصح لنا به دون توقف ، ولم أزل في ذلك معولا على ضبطه ، راكباً إلى حفظه حتى أفادني بعض أصحابنا بتونس في أول سنة 645 أو قبلها بيسير قطعة نسبها إلى ابن المعتز وأولها :

كأن يقيننا بالموت شك ... ولا عقل مع الشهوات يذكو

لهونا والحوادث دائبات ... لهن بمن قصدن إليه فتك

وفي الأجداث من أهل الملاهي ... رهائن لا تعار ولا تفك

وللدنيا عدات بالتمني ... وكل عداتها كذب وإفك

ويشبه أن يكون أبو الحسن سمع أباه رحمه الله يتمثل بهذين البيتين فحسبهما من قوله ، ونسبهما إليه ، على أن ثانيهما مغير عما في هذه الرواية،

وبالجملة فلم يكن لشيخنا في باب المنثور والمنظوم (1) ما يناسب براعته في أفانين العلوم ، أقْرأ القرآن وأسْمع الحديث ، ودرّس الفقه ، وعلّم بالعربية والآداب ، وأخذ الناس عنه ورحلوا إليـه وانتفعوا به ، وسمع منه جلة مـن شيوخنا وأصحابنا ، وطال عمره حتى أخذ عنـه الآباء والأبناء ، تلوت عليـه القرآن بالسبع ، وأجاز لي ، وسمعت منه بعد والدي رحمه الله ومعه ، وهـو أغزر من لقيت علماً وأبعدهم صيتاً .

ولد أول وقـت الظهر مـن يوم السبت الثـاني من جمادى الآخـرة سنة 530 ، قرأت ذلك بخط أبيه أيوب رحمه الله ، وتوفي في أول وقت الظهر أيضاً من يوم الاثنين لست مضين من شوال سنة 608 ، ودفن يوم الثلاثاء بعده لصلاة العصر بمقبرة باب الحنش ، وهو ابن ثمان وسبعين سنة وأربعة أشهر وأربعة أيام ، وصلى عليه أبو الحسن ابن خيرة وهو تولى غسله في جماعة من أصحابه الجلة ، وشهدت الخاصة والعامة جنازته ، واتبعوه ثناء حسناً ، ورثى بمراث كثيرة رحمه الله هـ (2) .

وترجم في (التكملة) لمحمد بن وهب بن محمد بن وهب بن محمد بن وهب ، وهو المعروف بنوح الغافقي من أهل سرقسطة ، ثم نزل بلنسية وولي قضاء جزيرة شقر ، وتوفي سنة 518 ، وستأتي ترجمة محمد بن محمد بـن أيـوب .

532) محمد بن عبد الله ابن طاهر الصقلي الحسيني

محمد الفقيه الامام الصالح قاضي الجماعة بمراكش ، ابن الفقيه الامام العالم الصالـح قاضي الخلافة الموحدية بمـراكش ، عبد الله بن طاهر بـن الحسين بـن موهوب بن أحمد بن محمد بـن طاهر بن الحسين بن علي بـن محمد بن علي بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زيد العابدين بن أمير المومنين الحسين بن علي ابن أبي طالب .

---

1) انظر قطعة دالية له في الترجمة التالية .

2) التكملة 2 : 582 ع 1556 و الذيل والتكملة 6 : 136 ع 346 .

قال الامام القصار في (الروض الزاهر ، في نسب سيدي محمد طاهر) الذي نظم به النسب المتقدم وما تفرع منه من (حديقة النسرين) لابن الأحمر ، ومن خطه نقل ما نصه :

ابن محمد بن عبد الله ... ابن لطاهر عظيم الجاه
ابن حسين الصقلي الامام ... أبن لموهوب بن أحمد الهمام
ابن محمد بن طاهر المراد ... ابن حسين بن علي الجواد
ابن محمد التقي ابن الرضا ... علي ابن كاظم موسى المضا
ابن الصادق يسمى جعفرا ... ابن محمد ويدعى الباقرا
ابن علي وهو زين العابدين ... ابن الحسين سبط خير المرسلين
فهذه سلسلة من ذهب ... ما مثلها في مشرق ومغرب
وكم بها من عالم وقطب ... قد ملأت أخبارهم للكتب
نظمها محمد القصار ... صوناً لها يحفظها الصغار

ثم قال : فقد أثنى على نسب الصقليين غير واحد من كبار العلماء مثل الامام ابن عرفة ، والحافظ ابن خلدون ، قال فيهم : ذو النسب الواضح السالم من الريبة عند كافة أهل المغرب ، والحافظ ابن الخطيب السلماني قال فيهم : نسبهم نسب صحيح ، ومجدهم مجد صريح ، وناهيك بابن الخطيب وابن خلدون في علم التاريخ ، وابن بشر وابن جزي ، يعني الشاعر ، وابن الجياب وابن السكاك وغيرهم ممن لا يحصى .

ومن مناقب الصقليين أن ابن الأحمر لما ملك سبتة قال له خدامه : ما عندك خوف إلا من الصقليين ، فان أهل البلد مطبقون على تعظيمهم ، ولا رأي إلا في إخراجهم ، فاستعظم إخراجهم ، وبات في استخارة ، فسمع حسَّ وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتوصل إلى فضل الماء ، فتمسح به فشكر له عليه السلام توقفه ، فاستدعى جميعهم بالغد ، ورتب كل ذكر منهم ، وقال لبطانته : من يقول لي في هؤلاء شيئاً ضربت عنقه ، ومن مناقبهم أنه أسر بعضهم فرأى ملوك ذلك العصر مرائيَ هالتْهم تدل على تنغص فاطمة وبعلها وولديها رضوان الله عليهم ، فانتدب للفداء ابن الأحمر وغيره ، وفاز

بذلك أبو سعيد المريني ، ففداهم بحمل مال وقال : لو تعين ما يملأ هذه القبة ما شق عليَّ بذله ، فتمهدت دولته أكثر من عشرين سنة ببركة ذلك ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً ، والحمد لله رب العالمين

انتهى كلام (الروض الزاهر) ، وقد نقله أيضاً في (غاية الأمنية) ، ثم نقل بحث العلامة القادري في ذلك في (لمحة البهجة العلية ، في بعض أهل النسبة الصقلية) ، وهذا ما صدَّر به الشيخ المسناوي نظم (الروض الزاهر) مع ما بقي من كلام الروض الزاهر إلى نسب صاحب الترجمة :

جماع سادة الورى الأكابـــر — أعني الصقليين آل طاهـــر
بعصرنا هذا وقبل بقليـــل — هو أبو العباس أحمد الجليـــل
ابن علي بن محمد يليـــه — أحمد ذو المنصب والذكر النبيـه
ابن الذي قال به القصـــار — سقاه صوب الرحمة المـــدرار
محمد سيد هذا العصـــر — ابن محمد الجليل القـــدر
ابن علي بن محمد الكبيـــر — ابن لطاهر الحسيني الشهيـــر
يكفيك ما رأى له القبـــاب — ابن علي وهو اللبـــاب
ابن ليحيى بن محمد النبيـــه — ابن علي بن حسين الفقيـــه
ابن محمد بن عبـــد الله الخ . . .

وقد نقل أبيات المسناوي المتقدمة في (غاية الأمنية) أيضاً ، وقال فيها أيضاً : وقد وقفت على عمود نسب أبي العباس سيدي أحمد بن علي ابن طاهر المذكور إلى سيدنا الحسين السبط بالتصغير رضي الله عنهم ناقلا له من خط جده الامام سيدي محمد ابن الشيخ سيدي عبد القادر الفاسي موافقاً لما ذكره الامام القصار ، ثم قال عن والده ، وذلك موافق لما في (ابتهاج القلوب) ، ولما وقفت عليه بخط شيخنا أبي عبد الله المسناوي في بعض مقيداته من غير مخالفة في ترتيب أسمائهم .

انتهى المقصود .

ورأيت في تاليف في قبائل الأشراف منسوب لأبي بكر محمد السيوطي ما نصه : وأولاد الحسن في مراكش كان جدهم قاضياً بها ، وهو محمد بن عبد الله الشريف ، فهم بنو طاهر بن الحسن بن موهوب بن أحمد بن محمد بن الحسن العسكري بن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر الخ .

وراجع الأشراف في ترجمة الفصيلة الخامسة الكاظميين ، ومن طاهر بن الحسن ابن موهوب إلى محمد الجواد مذكور في كتاب (الأنساب) لابن جزي عند ترجمة ملوك لمتون، وثبت فيه طاهر بين محمد والحسن العسكري كما سقط في نسختين من التقييد في قبائل الاشراف المشار له .

وراجع الذهبي في علي الهادي ، وفي (الصواعق المحرقة) علي العسكري بن محمد الجواد .

فائدة

في يحيى بن محمد بن علي بن الحسين ابن قاضي مراكش ، محمد بن قاضي مراكش عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن علي بن أحمد بن طاهر بن عيسى النقيب بن محمد بن علي وهو العريضي بن جعفر الصادق الخ، تلتقي الفروع الأربعة وهم أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن محمد بن محمد بن طاهر بن علي بن يحيى بن محمد ، والقاسم بن أحمد بن محمد بن علي ، ومحمد بن أحمد بن إبراهيم بن محمد بن علي بن قاسم بن محمد بن علي بن محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد ، وأحمد بن عبد الله بن أبي القاسم بن عبد الله بن أحمد بن القاسم بن أبي القاسم بن محمد، كما حصله في (غاية الأمنية) ، وهذا العمود للمترجم يخالف العمود الذي نظمه القصار كما تقدم .

وقال في (كنز الأسرار) : ذكر خروج الشرفاء من عدوة الأندلس حمل من صقلية الشرفاء الذين يلقبون بالبلاد الصقليين أربعة من الشعوب خرجت إلى مراكش ، الصقليون على أكدير من رأس الواد ، وفي مراكش

شعبة يقال لها : الحسينيون أولاد الامام الفقيه السيد مولاي محمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسن بن عبد الله الملقب موهوب بن أحمد بن محمد بن طاهر بن الحسن العسكري بن علي الهادي ابن القطب محمد الجواد بن علي الرضا الخ .

وقال في (الذخيرة السنية) :

وفيها، يعني سنة تسع وستمئة، توفي الشيخ الشريف الفقيه القاضي العالم المتصوف المجاهد محمد بن طاهر الحسني من ولد الحسين بن علي رضي الله عنه ، ومن أهل مدينة فاس وبها عقبه إلى اليوم، ويعرف بابن الصقلي (1) روى عن ابن جبير وابن الرمامة ، وكان أوحد عصره فصاحة ومشاركة في جميع العلوم الدينية والدنيوية ، عالماً بالأصلين : أصول الدين ، وأصول الفقه ، ومسائل الخلاف ، ولي قضاء الجماعة للمنصور ، وكان عادلا ، فاضلا ، ورعاً لم يعرف له في أحكامه ميل ، ولا يقبل هدية من أحد من حين ولي القضاء إلى أن مات ، وكان قبل أن يلي القضاء ينتحل طريقة الوعظ والتصوف والتدريس ، واتصل بالمنصور سنة سبع وثمانين وخمسمئة ، فحظي عنده ، وكانت له عنده منزلة عظيمة ، نقل عنه أنه قال : وصل إلي من صلات أمير المومنين المنصور منذ عرفته إلى أن مات ، تسعة عشر ألفاً دون الخلع والمراكب والاقطاع ، ولي قضاء الجماعة ، ولم يزل قاضياً إلى أن مات باشبيلية بعد رجوعه من غزوة العقاب ، وكان أحد الأجواد الكرماء ، مدحه جماعة من الفقهاء والأدباء ، فممن مدحه من فقهاء الأندلس وأعلامها القاضي محمد ابن نوح الغافقي قاضي بلنسية، امتدحه بقصيدة أولها ، (طويل) :

تخيرت فانهض في رضى الله واصعد ... وحُلَّ على التوفيق ما شئت واعقد
حبانا فأحيانا بماضيٍّ عزمه ... على الحق منصور اللواء مؤيد
بأروع من آل الحسين خلاله ... متى تُتْلَ كانت من سناء وسؤدد
فلو لم تكن تلك الأرومة أصله ... أتته سجاياه بأفضل محتد

1) الذى فى الذخيرة السنية ص 48 ويعرف بابن الصيقل .

هو الفرع في أعلا السماء مظلــــلا — قرارته بيت النبي محمـــــــــد
فيالك من فخرين : ذاتي وسالــف — إذا لم يكونا لامرىء لم يمجـــــد
مضى أمسه المحمود واليوم بعده — كريمين لكن يقصران عن الغــــد
مآثر راقت في سماع ومنظــــــر — ترى أبدا منه تعود وتبتـــــدى
رآه أمير المومنين ولم يكـــــن — لينظر إلا عن بصيرة مهتـــــدي
فالقى إليه بالتي لا تـــــــؤوده — وان وجدت عبئاً على كل أيـــد

أنتهى (1) .

وقال في (التكملة) ما نصه : محمد بن عبد الله بن طاهر الحسيني الشريف من أهل فاس ، يكنى أبا عبد الله ، روى عن إبراهيم ابـن قرقول ، وكان معتنياً بسماع الحديث ذاكراً لأسانيده ومتونه ، وولي قضاء الجماعــة بمراكش ، وتوفي باشبيلية سنة 608 عن أبي سالم وفيه عن غيره انتهى (2) .

وقال في (الذيل والتكملة) ما نصه : محمد بن عبد الله ابن طاهــر الحسيني فاسي ،، أبو عبد الله ابن الصقلي ، روى عن إبراهيم ابن قرقول (3) روى عنه أبو الحسن ابن القطان ، وأبو عبد الله ابن حماد العجلاني، وكان راوية للحديث ، حافظاً لمتونه ، بصيراً بعلله ، عارفاً برجاله ، مشرفاً على طبقاتهم وتواريخهم ، عني بهذا الشأن أتم عناية ، ودرسه ببلده ، واستدرك على الاحكام الكبرى لعبد الحق أحاديث كثيرة في أكثر الكتب رأى أن أبا محمد أغفلهـا وأنها أولى بالذكر مما أورده أبو محمد في الأحكام ، دل ذلك على حسن نظره وجودة اختياره ، ومال وقتاً في فاس إلى التحليق بالوعظ والتذكرة ، فانجذبت نفوس الناس على طبقاتهم إليه ، وكان وقور المجلس ، نظيف الملبس ، جميل الاشـــارة . . . . بني عبد المومـــن قضاء الجماعـــة بعد وفاة أبـــي عبد الله فتقلده .... محمود السيرة ، مشكور الأحوال ، صادعاً بالحق،

---

1) الذخيرة السنية ص 48 طبع الرباط .

2) التكملة 2 : 683 ع 1722 ، ووفاته كانت سنة 609 لا سنة 908 .

3) في الأصل المطبوع ابن فرتون ، وهو غلط ، لأن ابراهيم ابن فرتون توفي عام 538 هـ فيبعد أن يكون المترجم أخذ عنه وبين وفاتيهما 71 سنة .

جزلا ، مهيباً ، .... أن توفي باشبيلية سنة ثمان وستمئة ، وقد قدم الأندلس غازياً .... ببني عبد المومن هـ .

534) **محمد ابن موفق** أبو عبد الله ، أصله من بجاية ، قدم مراكش وبها مات ودفن خارج باب نيتان ، قال في (التشوف) : سمعت موسى بن يوسف الخراز يقول : حدثني محمد ابن موفق بابتداء أمره ، فذكر أنه كانت لديه دنيا عريضة ، وكان من أهل الرفاهية والنعيم ، فنام ليلة فقيل له : اذهب إلى جبل أمسيون تر الشيوخ ، فأصبح وتجرد من أثوابه ولبس أثواباً دونها ، وذهب عشياً إلى الجبل ، وقعد بموضع منه فرأى جموعاً من الناس يمرون عليه ويصعدون إلى أعلا الجبل ، فذهب إليهم وحضر سماعهم ، واستحسن أحوالهم، فزهد في حالته من الدنيا وتجرد منها .

خرجت عن المنازل والقباب ... فلم يعسرْ على أحد طلابي
فمنزليَ الفضاءُ وسقفُ بيتي ... سماءُ الله أو قطعُ السحاب
فأنت إذا أردت دخلت بيتي ... عليَّ مسلماً من غير باب
لأني لم أجد مصراع باب ... يكون من السماء إلى التراب
ولا خفت الاباق على عبيدي ... ولا خفت الحِيرانَ على دوابي
ولا حاسبت يوماً قهرماني ... محاسبةَ فاغلط فيَ الحساب
ولا انشقَّ الثرى عن عود تخت ... أؤمل أن أشدَّ به ثيابي
وفي ذا راحةٌ وفراغ بال ... فدأب الدهر ذا أبداً ودأبي

حدثني موسى بن يوسف قال : حدثني محمد ابن موفق قال : دخلت مالقة فحضرت مجلس عمر الواعظ ، فأخذ في وصف الجنة وما أعدَّ الله فيها لأهلها ، فصحت وأصابني حال ، فقال : صح أو لا تصح ، والله لا رأيتها ولا دخلتها ، فادركني انكسار عظيم ، وقعدت إلى الأرض أتفكر في معنى كلامه ، فاذا به قد كوشف بسري ، وأن النفس انما حنت لما كانت عليه من نعيم الدنيا ، وأنها لم تحنَّ الى الجنة .

قال موسى بن يوسف : وكذلك مات ابن موفق ، ولم يكن عنده من الدنيا شيء بعد أن كان ممكناً فيها :

ما تراني أرى من الدهر يومـــاً لي فيه مطية غير رجلـــي
فاذا كنت في فريق فنــادوا أسرجوا للرحيل أسرَجت نعلــي
حيثما كنت لا أخلف رحـــلا من رآني فقد رآني ورحلـــي (1)

535) محمد (الناصر) بن يعقوب (المنصور) الموحدي

محمد (الناصر) بن يعقوب (المنصور) بن يوسف بن عبد المومن بن علي الموحدي الزناتي الكومي .

أمه حرة اسمها أمة الله بنت إبراهيم بن عبد المومن بن علي ، لقبه الناصر لدين لدين الله تعالى ، نقش خاتمه « على الله توكلت ، وهو حسبي ونعم الوكيل » ،علامته في الأوامر السلطانية « الحمد لله وحده » ، صفته أبيض، تام القد ، نحيل الجسم ، مليح العينين ، أدعج ، وافر اللحية ، كبير الهامة ، غليظ الحجاب ، لا تكاد تصله الأمور إلا بعد الجهد ، معجب برأيه ، مستبدٌ في أموره وتدبير مملكته بنفسه .

بويع في حياة أبيه ، وجددت له البيعة بعد وفاته ، وذلك يوم الجمعة صبيحة الليلة التي توفي فيها أبوه ، وهو الثاني والعشرون من ربيع الأول عام خمس وتسعين وخمسمئة (22 يناير سنة 1199 م)، وأخذت له البيعة في جميع أقطار طاعة الموحدين ، وخرج من مراكش قاصداً مدينة فاس ، في أول جمادى الأولى سنة خمس وتسعين وخمسمئة (الاثنين 1 مارس سنة 1199 م) فوصلها وأقام بها إلى آخر سنة خمس وتسعين ، وخرج إلى جبال غمارة ، فغزا بها علودان الغماري الثائر بها ، ورجع إلى مدينة فاس فأقام بها ، وبنى قصبتها وأسوارها التي كان خربها جده عبد المومن ، ولم يزل مقيماً بها إلى سنة ثمان وتسعين ، فوردت عليه الأخبار من إفريقية أن يحيى بن إسحاق المعروف بابن غانيــة

1) التشوف ص 449 ع 257 و السعادة الأبدية 1 : 133 .

المسوفي قد غلب على كثير من بلادها فخرج محمد الناصر من مدينة فاس قاصداً إلى أفريقية ، فوصل إلى جزائر بني مزغنة ، فأخذ في تجهيز الأساطيل لميورقة ، فأخذها وانتزعها من أيدي المرابطين ، وقتل صاحبها عبد الله بن إسحاق المسوفي، وكان فتحها في ربيع الأول سنة ستمئة، وقدَّم على قضائها الامام عبد الله بن سليمان الأنصاري المعروف بابن حوط الله ، ثم ارتحل عن الجزائر وافتتح المهدية سنة إحدى وستمئة أو في التي بعدها ، وفي سنة اثنتين وستمئة ولي عبد الواحد بن أبي حفص جميع بلاد إفريقية وارتحل إلى المغرب ، وفي سنة أربع وستمئة أمر ببناء وجدة ، وفيها بنيت قصبة بادس ، وفيها بنى مصلى عدوة القرويين ، وهو في موضع بستيون باب الجيسة اليوم الذي هو قريب من القلة مدفن بني مرين وغيرهم من الملوك، وأمر أن لا يُصلى بمصلى عدوة الأندلس ، وأقام كذلك ثلاث سنين ، ثم عادوا يصلون بها ، ولما قطع إلى جزيرة الأندلس بنية الجهاد وأقام فيها نحو عامين ، واستفتح معقل سلبطرة ، وخافه ملوك الروم جاءه صاحب بنبلونة فطلب منه العفو ، وقدم أمامه شفيعاً كتاب النبي صلى الله عليه وسلم لهرقل في حلة خضراء في وسط صندوق من ذهب مملوء مسكاً تعظيماً له ، ومحمد هذا هو الذي حضر كائنة العقاب على المسلمين ، والحادث الأعظم ، وكانت هذه الرزية العظمى يوم الاثنين الرابع عشر من صفر الذي من سنة تسع وستمئة (16 يوليوز سنة 1212 م) فذهبت قوة المسلمين بالأندلس من تلك الهزيمة ولم تنصر لهم راية بها إلى أن تدارك الله رمق الأندلس بالسلطان يعقوب المنصور بن عبد الحق المريني كما يأتي في ترجمته ، وكان ذلك بسبب سوء تدبير الوزير أبي سعيد ابن جامع كما سنشرحه في ترجمته ، ثم استطال العدو على الأندلس فملكها ومعاقلها ، واستحوذ على كثير بلادها ، ولم يزل الفنش يملك بلاد الأندلس بلداً بعد آخر حتى استولى على جميع قواعدها ، ولما رجع الناصر إلى مراكش من وقعة العقاب ، أخذ البيعة لولده يوسف سنة تسع وستمئة ، واغتمَّ من أجل وقعة العقاب التي فني فيها أهل المغرب والأندلس غماً كبيراً كان السبب في وفاته بمراكش في شعبان سنة عشر وستمئة ، وقيل توفي

مسموماً في كأس خمر بأمر وزيره في يوم الأربعاء الحادي عشر لشعبان منها (1) بقصره من قصبة مراكش ، وقيل مات بسلا ليلة الثلاثاء عاشر شعبان المذكور وكانت خلافته خمس عشرة سنة وأربعة أشهر وثمانية عشر يوماً .

ترجمه في (الحلل و (القرطاس) و (رقم الحلل) و (كتاب العبر) و (الجذوة) وغيرها ، وزعم في (الشذرات) أن أمه رومية أَمَة ، وذكر وفاته في سنة 610 في شعبان بالسكتة (2) .

536) **محمد إبراهيم الأصولي المهري** ، من أهل بجاية وهو من بني مرزقان من أهل إشبيلية يكنى أبا عبد الله،رحل إلى المشرق ولقي جماعة وافرة من حملة الحديث ، ولم يسمع إلا يسيراً بمصر ، وانصرف ولم يحج ، وولي قضاء بجاية ثلاث مرات صرف عن أخراها سنة 608 بأبي محمد ابن حجاج ، ودخل الأندلس مراراً ، وولي قضاء مُرسية منها ، واستخلف بمراكش على القضاء ، وكان عَلَم وقته علماً وكمالا وتفنناً ، يتحقق بعلم الكلام وأصول الفقه ، حتى شهر بالأصولي ، واعتنى باصلاح (المستصفى) لأبي حامد الغزالي ، وإزالة ما كان فيه من تصحيف ، وله عليه تقييد مفيـد ، وامتحن بقرطبة سنة ثـلاث وتسعين وخمسمئة هو وأبو الوليد ابـن رشد محنتهما المشهورة من أجـل نظرهما في علوم الأوائل ، فتحدث الناس بصبره (3)) .

يروي عن أبي إسحاق ابن طلحة، وأبي القاسم الشراط، وسمع من أبي القاسم ابن بشكوال، وأبي بكر ابن خير ، وأبي عبد الله ابن عراف وغيرهم ، وصحب العباد والزهاد ، وأقرأ القرآن ، وكـان يكتب المصاحف ويضبطهـا فيجيـد .

---

1) الذى يوافق 26 دجنبر سنة 1212 م .

2) انظر **الأنيس المطرب بروض القرطاس** ص 231 طبع الرباط .

3) ورد فى **التكملة** المطبوعة بمصر (2 : 684 ع 1726) بعدما تقدم ما يلى :
. . . فى ذلك المقام وتجلده وثبوت جاشه وكف بصره بآخرة ، اخذ عنه أبو محمد ابن حوط الله توفى سنة 612 فى أحد العيدين ، ولم يذكر له سماع من أحد .

ذكره ابن الطيلسان وقال : توفي إثر صلاة يوم الجمعة عاشر رجب من سنة 611 ، ودفن بمقبرة أم سلمة ، نقله في (التكملة) .

وقال في (عنوان الدراية) ، و (توشيح الديباج) ، و (نيل الابتهاج) : أنه توفي سنة 612 ، ونص ما في الأول والثالث في ترجمته : محمد بن إبراهيم المشتهر بالأصولي من أهل بجاية تقضى في مدن من الأندلس وبمراكش وببجاية ثلاث مرات أخراها سنة ثمان وستمئة ، وكان جلداً صلباً قوي الجأش ، ومن طُرفه أنه حضر مجلس السلطان ، وأُحضرت فيه لآلىء نفيسة في طبق ، وعُرضت على حاضري المجلس فاستحسنوها ، وعدت ففقدت منها واحدة ، فَهَمّ أمير المومنين بفتشهم ، فأشار عليه باحضار قلة ماء مملوءة ويُدخل فيها كل إنسان يده ستراً على الفاعل ، فسيقت القلة ، فلما انتهت إليه ليدخل يده فيها امتنع ، وقال : صبوها فان وجدتم حاجتكم وإلا فهي عندي ، فصبوها فوجدوها فخلص من الشك ، وهذا من نبله وسياسته .

كان عالماً بالفقه والأصلين والخلاف والجدل ، شديداً على الولاة ، جرى بينه وبين والي بجاية كلام فيه غلطة فقال له الوالي : والله لقد أصاب فيكم أمير المومنين المنصور ، فقال : إن كان أصاب المنصور فأخطأ أمير المؤمنين الناصر ، فأفحمه فرجع الوالي واسترضاه .

توفي ذبيحاً ببجاية أواخر سنة اثنتي عشرة وستمئة .

انتهى (1) .

ونقل في (كنز الأسرار) بعض فوائده في الشرفاء العمرانيين .

ثم بعد هذا كله وقفت على ترجمته الواسعة في (الذيل والتكملة) للمراكشي ، فأحببت إيرادها لزيادة فوائد فيها لم تكن فيما تقدم ، قال :

---

1) **نيل الابتهاج** ص 228 طبع مصر 1351 هـ .

محمد بن إبراهيم المهري بجائي نزل سلفه مليكش إشبيلي الأصل من بني مرزبان من أهلها أبو عبد الله بن إبراهيم الأصولي،شرّق وأخذ بمصر عن الربعي والجباب،وحضرمجلس أبي الطاهر السلفي،ودرس قليلا على أبي الطاهر ابن عوف، ثم لم ترض هناك أحواله فأمر أبو الطاهر ابن عوف باخراجه عن الاسكندرية ، فأُخرج منها مذموماً ، ولقيه أبو العباس بن عثمان الملياني على مقربة من الأسكندرية ، فلما لقي أبو العباس أبا الطاهر ابن عوف قال له : أين لقيت ذلك الزنديق ؟ ولما قدم من المشرق نزل جزائر بني مزغنا ، وأقام بها مدة ، وأخذ عنه . . . . القزولي ، ثم قدم مراكش فأخذ عنه بها جماعة منهم : . . . . ابن الجذع ، وأبو محمد ابن حوط الله ، وأبو يعقوب ابن الزيات . . . . بن نذير فقال له : قد أبحت لك ماسا . . . . . . فاجتهد بالاجتهاد . . . . وأخذ عنه ببجاية أبو الحسن بن أبي نصر ، وأبو عبد الله بن عبد الله بن . . . . وكان متحققاً بعلم الكلام ، متقدماً في معرفة أصول الفقه حتى شهر . . . . وعني طويلا بمستصفى الغزالي فأصلح مختلّه ، وصحح معتلّه ، وعلق عليه . . . . أفاد بها ، وتنوقلت عنه ، وشهر بالعكوف على العلوم القديمة الفلسفية ، وله حظ صالح من الفقه، وكان أول قدومه على مراكش يحضر كثيراً مجلس . . . . المنصور من بني عبد المومن ، فيعامل المنصور بضروب من الجفا لا يحتمل أخفّها الاكفاء ، حتى أثر ذلك عنده وأسرّه له في نفسه ، وكان ذلك من أقوى الأسباب التي اقتضت عنده تعريضه للعن الناس إياه ، ونصبه لبصاقهم في وجهه مع وسيلته في الارتسام بتلك الطريقة المشنوءة أبي الوليد ابن رشد الصغير ، حسبما مر ذلك في رسمه ، وسأله المنصور حينئذ ، هل نظر في العلم الذي نُكب ابن رشد بسببه ؟ فأمر بقراءته والأخذ فيه مع تحققه ما عليه في ذلك ، فكان اعترافه من الأسباب التي ألحقته بابن رشد في تلك الوقيعة الشنيعة ، وتعجب المنصور والناس جميعاً من إجابته المنصور بالحق عن ما سأله كائناً فيه ما كان ، وظهر منه في هذه المحنة من الجلد وثبوت الجأش وقوة النفس ما قضى مشاهدوه منه العجب ، ثم غرب إلى أغمات فأسكن بها ، ولم يزل فيها حتى عفي عنه واستقضى عقب العفو عنه ببجاية ، وقد كان استقضى بها

مرتين ، وبمرسية ، واستنيب بمراكش ، وكان يقول حين استقضى ببجايـة في المرة الأخيرة ، والله ما تقلدتها رغبة فيها ولا تغبيطاً بها ولكن تسجيلا على مقلدها إياي بقبيح التناقض الذي لا يصدر عمن له مسكة عقل في تولية القضاء والفصل في الأحكام الشرعية بين الناس من صحت عنده زندقته واشتغالـه بعلوم الأوائل ، واستقر قاضياً بها مدة ، صادعاً بالحق ، جزلا في إحكامه ، عدلا في قضائه ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، ثم عزل سنة ثمان وستمئة بعـد تنكيل كثير ناله من والي بجاية أبي عبد الله ابن يومور الهرغي ، وامتحان شديد كان منه ضرب ولده بأليم السياط ، وسعى في عزله فعزل ، وقدم أبو محمد عبد الله ابـن سكاتو الجزائـري فقال أبو عبد الله لمـا بلغه ذلك : عزلونـي ولم يولوا أحداً ، وكف بصره بأخرة وبقي . . . . . إلى أن توفي بها في ذي الحجة سنة اثنتي عشرة وستمئة ، وقد . . . . . . الوليد ابن رشد وأبي القديم عبد المنعم ابن تيسيت ، وسيذكر في رسم . . . . بن علي بن مروان إن شاء الله ، انتهى .

ووقفت على تقييد أبـي عبد الله المراكشي المعروف بالأصولي فـي (الشرفاء العمرانيين) وبعض (وفيات الأعيان) وغير ذلك من الأمور المهمة [1]

537) محمد بن محمد ابن نوح الغافقي

محمد بن محمد بن أيوب بن محمد بن نوح الغافقي من أهل بلنسية ، يكنى أبا القاسم ، سمع من أبيه ومن أبي القاسم ابن حبيش وغيرهما ، وأجاز له أبو مروان ابن قزمان ، ، وأبو بكر ابن محرز البطليوسي ، وأبو بكر ابن خير ، وأبو بكر ابن أبي ليلى ، وأبو بكر ابن أبي جمرة وغيرهم ، وكان مشاركاً في الفقه عارفاً بالأحكام ، ماهراً في عقد الشروط ، متقدماً في الآداب شاعراً مكثراً ، ولي في أولية أمره قضاء جزيرة شقر ، وقد كان جده أيوب بن محمد ، وجد أبيه محمد بن وهب ، ولياها قبله ، ثم صرف عنها، وولي بعدها مدة قضاء المرية ، ومنها نقل إلى قضاء بلنسية ، فقدمها في شوال سنة إحـدى عشرة

---

1) ينظر عن محمد بن ابراهيم الأصولي **عنوان الدراية** ص 208 ع 49 طبع بيروت .

وستمئة ، ولم تُحمد سيرته ، وصرف عنها مُستدعى إلى مراكش بعد انبعاث من أهل بلده لمطالبته، وشيَّعه حينئذ ابن الأبار في مَن شيَّعه ، وفاته السماع منه ، فأخذ بعض منظومه عن أخيه وعن غيره عنه ، وعاجلته منيته بعد صرفه ، فتوفي بمراكش إثر صلاة الظهر من يوم الخميس الرابع والعشرين من جمادى الأولى سنة أربع عشرة وستمئة وهو ابن ستين سنة أو نحوها .

ترجمه في (التكملة) (1) .

وفي (الذيل والتكملة) ترجم لمحمد بن أيوب بن محمد بن وهب بن محمد بن وهب بن محمد بن نوح قائلا : قدم مراكش في جمع من أهل شرق الأندلس منهم أبو عبد الله ابن حميد ، وقد تقدم عنه وعن (التكملة) ص 158 من هذا الجزء .

538) محمد بن أحمد ابن الحجام اللخمي التلمساني

محمد بن أحمد بن محمد اللخمي ، تلمساني ، مكناسي الأصل الشيخ قديماً ، أبو عبد الله ، ابن الحجام وهو أبوه ، قال في (الذيل والتكملة) :

تلا بالسبع على أبي العباس الأعرج، وأخذ بفاس عن أبي الحجاج بن عبد الصمد ابن نموي،وأبي القاسم بن يوسف بن الحسن ابن زانيف،واختص بصحبة عبد الرحمان الفازازي، روى عنه ابنه أبو محمد، ويحيى بن محمد ابن طفيل، وكان فاضلا صالحاً زاهداً ذا حظ من الأدب وقرض الشعر ، أكمه مال إلى طريقة الوعظ والتذكير ، فرأس فيها أهل عصره بحسن الصوت وغزارة الحفظ واتقان الايراد والصدق والاخلاص في وصاياه وتذكيره ، فنفع الله به خلقاً كثيراً في بلاد شتى ، وكان آية من آيات الله في سرعة الحفظ .

قال عبد الرحمان الفازازي: كنت بحضرة مراكش أصنع مجالس وعظ في أنواع يقوم بها على رؤوس الناس الواعظ أبو عبد الله ، يعني هذا ، في يوم الاثنين والخميس من كل أسبوع ، وكان حسن الصوت ، فصيح اللسان ،

---

1) التكملة 2 : 596 ع 1578 .

البيان ، وكان يأتي منزلي فأكتبها له ، وكان يرغب إلي أن أرفع صوتي عند الكتابة لأسمعه ، فما رأيت أسرع حفظاً منه ، ما أكاد أكملها مع ما فيها من قصائد إلا وقد حفظها ، وكان سكناه مراكش باستدعاء المنصور من بني عبد المومن إياه لذلك ، وكانت الطافه تتوالى عليه إلى أن توفي ، فحظي كذلك عند ابنه محمد الناصر، وبالغ في الاحسان إليه إلى أن توفي، فجرى المستنصر ابنه في الاحتفاء به والاحتفال في صلاته مجرى أبيه وجده . . . . . . من عطاياهم قليلا لا كثيراً إنما كان يصرف ما يصل إليه . . . . وغيرهم في الفقراء والمساكين والمحتاجين وتجهيز الضعيفات إلى . . . . هذا كان دأبه إلى غاية عمره نفعه الله .

وقال أبو عمرو ابن سالم . . . . من طلبة مراكش قال : كان أبو عبد الله الواعظ الأعمى من أحفظ الناس . . . . أعجب من سرعة حفظه أم من سرعة خاطر عبد الرحمان الفازازي ، كان . . . . . والأشعار ارتجالا.

قال المصنف عفا الله عنه :

ولابن الحجام كتاب حفيل في الوعظ سماه (حجة الحافظين ومحجة الواعظين) معظم ما أودعه من عبد الرحمان الفازازي وأضاف إليه يسيراً من كلام غيره ، واختصر هذا الكتاب لزيمه يحيى بن محمد ابن طفيل وسماه (أنوار مجالس الأذكار ، وأبكار عرائس الأفكار) ، وقد وقفت على هذا المختصر في مجلدين ضخمين بخط منتخبه .

ومما يوثر من نظمه :

غريب الوصف ذو علم غريب ... عليل القلب من حب الحبيب
إذا ما الليل أظلم قام يبكي ... ويشكو ما يكن من النحيب
يقطّع ليله فكراً وذكرا ... وينطق فيه بالعجب العجيب
به من حب سيده غرام ... يجل عن التطبب والطبيب
ومن يك هكذا عبداً محبا ... يطيب ترابه من غير طيب

قال المصنف عفا الله عنه : رفع يطيب مع جزم يـك غير مستقيم ، وإصلاحه تطب أثوابه أو ما هو على وزنه وفـي معناه أو يناسبه ، وسمعـت شيخنا أبا القاسم البلوي رحمه الله يقول : حضرت مجالس وعظه كثيراً بالجامع الأعظم من إشبيلية ، فكان في حسن صوته وبراعة إيراده ، واستحكام تأثيره، وانفعال القلوب لتذكيره بمقام تكل العبارة عـن وصفه ، ولقد شاهدته فـي بعضها وقـد ندب الناس إلى افتكاك أسارى ، فتسارع الناس إلى بذل مـا حضرهم ، وخلع كثير منهم بعض ما كان عليه مـن الثياب ، فعهدي بها قـد تراكمت أمام منبره حتى كادت تحجبه عن الأبصار ، سوى ما وعد به، فتجمل في أثمان تلك الثياب مال جسيم ، وهو الذي صلى على أبي إسحاق الكانمي حين توفي حسبما تقدم ذكره (1) .

ولد بتلمسان سنة ثمان وخمسين وخمسمئة ، وتوفي بمراكش في يوم الجمعة لأربع عشرة ليلة بقيت من شعبان سنة أربع عشرة وستمئة .

539) محمد بن أحمد ابن جبير الكناني

محمد بن أحمد بن جبير بن سعيد بن جبير بن سعيد بن جبير بـن سعيد بن جبير بن محمد بن مروان بن عبد السلام بن مروان بن عبد السلام ابن جبير الكناني الداخل إلى الأندلس في طالعة بشر ابـن عياض القيسـي القشيري ، وفي محرم ثلاث وعشرين ومئة كان نزوله بكورة شذونة ، وهو من ولد ضمرة بن كنانة بن بكر بن عبد مناف بن كنانة بن خزيمة ابن مالك ، يكنى المترجم أبا الحسين من أهل شاطبة ، وسكن جيان ثم انتقل إلى مدينة فاس ، ثم رحل إلى المشرق .

روى بالأندلس عن القاضي أبي الوليد ابن الدباغ ، وعن أبيه أحمد ابن جبير ، وأبي الحسن بن أبي نفيس، وأبي عبد الله ابن الأصيلي الطرطوشي، وكتب بغرناطة عن عثمان بن عبد المومن ، ثم عن

---

1) تقدمت في الجزء الأول من هذا الكتاب ترجمة ابراهيم بن محمد الذكواني الكانمي ص 153 ع 9 وترجمة ابراهيم بن يعقوب الكانمي ص 168 ع 14 وليس فيهما ان ابن الحجام صلى على واحد منهما ، ولا شك ان ذلك مذكور في ترجمة احدهما من كتاب **الذيل والتكملة** الذي ينقل المؤلف هذه الترجمة منه .

غيره ، ثم رحل لأداء فريضة الحج ، فلقي جلة أشياخ ، وعاد إلى غرناطة أيضاً وقد استوسق علماً وفضلا ، فمن أشياخه في الرحلتين أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الغساني التونسي ، سمع عليه كثيراً بمكة شرفها الله تعالى ، وضياء الدين أبو أحمد عبد الوهاب بن علي المعروف بابن سكينة ، وكتب له بالاجازة عمر بن عبد الحميد الميانشي ، وصدر الدين عبد اللطيف بن محمد بن عبد اللطيف الخجندي رئيس الشافعية بأصبهان ، وأبو محمد عبد الرحمان بن إسماعيل بن أبي سعد الصوفي، وأبو الحجاج يوسف بن أحمد بن إبراهيم البغدادي ، قال : وممن لقيته بدمشق الحافظ أبو القاسم ابن عساكر ، وأبو الطاهر الخشوعي ، وأقام يحدث ويروي بغرناطة ، وعظم بها قدره ، واشتهر في أهل الخير ذكره ، ثم انتقل إلى مدينة فاس وباع أملاكه وانفصل بجملته ، فمات أهله وولده بفاس ، فرجع ثالثة إلى المشرق سنة سبع وستين وخمسمئة فسكن مكة شرفها الله تعالى ، ثم انتقل إلى القدس ، وبقي يتردد بين الحرمين وبيت المقدس والأسكندرية ، وفي ذلك كله يزداد فضلا وورعاً وعلماً يقربه إلى الله تعالى، فزاد تواضعه وخيره إلى أن مات بالأسكندرية رحمة الله عليه بمنه وكرمه آمين .

وكتب بسبتة عن أبي سعيد عثمان ابن عبد المومن ، وبغرناطة عن أميرها ، وله فيهم أمداح ، ونزع عن ذلك وجرت بينه وبين أهل عصره مخاطبات ، وصنف رحلته المشهورة ، وله ديوان شعر على قدر ديوان أبي تمام ، وله نظم سماه (نظم الجمان ، في التشكي من إخوان الزمان) يشتمل على أزيد من مئتي بيت في قطع ، وله مقالة (رسالة اعتبار الناسك ، في ذكر الآثار الكريمة والمناسك) كتب بها إلى وليه أبي الحسن ابن معنصر من فاس عند عودته إلى المشرق في ذي القعدة ثلاث وتسعين وخمسمئة .

من نظمه وقد شارف المدينة المشرفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام :

أقول وآنست بالليل نارا ... لعل سراج الهدى قد أنارا
وإلا فما بال أفق الدجى ... كأن سنا البرق فيه استطارا
ونحن من الليل في حندس ... فما باله قد تجلى نهارا
وهذا النسيم شذى المسك قد ... أعير أم المسك منه استعارا

وكانت رواحلنا تشتكي … وجاهاً فقد سبقتنا ابتدارا
وكنا شكونا عناء السرى … فعدنا نباري سراع المهارا
أظن النفوس قد استشعرت … بلوغ هوى تخذته شعارا
بشائر صبح السري آذنت … بأن الحبيب تدانى مزارا
جرى ذكر طيبة ما بيننا … فلا قلب في الركب إلا وطارا
حنيناً إلى أحمد المصطفى … وشوقاً يهيج القلوب استعارا
ولاح لنا أحد مشرقاً … بنور من الشهداء استنارا
فمن أجل ذلك ظل الدجى … يحل عقود النجوم انتثارا
ومن ذلك الترب طاب النسيـ … ـم نشراً وعم الجهات انتشارا
ومن طرب الركب حث الخطا … إليها ونادى البدار البدارا
ولما حللنا فناء الرسول … نزلنا بأكرم خلق جوارا
وحين دنونا لفرض السلام … قصرنا الخطا ولزمنا الوقارا
فما نرسل اللحظ إلا اختلاسا … ولا نرجع الطرف إلا انكسارا
ولا نظهر الوجد إلا اكتتاما … ولا نلفظ القول إلا سرارا
سوى أننا لم نطق أعينا … بأدمعها غلبتنا انفجارا
وقفنا بروضته للسلام … نعيد السلام عليها مرارا
ولولا مهابته في النفوس … لَثَمنا الثرى والتزمنا الجدارا
قضينا بزورته حجنا … وبالعمرتين ختمنا اعتمارا

* * *

إليك نبيَّ الهدى إنني … ركبت البحار وجبت القفارا
وفارقت أهلي ، ولا منة … ورب كلام يجر اعتذارا
وكيف نَمَنُّ على من به … نؤمل للسيئات اغتفارا
دعاني إليك هوى كامن … أثار من الشوق ما قد أثارا
فناديتُ لبيك داعي الهدى … وما كنت عنك أطيق اصطبارا
ووطنت نفسي لحكم الهوى … عليَّ وقلت رضيت اختيارا
أخوض الدجا وأروض السرى … ولا أطعم النوم إلا غرارا
ولو كنتُ لا أستطيع السبيل … لطرت ولو لم أصادف مطارا

وأجدر من نال منك الرضـــــــا ... محب غريب على البعـــــــد زارا
عسى لحظة منك لي في غــــــد ... تمهد لي في الجنان القـــــرارا
فما ضل من بهداك اهتـــــدى ... ولا ضل من بذراك استجـــارا

وهذه القصيدة عارضها في المدح النبوي أيضاً إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم النميري المعروف بابن الحاج الوادياشي الغرناطي المترجم في (الاحاطة) وفي (الجذوة) المتولد سنة 713 مطلعها :

سقى الله بالأجزع الفـــرد دارا ... لأمر بها الشوق والبرق ثـــارا

وقال المترجم أيضاً :

هنيئاً لمن حجَّ بيت الهـــدى ... وحط عن النفس أوزارهـــا
وإن السعادة مضمونـــة ... لمن حج طيبة أو زارهـــا

وله أيضاً :

إذا بلغ المرء أرض الحجـــاز ... فقد نال أفضل ما أمَّ لـــه
وإن زار قبر نبي الهـــدى ... فقد أكمل الله ما أملـــه

وله أيضاً :

بيان المرء بالاكثار عيـــب ... وعيب الصمت أقرب للبيـــان
وما في الأرض إن فكرت شيئـــاً ... أحق بطول سجن من لســـان

وله أيضاً :

عليك بكتمان المصائب واصطبـر ... عليها فما أبقى الزمان شفيقـــا
كفى بك بالشكوى إلى الناس أنهـا ... تسر عدواً أو تسوء صديقـــا

وله أيضاً :

فصنائع المعروف فلتة عاقـــل ... إن لم تضعها في محل عاقـــل
كالشمس في سمواتها إن لم تكـن ... وقفاً لها عادت بضر عاجـــل

مولده ببلنسية سنة تسع وثلاثين .

وتوفي بالأسكندرية ليلة الأربعاء التاسع والعشرين لشعبان سنة أربع عشرة وستمئة .

ذكره ابن الزبير قال : وحدثني عن ابن جبير هذا شيخنا علي بن محمد الغافقي ، وينسب إليه تأليف رحلته المشهورة وهي بأيدي الناس ، وليست من تآليفه فيما ذكر لي شيخنا الغافقي ، إنما قيّد هو حاصلها من ذكر المراحل والانتقالات وأحوال البلاد لنفسه تقييداً لم يقصد به التأليف ، فرتبه بعض من أخذ عنه وأتقنه مؤسساً، انتهى .

نقله في (الجذوة) (1) .

وذكر الشيخ الأكبر في (الفتوحات المكية) أنه لقي المترجم بمراكش سنة 595 كما ذكرنا نصه في ترجمة الامام ابن رشد الحفيد ، وذكر العبدري الحاحي في رحلته لما وصل الأسكندرية ، أن أهلها يأخذون المكس من الحجاج ويفتشونهم على ذلك نساء ورجالا ، ثم نقل ذلك عن المترجم ، وأنه مدح صلاح الدين يوسف ابن أيوب ، وذكّره بالله في حقوق المسلمين في قصيدة مطلعها:

أطلت على أفقك الزاهــــر سعود من الفلك الدائـــر

وأوردها (2) ثم أورد القصيدة المتقدمة التي أنشده إياها أبو عبد الله نور الدين بن منصور بن حباسة الأسكندري عن أحمد السبتي الحميدي بثغر الأسكندرية، عن ناظمها المترجم .

وذكر في (الجذوة) في ترجمة أبي محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله الصنهاجي ، ثم الناميسي الطنجي ، أن المترجم أجاز له ما رواه وأنشأه ، ثم أنشد في ترجمة أبي الحسن على الشاري الغافقي قول المترجم .

وإني لاوثر مَن أصطفِــي واغضض عن زلّة العاثـــر

1) **جذوة الاقتباس** ص 277 ع 288 .

2) **الرحلة المغربية** ص 94 طبع الرباط .

وأهوى الزيارة ممن أحـــــب　　لأعتقد الفضل للزائــــــر

انتهى .

وممن ترجم له ابن الأبار في (التكملة) وأطال في ترجمته في (نفح الطيب) بنقل بعض كلامه في رحلته ،وكذلك ترجمه في (الاحاطة) وصاحب (بغية الملتمس) (1) .

وقال أبو عبد الله ابن الحاج المعروف بمدغليس صاحب الموشحات يمدح ابن جبير المذكور :

لأبي الحسين مكارم لو أنهـــا　　عُدّت لما فرغت ليوم المحشـــر
وله عليٌ فضائل قد قصـــرت　　عن بعض نعماها عظام الأبحـــر

والدعاء عند قبر ابن جبير مستجاب ، قاله ابن الرقيق رحمه الله .

وممن ترجمه الامام ابن عبد الملك في (الذيل والتكملة) ، وأطال في ترجمته في ثمانية أوراق ، وقال في (الشذرات) بعد ذكره : ولد سنة أربعين وخمسمئة ، وسمع من أبيه وعلي ابن أبي العيش المقرىء .

انتهى المقصود .

وترجمه ابن الحزري في (طبقات القراء) .

540) محمد بن عبد العزيز ابن عياش التجيبي

محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمان بن عبد الله ابن عياش التجيبي من أهل برشانة ، عمل المرية ، وسكن مراكش ، أخذ عن أبي عبد الله ابن حميد يسيراً ، وعن أبي القاسم السهيلي ، وعني بالآداب ، وكان عالماً بها رئيساً في صناعة الكتابة ، خطيباً مصقعاً بليغاً مفوهاً ، ذا حظ

---

1) التكملة 2 : 598 ع 1581 والاحاطة 2 : 230 ونفح الطيب 2 : 381 والمغرب 2: 384 .

صالح من قرض الشعر ، وكانت له مشاركة في غير ذلك ، واستكتبه السلطان بالمغرب في سنة ست وثمانين وخمسمئة ، فنال دنيا عريضة .

قال ابن الأبار : أنشدنا القاضي أبو محمد ابن برطله قال : أنشدنا عبد الرحمان بن محمد ابن عياش قال : أنشدني أبي مما قاله في المصحف المنسوب إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه وقد أمر المنصور بتحليته :

ونفلته من كل ملك ذخيـــــرة　　كأنهم كانوا برسم مكاسبـــــه
فان ورث الأملاك شرقاً ومغربـــا　　فكم قد أخلوا جاهلين بواجبـــه
وألبستـه الياقوت والدر حليـــة　　وغيرك قد روّاه من دم صاحبـــه

وذكرها في (النفح) بسند ابن رشيد ، وزاد بيتاً بين الثاني والثالث وهـــو :

وكيف يفوت النصر جيشاً جعلتـه　　أقام قناه في الوغي وقواضبـــه

مولده سنة خمسين وخمسمئة ، وتوفي بمراكش في العشر الأواخر من جمادى الآخرة سنة 618 .

انتهـى (1) .

وعد في (الاحاطة) في ترجمة المامون الموحدي أبا عبد الله ابن عياش من كتّابه .

أما أبو الحسن الكاتب البارع عبد الملك ابن عياش ، فهو من كتّاب المنصور الموحدي كما في شرح المقصورة للشريف الغرناطي ، وهو مـن كتّاب والده يوسف وجده عبد المومن ، وستأتي ترجمته .

541) محمد بن عيسى ابن المناصف الأزدي

محمد بن عيسى بن محمد بن أصبغ بن محمد بن محمد بن أصبغ بن عيسى ابن أصبغ الأزدي القرطبي ، القاضي ، كـذا نسبه ابن غالب ، يعــرف

---

1) التكملة 2 : 605 ع 1596 .

بابن المناصف ، من أهل قرطبة ، وخرج أبوه عيسى منها في الفتنة عند انقراض الدولة اللمتونة ، فاستوطن افريقية ، وبها ولد ابنه محمد هذا ونشأ وتفقه بأبي الحجاج المخزومي قاضي تونس ، وسمع بها من أبي عبد الله بن درقة ، وانتقل إلى تلمسان فسمع من أبي عبد الله التجيبي ، وله رواية عن أبيه عن جده ، ولم يعل إسناده ، وكان عالماً متفنناً نظاراً صاحب استنباط وتدقيق ، واقفاً على الاتفاق والاختلاف ، معللا مرجحاً مع الحظ الوافر من علم اللغة والآداب والتصرف الحسن في قرض الشعر ، وله أراجيز في غير ما فن ، ومنها : (المذهبة) في الحلى والشيات ، حملت عنه ، وسمع ابن الأبار كثيراً منه ، ومنها (الدرة السنية، في المعالم السنية)، ولم يكن له علم بالحديث ولا عناية بالرواية، وألف كتاب (الأنجاد، في الجهاد) فظهر فيه علمه ، وبان تقدمه ، وكتاب (الأحكام) ، واستدرك على القاضي عبد الوهاب المالكي في (التلقين) من تأليفه باب السلم لاغفاله ذلك ، ونقل هذا الباب كله في (الذيل والتكملة) فراجعه فيه .

وولي قضاء بلنسية ، وبها لقيه ابن الأبار واستجازه بخطه فأجاز له جميع ما رواه لثلاث بقين من جمادى الآخرة سنة ثمان وستمئة ، ثم نقل منها إلى قضاء مُرسية ، وكان ذا سيرة عادلة وأُبهة وشارة جميلة ، جامد اليد ، صليباً في الحق ، وكانت فيه حدة مفرطة وغلظة في تأديبه أدّته إلى صرفه عن القضاء وإسكانه قرطبة بلد سلفه ، ثم لحق بمراكش فأقام هناك مناوباً أيمة صلاة الفريضة إلى أن مضى لسبيله في شهر ربيع الآخر سنة عشرين وستمئة ، ومولده بتونس ، وقيل بالمهدية وهو أصح في رجب سنة 563 .

قال ابن الأبار: وذكره في الغرباء لا يصح ضنانة بعلمه على العدوة (1).

وأطال في ترجمته في (الذيل والتكملة) ، وقال فيه ما نصه : وقبح الله الحسد المذموم ، فقد حمل محمد ابن الأبار على ذكره إياه في الأندلسيين

1) **التكملة** 2 : 611 ع 1606 .

تشعباً ، ثم قال : ولا عبرة بالتأصل والعراقة بالنظر إلى ما تقــرر بالاصطلاح في الغرباء .

وقال أيضاً : ثم استقر أخيراً بمراكش خطيباً بجامع بني عبد المومن الأقدم جامع الكتبيين ، إلى أن توفي بها غداة يوم الأحد لاثنتي عشرة ليلــة بقيت من ربيع الأول سنة عشرين وستمئة ، ودفن إثر صلاة العصر من يوم وفاته خارج باب تاغزوت ، وشهد جنازته خلق كثير ، وأثنوا عليه صالحاً ، وهو كان خاتمة بيتهم النبيه رحمه الله .

مولده بتونس ، وقيل بالمهدية وهو أصح في رجب سنة ثلاث وستين وخمسمئة .

انتهى المقصود .

وأخرج من طريق جده محمد بن أصبغ المتوفي سنة 536 المترجم في (الصلة) و (البغية) و (الموطأ) أبو بكر ابن خير في فهرسته قراءة عليه عن أبي عبد الله محمد ابن فرج المشهور بابن الطلاع ، سماعاً عليه عن ابن أبي عيسى سماعاً عليه ، عن عم أبيه أبي مروان عبيد الله بن يحيى بن يحيى عــن أبيه يحيى بن يحيى عن مالك رضي الله عنه ، انتهى .

كما ترجم في أصحاب الصدفي لأبي الوليد بن أبي الحسن عيسى ابن أصبغ ، كما ترجم فيه المترجم محمد ابن أصبغ .

وذكر في (النيل) أن رجزه فــي الحلى والشيات نظمه بمــراكش في جمادى الأولى عام عشرين وستمئة ، وقد علمت أنــه مات قبل ذلك فــي 18 ربيع الأول من العام المذكور .

قال ابن الزبير : أخذ عنه جماعة من شيوخنا كأبي الخطاب بن خليل، وأبي القاسم ابن ربيع ، وأخيه أبي الحسن وغيرهم .

انتهى من رحلته .

وأسند العبدري الحاحي في رحلته روايـة منظومة الحلى عن الفقيـه الأديب محمـد بن عبد المعطـي بن محمد النفـزي شهر بابن هريـرة بسنده إلى ناظمها المترجم ، وقد وقفت على هذه المنظومة بمراكش ، وهي في ملكي في مجمـوع بخط اليد اشتملت عـلى 33 ورقة من مسطـرة 16 .

وقد قال في (صبح الأعشى) صحيفة 152 من ج 1 : أن الكاتب يحتاج إلى معرفة غريب اللغة ، وأن (كفاية المحتفظ) لابن الأجذابي ، (والمذهبة) و (المقتضبة) لابن أصبغ كافلتان بالكثير من ذلك .

فـائـدة

قال في (النفح) : وكان أهل الأندلس في غاية الاستحضار للمسائل العلمية على البديهة ، قال ابن مسدي : أملى علينا ابن المناصف النحوي بدانية على قول سيبويه هذا ما الكلم العربية عشرين كراساً بسط القول فيها في مئة وثلاثين وجهاً ، انتهى ، وهذا وأشباهه يكفيك في تبحر أهل الأندلس في العلم، وربما سئل العالم منهم عن المسألة التي يحتاج في جوابها إلى مطالعة ونظر ، فلم يحتج إلى ذلك ، ويذكر من فكره ما لا يحتاج معه إلى زيادة ، انتهى .

وقال في (نفح الطيب) أيضاً : وقال أبو عبد الله ابن المناصف قاضي بلنسية ومرسية رحمه الله تعالى :

ألزمت نفسي خمـــولا عن رتبة الأعـــلام
لا يخسف البـــدر إلا ظهوره في تمـــام

542) محمـد بن عبـد الحق ابـن سليمان الكومـي ، قاضي تلمسان ، سمع من أبيـه وتفقه به وبالحسن بن عبد الله ابـن الخراز النحوي ، وأخذ عنهما العربية ، وأخذ القراءات عن أبي علي أيضاً في سنة إحدى وخمسين ، وسمع من أبي محمد بن عبيد الله ، وأبي الحسن ابن حنين ، وأبي عبد الله ابن خليل وجماعة ، وكتب إليه ابن هذيل ، وأبو الحسن ابن النعمـة، والسلفي ، ودخل الأندلس وولي قضاء بلده ، وكان حميد السيرة مشاركاً في

الفقه وعلم الكلام معتنياً بالحديث وروايته ، معظّماً عند الخاصة والعامة ، وجمع من الدواوبين شيئاً عظيماً ، وله كتاب في (غريب الموطأ) ، وكتاب (المختار ، الجامع بين المنتقى والاستذكار) في عشرين سفراً في نحو ثلاثة آلاف ورقة وغير ذلك ، وحدّث ودرّس ، وغيره أحسن تصرفاً منه وأمتن تحصيلا منه .

توفي بتلمسان سنة 625 ، وقد نيف على الثمانين (1) .

وذكر ابن الأبار أن المترجم لقي أبا عبد الله بن خليل بمراكش .

وذكر في (الجذوة) أنه من تلامذة أبي الحسن اللواتي .

وقال في (الذيل والتكملة): محمد بن عبد الحق ابن سليمان اليعفري البطوئي ، روى ببلده عن أبيه عبد الحق ، وتفقه به وبعمران التليدي ، وبأبي بكر ابن عصفور ، وبأبي بكر اللقنتي ، وبأبي الحسن جابر بن محمد ، وبأبي الحسن ابن أبي قنون ، وبالحسن ابن الخراز ، وصحب الوليين الزاهدين أبا مدين شعيب بن الحسين ، ومحمد بن محيو الهواري، ولقي كثيراً من أهل العلم والدين والزهد والورع ، فأخذ عنهم بفاس ومراكش وسبتة وإشبيلية ، فأخذ بمراكش عن أبي الجيش مجاهد ، وأبوي عبد الله ابن خليل ، وابن الفخار ، وأبوي القاسم ابن حبيش ، والسهيلي ، وبها وباشبيلية عن أبي بكر ابن الجد ، وأبي جعفر ابن مضا ، وأبي الحسن نجبة ، ولقي بها أبا عمران الزاهد ، وقد ضمن برنامجه المسمى (الاقناع ، في ترتيب السماع) ، ذكر شيوخه وكيفية روايته عنهم ، وله مصنفات كثيرة كثيرة سماها في آخر برنامجه ، فكان راوياً ، فقيهاً ، حافظاً ، متكلماً ، متفنناً في علوم جمة ، بارع الخط ، جماعاً للكتب الجليلة ، وله مصنفات كثيرة أجلها الخلق ، رائق الملبس ، مطعاماً وجيهاً ببلده عند السلاطين والأمراء ، ولي قضاء بلدة تلمسان مرتين فعدل وأجزل .

---

1) التكملة 2 : 623 ع 1628 .

ومن نظمه هذان البيتان في عدد أحاديث البخاري رحمه الله :

جميع أحاديث الصحيح الذي روى الـ ـبخاريُّ خمسة وسبعون في العد
وسبعة آلاف تضاف وما مضـى إلى مئتين عد ذاك أولو الجـد

مولده سنة 536 ، وتوفي بتلمسان سنة 625 ابن 89 سنة رحمة الله عليه .

انتهى منه باختصار وتلخيص جداً ، فقد أطال فيها .

وممن ترجمه الذهبي وابن الجزري في (طبقات القراء) صحيفة 159 ج 2 .

543) محمد بن أحمد ابن أبي غالب العبدري .

قال في (الذيل والتكملة) : روى عنه أبو محمد بن إبراهيم التطيلي ، وكان فقيهاً ، حافظاً ، نحوياً ماهراً ، وقفت له على شرح الجمل من تأليفه بخطه ، وسماه بـ (المنتخل) ، وهو مختصر مفيد ، واستقضي .

وتوفي بمراكش صدر يوم الأربعاء لتسع خلون من رمضان من ست وعشرين وستمئة ، وصلى عليه أبو أمية إسماعيل بن سعد السعود ابن عفير ، ودفن بمقبرة تامراكشت .

وذكر أبو جعفر بن الزبير ما نصه :

محمد بن أحمد ابن أبي غالب من أهل مالقة ، ومن بيت علم وأدب ، كان أدِيباً ، كاتباً ، وشاعراً مطبوعاً ، روى عنه أخوه سليمان بعض شعره ، وذكره أبو عمرو ابن سالم ، وتوفي بمراكش سنة ست وعشرين وستمئة ، فيظهر من بعض ما ذكره به أنه المترجم به ، وقد كان ذكر قبل بين من توفي في محرم ، ومن توفي آخر رجب ، وكلاهما من سنة ست عشرة وستمئة ما نصه :

محمد بن أحمد بن أبي غالب العبدري ، كانت مشاركة في فنون من العلم كالفقه وأصوله والعربية وغير ذلك ، وولع بالمنطق حتى شرح كتاب

(المستصفى) فما زاد على أن أرى في مسائله كيفية الانتاج باظهار المقدمتين في كل مسألة مسألة وما تنتجه ، وردها إلى ضروبها من الأشكال المنطقية على مراتبها ، وقلما تعرض لغير هذا ، وما سئم منه ولا كلّ على طول الكتاب ، وألف في العربية تأليفاً مختصراً لا بأس به ، أما شرحه فأقل شيء .

فائدة

وولي القضاء ، وكذلك أبوه أحمد ، وقفت على ما ذكرته من تأليفه ، انتهى .

ويظهر من بعض ما ذكره به أيضاً أنه المترجم به ، ويقطع بأنه عنده رجلان لذكره إياهما في طبقتين ، وشارح (المستصفى) و (الجمل) هو الذي ترجمنا به لا محالة ، وهو المتوفي بمراكش حسبما ذكرناه ، وفيما وقع عند ابن الزبير نظر ، والله أعلم .

انتهى .

544) محمد بن علي ابن حماد الصنهاجي

محمد بن علي بن أبي بكر بن عيسى بن حماد ابن حماد الصنهاجي القلعي (1) قلعة بني حماد حمزي الأصل ، واستوطن مراكش بآخرة ، أبو عبد الله ابن كلانون وابن حماد، وتعلم القرآن العظيم عند القاسم ابن النعمان بن الناصر بن علا الناس ابن حماد الصنهاجي ، وكان يتعيش بعد انقراض دولتهم بتعليم كتاب الله جل جلاله .

وروى عن أبي جعفر بن محمد ابن عياش بمرسية ، وأباء الحسن بن شكر بن عمر ، وابني المحمدين بن عبد الملك ابن القطان ، وأبي عثمان التميمي القلعي المعمر ، وأبي الحسين ابن زرقون باشبيلية ، وأبي ذر ابن أبي ركب ، وآباء عبد الله : بن أبي بكر بن عبد الله الحمزي ، وابن عبد الله بن

---

1) ورد اسمه في عنوان الدراية هكذا : محمد بن علي بن حماد بن عيسى بن أبي بكر الصنهاجي .

محمد المعافري ابن الخراط ، وابن عبد الحق التلمساني ، وابن علي ابن مخلوف بالجزائر ، وأبي العباس بن مبشر ابن سرور مولى الحماديين ، وأبوي محمد عبد الحق ابن الخراط ببجاية ، وغلبون بمرسية .

روى عنه أبو بكر ابن غلبون ، وأبو الحسين بن عبد الله بن عبد الرحمان السجلماسي مستوطن أزمور ، وأبو عبد الله بن علي بن هشام شيخنا، وأبو العباس ابن فرتون ،وأبو محمد بن عبد الرحمان ابن برطله ، وابن موسى الركي .

وكان أديباً ، بارع النظم والنثر ، نزه النفس ، حسن الخلق ، ذا حظ صالح من الفقه وأصوله ، متحققاً بالنحو ، متقدماً في حفظ اللغات والآداب ، ضابطاً كتبه ، محافظاً عليها ، جيد الخط ، كتب الكثير وأتقن تقييده ، ولم يزل الناس يتنافسون في ما يوجد بخطه أو بمعاناته ، ويعتمدونه ، وصنف في اللغات والتاريخ والآداب وما جرى مجرى ذلك مصنفات ، منها . . . .
. . . . عبد الحق وشرح قصيدة عمر بن أبي ربيعة . . . .
وشرح مقصورة ابن دريد، و (الديباجة، في أخبار صنهاجة)، (النبذ المحتاجة، في أخبار صنهاجة بافريقية وبجاية) وديوان نظمه ونثره حافل . . . .
ومنه جزء سماه (عجالة المودع ، وعلالة المشيع) وكله أو جله صدر . . . .
كونه بمرسية أفاد به بعض أصحابه بها ، وسمط قصائد وقطعاً و . . . .
الشعراء ظهرت فيها إجادته ، وعكف عامة عمره على استفادة العلم ، واستقضي بالجزيرة الخضراء وبسنلا سنة 612 وبأزمور ، واستقضي بمرسية فحمدت فيها كلها سيره ، وشكرت أحواله، وعرف بالعدل وتمشية الحق والجزالة والطهارة.

ومن نظمه ـ وكتب به من مرسية إلى أبي عبد الله بن عبد الحق التلمساني شاكراً له على إجازة بعث بها إليه ـ :

يا أيها الندب السري الأمجد — والعالم الحبر الفقيه الأوحد
يا أيها البحر المحيط معارفاً — لا تنتهي ، وفوائداً لا تنفد
وصلت إجازتك المجيزة سيدي — نحو الذي أنحو إليه وأقصد

إن الدراية والرواية منتهـــــى — أملي الذي أسعى إليه وأحفـــد
لا زلتَ لي متفضلا فأجزتنـــي — بفوائد يفنى الزمان وتخلـــد
فجزاك عنا الله خير جزائـــه — فجزاء مثلك عندنا لا يوجـــد
ووددت لو أني لديك ، وأين مـن — ظمآن في البيد البلاقع مـــورد ؟
ولقد لقيتك لَقية لكنهـــا — كانت كما أغفى وهب مسهَّـــد
لم تشف لي كمداً وأنـَى يُشتفـى — بزيارة الطيف المسهد مكمَـــد
فان استمرت بي الحياة لقيتكـم — حتماً ، وإلا فالمعاد الموعـــد
لا زلتمْ في عزة وسعـــادة — ما لاح في جنح الدجنة فرقـــد

توفي بمراكش بعد خذر أصابه سنة تسع وعشرين وستمئة .

انتهى من (الذيل والتكملة) (1) .

545) محمد بن أحمد ابن محرز الزهري

محمد بن أحمد بـن عبد الرحمان بن محمد بـن سليمان بـن محمد الزهري ، ويعرف بابن محرز قال في (عنوان الدراية) : ومنهم الشيخ الفقيه الحافظ اللافظ ، المحدث المتقن اللغوي التاريخي الأديب الكامل ، أبو بكـر محمد بن أحمد بن عبد الرحمان بن محمد بن سليمان بن محمد الزهري مـن أهل بلنسية ، ويعرف بابن محرز ، قرأ بالأندلس ولقي بها أفاضل من أهل التحصيل ، جمع بين الرواية وعلو المنصب وبُعد الهمة ، وله مكارم هو بها أولى وأخلق ، وبها قمره المنير أحق ، لقي جماعة من العلما الأفاضل ، منهم والده وخالاه أبو بكر ، وأبو عامر ولدا علي ابن هذيل المقـريء ، ومحمد بن خلف ابن مرزوق ، ومحمد ابن نوح ، ووهب بن لب ابن نذير الفهري ، وأحد (أبو الخطاب) ابن واجب ، وأبو بكر بن أبي جمرة ، وعبد الله ابن حوط الله ، ورحل إلى أبي عبد الله بن عبيد الله الحجري فسمع منه ، ومن أبي عبد الله ابن غاني بسبتة ، وأجاز له أحمد ابن مضا ، وأبو جعفر ابن حكم ، وأبو محمد ابن

1) ينظر عن ابن حماد عنوان الدراية ص 218 ع 55 طبع بيروت .

فليح ، وعلي ابن نقرات ، وغيرهم ، ومن أهل المشرق أبو القاسم البصير ، وأبو عبد الله الكركنتي ، وعلي ابن المفضل ، ووفد على حاضرة مراكش ، ولقي بها الفقيه علي بن عبد الملك ابن القطان ، ثم ارتحل إلىأ بجاية بعد الأربعين وستمئة واستوطنها ، وكان معظماً عند أهلها محترماً ، وكان عند الملك بها حظياً مكرماً ، وروى بها عن الشيخ العامل العابد علي بن أبي نصر رحمه الله ، وروى عنه بها كثيراً واشتغل عليه اشتغال التحصيل والتعليم ، والتبيين والتفهم .

كانت تقرأ عليه الكتب الفقهية وكتب الحديث وكتب اللغة والأدب ، كان محصلا لهذه الفنون مجيداً فيها ، ولا يخلو له وقت عن الاشتغال بالعلم ، إما الرواية وإما التدريس وإما المقابلة وإما عرض المسائل على سبيل المذاكرة ، وكان أحسن الناس خلقاً وألينهم للطلبة جانباً محباً في علم الأدب .

ورأيت له نظماً ونثراً لا بأس سهما ، ورأيت له خطباً في عقود النكاح حسنة ، وقيد أصحابه عنه كثيراً ، وذكر لي بعض أصحابنا أن له تقييداً على التلقين صغير الحجم ، وجميع ما طالعته من الكتب التي يوجد عليها خطه في غاية الجودة تقييداً وإصلاحاً وتطريزاً ، وقد رأيت له هذا في فنون كثيرة من الفقه والخلافيات والحديث والأدب واللغة ،وكل يدل على مشاركته وتحصيله، وهو كان رأس الجماعة الأندلسية ببجاية ، كلٌ كان يأتي إلى منزله وعنده مجتمعهم : محمد الأبار ، وأحمد ابن عميرة ، وأبوكر ابن سيد الناس ، وأبو عبد الله الجنان وغيرهم ، كان هو شيخ الجامعة وكبيرهم .

توفي رحمه الله ببجاية يوم الأحد الثامن عشر لشوال سنة خمس وخمسين وستمئة ، ومولده في آخر شهر جمادى سنة تسع وستين وخمسمئة، وصلى عليه على شفير القبر تلميذه أبو الحجاج ابن أيوب بوصيته بذلك ، وكان يوم وفاته مشهداً عظيماً كأنه يوم عيد ، ولم يبق مَن لم يحضره ، ولقد اتفق في وقت الحضور للصلاة عليه أن الامام المذكورتأخر وتقلق الناس ، وكان شخنا عبد العزيز ابن كحيلة أحد الحاضرين والخاصين به من طلبته ، فقال ننظر مَن يصلي ينصرف الناس ، فقال بعض الحاضرين : الحق في هذا

لولديْه أبي عامر وأبي جعفر وكانا بالحضرة ، فقال الفقيه عبد العزيز ، ما تكلمتَ إلا بألسنتهما ، فقال له محمد الأبار : يا فقيه ويجوز بلسانيهما منكتاً عليه في أنه أورد الجمع محلَّ التثنية ، فقال الفقيه عبد العزيز مجاوباً : نطقت بما نطق الله به في القرآن ، قال الله تعالى : « إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما ، وهنا هو الصواب وغيره خطأ ، وبعد انقضاء الصلاة وانصراف الناس اجتمع الفقيهان وتراضيا ، رحم الله جميعهم .

وحكى بعض الطلبة عنه أنه قال كان بالزنقة التي كنت ساكناً بها ببلنسية مسجد ، وكنت أصلي فيه خلف إمامه الراتب ، فلما حضر وقت طلوعنا من بلنسية إلى حاضرة مراكش على جري العادة في كل عام ووقع العزم على السفر ووصل إلي إمام المسجد المذكور وسألني في أن أتوسل له في ظهير زيادة في مرتبه من قبل أمير المومنين على الامامة بالمسجد المذكور وكتب لي رقعة يذكرني بها حاجته ، فأخذتها منه وجعلتها في خرج فيه أسبابي ، فلما وصلت إلى حاضرة مراكش وأردت الرجوع رفعت مسائلي وأردت قضاء حاجاتي فقضيت وودعت مَن يجيب وداعه وعدت إلى منزلي بمراكش ألفيت رقعة الامام فتذكرت حاجته بعد أن كنت نسيتُها ، فخرجت من الغد على هيأة السفر وتعرضت إلى الشيخ عزوز صاحب الأشغال بمراكش، فسلمت عليه فقال لي : ما هذا ؟ أليس قد ودعتني بالأمس ؟ فقلت له : بقيَ لي حاجة ، فقال لي : وكذا تكون أنت بحاجاتك ، وأنشدتُه هذه الأبيات :

عذراً بالحاجي عليك مؤمـــلا	لا غرو أن تلقى الكريم فتسألا
ألفاك مزداد لكونك بـــاذلا	ومعاوداً وِرْدي لكونك منهـــلا
ومكثراً من قول هاتِ لأنني	أبدا أراك مقللا من قـــولا

فاستحسنها والتفت إلى كاتبه وقال له : انزل بموضعك ويبقى الفقيه راكباً على هيأته ، واكتب له ظهيراً عن إذن أمير المومنين بزيادة ستة دنانير للامام وبزيادة مُديْن من القمح في كل يوم ، فانصرفت له شاكراً ، ولا باديه ذاكـراً (1) .

---

1) عنوان الدراية ص 283 ع 89 طبع بيروت .

وهذه الترجمة ليست في الأصل المطبوع ، وانما ألحقها المؤلف بعد طبع المحمدين .

546) محمد بن عبد الله ابن الأبَّار القضاعي

محمد بن عبد الله بن أبي بكر الشهير بابن الأبّار ، قال في (عنوان الدراية) ما نصه :

ومنهم الشيخ الفقيه المحدث المقرىء النحوي الأديب المجيد اللغوي الكاتب البارع التاريخي ، محمد بن عبد الله بن أبي بكر بن عبد الله بن عبد الرحمان بن أحمد بن أبي بكر القضاعي الشهير بابن الأبار ، هكذا رأيت نسبه بخط يده رحمه الله ، هو من أهل بلنسية ، وأصله من أندة وهي وما والاها دار القضاعيين بالأندلس ، أخذ القراءات عن محمد ابن نوح ، وأحمد الحصار ، وسمع منهما ، وأحمد (أبي الخطاب) ابن واجب ، وعلي ابن خيرة ، وداوود ابن حوط الله ، ومحمد بن عبد العزيز ابن سعادة .

صحب سليمان ابن سالم بضعاً وعشرين سنة ، وهو ندبه إلى وضع كتاب (التكملة) لصلة أبي القاسم ابن بشكوال ، وكتب إليه محمد بن أبي جمرة ، وأحمد ابن عات ، ومحمد بن عبد الرحمان التجيبي نزيل تلمسان ، ومحمد بن أحمد الأنصاري المعروف بالأندلسي ، ومن أهل المشرق عبد القوي بن عبد العزيز ابن الحباب وعلي بن يوسف ابن بندار من أصحاب عبد الأول الشجزي ، وإسماعيل بن ظافر القلعي ، وغيرهم ، ولا يكاد كتاب من الكتب الموضوعة في الاسلام إلا وله فيه رواية إما بعموم أو بخصوص ، ويتصل إسنادي عنه من طريق الشيخين المقرئين أبي عبد الله ابن صالح ، وأبي العباس ابن خضر .

رحل إلى العدوة واستوطن بجاية ودرس بها ، وأقرأ وروى وأسمع وصنف وألف ، وهو ممن لا ينكر فضله ، ولا يجهل نبله ، له تآليف حسنة ، ونزعات في علم الأدب بارعة مستحسنة .

وكان أول وصوله من الأندلس إلى العدوة رسولا عن والي بلنسية ، وقضى رسالته عند ملك إفريقية في حديث طويل ، ورجع إلى الأندلس ، ثم

رجع إلى العدوة قاصداً استيطانها ، فتخيَّر سكنى بجاية ، ثم استدعاه أمير المومنين المستنصر إلى حضرته ، فدخل فأعجبه منطقه ورأى من نبله وفضله أضعافَ ما قدر أن يراه ، وأول إنشاده لما مثل بين يديه :

بشراي باشرتُ الهدى والنـــورا ... في قصديٌ المستنصرَ المنصورا
وإذا أمير المومنين لقيتُـــــه ... لم ألق إلا نضرة وســـــــرورا

كيف لا والاسمية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، والكنية المباركة أبو عبــد الله ، والعلامة العلية الحمــد لله والشكر لله ، والسمة السلطانيــة المستنصر بالله المنصور بفضل الله ، ومَن كان لله كان الله له ، وأنشد بيــن يديه رحمه الله :

أمير المومنين لنا غيـــــــاث ... فعند المحْل تستقَى الغيـــوث
فلا جوع ويمناه الغـــــوادي ... ولا خوف وقتلاه الليـــــوث

فحظي عنده ، وبلغ لديه مأموله وقصده .

وتآليفه وتقييـــداته وأشعاره وكتاباته متداولة بيــن الناس ومرغوب فيها عندهم وموجودة لديهم ، ولو لم يكن له من الشعر إلا القصيدة التي رفعها لمقام الأمير أبي زكرياء رحمه الله يستنجده ويستصرخه لنصرة الأندلس لكان فيها كفاية ، وإن كان قد نقدها ناقد وطعن عليه فيها طاعن ، ولكن كما قال أبو العلاء المعري :

تكلم بالقول المضلل حاســـــد ... وكل كلام الحاسدين هـــــــراء

ولو لم يكن له من التأليف إلا الكتاب المسمى بكتاب (اللجين ، في مراثي الحسين) لكفاه في ارتفاع درجته ، وعلو منصبه وسمو مرتبته ، فكيف لا وله تصانيف ، وجملة تآليف .

ومن شعره رحمه الله ورضي عنه :

ساق من روض الأماني أرجُـــه ... ولأمر ما شجالي مدرجــــــــه
خيلت لي أنها تعدنـــــــــي ... وخيالات الفتى تستدرجــــــه

فلذا أكذب شيء فجرهـــا ولقد غر الحجى منبلجـــه
يا شقيقَ النفس أوصيـــك وإن شقّ في الاخلاص ما تنتهجـــه
لا تبت في كمد من كبـــد رب ضيق عاد رحباً مخرجـــه
وبلطف الله أصبح واثقـــاً كل كرب فعليه فرجـــه

مولده في آخر شهريَ ربيع سنة خمس وسبعين وخمسمئة ، وتوفي رحمه الله بتونس ضحوة يوم الثلاثاء الموفي عشرين لمحرم عام ثمانية وخمسين وستمئـة (1) .

وقال الذهبي في (تذكرة الحفّاظ) (4 : 235) الأبار العلامة البليغ المنشيء الحافظ المحدث أبو عبد الله محمد بن عبد الله ابن أبي بكر القضاعي البلنسي ذكرته في (الممتع) .

وقال ابن عبد الملك في (الذيل والتكملة) ص 101 من ج 1 ما نصه : وذكر أبو عبد الله بن الأبار روايته عنه يعني المترجم أحمد بن عيسى المتقدم بقرطبة لا غير، وقد وقفت على قراءته عليه بمراكش فلعله لقيه فيهما والله أعلم.

وممن انتصر للمترجم أبو إسحاق التيجاني بكتابه (مؤازرة الوافد ، ومبارزة الناقد) ، وممن أخذ عنه ابن رشيد ، وأثنى عليه في رحلته أبو عبد الله التيجاني قريب صاحب الرحلة ، وتآليفه بلغت نحو الخمسة والأربعين ، أخذت فأحرقت في موضع قتله ، منها كتاب في منتخب الأشعار سماه (قطع الرياض) و (الحلة السيرا) ، و (المعجم ، في أصحاب أبي علي الصدفي) .

قال في (نفح الطيب) : ولابن الأبار ترجمة واسعة ذكرتها في (أزهار الرياض) ، وقتل ظلماً بالرماح ، ثم أحرق شلوه وكتبه ، في خبر يطول جلبه ، وقد ذكر في (نفح الطيب) ص 601 ج 2 فصولا من كتابه (درر السمط ، في خبر السبط (2) .

1) عنوان الدراية ص 309 ع 95 طبع بيروت .

2) هذه الترجمة ليست واردة في الأصل المطبوع ، وانما الحقها المؤلف بعد طبع المحمدين.

547) محمد بن أحمد ابن الجد الفهري

محمد بن أحمد بن عبد الله بن فرج ابن الجد الفهري إشبيلي لبلي الأصل ، أبو بكر .

قال في (الذيل والتكملة) بعد ذكره ما نصه : روى عن عمه الحافظ أبي بكر ابن الجد ، وأبي الحجاج المكلاتي ، وكان أديباً ظريفاً حسن المشاركة في فنون من العلم ، من بيت نباهة وسياسة بالعلم ، استقضي بحصن القصر من شرف إشبيلية ، ولم تطل مدته في ذلك ، ودخل مراكش مرتين ، إحداهما في وفد إشبيلية القادمين على عبد الواحد بن يوسف بن عبد المومن ، وهو الذي كتب لأبي مروان الباجي : « الحسب والوزارة أعزكم الله قد خلقا بالابتذال ، وصارا من لباس الانذال ، فرأيت الاقتصار ، على الاختصار ، وترك التشنطيط ، في التخطيط » ، وكان كثيراً ما يختلف بين إشبيلية ولبلة إلى أن توفي بلبلة سنة اثنتين وثلاثين وستمئة (1) .

548) محمد بن إدريس ابن مرج الكحل

محمد بن إدريس بن علي بن إبراهيم بن القاسم ، من أهل جزيرة شقر ، يعرف بمرج الكحل .

حاله

قال في (الاحاطة) بعد ذكر ما تقدم ما نصه :

كان شاعراً مفلقاً ، غزلا بارع التوليد ، رقيق الغزل ، وقال الأستاذ أبو جعفر : كان شاعراً مطبوعاً ، حسن الكتابة ، ذاكراً للأدب ، متصرفاً فيه ، وقال ابن عبد الملك : وكان بينه وبين طائفة من أدباء عصره مخاطبات ظهرت فيها إجادته ، وكان مبتذل اللباس على هيأة أهل البادية ، ويقال أنه كان أمياً .

---

1) تختلف ترجمة محمد بن احمد ابن الجد هنا قليلا عن ترجمته المطبوعة فى الذيل والتكملة 6 : 49 ع 92 ، وذكر فى هذا الكتاب الأخير ان المترجم لقى بمراكش ابا العباس احمد بن جعفر السبتى .

من أخذ عنه

روى عنه أبو جعفر ابن عثمان الوراد ، وأبو الربيع ابن سالم ، وأبو عبد الله ابن الأبار ، وابن عسكر وابن أبي البقاء ، وأبو محمد بن عبد الرحمان ابن برطله ، وأبو الحسن الرعيني .

شعره ودخوله غرناطة

قال في عشية بنهر الغُنداق من خارج بلدنا لوشة بنت الحضرة والمحسوب من دخلها انه دخل البيرة ، وقد قيل أن نهر الغنداق من أحواز برجة وهذا الخلاف داع لذكره :

عرّج بمنعرج الكثيب الاعفر — بين الفرات وبين شط الكوثر
ولتغتبقها قهوة ذهبية — من راحتي أحوى المراشف أحور
وعشية كم كنت أرقب وقتها — سمحتْ بها الأيام بعد تعذر
نلنا بها آمالنا في روضة — تهدي لناشقها شميم العنبر
والدهر من ندم يسبفه رأيه — فيما مضى فيه بغير تكدر
والورق تشدو والأراكة تنثني — والشمس ترفل في قميص أصفر
والروض بين مفضض ومذهب — والزهر بين مدرهم ومدنر
والنهر مرقوم الأباطح والربا — بمصندل من زهره ومعصفر
وكأنه وكأن خضرة شطه — سيف يسل على بساط أخضر
وكأنما ذاك الحباب فرنده — مهما طفا في صفحة كالجوهر
وكأنه وجهاته محفوفة — بالآس والنعمان خدُّ معذر
نهر يهيم بحسنه من لم يَهِم — ويجيد فيه الشعر من لم يشعر
ما اصفرّ وجه الشمس عند غروبها — إلا لفرقة حسن ذاك المنظر

ولا خفاء ببراعة هذا الشعر ، وقال منها :

أرأت جفونك مثله من منظر — ظل وشمس مثل خد معذر
وجداول كأراقم حصباؤها — كبطونها وحبابها كالأظهر

وهذا تتميم عجيب لم يسبق إليه ، ثم قال منها :

وقرارة كالعشر بين خميلة ... سالت مذانبها بها كالأسطر
فكأنها مشكولة بمصندل ... من يانع الأزهار أو بمعصفر
أمل بلغناه بهضب حديقة ... قد طرزته يد الغمام الممطر
فكأنه ، والزهر تاج فوقه ... مَلِك تجلى في بساط أخضر
راق النواظر منه رائق منظر ... يصف النضارة عن جنان الكوثر
كم قاد خاطر خاطر مستوفز ... وكم استفز جماله من مبصر
لو لاح لي فيما تقدم لم أقل ... عرّج بمنعرج الكثيب الأعفر

وقال أبو الحسن الرعيني وأنشدني لنفسه :

وعشية كانت قنيصة فتية ... ألفوا من الأدب الصريح شيوخا
فكأنما العنقاء قد نصبوا لها ... من الانحناء إلى الوقوع فخوخا
شملتهمُ آدابهم فتجاذبوا ... سر السرور محدثاً ومصيخا
والورق تقرأ سورة الطرب التي ... ينسيك منها ناسخ منسوخا
والنهر قد صفحت به نارنجة ... فتيممت مَن كان فيه منيخا
فتخالهم خلل السماء كواكبا ... قد قارنت بسعودها المريخا
خرق العوائد في السرور نهارهم ... فجعلت أبياتي له تاريخا

ومن أبياته في البديهة قوله :

وعندي من مراشفها حديث ... يخبِّر أن ريقتها مدام
وفي أجفانها السكرى دليل ... وما ذقنا ولا زعم الهمام
تعالى الله ما أجرى دموعي ... إذا عنَّت لمقلتي الخيام
وأشجاني إذا لاحت بروق ... وأطربني إذا غنت حمام

ومن قصيدة :

عذيري من الآمال خابت صقورها ... ونالت جزيلَ الحظّ منها الأباغث
وقالوا ذكرنا بالغنا فأجبتهم ... خمولا وما ذكر مع البخل ماكث

يهون علينا أن يبيد أثاثنـــــــا ... وتبقى علينا المكرمات الأثابـــث
وما ضر أصلا طيباً عدمُ الغنــــا ... إذا لم يغيره من الدهر حـــــادث

وله يتشوق إلى عمرو ابن أبي غياث :

أيا عمرو متى تقضي الليالــــــي ... بلقياكم وهن قصصن ريشــــي
أبت نفسي هوى إلا شريشــــاً ... ويابعدَ الجزيرة من شريـــــش

وله من قصيدة :

طَفَل المساء وللنسيم تضــــوع ... والأنس ينظم شملَنا ويجمِّـــع
والزهر يضحك من بكاء غمامـــة ... ريعت لشيم سيوف برق تلمــع
والنهر من طرب يصفق موجـــه ... والغصن يرقص والحمامة تسجـع
فانعمْ أبا عمران واله بروضـــة ... حسن المصيف بها وطاب المربـع
ياشادن البان الذي دون النقـــا ... حيث التقى وادي الحمى والأجرع
الشمس يغرب نورها ولربمـــا ... كسفت ، ونورك كل حين يسطـع
إن غاب نور الشمس بتنا نتقـــي ... بسناك ليل تفرق يتطلـــــع
أفلَت فناب سناك عن إشراقهـــا ... وجلا من الظلماء ما يتوقـــــع
فأمنت ياموسى الغروب ولم أقــل ... (فوددت ياموسى لو أنك يوشع)(1)

وقـــال :

ألا بشروا بالصبح منيَ باكيــــاً ... أضر به الليل الطويل مع البكـــا
ففي الصبح للصب المتيم راحـــة ... إذا الليل أجرى دمعه وإذا شكـــا
ولا عجب أن يمسك الصبح عبرتي ... فلم يزل الكافور للدم ممسكـــا

ومن بديع مقطوعاته قولــه :

---

1) من قول الرصافي البلنسي :

سقطت ولم تملك يمينك ردهــــــا ... فوددت ياموسى لو انك يوشـــــع

مثل الرزق الذي تطلبـــــه ... مثل الظل الذي يمشي معـــك
أنت لا تدركه متبعــــاً ... وإذا وليتَ عنه تبعـــك

وقـــال :

دخلتم فافسدتم قلوباً بملكهـــا ... فانتم على ما جاء في سورة النمل (1)
وبالعدل والاحسان لم تتخلقـــوا ... فانتم على ما جاء في سورة النحل(2)

وقال محمد بن محمد ابن جهور : رأيت لابن مرج الكحل مرجاً أحمر قد أجهد نفسه في خدمته فلم ينجب ، فقلت :

يامرج كحل ومَن هذي المروج له ... ما كان أحوج هذا المرج للكحـــل
ما حمرة الأرض من طيب ومن كرم ... فلا تكن طمعا في رزقها العجـــل
فان من شأنها إخلاف آملهـــا ... فما تفارقها كيفية الخجـــل

فقال مجيباً :

يا قائلا إذ رأى مرجي وحمرتـــه ... ما كان أحوج هذا المرج للكحـــل
هو احمرار دماء الروم سيلهـــا ... بالبيض مَنْ مرٌ من آبائـــيٌ الأول
أحببته أن حكى مَنْ قد فتنت بــه ... في حمرة الخد أو اخلافه أملـــي

وفـاتـه

توفي ببلده يوم الاثنين لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول عام أربعة وثلاثين وستمئة ، ودفن في اليوم بعده .

انتهى ما في (الاحاطة) في شأن ابن مرج الكحل (3) .

وكتب علي بن محمد ابن الخطيب على أول ترجمته ما نصه : شاعـر جليل القدر من مشايخ شعراء الأندلس ، من أهل بلنسية ، وسكن جزيـرة شقر ، انتهى .

---

1) اشارة الى قولـه تعالى (قالت ان الملوك اذا دخلـوا قرية افسدوها وجعلوا أعـزة أهلها أذلة) .

2) اشارة الى قوله تعالى (اينما يوجهه لا يات بخير) .

3) الاحـاطـة 2 : 343 .

وكتب على قوله (والنهر مرقوم الاباطح) ما صورته : لم يصِفْ أحد النهرَ بأرق ديباجة ولا أظفر من هذا الامام رحمة الله عليه .

انتهى كلام ابن لسان الدين (1) .

قال في (النفح) : قلت وما رأيت رائية تقرب من التي لابن مرج الكحل السابقة التي أولها (عرّج بمنعرج الكثيب الاعفر) إلا رائية شمس الدين ابن الكوفي الواعظ وهي قوله :

روحُ الزمان هو الربيع فبكــــر — وانهض إلى اللذات غير منكــــر
هذا الربيع يبيعُ من لذاتــــه — أصناف ما تهوى فأين المشتــــري
فافرح به فلفرحة بقدومـــــه — رفل الشقائق في القباء الأحمــــر
والكون مبتهج وخفاق الصبــــا — يُحيي القلوبَ بنشره المتعطــــر
والغيم يبكي والأقاحي باســـم — لبكائه كتبسم المستبشــــر
والسرو ان عبث النسيم فهز أعـــ — ـــطاف الغصون يميس ميس موقر
وكأنما القداح فستق فضـــــة — يهدي إليك أريج مسك أذفــــر
وكأنما المنثور في أثوابــــه — ألوان ياقوت أنيق المنظــــر
وترى البهار كعاشق متخـــوف — متشوق باد بوجه أصفــــر
وكأنما النارنج في أوراقه الــــ — ـــقنديل والأوراق شبه مسحــــر
وكأنما الخشخاش قوم جاءهـــم — خبر يسرهم بطيب المخبــــر
فثنوا ملابسهم لفرط سرورهـــم — كي يخلعوا فرحاً بقول المخبــــر
فتعلقت أذيالها بأكفهــــم — وتعلقت أزياقها (2) بالمنحــــر
والطل من فوق الرياض كأنــــه — درر نُثرن على بساط أخضــــر
وترى الربا بالنور بين متــــوج — ومدملج ومخلخل ومســــوَّر
ورياضها بالزهر بين مُقــــرَّطٍ — ومطوق وممنطق ومزنــــر
والورد بين مضعف ومشنــــف — ومكتف وملطف لم يهصــــر

---

1) نفح الطيب 5 : 55 .

2) الزيق من الثوب ما أحاط بالعنق .

والزهر بين مفضض ومذهـــب ومرصع ومدرهم ومدنـــر
والنشر بين مطيب وممســـك ومعطر ومصندل ومعنبـــر
والورق بين مرجع وموجـــع ومفجع ومسجع في منبـــر
ومغرد ومردد ومعـــدد ومبدد في الخد ماء المحجـــر

ولكن قصيدة ابن مرج الكحل أعذب مذاقاً ، وكل لم يقصر رحمهما الله تعالى فلقد أجادا فيما قالاه إلى الغاية ، وليس الخبر كالعيان .

ومن نظم ابن مرج الكحل قوله :

الشمس يغرب نورها ولربمـــا كسفت ونورك كل حين يسطـــع
أفلَت فناب سناك عن اشراقهـــا وجلا من الظلماء ما يتوقـــع
فامنت ياموسى الغروب ولم أقـل فوددت ياموسى لو أنك يوشـــع

ولمح بهذه الأبيات إلى قول الرصافي الأندلسي البلنسي يخاطب من اسمه موسى بقصيدة أولها :

ما مثل موضعك ابن رزق موضـع زهر يرف وجدول يتدفـــع

ومـنهـا :

وعشيةٍ لبستْ ثيابَ شحوبهـــا والجو بالغيم الرقيق مقنـــع
بلغت بنا أمد السرور تألفـــا والليل نحو فراقنا يتطلـــع
فابللْ بها ريق الغَبوق وقد أتـى من دون قرص الشمس ما يتوقـع
سقطت ولم يملك نديمك ردهـــا فوددت ياموسى لو أنك يوشـــع

انتهـى .

قلت : ومن نثر ابن مرج الكحل المذكور ما كتبه إلى أديب الأندلس صفوان بن إدريس مراجعاً له بعد نظم ، ونص الجميع :

يامن تبوأ في العلياء منزلـــة جداه قد أسساها أيَّ تأسيـــس
لم يتركا في العلا حظاً لملتمـــس سيان هذا وهذاك ابن إدريـــس
وافى كتابكم فارتد لي جذلـــي واعتضت من فرط أشواقي بتأنيس
وللنوى لوعة تطفو فيطفئهـــا مسك المداد وكافور القراطيـــس

حرس الله سناءك وسناك ، وأظفر يمناك بمناك ، ودي ّ الأسلم ، كما تعلم، وعهدي الأقدم، لم تزل ّ له قدم ، وأنا ، دام عزكم ، إن أتفق ْ معكم انتساباً فلم أتفق في شأو الأدب باعاً ، ولا قاربتكم طباعاً وانطباعاً ، بل بذلك الاتفاق تشرفت ، وسموت إلـى ذروة العلا واستشرفـت ، وأقررت بذلك الفضـل واعترفت ، وكرعت في مناهلـه واغترفت ، ولقد وافى كتابكم فقلت قد نثـر الدر فيه من فيه ، وبلغ نفسي ما كانت تنويه من التنويه :

حديث لو أن الميت نودي ببضعه لأصبح حياً بعد ما ضمه القبـــــر

ولولا ما طالعني وجه من رضاكم وسيم ، وسقاني مزن أهتبالكم مـا أروي به وأسيم ،وحيّاني منكم روض ونسيم ، لما ساعدني الفكر بقسيـم ، لا زلتم في ظل من العيش وارف ، مرتدين رداء المعارف ، والسلام .

انتهـى .

وكانت مخاطبة صفوان له التي أجاب عنها بما نصه :

يا قاطع البيد يطويها وينشرهـــا إلى الجزيرة يُنضي أبدنَ العيس
ألثم بها عن أخي حب وذي كلـف يد العلا والقوافي وابن إدريـــس

وأبلغها إليه تحية كالمسك صدرا وورداً ، وكالماء الزلال عذوبة وبرداً ، يسري بها إلى دار ابن نسيم ، ويسفر منها بجزيرة شقر وجه" وسيم ، وهي وإن كانت تذيب المسك خجلا ، وتستفز بصوتها وجـلا ، فما هي إلا خائفـة تترقب ، وسافرة تكاد تتنقب ، تمشي على استحياء ، وتعثر من التقصير في ذيل أعياء ، هذا لأنها جلبت إلى هجر تمراً ، وإلى شبام وبيت رأس خمراً ، ولكن علـى المجد أن يبدي في قبول عذرها ويعيد ، لعلمه أنه يتيمم من لم يجد إلا الصعيد، فله الفضل أن لا يلحفها بنار النقد ، ولا يعـرضها على ما هنالك من الحـل والعقد ، والله يبقي ذكره في مقلة الأدب حوراً ، وفي قلب الحسود خـوراً ، ويديمه والقوافي طوع قريحته ، والأغراض الجميلة ملء ُ تعريضته وتصريحته،

وزهر التبيان تطلع في سماء جنانه ، وزهر التبيان يونع في أنداء جنانه ، وعذراً إليه فاني كتبت والحامل يمسك زمامه ، ويلتفت في البيداء أمامه ، والسلام .

انتهى (1) .

وهنأ ابن مرج الكحل محمد الناصر بن يعقوب المنصور الموحدي لما قفل من إفريقية ووصل مراكش في ربيع سنة 604 ووفدت عليه الوفود وهنأته الشعراء بالفتح — بقوله :

ولما توالى الفتح من كل وجهة ... ولم تبلغ الأوهام في الوصف حده
تركنا أمير المومنين لشكره ... بما أودع السر الالاهي عنده
فلا نعمة إلا تؤدي حقوقها ... علامتُه (الحمد لله وحده)

فاستحسن الكتاب منه ذلك ووقع أحسن موقع ، وأشار بذلك إلى العلامة السلطانية عند الموحدين ، فانها كانت أن يكتب السلطان بيده بخط غليظ في رأس المنشور (الحمد لله وحده) ، وقد تقدم ذلك في ترجمة حفصة الركونية (2) .

وقال سيدي حمدون في شرح عقود الفاتحة ما نصه : وقد أعجب ابن مرج الكحل في قوله :

ففي الصبح للصب المتيم راحة ... إذا الليل أجرى دمعه وإذا شكا
ولا عجب أن يمسك الصبح عبرتي ... فلم يزل الكافور للدم ممسكا

وقال ابن خلكان في ترجمة السيدة سكينة ما نصه : ولبعض المعاصرين وهو محمد بن إدريس المعروف بمرج الكحل الأندلسي في معنى هاذين البيتين وأحسن فيه :

---

1) نبه المؤلف بعد هذا الى أن ذكر ابن مرج الكحل سيأتى مرة أخرى فى حرف الميم ، وأنه دخل مراكش وهنأ محمد الناصر الموحدى بها ، ونحن نجمع بين الترجمتين فنورد هنا ما أورده تحت اسم ابن مرج الكحل .

2) أنظر 3 : 212 ع 430 من هذا الكتاب .

مثل الرزق الذي تطلبـــــه   مثلُ الظل الذي يمشي معـــك
أنت لا تُدركه متبعـــــا   وإذا ولَّيتَ عنه تبعِـــك

ثم قال : وتوفي مرج الكحل المذكور في سنة 634 ببلده وهو جزيرة شقر بالأندلس ، وكانت ولادته به سنة 554 .

وقال صفوان رحمه الله : اجتمعت مع ابن مرج الكحل يوماً فاشتكى إليَّ ما يجد لفراقي ، وأطال عتب الزمان في إشآمه وإعراقي ، فقلت إذا تفرقنا والنفوس مجتمعة ،فما يضر أن الجسوم للرحيل مجتمعة ، ثم قلت له :

أنت مع العين والفـــؤاد   دنوت أو كنت ذا بعـــاد

فقال وهو من بارع الاجازة :

وأنت في القلب في السويـــدا   وأنت في العين في الســـواد

وستأتي ترجمة صفوان (1) .

549) محمد بن أحمد الباجي اللخمي

محمد بن أحمد بن عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الملك بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن شريعة بن رفاعة بن صخر بن سماعة الداخل إلى الأندلس ، اللخمي ، إشبيلي ، أبو مروان الباجي .

قال في (الذيل والتكملة) بعد ذكره : تلا بالسبع وغيرها على أبي عمر ، وعياش ابن عظيمة ، وسمع الحديث على الحافظين أبوي بكر بن الجد ، وأكثر عنه ، وابن علي ، وبقراءة أبيه على أبي عبد الله بن أحمد ابن المجاهد ، وأخذ العربية واللغة والآداب على أبي إسحاق ابن ملكون ، وأبي بكر ابن طلحة ، وأجازوا له إلا أبا إسحاق ابن ملكون ، وأجاز له أبوه وأبو حفص بن عمر ، وعبد الرحمان السهيلي ، ومحمد ابن الفخار ، وأبو العباس ابن مقدام ، وأبو القاسم ابن بشكوال ، وأبو محمد ابن عبيد الله ورحل إلى المشرق حاجا،

---

1) ينظر عن ابن مرج الكحل عدى ما تقدم **ازهار الرياض** 2 : 315 .

وسمع بدمشق على نزيلها المحدث الشهير أبي عمرو عثمان . . . . . . ابن الصلاح تأليفه في علوم الحديث ، وهذا الأصل الذي سمع فيه قد صار إلـيَّ والحمد لله وفيه خط ابن الصلاح بتصحيح التسميع، وقد تضمن إذنه في روايته عنه لكل من حصل منه نسخة ، فانتسخ منه جماعة من جلة أهل العلم ونبلائهم، منهم : أبـو الحسن الشاري ، وأبو عمـرو عثمان ابن الحاج ، وأبـو القاسم أحمد ابن نبيل ، وغيرهم ، ونسخت منه نسخة لبعض الأصحاب لأمر اقتضـى ذلك ، لم يسع خلافه ، وأخذ بدمشق أيضاً قراءة منه عن أبي نصر محمد ابن هبة الله ابن مخيل الشيرازي .

روى عنه حفيد أخيه أبي محمد ، وآباء عبد الله : أبو بكر بن أحمد ابن سيد الناس بن أحمد الرندي ، وابن أبي بكر ابن المواق ، وابن الحصار نزيل سبتة ، وصحبه في وجهته المشرقية ، وحج معه ولزمه إلى أن فـرق الموت بينهما ، وأبو عمرو عثمان بن أحمد ابن العوام ، وأبو القاسم عبد الكريم ابن عمران ، وأبو محمد بن قاسم الحرار .

وروى عنه بدمشق جماعة منهم : أبو عبد الله البرزالي ، وأبو . . . . القسطان ، وابن يديم الاشبيليون ، وأبو محمد بن محمد بن أحمد ابن الحجام .

وكان من سادات بيته الأفاضل ببلدهم،ذا خلق وسيم،وخلق عظيم،دري اللون ، أسيل الوجه ، حسن الضرب ، والقد إلى الطول قد علا باخرة إحدى كريمتيه بياض لم يشنها ، وكـان كريم النفس حسـن اللقاء براً بأصحابـه ومنتابيه ، متواضعاً ، جميل السعي في حاجات الناس عموماً وخصوصاً ، مبختاً في تيسير قضائها ، متواضعاً صواماً قواماً ، سري الهمة كامل أدوات الفضل، خطيب زمانه ، مثابراً على تلاوة القرآن ، حافظاً للحديث ، من أحسن الناس صوتاً بهما وأطيبهم نغمة في إيرادهما ، جيد الخط والضبط ، ذاكراً للفقه ، استقضي ببلده أيام إمارة إدريس بـن يعقوب المنصور من آل عبـد المومن وبعدها ، يعرف بالعدل والنزاهة ووطأة الاكناف ولين الجانب حتى يقال انه ما سجن مدة قضائه أحداً ، وخطب بجامع بلده دهراً طويلا ، وتردد على حضرة

مراكش مراراً ، موقراً مبروراً حظياً عند الأمراء بها ، مقضي المآرب ، وبعد الطاريء علي أبي مروان أحمد ابن شقيقه أبي عمر محمد حسبما تقدمت الاشارة آنفاً إليه عزم على الحج فباع جل أملاكه بداخل إشبيلية وخارجها ، وفعل في سائرها ما اقتضى نظره من تصيير وتحبيس وصدقة وغير ذلك من الوجوه محصناً ذلك كله بالاشهاد عليه ، وفصل من إشبيلية يوم . . . . . لثمان خلون من ربيع الآخر سنة ثلاث وثلاثين وستمئة قاصداً سبتة من بر العدوة ، وأقلع منها في مركب رومي يوم الأربعاء لسبع خلون من محرم أربع وثلاثين وستمئة ، سائراً مع العوالي من بر الأندلس إلى مالقة ، إلى المنكب ، إلى قرطاجنة ، إلى لقنت ، وفارق بر الأندلس إلى جزيرة يابسة إلى جزيرة ميورقة فدخل مرساها ليلة الخميس الثالثة والعشرين من محرم المذكور ، وأقلع منه ليلة الخميس التالي إلى جزيرة قبريرة فبات بها ليلة الجمعة ، وأقلع منها صبح يوم الجمعة إلى مرسى سردانية ، فدخله يوم الثلاثاء لأربع خلون من صفر ، وأقلع منه يوم الخميس لست خلون من صفر إلى صقلية ، فجاوزها ، ثم ردته الريح إلى مرسى سرقوسة إحدى مدن الجزيرة ، فدخلها ليلة الأربعاء الثاني عشرة من صفر ، وأقام بها إلى عشية يوم السبت لسبع خلون من ربيع الأول ، ونزل إلى سرقوسة وأقام بها من ليلة الأحد الثامنة من ربيع الأول إلى يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة ، وانتقل إلى المركب وأقام به ريثما تساعده الريح على سيره ، فاقلع منه يوم الأربعاء إلى جزيرة قريطش في ثمانية أيام ، ثم إلى جزيرة قبرس في خمسة أيام ، ثم إلى عكا في ثلاثة أيام ، وكان المركب يسير كل يوم من سرقوسة إلى عكا مئة ميل ، فدخل عكا يوم الأربعاء لأربع عشرة ليلة بقيت من رجب، وقدم دمشق غدوة يوم ... لسبع خلون من رمضان ، فأقام بها إلى منتصف شوال ، فخرج منها مع الركب الشامي ، وكان له سبعة أعوام لم يتوجه إلى مكة شرفها الله ، فصار إلى بصرى في أربعة أيام ، إلى الأزرق ، إلى تيماء ، إلى خيبر ، إلى مدينة النبي صلى الله عليه وسلم كرمها الله ، وزار قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، وأقام بها يومين ، وانفصل على طريق المركب ووادي العقيق وبير علي ، وذي الحليفة ، ومنها أحرم إلى شعب علي ، إلى بدر ، إلى رابغ ، إلى الجحفة ، إلى

بطن مر ، إلى مكة شرفها الله ، فقدمها لأربـع خلون من ذي الحجة ، فنـزل بالأبطح ، ولما قضى فريضة الحج نزل بدار إمام المالكية عند باب العمرة ، وكان من أملة التوجه إلى العراق ، فاذا الركب العراقي لم يدخل إلى مكة تلك السنة خوفاً من عادية الكافر التركي ، ثم خرج من مكة زادها الله شرفاً فـي محرم خمس وثلاثين متوجهاً إلى مصر ، فسرى مدلجاً لشدة الحر بالنهـار إلى حرة ، ومن حرة إلى جدة ، ومنها ركب البحر فمالت به الريح إلى سلف في يوم وليلة ، فسار منها مصعداً إلى دبادب ، وخرج في البر ، وسار منهـا ثمانية أيام إلى عيذاب في صحراء البجاة وهم نصارى سود ، وأقام بها نحـو ثمانية وعشرين يوماً ، وقطع صحراءها في عشرين يوماً إلى قنا ، وكان بهذه الرفقة في نحو سبعين رجلا ، فلقيهم في تلك الصحراء قوم من النوبة دخلوها للغارة فسلبوا الرفقة ، وسار من قنا إلى قوص في يوم ، وكان الملك الكامل قد توجه إلى دمشق وجهاتها ذلك العام يحـاول رد البلاد التي كانت لأخيـه الاشرف إلى طاعته ، فوافاه وهو بالورادة من طريق دمشق أخبر بأنه وصل إلى الحج وإلى دمشق رجل مغربي الأصل يعرف بالباجي ، واثنوا عليه خيراً عنده ، وقد كان صاحب المدارس بمصر أبو الخطاب عمر بن حسن ابن دحية المذكور قبل بموضعه من هذا المجموع تـوفي سنة ثلاث وثلاثين وستمئـة حسبما ذكر هنالك ، فتولى النظر فيها من لا يصلح لها ، ولما أثني على أبي مروان الباجي عند الملك إذا صرف النظر في المدارس المصرية إليه ، فسأل عنه فأخبر أنه قد نهض إلى الحج ، فأمر بالبحث عنه في جميع بلاده ، وتلقي الركبان في شأنه والاحسان إليه وإيفاده عليه ، فطيرت الحمائم من بلد إلـى بلد في الوصاة به ، فبينما أبو مروان قد قدم على قوص ، كما ذكر آنفاً ، خرج إلى الرواد قوم من قبل والي المدينة يسألون عنه حسبما أمروا به ، فأخبروا في تلك القافلة فاجتمعوا به ، وساروا معه إلى والي قوص ، وكان يدعى بابن زهبوش ، فالقى إليه أمر الملك الكامل في حقه ، وبالغ في اكرامه والحفاية به، ودفع له خمسين ديناراً مصرية وأثواباً من لباس أهل تلك البلاد فيها حرير ، فأبى أبو مروان قبول شيء مـن ذلك ، وبعـد لأي ومراجعـة طويلة قبـل الدنانير على كراهة ، ورد الأثواب ، وقبض تلك الدنانير بعض خدمته ، وكان

يدعى بابن مذكور ، وسمعه حينئذ بعض خواصه وهو أبو الحجاج الأبذي ، وكان ممن حج معه ، يدعو بدعاء قال فيه : « اللهم اقبضني إليك قبل الاجتماع به » ، ثم سار من قوص في النيل إلى أخميم ، إلى منية ابن خصيب ولها مسجد جامع حسن على شاطئ النيل ، فقال أبو مروان : قد كنت سمعت بهذا الجامع وأريد الصلاة به ، فسار إليه، فاذا فيه جماعة اجتمعوا لقراءة العلم، فصلى به الظهر والعصر والمغرب ، ولما همّ بالانصراف تعرضه بعض أولئك الحاضرين وقد سألوا عنه فأخبروا به فأقبلوا إليه مسلمين عليه وراغبين منه في مبيته عندهم ، فبات معهم ، وانصرف من الغد إلى السفينة وبه شكاة ، وسئل عن غذائه عند أولئك الذين أضافوه فقال : ما كان الا يسير تمر وعسل ، وأقلع من منية ابن خصيب إلى مصر ، وقطع تلك المسافة في سبعة أيام والشكاة متزيدة ، ولما ورد مصر أراد دخولها في خفية حتى لا يشعر به أحد ، فدخلها وقت العشاء ، ونزل منها بخان الملاحين ، ويعرف بخان ابن الرصاص ، ولم يعلم أحد بوصوله ، فأقام به ليلته تلك ويومها ، وتوفي في ثلث الليلة القابلة ، وهوّن الله عليه الموت ويسره تيسيراً عجيباً .

ولما أصبح ميتاً ، أقبل جماعة من الصلحاء والزهاد في طائفة كبيرة من لفيف الناس مغلسين يقرعون باب الخان ، ويقولون لقيّمه : افتح لنا نصل على الفقيه أبي مروان الباجي المتوفي الليلة هنا ، وكان ممن حضر ذلك الجمع رجل صالح فاضل ، من أهل العلم والدين يدعى بعز القضاة ، ويعرف بابن الجباب ، من بيت جلالة وعلم بمصر، فتوجه مع حفيد أخي أبي مروان وبعض خواصه إلى العادل ابن الملك الكامل الذي استنابه أبوه على مصر فوافوه بقصره من القلعة بالجبل . . . . على القاهرة ومصر فأعلمه بوصول الفقيه أبي مروان . . . . .فقيل : وصل بارحة الأمس ، وتوفي الليلة، فتأسف لذلك وأمر بتجهيزه . . . . . . حفيد أخيه وأصحابه عنده جهازه ، فشرع في غسله وتطييبه ، وجعل في النعش ورُمي عليه كساء أخضر ، ولف بشريطتي قيم طويلتين . . . . . متقارباً حتى كان بين الشريطتين غلظ أصبع ، وصلى عليه جمهور من الناس بالخان ، ولما فرغ الغاسل منه وخرج بالرداء الذي غسله انطلق الناس بذلك الرداء وغلبوه عليه حتى لم يبق بيده

منه إلا قدر ما أمسك عليه بأنامله، والسعيد منهم من صار إليه قدر فتيل لكثرة ترامي الناس عليه ، وكان منهم من رغب من الغاسل في بيع ما بقي عنده من الرداء ، فباعه منه ولم يكن شيء عنده منه إلا يسير .

وحمل الفقيه على تلك الحالة وقت صلاة العصر إلى المصلى بالشريعة، وسير به سيراً حثيثاً فاستبق الناس إليه ، فمنهم من يرمي عليه عمامته ، فاذا وصلت إلى النعش وجذبها اشترك ناس معه فيها فلا يبقى منها إلا قدر مـا يمسك بيده ، ومنهم من يرسل رداءه فيجري الحال فيه على ذلك ، وصُلي عليه هنالك مرة ثانية في جمع عظيم ، ثم سير به كذلك إلى مدفنه بالقرافة حيث قبور الصالحين والفضلاء، وإذا جماعة كبيرة من كبراء الناس وأعلاهم ينتظرونه هنالك لم يكونوا صلوا عليه، فقالوا: لابد أن نصلي عليه قبل دفنه، فصلوا عليه وهو بشفير القبر مرة ثالثة ، ووورِي في قبره بمقبرة الشهداء المنسوبة إلى سارية ، واختطف الناس تراب قبره مرة ، ثم ثانية ، ثم ثالثة ، وأقبل عليهـم الليل وانفصلوا عنه ، فلما كان من الغد أصبح قبره مبنياً كأحسن ما يبنى من القبور ، فتساءل الناس عمن بناه ، فلم يجدوا عنه مجيباً ، وجعل حفيد أخيه وأصحابه عند رأسه تاريخاً .

مولده باشبيلية سنة أربع وستين وخمسمئة .

وكانت وفاته ليلة الجمعة الثامنة والعشرين من جمادى الأولى مـن عام خمسة وثلاثين وستمئة .

انتهـى .

وترجمه في (التكملة) (1) .

550) محمد بن علي ابن العربي الحاتمي

محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله ابن العربي الحاتمي، من ولد عبد الله بن حاتم أخي عدي بن حاتم الصوفي الفقيه المشهور الظاهري .

---

1) **التكملة** 2 : 637 ع 1657 وفيها أنه توفى فى شهر ربيع الآخر ، وفى رواية أخرى أنه توفى فى ربيع الأول .

ولد بمرسية يوم الاثنين سابع عشر رمضان سنة 560، قرأ القرآن على أبي بكر ابن خلف باشبيلية ، وبالسبع بكتـاب الكافي ، وحدثه به عن ابـن المؤلف أبي الحسن شريح بن محمد ابن شريح الرعيني عن أبيه ، وقرأ أيضاً السبع بالكتاب المذكور على أبي القاسم الشراط القرطبي ، وحدثه به عـن ابن المؤلف ، وسمع على أبي بكر محمد ابن أبي جمرة كتاب (التيسير) للداني عن أبيه عن المؤلف ، وسمع على ابن زرقون ، وأبي محمد عبد الحق الاشبيلي الأزدي ، وغير واحد من أهل المشرق والمغرب يطول تعدادهم ، وكان انتقاله من مرسية لاشبيلية سنـة 568 ، فأقام بها إلـى سنة 598 ، ثـم ارتحل إلـى المشرق ، وأجازه جماعة ، منهم الحافظ السلفي ، وابن عساكر ، وأبو الفرج ابن الجوزي ، ودخل مصر وأقام بالحجاز مدة ، ودخل بغداد والموصل وبلاد الروم ، ومات بدمشق سنة 638 ليلة الجمعة الثامن والعشرين من شهر ربيع الآخر ، ودفن بسفح قاسيون .

وقال ابن الأبار : هو من أهل المرية أخذ عن مشيخة بلده ومال إلى الآداب ، وكتب لبعض الولاة ، ثم رحل إلى المشرق حاجاً ولم يعد بعدها إلى الأندلس ، وقال المنذري : ذكر أنه سمع بقرطبة من أبي القاسم ابن بشكوال وجماعة سواه ، وطاف البلاد وسكن بلاد الروم مدة ، وجمع مجاميع في الطريقة، وقال ابن الأبار : إنـه لقيه جماعة مـن العلماء والمتعبديـن وأخذوا عنـه ، وقال غيره : انه قدم بغداد سنة 608 ، وكان يوماً إليه بالفضـل والمعرفة ، والغالب عليه طرق أهل الحقيقة ، وله قدم في الرياضة والمجاهدة ، وكلام على لسان أهل التصوف ، ووصفه غير واحد بالتقدم والمكانة من أهل هذا الشأن بالشام والحجاز ، وله أصحاب وأتباع ، ومن تآليفه مجموع ضمنه منامات رأى فيها النبي صلى الله عليه وسلم وما سمع منه ، ومنامات قد حدث بها عمن رآه صلى الله عليه وسلم .

قال ابن النجار : وكان قد صحب الصوفيـة وأرباب القلـوب وسلك طريق الفقر ، وحج وجاور ، وكتب في علم القوم وفي أخبار مشايخ المغرب وزهادهم ، وله أشعار حسنة وكلام مليح ، اجتمعت به في دمشق في رحلتي إليها وكتبت عنه شيئاً من شعره ونعم الشيخ هو .

وقال ابن مسدي : إنه كان جميل الجملة والتفصيل ، محصلا لفنون العلم أخصّ تحصيل ، وله في الأدب الشأو الذي لا يلحق ، والتقدم الذي لا يسبق ، سمع ببلاده من ابن زرقون والحافظ ابن الجد ، وأبي الوليد الحضرمي، وبسبتة من أبي محمد بن عبد الله ، وقدم عليه إشبيلية عبد المنعم بن محمد الخزرجي فسمع منه ، وأبو جعفر ابن مصلي ، وذكر أنه لقي عبد الحق الاشبيلي، انتهى. وأجازه بجميع مصنفاته كما صرح به الشيخ ابن عربي في إجازته للملك المظفر غازي بن الملك العادل أبي بكر ابن أيوب ، وقال : إن الحافظ السلفي أجاز له ، قال بعض الحفاظ : وأحسبها الاجازة العامة .

وقال الذهبي في حقه : إن له توسعاً في الكلام وذكاء وقوة خاطر ومحافظة وتدقيقاً في التصوف وتواليف جمة في العرفان ، لولا شطحه في كلامه وشعره ، ولعل ذلك وقع منه في حال سكره وغيبته ، فيرجى له الخير ، انتهى .

وله فيه كلام في الميزان قد رده الحافظ ابن حجر العسقلاني في (لسان الميزان) ، ونقل كلام المثنين عليه كثيراً فراجعه ، وذكر في (الدرر الكامنة) أن أحمد ابن اسكندر الحسيني الصوفي قرأ له شرحاً على بيتين لابن العربي في كراسة أملاها في رجب سنة 777 .

وقال القطب اليونيني في (ذيل مرآة الزمان) عن المترجم ، أنه كان يقول أني أعرف اسم الله الأعظم ، وأعرف الكيمياء ، انتهى .

وقال ابن سودكين (1) عنه ، ينبغي للعبد أن يستعمل همته في الحضور في مناماته بحيث يكون حاكماً على خياله .

وحكى العماد ابن النحاس الأطروس أنه كان في سفح جبل قاسيون على مستشرف ، وعنده الشيخ محيي الدين والغبث والسحاب عليهم ودمشق

1) ابن سودكين اسمه اسماعيل أبو الطاهر النوري الحنفي الصوفي ، كان صاحب الشيخ محيي الدين بن العربي وله كلام وشعر ، توفي في صفر سنة 636 ، وروى عن الارتاجي ، ذكره في الشذرات (مؤلف) .

ليس عليها شيء ، قال : فقلت للشيخ : أمـا ترى هذا الحال ؟ فقـال : كنت بمراكش وعندي ابن خروف الشاعر ، يعني أبا الحسن علي بن محمد القرطبي القيدافي ، وقد اتفق الحال مثل هذه ، فقلت له : مثل هذه المقالة فأنشدني :

يطوف السحاب بمراكـــــش   طواف الحجيج ببيت الحـــــرم
يروم نزولا فلا يستطيــــــع   لسفك الدماء وهتك الحـــــرم

وحكى المقريزي في ترجمة سيدي عمر ابن الفارض أن محيي الدين بعث إليه ليستأذنه في شأن التائيـة فقال : كتابك المسمى بـ (الفتوحـات المكية) شرح لها كان يكتب كل يوم ثلاث كراريس في تصنيف الفتوحات ، وحصلت له دنيا عريضة ، فكان لا يدخر منها شيئاً ، وأثنى عليه ممن لقيـه أيضاً الشيخ صفي الدين حسين الأنصاري ، وقد تأول بعض العلماء قول الشيخ رحمه الله تعالى بايمان فرعون أن مراده بفرعون النفس .

وولد للشيخ محيي الدين ابنه محمد المدعو سعد الدين بملطية سنة 618 ،وهو مدفون مع والده ، وكان الشيخ محيي الدين يقابل من يسيء إليـه بالاحسان ، وبالجملة فهو حجة الله الظاهرة وآيته الباهرة ، ولا يلتفت إلى كلام من تكلم فيه ، ولله در السيوطي الحافظ فانه ألف (تنبيه الغبي ، على تنزيـه ابن عربي) ، وله تآليف منها : (الجمع والتفصيل ، في حقائق التنزيل) ، و (الجذوة المقتبسة ، والخطوة المختلسة) ، وكتاب (كشف المعنى ، في تفسير الأسماء الحسنى) ، وكتاب (المعارف الالاهية) ، وكتاب (الاسراء إلى المقام الأسرى) ، وكتاب (مواقـع النجوم ، ومطالع أهلة أسرار العلـوم) ، وكتاب (عنقاء مغرب ، في صفة ختم الأولياء وشمس المغرب) ، وكتاب في فضائل مشيخة عبد العزيز بن أبي بكر القرشي المهدوي ، والرسالة الملقبة بـ (مشاهد الأسرار القدسية ، ومطالـع الأنوار الالاهية) فـي كتب أخرى عديـدة .

وقال المجد صاحب القاموس فـي كتابه (الاغتباط ، بمعالجة ابـن الخياط) لما سئل عن كتب محيي الدين ما نصه : الحمد لله اللهم أنطقنا بما فيه رضاك ، الذي أعتقده في حال المسؤول عنه وأدين الله تعالى به انه كان

شيخ الطريقة حالا وعلماً ، وإمام الحقيقة حقيقة ورسماً ، ومحيي رسوم المعارف فعلا واسماً ، إذا تغلغل فكر المرء في طرف من بحره غرقت فيه خواطره ، وهو عباب لا تكدره الدلاء ، وسحاب لا تتقاصر عنه الأنواء ، كانت دعواته تخترق السبع الطباق ، وتفترق بركاته فتملأ الآفاق ، واني أصفه وهو فوق ما وصفته، وناطق بما كتبته ، وغالب ظني أني ما أنصفته :

وماعليّ إذا ما قلت معتقـــــدي   دع الجهول يظن العدل عدوانـــا
والله والله العظيم ومَـــــن   أقامه حجة للدين برهانــــــا
بأنّ ما قلت بعضٌ من مناقبـــه   ما زدت إلا لعلّي زدتُ نقصانـــا

وأما كتبه ومصنفاته فالبحار الزواخر ، التي جواهرها وكثرتها لا يعرف لها أول ولا آخر ، ما وضع الواضع مثلها ، وإنما خص الله سبحانه بمعرفة قدرها أهلها ، ومن خواص كتبه أن من واظب على مطالعتها والنظر فيها ، وتأمل مبانيها ، انشرح صدره لحل المشكلات ، وفك المعضلات ، وهـذا الشأن لا يكون إلا لأنفاس من خصه الله بالعلوم اللدنية الربانية ، ووقفت على إجـازة كتبها للملك المعظم فقال في آخرها : وأجزته أيضاً أن يروي عني مصنفاتي ، ومن جملتها كذا وكذا ، حتى عد نيفاً وأربعمئة مصنف ، منها (التفسير الكبير) الذي بلغ فيه إلى سورة الكهف عند قوله تعالى « وعلمناه من لدنا علما » ، وتوفي ولم يكمل ، وهـذا التفسير كتاب عظيم كـل سفر بحر لا ساحل له . ولا غرو ، فانه صاحب الولاية العظمى ، والصديقيـة الكبرى ، فيما نعتقـد وندين الله تعالى به ، وثَـمّ طائفة في الغي طائفة يعظمون عليه النكير ، وربما بلغ بهم الجهل إلى حد التكفير ، وما ذاك إلا لقصور أفهامهم عن إدراك مقاصد أقواله وأفعاله ومعانيها ، ولم تصـل أيديهم لقصرها إلـى اقتطاف مجانيها :

عليّ نحتُ المعاني من معادنهـــا   وما عليّ إذا لم تفهم البقـــــر

هذا الذي نعلم ونعتقد ، وندين الله تعالى به في حقه ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

كتبه محمد الصديقي الملتجىء إلى حرم الله تعالى عفا الله عنه .

انتهـى .

وقال في حقه الشيخ عز الدين بن عبد السلام : انه القطب الغوث الفرد في زماننا ، وممن أثنى عليه سعد الدين الحموي ، وصلاح الدين الصدفي في ترجمته من تاريخ علماء العالم ، وكراماته لا تحصر ، وقد اعتنى بتربته بصالحية دمشق سلاطين بني عثمان ، وبنَى عليه السلطان سليم خان المدرسة العظيمة ، ورتب له الاوقاف .

وقال في (عنوان الدراية) : كان محيي الدين يعرف بالأندلس بابن سراقة ، دخل بجاية في رمضان سنة 597 ، ورأى رؤيا أُوِّلت بأنه ينال من العلوم العلوية وعلوم الأسرار ، وخواص الكواكب ما لا يكون فيه أحد من زمانه، وهي أنه نكح نجوم السماء بلذة روحانية ، وكذلك الحروف ، وله موشحات :

(مطلع) :

سرائر الأعيان لاحت على الاكوان
للناظرين
والعاشق الغيران من ذاك في حران
يبدي الأنين

وممن أثنى عليه الامام الصفي ابن ظافر الأزدي ، والشهاب السهروردي ، قال فيه بحر الحقائق وشمس الدين ابن مسدي في معجمه البديع المحتوي على ثلاث مجلدات ، وأطنب في ترجمته .

ومن أشياخ محيي الدين الذين أخذ عنهم بفاس أبو عبد الله ابن قاسم، وعلي ابن حرزهم ، قال الشيخ أحمد زروق : سئل شيخنا الامام القوري عن ابن العربي الحاتمي فقال : هو أعرف بكل فن من أهل كل فن ، قيل له لم نسألك عن هذا ، فقال : اختلف فيه من الكفر إلى القطبانية ، قيل له : فما ترجَّح عندك ؟ قال : التسليم ، وأخذ يستدل له ، قال زروق لأن القول بالتكفير مسألة خطر ، والقول بالولاية فيه للجاهل غرر ، وهذا المذهب ينبغي لكل عاقل أن يسلكه في حق كل من كان من هذا النوع كابن

الفارض ، والششتري ، وابن أملا ، وابن سبعين (1)، والعفيف التلمساني (2)، والعجمي الأيكي ، والأقطع الأسود ، وابن درسكين ، والحرالي وغيرهم . انتهـى .

وقال الشيخ عبد الرؤوف المناوي في طبقات الصوفية كما نقله في (الشذرات) فـي ترجمة سيدي عمر ابـن الفارض لدى سنة 632 مـا نصه : والحـاصل أنه اختلف في شأن صاحب الترجمة ، وابـن عربي ، والعفيـف التلمساني ، والغونوي ، وابن هود (3) ، وابن سبعين ، وتلميذه الششتري ، وابن مظفر ، والصفار من الكفر إلى القطبانية ، وكثرت التصانيف من الفريقين في هذه القضية ، ولا أقول كما قال بعض الأعلام : سلّم تسلم والسلام ، بـل أذهب إلى ما ذهب إليه بعضهم أنه يجب اعتقادهم وتعظيمهم ، ويحرم النظـر في كتبهم على من لم يتأهل لتنزيل ما فيها من الشطحات على قوانين الشريعة المطهرة ، وقد وقع لجماعة من الكبار الرجوع على الانكار ، انتهى كلام المناوي مختصـراً .

وأطال في (الشذرات) في ترجمة محيي الدين ابن عربي في نحـو اثنتي عشرة صفحة ، قال في آخرها : فدفن في تربته المعلومة الشريفة التي هي قطعة من رياض الجنة والله تعالى أعلم ، انتهى ، فراجعها فقد شفي الغليل ، وراجع صحيفة 346 من (النور السافر) .

وقد وقفت على (الرد المتين ، على متنقص العارف محيي الديـن) للشيخ عبد الغني النابلسي الحنفي مذهباً ، القادري مشرباً ، في اثني عشـر

---

1) ابن سبعين اسمه عبد الحق بن ابراهيم الاشبيلي توفي سنة 669 ، ترجمه الذهبـي والمناوي وابن حبيب والبسطامي وصاحب الشذرات ، وأخذ عن جماعة منهم الحراني والبوني ، ومن أصحابه أبو الحسن الششتري ، وابن سبعين ممن جال في بلاد المغرب (مؤلف) .

2) والعفيف التلمساني اسمه سليمان بن علي ، ترجمه المناوي في طبقاته واثنى عليه ابن سبعين وفضله على شيخه الغونوي ، وترجمه في **الشذرات** لدى سنة 690 (مؤلف) .

3) ابن هود اسمه حسن بن علي بن أمير المومنين أبي الحجاج يوسف ، ترجمه المناوي في طبقاته ، وصحب ابن سبعين ، وكان والده متولياً نيابة عن أخيه أمير المومنين المتوكل محمد بن يوسف بن هود ، وترجمه في **الشذرات** لدى سنة 699 (مؤلف) .

كراساً ألفه عام 1083 ، قال فيه : قد أطلعت عـلى رسالة لبعض علماء الرسوم مشتملة عـلى الرد والاحتقار ، جامعة لمـا زلّت به الأقدام فـي جانب قطـب العارفين وإمام المحققين خاتم الولاية المحمدية ، وصاحب الوراثة النبوية ، الشيخ الأكبر محيي الدين ابن العربي الحاتمي الأندلسي ، فأخذتني شنشنة الأخوة الايمانية الى الذب عن أعلم العلماء ، وكشفت فيها عن معاني العبارات المستشكلة من كلمات الشيخ مصدراً لها بقولي :

ظهر الحق ما عليه غطـــــاء … بك وازداد نائل وعطـــاء
وتجلت على القلوب معـــان … عجزت عن خطورها العقـــلاء
أيها القطب قد تشرف قطـــر … لك فيه قبر عليه بهـــاء
وزهت جلق بكونك فيهـــا … فهي في الأرض روضة غنـــاء
لم أخصص بها مكاناً ولكـــن … سكن الصالحية الصلحـــاء
ورأينا المنى وأشرق فينـــا … منك محيي الدين الهدى والضيـاء
وتبدت كواكب الحق تـزهـــو … ولها كتبك العظام سمـــاء
من فصوص يقول من قـــد رآه … ختمت بالمصنف الأوليـــاء
كلمات تجل عن كل فهـــم … ليس فيه من الالاه اهتـــداء
وإذا أنكرتْه قوم أجبنـــا … لا ترى الشمس مقلة عميـــاء
والفتوحات يالها من كتـــاب … تتقوى بفهمه الضعفـــاء
وهو يحوي حقائقاً وعلومـــا … ولأهل السلوك فيه ارتقـــاء
كمل الفقه بالذي فيه حتـــى … نقصت عن علومه الفقهـــاء
ولقد جئتنا بكل كتـــاب … من علوم جاءت بها الأنبيـــاء
حيث أصبحت بالوراثة عنهـــم … في مقام تحفــــــه الآلاء
وإذا أنكرت عليك أنـــاس … فالنبيؤون نالهم إيـــــذاء
جهلتك العدا جهالـــة در … قلّبته بكفها الأغنيـــاء
وأعابت عليك والنور نـــور … ما له من فم الحسود انطفـــاء
فسقى الله تربة لك ضمـــت … صوب عفو له الرضا أنـــواء
أمد الدهر ما تجلت بـــروق … فانجلت من وميضها الظلمـــاء

ثم ذكر أن كلام أهل الأحوال يجب تأويله ومعرفة اصطلاحهم ، وأن كلام المعاصرين مردود غالبه حسد ، وأن كتب الحقائق لم تصنف لبيان الأحكام ، فلهذا يذكرون الحال ولا يذكرون حكمه اعتماداً على كتب الأحكام المصنفة لذلك ، وأنه لا يجوز لفقيه اقتصر فهمه على معرفة أحكام الأشياء أن ينظر في كتب الحقائق إلا بعد أن يعلم أن مفهوماته معطلة من جهة أحكام الأشياء ، وأنه يجب التأويل ولا يتقيد بكلام جاهل ولا عالم بعد أن يكون من أهل الاسلام ، بل كلام العالم أحق بالتأويل تحرزاً من الطعن فيه بالباطل ، ومن احتقاره والاستهانة به ، وأن التأويل لا يختص بقول المعصوم ، ولما ذكر طعن الذهبي قال : ما للذهبي المشتق اسمه من ذهاب العقل والتكلم في الذهب الابريز ، الذي هو من عناية الله تعالى في حرز حريز ، وقوله : ولم تشتهر كتبه إلا بعد موته يرده أنه أجاز بجميع مصنفاته الملك المظفر ، وأي اشتهار أبلغ من اطلاع السلطان عليها الذي يخاف من شره غالباً ، وفي (الفتوحات المكية) وغيرها من كتب الشيخ في الحقائق تقرير ظواهر الشريعة على ما هي عليه ، ثم العبور منها إلى الأسرار والمعارف ، وربما غلب ذكر الأسرار والمعارف ، ثم ذكر أن محيي الدين كان خاتم الولاية المحمدية الخاصة ، والسيد المهدي خاتم الولاية المطلقة ، وذكر في الخاتمة أن الشيخ رضي الله عنه ذمه قوم واثنى عليه آخرون ، وأن كل أحد لم يخل من صديق يمدح وعدو يقدح .

وممن أثنى على الشيخ محيي الدين الشيخ كمال الدين الزملكاني بالشام ، وقطب الدين الحموي ، والصفديّ ، وقطب الدين الشيرازي ، وفخر الدين الرازي ، ومحيي الدين النووي ، والشيخ محمد المغربي الشاذلي شيخ الجلال السيوطي ، والامام محمد ابن أسعد اليافعي ، وصنف الشيخ سراج الدين المخزومي في الرد على من رد على الشيخ ، وكذلك الجلال السيوطي كتابين .

وممن أثنى على الشيخ من المؤرخين ابن الحوراني في (لطائف الاشارت) في تعداد الأولياء بدمشق ، والشيخ صفي الدين ابن أبي منصور في رسالته ، والشيخ عبد الغفار القوصي في كتاب (الوحيد) .

وذكر الجلال السيوطي جماعات من العلماء والفقهاء الأجلاء أثنوا على الشيخ بما يطول شرحه ، منهم : مجد الدين الشيرازي ، وشيخ الاسلام ابن كمال باشا ، ووالد المصنف الشيخ إسماعيل بن عبد الغني النابلسي ، ثم ختم هذا التأليف بقصيدة في مدح الشيخ ، قال :

كان محيي الدين يهدي كلَّ حي ... لفريق من ذوي القرب وحي
ثم فينا بقيت أنفاسُه ... بعده ، ياطيب ذياك الشذي
نفحات لذويها انتشرت ... وانطوت تلك عن المزكوم طي
فهلموا يارفاقي وقفوا ... عند هذا الباب كي يفتح كي
واقبلوا نصحي وان شئتم دعوا ... كل غير ينجلي عنكم وغي
كتبه النور لمن يبصرها ... وهي تروي كل صادي القلب ري
من كتاب الله والسنة قد ... خرجت تختال في أبهى حلي
رام أن يطفيءَ قوم نورها ... فأبى الله وما آبوا بشي
قطب أهل الله يابن العربي ... حاتميُّ المنتمي من نسل طي
كنت ختماً لكبار الأوليا ... جامعاً أرث نبيٍّ من قُصَي
ولقد حزت علوماً شرفت ... هي من داء الضلالات دوي
وترقيت مقاماً عاليا ... لويت عنه رجال الله لي
عصرك الفائت ما أشرقه ... بك ، يا شمساً له الأغيار في
وإذا عنك عيون عميت ... قد عذرنا فيك ألحاظ العمي
لا يرى المحرم إلا محرم ... هو من جيران ذياك الخبي
إن محيي الدين أحيا الدين ، قل ... والمسمى غالباً طبق السمي
زره واغنم فضل قبر ضمه ... وانتشق من نحوه طيب الشذي
وتوسل عند مولاك به ... كلما نابك خطب ياأخي
فالذي يقصده فاز وما ... خاب مَن يلجا إلى ذاك الحُمي
لم يزل رضوان ربي دائما ... عنه ما حن أشتياقاً ذو الهوي

انتهى .

وقوله : والشيخ عبد الغفار القوصي في كتاب (الوحيد) تمام التسمية في (سلوك أهل التوحيد) ، وهو في مجلدين .

راجع ترجمة مؤلفه في (الدرر الكامنة) .

وقال الشيخ عبد الغني المذكور في كتابه (روض الأنام،في بيان الاجازة في المنام) أوله : الحمد لله الذي رفع أقدار عباده المقربين ، وذكر فيه أن المترجم أجاز في رؤيا منامية بصحيح الامام البخاري من طلب إجازته منه ، ووقفت من تآليف النابلسي المذكور على (أنوار السلوك ، في أسرار الملوك) ، ورسالة (رد الجاهل إلى الصواب ، في جواز إضافة التأثيرات إلى الأسباب) أثبت فيه ثبوت الكرامة بعد الموت ، ورسالة (الجواب المعتمد ، عن سؤالات أهل صفد) ، ورسالة (النفحات المنتشرة ، في الجواب عن الأسئلة العشرة) ، وكتاب (الأنوار الالاهية ، في شرح المقدمة السنوسية) ، و (القول الأبين ، في شرح عقيدة أبي مدين) وكتاب (رفع الاشتباه ، عن علمية اسم الله) ، وكتاب (الفتح الرباني ، والفيض الصمداني) ، وراجع الاجازة في المنام في ترجمة الخطيب ابن مرزوق ، ومن تلامذة المترجم الشريف عبد العزيز بن طباطبا ، راجع ترجمته في (الدرر الكامنة) ، وقد تكلم فيها على الاقطاب ، والأبدال ، والنجباء ، والأوتاد ، والغوث ، وممن ألف فيه أيضاً الشيخ محمد بن عبد الرحمان السخاوي (القول المنبي ، عن ترجمة ابن العربي) ، ومنها تأليف الشيخ سيدي علي بن ميمون المغربي الحسني في مناقبه .

وهذه تآليف الشيخ محيي الدين مرتبة على حروف (المعجم) جمعتها من (كشف الظنون) من أوله إلى آخره ، فمنها : (الأحاديث القدسية) ، وهو مئة حديث وواحد ، و (الاسرا ، إلى المقام الأسرى) ، و (الاصطلاحات الصوفية) ، و (الأمر المحكم المربوط ، فيما يلزم أهل طريق الحق من الشروط) ، وتفسيره في خمسة وتسعين مجلداً ، وقيل في ستين سفراً ، و (تنزل الاملاك ، في حركة الاملاك) ، و (الحج الأكبر)، و (حرف الكلمات ، وحرف الصلوات) ، و (حلية الأبدال ، وما يظهر منها من المعارف والأحوال)، و (الدرة الناصعة ، من الجفر والجامعة) ، و (الدرة البيضا ، في ذكر مقام القلم الأعلى) ، وديوانه ، و (رسالة الأزل) ، و (رسالة الحجب) ، و (رسالة الشأن) ، و رسالته إلى الفخر الرازي ، و (الرسالة القدسية) ، و (رسالة

القسم الالاهي) ، و (رسالة القلب) ، وتحقيق وجوهه المقابل إلى الحضرات، و (رسالة كنه ما لابد منه) ، و (رسالة الميم والواو والنون) ، و (رسالة الهو) ، و (الرياح الرسائل ، ومنهاج الوسائل) ، و (الرياض الفردوسية ، في الأحاديث القدسية)، و (سبحة السوداء)، و (ستة وتسعون ، في الكلام على الميم والواو والنون) ، و (شجون المسجون) ، و (شعب الايمان وعقائده)، و (العقد المنظوم ، والسر المكتوم) ، و (عقلة المستوفز) ، و (عنقاء مغرب، في معرفة ختم الأولياء وشمس المغرب) ، و (العين والنظر في خصوصية الخلق والبشر) ، و (الفتوحات المكية ، في معرفة أسرار المالكية والملكية) ، و (فصوص الحكم) ، و كتاب (الاتحاد) ، وكتاب (الأحدية) ، وكتاب (الالف) ، وكتاب (الأنوار) ، وكتاب (الباه) ، وكتاب (الجلالة) ، وكتاب (الحق) ، وكتاب (الخلوة) ، وكتاب (الروح) ، وكتاب (الشواهد) ، وكتاب (العبادة) ، وكتاب (علوم الوهب) ، وكتاب (الغوامض والعواصم) ، وكتاب (النكاح) ، وكتاب (الياء) ، و (الكشف الكلي ، والعلم اللدني) ، في علم الحروف ، و (كيمياء السعادة ، لأهل الارادة) ، و (المبادىء والغايات، في أسرار الحروف المكنونات) ، و (الأسماء والدعوات) ، و (محاضرة الأبرار ، ومسامرة الأخيار) ، و (المدخل إلى علم الحروف) ، و (المدخل إلى المقصد) ، و (مراتب التقوى) ، و (مراتب علوم الوهب) ، و (مشاهد الأسرار القدسية ، ومطالع الأنوار الالاهية) ، و (مشكاة الأنوار ، فيما روي عن الله سبحانه وتعالى من الأخبار) ، وهي الأحاديث القدسية التي شرحها النووي ، و (مشكاة العقول ، المقتبسة من نور المنقول) ، و (مفاتيح الغيب) ، و (المقصد الأسنا) في الاشارات، و (المقنع) ، و (مواقع النجوم، ومطالع أهل الأسرار والعلوم) ، و (المولد الجسماني) ، و (نتائج الاذكار ، في المقربين والأبرار) ، و (نسخة الحق) ، و (النقش المختصر ، من الفصوص والوصايا الأكبرية) ، ومنها شرح (خلع النعلين ، في الوصول الى حضرة الجمعين) المتقدم ذكره في ترجمة مصنفه الشيخ أحمد ابن قسي ، وقد طبع من كتبه نحو الثلاثين كتاباً .

راجع ص 175 من معجم المطبوعات .

وقد ذكر في الجزء الأول من الرحلة العياشية إجازة الشيخ لبعض الملوك مع اختصار منها وبعض فوائده .

وترجم للشيخ في (أزهار الرياض) نقلا عن ابن خاتمة وابن الأبار ، وفي (نفح الطيب) ، وفي (الجذوة) ، وفي أول (اليواقيت والجواهر) ، وقال في (المنح البادية) : وقد أخذت والحمد لله عن روحانية محيي الدين ، ولقنني وأجازني بعض مؤلفاته ، انتهى .

وكان الشيخ يوسف العجمي المترجم في (الدرر الكامنة) على طريقة ابن العربي ، وكان الشيخ نصر المنبجي المترجم في (الدرر الكامنة) يحط على ابن تيمية من أجل حطه على ابن العربي ، ولكنه كان لا يعرف ما يعاب ابن العربي إلا لكونه منسوباً إلى الزهد ، وكان الشيخ علي القونوي علاء الدين الفقيه الشافعي المترجم في (الدرر الكامنة) يميل إلى محيي الدين ابن عربي مع تصنيفه في الرد على أهل الاتحاد ، وكان يقرر حديث أبي هريرة « من عادى لي ولّياً » تقريراً حسناً ، ويبين المراد بقوله : كنت سمعه الذي يسمع به بياناً شافياً ، وكان الشيخ زين الدين عمر بن أحمد بن عبد الله ابن حلاوات الصفدي المترجم في (الدرر الكامنة) ينتمي إلى مقالات محيي الدين ابن العربي ، وكان ولي الدين محمد ابن ابراهيم المعروف بالمنفلوطي ، وبابن خطيب ملوي يميل إلى مقالة ابن العربي ، ويدندن حولها في تآليفه ، ويجمجم ، ولا يكاد يفصح ، وكان يحضر السماعات ويرقص أحياناً ، ونقل العثماني قاضي صفد في (طبقات الشافعية) أنه حصل له عند موته ما يدل على نجاته ، وأنه قال : انزَعوا عني ثيابي فقد أُحضرت لي ثياب الجنة أو نحو هذا من الكلام ، راجع تمام ترجمته في (الدرر الكامنة) .

وذكر في (الضوء اللامع) في ترجمة الجمال محمد بن إبراهيم الفوي الأصل المكي الحنفي المعروف بالمرشدي ، أنه كان محباً في ابن عربي ، وذكر في ترجمة الشمس محمد بن أحمد البساطي القاهري المالكي

عالم العصر ، أنه صنف مصنفاً في ابن عربي فيما قيل مما لم يثبت أمره عنده، وذكر في ترجمة أبي المواهب محمد بن أحمد اليزليتني المالكي المعروف بابن زغدان ، أنه مال إلى ابن عربي بحيث اشتهر بالمناضلة عنه ، وذكر في ترجمة الشمس محمد بـن أحمد المصري الصوفي المعروف بابن النجم نزيل مكـة أنه مال فيما بلغه لابن عربي ، وكان على طريقته مع كثرة العبادة ، وذكر في ترجمة الشمس محمد بن إسماعيل القاهري الحسني ، أنه يذكر باعتقاد ابن عربي ، وذكر في ترجمة أبي الفتح محمد ابن طولون مختصر فتح الباري ، أنه كان سالكاً طريق شيخه في تحسين الظن بابن عربي مع صحة عقيدته ، وذكر في ترجمة أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن جماعة ، أنه مضـى في ترجمة أصيل بن الخضري محمد بن ابراهيم بن علي ، أنه قرأ على محمد بن عادل بن محمود التبريزي شيرين كتب ابن عربي في حكاية الله أعلم بصحتها ، وذكر في ترجمة محمد ابـن جمعة القاهري الحنفي ، أنه ممـن ينتمي إلى ابن عربي كالزين الأنباسي ، وذكر في ترجمة أبي عبد الله محمد بن حسن الكردي ، أنه كان مبالغاً في حب ابن عربي بحيث اقتنى جملة من كتبه ، وذكر في ترجمة محمد ابن سلامة التوزري نزيل القاهرة ، أنه كان داعية إلى مقالة ابن عربي ، وذكر في ترجمة أبي عبد الله محمد بن سليمان الرومي الحنفـي المعروف بالكافياجي ، أنه ممن يميل إلى ابن عربي ، وربما ناضل عنه ، ومع ذلك ، فلما أبديت عنده شيئاً من كلماته انزعج وقال : هذا كفر صراح ، لكن حتى يثبت عنه ، وذكر السخاوي في ترجمة نفسه عند تعداد تآليفه ، أنه ألف (القول المنبي ، في ترجمة ابن عربي) في مجلد حافل ، ومحصَله في كراسة اسمها (الكفاية ، في طريق الهداية) نافعة جداً، وذكر في ترجمة الشمس محمد ابن الفقيه عبيد المحلي ، أنه من الدعاة لابن عربي المتظاهرين له ، وذكر في ترجمة محمد بن علي ابن الأبار الشافعي المعراف بابن الحليبي ، أنه تخلص مـن قاضي المالكية ابـن تقي في كائنة ابن عربـي حيث بادر إلى تعزيـره والاستحكـام بخفر دمه ، وتردد إليّ مـن أجلها ، وذكر في ترجمـة الشمس محمد بن عمر التونسي المالكي ، ويعرف بابن عزم بفتحتين ، أنه اشتد حرصه على تحصيل تصانيف ابـن عربي والتنويه بهـا وبمصنفها حتى صار داعيـة

لمقالته ، وركن إلى أهل هذا المذهب ، فكان يجلب لهم من تصانيفه ما ينمقه ويحسنه فيرغبونه في ثمنه ، وربما قصد كثيراً من عوام المسندين في الخفية لقراءتها لتكون متصلة الأسناد ، وعذلته عن ذلك ، فما كف ، بل أفاد حقداً ومقاطعة ، وذكر في ترجمة الشمس محمد بن عيسى الصفدي الشافعي المعروف بابن حامد ، أنه كان داعية لابن عربي ، مناضــلا عنه ، قائماً بتقرير كـلامه وتوجيه طاماته حتى في مواعظه على الكراسي بدمشق وغيرها ، وذكر فــي ترجمة الشمس محمد بن محمد المعروف بابن الشماع ، أنه لبس الخرقــة وتلقن الذكر من سعد الدين الصوفي بلباسه لها من طريق ابن العربي ، ثــم قال : ينسب إلى مقالة ابن العربي ، ثم قال عنه ما نصه : ومولانا الشيخ محيي الدين المشار إليه لبسها مراراً ، بحيث روينا عنه لبس الخرقة وتلقن الذكر وتأدب بنحو من سبعمئة شيخ من أشياخ الطريقة وأيمة الحقيقة ، وساق طرفاً من ذلك ، فالله أعلم بحقيقة أمره ، ثم قال في ترجمة البدر محمد بن محمــد القاهري المعروف بابن الغرس ، أنه كان أحد من قام على البقاعي ، بل وأجابه على الأبيات التي انتقدها من تائية ابن الفارض في مصنف مستقل ، ولذا قال فيه البقاعي : صار من رؤوس الاتحادية للحلاج ، وابن عربي ، وابن الفارض وحزبهم، وذكر في ترجمة البدر محمد بن محمد المعروف بابن القطان، أنه كان من أكبر المناضلين عن ابن عربي ، غير أنه لم يتظاهر بذلك إلا بعد كائنة ابن الفارض ، وذكر في ترجمة أبي الفضل محمد بن محمد ابن الشحنة ، أنه كان ممتحناً بابن عربي ، وذكر في ترجمة الشمس محمد الشرواني أنه انتمى لنصر الله الروياني ، وسكن معه بالمنصورية ، وقرأ عليه الفصوص لابن عربي خفية، ثم أقرأه كذلك لبعض من يثق بكتمانه ، وكان يحض على إخفائه ، وذكر فــي ترجمة المجد الفيروزأبادي ، أنه لما اشتهرت باليمن مقالة ابن عربي ، وغلبت على علماء تلك البلاد صار يدخل في شرحه ، يعني للبخاري من فتوحاته الخ ، وقــال في ترجمة محمــد الشمس أنه كان يقــرأ بعض كتب ابن عربي ، هذا ما ذكر في (الضوء اللامع) في خلال تراجم المحمدين دون باقي التراجم لخَّصته منه دلالة على قدر اعتناء القوم بكتب المترجم .

وترجم للشيخ أيضاً في (الطبقات الكبرى) الامام الشعراني ، وأحسن فيها مع الاختصار ، ولنجعلها آخر ما نذكره في ترجمته قال : ومنهم الشيخ العارف الكامل المحقق المدقق أحد أكابر العارفين بالله سيدي محيي الدين ابن العربي رضي الله عنه بالتعريف ، كما رأيته بخطه في كتاب (سبب الخرقة) رضي الله عنه ، أجمع المحققون من أهل الله عز وجل على جلالته في سائر العلوم ، كما يشهد لذلك كتبه ، وما أنكر من أنكر عليه إلا لدقة كلامه لا غير فأنكروا على من يطالع كلامه من غير سلوك طريق الرياضة خوفاً من حصول شبهة في معتقده يموت عليها لا يهتدي لتأويلها على مراد الشيخ ، وقد ترجمه الشيخ صفي بن أبي المنصور وغيره بالولاية الكبرى والصلاح والعرفان والعلم ، فقال : هو الشيخ رأس أجلاء العارفين والمقربين ، صاحب الاشارات الملكوتية، والنفحات القدسية ، والأنفاس الروحانية ، والفتح المونق، والكشف المشرق، والبصائر الخارقة ، والسرائر الصادقة، والمعارف الباهرة، والحقائق الزاهرة، له المحل الأرفع من مراتب القرب في منازل الأنس ، والمورد العذب في مناهل الوصل ، والطول الأعلا من معارج الدنو ، والقدم الراسخ في التمكين من أحوال النهاية ، والباع الطويل في التصرف في أحكام الولاية ، وهو أحد أركان هذه الطريقة رضي الله عنه .

وكذلك ترجمة الشيخ العارف بالله تعالى سيدي محمد بن أسعد اليافعي رضي الله عنه ، وذكره بالعرفان والولاية ، ولقبه الشيخ أبو مدين رضي الله عنه بسلطان العارفين ، وكلام الرجل أدل دليل على مقامه الباطن ، وكتبه مشهورة بين الناس لاسيما بأرض الروم ، فانه ذكر في بعض كتبه صفة السلطان جد السلطان سليمان بن عثمان الأول وفتحه القسطنطينية في الوقت الفلاني ، فجاء الأمر كما قال : وبينه وبين السلطان نحو مئتي سنة ، وقد بنى عليه قبة عظيمة ، وتكية شريفة بالشام فيها طعام وخيرات، واحتاج إلى الحضور عنده من كان ينكر عليه من القاصرين بعد أن كانوا يبولون على قبره رضي الله عنه

وأخبرني أخي الشيخ الصالح الحاج أحمد الحلبي أنه كان له بيت يشرف على ضريح الشيخ محيي الدين فجاء شخص من المنكرين بعد صلاة

العشاء بنار يريد أن يحرق نابوت الشيخ ، فخسف به دون القبر بتسعة أذرع فغاب في الأرض وأنا أنظره ، ففقده أهله من تلك الليلة ، فأخبرتهم بالقصة فجاءوا وحفروا فوجدوا رأسه ، فكلما حفروا نزل وغار في الأرض إلى أن عجزوا وردموا عليه التراب .

وكان رضي الله عنه أولا يكتب الانشاء لبعض ملوك المغرب ، ثم تزهد وتعبد وساح ودخل مصر والشام والحجاز والروم ، وله في كل بلدة دخلها مؤلفات ، وكان الشيخ عز الدين بن عبد السلام شيخ الاسلام بمصر المحروسة يحط عليه كثيراً ، فلما صحب الشيخ أبا الحسن الشاذلي رضي الله عنه ، وعرف أحوال القوم ، صار يترجمه بالولاية والعرفان والقطبية .

مات رحمة الله عليه سنة ثمان وثلاثين وستمئة ، وقد سطرنا الكلام على علومه وأحواله في كتابنا (تنبيه الأغبياء ، على قطرة من بحور الأولياء) فراجعه والله تعالى أعلم ، انتهى ، وما ذكره من كونه رضي الله عنه بالتعريف الخ قال ابن الطيب الشرقي في (حاشية القاموس) عند ذكره في عرب قوله : وابن عربي — أي بغير ألف ولام للفرق بينه وبين القاضي أبي بكر ابن العربي المذكور قبله — وهذا اصطلاح اصطلح عليه الناس وتداولوه ، وإلا فالموجود بخط الشيخ محيي الدين قدس سره هو ابن العربي بالألف واللام كما في فتوحاته وغيرها من كتبه والله أعلم ، وشهرتهما كافية في الاقطار ، انتهى .

ومن كتب الامام ابن عربي التي نقل عنها في (النفح) (الاسفار ، عن نتائج الاسفار) وقد زرت قبره رضي الله عنه بالصالحية من دمشق لما كنت فيها حيث رجعت من الحج تقبل الله بمنه .

وقال السيد عبد الحي في (إفادة النبيه ، مَن ادعى الاجتهاد أو ادعي فيه) ما نصه : ومنهم إمام العارفين الشيخ الأكبر قدس سره ، كان مالكياً ، ثم تحول شافعياً ، ثم استقل بنفسه ، وكتاب العبادة من فتوحاته يصيح بذلك وهو القائل :

نسبوني إلى ابن حزم وإنـــي ... لست ممن يقول قال ابن حـــزم
بل ولا غيره فان كلامـــي ... قال نص الكتاب ذلك حكمـــي
أو يقول الرسول أو أجمع الخلـــ ... ـــق على ما أقول ذلك علمـــي

انتهـى .

ودفن عند قبره ولده الفاضل الأديب سعد الدين المتوفي سنة 656 ، كما دفن هناك الامام سيدي عبد القادر بن محيي الدين الجزائري (1) وزرت الجميع لما حللت بالشام بعد الرجوع من الحج (2) .

551) محمد بن مروان ابن فهد اللخمي الاشبيلي

محمد بن مروان بـن محمد بن محمد بـن محمد بـن مروان بن سعيد ابـن فهد اللخمي الاشبيلي أبو بكر .

قال في تاريخ غرناطة كان متحققاً بالعربية ، حافظاً للغة ، ضابطـاً لها ، بارع الأدب ، تام العناية بشأن الرواية ، جمّاعاً للكتب ، روى عن نجبة وابن عروس النحويين ، ولد قبل التسعين وخمسمئة ، ومات بمراكش .

انتهى من (بغية الوعاة) .

552) محمد بن عبد الله الأغماتي الرقوطي

محمد بـن عبد الله بن أبي بكر القيسي مـن أهل إشبيلية ، يعـرف بالأغماتي ، لأن أصله منها .

روى عن أبي عبد الله ابن عسكر ، وتفقه بأبي عمرو ابن مرجي قـرأ عليه المدونة ، وولي القضاء ببعض الجهات ، أخذ عنه بعض أصحابنا ، وحكي عنه أنه ولد برقوط في صفر سنة ست وأربعين وخمسمئة ، ولم يذكر وفاته .

انتهى من (التكملة) (3) .

---

1) نقل جثمان الحاج عبد القادر بن محيى الدين الى مدينة الجزائر فدفن بها بعد استقلال الجزائر بقليل .

2) ينظر عن ابن العربى الحاتمى : **الذيل والتكملة** 6 : 493 ع 1277 **وعنوان الدراية** ص 156 **والوافى بالوفيات** 4 : 173 **وفوات الوفيات** 2 : 478 **وشذرات الذهب** 5 : 190 **والنجوم الزاهرة** 6 : 339 **ومرآة الزمان** ص 736 **ونفح الطيب** 2 : 161 **ولسان الميزان** 5 : 311 .

3) ترجمه ابن عبد الملك فى **الذيل والتكملة** 6 : 275 ع 710 بأوسع مما فى **التكملة** ، وقال ولد برقوط فى صفر 546 وكان حياً فى صفر 614 هـ وينظر عنه ايضاً **برنامج شيوخ ابن الفخار الرعينى** ص 78 .

553) محمد بن عبد الله ابن الصفار الأوسي

محمد بن عبد الله بن عمر بن علـي بن إسماعيل بن عمـر الأنصاري الأوسـي الضريـر ، مـن أهـل قرطبة ، يعـرف بابن الصفـار (1) سمع أبا القاسم ابن بشكوال ، وأبا بكر ابن الجد ، وأبا عبد الله ابن زرقون ، وأبا القاسم ابن حبيش ، وأبا محمد بن عبيد الله ، وأبا خالد ابن رفاعة ، وعبد الله ابن يزيد السعدي ، وأبا جعفر ابن مضا ، وأبا محمد ابـن الفرس ، وأبا ذر الخشني وغيرهم ، وأخذ القراءات عن أبي القاسم الشراط وسمع منه، وكتب إليه أبو بكر ابن خير ، وأبو زيد السهيلي ، وأبو الحسن ابن كوثر ، وأبو بكر ابن أبي جمرة ، وأبو العطاء ابن نذير وغيرهم ، وحدث بالاجازة العامة لأهل الأندلس عن أبي الطاهر السلفي ، وعن الخشوعي ، وكانت له رحلة إلى المشرق لقي فيها أبا يحيى ابن الحداد ، وبقابس أبا القاسم ابن مجكان ، وكانا من أصحاب أبي عبد الله المازري ، وأجازا له ، وقفل بعد ذلك إلى المغرب ولم يحج ، فسكن مراكش وأقرأ هنالك ، وتجول كثيراً في الفتنة وقبلها ، واستقر آخراً بمدينة تونس ، وبها لقيته في شعبان سنة 636 ، ثم صحبته بعد ذلـك طويلا ، وسمعت منه بعض روايته ، وأجاز لي بلفظه غير مرة ، وأملى عليَّ أسماء شيوخه ، وادعى الاكثار عنهم فاستربت بذلك ، وخفت أن يتساهل في الروايات تساهله في الأخبار والحكايات، وكان يقرىء العربية والآداب، ويسمع الحديث، وشارك في جميعها مع حظ من قرض الشعر وادراك في النثر ، وتوفي ضحى يوم الأربعاء الثالث عشر من جمادى الآخرة سنة 639 ، ودفن لصلاة العصـر منه بمقربة من المصلى بظاهر تونس ، وقد نيف بزعمه على السبعين .

قاله ابن الأبار في (التكملة) (2) .

وقال في (نفح الطيب) ومنهم ابن الصفار القرطبي ، قال في (القدح المعلـى) : بيته مشهـور بقرطبة لم يزل يتوارث فـي العلم والجاه وعلـو

---

1) ذكر ابن عبد الملك في ترجمته من **الذيل والتكملة** 6 : 288 ع 773 أنه يعرف بابـن الصفار والبرنامج وفسر معنى هذه التسمية .

2) **التكملة** 2 : 647 ع 1668 .

المرتبة ، ونشأ محمد هذا حافظاً لفنون الآداب ، إماماً في علم الحساب مع أنه كان أعمى مقعداً مشوه الخلقة ، ولكنه اذا نطق عَلِم كل منصف حقه ، ومن عجائبه أنه سافر على تلك الحالة ، حتى غدت بغداد له هالة ، اجتمعت به بحضرة تونس ، فرأيت بحراً زاخراً، وروضاً ناضراً، إلا أنه حاطبُ ليل، وساحب ذيل، لا يبالي ما أورده ، ولا يلتفت إلى ما أنشده ، جامعاً بين السمين والغث ، حافظاً للمتين والرث ، وكان أقرأ الأدب بمراكش وفاس وتونس وغيرها .

ومن مشهور حكاياته أنه لما قال عبد الرحمان الفازازي في إدريس الموحد المستنصر بالهرب على أهل مراكش قصيدته التي مطلعها : (الحزم والعزم منسوبان للعرب) ، (1) عارضه بقصيدة ذمّ فيها أنصاره ، ثم قال فيه وفي أخيه يحيى ابن الناصر الذي نازعه في ذلك الأوان :

وان ينازعك في المنصور ذو نسب فنجل نوح توى في قسمة العطب
وان يقل أنا عم فالجواب له عم النبي بلا شك أبو لهب

وشاعت القصيدة فبلغت إدريس فحرض على قتله ، وسلمه الله تعالى منه ، ومات سنة تسع وثلاثين وستمئة .

ومن شعره قوله :

لا تحسب الناس سواء إذا تشابهوا فالناس أطوار
وانظر إلى الأحجار ، في بعضها ماء ، وبعض ضمنه نار

وقال :

ياطالعاً في جفوني وغائباً في ضلوعي
بلغتَ في السخط ظلما وما رحمت خضوعي
إذا نويت انقطاعا فاحسبْ حساب الرجوع

انتهى باختصار يسير (2) .

---

1) تنظر قصيدة عبد الرحمان الفازازى وجواب ابن الصغار عنها فى الذيل والتكملة 6 : 288 ع 773 .

2) اختصار القدح المعلى ص 203 ع 64 .

وقال في محل آخر من (النفح) : وقال محمد ابن الصفار ـ وهو من بيت القضاء والعلم بقرطبة ـ (لا تحسب النـاس سواء متى) البيتين المتقدمين ، انتهى .

وترجمه في (الذيل والتكملة) أيضاً .

554) محمد بن عيسى المومناني الحسني

محمد بن عيسى بن معنصر بن إبراهيم بن دوناس بن زكرياء بن سعد الله بن سعيد بن محمد بن منيف بن برون بن وكيل بن هاشم بن هشام بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن محمد بن الحسن بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أبو عبد الله المومناني .

نزل بعض سلفه بني مومنان من حوز فنـدلاوة بحومة فـاس ، روى عن أبيه وعن أبي ذر الخشني وأبي موسى عيسى الجزولي وجماعـة كثيرة ، وكان مشاركاً في فنون .

قتل بمراكش سنة تسع وثلاثين وستمئة .

أطال في ترجمته في (الذيل والتكملة) ، وبيَّن سبب قتله حيث أدخله الرشيد القصر فكان آخر العهد به مع عمر بن عبد العزيز بن يوسف بن عبد المومن بسبب التعرض لما لا يعنيه من الأمور السلطانية .

وقال ابن الأحمر في ترجمته من حديقته : محمد بن عيسى ابن معي النصر المومناني الشريف الحسني الفقيه الامام المفتي المدرس القاضي أبو عبد الله، كان شريفاً حسنياً فاسياً ، يدعى بالامام لسعة علومه فـي المنقول والمعقـول ، ولي قضاء قرطبة ومراكش زمن الموحدين ، وكان فقيهاً عالماً صالحاً مستبحراً مفتياً مدرساً من أهل الرأي ، مقدماً في الفتوى ، شديد الفهم ، كثير الحفظ ، عارفاً بالفقه والأصـول والفروع والحديث ، وعلمـه وأسانيده وتخريجـه .

انتهى ولم يذكر وفاته ، نقله في (الجذوة) و (النيل) (1) .

---

1) جذوة الاقتباس ص 215 ع 180 طبع الرباط ، ونيل الابتهاج ص 228 .

وترجم في (الجذوة) لحفيده معاصر ابن الأحمر أبي الحسين محمد بن عبد الرحمان بن أبي بكر محمد بن محمد بن أبي موسى عيسى ابن معنصر الحسني المومناني (1) ، كما ترجم لعيسى المذكور في (الحديقة) و (الجذوة) (2) وحسبك من سعة علمه أن الامام القاضي عياض بن موسى كان إذا نقل مسألة فقهية يقول : « قاله عيسى المومناني فقيه أهل فاس » ، انتهى .

وقال في (السر الظاهر) بعد أن تكلم على رفع نسب المومنانيين ، ونقل عن ابن الأبار في (التكملة) ، وابن الخطيب في بعض نسخ (الاحاطة)ما نصه : وإلى يحيى الفقيه العابد يرفع نسب جد المومنانيين أبي العباس أحمد بن عبد الله بن عيسى بن أبي بكر بن يحيي بن سعيد المدعو المومناني بن موسى الثالث بن يحيى الزاهد العابد بن موسى الثاني بن عبد الله أبي الكرام بن موسى الجون ، كما رفعه ابن الأبار في (التكملة) وابن الخطيب في بعض نسخ (الاحاطة)، وأبو العباس هذا هو دفين برج الذهب من غرناطة ، وكان له أعقاب بالأندلس وفاس ومراكش من العدوة على عهد الموحدين ، ذكر ابن الأحمر في حديقته جماعة منهم ، وأثنى عليهم بعلو المكانة في العلم والدين والصلاح ، وحلاهم بالنسب الشريف ، وكذلك غيره ممن ترجم للأعيان من العلماء والصالحين ، غير أن ابن السكاك قال في حق المتأخرين منهم : أنهم خرجوا من الشرف ، ونصه : وإني لأعجب من خروج بيته عن الشرف ، ولم أقف قط على سبب ذلك ، وهم المومنانيون ، ورأيت في كتاب ابن الأبار ، وفي كتاب آخر لمؤلف آخر عرف بالرجال إلى أن ذكر فيه بعض أجدادهم ، فرفع نسبهم ، وكان شرفهم حينئذ أظهر من علم في رأسه نار ، فلا أدري سبب انسلاخ هؤلاء المتأخرين عنه ، انتهى .

قلت ولعل السبب في خروج متأخريهم سكوت آبائهم عن إفشائه لاشتغالهم بالعلم وتعاطي أسبابه الزمن الطويل على طريقة السلف الأول من أربابه ، ثم خروجهم عنه بعد ثبوته لآبائهم كما تقدم لا يوجب انسلاخه عنهم

1) جلوة الاقتباس ص 224 ع 193 طبع الرباط .

2) جلوة الاقتباس ص 500 ع 569 طبع الرباط .

وسلبه ، إذ الشرف ذاتي لمن اتصف به ، يستحيل سلبه عنه ، فلمن أراد التمسك به بعد من الخارجين ومن عقبهم طريق واسع في التوصل إليه ، لا يصدون عنه بوجهٍ ، كما في (نوازل المعيار) عن ابن رشد ، انتهى .

وقال الزياني آخر منظومة الأنساب ما نصه :

كالمنجري وأبي عنـــــــــان كذا المريني ثم المومنانـــــي
فهؤلاء صرحا بني إدريــــــس وكلهم في ضمن ذا العقد النفيس
في كتب القوم جميعاً رسمــــوا وبظواهر الملوك احترمــــــوا
فهذه فضيلة مؤكـــــــــدة وسنة حسنة مسرمـــــــــدة

555) محمد بن عبد الله ابن الحاج التجيبي

محمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن خلف بن ابراهيم التجيبي ، من أهل قرطبة ، يعرف بابن الحاج ، ويكنى أبا الحسين ، سمع أبا العباسِ المجريطي ، وأبا جعفر بن يحيى ، وأبا القاسم ابن بقي ، وأبا محمد ابن حوط الله ، وغيرهم ، وأجاز لـه أبو عبد الله ابـن زرقون ، وأبـو محمد ابن عبيد الله ، وأبو جعفر ابن مضا ، وأبو القاسم الشراط ، وأبو الوليد يزيد ابن بقي ، وأبو محمد ابن الفرس ، وجماعة سواهم، وولي القضاء بغرناطة وبالجزيرة الخضراء ، فحمدت سيرته وأخذ عنه يسير (1) .

ولد يوم الثلاثـاء السادس عشر لشعبـان 574 ، وتوفي بمـراكش سنة 641 ، ذكر وفاته ابن فرتون .

ترجمه ابن الأبار (2) .

556) محمد بن يحيى ابن المواق

محمد بـن يحيى بن خلف بن فرج بـن صاف . . . . . مـراكشي ، قرطبي الأصل قديماً ، فاسيه حديثاً أبو عبد الله ابن المواق . . . . أمية ابـن

1) في ملحق التكملة المطبوع بمدريد (2 : 760) : وأخذ عنه ابن مسدى ، وقال مـات فـي المحـرم .

2) التكملة 2 : 653 ع 1675 .

عفير ، وأبي بكر يحيى بن عبد الرحمان ابن ثابت ، وأبي الحسن ابن القطان ، ولازمه واختص به ، وابن قطرال ، ومحمد ابـن سلمون ، وأبي ذر بن أبـي ركب ، وأبي الربيع ابـن سالم ، وأبي عبـد الله ابن خلفون ، وابـن دادوش والشاري ، وأبي العباس العزفي ، والنباتي ، وأبي علي الرندي ، وأبي القاسم ابن بقي ، وأبي محمد عبد الحق الزهري ، وأبي مروان الباجي ، وأبي الوليد ابن الحاج .

روى عنه أبو بكر بن عثمان ابن السجلماسي ، وأبو جعفر بن محمد بن عبد الحميد ، وأبو الحجاج بن علي ابن عشرة ، وأبو الحسن الرعيني شيخنا، ومحمد ابن عتيق بن علي ، وأبو الخطاب سهل ابن زغبوش ، وأبوزكريا بن عبد الله بن يعقوب ، وأبو عبـد الرحمان عبد الله بن زغبوش ، وأبـو الفضل الغرابيلي ، وأبو أمحمد بن القاسم الحرار ، وابن مطروح ، وكان فقيهاً حافظاً محدثاً مقيِّداً ضابطاً متقناً نبيل الخط بارعه ناقداً محققاً ذاكراً أسماء الرجال وتواريخهم وأحوالهم ، وله تعقب عـلى كتاب شيخه أبي الحسن ابـن القطان المرسوم بـ (بيان الوهم والايهام ، الواقعين فـي كتاب الأحكام) ، جمـع عبد الحـق ابن الخراط الجاري عليه اسـم (الأحكام الكبرى) ، ظهر فيـه إدراكه ونبله ومعرفته بصناعة الحديث ، واستقلاله بعلومه ، واشرافه على علله وأطرافه ، وتيقظه وبراعة نقده واستدراكه ، وقد عنيت بالجمع بيـن هذيـن الكتابين مضافين إلى سائر أحاديث الأحكام ، وعلى ترتيبها وتكميل ما نقص منها ، فصار كتابي هذا من أنفع المصنفات ، وأغزرها فائدة ، حتى لو قلت انه لم يؤلف في بابه مثله لم أبعد ، والله ينفع بالنية في ذلك .

ولأبي عبد الله أيضاً مصنفات غير ما ذكر ، منها شيوخ الدارقطني ، وشرح مقدمة صحيح مسلم ، ومقالات كثيرة في أغراض شتى حديثية وفقهية، وتنبيهات مفيدة ، ووقفت على جملة من (شرح الموطأ) في غاية النبل وحسن الوضع ، وكل ذلك شاهد بوفور معارفه وتبريزه ، واستقضي ببلنسية ، وفاس . . . . سنة ثلاث وثمانين وخمسمئة ، ونشأ بمراكش واستوطنها . . . . سنة ثنتين وأربعين وستمئة .

انتهى من (الذيل والتكملة ، لكتابي الموصول والصلة) لابن عبد الملك المراكشي ، وستأتي ترجمة أبي الحسن علي بن محمد المعروف بابن القطـان .

وقال في (التكملة) في ترجمة والد المترجم ما نصه : أبو بكر بن خلف الأنصاري الفقيه المستبحر من أهل قرطبة ، وسكن مدينة فاس ، يعرف بالمواق ، ويكنى أبا يحيى ، سمع إبراهيم ابـن قرقول ، وأبا عبد الله ابـن الرمامة وغيرهما ، وكان حافظاً حاملا في علـم الفقه والخلاف فيه ، مـلازماً للتدريس ، تام النظر لا يدانيه أحد في ذلك ، وله تنبيهات ومقالات مفيدة منها في المكاييل والأوزان ، وعني بالحديث عـلى جهة التفقه والتعليـل والبحث عن الأسانيد والرجال والزيادات وما يعارض أو يعاضد ، ولم يعن بالرواية ، وقد حدث وسمع منه أبو الحسن ابن القطان ، وسماه أبو الربيع ابن سالم في شيوخه ، وحظي بخدمة السلطان بمراكش ، فنال دنيا عريضة ، واعتقل أموالا جليلة ، وولي قضاء مدينة فاس ، وتوفي بها وهو يتولاه في آخر شوال سنة تسـع وتسعين وخمسمئة ، ودفـن بداره المعروفة به بدرب ابن صاف مـن داخـلـهـا .

انتهى كلام (التكملة) .

وزاد من أشياخه في (التشوف) أبا الربيع سليمان بن عبد الرحمان ابن المعز الصنهاجي المعروف بالتلمساني لدى ترجمة أبي الربيع المذكور المتوفي بفاس سنة 579 ، واقتصر في ترجمته من (الجذوة) في حرف الباء على ما تقدم عن (التكملة) ولم ينسبه لها .

وقال في (التنبيه) ما نصه : ومنهم سيدي صافي بدرب ابن صافي في الدار الأولى عن يسار الداخل للدرب المذكور ، انتهى . وما زال ضريحـه معروفاً بها إلى الآن عليه مقبرية من رخام ودربوز وهو مزار متبرك به .

تنبيـه

يشارك المترجم فـي اسمه وكنيته والشهـرة بابن صاف أبو بكـر

محمد بن خلف بن محمد بن عبد الله ابن صاف اللخمي الاشبيلي المقرىء النحوي المتوفي سنة 586 ، المترجم في (بغية الوعاة) ، وفي (طبقات القراء) لابن الجزري ، وجعل وفاته سنة 585 عن قريب الثمانين سنة .

وممن نقل عن المترجم شراح ألفية العراقي في اصطلاح الحديث منهم شارحها وناظمها الحافظ زين الدين عبد الرحيم العراقي ، والشيخ زكريـــاء الأنصاري ، فالأول عند ذكر الحسن في موضعين ، ووصفه بالحافظ أبي عبد الله بن أبي بكر ابن المواق ، وعند ذكر العنعنة . ونقل عن كتابه (بغية النقاد). والثاني عند آخر الكلام على الحسن .

وقال في (كشف الظنون) و (بغية النقاد) في أصول الحديث للامام الحافظ عبد الله ابن المواق ، انتهى . وقد علمت أن اسمه محمد ، وأن كنيته أبو عبد الله .

557) محمد بن قاسم ابن منداس

محمد بن قاسم بن منداس بن . . . . بني زغنا أشيري الأصل السلف أبو عبد الله بن منداس . . . . عن نزيلها أبي موسى القزولي ، واختص به وصحبه إلى الأندلس . . . . الأخذ عنــه والاستفادة منه ، ثم تحول إلى مراكش وروى بمالقة . . . ابن الشيخ وأبي عبد الله محمد بن حسن الأنصاري ، وبقابس عن أبي القاسم ابن مجكان آخر الرواة عن أبي عبد الله المازري ، وسمع أيضاً من أبي الحسن ابن مومن ، وأبي ذر الخشني ، وأبي الصبر الفهري ، وأبي محمد ابن عبيد الله ، وحدث بالاجــازة العامة عن أبي الطاهر السلفي ، وروى عنه أبو محمد بن محمد ابـــن عبادة ، وحدث عنه بالاجازة أبو عبد الله ابن الأبار ، والرئيس أبو القاسم العزفــي ، وحدثنا عنه مكاتبة .

وكان مستبحراً في النحو حافظاً لأقوال أهله ، عني به كثيراً ، والتزم تدريسه ببلده الجزائر إلى غاية عمره .

ولد بالجزائر مستهل جمادى الأولى سنة سبع وخمسين وخمسمئة .

وتوفي بها في أول جمعة مـن محرم ثلاث ، وقيل خمس وأربعيـن وستمئـة .

انتهى من (الذيل والتكملة) (1) .

558) **محمد بن يحيى بـن داوود التادلـي** ، مراكشي ، أخذ النحـو بالأندلس عن أبي عبد الله بن محمد ابن أبي البقا وعليه معوله ، وبمراكش عن أبي موسى الجزولي .

روى عنه أبو الحسن طاهر بن علي ، وكان موصوفا بالذكاء وثقوب الذهن ، مبرزاً في النحو ، متحققاً بـه ، درسه طويلا بجزيرة شقر وغيرهـا ، واستقضـي .

ذكره في (الذيل والتكملة) .

559) **محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن عمر السلمي** ، فاسي ، شقري الأصل .

روى عن عمه القاضي أبي حفص بن عمر ، ولازمه باشبيلية وغيرها، وروى عنه أبو يعقوب ابـن الزيات ، وكان فقيهاً عاقـداً للشروط ، بصيـراً بمعانيها ، تلبس بها في مراكش وفاس وإشبيلية وغيرها ، بارع الخط ، حافظاً للتواريخ والآداب ، نبيلا في جميع محاولاته .

ذكره في (الذيل والتكملة) .

560) **محمد بن إبراهيم ابن غالب المالقي**

محمد بـن إبراهيم بن عبد الله بـن إبراهيم ابن غالب المالقـي أبو عبد الله .

---

1) له ترجمة في **التكملة** 2 : 658 ع 1681 .

قال ابن نقطة : سمع بالأسكندرية من أبي الحسن ابـن المقدسي ، وكان فاضلا ، رأيت بخطه إجازة بمصر لبعض المصريين في رجب 604 ، وسمع بمصر شيئاً من الخلعيات .

قال ابن فرتون الفاسي في (ذيل تاريخ الأندلس) : روى بمالقة ، ورحل إلى المشرق ، وحج ولقي أبا الحسن علي بن الفضل المقدسي ، وأخذ عنه كتاب (تحقيق الجواب ، عمن أجيز له ما فاته من الكتاب) من تآليفـه ، ورجع إلى الأندلس ، ثم نهض إلى مراكش فتوفي في أقصى بلاد السوس فـي حدود سنة 645 ، رحمه الله تعالى .

نقله في (نفح الطيب) (1) .

561) محمد بن أحمد ابن خليل السكوني

قال في (الذيل والتكملة) بعد ذكره ما نصه : لبلي الأصل ، إشبيلي المنشأ والمسكن ، أبو عمر أخو أبي الحكم وأبي الخطاب المذكور آنفاً ، وأبي الفضل ، وأبي بكر يحيى الآتي ذكره بعد إن شاء الله ، تفقه على أبيه وعميـه أبي زيد وأبي محمد عبد الحق ، وروى عن آباء بكر ابن الجد ، وابن مالك ، والنيار ، وأبوي القاسم ابن بشكوال والحوفي ، وأبي الحسن بن لبال ، وأبي زيد السهيلي ، وأبي عبد الله ابن زرقون ، وأبي العباس ابن مضا ، وأبـوي محمد ابن جمهور ، والحجري ، وأجاز له من أهل المشرق آباء الطاهر الخشوعي ، والسلفي ، وابن عوف ، وله شيوخ غير هؤلاء .

وكان حسن المشاركة في فنون من العلم،فقيهاً حافظاً جيد القيام على المذهب المالكي ، ذاكراً مسائله ، وجمع بين (الرسالة) و (التفريع) و (التلقين) جمعاً محكماً ، وصنف في الطب والبيطرة وصنعة ركوب الخيل وتدبير الحروب وتعليم الثقاف والرمي ، ومن أين يرمي على منتحل ذلك ، وما ينبغي أن يأخذ به نفسه ، ومعرفة شيات الخيل ودلائل العتاقة ، وجمع بين كتابي أبي مروان ابن زهـر

1) **نفح الطيب** 2 : 52 و 3 : 311 .

وابنه أبي بكر في الأغذية جمعاً حسناً ، وأضاف إليهما فصل ذكر الخواص والكليات الواقعة في تيسير ابن زهر ، وألف غير ذلك ، واستقضي بغير موضع من أقطار اشبيلية ، وورد مراكش ، ورأيته فيها ، وأقام فيها مدة ليسمت بالطويلة متلبساً بعقد الشروط ، ثم عاد إلى الأندلس فاستوطن لبلة بلد سلفه إلى أن عرض له توجه إلى اشبيلية زائراً بعض ذوي قرابته بها ، ففقد في وجهته تلك فلم يعثر له على خبر ، كذلك أخبرني ابنه أبو الحكم أحمد ، وقال ابن الزبير : إنه فقد في طريق لبلة عند خروج أهل اشبيلية منها سنة ست وأربعين وستمئة ، وخبر ابنه أولى بالاعتماد عليه ، والله أعلم .

562) **محمد بن هاشم الأوسي** ، المراكشي ، السلوي ، القرطبي السلف ، استوطن مراكش وقتاً ، ثم رحل إلى الأندلس ، وسكن اشبيلية مدة، وشريش أخرى ، ومنها فصل لرحلته الثانية سنة ثمان وأربعين وستمئة .

أخذ عنه قاضي مراكش أبو عبد الله محمد بن عبد الملك الأوسي ، وسيأتي ذكره في ترجمة أبي القاسم محمد بن أحمد الفاسي مبسوطاً نقلا عن كتاب (استنزال السكينة) .

563) **محمد بن الحسن . . . . بن محمد بن حسن** التميمي مهدوي ، سكن بآخرة مراكش أبو عبد الله . . . . أخو أبي . . . . المذكور قبل كان شيخاً حسن الخلق كريم الطباع . . . . بارأ بكل من يغشاه من أصحابه ومعارفه ، استقضي بشريش وبأغمات . . . . فشكر في طريقته ، وعرف بالعدل والتودة، وولي بمراكش خطة المناكح ، . . . . واستمر بها محمود السيرة إلى أن توفي سنة خمسين وستمئة ، ودفن بجبانتهم بباب تاغزوت داخل مراكش ، واحتفل الناس لشهود جنازته ، واثنوا عليه صالحاً .

ذكره في (الذيل والتكملة) .

564) **محمد بن الحسن بن حجاج بن يوسف التجيبي** ، مراكشي أبو عبد الله .

روى عن أبيه وطائفة من أعلام بلده ، وكان ذكياً نبيلا حاذقا ، له اعتناء تام بكتاب السيرة ،جيد الكـلام ، . . . . . وبسبتة حين أوبه إليها أيـام المتأمر بها أبي العباس . . . . بجامع القرويين الأعظم بفاس ، وكانت أولى صلاة صلاها به ، . . . . الثلاثاء لأربع عشرة ليلة خلت من محرم ثلاث وخمسين وستمئة . . . . صلاها عشاء ليلة وفاته ، وصلاها بالضحى « وألم نشرح » وانصرف إلى . . . . فتوفي فجأة لبلة الأحد الرابعة عشرة ؟ سنة . . . . ابن اثنين وثمانين عاماً ، وصلى عليه ابنه الخطيب بجامـع القرويين في . . . . وخليفته فـي إقامة الفريضة بعد وفاته أبو القاسم عبد الرحمان ، ودفن بروضة سلفه بحومة القلالين من عدوة الأندلس بفاس ، وكان الحفل في جنازته عظيماً لم يتخلف عنها كبير أحد ، وأسف الناس لفقده ، وأطابوا الثناء عليه ، وصحبتْه مـن داره إلى مدفنه طير شبه الخطاطيف لا عهد بهـا غطت الأفق كثرة ، فكانـت ترفرف على نعشه حتى ووري فتفرقت ، ولم يُر شيء منها بعد ، وطال تعجب الناس منها والتحدث بها دهراً ، وقد جرى له ذكر في رسم أبي محمد بن عبد الرحمان العراقي .

ذكره في (الذيل والتكملة)، وسيأتي ذكر جده حجاج ووالده الحسن.

565) محمد بن عبد الوهاب ابن الحنبلي الأنصاري

محمد بـن عبد الوهاب بن عبد الكافي بـن عبد الوهاب الأنصاري ، دمشقي ، أبو بكر ، وأبو سعد ، وأبو عبد الله ابن الحنبلي .

روى عن أبي الفرج ابن الجوزي ، روى عنه أبو جعفر ابن الزبير وأبو عبد الله بن أبي بكر ابن رشيد البغدادي الواعظ ، وصاحبنا أبو القاسم هبة بن محمد بن أبي بكر بن سعيد بن عبد الغفور الأوسي ، ولقيته وجالسته كثيراً ، وسمعت وعظه ، وكان لا يكاد يفقه ما يقول لافراط عجمة كانت في لسانه ، فلا يفهمه إلا من ألفه ، وكان أصم لا يكاد يسمع شيئاً ، فقيهاً حنبلي المذهب ، آية من آيات الله في كثرة الحفظ وحضور الذكر وحشد الأقوال في ما يجري

بمجلسه الوعظي أو يحاضر به في غيره ، سريع الانشاء ، ناظما وناثراً مع الاحسان في الطريقتين ، جيد الخط والكتب على كبرته ، ورد مراكش في وسط اثنتين وخمسين وستمئة ، . . . . اثنين وثمانين عاماً ، ولم يكن في رأسه ولحيته من الشيب إلا . . . . والحصر ، وأخبرني أنه عرض وهو ابن عشرين عاماً على أبي . . . . كتابه (المنتخب) عن ظهر قلب ببغداد ، وفصل عن مراكش ذلك العام ، . . . . واجتاز بسبتة ، وقد كان دخلها أول ذلك العام ، وأجاز منها البحر متطوفاً على البلاد يعقد فيها مجالس الوعظ .

ولد بدمشق في حدود السبعين وخمسمئة .

وتوفي ببلبيس من مصر سنة سبع وخمسين وستمئة .

انتهى من (الذيل والتكملة) .

566) محمد بن أحمد ابن الطراوة السبائي

محمد بن أحمد بن محمد بن أبي الحسين سليمان بن محمد بن عبد الله السبائي ، مراكشي ، مالقي أصل السلف ، أبو عبد الله ابن الطراوة .

قال في (الذيل والتكملة) بعد ما تقدم ما نصه : وهوابن أخت الكاتب أبي الحسن علي ابن عياش القرطبي اليابري ، روى عن أبي إسحاق الزوالي ، وأبي جعفر ابن عون الله الحصار ، وأبي الحسن سهل بن مالك ، وابن حزمون ، وابن القطان ، وابن يوسف ابن شريك ، وأبي زكرياء المرجيقي ، وأبي الصبر الفهري ، وأبي عبد الله بن الجذع ، وأبي العباس بن إبراهيم المكادي ، وأبي محمد ابن حوط الله وغيرهم ، وكان حافظاً للتواريخ على تباين أنواعها ، ذاكراً لها ، محاضراً بها ، أديباً بارعاً كاتباً محسناً ، يقرض شعراً يُحسن في أقله ، ممتع المجالسة ، بارع الخطب ، رائق الطريقة ، أنيق الوراقة ، متقن التقييد، مليح التنديد ، نسّابة لخطوط الأشياخ ، كثير الاحكام لأموره وأدواته كلها ، ظريف الملابس ، شديد المحافظة على كتبه ، مثابراً على الاعتناء بتصحيحها ،

متهمما باقتناء الأصول التي بخطوط أكابر الشيوخ أو عنوا بضبطها ، وجمع منها جملة وافرة ، جالسته طويلا ، واستفدت بمذاكرته ومجاورته كثيرا . وكانت بينه وبين أبي رحمهما الله مودة قديمة متأكدة كان يذكرها . . . . . ولم استجزه ، ولا قرأت عليه ، وندمت على ما فاتني منه ، فقد كان . . . . . أفادتني رحمه الله .

توفي بسجلماسة ظهر يوم الأحد لست بقين . . . . . سنة تسع وخمسين وستمئة ، وقد شارف الثمانين عن عقب خامل ، انتهى .

567) محمد بن حسن ابن المحلي الفهري

محمد بن حسن بن عمر الفهري ، سبتي ، أبو عبد الله ابن المحلي ، روى عن أبي الحسن ابن خروف النحوي ، وأبي علي ابن الشلوبين ، وأبي الصبر أيوب الفهري ، وعدَّ في شيوخه أبا القاسم بن الطيب الحاج ابن معزوز ، وأبا عبد الله بن محمد ابن جوهر ، روى عنه أبو عبد الله بن ابراهيم البكري ، وأبو علي الحسن بن الحسن ابن مكسور الجنب ، والحسين الخماش، وأبو القاسم محمد بن عبد الرحيم ابن الطيب المذكور ، وأبو محمد عبد العزيز بن أحمد الهواري ، وجماعة من أهل سبتة .

وكان أديباً بارعاً كاتباً بليغاً ناظماً وناثراً ، عاقداً للشروط ، مبرزاً في العدالة نحوياً ماهراً حسن القيام على تفسير القرآن العظيم مذكراً، حلق بالتفسير في سبتة مدة فانتفع به خلق كثير، وكان على كلامه قبول، وله في النفوس تأثير ، واستقضي بسبتة يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من رجب أربع وخمسين وستمئة إثر وفاة قاضيها قبله الشريف أبي الحسن بن أبي الشرف رفيع ، واستمرت ولايته خطة القضاء مشكور الأحوال محمود السيِّر مستقيم الطريقة مشهور العدل إلى غاية عمره ، وكان طويلا نحيف الجسم نظيف الملابس وقوراً جميل الهيأة حسن الخلق ، يخضب رأسه ولحيته بالحناء ، ممن ساد بنفسه ، وكتب في شبيبته عن أبي عبد الرحمان يعقوب بن أبي حفص بن عبد المومن المدعو بعين الغزال أيام ولي مدينة فاس ، ووصل صحبته إلى مراكش .

وكان أبوه حسن قوّالا يغني في المحافل والأسواق . . . .
مجرباً بذلك ، والمتلبس بهذا العمل يعرف في بلاد المغرب بالمحلي . . . . .
شيخنا محلياً ذكر لي أنه من أصحابه ومقاوليه ، ومن شعره على . . . .

. . . . تعشق قلباً أنت مطلبه — أو يذهب الشوق روحاً أنت مذهبه
. . . . هوى خلق ليغلبه — إلا وحبك يدعوه فيغلبه
وكيف يرجو وصالا من تبعده — أو كيف يخشى بعاداً من تقربه
وكيف يخرب رَبْع أنت تعمُره — بل كيف يعمر مسكون تخربه
وقال أهل الهوى شأن الهوى عجب — فقلت إن سلوي عنك أعجبه
والعتب في سلوة الأحباب موقعه — عذب ، ولكن عتاب السر أعذبه
وكل حال الهوى صعب مسالكه — على المحب ، وسمع العذل أصعبه
يامن أناجيه ، والأشواق توهمني — نيل الوصال ، كأن الشوق يوجبه
كم طيبة لك بالألطاف توجدها — عند اللقا ، ومنائي منك أطيبه
فارحم تقلب قلبي فهو شيمته — حتى يكون بما ترضي تقلبه
رفقاً به فهو في حاليْ مناقضة — فالقبض يحزنه والبسط يطربه
ومنة الجود تدنيه فتؤنسه — وخشية الرد تقصيه فتحجبه
مناي َ أنت وحسبي أن تكون مُنى — ياواهباً رغباتي قبل أرغبه
كن كيف شئت فما لى عنك منصرف — فالعبد ليس سوى مولاه مطلبه

وقوله فيها أيضاً :

أبوح بما ألقاه فهو مباح — فقبليْ أرباب المحبة قد باحوا
إذا باح من قلبي ولم يلق بعض ما — لقيت فاني ما عليْ جُناح
أأحبابنا لا تحسبوا الصبر بعدكم — سخياً ، ولا أن الدموع شحاح
وان فنيتْ أجسادنا وقلوبنا — فتلك العهود السالفات صحاح
سمحتُ لكم بالنفس كي أربح الرضا — على ثقة ، إن السماح رباح
فؤاديْ منقاد إليكم مذلل — فما لي إذا لج العذول جماح
وهل من سبيل أن أطير إليكمُ ؟ — وقد حص بي ريش وقص جناح
تغير وقتي بعدكم ، فكأنما — صباحي مساء ، والمساء صباح

وأوحشتمُ فالكل في الأذن نايح   لديَّ وآفاق الوجـو . . . .
وما تفضل الأيام أخرى بذاتها   ولكنَّ أيام الملاح ملاح
خرستُ عن الشكوى إليكم مهابة   وألسُن حالي بالغرام فصاح
تمتع لحظي سنة في جمالكم   فان لاحظ الاغيارَ فهو سفاح
وياعجباً أني أسيرٌ وأنني   أناشدكم أن لا يتاح سراح
إذا هز أرباب السماع تواجد   فحظيَّ منه زفرةٌ وصياح
فهاأنا عند الباب منوا أو اطردوا   فماليَّ عنه كيف كان براح

وقوله فيها أيضاً :

غرامي دعاني والعذول نهاني   فوجد وعذل كيف يجتمعان
أما علما أني على الشحط والنوى   مقيم ، وأني والهوى أخَوان
يقولان لي : مـن ذا دعاك لما نرى ؟   فقلت : دعاني حبه ، فدعاني
ضمانٌ على قلبي الأسى بعد بُعدهم   إذا لم يكن يوم اللقاء بضمان
أعلل نفسي بالسلوِّ تعللا   وتلك أمانٍ ما بهن أمان
إذا خفق البرق اليماني بأفقكم   أقابل ذاك الخفق بالخفقان
وإن هملت مزن السحاب بأرضكم   يغالبها دمعي على الهملان
رعى الله جيران العذيب وأهله   وان أترعوني من هوى وهوان
همُ وعدوا بالغور ، ثم تراوغوا   وهم عنفوا بالنعف من بدلان
وصدوا على صدي وبالحيف خوفوا   وبانوا بذات البين صوب أبان
لئن حُجبوا عن ناظري فكأنهم   لقلبي يراهم فيه رأي عيان
وإن عميت أنباؤهم حيث يمَّموا   فسريَّ يرعاهمْ بكل مكان
وعنديَّ ما لا يمكن الشرح لفظه   وإن كنت وان والفصل بيان ؟
أورى بسلع والعذيب وحاجر   وتلك مغان ما لهن معان
أليس قبيحاً من نفوس نفائس   بأيدي الغواني المصبيات عوان
وأذكر سكان العذيب تستُّراً   وما ذكر سكان العذيب بشأن
. . . . من هو القلب كله   ومن ذكره في خاطري ولساني
. . . . لاحظت لم أر غيره   على أنه إذ لا أراه يراني

. . . . فأستحييه أن أشكوَ الهوى ومالي بما حملت منه يـــــدان
ومن فضله وجدي به وتوهلـــــي ومن وجوده ما أشتكي وأعانـــــي
ظهرت على حبي لـــه فكأنمـــــا يراني لمنعي الحب حـين يرانـــي

مولده إما فى آخر اثنتين وثمانين ، وإمـا فى أول ثـلاث وثمانيـن وخمسمئة ، وتوفي بها صبيحة يوم السبت لثلاث بقين من رجب إحدى وستين وستمئة ، ودفن ضحى يوم الأحد بعده .

انتهى من كتاب (الذيل والتكملة) .

568) **محمد بن علي ابـن العابد** ، فاسي ، أبو عبد الله أبـن العابد ، قدم الأندلس في حدود الثلاثين وستمئة ، واتسم بالكتابة عن الأمير محمد بن يوسف بن نصر ابن الأحمر ، وكان كاتباً ، محسناً ، شاعراً ، مطبوعاً ، تلبس حيناً بعقد الشروط والكتب عن قاضي الجماعة أبي الحسن بن محمد بن أبي عشرة الفاسي بمراكش ، وإياه فاتح أبو عبد الله ابن الجنان بالرسالة العينية حسبما مر ذكر ذلك في رسمه (1) .

وقال أبو القاسم عبد الكريم بن عمران : كتبت إليه أستقرضه بعض قريضه بعد أن شافهته بذلك ووعد به فمطل :

إذا الشعر وافى في شعار ابن عابد تقاصر فيه الوصف عن حسن موصوف
سَبَى مهجَ الرائين لألاءُ لؤلـــؤ له فوق أجياد الاجادة مرصـــوف
ورق نسيماً فانتشق لهبوبـــــه شذا ورق من جنة الخلد مخصوف
يولد في أهل الوقار سماعـــــه خفوف اهتزاز مثلما شطح الصوفي
لئن زان تأليفي ببعض قريضـــه لقد تجتلي الحسناء في خشن الصوف

أيها الشاعر المفلق ، قولة منصف لا متملـق ، بقيت وللعصر بـك اختيال ، ولزهر الآداب مـن خمائل شمائلك انتيـال ، ومهما ذكر القريـض بتصريح أو بتعريض فالناس فيه على براعتك عيال ، اقتضى الود الذي لـم

1) المؤلف ينقل هنا عن (الذيل والتكملة) لابن عبد الملك ، فالضمير عليها يعود .

نزل نتعاطاه تعاطي الجريال والاعتدال . . . . في مجرة برودها سابغة الأذيال ، إن أهز عطف انطباعكم . . . . عنصر طباعكم السيال ، وأتقاضى منكم ديناً ما أحمل اللوم . . . . صرف الليالي ، فبعثت بهذه الرقعة على ما ترون بها من جدب . . . . سنجع في مصوح هشيمها مراد ولا لمتطلع في تصفح مرسومها . . . . ظمي بلعب بخواطرها شـ . . لمواطرها رقص الآل تشير بمعطل جيدها . . . قلائد النظم ومجيدها إشارة من راقها لديه لألاء اللآل ، فكيف بها إذا . . . ففتح لها الباب ، وكرعت في فم ذلك العباب ، واشتملت من مصون ذخائره . . . . اللباب ، فهنالك تبرد الأوام ، وتنثني بفرادى من فرائد البديع وتوام ، ولا تزال تصرح بالثناء عليكم مترنمة كورقاء في فروع الأيك ، مهيمنة ، وفي دوح سراوتكم إن شاء الله تجد الظلال ، وترد الزلال ، وتحل حيث حل من وسنى المقل الخيال ، فتصدق عليها وأوف المكيال ، والله يهنيكم ما منحكم من محاسن رائقة وخلال، ويقين في آيات السحر الحلال ، وسلام الله عليكم ما انحسر قناع الغيم عن جبين هلال ، ولبى المحرمون باهلال ، ورحمة الله وبركاته .

فأجابه أبو عبد الله ابن العابد بهذه الرسالة :

إذا قيل من رب القريض الذي لـه ... يدين، فقل: عبد الكريم ابن عمران
حباني بروض من نتيجة فكـره ... يروق به للنظم والنثر زهـران
ونزّهني في خطه وبيانـه ... فمن سامع مصغٍ إليهِ ومـن ران
كساني به فخراً تهنأتُ لبسـه ... ومن لبس أثواب الاجادة أعرانـي

أيها البحر الوهوب لفرادى الجواهر والتوام ، والحبر اللعوب بأطراف الكلام، وقيت عين الكمال ، وبقيت محروس الجمال ، تتأنق لمن باراك في ارتياد البراعة ، وتسبق من جاراك بجياد اليراعة ، وتتبختر من ملابس السعادة في موشى برودها ، وتظفر من أوانس الآمال المنقادة بشهي برودها ، وصلتني رقعتك التي جلوت في أسطارها الكواعب ، وعلوت باظهارها الكواكب ، وأظهرت في نظمها ونثرها السحر لمرتاده، وذكرت بمستاف عنبرها الشحر على نأي بلاده ، فقلت : هذه غاية لا أبلغ مداها ، وآية يتحدى بها من أهداها ،

فتوقفت عن الاجابة توقف الحسير، وانصرفت إلى الأذعان . . . الأسير، وأنشدت الخاطر وأرجاءه داحب أبعد حول . . . . فاني لاغتـراره إلا أن يساجل عبابك بهذه الصبابة ، ويعاجل . . . . يرزق سواه من عدم الاصابة ، ومجدك أسبل على هذه الهنات . . . . يعدل مـن قابل تلك الحلل المسهمات في أسمال معاوزه ، والله يبقيكم . . . . تنظمون عقودها ، والمآثر تحبرون برودها ، والسلام عليكم ما أعـ . . . . . . أنابيب ، وانسدلت من الظلام جلابيب ، وهطلت من سماء بلاغتكم شآبيب ، ورحمة الله تعالى وبركاته .

قال المصنف عفا الله عنه : نقلت هاتين الرسالتين من خط أبي القاسم ابن عمران ، وأصحب أبو عبد الله ابن عابد جوابه نبذة من نظمه ، منها ونقلتها من خطه في أخوين وسيم وأجدب :

في ابني محمدان نظرت عجائـــب   أخوان ظبي أحور وحـــــــوار
فمن الجَمال بوجه ذاك مآثـــــر   ومن الجِمال بظهر ذا آثـــــار

ومنها ، ونقلته من خطه في وسيم مثغر الثنية له خال بشاربه :

وشادن في القلوب مرتعـــــه   مرهف القد أهيف الخصـــــر
نشوان من خمر مقلتــــــه   فما تفيق أعطافه من السكـــر
رماه قوم بالنقص حين غــــدا   يزري جمالا على سنا البـــدر
قالوا : سواد بدا بمبسمــــه   وما عهدنا السواد في الـــدر
فقلت : ما ذلكم بعائبـــــه   كفوا ، فعندي حقيقة العـــذر
حبة قلبي رأت مقبلــــــه   فأفلتت من جوانح الصـــدر
وارتشفت خمر ريقه فســـرى   سوادها عند ذاك في الثغـــر
ثم ثوت فوقه مخبـــــرة   من عابه كنه ذلك الأمـــر

ومنها ارتجالا في شارب رعف ، ونقلته أيضاً من خطه :

ومهفهف للبدر حسن جبينـــه   وليانع الأغصان مائس عطفـــه
لما أراق دمي ولاح بخــــده   أجراه قصد إهانتي من أنفـــه

ومنها ، ونقلته من خطه أيضاً وفيه وصف حمام :

. . . . طيفالـــــه … في ليلة من غرر الدهـــر
. . . . . . خا لوعـــة … أدمعه خوف النوى تجـــري
. . . . . . حكى لمعه في الدجـا … زنجية تبسم عن ثغـــر
. . . . البيت حتى أتـى … بأدمع في صور البـــدر
. . . . بابن النحل في زبدة … مثل عـ بق شيب بالـــدر
. . . هات الباقلاء الـــذي … بدا لنا في حلل خضـــر
زبرجد ضم على لؤلـــؤ … صاغهما منسكب القطـــر
فاجتمعت أطعمة حق مـــن … أعطيها الاقرار بالشكـــر
فلم نزل نجهد في ضرهـــا … حتى أراحتْنا من الضـــر
وحين ضم الليلُ أذيالَـــه … وانتشرت الوية الفجـــر
قمنا لبيت حرج مظلـــم … قُسم بين البرد والحـــر
تخال من ضمته احشـــاؤه … كأنما أُدرج في قبـــر
تلوح في اقبائه أنجـــم … نقيضة للأنجم الزهـــر
تبدو نهاراً فاذا ما بـــدا … جنح الدجا غارت ولم تســر
يا طيبه ليلا وياحسنـــه … صبحاً ، لقد حاز سنى العمـــر

وقد مر له ذكر في رسم أبي جعفر بن طلحة الشقري .

انتهى من كتاب (الذيل والتكملة) (1) .

569) محمد بن أبي بكر ابن رشيد الوتري البغدادي .

محمد بن أبي بكر بن . . . . . جمال الدين ، أبو عبد الله البغدادي ويذكر أن أصله من قصر كتامة . . .

---

1) توفى محمد بن على ابن العابد هذا بغرناطة فى شهر ذى القعدة عام 662 هـ قال ابن الخطيب وشعره مدون كثير .

ذكره ابن الخطيب فى الاحاطة 2 : 287 وما فيها من أنه توفى سنة 762 يصحح ، ويصحح أيضاً ما فى جذوة الاقتباس (ص 231 ع 203) عن سنة وفاته .

ولابن العابد هذا ولد اسمه محمد بن محمد ، ذكره ابن الخطيب فى الاحاطة (2 : 281) كتب لمحمد بن محمد ابن الأحمر ثانى ملوك بنى نصر ، وتوفى فى حدود 690 هـ .

قال في (الذيل والتكملة) بعد ما تقدم ما نصه : روى ببغداد عن أبي إسحاق إبراهيم بن سعيد الأنصاري أحد أصحاب ابن الجوزي، وبدمشق عن أبي عبد الله بن عبد الوهاب الواعظ بن . . . . . . بالأندلس عن أبي يحيى عبد الرحمان بن عبد المنعم ابن الفرس ، روى عنه بمراكش ابن رشيد ، وعبد الواحد بن عبد الرحمان بن يحيى بن عمر بن عبد المومن ، وابن مخلوف بن موسى المشاط القاضي وطائفة من أصحابنا ، وبمصر جمال الدين عثمان بن فتح الدين أبي العباس أحمد بن عثمان بن هبة الله بن أحمد بن عقيل القيسي ابن أبي الحوافر ، والحسن بن الحسن بن عتيق ابن مكسور الجنب بمحضر محيي الدين محمد بن محمد ابن سراقة ، وسمعت منه كثيراً ، وجالسته طويلا ، وحاضرته وذاكرته ورزقت منه قبولا كثيراً ، ولزمت شهود مجالس وعظه ، وكانت القلوب تنفعل كثيراً لكلامه ، وترق لموعظته ، وتتأثر لتذكيره ، وكان أغزر الناس دمعاً ، إذا رقي لمنبر وعظه لا يتمالك أن يرسل دموعه فيوثر عند الحاضرين من الخشوع والخشية وسكب الدموع ما لا مزيد عليه ، وكان يتولى إنشاء خطبه التي يفتتح بها مجالس وعظه وقصائده المطولة التي يختتمها بها ، وكان سريع الانشاء لذلك كله ، وكلامه نظماً ونثراً مؤثر في نفوس سامعيه على ما فيه من لين ، وسمعته غير ما مرة يقول : إن ذوقه لا يساعده على النظم في وزن عروض من أعاريض الشعر ما خلا الطويل ، هذا على اتساع حفظه وحضور ذكر فنون الشعر على اختلاف أوزانه ، وله قصائد سماها (الوترية، في مدح محمد أشرف البرية) (1) كل قصيدة منها أحد وعشرون بيتاً مفتحة أبياتها بحروف رويها ضمنها مدح النبي صلى الله عليه وسلم وإيراد بعض معجزاته تقبل الله عمله ، وأنجح أمله ، ومما يغبط بهذه الوتريات ويشهد بصدق نيته فيها ويحرض على حفظها وروايتها ، ويرغب في دراستها واستعمالها ، ما حكاه رحمه الله من أنه قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فراغي من تبييضها وهي في يده صلى الله عليه وسلم ومعه جماعة

---

1) بسبب هذه القصائد عرف بالوتري ، وقد طبعت ببيروت سنة 1310 هـ باسم (ديوان معدن الافاضات ، في مدح أشرف الكائنات) ، وسماها حاجي خليفة (ذريعة الوصول ، الى زيارة جناب حضرة الرسول) .

من أصحابه رضي الله عنهم لم أعرف فيهم غير أبي بكر رضي الله عنه وعنهم أجمعين . . . . صلى الله عليه وسلم قام إلي ضاحكاً كالمستبشر بي ، ثم يدفعها إلى . . . من أصحابه ، وأول من بدأ منهم به أبو بكر رضي الله عنه وعنهم أجمعين . . . . صلى الله عليه وسلم يقول لهم : انظروا بأي شيء قد مدحت ، وماذا قيل في . . . . وقعت منه صلى الله عليه وسلم . . . . فاستيقظت فرحاً مسروراً بما أعطاني . . . . وكانت هذه الرؤيا بمراكش بعد ذلك إلى ما يقارب ثلاث سنين . . . . نظري فيها وأزيدها ترقيقاً وتنميماً ، وأدخلت فيها من غرائب معجزاته صلى الله عليه وسلم ما لم أكن أدخلته أول مرة ،فبينما أنا ذات ليلة أكتب في حرف الميم ، وقد تعرضت فيه لمعراجه صلى الله عليه وسلم ، وكنت قد أكثرت في معظم قصائدها من ذكر المعراج لما فيه من العجائب إلا أني لم أذكر حديث جبريل عليه السلام ، ووقوفه في الموضع المعلوم ، وقوله لرسول لله صلى الله عليه وسلم : ها أنت وربك ، وزجه في النور زجة ، ففكرت في نظم ذلك المعنى ، فيسره الله علي في أربعة أبيات ، وأدخلتها في حرف الميم ، ثم رقدت باقي الليل ، فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وهو يقول لي : إن الله قد شفعني في أهلك وزوجك وخادمك ، وفي جميع أصحابك ، مشيراً إلي بمسبحته صلى الله عليه وسلم ، فاستيقظت وبي من الفرح والسرور ما لا يعلمه إلا الله عز وجل ، ويحق لي ، فازددت بها غبطة على غبطة ، فلله الحمد على كل نعمة عموماً ، وعلى ما ألهم إليه من مدح حبيبه صلى الله عليه وسلم خصوصاً ، وكانت هذه الرؤيا بغرناطة .

وكان فقيهاً شافعي المذهب ، نظاراً فيه ، حسن المأخذ في الاحتجاج له ، متوقد الخاطر ، ذكياً يقظاً محباً في المناظرة والمباحثة ، لا يكاد يخلي محاضره من مفاوضة علمية ومذاكرة وبحث ومساءلة ، على ذلك عرفناه ، وكثيراً ما كان يتعرض له في مجالس وعظه بالرقاع مضمنة أسئلة عويصة ، فيصدر عنه من سرعة الجواب عنها وحسنه وإيضاح خفيها وحل مشكلها ما يقضي منه العجب ، شاهدت منه في ذلك كثيراً ، وقصدت الاغماض غير ما مرة أنا وجماعة من أصحابنا في كثير من الأسئلة التي كنا نودعها الرقاع المرفوعة إليه ،

فيأتي . . . . للحاضرين سرعة بديهة ، وحسن ترتيب وحشد . . . . يخلص إلى ما كان فيه من وعظه ، وورد خبر الحادثة الشنعاء . . . . . . على بغداد وهو حينئذ بمراكش ، وكان يذكر أنه خلف ببغداد . . . . حزن ، وكان يقول حينئذ في مجالس وعظه : واأسفاه للمصيبة . . . . . . الخاصة بي ، وكان قدومه على مراكش صدر خمس وخمسين وستمئة . . . . . . بعض أدبائها بقصائد شكرها لهم ووقعت موقع استحسان وسرور . . . . . .

فمما رأيت إثباتَه منها هنا قصيدة الأديب الكاتب البارع هرون بن بن عبد الله بن محمد بن هرون السماتي الاشبيلي نزيل مراكش رحمه الله وهي :

أواعظنا جلت لدينا بك النعما ... فنلنا الذي كنا نهيم به قدما
وأهدت لنا بغداد منك غريبة ... فلله ما أبهى سناها وما أسما
حديقة فضل أينعت زهراتها ... فقد حسنت مرأى وفاحت لنا شما
فلا انتقلت عنا ظلال نعيمها ... ففي كل حين تثمر العلم والفهما
مواعظ تسرى في النفوس لطافة ... فتبرىء من داء السقام بها سقما
لقد هتكتْ حجبَ القلوب وإنها ... بلطف معانيها لتستنزل الغما
وقمت بحق الله في وعظنا فلم ... تدعْ غرضاً إلا بريت له سهما
وارسلتها نحو القلوب ، فكلها ... أصاب لعمري مقتل الغي أو أدما
كشفت عن التنزيل حجب حقائق ... وأبديتها حتى لأبصرها الأعمى
فكم آية أوضحت خافي سرها ... فلاح سناها للنهي قمراً تما
وكم مشكل حلَّيته بلطائف ... من الفكر ، لولاها لأوسعنا كتما
وأبديت في علم الحديث غوامضا ... وحليتها الأوضاح إذ غودرت هما
إذا ما اعتمدتَ النقلَ فالبحرُ زاخر ... وقدرك أعلى أن أقيس به اليما
ومهما نحوت الرأي فالزند ثاقب ... فسهمك إن ترسله في غرض أصما
لك الهمة العليا فلا ترض خطة ... ولو عظمت قدراً فزاحمتِ النجما
طُبِعت ذكاء إذ فؤادك جذوة ... تأجَّج لم تطعم ضراماً ولا فحما

حوى من فنون العلم ما أعجز الورى
فلله منها ما حواه وما ضمـــــــا

تبارك من سواك خلقاً وقد حشـا
فـــــــــــؤادك . . . .

وأيد منك النطق بالحِكَم التـــي
على كل قلب خائـــــــف . . .

أياديمة تنهل سكباً بكل مــــا
يروّي العِطاش الهيم منـــا . . .

لقد روضت منا القلوب وأطلعـت
بها ثمر التقوى فتهنئنـــا . . . .

لطائف وعظٍ بل هي السحرُ كلما
سمعناه أيقاظاً ظننا بنا حلمـــا

وأرواح أذكار تلاقتْ جسومنـــا
بها فكأن الروح ماســـك . . .

وإن لواء الفقر لما نشرتـــه
مشى الفقراء تحته كلهم قدمـــا

أريتهم التحقيق حساً فأدركـــوا
ولم يطمعوا أن يدركوا كنهه وهما

بعلمك عزوا فالزمان وأهلــه
لهم أصبحوا حرباً فصاروا لهم سلما

فكلٌ لعمري أشرب الفقر قلبـه
ولهو الغنا للنفس ياخير ما أمـا

أيابن رشيد أنت رشد لمهتـــد
فقد وفر الرحمان منه لك القسمـا

ملكت نظام القول في كل مذهـب
وأبدعت حتى النثر مُلّكت والنظما

إذا الخصم أدلى بالحجاج مناظـرا
فأنت بأدنى حجة تقطع الخصمـــا

فدتك نفوس قصرت عنك لم تجد
لهم في فنون العلم إن سئلوا عزمـا

فضضت ختام الحجب عن كل غامض
وقد عجزوا عن أن يفضوا له ختما

ألا ياجمال الدين يافخره ، لقـد
أصاب الذي سماك في كل ما سما

فيصدق كل اسم جليل عليك إذ
منحت بما أحرزته مفخراً جمـــا

مدحتك إذ بيني وبينك نسبـــة
فغربتنا كان القضاء بها حتمـــا

جلاء عن الأوطان شتت شملنـــا
فهل أرين الدهر يوسعه نظمـــا ؟

ببغداد هام القلب منك وحبهـــا
لعمرك حب خالط الدم واللحمـــا

فهل حاكم يعدي على الدهر ؟ إنـه
على كل حال يوثر الجور والظلما

وياغربة دامت وشط مزارهـــا
كفاك فقد قطّعت قلب الشجا كلما

إذا ما الغريب الدار هم بأوبـــة
هما الدمع من أجفانه كلما همَّـا

عسى فرج يدني المنى فلعلهـــا
تُنفس عنا البث والحزن والغمـا

بقيت ملقّى ما تشاء محسّـــداً
موقّى من المحذور متصل النعمى

. . . . ديمـــــــة
على من أعز العرب إذ وقم العجمـا

. . . . والسيد الجليل النبيل عبد الواحد بن عبد الرحمان بن عبد المومن ، وهي هذه :

أهلا وسهلا بمن أهدته بغـــذان ... ومرحباً مرحباً حياه رضــــوان
. . . . الري رياها لفرقتـــه ... واخرست بعدها حزناً خراســـان
. . . . وصلت موصل . . . به ... قد غادرت قبلها حران حــران
وصيرت عيشها كالشري من ولـه ... وكان كالأري حلواً منه حلـــوان
وعم من بعمان الشجو واتسمت ... من بعد نعمتها بالبؤس نعمـــان
وفاه هاتف واد للأراك متــى ... أراك تدنو وهل للقرب إمكـــان
والطلح عاد طليحاً من تلفتـــه ... وأنَّ إذ بان يشكو بينَه البـــان
فان حضرتنا تفتر من جـــذل ... به إذا فرحت ما ضر لهفـــان
أما سمعت بقول ابن الحسين وما ... قد جاء في الشعر حكم وهو تبيان
إيه رعي الله إخواناً به سمحـــوا ... لنا فنحن له في الدين إخـــوان
ونحن جيرانه من بعد جيرتـــه ... بباب جيرون لا يفقده جيـــران
وما إخالك يابغداد عن ملـــل ... رمت به منك نحو الغرب أوطـــان
لكن جرى القلم الأعلى بذاك ومـــا ... أجراه يجري ولا يعدوه إنســـان
انى سمحت بعلق نظمـــه درر ... من المعارف لا درٌ وعقيـــان
بحر ولكنه عذب جواهـــره ... أصدافها شقَّقتها منه أذهـــان
يبدي الجلي من المخفي منطقـــه ... كأن ألفاظه للسحر خـــزان
معنى رقيق ولفظ زانه زجـــل ... جزل يسدده للعقل برهـــان
تجمعت فيه أشياء محاسنهـــا ... تفوق عداً إذا ما عُدَّ ديـــوان
إذا بدى صاعداً أدراج منبـــره ... غارت عليه من الأبصـــار آذان
وإن تكلم غار العين من حســـد ... فأعجب فبينهما في ذاك شنـــآن
طوراً يعلمنا ، طوراً يخوفنـــا ، ... طوراً يُرجِّي ، فهذا الوعظ ألوان
ياواعظاً بهرت حسناً مواعظـــه ... عليك لازال للرحمان إحســـان
ذكَّرت غافلنا علَّمت جاهلنـــا ... حليت عاطلنـــا . . . . .
تصوب من وعظك الأجفان واكفـة ... كما يصوب لصـــوت . . . .
أيـدت بالصدق في قول وفي عمل ... فللدموع اذا أسمعت طوفـــان

كما تؤيد في نظم العروض وقــد ... دعا الرسول بروح القــدس . . .
كم من شـَرود أخي غي إلى رُشـُدِ ... قادته يابن رشيد منك ارســان
رأى ولولاك لم تبصر بصيرتــه ... وكيف يبصر وجه الرشد عميــان
فأنت أنت جمال الدين لا كــذب ... لا جحد في ذلك ، إن الجحد كفران
لله قوم بهذا لقبوك وقـــد ... تحروا الصدق ، حيوا حيثما كانوا
عذراً فديتك لم أحص الذي لك ،هل ... يُحصي الحصى ونجوم الليل حسبان
أني ولو قاسها قس لقصّــر ، أو ... أجرى لها طرفه لم يجر سحبــان
فكيف والطبع لم يطبع ، فُديت على ... ما يرتضيه حديد القلب يقظــان
لكن جعلت أبياتي مقدمــة ... ترتاد لي مورداً ، إني لصديــان
تبوح بالحب إذ قال الرسول : إذا ... أحب وأذكره لا يصحبك نسيــان
ورغبة في دعاء منك مبتهــلا ... في أن يباح مع الزوار إتيــان
إن الشفيع الذي من جاء ناديــه ... مستغفراً ظالماً قراه غفــران
تدعو ثلاثاً بها والناس كلهــم ... يؤمّنون ، فرب الناس منــان
صلى الالاه عليه كلما طلعــت ... شمس وما تليت آي وقــرآن
وخصه بسلام ما سرى فلــك ... مسخر ، ورسا رضوى وثهــلان

وأقام بمراكش مدة ، ثم رحل إلى الأندلس ، ودخل غرناطة وغيرهـا من بلاد الاندلس ، ووعظ بها ، ثم كر راجعاً إلى مراكش فبقي فيها مدة ، ثـم فصل عنها مشرقا ، فحج حجة الفريضة (1) وقفل الى المغرب مؤملا الوفادة على مراكش ، فتوفي بتونس عقب صلاة الجمعة لليلة بقيت من محرم ثلاث وستين وستمئـة ، انتهى .

وطبعت وترياته كما طبع تخميسها لسيدي محمــد الفاطمي الصقلي بـفـاس (2) .

---

1) سنة 661 هـ .

2) ترجم المؤلف بعد هذا مرة ثانية لمحمد ابن هشام أو هاشم الأوسي المترجم فى ص 237 وتحت عدد 562 من هذا المجلد ، ولم نشعر بهذا التكرار الا بعد طبع الترجمة الأولى ، فلهذا آثرنا أن نثبت الترجمة الثانية فى (الاستدراكات) التى سنلحقها بآخر هـذا المجلد اجتنابا لترجمة الشخص مرتين وتحت رقمين .

570) محمد بن عبد الكريم الهزميزي الأغماتي

محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الهزميزي الأغماتي ، الشيخ الصالح العالم الزاهد الولي العارف بالله ، فيه وفي أخيه عبد الرحمان ألف الامام ابن تيجلات المراكشي كتابه (أثمد العينين ، ونزهة الناظرين ، فى مناقب الأخوين) وقسمه الى أبواب 20 ، الأول فى صحة وجود الأبدال وذكر أوصاف الأولياء ، الثاني فى طي الأرض لهم والمشي على الماء وفى الهواء ، الثالث فى اجابة دعائهم وما نقل عن الثقات من أقوالهم وأفعالهم ، الرابع فيما يشتهون من الطعام والشراب وما يخلق الله من ذلك لهم ، الخامس فيما خصهم الله تعالى به من الكرامات الخارقة للعادات ، السادس فى ذكر أويس القرني واجتماعه مع عمر وعلي رضي الله عنهما ، السابع فى الرد على من أنكر الكرامات من المعتزلة بالدلائل الشرعية ، الثامن فى نسبة الشيخ أبي عبد الله ومولده ومنشئه وذكر أشياخه ، التاسع فى سبب انتقاله بطريق التصوف وخروجه إلى السياحة ، العاشر في سبب ظهوره للناس قدس الله روحه ، الحادي عشر في مجاهداته وخلواته ، الثاني عشر فيما له ولأخيه عبد الرحمان من الكرامات الخارقة للعادات ، الثالث عشر في صفة الفقر والفقراء وأخلاقهم ، الخامس عشر فى الخلاف بين الغني الشاكر ، والفقير الصابر ، السادس عشر فى الطريق الموصل الى الله عز وجل سبحانه لا رب غيره ، الثامن عشر فى الدعاء الذى كان يحض الفقراء عليه ، التاسع عشر فى سبب موته الموفى ، عشرين فى الكلام على الخضر واختلاف فيه بين العلماء .

قال فى الباب الثامن فى نسبة الشيخ ومولده ومنشأه وصفته ،وذكر أشياخه وصفة القدوة والتلميذ : هو محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد ، أصله فيما يحكي من الجبل المعروف بجبل إيشمرن بمقربة من جبل السكسوي ، ولد بأغمات وريكة حرسها الله تعالى ونشأ بها ، وكان رحمه الله ممن أبرزه الله للعباد ، وانقاد له الخلق أي انقياد ، وأنطقه بالمغيبات ، وخرق له العادات ، انتسبت إليه الرياسة فى علم الطريق ، وشرح المشكلات لذوي التحقيق ،وأوقع الله له فى الصدور القبول التام ، ولهج بمحبته الخاص والعام ،

وكان رحمه الله شريف الأخلاق ، وطاهر الأعراق ، كامل الأدب ، صريح النسب ، وافر العقل ، صريح النقل ، مخفوض الجناح ، كثير السراح ، شديد الورع ، مقتفي الأدب للشرع ، لم تزل به قدمه عن حسن السير والأخلاق ، بل اقتفى أثر من درج بالاعراق .

حدثني الشيخ الأجل الفقير إلى الله تعالى عبد الرحمان بن ابراهيم بن أبي بكر بالجبل المعروف بانغيل أنويلان ، قال : سمعت أبي يحدث عن الشيخ أبي عبد الله أن أباه كان يصلي الضحى كل يوم بألف (قل هو الله أحد) ، وسمعت من غير واحد أن شيخنا أبا عبد الله وأخاه عبد الرحمان حين كانا صغيرين اجتازا بجنان فاقتطف أحدهما حبة من التين فأكل نصفها وأعطى لأخيه النصف الآخر ، فلما دخلا على أبيهما ظهر له التغير في وجوههما ، فسألهما ما أكلتما ؟ فأخبراه أنهما أكلا حبة من التين من جنان فلان ، فكان ذلك سبب شراء الشيخ والدهما الجنان المذكور ، واستحل الحبة من بائعه له ، فزال عنهما ذلك الغيار ، وحدثني الشيخ الأجل الصالح الفقير الى الله تعالى عبد الكريم بن الشيخ وقد سألته بمنزله أن يحدثني بكرامة ما صح عنده من كرمات الشيخين قال لي : كان عمي عبد الرحمان رحمه الله في هذه المصرية ليلة من الليالي ، إذ سمع دوي الرحا فهبط على أن يعين أمه فوجدها وقد أسندت ظهرها الى الحائط والرحا تطحن وحدها ليس معها أحد يديرها ، فرجع قليلا قليلا ، فما استقرَّ مكانه حتى وقف عليه الشيخ فقال له : سمعت الرحا نطحن فأردت أن أعينها فوجدتها على الحالة التى علمت ، فقال : إنما أجرى الرحا ذلك الذكر .

فصل فى ذكر أشياخه رضي الله عنهم

ذكر الثقات أنه قرأ أصول الاعتقادات فى الدين على أبي علي التقموسي إمام جامع واطاس بأغمات وريكة ، وقرأ العربية والحديث وأصول الفقه على الفقيه يحيى ابن راحيل الجنفيسي ، وقرأ الفقه والمواريث على أبي الربيع الدوري بأغمات ، وأخذ عنه طريق الزهد والخمول واليقين فى المعاملات والسلوك والرياضيات ، وكان شيخ قدوته مالك بن أنس رضي الله عنه وكان

فى حياته يتسبب بتعليم الصبيان ، فلما مات ترك السبب وبقي على طريق التجريد ، فأخذ بقية ما يملك واشترى غلاماً واعتقه عن أمه ، ولم يتعرض بعد ذلك لسبب ولم يتزوج رحمه الله حتى مات ، فعلى هذه الصفة نشأ وبها عرف ، واتصفت به حاله حتى طبق ذكره الآفاق ، وحاز فى عصره التقديم بالاستحقاق ،ثم عقد فصلا نقل فيه كلام الشيخ فى صفة القدوة وكلام غيره ، ثم عقد فصلا فيما يختص به التائب ، وكان الشيخ يتكلم على الرائية الشريشية بما لا يوجد فى أكثر الكتب ، ثم قال : وكان من دعاته إذا فرغ من الاقراء يمسكها بين يديه قليلا ويقول : لا تعجلوا بالقيام فان معكم الغير فتأدبوا حتى ينصرفوا ، فاتفق ليلة من الليالي أن فرغنا منها مراهقين لصلاة المغرب فقمنا بسرعة ، وكنت أمامه فأخذ بأطراف ثوبي وأجلسني الى الأرض ، وإذا بثعبان أسود لم أر أبشع منه ، فسلك من ورائي ، وكانت وراء الشيخ حافة عظيمة فألقى الثعبان بنفسه فى تلك الحافة وجعل يمشي بها مهلا والشيخ رحمه الله ماسك بأطراف ثوبي، فلما انصرفت قال : ألم آمركم أن لا تفترقوا حتى يتفرغ الموضوع ؟ فقلت ياسيدي وممن يتفرغ ؟ فقال : من إخوانكم الجن المومن ، إنهم يحضرون معكم ويسمعون كما تسمعون ويفهمون كفهمكم أو أحسن ، وإنهم يستأذنونني فى لقائكم ومباشرتكم فلم آذن لهم ، وإياكم وصحبتهم ، فقلما يسلم المريد من آفاتهم ، ثم ذكر أنه كان من عادته رحمه الله شديد الاحتياط على ظهور الكرامات على المريد ، وان الغالب عليه إظهار عيوب النفس ، وأنه كان الغالب عليه حال الملامتيه ، فانهم لا يتكلمون سراً ولا يظهرون خيراً .

ثم قال فى الباب التاسع فى سبب اشتغاله بطريق التصوف وخروجه إلى السياحة : حدثني عبد الله الزواري المتصوف السالك قدس الله روحه بما حدثه به بعض أصحاب الشيخ رحمه الله ، قال : كنت يوما بأغمات وريكة ُدرس بها ، فوقعت مسألة فتباحث الطلبة فيها طويلا ، فكان فى المجلس رجل جليس فى آخر الناس ، وأدخل رأسه فى جيبه ، فلما طال الكلام بين الطلبة فى المسألة رفع رأسه وتكلم وقال : ياأبا عبد الله ، عندك آلة العبادة ، ولكن لا تشتغل بها ولم تعمل بما عندك من العلم فأعرضت عنه ، فأدخل رأسه فى جيبه ساعة ثم رفع رأسه وقالها ثانية ، فغاظني كلامه ، وقلت فى نفسي :

ما الذى يقول هذا ؟ وهل ثم شيء يتقرب به الى الله تعالى غير العلم ؟ ثم أدخل رأسه فى جيبه فقالها ثالثة ، فأضرني كلامه جداً ، وتغيرت لما أكون أزعم أني على أحسن حالة ، فلما تفرغت مما كنت فيه من القراءة دعوت الله لمن حضر وانصرفوا ، فقلت للرجل : سألتك بالله إلا ما كتبت لي اسمك حتى أعرفه ، فقال : أقسمت عليَّ بالله وأنا لا أعرف أن أكتب شيئاً ، ولكن اذهب إلى أمك فهي على الرحيل وهي منتظرة إليك ، ثم صاح : الله ، وطار فى الهواء ، وقال : هذه آخر رؤية تراني وأراك الى يوم القيامة ، وإذا بلغ الرجل هذا المبلغ وأنا أظـن على شيء فلقد أفنيت عمري فى البطالة ، ثم سرت الى داري فوجدت أمي كما وصف ، فقالت لي : يامحمد وما الذى حبسك عني وأنا منتظرة إليك ؟ وقد حان الرحيل فأوصتني على من يغسلها ويحفر قبرها ومن يلحدها ، ثم قالت : ما هذا الوقت ؟ قلت : وقوف الشهر ، ثم قالت : اتركني ساعـــة أستريح ، فقامت وتوضأت وجعلت تركع حتى أذن المؤذن ، ثم جئت أمـــي فوجدتها قد ماتت رحمة الله عليها ، فأمرت بحفر قبرها واشتغلت بتجهيزها حتى أوريتها التراب ، ورجعت الى الدار فقفلت عليها بقفل ، وانصرفت الى السياحة ، فهذا كان سبب دخولي فى طريق التصوف ،رحمه الله تعالى ورضي عنه ، ثم قال : وكذلك نقل هذا بعينه عن أبي العباس الغماري ، وزاد أبو محمد الزواري في هذه الحكاية أن الرجل خرج رأسه من جيبه وقال لــه : ياعبد الله أنا مثلك كمثل فرس جواد سابق عليه سرج حسن ، وركاب وعذار حسن ، غير أن جازه الفارس ، فقال الشيخ حين قال له الرجل ذلك : ما جازنا شيء والحمد لله ، نقرأ التفسير والفقه والحديث ، ثم طار الرجل فى الهواء .

وحدثني صالح ابن الامان أنه بلغه فى ذلك الوقت حين خرج الشيخ للسياحة أن قدمه تورمت حتى كان يشد عليها الخِرَق من الشوك والحجر ، وقال لي : بلغ الرجال مقام القرب وأنا مشتغل بالبطالة ، ولم يزل رحمه الله يحرض أصحابه وتلاميذه عــلى العمل به ، فبالعلم فتــح عليــه حتى فتــح الله بصيرته ، ثم قال :

رأيت العز فى أدب وعلـــــــم … وفى الجهل المذلة والهـــــــوان
وما حسن الرجال لهم بعلـــــم … إذا لم يسعد الحسنَ البيـــــان

كفى بالمرء عيبا أن تــــــــراه ... له وجه وليس له لســـــــــان
وكم أبصرت من قوم مــــــلاح ... لهم صدر وألوان حســـــــان
يعظّم شأنهم بصري ، فلمــــا ... سمعت كلامهم صغروا وهانــوا
فما شرف الفتى إلا كــــــلام ... ولولا العلم ما رفع المكـــان

الباب العاشر فى سبب ظهوره للناس قدس الله روحه وبرد ضريحه

حدث غير واحد من أصحاب الشيخ رحمه الله لمـا أراد الله تبـارك وتعالى باظهاره للناس ، فكأنما صاح به فى الناس صائح ، فكانت الجموع تأتيه من كل مكان ، وكان قد أغلق عليه داره بأغمات وريكة ، فكان لا يدخـل عليه أحد ، وكان الناس يأتون إليه من كل مكان فلا يجدون إليه سبيـلا ، فمنهم من يكتب إليه كتاباً ويرسله من بين الأبواب ، فمكث كذلك مدة من ثلاثة أشهر أو نحوها ، فلما طال عليه كـتبـهم إليه ومجاورتهم له كتب لهـم ما نصه :

(بسم الله الرحمان الرحيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ، سلام الله الأتم ، ورضوانه الأعم ، على التائبين الصادقين المخلصين المؤمنين بالله ، المسلمين المذنبين ، ورحمة الله وبركاته ، اعلموا وفقنا الله واياكم ، أني أخبركم بأني ليس فى أوصاف الشيخ المنعوت الموصوف فى الكتب عند أيمة العلماء المحققين ، والأولياء البالغين الواصلين المتيقظين ، والله يعلم أنه أعلم ذلك من نفسي وأقول به لا خوفاً من أحد ، ولست أيضـا بالشيخ اللفظي المتلون بالكلية فى حب الدنيا وزينتها ، وحب أهلها الجاري اسمه على الألسنة من عوام الناس الذين أسكرهم حب الدنيا العاجلة وزينتها ، وغلب عليهم الجهل بأمور الآخرة وما أعد الله حتى لا يستطيعوا أن ينتبهوا من غفلتها بقلوبهم من أبناء الدنيا الغافلين عن الله عز وجل وعن الدار الآخرة ، وأرجو ربي وأطمع أن أكون عنده من الداعين إليه وإلى سبيله المذكرين بآيات الله تعالى وانه لم يفرغني إليه تعالى بعد من تقويم نفسي ، فكيف أقوم غيري ، والمقصود منكم أن تتركوني لربي يفعل بي ما يشاء ، وليشتغل كل واحـد منكم بنفسه مع ربه ، إنه معه حيثما كان أبداً ، قريب مجيب سميع بصير ،

فان القلوب قد امتلأت بحب الدنيا والمقام فيها والغرور وإيثار الهوى وطول الأمل فيها ، ففقراؤكم ليس فيهم نزاهة ولا قناعة ، وأغنياؤكم ليس فيهم إيثار ولا سماحة إلا البخل والحرص وخوف الفقر والطمع والشهوة ودناءة الهمة وقلة الصبر والاحتمال ، وعدم الصدق والاخلاص فى الخدمة ، وذلك كله إنما هو من ضعف الايمان بالله ولقائه ، وأما أنا فالله يعلم أن فيَّ ما في الكل وأضعافه ، وما خلوت منه وما تخلصت بعد إلا أن يشاء الله ، فما أنا وأنتم الا كغريق متمسك بغريق ، والله ينجي الكل بفضله ورحمته ، فدعوني مع ربي ونفسي ، فان الله تعالى للكل ، واشتغلوا أنتم بأنفسكم أيضاً ، (وإلاهنا وإلاهكم واحدكم ونحن له مسلمون) ، ومن أراد غر ذلك فالأشياخ والتلاميذ فى كل موضع وفي كل أرض ، فيدخل في سلكهم ويكون من جملتهم ، ولا يقنط ولا يحمله ما يسمع أن يصغر الأشياخ والتلاميذ فى قلبه ويحقرهم فيهلك كما هالك أهل الدعارة والفسوق والتخليط ، وتراك الصلوات ، وشراب الخمور ، وغصاب أموال الناس كانوا فى أحوالهم مثل الأشياخ والتلاميذ ، فاياكم من يهلك وهو لا يشعر ، فأنزلوا الناس فى قلوبكم منازلهم فى الشريعة ، (إنما المومنون إخوة) ، (والله يقول الحق ، وهو يهدي السبيل) وهو حسبنا ونعم الوكيل ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ثم أنشد أبياتاً ، ثم ذكر كتاباً له أيضاً الى الفقراء بشاكر يوصيهم بخدمة المومنين ، والاخلاص فيها ، والتواضع ولبس الثياب البيض أو الخضر النقية ، وأنه ما أفلح من أفلح إلا بدعاء الأولياء ، والتسليم على من حضر رباط شاكر من الأشياخ والطلبة وغيرهم ، وأنشدوا :

ورد الرسول مبشراً بكتابكم ... فملئت من قلب البشير سروراً
تالله لو قنع الرسول بمهجتي ... لبذلتها ورأيت ذاك يسيراً
فكأنني يعقوب من فرحي به ... إذ عاد من شم القميص بصيراً

وكتاب آخر يتضمن أنه ما منعه من الوصول إلا ضعف أكثر الطلبة والفقهاء ، وموت هممهم فى عصره ، وكان يحض تلاميذه على المسير إلى رباط شاكر ، ثم قال : وقال أبو العباس الغماري : سمعت عبد الواحد بن مسدي يقول : سمعت الشيخ رحمه الله يقول : ما حملني على مخالطة الناس ومجالستهم

إلا خوف الهلاك ،وذلك أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي : يامحمد بن عبد الكريم ، انصح الناس وادعهم إلى الله ، فقلت يارسول الله ، لا أقدر على ذلك ، ثم رأيته مرة ثانية فقــال لي : ادع النــاس الى الله ، فقلت يارسول الله ، اعــذرني فلم أفعل ، ثم رأيته ثالثة فقال لي : لئن لم تفعل ليسلبن الله الايمان والاسلام من قلبك ، فهذا حملني على ما ترون ، وما أريد بكم التكاثر والمباهاة ، ولقد يكفيني واحد ان وجدته يفلح ، فانه ذكر أن بعض الأنبياء عليهم السلام يأتي يوم القيامة ليس معه غير رجل واحد ، فلم يكن له يد من الامتثال ، فلما تصدى للناس كانت الجموع تأتيه بالمئتين الى أغمات وريكة ، فلما كان العام الذى خالف فيه مسعود ابن كانون السفياني على الأمير يعقوب بن عبد الحق الزناتي وهرب مسعود المذكور إلى جبل ثم نزل أشياخ الوقت تروم الصلح بينهما يزعمون أن ذلك طاعة لله عــز وجــل ، فجعلوا يرغّبون هذا ويتضرعون الى هذا ، فسمع الأمير يعقوب أن مخالفه قال : لو اجتمع أشياخ المغرب بأجمعها ووصلوا إلي ورغّبوني فى أن أصل الى هذا الرجل ، يعني يعقوب ، ما فعلت من ذلك شيئاً ما لم يأت محمد الأغماتــي ، فأرسل الأمير يعقوب الى الملياني ، وهو إذ ذاك وال بأغمات ، أن يكلف الشيخ رحمه الله أن يسير الى الجبل مع أشياخ الوقت، فحدث من سمع من فم ابن الوالي قال : كما أرسلني إليه الأمير أمرني إن لم أفعل ما آمره به وإلا قتل أو أخرج من أغمات ، فلما وصلت منزلي بعثت إليه أحد رجالي في أن يصل إلي في داري ، فأبى من ذلك مراراً ، فلما كان ذات يوم أتاني القاضي وأخبرني أنه فى المسجد الجامع ، فسرت إلى أن دخلت المسجد وأرسلت إليه القاضي فأتى معه ، فلما اجتمعت معه قلت له : إن الأمير يأمرك أن تسير الى مسعود بن كانون في أمر الصلح كما فعل غيرك ، فأبى ، وقال : لا أفعل مثل ما فعل غيري فى هذا الأمر ، فقلت : فاقطع منك إذاً هذه الجموع وأطردهم حتى لا يأتيك أحد منهم ، فقال : إني لم أدعُ أحداً ولا أمرته أن يصل إلي ، وكيف لي أن أطردهمْ وقد قال الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه) ، فقلت : إذ لم تفعل هذا فاخرج من بلد الأمير ، فقال نعم ثم قام عني ، فأرسلت فى عقبه ألاّ يخرج ، فوجدتــه قد خرج .

شعر في معنى ذلك :

تباعدْ عن السلطان لا تغش بابه ... فتسلب ديناً أو تصاب بفاقره
فليس بناج من ألمَّ ببابه ... وإن هو أغناه وسد مفاقره
وما هو إلا النار يحرق من دنا ... إليه ، فلا تقربه واخش بوادره

قال الراوي لهذا الحديث : فلما كان من الغد قال الوالي : أصابتني علة شديدة ، فقالت أمي : ومَن في الدار من الحشم ؟ إنما فعل الله بك لأجل إخراجك لفلان ، حتى شاع ذلك في البلد ، وصار الناس يتحدثون به ، فقلت : إنما هو أمر من الله لا بسبب فلان ولا غيره ، ونويت في نفسي إن أقامني الله من هذه العلة أن أرده الى داره فأنى ان . . . . الآن يعظم .

شعر في معنى ذلك :

ما أكلف الناس بالدنيا وأطلبهم ... حرصاً عليها باكباب وإقبال
لو كان همهم الأخرى لما خطرت ... دنياهم أبداً منهم على بال
لكنهم آثروا الدنيا فهم أبدا ... منجهلها بين روعات وأوجال

قال الراوي لهذا الحديث : فمكث سنة يصيح بالأوجاع ، وكان يفرش له القطن المندوف يضطجع عليه وبعد ذلك لا يجد راحة من ألم الأوجاع ، ومات بعضه وانحبس لسانه ، وكان لما خرج الشيخ رحمه الله من أغمات ، وبلغ دار بعض أصحابه بهزرجة بموضع يقال له جبل هيلانة ، اجتمع إليه تلامذته ، وارادوا أن يشتغلوا بالدعاء على الوالي حتى يهلكه الله عز وجل ، وهمَّ بعضهم بالوصول وهمَّ آخرون بالسياحة حتى يقضي حاجتهم ، وقد تفاوضوا في ذلك بعد العشاء الآخرة ، فخرج الشيخ رحمه الله من بيته الذي كان فيه من غير أن يخبروه بالأمر الذى عزموا عليه فنهاهم عما أرادوا فعله ، وقال : من دعا عليه فليس مني وأنا بريء منه ، ثم دعا له باصلاح دنياه ، ثم انتقل بعد ذلك الى مغيوز ، فمكث فيه حتى مات رحمة الله عليه ورضوانه .

وكان مسكنه أظنه بالزاي في مغيوز في بيت في صحن المسجد بني له بأمره هناك ، قال المؤلف : فانظر أصلحك الله الى حال الشيخ رحمه الله

كيف آذاه بلسانه ، وأخرجه من بلده ووطنه ، ومنع تلامذته من الدعاء عليه ، بل دعا له بأصلاح حاله ، واتبع في ذلك سنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم حين شج جبينه وكسرت رباعيته ، فلم يدع على قومه ، بل قال (اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون) ، ثم قال :

الباب الحادي عشر في مجاهدته وخلواته رحمه الله تعالى ونفع به

ونقل عن الثقات ، عن محمد بن زكرياء اللمطي ، عن صالح ابن الامان ، أن الشيخ رحمه الله مكث بين مسجد ماسة والحجر المسمى بحجر يونس عليه السلام شهرين وسبعة أيام ، آتيه عند تمام كل أسبوع بشيء من التلبينة ، فأضعها أمامه فينظر إليها ويشير بيده ما أعرف ما يقول ، ثم يأمرني بحملها ، فأرفعها وأنصرف .

حكى زكرياء عن صالح ابن الامان قال : أتاني الشيخ محمد الهزميري ذات يوم فأقام عندنا خمسة أشهر غير يومين لم يفد غير ربع من تمر مطحون أتاه من درعة من نخلة يعرفها لم يأكل غيره في تلك المدة كلها ، ثم قال : وسمعته يقول : مكث عندي خمسة أشهر غير يومين لم يفطر ، ثم سفر الى أبي زكرياء وهو على حاله لم يفطر .

وحكى موسى بن يوسف الدغوغي عن محمد ابن ويحلان ، ضاع الشيخ رحمه الله ونحن بمتير حاحة ، قال أمرني الشيخ رحمه الله أن أغلق عليه باب ذلك البيت ، وأراني الباب الذى أغلق عليه ، وأمرني أن أدخل معه ثلاثة أوان من ماء فلما بنيت عليه أمرني أن أسير إلى بلد القبلة ، وقال : إذا كان آخر يوم من مئة تحضر هنا إن شاء الله وتفتح عني الباب ، فسرت إلى حيث أمرني ، فلما كان آخر يوم من الأجل الذى حد لي أتيت باب البيت ففتحته وأنا أتوقع أن أجد رائحته لظني أنه قد مات ، فلما وصلت إليه وجدته مستنداً للحائط ولحيته قد لصقت بصدره ، فأخذته ورفعته بين ذراعي وأخرجته الى الشمس ومددته على لوح لأنه لا يقدر على الجلوس إلا أن استند ومقعدته كأنها باذنجانة ، وجلده قد لصق بعظمه ،فطليت بالحناء جميع جسده ، ووظبته بذلك ثلاثة أيام كنت أغذيه بالتلبينة حتى قوي في نفسه في تلك الأيام الثلاثة فقال :

بسم الله فى السفر ، فجئته بأتان ، فركب وسرت معه أنــا وعبد الغفــور الهسكوري ويس الهسكوري ، فسرنا الى أن وصلنا وادي تانسيفت فوجدناه قد امتلأ بالسيل لا يقدر أحد على عبوره ، فقال لنا : تعالوا الى طريق نعبر هذا الوادي على اليمين أم على الشمال ، فتقارعنا ، فخرجت لليمين ، فصعدنا مع الوادي الى أن قال لنا : من هنا نعبر الوادي ، ثم قال لي : اختبره لنا ، فدخلته الى أن عبرته ثم رجعت إليه وأنا لم أصل الأرض بقدمي ، ولا علمت كيف ذهبت ولا كيف رجعت ، وإنما قصدت طاعته وامتثال أمره ، فأخذت الدابة أمامي حتى عبرت ثم رجعت وقلت : بسم الله ، فأخذت بيده وأخذ صاحبي بيــده الأخرى ، ثم اقتحمنا الوادي فغبنا فى الماء فالتفتنا فاذا هو قاعد على وجــه الماء ، فخرجنا ولم تبتل قدمه ولا شيء من ثيابه ، فصرنا الى أن وصلنا الى جبل فيه مسجد يقال له ايذكورن وذلك فى وقت المغرب ، قال انظروا لعل هذه ليلة رمضان ،فنظرنا فرأينا الهلال فبتنا هناك الى أن صبَّح ، ثم صعدنا الى جبل الى أن وصلنا المسجد ، وكنا قد بتنا أسفل الجبل على بئر هنالك ، فتركته مع أصحابه بالدابة الى أن وصلتها ثمعدت إليهم ، وكنت قد حملت معي شيئاً من دقيق زريعة الغاسول ، فكان يقتات منه ،فلما كان الغد ورد علينا نحو من ستة أنفس ، وكان عندي شيء من دقيق الشعير كنت أقتات منه أنا وصاحبي فقلت :أصنع طعام الضيفان من هذا الدقيق ، فقال لي : لا بل من قوتي الذى أقتات منه تصنع عشاءهم ، فجعلت جميع ما كان من دقيق الغاسول ، فلما انصرفوا عنا إذا شيخ وعجوز قد أقبلا والشيخ حامل لحم ثور . . . . . والعجوز حاملة جراب دقيق ، فلمــا وصلا إلينا وضعاه وانصرفا ، فأمرنــي الشيخ بطبخ جميع اللحم ، فأكل منه وأكلنا ، ومكثنا هناك حتى حان وقت السير الى رباط شاكر، وزاد في هذه الحكاية عبد الله الزواري قال : لما أتي الشيخ بالطعام، وكان الطعام شيئاً يعرف (بتاربصت) فقالت العجوز : اغسلوا أيديكم، فقال الشيخ لابن ويحلان ، اغسل يدك يامحمد ، قال له الشيخ زوج العجوز : وانت ؟ فقال له ابن ويحلان : عليه عذر، فاقسم الشيخ بالله إن لم تأكل لأقتلنك وألحفنك فى هذا الغار ،فان كنت مباركاً وجدنا بركتنا ، وكان الشيخ بعد ذلك يقول : اللهم ارحم صاحب الغار والخنجر ، فكان الشيخ رحمه الله يأكل أكلا عنيفا حتى عجبت منه .

شعر فى ذلك :

إلاهي انتهى بالناس حسن ظنونهم بنا للذي نرجوه منك من الفضل
فلست أنا أهلا لذا فاستجبْ لهم ولا تحرم الأقوام مولاي من أجلي

وكنت إذا أتيته بالليل بشيء من النار أسمع عنده حساً ، ولا أرى شخصاً ، فلما كان ذات ليلة أتيته على سبيل العادة ، فقال لي : هل لقيت أحداً ؟ فقلت لا غير أني سمعت حساً لا أدري ما هو ، فكنت بعد ذلك إذا أتيته أرى أسداً خارجاً من عنده ، قال الدغوغي الراوي لهذه القصة عن ابن ويحلان قال ، سألت الشيخ رحمه الله وقد خلوت به ، فقلت : ياسيدي لما بلغ بك من الحال ما بلغ كنت تصلي الفرائض ، فقال لي : كنت إذا أتى وقت الفرائض رزقني الله القوة حتى أؤديها ثم أرجع الى حالي :

خفيت عن المنية أن تراني كان ألروح مني فى محال
وما أبلى الهوى والشوق مني سوى نفس تردد فى خيال

قال ، سمعت الشيخ رحمه الله يقول : كنت فى حال التدريج أفطر كل ليلة على ثلاث تمرات ، فما زلت انقص وأحدة بعد واحدة حتى كنت افطر على نصف تمرة ، ثم فني التمر فجعلت أمصُ عظم التمرة فأقتات به :

يانفسي ما هي إلا صبر أيام كأن مدتها اضغاث أحلام
يانفسي حيدي عن الدنيا مبادرة وخل عنها فان العيش قدامي

وسمعت الشيخ رحمه الله يقول : مكثت ذات مرة سبعين نوبة من الدهر بين الليل والنهار طاوياً ، وكنت إذا أردت أن أقعد أخذت سراويلي فجعلته كورة فاقعد عليه ، لأني كنت لا أستطيع القعود على الأرض .

ان الحبيب الذى يرضيه سفك دمي دمي حلال له فى الحل والحرم
ان كان سفك دمي أقصى مرادكمُ فما غلت نظرة منكم بسفك دم
والله لو علمت نفسي بمن علقت قامت على رأسها فضلا عن القدم

قال أبو العباس الغماري ، سمعت محمد بن عبد الواحد الصنهاجي يقول ، سمعت الشيخ رحمه الله يقول وقد كنت خلوت به ، وكنت قد أصابني الجوع ، إذا اشتد بي الجوع فى أكل الحشيش ، وأرى خضرته فى بطني ، لأنه لم يبق شيء يحجبه عني ، فاذا احتجت الى إخراجه تتبعته بأصابعي من أعلا الجلد الى أن يخرج وكان طول الحزام الذى أشد به بطني شبرين غير ربع شبر .

قنعت من الزمان بدون حالي وفيما دون حالي لي كفاية
رأيت فضولها يلهي ويطغي فنسأل ربنا منها الحماية

وحدثني الشيخ علي بن يحيى الكواب قال : صرنا إلى زيارة ضريح المقدس المرحوم أبي محمد صالح برباط أسفي أنا والحاج سعيد ابن رامي ، فنزلنا على الشيخ الصالح المبارك المسن المعروف بابي يحيى أمزيل ، فرحب بنا وبتنا عنده أياماً ، فتذاكرنا حال شيخنا أبي عبد الله قدس الله روحه ، فقال الشيخ أبو يحيى : خرج الشيخ أبو عبد الله فى السياحة على عادته ، فاجتاز بي فقعد عندي خمسة أشهر ، ولم أكشف له على طعام ولا على شراب ، فلا أدري من أي صنف هو ، هل هو من صنف الآدميين أم من صنف الملائكة قدس الله تربته ، وأعاد علينا بفضله بركته ، ثم قال : ونقل أبو العباس الغماري عن محمد بن عبد الواحد الصنهاجي قال : سمعت الشيخ رحمه الله يقول : دخلت الدار ذات يوم بأغمات وريكة واغلقتها علي ، ولبثت مدة لم أر أحداً ، ولا ذقت طعاماً ، فلما كان ذات يوم إذا بقراع يقرع الباب ، فعلمت أنه أتى بطعام ، فأبيت أن أقوم إليه ، فغضبت نفسي غضباً شديداً حتى مُثلت بين عيني من غير حجاب على أقبح صورة كأنها سوداء عظيمة ثائرة الرأس ،فقالت بيني وبينك الله ، هربنا منك إلى الله ، فجعلت أعظها وأخوفها ، فازدادت غيظاً وقالت لي ، تخوفني بالعذاب وقد رضيت الآن به ، فلقد أهلكتني بفعلك ، فعلمت أني لا أقدر عليها ، وخفت لما ظهر لي منها ، فقمت وفتحت الباب ، فاذا برجل واقف ومعه طعام ، فأخذته منه ودخلت البيت وأكلة منه حاجتي ، فقالت لي ، بسم الله ما الذى تريد من الأعمال

أوافقك عليه ، خذ لنا في العبادة فقلت لها امهلي ، فأخذت بقيـة الطعام وحملته إلى من يستحقه ورجعت إلى موضعي ، فكفاني الله شرها ، فتعساً لنفسي كلما عقدت عقداً حلت ، أو كلفت عملا من أعمال البركات أو استنجدت على عدوها الشيطان انهزمت تترقى إلى المهاد ، وتختار على العبادة الرقاد ، وتنام إذا هجع العباد ، ولا تتمسك عن مقاليد العزم بمقلاد .

الباب الثاني عشر

فيما له ولأخيه عبد الرحمان من الكرامات الخارقة للعادات

حدثني الشيخ الأجـل الشريف المنيف عـبـد الواحـد الحسنـي الجوطي قدس الله روحه وبرد ضريحه ، قال : تشاجر أبي رحمه الله مع بعض الولاة بمراكش ،فحلف أن لا يسكن معه المدينة ما دام والياً فيها ، فاستعطفه بعض أكابر المدينة وقال له : تكفِّر ليمينك ، فلم يقدروا عليه بشيء ، فرحل إلى أغمات وريكة بالأهل والأولاد واستوطنها مدة ثم مرض مرضاً شديداً ، وزاد مرضه حتى انقطع منه الأنين ولم يبق فيه عرق يضرب ، فظنوا أنه قد مات ، فجرد من ثيابه وطرح على الجص وأقيم له نعش وتابوت ، واشتغل الناس بجهازه وحفر قبره ، فبينما هم كذلك إذ أقبل الشيخ أبو عبد الله فوجدنا هنا عند باب المنزل مع بعض خدامه وحشمه ، فسمع النياح في المنزل فقال للذي وجد عند المنزل : ما هذا الذي . . . . . . ، فقال له : إن سيدنا قد مات ، فقال لهم : إنه لم يمت ، أتريدون أن تدفنوا الشريف حياً ، استاذنوا علي حتى أدخل إليه ، فدخل وأمر به أن يدثر في ثيابه ، وأمر بنار فأوقدت ، فأخذ يسخِّن يديه ويمر بهما على ترقوته ومفاصله وبعض جسده ، وأمر بذبح طائر من الدجاج فطبخ في الحين ،وأخذ قطنة فما زال يوجره قليلا قليلا وهو مع ذلك ينتعش ، فما زال يتلطف به حتى فتح عينيه وأجلسه على نفسه ، وتحدث معه ساعة ثم انصرف ، وعاش بعد ذلك مدة طويلة ثم مات ودفن في مسجد علي بن يوسف رحمة الله عليه ، وهذا من بركته رحمه الله أن كشف له عن حاله فتلافى أمره ، فلولا ما أطلعه الله على أمره لدفن حياً ، نفعنا الله به ورزقنا بركته .

ثم قال : وحدثني الصالح المسن أبو عبد الله بن أبي طارق ، وكان رحمه الله مولعاً بزيارة الصالحين رأى منهم أعداداً كثيرة ، قال : حدثني الشيخ إبراهيم الشهير بالأعرج قال : سافرت مع الشيخ أبي عبد الله إلى رباط شاكر ، فلما قربنا منه ولم يبق بيننا وبينه إلا يسير قال للفقراء : يافقراء احتطبوا من هنا فان شاكر ليس فيه حطب ، فأخذ الفقراء يحتطبون ، ثم وصل إلي وأنا راكب دابتي فضرب بيده بين كتفي وقال لي : ياإبراهيم ، أتعرف أي شيء هو النادر ؟ فقلت : ياسيدي ما أدري ما هو النادر ، فأشار بسبابته إلى صدره فقال : أنا هو النادر ، ثم قال : وحدثني الشيخ الصالح الورع علي إبراهيم ـ وكان أبوه من أصحاب الشيخ وممن يتعبد معه ـ قال : حدثني الشيخ الصالح المنقطع إلى الله تعالى عبد الله بن أبي رمان قال : حدث الشيخ العارف القدوة إبراهيم الشهير بالأعرج قال : جلست يوماً مع الشيخ أبي عبد الله فقلت : ياسيدي من هو القطب اليوم ؟ فسكت ولم يجبني ، فأعدت عليه ثانية ، فأعرض عني فقلت له الثالثة : سألتك بالله إلا ما تخبرني من هو القطب اليوم ؟ فنظر إلي وقال لي : مجلكم ، ثم قال وحدثني الشيخ المتصوف العابد أبو عبد الله الزواري قال : حدثني الشيخ المتصوف الزاهد الورع إبراهيم بن أبي بكر الهزرجي بموضعه بأنفيل انويلان قال : سافر الشيخ رحمه الله مع بعض الفقراء من موضع يعرف بأمجدول إلى ماسة ، وأمرهم الشيخ ألا يفترقوا وأن يسيروا بسير أضعفهم ، وكان في الجمع فقير لا يوافق الناس في السير بل يتقدم أمامهم ،فبينما هو يمشي إذا اندقت رجله إلى الأرض لا يطيق النهوض ،فعلم أن ذلك عقوبة من أجل أنه لم يأخذ بوصية الشيخ ، فلما وصل إليهم الشيخ ووجده في تلك الحالة استغاث به الرجل حين بصر به ، فأمسك الشيخ رجله بكلتا يديه وحرك شفتيه وتفل على موضع الكسر ، ثم أخذ بيده وقال له : قم فقام يمشي كأن لم يصبه شيء قط ، قدس الله روحه وبرد ضريحه ، ثم قال.ونقل الشيخ الفقير إلى الله تعالى أبو العباس الغماري عن محمد بن عبد الواحد الصنهاجي قال : سمعت يوسف بن عمر الوريكي يقول : كانت عندنا امرأة مبطولة اليد بضربة ضربها بعلها ، وكانت لا تملك

شيئاً ، فبلغ خبرها الشيخ رحمه الله وكان بعلها قد تاب على يده فأتاها مع خديمه ، فلما وصل الدار نادى الخديم باسم المرأة فخرجت فقال لها الشيخ : بلغني أن يدك قد تعطلت ، قالت له : نعم الأمر كما بلغك ، فقال لها : ناوليني يدك فناولته يدها فجذب إليه ومسح عليها ثم قال لها : حركيها ، ثم قال لها : ارفعيها على رأسك فرفعتها ، ثمقال لها : احمدي الله الذى شفاك وساقني إليك فاني لا أقدر أن أكلم امرأة فكيف ألمسها بيدي ، فعادت المرأة صحيحة سالمة باذن الله تعالى ، ثم قال : وحدثني الفقيه السالك علي المغربي رحمه الله قال : زرت الشيخ رحمه الله أنا وأخي بأغمات وريكة ، فدخل الزاوية وقعدنا مع الفقراء ، وإذا بالشيخ قد خرج من خلوته وقد أعد الخديم له شيئاً يقعد عليه كالذي يلقي الصحاف على رأسه حين يرفع الأثقال ، لأجل أن مقعده لم يبق عليه لحم من المجاهدة والصوم ، فلما قعد أحدق به الفقراء ، فأخذ يصوب بصره فيهم واحداً بعد واحد ، فانهملت أعينهم بالدموع وخنقتهم العبرة لما أدكهم من الحنان والشفقة عليه ، لأنه لم يبق فيه إلا الخيال ، ثم سكتوا من البكاء ، فقلت : ياسيدي أتاذن لي أن أُسمع الفقراء شيئاً ، فقال : إفعل فحركت شيئاً أنا وأخي يطرب الفقراء ، واهتزوا عند السماع ، ثم سكتوا فلم ينطق منهم أحد كأنما على رؤوسهم الطير هيبة من الشيخ ، ثم قال : يافلان فارجع بازاء فلان ، وقم أنت يافلان فارجع بازاء فلان ، فقلت همساً لم يسمعني الذي بازائي (وامتازوا اليوم أيها المجرمون) ، ونظر إلي وقال : (وامتازوا اليوم أيها المجرمون) ، فعجبت من سماعه إياي وكون الذي بمقربة مني لم يسمعني .

ثـم قال :ونقـل أبـو العباس الغمـاري عـن عبـد الواحـد ابـن مسدي الهسكوري قال : حدثني من أثق به قال : خرجت مع الشيخ أبي عبد الله من مسجد ماسة يريد أن يتوضأ ، فلما وصلنا إلى الحافة التي في شرق الحجر فقصد أبو عبد الله على رأس الحافة فرأيت البحر قد فاض إلى أن بلغه ، فجعل يتوضأ منه ، فلما فرغ من وضوئه ذهبت أنا لأتوضأ منه ، فهرب الماء مني ورجع إلى موضعه ، فجعلت أبكي ، وعبرت معه وادي ماسة وكان قـد امتلأ وفاض ،فلم يبتل له ثوب ولا قدم نفع الله به .

ونقل أبو العباس الغماري عن يوسف بن عمر الوريكي قال : حدثني رجل من أصحابنا ممن أثق به قال : كنت جالساً بساحة ماسة من ناحية المشرق إذ رأيت الشيخ أبا عبد الله أقبل إلى البحر من ناحية الحجر المسمى (بحجر يونس) عليه السلام ، وانفتح البحر أمامه ، وصار عن يمينه وشماله كالحائط ، فما زال يمشي على الأرض والماء ينصب أمامه حتى أتى موضعاً فجعل يصلي منه على الرمل ، والماء مرتفع عن يمينه وعن يساره حتى صلى ما شاء الله أن يصلي ، ثم رجع الماء يتبعه حتى خرج .فرآني ، فقال : سبحان الله لولا شيء لأكلني .

وحدثني الفقير إلى الله تعالى علي الكواب قال : حدثني أبو عبد الله الصدفي قال : لما أراد الله بتوبتي حبَّب إلي زيارة الصالحين ، فكنت أزورهم ، فدخلت يوماً على بعض الأشياخ وكنت راكباً على مهر فطلبه مني فاعطيته إياه ، ثم سمعت بسيدي أبي عبد الله فوصلت إليه مع بعض الناس ، فلما قعدت بين يديه أزال العمامة على رأسي وقال : يامحمد لا ترى إلا الله ولا تخاف إلا من الله ، وعليك بالصدق فانه سيف الله ما نزل على شيء إلا قطعه ، وكان لي مال فقلت له ياسيدي إن لي مالا فتصرف فيه كيف شئت ، فقال لي : يابني ما أريد منك إلا طاعة الله ، فألححت عليه فلم أقدر على أن يقبل مني شيئاً قط رحمة الله عليه .

ثم قال : وحدثني من أثق به قال : كان أبو عبد الله الفقير إلى الله تعالى المتجرد الشهير بالهدهديقيم بالمسجد الكائن بحمام الحرة ويؤذن فيه ، فلما كانت ليلة من الليالي صلى العشاء الآخرة وخرج الناس من المسجد وأطفأ المصابيح فرأى مع حائط القبلة رجلا يصلي قال : فانتظرته ليتم صلاته فأغلق المسجد فأطال الوقوف جداً ، فعلمت أنه عوّل على المبيت ، فتركت له مشكاة موقدة وانصرفت إلى منزلي ، وأتيت بطعام وإناء من ماء فوجدته قائماً كما تركته ، فوضعت الاناء من خلفه ، وناديته ياهذا المُصلي ، إن أردت العشاء والسحور فهذا الطعام خلفك ، ثم خرجت وأغلقت المسجد ، فلما كان وقت القيام أتيت المسجد وفتحته ودخلت فوجدت الرجل قائماً كما تركته من أول الليل والطعام على حاله لم ينتقص منه شيء ، فصعدت الصومعة وتكلمت ، فلما كان قرب الصباح رأيت الرجل قد خرج إلى الصحن ورفع رأسه إلى

السماء ثم قال : لا إلاه إلا الله ، ومدّ صوته فمالت الصومعة بي حتى ألقتني في الصحن فأدركني حال وغشي علي ، فجاء الناس لصلاة الصبح فوجدوني ملقى فتلطفوا بي إلى أن أفقت من غشيتي ، ثم سألوني عن حالي فأخبرتهم بما رأيت وما اتفق لي مع الرجل ، فقال رجل ممن حضر ، رأيت البارحة سيدي أبا عبد الله الهزميري صلى المغرب هاهنا ، فلم يشك الناس انه هو الرجل نفعنا الله بــــه .

ثم قال : ونقلت مما روى الشيخ أبو العباس الغماري عن محمد ابن زكرياء عن صالح ابن الامان قال : أتاني الشيخ أبو عبد الله ذات مرة مع جماعة من الفقراء من الخمسين إلى الستين ، ولم يكن عندي شيء من الادام غير جرة عسل فأتيته بها ، وقلت له : ليس عندي غير هذه الجرة فاصنعوا بها ما شئتم ، ثم وضعها بين يديه فأشار نحوها بأصبعه ثلاث مرات وقال : لخديمه ويحلان ، ارفع وأطعم الناس العسل كيف شاءوا بالأكل والشراب ، فجعل الناس يأكلون بالخبز ويشربون منه الماء ، فأكلوا من ذلك العسل وشربوا بأجمعهم كمـــا فعلوا فى العام الماضي .

ثـــم قــال : ونقلــت ممــا صـــح وثبــث عــن أبــي العــباس الغماري قال : سمعت يوسف بن عمر الوريكي يقول : حدثني من أثق بــه قال : دخلنا على الشيخ رحمه الله فى بعض البساتين وفيه بعض شجر الرمان ، فكان أول سقوط الورق فى آخر الخريف ، ودخل معنا طفل صغير فقال لنا : ألا تأكلون الرمان، وشجره خال من الورق ومنه، فقال : ليصعد أحدكم فيجتني الرمان ، فقلت له : ليس فيه شيء فنظر فى الشجرة فقال : انزعوا تلــك الرمانة ، فما زال يقول انزعوا تلك الرمانة الأخرى حتى كبر الرمان ، فأردنا أن نأكله فأبى علينا وقال للطفل : إحمله أنت ، ثم قال : ونقلت ما صح منه أيضاً قال : سمعت عبد الله ابن ميمون يقول : سمعت الشيخ رحمه الله يقول : خرجت مرة إلى السياحة وبقيت مدة لم آكل شيئاً ، فخطر بخاطري خبز الدبنة المشوك ،فسرت قليلا فوجدت خبزة سخنة منه فرفعتها ، وسرت قليلا فوجدت خبزة أخرى فرفعتهم بين أذرعي إذ لم يكن عندي فيما أحملهن إلا ثوباً خَلقاً

لا يحمل ذلك، ثم سرت قليلا فوجدت مقدار وصلة (1) منه من خبز سخن موضوع في الربيع (2) وكان ذلك في أرض صحراء بعيدة عن العمران ، فرميت ما كان عندي ، وصرت معاتباً للنفس ومجادلا لها ، ثم قال : وحدثني الشيخ الأجل أبو عبد الله المسطاسي المعلم لكتاب الله رحمه الله فقال لي ، كنت في صغري بطالا لا أحب شيئاً من الخير وما أدري ما الصلاة ولا الفقر ولا الفقراء ، فنمت ذات ليلة ، فرأيت فيما يرى النائم كأن الناس قد حشروا في صعيد واحد ، ورأيت شخصاً قاعداً عن يساره ملائكة ، وكل ملك بيده زمام ، والخلائق يساقون إليه أفواجاً أفواجاً تسوقهم الملائكة ، فاذا وقف الرجل بين يديه نظرت الملائكة إليه وقالوا من أي صنف يكتب هذا فيقول : اكتبوا هذا من القانتين ، اكتبوا هذا من الصابرين ، اكتبوا هذا من الصائمين ، فلما وصلت النوبة إلي وقفت بين يديه وأنا أرتعش ارتعاشاً شديداً حتى كادت نفسي تزهق ، قالت الملائكة له : وممن يُكتب هذا ؟ فنظر إلي وقال : اكتبوه من المفلحين ، فلما أفلت من بين أيديهم قلت لرجل : مَن هذا الذي تكتب الملائكة باشارته ؟ فقال لي هو أبو عبد الله الهزميري الساكن بأغمات وريكة ، فأفقت وقد أنكرت والله نفسي ، وبغض الله أهلي ومالي ، وانصرفت إلى المسجد، وكنت في درعة فلقيت فيها بعض الفقراء وبأيديهم تسابيح (3) فقعدت بين أيديهم وقلت لهم : من في أغمات اليوم من الصالحين ؟ فقالوا كلهم : شيخ القدوة اليوم بأغمات أبو عبد الله الهزميري ، فقلت لهم : صفوه لي ،. فوصفوه على الصفة التي رأيته عليها في النوم فلم ألبث أن شددت حزامي إلى أغمات ، فلما دخلت ووقع بصري عليه رأيته على الصفة التي رأيته عليها في النوم قدس الله روحه وبرد ضريحه .

ثم قال : حكى عبد الحميد بن ميمون قال : سمعت الشيخ رحمه الله يقول : خرجت مرة الى السياحة ببلاد هسكورة فسرت الى أن بلغت بيتاً خرباً فدخلته فوجدت الأسد قد فرخ فيه بنتاً ، وتمت الشريعة والحقيقة في صدري ،

---

1) **الوصلة** في عامية المغاربة لوح يحمل فوقه الخبز الى الفرن لينضج .

2) **الربيع** : الكلا في عامية اهل المغرب .

3) **التسابيح** او **التسبيح** : السبحة والمسبحة في عامية أهل المغرب .

فقالت الشريعة : اخرج من هاهنا ليلا تهلك نفسك فتأثم ، وقالت الحقيقة : إذا تهرب من هذا الأسد فلأي شيء تقعد ، وتقول : لا تهرب من قضاء الله تعالى ، فجعلت أصلي فى ذلك الموضع بازاء تلك الأفراخ ، فقالت الحقيقة : إذن تقرأ القرآن فبأي شيء تخافه وأنت تقرأ القرآن ، فرميت بنفسي في طريق الأسد وتركت القراءة وادخلت رأسي فى جيبي ساعة ثم أخرجته ، وإذا بالأسد قد دخل إلى أشباله ولم يتعرض فقمت وانصرفت .

كم سائح فى الجبال مثـواه ... لا يعرف الخلق أين مـأواه
يخرج من كهفه الى جبـل ... يخضَرُّ من كهفه مصـلاه
ياحسنه والوحش تؤنسـه ... ياحسنه والجـن ترعـاه
يقول : ياثقتي وياأملـي ... ما خاب عبد تكون مـولاه

وحدثنـي الشيـخ الأجـل الصالـح علـي بـن إبراهيـم ، وكـان أبوه ممن يسيح مع الشيخ ومن جلة أصحابه رحمه الله ، قال : حدثني أبي قال : خرج الشيخ أبو عبد الله مرة الى السياحة نحو بلاد درعة فأقام فى بعض الشعاب مدة أشهر، ثم تاقت نفسه إلى العمارة فمشى في الشعاب قليلا، فوجد بيتاً خرباً والأسد قد فرخ فيه ، فقعد عند باب البيت ، فما استقر به القعود إلا والأسد قد أقبل ، فلما رءاه الأسد أخذ يزأر فسمعتْ به الأنثى وكانت عند أشبالها فانتفضت انتفاضة ووثبت حتى خلفت رأس الشيخ وأخذت تلطـم الأسد حتى أبعدته عنه ، ثم رجعت إلى أشبالها وانصرف الشيخ ، ثم قـال : ونقل أبو العباس الغماري عن أبي بكر ابن ميمون قال : سمعت عبد العزيز المهاجر يقول : كنت في حرم الكعبة شرفها الله تعالى وإذا رجل قد أتى وتحدث معي ساعة وسألني عن البلد الذى أنا منه فقلت له : أنا من أغمات وريكة ، فقال لي : تعرف الشيخ أبا عبد الله ؟ فقلت نعم بينما أنا فى هذا الموضع الشريف إذ سمعت كلاماً فنظرت وإذا برجلين ، فقال أحدهمـا : إن الناس منتظرون إليَّ بأغمات لأصلي بهم الظهر ، وكان وقت الزوال ، فنظرت فيه وحققت صفته ، ثم ذهب ودعوت الله أن لا يقبض روحي حتى أراه فى موضعه ،

ثم أراد الله بتوجيهي الى المغرب ، فلم تكن لي حاجة أوكدَ من رؤيته ، فسرت إلى أن بلغت أغمات وقصدت الجامع ، فلما وصلت الى قنطرة المسجد التى الى شرقه لقيته وعرفته بصفته ،فسلمت عليه فقال : وعليك السلام ورحمة الله ، فما كلمت بها حتى مات رحمة الله عليه .

ثم قال : ومما حدث به أبو العباس الغماري قال : سمعت عبد الواحد الصنهاجي يقول : خرجنا مع الشيخ رحمه الله ذات يوم بموضع بنفيس يقال له تيجلات ، يريد موضع صالح بن صالح بتروحين ، فأتى رجل بفرس أنثى وقال للشيخ :أريد أن تركب هذه الفرس لله تعالى فقال له : نعم ، ثم سرنا الى أن بلغنا الموضع المذكور وهو يقول : يابشراي ، فقلت له : ما الذي وجدته ، فقال لي : انتجت هذه الركمة وأصابتها علة فى ثدييها فلم يبق فيها قطرة لبن ، فلما ركبها الشيخ صار اللبن يجري من ثدييها ، أما تراه رجع مسرعاً الى موضعه مسروراً .

ثم قال : ومما حدث به يونس ابن عثمان اللمطي قال : سمعت أبا بكر ابن بلول يقول : لما وصل الشيخ أبو عبد الله عند زكرياء أراد أن يقيم عنده مدة فشاوره فى ذلك فرضي باقامته عنده وأنا حاضر معهما ، فذهبت الى منزلي ، فلما كان من الغد إذا بالشيخ أبي عبد الله قد وصل إلي فقلت له : أليس قد أقمت عند أبي علي فما حاجتك عندي ؟ فقال لي : إن أبا علي قد تحولت نيته فى ذلك بسبب أن الناس قالوا له : إنك لا تقدر على هذا الرجل لأنه عالم ولأنه من بلاد الظل ، وحال بلادهم غير حال بلادنا هذه ، فان أقام عندك اجتمع الناس إليه لأجل علمه ولا طاقة لك بالقيام بهم ، قال أبو بكر : فقلت أنا أكفيك همَّ ذلك كله إن شاء الله تعالى ، فارجع إلى موضعك واقعد فيه ما شئت ، فبتنا معه فى منزلي الى أن أصبح ، وسرنا الى منزل الشيخ أبي علي ، فلما دخلنا عليه أمرت الخادم أن يعطيه في كل ما يأمره به ، وكان قد عول على الوصال ، فقلت له : اخبرني متى آتيك إن شاء الله تعالى ؟ فقال لي :بعد ثمانية أيام اذهب الى منزلك ، فذهبت الى منزلي ، فلما تم الأجل أتيته فقال لي : سر الى ثمانية أخرى ففعلت ، فلما تم الأجل أتيته

فقال لي : سر الى ثمانية أخرى فرجعت فلما تم الأجل الثالث أتيته وقد عوّل على أن يفطر ، فوجدت أهل القرية ومن حولهم من الديار قد أتوا بكل مـــا أمكنهم من الخبز والزيت والتمر وغير ذلك مما فى بلادهم كأنما صاح بهم صائح ، فقلت للشيخ أبي علي : خذ إليك الآن أما تبصر أما ترى رداً على من طول به الناس .

ثم قال ونقل أبو العباس الغماري عن يوسف بن عمر الوريكي قال : ذهبت يوماً من الأيام لأقضي بعض ديون كانت من أهلي قبلي بأغمات وريكة ، فجاءني رسول من أهلي وقال لي : الحق بالمنزل فقد جاء الشيخ ومعه خلق كثير ، وكان ذلك آخر وقت الفاكهة ، وكنت أتوهم فى الجنان شيئاً يسيراً من العنب لا يقوم ، فجعلت أمشي وأنا أقول لو كان هذا على أول الغلة لكان أحسن،فلما (وصلت)وجدت الشيخ قد أدخلهم الجنان وأمرهم بالأكل فقالوا ليس فيه ما يقوم بالناس إلا شيء قليل ، فقال لهم : افعلوا ما أمرتكم به ، فافترقوا فى الجنان وجعل كل واحد منهم يجني العنب وهو يظـن أنه أصاب ذلـــك وحده ، وينادي صاحبه هلم حتى شبعوا عن آخرهم ، وبقي العنب مطروحـاً لا يوجد من يأكله من كثرته ، فلما رأيت ذلك فرحت وتعجبت واستغربت مما رأيت ، وعلمنا أنها بركة الشيخ وكرامة أكرمه بها الله سبحانه .

ثم قال : ونقل أبو العباس الغماري عن عبد الحـق ابن سليمـان الهزرجي قال : قعدنا ذات يوم نتحدث بالكرامات بحضرة الشيخ رحمـه الله فقال : كنت فى أول بدايتي أحب ذلك ، فلما كان ذات ليلة قمت على قدمي أريد النهوض فرأيت الأرض بأسرها تحت قدمي على قدر الترس ، ثم نظرت يميناً وشمالا فلم أر غير الهوى ، ففزعت إلى الله تعالى مبتهلا بالدعاء في الاقامة، فما زلت أدعو حتى رأيت الأرض عادت كما كانت أولا ، ثم قال : وحدث مـن يوثق به عن رجل كان يصلي بالفقراء ، وكان قدمه الشيخ رحمه الله على الفقراء لصلاة الفريضة بهم قال : حضرت مـع الشيخ بانغيل نويلان ، فحدثنا عـن الكيمياء فقلت ليس على وجه الأرض أبغض مني فيمن يشتغل بتلك الطريقة ، وإذا بالشيخ قد خرج من خلوته وقال لي : ما تقول فى نصراني سأله شخص

وتلطف به حتى أسلم ، ما تقول في اسلامه ؟ إنما تكون في نفسك الذي صليت بالناس وأنت جنب ،فتفقدت نفسي فوجدث الأثر في جسدي ، فكان والله أعرف بنفسي مني .

ثم قال : ومما نقل عن أبي العباس الغماري عن أبي عمران موسى الدغوغي ، عن محمد ابن ويحلان الخديم ، قال كنت أقرأ على الشيخ بترجراجت وكانت مجاعة شديدة . . . . سنة ثلاث وسبعين وستمئة ، فأتيت بحمل من دقيق القمح من دار الشيخ في رجب ، فقال لي : اجعله في خابية ، ففعلت كما أمرني ، فأدخل يده في الدقيق ثم أخرجه وقال لي : إياك أن يراه أحد غيرك أو يأخذ منه شيئاً ، فكان الناس يأتون بالجموع الكثيرة من المئة إلى الستين ونحو ذلك ، فما زلت أنفق منه رغداً إلى أن دخل المحرم ، فانتقل الشيخ الى أغمات وكان ذلك قبل خروجه منها .

ثم قال : وحدثني الشيخ الأجل أبو الحسن الكواب قال : حدثني الشيخ الذاكر أبو عبد الله الصدفي قال : حدثني أبو عبد الله . . . . . . ويحلان خديم الشيخ رحمه الله قال : رأيت تلامذة الشيخ قد شمروا للعبادة وشمروا عن ساعد الجد إلى الله تعالى ، وكل واحد أخذ خلوته فتاقت نفسي أن أكون مثلهم ، فاستشرت الشيخ وقلت ياسيدي ، إني أريد دخول الخلوة كما فعل الاخوان فقال لي : يامحمد ، أقمْ على حالك ولك من الأجر ما لهم ، وكان الشيخ أعطاني نحواً من أربعة عشر درهماً وقال لي : إن احتاج الفقراء الى شيء فاستنفق منها ، فجعلتها في جيبي وانفقت منها نحواً من ستة أشهر ، فتاقت نفسي أيضاً الى الخلوة وأنا قاعد على الوادي ، فقلت في نفسي إنما عاقني عن الخلوة هذه الدراهم، فباعدتها من جيبي ورميت بها في الوادي وعولت أن أستأذن الشيخ أيضاً في دخول الخلوة ، فلما دخلت عليه قال لي بديهة ، يامحمد لأي شيء رميت بالدراهم ، إرجع حتى تأتيني بها ، فرجعت فوجدت الصرة على شفير الوادي قد تعلقت بخيط كأنه خيط العنكبوت ، فأخذتها وجئت بها اليه فأخذها مني وأمرني بدخول الخلوة .

ثم قال : وحدثني الشيخ الأجل أبو الحجاج يوسف بن عبد الواحد المعبر قال : حدثني أبي قال : أتى علي وقت إذا أكلت اللحم أصابني وجع شديد ، بل كنت إذا شممت رائحته أصابني وجع حتى كنت لا يخطر اللحم بخاطري أصلا ، فسرنا إلى زيارة الشيخ وكان إذ ذاك بانغيل نويلان ، وكنت مع رجلين ، فلما كان وقت السماط جاءالخديم بثلاث خبزات وغطاء فيه لحم ، فقلت في نفسي إن أكلت اللحم أخذني الوجع ، وإن امتنعت ففي ذلك جفاء لهجري لسماط هذا الشيخ ، بينما أنا متردد بين الخاطرين وإذا بالخديم قد أقبل : أيكمْ عبد الواحد ؟ فقلت له أنا ، فقال لي : يقول لك الشيخ كل من هذا اللحم فانه لا يضرك ، فأكلت والله ما أصابني بعد ذلك وجع ببركته نفع الله بـــه .

قلوب العارفين لها عيـــــون	ترى ما لا يراه الناظـــرونـــا
وألسِنَة" بأسرار التناجـــي	تغيب عن الكرام الكاتبينـــــا
وأجنحــة تطيــر بغيــر ريــــش	إلى ملكوت رب العالمينـــــا
فيسقيها الكريم شراب صــــدق	فتشرب من كئوس العارفينـــــا

وحدثني أبو الحجاج المذكور أيضاً قال : حدثني أبي عن أعزب خديــم الشيخ رحمه الله قال : صليت المغرب مع الشيخ بجامع علي بن يوسف شرفه الله بدوام الذكر فيه ، فاستهل شهر رجب فقال لي الشيخ : هذه أول ليلة من رجب ، أتعتكف في هذا المسجد ؟ فقلت ياسيدي الرأي رأيك ، فقال لي : إنك لا تطيق على الجوع ولا لك من يخدمك ، فقلت أرجو الله أن أصيب ببركتكم ، فأعطاني درهماً وقال لي اشتر لنا به تمراً ، فاشتريته ، فأخذ الشيخ تسعين تمرة وأعطاني تسعين على عدد ثلاثة أشهر بحساب تمرة كل ليلة ، فجعــل الشيخ حظه في ركنة تحت حصير ، وجعلت أنا حظي في ركنة أخرى ، فاذا كان وقت المغرب أفطرت على تمْرة ، فما انقضت عليَّ الأيام إلا وقد ضعفت قوتي ، فكنت إذا أحسست بالغشيان من الجوع التفت إلى الشيخ فأنتعش ، فلم أزل كذلك إذا أحسست بشيء من الجوع والضعف نظر إليَّ فأجد قوة في نفسي أتقَوَّتُ بنظره كما أتقوت بالطعام ، فلما انقضت الثلاثة أشهر واستهل

هلال شوال قلت في نفسي الحمد لله بلغت درجة الشيخ ، صمت ثلاثة أشهر كما صام ، وقمت ليلها كما قام ، وأفطرت على تمرة كما فعل ، قد بلغت درجته والحمد لله ، فلما صلينا الصبح قال لي : أتخرج للمصلى ، قلت ياسيدي الرأي رأيك ، ثم قال لي : انظر هل بقي من تمرك شيء نفطر عليه ؟ فقلت ياسيدي والله ما بقي منه واحدة ، ثم قال لي : أنظر إن كان بقي في تلك الركنة شيء ؟ فأخذت التمر فقال لي : عدّهْ ، فعددته تسعين تمرة لم تنقص ولم تزد ، فنظر إلي وقال لي : قد بلغت درجته فصمتَ كما صام وقمتَ كما قام وأفطرت كما أفطر ، قد بلغتَ الوطر ، فقبلت يده وقلت : ياسيدي ، أنا تائب إلى الله عز وجل .

ثم قال وحدثني أبو الحسن الكواب قال : حدثني شيخ الفقراء إلى الله تعالى أبو العباس أحمد الغماري قال : حدثني الشيخان الصالحان أبو إسحاق إبراهيم بن أبي بكر الهزرجي قدس الله روحه وخديم الشيخ مخلوف قالا : سمعنا الشيخ رحمه الله يقول : ما فاتتْني قط صلاة الفريضة في اليوم والوقت المختار إلا يوماً واحداً ، قال وذلك أني كنت في بلاد السوس إذ لقيت سبعاً من العرب فقالوا لي انزع ما عليك من الثياب فجردت الجبة وأعطيتها لهم ثم تخاليت وبقيت في التشامير (1) والسراويل فقالوا لي : لابد أن تنزع التشامير ، فخرجت وبقيت في السّراويل فانصرفوا عني ، ثم رجع إليّ واحد منهم فقال لي : انزع ذلك السراويل فقلت : ما أمرني الله أن أكشف عورتي ، فقال لي لابد من زواله ، فقلت له لا أزيله إلا أن تقتلني ، فحرك فرسه ليضربني فأخذت الأرض قوائم فرسه الى الركب ، فلما رأى أنها لا تتحرك نزل عنها فابتلعته الأرض الى الركب ، فصاح بأصحابه ، فلما رأوا ما نزل به وبفرسه ترجلوا كلهم وأخذوا يستعطفونني ويعتذرون إلي ، وقالوا نحن تائبون الى الله عز وجل ، فقلت لهم : إنما تتوبون من ترك الصلاة والزنا وشرب الخمر وقطع الطريق ، فقالوا كما اشترطت علينا نوفٌ به إلا ما ذكرت من قطع الطريق فليس لنا حرفة نعيّش بها أولادنا غيرها ، فقلت لهم : إن

(1) التشامير في العامية المغربية هو القميص .

الله قادر على أن يرزقكم ويرزق أولادكم من غير سبب ولا حرفة ، والرزق لا يستجلب بالمعصية ،وإنما يستجلب بطاعة الله عز وجل ، فما زلت أحاولهم وأعظهم حتى حسنت توبتهم ، وزاد في هذه الحكاية أبو محمد الزواري أنهم أول من تاب على يد الشيخ .

ثم قال : ونقل أبو العباس الغماري قال : حدثني عبد الحميد بن موسى قال : دخلت على الشيخ رحمه الله في داره بأغمات وريكة ومعه موسى بن يوسف الدغوغي ، وأحمد بن يوسف ، وجماعة من أصحابه وهو يحدثهم ، فقعدت معهم وأنا لا أفهم مما يقولون شيئاً ، فقلت في نفسي مثل هـؤلاء يأخذون عنه وينتفعون بكلامه لعلمهم وفصاحتهم وفهمهم عنه ، فرد وجهه الي من غير أن أكلمه ، وأشار بيده الى صدره وتكلم إلي بالبربرية وقال : إسمع أنت ، وقال اعلم أنا بين الجنة والنار الآن ،فنزل المطر من قبل الجنة ويصعد البخار من النار ، فلولا الماء الذى يأتي من قبل الجنة لاحترق كل من على وجه الأرض ، ولولا البخار الذى يصعد من النار ما انتفع أحد بماء المطر ، فلما نزل الماء وصعد البخار ازدوجا مثل الذكر والأنثى ، فتولد منهما النبات، فكل ما أنبت الأرض من الطيب الحلو والرطب أو ذي رائحة طيبة فمن الماء ، وكل ما أنبت من المر والمنتن والحامض والشوك فمن البخار ، فسبحان من له في هذا حكم وتدبير ، وهو على كل شيء قدير .

ثم قال ونقل أبو العباس الغماري عن يعقوب بن يونس الشريف قال : جلست مع الشيخ يوماً برباط شاكر ، وكان ذلك يوم عيد وليس معنا غيرنا ، فأعطاني كسرة خبز من شعير وقال لي كل ، فامتنعت من الأكـل حياء منه ، فقال كُلْ الكسرة فانها خرجت من يد الخضر عليه السلام .

ثـم قال في الباب التاسع عشر ، كـان سبب موت شيخنا محمـد الهزميري قدس الله تربته ورزقنا من بركته مما ثبت عن الثقات من أصحابه مثل عبد الله بن محمد الهلالي ، وعبد الحميد بن ميمون الهسكوري، وإبراهيم بن أبي بكر الهزرجي وغيرهم من خواص أصحابه وتلامذته قالـوا : خرج علينـا الشيخ رحمه الله ذات يوم وكان يوم السبت فقال لنا : رأيت البارحة فيما

يرى النائم كأني في سوق من الأسواق ، ورأيت ثلاثة أنفس عليهم ثياب بيض وهم يمشون في سوق ، فحيث وجدوا دابة حسنة حملوها ، فقلت سبحان الله مال الناس الى هؤلاء ، وظننت أنهم لصوص ، فقال لي أحدهم : ما نحن بلصوص ولكننا ملائكة من ملائكة الله سبحانه ، أمرنا أن نحمل رجال المغرب ، ثم أتاني أحدهم ونزع ثوبي فقلت أفيكم مَلَكُ الموت؟ فقالوا : هو هذا، فقلت: سألتك الله إلا ما أريتني كيف تقبض أولياء الله ، فقال لي نعم ، فتوارى وراء حائط وغاب عني ساعة وإذا به قد خرج وبيده سكين محدود فقصد نحوي ، فلما وصل إلي أراد أن يضربني فحول السكين في يده وضربني بقبضتها ثم ضحك في وجهي ، وكان قبل ذلك حين أراد ضربي قد عبس وجهه ، قالوا فلما كان يوم السبت الآتي — وقد كان شكا رأسه فظننا أن الشمس قد أثرت فيه وذلك ثامن يوم الرؤية التي رأى — أرسل إلى مخلــوف الخديم وأمره أن يدعو بعض إخوانه ، فدعاهم الخديم ، فلما حضروا قال لهم : عليَّ بقدحين من ماء أو ثلاثة فأمر الخديم أن يضعها في موضع الاغتسال ويخرج، فقال له الخديم : ياسيدي إنك لا تستطيع مناولة الاناء فدعني أناولكَ إياه ، فقال دعني مع ربي فأنا أرجو أن لا يضيِّعني ، فتركه وخرج عنه وأغلق عليه الباب ، فقال له من حضر من التلاميذ : ويحك ناوله الاناء فانه لا يقدر على مناولة الاناء ، فقال لهم قد أبى ذلك ، فأجهدوه أن يفعل ، فلما أراد أن يدخل قال له الشيخ : استحي من الله ولا تكشف عــليَّ ، فرجع هارباً ، فلما اغتســل ولبس ثيابه ناداه يامخلوف تعال ، فلما دخل عليه وجده ملقى على ظهره ، فقال له احملني الى البيت ولا تمسني بيدك فاني لا أستطيع أن يمسني أحد في جسدي فقال مخلوف : فقعدت الى الأرض وأمرته أن يجعل يديه على عاتقي ففعل ،فقمت به حبواً على يدي وركبتي حتى طرحته على سجادته في البيت ، فقال لي : الآن انظر من يعينك على إخراجي ، فناديت رجلين من خاصة التلاميذ فأخذنا بأطراف السجادة حتى أخرجناه الى صحن المسجد، فقال عليَّ بالفقراء المتجردين ، لا يقربني غيرهــم ، ويسبغوا الوضوء بأجمعهم ، قال مخلــوف فأحدقوا به من كل ناحية وأمرهم بالذكر الخفي ، وقال لهم : هذا يوم الوداع فمن جاء للوداع فأوسعوا له حتى يقضي أربه ولينصرف ، فان الوقت قريب

من هنا الى الظهر أو العصر أو متى شاء الله ،واشتغل بالذكر الخفي هو ومن حوله ، فكلما جاء أحد للوداع ودع وانصرف ، فلما حضرت صلاة الظهر قام الناس وصلوا وصلى معهم وهو قاعد ، ثم اضطجع ،وكان إذا اشتد به العطش يمضمض فاه بماء فيه عسل ثم يطرحه فى إناء ،ولم يمكن نفسه من لذة حتى مات ، فلما حانت صلاة العصر قالوا له : أوصنا ، قال عليكم بتقوى الله ، وإياكم والخلاف والفرقة ، فقال أبو عبد الله الصدفي ، ياسيدي ، ارْضَ عن تلاميذك ، فقال من أطاع الله ورسوله فقد رضيت عنه ، ثم قال للناس : قوموا للصلاة فقاموا ، فلما سلم الامام ورجعوا وجدوه ميتاً رحمة الله عليه ورضوانه لـــديـــه .

وكان موته وقت العصر آخر يوم من شوال سنة ثمان وسبعين وستمئة وهو ابن ستين سنة والله أعلم ، ودفن يوم الأحد بعد صلاة العصر خارج أغمات. ولحده الفقيه قاضي الجماعة عبد الرحمان تنيست ، وأبو العباس بن أجزول رحمهم الله أجمعين .

ثـم قال : وجد فـي تركته رحمه الله عبـاءة خشنة كـان يلبسها وأخرى يرتدي بها ، وسطل كان يتوضأ منه ، وسجادة وميزان الشمس لأوقات الصلاة ، وسروالان أحدهما من قطن والآخر من صوف ، ونعلان مرقعان ، فهذا مبلغ ما وجد في تركته رحمه الله .

وعن الشيخ الأجـل القدوة أبي العباس الغمـاري قال : سمعت أبا عمران موسى الدغوغي قال : سمعت عبد الرحمان بن أبي الطيب حفيد الخطيب يقول :رأيت الشيخ قبل موته بسبعة أيام وأشياخ الرسالة بأجمعهم اجتمعوا وشمروا وتحزموا وأخذوا يقفزون واحداً بعد واحد حتى إذا لم يبق منهم أحد قـام الشيخ أبو عبد الله فشمر وتحزم وقفز فـزاد عليهم كلهم في القفز نضَّر الله وجهه .

قال المؤلف رحمه الله : حدثني الشيخ الأجل أبو الحسن على القصداري— وكان فيه سماحة وفضل ودين—قال:حدثني الشيخ أبو العباس أخو الأستاذ قال: رأيت فى النوم قائلا يقول لي إذا أصبح فأول رجل يدخل من باب الغرب فهو

من أهل الجنة ، فلما أصبح فعدت عند الباب المذكور ، فأول من دخل القصدار رحمه الله ، حدثني عفى الله عنه قال : اشتقت الى زيارة الشيخ ، فسرت إليه فوجدته في الزاوية بأمغيوز ، والفقراء قد أحدقوا به وهم يبكون ، فسلمت عليه فدعا لي وصرفني ولم أنصرف ، فتغافل عني ساعة وصرفني ، فقلت له إنما أريد المقام معك ، وما أريد أن أنصرف ، فلما رأى الحاحي عليه نادى بالخديم وقال له إيتني بدواة وقرطاس، فكتب براءة وطبعها ثم قال لي: ألا تمشي في حقي لمراكش ؟ خذ هذه البراءة واحملها لأبي عبد الله ابن تيجلات ، فلم يكن لي بد من امتثال أمره ، فأخذت البراءة ودعا لي وودعته ، فجئت فدخلت من باب الدباغين فوجدت الشيخ وهو يصلي بالناس صلاة العصر ، فصليت ، فلما فرغ من الصلاة أعطيته براءة الشيخ فقال لي : ما هذه البراءة ، فقلت له براءة الشيخ سيدي محمد الهزميري ، فقال لي : كيف هو ؟ فقلت : في عافية ، فلما قرأها بكى ومسح عينيه ثم قال لي : مات الشيخ رحمه الله ، فقلت ياسيدي بل تركته حياً ، فقال لي قد مات رحمه الله ، فقعدت عنده قليلا فلما نزلت من المعلقة سمعت الناس يتحدثون بموته ، فهو قد أعلم بموته وأنا سقت الخبر .

ثم قال المؤلف عفا الله عنه : سرت مرة إلى زيارة ضريح الشيخ سيدي محمد الهزميري قدس الله روحه ، ثم قعدنا مع الشيخ الأجل عبد الكريم بن أخي الشيخ عند باب منزله نتذاكر حال الشيخ وأخيه سيدي عبد الرحمان نفع الله بهما ، فقال عبد الكريم : حدثني من أثق به ، قال الشيخ أبو عبد الله رحمه الله ، من وصل الى هذا الموضع وأدخل يده فى هذه الحلقة فهو منا ، فقمنا بأجمعنا فأدخل كل واحد أصبعه فى زر الباب .

انتهى ما لخصت من كتاب (إثمد العينين)،ولم أترك منه كرامة مذكورة للشيخين، غير أني لم أنقل ما يتبع به كل كرامة من الأدلة الحديثية والآثارية والمواعظ الشرعية في الغالب،وهو كتاب نفيس اشتمل على كراريس 11 نقلت منه هنا نحو كراريس 3 وأوراق 3 بدأت في الكتابة منه في 16 رمضان عام 1328

وختمت في 26 منه والحمد لله أولا وآخراً وصلى الله على سيدنا محمد وآلـه وصحبه وسلم ، والنسخة المنقول منها كتبت بخـط محمد ابـن مسعـود الغبزوري في يوم الاثنين في شوال عام 1138 .

وهزميرة من قبائل المصامدة كما تقدم في المقدمة .

وذكر المترجم في (أنس الفقير) (1) وفي (نيل الابتهاج) (2) وقال كل منهما إنه زار قبره بأغمات ، وقد كان المنصور الذهبي يشد الرحلة لزيارته كما في (المنتقى المقصور) وكذلك السلطان سيدي محمد بن عبد الله ، وقد زرنا رجال أغمات جميعاً عام 1333 ، ثم زرته رضي الله عنه مع ابن سعدون وابن عباد بعد الذهاب على السيارة لأغمات سنة 1356 (3) .

571) محمد بن علي الشريف

محمد بن علي بن يحيى أبو عبد الله قاضي الجماعة المعروف بالشريف شهرة لا نسبا ، قال أبو حيان في (النضار) : كان في مراكش في زمن ابن أبي الربيع يدرس كتاب سيبويه والفقه والحديث ، يميل الى الاجتهاد ، وله مشاركة في الأصول والكلام والمنطق والحساب ، ويغلب عليه البحث لا الحفظ ، روى عن الحافظ أبي الحسن ابن القطان وغيره ، وأخذ النحو عن يحيى ابن راجل شارح الجزولية ، وقرأ عليه جماعة أجلهم أبو عبد الله الصنهاجي وأبو إسحاق . . . . شارح الجزولية ، ومات بمراكش عـام اثنين وثمانيـن وستمئـة .

انتهى من (بغية الوعاة) .

---

1) **أنس الفقير** ص 66 وما بعدها .

2) **نيل الابتهاج** ص 231 .

3) الجملة الأخيرة استدركها المؤلف بعد طبع الترجمة .

وينظر عن محمد الهزميرى أيضاً **سلوة الأنفاس** 2 : 56 .

وقال العبدري في رحلته ما نصه : شيخنا الفقيه القاضي الأوحد الامام قاضي الجماعة بحضرة مراكش كلأها الله محمد بن علي بن يحيى الشريف قدس الله تربته ، وأنَّس في قبره غربته ، كان والله زينة الدنيا والدين وهو كما قال القائل :

أقاموا بظهر الارض فاخضرَّ عودها — وصاروا ببطن الارض فاستوحش الظهر

وتالله ان فقد مثله ليهون الرزايا ، وإنه لحقيق بما قال أحمد ابن المعذل (1) في ابن الماجشون : ما ذكرت أن الأرض تأكل لسان عبد الملك إلا هانت الدنيا في عيني ، انتهى (2) .

وذكر ابن قنفد في (شرف الطالب) أن في سنة تسع وستين وسبعمئة توفي خطيب جامع المنصور بمراكش الشيخ المسن الصالح إبراهيم الشريف حفيد القاضي محمد بن يحيى الحسني صاحب كتاب (الفرائض) وغيره ، انتهى (3) وتقدم تمامه في ترجمة أبي إسحاق المذكور (4) انتهى .

ونقل في (النيل) في ترجمة أحمد ابن البناء المراكشي أنه قرأ العربية على القاضي الشريف محمد بن علي بن يحيى ، قرأ عليه بعض الكتب ولازمه وذاكره مسائل من كتاب (الأركان) لأقلديس ، انتهى .

وقال في (القرطاس) لدى ذكر قضاة يعقوب بن عبد الحق المريني ما نصه : وقضاته بمراكش الفقيه القاضي العالم المشاور محمد الشريف ، انتهى (5) .

---

1) قال القاضي عياض كثير من يقول أحمد ابن المعدل بدال مهملة ، وصوابه بمعجمة هـ نقله في الديباج ص 31 (مؤلف) .

2) الرحلة المغربية ص 78 طبع الرباط .

3) شرف الطالب ، أو الوفيات لابن قنفذ ص 367 طبع بيروت سنة 1971 .

4) الاعلام ، بمن حل مراكش واغمات من الاعلام 1 : 178 ع 21 .

5) الأنيس المطرب بروض القرطاس 298 طبع الرباط .

وقال في (الذخيرة السنية) كذلك ما نصه : وقضاته بحضرة مراكش الفقيه العالم المجتهد محمد الشريف ، وكان أحد أيمة حفاظ المغرب في زمانه، وكان مشاركاً في جميع العلوم الدينية والدنيوية ، انتهى (1) .

572) محمد بن ابراهيم التجيبي

محمد بن إبراهيم بن أحمد بن عبد الرحمان التجيبي المراكشي المولد، التونسي الأصل والوطن ، النحوي المقري، قال أبو القاسم التجيبي في رحلته : شيخ جليل له المعرفة التامة بالعربية والمشاركة في غيرها ، ولد يوم الاثنين عاشر ذي القعدة سنة سبع وستمئة ، وسمع أباه ومحمد بن يحيى بن هشام الأنصاري النحوي وخلقا ، وأجاز له عبد الله بن سليمان ابن حوط الله ، وهو آخر من روى عنه، وقرأ النحو على والده وابن هشام المذكور، ولازمه وانتفع به.

مات بتونس ليلة الجمعة مستل جمادى الأولى سنة 697 .

انتهى من (بغية الوعاة) .

573) محمد ابن إبراهيم الكتامي

محمد بن إبراهيم بن محمد بن محمد بن إبراهيم بن يحيى بن إبراهيم بن يحيى بن إبراهيم بن خلصة بن سماحة الحميري الكتامي، مراكشي، أبو عبد الله ابن إبراهيم ، قال في (الذيل والتكملة) ما نصه : روى عن قريبيه أبي جعفر بن يحيى ، وأبي الحسن ابن القطان ، وأبي الحسن ابن حريق ، وأبي علي الرندي وغيرهم ، روى عنه أبو عبد الله بن إدريس القرليطشي ، وكان متقدماً في علم اللسان نحوا ولغة وأدبا ، شاعراً . . . . . . حسن الخط ، وكانت بينه وبين جماعة من أدباء عصره مكاتبات ظهر فيها شفوفه .

574) محمد بن محمد الكناني ، من علية الكتاب بدولة الموحدين ، ونزع من مراكش عندما انحل نظام بني عبد المومن وانفض

---

1) **الذخيرة السنية ص 86 طبع الرباط ، وليس فيها كلمة الدنيوية .**

جمعهم الى مكناسة فأوطنها في إيالة بني مرين ، واتصل بالسلطان يعقوب بن عبد الحق فصحبه فيمن كان يثابر على صحابته من أعلام المغرب ، وسفر عنه إلى الملوك منهم المستنصر سنة 665 ، وهلك السلطان يعقوب عن عبد الحق فازداد الكناني عند ابنه يوسف بن يعقوب حظوة ومكانة إلى أن سخطه ونكبه سنة سبع وستين وستمئة ، واقصاه من يومئذ وهلك في حال سخطته .

ذكره ابن خلدون .

575) **محمد ابن عذاري المراكشي** صاحب تاريخ الأندلس وشمال إفريقيا ، نبغ في أواخر القرن الثالث عشر للميلاد ، السابع الهجري ، طبع منه الجزء الأول والثاني في ليدن بمطبة بريل سنة 1848 م ، واسم هذا الكتاب الحقيقي (البيان المُغرب في أخبار المغرب) ، أو (البيان المعرب عن أخبار المغرب) ، صحائف الجز الأول 328 ، وصحائف الثاني 321 ، ثم طبع جزء ثالث سنة 1930 فيه أخبار جزيرة الأندلس من حين انقراض الدولة الأموية إلى آخر مدة ملوك الطوائف (1) وفيه من (نظم الجمان) لابن القطان،و (تاريخ عريب ابن سعد القرطبي)مختصر (تاريخ الطبري)، وراجع صحيفة 177 من (لب الألباب)، وحلاه بعضهم بما نصه : الشيخ الأجل، الأثير الأكمل ، الراوية المطلع الحسيب الأفضل ، قسم كتابه ثلاثة أجزاء ، الجزء الأول اختصر فيه أخبار افريقية من حين فتحت ، ثم أخبار أمرائها وولاة المروانيين ومن قام بأمر بني العباس من بني الأغلب ، وأخبار بني عبيد الشيعة وأخبار صنهاجة وانتقالهم إلى المهدية ، وفتنة العرب إلى أن استولى الموحدون ، وأخبار المدراريين السجلماسيين والأدارسة والبرغواطيين والزناتيين واللمتونيين .

---

1) طبع جزء رابع من **البيان المغرب** بتطوان سنة 1963 بعناية الأستاذ امبروسيو هويسي ميراندا، ومشاركة الأستاذين محمد ابن تاويت ومحمد ابراهيم الكتاني . وطبع في بيروت سنة 1967 في أربعة أجزاء مشتملا على نبذة منه تتعلق بتاريخ المرابطين كانت نشرت من قبل بمجلة (هيسبيريس) الرباطية .

والكتاب عظيم الفائدة، ظهرت منه نسخ خطية كثيرة بمكاتب متعددة مغربية وغيرها ،وهو في حاجة الى طبعة جديدة محررة مصححة .

والجزء الثاني خبر جزيرة الأندلس من حين فتحت ومن وليَها لبني أميــة ، ثــم مَن وليَها منهــم ، وذكر الدولة العامريــة إلى أن قامت الفتنــة والطوائف .

الجزء الثالث في خبر لمتونة ثم خبر الموحدين ، وذكر الحفصيــين والدولة النصرية والدولة المرينية إلى عام 669 .

وهذا التاريخ من التواريخ المعتمدة التي حازت الشهرة في الآفــاق شرقاً وغربا ، وممن نقل عنه ابن الخطيب السلماني في مواضع من (الاحاطة) واليفرني في (النزهة) ونقله في (الاستقصا) (1) .

تنبيــه

ابن عذاري المراكشي المذكور غير ابن عذاري الأندلسي البلنسي ، قال في (التكملة) محمد بن علي بن محمد المكتب من أهل بلنسية ، يعرف بابن عذاري ، سماه أبو الربيع في شيوخه ، وهو كان معمله في الكتاب ، وحكى عنه أنه كتب عن أبي عبد الله مولى الزبيدي بعض ما رواه عن ابن شرف مــن شعره ولم يسم شيوخه ولا ذكر وفاته انتهى .

576) محمد بن أحمد ابن الظهير

محمد بن أحمد بن عمر بن أحمد بن أبي شاكر بن عبد الله مجد الدين أبو عبد الله ابن الظهير المراكشي المحتد ، الأربلي المولد ، الحنفي الأديب ، كان فقيهاً فاضلا وأديباً شاعراً ، له النظم والمعرفة بالنحــو واللغة ، ودرس بدمشق ، وقدم مصر وحدث بها عن كريمة بنت عبد الوهاب وعلي بن محمد السخاوي ، وسمع باربل وبغداد ، وروى عن الحافظ الدمياطي .

ولد بأربل في ثاني صفر سنة اثنتين وستمئة ومن شعره :

قلبي وطرفي ذا يسيل دمــاً وذا دون الورى أنت العليم بقرحــه

انتهى من (بغية الوعاة) (2) .

1) توجد نسخة من البيان المعرب فى مكتبة الجامعة المصرية (مؤلف) .

2) هذا الشخص كان من الواجب حذفه ، لأنه ليس على شرط المؤلف ، أى أنه لم يحل بمراكش وأغمات ، وهو ليس مغربياً بالمرة ولا من مواليد المغرب ، وانما أصله منه فقط .

577) **محمد بن أبي طلاق** ، الطالب المريد ، لقيه بمراكش صاحب (المنهاج الواضح) وحدث عنه فيه .

578) محمد بن أحمد ابن عمر السلمي

محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد ابن عمر السلمي ، فاسي شقري الأصل ، روى عن عمه القاضي أبي حفص ابن عمر ، ولازمه باشبيلية وغيرها، وروى عنه أبو يعقوب ابن الزيات ، وكان فقيهاً عاقداً للشروط ، بصيراً بمعانيها ، تلبس بها في مراكش وفاس واشبيلية وغيرها ، بارعَ الخط ، حافظاً للتواريخ والأدب ، نبيلا في جميع محاولاته .

انتهى من (الذيل والتكملة) .

579) محمد بن إبراهيم ابن الحاج السلمي

محمد ابن الشيخ إبراهيم بن محمد بن خلف ابن الحاج السلمي المرداسي البلفيقي أبو عبد الله الخطيب ، ذكر المقْري في (نفح الطيب) و (أزهار الرياض) أنه مرَّ بأبيه في مراكش فقال لمن حدث عنه : رأيت هذا ، والله ما أدري أن لي ابناً حتى يمرَّ بي، ولا أذكره إذا غاب عني، ولا أرى إلا الله .

وكتب صدر رسالة وجه بها إليه أيام قراءته باشبيلية :

إذا شئت أن تحظى بوصلي وقربتي ... فجنبْ قرينَ السوء واصرم حباله
وسابق إلى الخيرات واسلك سبيلها ... وحصلْ علومَ الدين واعرف رجاله

ومن هذا المعنى قول بعضهم :

صاحب ذوي الفضل تسعدْ من كرامتهم ... واخدمهمُ صادقاً واصدقهمُ خبراً
كم صحبة ألحقتْ من شؤمها ضرراً ... وصحبةٍ طوقتْ من يمنها دررا
وشاهدي كلبُ أهل الكهف مع ضعة ... من أجل صحبتهم في الوحي قد ذكرا

وتقدمت (1) ترجمة والده ابراهيم فيمن يسمى إبراهيم .

---

1) فى الأصل وستاتى اعتباراً لترتيب المؤلف القديم ، أما ترجمة أبيه الشيخ ابراهيم بن محمد ابن الحاج فتقدمت فى I : 154 ع II من هذا الكتاب وهذه الطبعة .

وأما والده إبراهيم بن محمد بن ابراهيم فقد ترجمه السيوطي في (الطبقات الصغرى) عن ابن عساكر ، وإنه مات في مصر سنة 661 عن نحو خمسين سنة، وترجم في (الاحاطة) لحفيده الولي الصالح محمد بن ابراهيم بن محمد بن الشيخ إبراهيم نقلا عن جزء فيه لولده أبي البركات محمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن الشيخ إبراهيم الآتية ترجمته إن شاء الله ، وكلهم مذكورون في (رياض الورد) .

580) محمد بن محمد العبدري الحاحي

محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن مسعود العبدري الحاحي ، روى عنه أبو القاسم ابن رضوان ، وذكره في (الجذوة) مقتصراً على ذكر بعض ما في رحلته ، وقد عنَّ لي أن اختصرها هنا لعزتها فأقول : قال : وبعد فانى قاصد بعد استخارة الله سبحانه إلى تقييد ما أمكن تقييده في حين الرحلة إلى بلد الشرق من ذكر بعض أوصاف البلدان ، وأحوال مَن بها من القطان ، حسبما أدركه الحس والعيان ، وأذكر مع ذلك ما استفدته من خبر ، وأنشدته من درر ، وأثبت في خلال ذلك من نظمي ما يتغلغل إليه الكلام ، وأضيف إلى ذلك ما يضطر له البيان ، مثبتاً في كل رسم بعض الأحاديث التي رويتها ، والآثار التي وعيتها ، وأختم ذلك بقصيدة وعظية أسرد فيها الرحلة سرداً ، وأبرزها من نسج فكري برداً ، وربما حمل الامتعاض لحزب الفضائل ، عن فرط تحزب وتألب على فئة الرذائل ، وقد يردع المسيء عن إساءته ، ما يرى ويسمع من مساءته ، ثم أورد عن تقي الدين ابن دقيق العيد عن العز بن عبد السلام بسنده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من رأى منكم منكراً فليُغيره بيده الحديث ، ثم ذكر أن عصره تعطل فيه موسم الفضائل وصار الملك يدعيه كل غوي ، ثم أورد قصيدة له في يوسف بن عبد الحق المريني قال ، ألا ناصر ينجد ؟ ألا راحم يرؤف ، ويتذكر ملك البرين فيقرأ ياأسفا على يوسف .

ومطلع القصيدة :

فمن مبلغ علياه عني من نظـــم ... رسالة مستعد شكا ظلمة الظلـم

إلى أن قال :

هو البحر يغني حين يعطي وإن يصل تقل دكت الدنيا ولم يبق من رسم

ثم قال :

إلى يوسف سيف الالاه الذي أتى لحسم العدا إن الحُسام من الحسْم

ثم ذكر أن بدأ تقييده لهذه الرحلة في تلمسان ، ووقف عليها شيوخه بمصر وغيرها ، واستحسن ما وقف عليه منها شيخه زين الدين ابن المنير ، وكان سفره في 25 ذي القعدة عام 688 ، ومبدؤه من حاحة ، وكان طريقه على بلاد القبلة ،وزار بموضع آنسا من أعلا بلاد السوس الأقصى قبر الشيخ الصالح عمر بن هارون المذكور في (التشوف) (1)، وذكر الشيخ الفقيه الصالح أبو سعيد الحاحي المترازي في كتابه (منار العلم) أنه كان يدخل عليهم في الدرس فيقول لهم تهنيكم عبادة القلوب والألسن والأعين .

وبلد آنسا بلد منفسح منشرح ، في بسيط مليح طيب التربة ، يغل كثيراً ، وبه ماء جار كثير ، ونخل وبساتين ، وهو آخر بلاد السوس من أعلاه متصل بالجبل مشرف على أرض السوس ، وكان فيما مضى مدينة كبيرة ثم صارت ليس بها إلا رسوم حائلة ، وطلول مائلة ، خلت من كل قارىء ومقرء عليه ، بيد أن بها صبابة من أهل الدين (2) .

ثم سافر منها على بلاد القبلة ، وهي بلاد مات فيها العلم حتى انهم في أكثرهم لا يتخذون لأولادهم مؤدباً ، وفيهم حسن الظن بأهل الدين ، يحترمون الجار ، وفي أكثر بلادهم حصون مجموعة ، وأنهار جارية ، والحرب

---

1) قال فيه فى **التشوف** : كان عبداً صالحاً إنقطع فى الجبل لعبادة الله تعالى،واعتزل الناس فما آوى الى أحد وما تزوج قط فى أعوام التسعين وخمسمئة ، انتهى من **التشوف** ، وتذهب الى زيارته من تلوين سجتانة بينها وبينه الوادى فى جبل هناك ، وبين رودانة وتلوين المذكورة 101 كيلومتر لتلوين على طريق تينمل.253 كيلومتر ، وتفصيلها من مراكش الى تينمل 103 ثم الى الجنوب 83 ، محل واقع بين قبيلة آيت سمك والمنابهة ، ثم الى تلوين 67 من الجنوب المذكورة الى رودانة 83 كيلومتر ـ (مؤلف) . انظر **التشوف** ص 343 ع 174 .

2) **الرحلة المغربية** ص 8 .

فيها مستمر ، وسمع من الفقيه الشيخ الجليل الفاضل أبي بكر بن عبد العزيز عن والده الشيخ الصالح القدوة أبي محمد، وكان دخل بلاد القبلة أنه كان يقول الغرب دنيا بلا رجال ، والقبلة رجال بـلا دنيا ، أو كلاماً هذا معناه ، وإنمـا يعني مكارم أخلاقهم ، مع أن عيشهم غير متسع كاتساعه في الغرب (1) .

وانفصل عنها إلى تلمسان في أزيد من ثلاثين مرحلة ، وهي بلد حلت بها زمانة الزمان، مدينة كبيرة سهلة جبلية جليلة المنظر، مقسومة باثنين بينهما سور (2) ولها جامع عجيب مليح متسع ، وبها أسواق قائمة وأهلها ذوو ليانة، ولا بأس بأخلاقهم ، وبظاهرها في سند الجبل موضع يعرف بالعباد ، هو مدفن الصالحين ، ومن أعظم مزاراته الشيخ الصالح القدوة ، فرد زمانه ، أبو مدين رضي الله عنه ، وعليه رباط مليح مخدوم مقصود ، والدائر بالبلد كله مغروس بالكرم وأنواع الثمار ، وسوره من أوثق الأسوار ، وبه حمام العالية (3) قلَّ أن يرى له نظير ، وأما العلم فقد درس رسمه في أكثر البلاد ، فما ظنك في وهي رسم عفا طلله، ووصف قاضيها بالجهل، ثم قال: ومع ذلك فلو انتهت خطة القضاء إلى عليان أو ماني ، لم تكن في الشناعة كانتهائها إلى العمراني، بحضرة مراكش كلأها الله ولا كلأ القاضي المذكور حياً وميتاً ، فانه منجنيق ظلم بـه ترمي به قواعد الدين ، ونفط فساد يضرم قلوب المهتدين ، وقد وفق الله لخضد شكوته ، وإخماد جمرته ، أمير المومنين أيده الله، فأغمد من جوره سيفاً قاطعاً، وعوض المسلمين من ظلامته ضياء ساطعاً ، ومن بعض غرائبه التي شاهدتها أن قوماً ادعي عليهم القتل وأثبت المدعي دعواه بوثيقة عليها إعلامه بصحته ، فاحتجوا بأن لهم مدفعاً ، فطلب المدعي تثقيفَهم كما يجب شرعاً ، فقال لـه

---

1) **الرحلة المغربية** ص 9 .

2) كانت تلمسان تشتمل على مدينتين ، المدينة التحتانية وتسمى اكدير ولاتزال ، وبها مسجد الامام ادريس بن عبد الله الكامل ، والمدينة الفوقانية وتسمى تاكرارت أى المحلة بلغة صنهاجة ، وهى من بناء يوسف بن تاشفين ، وفيها آثار المرابطين والموحدين والمرينيين ، وبينهما ربض يسمى الى اليوم (الربط) .

3) بقى هذا الحمام قائماً الى أن حوله الفرنسيون أيام احتلالهم الى مخزن عسكرى ، ويقع بين ثكنة (المشور) وثنة كورمالة الواقعة امامها .

القاضي : هؤلاء كبراء الناس وأعيانهم ومن لا يتغيب ، وهذه سنة إسرائيلية أحياها هذا اللعين لا حياه الله ولا صفح عنه ، فما أعظم جرأته على الله عز وجل، ثم أورد بسنده عن شيخه الصالح المحدث علي بن أحمد بن عبد المحسن الحسيني القرافي بثغر الاسكندرية بسنده المنتهي إلى الامام البخاري ، بسنده إلى عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم أن بني إسرائيل كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه الخ (1) .

ثم إنه لم ير مَن ينتمي بها إلى العلم سوى صاحبه محمد بن عمر بن محمد ابن خميس ، وهو فتيّ السن ، مولده عام خمسين ، وله عناية بالعلم مع قلة الراغب فيه والمعين عليه ، وحظ وافر من الأدب ، وطبع فاضل في قرض الشعر ، وألفى الشيخ العفيف إبراهيم بن يخلف التَنَسي وأخاه أبا الحسن مسافرين إلى المشرق ، وهما من سكان تلمسان وليسا منها ، مشاركان في العلم مع مروءة تامة ودين متين ، وكان أبو الحسن ابن المنير يثني على أولهما قائلا : أما بلاد يكون فيها مثل أبي إسحاق التَنَسي فما خلت من العلم ، وقد أدركهما بمصر ، ولازم التَنَسي ابن دقيق العيد بمصر مدة ، وأكثر المؤلف من مجالسة ابن خميس ومفاوضته ، وحدثه ابن خميس عن الفقيه أبي عبد الله ابن حمدون عن الفقيه أبي زيد ابن القاضي بتونس أن أبا محمد ابن حوط الله ورد على أبيه فأنزله بداره ، وكانت تفوح منه رائحة المسك ، فسقطت منه خريطة لا يفارقها ووقع منها كتاب (الشمائل) ، ثم أورد كثيراً من شعر ابن خميس الذي أنشده ، ثم ذكر أن الشام يكون بالمد حتى في غير النسب خلافاً لمن أنكره ، ثم قال وأنشدني الفقيه الأديب الكاتب الأبرع محمد بن عبد الله بن داوود ابن خطاب المرسي مما أنشده إياه لنفسه ، ثم ذكر مَن لقيه ابن خطاب المذكور منهم الفقيه الأستاذ النحوي الحسن بن عبد الرحمان الكناني الشهير بالرفاء، والعالم محمد ابن محرز الزهري، والعالم أبو المطرف أحمد بن عبد الله ابن عميرة المخزومي ، قال ولازمته مدة إقامته بمرسية ، وقرأت عليه (التلقيحات) للسهروردي ، ومختصر (المستصفى)

1) **الرحلة المغربية** ص 12 طبع الرباط .

للقاضي أبي الوليد ابن رشد المسمى بـ (الضروري) ، وقرأت عليه بعض (التلقين) ، وكان له عليه كلام حسن وتنبيه على مواضع منه لم أر مَن تفطن لها سواه ، ولقيت الفقيه القاضي محمد بن عمر ابن أبي السداد ، ولقِيت الفقيه أبا بكر ابن جوهر الأزدي ، والفقيه أبا العباس الطرسوني ، وأبا عبد الله السمار المؤدب ، والفقيه الخطيب بجامع مرسية أبا عبد الله ابن فتح ، والفقيه الورع أبا عبد الله ابن النجار الخ .

انتهى ما وجده بخط ابن خطاب (1) .

ثم أنشد المؤلف عنه عن أبي العباس اللبلي الكاتب من إنشاد شيخه وإنشائه الأديب الفاضل أبي الطيب صالح بن شريف الرندي ، ونقل عن كتاب (التدريب) لأبي عبيد البكري .

وممن لقيه المؤلف بتلمسان يحيى ابن عاصم ، وهو رجل متقلل حيي له حظ من اللغة ويقرض من الشعر ما لا بأس به ، وكان جاراً لابن خميس ، وأورد له قصيدة فيها معارضة بيتي الزمخشري (لجماعة سموا هواهم سنة) الخ بقوله :

قل للذي سمى الهداة أولى النهى   حمراً لان سُلب الهدى والمعرفة

وهي 11 بيتاً ، وذكر المؤلف أن حُمُراً جمع حمار لا يخفف بالتسكين لالتباسه بجمع أحمر .

ومما نظمه المؤلف بتلمسان :

تغربت عن أهلي إليك ومالـــي   وأعرضت عن قيل عداك وقال (2)

ثم ارتحل من تلمسان بعد المقام الطويل لخمس خلون من شهر ربيع الأول ، ثم وصل إلى مليانة ، وهي مدينة مجموعة مختصرة وليست مع

---

1) الرحلة المغربية ص 18 طبع الرباط .
2) الرحلة المغربية ص 23 طبع الرباط .

ذلك عن أمهات المدن مقصرة ، أشرفت على وادي شلف . واستشرفت نسيم طرفها من شرف ، في روضة جمعت الأزهار والظرف ، فرعت في سفح جبل حَمى حماها أن يرام ، وشرعت في أصل نهر يشفي الهيم من الهيام ، فاق منظره ، وراق مخبره ، ولكن الزمن قد عوضه من حلْي عطلا .

ثم وصل إلى الجزائر وهي مدينة تستوقف بحسنها نظر الناظر، ويقف على جمالها خاطر الخاطر، وقد حازت مزيتيْ البر والبحر، وفضيلتيْ السهل والوعر. لها منظر عجيب أنيق، وسور معجز وثيق، وأبواب محكمة العمل، يسرح الطرف فيها حتى يمل ، ولكنها قد أقفرت من المعنى المطلوب ، فلم يبق بها من هو من أهل العلم محسوب (1) .

ثم وصل إلى مدينة بجاية ، مبدأ الاتقان والنهاية ، وهي عجيبة الاتقان ، رفيعة المباني في سفح جبل وعر ، مقطوعة بنهر وبحر ، مشرفة عليهما إشراف الطليعة ، متحصنة بهما منيعة ، فلا مطمع فيها لمحارب ، ولا متسع بها لطاعن وضارب ، ولها جامع عجيب ، منفرد في حسنه غريب ، وهذه بقعة من قواعد الاسلام، ومحل حله من العلماء أعلام ، وفيها آحاد من طلبة العلم قد اقتصروا على مطالعة الصحف والدفاتر ، وسلكوا في ترك تصحيح الرواية طريقاً لم يرضه الأعلام الأكابر ، ولم أر بها من أهل الشيمة الفضلى ، والطريقة المثلى ، أمثل من الشيخ الفقيه الخطيب الصالح المسند الرواية محمد بن صالح بن أحمد الكناني الشاطبي ، وهو شيخ على سنن أهل الدين ، سالك سبيل المهتدين ، مقبل على ما يعنيه، دأبه الاقتصار على تجويد الكتاب، لقي من الشيوخ أعلاماً ، وله مع علو الرواية ، حظ وافر من الدراية ، وأقام المؤلف ببجاية يومين قرأ عليه فيهما بعض كتاب (الموطأ) برواية يحيى بن يحيى ، وناوله سائره وبعض كتابي (التيسير) و (المقنع) لأبي عمرو الداني وناوله إياهما ، و (حرز الأماني) للشاطبي ، وحدثه بها عن محمد ابن وضاح اللخمي سماعاً على ناظمها المتوفى في عقب جمادى الأخيرة عام 590 ، وبعض كتاب (الشمائل) ، وبعض (رياضة المتعلمين) للحافظ أبي نعيم ، وناله

1) **الرحلة المغربية** ص 26 .

سائرهما ، وناله (المفردات) لابـي عمرو ، وكتاب (فضل قيام الليـل) ، وكتاب (فضل تلاوة القرآن) للآجري ، وأجازه إجازة عامة ، وكتب له ذلك بخط يده ، وله برنامج قرأه عليه في لقائه المرة الثانية حين قفوله ، وولـد عام 614 في 29 ذي قعدة ، ورأيت في الطرة وفاته عن درة الحجال سنة 699 هـ، وقرأ عليه حديث كميل بن زياد عن علي بن أبي طالب من (رياضة المتعلمين) عن الشيخ أحمد بن محمد بن أحمد السراج سماعاً عليه بقراءة أبـي عبد الله القضاعي عن أبي القاسم ابن بشكوال بسنده وأنشده من حفظه :

أرى العمر يفنى والرجاء طويـل ... وليس إلى قرب الحبيب سبيـل
حباه إلاه الخلق أحسن سيـرة ... فما الصبر عن ذاك الجمال جميـل
متى يشتفي قلبي بلثم ترابـه ... ويبهج دهر بالمزار بخيـل
دللت عليه في أوائل أسطـر ... فذاك نبيٌ مصطفى ورسـول

قال وأنشدني كذلك أيضاً ، يعني للشيخ الخطيب عبد الله بن عبـد الرحمان بن عبد الله هو ابن برطله لنفسه :

دنياك مهما اعتبرت فيهـا ... كجيفة عرضة انتهـاب
إن شئتها فاحتمل أذاهـا ... واصبر على خلطة الكـلاب

ورأيت فـي الطرة نسب ابن القاضي هذين البيتين للعبدري مؤلـف الرحلة وهو غلط منه فلا تغتر بما ذكره في (درة الحجال) في ترجمة محمد بن صالح الكناني المعرف به هنا (1) .

وضبط المؤلف بُرطُله بضم الباء والطاء وضم اللام وهاء ساكنة ، من أهل مرسية ، وولي القضاء بمواضع من عمل تونس وبها استقر إلـى أن أماته الله تعالى بها عام 661 ، وقرأ المؤلف عليه ، أي على الكناني المذكور ، قصيدة محمد بن أبي الخصال التي سماها (معارج المناقب) ، وناوله إياها عن ابن السراج قراءة عن ابن بشكـوال وابن غالب الشراط سماعاً عليهمـا بقراءة خاله محمد ابن خير عن ناظمها المذكور وأولها :

---

1) **الرحلة المغربية** ص 30 طبع الرباط .

إليك فهمي والفؤاد بيثـــــــــرب وإن عاقني عن مطلع الوحي مغرب

ثم وصل إلى بني ورا ، ثم إلى ميلة ، وكلتاهما على شكـل مدينة ، ليست بثمينة ولا متينة ، عمل البلا فيهما وفـي السكان ، وفي كليهما عـين تسح ، وبنو وراء أعمر المحلين ، وعين ميلة في داخل البلد ، وقد طويت طيا بديع الاحكام .

ثـم وصل إلى البلد الـذي نشفت الخطوب معينه ، وأبت الأقـدار أن تكون له معينة ، بلد الوضع العجيب ، والموضع الخصيب ، مدينة قسنطينة، مدينة عجيبة حصينة ، وبها للأوائل آثار عجيبة ، ومبان متقنة الوضع غريبة، وأكثرها من حجر منحوت ، يعجز الوصف عن إتقانه ويفوت ، وقد دار بها وادٍ شديد الوعر ، بعيد القعر ، ولكن سهام الدهر لا تقيها الجنن ، ولا تمنع منهـا الفتن، ولم أر بها مَن ينتمي إلى طلب سوى الشيخ حسن بن بلقاسم بن بادس، وهو شيخ من أهل العلم يذكر فقهاً ومسائل ، ولست له بالرواية عناية ، ولم يرو إلا (الموطأ) وحده بقراءته على الشيخ يوسف بن موسى الغماري الحساني حين خطر على قسنطينة راجعاً من المشرق ، فأقام عندهم مدة لتوالى الأمطار، فقرأه عليه وهو إذ ذاك كبير ، وفارقه وهو عنده مجهول ، وما عرف من هـو حتى عرّفته به حين رأيت خطه الذي كتب له على (الموطأ) ، وقد قرأت عليه صدراً منه ، وحدثني به عنه وسمعته يقول : سمعت الشيخ الصالـح الحاج المسن حسن الحلفاوي يقول: عمرت خمساً وثمانين سنة ما تمّ لي بها سرور قط إلا ثلاثة أيام ، يوم دخولي مكة ، ويوم وقوفي بعرفـة ، ويوم دخولي مدينـة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : وسألته ، يعني حسن بن بلقاسم ابن بادس ، عن الأديب حسن بن علي بن محمد القسنطيني المعروف بابن الفكون، فذكر لي أنه أدركه وهو طفل صغير ولم يحفظ له مولداً ولا وفاة، ورمت أن أجد مَن أروي عنه قصيدته المشهورة من قسنطينة إلى مراكش فلم أجده ، فقيدتها هناك غير مروية ، وكان القسنطيني كتب بها إلى أبي البدر ابن مردنيش وهو بقسنطينة ، وهي هذه :

ألا قل للسري بن السـري أبي البدر الجواد الأريحـي

ثم أوردها كلها وهي 31 ، ثم تعقب بعض ألفاظها قائلا : قلت قال أهل اللغة : الغنج والغَنَـج الدل وحسن الشكل ، فقوله لقد رمت العيون سهام غنج غير ملائم ، وقائله لا يسلم من لائم ، ولا يحسن في الأدب خطاب ذوي الرتب بمثل قوله « فحسبك نار قلبي من سعير » ، ثم قال : وقوله « بوسنان المحاجر لوذعي » موضوع فى غير موضعه ، فان الوسن إنما يوصف به الجفن والعيـن والطرف وما جرى مجراه ، وأما المحاجر فما أحد وصفها بالوسن فيما أعلم ، وترتيب اللوذعي مع وصف المحاجر كترتيب الدل مع الشنب ، والتحاكم في ذلك إلى كثير ، وقوله : « معنوي بعد منخنث المعاطف » أبعد من هذا ، ولقد استربت به حتـى ظننت أنه مصحَّف ، ولا أبـرأ فيه من تصحيف ، وذكـر الانخنات في المعاطف ليس بدون هذا في القبح ، فان اللفظ وإن كان له أصل في اللغة في اللين والتثني فقد رفعه كثير الاستعمال في وجه آخر ، وإنمـا جـرت عادة الشعراء فـي وصف المعاطف بذكر التثنـي واللين والانعطـاف بالانخنات ، وقوله : « رشا رباطي » لفظ مختل جاف ما جلبه إلا التجنيس ، وإذا وجـد الرشا والرباط فما بقـي إلا الضرب ، وأي رقة مع هـذه الالفاظ الجافية ، ولو قال : « رشا ارتباطي » لكان أقرب مع بعده ، لأنـه أراد التماسك والتثبت، فالارتباط به أليق، وقوله : « مغاربهن في قلب الشجي » خارج عن اعتدال الكلام ، فانه أراد بما ذكر من غروبهن في القلوب اشتمالها على حبهن ، وليس اذا غرب حبهن فقد غربن فيها ، ولا يحسن أن يقال مطلعهن قطر فاس ومغربهن قلب الشجي، وإنما يحسن أن يذكر في غروبهن ما يغيبهن عن النواظر كالحدق ونحوها ، وبذلك جرت عادة الشعراء ، فهذا الرجل لم يخالف مبدعاً ، ولم يوالف متبعاً ، وقوله : « بدور بل شموس بل صباح » نزول مفرط ، وعكس للرتبة ، فان الشمس أشهُر من الصباح وأنور ، والانتقال من التشبيه بالأعلى إلى الأدنى أشبه بالذم منه بالمدح ، ولاسيما مع الاضراب ، وقوله : « بهي في بهي » غير منطبق مع صدر البيت ولا ملائم له ، ولو قال بدور في خدور فـي قصور لجاء عليه عجز البيت أليق من العقد بجيد الحسناء ، وأوفق من الجود للروضة الغناء ، وقوله : « إذا انسوني الولدان حسناً » ضعيف ساقط ، لأن التشبيه والتمثيل يجب أن يكونا في كل صنعة بما تعارفه أهلها ، واشتهـر

عندهم هذا على التقييد في الولدان ، فكيف واللفظ مبهم مطلق يدخل تحته كل ما يسمى ولداً ، وقوله : « فهذا بالغدوٍّ يهيم غربا » كلام غير محصل ، فان الجسم العري من القلب لا يهيم ، وإنما يهيم القلب ، وليست الباء هنا ظرفية بمعنى في لان الهيمان لا يتخير الأوقات ، وما أضعف حباً لا يهيم إلا مرة في اليوم . وإنما هي للالصاق ، أي هذا يشتاق في وقت الغروب إلى الغدو ، وذلك في وقت الشروق إلى العشي ، وهو معنى حسن لو ساعده اللفظ (1) .

ثم وصلنا إلى مدينة بونة فوجدناها بطوارق الغير مغبونة ، مبسوطة البسيط، لكنها بزحف النوائب مطوية مخبونة، تلاحظ من كثب فحوصاً ممتدة، وتراعى من البحر جزره ومده ، وقد أزعج السفر عن حلولها ، فلم أقض وطراً من دخولها .

ثم مر على قرية خولان وفناؤها رحب المسرح ، وبسيطها أبسط من غيره وأشرح .

ثم وصلوا إلى مدينة باجة التي هتكتها الأيدي العادية ، وفتكت فيها الخطوب المتمادية ، حتى صارت وهي حاضرة بادية ، وما رأيت بها من له إلى العلم انتماء سوى الأديب النحوي حسين بن محمد الطبلي ، بالطاء والباء الساكنة ، له مقول منقاد ، وذهن مشتعل وقاد ، وهمته على علم العربية مقصورة ، جمع أكثر مؤلفاتها ، قرأ عليه المؤلف بعض كتاب (المقرب) في النحو ، وحدثه بجميعه قراءة على مؤلفه علي ابن عصفور المتولد سنة 597 المتوفي بتونس سنة 669 ، وحدثه عنه بكتابه الكبير في (شرح الجمل) ، وحدث المؤلف به وبغيره المؤلف عبد الرحمان الدباغ صاحب (معالم الايمان) (2) .

ثم وصل إلى مدينة تونس محط الرحال من الغرب والشرق ، ملتقى الركاب والفلك ، أرجاؤها روضة باكرتها ريح بليل ، إن وردت مواردها

---

1) **الرحلة المغربية** ص 37 .

2) **الرحلة المغربية** ص 38 طبع الرباط .

نقعت غليلا ، لا تنشد بها ضالة من العلم إلا وجدت ، وأهلها بين عالم كالعلم ، رافع بين أهله للعلم ، فاقت بحسن معانيها واتقان مغانيها غيرها من المدن وطالت ، وهي في غاية الاتساع ونهاية الاتقان ، والرخام بها كثير ، وأكثر أبواب ديارها معمول به عضائد وعتباً ، وجل مبانيها من حجر منحوت محكم العمل ، ولها أبواب عديدة ، وعند كل باب ربض متسع على قدر البلد المستقل ، ولو اتفق أن يكون بها ماء جار لكانت معدومة النظير شرقاً وغرباً ، ولكن ماؤهـا قليل ، وفي ديارها مصانع لماء المطر ، وهو المستعمل عندهم ، وأما الساقية المجلوبة من ناحية زغوان فقد استأثر بها قصر السلطان وجنانه ، إلا رشحاً يسيراً يسرب إلى سقاية جامع الزيتونة ، يترشف منها في أنانيب من رصاص، ويستقى منه الغرباء ، ومن ليس في داره ماء ، ويكثر عليها الازدحام ، وهذا الجامع من أحسن الجوامع ، والساقية المذكورة من جملة غرائب الدنيا مـن عمل الروم ، مجلوبة على مسيرة يومين ، ثم دارت من وراء تونس إلى الغرب، وانتهت إلى مدينة قرطاجنة ، وبينها وبيـن تونس اثنا عشر ميلا ، وما زالت مدينة تونس ، كلأها الله ، دار ملك وضخامة ، وهي إلى الآن دار مملكة افريقية أربت على البلاد في كل فضيلة ، وما رأيت لأهلها نظيراً شرقاً وغرباً ، شيماً فاضلة وخللا حميدة ومعاشرة جميلة ، وناهيك ببلد لا يتوحش به غريب ، ولا يعدم فيه كل فاضل أريب ، يبدأون من طرأ عليهم بالمداخلة ، ويخطبون منه لفضل طباعهم المواصلة ، ولولا أني دخلتها لحكمت بأن العلم في أفق المغرب قد مُحي رسمه ، وما من فن من الفنون إلا وجدت بتونس به قائماً ، وبها من أهل الرواية والدراية عدد وافر ، ولم يلق المؤلف جميعهم ، وإنما لقي منهم أفراداً منهم الشيخ الفقيه الفاضل المسند المسن عبد الله بن محمد ابن هارون القرطبي ، صحب أبا القاسم ابن الطيلسان وأخذ عنه كثيراً ، وأخذ عن جماعة من أهل الأندلس به وبالعدوة ، وقد جمع أسماءهم في برنامج قرأته عليه حين لقيته ثانية ، وناولني سائره ، قرأت عليه بعض كتاب (التيسير) لابي عمرو، وناولني سائره، وسمعت عليه دولا(I)من (صحيح مسلم)، وقد سمع جميعه على أبي القاسم ابن بقي ، وناولني فهرسته وفهرستيْ جده أبي جعفر وابن بقي

I) الدول جمع دولة : الدرس أو مجلسه الرتيب في الاصطلاح العلمي المغربي القديم .

تخريج ابن السيلطان ، وحدثني بهما وبما تضمنتاه عنهما ، وأجاز للمؤلف ولولده محمد عامة ، ومنهم الشيخ الأستاذ النحوي الأديب الفاضل المحدث الراوية أحمد بن يوسف الفهري اللبلي له برنامج قرأ عليه أول (الموطأ) وجميع كتاب (الجامع) إلى آخره،وبعض (حرز الأماني)،ومجالس من كتاب (التيسير) للمقرىء ، ومن كتاب (الشمائل) ، وناوله ذلك وأجازه عامة بخط يده وبكل ما له ، وسمع عليه أرجوزته المسماة بـ (العقيدة) ، ومنهم الفقيه الأديب الفاضل ذو العناية والتهمم صاحبنا وولينا في الله محمد بن عبد المعطى بن محمد النفزي شهر بابن هريرة ، له عناية بالتاريخ ، وحظ من الادب، ومشاركة في غير فن ، أفادنا وأفدناه ، وناولني كتابه الذي جمعه في وفيات المشاهير من أهل كل فن وموالدهم ونتف من أخبارهم ، وأسمعني مواضع منه ، وأجازني سائره ، وهو كتاب مفيد إلا أنه لم يرتب كما ينبغي ، وقرأ عليه قصيدة الشيخ يحيى بن علي الشقراطيسي ، وشقراطيس قصر من قصور قفصة ، توفي الشقراطيسي سنة 466 في 8 ربيع الأول ، ثم أوردها كلها ، ثم بالغ في مدحها ، واعتنى الناس بها شرحاً وتخميساً ، فخمسها وشرحها أبو عبد الله المصري ، والقاضي أبو عمرو بن عريها (1) من المشاهير بافريقية ، والفقيه أبو بكر ابن حبيش ثلاث مرات ، وقرأ المؤلف على ابن هريرة تخميس أبي عبد الله المصري للمنفرجة ، ثم أورده وأوله :

يامن يشكو ألم الحرَج   ويرى عسراً قرب الفرج
أبشر بشذا فرج أرج   اشتدي أزمة تنفرجي
قد ءاذن ليلك بالبلج

وقرأ عليه بعض كتاب (المذهبة) في الحلى والشيات ، ثم قرأ عليه جميعها فى المرة الثانية بسنده إلى ناظمها الشيخ الفقيه القاضي محمد بن عيسى بن أصبغ ابن المناصف رحمه الله (2) .

---

1) قال العبدري : وقيده صاحبنا أبو عبد الله عريهة بالتاء (الرحلة المغربية ص 50) .

2) **الرحلة المغربية** ص 60 طبع الرباط .

ثم ذكر المباحثة مع نجباء تونس ، فمنها السؤال عن السبب في فرار الشيطان من الأذان دون الصلاة ، وأجاب المؤلف بأنه يمكن أن يقال إن من طاعة الله بالجملة محاربة للشيطان وجهاداً له ، والعدو إنما يفر عند كشف الغطا ، وبلوغ الغاية في المجاهرة بالعداوة ، وليس في العبادات أبلغ في هذا المعنى من الأذان ، وذكر أنه عرضه على الشيخ الصالح عبد الله ابن عبد السيد بمدينة طرابلس فاستحسنه ، ومن ذلك أن سائلا سأله عن قوله تعالى « أن تضلّ إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى » فأجاب المؤلف ، بأن إعادة لفظ إحداهما لتعادل الكلم وتوازن الالفاظ وتماثل أقسام الكلام فيما اشتملت عليه من المفردات ، وهو المعنى في الترصيع ، ولكن هذا أبلغ وأبدع ، وبيانه انها متضمنة لقسمين ، قسم الضلال، وقسم التذكير ، فأسند الفعل الثاني إلى ظاهر حسب إسناد الأول ، ولم يوصل بضمير مفعوله لكونه لازماً ، فأتى بالثاني على صورته من التجرد عن المفعول، ثم أتى به آخراً بعد اعتدال الكلام وحصول التماثل في تركيبه ، ولو قيل إن المفعول حذف حذفاً لكان أبلغ في المعنى المذكور ، وتكون الأخرى بدلا ونعتا على جهة البيان ، كأنه قال : إن كان ضلال من إحداهما كان تذكر من الأخرى ، وقدم على الأخرى لفظ إحداهما ليسند الفعل الثاني إلى ما أسند إليه الأول لفظاً ومعنى والله أعلم ، وعرض للمؤلف سؤال في قوله تعالى « فان لم يكونا رجلين » وهو أن الضمير فى يكونا للرجلين ، لأن الشهيدين قيدا بأنهما من الرجال ، والذي يظهر لي من الجواب فى هذا أن شهيدين لما صح أن يطلق على المرأتين بمعنى شخصين شهيدين ، قيده تعالى بقوله : « من رجالكم » ، ثم أعاد الضمير في قوله : « فان لم يكونا » على الشهيدين المطلقين ، وكان عوده عليهما أبلغ ليكون نفي الصفة عنهما كما كان إثباتها لهما ، فيكون الشرط موجباً ومنفياً عن الشهيدين المطلقين لأن قوله : « من رجالكم » كالشرط ، كأنه قال : « إن كان رجلين » وفي النظم على هذا الأسلوب من الارتباط وتعانق الكلام وجريه على نمط واحد ما لا خفاء به ، والذي يظهر لي أيضاً من الجواب في قوله تعالى « فان كانتا اثنتين » هو أن الضمير هنا وضع موضع الظاهر اختصاراً لبيان المعنى ، بدليل أنه لم يتقدمه ما يعود عليه لفظاً ، فكأنه

قال : فان كان الوارث اثنتين ، ثم وضع ضمير الاثنين موضع الوارث الذى هو جنس لما كان المراد به اثنين ، وهذا لعمر الله مما لا ينال إلا بالتأييد الالاهي ، والعصمة الربانية (1) .

ثم وصلنا الى مدينة القيروان ، فدخلتها مجداً غير وان ، فلم أر إلا رسوماً محتها يد الزمان ، والاحياء من أهلها جفاة الطباع ، ما لهم في لغة الحضارة باع ، ولا في معنى من معنى الانسانية انطباع ، وكسدت سوق المعارف بينهم، وليس لها بر ولا بحر ، وضعت في سبخة قرعا ، لا ماء بها ولا مرعى ، وما كان حالها في القديم ، إلا آية من ءايات هذا الدين القويم ، وهو فى غابر الأزمان بلد يناظر به إقليم ، ومتى ذكر علماؤه فليس إلا التسليم ، ولم أر في القيروان ما يؤرخ سوى جامعها ومقبرتها ، ودخل المؤلف بيت الكتب بالجامع ، وأخرجت له مصاحف كثيرة ، منها ما كتب كلـه بالذهب ، وفيها كتب محبسة قديمـة التاريخ من عهد سحنون وقبله ، منها (الموطأ) رواية ابن القاسم وغيـره ، قال : ورأيت فيها مصحفاً كاملا مضموماً بين لوحين مجلدين غير منقوط ولا مشكول ، وخطه مشرقي بيّن جداً مليح ، وطوله شبران ونصف فـي عرض شبر ونصف ، وذكروا أنه الذي بعثه عثمان رضي الله عنه إلى المغرب ، وأنه بخط عبد الله بن عمر رضي الله عنهما والله أعلم ، وزار قبر الشيخ أبي محمد بن أبي زيد داخل البلد .

ولم يجد مَن يعتبر من أهل العلم سوى الشيخ المحدث الراوية المتفنن عبد الرحمان بن محمد بن علي بن عبد الله الأنصاري الأسيدي من ولد أسيد بن حضير رضي الله عنه،ويعرف بالدباغ، ولد سنة 605، أوحد وقته رواية ودراية على سنن المشايخ من أهل الفضل والعلم،نيف شيوخه على الثمانين،وله برنامج قرأ عليه بعضه وأجازه عامة مع ولده محمد بخط يده،ما طلب منه المؤلف جزءاً لينقل منه إلا وهبه له ، وأعطاه أكثر من عشرة أجزاء من فوائده وفوائد شيوخه وفهارسهم ، وله مجموعات وتواليف ونظم جيد كثير ، ومشاركة فى العلوم نقليها وعقليها ، وألف كتاباً حسناً مفيداً في طبقات من دخل القيروان من الفضلاء منذ دخلها

1) **الرحلة المغربية** ص 63 طبع الرباط .

الاسلام ، وهو كبير في مجلدين ، وسماه (معالم الايمان ، وروضات الرضوان، في مناقب المشهورين من صلحاء القيروان) قال : وسألته لمَ لمْ يذكر فيه أبا الحسن اللخمي ، فقال لي : لم يثبت عندي أنه دخل القيروان ، وسألته عن تاريخ رفاته فقال لي : توفي سنة ثمان وسبعين وأربعمئة ، وذكر لي أنه قرأ ذلك في حجر عند رأسه بمدينة صفاقس ، وخرج أحاديث مالك الثنائية وبعض أحاديثه التساعية من تأليفه وانتقائه، وناوله صحيحي البخاري ومسلم في أصله منهما ، وقرأ عليه بعض تخريجيه المذكورين ، وناوله أجزاء من حديثه وحديث شيوخه ، وناوله الأحاديث الأربعين في عموم رحمة الله لسائر المومنين من تأليفه ، وحدثه بحديث الرحمة الاولية بشرطه وبحديث عبد الله بن مسعود في التشهد مسلسلا بأخذ اليد إليه ، وبالحديث المسلسل بأخذ اليد من أخذ بيد مكروب أخذ الله بيده ، وكلها مسلسلات أبي الحسن المقدسي ، لحق روايته بها عن أبي عمرو ابن شقر عن مؤلفها،وحدثه بالانشاد الذي كل واحد من شيوخه يقول فيه ، كتب لي بخطه إلى أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن موسى بطلبيرة لنفسه « رأيت الانقباض أجل شيء » الأبيات الثلاثة ، وأنشده عن ابن شقر عن المقدسي عن السلفي عن التبريزي عن الفالي « تصدر للتدريس كل مهوس » الأبيات الثلاثة ، وأنشده عن بعض أصحاب أبي عمرو المعروف بابن الجميل عنه قال : ولا أدري هل هو له أو تمثل « إلا أن هذا الدهر يوم وليلة » البيتين الـخ (1) .

قال المؤلف : وقد نظمت بالقيروان قصيدة بعثت بها إلى ولدي محمد وفقه الله ، وقد استحسنها شيخنا زين الدين ابن المنير ، وكتب عليها سماعها مني شيخنا أبو الحسن القرافي مطلعها :

أصخ سمعا أوصك يابنـــي   وصية والد بر حفـــي

وخاتمتها :

ومن ذي العرش أسأل أن يوالي   لكم صونَ الغدو مع العشي (1)

---

1) **الرحلة المغربية** ص 72 طبع الرباط .

1) **الرحلة المغربية** ص 74 .

ثم وصل إلى مدينة قابس ، ذات المخبر الخبيث والمحيا العابس ، هواء وخيم ، ولؤم طبع وخيم ، وتضييع المصليات والمساجد ، وقلـة اعتناء بكل راكع وساجد ، مغانيهم إلى النجوم عالية ، ومعانيهم أسفل هاوية ، إلى عفونات تخبو لقربها المصابيح ، تنساب حواليها أنهار ، تشتعل بها في حشى الظمآن نار ، ودارت عليه غابة ونخيل ، قد طلمست ثمرتها بكف كل بخيل ، وأما العلم عندهم فقد ركدت ريحه ، نعم بهاء آحاد الفضلاء الصلحاء ، كالشعرة البيضاء في اللمة السوداء .

ثم وصل إلى قرية زوارة وزواغـة ، ذوي الأنفس الخبيثـة والقلوب الرواغة ، معتقدات شنيعـة ، وأعمال كسراب بقيعـة ، يرعون الخنازيـر ، ويبيعونها إلى النصارى بأبخس الثمن .

ثم إلى قرية زنزور ، ولم أختبرها فلا أحدث عنها بزور ، إلا أن منظرها معجب مونق ، وشجرها مخصب مورق .

ثم إلى مدينة طرابلس ، وهي للجهل مأتم وما للعلم بها عرس ، أقفرت ظاهرا وباطنا ، وذمها الخبير بها سائـراً وقاطنا ، اكتنفها البحر والقفـر ، واستولى عليها من عربان البر ونصارى البحر ، النفاق والكفر ، لا ترى بهـا شجراً ولا تمراً ، ولا تخوض في أرجائها حوضاً ولا نهراً ، أفقر من جوف حمار ، وأهلها سواسية كأسنان الحمار ، فسبحان مَن جعلهم وأهل تونس طرفـي نقيض ، أولئك في الأوج وأولاء في الحضيض ، ولم أر بها ما يروق العيون سوى جامعها ومدرستها ، وما رأيت في الغرب مثل مدرستها ، حضر المؤلـف بها عند القاضي الخطيب عبد الله أبن عبد السيد ، وهو بيت قصيدتهم ، ذو سمت ووقار ، خيِّر في دينه ، شرس الأخلاق ، قال : وما أبعد جميع أحواله من أحوال شيخنا الفقيه القاضي الأوحد الامام قاضي الجماعة بحضرة مراكش كلأها الله محمد بن علي بن يحيىٰ الشريف قدس الله تربته ، وأنَّس في قبره غربته ،فانه كان والله زين الدنيا والدين ، وهو كما قال :

أقاموا بظهر الأرض فاخضر عودها   وصاروا ببطن الأرض فاستوحش الظهر

وتالله إن فقد مثله ليهونّ الرزايا ، وإنه لحقيق بما قال أحمد ابـن المعدل في ابن الماجشون ، ما ذكرت أن الأرض تأكـل لسان عبد الملك إلا هانت الدنيا في عيني (1) .

قـال المؤلف : ولما حضـرت تدريسه ، يعني ابن عبد السيـد ، مرت لهم فـي دولة التفسير قـوله تعالى « وان يكذبـوك فقد كذب الذيـن من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتـاب المنير » فسألته : مـا الكتاب المنير الذي أراد هنا ؟ فأجاب بأنه جنس ، وهو بمعنى الزبر قبلـه باجماع من المفسرين ، فقلت له : لم كرر ؟ فقال : للتأكيد ، وجمد على ذلك ، ولا يفهم هنا للتأكيد معنى ، ولو قال كرر لما تضمنه من المدح كما تعطـف النعوت بعضها على بعض لكان أشبه ، ولكن تكرير الباء يشعر بالفصل ، ثم مر لهم بعد ذلك قوله تعالى : « وغرابيب سود » وهي من الآيات التي صديت فيها الأذهان الصقيلة ، وذلك أن المنهج في كلامهم تقديم المتبوع على التابع، فيقولون : أبيض ناصع ، وأصفر فاقع ، وأحمر قاني ، وأسود حالك، وغرابيب، ولا يقولون ناصع أبيض لأن التابع له معنى زيادة الوصف ، فلو قدم كان بعده ذكـر المتبوع عيـا إلا أن يكـون لمعنى أوجب تقديمه ، فلما قـرعت أسماعهم بهذا سكتوا ولم يحر أحد منهم جوابا ، وكان الشيخ قد ذكر ما قال بعضهم ، وأظنه أبا محمد ابن عطية ، أنه من فصيح الكلام ، فلم أقنع بذلك ، ثم أجاب المؤلف بأن قوله « جاءتهم » يعود فيه الضمير على المكذبين للنبي صلى الله عليه وسلم ، وعلى الذين من قبلهم ، فيكون النبي صلى الله عليه وسلم داخلا في الرسل المذكورين ، والكتاب المنير القرآن .

وقوله : « ثم أخذت الذين كفروا » معطوف على قوله : « فقد كذب الذين من قبلهم » ، أي كذبوا ثم أخذتهم لقيام الحجة عليهم قبل العطف اعتراضـا للتهمم به ، والوجه الآخر أن يكون المعني على حذف مضاف كأنه قال : وبخبر الكتاب المنير ، يعني القرآن ، فيكون مثل قوله : (ومبشراً برسول ياتي من بعدي اسمه أحمد) ، واستحسنه شيخنا زين الدين ابن المنير حين عرضته عليه والحمد لله .

---

1) **الرحلة المغربية** ص 78 .

وأما الآية الأخرى وهي قوله تعالى : « وغرابيب سود » فحسبك هنا إشكالا أن فحول المفسرين أحجموا عن القول فيه ، والذي ظهر له أن الموجب لتقديم الغرابيب ، هو تناسب الكلم وتماثل نسق الألفاظ لما تقدم ذكر البيض والحمر دون اتباع ، كان الأليق بحسب النظم أن تكون السود كذلك ، ولكنه لما كان في السواد هنا زيادة الوصف ، كان الأليق بالمعنى أن تتبع بما يقتضي ذلك ، وهو الغرابيب ،فتقابل حظ اللفظ وحظ المعنى فوفي الحظان معاً بتقديم الغرابيب على السود ، فوفي لفظ الغرابيب حظ المعنى في زيادة الوصف ، ووفي ذكر السود مفرداً على الاتباع حظ اللفظ إذ جاء مجرداً على صورة البيض والحمر ، فاتسقت الألفاظ كما ينبغي ، وتم المعنى كما يجب . وهذا لعمر الله من العجائب التي تكل دونها العقول ، ويعيى فيها اللسن ، فلا يدري ما يقول ، وهذا وما أشبهه انما أثبته تنبيها على ضعف العلم في هذا الزمان .

ولم أر بطرابلس أثر عناية سوى ما تقدم ذكره إلا بقبة بباب البحر من بناء الأوائل ، هي غاية الاتقان ونهاية الأحكام ، مبنية من صخور منحوتة في نهاية العظم ، منقوشة بأحسن النقش ، موصوفة بأعجب الوصـــف ، ولا بلاط بين الصخر من طين ولا غيره ، وعلى القبة قبة أخرى عالية ، والذي في بلاد أفريقية من عجائب البناء وآثار الاعتناء أمر يضيق عنه الوصف ، منهـــا قصر الـــجـــم ، ومنها قصر يعرف بالمنارة غربي القيروان على مرحلة منه ، مبني من صخور منحوتة موضوع على الاستدارة كأنه مخروط من عود ، وهو من فرط إتقانه كأنه حجر واحد ، ثم تكلم على حكم السفر بهذه البلاد لقضاء فريضة الله تعالى على العباد (1) .

ثم مررنا على بلد مصراتة وهو بلد لم يحو إلا جفاته ، وشأنه أحقر من أن يعمل فيه الواصف مقوله وأداته ، على أنه ذو قرى ظاهرة ، ومناظر عند ظهورها باهرة .

مساكن غصت بسكانهـــــا ولكن تراهن كالغامـــــــر
يظن بها الحسن ذو غـــــرة وما حسن دار بلا عامـــــر

---

1) **الرحلة المغربية** ص 84 طبع الرباط .

ثم قال : وبعد طول التعني بهذا المهمه المرت ، لاحت لنا في البيداء قصيرات سرت :

لي اسم ولكن لا مسمـــى وراءه فلا تغترر إن كنت ذا فطنة باسـم
فكم طار في الآفاق صيت مشهـر لمن ما له في صالح الفعل من قسم

وذكر البكري في مسالكه ، أن سـرت مدينة كبيرة على ساحل البحر لها نخل وبساتين ، وذكر نحو ذلك في أجدابية وبينها عشرون مرحلة ، ولا وجود لشيء مما ذكر إلا أن يكون مما غبر ودثر ، وأظنه سمع وجود التمر فيها فظن أن بها نخلا ، والتمر إليها مجلوب من بلاد أوجلة ، وهو جل عيشهم بها ، ومما أنشده البكري في سرت :

ياسرت لا سُرَّت بك الأنفـس لسان مدحي فيكم أخـرس
ألبستم القبح فلا منظـر يروق منكم لا ولا ملمـس
بخستم في كل أكرومـة وفي فعال القبح لم تبسخـوا

ثم قال : ثم وصلنا إلى القفر القواء أرض برقة ، فوجدنا برية هي أم البراري ، ولو أنشدت لقالت :

أنا الغول غالت من يطوف فناءهـا وتخدع بالألطاف طوراً وبالبـر
فان أكلوا بري شربت نفوسهـم فكم بين نفس المرء في الغدر والبر

سكنها الأعراب من كل فظ غليظ، والشأن عندهم في التبايع المعاوضة بالمبيعات ، لا يدري فيها دينار ولا درهم ، وعرب برقة اليوم من أفصح عرب رأيناهم ، وعرب الحجاز أيضاً فصحاء ، ولكن عرب برقة لم يكثرْ ورود الناس عليهم فلم يختلط كلامهم بغيره ، وهم إلى الآن على عربيتهم ، لم يفسد مـن كلامهم إلا القليل ، ولا يُخلو ن بالاعراب إلا بمـا لا قدر له بالاضافة إلى مـا يعربـون .

ثم وصلوا إلـى ثغر الاسكندرية مدينـة الحصانة والوثاقة ، وبـلاد الاشراق اللامع والطلاقة ، لم تبد عليها للزمان ضراعة ، ولا وقفت له موقف

ذل يوما ولا ساعة ، مدينة فسيحة البنيان ، صحيحة الأركان ، كلها عجب ، قد ستر حسنها حسن غيرها ، وسلب من ذكر اتقان أبوابها ومصارعها ، وعمود السواري وغير ذلك ، ثم ذكر أخذ أهلها المكس من الحجاج ، وتفتيشهم على ذلك نساء ورجالا ، ثم نقل ذلك عن ابن جبير ومدحه لصلاح الدين يوسف بن أيوب ، وتذكيره بالله في حقوق المسلمين ، وأورد تلك القصيدة التي مطلعها :

أطلت على أفقك الزاهـــــــــر سعود من الفلك الدائـــــــــــر

الخ (1) ثم أورد قصيدة ابن جبير أيضا في ترا،يه مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي مطلعها :

أقول وآنست بالليل نـــــــــارأ لعل سراج الهدى قد أنـــــــــار

الخ ، أنشدها عن أبي عبد الله نور الدين بن منصور بن جباسة الأسكندري عن أبي العباس أحمـــد السبتي الحميدي بثغـــر الأسكندرية عن ناظمهـــا المذكور ، ثم قال : وقد رأيت بها أفراداً من أهل الفضل علما ودينا ، ووددت لو منحت في ذكر فضلهم قلباً حافظاً ولسانا مبيناً الخ ، فمنهم من طلبه في كتم اسمه ، وهو مما يستسقى المطر بذكره ، ومنهم القاضي الأعدل شرف الفقهاء والمفتين، ورأس الكتاب والناظمين ، وحيد العلماء وفخر المصنفين ، أبو الحسن علي زين الدين ابن المنير الأسكندري ، بحر علم تفيض أمواجه ، وغيث سمـــاح لا يغيض لجاجه ، استظهر دواوين من العلم في صغره ، ولم يتغير حفظه بها في زمن كبره ، مع ما خص من طلاقة اللسان ، وحسن اقتدار على التأليف ، قرأ عليه المؤلف بعض شرحه على البخاري الذي استحسنه المحب الطبري لما وقف عليه بمكة ، وأبو إسحاق العراقي بديار مصر ، وصدراً من (الموطأ)، وبعض الجزء الثاني من مختصر ابن الحاجب الفرعي ، وقصيدته النبوية فـــي سفره إلى الحجاز التي أصلح بعضها باشارة المؤلف ومطلعها :

أجب دعوة الرحمان ياصاح تسعدِ وبادر لفرض الحج غير مفنـــــــد

ثم أوردها كلها ، وأنشده بعض شعر أخيه أبي العباس .

---

(1) الرحلة المغربية ص 94 .

ثـم لقي الشيخ الفقيه الراويـة المحدث الشريف علي بـن الشيخ أحمد بن عبد المحسن الحسني الغرافي ، له رواية عالية متسعة ببغداد والعراق ومصر ، وله رحلة إلى الحجاز ، وله فهرسة ، وهو شيخ متفنن في العلـم ، متين الدين ، قرأ عليه المؤلف ثلاثيات البخاري ، وأحاديث ابن زنبور ، وحديث الأولية ، وحديث اللـوح والقلم مسلسلا ويده عـلى كتفي ، وحديث الايمان بالقدر مسلسلا ، وأخذ بلحيته وبغير ذلك ، وأنشده لغيره :

علم الحديث فضيلة تحصيلهـــــا بالسعي والتطواف في الأمصـــار
فاذا أردت حصولها باجــــــازة فقد استعضْت الصفر بالدينـــار

وقرأ عليه بعض كتاب (فتح الوصيد، في شرح القصيد) ، لعلم الدين أبي الحسن السخاوي عنه عن ناظمها الشاطبي ، وذكر قصيدة السخاوي التي أجاز بها آخر ملوك بني العباس ، وقصيدته في المدح النبوي :

قف بالمدينة زائراً ومسلمـــــاً واشكر صنيع الدمع فيها إن همـا

قال المؤلف : قيَّد اسمي ونسبي في برنامج شيوخه ، وقيد عنــي أبياتاً من شعري ، وكتب بخطه جميع القصيدة التي كتبتها إلى ولدي محمــد وفقه الله من القيروان ، وبالغ في أستحسانها ، وسمع مني القصيد الحجازي الذي فلته في طريق الحج .

ثم ذكر أن ممن لقي بها أستاذ العربية في وقته محمد بن عبد الله بن عبد العزيز الزناتي المعروف بالمازوني وأنشده لنفسه :

ومعتقد أن الرياسة في الكبـــر فأصبح ممقوتاً به وهو لا يـــدري
يجر ذيول العجب طالب رفعـــة ألا فاعجبوا من طالب الرفع بالجر

وأنشده أيضاً لنفسه :

عتبت على الدنيا لتقديم ناقـــص وتأخير ذي فضل،فقالت خذ العذرا
بنو النقص أبنائي ، وكل فضيلـة فأربابها أبناء ضرتيَ الأخـــرى

وأيـضـاً :

إذا ما الليالي جاورتك بساقــط وقدرك مرفوع فعنه ترحــل
ألم تر ما لاقاه في جنب جــاره كبير أناس في بجاد مزمــل

وأنشده كثيراً من شعره غيرها ، ولد سنة 606 (1) .

ثم قال: ثم وصلنا إلى (القاهرة) قاعدة الديار المصرية، مدينة كبيرة القطر، وساكنها يحاكي الرمل والقطر ، وهي مع ذلك تصغر عن أن يسطر ذكرها في سطر ، وحسبك شراً أنها جرين لحثالة العباد ، ووعاء لنفاية البلاد ، ومستقر لكل من يسعى في الأرض بالفساد ، استوى الحسد على قلوبهم ، واستوى الغش في جيوبهم ، وبالغ في ذمهم ، قال : وقد رأيت فيهم من قلة الحياء ، وعدم التنزه عن الخناء، ومن قلة التستر عند قضاء الحاجة والأكل ما قضيت منه العجب، وما رأيت بالمغرب الأقصى والأندلس على شكاسة أخلاقهم ، ولا بافريقية وأرض برقة والحجاز والشام فريقا من الناس أرذل أخلاقا وأكثر لؤما وحسدا ومهانة نفوس وأضغن قلوباً وأوسـخ أعراضا وأشد دمامة وخيانـة وقساوة وأجفى للغريب من أهل هذه المدينة المؤسسة على غير التقوى، وحق لمدينة وضع أساسها عبد الزنادقة غلام بني عبيد لعنهم الله أن تجمع أخلاق العبيد ، وأحوال الزندقة الـخ (2) .

وكان وصولنا إلى هذه المدينة في أخريات رمضان ، وكنت نزلـت بالمدرسة الكاملية منها ، وذكر أنه ضاعت له دابة بمصر من كثرة الزحام ، ثم ذمهم باكبابهم على علم المعقول وتشاغلهم عن المنقول، واعتقادهم أن مَن لا يحسن المنطق لا يحسن أن ينطق ، ثم قال : ولم أر بهذه المدينة على كثرة عمارتها أمثل وأقرب الى الانسانية وأجمل معاملة من الشيخ الفقيه المحدث الراويـة المسند المفتي الضابط شرف الدين ذي الكنيتين أبي محمد وأبي أحمد عبد المومن بن خلف أبي الحسن الدمياطي المحدث بالمدرسة الظاهرية ، راوية

1) الرحلة المغربية ص 121 .

2) الرحلة المغربية ص 127 .

جمّاعة مقيد ضابط حافظ ، رحل فـي طلب العلم ، ولقي من أهلـه أعداداً ، وجمع وألف وروى حتى صار أوحد وقته ، وله معجم في أسماء شيوخه ومـن لقيه وأخذ عنه في أي فن كان ، كبير في أربعة أسفار ، وسمعته يقول : ينيفون على ألف ومئتين وسبعين ، فقال له بعض الحاضرين : وهل كانوا كلهم أيمة ؟ فقال : لو لم أكتب إلا عن العلماء الأيمة ما كتبت عن خمسة ، ونشأته بدمياط مدينة هي قاعدة ريف مصر ، وعندها يصب بحر النيل الرومي ، وغلط فـي إعجام دالها أبو محمد الرشاطي ، سمع منه حديث الأولية ، وجملة من (سنن الشافعي)، وحديث السؤال عن السن ، وأجاز المؤلف وأولاده الثلاثة بكل ما يحمل وما له من تأليف ، وكني له أحد المحمدين أبا علي ، والآخر أبا بكر ، وقيد خطه بذلك في الاستدعاء ، وهو مليح الخط ، قـال : ما رأيت بمصـر أملح منه خطاً (1) .

ثم قال : وممن لقيته بها الشيخ الفقيه المحدث الأصولي المتفنن عالم الديار المصرية تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي القشيري المعروف بابن دقيق العيد ، صاحب المدرسة الكاملية ، فهو الآن قطب مصر وعلمها ، لولا وسوسة تصحبه ، وأخلاق يجل عنها منصبه ، وكان في أول أمره مالكياً على رأي أبيه ، ثم انتقل بعد شافعياً ، ومن جملة ما يصحبه من الوسواس ، أنـه لا يُمس منه عضو ولا لباس ، بل يقتصر الوارد على الاشارة بالسلام إليه ، أجاز المؤلف عامة وبكل ما له .

قال المؤلف : وفي أول ما رأيته قال لي : كان عندكم بمراكش رجـل فاضل ، فقلت له : من هو ؟ فقال : هو أبو الحسن ابن القطان ، وذكر كتابه (الوهم والأيهام) ، وأثنى عليه ، وذكرت له رد ابن المواق عليه ، وأنه تركه في مسودته ، فعاني إخراجه صاحبنا الفقيه الأديب الأوحد أبو عبد الله بن عبد الملك حفظه الله تعالى ، فقال لي : من هذا الرجل ؟ فعرفته به ، وما حضر لي من تحليته ، وما أذكر من تقاييده ، ومن جملتها تذييله على كتاب (الصلة)

---

1) الرحلة المغربية ص 138 .

لابن بشكوال (1) وأنه كتاب متقن مفيد ، فعجب من ذلك وكتب ما أمليته عليه منه ، وذكر من إنشاده قصيدة أبي الحسن المقدسي : (خسر الذي ترك الصلاة وخابا) الخ ، وأنشد عن ابن دقيق العيد لنفسه :

تمنيت أن الشيب عاجل لمتى ... وقرّب مني في صباي مزاره
لآخذ من عصر الشباب نشاطه ... وآخذ من عصر المشيب وقاره

ثم قال : وأما أرض مصر ونيلها وعجائبها وخصبها واتساعها فأكثر من أن يحصرها كتاب ، أو يحيط بها حساب ، وقد سطر المؤرخون من ذلك ما أغني عن ترداده ، ما تسافر بها إلا في عمارة متصلة ، والطرق في الصحراء غاصة بالخلق ، فكأن المسافر بها لم يزل في مدينة ، قال البكري ، وليس في الأرض نهر يسمى بحراً ويَمّاً غيره ومن غرائب صنع الله أن مَدّه يبتديء في معمعان الحر وشدته ، في الوقت الذي تغيض فيه الأنهار ، وينتهي في الوقت الذي تمد فيه الأنهار ، ويغيض فيحسر الماء من الأرض في مبدإ زمان الحرث الخ . وأما أهرامها وبرابيها فمبان عجيبة في غاية الغرابة ، ثم قال : وفي مصر من المزارات عدة وافرة ، ومن أعظمها تربة رأس الحسين ، ثم قال : وناهيك بمملكة وصلت بين الشرق والغرب واستولت على الحجاز واليمن والشام وديار ربيعة ومضر ومصر وأرض برقة وافريقية ، وانتهت إلى سجلماسة وفاس بأقصى المغرب ، ودامت نحو مئتي سنة .

ثم قال : ومن المزارات بربضها الغربي روضة السيدة الشريفة الصالحة ذات الفضائل الطاهرة ، والكرامات المتظاهرة ، نفيسة بنت علي بن أبي طالب الخ ، ثم تربة الامام الشافعي الخ ، وفي القرافة وغيرها من أرض مصر من قبور العلماء والصلحاء ما لا يحصره عد ، منها قبر ابن القاسم وأشهب وأصبغ ابن الفرج ، وابن عبد الحكم ، وأبي إسحاق ابن شعبان ، والقاضي عبد الوهاب (2) .

---

1) يريد كتاب **الذيل والتكملة** ، **لكتابي الموصول والصلة**

2) **الرحلة المغربية** ص 152 طبع الرباط

ثم قال : وسافرنا من المدينة المذكورة ، وتركناها غير محمودة ولا مشكورة ، ثم ذكر أن البرية الكبيرة ما بين الحجاز ومصر مسيرة أربعيـــن يوما ما بها مستعتب إلا في ينبع وبدر ، وذكر في كيفية سير الركب المصري في هذه البرية أنهم يرحلون في نصف الليل أو قبله بيسير ، وربما وصلوا بالثلث الآخر ، والمشاعل ترد الليل نهاراً ، فيسيرون بصبح ويصلون ، ثم يشتد بهم السير حتى ترتفــع الشمس فينزلون إلـــى الظهر ويصلون ، ثـــم يرحلون ، وربما وصلوا قبل الصلاة ، ثم ينزلون آخر النهار عند الغروب إلى نصف الليل ، هكذا الى مكة وإلى مصر ، وهذا السير على هذه الصورة من أروح ما يكون للمسافر المجد لانقسام السير والراحة بين الليـــل والنهار ، مع الارواد في المشي والجد فيه ، فصاروا يقطعون بالدوام مع المهل مـــا لا يقطعه الجاد في يوم تام ، وحصلت الراحة مع ما لابد منه بالنهار من أكل وسقي في المناهل ، ونزول المراحل وغير ذلك ، ولو كان سيرهم بالنهار خاصة لقطعهم عنف السير ، وتعطل عليهم أكثره لتلك الضروريات ، فكثر عناؤهم ولم يقطعوا مسافة ، وهذه البرية مـــع طولها من أروح المواضـــع للحاج بسبب الأمـــن .

ثم قال : وذكر لي بعض من حج قبل هذا العام أنه أحصى فـــي بعض الأعوام ما في الركب من الجمال ، فوجدت ثمانين ألف راحلة .

ثم قال : وأيلة معدودة من كور مصر ، وفيها عدها البكري ، وجعلها القاضي صاعد حد طول مصر حسبما تقدم ، وقد ذكرها القاضي عياض في مشارقه ، وغلط (١) فيها فحكى عن أبي عبيدة أنها مدينة على شاطيء البحر من بلاد الشام ، وهي نصف الطريق مـــن قسطاط مصر إلى مكـــة ، وذكرها المتيجـــي صاحب الرسالة فـــي القبلة فـــي رسالته قـــال : إن منها إلى مكـــة نصف شهر ، فغلط فيها أيضاً كما رأيت ، وذلك غير مستنكر ، فان من لم يشاهد الشيء يصعب عليه وصفه ، وقلما يسلم فيه من الغلط ، وما زال أهل الاتقان يقعون في مثل هذا ، ألا ترى إلى أبي عبيد البكري مع تحقيقه وفـــرط

---

١) لا غلط فهي اليوم تجعل معدودة من شرق الاردن الذى هو من الشام ، والنزاع ما زال قائماً كما هو مشهور (مؤلف) .

اعتنائه وقبول تواليفه قد أودع في مسالكه من الغلط في صفة البلدان وتحديدها وترجمتها ما لا غاية وراءه، فمن ذلك قوله في إيلياء مدينة بيت المقدس، إن الجبال محيطة بها ، إنما هي في نشز من الأرض كما ذكر ، وليس بالقرب منها جبل إلا روابي وتلال ، وأظنه سمع بما دار بها من الوعر وما حازها من جهات الأودية المنقطعة فظنها جبالا. ومنه قوله في وصف قصر الجم بافريقية وهو قصر الكاهنة: إن في دوره نحواً من ميل ، وقد طلعته إلى أعلاه وتأملته ، ولو رمى الرامي حجراً لخلفه به(1)،ومن ذلك قوله في سرت: انها مدينة كبيرة على ساحل البحر بها حمام وأسواق ، ولها بساتين ونخل ، وهذا كله لا وجود له ، وإنما هي قُصيْر يعرف بالمدينة ، وهو أول قصور سرت من جهة الشرق ، وبينه وبين البحر مسافة ، وما للنخل بسرت كلها وجود ، وأظنه سمع بأن التمر عندهم كثير فحكم بوجود النخل عندهم ، وغلط في عكس القضية ، والتمر عندهم مجلوب من بلاد أوجلة، ومن ذلك قوله في نفيس بالمغرب الأقصى، أنها مدينة وبينها وبين البحر مسيرة يوم ، وإنما هو اسم نهر كبير عليه قرى كبيرة ، وعمارة متصلة ، وبينه وبين البحر ثلاثة أيام ، ومن ذلك أنه ذكر في طريق تامدولة إلى بلاد السودان جبلا يقال له آزور ، قال : أظنه جبل درن، وجبل درن قد حاز السوس جبلا يقال له آزور ، قال : أظنه جبل درن ، وجبل درن قد حاز السوس الأقصى ، فلس شيء منه وراءه ، وتامدولت من وراء السوس على مسيرة أيام ، ومن ذلك أنه ذكر من بلاد الصحراء بلدة يقال لها تادمكة ، وترجمها فقال معنى تاد الهيأة، أي إنها على هيأة مكة، وليس معنى تاد الهيأة كما ذكر، ولا للهيأة اسم في لسانهم البتة ، إنما معنى تاد هذه ، وهي من أسماء الاشارة عندهم ، يقولون لهذا واد ، ولهاتين ولهؤلاء ويد ، ولهذه تاد ، ولهاتين وهؤلاء تيد ، وليس للمثنى عندهم عبارة سوى عبارة الجمع إلا في ألفاظ العدد ، فمعنى تادمكة هذه مكة ، أي مشبهتها (2) .

وعقبة أيلة المذكورة عقبة كؤود ، مسافتها نحو من خمسة أميال .

---

1) الرحلة المغربية ص 158 .

2) الرحلة المغربية ص 159 .

ثم قال : وينبع من بلاد الحجاز المعروفة ، وهي بليدة في أصل جبل ، ضعيفة البناء ، قليلة الساكن ، وفيها نخل وماء معين، وصاحب ينبع مستبد بها كاستبداد صاحب مليانة ، إذ لا أحد يرغب فيها ، ولكن ينبع على ما هي عليه، ترتاح لها النفوس ، وينضى لرؤيتها لبوس البوس ، لأنها مصاقبة لدار حلها الحبيب .

ثم قال بعد ذكر بدر : وهو واد به ماء معين ، ونخل وعمارة ليست بالكثيرة ، وماؤه طيب وبه مسجد مختصر مليح ، ذكروا أنه بني في موضع العريش الذي كان فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ، وأكثر سكان بدر ضعفاء رفضة ، وكذلك أكثر أهل المدينة على ساكنها السلام ، وفي غربي مسجدها مقبرة كبيرة فيها قبور شهداء بدر رضي الله عنهم .

ثم قال بعد ذكر الجحفة : ذكر أهل الأخبار أن الجحفة كان اسمها قديماً مهيعة حتى نزلها بنو عبيل إخوة عاد في الزمن الأول حين أخرجتهم العمالقة من يثرب ، فأتى عليهم سيل اجتحفهم ، فسميت الجحفة ، وحكى القاضي عياض في مشارقه أنها سميت الجحفة من سبب سيل الجحاف الذي اجتحف الحجاج عام ثمانين ، ولا أدري كيف ينطلق اللسان بحكاية مثل هذه ، وبعد أن تحكى كيف لا ينبه عليها ، وذلك أنها كانت تسمى الجحفة قبل الاسلام وإلى الآن ، وجاء ذكرها في الأحاديث الصحيحة والأخبار الثابتة ، وكان سيل الجحاف في إمارة عبد الملك ابن مروان ، فكيف سميت به قبل وجوده ، وأغرب من ذلك أن سيل الجحاف كان بمكة ، واجتحف الحجاج من المحصب وذهب بهم وبأمتعتهم ، وهدم بمكة دوراً كثيرة ، ودخل المسجد الحرام وأحاط بالكعبة ، وكان ذلك سحر يوم التروية من عام ثمانين ، فما شأنه والجحفة حتى سميت به ، هذا مما يكون الاضراب عنه صفحاً أولى (1) .

ثم قال عند ذكر جهات عرفة حتى ذكر المغمس، ما نصه : فقلت له : أي لشيخ بعرفة خبير بها نسأله عن حدود عرفة ومسجدها أين هو ؟ فأشار لي إلى ناحية اليمن وأنت مستقبل القبلة، وقد وهم فيه الأستاذ أبو القاسم السهيلي

---

1) **الرحلة المغربية** ص 166 طبع الرباط .

رحمه الله فذكر أنه من مكة على ثلثي فرسخ ، وذلك ما لا يصح ، وليس المغمس من الحرم ولا وصل أصحاب الفيل إلى الحرم، بل المروي خلاف ذلك ، وهو أنهم لما نزلوا بالمغمس برك الفيل ، فكانوا إذا وجهوه إلى الحرم برك ولم يبرح ، وإن صح الحديث الذي ذكره السهيلي وهو أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد قضاء الحاجة وهو بمكة خرج إلى المغمس على ثلثي فرسخ فمعناه أنه يخرج إلى ناحية المغمس ، لا أنه يصل إليه ، ولعل التقييد بثلثي فرسخ إنما كان لمسافة المذهب لا لمسافة المغمس ، ولا يصح غير هذا والله أعلم ، اللهم إلا أن يكون بالحرم موضع يقال له المغمس غير الذي انتهى إليه أبرهة ومات به أبو رغال ، وما أظن ذلك كائناً والله الموفق (1) .

ثم قال : وفي يوم التروية دخلت إلى البلد الأمين مقر المجد العميم والشرف المكين ، فَخَرْ بقاع الأرض كلها على ممر السنين .

ثم قال : إن مكة شرفها الله من عظيم آيات الله في الأرض الدالة على عظيم قدرته ، فانها بلد يسبي عقول الخلق ، ويستولي على قلوبهم، ويتملك رقها من غير سبب ظاهر، فالنفوس إليه نزاعة من كل أرض، ولا يدخله أحد إلا أخذ بمجامع قلبه، مع عدم الدواعي إلى ذلك، ولا يفارقه إلا وله إليه حنين، ولو أقام به على الضنك سنين، لا يمل سكناه، ولا تضيق النفس بلزوم مغناه، على أنه بواد كما قال الله عز وجلّ غير ذي زرع ، وأرضه جدبة كلها حجر لا ماء بها ولا شجر ، وفي أصحابها بعض جفاء وقلة ارتباط للشرع ، وهم في الغالب يؤذون الحجاج ويحيفون على المجاورين بها ، وقلّ ما ترى منهم من يتبرم من سكناها على ما خيلت ولا ما يسر بالانفصال عنها ، وما فارقها أحد إلا وفيه نية الرجوع إليها، وهذا أمر أطبق عليه السالف ممن رآها والخالف ، واتفق عليه المؤالف ممن شاهدها والمخالف ، لا يخلو فكر من تصورها ، ولا خاطر من توهمها ، فهي نصب العين وحشو القلوب ، حكمة من الله وتصديقاً لدعوة خليل الله ، يحضرها الشوق إليها وهي غائبة ، ويدنيها وهي نائية ، ويهون ما يتكلف إليها من المشاق ، وما يعاني إليها من العناء الخ (2) .

1) الرحلة المغربية ص 169 طبع الرباط .

2) الرحلة المغربية ص 172 طبع الرباط .

ثم قال : وهي شرفها الله بلدة كبيرة متصلة البنيان ، فهي واد بين جبال محيطة بها لا يراها القاصد إليها حتى يشرف عليها ، والجبال المحيطة بها ليست شامخة ، وبنيانها آخذ في الاستطالة مع الوادي ، ولا سور لها إلا أنها حبزت من أعلى الوادي وأسفلـه بحائطين من صخور لا ملاط لها قطعـا الوادي عرضاً حتى وصلا بين الجبلين ، وهما عـلى فسحة من البلد وأعـلى الوادي ناحية الشرق وأسفله ناحية الغرب ، ولكن دخول الحجاج مـن أعلاه حسبما تقدم ، ولها ثلاثة أبواب ، باب المعلاة من أعلاها ، وباب الشبيكة مـن أسفلها ، والثالث باب اليمن من جهة الجنوب ، وفي شرقيها المناسك كلها ، عرفة ، ومزدلفة ، ومنى .

ثم قال بعد ذكر الحجون : وهي ما أشرف من الجبل على المقبرة ، ويقال هي المقبرة ، وليس بين هذا الموضع وبين مكة إلا أقل من نصف ميل ، ولا أدري من أين أتى السهيلي فقال : بين الحجون ومكة فرسخ وثلث ، ولعل ذلك من جملة تحكماته ، فله منها عدة والله الموفق .

وأما المسجد الحرام ، زاده الله تشريفا ، فهو في وسط البلد كبير متسع، يكون طوله أزيد من أربعمئة ذراع كما ذكـر الأزرقي رحمه الله ، وطوله مـن الشرق إلى الغرب وهو قريب من التربيع ، يخيل للناظر إليه أنه مربع مفروش برمل أبيض جميل المنظر جداً ، محكم العمل ، عجيب الصنعة ، كثير الاشراق، مرتفع الحيطان نحـو عشرين ذراعاً ، ودوره كله مسقف على أعمـدة عاليـة ثلاثة صفوف .

ثم قال : وفيه خمس صوامع ، ثـم ذكر قبة زمزم الكبيرة المتسعـة المربعة ، وعمق البير من أعلاه إلى سطح الماء نحو من ثلاثين ذراعاً ، ومـن سطح الماء إلى قعر البير نحو من أربعين ذراعاً ، ويقال إن عمقه من أعلاه إلى أسفله اثنان وسبعون ذراعاً ، وسعته قريب من أربعة أذرع ، وماؤه دفيء وليس بتلك العذوبة :

ولكن له في النفس موقع فرحـــة تفاجىء بعد اليأس قلب كئيـــــب
ترى صورة الأحباب مرآة صفـوه فيطفي من الأحشاء لفح لهيـــــب

وقد تمسحنا به وتوضأنا وتروَّينا منه ، وتملأنا واقتضينا منه عللا بعد نهل ، فشفي الغلل وأبرد العلل ، وبودي لو عوضته عن كل ماء ، وغنيت به عن كل مشروب ، ووردته دون كل منهل ، وقال بعد أن ذكر المقام قلت : وعليه الآن شباك من حديد على نعت قبيبة متجاف عنه قدر ما يصل من يدخل يده بأصابعه إلى الصندوق ، والشباك مقفل عليه ، ومن ورائه موضع قد حيز وجُعل مصلى لركعتيْ الطواف وغيرها .

ثم قال : وأما الكعبة شرفها الله فهي في وسط المسجد ، وفي موضعها يسير نتو يبين للمتأمل ، وبناؤها عجيب متقن من حجر منحوت محكم الالصاق ، ولونه إلى الحمرة مع دكنة يسيرة ، وارتفاعها في السماء فيما ذكروا ثلاثون ذراعاً .

ثم قال : والمطاف لاصق بالمسجد ، والمسجد على يسار الذاهب من الصفا ، ثم قال : وبين الصفا والمروة على ما ذكر الأزرقي رحمه الله سبعمئة ذراع وستة وستون ذراعاً ، وبالله التوفيق .

ثم بيَّن معنى مكة وبكة وأسماءها ، ثم ذكر نقل الأزرقي عن ابن عباس ليس في الأرض من الجنة إلا الركن الأسود والمقام ، فانهما جوهرتان من جواهر الجنة ، ولولا ما مسهما من أهل الشرك ما مسهما ذو عاهة إلا شفاه الله عز وجل .

ثم ذكر بناء البيت ، ثم قال : وأما المسجد الحرام صانه الله تعالى فانه لم يكن قديماً ولا كان حول البيت حائط ، وفي البخاري عن عمرو بن دينار ، وعبد الله بن أبي يزيد قال : لم يكن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حول البيت حائط، كانوا يصلون حول البيت، حتى كان عمر فبنى حوله حائطاً، قال عبد الله : جداره قصير، فبناه ابن الزبير، قلت: والمسجد الحرام هو ما دار بالكعبة، وهو المصلى، ويطلق على الكعبة، وهو الظاهر من حديث أبي ذر أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي مسجد على ظهر الأرض وضع أولا ؟ قال : المسجد الحرام ، الحديث ، ثم نقل عن الأزرقي أن من حد الحرام إلى مسجد عرفة ألف ذراع وستمئة ذراع وخمسة أذرع ، وقد ظن قوم أنه لا يجزىء الوقوف ببطن عرنة وبطن محسر لكونهما

ليسا من عرفة ومزدلفة ، وقال ذلك اللخمي وعياض . وليس كما توهموا . ولو كان لم يحتج إلى استثنائهما (1) .

ثم قال : وعدد الأميال من مكة إلى عرفة اثنا عشر ميلا لا تزيد ولا تنقص ، قاله الأزرقي ، ثم ذكر الغار الذي في جبل أبي ثور الذي دخله رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وأبو بكر حين هاجرا من مكة ، ثم ذكر القتال الذي وقع بين أهل مكة وأمير الركب الشامي إلى أن وصل أهل الشام إلى المسجد الحرام ونهبوا بين الصفا والمروة ، ثم دافعهم أهل مكة حتى أخرجوهم منها ، وقتل بها أشخاص من الحجاج ، فكان ذلك سبباً لعدم إقامة المؤلف بمكة المشرفة بعد أن عزم على ذلك ، ثم ذكر فقهاً مختصراً في المناسك .

ثم قال : وفي ضحى يوم الاثنين الثامن والعشرين من ذي حجة وصلنا إلى معهد الفضائل المشهورة ، ومعقد ألوية الدين المنشورة، ومحتد المآثر المذكورة المأثورة ، مجمع محاسن الدارين ، ومنبع مفاخر العصرين ، ومطلع سعادة الثقلين ، شرفت مكة بمولده ومحتده ، ولكن مدار الأمر على الختام ، يا له من محل هو لملك الدنيا واسطة ، فدع عنك الشام وحمصه والعراق وواسطه ، به تحط أوزار من قطن أوزار :

مقام للعلاء به مقـــام ... وفيه انجاب عن ضوء ظلام
به مثوى السيادة غير شـك ... فسار بنور غرته الأنـام

إلى أن قال :

به النور الذي عم البرايـا ... هداهم للمسالك فاستقامـوا
عليه صلاة ربٍّ قد حبـاه ... سيادة من عليها والسـلام

ولم يقم الركب بالمدينة إلا يوماً وبعض يوم ، وقد استفرغت وسعي في تأملها وتحفظ صفتها وما عسى أن يدرك من ذلك مع قلة الاقامة ، وكثرة الشواغل ، وترادف الوظائف الدينية والدنيوية ، وهي زادها الله شرفاً ، مدينة

1) الرحلة المغربية ص 184 طبع الرباط .

مليحة ، ظاهرة الشراقة والرونق ، موضوعة في مستوى من الأرض على واد به غابة عظيمة من النخل ، وأرضها خصبة ، وبظاهرها حـرة سوداء ووعر ، وسورها قد أثّر به القدم ، وتربته حمراء ، ولها جملة أبواب لا أحصي عدتها، والبقيع شرقيها ، وجبل أحد شماليها ، وهو جبل عال إلـى الحمرة وليس بمفرط العلو ، وقباء منها في جهة الشرق تلوح مبانيه وصومعته من المدينة ، وبينهما نحو من ثلاثة أميال ، وفي البقيع زاده الله طهارة من المزارات الشريفة ما لا يحصره وصف ، من قبور الصحابة والتابعين والعلماء والصالحين ، وعلى أكثرها مبان وقباب متقنة ، ومن أشهرها وأتقنها قبة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وهي عالية ، متسعة ، محكمة العمل ، رائقة المنظر ، وتليها قبة العباس رضي الله عنه ، وفي كل قبة وبنية بالبقيع عدة مقابر للصحابة وغيرهم ، إلا تربة الامام مالك بن أنس رضي الله عنه، فان قبره في بيت لا يسع غيره، وقد رفع التسنيم على القبور إلى نحو الصدر، وأعلاه مستو مفروش بالحصا، وبازاء رأسه فيالحائط مكتوباً في حجر: « توفي الامام مالك بن أنس رضي الله عنه في ربيع الأول سنة تسع وسبعين ومئة ، ومولده في ربيع الآخر سنة ثلاث وتسعين » ، وقد استصحبت من قبره حصيات تبركاً بها وتذكراً لمعاهدها :

ومن الوفاء بعهد حب ظاعـــن لثم الطلول ووقفة بالمنـــزل

وأما مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فعلى صورة المسجد الحرام ، إلا أنه في المساحة دونه بكثير ، وهو عالي السمك ، مبيض ، مدور السقائف ، عجيب المنظر ، ووسطه فضاء مفروش برمل أحمر ، وأساطينه مبيضة بالفضة عالية متسع ما بينهما ، وأوسع سقائفه ناحية الجنوب ، ثم ذكر أنه لم يبق به من الأبواب إلا أربعة ، وأن فيه ثلاث صوامع ، وذكر بعض الناس أن أساطينه مئتان وستة وسبعون أسطوانة ، وأنا لم أعدها لشغلي بغير ذلك ، انتهى (1) .

وفي الطرة أن للمسجد الآن خمس صوامع كلها دائرة بالقبة الشريفة دوران الهالة بالقمر ، وفيها أيضاً أنه لا مقبرة على وجه الأرض أشرف مـن مقبرة المدينة بالاجماع ، فهي خارجة من الخلاف الذي في تفضيل المدينـة على مكة ، فلا يشك مسلم أن ليس في أمة النبي صلى الله عليه وسلم أفضل

1) الرحلة المغربية ص 205 طبع الرباط .

من الزمرة التي تبعث في المدينة ، وقد رُوي عن الامام رضي الله عنه أنه قال: دفن بالمدينة أكثر من عشرة آلاف من الصحابة ، انتهى .

وكاتبه حج سنة 1232 رحمه الله .

ثم ذكر المؤلف أن الروضة المقدسة معمولة بالرخام الأبيض من الأساس إلى سقف المسجد بأتقن ما يكون من الصنعة وأعجبه ، وهي موضوعة على شكل التربيع .

ثم قال بعد أن ذكر المنبر الشريف : وقبلة المسجد ، وهي مسامتة للجنوب حقيقة خلاف ما ذكره القاضي أبو الوليد الباجي من أنها مائلة عن الجنوب إلى الشرق وكثيرا ، بل أقول إنها إلى المغرب أميل ، وقد تهممت بذلك واعتبرته بالمدينة على ساكنها السلام ، فوقفت في صحن المسجد حيث أرى النازل ، واستقبلت المحراب ، فوجدت سمتيْ القبلة إلى الثريا ، وهي ذاهبة على التوسط شيئا قليلا ، وأين ذلك من قول الباجي ، وأظنه لم يعتبر ذلك بالحس وإنما اعتمد على ما يروى عن ابن عباس وغيره أن قبلة المدينة إلى الميزاب ، وذلك يعطي أنها إلى المطالع الشتوي كما تقدم ، وذلك ما لا يصح بوجه ، ولعله لم يَثبُت عن ابن عباس ، وإن ثبت فلعله أراد بالميزاب ناحيته والجهة التي هو فيها لا عين الميزاب ، والله أعلم ، وإذا أثبت بالحس أنها مسامتة للجنوب فهي إذاً إلى الركن الشامي ، وهو على يسار الميزاب مناظراً للركن اليماني المحاذي لحقيقة الجنوب كما مر ذكره وبيانه وبالله التوفيق .

ثم رحل الركب من المدينة يوم الأربعاء الموفي ثلاثين لذي حجة راجعا من طريقه حتى قَرُب من وادي الصفراء فتيامن وخرج من مضيق يعرف بنقب علي مصوباً على الدهناء ثم على ينبع ، ماراً على الطريق الأولى إلى عقبة أيلة فتيامن منها إلى الشام ، وصوب الأكثر إلى مصر ، وكان الركب الشامي رحل إلى المدينة على طريق المعلى إلى تبوك ، وصحبه أكثر المغاربة حرصاً منهم على تقريب المسافة إلى الشام ، لأنها أقرب من طريق البرية بكثير ، ولكنها طريق شاقة . قليلة الماء جداً وردها على سبعة أيام ، فحملهم الكسل والحين المقدر

إلى سلوكها مع ضعفهم وتهتك قواهم ، فوقع عليهم الثلج وهم بالمغرب من عمان ، فأفنى منهم خلقاً كثيراً ، وذكر بعض مَن حضر ذلك أنه قد أحصى منهم ألفاً وسبعمئة ، وما أعلم أنه مات ممن رجع على الطريق الأول إلا أقل من عشرة ماتوا بالمرض (I) .

وسافرنا من عقبة إيلة إلى الشام صحبة الأمين الصالح علاء الدين الأعمى ، وصل الله علاءه ، فرأيت منه رجلا قلّ أن يسمح الدهر بمثله سخاوة نفس ، وسراوة همة ، ومتانة دين ، وصحة يقين إلى علم جم قد حفظه سماعاً وذكاء الخ .

ثم وصلنا بعد ثمانية أيام إلى المحل الأنيس ، والمعهد الذي يتخذ فيه مقيل وتعريس ، حرم الخليل عليه السلام ، وهي قرية مليحة المنظر والمخبر ، أنيقة المسموع والمبصر ، مشرقة كالصبح إذا أسفر ، موضوعة ببطن واد قليل الماء والشجر ، والمحيط بها حرار وعرة ، والمسجد بنية أنيقة من المباني القديمة ، عالية البناء ، محكمة العمل من صخور منحوتة في نهاية العظم ، منها صخرة في الركن الذي على يسار القبلة ، ويقال إن البنية كلها من صنع الجن أمرهم سليمان عليه السلام بتجديدها .

ثم نقل عن كتاب (المسفر للقلوب ، عن صحة قبر إبراهيم الخليل وإسحاق ويعقوب) لعلي بن جعفر الرازي بخط راويه عنه الفقيه القاضي المحدث الامام محمد بن أحمد ابن مفرج الأندلسي ، ثم ذكر أنه زار قبر لوط عليه السلام في شرقي حرم الخليل عليه السلام ، على تلٍّ مرتفع يشرف منه على غور الشام ، ثم ذكر أنه سافر من الحرم الخليلي بعد ما أقام به خمسة أيام ، وصلى به الجمعة إلى بيت المقدس ، وبينهما مسيرة يوم ، وزرنا في طريقنا قبر يونس عليه السلام ، وهو على نحو ثلاثة أميال من بلد الخليل عليه السلام ، وعليه بنية كبيرة ومسجد ، ومررنا على طريقنا ببيت لحم ولم يُقض لنا دخوله، وهو قريب من بيت المقدس ، وقد تقدم أنه مولد عيسى عليه السلام ، والنصارى يعظمونه ويقومون به غاية القيام ، ويُضيفون مَن نزل به .

I) الرحلة المغربية ص 220 طبع الرباط .

ثم وصلنا إلى بيت المقدس زاده الله تعظيماً، مسجد الأنبياء وقبلتنا قديماً، أحد المساجد التي تعمل إليها المطي ، وتضاعف بها الحسنات لكل برٍّ تَقي، مصعد نبينا عليه السلام إلى مستوى سمع فيه صرير الأقلام ، ومعراجه حين عسعس الظلام ، إلى مناجاة الملك العـلام ، ولو نطق محتج بفضيلـة الشام لأفحم به العراق أي إفحام ، والبلد مدينة كبيرة منيعة محكمة ، كلها من صَخر منحوت على نشز غليظ مقطوع بجهات الأودية ، وسورها مهدوم ، هدمه الملك الظاهر خوفاً من استيلاء الروم عليها وامتناعهم بها، والخراب فيها فاشٍ ، وليس لها نهر ولا بستان ، وحواليها تلال مشرفة عليها ، وبها كنيسة معظمة عنـد النصارى يحجُّونها في كل عام (1) ، وأما المسجد المقدس فهو من المساجد الرائقة ، العجيبة ، المنشرحة ، الفسيحة ، وهو متسع جداً طولا وعرضاً ، وذكر أبو عبيد البكري أن طوله سبعمئة واثنان وخمسون ذراعاً بالمالكي ، وهو ثلاثة أشبار ، وعرضه أربعمئة وخمس وثلاثون ذراعاً ، ثم ذكر عن بعض الناس أن عدد أبوابه خمسون باباً ، وهو فضاء غير مسقف إلا مواضع منـه ، وهناك موضع مهد عيسى عليه السلام ، وفي وسط فضاء المسجد قبة الصخرة، وهي من أعجب المباني الموضوعة في الأرض .

شرك العقول ونزهة ما مثلهـا   للناظرين وعقلة المستوفـز

وفي وسط القبة الصخرة التي جاء ذكرها في الآثار ، وأنه عليه السلام عرج منها إلى السماء ، وهي صخرة صماء ، علوها أقل من القامة ، وتحتهـا شبه مغارة على مقدار بيت صغير يعلو قدر القامة ، ويُنزَل إليه في درج (2) .

ثم قال : ولم أر في هذا البلد مع شرفه واشتهاره مَن هو أهل لأخذ العلم عنه ولا معنياً به إلا شيخاً هو قاضي البلد ، يلقب ببدر الدين ، وهـو محمد بن إبراهيم بن سعد ابن جماعة ، له مجلس علم يدرس فيه أول النهـار في المسجد عند المحراب ، ومجلس سماع يروي فيه بعد صلاة الجمعة في

---

1) الرحلة المغربية ص 228 طبع الرباط .

2) الرحلة المغربية ص 230 طبع الرباط .

قبة الصخرة . وقد حضرت كلا المجلسين فلم أخرج منهما بطائل ، وكلمته في أشياء تخبط بها وتعسف ، فلم أجد لنفسي إذعانا للأخذ عنه على قلة همته في الرواية ، إذ وجدته يروي عن نظائره من أهل مصر ومن لا يزيد عليه في السن إلا يسيرا ، إلى أخلاق وصف لي بها تريب الأريب ، وتنفر النسيب والغريب ، وله تواليف منها (اختصار أبي عمرو بن الصلاح) في علوم الحديث ، ومنها كتاب حذا فيه حذو السهيلي في كتابه (الاعلام ، بما أبهم في القرآن من الأسماء الأعلام) ، أغار فيه على الكتاب المذكور إغارة ، وسماه (غرر البيان ، في مبهمات القرآن) ، ومنها كتاب (المسالك ، في علم المناسك) ، لم يأت فيه ببديع ، ولا شق الظلماء من بيانه صنيع .

وكانت إقامتنا بالقدس خمسة أيام ، ثم زرنا ثغر عسقلان ، جبره الله، وهو خراب يباب ، لا أنيس به إلا أطلالا ماثلة ، وآثارا طامسة ، تثير في القلب تباريح الأسى ، وتعيد المشرق من أنسه حندسا ، ثم قال : وقلما رأيت من البلدان ، ما جمع من المحاسن ما جمعت عسقلان ، صنعا وإتقانا ومكانا ، براً وبحراً ، وعامراً وقفراً ، لها البر والبحر طرف ممتد ، وحكم ماض لا يرتد ، في روضة جمة الأزها ، وأما مبانيها فلو فاخرتها أرم ، لقيل لها نفخت في غير ضرم ، وبها مزارة رأس الحسين رضي الله عنه ، وهو مسجد كبير مليح مرتفع، والمسقف منه ناحية القبلة ، وفيه جُب كبير لماء المطر أمر ببنائه بعض بني عبيد ، وبظاهر عسقلان وادٍ يعرف بوادي النمل ، ويقال إنه المذكور في الكتاب العزيز ، وقد ذكر المفسرون أنه واد بالشام ، وفيه جبانة عسقلان (1).

ثم وصلنا إلى غزة ، وهي آخر بلاد الشام مما يلي مصر ، وبينها وبين الصالحية أول بلاد مصر ستة أيام ، وغزة مدينة متسعة عامرة لا سور لها ، وبينها وبين البحر مسافة أميال، وهي أكثر عمارة من كل ما تقدم، ولكنها قد عريت من عالم ومتعلم ، وأقفرت من فقيه ومتكلم ، وهذا أمر شمل في هذا الأوان المدن والقرى ، وعم بحكم القدر أصناف الورى ، ولا حول ولا قوة إلا بالله (2) .

1) **الرحلة المغربية** ص 232 طبع الرباط .

2) **الرحلة المغربية** ص 233 طبع الرباط .

ثم سافرنا من غزة مستقبلين لبرية الشام ، ثم وصلنا إلى الصالحية أول بلاد مصر ، ولكنها معدودة في البرية ، لضيق أرزاقها وشكاسة أخلاقها ، ومنها إلى قاعدة مصر قرى ظاهرة متصلة ، وعمارة متظاهرة متأصلة ، مسيرة خمسة أيام ، لا يتعذر بها مرام ، وأعظمها عمارة ، وأسناها بزة وشارة ، مدينة بلبيس ، كبيرة ذات أسواق قائمة ، ولها نخل وبساتين كثيرة ، وليس بهـا رونق الحضارة ولا رقتها ، وهكذا أكثر بلاد مصر إلا القواعد المعروفة (1) .

ثم وصلنا إلى قاعدة الديار المصرية ، وكنت إذ وردتها مريضاً فلم يمكني فيها لقاء أحد ، وأنزلنا شيخنا شرف الدين الدمياطي بمدرسة الظاهرية بعلو منها مليح ، وكان يبعث إليّ شخصاً يتفقدني ويعالجني ، وهو الحكيم الفاضل أبو الطاهر إسماعيل السوسي ، فتى حَدَث السن رصين العقل ، نافذ الفهم ، ما رأيت أحفظ منه للطب ، ولا أحسن منه تصرفاً ، ولا أذكر منه لنصوص كتب أبقـراط ، وما زال يتفقدني مدة من سبعة أيـام حتى تماثلت واشتهيت الطعام والضعف لي ملازم ، فقدّرت أن هواء البلد لي غير ملائم ، فسافرت ، وما وصلت إلى الأسكندرية حتى ثابت إليّ قوتي ، وعادت إلـيّ صحتي ، وكان سفرنا منها على غير الطريق ، إذ كان الماء قد نضب عن الريف فسافرنا على طريقه ، والعمارة عليه متصلة مدناً وقرى إلى الأسكندرية ، ومن أعظم بلادهم وأشهرها مدينة قليوب ، مدينة مليحة ، ومدينة فرمى ، ومدينة بيار ، ومدينة لقانة ، ومدينة دمنهور ، وقراها أكثر من أن تعد ، وهي ذات بساتين ونخل وشجر يفتن حسنها الناظر ، ومن أعظم مدنها وقواعدها المشهورة الموصوفة بالحسن والجمال مدينة دمياط ، وهي على البحر الرومي ، ولم أدخلها لأنها رائغة إلى اليمين كثيراً عن طريق مصر إلى الأسكندرية ، وكنت متحفزاً للسفر فلم يتأت لي دخولها ومررنا على قرية سمنود ، وزرنا بها قبر عيسى ابن الوليد أخي خالد ابن الوليد رضي الله عنهما ، وهو في بيت مغلق علـى يسار المحراب ، ومن مصر إلى هذه القرية مرحلة (2) .

1) **الرحلة المغربية** ص 234 طبع الرباط .

2) **الرحلة المغربية** ص 235 طبع الرباط .

ثم وصلنا إلى الأسكندرية فأنزلنا شيخنا الفقيه زين الدين بمدرسة إقرائه ، وأولانا من بره وتأنيسه ما يكافيه الله به ، وأقمنا بها سبعة أيام ثم سافرنا على طريقنا الأول (1) .

ثم قال : وفي المنستير دفن الامام أبو عبد الله المازري ، وقبره بها مشهور ، وهو بضم الميم ، ثم ذكر مدينة سوسة ، وهي مليحة برية حولها بساتين وثمار ، ثم ذكر أن تونس تعسف عليها من قال :

لعمرك ما ألفيت تونس كاسمها ولكنني ألفيتها وهي توحش

ثم ذكر ملازمته فيها لقاضي القضاة الشيخ أحمد ابن الغمار الخزرجي، ولازمه في (جامع البخاري) من أول النهار إلى قريب الظهر ، ومن العصر إلى الغروب ، وربما قام مراراً إلى تجديد الطهارة ، فقرأ عليه أكثر الكتاب قراءة ضبط واتقان ، وولده الفقيه الفاضل المتقن المحقق أبو عبد الله يمسك عليه أصله العتيق المقروء على الامام أبي ذر الهروي وعليه خطه ، وكان يناوبني القراءة ، وأمسك أنا الأصل ، حتى كمل الكتاب بقراءتي في الأكثر ، وسماعي بقراءة المذكور أحياناً ، وسمعت عليه أثناء ذلك أبواباً كثيرة من (الموطأ) ، و (صحيح مسلم) ، و (سنن أبي داوود) ، و (جامع الترمذي) ، وناولني سائرها في أصوله ، وناولني سواها ، وقرأت عليه أكثر (التيسير) للامام المقرىء أبي عمرو الداني رضي الله عنه ، وسمعت عليه باقيه ، وقرأت عليه برنامجه الذي قيد فيه أسماء شيوخه ، وناولني برنامج شيخه الامام الشهير أبي الربيع بن سالم رحمه الله ، وسمعت عليه أدلا من كتابه (الاكتفا ، في مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم ومغازي الثلاثة الخلفا) ، وهو كتاب كبير في أربعة أسفار ، وقرأت عليه من تأليفه أيضا (مفاوضة القلب العليل ، على طريقة أبي العلاء المعري في ملتقى السبيل) ، وأجازني حفظه الله إجازة عامة ، وحضرت عنده مذاكرات ومفاوضات (2) .

---

1) أى الذى سافر منه فى وجهته من المغرب الى المشرف .

2) **الرحلة المغربية** ص 241 طبع المغرب .

ثم ذكر أنه لقي بها صالح العلماء أبا القاسم بن حماد بن أبي بكر الحضرمي اللبيدي ، وقرأ عليه كثيراً من كتاب البخاري ، وناوله سائره في أصل صاحب الرحلة،وحدثه به عن يحيى بن محمد المهدوي،ويعرف بالبرقي، سماعاً عليه لجميه عن أبي محمد ابن حوط الله بأسانيده ، وبعض كتاب (المعلم) للمازري في أصله سماعاً عن مؤلفه المذكور ، وعن البرقي المذكور ، رواه أبو عبد الله القضاعي بتونس ، وبعض (عوارف المعارف) بقراءته إياها عن أبي القاسم عبد الرحمان بن أبي جعفر الأنصاري عن مؤلفه ، وغير ذلك ، وأجازه إجازة عامة ، ولقي بها الزاهد عبد الله بن يوسف بن موسى الخلاصي الأندلسي ، لبس منه خرقة التصوف بلباسه إياها عن أبي المكارم ابن مسدي المهلبي صاحب المؤلف فيمن كساه الخرقة من الشيوخ الذي قرأه عليه مع الأربعين له في فضل الحج ، وقواعد القاضي عياض ، و (مختصر السير) لابن فارس، و (الكتاب المغني عن الحفظ) ، و (الكتاب ، في حصر الضعيف من الحديث بالأبواب) ، تأليف أبي حفص بن بدر الحنفي وغير ذلك مما قرأه عليه المؤلف .

قال : وقرأت عليه : أنشدكم الشيخ الفقيه إبراهيم بن محمد بن الحاج البلفيقي قال : أنشدنا أبو عبد الله ابن فرحون السلمي قال : أنشدني أبو عمران الزاهد لنفسه :

ألمَّ كل ثقيل قد أضَرَّ بنـــا أروم تقصهم والشيء يــــزداد
ومن يخف علينا لا يلم بنـــا وللثقيل مع الساعات تـــرداد

وقرأت عليه : أنشدكم الفقيه إبراهيم البلفيقي قال : أنشدنا محمد ابن قسوم لنفسه :

تباً لفرقة قـــــوم لا ينتمون لمذهـــــبْ
إذا تزندق وغـــــد قالوا : فلان تهـــــذبْ

ثم قال : وقرأت عليه : أنشدكم إبراهيم البلفيقي عن غير واحد من شيوخه عن أبي محمد الحجري عن أحمد ابن العريف لنفسه ، يعارض أبيات إسحاق الموصلي التي أولها :

وآمرة بالبخل ، قلت لها اقصري ... فذلك شيء ما إليه سبيـــل
أرى الناس خلان الجواد ، ولا أرى ... بخيلا له في العالمين خليـــل
أمن خير حالات الفتى لو علمتـه ... إذا نال شيئا أن يكون يسيـــل
فعالي فعالُ المكثرين تجمـــلا ... ومالي كما قد تعلمين قليـــل
وكيف أخاف الفقر أو ادع الغنى ... ورأيُ أمير المومنين جميـــل

وعارصه أحمد ابن العريف بقوله ، وقد أحسن كل الاحسان :

تعاتبني في الجود ، والجود شيمتي ... وما لي بتبديل الطباع زعيـم
ولم أر مثل الجود ، أمّا حديثُـه ... فحلو" ، وأما حبه فقديـــم
ولا خير فيمن لا يعاش بعيشــه ... ولو أنه فوق السماك مقيـم
ذريني فان البخل عار" لأهلـــه ... وما ضر مثلي أن يقال عديـم
أرى كلَّ طلق كلُّ خلق حميمــه ... وليس لمقبوض اليدين حميـم
وكيف يخاف الفقر أو يدع الغنـى ... كريم ، ورب العالمين كريـم

ومولد شيخنا أبي محمد رزقنا الله بركته ، عام عشرة وستمئة .

ولقيت بهـا الفقيه الأديب ، الفاضل العارف الأوحـد ، الحسيب ، الناظم ، الناثر ، علي بن محمد بن أبي القاسم ابن رزين التجيبي ، ثم ذكـر أن له فهرسة ، وقرأ عليه من (الصلة) لابن بشكوال وغير ذلك ، وضبط ابن برطله عبد الله بن عبد الرحمان بضم اللام وإسكان الهاء .

ولقي بها الشيخ الفقيه الحسيب، العالم الفاضل، الكامل، الزكي، الرضي. مفتي إفريقية ، والمنظور إليه بها ، وقطب أصولها وفروعها ، والمرجوع إليه في أحكامها غير مدافع ولا منازَع أبا القاسم بن أبي بكر اليمني ، وسمع كلامه في بعض المسائل ، ولقي بها الشيخ الديِّن ، الحسيب ، الكاتب ، البليغ ، ذا الفضائل المذكورة ، والمآثر المأثورة ، شيخ الأدباء ، وأوحد البلغاء ، وزين الناظمين والشعراء ، علي بن إبراهيم التجاني التونسي ، له بيت عريق فـي العلم والأدب ، قرأ عليه (مقامـات الحريري) ، وكان يرد فيـه رداً حسنا ، وينقدها نقداً محققاً ، وذاكرتُه فيها بمواضع عديدة ، وكنت أتعقبها فأثبت

قولي فيها وأستحسنه ، (والمقامات الروضية) لأبي بكر ابن عياض القرطبي ، و (رياضة المتعلمين) للامام الحافظ أبي نعيم ، وقصيدة ابن الآبار التي أولها:

أدرك بخَيْلِك خيل الله أندلسا   إن السبيل إلى منجاتها درسا

وقصيدة حازم الأندلسي القرطاجني التي أولها :

لعينيك قُلْ إن زرتَ أفضل مرسل   «قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل»

أجاد فيها وأبدع ما شاء ، ورام منه المرام الصعب فطاوع الانشاء ، وهي مما ينبغي أن يقيد ولا يهمل ، فلذلك رأيت إثباتها الخ ، وقد حدثني بها عن منشئها المذكور .

ولقي بها الفقيه الأفضل محمد بن أبي القاسم الأزدي ، ويعرف بالقُسِّي ، قرأ عليه جزءاً في فضيلة من اسمه أحمد لابن بكير النجار ، وأجازه عامة وقرأ عليه أرجوزة السخاوي في المتشابه من ألفاظ القرآن ، ولقي بها أحمد بن محمد بن ميمون الأشعري المالقي ، يعرف بابن السكان ، له برنامج جمعه لشيخه ابن حَبيش بفتح الحاء ، قال وأنشدني لنفسه :

يقولون لي إن الشهادة مكسب   ولم تشتغل يوماً بصرف المنى لها
فقلت لهم : لي في الشهادة مذهب   أنا في سبيل الله أرجو منالها (1)

ولقي بها الشيخ الصالح الفقيه الفاضل يوسف بن إبراهيم بن أحمد ابن عقاب الجذامي ، وسمع عليه من (الموطأ) ومن (جامع البخاري) ومن (سنن الدارقطني) ، وناوله جميعها ، وحدثه بها عن الشيخ الفقيه الفاضل المحدث علي بن عبد الله بن محمد بن يوسف الأنصاري هو ابن قطرال ، ونقل هنا من مسلسلات القاضي أبي بكر ابن العربي ، وقرأ عليه غير ذلك .

ولقي بها الشيخ الفقيه الصالح الفاضل أحمد بن موسى بن عيسى أبي الفتح البطرني منسوب إلى بَطَرْنة بفتح الطاء واسكان الراء ، وقرأ عليه (الأربعين المسلسلة) لأبي الحسن ابن المفضل القدسي .

---

1) الرحلة المغربية ص 271 طبع الرباط .

ثم قال : ثم سافرنا من مدينة تونس أمنها الله فمررنا على باجة ، ثم على خولان ، فتياسرنا منها على طريق بونة ، ولقي ببجاية الشيخ الصالح المسن أبا الحسين الرندي ، والشيخ الفقيه الخطيب ، المحدث ، الفاضل ، أبا عبد الله ابن صالح ، فقرأ عليه برنامجه في أسماء شيوخه في أصل بخطه وغير ذلك .

ثم لقي بملالة ، قرية بقرب بجاية ، الفقيه أبا علي منصور بن محمد الزواوي المشدالي ، ومشدالة قبيلة من زواوة ويلقب بناصر الدين ، وهو وإن كان متقناً في الدراية غير معتن بالرواية (1) .

ثم رحل على طريقه الأولى إلى مليانة فتيامَنَ منها على طريق مازونة مثوي خطوب الزمن ، بليدة مجموعة مقطوعة من بعض جهاتها بجرف واد منقطع شبه قلعة ولكنها واهية حساً ومعنى ، وليس بها ما يتعرض لذكره البتة .

ثم مر على مدينة وهران ، وهي مدينة مليحة حصينة برية بحرية ، وهي مرسى تلمسان وأنظارها ومتجر تلك النواحي ، ولكن أبدلها الحدثان من كل بشارة نعياً ، وخرس بها لسان التلاوة ، فيا عجباً أصف بالفناء وهران ، كأني لم أر سكان تلمسان .

ثم وصل إلى تلمسان ، وكان في نيته أن يقيم بها مدة حتى يجد صحبة قوية يقطع بها المفازة التي في طريقها إلى رباط تازة لكون قطاع الطريق بها أشد خلق الله ضرراً .

ثم وجد قافلة تخرج من باب تلمسان كبيرة تزيد على الألف ، ولهم في محاولة الخروج نحو شهور ثلاثة ، حتى تسنى لهم بخفارة على أداء خفارة .

ثم زار قبر الشيخ أبي مدين بالعباد، وفي الغد أدرك القافلة بوجدة، وهما مدينتان بينهما مسافة قليلة في بسيط مستو ، وقد دَثَرَتا فلم يبق منهما إلا رسوم حائلة ، وأطلال ماثلة ، والقديمة أشدها دثوراً ، وبهما عمارة قليلة ،

---

1) الرحلة المغربية ص 277 طبع الرباط .

فرحلنا منها حتى وصلنا إلى مدينة تازة ، وذلك في آخر رمضان ، ثم عيّدنا في مدينة فاس ، ومما قلته في ذلك :

قالوا تعيد في فاس فطب فرحـــاً ... فقلت ما لي بها دار ولا عطـــن
فاس ، ومكناسة ، وطنجة ، وسلا ... عندي كزديك (1) لا أهل ولا وطن
بغداد قفر إذا لم تحو لي سكنـــاً ... والقفر بغداد إنْ أهلي به قطنـوا

ثم مررنا على مكناسة ، فلقيت بها الشيخ الفقيه المحـدث القاضي يوسف بن أحمد ابن حكم التجيبي الأندلسي ، وهو شيخ راوية لقي جماعة من كبار العلماء ، وأخذ عنهـم ، وقيد لي بخطه منهم أبا الربيع بن سالم ، وأبـا الحسن ابن قطرال الخ وأجازه إجازة عامة (2) .

ثم مر على مدينة أزمور ، وزار بها قبور الصالحين ، وختم الرحلـة بزيارة قبر شيخ الصالحين وقدوتهم شرف المغرب الأقصى وفخره ، وشمس زمانه وبدره ، أبي محمد صالح ابن ينصارن أفاض الله علينا من بركاته ، وأمد بصائرنا بنور يستمد من مشكاته .

قال المؤلف : ثم منّ الله بجمع الشمل والاجتماع مع الأهل له الحمد والشكر كثيراً .

ثم قال : وهذه قصيدة نظمتها في الرحلة رأيت أن أختم بها هذا التقييد مستعيناً بالله على ذلك .

عليك النصح رده بكل حـــــيٍّ ... وإن الفيت وارده فحـــــــيٌّ
فمعظم ديننا نصح البرايـــــا ... كذاك أتى الحديث عن النبـــي

وهي طويلة ذكر فيها البلاد التي رحل إليها في هذه الرحلة ، وفـي آخرهـا :

---

1) زديك قفر فى صحراء ليبيا ، وصفه فى الرحلة المغربية ص 85 .

2) الرحلة المغربية ص 279 طبع الرباط .

ولا يغررك من دنياك وصـــل   ففي الأمثال أغرر من بغـــي
فقلت لقد نصحت بكل معنـــى   حقيق أن يُصاخ له حـــري
لقد أسمعت لو ناديت حيـــاً   ولكن النداء لغير حـــي
فقالت قد عهدت إليك نصحـــاً   فوفقك المهيمنُ مـن وصي (1)

انتهى (2) .

وقال ابن عبد السلام الناصري في رحلته بعد أن ذكر ذمَّ العبدري لمصر وأهلها ما نصه : جرياً على عادته عفا الله عنه في ذم البلاد وأهلها ، وما كان ينظر إلا بعين السخط إليها ، فليته مدح مَن يستحق المدح ، وذمَّ مَـن يستحق الذم أو يتغافل عنه إلا بقصد البيان ، وما رأيناه مدح بلدة ولا ساكنها إلا مدينة تونس ، ولو أمكنه أن يقول في الحرمين هجواً لقال ، وما ذلك إلا أن الرجل بربري من سكان الجبال لم يألف الناس ولا البحث عنهم ولا الذهاب إليهم ، وإنما ينزل بمدرسة من جملة الطلبة أو بفندق من جملة الغرباء ، ولا يتفطن له عالم ولا ذو مروءة حتى إذا صدر عن البلد قال فيه ما شاء (3) .

581) **محمد بن محمد بن أبي القاسم** ، حدث عنه صاحب (التشوف) فيه أنه قال : سمعت أبا يزيد الرفاء ، وكان رجلا خيراً يقول : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم عند أحد أبواب مراكش ، فقلت : يارسول الله أفي هذه البلدة أحد من الأولياء ؟ فقال : سبعة ، فقلت : يارسول الله مَن هم ؟ فقال لي : هؤلاء ، فاذا سبعة رجال خرجوا من الباب ما عرفت منهم إلا أحمد بن محمد الغساني (4) .

582) **محمد بن أحمد (أبي العباس) السبتي** ، الفقيه ، سمع من أبيه وسمع منه صاحب (التشوف) بعض كراماته كما تقدم عنه .

---

1) **الرحلة المغربية** ص 284 طبع الرباط .

2) تم تلخيصه في 10 رمضان عام 1329 ، ثم ان نسختنا مـن هذه الرحلة طلبت منـا اعارتها لتطبع في تونس ، فما طبعت ولا رجعت لنا ، فلا حول ولا قوة الا بالله (مؤلف) .

3) ينظر عن العبدري مقدمة رحلته التي حققها الاستاذ الوزير محمد الفاسي .

4) **التشـوف** ص 2 .

583) محمد بن محمد ابن عبد الملك الأوسي المراكشي .

محمد بن محمد بن عبد الملك بن سعيد الأنصاري الأوسي المراكشي، الامام العلامة ، الأوحد ، المصنف ، الأديب ، المفتي ، الفقيه ، المقرىء ، المؤرخ ، الحافظ ، المقيد قاضي الجماعة بمراكش ، من جملة شيوخه أبو زكرياء ابن أبي عتيق ، تلا عليه القرآن بالسبع ، وأبو القاسم البلوي، والقاضي أبو محمد الحسين بن الامام الحافظ علي بن محمد ، والعلامة علي بن محمد الفخار الرعيني الاشبيلي الكاتب ، وإبراهيم بن أبي بكر التلمساني صاحب الأرجوزة في الفرائض ، وفقيه فاس محمد بن يوسف المزدغي المتوفي سنة 655 المترجم في (النيل) و (الجذوة) و (بيوتات فاس) للفاسي (1) وغيرهم .

مولده ليلة الأحد عاشر ذي القعدة سنة 634 ، وتوفي سنة 703 ، ألف كتاب (الذيل والتكملة ، لكتابي الموصول والصلة) وأخذ عنه أبو جعفر ابن صفوان .

ترجمه في (الديباج) (2) وقيد ترجمته ابن دقيق العيد عن أبي عبد الله العبدري الحاحي ، ووصف كتابه المذكور بالاتقان والافادة في رحلته (3).

وقال في (الجذوة) في ترجمة أحمد ابن البناء المتولد سنة 654 ما نصه : وأخذ ابن البنا الحديث عن أبي عبد الله وأخيه ولدي محمد بن عبد الملك بن سعيد الأنصاري الأوسي الشهير بابن الدهاق ، وقرأ عليه (موطأ) مالك رواية يحيى ، وعروض ابن السقاط (4) ، وتأدب بين يديه في عقود الوثائق ، وانتفع عليه كثيراً ، انتهى (5) .

---

1) **بيوتات فاس** كتاب بدأ تاليفه الأمير الاديب اسماعيل ابن الأحمر المتوفى بفاس عام 807 أو الذى بعده ، وزاد فيه غيره ، وله مختصر اسمه **بيوتات فاس الصغرى** هو الذى يشير اليه المؤلف .

2) زاد فى **الديباج المذهب** ص 331 ودفن بتلمسان .

3) **الرحلة المغربية** ص 140 طبع الرباط .

4) **ابن السقاط** اسمه محمد بن على ، وعندى تاليفه المذكور (مؤلف) .

5) **جذوة الاقتباس** ص 150 طبع الرباط .

ومن نظمه نظمه كما تقدم في المقدمة :

لله مراكش الحمراء من بلـــد ... وحبذا أهلها السادات من سكـن
إن حلـَّها نازح الأوطان مغتـرب ... أسلوه بالأنس عن أهل وعن وطن
بين الحديث بها أو العيان لهـا ... ينشـَا التحاسد بين العين والأذن

وقال في (مشارق الأنوار) كما يأتي في ترجمة القاضي عياض :

تنادي بأنوار المشارق نخـوة ... بمطلعها في الغرب ياشرق غربـي

وراجع أول كتاب (بيوتات فاس ، في القديم) .

وابن عبد الملك قاضي مراكش الأوسي يروى أيضاً عن الحسن بن علي الماكري عن أبي الحسن ابن الحصار عن ابن الفخار عن عياض كما في الحديث الثامن والعشرين المسلسل أكثره بالمراكشيين في كتاب (استنزال السكينة) وعن أبي محمد مولى سعيد بن حكم عن أبي عبد الله البري (1) عن أبي عبد الله ابن سليمان الندرومي عن ابن الفخار عن عياض كما في الحديث التاسع والعشرين عنه كذلك ، وعن أبي الحسن الرعيني عن أبي عبد الله ابن المواق القرطبي الفاسي ثم المراكشي ، عن أبي الحسن الشاري (2) عن أبي عبد الله ابن الغماز (3) عن عياض كما في الحديث الثلاثين منه كذلك ، ويروي أيضاً عن أبي جعفر الصباغ ، وأبي عبد الله بن أ'بي ، وأبي الحسن الرعيني ، وأبـي محمد مولى أبـي عثمان ابن حكم ، أربعتهـم عن محمد بـن عياض الحفيد عن أبيه أبي الفضل عياض عن جده محمد عن أبيه القاضي أبي الفضل عياض بن موسى ، كما في الحديـث الواحد والثلاثين منه كذلـك ،

---

1) ترجمه فى الذيل والتكملة (مؤلف) .

2) مترجم فى التكملة (مؤلف) .

3) هكذا فى النسخة ، ويظهر انه مصحف عـن ابن غازى راوى (الشفا) عـن القاضى عياض ، وهو محمد بن الشيخ الصالح حسن بن عطية ابن غازى الذى روى (الشفا) عن مؤلفهـا القاضى أبى الفضل قراءة عليه سنة 535 ورواها عن ابن غازى المذكور الشيخ الفقيـه المحدث العدل الحافظ أحمد بن محمد بن أحمد اللخمى ثم العزفى سماعاً عليه لأكثره وقراءة لسائره ، وروى عن العزفى هذا الكتاب الفقيه الجليل الفاضل محمد بن سعيد بن على ابن عطية قراءة وتصحيحاً لجميعه (مؤلف) .

ويروي أيضا عن أبي الطيب صالح ابن شريف ، وأبي الحسن الرعيني ، وأبي الحجاج ابن حكم ثلاثتهم عن أبي الحسن ابن قطرال الأنصاري القرطبي ، ثم المراكشي عن محمد بن إبراهيم بن خلف بن أحمد هو ابن الفخار عن القاضي عياض كما في الحديث الثاني والثلاثيـن منها من الكتاب المذكور كذلـك ، ويروي أيضاً عن القاضي حسن بن أبي الحسن ابن القطان عن أبيه ، وعـن التاريخي العدل أبـي يعقوب ابـن الزيات ، وأبي عبـد الله ابن المناصف، فالأول عـن أبي عبـد الله البقار ، وهـو محمد بن إبراهيم ابـن حزب الله ، عن أبي الطاهر السلفي ، والثاني عن محمد بـن إبراهيم الأصولي الاشبيلي، تقدم (1) عـن السلفي ، والثالث عـن أبي الخطاب ابن الجميل عـن السلفي عن الشريف أبي القاسم زيد بن عبد الله عن أبي بكر محمد بن الحسين الآجري بمكة ، حدثنا أبو شعيب عبد الله الحرازي ، حدثنا عاصم بن علي حدثنا أبـو معشر عن يعقوب عن زيد بن طلحة عن زيد بن أسلم عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حَمَلَة العلم في الدنيا خلفاء الأنبياء ، وفي الآخرة من الشهداء ، وهو الحديث الثالث والثلاثون من الكتاب المذكور كذلك ، وهو آخر المسلسل بالمراكشيين من (استنزال السكينة ، لتحديث أهل المدينة) .

وأبو عبد الله البقار وقفت على تآليفه كتاب (الأدوار ، في تسييـر الأنوار) بخط الموقت السيد الطاهر ابن المحجوب بن محمد الحمري السعيدي المراكشي ، انتسخه عام 1320 .

وقال في (نفح الطيب) ما نصه : وقال لسان الدين في ترجمة ابن عبد الملك المراكشي ما صورته ، وخاطبني بقوله :

وليتَ ولاية أحسنتَ فيهـــا	ليعلم أنها شرفت بقــدرك
وكم والٍ أساء فقيل فيـــه	دنيء القدر ليس لها بمـدرك

---

1) ص 169 ع 536 من هذا الجزء .

وقال أيضا يخاطبني في المعنى

وليت فقيل أحسن خيـــــر وال ففاق مدى مداركها بفضلـــــه
وكم وال أساء فقيل فيـــــه دنا فمحا محاسنها بفعلـــــه

انتهـى .

وفي (الاحاطة) ما محصله : أن المذكـور محمد بن محمد بـن عبد الملك بن سعيد الأنصاري الأوسي كان شديد الانقباض ، محجوب المحاسن ، تنبو العين عنه جهامة ووحشة ظاهر وغرابة شكل ، وفي طي ذلك أدب غض ونفس حـرة وحديث ممتع وأبـوة كريمة ،أحـد الصابريـن على الجهـد ، المستمسكين بأسباب الحشمة ، الراضين بالخصاصة ، وأبوه قاضي القضاة نسيج وحده الامام التاريخي المتبحر في الآداب ، تقلبت به أيدي الليالي بعد وفاته لتبعة سلطت على نشبه ، فاستقر بمالقة مقدوراً عليه ، لا يهتدي لمكان فضله إلا مَن عثر عليه جزافاً .

ومن شعره قوله :

من لم يصن في أمل وجهـــــه عنك ، فصن وجهك عـــــن رده
واعرف له الفضل وعرفْ لـــــه حيث أحلّ النفس من قصـــــده

ثم قال : توفي في ذي القعدة عام 743 .

انتهى كلام (الاحاطة) بواسطة نقل (نفح الطيب) ، وسيأتي ذكره في ترجمته نقلا عن (ريحانة الكتاب) ، والمقصود من هذا كله قوله : وأبوه قاضي القضاة الخ (1) .

وقال فـي (كشف الظنون) ، تاريـخ المراكشي هو الشيخ أبـو عبد الله ، انتهى . ولعله أراد به المترجم ، ثم قال : تكملة لابن عبد الملك ، انتهى ، وهو المترجم أيضاً .

---

1) **نفح الطيب** 6 : 89 طبع بيروت .

ووقفت من كتبه رحمه الله على الجزء الرابع والخامس وهو الأخير من كتاب (الذيل والتكملة ، لكتابي الموصول والصلة) وهما مجلدان كبيران ، غير أن البلا محا بعضهما ، عندي ، وعلى الجزء السادس منه في المكتبة الباريزية الوطنية، وعلى شرحه لـ (الأنوار السنية) لابن جزي في مجلد كبير، ومن تآليفه الجمع بين كتابي (بيان الوهم والايهام ، الواقعين في كتاب الأحكام) جمع أبي محمد عبد الحق ابن الخراط الجاري عليه اسم (الأحكام ، الكبرى) ، وتعقب هذا الكتاب تلميذ ابن القطان محمد بن يحيى أبي بكر بن خلف بن فرج ابن صاف المراكشي ، قاضي فاس الشهير بابن المواق ، مضافين إلى سائر أحاديث الأحكام وعلى ترتيبها وتكميل ما نقص منها ، فصار كتابه هذا من أنفع المصنفات وأغزرها فائدة حتى لو قلت إنه لم يؤلف في بابه مثله لم أبعد كما قاله المترجم كما تقدم في ترجمة ابن المواق ، وتقدم في ترجمة العبدري الحاحي أن المترجم هو الذي خرج رد ابن المواق على ابن القطان .

وقال في (طبقات المالكية) بعد ذكره : وتوفي سنة ثلاث وسبعمئة بتلمسان ، انتهى ، فيكون عمره نحو سبعين سنة ، لأن مولده كما تقدم سنة 634 ، وأما وفاته عام 743 المذكورة في (النفح) هي لولده كما علمت ، وستأتي ترجمته كما تقدم التنبيه على ذلك (1) .

584) محمد بن إبراهيم البقوري الليثي

محمد بن إبراهيم بن محمد الليثي نسباً ، البقوري بلداً ، المراكشي وفاة ، وبقور بباء موحدة مفتوحة ، وقاف مشددة ، وراء مهملة ، بلد بالأندلس،

---

1) خلط المؤلف بين محمد بن محمد ابن عبد الملك وهو المترجم هنا وبين ولده محمد بن محمد بن محمد الذى سيأتى فيما بعد ، وكان من الواجب عليه أن لا يفعل اجتناباً للالتباس .

وتنظر ترجمة محمد بن محمد ابن عبد الملك مع بعض اخباره وأشعاره فى كتاب **المرقبة العليا، فيمن يستحق القضاء والفتيا** للقاضى أبى الحسن النباهى ص 130 طبع بيروت ، وفيها أن وفاته كانت بتلمسان الجديدة أواخر محرم عام 703 راجعاً من الأندلس الى المغرب . وفى **صلة الصلة** (مخطوط) لأحمد ابن الزبير وفيها معلومات أوفى عن شيوخه وقضائه ، وهو آخر المحمدين الغرباء المترجمين فيها .

سمع من القاضي الشريف محمد الأندلسي ، ووضع كتاباً سماه (إكمال الاكمال) للقاضي عياض، وله كلام على كتب شهاب الدين القرافي في الأصول، قدم إلى مصر وأرسل معه بعض السلاطين بالمغرب ختمة كبيرة بخط مغربي منسوب ليوقفها بمكة أو بالمدينة ، ورجع إلى مراكش فتوفي بها سنة سبع وسبعمئة .

ترجمه في (الديباج) وفي (النفح) قائلا : وقد زرت قبره مراراً ، انتهى .

وقد ذكر شيء من أحواله بترجمة أبي عبد الله الكومي المراكشي،وفي ترجمة أبي العباس الشبلي ، وذكر في (نور البصر) في ترجمة الامام المازري ، وقبره في قبة صغيرة ملاصقة لحائط قبة الشيخ الجزولي مؤلف (دلائل الخيرات) من جهة رأسه ، وهو صاحب الروضة المذكورة قبل أن يدفن بها الجزولي رضي الله عنهما .

وقال في (أثمد العينيين) : وحدثني من أثق به قال : حدثني الشيخ الفاضل المبارك جابر الشهير بابن درهم قال : أردت الحج ، ثم قلت : لا أنصرف إلى الحج حتى أستأذن في ذلك سيدي أبا زيد ، وكان إذ ذاك بتلمسان، وشددت وسطي حتى وصلت ، فاستأذنته في ذلك فأذن لي وقال : إذا أصابتك شدة فناد باسمي ، فودعته وانصرفت إلى الحج ، فحججت ثم رجعت إلى أن بلغت الأسكندرية ونحن قد استقبلنا المغرب ، فصعدنا في سفينة ، فانكسرت بنا ، فغرق الناس فناديت : ياسيدي ياأبا زيد خاطرك، فأغاثني الله عز وجل بصندوق من خشب قد انكسر وبقيت بجوانبه فتعلقت به ، وإذا بمحمد البقوري قد تمسك أيضاً بالجانب الآخر ، فلما رآني أخذ يشجعني ويقول لي : كن راجلا (1) ويقول لي : أما سمعت قول الله تعالى « وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا » فما زلنا متشبثين بذلك الصندوق حتى خرجنا إلى الساحل، فما كان من أبي عبد الله إلا أن قام وانصرف ، وأما أنا فرفعت رأسي إلى مسجد

1) جمعه رجال كقائم وقيام كما في تاج العروس (مؤلف) .

هنالك ، ثم أغمي علي ، فما أفقت إلا في دار شيخ بين أهله وأولاده وقرابته قد داروا بي جميعهم ، ورأيت منهم من الحنانة ما يقصر عنه الوصف ، كأنني معهم ، وذلك ببركته رحمة الله عليه .

إذا زرت أرضاً زارها منك وابـل فديتك لا ينفك منك مكـان
فأنت غيـاث للأنام ورحمـة وحرزهم من دهرهم وأمـان

وترجمه أيضاً في (طبقات المالكية) .

585) محمد بن محمد الفار القالوسي القضاعي

محمد بن محمد بن إدريس بن مالك بن عبد الواحد بن عبد الملك بن محمد بن سعيد بن عبد الواحد بن أحمد بن يوسف القضاعي أبو بكر القالوسي الملقب بالفار ، لقيه بمراكش أحمد بن البناء ، وقرأ عليه كتابه الكبير المسمى بـ (الختام المفضوض ، من خلاصة العروض) ، وأرجوزته العروضية المسماة بـ (النكت العلمية ، في مشكل الغوامض الوزنية) ، وقرأ عليه (إثارة المسائل الغوامض ، عن متعلقات مشكل الفرائض) .

قال ابن البنّاء : كنت أفرض لأبي بكر القالوسي مسائل من علم الفرائض ، فينظمها حتي كمل به رجزه هذا ، انتهى .

وأخذ عنه عبد الملك ابن مخلص الأنصاري ، وورخ بربيع الأول من عام سبعمئة ، أجاز له رجزه في الفرائض الذي سماه (الغوامض ، من متعلقات مشكل الفرائض) .

ولد عام سبعة وستمئة بظاهر اسطبونة .

وتوفي سنة سبع وسبعمئة .

ذكره في (الجذوة) لدي ترجمة تلميذه المذكور ، كما أفرد له ترجمة في المحمدين (1) .

1) **جذوة الاقتباس** ص 288 ع 296 طبع الرباط .

وقال الحافظ في (الدرر الكامنة) بعد ذكره ، قال ابـن الخطيب : كان إماما في العربية والعروض ، وكان شديد التعصب لسيبويه مع خفة فيه ، حدثني شيخنا أبو الحسن ابن الجياب قال:ورد أبو بكر القالوسي على القاضي أبي عمرو الرندون وكان شديد المهابة ، فتكلم في مسألة في العربية نقلها عن سيبويه فقال له القاضي : أخطأ سيبويه ، فكاد يجن ولم يقدر على جوابه لمكان منصبه، فجعل يدور في المسجد ودموعه تنحدر على وجهه وهو يقول : أخطأ مَن خَطّأه ولا يزيد عليها ، وكان مشاركاً في فنون من الفقه والقراءات والفرائض ، وله تواليف حسان ، ونظم في العروض وفي الفرائض ، وشرح الفصيح ، وكان قرأ على أبي الحسن بن أبي الربيع ، وأبي جعفر ابن الزبير وغيرهما ، وله شعر منه قصيدة أولها :

أطلع بأفق الراح شمس الـــــراح وصل الزمان مساءَه بصبـــاح

وكانت وفاته (يوم الجمعة الثامن عشر) من رجب الفرد سنة 707 (1) .

586) محمد بن علي ابن قطرال الأنصاري

محمد بن علي بن محمد بن علي بن يوسف ابن قطرال الأنصاري من أهل مراكش ، يعرف بابن قطرال .

حـــالـــه (من العائد) :

كان رحمه الله فاضلا ، صوفياً ، عارفاً ، محدثاً ، فقيهاً ، زاهـداً ، تجرد عن ثروة معروفة ، واقتصر على الزهد والتخلي وملازمة العبادة والعزوف عن الدنيا ، وله نظم رائق ، وخط بارع ونثر بليغ ، وكلام على طريقة القوم ، رفيع الدرجة ، عالي القدر ، شرح قصيدة الاسرائيلي ، وتجول في لقاء الأكابر، على حال جميلة من إيثار الصمت والانقباض والحشمة ، ثم رحل إلى المشرق وحج صدر سنة ثلاث وسبعمئة .

---

1) **الاحاطـة** مخطوط ، وذكر فيه من تآليفه **الدرة المكنونة ، في محاسن اسطبونة** ، وكتبت القالوسي فيه هكذا القلوسي .

مشيخته :

من شيوخه القاضي العالم محمد بن علي ، والحافظ أبو بكر بن محمد المرادي ، والفقيه أبو فارس الجروي ، والعلامة أبو الحسين بن أبي الربيع ، والعدل أبو محمد ابن عبيد الله، والحاج أبو عبد الله ابن الخضار ، وأبو إسحاق التلمساني ، ومحمد ابن خميس ، وأبو القاسم ابن السكوت ، وأبو عبد الله ابن عياش ، وأبو الحسن ابن فضيلة ، وأبو جعفر ابن الزبير ، وأبو القاسم ابن خير ، هؤلاء كلهم لقيهم وأخذ عنهم ، وكتب له بالاجازة جملة كالقاضي أبي علي ابن الأحوص ، وأبي القاسم العزفي ، وأبي جعفر الطنجالي ، وصالح ابن شريف ، وأبي عمرو الداري ، وأبي محمد ابن الحجاج ، وأبي بكر ابن حَبيش، وأبي يعقوب ابن عقاب ، وغيرهم .

شعره :

وأما شعره فكثير بديع ، قال شيخنا أبو بكر ابن شبرين كتبت إليه :

يامُعمِل السير أي إعمـــــال ســـلمْ على الفاضل ابن قطـــرال

في أبيات فراجعني عنها بأبيات منها :

زارت فأزرت بمسك داريـــــن تفتق الحسن منها في أفانيـــــن

ومثلها في شتى محاسنهـــــا ليست ببدع من ابن شبريـــــن

وفاته :

ووفاته بحرم الله عاكفاً على الخير وصالح الأعمال، راغباً عن زهرة الحياة الدنيا ، إلى أن اتصل خبر وفاته ، وفيه حكاية ، عام تسع وسبعمئة رحمه الله ، ودخل غرناطة برسم لقاء الخطيب الصالح أبي الحسن ابن فضيلة وغير ذلك .

انتهى من (الاحاطة) (1) .

وذكر الحافظ في (الدرر الكامنة) أنه جاور بمكة ، ومات بمكة في جمادى الأولى عام 710 ، سقط سقف رباط الخوزي فمات ، وأرخ ابن الخطيب وفاته في سنة 709 فوهم ، انتهى .

---

1) الاحاطة مخطوط .

وذكر محمد المقري الجد أنه حفظ من وجادة أنه ذكر عند المترجم أن ابن الحاجب اختصر (الجواهر) فقال : ذكر هذا لأبي عمرو حين فرغ منه فقال : بل ابن شاش اختصر كتابي، قال ابن قطرال: وهو أعلم بصناعة التأليف من ابن شاش، والانصاف أنه لا يخرج عنه وعن ابن بشير إلا في الشيء اليسير، فهما أصلاه ومعتمداه ، ولا شك أن له زيادات وتصرفات تنبيء عن رسوخ قدمه وبعد مداه ، نقله في (نفح الطيب) في ترجمة جده .

وقال فيه أيضاً : ولا بأس أن نورد من فوائد مولاي الجد ما حضرني الآن ، فمن ذلك ما حكاه عن عبد الرزاق عن ابن قطرال قال : سمع يهودي بالحديث المأثور نعم الادام' الخل ، فأنكر ذلك حتى كاد يصرح بالقدح ، فبلغ ذلك بعض العلماء ، فأشار على الملك أن يقطع عن اليهود الخل وأسبابه سنة، قال : فما تمت حتى ظهر فيهم الجذام .

ثم قال : ومنها ما حكاه عن عبد الله بن عبد الحق عن ابن قطرال قال : كنت بالمدينة على ساكنها الصلاة والسلام إذ أقبل رافضي بفحمة في يده ، فكتب بها على جدار هناك :

من كان يعلم' أن الله خالقه فلا يحب أبا بكر ولا عمرا

وانصرف ، فألقى علي من الفطنة وحسن البديهة ما لم أعهد مثله من نفسي قبل ، فجعلت مكان يحب يسب ورجعت إلى مجلسي ، فجاء فوجده كما أصلحته ، فجعل يلتفت يميناً وشمالا كأنه يطلب من صنع ذلك ، ولم يتهمني ، فلما أعياه الأمر انصرف ، انتهى .

واقتصر في (درة الحجال) و (لقط الفرائد) على ذكر تاريخ وفاته، وسيأتي ذكر علي بن عبد الله بن محمد بن يوسف بن أحمد الأنصاري المعروف بابن قطرال .

587) محمد بن عمر (المرتضي) الموحدي

محمد بن عمر بن إسحاق بن يوسف بن عبد المومن بن علي المراكشي ، كان أبوه يلقب المرتضي ، وولي المملكة نحو العشرين سنة ، ثم

خرج عليه الواثق أبو دبوس فاسره ، ثم قتله واعتقل أولاده ، وهذا منهم ، وذاك في سنة 665 ، فلما استولى المريني على المملكة انتزعه إلى الأندلس ، فاقاموا باشبيلية ، ثم انتقلوا إلى غرناطة ، وكان محمد هذا وقوراً ، قرّب صاحب غرناطة مجلسه ،وأجرى عليه كفايته ، واستعمله على الحمراء ، ومات في ذي القعدة سنة 715 .

588) محمد بن سليمان البيّاتي

محمد بن سليمان بن أحمد المراكشي الصنهاجي البيّاتي بالتثقيل ، ثم مثناة الزين المقري من شيوخ الأسكندرية ، سمع من ابن رواج ومظفر الفوي ، وسمع منه الواني والجماعة ، ذكره في (مشتبه النسبة) .

وقال في (إنباء الغمر) لدى سنة 794 ما نصه : عبد الله بن أبي بكر بن محمد الدماميني ، ثم الأسكندراني شهاب الدين ، سمع (الموطأ) من الجلال بن عبد السلام ، وتفرد به ، وسمع من محمد بن سليمان المراكشي الرابع وثلاثة أجزاء بعده من التعقبات ، وتفرد به أيضاً ، ومات في ربيع الآخر، وكان فاضلا أديباً ، انتهى .

وذكره في (الدرر الكامنة) في ترجمة تلميذه عبد الله بن محمد بن علي بن أبي الحسن جمال الدين ابن معين الدين القيم بالكاملية وبالجامع الأقمر ، المتولد سنة 708 ، شيخ البرهان محدث حلب ، وابن ظهيرة ، وابن العراقي وغيرهم منها وقال فيها في ترجمته ما نصه : محمد بن سليمان بن أحمد بن يوسف بن علي المقري الصنهاجي المراكشي نزيل الأسكندرية ، كان سمع من ابن رواج الستة الأولى من التعقبات ، ومن المظفر بن الفوي ، وأمّ بمسجد قداح ، وحدث وكتب في الاجازات ، وعاش نحواً من ثمانين سنة، ويقال ولد في حدود سنة أربعين وستمئة ، ومات في ذي الحجة سنة 717 هـ ، وترجمه في (الشذرات) أيضاً نقلا عن (العبر)، وابن رواج المذكور اسمه عبد الوهاب ابن ظافر الأسكندراني المالكي المحدث أبو محمد رشيد الدين المتوفي في 18 ذي القعدة سنة 648 المترجم في (الشذرات) .

وترجم في (حسن المحاضرة) لابن رواج ، ورشيد الدين يحيى العطار ، ولابن سليمان المذكور في المحدثين والمسندين بمصر .

وترجم الحافظ الذهبي في (تذكرة الحفاظ) للرشيد العطار صحيفة 226 ج 4 .

589) محمد ابن صالح ، الوليُّ الصالح صاحب الضريح المشهور بالحومة المنسوبة إليه ، لم أقف له على ترجمة ، ويُذكر أن العلامة سيدي الحسن الفلالي المراكشي كان إذا أشكل عليه شيء من عويصات المسائل العلمية يأتي قبر المترجم له وينام داخل ضريحه يساراً بقصد الجواب عما أشكل عليه ، فيرى الشيخ في منامه ساعته ، ويبين له القضية ، ويحقق له مناطها ، وربما أطلعه عليها في كتاب ، فيستيقظ وهو حافظ لها أو عارف بالمحل التي هي مذكورة فيه ، وهكذا كان حاله معه غير ما مرة ، وهذا يدل على أنه من أهل التصرف في الحياة وبعد الممات ، وذكر بعض الطلبة أنه وقف له على كتاب يسمى بـ (الهدية) وضعه في سر الحرف وعلم الفلك والتنجيم ، وبلصقه صومعة المسجد المشهور بالنسبة إليه التي بنيت في غرة رجب عام أحد وعشرين وسبعمئة ، بتقديم السين على الموحدة كما هو مسطر فيها بالتزليج ، أما مسجده فبناه أبو الحسن المريني سنة ثمان عشرة وسبعمئة (1) وفي سنة ثمانين وألف جدده السلطان مولانا الرشيد ، وأمر بتأسيس المدرسة التي بازائه ، ثم جدده السلطان سيدي محمد بن عبد الله ، كما جدد قبة الشيخ المذكور .

590) محمد بن عمر ابن رشَيْد الفهري السبتي

محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن محمد بن إدريس بن سعيد بن مسعود بن حسين بن محمد بن عمر الفهري من أهل سبتة ، يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بابن رشيد كأنه تصغير رشد ، الخطيب المحدث الشهير المتبحر في

---

1) لعل الذى بناه هو أبوه السلطان أبو سعيد ، لأن أبا الحسن لم يتول الملك الا عام 731 الا اذا كان أبو الحسن بناه وهو ولى للعهد .

علوم الرواية والاسناد ، وصفه ابن خلدون في (العبر) بكبير مشيخة المغرب وسيد أهله ، شيخ المحدثين الرحالة ، وقال ابن الخطيب ، كان رحمه الله تعالى فريد عصره جلالة وعدالة وحفظاً وأدباً وسَمتاً وهدياً ، واسع الأسمعة عالي الاسناد ، صحيح النقل ، أصيل الضبط ، تام العناية بصناعة الحديث ، قيِّماً عليها ، بصيراً بها ، محققاً فيها ، ذاكراً للرجال ، متضلعاً من العربية واللغات والعروض ، فقيهاً أصيل النظر ذاكراً للتفسير ، ريان من الأدب ، حافظاً للأخبار والتواريخ ، مشاركاً في الأصلين ، عارفاً بالقراءات ، رحل إلى المشرق لأداء فريضة الحج ولقاء أهل العلم سنة ثلاث وثمانين وستمئة ، وكانت إجازته البحر من المرية فتلاقى بها هو والوزير محمد ابن الحكيم ، وكان قصدهما واحداً ، ومأمهما متعاضداً ، فترافقا في السفر كما ترافقا في الوطن ، فدخلا إفريقية ومصر والشام ، وأخذ بها وبالحجاز عمن لقي من الأيمة الأعلام ، وأكثر من هذا الشأن وأجاد فيه الضبط والاتقان ، وتوسع في الرواية ، وذهب في ذلك إلى أبعد غاية ، وكان أديباً خطيباً بليغاً ، حُكيَ عنه أنه قام للخطبة يوماً بعد فراغ المؤذن الثاني ، ظنه الثالث ، فلما قام نادى المؤذن الثالث ، فقال بديهة : أيها الناس ، رحمكم الله ، إن الواجب لا يبطله المندوب ، وإن الأذان الذي بعد الأول غير مشروع الوجوب ، فتأهبوا لطلب العلم ، وانتبهوا وتذكروا قول الله تعالى « وما آتاكم الرسول فخذوه، وما نهاكم عنه فانتهوا »، فقد روينا عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : مَن قال لأخيه والامام يخطب أنصت فقد لغا ، ومَن لغا فلا جمعة له ، جعلني الله وإياكم ممن عَلِم فعمل ، وخوطب فقبل ، وأخلص فتخلص وذلك مما استُدل به على قوة مطاوعة لسانه له .

قال الونشريسي في (المعيار) : وقعت هذه القضية أيضاً بتونس بجامع القصبة لقاضي الجماعة عيسى الغبريني ، فتمادى كما تمادى ابن رشيد، ووقعت لبعض الشيوخ بجامع الزيتونة ، فرجع والصواب مع الأول . انتهى ، ونقله في ترجمته في (طبقات المالكية) .

وكان المترجم يقرض الشعر على تكلف لوزنه ، وأعظم غايته بعلم الحديث متنه وسنده ومعرفة رجاله ، وبذلك كان جل اشتغاله ، قرأ ببلده

سبتة على الأستاذ إمام النحاة أبي الحسين بن أبي الربيع كتاب سيبويه ، وقيد على ذلك تقييداً مفيداً ، وأخذ عنه القراءات بمضمن كتاب (التيسير) ، وأخذ عن الجلة الذين يشق إحصاؤهم ، فلقي بافريقية الراوية العدل عبد الله ابن هارون ، يروى عن ابـن بقي ، وروى بالمشـرق عن أبي اليمن ابن عساكـر الدمشقي شرف الدين ، وقطب الدين محمد بن أحمد القسطلاني شيـخ دار الحديث الكاملية ، وأخذ في المرية في اجتيازه عليها عن الخطيب محمد ابن الصائغ ، والوزير الأديب أحمد بن محمد ابن سلبطور ، قيد عنه من شعره ، وأخذ ببجاية عن الخطيب أبي محمد عبد العزيز بن عمر القيسي ابن كحيـلا نزيلها ، وبتونس عـن قاضي الجماعة بها أبـي القاسم ابن زيتون ، وأخـذ بالأسكندرية عن أبي بكر بن أحمد بن إسماعيل ابن فارس التميمي ، والصالح العدل ابي عبد الله بن عبد الخالق ابن طرخان القرشي ، وبالقاهرة عن الحافظ أبي محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري ، والأديب الصوفي شهاب الدين محمد بن عبد المنْعم بن محمد بن يوسف بن أحمد الأنصاري بن الخيمي نزيل إيوان الحسين رضي الله عنه من القاهرة المعزية ، وبدمشق عن عز الدين أبي العز عبد الله بن عبد المنعم بن علي الحراني ، وأبي الحسن علي بن أحمد بن عبد الواحد المقدسي ، والمسند أبي الفرج عبد الرحمان بن أحمد بن عبـد الملك المقدسي ، وبالحرم الشريف عـن المحدث الأديب أبي إسحاق عبـد الصمـد بن عبـد الوهاب ابن عساكـر الدمشقي ، وفقيـه الحرمين محمد بن أبي بكر بن خليل بن إبراهيم ابن المكي ، وبالمدينة المشرفة على محمد ساكنها أفضل الصلاة وأزكى السلام ، وأشياخه أودعهم رحلته الحافلة التي سماها (ملء العيبة ، في ما جمع بطول الغيبة ، في الوجهتين الكريمتين إلى مكة وطيبة) ، وهي في أربعة أسفار أو ستة ، وكانت في وقف المغاربة برباط الموفق ، وبمكتبة الأسكوريال ببلاد إسپانيا منها الآن عدة مجلدات ، منها ما هو بخط المؤلف ، وربما يخرج من مجموعها نسخة كاملة .

وقد ذكر الحافظ في (الدرر الكامنة) في ترجمة علم الدين القاسم بن يوسف السبتي ما نصه : قلت : وقفت على رحلته ، وهي ثلاث مجلدات ضخمة، وقد حذا فيها حذو ابن رشيد ، وكان رحل قبله بنحو عشر سنين ، وزاد هو

على رحلة ابن رشيد بتضمين الرحلة مشيخة له مستوعبة ، يذكر ترجمة الشيخ وما يمكن من مروياته ، ويبيِّن ما سمعه منه بأسانيده ، ويخرج عنه بعد ذلك شيئاً من حديثه وفوائده وإنشاداته ، ويفعل ذلك في كل بلد دخله . انتهى .

قدم غرناطة في عام اثنين وتسعين وستمئة ، فعقد مجالس للخاص والعام ، يقرىء بها فنوناً من العلم ، وتقدم خطيباً وإماماً بالمسجد الأعظم ، وله من التآليف (ترجمان التراجم) في إبداء وجه مناسبة تراجم صحيح البخاري ، و (السَّنَنُ الأبين ، في السند المعنعن) ، و (المقدمة المعرفة ، لعلوم المسافة و الصفة) ، و (المحاكمة بين البخاري ومسلم) ، و (إحكام التأسيس ، في أحكام التجنيس) ، و (إيراد المريع ، لرائد التشجيع والترصيع) ، و (وصْل القوادم بالخوافي ، في ذكر أحكام القوافي) ، شرح فيه كتاب (القوافي) لشيخه حازم القرطاجني ، وجزء مختصر في العروض ، وتقييد على كتاب سيبويه .

قال في (الاحاطة) : وله شعر يتكلفه ، إذ كان لا يزن أعاريضه إلا بميزان العروض ، انتهى ، فمن شعره ما أنشده له القاضي أبو البركات البلفيقي قال : أنشدني الفقيه الخطيب محمد ابن رشيد لنفسه في تمثال نعل المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد رآه بدمشق في دار الحديث الأشرفية :

هنيئاً لعيني إذ رأت نعل أحمد ... فيا سعد جدي قد ظفرت بمقصدي
وقبلتها أشفي الغليل فزادني ... فياعجباً زاد الظما عند موردي
فلله ذاك اللثم فهو ألذ من ... لمى شفة لميا وخد موَرَّد
ولله ذاك اليوم عيداً ومَعْلما ... بتاريخه أرِّخت مولد أسعد
عليه صلاة نشرها طيب كما ... يحب ويرضي ربنا لمحمد

وله مما قاله في البحر ، وقد انبسط عليه ضوء القمر ليلة البدر :

انظر إلى البدر قد مُدت أشعته ... على خضاره حتى أبيض أزرقه
والريح قد صنعت درعاً مسامرها ... حباب برق بدا للعين رونقه

وله أيضاً :

تغرّبْ ولا تحفل بفرقة موطـــن ... تفزْ بمنى في كل ما شئت من حاج
فلولا اغتراب المسك ما حل مفرقا ... ولولا اغتراب الدر ما حل في التاج

ولما قفل من المشرق ، عاد إلى بلده سبتة فلم يساعده بها القدر ، كتب له الوزير محمد ابن الحكيم رفيقه يستدعيه إلى حضرة غرناطة ، ويعده بنيل كل أمنية ، فأعمل الرحلة إليه ، ثم قدم حينئذ للخطبة والصلاة بالجامع الأعظم من الحضرة ، ثم لما توفي أبو جعفر ابن الزبير عن قضاء المناكح خلفه عليها . فلما أن اغتيل صاحبه الوزير محمد ابن الحكيم رحل من غرناطة ولحق بحضـــرة فاس فحل بها ، وجعـــل له الأمـــر السلطاني الاختيار أيـــن يحب الاستقرار ؟ فاختار التحول إلى مراكش إذ كان قبل قد سكنها فاستحسنها ، فورد عليها وقدم للخطبة والصلاة بجامعها العتيق ، وهو القائل كما في فهرسة السراج عن شيخه الرعيني عن المترجم : لم أر عالماً بالمغرب إلا رجلين ، ابن البناء العددي بمراكش ، وابن الشاط بسبتة ، انتهى .

ثم استدعاه السلطان إلى حضرة فاس ، فوردها وصار من خواص السلطان ، وأقام على ذلك إلى أن توفي بفاس في الثالث والعشرين (1) لشهر المحرم سنة إحدى وعشرين وسبعمئة .

قال في (النشر) في ترجمة أبي المحاسن نقلا عن صاحب (الاحاطة) ما نصه : ودفن في الجبانة التي بخارج باب الفتوح بالروضة المعروفة بمطرح الجلة باللام ، وهي جميع جليل ، ويقال فيه اليوم الجنة بالنون وهو تفاؤل حسن ، وقد اشتمل على العلماء ، والصلحاء ، والفضلاء من الغرباء الواردين من مدينة فاس ، انتهى .

مولده بسبتة في شهر رمضان سنة سبع وخمسين وستمئة .

---

1) في الاحاطة (مخطوط) في الثامن لشهر محرم .

ترجمه في (الاحاطة) و (الدرر الكامنة) قال فيها: واستمر ابن رشيد في الجامع، يعني من غرناطة، يشرح من البخاري حديثين يتكلم على سندهما ومتنهما أتقن كلام، ودرس دروساً مبيناً للرواية، فلما قُتل ابن الحكيم في شوال سنة 708 خرج منها إلى العدوة، فبقي في إيالة صاحبها عثمان بن يعقوب المريني إلى أن مات مكرماً، وله أيضاً (إيضاح المذاهب، فيمن يطلق عليه اسم الصاحب).

ثم نقل عن (سير النبلاء) للذهبي عن تلميذه ابن المرابط، أن المترجم كان على مذهب أهل الحديث في الصفات، يمرها ولا يتأول، وكان يسكت لدعاء الاستفتاح، ويسر البسملة، فأنكروا عليه وكتبوا عليه محضراً بأنه ليس مالكياً، فاتفق أن القاضي الذي شرع في المحضر مات فجأة وبطل المحضر.

انتهى المقصود.

وترجمه في (الديباج)، وفي (البدر الطالع)، و (الجذوة) و (بغية الوعاة)، و (الدرة) و (السلوة) (1).

وقال المترجم في فهرسته، كنت مع الفقيه الأستاذ أبي القاسم المزياتي تحت ثريا جامع القرويين من فاس عمره الله تعالى بالذكر وحرسها، بعد صلاة المغرب، وإذا رجل قد أقبل وأخبر الأستاذ أبا القاسم بقدوم الأستاذ ابن عبدون، فقال لنا أبو القاسم: قوموا بنا إلى لقائه، فالتقيناه وهو داخل المسجد، وسلمنا عليه، فاستقبل الثريا وهي مُسرَجَة، فقال ابن عبدون مرتجلا:

انظر إلى ثورية نورها ... يصدع باللألاء سجف الغسق

فقال أبو القاسم:

كأنها في شكلها ربوة ... انتظم النور بها فاتسق

---

1) الديباج المذهب ص 310 وجذوة الاقتباس ص 289 ع 298 ودرة الحجال 2 : 96 ع 532 طبع تونس، وسلوة الانفاس 2 : 191 وبغية الوعاة ص 85.

ثم اجتمعت صبيحة تلك الليلة مع الأديب البليغ مالك ابن المرحل ، وأعلمته بما وقع من الأستاذين ، فقال : لو كنت معهما لقلت :

أعيذها من سوء ما يتقـــــي　　　من فجأة العين برب الفلـــق

وقال محمد بن خلف :

باهى بها الاسلام ما أشرقــــت　　　كاساتها عند مغيب الشفــــق

انتهى نقله في (المنتقى المقصور) .

قلت : وما في أوائل (الجذوة) مما يخالف هذا ، فهو ليس على ما ينبغي (1) .

للأستاذة الأديبة الشاعرة السيدة سارة الحلبية نزيلة فاس تخاطب المترجـم :

وافى قريض منكم قد غـــدا　　　لبعض أوصافكم ذاكـــــرا
يابن رشيْد ياأخا الرشد يـــا　　　من لم يزل طي العلا ناشـــرا
خذها فدتك النفس ياسيـــدي　　　وكن لمن نظمها عـــاذرا
لم تستطع أنثى بتقصيرهـــا　　　بأن تجاري ذكراً ماهـــرا
لا زلت تُحيي من رسوم العـــلا　　　ما كان منها عافياً داثـــرا

فـائـدة

يُعرف بابن رشيد جماعة ، اشهرهم وأعلمهم المترجم ، فمنهم أبو سعيد بن رشيد بن يحيى بن محمد بن عمرو ابن رشيد الفهري ، الفقيه الكاتب صاحب العلامة للسلطان عبد الحليم المريني ، ومنهم أبو عبد الله محمد بـن محمد ابن رشيد الفقيه الكاتب ، كاتب الدولة المرينية أيضاً .

فائدة أخرى

تتعلق بقول ابن رشيد فقد روينا عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : مَن

---

1) جذوة الاقتباس ص 69 طبع الرباط .

قال لأخيه أنصت والامام يخطب فقد لغا، ومَن لغا فلا جمعة له: اعلم أن لفظ ومَن لغا فلا جمعة له نسبه ابن دقيق العيد للترمذي مع أنه ليس في جامعه ، كما نسبه العراقي لأبي داوود من حديث علي مع أنها لم توجد فيه ، وإنما لفظه كما نقله في (الترغيب والترهيب) : ومَن قال يوم الجمعة لصاحبه أنصت فقد لغا ، ومن لغا فليس له في جمعته شيء ، ولفظ مسند أحمد : ومن قال صه فقد تكلم ، ومَن تكلم فلا جمعة له . وقلّد العراقي في النسبة المذكورة المجد ابن تيمية في (منتقى الأخبار)، وقد تبعهما ابن الديبع في (تيسير الوصول) ، ويجاب أن مرادهم أن أصل ذلك فيهما ، وحديث أبي داوود المذكور منقول في (الجامع الكبير) وحواشي (الموطأ) وابن الهندي في (كنز العمال) ومنتخبه، وشرح (الموطأ) للزرقاني ، و (تكملة المشكاة) بلفظ : ومَن لغا فليس له في جمعته شيء ، وأبو الليث السمرقندي الحنفي أورد في (تنبيه الغافلين) من طريق الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعاً : ومَن مسَّ الحصا فقد لغا ، ومَن لغا فلا جمعة له . وهو عند أحمد وغيره بدون تلك الزيادة ، كما في (الجامع الكبير) ، وكذلك لم توجد في نسخة خطية من (تنبيه الغافلين) ، وقد أدرج تلك الزيادة الامام أبو حامد الغزالي في (الاحياء) ، وقبله الامام أبو طالب المكي في (القوت) ، وبعدهما الشيخ عبد الوهاب الشعراني في (كشف الغمة) ، وجعلها ابن عبد البر من قول عكرمة وعطاء ، وقال الشيخ عبد الباقي الزرقاني في (شرح المختصر) عند قول خليل: ونُهي لاغ وحصبه لخبر من حرك الحصا فقد لغا، أي ومَن لغا فلا جمعة له، كما في خبر آخر ، أي كاملة انتهى ، وقال أبو عبد الله التاودي في حواشيه على الصحيح ، عقب حديث الانصات لأبي هريرة ما نصه : زاد في رواية ومَن لغا فلا جمعة له ، وقال العلامة سيدي محمد بن عبد القادر الفاسي في جواب له مذكور في رحلة ابن زاكور : أن هذا اللفظ ، وهو ومَن لغا فلا جمعة له ، لم أجد مَن ذكره على أنه حديث انتهى ، وقد نسبها مع حديثها ابن القيم في (الهدي النبوي) للامام أحمد أيضاً .

قال السيد أبو الاسعاد بعد إيراد ما تقدم مبسوطاً في كتاب (عقد الزبرجد ، في أن ومَن لغا فلا جمعة له مما نقب عنه من الأخبار ولم يوجد) ما نصه : قلت : وحيث ظهر أن الجواز ، يعني جواز رواية الحديث بالمعنى مشروط بحالة النسيان أو عدم استطاعة الاتيان بعين اللفظ ، فالظاهر من فعل

الفقيه المحدث الخطيب محمد ابن رشيد الفهري أنه حصل لـه نسيان لفظ أحمد الذي هو : ليست له جمعة ونحوه ، فأداه بلفظ مَن لغا فلا جمعة له ، وذلك أنه كان فوق منبر جامع غرناطة ، فلما فرغ المؤذن من الأذان الثاني ، ظن أنه الثالث ، فقام وشرع في الخطبة فاستعظم ذلك بعض الحاضرين وهموا بتنبيهه ، وفعلوا فلم ينته عما شرع فيه وقال بديهة : أيها الناس الخ ما تقدم، فان إدراج ومن لغا فلا جمعة له في الحديث ساغ لمحمد ابن رشيد لضرورة ضيق الوقت ، وخصوصاً ما تكلف على البديهة من التشجيع ، ويرشدك لذلك ما ارتكبـه صدر الحديث مـن إتيانه فيه بأخيه بـدلا عن صاحبه المعلومـة وغير ذلك ، وقال السخاوي في (المقاصد الحسنة) حديث : إذا قلت لصاحبك أنصت يوم الجمعة والامام يخطب فقد لغوت متفق عليه عن أبي هريرة ، ثـم قال : ولأحمد عن علي مرفوعاً : من قال صه فقد تكلم ، ومن تكلم فلا جمعة له ، وعزا ابن دقيق العيد للترمذي قوله : ومَن لغا فلا جمعة له ، وما رأيت هذا في جامعه ، وبسطت هذا كله في جزء مفرد انتهى ، وختم السيد أبو الاسعاد هذا الكتاب بأربعين حديثاً عزيت لكتب لم توجد فيها ، ووقع الوهم في عزوها، وهو كتاب عجيب حافل في نحو ست كراريس ، وقد ذكر الشيخ ميارة في شرح (المرشد) خطبة المترجم المذكورة ، مصدراً لها بقوله : إذا فرغ المؤذن الثاني يوم الجمعة فاعتقد الامام أنه الثالث ، فقام وشرع في الخطبة ، ثـم سمع المؤذن فانه يتمادى لكونه تلبس بفرض ، ووقعت بجامع غرناطة الخ .

فائدة ثالثة

قال في (كشف الظنون) عند صحيح البخاري وشروحه ما نصه : و(ترجمان التراجم) لمحمد بن عمر ابن رشيد الفهري السبتي ، وهو على أبواب الكتاب ولم يكمله انتهى ، وقد تقدم ذكره في عدة كتبه ، غير أنه لـم يتقدم التنبيه على أنه لم يكمل .

وذكـر الحافظ فـي (الدرر الكامنة) فـي ترجمة محمد بـن عثمان الغرناطي ابن المرابط المتوفي سنة 752 ما نصه : قلت : قرأت بخطه أربعين تساعيات خرجها لشيخه محمد ابـن رشيد ، خبط فيهـا كثيراً ، وأخرج له فيها من مسند أحمد بروايته عن الفخر علي ، ويقع له ذلك عشارياً وأكثر ، فما كأنه كان يفهم ، ورأيت بخطه جزءاً حط فيه الذهبي ، وترجمه ترجمة أفرط

في ذمه فيها ، وتعقبها برهان الديـن ابن جماعة عـلى الهامش ، والله يرحم الجميع ، انتهى (1) .

591) محمد بن علي ابن الفخار الجذامي

محمد بـن علي بن محمد بن أحمد ابـن الفخار الجذامي أبـو بكر ، أركشي (2) المولد والمنشأ ، مالقي الاستيطان ، شريشي التدرب والقراءة .

قال ابن الخطيب رحمه الله : كان رحمه الله كثير العكوف على العلم ، قليل الرياء ، خيِّراً صالحاً شديد الانقباض ، مغرقاً في باب الورع ، سليم الباطن ، مستغرق الوقت في التدريس ، مغرماً بالتأليف ، ألف نحو الثلاثين تأليفاً في فنون مختلفة ، منها (تحبير نظم الجمان ، في تفسير أم القرآن) و (نصح المقالة ، في شرح الرسالة) .

توفي عام ثلاثة وعشرين وسبعمئة ، انتهى .

ونقله في (طبقات المالكية) ، وجعله في (الديباج) صحيفة 303 أركشي الولد والمنشأ ، وأطال في ترجمته ، ولم ينسبها (3) ونصه محمد بن علي بن محمد بن أحمد ابن الفخار الجذامي ، يكنى أبا بكر ، أركشي المولد والمنشأ ، مالقي الاستيطان ، شريشي التدرب والقراءة .

كان رحمه الله كثير العكوف على العلم والملازمة، قليل الرياء، خيراً صالحاً شديد الانقباض مغرقاً في باب الورع ، سليم الباطن ، وكان مفيد التعليم ، متفننه من فقه وعربية وقراءات وأدب وحديث ، عظيم الصبر ، مستغرق الوقت في التدريس ، ونشأت بينه وبين فقهاء بلده مشاحنة في أمور عدوها عليه مما

---

1) ينظر عن ابن رشيد عدى ما تقدم : **ذكريات مشاهير المغرب** ع 18 **وازهار الرياض** 2 : 347 **وغاية النهاية** 2 : 219 **وشجرة النور الزكية** 2 : 216 **والرسالة المستطرفة** ص 134 **وذيل طبقات الحفاظ** ص 355 **والدرر الكامنة** 4 : 111 .

2) فى الأصل المطبوع بفاس مراكشى ، وهو خطأ نشأ عن تصحيف أركشى نسبة الى أركش التى ولد بها المترجم ما بين الثلاثين والاربعين والستمئة ، وهذا التصحيف هو الذى جعل المؤلف يدرج ابـن الفخار فى كتابه هذا مع أنه لم يحـل بمراكش ولا بأغمات ، وانمـا قصارى رحلته الى المغرب مدينة سبتة التى انتقل اليها من الجزيرة الخضراء بعد استيلاء العدو على مدينته أركش فقرأ بها وروى ثم كر راجعاً الى الأندلس فاستقر بغرناطة .

3) منقولة من كتاب **الاحاطة** لمحمد ابن الخطيب السلمانى مع تصرف قليل .

ارتكبها اجتهاده في مناط الفتوى ، وعقد لهم أمير المسلمين بالأندلس مجلساً أجلى عن ظهوره فيه وبقاء رسمه ، وبلغ من تعظيم الناس إياه مبلغاً لم ينله أحد مثله ، وانتفع بعلمه واستفيد منه ، قرأ ببلده على فقهائها كالأستاذ أبي بكر محمد الدباج ، وعلى الأستاذ علي بن إبراهيم ابن حكيم السكوني ، وعلى الحافظ علي بن عيسى المعروف بابن متيوان ، وقرأ على الخطيب أبي عبد الله ابن خميس ، وأبي الحسن ابن أبي الربيع ، وعلى أبي يعقوب اليحساني ، والمحدث الحافظ أبي محمد ابن الكماد وغيرهم من الأيمة الجلة ممن يطول تعدادهم .

وكان رحمه الله تعالى مغرماً بالتأليف ، ألف نحو الثلاثين تأليفاً في فنون مختلفة ، منها كتاب (تحبير نظم الجمان ، في تفسير أم القرآن) ، و (انتفاع الطلبة النبهاء ، في اجتماع السبعة القراء) ، و (الأحاديث الأربعون، فيما ينتفع به القارئون والسامعون) ، وكتاب (منظوم الدرر ، في شرح كتاب المختصر) ، وكتاب (نصح المقالة ، في شرح الرسالة) ، وكتاب (جواب المختصر المروم ، في تحريم سكنى المسلمين ببلاد الروم) ، وكتاب (استواء النهج ، في تحريم اللعب بالشطرنج) ، وكتاب (الفيصل المنتضَى المهزوز ، في الرد على مَن أنكر صيام النيروز) ، وكتاب (جواب البيان ، على مصارمة أهل هذا الزمان) ، وكتاب (تفضيل صلاة الصبح للجماعة في آخر وقتها المختار ، على صلاة الصبح للمفرد في أول وقتها بالابتدار) ، وكتاب (إرشاد المسالك، في بيان إنفاء إسناد زياد عن مالك)، وكتاب (الجوابات المجمعة ، على السؤالات المنوعة) ، وكتاب (إملاء الدول ، في ابتداء مقاصد الجمل) ، وكتاب (أجوبة الاقناع والاحساب ، في مشكلات مسائل الكتاب) ، وكتاب (منهج الضوابط المقسمة ، في شرح قوانين المقدمة) ، وكتاب (التوجيه لأوضح الأسماء ، في حذف التنوين من حديث أسماء) ، وكتاب (التكملة والتبرية ، في إعراب البسملة والتصلية) ، وكتاب (سح مزنة الانتخاب ، في شرح خطبة الكتاب) ، ومنها (اللائح المعتمد عليه ، في الرد على من رفع الخبر بلا إلى سيبويه) ، وغير ذلك من مجيد ومقصر .

توفي في عام ثلاثة وعشرين وسبعمئة ، ولم يذكر أركش البكري في (معجم ما استعجم) ولا صاحب (معجم البلدان) فيه ولا في (تاج العروس)، وذكره في (الذيل والتكملة) ممن ينسب إلى أركش علي بن إبراهيم بن الحسن الأموي شريشي أركشي ، وصحح في وفاته 12 صفر سنة 642 .

592) **محمد بن أحمد المراكشي** من أهل المرية ، يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بالمراكشي .

حاله

كان فتى جميل الرؤيا سكوتاً مطبوعاً على المغافصة والغمز، مهتدياً إلى خفي الحيلة ، قادراً على المباهتة ، ذكياً متسوراً على الكلام في الصنائع والألقاب من غير تدرب ولا حنكة ، دمث الأخلاق ، لين العريكة ، انتحل الطب وتصدر للعلاج والمداواة ، واضطبن أغلوطة صارت له بها شهرة ، وهي رق يشتمل على أعداد وخطوط وزيرجة وجداول تحتها علامات فيها اصطلاحات الصنائع والعلوم ، ويتصل بها قصيدة رائقة رويُّها لام ألف ، أولها وهي منسوبة لأبي العباس السبتي :

يقول سبيتي ويحمد ربه   مصل على هاد إلى الناس أرسلا

كأنها مدخل للزيرجة ، ذكر أنه عثر عليها في مظنة غريبة ، وظفر برسالة العمل بها ، وتحدى بالاعلام بالكنايات وإخراج الخبايا والانذار بالوقائع حتى استهوى جملة من المشيخة ممن كان يركن إلى رجحان نظره ، وسلامة فطرته ، واستقلت الشهادة له بالاصابة سجية النفوس في حرصها على إثبات دعاوي المنحرفين .

أخبرني بعضهم أنه خبأ عظماً صغيراً يكون في أطراف أجنحة الطير ، أخذه من جناح ديك ، وزعم أرباب الخواص أنه يزيل العياء إذا علق ، فتصرف على عادته في تلك الجداول ، وأخذ الأعداد الكثيرة يضربها آونة ويقسمها

أخرى ، ويستخرج من تلك الجداول جيوباً وسهاماً ، ويأخذ جذوراً ، وينتج له العمل إخراج حروف مقطعة يبقيها الطـرح يؤلف منها كلاماً يقنص منـه الفائدة ، فكان في ذلك بيت شعر :

وفي يدكم عظم صغير مـــدور   يزيل به الاعياء من كان في السفر

وأخبرني آخرون أنه سئل في نازلة فقهية لم يلف فيها نص، فأخبر أن النص فيها موجود بمالقة، فكان كذلك، وعارض ذلك كله جملة من أشياخنا، فذكر لي الشيخ نسيج وحده أبو الحسن ابن الجياب أنه سامره فخرج له خبيئـة سواد الليل ، فتأمل ما يصنعه فلم يأت بشيء ولا ذهب إلى عمل يتعقل ، وظاهر الأمر أن تلك الحال كانت مبنية على تخيل تختلف فيه الاصابة وضدها بحسب محاله ، القائل لتصرف الحيلة فيه ، فاقتضى ذلك تأميل طائفة من أهل الدول إياه ، وانتسخوا نظائر من تلك الزيرجة المموهة ، ممطولين منه التصرف فيها إلى اليوم .

واتصل بالسلطان فارتسم ببابه ، وتعدى طب الانس إلى طب الجن ، فافتضح أمره ، وهمّ به فنجا مفلتاً ، ولـم تزل حاله مضطربـة إلى أن دعي من العدوة وسلطانها منازل مدينة تلمسان ، وصلت الكتب عنه فوجه في جفن هيىء له ، ولم ينشب أن توفي بالمحلة عام سبعة وثلاثين وسبعمئة .

انتهى من (الاحاطة) (1) .

وقال في (الدرر الكامنة) بعد نقله مختصراً : ووقفت على الزايرجة عند شيخنا القاضي ولي الدين ابن خلدون ، وكان يوهم أنه يعرفها ولا يعترف بها صريحاً ، وانتسخها عنه جماعة وذهبوا بها ، وأطلعتُ على أن بعضهم ينظم البيت الشعر في الحال ويدعى أنه من استخراجه ، والعلم عند الله تعا لى .

انتهى كلام الحافظ (2) .

وقد وقفت عليها واستعملتها فظهر منها ما يقضي منه العجب .

---

1) الاحاطة (مخطوط) .

2) الدرر الكامنة 3 : 466 ع 3518 .

593) محمد بن محمد ابن عبد الملك الأوسي المراكشي

محمد بن محمد بن محمد أبن عبد الملك المراكشي الأنصاري الأوسي، ولد مؤرخ وقاضي مراكش أبي عبد الله المتقدم (1) .

قال ابن الخطيب في (ريحانة الكتاب) ما نصه :

ومن ذلك في وصف ابن عبد الملك من أهل مراكش : وقور أفرط حتى أثقل ، وفريع مجد مسه الاحتياج فتنقل ، ووجد الحميم فعافه وتنفل ، رحل من بلده مراكش لما جف حوضه ، وصوح روضه ، واتخذ بـه داراً ، واختارها قراراً ، وجرت عليه جراية تَبلّغ بها ، وارتفق بسببها ، رعياً لأبيه، واحتراماً لبيته النبيه ، فقد كان أبوه رحمه الله صدراً في عصره ، وبدراً في هالة قطره ، رحب الحال ، نسيج وحده معرفة بطرُق الحديث وأسماء الرجال ، متبحراً في علوم الآداب ، منتدباً لاقامة رسم العفاف كلَّ الانتداب ، وابنه هذا متمسك بأذيالها ، مغرىٍ بادارة جريالها ، إلى سرو عميم ، ووفاء يثني كل صديق له وحميم ، ولما تقلدت بهذه البلاد ، تثقيف أرزاق الأجناد ، بادرت إلى تقديم واجبه ، وإيثار جانبه . انتهى .

ونقل عنه في (الاحاطة) ما مدح به لسان الدين لما ولي (2) وقدمناه عنه في ترجمة والده (3) فراجعه هناك ، وأنه انتقل لمالقة وأن وفاته سنة 743 في ذي القعدة بأحواز استبة .

وقال في (الدرر الكامنة) : محمد بن محمد بن عبد الملك بن سعيد الأوسي ، ولد سنة 674 وسمع على أبيه العلامة التارَيخي ، وتأدب به وقرأ على سعيد بن عبد الله في العربية ، وعلى أحمد بن عثمان ابن البناء التعاليمي كثيراً ، وتصانيفه في العدد والنحو والبديع ، وسمع من أبي علي ابن الزهر السلوي ، وعلى الخطيب أبي عبد الله المسترزقي ، ولقي شيخ الأدباء مالك ابن المرحل ، وسكن مالقة بعد أن تقلبت به الأحوال ، وله شعر حسن فمنه :

---

1) انظر ص 331 ع 583 من هذا الجزء .

2) الاحاطة 2 : 527 طبع القاهرة 1974 .

3) انظر الترجمة ع 583 ص 331 من هذا الجزء .

وليت ولاية أحسنت فيهـــــــا لتعلم أنها شرفتْ بقــــــــدرك
وكم وال أساء فقيل فيـــــــه دنيء القدر ليس لها بمـــــدرك

ومات قتيلا في وقيعة كانت للمسلمين مع الافرنج حول استبة (1) في ذي القعدة سنة 743 انتهى (2) .

والبيتان المذكوران تقدم في ترجمة والده أنه خاطب بهما لسان الدين ابن الخطيب ، وما ذكره من أنه قرأ على ابن البناء فالتاريخ يقبله ، كما أن والده قرأ عليه وعلى أخيه ابن البناء المذكور كما تقدم في ترجمة ابن البناء المذكور ، ولكن هناك أن الأب اسمه محمد بن محمد بن عبد الملك ، والولد حينئذ يكون اسمه محمد بن محمد بن محمد بن عبد الملك ، وابن حجر تبعاً لصاحب (الاحاطة) جعل الولد محمد بن محمد بن عبد الملك ، وقد جرينا هنا على ما لصاحب (الاحاطة) وابن حجر ، وفي ترجمة الأب على ما في (الديباج) .

594) محمد بن علي أبو خرشة

قال ابن الخطيب : كان آية في تعبير الرؤيا ، قليل التصنع ، وكان يشتغل بعمل النجارة ، وكان قد أخذ عن الأستاذ أبي عبد الله ابن الرقام ، واتفق أن صاحب غرناطة رأى رؤيا فطلب مَن يعبرها فدلوه عليه ، فقصها عليه ، ولم يعلمه أنه الرائي ، فعبرها له بمكروه يحصل للرائي ، فأمر بضربه بالسياط ، ونفاه إلى مراكش فأقام بها قليلا ، وظهر صدق عبارته ، وكان ينسب إلى السذاجة ، ومات سنة بضع وأربعين وسبعمئة .

انتهى من (الدرر الكامنة) (3) .

595) محمد بن يحيى ابن النجار التلمساني

محمد بن يحيى بن علي ابن النجار التلمساني شيخ التعاليم من أهل تلمسان ، أخذ العلم ببلده عن مشيختها وعن الآبلي ، وبرز عليه ، ثم ارتحل

---

1) في الدرر الكامنة سبتة ، ولاشك انها تحريف استبة ، كما في الاحاطة التي ينقل عنها ابن حجر .

2) الدرر الكامنة 4 : 314 ع 4391 .

3) الدرر الكامنة 4 : 219 ع 4136 .

إلى المغرب ، فلقي بسبتة إمام التعاليم محمد ابن هلال شارح المجسطي في الهيأة ، وأخذ بمراكش عن الامام أحمد ابن البناء ، وكان إماماً في علم النجامة وأحكامها وما يتعلق بها ، ورجع إلى تلمسان بعلم كثير ، واستخلصته الدولة، فلما هلك أبو تاشفين (الزياني) وملك السلطان أبو الحسن (المريني) نظمه في جملته ، وأجرى له رزقه ، فحصر معه بافريقية ، وهلك في الطاعون عام تسعة وأربعين وسبعمئة .

ذكره ابن خلدون (1) وصاحب (الجذوة) (2) .

وقال في (نفح الطيب) نقلا عن جده الامام الكبير ما نصه : قال لي العلامة الآبلي : ما قرأ أحد علي حتى قلت له لم أبق عندي ما أقول لك غير ابن النجار .

سمعت ابن النجار يقول : مرَّ عمل الموقتين على تساوي فضلتي ما بين المغرب والعشاء والفجر والشمس ، فيؤذنون بالعشاء لذهاب ثماني عشرة درجة ، وبالفجر لبقائها ، والجاري على مذهب مالك أن الشفق الحمرة، وأن تكون فضلة ما بين العشاءين أقصر ، لأن الحمرة ثانية الغوارب والطوالع، فتزيد فضلة الفجر بمقدار ما بين ابتداء طلوع الحمرة والشمس ، فعرضت كلامه هذا على المزوار عبد الرحمان بن سليمان اللجائي فصوَّبه .

وذكرت يوماً حكاية ابن رشد الاتفاق في الخمر إذا تخللت بنفسها أنها تطهر، واعترضته بما في (الاكمال) عن ابن وضاح أنها لا تطهر ، فقال لي : لا معتبر بقول ابن وضاح هذا ، لأنه يلزم عليه تحريم الخل ، لأن العنب لا يصير خلا حتى يكون خمراً ، وفيه بحث .

وذكرت يوماً قول ابن الحاجب فيما يحرم من النساء بالقرابة ، وهي أصول وفصول ، وفصول أول أصوله ، وأول فصل من كل أصل وإن علا، فقال : إن تركب لفظ النسبة العرفية من الطرفين حلت ، وإلا حرمت ، فتأملته

1) التعريف بابن خلدون ص 47 .

2) جلوة الاقتباس ص 302 ع 308 طبع الرباط .

فوجدته كما قال ، لان أقسام هذا الضابط أربعة ، التركب من الطرفين كابن العم ، وابنة العم ، مقابله كالأب والبنت ، التركب من قبل الرجل كابنة الأخ والعم ، مقابله كابن الأخت والخالة .

وأنشدت يوماً عنده على زيادة اللام (باعد أم العمر من أسيرها . .) البيت ، فقال لي : وما يدريك أنه أراد العمر الذي أراده المعري بقوله :

وعمر هند كأن الله صـــــــوره　　　عمرو بن هند يـُعنـّي الناس تعنيتاً

وأضاف اللام إليه كما قالوا أم الحليس ، قلت : ولا يندفع هذا بثبوت كون المغنية تـُكنى أم عمرو ، لأن ذلك لا يمنع إرادة المعني الآخر ، فتكون أم عمرو وأم العمر .

قال ابن النجار : بعثت بهذه الأبيات من نظمي إلى القاضي محمد ابن هدية فأخرج لغزها :

إن حروف اسم مـَن كـَلـِفت بـــه　　　خفت على كل ناطق بفـــــم
سائغة سهلة مخارجهـــــــا　　　من أجل هذا تزداد في الكلـــم
صحفه ثم اقلبن مصحفـــــه　　　فعل ذكيٌّ مهذب فـَهـِـــــم
وأطلبه في الشعر جد مطلبـــه　　　تجده كالصبح لاح في الظلـــم
فان (تأملت بت) منه علـــى　　　علم ، وإلا فأنت عنه عمـــي

واللغز سلمان ، وموضعه (تأملت بت) .

وتوفي رحمه الله تعالى بتونس أيام الوباء العام (1) .

وقال في (النيل) بعد ذكر بعض ما تقدم ما نصه : وقال المقري لم يكن ابن النجار بصيراً بالفقه ، وإنما عنده ذكاء زائد ، قلت : وإنما ذكرته في هذا الذيل لهذه الفائدة (2) .

---

1) **نفح الطيب** 5 : 236 طبع بيروت .

2) **نيل الابتهاج** ص 241 .

وينظر عن ابن النجار زيادة على ما تقدم **البستان ، في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان** ص 153 .

596) محمد بن إبراهيم ابن حامد المراكشي

محمد بن إبراهيم بن يوسف ابن حامد الشيخ تاج الدين المراكشي، قال ابن السبكي في طبقاته ما نصه بعد ما تقدم : ولد بعد السبعمئة ، ونشأ بالقاهرة ، وتفقه بها ، وقرأ على قاضي القضاة الشيخ علاء الدين علي بن إسماعيل القونوي ، ولازم الشيخ زكي الدين ابن القويع ، وكان فقيهاً نحوياً متفنناً مواظباً على طلب العلم ، لا يفتر ولا يمل إلا في القليل ، أعاد في القاهرة بقبة الشافعي ، ثم دخل دمشق ودرس بالمروزية ، وسمع من شيخنا الحافظ المزي وجماعة ، ثم ترك التدريس وانقطع بدار الحديث الأشرفية على طلب العلم إلى أن توفي فجأة بعد العصر من يوم الأحد ثالث عشر جمادى الآخرة سنة اثنين وخمسين وسبعمئة .

أنشدنا من لفظه لنفسه :

قلة الحظ يافتى ... صيرتني مجهلا
وجهول بحظه ... صار في الناس أكملا

دخلت إليه مرة وهو ينشد قول ابن تقي :

حتى إذا مالت به سِنة الكرى ... زحزحتُه شيئاً وكان معانقي
أبعدتُه عن أضلع تشتاقه ... كي لا ينام على وساد خافق

وقول الحكم ابن عقال :

ان كان لابد من رقاد ... فأضلعي هاك عن وساد
ونم على خفقها هدوا ... كالطفل في تنهة المهاد

وهو ومن عنده يقولون ، إن قول الحكم أجدر بالصواب ، فانه لا يناسب المحب أن يُبعد حبيبه ، وينشدون قول الشيخ صلاح الدين الصفدي، امتع الله ببقائه ، في ذلك رداً على ابن تقي :

أبعدته من بعد ما زحزحته ... ما أنت عند ذوي الغرام بعاشق
إن شئت قل أبعدتُ عنه أضالعي ... ليكون فعل المستهام الصادق
أو قل فبات على اضطراب جوانحي ... كالطفل مضطجعاً بمهد خافق

قلت : إن ابن تقي وإن ساء لفظاً حيث قال : أبعدته ، فقد أحسن معنى، لأنه وصف أضلعه بالخفقان والاضطراب الزائد الذي لا يستطيع الحبيب النوم عليها ، فقدم مصلحته على مصلحته ، وترك ما يريد لما يريد ، وأبعده عما يقلقه ، ولو قال : (أبعدت عنه أضلعاً تشتاقه) لأحسن لفظاً كما أحسن معنى ، وأما الحكم فانه وصف خفقانه بالهدوء ، وهو خفقان يسير يشبه اضطراب سرير الطفل ، وهذا نقض ، فوقع النزاع في ذلك، وأرسلوا إلى القاضي شهاب الدين أحمد بن يحيى ابن فضل الله رحمه الله صورة سؤال عن الرجلين ابن تقي والحكم أيهما المصيب ؟ فكتب قول ابن تقي عليه مأخذ (لكنه قول المحب الصادق) :

يكفيه في صدق المحبة قولـــه … كي لا ينام على وساد خافـــق
ما الحب إلا ما يُهَدِّدُ له الحشـا … ويهد أيسره فؤاد العاشـــق

في أبيات أخرى لم تجر على خاطري الآن ، وأبيات ابن تقي هذه من كلمة له حسنة وهي :

بأبي غزال غازلتْه مقلتـــي … بين العذيب وبين شطيْ بـــارق
وسألت منه زيارة تشفي الجـوا … فأجابني منها بوعد صـــادق
بتنا ونحن من الدجا في خيمـة … ومن النجوم الزهر تحت سـرادق
عاطيتُه ، والليلُ يسحب ذيله ، … صهباء كالمسك العبيق الناشـق
وضممته ضم الكميّ لسيفـــه … وذؤابتاه حمائل في عاتـــق
حتى إذا مالت به سِنَةُ الكـرى … زحزحته شيئاً ، وكان معانقـي
أبعدته عن أضلع تشتاقـــه … كي لا ينام على وساد خافـــق
لما رأيت الليل آخر عمــره … قد شاب في لمم له ومفـــارق
ودَّعت من أهوى وقلت تأسفـاً … أعززْ عليّ بأن أراك مفارقـــي

ويقرب من هذه النكتة أن جريراً قال :

طرقتْكَ صائدة الفؤاد وليـس ذا … وقت الزيارة فارجعي بســلام

فعيب عليه قوله ، فارجعي ، وهو نقد حسن ، فان لفظه أبشع من قول المحب لمن يحبه : ارجع ، ورأيت الشيخ صلاح الدين الصفدي نفع الله به قد قال راداً عليه :

ياخجلة لجرير مـــــن ... قول كفانا الله عـــاره
طرقتك صائدة الفــؤا ... د ، وليس ذا وقت الزيـــاره
هل كان يلقي أن أتـــا ... ه خيال من يهوى خســاره
أو كان قلب حولـــه ... هو من حديد أو حجـــاره

فعجبت له كيف ترك لفظة ارجعي وهو أبشع ما عيب به على جرير ، وقـــلت :

أما جرير فجرَّ ثوب العار فـــي ... دعوى الصبابة وازدياد غـــرام
إذ كذب الدعوى وقال لها وقـــد ... زارته في الغلس : ارجعي بسلام

ثم قلت : لعل الشيخ صلاح الدين إنما ترك لفظة الرجوع لنكارتها ، وقـــلت :

إني لأعجب من جرير وقولـــه ... قولا غدوت به أنكر حالـــه
طرقتْك صائدة الفؤاد وليــس ذا ... وقت الزيارة فاستمع أقوالـــه
واعذر فلست بقـــادر والله أن ... أحكي الذي بعد الزيارة قالـــه

فلما وقف الشيخ صلاح الدين على كلامي هذا كله ، زعم أني أعترف له بحسن النقد وقال :

أما جرير فلم يكـــن ... صباً ، ولكن يدعـــي
أوَ ما تراه أتته صـــا ... ئدة الفؤاد فلم يـــع
بل قال جهلا ليـــس ذا ... وقت الزيارة فارجعـــي
لو كنت حاضر امــــرِه ... قلت ارجعي وله أصفعـــي !

قلت : ولا يخفى أن هذه الاعتراضات كلها لفظية طرقت قائلها ولـم يحقق ، فان جريراً لم يقصد رجوعها إلا للشفقة عليها من الزيارة في غير وقت الزيارة ، فجاءه الاعتراض من لفظة الرجوع فقط ، كما جاء ابن تقي من لفظة الابعاد ، وربما أتي أقوام من سوء العبارة .

قال الحافظ أبو عبد الله الحميدي ، أخبرني أبو غالب محمد بن محمد ابن سهل النحوي قال : حكيت للوزير أبي القاسم الحسين بن علي المغربي قول أبي الحسن الكرخي : أوصانا شيوخنا بطلب العلم وقالوا لنا : اطلبوه واجتهدوا فيه فلأن يُذم لكم الزمان أحسن من أن يَذم بكم الزمان ، قال : فاستحسن الوزير ذلك ، وكتبه ، ثم عمل أبياتاً أنشدنيها وهي :

ولقد بلوت الدهر أعجم صرفه ... فأطاع لي أصحابه ولسانه
ووجدت عقل المرء قيمة نفسه ... ويحده جدواه أو حرمانه
وعلى الفتى أن لا يكفكف شأوه ... عند الحفاظ ولا يغض عيانه
فاذا جفاه المجد عِيبت نفسه ... وإذا جفاه الجد عيب زمانه

قلت : وهذه أبيات حسنة بالغة في بابها، وقد حاول الشيخ تاج الدين عبد الباقي اليماني اختصارها فقال :

تجنب أن تُذمّ بك الليالي ... وحاول أن يذم لك الزمان
ولا تحفل إذا أكملت ذاتاً ... أصبت العز أم حصل الهوان

فأغفل ما تضمنته أبيات الوزير الثلاثة من المعاني ، واقتصر على ما تضمنه البيت الرابع ، ثم انقلب عليه المعنى ، وأتي من سوء التعبير ، فان المقصود أن المرء يكمل نفسه ولا عليه من الزمان ، وأما أنه يسعى في أن يُذم له الزمان ، فليس بمقصود ولا هو مراد أشياخ الكرخي ، ولا يحمده عاقل وكان الصواب حيث اقتصر على معنى البيت الرابع أن ياتي بعبارة تطابقه كما قلنا نحن :

عليك كمال ذاتك فاسع فيها ... وليس عليك عز أو هوان
وليس إليك أيضاً ، فاسْعَ فيما ... إليك ، وأنت مشكور معان
فذم الدهر للانسان خير ... من الانسان ذم به الزمان

فهذا البيت واف بالمعنى الذي قاله أشياخ الكرخي ، مطابق له من غير زيادة ولا نقص .

وأحسن من هذا قول بعضهم :

جهل الفتى عار عليه لذاتـــــه   وخموله عار على الأيـــــام

وقول الآخر :

إنّ كون الزمان عيبي أولـــــى   بيَ من أكون عيب الزمـــــان

وقول الآخر :

ما في خموليَ من عار على أدبـــي   بل ذاك عار على الدنيا وأهليهـــا

قلت : كلام الصفدي ذكره مـن شرح (لامية العجم) ، وزاد بعـد البيت الأول :

هذا يدل الناس منك على الجفـا   إذ ليس هذا فعل صب وامـــق

وقال الحافظ في (الدرر الكامنة) : وكان قوي النفس ، فاستطال على القاضي جمال الدين القزويني ، فشكاه إلى الناصر ، فأمر باخراجه إلى الشام ، فأقام بها ثم قال : ومن مشايخه أثير الدين أبو حيان ، وسمع الحديث من محمد ابن غالي ، وابن القماح والطبقة ، ثم قال : وكان مطموس العينين، يبصر باحداهما قليلا ، وكان يعطي الأجرة لمن يطالع له ، قال الاسنوي في (الطبقات) : كان عجولا محتقراً للناس كثير الوقيعة فيهم ، ثم قال : وقال ابن كثير : كان سريع التصور قـوي المشاركـة ، وقال الشيخ علاء الديـن حجي : كان يتناظر هو والفخر المصري فكان من حضر لا يفهم كثيراً ممـا يقولان لسرعة عبارتهما ، وكان قد حصلت له أول النهار حمى فصبر إلى أن صلى الظهر بالجامع ، ثم جاء إلى بيته فصلى العصر بالمدرسة ، ثم دخـل البيت فوقع ميتاً في ثالث عشر جمادى الآخرة سنة 752 رحمه الله . انتهى (1) .

وقال السيوطي في (بغية الوعاة) ص 7 ما نصه : قال قاضي القضاة تاج الدين ابـن السبكي فـي (طبقات الشافعية) : كـان فقيهاً نحويـاً متقناً مواظباً على طلب العلم جميع نهاره وغالب ليله ، يستفرغ فيـه قواه ، ويدع من أجله طعامه وشرابه ، وكان ضريراً فلا يفتر عن الطلب إلا إذا لم يجد

1) الدرر الكامنة 3 : 386 ع 3322 .

من يطالع له ، مولده بعد السبعمئة ، وأخذ عن العلامة القونوي وغيره ، وأعاد بقبة الشافعي ، ثم دخل دمشق ودرس بالمسرورية وتأدب بالشيخ زكي الدين ابن القوبع ، ومن شعره :

قلة الحظ يافتـــــــــــى صيرتني مجهـــــــــــلا
وجهول بحظـــــــــــه صار في الناس أكمـــــــلا

ثم تركها للشيخ تقي الدين السبكي لانه رأى في شـــرط واقفها أن يكون المدرس عالماً بالخلاف ، مات فجأة يوم الأحد ثالث عشر جمادى الأخيرة سنة سبعمئة واثنتين وخمسين ، انتهى .

وقال الحافظ في (إنباء الغمر) لدى ترجمة محمد بن أحمد بن عبد العزيز الكمال النويري قاضي مكة المكرمة المالكي ما نصه : قال ابن حجي : وبلغني أنه كان يستحضر (شرح مسلم) للنووي ، وكان يستحضر فقهاً كثيراً ، وتفقه بالتاج السبكي ، والتاج المراكشي الخ ، وقال في ترجمته من (الدرر الكامنة) عند ذكر من تفقه به : والتاج المراكشي انتهى .

وقال في (شذرات الذهب) لـــدى ترجمة سعد الدين بـــن يوسف النووي ثم الخليلي الشافعي المتوفي سنة 805 ما نصه : وحمل عـــن التاج المراكشي ، انتهى ، وترجم له أيضاً فيها لدى سنة وفاته 702 (1) .

597) محمد بن محمد ابن سودة المري

محمد بن محمد بن علي ابن سودة المري ، يكنى أبا القاسم .

اوليتـه

من نبهاء بيوتات الأندلس وأعيانها ، سكن سلفه البشارة بشارة بني حسان ، وولي جده خطة الأشغال ، حميد السيرة ، معروف الأمانة .

1) هذا الرجل حقه أن لا يثبت في هذا الكتاب لأنه ليس على شرط المؤلف ، اذ لم يحل بمراكش ولا بأغمات ، بل لم يدخل المغرب وهو من مواليد القاهرة ، وانما أثبته المؤلف لنسبته المراكشية فقط .

حـالـه

هذا الفتى من أهل الخصوصية والسكون والحياء المانع عن كثير من الأغراض ، مال إلى العلوم العقلية فاستظهر على المماسة في بعض أغراضهـا بالدؤوب والعكوف المؤثرين تأثير حبل الركية في حجرها ، فتعاطى الطب ، وتصدر للعلاج وعانى الشعر ، وارتسم في الكتابة ، وعُد من الفضلاء ، وظهرت على عباراته اصطلاحات الحكماء .

مشيختـه :

قرأ الطب والتعديل عـلى الحَبْر طبيب الدار السلطانية إبراهيـم ابن زرزار اليهودي ، ورحل إلى العدوة فقرأ على الشريف العالم رحلة الوقت في المغرب محمد العلوي التلمساني وبلقائه نجح .

شـعـره

أنشد السلطان قوله :

جاد الحمى صوب الغمام هتونـه تزجي البروق سحابه فتعينه (1)

ولو أخذته أيدي التحرير والنقد لرجِيَ أن يكون شاعراً ، وبالجملة فالرجل معدود من السراوات بيتاً وتخصصاً .

انتهى كلام ابن الخطيب (2) ، وناهيك به فانه حذام .

ثـم إن أول قـادم منهم على هـذه الحضرة هو أبو القاسـم هذا المترجم له أخيراً ، وذلك سنة أربع وخمسين وسبعمئة في دولة أبي عنان المريني ، وقد عده ابن الأحمر في (روضة النسرين) من جملة كتبة دولة موسى بـن أبي عنان (3) وكذا في (الجذوة) ، وعليـه فهو المترجم لـه في (الاحاطة) بأنه الداخل والمنتقل للعدوة ، ودليله هو أن جميع ما بأيدي حفدته

---

1) القصيد طويلة اوردها بتمامها ابن الخطيب في **الاحاطة** (مخطوط) .
2) **الاحاطة** (مخطوط) .
3) **روضة النسرين** ص 36 طبع المطبعة الملكية بالرباط .

من الرسوم والاصدقة إنما تنتهي إليه ، إذ هو مركز دائرتهم ، وإليه يرجعون، ومن الشائع بين حفدته وأعقابه خصوصاً أهل التيقظ والمحافظة منهم ، أنه دخل أرض المغرب طالباً للعلم ، وحل منها بتلمسان ، ثم إن أمير الوقت حمله معه وهو السلطان أبو عنان بن أبي الحسن ، واشترى له داراً بدرب العزفي من عدوة القرويين ، ذكره في (الدرر البهية) ، واقتصر في (الدرر الكامنة) على بعض كلام ابن الخطيب المتقدم .

598) محمد بن محمد ابن شَلْبَطور الهاشمي

محمد بن محمد بن أحمد ابن شلبطور الهاشمي من أعيان أهل المرية ، أخذ عن عبد الله بن محمد الحمي ، وتلا عليه الكتاب العزيز ، وبه تأدب ، وعلى أبي الحسن بن أبي العيش القاضي ، وعلى الأستاذ سعيد ابن ليون ، وولي قيادة أسطول المنكب ، ولم تمتد مدته بها ، ورحل للمغرب لائذا بجانب السلطان ، فولاه المزورة (1) بمراكش ، وكانت رحلته من المرية سنة خمس وخمسين وسبعمئة .

من نظمه يخاطب محمد ابن خاتمة جواباً عن قطعة خاطبه بها مطلعها البيت الأخير من هذه الأبيات :

أعدْ ذكرَ تلك الليالي القصار ... فقد قدح الشوق زند اذكارْ
وفاضت دموعي بفرط ولوعي ... وبين ضلوعي هوى شب نار
فكم ذا أقاسي وقلبك قاسي ... وحالي ءاس بطول النفار
أترضى مماتي وأنت حياتي ... إذا لم توات فكيف اصطبار
فجُد بالوصال فلست بسال ... وقلبي صال صحيح الأوار
أطلتَ التجني وأسهرت جفني ... فكم ذا أعاني لبعد المزار
خلعت عذاري بواد المزار ... وسمع القمار ورشف العقار

---

1) **المزورة** المشيخة ، والمراد بها هنا مشيخة الطلبة ، ومتوليها هو **المزوار** ، وما زالت الكلمة مستعملة الى اليوم فى العامية المغربية ، يقال لنقيب الشرفاء ، وللولد البكر المزوار لانه اكبر اخوته .

وقوله ، وكتبها على تفاحة :

تفاحة أذكا من المسك	كأنما أنفاسها منك
تزهى بلونين عن حمرة	تورد ذاك الخد تحكي
وصفرة شاهدة أنني	متيم القلب بلا شك
إن كنت قد ملكت أمر الهوى	فانني لا صبر لي عنك

توفي في آخر شوال سنة ست وخمسين وسبعمئة .

ترجمه في (درة الحجال) (1) واختصر الحافظ في ترجمته من (الدرر الكامنة) (2) ، وكذلك ترجمه في (شذرات الذهب) .

599) محمد بن إبراهيم الآبلي التلمساني

محمد بن إبراهيم بن أحمد العبدري التلمساني عرف بالآبلي ، الامام العلامة المجمع على إمامته ، أعلم خلق الله بفنون المعقول ، قال تلميذه الامام المقري : هذا الامام نسيج وحده ، وواحد وقته في القيام على الفنون العقلية ، وإدراكه وصحة نظره .

قال ابن خلدون : أصله من الأندلس من أهل آبلة من بلاد الجوف ، انتقل منها أبوه وعمه (أحمد) ، فخدما يغمراسن صاحب تلمسان ، وتزوج أبوه بنت القاضي محمد ابن غلبون فولدت له شيخنا هذا ، ونشأ في كفالة جده القاضي بتلمسان ، فانتحل العلم ، فسبق لذهنه محبة التعاليم فبرع فيها ، وعكف الناس عليه في تعلمها وهو في سنّ البلوغ، فلما أخذ يوسف بن يعقوب المريني تلمسان استخدمه فكره ذلك وسار إلى الحج، قال : فلما ركبت البحر من تونس لأسكندرية، اشتدت عليّ الغلمة في البحر، واستحييت من كثرة الغسل، فأشير علي بشرب الكافور ، فشربت منه غرفة فاختلطت فقدمت الديار المصرية

1) درة الحجال 2 : 89 ع 528 طبع تونس .

2) الدرر الكامنة 4 : 278 ع 4292 .

وبها ابن دقيق العيد ، وابن الرفعة ، والصفي الهندي ، والتبريزي وغيرهم من فرسان المعقول ، فلم يكن قصاراه إلا تمييز أشخاصهم ، فحججت ورجعت لتلمسان وقد أفقت من اختلاطي ، فقرأت المنطق والأصلين على أبي موسى ابن الامام ، ثم أراد أبو حمو صاحب تلمسان إكراهه على العمل ، ففر لفاس واختفى هناك عند خلوف المغيلي اليهودي شيخ التعاليم، فأخذ فنونها وحذق، ثم دخل مراكش في حدود عشر وسبعمئة ، ونزل على شيخ المعقول والمنقول المبرز في التصوف علماً وحالا الامام ابن البناء ، فلازمه وتضلع عليه في المعقول والتعليم والحكمة ، ثم صعد إلى الجبل عند علي بن محمد ابن تروميت شيخ الهساكرة ، فقرأ عليه ، واجتمع عليه طلبة العلم فكثر إفادته واستفادته ، ثم رجع لفاس ، فانثال عليه طلبة العلم من كل ناحية ، فانتشر علمه واشتهر ذكره ، ولما لقي السلطان أبو الحسن عند فتح تلمسان أبا موسى ابن الامام أثنى عليه ووصفه بتقدمه في العلوم ، وكان يعتني بجمع العلماء لمجلسه ، فاستدعاه من فاس فنظمه في طبقة العلماء ، فعكف على التدريس والتعليم ، ولازمه وحضر معه وقعة طريف والقيروان .

قال ابن خلدون : لازمته وأخذت عنه فنوناً ، ثم طلبه أبو عنان بتلمسان فنظمه في طبقة علماء أشياخه ، وكان يقرأ عليه حتى مات بفاس سنة سبع وخمسين وسبعمئة ، وأخبرني أن مولده بتلمسان سنة إحدى وثمانين وستمئة ، انتهى (1) .

قال تلميذه المقري : أخذ بتلمسان عن أبي الحسن التنسي ، وابني الامام، ورحل في آخر المئة السابعة للشرق،فدخل مصر والشام والحجاز والعراق، ثم رجع لتلمسان ثم للمغرب فأخذ عن ابن البناء ، وشافه كثيراً من علمائه ، قال لي : قلت لأبي الحسن الصغير : ما قولك في المهدي ، فقال عالم سلطان، ولقيته بعد فتح تلمسان وأخذت عنه انتهى .

قال المقري : ولما قدم شيخنا ابن المسفر الباهلي فاساً رسولا عن صاحب بجاية زاره الطلبة فحدثهم أنهم كانوا في زمن ناصر الدين يستشكلون ما وقع في تفسير الفخر في سورة الفاتحة ويستشكله الشيخ معهم ، وهذا

---

1) التعريف بابن خلدون ص 21 و ص 33 .

نصه : نبت في بعض العلوم العقلية أن المركب مثل البسيط في الجنس ، والبسيط مثل المركب في الفصل ، وأن الجنس أقوى من الفصل ، فلما رجعوا إلى الشيخ الآبلي أخبروه بذلك فاستشكله ثم تأمله فقال : فهمته' ، وهو كلام مصحف ، وأصله : أن المركب قبل البسيط في الحس ، والبسيط قبل المركب في العقل ، وأن الحس أقوى من العقل ، فرجعوا إلى ابن المسفر فأخبروه ، فلج ، فقال لهم الشيخ : اطلبوا النسخ ، فوجدوا في بعضها كما قال الشيخ ..

انتهى بنقل ابن الخطيب في (الاحاطة) .

قال المقري : وحدثني الآبلي أن عبد الله بن إبراهيم الزموري اخبره أنه سمع من ابن تيمية ينشد لنفسه :

محصل في أصول الدين حاصله — من بعد تحصيله علم بلا دين
أصل الضلالة والافك المبين فما — فيه فأكثره وحي الشياطين

قال : وبيده قضيب فقال : والله لو رأيته لضربته بهذا القضيب كذا ، ثم رفعه ووضعه انتهى (1) .

قال المقري : وسمعته يقول ما في الأمة المحمدية أشعر من ابن الفارض .

قال : وقال طالب له يوماً : مفهوم اللقب صحيح ، فقال له الشيخ : قل زيد موجود ، فقال : زيد موجود ، فقال له الشيخ : أما أنا فلا أقول شيئاً ، فعرف الطالب ما وقع فيه ، فخجل .

قال : وقال لي : كنت عند القاسم بن محمد الصنهاجي إذ وردت عليه رقعة من القاضي أبي الحجاج الطرطوشي فيها :

خيرات ما تحويه مبذولة — ومطلبي تصحيف مقلوبها

فقال لي : ما مطلبه ؟ فقلت له : نارنج انتهى ، أي فان مقلوبه تاريخ ، وتصحيفه نارنج (2) .

---

1) نيل الابتهاج ص 246 .

2) نيل الابتهاج ص 246 .

قال أيضاً : وسمعته يقول : إنما أفسد العلم كثرة التآليف ، وأذهبه بنيان المدارس ، وكان ينتصف له من المؤلفين والبانين ، وإنه لكما قال ، بيد أن في شرح ذلك طولا، وذلك أن التآليف نسخ الرحلة التى هي أصل جمع العلم ، فكان الرجل ينفق فيها مالا كثيراً ، وقد لا يحصل له من العلم إلا نزر يسير، لأن عنايته على قدر مشقته في طلبه، ثم صار يشتري أكبر ديوان بأبخس ثمن فلا يقع منه أكثر من موقع عوضه ، فلم يزل الأمر كذلك حتى نسي الأول بالآخر ، وأفضي الأمر إلى ما يسخر منه الساخر ، وأما البناء فلأنـه يجذب الطلبة لما فيه من مرتب الجرايات فيقبل بهم على ما يعيّنه أهل الرياسـة للأجراء والاقراء منهم أو ممن يرضى لنفسه الدخول في حكمهم، ويصرفهم عن أهل العلم حقيقة الذين لا يدعون إلى ذلك ، وإن دعوا لم يجيبوا ، وإن أجابوا لم يوفوا نهم بما يطلبون من غيرهم ، انتهى (I) .

قال في (النيل) بعد إيراده ، قلت : ولعمري لقد صدق في ذلـك وبر ، فلقد أدى ذلك لذهاب العلم بهذه المدن الغربية التي هي من بلاد العلم من قديم الزمان ، كفاس وغيرها حتى صار يتعاطى الاقراء على كراسيها من لا يعرف الرسالة أصلا ، فضلا عن غيرها ، بل لم يفتح للقراءة كتاباً قط ، فصار ذلك ضحكة ، وسبب ذلك أنها صارت بالتوارث والرياسات أعاذنا الله ، حتى خلت هذه الساعة عمن يعتمد عليه في علمه ، مصداق قوله ما ورد فـي ذلـــك .

قال المقري : ولقد استباح الناس النقل من المختصرات الغريبة أربابها، ونسبوا ظواهر ما فيها لأمهاتها، وقد نبه عبد الحق في (تعقيب التهذيب) على منع ذلك لو كان من يسمع ، وذيلت كتابه بمثل عدد مسائله أجمع ، ثم تركوا الرواية ، فكثر التصحيف وانقطعت سلسلة الاتصال ، فصارت الفتاوي تنقل من كتب لا يُدرى ما زيد فيها مما نقص منها لعدم تصحيحها وقلة الكشف عنها، كان أهل المئة السادسة وصدر السابعة لا يسوغون الفتيا من تبصرة اللخمي ، لأنها لم تصحح على مؤلفها ، ولم تؤخذ عنه ، وأكثر ما يعتمد اليوم هذا النمط،

I) نفح الطيب 5 : 275 طبع بيروت .

ثم انضاف إلى ذلك عدم اعتبار الناقلين ، فصار يؤخذ من كتب المسخوطين ، كالأخذ من كتب المرضيين، بل لا تكاد تجد من يفرق بين الفريقين ، ولم يكن هذا فيمن قبلنا حتى تركوا كتب البراذعي على نبلها ، ولم يستعمل منها على كره من كثير منهم غير .(التهذيب) ، وهو المدونة اليوم لشهرة مسائله وموافقته في أكثر ما خالف فيه (المدونة) لأبي محمد، ثم كَلَّ أهل هذه المئة عن حال من قبلهم من حفظ المختصرات ، وشق الشروح والأصول الكبار ، فاقتصروا على حفظ ما قل لفظه ، ونزر حظه ، وأفنوا عمرهم في حل لغوزه وفهم رموزه، ولم يصلوا لرد ما فيه إلى أصوله بالتصحيح ، فضلا عن معرفة الضعيف والصحيح ، بل هو حل مقفل ، وفهم أمر مجمل ، ومطالعة تقييدات زعموا أنها تستنهض النفوس ، فبينما نحن نستكبر العدول عن كُتب الائمة إلى كتب الشيوخ ، أبيحت لنا تقييدات للجهلة بل مسودات المسوخ ، فانا لله وإنا إليه راجعون . فهذه جملة تهديك إلى أصل العلم ، وتريك ما غفل الناس عنه انتهى (1) .

قال المقري : وسمعت العلامة الآبلي أيضاً يقول : لولا انقطاع الوحي لنزل فينا أكثر مما نزل في بني إسرائيل ، لأنا أتينا أكثر مما أتوا ، يشير إلى افتراق هذه الأمة على أكثر مما افترقت عليه بنو إسرائيل ، واشتهار بأسهم بينهم إلى يوم القيامة حتى ضعفوا بذلك عن عدوهم ، وتعدد ملوكهم لاتساع أقطارهم واختلاف أنسابهم وعوائدهم حتى غلبوا بذلك على الخلافة ، فنُزعت من أيديهم وساروا في الملك بسير من قبلهم مع غلبة الهوى واندَراس معالم التقوى لكنا آخر الأمم ، أطلعنا الله من غيرنا على أقل مما ستر منا وهو المرجو أن يتم نعمته علينا ، ولا يرفع جميل ستره عنا ، فمن أشد ذلك إتلافاً لغرضنا تحريف الكلم عن مواضعه ، إذ ذلك لم يكن بتبديل اللفظ، إذ لا يمكن ذلك في مشهورات كتب العلماء المستعملة ، فكيف في الكتب الالاهية ، وإنما ذلك بالتأويل كما قال ابن عباس وغيره ، وأنت تنظر ما اشتملت عليه كتب التفسير من الخلاف ، وما حملت الآي والأخبار عليه من ضعاف التأويلات ،

---

1) نفح الطيب 5 : 276 .

قيل لمالك : لـم اختلف الناس في تفسيـر القرآن ؟ فقال : قالـوا بآرائهم فاختلفوا ، أين هذا من قول الصديق : أيُ سماء تظلني ؟ وأيُ أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله عز وجل برأيي ؟ كيف وبعض ذلك قد انحرف عن سبيل العدل إلى بعض الميل ، وأقرب ما يحمل عليه معظم خلافهم كون بعضهم علم بقصد إلى تحقيق نزول الآية بسبب أو حكم أو غيرهما ، وبعضهم لم يعلموا ذلك تعييناً ، فلما طال بحثهم وظنوا عجزهم صوروا المسألة بما يسكن النفوس إلى فهمها في الجملة ليخرجوا عن حد الابهام المطلق ، فذكروا ما ذكروه تمثيلا لا قطعاً بالتعيين ، بل منه ما لا يعلم أنه أريد لا عموماً ولا خصوصاً ، لكنـه يجوز أن يكون المراد أو قريباً منه ، ومنه ما يعلم أنه مراد بحسب الشركـة والخصوصية ، ثم اختلط الأمران ، والحق أن تفسير القرآن من أصعب الأمور، فالاقدام عليه جرأة ، وقد قال الحسن لابن سيرين : تعبر الرؤيا كأنك مـن آل يعقوب ، فقال له : تفسر القرآن كأنك شهدت التنزيل ، وقد صح أنه عليه السلام لم يفسر من القرآن إلا آيات معدودة ، وكذا أصحابه والتابعون بعدهم ، وتكلم أهل النقل في صحة ما نسب لابن عباس من التفسير إلى غير ذلك ، ولا رخصة في تعيين الأسباب والناسـخ والمنسوخ إلا بنقـل صحيح ، أو برهان صريح ، وإنما الرخصة في تفهيم ما تعرفه العرب بطبائعها من لغـة وإعراب وبلاغة لبيان إعجاز ونحوها انتهى (1) .

قال في (النيل) : قلت : وأخذ عن صاحب الترجمة مِن لا يعد كثرة مـن الأيمة كابن الصبـاغ المكناسي ، والشـريف التلمساني ، والشـرف الرهوني ، وابن مرزوق الجد ، وسعيد العقباني ، وابن عرفة ، والولي ابـن عباد ، وابن خلدون في خلق أجلاء ، انتهى (2) .

وترجم لشعيب بن محمد التونسي المتوفي في حماة سنة 770 ، في (الدرر الكامنة) من تلامذة المترجم ، وتصحف في النسخة الآبلي بالاربلي ، وقد نقل عنه تلميذه المقري في كتابه (عمـل من طب ، لمن حب) ، وهـي

1) نفح الطيب 5 : 277 طبع بيروت .

2) نيل الابتهاج ص 248 .

الكليات الفقهية في صدر القسم الثاني منه ، ونقل عنه أبو إسحاق الشاطبي في (الافادات والانشادات) ، وقال في (تاريخ الدولتين) : وكان الشيخ محمد الآبلي من فقهاء المغرب لما عزم السلطان أبو الحسن على السفر من تونس في البحر اختفى هو تلكؤاً عن السفر دون غيره من الفقهاء ، قال : وذلك أني رأيت في النوم كأن قائلا يقول لي : الفلك الفلك ، يكرر ذلك علي ، فانتبهت وما أدري ما هذا ، فاخبرت بالرؤيا صاحبنا ابن رضوان فاخبر بها السلطان أبا الحسن فقال : لعله يريد السفر في البحر ، فاشتد عزمه في ذلك ، فجرى ما جرى ، قال الشيخ ابن القصار ، فقلت للآبلي : إنما مراده أن الفلك جمع تكسير فلك انتهى .

وذكر في الروضة الثالثة من (أزهار الرياض) نقلا عن (الاشارات الحسان ، المرفوعة إلى حَبر فاس وتلمسان) يعنى أحمد الونشريسي للعلامة ابن غازي أنه سأل الفقيه المحقق سيدي محمد القوري ليلة عن ضبط باء الآبلي الذكي الرحال ، أبالضم أم بالكسر ، فكأنه ترجح فيه ثم مال إلى الضم (1) انتهـى .

وجعل في (الجذوة) الآبلي رجلين ، أولهما محمد بن علي ابن إبراهيم، وذكر آخذه عن أحمد ابن البناء المراكشي ووفاته سنة 757 ، ثم ترجم بعد ذلك للمترجم الآخذ عن ابن البناء والمتوفي في السنة المذكورة بفاس الخ ، وما أظنه ، أعني التعدد ، إلا من أوهامه ، وترجمه في (نفح الطيب) أيضاً، وترجمه الحافظ في (الدرر الكامنة) ، وجعل اسم جده عبد الله ، كما ضبط الآبلي بمدة وموحدة مكسورة ، وجعل إكراه صاحب تلمسان قبل ذهابه للحج وأنها هي السبب ، وضبط في (الدوحة) في ترجمة الشيخ السنوسي الآبلي بسكون اللام وفتح الهمزة وضم الباء وكسر اللام ، ومنهم من يعرف بالآبلي بكسـر الهمزة والموحدة نسبة إلى إبل السوق بوادي بردا ، وهو محمد بن أبي بكر المعروف بالسوقي المترجم في (الدرر الكامنة) .

وممن ترجم للمترجم صاحب (طبقات المالـكية) ، ونقل فيه عـن المقري أنه قال فيه : عالم الدنيا على الاطلاق (2) .

---

1) بل بكسر الباء ، نسبة الى مدينة آبلة Avila الأندلسية .

2) ينظر عن الآبلي : **المسند الصحيح الحسن** (مخطوط) ، **والتعريف بـابـن خلدون** ص 21 و ص 33 **ونيل الابتهاج** ص 244 **ونفح الطيب** 5 : 244 **والبستان ، في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان** ص 214 و **سلوة الأنفاس** 3 : 273 **والدرر الكامنة** 3 : 375 ع 3286 .

600) **محمد بن الامان الجزولي** المعلم من أهل مراكش ، مـن أصحاب عبد الغفور بن يوسف ، وكان عبداً صالحاً متقللا من الدنيا ،.منقبضاً عن أهلها.

قال في (التشوف):سمعت محمد بن أحمد الزناتي يقول:جاءه بعض الكبراء إلى مكتبه فقال له ، ياأبا عبد الله ، مالَك لا تأتينا إذا بعثنا إليك ، فقال لـه : إن لي عذراً ، فلم يزل به بعضهم إلى أن وعده أن يأتيه ، وكان ذلك في يوم الأربعاء ، فلما صرف الصبيان يـوم الخميس وصلى صلاة العصر قـال لي : يامحمد وعدت فلاناً أن آتيه ، وأنا أكره أن آتيه وأريد أن ادعو وتؤمِّن على دعائي الا يجمع الله تعالى بيني وبينه ، فدعا وأمَّنت دعائه ، ثم قال : عسى أن تذهب معي إليه ، فذهبنا إليه ، فوجدنا بابه مغلقاً ، فقرعت الباب فقال لي البواب : أمرني سيدي الا أفتح الباب لأحد، فقعد عند الباب إلى أن جاءت جماعة من العظماء ، فاستعظموا جلوس أبي عبد الله بالباب ، وكلموا البواب أن يفتح لهم فأبى ، فقال أبو عبد الله لأولئك الواصلين : أعلموا فلاناً بوصولي إليه ، ثم قال لي : سر بنا فقد قضى الله تعالى حاجتنا .

قال محمد بن أحمد : سمعت أبا عبد الله يقول : بعث إلي بعض معارفي قطعة ثريد بلحم فجمعت عليها الأهل والأولاد ، فأردت أن آكل ، فكلما رفعت لقمة وجدتها مملوءة بالذباب فاضعها ثم آخذ غيرها فأجدها كذلك ، وأرى الأهل والأولاد يأكلون ولا يجدون ما أجد ، فأمسكت عن الأكل ، ثم بحثت عن أصل ذلك الطعام ، فاذا هو طعام رجل من الغُصَّاب أهداه إلى الذي بعثه إلي انتهى (1) .

ونقله الحضيكي في (الطبقات) أيضاً .

601) **محمد الصفاقسي** نزل مع أخويه أبي الطيب ومحرز اغمات وريكة بالموضع المعروف بايغيل ، وكـانوا علماء فضلاء فأخفوا أنفسهم ، وكـانوا يحضـرون مجالس العلم فيستمعـون ولا يتكلمون إلى أن وصلت كتب مـن

---

1) التشوف ص 283 ع 132 .

صفاقس إلى أهل أغمات ينبهونهم على قدرهم ، فأخذوا عنهم ، ونفع الله بهم ، وكان محمد أصغرهم سناً ، وكان يخدم أخويه ، وكان أبو الطيب أعلمهم .

وقد تقدمت ترجمة أبي الطيب ، وستأتي ترجمة محرز رحمه الله (1) .

602) **محمد بن أحمد ابن شاطر الجمحي المراكشي** ، يعرف بابن شاطر كان مستظرف الشكل ، مليح الشيبة ، جميل الصورة ، مليح الحديث والنادرة ، كثير الاعتبار ، دائم الاسترجاع والاستغفار ، قال المقري : لقيت فيمن لقيت بفاس رجلين أحدهما عالم الدنيا والآخر نادرتها ، أما العالم فهو شيخنا محمد بن إبراهيم بن أحمد العبدري الآبلي ، وأما النادرة فمحمد ابن شاطر ، ثم قال : صحب عبد الرحمان الهزميري كثيراً ، ومحمد ابن تيجلت ، وابن البناء وغيرهم من المراكشيين ومن جاورهم ، واختص بعبد الرحمان الهزميري ، وكان يقول له : « وألقيت عليك محبة مني » ، فظهر أثر ذلك عليه، ووضع له القبول في الأرض ، فلا تجد مَن يستثقله ، وربما سئل عن نفسه فيقول : ولي مفسود ! قلت له يوماً : كيف أنت ؟ فقال : محبوس في الروح .

وقال : في (الحقائق والرقائق) :

رقيقة

كان ابن شاطر يقول : الليل والنهار حرسيان أحدهما أسود والآخر أبيض ، وكلاهما قد أخذ بمجامع الخلق إلى يوم القيامة، ثم يتلو « وان مردنا إلى الله » انتهى .

وسئل عن العلة في نضارة الحداثة فقال : لقرب العهد بالله ، قيل له : ففيم تغير الشيوخ ، قال مِنْ بُعد العهد من الله وطول صحبة الشياطين، قيل : ففيمَ نتنُ أفواههم ؟ قال من كثرة ما تتفل الشياطين فيها .

---

1) **التشوف** ص 140 ع 45 .

وبعد هذه الترجمة ترجم المؤلف من جديد لمحمد بن عبد الله بن أبى بكر الأغماتى الذى تقدمت ترجمته تحت عدد 552 ص 226 من هذا الجزء ، فلهذا أغفلنا هذه الترجمة المكررة .

انتهى بنقل ابن الخطيب في (الاحاطة) ، وحفيده في (النفح) .

وكان يسمى الصغير فار المصطكي ، وكان حياً سنة سبع وخمسين وسبعمئـة .

وفي (الحقائق والرقائق) أيضاً .

رقـيـقـة

كنت يوماً بالمسجد الأعظـم بتلمسان ، ومعي محمد ابـن شاطر ، فأردت الانصراف فقال لي : تنصرف عن روضة من رياض الجنة قام فيهـا على رأسك هذا التاج ، وأشار إلى المنار ، مملوءاً بالله أكبر ، فكأنما عقلنـي فجلست . انتهى .

دخل الأندلس ، ومر يوماً بأحمد ابن شعيب الكاتب وهو جالس في جامع الجزيرة ، وقد ذهب به الفكر فصاح به : انظر إلى مركب عزرائيل هذا ، وأشار إلى نعش هنالك ، قد رفع شراعه ، ونودي عليه الطلوع ياغزي !

وقال المقري : سمعته يقول : المؤذنون يدعون أولياء الله إلى بيته لعبادته فلا يصدهم عن دعائهم ظلمـة ولا شتاء ولا طين ، ويصرفونهم عـن الاشتغال بما لم يبين لهم فيخرجونهم ويغلقون الأبواب دونهم (1) .

وأكل يوماً مع أبي القاسم عبد الله ابن رضوان الكاتب جلجلاناً فقال له أبو القاسم : إن في هذا الجلجلان لضرباً من طعم اللوز ، فقال ابن شاطر : وهل الجلجلان إلا لوزة دقت ؟ .

قال لي ابن شاطر : لقيت عمي ميموناً المعروف بدبير بقرب موتـه وقد أصفر وجهه وتغيرت حالته ، فقلت له : ما بالك ؟ وكان قد خدم الصالحين ورزق بذلك القبول ، قال : انسدت الزربطانة (2) فطلع ، يعني العذرة ، يشير إلى احتقان الطبيعة .

---

1) نفح الطيب 5 : 248 طبع بيروت .

2) الزربطانة مجمع المياه القذرة يسد بزرب وشبهه للسقي ، والكلمة فارسية على ما يظهر ، وفي فاس حى يعرف الى اليوم بالزربطانة .

أنشدني ابن شاطر قال : أنشدني أحمد ابن البناء لنفسه « قصدت إلى الوجازة في كلامي » الأبيات ، وأخبار ابن شاطر عندي تحتمل كراسة ، فلنقنع منها بهذا القدر انتهى (1) .

وقال أيضاً : سألت ابن شاطر عن معنى قول ابن الفارض :

فلم ألْه باللاهوت عن حكم مظهري ولم أنس بالناسوت موضع حكمتي

فقال : يقول ما أنا بالحلاج ولا ببلعام ، ثم قال مولاي الجد بعد هذا الكلام ، قلت : وهذا هو الانسان على الكمال والتمام ، ولقد سمعته يقول في الحلاج نصف إنسان ، يشير إلى البيت .

وقال أيضاً رحمه الله تعالى : سمع ابن شاطر إنساناً يقول في الجنة رخيصة فقال : كيف تكون رخيصة والله عز وجل يقول « ان الله اشترى من المومنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة » انتهى ، ثم قال مولاي الجد باثر هذا الكلام ، قلت ما الأنفس والأنفاس في جنب ما فيها مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، لا سيما وفوق هذه الحسنى زيادة الاكرام بالنظر والرضى .

وقال لابن شاطر : صف لنا الدنيا فقال : « كسراب بقيعة » الآيتين ، فبلغ ذلك عبد الرحمان ابن الامام ، فأنكر عائباً لاستحسان سامعه ، تالياً : « يحرفون الكلم عن مواضعه » ، ولقد أصيب المتعسف بأدهى منها وأمر ، فانه أفحم يوماً ببعض أهل النظر فتلا عليه : « فبهت الذي كفر » على أن له أن يقول لم أخرج الآية عن مرادها ، فالبهت من انقطاع المعاند ، والكفر من جحد الجاحد انتهى ، وهذا كله على مذهب جمهور المالكية في منع الاقتباس ، وللكلام على ذلك موضع غير هذا ، فليُراجع في كتب البيان وغيرها .

---

1) نفح الطيب 5 : 249 طبع بيروت .

وقال رحمه الله تعالى : حدثت أن المتوكل على الله أبا عنان رحمه الله تعالى أعطى ابن شاطر ألف دينار ليحج بها ، فمر بها إلى تلمسان ، فصار يدفع منها شيئاً فشيئاً للمتفرجين بغدير الوريط شرقي عباد تلمسان العلوي إلى أن نفدت ، فلما ورد السلطان أبو عنان لقيه بسوق العطارين من منشر الجلد فقال له : ياسيدي أبا عبد الله حج مبرور ، فقال له : إذا جهلت أصل المال فانظر مصارفه ، ويأبى الله إلا أن ينفق الخبيث في مثله ، فضحك السلطان وانصرف انتهى .

وكان لابن شاطر هذا عجائب ، ولم يكن مخلا بشيء من الحقوق الشرعية ، وكان مُعتقداً عند أهل وقته ، وكان السلطان أبو عنان على فقهه يعظمه ويصله ويسلم له ، وبات عنده ليلة بقصره ، وكان يدخل القصر ولا تحتجب منه الجواري ، فاحتاج إلى البول فبال في قبة عظيمة في القصر ، فانتهرته إحدى الجواري وقالت له : أتبول في قبة مولانا ؟ فقال لها : إن قبة مولانا الخضراء أعظم من هذه ، وأنا أفعل تحتها ما هو أعظم من البول ، وما انتهرني قط ، فذكرتْ ذلك الجارية للسلطان فضحك وعلم أنه يريد السماء، وكان يكتب القرآن والعمدة ولا يغلق حرفاً مجوفاً ، فاذا غلب على ذلك أصلحه، حتى حُكي أنه سافر لاصلاح حرف مجوف أغلقه سهواً من نسخة كان باعها ، ولم يتذكر ذلك حتى سافر مشتريها ، فما رجع حتى جوده .

وحكى الشيخ أبو القاسم بن داوود الفخار السلوي أن الشيخ محمد الشريف التلمساني صاحب (المفتاح) في أصول الفقه ، وشارح (الجمل الخونجية) ، المتوفي عام اثنين وسبعين وسبعمئة ، المدفون بالمدرسة اليعقوبية من تلمسان المحروسة افتتح (شرح العمدة) بما نصه : اللهم أحمد نفسك عمن أمرته أن يتخذك وكيلا ، حمداً عائداً منك إليك ، متحداً بك ، دائماً بدوام ملكك ، لا منقطعاً ولا مفصولا ، قال : فقال لي محمد ابن شاطر : ما هو انفصال عالم الملك ؟ فقلت له : بالضرورة الوقتية ، فقال لي : ما أجهلك وأجهل سيدك أبا عبد الله وأجهل ابن سودكين الذي أخذ من كتابه هذا الحمد إذ قال لا منقطعاً ولا مفصولا بعد قوله بدوام ملكك ، وهو بالضرورة الوقتية ،

وهي منقطعة ، فهلاً قال دائماً بدوام قيوميتك ، وعظيم قدرك ومجدك الأعلى ، وسبحات وجهك الأكرم ، لا منقطعاً ولا مفصولا ، فبلغ ذلك محمد الشريف فبدلـه .

وأخبار ابن شاطر كثيرة انتهى .

ترجمه الحافظ في (الدرر الكامنـة) نقلا عن ابن الخطيب قائـلا : محمد بن أحمد ابن شاطر اللخمي المراكشي ، قال ابن الخطيب : فقير متجرد مليح الشيبة ، جميل الصورة ، حسن الملبس ، مستظرف الشكل ، كثيـر الذكر ، قال : وآخر عهدي به بفاس سنة 756 ، وقد أربى على الستين انتهى .

وترجمه في (توشيح الديباج) ، وفي (الجذوة) ، و (النيل) ، و (نفح الطيب) وغيرها (1) .

فـائـدة

ممن يعرف بابن الشاطر الشيخ علاء الدين علي بن ابراهيم المعراف بابن الشاطر ، المنجم الأنصاري الدمشقي الفلكي المتوفي سنة سبع وسبعين وسبعمئة ، المذكور في (كشف الظنون) في حرف الألف فـي موضعين ، وفي حرف الراء في مواضع أربعة ، ثم في حرف الزاي ، ثم في حرف النون ، وممن يعرف بالشاطر محمد بن أحمد بن منير بن سليمان الذهبي المترجم في (الدرر الكامنة) ، وراجع ترجمة ابن سودكين فـي المحمدين مـن (الدرر الكامنـة) .

603) محمد ابن حسون الجدميوي

محمد بن أبي العلا كان مـن حاشية السلطان وبيوت الـولاة بالمغرب ، معولا على أعمال مراكش ، ولما ولي السلطان إبراهيم المرينـي

---

1) ينظر عن ابن شاطر الاحاطة (مخطوط) ، ونيل الابتهاج ص 248 ونفح الطيب 5 : 248.

يوسف بن سعد الله على قومه جدميوة ، وطير الاعلام بذلك إلى المترجم ، نزل إلى مراكش وقتل بها يوسف بن سعد الله وابنه عبد الحق ، فذهبت الرياسة من جدميوة برهة من الدهر ، ثم رجعت إليهم في بني سعد الله .

ذكره ابن خلدون .

وقال في (نفاضة الجراب) لما ذكر مَن لقيه بمراكش : ومنهم والي الوطن ، ومؤمن السبل ، وجمّاعة مال الجباية ، الشيخ الرئيس الفقيه محمد ابن حسون بن أبي العلا ، وقد مر بعض ذكره ، وهو فريد العصر بل الدهر في الخلال المبرة والخصال الحرة ، من مذكر بالبرامكة مغبر في وجوه سباقهم ، انتهازاً لفرص المكارم ، وتهالكاً في هوى المآثر، ما شئت من مغل لبضائع الحمد ، منتقب بورد الخجلة ، مرسل أعنة الاعتذار في أعقاب ملوكي العطية ، يهب الكتائب غانمات ، والمهى مستردفات ، والجياد عراباً ، يقوم على الأصليين والمنطق ، وهما الفنان المهذبان للعقل ، والمستدعيان لكثير من المواد ، يعترف له بالتقدم في ذلك ، مشارك في غيره ، حسن الصورة مهيب جزل وقور حاسر عن الاضطلاع والكفاية ، لم يبلغ عندي في البرُّ مداه ، ولا بلَّ جناح شكري ندى كنداه ، ولقد أقسم بالغموس بعد أن بان رزحه من وظائفه الباهظة ، وقعود زمنه عن أمله ، وقصور وجده عن مرمى همه ، أن لو ألفى سعته التي تعودها لنقدني ثمن ما غُصِبتُه بالأندلس عن يد ، إبلاغاً في المكارمة ، ونزعاً إلى هدف الحرية ، واسترقاقاً لرقبة السؤدد ، حفظ الله نعمته ، وحاط حظوته ، ورد عنه النوائب صاغرة ، والحوادث ناكصة .

وكثيراً ما خاطبته بعد وداعه من محال كرامته ، بالطريق من عمالته الفسيحة الخطة ، وقد ألزم من نبلاء خدامه من تمم إلي الوظائف ، وكمل المآرب بمثل قولي :

ياخاتمَ الفضل ، أو ياحاتمَ الزمن	ومشتري الحمد بالغالي من الثمن
ومرسل المَثَل الجاري بكل علا	فوق البسيطة من شام إلى يمن
يامَن إذا ما حكاه الجلة افتضحوا	إذِ التورمُ ممتاز من السِّمَن

يامَن تلقيتُ منه الخلقَ في رجل — وقدت نافرة الأيام في رســـن
لله ما ذا رأت عيني وقد لمحـــت — ذاك الكمال ؟ وما ذا قلدت أذني ؟
دع ذكر قيصر أوكسرى وما جمحت — به الحكاية عن سيف بن ذي يــزن
ما الفخر إلا لملكٍ أنت تخدمـــه — فحلَّ منه محل الروح في البــدن
إن لم يفز منه بالغايات مثلــك أو — يعلو الكواكب في آفاقه فمـــنْ ؟
تبأى العلا منك يوم الفخر يابن أب — جم السيادة عف السر والعلــــن
ماضي العزيمة ميمون نقيبتــــــه — جار من البرّ والتقوى على سَنَن
إلى مضاء كنصل السيف يعضــده — رأي يفرق بين الماء واللبــــن (1)
أفادني زمني لقياك معتــــــذراً — عما جناه فلا أدعو على زمنــــــي
من بعد لقياك لا آسى على وطـــر — مهما تعذر أو أبكي على وطــــــن
عقدت صفقة ود فيك رابحــــــة — إن حالت الحال لا تخشى من الغبن
فالبس نسيجة ما قدمت معلمـــــة — من صنعة اليمن تنسى صنعة اليمن
مَن زار ربعك لم تبرح جوارحـــه — تروي أحاديث ما أوليت من منن
فالعين عن قرة، والكف عن صلة ، — والقلب عن جابر،والأذن عن حسن(2)

604) محمد بن محمد ابن جزي الكلبي

محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بــن يحيى بن عبــد الرحمان بن يوسف ابن جزي الكلبي الغرناطي الأديب المؤرخ ، ولد سنــة عشرين وسبعمئة ، وكان أبوه من أعلام المقرئين ، وتعانى هو الأدب ، وابتدأ في جمع تاريخ لغرناطة فحصل منه جملة مستكثرة ، وكان واسع الحفظ ، ثاقب الفهم ، وانتقل إلى فاس فكتب لملكها أبي عنان ، ومن شعره :

قسماً بوضاح السنا الوهــــــاج — من تحت مسدول الذوائـــب داج
وبأبيع كالمسك خفت نونــــــه — من فوق وسنان اللواحظ ســـاج
وبحسن خد دبجت صفحاتـــــه — فغدت تحاكي مذهب الديبـــــاج

---

1) عجز منحط عن رتبة المدح ، تامل (المؤلف) .

2) نفاضة الجراب ص 59 .

وهي قصيدة طويلة جيدة ، ومن شعره :

أفنيت فيه نسيب شعريَ طامعـاً   وسفكت دمعيَ كالحيا المـــدرار
وأراه ما حفظ الوداد ولا رعـــى   ذمم النسيب ولا حقوق الجـــار

مات في شوال سنة سبع وخمسين وسبعمئة وعمره ست وثلاثون سنــة ، ذكره في (البدر الطالــع) ، وفي (الاحاطــة) أنه توفي سنــة ثمان وخمسين وسبعمئة في شــوال انتهى (1) وهو أولى ، لأنــه معاصره ، بل تلك الترجمة كلها إنما أخذت من (الاحاطة) ، ولقيه بفاس سنــة 755 ، وأطال في ترجمته نحو ثمان صفحات ، وأرد فيها بعض شعره ، ونقل ما قاله فيه في (التاج المحلى) ، وترجمه أيضاً في (نفح الطيب) (2) .

605) محمد بن محمد المقّري القرشي التلمساني

محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن يحيى بن عبد الرحمان بــن أبي بكر بن علي القرشي التلمساني ، شهر بالمقّري .

قال في (الديباج) (3) هذا الرجل مشار إليه بالعدوة الغربية اجتهاداً ودؤوباً وحفظاً وعناية واطلاعاً ونقلا ونزاهة ، سليــم الصدر ، محافظاً على العمل ، حريصاً على العبادة ، قائماً على العربية والفقه والتفسير أتم القيام ، ويحفظ الحديث ، ويتفجر بحفظ الأخبار والتواريخ والآداب ، ويشارك مشاركة في الأصلين والجدل والمنطق ، وله شعر جيد ، ويتكلم في طريق الصوفية

---

1) نص عبارة ابن الخطيب فى **الاحاطة** : اتصل بنا خبر وفاته بفاس مبطوناً فى أوائل ثمانية وخمسين وسبعمئة ، ثم تحققت ان ذلك فى آخر شوال من العام قبله .

فيكون معنى العبارة أن ابن جزى مات فى آخر شوال عام 757 وان خبر وفاته بلغ ابــن الخطيب فى أوائل عام 758 هـ .

2) ينظر عن أبى جزى هذا : **الاحاطة** 2 : 256 طبع القاهرة سنة 1974 .

3) هذه العبارات ليست من كلام صاحب (الديباج) ، وانما هى من كلام ابن الخطيــب منقولة من **الاحــاطــة** بتصرف كما سنرى ذلك فى الصفحات التالية .

كلام أرباب المقال ، ويعتني بالتدوين فيها ، حجَّ ولقي جلة ثم عاد إلى بلده ، فاقرأ به وانقطع إلى خدمة العلم ، فلما ولي السلطان أبو عنان المغرب ولاه قضاء الجماعة بفاس ، فاستقل بذلك أعظم الاستقلال ، وأنفذ الحق ، وألان الكلمة ، وآثر التسديد في العلم ، واستفاد على الامامين العالمين الراسخين عبد الرحمان ، وأبي موسى ابني الامام ، والعالم الحافظ ناصر الدين عمران بن موسى بن يوسف المشدالي وكان رحمه الله تعالى نسيج وحده في المتأخرين ، وعلى قاضي الجماعة بتلمسان محمد بن منصور ابن هدية القرشي من ولد عقبة ابن عامر الفهري صاحب رسول الله عليه وسلم ، وعلى غيرهم من الأشياخ الجلة ، وألف كتاباً يشتمل على أزيد من مئة مسألة فقهية ضمنها كل أصل من الرأي والمباحثة ، ودوّن في التصوف (إقامة المريد ورحلة المتبتل) ، وكتاب (الحقائق والرقائق) .

قال ابن الخطيب : اتصل بنا نعيُه في شهر محرم عام تسعة وخمسين وسبعمئة ، وأراه توفي في ذي الحجة من العام قبله .

وقال في (النيل) ما نصه : ضابطاً للمقْري بفتح الميم وتشديد القاف المفتوحة ، كذا ضبطه الشيخ عبد الرحمان الثعالبي في كتابه (العلوم الفاخرة) ، وكذا الونشريسي ، وزاد أنها قرية من قرى بلاد الزاب من إفريقية ، سكنها سلفه ، ثم تحولوا لتلمسان ، وبها ولد ونشأ وأقرأ وقرأ ، وضبطه ابن الأحمر في فهرسته ، والشيخ زروق بفتح الميم وسكون القاف انتهى .

وقال في (الاحاطة) بعد ذكره :

اوليتـه

نقلت من خطـه قال : وكان الـذي اتخذها من سلفنـا قراراً بـعد أن كانت لمن قبله مـزاراً ، عبد الرحمان بن أبي بكر بـن علي المقـْري صاحب الشيخ أبي مديـن ، الذي دعا لـه ولذريته بما ظهـر فيهم قبوله وتبين ، وهو أبي الخامس ، فأنا محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن يحيى بن عبد الرحمان ، وكان هذا الشيخ عروي الصلاة ، حتى انـه

ربما امتحن بغير شيء فلم يُؤنس منه التفات ، ولا استُشعر منه شعور ، ويقال إن هذا الحضور مما أدركه من مقامات شيخه أبي مدين ، ثم اشتهرت ذريته على ما ذكر من طبقاتهم بالتجارة ، فمهدوا طريق الصحراء بحفر الآبار ، وتأمين التجار ، واتخذوا طبلا للرحيل ، وراية تقدم عند المسير ، وكان ولد يحيى الذي كان أحدهم أبا بكر خمسة رجال ، فعقدوا الشركة بينهم فيما ملكوه على السواء بينهم والاعتدال ، وكان أبو بكر ومحمد وهما أرومتا نسبي من جميع جهات أمي وأبي بتلمسان ، وعبد الرحمان وهو شقيقهما الأكبر بسجلماسة ، وعبد الواحد وعلي ، وهما شقيقاهم الصغيران بايوالاتن (1) ، فاتخذوا بهذه الأقطار الحوائط والديار ، فتزوجو النساء ، واستولدوا الاماء، وكان التلمساني يبعث إلى الصحراوي بما يرسم له من السلع ، ويبعث إليه الصحراوي بالجلد والعاج والجوز والتبر ، والسجلماسي كلسان الميزان ، يعرفهما بقدر الرجحان والخسران ، ويكاتبهما بأحوال التجار والبلدان ، حتى اتسعت أموالهم ، وارتفعت في الفخامة أحوالهم ، ولما افتتح التكرور كورة إيوالاتن وأعمالها ، أصيبت أموالهم فيما أصيب من أموالها ، بعد أن جمع من كان بها منهم إلى نفسه الرجال ، ونصب دونها ودون ماله القتال ، ثم اتصل بملكهم فأكرم مثواه ، ومكنه من التجارة ببلاده ، وخاطبه بالصديق الأحب ، والخلاصة الأقرب ، ثم صار يكاتب مَن بتلمسان يستقضي منهم مآربه ، فيخاطبه بمثل تلك المخاطبة ، وعندي من كتبه وكتب ملوك المغرب ما ينبيء عن ذلك ، فلما استوثقوا من الملوك ، تذللت لهم الأرض للسلوك ، فخرجت أموالهم عن الحد ، وكادت تفوق الحصر والعد ، لأن بلاد الصحراء ، قبل أن يدخلها أهل مصر ، كان يُجلَب إليها من المغرب ما لا بالَ له من السلع ، فيتعاوض عنه بما له بالٌ من الثمن ، أي مدبِّر دنيا ضم جنباً أبي حم وشمل ثوباه ، كان يقول : لو لا الشناعة لم أزل في بلادي تاجراً من غير تجار الصحراء الذين يذهبون بخبيث السلع ، ويأتون بالتبر الذي كل أمر الدنيا له تبع ، ومن سواهم يحمل منها الذهب ، ويأتي إليها بما يضمحل عن قريب ويذهب ، إلى ما يغير من العوائد ، ويجر السفهاء إلى المفاسد .

---

1) **ايوالاتن** عربت فصارت تدعى اليوم **ولاتة** حاضرة شهيرة قديمة تضاءلت في الوقت الراهن أهميتها فعادت مجرد قرية واقعة بالجنوب الشرقي لصحراء شنجيط غير بعيدة عن حدود مالي .

ولما درج هؤلاء الأشياخ ، جعل أبناؤهم ينفقون مما تركوا لهم ، ولم يقوموا بأمر التثمير قيامهم ، وصادفوا توالي الفتن ، ولم يسلموا مـن جور السلاطين ، فلم تزل حالهم في نقصان إلى هذا الزمان ، فها أنا ذا لم أدرك من ذلك إلا أثر نعمة اتخذنا فصوله عيشاً ، وأصوله حرمة ، ومن جملة ذلك خزانة كبيرة مـن الكتب ، وأسباب كثيرة تعين علـى الطلب ، فتفرغت بحول الله عز وجل للقراءة ، فاستوعبت أهل البلد لقاء ، وأخذت عن بعضهم عرضاً وإلقاء، سواء المقيم القاطن ، والوارد والظاعن .

حـالـه

هذا الرجل مشار إليه في العدوة الغربية اجتهاداً ودؤوباً وحفظاً وعناية واطلاعاً ونقلا ونزاهة ، سليم الصدر ، قريب الغور ، صادق القول ، مسلوب التصنع ، كثير الهشة ، مفرط الخفة ، طاهر القلب ، ذاهب أقصى مذاهـب التخلق ، محافظ على العمل ، مثابر عـلى الانقطاع ، حريص عـلى العبادة ، مضايق في العقد والتوجه ، يكابد من تحصيل النية بالوجه واليدين مشقة ، ثم يغافض الوقت فيها ويوقعها دفعة ، متبعاً إياها زعقة التكبير ، برجفة ينبو عنها سمع من لم تؤنسه بها العادة بما هو دليل على حسن المعاملة ، وإرسال السجية ، قديم النعمة متصل الخيرية ، مكب على النظر والدرس والقراءة ، معلوم الصيانة والعدالة ، منصف في المذاكرة ، حاسر الذراع عند المباحثة ، رحب الصدر في وطيس المناقشة ، غير مختار للقرن ولا ضان بالفائدة ، كثير الالتفات ، متقلب الحدقة ، جهير بالحجة ، بعيد عن المراء والمباهتة ، قائل بفضل أولي الفضل من الطلبة ، يقوم أتمّ قيام على العربية والفقه والتفسير ، ويحفظ الحديث ، ويتفجر بحفظ الأخبار والتاريخ والآداب ، ويشارك مشاركة فاضلة في الأصلين والجدل والمنطق ، ويكتب ويشعر مصيباً غرض الاجادة ، ويتكلم في طريق الصوفية كلام أرباب المقال ، ويعتني بالتدوين فيها ، شرّق وحج ولقي جلة واضطبن رحلة مفيدة ، ثم آب إلى بلده فاقرأ به ، وانقطع إلى خدمة العلم ، فلما ولي ملك المغرب السلطان محالف الصنع ونشيدة الملك وأثير الله من بين القرابة والاخوة ، أمير المومنين أبو عنان ، اجتذبه وخلطه بنفسه ، واشتمل عليه وولاه قضاء الجماعة بمدينة فاس ، فاستقل بذلك أعظم الاستقلال ، وأنفذ الحق ، وألان الكلمة ، وآثر التسديد ، وحمل الكل ، وخفض

الجناح ، فحسنت عنه القالة ، وأحبته الخاصة والعامة . حضرت بعض مجالسه للحكم ورأيت من صبره على اللدد وتأتيه للحجج ورفقه بالخصوم ما قضيت منه العجب .

دخوله غرناطة

ثم لما أخر عن القضاء استعمل بعد لأي في الرسالة ، فوصل إلى الأندلس أوائل جمادى الثانية من عام سبعة وخمسين وسبعمئة ، فلما قضى غرض رسالته ، وأبرم عقد وجهته ، واحتلّ مالقة في منصرفه ، بدا له في نبذ الكلفة ، واطراح وظيفة الخدمة ، وحل التقيد إلى ملازمة الامرة ، فتقاعد وشهر غرضه ، وبت في الانتقال طمع من كان صحبته ، وأقبل على شأنه ، فخلي بينه وبين همه ، وترك وما انتحله من الانقطاع إلى ربه ، وطار الخبر إلى مرسله ، فأنف من تخصيص إيالته بالهجرة والعدول عنها بقصد التخلي والعبادة ، وأنكر ما حقه الانكار من إبطال عمل الرسالة والانقباض قبل الخروج عن العهدة ، فوغر صدره على صاحب الأمر ، ولم يبعد حمله على الظنة والمواطأة على النفرة ، وتجهزت جملة من الخدام المجلين في مآزق الشبهة ، المضطلعين باقامة الحجة ، مولين خطة الملام ، مخيرين بين سحائب عاد من الاسلام ، مظنة إعلاق النقمة ، وإيقاع المثلة ، والاشادة بسبب إجارته بالقطيعة والمنابذة ، وقد كان المترجم به لحق بغرناطة ، فتذمم بمسجدها وجأر بالانقطاع إلى الله ، وتوعد مَن يجبره بنكير مَن يجير ولا يجار عليه سبحانه ، فأهم أمره ، وشغلت القلوب آبدته ، وأمسك الرسل بخلال ما صدرت شفاعة اقتضت له فيها رفع التبعة ، وتركه إلى تلك الوجهة ، ولما تحصل ما تيسر من ذلك انصرف محفوفاً بعالمي القطر قاضي الجماعة أبي القاسم الحسني ، والشيخ الخطيب أبي البركات ابن الحاج ، مسهلين لوروده ، مشافهين بالشفاعة في غرضه ، فانقشعت الغمة ، وتنفست الكربة ، واستصحبا من المخاطبة السلطانية في أمره من إملائي ما يذكر ، حسبما ثبت في الكتاب المسمى بـ (كناسة الدكان ، بعد انتقال السكان) المجموع بسلا ما صورته :

المقام الذي يحب الشفاعة ويرعى الوسيلة ، وينجز العدة ويتمم الفضيلة ، ويضفي مجده المنن الجزيلة ، ويعيي حمده الممادح العريضة الطويلة ، مقام محل والدنا الذي كرم مجده ، ووضح سعده ، وصح في الله تعالى عقده ، وخلص في الأعمال الصالحة قصده ، وأعجز الألسنة حمده ، السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه الله تعالى لوسيلة يرعاها ، وشفاعة يكرم مسعاها ، وأخلاق جميلة تجيب دعوة الطبع الكريم إذا دعاها .

معظم سلطانه الكبير ، وممجد مقامه الشهير، المتشيع لأبوته الرفيعة قولا باللسان واعتقاداً بالضمير ، المعتمد منه بعد الله على الملجأ الأحمى والولي النصير ، فلان (1) .

سلام كريم ، طيب برٌ عميم ، يخص مقامكم الأعلا ، وأبوتكم الفضلى، ورحمة الله وبركاته .

أما بعد حمدِ الله الذي جعل الخلق الحميدة دليلا على عنايته بمن حلاه حلاها ، وميز بها النفوس النفيسة التي اختصها بكرامته وتولاها ، حمداً يكون كفؤا للنعم التي أولاها وأعادها ووالاها ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد عبده ورسوله المترقي من درجات الاختصاص أرفعها وأعلاها ، الممتاز من أنوار الهداية بأوضحها وأجلاها ، مطلع آيات السعادة يروق مجتلاها ، والرضى عن آله وصحبه الذين خَبَر صدق ضمائرهم لما ابتلاها ، وعسل ذكرهم في الأفواه فما أعذب أوصافهم على الألسن وأحلاها ، والدعاء لمقام أبوتكم حرس الله تعالى علاها ، بالسعادة التي يقول الفتح أنا طلاع الثنايا وابن جلاها ، والصنائع التي تخترق المفاوز بركائبها المبشرات فتفلي فلاها ، فانا كتبنا إليكم كتب الله تعالى لكم عزة مشيدة البناء ، وحشد على أعلام صنائعكم الكرام جيوش الثناء ، وقلدكم من قلائد مكارم الأخلاق ما يشهد لذاتكم منه بسابقة الاعتناء ، من حمراء غرناطة حرسها الله ، والود باهر السنا ظاهر السناء ، والتشيع رحب الدسيعة والفناء .

1) هو السلطان محمد بن يوسف بن اسماعيل بن فرج ابن الأحمر ملك غرناطة .

وإلى هذا وصل الله سعدكم، وحرس مجدكم، فاننا خاطبنا مقامكم الكريم في شأن الشيخ الفقيه الحافظ الصالح أبي عبد الله المقْري خار الله لنا وله ، وبلغ الجميع من فضله العميم أمله ، جواباً عما صدر عن مثابتكم فيه من الاشارة الممتثلة ، والمآرب المعملة ، والقضايا غير المهملة ، نصادركم بالشفاعة التي مثلها بأبوابكم لا يُرد ، وظمئاها عن منهل قبولكم لا تجلى ولا تصد ، حسبما سنة الأب الكريم والجد ، والقبيل الذي وضح منه في المكارم الرسم والحد ، ولم نصدر الخطاب حتى ظهر لنا من أحواله صدق المخيلة ، وتبلج صبح الزهادة والفضيلة ، وجود النفس الشحيحة بالعرض الأدنى البخيلة ، وظهر تخليه عن هذه الدار ، واختلاطه باللفيف والغمار ، وإقباله على ما يعني مثله من صلة الأوراد ومداومة الاستغفار، وكنا لما تعرفنا إقامته بمالقة لهذا الغرض الذي شهره ، والفضل الذي أبرزه للعيان وأظهره ، أمرنا أن يعتنى بأحواله ، ويعان على فراغ باله ، ويجرى عليه سيب" من ديوان الأعشار الشرعية وصريح ماله ، وقلنا أما أتاك من غير مسألة مستند صحيح لاستدلاله ، ففر من مالقة على ما تعرفنا لهذا السبب ، وقعد بحضرتنا مستور المنتمى والمنتسب ، وسكن بالمدرسة بعض الأماكن المعدة لسكنى المتسمين بالخير والمحترفين ببضاعة الطلب ، بحيث لم يتعرف وروده ووصوله إلا ممن لا يؤبه بتعريفه ، ولم تتحقق زوائده وأصوله لقلة تصريفه ، ثم تلاحق أرسالكم الجلة فوجبت حينئذ الشفاعة ، وعرضت على سوق الحلم والفضل من الاستلطاف والاستعطاف البضاعة ، وقررنا ما تحققناه من أمره ، وانقباضه عن زيد الخلق وعمْره ، واستقباله الوجهة التي من ولى وجهه شطرها فقد آثر أثيراً ، ومن ابتاعها بمتاع الدنيا فقد نال فضلا كبيراً وخيراً كثيراً ، وسألنا منكم أن تبيحوه ذلك الغرض الذي رماه بعزمه ، وقصر عليه أقصى همه ، فما أخلق مقامكم أن يفوز منه طالب الدنيا بسهمه ، ويحصل منه طالب الآخرة على حظه الباقي وقسمه، ويتوسل الزاهد بزهده والعالم بعلمه ، ويُعول البريء على فضله ويثق المذنب بحمله ، فوصل الجواب الكريم بمجرد الأمان ، وهو إرب من آراب ، وفائدة من جراب ، ووجه من وجوه الاعراب ، فرأينا أن المطل بعد جفاء ، والاعادة ليس بثقلها خفاء ، ولمجدكم بما ضمنا عنه وفاء ، وبادرنا الآن إلى العزم عليه في ارتحاله ، وأن يكون الانتقال عن رضا منه من صفة حاله ، وأن يقتضى له ثمرة المقصد ، ويبلغ طية الاسعاف في الطريق إن قصد ، إذ كان الأمان لمثله

ممن تعلق بجناب الله من مثلكم حاصلا ، والدين المتين بين نفسه وبين المخافة فاصلا ، وطالب كيمياء السعادة باعانتكم واصلا ، ولما مدت اليد في تسويغ حالة هديكم عليها أبداً يحرض ، وعلمكم يصرح بمزيتها ولا يعرض ، فكملوا أبقاكم الله ما لم تسعنا فيه مشاحة الكتاب ، والحقوا بالأصل حديث هذه الاباحة فهو أصح حديث في الباب ، ووفوا غرضنا من مجدكم وخلوا بينه وبين مراده من ترك الأسباب ، وقصد غافر الذنب وقابل التوب باخلاص المتاب، والتشمير ليوم العرض وموقف الحساب ، وأظهروا عليه عناية الجناب الذي تعلق بـه أعلق الله به يدكم من جناب ، ومعاذ الله أن تعود شفاعتنا من لدنكم غير مكملة الآراب، وقد بعثنا من ينوب عنا في مشافهيتكم بها أحمد المناب، ويقتضي خلاصها بالرغبة لا بالغلاب، وهما فلان وفلان، ولولا الاعذار لكان في هذا الغرض إعمال الركاب يسبق إعلام الكتاب ، وأنتم تولون هذا القصد من مكارمكم ما يوفر الثناء الجميل ، ويربي على التأميل ، ويكتب على الود الصريح العقد وثيقة التسجيل ، وهو سبحانه يبقيكم لتأييد المجد الأثيل ، وإنالة الرفد الجزيل .

والسلام الكريم يخص مقامكم الأعلا ، ومثابتكم الفضلى ، ورحمة الله تعالى وبركاته .

في الحادي والعشرين لجمادى الآخرة من عام سبعة وخمسين وسبعمئة .

مشيخته

قال : فممن أخذت عنه واستفدت منه علماها ـ يعني تلمسان ـ الشامخان ، وعالِماها الراسخان ، عبد الرحمان ، وعيسى ابنا محمد بن عبد الله ابن الامام (1) وحافظها ومدرسها ومفتيها عمران بن موسى بن يوسف المشدالي ، صهر شيخ المتأخرين أبي علي ناصر الدين على ابنته ، ومشكاة الأنوار ، التي يضيء زيتها ولو لم تمسسه نار ، الأستاذ إبراهيم ابن حكم الكناني السلوي رحمه الله ، ومنهم القاضي محمد بن عبد الله بن عبد النور ،

1) الاحاطة 2 : 200 طبع القاهرة عام 1974 .

والشيخ محمد بن الحسن البروني ، وموسى المصمودي الشهير بالبخاري قال : سمعت البروني يقول : كان الشيخ أبو عمران يدرس البخاري ورفيق له يدرس (صحيح مسلم) ، وكانا يعرفان بالبخاري ومسلم ، فشهدا عند قاض ، فطلب المشهود عليه الاعذار فيهما ، فقال له أبو عمران : أتمكنه من الاعذار في الصحيحين: البخاري ومسلم؟ فضحك القاضي وأصلح بين الخصمين.

ثم قال : ومن شيوخي الصلحاء الذين لقيت بها ، خطيبها الشيخ سعيد بن إبراهيم بن علي الخياط أدرك إبراهيم الطيار ، ومنهم محمد بن محمد القرموني ، وكان بصيراً بتعبير الرؤيا ، ومن عجائب شأنه فيه أنه كان في سجن يوسف بن عبد الحق مع من كان فيه من أهل تلمسان أيام محاصرته لها ، فرأى أبو جمعة بن علي التلالسي الجرائحي منهم كأنه قائم على ساقية دائرة ، وجميع قواديسها تصب في نقير في وسطها، فجاء ليشرب فلما اغترف الماء إذا فيه فرث ودم ، فأرسله واغترف ، فاذا هو كذلك ثلاثاً أو أكثر ، ثم عدل عنه فرأى خصة ماء وشرب منها ثم استيقظ وهو النهار ، فأخبره فقال : إن صدقت الرؤيا فنحن عن قليل خارجون من هذا المكان ، قال : كيف ؟ قال : الساقية الزمان ، والنقير السلطان ، وأنت جرائحي تدخل يدك في جوفه فينالها الفرث والدم ، وهذا ما لا تحتاج معه إلى دليل ، فلم تكن إلا ضحوة النهار وإذا النداء عليه ، فخرج فوجد السلطان مطعوناً بخنجر ، فأدخل يده في جوفه فنالها الفرث والدم ، فخاط جراحته ، ثم خرج فرأى خصة ماء فغسل يديه وشرب ، ثم لم يلبث السلطان أن توفي ، وسرحوا من كان في سجنه .

ومن أشياخه الامام نسيج وحده محمد بن إبراهيم بن أحمد العبدري الآبلي التلمساني ، وهو رحلة الوقت في القيام على الفنون العقلية ، وإدراكه وصحة نظره ، حدث قال : قدم على مدينة فاس شيخنا محمد بن يحيى الباهلي، عرف بابن المسفر ، رسولا من صاحب بجاية ، وزاره الطلبة ، فكان فيما حدثهم أنهم كانوا على زمان ناصر الدين يستشكلون كلاماً وقع في تفسير سورة الفاتحة من كتاب فخر الدين ، ويستشكله الشيخ معهم ، وهذا نصه : ثبت في بعض العلوم العقلية أن المركب مثل البسيط في الجنس ، والبسيط مثل

المركب في الفصل ، وأن الجنس أقوى من الفصل ، فرجعوا به إلى الشيخ الآبلي فتأمله ثم قال : هذا كلام مصحَّف ، وأصله : أن المركّب قبل البسيط في الحس ، والبسيط قبل المركب في العقل ، وأن الحس أقوى ، فأخبروا ابن المسفر فلج ، فقال لهم الشيخ : التمسوا النسخ ، فوجدوا في بعضها كما قال الشيخ .

رحلته

رحل إلى بجاية مشرقاً ، فلقي بها جلة منهم : الفقيه محمد بن يحيى الباهلي ابن المسفر ، ومنهم قاضيها محمد ابن الشيخ يعقوب الزواوي فقيه ابن فقيه ، ومنهم حسن بن حسن إمام المعقولات بعد ناصر الدين ، وبتونس قاضي الجماعة وفقيهها محمد بن عبد السلام، وخضر درسه، وقاضي المناكح أبو محمد الأجمي ، وهو حافظ فقهائها في وقته ، والفقيه محمد ابن هارون شارح ابن الحاجب في الفقه والأصول ، وحج ، فلقي بمكة إمام الوقت محمد بن محمد بن عبد الرحمان التوزري المعروف بخليل ، وإمام المقام أبا العباس رضي الدين الشافعي ، وغير واحد من الزائرين والمجاورين وأهل البلد ، ثم دخل الشام فلقي بدمشق شمس الدين ابن قيم الجوزية صاحب ابن تيمية، وصدر الدين الغماري المالكي ، وأبا القاسم بن محمد اليماني الشافعي وغيرهم ، وببيت المقدس الأستاذ أبا عبد الله ابن مثبت ، والقاضي شمس الدين ابن سالم ، والفقيه أبا عبد الله بن عثمان وغيره .

تصانيفه

ألف كتاباً يشتمل على أزيد من مئة مسألة فقهية ضمنها كل أصل من الراي والمباحثة ، ودوّن في التصوف (إقامة المريد)، و (رحلة المتبتل)، وكتاب (الحقائق والرقائق) .

شعره

نقلت من ذلك قوله : هذه (لمحة العارض ، لتكملة ألفية ابن الفارض)، سلب الدهر من فرائدها مئة وسبعة وسبعين ، فاستعنت على ردها بحول الله المعين .

من فصل الاقبال :

رفضت السوي وهو الطهارة عندما ... تلفعت في مرط الهوى وهو زينتي
وجئت الحمى وهو المصلى ميمماً ... بوجهة قلبي وجهها ، وهو قبلتي
وقمت وما استفتحت إلا بذكرها ... وأحرمت إحراماً لغير تحلة
فديني، إن لاحت،ركوع،وإن دنت، ... سجود، وإن لاهت ، قيام بحسرة
على أننا في القرب والبعد واحد ... تألَّفنا بالوصل عينُ التشتت
وكم من هجير خضت ظمآن طاوياً ... إليها ، وديجور طويت برحلة
وفيها لقيت الموت أحمر ، والعدا ... بزرقه أسنان الرماح وحدة
وبيني وبين العذل فيها منازل ... تنسِّيك أيام الفجار ومؤتة
ولما اقتسمنا خطتينا ، فحامل ... فجار بلا أجر ، وحامل برة
خلا مسمعي من ذكرها فاستعدته ... فعاد ختام الأمر أصل القضية
وكم لي حكم الهوى من تجلد ... دليل ، على أن الهوى من سجيتي
يقول سميري ، والأسا سالم الأسى ... ولا توضع الأوزار إلا لمحنة :
لوْ أن مجوساً بت موقد نارها ... لما ظل إلا مَنهلا ذا شريعة
ولو كنت بحراً لم يكن فيه نضحة ... لعينٍ إذا نام الغرام استحرت
فلا ردم من نقب المعاول آمن ... ولا هدم إلا منك شيد بقوة
فمِمَّ تقول الأسطقسَّات منك أو ... علام مزاج ركبت أو طبيعة
فان قام لم يثبت له منك قاعد ... وإلا فأنت الدهر صاحب قعدة
فما أنت ياهذا الهوى ؟ ماء أو هوى ... أم النار أم دساس عرق الأمومة ؟
وإني على صبري كما أنت واصف ... وحالي َأقوى القائمين بحجة
أقل الضنى إن عج من جسميَّ الضنى ... وما شاكه معشار بعض شكيتي
وأيسر شوقي أنني ما ذكرتها ... ولم أنسها إلا احترقت بلوعتي
وأخفى الجوى قرع الصواعق منك في ... جواي، وأخفى الوجد صبر المودة
وأسهل ما ألقى من العذل أنني ... أحب أقليْ ذكرها وفضيحتي
وأوج حظوظي اليوم منها حضيضها ... بالأمس ، وسَلْ حرَّ الجفون الغزيرة
وأوجز أمري أن دهريَ كله ... كما شاءت الحسناء يوم الهزيمة
أروح ، وما يلقى التأسف راحتي ... وأغدو ، وما يعدو التفجع خطتي

وكالبيض بيض الدهر،والسمر سوده ... مساءتها في طي طيب المسرة
وشأن الهوى ما قد عرفت،ولا تسل ... وحسبك أن لم يخبر الحب رؤيتي
سقام بلا برء ، ضلال بلا هدى، ... أوام بلا ري ، دم لا بقيمة
ولا عتْبَ فالأيام ليس لها رضا ... وإن ترض منها الصبر، فهو تعنتي
ألا أيها اللوام عني قوضوا ... ركاب ملامي فهو أول محنتي
ولا تعذلوني في البكاء ولا البكى ... وخلوا سبيلي ما استطعتم ولوعتي
فما سلسلت بالدمع عيني إن جنت ... ولكن رأت ذاك الجمال فجنت
تجلى وأرجاء الرجاء حوالك ... ورشديَ غاوٍ والعمايات عمت
فلم يستبن حتى كأنيَ كاسف ... وراجعت إبصاري له وبصيرتي

ومن فصل الاتصال :

وكم موقف لى في الهوى خضت دونه ... عباب الردى بين الظبي والأسنة
فجاوزت في حدي مجاهدتي له ... مشاهدتي لما سمَت بيَ همتي
وحل جمالي في الجلال فلا أرى ... سوى سورة التنزيه في كل صورة
وغبت عن الاغيار في تيه حالتي ... فلم أنتبه حتى امتحىاسمي وكنيتي
وكاتبت ناسوتي بأمارة الهوى ... وعدت إلى اللاهوت بالمطمئنة
وعلم يقيني صار عيناً حقيقة ... ولم يبق دوني حاجب غير هيبتي
وبدلت بالتلوين تمكين عزة ... ومن كل أحوالي مقامات رفعة
وقد غبت بعد الفرق والجمع موقفي ... مع المحو والاثبات عند تثبتي
وكم جلت في سم الخياط وضاق بي ... لبسطي وقبضي بسط وجه البسيطة
وما اخترت إلا دنٌ سقراط زاهداً ... وفي ملكوت النفس أكبر عبرة
وفقري مع الصبر اصطفيت على الغنى ... مع الشكر، إذ لم يحظ فيه مثوبتي
وأكتم حبي ما كنى عنه أهله ... وأكني إذا هم صرحوا بالخبيئة
وإنيَ في جنسي ومنه لواحد ... كنوع ، ففصل النوع علة حصتي
تسببت في دعوى التوكل ذاهباً ... إلى أنّ أجدى حيلتي ترك حيلتي
وآخر حرف صار منيَ أولا ... مريداً ، وحرف في مقام العبودة
تعرفت يوم الوقف منزل قومها ... فبت بجمعٍ سدَّ خرق التشتت
فأصبحت أقضي النفس منها منى الهوى ... وأقضي على قلبي برعي الرعية

فبايعتها بالنفس داراً سكنتهـــا　　وبالقلب منه منزلا فيه حلـــت
فخلص الاستحقاق نفسي من الهوى　　وأوجب الاسترقاق تسليم شفعة
فيانفس لا ترجع تقطع بيننـــا　　وياقلب لا تجزع ظفرت بوحـــدة

ومن فصل الادلال :

تبدت لعيني من جمالك لمحـــة　　أبادت فؤادي من سناها بلفحـــة
ومرت بسمعي من حديثك ملحة ،　　تبدت لها فيك القران وقـــرت
ملامي بنْ، عذري استبن، وجدي استعن　　سماعي أعن، حالي أبنْ، قائلي اصمت
فمن شاهدي سخط، ومن قائلي رضا　　وتلوين أحوالي وتمكين رتبتـــي
مرامي إشارات ، مراعي تفكـــر ،　　مراقي نهايات ، مراسي تثبـــت
وفي موقفي ، والدار أقوت رسومها　　تقرب أشواقي ، تبعّد حسرتـــي
معاني إمارات ، مغاني تذكـــر ،　　مباني بدايات ، مثاني تلفـــت
وبث غرام ، والحبيبُ بحضرة ،　　ورد سلام ، والرقيب بغفلـــة
ومطلع بدر في قضيب على نقـــا　　فويقَ محلِ عاطل دون دجيـــة
ومكمن سحر بابليٍّ له ، بمـــا　　حوت أضلعي ، فعل القنا السمهرية
ومنبت مسك من شقيق ابن منذر　　على سوسن غض بجنة وجنـــة
ووصف اللآلي في اليواقيت كلما　　تعل بصرف الراح في كل سحرة
سل السلسبيل العذب عن طعم ريقه　　ونكهته يخبرك عن علم خبـــرة
ورمان كافور عليه طوابـــع　　من الند لم تحمل به بنت مزنـــة
ولطف هواء بين حقف وبانـــة　　ورقة ماء في قوارير فضـــة
لقد عز عنك الصبر حتى كأنـــه　　سراقة لحظ منك للمتلفـــت
وأنت وإن لم تبق مني صبابـــة　　منى النفس، لم تقصد سواك بوجهة
وكل فصيح منك يسري لمسمعـــي　　وكل مليح منك يبدو لمقلتـــي
تهوّن عليَّ النفس فيك وإنهـــا　　لتكرم أن تغشى سواك بنظـــرة
فان تنظريني بالرضى تشف علتي　　وإن تظفريني باللقا تطف غلتـــي
وإن تذكريني ، والحياة بقيدها ،　　عدلت لأمني منيتي بمنيتـــي
وإن تذكريني بعد ما أسكن الثرى　　تجلت دجاه عند ذاك وولـــت

صليني وإلا جددِ الوعد تدركـــي   صبابة نفس أيقنت بتفلـــت
فما أم بو هالك بتنوفـــة   أقيم لها خلف الحلاب فـــدرت
فلما رأته لا ينازع خلفهـــا   إذا هي لم ترسل عليه وضنّـــت
بكت كلما راحتْ عليه ،وإنهـــا   إذا ذكرته آخر الليل ، حنـــت
بأكثر مني لوعة ، غير أننـــي ،   رأيت وقار الصبر أحسن حليـــة
فرحت كما أغدو إذا ما ذكرتهـــا   أطامن أحشائي على ما أجنـــت
أهوّن ما ألقاه إلا من القلــــي   هوى،ونوى نيل الرضا منك بغيتي
أخوض الصلا، أطفي العلا والعلو لا   أصل السلا، رعى الخلا بين عبرتي
ألا قاتل الله الحمامة غـــدوة   لقد أصلت الأحشاء نيران لوعـــة
وقاتل مغناها وموقف شجوهـــا   على الغصن،ما ذا هيجتْ حين غنت
فغنتْ غناء أعجمياً ، فهيجـــت   غراميّ من ذكرى عهود تولـــت
فأرسلت الأجفان سحباً ، وأوقدت   جوايَ الذي كانت ضلوعي أكنت
نظرت بصحراء البريقين نظـــرة   وصلت بها قلبي ، فصلٌ وصلـت
فيالهما قلباً شجياً ونظـــرة   حجازية لو جن طرف لجنـــت
وواعجبا للقلب كيف اعترافـــه   وكيف بدت أسراره خلف ستـرة
وللعين لما سوئلت كيف أخبـــرت   وللنفس لما وطنت كيف دلـــت
وكنا سلكنا في صعود من الهـــوى   يسامي بأعلام العلا كل رتبـــة
إلى مستوى ما فوقه فيه مستـــوى   فلما توافينا ثبتُّ وزلـــت
وكنا عقدنا عقدة الوصل بيننـــا   على نحر قربان لدى قبر شيبـــة
مؤكدة بالنذر أيام عهـــده   فلما تواثقنا شددت وحلـــت

ومن فصل الاحتفال :

أزور اعتماراً أرضها بتنســك   وأقصد حجاً بيتها بتحلـــة
وفي نشأتي الأخرى ظهرت بما علت   له نشأتي الأولى على كل فطـــرة
ولولا خفاء الرمز من لا ولن ولـم   تجدها لشملي مسلكاً بتشتـــت
ولو لم يحدد عهدنا عقد خلـــة   قضيت، ولم يقض المنى صدق توبة
بعثت إلى قلبي بشيراً بمـــا رأت   على قدم عيناي منه فكفـــت
فلم يعد أن شام البشارة شام مـــا   جفا الشام من نور الصفات الكريمة

فيالك من نور لو أن التفاتـــة تعارض منه بالنفوس النفيســة
تحدث أنفاس الصبا أن طيبهــا بما حملته من حراقة حرقــة
وتنبيء آصال الربيع عن الربــا وأشجاره إن قد تجلت فجلـت
وتخبر أصوات البلابل أنهــا تغنت بترجيعي على كل أيكــة
فهذا جمالي منك في بعد حسرتي فكيف به إن قربتني بخلــة
تَبَدى وما زال الحجاب ولا دنا ، وغاب ولم يفقده شاهد حضرتـي
له كل غير في تجليه مظهــر ولا غير إلا ما محت كف غيــرة
تجلى دليل واحتجاب تنــزه وإثبات عرفان ومحو تثبــت
فما شئت من شيء وآليت أنــه هو الشيء لم تحمد فجار أليتـي
وفي كل خلق منه كل عجيبــة وفي كل خلق منه كل لطيفــة
وفي كل خاف منه مكمن حكمــة وفي كل باد منه مظهر جلــوة
أراه بقلب القلب واللغز كامنــاً وفي الزجر والفال الصحيح الأدلة
وفي طي أوفاق الحساب ، وسر ما يتم من الاعداد ، فابدأ بستــة
وفي نفثات السحر في العُقد التي تَطوع لها كل الطباع الأبيــة
يصور شكلا مثل شكل ، ويعتلي عليه بأوهام النفوس الخبيثــة
وفي كل تصحيف وعضو بذاته اخـ ـتلاج ، وفي التقويم مجلى لرؤية
وفي خضرة الكمون تزجي شرابــه مواعيد عرقوب على إثر صفــرة
وفي شجر قد خوفت قطع أصلهــا فبان بها حمل لأقرب مـــدة
وفي النخل في تلقيحه ، واعتبر بما أتى فيه عن خير البرية ، واسكت
وفي الطابع السبتي والأحرف التي يبيِّن منها النظم كل خفيــة
وفي صنعة الطلسم والكيمياء والـ ـكنوز وتغوير المياه المعينــة
وفي حرز أقسام المؤدب محــرز وحزب أصيل الشاذلي وبكــرة
وفي سيمياء الحاتميّ ومذهب ابـ ـن سبعين إذ يعزى إلى شر بدعة
وفي الملل الأولى ، وفي النحل الألى بها أوهموا لما تساموا بسنــة
وفي كل ما في الكون من عجب وما حوى الكون إلا ناطقاً بعجيبــة
فلا سرٌ إلا وهو فيه سريــرة ولا جهرَ إلا وهو فيه كحليــة
سل الذكر عن إنصاف أنصاف ما انبنى عليه الكلامُ من حروف سليمــة

وعن وضعها في بعضها وبلوغ مـا — أتت فيه أمضي عدها وتثبـت
فلا بد من رمز الكنوز لذي الحجا — ولا ظلم إلا ظلم صاحب حكمـة
ولولا سلام ساق للأمن خيفتـي — لعاجل مس البرد خوفي لميتتـي
ولو لم تداركني ، ولكن بعطفهـا — درجت رجائي أن نعتني خيبتـي
ولو لم تؤانسني عنا قبل لم ولـم — قضى العتب مني بغية بعد وحشتي
ونعم أقامت أمر ملكي بشكرهـا — كما هوّنت بالصبر كل بليـة

ومن فصل الاعتقال :

سرت بفؤادي إذ سرت فيه نظرتي — وسارت ولم تثن العنان بعطفـة
وذلك لما أطلع الشمس في الدجى — محيا ابنة الحيين في خير ليلـة
يمانية لو أنجدت حين أنجـدت — لما أبصرت عيناك حياً كميـت
لأصحمة في نصحها قدم بنَـى — لكل نجاشيٍّ بها حصن ذمـة
ألمت فحطت رحلها ثم لم يكـن — سوى وقفة التوديع حتى استقلت
فلو سمحت لي بالتفات وحل مـن — مهاوي الهوى والهون جد تفلتـي
ولكنها همت بنا فتذكـرت — قضاء قضاة الحسن قدماً فصـدت
أجلت خيالا إنني لا أجلـه — ولم أنتسب منه لغير تعلـة
على أنني كلي وبعضي حقيقـة — وباطل أوصافي ، وحق حقيقتـي
وجنسي وفصلي والعوارض كلها، — ونوعي وشخصي والهواء وصورتي
وجسمي ونفسي والحشا وغرامـه — وعقلي وروحانيتي القدسيـة
وفي كل لفظ عنه ميل لمسمعـي — وفي كل معنى منه معنى للوعتـي
ودهري به عيد ليوم عروبـة — وأمريَّ أمري ، والورى تحت قبضتي
ووقتي شهود في فناء شهدتـه — ولا وقت لي إلا مشاهد غيبتـي
أراه معي حساً ووهماً ، وإنـه — مناط الثريا من مدارك رؤيتـي
وأسمعه من غير نطق كأنـه — يلقن سمعي ما توسوس مهجتـي
ملأت بأنوار المحبة باطنـي — كأنك نور في سرار سريرتـي
وجليت بالاجلال أرجاء ظاهـري — كأنك في أفقي كواكب زينـة
فأنت الذي أخفيه عند تستـري — وأنت الذي أبديه في حين شهرتي
فتـهْ أحتمل، واقطع أصل، واعل أستفل — ومرْ أمتثل، واملل أمل، وارم أثبت

فقلبي إن عاتبته فيك لم أجـــــد لعتبي فيه الدهر موقع نكتـــــة
ونفسي تنبو عن سواك نفاســـة فلا تنتمي إلا إليك بمنـــــــــــة
تعلقتِ الآمال منك بفوق مـــــا أرى دونه ما لا ينال بحيلـــــــة
وحامت حواليها ، وما وافقت حمى سحائب يأس أمطرت ماء عبرتـــي
فلو فاتني منك الرضا ، ولحقتنـــي بعفو ، بكيت الدهر فوت فضيلـة
ولو كنت في أهل اليمين منعمـاً بكيت على ما كان من أسبقيـــــة
وكم من مقام قمت عنك مسائـــلا أرى كل حي ، كل حي وميـــــت
أتيت بفاراب أبا نصرها فلـــــم أجد عنده علماً يبرد غلتـــــــي
ولم يدر ما قولي ابن سيناء سائلا فقل كيف أرجو عنده برء علتـــي
فهل في ابن رشد بعد هذين مرتجى وفي ابن طفيل لاحتثاث مطيتــــي
لقد ضاع لو لا أن تداركني حمـى من الله سعي بينهم طول مدتـــــي
فقيض لي نهجاً إلى الحق سالكـاً وأيقظني من نوم جهلي وغفلتــــي
فحصنت أنظار الجنيد جنيدهــــا بتركٍ ، فلي من رغبة ريح رهبـــة
وكسرت عن رجل ابن أدهم أدهما وأنقذته من أسر حب الأســــــرة
وعدت على حلاج سكري بصلبـــه وألقيت بلعام التفاتي بهـــــــوة
فقوليَ مشكور ورأيي ناجـــــح وفعلي محمود بكل محلـــــــــة
رضيت بعرفاني فأعليت للعـــــلا وأجلسني بعد الرضى فيه جلتـي
فعشت ، ولا ضيراً أخاف ولا قـلا وصرت حبيباً في ديار أحبتــــي
فها أنا ذا أمسي وأصبح بينهـــم مبلغ نفسي منهم ما تمنـــــــت

وأنشدني قوله في حال قبض ، وقيدتها عنه :

إليك بسطت الكفَّ أستنزل الفضلا ومنك قبضت الطرف أستشعر الذلا
وها أنا ذا قد قمت، يقدمني الرجا، ويحجم بي الخوف الذي خامر العقلا
أقدم رجلا إن يضيء برقُ مطمع وتظلم أرجائي فلا أنقل الرجـــلا
ولي عثرات لست آمل إن هـــوت بنفسيَ أن لا أستقيل وأن أصلي
فان تدركني رحمة أنتعش بهـــا وإن تكن الأخرى فأولى بي الأولى

قال : ومما نظمته من الشعر :

وجد تسعَّره الضلـــــــــــو ع وما تبرِّده المدامـــــــــــع
همٌّ تحركه الصبـــــــــــا بـة والمهابة لا تطــــــــاوع

أمل إذا وصل الرجـــــــا   أسبابه فالموت قاطـــــع
بالله ياهذا الهـــــــوى   ما أنت بالعشاق صانـــــع

قال : ومما كتبت به لمن بلغني عنه بعض الشيء :

نحن ، إن تسأل بناس معشـــر ،   أهل ماء فجرته الهمــــــم
عرب من بيضهم أرزاقهـــم   ومن السمر الطوال الخيـــم
عرضت أحسابهم أرواحهـــم   دون نيل العرض وهي الكـــرم
أورثونا المجد حتى إننـــا   نرتضي الموت ولا نزدحـــم
ما لنا في الناس من ذنب ســوى   أننا نلوي إذا ما اقتحمـــوا

قال : ومما قلته من الشعر مذيلا قول القاضي أبي بكر ابن العربي :

أما والمسجد الأقصـــى   وما يتلى به نصـــا
لقد رقصت بنات الشـــو   ق بين جوانحي رقصـــا

قـــولـــي :

فاقلع بي إليه هـــوى   جناحا عزمه قصـــا
أقل القلب واستعـــدى   على الجثمان فاستعصـــى
فقمت أجول بينهمـــا   فلا أ'دني ولا أ'قصـــى

قال : ومما قلته في التورية بشأن راوي المدونة :

لا تعجبنَّ لظبي قد دها أســـدا   فقد دها أسداً من قبل سحنـــون

قال : ومما قلته من الشعر :

أنبت عودا بنعماء بدأت بهـــا   فضلا وألبستها بعد اللحى الورقـا
فظل مستشعراً مستدثراً أرجـــا   ريان ذا بهجة يستوقف الحدقـــا
فلا تشنه بمكروه الجنى فلكـــم   عودته من جميل من لدن خلقـــا
وانفِ القذى عنه واثر الدهر منبته   وغذه برجاء واسقه غدقـــا
واحفظه من حادثات الدهر أجمعها   ما جاء منها على ضوء وما طرقـــا

ومما قيدت عنه أيام مجالسته ومقامه بغرناطة ، أنه شهد مجلسا بين يدي السلطان أبي تاشفين عبد الرحمان بن أبي حمو ، ذكر فيه عبد الرحمان ابن الامام أن ابن القاسم مقلد مقيد بالنظر بأصول مالك ، ونازعه عمران بن موسى المشدالي ، وادعى أنه مطلق الاجتهاد ، واحتج له بمخالفته لبعض ما يرويه أو يبلغه عنه لما ليس من قوله ، وأتى من ذلك بنظائر كثيرة ، قال : فلو تقيد بمذهبه لم يخالفه لغيره ، فاستظهر عبد الرحمان بنص لشرف الدين التلمساني مثل فيه الاجتهاد المخصوص باجتهاد ابن القاسم بالنظر إلى مذهب مالك والمزني إلى الشافعي ، فقال عمران : هذا مثال ، والمثال لا تلزم صحته، فصاح به عبد الرحمان ابن الامام وقال لأبي عبد الله بن عمرو : تكلم ، فقال : لا أعرف ما قال هذا الفقيه ، والذي أذكره من كلام أهل العلم أنه لا يلزم من فساد المثال فساد الممثل به ، فقال عمران للسلطان : هذا كلام أصولي محقق، فقلت لهما يومئذ ، وأنا حديث السن ، ما أنصفتما الرجل ، فان المثل كما تؤخذ على جهة التحقيق تؤخذ على جهة التقريب ، ومن ثَمَّ جاء ما قاله هذا الشيخ ، أعني ابن أبي عمرو ، وكيف لا وهذا سيبويه يقول : وهذا مثال ولا يتكلم به ، فاذا صح أن المثال قد يكون تقريباً فلا يلزم صحة المثال ولا فساد الممثل لفساده ، فهذان القولان من أصل واحد .

وقال : شهدت مجلساً آخر عند السلطان قرأ فيه على عبد الرحمان ابن الامام حديث : « لقنوا موتاكم لا إلاه إلا الله » من صحيح مسلم ، فقال له الأستاذ ابراهيم ابن حكم السلوي : هذا الملقن محتضر حقيقة ميت مجازاً ، فما وجه ترك محتضريكم إلى موتاكم ، والأصل الحقيقة ، فأجابه عبد الرحمان بجواب لم يقنعْه ، وكنت قد قرأت على الأستاذ بعض (التنقيح) ، فقلت : زعم القرافي أن المشتق إنما يكون حقيقة في الحال مجازاً في الاستقبال مختلفاً فيه في الماضي إذا كان محكوماً به ، أما إذا كان متعلق الحكم ، كما هنا ، فهو حقيقة مطلقاً إجماعاً ، وعلى هذا التقدير لا مجاز ولا سؤال ، ولا يقال إنه احتج على ذلك بما فيه نظر ، لأنا نقول : إنه نقل الاجماع وهو أحد الأربعة التي لا يطالب مدعيها بالدليل ، كما ذكر أيضاً ، بل نقول إنه أساء حيث احتج في موضع الوفاق ، كما أساء اللخمي وغيره في الاحتجاج على وجوب الطهارة

ونحوها ، بل هذا أشنع ، لكونه مما علم من الدين بالضرورة ، ثم إنَّا لو سلمنا نفي الاجماع فلنا أن نقول إن ذلك إشارة إلى ظهور العلامات التي يعقبها الموت عادة ، لأن تلقينه قبل ذلك إن لم يدهش قد يوحش ، فهو تنبيه على وقت التلقين ، أي لقنوا من تحكمون بأنه ميت ، أو يقال إنما عدل عن الاحتضار لما فيه من الابهام ، ألا ترى اختلافهم فيه ؟ هل أخذ من حضور الملائكة أو حضور الأجل أو حضور الجلاس ؟ ولا شك أن هذه حالة خفية يحتاج في نصبها دليلا على الحكم إلى وصف ظاهر يضبطها ، وهو ما ذكرناه ، أو من حضور الموت ، وهو أيضاً مما لا يعرف بنفسه بل بالعلامات ، فلما وجب اعتبارها وجب كون تلك التسمية إشارة إليها ، والله تعالى أعلم .

قال : وكان عبد الرحمان ابن الامام يقول فيما جاء من الأحاديث من معنى قول ابن أبي زيد : وإذا سلم الامام فلا يثبت بعد سلامه ولينصرف ، إن ذلك بعد أن ينتظر بقدر ما يسلم من خلفه لئلا يمر بين يدي أحد ، وقد ارتفع عنه حكمه فيكون كالداخل مع المسبوق جمعاً بين الأدلة ، قلت : وهذا من مُلح الفقيه .

وكان عبد الرحمان ابن الامام ، يصحف قول الخونجي في (الجمل): والمقارنات التي يمكن اجتماعه معها فيقول : والمفارقات ، ولعله في هذا كما قال أبو عمْرو ابن العلاء للأصمعي لما قرأ عليه :

وغررتَني وزعمتَ أنـــك لابنٌ في الصيف تامـــر

فقـال :

وغررتَني وزعمت أنـــك لا تني بالضيف تأمـــر

فقال: أنت في تصحيفك أشعر من الحطيئة،أو كما حكى عمن صلى بالخليفة في رمضان، ولم يكن يومئذ يحفظ القرآن ، فكان ينظر في المصحف، فصحف آيات (صنعة الله أصيب بها من أساء) ، (إنما المشركون نحس) ، (وعدها أباه) ، (تقية الله خير لكم) . (هذا إن دعوا للرحمان ولداً) . (لكل امرىء منهم يومئذ شأن يعنيه) .

وقال : ذكر عبد الرحمان ابن الامام في مجلسه يوماً أنه سئل بالمشرق عن هاتين الشرطيتين (ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ، ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون) ، فانهما يستلزمان بحكم الانتاج (ولو علم الله فيهم خيراً لتولوا) وهو محال ، ثم أراد أن يرى ما عند الحاضرين ، فقال ابن حكم : قال الخونجي : والاهمال باطلاق لفظ لو وإن في المتصلة ، فهاتان القضيتان على هذا مهملتان ، والمهملة في قوة الجزءية ، ولا قياس عن جزئيتين ، فلما اجتمعت ببجاية بأبي علي حسين بن حسين وأخبرته بهذا وبما أجاب به الزمخشري وغيره مما يرجع إلى انتفاء تكرر الوسط قال لي : الجوابان في المعنى سواء ، لأن القياس على الجزئيتين إنما امتنع لانتفاء أمر تكرر الوسط ، فأخبرت بذلك شيخنا محمد الآبلي فقال : إنما يقوم القياس على الوسط ، ثم يشترط فيه بعد ذلك أن لا يكون من جزئيتين ولا سالبتين إلى سائر ما يشترط ، فقلت : ما المانع من كون هذه الشروط تفصيلا لمجمل ما ينبني عليه الوسط ، وإلا فلا مانع غير ما قاله ابن حسين ، قال الآبلي : وقد أجبت بجواب السلوي ، ثم رجعت إلى ما قاله الناس لو جوب كون مهملات القرآن كلية لأن الشرطية لا تنتج جزئية ، فقلت : هذا مما يساق منها للحجة مثل (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) ، أما في مثل هذا فلا ، قلت : وكان يلزم السؤال الأول لو لم يكن للمتولي سبب تأخر حسبما تبين في مسألة لو لم يطع الله ، فلينظر ذلك في اسم شيخنا أبي بكر يحيى ابن هذيل .

قال : ولما ورد تلمسان الشيخ الأديب علي ابن فرحون نزيل طيبة على تربتها السلام ، سأل ابن حكم عن معنى هذين البيتين :

رأت قمر السماء فاذكرتني ... ليالي وصلها بالرقمتين
كلانا ناظر قمراً ولكن ... رأيتُ بعينها ورأتْ بعيني

ففكر ثم قال : لعل هذا الرجل كان ينظر إليها وهي تنظر إلى قمر السماء ، فهي تنظر إلى القمر حقيقة وهو لافراط الاستحسان يرى أنها الحقيقة، فقد راى بعينها لأنها ناظرة الحقيقة ، وأيضاً فهو ينظر إلى قمر مجازاً ، وهو لافراط الاستحسان يرى أن قمر السماء هو المجاز ، فقد رأت بعينه لأنها

ناظرة المجاز ، قلت : ومن هاهنا نعلم وجه الفاء في قوله تعالى (فاذكروني أذكركم) وفاء : « فأذكرتني » ، لأنه لما صارت رؤيتها رؤيته ، وصار القمر حقيقة إياها ، كان قوله : « رأت قمر السماء فأذكرتني » بمثابة قولك أذكرتني، فتأمله فان بعض مَن لا يفهم كلام الأستاذ كل الفهم ينشده : وأذكرتني ، فالفاء في البيت الأول مبنية على معنى البيت الثاني وهذا النحو يسمى الايذان في علم البيان .

وقال : سألني ابن حكم المذكور عن نسب هذا المجيب في هذا البيت :

ومهفهف الأعطاف قلت له انتسب   فأجاب ما قتل المحب حـــــرام

ففكرت ثم قلت : أراه تميمياً لالغائه مـا النافية ، فاستحسنه مني لصغر سني يومئذ .

وسأل ابن فرحون ابن حكم يوماً : هل تجد في التنزيل ست فاءات مرتبة ترتيبها في هذا البيت ؟ :

رأى فحبَّ فرام الوصل فامتنعت   فسام صبراً فأعيا نيله فقضى (1)

ففكر ثم قال : نعم ، قوله عز وجل « فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون » إلى آخرها ، فمنعت له البناء في « فتنادوا » ، فقال لابن فرحون : هل عندك غيره ؟ قال : نعم ، قوله عز وجل « فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها » إلى آخر السورة ، فمنع له بناء الآخرة لقراءة الواو ، فقلت له : امنع ولا تسند، فيقال لك إن المعاني قد تختلف باختلاف الحروف ، وإن كان السند لا يسمع الكلام عليه ، وأكثر ما وجدت الفاء تنتهي في كلامهم إلى هذا العدد سواء بهذا الشرط وبدونه كقول نوح عليه السلام : « فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم » ، وكقول امرؤ القيس :

« غشيت ديار الحي بالبكرات » البيتين ، لا يقال قوله فالحب سابع، لأنا نقول : إنه عطف على عاقل المجرد منها ، ولعل حكمة الستة كونها أول الأعداد التامة كما قيل في حكمة خلق السموات والأرض ، وشـأن اللسـان عجيـب .

---

1) هذا البيت لابن العفيف التلمساني (مؤلف) .

وقال : سمعت ابن حكم يقول : بعث بعض أدباء فاس إلى صاحب له :

إبعث إلي بشـــــــــيء مدارُ فاس عليـــــــــه
وليس عندك شـــــــــيء مما أشيرُ إليـــــــــه

فبعث إليه ببطة من مري يشير بذلك إلى الرياء .

وحدثت أن قاضيها عبد الله بن أحمد ابن الملجوم دعي لوليمة وكــان كثير البلغم ، فوضع بين يديه صهره أحمد ابن الأشقر غضاراً (1) من اللون المطبوخ بالمري لمناسبته لمزاجه ، فخاف أن يكون عرض له بالرياء ، وكان ابن الأشقر يــذكر بالوقوع في النــاس ، فناوله القاضي غضار المقــروض ، فاستحسن الحاضرون فطنته .

وقال عند ذكر شيخه عبد الله بن عبد الواحد المجاصي : دخلت عليه بالفقيه محمد السطي في أيام عيد فقدم لنا طعاماً ، فقلت : لو أكلت معنا ، فرجونا بذلك ما يرفع من حديث « من أكل مع مغفور له غُفر له » ، فتبسم وقال لي: دخلت على سيدي أبي عبد الله الفاسي بالأسكندرية، فقدم لنا طعاماً، فسألته عن هذا الحديث فقال : وقع في نفسي منه شيء ، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فسألته عنه فقال لي ، لم أقله ، وأرجو أن يكون ذلك، وصافحته بمصافحته الشيخ أبا عبد الله زيــان بمصافحته عثمان ابــن عطية الصعيدي ، بمصافحته أحمد الملثم ، بمصافحته المعمر ، بمصافحته رسول الله عليه السلام .

وحدث عن شيخه أبي محمد الدلاصي أنه كان للملك العادل مملوك اسمه محمد ، فكــان يخصه لدينه وعقلــه بالنداء باسمه ، وإنما كــان ينعق بمماليكه : ياساقي ، ياطباخ ، يامزين ، فناداه ذات يوم يافراش ، فظن أن ذلك لموجدة عليه ، فلم ير أثر ذلك ، وتصورت له به خلوة فسأله عن مخالفته لعادته فقال له : لا عليك ، كنت يومئذ جُنُباً فكرهت أن أذكر اسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم على تلك الحالة .

---

1) **الغضار** ، والمغاربة يقلبون الضاد طاء فيقولون **الغطار** : الطين المطبوخ لغة ، والصحن يؤكل فيه اصطلاحاً ، والكلمة قاموسية .

وقال أنشدني المجاصي قال : أنشدني الامام نجم الدين الواسطي قال : أنشدني شرف الدين الدمياطي قال : أنشدني تاج الدين الآمدي مؤلف (الحاصل) قال : أنشدني الامام فخر الدين لنفسه :

نهاية إقدام العقول عقـــال — وأكثر سعي العالمين ضـــلال
وأرواحنا في وحشة من جسومنـا — وحاصل دنيانا أذى ووبـــال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنـا — سوى أنْ جمعنا فيه قال وقالـوا
وكم من رجال قد رأينا ، ودولـة — فبادوا جميعاً مسرعين وزالـوا
وكم من جبال قد علت شرفاتهـا — رجال فماتوا والجبال جبـال

وقد مر ذكر الشريف القاضي حسن بن يوسف بن يحيى الحسيني في عدد شيوخه .

قال : حدثني القاضي أحمد الرندي قال : لما قدم القاضي أحمد ابن الغماز من بلنسية نزل بجاية ، فجلس بها في الشهود مع عبد الحق ابن ربيع ، فجاء عبد الحق يوماً وعليه برنس أبيض ، وقد حسنت شارته وكملت هيأته ، فلما نظر إليه ابن الغماز أنشده :

لبس البرنس الفقيه فباهـى — ورأى أنه المليح فتاهـا
لو زليخا رأته حين تبـدى — لتمنّته أن يكون فتاهـا

وقال أيضاً : إن ابن الغماز جلس لارتقاب الهلال بجامع الزيتونة ، فنزل الشهود من المئذنة وأخبروا أنهم لم يهلوه ، وجاء حفيد له صغير فأخبر أنه أهله ، فردهم معه فأراهم إياه ، فقال : ما أشبه الليلة بالبارحة ، وقع لنا مثل هذا مع أبي الربيع ابن سالم ، فأنشدنا فيه :

تواري هلال الأفق عن أعين الورى — وأرخى حجاب الغيم دون محيـاه
فلما تصدى لارتقاب شقيقـه — تبدى له دون الأنام فحيـاه

وجرى في ذكر مجلس محمد ابن النجار الشيخ التعاليمي أني ذكرت يوماً قول ابن الحاجب فيما يحرم من النساء بالقرابة ، وهي أصول وفصول ،

وفصول أول فصوله ، وأول فصل من كل أصل وإن علا ، فقال : إن تركب لفظ التسمية العرفية من الطرفين حلت وإلا حرمت ، فتأملته فوجدته كما قال : لأن أقسام هذا الضابط أربعة : التركب من الطرفين كابن العم وابنة العم ، مقابله كالأب والبنت ، التركب من قبل الرجل كابنة الأخ والعم ، مقابله كابن الأخت والخالـة .

وذكر الشيخ الرئيس عبـد المهيمن بـن محمد الحضرمي وقـال : كان ينكر إضافة الحول إلى الله عز وجل ، فلا يجيز أن يقال بحول الله وقوته، قال : لانه لم يرد إطلاقـه والمعنى يقتضي امتناعه ، لأن الحـول كالحيلة أو قريب منها .

وحكى عن شيخه عبد الرحمان الصنهاجي، عن القاضي عبد الرحمان بن علي الدكالي ، أنه اختصم عنده رجلان في شاة، ادعى أحدهما أنه أودعها الآخر ، وادعى الآخر أنها ضاعت منه، فأوجب اليمين على المودع أنها ضاعت من غير تضييع، فقال : كيف أضيع وقد شغلتني حراستها عـن الصلاة حتى خرج وقتهـا ؟ فحكم عليه بالغرم ، فقيل له في ذلك : فقال : تأولت قول عمر رضي الله عنه : « ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع » .

وحكي عن الشيخ الفقيه رحلة الوقت أبي عبد الله الآبلي حكاية في قوة الادراك قال : كنت يوماً مع القاسم بن محمد الصنهاجي ، فوردت عليـه طومارة من قبل القاضي أبي الحجاج الطرطوشي فيها :

خيرات ما تحويه مبذولـــــة ومطلبي تصحيف مقلوبهـــا

فقال لي : ما مطلبه ؟ فقلت : نارنج .

ودخل عليه وأنا عنده بتلمسان ، الشيخ أبو عبد الله الدباغ المالقي المتطبب ، فأخبرنا أن أديبا استجـدى وزيراً بهذا الشطر (ثـم حبيب قلما ينصف) فأخذته فكتبته ، ثم قلبتـه وصحفته فاذا هو (قصبتا ملف شحمى) .

وقال : قال شيخنا الآبلي : لما نزلت تازة بت مع أبي الحسن ابن بري وأبي عبد الله الترجالي ، فاحتجت إلى النوم ، وكرهت قطعهما عن الكلام ، فاستكشفت منهما عن معنى هذا البيت للمعري :

أقول لعبد الله لما سقاؤنـــــا ونحن بوادي عبد شمس وهى شم

فجعلا يفكران فيه ، فنمت حتى أصبحنا ولم يجداه ، فسألاني عنه فقلت معناه : أقول لعبد الله لما وهى سقاؤنا ونحن بوادي عبد شمس شِمْ لنا برقاً ، قلت : وفي جواز مثل هذا نظر ، وإن استقصينا مثل هذا خرجنا عن الغرض .

مولده

نقلت من خطه : كان مولدي بتلمسان أيام أبي حمو موسى بن عثمان ابن يغمر اسن بن زيان ، وقد وقفت على تاريخ ذلك ، ورأيت الصفح عنه ، لأن أبا الحسن بن موسى سأل أبا الطاهر السلفي عن سنه فقال : أقبل على شأنك فاني سألت أبا الفتح بن زيان بن مسعدة عن سنه فقال أقبل على شأنك، فاني سألت محمد بن علي بن محمد اللبان عن سنه فقال : أقبل على شأنك ، فاني سألت حمزة بن يوسف السهمي عن سنه فقال : أقبل على شأنك ، فاني سألت أبا بكر محمد بن علي النفزي عن سنه فقال أقبل على شأنك ، فاني سألت أبا إسماعيل الترمذي عن سنه فقال أقبل على شأنك ، فاني سألت الشافعي عن سنه فقال أقبل على شأنك ، فاني سألت مالك بن أنس عن سنه فقال : أقبل على شأنك ، ليس من المروءة للرجل أن يخبر بسنه ! أنتهى .

وفاته

توفي بمدينة فاس في أخريات محرم من عام تسعة وخمسين وسبعمئة، وأراه توفي في ذي الحجة من العام قبله ، ونقل إلى تربة سلفه بمدينة تلمسان حرسها الله (1) انتهى .

---

1) كان قبره بدكانة بباب داره التى صارت دار القائد حمادى الصقال بدرب السلسلة من تلمسان وبقى معروفاً الى أن طمس فى السنين الأخيرة .

ووقفت من تآليفه على (عمــل من طب لمن حب) ، وهــي الكليات الفقهية ، وهو في نحو كراريس ستة من القالب الرباعي ، وعلى كتاب (الحقائق والرقائق) في نحو كراس واحد ، وقد شرح الشيخ زروق هذا الكتاب ، ومن تآليفه رحلته (نظم اللآلي ، في سلوك الأمالي) ، نقل عنها حفيده أحمد المقْري في (أزهار الرياض) .

وممن ذكره وأثنى عليه الامام الشاطبي أبو إسحاق في كتابه (الافادات والانشادات) ، وحدث عنه بسند التلقيم (1) وغيره ، وترجم له حفيده المقْري في (نفح الطيب) عــن الونشريسي ، و (نيل الابتهاج) ، وأنه ألف فيــه ابن مرزوق الحفيد (النور البدري ، في التعريف بالفقيه المقْري) ، وأحــد علماء مدينة فاس : (الزهر الباسم) ، ألفه باسمه وأطال في مدحه ، وأن من تلاميذه محمد ابن الخطيب،وابن زمرك،والقيجاطي،والشيخ الفقيه القاضي الرحال الحاج محمد بن سعيد بن عثمان بن سعيد الصنهاجي الزموري الدار المعروف بنقشابو ، وابن خلدون ، والشاطبي ، وأبو محمد ابن جزي ، وابن علاق ، وابن عباد ، وممن ترجمه ابن القاضي في (الجذوة) قائلا في وفاته ما نصه : وتوفي بمدينة فاس في أخريات محرم عام تسعة وأربعين ، وقيل وخمسين وسبعمئة، وبقي سنة بفاس ، ثم نقل من قبره إلى تلمسان ودفن بعرصته داخل تلمسان من أجياد (2) انتهى . والصواب ما تقدم عن ابن الخطيب ، وممن ترجمه صاحب (طبقات المالكية) .

---

1) الفــادة : لقمنى الشيخ الفقيه القاضى محمد المقرى رحمه الله لقمة بيده المباركة ، وقال لقمنى الشيخ محمد المسفر ، وقال لقمنى أبو زكرياء المحياوى ، وقال لقمنى أبو محمد صالح ، قال لقمنى الشيخ أبو مدين ، قال لقمنى على ابن حرازم ، قال لقمنى ابن العربى ، قال لقمنــى الغزالى ، قال لقمنى أبو المعالى ، قال لقمنى أبو طالب المكى ، قال لقمنى أبو محمد الجريرى ، قال لقمنى الجنيد ، قال لقمنى سرى السقطى ، قال لقمنى معروف الكرخى ، قال لقمنى داوود الطائى ، قال لقمنى حبيب العجمى ، قال لقمنى الحسن البصرى ، قال لقمنى على بن أبى طالب ، قال لقمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قلت وبهذا السند صافحته رضى الله تعالى عنه ، انتهى . (مؤلف) .

2) يعرف هذا الباب اليوم بباب الجياد .

606) **محمد بن يحياتن العسري** ، خديم أبي سعيد المريني وخاصته ووصيفه أبو معرف الوزير الأشهر الشهم ، كان هذا الرجل شهماً مقداماً ، ذا غلظة وفظاظة وانطلاق يد وقساوة ، فكان أبو الحسن المريني يستعمله في الأمور التي يفتقر فيها إلى هذه الصفات ، ثم استعمله في الولاية والقيادة ، فلما ظهرت عاديته وبان منه الجور والظلم أخره عن خطته ، وعزله عن عمله ، وألزمه الوقوف ببابه للخدمة بين يديه ، ثم أجرى عليه لقب الوزارة ، وخططه بها في مكاتباته ومخاطباته ، وذلك حين تخلص عن خدعة العرب ومكيدة أولاد أبي الليل لما هموا بانتزاع الأمير عمر من يده على ما هو معروف ، فتقلد الوزارة ، وولي الخطة ، واستمرت حياته إلى أن توفي في ولاية أبي عنان على حالة فاقة وشدة ، عادت عليه ظلاماته فأورثته الذلة والفقر ، نعوذ بالله من سوء الخاتمة ، وكان أشد الناس كرماً ، كان يقال فيه النهّاب الوهّاب ، فياليته لم يهب ولم ينهب (ما قام خيرك يازمان بشره) .

ذكره ابن مرزوق في (المسند الصحيح الحسن) ، ووفاة أبي عنان كانت سنة 759 كما تقدم في ترجمته في حرف الهمزة (1) ، وكانت مدة خلافته عشر سنين غير ثلاثة أشهر ، فلهذا أخرنا ذكر المترجم إلى آخر سنة خلافته .

607) **محمد بن العباس ابن تحضريت** ، ابن عم الوزير عسكر، الوزير، تقدم وزيراً ، واستمرت وزارته إلى أن توفي مولاه أبو الحسن المريني رضي الله عنه ، وكان هذا الرجل قد حمدت في الجزيرة سيرته ، وشكرت طريقته ، فقدمه مولاه لوزارته فلم يقم بأعبائها ، ولا نهض بوظائفها ، وكان ذلك بين يدي سفرنا لتونس ، وتخلف هو حتى وردها مع أحد أولاد مولانا ، وهو أبو عامر الأصغر عبد الله ، وكان رجلا ساذجاً جواداً سرياً ، استمرت حياته إلى أن توفي في خلافة المولى أبي سالم فيما أظنه والله أعلم .

ذكره ابن مرزوق في (المسند الصحيح الحسن) ، وخلافة أبي سالم كانت في سنة ستين وسبعمئة ، وتوفي سنة 762 كما تقدم في ترجمته (2) . فلهذا ذكرنا المترجم قبل سنة 761 ، وستأتي ترجمة عسكر .

---

1) انظر 1 : 344 ع 97 من هذا الكتاب .

2) انظر ابراهيم بن أبى الحسن المرينى 1 : 176 ع 20 من هذا الكتاب .

608) محمد بن علي السقرة الفربلياني

محمد بن علي بن عبد الله الفربلياني الملقب السقرة ، قال ابن الخطيب ، كان ساذجاً عارفاً بالطب ، عارفاً بالاعشاب ، تصدر مدة للعلاج ، وكان رديء الخط ، وله تصنيف في النبات ، وسكن مراكش مدة ، ثم رجع إلى غرناطة فمات بها إثر وصوله إليها سنة ٧٦١ .

نقله عن ابن الخطيب في (الدرر الكامنة) (١) .

609) محمد بن إبراهيم الصفار المراكشي ، قال ابن خلدون ما نصه : وعكفت على النظر والقراءة ولقاء المشيخة من أهل المغرب ومن أهل الأندلس الوافدين في غرض السفارة ، وحصلت في الافادة منهم على البغية ، وكان في جملته – يعني في مجلس أبي عنان المريني العلمي – يومئذ – يعني سنة خمس وخمسين وسبعمئة – الأستاذ محمد ابن الصفار من أهل مراكش، إمام القراءات لوقته، أخذ عن مشيخة المغرب، وكبيرهم شيخ المحدثين الرحالة محمد ابن رشيد الفهري سند أهل المغرب ، وكان يعارض السلطان القرآن برواياته السبع إلى أن توفي . انتهى (٢) .

وقال في (النيل) و (التكملة) نقلا عن غير ابن خلدون ما نصه : ألف تأليفاً في القراءات ، أحضره أبو عنان أخيراً عنده فكان يعارضه القرآن ، وهو الذي غسله ودفنه لما مات ، وتوفي بعده سنة إحدى وستين ، وروى عنه الوادي آشي ، وذكره في فهرسته ، وقال ابن قنفذ في شرح قصيدة غرامي صحيح ما نصه : وفي هذه السنة ، يعني المتقدمة ، توفي الشيخ الشهير الأستاذ البليغ في القراءات محمد ابن الصفار المراكشي بمدينة فاس انتهى .

وذكر في (لقط الفرائد) أنه توفي سنة اثنين وستين .

---

١) الدرر الكامنة ٤ : ٨٨١ ع ٤٠٦٩ .

٢) التعريف بابن خلدون ص ٥٩ و ٣١٠ .

610) محمد (أبو زيان) بن يعقوب المريني

محمد أبو زيان المتوكل على الله ، ابن أبي عبد الرحمان يعقوب ، ابن أبي الحسن المريني ، ذكر ابن السكاك في كتاب (نصح ملوك الاسلام) الأوسط أن الأمير تاشفين المريني لما بويع بفاس الجديد امتنع من بيعته ابن أخيه بمراكش المترجم مع الشريف السيد عبد الرحمان ابن الامام العالم القاضي بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمان ابن سعيد انتهى ، ثم إن الوزير عمر بن عبد الله راجع بصيرته في تقديم المعتوه للأمر تاشفين المذكور ، وعلم أن الأمر لا يستقيم له بذلك ، فبادر باستقدام المترجم ، فقدم وخلع الوزير المذكور سلطانه الموسوس تاشفين يوم الاثنين الحادي والعشرين من صفر سنة ثلاث وستين وسبعمئة ، فكان هذا السلطان المترجم محجوباً للوزير المذكور ، أمه أم ولد اسمها فضة ، صفته آدم اللون شديد الأدمة ، معتدل القامة ، منفرج الأنف دقيق العينين .

قال ابن الخطيب في (الاحاطة) :

حاله

فاضل ، سكون منقاد ، مشتغل بخاصة نفسه ، قليل الكلام ، حسن الشكل ، درب بركض الخيل ، مفوض للوزراء ، عظيم التأتي لأغراضهم ، وكان قبل ولايته عند الطاغية بالأندلس ، فرّ إليه خوفاً على نفسه ، ولما التبست الأمور على عمر بن عبد الله طلبه إلى الطاغية فسمح به بعد اشتراط واشتطاط ، وفصل من إشبيلية في المحرم فاتح سنة ثلاث وستين وسبعمئة ، ونزل بسبتة ، وبها سعيد بن عثمان من قرابة الوزير عمر بن عبد الله ، أرصده لقدومه فطير إليه بالخبر ، فحينئذ خلع عمر تاشفين الموسوس ، وبعث إلى السلطان أبي زيان بالبيعة والآلة والفساطيط ، ثم جهز عسكراً للقائه فتلقوه بطنجة ، وأغذ السير إلى الحضرة ، فنزل منتصف صفر بكدية العرائس ، واضطرب بعسكره بها ، وتلقاه يومئذ

الوزير عمر بن عبد الله اليابانى ، وبايعه ، وأخرج فسطاطه فاضطرب به بمعسكره، وتلوم السلطان أبو زيان هنالك ثلاثاً ، ثم دخل في اليوم الرابع إلى قصره واقتعد أريكته وتودع ملكه .

وقال ابن الخطيب في (الاحاطة) ، كان دخوله داره مغرب ليلة الجمعة بطالع الثامن من السرطان ، وبه السعد الأعظم كوكب المشترى من السيارة السبعة انتهى .

ولما تم له الأمر خاطبه ابن الخطيب من سلا مهنئاً له بقوله :

ياابن الخلائف ياسميَّ محمـــد ... يامن علاه ليس يحصرُ حاصـــر
أبشر فأنت مجدد الملك الـــذي ... لولاك أصبح وهو رسم داثـــر
من ذا يعاند منك وارثه الـــذي ... بسعوده فلك المشيئة دائـــر
ألقت إليك يد الخلافة أمرهـــا ... إذ كنت أنت لها الولي الناصـــر
هذا وبينك للصريخ وبينهـــا ... حرب مضرسة وبحر زاخـــر
من كان هذا الصنع أول أمـــره ... حسنت له العقبى وعز الآخـــر
مولاي عندي في علاك محبـــة ... والله يعلم ما تكن ضمائـــر
قلبي يحدثني بأنك جابـــر ... كسرى ، وحظي منك حظ وافـــر
بشرى جدودك قد حططت حقيبتـي ... فوسيلتي لعلاك نور باهـــر
وبذلت وسعي واجتهادي مثل مـا ... يلقى لملكك سيف أمرك عامـــر
فهو الولي لك الذي اقتحم الـردى ... وقضى العزيمة وهو سيف باتـر
وولي جدك في الشدائد عندمـا ... خذلت علاه قبائل وعشائـــر
فاستهد منه النصح واعلمْ أنـــه ... في كل معضلة طبيب ماهـــر
إن كنت قد عجلتُ بعض مدائحي ... فهي الرياض ، وللرياض بواكـر

ثم أتبعها بنثر اضربنا عنه اختصاراً ، والله تعالى الموفق .

وفادة ابن الخطيب من سلا على السلطان
أبي زيان بن أبي عبد الرحمان رحمهما الله

قال في (الاحاطة) : وفدت على السلطان أبـي زيان بن أبي عبـد الرحمان بن أبي الحسن من محل الانقطاع بسلا وانشدته قولي :

لمن عَلَم في هضبة الملك خفاق　　أفاقت به من غشية الهرج آفاق
تقلّ رياح النصر عنه غمامة　　تمد لها أيدٍ وتخضع أعناق
وبيعة شورى أحكم السعد عقدها　　وأعمل إجماع عليها وإصفاق
قضى عمر فيها بحق محمد　　فسُجل عهد للوفاء وميثاق
أحلما ترى عيناي ؟ أم هي فترة ،　　أعندكما في مشكل الأمر مصداق
وفاض لفضل الله في الأرض تبتغي　　ومجتمعات لا تريب ، وأسواق
وسرح تهنيه الكلاءة بالكلا　　وفلح لسقي الغيث قام له ساق
وقد كان طيف الحلم لا يعمل الخطا　　وللفتنة العمياء في الأرض إطباق
وللغيث إمساك ، وفي الأرض رجة،　　وللدين والدنيا وجوم وإطراق
فكل فريق فيه للبغي راية　　وكل طريق فيه للغيث طُرّاق
أجل ، إنه من آل يعقوب وارث　　يحن له البيت العتيق ويشتاق
له من جناح الروح ظل مسجف　　ومن رفرف العز الالاهي رستاق
أطل على الدنيا وقد عاد ضوؤها　　دجى ، وعلى الأحداق للذعر إحداق
فأشرقت الأرجاء من نور ربها　　وساح بها لله لطف وإشفاق
فمن ألسن بالشكر لله أعلنت　　وكان لها من قبل همس وإطباق
وليس لأمر أبرم الله ناقض　　وليس لمسعى النجح في الله إخفاق
محمد قد أحييت دين محمد　　وللخلق إدماء تفيض وإرماق
ولو لم تثب غطّى على شفق الضحى　　دم بسيوف البغي في الأرض مهراق
فأيمن بمشحون من الفلك سابح　　له باختيار الله حط وإيساق
أقلك ، والدأماء تظهر طاعة　　إليك ، وصفح الماء أزرق رقراق
إلى هدف السعد انبرى منه،والدجا　　تضل الحجى،سهم من السعد رشاق
فحطت لتقويم القوام جداول　　وصحّت من التوفيق واليمن أوفاق
تبارك من أهداك للخلق رحمة　　ومستبعد أن يهمل الخلق خلاق
هو الله يبلو الناس بالخير فتنة　　وبالشر ، والأيام سم وترياق
سمت منك أعناق الورى لخليفة　　له في مجال السعد عدو وإعناق

وقالوا : بنان ما استقل بكفـــــه ... تفيض على العافين ؟ أم هي أرزاق ؟
وأطنب فيك المادحون ، وأغرقــوا ... فلم يجدِ إطناب ، ولم يغن إغراق
ألست من القوم الذين أكفهـــــم ... غمامٌ ندى،إن أخلف الغيث غيداق
ألست من القوم الذين وجوههـم ... بدور لها في ظلمة الروع إشراق
رياض إذا العافي استظل ظلالهـا ... ففيها جنى ملىء الأكف وإيـــراق
أبوك ولي العهد لو سالم الــردى ... وجدك قد فاق الملوك وإن فاقــوا
فمن ذا له جد كجــــــدك أو أب ... لآليء ، والمجد المؤثل نســــاق
وحسب العلا في آل يعقوب أنهـم ... همُ الأصل في العلياء والناس إلحاق
أسودُ سروج أو بدور أســـرة ، ... فان حاربوا راعوا،وإن سالموا راقوا
يطول لتحصيل الكمال سهادهـم ... فهم للمعالي والمكارم عشــــاق

ومـنـهـا :

لقد نسيت إحسانَ جدك فرقـــة ... تُزر على أعناقهم منه أطــــواق
أجازت خروج ابن ابنه عن تراثــه ... ولم تدر ما ضمت من الذكر أوراق
ومن دون ما راموه لله قــــــدرة ... ومن دون ما أموه للفتح اغـــلاق
خذ العفو وابذلفيهم العرفولتسع ... جريرة من أبدى لك العذر أخـلاق
فربتما تنبو مهندة الظبـــــــا ... وتهفو حلوم القوم ، والقوم حذاق
وما الناس إلا مذنب وابن مذنـب ... ولله إرفاد عليهم وإرفــــــــاق
ولا ترج في كل الأمور سوى الذي ... خزائنه ما ضرها قط إنفـــــاق
إذا هو أعطى لم يضر منع مانــع ... وإن حُشدت طسم وعاد وعمـلاق
عرفت الردى،واستاثرت بك للعدا ... تخوم لمختط الصليب ، وأعمـاق
فيسَّر لليسرى وأحيا بك الورى، ... وللروع إرعاد عليك وإبـــــراق
فجازِ صنيع الله وازدد بشكـــره ... مواهب جود غيثها الدهر دفـــاق
وأوفِ لمن أوفى،وكاف الذي كفى، ... فأنت كريم طهرت منك أعــراق
وتهنيك يامولى الملوك خلافـــــة ... شجتها تباريح إليك وأشــــواق
فقد بلغت أقصى المنى بك نفسها ... وكم فاز بالوصل المهنَّأ مشتـاق
فلا راع منها السرب للدهر رائع ... ولا نال منها جدة السعد إخـــلاق

أمولايَ راع الدهر سربي وغالني فطرفيَ مذعور ، وقلبيَ خفـــاق
وليس لكَسري غيرك اليوم جابر ولا ليدي إلا بمجدك اعــــــلاق
ولي فيك ود واعتداد غرستـــــه فراقت به من يانع الحمــد أوراق
وقد عيل صبري في ارتقابي خليفة تحل به للضر عني أوهـــــاق
وأنت حسام الله ، والله ناصـــر ، وأنت أميـــــن الله ، والله رزاق
وأنت الأمان المستجار من الردى إذا راع خطب أو توقع إمــــلاق
وأهون ما يرجى لديك شفاعـــة إذا لم يكن عزم حثيث وإرهـــاق
ودونكها من ذائع الحمد مخلـص له فيك تقييد يروق وإطـــــلاق
إذا قال : أما كل سمع لقولــــه فمصغٍ ، وأما كل أنف فنشـــاق
ودمْ خافق الأعلام بالنصر كلمـــا ذهبت لمسعى لم يكن فيه إخفاق

قال : وعدت منه ببر كثير ، واحترام شهير ، يشير بذلك إلى مــا أكرمه به ، وكتب له من الظهير الذي يتضمن كمال الاحترام والتوقير ، ونصه :

هذا ظهير كريم من أمير المسلمين فلان أيده الله ونصره ، وسنى له الفتح المبين ويسره ، للشيخ الفقيه الأجل الأسنى الأعز الأحظى الأرفع الأمجد الأسمــا الأوحد الأنور الأرقــى ، العالم العلم الـــرئيس الأعرف ، المتفنــن الأبرع ، المصنف المفيد ، الصدر الأحفل ، الأفضل الأكمل ، أبي عبد الله ابن الشيخ الفقيه الوزير الأجل الأسنى الأعز الأرفع الأمجد ، الوجيه الأنور الأحفل الأفضل ، الحسيب الأصيل الأكمل ، المبرور المرحوم أبي محمد ابن الخطيب، قابله أيده الله بوجه القبول والاقبال ، وأضفى عليه ملابس الانعام والافضال ، ورعى به خدمة السلف الرفيع الجلال ، وما تقرر من مقاصده الحسنة في خدمة أمرنا العال ، وأمر في جملة ما سوغه مــن الآلاء الوارفة الظلال ، الفسيحــة المجال ، بأن يجدد له حكم ما بيده من الأوامر المتقدم تاريخها ، المتضمنــة تمشية خمسمئة دينار من الفضة العشرية في كل شهر ، عن مرتب له ولولده الذي لنظره من مَجْبَى مدينة سلا حرسها الله، ومن حيث جرت العادة أن تمشى له ، ورفع الاعتراض ببابها فيما يجلب له من الأدم والأقوات على اختلافها من حيوان وسواه ، وفيما يستفيده خدامه بخارجها وأحوازها من عنب وقطن وكتان

وفاكهة وخضر وغير ذلك . فلا يطلب في شيء من ذلك بمغرم ولا وظيف . ولا يتوجه فيه إليه بتكليف ، يتصل له حكم جميع ما ذكر في كل عام تجديداً تاما ، واحتراما عاماً ، أعلن بتجديد الحظوة واتصالها ، وإتمام النعمة وإكمالها، من تواريخ الأوامر المذكورة إلى الآن ، ومن الآن إلى ما يأتي على الدوام واتصال الأيام ، وأن يحمل جانبه فيمن يشركه أو يخدمه محمل الرعي والمحاشاة في السخر مهما عرضت ، والوظائف إذا افترضت ، حتى يتصل له تالد العناية بالطارف ، وتتضاعف أسباب المنن والعوارف ، بفضل الله ، وتحرر له الأزواج التي يحرثها بتالماغت من كل وجيبة ، وتحاشى من كل مغرم أوضريبة ، بالتحرير التام بحول الله وعونه ، ومن وقف على هذا الظهير الكريم فليعمل بمقتضاه ، وليمض ما أمضاه ، إن شاء الله .

وكتب في العاشر من شهر ربيع الآخر من سنة ثلاث وستين وسبعمئة ، وكتب في التاريخ انتهى .

وقوله : **وكتب في التاريخ** ، هو العلامة السلطانية في ذلك الزمان ، يكتب بقلم غليظ ، وبعض ملوك المغرب يكتب عند العلامة **صح في التاريخ** .

وفادة عامر بن محمد الهنتاتي على السلطان أبي زيان بن أبي عبد الرحمان رحمهما الله

كان للوزير عمر بن عبد الله الياباني مودة ومصافاة مع الرئيس الشهير أبي ثابت عامر بن محمد الهنتاتي كبير جبل درن والبلاد المراكشية ، وكان الوزير عمر المذكور قد بعث إليه بصهره وظهيره على الملك مسعود بن عبد الرحمان ابن ماساي ، يكون عنده عدة وعتاداً ليوم ما ، فلما بويع السلطان أبو زيان ، إستقدم عمر بن عبد الله صهره المذكور لوزارته ، وكان عامر بن محمد مجمعاً القدوم على السلطان المذكور ، فقدم في صحبته مسعود ، ونزلا من الدولة بخير منزل ، وعقد السلطان أبو زيان لمسعود المذكور على وزارته بإشارة الوزير عمر بن عبد الله ، فاضطلع بها ، ودفعه عمر إليها استمالة إليه وثقة بمكانه واستظهاراً بعصبيته ، وعقد مع عامر بن محمد الحلف على

مقاسمة المغرب شق الابلمة ، وجعل إمارة مراكش لأبي الفضل ابن السلطان أبي سالم إسعافاً لغرض عامر بن محمد في ذلك ، وخطب إليهم عامر بنت السلطان أبي بكر الحفصي التي توفي عنها السلطان أبو عنان ، فأجابوه وحملوا أولياءها على العقد عليها ، وانكفأ راجعاً إلى مكان عمله بمراكش يجر الدنيا وراءه عزاً وثروة وتابعاً ، وذلك في جمادى الأولى من سنة ثلاث وستين وسبعمئة ، فاستقل بأمر الناحية الغربية من مراكش وجبال المصامدة وما إليها من الأعمال ، واستبد بها ، ونصب أبا الفضل ابن السلطان أبي سالم صورة ، واستوزر له ، وتمكن سلطانه ، وعلا ذكره ، وصارت كأنها دولة مستقلة ، فصرف إليه النازعون من بني مرين عن الدولة وجوه مغرهم ، ولجأوا إليه فأجارهم على السلطان ، وأجتمع إليه منهم ملأ ، واتسع الخرق على الراقع ، واضطربت الأحوال بالمغرب ، وخرج على السلطان أبي زيان الأمير عبد الحليم بن أبي علي بن أبي سعيد ، وتغلب على سجلماسة وأعمالها، ثم غلب عليه أخوه عبد المومن بن أبي علي ، فخرج عبد الحليم إلى المشرق لقضاء فريضة الحج ، واستمر عبد المومن بسجلماسة وأقام بها دولة كما كان لوالده من قبل ، إلى أن فتحها الوزير مسعود بن عبد الرحمان بن ماساي وأضافها إلى مملكة فاس ، ثم انتقض الوزير مسعود أيضاً ، وبايع الأمير عبد الرحمان بن أبي يفلوسن بن أبي علي ونصبه للأمر ، وصار يشوش به على الدولة ، وشرق عمر بن عبد الله بدائه في أخبار طويلة ، ولما لم يتم له أمر عبر هو وسلطانه البحر من مرسى غساسة (1) إلى الأندلس فاتح سنة سبع وستين وسبعمئة ، وأقبلا على الجهاد ، واستراح الوزير عمر وسلطانه أبو زيان من شغبهما ، والله غالب على أمره .

مقتل السلطان أبي زيان بن أبي عبد الرحمان رحمه الله

لما طال أستبداد الوزير عمر بن عبد الله على السلطان أبي زيان وحجره إياه إذ كان وضع عليه الرقباء والعيون حتى من حرمه وأهل قصره،

1) كان هذا المرسى يوجد بالساحل الغربي لشبه جزيرة ورك مقابلا لمرسى مدينة مليلية، ولا تزال أطلاله موجودة الى الآن .

عزم على الفتك بالوزير المذكور ، وتناجى بذلك مع بعض ندمائه ، وأعدّ له طائفة من العبيد كانوا يختصون به ، فنمى ذلك إلى الوزير بواسطة بعض الحرم كانت عيناً له عليه ، فعاجله ، وكان قد بلغ من الاستبداد عليه أن كان الحجاب مرفوعاً له عن خلوات السلطان وحرمه ، فدخل عليه وهو في وسط حشمه فطردهم عنه ، ثم غطه حتى فاض، وأمر به فألقي في بئر بروض الغزلان، واستدعى الخاصة فأراهم مكانه بها وأنه سقط عن دابته وهو سكران ، وذلك في محرم فاتح سنة ثمان وستين وسبعمئة ، كذا عند ابن خلدون ، وقال في (الجذوة) توفي يوم الأحد الثاني والعشرين من ذي الحجة سنة سبع وستين وسبعمئة ، وله ثمان وعشرون سنة ، ودفن بجامع قصره ، فكانت دولته أربع سنين وعشرة أشهر ويوماً واحداً ، والله أعلم انتهى .

611) محمد بن محمد ابن الحاج البلفيقي (أبو البركات)

محمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد ابن الشيخ أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن خلف بن محمد بن سليمان بن سواد بن أحمد ابن حزب الله بن عامر بن سعد بن عياش المكنى بأبي عيشون بن حمود الداخل إلى الأندلس صحبة موسى بن نصير بن عنبسة بن حارثة بن العباس بن مرداس ، يكنى أبا البركات ، بلفيقي الأصل ، مري (1) النشأة والولادة والسلف ، ويعرف بابن الحاج ، وشهر بالبلفيقي .

قاله في (الاحاطة) .

اوليتـه :

قد تقدم اتصال نسبه بحارثة بن العباس بن مرداس صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحد خطبائه وشعرائه ، رئيس في الاسلام ورئيس في الجاهلية ، وكان لسفله وخصوصاً لابراهيم من الشهرة بولاية الله وإيجاب الحق من خلقه ما هو مشهور حسبما تنطق به الفهارس ، يعضد هذا المجد من جهة الأمومة ، كأبي بكر صهيب ، وابن عمه أبي إسحاق وغيرهم الكثيـر

1) نسبة الى المرية .

ممن صنف في رجال الأندلس كأبي عبد المجيد المالقي ، وابن الأبار ، وابن طلحة ، وابن فرتون ، وابن صاحب الصلاة ، وابن الزبير ، وابن عبد الملك ، فلينظر هناك .

حـالـه

نشأ ببلده ألمرية محمود العفة، فضفاض جلباب الصيانة، غضيض طرف الحياء، حليف الانقباض والازورار، آوياً إلى خالص النشب وبحت الطعمة، لا يرى إلا في منزل من سأله، وفي حلق الأسانيد، أو في سفره، أو في مسجد من المساجد خارج المدينة المعدة للتعبد ، لا يجيء سوقاً ولا مجمعاً ولا وليمة ولا مجلساً لحاكم أو والٍ ، ولا يلابس أمراً من الأمور التي جرتْ عادته أن لا يلابسها بوجه من الوجوه .

ترامى إلى الرحلة فجاس خلال القطر الغربي إلى بجاية ، نافضاً إياه من العلماء والصلحاء والأدباء والآثار بتقييده وإخمال قيام ذكر ، وإغفال شهرة، ثم صرف عنانه إلى الأندلس فتصرف في الاقراء والقضاء والخطابة ، وهـو الآن نسيج وحده في أصالة عريقة على السلامة مفطورة ، فما شئت من صدر سليم ، وعقد وثيق ، وغور قريب ، ونصح مبذول ، وتصنع مرفوض ، ونفس ساذجة ، وباطن مساو للظاهر ، ودمعة سريعة ، وهزل يثمر تجلة ، وانبساط يفيد حسن نية ، إلى حسن العهد وفضل المشاركة ورقة الحاشية وصلابة العود وصدق العزيمة وقوة الحامية وبلاغة الموعظة ، رحلة الوقت ، وفائدة العصر ، تفنناً وإمتاعاً ، فارس المنابر غير هيوب ولا جزوع ، طيب النغمة بالقـرآن ، مجهشاً في مجال الرقة ، كثير الشفقة لصالح العامة ، متأسفاً لضياع الأوقات، مدمعاً على الفيئة ، مُعمّاً مخولا في رياسة الدين والدنيا ، هذا ما يسامح فيه الايجاز ، ويتجافى عنه الاختصار ، ويكفي فيـه الالماع والاشارة ، أبقـي الله شيخنا أبا البركات .

ولايتـه

تقدم قاضياً بقنالش في جمادى الثانية عام خمسة عشر وسبعمئة ، ثم تولى مربلة وإستبونة ، ثم كانت رحلته إلى بجاية ، ثم عاد فقعد بمجلس الاقراء من مالقة للكلام على صحيح مسلم، متفقاً على اضطلاعه بذلك، ثم رحل إلى فاس،

ثم آب إلى الأندلس واستقر ببلده المرية فقعد بالمسجد الجامع للاقراء ، ثـم قدم قاضياً ببرجة ودلاية والبنيول وفنيانة ، ثم نقل عنها إلى بيرة ثم غربـي المرية ، ثم قدم قاضياً بمالقة ، ثم قدم بغربها مضافاً إلى الخطابة ، ثم أعيد إلى قضاء المرية بعد وفاة القاضي أبي محمد ابن الصائغ .

ومن كتاب (طرفة العصر) من تأليفنا ما نصه في خبر ولايته :

فتقلد الحكم في الثالث والعشرين لشعبان من عام سبعة وأربعين وسبعمئة يوم وصوله مستدعى من نبهاء الطلبة ، ووجوه الحضرة ، مهنئين بمثواه من دار الضيافة ومحل التجلة إحدى دور الملوك بالحمراء ، فطفقوا يغشونـه نهاراً زرافات ووحداناً في إتاحة الخيـر وإلهام السداد وتسويغ الموهبة ، وكـان وصوله والأفق قد اغبر ، والأرض قد اقشعرت لانصرام حظ من أيام الشتاء الموافق لشهر ولايته لم يسح فيه الغمام بقطرة ، ولا لمعت السماء بقزعـة ، حتى أحضرت الأنفس الشـح ، وحسر العسر عن ساقه ، وتوقفت البـذور فساعده الجد بنزول الرحمة عند نزوله من مرقاة المنبر مجابة دعوة استسقائه، ظاهرة بركة خشوعه ، ولذلك ما أنشدته في تلك الحال :

ظمئت إلى السقيا الأباطح والربى ... حتى دعونا العام عاماً مجدبـــا
والغيث مسدول الحجاب ، وإنمـا ... علمَ الغمامُ قدومَكم فتأدبــا (1)

وتولى النظر في الأحكـام ، فأجال قداحها مضطلِعاً بأصالة النظـر وإرجاء المشبهات ، وسلك في الخطابة طريقة مثلى يفرغ في قوالب البلاغة أغراضها ، ويصرف على أحكام الكوائن والبساطات أساليبها من المحاكمات باختلاف القبض والبسط والوعد والوعيد ، وحظوظها على مقبض العدل وسبب الصواب ، يقوم عـلى كثير مما يصدع به من ذلـك شاهدُ البديهة ودليـل الاستيعـاب .

قال شيخنا أبو البركات : ثم صرفت عنها للسبب المتقدم ، وبقيت بها مقيماً لما اشتهر من وقوع الوباء بالمرية ، ثم أعدت إلى القضاء والخطابة بالمرية ، وكتب لي بذلك في أوائل رجب عام تسعـة وأربعين ، وبقيت على

1) نفح الطيب 5 : 472 طبع بيروت .

ذلك إلى أن صرفت بسبب ما ذكر ، ثم أعدت إليها أواخر رجب سنة ست وخمسين عسى أن يكون الانقطاع لله سبحانه ، وأنا الآن أتمثل بما قال أبو المطرف ابن عميرة رحمه الله :

قد نُسبنا إلى الكتابة يوماً وأتت خطةُ القضاء تليها
وبكل لم نلقَ للمجد إلا منزلا نائياً وعيشاً كريها
نسبة بُدلت فلم تتغيرْ مثل ما يزعم المهندسُ فيها

بدلت من لفظ الكتابة إلى الخطابة، وأغرب ما رأيت ما أحكي لك وأنت أعلم بذلك : إن أفضل ما صدر عني في تلك الخطة العمل الذي أخلصت لله فيه ورجوت المثوبة عليه ، وفيه مع ذلك مفتخر لمن أراد أن يفتخر ، غير ملتفت للدنيا فعليه سبحانه عولت .

انتهى كلامه .

تصانيفه

كتب إلي بخطه ما نصه وهو فصل من فصول : وأما تآليفي فأكثرها أوكلها غير متمم في مبيضات ، منها كتاب (قد يكبو الجواد) في أربعين غلطة عن أربعين من النقاد، وهو نوع من (تصحيف الحفاظ) للدارقطني، ومنها (سلوة الخاطر،فيما أشكل من نسبة النسب الرتب إلى الذاكر)، ومنها كتاب (قدر جم) في نظم الجمل، ومنها كتاب (خطر فنظر،ونظر فخطر)، على تنبيهات على (وثائق ابن فتوح) ومنها كتاب (الافصاح، فيمن عرف بالأندلس بالصلاح)، ومنها(حركة الدخولية ، في المسألة المالقية) ، ومنها (خطرة المجلس ، في كلمة وقعت في شعر أستنصر به أهل الأندلس) في جزء صغير ، ومنها (تاريخ المرية) غير تام ، ومنها ديوان شعره المسمى بـ (العذب والأجاج ، في شعر أبي البركات ابن الحاج) ، ومختصره سماه القاضي الشريف (اللؤلؤ والمرجان، اللذان من العذب والأجاج يستخرجان)، ومنها (عرائس بنات الخواطر ، المجلوة على منصات المنابر) ، يحتوي على فصول الخطب التي أنشئت بطول زمن الخطابة ، ومنها (المؤتمن ، على أنباء أبناء الزمن) ، ومنها تأليف في أسماء

الكتب والتعريف بمن ألفها على حروف المعجم ، ومنها (ما اتفق لأبي البركات، فيما يشبه الكرامات) ، ومنها كتاب (ما رأيت وما رئي لي من المقامات)، ومنها كتاب (المرجع بالدرك ، على من أنكر وقوع المشترك)، ومنها (مشبهات اصطلاح العلوم)، ومنها (ما كثر وروده في مجلس القضاء) ، ومنها (الغلسيات) ، وهو ما صدر عني من الكلام على صحيح مسلم أيام التكلم عليه ، ومنها (الفصول والأبواب ، في ذكر مَن أخذ عني من الشيوخ والأتباع والأصحاب) .

ثم قال : وقد ذهب شرخُ الشباب ونشاطه ، وتقطعت أوصاله وانحل رباطه ، وأصبحت النفس تنظر في هذا كله بعين الاهمال والاغفال ، وقلة المبالاة التي لا يصل أحد بها إلى مَنال ، وهذه الأعمال لا ينشط إليها إلا المحركات التي هي مفقودة عندي ، أحدها طلبة مجتمعون متعطشون إلى ما عندي ، متشوفون غاية التشوف وأين هذا بالمرية ، الثاني طلب رياسة على هذا ، ومتى يرأس أحد بهذا اليوم، وعلى تقدير أن يراس به وهو محال في عادة هذا الوقت فالتشوف لهذه الرياسة مفقود عندي ، الثالث ، سلطان يملأ يد مَن يظهر مثل هذا على يده غبطة ، وما تم هذا ، الرابع ، نية خالصة لوجه الله تعالى في الافادة ، وهذه أيضاً مفقودة مني ، ولابد من الانصاف ، الخامس ، قصد بقاء الذكر ، وهذا خيال ضعيف بعيد عني ، السادس ،الاشفاق على شيء ابتدأ وسعي في تحصيل مباديه أن يضيع علي قطع ما سوى هذا الاشفاق ، وهذا السادس هو الذي في نفسي منه شيء ، وبه أنا أقيد أسماء مَن لقيت وما أخذت ، ويكون إن شاء الله إبراز هذه إذا الصحف نشرت ، وأكثر زماني يذهب في الخروج عما أنا فيه ، فاذا ينظر إليَّ العاقل في هذا الوقت بعين البصيرة فلا يسعه إلا الشفقة علي ، والرحمة لي ، فانه يرى رجلا مطرقاً أكثر نهاره ، ينظر إلى مآله ولم ينظر إلى صلاحه وهو يافع ، ولم يتلبس بالعبادة وهو في زمانها المقارب للفوت ، ولا ينهض إلى إقامة حق كما ينبغي لعدم المعين ، ولا يجنح إلى شيء من راحات الدنيا ، ويشاهد من علو الباطل الذي لا طاقة له على دفعه مما يضيق صدر الحر ، يقضي نصف النهار محتلا في مكان غير حسن ، تارة يفكر ، وتارة يكتب ما هو على يقين من أنه كذا لا ينتفع به ، ونصف النهار

يقعد للناس ، تارة يرى ما يكره ، وتارة يسمع ما يكره ، لا صديق يذكره بأمر الآخرة ، ولا صديق يسليه بأمر الدنيا ، يكفيني من هذه القذارة ، اللهم إليك المشتكى ، يامن بيده الخلق والأمر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

شعره

من مطولاته في النزعة الغريبة التي إنفرد بها ، منقولة من ديوانه :
قال : ومما نظمته بسبتة في ذي الحجة من عام خمسة وعشرين وسبعمئة في وصف حالي ، وأخذها عني بسبتة الأستاذ أبو عبد الله ابن هانيء ، والأديب البارع أبو القاسم الحسيني ، وأبو القاسم ابن حزب الله وسواهم ، ولما انفصلت من سبتة إلى بلاد الريف زدت أبياتاً في أولها،وكثر ذلك بوادي لو (1) من بلاد الريف ، وهي :

تأسف لكن حين عز التأسف ... وكفكف دمعاً حين لا عين تذرف
وزام سكوناً وهو في رجل طائر ... ونادى بأنس والمنازل ترجف
وجاذب قلبا ليس يأوى لمألف ... وعالج نفساً داؤها يتضاعف
أراقب قلبي مرة بعد مرة ... فألفيه ذياك الذي أنا أعرف
سقيم ، ولكن لا يحس بدائه ... سوى من له في حالة الموت موقف
وأعجب ما فيه استواء صفاته ... إذ الهم يشقيه أو السر ينزف
إذا حلت الضراء لم ينفعل لها ... وإن حلت السراء لا يتكيف
مذاهبه لم تبد غاية أمره ... فؤاد لعمري لا يرى منه أطرف
فما أنا من قوم قصارى همومهم ... بنوهم وأهلوهم وثوب وأرغف
ولا لي بالاسراف فكر محدث ... سيبدو حبيبي أو بشيري يطرف
وما أنا ممن لهوه جل شأنه ... بروض أنيق أو غزال مهفهف
ولا أنا ممن أنسه غاية المنى ... بصوت رخيم أو نديم وقرقف
ولا أنا ممن تزدهيه مصانع ... ويسبيه بستان ويلهيه مخرف
ولا أنا ممن همه جمعها ، فان ... تراءت له ، يسعى لها وهو مرجف

1) واد شهير معروف فى الجنوب الشرقى من تطوان بقبائل غمارة .

على أن دهري لم تدع لي صروفه من المال إلا مسحت أو مجلــف
ولا أنا ممن هذه الدار همـــه وقد غره منها جمال وزخــرف
ولا أنا ممن للسؤال قد انبــرى ولا أنا ممن صين عنه التعطــف
ولا أنا ممن نجَّح الله سعيهــم فهمتهم فيها مصلى ومصحــف
فلا في هوى أضحى إلى اللهو قائدا ولا في تُقى أمسى إلى الله يزلـف
أحارب دهري في نقيض طباعــه وحربك من يقضي عليك تعجـرف
وأنظره شزراً بأصلف ناظــر فيعرض عني وهو أزهى وأصلـف
وأضبطه ضبط المحدث صحفــه فيخرج في التصحيف أني المصحِّف
ويأخذ مني كل ما عز نيلــه ويبدو بجهلي منه في الأخذ محتف
أدور له في كل وجه ، لعلنــي سأثبته ، وهو الذي ظل يحــذف
ولما يئسنا منه تِهنا ضــرورة فلم يبق لي فيها عليه تشــوف
تكلفت قطع الأرض أطلب سلــوة لنفسي فما أجدى بتلك التكلــف
وخاطرت بالنفس العزيزة مقدماً إذا ما تخطى النصل قصر مرهف
وصرفت نفسي في شؤون كثيرة لحظي فلم يظفر بذاك التصــرف
وخضت لأنواعِ المعارف أبحــراً ففي الحين ما استخرجتها وهي تنزف
ولم أحظ من تلك المعاني بطائــل وإن كان أهلوها أطالوا وأسرفـوا
وقد مر من عمري الألذ ، وها أنـا على ما مضى من عهده أتلهــف
وإني على ما قد بقي منه أن بقــي لحرمة ما قد ضاع لي أتخــوف
أعد ليالي العمر، والفرض صومها، وحسبك من فرض المحال تعسف
على أنها إن سلمت جدليــة تعارض آمالا عليها نهفهــف
تحدثني الآمال وهي كدينهــا تبدل في تحديثها وتحــرف
بأنيَ في الدنيا سأقضي مآربــي وبعدُ يحق الزهد لي والتقشــف
وتلك أمان لا حقيقة عندهـــا أفي قرني الضديْن يبقى التكلـف
ورب ذوي حلم شكوتُ إليهــمُ ولكن لفهم الحال إذ ذاك لم يفـوا
فبعضهمُ يزري علي ، وبعضهــمْ يغض ويرثي ، ثم عنيَّ يصــدف
وبعضهمُ يومي إليَّ تعجبـــا وبعض بما قد رابه يتوقــف
وبعضهم يلقى جوابـــا . . . على مقتضى العقل الذي عنه يوقف

يسيء استماعا ، ثم بعد إجابة — على غير ما تحذوه، يحذو ويخصف
فلا هو يبدي لي ، عليّ تعقلا ، — ولا هو يرثي لي ، ولا هو يعنف
وما أمرنا إلا سواء ، وإنما — عرفنا ، وكل منهمُ ليس يعرف
فلو قد فرغنا من علاج نفوسنا — وحطّوا الدنايا من عيوب وأنصفوا
أما لهمُ من علة أزمت بهم — ولم يعرفوا أغوارها وهي تتلف
وقفنا لهم في الكتب عن كنه أمرهم — ومثليَ عن تلك الحقائق يكشف
وصنفت في الآفات كل غريبة — فجاء كما يهوى الغريب المصنف
وليس عجيباً من تركب جهلهم — بأن يحجبوا عن مثل ذاك ويصرفوا
إذا جاءنا بالسخف من نزو عقله — إذا نحن مثلناه أزهى وأسخف
فما جاءنا إلا بأمر مناسب — أينهض من كف الجبان المثقف ؟
ولكن عجيب الأمر علمي وغفلتو — فديتكمُ أي المحاسن أكشف ؟
ألا إنها الأقدار يظهر سرها — إذا ما وفي المقدور فالرأي يخلف
أيارب إن اللب طاش بما جرى — به قلم الأقدار والقلب يرجف
وأنا لندعوهم ونخشى ، وإنما — على رسمك الشرعيّ من لك يعكف
أقول وفي أثناء ما أنا قائل — رأيت المنايا وهي لي تتخطف
وإني مع الساعات كيف تقلبت — لأسهمها أن فوقت متهدف
وما جر ذا التسويفَ إلا شبيبتي — تخيلُ لي طول المدى فأسوف
إذا جاء يوم قلت هو الذي يلي — ووقتك في الدنيا جليس مخفف
أقدم رجلا عند تأخير أختها — إذا لاح شمس ، فالكواكب تكسف
كأني لنجديّ المراقد متهم ، — ولم أدعهم ، والحصن ريان ينسف
وهبني أعيش هل إذا شاب مفرقي، — وولّى شبابي هل يباح التسوف ؟
وكيف ويستدعي الطريق رياضة — وتلك على عصر الشباب توطف
متى يقبل التقويم غير مطيقه — وبي بعد حسا فالنار تشسف ؟
ولو لم يكن إلا ظهور لسره — إذا ما دنا التدليس هان التنطف
أمولى الأسارى أنت أولى بعذرهم — وأنت على المملوك أمرى وأعطف
قذفنا بلج البحر والقيد آخذ — بأرجلنا والريح بالموج تعصف
وفي الكون من سر الوجود عجائب — أطل عليها العارفون وأشرفوا

وقفت عليهم وقفة فتأخـــــروا ... وددت بأن القوم بالكل أسعفــوا
فليس لنا ألا نحط رقابنـــــا ... بأبواب الاستسلام والله يلطـــف
فهذا سبيل ليس للعبد غيـــره ... وإلا فما ذا يستطيع المكلـــف

وقال : وضمنها محاورة بينه وبين نفسه ، وقيدتها عنه زوال يـوم الثلاثاء التاسع والعشرين لمحرم عام خمسة وخمسين وسبعمئة برابطة العقاب متعبد الشيخ ولي الله إبراهيم الالبيري رحمه الله .

يأبى شجون حديثيْ الافصـــاح ... إذ لا تقوم بشرحه الألـــواح
قالت صفية ، إذ مررت بحيهـــا ... أفلا تنزّلُ ساعة ترتـــــاح
فأجبتها لولا الرقيب لكان فيــ ... ـما تبتغي بعد الغـــدو رواح
قالت : وهل في الحي حيٌّ غيرنـا ... فاسمح فديتك فالسماح ربـــاح
فأجبتها إن الرقيب هو الـــذي ... وردت مناهلَ فيضـــه الأرواح
وهو الشهيد على موارد عبـــده ... سيان ما الاخفاء والايضـــاح
قالت : وأين يكون جـــود الله إذ ... يُخشَى ؟ ومنه هذه الأفـــراح
فافرح باذن الله جل جلالـــه ... واشطح ، فنشوان الهوى شطـاح
وارهج على ذمم الرجال ولا تخـف ... فالحلم رحب ، والنوال مبـــاح
وانزل على حكم السرور ولا تُبَـلْ ... فالوقت صاف ما عليك جنـــاح
واخلع عذارك في الخلاعة ياأخـي ... باسم الذي دارت به الأقـــداح
وانظر إلى هذا النهار ، فسنـــه ... ضحكت ، ونور جبينه وضـــاح
أنواره نفحتْ ، وأترع كأســـه ... فقد استوى ريحانه والـــراح
وانظر إلى الدنيا بنظرة رحمـــة ... فجفاؤها بوفائها ينـــــزاح
لا تعذل الدنيا على تلوينهـــا ... فلليلها بعد المساء صبـــاح
فأجبتها ، لو كنت عالمة الـــذي ... يبدو لتاركها وما يلتـــــاح
من كلّ معنى غامض من أجلـــه ... قد ساح قوم في الجبال وناحـوا
حتى لقد سكروا من الأمر الـــذي ... هاموا به عند العيان فباحـــوا
لعذرتني ، وعلمتِ أني طالـــب ... ما الزهد في الدنيا له مفتـــاح
فاترك صفيك قارعاً باب الرضـى ... والله جل جلاله الفتـــــاح
ياأخت حيي على الفلاح وخلنـي ... فجماعتي حثوا المطيّ وراحـــوا

وقيدت من خطه في جملة ما كتب به إلي ما نصه : ومما نظمته بغرناطة وبعضه ببرجة ، وهو مما يعجبني ، وأظنه كتب لك وهو غريب المنزع ، وإنه لكما قال :

خذها على رغم الفقيه سلافـــــة ... تجلا بها الأقمارْ في شمس الضحى
أبدي أطباء القلوب لأهلهـــــــا ... منها شراباً للنفوس مبرحـــــا
وإذا المرائي قال في نشوانهـــا ... قل أنت بالاخلاص فيمن قد صحـا
ياقهوة دارت على أربابهـــــا ... فاهتزت الأقدام منهم واللِّحـــا
مُزجت ، فغار الشيخ من تركيبها، ... فلذاك جردها وصاح وصرحـــا
وبدت ، فغار الشيخ من إظهارهـا ... فاشتد يبتدر الحجاب ملوحـــا
لا تعترض أبداً على مسترفـــد ... قد غار من أسرارها أن يفضحـا
وكذاك لا تعتبْ على مستهتـــر ... لم يدر ما الايضاح لما أوضحـا
سكران يعثر في ذيول لسانـــه ... كفراً ويحسب أنه قد سبحـــا
فالبعض قد يهوى الحروب،وبعضهم، ... قد ضاق ذرعاً بالغرام فبرحـــا
لا تخشينَّ على العدالة هاتفـــاً ... نظر ارتياح العاشقين فجرحـــا
الحب خمر العاشقين ، وقد قضت ... حتماً على من ذاقها أن يشطحـا
فاشطح على هذا الوجود وأهلـه ... عجباً فليس براجح من رجحـا
كبر عليهم أنهم موتى علـــى ... غير الشهادة ما أعر وأقبحـا
واهزأ بهم فمتى يقلْ نصحاؤهـم ... أفلح ، فقل حتى ألاقي مفلحـا
وإذا أريبهمُ استخفك قل لـــه ... بالله يايحيى بن يحيى دع جحـا
أبني سليم قد محا مجنونكـــم ... مجنون ليلى العامرية فانمحـا
هل يستوى من لم يبح بحبيبـه ؟ ... مع من بذكر حبيبه قد أفصحـا
فافرح، وطب، وابهج،وقل ما شئته ... ما أملح الفقراء ، ياما أملحـا

ومن مقطوعاته التي هي آيات العجائب ، وطرز حلل البدائع في أسنى الأغراض والمقاصد ، قوله يعرض ببعض الطلبة وقد استدبره ببعض حلق العلم بسبتـة :

إن كنت أبصرتك لا أبصــــــرت ... بصيرتي في الحق برهانهـــــا
لا غرو أني لم أشاهدكــــــم ... فالعين لا تبصر إنسانهـــا (1)

ومنها قوله : في غرض التورية ، وهو بديع في معناه :

يلومونني بعد العذار على الهـــوى ... ومثليَ في وجدي به لا يفنــــد
يقولون لي، أمسك فذا الصبح قد بدا، ... وكيف يرى الامساك والخيط أسود

ومنها قوله في المجبنات وهو من الغريب البديع :

ومصفرة الخدين مطوية الحشـــا ... على الجبن، والمصفر يؤذن بالخوف
لها هيأة كالشمس عند طلوعهـــا ... ولكنها في الحين تغرب في الجوف

ومنها قوله في النصح ، وله حكاية تقتضي ذلك :

لا تبذلنْ نصيحة إلا لمــــــن ... تلقى لبذل النصح منه قبـــولا
فالنصح ، إن وجد القبول فضيلة، ... ويكون إن عدم القبول فضـــولا

ومنها في الحكم :

ما رأيت الهموم تدخــــل إلا ... من دروب العيــــون والآذان
غضْ طرفاً ، وسدْ سمعاً ، ومهما ... تلقَ هماً ، فلا تثق بضمـــان

ومنها قوله : وهو من المعاني المبتكرات :

حزنت عليك يامغني الهــــوى ... فالدمع منها بعد بُعدك ما رقـــا
ولذاك قد صبغت بلـــون أزرق ... أو ما ترى ثوب المآتم أزرقـــا

ومنها قوله في المعاني الغريبة ، قال مما نظمته في عام أربعة وأربعين في التفكر في المعاني مغلق العينين :

أبحثُ فيما أنا حصلتــــه ... عند انغماض العين في جفنهـــا

---

1) **نفح الطيب** 5 : 481 طبع بيروت .

أحسبني كالشاة مجتـــــــرة   تمضغ ما يخرج من بطنهـــــا

ومنها ، وقال : ومما نظمته بين اندرش وبرجة عام أربعة وأربعين ، وأنا راكب مسافر وهو مما يعجبني إذ ليس كل ما يصدر عني يعجبني ، قلت ويحق أن يعجبه :

تطالبني نفسي بما ليس لي بـــه   يدان فأعطيها الأماني فتقبـــل
عجبت لخصم لج في طلباتــــه   يصالح عنه بالمحال فيفصــــل

ومنها قال : ومما نظمته في السنة المذكورة في ذم النساء :

ما رأيت النساء يصلحـــــن إلا   للذي يصلح الكنيف من أجلـــه
فعلى هذه الشريطة صالحــــــ   ـهن لا تعد بامرىء عن محلـــه

ومنها قال : ومما نظمته في السنة المذكورة :

قد هجوت النساء دهراً فلم أبـــ   ـلغ لأذني صفاتهن الذميمـــة
ما عسى أن أقول في هجو من قــد   خصه المصطفى بأقبح شيمـــة
أوَ يبقى لناقص العقل والــــ   ـدين إذا عُدَّت المثالب قيمـــة

ومنها قال : ومما نظمته في تاريخ لا أذكره الآن، هاذان البيتاز ، ولم أر معناهما لمن مضى، ولو رحل رجل" إلى خراسان ولم يأت إلا بهما كان ممن لم يخفق مسعاه ، ولا أجدب مرعاه ، ينفتح بهما للقلب باب من الراحة فسيح ، إذا أجهده ما يكابده من المضاضة ونقض العهود وإخلاف الوعود ، وهذه المحنة من شر ما ابتليَ به بنو آدم ، شنشنة نعرفها من أمرهم ، ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي !

رعى الله إخوان الخيانة إنهـــم   كفونا مؤونات البقاء على العهـــد
فلو وفوا كنا أسارى حقوقهـــم   نراوح بين النسيئة والنقـــــد

وقال يداعبني ، وعلى سبيل الكناية يخاطبني ، ولقد لقيت رجلا ببلاد الهند يعرف بأبي البركات ابن الحاج ، وكان له بركة في بستان ، فقلت أهجوه عام أربعة وأربعين وسبعمئة :

قالوا أبو البركات ملح مـــــاؤه فغدا أبو البركات لا البركـــات
قلنا ، لأن يكنى بموجوداتــــه أولى من أن يكنى بمعدومـــات

قال : ومما نظمته عام خمسة وأربعين وسبعمئة :

قد كنت مغروراً بعلمي ومـــا أبث من وعظيَّ بين البشـــر
من حيث قد أمَّلت إصلاحهـــم بالوعظ والعلم فخان النظـــر
فلم أجد أوعظ للناس مــن أصوات وعاظ جلود البقـــر

قال : ومما نظمته بمرسى تلمسان بلد هنين عام ثلاثة وخمسين ، وقد أصابني هوس في البحر ، وخاطبت به بعض الأصحاب :

رأسي به هوس جديد لا الـــذي تدريه من هوس قديم فيــــه
قد جل ما أبديه من هذا كمـــا قد جل من ذاك الذي أخفيــه

قال : ومن الملح قولي وقد بت بحمام الخندق من داخل ألمرية ليلة الجمعة الثاني من محرم عام اثنين وثلاثين وسبعمئة منفرداً ، فطفىء المصباح، وبقيت مفكراً ، فخطر ببالي مـا يقول الناس مـن تخيل الجنّ في الأرحـاء والحمامات ، وعدم إقدام الناس إلا ما شذ على دخولها منفردين بالليل ، لا سيما في الظلام ، واستشعرت قوة من نفسي عند ذلك ، وعرضت لي أوهام ، فقلت مرتجلا رافعاً بذلك صوتي :

زعم الذين عقولهم مقدارهـــا إنْ عُرضت للبيع غير ثميـــن
أن الرحا معمورة بالجن والـــ ـحمَّام عندهم ، كذا بيقيـــن
إن كان ما قالوه حقاً فاحضـــروا للحرب هذا اليوم من صفيـــن
فلئن حضرتم فاعلموا بحقيقـــة أني مصارع قيس المجنـــون

قال : ودخلت يوماً زياضاً فوجدت كساء منشوراً للشمس لم أعرفه من حوائجي ولا من حوائج حارسة البستان ، فسألتها فقالت لجارتي : فقلت :

من منصفي من جارة جارت عـــلى مالي ، كأني كنت من أعدائهـــا

عمدتْ إلى الشمس التي انتشرت على ... أرضي ، وفيها قد رمت بكسائهــا
لولا غيوم" يومَ نشَرتِ الكســا ... يسري لحجب السحب جل ضيائها
لقضيت من ذاك الخسار ، لأننــي ... أصبحت مزواراً على بخلائهـــا

قال : وسرت إلى مغني بحمة بجانة ، وسار معي كلب كـان يحرس رياضي اسمه قطمير ، وهو فيما يذكر اسم كلب أهل الكهف في بعض الأقوال، فتبعني من الحمة إلى ألمرية ، فقلت :

رحلتُ وقطمير كلبي رفيقـــي ... يؤنس قلبي بطول الطريـــق
فلما أنخت أناخ حذائـــي ... يلاحظني لحظ خل شفيـــق
ويرعى أذمة رفقي كمـــا ... يراعي الصديق الصدوق الصديق
على حين قومي بنـــي آدم ... بلؤمهم لم يوفوا حقوقـــي
ولا فرق بين الأباعد منهـــم ... وبين أخ مستحب شقيـــق
أو ابن متى تلقه ، تلقـــه ... هوي اشتياق بقلب خفـــوق
فما منهمْ من وليٍّ حميـــم ... ولا ذي إخاء صحيح حقيـــق
وناهيك ممن يفضل كلبــاً ... عليهم ، فياويلهم من رفيـــق
ألا من يرق لشيخ غريـــب ... أبي البركات الفتى البلفيقـــي

وقال : ومما نظمته بتاريخ لا أذكره هذان البيتان :

وإني لخير" من زماني وأهلـــه ... على أنني للشر أول سابـــق
لحا الله دهرا قد تقدمت أهلـــه ... فتلك لعمر الله إحدى البوائـــق

ومن النزعات الشاذة الأغراض :

لا بارك الله في الزهاد إنهـــم ... لم يتركوا عرض الدنيا لفضلهـــم
بل أثقلتهم تكاليف الحياة فلـــم ... يصابروها ، فملوا ثقل حملهـــم
وعظم الناس منهم تركها فغـدوا ... من غبطة الناس في حرص لأجلهم
نعم ، أسلم إن القوم قد زهـــدوا ... ذلا ، وأعلى أناس فضل تركهـــم
من حيث قد أحرزوا الترجيح دونهم ... لا شيء أحسن من ترجيح فضلهم

فالمال والجود والراحات غاية ما يحكي لنا الزهد في ذا عن أجلهم
والزاهدون براحات القلوب مع الـ ـأبدان قروا وعزوا بعد ذلهم
فكل ما فرقوا قد عوضوا غرضاً منه ، وزادوا ثناء الناس كلهم

قال : ومما نظمته عام أربعين في ذم الخمر من جهة الدنيا لا من جهة الدين ، إذ ليس بغريب :

لقد ذم بعض الخمر قوم لأنها تكر على دين الفتى بفساد
وقد سلموا قول الذي قال إنها تحل من الدنيا بأعظم ناد
وتذهب بالمال العظيم ، فلن نرى لمدمنها من طارف وتلاد
فيمسي كريماً سيداً ثم يغتدى سفيهاً حليف الغي بعد رشاد
وقالوا : تسلي وهو عارية لها وإلا فلم يأتوا لذاك بشاد
وخل يداوي من مرارتها التي أواخرها مضروبة بقتاد
ولو أشرب الأنسان مهلا بمهده لأصبح مسروراً بأطيب زاد
ومن حسن حال الشاربين أنهم يرومونها بالرغم برق وساد
ومن حسن ذا المحروم أن مدامه إذا غلبت ، تكسوه ثوب رقاد
فيختلف الندمان طراً لروحه ويحدو بهم نحو المروءة حادي
ومن حظه بين الورى ضرب ظهره فيمسي بلا حرب رهين جلاد
مجانين في الأوهام قد ضل سعيهم يخففون بيعا لحبس وعاد

ومن نظمه في المناحة على نفسه ، واستبعاد وجود المطلب في جنسه ، قال : مما نظمته يوم عرفة عام خمسين وسبعمئة ، وأنا منزو في غار ببعض جبال المرية :

زعموا أن في الجبال رجالا صالحين قالوا من الأبدال
وادعوا أن كل من ساح فيها فسيلقاهم على كل حال
فاخترقنا تلك الجبال مراراً بنعال طوراً ودون نعال
ما رأينا بها خلاف الأفاعي وشبا عقرب كمثل النبال
وسباعاً يجرون بالليل عدواً لا تسلني عنهم بتلك الليالي

ولو أنّا كنا لدى العدوة الأخـــ ـــرى رأينا نواجذ الريبـــال
وإذ أظلم الدجا جاء أبليـــ ـــس إلينا يزور طيف خيـــال
هو كان الأنيس فيها ولـــولا ه أصيبت عقولنا بالخبـــال
خل عنك المحال يامَن تعنـــي ليس تلقى الرجال غير الرجـــال

قال : ومِن المنازع الغريبة ذم الأصحاب ومدح الأعداء ، فمن ذلك قولي :

جزي الله بالخير أعداءنـــا فموردهم رائد المصـــدر
هم حملونا على العرف كرهـــاً وهم صرفونا عن المنكـــر
وهم أقعدونا بمجلس حكـــم وهم بوؤونا ذرى المنبـــر
وهم صيرونا أئمة علـــم ودين ، وحسبك من مفخـــر
عدوي يؤوّل خيري بشـــر وان جئتُ بالاثم لم يعـــذر
وأنت ترى فرق من يعـــدل بين المسيء وبين البـــري
ولا زوّد الله أصحابنـــا بزاد تقيٍّ ولا خيـــر
هم جرؤونا على كل إثـــم وما كنت لولا هم مجتـــري
عفوا عن أكابر آثامنـــا فكانوا أضر من الباتـــر
أعارني القومُ ثوبَ التقـــى وإنيَ مما أعاروا عـــري
إذا خدعونيَ ولم ينصحـــوا وإنيَ بالنصح منهم حـــري
فمن كان يكذب حال الرضـــا ويصدق في غضب يفتـــري
بلى سوف تلقى لدى الحالتيـــن بحكم هوى النفس حكم الفـــري
فيارب أبق علينا عقـــبـــولا نبيع بها وبها نشتـــري

قال : وما رأيت هذا المعنى قط لأحد ، ثم رأيت بعد ذلك لبعضهم ما معناه :

عِداتي لهم فضل عليَّ ومنـــة فلا أذهب الرحمان عني الأعاديـــا
فهم بحثوا عن زلتي فاجتنبتهـــا وهم نافسوني فاكتسبت المعاليـــا

فوقع حافري على ساق هذا .

قال : ومما نظمته متخيلا أني سابق لمعناه :

خلسنا ليلة من كف دهــــر ضنين بالليالي الطيّبــــات
سلكنا للهوى والعقل فيهــا مسالك قد بعدن عن الشتــات
قضينا بعض حق النفس فيهــا وحق الله مرعي الثبــات
فلم نر قبله في الدهر وقتــاً بدت حسناته في السيئــات

ثم اطلعت بعد ذلك على هذا :

لا وليال على المصلــى تسرق في نسكها الذنــوب

فوقعت ساقي على حافر هذا المحروم ، إلا أني جردت ذلك في المعنى وأوضحته وجلوته على كرسي التقيد والتنجيد ، فلولا التاريخ لعــاد سارق البــرق .

نـثـره :

وأما نثره فنمط مرتفع عن معتاد عصره، استنفاراً وبلاغة ، واسترسالا وحلاوة ، قلما يعرج على السجع أو يمر على التكلف ، وهو كثيـر بحيث لا تغيض عيونه ، لكن نلمع منه بنبذة ونجلب منه يسيراً .

كتب إليّ عند إيابي من الرسالة إلى ملك المغرب متمثلا ببيتين لمن قبله صدر بهما :

أيتها النفسُ إليه اذهبــي فحبه المشهور من مذهبــي
أياسني التوبة من حبــه طلوعه شمساً من المغــرب

بل نجلك عن التمثيل بالشمس ، فلو كان طلوعك على هذه الأقطار كطلوعها لأصبح جلها لك عباد، ولوَ كان نزولك مطراً لتكيفت الصخور تراباً دمثاً، ولولا معرفتنا معشــر إخوان الصفا بأســرار أنفسنا لحكمنــا بأن قلوبنا تحابــي لأصدقائنا ولكن سبقت عيون السعادة بالجلال ، فلم تصادف بالرضى محلا ، لأن تحصيل الحاصل محال، لا زلت محروساً بعين الذي لا تأخذه سنة ولا نوم.

وكتب إليّ عندما تقلدت من رياسة الانشاء ما تقلدت :

تخصكم يامحل الابن الأرضى ولادة، والأخ الصادق إخلاصاً وودآ، خصكم الله من السعادة بأعلاها مرقى، وأفضلها عقبى ، وأحمدها غنى ، وأكرمها مسعى

تحية اللهفان إلى أيام لقائك ، من المسلّى عنها بتأميل العود إليها، المزجي أوقاته بترديد الفكر فيها ، محمد ابن الحاج أبقاه الله عن شوق ، والذي لا إلاه إلا هو، لم أجد قط مثله إلي ولي حميم ، والله على ما نقول وكيل ، معرفاً أنني بعلاقمه ويصليني عن كسره مجامعه ، لما اعتني به من توقلكم بالرتبة التي ما زال أحباؤكم منطوين على أنك لم تزد بذلك رتبة على ما كنت ، باعتبار الأهلية والمكانة العلية إلا عند الأطفال والأغفال ، والمخلفين من النساء والرجال ، لكن أفرغنا هذه المخاطبة المحظية في قالب الجمهور ، فلم تسر فيها على الأصح لكن على الجمهور ،ولو كانت مصارف الوجود بيدي لوافتك من الوجود منازل سمائه منازل ، وأوطأتك أفلاكه مراكب ، وأوردتك كوثره مشرباً ، وأحللتك أرفعه معقلا ، وأقبستك بدره مصباحاً ، وأهديتك أسراره تحفاً ، وقد تبلغ المقاصد مبالغ لا تنتهي أقاصيها الأعمال ، فنحن وما نضمره لتلك الجملة الجليلة الفاضلة مما الله عليه رقيب ومحيط بدقائقه ، ولو كانت لهذا الغافل المأسور في قيد نفسه ، المحزون بانتهاب الأيام رأس عمره في غير شيء ، دعوة فيما عدا هذا الوجه لجد حتى يغلب على ظنه أن العليم بذات الصدور ولاها من قبوله بارقة يخصك بها ، والله شهيد على ما تكنه الأفئدة ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

والفضل جم ، والمحاسن عديدة ، فلنقتصر اضطراراً ونكف امتثالا للرسم وانقياداً ، أمتع الله به .

انتهى كلام (الاحاطة) (1) .

وترجمه في (الكتيبة الكامنة) أيضاً بنحو ثلاثة أوراق ، (2) وقد ترجمه في (نفح الطيب) عند ذكر أشياخ لسان الدين ابن الخطيب ، وعند ذكر ترجمة ابن خاتمة ، وقال ابن خاتمة أيضاً : وليس في (النفح) يستشفع إلى شيخه أبي البركات في امرأة أمر بسجنها بسبب دخولها الحمام غير مؤتزرة ، وكان أمره خرج بالاشتداد بذلك :

---

1) الاحاطة 2 : 143 طبع القاهرة 1974 وهو مشحون بالتصحيف والتحريف .

2) الكتيبة الكامنة ص 127 .

ياقاضياً أصبح ذا سيـــــرة   بكل عدل في الورى سارية
سمحك في جارية ثقفت   ليس على حكم الهوى جارية
واعجب لما جاء به وقتنا   مؤتزر يشفع في عارية

وقال وقد بعث إليه أبو البركات بطبق فيه نواوير منظمة تنظيماً عجيباً:

بدت فجلا الاظلالَ نيِّرُ نورهـا   فلولا الشذا قلنا هي الأنجم الزهر
فكنا بها حتى الصباح تنعمـاً   ينافحها مني لك الحمد والشكر
أقول لندماني وقد ظل معجباً   بحسن الذي أبدى لها النظم والنثر
وهل هو إلا الروض حيى بزهره   وساق الثريا في ملاءته الفجر

كتب إليَّ شيخنا الفقيه القاضي الجليل العادل النزيه الصدر الأوحد الخطيب البليغ الأستاذ العلم الأكمل ، خلف أولياء الله تعالى ، ووارث درجتهم أبو البركات محمد بن محمد ابن الحاج البلفيقي أبقى الله بركته وحفظ في أعلا مراتب أهل العلم درجته ، سائلا ومغازلا :

يامَن إذا تنافرت المعاني   فهو لها حَكَم عادل
أيهما أثقل على الـ   ـمحب الرقيب أم العاذل

وقد ظهر لي من الأثقل ، لكن أردت أن يتأيد بما من ذلك يعقل ، مما عن مثلك من الأخيار ينقل ، لازلت للمعاني خبئاً ، ولطلابها ردءاً ، فأجبته جارياً من طريقة الأدب على المهيع الذي سلك ، والمذهب الذي ذهب ، وهو (الفصل العادل ، بين الرقيب والعاذل) ، تأليف مستقل ، انظره .

وترجمه في (الديباج) ، وفي (الجذوة) بملخص ما في (الاحاطة)، وترجمه في (كفاية المحتاج) ، وذكره في ترجمة الامام محمد المقْري .

وقال الشيخ أبو الحسن النباهي في كتابه (المرقبة العليا ، فيمن يستحق القضاء والفتيا) في حق صاحب الترجمة ما نصه :

ومن مشاهير القضاة الشيخ أبو البركات ، وهو محمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم السلمي من ذرية العباس

ابن مرداس المعروف في بلده بابن الحاج ، وفي غيره بالبلفيقي ، وبلفيق حصن من عمل مدينة المرية ، وبيته بيت دين وفضل ، ذكر ابن الآبار جده الأعلا أبا إسحاق ، وأطنب بالثناء عليه بالخير والصلاح ، وكان هذا الشيخ المترجم عنه ممن نشأ على طهارة وعفاف ، اجتهد في طلب العلم صغيراً وكبيراً، وعبر البحر إلى بجاية فأدرك بها المدرس المعمر أبا علي منصور بن عبد الحق المشدالي ، وحضر مجالسه العلمية ، وأخذ عنه وعن غيره من أهلها ، ثم أتى إلى مراكش وتجول فيما بينهما من البلاد، وآثر السكنى بسبتة على طريقة جده إبراهيم الأقرب إليه، إذ كان أيضاً قد استوطنها، ثم عَاد إلى الأندلس فأقام منها بمالقة ، واختص بخطيبها الولي أبي عبد الله الطنجالي ، روى عنه وعن غيره ، وقيد الكثير بخطه ،ورام في ابتداء طلبه التشبيه بالقاضي أبي بكر ابن العربي في لقاء العلماء ومصاحبة الأدباء والأخذ في المعارف كلها ، والتكلم في أنواعها، والاكثار من ملح الحكايات ، وطرف الأخبار ، وغريب الآثار ، حتى صار حديثه مثلا في الأقطار ، وهو مع ذلك على شدة انطباعه وكثرة رويته ، سريع العبرة عند ذكر الآخرة ، قريب الدمعة ، وكان كثير الضبط لحاله ، مهتماً بالنظر في تثمير ماله ، آخذاً في نفقته بقول سحنون بن سعيد : ما أحب أن يكون عيش الرجل إلا على قدر ذات يده ، ولا يتكلف أكثر مما في وسعه ، إلى أن قال : ومن كلامه رحمه الله : من اقتصر على التعيش منمرافق الملوك ضاع هو ومن له ، وشمله القل ، وخامره الذل ، اللهم إلا من كان من القوة بالله قد بلغ من الزهد في الدنيا إلى الحد الذي يكسبه الراحة بالخروج من متاعها ، وترك شهواتها قليلها وكثيرها ، مالها وجاهها فأمر آخر ، ومَن لنا بالعون على تحصيل هذا المقام ، ولا سيما في هذا الزمان ، ولم نسمع ممن قاربه من الولاة المتقدمين في الأندلس إلا ما حكي عن إبراهيم ابن أسلم وقد أراد الحكم المستنصر بالله رياضته ، فقطع عنه جرايته ، فكتب إليه عند ذلك :

تزيد على الاقلال نفسي نزاهـــة	وتأنس بالبلوى وتقوى مع الفقــر
فمن كان يخشى صرف دهر فانني	أمنت بفضل الله من نوب الدهـــر

فلما قرأ الحكم بيتيه أمر بــرد الجراية وحملها إليه ، فأعرض عنهـا وتمنع من قبولها ، وقال : إني والحمد لله تحت جراية من إذا عصيته لم يقطع

عني جرايته ، فليفعل الأمير ما أحب ، فكان الحكم بعد ذلك يقول : لقد أكسبنا ابن أسلم بمقالته مخزاة عظم منا موقعها ، ولم تسهل علينا المقارضة بها .

وتولى الشيخ أبو البركات القضاء في بلاد عديدة منها مالقة ، تقدم بها بعد شيخنا أبي عمرو ابن منظور ، وذلك صدر عام 735 ، ثم نقل إلى قضاء الجماعة بحضرة غرناطة والخطابة بها ، وكان مستوفياً لشروط الخطبة وجوباً وكمالا ، من صورة وهياة وطيب نغمة وكثرة خشوع وتوسط إنشاء ، وشهر بالصرامة في أحكامه ، والنزاهة أيام نظره ، ثم أخر عن قضاء الحضرة وأقام بها مدة إلى أن صير إلى مدينة المرية ، ثم أعيد إلى قضاء الجماعة ، واستعمل في السفارة بين الملوك ، فصحب السداد ورافقه الاسعاد ، وكان في أطواره سريعَ التكوين ، طامعاً في الوصول إلى مقام التمكين ، كثير الانتقال من قطر إلى قطر ، ومن عمل إلى عمل ، من غير استقرار منزل أو محل واحد ، ولذلك قال في أبياته التي أولها :

ما ذا تقول : فدتك النفس،في حالي يفنى زمانيٌ في حلٌ وترحـــال

وكـان التكلم بالشعر من أسهـل شيء عليه في كثير من مراجعاتـه وفنون مخاطباته ، وله منه ديوان كبير يحتوي من ضروب الآداب على جـد وهزل وسمين وجزل ، سماه بـ (العذب والاجاج) ، وكتاب سماه بـ (المؤتمن، في أنباء من لقيه من أبناء الزمن) ، واستقر بمدينة المرية قاضياً وخطيباً إلى أن توفي بها في شهر رمضان عام 772 عن غير عقب ذكر ، وكان أيام حياتـه ممن اكتسب المال الجم ، وتمتع من النساء بما لم يتأت في قطره لأمثاله من الفقهاء (1) .

وقال في (الحقائق والرقائق) ما نصه :

رقـيـقـة :

أنشدني محمد بن إبراهيم ابـن الحاج البلفيقي ، وقال : أنشدنـي محمد ابن رشيد الفهري وقال : أنشدني أبو حفص الخيمي المصري لنفسه :

---

1) المرقبة العليا ص 164 .

لو رأى وجه حبيبي عاذلــــــي   لتفارقنا على وجه جميـــــل

وأنشد هذا أيضا أبو إسحاق الشاطبي ، عن المقْري بالسند المتقدم في كتابه (الافادات والانشادات) ، وقال أيضاً : وأنشدني إنشادة عن القاضي أبي بكر ابن القرشي عن شيخه أبي البركات ابن الحاج لنفسه :

ألا ليت شعري هل لما أنا أرتجي   من الله في يوم الجزاء بـــــلاغ ؟

وهي اثنا عشر بيتاً .

وقال في (تاريخ الدولتين) ما نصه : وفي حدود إحدى وسبعين ، تولى الشيخ الفقيه القاضي أبــو البركات محمد بن أبي بكر المعروف بابــن الحاج ، ولي القضاء والخطبة ببلد المرية ، ثم ولي قضاء الجماعة وخطبة الحضرة بغرناطة ، ولما قدم على السلطان أبي عنان سأله عن عمره فقال له : ليس من المروءة أن يخبر الرجل بسنه ، كذا قال مالك ، فتغافل عنه وأخذ يسأله عن انتقالاته في البلاد ، وعن زمن رحلته لبجاية ، فأخبره بالتاريخ فسمعت لــه الكلام وقال : أترى عمرك حينئذ كم ؟ فبادره بأن قال : أتسرقني أنت ؟ وتفطن لما أراد منه انتهى .

وقال في (نيل الابتهاج) : قــال الحضرمي في مشيختــه : شيخنا الفقيه الجليل الأستاذ القاضي العدل النزيه الخطيب البليغ المتفنن العالــم الصالح الفاضل عماد الدين قاضي القضاة ، علم الرواة وفخر الولاة ، الامام الخاشع الشهير الأصيل المعظم . انتهى

قال ابن خلدون : ويعرف شيخنا شيخ المحدثيــن والفقهاء والأدباء والصوفية والخطباء بالأندلس ، وسيد أهل العلم باطلاق ، والمتفنن في أساليب المعارف وآداب صحبة الملوك فمن دونهم انتهى .

وقــال يحيى الســراج في فهرستــه : شيخنا الفقيه القــاضي الخطيب البليغ الأستاذ المقريء العالم المحدث المسند الراوية المكثر المحقق المتخلق ، سليل العلماء ونتيجة البررة الأولياء ، ابن الشيخ الفقيه الجليــل

السُّني السَّني الصالح الزاهد الخاشع الحسيب أبي بكر ابن الشيخ الأستاذ المحدث الرحال الناقد الراوية المتبرك به أبي إسحاق ، كان شيخنا محدثاً حافظاً متفنناً ، متمسكاً بطريق القوم مؤثراً لها ، حسن التلاوة ، طيب النغمة بالقراءة مع خشوع وبكاء ، حسن المجالسة ، مليح المداعبة ، صدراً في عدول القضاة وأيمة الرواية من ذوي الأحساب الطاهرة الأصيلة ، والبيوت الرفيعة الجليلة ، رحل في طلب العلم قديماً وحديثاً ، وحصل من المعقول والمنقول بغية أربه ، طلع بالأندلس شمساً منيرة، ونزع باجتهاده في المعارف والروايات إلى مناحيه الشهيرة ، أخذ عن عمه الفقيه المحدث أبي القاسم محمد ، والخطيب أبي الحسن ابن أبي العيش ، وأبي جعفر اللورقي ، وابن الزبير ، والقاضي ابن فركون ، وابن رشيد ، وأبي الحسن القيجاطي ، والقاضي ابن بكر ، وابن العاصي ، وأبي محمد ابن سلمون ، وابن الكماد ، وابن الفخار الأركشي ، وأبي الحسن عبيد الله ابن منظور ، وأبي عبد الله الهاشمي ، والقاضي ابن البنا الهمداني المالقي ، وأبي إسحاق الغافقي ، وابن حريث ، والفقيه المحدث الرحلة المحقق أبي القاسم التجيبي ، والعلامة أبي القاسم ابن الشاط ، وابن هانيء ، والفقيه الصالح أبي بكر محمد بن أحمد بن خليل السكوني ، والحافظ ابن سليمان القرطبي ، والنظار المتفنن أحمد بن محمد بن عثمان ابن البنا العددي ، والخطيب أبو غربون ، والناصر المشدالي في خلق كثيرين ، وله سماع كثير ، ولم ألق في هذه الطريقة أكبر منه ولا أعلم منه بهذا الشأن انتهى.

قال الحضرمي : كان على جلالته وتبحره في فنون المعارف شاعراً مفلقاً ، وأديباً بارعاً ، وخطيباً مفوهاً مصنفاً ، له ديوان كبير سماه (العذب والاجاج ، من شعر أبي البركات ابن الحاج) ، أتى فيه بالعجب العجاب ، أنشدني لنفسه كثيراً ، ومما أنشدني في التحذير من بذل الوجه للناس لغيره:

إذا أظمأتك أكف اللئـام ... كفتك القناعة شبعاً وريا
فكن رجلا رجله في الثـرا ... وهامة همته في الثريا
أبياً لنائل ذي ثـروة ... تراه بما في يديه أبيا
فان إراقة ماء الحيـا ... ة دون إراقة ماء المحيا

وسمعته ينشد ، وقد سئل عن سنه ، وكان مذهبه أن لا يخبر به ولا بتاريخ مولده :

إحفظ لسانك لا تبح بثلاثـــــة سن ، ومال إن سئلت ، ومذهـــب
فعلى الثلاثة تُبتلى بثلاثـــــة فبحاسد ومكفر ومكـــــــذب

ومن المأثور عن مالك : ليس من المروءة إخبار الرجل بسنه ، فقيل له لم ؟ قال : لأنه إن كان صغيراً استحقر ، أو كبيراً استهرم .

وتوفي شيخنا أبو البركات وقت الزوال يوم الجمعة أواخـر رمضان عام أحد وسبعين وسبعمئة عن نحو تسعين سنـة تخميناً ، وكانت جنازتـه حافلة ، وتبعه ثناء حسن .

انتهى ملخصاً .

وقال في (النفح) في فصل حكايات الأندلسيين في المجـون ومـا يجري مجراه ما نصه : وقال القاضي أبو البركات ابن الحاج البلفيقي رحمـه الله تعالى :

وعشية حكمت على من تاب مــــن أهل الخلاعة أن يعود لما مضـــى
جمعت لنا شمل السرور بفتيـــة جمعوا من اللذات شملا مرتضـــى
ما عاقني عن أن أسير بسيرهـــم إلا الرياء مع الخطابة والقضـــا

وقد وقفت على رسالة أبي جعفر ابن خاتمة تلميذ المترجم المشار لها سابقاً التي أجابه فيها عن سؤاله في الرقيب والعاذل أيهما أثقل ، بعد أن ظهر لـه الأثقل منهما ، ومحصلهـا : أن الرقيب مسلط العين ، والعـاذل مسلط اللسان ، والواشي مصرف العين واللسان ، وأثقل الثلاثة الرقيب ، وهو عدو مكافح ، والعذول مظهر أنه صدوق ناصح ، وقد قيل في المثل الصادق :

أثقل من واش على عاشـــــق والواشي دائر بين اللقبيـــــن

وممن ترجمه الحافظ في (الدرر الكامنة) ، نقلا عن ابن الخطيب ، ثم قال : وكان ابن خلدون عظيم الاجلال له ، لا يقدم عليه أحداً انتهى .

وذكر في (طبقات المالكية) أن من أشياخ المترجم أحمد ابن فركون قاضي القضاة بغرناطة ، أخذ عنه عند قدومه المرية قاضياً ، وقد تقدم ذكره .

612) محمد (السعيد) بن عبد العزيز المريني

محمد السعيد أبو زيان بن عبد العزيز بن أبي الحسن المريني ، هذا السلطان ممن ولي الأمر وهو صبي ، وفيه ألف ابن الخطيب كتابه المسمى بـ (إعلام الأعلام ، بمَن بويع من ملوك الاسلام قبل الاحتلام) ، كنيته أبو زيان ، أمه عائشة بنت القائد فارح العلج ، صفته آدم اللون شديد الأدمة .

ولما مات السلطان عبد العزيز رحمه الله بظاهر تلمسان، خرج الوزير أبو بكر ابن غازي ابن الكاس على الناس ، وقد احتمل أبا زيان ابن السلطان عبد العزيز فعزاهم عن سلطانهم ، ثم طرح ابنه بين أيديهم فازدحموا عليه باكين متفجعين يعطونه الصفقة ويقبلون يديه للبيعة ، ثم أخرجوه للمعسكر وأنزلوه بفساطيط أبيه ، وتم أمره ، وكفله الوزير المذكور ، فكان إليه الابرام والنقض، والصبي كالعدم ، إذ لم يكن في سن التصرف ، ثم إن الوزير ارتحل بالناس وجد السير فدخل حضرة فاس ، وأجلس الصبي لبيعة العامة فبايعوا ، ثم توافت لديه وفود الأمصار على العادة ، واستبد الوزير أبو بكر ، واستعمل على الجهات ، وجلس بمجلس الفصل ، واشتغل بأمر المغرب إبراماً ونقضاً ، ولما فصل بنو مرين عن تلمسان عاد إليها سلطانها أبو حمو بن يوسف الزياني ، والتفّت عليه بنو عبد الوادِ من كل جانب ، ومحا دعوة بني مرين من ضواحي المغرب الأوسط وأمصاره ، واتصل الخبر بالوزير أبي بكر ابن غازي فهم بالنهوض إليه ، ثم ثنى عزمه ما كان من خروج الأمير عبد الرحمان بن أبي يفلوسن بن أبي علي بن أبي سعيد بناحية بطوية ، فان السلطان ابن الأحمر كان قد سرحه من الأندلس صحبة وزيره مسعود بن عبد الرحمان ابن ماساي لطلب ملك المغرب ، تشغيباً على الوزير أبي بكر ابن غازي ، ثم اتبعه بالأمير أحمد ابن السلطان أبي سالم الذي كان محتاطاً عليه بطنجة ، فزحف الأمير أحمد المذكور إلى فاس وظاهره ابن عمه الأمير عبد الرحمان ابن أبي يفلوسن، فحاصروا الوزير أبا بكر ابن غازي وسلطانه أبا زيان بن عبد العزيز ، وضربوا

على فاس الجديد سياجاً بالبناء للحصار ، وأنزلوا به أنواع القتال بعد أن بعث ابن الأحمر رسله إلى الأمير عبد الرحمان باتصال اليد بابن عمه الأمير أحمد ومظاهرته على ملك سلفه بفاس ، واجتماعهما لمنازلتها ، وعقد بينهما الاتفاق والمواصلة ، وأن يختص عبد الرحمان بملك سلفه من سجلماسة وأعمالها ، فتراضيا وزحفا إلى فاس كما قلنا ، وأمدهم ابن الأحمر بجمع من جنده ، فاستمرّ الحال على حصار فاس إلى أن أذعن الوزير أبو بكر لخلع سلطانه أبي زيان ومبايعة الأمير أحمد ، فخلعه يوم الأحد السادس من محرم فاتح سنة ست وسبعين وسبعمئة ، وغرب إلى الأندلس ، فكانت دولته سنة وثمانية أشهر وأربعة عشر يوماً ، والله غالب على أمره (1) .

613) محمد بن عبد الله ابن الخطيب السلماني

محمد ابن الفقيه الكاتب عبد الله ابن الفقيه الكاتب القائد سعيد ابن الرئيس عبد الله ابن الفقيه الصالح الخطيب البليغ الواعظ الامام ولي الله سعيد بن علي بن أحمد السلماني القرطبي الأصل ، ثم لوشيه ، ثم غرناطيه ، المالكي المذهب المعروف بابن الخطيب ، يلقب من الألقاب المشرقية بلسان الدين ، يعرف بيتهم قديماً ببني الوزير ، وحديثاً بلوشة ببني الخطيب ، وسعيد الأعلا أول من تلقب بالخطيب ، والسلماني نسبة إلى سلْمان باسكان اللام على الصحيح ، والمحدثون يفتحونها ، حي من مراد من عرب اليمن القحطانيين، دخل الأندلس منهم جماعة من الشام ، وسلفُ صاحب الترجمة ينتسبون إليهم ، وكان له بلوشة على مرحلة من غرناطة سلف معروفون في وزارتها ، وانتقل والده عبد الله إلى غرناطة ، واستُخدم لملوك بني الأحمر ، وولِد ولده هذا بها ، وكانت ولادته كما ذكره في (الاحاطة) في الخامس والعشرين من رجب عام ثلاثة عشر وسبعمئة ، ونشأ بها على حالة حسنة ، سالكاً سبيل أسلافه ، وقرأ القرآن على الشيخ الصالح أبي عبد الله ابن عبد المولى العواد تكتباً وحفظاً ، ثم تجويداً على أستاذ الجماعة أبي الحسن القيجاطي ، وقرأ عليه

---

1) روضة النسرين ص 33 طبع المطبعة الملكية بالرباط ، وكتاب العبر (تاريخ ابن خلدون) 7 : 697 طبع بيروت .

أيضاً العربية ، وهو أول من انتفع به ، ولازم قراءة العربية والفقه والتفسير على الشيخ الامام أبي عبد الله ابن الفخار البيري شيخ النحويين لعهده ، وقرأ أيضاً على قاضي الجماعة أبي عبد الله بن بكر ، وعلى الخطيب أبي القاسم ابن جزي ، وتأدب بالرئيس أبي الحسن ابن الجياب ، وروى عن كثير من الأعيان ذكرهم المقْري في (نفح الطيب) ، منهم : أبو القاسم الشريف الغرناطي ، ومحمد ابن جابر الوادي آشي ، وأخوه أبو جعفر ، وأبو البركات ابن الحاج ، وابن مرزوق الخطيب ، وأبو القاسم ابن البنا ، وأبو محمد ابـن سلمون ، وأخوه أبو القاسم ابن سلمون ، وأبو عمرو ابن أبي جعفر ابن الزبير ، وأبو الحسن التلمساني ، والقاضي محمد المقْري ، وأبو عثمان ابن ليون وغيرهم ممن يكثر ، وأخذ الطب والتعاليمَ وصناعة التعديل عن الحكيم المشهور يحيى ابن هذيل ، ولازمه ، وكان رحمه الله إماماً أوحد ، علامة حافظاً فذاً مشاركاً ، أديباً بليغاً ، شيخ أهل البلاغة في العلوم العقلية والنقلية ، يضرب به المثل كتابة وشعراً وأدباً ومعرفة بسائر العلوم ، سيما علم التاريخ فانه دخل بيده من كتبه وطالع منها ما لا يمكن أن يدخل إلا بيد ملك شامخ الملك ، وقد قال القصار في بعض مقيداته : وناهيك بابن الخطيب وابن خلدون في علم التاريخ، وقال بعضهم : ابن الخطيب حذام فيما يقول .

وكـان رحمه الله مبتلى بـداء الأرق ، لا ينـام من الليـل إلا النزر اليسيـر جداً ، وقد قـال في كتابه (الوصـول ، لحفظ الصحة فـي الفصول) : العجب مني مع تأليفي لهـذا الكتاب الذي لم يؤلف مثله في الطب ، وعملي لذلك لا أقدر على مداواة داء الأرق الذي بي ، أو كما قال ، ولذا يقال له ذو العمريـن ، لأن الناس ينامون في الليل وهو ساهر فيـه ، ومؤلفاته ما كان يصنف غالبها إلا بالليل ، فانثنى له بذلك العمر ، وقد كان بعض الرؤساء بالمغرب يقول لسان الدين ذو الوزارتين وذو العمريـن وذو الميتتين وذو القبرين ، وبيان كـونه ذا الوزارتين أنه كان وزيـر السلطان يوسف بن إسماعيل الأنصاري الخزرجي بالأندلس ، ووزير ابنه محمد مـن بعده ، ثم لما تغير ما بينهما فرّ منه إلى سلطان المغرب عبد العزيز بـن أبي الحسن المريني فقبِله واستوزره ، وأحله من مجلسه محل الاصطفاء والقرب،

وبيان كونه ذا الميتتين وذا القبرين : أنه خنق أولا فمات وأقبر ، ثم إنه أخرج من قبره ، وفعل به سبب الموت مرة ثانية وهو الاحراق بالنار ، ثم أقبر مرة ثانية فكان كأنما مات مرتين ، ودفن في قبرين .

ألف رحمه الله تآليف كثيرة نحو الستين في كل فن ، وأكثرها في الأدب والتاريخ والطب ، منها : (التاج المحلى ، في مساجلة القدح المعلى) في سفرين ، و (الكتيبة الكامنة ، في أدباء المئة الثامنة) ، و (الاكليل الزاهر ، فيما فضل عند نظم التاج من الجواهر) ، و (بستان الدول)، كمل منه نحواً من ثلاثين سفراً ، و (عائد الصلة) في سفرين ، وكتاب (الاحاطة ، بما تيسر من تاريخ غرناطة) في ثمانية أو تسعة أسفار ، و (طرفة العصر ، في دولة بني نصر) في ثلاثة أسفار ، وكتاب (الوصول ، لحفظ الصحة في الفصول) في سفر ، وديوان شعر في سفرين ، (ونفاضة الجراب ، في علالة الاغتراب) في أربعة أسفار ، حاو لرواية واسعة ، وتراجم كثير من كبار من أجاز له ، فهو كالفهرس له ، بعضه مأخوذ بالتصوير الفتوغرافي عن أصل أندلسي يوجد الآن في مكتبة الاسكوريال ببلاد إسبانيا ، وقد نقل عنه ابن غازي كثيراً من تراجم المكناسيين في كتابه (الروض الهتون) ، و (ريحانة الكتاب ، ونجعة المنتاب) في ثمانية أسفار ، وله في التصوف (روضة التعريف ، بالحب الشريف) ، وهو كتاب غريب المنزع ، ضمنه من التصوف وعبارات أهله العجب العجاب ، وتكلم فيه على طريقة أهل الوحدة المطلقة ، وبذلك سجل عليه أعداؤه في نكبته الأخيرة التي ذهبت فيها نفسه ، ونسبوه إلى الزندقة والانحلال من ربقة الاسلام بتنقص النبي عليه السلام ، والقول بالحلول والاتحاد ، والانخراط في سلك أهل الالحاد ، إلى غير ذلك مما يطول ذكره ، وله أيضاً (حمل الجمهور ، على السنن المشهور) ، و (سد الذريعة ، في تفضيل الشريعة) ، و (استنزال اللطف الموجود ، في سر الوجود) ، و (إعلام الأعلام ، بمَن بويع من ملوك الاسلام قبل الاحتلام) في ثلاثة أسفار من آخر ما ألف ، و (رقم الحلل ، في نظم الدول) في غاية الحلاوة والعذوبة والجزالة وشرحه ، وغير ذلك مما يطول ذكره ، وقد طبعا معاً ، وأحد أجزاء (الاعلام) .

وللمقْري مؤلف (نفح الطيب) :

تصانيف الوزير ابن الخطيـــب   ألذ من الصبا الغض الرطيـــب
فأية راحة ونعيم عيـــــش   توازي كتبه أم أي طيـــــب

ولـغـيـره :

وما زمن الشباب وأنت تجـــري   مع الأحباب في لهو وطيـــب
ووصل من حبيب بعد هجـــر   بأحلا من كلام ابن الخطيـــب

قال ابن خلدون ، بعد ذكر المترجم ، وامتلأ حوض السلطان مـن نظمه ونثره ،مع انتقاء الجيد منه ، وبلغ في الشعر والترسيل حيث لا يجارى فيهما ، وامتـدح السلطان أبا الحجاج مـن ملوك بني الأحمر ، ومـلأ الدولة بمدائحه ، وانتشرت في الآفاق قدماه فرقاه السلطان إلى خدمته ، وأثبته في ديوان الكتاب ببابه ، مرؤوساً بأبي الحسن ابن الجياب شيخ العدوتين فـي النظم والنثر وسائر العلوم الأدبية ، وكاتب السلطان بغرناطة من لدن أيام محمد المخلوع من سلفه عند ما قتل وزيره محمد ابن الحكيم المستبد عليه كما مر في أخبارهم ، فاستبد ابن الجياب برياسة الكتاب من يومئذ إلى أن هلك في الطاعون الجارف سنة تسع وأربعين وسبعمئة ، فولى السلطان أبو الحجاج يومئذ محمد ابن الخطيب هذا رياسة الكتاب ببابه ، وثناه بالوزارة ، ولقبه بها ، فاستقل بذلك وصدرت عنه غرائب مـن الترسيل في مكـاتبات جيرانهم من ملوك العدوة ، ثم داخلـه السلطان في تولية العمال عـلى يديه بالمشارطات ، فجمع له بها أموالا ، وبلغ به المخالصة إلى حيث لم يبلغ بأحد من قبله ، وسفر عنه إلى السلطان أبي عنان ملك بني مرين بالعدوة ، مغريـاً بأبيه السلطان أبي الحسن ، فجلى في أغراض سفارته ، ثم هلك السلطان أبو الحجاج سنة خمس وخمسين ، عدا عليه بعض الزعانف يوم الفطر بالمسجد في سجوده للصلاة وطعنه فأشواه لوقته ، وتعاورت سيوف الموالي المعلوجي هذا القاتل فمزقوه أشلاء ، وبويع ابنه محمد بالأمر لوقته ، وقام بأمره مولاهم رضوان الراسخ القدم في قيادة عساكرهم وكفالة الأصاغر من ملوكهم ، واستبد

بالدولة وأفرد ابن الخطيب بوزارته كما كان لأبيه ، واتخذ لكتابته غيره ، وجعل ابن الخطيب رديفاً له في أمره ، وتشاركا في الاستبداد معاً ، فجرت الدولة على أحسن حال وأقوم طريقة ، ثم بعثوا الـوزير ابن الخطيب سفيراً إلـى السلطان أبي عنان مستمدين له على عدوهم الطاغية على عادتهم مع سلفه ، فلما قدم على السلطان ومثل بين يديه ، تقدم الوفد الذي معه من وزراء الأندلس وفقهائها ، فاستأذنه في إنشاد شيء من الشعر يقدمه بين يدي نجواه ، فأذن له : وأنشد وهو قائم :

خليفة الله ساعد القـــــــدر ... علاك ما لاح في الدجا قمـــــر

ودافعت عنك كف قدرتـــــــه ... ما ليس يستطيع دفعه البشـــــر

وجهك في النائبات بدر دجـــــا ... لنا ، وفي المَحْل كفك المطـــر

والناس طراً بأرض أندلـــــس ... لولاك ما أوطنوا ولا عمــــروا

ومن به مذ وصلت حبلهــــــم ... ما جحدوا نعمة ولا كفـــــروا

وقد أهمتهم نفوسهـــــــــم ... فوجهوني إليك وانتظـــــروا

فاهتز السلطان لهذه الأبيات ، وأذن له بالجلوس ، وقال له قبل أن يجلس : ما ترجع إليهم إلا بجميع مطالبهم ، ثم أثقل كاهلَهم بالاحسان ، وردهم بجميع ما طلبوه .

وقـال شيخنـا القاضي أبـو القاسم الشريف ــ وكـان معه فـي ذلك الوفد ــ : لم يُسمع بسفير قضى سفارته قبل أن يسلم على السلطان إلا هذا ، ومكثت دولتهم هذه بالأندلس خمس سنين ، ثم نازلهم محمد الرئيس ابن عم السلطان يشاركه في جده الرئيس أبي سعيد ، وتحين خروج السلطان إلى منتزهه خارج الحمراء ، وتسوَّر دار الملك المعروفة بالحمراء فأخرجه ، وبايع له ، وقال بأمره مستبداً عليه ، واحتس السلطان محمد بقرع الطبول وهـو بالبستان ، فركب بادياً إلى وادي آش وضبطها ، وبعث بالخبر إلى السلطان أبي سالم إثر ما استولى على ملك آبائه بالمغرب ، وقد كان مثواه أيام أخيه أبي عنان عندهم بالأندلس ، واعتقل الرئيس القائـم بالدولة هذا الوزير ابـن الخطيب ، وضيق عليه في محبسه ، وكانت بينه وبين الخطيب ابن مرزوق مودة استحكمت أيام مقامه بالأندلس ، كما مر ، وكان غالباً على هوى السلطان

أبي سالم ، فزين له استدعاء هذا السلطان المخلوع من وادي آش ، يعده زبوناً على أهل الأندلس ، ويكف به عادية القرابة المرشحين هنالك متى طمحوا إلى ملك المغرب ، فقبل ذلك منه ، وخاطب أهل الأندلس في تسهيل طريقه من وادي آش إليه ، وبعث من أهل مجلسه الشريف أبا القاسم التلمساني ، وحمله مع ذلك الشفاعة في ابن الخطيب ، وحل معتقله فأطلق ، وصحب الشريف أبا القاسم إلى وادي آش ، وسار في ركاب السلطان ، وقدموا على السلطان أبي سالم ، فاهتز لقدوم ابن الأحمر (I) ، وركب في الموكب لتلقيه ، وأجلسه إزاء كرسيه ، وأنشد ابن الخطيب قصيدته كما مر يستصرخ السلطان بنصره ، فوعده ، وقد كان يوماً مشهوداً ، وقد مر ذكره ، ثم أكرم مثواه ، وأرغد نزله ، ووفر أرزاق القادمين في ركابه ، واختص به ، وأرغد عيش ابن الخطيب في الجراية والاقطاع ، واستأذن السلطان في التحول إلى جهات مراكش والوقوف على آثار الملك بها ، فأذن له ، وكتب إلى العمال باتحافة ، فتباروا في ذلك ، وحصل منه على حظ ، وعندما مر بسلا في قفوله من سفره دخل مقبرة الملوك بشالة ووقف على قبر السلطان أبي الحسن ، وأنشد قصيدته على روي الراء الموصولة يرثيه ويستثير به استرجاع ضياعه بغرناطة ، مطلعها :

إن بان منزله وشطت داره | قامت مقام عيانه أخباره
قسم زمانك عِبرة أو عَبرة | هذا ثراه وهذه آثاره

فكتب السلطان أبو سالم في ذلك إلى أهل الأندلس بالشفاعة فشفعوه ، واستقر هو بسلا منتبذاً عن سلطانه طول مقامه بالعدوة ، ثم عاد السلطان محمد المخلوع إلى ملكه بالأندلس سنة ثلاث وستين ، وبعث عن مخلفه بفاس من الأهل والولد ـ والقائم بالدولة يومئذ عمر بن عبد الله بن علي ـ فاستقدم ابن الخطيب من سلا وبعثهم لنظره ، فسر السلطان بمقدمه ، ورده إلى منزلته كما كان مع رضوان كافله ، وكان عثمان بن يحيى عمر شيخ

I) تقدمت فى 307 من ج 7 من تاريخ ابن خلدون ، وستأتى (مؤلف) .

الغزاة وابن أشياخهم قد لحق بالطاغية في ركاب أبيه عندما أحس بالشر من الرئيس صاحب غرناطة ، وأجاز يحيى من هنالك إلى العدوة ، وأقام عثمان بدار الحرب ، فصحب السلطان في مثوى اغترابه هنالك ، وتقلب في مذاهب خدمته ، وانحرفوا عن الطاغية بعد ما يئسوا من الفتح على يديه ، فتحولوا عنه إلى ثغور بلاده ، وخاطبوا عمر بن عبد الله في أن يمكنهم من بعض الثغور الغربية التي أطاعتهم بالأندلس يرتقبون منها الفتح ، وخاطب ابن خلدون السلطان المخلوع في ذلك ، وكانت بينه وبين عمر بن عبد الله ذمة مرعية متأكدة ، فوفي للسلطان بذلك من عمر بن عبد الله ، وحمله على أن يرد عليه مدينة رندة إذ هي من تراث سلفه ، فقبل إشارته في ذلك ، وتسورها السلطان المخلوع ونزل بها عثمان بن يحيى في جملته وهو مقدم في بطانته ، ثم غزوا منها مالقة ، فكانت ركاباً للفتح ، وملكها السلطان ، واستولى بعدها على دار ملكه بغرناطة ، وعثمان بن يحيى مقدم القوم في الدولة عريق في المخالصة ، وله على السلطان دالة واستبداد على هواه ، فلما فصل ابن الخطيب بأهل السلطان وولده ، وأعاده السلطان إلى مكانه من الدولة من علو يده وقبول إشارته ، أدركته الغيرة من عثمان ونكر على السلطان الاستكفاء به والتخوف من هؤلاء الأعياص على ملكه ، فحذره السلطان ، وأخذ في التدبير عليه حتى نكبه وأباه وإخوته في رمضان سنة أربع وستين ، وأودعهم المطبق ، ثم غربهم بعد ذلك ، وخلا لابن الخطيب الجو ، وغلب على هوى السلطان ، وأخذ ودفع إليه تدبير المملكة ، وخلط بنيه بندمائه وأهل خلوته ، وانفرد ابن الخطيب بالحل والعقد ، وانصرفت إليه الوجوه ، وعلقت عليه الآمال ، وغشي بابه الخاصة والكافة ، وغصت به بطانة السلطان وحاشيته ، فتفننوا في السعايات فيه وقد صم السلطان عن قبولها ، ونما الخبر بذلك إلى ابن الخطيب ، فشمر عن ساعده في التقويض عنهم ، واستخدم للسلطان عبد العزيز ابن السلطان أبي الحسن ملك العدوة يومئذ في التقبض على ابن عمه عبد الرحمان بن أبي يفلوسن ابن السلطان أبي علي ، كانوا قد نصبوه شيخاً على الغزاة في الأندلس لما أجاز من العدوة بعد ما جاس خلالها لطلب الملك ، وأضرم بها نار الفتنة في كل ناحية ، وأحسن دفاعه الوزير عمر بن عبد الله القائم حينئذ بدولة بني

مرين ، فاضطر إلى الاجازة إلى الأندلس فأجاز هو ووزيره مسعود ابن ماسي، ونزلوا على السلطان المخلوع أعوام سبعة وستين ، فأكرم نزلهم ، وتوفي علي ابن بدر الدين شيخ الغزاة فقدم عبد الرحمان مكانه ، وكان السلطان عبد العزيز قد استبد بملكه بعد قتلـه الوزير عمر بن عبد الله ، فغض بمـا فعله السلطان المخلوع من ذلك ، وتوقع انتقاض أمره منهم ، ووقف على مخاطبات من عبد الرحمان يسر بها في بني مرين، فجزع لذلك، وداخله ابن الخطيب في اعتقال ابن أبي يفلوسن وابن ماساي واراحة نفسه من شغبهم على أن يكون له المكان من دولته متى نزع إليه،فأجابه إلى ذلك وكتب له العهد بخطه على يد سفيره إلى الأندلس وكاتبه أبي يحيى ابن أبي مدين،وأغرى ابن الخطيب سلطانه بالقبض على ابن أبي يفلوسن وابن ماساي ، فتقبض عيلهما واعتقلهما ، وفي خلال ذلك استحكمت نفرة ابن الخطيب لما بلغه عن البطانة من القدح فيه والسعاية،وربمـا تخيل له أن السلطان مال إلى قبولها وأنهم قد أحفظوه عليه ، فأجمع التحول عن الأندلس إلى المغرب، واستأذن السلطان في تفقد الثغور الغربية ، وسار إليها في لمة من فرسانه ، ومعه ابنه علي الذي كان خالصة للسلطان ، وذهب لطيته ، فلما حاذى جبل الفتح فرضة المجاز إلى العدوة مال إليه وسرح أذنه بين يديه ، فخرج قائد الخيل لتلقيه ، وقد كان السلطان عبد العزيز قد أوعز إليه بذلك ، وجهز إليه الأسطول من حينه ، فأجاز إلى سبتة ، وتلقاه ولاتها بأنواع التكرمة وامتثال الأوامر ، ثم سلك لقصد السلطان فقدم عليه سنة ثلاث وسبعين بمُقامه من تلمسان ، فاهتزت له الدولة ، وأركب السلطان خاصته لتلقيه ، وأحلـه بمجلسه بمحل الأمن والغبطة ، ومن دولته بمكان الشرف والعزة ، وأخرج لوقته كاتبه أبا يحيى ابن أبي مدين سفيراً إلى صاحب الأندلس في طلب أهله وولده، فجاء بهم على أكمل حالات الأمن والتكرمة، ثم لغط المنافسون له في شأنه، وأغروا سلطانه بتتبع عثراته ، وأبدوا ما كان كامناً في نفسه من سقطات دالته، وإحصـاء معايبة ، وشاع على السنة أعدائـه كلمات منسوبة إلى الزندقـة أحصوها عليه، ونسبوها إليه ، ورفعت إلى قاضي الحضرة أبي الحسن ابن الحسن فاستردها وسجل عليه بالزندقة ، وراجع صاحب الأندلس رأيه فيه ، وبعث

القاضي ابن الحسن إلى السلطان عبد العزيز في الانتقام منه بتلك السجلات ، وإمضاء حكم الله فيه ، فصمم عن ذلك وأنف لذمته أن تخفر ، ولجواره أن يرد، وقال لهم: هلا انتقمتم منه وهو عندكم وأنتم عالمون بما كان عليه ؟ وأما أنا فلا يخلص إليه بذلك أحد ما كان في جواري ، ثم وفر الجراية والاقطاع له ولبنيه ولمن جاء من فرسان الأندلس في جملته ، فلما هلك السلطان عبد العزيز سنة أربع وسبعين ورجع بنو مرين إلى المغرب ، وتركوا تلمسان ، سار هو في ركاب الوزير أبي بكر ابن غازي القائم بالدولة ، فنزل بفاس ، واستكثر من شراء الضياع ، وتأنق في بناء المساكن واغتراس الجنات ، وحفظ عليه القائم بالدولة الرسوم التي رسمها السلطان المتوفى ، واتصلت حاله على ذلك (1) .

وقال ابن خلدون أيضاً : لما استولى السلطان أحمد على البلد الجديد دار ملكه فاتح ست وسبعين واستقل بسلطانه والوزير محمد بن عثمان مستبد عليه، وسليمان بن داوود من أعراب بني عسكر رديف له ، وقد كان الشرط وقع بينه وبين السلطان ابن الأحمر عندما بويع بطنجة على نكبة ابن الخطيب وإسلامه إليه لما نما إليه عنه أنه كان يغري السلطان عبد العزيز بملك الأندلس ، فلما زحف السلطان أحمد من طنجة ولقي الوزير أبا بكر ابن غازي بساحة البلد الجديد فهزمه السلطان ولاذ منه بالحصار آوى معه ابن الخطيب إلى البلد الجديد خوفاً على نفسه ، فلما استولى السلطان على البلد أقام أياماً ، ثم أغراه سليمان بن داوود بالقبض عليه فقبضوا عليه وأودعوه السجن ، وطيروا بالخبر إلى السلطان ابن الأحمر ، وكان سليمان بن داوود شديد العداوة لابن الخطيب ، بما كان سليمان قد بايعه السلطان ابن الأحمر على مشيخة الغزاة بالأندلس متى أعاده الله إلى ملكه ، فلما استقر له سلطانه ، أجاز إليه سليمان سفيراً عن عمر بن عبد الله ، ومقتضياً عهده من السلطان فصده ابن الخطيب عن ذلك بأن تلك الرياسة إنما هي لاعياص الملك من آل عبد الحق ، لأنهم يعسوب زناتة ، فرجع آيساً ، وحقد ذلك لابن الخطيب ، ثم جاور الأندلس بمحل إمارته من جبل الفتح ، فكانت تقع بينه وبين ابن الخطيب مكاتبات

1) **كتاب العبر** (تاريخ ابن خلدون) 7 :689 طبع بيروت .

يتنفّس كل منهما لصاحبه بما يحفظه لما كمن في صدورهما ، وحين بلغ الخبر بالقبض على ابن الخطيب إلى السلطان ، بعث كاته ووزيره بعد ابن الخطيب ـ وهو محمد ابن زمرك ـ فقدم على السلطان أحمد ، وأحضر ابن الخطيب بالمشور في مجلس الخاصة وأهل الشورى ، وعرض عليه بعض كلمات وقعت له في كتابته ، فعظم عليه النكير فيها ، فوبخ ونكل ، وامتحن بالعذاب بمشهد ذلك الملأ من الناس، ثم تل إلى محبسه، واشتوروا في قتله بمقتضى تلك المقالات المسجلة عليه ، وأفتى بعض الفقهاء فيه ، ودس سليمان بن داوود لبعض الأوغاد من حاشيته بقتله ، فطرقوا السجن ليلا ومعهم زعانفة جاءوا في لفيف الخدم مع سفراء السلطان ابن الأحمر ، وقتلوه خنقاً في محبسه ، وأخرجوا شلوه من الغد فدفن بمقبرة باب المحروق ، ثم أصبح من الغد على شفة قبره طريحا وقد جمعت له أعواد وأضرمت عليه ناراً فاحترق شعره واسود بشره وأعيد إلى حفرته ، وكان في ذلك انتهاء محنته ، وعجب الناس من هذه الشنعاء التي جاء بها سليمان ، واعتدوها من هناته ، وعظم النكير فيها عليه وعلى قومه وأهل دولته ، والله الفعال لما يريد .

وكان ـ عفا الله عنه ـ أيام امتحانه بالسجن يتوقع مصيبة الموت ، فتجيش هواتفه بالشعر ، ويبكي نفسه ، ومما قال في ذلك :

بُعدنا وإن جاورتنا البيوت ... وجئنا بوعظ ونحن صموت
وأنفاسنا سكنتْ دفعة ... كجهر الصلاة تلاه القُنوت
وكنا عظاماً فصرنا عظاماً ... وكنا نقوت فها نحن قوت
وكنا شموس سماءِ العلا ... غربن ، فناحت عليها السموت
فكم جدلت ذا الحسام الظبا ... وذو البخت كم جدلتْه البخوت
وكم سيق للقبر في خرقة ... فتى مُلئت من كساه التخوت
فقل للعدا ذهب ابن الخطيب ... وفات ، ومن ذا الذي لا يفوت ؟
فمن كان يفرح منكم له ... فقل يفرح اليوم من لا يموت (1)

---

1) كتاب العبر (تاريخ ابن خلدون) 7 : 707 طبع بيروت .

وقال في (إنباء الغمر) لدى سنة 776 حين ترجمه فيها ما نصــه : واشتهر أنه نظم حين قدم للقتل الأبيات المشهورة التي يقول فيهــا :

فقل للعدى ذهب ابن الخطيـــب وفات ، فسبحان مَن لا يفـــوت
فمن كان يشمت منكم بـــــه فقل يشمت اليوم مَن لا يمـــوت

والصحيح في ذلك ما ذكره صديقنا وشيخنا ولي الدين ابن خلدون أنه نظم الأبيات المذكورة وهو في السجن لما كان يستشعر من الفتك به ، انتهــى .

وقال في (تاريخ الدولتين) ، بعد ذكر المترجم ، ما نصه : سمعت بعض الشيوخ يحكي أن من نظمه في اليوم الذي قتل فيه :

قف كي ترى مغربَ شمس الضحى بين صلاة العصر والمغـــــرب
واسترحم الله قتيلا بهـــــا كان وحيد العصر في المغـــرب

وقال في (خلاصة الاثر) ، لدى ترجمة أحمد المقْري ما نصه بعــد ذكر المترجم : ومن أعجب ما وقع له أنه كان نظم هذا المقطوع (قف لترى مغرب) البيتين ، فاتفق أنه قتل بين هاتين الصلاتين ، فالمراد من (شمس الضحى) نفسه ، وقوله (واسترحم الله قتيلا بها) معناه : اسأل الله رحمــة للقتيــل بشمس الضحى ، فضمير بهــا عائد إلى شمس الضحى عــلى سبيل الاستخدام ، وكلا المعنيين مجازي انتهى .

وقال ابن خلدون قبل ذلك ــ لما ذَكَر خلع ابن الأحمر صاحــب غرناطة وتوجيه أبي سالم المريني سلطان المغرب الشريف أبا القاسم من أهل مجلسه للأندلس للاتيان بالمخلوع مــع وزيره المترجم الذي كــان اعتقل ، فأجازوا إلى المغرب وقدموا عــلى السلطان بفاس وأجلَّ قدوم المخلوع ــ ما نصه : ووقف وزيره ابن الخطيب فأنشد السلطان قصيدته الرائية يستصرخه لسلطانه ، ويستحثه لمظاهرته على أمره ، واستعطف واسترحم بما أبكــى الناس شفقة له ورحمة ، ونص القصيدة :

سلا هل لديها من مخبرة ذكـــر ؟ — وهل أعشب الوادي ونمَّ به الزهر؟
وهل باكر الوسميُّ داراً على اللوى — عفت آيها إلا التوهم والذكـــــر
بلادي التي عاطيت مشمولة الهوى — بأكنافها ، والعيش فينان مخضـر
وجوى الذي ربَّى جناحيَّ وكـره — فها أنا ذا ما لي جناح ولا وكـــر
نبت بيَّ لا عن جفوة وملالـــــة — ولا نسخ الوصلَ الهنيَّ لها هجر
ولكنها الدنيا قليل متاعهـــــا — ولذاتها دأباً تزور وتـــــزور
فمن لي بنيل القرب منها ، ودوننا — مدى طال حتى يومه عندنا شهـر
ولله عينا من رآنا ، وللأســـى — ضرام له في كل جانحة جمــر
وقد بددت در الدموع يد النــوى — وللبين أشجان يضيق لها الصـدر
بكينا على النهر الشروب عشيـــة — فعاد أجاجاً بعدنا ذلك النهـــر
أقول لاظعاني وقد غالها الســرى — وآنسها الحادي وأوحشها الزجـر
رويدك بعد العسر يسر فأبشـري — بانجاز وعد الله قد ذهب العســر
وإن تجبن الأيام لم تجبن النهــى — وإن يخذل الأقوام لم يخذل الصبر
وإن عركت مني الخطوب مجربـــاً — نقاباً تساوى عنده الحلو والمـــر
فقد عجمت عوداً صليباً على النوى — وعزماً كما تمضي المهندة البتـــر
إذا أنت بالبيضاء قررت منزلـــي — فلا اللحم حل ما جنيت ولا الظهر
زجرنا بابراهيم مليء همومنـــــا — فلما رأينا وجهه صدق الزجـــر
بمنتخب من آل يعقوب كلمـــــا — دجا الخطب لم يكذب لعزمته فجر
تناقلت الركبان طيب حديثـــــه — فلما رأته صدق الخَبَرَ الخُبـــر
ندى لو حواه البحر لذَّ مذاقـــــه — ولم يتعقب مده أبداً جـــــــزر
وبأس غداً يرتاع من خوفه الردى — وترفل في أذياله الفتية البكـــر
أطاعته حتى العصم في قنن الربا — وهشَّت إلى تأميله الأنجم الزهر

* * * *

قصدناك يامولى الملوك على النوى — لتنصفنا لما جنى عبدك الدهـــــر
كففنا بك الأيام عن غلوائهـــــا — وقد رابنا منها التعسف والكبـــر
وعذنا بذاك المجد ، فانصرف الردى، — ولذنا بذاك العز، فانهزم الشـر
ولما أتينا البحر نرهب موجـــــه — ذكرنا نداك الغمر ، فاحتقر البحر

خلافتك العظمى ، ومن لم يدن بها ... فايمانه لغوٌ ، وعرفانه نكـــر
ووصفك يهدي المدح قصد صوابه ... إذا ضل في أوصاف مَن دونك الشعر
دعتك قلوب المسلمين وأخلصت ... وقد طاب منها السر لله والجهـر
ومدت إلى الله الأكف ضراعـــة ... فقال لهنَّ الله قد قُضِيَ الأمـر
وألبسها النعمى ببيعتك التـــي ... لها الطائر الميمون والمحتد الحـر
فأصبح ثغر الثغر يبسم ضاحكـــاً ... وقد كان مما نابه ليس يفتـــر
وأمَّنت بالسلم البلاد وأهلهـــا ... فلا ضيمة تعدو ولا روعة تعـرو
وقد كان مولانا أبوك مصرحــاً ... بأنك في أولاده الولد البـــر
وقد كنت حقا بالخلافة بعـــده ... عن الفور ، لكن كل شيء له قدر
فأوحشت من دار الخلافة هالـــة ... أقامت زماناً لا يلوح بها البـــدر
وردّ عليك الله حقك ، إذ قضـــى ... بأن تشمل النعمى وينسدل الستر
وقاد إليك الملك رفقاً بخلقـــه ... وقد عدموا رُكن الامامة واضطروا
وزادك بالتمحيص عزا ورفعـــة ... وأجراً، ولولا السبك ما عرف التبر
وأنت الذي تُدعى إذا دهم الردى، ... وأنت الذي تُرجى،إذا أخلف القطر
وأنت إذا جار الزمان بحكمـــه ... لك النقض والابرام والنهي والأمر
وهذا ابن نصر قد أتى ، وجناحـــه ... كسير ، ومن علياك يُلتمس النصر
غريب يرجي منك ما أنت أهلـــه ... فان كنت تبغي الفخر قد جاءك الفخر
فعد ياأمير المسلمين لبيعـــة ... موثقة قد حل عقدتها الغـــدر
ومثلك من يرعى الدخيل ومن دعا ... بآل مرين جاءه العز والنصـــر
وخذ ياإمام الحق للحق ثـــأره ... ففي ضمن ما تأتي به العز والأجر
وأنت لها ياناصر الحق ، فلتقـم ... بحق ، فما زيد يُرجى ولا عمـرو
فان قيل مال ، مالك الدثر وافر ، ... وإن قيل جيش ، عندك العسكر المجر
يكف بك العادي ويحيى بك الهدى ... ويبني بك الاسلام ما هدم الكفـر
أعده إلى أوطانه عنك ثانيـــا ... وقلده نعماك التي ما لها حصـر
وعاجل قلوب الناس فيه بجبرهـا ... فقد صدهم منك التغلب والقهـر
وهم يرقبون الفعل منك ، وصفقة ... تحاولها يمناك ، ما بعدها خسـر
مرامك سهل لا يؤودك كفلـــه ... سوى أنه عرض له في العلا حظر

وما العمر إلا زينة مستعــــــارة ... ترد ، ولكن الثناء هو العمـــــــر
ومن باع ما يفنى بباق مخلـــــد ... فقد أنجح المسعى وقد ربح التجر
ومن دون ما تبقيه يامالكَ العـــلا ... جياد المذاكى والمحجلة الغـــــر
وراد وشقر واضحات شياتهـــــا ... فأجسامها تبر وأرجلهـــــا در
وشهب إذا ما ضمرت يومَ غــارةٍ ... مصممة غارت بها الأنجم الزهـــر
وأسد رجال من مرين أعـــــزة ... عمائمها بيض وآسالها سمـــــر
عليهم من الماذيِّ كل مفاضــــة ... تدافع في أعطافهااللجج الخضـــر
هم القوم إن هبوا لكشف ملمـــة ... فلا الملتقى صعب ولا المرتقى وعر
إذا سئلوا أعطوا، وإن نوزعوا سطوا، ... وإن وعدوا وفوا، وإن عاهدوا بروا
وإن سمعوا العواء وافوا بأنفـــس ... حرام على هماتها في الوغى الفـر
وإن مدحوا اهتزوا ارتياحاً كأنهـم ... نشاوى تمشت في معاطفهمخمـــر
وتبسم ما بين الوشيج ثغورهـــم ... وما بين قضب الدوح يبتسم الزهر

* * * *

أمولاي غاضت فكرتي وتبلـــــدت ... طباعي ، فلا طبع يعين ولا فكـــر
ولولا حنان منك داركتَني بــــه ... وأحييتني لم يبق عين ولا أثـــــر
فأوجدت مني فائتاً أي فائـــــت ... وأنشرت ميتاً ضم أشلاءه قبــــر
بدأت بفضل لم أكن لعظيمــــــه ... بأهل،فحل اللطف وانشرح الصدر
وطوقتني النعمى المضاعفة التـــي ... يقل عليها منيِّ الحمد والشكـــر
وأنت بتتميم الصنائع كافـــــل ... إلى أن يعود العز والجاه والوفـــر
جزاك الذي أسنى مقامك رحمـــة ... تفك بها العاني وينفس مضطـــر
إذا نحن أثنينا عليك بمدحـــــة ... فهيهات يُحصي الرمل أو يُحصر القطر
ولكننا نأتي بما نستطيعـــــــه ... ومن بذَل المجهود حقَ له العذر (1)

وقال في ترجمته من (الجذوة) من نظمه في التورية :

كتبت بدمع عيني صفح خــــدي ... وقد منع النبي هجر الخليـــــل
وراب الحاضرين فقلت هـــــذا ... كتاب العين ينسب للخليـــــل

---

1) **كتاب العبر** (تاريخ ابن خلدون) 7 : 638 طبع بيروت .

وله أيضاً :

ولما رأت عزمي حثيثاً على النوى ... وقد رابها صبري على موقف البين
أتت بصحاح الجوهري دموعهـــا ... فعارضت من عيني بمختصر العين

وله أيضاً :

مضجعي فيك عن قتادة يـــروي ... وروى عن أبي الزناد فـــؤادي
وكذا النوم شاعراً فيك أمســـي ... من دموعي يهيم في كـــل وادي

وله أيضاً :

حين ساروا عني وقد خنقتنـــي ... عبرات قد عبَّرتْ عن ولوعـــي
صحت من ينصر الغريب ؟ فلمـا ... لم أجد ناصراً بلعت دموعـــي

وله وقد جلس السلطان في يوم شديد البرد للسلام :

جلس المولى لتسليم الـــورى ... ولفصل البرد في الجو احتكـــام
فاذا ما سألوا عن يومنـــا ... قلت هذا اليوم برد وســـلام

وله أيضاً :

بأبي ظبياً غزانـــــي ... مستبيحاً سرح صـــدري
فأنا اليوم شهيد الحـــــ ... ـــب من غزوة بـــدر

وله فيمن ركب البحر وماد :

ركب السفينة واستقل بأفقهـــا ... فكأنما ركب الهلال الفرقـــد
وشكوا إليَّ بميده فأجبتهـــم ... لا غروَ أن ماد القضيب الأملد

وله أيضاً :

وعجلتُ وخط الشيب في مفرق الصبا ... لخوضي غمار الهم في طلب المجد
فمهما رأيتم شيبة في مفارقـــي ... فلا تنكروها إنها شيبة الحمـــد

وله أيضاً :

يامن تقلد للعلاء سلوكــــا — والفضل أضحى نهجه مسلوكــا
كاتبتني متفضلا فملكتنــي — لا زلت منك مكاتباً مملوكــا

وله أيضاً في غرناطة :

بلد تحف به الرياض كأنــه — وجه جميل والرياض عــذاره
وكأنما واديه معصم غــادة — ومن الجسور المحكمات ســواره

وله أيضاً في جبل شلير :

شلير لعمري أساء الجـــوار — وسد عليَّ رحيب الفضـــا
هو الشيخ أبرد شيء يـــرى — إذا لبس البرنس الأبيضـــا

وله أيضاً :

ياليل طلت ولم تجد بتنســم — وأريتني خلق العبوس النــادم
هلا رحمت تغربي وتفرقــي — لله ما أقساك ياابن الخــادم

وله أيضاً في دواة وقلم :

ما رأت عيني عجيبــاً — كــيــراع فــي دواة
غائصاً يستخرج الـــدر — بــبــحــر الظلمــات (1)

قال أبو الوليد إسماعيل ابن الأحمر في (نثير الجمان) له : وأنشدني في الحنين إلى الأوطان الحاجب القائد الخطيب الفقيه الكاتب صاحب القلم الأعلا محمد ابن الخطيب السلماني بفاس يتشوق معاهده بالأندلس لما كان بالعدوة حين خلع عن ملكه مخدومه ابن عمنا السلطان الغني بالله محمد :

أحبك يامغنى الحقوق بواجــب — وأقطع في أوصافك الغر أوقاتــي
تقسم منك الترب أهلي وجيرتــي — ففي الظهر أحيائي وفي البطن أمواتي

---

1) جذوة الاقتباس ص 308 ع 316 طبع الرباط .

وقال ابن قنفذ في (شرف الطالب) ما نصه بعد أن أرخ سنة 776 : وفي هذه السنة توفي بمدينة فاس شيخنا الفقيه الكاتب الشهير محمد ابن الخطيب السلماني الغرناطي صاحب كتاب (الاحاطة ، في تاريخ غرناطة) ، وكتاب (رقم الحلل ، في نظم الدول) ، وسمعت جملة من تواليفه بقراءته هو في مجالس مختلفة (1) .

وقال ابن الخطيب المترجم لما قدمت على مدينة فاس في غرض السفارة من الأندلس إلى السلطان أبي عنان خاطبني الخطيب الرئيس محمد ابن مرزوق التلمساني بمنزل الشاطبي على مرحلة منها بما نصه :

ياقادما وافى بكل نجـــاح ... أبشر بما تلقاه من أفـــراح
هذي ذرى ملك الملوك فلذ بهـا ... تنل المنى وتفزْ بكل سمـــاح
مغنى الامام أبي عنان يمـــنْ ... تظفر ببحر بالندا طفـــاح
من قاس جود أبي عنان في النـدا ... بسواه قاس البحر بالضحضـاح
ملك يفيض على العفاة نوالـــه ... قبل السؤال وقبل بسطـة راح
فلجود كعب وابن سعدى (2) في الندا ... ذكر محاه عن نداه مـــاح
ما إن سمعت ولا رأيت بمثلـــه ... من أريحيٍّ للندا مرتـــاح
بسط الأمان على الأنام فأصبحـوا ... قد ألحفوا منه بظل جنـــاح
وهمى على العافين سيبُ نوالـــه ... حتى حكى سحَّ الغمام الساحـي
فنواله وجلاله وفعالــــه ... فاقت وأعيتْ ألسُنَ المـداح
وبه الدنا أضحت تروق وأصبحت ... كل المنى تنقاد بعد جِمـــاح
من كان ذا ترح فرؤية وجهـــه ... متلافة الأحزان والأتـــراح
فانهض أبا عبد الالاه تفزْ بمـا ... تبغيه من أمل ونيل نجـــاح
لا زلتَ ترتشف الأماني راحـــة ... من راحة المولى بكل صبـــاح

فالحمد لله ياسيدي وأخي على نعمه التي لا تحصى ، حمداً يؤم بـه جميعنا المقصد الأسنى فيبلغ الأمد الأقصى ، فطالما كان معظم سيدي للأسى

(1) وفيات ابن قنفذ ص 370 طبع بيروت .

(2) أوس بن حارثة الطائي .

في خبال ، وللأسف بين اشتغال بال واشتعال بلبال ، ولقدومكم على هذا المقام المولوي في ارتقاب ، ولمواعيدكم بذلك في تحقق وقوعه من غير شك ولا ارتياب ، فها أنت تجتلي من هذا المقام العلي بتشيعك وجوه المسرات صِباحاً ، وتتلقى أحاديثَ مكارمه ومواهبه مسندة صِحاحاً ، بحول الله تعالى ، ولسيدي الفضل في قبول مركوبه الواصل إليه بسرجه ولجامه ، فهو من بعض ما لدى المعظم من إحسان مولاه وإنعامه ، ولعمري لقد كان وافداً على سيدي في مستقره مع غيره ، فالحمد لله الذي يسر في إيصاله على أفضل أحواله .

قال ابن الخطيب فراجعته بما نصه :

راحتْ تذكرني كؤوسَ الـراح ... والقرب يخفضُ للجنوح جناحي
وسرتْ تدل على القبول كأنما ... دلَّ النسيم على انبلاج صباح
حسناء قد غنيَتْ بحسن صفاتها ... عن دملج وقلادة ووشاح
أمستْ تحض على اللياذ بمن جرت ... بسعوده الأقلام في الألـواح
بخليفة الله المؤيد فـارس ... شمس المعالي الأزهر الوضاح
ما شئتَ من شيم ومن همم غدت ... كالزهر أو كالزهر في الأدواح
فضل الملوك فليس يدرك شأوه ... أنى يقاسْ الغمر بالضحضاح ؟
أنسى بني عباسهم بلوائه الـ ... ـمنصور أو بحسامه السفاح
وغدتْ مغاني الملك لما حلها ... تزري ببدر هدى وبحر سماح
وحياة مَن أهداك تحفة قادم ... في العرف منها راحة الأرواح
ما زلتُ أجعل ذكره وثناءه ... روحي وريحاني الأريج وراحي
ولقد تمازج حبه بجوارحي ... كتمازج الأجسام بالأرواح
ولو أنني أبصرت يوماً في يدي ... أمري لطرتُ إليه دون جناح
فالآن ساعدني الزمان وأيقنت ... من قربه نفسي بفوز قداحي
أيه ِ أبا عبد الاله وإنه ... لنداءُ ود في علاك صراح
أما إذا استنجدتني من بعد ما ... ركَدت لما جنت الخطوب رياحي
فاليكها مهزولة وأنا امـرؤٌ ... قررت عجزي واطرحتُ سلاحي

سيدي أبقاك الله لعهد تحفظه ، وولاء بعين الوفاء تلحظه ، وصلتني رقعتك التي أبدعت ، وبالحق من مولى الخليقة صدعت ، وألفتني وقد سطت بي الأوحال ، حتى كادت تتلف الرحال ، والحاجة إلى الغذاء قد شمرت عن كشح البطين ، وثانية العجماوين قد توقع فوات وقتها وان كانت صلاتها صلاة الطين ، والفكر قد غاض معينه ، وضعف وعلى الله جزاء المولى الذي يعينه ، فغزتني بكتيبة بيان أسدها هصور ، وعلمها منصور ، وألفاظها ليس فيها قصور ، ومعانيها عليها الحسن مقصور ، واعتراف مثلي بالعجز في المضائق حول ومنة ، وقول « لا أدري » للعالم فكيف لغيره جنة ، لكنها بشرتني بما يقل لمؤديه بذل النفس وإن جلت ، وأطلعتني من البسراء على وجه تحسده الشمس إذا تجلت ، بما أعلمتني به من جميل اعتقاد مولانا أمير المومنين أيده الله في عبده ، وصدق المخيلة في كرم مجده ، وهذا هو الجود المحض ، والفضل الذي شكره هو الفرض ، وتلك الخلافة المولوية تتصف بصفات من يبدأ بالنوال ، من قبل الضراعة والسؤال ، غير اعتبار للأسباب ولا مجازاة للأعمال ، نسأل الله تعالى أن يبقي منها على الاسلام أوفى الظلال ، ويبلغها من فضله أقصى الآمال .

ووصل ما بعثه سيدي صحبتها من الهدية ، والتحفة الودية ، وقبلتها امتثالا ، واستجليت منها عتقا وجمالا ، وسيدي في الوقت أنسب لاتخاذ ذلك الجنس ، وأقدر على الاستكثار من إناث البهم والأنس ، وأنا ضعيف القدرة ، غير مستطيع لذلك إلا في الندرة ، فلو رأى سيدي ورأيه سداد ، وقصده فضل ووداد ، أن ينقل القضية إلى باب العارية من باب الهبة ، مع وجود الحقوق المترتبة ، لبسط خاطري وجمعه ، وعمل في رفع المؤونة على شاكلة حالي معه ، وقد استصحبت مركوباً يشق علي هجره ، ويناسب مقامي شكله ونجره ، وسيدي ، في الاسعاف على الله أجره ، وهذا أمر عرض ، وفرض فرض ، وعلى نظره المعول ، واعتماد إغضائه هو المعقول الأول .

والسلام على سيدي من معظم قدره ، وملتزم بره : ابن الخطيب .

في ليلة الأحد السابع والعشرين لذي القعدة سنة خمس وخمسين وسبعمئة ، والسماء قد جادت بمطر سهرت منه الأجفان ، وظُن أنه الطوفان ، واللحاق في غدها بالباب المولوي مؤمل بحول الله انتهى (1) .

وكان ابن الخطيب المترجم رحمه الله لما انتقل لبلاد العدوة عنَّ له رأي في التزهد والانقطاع إلى الله تعالى واغتنام بقية العمر فيما يعود عليه نفعه في العاجل والآجل ، ورفض السلطان وأسبابه ، وترك ما يلجئه للوقوف ببابه ، فتلطف في استيذان السلطان أبي سالم رحمه الله ، وطلب منه الاذن في الذهاب إلى جهات مراكش ، والوقوف على آثار الأقدمين بها ، والتطارح على أوليائها والمثول باعتابها ، والتعلق بأذيالها ، والتمسك بأسبابها ، جاعلا ذلك مفتاح العزلة ، والتخلي عن الدولة ، فأذن له وكتب إلى العمال باتحافه والاعتناء به ، فتباروا في ذلك كما يفصح عنه بعض شعره الآتي ، وجعل طريقه على مدينة سلا ، فتأمل أحوالها ورآها أوفق لمراده في العزلة ، فأضمر الاستيطان بها عند عوده من وجهته ، ولما دخل مدينة آنفا وهي الدار البيضاء ، مرَّ بها على دار عظيمة تنسب إلى والي جبايتها عبو من بني الترجمان ، قارون قومه ، وغني صنفه ، وكان قد هلك قبل ذلك ، فقال ابن الخطيب :

قد مررنا بدار عبُّو الوالي ... وهي ثكلى تشكو صروفَ الليالي
أقصدت ربَّها الحوادثُ لما ... رشقته بصائبات النبال
كان بالأمس والياً مستطيلا ... وهو اليوم ما له من والي

وأظنه في هذه الوجهة خاطب شيخ العرب مبارك بن إبراهيم بن عطية بن مهلهل الخلطي ونصُّ ما خاطبه به :

ساحات دارك للضياف مبارك ... وبضوء نار قراك يُهدى السالك
ونوالك المبذول قد شمل الورى ... طراً وفضلك ليس فيه مشارك
قل للذي قال الوجود قد انطوى ... والبأس ليس له حسام فاتك

1) **نفح الطيب** 6 : 64 طبع بيروت .

والجود ليس له غمام هاطـــــل ... والمجد ليس له همام باتـــــك
جمع الشجاعة والرجاحة والنـــدى ... والبأس والرأي الأصيل مبـــارك
للدين والدنيا وللشيم العــــــلا ... والجود إن شح الغمام السافـــك
عند الهياج ربيعة بن مكـــــــدم ... في الفضل والتقوى الفُضَيْل ومالك(1)
ورث الجلالة عن أبيه وجـــــده ... فكأنهم ما غاب منهم هالـــــك
فجياده للآملين مراكـــــــــب ... وخيامه للقاصدين أرائـــــك
فاذا المعالي أصبحت مملوكـــة ... أعناقها بالحق فهو المالـــك
يافارس العرب الذي من بيتـــه ... حرم لها حج به ومناســــــك
يامَن يبشر باسمه قصــــــاده ... فلهم إليه مسارب ومسالـــــك
أنت الذي استاثرت فيك بغبطتي ... وسواك فيه مآخذ ومتـــــارك
لا زلت نوراً يهتدي بضيائــــه ... من جنة للروع ليل حالـــــك
ويخص مجدك من سلامي عاطـــر ... كالمسك صاك به الغوالي صائك

الحمد لله تعالى الذي جعل بيتك شهيراً ، وجعلك للعرب أميـراً ، وجعل اسمك فالا ، ووجهك جمالا ، وقربك جاهاً ومالا ، وآل رسول الله صلى الله عليـه وسلم له لك آلا ، أسلم عليك ياأميـر العرب وابن أمرائها ، وقطـب سادتها وكبرائها ، وأهنيك بما منحك الله تعالى من شهرة تبقى ، ومكرمة لا يضل المتصف بها ولا يشقى ، إذ جعل خيمتك في هذا المغرب على اتساعه ، واختلاف أشياعه ، مأمناً للخائف ، على كثرة المذاهب والطوائف، وصرف الألسنة إلى مدحك ، والقلوب إلى حبك ، وما ذلك إلا لسريرة لك عند ربـك ، ولقد كنت أيـام تجمعني وإياك المجالس السلطانيـة على معرفتك متهالكاً ، وطـوع الأمل سالكاً ، لمـا يلوح لي على وجهك مـن سيما المجـد والحياء ، والشيم الدالة على العلياء ، وزكـاء الأصول وكرم الآبـاء ، وكان والدي رحمـه الله قد عين للقاء خـال السلطان قريبكم لما توجـه

---

1) الفضيل بن عياض ومالك بن دينار أو مالك بن أنس .

2) الغوالي الطيوب جمع غالية وهى نوع من الطيب متميز معروف عندنا بالمغرب ، وصاك خلط ومزج .

في الرسالة إلى الأندلس نائبا في تأنيسه عن مخدومه ، ومنوها حيث حل بقدومه ، واتصلت بعد ذلك بينهما المهاداة والمعرفة ، والوسائل المختلفة ، فعظم لأجل هذه الوسائل شوقي إلى التشرف بزيارة ذلك الجناب الذي حلوله شرف وفخر ، ومعرفته كنز وذخر ، فلما ظهر الآن لمحل الأخ القائد فلان اللحاق بك ، والتعلق بسببك ، رأيت أنه قد اتصل بهذا الغرض المؤمل بعضي والله تعالى ييسر في البعض ، عند تقرير الأمن وهدنة الأرض ، وهذا الفاضل بركة حيث حل لكونه من بيت أصالة وجهاد ، وماجداً وابن أمجاد ، ومثلك لا يوصى بحسن جواره ، ولا ينبه على إيثاره ، وقبيلك في الحديث من العرب والقديم ، وهو الذي أوجب لها مزية التقديم ، لم تفتخر قط بذهب يجمع ، ولا ذخر يرفع ، ولا قصر يبنى ، ولا غرس يجنى ، إنما فخرها عدو يغلب ، وثناء يجلب ، وجزور ينحر ، وحديث يذكر ، وجود على الفاقة ، وسماحة بحسب الطاقة ، فلقد ذهب الذهب ، وفني النشب ، وتمزقت الأثواب ، وهلكت الخيل العراب ، وكل الذي فوق التراب تراب ، وبقيت المحاسن تروى وتنقل ، والأعراض تجلى وتصقل ، ولله در الشاعر (1) إذ يقول :

وإنما المرء حديث بعـــــده ... فكن حديثاً حسناً لمن وعـــى

هذه مقدمة إن يسر الله بعدها لقاء الأمير ، فيجلي اللسان عما في الضميـر :

ومدحي على الأملاك وقف وإنمـا ... رأيتك منها فامتدحت على وسمي
وما كنت بالمُهدي لغيرك مدحتـي ... ولو أنه قد حل في مفرق النجم (2)

وقال في الشيخ ابن بطان الصنهاجي ، صنهاجة أزمور :

لله درك يابن بطان فمـــا ... لشهير جودك في البسيطة جاحـد
إن كان في الدنيا كريم واحـــد ... يزن الجميع فأنت ذاك الواحـــد

---

1) ابن دريد ، والبيت من مقصورته .

2) **نفح الطيب** 6 : 400 طبع بيروت .

أجريت فضلك جعفراً يحيى بـــه ... ما كان من مجد فذكرك خالـد (1)
فالقو م منك تجمعوا في مفـــرد ... ولد كما شاء العلاء ووالـــــد
وهي الليالي لا تزال صروفهـــا ... يشقى بموقعها الكريم الماجـــد
وبمستعين الله يصلح منك مـــا ... قد كان أفسده الزمان الفاسد (2)

وقال رحمه الله عند ما توسط بسيط تامسنا (3) :

كأنا بتامسنا نجوس خلالهـــــا ... وممدودها في سيرنا ليس يقصر
مراكب في البحر المحيط تخبطـت ... ولا جهة تدرى ولا البر يبصـــر

وقال رحمه الله يخاطب أبا العباس أحمـد بن يوسف حفيد المولـى الصالح سيدي أبي محمد صالح النائم في ظل صيته رضي الله عنه :

ياحفيد الولي ياوارث الفخــــــ ... ـر الذي نال في مقام وحـــال
لك ياأحمد بن يوسف جبنـــا ... كل قطر يعيي أكف الرحـــال

وقال رحمه الله تعالى عقب الاياب من الرحلة المراكشية :

أفادت وجهتي بنداك مـــــالا ... قضى ديني وأصلح بعض حالـــي
ومتعت الخواطر بانشـــــراح ... وأطرفت النواظر باكتحـــال
وأبت خفيف ظهر ، والمطايـــا ... بجاهك تشتكي ثقل الرحـــال
وشأني للمعالم غير شـــــأن ... وحالي بالمكارم جد حـــال
فحب علاك إيماني وعقــــدي ... وشكر نداك ديني وانتحالـــي
كما قد صح لله انقطاعـــــبي ... بتأميلي جنابك وارتحالـــي
وما يبقى سوى فعل جميـــل ... وحال الدهر لا تبقى بحـــال
وكل بداية فالى انتهـــــاء ... وكل إقامة فالى ارتحـــال
ومن سام الزمان دوام أمـــر ... فقد وقف الرجاء على المحـــال

---

1) يورى بجعفر ويحيى والفضل وخالد البرمكيين .

2) ازهار الرياض 1 : 288 .

3) تامسنا البسيط الممتد بين نهر أبي رقراق ونهر أم الربيع ، وعلى الأخص سهـول الشاوية الحالية ، وقد اندثر هذا الاسم اليوم وبقيت النسبة اليه : المسناوى وامسناو .

وقال في (نفاضة الجراب) : لما خرجت من آسفي سرت إلى منزل ينسب إلى أبي حدو ، وفيه رجل من بني المنسوب إليه اسمه يعقوب فألطف وأجزل وآنس في الليل وطلبني بتذكرة تثبت عندي معرفته ، فكتبت له :

نزلنا على يعقوب نجل أبي حـــدو فعرفنا الفضل الذي ما له حـــد
وقابلنا بالبشر واحتفل القـــرا فلم يبق لحم لم ننله ولا زبـــد
يحق علينا أن نقوم بحقـــــه ويلقاه منا البر والشكر والحمـد

وقال رحمه الله وقد انتابه البرغوث :

زحفت إليَّ ركائب البرغـــوث نم الظلام بركبها المحثـــــوث
بالحبة السوداء قابل مقدمـــي لله أي قرى أعد خبيـــــث
كسحت بهن ذباب سرح تجلـدي ليلا فحبلُ الصبر جدُّ رثيـــث
إن صابرتْ نفسي أذاه تعذبـــتْ أو صحتُ منه أنفتُ من تحنيـث
جيشان من ليل وبرغوث ، فهـل جيش الصباح لصرختي بمغيث(1)

ولما استقر بسلا واطمأن جنبه بها ، قال :

أياأهل هذا القطر ساعده القطـــر بليت فدلوني لمن يرفع الأمـــر
تشاغلت بالدنيا ونمت مفرطـــا وفي شغلي أو نومتي سرق العمـر

ثم حرص على لقاء الشيخ ابن عاشر رضي الله عنـه حتى ظفر بـه ، فعظم سروره بذلك ، وتبجح به إذ قال في (نفاضة الجراب) : ولقيت من أولياء الله تعالى بسلا الولي الزاهد الكبير المنقطع القرين فراراً عن زهرة الدنيا ، وعزوفاً عنها ، وإغراقاً في الورع ، وشهرة بالكشف وإجابـة الدعوة وظهور الكرامات ، أبا العباس ابن عاشر يسر الله تعالى لقاءه على تعذره لصعوبـة تأتيه ، وكثافة هيبته ، قاعداً بين القبور في الخلاء ، رث الهيأة مطرق اللحظ كثير الصمت ، مفرط الانقباض والعزلة ، قد ضرسه أهل الدنيا وتطارحهم ، فهو شديد الاشمئزاز من قاصده ، مزمجر للوثبة من طارقه ، نفع الله به .

انتهى كلامه في (النفاضة) .

---

1) نفح الطيب 6 : 484 .

وقال رحمه الله تعالى من قصيدته العينية السلوية التي وجهها إلـى سلا أيام خلف بها أهله وولده :

لولي الله فابدأ وابتـــــــــدر واحدَ الآحاد في باب الـــــــورع

ومراده بولي الله ابن عاشر المذكور .

ثم إن ابن الخطيب بعد رجوعه من مراكش جعل ينتاب رباط شالة مدفن الملوك من بني مرين ، ومنهـم السلطان أبو الحسن رحمـه الله ، للدعاء وقراءة القرآن بها ، وتعاهدها ، وقد كتب بذلك إلى السلطان أبي سالم، وطلب منه أن يشفع له عند أهل الأندلس في رد متاعه الذي أتلفوه عليه أيام النكبة ، ونص الكتاب :

مولاي المرجو لاتمام الصنيعة وصلة النعمة وإحراز الفخر ، أبقاكـم الله تعالى تضرب بكم الأمثال في البر والرضى ، وعلو الهمة ، ورعي الوسيلة .

مقبل موطيء قدمكم ، المنقطع إلى تربة المولى والدكم ، ابن الخطيب ، من الضريح المقدس بشالة ، وقد حط رحل الرجاء في القبة المقدسة ، وتيمم بالتربة الزكية ، وقعد بازاء لحد المولى أبيكم ساعة إيابه من الوجهة المباركة ، وزيارة الربط المقصودة ، والترب المعظمة ، وقد عزم أن لا يبرح طوعاً من هذا الجوار الكريم والدخيل المرعي حتى يصله من مقامكم ما يناسب هذا التطارح على قبر هذا المولى العزيز على أهل الأرض ثم عليكم ، والتماس شفاعته في أمر يسهل عليكم ، ولا يجرُّ إنفاذ مال ولا اقتحام خطر ، إنما هو إعمال لسان، وخط بنان، وصرف عزم وإحراز فخر ، وإطابة ذكر وأجر ، وذلك أن العبد عرفكم يـوم وداعكم أنه ينقل عنكـم إلى المولى المقدس بلسان المقال ، ما يحضر ممـا يفتح الله فيه ، ثم ينقل عنه لكم بلسان الحال ما يتلقى عنه من الجواب ، وقال لي صدر دولتكم ، وخالصتكم وخالصة المولى والدكم ، سيدي الخطيب ، (يعني ابن مرزوق) سنَّى الله تعالى أمله من سعادة مقامكم وطول عمركم : أنت يافلان والحمد لله ممن لا يُنكَر عليه الوفاء بهذين الفرضين ، وصدر عنكم من البشر والقبول والانعام ما صدر ، جزاكم الله تعالى جزاء المحسنين ، وقد تقدم تعريف

مولاي بما كان من قيام العبد بما نقله إلى التربة الزكية عنكم حسبما أداه من حضر ذلك المشهد من خدامكم ، والعبد الآن يعرض عليكم الجواب ، وهو أني لما فرغت من مخاطبته بمرأى من الملأ الكبير ، والجم الغفير ، أكببتُ على اللحد الكريم داعياً ومخاطباً ، وأصغيت بأذني نحو قبره وجعل فؤادي يتلقى ما يوحيه إليه لسان حاله ، فكأني به يقول لي : قل لمولاك ياولدي وقرة عيني المخصوص برضاي وبري، الذي ستر حريمي ورد ملكي ، وصان أهلي وأكرم صنائعي ، ووصل عملي ، أسلم عليك ، وأسأل الله تعالى أن يرضي عنك ويقبل عليك ، الدنيا دار غرور ، والآخرة خير لمن اتقى ، وما الناس إلا هالك وابن هالك ، ولا تجد إلا ما قدمت من عمل يقتضي العفو والمغفرة ، أو ثناء يجلب الدعاء بالرحمة ، ومثلك مَن ذكر فتذكر ، وعرف فما أنكر ، وهذا ابن الخطيب قد وقف على قبري ، وتهمم بي ، وسبق الناس إلى رثائي ، وأنشدني ومجدني، وبكاني ودعا لي ، وهنأني بمصير أمري إليك ، وعفَّر وجهه في تربتي ، وأملني لما انقطعتْ منيَّ آمال الناس ، فلو كنت ياولدي حياً لما وسعني أن أعمل معه إلا ما يليق بي ، وأن أستقل فيه الكثير ، وأحتقر العظيم ، لكن لما عجزتُ عن جزائه وكلته إليك ، وأحلته ياحبيب قلبي عليك ، وقد أخبرني أنه سليب المال ، كثير العيال ، ضعيف الجسم ، قد ظهر في عدم نشاطه أثر السن ، وأمل أن ينقطع بجواري ، ويستتر بدخيلي وخدمتي ، ويرد عليه حقه بحرمتي ووجهي ووجوه مَن ضاجعني من سلفي ، ويعبد الله تعالى تحت حرمتك وحرمتي ، وقد كنت تشوفت إلى استخدامه في الحياة حسبما يعلمه حبيبنا الخالص المحبة ، وخطيبنا العظيم المزية القديم القربة ، محمد ابن مرزوق ، فاسأله يذكرك ، واستخبره يخبرك ، فأنا اليوم أريد أن يكون هذا الرجل خديمي بعد الممات إلى أن نلحق جميعاً برضوان الله تعالى ورحمته التي وسعت كل شيء،وله ياولدي ولد نجيب يخدم ببابك،وينوب عنه في ملازمة بيت كتابك، وقد استقر بدارك قراره ، وتعين بأمرك مرتبه ودثاره ، فيكون الشيخ خديم الشيخ ، والشاب خديم الشاب ، هذه رغبتي منك ، وحاجتي إليك ، واعلم أن هذا الحديث لابدَّ له أن يذكر ، ويتحدث به في الدنيا وبين أيدي الملوك والكبراء ، فاعمل ما يبقى لك فخره ، ويتخلد ذكره ، وقد أقام مجاوراً ضريحي،

تالياً كتاب الله تعالى عليَّ منتظراً ما يصله منك ويقرؤه علي من السعي في خلاص ماله ، والاحتجاج بهذه الوسيلة في جبره ، وإجراء ما يليق بك من الحرمة والكرامة والنعمة ، فالله الله ياإبراهيم ، اعمل ما يسمع عني وعنك فيه ، ولسان الحال أبلغ من لسان المقال ، انتهى (1) . والعبد يامولاي مقيم تحت حرمته وحرمة سلفه ، منتظر منكم قضاء حاجته ، ولتعلموا وتتحققوا أنني لو ارتكبت الجرائم ، ورزأت الأموال ، وسفكت الدماء ، وأخذت حسائف الملوك الأعزة ممن وراء النهر من التتار ، وخلف البحر من الروم ، ووراء الصحراء من الحبشة ، وأمكنهم الله تعالى مني من غير عهد بعد أن بلغهم تذممي بهذا الدخيل، ومقامي بين هذه القبور الكريمة ما وسع أحداً منهم من حيث الحياء والحشمة من الأحياء والأموات ، وإيجاب الحقوق التي لا يغفلها الكبار للكبار ، إلا الجود الذي لا يتعقبه البخل، والعفو الذي لا تفسده المواخذة ، فضلا عن سلطان الأندلس أسعده الله تعالى بموالاتكم ، فهو فاضل وابن ملوك أفاضل ، وحوله أكياس ما فيهم من يجهل قدركم وقدر سلفكم ، لا سيما مولاي والدكم الذي أتوسل به إليكم وإليهم ، فقد كان يتبنى مولاي أبا الحجاج ، ويشمله بكنَفه ، ومازجه بنفسه ، وأمده بأمواله ، ثم صير الله تعالى ملكه إليكم ، وأنتم مَن أنتم ذاتاً وقبيلا ، فقد قرت يامولاي عينُ العبد بما رأت في هذا الوطن المراكشي من وفور حشودكم وكثرة جنودكم ، وترادف أموالكم وعددكم ، زادكم الله تعالى من فضله ، ولا شك عند عاقل أنكم إن انحلت عروة تأميلكم وأعرضتم عن ذلك الوطن الأندلسي استولت عليه يدُ عدوه ، وقد علم تطارحي بين الملوك الكرام الذين خضعت لهم التيجان ، وتعلقي بثوب الملك الصالح والد الملوك الكرام مولاي والدكم ، وشهرة حرمة شالة معروفة ، حاش لله أن يضيعها أهل الأندلس ، وما توسل إليهم قط بها إلا الآن ، وما يجهلون اغتنام هذه الفضيلة الغريبة ، وأملي منكم أن يتعين من بين يدكم خديم بكتاب كريم يتضمن الشفاعة في رد ما أخذ لي ويخبر بمثواي مترامياً على قبر والدكم ويقرر ما ألزمتكم بسبب هذا الترامي من الضرورة المهمة والوظيفة الكبيرة

---

1) أى ما تلقاه ابن الخطيب من ايحاءات السلطان أبى الحسن .

عليكم وعلى قبيلكم حيث كانوا ، وتطلبون منهم عادة المكارمة بحل هذه العقدة، ومن المعلوم أني لو طلبتُ بهذه الوسائل مَن سَلب مالهم ، ما وسعهم بالنظر العقلي إلا حفظ الوجه مع هذا القبيل ، وهذا الوطن ، فالحياءُ والحشمة يأبيان العذر عن هذا في كل ملة ونحلة ، وإذا تمّ هذا الغرض ولا شك في إتمامه ، تقع صدقتكم على القبر الكريم بي ، وتعينوني لخدمة هذا المولى وزيارته وتفقده ومدح النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المولد في جواره وبين يديه ، وهو غرض غريب مناسب لبركم به ، إلى أن حج بيت الله بعناية مقامكم ، وأعود داعياً مثنياً مستدعياً للشكر والثناء من أهل المشرق والمغرب ، وأتعوض من ذمتي بالأندلس ذمة بهذا الرباط المبارك يرثها ذريتي ، وقد ساومت في شيء من ذلك منتظراً ثمنه مما يباع بالأندلس بشفاعتكم ، ولو ظننت أنهم يتوقفون لكم في مثل هذا أو تتوقع فيه وحشة أو جفاء والله ما طلبته ، لكنهم أسرى وأفضل، وانقطاعي أيضاً لوالدكم مما لا يسع مجدكم إلا عمل ما يليق بكم فيه ، وها أنا أرتقب جوابكم بما لي عندكم من القبول ، ويسعني مجدكم في الطلب خروج الرسول لاقتضاء هذا الغرض ، والله سبحانه يطلع من مولاي على ما يليق به ، والسلام .

وكتب في الحادي عشر من رجب عام أحد وستين وسبعمئة .

وفي مدرج الكتاب بعد نثر هذه القصيدة :

مولاي ها أنا في جوار أبيكا ... فابذل من البر المقدر فيكا
أسمعه ما يُرضيه من تحت الثرى ... والله يُسمعك الذي يُرضيكا
واجعل رضاه إذا نهدت كتيبة ... تهدي إليك النصر أو تهديكا
واجبرْ بجبري قلبه تنل المنى ... وتطالع الفتح المبين وشيكا
فهو الذي سنّ البرور بأمه ... وأبيه فاشرع شرعه لبنيكا
وابعث رسولك منذراً ومحذراً ... وبما تؤمل نيله يأتيكا
قد هزّ عزمك كل قطر نازح ... وأخاف مملوكاً به ومليكا
فاذا سموت إلى مرام شاسع ... فغصونه ثمر المنى تجنيكا
ضمنت رجالُ الله منك مطالبي ... لما جعلتك في الثواب شريكا

فلئن كفيت وجوهها في مقصـــدي ... ورعيتها بركاتها تكفيكــــــــا
وإذا قضيت حوائجي وأريتنــــــي ... أملا فربك ما أردت يريكـــــــا
واشدد على قولي يداً فهو الـــذي ... برهانه لا يقبل التشكيكــــــا

* * * *

مولاي ما استأثرت عنك بمهجتـــي ... أنّى ، ومهجتيٌ التي تفديكـــــا
لكن رأيت جناب شالّةَ مغنمـــاً ... يضفي عليٌ العز في ناديكــــــا
وفروض حقك لا تفوت ، فوقتهـا ... باق إذا استجزيته يجزيكـــــا
ووعدتني وتكرر الوعد الــــــذي ... أبت المكارم أن يكون أفيكـــــا
أضفى عليك الله سِتْر عنايــــة ... من كل محذور الصروف يقيكــــا
ببقائك الدنيا تحاط وأهلهـــــا ... فالله جل جلاله يبقيكـــــــا

وقال أيضاً في الغرض المذكور :

عن باب والدك الرضى لا أبـــرح ... يأسو الزمان لأجل ذا أو يجــرٌح
ضربت خيامي في حماه فصبيتي ... تجني الجميم به ، وبهمي تســرح
حتى يراعي وجهه في وجهتـــــي ... بعناية تشفي الصدور وتشـــرح
أيسوغ من مثواه سيري خائبــاً ... ومنابر الدنيا بذكرك تصـــــدح
أنا في حماه وأنت أبصر بالـــذي ... يرضيه منك فوزن عقلك أرجـــح
في مثلها سيف الحمية يُنتضـــى ... في مثلها زند الحفيظة يقـــــدح
وعسى الذي بدأ الجميل يعيـــده ... وعسى الذي سد المذاهب يفتـح

فأجابه السلطان أبو سالم رحمه الله بما صورته :

من عبد الله المستعين بالله إبراهيم أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين ، ابن مولانا أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالميــن ، أبي الحسن ، ابن مولانا أمير المسلمين ، المجاهد في سبيل رب العالمين ، أبي سعيد ، ابن مولانا أمير المسلمين ، المجاهد في سبيل رب العالمين ، يوسف بن يعقوب بن عبد الحق ، أيد الله أمره ، وأعز نصره .

إلى الشيخ الفقيه الأجل الأسنى ، الأعز الأحظى ، الأوجه الأنوه ، الصدر الأحفل ، المصنف البليغ ، الأعرف الأكمل ، أبي عبد الله ابن الشيخ الأجل الأعز الأسنى ، الوزير الأرفع ، الأنجد الأصيل الأكمل ، المرحوم المبرور أبي محمد ابن الخطيب ، وصل الله عزته ، ووالى رفعته .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أما بعد حمد لله تعالى ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله الكريم المصطفى ، والرضى عن آله وصحبه أعلام الاسلام ، وأيمة الرشد والهدى ، وصلة الدعاء لهذا الأمر العلي العزيز المنصور المستعيني بالنصر الأعز والفتح الأسنى ، فانا كتبناه إليكم ، كتب الله تعالى لكم بلوغ الأمل ، ونجح القول والعمل ، من منزلنا الأسعد بضفة وادي ملوية يمنه الله ، وصنع الله جميل ، ومنه جزيل ، والحمد لله ، ولكم عندنا المكانة الواضحة الدلائل ، والعناية المتكفلة برعي الوسائل ، ولكم بما تميزتم به من التمسك بالجناب العلي المولوي العلوي ، جدد الله تعالى عليه ملابس غفرانه ، وسقاه غيوث رحمته وحنانه ، وبما أهديتم إلينا من التقرب لدينا بخدمة ثراه الطاهر ، والاشتمال بمطارف حرمته السامية المظاهر .

وإلى هذا وصل الله حظوتكم ، ووالى رفعتكم ، فانه ورد علينا خطابكم الحسن عندنا قصده ، المقابل بالاسعاف المستعذب ورده ، فوقفنا على ما نصه ، واستوفينا ما شرحه وقصه ، فآثرنا حسن تلطفكم في التوسل بأكبر الوسائل إلينا ، ورعينا أكمل الرعاية حق ذلكم الجناب العزيز علينا ، وفي الحين عينا لكمال مطلبكم ، وتمام مأربكم ، والتوجه بخطابنا في حقكم ، والاعتمال بوفقكم ، خديمينا أبا البقاء ابن تاسكورت ، وأبا زكرياء ابن فرقاجة، أنجدهما الله وتولاهما ، وأمس تاريخه انفصلا موذعين إلى الغرض المعلوم بعد التأكيد عليهما فيه ، وشرح العمل الذي يوفيه ، فكونوا على علم من ذلكم ، وابسطوا له جملة آمالكم ، وإنا لنحتسب ثواب الله في جبر أحوالكم ، وبرء اعتلالكم ، والله سبحانه يصل مبرتكم ، ويتولى تكرمتكم ، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

كتب في الرابع والعشرين من رجب سنة إحدى وستين وسبعمئة .

فراجعه ابن الخطيب بما نصه :

مولاي خليفة الله بحق ، وكبير ملوك الأرض عن حجة ، ومعدن الشفقة والحرمة، ببرهان وحكمة ، أبقاكم الله تعالى عاليَ الدرجة في المنعمين ، وافري الحظ عند جزاء المحسنين ، وأراكم ثمرة بر أبيكم في البنين ، وصنع لكم في عدوكم الصنع الذي لا يقف عند معتاد ، وأذاق العذاب الأليم مَن أراد في مثابتكم بالحاد، عبدكم الذي ملكتم رقه ، وآويتم غربته وسترتم أهله وولده وأسنيتم رزقه ، وجبرتم قلبه، يقبل موطيء الأخمص الكريم من رجلكم الطاهرة المستوجبة بفضل الله تعالى لموقف النصر ، الفارعة هضب العز ، المعملة الخطو في مجال السعد ومسير الحظ ، ابن الخطيب ، من شالة التي تأكد بملككم الرضى احترامها ، وتجدد برعيكم عهدها ، وأستبشر بملككم دفينها ، وأشرق بحسناتكم نورها ، وقد ورد على العبد الجواب المولوي البر الرحيم المنعم المحسن بما يليق بالملك الأصيل والقدر الرفيع والهمة السامية والعزة القعساء ، من رعي الدخيل ، والنصرة للذمام ، والاهتزاز لبر الأب الكريم ، فثاب الرجاء وانبعث الأمل ، وقوي العضد وزار اللطف ، فالحمد لله الذي أجرى الخير على يدكم الكريمة ، وأعانكم على رعي ذمام الصالحين المتوسل إليكم أولا بقبورهم ومتعبداتهم وتراب أجداثهم ، ثم بقبر مولاي ومولاكم ومولى الخلق أجمعين الذي تسبب في وجودكم ، واختصكم بحبه ، وغمركم بلطفه وحنانه ، وعلمكم آداب الشريعة ، وأورثكم ملك الدنيا ، وهيأتكم دعواته بالاستقامة إلى ملك الآخرة بعد طول المدى وانفساح البقاء ، وفي علومكم المقدسة ما تضمنت الحكايات عن العرب من النصرة عن طائر داست أفراخه ناقة في جوار رئيس منهم ، وما انتهى إليه الامتعاض لذلك مما أهينت فيه الأنفس وهلكت الأموال ، وقصارى مَن امتعض لذلك أن يكون كبعض خدامكم من عرب تامسنا ، فما الظن بكم وأنتم الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم فيمن لجأ أولا إلى حماكم بالأهل والولد عن حسنة تبرعتم بها ، وصدقة حملتكم الجرية على بذلها ، ثم فيمَن حطّ رحل الاستجارة بضريح أكرم الخلق عليكم،

دامع العين خافق القلب دامي القرحة ، يتغطى بردائه ، ويستجير بعليائه ، كأنني تراميت عليهم في الحياة أمام الذعر الذي يذهل العقل ويحجب عن التمييز بقصر دراه ومضجع رقاده ، ما من يوم إلا وأجهر بعد التلاوة بلفظ يالـَيعقوب يالـَمرين ، نسأل الله تعالى أن لا يقطعَ عني معروفكم ولا يسلبني عنايتكم ، ويستعملني ما بقيت في خدمتكم ، ويتقبل دعائي فيكم .

ولحين وصول الجواب الكريم ، نهضت إلى القبر المقدس ، ووضعته بازائه ، وقلت يامولاي ، ياكبير الملوك ، وخليفة الله ، وبركة بني مرين ، صاحب الشهرة والذكر في المشرق والمغرب ، عبدك المنقطع إليك ، المترامي بين يدي قبرك ، المتوسل إلى الله ثم إلى ولدك بك ، ابن الخطيب ، وصله من مولاه ولدك ما يليق بمقامه من رعي وجهك ، والتقرب إلى الله تعالى برعيك ، والاشتهار في مشرق الدنيا ومغربها ببرك ، وأنتم مَن أنتم من إذا صنع صنيعة كملها ، وإذا بدأ منة تممها ، وإذا أسدى يداً أبرزها طاهرة بيضاء غير معيبة ولا ممنونة ولامنتقصة ، وأنا بعد تحت ذيل حرمتك ، وظل دخليك ، حتى يتم أملي ، ويخلص قصدي ، وتحفّ نعمتك بي ، ويطمئن إلى مأمنك قلبي ، ثم قلت للطلبة : أيها السادة ، بيني وبينكم تلاوة كتاب الله تعالى منذ أيام ، ومناسبة النحلة وإخوة التألف بهذا الرباط المقدس والسكنى بين أظهركم ، فأمنوا على دعائي باخلاص من قلوبكم ، واندفعت في الدعاء والتوسل الذي أرجو أن يتقبله الله تعالى ولا يضيعه ، وخاطب العبد مولاه شاكر النعمة ، مشيداً بصنيعته ، مسروراً بقـَبوله ، وشأنه من التعلق والتطارح شأنه ، حتى يكمل القصد ويتم الغرض معمور الوقت بخدمة يرفعها ودعاء يردده والله المستعان انتهى (1) .

ولما وصل كتاب السلطان أبي سالم إلى أهل الأندلس أعظموا وسيلته ، وقبلوا شفاعته ، وردوا على ابن الخطيب ما تأتي رده مما كان ضاع له وأتلف عليه ، واستمرّ مقيماً بسلا سنتين وزيادة ، ثم استدعاه سلطانه الغني بالله إلى الأندلس بعد رجوعه إليها ، واحتوائه على ملكها ، فأجاب حياء

---

1) نفاضة الجراب ص 81 .

لا رغبة ، ومكرهاً لا بطلا ، وتقدم ذكر وفادة المترجم على السلطان أبي زيان محمد المتوكل على الله بن أبي عبد الرحمان وإنشاده قصيدتَه التي مطلعها :

لمن علم" في هضبة الملك خفــاق أفاقت به من غشية الهرج آفــاق

وذكر الظهير الذي أكرمه به فراجها هناك .

وكان ابن الخطيب رحمه الله بعد فراره من ملوك بني نصر بالأندلس إلى ملوك المغرب من بني مرين واستقراره بالمغرب يدرس العلم به ، وانتفع أهل فاس وغيرهم ، وكان يسكن بالطالعة (1) .

وحكى غير واحد أنه رئي في المنام بعد موته ، فقيل له ما فعل الله بك ؟ فقال غفر لي بسبب بيتين وهما في الوسادة ، ففحص عنهما فاذا بورقة فيها مكتوب :

يامصطفى من قبل نشـــــأة آدم والكون' لم تفتح له الأغـــــلاق
أيروم مخلوق ثناءك بعد مـــــا أثنى على أخلاقك الخـــــلاق

قال في (نفح الطيب) وقد زرت قبره مراراً رحمه الله بفاس المحروسة فوق باب المدينة الذي يقال له باب الشريعة ، وهو يسمى الآن باب المحروق، وشاهدت موضع دفنه غير مستو مع الأرض ، بل ينزل إليه بانحدار كثير ، ويزعم الجل من عوام فاس أن الباب المذكور إنما سمي بباب المحروق لأجل ما وقع من حرق لسان الدين به حين أخرجه بعض أعدائه من حفرته كما مر وليس كذلك ، وإنما سُمي باب المحروق من دولة الموحدين قبل أن يوجــد لسان الدين ولا أبوه بسبب ثائر (2) ثار على الدولة ، فأمسك وأحرق في ذلك المحل ، والله غالب على أمره ، وحصل لي من الخشوع والحزن عند زيارة قبره رحمه الله ما لا مزيدَ عليه ، جعل الله له تلك المحن كفارة وطهارة ، فانه كان آية الله علماً وجلالة وحكمة وشهرة انتهى .

---

1) ما زال الروض الذى كان ابن الخطيب يسكنه بطالعة فاس الكبرى معروفاً وموجوداً بها الى الآن .

2) هو الثائر العبيدى الذى ثار بجبال غمارة .

وضريحه الآن عليه حوش صغير (1) بمقابلة من روضة سيدي عبد النور يفصل بينهما الطريق المرور عليها لظهر الخميس .

ترجمه ابن خلدون في (العبر) وابن الأحمر في تأليفن له ، والمقّري في (أزهار الرياض) ، وأطال في ترجمته ، وصاحب (الجذوة) و (الدرة) و (الكفاية) و (النيل) وغير واحد ، وترجم هو أيضاً نفسه آخر كتابه (الاحاطة) ، وقد طبع منها جزآن (2) ثم وقفت على جزء ثالث بخط اليد ، وهو آخرها لا اتصال بينه وبين الجزأين المطبوعين ، ووقفت من مختصر (الاحاطة) على مجلدين في مكتبة مدريد ، ثانيهما مبدؤه من صحيفة 518 وتم في صحيفة 815 ، وبعده ترجمة المؤلف لنفسه إلى صحيفة 995 وعلق المختصر على ترجمة المؤلف ببيان محنته وموته ، وأول ترجمة في الأول محمد بن أحمد ابن الحداد الوادي آشي ومسطرة هذه النسخة 24 ، ومنها لخص ترجمته الحافظ في (الدرر الكامنة) ، ونقل وفاته عن ابن خلدون وأفرده الشيخ أحمد المقّري بمؤلف حافل سماه أولا بـ (عرف الطيب ، في التعريف بالوزير ابن الخطيب) ، ثم وسمه حين ألحق أخبار أهل الأندلس به بـ (نفح الطيب ، من غصن الأندلس الرطيب ، وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب) ، ذكر فيه بعض أحواله وأنبائه وبدائعه وصنائعه ورقائقه مع ملوك عصره وعلمائه وأدبائه ، وبعض ما له من النظم والنثر والمؤلفات والشيوخ والتلامذة وغير ذلك ، ومنه لخص ترجمته في (شذرات الذهب) ، وقال الشوكاني في (البدر الطالع) في آخرها ما نصه : ولعل صاحب الترجمة هو الذي ألف المقّري في مناقبه الكتاب المسمى (نفح الطيب ، في مناقب لسان الدين ابن الخطيب) ، والمؤلف من الموجودين بعد الألف ، وقد وصف من محاسنه ما يشنف الأسماع ، وقتله على الصفة المذكورة هو من تلك المجازفات التي صار يرتكبها قضاة المالكية ويريقون بها دماء المسلمين بلا قرآن ولا برهان ، وأما وجوده على شفير القبر محرقاً فلا ريب أن ذلك من صنع أعدائه وليس بجرح ولا فيه دليل على صحة ما امتحن به ، فان الأرض قد قبلت فرعون وهامان ، وسائر أساطين الكفران . انتهى .

---

1) بنيت عليه قبة صغيرة في السنين الأخيرة قبل وفاة جلالة الملك المرحوم محمد الخامس بقليل وبأمره .

2) عثر بعد طبع الجزأين المذكورين على نسخ كثيرة من **الاحاطة** بعضها في مكتبات مغربية وبعضها في مكتبات اوربية أو شرقية ، ويعيد الاستاذ محمد عبد الله عنان طبعه الآن كاملا .

اســتــدراك

كان المؤلف ترجم تحت نمرة 511 لمحمد بن علي بن مروان ، ثم أعاد ترجمته تحت اسم محمد بن علي بن مروان ابن جبل الهمداني ، وتحت نمرة 562 لمحمد بن هاشم الأوسي ، ثم أعاد ترجمته تحت اسم محمد بن علي بن هشام الأوسي ، ولم نتفطن لهذا التكرار إلا بعد طبع الترجمتين ، ونظراً لما في الترجمتين المكررتين من الفوائد آثرنا استدراكهما في آخر هذا الجزء .

* * * *

محمد بن علي بن مروان ابن جبل الهمداني من أهل وهران ، ونشأ بتلمسان ، وأصله من الأندلس ، يكنى أبا عبد الله ، وليَ قضاء تلمسان، ثم نقل إلى قضاء الجماعة بمراكش بعد أبي جعفر ابن مضا في آخر سنة أربع أو أول سنة خمس وثمانين وخمسمئة ، وصرف عن ذلك إلى اشبيلية سنة اثنتين وتسعين ، ثم أعيد ثانية بعد صرف أبي القاسم ابن بقي ، وكان حميد السيرة ، شديد الهيبة ، عارفاً بالاحكام ، سريع الفصل بين الخصوم ، موصوفاً بالعدل والتؤدة ، لم يجلد أحداً طول ولايته بسوط ، وتوفي سنة إحدى وستمئة عن أبي سالم ، وقال أبو بكر اليعمري : ليلة الأحد التاسع لجمادى الأولى من سنة إحدى المذكورة ، ودفن عصر يوم الاثنين وصلى عليه الامام أبو عبد الله (محمد) الناصر بن (يعقوب) المنصور .

ترجمه ابن الأبار (1) .

---

1) **التكملة** ص 681 ع 1719 .

محمد بن علي ابن هشام الأوسي

محمد بن علي بن محمد بن عبد الرحيم بن هشام الأنصاري الأوسي ، مراكشي ، نشأ بسلا ، قرطبي أصل السلف ، أبو عبد الله ابن هشام .

روى بسلا عن أبيه ومؤدبه أبي علي عمر بن موسى بن الحسن بن علي بن مكابر بن بلول الصنهاجي الفشتالي من بني بلول ، ثم من بني عطاف ، وبه انتفع في العربية والطريقة الأدبية ، والزاهد الفاضل أبي اسحاق بن أحمد القلبق ، وأبي جعفر ابن فرقد ، وأبي عبد الله ابن حماد ، وروى . . . . عن جماعة منهم أبو عبد الله ابن عبو ، وشرّق مرتين حج فيهما ، فصل في أولاهما من سلا سنة ثمان عشرة وستمئة ، وجال في بلاد المشرق والشام والعراق ، ودخل بغداد وتكريت والموصل ومصر والاسكندرية ، وروى عن طائفة كثيرة من بقايا الشيوخ سماعاً وقراءة ، وأجاز له منهم جمع لا يحصون كثرة ، فمن شيوخه ببغداد أبو اسحاق ابراهيم بن عبد الرحمان بن أبي عبد . . . . . القطيعي الخياط ، وأبو بكر محمد بن أبي بكر بن عبد الله . . . . وأبو حفص عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن . . . . . وأبو سعيد ثابت بن مشرف بن أبي سعد بن ابراهيم الأزجي البـ . . . . وموفق الدين أبو عبد الله بن عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي . . . . . محمد بن أحمد بن صالح بن شافع الجيلي ، وبتكريت أبو المعالي محمد بن . . . . نصر بن المبارك ابن البرذعولي ابن الطاهري ، وبحماة أبو القاسم عبد الله . . . . بن عبد الله ابن رواحة الحموي ، وبدمشق خطيبها جمال الدين أبو عبد الله بن أحمد بن محمد ابن قدامة المقدسي ، وشمس الدين أبو نصر محمد ابن هبة الله ابن غيل الشيرازي ، والقاضي أبو بياض . . . . الشهرزوري وغيرهم ، بافادة صاحبه أبي عبد الله بن يوسف البرزالي الاشبيلي مستوطن دمشق ، وقفل من وجهته هذه سنة ثنتين وعشرين وستمئة ، واستوطن مراكش وقتاً ، ثم رحل الى الاندلس وسكن إشبيلية مدة وشريش أخرى . ومنها فصل لرحلته الثانية سنة ثمان وأربعين ، وكان محركه إليها وباعثه عليها ما حدثني به ونقلته من خطه قال : وذلك رؤيا رأيتها في المنام

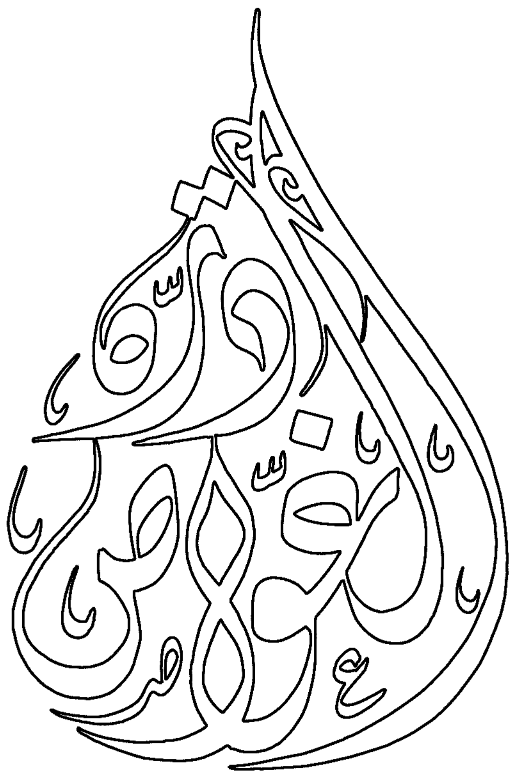
لم تكن من أضغاث الأحلام ، رأيت في العشر الآخر من رمضان سيد البشر الشفيع المشفع في المحشر جالساً على سرير تبرق من وجهه الأسارير ، فبادرت إليه مسرعاً ، ووقفت بين يديه متخضعاً ، وقلت له بعد أن سلمت عليه ، وقمت مقام المستكين بين يديه : يارسول الله ، ما أعظم عند الله تعالى من سلم عليك ، وقبل ثرى نعليك ، فقال لي عليه الصلاة والسلام مجيباً بعد أن رحب ترحيباً : إني أحبك، إني أحبك ،ثلاثا يعددها ، ويكرر الكلمات ويرددها، ثم قال لي في الآخرة : ومن أحب شيئاً أكثر من ذكره ، فاستيقظت من منامي ، وقمت على أقدامي والعزائم مني مشحوذة ، وعلق تعلقي بحبال هذه الفانية بمدى اليأس مقطوعة مجذوذة ، وخرجت لا ألوي على معتذر ، خروج المجد إلى لقاء المحبوب المشمر ، فسرت على عون الله متوركاً ، وبرؤيتي هذه المنامية متبركاً ، وبعرى ودي الصحيح، وحبي الصريح ، متمسكاً ، ولم يعن في هذه الرحلة بالأخذ عن أحد . . . . عن الخطيب بباغوثا من أرض عجلون من بلاد الشام . . . . بن عمر الأنصاري ابن الأندلسي ، وببونة عن أبي القاسم محمد . . . . محمد ابن محرز التميمي التونسي من ذرية الفاضل الشهير الكرامات . . . . بمراكش ، وصحبته كثيراً وأخذت عنه معظم ما كان عنده .

وكان . . . . من أهل الصدق والعدالة ، سنياً فاضلا منحياً على أهل البدع . . . . بارع الخط ، سريع البديهة فى النظم ، مكثراً منه محسناً فى بعضه ، حافظاً للقرآن العظيم ، مثابراً على تلاوته ، طيب النفس كريم الأخلاق جميل الدعابة ممتع المجالسة .

ولد بمراكش سنة خمس وتسعين وخمسئة .

وتوفي بها نصف ليلة الخميس الحادية والعشرين من ذي القعدة أحد وسبعين وستمئة ، ودفن اثر صلاة العصر من يوم الخميس المذكور بجبانة أسرغسن بمقربة من جامع علي بن يوسف عمره الله بدوام الذكر فيه ، وشهد جنازته خلق كثير ، وأثنوا عليه صالحاً ، وكان أهلا لذلك .

انتهى من (الذيل والتكملة) .



فهرس

الجزء الرابع من (الاعلام)

تابع حرف الميم

النمرة — الصحيفة

النمرة		الصحيفة
569)	محمد بن أبي بكر **ابن رشيد** الوتري البغدادي	246
570)	محمد بن عبد الكريم **الهزميري** الأغماتي	253
571)	محمد بن علي الشريف	281
572)	محمد بن إبراهيم التجيبي	283
573)	محمد بن إبراهيم الكتامي	283
574)	محمد بن محمد الكناني	283
575)	محمد **ابن عذاري** المراكشي	284
576)	محمد بن أحمد **ابن الظهير** المراكشي	285
577)	محمد بن أبي طلاق	286
578)	محمد بن أحمد **ابن عمر** السلمي	286
579)	محمد بن إبراهيم **ابن الحاج** السلمي	286
580)	محمد بن محمد العبدري الحاحي	287
581)	محمد بن محمد بن أبي القاسم	330
582)	محمد بن أحمد (أبي العباس) السبتي	330
583)	محمد بن محمد **ابن عبد الملك** الأوسي المراكشي	331
584)	محمد بن إبراهيم البقوري الليثي	335
585)	محمد بن محمد الفار القالوسي القضاعي	337
586)	محمد بن علي **ابن قطرال** الأنصاري	338
587)	محمد بن عمر (المرتضى) الموحدي	340
588)	محمد بن سليمان البياتي	341
589)	محمد ابن صالح	342
590)	محمد بن عمر **ابن رشيد** السبتي	342
591)	محمد بن علي **ابن الفخار** الجذامي	351
592)	محمد بن أحمد المراكشي	353
593)	محمد بن محمد **ابن عبد الملك** الأوسي المراكشي	355
594)	محمد بن علي أبو خرشة	356

تحت الطبع

انبعاث أمّة

الجزء الثالث والأربعون

* * *

الوثائق

الجزء العاشر

* * *

أعلامُ المغرب العربي

الجزء السادس

* * *

ضريح مُحمد الخامس

الجزءُ الثاني والجزءُ الثالث

* * *

معجم الشعاريات

* * *

فاس
منبعُ الإشعاع في القارة الأفريقية

* * *

العلاقات السياسية للدولة العلوية

* * *

مع جلالة الحسن الثاني في فاس وتازة ووجدة وتلمسان

(طبعة ثانية)



المطبعة الملكية. الرباط

رقم الإيداع القانوني : 1997 / 964
ردمك : 9981 - 905 - 03 - 8 (المجموعة)
ردمك : 9981 - 905 - 12 - 7 (الجزء الرابع)

الإعلام

بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام

تأليف

العباس بن إبراهيم السملالي

قاضي مراكش

راجعه

عبد الوهاب ابن منصور

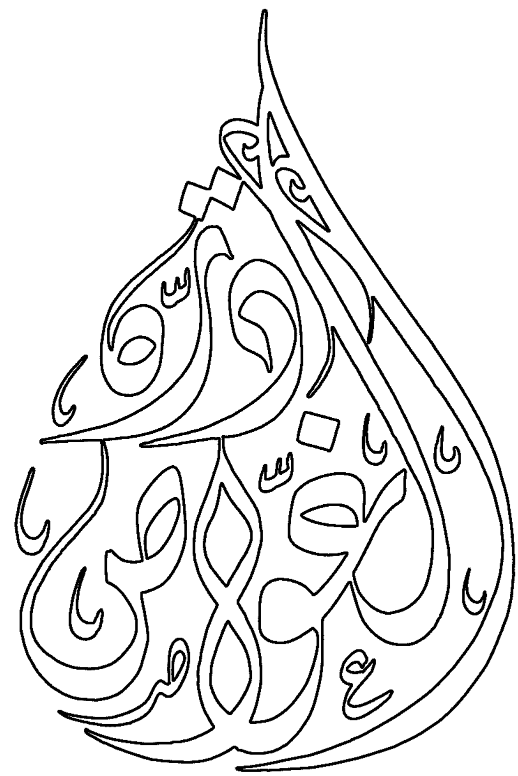
مؤرخ المملكة عضو أكاديمية المملكة المغربية

(الطبعة الثانية)

1413 هـ - 1993 م

المطبعة الملكية - الرباط

الجزء الخامس



الإعلام

بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام

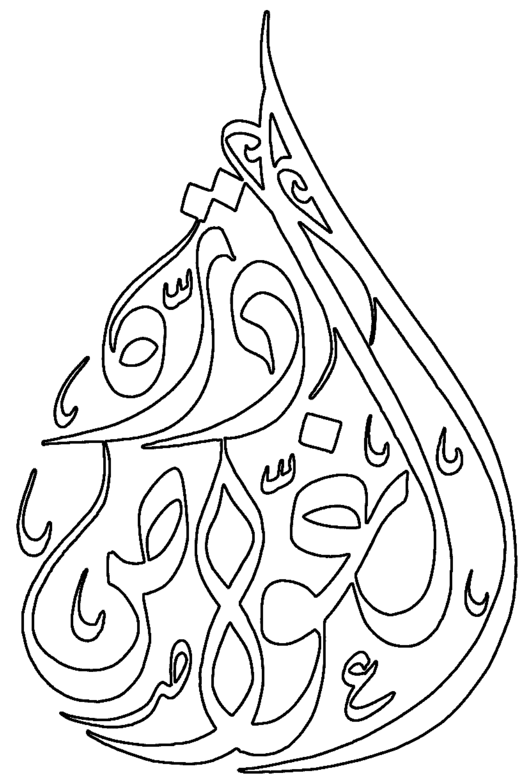
العباس بن إبراهيم السملالي
قاضي مراكش

راجعه

عبد الوهاب ابن منصور
مؤرخ المملكة عضو أكاديمية المملكة المغربية

الجزء الخامس

(الطبعة الثانية)
1420هـ - 1999م
المطبعة الملكية - الرباط



بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

614) محمد بن عبد الله ابن بطوطة اللواتي الطنجي

محمد ، بن عبد الله ، بن محمد ، بن إبراهيم ، بن محمد ، بن عبد الرحمان ، بن يوسف ، اللواتي ، الطنجي ، الملقب بشمس الدين، ابن بطوطة، الرحالة المشهور الشيخ الفقيه العالم الثقة النبيه الناسك الأبر ، ولد بطنجة في يوم الاثنين السابع عشر من رجب سنة 703 وكانت له مشاركة يسيرة في الطب، ولما بلغ من العمر اثنتين وعشرين سنة سافر من طنجة مسقط رأسه في يوم الخميس الثاني من رجب عام 725 معتمداً حج بيت الله الحرام ، وزيارة قبر الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام ، وأخذ يتقلب في بلاد مصر ، والشام ، والعراق ، وعراق العجم ، واليمن ، والهند ، ثم ساح في الأقطار الصينية والتاتارية وأواسط أفريقيا ، أي بلاد السودان ، والأندلس ، وحج عام ستة وعشرين وسبعمئة ، ثم انقلب إلى المغرب ، وفيه أخذ يملي على ابن جزي رحلته التي سماها (**تحفة النظار، في غرائب الأمصار، وعجائب الأسفار**)، وكان الفراغ من تقييدها في ثالث ذي الحجة عام ستة وخمسين وسبعمئة ، وكانت مدة ارتحاله خمساً وعشرين سنة ، وهي مشهورة ، وقد اعتنى الأفرنج بترجمتها إلى أكثر لغاتهم الأوروپاوية ، وكان محباً للوقوف على أخبار الأمم ، قال بعضهم : وقد كتب رحلته فأودعها أخباراً مهمة غريبة ، ولكن لا تزال مفقودة ، أما ما نشر منها فهو قسم اختصره العلامة محمد بن محمد بن أحمد ابن جزي الكلبي المغربي في مجلد قد طبع وتناقلته الأيدي (1) ، وقد اعتنى

1) لا شك أن هذا البعض من الأوربيين الذين يحلو لهم التشكك والتشكيك فى كل شيء ، ولسنا ندرى مستنده فى أن ما نشر من الرحلة انما هو ملخصها ، الا أن يكون ما وقعت اليه الاشارة فى مقدمتها من تنقيح ابن جزى لما أملاه ابن بطوطة وتهذيبه .

الأفرنج برحلته وبحثوا على أصلها فلم يجدوا غير مختصرها فترجموه إلى اللغتين الأنجليزية والفرنسية . انتهى .

قال في الرحلة المذكورة :

ذكر سماعي بدمشق ومن اجازني من اهلها :

سمعت بجامع بني أمية عمره الله بذكره جميع صحيح الامام محمد بن إسماعيل الجعفي البخاري رضي الله عنه على الشيخ المعمر رحلة الآفاق، ملحق الأصاغر بالأكابر ، شهاب الدين أحمد بن أبي طالب بن أبي النعم بن حسن بن علي بن بيان الدين مقريء الصالحي المعروف بابن الشحنة الحجازي في أربعة عشر مجلساً ، أولها يوم الثلاثاء منتصف شهر رمضان المعظم سنة ست وعشرين وسبعمئة ، وآخرها يوم الاثنين الثامن والعشرين منه ، بقراءة الامام الحافظ مؤرخ الشام علم الدين القاسم بن محمد بن يوسف البرزالي الاشبيلي الأصل الدمشقي في جماعة كبيرة ، كتب أسماءهم محمد بن طغريل بن عبد الله بن الغزال الصيرفي بسماع الشيخ أبي العباس الحجازي لجميع الكتاب من الشيخ الامام سراج الدين الحسين بن أبي بكر المبارك بن محمد بن يحيى بن علي بن المسيح بن عمران الربيعي البغدادي الزبيدي الحنبلي في أواخر شوال وأوائل ذي القعدة من سنة ثلاثين وستمئة بالجامع المظفري بسفح جبل قاسيون ظاهر دمشق وباجازته في جميع الكتاب من الشيخين أبي الحسن محمد بن أحمد بن عمر بن الحسين بن الخلف القطيعي المؤرخ ، وعلي بن أبي بكر بن عبد الله بن روبه القلانسي العطار البغدادي ، ومن باب غيرة النساء ووجدهن إلى آخر الكتاب من أبي المنجا عبد الله بن عمر بن علي بن زيد ابن اللتي الخزاعي البغدادي بسماع أربعتهم من الشيخ سديد الدين أبي الوقت عبد الأول بن عيسى بن إبراهيم السجزي الهروي الصوفي سنة ثلاث وخمسين وخمسمئة ببغداد ، قال : أخبرنا الامام جمال الاسلام أبو الحسن عبد الرحمان بن محمد بن المظفر بن محمد بن داوود بن أحمد بن معاذ بن سهل ابن الحكم الدؤادي قراءة عليه وأنا أسمع ببوشنج سنة خمس وستين وأربعمئة قال : أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حموية بن

يوسف بن أيمن السرخسي قراءة عليه وأنا أسمع في صفر سنة احدى وثمانين وثلاثمئة ، قال : أخبرنا عبد الله محمد بن يوسف بن مطر بن صالح بن بشر بن إبراهيم الفربري قراءة عليه وأنا أسمع سنة ست عشرة وثلاثمئة بفربر ، قال : أخبرنا الامام محمد بن إسماعيل البخاري رضى الله عنه سنة ثمان وأربعين ومئتين بفربر ومرة ثانية بعدها سنة ثلاث وخمسين ، وممن أجازني من أهل دمشق إجازة عامة الشيخ أبو العباس الحجازي المذكور سبق إلى ذلك وتلفظ لي به ، ومنهم : الشيخ الامام شهاب الدين أحمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد المقدسي ، ومولده في ربيع الأول سنة ثلاث وخمسين وستمئة، ومنهم الشيخ الامام الصالح عبد الرحمان بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمان النجدي ، ومنهم إمام الأئمة جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن الزكي عبد الرحمان بن يوسف المزني الكلبي حافظ الحفاظ ، ومنهم الشيخ الامام علاء الدين علي بن يوسف بن محمد بن عبد الله الشافعي ، والشيخ الامام الشريف محيي الدين يحيى بن محمد بن علي العلوى، ومنهم الشيخ الامام المحدث مجد الدين القاسم بن عبد الله بن أبي عبد الله بن المعلى الدمشقي ومولده سنة أربع وخمسين وستمئة ، ومنهم الشيخ الامام العالم شهاب الدين أحمد بن إبراهيم بن فلاح بن محمد الأسكندري ، ومنهم الشيخ الامام ولي الله تعالى شمس الدين بن عبد الله بن تمام ، والشيخان الأخوان شمس الدين محمد ، وكمال الدين عبد الله ابنا إبراهيم بن عبد الله بن أبي عمر المقدسي ، والشيخ العابد شمس الدين محمد بن أبي الزهراء بن سالم الهكاري ، والشيخة الصالحة عائشة بنت محمد بن مسلم بن سلامة الحراني، والشيخة الصالحة رحلة الدنيا زينب بنت كمال الدين أحمد بن عبد الرحيم بن عبد الواحد بن أحمد المقدسي ، كل هاؤلاء أجازني إجازة عامة في سنة ست وعشرين بدمشق (I) .

وقال أيضاً :

رأيت أيام مجاورتي بمكة شرفها الله وأنا إذذاك ساكن منها بالمدرسة المظفرية رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً في النوم ،

I) تحفة النظار ص I03 طبع بيروت .

وهو قاعد بمجلس التدريس من المدرسة المذكورة بجانب الشباك الذي تشاهد منه الكعبة الشريفة والناس يبايعونه ، فكنت أرى الشيخ أبا عبد الله المدعو بخليل قد دخل وقعد القرفصاء بين يديْ رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً وجعل يده في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : أبايعك على كذا وكذا ، وعدد أشياء منها وأن لا أرد من بيتي مسكيناً خائباً ، وكان ذلك آخر كلامه ، فكنت أعجب من قوله وأقول في نفسي : كيف يقول هذا ويقدر عليه مع كثرة فقراء مكة ، واليمن ، والزيالعة ، والعراق ، والعجم ، ومصر ، والشام؟ وكنت أراه حينذاك لابساً جبة بيضاء قصيرة من ثياب القطن المدعوة بالقفطان كان يلبسها في بعض الأوقات ، فلما صليت الصبح غدوت عليه وأعلمته برؤياي فسُر بها وبكى ، وقال لي تلك الجبة أهداها بعض الصالحين لجدي فأنا ألبسها تبركاً ، وما رأيته بعد ذلك يرد سائلا خائباً وكان يأمر خدامه يخبزون الخبز ، ويطبخون الطعام وياتون به إلي بعد صلاة العصر من كل يوم وأهل مكة لا يأكلون في اليوم إلا مرة واحدة بعد العصر ، ويقتصرون عليها إلى مثل ذلك الوقت ، ومَن أراد الأكل في سائر النهار أكل التمر ، ولذلك صحتْ أبدانهم ، وقلّت فيهم الأمراض والعاهات (1) .

وقال أيضاً لما ذكر جامع الخليفة ببغداد ما نصه :

لقيت بهذا المسجد الشيخ الامام الصالح مسند العراق سراج الدين عمر بن علي بن عمر القزويني وسمعت عليه فيه جميع مسند عبد الله بن عبد الرحمان بن الفضل بن بهرام الدارمي وذلك في شهر رجب الفرد عام سبعة وعشرين وسبعمئة، قال: أخبرتنا به الشيخة الصالحة المسندة بنت الملوك فاطمة بنت العدل تاج الدين علي بن علي بن أبي البدر ، قالت : أخبرنا الشيخ أبو بكر محمد بن مسعود بن بهروز الطبيب المارستاني ، قال : أخبرنا أبو الوقت عبد الأول بن شعيب السجزي الصوفي ، قال : أخبرنا الامام أبو الحسن عبد الرحمان بن محمد بن المظفر الداودي ، قال : أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حموية السرخسي ، عن أبي عمران عيسى بن عمر بن العباس السمرقندي ، عن عبد الله بن عبد الرحمان بن الفضل الدارمي (2) .

---

1) تحفة النظار ص 145 طبع بيروت .

2) تحفة النظار ص 319 طبع بيروت .

ثم ذكر المصنف أن السلطان ولاه قضاء دهلي بالهند ، وقال له : إنه أكبر الأشغال عندهم فاعتذر له بأنه على مذهب مالك ، وهؤلاء حنفية ، وأنه لا يعرف اللسان ، فقال له قد عينت بهاء الدين الملتاني وكمال الدين البجنوري لينوبا عنك ويشاوراك وتكون أنت تسجل على العقود ، ثم أحسن إليه ، ومدح السلطان بقصيدة طويلة أولها :

إليك أمير المومنين المبجـــلا ... أتينا نجد السير نحوك في الفـلا
فجئت محلا من علائك زائـــراً ... ومغناك كهف للزيارة آهـــلا
فلو أن فوق الشمس للمجد رتبة ... لكنتَ لأعلاها إماماً مؤهـــلا
فأنت الامام الماجد الأوحد الـذي ... سجاياه حتماً أن يقول ويفعـلا
ولي حاجة" من فيض جودك أرتجي ... قضاها وقصدي عند مجدك سُهلا
أأذكرها أم قد كفاني حياؤكـم ... فان حياكم ذكره كان أجمـلا
فعجل ° لمن وافى محلك زائـراً ... قضى دينه إن الغريم تعجـلا (1)

ثم قال المؤلف :

ولما كان بعد مدة انقبضت عن الخدمة ، ولازمت الشيخ الامام العالم العابد الزاهد الخاشع الورع ، فريد الدهر ، ووحيد العصر ، كمال الدين عبد الله القاري ، وكان من الأولياء ، وله كرامات كثيرة قد ذكرت ما شاهدته عند ذكر اسمه ، وانقطعت إلى خدمة هذا الشيخ ، ووهبت ما عندي للفقراء والمساكين ، وكان الشيخ يواصل عشرة أيام وربما واصل عشرين ، فكنت أحب أن أواصل ، فكان ينهاني ويأمرني بالرفق على نفسي في العبادة ويقول إن المنبتَّ لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى ، وظهر لي من نفسي تكاسل بسبب شيء بقي معي ، فخرجت عن جميع ما عندي من قليل وكثير ، وأعطيت ثياب ظهري لفقير ولبست ثيابه ولزمت هذا الشيخ خمسة أشهر ، والسلطان إذذاك غائب ببلاد السند (2) .

1) **تحفة النظار** ص 504 طبع بيروت .

2) **تحفة النظار** ص 517 طبع بيروت .

ذكر بعث السلطان عني
وإبايتي عن الرجوع إلى الخدمة واجتهادي في العبادة

ولما بلغ السلطان خبر خروجي عن الدنيا استدعاني وهو يومئذ بسيوستان ، فدخلت عليه في زي الفقراء ، فكلمني أحسن كلام وألطفه ، وأراد مني الرجوع إلى الخدمة ، فأبيت وطلبت منه الاذن في السفر إلى الحجاز فأذن لي فيه ، وانصرفت عنه ، ونزلت بزاوية تعرف بالنسبة إلى الملك بشير ، وذلك في أواخر جمادى الثانية سنة اثنتين وأربعين ، فاعتكفت بها شهر رجب وعشراً من شعبان ، وانتهيت إلى مواصلة خمسة أيام ، وأفطرت بعدها على قليل أرز دون إدام ، وكنت أقرأ القرآن كل يوم وأتهجد بما شاء الله ، وكنت إذا أكلت الطعام آذاني ، فاذا طرحته وجدت الراحة ، وأقمت كذلك أربعين يوماً ثم بعث عني ثانية (1) .

ثم ذكر تزوجه بربيبة السلطانة بنت السلطان جلال الدين عمر بن السلطان صلاح الدين صالح البنجالي ، فأكرهه الوزير حينئذ على القضاء بسبب اعتراضه على القاضي الذي يأخذ العشر من التركات إذا قسمها على أربابها وإنما له الأجرة يتفق بها مع الورثة . وحين ولي اجتهد في إقامة رسوم الشرع ، ثم انفصل عنهم .

ثم قال عند ذكر رجوعه للمغرب : إنه دخل مراكش ، ثم ذكر الكلام الذي قدمناه عنه فيها في المقدمة (2) .

قال في (الاحاطة) : ولقيته في غرناطة وبتنا معه في بستان أبي القاسم ابن عاصم ، وحدثني في تلك الليلة واليوم بعدها عن تلك البلاد المشرقية وغيرها ، فأخبر أنه دخل الكنيسة العظمى بقسطنطينية ، وهي على قدر مدينة مسقفة وفيها اثنا عشر سقفاً . قلت وأحاديثه في الغرابة أبعد من

---

1) **تحفة النظار** ص 518 طبع بيروت .

2) انظر 1 : 80 من هذا الكتاب .

هذا غوراً ، وانتقل إلى العدوة فدخل بلاد السودان ، ثم لما تعرف عليه ملك المغرب استدعاه فلحق ببابه وأمر بتدوين رحلته . انتهى (1) .

وقوله وهي على قدر مدينة غلو مفرط ، فلا يصح منه إلا قوله مسقفة ، وقد دخلتها سنة 1347 .

وقال الحافظ في (الدرر الكامنة) في ترجمته بعد ذكر كلام ابن الخطيب ما نصه : وقرأت بخط ابن مرزوق أن محمد ابن جزي نمقها وحررها بأمر السلطان أبي عنان ، وكان البلفيقي رماه بالكذب فبرأه ابن مرزوق ، وقال إنه بقي إلى سنة سبعين ومات وهو متولي القضاء ببعض البلاد ، قال ابن مرزوق ولا أعلم أحداً جال البلاد كرحلته ، وكان مع ذلك جواداً محسناً انتهى (2) .

توفي المترجم سنة تسع وسبعين وسبعمئة (3) .

615) محمد بن أحمد ابن مرزوق العجيسي التلمساني

محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسي (4) من أهل تلمسان ، تلقب من الألقاب المشرقية بشمس الدين . قال في (الديباج) وشيوخه الذين أخذ عنهم العلم وروى عنهم الحديث مذكورون في مشيختـه

---

1) **الاحاطة** (مخطوط) .

2) **الدرر الكامنة** 4 : 100 ع 3804 .

3) ينظر عن ابن بطوطة **دائرة المعارف الاسلامية** 1 : 221 و **الرحالة المسلمون** ص 136 و **الاعلام للزركلي** 7 : 114 .

4) قال فى **تاج العروس** 4 : 185 ما نصه وبنو العجيس كأمير قبيلة من البربر بالمغرب، ومنهم عالم الدنيا محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن محمد بن أبى بكر بن محمد عن ابن عرفة والبلقينى والعراقى ، ومات بتلمسان سنة 848 هـ ، وقد علمت أن هذا اسم المترجم ابن مرزوق العجيسى التلمسانى تعرف بحفيد ابن مرزوق وبابن مرزوق ، ولد سنة 766 واخذ المعروف بالجد لا اسم الحفيد فهو سبق قلم من الحافظ الزبيدى .

وراجع ترجمة الحفيد الذى اسمه محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبى بكر بن محمد ابن مرزوق فى ص 50 من ج 7 من (الضوء اللامع) ، كما زاد الزبيدى فى أسماء آباء الجد محمداً ثالثاً فتنبه لذلك .

المسماة (عجالة المستوفز المستجاز . في ذكر مَن سمع من المشايخ دون مَن أجاز ، من أيمـة المغرب والشام والحجاز (1) ، يعني نحو الألفين كما فـي (طبقات النحاة) للسيوطي و (اختصار الديباج) لابن هلال ، فمنهم عز الدين أبو محمد الحسين بن علي الواسطي الخطيب بالمدينة النبوية ، وجمال الدين محمد بن أحمد ابن خلف المطري ، وهو يروي عن عفيف الدين عبد السلام ابن مزروع، وأبي اليمن ابن عساكر وغيره، والشيخ علي بن محمد الحجار الفراش بالحرم النبوي ، وشهاب الدين بن أحمد بن محمد بن أحمد الصاغاني ، وقاضي المدينة شرف الدين الأسيوطي اللخمي ، والخطيب بهاء الدين موسى بن سلامة الشافعي الخطيب بالمدينة النبوية ، والشيخ أبي طلحة الزبير بن أبي صعصعة الأسواني ، والشيخ عفيف الدين المطري ، والشيخ أبي البركات أيمن بـن محمد بن محمد بن محمد بن محمد إلى أربعـة عشر جداً كلهم اسمه محمـد التونسي المجاور بالمدينة النبوية ، والشيخين عبد الله وعلي ابني محمد ابن فرحون ، والشيخ عبد العزيز بن عبد الواحد ابن أبي زكنون التونسي ، وبمكة الشيخ شرف الدين أبي عبد الله عيسى بن عبد الله الحجي المكي توفي وقـد قارب المئة ، والشيخ زين الدين أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد ابن أبي بكر الطبري المكي ، والشيخ شرف الدين بن خضر بن عبد الرحمان العجمي ، والشيخ حيدر بن عبد الله المقري ، والشيخ برهان الدين إبراهيم بن مسعود بن إبراهيم الأعلا المصري ، والشيخ مصلح الدين الحسن بن عبد الله العجمي ، والشيخ الصالح أبو الوفا خليل بن عبد الرحمان القسطلاني التوزري ، والشيخ الصالح عبد الله بن أسعد اليافعي الحجـة ، انتهت إليه الرياسة العلمية والخطط الشرعية بالحرم ، والشيخ فخر الدين عثمان ابن أبي بكر النويري المالكي ، والشيخ شهاب الدين أحمد بن الحرازي اليمني ، والشيخ قاضي القضاة نجم الدين محمد بن جمال الدين عبد الله ابن المحب الطبري ، والشيخ جلال الدين محمد بن أحمد الأقشهري التلمساني ، والشيخ سليمان بن يحيى بن سليمان المراكشي السفاح ، وأبي أوس المعروف بابن الدروال التونسي ، وأبي عبد الله ابن القماح ، وشرف الدين عيسى بن

---

1) توجد منه نسخة بالخزانة الملكية بالرباط .

محمد المغيلي ، وبرهان الدين إبراهيم بن محمد القيسي الصفاقسي ، وخطيب القدس محمد بن أحمد ابن الصائغ ، ومحمد بن علي ابن متيت الأندلسي ، وبرهان الدين بن تاج الدين ابن الفركاح الدمشقي ، وقاضي القضاة عز الدين عبد العزيز بن محمد ابن جماعة الكناني قاضي القضاة بالديار المصرية ، وبالديار المصرية الشيخ علاء الدين إسماعيل بن يوسف الغزنوي ، وتقي الدين محمد بن أبي بكر بن عيسى السعدي ، والشيخ المصنف قاضي القضاة جمال الدين محمد بن عبد الرحمان بن عمر القزويني شهير الذكر رفيع القدر ، وقاضي القضاة برهان الدين إبراهيم بن عبد الحق الحنفي ، والشيخ قطب الدين عبد الكريم بن عبد النور بن منير الحنفي ، والشيخ شهاب الدين أحمد بن منصور الحلبي الجوهري ، والشيخ المعمر شرف الدين يحيى بن أبي الفتوح المقدسي بن المصري ، والشيخ محسن أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المعطي القرشي ، وشهاب الدين أحمد بن محمد الحلبي الحنبلي ، وفتح الدين محمد بن محمد بن أحمد ابن سيد الناس اليعمري ، وأخيه شمس الدين أبو بكر محمد ، والشيخ أثير الدين أبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف ابن حيان النفزي الغرناطي ، والشيخ النسابة شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن طي بن حاتم بن عبس الزبيري المصري ، تبلغ شيوخه نحواً من ألفي شيخ ، وشمس الدين محمد بن عدلان ، وشهاب الدين أحمد بن عبد الله البوشي المالكي ، والشيخ تاج الدين محمد بن أحمد بن ثعلب المصري مدرس المالكية ، وشمس الدين محمد بن كشتغدي بن عبد الله الخطابي الصيرفي ، وعماد الدين محمد بن عالي بن نجم الدمياطي الشافعي ، وتقي الدين صالح بن مختار الأسنوي ، وتقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي ، وبرهان الدين إبراهيم بن علي بن أبي بن أبي القاسم المعروف بابن بنت الشاذلي ، وبرهان الدين الحكري ، ومَحمد بن جابر الوادآشي ، وأبي القاسم بن علي البراء ، وعز القضاة أبي محمد ناصر الدين بن منصور بن محمد بن منير الأسكندري ، وبتونس المحدث النسابة محمد بن حسن الزبيدي ، وقاضي الجماعة أبي إسحاق بن عبد الرفيع ، والقاضي أبي محمد بن عبد السلام ، وأبي محمد بن راشد القفصي ، وإمام جامع الزيتونة هارون ، وببجاية الامام العلامة أبي علي

ناصر الدين المشدالي ، والحافظ بقية زمانه محمد بن عبد الله ابن بالبخت الزواوي ، وأبي عبد الله بن المعتز ، وبتلمسان ابني الامام ، وقاضي الجماعة محمد ابن هدية ، والخطيب أبي محمد المجاطي ، وغيرهم وذكرهم يطول .

ولما انصرف من المشرق وقدم المغرب ، اشتمل عليه السلطان أبو الحسن اشتمالا خلطه بنفسه ، وجعله مفضى سره ، وإمام جمعته ، وخطيب منبره ، وأمين رسالته ، ورحل بعد أبي الحسن إلى الأندلس ، فاجتذبه سلطانها وأجراه على تلك الوتيرة ، فقلده الخطبة بمسجده ، وأقعده للاقراء بمسجد حضرته ، ثم انصرف عزيز الرحلة حتى قدم على ولد السلطان أبي الحسن وارث الملك بعده السلطان أبي عنان فارس ، فكان عنده في محل تجلة ، وبساط قرب ، مجدي التوسط ، ناجع الشفاعة ، وكان بعد أبي عنان عند أخيه السلطان أبي سالم إبراهيم المسمى بالسعيد ، فاستولى على أمر السلطان وخلطه السلطان بنفسه ولم يستأثر ببثه ولا انفرد عنه بما سوى بضع أهله ، بحيث لا يقطع في شيء إلا عن رأيه ، ولا يمحو ويثبت إلا واقفاً عند حده ، فغشيت بابه الوفود ، وصرفت إليه الوجوه ، ووقفت عليه الآمال ، وخدمته الأشراف ، وجلبت إلى سدته بضائع العقول والأموال ، وهادته الملوك، فلا تحدو الحداة إلا إليه ، ولا تحط الرحال إلا لديه ، ثم انفرد أخيراً ببيت الخلوة ، ومنتبذ المناجاة من دونه مصطب الوزراء ، ووقفت ببابه الأمراء ، قد وسع الكل لحظه ، وشملهم بحسب الترتب والأحوال رعيه ، لكن رضى الناس الغاية التي لا تدرك ، والحسد بين بني آدم قديم ، فلما انقضى أمر هذا السلطان قبض عليهوأجمع الملأ على قتله وضيق عليه وانتهبت أمواله ، واعتقلت رباعه ، وتمادى به الاعتقال والشدة إلى أن شملته عوائد الله تعالى معه في الخلاص من الشدة، وظهرت عليه بركة سلفه قائمة له حجة الكرامة لهم في أمره.

قال ابن الخطيب : أخبرني أمير المسلمين سلطاننا أعزه الله قال : عرض لي والدي رحمه الله في النوم فقال : ياولدي اشفع في الفقيه ابن مرزوق ، فعينت للوجهة في ذلك قاضي الحضرة ، فكان في ذلك ابتداء الفرج ،

قال : وحدثني الثقة منخدام السلطان أبي عنان عنه مخبراً عن نفسه – يعني السلطان – وكان أبو عنان قد غضب عليه ثم أجاره من سخطه عليه ، قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فأمرني بذلك وكفى بها جاهاً وحرمة .

قال المؤلف : ثم ترك سبيله وأبيح له ركوب البحر إلى البلاد المشرقية بأهله وولده ، فسار (1) في كنف الستر وتحت جناح الوقاية عام أربعة وستين وسبعمئة .

وتصانيفه عديدة في فنون متنوعة ، وكلها بديعة كثيرة الفائدة تدل على كثرة اطلاعه ، منها (شرح العمدة) في خمس مجلدات جمع فيه بين شرحي الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد ، وتاج الدين الفاكهاني . وأضاف إلى ذلك كثيراً من الفوائد الجليلة النفيسة ، وشرح كتاب (الشفا في التعريف بحقوق المصطفى) ، ولم يكمل ، وتوفي بعد الثمانين وسبعمئة رحمه الله تعالى. انتهى .

وقال في (نيل الابتهاج) شُهر بالخطيب وبالجد ابن مرزوق شارح العمدة في الحديث والشفاء ، ذكره ابن فرحون في الأصل إي في (الديباج) وأثنى عليه ، وذكر شيوخه .

ولنذيل هنا بما لم يذكره هنا،قال ابن خلدون: صاحبنا الخطيب محمد بن أحمد ابن مرزوق من أهل تلمسان ، كان سلفه نزلاء الشيخ أبي مدين بالعُباد ، ومتوارثين خدمة تربته من زمن جدهم خادمه في حياته ، وجده الخامس والسادس أبو بكر ابن مرزوق معروف بالولاية فيهم ، وولد صاحب الترجمة على ما أخبرني عام عشرة وسبعمئة ، ورحل مع والده للشرق سنة ثمان عشرة ، وسمع ببجاية على ناصر الدين ، ولما جاور أبوه بالحرمين رجع هو للقاهرة فأقام وقرأ على البرهان الصفاقسي وأخيه وبرع في الطلب والرواية ، وكان يجيد الخطين ورجع سنة ثلاث وثلاثين للمغرب ، ولقي السلطان أبا الحسن محاصراً لتلمسان وقد بنى مسجداً عظيماً بالعُباد ، وكان عمه محمد ابن مرزوق خطيباً به على عادتهم ، وتوفي فولاه السلطان خطابة ذلك المسجد

---

1) من ساحل بادس باقليم الحسيمة .

مكان عمه ، وسمعه يشيد بذكره في خطبته ويثني عليه ، فقربه وهو مع ذلك يلازم ابني الامام ويلقى أكابر الفضلاء ويأخذ عنهم ، وحضر معه واقعة طريف ، وأرسله للأندلس وقشتالة في الصلح وفك والده المأسور ، ورجع بعد وقعة القيروان مع زعماء النصارى وافدين على أبي عنان بفاس مع أمه حظية أبي الحسن ، ثم رجع لتلمسان وأقام بالعُباد وبها يومئذ أبو سعيد عثمان وأخوه أبو ثابت ، والسلطان أبو الحسن بالجزائر ، وقد حشد فأرسل أبو سعيد ابن مرزوق إليه سراً في الصلح ، فلما اطلع أبو ثابت على الخبر أنكره على أخيه ، فبعثوا من حبس ابن مرزوق ، ثم أجازوه البحر للأندلس ، فنزل على يوسف ابن الأحمر سلطان غرناطة فقربه واستعمله على الخطبة بجامع الحمراء ، فبقي عليها حتى استدعاه أبو عنان سنة أربع وخمسين بعد مهلك أبيه واستيلائه على تلمسان وأعمالها ، فنظمه في أكابر أهل مجلسه ، ثم بعثه لتونس عام ثمان ليخطب له بنت السلطان أبي يحيى ، فردت الخطبة واختفت بتونس ، ووشي لأبي عنان أنه مطلع على مكانها وسخطه وأمر بسجنه فسجن مدة ثم أطلقه قبل موته ، ولما تولى أبو سالم آثره وجعل الأمور بيده ، فوطىء الناس عقبه وغشى أشراف الدولة بابه ، وصرفوا إليه الوجوه ، فلما وثب الوزير عمر بن عبد الله بالسلطان آخر اثنين وستين حبس ابن مرزوق ، ثم أطلقه بعد طلب كثير من أهل الدولة قتله ، فمنعه منهم ولحق بتونس سنة أربع وستين ، ونزل على السلطان أبي إسحاق وصاحب دولته أبي محمد ابن تافراكين ، فأكرموه وولوه خطابة جامع الموحدين ، وأقام بها حتى هلك أبو يحيى سنة سبع وولي ابنه خالد . ثم لما تولى أبو العباس الأمر بعد قتله خالداً وبينه وبين ابن مرزوق شيء لميله مع ابن محمد صاحب بجاية عزله عن الخطبة ، فوجم لها فأجمع الرحلة للشرق وسرحه السلطان ، فركب السفينة للأسكندرية ثم القاهرة ، ولقي أهل العلم وأمراء الدولة، فنفقت بضائعه عندهم، وأوصلوه للسلطان الأشرف فولاه الوظائف العملية موفر المرتبة ، معروف الفضيلة ، مرشحاً للقضاء ، ملازماً للتدريس حتى هلك سنة إحدى وثمانين ، انتهى ملخصاً (1) .

---

1) التعريف بابن خلدون ص 49 .

وقال في (الاحاطة) : كان من طرف دهره ظرفاً وخصوصية ولطافة ، مليح التوسل ، حسن اللقاء ، مبذول البشر ، كثير التودد ، نظيف البزة ، لطيف التأتي ، خير البيت ، طلق الوجه ، خلوب اللسان ، طيب الحديث ، مقدر الألفاظ ، عارفاً بالأبواب ، دربا على صحبة الملوك والأشراف ، ممزوج الدعابة بالوقار والفكاهة بالنسك والحشمة بالبسط ، عظيم المشاركة لأهل وده والتعصب لاخوانه ألفاً مألوفاً ، كثير الأتباع غاص المنزل بالطلبة ، منقاداً للدعوة ، بارع الخط أنيقه ، عذب التلاوة متسع الرواية ، مشاركاً في فنون من أصول وفروع وتفسير ، يكتب ويشعر ويقيد ويؤلف فلا يعدوه السداد في ذلك ، فارس منبر غير جزوع ولاهياب ، رحل إلى المشرق في كنف وحشمة مع والده ، فحج وجاور ولقي الجلة ، ثم فارقه وقد عرف بالمشرق حقه ورجع إلى المغرب ، فاشتمل عليه أبو الحسن وجعله مفضى سره ، وإمام جمعه ، وخطيب منبره ، وأمين رسالته ، وقدم الأندلس وسط عام اثنين وخمسين فقلده سلطانها خطبة مسجده وأقعده للاقراء بمدرسته ، ثم صرف عنه جفن بره في أسلوب طماح ودالة ، فاغتنم الفترة وانتهز الفرصة ، فانصرف عزيز الرحلة مغبوط المنقلب في شعبان عام أربعة وخمسين ، فاستقر عند أبي عنان في محل تجلة وبساط قربة مشترك الجاه مجدي التوسط (1) .

قال الحافظ ابن حجر : ولما وصل تونس أكرم إكراماً عظيماً ، فخطب ودرس في أكثر المدارس ، ثم قدم القاهرة ، فأكرمه الأشرف شعبان ، ودرس بالشيخونية والصرغتمشية والنجمية ، وكان حسن الشكل جليل القدر ، مات في ربيع الأول سنة إحدى وثمانين انتهى (2) .

قال ابن الخطيب القسنطيني : شيخنا الفقيه الجليل الخطيب ، توفي بالقاهرة ودفن بين ابن القاسم وأشهب ، له طريق واضح في الحديث ، ولقي أعلاماً ، سمعنا منه البخاري وغيره في مجالس ، وبمجلسه لياقة وجمال، وله شرح جليل على العمدة في الحديث (3) .

---

1) **الاحاطة** (خطي) مع تصرف .

2) **الدرر الكامنة** 3 : 450 ع 3476.

3) **شرف الطالب** ص 373 طبع بيروت .

قلت : وقــرأت بخط العالــم محمد بــن العبــاس التلمساني مــا ملخصه : كتب بعض السادات للامام زعيم العلماء الحفيد ابن مرزوق ، أنه وجد بخط جده الخطيب ابن مرزوق لما ثقفه عمر بن عبد الله على يد الشيخ أبي يعقوب كتب ما نصه : الحمد لله على كل حال ، خرج الطبري في منسكه ، وأبو حفص الملائي في سيرته ، عن عبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو قالا : وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على الثنية التي بأعلا مكة وليس بهــا يومئذ مقبور ، فقال : يبعث الله من هاهنا سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغيــر حساب ، يشفع كل واحد منهم في سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عقاب ، ووجوههم كالقمر ليلة البدر ، فقال أبو بكر : مَن هم يارسول الله ؟ فقال : هم الغرباء من أمتي الذين يدفنون هاهنا ، ففي الموضع دفن والدي رحمه الله بعد سماعه الحديث بسبعة أيام ، أفتراه لا يشفع فيمَن أقال عثرة ولده ؟ أفما يشتري هذا بأموال الأرض ؟ أفلا يراعي لي ثمانية وأربعين منبراً في الاسلام شرقاً وغرباً وأندلساً ؟ أفلا يراعي لي أنه ليس اليوم يوجد مَن يسند أحاديث الصحاح سماعاً من باب اسكندرية إلى البريق والأندلس غيري؟ وقرأت عن نحو مئتين وخمسين شيخاً والله ما أعلمه لكني حرمني الله منه ، فنبذت الاشتغال وآثرت اتباع الهوى والدنيا فهويت اللهم غفرانك ، أفلا يراعي لي مجاورة نحو اثني عشر عاماً ؟ وختم القرآن في داخل الكعبة والاحياء في محراب النبي صلى الله عليه وسلم والاقراء بمكة ولا أعلم مَن له هذه الوسيلة غيري ؟ أفلا يراعي لي الصلاة بمكة ستاً وعشرين سنة وغربتي بينكم ومحنتي في بلدي على محبتكم وخدمتكم ، مَن ذا الذي خدمكم من الناس يخرج على هذا الوجه ؟ أستغفر الله، أستغفر الله، أستغفر الله من ذنوبي، ذنوبي أعظم،وربي أعلم ، وربي أرحم والسلام انتهى ، وفيه دليل على قدر الرجل ومكانته ديناً ودنيــا .

ورأيت له في بعض المجاميع ما ملخصه : ومن أشياخ والدي سيدي محمد المرشدي لقيته في ارتحالنا للشرق ، وحملني إليه وأنا ابن تسعة عشر سنة ، فنزلنا عنده وقت صلاة الجمعة ، ومن عادته أن لا يتخذ إماماً للمسجد ، وحضر حينئذ من أعلام الفقهاء مَن لا يمكن اجتماع مثلهم في غير ذلك المشهد ،

فقرب وقت الصلاة فتشوف من حضر من الفقهاء والخطباء للتقديم ، فخرج الشيخ فنظر يميناً وشمالا وأنا خلف والدي ، فوقع بصره علي ، فقال لي : يامحمد تعال ، فقمت معه إلى موضع خلوة ، فباحثني في الفروض والشروط والسنن ، قال فتوضأت وأخلصت النية ، فأعجبه وضوئي ، ودخل معي المسجد وقادني للمنبر ، وقال لي : يامحمد ارقَ المنبر ، فقلت له : ياسيدي والله لا أدري ما أقول ، فقال لي ارقه ، وناولني السيف الذي يتوكأ عليه الخطيب عندهم وأنا جالس مفكر فيما أقول إذا فرغ الأذان ، فلما فرغوا ناداني بصوته وقال : يامحمد قم وقل بسم الله ، قال : فقمت وانطلق لساني بما لا أدري ما هو إلا أني أنظر إلى الناس فينظرون إليَّ ويخشعون من وعظي، فأكملت الخطبة ، فلما نزلت قال لي : أحسنت يامحمد ، وقِراك عندنا أن نوليك الخطبة ، وأن لا تخطب بخطبة غيرك ما وليت وحييت ، ثم سافرنا فحججنا وأراد والدي الجوار ، وأمرني بالرجوع لتلمسان لأونس عمي ، وأمرني بالوقوف على سيدي المرشدي هنالك ، فوقفت عليه وسألني عن والدي فقلت له : يقبل أيديكم ويسلم عليكم ، فقال لي : تقدم يامحمد واستند لهذه النخلة ، فان شعيباً — يعني أبا مدين — عبد الله عندها ثلاث سنين ، ثم دخل خلوته زماناً ، ثم خرج فأمرني بالجلوس بين يديه ، ثم قال : يامحمد أبوك من أحبابنا وإخواننا إلا أنك يامحمد ، إلا أنك يامحمد ... فكانت إشارة منه لما امتحنت به من مخالطة أهل الدنيا والتخليط ، ثم قال : يامحمد أنت مشوش من جهة أبيك تتوهم أنه مريض ومن بلدك ، أما أبوك فبخير وعافية وهو الآن عن يمين منبر الرسول عليه السلام ، وعن يمينه خليل المكي ، وعن يساره أحمد قاضي مكة ، وأما بلدك فسم الله ، فخط دائرة في الأرض ، ثم قام فقبض إحدى يديه على الأخرى وجعلها خلف ظهره وجعل يطوف بتلك الدائرة ويقول : تلمسان تلمسان حتى طاف بها مرات ، ثم قال لي يامحمد قد قضى الله الحاجة فيها ، فقلت له : كيف ياسيدي ؟ فقال : ستر الله إن شاء الله على ما فيها من الذراري والحريم ، ويملكها هذا الذي حصرها فهو خيرٌ لهم ، ثم جلس وجلست بين يديه ، فقال لي : ياَخطيب ، فقلت : ياسيدي عبدك ومملوكك ، فقال : كن خطيباً أنت الخطيب ، وأخبرني بأمور ، وقال لي لابد أن تخطب بالجانب الغربي

وهو الجامع الأعظم بالأسكندرية ، ثم أعطاني شيئاً من كعيكعات صغار زودني بها وأمرني بالرحيل ، وأما خبر تلمسان فدخلها المريني كما ذكر وستر الله على ما فيها من الذراري والحريم ، وكان هذا المرشدي يتصرف في الولاية كتصرف أبي العباس السبتي نفعنا الله بهما انتهى .

وممن ترجم المترجم الحافظ في (الدرر الكامنة) وترجم فيها أيضاً لسيدي محمد المرشدي ، وذكر من أحواله شيئاً كثيراً فراجعها فيه ، وأنشد من شعر المترجم ابن مرزوق في (الشذرات) هذه الأبيات الأربعة :

أنظر إلى النوار في أغصانــــه ... يحكي النجوم إذا تبدتْ في الحلك
حيَّى أمير المومنين وقال قـــد ... عميتْ بصيرة مَن يغيرك مثلــك
يايوسفاً حزت الجمال بأســره ... فمحاسن الأيام تومي هيت لــك
أنت الذي صعدت به أوصافـــه ... فيقال فيه إذاً : مليك أو ملَــك

ولصاحب الترجمة تآليف كشرحه الجليل على (عمدة الأحكام) في أسفار خمسة جمع فيها ابن دقيق العيد والفاكهاني مع زوائد ، وشرحه النفيس على الشفا ولم يكمل ، قال في (طبقات المالكية) ، نقلا عن ابن علوان مختصر المدارك ما نصه : قال لي صاحبنا الشيخ الفقيه الخطيب المصنف محمد ابن مرزوق بتونس أنه زار قبره — يعني القاضي عياض — هناك وقرأ عليه (الشفا) وإنه رآه في النوم ، وأجازه إياه بحق سماعه له من قبره وكتب ذلك ابن مرزوق في إجازاته وجعله من جملة أسانيده ، انتهى المقصود ، وقد نقلناه في ترجمة القاضي عياض الآتية .

رجع لذكر تآليف المترجم :

(الأحكام الصغرى) لعبد الحق ، وشرح فرعيْ ابن الحاجب سماه (إزالة الحاجب ، لفروع ابن الحاجب) ، ولا أدري كمل أم لا ، وبيته بيت علم ودراية ، ودين وولاية ، كعمه وأبيه وجده وجد أبيه ، وكولديه محمد وأحمد وحفيده الامام الناظر الحفيد ابن مرزوق ، وولد حفيده المعروف بالكفيف ، وحفيد حفيده المعروف بالخطيب ، وهو آخر فقهائهم فيما أعلم انتهى .

ومن تآليف المترجم الخطيب محمد الله ابن مرزوق كتابه (المسند الصحيح الحسن ، من أخبار السلطان أبي الحسن) (1) ، و (جنى الجنتين ، في فضل الليلتين) ، وهو من أبدع كتبه بعد أن تكلم على الأحاديث الأربعة التي لم يجدها مسندة أبو عمر بن عبد البر ، وهي في (الموطأ) توهم بعض العلماء أن قول الحافظ أبي عمر بن عبد البر يدل على عدم صحتها وليس كذلك إذ الانفراد لا يقتضي عدم الصحة لا سيما من مثل مالك ، وقد أفردت قديماً جزءاً في إسناد هذه الأربعة الأحاديث ، وقد أسند منها اثنين أحدهما في ذكرى، وغالب ظني الحافظ بن أبي الدنيا في (إقليد التقليد) له وقد بينت أسانيدها في غير هذا المقتضب ، انتهى وقد وصلها ابن الصلاح أيضاً (2) .

616) محمد بن محمد بن أبي عمرو التميمي

كان كاتباً عند السلطان أحمد المريني في دولته الأولى ، فلما خلع وولي موسى بن أبي عنان تقرب إليه بسالف المخالصة لأبيه من بني عنان ، فقد كان أعز بطانته ، فاستخلصه السلطان موسى للشورى ورفعه علي منابر أهل الدولة ، وجعل إليه كتابة علامته على المراسم السلطانية كما كان لأبيه، وكان يفاوضه في مهماته ، ويرجع إليه في أموره حتى غص به أهل الدولة ونما عنه للوزير مسعود بن ماساي أنه يداخل السلطان في نكبته ، وربما سعى عند سلطانه في جماعة من بطانة السلطان أحمد ، فأتى عليهم النكال والقتل لكلمات كانت تجري بينهم وبينه في مجالس المنادمة عند السلطان حقدها لهم فلما ظفر بالحظ من سلطانه سعى بهم فقتلهم ، وكان القاضي إبراهيم اليزناسني من بطانة السلطان أحمد ، وكان يحضر مع ندمائه فحقد له ابن

---

1) توجد منه نسختان فريدتان ، احداهما بمكتبة الاسكوريال قرب مدريد ، والأخرى بالمكتبة العامة بالرباط نقلت اليها من مكتبة تامكروت .

2) وقد طبع منتخب المسند الصحيح الحسن فى مآثر المولى أبى الحسن من النسخة المحفوظة بالخزانة الاسكريالية مع ترجمتها للاستاذ لافى بروفانسال المدرس بالمدرسة العليا الرباطية وهو يباع عند اسيل لاروز الكتبى بباريز والمطبوع العربى اشتمل على نحو 24 صحيفة ومجموعه بالترجمة والتصحيح 82 صحيفة (مؤلف) .

ينظر عن ابن مرزوق الخطيب عدى ما تقدم : **جذوة الاقتباس** ص 140 و **نفح الطيب** 5 : 390 و **الديباج المذهب** ص 305 و **نيل الابتهاج** ص 267 .

أبي عمرو ، وأغرى به سلطانه فضربه وأطافه ، وجاء بها شنعاء غريبة في القبح ، وسفر عن سلطانه إلى الأندلس ، وكان يمر بمنزل السلطان أحمد ومكان اعتقاله وربما يلقاه فلا يلم له بتحية ولا يوجب له حقاً ، فأحفظ ذلك السلطان ، ولما فرغ من ابن ما ساي ، قبض على ابن أبي عمرو هذا وأودعه السجن ، ثم امتحنه بعد ذلك إلى أن هلك بالسياط ، وحمل إلى داره ، وبينما أهله يحضرونه إلى قبره إذا بالسلطان قد أمر بأن يسحب بنواحي البلد إبلاغاً في التنكيل ، فحمل من نعشه وقد ربط حبل برجله وسحب في سائر المدينة ، ثم ألقي في بعض المزابل ، ثم قبض على حركات بن حسون وكان مجلياً في الفتنة ، وكان العرب المخالفون من المعقل لما أجاز السلطان إلى سبتة وحركات هذا بتادلة راودوه على طاعة السلطان فامتنع أولا ثم أكرهوه وجاءوا به إلى السلطان ، فطوى على ذلك حتى استقام أمره وملك البلد الجديد، فتقبض عليه وامتحنه إلى أن هلك ، والله وارث الأرض ومَن عليها .

ترجمه ابن خلدون (1) .

617) محمد بن عثمان ابن الكاس المجدولي

الوزير ، أصله من إحدى بطون بني ورتاجن ، وكان بنو عبد الحق عندما تأثلوا ملكهم بالمغرب يستعملون منهم في الوزارة ، وربما وقعت بينهم وبين بني إدريس وبني عبد الله منافسة قتلوا فيها بعض بني الكاس منهم في دولة السلطان أبي سعيد وابنه أبي الحسن ، ثم استوزره السلطان أبو الحسن بعد مهلك وزيره يحيى بن طلحة بن محلى بمكانه من حصار تلمسان ، وقام بوزارته أياماً وحضر معه واقعة طريف سنة إحدى وأربعين من هذه المئة ، واستشهد فيها ، ونشأ ابنه أبو بكر في ظل الدولة ممتعاً بحسن الكفالة وسعة الرزق ، وكانت أمه أم ولد ، وخلفه عليها ابن عمه محمد بن عثمان هذا الوزير، فنشأ أبو بكر في حجره وكان أعلا رتبة منه بأولية أبيه وسلفه ، حتى إذا بلغ

---

1) كتاب العبر (تاريخ ابن خلدون) 7 : 751 طبع بيروت وكانت وفاة ابن أبى عمرو هذا سنة 789 هـ .

أشده واستوى سمت به الخلال ، وجالت أنظار الملوك في اختياره وترشيحه حتى استوزره السلطان عبد العزيز كما قلناه ، وقام بوزارته أحسن قيام ، وأصبح محمد بن عثمان هذا رديفه ، وهلك السلطان عبد العزيز ، فنصب الوزير أبو بكر ابنه السعيد للملك صبياً لم يثغر، وكان من انتقاض أمره وحصاره بالبلد الجديد واستيلاء السلطان أحمد عليه ما قدمناه ، وقام محمد بن عثمان بوزارة السلطان أحمد مستبداً عليه ، ودفع إليه أمور ملكه ، وشغل بلذاته ، فعانى محمد بن عثمان من أمور الدولة ما عاناه حتى كان من استيلاء السلطان موسى على دار ملكهم ما مر ، وانفضّ بنو مرين عنه للسلطان أحمد وعنه كما ذكرناه ، ورجعا إلى تازة ، فدخلها السلطان أحمد وفارقهم محمد بن عثمان إلى ولي الدولة ونزمار ابن عريف وهو مقيم بظاهر تازة ، وتذمم له فتجهم له ونزمار وأعرض عنه ، فسار مغذاً إلى أحياء المنبات من عرب المعقل كانوا هنالك قبلة تازة لذمة صحابة كانت بينه وبين شيخهم أحمد بن عبو ، فنزل عليه متذمماً به ، فخادعه وبعث بخبره إلى السلطان ، فجهز إليه عسكراً مع المزوار عبد الواحد بن محمد بن عبو بن قاسم ، ورزوق بن توقريطت ، والحسن العوفي من الموالي ، فتبرأ منه العرب وأسلموه إليهم ، فجاءوا به وأشهروه يوم دخوله إلى فاس ، واعتقل أياماً وامتحن في سبيل المصادرة حتى استصفي ثم قتل ذبحاً بمحبسه . والله وارث الأرض ومَن عليها .

انتهى من ابن خلدون (1) .

وقال أيضاً في تاريخه ما نص المقصود منه : ثم غلب السلطان أحمد على الملك وانتزعه من السعيد وأبي بكر بن غازي ، وقام بتدبير دولته محمد بن عثمان بن الكاس مستبداً عليه ، والعلامة لابن رضوان كما كانت إلى أن هلك بأزمور في حركة السلطان أحمد إلى مراكش لحصار عبد الرحمان بن أبي يفلوسن بن السلطان أبي علي انتهى .

1) **كتاب العبر** (تاريخ ابن خلدون) 7 : 732 .

618) محمد (المنتصر) بن السلطان أحمد المريني

محمد المنتصر بالله أبو زيان أو أبو علي بن أحمد بن إبراهيم بن علي المريني ، قال ابن خلدون : كان السلطان أحمد – يعني والد المترجم – حين ملك المغرب بعث ابنه المنتصر في البحر إلى سلا ، واستوزر له عبد الحق بن الحسن بن يوسف الورتاجني، وأقام ومربها، ومر به زروق بن توقريطت راجعاً من دكالة حين نزول السلطان على البلد الجديد ، فتلطف في استدعائه ثم قبض عليه وبعث به لأبيه مقيداً ، فأودعه السجن وقتل بعد ذلك بمحبسه ، ثم بعث السلطان إلى ابنه المنتصر بولاية مراكش ، وأن يسير إليها ، فلما وصل إلى مراكش امتنع النائب بالقصبة ، ودس لعبد الحق وزير المنتصر أن النائب قد همّ بقتله ، وحينئذ يمكن المنتصر من القصبة ، فأجفل بالمنتصر وصعد إلى جبل هنتاتة ، وطير بالخبر إلى السلطان فتغير لأبي ثابت وأمره أن يكاتب نائبه بتمكين ابنه من القصبة ، واستوزر له سعيد بن عبدون ، وبعثه بالكتاب، وعزل عبد الحق عن وزارة ابنه واستدعاه لفاس ، فوصل سعيد بن عبدون إلى مراكش ، ودفع إلى النائب بالقصبة كتاب مستخلفه ، فأجاب إلى الامتثال وأمكنه من القصبة واعتزل عنها ، فدخلها وبعث عن المنتصر ابن السلطان ، واستولوا عليها وقبضوا على نائب عامر الذي كان بها وسائر شيعته وبطانته وامتحنوهم واستصفوهم (1) .

وأمُّ المترجم هي رقية بنت السلطان أبي عنان ، كان أبيض اللون قويم الأنف أسيل الخدين ، بويع بعد خاله موسى بن أبي عنان يوم الجمعة الثالث من شهر رمضان سنة ثمان وثمانين وسبعمئة ، وسنُّه يوم بويع خمس سنين ، وخلع يوم الجمعة الخامس عشر من شوال من السنة المذكورة ، وغرب إلى الأندلس مع أبيه ، فكانت دولته ثلاثاً وأربعين يوماً تحت استبداد الوزير مسعود بن ماسي ، وهذه الدولة له كانت قبل رجوع والده إلى المغرب واستيلائه عليه واستخلافه إياه بمراكش ، لأن والده رجع لملكه في العام الذي بعده سنة 789 (2) .

---

1) كتاب العبر (تاريخ ابن خلدون) 7 : 744 .

2) روضة النسرين ص 37 .

619) محمد بن القاسم الصيرفي

محمد بن القاسم بن عمر بن عبد الله الصيرفي من أهل النبل والظرف، الشيخ الأديب الفقيه المكتب ، كتب عـن الأمراء بمراكش ، واختص بنظـم المولديات بها ، قرأ على أبي عثمان بن جرار المقرىء النحوي بمراكش ، وأبي العباس بن حسين الغفايري ، والخطيب المحدث محمد ابن رشيد ، والقاضي أبي الحجاج الطرطوشي ، والمقريء أبـي الحسن ابن بري ، وأبـي العباس الفرقشي ، وأبي العباس ابن بري ، وأبي العباس ابن القراق ، وأنشدني من شعـره :

مَن لم يفدك بنفعه أو جاهـــــه ... فلأنما أستصنعته مخدومـــــا
فلتخدم الله الذي مَن أمَّـــــه ... بضمير صدق يلف منه رحيمـــا

ومن نثره قوله : أما الكتابة فلفظ نحلة حذفت تاؤه ، ومعقل خذلة شرع من غير محله إيتاؤه ، وهي خطة استغنى الناس بذيانها عن سحبانها ، وعن ملاك أزمة آدابها بجهلـة طلابها ، فمن يرأسها معهم مـن ذوي المروآت والهمم ، من سائر الأمم ، فقد ارتكب الصعاب ، وتوى مقعداً من المذلة والهوى انى شاء من سائر الأبواب ، فهو ينشد سائليه عن حاله بلسان عذر كليل ، وقلب عليل ، معتذراً في الضرائر بما قد قيل :

ألا قاتل الله الضرائر إنهـــــا ... تعلم خير الناس شرَّ الطبائـــع
وتحمل ذا الطبع الشريف تكرهـاً ... على ذلة في عيشة وتصانـــــع

وكان السفر مـن مراكش يوم الأحد الثالث والعشرين مـن جمادى الأخيرة ، وقصدنا باب الرخاء من أبوابها غلساً لنصابح تربة الشيخ قصـد التزود ببركتها فتعذر فتحه وطال به الوقوف وأعيى علاجه ، فانصرفنا عنه وفي أنفس بعض المشيعين حزازة من ذلك ، فأنشدت منهم الشيخ القاضي أبا محمد الزقندري بديهة :

يامحلا لخلتي وانتخابـــــي ... لم يبح لي الخروج باب الرخـــاء
دل أن الرخاء مغتبط بـــــي ... فبحق تبجحي وانتخائـــــي

فحفظ واستظرف وتحول المحزون إلى ضده ، والله الموفق للأقوال والأعمال بفضلـه .

انتهى من (نفاضة الجراب) (1) .

620) محمد بن عبد الرحمان الكفيف المراكشي

عرف بالضرير ، قال ابن الخطيب القسنطيني في وفياته : توفـي الفقيه الحافظ الأستاذ الجليل المفتي محمد بن عبد الرحمان المراكشي الضرير من أهل بلدنا ببونة في آخر ذي الحجة مكمل سبعة وثمانمئة ، وكانت ولادته سنة تسع وثلاثين وسبعمئة انتهى . وبه ختم الوفيات (2) .

وفي (تاريخ الدولتين) ما نصه : وفي السنة المذكورة — يعني سنة 809 — توفي ببونة الفقيه الشهير الضرير محمد المراكشي ، كان جيد النظم والنثر ، وله في فرس حمراء بعث بهـا إليه المولى أبو زكـرياء ليأتي عليها فأملـى :

وعدوانية من خير نسـل ... تفوق الورد في حسن احمـرار
أتتني من إمام أمير يحيـى ... كريم الأصل حفصي النجـار
لها نغم ولكن لسـت أدري ... أفي المزموم أم في المستعـار

فكتب إليه أبو يحيى ما نصه : **في المزموم ، انتهى** .

ومن تآليفه (أرجوزة في المنطق) شرحها صاحبه أحمد ابن قنفـذ في سفر سماه (إيضاح المعاني ، وبيان المباني) ، ومن تآليفه (إسمـاع الصـم ، فـي إثبات الشـرف من جهـة الأم) ، تأليـف حسن أمـلاه سنة إحدى وثمانمئة كما وقفت عليه في نسخة صحيحة منه ، ووقع للسخاوي حسبما نقله في التوشيح والنيل عنه أنه أملاه سنة عشر وثمانمئة وليس كذلك لما تقدم من تاريخ وفاته قبل ذلك .

1) **نفاضة الجراب** ص 67 .

2) **شرف الطالب** ص 381 .

قلت الذي في (الضوء اللامع) هو قوله : ورأيت له عند البدر بن عبد الوارث المالكي مصنفاً ابتدأه في ذي القعدة سنة إحدى وثمانمئة سماه (إسماع الصم) إلخ ، وقد رتب كتابه المذكور على مقدمة وستة أبواب ، الباب الأول : في الاستدلال من القرآن على إثبات الشرف من قبل الأم ، الباب الثاني : في الاستدلال من السنة على ذلك ، الباب الثالث : في الاستدلال من الاجماع على ذلك ، الباب الرابع : في الاستدلال من النظر على ذلك ، الباب الخامس : فيما يحتج به نُفاته والجواب عن ذلك ، الباب السادس : في مسائل من حقوق الشرفاء على الناس ، وحقوق الناس على الشرفاء ، وما يتعلق بذلك ، ثم ذكر في المقدمة أن هذه المسألة لم يحفظ فيها عن مالك شيء ، إلا أنه قال : ثم ذكر مسائل من الحبس على الولد أو الأولاد ، أو ولد الولد ، أو أولاد الأولاد ، ثم نقل عن الروضة الشرف من قبل الأم ثابت ، ثم قال : واختلف فيها علماء تونس وعلماء بجاية رضى الله عن جميعهم سنة 726 قبل ولادتي بنحو ثلاث عشرة سنة ، ومولدي ليلة السابع والعشرين لجمادى الأخيرة سدس الليل الأخير سنة تسع وثلاثين ، وولدت أعمى ، وابتدأت هذا الاملاء ضحى يوم الجمعة السادس لذي القعدة عام أحد وثمانمئة ، قال علماء تونس لا يدعى شريفاً ، وقال علماء بجاية يدعى ، أقول : وهو قول ابن الغماز عن علماء تونس ، وقول تقي الدين ابن دقيق العيد ، وقول أشياخنا بني بادس ، ثم استدل في الباب الأول بقوله تعالى : « ووهبنا له إسحاق ويعقوب ، كلاً هدينا » الآيات بعد عيسى عليه السلام من ذرية نوح من جهة أمه عليها السلام ، وبقوله : « رب اجعلني مقيمَ الصلاة ومن ذريتي » لا يقول أحد إن ولد البنات لا يدخل في دعوته ، ثم قال : وفي (جامع المسالك) لابن العربي من خصائصه صلى الله عليه وسلم أن ينسب إليه أولاد بناته من علي وغيره ، واستدل في الباب الثاني بأحاديث منها قوله عليه الصلاة والسلام : وانظر في أي نصاب تضع ولدك ، فان العرق جساس ، وهذا نص على شرف ابن الشريفة ، وخسة ابن الخسيسة ، واستدل في الباب الثالث بانعقاد الاجماع على تحريم نكاح المتصلة به عليه الصلاة والسلام من جهة أم عليه بمقتضى قوله تعالى : « حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم » ، فانعقد الاجماع على أنها بعضه ، ومن قال

أن بعضه عليه السلام ليس بشريف فقد تنقصه ، ومَن تنقصه فقد انعقد الاجماع على وجوب قتله ، وبأن المتصل به عليه السلام من جهة أم من ذوي رحمه ، واستدل في الباب الرابع باطراد الانتماء إليه من جهة أب أو أم ، إلا فلا فارق ، ومن فرق يطالب بالدليل من كتاب ، أو سنة ، أو إجماع ، أو لحن خطاب ، أو مجوى ، أو حصر ، أو خطاب أو استصحاب حال ، ولا واحد منها ، وتعليق الشرف على الميراث فاسد الوضع ، لأنك تثبت بشرف أولاد فاطمة ولا ميراث لأولاد البنت ، وذكر في الخامس حجة القاضي أبي إسحاق بن عبد الرفيع بقوله تعالى : « ادعوهم لآبائهم هو أقسطُ عند الله » ، والجواب أن المراد نفي التبني وهذا لا يمنع دعاء الانسان إلى أمه ، ولا الحكم بالشرف لمن متّ إليه عليه السلام بأم حجة أخرى : « يوصيكم الله في أولادكم » ، قال أجمع المسلمون أن ولد البنات لا يدخلون تحت هذا اللفظ ، والجواب : « حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم » أجمع المسلمون أن بنات البنات تدخل تحت هذا اللفظ حجة أخرى لقطب وقتنا الامام ابن عرفة رضي الله عنه شرف من متّ بأمه من جهة أمه ، وجهة فاطمة ، وجهة الأب أقوى ، والجواب أن المقتضى المتات إليه صلى الله عليه وسلم وذلك لا يتفاوت بجهة أب ولا أم ، ثم قال : فان قيل أقررت له بالقطبية ولم أقر له بالعصمة استدراك بعد خروج الكتاب ، فان قيل لم أقررت له بالقطبية قلت حدثني الفقيه محمد ابن مسافر أن أحمد البردعي رأى النبي صلى الله عليه وسلم في نومه والقطب ابن عرفة عن يمينه وعبد الله ابن تفراكين عن شماله ، فقال لابن عرفة : أنت خليفتي على أمتي ، وقال لابن تفراكين أنت مني أم ابن تفراكين شريفة ؟ قال رضي الله عنه : سمعت شيخنا ابن عبد السلام يصرح بتخطئة مثبته متمسكاً بالاجماع على أن نسب الولد هو لأبيه لا لأمه ، قال الضرير المؤلف : وأنا أصرح بتخطئة مَن نفاه متمسكاً بالاجماع على تحريم نكاح بنت الشريفة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال إن الشيخ ابن عبد السلام ان سلم مزيته على من أمه ليست بشريفة فذلك لانتسابه بأمه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلك المزية هي الشرف المتنازع فقد نقض تصريحه بتخطئة مثبته ، ثم قال في الباب السادس وهو آخر الأبواب ، قال الضرير المؤلف وفقه الله تعالى : لا

خفاء أن ما ذكرنا يقتضي أن للشرفاء ـ وهم كل من متّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسريان لحمه ودمه الكريمين فيهم ـ فهم بعضه ، وبعضه في وجوب الاجلال ، والتعظيم ، والتعزيز ، والتوقير ، والبر ، والنصيحة كجميعه صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : وقد تبين من قول ابن عباس ومجاهد وعكرمة ، وأبي مالك أنه يدخل فيه مَن متّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأم أو أب ، ثم قال : وقد أردت أن أقبل يد مولانا الشريف يحيى بن أحمد بن أبي حامد فمنعني فأنشدته :

أتمنعني اللثم من راحـــــة ... نماها إلى الهاشمي الكـــرام
كأني إذا أنا قبلتهـــا ... لثمت يديه عليه الســـلام

ولما وصلتْ فتوى ابن عبد الربيـع المشار لها أمر ناصر الديـنُ المشدالي تلميذه الحسن بن حسين البجاوي العمدة المحقق بالجواب ، فألف رسالة رد فيها على ابن عبد الرفيع ، وتوفي الحسن المذكور سنة 754 .

أخذ المترجم عن علماء بني باديس وغيرهم ، وورد تونس ، وحضر مجلس ابن عرفة ، ورأى ما يقع هناك من الأبحاث وقام عنهم ، ونظم بيتين في هجو المجلس قائلا :

وما بال مَن يهجو أخاه بلفظـــة ... لدى الخبر المروي عند الأئمـــة
وعلم أصول الفقه والبحث والحجا ... سوى حال مَن قد ساءه فضل نكتة

فأجابه الشيخ ابن عرفة بقوله :

فباء بفسق قاله سيد أتـــى ... بصدق وتبيان ووعظ وحكمـــة
روى في الصحيح مسلمٌ عن شيوخه ... سباب لذي الاسلام فسق وحجتي
فكبرى وصغرى ينتجان فسوقـــه ... فبالله أعرضْ عنه وادفعْه باللتي

فقيل له : كيف القياس المذكور ؟ فقال : الهاجي ساب ، وكل ساب فاسق ، فالهاجي فاسق انتهى ، نقله الرصاع . وذكر في البستان لدى ترجمة العلامة سيدي الحسن أبركان أنه قرأ على المترجم بقسنطينة انتهى ، ومن

تآليفه أيضاً منظومة في (البيان) وغيرها ، قال في (كشف الظنون) ضياء الأرواح المقتبس من الصباح أرجوزة للشيخ محمد بن عبد الرحمان المراكشي، وقال في (الكشف) المفتاح، في اختصار المصباح في المعاني والبيان لمحمد بن عبد الله ابن مالك ، وترجيـز المصباح لمحمد بن عبـد الرحمان المراكشي الضرير النحوي أوله : يقول راجي ربه ذي الرحمة إلخ ، وقد التقطه من الحلية والطيبي والنجديهي والصناعتين للعسكري ، وشرح الشقراطيسية للمصري، وتفسير الكوثر لابن البنا خاتمة المحققين ، ثم شرحه املاءً وسماه (ضـوء المصباح ، على ترجيز المصباح) ، أوله الحمد لله وكفى ، ثم ذكره عند ذكر (مفتاح العلوم) .

621) محمد المراكشي

شيخ سيدي عبد الله بن الصالح الزاهد سليمان بن قاسم البحيري التونسي مجيز محمد ابن مرزوق الكفيف من أهل القرن التاسع ، جرى ذكره في فهرسة ابن هلال ، وأظنه والله أعلم هو محمد المراكشي الضرير المترجم قبل ، وقد ترجم لعبد الله المذكور في (النيل) ، ولم يذكر أحداً من أشياخه، واقتصر على التنبيه على أخذ ابن مرزوق عنه وكونه قاضي الأنكحة من معاصري الامام ابن عقاب .

622) محمد بن علي ابن عليوات المصمودي المراكشي

الشيخ الفقيه ، الفقيه ، العالم ، الصالح ، الزاهد ، الأكمل ، الراوي للمصافحة،قال الامام ابن غازي في ذيل فهرسته (التعلل) الذي أجاز فيه لولده ما نصه : ومنهم الشيخ الثبت الزكي الواعية محمد ابن الشيخ الأستاذ الحافظ محمد بن يحيى ابن جابر الغساني المكناسي الدار ، جالسته بها واستفدت منه كثيراً ، وكان معمراً ، ومن أغبط ما أخذته عنه المصافحة المروية من طريق الخضر ، صافحني بالمسجد الأعظم من مكناسة الزيتون ، وقال : صافحني والدي الأستاذ محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى ابن جابر ، وقال : صافحني

الشيخ الفقيه العالم الصالح الزاهد الأكمل محمد بن علي المراكشي المعروف بابن عليوات ، وذلك بالجامع الأعظم من مدينة مكناسة حرسها الله في أوائل اثنين وثمانمئة ، وأخبرني أنه صافحه كذلك محمد الصافي ، وصافح محمدَ الصدفي أحمدُ ابن البناء ، وصافح أحمدَ ابن البناء رحمه الله تعالى محمدُ الهزميري أخو عبد الرحمان الهزميري وشيخه ، وصافح محمدَ الهزميري أحمدُ الخضر ، وصافح أحمدَ الخضر سيدنا ونبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم ، وشرف وكرم وعظم ، وكذلك صافحني الشيخ الأعدل المبارك يحيى بن خالد بن أبي بكر بن يحيى بن خالد ، قال : صافحني والدي المذكور، والشيخ الفقيه المفتي عبدُ الله بن محمد بن موسى ابن معطي العبدوسي ، صافحنا الأستاذ محمد ابن جابر المذكور بمثل السند المذكور ، وقال أحمدُ المنجور في فهرسته وحدثته — يعني أحمد المنصور الذهبي — أيضاً أيده الله بالحديث المسلسل بالمصافحة ، فقلت له : صافحني الشيخ الامام المحدث عبد الرحمان بن علي السفياني الشهير بسقين العاصمي ، قال : صافحني الشيخ الامام ابن غازي ، ثم قال : وذلك بالجامع الأعظم من مدينة مكناسة حرسها الله تعالى في أوائل عام اثنين وثمانين وسبعمئة ، إلى أن قال هذا نص ابن غازي في فهرسته وفيه مخالفة في تاريخ مصافحة شيخ الأستاذ ابن جابر له لما وجدته بظاهر أول ورقة نسخة من نظم أهل الحلية للأستاذ بخط يده ونصه : صافحني سيدي الشيخ الفقيه العالم الصالح المبارك الأكمل محمد بن علي المراكشي بيده المباركة وأمرني أن أشد يدي على يده ، وقال أن معنى ذلك الاشتداد في الدين فشددت ، وأخبرني أنه صافحه كذلك سيدي أبو عبد الله ، وصافح سيدي أبو عبد الله الصدفي سيدي أحمدَ ابن البناء ، وصافح سيدي أحمد ابن البناء سيدي محمد الهزميري أحمدُ الخضر ، وصافح الخضر النبيءُ صلى الله عليه وسلم ، نفعنى الله بمحبتهم ، وحشرني في زمرتهم ، قال هذا وكتبه بخط يده محمد بن يحيى بن محمد بن محمد بن يحيى ابن جابر الغساني جبر الله حاله ، وأصلح باله ، وجعل الجنة مأوى له ، وكانت تلك المصافحة المباركة بالجامع الأعظم من مدينة مكناسة حرسها الله تعالى في أوائل عام اثنين وثمانمئة هـ . فليتأمل ذلك ، انتهى كلام المنجور .

قلت : تأملناه فوجدنا التاريخ متفقاً وهو أوائل عام اثنين وثمانمئة كما تقدم في نقلنا عن ذيل فهرسته ابن غازي من نسخة قديمة جداً فلا مخالفة ولا اعتراض ، ورأيت بخط الصالح سيدي محمد صالح الشرقي في إجازته للشمس محمد التلمساني الشهير بالمنور المترجم في شرح القاموس وألفية السند للشيخ مرتضى ، وبالسند المتقدم إلى سيدي إبراهيم التازي — يعني أنه صافح سيدي أحمد ابن ناصر ، وهو صافحه سيدي عيسى الثعالبي عن سيدي سعيد بن إبراهيم الجزائري ، عن سيدي سعيد المقري ، عن سيدي أحمد حجي ، عن سيدي محمد الوهراني ، عن سيدي إبراهيم التازي ، قال : صافحني سيدي عبد الله العبدوسي وشد يده على يدي وقال : المراد بهذا الشد الاشتداد في تأكيد الصحبة ، قال : صافحني محمد ابن جابر الغساني عن محمد بن علي المراكشي ، وشهرته بابن عليوات ، عن محمد الصدفي ، عن أحمد ابن البناء عن محمد الهزميري ، عن أحمد الخضر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . انتهى المقصود ، وأصله في فهرسة الامام العياشي (اقتفاء الأثر) ، والامام عبد الله العبدوسي كان يحفظ مختصر مسلم المترجم في (الجذوة) وغيرها ، المتوفي أواخر العشرة الخامسة من القرن التاسع ، ومحمد بن يحيى ابن جابر المذكور هو صاحب (المرقبة العليا في تفسير الرؤيا) من الرجز ، وقفت عليها في مجلد بخط السيد نظمها عام أربعة وثمانمئة ، وتوفي بمكناسة سنة سبع وعشرين وثمانمئة ، وترجمته في (الجذوة) وغيرها ، وصافح عبد الله العبدوسي المذكور سيدي إبراهيم التازي تلميذه في رمضان عام اثنين وثلاثين وثمانمئة كما نقله في (النجم الثاقب) في ترجمة التازي المذكور المتوفي سنة ست وستين وثمانمئة عن فهرسته ، وقال في (المنح البادية) وقال سيدي إبراهيم التازي : وصافحني سيدي إبراهيم العبدوسي وشدَّ على يدي ، وقال : المراد بهذا الشد الاشتداد في تأكيد الصحبة ، قال صافحني محمد ابن جابر الغساني عن محمد بن إبراهيم المراكشي شهرته بابن عليوات عن محمد الصدفي عن أحمد الخضر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . انتهى .

وسمى المترجم محمد بن إبـراهيم وقال صافحني سيدي إبراهيـم العبدوسي وهو غلط من صاحب المنح ، فالذي في فهرسة التازي المذكور هو ما نصه : الحمد لله وحده دائماً ، يقول كاتبه عبيد الله بن محمد بن موسى العبدوسي صافحت الفقيه الأخ في الله تعالى سيدي إبراهيم بن محمد التازي أخذ الله تعالى بيده ، وكان له بمنه ، وشد يدي على يده ، وقلت له : المراد بهذا الشد الاشتداد في الله وتأكيد الصحبة ، وحدثته بها عن شيخنا الأستاذ محمد ابن جابر الغساني عن الامام الرباني محمد بن علي المصمودي المراكشي وشهرته بابن عليوات إلـى آخر ما تقدم مسقطاً ابـن البناء بين الصدفـي والهزميري ، وروى صاحب (إثمد العينين) المصافحة عن محمد الصدفي عن محمد الهزميري عن الخضر عليه السلام عـن النبي صلى الله عليـه وسلم ، فأسقط أحمد بن البناء بين الصدفي والهزميري ، قال في (المرآة) لعل ذكر ابن البناء فيه من المزيد في متصل الأسانيد انتهى .

قلت : هما روايتان لابن جابر عن ابن عليوات، فمرة ذكر ابن البناء كما في رواية ابن غازي ، ومرة أسقطه كما في رواية العبدوسي عنه ، وأورده كذلك بالاسقاط في (الروضة المقصودة) ، ونص ما في (إثمد العينين) : قـال المؤلف عفـا الله عنـه : دخلت يومـاً على الشيـخ محمد الصدفـي فوجدته يأكل خبزاً ، فسلمت عليه فردَّ عليَّ السلام وأعطاني كسرة وقال لي : كلْها وأبشرك ببشارة ، فأخذت شيئاً منها فأكلته ، ثم قال لي : هات يـدك أصافحْك ، فصافحتُه ، فقال لي صافحت سيدي محمد ـ يعني الهزميري ـ وصافح سيدي محمدَ الخضرُ ، وصافح الخضرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فبيني وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم يدان ، يد الشيخ ، ويد الخضر ، وتكون أنت بينك وبينه صلى الله عليه وسلم ثلاث أيد ، ففرحت والله بذلك فرحاً شديداً جعلنا الله من أخيار أمته ، وأفاض علينا من بركته انتهى .

623) محمد بن موسى المراكشي (1)

محمد بن موسى بن علي بن عبد الصمد بن محمد بن عبد الله المراكشي الأصل ثم المكي ، الحافظ جمال الدين أبو المحاسن بن موسى ، ولد في ثالث رمضان سنة سبع وثمانين ، وحفظ القرآن وأجاز له وهو صغير قبل التسعين محمد ابن عرفة ، وتقي الدين ابن حاتم ، وناصر الدين ابن الميلق وجماعة ، وتفقه وحبب إليه فن الحديث ، فسمع بمكة على أشياخ مكة كابن صديق ومن دونه ، وعلى القادمين عليها كعلاء الدين الجزري ، وعبد الرحمان الدهقلي ، وشهاب الدين ابن قبيب ، وأخذ علم الحديث عن الشيخ جمال الدين ابن ظهيرة ، والحافظ تقي الدين الفاسي ، والحافظ صلاح الدين الأقفهسي ، وتخرج به في المعرفة في طريق الطلب والعالي والنازل ، ووصل إلى الديار المصرية فسمع من أشياخها ، ثم رحل إلى الشام فأدرك عائشة بنت عبد الله خاتمة أصحاب الحجار ، وجال في رحلته ، فسمع بحلب ، وحماة ، وحمص ، وبعلبك ، والقدس ، والخليل ، وغزة ، والرملة ، وسمع بالأسكندرية وغيرها، ثم رجع وقد كمل معرفته وتخرج بغير واحد من أشياخه منهم الشيخ زين الدين بن الحسين ، وعمل تراجم أشياخه فأفاد فيها ، وخرج لنفسه أربعين متباينة موافقات لكن لم يلتزم فيها السماع ، بل خرج فيها بالاجازة ، ثم دخل اليمن فسمع بها ومدح الناصر فأجازه وولاه مدرسته هناك ، فأقام بتلك البلاد وصار يحج كل سنة ، وكان ذا مروءة وقناعة وصبر على الأذى ، باذلا لكتبه وفوائده ، وكان موصوفاً بصدق اللهجة وقلة الكلام وعدم ما كان عند غيره من أقرانه من اللهو وغيره من صباه إلى أن مات ، فلما كان في سنة ثلاث وعشرين وثمانمئة قدم حاجاً فعاقهم الريح فخشي فوات الحج ، فركب في البر وأجهد نفسه فأدركه وتوعك ، واستمر مريضاً إلى أن مات في ثامن عشر ذي الحجة ، ودفن بالمعلى .

---

1) هذا الرجل ليس على شرط المؤلف ، فلا علاقة له بمراكش ولا بأغمات الا انحداره من أسرة مراكشية الأصل ، اذ هو مكي ولم ير المغرب قط ، وحقه ألا يثبت في هذا الكتاب .

ترجمه في (إنباء الغمر) ، وذكر في ترجمة مجد الدين صاحب القاموس المترجم في سنة 817 السنة التي مات فيها أنه خرج له المترجم مشيخة وحلاه في حوادث سنة 818 بصاحبنا الحافظ جمال الدين محمد بن موسى المراكشي ثم المكي ، انتهى .

والفهرسة التي خرجها لشيخه الفيروزبادي فيها مروياته الكتب الستة وسنن البيهقي ، ومسند أحمد ، وصحيح ابن حبان ، ومصنف ابن أبي شيبة وغير ذلك على أشياخ عديدة وجم غفير قاله في ترجمته من (أزهار الرياض) ، وترجم الحافظ تقي الدين بن فهد في (ذيل طبقات الحفاظ) للمترجم المكي الشافعي ، فقال : رحلت أنا وهو في سنة ست عشرة إلى اليمن لنسمع على القاضي مجد الدين الفيروزبادي مشيخة خرجها له فلم يتيسر له قراءتها ، انتهى المقصود وترجمه في (الشذرات) .

وقال في (الضوء اللامع) في ترجمة أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد المحسن السبكي الحمصي الشافعي ما نصه : أجاز لابن شيخنا وغيره بأخبار ابن موسى المراكشي وصوابه محمد بن محمد كما في رحلة ابن موسى ، وذكر أيضاً في ترجمة أحمد بن محمد بن أبي بكر المالكي المعروف بابن الدماميني أنه سمع الحديث من التاج ابن موسى، انتهى، وستاتي ترجمة والده موسى . وذكر في (الضوء اللامع) في ترجمة الجمال محمد بن إبراهيم الفوي الأصل المكي الحنفي ، المعروف بالمرشدي المتوفي سنة 839 بمكة أنه خرج له الجمال بن موسى فهرسة بالسماع والاجازة ، وذكر في ترجمة الشمس محمد بن إبراهيم المعروف بابن درباس وبابن الشحنة أنه كتب عنه ابن موسى في سنة خمس عشرة ، وذكر في ترجمة أبي البقاء محمد بن إبراهيم المعروف بالبدر البشتكي المصري أنه ممن كتب عنه ابن موسى المراكشي كراسة من نظمة ، وذكر في ترجمة الجمال محمد بن أحمد أبو عبادة الصامت أنه أجاز له جماعة باستدعاء من ابن موسى المراكشي ، وذكر في ترجمة محمد أخ الذي قبله أنه أجاز له جماعة باستدعاء الجمال المراكشي ، وذكر في ترجمة التقي محمد بن أحمد الحسني الفاسي المكي المالكي شيخ الحرم أنه خرج له الجمال

ابن موسى معجماً مات قبل إكماله ، وقال في ترجمة محمد بن أبي بكر المعروف بابن جماعة : وأخذنا عن خلق ممن أخذ دراية ورواية كابن الهمام ، وابـن الاقصرائي ، والزين رضوان ، والأبـي ، والسفطي ، وشعبان ، ومن قبلهـم التقي الفاسي ، وابن موسى المراكشي ، وذكر في ترجمة محمد بن أبي بكر المعروف بابن الخياطالجبلي بكسر الجيم ، ثم موحدة ساكنة من بلاد اليمن أنه أجاز له جماعة باستدعاء ابن موسى ، وكان قد صحبه وانتفع به سيما بعد موته ، فان غالب كتبه وأجزائه صارت إليه ، ونقل عـن عقود المقريزي أن الجبلي المذكور استولى على فوائد شيخه الجمال ابن موسى المراكشي وهي جمة كثيرة النفع ، فاستعان بها على ما هو بصدده ، واشتهر لذلك بالمعرفة التامة ، وذكر في ترجمة محمد بن عبد الله المقدسي المعروف بابن الديري أنه أخذ عنه الأيمة ، منهم ولده سعد ، وابن موسى الحافظ ، وذكر في ترجمة الشمس بن عبد الله الصالحي المعروف بابن الملح أنه سمع منه الحافظ ابن موسى ، وذكر في ترجمة الشمس محمد بن عطاء الهروي أنه سمع منه الحافظ ابن موسى وغيره ، وذكر في ترجمة الشمس محمد بن محمد البعلي المعروف بابن الشحرور أنه سمع منه الحافظ ابن موسى في سنة خمس عشرة ، وذكر في ترجمة الشمس محمد بن محمد المعروفبابن القباقبي أنه سمع منه الحافظ ابن موسى ، ووصفه بالشيخ الصالح الامـام العالم ، وفـي ترجمة الشمس محمد بن علي المعروف بابن الزراتيتي أنه سمع منه ابـن موسى الحافظ ، وفي ترجمة الشمس محمد بن محمد سبط التقي السبكي أنه سمع منه الفضلاء كابن موسى ، وذكر في ترجمة الكمال محمد بن محمد الشمني أنه سمع من التاج ابن موسى ، وأنه كتب عنه شيخه العراقي في وفياته وفاة التاج ابـن موسى ، وذكر في ترجمة الشمس محمد بن محمد المعروف بابن شقير أنه سمع منه ابن موسى ، وذكر في ترجمة محمد بن محمد المعروف بابن الجزري في تعداد أشياخه ابن موسى ، وذكر في ترجمة التاج محمد بن محمد المعروف بابن التنسي المالكي أنه سمع منه الحافظ ابـن موسى ، وذكر فـي ترجمة الشمس محمد بن محمد الجوخي أنه سمع منه جزء ابن عرفة ابن موسى ، وفي ترجمة فتح الدين محمد بن محمد السكندري أنه سمع منه سيرة ابن هشام

ابن موسى ، وفي ترجمة محمد بن محمد المعروف بابن القماح أنه سمع من التاج ابن موسى خاتمة مَن يروى حديث السلفي عالياً بالسماع المتصل ، وقال في ترجمة المجد أبي الطاهر محمد بن يعقوب الفيروزبادي : إنه لقي جمعاً من الفضلاء ، وحمل عنهم شيئاً كثيراً تجمعهم مشيخة تخريج الجمال ابن موسى المراكشي ، وذكر في ترجمة الشمس محمد بن يوسف الكتبي المعروف بالأمشاطي أنه سمع منه الفضلاء كابن موسى انتهى .

وقد عنّ لي أن أسوق عبارة (الضوء اللامع) في ترجمة المترجم وان كان تقدم بعض ذلك لكونه أتم مساقاً قال فيه بعد ذكر نسبه : أبو البركات وأبو المحاسن المراكشي الأصل ، المكي الشافعي ، سبط العفيف اليافعي ، ويعرف بابن موسى ، ولد في ليلة الأحد ثالث رمضان سنة تسع وثمانين وسبعمئة بمكة ونشأ بها، فحفظ القرآن، والعمدة، والتنبيه، والمنهاج الفرعيين ، وألفية النحو وغيرها ، وعرض على غير واحد ، ومن شيوخه في العلم بمكة الجمال ابن ظهيرة تفقه به كثيراً وأخذ عنه ، والشمس المعيد أخذ عنه كثيراً في العربية ومتعلقاتها ، وانتفع في العربية كثيراً بزوج أمه خليل ابن هارون الجزائري ، وتفقه أيضاً في المدينة النبوية بالزين المراغي قرأ عليه تأليفه (العمد ، في شرح الزبد) في الفقه ، وأذن له في الافتاء والتدريس ، وأكثر عنه من المرويات في الحرمين ، وكذا أذن له ابن الجزري في الافتاء والتدريس نظماً ، وأخذ علوم الحديث عن الجمال ابن ظهيرة ، والولي العراقي ، وشيخنا وكذا انتفع بالتقي الفاسي ، وبالصلاح الأقفهسي ، وتمهر في طريق الطلب وأدمن الاشتغال بالفقه وأصوله ، والفرائض ، والحساب ، والعربية ، والعروض والمعاني ، والبيان وغيرها حتى برع ، وتقدم كثيراً في الأدب نظماً ونثراً واشتدت عنايته بالحديث ، وتقدم فيه كثيراً لجودة معرفته بالعلل والرجال المتقدم منهم والمتأخر ، وبالمرويات وتمييز عاليها من نازلها مع الحفظ لكثير من المتون بحيث لم يكن له بالحجاز فيه نظير ، وارتحل سنة أربع عشرة فما بعدها وأكثر من المسموع والشيوخ ، فكان من شيوخه بمكة ابن صديق ، وبالمدينة المراغي ، وبدمشق عائشة ابنة ابن عبد الهادي ، وعبد القادر

الأرموي ، وبالقاهرة ابن الكويك ، وبالأسكندرية الكمال ابن خير ، وببعلبك التاج ابن بردس ، وبحلب حافظها البرهان سبط ابن العجمي ، وبالقدس والخليل جماعة من أصحاب الميدومي ، وبحمص وحماة وغزة والرملة وغيرها كاليمن أخذ فيها عن المجد اللغوي ، وعاد من رحلته الشامية وقد كملت معرفته ، وأجاز له في صغره ابن خلدون ، وابن عرفة ، والنشاوري ، وابن حاتم ، والغياث العاقولي ، والعزيز المليجي ، والعراقي ، والهيثمي ، والمناوي ، وابن الميلق ، والتنوخي ، وابن فرحون ، ومريم الأذرعية وغيرهم ، وصنف شرحاً لنخبة شيخنا ومختصراً مستقلا في علوم الحديث كابن الصلاح وعمل شيئاً على نمط الموضوعات لابن الجوزي ، وشيئاً في تاريخ المدينة النبوية ولم يكمل واحداً منها ، وعمل لكل من المراغي والمجد اللغوي والجمال المرشدي مشيخة ، وكذا شرع في معجم للفاسي كتب منه عدة كراريس في المحمدين ، وعمل أربعين نصفها موافقات وباقيها ابدال لجماعة من الشيوخ ، وأربعين متباينة الأسانيد والمتون كلها موافقات لأصحاب الكتب الستة دالة على سعة مروياته وقوة حفظه ، ولكن مع عدم تقيد فيها بالسماع لم يبيضها ، وترجم شيوخ رحلته في مجلد أفاد فيها ، ودخل اليمن غير مرة منها في سنة عشرين ، وولي بها الاسماع ببعض المدارس بزبيد ، ثم مال إلى استيطانه فانتقل إليه بتعاليقه وأجزائه وكتبه وظهر لفضلائها تميزه في الحديث وغيره فأقبلوا عليه ونوهوا بذكره ، ونما خبره إلى الناصر صاحب اليمن فمال إليه وزاد في بره ، سيما وقد امتدحه بقصائد طنانة ، وتوجه منه في النصف الثاني من ذي القعدة سنة ثلاث وعشرين ، فبرز من بعض المراسي القريبة من جدة حين عاقهم الريح في يوم حار ، وركب وسط النهار فرساً عرياً وركضه كثيراً ليدرك الحج ، وكان بدنه ضعيفاً فازداد بذلك ضعفاً ، وأدرك أرض عرفة في آخر ليلة النحر فيما ذكر ، وما أتى مني إلا في آخر يوم النفر الأول لكونه مشى وعيي عن المشي بحيث وصل خبره لأهل منى فتوجه إليه مَن حمله ، ثم نفر منها إلى مكة ولم يزل عليلا وربما أفاق قليلا حتى مات بعد صلاة الصبح يوم الجمعة ثامن عشر ذي الحجة منها بعد أن كتب وصيته بخطه في يوم الخميس ودفن بالمعلاة بعد صلاة الجمعة ، وعظم الأسف على فقده ، وقد عظمه الفاسي

جداً ، وقال إنه برع في العلوم ، وتقدم كثيراً في الأدب ، وله فيه النظم الكثير المليح لغوصه على المعاني الحسنة وفي الحديث بحيث لم يكن له فيه نظير بالحجاز مع حسن الجمع والتأليف والايراد لما يحاوله من النكت والأسئلة والاشكالات ووفور الذكاء وسرعة الكتابة وملاحتها ونشأته على العفاف والصيانة والخير والعناية الكثيرة بفنون العلم والحديث ، وذكره شيخنا في إنبائه فقال : كان ذا مروءة وقناعة وصبر على الأذى وبذل لكتبه وفوائده موصوفاً بصدق اللهجة وقلة الكلام وعدم ما كان عند غيره من أقرانه من اللهو وغيره من صباه حتى مات ، وذكره في معجمه وقال إنه أكثر عن شيوخ العصر ، وكتب عني النخبة وشرحها وغير ذلك في سنة خمس عشرة فما بعدها ، وتمهر وتيقظ وكتب تراجم لشيوخه أتقنها ، ووصفه في موضع آخر بالشيخ الامام العالم الفاضل البارع الرحال جمال الدين سليل السلف الصالحين عمدة المحدثين نفع الله به ، وأذن له في إقراء علوم الحديث وإفادته لمن أراد علما بثقوب فهمه وشفوف علمه ، وترجمه التقي ابن فهد في معجمه بما تبع فيه التقي الفاسي ، وكذا ترجمه في ذيل طبقات الحفاظ ، والمقريزي في عقوده ، وقال كان ثقة حجة في نقله وضبطه ، ريض الأخلاق قليل الكلام ، جميل السيرة ، له مروءة وفيه سماح مع قنع بما تيسر وصبر على الأذى ، ورثاه أبو الخير بن عبد القوي بقصيدة أولها :

مَن للمحابر والأقلام والكتب ... بعد ابن موسى ومن للعلم والأدب

ومن نظمه مما كتبه في مشيخة المراغي بعد ذكره لأسانيده :

في زي ذي قصر بدت ... لكنه عين السمو
فاعجب لها وهي القصيـ ... ـرة كيف تنسب للعلو

ومما كتبه على بديعة الزين شعبان الآثاري :

وروضة للزين شعبان قد ... أربت على زهر حلا في ربيع
لو لم تبق نسج الحريري لما ... حاكت بهذا النظم رقم البديع

624) محمد بن سليمان الجزولي

محمد بن سليمان بن داوود بن بشر بن عمران بن أبي بكر الجمال ، الجزولي المغربي ، ثم المكي المالكي ، ولد في سنة ست وثمانمئة أو التي بعدها بجزولة من أعمال المغرب ، ومات أبوه وهو ابن ثمان سنين أو نحوها ، فتجول مع أخيه عيسى بمراكش ، فأكمل بها حفظ القرآن ، وأقام بها ستة عشر عاماً يشتغل في الفقه والعربية والحساب على أبي العباس الحلفاوي وأخيه عبد العزيز قاضيها وآخرين ، ثم انتقل صحبته أيضاً إلى فاس في سنة خمس وثلاثين فأقام بها شهراً اجتمع فيها بعبد الله العبدوسي وغيره ، وكذا دخل صحبته أيضاً تلمسان في أول سنة أربعين ، وأقام بها نحو ثمانية أشهر اجتمع فيها بمحمد ابن مرزوق ، وأبي القاسم العقباني ، وأبي الفضل ابن الامام وآخرين ،ولقي بتونس حين دخلها في سنة أربعين أبا القاسم البرزلي وغيره، وبطرابلس يحيى القدسي ، وبالقاهرة في أواخر سنة أربعين البساطي وغيره، وسمع الحديث في كثير من البلاد ، ودخل مكة في موسم سنة إحدى وأربعين ، ثم سافر منها إلى المدينة فجاور بها إلى اثناء سنة اثنتين ، ثم عاد لمكة وتأهل بها ورزق الأولاد وتصدى للتدريس بهما مع الافتاء ، وأخذ عنه الأماثل ، وعرض عليه ظهيرة الماضي ، وكان بارعاً في الفقه والأصلين متقدماً في العربية مشاركاً في غيرها مع الدين والخير والكرم ذا مال يعامل فيه .

مات بمكة في ضحى يوم الأحد ثامن عشري ربيع الآخر سنة ثلاث وستين ، وصلي عليه بعد صلاة العصر عند باب الكعبة ، ودفن بالمعلاة رحمه الله وإيانا .

أنتهى من (الضوء اللامع) .

625) محمد بن سليمان الجزولي

كتبت في ترجمته في (إظهار الكمال) ما نصه :

ثم الجزولي إمام الناس سيدهم ... بحر العطايا لدى امداده الجاري
بحر المحبة والأشواق في رتب ... عنها الأفاضل قد فازوا باقصار

كفى (الدلائل) عدلا في جلالتـه — منه استمد الورى بطيب أسحـار
شرقاً وغرباً عليه الناس قد عكفوا — عرباً وعجماً لدى العشا والابكـار
قطب الوجود ممده وصالحـــــه — أضحت تلاميذه أرباب أذكـــــار
هم بالولاية قد فازوا وقد سعدوا — أعظم بأصحابه الأبرار الاخيـــار
وأمتع السمع منك في فضائلـــه — بالممتع الفرد في ورد وإصـــدار

الاعـراب : الأفاضل مبتدأ وجملة فازوا من فعل وفاعل خبره، والجملة الكبرى في محل جر نعت لرتب ، والرابط ضمير عنها وهو متعلـق باقصار وباقصار متعلق بفاز ، وشرقاً وغرباً ظرفان لعكفوا كلدى العشي والابـكار ، وعرباً وعجماً يحتمل أن يكونا حالين من فاعل عكف .

اللـغـة : الجزولي بفتح الجيم وضمها نسبة لجزولة قبيلة بالسوس الأقصى ، والامام مَن ائتم به من رئيس وغيره ، والسيد من السؤدد وهـو الشرف، والبحر الرجل الكريم، والعطايا جمع عطية ما يعطى، والامداد اعطاء المدد، والجاري أي المسترسل ، وبحر المحبة أي كثيرها ، وأقرب حدود المحبة قول الشيخ زروق رضي الله عنه في أحد شروحه للحكم : المحبة أخذ جمال المحبوب بحبة القلب حتى لا يجد مساغاً للالتفات إلى سواه ، ولا يمكنه الانفكاك عنـه ولا مخالفة مراده ، ولا وجود الاختيار عليه لوجـود سلطان الجمال القاهـر للحقيقة بتجليه المستفيض عليه دون اختيار منه ولا مهلة ، فان مغازلة الجمال لا يشعر بها ، وأخذته لا يقدر عليها وحقيقة ما يتولد عنه لا يعبر عنها تنفـي الاعراض والاغراض وتنفي الحقائق والاعواض فلا يبقى مع غير المحبوب قرار ولا عما سواه اختيار . انتهى .

وراجع كتاب (المحبـة والشوق والأنس والرضى) وهـو الكتاب السادس من ربع المنجيات من كتاب (احياء علوم الدين) ، وراجع (الشفا)، والمحبة كل المقامات دونها وجميعها مقدمات لها ، والأشواق جمع شوق وهـو الاشتياق نزاع النفس وحركة الهوى، ورتب جمع رتبة وهي المنزلة ، والأفاضل جمع أفضل ، والفوز الظفر بالشيء والاقصار عـن الشيء الانتهاء عنه وعـدم

الوصول إليه، والكفاية الاكتفاء، و (الدلائل) اسم كتابه رضي الله عنه، والعدل الشاهد الثقة ، والجلالة العظمة ، والاستمداد طلب المدد ، واسحار جمع سحر وهو آخر الليل قبيل الصبح ، وطيبه زكاؤه وصفاؤه ، والشرق المشرق حيث تشرق الشمس ، والغرب المغرب حيث تغرب ، وهما قرنا الدنيا ، وراجع الجغرافيا وابن خلدون ، والعكوف على الشيء المواظبة عليه وملازمته ، والعرب أمة تنحصر في ثلاث طبقات ، إرم ، وقحطان ، وعدنان ، فالطبقة الأولى تسمى بالعرب العاربة البائدة ، والثانية العرب المتعربة ، والثالثة العرب المستعربة ، وبقي من العرب طبقة رابعة سماها ابن خلدون العرب المستعجمة، وعنى بهم عرب هذا الجيل الموجود بأكناف المشرق والمغرب حيث تغير إعراب لغتهم واستعجم ، وزعم الهمداني أن ابن قحطان وهو يعرب أول من رفع ونصب وخفض ، فانظر إلى عظيم قدرة الله وباهر حكمته كيف تطورت هذه اللغة في أطوار مختلفة ، فكانت في أول امرها موقوفة ثم عادت اليوم إلى الحالة التي بدأت عليها سنة الله في خلقه ، فان كل ما كان من عالم الكون والفساد لابد أن يعود إلى الحالة التي بدأ عليها في الحين أو بعد حين ، ويدل على هذا الكتاب والسنة وكلام الحكماء والعلماء ، والعجم خلاف العرب ، والعشا بالقصر للضرورة مثل العشيّ كما في (المختار) ، وقال في (القاموس) أول الظلام أو من المغرب إلى العتمة أو من زوال الشمس إلى طلوع الفجر انتهى ، وابكار البكرة بالضم وهي الغدوة كالبكرة محركة ، والقطب قال في (القاموس) سيد القوم وملاك الشيء ومداره ، انتهى ، وقال في (شمس المعرفة) : ومن هنا تعلم أن القطب أي الغوث هو حياة الوجود يمد الله به العلو والسفلية ، ذاته مرآة مجردة يشهد فيها كل قاصد مقصده حضرته صباغة تصبغ كل من أمله فيما توجه إليه وأم له ما شهدته فيه خلعه عليك وما نسبته إليه صيره إليك ، وهو موجود معين في الأعيان ، وله دائرة وأعوان ، هذه المرتبة المخصوصة بالرجل المخصوص قاعدة اجتماعية باجماع من يعتد باجماعه من السلف ومَن في معناهم من الخلف رضي الله عنهم وأرضاهم ، وبهذا تعرف سلسلة الأغوات لا يمكن بأن تكون مكررة بأن تتعدى اغوات الوقت الواحد حتى تكاد تجد في كل بلدة أو في كل قرية أو في كل حومة غوثاً في زمان واحد، وأفضل

ما أعطيه الانسان عقل يميز به لقوله صلى الله عليه وسلم لا يعجبنكم إسلام المرء حتى تنظروا إلى كنه عقله ، انتهى . وقال في (يتيمة العقود الوسطى) وأما قولهم القطب لا يكون إلا بمكة فهو صحيح ، لكنه مؤول بوجوه أقربها أن يكون بجسده في المحل الذي أقامه الله فيه وخلقه وروحانيته هي التي تكون بمكة ، الثاني كونه بمكة يعنى أن الدنيا كلها بين عينيه وجسده يسمع جميعها ، فعلى هذا يصح أن يكون مسكنه بمكة أي لا يستقر قلبه بغيرها ، وان كان جسمه بغيرها خصوصاً أهل الخطوة والافراد المتشكلون الذين أكرمهم الله بحقيقة فيتشكلون على صور عديدة فتكون لأحدهم صورة بمكة ، وصورة في مكانه الذي هو حال به كما ذكر ذلك جلال الدين السيوطي في بعض تآليفه ، وسماه (الخبر الدال، على وجود الاقطاب والأبدال)، والآخر سماه (ألمنجلي،في تطور الولي). انتهى، والصالح من استقامت أحواله ، وصلحت أقواله ، وأضحت أي صارت ، تلاميذه أي مريدوه أرباب أذكار ، قال في (المرقى) : قال الشيخ زروق في التصوف التساعي المرتب على الآية العزيزة وهي قوله تعالى : « التائبون العابـدون الحامدون » إلى آخره ، الوجه الثالث وهو وجه الحامدين وهم أرباب الأذكار المستعدون للطائف الأنوار ، ويقال لهم الأفراد الواصلون إلى أن قال ولهـم وصول خاص لا يدخلون به تحت نظر القطب ، بل يستترون في مقام يقال له المخدع فلا يعلم القطب بهم ولا يطلع على مقامهم ، انتهى المراد منه ، ولا ينافى هذا ما تقدم من أن القطب هو المحيط بعلم الله على الخلق جملة كما هو ظاهر والله أعلم. انتهى كلام (المرقي).وقال في الجزء الثاني من (النفحات الشاذلية) في صحيفة 104 عند ذكر طبقات رجال الغيث العشرة ما نصه : الطبقة التاسعة طبقة الواصلين ، ويسمون بالحكماء ، ويقـال لهم المفردون لما ورد سبـق المفردون ، قيل ما المفردون يارسول الله ؟ قال : هم الذين محا الذكر عنهم أوزارهم يجيؤون يوم القيامة خفافاً لا يحصرهم عدد ولهم وصول خـاص لا يدخلون به تحت نظر القطب ، وهم سياحون في الأرض يسيرون في مقام يقال له المخدع لا يعلمه القطب ولا يطلع على مقامهم ، وشيخ هذا المقام الخضـر عليه السلام ، فلا اطلاع للقطب على شيء مـن أحوال الأفراد الواصليـن ، والحكماء المفردين ، يمسك الله بهم العالم ، وينتظم نظامه إلى أن يختم الولاية

المطلقة بالنور الباهر ، والسر الظاهر ، والنجم الطالع ، سيدنا ومولانا محمد المهدي رضي الله عنه فهو خاتم الأولياء ، انتهى من كلام الشيخ الأكبر ، ولينظر هذا مع ما سبق لك عن العارف الشعراني من أحوال القطب والله أعلم بأسرار عباده ، فان الطفيلي مثلي على موائد أهل هذا الميدان ليس له إلا مجرد فهم ظاهر هذا الكلام ، لكن قد سبق لك أن التشبث بذكرهم وأحوالهم يستوجب نزول الرحمات . انتهى كلام (النفحات) .

والولاية قال في (المرقى) : **تنبيه** ضابط الولي أنه المداوم على أفضل الطاعات واجتناب المعاصي المعرض عن الانهماك في اللذات ، قيل وهو ضابط الولي الكامل ، وأما أصل الولاية فتحصل لمن وجدت فيه صفة العدالة الباطنية بالشروط المذكورة عند الفقهاء ، انتهى .

والسعادة ضد الشقاوة ، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم ، وأعظم بأصحابه فعل تعجب من العظمة وهي الجلالة، والأبرار جمع بَر، وهو الصادق، والأخيار جمع خير وهو المطيع التقي النقي ، والامتاع النفع والسمع يكون واحداً وجمعاً كقوله تعالى : « ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم » ، والفضائل المناقب ، والممتع أي (ممتع الأسماع) كتاب العلامة سيدي المهدي الفاسي ، والفرد المنفرد ، والورد ضد الصدر بفتح الدال ، والاصدار الرجع عن الماء بعد الايراد .

المعنى يارب أجب دعائي بجاه الجزولي الذي أعليته على منصة السيادة والامامة ، وحكمته في بحر العطايا، فأمدّ من أردت إكرامه وبلغته من حبك وحب حبيبك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مقاماً تقاصر عنه الأكابر على علو مقدارهم، ويكفينا دلالة على علو مقامه كتاب (دلائل الخيرات) الذي اشتغلت به الخلائق طلباً للمدد عند صفاء أسحارهم ، وأكبّ عليه العرب والعجم في المشرق والمغرب لدى العشيّ والابكار ، وكان صاحبه قطب الوجود وممده وصالحه وأصحابه أرباب الاذكار ، وبالولاية فازوا وسعدوا وتبينت جلالتهم وهم الصادقون المطيعون الأخيار ، فاذا تشوفت وتشوقت يامريد لأخباره ومناقبه

فعليك بكتاب (ممتع الاسماع ، في ذكر الجزولي والتباع) ، فانه اعتنى بايراد ذلك أوائله وأواخره ، وتفرد في جمع أشتات فضائله ومآثره ، قال فيه بعد الخطبة ما نصه :

وبعد فهذا ما تيسر من بعض البعض من التعريف بمؤلف (دلائل الخيرات) للشيخ القطب سيدي محمد بن سليمان الجزولي رضي الله عنه بذكر بعض أحواله وزمانه ومكانه وكلامه وأتباعه رضي الله عنهم ، فهو الشيخ محمد بن عبد الرحمان بن أبي بكر بن سليمان بن سعيد بن يعلي بن يخلف بن موسى بن علي بن يوسف بن عيسى بن عبد الله بن جندوز بن عبد الرحمان بن محمد بن أحمد بن حسان بن إسماعيل بن جعفر بن عبد الله الكامل بن حسن المثني بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ويعرف بالجزولي لكونه في عداد جزولة ، وهي قبيلة من البربر بسوس الأقصا ، ويقال جزولة وقزولة بالجيم وبالقاف المعقودة ، وفي (الذيل) لابن عبد الملك القزولي بقاف معقودة مضمومة وزاي وواو مد ولام منسوباً ، انتهى ، ويكتب في نسبه السملالي أيضاً ، وسملالة قبيلة من جزولة ، وينسب إلى سليمان فيقال سيدي محمد بن سليمان ، وهو جد أبيه كما تقدم ، وكثيراً ما ينسب المرء وينتسب قديماً وحديثاً إلى مَن فوق والده المباشر لشهرته أو لحصول التعريف به أكثر ، وقد يوجد في بعض النسخ مَحمد بن سليمان بن أبي بكر بن سليمان ، وفي بعضها مَحمد بن أبي بكر بن سليمان باسقاط الواسطة رأساً ، وهذا النسب الشريف هكذا وجد ، ولعله سقط فيه شيء ، فان عبد الله الكامل لا يعرف في ولده جعفر ، وفي نسخة معتبرة من (دلائل الخيرات) على ظهرها رفع النسب إلى جعفر ، ثم قال بن عبد الله بن حسين بن الحسين بن علي بن أبي طالب فكتب فيها حسين بالتصغير في الاسمين معاً مع تكبير عبد الله ، فاما أن يكون تكبير عبد الله صواباً وتصغير حسين تحريفاً ويكون موافقاً لما في غيرها فياتي على ذكر جعفر فيها في ولد عبد الله الكامل ما أتى عليه في غيرها مما تقدم ، وإما أن يكون تصغير حسين صواباً ويكون المراد بجعفر الملقب بالحجة ، والذي في غيرها في والده عبيد الله بالتصغير ، ووالده حسين الأصغر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط الشهير ،

فيكون على هذا قد سقط في النسخة ذكر علي زين العابدين بين الحسن والحسين ، ولابد منه لأن الحسين السبط لم يعقب إلا منه كما نص عليه ابن خلكان وغيره ، ويكون الشيخ على هذا حسينياً لا حسنياً ، ويكون لما تحرف في غير النسخة المذكورة حسين بالتصغير إلى حسن بالتكبير تحرف عبيد الله فكبر وزيد فيه الوصف بالكامل ، إلا أن في كونه حسينياً بعداً كما يبعد كونه من أولاد جعفر بن الحسن المثني ويكون عبد الله الكامل مزيداً غلطاً ، وفي أولاد إدريس باني فاس جعفر أيضاً ، والذي في كتاب (القرطاس) أن سليمان بن عبد الله الكامل نزل تلمسان واستوطنها فكان له بها أولاد كثيرة ، فكل حسني هنالك من نسل سليمان بن عبد الله بن حسن ، وقد دخل أكثر ولده إلى بلاد لمطة والسوس الأقصا فما يبعد على هذا أن يكون سقط سليمان بين جعفر وعبد الله الكامل ، ويحتمل مع هذا أن يكون هو سليمان المنسوب إليه حيث يقال له سيدي مَحمد بن سليمان ، وليس سليمان بوالده المباشر ، والله أعلم بالصواب ، ويوجد أيضاً في النسب المذكور سليمان بن سعيد بن يعلي ، ويوجد سليمان بن يعلى باسقاط سعيد بينهما .

كان رضي الله عنه من العلما العاملين ، والأئمة المهتدين ، وممن جمع بين شرف الطين والدين ، وشرف العلم والعمل ، والأحوال الربانية الشريفة ، والمقامات العلية المنيفة ، والهمة العالية السماوية ، والاخلاق الزكية الرحمانية ، والطريقة السنية ، والعلم اللدني ، والسر الرباني ، والتصريف النافذ التام من الخوارق العظام ، والكرامات الجسام ، وكان قطباً جامعاً، وغوثاً نافعاً مانعاً،وغيثاً هامعاً،ووارثاً رحمانياً،وإماماً ربانياً،أقامه الله في وقته رحمة في العباد، وبركة ونورا في البلاد ، جعله موقع نظره من خلقه، وخزانة سره،ومظهر نفوذ تصريفه ، ومنبع مدده ، وكان فياض المدد والامداد ، كثير النفع للعباد ، وكان عنده الكمياء الخاصة الخالصة التي تقلب الأعيان ، وتحيل نحاس النفوس إبريزاً في أقرب زمان ، فتقلب ظلامها نوراً ، وحزنها سروراً ، وتميط خبث شهواتها وتلطف كثافتها وترفع الهمم وتجمع الهم ، فانتفع به خلق كثيرون ، وتخرج على يده أشياخ مشهورون ، وحييت به البلاد والعباد ، وجدد الطريقة

بالمغرب بعد دروس آثارها ، وخبو أنوارها ، وانتشر به الفقر واللهج بذكر الله والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في سائر بلاد المغرب ، وصار أتباعه في سائر نواحيها قد ذكر بعضهم أنه اجتمع من المريدين بين يديه اثنا عشر ألفاً وستمئة وخمسة وستون كلهم ممن نال منه خيراً جزيلا على قدر مراتبهم وقربهم منه ، وسيأتي كلامه ، هؤلاء أصحابه الذين أخذوا عنه ، ثم تفرقوا في البلاد فأخذ الناس عنهم ، وانتشرت أتباعهم واشتبكت فروعهم وامتدت إلى هلم جراً ، وحصل بهم نفع كثير عظيم ما لا يوصف ولا يحاط به ، وقد كان كثير من أصحابه أيضاً تصحبه الآلاف من المريدين ، وترد عليه الألف من الزوار والوافدين ، رضي الله عنهم ونفعنا ببركتهم أجمعين .

قال رضي الله عنه رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فقال لي أنا زين المرسلين ، وأنت زين الأولياء ، وسيأتي أنه قيل له فضلتك على أهل عصرك، وقيل له ياعبدي مَن تكبر عليك من أولياء الزمان سلبته من نوري ، وقال رضي الله عنه معشر الاخوان ليس هنا معكم إلا جسمي ، وأما أنا قد مشيت إليه وصرت معه ، معشر الاخوان تهت ووصلت وصولا لم يصله أحد قط ، وقال رضي الله عنه أقطاب هذه الأمة أنوارهم مع الصحابة رضي الله عنهم ليس فوقهم إلا نور المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وأنوارهم ما بين الستة والأربعة، ومنهم مَن يميل إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، ومنهم مَن يكون بين المصطفى صلى الله عليه وسلم وبين أبي بكر الصديق رضي الله عنهم ، وقال رضي الله عنه قيل لي ياعبدي : مَن أراد أن ينظر في وجه أبي بكر الصديق رضي الله عنه فلينظر في وجهك ، وقال رضي الله عنه لا تقولوا رحمكم الله إني آخذ العلم من الأرض أو من السماء ، بل آخذه من الملك الحق من غير أرض ولا سماء ، وقال رضي الله عنه معشر المريدين انظروا إلى مولاكم وهو معي ليس لي نظر إلا فيه ، كماله قد عمَّ صدري وعمَّ حياتي وعمني طول حياتي ، كماله قد أفناني عما سواه ، وقال رضي الله عنه معشر المريدين فرحوني بتعظيم ربي وإجلاله وجماله ، أنا معه وأنتم لم تشتغلوا بشيء ، غبت في أنوار كماله ، ومشاهدة جلاله وجماله ، ألا لعنة الله على مَن عبر عن مقام غير

مقامه ، وقال رضي الله عنه يامَن كان ينظر إليَّ في الأرض فانظر إلي في السماء وفي العرش وفوق ذلك ، أما علمتم أن الأقطاب تحتاج إليهم جميع المكونات هم في مقام النبوة يفشون السر ، يامَن كان سعيداً فعليك بالمشي إليهم ولو كان من بغداد ، المشي إليهم نور ورحمة وسر في القلوب ، وقال أيضاً رضي الله عنه : ليس العناية من تعنى بالأموال والأولاد ، وإنما العناية من تعنَّى برب الأرباب ، ليس العزيز مَن تعزز بالأموال والأولاد ، وإنما العزيز مَن تعزز بالله وصفته ، ليس العزيز من تعزز بالقبيلة وحسب الجاه ، وإنما العزيز مَن تعزز بالشرف والنسب ، أنا شريف في النسب ، جدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنا أقرب إليه من كل ما خلق الله ، وعنايتي في الأزل مصبوغة بالذهب والفضة ، يامَن أراد الذهب والفضة فعليك باتباعنا ومن تبعنا يسكن في أعلا عليين في دار الدنيا والآخرة ، ودولتنا كانت الأمم الماضون تدعو أن يلحقوا بها ، ولكن لا يلحق بها إلا مَن سبقت له السعادة ، ودولتنا دولة المجتهدين المجاهدين في سبيل الله القاتلين أعداء الله ، ملوك الأرض كلها في يدي وتحت قدمي ، معشر المسلمين ، أما علمتم أن المصطفى صلى الله عليه وسلم قريب مني وحكمه في يدي ، مَن تبعني فهو متبع له ، ومن لم يتبعني فليس بمتبع له ، سمعته صلى الله عليه وسلم يقول أنت المهدي ، مَن أراد أن يسعد فليات إليك ، معشر المسلمين كونوا من أمة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ولا تكونوا من أعدائه بالتكذيب والنكران والغش والخيانة ، معشر المسلمين خلق الله لكم من يهديكم في آخر الزمان فاحمدوه ، معشر المسلمين لا يبغضنا على دين الله عز وجل إلا مَن ليس له دنيا ولا آخرة ، ولا يحسدنا على طاعة الله عز وجل إلا من ليس له حظ عند الله عز وجل ، وقال رضي الله عنه قيل لي ياعبدي خصصتك بعنايتي في الأزل فلا أحد يصل إلى عنايتك ، ياعبدي سيادتك على أهل المشرق والمغرب الماضين والباقين ، ياعبدي وصلتك إلى مقام لا يصل إليه أحد من الواصلين ، وقال رضي الله عنهقيل لي : ياعبدي تاهت العقول فيما أعطيتك ، وما بقي لك عندي أكثر وأعظم من قبل اقدامك بالحب والشوق أثبته يوم القيامة بالعفو والصفح ، ياعبدي تنافست الأولياء فيما أعطيتهم ولا يبلغ أحد ما أعطيتك من

كرامتي ، ياعبدي لو كانت الملائكة كتاباً ، والأشجار أقلاماً ، والبحار مداداً لا يكتبون من أحوالك السنيــة إلا مقدار ما يكتب الولد الصغير فــي اللوح من الأسطار ، ياعبدي لايبلغ أحد مقامك من أوليائي سبق ذلك في علم الغيــب عندي ، وعزتي وجلالي لأعطيتك يوم القيامة حكماً على أوليائي ، وقال سيدي علي بن محمد صالح الأندلسي رضي الله عنه في تأليف له : فلو تكلمنا بطرف من كرامات شيخنا سيدي مَحمد بن سليمان الجزولي تداركنا الله بــرضاه لحارت الأذهان والعقول الزكية فــي معانيها انتهى ، وقوله شيخنا ــ يعني شيخ طريقتهم ، وإلا فهو إنما أخذ عنه بواسطة الشيخ التباع رضي الله عنــه كما يأتي .

وكان الشيخ رضي الله عنه في أول أمره يطلب العلم ، فكــان بفاس بمدرسة الصفارين بها ، وبيته بها مشهور معروف لهذا العهد ، وذكر الشيخ أحمد بابا السوداني في (كفاية المحتاج) أنه كان يحفظ فرعي ابن الحاجب ، وقال غيره إنه كان يحفظ المدونة ، ووصفه أحمــد بابا المذكور في (نيــل الابتهاج) بالعلم والولاية ، ثم قال وألف فــي التصوف ، قال أحمد بابا فــي (كفاية المحتــاج) : خرج من بلاده لقتال كــان بها فدخل فاساً وبها قيــد (دلائل الخيرات) ، وبها لقيه الشيخ أحمد زروق ، انتهى . ويحتمل أنه في هذه السفرة كان يطلب العلم بفاس ، ويحتمل أنها سفرة ثانية ، ويذكر أنه لما كان بالمدرسة المذكورة وكان له بيت يخلو فيه بنفسه لا يدخله معه غيره، فبلغ ذلك والده ببلده فظن أو قيل له لا يسده ويمنع من دخوله إلا لكونه له به مال، فقدم عليه ثم طلب منه أن يدخل ذلك البيت فأجابه إلى ذلك وأدخله إياه ، فرأى حيطانه كلها مكتوباً فيها الموت الموت الموت ، فعلم ما هو فيه ولده ، ورجع على نفسه باللوم يقول : انظر أين هذا وأين نحن ؟ ثم تركه وانصرف إلى بلده .

وذكر أنــه جمع كتابه (دلائــل الخيرات) مــن كتب خزانة جامــع القرويين بفاس ، وقصــد رضي الله عنه فيه كمــا قال الشيخ الامام محمــد العربي بن سيدي يوسف فيما وجدتّه بخطه جمع المروي من ألفاظ الصلاة

والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم ، عنه صلى عليه وسلم وعن غيره من فضلاء أمته والاقتداء بهم والتبرك باتباعهم وذلك كله لحسن نيته رضي الله عنه ، ويذكر أن سبب جمعه له أنه شاهد من امرأة بفاس أمراً عظيماً من خرق العادة ، فسألها بم بلغت هذا ؟ فقالت بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، فعكف على الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وجمع كتابه المذكور، ولا شك أنه كان كثير الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وذلك مبنى طريقه وطريق أتباعه خصوصاً كتاب شيخهم (دلائل الخيرات) فقد كانوا مواظبين عليه ومعتنين به ومستصحبين له ، قال الشيخ الامام محمد القصار رحمه الله : كان محمد بن سليمان الجزولي الشاذلي على محبة عظيمة له صلى الله عليه وسلم ، فقد قيل له فضلتك على عصرك بكثرة صلاتك على حبيبي محمد ، وساداتنا الشاذلية رضي الله عنهم مخصوصون بزيادة محبة فيه صلى الله عليه وسلم لأن طريقه مبنية على كثرة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وهي تفيد ذلك ، وأيضاً فان شيخهم وشيخه من ذريته صلى الله عليه وسلم ، فاجتمعت فيهما المحبتان الدينية والطينية ، فتضاعفت فيهما المحبة ، فاستمد أصحابه من مادة قوية جداً ، قال سيدنا أحمد المرسي رضي الله عنه : لو حجب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين ، وكان سيدنا ابن وفا يراه في اليقظة انتهى .

والشيخ صاحب الترجمة شريف أيضاً كما تقدم ، وكذا شيخه سيدي محمد بن عبد الله أمغار شريف أيضاً على ما عند الشيخ القصار وتلميذه الشيخ أحمد بن سيدي يوسف الفاسي وكذا ذكره صاحب (دوحة الناشر ، لمحاسن من كان بالمغرب من أشياخ القرن العاشر) ، ووجدته أيضاً بخط الشيخ محمد العربي في غير (مرآة المحاسن) ، وكذا شيخ سيدي عبد السلام ابن مشيش أيضاً هو شريف ، وهو سيدي عبد الرحمان بن الحسين الشريف العطار المدني الشهير بالزيات لسكناه بحارة الزياتين ، فمن كان من هذه الطائفة الجزولية كان في سلسلة خمسة أشياخ شرفاء،أولهم شيخه سيدي محمد بن سليمان الجزولي ، وثانيهم شيخه سيدي محمد بن عبد الله أمغار ، وثالثهم شيخ الطريقة

سيدي أبو الحسن الشاذلي ، ورابعهم شيخه القطب عبد السلام ابن مشيش ، وخامسهم شيخه سيدي عبد الرحمان المدني ، فان كان من أصحاب سيدي عبد الله بن حسين أو سيدي عبد الرحمان أبن ريسون مثلا كان في طريقة ستة شرفاء رضي الله عنهم أجمعين ، وقوله : فضلتك على أهل عصرك وجدته بخط الشيخ القصار أيضاً هكذا ، وقال رضي الله عنه قيل لي : ياعبدي فضلتك على جميع خلقي بكثرة صلاتك على نبيي ، ياعبدي مَن أطاعك من الأولياء فقد أطاعني ، ومن عصاك من الأولياء فقد عصاني ، ومَن تكبر عليك من أولياء الزمان سلبته من نوري ، وقوله على جميع خلقي يعني الذين في عصره ، وذكره صاحب (تحفة الاخوان ، ومواهب الامتنان) بلفظ قد فضلتك على أوليائي بكثرة صلاتك على حبيبي محمد صلى الله عليه وسلم ، ويحتمل أن يكون معنى فضلتك خصصتك وآثرتك بكثرة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، فلا يصلي عليه أحد من العدد ما تصلي عليه أنت صلى الله عليه وسلم ، فالتفضيل واقع بنفس الاكثار من الصلاة والله أعلم .

وقال الشيخ القصار مما وجدته بخطه أيضاً : قال سيدي محمد بن سليمان الجزولي رضي الله عنه : عليكم بذكر الله العظيم ، والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وزيارة أولياء الله ، ثم وجدته فيما قيد من الكلام عن الشيخ رضي الله عنه بزيادة فـ « بذكر الله تطمئن القلوب » ، وزيارة أولياء الله تعرف الطريق إلى الله ، وقال الشيخ القصار أيضاً رحمه الله : كان سيدي عبد العزيز التباع شيخ الجماعة يلقن لا إلاه إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو ذكر سيدي رضوان ، وقال أيضاً : كان سيدي عبد الله الغزواني من كبار المحبين لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، حدثني سيدي رضوان أنه سمعه في العام الذي مات فيه يزغرت حين ظهر هلال ربيع النبوي على المولود فيه أفضل الصلاة والسلام انتهى .

وثبت أن رائحة المسك توجد من قبر الشيخ صاحب الترجمة رضي الله عنه من كثرة صلاته على النبي صلى الله عليه وسلم ، وعرف الشيخ أبو عبد الله العربي الفاسي رحمه الله في (مرآة المحاسن) ببعضهم فقال : إنه

كان مواظباً على قراءة (دلائل الخيرات) لشيخ المشايخ محمد الجزولي آخذاً ذلك عن مشايخه أتباع الشيخ الجزولي رحم الله جميعهم ورضي عنهم ، وذكروا أن وارث حاله الشيخ سيدي عبد العزيز التباع قدم عله لزيارته بعض الفقراء ومع أحدهم (دلائل الخيرات) فقال الشيخ رائحة (دلائل الخيرات) عندكم يافقراء ، فقال ذلك الفقير الذي هو عنده : نعم هو ياسيدي عندي فناوله إياه فحركه الشيخ في يده ، ثم قال : إنه سقط منه كيت وكيت فقابلوه فوجدوه كما قال ، قال في (المرآة) : وفيه مع كرامة صدق الفراسة مزيد خصوصية بدلائل الخيرات انتهى .

وكتابه المذكور قد نفع الله به العباد ، وأقبل الناس عليه وسار فيهم مسير الشمس والقمر ، واشتهر في البدو والحضر ، وأكبوا عليه في مشارق الأرض ومغاربها دون غيره من كتب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم على كثرتها وسبقيتها ، ويجدون له بركة ونوراً ، قال في (تحفة الاخوان) : وكفاه هذا التأليف العظيم شهادة على سمو قدره ونمو فخره انتهى . وأثر كسوة قلب مؤلفه عليه ظاهر ومنه لائح ، وشدة شغفه بالنبي صلى الله عليه وسلم وتهالكه في حبه منه وأضح ، ولهذا ما وقعت فيه بعض العبارات خارجة في الظاهر عن المضمار فسلمت له لأجل ذلك ، منها قوله : وصل على سيدنا محمد عدد علمك ، وقوله : عدد ما أحاط به علمك ، وأضعاف ذلك ، وقوله : كنت حيث كنت ، قال السيد محمد عبد الله بن عبد الرزاق العثماني رحمة الله عليه : إنه سأل شيخه الامام الكبير سيدي يوسف بن محمد الفاسي رضي الله عنه عن بعض ذلك فقال له في هذا الكتاب ألفاظ لا تحمل على ظاهرها من معروف اللغة ، وإنما سمح له في التعبير بها لما علم من صدق حبه للنبي صلى الله عليه وسلم ، انتهى . وهذه الألفاظ وإن لم تكن من كلامه لكنه أدخلها في كتابه على ما فيها من الكلام ، لكن العذر له ما ذكر من الشغف وفرط المحبة، وثبت على نسخة من الكتاب على قوله كنت حيث كنت ما نصه : قال الشيخ رضي الله عنه أي كان على ما يليق بجلاله وجماله ، لا في المكان والجهات ، انتهـى .

ويحكى أن بعض الناس كـان عنده (دلائل الخيرات) و (تنبيـه الأنام) فكان إذا وضعهما جعل (دلائل الخيرات) أسفل و (تنبيه الأنام) فوقه ، فاذا خرج ورجع إلى مسكنه وجد (دلائـل الخيرات) فوق (تنبيـه الأنام) ، ووقع ذلك له غير مرة ولم يكن يدخل موضعه غيره ، ثم حدثني مَن أثق به من الطلبة أنه حدثه بذلك مَن وقع له بنفسه ، ويحتمل أنه المحكي عنه أولا ويحتمل أن يكون غيره وأن القضية تعددت ، وسمعت سيدنا ومولانا ووسيلتنا إلى ربنا الشيخ الامام العارف بالله واحـد وقته سيدي محمد بـن محمد بن عبد الله ابن معن الأندلسي رضي الله عنه وعنا به بقول ما معناه أن (دلائل الخيرات) يفيد النور و (تنبيه الأنام) يفيد العلم ، ووجدت بخط الشيخ أبي عبد الله العربي رحمه الله على ظهر نسخته من (دلائل الخيرات) ما نصه : ذكر لي بعض الفقهاء الحفاظ مما جرب لقضاء الحوائج وتفريج الكرب قراءة (دلائل الخيرات) أربعين مرة ويجتهد القارىء أن يكمل هذا العدد قبل تمام أربعين يوماً فان الحاجة تقضى كائنة ما كانت ببركة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، انتهى .

ثم إن الشيخ رضي الله عنه بعد ما كان بفاس رجع منها إلى الساحل فلقي به فيما ذكره الشيخ أحمد بابا في (كفاية المحتاج) أوحد وقته الشيخ محمـد أمغار الصغير ، فأخـذ عنه برباط تيطنفطـر قرية بساحـل بلد أزمور وتعرف الآن بتيط ، وبها كان مأوى سلفه المبارك أهل الخير والصلاح والولاية ، وقد ذكر التادلي في (التشوف) منهم جماعة ، وقال الشيخ أحمد بن يوسف الفاسي : لم نزل نسمع أنه لقيه ببلاد دكالة ، وأنه أخذ عنه ، وكثيراً ما يذكره باسم الشيخ في بعض ما جمع عنه من الكلام والمناقب ، انتهى . قال فـي (كفاية المحتاج) ثم دخل الخلـوة للعبادة نحو أربعـة عشر عامـاً ، ثم خرج للانتفاع به وله كرامات ، انتهى . وقال بعضهم كان بآسفي ، وكان بها كثير الأوراد مراقباً لله تعالى في جميع أفعاله ، واقفاً عند حدوده ، عاملا بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم إلى أن اشتهر بالصلاح وظهرت منه الكرامات مثل المكاشفة وغيرها وتاب على يده هناك خلق كثير ،

وانتشر ذكره في الآفاق ، وأخذ في تربية المريدين ، ثم إنه انتقل من هنالك بعد ظهور ما منّ الله به عليه من البركات وتتابع الخيرات إلى الموضع المسمى بآفوغال من بلاد مطرازة ، فأقام به على حالته من تربية المريدين وإرشادهم إلى سبل الهدى ، فاستنارت لهم ببركته الأنوار ، وظهرت لهم معالم الأسرار، ولقد ورد عليه من طالبي القرب إلى الله تعالى وابتغاء ثوابه خلق كثير ، حتى اجتمع من المريدين بين يديه رحمة الله عليه اثنا عشر ألفاً وستمئة وخمسة وستون كلهم ممن نال منه خيراً جزيلا على قدر مراتبهم وقربهم منه ، انتهى . وقال الشيخ القصار أخرج صاحب أسفي الشيخ الجزولي فدعا عليهم ، فسأل منه العفو فقال أربعين سنة فأخذها النصارى بعدها ، قال الشيخ محمد العربي في (مرآة المحاسن) : وكان خروج النصارى منها ورجوعها إلى المسلمين سنة ثمان وأربعين وتسعمئة .

قال البعض المتقدم وتوفي رحمة الله عليه ونفع به هنالك يعني بآفوغال وهو ساجد في السجدة الأولى من الركعة الثانية من صلاة يوم الأربعاء من القعدة الحرام من عام تسعة وستين وثمانمئة ودفن لصلاة الظهر من ذلك اليوم بوسط المسجد الذي كان أسسه هنالك انتهى .

وقال الشيخ أحمد بابا في (نيل الابتهاج) قال صاحبنا محمد بن يعقوب الأديب : مات مسموماً في الركعة الأولى من صلاة الصبح سادس عشر ربيع الأول عام سبعين وثمانمئة ، انتهى . وقال الشيخ زروق إنه مات مسموماً في صلاة الصبح ، إما في السجدة الثانية من الركعة الأولى أو في السجدة الأولى من الركعة الثانية عام سبعين وثمانمئة ، ويأتي كلامه ، وقال الشيخ أحمد الفاسي إنه توفي بعد السبعين وثمانمئة ، ثم قال : وقال لي الشيخ المنجور والله أعلم : إنه توفي سنة اثنتين وسبعين كالقوري ، انتهى . وقال الشيخ الفقيه الحاج الرحال المؤرخ أحمد بن محمد ابن القاضي في (درة الحجال) : إنه توفي في سادس عشر ربيع النبوي سنة خمس وسبعين وثمانمئة ، انتهى . وقال سيدي أحمد بن علي السوسي البوسعيدي في (بذل المناصحة) : وفاته سنة سبعين وثمانمئة ، انتهى وذكر الشيخ زروق

في كناشه أنه ورد على الفقيه محمد القوري سؤال في شأن عمرو المغيطي بعد قيامه ، وتكلم هو معه فيه وهو لـم يقم إلا بعد موت الشيـخ الجزولي وبسببه ، فتبين تأخر موت الشيخ القوري عن الشيخ الجزولي فان كانـت وفاة القوري سنة اثنتين وسبعين بطل القول بأن وفاة الشيخ الجزولي سنة خمس وسبعين ، فراجع فهرسة الشيخ ابن غازي أو غيرها في وفاة القوري ، والأصح في وفاة الشيخ الجزولي ما قال معاصره الشيخ زروق رضي الله عنه والله أعلم ، ثم وجدت في فهرسة الشيخ أحمد الونشريسي أن الشيخ القوري توفي أواسط القعدة سنة اثنين وسبعين وثمانمئة والله أعلم ، ثم وجدت وفاة القوري عنـد ابن غازي كما عند الونشريسي بـدون ذكر الشهر ، قـال في (مرآة المحاسن) وحكي عن الشيخ عبد العزيز التباع أنه قال : قلنا للشيخ في آخر تلك الليلة يعني اللتي مات فـي صبحها الناس يذكرون فيك أنـك الفاطمي ، فخرج وقال : ما يدرون إلا مَن يقطع رقابهم ، والله يسلط عليهم مَن يقطع رقابهم ، فكرر الدعاء مراراً قيل : فكان ظهور دعائه في عمرو المعيطي المعروف بعمرو بن سليمان الذي كان في تلك الجهة ، وهو عمرو المريدي الشيظمي ، وتوفي سنة تسعين وثمانمئة ، ويقال إن نساءه قتلنه امتعاضاً لأجل ما كان عليه من الفساد في الأرض ، وكان قد جمع الجموع وجيش الجيوش بسوس وسفك كثيراً من الدماء ، وأخباره معروفة انتهى . وذكر بعض هذا في غير (المرآة) ، وزاد أن الشيخ رضي الله عنه لم يترك ولداً ذكراً ، وفي (المرآة) أيضاً بعد ذكره أن الشيخ التباع خدم الشيخ الصغير بمنزله من خندق الزيتون سنين عديدة بتوصية الشيخ إياه عليه وأمـره بتربيته بعده ، وباثر موت الشيخ الجزولي كان مجيئه للشيخ محمد الصغير السهلي ، وحينئذ لقي الشيخ أحمد المعروف بزروق ، والشيخ محمـد الزيتوني بزاوية بوقطوط (1) من داخل باب الفتوح ، وأظن أن المراد زاوية الحجاج القريبة منها ، وأخبرهما بموت شيخه الجزولي انتهى .

---

1) **زاوية بـوقطوط** هى زاويـة سيدى على بوغالب الـكائنة بحومة صدْريوة مـن راس القليعة بفاس .

والذي في كناش الشيخ زروق رضي الله عنه أنه قال : دخـول سنة سبعين وثمانمئة ، ثم ذكر تعمير الشيخ الزيتوني لزاوية بوقطوط ، ثم قال : وكنت خديماً بها للفقراء فقدم عليها مـن تلامذة سيدي محمـد الجزولي جماعة مع الصغير السهلي وصححوا عندنا موت الجزولي ، قال الصغير : مات في صلاة الصبح إما في السجدة الثانية من الركعة الأولى أو في السجدة الأولى من الركعة الثانية ، قال : وقلنا له في آخر تلك الليلة أناس يذكرون فيك شأن الفاطمي أو في معنى هذا ، فخرج وقال ما يدرون إلا من يقطع رقابهم ، والله يسلط عليهم مـن يقطع رقابهم ، كرر الـدعاء مرات ، فكان ظهور دعوته في عمرو المعيطي ، ثم قـال : وكان افتتاح أمـره أن قام منتصراً للشيخ في الذين سموه إذ سمه بعض الفقهاء ولم يزل بهم حتى قتلهم، ثم صار يدعو الناس إلى إقامة الصلاة ويقاتلهم عليها فنصره الله عليهم ، ثم عاد يطلب المنكرين عليه وعلى أصحابه وشيخه ويسميهم جاحدين ويسمي أصحابه المريدين بضم الميم وما أحقهم بالفتح ! ثم ذكر بعض ما كان عليـه هو وأصحابه من الجهل والفساد والخروج عن الحق ، ثم قال أراح الله المسلمين انتهى الغرض منه ، وعلى قولـه الصغير السهلي وقال الصغير : قال فـي (المرآة) : وقد عرف بسيدي الصغير وقد رأيت كتاباً بخط الشيخ أحمـد زروق كتبه إليه تضمن التعظيم والمواصلة انتهى .

ويذكر أن عمرو المذكور جعل الشيخ رضي الله عنه في تابوت وصار يقاتل به فكان ينصر به حيثما توجه ، وأنه بقي على ذلك عشرين سنة إلـى أن توفي فدفنوا الشيخ رضي الله عنه ، وان ذلك كان الحامل على نقل مـن نقله إلى مراكش ، خافوا أن يثور أحد هنالك فيخرجه من قبره ويقاتلهم به ، فدفنوه عندهم ليامنوا ما يتخوفون من ذلك رضي الله عنه ونفعنا به آمين ، ثم أخبرني بعض الطلبة من أهل سوس ممن يعرف بلاد الشيخ رضي الله عنه أن الذي عند أهل تلك البلاد أن الشيخ رضي الله عنه أنه كان يسكن بتانكـرت مدشر هنالك ببلاد الساحل على واد يعـرف بوادي تانكرت ، قـال : وداره وآثاره به قائمة معروفة إلى الآن معظمة محترمة تقصد وتزار ويتبرك بهـا ،

ووقف هذا المخبر عليها ، وانه من هنالــك ذهب إلى المشرق وتــرك عياله وأولاده به فبقي بالمشرق سبع سنين ، ثم رجع إليه فسأل أهله كيف كان حالهم في غيبته ؟ وكيف كان جيرانهم معهم ؟ فأخبروه بمن كان يحسن إليهم منهم وبمن كان يسيء ، وذكروا له رجلين أحدهما كان يبالغ في اكرامهم واحترامهم ولا يستتر عنهم بشيء ولا يترك أحداً يقرب ساحتهم ولا يجلس بفناء دارهم ، والآخر كان يبغضهم ويؤذيهم ، فدعا للمحسن بخير ، فأولاده الآن جماعة وافرة جداً ، وأولاد المسيء لا يزيدون على الواحد بعد الواحد ، قال : فكان بتانكرت إلى أن مات به ولم يكن يذهب لآفوغال إلا للاقراء والأخذ عنه أو نحو هذا مما لم يعرف هو تحقيقه ، قال بعضهم : يقول إنه مات بآفوغال ، قال بعد موته : احتمله عمرو السياف في تابوت قبل أن يدفن فلا قبر له بتانكرت ، ونقله من وعر الجبل الذي فيه تانكرت إلى السهل ، فكان عنده بمنزل يقال له الربــاط بروضة هنالك من غير دفن ، وكان إذا جنّه الليل أطاف الحرس بالروضــة يحرسونه من السرق وأوقد عليه كل ليلة رداء ومد زيت بمدهم ليقوى الضوء وينتشر ويبلغ من كل الجهات إلى مسافة بعيدة فيكشف الطرق ومن ياتــي عليها مخافة مــن يذهب بالشيخ بالليــل ، ثم لما فرغ مــن القتال تفرر فــي تاضروت مدشر هنالك بالجبل ودفن به الشيخ هنالك ، قال : ثم اتفق زوجتاه على قتله امتعاضاً وغيرة للاسلام لما كان عليه من الفساد في الأرض ، فرصدتا غفلته وغرته فقتلتاه وهو نائم ، قال : ثم رمت إحداهما بنفسها من كوة هنالك في المسكن الذي كانوا به ، فوصلت إلى الأرض سالمة وأحست أنها كمن تلقاها بيديه وأنزلها إلى الأرض برفق ، وبقيت الأخرى فدخلوا عليها فقتلوها ، وزعم أن عمرو كان تزوج زوجة الشيخ وابنته وانهما اللتان قتلتاه وأن التي قتلت هي زوجة الشيخ ، والتي سلمت هي ابنته ، قال ثم أتى أهل آفوغال فأخرجوا الشيخ من قبره واحتملوه إلى بلدهم بقصد التبرك فدفنوه فبقــي هنالك إلى أن نقل إلى مراكش ، هذا حديث الطالب السوسي ، ويحتمل أن أهل آفوغال انما غلبوا أهل تاضورت عليه لكونه كان عندهم أولا فكانت لهم الحجة عليهم ، فيكون هذا دليل موته ودفنه أولا بآفوغال ، وهو الذي تقدم منصوصاً لبعض المعتبرين ، ويحتمل أيضاً أنه لم يدفن بتاضورت إلا بعد

موت السياف، ويحتمل أنه لم يدفن حتى أتى أهل آفوغال فحملوه،ولهذا تجرأوا على حمله ، إلا أنه ذكر أن قبره بتاضورت معروف مثل الذي بآفوغـال والله أعـلـم .

وما ذكر من تروج عمرو زوجة الشيخ وابنته وأنهما اللتان قتلتاه، فالذى عند الشيخ زروق كما تقدم أن الذي قتله امرأته وربيبته ولم يذكر أنه تزوج زوجة الشيخ ولا ابنته ، وأما قول صاحب (المرآة) ، ويقال إن نساءه قتلنـه فمحتمل لأن يكون كلهن أزواجه وأن يكون غير ذلك والله أعلم .

قال أحمد بابا في (كفاية المحتاج) : ولما نقل جسده بعد سبع وسبعين سنة وجدوه لم يتغير منه شيء ، أنتهى ، وقال في (مرءاة المحاسن) : ولما ولي الشرفاء ملك مراكش نقلوا الشيخ محمد الجزولي إلى مـراكش ودفنوه بها ، فقبره الآن بها بعد اثنتين وستين سنة من موته ، وكانت ولايتهم سنـة ثلاثين وتسعمئة ، والسلطان إذذاك منهم أحمد المعروف بالأعرج وهو أولهم وهو الذي نقله ، ثم انتزع منه الملك أخوه أبو الاملاك محمد الشيخ ، وذكروا أنهم لما أخرجوا الشيخ من قبره بسوس وجدوه بحاله حين توفي ، ولم تعدُ عليه الأرض ولم يغير طول الزمان شيئاً من أحواله ، واثر الحلق من شعر لحيته ورأسه ظاهر كحاله يوم موته رضي الله عنه ونفعنا ببركاته ، انتهى . وهكذا نعـرف هذا أيضاً من عند غيره من كونه لم تعد عليه الأرض ، وكونه كـان قريب عهد بالحلق وهو حقيق بذلك رضي الله عنه ، فقد جمع بين الصديقية العظمى والشهادة ، لأنه مات مسموماً كما تقدم ، وذكروا أنه لما أخرجوه من قبره وضع الأمير أو غيره بأمره أصبعه على وجهه حاصراً بها ، فحصر الدم عما تحتها ، فلما رفع أصبعه رجع الدم كما يقع ذلك من الحي رضي الله عنه ونفعنا به ، وتقدم ذكر الحامل لهم على نقله ، وقيل إن الحامل لهم عليه أنه ذكر لهم أن تحته كنزاً فتعللوا للحفر عليه بالنقـل إلى بلدهم والله أعلـم . ودفن برياض العـروس داخل مدينة مراكش ، وبني عليه بيت ، وقبره عليه جلالة عظيمة ،ومهابة كبيرة ، وسطوة ظاهرة ، والناس يزدحمون عليه ويكثرون من قراءة (دلائل الخيرات) عنده ويقصدونه في حاجاتهم فتقضى بـاذن الله عز وجل رضي الله عنه ونفعنا ببركاته .

قال في (المرآة):وكان الشيخ محمد الجزولي يقص شعر التائب، وأخذ بذلك أصحابه بعده، فلما جاء الشيخ محمد الخروبي إلى المغرب الأقصى لقي بعض مشايخ الطائفة الجزولية فأنكر عليهم ذلك وقال:إنه بدعة،فقالوا له : إن الشيخ الجزولي كان يفعله ، فقال لهم لعله باذن والاذن له لا يعمكم ، فان الاذن للنبي صلى الله عليه وسلم يعم أتباعه ، والأذن للولي لا يعم أتباعه هكذا قيل عنه ، وقد قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام في أجوبته لا بأس بقص شعر التائب، وذكره البرزلي في نوازله ، وليست كل بدعة مذمومة ، وإن كانت مذمومة فلا إذن بعد النبوءة ينسخ ذمها فلينظر في ذلك ، انتهى . ويمكن أن يوجه كلام الخروبي بأن قص الشعر في الأصل مباح ، فاذا قص شعر التائب عن إذن وعري عن جعله من أركان التوبة أو سنة الطريق فلا بأس به ، لأن قص الشعر في الأصل مباح كما ذكرنا والمباح هو محل الاذن للأولياء ، وإذا فعل بقصد التوبة وجعل من أركانها وشرائطها ومن شعار الطريقة وسنتها كان بدعة ، وهي بدعة في الدين لأنها من الزيادة فيه بما ليس منه ، فهي مذمومة على هذا والله أعلم ، لكن يبقى أن قص الشعر للتوبة أمر مختلف فيه كما يأتي ولا إنكار في مختلف فيه إلا أن يضعف مدرك التحليل جداً ، فيسقط عن حد الاعتبار أو يكون الانكار على سبيل الارشاد والتعليم للأخذ بالاحتياط،والخروج من الخلاف، وارتكاب الكمال لا سيما وطريق القوم مبنية على ذلك ، ويحتمل أنه لم يطلع على القول بالجواز ولم يطلع على المنصوص في المسألة ، وإنما كره لهم التعلق بالرسوم الظاهرة والتقيد بها مما لم يجيء به سنة والله أعلم ، ثم وجه ما كان يفعله أولئك الأتباع من التبرك بآثار شيخهم ومن تقدمهم مع التقليد لمن أجاز ذلك ، كما يحتمل تقليد المجيز والتبرك بآثار مَن تقدم أيضاً فعل شيخهم أيضاً والله أعلم .

ثم بعد هذا اطلعت للشيخ صاحب الترجمة سيدي مَحمد بن سليمان الجزولي رضي الله عنه على ما نصه : سألني بعض الفقهاء : الحمد لله الذي لم تزل مشيئته ظاهرة في الوجود ، سبحانه وتعالى يخص مَن يشاء بما يشاء من عباده وهو الودود ، أما بعد معشر الفقهاء ، بلغني عنكم أنكم أنكرتم على عبد

الكريم المنزاري أشياء ومن معه من المريدين المحبين ، وحكمتم عليهم بالجهل والكفر وغير ذلك من غير دليل من كتاب ولا من سنة ، واتبعتم أهوء الذين لا يعلمون ، وعصيتم الله في طرد الفقراء الزائرين ، ليس هذا من فعل أهل العلم الزاهدين في الجاه والرياسة والذي نفس محمد بيده ما أتوكم إلا ليجلبوا أهل السعادة من المريدين إلى هذه الطريقة المعنوية والموهوبية من الملك الخلاق وأنكرتم عليهم اقبال المخلوقات فانظروا رحمكم الله في قوله تعالى: « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمان ودا » وأنكرتم عليهم حلق الرأس وتعرية رأس الفقير ، ثم ذكر أموراً أخرى لم أجد جوابها في النسخة التي كتبت منها ، ثم قال : فنقول وبالله التوفيق ان حلاق الشعر جائز في الشعر للتائب ولغير التائب لقوله صلى الله عليه وسلم : « من كانت له وفرة من شعر ، فليكرمها وإلا فلينزعها » ، وقد حلق رجل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام أحسنت ، وقال الصوفية قوله عليه السلام أحسنت دليل على أن الحلاق جائز وأفضل ، ومن أراد أن ينظر فيما ذكرناه فلينظر كتاب (معدن الجواهر) لأبي محمد صالح ، وقال أبو محمد بن عمر المغربي في كتاب (أحكام الفطرة) حلق الرأس للكافر إذا أسلم جائز لقوله عليه السلام للكافر الذي أسلم بين يديه: أحلق عنك شعر الكفر،قال شيخ الدين العسقلاني: هذا حديث قوي أخرجه أبو داوود وغيره وفي حلق الرأس للتائب إذا تاب على يد الشيخ اتباع لسنة المشايخ ، وقد اصطلح على ذلك جماعة من المشايخ ، وأما تعرية الرأس فجائز وممنوع ، قال بعض العارفين : تعرية الرأس للمريد بين يدي شيخه نور ، فخاب من قام في التعرض لمن أراد الدخول في النور ، وأما تعرية الرأس فللولي سنة وللفقهاء بدعة .

انتهى ما وجدته من جوابه رضي الله عنه .

وقال أيضاً رضي الله عنه: قال لي سيدنا أبو العباس الخضر عليه السلام: يانعم الحبيب،أمرت أن تصرف أصحابك في البلدان ليجلبوا لك أهل السعادة من الرجال والنساء ، وقال أبو العباس يانعم الحبيب إن أردت أن تقصص سبعين

ألف مرة فافعل ، فان في كل مرة يزيد ذلك نوراً وبرهاناً وبياناً ببركة الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم ، فطوبى لمن جعلت يدك على رأسه ، والذي عند البرزلي في نوازله أنه قال : وسئل تقي الدين – يعني ابن تيمية – عن سنده في الخرقة ثم ذكر جوابه فيه ، وأما لبس القلنسوة أو العمامة أو التوب ، فمن الأشياخ من استحسن ذلك بمنزلة خلع الملوك وألحق به بعضهم جز شيء من الشعر ، ولم ير الآخرون هذا إذ لم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كسا ثوباً ولا جز شعراً ولا ثبت ذلك في الذين خلفوا ، ثم قال البرزلي : وما ذكر من حلق شعر التائب سئل عنه عز الدين ، ونص السؤال ما يعتاده الوعاظ من قصٍّ بعض الشعر لمن تاب من ذنوبه على أيديهم ومن حلق جميع الرأس هل لهم مستند في ذلك أم لا ؟ وان كان بدعة هل هي جائزة أم لا ؟ فأجاب أما حلق الشعر في غير نسك فان كان لمرض فهو ضرب من التداوى المأمور به ، وإن كان لغير عذر فهو مباح والمساعدة عليه محبوبة إن كان تداوياً وجائزاً إن كان مباحاً وكان الغالب على الصحابة رضي الله عنهم قص الشعر ، ولذلك كان الحلق من شعار الخوارج ، وليس تعاطي ذلك بمحرم ، وأما القص فهو على وفق ما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وليس ذلك من أركان التوبة ولا شرطاً من شروطها ، والبدع أضرب فذكرها ، ثم قال : وقص الشعر على وفق السنة ليس بمكروه ولا معدود في البدع ، وأما الحلق الذي تمس الحاجة إليه فلا بأس به أيضاً ، وقد أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بغلام وقد حلق بعض رأسه فقال : هلا حلقتم كله أو تركتم كله ، قال البرزلي : أما حلق الشعر لغير ضرورة فقد تقدم أن ظاهر المذهب جوازه ، وجعله الطرطوشي من البدع المنهي عنها لما تقدم من حديث سيماهم التحليق وان كان للتوبة فمنهم من قال إنه بدعة لأنه لم يرد عنه عليه السلام أنه أمر أحدا أو فعله له ، ومنهم من أجازه أو قاسه على حلق الرأس للحاجة أو أنه شعر الذنوب فينبغي زواله كما أمر الكافر بالغسل في حديث ثمامة في بعض طرقه كما أمر أن يفارق جلاسه وثيابه وأثاثه وأنفاسه ، ويصوم لكي يزول لحم الحرام ويخلفه الحلال ، ولهذا يأمر الشيخ التائب بصوم أربعين يوماً ، وقد ذكر اللخمي في الحج أن الحلق على ثلاثة أقسام فانظره ، وأخرج الامام أحمد،

وأبو داوود،عن أبي كليب الجهني،عن مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أتاه ليبايعه ، فقال له : ألق أو قال له : احلق عنك شعر الكفر واختتن ، وفي اختصار ابن ليون للرسالة العلمية للششتري : وأما حلق الرأس ففي التنزيل « محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون » والسر في حلقه للحج التذلل وترك الزينة وهي سيرة الفقراء مع ما في حلقه من ترك المؤونة والخفة في الطهر وإزالة الأذى ، وكان أكثر السلف يحلقون رؤوسهم ، وحلق علي رضى الله عنه بالموسى ، وفي (الاحياء) فلا بأس بحلقه لمن أراد النظافة، انتهى، وقالوا لا يلزم من كونه من سيما الخوارج أن يكون ممنوعاً وما قاله الطرطوشي تقدم ، وقال ابن العربي الشعر في الرأس زينة وحلقه بدعة ويجوز أن يتخذ جمة وهو ما أحاط بمنابت الشعر ، ووفرة وهو ما زاد على ذلك إلى شحمة الأذنين ، وأن يكون أطول من ذلك ، ويكره الفزع وهو أن يحلق البعض ويترك البعض ، وفي (المواهب اللدنية) للشهاب القسطلاني : ولم يرو أنه صلى الله عليه وسلم حلق رأسه الشريف في غير نسك حج أو عمرة فيما علمته ، فتبقية الشعر في الرأس سنة ومنكرها مع علمه يجب تأديبه ومن لم يستطع التبقية فيباح لـه إزالته ، انتهى ، أتيت بهذا كله على سبيل المناسبة لكلام البرزلي والشيخ صاحب الترجمة تتميماً للفائدة ، انظر (حاشية الحطاب على الرسالة) فقد أطال في المسألة ، ونقل كلام ابن عبد البر في (التمهيد) والقرطبي والزناتي والجزولي وصاحب المدخل وغيرهم ، وممن أنكر حلق الرأس للتوبة أبـو الحسن الصغير في تأليفه الشهير لكن في جملة أمور يجعلها أقوام من مؤكد أعمالهم وأركان توبتهم وشعار طريقتهم مـع المخالفة للسنة وقصد مجـرد الترؤس والاستتباع والطمع في الخلق والاستيناس بهم والادبار عن الحق ، والشيخ الذي أنكر عليه الشيخ الخروبي المشار إليه بقول صاحب (المرآة) بعض مشايخ الطائفة الجزولية هو سيدي أبو عمرو القسطلي المراكشي رضي الله عنه فيما بلغني أو أحد مَن أنكر عليه الخروبي ، ولعل ذلك كان في قدمة الخروبي الثانية إذ كانت له إلى المغرب قدمتان : الأولى فـي أيام السلطان أحمد بن محمد الوطاسي المريني ، والآخرة في أيام السلطان محمد الشيخ سفيراً بينه وبين سلطان الترك سليمان شاه صاحب القسطنطينية العظمى ،

وذلك سنة تسع وخمسين وتسعمئة ، وبلغني أن أحمد بن عبد الله بو مَحَلّي له كلام في الرد على الخروبي ، والمدافعة عن شيخ شيخه سيدي أبي عمرو ، ثم طالعت كلامه في ذلك والله أعلم بالمقاصد والنيات ، والموفق بمنه للصواب.

وفي (دوحة الناشر) لمحمد ابن عسكر السريفي الشفشاوني عن شيخه سيدي عبد الله بن محمد الهبطي : كان الشيخ القطب محمد الجزولي يربي أصحابه بقصيدة الشيخ أبي الحجاج الضرير في أصول الدين ، وكان الشيخ عبد العزيز التباع يربى أصحابه بالمباحث الأصلية للشيخ العارف ابن البنا السرقسطي ، وكان سيدي عبد الله الغزواني يربي أصحابه بقصيدة الشيخ الشريشي وكنت أنا أقرؤها عليه ، وكان يصورها له ، انتهى .

وعلى ذكر ما كان يربي به الشيخ الغزواني ، قال الشيخ القصار : كان سلوك الشيخ الغزواني بسورة طه حتى توفي وهي في لوحه ، انتهى .

وذكر في مناقب أبي يعقوب البادسي : أن سيدي عبد الله الغزواني كان يقرأ في اللوح الواحد خمسة أشهر أو ستة أشهر ، وكل مرة يمر به يرقى إلى مقام المعرفة . انتهى .

وطريقة الشيخ صاحب الترجمة رضي الله عنه شاذلية ، ويقال إنه ورث القطبانية بهذه البلاد وغلبة حال الغنى بالله وظهور الكرامات وانطلاق اللسان بالدعوى من غير توقف ولا احتشام ، كما أشار إليه الشيخ زروق رضي الله عنه في قواعده شأن عامة متأخري الشاذلية رضي الله عنهم ، ومن ذلك الاشارة للقطابة والخلافة والوراثة ونحو ذلك .

وقال الشيخ علي بن محمد صالح الأندلسي في تأليف له ليس في الوجود أعلا من طريقتين : طريقة سيدي عبد القادر الجيلاني، وطريقة سيدي أبى الحسن الشاذلي تداركنا الله برضاهما آمين .

ثم قال : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم شيخ مولانا علي ومولانا علي شيخ الطريقة الشاذلية ، وهي طريقة شيخنا سيدي محمد بن سليمان الجزولي تداركنا الله برضاه ، فاتصلت إليه بصحة التواتر خلف عن سلف

إلى زمانه ومنه إلى سيدي ، ومن سيدي إلينا ، ومنا إلى من شاء الله إلى قيام الساعة ، وقال أيضاً : وقد تكلم على السر الرباني والعلم اللدني والنور النبوي أو نحو هذا مما اندثر من أول الكلام ، وأظهره الله في الوجود على طريقتين : طريقة سيدي عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه ، وطريقة سيدي أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه وأظهر دوامه إلى الآن على طريقة سيدي محمد بن سليمان الجزولي رضي الله عنه وأمدأده من الطريقة الشاذلية ، انتهى .

واختلفوا من أي طريق يتصل بالشيخ الشاذلي رضي الله عنه فقيل إن سيدي محمد أمغار المذكور أخذ عن سيدي سعيد الهرتناني عن سيدي عبد الرحمان الرجراجي ، وأقام بحرم الله عشرين سنة عن سيدي أبي الفضل الهندي ، عن سيدي عنوس البدوي راعي الابل ، عن الامام أحمد القرافي ، عن أبي عبد الله المغربي ، عن الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنهم وهو الذي بخط سيدي علي صالح شيخ الجماعة التباعية بفاس ، وهو الذي مشى عليه الشيخ جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان بن يوسف الوزروالي في نظمه المشهور ، وذكره ابن عسكر في (دوحة الناشر) عن شيخه الولي يوسف بن عيسى الشريف الفجيجي ، وهو من أصحاب الشيخ الغزواني ، والشيخ أبو عيسى ، والحطاب المكي وغيرهم ، وعن الحافظ الراوية أحمد بن محمد العبادي التلمساني باجازة أبيه له في ذلك ، وذكر عن شيخه أبي الحجاج الفجيجي أن الشيخ القرافي المذكور في (السلسلة) أخذ عن الشيخ أحمد المرسي أيضاً ، ثم قال : لكن أكثر ما ينتهي السند إلى الشيخ عبد الرحمان المدني وذكر لي السيد أحمد بن عبد الرحمان الشريف وغيره : أن الفقيه الخطيب أبا علي حرزوز المكناسي نقل للشيخ سعيد بن أبي بكر الرجراجي هذه السلسلة النورانية من خزانة السلطان أحمد الوطاسي وقد أهديت إليه من الديار المصرية ، وفيها أن الشيخ عبد الرحمان المدني أخذها عن تقي الدين الصوفي المعروف بالفتي بالتصغير ، كان سمى نفسه بذلك احتقاراً لها ، ثم ذكر باقي السند كما في (النبذة المفيدة) ، والسند المذكور

- أعني سند الشيخ الجزولي - إلى الشيخ الشاذلي هو الذي وجدت عند أتباع سيدي محمد بن عمر المختاري أيضاً ، وهو الذي عند الشيخ أحمد بن أبي القاسم الصومعي على ما نقل عنه ، وقال الشيخ أحمد ابن الشيخ سيدي يوسف الفاسي : هكذا رأيت هذا السند عند فقراء العصر وشيوخهم الذين هم في معد أشياخنا وأشياخ أشياخنا ، كالشيخ أبي الحسن علي بن محمد صالح الأندلسي فيما رأيته بخطه ، إلا أنه قال عن الامام القرافي ولم يسمه ولم أر عندهم غيره ، ولست أعرف من هؤلاء الشيوخ أحداً سوى الشيخ محمد أمغار ، فلم نزل نسمع أنه لقيه الشيخ أبو عبد الله الجزولي ببلاد دكالة وأنه أخذ عنه ، وكثيراً ما يذكره باسم الشيخ في بعض ما جمع عنه من الكلام والمناقب ، وأما الامام القرافي فلا أعلم هل هو العالم المتبحر صاحب الذخيرة، والقواعد ، وشرح الأربعين ، وشرح المحصول وغيرها ؟ والتاريخ يقبله إن كان هو المراد ، وأما المغربي فلم نجد له ذكراً في (لطائف المنن) ، ولا في كتاب ابن االصباغ ، وكتاب السيد الشريف أبي محمد عبد النور ، ولا شك أنهم لم يستوفوا ذكر أصحاب الشيخ أبي الحسن ، وقد تخرج به في المغرب رجال من الصديقين والأولياء ، ثم رحل إلى مصر وأخذ عنه عالم من الناس ، وقال رضي الله عنه رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي : ياعلي انتقل إلى الديار المصرية تربِّ بها أربعين صديقاً ، ولم يذكرهم . انتهى .

وفي (دوحة الناشر) أن عبد الرحمان الرجراجي المذكور في السلسلة هو المعروف عند العامة بأبي زيد والياس ، وقبره بواد شوشاوه ، وقد انتهى مقامه إلى القطبانية انتهى .

وقوله أبو زيد والياس -أي ابن الياس - فان من لغة أهل تلك البلاد جعل الواو مكان لفظة ابن فيقولون في محمد بن أحمد ، محمد واحمد . وفي أحمد بن علي ، أحمد وعلي . وهكذا ، والذي عند سيدي عبد الله الغزواني في جواب له نظماً ونثراً أن الشيخ الجزولي رضي الله عنه أخذ عن سيدي عبد

العزيز العجمي بالجامع الأزهر من مصر عن الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه ، ولا مانع من أن يتصل به من كلا الطريقين لكن قال صاحب (المرآة) : إن التاريخ يأبى أن تكون الواسطة بينهما رجلا واحداً ، فان الشيخ الجزولي توفي سنة سبعين وثمانمئة ، والشيخ الشاذلي توفي سنة ست وخمسين وستمئة ، وقال أخوه الشيخ أحمد ابن أبي المحاسن هذه الطريق لا تخلو من انقطاع لبعد ما بين العجمي والشاذلي ، وقال عمهما الشيخ الامام العارف بالله عبد الرحمان بن محمد رضي الله عنه بعد كتبه كلام الشيخ الغزواني في طرة على كلام المرابي الآتي ، يعني انه اتصل به بلا شك من غير تكلف تعيين طريق ذلك ، وعلى هذا يتنزل كلام ابن عطاء الله المسوق هنا من كتاب (اللطائف) له والله أعلم انتهى .

وقد قال أحمد بن موسى المرابي في كتابه (تحفة الاخوان ، ومواهب الامتنان) بعد أن ذكر الشيخ الغزواني ، وشيخه سيدي عبد العزيز ، وشيخه سيدي محمد بن سليمان اعلم أنا لا نشك في تحقق نسبة هؤلاء الأئمة إلى الامام الشاذلي وطريقته، بل نقطع بذلك قطعاً لا تصور معه لريب أصلا، إنما خفي علينا أعيان الأشياخ بعد وكيفية الاتصال به، لكن ليس هذا الخفاء بالذي يوجب تغييراً في مذهب أو تكديراً لمشرب ، وسأتلو عليك في هذا نبأ يسهل عليك من خطبه، ويجلو عليك نقاب ريبه ، ثم نقل قول الشيخ ابن عطاء الله في (لطائف المنن) أن طريقة الشيخ أبي الحسن تنسب إلى الشيخ سيدي عبد السلام ابن مشيش عن الشيخ عبد الرحمان المدني ، ثم واحد عن واحد إلى الحسن بن علي رضي الله عنهما ، ثم قوله عن شيخه سيدي أبي العباس طريقتنا هذه لا تنسب للمشارقة ولا للمغاربة إلى آخر كلامه ، فكتب عليه سيدي عبد الرحمان كلام سيدي عبد الله الغزواني حسبما في جوابه للشيخ ناصر الدين اللقاني ، ثم قال : يعني انه اتصل به بلا شك الكلام السابق ، وللشيخ رضي الله عنه كلام كثير في الطريق فمنه قوله من شرط التائب أن يقتدي بشيخ عالم بالظاهر والباطن وينتهى عما كان يفعل من الشر ، ويفعل الخير ما أستطاع منه بقدر الاجتهاد ، ويهجر الفجار ، ويحب الأخيار ، ويتبع سنة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، ويوالي أولياء الله ، ويعادي أعداء الله تعالى ، ويداوم على ذكر

الله تعالى والصلاة على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، ولا يبغض أحداً من أهل الايمان ، ولا يترك الصلاة في أوقاتها ، ولا يفسد العمل بالرياء ، ولا يتكبر ولا يتجبر ، ولا يعجب بنفسه في أعماله وأقواله وأفعاله ، ويكون كلامه حكمة وصمته تفكراً ونظره اعتبارا ، وفرحه بالله وبأوليائه وبأنبيائه ، وحزنه على نفسه وما يصدر منها، ولا يكون لأمّاً ولا بهاتاً ولا محباً في المال ، ويحب أهل الخير ويصاحبهم ، ويجتنب أهل الشر ويجانبهم ، ويحب المساكين والفقراء ، ويكون منهم ويتعلم العلم الذي يقربه إلى الله سبحانه فأول العلوم النافعة العلم بالله وبصفاته ، ثم العلم بأحكام الله وبأمره ، ثم العلم بآفات الأرواح ، ثم العلم بآفات الأسرار ، ثم العلم بآفات النظر ، ثم العلم بآداب المجالسة ، ثم العلم بآداب المراقبة ، ثم العلم بآداب المشاهدة ، ثم العلم بآداب المحادثة ، ثم العلم بآداب المكالمة ، ثم العلم بآداب الاستماع ، ثم العلم بآداب الالهام ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

ومن كلامه أيضاً رضي الله عنه قوله: لا تشتغلوا بالنفوس ولا بالقلوب، ولكن اشتغلوا بتعظيم علام الغيوب أي لا تقصدوا بعبادتكم مخالفة النفوس ، ولا تصفية القلوب ، فاذا اشتغلتم بذلك كان معبودكم مقصودكم ، والدليل على ذلك قوله تعالى : « وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون » ، لأن كل من اشتغل بمخالفة نفسه أو تصفية قلبه فليس بعابد لله تعالى ، وهذا الشرح لكلام الشيخ رضي الله عنه يحتمل أنه من كلامه أو من كلام بعض أصحابه رضي الله عنهم لأني وجدته مذكوراً مع كلامه فيما قيد عنه ، ومن كلامه أيضاً رضي عنه أن للتوبة تسع علامات وهي : الحسرة ، والندامة ، والانابة ، والخشوع ، والتواضع ، والابتهال ، والمداومة على الذكر ، والرضى بالقضاء، وحسن الظن بالمولى . وقال أيضاً رضي الله عنه : أيها المريد اعلم أن سبعة تقطع عن الارتقاء بالتوبة ، وهي الحقد ، والحسد ، والعجب ، والرياء ، والكبر، وحب المحمدة ، ولذة الرياسة . واعلم أن من كان في قلبه ثلاثة أمور وهو يدعو إلى الله بالتوبة فهو زنديق : الافتخار بالعلم ، وسوء الخلق ، وسوء الظن بالخلق . وقال أيضاً رضي الله عنه : الأولياء يحسنون الظن بعباد الله ، وعامة العلماء يسيؤون الظن بعباد الله ، العامة ينظرون إلى ظلمة أنفسهم المائلة إلى

الشهوات الشيطانية ، فحجبهم ذلك عن شهود المخصوصين المختارين المجذوبين بتأديب الله وإحسانه ، فمثلهم كمثل رجل أصبح أعمى العينين وهو يحسب ظلام الليل ، وقال أيضاً رضي الله عنه الشيخ الواصل : حبل الله في أرضه فمن تعلق به وصل ، وأما غير الواصلين فمن تعلق به انقطع ، والواصل الذي يأخذ العلم من الله بلا واسطة ، ثم قال : والمقطوع هو الذي سلك طريق المجاهدة ولم يصل إلى طريق المشاهدة فرجع إلى الخلق يدعوهم إلى الله ، فدعاؤه على الحقيقة انما هو للمجاهدة فقط ، لأنه لم يصل إلى المشاهدة ، والواصل الذي وصل إلى مقام المشاهدة وغاب في أنوار الكمال ولم يشغله شيء عن الملك الحق ، وهو الذي إن رجع إلى الخلق رجع بأنوار وعلوم وأحكام من تبعه تعلم وتنور وفهم ما لم يفهم غيره من اتباع المقطوعين ، وقال أيضاً رضي الله عنه : ليس كل داع وجب اتباعه ، والداعي على الحقيقة هو الذي يدعو إلى الله على بصيرة قال الله تعالى : « قل هذه سبيلي أدعو إلى الله ، على بصيرة » أي معاينة ، وقال تعالى : « واتبع سبيل من أناب إلي » ، وقال تعالى في حق المقطوعين : « ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون » وهم كثيرون والذين يعلمون قليلون ، وقال أيضاً رضي الله عنه اكتبوا ما سمعتم مني فاني واسطة بينكم وبين الحق ، الحق يلهم والعبد يفهم ، من ألهم إلى الصواب وجب عليه النطق لأن فيه منفعة الغير،وقال أيضاً رضي الله عنه:قلت لربي إلاهي خصصتني بسرك ولولا كرمك وفضلك ما نلته ، ولولا حلمك لهلكت بافشائه، فقيل له : السر سري والكرم كرمي والفضل فضلي والحلم حلمي ياعبدي أمرتك بافشائه ، قلت : يارب ما الحكمة في افشائه ؟ فقيل لي : الحكمة في افشائه إظهار قدرتي رغماً على أنوف المتكبرين ، وبشارة لقلوب السالكين ، وانساً لقلوب الواصلين ، وقال أيضاً رضي الله عنه : أيا مَن تحلى بكثرة الحلل وكثرة الحكم فعليك بذكره لا إلاه إلا الله أيها المريد احذف الألف واللام تجد لذة عبادتك، وتشاهد ربك، احذف الألف واللام، فاذا حذفته كنت من أهل اليقين ومن أهل الشهود ، إذا رميت بلام النفي وراء ظهرك أثبتت لله الصفة الكاملة ، وإذا رميت بها الوجود دخلت في الصفة الكاملة فاذا قلت : لا إلاه اجتمع الوجود كله في هذه الهاء ، وإذا قلت : إلا الله طلعت من أعلا الموجودات

إلى دنو الرب قال الله العظيم : « ثم دنا فتدلى » ، فاذا قلت لا إلاه كنت فانياً عن جميع الموجودات وإذا قلت إلا الله كنت باقياً ببقاء ربك ، فاذا قلت لا إلاه رفعت الهمة الأولى إلى الرب ، وإذا قلت إلا الله غابت صفاتك بصفاته وتحلت ذاتك بذاته فكنت فانيا عما سواه فاذا قلت لا إلاه كنت متحيراً بوجودك لا تدري أين تمشي ولا أين تمضي ، فاذا كنت على هذه الصفة أثبتت الصفة القديمة لله ، وإذا أثبتت له الصفة القديمة فتقول إلا الله ، فاذا قلت لا إلاه نظرت إلى الوجود بعين الفناء ، وإذا قلت إلا الله نظرت إلى الله بعين البقاء فيكون ذكرك مستوياً مع قلبك ، الجسم للفناء ، والقلب للبقاء ، والقلب للفناء، والسر للبقاء ، والسر للفناء ، والرب للبقاء كان الله في تجلياته محيطاً بجميع الاشياء استنارت قلوب العارفين بنوره وانسهم بقربه ، أيها المريد فعليك بقربه يامسكين تكن حياً أبداً، انتهى. فقال سيدي عبد الرحمان بن محمد الفاسي على قوله أوله: أيامَن تحلَّى بكثرة الحلل الخ ، في هذا الكلام الترقية من حال الأبرار إلى حالة المقربين ، فان الابرار مطلبهم ما عند الله ، ومطلب المقربين الله لا غيره ، وقال على قوله بعده : أيها المريد احذف الألف واللام الخ ، أشار بحذف الألف واللام للفناء فانه السبيل إلى المشاهدة وذلك حاصل من النفي للشعور بغير الله وعند ذلك يشاهد الله كما في إشارة إن لم تكن تراه ، لكن الألف واللام متجه حذفه في اسم الجلالة ، وأما الهيللة فالمتجه التعبير بحذف لام الألف والاشارة بالحذف إلى كون الذاكر هو المذكور بورود مادة الحق على القلب فيمتحي العبد وكسبه ويكون الله ذاكراً لنفسه ، وتلك موهبة محضة قد انطوى فيها وانحذف وجود العبد وكسبه ، لكن ان بقي مع ذلك شعور بالوارد كان العبد من أهل اليقين والمشاهدة ولم يكن من أهل الاستغراق حتى يفنى عن الشعور بالكلية فحينئذ يكون إما من أهل الجمع المطلق والاتحاد المحقق ، أو من أهل البقاء إذا مد بسره فيكون ذاكراً ربه بربه من غير شعور بوجوده ولا بكسبه ، وإنما يجرى ذلك عليه ، وإلى هذا كله يشير كلامه بعد فانظره فان ما بعده يشير إلى شرح ما قبله ، انتهى .

وقال الشيخ أيضاً رضي الله عنه عن ربه تعالى : ياعبدي لا تستكثر ما أعطيتك من حديثي وكلامي وقد كلمتك في الأزل قبل وجودك ، وجددت لك الفهم بعد وجودك ، ونورت قلبك قبل وجودك ، وطهرت سرك بعد وجودك ، وأطلعتك على مكنون علمي ، وشرفتك على خصوص خلقي ، وألهمتك الاستماع مني ، وحكمتك على خيار خلقي ، ومعط لك غاية السر ياعبدي العلماء كلهم في قبضتك .

وقال أيضاً رضي الله عنه عن ربه عز وجل : ياعبدي استضاء نورك بنوري وعلمك بعلمي فقلت : يارب ما نوري ؟ فقال لي : نورك عقلك ونوري إلهامي ، فقلت : يارب وما علمي وما علمك ؟ فقيل لي : علمك فهمك وعلمي امدادي ، وقال أيضاً رضي الله عنه : قل للعلماء طوبى لكم ان كنتم مخلصين ، لا ينفع عمل بلا إخلاص ، وقال أيضاً رضي الله عنه : العارفون بالله أقوام أصلحوا فلما أصلحوا أخلصوا ، فلما أخلصوا قربوا ، فلما قربوا دخلوا ، فلما دخلوا نزلوا واستقروا ، فلما استقروا تمكنوا وطلبوا ، فلما طلبوا وجدوا، فلما وجدوا شاهدوا ، فلما شاهدوا دهشوا ، فلما دهشوا طاشوا ، فلما طاشوا ماتوا ، فلما ماتوا فاتوا ، فلما فاتوا عاشوا ، فلما عاشوا تكلموا مع الحي الذي لا يموت ، فلما تكلموا استأنسوا فهذه صفة العارفين الشاربين المحبة والمكاشفة المقربة على بساط الانس والمشاهدة في السالك والمجذوب .

وقال رضي الله عنه : الأولياء يستفتون قلوبهم ولهم علامة بينهم وبين ربهم ولا يأكلون إلا ما أقبلت عليه قلوبهم ، وإذا علم الله منهم الاضطرار فجائز أن يزين لهم طعاماً فيدخلون عليه بحسن اليقين ، وقال أيضاً رضي الله عنه قيل لي قل للمريدين لاتذنبوا بالاسرار ، فقلت : وما ذنب الأسرار ؟ فقيل : الالتفات ، فقلت : الالتفات عمن ، فقيل : الالتفات عنك ، وقال أيضاً رضي الله عنه : قيل لي ياعبدي حرض أصحابك من لم يفتح له على يديك لم يفتح عليه أبـــداً .

وقال أيضاً رضي الله عنه : آداب المريد مع شيخه عشرون : خمسة منها في حال الجلوس ، وخمسة في حال الغيبة عنـــه ، وخمسة في حال ذكـره ،

وخمسة في حال محبته ، فأما الخمسة التي في حال الجلوس فهي : السكينة والوقار ، والهيبة ، والحياء ، والخوف . والخمسة التي في حال الغيبة عنه فهي : المراقبة نحوه ، والافتقار إليه ، والتواضع ، والاستمساك بعنايته ، والمداومة على ذكر فضائله في قلبه بالتعظيم . والخمسة التي في حال ذكره فهي : النظر إليه ، والرجاء فيه ، والاستنصار ببركته ، والنظر فيما بينك وبينه من العقيدة . والخمسة التي في حال المحبة فهي : مداومة الحب ، ومداومة الشوق ، والحمى نحوه ، والهيج ، والاندهال من الاشتياق إليه ، فذلك كله يأتيك من جهة الشيخ ، وفي محل آخر بعد قوله : والحمى نحوه والهيج لديه والهز من الاشتياق .

وقال أيضاً رضي الله عنه : من تأدب مع شيخه تأدب مع ربه ، وحرمة الشيخ على المريدين كحرمة النبي صلى الله عليه وسلم مع الأصحاب .

وقال أيضاً رضي الله عنه : ما أفلح من أفلح إلا بمجالسة من أفلح . ولا هلك من هلك إلا بمجالسة من هلك ، وقال أيضاً رضي الله عنه : يريدون الياقوت بأضرب الحديد ، يريدون مقامات الرجال بأعمال الجهال ، يريدون أحوال الأبرار بأعمال الفجار .

وقال أيضاً رضي الله عنه : قيل لي قل للمريدين يتأدبوا بآداب السنة أن يقولوا عند القيام من المجالس : سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إلاه إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك ، وقال أيضاً رضي الله عنه : مخالطة العموم تذهب بنور القلوب وهيبة الوجه ، من مات على مخالطة العموم جاء يوم القيامة ووجهه كالقمر المخسوف لا نور له ، فليجتهد العاقل في مخالطة الخصوص ، وفي مخالطة الخصوص ثلاث خصال : اكتساب العلم ، وصفاء القلب ، وسلامة الصدور ، وقال أيضاً رضي الله عنه : اهربوا من مجالس الفجار ، مَن جلس مع الفجار قسا قلبه ، ومن جالس الأبرار استنار قلبه ، ومَن استنار قلبُه جال روحه .

وقـــال أيضاً رضي الله عنه : العلم دواء والجهل داء ، العلم ولايـــة والجهل عداوة ، العلم صفة المومنين والجهل صفة الكافرين .

وقال أيضاً رضي الله عنه : ياطالب الولاية بالصدق والرعاية ، الصدق مع الله نور ، والمعرفة برهان، والالتفات إلى غيره بهتان، وضياع حقوقه حرمان، والغفلة عن ذكره خسران .

وقـــال أيضاً رضـــي الله عنه : القلـــوب جنة ، والأذكار أشجـــار ، ومعرفة معاني الاسماء مـــاء ، ومشاهدة الجـــلال والجمـــال والكمال ثمـــار ، وسماع الحديث والكلام ثمار في ثمار . وقال أيضاً رضي الله عنه : لكل ذكر فكر ، ولكل فكر نور ، ولكل نور سر ، ولكل سر عبادة ، ولكل عبادة حضور ، ولكل حضور شهود ، ولكل شهود هيبة ، ولكل هيبة تعظيم ، ولكل تعظيـــم تنزيه ، ولكل تنزيه تحميد ، ولكل تحميد تقريب ، ولكل تقريب حديث ، ولكل حديث فهم ، ولكل فهم لذة ، ولكل لذة شوق ومن لم يسلك هذه المقامات فعليه بمجالسة أهلها .

وقـــال أيضاً رضي الله عنـــه وقد سأله رجـــل : ياسيدي مـــن أي شيء يأتينا الوسواس ؟ فقال له يأتيك من جهة الشيطان ، والشيطان يأتيك من جهـــة الجهل ، والجهل يأتيك من قلة التعليم ، وقلة التعليم تأتيك مـــن جهة الكبر ، والكبر يأتيك من جهة العجب ، والعجب يأتيك من جهة الرياسة ، والرياسة تأتيك من جهة الطمع ، والطمع يأتيك من جهة الحصر ، والحصر يأتيك من حب الدنيا ، وحب الدنيا يأتيك من طول الأمل ، وطول الأمل يأتيك من جهة الغفلة ، والغفلة تأتيك من ظلمة القلب ، وظلمة القلب تأتيك من قلة الذكر ، وقلة الذكر تأتيك من قلة التفكير ، وقلة التفكير تأتيك من كثـــرة السهو ، وكثرة السهو تأتيك من مصاحبة أهل اللهو ، ومصاحبة أهل اللهو

تأتيك من جهة الحمق ، والحمق يأتيك من قلة العقل ، قال تعالى : « لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل » .

وقال أيضاً رضي الله عنه : الوسواس يأتيك من مجالسة أهل السوء .

وقال أيضاً رضي الله عنه : في الكلب عشر خصال محمودة ينبغي أن تكون في المريد الصادق أولها : لا ينام من الليل إلا قليلا ،
محمودة ينبغي أن تكون في المريد الصادق أولها : لا ينام من الليل إلا قليلا ،
وذلك من علامة المحبين ، والثانية لا يشتكي من حر ولا برد وذلك من علامة الصابرين ، والثالثة إذا مات لم يترك بعده ما يورث عنه وذلك من علامة الزاهدين ، والرابعة لا يغضب ولا يحقد وذلك من علامة المومنين ، والخامسة لا يخزن خزيناً ولا يحتمل عريناً وذلك من علامة الموقنين ، والسادسة إذا أعطي شيئاً أكله وقنع، وذلك من علامة القانعين، والسابعة ليس له موضع معلوم يأوى إليه وذلك من علامة السائحين ، والثامنة أي موضع وجد نام فيه وذلك من علامة الراضين ، والتاسعة اذا عرف مولاه لم ينكره وان ضربه وجوعه وذلك من علامة العارفين ، والعاشرة لا يزال جائعاً وذلك من علامة الصالحين إلى غير هذا مما جمع عنه رضي الله عنه ونفعنا به .

وله أيضاً رضي الله عنه حزبه المعروف بحزب الجزولي المسمى بـ (حزب سبحان الدائم لا يزول) وذلك أوله وكذا ما قبله العزيز ذو الجلال إلى آخر الكلمات المقرونة بكلمة الشهادة وآخر كلامه وجمع المؤمنين ، وأما ما بعده من قوله أهل المجد والتعظيم إلى قوله ثم نختم بالسلام على النبي الشفيع ، فمن كلام كبير تلامذته سيدي محمد بن العمري المعروف بالصغير السهلي وقوله بركة الخضر ياإلاهي إلى تمام ذكر اسم الجلالة أصله من كلام تلميذه أيضاً الشيخ أحمد بن عمر الحارثي ، وأقرهم الشيخ على قراءته مع زيادات لغيره في ذلك التوسل ، ومَن يقرأه من أتباع الشيخ وغيرهم يقرأه

بزيادة الشيخين وغيرهما والحزب برمته من شعار أتباع الشيخ والمنتسبين إليه ووظائفهم وأورادهم يقرؤونه بعد صلاة الصبح ، وله صولة ظاهرة وقوة باهرة وبركة واضحة ، وتحصين عظيم من الآفات العارضة .

وقال في (مرآة المحسن) : وسمعت قديماً أنه لما كان السلطان محمد الشيخ ماهد دولة الشرفاء يتوهم من مشايخ الفقراء لدخوله للملك من بابهم ، عزم خديمُه علي الجرماطي على أخذ زاوية سيدي علي اللهبي أحد الطائفة الجزولية من أصحاب سيدي عمر الحصيني فجاء ليلا في خيله ، فلما قصد الحلة وجد بينه وبينها سوراً فدار به فلم يجد له باباً فرجع ، فلما شاعت القصة وبلغت سيدي علي اللهبي قال : ما عندي سور إلا حزب الجزولي يعني هذا أو مضموماً لحزب الفلاح ، أما حزب فلان بمعنى أصحابه وجماعته فقليل الاستعمال في العرف العام انتهى .

وقوله لدخوله للملك من بابهم قال في (دوحة الناشر) في ترجمة الشيخ العلامة الولي الجليل عبد الله بن عمر المدغري من أصحاب الشيخ زروق والشيخ عبد العزيز القسنطيني ،وكان السلطان محمد الشيخ وأخوه أحمد من تلامذته ، وبسببه كانت دعوتهما ، حدثني الوزير المعظم محمد بن الأمير عبد القادر بن السلطان محمد الشيخ الشريف قال : لما غدرت قبيلة المنابهة بجدي السلطان المذكور وأنجاه الله من غدرتهم عرف الشيخ عبد الله بذلك ، فكتب إليه وهو يقول أين أنت من قول أبي الطيب المتنبي :

غاض الوفاء فما تلقاه في أحد وأعوز الصدقُ في الأخبار والقسم

فعكف السلطان على حفظ ديوان المتنبي حتى علق بحفظه كله ، ولم يعزب عنه بيت واحد .

وذكر أيضاً في ترجمة الشيخ المشار إليه بالولاية الكبرى والخصوصية العظمى، محمد بن المبارك من أحواز رباط ماسة من قبائل المصامدة الذي أمر قبائل السوس بالانقياد إلى السلطانين الشريفين أحمد وأخيه

الشيخ ، وأمرهما بالعدل والجهاد في سبيل الله تعالى لما رأى النصارى تغلبوا على سواحل تلك البلاد ، فكان من أمرهما ما هو معلوم .

وقال في ترجمة الشيخ عبد الكريم الفلاح وكان السلطان أحمد بن محمد الشريف وأخوه محمد الشيـــخ يأتيان إلى زيارته بزاويتـــه ، انتهى .

وفي نسخة من الحزب المذكور قال كاتبها بعد نسبة الحزب للشيـــخ قال : وما واظب عليه إلا ولي ومبارك وكأن القائل هو الشيخ ، وقال الشيخ الامام أحمد ابن الشيخ الامام العارف بالله يوسف الفاسي ، والشيخ الامام أبو الطيب الحسن بن يوسف بن مهدي الزياتي فيما وجدت بخطهما : يحكى أن الشيخ رضي الله عنه ألف الحزب لأهل داره وعياله يقرأونه في الدار ، وهـــو الظاهر لمن تأمل كلامه فيه ، فانه كثيراً ما فيه من اعطاء الوصل حكم الوقف ، وكثيراً يعبر فيه بلغة الوقت ولسان العصر من قوله : ياقريب يامجيب جـــب دعانا بفضلك وغير ذلك ، وكثيراً ما فيه أيضاً من الألفاظ بحسب ما يليـــق بالنوع الذي هو منه من أنواع الطبوع كقوله في بعض الفواصل قدم ، وفي أخرى عزز ، وفي أخرى ذلل، وفي أخرى عظم إلى غير ذلك مما مد فيه المقصور أو قصر فيه الممدود ، أو سكن المتحرك ، أو حرك الساكن ، وبهذا يظهر لك وجه صنعه رضي الله عنه والله الموفق بمنه .

زاد أبو العباس ومع هذا فما رأينا أحداً واظب على قراءته إلا وجد له بركة ونوراً في قلبه، انتهى .

ومما وجدته بخط الشيخ أبي العباس من الكلام على هذا الحزب أن قال : عادة الذين يقرأون هذا الذكر ، يعنى العزيز ذو الجلال الخ ، وما بعده من الحزب أن تقرأ الطائفة جملة ، ثم ترد عليها طائفة أخرى ، قال : ولهذا فصلنا بين كل جملة بحرف الباء بالقلم الهندي التي هي علامة على اثنين ، أنتهـــى .

وانما كانت قراءته كما ذكر لأنه موضوع على مراعاة الطبوع والألحان والأوزان كما تقدمت الاشارة إليه ، وقد سبقه إلى وضع الحزب على مراعاة ما ذكر الشيخ القطب سيدي علي بن وفا رضي الله عنه قال في (المواهب

اللدنية) في آخر كلامه على السماع آخر المقصد التاسع : فزبدة السماع تلطيف السر ، ومن ثم وضع العارف الكبير سيدي علي الوفوي حزبه المشهور على الألحان والأوزان اللطيفة تنشيطاً لقلـوب المريدين وترويحاً لأسـرار السالكين ، فان النفس كما قدمناه لها حظ مـن الألحان ، فاذا قبلت هـذه الواردات السنية الفائضة من الموارد النبوية المحمدية بهذه النغمات الفائقة ، والأوزان الرائقة تشربتها العروق وأخذ كل عضو نصيبه من ذلك المدد الوفي المحمدي ، فاثمرت شجرة خطاب الأزل بما سقيته من موارد هذه اللطائف عوارف العوارف ، انتهى .

وفي (مفتاح الفلاح) وان كان الذاكرون جماعة فالأولى في حقهم رفع الصوت بطريقة واحدة موزونة ، ثم ذكر أن ذلك أكثر تأثيراً وأشد قوة في رفعالحجب عن القلب من ذكر واحد وحده ، انتهى .

وقال الشيخ أبو عبد الله الزواوي صاحب كتاب (عنوان أهل السر المصون) عند كلامه على آداب الذكر : الثاني والعشرون أن يستمع بعضهم من بعض في الذكر ، فان كان الشيخ فبغنته ينطقون كلهم، وان لم يكن فبغنة أحسنهم صوتاً ويحتفظون على ذلك جداً حتى يكون صوتهم كأنه من لهاة واحدة يخرج، فان ذلك له أثر في القلوب وتزيين الصوت بالذكر من السنة ، انتهى .

وبخط الشيخ أبي العباس أيضاً قوله : حضير إما أن يقال فيه ما ذكرنا أول الحزب وهو الظاهر ، يعني من كونه ألفه لأهل داره وعياله إلى آخر ما تقدم ، وإما أن يقال عدل عن صيغة فاعل المقيسة في حضر ، وبابه إلى صيغة فعيل لقصد المبالغة المنبىء عنها فعيل لا يقال انما يحسن ذلك فيما يقبل التفاوت نحو حافظ وحفيظ وعالم وعليم ، وأما الحضور ونحوه فلا تفاوت فيه لأنا نقول المراد من المبالغة دوام الحضور ، كل وقت وقت ، ولحظة لحظة، وهذا لا يؤخذ من قولك حاضر ، لأن فاعل للعروض والتجدد كثيراً ، وأيضاً صيغة المبالغة ينساق الذهن بها لا ستحضار قيوميته وحياطته المؤذنين للانتباه واليقظة المفضيتين إلى انتحال الخيرات وارتكاب القربات ، فيحصل بذلك المراد ما لا يحصل من الصيغة الأصلية والله أعلم بالصواب . انتهى .

وقال الشيخ أبو العباس والشيخ أبو الطيب أيضاً قوله يعلم جهلنا هكذا هو وغيره اصلاح ، وفيه معنى لطيف رائق فانه ينبىء عن قوة جهلنا وتراكمه ، وذلك هو اللائق بنا بيان ذلك أنه جعل جهلنا موصوفاً بالجهل بقرينة إضافة التعليم إليه ، ففيه مجاز عقلي مكنى ، إذا المجاز العقلي قسمان صريح كقوله جهل جاهل ، وشعر شاعر ، وكناية كقولك سل الهموم فانه مجاز عقلي حيث جعل الهموم مخزونة بقرينة إضافة التسلية إليها ، وقول الشيخ ان يعلم جهلنا من قبيل سل الهموم ، فانه جعل الجهل جاهلا بدليل إضافة التعليم إليه ، وهذا مطروق عند أرباب المعاني والله الموفق بمنه انتهى .

وقد رأيت فيما مضى على هذا الحزب شرحاً للشيخ سيدي عبد الوارث اليالصوتي رضي الله عنه ، وللشيخ أيضاً رضي الله عنه حزب الفلاح الذي أوله : « الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً » الآية ، قال في (المرآة) : والتزمه أتباعه ، وشاع عند غيرهم كثيراً، انتهى، وأخبرت أن عليه شرحاً جليلا ممتعاً للشيخ أحمد بن أبي القاسم الزمراني التادلى الصومعي رحمه الله، وهو أعني الحزب مجموع آيات وأذكار لها فضائل ونفع ودفع، وردت بها أحاديث وآثار ، وقوله فيه أفضل ما هو أهله هو الثابت في الحزب ، وكذلك تلقته الطائفة الجزولية وثبت بخط الشيخ سعيد الدكالي اليرزقي من أصحاب الشيخ ، وأنكره بعض الناس بأن هذا حديث ولم تثبت لفظة أفضل فيه ، وبأن معناه أفضل مما هو أهله لأنه على معنى من ، ولا يجوز أن يسأل له أفضل مما هو أهله ، وقد نادى الناس عليه بالنكير ، منهم الشيخ الامام المقريء الخطيب ، مفتي مراكش محمد بن الأستاذ يوسف الترغي ، والشيخ أبو الطيب الحسن بن مهدي الزياتي ، والشيخ عبد الرحمان بن محمد الفاسي ، والشيخ أحمد بن الشيخ أبي المحاسن الفاسي ، وشيخ جماعتهم الامام محمد القصار وغيرهم ، ونقل في (مرآة المحاسن) شئياً من كلامهم ، وزاد المسألة إيضاحاً وحاصل ذلك عدم تسليم أنه لم يرد لفظ أفضل في الحديث فقد ورد في حديث ضعيف ، والضعيف يعمل به في نحو هذا ، على أن مثل هذا من الكلام الواضح المعنى ، يكتفي بالاعتماد فيه على صحة معناه ووضوحه ، ولا يلزم الذاكر أو الداعي أو المصلي بنحو ما

ورد أن لا يزيد ، وقد زاد غير واحد من الصحابة ومن بعدهم ، والممنوع نسبة الزيادة له صلى الله عليه وسلم ، ولفظ أفضل هنا مضاف إلى معرفة لا إلى نكرة كما توهم ، ونظيره أعطى زيداً أحسن ثيابه عندك اذا كان له عندك ثلاثة أثواب متفاضلة ، أي أعطه الثوب الذي هو أحسن من كل ثوب من الثياب المذكورة ، قيس حسنه بحسن هذا الثوب المعطى ، وليس المراد أعطاه ثوباً أحسن من الثياب المذكورة فيكون رابعاً وهذا في غاية الوضوح لا يخفى على ذي فطرة سليمة ، وكتب الشيخ أبو العباس الفاسي ، والشيخ أبو الطيب الزياتي أيضاً على قوله : بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء الخ ، أي أعوذ بسم الله الذي لا يضر مع العوذ به شيء ، فبان أن لفظ اسم من قوله مع اسمه زائد كقوله : (إلى الحول ثم اسم السلام عليكم) البيت ، وان الهاء فيه عائدة على المصدر المفهوم من الفعل المطوي في صدر الكلام ملاحظاً معه معموله ، ولذا صرحنا به في قولنا مع العوذ به ، انتهى . وهذا على أن الموصول واقع على لفظ اسم واما على أنه واقع على الجلالة ، فالضمير في اسمه عائد على الجلالة ولا اشكال والله أعلم .

ومن دعائه رضي الله عنه اللهم امنن علينا بصفاء المعرفة، ووهب لنا صحيح المعاملة بيننا وبينك على السنة والجماعة وصدق التوكل عليك وحسن الظن بك ، وامنن علينا بكل ما يقربنا إليك مقروناً بالعفو في الدارين يارب العالمين .

انتهى كلام (الممتع) في ترجمة الشيخ رضي الله عنه .

والعجب من صاحب (جذوة الاقتباس) كيف لم يقف فيها على وفاة القطب الجزولي وقد قصر غاية التقصير في ترجمته ، وما كان ينبغي له ذلك قال فيها : محمد بن سليمان الجزولي الشريف الحسني دفين مركش : دخل مدينة فاس بقصد قراءة العلم وتحصيله ، وكان يسكن بمدرسة الحلفاويين وبها ألف كتابه المسمى بـ (دلائل الخيرات) ولم أقف على وفاته ، وقول سيدي المهدي في (الممتع) في ذكر سلسلة الأشياخ عن تقي الدين الصوفي

المعروف بالفُتي بالتصغير ، انتهى ، هكذا وجدته في نسختين منه الأولى بخط اليد ، والثانية بالطبع بالفتى بالمثناة بعد الفاء ، وكذلك في صحيفة 5 من (الدوحة) والمشهور بالفقير بالقاف بعد الفاء .

راجع ترجمته في (ترياق المحبين) ، وفي (شجرة الارشاد) ، وفي (الوظائف الاحمدية) ، و (أم البراهين) ، و (جلاء الصدور) لابن جلال ، و (تاريخ ابن حماد) ، وفي صحيفة 8 من (العقود الجوهرية) ، ثم وجدت صاحب (الممتع) ذكر في كتابه (تحفة أهل الصديقية) أن في (الدوحة) مكتوباً بالقلم المعروف بالفتى بالفاء مقدمة على التاء ، ثم قال : وضبط داعي الفلاح تقيا الفقير بفتح القاف معاً بالترجمة ، ونص على التصغير في اللفظتين أيضاً كما في (النبذة) انتهى .

وقال الشيخ أبو عبد الله سيدي محمد العربي بن الطيب القادري في اختصارها المسمى بـ (الطرفة في اختصار التحفة) ما نصه : والمعتمد ما ذكره تقي الذين أبو عبد الله محمد سبط الشاذلي في (النبذة المفيدة) ، وفي كتابه (شفاء الغليل) ، وذكر غير وأحد أنه وجد بخط ابن عطاء الله ، وذكره سبط المرصفي في (داعي الفلاح) أنه وجد بخط الشيخ محمد الحنفي واعتمده واقتصر عليه ، أي المرصفي ، وقال سيدي ابراهيم المواهبي انها طريقة مشهورة وهو أن سيدي عبد الرحمان المدني أخذ عن القطب تقي الدين الفقير المشهور بتقي الفقير بالتصغير فيهما أنتهى .

وقال في (المعزى) في الباب السابع بعد أن ذكر أن الامام الغزالي صاحب (الاحياء) بقي في قبره من سنة خمس وخمسمئة إلى عام ثلاثة عشر وخمسمئة ، نقل منه ووجد لم يكن به بأس كما قيل ، كأنه كما طرح في قبره ، وان شهداء أحد بعد ست وأربعين سنة نقلوا وهم رطب ينثنون إذا ثنيتهم ، ويجلسون إذا أجلستهم ما نصه : ومن عجيب إمام الطائفة المغربية أبي عبد الله الجزولي المتقدم الذكر أنه بقي في التابوت الذي جعله فيه عمرو بن سليمان المغيطي سبعاً وسبعين سنة ، وانه على حاله كما هو ، وما ذلك على الله بعزيز .

وأعجب من هذا أن عمراً هذا وجد كذلك ولعله ادركته بركة هـذا الشيخ مع ما كان فيه ،والفضل بيد الله ، انتهى .

ونص ما تقدم له رحمه الله في الباب المذكور .

وأمـا سيدي مَحمد بـن سليمان السمـلالي الجزولي تـوفي عام سبعين من القرن التاسع بعد أن مشي فيما زعموا إلى طنجة فلقي امرأة صالحة وقالت له : يامحمداً إلى أين تريد ؟ لأهل المغرب بك حاجة ، فأتى مدينة فاس فألف فيها كتابه (دلائل الخيرات) ، وقد أوقفني بعض الأخيار علـى السارية التي كان يكتب بها في جامع القرويين ، ثم ارتحل إلى مراكش فلقي سيدي عبد العزيز وهو صبي صغير فتفرس فيه الولاية ، وله ناصية لصغره على عادة الصبيان فقال له أختباراً وأراد أن يقف على حقيقة ظنه ، فقال له : ما اسمك ، قال : عبد العزيز ، قال : يابني أنا ضيفك لله ، قال : على بركة الله تعالى قم معي إلى أبي ، فأتى إلى والـده وكانوا يسكنون بالقصر مـن مراكش ، فقال له : ياأبت هذا الفقير قال لي أنا ضيفكم لله ، فقال له : مرحباً يابني بضيف الله نكرمه لله تعالى ، فلما أصبح أرتحل إلى الساحل فلقيه شيخه الذي أخذ عنه وهو أبو عبد الله ابن أمغار من أحفاد بني أمغار أهل تيط عين القرية المعروفة ، فهم يتوارثون الصلاح كما يتوارث الناس المال ، فبقـي بالساحل أربع عشرة سنة ، ووزده فيها سلكتان في (دلائل الخيرات) ومئة ألف بسم الله الرحمان الرحيم ، وسلكة يختمها كل ليلة، وربع السلكة مـن القرآن أيضاً إلى أن أذن له في الخروج للخلق ، بل كلف عليه ذلك فظهر في رباط آسفي فحضره رئيسها ، وخاف منه على عادة أبناء الدنيا خوفاً ممـن يزاحمهم على دنياهم، فبعث إليه : أن اخرج عني أو أخرج عنك، فقال له الشيخ: أنا الذي أخرج عنك ، ولكن حتى أنت على أثري ، فكانت ول كرامة ظهرت له فسلط الله عليه ولد أخيه فعزله من الامارة وتحيل في قتله فيما زعموا .

نزل سيـدي محمد بن سليمـان بالموضع المعـروف بآفغال ببـلاد رجراجة ، فبقي ما يقرب من سبع سنين حتى توفي فيه ، ودفن به حتى رفعه عمرو المغيطي من هنالك وجعله في تابوت ، وذهب إلى موضع يسمى تزروت ببلاد حاحة ودفنه بها .

قــال سيدي أحمد زروق رحمــه الله : كنت خادماً للفقراء بزاويــة أبي قطوط بفاس على يد شيخنا الزيتوني عام سبعين ، فورد علينا الصغير السفياني في جماعة من الفقــراء أصحاب الشيخ سيدي مَحمد بــن سليمان الجزولي فأخبرونا بموته وصح عندنا ذلك ، قال الصغير : مات في صــلاة الصبح إما في السجدة الثانية من الركعة الأولى ، أو قال في الركعة الثانية في السجدة الأولى منها ، وقلنا في آخر تلك الليلة : الناس يذكرون فيــك شأن الفاطمي أو ما في معنى هذا فخرج وقال : ما يدرون إلا من يقطع رقابهم ، وكرر الدعاء مراراً ، فكان ظهور دعوته في عمرو المغيطي المعروف بعمرو بن سليمان السياف المتسلط قال : بلغني لَيلة أن الفقيه أبا عبد الله القورى جاءه سؤال في شأنه فبادرت إليه أن أراه فقال لي : خرج من يدي ، فقلت له : ما مقتضاه ، قال : مداره على أنه يقول أحكام القرآن والسنة ارتفعت ، ولم يبق إلا ما قال له قبله عن ربه ، قال أبو العباس زروق : وشاع من أمره أنه يقول انه وارث النبوءة ، وأن له أحكاماً تخصه كما في قصة الخضر مع موسى عليهما الصلاة والسلام ، وان الخضر حي ونبي مرسول ، وأنه يلقاه ويأخذ عنه ، بل يدعي ذلك من هو دونه من تلامذته ، وقال بعض أهل الصدق والعدالة في الأخبار : رأيته في حياة الشيخ يأتيه بألواح فيها كلام كثير منسوب إلى الخضر ، فلا يقول له شيئاً في ذلك غير أنه أثنى عليه مرة قال : وكان افتتاح أمره أنه قام منتصراً للشيخ في الذين سموه إذ سمه بعض الفقهاء ولم يزل بهم حتى قتلهم ، ثم صار يدعو الناس إلى إقامة الصلاة ويقتلهم عليها ، فنصره الله عليهم ، ثم يطلب المنكرين عليه وعلى أصحابه ويسميهم بالجاحدين ، ويسمى أصحابه بالمريدين بضم الميم ، قال أبو العباس زروق كلاماً كثيراً في عمرو المغيطي أضربنا عنه اختصاراً ، ومات عام تسعين من القرن التاسع ، وكانت اللتان قتلتاه امرأته وربيبته ، وبقي سيدي مَحمد في تابوت في تازروت الذي جعله عمرو المغيطي إلى سنة سبع وأربعين وتسعمئة ، نقله السلطان أحمد إلى مراكش من تازروت ودفنه بروضة أبي عبد الله البقوري المتقدم الذكر ، وأخــذ كما تقدم عن الشيخ عبــد الرحمان الــرجراجي عن السيــد الامام الهندي ، عن سيدي عنوس البدوي ، عن سيدي القرافي ، عن سيدي أبي عبد

الله المغربي ، عن السيد الامام الكبير القدر والمقام الجامع الفرد سيدي أبي الحسن الشاذلي ، عن الشيخ العارف المحقق أبي محمد سيدي عبد السلام بن بشيش بالباء الموحدة من أسفل ، وحدثني بعض أهل الصدق والعدالة بأنه ابن مشيش بالميم لقب في صغره ابن منصور بن إبراهيم الحسني الادريسي الغماري المالكي الصوفي ، عن الشيخ العارف الشريف عبد الرحمان المدني العطار المعروف بالزيات نسبة لسكناه بحومة الزياتين ، ويعرف بالزيات عن الشيخ تقي الدين الفقير بالتصغير الصوفي العراقي ، عن الشيخ الامام فخر الدين ، عن الشيخ نور الدين أبي الحسن علي ، عن الشيخ تاج الدين ، عن الشيخ شمس الدين الذي كان بأرض الترك من بلاد العجم ، عن الشيخ زين الدين القزويني ، عن الشيخ إبراهيم البصري ، عن الشيخ أبي القاسم المرواني ، عن الشيخ القطب أبي محمد سعيد ، عن الشيخ أبي محمد فتح الله السعودي ، عن الشيخ سعد الدين الغزواني ، عن أبي محمد جابر ، عن أبي علي الحسن وكنيته الصحيحة أبو محمد الحسن السبط الشهيد بن علي بن أبي طالب بن فاطمة الزهراء ، أخذ عن جده سيد المرسلين وتخرج على يد والده باب مدينة العلم (1) .

انتهى كلام (المعزي) . ثم أطال رضي الله عنه في بقية الطرق وتبيين رجالها ، نفعنا الله ببركاتهم .

راجع صحيفة 4 من (الدوحة) عند ذكر أشياخ شيخ مؤلفها الشريف الفجيجي سيدي يوسف ، ولله در القائل .

لي خمسة أطفي بهم	حر الخطوب الحاطمه
خير الأنام وعلي	وابناهما وفاطمه
وخمسة أحفادهم	أولو الطوايا السالمه
القطب إدريس الذي	له المزايا الدائمه
وابن مشيش نجله	محيي القلوب النائمة

---

1) يعني علي بن أبي طالب ، الذي يروى أن النبي قال في حقه : انا مدينة العلم وعلي بابها .

والشاذلي تلميـــــــــذه	ذو المنقبات القائمـــــــه
والجيلاني من نفســـــــه	في ذي الجلال هائمـــــه
وابن سليمان الجـــــــزو	لي ذو المعالي اللازمـــــه
ياربنـــا بجاههـــــــــم	جد لي بحسن الخاتمـــــه

وقال الحلفاوي في (شمس المعرفة) في الباب الأول ما نصه : ومن ذلك ما حدثني به من يوثق بحديثه أن سيدي عبد الكريم الفلاح بعثه أبوه في حال صغره لزيارة سيدي مَحمد بن سليمان الجزولي ، فأجلسه الشيخ في حجره وجعل يمسح بيده على رأسه ، وقد كانت له قصة من شعر في رأسه فأخذ الشيخ المقص وجز تلك القصة ، فلما رجع سيدي الفلاح من عنده جعل يدور على أبويه ويقول لهما : إكسى أكرام تكيرطنوا بلغة البربر ، معناه أزال لي الفقير قصتي ، قال : فكان كلما استفهمه أحد عنها يكرر تلك اللفظة إلى غير ذلك من الشهادات الصادرة عن حق اليقين من الاغوات المقربين انتهى .

وقال العلامة الهداجي في (الروض) بعد أن ذكر جملة من ترجمة القطب الجزولي ومن كلامه ما نصه : ومع هذا كله فان جميع ما صدر منهم رضي الله عنهم من نحو هذا الكلام يعني أنا كذا الخ ، إنما هو من باب التحدث بالنعم مع الشكر عليها من دون فخر ولا عجب ، والا فالخوف من الله لا يزال معهم دائماً .

ومما ينسب إليه رضي الله عنه وذلك يدل على شدة خوفه قوله :

إذا شهدت يوم العقاب جوارحـــي	فكيف خلاصي من ظهور قبائحـــي
إذا قالت العينان تذكر ساعـــة	نظرت بها للمنكرات القبائـــح
وقال لساني كم لفظت بباطـــل	وكنت إلى العصيان أول رائـــح
وقالت يداي كم تناولت مأثمـــا	فوا أسفي ان كنت غير مسامـــح
وقالت لي الرجلان محرم ما مشت	إليه ولم تسمع مقالة ناصـــح
فاني إلى نار تلظي وقودهـــــا	أساق ذليلا خاسراً غير رابـــح
فان منّ ذو الاحسان بالعفو والرضى	نجوت والا كنت رهن قبائـــح

وقال في (يتيمة العقود الوسطى) عن سيدي المعطى صاحب (الذخيرة) ما نصه : وذكر يعني جده سيدي محمد المعطي بن عبد الخالق في ذلك المحل، أي من تأليفه المحتوي على ما ينيف على اثنين وسبعين علماً سبب جمع سيدي مَحمد بن سليمان لـ (دلائل الخيرات) ، وذلك أنه مر بامرأة فوجدها تطير في جو السماء ، فقال لها : بمَ نلت هذه المرتبة ، فقالت له : بكثرة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، انتهى .

ثم قال صاحب (اليتيمة) في ترجمة القطب الجزولي بعد كلام ما نصه : وانتشر ذكره في سائر الآفاق والاقطار والأقاليم والأدوار ، وظهرت على يد الخوارق العظيمة ، والكرامات الجسيمة ، والمناقب الفخيمة التي تحار فيها الأذهان ، وتستلذها الاسماع والآذان ، وكان واقفاً على حدود الله عاملا بكتاب الله ، محافظاً على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كثير الأوراد من ذكر الله ، وكان ورده فيما ذكروا ختمة من القرآن ونصف بين الليل والنهار ، وفدية من بسم الله الرحمان الرحيم ، و (دليل الخيرات) مرتين بين ليله والنهار ، انتهى ، وفيه مخالفة مع ما تقدم . ثم قال : وله تأليف في في التصوف .

ثم قال : وله هذه الدرة الكريمة ، والجوهرة الفخيمة ، والمنحة العظيمة الطيبة الذكر السنية الفخر ، الجليلة القدر ، الكثيرة العز والذخر ، العظيمة الثواب والأجر، التي سما قدرها، وعلا فخرها، وانتشر في سائر الأقطار والأمصار ذكرها ، المسمى بـ (دلائل الخيرات ، ولوائح الأنوار والمسرات) وقد كثر الانتفاع به في طريق الله ، وعم نفعه العظيم لعباد الله ، فشاع ذكره في الأقطار شرقاً وغرباً وعجماً وعرباً ، وفي الحرمين الشريفين ، وبيت المقدس، وعم وقوع الاقبال عليه في كل حضرة ومجلس ، ومن كثرة انتفاع الناس به أنه لا يتركه إلا من لا يحسن قراءته ولا يغفل عنه إلا من لم يرد الله هدأيته ، وقد شرحه الأئمة الأعلام والأجلة العظام بشروح عديدة وذكروا له أسراراً وفوائد جليلة مفيدة ، فممن شرحه العالم العلامة المحدث الفهامة سيدي مهدي الفاسي ، وكذا ابن عمه سيدي عبد الرحمان الفاسي ، وقد عمل عليه سيدي

المهدي الفاسي ثلاثة شروح : الكبير ، والوسط ، والصغير ، وكلهم رأيتهم موجودين بأيدي الناس ولا سيما في مدينة فاس ، وحشي عليه سيدي عبد الرحمان حاشية عجيبة ، وسيدي العربي أيضاً حشى عليه ، وسيدي إبراهيم الفجيجي شرحه شرحاً ظريفاً مختصراً لطيفاً اقتصر على حل ألفاظه ولم يبحث على شيء من مشكلات افهامه هذا ما وقفنا عليه من شروحه ، انتهى .

وقال في (اليتيمة) أيضاً بعد إيراد كلام (الممتع) في نسب القطب الجزولي نفعنا الله تعالى به ما نصه : قلت ورأيت في (روضة الأزهار ، في نسب ذرية النبي المختار) حين تكلم على شرفاء سملالة من سوس ، قال : واما شرفاء سملالة فجدهم بالاجماع سيدي سليمان بن سعيد بن يعلى بن يخلف بن موسى بن علي بن يوسف بن عيسى بن عبد الله الشريف بن جندوز بن عبد الرحمان بن أحمد بن جعفر بن سليمان بن عبد الله الكامل بن الحسن بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، ووجدت أيضاً في مختصر الامام سيدي محمد ابن جزي الأندلسي الذي اختصره من كتاب الامام الفقيه ، العلامة النزيه سيدي عبد الله ؟ بن عيسى بن محمد ابن خلدون التونسي رحمه الله وغفر ذنوبه حيث ذكر خلافة الاطرش لما أطلق السيف في العباسيين فقال : بعد كلام له : وفر إلى المغرب الأقصا من سوس بجزولة أولاد مولاي يخلف بن موسى بن علي بن يوسف بن عيسى بن عبد الله بن إبراهيم الجندوز بن عبد الرحمان بن محمد بن أحمد بن الحسن بن جعفر بن عبد الله الكامل بن الحسن المثني بن الحسن بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فتحصل من هذا أن الشيخ سيدي محمد بن سليمان الجزولي سليماني حسني بغير تصغير والله أعلم .

وقال في (اليتيمة) أيضاً عن سيدي محمد صالح ما نصه : وقال لي: قال الاشياخ : ما أفلح مَن أفلح إلا بقراءة حزب الفلاح ، وقال لي هو وردهم الذي ترك لهم سيدي مَحمد بن سليمان الجزولي مع (دلائل الخيرات) يقرؤونه على قدر ما استطاعوا ، فمن قدر منهم على ختمه كله في النهار فليفعل ، ومن قدر على قراءته ثلثاً في كل يوم فتلك الطريقة المثلى ويبدؤه يوم السبت يقرأ منه ثلثاً ، ويوم الأحد ثلثاً ، ويوم الاثنين يختمه ، ويوم الثلاء أيضاً يقرأ منه

ثلثاً ، ويوم الأربعاء ثلثاً ، ويوم الخميس يختمه ، ويوم الجمعة يختمه كلـه وهذه الطريقة من سنة الأشياخ من أصحاب الجزولي إلى وقتنا هذا ، وهكذا أخذته عن الشيخ سيدي محمد صالح رحمه الله بهذه الكيفية وكذلك أيضاً حزب الفلاح يقرأ بعد صلاة الصبح ، وما زال مَن ينتسب إلى الشيخ الجزولي وأتباعه كالشيخ عبد العزيز التباع إلى وقتنا يقرؤهم على هذه الحالة ، ثم قال فيها : قلت وقد كان الشيخ الجزولي رضي الله عنه كثير الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وطريقته مبنية على ذلك ، وكذلك طريقة اتباعه مـن وقته إلى زمننا هذا ، وقد ظهرت ثمرة ذلك في الشيخ الكامل سيدي المعطي بن الصالح ، ففتح غوامض تلك الأنوار ، وفتق كمائم تلك الأزهار ، واستخرج نفائس أسرارها وبهج رياض أنوارها ، وطيب نوافح ثمارها في كتابه السني الأسرار ، العظيم المقدار ، المؤلف في الصلاة على النبي المختار ، وأصحابه الأطهار، المسمى بـ (ذخيرة المحتاج، في الصلاة على صاحب اللواء والتاج)، فأبدأ فيه وأعاد ، وأحسن فيه وأجاد ، وانتشر خبره في البلدان ، وشاع ذكره في الأوطان ، وفاح طيبه في المغارب والمشارق ، حتى عرفه الوضيع والشريف والقاطن والطارق ، ووصل إلى مكة والمدينة الشريفة ، وحبست للاقراء منها أسفار رائقة وأجزاء لطيفة ، وكذلك في بيت المقدس المعظم وكل مكان يرفع فيه قدر النبي صلى الله عليه وسلم ويعظم ، فجزى الله عنا مؤلفه أفضل المجازاة، وأكرمه في الآخرة بمواهب الخيرات ونوافح السعادات آمين ، آمين ، آمين ، انتهـى .

ثم قال : وأحوال الشيخ يعني سيدي محمد المعطى صاحب (الذخيرة) في هذا المعنى كثيرة مع النبي صلى الله عليه وسلـم وما منعه من افشائهـا إلا التحفظ على السر النبوي ، ويحيل ذلك على المرائي الواقعة في ذلك المعنى ، فكم واحد يأتي للشيخ ويخبره بأنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم جالساً معه ومتحدثاً معه ، وقائلاله ويقول : قيدوا هذه الرؤية، وكان يحكي لنا هذه الحكاية عن بعض المادحين من أهل المشرق ، يقال له أبو الاطباق ، وكان يرى النبي صلى الله عليه وسلم ويتكلم معه ويفشي سره في ذلك للناس ، فحجب فقيل له : انك أفشيت ذلك للناس فلذلك حجبت ، ولعل المانع للشيخ من تصريحه

بالرؤيا وبما قال له النبي صلى الله عليه وسلم هو ما ذكرنا ، فلذلك كان يحيل على مرائي الناس وله قدوة بمن فات قبله وهم كثيرون مثل ابن أبي جمرة ، وابن الفارض ، وابن سبعين وهو أولى منهم بذلك لكثرة مدحه للنبي صلى الله عليه وسلم ، وتداخله في أوصافه المعنوية ومشاهدته لكمالاته الحسية، وكان يذكر الشيخ سيدي مَحمد بن سليمان الجزولي كثيراً بذلك ويقول : تحضر بركته ان شاء الله ، وكتب الشيخ تشهد بذلك وسنذكر بعض أحوال الشيخ في هذا المعنى فيما يأتي ان شاء الله ، أنتهى .

اللهم أحضرْ معنا بركاته في الحياة وبعد الممات ، وأصحبنا دائماً السلامة والمعافاة ، ياأرحم الراحمين .

وفي (المحاضرات) اليوسية (1) ما نصه : وحدثني بمراكش الفاضل أبو العباس أحمد بن أبي بكر الهشتوكي قال : رأيت ذات ليلة فيما يرى النائم أني دخلت مقام الشيخ أبي عبد الله محمد بن سليمان الجزولي ، فاذا هو جالس وهو يقول : مَن كانت له إلى الله حاجة فليأتنا ، قال : فلما أصبحت وكان أمير الوقت قد بعث إلى أهل المدينة أن يعطوا الرماة وشق عليهم ذلك كثيراً ، وكان قوم ذهبوا إليه وعزموا أن يسعوا في اذايتي فجئت إليه فقلت : انك قلت كذا وكذا ، وها أنا في هاتين الحاجتين ، قال : فقضي الله الحاجتين معاً ، انتهى .

وقال الشيخ مرتضى في (شرح الاحياء) عند ذكر الكتب المؤلفة في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ما نصه : ومن القصار الكتاب المسمى بـ (دلائل الخيرات وشوارق الأنوار) للقطب أبي عبد الله محمد بن سليمان الجزولي قدس سره وكان في أواخر الثمانمئة (2) ، وكان في عصره رجل آخر بشيراز ألف كتاباً وسماه بهذا الاسم وعلى هذه الطريقة إلا أن الله سبحانه وتعالى قد رزق القبول والاشتهار لكتاب الجزولي ما لم يعط لغيره ، فولعت به الخاصة والعامة ، وخدموه بشروح وحواش ، وماذاك الا

______

1) **المحاضرات** ص 1 61 .

2) صوابه في أواخر التسعمئة (مؤلف) .

لحسن نيته وخلوص باطنه في حبه صلى الله عليه وسلم ، وقد سمعت غير واحد من الشيوخ يقول : اذا أردت أن تعرف مقام الرجل في القَبول عند الله تعالى فانظر إلى مؤلفاته أو تلامذته (1) انتهى .

ثم قال بعد ذكر الصلاة المشيشية : ولكن المريد اذا لم يقتصر على هذه الصيغة وتشوفت نفسه للزيادة فليلازم قراءة (دلائل الخيرات) وختمه في كل يوم جمعة يشرع فيه من أول النهار ويختمه قبل الزوال ففيه الكفاية ، فان كان مشغولا بالكسب فليقتصر على الربع منه ، فان كل ربع منه مشتمل على خمسمئة صيغة وهذا القدر أوسط المراتب في حق المشتغل ، انتهى .

وقال في (كشف الظنون) لما ذكر هذا الكتاب ما نصه :

وهذا الكتاب آية من آيات الله في الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام ، يواظب بقراءته في المشارق والمغارب ، لا سيما في بلاد الروم ، وعليه شرح ممزوج لطيف للشيخ سيدي المهدي بن أحمد بن علي بن يوسف الفاسي القصري سماه (مطالع المسرات ، بجلاء دلائل الخيرات) وللدلائل اختلاف في النسخ لكثرة روايتهن عن المؤلف رحمه الله ، لكن المعتبر نسخة الشيخ أبي عبد الله الصغير السهلي ، وكان من أكبر أصحابه ، وكان المؤلف صحها قبل وفاته بثمان سنين ، يعني ضحى يوم الجمعة سادس ربيع الأول سنة اثنين وستين وثمانمئة ، ولها شروح أخرى لكن المعتمد شرح الفاسي المذكور (2) ، انتهى .

إن أنت لازمت الصلاة على الذي ... صلى عليه الله في الآيات
وجعلتها ورداً عليك مؤكداً ... لاحت عليك دلائل الخيرات

غيره :

بدلائل الخيرات كن متمسكاً ... وألزم قراءتها تنل ما تبتغي
فشوارق الأنوار لائحة بها ... والترك منك لها أخي لا ينبغي

---

1) شرح الاحياء 3 : 289 .

2) كشف الظنون 1 : 495 .

غـيـره :

يتلقون مَن يؤم حماهـــــم　　　بوجوه من التقي نيـــرات
يالها أوجها يلوح عليهــــا　　　كل يوم دلائل الخيـــرات

وسمـى من شروح (الدلائل) في بعض النسخ المطبوعة اثنا عشر شرحاً ، ولخص في (مطالـع المسرات) ترجمة الشيـخ باختصار ، وذكـر الصاوي في شرح صلوات شيخه في صحيفة 4 قضية سبب تأليف (الدلائل) كما في غيره ، وذكره سيدي حسن الحمزاوي في (بلوغ المسرات) وزاد مـا نصه : وكفى بهذا الكتاب شرفاً حيث بلغ في الانتفاع والقبول ما تحار فيه العقول ولا يحصى ، كيف لا وقد أخذه بعض العارفين عن سيد العالمين صلى الله عليه وسلم .

قال شيخ مشايخنـا وأشياخهم الامام السجاعي في حاشيته لهـذا الكتاب نقلا عن شيخه القطب الغوث الامام الحفني قال : أخذت هـذا الكتاب بطريق الظاهر عن شيخنا العلامة محمد البديري الدمياطي وهو عن القطب الغوث محمد بن أحمد المكناسي إلى آخر السند ، عن المؤلف قال : وأخذته بطريق الباطن عن ولي الله سيدي محمد العربي التلمساني قال : أخذته بطريق الباطن عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال الامام السجاعي المذكور : وقد أخذته أيضاً عن شيخنا الملاذ الأفخم والسيد الأكرم الشيخ عبد الوهاب العفيفي وهو يرويه عن سيدي محمد الأندلسي ، وهو قد أخذه بطريق الباطن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انتهى ، رضى الله عنه ورضى عنا به ، ووفقنا للقيام لخدمة سنة النبي صلى الله عليه وسلم وآله وأصحابه وأزواجه وذريته ، وسلم وشرف وعظم كلما ذكره الذاكرون ، وغفل عن ذكره الغافلون ، انتهى .

ولله در التساوتي إذ قال في نظم رجال (الممتع) :

وبابن سليمان الجزولي مَحمـــد　　　يكون ابتدائي سيد الكل هاديـــا

انتهى ، ولم يزد في شرحه على كونه أشهر من أن يعرف به ، وذكر وفاتـه .

وممن ترجم للشيخ رضي الله عنه العشماوي رحمه الله تعالى ، وقـد تقدم في ترجمة القاضي عياض عن (المعزي) أن الشيخ الجزولي ممن يجاب الدعاء عند قبره ، وممن ترجم له أيضاً صاحب (نيل الابتهاج) واختصاره (كفاية المحتاج) فيهما ونظم نسبه في (الاشراف ، علـى نسب الاقطاب الاربعـة الاشراف) وهم : مولانا عبد القادر الجيلاني ، ومولانا عبد السلام ابن مشيش، وسيدي أبو الحسن الشاذلي ، وسيدنا محمد بـن سليمان الجزولـي رضي الله عنهم .

وقال العلامة سيدي محمد الصغير الافراني في (فتح المغيث بحكم اللحن في الحديث) في النمط الثالث منه ما نصه : وقال ابن الصلاح : الدعاء الملحون إن كان لا يستطيع غيره لا يقدح في الدعاء ويعذر فيه، ذكره في فتاويه، انتهى من كتاب (الاذكار) للشامي .

انتهى كلام الأجهوري .

فتأمل قوله الدعاء الملحون الخ ، فان فيه رخصة عظيمة اذ ظاهره كان الدعاء مأثوراً أم لا ، وحينئذ فيشمل نحو كتاب (دلائل الخيرات) فان الصلوات الأدعية التي فيه مرفوعة وموقوفة ما بين حديث عنه عليه الصلاة والسلام ، أو أثر عن أصحابه أو عن التابعين ، ومع ذلك فان العامة يقرؤونه ولا معرفة لهم بالعربية ، فيصحفون ذلك غاية التصحيف ويلحنون أقبح اللحن ، فلولا هذه الرخصة التي نبه عليها ابن الصلاح رحمه الله تعالى لمنعوا من ذلك وكان أجرهم وزراً ، وإذا حصلت الرخصة في هذا النوع من الحديث قيل بها في غيره من باب لا فارق لأن الحديث يتعبد بتلاوته كما يتعبد بتلاوة القرآن ، والضرورة الشرعية تدعو لقراءته كما تدعو للادعية المأثورة ، ثم قال : فقد تحصل لنا من هذه الادلة كلها أن اللحن في الحديث فيه رخصة وسعة لبعض أهل العلم ، وأن من أراد قراءة الكتب الحديثية كـ (الصحيحين) و (الشمائل) مثلا ،

ولا معرفة له بالعربية وغرضه التبرك بها في خاصة نفسه أو يسمعها لقـوم بقصد التبرك فليطلب نسخة من ذلك تكون صحيحة مقابلة مضبوطة وما اعتراه من اللحن فيها فلا يواخذ به إن شاء الله ، واما ان كان بقصد التصدر وطلب العلو فلا يحل ، ومن هذا المعنى قراءة (دلائل الخيرات) و (تنبيه الانام) فانهما اشتملا على أحاديث كثيرة ولم تزل العامة لاهجين بقراءتها من غير نكير عليهم مـن العلما في ذلك ، ومـا ذاك الا لأن العلمـاء رأوا في ذلك سعـة .

وبما ذكرناه تعلم أن ما نسب للشيخ سيدي المهدي الفاسي شارح (دلائل الخيرات) من أن الأولى للعامة ان يبتدءوا في قراءة (دلائل الخيرات) من الأسماء النبوية ولا يقرأ فصل فضائل الصـلاة على النبي صـلى الله عليه وسلم لاشتماله على أحاديث ، فربما لحنوها محمول على الأفضل والا ففيه ما سمعت ، ثم قال : فقد تحصل لنا الترخيص في ترك تجويد القرآن والحديث كما قاله الأئمة رضي الله عنهم ، انتهى بلفظه .

وقال شيخنا سيدي محمد بن إبراهيم السباعي العلامة أبقاه الله تعالى بالسلامة ، في الكتاب الثاني من (البستان الجامع لكل نوع حسن ، وفنـن مستحسن ، في عد بعض مآثر السلطان مولانا الحسن) في ترجمة القائد الطالب أبي العباس أحمد بوستة ما نصه : من جملة حسناته أنه نشر (دلائل الخيرات) في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم للجزولي في جميع الآفاق ، كان له طائفة من الطلبة يكرمهم ويكريهم على ملازمة انتساخ (الدلائل) ثم يجمع عدداً ثم يسفره ويجلده ، وحيثما جاءت الاركاب من الآفاق يعطيهم عدداً من النسخ مجاناً يأمرهم بالذهاب بها واعطائها لمن يستحقها حتى انتشرت في الأقطار كالصحاري ونحوها ، ثم زاد أن جعل للعميان الملازميـن مقام أبي العبـاس السبتي خراجاً على حفظه ، فلم يبرحوا أن حفظوه عن ظاهر قلب ، وبعد ذلك تنافس في حفظه المبصرون فهو السبب في ذلك ، ثم عمد إلى أنفس بساتينه فحبَّسه على من يقرؤه تجاه الروضة الشريفة بالمدينة المنورة فاطلع عليه السلطان مولانا عبد الرحمان فأمضاه ، انتهى .

وذكر الشيخ سيدي حسن العــدوي الحمزاوي في ترجمة العــارف الشعراني في الجزء الثاني من (النفحات الشاذلية) أنه رتب بعد تاريخ سنة إحدى وثمانين ومئتين وألف بيسير اثني عشر من أفاضل أهل العلم والصلاح لقراءة (دلائل الخيرات) كل ليلة اثنين وجمعة ، وجعل لكل شخص منهم في السنة اثني عشر ريالا من الريالات المصرية ، وذكر له السيد أمين الحلواني بشرى منامية ، وهي أنه لبس في المسجد النبــوي إزاراً ورداء ، وذكر لــه الشيخ عبد الله الاسكندراني أنه قد استلم مفتــاح الروضة الشريفة سيــدي حسن المذكور وهو الذي يدخل الامانة على سيد الانام عليه الصلاة والسلام ومعه مساعد متابع له ، ثم أوقع الله تصديق الرؤيا الأولى والثانية ووقف محل سكناه على تلك الوظيفة المنيفة بعد أن قال له ولي مجذوب عن منزله بيت النبي والامام الحسين .

وقــال في (المجــد الطارف والتالــد) بعد ذكــره رضي الله عنــه ما نصه : ولاشك أن الشرف وشيج العراقة فــي سملالة من قديم ، لكونهــم آووا الأدارسة والسليمانيين بعد اجلائهم وخلعهم شارة الشرف واختفائهــم في القبائل ولبسهم عباءة البداوة واستوائهم مع العامة حتى نسوا نسبهم ، ثم ذكر ان من مشاهيرهم بعد الجزولي القطب سيدي أحمد بن موسى ، وسيدي رحال البدلي ، ثم قال فيه أيضاً : وذكر الوطاسي صاحب (روضة الأزهار ، فــي نسب آل النبي المختار) أنه تلاقى مع الشيخ سيدي محمد بن سليمان الجزولي راجعاً من الحج وأنه أقام ثلاث سنين أو أربعاً فــي الحرم الشريف النبــوي معتكفاً على قراءة كتابه (دلائل الخيرات) الذي ألفه ، ثم قال : ومات ولا عقب له ، انتهى .

ولم يزد فــي (الكواكب السيارة) فــي ترجمته على ذكر بعض مــا في (الممتع) ، وراجع ص 161 من الجزء الثاني من (الاستقصا) في ترجمة ثورة عمرو بن سليمان السياف ببلاد السوس وشيء من أخباره .

خاتمـة :

مـن كرامات القطب الجزولي رضي الله عنـه أن بعض مـن احتـرم به لما أخرج كرها عليه من ضريحه الشريف رأى بعضهم مناما الشيخ رمى بيدي وجلي من أخرجه في طنجير يغلي بباب قبته ، فأصبح المتجرىء المذكور معطل الجوارح المذكورة ، وما زال يبلى بالمصائب والعياذ بالله من التجرىء على أوليائه ، فان الله تعالى يغار لهم ، وهذه القضية وقعت في عصرنا أصحبنا الله تعالى السلامة والعافية في الدارين ، وأدام ستره علينا آمين .

ثم اعلم أن العلامة اليفرني ذكر في (درر الحجال) ما نصه : وهذا معتمدي لما استشارني خليفة مراكش عام ثلاث وثلاثين ومئة وألف في البناء على الشيخ الجزولي فاذنت له وحسنته له ، وكان قاضي البلد ومفتيها منعاه من ذلك ، فعمل الخليفة بمقتضى إشارتي واحتفل في البناء ، والحاصل أن البناء على الصالحين من تعظيم حرمات الله المأمور به ، فلا ينبغي اليوم إنكاره لجريان العمل به في كل بلد قديماً وحديثاً .

ونص ما أشار إليه الفصل الحادي والعشرون في حكم بناء القباب على قبور الأولياء ، وحكم جعـل كساوي الحرير عـلى ضرائحهم ، وإيقـاد الشموع والمصابيح فيها ، أما تشييد القباب ورفع البناء على قبور الصالحين فمعلوم في كتب الفقه ما في البناء على القبر من الكلام ، وقال الشيخ أبـو عبد الله الحاكم في مستدركه اثر تصحيحه أحاديث النهي على البناء والكتب على القبور ليس العمل عليها ، فان أئمة المسلمين شرقاً وغرباً مكتوب على قبورهم وهو عمل أخذه الخلف عن السلف ، قال البرزلي : فيكون اجماعاً لحديث لا تجتمع أمتي على ضلالة ، قال وفي (فتاوي ابن قداح) إن جعل على قبر أهل الخير فخفيف ، انتهى ، وقد رخص كثير من العلماء في زخرفة المساجد مع ثبوت النهي عنها ، وهو مذهب الحنيفة اذا وقع ذلك على سبيل التعظيم ، وقال العلامة ابن المنير في حاشية البخاري لما شيد الناس بيوتهم وزخرفوها ناسب أن يصنع ذلك بالمساجد صوناً لها عن الاستهانة انتهى .

وقال المناوي في كبيره : ومما ينبغي التنبه لـه أنا إذا رأينا مـن الأمراء مثلا من زخرف المساجد لا ننهاه عنه كما قاله بعض أيمة الحنابلة ، فان النفوس لا تترك شيئاً إلا لشيء ولا ينبغي ترك خير إلا لمثله أو خير منه ، فزخرفة المساجد انما ينهى عنها بقصد العمل الصالح وقد يفعلها بعض الناس ويكون له فيها أجر عظيم لجهة قصده وتعظيمه لبيوت الله فلا ننهاه عنها إلا أن علمنا أنه يتركها الى خير منها ، وقد يحسن من الناس ما يقبح من المؤمـن المسدد ، ولهذا قيل للامام أحمد ابن حنبل : ان بعض الأمراء أنفقوا علـى مصحف نحو ألف دينار فقال : دعهم فان هذا أفضل ما أنفقوا فيه الذهب مع أن مذهبه أن تحلية المصحف مكروهة ، فهؤلاء إن لم يفعلوا ذلك والا اعتاضوا بفساد لاصلاح فيه ، انتهى .

إلـحـاق :

تقدم ان المحبة كل المقامات دونها الخ وهذا أحد قولين ، قال في الفصل 20 من الباب الثاني من (ابتهاج القلوب) عند ذكر ترجمة سيـدي إبراهيم الصياد تلميذ سيدي أبي المحاسن ما نصه : وقد قال السيد ابن عطاء الله رضي الله عنه : واعلم أن المحبة هي أجل مقامات اليقين حتى اختلف أهل العلم أيهما أتم ، مقام المحبة أم مقام الرضى ؟ وان كان الذي نقول به أن مقام الرضى أتم ، لأن المحبة ربما حكم سلطانها عـلى المحب وقوي عليـه وجود الشغف ، فأداه ذلك الى طلب ما لا يليق بمقامه ، ألا ترى أن المحب يريـد دوام شهود الحبيب ، والراضي من الله راض عنه أشهده عنه أم حجبه ، انتهى .

وتقدم أن أرباب الاذكار المفردين لهم وصول خاص الخ .

ونقل في (ابتهاج القلوب) عن الحاتمي ما نصه : ولا تكون المبايعة في الوقت إلا له خاصة ، ثم قال : وأول مبايع له العقل، ثم النفس ، ثم المقدمون من عمار السماوات والأرض من الملائكة المسخرة ، ثم الارواح المدبرة للهياكل التي فارقت أجسادها بالموت ، ثم الجن ، ثم المولدات ، وذلك أن كل ما سبح الله من مكان ومتمكن ، ومحل وحال فيه يبايعه الا العالون من الملائكة والافراد

من البشر الذين لا يدخلون تحت دائرة القطب ، وما له فيهم تصرف فهم كمل مثله مؤهلون لما ناله من القطبية لكن لما كان الامر لا يقتضي ان يكون في الزمان الا واحد يقوم بذلك الامر تعين ذلك الواحد لا بالاولية ولكن بسبق العلم فيه بان يكون الوالي وفي المفردين من يكون اكبر منه في العلم بالله هـ والمولدات من جملتها الجماد انتهى كلام (ابتهاج القلوب).وقد راجعت (الفتوحات المكية) فوجدته ذكره في الباب السادس والثلاثين وثلاثمئة في معرفة منزل مبايعة النبات القطب صاحب الوقت في كل زمان وهو من الحضرة المحمدية وذلك في صحيفة 181 من الجزء الثالث منها فراجع تمامه،وتقدم نقل (الممتع) عن أبي العباس بن سيدي يوسف الفاسي هكذا رأيت هذا السند عند فقراء العصر الخ وقد ذكره عنه أخوه تلميذه مؤلف (مرآة المحاسن) في 193 منها ، ثم وقفت على كلام أبي العباس المذكور في تأليفه (المنح الصافية، في الاسانيد اليوسفية) عند ذكر الشيخ عبد الحق الزرهوني تلميذ سيدي الصغير السهلي ، وتقدم نقله انه اتصل به بلا شك الخ وفي (ابتهاج القلوب) قبيل الباب الثاني ما نصه بعد ذكر الشيخ الجزولي رضي الله عنه:واما سلسلته فمذكورة في (المرآة)، وموجودة عند الناس من طريق شيخه أبي عبد الله امغار الا أن فيها مجاهيل وقد تكلم على ذلك في المرءاة والظاهر أن تلقيه من النبوءة دون وأسطة لكثرة صلاته على النبي صلى الله عليه وسلم القائمة مقام الشيخ وان لقي شيخا فزيادة على ذلك ومن بركة ذلك له من المئاثر والبركات ما ليس لغيره حتى أنه أتى في وقته بما لم يات به غيره وجدد الطريق بعد دروسها وخلف الاتباع الاجلة منتشرين في كل قطر وبلاد ما لا ينبغي أن يكون الا لولد النبوءة ورأس المحبين المتصلين بها حسا ومعنى وظاهراً وباطناً نفعنا الله به هـ .

وكلام (المرآة) الذي أشار اليه معقود في فصل في صحيفة 193 هـ .

وقال في (ابتهاج القلوب) في القسم الثاني في سلسلة الطريق أواخر الفصل من الباب الثاني بعد ذكر سند التلقين ما نصه وعلى ذلك فلا اشكال أن يكون القرافي هو العالم المشهور أو غيره وكذا من لم يكن فيها من أهل الطريق فيجوز أن يكون فيها اتصال التلقين فقط ، انتهى ، وتقدم قوله الى غير هذا مما جمع عنه الخ .

قال شارح (المقصورة) وكلامه يعني - الشيخ الجزولي - رضي الله عنه أكثر من أن يحاط به أو يحصر وقد كنت رأيت في زمن الصبا تأليفاً في كلامه وكراماته لم أعثر الآن عليه ثم قال وقدره رضي الله عنه كبير سني ، وأمره واضح جلي ، واتباعه في كل بلاد نفع الله بهم العباد وخلف من المشايخ جماعة وافرة الخ ، انتهى .

وتقدم قول سيدي صالح الشرقي ما أفلح من أفلح الا بقراءة حزب الفلاح، وهذا حزب الفلاح:الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً، ولم يكن له شريك في الملك ، ولم يكن له ولي من الذل ، وكبره تكبيراً ، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق،جزى الله عنا سيدنا ونبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم أفضلما هو أهله ثلاثاً،ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب ثلاثاً، أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ثلاثاً ، بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الارض ولا في السماء وهو السميع العليم ثلاثاً، سبحان ربي العظيم وبحمده ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثلاثا، أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو، بديع السموات والأرض وما بينهما من جميع جرمي وظلمي ، وما جنيته على نفسي ، وأتوب اليه ثلاثا . لا اله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع مرات ، لا إله إلا الله ، سيدنا محمد رسول الله مرة ، ثبتنا يارب بقولها ، وانفعنا يارب بفضلها ، واجعلنا من خيار أهلها ، واحشرنا في زمرة قومها ثلاثاً ، آمين ، آمين ، آمين ، رب العالمين مـــرة . كمل بحمد الله .

وقد ذكر في (تحفة الاخوان) العلامة الطاهري ما نصه :

ومـــن كراماته رضـــي الله عنه مـــا أخبرني به سيدي ومـــولاي قاسم في هذا المعنى قال لي رحمه الله كنت أعرف رجلا من أصحاب سيدي محمد ابن ناصر رحمه الله ، وكان أخذ عنه ولازمه إلى أن مات ، فلم يستخلف من بعده أحدا لا ولده سيدي احمد ولا غيره ، وظهر له انه حصل على شيء وانه استغنى عن معرفة الاشياخ ، فتولته الشياطين ، وصحبه الجان وجعلوا ينصحونـــه في

زعمه ويطلعونه على العجائب مما هو مخصوص بجنسهم ، ويطوفونه على قبائلهم حتى كان يعرف جما غفيراً منهم ، فركن لذلك وفتن به وشغله عن ورده وعبادته وجعل يكثر من لغو الكلام والفضول ويهرتل ولا يعلم ما يقول ، قال مولاي قاسم رحمه الله : فكان ذلك الرجل يحدثني بما وقع له لما تحقق ذلك من نفسه ولما سبق له من السعادة ببركة شيخه ، قال لي لما اشتد علي الحال جعلت أرقى على الآكام والجبال ، وانادي بأعلى صوتي الغياث الغياث يا أولياء الله ، الغياث الغياث تشفعت لكم برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويذكر ويعين كل مَن يعرف من الأولياء باسمه ، ويكثر من النداء على شيخه ، قال فبينما أنادي في بعض الأيام إذ أقبلت علي كتيبة من الخيل ، فلما دنت مني جاءني عدو من الجن كان يعرفني وخطفني ووضعني على عنقه وفر بي أمامهم ، فجعلت الكتيبة من الخيل تتبعنا وهو يسبق أمامهم وهم في طلبه يسمع جريهم وصياحهم وجعلوا يتأخرون عنا زمرا زمرا حتى لم يبق في طلبنا الا أربعة رجال أثنان منهم على فرسين أحدهما أدهم والآخر أشهب واثنان طائران . قال فخاض بي البحر فخاضوا في طلبه فخرج الى البر فتبعونا ، فلما تحقق الهلاك وتعذر له منهم الفكاك رماني وفر أمامهم فلحقوه وقتلوه وجاءوا بي . فقلت لهم نشدتكم الله أخبروني من أنتم الذين تفضل الله عليَّ بهم ؟ قال : فقال له صاحب الفرس الأشهب : أنا عبد السلام بن مشيش ، وقال صاحب الأدهم : أنا أبو يعزى ، وقال أحد الطيور : أنا محمد بن سيمان الجزولي أو قال أبو سلهام ، الشك من مولاي قاسم رحمه الله ، قال : والغالب عى ظني أنه قال : أبو سلهام ، وقال الرابع : أنا عبد الله بن إبراهيم ـ يعني شيخنا مولانا عبد الله الشريف ـ نفعنا الله به وحشرنا في زمرته .

انتهى ما كتبت في (إظهار الكمال) .

وقال في (الروضة المقصودة) : ومن ذلك كتاب (دلائل الخيرات) للشيخ مَحمد الجزولي ، وهو كتاب كاسمه (دلائل الخيرات) عم الوجود بأنوار البركات ، واتصل عموم النفع به في أقاليم الاسلام ، وأكب الناس على قراءته من الخاص والعام ، ومن بركاته ما وجد على ظهر نسخة منه بخط الشيخ أبي حامد العربي الفاسي رحمه الله ، ذكر لي بعض الفقهاء الحفاظ أن

مما جرب لقضاء الحوائج وتفريج الكرب قراءة (دلائل الخيرات) أربعين مرة ، ويجتهد القارىء أن يكمل هذا العدد قبل تمام أربعين يوماً فان الحاجة تقضى كائنة ما كانت ببركة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم .

انتهى من خطه بواسطة مولانا الوالد رحمه الله .

وفي مدحه يقول الامام الرحالة الصالح عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي رحمه الله :

عليك بما يحويه هذا المؤلـــف ... ففيه غنى الدارين إن كنت تعـرف
فلازمه واستمسك به إن تكن فتـى ... لديك إلى حب الرسول تشـــوف
حوى صلوات طيبات كثيـــرة ... على المصطفى أزهارها منه تقطـف
فمنها الذي قد انشأته أيمـــة ... وأخرى أتت فيما رووه وصنفـوا
(دلائل خيرات) فوائد نعمـــة ... شوارق أنوار بها تتشـــرف
ينابيع رحمة موارد حكمـــة ... حدائق جنات من الله تزلـــف
وجامعها فرد الزمان وغوثــه ... أقر له بالفضل من هو منصـــف
له في مقامات اليقين تمكـــن ... وسر خفى في المعارف يلطـــف
جزاه إلاه العرش عن جمعة الـذي ... به يترقى السالك المتصـــوف
فلا تعدون عيناك عنه فانـــه ... كتاب بأنوار الفضائل يعـــرف
لقارئه الحسنى غداً وزيـــادة ... وقرب مكين بالمواهب ينطـــف

وفيـه أيضاً يقول البركة عبد السلام بـن الطيب القادري الحسني رحمه الله :

كتاب (دلائل الخيـــرات) ورد ... بعذب وروده تشفي الصـــدور
وفيه شوارق الأنوار تبـــدو ... فيعلو الناسكين به ســـرور
يفيد محبة الهادي وشوقـــاً ... يكون به لحضرته العبـــور
تنعم في رياض الأنس منهـــا ... تجنك من معارفها قصـــور
ويخدمك الوجود وما حـــواه ... وتحنو في الجنان عليك حـــور
ألا لا تعدون عيناك عنـــه ... ولازمه ففيه هدى ونـــور

يروى أن من دعا بهذه الأبيات بقلب فارغ ، حاضر مع الله سبحانه عقب الفراغ من قراءة (دلائل الخيرات) استجاب الله دعوته :

ياخالق الخلق يارب العباد ومَــن ... قد قال في محكم التنزيل ادعوني
إني دعوتك مضطراً فخذ بيـــــدي ... ياجامع الأمر بين الكاف والنـــون
اطلق سراحي وامنن بالخلاص كما ... نجيت من ظلمات البحر ذا النــون
وقال خير الورى ياأزمة انفرجــي ... فجاءه النصر والتمكين في الحيــن
يارب أدعوك تعفو اليوم عن زلــل ... فان أجرك أجر غير ممنـــــــــون

وللناس روايات في قراءته ، فمنهم مــن يبتدئه من أوله قصداً إلــى التبرك بجميع الكتاب من البسملة إلى وهو حسبنا ونعم الوكيل في آخــره ، مع ما في ذلك من زيادة الاطلاع على فضائل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ليكون على بصيرة فيما هو آخذ فيه،ومنهم من يبتدئه من أسماء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نظراً إلى أنه المحل الأول للصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ، يذكرها بعد كل من أسمائه فلا يفوته هذا العدد الكثير ، ومنهم من يبتدئه من فصل في كيفية الصلاة نظراً إلى أنه المحل المقصود للشروع في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم منهم من يرجع إلى الأسماء ليجعلها خاتمتــه قصداً إلى التبرك بها، ومنهم من يتركها رأساً نظراً إلى أنها خارجة عن المقصود وهو من فصل الكيفية ، ولكن الأفضل وهو الشائع إما ابتداؤه من أوله للتبرك بجميعه ، وإما من الأسماء بتقديمها لأن ذكرها أولا كالتصور له صلى الله عليه وسلم باحضار أسمائه وما بعد ذلك من كيفيات الصلاة عليه صلى الله عليــه وسلم تصديق ، والتصور مقدم على التصديق ، وأيضاً مخالفة صنيع المؤلف رضي الله عنه مما لا يحسن والله أعلم .

والذي كان سيدنا الشيخ رضي الله عنــه ونفعنا به يفعله من ذلــك الابتداء من فصل الكيفية ، إلا أنه يقدم قبله قراءة الخطبة حتى يقف على قوله ، وبعد ، مع أنه كان يستحسن إذا سئل في ذلك ما هو الأفضل مما ذكرناه ، وكأن الرواية الحاصلة عنده في عالي أسانيده هو ما كان يفعله والله أعلم .

وكان نفعنا الله به يرى أن أشمل صلاة في (دلائل الخيرات) من جميع صلواته هي قوله : اللهم صل على سيدنا محمد نبيك ، وسيدنا إبراهيم خليلك وعلى جميع أنبيائك وأصفيائك من أهل أرضك وسمائك إلى قوله : كفضلك على جميع خلقك ، فيكون الحض عليها أولى من الاقتصار ، قال إن أهل المخفية وجماعة يحضون على اللهم صل على سيدنا محمد عدد ما في علم الله الخ ، ويعني بأهل المخفية الشيخ العارف أحمد بن عبد الله معن الذي كان بحومة المخفية وأتباعه القادة كأبي عيسى المهدي بن أحمد الفاسي ، والأخوين أبي محمد عبد السلام وأبي محمد العربي ابني القطب القادري الحسني وغيرهم ، نفع الله بجميعهم .

وبالجملة إن الشيخ نفع الله به ، كان له من العناية بهذا الكتاب ما لم يكن لأحد ، والحض للغير جملة وتفصيلا ، وله جامع في تحقيق الرواية والدراية ، وله أجوبة عن بعض مشكلاته كانت ترفع إليه أسئلتها ممن يشار إليه بكمال الخصوصية ، فمن ذلك جواب عن قوله : وصل على سيدنا محمد شاباً زكياً الخ ، قال فيه ما نصه : إن فيه إشكالا من جهة أن فعل الطلب إنما يتعلق بالمستقبل ، وكونه شاباً زكياً قد مضى وانقطع ، فكيف تطلب الصلاة عليه في تلك الحال ؟ ومثل هذا يرد على قول من قال : اللهم بجميع الشؤون في عالم الظهور والبطون الخ ، وفي شرح (دلائل الخيرات) شاباً حال من المجرور ، أي صل عليه الآن قدر ما يسعه من الصلاة زمان كان شاباً ، أو صل عليه الآن صلاة تناسبه وتليق به إذ كان شاباً ، أو المقصود المبالغة في الطلب وطلب الكثرة ، وإحاطة الصلاة به وشمولها إياه من غير اعتبار ما يدل عليه اللفظ وإن كان معنى الصلاة الثناء فلا اشكال والله أعلم ، لأن المرء يثني عليه في شبابه بعد ذهابه ، انتهى وهذا الأخير عندي متعين والله أعلم .

انتهى وكتبه في (الطرة) .

ورأيت بخط سيدنا الشيخ نفعنا الله به ما نصه : اعلم أن الشيخ العارف بالله سيدي محمد بن سليمان الجزولي نفعنا الله به قد صار قطب السبق إلى هذا المرام ، ونفع الله بتابعيه الخاص والعام ، حتى لقد رفع في الفضل

ارتفاع الشمس وقت الهاجرة ، وحصل الناس منه على خير الدنيا ونفع الآخرة، فله مزيد الفضل بالتحقيق على جل من سلك هذا الطريق وقد قالوا قراءة (دلائل الخيرات) تورث النور ، وقراءة (تنبيه الأنام) تورث العلم .

ومما قيل في مدحه :

كتاب (دلائل الخيرات) حصن	شديد للنجاة من الهوان
فلازم درسه دابا وواظب	عليه كل يوم
تجد بركاته ذخراً وتجنى	قطوفاً من مواهبه دواني

وجملة ما فيه من الصلوات من قوله في كيفية الصلاة على النبي الخ 1541 صلاة على عد نحو اللهم الفضل والفضيلة ، والشرف والوسيلة ، والدرجة الرفيعة ، والمنزلة الشامخة صلاة أيضاً واحدة ، وان تكررت المعاطيف ففي الربع الأول 182 ، وفي الربع الثاني 69 ، وفي الثالث 109 ، وفي الرابع 81 .

ومما يقال قبل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم : اللهم إني نويت بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم امتثال أمرك ، وتصديق نبيك سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم ، ومحبة فيه وشوقاً إليه ، وكونه أهلا لذلك فتقبلها مني ، اللهم بفضلك وأزل حجاب الغفلة عن قلبي واجعلني من عبادك الصالحين ، اللهم زده شرفاً على شرفه الذي أوليته ، وعزاً على عزه الذي أعطيته ، ونوراً على نوره الذي منه خلقته ، واعل مقامه في مقام النبيئين ، ودرجته في درجات المرسلين ، وأسألك رضاك ورضاه يارب العالمين مع العافية الدائمة ، والموت على الكتاب والسنة والجماعة ، وكلمة الشهادة على تحقيقها من غير تبديل ولا تغيير، واغفر لي ما ارتكبته بفضلك ياأرحم الراحمين.

وقال في (درة المفاخر) :

القول في القطب الجزولي السري	منه إلى الرسول خير البشر
أما الجزولي عمدة الأقطاب	وركن أهل السر والأنجاب
فمن صحيح بيت أهل المصطفى	نسبه شمس فما به خفا

سر القلوب وشموس المعرفـه ... وجامع من العلي كل صفـه
مخصص بالقرب والعنايـه ... وبكمال العز والنهايـه
ولابن عبد الله وهو جعفـر ... قد رفعوه وهو فيه نظـر
بينه الجد بنص نظمـه ... وها أنا أذكره برسمـه
ووصل جعفر بعبـد الله ... يشكل أمره لذي انتبـاه
لأن عبد الله ليس يذكـر ... عند تعدد بنيه جعفـر
وعلهم اكماله قد تركـوا ... وان جعفراً عليهم يـدرك
أو أنه وقع قبل جعفـر ... وبعد عبد الله اسقاط عـر
فبعض هذا نسب الشيخ حـوى ... ووقع التحريف ممن قـد روى
قلت وهذا واضح شهيـر ... له نظائر فلا يضيـر
فلم تزل زيادة الآبـاء ... ونقصها يعرف باستقـراء
في رفع أهل النسب المسلـم ... إذا حكاه مَن به لم يعلـم
قد صرحوا بأنه لا يقـدح ... في نسب له امتياز واضـح
نص عليه البارع القصـار ... والكل من بعد إليه صـاروا
ومات هذا السيد الجزولـي ... وهو يصلي الصبح في المنقـول
نصف ربيع النبوي سبعينـا ... بعد ثمانمئة سنينـا

وقال في (السر الظاهر) بعد إيراد كلام المسناوي في (النصرة) في نسب الشيخ الجزولي ما نصه :ولم يعين هو ولا شيخه ، يعني مؤلف (الدر السني) رحمهم الله المسقط ولا محله ، ثم لا يحتمل أن يكون جعفر هو ابـن الحسن المثني وزيد بينهما عبد الله لأنه لم يعقب إلا من الحسن المثلث نص عليه ابن حزم ، وجعفر هذا أعقب هنا من إسماعيل بن جعفر ، ولا يحتمل أن يكون المسقط هو سليمان ومحله بين جعفر وعبد الله لأن سليمان هذا فـي أبنائه جعفر وانما كان له محمد لا غير ، ومنه عقبه كما نص عليه ابن حزم أيضاً وغيره ، وانظر هل يحتمل أن يكون عبد الله هو ابن الحسن المثلث والمسقط هو الحسن ؟ اذ عبد الله هذا عد ابن حزم من أولاده جعفراً ، وهذا الاحتمال هو الذي كان يستقربه مولانا الوالد كما رأيته بخطه غير أني لست على وثوق في كون جعفر بن عبد الله هذا له إسماعيل بعد البحث عنه ما أمكن والله أعلم .

وقال في (السلوة) : ومنهم الولي الصالح ذو الهدى الواضح سيدي الصديق الفلالي كان رحمه الله أمياً ، وكان يحفظ (دلائل الخيرات) عن ظهر قلب ويذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم علمه إياه مناماً كان يقف عليه فيعلمه صلاة منه ، فيستيقظ فيجد نفسه قد حفظها ، ثم يقف عليه فيعلمه صلاة أخرى ، وهكذا حتى حفظه بتمامه ، وكانت حرفته الدباغة ، وكان فقيراً ولا يقبل من أحد شيئاً فقيل له في ذلك فقال : طريقتنا مبنية على هذا ، فان قبضنا سلبنا ، وكانت له مكاشفات صريحة وكرامات عديدة ، أخذ عن الولي الصالح سيدي الحاج الجيلاني الطراف حرفة دفين خارج باب الشريعة، وكان يقول فيه شيخه المذكور فلان يرى ما لا نراه .

توفي رحمه الله بالطاعون يوم الأربعاء ثالث عشر رمضان المعظم سنة إحدى وسبعين ومئتين وألف ، ودفن قريباً من ضريح سيدي محمد ابن عباد نفعنا الله به .

وممن ترجم له الحضيكي في كتاب (المناقب) ، وقال في (الطريفة والتالدة) ما نصه : فقد بلغ بعض أولياء المغرب وأظنه الجزولي من العز إلى أن كانت بلغته تنعل بالفضة وتغسل بماء الورد انتهى . وللشيخ أبي رأس محمد بن أحمد المعسكري تخريج أحاديث (دلائل الخيرات) .

626) محمد بن إبراهيم ابن الخضري الهنتاتي

محمد بن إبراهيم بن علي بن عثمان بن يوسف بن عبد الرزاق بن عبد الله أصيل الدين ، أبو الفتح بن البرهان أبي إسحاق الهنتاتي ، بفتح الهاء ثم نون ساكنة وفوقانيتين بينهما ألف ، نسبة لبلدة بمراكش ، المراكشي الموحدي نسبة إلى الموحدين القبيلة الشهيرة بالمغرب ، المصرى المولد والدار المالكي الشاذلي ، ويعرف بابن الخضري بمعجمتين مضمومة ثم مفتوحة ، ولد كما قال لي في ليلة الأربعاء سادس عشري المحرم سنة أربع وثمانين وسبعمئة ، وكتبه مرة بخطه سنة اثنتين وتسعين وقيل ثمان وثمانين أو أربع وتسعين

بخط جامع ابن طولون ، وقال المقريزي في عقوده بعد أن أسقط من نسبه عثمان أنه بظاهر القاهرة في يوم الأربعاء سابع عشري المحرم سنة ثمان وسبعين فالله أعلم، ونشأ فحفظ القرآن وتلا به لعدة قراء على التقي الدجوي ، والغماري ، وأبي عمر ، وعلي النور على أخي بهرام ، وحفظ (العمدة) و (الالمام) لابن دقيق العيد ، والشاطبيتين ، والطوالع في أصــول الدين ، وابن الجلاب والرسالــة كلاهما في الفقه ، والحاجبية ، والملحة ، وغالب ألفية ابن مالك والتلخيص في المعاني ، والقصيدة الغافقية وغيرها ، وعرض على السراج البلقيني ، والتاج بهرام ، والغماري ، والبشكالسي في آخرين ، وتفقه بأبي حفص عمر التلمساني والشمس البساطي ، وأخذ العربية عن سعد الدين الخادم والغماري ، والمنطق عن عثمان الشغري ، ولازم العز ابن جماعة في فنونه وخدمه سنين وانتفع به ، وسمع الحديث على الشهاب الجوهري ، والمطرز ، والغماري ، والشرف ابن الكويك ، بل أخبر أنه سمع على ابن أبي المجد ، والفرسيسي والتقي الدجوي فالله أعلم ، وحدث وأفاد ودرس وأعاد ، وقال الشعر الحسن ، وطارح الأدباء ، ونادم الأعيان ، واشتهر بالمجون الزائد والتهتك ، وخلع العذار وخفة الروح وسرعة الادراك مع التقدم في السن ، لكنه كان يحكى أنه استعمل البلادر كل ذلك مع الفضيلة التامة ، والمشاركة في النحو واللغة والفقه والطب والهيأة وقد ولي قديماً تدريس الفقه بجامع الكاكم والقراسنقرية والحسنية والحديث فيما زعم بالفاضلية والاعادة بالكاملية والمنصورية ، والتصدير بجامع عمرو وغير ذلك ، وباشر الشهادة بالمفرد والخاص وغيرهما ، وحج بضع عشرة حجة أولها في سنة أربع عشرة وآخرها بعد الستين ، وكتب عنه ابن فهد في توجهه سنة خمسين ، وهو ممن قرض لابن ناهض نظم سيرة المؤيد وقد كتبت عنه قديماً من نظمه ونثره ، واسمعت ابني عليه ولم يكن بحجة ، وذكره المقريزي في عقوده وانه لزم ابن جماعة فأخذ عنه عدة علوم ما بين منطق وجدل وغيرهما وشارك في الفقه وأصوله والطب والنجوم ، ثم أقبل على طلب الدنيا ولو استمر على الاشتغال لجاد وساد لما عنده من الذكاء والفطنة ، وسرعة الحفظ وجودة التصور وهو مع ذلك يجيد الشعر ويغوص على معانيه ولا يكاد يخفى عليه من

دقائقه الا اليسير ، صحبني قديماً وتردد إلي مراراً وترافقنا في الحج سنة خمس وعشرين فما علمت إلا خيراً وفيه دعابة ، وعنده مجون وخفة روح تستحسن ولا تستهجن . ثم روي عنه أن شيخه العز ابن جماعة حكى له أنه كثيراً ما كان يحوك في صدره الوقوف على كلام ابن عربي من أصحابه والتابعين له ليعرف ما عندهم فيه ، قال : فرأيته ليلة في المنام ، فقال لي : اقرأ كتبي على هذا وأشار لشخص فنظرت إليه وعرفته واستيقظت ، فمكثت مدة طويلة ثم سمعت بأن شخصاً يسمى محمد بن عادل بن محمود التبريزي ، ويعرف بشيرين قد ورد ونزل مدرسة السلطان حسن وهو يدعى معرفة كتب ابن عربي ويحققها فمضيت إليه ، فلما وقع بصري عليه رأيت كأنه الشخص الذي أرانيه ابن عربي في منامي ، فتعجبت بحيث ظهرت إمارة التعجب علي ، وتأنيت في السير إليه قليلا فسألني عن السبب، فأخبرته فأخبرني أنه أيضاً رأى ابن عربي في النوم، وإنه أمره بالمسير لمصر لاقراء شخص، وأشار إليه وهو أشبه الناس بك، قال: وحينئذ قرأت عليه،فلما انتهت القراءة وعلمت ما هم عليه تجهز وقال : قد حصل ما جئنا بسببه ولم يقم وأن والده إبراهيم قال له : سمعت من لفظ البرهان الجعبري بميعاده في زاويته خارج باب النصر يقول : كان الجمال ابن هشام معتقداً ، يعني فيه ممن يواظب ميعاده ، فلامه أبو حيان على ذلك فقال له : امش معي واسمع كلامه ، ففعل فوقع منه في بعض كلامه لحن فأنكره أبو حيان بقلبه ، فقام الجعبري قائما وهو ينشد :

سر الخليقة كائن في المعدن … بحقائق الأرواح لا بالألسن
والجوهر الشفاف خير يقيننا … إذ كانت الاصداف ما لم يجبن
ما ذا يفيد أخا لسان معرب … أن يلقى خالقه بقلب ألكن
فاذا ظهرت برسم ما أخفيته … فقل الصواب ولو تكن بالأرسن

انتهى والله أعلم بصحتهما .

مات في أوائل رجب سنة اثنتين وسبعين ، وقد جاز التسعين على أحد الاقوال عفا الله عنه .

ومما كتبته عنه قوله :

إن غاب أو زار كان القلب في تعب   لا خير في عشقه إن جاء أو سارا
قال العواذل قد أتعبت من شغف   على الحبيب فقد حملت أوزارا

انتهى من (الضوء اللامع) .

وقوله نسبة لبلدة بمراكش لما ذكر الهنتاتي فاعلم ان درب هنتاتة هو من حارة القصور بمراكش ، والبلدة في اللغة هي كل مكان عامراً كان أو غامراً (1) .

627) **محمد بن سعيد الصنهاجي** ، ثم المراكشي ممن عرض عليه الجمال محمد بن إبراهيم المعروف بابن ظهيرة ، المتولد سنة 859 عالم الحجاز، وأجازه ، ذكره في (الضوء اللامع) في ترجمة تلميذه ابن ظهيرة المذكور .

628) محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني

محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني خاتمة المحققين ، الامام العالم العلامة الفهامة القدوة الصالح السني أحد الأذكياء ، ممن له بسطة في الفهم والتقدم ، متمكن المحبة في السنة وبغض أعداء الدين ، وقع له بسبب لك أمور مع فقهاء وقته حين قام على يهود توات وألزمهم الذل ، بل قتلهم وهدم كنائسهم ونازعه في ذلك الفقيه عبد الله العصنوني قاضي توات ، وراسلوا في ذلك علماء فاس وتونس وتلمسان، فكتب في ذلك الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الجليل التنسي كتابة مطولة بصواب رأي صاحب الترجمة ، ووافقه عليه الامام السنوسي ، كما كتب السنوسي له رسالة :

من عبيد الله محمد بن يوسف السنوسي إلى الأخ الحبيب القائم بما اندرس في فاسد الزمان من فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، التي القيام بها لاسيما في هذا الوقت علم على الاتسام بالذكورة العلمية الاسلامية ،

---

1) هذا الرجل ليس على شرط المؤلف ، لأنه ليس من اهل المغرب ولم يدخل مراكش ولا اغمات ، ومن حقه أن لا يذكر في هذا الكتاب .

وعمارة القلب بالايمان السيد أبي عبد الله بن عبد الكريـم المغيلي حفظ الله حياته ، وبارك في دينه ودنياه ، وختم لنا وله ولسائر المسلمين بالسعادة والمغفرة بلا محنة يوم نلقاه .

بعد السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته،فقد بلغني أيها السيد ما حملتكم عليه الغيرة الايمانية ، والشجاعة العلمية من تغيير إحداث اليهود أذلهـم الله كنيسة في بلاد الاسلام ، وحرصكم على هدمها وتوقف أهل تمنطيطة فيه من جهة من عارضكم فيه من أهل الاهواء فبعثتم إلينا مستنهضين همم العلماء فيه ، فلم أر من وفق لاجابة المقصد وبذل وسعه في تحقيق الحق وشفاء الغلة ، ولم يلتفت لقوة إيمانه ونصوع إيقانه لما يشير إليه الوهم الشيطاني من مداهنة من يتقي شوكته سوى الشيخ الامام القدوة ، الحافظ المحقق علم الاعلام محمد بن عبد الجليل التنسي أمتع الله به ، قد أمد لابانة الحق ونشر أعلامه النفس ، وحقق نقلا وفهماً وبالغ فأبدى من نور إيمانه الماحي ظلمة الكفر أعظم قبس ، انتهـى .

وممن أجاب في المسألة الرصاع مفتي تونس ، وأبو مهدي الماواسي مفتي فاس ، وابن زكري مفتي تلمسان ، والقاضي أبو زكرياء يحيى ابن أبي البركات الغماري ، وعبد الرحمان ابن سبع التلمساني ، وحين وصل جواب التنسي ومعه كلام السنوسي لتوات ، أمر صاحب الترجمة جماعته فلبسـوا آلات الحرب وقصدوا كنائسهم وأمرهم بقتل من عارضهم دونها فهدموها ولم يتناطح فيها عنزان ، ثم قال لهم : من قتل يهودياً فله عليَّ سبع مثاقيل ، وجرى في ذلك أمور ، فنظم في تلك القضية قصائد في مدح النبي صلى الله عليه وسلم وذم اليهود ومن ينصر اليهود ، ثم دخل بلاد اهر ، ودخل بلاد تكدة وأجتمـع بصاحبها وأقرا أهلها وانتفعوا به ، ثم دخل بلاد كنو وكش من بلاد السودان ، واجتمع بصاحب كنو واستفاد عليه ، وكتب رسالة في أمور السلطنة يحضه على اتباع الشرع والأمـر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وقرر لهـم أحكام الشـرع وقواعده ، ثم رحـل لبلاد التكرور فوصل إلى بلـدة كاغو وأجتمع بسلطانها ساكسي محمد الحاج وجرى على طريقته من الأمر بالمعروف ، وألف

له تأليفاً أجابه فيه عن مسائل وبلغه هناك قتل ولده بتوات من جهة اليهود ، فانزعج لذلك وطلب من السلطان قبض أهل توات بكاغو حينئذ ، فقبض عليهم وأنكر عليه ذلك أبو المحاسن محمود بن عمر إذ لم يفعلوا شيئاً ، فرجع عن ذلك وأمر باطلاقهم ورحل لتوات ، فتوفي هناك سنة تسع وتسعمئة ، ويقال إن بعض ملاعين اليهود أو غيرهم مشى لقبره فبال عليه فعمِي مكانه ، وكان رحمه الله مقداماً على الأمور جسوراً ، جريء القلب ، فصيح اللسان ، محباً في السنة ، جالياً نظاراً محققاً ، له تآليف منها (البدر المنير ، في علوم التفسير) ، و (مصباح الأرواح ، في أصول الفلاح) كتاب عجيب في كراسين أرسله للسنوسي وابن غازي فقرضاه ، وشرحِ مختصر خليل مزجاً سماه (مغني النبيل) اقتصر فيه جداً وصل فيه للقسم بين الزوجات ، وله عليه قطع آخر من البيوعات وغيرها ، بل قيل أنه شرح ثلاثة أرباع المختصر ، وحاشية عليه سماها (اكليل المغني) وقف صاحب النيل منها إلى التيمم ، وشرح بيوع الآجال من ابن الحاجب ، فبحث فيه مع ابن عبد السلام وخليل سماه (أفهام الانحال) ، وتأليفاً في المنهيات ، ومختصر (تلخيص المفتاح) وشرحه ، و (مفتاح النظر) في علم الحديث فيه ابحاث مع النووي في تقريبه ، وشرح الجمل في المنطق ، ومقدمة فيه ، ومنظومة فيه سماها (فتح الوهاب) وثلاثة شروح عليها وقد شرحها والد صاحب (النيل) بشرح حسن استوفى فيه ، وله أيضاً (تنبيه الغافلين ، عن مكر الملبسين بدعوى مقامات العارفين) ، وشرح (خطبة المختصر) ، ومقدمة في العربية وكتاب (الفتح المبين) ، وفهرسة مروياته ، وعدة قصائد كالميمية على وزن البردة ورويها في مدحه صلى الله عليه وسلم .

أخذ عن الامام عبد الرحمان الثعالبي والشيخ يحيى بن يدير وغيرهما ، وأخذ عنه جماعة كالفقيه السيد أحمد ، والفقيه العاقب الانصمني ، ومحمد بن عبد الجبار الفجيجي وغيرهم .

وقال في (النيل) : ووقعت له مراسلة مع الجلال السيوطي في علم المنطق فمما كتب للسيوطي فيه قوله :

سمعت بأمر ما سمعت بمثلـــــه — وكل حديث حكمه حكم أصلـــه
أيمكن أن المرء في العلم حجـــة — وينهي عن الفرقان في بعض قوله ؟
هل المنطق المعني إلا عبــــارة — عن الحق أو تحقيقه حين جهلـه ؟
معانيه في كل الكلام وهل تــرى — دليلا صحيحاً لا يرد لشكلـــه ؟.
أريني هداك الله منه قضيـــــة — على غير هذا تنفها عن محلـــه
ودع عنك ابداه كفور وذمــــه — رجال وان اثبت صحة نقلـــه
خذ الحق حتى من كفور ولا تقــم — دليلا على شخص بمذهب مثلـه
عرفناهم بالحق لا العكس فاستبن — به لا بهم إذ هم هداة لاجلـــه
لئن صح عنهم ما ذكرت فكم هـم — وكم عالم بالشرع باح بفضلـه ؟

في أبيات تركتها فأجابه السيوطي بقوله :

حمدت إلاه العرش شكراً لفضلـه — وأهدي صلاة للنبي وأهلـــه
عجبت لنظم ما سمعت بمثلـــه — أتاني عن حبر أقر بنبلـــــه
تعجب مني حين ألفت مبدعـــاً — كتاباً جموعاً فيه جم بنقلـــه
أقرر فيه النهي عن علم منطـــق — وما قاله الاعلام من ذم شكلـــه
وسماه بالفرقان ياليت لم يقـــل — فذا وصف قرآن كريم لفضلـــه
وقال به فيما يقرر رأيـــــه — مقالا عجيباً نائياً عن محلـــه
ودع عنك ابداه كفور وبعـــد ذا — هو الحق حتى من كفور بختلـــه
وقد جاءت الآثار في ذم من حـوى — علوم يهود أو نصارى لأجلـــه
يعزز به علماً لديه وانـــــه — يعذب تعذيباً يليق بفعلـــه
وقد منع المختار فاروق صحبـــه — وقد خط لوحاً بين توراة أهلـه
وقد جاء من نهي اتباع لكافــــر — وان كان ذاك الأمر حقاً بأصلـه
أقمت دليلا بالحديث ولم أقـــم — دليلا على شخص بمذهب مثلـه
سلام على هذا الامام فكم لـــه — لديَّ ثناء واعتراف بفضلـــه

انتهـى .

وذكـر الكنتي فـي كتاب (التوحيد) لـه أن المترجم جال فـي بلاد التكرور والمغرب الأقصى وحلاه بالشيخ القطب الكامل ، وعنه أخذ جده سيدي عمر الملقب بالشيخ وذكر بعض كراماته لما توجه معه إلى الحج وأنه لما أشرف على المدينة ارتجل قصيدته العجيبة التي مطلعها :

بشراك ياقلب هذا سيد الأمـــم وهذه حضرة المختار في الحـــرم

فلما قام عند الروضة ليدخلها هم الوكلاء بها بمنعه فقال :

ياسيدي يارسول الله خذ بيـــدي فالعبد ضيف ، وضيف الله لم يضم

فاهتزت عند ذاك الروضة الشريفة وانفتح بابها ، وفر الوكلاء لعظم ما رأوا فمكث فيها ساعة فأقبل الناس عليه وهو يقول لهم : لست هنالك فلا تشغلوني عما أنا بصدده فمن كان منكم يريد البركة فعليه بالروضة الشريفة فانها عين الرحمة ، ومنبع الحكمة ، وأصل الهداية .

ونص القصيدة الدالة على غوصه على المعارف :

بشراك ياقلب هذا سيد الأمـــم وهذه حضرة المختار في الحـرم
وهذه الروضة الغراء طاهـــرة وهذه القبة الخضراء كالعلـــم
وقبر المصطفى الهادي وحجرتـه وصحبه وبقيع دائر بهــــــم
فطب وغب عن هموم كنت تحملها وسل تنل كل ما ترجوه من كـرم
ياسيدي يارسول الله خذ بيـــدي فالعبد ضيف وضيف الله لم يضـم
ياسيدي يارسول الله خذ بيـــدي يامن لقاصده أمن من النقــــم
ياسيدي يارسول الله خذ بيـــدي فبحر جودك مورود لكل ظمـــي
ياسيد الرسل يامن ضيف ساحته يبيت بالأمن في خير وفي نعـــم
ياأكرم الخلق من حاف ومنتعـــل ياأفضل الناس في ذات وفي شيم
ياأشرف الأنبيا يامن شفاعتـــه عمت على الخلق في الوجدان والعدم
ياصفوة الله يامولى مكارمــــه عمت على الخلق من طفل إلى هرم
إني فقير إلى عفو ومرحمـــــة وأنت أدرى بما في القلب من ألـم

وقد أتيتك أرجو منك مكرمـــة فأنت أهل التقي والجود والكــرم
فالحال يغني عن الشكوى اليك وقد عرفت حالي وان لم أحكيه بفــم
فاشفع لعبدك واجبر كسره فلقــد أودى به الكسر مما نال من جــرم
ياأحمد ، ياأبا بكر ، وياعمـــر ، نزيلكم في أمان غير منهضــم
وقد سعيت إلى أبواب حجرتكــم سعياً على الرأس لا سعياً على القدم
أتى من أم القرى يرجو القرى كرماً فان قبلتم فاني مفلح بكـــم
فان قبلتم فاني مفلح بكــــم في زورة واقتراب وافر القســم
يامن أجل ملوك الأرض قاطبــة في باب أفضلهم من أصغر الخــدم
فهل عسى نظرة منكم لزائركــم يغني بها عن جميع الخلق كلهــم
محمد وضجيعاه الذين بهـــم طبنا وغبنا من الخسران والنــدم
يارب ، يارب يامولاي عبدك فــي باب الرجا يرتجي أمناً من النقــم
فجد عليه بما يرجوه من كـــرم فقد توسل في الدنيا بحقهــم
ثم الصلاة وتسليم الاله علـــى هذا النبي رفيع القدر والشيــم
محمد المصطفى والآل ، ثم علـــى أصحابه ما سرى ركب لربعهــم

انتهى وسدتاتي بقية ما يتعلق به في ترجمة تلميذه الكنتي المذكور ، وترجمه في (طبقات المالكية) أيضاً ، وترجمه في (الدوحة) 95 ، وذكر أنه كان له ستة ممالك يحفظون تهذيب البرادعي ، وترجمه الحضيكي في كتـاب (المناقب) ، ووقفت على تأليفه في أهل الذمة وهو في نحو كراس 1 مـن القالب الرباعي ذكر فيه فصولا 3 : الفصل الأول فيما يجب على المسلمين من اجتناب الكافرين ، الفصل الثاني فيما يلزم أهل الذمة من الصغار والجزية ، الثالث فيما عليه يهود في هذا الزمان في أكثر البلدان من الجرأة والطغيـان والتمرد على الأحكام الشرعية بتولية أرباب الشوكة وخدمة السلطان .

629) محمد القائم بأمر الله السعدي

قال ابن القاضي فـي (درة السلوك) : لم يزل أسلاف السعدييـن مقيمين بدرعة إلى أن نشأ منهم محمد القائم بأمر الله ، فنشأ على عفاف وصلاح وحج البيت الحرام وكـان مجاب الدعوة ، لقـي جماعة من العلماء الاعـلام

والصلحاء العظام في وفادته على الحرمين الشريفين ، أخبرني بعض الفضلاء أنه لقي رجلا صالحاً بالمدينة الشريفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، فأشار له بما يكون منه ومن ولديه ، وكان قد رأى رؤياً ، وهي أن أسدين خرجا من احليله ، فتبعهما الناس إلى أن دخلا صومعة ووقف هو ببابها فعبرت له رؤياه بأنه سيكون لولديه شأن ، وأنهما يملكان الناس، ثم رجع إلى الغرب معلناً بالدعوة فيقول في كل محفل أن ولديه سيملكان الغرب وسيكون لهما شأن من غير تردد منه ثقة بخبر الرجل الصالح وبرؤياه المذكورة ، فما زال الى أن قام سنة خمس عشرة وتسعمئة .

قال صاحب (زهرة الشماريخ) ما صورته أن سبب قيام محمد القائم أن أهل السوس أحاط بهم العدو الكافر ، ونزل بجوانبهم من كل جهة حتى أظلم الجو واستحكمت شوكة البرتقال ، وبقي المسلمون في أمر مريج لعدم أمير تجتمع عليه كلمة الاسلام ، لأن بني وطاس فشلت ريحهم يومئذ في بلاد السوس ، وانما كان لهم الملك في حواضر المغرب ولم يكن لهم بالسوس إلا الاسم مع ما كانوا فيه من قتال العدو بطنجة وأصيلة وحجر بادس وغيرها من ثغور بلاد الهبط ، فلما رأى قبائل السوس ما دهمهم من تفاقم الأحوال ، وكثرة الأهوال وطمع العدو في بلادهم ، ذهبو الى الشيخ الصالح محمد بن مبارك الأقاوي نسبة الى آقا من بلاد السوس ، فذكروا له ما هم فيه من افتراق الكلمة وانتثار الجماعة وكلب العدو على مباكرتهم بالقتال ومراوحتهم ، وطلبوا منه أن يعقدوا له البيعة وتجتمع كلمتهم عليه ، فامتنع من ذلك وقال : إن رجلا من الأشراف بتاجمدارت من درعة يقول انه لولديه شأن ، فلو بعثتم اليه وبايعتموه كان أنسب بكم وأليق بمقصودكم فبعثوا اليه وكان من أمره ما كان .

وقال اليفرني رأيت بخط الفقيه العلامة عبد الرحمان ابن شيخ الجماعة عبد القادر الفاسي ما صورته :

ذكر لنا الوالد عن سيدي أحمد بن علي السوسي البوسعيدي أن ابتداء دولة الشرفاء بالسوس أن بعض السادات ، وهو سيدي بركات توسط في فداء بعض الأسارى ، وأراد أن يكون مع النصارى اتفاق على

أن لا يحبسوا أسيراً فكلمهم في ذلك فقالوا له : حتى يكـون لكم أمير ، فـان ملككم قد ذهب واضمحل ، قال ثم ان بعض أهل السوس ساروا إلى قبيلـة جسيمة يكتالون الطعام ، فأخذتهم جسيمة وأكلوا متاعهم وبضاعتهم ، فذهبوا إلى شيخهم وكان ذا حزم وتدبير ، فرد عليهم كل ما ضاع لهم حتى لم يبق لهم شيء ، فلما رجعوا إلى بلادهم قالوا : ان هذا الشيخ الرئيس هو الذي يليق أن نبايعه ، فاجتمعوا وأتوه وطلبوا منه أن يرأسهم ، فامتنع واحتاط لدينه واعتذر بتشويش هذا الأمر للدين ، ودلهم على رجل شريف كان مؤذناً بدرعة ، فقال لهم : إن كان ولابد فاقصدوا الشريف الفلاني فانه يذكر أن ولديه يملكان المغرب ، فقصدوه وحملوه إلى بلادهم وبايعوه وفرضوا له من المؤونة ما يكفيه وأولاده وبقي هنالك في نحر العدو انتهى .

ويروى أنه لما بايعه أهل السوس ورأى قلة ما بيده مع أن الملك لا يقول إلا بالمال، احتال بأن أمر أهل السوس أن يأتوه ببيضة لكل كانون (1) فاجتمع له من ذلك آلاف من البيض لا تحصى لأن الناس استهونوا أمر البيضة، فلما اجتمع عنده البيض ، أمر أن كل من أتـى ببيضة يأتي بدلها بدرهـم ، ففعلوا فاجتمع من ذلك مال وافر ، فأصلح به شأنه وقوي به جيشه ، وكانت تلك أول نائبة (2) فرضت في دولة السعديين والله أعلم .

وقال ابن القاضي أن الأمير محمد القائم لمـا اجتمع بالشيخ ابـن مبارك ببلده آقا وذلك سنة خمسة عشرة وتسعمئة على ما مر ، فاوضه في شأنه ، ثم عاد إلى مقره مـن درعة ، ثم في سنة ست عشـرة بعدها بعث إليه فقهاء المصامدة ، وشيوخ القبائل ودعوه إلى توليته عليهم وتسليم الأمر اليه ، فلبى دعوتهم وجاء الى قرية يقال لهـا تدسى قرب ردانة ، فبايعه الناس بهـا وأصبحوا معه بقلوب متفقة وأهواء على الجهاد مجتمعة انتهى .

---

1) أى لكل موقد ، يعبرون بذلك عن المنزل .

2) النائبة : الضريبة ، وما زالت الكلمة مستعملة على قلة فى فاس وبعض المدن .

وقد ساق منويل أولية هذه الدولة مساقاً غريباً ولا يخلو عن فائدة ، فلنذكر منه ما يقرب الى الصحة ويكون كالشرح لما مضى ، أو يأتي من أخبار هذه الدولة ، قال : لما كان السلطان أبو عبد الله الوطاسي — يعني البرتغالي — أميراً بفاس ظهر في درعة رجل شريف ، يعني محمد القائم بأمر الله ، قال : وكان هذا الشريف من قراء القرآن ، ومن أهل العلم والدين والفقر والخمول ، ولم يكن من بيت الرياسة ، وكان له اطلاع على تواريخ قطره وعوائد جيله واخلاقهم وطباعهم ورأى ما وصل اليه ملك المغرب من الانحطاط والضعف ، وتيقن أنه لا يصعب عليه تناوله ، فاعمل في ذلك فكره ومكره وصار يحض الناس على القيام بأمور دينهم والامتعاض لها ، وكان قد بعث ثلاثة من أولاده وهم : عبد الكبير ، وأحمد ، ومَحمد الى الحجاز بقصد الحج ، وكانت لهم فصاحة ورجاحة ، ومعرفة بادارة الكلام ، فظهر لهم ناموس في تلك البلاد وأحبهم الناس لا سيما أحمد ومَحمد ، ولما رجعا من مكة أقاما بفاس وهي يومئذ دار الملك ، وترتب أحمد في مجلس بالقرويين لتدريس العلم ، فاكتسب بذلك جاهاً ، وتقرب مَحمد إلى السلطان حتى صار مؤدباً لأولاده وبقيا على ذلك مدة وهما في ذلك كله يتحببان إلى الناس ويسعيان في مذاهب الشهرة ، والبرتغال في أثناء ذلك ملح على الثغور واستلابها من أهلها ولم تكن تقوم للمسلمين معه راية ، فدعا ذلك الأخوين أحمد ومَحمد إلى أن ندبا السلطان وهو محمد البرتغالي إلى المناداة بالجهاد اظهاراً للنصح وهما يسران حسوا في ارتغاء ، وقصدهما تفرقة الكلمة على السلطان لا غير ، فاغتر السلطان بنصحهما وقال لهما : لا أحد أولى منكما بالقيام بهذه الوظيفة فأجاباه الى ذلك عن توفر داعية وكمال رغبة ، فأرسلهما يناديان ويستنفران الناس في نواحي المغرب إلى الجهاد ويحضان الناس عليه ويخطبان بذلك في المحافل ويعظان وتتبعا الحواضر والبوادي، وتقريا الاحياء والمداشر والقرى الى أن وصلا الى درعة حيث أبوهما وأخوهما عبد لكبير ، فاجتمعا بهما وذاكراهما في أمرهما وأنهما قد أشرفا على المراد وكادا يلجان الملك من بابه ، لأن أهل تلك البلاد كانوا سامعين لهم من قبل اليوم ، فكيف بهم اليوم ، فحينئذ أخذ الأب وأولاده في نشر معايب الدولة للعامة ويقررون ذلك بفصاحتهم ووجاهتهم وما أوتوه من

القبول وعضدهم على ذلك شيوخ البلاد ، وتبعهم الناس واجتمعوا عليهم من كل جهة وصار حالهم ينمو شيئاً فشيئاً إلى أن استبدوا على السلطان ولم يرجعوا اليه بعد .

وقال في (نشر المثاني) كان السبب في قيام الشرفاء الزيدانيين واستبدادهم بملك المغرب أن الحرب نشبت بين النصارى وأهل السوس ودامت ، وكان بنو وطاس يمدون أهل السوس بالمال والعدد ، فاتفق أن خرج الشريفان محمد الشيخ وأخوه أحمد الأعرج للجهاد مع أهل السوس فظهر مكانهما في الجهاد ، فلما وفدا على الوطاسي تلقاهما بالرحب وأقبل عليهما لأجل قيامهما بالجهاد وأعطاهما عدة وخيولا كثيرة فرجعا إلى جهادهما ثم عادا إليه مرة أخرى فاعطاهما مثل ذاك ، وكانت لهما وقائع في النصارى ونكاية وظهور ، وصارا يكتبان إلى القبائل فيساعدونهما على ذلك حتى اجتمعت عليهم جموع عديدة ، فحينئذ خلعا طاعة الوطاسي ودعوا لأنفسهما انتهى .

قال منويل وكان أكثر شهرة أمرهم بالسوس الاقصا ودرعة واعمالهما وصاروا يرفعون إليهم زكواتهم وأعشارهم ، ثم بايعوهم ونهض هؤلاء الأشراف إلى ردانة فاستولوا عليها وحصنوها ، ثم زحفوا الى أكدير لحرب البرتغال فقاتلوه مدة ولم يفتح لهم ، وكانوا يشيعون أنهم لا قصد لهم الا في الجهاد ومحاربة عدو الدين ، ومن هو سلم له من المسلمين إذ لم يتأت لهم إذذاك التصريح بخلع السلطان .

وفي سنة اثنتين وعشرين وتسعمئة تجاوزوا جبل درن الى بلاد حاحة والشياظمة ، ثم دخلوا بسيط عبدة . وكان بآسفي رجل متنصر إسمه يحيى ابن تاعفوفت احتمى بالبرتغال من السلطان، وكان معروفاً بالشجاعة، واتصل خبره بطاغية البرتغال منويل فولاه على النصارى وعلى أتباعه من المسلمين تأليفا له ، ولما زحف الأشراف إلى بلاد عبده كان بينهم وبين يحيى المذكور ونصاراه معركتان شديدتان ، وكان الظهور فيهما ليحيي ، لكن أحمد الأعرج تدارك أمره فوراً وجمع عسكراً آخر وخطبهم ووعظهم وزحف الى يحيى المذكور، ففضه وفضّ نصاراه الى أن انحجروا بآسفي وأغلقوه عليهم ، وأتيح لأحمد عليهم

ما لم يتقدم لغيره فيهم ، فبذلك تأتي له أن يتناول ملك المغرب ، ولما اتصل خبر هذا الظهور له بالسلطان الوطاسي لم يعجبه ذلك ، وظهر له أن ما كان أحمد وأخوه يحاولانه من أمر الجهاد لم يكن ظاهره كباطنه ، وحقق له ذلـك ما فعلوه من تحصين ردانة مع ما كـان لأبيهم من نفوذ الكـلمة بالسوس ، وكان في هذا التاريخ بمراكش وأعمالها عامل اسمه ناصر بوشنتوف ، وكان مستبداً على الوطاسي ويبذل له شيئاً تافهاً يتقيه به ، ولما مر به هؤلاء الأشراف في أول أمرهم داعين الى الجهاد أحسن إليهم غاية ، ولما أوقعوا وقعة آسفي أبرموا أمرهم مع ناصر أبي شنتوف وأظهروا له المحبة والموالاة ، وطلبوا منه أن يظاهرهم على جهاد العدو وأن يكونوا يداً واحدة عليه ، فأسعفهم وقدموا مراكش ، فدخلوها مرة ثانية وأحسن إليهم ، وبعد أيام خرجوا به للصيـد فسمـوه في خبز صغيـر يسمى القريشلات فهلك للحيـن وصفا للاشـراف مراكش وأعمالها اذ كان أهلها قد أحبوهم وشرهوا اليهم ، ولما تم لهم أمر درعة والسوس ومراكش ، تسمى أحمد باسم الأمير واستخلف أخاه مَحمد الشيخ ، ولما اتصل الخبر بالوطاسي وأنهم استولوا على مراكش أقلقه ذلك ، ومن مكر أحمد بعث إليه يقول ما أنا إلا واحد من عمالك وما كان يعطيه أهل هذه البلاد أبذله لك مضاعفاً ومع ذلك لم يطمئن اليه ، ثم هلك الوطاسي وولي مكانه ابنه أحمـد وانقسمت مملـكة المغـرب ، فصـار فاس للوطاسـي ، ومراكش وأعمالها لأحمد الأعـرج ، وردانـة والسوس ودرعة لمحمد الشيخ ، وأمـا عبد الكبير فانه كان استشهد قبل هذا في حرب البرتغال قرب آسفي ، ولمـا رأى أحمد الوطاسي استفحال أمـر الاشراف وأنهم أمسكوا عنه ما وعـدوا بأدائه عزم على حربهم ، فجمع عسكراً عظيماً وزحف إلى مراكش فتحصن أحمد الأعرج بها ، وقدم عليه أخوه ، فظاهره على عدوه ، وفي أثناء حصار الوطاسي لمراكش اتصل به الخبر بأن أهل فاس قد قاموا عليه وبايعوا بعض إخوته ، فرجع إلى فاس وقبض على أخيه الثائر عليه ، ثم كرَّ إلى مراكش بعسكر أعظم من الأول وفي هذه المرة برز اليه الأشراف خارج البلد ثم تقدموا إليه ، فكان اللقاء على أبي عقبة من تادلة ، ووقعت بينهم حروب هائلة لأن الوطاسيين كانوا

يرون أن هذه الحروب هي الفيصل بينهم وبين عدوهم ، والاشراف كذلك ، وحضر هذه الحرب محمد ابن الأحمر سلطان الأندلس المخلوع ، وأبلى بلاء حسناً حتى قتل ، وكان الظهور للأشراف ، ورجع الوطاسي مفلولا إلى فاس، وترك محلته بما فيها من مدافع وغيرها بيد عدوه ، وبعد هذه الوقعة استولى الأشراف على فيلالة وملكوا أكدير وآسفي وأزمور ، لأن البرتغال كانوا قد تخلوا عنه ، ثم عن قريب حدث بين الأخوين النفرة وحاول رجال دولتهما الوفاق بينهما فلم يتفقا ، وكانت الكرة على أحمد ، وفر ابنه زيدان الذي كان عضد أبيه في الحروب إلى فيلالة فاستولى عليها واقتطعها عن عمه محمد الشيخ ، ثم زحف الشيخ إلى فاس فحاصرها إلى أن قبض على الوطاسيين وغربهم الى درعة .

انتهى كلام منويل .

ثم نرجع إلى سياقة الخبر عن هذه الدولة حسبما عند اليفرني وغيره.

أخبار الأمير محمد القائم في الجهاد وما هيأ الله له من النصر فيه

لما استتب أمر الأمير محمد القائم ، واجتمعت كلمة القبائل السوسية عليه ، ندب الناس إلى مقارعة البرتغال وجهاده ونفيهم عن ثغور المغرب وبلاده، وكانت معه يومئذ جموع حافلة من المسلمين ، فصمدوا معه إلى النصارى وناوشوهم الحرب ، فأتاح الله للأمير محمد الفتح والنصر ، ونثر أشلاء الكفار بمخالب الظفر ، وأخرج حية الغي من جحرها ، وأعاد كلمة الاسلام الى مقرها ، فلما رأى المسلمون ذلك تيمنوا بطلعته وتفاءلوا بطائره الميمون ونقيبته ، وزادهم ذلك محبة في جانبه وتعظيماً ومكانة ، ولما فصل من جهاده عاد إلى محله المذكور من تيدسي ، فوقع بينه وبين بعض الرؤساء هنالك منافرة أدت الى ارتحاله عنها وعوده الى درعة ، فلم يزل مقيماً بها الى سنة ثمان عشرة وتسعمئة ، فرجع الى مكانه من تيدسي واطمأنت به دارها ، وأزال الله عنه ما كان أزعجه منها ، والله غالب على أمره .

عقد الأمير محمد القائم ولاية العهد لابنه أحمد الأعرج رحمه الله تعالى

قد تقدم لنا ما كان من أمر الرؤيا التي رآها الأمير محمد القائم في شأن ولديه وأنهما يملكان المغرب ، وفي معنى ذلك أيضاً ما يحكى شائعاً أن ولدي محمد المذكور وهما أحمد الأعرج ومحمد الشيخ كانا يقرآن في مكتب وهما صبيان فدخل ديك فوثب على رأس كل منهما وصرخ ، فاول ذلك مؤدبهما بأنهما سيكون لهما شأن ، فمن أجل هذا ونحوه كان والدهما يعلن بأن أمر المغرب صائر إليهما ، فلما قضى الله ببيعته واجتماع الناس عليه ، واطمأنت به في البلاد السوسية الدار ، وطاب له بها المقام والقرار ، ندب الناس إلى بيعته أكبر ولديه وهو الأمير أحمد المعروف بالأعرج فبايعوه وكان ذلك مبدأ ظهور أمره على ما نذكره إن شاء الله .

انتقال الأمير محمد القائم إلى آفغال من بلاد حاحة ووفاته بها رحمه الله

ثم ان محمد القائم وفد عليه أشياخ حاحة والشياظمة لما بلغهم من حسن سيرته ونصرة لوائه ، فشكوا إليه أمر البرتغال ببلادهم وشدة شوكته ، واستطالته عليهم ، وطلبوا منه أن ينتقل إليهم هو وولده ولي العهد المذكور ، فأجابهم الى ذلك ونهض معهم هو وابنه أحمد الى الموضع المعروف بآفغال من بلاد حاحة ، وترك ولده الأصغر محمد الشيخ بالسوس يرتب الأمور ويمهد المملكة ويباكر العدو بالقتال ويراوحه ، واستمر الامير محمد القائم بمكانه من آفغال مسموع الكلمة متبوع العقب إلى أن توفي به سنة ثلاث وعشرين وتسعمئة ، ودفن هنالك بازاء ضريح الشيخ محمد بن سليمان الجزولي رضي الله عنه الى أن نقل إلى مراكش بنقل الشيخ المذكور (1) .

630) محمد بن محمد الشيخ المعروف بالبرتغالي الوطاسي

لما توفي السلطان محمد بويع ابنه محمد البرتغالي في سنة عشر وتسعمئة ، وكان نصارى سبتة وطنجة وأصيلة قد استحوذوا على بلاد الهبط ، وضايقوا المسلمين بها حتى ألجؤوهم الى قصر كتامة ، فكان هو الثغر يومئذ بين بلاد المسلمين وبلاد النصارى كما مر ، وكان السلطان محمد هذا قد

---

1) هذه الترجمة منقولة بالحرف من الاستقصا 5 : 6 طبع الدار البيضاء .

عني بجهادهم وترديد الغزو إليهم والاجلاب عليهم حتى شغل بذلك عن البلاد المراكشية وسواحلها ، فكان ذلك سبباً لظهور الدولة السعدية بها سنة خمسة عشر وتسعمئة على ما نذكره ان شاء الله .

استيلاء البرتغال على ثغر آسفي حرسه الله

قال منويل : كان البرتغال قد تشوفوا للاستيلاء على آسفي ، وكان أهلها فيهم شجاعة أكثر من غيرهم من أهل الثغور ، فزحفوا إليها وجرى بينهم وبين أهلها قتال شديد هلك فيه عدد كثير من البرتغال ، وعظم عليهم أن تمتنع منهم بلدة صغيرة ليس لها حامية سوى أهلها ، ثم طاولوها بالحصار حتى قل القوت عند أهل آسفي وأشرفوا على الهلاك ، فحينئذ شارطوا البرتغال وأسلموها إليهم على الأمان ، فاستولوا عليها وحصنوها غاية لتوقعهم كرة المسلمين عليهم فكان كذلك ، فانهم زحفوا اليهم بعد ثلاث سنين من أخذها ، ووقع بينهم وبين البرتغال حرب شديدة كانت صفوف المسلمين تترادف فيها كأمواج البحر ، وقتل قواد عسكر البرتغال وكبارهم ، ثم قدمت عليهم شكوادره من مادرة بالعسكر والزاد ، فقويت نفوس البرتغال وارتحل المسلمون عنها بعد أن أشرفوا على الفتح ، وتبعهم البرتغال لينتهزوا فيهم الفرصة ، فكرّ المسلمون عليهم واستلبوهم ، وهذا أول حصار كان على آسفي ، ثم بعد سنين قلائل ، زحف المسلمون إليها أيضاً ومعهم عدد من المدافع وقاتلوا قتالا صعباً ، وزحفوا إلى السور فهدموا منه ثلمة كبيرة واشتد القتال عليها بما خرج على العادة، ثم رحل المسلمون من غير فتح، وأعرضوا عنها مدة لم يحدّثوا أنفسهم بقتال ، وعمرت آسفي بالنصارى وانتقل إليها التجار وبنوا بها الدور وكانوا يسقون منها الحبوب ويحملونها في السفن إلى بلادهم، ولعل ذلك لهدنة كانت لهم مع المسلمين ، ثم عادت للمسلمين بعد نحو ثلاث وعشرين سنة .

وقال الشيخ محمد العربي الفاسي في (مرآة المحاسن) ما نصه : قرأت بخط شيخنا محمد القصار أن صاحب آسفي أخرج الشيخ محمد بن سليمان الجزولي عنها فدعا عليهم فسئل منه العفو ، فقال : أربعين سنة ، فأخذها النصارى بعدها ، انتهى .

وهذا يقتضي أن استيلائهم عليها كان في حدود عشر وتسعمئة ، لأن وفاة الشيخ الجزولي رحمه الله كانت في سنة سبعين وثمانمئة كما مر ، وعند الفرنج ما يقتضي أن استيلائهم عليها كان بعد ذلك بسنتين أو ثلاث والله أعلم .

زحف السلطان محمد البرتغالي الى أصيلة

قال منويل : لما أفضى الأمر إلى السلطان محمد بن محمد الشيخ الوطاسي ، أراد أن يأخذ بثأره من البرتغال الذين أسروه سبع سنين ، فزحف إلى أصيلة في حدود أربع عشرة وتسعمئة وحاصرها وطال قتاله عليها ، ثم اقتحمها المسلمون عليهم اقتحاماً ، واقتتلوا في وسط الأزقة والأسواق يومين ، ثم جاء المدد الى البرتغال من طنجة وجبل طارق ، فقويت نفوسهم وخرج المسلمون عنهم ، لكن ما خرجوا حتى هدموها وأحرقوها ولم يتركوا لهم بها إلا الخرابات ، ثم جد البرتغال في اصلاحها وأقاموا بها برهة من الدهر إلى أن رجعت للمسلمين .

استيلاء البرتغال على ثغر ازمور حرسه الله

قال منويل : بعث طاغية البرتغال سنة أربعة عشر وتسعمئة إلى ثغر أزمور شكوا دره فيها ألفان من العسكر وأربعمئة خيالة، فدافعهم زيان الوطاسي ابن عم السلطان وشتت مراكب البرتغال في الساحل وتكسر جلها ، وعاث فيها المسلمون ورجع الباقي مفلولا ، ثم بعد أربع سنين بعث إليها الطاغية منويل شكوادره فيها عشرون ألفاً من العسكر ، وألفان وسبعمئة خيالة ، فانتهوا إلى أزمور وحاصروها بحراً ، وزحفوا إليها من الجديدة براً ، ووقعت حرب شديدة بينهم وبين أهل أزمور وأهل البادية ، ثم انهزم المسلمون وخرجوا من باب تركه لهم البرتغال قصداً ، قال : لأنه يقال في المثل الفار منك في الحرب اجعل له قنطرة من فضة يعبر عليها ، وقال في (النزهة) : كان نزول النصارى بأزمور سنة أربعة عشر وتسعمئة ، قال : وفي هذه السنة بنى النصارى حجر بادس ، وفي أواخر المحرم منها أخذ النصارى يعني — الاصبنيول — مدينة وهران ونكبوا أهلها ، فما منهم إلا أسير أو قتيل إلى أن أعادها الله للاسلام على يد الأتراك في حدود العشرين ومئة وألف انتهى .

قلت : أهل أزمور يزعمون أن استيــلاء البرتغال على مدينتهم كــان متكرراً ، وسياتي ما يفهم منه ذلك والله أعلم .

ومن أخبار السلطان محمد ما وقفت عليه في تاريخ البرتغاليين مــن أن السلطان المذكــور كتب لطاغيتهم منويل يطلب منــه أن يتقدم بالوصاة لأصحاب قراصينه البحرية أن لا يتعرضوا لمركبين له كان قد عزم على بعثهما إلى الجزائر ، ثم منها إلى تونس ، وكان الطاغية لم يجبه أو أبطأ بالجواب ، فكرر إليه الكتاب ثانياً في القضية المذكورة وسرد هذا المؤرخ نص الكتابين معاً مترجمين بلغته ، وذكر أن تاريخ الأول منهما الثالث والعشرون من جمادى سنة عشرين وتسعمئة ، وتاريخ الثاني الثامن والعشرون من ذي القعدة من السنــة هـ .

استيلاء البرتغال على ثغر المعمورة حرسه الله

قال في (نشر المثاني) : إن الذي اختطَّ حصن المعمورة هو المهدي الشيعي على يد بعض عماله ، وزعم بعض الفرنج أن المعمورة من بناء يعقوب المنصور الموحدي ، قال : ولما كان زمان منويل البرتغالي ، بلغه أن ميناء المعمورة جيدة وبلادها نفاعة ، فبعث إليها طائفة من جنده فوصلوا إلى ساحلها ونزلوا في البر المقابل لها وبنوا هنالك بــرجاً لحصارها ، ثم اردفهم ملكهــم بعمارة تشتمل على مئتي مركب مشحونة بثمانية آلاف من المقاتلة ، قال : وكان خروج هذه العمارة من مدينة إشبونة في اليوم الثالث عشر من يونيو العجمي سنة ألف وخمسمئة وخمس عشرة مسيحية ، قلت : ويوافقها من تاريخ الهجرة تقريباً سنة إحدى وعشريــن وتسعمئة ، فوافت ميناء المعمورة فــي الثالث والعشرين من يونيو المذكور ، وحاصروها وألحوا عليها بالقتال أياماً ، وبلغ الخبر بذلك إلى السلطان محمد البرتغالي ، فبعث أخاه الناصر صريخاً فــي جيش كثيف ، فوصل سادس غشت من السنة المذكورة وقاتل البرتغال قتالا شديداً وهزمهم هزيمة قبيحة ، ثم كانت لهم الكرة على المسلمين فهزموهم واستولوا على المعمورة ، وثبت قدمهم بها وحصنوها بالسور الموجود بهــا الآن ، واستمروا بها نحو خمس سنين ، ثم استرجعها المسلمون منهم فــي دولة السلطان المذكور والله تعالى أعلم .

وفي السنة التي استولوا على المعمورة رجعوا إلى موضع مدينة آنفا فشرعوا في بنائها ، ومن يومئذ سميت الدار البيضاء وبقوا بها مدة طويلة الى زمن السلطان المولى عبد الله بن إسماعيل على ما زعم منويل .

أخبار السلطان محمد البرتغالي مع الشيخ عبد الله الغزواني رضي الله عنه

أصل الشيخ عبد الله الغزواني دفين حومة القصور من مراكش من غزوان قبيلة من عرب تامسنا ، وكان في ابتداء أمره يقرأ العلم بمدرسة الوادي من عدوة الأندلس بفاس فحصلت له إرادة فسافر الى مراكش ولازم الشيخ التباع وتخرج به ، ثم انتقل الى بلاد الهبط ، فنزل بها على قبيلة يقال لهم بنو فزنكار ، واجتمع عليه الناس واشتهر أمره وعظم صيته ، فبلغ ذلك السلطان أبا عبد الله وكان يومئذ ببلاد الهبط قد خرج إليها بقصد الغارة على نصارى أصيلة ، وكان معه في هذه الحركة الشيخ محمد ابن غازي الامام المشهور ، فتوهم السلطان المذكور من أمر الشيخ الغزواني وخشي على الدولة عاقبة أمره واغراه به مع ذلك الفقيه ابن عبد الكبير البادسي السفياني الأصل ، وكان هذا الفقيه يصحب الولاة والعمال ويخرج في بعوثهم قاضياً ، فكثرت سعايته بالشيخ حتى وقر ذلك في نفس السلطان فبعث إليه ، فحضر ، وأمر بالقبض عليه بالموضع المعروف بتاحناوت وجعله في سلسلة وبعث به إلى فاس ، وتقدم في شأنه الى ابن شقرون صاحب شرطته بقصبة فاس القديم ، وكان الشيخ ابن غازي قد مرض في هذه الغزوة وأمر السلطان بحمله الى منزله من فاس ، فلما وصل الى قرب عقبة المساجين اشتد به الحال وأمر أصحابه أن يريحوا به هنالك ، فبينما هو كذلك ، اذ مر به الشيخ الغزواني في سلسلته فسأل الموكلين به أن يعرجوا به على الشيخ ابن غازي كي يعوده ويؤدى حقه فلما وقف عليه طلب ابن غازي منه الدعاء فدعا له بخير وانصرف ، فلما غاب عنه قال ابن غازي لأصحابه : احفظوا وصيتي فاني راحل عنكم الى الله تعالى بلا شك ، قالوا له ياسيدي ما عندك باس ، فقال : إن الله وعدني أن لا يقبض روحي حتى يريني ولياً من أوليائه ، وقد أرانيه الساعة ، فدلني ذلك على انقضاء الأجل ، فحملوه من حينه الى منزله فكان آخر العهد به .

هكذا ساق هذا الخبر صاحب (الدوحة) في ترجمتي الشيخين المذكورين، وكانت وفاة ابن غازي أواخر جمادى الأولى سنة تسع عشرة وتسعمئة .

وقال صاحب (المرآة) عن بعض شيوخه بعد أن ذكر سعاية ابن عبد الكبير بالشيخ الغزواني ما نصه : فتحرك الشيخ الغزواني لزيارة ضريح الشيخ أبي سلهام ، فعرض له العروسي قائد القصر الكبير وناوله كتاب السلطان يأمر فيه بقدوم الشيخ إلى فاس دار الملك أذذاك ، فقال له الشيخ : طاعة السلطان واجبة ، وقال للزائرين معه : بلغت النية فتوجه الشيخ إلى فاس من ذلك المكان وكلما بات في منزل ذهبت جماعة من الذين معه فلم يصل معه إلا القليل ، وكان الشيخ عبد الوارث اليالصوتي إذذاك ساكناً بفاس ، ولم يكن صحب الشيخ قبل ذلك ، فلما دخل الشيخ حضرة فاس لقيه اليالصوتي المذكور فسلم عليه ، فشد الشيخ يده على يده فلم يرسلها حتى عاهده على الرجوع ، فلما انفصل عنه ، اشترى خبزاً وعنباً وحمل ذلك الى الشيخ وأصحابه فوجدهم عند القاضي محمد بن أحمد بن عبد الله اليفرني المكناسي ، وهو مؤلف (المجالس المكناسية) ، فوجدهم في المسجد القريب من دار القاضي المذكور بدرب السعود ، فناولهم ما معه ووجد الشيخ موكلا به وأصحابه يدخلون ويخرجون ، ثم دخل القاضي على الشيخ بالمسجد فقال له : ما هذا الذي يذكر عنك ؟ قال أبو البقاء : فتكلمت أنا وقلت : إن هذا الرجل قد نزل بلداً عظيمة المناكر وأخذت أعدد مناكرها ، وصار هذا السيد ينهاهم عن ذلك ، فهدى الله على يده من هدى ، وشننه من أبى ، فقام القاضي وركب الى دار السلطان ثم رجع إلى منزله ، فبات ومن الغد ركب إلى دار السلطان أيضاً ومعه الشيخ الغزواني ، فلما اطمأن بهم مجلس السلطان ، وكان فيه صاحب تازة وهو أحمد ابن الشيخ أخو السلطان المذكور سكت الجميع وتكلم كاتب السلطان وإمام صلاته قال صاحب (المرآة) : ولم يسم لنا فقال للشيخ : ما هذا الذي يذكر عنك ؟ فقال له الشيخ : أنت لا تتكلم حتى تغتسل من جنابتك، فاستشاط الكاتب غضباً فقال له أخو السلطان : هؤلاء القوم يعنون بالجنابة غير ما تعنيه العامة يشير إلى ما في الحكم ، فقال له السلطان : من أين تعرف هذا ؟ فقال له: من سيدي محمد بن عبد الرحيم ابن يجبش ، ففرح السلطان بمعرفة أخيه

ذلك وقال للشيخ : نحن نريد قربك وأن تكون معنا في هذه المدينة فقال له على بركة الله ، فانتقل الى فاس القديم وبنى خارج باب القليعة داخل باب الفتوح ، وأقام هنالك ما شاء الله ، قيل سبع سنين إلى أن كانت سنة تعذر فيها المطر ، وأخذ الناس في استخراج السواقي للحرث ، فأخرج الشيخ من وادي اللبن ساقية لم يكن في سواقي السلطان وغيره مثلها ، فبعث إليه أخو السلطان وهو الناصر الملقب بالكديد بالكاف المعقودة والدال المشددة على لغة العامة ، وقال له نحن أحق بتلك الساقية ، فقال له الشيخ : خذها ، وأخذ في الرحيل إلى مراكش ، ولما توجه تلقاءها أخذ خنيفة في يده وجعل يشير به من جهة فاس إلى جهة مراكش ويقول ايايا سلطنة إلى مراكش ، قال صاحب (المرآة) هذا حديث شيخنا أبي عبد الله النيجي ، قال : وآخنيف معروف ، وهو نوع من البرانيس السود ، ومعنى ـ أيا بلغة ـ عامة المغرب سيري معي ، وموضع بني فزنكار أظنه تاصروت ، فان بها رسماً منسوباً إليه إلى الآن ، وانه منزله الذي كان يأوي إليه ، وما زالت آثاره هنالك ، والدار التي بنى بباب القليعة هي المتصيرة إلى تلميذه الشيخ محمد بن علي الهروي المعروف بالطالب ، ولعل سنة إخراج السواقي هي سنة ست وعشرين وتسعمئة ، فانه قد تعذر فيها المطر ، وحدث عنها الغلاء الكبير المؤرخ بسنة سبع وعشرين وتسعمئة ، فانه قد تعذر فيها المطر وحدث عنها الغلاء الكبير المؤرخ بسنة سبع وعشرين وتسعمئة ، وكأنه أشار إلى انتقال السلطنة عن بني وطاس ملوك فاس إلى الشرفاء السعديين ملوك مراكش يومئذ ، والله أعلم .

نهوض السلطان محمد البرتغالي إلى مراكش ومحاصرته أحمد الأعرج السعدي بها

قد تقدم لنا أن ظهور الدولة السعدية ببلاد السوس كان في سنة خمس عشرة وتسعمئة ، وما زال أمرهم في الزيادة إلى أن كانت دولة أحمد الأعرج منهم ، فاستفحل أمره وبعد صيته ، وفتك بنصارى السوس ، فكاتبه أمراء هنتاتة أصحاب مراكش ودخلوا في طاعته ، فانتقل إليها وملكها في حدود الثلاثين وتسعمئة ، ولما اتصل خبره بالسلطان محمد وهو يومئذ بفاس قامت قيامته ، وأقبل في جموع عديدة ومعه وزيره ابن عمه المسعود بن الناصر،

كذا في (النزهة) ، والذي عند غيره أن الوزير الذي جاء معه هو الناصر أخو السلطان المذكور ، ولما رأى أحمد السعدي ما لا قبَل له به تحصن بمراكش وشحن أسوارها بالرماة ، فتقدم السلطان محمد ونصب الأنفاض على مراكش، ودام الحصار عليها أياماً ، فيحكى أنه قيل للشيخ عبد الله الغزواني ، وكان قد استوطن مراكش يومئذ أن أهل مراكش سئموا الحصار ، فركب الشيخ في جماعة من أصحابه وخرج من باب فاس المعروف اليوم بباب الخميس ، فوجد رماة السلطان محمد يرمون مَن على الأسوار من أهل البلد ، فوقف الشيخ ينظر رصاصة ضربت صدره وخرقت الجبة التي عليه ، والتصقت بلحمه كأنها وقعت في صخرة صماء ، فقبض عليها بيده وقال : هذه خاتمة حربهم ، ثم رجع إلى منزله ، فوردت الأنباء على السلطان محمد في تلك الليلة بأن بني عمه قد قاموا عليه بفاس ونبذوا دعوته ، فأصبح من الغد راحلا إلى فاس ، وظهر مصداق ما قال الشيخ الغزواني ، ولم يعد لبني وطاس وصول بعدها إلى مراكش ولا إلى أعمالها ، والله تعالى أعلم .

ذكر وزراء السلطان محمد الوطاسي وما قيل فيهم

كان من جملة وزرائه ابن عمه المسعود الناصر ، وهو الذي زحف معه إلى مراكش على ما في النزهة ، وكان من جملة وزرائه القائمين بأمره أخوه الناصر بن محمد المعروف عند عامة فاس بأبي علاقة وبالكديد على ما مر ، قال في (الجذوة) لقب بذلك لكثرة سفك الدماء وإقدامه عليه ، فكان يقتل الناس ويجززهم كثيراً ، وكذا بمكناسة أيام وزراته بها ، كذا حدث غير واحد ممن أدركه ورآه ، وتوفي الوزير المذكور سنة ثلاثين وتسعمئة .

وفاة السلطان محمد الوطاسي رحمه الله

كانت وفاة السلطان محمد البرتغالي سنة احدى وثلاثين وتسعمئة على ما في (الجذوة) ، ويؤخذ من (النزهة) أنها كانت سنة اثنتين وثلاثين بعدها والله أعلم ، وولي الأمر من بعده أخوه أبو حسون بولاية عهده إليه .

انتهى من (الاستقصا) (1) .

---

1) **الاستقصا** 4 : 140 طبع الدار البيضاء .

631) محمد بن عبد الرحمان الوقاد

محمد الوقاد بن عبد الرحمان بن علي بن عمر بن عبد السلام بن أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن الامام أبي بكر محمد بن عبد الله المعافري،

كان بمراكش مع ولده الامام المجتهد ، حلاه المنجور بالفاضل الأجل الأستاذ ، توفي سنة ست وثلاثين وتسعمئة ، وخلف ولده أحمد ، ومن جملة أولاده علي ، انتهى .

وترجم في (السلوة) لجديه عمر وعبد السلام ، وستأتي ترجمة والده عبد الرحمان ، وترجم الحضيكي في طبقاته لمحمد بن أحمد بن محمد التلمساني المعروف بابن الوقاد نزيل ردانة ولولده عبد الرحمان بن محمد بن أحمد .

632) محمد بن عيسى الكبير الفهدي السفياني الأصل ثم المختاري ،

نزيل مكناسة الزيتون ، الشيخ الولي الكبير ، الجليل الشهير ، شيخ الطائفة العيسوية بالمغرب ، وكانت آية في المحبة والأدب ، كما أن المسناوية غاية في اتباع السنة من مشايخ القرن العاشر ، المربي العارف بالله تعالى مورد المريدين ، ومفيد المسترشدين ، صاحب الافادة ، والتنويه والاشادة .

وكان رضي الله عنه من فحول المشايخ الداعين إلى حضرة الحق ، أخذ عن الشيخ أحمد الحارثي ، قال في (الدوحة) في ترجمته : سمعت بالتواتر من أهل مكناسة أيام سكناي بها كرامات كثيرة يتحدثون بها عن الشيخ ، وكان تلميذه شيخنا يوسف بن أبي مهدي يقول : سيدي ابن عيسى هو الأكسير الذي لا نظير له ، قال لي : ولقد حضرت عنده يوماً وقد جاء تلميذه الشيخ أبو الرواين وقال له : ياسيدي ، إني جعلت زمام نفسي بيدك ، وقد شغفت بحب النساء ، فان لم تكن لك عناية ربانية فصاحبك يعصى الله تعالى في هذه الليلة ، يعني نفسه ، ووالله حتى أفعل ، فقال الشيخ اذهب وافعل ما شئت ، فان الله قادر على أن لا تفعل ولن تستطيع ولو أردت بعناية الله

سبحانه ، قال : فلما كان من الغد جاء أبو الرواين وهو في غاية الضعف ووجهه مصفر ، فقلنا له مالك هكذا ؟ فقال شاهدت العجب البارحة ، فقلنا له وما ذلك ؟ قال ذهبت إلى امرأة عربية وتكلمت معها أن تبيت عندي لما سبق من يميني بالأمس ، فأتت فما كان إلا أن وصلت إليَّ وهممت بمواقعتها فاذا أنا كالمفلوج لا أستطيع تحريك عضو من أعضائي ، فبقيت مستلقياً على ظهري كالميت لا أقدر على نطق ولا حركة حتى إذا طلع الفجر سمعت صوت الشيخ وهو يقول : أتتوب إلى الله ياأبا الرواين ؟ فقلت بصوت خفي : أنا تائب لله ، فقال قم إلى صلاة الصبح ، فنهضت فاذا أنا قائم كأنما نشطت من عقال ، فلما دخلت على الشيخ قال : ياأبا الرواين ما فعلت ؟ فقلت ياسيدي من يكون في رعاية مثلك لا يخشى على نفسه غواية ، فقال الحمد لله على تأييده ورحمته ، ثم قال لنا أبو الرواين مَنْ لم يوكل على نفسه مثل هذا الشيخ فهو غرر ، فقضينا من أمره العجب ، ثم قال في (الدوحة) وعلى الجملة فهو أحد المشايخ الذين يقتدى بهم ، ويهتدي بهديهم ، انتهى .

وحكي عن الشيخ سيدي سعيد بن أبي بكر أنه لما حضر جنازته أخبر أصحابه أنه ما مات حتى تقطب ، وفي (المرآة) أنه أخذ عن الشيخ أحمد الحارثي وعلى يديه كان فتح له ، وأخذ بعده وبأمره عن الشيخ عبد العزيز التباع ، وعلى يديه كان تكميله ، أنتهى .

وفي (الاصليت) لأحمد بن أبي مُحلَّى أن الشيخ ابن عيسى أظنه لما توفي شيخه الحارثي ذهب لأخيه التباع ، فقال له : إن أخي الحارثي قد صفى درهمك ولكنه ما طبعه ، وغير المطبوع فى السوق قد لا يجوز ، اذهب فقد طبعته لك ، فلما مرَّ بالسيد الصغير السهلي وهو يرعى البقر ، وكان في البادية ربما رعاها ، قال له : أعد علي مقالة أخي التباع فحكاها له،ثم دار دورة حواليه فقال له ما معناه : هلا قال لك ها أنت وربك فمن عنده امتلا ابن عيسي مدداً حتى كان منه ما كان ، سمعت هذه الحكاية بالمعنى من أستاذي رضي الله عنه ، يعني سيدي محمد بن مبارك الزعري ، ولكني اختصرتها وهي أطول من ذلك ، انتهى .

قال في (الدوحة) : وتوفي رحمة الله عليه في أول العشرة الرابعة يعني من المئة العاشرة ، وقبره مزارة مشهورة خارج مكناسة من ناحية الغرب رضي الله عنه ونفعنا به آمين .

وقد منَّ الله تعالى علي بزيارته حين حللت مكناسة الزيتون في أواخر ربيع الثاني عام ستة وعشرين وثلاثمئة وألف ، وقبته هائلة مشيدة مملوءة الأنوار ، ظاهرة الأسرار .

ترجمه في (المرآة) ، و (الدوحة) ، و (الممتع) وغيرها .

633) **محمد بن داوود الشاوي** ، من أولاد بو رزق ، ثم أولاد بو زيري ، من الشاوية ، دفين أزراق من تادلة الشهير الجذب ، القوي الحب ، من مشايخ القرن العاشر ، عروس الفضلاء الأخيار ، ونخبة المحبين من الأولياء الأبرار ، شيخ من مشايخ الصوفية ، أخذ عن الشيخ عبد العزيز التباع بمراكش ، وانتفع الناس به ، وكثر التائبون إلى الله على يده ، وله مآثر جمة ، ومناقب كثيرة مشهورة ، وقد تقدم خبر بدء صحبته للشيخ التباع في ترجمة الشيخ الغزواني ، قال في (المرآة) : وكان الشيخ علي بن إبراهيم البوزيدي نزيل أجرض ودفينه شاركه في صحبة الشيخ عبد العزيز ، ثم سلب له الارادة كحال البداية وتسبب في مجيئه إلى أزراق ، وسمعت أنها كانت سنة غلاء بتامسنا ، فلما جاء سيدي محمد بن داوود فوض إليه سيدي علي جميع أموره ووضع مفاتيح الأهراء بيده ، وصار كواحد من تلامذته ، انتهى .

ويقال أن كل واحد منهما أخبر صاحبه باقتراب أجله في شعر من الملحون متغنياً به يحفظه متفقرة أهل تلك البلاد ، فماتا متقاربين رضي الله عنهما .

ترجمه في (الدوحة) و (الممتع) (1) .

634) **مَحمد الحران بن محمد المهدي السعدي**

مَحمد المدعو بالحران بن السلطان محمد المهدي الملقب بالشيخ بن محمد القائم الحسني السعدي ، هو أنجب أولاده رحمه الله ، وهو

1) تنظر الترجمة الوافية للشيخ محمد بن عيسى فى **اتحاف اعلام الناس** 4 : 11 .

الذي كان يتقدم للحروب ، ولم يفتح لأبيه من البلاد إلا ما فتح على يده ، وهو الذي كان يناديه سيدي أبو الروائن ويقول قبل أن يكون للأشراف ذكر ياحران جيء فاني قد أعطيتك الغرب ! فلم يفقه الناس قوله إلى أن ظهر مولاي محمد الحران .

توفي قتيلا على تلمسان عام ستة وخمسين وتسعمئة .

قال المنجور في فهرسته : حضرت يوماً مجلس أمير المومنين محمد الشيخ وقد حضر عنده أولاده الصناديد الأمراء المولى محمد الحران ، والمولى عبد القادر ، والمولى عبد الله ، فدخل شيخنا الامام محمد اليسيتني ، فلما نظر إليهم حول أبيهم أنشد بيت تلخيص المفتاح :

فقلت عسى أن تبصريني كأنما بنيَّ حواليَّ الأسود الحوارد

فأعجب ذلك السلطان وأولاده رحمة الله عليهم . انتهى ، ونقله في (النزهة) .

635) **محمد بن علي الخروبي الطرابلسي المنشأ**، نزيل الجزائر، ودفين خارجها ، كان من أهل الحديث والفقه والتصوف والصلاح، واقفاً على أغراضهم، جمع في التصوف والأذكار والأوراد كتباً ، منها : شرح الحكم لابن عطاء الله ، ورسالة ردّ فيها على الشيخ أبي عمرو القسطلي المراكشي لما قدم المترجم إلى مراكش سنة إحدى وستين وتسعمئة في شأن عقد المهادنة بين السلطان محمد المهدي الشيخ ودولة الترك وتحديد البلاد ، وقد أكرم السلطان وفادته ، ولم تظهر ثمرة لمقدمه ، وأنكر المترجم في هذه الرسالة على الشيخ أبي عمرو المذكور حلق شعر التائب الذي يريد الدخول في طريق القوم ، وقال إنه بدعة فقالوا له : إن الشيخ الجزولي كان يفعله ، فقال لهم : لعله بإذن والاذن له لا يعمكم ، فان الاذن للنبي يعم أتباعه ، والاذن للولي لا يعم أتباعه ، وأنكر عليه مسائل كثيرة ، وبعث إليه بهذه الرسالة التي أقذع فيها له ، وقد ذكرها وجوابها الزروالي في تأليفه ، وحدث بعض الجزائريين أنه رأى تفسيراً له على القرآن العظيم بجزائر مزغنة وغير ذلك ، وكان جماعاً للكتب ، خطيباً

بالجزائر ، وكان له وجاهة عند أمراء بني عثمان ، استعملوه في السفارة بينهم وبين محمد المهدي الشريف الحسني مرتين ، فورد المغرب فأخذ عنه كثير من أهله ، ودخل مدينة فاس وأجاز فيها لمحمد الحضري الوزروالي في تاريخ سنة تسع وخمسين وتسعمئة ، وذهب إلى مراكش وخلف خزانة من كتب العلم .

أخذ عن محمد بن عبد الله الزيتوني ، وعن أحمد بن أحمد زروق ، وعن عمر العطاوي الراشدى عن عبد الجليل بن محمد الراشدي ، ومحمد ابن مرزوق ، وابن زكرياء المغراوي ، وعبد الرحمان الثعالبي . وأخذ أيضاً الخروبي عن عمر ابن زيان المديوني ، عن محمد بن يوسف السنوسي ، عن إبراهيم التازي صاحب وهران عن محمد بن واضح الشلبي .

قال في (الجذوة) : أجاز لي عنه شيخنا محمد بن يوسف الترغي ، ومحمد بن أحمد الحضري وعاينت إجازته للشيخين معاً .

توفي بالجزائر بالوباء الذي كان بعد الستين وتسعمئة ، لأن الوباء الذي كان بمدينة فاس عام خمسة وستين ، أنظر هل سبق من الجزائر أو من مدينة فاس ؟ انتهى .

وله شرح على الصلاة المشيشية نقل منه في (المنح الصفية) .

وقال في (المرآة) : وأخذ أيضاً الشيخ أبو النعيم سيدي رضوان الجنوى عن سيدي محمد بن علي الخروبي الطرابلسي نزيل الجزائر ودفين خارجها ، وتوفي سنة ثلاث وستين وتسعمئة كالذي قبله ، يعني سيدي أحمد بن يوسف الراشدي ، قاله سيدي رضوان وهو أي الطرابلسي واسع العلم والمعرفة ، شهير الذكر ، وله التآليف العديدة ، انتهى المقصود منه .

ووقفت على شرحه لأصول الطريقة للشيخ زروق ، وقال الشيخ حسن العجمي في (رسالة الطرق الصوفية) المفتتح بالطريقة المحمدية قال عند ذكرها : مبناها على متابعة السنة في الأقوال والأفعال . والاشتغال بالصلاة

على النبي صلى الله عليه وسلم ، ومن المعلوم أن تفصيل السنن يطول ، ومن أنفع الكتب ان شاء الله تعالى لمن أراد الله له الجري على هذه المحجة الشريفة كتاب (كفاية المريد) للشيخ محمد بن علي الخروبي ، فانه بين فيه ذلك أحسن بيان ، ولذا قال مؤلفه في بعض كتبه : إن كتابنا (كفاية المريد) واجب على كل سالك تحصيله انتهى .

و (رسالة الطرق الصوفية) في نحو ثلاثة كراريس ونصف من القالب الرباعي أتمها في ذي القعدة عام 1073 ، كما أن رسالة المترجم لأبي عمرو المراكشي هي في نحو ورقة من القالب الكبير وقفت عليهما .

636) محمد المهدي بن محمد (القائم بأمر الله) السعدي

محمد المهدي المعروف بالشيخ ابن الأمير محمد القائم بأمر الله السعدي الحسني، كانت ولادة المترجم السلطان أبي عبد الله سنة ست وتسعين وثمانمئة، ويلقب بالشيخ وبـ «أمغار» وهو الشيخ بالبربرية، ويلقب من الألقاب السلطانية بالمهدي، لقبه به غير واحد أيمة عصره، ونشأ في عفاف وصيانة، وعني بالعلم في صغره وتعلق بأهدابه ، فأخذه عن جماعة من الشيوخ ، وبلغ فيه إلى درجة الرسوخ (1) .

وقال في (المنتقى المقصور) ما نصه :

كان ملكاً شجاعاً مقداماً متفنناً أديباً حافظا ، قال : حدثني شيخنا أبو راشد ، أنه كان ممتع المجالسة والمذاكرة ، وحسن السيرة والمخابرة ، نقي الشيبة ، عظيم الهيبة ، حسن السيرة ، سالم السريرة ، وقال لي : ما رأيت بعد شيخي علي بن هارون أحفظ منه للمقطعات الشعرية ، والملح النثرية ،وكثيراً ما كان ينشد :

الناس كالناس والأيام واحدة ... والدهر كالدهر والدنيا لمن غلبا

---

1) العبارة من الاستقصا 5 : 19 طبع الدار البيضاء .

وقال لي : كان حافظاً للقرآن ، وكان فهمه له جيداً ، ويحفظ ديوان المتنبي على ظهر قلبه ، وكان حافظاً لصحيح البخاري ، ويستحضر ما للناس عليه ، ويقول في (فتح الباري) لابن حجر : ما صنف في الاسلام مثله ، وكان عارفاً بالتفسير والفقه وغير ذلك .

أخذ العلم عن أبي الحسن بن عثمان الجزولي أحد تلاميذ الشيخ ابن غازي وأحمد الونشريسي .

توفي في اثنين وثلاثين وتسعمئة .

وحدثني عنه أيضاً أبو راشد أنه كان يحض على المشورة ويقول : لا سيما في حق الملك ، وينشد :

ومن جهلت نفسه قـــــدره   رأى غيره منه ما لا يـــــرى

وكان يقول : ينبغي للملك أن يكون طويل الأمل ، فان طول الأمل وان كان لا يحسن من غيره فهو منه صالح ، لأن الرعية تصلح بطول أمله .

وحدثني عنه أنه كان يقول : من طول أمله أخذ تلمسان وسبتة وغيرهما ، وكان رحمه الله يطيل الأمل كثيراً . ومن مآثره رضي الله عنه ما كان يأمر به من بناء القناطر كالجسر العظيم الذي على وادي سبو ، والجسر العظيم الذي على وادي أم الربيع ، وغير ذلك من الحسنات .

حدثني شيخنا أبو راشد بحكاية عن الامام الشيخ المهدي أنه كان يحدثهم عن شيخه أبي علي المذكور ، أنه لما أكمل قراءته على الشيخ ابن غازي وأراد الرجوع إلى وطنه ، فجاء إلى الشيخ ليودعه فأخذ الشيخ بيده اليمنى وقال : استودع الله دينك وأمانتك ، وخواتم عملك ، ثم قال الشيخ بعد ذلك : الآن أجزأت فاس أي ولدت الاناث ، ومثله على تأويل قوله تعالى « وجعلوا له من عباده جزءاً » ، أي إناثاً ، ثم ذكر من تلامذة ابن غازي أبا عبد الله الانفاسى الكفيف المتوفي سنة سبع وعشرين وتسعمئة ، وهو الذي ذيل بيتاً من الاقدمين ، والبيت هو :

لقد هتكت قلبي سهام جفونهـــــا كما هتك اللخمي مذهب مالـــــك

فقال الكفيف : وصال على الأوصال بالقد الى آخر الابيات الثلاثة ، والشيخ محمد غازي ولد الشيخ ابـن غازى سارد البخاري لأبيه ، والشيـخ عثمان بن عبد الواحد اللمطي المكناسي والد الشيخ المؤلف أحمد المتولـد سنة ثمان وثمانين وثمانمئة ، المتوفي سنة 974 ، والشيخ محمد بن أحمد بن عبد الله العبسي .

ثم قال : وأخذ والد مولانا أيضاً رضي الله عنه عن عبد الله بن عمـر المطغري ـ مطغرة سجلماسة ـ أحد تلامذة الشيخ ابن غازي والامام القوري ، والشيخ علي بن هارون ، وممن شاركه في ابن غازي عبد الرحمان البردعـي الجذامي الأندلسي ، كان مع الشيخ ابن غازي عند قبر الولي الصالح سيدي محمد بن عباد ، فأنشد بيتين في شجرة لوز كانت هنالك في ابان نورها .

توفي البردعي في حدود العشرين وتسعمئة .

وقال : لما وقف على أبيات ابن حجر ، والعيني ، في صومعة المؤيدية بالقاهرة المعزية كالتنكيت عليهما :

كلاكما أحسن التعريض حين هجا وقال قولا بديعا رائقاً بهجـــــا
فاستغفرا الله ياشيخي وانتدبـــا لتوبة وطريق الحق فانتهجـــا

قال : وأما والد مولانا رضي الله تعالى عنه ، فتوفي سنة أربع وستين وتسعمئــة .

ووصف المترجم في (المرآة) بأنه ماهد دولة الشرفاء ، وأبو الاملاك ، وذكـر في (الدوحـة) : أنه كان يـأتي لزيارة الشيـخ سيدي عبد الكريـم الفلاح بزاويته ، وذكر المنجور في فهرسته : أنه كان قارىء التفسير علـى الشيـخ اليستنـي بين يدي أمير المومنين العالم العامل المقدس المجاهـد مـولاي مَحمد الشيخ المهـدي ، وأنـه لما مـات الشيـخ اليسيتني يـوم الاربعاء ستة عشر من المحرم فاتح تسعة وخمسين، ورفع خبره مع ولده الفقيه

محمد إليه ، وجده يقرأ وِرْدَهُ بحمام المريني ، خرج وهو يبكي بصوت عال يفجع من سمعه حتى رأوا فيه العجب ، وما سكت إلا بعد مدة لما كان يعلم منه من صحة الدين والنصح لخاصة المسلمين ، وحضر جنازته ، وسالت دموعه عليه أيضاً حين الدفن .

ثم قال : حضرت يوماً بمجلس أمير المومنين المذكور ، وقد حضر عنده أولاده الصناديد : مولانا محمد الحران ، ومولانا عبد القادر ، ومولانا عبد الله ، فلما نظر شيخنا يعني اليسيتني ، أنشد بيت (تلخيص المفتاح) :

فقلت عسى أن تبصريني كانما   بني حوالي الأسود الحوارد

فاعجب ذلك مولانا السلطان وأولاده الكرام رحمة الله تعالى على جميعهم.

ثم قال : وندبه – يعني اليسيتني – الى شرح المختصر أمير المومنين الفقيه المتفنن في الدين المقدس المرحوم مولانا محمد الشيخ المهدي الشريف الحسني ، انتهى في الشرح المذكور إلى النواقض أو قريب منها فقطع الموت ، انتهى .

غريبة

جعل في (شذور الذهب،في خير نسب) النسابة الشريف سيدي التهامي ابن رحمون العلمي الملوك السعديين من ذرية سيدنا عثمان بن عفان من زوجتنا مولاتنا رقية بنت النبي صلى الله عليه وسلم ، والشرف ثابت لهم لان الشرف من قبل الأم ثابت الى يوم النفخ في الصور هكذا قال .

فتح حصن فونتي وآسفي وزمور وماقيل في ذلك (1)

ولما استقل السلطان محمد الشيخ بأمر السوس ، واجتمعت كلمته عليه ، صرف عزمه الى جهاد العدو الذي بثغوره وحصونه ، وأرهف حده لتطهيرها من بقايا شغبه وزبونه ، فانتصر عليهم ، واستأصل شافتهم ، وقطع من تلك النواحي دابرهم ، وحسم آفتهم .

---

1) ابتداء من هذا العنوان ينقل المؤلف من **الاستقصا** 5 : 19 .

قال ابن القاضي : كان الشيخ ، رحمه الله ، ماضي العزيمة ، قـوي الشكيمة ، عظيم الهيبة ، كثير الغزوات ، ذا همة عالية وشهامة غالبة ، قعد قواعد الملك، وأسس مبانيه وأحيى مراسم الخلافة الدارسة ومعالمها الطامسة، وكان له سعد وبخت عظيم في الجهاد ، ويد بيضاء في الاسلام ، فتح حصـن النصارى بالسوس يعني فونتي بعد ان أقاموا فيه اثنتين وسبعين سنة . وكان منصـوراً بالرعب حتى تركوا له آسفي وأزمـور وأصيلة من غيـر قتال ولا إيجاف عليهم انتهى .

ونحو هذا في تاريخ البرتغاليين زاد مؤرخهم : ان ذلك كان بـاذن طاغيتهم صاحب لشبونة ، وقد تقدم نحو هذا في أخبار الأعرج والجواب عنه ، وكان فتح فونتي سنة سبع وأربعين وتسعمئة ، كما في (النزهة) ، وفتـح آسفي سنة ثمان وأربعين بعدها كما في (المرآة) وعند البرتغاليين ان ذلك كان سنة ألف وخمسمئة واثنتين وأربعين مسيحية وهو موافق لهذا التاريخ الهجـري .

وفي (النزهة) لما أخلى النصارى أزمور تسارع إليها جماعة مـن الفقراء ، منهم الشيخ عبد الله الكوش دفين جبل العرض من فاس ، والشيخ عبد الله بن ساسي دفين تانسيفت قرب مراكش ، فقعدوا بها يحرسونها حتى يأتي مدد المسلمين ومن يعمرها منهم مخافة أن يرجع اليها العدو ، فاذا بـه قد رجع واقتحمها عليهم وأسرهم الى أن افتكّهم المسلمون .

قال منويل : كان فداؤهما بألفي ريال ومئتي ريال بالتثنية فيهما ، ولما افتدى الشيخ الكوش ، وعزم على الخروج وكان أسيراً عند امرأة نصرانيـة ناولته كتباً للمسلمين وقالت له : هـذه كتب كانت عندي ولا حاجة لي بهـا فخذها اليك ! فأخذها وخرج بها في قفة على رأسه فكان مـن جملتها كتاب (تنبيه الانام) الموضوع في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، فكان ذلك أول دخوله لهذه البلاد على يد الشيخ المذكور انتهى .

بناء حصن أكدير

قال الشيخ أحمد ابن القاضي في كتابه (المنتقى المقصور) : كانت للأمير السلطان محمد الشيخ مآثر حسنة منها : انه أول من اختط مرسى أكدير بالسوس الأقصا سنة سبع وأربعين وتسعمئة ، لما أجلى النصارى من الموضع المعروف بفونتى على مقربة من أكدير المذكور ، وكان له في اختطاطه رأي مصيب وفراسة تامة .

استيلاء السلطان محمد الشيخ على مراكش وتجديد البيعة له بها

كان السلطان محمد الشيخ بعد القبض على أخيه واستقلاله بالأمر قد أقام بالبلاد السوسية مثابراً على جهاد العدو الى أن قلع عروق مفسدته منها وكانت مراكش في هذه المدة توقفت عن بيعته وتربصت عن الدخول في دعوته اتقاء للوطاسيين وارتياء في أمره الى ما ذا يؤول، واستمر الحال الى سنة احدى وخمسين وتسعمئة . فانقادت له حينئذ وبايعه أهلها فقدمها واستولى عليها ، وخلص له جميع ما كان بيد أخيه المخلوع من تادلة الى وادي نول ، والله غالب على أمره .

نهوض السلطان محمد الشيخ لحرب بني وطاس واستيلاؤه على مكناسة وما اتفق له في ذلك

لما استولى السلطان محمد الشيخ على مراكش ، وصفت له أعمالها ، طمحت نفسه للاستيلاء على بقية بلاد المغرب وأمصاره ، وقطع جرثومة الوطاسيين من سائر أقطاره ، فجمع الجموع وتقدم بها إلى أعمال فاس، فلم يزل يستفتحها بلداً بلداً ، ومصرا مصراً إلى أن أتى عليها أجمع ، وكان أول ما ملك منها مكناسة الزيتون ، فانه افتتحها عقب سنة خمس وخمسين وتسعمئة بعد حصار وقتال كبير .

حصار السلطان محمد الشيخ حضرة فاس ومقتل الشيخ عبد الواحد الونشريسي رحمه الله

كان السلطان محمد الشيخ قد ألح على فاس بالقتال ، وحاصرها حصاراً طويلا ، ولما عسر عليه أمرها بحث عن ذلك فقيل له : لا سبيل لك إليها ، ولا يبايعك أهلها إلا اذا بايعك ابن الونشريسي ، يعنون الشيخ الفقيه عبد الواحد بن أحمد الونشريسي رحمه الله . فبعث إليه السلطان المذكور سراً ووعده ومنّاه ، فقال له الشيخ عبد الواحد : بيعة هذا السلطان ، يعني أحمد الوطاسي ، في رقبتي ولا يحلُّ لي خلعها الا لموجب شرعي ، وهو غير موجود ، وزعم بعضهم أن السلطان المذكور كتب الى أهل فاس يقول لهم : اني ان دخلت فاساً صلحاً ملأتها عدلا ، وإن دخلتها عنوة ملأتها قتلا ، فأجابه ابن الونشريسي بأبيات أغلظ له فيها منها قوله :

كذبت وربِّ البيت ما تحسن ألعدلا ولا خصك المولى بفضل ولا أولى

كذا في (النزهة) قلت : وهذا البيت من أبيات قديمة ، والونشريسي انما تمثل به لا غير . فقد ذكر العلامة ابن خلدون في أخبار بني صالح بن منصور الحميري أصحاب قلعة نكور لأول الفتح ، أن عبيد الله المهدي صاحب أفريقية لما تغلب على المغرب خاطب سعيد بن صالح منهم يدعوه الى أمره ، وكتب له في أسفل كتابه :

فان تستقيموا أستقمْ لصلاحكم وإن تعدلوا عني أرى قتلكم عدلا
وأعلو بسيفي قاهرا لسيوفكم وأدخلها عنواً وأملؤها قتلا

فأجابه سعيد بن صالح بأبيات من نظم شاعره الطليطلي نصها :

كذبت وبيت الله ما تحسن العدلا ولا علم الرحمان من قولك الفصلا
وما أنت الا جاهل ومنافق تمثل للجهال في السنة المثلى
وهمتنا العليا بدين محمد وقد جعل الرحمان همتك السفلى

فلعل الشيخ كتب لأهل فاس بالبيتين الأولين ، والونشريسي كان مطلعاً على القضية فأجابه بجوابها ، ولما بلغ ذلك السلطان الشيخ حقد على الونشريسي ودس الى جماعة من المتلصصة بأن يأخذوه ويأتوا به الى محلته محبوساً من غير قتل ، وكان الشيخ عبد الواحد يقرأ صحيح البخاري بجامع القرويين بين العشاءين، وينقل عليه كلام ابن حجر في (فتح الباري) ويستوفيه لأنه شرط المحبس ، فقال له ابنه : ياأبت إني قد سمعت أن اللصوص أرادوا الفتك بك في هذه الليلة فلو تأخرت عن القراءة ، فقال له الشيخ : أين وقفنا البارحة ؟ قال على كتاب القدِر ، قال : فكيف نفر من القدر ؟ إذاً اذهب بنـا إلى المجلس .

فلما افترق المجلس خرج الشيخ عبد الواحد من باب الشماعين أحد أبواب المسجد المذكور ، فثار به اللصوص وأرادوا حمله ، فأخذ باحـدى عضادتي الباب ، فضرب أحدهم يده فقطعها وأجهز عليه الباقون ، فقتلوه بباب المسجد المذكور في السابع والعشرين من ذى الحجة سنة خمس وخمسين وتسعمئـة .

قال الشيخ المنجور في فهرسته : واشتهر عن الفقيه الصالح محمد بن إبراهيم المدعو بأبي شامة أنه رأى الشيخ عبد الواحد في المنام بعد مقتله ، فسأله عن حاله فأنشأ يقول :

لقد عمني رضوان ربي وفضلـــه ... ولم أرَ إلا الخير في وحشة القبر
وإني أسأل الالاه بفضلـــه ... ليحفظني يوم الخروج الى الحشر
وما بعد ذاك من أمور عسيـــرة ... كنشر الكتاب والمرور على الجسر

استيلاء السلطان محمد الشيخ على فاس وقبضه على الوطاسيين وتغريبهم الـى مراكش

ثم ان السلطان محمد الشيخ جد في حصار فاس ، وألح عليها بالقتال إلى أن ملكها واحتوى عليها .

قال في (الدوحة) : لما ألح السلطان الشيخ بالحصار على فاس ، جاءه الشيخ أبو الرواين المجذوب وقال له : اشتر مني فاسا بخمسمئة دينار ، فقال له السلطان : « ما أنزل الله بهذا من سلطان » هذا شيء لم تأت به الشريعة، فقال : والله لا دخلتها هذه السنة ، فبقي أشهراً والأمر لا يزداد إلا شدة ، فقال ابن السلطان وهو الأمير عبد القادر ابن الشيخ لأبيه : ياأبت افعل ما قال لك الشيخ أبو الرواين ، فانه رجل مبارك من أولياء الله تعالى ، ولم يزل به حتى أذن له في الكلام معه ، فكلمه الامير عبد القادر فقال له : ادفع المال ، فدفعه اليه فقال له : عند تمام السنة يقضي الله الحاجة ، وأمري بأمره سبحانه ، ثم إن الشيخ أبا الرواين فرق المال من يومه ولم يمسك منه لنفسه حبة ، ومن ذلك اليوم والسلطان المذكور في الظهور الى أن انقضت السنة ، فدخل فاسا كما قال ، انتهى .

وقال صاحب (الممتع) : والشيخ أبو الرواين هذا كان أحد الاسباب في تمكن السلطان المذكور من الملك واخراج بني وطاس عنه ، فانه لما رأى اضطراب أمر الناس وهيجان النصارى على المسلمين ، جعل ينادى : « ياحران جيء فاني قد أعطيتك الغرب » ! وذلك قبل ظهور السعديين ولم يكن الناس يدرون ما يقول ، حتى ظهر الحران ، وهو أحد أولاد السلطان محمد الشيخ ، وهو الذي كان يتقدم للحرب ولم يفتح والده من البلاد الا ما فتح له على يده ، وكان دخول السلطان الشيخ الى فاس سنة ست وخمسين وتسعمئة ، ولما دخلها تقبض على الوطاسيين أجمع ، وبعث بهم مصفدين الى مراكش عدا أبا حسون منهم ، فانه فر الى الجزائر مستجيراً بتركها حسبما مر .

وقال اليفرني : لما دخل الشيخ حضرة فاس ، دخلها وعليه وعلى أصحابه الدراعات الصفر ، وسمة البداوة لائحة عليهم ، فحملوا أنفسهم على التأدب بآدب الحاضرة والتخلق بأخلاقهم ، يعني حتى رسخ فيهم ذلك ، والله أعلم .

نهوض السلطان محمد الشيخ الى تلمسان واستيلاؤه عليها

قد كان استيلاء حسن بن خير الدين التركي على تلمسان وانقراض دولة بني زيان منها سنة اثنتين وخمسين وتسعمئة ، فلما فتح محمد الشيخ حضرة فاس في التاريخ المتقدم تاقت نفسه الى الاستيلاء على المغرب الأوسط ، وكان يعز عليه استيلاء الترك عليه ، مع أنهم أجانب عن هذا الاقليم ، ودخلاء فيه ، فيقبح بأهله وملوكه أن يتركوهم يغلبون على بلادهم ، لاسيما وقد فر اليهم عدو من أعدائه وعيص من أعياص اقتاله ، وهو أبو حسون الوطاسي فرأى الشيخ من الرأي واظهار القوة في الحرب أن يبدأهم قبل أن يبدءوه ، فنهض من فاس قاصداً تلمسان في جموعه الى أن نزل عليها وحاصرها تسعة أشهر ، وقتل في محاصرتها ولده الحران ، وكان ناباً من أنيابه وسيفاً من سيوفه .

ثم استولى الشيخ على تلمسان،ودخلها يوم الاثنين الثالث والعشرين من جمادى الاولى سنة سبع وخمسين وتسعمئة ، ونفى الترك عنها ، وانتشر حكمه في أعمالها الى وادي شلف واتسعت خطة مملكته بالمغرب ودانت له البلاد .

ثم كر الاتراك ، وأخرجوه من تلمسان ، فعاد الى مقره من فاس ، ثم عاود غزو تلمسان حين بلغه قيام رعاياها على الترك وانحصار الترك بقصبتها ، فأقام مرابطاً عليها أياماً فامتنعت عليه وأقلع عنها ، ولم يعاود غزوها بعد ذلك ، وخلص أمرها الى الترك .

امتحان السلطان محمد الشيخ أرباب الزوايا والمنتسبين والسبب في ذلك

لما كانت سنة ثمان وخمسين وتسعمئة أمر السلطان محمد الشيخ بامتحان أرباب الزوايا والمتصدرين للمشيخة خوفاً على ملكه منهم لما كان للعامة فيهم من الاعتقاد والمحبة ، والوقوف عند إشاراتهم، والتعبد بما يتأولونه من عباراتهم ، ألا ترى أن بيعة والده محمد القائم لم تنعقد إلا بهم ؟ ولا ولج بيت الملك الا من بابهم ؟ فامتحن جماعة منهم ، كالشيخ أبي محمد الكوش فأخلى زاويته بمراكش ، وأمر برحيله الى فاس .

وفـــي (الدوحة)لما امتحن السلطان محمد الشيخ زوايا المغرب ، قيل للحسن بن عيسى المصباحي دفين الدعاديع التي على وادى مضى (1) من عمل القصر ألا تخشى من هذا السلطان ؟ فقال : انما الخشية من الله ، ومع هذا فالماء والقبلة لا يقدر أحد على نزعهما ، والباقي متروك لمن طلبه .

وكان السلطان المذكـور يطالب أرباب الزوايا بودائع بني مريــن ويتهمهم بها ، وبعث خديمه يوماً الى الشيخ سعيد بن أبي بكر المشنزائــي دفين مكناسة يطالبه بشيء من ذلك ، فوجـده جالساً بناحية زاويته يضفـر الدوم ، واذا بطائر لعله اللقلاق سلح أمامه ، فما رفع سعيد بصره حتى سقط الطائر ميتاً ، فتطاير الريش ، فلما رأى الخديم ذلك ذلك فزع وولى هارباً .

قاله في (الممتع) والله تعالى أعلم .

وفادة الامام محمد بن علي الخروبي الطرابلسي من جانب دولة الترك في شأن قسم البلاد وتحديدها

لما كان السلطـان محمد الشيـخ ما كان من غزوه لتلمسان مرتين ، وكان يحدث نفسه بمعاودة غزو تلك البـلاد عينت دولة الترك من جانبهـا الفقيه الصالح محمد بن علي الخروبي الطرابلسي نزيل الجزائر ودفينهـا للوفادة على السلطان المذكور في شأن عقد المهادنة وتحديد البلاد ، فقدم عليه الفقيه المذكور وهو بمراكش سنة إحدى وخمسين وتسعمئة في هـذا الغرض ، فأكرم السلطان محمد وفادته ، إلا أنه لم تظهر ثمرة لمقدمه .

وفـــي (المرآة) ان محمد الخروبي قـدم المغرب الأقصى مرتيـن في سبيل السفارة بين ملوك المغرب الأوسط والمغرب الأقصا ، فأخذ عنـه كثير من أهل المغرب الأقصا وأخذ هو عن الشيخ زروق رحمه الله .

---

1) **وادى مضى** هو الوادى الذى يقع الى الشمال من قرية سوق أربعاء الغرب عند الخروج منها مباشرة ، وعليه ملاحات مهمة ، ومدينة القصر الكبير هى أقرب مدينة اليه فلهذا عد من عملها . وقبل تمصير القصر الكبير كان الجغرافيون يجعلونه من عمل طنجة .

وفي قدمة الخروبي هذه الى مراكش أنكر على الشيخ أبي عمرو القسطلي دفين رياض العروس من مراكش حلق شعر التائب الذي يريد الدخول في طريق القوم ، إنه بدعة ، فقالوا له إن الشيخ الجزولي كان يفعله ، فقال لهم : لعله باذن ، والاذن له لا يعمكم ، فان الاذن للنبي يعم أتباعه ، والاذن للولي لا يعم أتباعه ، وأنكر عليه مسائل كثيرة ، وبعث اليه رسالة اقذع له فيها ، وقد وقفت عليها رحم الله الجميع بمنه .

توفي الخروبي هذا سنة ثلاث وستين وتسعمئة ، ودفن خارج الجزائر والله أعلم . وقد تقدمت ترجمته .

قدوم أبي حسون الوطاسي بجيش الترك واستيلاؤه على فاس ونفيه محمد الشيخ عنها

قد قدمنا ما كان من استيلاء السلطان محمد الشيخ على فاس سنة ست وخمسين وتسعمئة ، وقبضه على بني وطاس ، وفرار أبي حسون الى الجزائر ، فلم يزل أبو حسون عند تركها إلى أن قدم بهم مع باشاهم صالح التركماني ، فاستولى على فاس في ثالث صفر سنة احدى وستين وتسعمئة . ونفي محمد الشيخ عنها .

عود السلطان محمد الشيخ الى فاس واستيلاؤه عليها

لما فر السلطان محمد الشيخ من وقعة الترك بفاس ووصل الى مراكش صرف عزمه لقتال أبي حسون ، فاستنفر قبائل السوس وجمع الجموع ، وزحف الى فاس فدارت بينه وبين سلطانها أبي حسون حروب شديدة ، كان في آخرها الظفر للشيخ فقتل أبا حسون ، واستولى على فاس ، وصفا له أمر المغرب ، وكان استيلاء السلطان الشيخ على فاس يوم السبت الرابع والعشرين من شوال سنة احدى وستين وتسعمئة ، وفي (الدوحة) أن دخول أبي حسون لفاس كان سنة ستين وتسعمئة وعود السلطان الشيخ إليها واستيلاؤه عليها كان في ذي القعدة سنة ستين أيضاً والله تعالى أعلم .

مقتل الفقيهين عبد الوهاب الزقاق وأبي علي حرزوز والسبب في ذلك

لما استولى السلطان محمد الشيخ على فاس في هذه المرة أمر بقتل الفقيه الصالح قاضي الجماعة بفاس عبد الوهاب بن محمد بن علي الزقاق، لأنه اتهمه بالميل إلى أبي حسون، ويحكى أنه لما مثل بين يديه قال له: اختر بأي شيء تموت؟ فقال له الفقيه: اختر أنت بنفسك؟ فان المرء مقتول بما قتل به! فقال لهم السلطان: اقطعوا رأسه بشاقور! فكان من حكمة الله وعدله في خلقه أن السلطان المذكور قتل به أيضاً كما سيأتي.

وفي كتاب (خلاصة الاثر) أن الشيخ الزقاق كان يقول: « من قتل سوسياً كان كمن قتل مجوسياً »، فلما قبض عليه الشيخ قال له: أأنت زق الضلال؟ فقال له: لا والله، بل أنا زق العلم والهداية، ثم قتله.

وأمر أيضاً بقتل خطيب مكناسة الزيتون الشيخ أبي علي حرزوز المكناسي لكلام بلغه عنه بأنه كان يذكره في خطبه، ويحذر الناس من اتباعه والانقياد اليه، ويقول في خطبته: جاءكم أهل السوس الاقصا البعاد، ثم يذكر الشيخ ويقول: « وإذا تولى سعي في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل، والله لا يحب الفساد، واذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم، ولبيس المهاد » في كلام غير هذا، وكان مقتل الفقيهين المذكورين في ذي القعدة سنة احدى وستين وتسعمئة.

ترتيب السلطان محمد الشيخ أمر دولته وما قيل في ذلك

قال اليفرني: كان السلطان محمد الشيخ مولعا بتدبير الرعية مستيقظاً في أمره، حازماً غير متوقف في سفك الدماء. قال: ويحكى أنه لما دخل فاساً دخلها وعليه وعلى أصحابه سمة البداوة، فحملوا أنفسهم على التأدب بآداب أهل الحاضرة والتخلق بأخلاقهم.

وذكر أن ملك السعديين انما تأنق على يد رجل وامرأة، فأما الرجل، فقاسم الزرهوني فانه رتب للسلطان محمد الشيخ هيأة السلاطين في ملابسهم، ودخولهم وخروجهم وآداب أصحابهم وكيفية مثولهم بين أيديهم. وأما المرأة فالعريفة بنت خجو فانها علمته سيرة الملوك في منازلهم، وحالاتهم في الطعام

واللباس ، وعاداتهم مع النساء وغير ذلك ، فاكتسى ملك الشيخ بذلك طلاوة، وازداد في عيون العامة رونقاً وحلاوة بسبب جريانه على العوائد الحضرية ، لأن أهل البادية مسترذلون في عيون أهل الحاضرة .

قالوا : ولم يزل محمد الشيخ يـدور على مدن المغرب وأمصـاره ، ويطيل الاقامة بفاس .

قال في (المنتقى) : ومن مآثره أنه بنى جسر وادي سبو ، وجسر وادي أم الربيع ، وتقدم بناؤه حصن أكدير والله تعالى أعلم .

وضع الوظيف المسمى في لسان العامة بالنائبة

قد اختلف العلماء في أرض المغرب هل فتحت عنوة أو صلحاً أو غير ذلك؟ وعلى القول بأنها فتحت عنوة فهي خراجية كما هو مقرر في كتب الفقـه ، وأول من وظف الخراج على أرض المغرب عبد المومن بن علي وتبعه بنوه على ذلك ، وقفا نهجهم بنو مرين وفي الظهير الذي كتبه السلطان أبو زيان المريني لابن الخطيب أيام مقامه بسلا شاهد بذلك ، ولما جـاء السعديون من بعدهـم سلكوا هذا السبيل أيضاً .

وقول اليفرني : أن محمد الشيخ أول مـن أحدث النائبة بالمغـرب ، يحمل على انه أول من أحدثها على الوجه الآتي بيانه : وذلك أنه لما صفـا للسلطان محمد الشيخ ، أمر المغرب واستأصل جرثومة بني وطاس منـه ، التفت إلى ترتيب ملكه ، وتهذيب اعطافه ، وتأسيس أمور دولته ، كما قلنا .

فمن ذلك أنه فرض على قبائل المغرب الضريبة المسماة فـي لسان العامة بالنائبة ، ولم ينزه عنها شريفاً ولا مشروفاً حتى أرباب الزوايا والمنتسبين ومنهم : أولاد الشيخ خالد المصمودي مع ما كان لأبيهم من الشهرة بالولايـة والصيت في بلاده ، وكان قدر هذه النائبة صحفة من الشعير وعشرين مداً من السمن وكبشاً لكل أربع نوائب ، وكانت تفرض في زمان الشيخ على الكوانين وتوظف على حسب السكان وتدفع بأعيانها ، وجرى على ذلك ولده الغالـب

بالله وأخوه المعتصم ، ولما جاء المنصور من بعدهم قوّم تلك الاعيان بسعر الوقت ، وصارت تدفع دراهم ، ثم ازداد ذلك الى أن خرج الأمر عن القياس واتسع الخرق على الراقع ، والله لا يظلم مثقال ذرة .

مراسلة السلطان سليمان العثماني للسلطان محمد الشيخ وما نشأ عن ذلك

قد قدمنا ما كان من غص السلطان محمد الشيخ بمكان الترك من تلمسان والغرب الأوسط وأنه غزاهم مرتين ، وقدم الامام محمد الخروبي ساعياً في الهدنة فلم يرجع بطائل ، وكان السلطان الشيخ يقول فيما زعموا : « لابد لي أن أغزو مصر ، وأخرج الترك من أحجارها » ، وكان يطلق لسانه في السلطان سليمان العثماني ويسميه بسلطان الحواتة لأن الترك كانوا أصحاب أساطيل ، وسفر في البحر ، فأنهي ذلك الى السلطان سليمان ، فبعث اليه برسله ، فهذا سبب المراسلة على ما في (النزهة) ، وأشبه بالصواب ما حكاه بعضهم ، قال : لما بلغ خبر انقراض الدولة الوطاسية الى السلطان سليمان العثماني ، وأستيلاء السعديين على ملك المغرب الأقصا كتب الى الشيخ يهنئه بالملك ويلتمس منه الدعاء له على منابر المغرب ، وبعث إليه بذلك رسولا في البحر ، فانتهى الى الجزائر ، ومنها قدم الى مراكش في البر .

ولما وصل إلى السلطان محمد الشيخ أنزله على كبير الاتراك في محلته صالح باي المعروف بالكاهية ، وكان هؤلاء الاتراك قد انحاشوا الى الشيخ من بقايا القادمين مع أبي حسون فضمهم اليه وجعلهم جنداً على حدة ، وسماهم اليكشارية بالياء ، ثم الكاف ثم الشين ، وهو لفظ تركي معناه : العسكر الجديد ، ولما قرأ السلطان محمد الشيخ كتاب السلطان سليمان ، ووجد فيه أنه يدعو له على منابر المغرب ، ويكتب اسمه على مكته كما كان بنو وطاس حمى وأبرق وأرعدد ، وأحضر الرسول وأزعجه ، فطلب منه الجواب فقال : لا جواب لك عندي حتى أكون بمصر ان شاء الله ، وحينئذ اكتب لسلطان القوارب ، فخرج الرسول من عنده مذعوراً يلتفت وراءه الى أن وصل الى سلطانه وكان من أمره ما نذكره .

قدوم طائفة الترك من عند السلطان سليمان العثماني واغتيالهم للسلطان محمد الشيخ رحمه الله

لما خرج رسول السلطان سليمان العثماني من عند السلطان محمد الشيخ ، ووصل الجزائر ، ركب البحر الى القسطنطينية فانتهى اليها ، واجتمع بالوزير المعروف عندهم بالصدر الأعظم ، وأخبره بما لقي من سلطان المغرب، فأنهى الوزير ذلك الى السلطان سليمان ، فأمره أن يهيىء العمارة والعساكر لغزو المغرب ، فاجتمع أهل الديوان وكرهوا توجيهها ، واتفق رأيهم على أن عينوا اثني عشر رجلا من فتاك الترك ، وبذلوا لهم اثني عشر ألف دينار ، وكتبوا لهم كتاباً الى صالح الكاهية كبير عسكر الشيخ ، ووعدوه بالمال والمنصب إن هو نصح في اغتيال الشيخ وتوجيه رأسه مع القادمين عليه (1) .

وفي (النزهة) أن صالحاً هذا كان من ترك الجزائر ، جاء في جملة الطائفة الموجهين لاغتيال الشيخ والله أعلم .

ثم دخل الوزير على السلطان سليمان واعتذر اليه عن توجيه العمارة ، وقال له : هذا أمر سهل ، لا يحتاج فيه الى تقويم عمارة ، وهذا المغربي الذي أساء الأدب على السلطان يأتي رأسه إلى بين يديك ، فاستصوب رأيهم ، وشكر سعيهم ، وأمر بتوجيه الجماعة المعينة في البحر الى الجزائر ، ومنها يتوجهون إلى مراكش في البر ، ففعلوا .

ولما وصلوا الى الجزائر هيأوا أسباباً واشتروا بغالا ، وساروا إلى فاس في هيأة التجار ، فباعوا بها أسبابهم وتوجهوا الى مراكش ، ولما اجتمعوا بصالح الكاهية ، انزلهم عنده ، ودبر الحيلة في أمرهم الى أن توجهت له .

وفي (النزهة) أن هؤلاء الاتراك خرجوا من الجزائر إلى مراكش مظهرين أنهم فروا من سلطانهم ورغبوا في خدمة الشيخ والاستيجار به ، ثم

---

1) نفس الخطة التي اشير بها على هارون الرشيد العباسي لاغتيال الامام ادريس بن عبد الله الكامل ملك المغرب .

أن صالحاً الكاهية دخل على السلطان محمد الشيخ وقال : يامولاي ان جماعة من أعيان جند الجزائر سمعوا بمقامنا عندك ، ومنزلتنا منك ، فرغبوا في جوارك ، والتشرف بخدمتك ، وليس فوقهم من جند الجزائر أحد ، وهم ان شاء الله السبب في تملكها ، فأمره بادخالهم عليه ، ولما مثلوا بين يديه ، رأى وجوهاً حساناً ، وأجساماً عظاماً ، فأكبرهم ، ثم ترجم له صالح كلامهم ، فأفرغه في قالب المحبة والنصح ، واجتهاد في الطاعة والخدمة حتي خيل الى الشيخ أنه قد حصل على ملك الجزائر ، فأمره باكرامهم ، وأن يعطيهم الخيل والسلاح ، ويكونوا يدخلون عليه مع الكاهية كلما دخل ، فكانوا يدخلون عليه كل صباح لتقبيل يده على عادة الترك في ذلك . وصار الشيخ يبعث بهم الى أشياخ السوس مناوبة في الأمور المهمة ، ليتبصروا في البلاد ويعرفوا الناس ، وكان يوصي الأشياخ باكرام من قدم عليهم منهم ، واستمر الحال الى أن أمكنتهم فيه الفرصة وهو في بعض حركاته بجبل درن بموضع يقال له آكلكال بظاهر ردانة ، فولجوا عليه خباءه ليلا على حين غفلة من العسس ، فضربوا عنقه بشاقور ضربة أبانوا بها رأسه ، واحتملوه في مخلاة ملأوها نخالة وملحاً ، وخاضوا به احشاء الظلمات وسلكوا طريق درعة وسجلماسة ، كأنهم ارسال تلمسان ، ليلا يفطن بهم أحد من أهل تلك البلاد ، ثم أدركوا ببعض الطريق ، فقاتلت طائفة منهم حتى قتلوا ، ونجا الباقون بالرأس وقتل مع الشيخ تلك الليلة الفقيه مفتي مراكش : علي بن أبي بكر السكتاني ، والكاتب أبو عمران الوجاني .

ولما شاع الخبر بأن الترك قتلوا السلطان واسترابت الناس بجميع من بقي منهم بالمغرب ، أغلق إخوانهم الذين كانوا بردانة أبوابها ، واقتسموا الأموال واستعدوا للحصار ، ولما بويع ابنه الغالب بالله وقدم من فاس نهض في العساكر الى ردانة للأخذ بثأر أبيه من الترك الذين بها ، فحاصرهم مدة ، ولما لم يقدر منهم على شيء أعمل الحيلة بأن أظهر الرحلة عنهم ، وأشاع أنه راجع إلى فاس لثائر قام بها ، ولما أبعد عنهم مسيرة يوم خرجوا في اتباعه ليلا ، والعيون موضوعة عليهم بكل جهة ، الى أن شارفوا محلة السلطان الغالب بالله ، فعطف عليهم ، ولما لم يمكنهم الرجوع إلى ردانة تحيزوا إلى الجبل ،

وبنوا به قياطينهم وجعلوا عليها المتارزات (1) من الأحجار وتحصنوا بها ، وأحاطت بهم العساكر من كل جهة ، فقاتلوا الى أن فنوا عن آخرهم ، ولم يؤخذ منهم أسير ، وقتلوا من محلة الغالب بالله ألفاً ومئتين .

وما الذين نجوا بالرأس فانتهوا الى الجزائر ، وركبوا البحر منها الى القسطنطينية ، فأوصلوا الرأس الى الصدر الأعظم ، وأدخله على السلطان سليمان فأمر به أن يجعل في شبكة نحاس ويعلق على باب القلعة ، فبقي هنالك إلى أن شفع في إنزاله ودفنه ابناه عبد الملك المعتصم ، وأحمد المنصور ، حين قدما القسطنطينية على السلطان سليم بن سليمان مستعديين له على ابن أخيهما المسلوخ كما يأتي .

وكان مقتل الشيخ رحمه الله يوم الاربعاء التاسع والعشرين من ذي الحجة سنة أربع وستين وتسعمئة .

ولما بلغ خبر مقتله الى خليفته بمراكش القائد علي بن أبي بكر أزناك بادر بقتل أحمد الأعرج المخلوع وأولاده ذكوراً وإناثاً ، كباراً وصغاراً ، خشية أن يخرجه أهل مراكش فيبايعوه ، ولما قتلوا لم يتجرأ أحد على دفنهم ، فبقوا مصرعين حتى دفنهم الشيخ أبو عمرو القسطلي الولي الشهير بمقربة من ضريح الشيخ الجزولي ، وهي القبة التي قرب الضريح المذكور تسمى (قبور الاشراف) .

وأما السلطان محمد الشيخ فانهم حملوا جثته الى مراكش فدفنت بها قبلي جامع المنصور بروضة السعديين ، وقبره شهير بها إلى الآن .

ومما نقش على رخامة قبره هذه الابيات :

حي ضريحاً تعمدته رحمات ... وظللت لحده منها غمامات

واستنشقن نفحة التقديس منه فقد ... هبّت من الخلد لي منها نسيمات

بحر به كورت شمس الهدى فكست ... من أجلها السبعة الارضين ظلمات

---

1) أي المتاريس ج متراس ، ما يتترس به المقاتلون من حجارة وغيرها ، ويسمى في عامية المغاربة اشبار .

يامهجة غالها غول الردى قنصـــا　　وأثبتت سهمها فيها المنيــــات
دكت لموتك أطواد العلا صعقـــا　　وارتج من بعدك السبع السماوات
وشيعت نعشك المزجي الى عـدن　　من الملائك ألحان وأصـــوات
يارحمة الله عاطيه سلاف رضـــا　　تدور منها عليه الدهر كاســـات
قضى فوافق في التاريخ منه حـلى　　دار إمام الهدى المهديّ جنــات

بقية أخبار السلطان محمد الشيخ وسيرته

كان السلطان محمد الشيخ يلقب من الألقاب السلطانية بالمهـدي ، ونشأ في عفاف وصيانة ، وعنى بالعلم في صغره ، وتعلق بأهدابه ، فأخذ عن جماعة من الشيوخ ، وبلغ فيه درجة الرسوخ ، حتى كان يخالف القضاة في الأحكام ، ويرد عليهم فتاويهم فيجدون الصواب معه ، وقع ذلك منه مراراً ، وله حواش على التفسير ، وذلك مما يدل على غزارة علمه ، كان يحفظ ديوان المتنبي ، سببه ما ذكره في (الدوحة) قال : أخبرني الوزير المعظم محمد بن الأمير عبد القادر بـن السلطان محمد الشيـخ الشريف قال : لمـا غدرت قبيلة المنابهة بجدي السلطان المذكور ، وأنجاه الله من غدرتهم ، عرف الشيخ أبا محمد عبد الله بن عمر بذلك ، فكتب اليه يقول : أين أنت من قول أبي الطيب المتنبي ؟

غاض الوفاء فما تلقاه في عــدة　　وأعوز الصدق في الأخبار والقسم

قال : فعكف السلطان المذكور على ديوان المتنبي حتى حفظه كله ، ولم يعزب عنه بيت واحد ، انتهى .

وابن عمر المذكور هو أحد أشياخ السلطان المذكور ، وهو عبد الله بن عمر المضغري ، الفقيه الفرضي الحاسب فقيه درعة وعالمها ، وكان قد وفد على السلطان المذكور أيام كونه بالسوس ، ولما عاد إلى درعة ، سأله فقهاؤها كيف وجدت أهل السوس ؟ فقـال : وجدت فقهاءهم عـلى ضعيف الفتاوي ، وفقراءهم على عظيم الدعاوي ، وعامتهم على كثير المساوي .

ومن وزرائه : الرئيس علي بن أبي بكر آصناك الحاحي ، وموسى بن أبي جمدى العمري وغيرهم .

ومن قضاته بفاس : علي بن أحمد الخصاصي ، وبمراكش علي بن أبي بكر السكتاني رحم الله الجميع .

وكان للسلطان محمد الشيخ عدة أولاد نجباء ، ومن أنجبهم محمد المعروف بالحران القتيل على تلمسان ، ومنهم عبد الله الغالب بالله ، وعبد الملك الغازي ، وأحمد المنصور ، وهؤلاء الثلاثة ولوا الأمر بعد أبيهم ، ومنهم الوزير عبد القادر ، وتوفي في حياة أبيه سنة تسع وخمسين وتسعمئة .

وفي (نشر المثاني) : أنه قتل مخنوقاً بأمر أخيه عبد الله الغالب بالله سنة خمس وسبعين وتسعمئة والله أعلم . ومنهم عثمان ، وعبد المومن ، وعمر وغيرهم .

637) **محمد . . .الحساني** الفقيه المالكي المفتي بمراكش المحروسة ، توفي بالوباء سنة خمس وستين وتسعمئة .

ترجمه في (درة الحجال) ، وهذا ليس هو ولد المفتي سيدي عبد الواحد العلوي ، فسيأتي أنه توفي سنة 1009 هـ .

وقال في الدوحة (1)

محمد الحساني ، الفقيه الحافظ المطلع المفتي ، نشأ بدرعة ، وقرأ الفقه على عدة من المشايخ ، وكان كثير الحفظ والمطالعة والمعرفة بأسماء الكتب ونسبتها ، لم أر مثله في ذلك ، تولى خطبة الفتوى بحضرة مراكش بعد

1) **دوحة الناشر** ص 70 طبع فاس .

وقد نقل المؤلف ترجمة محمد الحسني هذا مرتين ، مرة نقل الترجمة من **درة الحجال** ومرة اخرى من **دوحة الناشر** ، لكنه استدرك هذا التكرار ونبه عليه فيما كتبه على هامش النسخة المطبوعة بفاس من الجزء الرابع في صحيفة 386 مشيرا الى ان الحساني نسبة الى بني حسان قبيلة من غمارة ، وقد صحف الى حسني في **درة الحجال** .

موت أبي الحسن السجتاني ، ومات أواخر سنة خمس وستين مطعوناً فـي الوباء المشهور الذي وقع في تلك السنة ، لقيته وشاركته في مسائل عدة ، فرأيت من حفظه ، وكثـرة اطلاعه على مظان المسائل فـي الدواوين العجب رحمه الله .

وقال في (لقط الفرائد) ما نصه : محمد الحســاني مفتي مراكش وخطيبها توفي سنة خمس وستين وتسعمئة هـ .

وترجمه الحضيكي في كتاب (المناقب) .

638) محمد بن عبد القادر السعدي

محمد بن عبد القادر بن محمد الشيخ السعدي ، وزير عمه مولاي عبد الله الغالب بالله .

كان رحمه الله أميراً جليلا فقيهاً من أنبل وزرائـه وألطفهم مسلكاً ، وأخفهم روحاً ، له عارضة في النظم والنثر ، وذكر صاحبنا عبد الله بن محمد الفاسي رحمه الله في كتابه (الاعلام بمن مضى وغبر ، من أهل القرن الحادي عشر) مـا صورته : قدم الوزيـر محمد بن عبـد القادر من مراكش لفاس صانها الله ، ومعه الفقيه قاضي الجماعة عبد الواحد الحُميْدي ، ومعه الفقيه الامام أحمد المنجور ، فلما تبدت لهم معالم فاس الجديد ، وتلظى للشوق في جوانحهم أوار :

وأبرح ما يكون الشوق يومـــاً   اذا دنت الديار من الديـــــار

أنشد الوزير لنفسه بديهة :

اخلاي هذا المستقى وربوعـــه   وهذي نواعير البلاد تنـــوح
وذاك المصلى مسرح الشوق والأبى   وهذي منازل الديار تلـــوح

فقال القاضي الحميدي أيضاً بديهة :

وتلك القباب الخضر شبه زبرجد   فهي عوان طرفهن جمـــوح
يمسن كاملود من الروض يانـع   شذاهن من حول الديار يفـــوح

وقال أحمد المنجور مذيلا أيضاً بديهة :

ويرفلن في الحلات يرقمن بالحـلا وفيهن أنواع الجمال وضـــــوح
يبادرن ترقيع الكدى بمحاجـــر لاقبال حب طال منه نــــــزوح

ولما بلغت الابيات للشيخ الامام الاستاذ أحمد الزموري ، قال مذيلا أيـضـاً :

تأمل إلى الحسناء تحت نقابهـــا كشمس بدت تحت السحاب تلوح
تجلت ربوع المستقى بجمالهـــا ووافت الى تلك القباب تـــروح

وجعل بعضهم البيتيـن الأولين للامام سيدي عبد الواحد بن أحمـد الشريف السجلماسي ، وكان كاتباً عند الوزير المذكور ، ويجعل موضع أخلاي أمولاي والبيتين بعدهما للوزير ، والمستقى بضم الميم وسكون السين المهملة وفتح المثناة الفوقية وبعدها قاف مقصورة اسم بستان معروف .

ونظير هذا ما ذكر صاحبنا المذكور فـي اعلامه ، قال كان الوزيـر المذكور مع كاتبه الامام سيدي عبـد الواحد الشريف في بعض الأسفـار ، وأرسلت السماء غيثها المدرار ، فقال الوزير :

لله أشكو غداة السيح اذ ركـــدت يسرى المطايا وحادي الريح يحدونا

فأجابه كاتبه المذكور :

والغيم في الأفق قد أرخى ذوائبه بأسهم الودق لا ينفك يرمينـــا

فقال الوزير :

حتى استوى الماء في الآكام واستترت معالم الرشد لا خِرِّيت يهدينـــا
فظلت الخيل في الامواج سابحــة سبح الأساطيل ليت الدهر يرضينا

فأجابه الكاتب أيضاً رحمه الله :

والنفس في قلق لبين مألفهـــا والشوق يجذبنا والحال يقصينـا

فقال الوزير المذكور رحمه الله :

كأننا لم نبت والوصل ثالثنـــــا حتى غدا الطير فوق الصرح يشفينا

وأخبار هذا الوزير رحمه الله كثيرة ، ومحاسنه أثيرة ، وخصاله السنية عظيمة خطيرة .

توفي رحمه الله في العشرين من جمادى الثانية عام خمسة وسبعين وتسعمئة بموحدة (1) .

639) محمد بن سعيد

محمد بن سعيد بـــن أبي القاسم بن محمد بـــن عمر بن حمامة بـــن سعيد بن عبد الله بن عبد العزيز بن سليمان بن سمير بن بحر بن يعقوب بن فاضل ، كان بمراكش سنة ست وسبعين وتسعمئة ، نقل هذا في (اليتيمة) من خط الفقيه العلامة سيدي محمد بن المبارك التادلي الورديغي ، كان عالماً صالحـاً .

قال فيه الشيخ سيدي محمد بن ناصر : الى الرجل المومن الصالح وهو دفين فاس ، وهذا الفقيه هو جد أولاد سيدي سعيد الموجودين الآن من أولاد الشيخ سيدي أبي القاسم ، وقد كان هو وأخوه سيدي عبد الله بن سعيد عالمين عاملين ، على سنن أهل الخير والدين ، كما سمعنا من أحفادهم .

انتهى من (اليتيمة) .

640) محمد بـن الحسن العريبـــي الشاوي . الفقيـه من اصحـــاب سيدي يوسف الفاسي ، سافر مــع الشيـــخ المذكور في سنة سبــع وسبعيــن وتسعمئة أو بعدها بيسير ، مــع جماعة من أصحابه منهم الولـــي الفاضل سيدي جابر بن مخلوف الرياحي وغيره قاصديــن لزيارة أولياء الله

1) **درة الحجال** 2 : 212 ع 658 طبع تونس ، وفيها انه توفي مخنوقا .

تعالى ، فبلغوا مراكش ، وزاروا من بها ، ولما كانوا في بلاد دكالة عند الجبل الأخضر رآهم قوم من قاطعي الطريق ، فقصدوهم ، فلما وصلوا إليهم عموا عنهم إلا فرس الشيخ وكانت أنثى ، رأوها صخرة فرأوا الحجر حجراً فكان القطاع يتساءلون أين ذهبوا ؟ فيقول بعضهم : كانوا عند هذا الحجر يحسبون الفرس حجراً ! فطمس الله على أعينهم ، فذهبوا ، وكفى الله أولياءه .

ذكره في (مرآة المحاسن) والحجر بالكسر الفرس الأنثى .

641) **محمد بن عبد النعيم الحامدي** امام جامع المنصور ، توفي سنة ثمان وسبعين وتسعمئة .

ذكره في (لقط الفرائد) .

642) محمد بن علي ابن عسكر

محمد بن علي بن عمر بن حسين بن مصباح الشريف الحسني السريفي ، عرف بابن عسكر ، قاضي شفشاون الشيخ الامام ، العلامة الصوفي الهمام ، الحافظ المسند الراوية ، ألف (دوحة الناشر ، لمحاسن مَن كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر) وهي فهرسة ذكر فيها جميع من لقيه بالمغرب من مشايخ . وأخذ عنه رواية أو قراءة عليه أو استفاد منه بركة منذ نشأ الى تاريخ كتبها ، وعرف فيها بالمشاهير من أهل القرن المذكور بالمغرب ، وإن لم يدرك البعض منهم ولا عاصره ، فممن لقيه من المشايخ وانتفع به : الشريف سيدي يوسف الفجيجي أجازه بسلسلة الاشياخ النورانية ، والشيخ سيدي عبد الوارث اليالصوتي صحبه سبع سنين ونيفاً ، وقرأ عليه رسالة ابن أبي زيد في الفقه ، ورجز ابن سينا في الطب والمباحث الاصلية في علم التصوف ، ورائية الشريشي فيه ، وانتفع بصحبته ، وقرأ عليه المعاملات ، والشيخ سيدي عبد الله الهبطي صحبه مدة مديدة ، وانتفع بصحبته ظاهراً وباطناً ، وكان يؤثره كثيراً ويقول : انه مصحوب بالتأييد ، وأخذ عنه رضي

الله عنه علوماً كثيرة منها : علم الكلام ، وعلم المعاملات ، وفنون التصوف ، وأخذ عليه العهد ، كما أخذه عليه شيخه سيدي عبد الله الغزواني ، وروى عنه سلسلة المشايخ من طريقه وجعله امامه ووسيلته الى خالقه .

قال سيدي محمد الصغير بن عبد الله الهبطي في الفصل الخامس عشر من (المعرب الفصيح ، عن سيرة شيخ الرضا النصيح) في تعداد من أخذ عن والده المذكور ما نصه :

ومنهم القاضي الذي لا ينكر — محمد أخو الدهاء عسكر
فهو المعين والثمين والنفيس — والأجود الفطين الندب الرئيس
وان يكن أتى بذنب ظاهر — فقلبه عن الشكوك طاهر
وهو بشيخه الذكي معتصم — وحبله من حبله لم ينفصم
رأيته في النوم ذا بشاره — وهيأة حسنة وشاره

ومنهم الشيخ أبو القاسم بن علي ابن خجو ، لقيه وزاره بموضع يقال له سعادة في قنة جبل بني حسان من بلاد غمارة ، وأخذ عنه جملة مباركة ودعا له بخير ، وامتحنه بمسألة من العلم في صغره ، وقال لمن حضر : إن هذا الفتى قوي الادراك ، لا يرضى بحرفة التقليد في دينه ، والشيخ أبو القاسم بن عبد الله الشريف الحسني امام جامع تازروت صحبه أوقاتاً وانتفع به ، والشيخ أحمد الشاعر اليجمي من بني يجم من حوز تطوان أخذ عنه علم التاريخ والاعتبار ، والشيخ سيدي عبد العزيز السجلماسي أجازه بفهرسته ، وأجاز ولديه معه : علي ، وعبد الكريم ، ومنهم الشيخ محمد الأندلسي نزيل مراكش ، لقيه مراراً ، ومنهم سيدي أحمد بن أحمد العبادي أجازه وغيرهم .

ثم أنه قتل رحمه الله في غزوة وادي المخازن يوم الاثنين منسلخ جمادى الأولى 986 ، فانه كان هرب مع المسلوخ ، وكان من بطانته ، فدخل معه بلاد العدو فوجد بين جيف النصارى قتيلا ، وتكلم الناس في أمره ، حتى قيل أنه وجد على شماله مستدبراً للقبلة ، فلذلك اعتذر عنه ولد شيخه الهبطي في الأبيات المتقدمة .

تـنـبـيـه

يوافق المترجم في الاسم والشهرة بابن عسكر قاضي بغداد محمد بن عبد الرحمان شارح ارشاد والده المترجم هو ووالده مع أخيه أبي عبد الله في (الديباج) .

643) محمد (المتوكل على الله) بن عبد الله (الغالب بالله) السعدي

محمد المتوكل على الله المسلوخ المعروف بالأكحل بن السلطان عبد الله الغالب بالله السعدي .

لما توفي والده بمراكش كان ابنه محمد هذا بفاس ، وكان ولي عهده، فاجتمع أهل الحل والعقد بمراكش ، واستأنفوا له البيعة وكتبوا بها اليه ، فوصلت اليه وهو بفاس أوائل شوال سنة احدى وثمانين وتسعمئة ، فباكعه أهل فاس وتم أمره (1) .

قال ابن القاضي في (شرح درة السلوك) : أمه أم ولد ، ويعرف عند العامة بالمسلوخ لأنه سلخ جلده ، وحشى تبناً ، وكان مما وقع في أيامه أنه كان بين المسلمين وبين نصارى طنجة ، وقعة بالرملة المسماة بأبي غاص من فحص طنجة ، قرب قنطرة عصماء ، وذلك يوم الأربعاء منتصف جمادى الأولى سنة اثنتين وثمانين وتسعمئة ، وفي هذه الوقعة استشهد الشيخ عيسى بن الحسن المصباحي دفين الدعادع (1) على وادي مضى من عمل القصر ، فانه حمل بعد استشهاده الى الموضع المذكور ، فدفن بازاء قبر أبيه في الروضة التي هنالك، واستمر أمر محمد المتوكل منتظماً إلى أواخر سنة ثلاث وثمانين وتسعمئة ، فقدم عليه عمه عبد الملك بن محمد الشيخ بجيش الترك فنثر سلكه ، وبدد ملكه ، ويقال : أنه كان أضمر الفتك بعميه أحمد وعبد الملك ، ففرَّا منه الى ناحية الترك، وذلك انه التقى الجمعان بخندق الريحان على مقربة من وادي الشراط من أحواز

---

1) الاستقصا 5 : 57 طبع الدار البيضاء .

1) هذا الموضع يعرف الآن بـ (سوق) اربعاء سيدي عيسى ، وفيه محطة السكة الحديدية (مؤلف) .

الرباط ، ففر الى مراكش ، ثم فر منها الى جبل درن وأسلم لأحمد نائباً عن أخيه مراكش ، ثم رجع من سوس بطائفة من الصعاليك إلى مراكش ، ودخلها وبايعه أهلها ، إلا أنه لم يتمكن من القصبة لكون عبد الملك ترك بها أخته الست مريم في نحو ثلاثة آلاف من الرماة ، فتحصنوا بها ، فرجع عبد الملك إلى مراكش ، واجتمع بالوزير عبد العزيز الوزكيتي . ففر المتوكل من مراكش الى السوس فتبعه المنصور ، وانتصر عليه في وقعة تينزرت ، وفي وقعة أساطين المنصور، مع أن جيش المنصور ثلاثة آلاف ، والمتوكل في نحو ستين ألفاً .

قال في (النزهة) بعد ذكر المترجم : كان متكبراً غير مبال بأحد ، ولا متوقفاً في الدماء ، شديد العسف على الرعية ، وكان مع ذلك فقيهاً عالما مشاركا في الفنون ، أديباً مجيدا قوي العارضة نظماً ونثرا .

ومن شعره في الغزل :

خليلي ما يخفى انحصاري عن الصبا فحلا عقالى قد أضر بي الربط
ولا تحفلوا من لام أو من تلوما فان بحار اللوم ليس لها شط

وقد خمس هذين البيتين الفقيه الامام احمد الزموري رحمه الله ، فقال :

ألا فاعجبوا من عاذل لي اغربا فكم ذاد عن عينى كراها وأذهبا
وفي شرعتي حل الخلاعة مذهبا (خليلى ما يخفى انحصارى عن الصبا
فحلا عقالي قد أضر بيَّ الربط)
ألا فارعووا عن عذل صب تظلما وبالبين صار القلب منه متيما
وألحاظه تنهل من عبرة دما (ولا تحفلوا مَن لام أو مَن تلوما
فان بحار اللوم ليس لها شط)

ومن شعره أيضاً قوله :

فقم بنا نصطبح صهباء صافية في وجهها عسجد في وجهها نقط
وانهض اليها على رغم العدا قلقا فان تأخير أوقات الصبا غلط

وقد خمس هذين البيتين الفقيه الزموري قال :

كم شادن بسهام اللحظ آونــــة رمى فؤادي وكم حوراء سافكــــة
وفي العقار اغتنم دأبا مسالمــــة (فقم بنا نصطبح صهباء صافيــــة
في وجهها عسجد في وجهها نقط)
وخل عن عاذل باللوم قد نطقــــا ودع سبيل الذي عن مذهبي انطلقا
لا يعرف الشوق إلا والتزم أرقــــا (وانهض إليها على رغم العدا قلقا
فان تأخير أوقات الصبا غلــــط)

وله بيتان آخران خمسهما الفقيه المذكور ونص التخميس والأصل :

استخبروا خبري بعد انفصالهــــم قد أضرمت بالحشا نار بعادهــــم
واصبوتي لم تر نفسي بغيرهــــم (ساروا فسار فؤادي أثر ظعنهــم
وخلفوني نحيل الجسم حيرانـــا)
قد كان صفو حياتي يوم قربهــــم ولوعتي في اقتراب من بساطهــــم
والآن ابقيت في فيفا غرامهــــــم (لا افترَّ ثغرُ الثرى من بعد بينهمُ
ولا سقى هاطل ورداً وريحانـــــا)

ولم تطل خلافته رحمه الله .

ثم قال : وكان خليفته بمراكش القائد علي بن شقراء وحاجبه أحمد بن حمو الدرعي ، وكاتبه يونس بن سليمان التاملي ، وعلي بن أبي بكر ، وغيرهما

ثم قال : وكان مولانا محمد بن عبد الله عفا الله عنا وعنه ، لما ضاق ذرعا بعمه عبد الملك ولم يجد منه ملجـأ ولا مفراً ، ذهب لطاغية النصارى عظيــم نصارى بردقيس (1) ، فاستصرخ به واستغاثه على عمه ، وبعث معه جيوشــاً كثــيرة ، ومن هناك كتب مولاي محمد رسالة إلى أعيــان المغرب مــن علمائــه وأشرافه وذوي الرأي فيه ، يخطىء عليهم في نكث بيعته ونقضها ، ومبايعة عمه من غير موجب شرعي وقال لهم : ما استصرخت بالنصارى حتى عدمت النصرة

---

1) اي البرتغال حسب النطق المغربي (برطقيس)

من المسلمين ، وقد قال العلماء : يجوز للانسان أن يستعين على من غصبه بكل ما أمكنه ، وهددهم في رسالته وأبرق وأرعد ، وعدد وأوعد ، وقال : « فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله » ، وسمى المستغاث بهم أهل العدوة ، واستنكف عن تسميتهم نصارى ، فأجابه علماء الاسلام رضوان الله عليهم عن رسالته تلك ، برسالة دافعة لجيش أباطيله ، وفاضحة لركيك تأويله ، وهذا نص تلك الرسالة المذكورة ، حرفاً حرفاً .

الحمد لله كما يجب لجلاله

والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير انبيائه وأرساله ، والرضى عن آله، وأصحابه الذين هاجروا لدين الاسلام، وهجروا دين الكفر، فما نصروه ولا استنصروا به ، حتى أسس الله دين الاسلام بشروط صحته وكماله .

وبعد فهذا جواب من كافة أهل المغرب من الشرفاء والعلماء والصلحاء، والأجناد والرؤساء ، وفقهم الله ، لمولانا مَحمد بن مولانا عبد الله السعدي رحمه الله ، عن كتابه الذي استدعاهم فيه لحكم الكتاب ، واستدل بحججه الواهيــة الاطناب ، المتنكبة عن الصواب ، قائلين له عن أول حجة صدر بها الخطاب : لو رجعت على نفسك باللوم والعتاب ، لعلمت أنك المحجوج المصاب ، فقولك خلعنا بيعتك التي التزمناها وطوقنا اعناقنا وعقدناها ، والله ما كان ذلك منا عن هوى متبع ، ولا عن سبيل خارج عن طريق الشرع مبتدع ، وانما ذلك منا على نهج الشرع وطريقه ، وعلى الحق وتحقيقه ، وسنشرح لك ذلك ونبينه ، ونسطره لك بأدلة الشرع وسننه ونعينه .

نعم كنت سلطاننا بما عقد لك والدك من البيعة ، وترك لك من الأموال والذخائر والعدة والعدد والحصون ما لم يتهيأ مثله لأحد من أسلافكم الكرام رضوان الله عليهم أجمعين ، فجاهدوا بما حصل لهم من ذلك في الله حق جهاده ، حتى استخلصوا من أيدي الكفار رقاب عباد الله ، وحصون بلادهم ، وأسسوا لدين الله قواعد وأركانا ، وملكوا من المغرب بلادا معتبرة وأوطانا ، فلما وصل اليك ذلك ألقت اليك العباد اعنتها ، وملكتك أزمتها ، غير مبدلين ولا مغيرين ،

ولا باغين ولا منكرين ، إلى أن قام عليك عمك بحجتك التي لا يمكنك جحدها ، حسبما ثبت كما يجب عقدها ، فخرجت مبادراً له بدفعها ، ولقيته بها وأنت واسطة عقدها ، وحامل راية عهدها .

وعمك في فئة لا يخطر على بال عاقل أن يقابل بها جندا من جنودك ، أو يدافع ما تحت لواء من ألويتك وبنودك ، فما هو الا أن جرى القتال وحضر النزال ، رجعت على عقباك هاربا هروب مطرود القناص ، وجنودك تناديك ولات حـين منـاص .

فتركت عددك ومحلتك بكل ما فيها ، وخلفتها لعدوك ينهبها ويسبيها ، وهــربت على مدينة فاس المحروسة وسكانها ينادونــك لم تركتنا ؟ فـلـم تلتفت اليهم ، وأسلمت بلادهم على ما فيها من خزائن الاموال ، والاعداد الوافرة من الرجال ، والأسوار المرتفعة المانعة ، والمدينة المشهورة الجامعة ، فأصبح أهلها وأيدي العادية من السفهاء والمفسدين تريد أن تمتدً إلى الحريم والأولاد ، والطارف والتلاد ، ولا دافع عن الضعفاء والمساكين الا الله سبحانه الذى قال في مثلهم ومَن اصدق من الله قيلا « لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا » ، فما أمكنهم بعد هروبك عنهم واسلامك لهم فوضى ، الا النظر في أمرهم وأعمال الفكر في التدبير على أنفسهم .

فبينما هم كذلك ، اذا بعمك وجنده على باب مدينتهم قائما بحجته ، سالكاً في ذلك سبيل أبيه رحمة الله وبحجته ، حسبما تقرر ذلك عندكم وظهر ، ولم يخف عنكم منه عين ولا أثر ، إذ كان مولانا مَحمد الجد الاكبر عهد لأولاده مولانا احمد ومولانا محمد الشيخ واخوانهما الا يتولى الخلافة منهم ولا مـن أولادهم الا الاكبر فالاكبر ، فالتزموا ذلك ، الى أن كبر أولادهم ، فطلب جدك من أخيه الوفاء بذلك فامتنع ، فقاتله على ذلك حتى تم له الأمر وانتظم ، فعهـد لوالدك الذي كان أكبر أولاده ، فلم ينازعه احد في ذلك الى أن ألقى والدك رحمه الله ذلك لك ، وعهد اليك ، فلم ينازعك احد ، فأبى الله الا أن يحق الحق ، فأعطى ملكه لعمك الذى هو أكبركم بعد أبيك .

فان سلمت هذا فأي حجة تدلي بها ؟ وأي طريق تعتمد عليها ؟ وان أنكرت هذا ، فلا أمر لخلافة أبيك من قبلك ولا لجدك من قبله ، لثبوتها لعمكم مولاي أحمد ، إذ لا حجة حينئذ لجدك في القيام على اخيه مولانا احمد ، فخلافته صحيحة لبيعة جدك له ، فلم يبق الا التغلب الذي تدلى به في مسألة عمك وفي قيامه عليك ، فان كنت تريد أن تسقط حجته بالتغلب عليك ، فحجتك أبين في السقوط ، لعدم ثبوت الخلافة لمن أعدها لك ، اذ المعدوم شرعاً كالمعدوم حسا ، فلم يبق بينكم إلا (والملك بعد أبي ليلى لمن غلبا) !

فيلزمك على هذا أن تثبت ما عقده مولانا الجد رحمة الله عليه في خلافته لعمك القائم عليها ، اذ هو أكبركم في هذا التاريخ ، فان قلت : ان ما عقده الجد غير صحيح ، قلنا قد ذكر الامام الماوردي رحمه الله في كتاب (الاحكام السلطانية) له ، في باب عقد الخلافة : ان عبد الملك بن مروان رتبها في الأكبر فالأكبر من بنيه فلم ينازعه أحد في ذلك .

فان قلت فعل عبد الملك ليس بحجة ، قلنا سكوت العلماء وهم من هم في زمانه هو الحجة ، اذ لا يمكن لهم أن يسكتوا على باطل ، واقرار أهل العصر الواحد على مسألة من المسائل ، واتفاقهم عليها يقوم مقام الاجماع الذى هو حجة الله في أرضه .

وكان أيضاً من محفوظات علماء فاس المحروسة ما خرجه مسلم رضي الله عنه في صحيحه في كتاب (الامارة) ما نصه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يرفع لكل غادر يوم القيامة لواء ، يقال هذه غدرة فلان بن فلان ». الا وأي غادر أعظم غدرا من أمير عامة غدرهم وتركهم فوضى ؟ قال القاضي أبو الفضل عياض بن موسى رحمه الله في كتاب (اكمال المعلم ، على شرح مسلم) ، يعني ولم ينصح ، ولم يوف بالعقد الذى تقلده من أمرهم ، وفي الباب نفسه عنه عليه السلام ما نصه : « ما من أمير استرعاه الله رعيته فلم ينصح لهم الا لم يرح رائحة الجنة ، وان ريحها ليوجد من مسيرة خمسمئة عام».

وفي كتاب (الاكمال) بنفسه قال القاضي : والذي عليه الناس أن القوم اذا بقوا فوضى مهملين لا امام لهم ، فلهم أن يتفقوا على امام يبايعونه ويستخلفونه عليهم ، ينصف بعضهم من بعض ، ويقيم لهم الحدود ، فلما أسلمتهم وأصبحوا بغير امام وعمك يدلي بحجته التى ذكرنا لك ، مع ما حفظوه من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ، وكلام السلف الصالح ، وأيسوا من رجوعك لهم ، وبقوا فوضى مهملين ، لم يسعهم الا الرجوع الى ما عليه الناس رضوان الله عليهم ، فاتفقوا على أن يبايعوا عمك لما ذكرنا لك من الحجج التي لا يسعك جحدها الا على على وجه المكابرة ، فاطمأن الناس وسكنوا ، وانفتحت السبل ، وأقيمت الحدود ، وارتفعت اليد العادية .

فان قلت : كان يجب على أهل فاس أن يقاتلوا على البيعة التي التزموها لك ، قلنا : انما يلزمهم القتال لو أنك أقمت بين اظهرهم فيكون قتالهم على وجه شرعي ، لأن القتال على الحدود الشرعية انما يكون بعد نصب امام يصدر الناس على رأيه ، ولا يمكنك أيضا جحدها .

إيه ! ثم وصلت مراكش الغراء التي تجبى اليها الأموال من البوادي والامصار ، وتشد اليها الرحال من سائر النواحي والاقطار ، فلقيك أهلها بالرحب والسرور ، وأنواع الفرح والحبور ، فوجدت خزائنها تتموج ، ملأى من كل شيء ، فأما أسوارها ورجالها فهي كما قيل تربة الولي ، والبرج البني ودرج الحلي ، فحللتها وتمكنت من أموالها وخزائنها ، ووافقك أهلها فما نكثوا ولا غدروا ، ولا خرجوا عليك في سلطانك ولا نكروا . فطلبت أيضاً قتال عمك وجندت جنودا لا يجمعها ديوان حافظ ، ولا يحيط بعدها لسان لافظ ، فخرجت اليه تجر أعنة الخيل وراءك في السيول ، والرماة ملأت الهضاب والتلول ، فما كان حديثك الا أن وقع القتال ، وحضر الضرب والطعان والنزال ، فبادرت هاربا محكما للعادة ، تاركا الرؤساء من أجنادك القادة ، فحلت بهم الخطوب والرزايا ، واختطفتهم أيدي المنايا ، فتركت أيضاً محلتك بما فيها من حريمك وأموالك ، وعدتك ورجالك ، ثم أسرعت هاربا لمراكش ، فما صدك عنها أحد من أهلها ، ولا قال لك لست ببعلها ، فعملوا على القتال معك ، والتمنع بأسوارها الحصينة ، والحصار داخل المدينة ، فلما كان الليل غدرتهم وغدرت

بناتك ونساءك وأخواتك وعماتـك ، وخرجت عنهم مـن القصبة ، وتركتهم لا بواب لهم ولا حارس ، ولا راجل ولا فارس ، فيالها من مصيبة مـا أعظمها ، ومن داهية ما أدهمها ولولا فضل الله ولطفه ، ووعده بتطهير أهـل البيت ، لامتدت اليهم أيـدي السفلة من الفَسَقة ، فأي حجـة تبقى لك بعد هـذا ؟ وأي كلام لك بين الرجال ياهذا ؟ .

ثم جاءها عمك أيضا بما سلف من الحجج فوجد أهلها في لطف الله سبحانه وهم يحرسون أولادهم وديارهم من اليد العادية فانقذهم الله به أيضاً ، فبايعوا عمك واطمأنوا وسكنوا ، ثم هربت الى الجبل عند صاحبه ، فصرت في نهب أموال الرعية ، وسفك دمائهم ،وأكثر ما صفا لك من ذلك أهل الذمة المصغرين بحكم القرآن ، الداخلين تحت عهد سيد الثقلين في الأمن والأمان ، فانت وإياهم في استيلائك وظلمك كما قيـل :

ان هو مستولياً عـلى احـــــــد إلا على أضعف المجانيـــــــن

ولم تبال بقول النبي صلى الله عليه وسلم : « انا خصيم من ظلم ذمياً يوم القيامة » ، ثم خربت العامر ، وافسدت ما شيد الاسلاف للاسلام من المآثر، فلما رأى أهل السوس الاقصا ذلك ، أيقنوا أنك انما قصدت خراب الاسلام وأهله ، فتنكب عنك أهل الدين والعلم منهم ، وبقيت كما قيل : في خلف كجلد الأجـرب .

فان قلت إن أولئك الخلق لم يبايعوا عمك فتنقض منهم ما قررناه ، قلنا لم يطعن في خلافة أمير المومنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ممن تخلف عنها من أهل الشام ، وفيهم من قد عملت من الناس والأجماع على صحة بيعته ، ويسمى من تخلف عنها باغياً ، بقول النبي صلى الله عليه وسلم لعمار : « تقتلك الفئة الباغية » ،فقتله اصحاب معاوية رضي الله عنه ، والحديث من اعـــلام نبوءته عليه الصلاة والسلام ، والقاعدة أن ما اجمع عليه من يعتبر من أهل العصر الواحد هو المعُول عليه ، ولا يعد خلاف مَن خالفه خلافاً .

وهذا كله بالنظر الى ما كان من حديث قبل التحزب مع عدو الدين ، والأخذ في التخليط العظيم على المسلمين ، بان اتفقت معهم على دخول اصيلة

وأعطيتهم بلاد الاسلام ، فيالله ويالرسول الله هذه المصيبة التى احدثتها ، وعلى المسلمين فتقتها ، ولكن الله تعالى لك ولهم بالمرصاد .

ثم لم تتمالك أن ألقيت بنفسك اليهم ، ورضيت بجوارهم وموالاتهم ، كأنك ما طرق سمعك قول الله سبحانه : « ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منكم فانه منهم » ، قال أبو حيان رحمه الله : أي لا تنصروهم ، ولا تنتصروا بهم ، وفي كتاب (القضاء) من نوازل الامام البرزلي رحمه الله : أن أمير المومنين علي بن يوسف بن تاشفين اللمتوني رحمه الله استفتى علماء زمانه رضوان الله عليهم ، وهم من هم في استنصار ابن عباد الاندلسي بالكتب الى الافرنج أن يعينه على المسلمين فأجابه جلهم رضي الله عنهم بردته وكفره ، فتأمل هذا مع قضيتك تجدها احروية مناسبة لقضية ابن عباد في عقدها ، بناء على انه متى طرأ الكفر وجب العزل .

وناهيك بقول النبي صلى الله عليه وسلم : عليكم بالسمع والطاعة ، وما أفتى به العلماء رضوان الله عليهم من ردة من استنصر بالنصارى على المسلمين فهو نص جلي في وجوب خلعك وسقوط بيعتك ، فلم يبق لك الا منازعة الحق سبحانه في حكمه : « ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب » .

وأما قولك في النصارى: انك رجعت الى أهل العدوة واستنكفت ان تسميهم بالنصارى ففيه المقت الذى لا يخفى ، وقولك رجعت اليهم حين عدمت النصرة من المسلمين ، ففيه خطآن يخطر عندهما غضب الرب جل جلاله ، أحدهما أنك اعتقدت أن المسلمين على ضلال ، وأن الحق لم يبق من يقوم به الا النصارى دمرهم الله ، والعياذ بالله ، والثاني أنك استعنت بالكفار على المسلمين ، وفي الحديث أن رجلا من المشركين ممن عرف بالنجدة والشجاعة جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فوجده يحد شفرة ، فقال له : يامحمد ، جئت لانصرك ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : ان كنت تومن بالله واليوم

الآخر ، فقال لا أفعل ، فقال له عليه السلام : اني لا أستعين بمشرك ، وما سمعته من قول العلماء رضي الله عنهم في الاستعانة بهم انما هو بأن تجعلهم خدمة لازبال الدواب ونحو ذلك ، لا مقاتلة ، فاما الاستعانة بهم على المسلمين فلا يخطر إلا على بال من قلبه وراء لسانه .

وقولك يجوز للانسان أن يستعين على من غصبه بكل ما أمكنه ، وجعلك قولك هذا قضية انتجت لك دليلا بجواز الاستعانة بالكفار على المسلمين ، ففي ذلك من مصادمته للقرءان ما لا يخفى ، وهو عين الكفر أيضا والعياذ بالله .

وقولك : « فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله » ، إيه أنت مع الله ورسوله ومع حزبه ؟ فتأمل ما قلت ! وفي الحديث « يتكلم احدكم بالكلمة تهوي به في النار سبعين خريفاً ».

ولما سمعت جنود الله وانصاره وحماة دينه من العرب والعجم قولك هذا حملتهم الغيرة الاسلامية ، والحمية الايمانية ، وتجدد لهم نور الايمان ، وأشرق عليهم شعار الايقان ، فمن قائل يقول : سترون ما أصنع عند اللقاء ، ومن قائل : « ليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين » ، ومن قائل يقول : انما قصد التشفى في المسلمين ، اذ لو كان يطلب الصلاح لما صدرت منه هذه الافعال القبيحة ، الى غير ذلك ، فجزاهم الله عن الاسلام خيرا ، ورضي الله عنهم وبارك فيهم ، فلله درهم من رجال وفرسان ، وأبطال وشجعان ، فلو لم يكن منهم الا ما غير قلوبهم على الدين لكان كافيا في صحة ايمانهم ، وعظيم ايقانهم ، فقد بلغ نور غضبهم في الله سبحانه ساق العرش ، والحب في الله والبغض في الله من قواعد الايمان .

وقولك أيضاً متبرياً من حول الله وقوته : فان لم تفعلوا فالسيف ، فهو كلام هذيان يدل على قلة حياء قائله فقط ، أسيفك هذا نبا وانت مع المسلمين نيفاً وعشرين معركة لم تثبت فيها راية ! ثم زال نبوه الآن بالكفار ، فهذه

اضحوكة فتأملها ، واما ما نسبتم لامام دار الهجرة فكفاك عجزا أن تعين لنا نصا جليا نعتمد عليه ، واما ما نسبته للحنفية من أكل الميتة عند الضرورة واباحة الغصة بخمر فهو مما نص عليه المالكية في مختصراتهم التي ألفوها للصبيان فعدولك عن ذلك الى نص الحنفية اما قصور ، واما الغاء لمذهب مالك رضي الله عنه ، وهو النجم الثاقب .

وأما قولك : أنتم أهل بغي وعناد ، فلا نسلم لك ذلك ، الا لو أقمت بين أظهرنا وقاتلت معنا حتى ترى أنسلمك أم لا ؟ فاما اذ هربت عنا وتركتنا فالحجة عليك لا علينا ، على أنك في كتابك تفسق الكل بذلك وتكفره ، وقد قال العلماء رضوان الله عليهم : من يقول بتكفير العامة فهو أولى بالتكفير . وذلك معزو لزعيم الفقهاء ورئيس العلماء أبي الوليد ابن رشد والقاضي أبي الفضل عياض رحمهما الله .

وكيف لا تنظر لقضايا تلمسان وتونس وغيرهما من سائر البلدان ؟ كيف وقع لامرائهم المستنصرين بالكفار على المسلمين ؟ هل حصلوا على شيء مما قصدوه ؟ أو بلغوا شيئاً مما أملوه ؟ على أن أكثر العلماء حكموا بردتهم ، ففاتتهم الدنيا والآخرة والعياذ بالله .

وقد افتخرت في كتابك بجموع الروم وقيامهم معك ، وعولت على بلوغ الملك بجيوشهم ، وأني لك هذا مع قول الله تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا » ، « ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون » ، وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم : لن تغلب هذه الامة ولو اجتمع عليها من الكفار ما بين لابات الدنيا ، وعنه عليه الصلاة والسلام: سيقاتل آخر هذه الامة الدجال . وعنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « سألت ربي ثلاثا ، فاعطاني اثنين ، ومنعني واحدة . سألته الا يهلكهم بسنين كسني يوسف فاعطانيها ، وسألته الا يغلبهم عدوهم الكافر فاعطانيها ، وسألته أن لا يجعل باسهم بينهم فمنعنيها » ، والكل عليك واياك نعني .

وما ذكرت لك عـن عمك المنصور ، فاعلـم أنه لما بلغه خبـرك ، واستنصارك بالكفار ، عقد ألويته المنصورة بالله في وسط جامـع المنصور بعد أن ختم عليها أهل الله حملة القرآن مئة ختمة وصحيح البخاري ، وضجوا عند ذلك بالتهليل والتكبير ، والصلاة والسلام على البشير النذير ، والدعاء له وللاسلام بالنصر والتمكين ، والفتح الشامل الشامخ المنير ، فلو سمعت ذلك لعلمت وتحققت أن أبواب السماء قد انفتحت لذلك ، وقضي ما هنالك .

وبلغه كتابك الذي كان هذا جواباً عنه وهو بوسط الجامع ، ومعه من جنود الله وأنصاره وحماة دينه ما يجعل الله فيـه البركة ، ولولا ان الشـرع العزيز أمر بتعظيم جيوش الاسلام وجنود أهل الايمان والمباهاة بها ، والافتخار بكثرتها ، لما قررنا لكم أمرها ، إذ لا اعتماد له أيده الله عليها وكذلك هم لا اعتماد لهم وله الا على حول الله وقوته ، ونصره وتاييده،والناس على دين الملك، وقد قاتلك في وسط المسلمين في بضع عشرة معركة ، ثم لم تنصر لك فيها راية ، فأي شؤم ونحس حلا بديار الروم ؟ فالله لك ولهم بالمرصاد .

فارجع الى الله يامسكين ، وتب اليه فانه يقبل التوبة عن عباده في كل وقت وحين ، ودع عنك كلام من لا ينهضك حاله ، ولا يدلك على الله مقاله ، وهذه نصيحة ان قبلتها وموعظة ان وفقت اليها ، والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيـم ، وهو نعم المولى ونعـم النصيـر ، وهـو حسبنا ونعم الوكيـل والسلام (1) .

ذكر الخبر عن غزوة وادى المخازن وما وقع فيها للمسلمين من النصر المبين

قال في (المنتقى) : هـذه الغزوة من الغزوات العظيمة والوقائـع الشهيرة حضرها جم غفير من أهل الله تعالى حتى أنها أشبه شيء بغزوة بدر .

---

1) أورد الناصرى الرسالة فى الاستقصا 5 : 70 طبع الدار البيضاء .

حدثني شيخنا يعقوب اليدري عمن يثق به أن الرجل من حاضرى ذلك المعترك يستبق للنصراني لينتهز به الفرصة فما يصله حتى يجده ميتاً ، انتهى .

وكان خروج النصارى في هذه الوقعة بجيوش حافلة وجموع عديدة يقال أنهم كانوا زهاء مئة ألف وخمسة وعشرين ألف مقاتل ، وقصدوا هلاك المغرب وحصر المسلمين ، وإدارة رحى الهوان على أهل الدين ، فعظم ذلك على الناس ، وامتلأت قلوبهم رعبا ، وصدورهم كرباً ، وبلغت القلوب الحناجر، واشتعلت على أهل القلوب نيران الهواجر الى أن أتاح لهم نصر دينه ، واعلاء كلمته ، وظهر من لطيف صنع الله تعالى ما لم يخطر لأحد ببال ، وسبب ذلك كله أن محمد بن عبد الله لما دخل طنجة قصد الطاغية واستصرخه على عمه ، وطلب منه المعونة ، فشرط عليه الطاغية أن يكون للنصارى جميع السواحل ، وله هو ما وراء ذلك كله ، فقبل ذلك منه محمد بن عبد الله والتزمه ، واسم هذه الطاغية سبستيان البرتغالي ويقال برتقيس (2) ، فخرجوا بجيوش وافرة وسلف بيان نهايته حسبما أنهاه ابن القاضي ، والذي عند غيره : أنهم كانوا نحوا من ستين ألفاً .

وقال في (المنتقى) : وعدد الكفرة مئة ألف وخمسة وعشرون ألفا ، الخمس والعشرون بقيت في السفن ، والمئة ألف حضرت للقتال ، أسر بعضهم وقتل الباقي ، انتهى .

وكان مع محمد بن عبد الله نحو الثلاثمئة من أصحابه ، قال بعضهم : وكان عدد الانفاض التي يجرونها مئتين ، فشنوا الغارات على أهل السواحل ، فاعلم أهلها السلطان عبد الملك ، وكان بمراكش وشكوا له كلب العدو عليهم . فكتب عبد الملك من مراكش ان سطوتك قد ظهرت في خروجك من أرضك وجوازك البحر الى العدوة ، فان ثبتت الى أن نقدم عليك فأنت نصراني حقيقي شجاع ، والا فأنت كلب ابن كلب . فلما بلغه الكتاب غضب وشاور أصحابه

2) أى البرتغالى بلغة عوام المغرب .

هل نقعد هنا حتى يلتحق بنا من خلفنا من أصحابنا ؟ فقال لهم محمد بن عبد الله : الرأي أن نتقدم ونملك تطوان والقصر والعرائش ، ونجمع ما فيها من العدة ونتقوى بما فيها من الذخائر ، فاعجب ذلك الرأي أهل الديوان ولم يعجبه هو ، وكتب عبد الملك إلى أخيه أحمد أن يخرج من فاس وأحوازها بالجيوش ويتهيأ للقتال .

وكتب عبد الملك للطاغية : اني رحلت اليك ست عشرة مرحلة ، أما ترحل الي واحدة ؟ فرحل العدو من موضع يقال له تهدارت ونزل على وادي المخازن بمقربة من قصر كتامة ، وكان من عبد الملك مكيدة ، ثم ان الطاغية قطع بجيوشه وعبر جسر الوادي ، ونزل من هذه العدوة ، فأمر عبد الملك بالقنطرة ان تهدم ووجه لها كتيبة من الخيل فهدموها ، وكان الوادي لا مشرع له ، ثم زحف عبد الملك الى العدو بجيوش المسلمين ، وخيل الله المسومة ، وانضاف له من المتطوعة كل من رغب في الأجر ، وطمع في الشهادة ، واقبل الناس سراعاً من الآفاق ، وابتدروا حضور هذا المشهد الجليل ، وكان ممن حضر من الاعيان سيدي يوسف الفاسي وغيره ، وسمعت أن الشيخ سيدي أبا العباس السبتي رحمه الله رئي فيها جهارا على فرس أشهب وهو يحض الناس على التقدم ، ولا يستنكر مثل هذا ، فان الشهداء أحياء عند ربهم فالتقت الفئتان ، وزحف بعضهم الى بعض ، وحمي الوطيس ، واسود الجو بنقع الجياد ودخان مدافع البارود ، واشتد القتال ، وكثر الضرب والطعن، واستمر النزال ، فلما قامت الحرب على ساق ، والتفت الساق بالساق ، توفي عبد الملك عند الصدمة الأولى ، وعند ما أضرمت نار القتال، وكان من قضاء الله السابق ولطفه السابغ أنه لم يطلع على وفاته أحد ، إلا صاحبه ومولاه رضوان العلج فانه كتم موته وصار يختلف الى الخباء ويقول : ان الامير يأمر فلانا أن يذهب الى موضع كذا ، وفلانا أن يلزم الراية ، وفلانا أن يتقدم ، وفلانا أن يتأخر ، وهكذا ...

وقال شارح (الزهرة) : ولما مات عبد الملك لم يظهر الذي كان سائس المحفة موته ، فصار يقدم دواب المحفة نحو العدو ويقول للجند : الملك

يأمركم بالتقدم الى الكفرة ، وعلم ايضاً بموته أخوه المنصور فكتمها ، والناس كذلك في المناضلة ، ومنادمة القواضب ، واحتساء كؤوس الحمام ، إلى أن هبت على المسلمين ريح النصر ، وساعدهم الدهر ، واثمرت كمائم رماحهم زهور الظفر ، فولى المشركون الادبار ، ودارت عليهم دائرة البوار ، وحكمت السيوف في رقابهم ، ففروا ولات حين فرار ، وقتـل سبستيان البرتغالي ، غريقاً في الوادي ، وقصد النصارى للقنطرة فلم يجدوا لها أثرا ، فكان ذلك من أكبر الاسباب في هلاكهم ، وأعظم الحبائل في اقتناصهم ، ولم ينج من الروم الا عدد نزر ، وشرذمة قليلة ، وبحث في القتلى عن محمد بن عبد الله فوجد غريقا في الوادى ، وذلك أنه لما رأى الهزيمة ألقى بنفسه فيه ، ورام قطعة فغرق فيه ، فاستخرجه الغواصون فسلخ جلده ، وحشي تبنا ، وطيف بهم في مراكش وغيرهـا .

قال في (المنتقى) : وكان قدر المقاتلة خمسا وأربعين درجة ، أو اثنين وخمسين درجة على ما حدثني به بعض الموقتين ، انتهى .

وتوفي عبد الملك في زوال اليوم المذكور ، وبايع الناس أخاه أحمد المنصـور .

قال في (درة الحجال) : فانظر لحكمة الله الواحد القهار ، أهلك الله ثلاثة ملوك في يوم واحد وهم : عبد الملك ، وابن أخيه محمد بن عبد الله ، والطاغية سبستيان ، وأقام واحدا وهو أحمد المنصور .

ولمـا بلغت الهزيمة الى الطاغيـة الأعظم بعث إلى المنصور بعـد استبداده بالملك ورجوعه لفاس كما سياتي ، يلتمس منه الفداء لمن بقي في يده من الاسارى ، ففداهم ، وجمع في ذلك أموالا سنية .

وذكر بعضهم أن الاسارى الذين وقع فداؤهم لما توجهوا الى بلادهم ، ووصلوا لملكهم قال لهم الطاغية: لِمَ لمْ تأخذوا القصر والعرائش وتطوان قبل ان يصل ملكهم اليكم ؟ فقالوا له : امتنع من ذلك الأمير الذى بعثته علينا ، فأمر بهم فاحرقوا جميعاً .

غريبة وفيها مضحكة

ذكر بعضهم أن النصارى دمرهم الله لما وقعت عليهم الكائنة المذكورة، وفني مَن فنِي منهم فيها، ورأى اساقفتهم قلة الزوج وخلاء البلاد لكثرة من مات منهم ، أباحوا للعامة فاحشة الزنى ليكثر التناسل ، ويخلف ما هلك منهم ، ورأوا ذلك من نصرة دينهم ، وتقويم ملتهم ،أخزاهم الله تعالى ودمرهم ، انتهى .

644) محمد بن محمد الحسني السجلماسي

محمد بن محمد بن أبي القاسم الشريف الحسني السجلماسي الفقيه الخطيب المشارك النحوي المتفنن ، له تقييد على ألفيه ابن مالك في النحو .

أخذ بمدينة فاس عن محمد ابن مجبر المسارى ، وقيد عنه على الألفية ، وعن أحمد بن علي المنجور .

توفي بمدينة مراكش سنة ثمان وثمانين وتسعمئة ، ترجمه في (الجذوة) .

فائدة

المترجم أول من خطب بجامع الاشراف بمراكش ، كما في (الصفوة) في ترجمة ابن عمه مولاي عبد الواحد مفتيها ، وأخذ عنه قاضيها عيسى السجتاني .

645) محمد (شقرون) بن هبة الله الوجديجي التلمساني

محمد بن هبة أو هبة الله الوجديجي ، الملقب شقرون التلمساني نزيل فاس ، الشيخ الامام المفتي العالم العلامة المشارك المتفنن ، ترب الفقيه محمد ابن جلال ، ومشاركه في شيوخه ، كان رحمه الله عارفا بالاصلين والبيان ، والمنطق والفرائض والحساب ، نافذا في الفروع ، منطبعاً معها ، يحسن النوازل ويقوم على مختصر ابن الحاجب أتم قيام ، وله شرح على رجز إبراهيم التلمساني المعروف بالتلمسانية في الفرائض ، وكان شيخ الفتيا وامامها الاكبر، عالم الزمان وفارس المنابر وعروس الكراسي،

حائزا أوصاف الكمال سمتاً وعلماً وبلاغة وفصاحة وسؤددا ، طلق اللسان ، واسع العبارة واضح البيان ، منفسح الصدر ، كثير المعرفة ، لقي المشايخ الكبار ، وأخذ عنهم ، كالشيخ أحمد بن اطاع الله ، والشيخ عبد الملك البرجي ، وتفقه على الشيخ سعيد بن أحمد المَقّري ، وأخذ عنه علم لكلام ، وكان المقرى أخذه عن الامام السنوسي ، وأحمد ابن زكرى ، أوطن فاساً بعد ان قدم اليها من تلمسان سنة سبع وستين وتسعمئة ، فعظمه سلطان المغرب يومئذ وولاه الفتوى بحضرة مراكش وسائر أقطار المغرب ، وكان يحضر مجلسه أعيان الفقهاء والسلطان بنفسه ، وانتفع الناس بعلومه .

وممن أخذ عنه ابراهيم الشاوي المراكشي ، وابن عسكر صاحب (الدوحة) ، وأحمد المنجور ، وكان أولا يخطب بجامع الكتبيين من مراكش ، ثم خطب بجامع المنصور الكائن بقصبة الملك هنالك ، وكان سكناه بفاس ومراكش ، ويفتي الناس بالبلدين الى أن توفي بفاس آخر سنة ثلاث وثمانين وتسعمئة عن نحو خمس وسبعين سنة .

ترجمه المنجور في فهرسته ، وصاحب (الدوحة) ، و (النيل) ، و (الكفاية) ، و (الجذوة) ، و (الدرة) ، وترجمه في (البستان) والحضيكي في كتاب (المناقب) ، وفي (السلوة) ، و (تعريف الخلف) (1) .

646) **محمد بن عيسى التاملي** الفقيه البليغ الاديب ، وزير القلم الأعلا له مقاطيع وقصائد حسان ، قتله السلطان بمراكش سنة تسعين وتسعمئة .

قاله الفشتالي في لاميته المشهورة ، ونقله الحضيكي في كتاب (المناقب) و صاحب (بشارة الزائرين) ، وذكره في (درة الحجال) .

647) **محمد بن أحمد ابن الناظر** المراكشي كان فقيهاً نحوياً . توفي سنة خمس وتسعين وتسعمئة .

---

1) تنظر ترجمته في **نيل الابتهاج** ص 350 و **البستان** ص 61 و **درة الحجال** 2 : 215 ع 665 طبع الرباط و **جذوة الاقتباس** ص 325 ع 341 و **شجرة النور الزكية** 1 : 285 و **سلوة الانفاس** 3 : 283 .

ذكره في (درة الحجال) ، وخالف هذا في (لقط الفرائد) حيث قال : توفي بمراكش سنة ست وتسعين وتسعمئة .

648) محمد (الكامل) بن أبي عمرو القسطلي

محمد الكامل بن الولي الصالح سيدي أبي عمرو بن أحمد الامين بن أبي القاسم القسطلي المراكشي .

ولد رحمه الله بحومة حمام الذهب من مراكش يوم الاثنين قرب الاصفرار في رمضان عام ستين وتسعمئة ، وظهر بها للخلائق ظهور غوثية في سادس عشر ربيع النبوي عام اثنين وتسعين وتسعمئة ، وبها توفي رضي الله عنا به لسبع عشرة ليلة خلت من شوال عام سبعة وتسعين وتسعمئة، وألف في أحواله ومناقبه تلميذه قاسم بن أحمد الحلفاوي كتابه (شمس المعرفة ، في سير غوث المتصرفة) في مجلد من القالب الكبير أبدأ فيه وأعاد، واستوفى تدرجاته وكراماته ، وذكر أن شيخه هو والده الامام أبو عمرو القرشي الأصل ، ينتمي إلى الخليفة سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه .

وقال في ذلك قاسم المذكور :

لم ينصر السنة البيضاء مثل الذي ... شق بحمله طود الهند والحجر
ذخيرة لظلام الوقت ذخرها ... لنا أبو بكر الصديق ذو الفخر
أكرم بها هبة من أكرم الخلق بعـ ... ـد المصطفى وكذا قد جاء في الخبر

وأشار والده الى أنه الخليفة بعده ، وهو إذذاك صغير في قضايا متعددة .

وفي ذلك يقول أيضاً :

قد أيد الله قول الشيخ حيث أتى ... ولده بمسيره بلا مهل
وجاء والحمد لله على وفق ما ... قد كان يرجوه من حال ومن أمل

وقال الشيخ مرة في علامة خليفته انه يلتقي بالشيخ العارف الولي الأصيل سيدي عبد الله بن حسين رضي الله عنه ، فينزع الشيخ العمامة من

رأسه ، ويكسيها للوارث بيده ، فلما دخل على الشيخ المذكور صعَّد فيه النظر ، وأزال عمامته على رأسه وكساه إياها بيده .

واشتغل بعد وفاة والده رضي الله عنه بقراءة العلوم ، فكان يحضر مجالس العلماء العاملين ، ويقتصر على من توسم فيه أنه من الصالحين ، وله قوة ادراك في العلوم ، وشهد بذلك أهل علم الرسوم ، بعد أن تكرر عليهم سؤاله ، وامتحنوا أبحاثه وأحواله ، وكان ورعا وما تكلم في المجلس الا ثلاث مرات ، وكانت أسئلته وأبحاثه على طريق الاستفتاء ، فلا تقع نازلة الا بادر بها علماء الوقت ، ويتبعهم الى ديارهم ، ويترقب انفصالهم عن مجالسهم ، فعرفوا بذلك أمره ، وصرحوا بفضله .

وفي ذلك يقول شاعره المذكور :

وأقلام رب العرش ألسن خلقه ... وليس لغير الله فعل مترجم
وما ثم إلا الله جلت صفاته ... وأفعاله والغير غير مسلم

وأخذ صغرى السنوسي عن العالم الشريف سيدي الحسن بن سعيد الحسني ، ثم رجع بعد معرفة طريق الدليل والبرهان ، الى طريقة الرجال أهل المعرفة والوصال .

وفي ذلك يقول شاعره قاسم :

جميع مقامات الرجال سلكتها ... وعرفك الرحمان كل مكان
سلكت من البرهان أسنى طريقة ... فجزت الى عرفان أهل العيان

ثم تربى الشيخ بخاله سيدي عبد الرحمان بن محمد القسطالي ، ومن جملة أقواله له طريق شيخك شاذلية بيضاء نقية ، وهي طريق الاسباب بما لها من الشروط والآداب وهي مجانبة أهل العدوان وملازمة الخمس في الجماعة للغفران ، ومواساة ذوي الفاقة والانفاق على الفقراء والاخوان وإيثار أهل المعرفة والشان .

ولم يزل مع خاله الفقيه المذكور يتحلى بأحواله ، ويتسلى بأقواله ، حتى أحاط بجميع أفعاله الى أن مات سيدي عبد الرحمان ، فاشتد الامر على المترجم، ثم تلاقى برجل من عباد الله يقال له أبو عبد الله ، احترق كبده من حب الله ، خارجاً عن الدنيا بالدين ومقبلا على الآخرة بالمشاهدة والتعيين ، فوجده على حالة يرضاها ، وسكن بلدة لا يعرف منها وهي مراقبة الروح لمولاها ، مشحونا بالعلوم والمعارف ، متضلعاً بالدقائق واللطائف ، ساكنا من المحجة صحراء المخاوف كأن الموت لم يخلق الا له ، صور قبره في طاحونة بين عينيه ، ينظر إليه بنفس محزونة ، فتارة يبكي وينوح ، وتارة يشهق ويصيح ، ذكار ، قوام ، ذو تفكير وبصيرة واستبصار ، فتأنس المترجم بوجوده ، فسلك معه وعام في بحـور الشفقة والرحمة ، وبقيـا على ذلك أعواما الى أن مـات رحمه الله ، فأورث المترجم ذلك انحياشا إلـى الله ، وجمعا بقلبه وقالبه عليـه ، وحببت اليه الخلوة ، واعتزل عن الناس ، فلم يزل يتلون في المقامات ، ويلوح لاعلاء المقاصد علامات وتؤيده مع ذلك منامات ، فتعلق بخاطره مناظرة الكتب مثل : (احياء علوم الدين) ، و (قوت القلوب) ، و تلمح الخزانة اليوسفيـة بشرقي جامع ابن يوسف وتصاحبا وتأيد كل منهما بالآخر ، واكتسبا بذلك القوة والتيسير ، ونفي الاختيار والتدبير ، والسلامة من كل هول عسير، وصفاء القلوب والسرائر ، وتنوير الوجوه والبصائر .

وكان المترجم زاهداً انفـرد بأشرف الاوصاف ، لم يكن قط يجمـع الدنيا ولا اهتم بشأنها ولم يغضب لفوات غرض من الاغراض ، ولم يفرحه سوى درهم انفقه على الاخوان والمساكين ، وسد به خلة يجب سدها ، ولا يسره شيء مثل ما يسره بذل المال في الحال ، دائم الحضور بين يدي خالقه ، بورعه الذي لا تكاد تلمحه العبارة ، وفيٌ بكل ما عقده من العهود ، وفي خلال هـذه المجاهدة ، وقع له من الكرامات وخوارق العادات في تيسير العبادات وإيقاظه من جوف الليل للصلاة بأصوات مختلفات ، وربما لا تعرف له لغات الاسماع الهنات يسمعها كل من له معه بيات ، وكان اذا وصل وقت السحر أيقظ أبا العباس ، وأخاه محمد عبد الواحد ، فأخذوا في تلاوة القرءان بأشواق وأشجان كل واحد له تدبير حتى يحركوا أهل القرائـح الجوامد ، ويوقظوا كل نائـم في المنزل .

ردد فهومك في إشراق سيرتــــه تنبئك عن كل وصف حازه شرفـا
لولا العناية في الاوصاف ظاهـرة لكان من يدعي مثل الذي شرفـــا

وكان يسوس إخوانه الصبيان بحسن الملاطفة والاحسان ، ويخرج معهم الى الجنان ويؤلف فيما بينهم ، ويدلهم على طاعة الرحمان ، وعند مقيل النهار تراه يطوف بين أزقة الديار ، فمن وجد من اخوانه الصغار ، يدخلهم الرباط المبارك ، ويلهيهم بما يحفظ عقدهم من المهالك ويطيب قلوبهم في أحسن المسالك ، ولم يزل معهم حتى ينومهم ، وعندما تجب الصلاة يوقظهم ، ويحدثهم بأحاديث فضل الجماعة .

وقد انفرد عن أهل عصره بخصائص منها المراقبة والعزلة ، واجتهاده فيما تساهل فيه غيره بنية صادقة ، ما سمع علو همة الا تعلق بها ، ولا تحلى بحلية إلا وطيء بسنامها ، مع توقير الكبير ، واحترام الصغير ، وإكرام الفقير ، واعطاء كل ذي حق حقه ، وكانت رغبته فـي حضور جنائز الغرباء أزيد فـي الاهتبال ، متحمل الاذاية من الخلق حتى أنه صلى ذات يوم صلاة الجمعة ، ووضع بين يديه كتاب (دلائل الخيرات) بخط سيدي عبد العزيز الحـرار رضي الله عنهما ، فلما قضيت الصلاة جعل رجل يده على الكتاب ورفعه ، فظن أنه ينظر فيه فقال للرجل : وهل قضيت أربك من الكتاب ؟ فقال له : إن الكتاب لي وأغلظ عليه فقام وتركه ، ومع ذلك زاد في الافحاش عليه، فعرفه به بعضهم، فقال الشيخ : ما لقيت أشد علي من التعريف بي ، ثم ذكر في الباب الثالث أمر المصطفى صلى الله عليه وسلم للمترجم بالخروج للناس ، ثم خطب بذلك وبشرهم بأن الله تعالى شفعه فهم .

وأنشد في ذلك قاسم قصيدته التي أولها :

دوي بظهور المرتضى البر والبحر ونارت به الاركان والشمس والبدر

ثم ذكر أوراده وانه يقرأ في الصبح حزب الفلاح ، ثم حزب البحر ، ثم الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وما يتبع .

وأنشـــد :

الله أكبر ما أبهى محاسنـــــــــــه منها عليها لها أقوى البراهيــــــن
قد جمع الله فيه كل مفتـــــــرق من المحاسن في روض الرياحيــن

ثم ذكر باقي الوظائف وأنشد أيضاً :

فلو رأيت عدوي حسن منظـــــره ونور وجنته في وقت نفحتـــــــه
ولو سمعت حنين حسن منطقـــه ولو لمست حرير كف راحتــــــه
أو جاز يوماً عليك فوق موكبـــــه أو جئت ترقبه عند تلاوتــــــــه
أو كنت صادفت حتى حسن نومته لكنت تقسم بالمولى وقدرتــــــه
عليه انه فرد في محاسنـــــــــه ولا له في سنا الأغوات من مثــــل

وقال أيضاً :

إذا ما أراد الله اظهار فضلـــــــه على عبده بين الخلائق واجتنبـــي
يؤيده فضلا ويخلق نعمـــــــــة وينسبها إليه فعلا ومكسبـــــــا
فما هو الا فضله وعبيـــــــــده بذا قام برهان العقول فمرحبـــــا
وتوفيقه بالشكر أكبر نعمــــــــة وفي شكرها شكر وشكره قد ربـــا
فلله در القائمين بحمــــــــــده حمدناه تعليما لنا ومؤدبـــــــا
إذا العبد عن حمد القديم لعاجـــز وعلمه كيما يكون مقربـــــــــا
فنشكره حمداً ونحمده شكـــــراً ونشهد أن الكل منه تحببـــــــا
وأعظم فضل الله بعث محمـــــــد إلينا وآمنا به متغيبــــــــــــا
وانا لفي حال كأنه بيننـــــــــــا وآيته نتلوها وحياً مرتبــــــــا
قد أوجبه المشهور وارثه الـــذي به هذب الله السلوك وقربــــــا
فلا جرم ان الله ذخره لمــــــــن يكون برأس الألف مثلى مغربـــــا

الى آخره . . .

وقال أيضاً من قصيدة :

بادر أخي لمن ضاء الوجود بـــــه نعم الوسيلة للمولى لمن عقـــــلا
يأويك سيدي للمولى بلا تعـــــب اما قسيم فلا يبغى به بـــــــدلا

وله وترية فيه على عدد حروف المعجم في كل حرف ثلاثة عشر بيتاً مجموع أبياتها ثلاثمئة بيت وسبعة وسبعون بيتاً .

وقال فيه أيضاً :

ياسيدي أشرف المولى مكانتـــه في الحلم والعلم والاخلاق والكـرم
والعلم همتكم والحلم حرفتكـــم والعفوُ شيمتكم في كل مصطـــدم
كيف الثناء عليه بعد ما شهـــدت به عليك عدول الحلم والحكـــم
أثنى عليك الكريم بكرامتــــــه في كل فعل وقول غير متهـــــم
عليك مني سلام الله متصـــــــلا بكل وقت وحين غير منفصــــم
ثم الصلاة على المختار سيدنـــا محمد وعلى أصحابه الكـــــرم

ثم ذكر في الباب الخامس كراماته وأبلغها الى مئة كرامة ، منها ما وقع له في نفسه ، ومنها ما رواه عن غيره ، منها أنه كان قبل اتصاله بحبله المتين من المنقطعين المعترضين على أهل هذا الشان ممن استبعد الخير عمن عاصره ، ثم قال : فـ (دلائل الخيرات) كان بين أظهرنا لم نختمه قط ، ولو في طول مدة حتى ظهرت فينا مادته ، فكان من فضله علينا ما لا ننكره ، وبعد كتبت منه نسخاً عديدة ، بعضها الآن بمدينة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وختمناه في يوم واحد مراراً عديدة ختماً يشهد بخرق العادة ، وقد كتبت أزيد من نصف في يوم واحد ، الى آخره .

ومنها ما نقله عن غيره ، وهم الولي الصالح سيدي محمد بن مسعود ، والفاضل المحب المجتهد سيدي محمد بن سعيد الورتاني ، وسيدي علي بن سعيد العكاري ، وسيدي عبد القادر ابن الشيخ سيدي أبي عمرو ، والمحب الصالح سيدي عبد الله بن مبارك ، والفاضل الناصح المجتهد سيدي أحمد بن سيدي محمد الزروالي الشريف الحسني ، وسيدي علي بن فاتح ، وسيـــدي الحاج محمد بن علي النظيفي ، والمرابط سيدي علي بن الحسن المراكشي ،

وسيدي محمد بن الحسن ، وسيدي أحمد بن بركة المنتصر ، والعارف الاوحد المجتهد الامجد الحاج الابر سيدي علي بن محمد بن محمد بن مهدي الندرومي ، وسيدي عبد الله بن عبد الحق المراكشي ، والحاج سالم بن عبد الله ، وسيدي سعيد بن علي المراكشي ، وسيدي قاسم بن عبد الله الآسي ، وسيدي عبد الرحمان بن عبد الكريم ، وسيدي محمد بن عبد العزيز ، والفقيه الأجل السيد الأفضل سيدي محمد بن عبد الرحمان القسطالي ، والاخ الصالح سيدي حسين بن عبد الله الزداغي ، والمحب المجتهد سيدي أحمد الايسي ، والفاضل المجاهد العدل الحاج سيدي عبد الحق التادلي ، والحاج الأبر المجتهد الانور سيدي قاسم بن أحمد الوداني ، وسيدي أحمد المزواري ، وسيدي علي بن سعيد الصنهاجي ، والفقيه الأجل المدرس الاحفل سيدي محمد بن عمر وغيرهم .

649) **محمد بن علي الدادسي** ، له سند صحيح وأخذ وسماع ، وله حفظ للقرءان العظيم ، سمع عن ابراهيم الصفوي المقدسي ، عن زكرياء عن ابن حجر ، وعن زين الدين المرصفي ، عن ابن حجر أيضاً ، وعن أبي عمران موسى النشار ، عن يوسف الشريف عن الجلال الاسيوطي ، وأخذ عنه أبو العباس ابن القاضي ، وأجاز له .

ولد سنة اثنين وعشرين وتسعمئة ، وكانت اجازته له في منزله من مراكش المحروسة بازبزط ، في سابع عشرين الحجة سنة تسع وتسعين وتسعمئة .

ترجمه في (درة الحجال) ، وقال في (لقط الفرائد) : توفي بمراكش المحروسة في شوال سنة تسع وتسعين وتسعمئة ، انتهى ، وهذا مناقض لقوله سابقاً إنه أجازه في 27 حجة من العام المذكور .

650) **محمد بن محمد التواتي**

محمد بن محمد بن أبي بكر التواتي ، له سند صحيح ورواية وسماع صحيح ، له مشاركة في الحساب والفرائض ، أخذ البخاري عن محمد بن أبي

بكر بغيغ ، عن أبي عبد الله أنزغ محمد التارختي ، عن القلقشندي عن ابن حجر قال أحمد ابن القاضي في (درة الحجال) : تدبجت معه ، أجاز لي وأجزت له ، وأخذ عني الحساب والفرائض بمراكش المحروسة .

ولد سنة احدى وأربعين وتسعمئة .

651) **محمد الحاج أدركو** الفقيه المراكشي ، له مشاركة في النحو ، ويستظهر مختصر خليل ، أخذ عن أحمد المنجور وعن جماعة من أهل عصره ، كان حياً سنة تسع وتسعين وتسعمئة .

ترجمه في (درة الحجال) .

652) **محمد بن علي ابن الزبير** كاتب زيدان بن أحمد المنصور ناظم أديب ، ونظمه لا بأس به ، ولد بعد الستين وتسعمئة ، كان حياً سنة تسع وتسعين وتسعمئة .

ترجمه في (درة الحجال) .

653) **محمد بن عمر بن قاسم الشاوي** الأديب الناظم الناثر اللوذعي الفكاهة الكاتب البليغ ، وهو القائل في هجو العدول :

إن العدول الذي جاء الزمان بهـــم ... عن العدالة والتوفيق قد عدلـــوا
أحداث سن وأحلام كسنهـــــــم ... تالله لو شهدوا في الكلب ما قبلوا

وقال يخاطب أحمد المنصور :

فخر الخلائف ان عبدك واثـــق ... بالنجح من علياكم ومحقـــــق
فنوالكم عم البسيطة كلهـــــا ... لم يبق معه في البرية مملـــق
فالغرب يرفل في ثياب جمالكـــم ... وجلالكم يرتج منه المشـــرق
امطر عليّ سحاب جودك ثـــروة ... وانظر إليّ برحمة لا أغـــــرق

ولقـي أحمد ابـن القاضي بتانسيفت خـارج مراكش ، في محلـة مخدومه وأنشده كما ذكر في (المنتقى المقصور) وقال فيه : ومن كرم مولانا ان ابن عمر الكاتب الذي يأتي ذكره ان شاء الله أنه طلع عليه خمسون قنطاراً من عشر الزيت في سنة من السنين ، فكتب له هذه الابيات ، فترك له أعشار زيته ما دام حياً ، والابيات هذه :

أبحر الندا خير الملوك سجيـة ... وأكرم ... قبر
لقد سرت في الاسلام أحسن سيرة ... وخصصت بالنصر العزيز المـؤزر
أمولاي لاحظني بجودك أننـي ... فقير نوال من لدنك موفـر
فهذا زمان الزيت قد جاء مقبـلا ... ولي رغبة فيه بغير تنكـر
فمنها اشتعالي في الدجى وتطيبي ... ودهن طعامي ثم منها تعطـري
لأني بليد الطبع اشتاق ريحهـا ... ففي الزيت يامولاي مسكى وعنبري

انتهـى .

ولما قتل الناصر فرح المنصور وقال فـي ذلك المترجم كما فـي (النزهة) :

تهنا أمير المومنين فقد جـرت ... لسطوتك الاقدار جري السوابـق
وذاك الذي قد خيب الله سعيـه ... تردّى فلم تنفعه نصرة مـارق
أضاءت لك الايام واحلولكت على ... عدوك وارتجّت رؤوسُ الشواهق
فكان كما قد قيل لكن رأسـه ... أتى سابقاً والرجل ليس بسابـق

أشار إلى قول بعضهم في الوزير ابن الفرس وقد رآه منكوس الرأس مصلوباً :

لقد طمح المهر الجموح لغايـة ... تقطع أعناق الجياد السوابـق
جرى فجرت رجلاه لكن رأسـه ... أتى سابقاً والرجل ليس بسابـق

انتهى .

تنبيـه

ابن عمر الكاتب هـذا غير ابن عمـر الكاتب المذكور في (جـذوة الاقتباس) نقلا عن ابن الابار ، فهذا الثاني توفي عام ثلاثة وستين وخمسمئة .

654) **محمد بـن علي الهـوزالي** الفقيـه الأديـب الناظم الناثـر ، أجازه الامام المنجور بفهرسته مع أحمد ابن القاضي ، ذكره في (المنتقى المقصور) وهو من الادباء الذين حضروا مع المنصور زيارة أغمات ، وذيلوا أبيات الحميدي الرائية المتقدمة في ترجمة عبد الرحمان العنابي .

قال المترجم :

أيا تحفة الدهر ياناظـــــره ... وطرفة أيامه الزاهـــــره
وبدر العلوم التي قد نضـــت ... دجى الجهل أنواره الباهـــره
ومن كرعت في رياض المعانـــي ... له فكرة بالذكا ساهـــره
انظمك أم قرقف بابلـــــي ... ولفظك أو نفثة الساحـــره ؟
تعلل أرواحنا مذ غشانـــا ... بأرواح روضتك الباهـــره
أمن دارن قد سرى موهنـــا ... أم ارتاح اخلاقك العاطـــره ؟
فككتم به عن أسارى القوافـــي ... قيوداً بأرجلها دائـــره
فلا زلت ياشيخنا نهتـــدي ... بنورك في الليلة الساهـــره

والمترجم يعرف بالنابغة ، ولما مرض المنصور في جمادى الاولـى سنة سبع وثمانين وتسعمئة مرضاً مخوفا ، وطال به حتى كادت الامور تختل ، ثم تداركه الله على يـد الحكيم الماهر محمد الطبيب ، ولما أبل مـن مرضه ، أحسن إلى الطبيب المذكور ونثر عليه يوم خروجه من الخلع ما لا يحصى ، وكان يوم خروجه يوماً مشهوداً .

وفي ذلك يقول المترجم :

تردى اذى من سقمك البر والبحر ... وضجت لشكوى جسمك الشمس والبدر
وبات الندى خوفاً عليك مسهـــدا ... واصبح مذعور الفؤاد الندى الغمر
فلما أعاد الله صحتك التـــي ... أفاق بها من غمه البدو والحضـــر

تراءت لنا الدنيا بزينة حسنهـــــا وعاد الى ابانه ذلك البشـــــــر
وصار بك الاسلام في كل بلـــدة يهني ويدعو أن يطول لك العمـــر
وصحت لنا الآمال بعد اعتلالهـــا وعادت الى الايناع أغصانها الخضر
ولاغرو ان ضاقت على سمط الندى إذا اغبر وجه الارض واحتبس القطر
لبيت أبي العباس انضت عجافهـا قديما فخافت أن يعاودها الضـــر
لئن صدئت بيض المعالي لقد غدت تشيء الكماة البيض واللدن السمر
بقيت لهذا الدين تحمي ذمـــاره ويحميك رب العرش ما بقي الدهر

ذكره في (النزهة) (1) .

655) محمد بن عبد الرحمان الوزروالي

محمد بن الشيخ الصالح عبـد الرحمان بـن يوسف الوزروالي ، قال فـي (الممتع) : وأمـا حفدة اخوة الشيـخ الغزواني رضـي الله عنـه وعنهم أجمعين منهم : الشيخ محمـد الوزروالي المعروف ببلاده بابن الفقيرة صاحب التآليف في العشق وغيره ، من أصحاب سيدي أبي عمرو المراكشي ، ووجدت بخطه في تمام نسخ كتابين وأكثر بخطه : انه شريف حسني ، كتب فيه جدى للأم : الشيخ أحمد بن الشيخ أبي المحاسن الفاسي ، فيما وجدته بخطه : شيخنا وقدوتنا ، الشيخ الامام ، الاستاذ المقريء المجاور بالحرمين الشريفين ، الولي الصالح الصوفي العارف بالله تعالى ، جمال الدين محمد ابن الشيخ الصالح عبد الرحمان بن يوسف الوزروالي رضي الله عنه وعنا به .

ثـم ذكر أنـه روى الوظيفة الزروقية عـن الشيخ محمـد الخروبي تلميذ الشيـخ زروق ، عن الشيخ محمـد بركات الحطاب عـن والده الشيـخ محمد بن عبد الرحمان عن مؤلفها ، وقـال فيه في مواضع : شيخنا محمـد

---

1) نزهة الحادي ص 75 .

وينظر عن محمد بن علي الهوزالي درة الحجال 2 : 333 ع688 .

الوزروالي ، وقال فيه أحمد بن أبي محلى : العالم الاستاذ ، الذي عن حوض الحقيقة والشريعة لا يذاد ، وعلى قدره الشريف لا يزاد :، ثم عظم أمره ، وأن الحطاب المالكي لا يجهل قدره .

ثم قال : وأما الوزروالي المذكور فتلميذ الشيخ أبي عمرو أيضاً ، ولكنه ربما أخذ عن الغزواني فيما يقال وكأنه أدركه قبل اجتماعه بأستاذه الأخص أبي عمرو ، فلذلك قال هو في نظمه : وشيخنا الغزواني والقسطالي بتقديم الأول على الثاني .

ثم قال : وقوله رضي الله عنه فيه بالرجال كأنه عرض فيه باسمه بالوزروالي ، فتوارى بجدار التلويح ، في معرض التصريح ، لعل لبيبا من الفقراء يومئذ يتفطن لها فيقول :

توسلي لله بالزروالـــــي وشيخه الغزواني والقسطالـــــي

وما قدر ذلك والله أعلم بمراده .

ثم قال : انه كان نحويا جامعا للقراآت بالطرق العشر ، وله قدم في العلم ، وتقدم لحضرة فاس في طريق القوم ، بعد وفاة شيخه أبي عمرو ، ثم شرق وجاور بمكة المشرفة حتى توفي بها رضي الله عنه .

وله منازلات مع الحطاب المالكي أيده الله فيما يؤثر ، وكذا أيضا له صحبة مع الشيخ الشطيبي رضي الله عنه،وكان الوزروالي رضي الله عنه صاحب كشف وفراسة نافذة ، حدثني بذلك تلميذه وأخوه الامين السيد عمر بن عيسى السلماني وهو أوثق من لقيت بزعير من الافراد أصحاب الشيخ أبي عمرو رضي الله عنه انتهى .

وذكر في (الجذوة) لدى ترجمة محمد بن علي الخروبي أنه عاين إجازته لشيخه محمد الحضري الوزروالي ، والمؤلف المسمى (شمس القلوب ، لكل محبوب) مجلد في مناقب الشيخ الاكبر سيدي أبي عمرو، للعلامة سيدي محمد الزروالي ، ومنه لخصت ترجمته فيما يأتي .

وقال في (شمس المعرفة) : محمد الزروالي الشريف الحسني ، الفقيه الاستاذ المشهور بين العباد والزهاد المحيط بالسنة بالعمل والاجتهاد ، من تلامذة الولي الصالح سيدي أبي عمرو المراكشي .

656) **محمد بن مسعود المراكشي** ، الولي الصالح الهمام الأمام ، أحد شيوخ الوقت من القرن العاشر الكرام من تلامذة الامام أبي عمرو القسطلي المراكشي .

ذكره في (شمس المعرفة) ونقل عنه كثيراً في كتابه المذكور وأثنى عليه .

657) **محمد الساعي نزيل مراكش**

أخذ عن عبد الحق بن أحمد المصمودي السكتاني المتوفي سنة خمس وخمسين وتسعمئة المترجم شيخه المذكور في (فهرسة المنجور)، و (الجذوة) ، و (الدرة) ، و (النيل) ، و (السلوة) .

658) **محمد بن أحمد الحلفاوي** الفقيه الأرضى الأعدل ، قال : خرجت مسافرا لزيارة أخ لي بثغر تاغزا راكبا على فرس لي من عتاق الخيل ، فبينما أنا في أثناء الطريق إذ ظهر لي خنزير في الغابة ، فحملت عليه ، فلم أزل في اثره حتى غاصت رجلا الفرس في دهسة عظيمة ، فنهمت (1) عليه فزاد، فلم تزل الأرض تاخذها شيئاً فشيئاً حتى ابتلعت الأرض بعض اكتاف الفرس ، وتيقنت الهلاك لا محالة ، وان ذلك الموضع قبر الى يوم القيامة ، فبكيت وناديت بأعلا صوتي : ياسيدي أبا عمرو ! قال : فبينما أنا أنظر في أجزاء الارض تبلعه شيئاً فشيئاً ، واذا أنا بالشيخ سيدي أبي عمرو رضي الله عنه ، أنظر اليه بعين رأسي نظرا لا أشك فيه حققته بعيني ذاته وهيئته كما تركته بمراكش ، فأخذ عنان الفرس ، وجذبه ، واذا به تزحزح مرة

1) قال في **القاموس** : ونهم ابله كمنع وضرب نهما ونهيما ونهمة زجرها بصوت ، انتهى . وراجع شرحه ص 81 ج 9 (مؤلف) .

ثم مرة ، فاذا به على وجه الأرض ، فتقدم السيد أمامه على مسرب صغير وسط تلك الدهسة ، وقد نبت فيها النجم وتماسك بعضه ببعض ، والفرس سائر عليه حتى خرج بنا الى طرف الجادة ، فكأني كنت نائماً حين ظهرت بالطريق فلم أبصر سيدي أباعمرو ، نعم الرفيق شيخ الاغاثة والتوفيق ، وامام أهل المكانة والتحقيق .

وبهذا تفهم قوله :

مريدي حيث كان شرقاً ومغرباً ... وجوفاً وقبلة في حرز حمايتي
وان أمنى في البعد كنت أمامه ... وكنت له حصناً حصيناً وجنتي

نقله الزروالي :

659) **محمد بن عبد الرحمان المراكشي** ، السيد المجاهد ، المحب المقدم في الفضائل على كثير من التلامذ للتربية وتوصيل الفوائد .

قال : قرب ظهور الغوث الكامل سيدي أبي عمرو أنه واقف من البحر على الساحل ولا نهاية لوصف ذلك البحر المهول ، وأنا متيقن إذذاك أنه بحر ولي مكمل ورأيت فيه صبية صغارا أعد منهم جملة منهم : المؤلف الشريف الحسني سيدي محمد الزروالي . قال : فقلت أن البحر بحر الشيخ القسطالي سيدي أبي عمرو وهؤلاء صبية صغار ، ولم يدركوا الشيخ حتى يدخلوا هذا البحر الزخار ، فبينما هو يتبع ما رأى إذ نودي الشيخ الكامل المكمل بالغوثية الكبرى ، فهرول اليه الشبان من كل حدب تترى ، فاتضح للرائي صدق رؤيته ، فكان من السابقين لقسمته ، والحمد لله على كمال منته .

وكان الشيخ سيدي أبو عمرو طلب من الحق هداية شبان عصره لما رآهم عليه من سوء أحوالهم ، فأجاب الله دعوته ، حتى لا تسمع بعد ظهوره الا مَن يقول الله : أو ما يقرب من الله ، وانتشرت أوراده وفوائده .

ذكره الزروالي في مناقبه .

660) محمد (حمو) بن أحمد الطاهري الحسيني

محمد المدعو حمو بن أحمد بن علي الحسني الطاهري المراكشي سلفاً ، الفاسي دارا وولادة ونشأة ، كاتب نائب فاس أحمد ولد السلطان سيدي محمد الحاج البكرى الدلائي ، ولما بنى روضة الشيخ سيدي محمد بن عباد شارح (الحكم) ، طلب الشريف المذكور منه أن يصرف عليه ما يوتي به للضريح المذكور من الصدقات ، فأجابه الى ذلك وصرفه عليه ، وكتب له به ظهيراً يبقى بيده وبيد عقبه ، وهو أول من صرف عليه هذا الضريح ، لأنه قبل البناء عليه لم يكن مقصودا لذلك ، وأول من دفن من الشرفاء الطاهريين بهذه الروضة سيدي محمد المذكور ، وأستمر دفنهم من بعده بها إلى الآن وحتى الآن .

ذكره في (السلوة) .

661) محمد بن أحمد السالمي الفقيه الفرضي الحيسوبي القاضي ، أخذ بفاس عن عبد الحق المصمودي السكتاني ، وعن القاضي عبد الواحد الونشريسي ، وعن علي بن هارون ، ومحمد اليسيتني وغيرهم ، وذكره المنجور فيمن أخذ عنهم وأخذوا عنه .

كانت له معرفة بالمنطق والفقه والاصلين ، وارتحل الى مراكش ، فأقام بها وولي الفتوى بها مواظباً على العلم وتقييده ، وتجويد القرآن الى أن توفي بها سنة 1002 اثنين وألف ، وقيل سنة 999 تسع وتسعين وتسعمئة .

ترجمه في (الجذوة) ومنها نقلها في (نشر المثاني) ، وترجمه في (الصفوة) والحضيكي في طبقاته .

تنبيه

الشيخ محمد السالمي الأستاذ المقريء بفاس ، الصالح الناصح المتوفي فام 1123 المذكور في (النشر) ليس هو المترجم ، فبين وفاتيهما نحو 121 .

662) **محمد بن مبارك الزعري** ، دفين تستاوت الشيخ الرباني ، من مشاهير الأولياء وأكابر أهل الخصوصية .

قال صاحب (الاصليت) : ان الشيخ ابن مبارك صاحب فائدة ومائدة ، الصادرة والواردة ، مع أنه أمي ، وقد كان في شبابه يحاول القراءة بمكناسة الزيتون ، فجاءه النبي صلى الله عليه وسلم في رؤياه ، فقال له : انك لن تقرأ ولكنك شيخ فاخرج ! فخرج لباديته ، ولا يعلم تاويل رؤياه ظاناً مشيخة القبيلة ، فكان يزاحم رؤساءها ليتقدمهم عند السلطان الى أن سرت إليه رحمة رحموتية ، وحضرة جبروتية ، من قبل مراكش ، فبايع شيخ الحقيقة أبا عمرو بعد مشاهدة حقيقية خارقة ، ومنازلات ذوقية فائقة ، انتهى .

ويقال أن سبب ذلك أن عرب زعير لما ذهبوا الى سيدي أبي عمرو وصحبوه ، قال لهم : من أتى بها كلها ذهب بها كلها ، فظنوا أنها الصحبة ، وكان صاحب الترجمة الى الآن ما صحبه ، فلما رجعوا من عنده وتحدثوا بقوله ذلك ، سمعه صاحب الترجمة ، فجمع جميع ماله من ماشية وزرع وغيرهما ، حتى القدر التى كان يطبخ فيها ، وذهب بذلك كله هو وزوجته الى الشيخ أبي عمرو ، وقال له : ياسيدي قد سمعت عنك أنك قلت وقلت ، وقد أتيت بها كلها ، فقال له وأنت قد ذهبت بها كلها ، فامتلأ منه مدداً ، فرجع وقد نزل به حال عظيم حتى كان يحمل على أربعة أبعرة ، اذا عيي جمل حمل على آخر لثقل ما نزل به .

وكان رحمه الله اعجوبة في دقائق التصوف ، وابداء أسرار كلام القوم مع كونه أمياً ، وشاع له في المغرب صيت عظيم ، وقصده الناس من الآفاق البعيدة ، ولما رجع من عند شيخه شرع في بناء مسجد بالموضع الذي عين له الشيخ لسكناه ، فيقال له : انما صنع محرابا منحرفاً عن القبلة ، فأشار بيده للكدي أن تنتحي حتى يرى الناس مكة عياناً ، فتزحزحت الجبال ، وانخفضت الآكام حتى شهد الحاضرون مكة !

وذكر في (المحاضرات) أن جماعة من أصحابه دخلوا على قطب عصره سيدي محمد الشرقي فقال لهم : ما يقول شيخكم ؟ فقالوا له : انه يقول أهل زماني محسوبون علي أو في ذمتي ، فقال سيدي محمد الشرقي اشهدوا علينا انا من أهل زمان ابن المبارك . وأخباره كثيرة رحمه الله .

توفي ثاني عيد الفطر في الوباء سنة ست وألف ، وقيل سنة سبع ، وقبره مشهور بتستاوت الى الآن .

انتهى من (الصفوة) .

وقال في (الممتع) بعد ذكره وأصحاب سيدي أبي عمرو المراكشي : وكان فياض الحال باهر الخوارق ، مدعى فيه القطبانية .

وفي (المرآة) : وكان جليل القدر شهير الذكر ، انتهى .

خاطبه سيدي محمد الشرقي بقوله :

ياساكن في أرض البـــوادي	لا تتعدش المـــوارد
اصحب هداة الطريقـــا	تحصل لك الفوائـــد

فأجابه صاحب الترجمة بقوله :

تالله ما كان هـــذا	إلا من مجذوب سالـــك
يبغي خمرا للرجـــال	مملوك من الحي مالـــك

وما أجابه الا بعد أن ألح عليه أصحابه في الجواب ، فأعجبه جواب سيدي محمد الشرقي واستحسنه ، انتهى المقصود .

وقال في (النشر) نقلا عن (الاصليت) بعد أن ذكر نسب المترجم زعري ، وربما سمعت من أقاربه أو أصحابه أنه شريف ، وما تلقيته منه ولا ممن أثق به ، وان كنت قد صرحت أو لوحت بذلك في غير هذا . فالتحقيق ما هنا ، انتهى .

وترجمه في (الدوحة) أيضا والحضيكي في طبقاته وغيرهم ، ووقفت على تقاييد للمسناوي في نحو كراس ونصف منقولة من خطه رحمه الله ، وكتب على قوله يعني في (المرآة) ومنهم الشيخ محمد بن مبارك الزعري دفين تستاوت المتوفي بها في الوباء في الثاني من شوال سنة 1006 ما نصه :

ذكر أحمد ابن أبي محلي في كتابه (الاصليت) حين عرف بشيخه محمد بن مبارك المذكور أنه سمع من شيخ دهرى من زعير أن سبب تسمية جدهم بزعري أنه كان يحرث على جمل وفرس ، فكان يزجر الجمل بلفظة زع المعهودة في زجر الابل والفرس بلفظ ري المعهودة لزجره ، فلما تكرر ذلك منه لقب باللفظتين مركبتين واشتهر بذلك ، ونسخ اسمه الأول وهو سليمان والله أعلم .

663) محمد بن عبد الواحد الشريف السجلماسي

محمد بن مفتي مراكش عبد الواحد بن أحمد الشريف الحسني السجلماسي ، قال الفقيه الامام أحمد المَقّرْي في (روضة الآس ، العاطرة الأنفاس ، في ذكر مَن لقيته من أعلام الحضرتيْن مراكش وفاس) : لقيتهما — يعني المترجم وأخاه أحمد المتقدم — بمراكش ، فشاهدت كلا منهما أريبا برع في فنه ، وجمع العلوم على حداثة سنه ، طلعا بأفق الحضرة بدريْ هالة ، وكل منهما قد انتمى له الفهم الثاقب وانتهى له ، أخذا عن أبيهما وعن أحمد ابن القاضي ، وسيدي أحمد بابا ، وابن أبي النعيم ، وابن عمران وغيرهم .

ومن نظم الأول منهما قوله :

بعثت إلي مع الرسول رسولا ... إذ لم تجد غير الصبا مرسولا
فوجدته يشفي الفؤاد جهالة ... هيهات لا يشفي العليل عليلا

ولـــــه :

يامن غدا قلبي أسير جمالــــــه	تفديك نفسي كن لعبدك محسنـا
خلص بجاه الحب قلب متيـــــم	غمز الصدود عليه أعوان الضنـــا

وله أيضاً :

قالوا الهلال ما بــــــدا	في يومنا ولا ظهـــــــــر
قلت السحاب حائـــــــل	ومعه لا يبدو القمــــــر

وله وقد وعده وسيم بالوصل ضحوة فأصبحت الحال مغيمة فلم يف :

يا أيها الغيم الذي قد غــــــدا	يحجب عن عيني هلالَ الصبـــاح
حجبته عن مقلتي باطـــــــــلا	سلط مولانا عليك الريـــاح

ولـــــه :

ياقمراً اعرض عني ولـــــــم	أجد سوى حبه من مقلـــب
هبك تجافيت فابعدتنـــــــــي	تقدر ان تخرج الحب من قلبـــي

وله أشعار كثيرة وقصائد طنانة في أمداح السلطان المنصور ، وتتبع ذلك يطول .

قال المَقْري : وقد عاجل صاحبيْ الترجمة الحمام ، وكسف بدرهما قبل التمام ، فتوفيا في شهر واحد بالطاعون سنة تسع وألف (1) .

نقله في (الصفوة) ، و (المطمح) ، و (النشـر) ، و (التقاط الـدرر) .

---

1) **روضة الآس** ص 192 ولم يزد المترجمون له على ما أورده المقرى عنه فيها ، انظر **نشر المثاني** 1 : 57 .

664) **محمد بن يوسف الترغي** بمثناة فوق ، وراء ساكنة ، فغين معجمة ، المستارى ، بيت بني ترغة من قبائل جبال الريف في مجاورة قبيلة بني سلمان ، والمستارى نسبة الى قبيلة مستارة احدى القبائل الجبلية ، الشيخ الامام الاستاذ المُقريء الخطيب المفتي .

ولد بفاس ، ونشأ بمراكش ، وكان أستاذا مجودا ، عارفا بالمقاريء السبعة محققا فيها ، مع المشاركة في غيرها من الفنون ، والحظ التام واستحضار المسائل ، وهو مؤدب أولاد الملوك ، وشدت له الرحال لاخذ القراءة عنه ، وتزاحمت ببابه الركبان ، وعنه انتشرت القراءة بالمغرب بسائر طرقها .

وذكر بعض من يوثق به من تلامذته أن الجن كانت تأتي داره ، وتصطف على قرمودها في صورة الثعابين تستمع منه القرآن اذا كان يجوده للطلبة في دهاليزه ، وكان أولا يخص بالتعليم الأشراف وذوي الجاه ، ويستنكف عن الضعفاء والمساكين ، فأصيب بالعمى ، فكان يرى أنه بسبب تفرقته بين المسلمين ، فتاب الى الله تعالى ، وخفض الجناح ، فرد الله عليه بصره .

أخذ عن الشيخ سيدي رضوان الجنوي ، والامام الخروبي الطرابلسي ، وأبي القاسم بن ابراهيم الدكالي ، وأبي عبد الله العدي وغيرهم ، وأخذ عنه محمد بن يوسف التملي ، وأحمد ابن القاضي وغيرهما .

توفي بفاس عام تسعة وألف ، ورئي في المنام بعد موته فأخبر أن الله عز وجل غفر له ولكل من مات يوم موته ، حتى عجوز رجل مكاس سماه باسمه ، كان على المكس بمراكش ، فبُحث عنها ، فوجدت قد ماتت يوم موته كما قال .

ترجمه في (الصفوة) ، و (النشر) وغيرهما (1) .

وقال في (درة الحجال) ما نصه : محمد بن يوسف الترغي الفقيه الاستاذ النحوي ، فقيه مشارك نحوي ، له سند ورواية في الحديث أخذ عن أبي القاسم بن ابراهيم المشنزائي ، وأجاز له في القراءات السبع ، وفي كل ما

---

1) صفوة من انتشر ص 130 .

يجوز له ، وروى عن رضوان بن عبد الله الجنوي ، ومحمد الخروبي ، وله حفظ غزير ، ذاكر للمسائل ، أجاز لي جميع مروياته ، وما رويته منه واخذته فهو في جزء مسموعاتي عنه الذي كتب فيه خطه لنا بذلك ، أبقاه الله تعالى بمنه ، وكان ذلك بباب منزله من درب عبيد الله ، قرب مسجد الشرفاء من مراكش المحروسة ، في يوم السبت غرة ذي القعدة الحرام سنة ثمان وتسعين وتسعمئة ، وامتدت القراءة الى المحرم من السنة التي تليها بعدها .

أنشدنا :

دثر ثيابك في الخريف فانه ... فصل الردى ونسيمه خطاف
يسرى مع الارواح في أجسادها ... مثل الصديق من الصديق يخاف

قلت : وقد نسبهما لنا أبو راشد رحمه الله لابي مالك الونشريسي ، واليوم المذكور ابتدأت فيه عليه سرد فهرسة ابن غازي وانشدنا لابن ليون :

وقسم الباجي الاجازة الى ... قسمين مقتضاهما أن يعملا
وشرطها تمهر المجاز ... يكون في اللسان ذا امتياز
وشرط من طلبها ليرويا ... اتقانه عند اذا ما رويا
وان يصحح الذي أجيز له ... على طريقة الرواة النقلة
فهذه جملة ما يعني المجيز ... بقوله على الشروط اذ يجيز

وتأليف ابن ليون هو المسمى بـ (العماد ، في علوم الاسناد) .

وتشبهوا ان لم تكونوا مثلهم ... ان التشبه بالكرام رباح

وأنشدنا :

لما تبدلت المجالس أوجها ... غير الذين عهدت من علمائها
ورأيتها محفوفة بسوى الألى ... كانوا ولاة صدورها وفنائها
انشدت بيتا سائرا متقدما ... والعين قد قرحت بحرّ مياهها
(أما الخيام فانها كخيامهم ... وأرى نساء الحي غير نسائها)

وأنشدنـي :

بني كثير كثير الذنـــــــوب ... وفي الحل والبل من كان سبـــه
بني كثير يعلم علما لقــــــــد ... أعوز الصوف عن جز كلبـــه
بني كثير دهته اثنتـــــــان ... رياء وعجب يخالطن قلبـــــه
بني كثير أكول نــــــــؤوم ... وليس كذلك مَن خاف ربـــه (1)

وأنشدنـي :

علم الحديث فضيلة تحصيلهـــا ... بالسعي والتطواف في الامصـــار
فاذا أردت حصولها باجـــــازة ... فقد استعضت الصفر بالدينـــار

وأنشدنا لما صافحنا :

صافحتهم متبركا بأكفهــــــم ... إذ صافحوا كفّاً عليٍّ كريمـــــه
ولربما يكفى المحب تعلـــــلا ... آثارهم ويعد ذاك غنيمــــــه

وأنشدنـا :

ان الاجازة قد جاءت مبينـــــة ... عن الرسول كما صحت عن السلف
قد كان عامله يمضي على ثقـــة ... من الذي جاءه في مدرج الصحف
وان يسل فيرويه بلا حــــــرج ... ولا شقاق علمناه لذى نصـــــب
أليس قيصر محجوجا بكتبتـــه ... كذاك كسرى ومن ساواه في الشرف
أليس ما اعلم القاضي بصحتـــه ... يصحح الحكم فيه غير مختلـف ؟

وأنشدنا لابن ليون :

والله قد خصص هذى الامـــــه ... بفضل الاسناد فحقق علمــــــه

وأنشدنـا :

كانت مساءلة الركبان تخبرنـــي ... عن مدحكم وثناكم اطيب الخبـــر
حتى التقينا فلا والله ما سمعـــت ... اذني باحسن مما قد رأى بصـري

---

1) انها للامام المقرىء ، احد القراء السبعة عبد الله ابن كثير رحمه الله ، أنشدها لـه الامام المقرىء عبد الرحمان ابن القاضى فى كتابه فى رواية ابن كثير بتقديم وتأخير وتبديل ألفاظ (مـؤلـف) .

وأنشدني بدل هذا الاخير :

حتى رأت منك عيني ما وعت أذني … فوفق الله بين السمع والبصـــــر

وأنشدنـــي :

لئن أصبحت مرتحلا بجسمـــــي … فقلبي عندكم أبدا مقيــــــــــم
ولكن للعيان لطيف معنـــــــى … لذا سأل المعاينة الكليـــــــم !

وأنشدني للسـِّلـَفي :

ليس على الارض في زمانـــــي … من شأنه في الحديث شأنـــــي
علما ونقدا ولا علـــــــوا … فيه على رغم كل شـــــان

وأنشدنا له أيضاً في آخر عمره :

بالله يامعشر أصحابـــــــي … اغتنموا علمي وآدابـــــــي
ان نذير الموت جاء وقـــد … حلف ان لا يرحل الا بـــــــي

وأنشدنا له مجيباً لعياض :

أتاني نظم الالمعي الموفـــــق … يميس اختيالا بين غرب ومشـرق

وفي آخره :

وما ان يعادي عصبة الدين والهدى … سوى جائر أو ملحد متزنـــــدق

وأنشدنـــي :

كتاب الله أفضل كل قيـــــل … رواه محمد عن جبرئيـــــــل
عن اللوح المحيط بكل علـــم … عن القلم الرفيع عن الجليـــــل

وأنشدنا لعبد الوهاب :

يالهف نفسي على شيأين لو جـُمعا … عندي لكنت اذن من أسعد البشر
كفاف عيش يقيني ذل مسألـــــة … وخدمة العلم حتى ينقضي عمـرى

وذيلهما بعضهم وأظنه له لانه لم يعين قائله ولم اعلمهما قبل :

وثالث ارتجيه لو تيسر لـــــــي كون السعادة لي في سابق القدر

وأنشدنـي :

واجف الجفى وتوق الظلم أجمعـه فليس يسعد الا من توقـــــاه
ولا تذر دعوة المظلوم سائبـــــة لاسيما ان يكن ممن له جـــــاه
إذا تقدمت انسانا بمظلمـــــة ولم يجد ناصراً فالناصـــــر الله

وأنشدنـي :

من حب عيشا حميدا يستفيد بـه في دينه ثم في دنياه اقبـــــالا
فلينظرنَّ إلى من فوقه أدبـــــاً ولينظرن الى من دونه مـــــالا

وأنشدنـي :

جهلت فعاديت العلوم وأهلهـــــا كذاك يعادي العلم من هو جاهلـه
ومن كان يهوى أن يرى متصـــدرا ويكره لا أردى أصيبت مقاتلـــه

وأنشدنا :

اذا كنت لا تدري ولم تك بالـــذي يسائلمن يدري، فكيف إذن تدري؟
ومن أعجب الاشياء انك جاهـــل وانك لا تدري بانك لا تـــــدري

وأنشدنا :

أتانا من الارياف قوم تفقهـــــوا وليس لهم في الفضل قبل ولا بعد
يقولون هذا ليس بالرأي عندنـــا ومن أنتم حتى يكون لكم عـــند ؟

وأنشدني لأبي الطيب :

تريدون ادراك المعالي رخيصـــة ولابد دون الشهد من أبر النحـــل

وأنشدنا :

تمنيت أن تمسي فقيها مناظـــرا بغير عناء والجنون فنـــــون
وليس اكتساب المال دون مشقـة تلقيتها فالعلم كيف يكـــون

وأنشدني :

سمعت منه كلمة مهمـــــــه ليس لتارك العلوم همـــه
وانما الهمة للذي أشتغـــــل بدرسها وفهمها مع العمـــل

وأنشدني :

إني سألت عن الكرام فقيل لـــي إن الكرام رهائن الارمـــــاس
ذهب الكرام وجودهم ونوالهــم وحديثهم ألا من القرطــــاس

وأنشدني :

لا والذي حجت قريش بيتـــــه مستقبلين الركن من بطحائهـــا
ما أبصرت عيني خيام قبيلـــة الا بكيت أحبتي بعفائهــــا
أما الخيام فانها كخيامهــــم وأرى نساء الحي غير نسائهـــا

وأنشدني لصالح بن شريف الرندي :

أ ر ا د وا ر د و ا د و د ا و د ا ر ا

وأنشدني ملغزا في فنار :

ما اسم اذا حذفت منـــــــ ـــه فاءه المنوعـــــــه
فانه بنت الزنــــــــي مضافـــة لأربعــــــه

ولما جرى ذكر اللغز فلي في أسم زينب :

اسم الذي نفت عن الطرف الوسن إذا تصحفه فقلبه حســـــن
ونصفه زي التقي معظـــم عند أولي الفضل ومن يدعى أسن

وان أزلت صدره فما بقـــــــي بيت عن المحذوف يانعم السكـــن
وآخر ان زال زين للفتـــــــى علم به يدعي من أرباب الفطـــن
رتبت تصحيفاً له في مقولـــــي وهو رشا اسكن في قلبي الحـزن
تالله قد أبديت ما أخفيتـــــه من لغز أحلى من الشهد العســـل

ولنرجع الى شيء من انشاداته ، أنشدني :

مالقة حببت ياتينهـــــــا الفلك من أجلك ياتينهــــــــا

وأنشدنا مما قيل لابن خاتمة في الاستخدام :

أشمس الغرب حقا ما سمعنـــا بأنك قد سئمت بها الاقامـــه ؟
وانك قد عزمت على طلـــوع الى شرق سموت به علامـــه
لقد زلزلت منا كل قلـــب بحق الله لا تقم القيامـــه

وأنشدنا :

الناس مثل حبـــــاب والدهر لجة مـــــــاء
فعالم في طفـــــو وعالم في انطفــــــاء
وبين هذين أمـــــر مدبر في السمـــــاء
اما نعيم مقيـــــم أو نار دار شقــــاء

وأنشدنا :

ولله قوم كلما كان مجلـــس رأيت وجوها كلها ملئت فهمـــا
اذا اجتمعوا جاءوا بكل فضيلـــة ويزداد بعض الناس من بعضهم علما

وأنشدني :

كتبي لأهل العلم مبذولـــة أيديهم مثل أيدي فيهـــا
أباحنا أشياخنا كتبهـــم وسنة الأشياخ نحييهـــا

وأنشدنا :

نحن بني المكـــــــودي أهل التقا والجـــــــود
نكر في الاعــــــادي ككـــرة الاســــــود

وأنشدني للمكودي في ابن حياتي ، وهو أول من أدخل المرادي مدينة فاس المحروسة :

لكن كبار أهل هذا العلـــــم يدرون تحقيقي له وفهمــــــي

وأنشدنا :

وتأمل الفقه الذي تفتي بـــــه لا خير في فقه بغير تدبـــــر

وأنشدنا :

صحيح البخاري واظب علـــــى قراءته واروه في المشاهـــــد
فذاك المجرب ترياقــــــه لدفع سموم أفاعي الشدائـــد

وأنشدني لبعض علماء شالة :

كل العلوم سوى القرءان زندقـــة الا الحديث والا الفقه في الديـــن
والعلم متبع ما كان حدثنـــــا وما سوى ذاك وسواس الشياطين

وأنشدنا : وما يعرف الامثال الا الاماثــــل

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : انما يعرف الفضل لأهل الفضل أهل الفضـــل .

وأنشدنا :

صروف الليالي والحوادث أوجبت خضوعي وتذليلي الى غير ذي لـــب
لحا الله أياما لجتني لمعشــــــر فراقهم أشهى الامور الى قلبـــي
صحبناهم لما اضطررنا اليهـــــم كما اضطر صياد إلى صحبة الكلب
وما أنا الا كالمصلي بقفـــــرة اذا لم يجد ماء تيمم بالتـــــرب

وأنشدني :

رأيت حياة المرء ترخص قــــدره ... وان مات اغلته المنايا الصوائــــح
كما يخلق الثوب الجديد ابتذاله ... كذا تخلق المرء العيون اللوامـح

وأنشدنا :

ترى الفتى ينكر فضل الفتـــــى ... لؤما وخبثا فاذا ما ذهـــــــــــب
لج به الحرص على نكـــــت ... يكتبها عنه بماء الذهـــــــــــب

وأنشدني :

لا ترفعن صوتك ياعبد الصمــــــد ... ان الصواب في الأسدّ لا الأشـد

وأنشدنا لابن عمار الميورقي أحد علماء (المدارك) :

الا فاعلم بان العلم فــــــرض ... به خص الالاه العالمينــــــــــا
وبعض العلم في الاعيان فــــرض ... وجملة فرضه للعالمينـــــــــا
متى ما لم تكن من حامليــــــــه ... تكثر من سواد الجاهلينــــــا
وقيمة من ترى في الارض يمشـي ... بقدر دخوله في المحسنينـــــــا
الا أن العلوم لها اتســـــاع ... فخذ منها من أحسنها فنونــــــا
كحفظ كتاب ربك بالمعانــــي ... فدارسه تكن في الدارسينـــــــا
فان لكل حرف منه عشـــــرا ... من الحسنات ان ألفا ونونـــــــا
وفقه في الحديث ومــــن رواه ... ومعرفة الاصول الراسخينـــــــا
أصول الدين حققها اعتقـــــادا ... تريك فضيلة المتكلمينـــــــا
فكم من فرقة حدثت وكانــــت ... ومن ينجو ومن في الهالكينـــــا
ألم تر أن من في القبر يبلـــى ... فينفعه يقين العارفينـــــــــا
وان يك غير ذا قالوا سمعنـــــا ... وقلنا مثل قول القائلينـــــــا
ورتب ما وقعت على خـــــلاف ... فتعتقد الخلاف وليس دينـــــا
أصول الفقه ان فكرت فيهـــــا ... تريك فضيلة المتفقهينـــــــا
وأحكام الخطاب وما حـــــواه ... دقائق من كلام مرقّقينـــــــا
وتقرأ في الدفاتر كل وقـــــت ... دقائق من كلام الناسكينــــــا

وعلم فرائض ومســـــاح أرض — وتحسب بالبنان كحاسبينـــــا
ومعرفة اللسان على صـــــواب — غريبا كان أو نحوا مبينـــــا
وقالوا انه لابد منـــــــه — قبيح بالعليم يرى لحونـــــا
وقالوا انه كالملح فيهـــــا — فلا تقلل ولا تكثر شؤونـــــا
ومعرفة التواريخ والمغــــازي — ومعرفة الوقائع والسنينـــــا
ففيها من عجائبها اعتبـــــار — ونشهدها بفقد الشاهدينـــــا

وهي تنيف على مئة بيت كان بعثها من بجاية يوصي بها ولده .

وأنشدنـا :

وقال علي بن أبي طالـــــــب — وهو الامام العالم المتقـــن
كل امرىء قيمته عندنـــــا — وعند أهل العلم ما يحســـن

وأنشدني :

ان علم الحساب علم جليـــــل — وعلى دقيقات الامور دليـــــل
لولا الحساب وعلم كل فريضة — لم يعرف التحريم والتحليـــــل

وأنشدنا :

صلاة وصوم ثم حج وعمـــــرة — طواف عكوف وائتمام مكمـــــل
اذا قطعت عمدا لغير ضـــــرورة — أعيدت لزوما كيف عد المحصـــل
خليل حكى ذا النقل في شرحه الذي — يحق لذى لب عليه يعـــــول

وأنشدنا :

فليت لنا من ماء زمزم شربـــــة — تكون لنا أمنا لدى موقف الحشـــر
فياحبذا ماء لما قد شربتـــــه — كما صح في أخبار صدق بلا نكـــر

وأنشدنا له :

اذا أبرز الدهر حبرا نجيبـــــا — فكن في ابنه سيىء الاعتقـــاد
فلست ترى من نجيب نجيبـــــا — وهل تلد النار غير الرمـــــاد

وأنشدني لغزا في البيض :

الا خبروني أي شيء رأيتـــــم … من الطير في أرض الاعاجم والعرب
وليس له لحم وليس لـــــه دم … وليس له ريش وليس له زغــب
ويؤكل مطبوخا ويؤكل بـــاردا … ويؤكل مشويا اذ دس في اللهـب
نعم وله لونان لون كفضـــــة … ولون سطيع فاقع يشبه الذهـب
ولا هو حي لا ولا هو ميـــــت … الا فاخبروني ان هذا من العجـب

ولما جرى ذكر اللغز فمما قلته في دينار كتب :

ما اسم له أحرف خمســـــة … ولكنها حرفه واحـــــــد
اذا زال آخره شرعـــــه … لمن ربه عالم قاصـــــد
وان ضم قلب لأولــــه … فطيب يطيب به الزاهـــد
وقلبك وعاء لمـــــا … تألم من فعله العابــــد
وان ضم أوله للـــــذي … بآخره جوهر ماجـــــد
وان زال قلب فجمع لمــا … تفقده الغائب الرائـــــد
وان زال قلب وما قبلــه … فمفرد ذا الجمع ياواجــــد
وان زال قلب وما بعـــــده … فشيخ النصارى به قاعــد
وان زال صدر وما بعـــــده … فذو لهب ياته المـــــارد
وان نار في مغرسي بعضــــه … كما نار دين به ساهـــــد
فلا عجب اذ كلفت بــــه … فمنه المفاصل والساعــــد
فحلوا اللغيز وما غيركـــم … يجود به أيها الماجـــــد
فلا زلتم تمتطون العلـــــى … من الدهر ما أمكم قاصـــــد

وأنشدني :

ذهب الرجال المقتدى بفعالهـــم … والمنكرون لكل أمر منكـــــر
وبقيت في خلف يواطىء بعضهـم … بعضا ليدفع معور عن معـــور
ابني ان من الرجال بهيمـــــة … في صورة الرجل السميع المبصر
فطن بكل مصيبة في مالــــه … فاذا أصيب في دينه لم يشعـــر

وأنشدني :

قف بالديار فهذه آثارهـــــم ... تبكي الاحبة حسرة وتشوقـــا
كم قد وقفت بربعها مستخبـــرا ... عن أهلها أو سائلا أو مشفقهـــا
فأجابني داعي الهوى في رسمهـا ... فارقت مَن تهوى فعزَّ المُلتقَـى

وأنشدني :

قف بالمقابر للتوديع ياحـــادى ... فان في جوفها قلبي وأكبـــادي

وأنشدني لابن عبد الله الكفيف الذي تقدم في ابن غازي :

حبر تثبت والانصاف شيمتـــه ... أكرم به طاب من خلق ومن خلـق
أتى به الدهر فردا لا نظير لـــه ... مثل البخاريّ لما جاء بالعتقـــى

وذيلهما ببيت حفظه الله أنشدناه وهو :

وذا بسادس أبواب تقيد فـــي ... تفسير يوسف من جامعه العبـــق

وحدثنـا أن الكفيف المذكور كان بمجلس أحمد الدقـون ، فمرت بالمجلس الابيات بحكايتها من ناظميها وهي :

أكثر يحيى غلطـــا ... في قل هو الله أحـــد
قام طويلا ساهيـــا ... حتى اذ عيا سجـــد
ونسي الحمد فمـــا ... مرت له على خلـــد
يزحر في محرابـــه ... زحير حبلي بولـــد
كأنما لسانـــه ... شد بحبل من مســـد

ثم قال الدقون للكفيف :

ماذا ترى صلاتهـــم ... أجب هديت للرشـــد

فقال الكفيف :

صلاتهم كما تـــرى ... فلا تسل عنها أحـــد

وأنشدنا :

تعلم الخط واستفـــــــده   فان ما بعده عنـــــــاء
انظر الى قوله تعالــــــى   يزيد في الخلق ما يشـــاء

وأنشدنا :

تعلم قوام الخط يا ذا التـــأدب   ولازم له التعليم في كل مكتـــب
فان كنت ذا مال فخطك زينـــة   وان كنت محتاجا فأفضل مكسب

وأنشدني :

ما الناس الا الكتبـــــــــة   حديثهم ما أعجبـــــــــه
هم أحرزوا دينكـــــــم   بقطعة من قصبـــــــــه

حدثني أن ابن غازي لما نفاه محمد بـن أبي زكرياء يحيى بـن عمر الوطاسي الملقب بالحلو عن مكناسة ، لقيه بواب مكناسة وهو خارج منها قاصداً المشرق ، أعني كان في ظنه ذلك ثم حبسه أهل فاس عندهم ، فقال له يوصيه : يامحمد عليك بالقراءة ، فمن بركتها بلغت هذا المنصب وهذه الخطة ، يعني خطة الجلوس لحراسة الابواب ، فكان ابن غازي يسلي نفسه بعد ذلك بقوله ، وكان أمير فاس يومئذ محمد بن الشيخ بن أبي زكرياء .

أنشدني للكفيف صاحب ابن غازي أبو عبد الله :

ان زماننا هذا دولـــــــب   والناس في الحال كأكواســـــه
فممتل يرقى الى غايـــــة   وفارغ يهوى على راســـــه

وأنشدني :

هي المقادر فلمني أو فـــــذر   ان كنت أخطأت فما أخطا القـــدر

وأنشدني :

أفضل ما تثمره الغصـــــون   فاكهتان عنب وتيـــــــن

وأنشدني :

اذا مر لي يوم ولم أكتسب يـــدا ولم أستفد علما فما هو من عمرى

وأنشدني :

أيحسب المرء أن العلم يدركـــه براحة الجسم ليبس الامر ما حسبا

وأنشدني :

لمحبرة تجالسني نهـــــــاري أحب إلي من أنس الرفيـــــق
ورزمة كاغد في البيت عنـــــدي أحب إلي من عدل الدقيـــــق
ولطمة عالم في الخد منـــــي أحب إلي من شرب الرحيـــق
وأثر الحبر في ثوبي وكفـــــي أحب إلي من أثر الخلـــــوق

الا أن الاخير لم ينشدنيه .

وأنشدني لمحمد بن أبي الفضل خروف التونسي :

عليك اذا رمت الفروع بأربـــع توفوا على الترتيب في رمز مقولي
فنعمانهم قنا وقعط لمالـــــك وللشافعي رد أمر ابن حنبـــل

وأنشدني لابن النحاس يرثي ابن مالك :

قل لابن مالك ان جرت بك أدمعي حمرا يحاكيها النجيع القانـــي
فلقد جرحت القلب حين نعيت لي فتدفقت بدمائه أجفانـــــي
لكن يسهل ما أحِسُّ من الأســى علمي بنقلته إلى رضـــــوان
فسقى ضريحا ضمه صوب الحيــا يهمى به بالروح والريحـــان

وأنشدني لابن عمار :

وإياك القضاء فثم يــــــوم ترى فيه القضاة مغللينــــا
نان عدلوا فقد ربحوا وفـــازوا وان جاروا فويح الجائرينــــا

وأنشدني :

أيها القاضي تثبـــــــت ليس في الظنة حكـــــــم
ان في التنزيل يتـــــــلا (إنّ بعض الظن إثـــــم)

وأنشدني للزمخشري يهجو أهل السنة :

لجماعة سموا هواهم سنـــــة وجماعة حمر لعمري موكفـــه
قد شبهوه بخلقه وتخوفـــوا شنع الورى فتستروا بالبلكفـــه

فأجابه ابن مرزوق :

لجماعة عرفت لعمري بالسفـــه وتمسكت بضلال أهل الفلسفـــه
عدلت عن النهج القويم فلقبـــت عدلية وعدولها عن معرفـــــه
ضلت وقالت لن يرى رب الـــورى يوم الجزاء فألزمت نفي الصفـــه
وكذاك أسندت الامور لنفسهـــا هيهات تنقذ نفسها من متلفـــه

وأجابه ابن عرفة :

لجماعة سموا هواهم معـــــدلا وجماعة حمر ولكن موقفـــه
قد شبهوه بالمحال وعطلـــــوا وتستروا بالذات من نفي الصفـه
طلب الكليم لها دليل جوازهـــا اذ يستحيل عليه نفي المعرفـــه
ورد الحديث مصرحا بوجودهـــا ويل لمن كذبه أو حرفـــــــه

نقل الأبيات في قوله لن تراني فانظره .

وأنشدنا في أن تارك الصلاة لم يقتل خلاف ما عند خليل :

خسر الذي ترك الصلاة وخابـــا وأبى معادا صالحا ومآبـــــــا
ان كان يجحدها فحسبك أنـــه أضحى بربك كافرا مرتابـــــا
فالشافعي ومالك رأيا لـــــه ان لم يتب حد الحسام عقابـــا
أو كان يتركها لفرط تكاســـل غطى على وجه الصواب حجابـــا
وأبو حنيفة قال يترك مـــــرة هملا ويحبس مرة إيجابـــــا

والشائع المشروح من أقوالــــه   تأديبه زجرا له وعقابــــــــا
والرأي عندي أن يؤدبه الامــــا   م بكل تأديب يراه صوابــــــا
ويكف عنه القتل طول حياتــــه   حتى يلاقى في المآب حسابــــا
فالاصل عصمته الى أن يمتطـــي   احدى الثلاث الى الهلاك ركابــــا
الكفر أو قتل المكافىء عامــــدا   أو محصنٌ طلب الزنا فأصابــــا

ولقد سألته عن معنى تصانيف الاطراف ، فنقل لي عن ابن حجر في (نخبة الفكر) له انه قال : الاطراف عبارة عن ذكر طرف الحديث الدال على بقيته وجمع أسانيده ، اما مستوعبا أو متقيدا من كتب مخصوصة .

وانشاداته وافاداته أكثر من هذا كله تركناها اختصارا ، وبالجملة فهو حافظ زمانه .

ولد فيما حدثني به أبقاه الله سنة ثلاث وأربعين وتسعمئة وهو حي من أهل العصر ، ولمــا ودعته عنــد إرادتي السفر قــرأ : « ولقد وصينــا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم » الى آخر الآية ، وقال لي ان بعض المحققين كان اذا ودع شخصا يقول له : ان المسافر في ضمان الله ما لم يعصه ، فاذا عصاه خرج من ضمانه ، وعن بعضهم أنه قال : ودعني الحسن البصري ، فقال لي : اتق الله في سفرك ، فعملت بوصيته ، فما رأيت إلا خيراً ، أبقى الله وجوده ، وأدام به النفع ، أنه ولي ذلك والقادر عليه ، انتهى (1) .

وهذه الترجمة وقع فيها اثنا عشر بترا في النسخة المطبوعة .

وقال في (الصفوة) في ترجمة سيدي سعيد بن عبد الله السملالي : ولما مر الاستاذ محمد بن يوسف الترغي المتقدم لزيارة سيدي أحمد بــن موسى استضافه فقدم له طعام الشعير ، فأكله الترغي على استحياء ، وكان الشعير يضر به كثيراً وتنفر منه طبيعته ، فما ضره ولا تأثر به ، فعد الترغي ذلك من كراماته ، وكان يقول ذلك على كرسي اقرائه ، ويثني عليه بالصلاح والبركة ، انتهى .

1) **درة الحجال** 2 : 164 ع 638 طبع تونس ، وهذه الترجمة من اطول تراجمها .

وعده في (الجذوة) ممن أخذ عن سيدي علي بـن عيسى الراشدي التلمساني نزيل فاس .

وممن ترجمه : الحضيكي في (طبقاته) ، وصاحب (المطمح) ، و (التقاط الدرر) .

664) **محمد بن علي الجزولي الأنسوي** الشيخ الاستاذ المحقق الكفيف، أخَذ عن الاستاذ الترغي أخْذ إحاطة واعتبار .

قال في (الفوائد الجمة) : قال لي : سنة كاملة أرد بابه للقراءة عليه فيدفعني عنه ، وربما يخرج ويجدني ببابه فيقول : ما زلت ياأعمى لم تقنط ، فيطردني حتى تمت السنة ، وأنا في ملازمة بابه ، ولما أراد الله أن يفتح لي عليه جئته يوم مطر متلوثاً بالطين ، فقعدت في بابه فخرج علي وأدخلني ، وبكى بكاء كثيرا ، فقال : اقرأ فبدأت بالسبع ، ولازمني ، فلم يمض الا قليل ، ففتح الله علي بحفظ جميع طرقه ، وأذن لي في التجويد ، وكتب لي الاجازة عن شيوخه ، وورد علينا بردانة ولم يطل بها مقامه ، ثم رجع لمراكش ، ثم انتقل منها لزاوية شيخنا عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم ، وبقي عنده مكرما الى أن مات في رمضان سنة تسع وألف بالطاعون الواقع في ذلك التاريخ ، ودفن هنالك ، وقبره معروف مزارة ، انتهى .

وسياتي ذكر تلميذه محمد بن علي السجتاني المعروف بالفاسي .

665) **محمد بن قاسم القصّار**

محمد بن قاسم بن محمد بن علي القصار لقباً ، الاندلسي الغرناطي أصلا وأباً ، القيسي ، الفاسي الدار ، المراكشي المدفن ، الشيخ الامام قدوة الأنام وحجة الاسلام، العالم العلامة، المشارك الدراكة، النسابة الواعية، الحافظ الحجة الراوية المحقق .

قال في (المطمح) : قدم أبو والده من غرناطة لما استولى عليها العدو في سنة سبع وتسعين وثمانمئة في ربيع الاول ، وأخذت من يد محمد بن

أبي الحسن النصري ، وفي هذه السنة كانت وفاة الامام المواق شارح (مختصر خليـــل) .

قال أحمـــد المقري : كان سبب تلقيبـــه بالقصار على ما أخبر بـــه أن رجلا قصارا كان وصيا على بعض أجداده فجرت عليه ، انتهى .

والنسبة بالقيسي معروفة في قبائل ، ففي مضر قيس عيلان ، وفي ربيعة بن نزار قيس بن ثعلبة ، وفيه بطون منها مرة وجرير وجحدر وغيرهم ، والنسب الى قيس هذا كثير ، وفي الازد قيس بن ثوبان ، وفي النخع قيس بن سعد وقيس في البطون كثير ، راجع (اقتباس الانوار) لأبي محمد الرشاطي .

وقال في (مطلع الاشراق) وناهيك بالشيخ القصار رضي الله عنه امامة وجلالة وأمانة وعدالة ، امام شهيـــر وعالم كبير ، سيد علماء زمانـــه وصدر أهل وقته وأوانه ، خاتمة مشايخ العلوم بالاقطار المغربية وامام المحققين في العلوم العقلية والنقلية ، ممن جمع بين جلالة العلم والدين ، ودان له أكابر المهتدين ، وتخرج به غير واحد من أكابر الاعلام وأيمة الاسلام كالشيخ الامام العالم الهمام الولي الشهير العارف الكبير سيدي عبد الرحمان بن مَحمـــد الفاسي رضي الله عنه ، والشيخ الامام ، العالـــم الصالح ، أحمد بن الشيـــخ سيدي يوسف الفاسي ، وأخيه الشيخ الامام ، العالم المتفنن ، محمد العربي رحمهما الله ، والشيخ الامام الفاضل ، العالم العامل ، الصدر الأوحد ، المحقق الأعمد، عبد الواحد ابن عاشر الأنصاري، والشيخ الامام العالم ،الولي الصالح، محمد بن الشيخ الولي الشهير سيدي أبي بكر الدلائي ، والشيخ الامام الأشهر الاستاذ الحافظ الاكبر ، العالم الجليل ، الشهير الشريف الأصيل ، عبد الله بن علي بن طاهر الحسني السجلماسي ، والشيـــخ الامام محقق الانام الدراكـــة الفهامة الفاضل الخير الحسن بن يوسف بن مهدي الزياتي ، والشيخ الامام الحافظ، مفتي الحضرة الفاسية، وخطيب جامعها الأعظم، أحمد بن محمد المقْري التلمساني ، الى غير واحد من الاكابر الاعلام ، ومشايخ الاسلام رضي الله عنهم ونفعنا بهم ، كلهم مطبقون على تعظيمه وتفضيله وتقديمه ، يلهجـــون

بتحقيقه ، ويثنون على سداد طريقه ، ويفتخرون بنقل علومه ، ودقائق فهومه ، ويقتدون باشارة مآثره ، حتى كادوا يُصَلّون بنوادره .

اذا قالت حذام فصدقوهـــــا   فان القول ما قالت حــــذام

وكان رضي الله عنه اماما في الحديث مبرزا فيه ، وحيد أهل زمانــه في سائر العلوم مرجوعا اليه فيها ، مشوبا علمه بالصلاح والدين واتباع طريقه، صحب الشيخ الامام المحدث الولي امام أهل الزهد والورع سيدي رضوان بن عبد الله رضي الله عنه ، ولازمه واقتدى به في العلم والدين وانتفع به ، وهو من أجل مشايخه ، كان هذا الشيخ امام الحديث في زمانه صاحب وقته فيه ، وخلف مكانه فيه تلميذه هذا الشيخ سيدي محمد القصّار رضي الله عنه ، فكان صاحب وقته في ذلك ، ثم جاء بعده تلميذه الولي العارف بالله سيدي عبد الرحمان بن محمد الفاسي رضى الله عنه ، كان صاحب وقته فيه ، ثم بعده الشيخ الامام قدوة الانام سيدي عبد القادر بن علي الفاسي رضى الله عنه ، فكان صاحب وقته فيه ، فهي من سيدي رضوان إليه سلسلة ذهب في هذا الشأن لما جمع كل أهلها من الجلالة فى العلم والدين ، والتبريز في علم الحديث ، رواية محدث امام عن محدث امام رحمهم الله ونفعنا بهم .

ولم تزل بقية التحقيق في العلم والتبريز في الحديث في ولد الشيخ سيدي عبد القادر المذكور لهذا العهد ، وفاضلهم فى ذلك ووحيد وقته شيخنا العلامة المحقق سيدي محمد بن عبد القادر الفاسي أعلا الله قدره ، ويسر لنيل الكمال في الدارين أمره ، وأبقى العلم والبركة فيهم آمين .

وقد سمعت غير واحد ممن قرأنا عليه أن هذا التحقيق في العلم الذي يوجد عندهم ، أعني أولاد الشيخ سيدي يوسف ، إنما هو إرث عن الشيخ القصار رحمه الله .

وكان رحمه الله مع ذلك عارفا بالانساب ، ضابطا للاحساب ، شهيراً في ذلك مقتدي به فيما هنالك خصوصاً انساب الشرفاء ، فقد كان له اعتناء بها عظيم ، سمعت شيخنا وشيخ شيوخنا عبد القادر بن علي الفاسي رضي

الله عنه يقول بعد أن أثنى عليه بالتحقيق في العلوم : كان الشيـخ القصار رحمه الله نسابة عارفا بأنساب الشرفاء ، محققا في ذلك ، لا يقاومه أحد إذا تكلم فيها ولا يقاربه ، انتهى .

وقد رأيت أنا بخطه في (أنساب الشرفاء) مقيدات عجيبة وفوائـد غريبة وتنبيهات فيها وتدقيقات . أنتهى كلامه في (مطلع الاشراف) بنصه .

وقال في (المرآة) لما عد أشياخه : والشيخ محمد بن قاسم بـن محمد بن علي القيسي الغرناطي الأصل ، الفاسي المولد والدار ، المعروف بالقصار ، الامام العالـم المستبحر ، المحقق النظار ، مفتي فـاس وخطيب جامع القرويين بها ، ومحدث المغرب في وقته ، وكان دائم الخشية والخشوع سريع الدمعة ، ذاكرا للموت ، كلامه كله جـد مشوب بالوعظ والتذكير مجالسته روض مزهر ، كثير الفوائد، لازمته سنين عديدة بالمجالسة والاستفادة والمباحثة ، وحضور مجالسه العلمية .

وأنشدني رضي الله عنه يوم رأيته وذلك في أواخر جمادى الثانيـة سنة ثمان وتسعين وتسعمئة :

تمسك بحبل الشاذلية تلق مـــا تروم وحقق ذا الرجاء وحصـــل
ولا تعدون عيناك عنهم فانهـــم شموس هدى في أعين المتأمـــل

والبيتان للشيخ تاجالدين ابن عطاء الله . ذكرهما صاحب (القاموس) مع مخالفة في بعض ألفاظهما ، وأجازني رضي الله عنه في كل ما يصح له وعنه روايته ، وكان يعتقد الشيخ سيدي يوسف ، ويقول بامامته ، ويصدر عـن رأيه ويكتب في حقه سيدي وسندي ، وكان كثيراً ما يدعو لي بقوله : رزقك الله خير الآخرة ، وجعل الدنيا خادمة لك ، وقد رأيت اثر دعائه والحمد لله ، ونسأله الكمال بخير منه ، انتهى (1) .

---

1) مرآة المحاسن ص 208 .

وقال سيدي المهدي في (تحفة أهل الصديقية) : نسبتهما لابن عطاء الله هو الذي في القاموس ، وأنشدهما السيوطي في فتاويه، وفي (تأييد الحقيقة العلمية ، وتشييد الطريقة الشاذلية) ، انهما لسيدي علي بن وفا ، أنتهى ، ولم يعرج الشيخ مرتضى على تعقب كلام (القاموس) في النسبة المذكورة ، راجع 388 من ج 7 من شرحه .

ومن أشياخ المترجم سيدي محمد خروف التونسي المترجم في فهرسة تلميذه المنجور ، ومحمد اليسيتني المتوفى بمدينة فاس سنة تسع وخمسين وتسعمئة ، والشيخ عبد الرحمان بن ابراهيم الدكالي المتوفَّى بفاس سنة اثنين وستين وتسعمئة ، وولده الرجل الصالح سيدي أبو شامة ، والشيخ محمد ابن مجبر ، والاستاذ أحمد التسولي .

ولما توفي سيدي يحيى بن محمد بن محمد السراج النفزي الاندلسي الحميري مفتي فاس وخطيب مسجديها الاعظمين عام سبعة وألف ، كان المترجم بمدينة مراكش ، فكتب له مولاي أحمد المنصور رحمه الله الفتوى والامامة وأحباس سيدي يحيى كما كانت ، فجاء رحمه الله عام دخول الفيل مدينة فاس ، فوصل مصاحبا للفيل يوم الاثنين سادس عشر رمضان المعظم من العام المذكور . ولما كان يوم الجمعة عشرين من رمضان المذكور خطب على منبر القرويين وبقي خطيباً ومفتياً الى موته .

ذكره في (النشر) عن تلميذ المترجم مؤلف (تنبيه الصغير من الولدان) في ترجمة الامام السراج المذكور وفي ترجمة المترجم أيضاً .

وخرج للقاء الفيل المذكور مئة ألف من أهل فاس ، ورأيت في (ابتهاج القلوب) ما صورته : وقد حكاه في (المطمح) عن جده سيدي عبد القادر الفاسي أن المترجم لما كبر سنه واحتاج لتجهيز بنات له ، فاوض تلميذه عبد الرحمان في أن يذهب الى السلطان أحمد المنصور لمراكش ، وكان الكبراء يفدون عليه كل سنة ، فقال له الشيخ عبد الرحمان : ياسيدي ذهب جل عمرك في صحبة سيدي رضوان وخدمة العلم ، والآن تدنسه في مصاحبة

الملوك وأبناء الدنيا وترقع الحلة بالتلبيس ، انظر الى حالة شيخك سيدي رضوان ، وفراره من ملابستهم ومداخلتهم ، فقال : ياسيدي إني لست مثل سيدي رضوان ، فانه كان لا يرى السلطانُ الطرفةَ والفاكهةَ حتى تسبق منه، بمعنى أن الناس يتحببون اليه ويتقربون اليه بكل طرفة إكراما ، قال الشيخ عبد الرحمان : فوقع في نفسي الجواب أن أقول له : لأي شيء كان ذلك ؟ وما سببه ؟ انما هو صدقه مع الله والثقة به ، ومَن كان لله كان الله له . لكني لم أواجهه بالجواب حياء منه وأدباً معه ، فلما رجع الشيخ عبد الرحمان الى الشيخ سيدي يوسف ذكر له ما وقع بينه وبين الشيخ القصار ، فقال الشيخ سيدي يوسف:أما أنا فآمره بالمشي،فان هذا الذي حملته هو حمل الفقير لا حمل الفقيه،ومع ذلك فالناس محتاجون لعلمه ، فاذا لم يظهر الآن فأي وقت يظهر ؟ فأخبر بذلك الشيخ القصار ، ففرح من ذلك ، فجاء من حينه للشيخ سيدي يوسف وشاوره في ذلك ، فوافقه على المشي ، فوفد على الخليفة المنصور فعرف مقداره ومنزلته من العلم ، وأجل رتبته وأعطاه مالا يستعين به على إصلاح حاله ، وولاه الفتيا والخطابة بجامع القرويين ، وتفرقة صدقة المساكين ، وكان عنده بالمنزلة العظمى ، وانتصب للقراءة والتعليم والفتيا ، فنفع الله به مع ديانته ، وغزارة علمه ، وجريه على النهج المستقيم ، والدين القويم .

أخبرني بالحكاية شيخنا الوالد ، وكتبها لي بخطه على نحو ما ذكرنا، وسمعت منه أيضا : أن الشيخ القصار ، كان قد تقدم له سابق يد عند الامير المنصور ، وذلك أنه لما قام قريبه الناصر ، وظهر له صيت ، كتب الشيخ القصار كتاباً للشيخ الصالح سيدي محمد بن علي بن ريسون بتاصروت ، وكان متبوعا هنالك ، شهير البركة ، وهو يحضه على الاستمساك بدعوة الامير المنصور ، وأن يلزم الانقياد اليه ، فوقع ذلك الكتاب بيد المنصور ، فصادف له عنده يدا سابقة ببركة اذن الشيخ يوسف ، ودلالته على القدوم عليه ، ولم يزل ابناء وقته ممن دونه يحتالون في تخليته ، لكونه كان من طبقة سابقة عنهم ، فظنوها انقرضت لخموله بينهم فاذا هو ظاهر منها فسعوا مرة في تأخيره عند السلطان محمد الشيخ المامون ، وكان أبوه غائبا بمراكش ، فشاور أيضا تلميذه الشيخ عبد الرحمان في الكتابة الى المنصور بذلك ، فقال له : ياسيدي ، هلا فعلت ما فعل شيخك سيدي أبو شامة ؟

وكان أهل وقته لما علموا زهده وفراره من أمور الدنيا ، سعوا في تأخيره ، فاجتمع منهم أعيان وتقدموا الى السلطان في صورة الشفعاء ، وقالوا له : ان سيدي أبا شامة يطلب منك الاقالة لوجه الله تعالى ، فقال السلطان : أما نحن فلا نبغي به بدلا ، ولكـن حيث رغب في ذلك فلـه الاختيار ، فولوا بعزله ، فما بحث قط عن ذلك ، ولا عاد اليه ، فقال الشيخ القصار عند ذلك : لا ياسيدي ، والله لا أسكت ، فاني لست مثله، يعني لما تقدم مما وجهنا به رغبة في ذلك ، فكتب الى السلطان ، فبعث السلطان بنقض ما فعلوا ، وكتب في التوقيع أسفله بخط يده :

« اعلم ولدي ان الشيخ القصار يمت عندنا بموات لا يمت بها غيره ، وانا لا نبدله بمن هو مثله فضلا عمن هو دونه ، فافطموا عنه اطماع ابن عمران وغيره » ، انتهى .

وديانة الشيخ القصار ، وفضيلته في العلم والعمـل مما لا يخفى .

ومما يحكى شائعا انه لما طلبه السلطان زيدان بعد موت أبيه المنصور في اللقاء ، فأزمع سائرا لمراكش وطلب من الله أن لا يلقاه ، فتـوفي بالطريق ، فرأى رجل بمراكش في النوم كأن قبراً بازاء سيدي أبي العباس السبتي نفعنا الله به ، فقيل : لمن هذا ؟ فقيل لرجل صالح ، فمن الغد أصبح الرائي يبحث عن ذلك الموضع ، فوجده يحفر فيه لأحد من وسم بالظلم ، ثم انه أتى به فقيس فيه فلم يسعه ، وتبدل به موضعا آخر ، فلما ورد الشيخ القصار ، دفن هنالك رحمة الله عليه .

وكانت له محبة في جانب الشيخ يوسف وتودد اليه ، واقتداء به ، وتيمن برأيه وبركته ، كما ذكر في (مرءاة المحاسن) .

انتهى كلام (ابتهاج القلوب) .

ومما أنشده صاحب الترجمة فـي بعض مجالس اقرائه عـلى لسان الأبوين يطلبان زيارة الولد في قبرهما :

مرزت بدارنا وصددت عنـــــــا　　وما عمرت بالاحباب قلبـــــا
أهذا عهدنا يامن قطعنـــــا　　عليه العمر اشفاقاً وحبـــــا

ومما حكاه صاحب الترجمة في فهرسته التى هي في نصف كـراس صغير أنه قيل لفاضل في النوم :

تعلم ما استطعت لقصد وجهـــــي　　فان العلم من سفن النجـــــاة
وليس العلم فى الدنيا بفخــــر　　اذا ما حل فى غير الثقـــــات
ومن طلب العلوم لغير وجهـــــي　　بعيد ان تراه من الهـــــداة

وكان سوق العلم كاسدا في فاس فضلا عن سائر اقطار المغـرب ، فنفق في زمان القصار ما كان كاسدا من سوق الاصلين والبيان وسائر العلوم ، لأن أهل المغرب كانوا لا يعتنون بما عدى النحو والفقه والقرءان مما يوصـل الى الرياسة الدنيوية ، وكان من قبل هذا القرن فيه أيضاً كذلك وأكثر الى أن رحل اليسيِّتْني الى المشرق فأتى بشيء من ذلك ، ثم ورد الشيخ خـروف التونسي وكان امام ذلك كله والمقدم فيه ، الا أنه جاء من غير كتبه لابتلائـه بالأسر وغرق كتبه في البحر ، ومع ذلك كانت في لسانه عجمة مع ميله الى الخمول ، فلم يقدروا قدره ، وانما أنتفع به الشيخ المنجور ، والشيخ القصار صاحب الترجمة .

وكان للمنجور مشاركة في فنون كثيرة ، وتنقيح عبارة ، ومعرفـة للتدريس ، وكان للقصار عبارة قاصرة مع زيادة تحقيق ، وكمال معرفـة ، وتحرير وغوص على المسائل ، فما انتفع به الا من صلحت نيته ، ولم يثنه عنه عبارة ولا خمول ، واليه والى المنجور مرجع شيوخ المغرب ، مع ملازمة القصار أكثر لانفراده بعده .

وله نظم ، من ذلك قوله :

تسع أبنى منها أولو الـــــــ　　ـأحلام والهمم السميـــــــه
إلا بحال ضـــــــــرورة　　تدعو لها من حسن نيـــــة

وهي الشهادة والوسا	طة والحكومة في القضية
وكذا الامامة والودي	عة والتعرض للوصيه
وكذا الاجابة للطعا	م وللولائم والهديه
فسد الزمان وأهله	إلا القليل من البريه

وسئل الشيخ الامام القصار عما قيل : من ان من ذبح بذبح خطيب الاندلس على ما مر عليه العمل ومشى من السنن كما في التواريخ والعلماء والصلحاء متوافرون لا يجزئه ، وحزن لذلك خلق غاية الحزن على أجورهم وأجور المسلمين ، فأجاب هذا باطل ، نعلم قطعا ان الخلفاء نصبوه للذبح للناس رفقا بهم لان الخلفاء كثيرا ما يتعذر عليهم الخروج فى أول الوقت ، بل في وسطه لتهيئة الجيوش وغير ذلك من أمورهم الكثيرة ، فيشق على العيال وغيرهم الانتظار مع ندب الفطر عليها ، أقول : وأيضا فان اقتداء الخلق الكثيرين المفترقين فى بلدين مستقلين وفى خارج البلدين فى الصلاة والذبح بواحد يشق ، وجرى العمل بتعددها تبعاً لتعدد الجماعة لهذين ، ولأن سامع الخطبة في التعدد يتضاعف وناهيك بها في الشرع يصليها الخليفة وراء آخر في ناحية فاس الجديد لاقتداء أهله والخميس والأرباض والطالعة في الصلاة والذبح ، وربما خرج في أول الوقت ومسألة ابن عرفة التي خولف فيها ليست مسألة خطيب الاندلس لان الخليفة أذن فى الذبح ولم يحضر ، بل مسألة خطيب الخليفة ، فرأى مخالفه أن كل خطيب يعتبر ذبحه لاطلاقهم ورأى هو أن حضور الاصل وذبحه للناس يدل على عدم الاذن له فى الذبح لهم ، فان أذن له اتفقا في الاجزاء وكذا ان لم يذبح الخليفة ، ثم إن صح ما قيل إن البلدين المتقاربين كالمتباعدين على ما يقتضيه قبولهم ، رأى ابن القصار ان ذات الجانبين تصير كالبلدين ، وغير ذلك، فلكل بلد مصلاه ونائبه على البالي كنائبه على مكناسة ، وارتفع التعدد وغيره .

وقال الونشريسي : أي كالبلدين المتباعدين لا يصح ، لانها انما تشبه المتقاربين ، وما له صحة ، لان الجمعة لا تحدث داخل كفرسخ ، وهو محتمل للبلد مع قراه ، لا للبلد مع البلد ويؤيده المثل ، ونهى الحذاق ان يتعرض لما به العمل والسلام .

وكتب محمد القصار .

انتهى من خط تلميذه سيدي علي البطوئي ، ومن خط العلامة سيدي محمد بن عبد القادر الفاسي رضي الله عنهما وعنا بهما ، آمين .

انتهى من خط شيخنا العلامة سيدي المدني ابن جلون .

انتهى من خط شيخنا مولانا محمد بن مولانا جعفر الكتاني رضي الله عنهما وعنا بهما ءامين ، انتهى .

ووقفت أيضا على تأليفه (الروض الزاهر ، في نسب سيدي محمد طـاهـر) .

توفي المترجم رحمه الله في ذهابه إلى مراكش بزاوية ابن ساسي (1) وغلط في (خلاصة الاثر) حيث جعل وفاته بفاس (2) .

وممن يعرف بالقصار أحمد بن عبد الرحمان الأزدي التونسي معاصر الامام ابن عرفة ، وله شرح على البردة وقفت عليه .

666) مَحمد (الحاج) بن أحمد المريئي التلمساني

مَحمد فتحاً المدعو الحاج بـن أحمد بـن محمد بـن علي بـن عبد الرحمان بن مسعود ابن عبيد الله بن محمد الشريف التلمساني — المترجـم في 257 من (نيل الابتهاج) — ابن محمد بن أحمد بـن علي بـن يحيى بـن المعتصم بن محمد بن المامون بن القاسم بن حمود بن ميمون بن أحمد بـن علي بن عبيد الله بن عمر بن ادريس الامام رضي الله عنهم .

نشأ المترجم بتلمسان ، ورحل لفاس بقصد قراءة العلم ، ثم انتقل لمراكش ودرس العلم بها ، وأفتى رحمه الله .

---

1) عام 1012 هـ وولد عام 939 هـ .

2) ينظر عن القصار : روضة الأس ص 316 ، ونشر المثاني 1 : 12 ، وفهرس الفهارس والاثبات 1 : 316 ، والفكر السامي 4 : 107 ، وصفوة من انتشر ص 16 ، ودرة الحجال 2 : 153 ع 632 ، وسلوة الانفاس 2 : 63 .

قال في (الدرر البهية) بعد أن ذكر أن أول من حل من هؤلاء الشرفاء بفاس المعروفين بأولاد المريِّي (1) المترجم ما نصه : وكان دخول هؤلاء الشرفاء لفاس حسبما يؤخذ من رسومهم سنة أثنتي عشرة وألف ، وهذا العمود هاكذا في اصدقتهم .

ورأيت في بعض التقاييد ما يخالفه ، والصحيح الاول وعليه المعول ، والله أعلم .

ولم يبق الآن منهم بفاس الا دار واحدة بحومة السياج قرب ضريح سيدي أحمد الشاوي ، وهم أبناء السيد الفضيل ، فانه خلف السيد أحمد ولا ولد له الآن ، وأبناء الفقيه العدل السيد مَحمد فتحا هم : السيد الطالب ، وسيدي محمد ولا عقِب لهما، والسيد الفضيل، والسيد الحسن الصباغ حرفة، وما زال بصفة الحياة، وسكناه الآن بدرب ابن شلوش من حومة رأس الجنان(2) واما ابن عمه السيد الحسن فخلف ولدا واحدا مقعدا وما زال بصفة الحياة ، وقيل هم والحموديون فرع واحد ، والله أعلم (3) .

667) محمد بن عبد المومن السعدي

محمد بن عبد المومن ابن السلطان محمد الشيخ السعدي ، كان خيرا دينا رصينا وقوراً ، ولما دخل عبد الله ابن الشيخ مراكش سنة عشرة وألف ، واستولى عليها وأباحها لجيشه ، فنهبت دورها واستبيحت محارمها ، واشتغل هو بالفساد هربت شرذمة من أهل مراكش الى جبل گليز ، واجتمع هناك منهم عصابة من أهل النجدة والحمية ، وأتفق رأيهم أن يقدموا للخلافة المترجم فبايعه أهل مراكش هناك ، والتفوا عليه ، فخرج عبد الله ابن الشيخ لقتال من بگليز والقبض على أميرهم المذكور .

ولما التقي الجمعان انهزم عبد الله وولَّى أصحابه الادبار ، فخرج من مراكش مهزوما سادس شوال من السنة المذكورة ، وترك محلته وانفاضه وعدته وجل الجيش ، وأخذ على طريق تامسنا ، وامتحن أصحابه في ذهابهم

---

1) المريي نسبة الى المرية المدينة الساحلية الشهيرة بالاندلس .

2) درب ابن شلوش ليس من حومة رأس الجنان البعيدة عنه ، بل هو واقع اسفل عقبة ابن صوال واعلى عقبة سيدى محمد ابن الفقيه .

3) توفى المترجم عام 1018 تنظر ترجمته فى صفوة من انتشر ص 85 .

حتى كان مد القمح عندهم بثلاثين أوقية ، والخبزة من نصف رطل بربع مثقال، ولم يزل أصحابه ينتهبون ما مروا عليه من الخيام والعمود ويسبون البنات ، الى أن وصلوا الى فاس في الرابع والعشرين من شوال المذكور .

وأما المترجم فانه لما دخل لمراكش واستولى عليها ، صفح عن الذين تخلفوا بها من أهل الغرب من جيش عبد الله ابن الشيخ وأعطاهم الراتب، فلم يعجب ذلك أهل مراكش ونقموا عليه ابقاءه عليهم ، وكانوا نحو الالف ونصف فكتبوا سرا الى السلطان زيدان بالجبل ، فأتاهم وخيم نازلا بظاهر البلد ، فخرج المترجم الى لقائه فانهزم المترجم ، ودخل زيدان الى مراكش واستولى عليها ، وصفح هو أيضا عن الفئة المتخلفة عن عبد الله ابن الشيخ .

وذكر في (شرح زهرة الشماريخ) أن هذا الثائر بجبل كليز اسمه أبو حسون من أولاد السلطان أحمد الاعرج والله أعلم .

ولعل هذا الصواب بدليل ما يأتي في رسالة زيدان ان شاء الله .

668) **محمد بن علي ابن ريسون** (وهي والدة سيدي علي المذكور) بن عيسى بن عبد الرحمان بن الحسن بالتكبير بن موسى بن الحسن بن عبد الرحمان بن علي بن محمد بن عبد الله بن يونس بن أبي بكر بن علي بن حرمة بن عيسى بن سلام بن مزوار بن حيدرة بن محمد بن ادريس الأزهر،الشريف العلمي اليونسي، نزيل تزروت قرية من حوز جبل العلم بينها وبينه قدر ثلث مرحلة من بني يونس ، عم القطب مولانا عبد السلام ، وغلط صاحب (الدوحة) فنسب من عرف به منهم الى القطب سيدي عبد السلام رضي الله عنه ، فوهم في ذلك وأوقع بعضهم فى الغلط ، وهذه النسبة الى والدة ولي الله سيدي علي بن عيسى اسمها ريسون ثم جرى ذلك على من بعده من ولده ، وانما يتفق هذا فى الانساب وشبهه من الالقاب لسبب من الاسباب ، كأن يكون الرجل له زوجتان يلد مع كل واحدة منهما ، فيميز الناس ولد هذه من ولد هذه بالدعاء بها ، أويكون الرجل قد ربى يتيما في حجر أمه فيشتهر بها ، ويدعى بالنسب اليها كما اتفق للشرفاء أولاد ابن حليمة من أحفاد القطب مولانا عبد السلام رضي الله عنه .

كان المترجم رضي الله عنه ولياً صالحاً، وعلما واضحاً ، فائض الأنوار، سني الاسرار ، غزير البركات ، كثير الكرامات ، جليل القدر شهير الذكر ، حصل به للخلق انتفاع وكثرت عنده التلامذة والاتباع ، صحب الشيخ الامام سيدي عبد الله بن حسين الشريف ، رحل اليه ببلاده مصلوحة قرب مراكش مرارا وأخذ عنه ، ودعا له بخير الدنيا والآخرة ، وهو عمدته وبه تخرج ، وطلب العلم بفاس والمعاشرة بالمدرسة المصباحية .

ومن كرامات المترجم أنه بعث لابي القاسم بن الزبير المصباحي وهو يقول له : الى متى الاقامة بدار الدنيا ؟ وكان ذلك بقرب موتهما ، فماتا في شهر واحد .

وقال في (درة التيجان) :

ومن بني يونس عم ذا الولـي ... أولاد ابن ريسون بيتهم جلـي
ريسون كانت أم جد لهـم ... منها جرى عليهم ذا العلـم
ودارهم دار صلاح وتقـي ... وقدرهم في البيت عالي المرتقى
جدهم الاسنى الولي الصالـح ... وسره في النور نور واضـح
هو محمد الامام ابن الولـي ... ابن أبي عيسى وهو سيدي علـي
أخي مولاي عابد الرحمـان ... شيخهما قطب الورى الغزوانـي
الشرفا دينا ودنيا كلهـم ... في العلم والصلاح شاع فضلهـم

توفي المترجم عام ثمانية عشر وألف ، وقد رمز الامام عبد السلام القادري لوفاته بضريح من قوله :

وان ابن ريسون الولي محمـدا ... ضريح معال ضمه بتحفـل

ووالده الولي الصالح سيدي عيسى المتوفي في حدود ثلاث وستين وتسعمئة . أخذ عن القطب سيدي عبد الله الغزواني واياه اعتمد ، وأخوه سيدي عبد الرحمان بن عيسى الولي الصالح المتوفي ليلة الاربعاء خامس شعبان سنة أربع وخمسين وتسعمئة ، أخذ عن القطب المذكور أيضا .

وقد عرف به وبأخيه فـي (الدوحة) وألف فـي مناقبهما ومناقب المترجم ولده سيدي الحسن ابـن ريسون تأليفا ذكر فيه أخبارهـم وشهادة المشايخ لهم وغير ذلك من مآثرهم .

ترجم المترجم في (الدر السني) ، و (الصفوة) (1) و (النشر) وغيرها ، وكان بين المترجم وبين سيدي يوسف الفاسي ألفة أكيدة منذ الصبا.

669) محمد بن أحمد الرسموكي

قـال في (الفوائد الجمة ، فـي اسناد علوم الامة) شيخنـا الفقيه المدرس محمد بن أحمد الجزولي الرسموكي .

أخذ عـن فقهاء مراكش ، ولما رجع منه لـزم التدريس بجامع عنـق سجادات بتمنرت قريبا من عشرين سنة ، وتخرج عليه كثير من الطلبة ، وكنت أحضر درسه في الفقه ، والعربية ، والحساب ، والعقائد ، والتصريف ، متى وردت بلد السلف هنالك ، وهو عالم عزيز مثله في البادية .

توفي فيما أظن قرب العشرين وألف ، انتهى .

670) محمد بن علي الفشتالي ، الفقيه العالم اللبيب ، الكاتب الأديب ، حافظ مجيد ، وحامل مجيد ، وناقل شديد ، وعالم مفيد ، له طبع حل فيـه الذكاء والنبل ، وقل لو بل كرمه الطل والوبل .

قال في (النفحة المسكية ، في السفارة التركية) : ومن ألطاف الله الخفية ، وعوارفه الالاهية ، ان قيّض لي بل منَّ به من عالم غيبه ، ووفور جوده وسيبه ، صديقاً صادقاً في المحبة ، موافقاً على الصحبة ، حافظاً في الحضور والغيبة ، رافقني في هذه الأقطار الصعبة ، فأنسني فيها وأزال عني أزمات الغربة ، وفرج عني غمرات الكربة :

خير اخوانك المشارك في المـــ ـــر وأين الشريك في المرّ أينا ؟
الذي إن حضرت سرك بالـــو دّ وإن غبت كان أذناً وعينـــا

---

1) صفوة من انتشر ص 66 .

وهو محمد بـن علي الفشتالي (1) إن واخـاك رأيت الانس قـد رد ذاهبه ، وعادت مواهبه ، ووجدت الزمان قد لانت صعابه ، وبان شهابه ، وأولاك ودادا صيحات الماء والفلا ، ولا عهد الا ما حفظه والا فلا ، حسن الوفاء ، مرشح بخلائق خلصت سريرته ، وحمدت في سرعة الوفاء سيرته ، فلا حمد الا ما تصفحت له تجري مع الماء الزلال اذا جرى ، أديب العصر ونحويـه ، وعروضيه وبيانيـه وجدليه ، جمع اشتات هذه الفضائل ، وكان فيها صائلا ليس بضائل ، وعلم اللغات وسائرها ، وفك اشطار الاعاريض ودوائرها .

انتهى المقصود .

وقال في (النشر) لدى سنة 1021 : ومنهم الفقيه الكاتب الاديـب محمد بن علي الفشتالي ، كتب للمنصور أحمد الملقب الذهبي ، فأبهج حضرته وأنار طلعته ، ومن بديع نظمه قصيدته التاريخيه التي نظم فيها ما تضمنه تأليف ابن قنفذ من وفيات الاعيان (2) من زمان النبوة المحمدية الى تمام المئة الثامنة، وزاد عليها الى تمام الالف سنة ، وذيل عليها الاديب محمد المكـلاتي ، وأشار لوفاة صاحب الترجمة بقوله :

شكا الدر فقد ناظم وبكى لـــــه بكاء محب بأن عن مترحـــــــل

وفيه من الجودة مـا لا يخفى ، وذيل عـلى ذيل المكلاتي الحافـظ الفاسـي .

قلت : قال المترجم في أولها : هذه أبيات قيدتها لنفسي مـن وفيات ابن الخطيب القسنطيني ، وزدت عليه من تكملة ابن القاضي المكناسي ولـم اعتمد على أصل صحيح ، والله الموفق والمستعان .

وقال في آخرها :

فحسبي عفو الله ثم ذخيرتـــــي شفيع الورى يوم اشتداد التزلزل
من الوفيات جبت قفرا بمهمـــــه وانضاء فكر من قلائص ذبـــــل

---

1) الذى فى النفحة المسكية أنه أبو العباس النقاوسى ، انظر ص 53 .

2) اسمه الوفيات أو وفيات ابن قنفذ جعله ذيلا لكتابه شرف الطالب ، اسنى المطالب ، طبع مرة أولى بكالكوتا بالهند سنة 1911 ، ثـم اعاد طبعه المستشرق الفرنسى هنرى بيريس سنة 1939 ، وطبع ببيروت طبعة حققها الاستاذ عادل نويهض سنة 1971 ثم طبع طبعة رابعة بالرباط سنة 1976 بتحقيق الاستاذ محمد حجى .

وخاطرت والمنجاة مني بعيـــــدة فورطت نفسي مجهلا أي مجهـــل
ولكنني لفقت ذاك لمهجتـــــــي ولابن وصنو أو لاول مقبـــــــل
ولم أعتمد سوى ابن قنفذ وابن قا ضي مكناسة يتلو بوصف المكمل
على أنني لم اتصل بكليهمــــــا بأصل صحيح لاعتماد التأصـــل
فتاريخه شك لكل مطالـــــــع يريك بعيدا في سياق المحصـــل
وصلى اله العرش في كل لحظـــة على الآل والأصحاب طراً وأجمـــل
وواصل رضاك بالصباح وبالمســا على الآل والصحاب طرا وأجمـل

وقال في (المنتقى المقصور) بعد أن ذكر أن المنصور الذهبي كان يقرض الشعر ما نصه : فمن ذلك ما أنشدنيه بالمحلة المنصورة له ، وزيـر القلم الاعلا ، وحائز القدح المعلى ، الكاتب الاعظم والخضم المفخم ، الناظم الناثر ، وحائز قصبات السبق في الدفاتر ، محمد بن علي الفشتالي سنة اثنتين وتسعين في معنى التورية ، ثم ذكر قضية المنصورية من الملف المسمى بـ (قلب حجر) المنقولة في (نفح الطيب) .

ثم قـال وأطلعني الكاتب المذكـور عليهما بخطه أيـده الله ، وكنت أثبتهما في (زهـرة البستان) المنقوعة بمحاسن أهل . . . مـع كثير مـن قصائده الشعرية وملحه النثرية ، وضاع ذلك مني في حال محنتي .

ولما رجعت الى مراكش بعد خروجي من الاسر ، طلبت منه أن يمكنني من شي من ذلك لاستدراك ما فاتني فلم يمكني بشيء منه .

انتهى وقد ترجمه في 148 من (ريحانة الالبا) .

671) محمد الشيخ المامون السعدي

محمد الشيخ الوسط المدعو المامون بن أحمد المنصور بن محمـد الشيخ بن محمد القائم السعدي .

قال في (المنتقى المقصور) بعد ذكره : قد مدحه الناس بقصائد ، فمن ذلك ما لكاتبه أحمد بن محمد الغرديس التغلبي قصيدته التي مطلعها :

اهدى النسيم تحية المشتـــــاق واذاع ذكر الشوق في الآفـــاق

ثم أورد منها جملة ، وجملة أخرى من طالعة له أيضا مطلعها :

تبدت فأبدى الثغر من لؤلؤ سمطا وفوقت الالحاظ سهما فما أخطـــا

ثم قال : ومما مدحه به كاتبه سعيد بن أبي القاسم التاملي قصيدته التى مطلعها :

أزور وسترى عندها الشعر الوطف ولا رسل الا ما يشير به الطـــرف

ولكاتبه عبد العزيز بن محمد بن عبد الله التاملي :

تجلت بطاح الارض في حلل خضر بديعة وشي أتقنته يد القطـــــر

قال في (النزهة) : جمع والده المنصور أعيان حاضرة مراكش وأعيان مدينة فاس وغيرهم من أشياخ القبائل ووجوه الناس من أهل البوادي والحواضر، وأوصى بالعهد لولده محمد الشيخ المامون المذكور،وذلك في يوم الاثنين لليلتين خلتا من شعبان عام سبعة وثمانين وتسعمئة ، وكان المامون إذذاك خليفة أبيه على فاس ولم يحضر بيعته ، فبعث له المنصور بعد ذلك ليقدم من فاس ويبايــع بحضرته ، ولم يقنعه ما كان أخذ له من البيعة وهو غائب ، ولما بعث له للمجيء خرج المنصور خارج مراكش بعساكره ونزل بتانسيفت في الثاني عشر من صفر عام تسعة وثمانين وتسعمئة ، ولم يزل بعسكره ذلك متلوما منتظـرا لقدوم ولده المامون الى أن قدم في غرة جمادى الثانية من العام المذكور ، فكان يوم ملاقاتهم من عجائب الزمان .

ولما اصطف جيش المامــون وجيش المنصور ، ترجل المامــون عن فرسه ، وتقدم حافيَ القدم فعفَّر وجهه بين يدي والده ثم قبل رجله ، والمنصور على فرسه بين الصفين فدعا له بخير ، واظهر الفرح بقدومه ، وكان المامون قد عبأ جيشه تعبئة لم ير مثلها ، ورتبهم ترتيبا حسنا في لباسهــم وسائر أمورهم ، فسر المنصور بذلك ، وبعد أيام من بلوغه أمر به فأجلس في سرادقه الاعظم الذي لم يكن للملوك قبله مثله كما سيأتي ، وأمر أهل الحل والعقد فازدحموا على تقبيل يده ، واقتضيت منهم الأيْمان بمحضره ، وقام

الشعراء فافصحوا عن وصف الحال ، وغمر المنصور الناس بالعطاء ، وكان ذلك يوما مشهودا ، وبعد أيام من ذلك أمر المنصور بالمامون أن يرجع لحاضرة فاس ، فرجع ودخل المنصور لحضرته السعيدة مراكش حرسها الله .

وفي شوال عام اثنين وتسعين وتسعمئة جدد المنصور البيعة لولـده ولي عهده محمد الشيخ الملقب بالمامون على اخوته خصوصا ، لانهم كانـوا فى البيعة الاولى قبل البلوغ ، فأراد أن يستوثق له من اخوته بعد البلوغ حسما لمادة النزاع بينهم ، فارتحل المنصور من مراكش لتامسنا ، وبعث الباشا عزوز بن سعيد الوزكيتي ليأتي بولي عهده من فاس ، فتوافى القصدان بتامسنا وباشر المنصور أخذ البيعة له بنفسه ، وحضر الاعيان وأهل الحل والعقد ، وأحضر المصحف الكريم الذى هو مصحف عقبة بن نافع الفهري رضي الله عنه ، وهو من ذخائر الخلفاء، وأحضر الصحيحين البخاري ومسلم، وقُرىء ظهير البيعة ، فتولى قراءتها الفشتالي والى جانبه القاضى أبو القاسم الشاطبي يفسر ما أشكل في لفظ الظهير ، ولما أخـذ البيعة أمـر أولاده غد يومها فكتبـوا خطوطهم عقبها بالموافقة على ذلك ، ورأيت فى بعض رسائل زيدان بن المنصور وقد ألمّ بهذه البيعة فقال : اني حضرت بيعة محمد الشيخ صاحب المغرب ، وحضر أولاد السلطان فاستحلفهم له الا أنا ، فانه رضي الله عنه قال : فلان لا يحلف ، ولا يحتاج اليه فيما نأمر به ونفعله ، وعظم ذلك على اخوتي وظهرت في وجوههم الكراهية ، ولما فرغ المنصور من تجديد البيعة رأى أن يرشح كلا من أولاده للامارة ، ويقسم بينهم البلاد حتى لا يبقى في نفوسهم إحن ، ولا تنطوي قلوبهم على ضغائن ، فعقد لعبد العزيز شقيق المأمون على السوس وسائر عمائره ، وعقد لعلي على مكناسة وما والاها ، وعقد لزيدان على بلاد تادلة ، ثم عكس لأمر اقتضاه ، فنقل زيدان لمكناسة ، ونقل علي لتادلة ولم يزل أمرهم على ذلك .

وكان للمنصور في ولده المامون اعتقاد تام به ، واهتمام عام بشأنه ، حتى أن المنصور كان لا يختم على ربيعة من المال الا قال : جعل الله فتحها على يد الشيخ رجاء أن يقوم بالامر بعده ويسوس الرعية مثله ، فلم يساعده القدر المحتوم ، السابق المرسوم ، كما قيل :

ما كل ما يتمنى المرء يدركـــــه   تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

وقد وقفت على رسالة كتب بها اليه المنصور ونصها :

من عبد الله تعالى المجاهد في سبيله ، الامام أمير المومنين أبي العباس المنصور بالله بن أمير المومنين أبي عبد الله محمد الشيخ المهدي الشريف الحسني أيد الله بعزيز نصره أوامره ، وظفر بيمنه ومنّه عساكره .

إلى ولدنا وولي عهدنا الامير الأجل ، الافضل الاكمل ، بابا الشيخ ، وصل الله كمالكم ، وسنى من خير الدارين آمالكم ، وسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أما بعد ، فكتابنا هذا إليكم من حضرة مراكش حاطها الله ، ولا حادث الا ما عوده مولانا من الخير ، لله الحمد وله المنة .

هذا والذي أوجبه اليكم أسعدكم الله وكلأكم،أنه بلغنا أنكم قد استخدمتم هناكم جماعة من أولاد طلحة ، كأولاد أخي علي بن محمد ، وأخي علي بن ملوك وغير هؤلاء ، وأنك قد فرضت لهم في اعطياتهم نحو خمسة آلاف ، والى هذا ، أي مصلحة ظهرت لك في استخدام هؤلاء القوم حتى تتحمل كلفة فرض هذه الفروض ؟ بل ما في ذلك الا الفساد البين ، لأن هذا الذي فرضتم لهم لا يفي به المغرب ولا يقوم معه بكم شيء،ومسألة أولاد طلحة هؤلاء إن كنت رأيت استخدامنا لهم وأردت تقليدنا في ذلك ، واقتفاء سيرتنا فيه ، فاعلم أن بيننا وبينكم فرقا من وجوه ، منها أن مدينة مراكش ليست كمدينة فاس ، وان خدمتهم هنا لبعدهم عن بلادهم ليست كخدمتهم هناك ، وأيضا هؤلاء الناس أنا أعرفهم وكنت في بلادهم ، وهذه الخدمة كانوا يطلبونها مني وأنا هناك فوعدتهم بها ، إذ لا يمكنني وأنا ببلادهم الا مساعفتهم ، فلما جاءوا اليوم وطالبونا بالوعد لم يمكن إلا الوفاء لهم به ، فعليه شرطنا عليهم مراكش وسكناها ، وعلى هذا الشرط استخدمنا منهم من استخدمناه ، ومع هذه الوجوه والاعتبارات كلها فقد ندمت والله على استخدامهم غاية الندامة ، وانا في ذلك على خطأ ، اذ كان الاولى أن نكون حاسناهم وتركناهم من الخدمة ، وأما أنت ففي مندوحة من هذا كله ، لأنه لا وعد لك سابق لهم حتى يلزمك

الوفاء به ، ويمكنك ان تحيلهم على إذننا ومشورتنا ، فنكفهم عنك بالشرط الذي شرطنا عليهم من الخدمة هنا بمراكش وسكناها ، وعلى هذا الشرط استخدمنا منهم من استخدمنا ، والى هـذا فالذى نؤكد بـه عليك أن تنقصهـم من الخدمة ، ولا تستخدم منهـم ولو فارسا واحدا أصـلا من الذين ذكرنا لك ومن غيرهم من كافة أولاد طلحة ، وأمرناك أن تتنصَّل منهم وتقول لهم : ان السلطان منعني من استخدامكم هنا ، وتقرأ عليهم كتابنا الواصل اليكم صحبة هذا التتفادى منهم ، ولكن الجفاء مع هذا كله لا تظهره لهم ، بل تحسن اللقاء بهم ، وتواليهم باظهار البشر والقبول ، وباب الطمع تسده دونهم .

والذي شق علينا أعظم من هذا كله واستنكرناه ولم نجد صبرا عليه هو ما وجدناهم قد أطلعوا عليه ، أعني أولاد طلحة علي بن محمد وغيرهم من أحوالكم وأخباركم ، وألفيناهم قد توصلوا من ذلك الى ما لم يتوصل اليه والله أحد من كبار خدامكم أهل بلادنا ، وخواص أهل بساطنا ، لأن أهل بلادنا أحباء ما لهم بحث الا في مصالح أنفسهم ، وهؤلاء انما يبحثون على الغرة وعورة المملكة ، فاذا بكم تتخذونهم بطانة وأصدقاء ، وتطالعونهم بأموركم وأحوالكم ، مع أن القوم ما زالوا ببلد العدو وبين أظهره ، والذى يطلعون عليه تحتاج تقطع وتجزم بأن الترك قد أطلعوا عليه ، حتى كأنهم شاهدوه ووقفوا عليه بأنفسهم ، وأيضاً لو كانوا أصدقاء ولا يريدون بنا الا الخير ، فالقوم عرب لا يتحفظون على ما يطلعون عليه ولا يفقهون ما يحسن اخفاؤه ولا ابداؤه ، ولا يتمالكون من أنفسهم قولا ولا نطقا .

وبالجملة فقد أحرقتنا هذه المسألة وتفطرت لها اكبادنا ، وصارت قلوبنا منها مطعونة ، وما عندكم علم بأن الناس كانوا يتحفظون في أقل الأمور أن يطلع عليها الاجانب ، وان كانوا أحب من كل حبيب وأقرب من كل قريب ، وهل عندكم علم بأن أخانا بابا منصور كان عرض له غرض ضعيف جدا أراد أن يطلبه من أخينا بابا عبد الله وحضر في المجلس منصور بن المزوار،فلم يرد بابا منصور لفطنته أن يذكر ذلك حتى يشاور فيه من بازائه ليلا يكون في ذكر ذلك بمحضره عيب ، فشاور فيه القائد دحُ بن فرج وكان بازائه فقال له : هـذا

الرجل براني فلا تطلب شيئاً قدامه ، على أن المنصور بن المزوار هذا كان مع أسلافنا من أقرب مَن اليهم من خواصٍ الخدام أهل بساطنا محبة وقربا ، لانه كان سلف له معهم حرمة عظيمة ، فقد كان عدوا للترك ، وبينه وبينهم أرواح كثيرة ، وحضر مع أخينا بابا حمو الحران جميع ما كان فى تلك البلاد من الوقائع العظام وغيرها أيام استيلائه على المغرب الأوسط ، وثم بابا عبد القادر كذلك ، وشرب معهم الحلوة والمرة ، ولما جاء من تلمسان جاء بأولاده منها راحلا ، كما جاء منها بابا عبد الله بأولاده ، وكما جاء معهم خدامنا اهل تلك البلاد ، وما زال على الخدمة والوفاء وحسن العهد حتى حصلت له حرمة عظيمة مع اسلافنا ، وناهيك بمن بلغ الى أن قلدوه تازة ثم بلاد الفحص التى لا تعطى كلتاهما الا لاقرب الخدام الموثوق بمحبتهم وقربهم وخدمتهم ، ومع بلوغه الى هذا المبلغ كله محبة وصداقة وهجرة وانقطاعا حتى أنه فى دخول صالح رئيس الترك لفاس رحل بأولاده لهنا مع السلطان ، كما فعل أهل هذه البلاد ، وحين دخلنا نحن أيضا من جهة الشرق لفاس رحلوا أيضا مع صاحب الجبل لمراكش ، وما أبعدوا أنفسهم من هذا الجانب أبدا في الحديث ولا في القديم، ثم أن الناس أحجموا عن أن يطلبوا أقل المسائل بمحضره ، وقالوا : انه براني ! فضلا عن هؤلاء الذين ما زالوا إلى اليوم في بلاد العدو يباكرونه ويراوحونه ، فاذا بكم تنزلون معهم الى أن تُطلعوهم على أموركم ، ويتوصلون إلى المعرفة بأحوالكم ، فما تمالكنا أن نصبر على هذه المسألة .

ومن جملة الامور التي غاظتنا وقلنا كيف يتوصل الرجل البراني الى امثال هذه الامور أن علي بن محمد كان يتكلم يوماً معنا ، وأخذ يثني عليكم في نجدتكم وصبركم عند الشدة وسخائكم عند الحاجة،ثم قال: إلا أن الخيل ليست عنده لا في الحركة الاولى ولا في الثانية ، لان القبائل أهل الخيل امتنعوا من الحركة معه ، وهي التي غاظتني ، وقلت كيف يتوصل الرجل البراني الى امثال هذه الامور حتى انا ما وجدنا الا الرد عليه وعكس ما عرفنا أنهم اعتقدوه ، وقلنا اللهمَّ نسبة التقصير اليكم ، ولا اعتقادهم خلو البلاد من الخيل، لأننا فهمنا منهم ذلك ، ولهذا أجبته وقلت له : ان ولدنا لم يعطهم شيئاً ، وأعطى لمن لا يستحق من ضعفاء القواد المعروفين بأكل المال من غير مصلحة ، وعدم

المخزنية ولو أعطى لتلك القبائل لانثالت عليه ، لان أولاد مطاع عندهم من الخيل نحو الثلاثة آلاف ، وعند أولاد أبي عزيز نحو ألف ونصف ، وعند الغريبة وعند أولاد عمران وعند عبدة وعند الشياظمة وعند أولاد بوراس وعند أحمر ، وعند المنابهة أهل سايس ، وعند المنابهة أصحاب عمرو بن محمد بن عب ، وجعلت أعد له قبائل أهل سوس ، وقبائل مراكش ، وأحصى له خيلهم بما بهته ، وقلت له لو أنصفهم لحرك منهم معه ستة عشر ألفا أو أكثر، ويكون قد ملأ بهم تلك البلاد وسال عليها منهم سيل العرم ، لا في الحركة الأولى ولا في الثانية ، ولو وجه اليهم المحركين والرماة لتوجه اليهم أيضا بما لا طاقة لهم به منهم ولا خلاص .

وإلى هذا فانا نوصيكم ونندبكم إلى المحافظة من أولئك الناس ، ومن رفع الحجاب لهم عن اموركم ، والاطلاع على أحوالكم ، وعدم الغفلة عن أمثال هـــذا .

واعلم أن من جملة ما بلغنا أيضا أن الخلط رجعوا كلهم رماة على يد مصطفى باشا مع حديث عهدهم بالفساد والخلاف، وكنا انتشبنا معهم بالعودات، فاذا بهم اليوم بالمدافع وعدة النار ، وهل هذا مما يجوز عليكم حتى تسمحوا فيه ؟ مع ان هذه المسائل ليست بغائبة عنكم حتى تسمعها بالسماع فقط ، ولا طويلة عهد حتى تنساها ، بل بالامس شاهدت وباشرت ورأيت ، فما الذى أنساك فعلهم ، وما زال جرحهم الى الآن لم يبرأ ، لان خروج القائد مومن الخارج الآن ما كان الا اليهم ، والآن نؤكد عليك أن تنقصهم من الخدمة ، ولا تسمع لمصطفى ولا لغيره في هذه المسألة .

وقد سمعنا أيضاً أن قواد الفساد الذين عندكم من أولاد حسين قد صارت حلتهم من باب عين الخميس الى دار الدبيبغ، وكأنكم نسيتم أيضا ما عمل أودلا حسين بالامس دون بعد من النهب وما أضرموا من نار الفساد والعيث في البلاد حتى ينزلوا تلك المنازل ، وإلى هذا فساعة وصوله إليك تقبض على قواد الفساد هؤلاء ، خصوصاً أحمد بن عبد الحق من أولاد يحيى بن غانم الذى كان أبوه حاجبا عند المريني ، فهو أصل الفساد ، ثم لا تترك لقبائلهم جناحا

واحدا ، وزد للقائد مومن بن ملوك ألف رام ليستوفيَ بهم الغرض في هؤلاء وأمثالهم ، من كل ما تأمره به ، لأن بقـاء الرماة هنالك ما فيـه الا الاشتغال بالفساد في المدينة ، فتحتاج أن تتولاهم بالقتل كل يوم باطلا ، فكان خروجهم اذذاك دفعاً لمضرتهم وجلباً للمصالح بهم أولى .

وحتى الكاتب اللائق بأمثالكم ورسائلكم لم يكن عندكم ، لأن كتبكم تأتي بخط سالم وهو غير عارف بانشاء ، وتارة بخط الكريني وهو جاهل ، مع أنك لما كنت خليفتنا وولي عهدنا كنت بصدد أن يكتب لك كل أحد ، لا صاحب الجزائر ، ولا صاحب تونس ، وحتى صاحب الترك ، وصاحب النصارى وكل من يكتب لنا من ملوك الارض بصدد أن يكتب لك ، فتحتاج حينئذ الى من يحسن الجواب عنك لكل من يكتب اليـك ، ويكون أيضا ممن يوثق به فـي المحافظة على أسراركم ، والى هذا فلا بد من تعيين قائد للمحلة ، وحاجب ، وكاتب سرك ، وصاحب مشورك ، وصاحب المظالم كما هو عندنا السيـد علي بن سليمان .

واعلم أن مما تحتاج أن ننبهك عليه مسألة القواد الذين يريدون أن يحملوك أثقال أولادهم ، مثل ما فعلت في أولاد القائد بركة (1) وأخوتهم الذين استخدمتهم وعملت لهم خمسمئة أوقية ، فنؤكد عليك أن لا تستخدم منهم أحدا، فما أعطيناه سلا الا ليرفع فيها أولاده وإخوته ، وكذلك الحكم في أمثاله من كل مَن أعطيناه عملا وقلدناه قيادة .

ومن جملة من نحذرك من استخدامهم في الرماية أهل الجبال من أهل الصحفة والدنيار، فلا تستخدموا منهم أحدا، والا فاعلموا أنكم ما أردتم أن يعطوا لكم حينئذ ولا أن يغرموا لكم بعد شيئاً، واذا أردتم الخدمة فهاهم أهل هذه البلاد مثل أهل سوس وأهل درعة وأهل مراكش ، فكل من تستخدمون مـن هؤلاء فلا عليكم ، واذا لم يكن من هؤلاء وكان ولا بد من غيرهم فمن أهل فاس سكان الحاضرة ، وأما من عداهم فلا ، على أن الرماة أهل سوس هاهي هنا عندنا كثيرة ، فكل ما تريد منهم عرفنا به نبعثهم اليك ، ونضيفهم الى خدمتك .

---

1) لعله الذى تنسب اليه عين بركة الداخل مآوها لمدينة سلا (الاستقصا) .

ونؤكد عليك أن تكتب بجواب هذه الأمور كلها فصلا فصلا مع المملوك الحامل لهذا الكتاب ان شاء الله ، ولا بد ولا بد . وهذا موجبه اليكم، والله يحرس بمنه علاكم ، والسلام .

وفي مهل جمادى الأولى عام أحد عشر وألف .

ثم ان الشيخ المامون بن المنصور أساء السيرة وأضر بالرعية ، فكان فسيقاً خبيث الطوية ، مولعاً بالعبث بالصبيان ، مدمناً للخمر ، سفاكاً للدماء ، غير مكترث بأمور الدين من الصلاة وشرائطها ، ولما ظهر فساده ، وتبين للناس عواره ، نهاه القائد ابراهيم السفياني وزير أبيه عن سوء فعله ، فلم ينته ، واستمر على قبحه ، فأعاد عليه اللوم فلج في مذهبه ، ولما أكثر عليه من التقريع والتوبيخ سقاه السم ، فكان فيه حتف القائد المذكور ، وكان مما أنكر عليه أنه قبض على كاتب أبيه محمد بن أحمد بن عيسى المتقدم الذكر ، ووظف عليه مالا ، وبزه ذخائره ، وأخذ منه ماله حتى كان مما أخذ منه ثمانون حسكة (1) مذهبة ، ومئة تخت من الملف المختلف الألوان ، فلما كثرت قبائحه وترددت الشكاية به لأبيه كتب له أن ينكف عن غيه ، وينزجر عن خبثه وسوء رأيه ، فما زاده التحذير الا اغراء ، فلما رأى المنصور أنه لم يكترث بأمره ، ولم يزدجر عن جنايته وشره ، عزم على التوجه لفاس بقصد أن يمكر به ، ويؤدبه بما يكون رادعا له ، فسمع الشيخ بذلك ، فجمع عسكره ، وهيأ جنده ، ودفع المرتب لاصحابه ، وعدد جيشه ، فكان فيه فيما قيل : اثنان وعشرون ألفا ، كلهم بكساوى الملف والحرير على أحسن شارة وأكمل زي ، وعزم إن بلغه خروج أبيه من مراكش يتوجه في أصحابه الى تلمسان ، ويستجير بالاتراك !

فلما بلغ المنصور ما عزم عليه الشيخ من الذهاب الى تلمسان ، تخلف عن الخروج من مراكش ،فصار يلاطفه ، ويأمره أن لا يفعل ، وولاه سجلماسة ودرعة ، وتخلى له عن خراجها ، وقال له : قد سوغتكه ولا أطالبك فيه ، ومراده

1) الحسكة حاملة الشمع وتكون من نحاس ، وهي الشمعدان في لغة المشارقة .

بذلك كله أن تسكن نفرته ويرجع اليه عقله ، فاظهر الشيخ امتثال الامر ، وخرج يوما مارا لسجلماسة ، فما انفصل عن فاس بشي يسير حتى رجع لها ، وعاد لما كان عاكفاً عليه ، فبعث المنصور أعيان مراكش وعلماءها فنصحوه ووعظوه ، وخوفوه سخط والده ، وحذروه من العقوق ، ولم يالوا جهدا في النصيحة له، فوجدوه مشغول القلب عن نصائحهم، معمور الذهن بخلاف قولهم، الا أنه أظهر الرجوع عما كان عازما عليه من النفار من أبيه ، وقصر فى الظاهر عن بعض قبائحه ، فرجع الاعيان والعلماء للمنصور لمراكش ، وقالوا له : انه تاب وحسنت حالته ، واطمأنت نفسه ، وأنه واقف عند الأمر والنهي ، فلم يطمئن المنصور لقولهم ، وقال لهم : لعل هذا اطفاء لنار الشحناء وكذب لاصلاح الخاطر (I) .

ثم لم يلبث المنصور أن بعث لولده زيدان وكان خليفة بتادلة يأمره أن يرسل مئة من الفرسان على طريق تاقبالت ، وكل من وجده قاصدا للغرب من ناحية مراكش يردوه، وأرسل مولاه مسعود الدوري أن يقف على طريق سلا، ويفعل مثل ذلك وخلف ولده عبد العزيز على مراكش ، وخرج حينئذ المنصور من مراكش في اثني عشر ألفاً من الخيل ، وكان خروجه في أوائل جمادى الاولى من عام أحد عشر وألف ، وجد السير فلم تمض الا أيام قلائل حتى نزل بالداروج موضع قريب من مكناس وفاس ، والشيخ في جميع ذلك لا شعور له بخروج أبيه ولا بما هو عليه ، فبعث يوماً عيونه يرصدون له مَن قدم من مراكش ، ويكشفون له عن الخبر ، فما راعهم الا الاباطح سائلة باعناق الجياد ، وأفواه الشعاب تقذف بالجيوش من بطون الأودية ، لأنهم قد كانت عندهم الانباء بقطع المنصور للسابلة ، فرجعوا مسرعين ، والرعب يفت فى أعضادهم ويطفيء جذوة عزائمهم ، فقصوا عليه ما دهمهم ، وأخبروه بما رأوا ، فعلم أنه محاط به فلم يمكنه الا الفرار ، فركب من حينه ، وهرب لزاوية الولي الصالح أبي الشتاء ببلاد فشتالة قرب نهر ورغة .

I) العبارات المتقدمة كلها منقولة عن اليفرني ونقلها فى **الاستقصا** 5 : 169 طبع الدار البيضاء .

وكان سيدى أبو الشتاء قد توفي قبل ذلك بما يقرب من خمس عشرة سنة ، لان وفاته كانت سنة سبع وتسعين وتسعمئة كما في (المرءاة) بالموحدة في الاولى ، والمثناة فى الثانيتين ، فنزل بالزاوية ومعه بطانتـه ، وأصحاب دخلته من الأحداث وأتباع السوء، فبلغ خبره للمنصور فوجه له الباشا جوذر ، والقائد منصور النبيلي ، وحلف لهما باغلظ الايمان إن لم يأتيا به ليمكرن بهما ويجعلهما عبرة ، فذهبا اليه ، فامتنع من الدخول في يدهما ، وانعزل بأصحابه حتى تراموا بالنبل وناوشهم القتال ، فقبضوا عليه في حكاية طويلة ، فأمر به المنصور أن يسجن بمكناسة فسجن بها ، ودخل المنصور لدار الملك مـن فاس الجديد ، وشكر الله على ما أولاه من الظفر به والنصر عليه من غير اراقة دم ، وتصدق لذلك بأموال عظيمة .

ثم ان أم الشيخ الخيزران بعثت الى أعيان مراكش الذين قدمـوا مـع المنصور ترغبهـم أن يستشفعوا لولدها عنـد أبيه ويعتذروا عنه بمـا يزيل ما فى خاطره عليه ، فتقدموا للمنصور ورغبوه ، وطلبوا منه السماحـة له والتجاوز عنه ، وقالوا له : إن الشيخ تاب لله عما كان عازماً عليه ، وإنـه ندم على مـا فرط وصلحت حاله ، فقال لهم المنصور : اذهبـوا لمكناسة ، واختبروا أمره ، كائنا ما كان ، وانظروا هل رجع عن أباطيله ، وتنصل من أضاليله أم لا ؟ فلما أتوه وجدوه أخبث مما تركوه وعاينوا منه من القبائح ما يقصر عن وصفها اللسان ، فلما جلسوا معه في محبسه لم يسألهم عن شيء الا عن أصحاب بطانته ، وقرناء السوء من أهل غيه وضلالته ، ولم يظهر الاسف الا على تلك العصابة ، ورآهم أهل الاصابة ، وكان من الاعيان الذين وجههم المنصور لذلك أولا وآخرا ، أولاد السيد أبي عمرو القسطلي ، وأولاد سيدي عبد الله بن ساسي ، وأولاد سيدي يحيى بن بكار وغيرهم .

فلما رجعوا من مكناسة الى المنصور سألهم عن الخبر ، فنافق بعضهم ، وقالوا : وجدناه تائبا نادما على ما صدر منه ، وتكلم أولاد سيدى عبد الله بن ساسي ، وقال بعضهم : والله لا داهنت في الله ولا واجهت أمير المسلميـن بالخديعة ، وقالوا له : ان ولدك والله لا نأذن لك أن تؤمره على اثنين ، ولا

تحكمه على عيال الله سبحانه ، فانا وجدناه خبيث الطوية ، قبيح السريرة والنية ، لم يندم على ما فرط ، ولا تاب مما فعل وشطط ، فسكت الحاضرون ولم يتكلم أحد ، فقال لهم المنصور : أفتوني في أمر هذا الولد ؟ فلم يجبه أحد إلا باشته(1)السيد عبد العزيز بن سعيد الوزكيتي، فانه قال له:الرأي أن تقتله فانه لا ينجبر أمره ، ولا يرجى صلاحه وخيره ، وقد رأيت ما صنع ، فلم يعجب المنصور ذلك ، وقال كيف أقتل ولدي ؟ فبعث بالتضييق على الشيخ والزيادة في الحبس عليه ، وخرج المنصور فنزل بمحلته بظهر الزاوية قاصدا لمراكش ، واستخلف ولده زيدان على فاس .

ومن هنالك كتب المنصور رسالة لولده خليفته على مراكش عبد العزيز يعلمه بما وقع في ذلك ونصها من أولها الى آخرها :

الى ولدنا الأجل الأرضى ، الأفضل المرتضى، الاكمل الاسعد، الامجد، الاسما الاسنا ، بابَ أبي فارس ، وصل الله كمالكم ، وسنا بمنه آمالكم ، وسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد فكتابنا هذا إليكم أسعدكم الله من محلتنا السعيدة بالمستقى ، ولا ناشىء إلا ما جرت به الأقدار ، وحكم به الفاعل المختار ، وفجأ به من عجائب الدهر الليل والنهار ، وهي قضية أخيكم التى ثارت الي بها صروف الدهر من مكمنى ، وطلعت علي من مأمني ، إلا أن الله تعالى بصنعه الجميل كفانا أولا ثم شفانا آخرا ، له الحمد دائماً ، والشكر واظباً .

وشرح ذلك أسعدكم الله ووقاكم السوء ، أن الحال كان انتهى في معالجة أمره الذي تجاوزنا في وجه الخير إليه حد الاستقصا ، وآتينا في محاولة استصلاحه من أحوال السياسة المرجوة النجاح ما لا يحصى ، الى ما كنا سوغناه من ولاية سجلماسة بخراجها وخراج درعة ، وأبحنا له التوجه إليهما بجملته وجمعه ، رجاء ان تسكن بالانتباذ اليهما نفرته ، وتطمئن نفسه ،

---

1) **الباشا** رتبة عسكرية اقتبسها المغرب من تركيا في العصر السعدى ، تكتب بالف مقصورة وهو الاكثر وبتاء وهو الاقل وباشته أى باشاه ، والضمير يعود على أحمد المنصور .

ويتوب اليه قلبه الطائر ، ويراجعه أنسه النافر ، فأظهر أولا التوجه اليهما ، ونهض مرتحلا عن فاس موريا بالقدوم عليهما ، ثـم بدا له في الحين فكرٌ راجعاً الى فاس ، ورجونا أن يكون قد ذهب عنه النفار والشماس ، وآب لنفسه السكون والاستئناس ، فاذا به قد انطوى فى رجوعه على خلاف ما أظهر ، وأبدى غيرما أضمر، فما كان إلا أن وصله خبر نزولنا بالداروج، فلم يتمالك ان أقلع ليلة الخميس خامس عشر شهر تاريخه ، اقلاعا أزعجه من الدار فريدا ، وطارت به النفرة الى أن حل بزاوية الشيخ أبي الشتاء وحيدا ، فتلاحق به من جيش رماته الانكشارية ومتفرقة سماسرة الفتن،وطلائع الشؤم والمحن،جمع عظيم، وعدد كثير جسيم ، فبادرت حينئذ بتجهيز جوذر باشا مـن غير اغفال فـي خمسمئة صبائحية (1) ومعـه القائد مومن بن ملوك في خمسمئة فارس ، ثـم أردفناهما ببعوث آخر تنثال إليه ، وتناثلت عليه ، تناهز الألفين ، ورماة باب زيدان حفظـه الله ، فاحدقت بـه من كل الجهـات ، وملكوا عليه الفجـاج والثنيات ، ونحن مع ذلك خلال هذه الاحوال لم نهمل مقابلة نفرته بالتسكين ، وما يخشى من أحواله بالتليين ، بارسال المرابطين بمواثيق تهنيه ، وعهود تؤنسه وتقرب أمانيه ، رجاء أن يثوب اليـه ثائب استبصار ، ، ويخطر لـه خاطر اقلاع عما هو عليه من اقصار ، وقرناء السوء المتلاحقون به من جيشه يقدحون للشر نارا ، ويزينون له عقوقا ونفارا ، فدهمتهم بعد ذلك عساكرنا المظفرة بالله فى مصافهم دونه ، ودارت بين الفريقين حرب عظيم ، فخدمت النار من وقت الظهر الى أوان العصر ، فاظهر الله فئة الحق على فئ الباطل ، وقضى بما جرى به القضاء المحتوم الحكم العادل ، وكتبناه إليكم وقد حصل في القبضة كما سبق به القضاء والقدر ، وجعل بمكان الاحتياط عليه بمكناسة الزيتون فكانت مشيئة الله في ذلك من احدى العجائب والعبر، وعرفناكم أسعدكم الله لتستشعروا صنع الله في هذه الداهية التي فجأت بها الأيام ودهمت،والغاشية

---

1) **الصبايحية** ج صباحى أو صبايحى ، فرقة من الجند كان الترك أيام حكمهم للجزائـر يجندونها من قبيلة عرب صباح المشهورة بقوة باسها وحسن طاعتها ، واقتدى بهم الفرنسيون فى ذلك بعد احتلالهم للجزائر ، فالفوا من تلك القبيلة ومن غيرها فرقا عسكرية عرفت بالسبايس ، كما الفوا فرقا من أحل زواوة عرفت بالزاوف .

التي اعتكرت وادلهمَّت ،وتقدروا ما صنع الله في ذلك من حسن العاقبة حــق قدره ، وتشكروه فهو الجدير بحسن حمد كل انسان وشكره ، ونسأل الله تعالى أن يجعلنا في حيز الكفاية ، وجانب الوقاية ، حتى لا نساء بقريب مامون، ولا ببعيد مظنون .

وفي ليلة الثلاثاء موفي عشرين من جمادى الاولى عام أحد عشر وألف .

ووقفت على رسالة كتب بها المنصور اليه أيضا من فاس مجيبا له عما كتب به اليه في شأن الوباء لما ظهــر بمراكش صانها الله ، هل يفر منــه أم لا ؟ ونصها :

من عبد الله تعالى المجاهد في سبيله ، الخليفة الامام أمير المومنين ، أحمد المنصور بالله ، بن أمير المومنين محمد الشيخ المهدي ، بن أمير المومنين محمد الشيخ القائم بأمر الله الشريف الحسني ، أيد الله بعزيز نصره أوامره ، وظفر عساكره ، وأسعد بمنه موارده ومصادره .

الى ولدنا الاجل الاعز الافضل الابر الارضى الاكمل الاسعد الامجد الاحفل باب أبي فارس . وصل الله تعالى عنايتكم ، ووالى بمنه رعايتكم ، وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

اما بعد فكتابنا هذا اليكم من حضرتنا العالية بالله المدينة البيضاء ، حاطها الله منبئاً عن الخير والعافيــة ، ونعم الله تعالى المتوالية ، لله الحمــد وله المنة .

وانه اتصل بعلي مقامنا كتابكم الاعز عشية يوم الثلاثاء ، فكتبنا لكم صبيحة يــوم الاربعاء ، ولولا أنه وصــل يوم الديوان ما كنا نؤخــر كتب الجواب لكم عن ساعة وصوله في اليوم بنفسه ، حرصاً منا بذلك على المبادرة بوصوله إليكم في الحين .

وإلى هذا أسعدكم الله أول ما تبادرون به قبل كل شي هو خروجكم اذا لاح لكم شيء من علامات الوباء ، ولو أقل القليل ،حتى بشخص واحد، ويبقى في القصبة وصيفنا مسعود مع القائد محمد بن موسى بن أبي بكر ، وتتركون

مئة رام تتقون بها رماتكم مع أصحاب السقيف ، وتوكلون علي الله وتخرجون بسلامة ، ثم لا تعملون كعملنا في الاقتصار على الرملية ، والتقلب بها ، بل لا تزيدون إذا خرجتم على المقام أكثر من يومين ، ثم اطووا المراحل الى أن تنزلوا سلا ، وتدخلوا بها دخول هناء وعافية ان شاء الله تعالى ، وهناك يكون لقاؤنا بكم لقاء يمن وسعادة إن شاء الله ، ثم لا تغفلوا عن استعمال الترياق أسعدكم الله فالزموه ، واذا استشعرتم منه حرارة وتخوفتموها فاستعملوا من الوزن الوصف المعروف منه ، ولا تهملوا .

وأما ولدك حفظه الله فلما كان من سن الشبيبة بحيث يمنعه الحال من المداومة على الترياق ، فهاهي الشربه المعروفة النافعة لذلك قد تركناها كثيرة هنالك عند التونسي، فيكون يستعملها هو والابناء الصغار المحفوظون بالله تعالى، حتى اذا أحس ببرد المعدة من أجلها تعطوه الترياق المرة والمرتين على قدر الحاجة فيعود إليها .

والله تعالى بفضله وبحرمة صفوة خلقه خير البشر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يتولى حمايتكم جميعاً ، ويحلكم من جميل كلاءته ورعايته حصنا منيعا ، وأن يعافيَ البلاد والعباد بمنه وفضله .

والسلعة أسعدكم الله تبادرون بارسالها الينا وكذلك القائد مسعود النبيلي تعزمون بارساله إلى حيث أمرناه بالقيام به من خنق الوادي في سوس وطريق تجظشت ، واعلم أسعدكم الله ، ما قط كان في ظننا ان أمرها يتم ، وبلغ علمنا الكريم أن أهل درن يتحدثون بسببها ، ولكن هذا سبب يكون حجة عليهم ان شاء الله وأنتم تحاولون أسعدكم الله على أن يكون سلوك الناس على طريق بويبان على العادة ، وان تجهدوا في أن تكون إن شاء الله سابلة ، وأولائكم أعني أهل طريق تاجطيشت يسكت عنهم حتى نصل بخير وعافية لتلكم البلاد ان شاء الله تعالى .

ومسألة ايسي الذي كتبنا لكم من خنق الوادي على الزرع وأنه ما عندهم ما يكفيهم منه سوى شهر ، فلقد كنا كتبنا لكم أسعدكم الله على حمل الزرع

اليهم على البحر ، فان كان قد تيسر ذلك فيكون قد بلغ اليهم ، وان لم يكن ذلك قد تيسر فلتأمر ايسي هذا بالتدبير على الزرع ولو بالشراء ، وألزموه عهدته ، وشددوا عليه في أمره .

وخالنا القائد حمّو بن محمد الذي استاذنكم في الخروج عن ذلكم المرض من الحضرة المحمدية (1) فاذا تفاحش فلا عليه في الخروج ويلتحق بأهل تلكم المحلة بخنق الوادي ويترك في القصبة الاندلس مع قائدهم .

ومسألة مومن بن منصور مع هكسيمة (2) التي ذكرتم أسعدكم الله أن مومن المذكور قد تثاقل بدمنات بسبب مرض ألم به حتى جاء به شاوش ، وان أخاه ذلكم المفسود بعث إليه يلتقي معه بتامصلوحت ، فعلى بركة الله ، والحاضر بصير . وهذا موجبه اليكم ، والله يصل بمنه رعايتكم ، والسلام .

في يوم الاربعاء رابع عشر من ربيع الأول النبوي المعظم ، عام أحد عشر وألف ، عرفنا الله خيره وبركته .

وبعد أن كتبنا لكم هذا بلغنا كتابكم ، ونحن نجيبكم عن كل ما تحتاجون إلى الجواب عنه ، والبراءة التي ترد عليكم من سوس من عند الحاكم أو من عند ولد خالكم أو من عند غيرهما ، لا تقرأ ولا تدخل دارا ، بل تعطى لكاتبكم هو الذى يتولى قراءتها ، ويعرفكم مضمنها ، ولاجل ان الكاتب يدخل عليكم ويلابس مقامكم فلا يفتحها الا بعد ان تغمس في خل ثقيف وتنشر حتى تيبس ، وحينئذ يقرؤها ويعرفكم بمضمنها ، إذ ليس يأتيكم من سوس ، والله سبحانه وتعالى أعلم ، ما يوجب الكتمان عن مثل كاتبكم ، وقد طالعنا كتاب ولد خالكم أحمد بن محمد الصغير ، وصح عندنا من فحوى كلامه ما ذكرتم عنه ، من أنه أكثر من خبر الوباء ليجد ذريعة للخروج من سوس ، والذي تامرونه به أنكم تحذرونه من القدوم عليكم لمراكش ، وان ذلك لا يرضينا منه

1) المحمدية هي ردانة (تارودانت) نسبة الى محمد الشيخ القائم بامر الله السعدى ، وبها ضرب غالب السكة السعدية .

2) هي قبيلة كسيمة المجاورة لأكدير .

وكيف يروم الخروج من موضع عيناه له من غير أمرنا لا سيما مع غيبتنا عن البلد ، وانه ان فعل ذلك لا محالة تسقط منزلته عندنا ، ثم لا يعود اليها أبدا الا ان تفاحش المرض بتلكم الناحية ، فلا عليه فى الخروج والتنقل قرب البلد أو يلتحق بمحلة أصحابه الذين بخنق الوادي .

وأما ما ذكرتم عن محمد بن عبد الرحمان الوردي، فقد طالعنا الجريدة التي جرد لكم وتصفحناها ، ورأينا أن جل ما يطلبه بها لا يمكن مع غيبتنا ، والذى نأمركم به في مسألته أنكم تحاولون في رده لموضعه ، لانه بذلك الموضع أليق من أخيه بكثير ، وكل ما يمكنكم من اغراضه المسطرة بجريدته أن تقضوه فاقضوه له ، وما لا يمكنكم عدوه به عند قدومنا إن شاء الله .

وأما أمر أخي أحمد بن الحسن الذي عيناه لجباية درعة ، وذكرتم أنه غير لاحق بها ، وانكم استصغرتموه عن تلك العمالة ، فلا شك انه كما ذكرتم ، لكن إنما وقع الاحسان اليه لأمرين ، الأول : للذمة لأنه بماله ، فلا نخشى إن شاء الله على ما لنا ، الثاني أن خراج درعة سهل معلوم ، ولعله يكره هذه الولاية ويحب الجلوس بداره ويغرى مَن يتكلم فيه عندكم ، فان كان من ذكره عندكم مثل مسعود اوتاودي فاتهمه .

وقد طالعنا في جريدتكم انكم وجهتم مع زرع المعاصير مئة رام ، وهذا الذى ذكرتم ما نعلم انا كتبنا لكم عليه قط ، وانما كتبنا لكم على الزرع تحملونه في البحر بذمة المحلة التي هنالكم بخنق الوادي ، فان كان هو هذا فنحن أردناه للمحلة ، وان كان غيره فعرفنا بقضيته ، فان زرع المعاصر إنما يلزم اليهود والنصارى المكترين للمعاصر .

وفيها ايضا ما أخبركم به أحمد بن محمد بن موسى بخبر ما سقط من القنطرة ، وأنكم عنفتموه على عدم المبادرة ، وقد أشكل علينا الأمر لأنكم لم تعرفوا مقامنا بالساقط هل هو من القديم أو من هذا الاصلاح الذى أمرنا به ؟ فعرفنا لنكون على بصيرة من ذلك .

وفيها أيضاً مسألة أولاد طلحة فدبروا عليهم ، اما من ايسي أو غيره حتى لا يرجعوا الينا شاكين ، وولد ابراهيم ابن الحداد الى الآن لم يصل ، وزمام الأسرى وصل، وأما الدراقة (1) التي ذكرتم فها السلتة (2) المعدة لها عند صاحبة بيت ثيابنا ، فوجه ليوسف العبدي حتى تكلمه وأمره باخراجها من عندها وركبها في موضعها ، ولا تركب التي عندكم بل أمسكوها لانفسكم ، واعلم انى تركت عند أولائك المعلمين ، أعني برگاصو ، سلاتي برسم ابنتنا العزيزة طاهرة صانها الله وكلأها ، وحيث يفرغون من الدراقة أجمعهم عليها كي نجد ذلك طالعاً إن شاء الله ، فانا قد أمرنا بنسج درارق تلكم السلاتي هنا ، والمراد ان نجد السلاتي قد فرغ منها ان شاء الله .

وقصر الخيل مع الحمام حرض المعلمين على المبادرة باشتغالهما ، وحاول أن تسقفوا ذلك البلاط الذى يوالى سور القصبة من قصر الخيل والقبة التي فيه ، لنجده كاملا إن شاء الله عند قدومنا عليكم ، وحتى سوارى الرخام ركبوهم فى تلك الجهة اذا سقفتم ، ولا تزالوا تعرفون بما تزايد من الاشغال في الموضعين المذكورين .

وأوصيكم أعزكم الله ان تتفقدوا فرسنا الأحمر الصغير ولا تتركهم يعطونه القصيل ، ليلا يكثر لحمه ، ويزداد ألمه ، بل انظر له من يركبه كل يوم بل لا تنزع السرج بالكلية عن ظهره بياض النهار كله ، واعطوه لصاحب روض المسرة يركبه في ذهابه وايابه للمسرة أو لداره ، وأوصوه أن لا يركبه غيره ، وأن لا ينزل عن ظهره النهار كله .

وأوصيكم أيضاً أنه إذا ظهر المرض بتلكم البلاد وخرجتم خروج خير وسلامة بحول الله وقوته أن لا تتركوا وراءكم ابنة عمكم والدة ولدنا العزيز بابا عبد الملك حفظها الله . وامر يوسف العبدى ان يخرج لك من عند صاحبة بيت الثياب القدر المحتاج اليه من الترياق الجديد الذي كان بقبة المشور ودخل على

---

1) الدراقة فى العامية المغربية حجاب من نسيج يحول دون رؤية الحريم ونحوه .

2) السلتة ضفيرة من شعر أو حرير ، تكون فى مقدمة الرأس على الناصية ، أو توضع فى حواشى الثياب وغيرها صيانة لها وتزيينا .

أيديكم لدارنا السعيدة ، واستدعوا أم المان قهرمانة الدار واعطه لها برسم دارنا ، وامرها أن تعطيه لهن في كل رابع من اليوم الذى يأكلونه فيه ، وهي أيضا تأكل منه والعبدى يوسف يأكل أيضا منه ، وحتى صاحب السقيف اعطوه منه ، أعني مسعود بن مبارك ، والله سبحانه يرعاكم ويتولى حفظكم أنتم وأولادكم .

وقد استودعناكم الله الذي لا تضيع ودائعه ، وأنتم في أمان الله وحفظه والله سبحانه وتعالى خليفتي عليكم ، أنتم في يمين الرحمان ، وكلتا يديه يمين . والسلام الاتم معاد عليكم ورحمة الله وبركاته .

ونسلم على ولدنا الاعز الارضى باب عبد المالك ، وعلى ابنتنا المرضية سيدة الملك ، ونحن في غاية الاشتياق والتوحش لها ، جمع الله الشمل بكم آمين بحرمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله خير آل ، والسلام .

وقال في (الاستقصا) بعد ايراده ما نصه (1) .

قال مؤلفه عفا الله عنه ، قد وقع في كلام المنصور رحمه الله أمران يحتاجان الى التنبيه عليهما الاول : اذنه لولده أبي فارس في الخروج من مراكش إذا ظهر بها أثر الوباء ولو شيئاً يسيراً ، وهذا الأمر محظور في الشرع ، كما هو معلوم ومصرح به في الأحاديث ، والثاني أمره إياه أن لا يقرأ البطائق الواردة عليه من السوس ، وانما يتولى قراءتها كاتبه بعد أن تغمس في الخل ، وهذا عمل من أعمال الفرنج ومن يسلك طريقهم في تحفظهم من الوباء المسمى عندهم بالكرنتينة (2) .

وقد اتفق لي فيها كلام أذكره هنا تتميما للفائدة ، وذلك انه لما كانت سنة ست وتسعين ومئتين وألف عرض لنا سفر الى حضرة السلطان المولى الحسن بن محمد الشريف أيده الله عز وجل بمراكش المحروسة

---

1) **الاستقصا** 5 : 183 طبع الدار البيضاء .

2) **الكرنتينة** ليست وباء ، وانما هي مدة الحجر الصحي التى كانت تبلغ اربعين يوما ، والكرنتينة معناها أربعون .

بالله ، فخرجنا من سلا أواخر ربيع الاول من السنة المذكورة ، ومررنا في طريقنا على المحب القائد الانبل محمد بن ادريس الجراري بثغر الجديدة ، وهو يومئذ متول لعملها ، فأجلّ قدومنا على عادته حفظه الله في محبة العلم ومَن ينتمي إليه ، وحضر معنا عنده بعض فقهاء الوقت ، وكانت السنة سنة وباء ، فجرت المذاكرة فيما يستعمله النصارى في أمر الكرنتينة من حبس المسافرين ، وشذاذ الآفاق ، عن المرور بالسبل ، والدخول الى الامصار والقرى ، ومنع الناس من مرافقهم وأسباب معاشهم ، وحصل التوقف تلك الساعة في حكمها الشرعي ، ماذا يكون لو أجريت على قواعد الفقه ؟ ثم بعد ذلك بنحو ثلاثة أشهر وقفت على رحلة العلامة الشيخ رفاعة الطهطاوي في أخبار باريز ، فرأيته ذكر في صدرها ، انه وقعت المحاورة بين العلامة الشيخ أبي عبد الله المناعي التونسي المالكي المدرس بجامع الزيتونة ومفتي الحنفية بها العلامة الشيخ محمد البيرم في اباحة الكرنتينة وحظرها فقال المالكي : بحرمتها، وألف في ذلك رسالة ، واعتماده في الاستدلال فيها على أن الكرنتينة من جملة الفرار من القضاء ، وقال الحنفي باباحتها ، واستدل على ذلك من الكتاب والسنة أيضا .

فلما وقفت على هذا الكلام تجدد لي النظر في حكم هذه الكرنتينة ، وظهر لي أن القول باباحتها أو حرمتها منظور فيه الى ما اشتملت عليه من مصلحة ومفسدة ولو مرسلة على ما هو المعروف من مذهب مالك رحمه الله . ثم يوازن بينهما ، وأيتهما رجحت على الاخرى عمل عليها ، فان استوتا كان درء المفسدة مقدما على جلب المصلحة كما هو معلوم في أصول الفقه .

ونحن اذا أمعنا النظر في هذه الكرنتينة وجدناها تشتمل على مصلحة وعلى مفسدة ، أما المصلحة فهي : سلامة أهل البلد المستعملين لها من ضرر الوباء ، وهذه المصلحة كما ترى غير محققة ، بل ولا مظنونة لانه ليست السلامة مقرونة بها كما يزعمون ، وانه مهما استعملها أهل قطر أو بلد الا ويسلمون لا دائما ولا غالبا ، بل الكثير أو الاكثر أنهم يستعملونها ويبالغون في إقامة قوانينها ثم يصيبهم ما فروا منه كما هو مشاهد ، ومَن زعم أن

السلامة مقرونة بهذا دائما أو غالبا فعليه البيان اذ البينة على المدعي ، فنتج من هذا أن مصلحة الكرنتينة مشكوكة أو معدومة ، واذا كانت كذلك فلا يلتفت اليها شرعاً بل ولا طبعاً ، لأنها حينئذ من قبيل العبث . وأما المفسدة فهي دنيوية ودينية ، أما الدنيوية فهي الاضرار بالتجار وسائر المسافرين إلى الأقطار بحبسهم وتعويقهم عن أغراضهم وتعطيل مرافقهم على أبلغ الوجوه واقبحها كما هو معلوم ، وأما الدينية فهي تشويش عقائد عوام المومنين والقدح في توكلهم وايهام أن ذلك دافع لقضاء الله تعالى وعاصم منه، وناهيك بهما مفسدتين محققتين تر تكبان لشيء يكون أو لا يكون ، فان العامة لقصور أفهامهم قد تذهب أوهامهم مع هذه الظواهر فيقفون معها ، ويقعون في ورطة ضعف الايمان عياذا بالله ، فان قلت هذا الكلام فيه ميل الى سوء الظن بالعامة وهم جمهور الامة ، قلت ليس فيه ميل إلى سوء الظن بهم ، وإنما فيه تقرير الخوف عليهم والاحتياط لهم حتى لا نتركهم هملا يفعلون ما شاءوا ، أو يفعل بهم ما يضرهم في دينهم ودنياهم مع ان سد الذريعة قاعدة من قواعد الشرع ، لا سيما في المذهب المالكي ، ولأمرما جاءت الشريعة المطهرة ممتلئة من التحذيرات من مكامن هذه المفاسد ونحوها ، ورد الأسباب والمسببات كلها إلى الله تعالى ، مع ما في استعمال هذه الكرنتينة من الاقتداء بالاعاجم والتزيي بزي الكفرة الضلال ، ورمقهم بعين التعظيم، ونسبتهم الى الاصابة والحكمة، كما قد يصرح به الحمقى من العوام، فأما إذا وافق قدر بالسلامة عند استعمالها فهي الفتنة والعياذ بالله، فأي مفسدة اقبح من هذه ؟ فالحاصل ان الكرنتينة اشتملت على مفاسد كل منها محقق فتعين القول بحرمتها ، وجلب النصوص الشاهدة لذلك من الشريعة لا تعوز البصير.

وقد ذكر العلامة الحافظ القسطلاني في تفسير سورة النساء من الجامع الصحيح عند قوله تعالى : « ولا جناح عليكم ان كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم » ما نصه : دل ذلك على وجوب الحذر من جميع المضار المظنونة ، ومن ثم اعلم أن العلاج بالدواء

والاحتراز عن الوباء والتحرز عن الجلوس تحت الجدار المائل واجب انتهى . وهو يقتضي بظاهره أن الاحتراز عن الوباء واجب بأي وجه كان ، ولا يخفى أنه يتعين تقييده بالوجه الذى ليس به مفسدة شرعية ، كعدم القدوم على الارض التي بها الوباء ونحو ذلك مما وردت به السنة ، ولا تأباه قواعد الشريعة ، كبعض العلاجات المستعملة في أبانه المنقولة عن أئمة الطب ، اما بالوجه الذي يشتمل على مفسدة أو مفاسد كهذه الكرنتينة فلا ، هذا ما تحرر لنا في هذه المسألة والله أعلم .

ولما وقف على هذا الكلام أخونا في الله الفقيه العلامة الاستاذ عبد الله بن الهاشمي بن خضراء السلاوي ، وهو اليوم قاضي حضرة مراكش كتب الي بما نصه : وأما حكم الكرنتينة فهو ما ذكرتم من الحظر ، وبه أقول لما فيه من الفرار من القضاء مع المفاسد العظيمة التي لا تفي بها مصلحتها على فرض تحققها أو غلبة ظن حصولها ، سيما وقد انتفيا بعد التجربة المتكررة في الجهات المتعددة ولا يخالف في هذا الحكم الا مكابر للهوى ، فماذا بعد الحق الا الضلال ؟ ثم جلب حفظه الله من النصوص ما يشهد لذلك تركناها اختصارا والله تعالى الموفق بمنه ، انتهى (I) .

وقال في (النزهة) : كان من خبر الشيخ ما انتهى ذكرنا له قبل ، وانه هرب الى العرائش ، ومنها توجه للعدوة من أرض العدو مستصرخا بالطاغية دمره الله فأبى أن يمده فراوده على أن يترك عنده أولاده وحشمه رهنا ويعينه بالمال والرجال ، فلم يكترث به الى شرط عليه أن يخلي العرائش من المسلمين ، ويملكها للنصارى ، فقبل الشيخ ذلك والتزمه ، وخرج حتى نزل حجر بادس (2)، وذلك في ذي الحجة عام ثمانية عشر وألف .فأقام بها مدة .

I) بهذه الافكار الخرافية للشيخ أحمد الناصرى واخيه العلامة ! ابن خضراء وامثالهما بقى المغرب بؤرة للأوبئة قرونا طوالا والمغاربة ضحايا للامراض جيلا بعد جيل ، وليت هاؤلاء المتخلفين فكريا ، العمى بصيريا ، القاصرين بصريا ، تركوا الدين جانبا فى مثل هذه القضايا ولم يزجوا به زجا وضيعا للاستدلال على صحة احكامهم السقيمة وتصويب نظرياتهم المخطئة حتى لا نتيح الفرصة لخصوم الاسلام باتهامه بما هو منه برىء .

2) **بادس** مدينة صغيرة كانت توجد على ضفة وادى بادس بقبيلة بقوية من قبائل الريف عند مصبه فى البحر المتوسط ، وامامها تقع جزيرة بادس أو حجرة بادس التى تحتلها اسبانيا الى الوقت الراهن .

وكان الشيخ لما خرج فى حجر بادس ، ونزل بلاد الريف ، ذهب علماء فاس وأعيانها كالفقيه القاضي أبي القاسم بن أبي النعيم ، والشريف الوجيه المنيف النزيه إبراهيم الصقلي الحسني وغيرهما لملاقاته وتهنئته بالقدوم ، فلما بلغوه فرح بهم ، وأمر قبطان النصارى أن يضرب بانفاضه أرهابا واظهارا لقوة النصارى الذين استصرخ بهم ، فضربها حتى اصطكت الآذان ، وارتجت الجبال ، ونزل القبطان من السفينة للسلام على الاعيان ، فلما رأوه مقبلا أمرهم الشيخ بالقيام له ، فقاموا له أجمعين ، وجازوه خيرا على ما فعل بالشيخ من الاحسان والنصرة ، وسلم هو عليهم بنزع قلنسوته كعادة النصارى ، وانكر الناس على أولئك الاعيان قيامهم للكافر (I) ، وضربوا بعصا الذل والهوان من الملك الديان ، حتى أنهم في رجوعهم لفاس تعرض لهم عرب الحياينة فسلبوهم ، وأخذوا ما معهم وجردوهم من ملابسهم جميعا ما عدى القاضي أبا القاسم بن أبي النعيم ، فانه عرف بزي القضاء فاحترموه ، ثم انتقل الى قصر عبد الكريم ، فأقام به مدة ، وراود قواده ورؤساء جيوشه ، أن يقفوا معه في تمكين العرائش للنصارى ليفي له الطاغية بما وعده به من النصرة بالمال والرجال ، فامتنع الناس من اسعافه على ذلك، ولم يوافقه على غرضه أحد الا قائده الجرني فانه ساعده على ذلك ، فبعثه الشيخ لها ، وأمره أن يُخليها ولا يدع بها أحدا من المسلمين ، فذهب الجرني فكلم أهلها في ذلك فامتنعوا من الجلاء عنها ، فقتل منهم عدة وخرج منها الباقون تخفق على رؤوسهم ألوية الذل والصغار ، وهم يبكون ، ولما خرج منها المسلمون أقام بها القائد الجرني الى أن احتل بها النصارى ، وذلك في رابع رمضان المعظم من عام تسعة عشر وألف .

I) فى **الديباج** فى ترجمة اسماعيل شيخ المالكية فى وقته المتوفى سنة 282 **فائدة** : دخل عبدون بن صاعد الوزير وكان نصرانيا على اسماعيل القاضى فقام له ورحب به ، فرأى انكار الشهود ومن حضر له ، فلما خرج قال لهم قد علمت انكاركم ، وقد قال الله تعالى : (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين) الآية ، وهذا الرجل يقضى حاجات المسلمين وهو سفير بيننا وبين المعتضد ، وهذا من البر فسكت الجماعة ، انتهى بلفظه ، وراجع ص 225 من ج 2 من حاشية العطار على **جمع الجوامع** ففيه الكلام على التسليم بنحو كيف حالك (مؤلف) .

ووقع في قلوب المسلمين من الامتعاض من أخذ العرائش أمر عظيم ، وانكروا ذلك أشد الانكار ، وقام الشريف أحمد بن ادريس الحسني ودار على مجالس العلم ، ونادى بالجهاد والخروج لاغاثة المسلمين بالعرائش ، فانضاف له أقوام ، وعزموا على التوجه لذلك ، ففت في عضدهم قائده حمو المعروف بابن أبي دبيرة ، وصرف وجوههم عما قصدوه في حكاية طويلة ، وكان الشيخ لما خاف من الفضيحة، وإنكار العامة والخاصة عليه اعطاءه العرائش بلاد الاسلام للكفار ، احتال على ذلك بأن كتب سؤالا لعلماء فاس وغيرها يذكر لهم فيه أنه لما وغل ببلاد العدو الكافر ، واقتحمها كرها بأولاده وحشمه ، منعه النصارى من الخروج من بلادهم بعد أن دخلها ، حتى يعطيهم بلاد العرائش ، وانه ما تركوه خرج بنفسه حتى ترك عندهم أولاده رهنا ، حتى يمكنهم بما أرادوه ، فهل يجوز أن يفدي أولاده من أيديهم باعطائها لهم أم لا ؟ فأجابوه بأن فداء المسلمين سيما أولاد أمير المومنين ، سيما أولاد سيد المرسلين وخاتم النبيئين سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم من يد العدو الكافر باعطاء بلد من بلاد المسلمين للعدو جائز ، وأنهم موافقون على ذلك ، انتهى .

ووقع هذا الاستفتاء بعد أن وقع الاعطاء وما أجاب من أجاب من العلماء عن ذلك إلاخوفاً على نفسه ، وقد هربت جماعة من تلك الفتوى كالامام محمد الجنان صاحب الطرر الشهيرة على المختصر ، وكالامام أحمد المَقّْري مؤلف (نفح الطيب) فاختفيا مدة استبراء لدينهما حتى صدرت الفتوى من غيرهما . وبسبب هذه الفتوى أيضا هرب جماعة من علماء فاس للبوادي كالامام سيدي الحسن الزياتي شارح (الجمل) ، والامام الحافظ أحمد بن يوسف الفاسي ، وغيرهما ، والحول والقوة بالله .

وممن أنكر عليه وأغلظ له في القول : الشيخ الكبير الولي سيدي محمد بن الشيخ علي الحاج ، به عرف ، الغصاوي البقال من أولاد الحاج البقال فانفذ أعوانه ، فأتوا به إلى فاس ، فقتله بها صبرا عام سبعة عشر وألف ودفن بوطا ابن فرقاشة المعروف الآن بالسياج(1)وبنيت عليه قبة.

---

1) وطا ابن فرقاشة او ابن فرقاجة ليس هو السياج ، بل درب قريب منه يمتد من سويقة ابن صافى الى اسفل عقيبة السبع ، به زاوية سيدى احمد ابن ناصر .

ثم ان الشيخ نزل بالفحص ، واجتمعت عليه أمة من أهل الذعـارة والفساد ، والعتو والعناد ، فعتا في البلاد على عادته ، ورحل لتطوان فأخذها ، وخرج منها المقدم أحمد النقسيس هاربا ولم يزل يجول في بلاد الفحص الى أن تمالأ أشياخ الفحص على قتله ، لما رأوا من انحلال عقده ورقة ديانته ، وتمليكه بلاد الاسلام للكفار ، فقتله المقدم محمد بـو الليف غدرا بمحلتـه بموضع يعرف بفج الفرس ، وبقي مطروحا مكشوف العورة أياما حتى خرج جماعة من تطوان فحملوه ودفنوه مع من قتل ، كالدبيريين وبعض أولاده خارج تطوان ، الى أن حمل لفاس الجديد مع أمه فدفنا بها ، وكان قتله خامس رجب سنة اثنتين وعشرين وألف ، ويقال أن قتله كان باشارة من الثائر أحمد بن عبد الله المعروف بابي محلي ، وأنه كتب للمقدم أحمد النقسيس ، والمقدم محمد بو الليف يحضهما على قتله فقتلوه وانتهبوا ماله ، وكان له مال معتبر ، ومن جملة مـا نهب له نحو مُديْن مـن الياقوت ، وباقي ماله وسـق سفينة تركه بطنجة ، فاستولى عليه النصارى لما قتل بجري القدر المحتوم .

وكان الشيخ عفا الله عنا وعنه له مشاركة في العلوم ، ويد في مبادىء الطب ، أخذ عن أشياخ الحضرتين ، وله شعر حسن ، ومن شعره ما رأيت بخط بعض الأفاضل معزواً إليه على سبيل اللغز في قول ابن مالك في الالفية ينصب تمييزا الى آخره :

أسائل قراء (الخلاصة) كلهـم	عن أمر غريب قد بدا ليَ إذ أقرى
على الحال وهو اسم بدا لي نصبه	ألا وهو تمييز فذا أعجب الأمـر

ومن كتابه الاديب الفقيه المشارك المتفنن أحمد بن محمد بن القاضي محمد الغرديس التغلبي ، ووقفت على نسخة من إجازة سيدي محمد بن أبي الحسن الصديقي سبط آل الحسن للسلطان سيدي محمد الشيخ السعـدي اجازة عامة وأجاز بمثلها أهل عصره ليكونوا على مائدته مؤرخة برابع عشر ربيع الثاني عام اثنين وتسعين وتسعمئة .

672) **محمد بن عبد الله الرجراجي** الفقيه قاضي تادلة أبـو عبد الله يستظهر (مختصر خليل) ويقوم عليه أحسن قيام ، وله مشاركة في النحو والأصلين والبيان والمنطق .

أخذ عن أحمد المنجور وأجاز له أبو النعيم رضوان وهو حي مـن أهل العصر ، سألته عن ولادته فضنَّ بذلك عملا بمذهب مالك في ذلك ، وهو من مدرسي مراكش المحروسة ، وعهـدي بالمخدوم أحمد المنصور أمـره باختصار الكشاف والكلام معه في مواضع سقطه ، قاله في (درة الحجال).

وتقدم في ترجمة المنصور أن أبا عبد الله بن عبد الرحمان الرجراجي أمره المنصور بجمع تفسير ابن عرفة من تفسيري تلميذيه البسيلي والسلوي عـنـه .

وقال في (أزهار البستان، في مناقب الشيخ أبي محمد عبد الرحمان) في الباب السابع فيما قاله من الشعر ، أو قيل في حضرته ، أو قيل فيه مما يتضمن ذكر خصوصيته ما نصه : وانشد الفقيه العلامة قاضي مراكش محمد بن عبد الله الرجراجي حين كان في فاس ، قدمها مع الخليفة أحمد المنصـور سنة احدى عشرة والف :

لي واحد خلفت قلبي عنـــــده ... والقلب منه في اتباع ظاعـــــن
يبكي وأبكي للفراق وطالمـــا ... بتنا وقلنا والزمان ليـــــن
فالشوق فيما بيننا متــــردد ... والوجدُ منا للفؤاد طاعـــــن

فأجابه الكاتب سيدي عبد العزيز الفشتالي بقوله :

صبرا أبا عبد الالاه فكلنـــا ... للشوق في جنبيه صدر كامـــن
لسنا نذوق العيش الا مـــرارة ... والماء الا وهو ماء آســـن
انا لنرجو البين ينسخ حكمـــه ... حتى يكون محركا هو ساكـــن

فذيلها سيدي محمد بن عرضون الامام العالم القاضي بقوله :

فوض أمورك للالاه ولا تكــــــن ... متلفتا لسوى الذي هو كائـــــن
فوض وسلم واعتصم صاح فمـــا ... ذا اليسر الا في التعسر كائـــن
والله يعطف قلب مولانا الامـــا ... م محركا منه الذي هو ساكـــن

فقال الشيخ عبد الرحمان صاحب الترجمة مذيلا لذلك ومن خطه نقلت:

وارض رضا يتحفك من رب العلا ... رضوانه فاللطف حتما باطـــن
ودع التلفت للمضى ومقابـــل ... ذاك الهناء وفيه صفو كائـــن
والفوز في حب الالاه وقربـــه ... فهو العزيمة والترخص بائـــن

وقال في (الصفوة) ما نصه :

ومنهم الشيخ الفقيه قاضي الجماعة بمراكش محمد بن عبد الله ويعرف ببوعبدلي الرجراجي ، وكان فقيها مشاركا ، أخذ عن المنجور وسيدي أحمد بابا وغيرهما ، وولي قضاء الجماعة بعد الشاطبي ، وكان من صدور علماء مراكش ، ووقعت له مع فقهاء فاس بحضرة السلطان المنصور مناظرات انجلت عن تحقيقه وتوحده بالبراعة في الفنون .

وقال صاحب (الفوائد) في حقه : المحقق المتفنن النظار الجلد الصابوح المقوال بالحق ، مفتي مراكش وشيخها ، قوي الادراك وافر التحصيل والفهم الشديد ، شديد المناظرة ، صائب السهم ، ورد به المنصور مدينة فاس فقدمه لاقراء التفسير ، فعجب منه علماؤها .

توفي رحمه الله عام أثنين وعشرين وألف ، انتهى (1) .

وقال سيدي عبد الرحمان الفاسي في أول شرحه لنظمه(عمل فاس)عند قوله لوالد القتيل مع يمين البيتين ما نصه : وقد وقفت على خط الفقيه العالم الثقة الضابط سيدي عبد العزيز بن الحسن الزياتي في نوازله مما قيده من خط خاله عم أبينا الامام الحجة العالم الشهير محمد العربي بن يوسف الفاسي رحمهم الله قال : وجدت بخط شيخنا قاضي الجماعة سيدي أبي القاسم بن أبي

1) صفوة من انتشر ص 99 .

النعيم رحمه الله جوابا لكتاب ما نصه : وذكرتم أن ما ادعاه والد القتيل من الدراهم التي هي من جملة المنهوب أنكرها القاتلون ، وطلبتم ما يوجبه الشرع فيها ، فالذي جرت به الاحكام عندنا بهذه الحضرة في هذه النازلة ومثلها ، أن القول قول والد القتيل مع يمينه ، والظالم أحق أن يحمل عليه ، وإن كان المشهور خلافه ، وكم من مسألة جرت العادة بالحكم فيها بغير المشهور للمصالح العامة .

قال الامام سيدي العربي رحمه الله : وما ذكره رحمه الله شاهدنا الحكم به عام قدم الخليفة أحمد المنصور رحمه الله حضرة فاس ، وقد انحشر الناس الى الشكوى بالمظالم ، وكان يحضر مجلسه رحمه الله للحكم فيها علماء فاس ، كشيخنا المذكور ، وشيخنا المفتي سيدي محمد القصار، وشيخنا سيدي علي بن عمران ، وعلماء مراكش سيدي محمد بن عبد الله البوعبدلي وغيره ، والشيخ قاضي شفشاون سيدي محمد بن الحسن بن عرضون رحمهم الله . فكان الحكم يصدر على الوجه المذكور قال : والعام المذكور هو عام أحد عشر وألف ، انتهى .

ونقله أيضا السجلماسي في شرحه ، والشيخ الرهوني في 230 من ج 6 من حاشيته ، وممَّن ترجم المترجم الحضيكي في طبقاته ، وذكره في كناشه أيضا .

ومن تلامذة المترجم محمد الرجراجي مفتي مراكش وقاضيها المذكور يحيى بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم الحاحي .

وقال في (النشر) لدى سنة 1022 ما نصه : محمد بن عبد الله قاضي مراكش رمز له المكلاتي بقوله :

وان ابن عبد الله قل شبيهه   فيالك من قاض زكيٌّ معدل

انتهى ما ذكره فيه ، وداره الى الآن مازالت تعرف بحومة ازبزط بدرب القاضي .

673) محمد (قدار) بن يحيى البوخصيبي

محمد الملقب بكدار بالقاف المعقودة أبن الشيخ يحيى بن علال البوخصيبي العمري المالكي ، قال في (الممتع) بعد ذكره : قال في (المرآة) : كان الشيخ محمد صاحب الترجمة كبير الشأن جليل القدر ، ظاهر الولاية ، شهير البركة ، مقيما لرسوم الشريعة ، متحققا باسرار الحقيقة ، صادق الفراسة ، ثم قال : وكان يطرأ عليه حال لا يستفزه مع ظهور أثره عليه ، حضرته مرة وهو يتكلم بمعارف ، والتفت ألى بعض الحاضرين ، وقال له : أهل دارك حامل ؟ فقال له : لا علم لي ! فقال له : هي حامل وتلد ذكرا ، فكان كذلك ، انتهى .

وكتب الشيخ سيدي يوسف الفاسي كتاباً لبعض أصحابه فجرى في كلامه ذكر فقراء الغرب فقال : ومن أجلهم عندنا سيدي قدار ، انتهى .

وكان رضي الله عنه شديد الاتباع للسنة ، وكان يقال اذذاك الفقير هو سيدي قدار الذي أقام السنة في وسط أزغار ، وكان قوياً في السلوك عظيم الكشف يخبر بالمغيبات والوقائع المستقبلة ، له الاطلاع على ما يفعله الناس مستترين منه ، الا أنه لا يفضحهم ، وكان لا ينام الليل فيقال انه كان من حراس المغرب في وقته ، وبات ليلة عند ابنته وزوجها سيدي عبد الرحمان الفاسي فقال له سيدي عبد الرحمان : ارقد ياسيدي قدار، فقال له : ارقد أنت ياسيدي عبد الرحمان ، اذ أنت محبوب ، أما أنا فلا أرقد ، ادرك أباه فقال له : امش تخدم الرجال ، أما أنا فليس لك عندي شيء ، يعني من أمر الفقر الخاص دون مطلق البركة ، فذهب فدخل مكناسة ، فلقي بها سيدي أبا الرواين ، فحذفه بأصبعيه في عنقه ، ثم مشى لزيارة أبي يعزى ، فقامت به حالة فصار بوابا على سيدي أبي يعزى ، مَن أذن له دخل ، ومَن لا فلا ، ثم رجع الى مكناسة فصحب سيدي سعيد بن سيدي أبي بكر المشنزائي ، ولازمه الى أن مات ، وعلى يديه فتح له ، واليه ينتسب .

ثم بعد موته ذهب الى مراكش فلقي بها سيدي أبا عمرو القسطلي ، وسيدي عبد الله بن حسين بتامصلوحت ، فقال له سيدي عبد الله : كنت تعمل القدور فتتهرس لك ! والآن اذهب لا تتهرس لك قدر ، كأنه يعني الاحوال .

ثم زار شيخه بعد موته ، فخرجت له منه حالة كان يسمع بها كل من تكلم بالمشرق وغيره ، حتى أن من حرك سبحته بالمشرق يسمعها ! وكان يقول : اما هؤلاء العبيد ، يعني الذين بالسودان يصدعوني بمهاريسهم ! يعني التي يهرسون بها الدخن والذرة هناك ، وحكي عنه أنه قال : لو صاحت نعجة ببغداد لسمعتها !

قال في (المرآة) : وكان شديد المحبة والتعظيم للشيخ سيدي يوسف كثير الزيارة له والمجالسة والاستفادة والاستشارة ، وكانت بينهما معاشرة قديمة ، وألفة أكيدة ، وموالاة كموالاة القرابة ، انتهى .

وسمعت سيدنا الامام محمد بن عبد الله بن معن رضي الله عنه يقول : كان سيدي قدار ، وسيدي علي أبو الشكاوي ، وأمثالهما يجلسون قدام سيدي يوسف كالقطط ، يعني متأدبين خاضعين قال : وكان سيدي قدار على جلالة قدره ، اذا تكلم معه يختار ما يقول ، وكان يقول أعني سيدي محمد أبي سيدي قدار : أنه كان في الكشف كالمرآة ، ووقف يوما على سيدي الحسن الزياتي بزاوية سيدي يوسف وكان عزباً فقال : ألا تتزوج ؟ فقال له : ما عندي زواج في الوقت ؟ فقال : أما أنا فقد زوجناك بنت سيدي يوسف وتلد معها أربعة من الولد ، ثلاثة منهم يقرأون ، واحد لا يقرأ ، فكان كذلك ، وكان مرة ولده في السجن مع ابن له ، فبعث اليه : يامحمد اذا أتاك مسرح فلا تخرج ، فاتفق ان كان السلطان الذي سجنهم في محاربة سلطان آخر ، فلما عاينوا الهزيمة بعثوا الى من بالسجن أن يذبحوا ، فكل من خرج ذبح ، ولم يخرج ولده ، وخالفه ابن عمه فخرج فذبح ، ثم دخل الملك الآخر فسرحهم وسلم ولده ، وكان يوما فقيرا يتواجد قريبا منه فجعل يقول : ان السلطان زيدان سيجيء لهذه البلاد ، ويكون ويعمل ويعمل ، فقام بعض الحاضرين إلى سيدي قدار فقال له : ألا تسمع ما يقول فلان ؟ وكان الشيخ قد ثقل سمعه لكبر سنه ، فقال له : فما يقول ؟ فأخبره فقال له : الريح ومد عليها أن زيدان لما دخل لفاس ، واطلق فيها السبيل غار مولاي ادريس على بلده فضربه ركلة صيرته وراء أم الربيع ، أو

قال وادي العبيد ، فلا يخوضه أبدا فكان الامر كذلك . ثم لا أدري كيف ذكر له الشيخ المامون فقال له الشيخ : ثم دق أوتاده أهل الله ، فهنالك يبقى إلى أن يموت ، فلم يعدُ موضعه الى أن مات به .

وتوفي صاحب الترجمة رضي الله عنه يوم الأحد سادس ربيع الأول عام أربعة وعشرين وألف ، وسنه مئة عام وعام واحد ، وبنيت عليه قبة عظيمة قريبة من خلوة أبيه رضي الله عنهما .

قال في (المرآة) : وطال عمره كثيرا فنفع الله به خلقا كثيرا.انتهى .

ومن كراماته ما ذكره في (ابتهاج القلوب) : سمعت من جماعة أن ولده محمد الاكبر اشتهى عنبا في غير وقته ، وهو صبي ، فأخذ يبكي عليه ، فقال : سيدي كدار يامَن يأتي بالعنب ، فبينما هم ينظرون وإذا بدابة عليها سلل آتية وحدها ، فأخذوا ما عليها فوجدوه حمل عنب في غير وقته ، وأخبر يوما أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فشكا اليه أولاد مطاع لما رآهم عليه من الفساد في الارض ، فقال لهم : يأتيهم أحمد فكان كذلك ، أتاهم بالقرب السلطان أحمد الذهبي ففل عروشهم ، وفرق جموعهم ، وكراماته أكثر من أن تحصى ، وما في نسخة الطبع من (نشر المثاني) من أنه ولد عام ستين وتسعمئة سبق قلم (1) .

674) محمد بن علي السجتاني الفاسي

محمد بن علي السجتاني المعروف بالفاسي ، لأنه قاد الاستاذ الكفيف محمد بن علي الجزولي الانسوي المتقدم الترجمة ، المتوفي عام 1009 من مراكش الى فاس ، حين يقرأ عليه ، ورده كذلك الى مراكش وحمل الطرق العشر من مشيخة فاس .

قال في (الفوائد الجمة) : قرأت عليه صدرا من الشاطبية وأوائل الاصول ، ولم يزل في قيد الحياة حفظه الله .

---

1) ليس في ترجمته من **نشر المثاني** المطبوع 1 : 126 شيء من ذلك .

675) محمد المامون التونسي

محمد المامون بن الحاج الابر محمد بن محمد التونسي المراكشي ، الفقيه العلامة الدراك أبو عبد الله الحفصي نسبة الى بني حفص ملوك افريقية ، وهم ينتسبون لمولانا أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه حسبما ذكره الشريف الغرناطي في (شرح المقصورة) ، والذي عند ابن الخطيبفي (رقم الحلل) ان نسبتهم انما هي لعبد الواحد بن أبي حفص عمر بن عبد الواحد أحد أصحاب الامام المهدي ،وأنهم من هنتاتة قبيلة من البربر من ولد صنهاج ابن عاسل ، انتهى .

وكان جد صاحب الترجمة قدم على السلطان محمد المهدي حين أخرجهم الاتراك من تونس ، واستولوا على مملكتها ، ففرح به السلطان المذكور، وظن انه قصده يطلب المعونة منه على الاتراك ، فاختار المسكنة ، ولم يزل عنده في الحظوة الى أن توفي ، وولد صاحب الترجمة في حدود ثلاث وألف بمراكش ، ونشأ في عفاف وصيانة ، ولازم المجالس ، واعتنى بالمطالعة ، وأخذ عن عدة من الاشياخ ، كالقاضي عيسى بن عبد الرحمان ، وأحمد الحريري ، وأبي بكر السجتاني وغيرهم .

ونجب على صغر سنه ، فتبحر في العلوم وتضلع بالفنون الى أن اغتال بدره السرار ، فتوفي وهو في ريعان الشباب لم تذبل زهرة شبيبته ، ولا تقلصت ظلال حداثته ، في يوم الاثنين والعشرين من شوال سنة سبع وثلاثين وألف بعد أن مرض عشرين يوما . وله شرح (الصغرى) و (الكبرى) ، وهو شهير بايدي الطلبة وكان ينشد :

اذا ما تولى صديقك خطـــة ؟ ولا سيما ان كانت الخطة القضا
فكن قانعا منه بمعشــار وده ولا تطمعن في الوداد الذى مضى

ترجمه في (الصفوة) ، و (طبقات الحضيكي) ، وطبع شرحه على الصغرى عام 1324 بمطبعة أحمد اليمنى بفاس .

676) محمد بن محمد العقاد المكي (1)

محمد بن محمد أبو الفضل العقاد المكي الشريف ، كان أديباً ، فاضلا، ناظما ، فكاهة ، فمن شعره رحمة الله عليه (2) :

لا وفرع كدجا الليل غسق — وجبين ضوؤه ضوء الفلق
ومحيا كلف البدر به — وخديد من حواليه شفق
ما أرى الغزلان الا سرقت — منه جيدا والتفاتا وحدق
ثم خافت فتولت شردا — كيف لا يشرد خوفا من سرق

وقد مدح مولانا بموشحة عجيبة عارض بها موشحة ابن الخطيب وابن سهل ، الا اني لا أذكرها الآن ، وقد عارضه مولانا في الابيات المذكورة ، ويد مولانا في ذلك أطول من يده وكذلك كتبته ، وشعراء الوقت بمعارضات كبيرة ، كل ذلك ضاع مني في محنتي .

انتهى من (المنتقى المقصور) .

قلت : أما موشحته المذكورة فقد تقدمت مع معارضتها لبعض المراكشيين في ترجمة أحمد المنصور .

قال في (سلافة العصر) ما نصه : أبو الفضل بن محمد العقاد المكي هو وان لقب بالعقاد ، حلال مشكلات القريض بذهنه الوقاد ، وسار سير الشمس من المشرق الى المغرب . منتجعا سلطانه المنصور بشعره المطرب ، فوفد على حضرته السامية ، ووزد مناهل كرمه الطامية ، فصدح بشعره شادياً في ناديه ، ونال به مغانم من أياديه .

---

1) ترجم المؤلف لابن العقاد مرتين : مرة مع المحمدين ، ومرة أخرى فى حرف الفاء مع آباء الفضل ، وقد لفقنا الترجمتين وجعلناها ترجمة واحدة كما هو الواجب .

2) نسب الابيات فى **سلافة العصر** للشيخ قطب الدين الحنفى المكى كما سياتى .

ولرابح بن عبد الصمد المديوني الفشتالي في المترجم :

أكل هجين أبعدته يد النـــوى ... يلوذ بأبواب الورى يتكفـــف
وكل زنيم جاهل قدر نفســـه ... يزاحم أهل البيت كي يتشـــرف

انتهى المقصود منه بلفضه ، ونقله عنه في (خلاصة الاثر) أيضاً .

غـريـبـة

قرأت في (سلافة العصر) في ترجمة الامام الشهاب الخفاجي ما نصه :

ومن شعره :

لا وغصن راق للطـــرف ورق ... وعليه حلل الظـــرف ورق
وشموس لم تغب عن ناظـــري ... والشعور ألّيـَل' والخد الشفـــق
وعيون حرمت نومي ومـــا ... حللت لي غير دمعـــي والارق
ما احمرار الراح إلا خجـــل ... من رضاب سكرت منه الحـــدق
والذي قد حسبوه حببـــا ... فوق خد الكاس قطرات العـــرق

وهو على منوال قول الشيخ قطب الدين الحنفي المكي ، المتوفـي سنة تسعين وتسعمئة .

لا وفرع كدجى الليل غســـق ... وجبين ضوؤه ضوء الفلـــق
ومحيا كلف االبدر بـــه ... وخدود من حواليها شفـــق
ما أرى الغزلان الا سرقـــت ... منك جيدا والتفاتا وحـــدق
ثم خافت فتولت شـــردا ... كيف لا يشرد خوفا من ســـرق

وأبيات الشهاب الخفاجي المذكورة قد أنشدها صاحبها في (الريحانة) في ترجمة أحمـد المنصور ، بعد أن أنشد أبيات المنصور المتقدمة .

ثم قال :

وللقطب المكي على منوالـــه ... (لا وفرع كدجى الليل غســـق)
الى آخر الابيات الاربعة .

ثم قال :

ومما نسجته على منواله (لا وغصن راق للطرف ورق) ، فقد نسب هذه الابيات المنسوبة لصاحب الترجمة للقطب المكي ، وأما معارضة القافية المذكورة فقد وجدت بكناش عليه خط سيدي المعطي صاحب (الذخيرة) ما نصـه :

الحمد لله ، وجدت مقيدا بخط حسن ما نصه :

الحمد لله

لصاحبنـا الشريف محمد بن العقاد المـكي يتغزل ، ودفعها الـى السلطان مولانا أحمد المنصور بالله الشريف أيـده الله ، وذلك أول مـا قدم بحمراء مراكش .

لا وفرع كدجا الليل غسـق	وجبين ضوؤه ضوء الفلـق
ومحيا كلف البدر بـه	وخديد من حواليه شفـق
ما أرى الغزلان الا سرقـت	منه جيدا والتفاتا وحـدق
ثم خافت فتولت شـردا	كيف لا يشرد خوفا من سـرق ؟

فاعطاه ألف أوقية نقدا ومركباً وخلعات أحسن الله إليه .

ولمولانا السلطان المذكور أيده الله معارضاً ، وهو لعمري من نظـم الملـك .

لا وطرف سلب السيف الفرنـد	في قوام كقنا الخط نهـد
ووميض لاح لما ابتسمـت	فرأينا منه درا وبـرد
ما هلال الافق الا حاسـد	لعلاها وبهاها والغيـد
ولذا عاش قليلا ناحـلا	كيف لا يفنى نحولا من حسـد

وعارضها صاحبنا الاديب امام الدين بن محمد الخليلي الشامي فقال :

لا وحبي وهواه والـذي	ارتجى من وجهه حسن النظـر
وعيون ناعسات ذبـل	ووجيه ضوءه يحكي القمـر

وخصير مثل جسمي ناحــــل ... ورديف مثل همي في الكبــــر
ما خلا قلبي منه ساعـــة ... كيف يخلو وهو في قلبي استقـر
واذا ضاق خناقي ليس لـــي ... ملجأ مما أقاســـي ووزر
غير مدحي للامام المرتضـــى ... أحمد المحمود من نسل مضـــر
مجزل النعماء في كف الفقـــرا ؟ ... رافع اللواء اذا الخطب خطـــر
دام عزا وعلوا وارتقـــا ... ما دحى صبح ظلاما وسفـــر

ولا شك أن هذا الناقل من أهل عصر المترجم .

وقوله: أعطاه ألف أوقية نقداً إلى آخره، في(النزهة)ما نصه: ومن جوده يعنى – المنصور – أنه أعطى الشريف الاديب الفاضل محمد أبا الفضل المعرف بابن العقاد المكي نحو أربعة آلاف أوقية دون الخلع والكسي التي كان يخلع عليه أيام الاقامة ، ودون الكتب التي منحه ، وكتب له كتابا لخاقان ملك الاتراك يوليه القضاء باليمن ، فنفذ له ذلك خاقان كما اشتهر ، انتهى المقصود .

وتقدمت قضية امام الدين الخليلي في اجتماع المترجم معه ، وشريف آخر مدني عند المنصور ، وما قاله الخليلي في ذلك في ترجمة أحمد المنصور أيضا ، فراجعها .

وقوله : (لعلاها ونهاها والغيد) ، هكذا وجدته ، وهو كذلك فـي (الريحانة) و (الخلاصة) ، وتقدم في (نفح الطيب) أنه أنشده هكذا :

ما هلال الافق الا حاســـد ... منه حسنا وعلاء وغيـــد

وحكى هذه القضيـة على غير هذا الوجـه ، ونسب ذلك للخليلـي فراجعه ، وقد جعل في (النزهة) أيضا القائل أولا هو المنصور ، والقائـل ثانيا هو الخليلي : لا وفرع كدجا الليل غسق الخ ، وهو غلط ، فالأبيات التي أولها لاوفرع الخ لابن العقاد المترجم كما لابن القاضي ، وتقدم ما فيه ، وأما معارضة الخليلي ، فهي التي تقدمت (لا وحبي وهواه والذي) الخ .

وقال في (خلاصة الاثر) : وكانت وفاة أبي الفضل العقاد في حدود الثلاثين بالظن القريب لما استفيد من أحواله والله أعلم رحمه الله تعالى، انتهى (1).

677) محمد بن أحمد ابن مليح السراج

محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن محمد القيسي الشهير بالسراج الملقب بابن مليح (2) المراكشي الشيخ الفاضل العالم العلامة ، وقفت له على رحلة حجازية سماها (أنس الساري والسارب ، من أقطار المغارب ، الى منتهى الآمال والمآرب ، وسيد الأعاجم والأعارب) صلى الله عليه وسلم (3) أولها : الحمد لله الذي عقد أزمة أزرار ثوب الوجود بحكمته الخ ، ضبط فيها رحلته ونقلته ، وذكر مبتداها بالنص على عدد المراحل ، وأسماء المناهل .

وكان ارتحاله من مدينة مراكش في آخر صفر سنة أربعين وألف مع الشيخ الافضل النبيه الاكمل البركة الاحفل ، رئيس الركب الحجازي ، القدوة الكامل ، سيدي محمد ابن الحاج الابر ، نجل الولي الاكبر سيدي عبد العزيز بن سيدي محمد بن أبي عمرو ، ثم زار أبا العباس السبتي ، ثم زار رجال أغمات ابن سعدون ، وابن عبد العزيز التونسي ، وأبا محمد الخزرجي ، وأبا محمد بن ويجلان ، ثم أبا العباس الهواري ، وأبا يعقوب المرادي ، وأبا محمد عبد العزيز الباغي ، وميمون الوريكي ، وأبا الحسن الهواري ، وأبا يحيى الصنهاجي ، وأبا علي الاندلسي ، وأبا عبد الله الهزميري .

ومن أغمات سافر الركب لتكانة ، ثم قصبة الكلاوي ، ثم لتسايوت ، ثم لقصبة الشيخ علي الزينبي ، ثم ورزازات يوم مولد الرسول ، ثم لتفرنين درعة بمزكيطة ازاء قصبة الشيخ محمد بن ناصر ، فقام بضيافة الركب ،

---

1) تنظر ترجمة العقاد أو ابن العقاد هذا في **جذوة الاقتباس** ص 326 ع 345 طبع الرباط ، **ودرة الحجال** 2 : 238 ع 699 طبع تونس .

2) ابن مليح بالميم ، هكذا في النسخة من الرحلة المذكورة ، وذكر الشيخ أحمد بن العربي ابن حسون لما نقل عن المترجم انه ابن فليح وكتبه بخطه بالفاء ولم يضبطه بالقلم (مؤلف) .

3) طبعت بفاس عام 1388 هـ (1968 م) بتحقيق الاستاذ الوزير السيد محمد الفاسي .

ثم قصبة السلطان تنزولين ومروا على خنق كتاوة ، ثم بلاد توات ، وفيها لقي سيدي محمد بن الشيخ أحمد بابا السوداني ، والفقيه النجيب السيد الاريب البركة الصالح القدوة الناصح سيدي محمد بن عبد العزيز الدرعي ، من تلامذة الشيخ أحمد بابا المذكور ، وقرأ عليه بمراكش ، ورافقاهم الى الحج ، والتقى مع الولي الصالح سيدي علي بو دربالة ، ثم بلاد سيورة ، قال فيها : تشبه جناتها جنات بلدتنا مراكش ، فيها من جميع الفواكه مختلفة الالوان ، ثم الى النيل المبارك بعد مشقات هائلة ، حيث ضلوا عن الموارد المعتادة ، ثم بلاد مصر والقاهرة ، فدخلوا مصر ضحوة يوم الجمعة 13 شوال من سنة أحدى وأربعين وألف ، فمكثوا في سفرهم من مراكش الى مصر عاما كاملا ، ونحو ستة أشهر ، وقد صار الانسان يقطعها اليوم بحراً وبراً في نحو تسعة أيام .

وفي مصر يقال :

لعمرك ما مصر بمصر وانمـــا هي الجنة الدنيا لمن يتبصــــر
فأولادها الولدان والحور عينهــا وروضتها الفردوس والنيل كوثــر

وحضر في أزهرها عند العلامة سيدي علي الاجهوري في درس رسالة ابن أبي زيد ، ومن علمائها المالكية سيدي أحمد الكلبي ، وسيدي أحمد ومحمد ولدا سيدي ابراهيم اللقاني ، وذكر مشهد سيدنا الحسين وسيدتنا نفيسة بنت زين العابدين ، وسيدي خليل ، ثم مشاهد القرافة .

وممن زاره هناك قبر السيد الفاضل ، والولي الصالح القدوة الناصح سيدي أبي عمر القسطار المراكشي المنشأ والدار ، مات رحمه الله وهو متوجه مع إخوته لحج بيت الله الحرام وزيارة قبره عليه الصلاة والسلام ، ودفن بمقبرة المجاورين .

ثم خرجوا من مصر في 27 شوال المذكور ، فسلم شيخ الركب المراكشي أمر رئاسة الركب لمفتي الديار المصرية سيدي أبي الحسن النفاتي فمروا على عجرود ، وعقبة أيلة وقصبتها ، وفيها تلتقى الركبان من أرض الشام

وغيرها ، ثم لقصبة المويلح ، ثم لقصبة الوجه ، ثم للينبع ، ثم بدر ، رابغ ، ثم دخلوا مكة يوم السابع من ذي الحجة . ثم بعد الحج والعمرة أرتحلوا من مكة فوصلوا المدينة المشرفة يوم الجمعة ثالث محرم سنة اثنين وأربعين وألف .

وهنا ذكر المؤلف هدية السلطان المولى الوليد بن زيدان السعدي ، وهي حسكتان من عسجد ، مركبتان على يواقيت من زبرجد ، وزن كل واحدة منهما أربعة أرطال من ذهب ، وحسكتان من فضة خالصة ، وزن كل واحدة منهما عشرة أرطال ، وصندوقان مملوآن بشمع العنبر ، وعشرة آلاف من الذهب المطبوع ورسالة وقصيدة ، ففتح له باب الروضة ، فدخل حتى وضع جميع ذلك، ووضع الرسالة والقصيدة بعد فض ختامهما ، وقرئت بمرأى من سيد البشر ، ودفع المال لحراس الروضة وسدنتها ، وفي كل ليلة يركب شمع العنبر في تلك الحسك وتوقد من المغرب الى الصباح ، وكتب في دارتي حسكتي الذهب بخط أخضر :

متع لحاظك في محاسن منظري ... لترى عجائب مثلها لم يعهد
قمر على غصن الزبرجد قائم ... ينبئك عن حب الوليد لاحمد

وكان خروجهم من المدينة المنورة بعد أن زاروا المشاهد يوم الاثنين السابع من المحرم من السنة المذكورة 1042 ، وبقي مجاورا رئيس الركب المغربي سيدي محمد بن عبد العزيز بن سيدي محمد الكبير نجل سيدي أبي عمرو ، ولحق المؤلف بالمحلة التونسية ، وقدم عليهم الاصيل الاثيل ، ذو المفاخر العلية ، والهمم الرفيعة السنية ، والاخلاق الطيبة الرضية ، السيد الخير الكوكب النير ، الخلاصة البركة الميمون السكون والحركة ، سيدي محمد بن أحمد بن عبد الواحد ابن الشيخ أبي عمرو القسطلي ، وتلاقوا بأهل مصر في مرسى المويلح في محلة عظيمة ، ثم انصرفوا عنهم لعيون القصب ، وفي عقبة أيضا التقوا بأهل غزة ، وكانت محل اللصوص ، فافلتوا منهم بحلية .

ثم دخلوا مصر يوم الجمعة ثاني صفر من السنة المذكورة ، فظن أهل مصر أنهم لم يحجوا حيث وفدوا عليهم قبل الوقت المعتاد ، واجتمع من أهل

مراكش هناك الصاحب النجيب الحسيب الاريب الفقيه سيدي الحاج محمد بن الفقيه سيدي أحمد الخطيب ، وأقاموا بالقاهرة خمسا وخمسين يوما ، وخرجوا من مصر يوم الاحد السابع من ربيع النبوي ، وعدلوا عن الطريق الاولى وسلكوا طريق الفقهاء ، الا أنها لا يسلكها الركب الا اذا مطرت لكونها ليس بها آبار، ثم توات، ولقوا سرية جاءت للساقية الحمرا لنهب ابل المرابط سيدي علي نجل سيدي أحمد بن موسى ، فلم يظفروا منها بشيء ، ووفد عليهم وفد الجراوة بخنق وادي الساورة ، وساروا معهم الى أن وصلوا تبلبالت ، ثم وادي درعة يوم السبت الثالث من شوال سنة اثنين وأربعين وألف ، ثم ورزازات ، ثم قصبة الگلاوي ، ثم تكانة ، وهناك تلقتهم الاهل والاحباب ، وذكر هنا ترجمة الشيخ سيدي أبي عمرو القسطلي ، ونقل بعض كلامه .

ثم عدد المراحل من مراكش الى المدينة المشرفة ، فمن مراكش الى مزگيطة احدى عشرة مرحلة ، من أول درعة الى منتهاها عشر مراحل ، منه لتبلبالت عشر مراحل، من تبلبالت لتوات ثلاث عشرة مرحلة، في قرى توات من أولها الى آخرها خمس مراحل ، من آخر توات لبلاد فزان ثلاث وخمسون مرحلة ، في معمور فزان ثلاث عشرة مرحلة ، من فزان لوجلة سبعة عشر ، من وجلة لسيورة أربع عشرة مرحلة، من سيورة لبحر النيل ست عشرة مرحلة، من مصر لمكة خمس وثلاثون مرحلة ، منها للمدينة المشرفة احدى عشرة مرحلة ، الجميع مئتا مرحلة ، فيها عشرة كراريس من القالب الرباعي مسطرة 20 ، وهي في المكتبة الكتانية بفاس عدد 3152 ، المراحل 198 على حسب جمع ما ذكر فيها ستة أشهر ونصف ، ومدة الاقامة خمسة وعشرون شهرا ونصف، ومجموع هذه الغيبة 32 شهرا ثلاث سنين عدى أربعة أشهر ، صار الانسان يدرك هذا اليوم في قريب من شهرين فقط (1) .

678) مَحمد (2) **بن أبي بكر الصنهاجي الدلائي** الشيخ الكبير القدر الامام الشهير أحد صدور مشايخ المغرب ، انتهت اليه رياسة الدين

---

1) وصار يدركه اليوم فى اقل من يوم وليلة ذهابا وايابا .

2) بفتح الميم كما ياتى (مؤلف) .

والدنيا ، فأحسن السيرة فيهما مع المشاركة في جميع الفنون سيما علم التفسير وعلم الحديث ، فله فيه اليد الطولى والباع المديد .

قال الشيخ سيدي أحمد بن علي في (بذل المناصحة) في حقه ما صوته : سيدي محمد بن أبي بكر العالم المعقولي ، الجهينة الاصولي العلامة الهمام والرئيس الاسعد الذي امتدت أليه اعناق الخلائق للعطاء منه ، وقد بسط رحمه الله يده في ذلك ما استطاع ، حتى عز القاصد لزيارته في الله عز وجل ، وانما يقصدونه فيما ينالون من يده حتى أن من لم يرضه يطلق فيه اللسان ، لقلة الانصاف من الانسان ، يعرف صحيح البخاري وأتقن ضبطه ، لقيته وتذاكرت معه عقيدة الواحد لا يتغير فعله .

وذكر لي سيدي عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم المتقدم عنه انه قال له رضي الله عنه : بأي وجه اسقط لفظة افضل من قولنا ؟ جزي الله عنا نبينا محمدا ما هو أهله ؟ فقلت له : ان سيدي محمد بن ابراهيم صاحب تمزت هو الذي نبه أولا على ذلك ، ووصل اليه الشيخ سيدي عبد الله بسبب ذلك ، حتى تكلما في ذلك ، وبين له وجه فساد تلك اللفظة فقال لي : ليس لهم لها وجه لمنعها إلا أن يكون من جهة الرواية ، وأما من جهة الصناعة فلا تمتنع بالكلية ، ثم استشهد بقول ابن مالك : وأفعل التفضيل صله ابداً ، فقلت له وبعد ما بلغت القضية لسيدي أحمد بابا وافق على المنع ، فقال : لا يكون ذلك لهم الا من جهة الرواية ، انتهى .

وقال في (المرآة) : صاحبت صاحب الترجمة سنين في محبة خاصة ومراعاة تامة ، استفدت منه من الفوائد والنكت ما لا يحصى ، أخذ على سبيل سلب الارادة والانتساب ، عن أبي عبد الله الشرقي المتقدم ، وعن أبيه ، وزار ابن المبارك الزعري ، وعيسى بن علي البركي ، وحج سنة خمس وألف ، فلقي الشيخ زين العابدين البكري ، ولازمه مدة اقامته بمصر واستفاد منه .

وحدثني أن شيخه الشرقي المذكور أخذ عن سيدي محمد بن عمر المختاري وانه قال له : كنت مع سيدي محمد بن عمر مثل والدك معي ، وقال لي : طبق الباب ، وقل انت لسيدي أبي بكر : طبق الباب ، فقلت له : ما يعنون بذلك ؟ فقال : التقليل من الجموع .

ولما زار والدك أبا الطيب الميسوري كان معه ولد سيدي أبي بكر ، فقال له أبو الطيب عند أبيه ما يكفيه ، انتهى .

وكانت لصاحب الترجمة زاوية عظيمة لم يعهد مثلها في البلاد المغربية منذ أزمان ، حتى قيل إنه كان ربما أطعم في بعض الأيام بخمس وعشرين غرارة من الزرع ، وأما السمن فاتخذ لـه ينابيع ينصب لها من قواديس جالبة له من قدور نحاس كبار معدات لذلك ، وهذا أمر لم يسمع به من أحد .

وكان صاحب الترجمة رحمه الله رقيق الحاشية، وفي آخر عمره ربما كان ينصت للسماع ويتأثر له ، فانهى ذلك للسيد أحمد بن القاضي أبي محلي فكتب له بهذا البيت :

عهدتك ما تصبو وفيك شبيبـــة   فما لك بعد الشيب أصبحت صابياً

فأجابه ببيت :

نعم لاح برقالحسن فاختطف الحشا   فلبيته من بعد ما كنت آبيـــا

وأخذ عنه رحمه الله الشيخ ميارة ، وأحمد المَقْري ، وابن عاشر ، والبوعناني وغيرهم ، وتوفي عام ستة واربعين وألف ، ودفن بالدلاء قرب روضة والده ، وبني عليه السلطان مولاي محمد الشيخ بن زيدان قبة حافلة البناء ، متقنة الصنعة، وفي ذلك يقول الشيخ العلامة سيدي محمد بن سعيد المرغيثي مما نقش فيها :

هذا ضريح التقي والمجد والكرم   هذا الولي الوفي العهد والذمـــم
هذا المحب لاهل البيت قاطبـــة   محمد بن أبي بكر الرضى العلـــم

قد صار في رجب لله عام مشـــوا　　به الى جنة الرضوان والنعـــــم
من أجل ذا قام في تشريف روضته　　محمد الشيخ مولى العرب والعجـم

وفي مرض موته رحمه الله جمع عليه أولاده ، ونصحهم وقال لهم فيما أوصاهم به : يابني أن الله عز وجل أخبرني عن قول طالوت لقوله : « ان الله مبتليكم بنهر ، فمن شرب منه فليس مني ، ومن لم يطعمه فانه مني الا مـن اغترف غرفة بيده » وأنا أقول لكم الا من اغترف غرفة بيده يشير لهم بذلـك لما سيفتح عليهم بعده من أمور الدنيا ، وما ينالونه من الملك والرئاسة ، فكان كما أخبر به رحمه الله ، والصالحون اذا حذروا من شيء وقع ما حذروا منه ، وقد اعترض عليه بعضهم في قوله : وأنا أقول : حيث قابل كلام الله بكلامه ، وأجاب عن ذلك حفيده شيخنا العلامة محمد بن أحمد المسناوي بن محمد بن أبي بكر حسبما حرره في رسالة معلومة لذلك .

انتهى من (الصفوة) .

وقال في (البدور الضاوية) : أتى سيدي أبو بكر الدلائي بولـده سيدي محمد لسيدي أبي عمرو ، ووجده ينتظره خارج مراكش ووضعه فـي حجره ، فأذن في أذنيه ، ودعا له بالبركة فيه ، ثم زاره ثانيا وهو صبي صغير من سبع سنين فدعا له بخير ، انتهى .

وتقدمت ترجمة والده أبي بكر في حرف الباء .

وفيه وفي ولده المترجم ألف سيدي عبد السلام القادري (نزهـة الفكر ، في مناقب الشيخين سيدي محمد ووالده أبي بكر) .

679) **محمد بن موسى الأديب**، به شهر، **الحامدي** نزيل مراكش وأفضل المنتصبين لتحمل الشهادة ، توفي عام 1047 .

ذكره في (بشارة الزائرين) .

680) محمد بن يوسف التاملي السوسي

محمد بن يوسف بن أحمد بن زكرياء التاملي السوسي أصلا ، المراكشي دارا ومنشأ ، الشيخ الاستاذ المجود الاديب الفهامة ، معلم الملوك المالكي أحد فقهاء المغاربة الممتطين سنام الفضل وغاربه ، عالم ماضي شبا السنان والقلم ، وعلم فضله أشهر من نار على علم ، له في الادب يد لا تقصر عن ادراك غاية ، وباع تلقى راية البلاغة ، فكان عرابة تلك الراية ، وكان من المهرة في فن القراءات ، مشهوراً بالاتقان وجودة الضبط .

أخذ بفاس عن سيدي الحسن الدراوي ، ومحمد بن يوسف الترغي ، والشيخ محمد الصغير المستغانمي وغيرهم كأحمد المقْري ، وقد ذكره في كتابه (فتح المتعال) ، وذكر قصيدة له يطلب منه الاجازة ، وأجازه في سنة ست وعشرين وألف ، لما قدم من مراكش الى فاس :

أموقظ جفن الدهر من بعد ما غفى — وباسط كف البذل من بعد ما كفا
ومحيي رسوم الاكرمين التي عفت — ومحيي معين الفضل من بعد ما جفا
اجزني بما قد قلته ورويتـــــه — ففضلك ياذا الفضل قد حير الوصفا

فأجابه بهذه الابيات :

أمشكاة أنوار القـــراءة والادا — وساحب اذيال الكمال على الاكفا
وحائز اشتات الفضائل اذ غـدت — مفاخره في اذن مغربنا شنفـــا
بعثتم بطرس بل بروض بلاغـــة — تعطرت الارجاء من نشره عرفـــا
واملتم أعلا الالاه مقامكـــــم — وألبسكم من عزه الطرف الاضفى
من القصار الباع الضعيف اجـازة — ألم تعلموا ان الصواب هو الاعفـا
ولست بأهل ان اجاز فكيــف ان — ان أجيز على ان الحقائق قد تخفى ؟
فأضواء فكري أظلمتها حــوادث — فآونة تبدو وآونة تخفـــــى
ولولا رجائي منكم صالح الدعـــاء — لما سطرت يمناي في مثل ذا حرفا

قال المَقّري : وقد كتب إليّ صاحبُ الترجمة بعد ما رجع من فاس الى مراكش بعد ما وصلها وهو يقول : ولا زائد على ما نعرفكم به سوى ما ألهم الله بفضله من معاطاة كؤوس القراءات مع طلبة هذه الحضرة ، ولقد خرجوا للقائي متعطشين لمرحلة عن مراكش ، في جمع كثير ، أزيد من ثلاثمئة طالب، وقد بدأت مع الطلبة بالمدرسة الغالبية (الشاطبية)،و (لامية الأفعال) بعد العصر، والكراريس بعد العشاء ، ووقت التجويد من طلوع الشمس الى العصر ، والذي معي من الطلبة في الجمع الكبير ثمانية ، وفي العشر ستة ، وهم في الازدياد ، وقد عزمت على جمع فهرسة أذكر فيها من لقيته من الافاضل امثالكم .

انتهى باختصار .

وقد ذكره في (نفح الطيب) أيضا (1) بعد أن حلاه بقوله : كتب لي الاستاذ المجود الاديب الفهامة معلم الملوك سيدي الشيخ محمد بن يوسف المراكشي التاملي ، وذكر مسائل بعث له للمشرق يسأله عنها ، نص الكتاب :

الحمد لله تعالى والصلاة والسلام على سيدنا محمد تتوالى

من المحب المخلص المشتاق،إلى السيد الذي وقع على محبته الاتفاق،وطلعت شموس معارفه في غاية الاشراق ، وصار له في ميدان الكمال حسنُ الاستباق ، الصدر الكامل ، والعالم العامل ، الفقيه الذي تهتدي الفقهاء بعلمه وعمله، البليغ الذي تقتدي البلغاء ببراعته وقلمه ، ناشر ألوية المعارف ، ومسدي أنواع العوارف ، العلامة إمام العصر ، بجميع أدوات الحصر ، سيدي أحمد بن محمد المَقّري ، قدس الله السلف ، كما بارك في الخلف ، سلام من النسيم أرق ، وألطف من الزهر اذا عبق .

1) نفح الطيب 2 : 470 طبع بيروت .

وبعد فان اخباركم دائما ترد علينا ، وتصل إلينا ، بما يسر الخاطر ، ويقرّ الناظر ، مع كل وارد وصادر ، والعبد يحمد الله تعالى على ذلك ، ويدعو الله بالاجتماع معكم هنالك :

ويرحم الله عبدا قال آمينا

كتبته اليكم أيها السيد من الحضرة المراكشية مع كثرة أشواق ، لا تسعها أوراق ، .كتبكم الله سبحانه فيمن عنده ، كما جعلكم ممن اخلص في موالاة الحق قصده ، وودي اليكم غضّ الحدائق ، مستجل في مطلع الوفاء بمنظر رائق ، لا يحيله عن مركز الثبوت عائق ، وحقيق بمودة ارتبطت في الحق وللحق معاقدها ، واسست على المحبة في الله قواعدها ، أن يزيد عقدها على مر الايام شدة ، وعهدها وإن شط المزار جدة ، وأن تدخر للايام عدة ، واني ويعلم الله تعالى لممن يعتقد محبتكم وموالاتكم عملا صالحا يقرب من الله تعالى ويزلف إليه ، ويعتمدهما وزراً يعول في الآخرة يوم لا ظل الا ظله عليه ، فانكم واليتم فاخلصتم في الولاء ، وعرفتم الله تعالى فقمتم بحقوق الصحبة على الولاء ، معرضين في تلكم الآخرة عن غرض الدنيا وعرضها ، موفين بشروط نفلها ومفترضها ، إلى أن قضى الله تعالى بافتراقنا وحقوقكم المتأكدة دينا علينا ، والايام تمطل بقضائها عنا ، وتوجه الملام إلينا ، فآونة اقف فاقرع السن على التقصيرندماً ، وآونة استنيم إلى فضلكم فاتقدم قدماً ، وفي أثناء هذا لا يخطر بالبال حق لكم سابق ، الا وقد كر عليه منكم آخر له لاحق ، حتى وقفت موقف العجز ، وضاقت علي العبارة عن حقيقة مقامكم في النفس فكدت لا اتكلم إلا بالرمز ، إجلالا لحقكم الرفيع ، وإشفاقاً من التقصير المضيع .

وقد كنت كتبت أعزكم الله تعالى اليكم قبل هذا بكتب اربعة أو خمسة ، فيها عجالة قصائد كالعصائد ، كالثريد من الكلام ككلامكم السلس الكثير الفوائد ، فعذرا لمن كان أخرس من سمكة ، واشد تخبطاً من طائر في شبكة ، فما عرفت أوصل شيء من ذلك ، أم حصل في أيدي المعاطب والمهالك ؟ وما رأيت غير رجل من صعاليك الحجاج التقيت به يوماً بالحضرة المراكشية

فقال لي : الشيخ الامام المقري يسأل عنك ، وقد أرسل معي كتابا اليك ، فوقع في البحر مع جملة ما وقع ، فقلت له لا غرابة في ذلك ، فقد رجع الى أصله ، ومن ظلمة البحار تستخرج الدرر .

وقد جاءني كتاب من بعض الاخلاء الصديقين ، وهو الحاج الصالح السيد أبو بكر من مكة المكرمة شرفها الله تعالى ، وذكر لي فيه أنه متعه الله تعالى بلقائكم ، وأخبرني بسؤالكم عني كثيرا ، والى الآن يانعم السيد انما عرفته بما كتبته لسيادتكم تعريف تذكر لا تعريف منة ، فأنصفوا في الحكم عليكم في عدم الجواب بما ألفته الادباء شريعة وسنة ، وبالجملة ففؤادي لمجدكم صحيح سقيم ، واعتدادي بودكم منتج غير عقيم ، والله تعالى يجعل الحب في ذاته الكريمة ، ويقضي عن الاحبة دين المحبة فيوفي كل غريم غريمه .

ويصلكم ان شاء الله تعالى هذا المرقوم ، وبه سؤال منظوم ، لتتفضلوا بالجواب عنه بعد حمد الله تعالى والصلاة والسلام على مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم :

إلى المَقّريّ الحبر صدر الأيمة ... من المخلص الوداد أزكى تحية
فذلك ياصدر الصدور عجالة ... لتسمح بالجواب عما أكنت
فتى قد رأى عند الغواني فتية ... محرمة عند الزوال فحلت
وعادت حراما عند عصر فعندما ... عشاء أتى عادت حلالا تجلت
وفي صبح ثاني اليوم عادت محرما ... وزالت زوالا منه في غير مرية
وفي ظهره حلت فطابت قريرة ... وفي عصره محرما قد تبدت
وعند العشاء بالضرورة حللت ... وذلك بعد غرم مال كفدية
وفي صبحه عادت حراما ترى به ... بروق سيوف لامعات بسنة
وكان يضيق حسرة وتأسفا ... وحلت له وقت العشاء وتمت
وعن أمة أيضا يموت سريها ... قد أولدها في ملكه بعد وطأة
وعادت لمملوك السري حليلة ... بعقد نكاح بعد من غير شبهة
فجاءت ببنت هل لها من تزوج ... بنجل السريّ ، بينوا ليّ قصتي ؟

فان السيوري مانع من تـــزوج — له بابنة منها بتلك القضيـــــة
وما الفرق بينها وبين التي أتـــى — بها ابن أبي زيد بأوضح حجـــة ؟
وعن مشتر مملوكة غير محـــرم — ومسلمة شِرا صحيحاً بشرعـــة
وليس بملكه لها وطؤها يـــرى — جوازا على التأبيد من حين حلت(1)
وما طالق من عدة خرجـــت ولا — يجوز على التأبيد في خير ملـــة
نكاح لها من واحد ومطلــــق — لها غير معصوم ترى في الشريعة
وتمت بحمد الله مبدية لكـــم — سلاما كما أبدته في صدر طلعـــة

وتقرير السؤال الثاني : أمة أولدها سيدها ، فصارت حـرة ، فمات عنها السيد ، ثم تزوجها عبد سيدها ، فاتت ببنت ، أما لولد سيدها أن يتزوج هذه البنت ؟ فان الرجل له أن يتزوج ببنت زوجة أبيه من رجل غيره ، وهذه سرية أبيه ، فان الامام السيوري يمنـع هذه المسألة ، وما الفـرق بينهما ؟ وتصلكم ان شاء الله تعالى عجالة رجزية ، في مآثركم السنية ، ضمنتها اشطارا من الالفية ، فتفضلوا بالاغضاء ، وحسن الدعاء ، أن يجمع الله شملنا بكم في تلك الاماكن المشرفة ، ثم المأمول من سيدنا ومولانا ان يتفضل علينا بكتاب (طبقات القراء) للامام الحافظ الداني ، اذ ليس عندنا منه نسخة .

وأما تأليفكم الكثير الفوائد المسمى بـ (ازهار الرياض ، في أخبار عياض ، وما يناسبها مما يحصل به للنفس ارتياح وللعقل ارتياض) فقـد انتشر في هذه الاقطار المراكشية ، وانتسخت منه نسخ عديدة من نسخـة المرحوم سيدي أحمد بن عبد العزيز بن الولي سيدي أبي عمرو ، وكسا الله سبحانه تأليفكم المذكور جلباب القبول ، فما رآه أحد الا نسخه ، وعنـدي النسخة التي كتبها بخطه السيد أحمد المذكور بخط حسن ، وعلى هامشها في بعض الاماكن خطكم الرائق ، وبعض التنبيهات من كلامكم الفائق .

واعلمونا بتأليفكم الـذي سميتموه (قطـف المهتصر ، مـن أفنان المختصر) هل خرج من المبيضة أم لا ؟ وودنا لو اتصلنا منه بنسخة ، وقد

---

1) كذا في الاصل المنقول منه ، وفي بعض النسخ : تاخير جلة ، وياخير جلة .

اشتاق فقهاء هذا الاقليم اليه غاية ، كـالفقيه قاضي القضاة محبكـم سيدي عيسى ، وغيره من أخلاء خليل ، في كل محفل جليل .

الى أن قال :

وانا أتمثل بكلام مولانا علي كرم الله وجهه حيث يقول تبركا به :

رضيت بما قسم الله لـــي   وفوضت أمري الى خالقـــي
كما أحسن الله فيما مضـــى   كذلك يحسن فيما بقـــى

ولي حفظكم الله تخميس على البيتين ، وذلك انه نزلت بي شدة لا يمكن الخلاص منها عادة ، فما فرغت من تخميسها الا وجاء الفرج في الحين ونصـه :

اذا أزمة نزلت قِبَلـــي   وضقت وضاقت بها حيلـــي
تذكرت بيت الامام علـــي   (رضيت بما قسم الله لـــي
وفوضت أمري الى خالقـــي)
لان الالاه اللطيف قضـــى   على خلقه حكمه المرتضـــى
فسلم وقل قول من فوضـــا   (كما أحسن الله فيما مضـــى
كذلك يحسن فيما بقـــي)

فعذرا أعزكـم الله سبحانه ونفـع باخائكم عـن إغباب المراسلـة بالمكاتبة عذراً ، وصبراً على بعد اللقاء صبراً ، فان يقدر في هذه الدار نلنا فيها ما نتمنى ، وإلا فلن نعدم بحول الله جزاء الحسنى ، ولقاء لا يبيد ولا يفنى ، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين وحسـن أولئك رفيقا ، ايقانا بالوعد وتحقيقا ، فمن أوجب لـه محبته أدخله جنتـه ، وأحضره مأدبته ، وكمل له أمنيته ، جعلنا الله من المتحابين في جلاله ، بكرمه وافضالـه .

وكتبه محبكم ومعظمكم الواصل حبل وده بودكم ، المشرف لعهدكم ، المنوه بفخركم ومجدكم ، العبد الفقير الحقير ، المشفق على نفسه من التقصير

والذنب الكبير ، محمد بن يوسف التاملي غفر الله ذنبه ، وستر عيبه ، وجبر قلبه ، وجمعه بمن أحبه ، بالنبي صلى الله عليه وسلم .

في عاشوراء المحرم فاتح سنة ثمان وثلاثين وألف .

انتهـى .

وصحبة هذا المكتوب ورقة نصها :

بسم الله الرحمان الرحيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آلـه وصحبه وسلم (1) .

لله در العالم الجيانـــــــي ... كأنما ينظر بالعيــــــــان
للمَقَّريَّ العالم المفضــــال ... مُنظَّراً بأحسن المثـــــال
وعالم بأنني من بعــــــده ... أشير في نظامنا لقصــــده
وها أنا بالله أستعيـــــن ... مضمنا وربنا المعيـــــن
بالشطر من الفية ابن مالك ... أيدنا الله لنسج ذلـــــك
قال محمد عبيد المالـــك ... وسالك الأحسن من مسالـــك
نشير بالتضمين للنحريـــر ... المَقَّريَّ الفاضل الشهيـــر
ذاك الامام ذو العلاء والهمـــم ... (كعلم الاشخاص لفظاً وهو عـم)
فلن ترى لعلمه مثيــــلا ... (مستوجباً ثنائيَ الجميـــلا)
ومدحه عندي لازم أتـــى ... (في النظم والنثر الصحيح مثبتا)
أوصاف سيدي بهذا الرجـز ... (تقرب الاقصى بلفظ مؤجـــز)
فهو الذي له المعالي تعتزي ... (وتبسط البذل بوعد منجـــز)
رتبته فوق العلا يامن فهـم ... (كلامنا لفظ مفيد فاستقـــم)
وكم أفاد دهره من تحـف ... (مبدي تأول بلا تكلـــف)
لقد رقى على المقام الطاهـــر (2) ... (كطاهر القلب جميل الظاهـر)
وفضله للطالبين وجــــــدا ... (على الذي في رفعه قد عهـــدا)
قد حصَّل العلمَ وحرر السيـــر ... (وما بالا أو بانما انحصـــر)

---

1) ورد بعض هذه الارجوزة في خلاصة الاثر 4 : 271 .

2) في خلاصة الاثر الى المقام الباهر .

فـي كل فن ماهر صفه ولا (يكون الا غاية الذي تـــلا)
سيرته جرت (1) على نهج الهـدى (ولا يلي الا اختيارا أبــــدا)
وعلمه وفضله لا ينكـــر (مما به عنه مبينا يخبــــر)
يقول دائما بصدر أنشــــرح (اعرف بنا فاننا نلنا المنـــح)
يقول مرحباً لقاصديه مَـــن (يصل الينا يستعن بنا يعـــن)
صدق مقالتي وكن متبعـــا (ولم يكن تصريفه ممتنعــــا)
وانهض اليه فهو بالمشاهـــده (الخبر الجزء المتم الفائـــده)
والزم جنابه واياك الملـــل (ان يستطل وصل وان لم يستطل)
واقصد جنابه ترى مآثـــره (والله يقضي بهبات وافـــره)
وانسب له فانه ابن معطـــي (ويقتضي رضى بغير سخـــط)
واجعله نصب العين والقلـــب ولا (تعدل به فهو يضاهي المثـــلا)
قد طالما أفاد علم مالـــك (أحمد ربي الله خير مالـــك)
وحاسد له ومبغض زمـــن (وهالك وميت به قمـــن)
وليس يشفى مبغض له أعـــل (عيناً وفي مثل هراوة جعـــل)
يقول عبد ربه محمـــد (في نحو خير القول اني أحمد)
وهو بدهره عظيم الأمـــل (مروع القلب قليل الحيـــل)
فادع له وسادة قد حضروا (وافعل أوافق نغتبط اذ تشكر)
واجبره بالدعا عساه يغتنـــم (فجره وفتح عينه التـــزم)
انشدت فيكم ذا وقال قائل (في نحو نعم ما يقول الفاضل)
ادعو لكم بالستر في كل زمـــن (لكونه بمضمر الرفع اقتـــرن)
مآثر لكم كثيرة ســـوى (ما مر فاقبل منه ما عـدل روى)
قد انتهى تعريف ذا المعـرف (وذو تمام ما برفع يكتفـــي)
لانتم تاج الايمـــة الاول (وما بجمعه عُنيت قد كمـــل)
فالله يبقيكم لدينا وكَفـــى (مصليا على الرسول المصطفى)
تترى عليه دائما منعطفـــا (وآله المستكملين الشرفـــا)

انتهـى .

---

1) في خلاصة الاثر سارت

ومن مشاهير الآخذين عنه : سيدي عبد العزيز الزياتي كما ياتي في ترجمته ، ومنهم عبد الرحمان ابن القاضي وغيرهما ، وهو مذكور في فهارسهم، وهو أيضا من أشياخ سيدي محمد بن سعيد المرغيثي ، كما صرح به في جواب له .

ومن تلامذته أيضا الاستاذ محمد بن محمد بن أحمد الرحماني ، أخذ عنه سورة البقرة بالعشر وبالسبع وأجازه ، وذكر له بعض أسانيده القرآنية ، حسبما بمجموع بخزانة آسفي الحبسية ، ووصفه بالاستاذ الضابط المتقن ، وستأتي ترجمته ، وقد وقفت له على منظومة في السيرة النبوية أولها :

القصد بعد حمد من هدى الـــــى سيرة رشد وسبيل امثـــــــلا

فيها 33 ورقة من مسطرة 16 ، نظم فيها سيرة اليعمري مـع زيادة ، وهي عندنا في مجموع خطي .

ترجمه في (خلاصة الاثر) ، وفي (الصفوة) ، وذكره في (النشر) ، والحضيكي في طبقاته .

ومن ترجمه صاحب (السلافة) قائلا في آخر ترجمته صحيفة 606 : وأما ألفية ابن مالك فلم أسمع تضمينها الا من هذا الفاضل ، ولا أعلم هل سبقه الى ذلك أحد أم لا ؟ والله أعلم انتهى .

قلت : سبقه الى ذلك البرهان أبـو اسحاق بن أحمد بـن المقدسي الناصري الباعوني المتوفي في يوم الخميس رابع وعشري ربيع الاول سنة سبعين وتسعمئة المترجم في (الضوء اللامع) ، فقد ذكر في ترجمته أنه ضمن ألفية ابن مالك قصيدة امتدح بها النجم ابن حجي ، ثم قال : قال ابن قاضي شهبة أضافنا بمنزله في الصالحية صحبة النجم بن حجي ، وقرأ علينا تضمينه لالفية ابن مالك في مدح النجم كما فعل ابن نباتة بالملحة في مدح السبكي فأجـاد كل الاجادة ، على أن بين الالفية والملحة البون الكثير ، فتضمين الالفية أشد ، ولكنه ممن ألين له الكلام . انتهى .

ولم يذكر صاحب (النفح) جواب الاسئلة التي سأله عنها المترجم .

681) مَحمد بن محمد ابن عطية الزناتي

مَحمد فتحا بن محمد بن علي ابن عطية الزناتي نسبا ، الأندلسي أصلا ، السلوي ثم الفاسي ، الشيخ الشهير ، الامام الصوفي الكبير ، العلامة الدراكة المتقن ، الفقيه المشارك المتفنن ، الولي الصالح ، الذاكر الناصح ، العارف بالله تعالى ، قرأ رحمه الله القرآن في حال صغره على والده ، ثم قرأ بالروايات على الفقيه الاستاذ سيدي محمد الفيلالي وأجازه في قراءة السبع ، ثم قرأ الرسالة والمختصر على شقيقه سيدي أحمد ، وكان يحضر مجلس القصار الى أن توفي ، ثم قرأ بعده على الامام المَقْري ، والشيخ الجنان الاكبر ، والعلامة ابن عاشر ، وهما عمدته ، ولقي جماعة من فقهاء فاس وانتفع بهم ، كالشيخ سيدي الحاج ابن القاضي ، والفقيه علي بن عمران ، والفقيه سيدي محمد الجزولي ، وأخذ عن كل واحد منهم جزءاً من مروياته ، وانتفع بدعائه ، وكان في صغره يتردد مع والده لزيارة الشيخ سيدي أبي الطيب بن يحيى دفين ميسور ، ودعا له مرة ، وقد غسل له لمعة من الدم كانت في ثوبه، فقال له : طهر الله قلبك من الدنس ، وفقهك في مذهب الامام مالك بن أنس .

ولما خرج لطلب العلم والزيارة بحضرة مراكش لقي بها جماعة من العلماء والصلحاء أصحاب الشيخ الغزواني وانتفع بهم وبما سمع منهم من كلام الشيخ الغزواني ، ولقي في ابتداء أمره سيدي الحسن الدراوي ، وقرأ عليه علم الاعتقاد ، وكذلك على الشيخ سيدي يحيى بن عاشور التلمساني ، وهما عمدته في التوحيد ، ولقي في زيارته للقطب مولانا عبد السلام ابن مشيش جماعة من العلماء والصالحين ، منهم سيدي محمد بن علي ابن ريسون ، ودعا له بالعلم والصلاح والبركة في عقبه ، ولما أراد الانصراف قال له زودك الله التقوى ، وكذلك لقي الشيخ سيدي عبد الله بن حسون ، وكان بفاس يتردد لزيارة سيدي يوسف الفاسي في كل جمعة مع أخيه سيدي أحمد، وسمعا منه واستفادا ، وعمدته في الطريق هو الشيخ سيدي علي الحارثي ، وهو الوارث له كما ذكره بعضهم .

وكان رضي الله عنه مواظبا على زيارة الصالحين الاحياء والاموات ، ويقول لتلامذته : اعلموا أيها ألاخوان ان الزيارة منها ربحنا نحن ، وكل من دللناه عليها ، والزائر لله لا يرجع من زيارته خائباً قط إذا لم يضيع حق الله ولم تصحبه دنيا ، ولا سمعة ولا رياء . وكان صواما قواما شاكرا تالياً ذاكرا ناصحا لعباد الله ، لا يدل تلامذته الا على الله ، ولا يلهج الا بذكره ، ولا يرقد الا باسمه ، لا ينتصر قط لنفسه ولا يبخل بديناره وفلسه ، يقنع باليسير من الرزق ، ولا يطمع في أحد من الخلق ، تاركاً الفضول ، سالكاً سبيلَ الرسول ، لا يلتفت لشيء من السمعة والريا ، وليس عنده شيء من الدنيا ، زاهدا متقشفا ، متوكلا على ربه ، يطلب الدعاء ممن لقي من المومنين ، ويحسن الظن بسائر المسلمين ، ويقول لتلامذته وقصاده كل من رأيته فالخضر اعتقد ، وكل الليالي ليلة القدر فاجتهد .

وكان مجتهدا في تدريس العلم والقراءات ، وانتفع به خلق كثير من الطلبة والعامة ، اماما فقيها صوفيا حافظاً مفسراً محدثاً مسنداً راوية ، ذا فنون وعلوم ، وله معرفة بعلم الأوفاق والجدول ، وأسرار الحروف والخواص ، واتساع في التصوف وكتب القوم . وله تأليف في الطريق ، وفهرسة ذكر فيها مقروءاته ومسموعاته ومناولاته ومعروضاته وغير ذلك ، وقد استجازه في جميع ما احتوت عليه تلميذه القطب مولاي عبد الله بن ابراهيم اليملحي الحسني الوزاني فأجازه ، وكان من جملة من أخذ عنه وانتفع به ، وقد رأيت بخط بعضهم ما نصه : كانت أم مولانا عبد الله الشريف الوزاني نفعنا الله به ، رحمونية علمية ، وتركه والده طفلا لم يبلغ عشرة أعوام ، فقرأ القرآن على بعض شرفاء بني ريسون بتازروت ، ثم بعد ذلك رحل الى فاس ، وقرأ النحو والحديث والتفسير والفقه على محمد بن محمد ابن عطية السلوي الأندلسي دفين ضفة الوادي بالحبيل عدوة فاس الأندلس .

انتهى المراد منه .

وممن أخذ عنه أيضا سيدي عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي ، وكان رحمه الله يستعمل السماع ، ويأمر أصحابه الفقراء به ، ويحضره معهم ، ويحصل لهم من لذة خطاب ما ينشدونه بينهم وجد وشوق ونفحات ، فيرقصون ويتواجدون ويصيحون ، وربما يغشى على بعضهم من ذلك .

توفي عن سن عالية عشية يوم الجمعة ثامن عشر ذي القعدة سنة اثنين وخمسين وألف ، ودفن بالحبيل من حومة الرميلة بزاويته الشهيرة به ، يسار الطالع لناحية سيدي أبي جيدة ، وهي متصلة بروضة شيخه سيدي علي الحارثي ، وقبره بها معروف مشهور عليه دربوز يزار به ، وفوقه كتابة نصها :

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، كل نفس ذائقة الموت ، هذا ضريح الولي الصالح العالم العلامة الجامع بين الشريعة والحقيقة أبي عبد الله سيدي مَحمد ابن عطية السلوي الاصل ، الفاسي الدار ، أخذ عن شيخه سيدي أبي الحسن علي بن محمد الحارثي عن شيخه سيدي أحمد بن موسى السوسي ، عن شيخه سيدي عبد العزيز التباع ، عن القطب سيدي محمد بن سليمان الجزولي نفعنا الله به . وكانت وفاته يوم الجمعة ثامن عشر القعدة سنة اثنين وخمسين وألف . انتهى .

ترجمه في (النشر) (1) و (التقاط الدرر) ، و (الصفوة) (2) و (التنبيه) وكتاب (التفكر والاعتبار) ، و (السلوة) (3) وغيرها ، وعده في (الابتهاج) فيمن أخذ عن أبي المحاسن من الفقهاء ، وممن ترجمه حفيده سيدي أحمد بن محمد ابن عطية في (سلسلة الانوار ، في طريق السادات الاخيار) ، أتمه عام 1096 ست وتسعين وألف ، ونقل فيها بعض كلام الشيخ الغزواني ، وقفت على هذا التأليف ، وهو من الكتب التي لم يقف عليها صاحب (السلوة) حسبما نص على ذلك في ترجمة سيدي أحمد المؤلف المذكور .

682) مَحمد بن مَحمد البوعناني الادريسي

مَحمد بن مَحمد ، فتحا فيهما ، بن سليمان بن محمد بن منصور بن علي بن ثابت بن أحمد بن منصور بن ثابت بن منصور بن عامر بن موسى بن عبد الله بن عنان بن الحسن بن ثابت بن علي بن محمد بن عبد الله بن عبد

---

1) نشر المثاني 1 : 184

2) صفوة من انتشر ص 80

3) سلوة الأنفاس 1 : 369

الحميد بن عمر بن محمد بن داوود بن مولانا ادريس الازهر ، الفقيه العلامة المحدث المحرر ، النحرير الفهامة ، الحافظ الاستاذ المقرىء المجود الشهير ، شيخ الجماعة في العلوم القرآنية ، أبو عبد الله البوعناني .

قال في (التقاط الدرر) : وصفه بالشرف وبأوصاف سامية المحقق الورع سيدي أحمد بن علي السوسي البوسعيدي ، أول كتابه (بذل المناصحة، في فعل المصافحة) ، وكذلك الحافظ عبد الرحمان الفاسي في كتابه (أزهار البستان) انتهى ، وقد ذكر الشيخ محمد المسناوي أنه اطلع على ظهائر ملوكية، واجازات علمية لبعض أسلاف رهط صاحب الترجمة ، تضمنت تحليتهم بالشرف النبوي ، والنسب العلوي من غير واحد من الايمة المعتبرين كالشيخ سيدي أحمد بن علي السوسي، والشيخ سيدي عبد الواحد بن أحمد بن عاشر، والشيخ أبي القاسم بن محمد بن أبي النعيم الغساني ، وتلميذه أحمد بن محمد المَقْري التلمساني وغيرهم ، وممن شهد لهم بذلك : الشيخ ميارة الأكبر ، والشيخ محمد البكري بن محمد الشاذلي الدلائي ، والشيخ محمد العربي بن عبد السلام بن ابراهيم الدكالي المشنزائي .

كان صاحب الترجمة رحمه الله مشاركا في العلوم ، مستحضرا لاحاديث الصحيحين ، مقرئاً مجودا للقرآن ، انتفع به الناس انتفاعا تاما كالشيخ ميارة الاكبر، والشيخ عبد الرحمان الفاسي الأصغر، والشيخ أبي سالم العياشي وغيرهم . وكان سنده أعلا أسانيد أهل عصره ، لانه آخر من أخذ عن القصار وسمع منه كما ذكره أبو سالم العياشي في (تحفة الاخلاء ، بأسانيد الاجلاء) .

وأخذ أيضا عن عبد الرحمان العارف الفاسي ، وقرأ عليه الصحيح بلفظه ، ولزم مجلسه سنين ، وأجازه مرتين ، وعن أحمد المَقْري والجنان ، وصحب الامام أحمد بن علي السوسي البوسعيدي ، وتبرك أيضا بالشيخ سيدي علي بن عبد الرحمان الدرعي دفينها ، وأخذ عنه . وأخذ القراءات عن أحمد بن محمد الفشتالي ، وعن محمد بن أحمد المري ، وعن أحمد بن شعيب الاندلسي .

ولد سنة ثمان وثمانين وتسعمئة ، أو في التي بعدها ، وتوفي في سادس شوال سنـة ثلاث وستين وألف عـن خمس وسبعين سنة ، ودفـن بروضتهم بسويقة باب الجيسة من فاس ، ودفن بعده معه فيها جماعة مـن أولاده ممن كان موصوفاً بصفة العلم والقضاء أو الفتوى والامامة والخطابـة بجامع القرويين من فاس أو غيره .

وقد ذكر في (النشر) في ترجمة سيدي أحمد بن عمر الشريف أنه أعطى صاحب الترجمة مرة حزمة من عيدان النخل ، قال : وهي فـي العرف تستعمل للتوكيء عليها بمنزلة العصا ، فكان فيه اشارة لما تولاه أولاده من الخطابة في مساجد فاس وغيرها ، لأن الخطيب يعتمد في خطبته على العصا ، قال : فاتفق ان كان في أولاد سيدي أبي عنان مـن الخطباء بقدر عـدد تلك العيدان ، فحين استكملوا من الخطباء مثل عدد العيدان لم يتفق منهم خطيب آخر ، انتهى .

ترجمه الشيخ عبد الرحمان في (أزهار البستان) ، وكذا ترجمه في (الصفـوة) ، و (التقاط الـدرر) ، و (دوحـة البستان) ، و (طبقـات الحضيكي) ، و (السلوة) وغيرها (1) .

قلت : وقفت للمترجم على فوائد ونظم ، من جملة ذلك ما ذكره من اقرائه بمراكش ، ونص ما كتب في ذلك الشهر النبوي ربيع الأول أوله يوم الجمعة ، وهو بعد صفر الذي بعد المحرم مفتتح ثلاثة وعشرين وألف :

دخل يعني الشهر المذكور علينا بالمدينة المراكشية، بدار الحرة المعروفة بدار الخطيب ، بحومة المدرسة الشريفية ، بقرب جامع ابن يوسف ، نازلين بها عن أمر الامام الهمام وحيد دهره ، وفريد عصره ، مولانا أبي المعالي زيدان ابن الامام المنصور ، المرحوم بالله مولانا أحمد بن مولانا محمد الشيخ الشريف الحسني ، واقامتنا في كل يوم خمس أواق من بيت ماله عمره الله ، مع ولدنا محمد عبد الخالق بن محمد الحسني البوعناني ، أقرأ معه خمسة مجالس : اثنان في مختصر خليل ، ومجلس في التوحيد ، واثنان في النحو ، مع جمع من طلبة أهل مراكش علم الله الجميع خيرا .

---

1) سلوة الأنفاس 1 : 199 ونشر المثاني 1 : 205

أنتهى من مجموع عندي كله فوائد ، ومن جملة ما فيه ما نصه :

وقد ذكر شيخنا المذكور سيدي محمد بن سليمان بن أبي عنان سلسلة أشياخه في نظم وهو :

أشياخ فقهنا على المنهاج ... سلسلة الحميدي والسراج
امامنا المنجور والزموري ... عنصرهم يستثني في الامور

وقال العياشي في (فهرسته) عند ذكر المترجم شيخه لدى ترجمة أحمد بن موسى الابار : أن البوعناني خاتمة من روى عن القصار ، انتهى .

وقد وقفت على شهادة المترجم لأبي سالم العياشي بانه صافحه ، واسندها له عن الامام العالم الصالح القدوة ، سيدي محمد بن أبي بكر رحمه الله عن القصار ، وعن الفقيه العالم الصالح سيدي أحمد بن علي السوسي الهشتوكي ، عن سيدي عبد الله بن علي بن طاهر الحسني ، عن شيخه سيدي رضوان والمنجور ، وعن السوسي المذكور ، عن سيدي أحمد بابا السوداني ، عن والده ، عن اللقاني ، عن السيوطي بأسانيدهم ، وخط يده في أولها وآخرها في 18 صفر عام 1048 .

ووقفت على أجازة المترجم لأبي سالم المذكور ، الاولى والثانية في التاريخ المذكور ، وهما في أربعة أوراق ، وعليهما خطه أيضا والله الموفق .

وممن أخذ عن المترجم تلميذه : محمد بن محمد بن أحمد الرحماني المراكشي ، قرأ عليه بفاس ختمتين بالسبع ، كما ياتي في ترجمته .

683) محمد الشيخ بن زيدان السعدي

لما قتل السلطان الوليد ، اختلف الناس فيمن يقدمونه للولاية ، ثم أجمع رأيهم على مبايعة أخيه المترجم ، والقاء القياد اليه ، فأخرجوه من السجن الذي كان أخوه الوليد أودعه فيه ، اذ كان يتخوف منه الخروج عليه ، فبويع بمراكش يوم الجمعة الخامس عشر من رمضان سنة خمس وأربعين وألف .

ولما بويع سار في الناس سيرة حميدة ، وألان الجانب للكافة ، وكان متواضعاً في نفسه ، صفوحا عن الهفوات ، متوقفا عن سفك الدماء ، مائلا الى الراحة والدعة ، متظاهراً بالخير وصحبة الصالحين ، وهو الذي بنى على قبر الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي بزاويته قبة حافلة البناء ، رائقة الصنعة ، الا أنه كان منكوس الراية ، مهزوم الجيش ، وبسبب ذلك لم يصف له مما كان بيد أبيه وإخوته إلا مراكش وبعض أعمالها (1) .

وفي أيامه قويت شوكة أهل الدلاء ، وانتشرت كلمتهم في بلاد المغرب ، وبعث لهم قاضيه الفقيه العلامة محمد المزوار المراكشي ، فطلب منهم ترك الشنآن والرجوع لاجماع الكلمة ، ويحتج عليهم بأن أباهم الولي الصالح سيدي محمد بن أبي بكر كان بايع أخاه مولاي الوليد بن زيدان والتزم طاعته ، وأنكم أولى الناس باقتفاء طريقته واتباع منهجه ، فلما بلغهم القاضي المذكور وأدى الرسالة ونثر عليهم ما في العيبة (2) وبيّن قصده اعتذروا له بمسائل وتعللوا عليه بوجوه .

قال في (النزهة) : وقد وقفت على رسالة كتب بها السلطان مولاي محمد الشيخ المذكور اليهم بعد رجوع القاضي المذكور من السفارة ، وهذا نصها على التمام والكمال :

الحمد لله الذي نصب الدول في الأصقاع حصوناً ذات أسوار ، لصون النفوس والحريم والأموال والشرائع ، وحض على فري فرع واصل العادين الثوار ، والساعين بالاعتناء في هد قواعد الجماعة بأنواع البدائع ، ونشهد أنه واحد ما له في فسيح وجوده شبيه ولا شريك ، ولا قادر يقوم دونه بوظيف كل ضرير وضريك ، أو يستفتي فينبئك عما في كنه غيبه أو يريك ، يفعل ما يريد ويختار ، ويقبل تضرع المضطرين ويقيل العثار . وان سيدنا ونبينا ومولانا محمدا عبده ورسوله ، نبي الأحمر والأبيض والأسود ، ونعم الشفيع

---

1) الاستقصا 6 : 83 طبع الدار البيضاء

2) العيبة : الحقيبة

غداة يعثر العاثر ما لم يكن بعهده تعود ، صلى الله عليه وعلى آله الاجلة الانجاب ، والخلفاء والاصحاب ، ما تبسمت البساتين من مدامع تحنن السحاب ، والرضى عن كل تابع بعد تابع ، العاقدين على تشييد هذا الدين عقد الاصابع .

هذا ولنصرف عنان عرضة الغرض ، لما عيناه بالمسنون من العتاب والمفترض ، من هم في دقائق المجاز مرابطون، وفي رقائق الجواز ضابطون ، أهل وطن الدلاء ، لمن لورود الشرب محتاج ، السيد أبو القاسم بن ابراهيم والسيد عمر والسيد محمد الحاج ، ومَن لنشر صحف الانصاف منهم مطابق ، كالسيد المسناوي والسيد عبد الخالق .

سلام عليكم ما أثرت المواعظ في أصلاد أصلاب الطباع ، وفترت الحفائظ عن المتعوذ بها خطوات الشياطين وسطوات السباع ، ورحمة الله تعالى وبركاته ، ما صانت أشعة المصباح مشكاته .

ألا وقد كاتبناكم من الحضرة الدامغة هامات الجاحدين والملحدين ، حمراء لمتونة والموحدين ، كتب الله لها منكم وقاية من لا يعنف عما صنع ، وبراءة مَن رام تزويجها كرهاً فتعوق عنها وامتنع ، ولا زائد بعد الخطبة التي هي عند الادباء براعة الاستهلال ، وبضاعة يعرب عنوانها عن معنى الحال والاستقبال ، الا قصد استيقاظكم من السنة التي طال لطلوع الشمس من المغرب ليلها ، وامتد كأرض المحشر فرسخها وميلها ، هل هذا منكم استخفاف بحضرة الخلائف ؟ أو تعام أو تصامم عما يجب على الرعايا من لوازم الوظائف ؟ هذا من العار الماحي لصحف المناقب ، ولا يأوى من توخاه إلا لمهيع لا تحمد لمنتحيه العواقب ، سيما من نكث البيعة على من ولاه المعين بسيطة المعمور ، وحمله أعباء القيام بما يحدث من تصاريف الامور ، بشرط أن يزن فيعدل ، ولا يغير ولا يبدل ، وان يذب عن حفظ بيضة الدين بالرماح والسهام والنصول ، ويحسم أعناق الزائغين الرائغين على الابواب والفصول ، خصوصا مثلكم الذي شقّ عصا الشقاق، وشرع يمد أيدي الاطماع في استخلاص القبائل في الآفاق ، على العموم والاطلاق . ألجمكم البله والوله في حصون الجبال كالمواشي ، وكنتم لا تدرون لباس القمص ولا الشواشي ، إلى أن جسركم

على وطء الغرب فاقدمكم معه المغتر محمد العياشي ، الذي بدد شمل الشراقة على شيخه ابن أحمد ، وترك غيرهم أعمش وأرمد ، يتردد في همع الكمد ، وهمع بكل مازغ ومازغة ، حتى أوطأهم على جبال بني يازغة ، فخلا لكم الجو ، وشرعت تمد اليكم أعناق البدو ، فنبذتم اذ ذاك موائد الضيوف ، وتقلدتم بلا حياء السيوف ، وأعانكم اضطراب القبائل عام وقوع الجوع ، ومن مضى لأي قطر تعذر عليه الرجوع ، الى أن مكنتكم من نواصيها وأزمتها ضعاف الرعايا وكل عنيد ، من رباط تازة الى وادي العبيد ، فاستحليتم سكر الجبايات من الابريز والفضة ، وفروج إماء الشاوية ما بين الحمراء الخمرية والبيضاء الفضية البضة ، إلى أن جمعتم منهم ما لا ينحصر ، بواسطة القرافي والمنتصر ، من غير أن تنفقوه على اقامة جند يصدم بقوته وشدته ذوي الصليب الكافر ، أو تختطوا مدينة أو سورا أو جسرا يحصل ويتصل لكم بفعله الذكر الجميل والثواب الوافر ، ولا انتفع به الا شيع المومسات الشواب ، وشياطين الفساد والشراب ، ولم تراقبوا مكر من رفعكم عن عماء عموم البرابر ، واقعدكم في القباب على الاسرة وفي بيوت الله على الكراسي والمنابر .

خلتم من غوايتكم أن عرين الغاب خال من النمور والضراغم ، اللواتي لانوف الطغاة والبغاة رواغم ، عويتم علينا معشر الثوار كالذئاب من كل عراء وشعبة ، لتكون عزيمة نهوضنا إليكم معطلة صعبة ، وإنا لا ندرى أين تميل النفوس ، وتطأطأ له الرؤوس ؟ هل لملك الصحاري أم لرئيس إليغ السوس ؟

خلتمونا سخرياً خوامل ، كصقر قريش عبد الرحمان الداخل ، لكن من الحزم أن ننبه على كل ذي غفلة سكران من نشوة الرقدة ، ونخترط صارم الصولة القاطع لعرى كل لبة وعقدة ، على أن الملوك لهم ولاية تصانيف الجموع ، على جانب كل زعيم فعله نافذ وقوله مقبول مسموع ، لاسيما وهذا الغرب الذي لا يزال ملآنا من نوامس كل كاهن ومداهن قرقار ، تمسي فيه البومة خاملة الذكر وتصبح بالمخلب والمنقار ، ومعادن اللمز والغمز والهمز والنبز والمجون ، هم الزوايا والرباطات والفنادق والطرازات والاسواق والسجون .

وفيما سلف من دول المغرب ، الزام تحريض الصغار على تعلم أنواع العلوم والصنائع ، وتعنيف الكبار المعتكفين في حلق الجمائع ، وقد أذهب علي السوسي (1) هيبتها عمن تحت يده من البلدان ، بسرف هبات الذهب واللجين والخيول والاماء والعبدان ، لكن من صفعته يمناه لا يمكنه أن يئن أو يتحنن أو يبكي ، ومن عقد مقـوده بمعصم سواه فأساء به لا يتضـرع ولا يشتكي . اهملناكـم وامهلناكـم ، وأهلناكم وأقمناكـم لعوائدكم من العبادة وإطعـام الطعام ، فطلبتم لنا في الأعناق عظماء زعام ، لم تعلم الفقراء الا بحرمة جاه الدخيل ، على صلح أو زواج كسماح الشحيح البخيل ، وما كفاية كـل عاد تعدى دون تكليف طوره ، الا أن يعجل المنتقم سبحانه تغييره وعوره ، وأحرى من باع ولا تخلص بالدنيا عرضه ومروءته ودينه ، ليضيع الحق ويشيع الجور في كل بادية أو مدينة ، بحجال اللهو ، بين خامية وبهو .

وحتى الآن دعوناكم لعقد البيعة الواجبة لنا على كل مـن أطاع أو عصى، من وجدة وسلا إلى سوس الأقصا، فنجهر لكم فيما يقوم بحق تلك الزاوية وأهلها ، بشرط أن تفيق من استغراق الغفلة جبلة اهلها ، وان امسكتم أقدام الانقياد ، على سلوك سبـل السداد ، وقبول سوله ، فاذنوا بحرب مـن الله ورسولـه ، فقد شيعنـا نحوكم فقيهنا وقاضينـا السيد محمد المـزوار ، فصددتموه أوصب صد ، وانقلب على الحافرة ورد أقبح رد ، ولو لم نبال بالفكر والذكر ، لما صرفنا فيما سلف وصيفنا الامين مبارك السوسي فشيد وأشاد، وبنى وأجاد، ضريح والدكم السيد محمد بن السيد أبي بكر ، فدنستم خالص عرضه ، وضيعتم لازم مسنونه وفرضه، وإنه لنا عليكم بريد وبصيرة، بما انطوت لكم عليه غرة الحصيرة ، فقص علينا دون أن نفحص أن عين الجحش في النـاد ، وأن من غدا في امداد وغد الأوغاد ، وجد عينهم غادر ، وغبيهم عن صفو الموارد صادر ، وعلى هذا فالغالب ، أن لكم نسبة لروغان الثعالب ، فحسبنا الله ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم الجليل .

---

1) يقصد ابا حسون بودميعة

ولا يسعنا أن ندعكم مع أشراف سجلماسة ، مع بني موسى تلعبوا بنا كهرّ الغالية في القمص، لا يغتنم غناء غلته الا بوخز المسال التي تكلفه الرقص ، حلبتم ضروع الاقطار في البلاد باليميـن والشمال ، ونفضتمونا كمـا تنقض الاثواب من درن الرماد والرمال ، وحاصل الغرض تأدية البيعة بقول وفعل واعتقاد ، كما عقدها أبوكم الابر الجواد ، المرحوم الفاضل المجيد ، لأخينـا الارضى مولاي الوليد ، لتنتظم بعون الله كلمة ملة الاسلام ، ولا يبقى للغير فعل ولا كلام ، لو فعلتم لاقتفى أثركم جموع المنتجعين والامصار ،ولا يبقى مـن يصغى لغيرنا بآذان ولا يطمح بأبصار . وان عظمت عليكم مفارقة حب الرؤوس والركب والايد،وألفة ركوب بني الوجيه واللاحق(1)للأعراس والصيد، فانتظروا صبيحة طلوعي عليكم طلوع الفجر على غسق الليل ، بسيل كموج البحر من الرماة والخيل ، وتغمركم من بأسنا غمائم شديدة الغمرة ، وينفذ فيكم الحكم العدل نهيه وأمره ، أنشر بعونه ما انطوى من المراحل ، ونؤم بعدكم دولـة الاشراف السجلماسية ونلـوي على زاوية الساحل ، إلى أن تعـود الايالة الشيخية علوية علية بحسن الحال وصيت الذكر ، أو تهوى لحضيض بني سعد بن بكر ، وليكن ما ابصرتموه لانفسكم من صدق الصفا جواب وصواب ، والعاقل أحسن مفتاح لحلّ ما انعقد من الأبواب ، لنعلم منكم أي نبراس يخرجنا من حرج هذا الحندس ؟ وهل قبلة عبادتكم مكة أو البيت المقدس ؟ وليكن منا هذا ختام مفيد الكلام ، والسلام .

وكان المخترع لها محمد بن عبد الرحمان ، ببستان جنان ميمون من قصبة الحضرة المراكشية حرس الله أوطانها ، ومتع بالهناء رعاياها وسلطانها، ضحوة يوم الاثنين حادي عشر جادى الثانية من سنة سبع وأربعين وألف (2) .

انتهـى .

وهذا جواب أهل زاوية الدلاء :

---

1) الوجيه واللاحق علمان لفحلين كريمين من الخيل

2) نزهة الحادى ص 220

الحمد لله الذي له الملك الكامل في الاولى والآخرة ، وعليه الاتكال وإليه المصير ، يستدرج بحكمته الانسان من حضيض دقائق الهوان ، للحضرة الباذخة الفاخرة ، وهو العلي العظيم السميع البصير ، يضع بعدله أقواما أعزة ويرفع بفضله خوامل أخَر ، لا يسأل عما يفعل ، وهم يسألون ، كلٌ واحد عن الذي قدم وأخر ، وما كانوا يعملون . ونشهد ان لا الاه الا الله وحده لا شريك له الاحد الصمد ، الباقي على الابد ، والدوام المسرمد الامد ، وان سيدنا ونبينا ومولانا محمد عبده ورسوله ، المبلغ ليمن الامانة ، ليكرع في حياض الايمان والاسلام من تأخر عنه ومن أدرك زمانه ، صلى الله عليه وعلى آله نجوم السعد ، وصحابته رجوم مَن رمى دين الهدى بأسهم البعد ، وعلى جمهرة التابعين ، ومن تبعهم على مساق الرشد مهطعين سامعين .

وبعد فقد أجملنا الخطاب ، جوابا لمَن زكا وتأثل فرع أصله وطاب ، مولانا محمد الشيخ نجل أمير المومنين أبي المعالي مولانا زيدان بن الأمير الهمام الاوحد ، أمير المومنين مولانا أحمد ، أحمد الله لنا ولكم وللمسلمين الاوائل والعواقب ، وجدد لكم ما غرس الاجداد في المغرب من محمود المناقب، وسدد الموفق للفلاح أقوالك وأفعالك ، وأوطأ في بساط الطرب والانبساط نعالك ،وقاد بالميمونة ناصيتك لقطع شافة من نافى عنك وختر ، وللعهد نقض وخفر ، ونصبك حصنا مصونا لعرض من أقام آمنا أو سافر أو نفر .

سلام عليكم سلام مَن أسلم أموره بعد القادر إليك،ورحمة الله وبركاته ما غرد الطائر على مخضل الأيك .

فقد كاتبناكم ـ من زاوية عبادة الهادى الى الصراط المستقيم ، العالم بحكمة تفضيل المنتج على العقيم ، والظاعن والمقيم ، والستر المسدول على أصحاب الكهف والرقيم ـ كتب الله لنا ولكم حجب الامن والعفو والعافية ، وأسبغ علينا وعليكم وعلى المسلمين ضوافيَ حلل حلمه الوافية . ولا زائد بعد حمد الله الذي وجب على العباد حمده وشكره ، وتحتم تعبدا تقديسه وتسبيحه وذكره ، ولا نأمن أن يغشانا قضاؤه ومكره ، الا أن مسطوركم الاحرش لما ورد ساحتنا سلب منا الاذهان والعقول ، كما صفدت صلابته

الايدي عما تفعل وأخـرس صيته الألسن فأتلفت ما تقول ، فـلا جارحة إلا ولها من خبطه طنين ، فكادت الحبالى تسقط المشايم فضلا عن الجنين ، فيالـه من سوط الزجر الذي لا ينسى علينا طول السنين ، أسمعتنا غرائب لم تمر مرارتها على أهل الدهر الآتي والغابر ، ولو صرخ بها على جبانة لنهض أهل المقابر ، ليست هذه عوائد من سبقك لتلك الدرجة من الاعمام والاخوان ، منهم القريب لك والدك مولانا زيدان ، حتى سمتنا بالدلالة في أسواق المذلة والهوان، وما نحن الا ركن ووكر لمن طرقته وصمة، أو غمته غمة، أو حذر أخاه أو أباه أو عمه ، يأمن لدينا بنفسه ، وذويه وفلسه ، متى عرته نكبة من هجران أو وقعة ، لم يجد في الغالب موئلا سوى هـذه البقعة ، وأنت تمتثل تدبيـرا باشارات الاعلاج المجبولين على طباع الخدائع والغش ، على ثل قواعد ملكهم المخرج عن عريش العش ، ومن الدليل والشاهد والبرهان ، فتكهم بأخيك مع مشورة النسوان ، على غيب من الجند والديوان ، غرضهم في الغرب نشـر سنة الباس ، التي نشروها في الشرق بعـد المعتصم من بني العبـاس ، فلا تدعهم يخدمونك حتى يدركون ، فيتفكروا ما فعل آباؤهـم المشركون ، قاتلهم الله أنى يوفكون ، وهم سلبوا روح جدك السمي من غمد الجسد ، وحملوا هامته في مخلاة من مسد ، وحركوا الى عمك مولانا عبد الله لوادي اللبن حوز صنهاجة ، لولا أن الحي القيوم سبحانه عوق أغراضهم عن قضاء الحاجة ، وايم الله لئن داموا لك في الغرب بطانة ، حتى يُطلّقوا عليك ثلاثا أوطانه ، وأما نحن فبيعة والدكم لم تزل لنا في الأعناق ، وحطناها بشغف واشفاق ، ولا ينبغي أن تعاد فتكرر ، كالظهير لمن طلب أن يتحرر ، وأيضا منعنا مـن تجديدها انسلال البربر عن ساحتنا ، فيكون أقوى سبب لاماطة حجاب الصون لفضيحتنا ، وأجلها هذا الأجدل الذي لا تؤوده سموم الليالي ولا حرارة قيظ المصيف ، مولانا محمد بن مولانا الشريف ، عقاب أشهب على قنة كل عقبة ، لم يقنعه عدد المال عن حسم الرقبة ، وربما عرت غفلة فيشن الغارة الشعواء على شعاب شعوب ملوية ، أو ينشر جيوشه على رباط تازة بالرايات والالوية ، سيما وجناحاه ذوو النفوس النفيسة ، بربر صنهاجة ودخيسة ، بزاة النزوات، بالحلة والمحال والغزوات .

والعياشي كما تعلمون كانت همة هجرته أولا لردع ملة أهل الشرك ، ثم مد خطا الخطأ لطلب دوحة الملك ، قد خدع دون وفقنا طوائف البربر ، فحوص (1) زروع العرب عام الجوع ، ليصبغ لنا ولهم أكف العداوة بالوقوع ، فكان الامر كذلك ، إلى أن سد القدر المحتوم بيننا وبينهم المسالك .

واما وصيفكم الامين مبارك السوسي حيث أناخ علينا كلكل الاقامة ، لاختطاط ضريح الوالد رحمه الله بما أقامه ، أقمنا بوظيف حقه الظاهر والباطن ، وسرحنا له بعد الاستراحة اقدام الجولان حتى اختبر بعين الحقيقة أنجاد الاماكن وأغوار المواطن ، ولا شك أن حال مطالعته هي التي ارخصت لنا في سوق خواطركم الاسعار ، الى أن نصبتم لنا بعد الرضى حبائل العار ، الجالب للاذعار ، وجد قبائلنا متبددة على ضم الحبوب في الصيف ، ولا عاينهم مستعدين على الخيول برمح ولا مدفع ولا سيف ، فخالهم على غرة غنيمة باردة ، ولا علم أنهم اغوال الغيل صادرة وواردة ، فان كانت معاينته هي التي اطمعتك ان يعودوا بعد العز نوائب ، فادر أن ظنه الخاوي خائب ، من ركب الخيل لنفسه دون راتب المخزن ، ولا ترضى همة أن يهان فيحزن .

وقاضيك السيد محمد المزوار حيث عاين وفود الاقاليم منتشرة كالجراد على الازقة والادراب ، دون من لزم الابواب ، ولحظ ما لنا من العرصات والقباب ، تحقق عيانا أن شمل المالك والمملوك ، لا يكون منتظماً إلا على عظماء الملوك ، فقص عفا الله عنا وعنه عليكم وعلى مَن حضر ، ما اعتقد وسمع ونظر .

وحتى الآن ان قصدتم الغرب والعرب أو حصن فاس ، لا تنالكم منا مساءة ولا بأس ، فبعد أن يكون لكم في المدينة البيضاء الجديدة والقديمة قرار ، يكون لنا بعد ذلك حكم الاختيار بين أن نؤمك أو نترك لك الديار ، أو نستصرخ بمن هو مثلك شريف حقيقي وسلطان ، له شغف أكثر منك في ضبط الاوطان ، فنقابل اذذاك القسوَرَة بالساط ، ونلقي بطانة من شاط لأسنان الامشاط ، فايهما للغرب غلب ، نؤدي له على غمة الرغم ما رغب وطلب، وان أنت قنعت بحوز الحمراء مراكش، ورفضت عنك معاناة الهراش والتناوش،

1) حوص معناها في العامية المغربية سرق ونهب ونحوهما

فدعنا ومراعاة من تجارته الرئاسة ، وهمته اشتراء نفيس السياسة ، ضرغام غاب سجلماسة .

واما صاحب إليغ السوس ، فما مراده وذويه إلا غنيمة سلامة الأعراض ونجاة سلب النفوس .

وفيما تلوناه عليك من القصص ، ابلغ كفاية في غنيمة العيش الارغد أو تجريع الغصص ، فان غادرتنا مستترين في حومة الامان الاحترام والوقار ، فنعم ، وإن زاحمتنا بمنكب الهوان والاحتقار، يدافعك عنا من ادعى انه زعم، وان طرقنا مناخ عزم قصدك على عبر وادي أم الربيع ، يجمع الله بين من يشتري ويبيع ، والسلام .

وكتب عن اذن جمهور اخوته عبد الله المسناوي بن محمد بن أبي بكر الدلائي يوم الأحد ثاني وعشرين من رجب الفرد الحرام عام سبع واربعين وألف.

انتهى (1) .

وكانت بينه وبين أهل زاوية الدلاء معركة انقشع غبارها عن هزيمته، وذلك بموضع يقال له بو عقبة أحد مشارع وادي العبيد ، ولما رأى محمد الشيخ تعاصيَ أهل زاوية الدلاء عليه ، واستحكامَ أمر المغرب لهم ، وتقويتهم بالعدد والعدّة ، وضعف عن مقاومتهم وعجز عن مقارعتهم صرف عنانه عن عنادهم ومنازلتهم ومناوأتهم ، ومال إلى مسالمتهم ، وقطع النظر عما في أيديهم ، وقد نبغ عليه رجل من هشتوكة خارج باب الخميس من مراكش ، وقاسى في محاربته تعبا شديدا ، ولم يزل يناوشهم القتال الى أن كانت عليهم الكرة ، ففرق جموعهم ، وشق العصا عليه أيضا قبيلة الشياظمة ، فقصدهم ، وكانت الملاقاة عند جبل الحديد فهزم هزيمة شنيعة ، والامر لله وحده يعز من يشاء ويذل من يشاء .

وقد وقفت على رسالة كتب بها مولاي مَحمد الشيخ المذكور لمولانا مَحمد بن الشريف الحسني السجلماسي ، لما بويع بفاس يهنيه بالملك ، ويحذره من أهل المغرب وغدرهم، من انشاء وزيره القائد محمد بن يحيى أجانا، وفي آخرها قصيدة من انشاء القائد المذكور ، وهي هذه :

---

1) نزهة الحادي ص 224

أمحمدا نجل الشريف المرتضى (1) شمس السعادة والهلال الأكمـل
ملأت مهابتك المهمة مغربـــــا فزهت بشرقها اصبهان (2)وموصل
صقر الصياص على الاعادي صائل غوراً يغير في الملاحم سيتـل (3)
أظفاره للمارقين صـــــوارم وبكل ظفر منه يسطو ذوبــــل
فجنودك الجُرد' العتاق' وإن تطر فكأنها في الخافقين الاجـــدل
هاتيك ثوار القبائل مغنـــــم للوحش حيث تغير طاب المنهــل
قد طبت ان عرقت عروقك في الوغا خلت العنابر ديف فيها المنـــدل
يامالكا سعدت به أوطانـــــه فيما مضى وزها له المستقبــــل
نادى بك النصر العزيز لمغـــرب ولكم على فاس الجديد الكلكــل
فاحذر كما حذر الغراب ولا تكـن كالبط يطفو عن مضاه القلقـــل
واعدلْ تفوز ولا تواخي طامعاً (4) تردي العداة وتعم عنك العـــذل
لا تصدمن جبل البرابر واصطبـر حتى يهون على الحواسد مدخـــل
لا تأمن الاعراب في أقوالهـــــا واقمع فضاضة من يخون ويختـل
وعليك بالغارات في أوطانهـــــا بكتائب تسبى الاناث وتقتـــل
واغضضْ ولا توذي تجار مدائـــن يبقى عليك الستر دابا مسبــل
لا تتخذ من أهل فاس صاحبـــا أو حاكما يصل الامور ويفصـل
كالبغل عادته الفرار وان غـــدا في مربض فمتي استغرك يركـــل
لا تنقلنّ إلى الصحار (5) ذخائرا فيقول أهل الغرب حتما يرحـــل
واضرب لبيت الملك أوتاد الدهـا تزداد صيتا في العقول وتقبـــل
وألقى وفود العرب واعرف قدرها فقدوم كل قبيلة لا تجهــــــل
وابسط يديك على العيال هنيئـة واذا غرست عروق عدل تنقـــل
هاذى وصايا قد أضعن حقوقهـــا في حق آخر ما ابتنـــــاه الاول

---

1) فى رواية : ياشبل مولانا الشريف محمدا

2) يقرأ بحذف همزته للضرورة

3) السيتل يريد الأسد ، ولم يذكره الدميرى ولا غيره فيما وقفت عليه ، والظن انه من وضع عامى أو من لغة البربر (**النزهة**)

4) اثبت الواو والياء فى قوله تفوز وتواخى لضرورة الوزن ، وفى هذه القصيدة كثير من امثال هذا ، وهى من البرودة بمكان (مصحح **نزهة الحادى**)

5) الصحارى يقرأ بحذف الياء للضرورة (مصحح **نزهة الحادى**)

فمتى شددنا للمعال رحالنـــــا … يأباه نصر والمقادر تخـــذل
فرضين محتسبين أحكام القضـــا … والله يفعل ما يريد ويعـــــدل

فاجابه مولاي محمد الشريف بقصيدة ختم بها جوابه من انشاء الفقيه سيدي محمد ابن سودة :

أمحمد الشيخ بن زيدان الرضـــي … فخر الخلائف والهمام الافضـــل
فلقد أجبتك عما فيه كتبت لـــــي … نثرا ونظما كي ترى ما تســـأل
فالى متى طول الرقاد ، أما تـــرى … اظعان ملكك كل يوم ترحـــــل
والدهر ينتف في رياش جناحكـم … ويدنسن من الصفا ما تغســـل
ما من خليفة ذاق لذة راحــــــة … الا تخلله الهوان فيسفـــــــل
ومن أخزى من كثرت شنقا ثـــواره … تعوي عليه بكل عاد معقـــــل
تحتال تخدعه بكل قنيصـــــــة … حتى يصاد كما يصاد النعثل (1)
فاستيقظن من الخمار ومن رعـــي … غنما من آساد الغضا لا يغفـــل
وانفض غبار الذل واخلع نعلـــه … يزداد وجهك بهجة ويهلـــــل
ضيعت ملكك في الرخا وتركتـــه … للخزي في دور الولاية ذلــــــل
وركنت للظل الوريف وغـــــادة … يزهو البديع لكم أذا ما ترفـــل
واذا رغبت دوام هيبة همـــــــة … وتصير في ستر عليكم يسبـــل
دع عنك في الحمرا مروق سفرجل … ومدربلا (2) به زعفران وفلفـــل
واركب مطايا الصافنات إلى الوغـا … اما تحوز مزية أو تقتـــــــل
واقرع طبولا للدعاة وفي الوغـــا … يجبي الى الحرب العوان الجحفل
وخض الغمار وهز رمحـــا وادرع … واعل العنان وفي اليمين المنصل
خاطر بنفسك في الفيافي جائـــلا … تردي العدو وكل ليل منــــزل
واصطد نهارك بالسلاق وبعدهــا … عقبانها وفهودها والاجـــــدل
وقد الجيوش كما الوحوش ولا تدع … من يعص أمرك تزجرنه فيفعـــل
جنب أجانا الجبن في تدبيـــره … واصحب شجاعا للذخائر يبـــذل
لا تجعلن من العلوج بطانـــــة … فطباعها الغدر البليغ الاعجــــل

1) النعثل كجعفر ذكر الضباع ، قاله الدميرى وغيره (مصحح نزهة الحادى)

2) المدربل الباذنجان والقرع الأحمر يطبخ ثم يقلا ويعرك حتى يصير كالعجين ويوضع فوق اللحم أو الدجاج شبهوه بدرابل الفقراء الممزقة

اما الشبانة فاحذرن من غيهــا — لا بد تغدر في الاخير وتخــذل
ترجو عواقب دولة لنفوسهــا — وتود من وافى جنابك يحفــل
يعطف عليك الدهر بعد نفــوره — فتعود أيام السرور وتقبــل
ما ذاق زيدان أبوك حــلاوة — من حزمه حتى انتحاه الحنظــل
واذا امتثلت جواب صدق وصيتــي — يصغي الزمان لكم ويصفو المنهل

وكان في أيام مولاي محمد الشيخ رحمه الله، رخاء مفرط، وغلاء مفرط عام ستين وألف ، وتوفي رحمه الله عام أربعة وستين وألف ، ودفن بقبــور الاشراف قريبا من قبر أبيه .

ومما كُتب في رخامة على قبره :

لبدر سماوات المعالي أفــول — وفي ذا الضريح كان منه نــزول
محمد الشيخ بن زيدان غالــه — حمام فحزن العالمين طويــل
إمام المعالي ذو المآثر فضلــه — له عزة في الصالحين جميــل
حباه الاه العرش رحمى تخصــه — بما هو في الفردوس منه كفيــل

ووزراؤه : يحيى أجانا ، وولده محمد ، وغيرهما ، وقضاته : عيسى بن عبد الرحمان ، ومحمد المزوار .

انتهى (1) .

684) **محمد المزوار المراكشي** ، قاضيها الشيخ الماهر رضي الله عنه، قال الشيخ اليوسي فــي فهرسته : ومــن أشياخي الفقيــه الامام العلامــة محمد المزوار المراكشي ، قرأت عليه جملة من مختصر السنوسي ، وكان من مشاهير وقته في فنون العلم ، مع توسع أخلاق وحسن عشرة ونزاهة وهمة ، ولي رحمه الله القضاء بعد عيسى السجتاني ، فجرى على الطريق المستقيم ، والسنن القويم .

توفي رحمه الله في حدود خمس وستين وألف ، ودفن بجنب ضريح الشيخ سيدي أبي بكر السجتاني (2) .

1) **نزهة الحادى** ص 229
2) **صفوة من انتشر** ص 111

وقال في (النزهة) : وفي أيام السلطان محمد الشيخ بن زيدان ، قويت شوكة أهل الدلاء وانتشرت كلمتهم في بلاد الغرب ، وضعف الشيخ عن مقارعتهم ، وبعث اليهم قاضيه العلامة الفقيه محمد المزوار المراكشي يطلب منهم ترك الشنآن والرجوع الى أجتماع الكلمة ، ويحتج إليهم بأن أباهم الولي الصالح سيدي محمد بن أبي بكر كان قد بايع أخاه الوليد بن زيدان ، والتزم طاعته ، وأنهم أولى الناس باقتفاء طريقته واتباع منهاجه ، فلما بلغهم القاضي المذكور ، وأدى الرسالة ، ونثر ما في العيبة وبين قصده ، اعتذروا إليه بمسائل وتعللوا بوجوه ، انتهى .

وقال سيدي حمدون ابن الحاج في (شرح عقود الفاتحة) ما نصه : أحسن محمد المزوار في قوله :

تنفس صبح الشيب في ليل عارضي فقلت عساه يكتفي بعذار
فلما فشا عاتبته فأجابني أياهل ترى صبحا بغير نهار ؟

ترجمه في (الصفوة) و (طبقات الحضيكي) وغيرهما (1) .

685) محمد بن علي السملالي

محمد بن علي بن الحسن بن القطب الكبير سيدي أحمد بن موسى السملالي .

كان رضي الله عنه من العلماء العاملين ، وأولياء الله الصالحين ، أخذ عن عيسى السجتاني ، عن تلميذيه سيدي عبد الله بن يعقوب السملالي ، وسيدي علي بن أحمد الرسموكي .

توفي رحمه الله فجاة بمراكش ليلة الاربعاء سادس عشر من جمادى الاخرى سنة ست وستين وألف .

ذكره الحضيكي في طبقاته .

686) محمد الكفيف المراكشي مفتي حمراء مراكش ومدرسها ، الفقيه الأستاذ ، قال سيدي محمد بن سعيد المرغيثي السوسي المراكشي في جواب

---

1) مناقب الحضيكي 2 : 109

له لما سئل عن حال ساداتنا السبعة الرجراجيين : أهم من الصحابة أم لا ؟ ما نصه : والفقيه الاستاذ سيدي محمد الكفيف مفتي حمراء مراكش ومدرسها يقطع بذلك ، ولا يشك فيه ، انتهى .

وقد أوردت الجواب المذكور في ترجمة المرغيتي فراجعه هناك ، وهذا ليس هو الاستاذ المقري محمد بن علي الجزولي الانسوي المتقدم الترجمة .

687) محمد بن محمد الرحماني المراكشي

محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله الرحماني المراكشي ، الشيخ الامام الفقيه العلامة الاكبر الفهامة ، له منظومة في القراءات خصوصا قراءة ابن كثير ، سماها (الهدية المرضية ، لطالب القراءات المكية) ، وأرخها في الاخير بعام 1070 سبعين وألف ، وعددها 264 أربعة وستون ومئتا بيت .

قال في ذلك :

264   1070

وادع بأحسن الدعاء كما ورد   شمل بها التاريخ صدر للعدد

وقفت عليها في مجموع محلى بتلك الحلى بخط قديم ، ويوجد مجموع بخزانة آسفي الحبسية في ضمن كتب القراءات ، في حقه اجازات من شيوخه في الفن المذكور .

قال : قرأت بفاس على الاستاذ سيدي محمد بن محمد بن سليمان البوعناني ختمتين بالسبع ، وعلى الاستاذ عبد الرحمان ابن القاضي ختمة سبعية ، وأخرى عشرية ، وعلى الاستاذ سيدي عبد الله بن محمد ختمة بالسبع ، وأخرى بالعشر والسبع ، وعلى الاستاذ سيدي محمد بن محمد بن أبي بكر المسناوي ختمتين بالسبع ، وعلى الاستاذ سيدي محمد العمري ختمة بالسبع ، وعلى الاستاذ سيدي عبد القادر السفياني ختمتين بالعشر ، وعلى الاستاذ سيدي محمد بن يوسف التاملي المراكشي المتقدم سورة البقرة بالسبع ، وبالطرق العشر .

قال : وما استفدت هذا الا من بركة الفقيه المحدث النحوي اللغوي سيدي محمد بن أبي بكر ، وفي آخر رمضان عام 1044 ، ثم أتبعه بخطوط المذكورين في الفن المذكور ، أولها : مؤرخ بثاني ربيع النبوي سنة 1038 قد

انمحى اسم ممضيها منهم ، وثانيها اجازة ابـن القاضي مؤرخة بأواخر ربيـع الثاني سنـة 1039 ، وثالثها اجازة التاملي فيهـا بعض أسانيده القرآنيـة ، ومصافحة الامام العربى الفاسي له بسنده المعروف ، عن الشيـخ القصار ، وعقبها تصحيح أبي حامد المذكور .

وفي هذا المجموع أجازة الاستاذ علي بن هارون المطغري للسلطان أحمد الوطاسي بحرف نافع نظماً بلغ بالسند إلى الداني ، ثم أتمه الرحماني المذكور فأبلغه الى نافع ، ثم الى النبي صلى الله عليه وسلم ، وعقب ذلـك تصحيح شيخه التاملي واصفا له بالاستاذ الضابط المتقن ، وعندي تاليـف المترجم المسمى (تكميل المنافع ، في قراءة الطرق العشرة المروية عـن نافع) اعتمد فيه على تقييد لبعض شيوخه ، مع كتاب الشيخ الزروالي ، وهذه النسخة كتبت من خط المؤلف بواسطة عام 1260 في سابع محرم .

688) محمد بن عبد الله السوسي المراكشي

كان ربعـة أبيض مائلا للصفرة مـن أخذه بالجد وعدم ميلانه إلـى الراحة والنعمة ، وكان معتدل الاطراف ، متماسك الجسم في نحافة ، جميل الطلعة ، لا يحلق من شعر رأسه كلحيته شيئا ، وكان يفعل ذلك اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وحبا في العرب . أصله من تمَّلت بتشديد الميم من سـوس .

كان أبوه سيدي عبد الله عالما ناسكا ، وحرض ولده على الرغبـة في العلم ، كان المترجم مائلا الى الانقطاع والتبتل للعبادة ، والتورع عن المخالطة، والانكفاف عن الشبهات ، وله أخ اسمه إبراهيم أخذ عن الشيخ ، أخذ الوظيفة الزروقية عن والده ، ووالد والده الى واضعها ، كانت له معرفة حسنة بمسائل الصغرى في التوحيد ، ومسائل الرسالة ، ومسائـل خليل ، وكان يحضـر التفسير والحديث ، وكان يأتي المقابر ، ويقل الاكل ، ويكثر الذكر ، شديد الورع ، كثير التحري ، تاليا للقرآن ، ولم يزل على حال الانقطاع عن الخلق ، والتبتل الى الله تعالى في مدينة مراكش ، وكان أهل الخير بها يتوسمون فيه الصلاح الاعظم ، واجتمع له البلوغ بطريق الجذب والسلوك ، وصرحت له أساطين المسجد الجامع بالمواسين بأن ذلك أوان الظهور لنفع العباد ، وممن حضر ذلك : سيدي علي العكاري الـذي طلب منه تيسير العلم والعمل بـه ، فاستجيب له ، وتلمذ له امام مراكش المرغيثي ، وأتاه بولده العلامة سيدي

محمد بن محمد بـن سعيد ، وطلباه في الصحبة فقبلهما ، ولم يـزل الشيخ يتوب الناس على يده بمراكش ، ويمدهم بمدد أنوار الايمان والمحبة ، كان الشيخ كثير المحبة لاهل البيت ، والتعظيم لهم ، أخذ العهد عن مولانا عمر بن الخطاب يقظة مشافهة !

وفي الشيخ يقول بعض أصحابه حال جواره بمكة والمدينة المشرفة :

هو العمري المشهور حالا وهيبـة   هو الحسني الشوق بكري التجمل
فمن كابن عبد الله يدلي بأنـــه   لدى المصطفى يهنيه حس التبتل

وحين كان بمراكش ، بلغت أخباره الى الآفاق ، وخضع له المعتبرون من علماء البلد وكبرائه واقتدوا به ، ثم وشي به لسلطان البلد ، فبعث إليه فدخل عليه في قصره ، وأمره بأن يبدي دليلا على ولايته ، فأجابه بأن يتأدب ولا يظهر منه سوء أدب فيرى ذلك ، وحضه على الكتاب والسنة ، ثم وكل به حافظا بمسجد باب قصره ، ثم عرض له ما أوجب تخلية سبيله ، ثم خرج من مراكش قاصدا مجاورة الحرمين الشريفين .

وقال للشيخ ابن سعيد : لا أخرج من المغرب حتى أودع الصحابـة الكائنين به ، وهم الرجال السبعة رجال رجراجة ، والتقى به السلطان الحاج محمد بن محمد بن أبي بكر الدلائي وخضع له .

ومن كلامه رضي الله عنه : ربما يقال كيف يعم مددنا هؤلاء الجماهير من الناس ، ان عندي ما أعطى بعد الموت الـى يوم القيامة ، قد ملئت الـى الرقبة ، وكلام الشيخ هذا صريح في أنه من أهل المدد في الحياة وبعد الممات، وقد سمعه منه أصحابه غير ما مرة ، وزار الشيخ أبا يعزى ثم جاور الحرمين نحوا من ثمان ، يجاور الروضة المشرفة ستة أشهر ، والكعبة مثلها ، المشتمل على أيام الحج ليحج فيها ، فكثر أصحابه هناك من أهل الحرمين الشريفين ، وأهل العراق والشام والهند واليمن وغير ذلك ، فصار أصحابه هنالك أكثر من أهل المغرب .

وكتب الفقيـه سيدي أحمد بـن سعيد الكنسـوسي عن إذنه لكـافة أصحابه بالمغرب ، وقال في كتابه : لو أعلمتكم بما شاهدت من عجائب الالطاف في وفاتي لاقتضيتم العجب ، وتوفي بداره بمكة .

ومـن أصحابه : أحمـد الولالي ، والشيـخ المرغيثي ، وولـده ، وأحمد الكنسوسي ، ومحمد الصومعي تلميذ سيدي العكاري ، وشوهد المترجم بالحرم الشريف بين السماء والارض بازاء الكعبة ، وهو يتعبد !

ترجمه في (مباحث الانوار ، في أخبار بعض الاخيار) ، واختصـر ترجمته منها صاحب (البدور الضاوية) ومنها لخصتها ، وقد لخصها منهـا أيضاً في (نشر المثاني) قال فيه: فمنهم الشيخ العارف بالله سيدي محمد بن عبد الله السوسي أصلا ومنشئاً ، المكي وفاة ، ألف فيه وفي أتباعه الشيخ العلامة أحمد بن يعقوب الولالي تأليفا سماه (مباحث الانوار ، في أخبار بعض الاخيار) وأثنى فيـه على صاحب الترجمة بالانقطاع والتبتـل للعبادة والتورع عـن المخالطة ، والانكفاف عن الشبهات ، والتحري في المطعم ، قال : حتى أنه وقع له في ابتداء أمره أكل طعام فيه شبهة ، وهو لا يعلم ، فمرض مرضا شديدا فسمع هاتفا يقول لآخر : مخضوا الرجل ، فانه أكل الشبهة ، فرفع في الحق فمخض مخض الوطب ، فقاء حتى خرج ما في جوفه فعوفي من حينه ، وكان تارة يلازم قراءة القرآن ، وتارة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، حتى لا يسمع منه غيرها ، وترد عليه الواردات ، وربما ورد عليه وارد يقتضي حركة فيخطر بباله أن الناس ينظرون ، فيقول حجارة حجارة يكرر ذلك ، وقصده انهم كالحجارة لا يضرون ولا ينفعون ، قلت : وبـه يصح الاخلاص كما قـال الفضيل بن عياض رضي الله عنه : العمل لأن يراك الناس رياء ، ولأن يراك الناس شرك ، والاخلاص ان يريحك الله منهما ، انتهى (1) .

فاذا أراحه الله من اعتبار رؤيـة الناس وعدمها فهـم عنده حينئـذ كالحجارة كما قال الشيخ رضي الله عنه ، وله كرامات منها انه كان في بعض أسفاره لسوس ، فلما خرج في رفقة خرج عليهم جماعة من اللصوص ، فلما علم الشيخ أنهم يريدون قطع الطريق عليهم صاح عليهم باسم الجلالة : الله ، فسقطوا عن آخرهم ، فمر الشيخ حتى وصل للقرية ، فأرسل مؤذنها اليهم أن

1) نشر المثاني 1 : 269 .

يصيح عليهم باسم الله ، ففعل ، فقاموا وظهر على يده أنواع من الكرامات كابراء المرضى ، وتكثير الطعام وغير ذلك ، ودخل للزاوية البكرية ، وتبرك بـه أميرها محمد الحاج ، ومن بها من العلماء والكبراء ، ودخل الصومعة من تادلة ، فرحب به أهلها وعظموه ، وصحبه منهم الفقيه العلامة الانـور محمد بن عبـد الرحمان الصومعي التادلي .

وكـان صاحب الترجمـة لا يأمر الا بالتوبـة والزهد ، وكـرر عليه السؤال بعض آل البيت ، وألح عليه عمن أخذ ، ولا يستطيع ذلك منـه الا رجل من آل البيت لكثرة محبته لهم ، فقال له : سألت عن أمر عظيم ، ثـم مد يده ، وقال : هذه يد عمر بن الخطاب ، وصرح بأن مدده من النبي صـلى الله عليه وسلم مباشرة،حكي مثل ذلك عن جماعة من الصالحين،فعن الشيخ أبي بكر هواري أنه لما نام وقف عليه النبي صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر الصديـق رضي الله عنه وقال له : أنا نبيك ، وهذا شيخك ، ومثل ذلك كثير في أخبار الصالحين . وكان يقول أني أرى الأدب مع الله تعظيم مَن ولاه من الملوك بما لا يخالف الشرع ، وكان يقول : بعثني الله لأسقي حياً وميتاً .

قال أحمد الولالي : وهذا المعنى ، أعني المدد في الحياة وبعد الممات أخبر أهل البصائر أنه لم يثبت الا للأفراد مثل أبي يعزى ، وأبي مدين ، وأحمد السبتي ، والجيلاني رضي الله عنهم .

وكان صاحب الترجمة شديد المحبة في آل البيت ، فكان الشيـخ الامام محمد بـن سعيد المرغيثي ورد عليه يوماً مـع بعض آل البيت ، فلما وصلوا الباب اقتحم الشيخ ابن سعيد قبل الشريف دلالة على الشيخ وحبا فيه ، فلما رأى ذلـك الشيخ صاحب الترجمـة ، تغيظ عـلى عـلى الشيخ ابـن سعيد مـن عدم تقديـم الشريـف ورأى أن ذلـك سوء أدب ، وكانت عادته لا يرى واحـدا من آل البيت الا وقام اليه وقبلـه . فافضى به التغليظ على الشيخ ابن سعيد أن ضربه بصفح يده ، وقال له : قم عني ، فقام فزعا ، واتفق على إطفاء المصابيح حينئذ ، فأحسَّ ابن سعيد من نفسه بالسلب على ما أخبر به عن نفسه ، وبكى اذ لم يجد من نفسه حراكا

دينا ، فخرج حتى خرج ذلك الشريف ، وأتى به شفيعا للشيخ وقدمه اليــه باكيا فأصاب الشيخ رضي الله عنه الشفقة عليه وادركته عليه الرحمة فقربه إليه ، وضربه ضربة أخرى عاد إليه بفضل الله تعالى بها ما فقده من الضربة الاولى ، وزيادة عظيمة من المدد لم يكن يعتادها الشيخ ابن سعيد ، فقال له الشيخ : هكذا أردتك أن تتأدب مع أهل البيت ، فقام الشيخ ابن سعيد الــى المصباح حالفا أن لا يوقده غيره فأوقده على كبر سنه ، فوجد لذلك بركـة عظيمة ، فمن يومئذ صار يتأدب مع الشيخ تأدبا عظيما ، ولا يتكل على المحبة في سقوط الادب ، ولا يدخل على الشيخ رضي الله عنه ومعه واحد من أهــل البيت الا وقدمه اليه .

ومن رفيع كلامه أنه استشاره الشيخ ابن عبد الرحمان الصومعي في أمور من جملتها ، ان (بداية الهداية) للغزالي التي تركت بيده ولم يدر ربها ، فكتب له بعض أصحاب الشيخ عن إذنه وإملائه كلاما رفيعاً منه قوله : أمــا (بداية الهداية) فاذهب بها ولا تتركها لاحد ، لا مرادك منك ، ولا مرادك منه ، وهذا كلام رفيع .

ولما اجمع صاحب الترجمة على الخروج من المغرب قال للشيخ ابن سعيد : اني أرى من الادب أن لا أخرج مــن المغرب حتى أودع الصحابة الكائنين به ، وهم الرجال السبعة بحاحة الذين ذكر بعض العلماء أنهم قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته ، وكلمهم بلغتهم . فمن أجل هذا كان الشيخ ابن سعيد يجــزم بصحبتهم ويقول : هذا الرجــل نعرف انه من كبراء أهــل البصائر ، وما يقوله أهل البصائر يجب الرجوع إليه ، لان علمهم بنور إلاهي لا يعتريه غلط ، ولا يلتفت الى ما يقوله بعض أهل الظاهر من العلماء ، وهو أن العادة تبعد صحبتهم لان ذلك تتوفر الدعاوى على نقله لو كان ، فلو وقع لشاع بين أهل الاثر ، أنتهى .

وكانت بين أولاد الشيخ أبي يعزى رضي الله عنه فتنة" عظيمة أفضت الى قتال بينهم ، فأرشدهم الــى الصلح ، ووعظهــم ، فنفعهم الله بذلــك ، واصطلحوا وتساقطوا الدماء والأموال وكلٌ حق ، وألف بينهم ببركته ، وكان

يوصي بكتب السير ، ويرجحها على كتب التصوف ، قال : لان فيها سيرة الصحابة ، وكتب التصوف فيها سيرة الاولياء ، وشتان ما بينهما ، وكان يقول المعلم اذا قرر مسألة وقف حتى يعرضها على نفسه ، فان تخلق بها حمد الله تعالى على العلم والتخلق ، والا تاب وتخلق ، فيحمد الله على الامرين ، حتى يصير الانسان حامد الله تعالى على كل مسألة ، قال : فبهذا يكون العلم علما نافعا ، والا كان حرفة لصاحبه والعياذ بالله .

وأخذ عن صاحب الترجمة وانتفع به جماعة من أصحابه ، فمنهم الشيخ الفقيه العلامة أحمد بن سعيد الكنسوسي المراكشي ، وكان يظهر عليه أنوار وبركات ، ومنهم الفقيه الدراكة الشيخ يحيى الهشتوكي ، كان عالماً مشاركاً دراكا، له إدراك حسن في تحقيق(الكبرى)للشيخ السنوسي، توفي بالشام رحمه الله ، ومنهم الولي الصالح العلامة المشارك سيدي محمد بن سعيدالسوسي المرغيثي ، وتأتي ترجمته أن شاء الله ، ومنهم الشريف العالم سيدي محمد بن عبد الهادي من ذرية مولانا عبد السلام ابن مشيش ، كان مجاورا بالحرم ، وبه لقي الشيخ صاحب الترجمة ، ولقيه الشيخ العلامة أحمد ابن الحاج الفاسي زمن رحلته للحجاز بقصد الحج ، وأثنى عليه ، ورجع للمغرب الشريف العلمي فبقي بجوار جده ابن مشيش منقطعا للعبادة ، وكان له تلامذة قليلون ، ثم استشفع له بعض الشرفاء أن ينتقل الى مدشر هنالك ، ورغبوا إليه في ذلك تبركاً فانتقل ومات به ، ومنهم العلامة الدراكة سيدي علي العكاري برباط سلا ، وكان من المتبركين به ، ومنهم العلامة سيدي محمد بن عبد الرحمان الصومعي ، وستأتي ترجمته ان شاء الله تعالى . ومنهم العلامة سيدي الطيب ابن المسناوي الدلائي وتقدمت ترجمته قريبا ، إلى غير ذلك من المشايخ ، ذكر منهم الامام أحمد الولالي جماعة ، وعنه ذكرنا هاؤلاء ، ولم أترجم الا لمن وقفت على وفاته منهم اكتفاء بما ذكرنا هنا .

وتاتي جمل من كلام صاحب الترجمة ووصاياه في ترجمة الشيخ أحمد هذا عام ثمانية وعشرين ومئة وألف .

وتوفي صاحب الترجمة بمكة المشرفة في دار وهبه اياها بعض التجار بعد أن تزوج بها ، وترك زوجه حاملا ، فولدت وقد مات من ولدت ثم ماتت هي، وكان أمرهم في شدة مرضه أن يحجوه مريضا ، فاحرم ، ووقفوا به بعرفات ، فمات بعد التحلل الاول سنة تسع وسبعين وألف ، رضي الله تعالى عنه ، ونفعنا ببركاته آمين ، انتهى .

وقال في ترجمة أحمد الولالي ما نصه : واتصل رحمه الله بالولي العارف سيدي محمد بن عبد الله السوسي ، وتقدمت ترجمته عام تسعة وسبعين ، وألف فيه وفيمن لقيه من السادات كتابه المسمى (مباحث الأنوار ،في أخبار بعض الأخيار) وحكي عنه أنه أدرك ما يدركه الأولياء ، ومما يدل على تهيئته لذلك ما حكاه عن نفسه في (مباحث الأنوار) حيث قال : لما حكى نسبة أهله وقبيلته ما نصه : ووقعت فيهم — أي في قومه — مقتلة عظيمة في حرب وقع بين ملوك الوقت ، وهم مع قبائل آخرين ، ولم يقع في تلك القبائل ما وقع في تلك القبيلة ، بل خصوا بكثرة القتل من غير أن يقصدهم بالخصوص بالقتال ، بل قصدهم في الغالب انما هو في إفناء غيرهم ، فاتفق أن قتل منهم نحو أربعمئة وخمسون مقاتلا ، ولما وقعت فيهم تلك المقتلة ، تفكرت يوما في ذنبهم الذي خصوا بتلك المصيبة ، اذ علمت أنها ليست الا عن ذنب ، فقيل لي في عالم النوم : ان سبب اراقة تلك الدماء منهم أنهم أراقوا دم واحد من أهل البيت ، فذهبت الشكاية منه الى السيدة فاطمة رضوان الله عليها ، ثم منها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم منه الى جبريل عليه السلام ، ثم الى رب العزة فحكم الله تعالى عليه بانه يسلط عليهم من يقتل منهم ذلك العدد ، ثم ذهب إلى الشفاعة من الشيخ أبي عبد الله السوسي ، شيخنا المذكور ، الى السيدة فاطمة رضوان الله تعالى عليها ، ثم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم الى جبريل عليه السلام ، ثم الى رب العزة فلطف الله تعالى بهم ، وكان من اللطف الذي وقع لهم أنه لم يخل بيت منهم إلا واحد ، بل كلما قتل رجل بقي مَن يخلفه ويعمر من أثره في بيته ، ومن اللطف أيضاً ان زاد عندهم في عام المقتلة أربعمئة وخمسون صبيا ذكرا ، وطال عيش الصغار حتى كبروا ، والشيخ رضي الله عنه ليس بينه وبين تلك القبيلة علقة ظاهرة الا ما

كان لنا معه ، ولما قيل لي في ذلك في المنام جعلت أتعجب كيف أراقوا دم واحد من أهــل البيت ، ولم اسمعه ، ثــم بعد ذلك بزمــان لقيت واحدا مــن شرفاء سجلماسة يقال له : مولاي حفيد ، فكنت أتحدث معه حتى قال لي : ان بني ولال في العام الذي أغاروا عليها بالموضع الفلاني ، وأخذوا ما كنت رددت من المتاع ، جرحني واحد منهم ، وأخذ ثيابي حتى النعال ، فتوجهت الى السيدة فاطمة فقلت : ياسيدتي ان كنت أنا منك ، ويارسول الله ان كنت من جهتك ، فالله ينتقم من هؤلاء ، قلت : أو جرحوك ؟ قال لي : نعم ، وقد كنت أنا لمــا أغاروا على تلك القافلة التي بها مولاي حفيد المذكور خرجت لارد للمساكين امتعتهم ، فوجدت أمتعة الشرفاء عندهم ، فرددت منها ما أمكن ، وبعثت بهــا لأهلها ، وأنكروا لي أن يكونوا جرحوا أحدا من أهل البيت ، فلما أخبرني بما ذكر ، عرفت مصداق الرؤيا . وجاه الشيخ رضي الله عنه في شفاعة الامــور العظام ، في غير مناداته في ذلك ، انتهى .

وصاحب الترجمة ممــن انتفع بالشيــخ سيدي محمد بــن عبد الله السوسي المذكور نفعاً ظاهراً ، كما أخبر بذلك عن نفسه ، قال مــا معناه : وفتح الله علي ببركته فتحاً عظيماً في العلوم .

انتهى المقصود .

ومن تلاميذ المترجم : الولي سيدي محمد الصنهاجي المترجم فــي 179 من ج 2 من (السلوة) ، وقد وقفت على كتاب (مباحث الانوار) المذكور المشتمل على ثلاثة مباحث :الأول في مناقب المترجم المشتمل على نحــو كراريس أربعة من القالب الكبير ، والمبحث الثاني : في مناقب والد المؤلف وأبيه ، وأبي أبيه ، وشيوخهما المشتمل على نحو كراسين ، والمبحث الثالث : فيمن لقيه أو كاتبه ، وهو في نحو ثمانية أوراق .

والخاتمة في ذكر المشاهير من أهل البيت القاطنين ببلاد المغرب ، وهي في ثلاثــة أوراق أتمها مؤلفها رحمه الله عــام 1109 تسعة ومئــة وألف .

وهذه النسخة من (مباحث الانوار) عليها خط مؤلف (نشر المثانى).

689) **محمد الاندلسي** نزيل مراكش ، كان هذا الشيخ يتبع طريق الجادة في المعاملات ، وكان مولعا بعلم الاقتباس ، وسر الحرف ، وعلم الكيمياء والرياضيات والطب ، وعلم الهيأة والطبيعة ، أخذ عن أشياخ جمة ، وعول على الشيخ علي بن أبي القاسم حسبما هو في ترجمته ، ولكنه كان كثير الوقوع في الايمة ، فنحى منحى ابن حزم الظاهري ، وشاع ذلك عن أصحابه ، فأفتى فقهاء مراكش بتضليله ، وأنهوا ذلك الى السلطان فأمر بسجنه ، وبقي فيه مدة ، ثم فرج عنه ، ثم شنعوا عليه أيضا أنه يقول : الاشتغال بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فتور عن الذكر ، وأشياء مستغربة ، فسجن أيضا ثم خلى سبيله ، فانتشر صيته وبعد ذكره ، وكثر أتباعه ، ووقع بينهم وبين الفقراء خطب عظيم ، وانتشر بسبب ذلك شغب في العامة ، وكثر التعصب ، ووقعت المجاهرة بالقتال وسفك الدماء ، وتلقبت شيعته بالمحمدية ، ويسمون من خالفهم بالمالكية نسبة الى الامام مالك ، لقيته مرارا وتكلمت معه ، فكان يتنصل من أكثر ما نسب اليه ، ويظهر التمسك بالسنة ، والاضراب عن القول بالرأي والقياس ، ويعيب طريقة الفقهاء ، وبقي في نفوس العامة منه شي الى أن دخل السلطان محمد بن عبد الله الغالب بن محمد الشيخ مدينة مراكش عند خروج عمه السلطان عبد المالك عنها ، بالحركة الى الجبل في ذي الحجة من سنة أربع وثمانين ، فوجه اليه القائد محمد بن كرمان التركي ليأتيه به ، فثار به أصحاب الشيخ الاندلسي فقتلوه ، فأمر السلطان باحضار الاندلسي والبحث عنه حيث كان ، فأخرج من دار الشيخ علي ابن أبي القاسم ، فثار به العامة ، فقتلوه وصلبوه في التاريخ المذكور .

انتهى كلام (الدوحة) (1) .

وقال في (الاستقصا) : قتل بأمر السلطان الغالب بالله وصلب على باب داره برياض الزيتون من مراكش ، وكان ذلك أواسط ذي الحجة من سنة ثمانين وتسعمئة ، انتهى وهو غلط من وجهين : أولهما كون الآمر بقتله

---

1) دوحة الناشر ص 80

السلطان الغالب بالله . وثانيهما : كونه قتل في التاريخ المذكور عام ثمانين ، لأنه قتل بعد ذلك في أيام السلطان أبي عبد الله ولده محمد عام 984 ، كما في (الدوحة) ، وقال في (النزهة) عام 985 : ولكنه أحال على (الدوحة) أيضا ، فالمعتمد كلام (الدوحة) لأنه كلام معاصر .

690) محمد بن علي العكاري

محمد بن علي بن محمد بن يحيى بن سالم بن علي بن أبي الغيب العكاري نسبا ، المراكشي دارا ومنشئاً ، هكذا وقفت عليه بخطه في نسخة انتسخها من طرر عبد الواحد ابن عاشر على المختصر ، التي جمعها محمد بن عبد الله الدلائي في فاتح محرم سنة 1046 وأرخ عام انتساخها صبيحة يوم الاربعاء الثاني عشر من شعبان سنة سبع وثمانين وألف ، وهي عندي ولله الحمد ، وهو والد علي بن محمد بن علي العكاري المراكشي دفين الرباط ، الآتية ترجمته ان شاء الله مع ترجمة أخويه شقيقه سيدي محمد بن محمد ، وسيدي علي بن أبي الغيب المذكور آخر نسبه بالغين المعجمة والياء المثناة تحت والباء الموحدة آخره .

وعكارة قبيلة من العرب بمسفيوة ، أما كونهم من العرب فقد صرح به في (الاقنوم) حيث قال في باب العرب المستعجمة من بادية زماننا :

وحوز مراكش الرحامنة ثم الشبانات مع السراغنة
عكارة بنو مداس زمران ثم الشياظم بنو عامر بان

وقد أراد أحفاده اليوم بالرباط أن يجعلوا أنفسهم من البلغيثيين نسبة الى أبي الغيث العلوي وهي دعوى كاذبة .

691) محمد بن سعيد المرغيثي السوسي

محمد بن سعيد بن محمد بن يحيى بن أحمد بن أبي بكر المرغيثي السوسي المراكشي ، كما في لفظ أبي اسحاق الكوراني حيث حدث عنه بحديث الاولية ، ولد بمراكش سنة سبع وألف كما قال تلميذه سيدي محمد بن المعطي الشرقي .

وقال في (الصفوة) ما نصه : ومنهم الشيخ الامام شيـخ الاسلام خاتمة المحدثين وسراج المريدين سيدي محمد بن سعيد المرغيثي السوسي ، ومرغيثة مداشر في عدد الأخصاص بسوس ، وهي بالميم المفتوحة ، فراء مهملة ساكنة ، فغين معجمة مكسورة .

كان رحمه الله اماما في علوم الحديث والسير ، له اليد الطولى في ذلك ، واليه المرجع فيما هنالك ، مع المشاركة في العلوم الاخرى ، والدين المتين والورع التام ، كان محترما معظما عند الخاصة والعامة ، لهم فيه اعتقاد عظيـم .

قال شيخنا الاديب البارع أحمد بن عبد الحي الحلبي الشافعي فـي شرحه على مناجاة الشيخ عبد الله البرناوي ما صورته : وأدركت الامام العالم الصوفي سيدي محمد بن سعيد المرغيثي السوسي الاصل والمنشأ ، والمراكشي الدار والمدفن بجامع المواسين من مراكش أنه كان يعبد الله بعد صلاة الصبح الى طلوع الشمس بالفكرة ، فوالله لكنت أجلس أمامه وقبالة وجهه ، ولم أر منه شعرة تتحرك أبدا ولا طرفه ، وكنت أنظر الى حدقته ساكنة حتى كأنـه ميت ، ولو فرض أن الارض انقلبت بما فيها ، والسماء سقطت على الارض لم تتحرك منه شعرة حتى تطلع الشمس فيتحرك حينئذ ، ويكلمني ويبدأ بالكلام ، فعرفت ذلك منه ولازمته ، ورأيت منه هذه الحالة سنة ـ وهي مدة اقامتـي بمراكش ـ وذلك عام ثمانين وألف . وأخذت عنه عدة علوم ، وأجازني في أربعة عشر علما من العلوم الظاهرة الاسلامية ، انتهى .

وقال في (الاعلام) : وكان مـن عادة صاحب الترجمة تأخير صـلاة الصبح بالناس الى الاصفرار ، بناء على أنه لا ضروري له ، وان مختاره الى طلوع الشمس ، فروي أنه أنكر عليه ذلك ، فقال : إني رأيت النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال لي : أصبت في تأخير الصبح ، وذلك أن قصده في ذلك الرفق بالضعفاء ، وبمن تفوته الجماعة في مساجد التغليس .

وفي (المحاضرات) للامام الحسن اليوسي رحمه الله حدثونا عن صاحب الترجمة أنـه ورد على أستاذنا محمد ابن ناصر زاويته بدرعة ، فكان المؤذن

إذا أذن ينكر عليه ويقول له : استعجلت ، فلما أكثر في ذلك أنهي الأمر إلى الاستاذ فخرج اليه ، فصار معه الى صومعة الجامع الكبير ، وذلك في عشي النهار ، فجلسا بأعلا الصومعة يتحدثان ، والمؤذن الذى كان ينكر عليه في مسجد الخلوة بعيدا منهما بنحو مد البصر ، وبقيا في حديثهما حتى غربت الشمس ، فقال له الاستاذ : قد تبين الوقت ، قال نعم ، وبفور كلامهما قال مؤذن الخلوة : الله أكبر ، وجعل يؤذن ، فعجب من هذا الاتفاق الغريب ، وعلم أن الأذان كل يوم كان على الصحة ، فلم يعد للانكار عليه ، انتهى .

قال عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي فيما وجد بخطه : أخذ صاحب الترجمة عن سيدي عبد الله بن علي بن طاهر ، وعن سيدي أبي بكر السجتاني، عن الشيخ محمد مولاة الاسكندراني ، عن البدومدي ، عن القسطلاني ، عن ابن حجر ، عن علي الاجهوري ، عن أحمد الفراط ، عن السيوطي ، عن ابراهيم اللقاني ، عن سالم السنهوري ، عن عبادة الزيني ، عن الاقفهسي ، عن خليل .

ومن أشياخ صاحب الترجمة أيضا عبد الواحد ابن عاشر ، وسيدي عبد الهادي ، وسيدي العربي الفاسي ، وسيدي محمد الجنان صاحب حاشية خليل ، وسيدي الحاج محمد ابن القاضي ، وسيدي أحمد بن محمد الولتي ، انتهى ، وأخذ أيضاً عن أبي القاسم الغول ، وعن عيسى السكتاني ، وعن أحمد السالمي المراكشي ، وغيرهم .

وكان في ابتداء أمره يقرض الشعر ، ويعاني صنعة الانشاء ، واستكتبه بعض أمراء الدولة السعدية ، فأبى الله الا أن يرقيه لخدمته ، ويفطمه عن خدمة أبناء الدنيا ، فازدرته عين الامير لما حمل إليه ، وكانت له مشاركة في علم الطب ، وتصدر للعلاج مدة ، ثم تركه بسبب ان انسانا حمل اليه الهراقة وفيها بول ، وادخلها عليه المسجد ، فقال إن علماً يؤديني أن أكون سببا لدخول النجاسة للمسجد لا اشتغل به ، وقد كان مقصودا به قبل ذلك ، وكانت له محبة كاملة في أهل البيت ، شديد التعظيم لهم ، كثير التسليم لهاؤلاء المنتسبين ، لا يبحث عن عوراتهم ، ويغض عن عثراتهم ، وكان الناس يرون أن له نجاحا في الجدول ، وبركة في الامور ، وله منظومة في علم الجدول ، في المخمس الخالي الوسط شهيرة .

وحدثوا عنه انه كان اذا لم تقبل شفاعته عند الامراء في بعض الامور المهمة ، يكتب جدولا يضعه تحت عمامته ، فاذا رآه الامير هش له ، وقضى مآربه كلها كما تمنى .

ومن تآليفه (المقنع) في علم التوقيت وشهور العام ، وشرحه بشرحين ، وقد وضع الله عليه الاقبال ، فعكف الناس على اقرائه وقراءته ، وانتفعوا مع أنه مزجي البضاعة في ذلك الفن، وانما اعتمد فيه على قواعد تلقفها تقليدا من شيخه أحمد الولتي المتقدم ، وكان قرأ عليه منهاج ابن البناء ، ثم نسيه لما تشبث بعلم الحديث ، وصرف له وجهته .

ومن تآليفه أيضا (الاشارة الناصحة ، لمن طلب الولاية الصالحة) ، و (المستعان ، في أحكام الاذان) نظما ، ومختصر اليعمري في السير ، ونظمه ولده نظما حسنا ، وقصيدة في أكل الدجاج ، وجواب طويل عن تصريف اسماء الله في الامور الدنيوية ، وقصيدة في علم الجدول ، وفهرسة حسنة ، اشتملت على فوائد وفتاوي وغير ذلك ، وله شعر حسن .

عجيبة

أفتى صاحب الترجمة أن القبور الكائنة داخل سور المدائن يجوز نبشها ، ولا حرمة لقاطنها ، لان المحبس انما حبس المدينة على الاحياء ، لا على دفن الاموات ، قال : فمن دفن داخلها ، فقد عرض نفسه لذلك والله أعلم ، انتهى ، وهي فتوى غريبة ، ولم أقفْ الآن على ما يوافقها من كلام الأيمة .

وله رحمه الله شعر رائق ونظم فائق ، فمن ذلك قوله :

من لم يكن يرضى بما قد قسم ... فهو ظلوم ظن أن قد ظلم
يسخط حيث السخط لا يقتضي ... نفعا ولكن مره قد علم

توفي رحمه الله سنة تسع وثمانين وألف ، ودفن قريبا من ضريح شيخه أبي بكر السجتاني ، وكانت ولادته سنة سبع وألف (1) .

1) كل ما تقدم منقول بالحرف من صفوة من انتشر ص 177

وقال المترجم في الصالحة ميمونة بنت عمرو بتمجروت حين توفيت عام 1051 :

يادوحة في رياض حضرة القـدس	عليك مني سلام طيب النفـس
وقد خرجت من الدنيا مطهـرة	عرضا ودينا وأخلاقا من الدنـس

وقال الامام الولالي في (مباحث الانوار) : وحين جاور الشيخ ، يعني سيدي محمد بـن عبد الله السوسي المراكشي فـي تلك السنين بالحرميـن الشريفين ، اشتاق — يعني المرغيثي — اليه كما اشتاق اليه الفقراء ، وشكوا اليه أمر بطئه عنهم اذ كانوا يرجون ايابه للمغرب ، فعمل أبياتا يطلب فيهـا النبي صلى الله عليه وسلم ويسأله تسريح الشيخ إلى المغرب ، لأنه كـان يعلم أنه لا يأتي الا عن اذن ، وأمر الفقـراء بقراءتها ، وبلغت الينا بالزاويـة البكرية حينئذ ، ولم يتعلق الآن بحفظي منها الا ثلاثة أبيات هي أولها وهـي هـذه :

يارسول الله ان الفقـرا	قد شكوا من فقد خير النظـرا
شيخهم وهو ابن عبد الله قـد	حملوا من شوقه ما بهـرا
يارسول الله سرحه لنـا	أنت ذو الحق وخير النظـرا

وقد نقلت اجـازة الامام المرغيثي المترجم التي بيـن فيها أشياخه وتراجمهم وما رواه عنهم ، فـي ترجمة تلميذه سيدي الحسين بـن ناصر ، فراجعها هناك (1) ، كما أجاز الامام المرغيثي للفقيه محمد بن الخطيب سيدي عبد الرحمان بن محمد بن أحمد التلمساني الروداني اجازة عامة في جميع كتب الحديث وعلومه المشتملة عليها فهرسة الامام ابن غازي ، وجميع العـلوم الشرعية ، والمصافحة بأسانيدها ، والخرقة الصوفية باسانيدها ، بتاريخ أواخر صفر سنة أربع وسبعين وألف ، وهذا المجاز المذكور أجاز بذلك الفقيه سيدي محمد ضما ابن الامام محمد بن ناصر سنة 1092 اثنين وتسعين وألف في ذي قعدة برودانة ، وكلتا اجازتهما في (فتح الملك الناصر) .

1) انظر 3 : 203 من هذا الكتاب

وممن حدث عن الامام المرغيثي بحديث الاولية العلامة سيدي ابراهيم بن حسن الكوراني المدني اجازة وهو أول حديث رواه عنه كتابة ، كتب بـه اليه من مراكش سنة 1075 عن الشريف عبد الله بن بن‌علي بن طاهر ، كما في اجازة السباعي المذكور .

وقال أبو القاسم بن سعيد العميري فـي فهرسته عند ذكـر أشياخ والده : منهم العلامة سيدي محمد بن سعيد المرغيثي ، ومكانته في العلـوم أصليها وفرعيها ظاهرة ، ومما أخذ عنه (شمائل الترمذي) ، قال هذا الشيخ : حدثني بشمائل النبي صلى الله عليه وسلم ، الحاج الرحالة أبو بكر بن يوسف السكتاني ، وقال أيضاً : أن المرغيثي قال في مجلس درسه على البديهة :

ألا يانسيم الاربعاء الذي سـرى عشيتنا أمهل يسائلك طالـب

وقال لهم : اجيزوا ؟ فقال ولد له رحمه الله : :

لعلك عن يوم الخميس تخبـر

وقال والد المصنف :

فشوقي إليه حاضر وهو غائـب

وقال الامام اليوسى في فهرسته ما نصه:ومنهم الشيخ الامام العلامة المحقق المدقق، محمد بن سعيد السوسى ثم المرغيثي، حضرت عنده مجلسا واحدا في ألفية ابن مالك أيام الحداثة ، ثم لقيته بالزاوية البكرية فجالسته مرارا ، وصافحني عن شيخه عبد الله بن علي بن طاهر الحسني.، وقال بسنده الى أنس ابن مالك رضي الله عنه : فأفصح بالحديث ولم يفصح بالسند ، وبعد ذلك بزمان عثرت على فهرسته ، فألفيت فيها المصافحة بسندها وحديثها الذى ذكر فلم أشك في أنها هي التى أراد يوم أن صافحني رحمه الله ، انتهى .

وهذه الفهرسة سماها (العوائد ، المزرية بالموائد) وقفت عليها .

وقال في (المورد الهنى) عند ذكر أشياخ اليوسي ، والعلامة المحقق سيدي محمد بن سعيد السوسي ، انتهى .

وذكر المسناوي في تقاييد لـه : أن الابيات المكتوبة عـلى ضريح محمد بن أبي بكر الدلائي ، هي للامام الصالح البركة المحدث الشيخ الراوية، سيدي محمد بن سعيد السوسي المرغيثي ، أنتهى منها بلفظها ، وقد ذكرها المترجم في فهرسته بما نصه :

وقلت حين توفي الشيخ البركة السيد محمد بن أبي بكر صاحب الدلاء ، وكتبت في مقبريته باشارة السلطان مولانا محمد الشيخ أصلحه الله وأصلح به وذلك 1046 في رجب الفرد عند عصر يوم الاربعاء الحادى عشر منه :

هذا ضريح التقي والمجد والكـرم   هذا الولي الوفي العهد والذمـم
هذا المحب لأهل البيت قاطبـة   محمد بن أبي بكر الرضى العلـم
قد صار في رجب لله عام مشـوا   به إلى جنة الرضوان والنعـم
من أجل ذا قام في تشريف روضته   محمد الشيخ مولى العرب والعجم

انتهى وتقدمت هـذه الابيات فـي ترجمة سيدي محمد بـن أبي بكر المـذكـور .

ومن جواب للمترجم عن حال ساداتنا السبعة الرجراجيين ، أهم من الصحابة أم لا ؟ أن الرجال السبعة الرجراجيين المرضيين المهديين نفعنا الله بهم : سيدي واسم بن عبد الله مقدمهم ورئيسهم ، وسيدي أبو بكر الشماس كبيرهم سناً وصاحب مشورتهم ، وولده سيدي صالح بن أبي بكر ، وسيدي عيسى أبو خابية ، وسيدي عبد الله أدناس ، وسيدي يعلى بن واطل والـد سيدي شاكر ، وسيدي سعيد ويبقى ، تلاقوا مـع سيد المرسلين وخاتـم النبيئين سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، قدموا له صلى الله عليه وسلم من المغرب الاقصا يطلبونه دينهم ، ولما وصلوه تقدم اليه مقدمهم سيدي واسم المذكور ، وهو صلى الله عليه وسلم في جماعة من الصحابة ، فكلمـه بلغتهم البربرية فقال له : متكون يكْن أرقاص نرب ، ومعناه : ايكم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأجابه النبي صلى الله عليه وسلم : بلغتهم لانه كان

يعرف جميع اللغات ، فقال له صلى الله عليه وسلم : نكد اشكد ، ومعناه : انا ، قرب، فأسلم وأسلم مَن معه بعد طلبهم الآية ورؤيتها ، وعلمهم دينهم ، ودعا لهم ، وكتب لهم براءته السعيدة ، ووجههم للمغرب .

هكذا أخبرني الثقات،منهم:شيخنا الاورع مولاي عبد الله بن طاهر الحسني السجلماسي ، والفقيه النزيه سيدي أبو بكر السجتاني ، والفقيه الاستاذ سيدي محمد الكفيف مفتي حمراء مراكش ومدرسها ، يقطع بذلك ولا يشك فيه ، ثم قال : والحاصل لا يخطر ببالك انكار صحبتهم ، بل تأدب معهم تأدب الشيوخ ، وحسبك أن تصل بهم ، وتقتدي بهم ، لان حرمتهم من حرمة نبيك المصطفى ، ولا تقل لم يبلغنا هذا ، وسلم تسلم .

وهذا امامنا مالك رضي الله عنه لما بلغه أن هارون الرشيد أراد أن يحمل الناس على قراءة (الموطأ) قال له : لا تفعل ، واترك الناس في توسعة من دينهم ، وقد خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم مئة ألف وأربعة وعشرين ألفا من الصحابة ، فتفرقوا في مشارق الارض ومغاربها وعند كل واحد منهم ما لا يحتمل أن يكون عند الآخر ، انتهى باختصار ، وراجعه بنصه في سلسلة (الذهب المنقود) ونحوه للجزولي في (شرح الرسالة) انتهى .

وقال في (الصفوة) في ترجمة الشيخ سيدي مَحمد بن ناصر ما نصه نقلا عن فهرسة العياشي : وأجاز له سيدي محمد بن سعيد المراكشي ، انتهى .

وممن ترجمه صاحب (النشر) (1) والحضيكي في طبقاته، (2) وصاحب (خلاصة الاثر) ، قال فيها بعد ذكره ما نصه : بحرا لا ساحل له ، قرأ ببلاده على كثيرين ، ثم بتافلالت على الشريف عبد الله بن طاهر ، وبمراكش على مفتيها عيسى السكتاني ، ثم تصدر بها للتدريس ، وانتهت اليه بها الرياسة في العلوم ، وكان مكثرا من اقراء الكتب الستة ، والشفاء ، واسماعها لطلبة الحديث النبوي ، وأخذها عنه عالم لا يحصون ، وتخرج به في طريق التصوف كثيرون ، ولازمه أفاضل عصره من المغرب الأقصا والأدنا .

---

1) نشر المثاني 2 : 37

2) مناقب الحضيكي 2 : 72

وممن أخذ عنه وتخرج به : الفاضل العلامة ابراهيم السوسي ، ومحمد البوفراني ، وكانا كثيرا ما يديمان ذكره ، ويحاضران به في مجالسهما ، ويذكران عنه وقائع غريبة ، منها أن رجلا شكا اليه واليَ بلده ، وذكر لـه مظلمته فقال له : سر اليه ، وقل له يقول لك محمد بن سعيد لا تجلس فـي البلد فلم يبت بها ، وفارقها ولم يرجع اليها ، وبلغ السلطان خروجه منها بغير اذن منه ، فسأله عن سبب الخروج ، فقال : لما ارسل الي لم يستقر لي قرار بالجلوس ، وخرجت بغير اختيار ، فعزله عن عمله ، وأرسل لها واليا آخر ، ومنها أن رجلا أجتمع عليه ديون كثيرة ، وعجز عن قضائها ، فأتى اليه وذكر له ذلك ، فقال له : اذهب الى المكان الفلاني ، واقرأ الاخلاص الى أن يأتيك رجل صفته كذا ، فقل له يقول لك : محمد بن سعيد أعطني ، واطلب منـه ما تريد ، فذهب وأتاه الرجل ، فذكر له ذلك ، فأعطاه ما طلبه ، وله مؤلفات كثيرة منها منظومة في الوفق المخمس الخالي الوسط ، ومنظومة في علـم الحجر ، ومنظومة في التنجيم ، ومنظومة في التصوف ، ومنظومة في الفقـه وأخرى في النحو ، وله شعر وانشاء ، وكانت وفاته شهيداً بالطاعون في سنة تسع وثمانين (1) وألف بمراكش ، وصلي عليه بالجامع المذكور ، ودفن بتربة باب أغمات ، وعمره اثنان وثمانون سنة (2) .

وقال في (الدر النفيس) ما نصه : واجتمعت أيضا بالمغرب فـي المدينـة الحمراء بالشيـخ العالم العلامـة الدراكة الفهامـة الامام الراسـخ القدوة ، المحصل الصوفي الشهير ، ذي الرياضات والمجاهدات والمشاهدات، وأحد الشيوخ المصنفين ، علم الاعـلام المؤلفين ، واسطة عقد الأكابر سيد الديار المراكشية في وقته ، محمد بن سعيد بن محمد بن يحيى بن أحمـد السوسي ، ثم المرغيثي ، قرأت عليه (صحيح البخاري) ، و (الشفاء) لعياض، وشرح الكبرى للشيخ السنوسي بجامع المواسين ، وأجازني فيها بسنده الى مؤلفها ، واجازني أيضا اجازة عامة في أربعة عشر علما ، وهي علوم الاسلام ،

1) في الأصل سنة تسعين وهو خطأ

2) في الاصل خمس وتسعون سنة وهو خطأ

وكـان رضي الله عنـه عاليَ السنـد ، أخذ منـه الاجـازة الشيخ الامـام الصوفي الكبير الصالح العالم الشهير ، محمد بن ناصر الدرعي ، وغير واحد من العلماء الاكابر لما ذكر ، وكان شديد الحب النبوي ، رأيته يوما يخطب وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم في اثناء خطبته ، فأخذته رعدة ، وكان ذلك من عادته عند ذكره عليه السلام، فرأيت نورا يضطرب فوق رأسه وهو على المنبر، فسألته بعد الفراغ من الصلاة عن ذلك ، فقال : أرأيته ؟ قلت : نعم ، فقال : ذلك نزول السكينة لقراءة القرآن ، قلت : وذلك ستر منه على حاله رضـي الله عنـه .

وكان رضي الله عنه من أهل الحال والاستغراق ، واكثر ما يكون منه ذلك من صلاة الصبح الى طلوع الشمس في قراءة أوراده ، كان يقرأها بالحال وكان يقول : ينبغي أن تقرأ سورة الكافرين بالحال ، قلت له : ياسيدي ما الحال ؟ قال : شدة التوجه بالهمة والعزم . وأخبرني ثقة من أصحابه قال : مات رجل من أصحابه فرئي في النوم في أحسن حالة ، فسئل عن سبب ذلك فقال : أتاني الملكان للسؤال ، فقلت لهما : أنا من أصحاب الشيخ محمد بن سعيد ، قال : فخليا سبيلي ومضيا ، قال : فأخبرنا الشيخ بذلك ، فقال : سبحان الله ، اطلعكم الله على هذا ، هذا بيني وبين الله قد وعدني ان لا يعذب من تعلق بي وأحبني . ومحاسنه ومناقبه كثيرة ، نفعنا الله به وبما قرأناه عليه وأخذنـا عـنـه .

وكان هذا الشيخ على الطريق الشاذلية أيضا ، وكان من الصدور في وقته ، مستبحرا في جميع العلوم ، وانفرد بعلوم وفنون لم تكن عند غيره ، ولـه تآليف وتصانيف مـن نظم ونثر في التصـوف ، والتوقيت والتنجيـم ، والمناسك وغير ذلك ، وكان له صيام وقيام ومجاهدات ، وكان له بيت بمدرسة جامع الكتبيين ضيق جداً ، مكث فيه خمس عشرة سنة يعبد الله تعالى ، فهو من الاولياء العارفين ، وكان يستر حاله ، وكان رضي الله عنه من أهل الكشف ، زوج ابنه محمدا وكنت عنده ، فنظر الي وقال : بقي لي ولد آخر أريد أن ازوجه أو يذهب الى بلده وأرادني بذلك ، ثم فكر ساعة ورفع رأسه وقال لي : أنت

زوجتك فاسية ، اذهب لفاس ، فكان الامر كذلك ، ولكن بعد مقالته بعشر سنين ، وكان ذلك عندي من المحال العادي ، ثم قال : ومات ولده فلم يعقب انتهى .

وقال الروداني في (الصلة) ما نصه عند ذكر طرق سلسلة الفقه المالكي : الثالث اخذته عن عابد العلماء الراوية في علوم الشريعة والطريقة ، المحقق في فنون الآلات والآداب الدقيقة ، شمس العلوم والدين ، محمد بن سعيد المرغيثي السوسي المراكشي ، وهو أخذه عن سيد الحفاظ الاستاذ عبد الله بن علي بن طاهر السجلماسي ، وهو أخذه عن أحمد بن علي المنجور الى آخره ، وهذه النسخة التى نقلت منها نسخت من نسخة كتبت في حياة المؤلف قبل موته بعشر سنين ، وعليها خطه وتصحيحه ، وقابلها مالكها السيد عبد الحي ، ووقفت على نسخة أخرى منها ، وتأليفه (الاشارة الناصحة) ، في نحو كراس من القالب الكبير ، وقفت عليه .

وممن ترجمه صاحب (الروض اليانع الفائح) وأطال فيها جدا نقلا عن تلميذه سيدي المعطي الشرقي .

692) محمد بن عبد الخالق الشرقي

محمد الملقب بالمعطي بن عبد الخالق بن عبد القادر بن القطب سيدي محمد الشرقي بن أبي القاسم الزعري .

كان رحمه الله من أولياء الله الصالحين ، وخيرته العارفين ، عالما عاملا متفننا متصوفا ، فقيها زاهدا متقشفا ورعا ، له اليد الطولى في كل فن ، وكان ذا لفظ بليغ ، وقلم بارع رفيع ، أخذ ذلك عن مشايخ جمة ، وأجازه في ذلك غير واحد ، منهم : العلامة سيدي عبد القادر الفاسي ، سمع عليه التفسير ، والاحياء ، والحديث ، والتصوف ، وأوائل الكتب الستة ، ومنهم : سيدي محمد بن سعيد المرغيثي وأخذ أخذ ارادة وانتساب عن العارف الكبير سيدي محمد بن ابراهيم التاملي .

حدث في (المرقى) عن الشيخ سيدي محمد صالح ولد المترجم أنه قال له : قلت لسيدي محمد بن عبد الرحمان الصومعي يوما كنا نقرأ على سيدي الحسن اليوسي ، فدرس في الفاتحة شهرا كاملا ، فقال سيدي محمد بن عبد الرحمان : هذا سيدي محمد بن ابراهيم درس فيها ثلاثة أشهر ، وخرجت على يده فحول من أكابر العلماء والصالحين ، ومشايخ من أهل الطريقة العارفين .

انتقل المترجم مع والده إلى حضرة مراكش بقصد السكنى بها،فسكنا بحومة الكتبيين ، وكان سيدي محمد بن ابراهيم المذكور ، ظهر بتلك المدينة بذلك الوقت ، وكان يمر عليه ليسلم عليه ويرد عليه كغيره من المارين بالطريق ، فتألم من ذلك أصحاب الشيخ واعلموه به ، فقال لهم : دعوه انه من أصحابنا ، وهذا من كراماته ، فذهب صاحب الترجمة في بعض الأيام إلى جامع المواسين بعد صلاة العصر ، وكان الشيخ يجلس بعدها في الجامع للذكر ، فدخل المسجد فوجد الشيخ وقد تحرك عليه حال ، وهو يدور من سارية إلى سارية ، فبنفس ما رآه قبضه وضمه إلى صدره ، وأرسله فلم يخرج من المسجد حتى خرج غائبا يميل كالنشوان ، لا يدري أين هو ، وبقي على ذلك ثلاثة أشهر .

كان المترجم اماما آية الله في أرضه ، جمع الله له فنونا من العلم ، ونفائس من الحكم ، جامعا مانعا ورعا لا يأكل ما فيه شبهة حتى أن ولده لما أكل عند بعض الناس طعاما جعل يده في فمه حتى قاءه ، وكان مؤثرا للعزلة ، وله كرامات عدة من الكشف على أحوال الزائرين ، وانخذال الولاة الظالمين لمريديه ، وكفاية القليل من الطعام لنحو السبعين من الزائرين ، وتبشير المصطفى صلى الله عليه وسلم له بالجنة ، وكان رضي الله عنه آية في المحبة .

وحدث عن ولد المترجم سيدي محمد أن والده لما ثقل حاله ، وتعطلت حركاته ، قال لبعض الحاضرين : أنظروا لي قبرا يكون قريبا من قبر الشيخ ، قالوا له : ما علمنا شيئاً ، فقال لهم : انظروا لعلكم تجدون شيئاً ، فخرج الفقيه سيدي أحمد العطار من اخوان صاحب الترجمة في الشيخ يسأل عن ذلك ، فلقيه بعض الناس فأخبره بأن بازاء الشيخ قبرا لبعض الناس أعده لان يدفن فيه ، فرجع الى صاحب الترجمة وبشره بذلك ، فقال له صاحب الترجمة :

لا شيء له فيه من جهة الشرع ، لانه لا يملكه الا بالدفن فيه ، وانما له الاجرة ، واستحضر صاحب الترجمة نص (مختصر خليل) في تلك الحال على ذلك ، فلما توفي ذهبوا الى القبر فوجدوه محفورا ، فدفنوه فيه خارج باب الدباغ من مراكش ، وكانت وفاته رضي الله عنه عام 1092 .

كان رضي الله عنه من الأوتاد ، وكانت الأمراض تعتريه دائما !

ولما توفي رثاه سيدي أحمد بن عبد القادر التاستوتي بابيات وهي :

قل للاحبة من بني الشرقـــــي ... الماجد الموصف بالصـــــدق
لو كان ينفعني اشتياقي الـــى ... فقد الحبائب مت من شوقـــي
أو كان نثر الدمع يدرأ عـــن ... متأسفين مرارة الفـــرق
بادرتكم للحزن أبك علـــى ... فقد الفتى المعطى ومن حقـــي
فانتبذوا ما كان من شجـــو ... واطَّرحوا ما كان من حلـــق
أنتم نجوم يهتدى بكـــم ... لا تعدلوا عن منهج الحـــق
وعليكم مني التحية مـــا ... بزغت دراري الشعر من أفـــق

قال في (المرقى) : حدثني بعض الثقات أن صاحب الترجمة ، قدم الى فاس يطلب حق أمه من ارثها ، فقاموا اليه وأتوه بنعل النبي صلى الله عليه وسلم ، وكانت عند بعض الناس هناك ، فسمح لهم ، وأبرأ ذمتهم ، وهكذا يكون الاحترام والتوقير والاعظام انتهى .

وقال في (اليتيمة) عند ذكر وفاة المترجم : وتوفي رضي الله عنه سنة اثنين وتسعين وألف بتقديم التاء الفوقية ، كما وقفت عليه في الكتاب الذي كتب منه وصيته بخطه ، وعين الشهر الذى كتب فيه من تلك السنة ، وهو شهر صفر .

وفي بعض الكتب أنه توفي سنة سبعين وألف بتقديم السين المهملة، وفيه مع هذا ما فيه ، ودفن بخارج باب الدباغ من حضرة مراكش حرسها الله بجنان العفو ، ويقال له : جنان العافية حذاء قبر شيخه سيدي محمد بن ابراهيم رحمهما الله تعالى وبنيت عليه قبة صغيرة جدا ، بناها عليه أحد أحفاده .

ثم لما تملك الوزير الاريب ، الفقيه النزيه النجيب ، الخير المبارك اللبيب ، السيد محمد بن حدو الدكالي وزارته السعيدة ، وكملت بذلك محاسنه الحميدة ، بنى عليه قبة حسنة بيضاء ، متسعة الأرجاء والفضاء ، متقنة البناء ، فيها ما يستحسن المحب ويرضى ، باذن الملك السيد الأعظم ، سيدي محمد بن عبد الله ، وهناك عليه روضة كبيرة ، ومزارة كبيرة ، يزوره الخواص من أهل المدينة ، والوافدون من الغرباء من أهل تادلة وغيرهم .

وقال في (المنح البادية) : أخبرنا الفقيه الزاهد محمد المعطي بن عبد الخالق بن الولي الشهير سيدي محمد الشرقي عن أحمد بن ابراهيم المراكشي عن الخضر ، انتهى . وتقدم ذكره في ترجمة أحمد السبتي . وممن أخذ عنه الامام الحسن بن رحال المعداني .

وللمترجم فهرسة تسمى (الموائد السنية) في مجلد مجموعة طب وفقه وحكم وأشعار بلا تقيد بسند .

ترجمه في (المرقى) ، و (اليتيمة) ، و (الروض اليانع) ، و (الصفوة) (1) و (طبقات الحضيكي) (2) وغيرها .

693) محمد بن أحمد الفاسي

محمد بن أحمد بن يوسف الفاسي الفهري أبو القاسم الحافظ ، أجازه صدر الاسلام محمد القصار الغرناطي ، أسند عنه مؤلف (استنزال السكينة ، بتحديث أهل المدينة) عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي الحديث الرابع عشر منها ، المسلسل بالمراكشيين .

قال : حدثنا شيخنا الامام محمد بن أحمد ، وكان بآخره قد دخل مراكش عن شيخه القصار وهو دفينها ، عن اليسيتني ، عن ابن غازي ، عن السراج ، عن أبيه ، عن جده ، عن محمد الرعيني ، وأبي القاسم بن رضوان ، فالاول عن أحمد ابن البناء ، والثاني عن أبي جعفر بن صفوان ، قالا : حدثنا محمد بن عبد الملك الاوسي قاضي مراكش ، عن محمد بن هاشم الاوسي

1) صفوة من انتشر ص 190

2) طبقات الحضيكي 2 : 58

المراكشي السلوي القرطبي السلف قال : وكان قد استوطن مراكش وقتا ، ثم رحل الى الاندلس ، وسكن اشبيلية مدة ، وشريش أخرى ، ومنها فصل لرحلته الثانية سنة ثمان وأربعين وستمئة .

قال : وكان محركه اليها ، وباعثه عليها ، ما حدثني به ، ونقلته من خطه ، قال : وذلك رؤية رأيتها في المنام لم تكن من أضغاث الاحلام ، رأيت في العشر الآخر من رمضان ، سيد البشر الشفيع المشفع في المحشر ، صلى الله عليه وسلم ، جالسا على سرير ، تبرق من وجهه أساريره ، فبادرت اليه مسرعا ، ووقفت بين يديه متخضعا ، وقلت له بعد أن سلمت عليه ، وقمت مقام المستكين بين يديه : يارسول الله ما أعظم عند الله من سلم عليك وقبل ثرى نعليكم ، فقال لي عليه الصلاة والسلام مجيبا بعد أن رحب ترحيبا : اني أحبكم، ثلاثا يعددها ، ويكرر الكلمات ويرددها ، ثم قال لي في الأخيرة : ومَن أحب شيئا أكثر من ذكره ، فاستيقظت من منامي ، وقمت على اقدامي ، والعزائم مني مشحوذة ، وعلق تعلقي بحبال هذه الفانية بمدى اليأس مقطوعة مجذوذة، وخرجت لا أولوى على معتذر ، خروج المجد الى لقاء المحبوب المشمر ، فسرت على عون الله متوركا ، وبرؤيتي هذه المنامية متبركا ، وبعرى وده الصحيح وحبي الصريح متمسكا ، انتهى .

ثم أسند بسند المراكشيين أيضاً الحديث الثامن والعشرين ، والتاسع والعشرين ، والثلاثين ، والحادى والثلاثين ، والثاني والثلاثين ، والثالث والثلاثين ، وتقدم ذكر محمد بن هشام (1) ، وأبو القاسم المذكور مترجم في (عناية أولي المجد) قال فيها : ومنهم محمد بن الشيخ الحافظ أحمد بن الشيخ يوسف ، ويكنى أيضا أبا القاسم ، ولد بفاس سنة ثمان وألف ، وبها نشأ في حجر أبيه وجده ، فقرأ القرآن ، وتميز بقوة الايقان، ثم اشتغل بخدمة العلم على طريقة التحصيل ، ملازما لعم أبيه الشيخ العارف عبد الرحمان بن محمد ، يغترف من بحر علمه وعرفانه ، وأخذ أيضا عن عمه الشيخ العربي ابن الشيخ يوسف ، وعن القاضي أبي القاسم بن أبي النعيم الغساني ، والشيخ النحوي أبي الحسن بن الزبير السجلماسي ، والشيخ الامام عبد الواحد ابن عاشر الانصاري .

---

1) انظر ص : 237 و 476 من هذا الكتاب

ويروي بالاجازة عن شيخ الاسلام محمد القصار القيسي ، وقرأ على الشيخ علي البطوئي ، فتضلع في جميع العلوم ، وخاض بفلك ذهنه بحار الفهوم ، الى أن كان اماما حجة ، وسالكا واضح المحجة ، قائما بتدريس الفنون قيام محقق ، حافظ ضابط محصل محرر ، وكان آية من آيات الله في الحفظ ، لا يجاري في ذلك في سائر الفنون ، مع قوة الفهم وحسن العبارة ، ولين الجناب ، ومكارم الاخلاق ، وسرعة الدمعة ، والاقبال على الصغير والكبير بالبشاشة والاكرام .

تولى القضاء بمكناسة الزيتون مدة طويلة ، فحمدت فيها سيرته ، وأحبه أهلها ، فكأنما أشربت قلوبهم محبته ، ثم استعفى فاعفي ، واستوطن بفاس ، فولى بها الفتوى ، وخطابة جامع القرويين ، ثم أخر عنها ، فلزم التدريس والتقييد والافادة للخاص والعام ، فأخذ عنه خلق كثير ، وانتفع به الجم الغفير من أعلام الوقت ، كالشيخ الحافظ عبد الرحمان ، وأخيه الشيخ المحقق مَحمد بالفتح ابني شيخ الاسلام عبد القادر ، وقاضي الجماعة الشيخ العلامة محمد بن الحسن المجاصي ، وقاضي الجماعة الشيخ محمد العربي بن أحمد بردلة ، وغيرهم ممن لا يحصى .

وكانت وفاته عند غروب ليلة المولد النبوي ، ودفن يوم المولد سنة أربع وثمانين وألف ، رحمه الله ورضي عنه ، انتهى .

وذكره في (المنح البادية) الشيخ الرابع من أشياخه ، وكناه أبا المكارم ، وذكر أنه سمع عليه أوائل الكتب الستة ، وتفسير الفاتحة لعم والده أبي المعارف ، ونظم عمه سيدي العربي الفاسي ، و (الشفا) ، و (الألفية) ، وغير ذلك ، وأجازه فيما له ، وذكر من أشياخه مما لم يذكر في (عناية أولى المجد) ابن عمه أحمد بن علي ، والحسن الزياتي .

وترجمه في (نشر المثاني) (1) ناقلا لها عن (المطمح) . ثم قال بعده : وصاحب الترجمة مع الامام عبد القادر بن علي الفاسي ، قرينان في طلب العلم والسنن ، ولقاء المشايخ ، وكلاهما من أجل زمانهما رحمهما الله، ونفعنا بهما آمين ، انتهى .

---

1) نشر المثاني 2 : 12

واعتنى في آخر عمره بالقراءات السبع ، فأخذها عن عبد الرحمان ابن القاضي ، وقرأ عليه ختمتين ، فبرع في ذلك وألف تآليف منها : شرح لمختصر خليل ، شرح لطيف ممزوج في سفر ، وشرحان على نظم المراصد ، لعمه سيدي العربي ، وبسببه — مع ابن عمه ولد المصنف عبد الوهاب — كان وضعهما ، واليهما أشار بولدي فيه وفي غيره من نظمه ، وشرح نظم عمه في المنطق ، وغير ذلك . قال الشيخ عبد الرحمان الفاسي في (أزهار البستان) عند ما عده فيه ممن أخذ عن العارف : مولده ضحى يوم الخميس تاسع محرم سنة تسع وألف بفاس ، وبها توفي في آخر ليلة الثلاثاء ثاني عشر ربيع الاول سنة أربع وثمانين وألف ، انتهى .

وهو مخالف لما تقدم عن العناية أنه ولد سنة ثمان ، وهو الذي في (المطمح) أيضا ، كما أن تاريخ الوفاة بآخر ليلة ثاني عشر ربيع الأول يخالفه ما تقدم من أنه توفي عند غروب ليلة المولد النبوي ، والاول أرخ بأول الليلة ، والآخر أرخ بآخرها ، والخطب سهل .

وقال في (المورد الهني) : ودفن بروضة جده الشيخ نفعنا الله به من جهة القبلة ، خارج القبة ، انتهى .

وترجمه في (الصفوة) أيضا ، و (التقاط الدرر) ، و (السلوة) ، وأشار اليه الشيخ المدرع في منظومته بقوله :

وسيدي محمد بن أحمد . سليل يوسف الامام الامجد
بخارج القبة حوشه اشتهر من جهة القبلة بان وظهر

694) محمد بن محمد ابن الفاسي المراكشي

محمد بن محمد بن سليمان ابن الفاسي ، وهو اسم له لا نسبة الى فاس، بن طاهر السوسي المغربي الروداني المراكشي المالكي، نزيل الحرمين.

قال في (خلاصة الاثر) ما نصه : الامام الجليل المحدث المفنن ، فرد الدنيا في العلوم كلها ، الجامع بين منطوقها ومفهومها ، والمالك لمجهولها

ومعلومها . ولد في سنة سبع وثلاثين وألف بتارودانت ـ بتاء مثناة من فوق بعدها ألف ، ثم راء مضمومة بواو ، ثم دال مهملة مفتوحة فنون ، ومثناة من فوق ساكنتان ـ قرية بسوس الاقصا ، وقرأ بالمغرب على كبار المشايخ ، من أجلهم قاضي القضاة ، مفتي مراكش ومحققها ، عيسى السكتاني ، والعلامة محمد بن سعيد المرغيثي المراكشي ، ومحمد بن أبي بكر الدلائي ، وشيخ الاسلام سعيد بن إبراهيم المعروف بقدورة مفتي الجزائر ، وهو أجل مشايخه ، ومنه تلقن الذكر ولبس الخرقة ، ولازم العلامة محمد بن ناصر الدرعي أربعة أعوام في التفسير والحديث والفقه والتصوف وغيرها ، وصحبه وتخرج به ، ثم رحل الى المشرق ودخل مصر ، وأخذ عمن بها من أعيان العلماء ، كالنور الاجهوري ، والشهابين الخفاجي والقليوبي ، والمسند المعمر محمد بن أحمد الشوبري ، والشيخ سلطان ، وغيرهم ، وأجازوه .

ثم رحل الى الحرمين وجاور بمكة والمدينة سنين عديدة ، وهو منكب على التصنيف والاقراء . ثم توجه الى الروم في سنة احدى وثمانين وألف صحبة مصطفى بك أخي الوزير الفاضل ، ومر بطريقه على الرملة ، وأخذ بها عن شيخ الحنفية خير الدين الرملي ، وبدمشق عن نقيب الشام وعالمها السيد محمد بن حمزة ، والمسند المعمر محمد بن بدر الدين بن بلبان الحنبلي.

ولما وصل إلى الروم حظي عند الوزير ومن دونه، ومكث ثمة نحو سنة، ورجع الى مكة المشرفة مجللا، وحصلت له الرياسة العظيمة التي لم يعهد مثلها ، وفوض اليه النظر في أمور الحرمين مدة ، حتى صار شريف مكة لا يصدر الا عن رأيه ، وأنيطت به الامور العامة والخاصة ، الى أن مات الوزير ، فرقَّ حاله وتنزل عما كان فيه .

ثم ورد أمر السلطان الى مكة سنة ثلاث وتسعين وألف ، باخراجه منها إلى بيت المقدس ، وسببه عرض الشريف بركات أمير مكة فيه الى السلطانية ، وطلب اخراجه من مكة ، بعد أن كان بينهما من المرابطة ما كان ، وعلى يده تمت له الشرافة ونهض به الحظ ، وكان يوم ورود الامر يوم عيد الفطر ، فألح عليه الشريف سعيد بن بركات ، شريف مكة يومئذ وقاضي مكة ،

في امتثال الامر السلطاني ، فامتنع من الخروج في هذه الحالة ، وتعلل بالخوف من قطاع الطريق ، فأبى أن يسلم نفسه وماله ، فأمهل بعد علاج شديد وتشفع عند بعض الاشراف ألى مخرج الحج ، ثم توجه صحبة الركب الشامي وأبقى أهله بمكة ، وأقام في دار نقيب الاشراف سيدنا عبد الكريم بن حمزة حرس الله جانبه ، وجعل طوع أمره مجانبه ، واجتمعت به ثمة مرة صحبة فاضل العصر ودرة قلادة الفخر ، المولى أحمد بن لطفي النجم المولوي نضر الله به وجه الفضائل ، وأبقاه مغبوطة به الاواخر من الاوائل ، فرأيت مهابة العلم قد أخذت باطرافه ، وحلاوة المنطق في محاسن أوصافه ، واستمر بدمشق مدة منفردا بنفسه لا يجتمع الا بما قل من الناس ، واشتغل مدة اقامته بتأليف كتاب (الجمع بين الكتب الخمسة والموطأ) على طريقة ابن الأثير في (جامع الأصول) ، إلا أنه استوعب الروايات من الكتب الستة ، ولم يختصر كما فعل ابن الاثير ، وله من التآليف الشاهدة بتبحره ، ودقة نظره (مختصر التحرير) في أصول الحنفية لابن الهمام وشرحه، و (مختصر تلخيص المفاتح) وشرحه، و (المختصر) الذي ألفه في الهيأة ، و (الحاشية على التسهيل) ، و (الحاشية على التوضيح) ، وله منظومة في علم الميقات وشرحها ، وله جدول جمع فيه مسائل العروض كلها ، واخترع كرة عظيمة فاقت على الكرة القديمة ، واسطرلاب ، وانتشر في الهند واليمن والحجاز وغير ذلك من الرسائل .

وله فهرسة بجميع مروياته وأشياخه سماها (صلة الخلف ، بموصول السلف) ذكر فيها أنه وقع له بالمغرب غرائب ، منها أنه كان مجتازاً على بلد العارف بالله تعالى محمد بن محمد الواوزغتي التادلي وهو قاصد بلدا آخر ، فسأل عن البلد ، فقيل له : ان فيه شيخا مربيا ، صفته كذا وكذا ، قال : فجذبني الشوق اليه ، ولم أملك نفسي حتى دخلت بلده ، فلقيني رجل خارج الي وقال : أمرني الشيخ أن أخرج اليك وآتيه بك ، فلما دخلت عليه ، رفع الي بصره ، فوقعت مغشيا علي بين يديه ، وبعد حين أفقت ، فوجدته يضرب بيده بين كتفي ، ويقول : « وهو على جمعهم اذا يشاء قدير ، أفمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه »، فأمرني بملازمته ، ومذاكرة أولاده بالعلم ، فقلت له : اني طلبت كثيرا لكن الى الآن ما فتح الله تعالى علي بشي ، ولا أقدر على استخراج

كتاب، ولا الأجرومية،وكنت اذذاك كذلك، فقال لي اجلس عندنا ودرس أي كتاب شئت ، في أي علم شئت ، ونطلب من الله تعالى أن يفتح لك ، فجلست ودرست طائفة من الكتب التي قرأتها ، وكنت اذا توقفت في شيء أحس بمعان تلقى على قلبي كأنها أجرام ، وغالب تلك المعاني هي التي كانت مشايخنا تقررها لنا ولا نفهمها ولا أتذكرها قبل ذلك ، وكان مسكني قريب مسكنه ، فكنت أعرف أنه يختم القرآن العظيم بين العشاء والمغرب ، يصلي به النوافل ، ورأيته يوما تصفح جميع المصحف الشريف ، وجميع (تنبيه الانام) ، وجميع (دلائل الخيرات) في مجلس ، فعجبت من ذلك ، وسألت عن ذلك بعض الحاضرين ، فقال لي : من ورد الشيخ انه يختم ثلاثتها بعد صلاة الضحى ، وشاهدت له العجب والعجاب في نزول البركة في الطعام ، وغير ذلك مما هو محض كرامات الاوليـاء .

ومنها أنه لقي يوما العلامة عيسى المراكشي مفتي مراكش، وقد احتفٌ به خلق كثير ، يزدحمون على تقبيل يده وركبته ، وهو راكب ، فزاحمهم حتى قبل يده تبركاً ، قال : فانحنى إلي دون الناس، وقال : أجزتك بجميع مروياتي، فكأنما طبعها في قلبي الآن ، وكان ذلك قبل اشتغالي بطلب العلم ، ولست متزيياً بزي طلبته ، حتى يقال : انه رأى علامة الأهلية ، ولا أن ذلك من عادته مع المتأهلين للاجازة، بل لم يظفر بالاجازة منه إلا القليل من أخصائه فيما أظن، ثم بعـد غيبتي عنه ثمانية أعـوام في طلب العلـم الشريف منَّ الله تعـالى بالرجوع اليه ، وتجديد الاخذ عنه في سنة ستين وألف قبل وفاته بسنة ، ولله تعالى الحمد والمنة .

قلت : والظاهر من شأنه كما نقلت عن شيخنا المرحوم عبد القادر بن عبد الهادي ، وهو ممن أخذ عنه ، وسافر الى الروم في صحبته وانتفع به ، وكان يصفه بأوصاف بالغة حد الغلو ، ويذكر الفنون التى كان يشير بمعرفتها فيستغرق العـد ، أن ذلك فيه بمجرد فتـح الاهي ببركة شيخـه الواوزغتي المذكور ، فانه كان يقول : انه يعرف الحديث والاصول معرفة ما رأينا مـن يعرفها ممن ادركناه ، وأما علوم الادب فاليه النهاية فيها ، وكان في الحكمة والمنطق ، والطبيعي ، والالاهي ، الاستاذ الذي لا تنال مرتبته بالاكتساب ،

وكان يتقن فنون الرياضة : أقليدس ، والهيأة ، والمخروطات والمتوسطات ، والمجسطي ، ويعرف أنواع الحساب والمقابلة والارتماطيقي ، وطريق الخطائن والموسيقى ، والمساحة معرفة لا يشاركه فيها غيره ، الا في ظواهر هذه العلوم دون دقائقها ، والوقوف على حقائقها ، وكان يبحث في العربية والتصريف بحثاً تاماً مستوفياً ، وكان له في التفسير وأسماء الرجال وما يتعلق به يد طائلة ، وكان يحفظ في التواريخ وأيام العرب ووقائعهم ، والاشعار والمحاضرات شيئاً كثيرا ، وكان في العلوم الغريبة كالرمل ، والاوفاق والحروف ، والسيمياء والكيمياء ، حاذقا أتم الحذق ، وبالجملة فقد كان كما قال الشاعر في المعنى :

وكان من العلوم بحيث يقضى ... له في كل علم بالجميع

وقد أخذ عنه بمكة والمدينة والروم خلق ، ومدحه جماعة وأثنوا عليه.
وكانت وفاته بدمشق يوم الاحد عاشر ذي القعدة سنة أربع وتسعين وألف، ودفن بالتربة المعروفة بالابجية بسفح قاسيون بوصية منه ، ورثاه شيخنا الشيخ عبد القادر بن عبد الهادي رحمه الله تعالى بقصيدة طويلة مطلعها قوله :

صبرا فكل الانام يفقد ... لا أحد هاهنا يخلد

يقول من جملتها هذا :

والناس آجالهم كخيل ... فالسابق المضمر المجرد
وعالم الكون في فناء ... فحقق الامر فيه واشهد
والخطب عم الانام طرا ... بموت شيخ العلوم أوحد
ابن سليمان من حباه ... المصطفى باسمه محمد
تبكي علوم الألى عليه ... وطرسها قد غدا مسود

ومنها :

في كفه دائما يراع ... له وجوه الطروس سجد
ان هزه فالصواب يبدو ... من أمره واضحا مؤكد
في كل علم تراه فردا ... أدرك آحاده وجدد

وقوله : كتاب (الجمع بين الخمسة والموطأ) على طريقة ابن الاثير الخ ، وله هذا الكتاب الذي جمع فيه بين الكتب الستة وغيرها ، وسماه (جمع الفوائد ، لجامع الاصـول ومجمع الزوائد) اشتمـل على أحاديث صحيحـي البخاري ومسلم ، وبقية الستة والموطأ 7 ، ومسند الدارمي 8 ، وأحمد وأبي يعـلى الموصلي 10 ، والبزار 11 ، ومعاجم الطبراني الثلاثة 14 ، وهـي 14 ، قال عنه الشهاب أحمد بن قاسم البوني تلميذه : أن جمعه أحسن من جمع الهيثمي انتهى ولمولانا خالد الكردي النقشبندي دفين دمشق عليه تعليقة ، خرجـت في مجلد ، وقد طبع (جمع الفوائد) المذكور ، وهو عندي كما طبع (مجمع الزوائد ، ومنبع الفوائد) ، الأول في جزأين ، والثاني في عشرة أجزاء ، فالأصل الاول جامع ابـن الاثير اشتمل عـلى الكتب الخمسـة ، والموطأ ، والاصل الثاني : (مجمع الزوائد) اشتمـل على زوائد مسند أحمد ، وأبـي يعلى ، والبزار ، والمعاجم الثلاثة ، وزاد المترجم عليهما سنن ابن ماجة ، والدارمي ، فصار أربعة عشر .

وقال الامام أبو سالم في رحلته ما نصه : ومنهم حكيم الاسـلام ، وأحد العلماء الاعلام ، المتوقد فطنة ، والمتوهج ذكاء ، الممتلىء حكمة وايمانا ، ولم يرشح له وعاء ، ولا حل له أحد وكاء ، الذي توغل في أقطار الارض وجال ، وبلغ على حداثة سنه مبلغا عجز عنه فحول الرجال ، المتفنن في علوم كثيرة ، والمتحلي بحلى مـن محاسن الاوصاف أثيـرة ، سيدي محمد بن سليمـان الروداني ، كان ممن ألهم الرشد في صغره ، فاجتنى ثمر رشده في كبره ، نشأ ببلده بيـن والديه بمدينة رودانة قاعـدة بلاد السوس الأقصا ، فلمـا بلغ مبلغ الرجال تاقت نفسه الى تعلم العلم ، فخرج فارا من أبويه ، فدخل بلاد درعة ، واستقر عند صالح علمائها سيدي محمد بن ناصر الدرعي رضي الله عنه ، فاقتبس من علومه مدة ، ثم خرج من هنالك وجال في أقطار المغرب ، ودخل سجلماسة وغيرها من البلاد القبلية ، ثم وصل الى مراكش ، ثم الـى فاس ، ولقي بها أوحد زمانه ، في سلوك طريق الصدق ، العديم النظير فـي معرفة أدب معاملة الحق والخلق ، سيدي محمد بن عبد الله معن الاندلسـي رضي الله عنه .

وكان دخوله لفاس بقصد تعلم العلوم الرسمية ، سيما علم الحكمة من هيأة وتنجيم وحساب ومنطق ، وما شاكل ذلك ، فقد كانت له اليد الطولى في ذلك ، شديد البحث عمن يتقن بعضها ، فلم يظفر في بلاد المغرب بمن يشفي غليله في ذلك ، فلما دخل فاسا ، ولقي العارف بالله سيدي محمد بن عبد الله زجره أشد الزجر عن تعاطي هذه العلوم وغيرها من العلوم الرسمية ، ومنعه من لقاء علماء الوقت ، وألزمه الرجوع الى والديه ، والاخذ بخاطريهما ، فرجع الى والديه حتى طابت قلوبهما وأذنا له في السفر ، فرجع الى مراكش وأقام بها مدة ، وانتفع بعلمائها كسيدي محمد بن سعيد ، وحكيمها المريد وغيرهما ، ولم يزل ينتقل في البلاد الى أن وصل البلاد المشرقية ، ووصل الجزائر ، وأقام فيها مدة ، وانتفع بأهلها كسيدي سعيد بن ابراهيم قدورة وغيره .

وأخبرني أنه لقي هنالك رجلا من أصفياء الصالحين ، وكان يواظب الجلوس عنده ، وهو في الغالب ساكت لا يتكلم ، قال : وذات يوم ضاقت علي نفسي ولا أدري أين أتوجه من البلاد ، فجئت اليه ، فلما جلست عنده ، قال لي : أنت مسجون عند النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد آل الامر به الى ما قال ، فانه انتهت به سياحته الى المدينة المشرفة ، ولم يخرج عنها من لدن وصلها ، الا الى مكة ، ثم دخل كثيرا من البلاد الافريقية ، ثم ركب البحر الى اصطنبول، ووقعت له هنالك وقائع مع بعض علمائها ، منها ما أخبرني به أنه نزل هناك عند رجل يتظاهر بالعلم والصلاح ، ويزعم أنه من ذرية الشيخ زروق رضي الله عنه ، وله صيت في ذلك البلد ، قال : وكنت لفرط اعتقادي في الشيخ زروق لما سمعت أنه من ذريته آويت إليه ، وأجللته واعتقدت فيه الخير ، قال : وأخرج الي رسالة في التصوف لبعض المتأخرين ، وأمرني بنظمها فنظمتها ، وكان ذلك دأبه ، إذا ورد عليه غريب ممن ينتحل العلم كلفه بنظم شي أو تأليفه ، ثم ينتحل لنفسه ذلك ويباهي به الاعاجم الذين يعتقدونه، وعندما بدا لي خبث طويته ، وظهرت لي منه مقاصد غير محمودة ، اعتزلت

عنــه ، وصادف ذلك بعض الاشهــر المعظمة ، فاعتزلت في بعــض الرباطات اتحنث ليالي ذوات عدد ، ولم يعرفني أحد ، ولا خرجت ولا دخل علي أحد مدة، وخفي عليه مكاني وطال بحثه عني ، ولم يقف لي على خبر ، وتحير في شأنه لأنه لفرط غباوته عند ما قدمت عليه وسر بي كأني منه ، أوحى بالخبر إلــى أم السلطان أنه قد قدم علينا هنا رجل من شأنه كذا وكذا ، وبالغ في التعظيم حرصا على تربية مهابته في قلوبهم ، بأنه ممن يقصد للزيارة من الاماكــن البعيدة واستدرارا لصلتهم ، فطالبته ايصالي أليها ، فلم يقف بي على خبر ، وسقط في يده ، فأخذ يتعلل لها وأنا لا أشعر بشيء من ذلك ، فلما فرغت من تحنثي وخرجت من خلوتي ، جئته ذات يوم لاسلم عليه ، ولا علم لي بما وقع ، فلما وقعت عينه علي ، هش وبش ورحب وقال لي : أين كنت ؟ فقلت : في بعض أطراف المدينة لأغراض ، فرمز لي بالخبر ، فأخذت أعتذر له ، فتنكر لي وقال لي : أنا مطالب بك ، وأخاف على نفسي ان لم أحضرك .

فلما علمت منه الجد ، علمت أنه لا ينجيني منه الا الكيد ، وكنت في خلال ذلك لم أظهر له التصميم على الاباية ، فعدلت الى فن آخر من الكيد ، وألنْتُ له الكلام ، وقلت له هذا من ظهور أثر بركتكم علي حيث صار مثلي ممن يطلب الى هذه المراتب العالية ، فجزاك الله عني خيرا ، فسمعا وطاعــة لأمــرك ! حتى اطمأنّ إلى قولــي وقلت له : إن لــي بعض أمتعة فــي بعض الحواصل ، وأنا أريد أن أحولها الى عندك هنا ، وآتي بكتبي ليطمئن قلبي ، وقال لي : هل تحتاج الى معين فأبعث معك أحدا ؟ فقلت : لا ، وجزيته خيرا ، فخرجت من عنده ، فلم تلق عيني عينَه إلى الآن .

ومن جملة ما وقع له أيضا هناك على ما أخبرني به ، انه دخل على بعض المفتين من علمائهم ، فقدم اليه القهوة والدخان ، وذلك عندهم من جملة المكارمة ، فامتنع من ذلك ، وألحّ عليه فلــج في إبائه ، فقال له ازهــداً أم تزهدا ؟ فقال : بل فرارا من حرام أو شبهة ، فدار الكلام بينهما في ذلك ، قال : ومنّ الله عليّ بقوة القلب واستحضار الجواب ، وكنت إذذاك قريبَ عهد بالقراءة ، وقد أتقنت طرفا من أصول الفقه والمنطق ، فلم يأت بدليل الا ومنّ الله بابطاله حتى أفحمته وانفصل المجلس ، وتسللت من عنده ، واختفيت في

بعض الاماكن ، وشاع في البلد أن مغربيا دخل على المفتي وناظره في كذا وكذا حتى أفحمه ، ولم أزل مختفيا الى أن خرجت منها بعد مدة .

ثم وصل الى مصر ، ولم تطل اقامته فيها ، وسافر الى الصعيد ، وأقام مدة بمدينة جرجا الى أن سافر منها الى الحجاز .

لطيفة

كان صاحب الترجمة ينهى عن لباس الصوف الرائق ، الذي يأتي من بر الروم منسوجا ، وتتخذ منه الجوخات وغيرها ، ويرى بطلان الصلاة فيه قائلا أنه استيقن الخبر من أهل البلد الذي يأتي منه أنهم ينتفونه عن الغنم وهي حية ، وأنه لا يكون الا كذلك ، وبذلك يصير في تلك الحال من الرطوبة والرقة ، وإذا ثبت أنه كذلك فهو نجس .

ولما كان بالصعيد ، كتب سؤالا في ذلك الى شيخ المالكية بمصر شيخنا الاجهوري رحمه الله ، فكان من جملة جوابه على ما قال : انه ان ثبت ذلك ، فيخرج على أحد الاقوال في النجاسة من سنة أو استحباب لعموم البلوى به ، فراجعه بأن القول بالسنة مرجعه الى الوجوب على ما قال الحطاب وغيره ، والقول بالاستحباب لم يقل أحد بتشهيره فلا يعول عليه . فأجاب بأنه قد شهر أيضا ، وممن شهره الفاكهاني .

قال صاحب الترجمة : ولم أر للفاكهاني تشهيرا في ذلك ، وكان يحط من قدر الشيخ الاجهوري وأصحابه بمثل ذلك ، لان أصحابه في ذلك الوقت هم المتناولون لجواب ما يرد عليه من الاسئلة لكبر سنه واضراره من الكتابة .

قلت : ويمكن البحث في كلام صاحب الترجمة بأحد ثلاثة أمور : أحدها ما كان يورده على نفسه ولا يرتضيه ، وقال لي : إن بعض الناس قد نقل له ذلك عن محقق المغرب سيدي أحمد بن عمران ، وكان اذذاك بالقاهرة ، وهو أن الصوف المذكور ان سلم انه كان منتوفا ، فالمتنجس منه جزء قليل من أصله وهو أضعف ما فيه ، وما سواه يطهر بالغسل ، ومن المعلوم أن هذا الصوف لا يصير الى هذه الحال التي يلبس فيها الا بعد أعمال كثيرة من

غسـل ، ودق ، ونفش ، وقصـر (I) ، وغـزل ، ونسج ، وغير ذلـك ، ومعلـوم أيضا أن ذلك الجـزء الضعيف لا يصبر مـن ملاقاة هذه الأعمـال ولا يبقى معها ، بل يضمحل بالكلية ، وإذا تحقق أن عين النجس قد ذهب فلا معنى لمنع ما سواه ، ولو نفشت قطعة من هذا الصوف وتتبعت شعراتها لم يوجد فيها ما يتوهم انه من أصل الشعر ، اذ لم يبق الا الصحيح المشابه للحرير ، وهذا الذي قاله صحيح .

وصاحب الترجمة يقدح فـي ذلك بتدقيقات عقلية ويقول : انا قـد تحققنا نجاسة هذا المحل فلا يطهر إلا بيقين ، ولا يقين مع احتمال بقاء جزء ولو مثل رأس الابرة في جميع الجبة الكبيرة ، وتفتيش قطعة منها ولم يوجد فيه شيء لا يدل على سلامة الجوخة كلها ، بل ولو فتشت جوخة ولم يوجد فيها فغيرها محتمل لأن يوجد فيه .

قلت : ومثل هذه التدقيقات بالاحتمالات العقلية تنبو عنها الفروع الفقهية المبنية على غلبة الظن القريب من القطع ، إذ لو بنينا الأمر عليها مـا صحت لنا عبادة ، اذ ما من ماء ولا ثوب الا وهو محتمل عقلا أن يكون تعلق به شيء من النجاسة ، وبعد غسل المتنجس أيضاً على هذا التدقيق لا يطهر ، لأن الغسل لا ينفي احتمال بقاء جزء قليل من النجاسة في خلال المغسول احتمالا عقليا ، لكن الاحكام في ذلك انما نيطت بما يغلب على الظن ، مستندا فـي ذلك الى حكم العادة لا الى مجرد التجويز العقلي الذي لم يستند الى عادة في الغالب ، فمن غسل ثوبه حتى غلب على ظنه أن أجزاء النجاسة كلها قد خرجت مع الماء فقد طهر ثوبه ، مستنداً في ذلك إلى أن العادة في ملاقاة هذا القدر من الماء لهذا القدر من النجاسة ، مع مثل هذا العرك وتوالي الصب ألا يبقى شيء من النجاسات في هذا المحل ، ولا نبالي مع ذلك بما يجوزه العقل من بقاء شيء من الاجزاء ، غير مستند في ذلك الى عادة ، ولا امارة من لون أو طعم أو ريح ، ولا أظن أن الفقهاء يختلفون في مثل هذا ، وأشباه هذا كثير ، ومنـه

I) **القصر و التقصير** دق الصوف والثوب ونحوهما وغسلهما بماء ساخن للتنقية والتبييض، ومحترف ذلك قصار كنجار ، والقصرية الماعون الذى يطبخ فيه الصوف والثوب لذلك ، واصـل الكلمة فارسى

غسل المخرج في الاستنجاء ، فليس بمرئي ، بل اذا غلب على ظنه النقاء مستنداً إلى أمارة كحروشة الماء وذهاب الرطوبات فقد أنقى ، وكذلك تعميم العضو في الوضوء والجسد في الغسل ، فاذا غلب على الظن ايصال الماء الى المحل المطلوب وصوله أليه ، وان كان غير مرئي ولا ملموس باليد ، بل بحبل وعصا ، مستندا في ذلك الى أن العادة أن هذا القدر من الماء اذا مر بمثل هذا العضو يغير فقد تطهر المحل بذلك ، وما يجوزه العقل من بقاء شيء لم يصل الماء اليه لا عبرة به ، واعتباره هو عين الوسوسة المنهى عنها ، وقالوا أن أصلها خبال في العقل أو جهل بالسنة ، فلولا أن السنة هي الجري مع المعتاد ، والظن الغالب في أمثال هذه الامور ، لما عدوا هذا جاهلا بها ، وحيث عبر الفقهاء في الصلاة ، والطهارة ، وسائر أنواع العبادات باليقين ، فالمراد به هذا الظن الغالب الذي يعد مقابله وسوسة لمرجوحية احتماله ، لا اليقين الذي هو أقوى أنواع العلم كما هو عند المتكلمين ، إذ ذاك عزيز الوجود في العقائد التي هي أصل الدين ، فما بالك بفروع الفقه المبنية على الظن والاجتهاد في كثير منها ؟ فاذا علمت ما قررنا ، فمن رأى هذا الصوف المذكور واتقان صنعته الغريبة الدالة على تعدد الاعمال والاشغال المتداولة عليه ، الى أن صار لا يميز بينه وبين صافي الابريسم ، الا من عرفه قبل ذلك ، وأخبر بعد ذلك بأنه قد نتف ، لا يكاد يرتاب في بقاء شيء من أصوله فيه ، فاذا غلب على الظن غلبة قوية عدم بقاء شيء من أصوله فيه ، مستنداً إلى العادة الواضحة ، في أن بقاء ذلك الجزء الضعيف الرخو فيه ، مما يخل باتقان تلك الصنعة فلا معنى للتوقف في طهارته ، إذ بهذا الطريق حكمنا بطهارة كل متنجس ، ويزيد هذا وضوحا أن الصوف المجزوز ، الاتفاق على طهارته مع أنه في الغالب لا يخلو من شعرات متعددة منتوفة في حال الجز وقبله وبقيت في خلال الصوف ، بل العادة قاطعة بوجودها ، ومَن باشر ذلك ورأى الصوف على ظهور الغنم ، وحضر جزازها علم ذلك وتحققه ، ومع ذلك فقد ألغينا ذلك القليل الذي لا يمكن الاحتراز منه عن الاعتبار ، مع وجوده لعدم العلم بعينه ، وللمشقة الفادحة في تمييزه عن غيره ، فليكن مثله هذا الجزء الذي احتمل بقاؤه على تقدير بقائه .

ثانيهما : أذا سلمنا أن هذا الصوف منتوف ، فمن لنا بأنهم لا يجزون الاصول بعد النتف ، والغالب أنهم يجزونها ، اذ لا غرض لهم في بقائها ، بل تعين لهم الغرض في ازالتها لتحديد الصنعة واتقانها ، واذا كان المباشرون لذلك مسلمين كما قال ، فالاصل فيهم توقّي النجاسات وإزالتها عن ملابسهم ، سيما حيث لا غرض لهم فيها ، فيكون الاصل فيها الطهارة حتى يثبت عدم الجز ، أو ما يقوم مقامه وما أبعد اثباته .

ثالثها سلمنا نتفها وبقاء اجزاء النجاسة فيها الى الآن ، ولم نلاحظ أيضاً ما ذكرنا في بقاء مثلها في الصوف المجزوز بالمشاهدة ، فلا يبعد قول الشيخ الاجهوري ، فيخرج على القول بعدم وجوب زوال النجاسة لأمور ، أحدها : أن ما ذكره الحطاب من كون الخلاف في الوجوب ، والسنية لفظيا غير مسلم ، لورود ظواهر في جزئيات كثيرة ، تدل على أن القائل بالنسبة يقول بلوازمها من عدم الأثم حيث لم يقصد التهاون ، وصحة الصلاة وغير ذلك ، ثانيها ما ذكر من كون القول بالاستحباب لم يشهره أحد شهادة على النفي والمثبت مقدم على النافي ، سيما مثل الشيخ في جلالته ، وسعة اطلاعه على فروع المذهب التي سلم له فيها المناظر ، فانه لم يبلغنا عن أحد في عصرنا وما قرب منه أنه جمع من كتب المذهب ما جمعه ، فلا يبعد أن يكون اطلع على تشهير هذا القول سيما وقد عزاه ، والناقل أمين ، ثالثها سلمنا عدم مشهوريته ، فليس ببدع تخريج قول في مسألة عمت البلوى بها ، وعسر الاحتراز عنها ، وجرى في أقطار الارض العمل بها من غير نكير على قول في المذهب صحيح ليس بمنكر ولا غريب ولا مردود ، إلا أنه لم يشتهر كغيره ، وكثيرا ما يكون القول المخرج هو المشهور في المذهب، والمخرج عليه ضعيف ، فيقولون هذا مشهور خرج على ضعيف ، ومن تأمل فروع المذهب واستقراها من أماكنها ، علم صحة ما ذكرنا ، وشيخنا الاجهوري أمثل من له في زمانه الترجيح في فروع مذهبه ، والتخريج على أن هذه المسألة من فروع قاعدة أصولية ، وهي تعارض الاصل والغالب ، وقد علم ما فيها من الخلاف ، وشهرت جزئيات كثيرة من كلا القولين . نعم يمكن

أن يقال ان هذه الجزئية مما ألغي فيها الاصل ، اتفاقا لما اعتضد به الغالب من الوجوه التي قربته من القطع عادة ، وقد قيل بذلك في أشياء ان لم تكن هذه أقوى منها فهي مثلها ، والله الموفق للصواب .

انتهى كلام أبي سالم في البحث المذكور ، وقد بحث معه في هـذه الابحاث في (نشر المثاني) (1) .

ثم قال أبو سالم : ولنرجع الى ما كنا بصدده من ذكر حال صاحب الترجمة ، فقد ذهب الى الحجاز على طريق الصعيد ، ثم حج واستوطن المدينة المشرفة ، وكان سكناه بها آخر بيـت منفرد برباط السلطان ، فيـه طاقات يشرف منها على الحرم الشريف فاعتزل فيه عن الناس ، ولم يعاشر أحدا في المسكن ، وتعاطى أسباب معاشه بيده ، وترك الخروج نهارا ، وربما خـرج بالليل للزيارة ، أولمهم آخر ، وربما أغلق على نفسه بابه شهرا أو أشهرا لا يراه أحد ، فنشأت له بذلك هيبة في القلوب ، وحصل له ناموس عظيم عنـد الخاصة ، وربما تعاطى القراءة مع بعض خواصه في بيته في وقت معلوم لا يأذن فيه لغيرهم ، وربما لمتُه على كثرة الانزواء وعدم التدريس في المسجد لنفع العام والخاص ، فيعتل بفساد الوقت ونيات أهله ، ومشاهدة المناكر مع عدم القدرة على زوالها كلبس الحرير ، وتعاطي الدخان ! وقال لي : كيـف أجلس الى قوم أعلم حالهم وحال مكاسبهم من أكل المكوس ، وتعاطيهم للعقود المحرمة شرعا ، مع العلم بذلك ؟ فان نهيتهم وزجرتهم وقعت معهم في أشد مما وقعوا فيه ، وان سكت عنهم وباسطتهم وألنتُ لهم القول كنت معيناً لهم وممالئا لهم على ما هم فيه ، وتركت الواجب علي من هجرانهم بلا عذر ، الى غير ذلك مما هو معلوم .

وكان رضي الله عنه شديد الورع ضيق الحوصلة في تحمل أعباء ملاقاة الخلق ، مقبلا على شأنه ، لكنه غير عارف بزمانه كما قيل :

---

1) نشر المثاني 2 : 85 وعفا الله عن المؤلف ، ما كان اغناه عن ايراد هذه المواضيـع الفقهية ــ وأي مواضيع ! ــ هنا ، ومن حقها ان تثبت في كتب الفقه لا في كتب التاريخ والتراجم

كان لا يدري مدارة الـــــــورى ومداراة الورى أمر مهـــــــم

وكان هو وشيخنا أبو مهدي في حاليهما في ذلك على طرفي نقيض ، مع صلاح حالهما معا ، وديانتهما ، ووفور علمهما ، وربما عاب كل منهما على الآخر ترك ما عاب عليه فعله .

وقد قلت له ذات يوم : أن سيدي عيسى يقول ما أحسن فلاناً لو أنه كفَّ من غربه شيئاً ، وألان جانبه للخلــق ، فقال لي وأنا أقول ما أحسنــه وأعلمه ، وأجراه على منهاج السلف ، لو انقبض عنهم شيئاً ، وترك مداهنتهم في الحق ، وكل على هدى ! الا أن النفس الــى ما عليه الشيخ عيسى أميــل حسبما أشرح حاله في ترجمته ، لان اعتزال الخلق فــي هذه الازمنة وعــدم الاختلاط بهــم ، والتجهم لهم ، وحجبهم عنــد الاستئذان مع معرفتهم لــه ، واستشعارهم لخصوصيته مما يزيدهم به اغراء وله مطالبة ، فيشار إليــه بالاصابع ، ويحمل من يرى في نفسه أنه مشارك له في علمه وخصوصيته على التطلع لعوراته ، والتتبع لزلاته ، والقعود له بالمراصد ليسقط منزلته مــن قلوب الخلق ، فينصب نفسه غرضا لسهام ألسنتهم ، فيتضرر بذلك في دنياه وفي دينه ان كان ممن يكثر تألمه بما يبلغه عنهم ، ويؤثر ذلك عنده حقدا ، وانما ينبغي ذلك ممن كان مغموضا بين الناس لا يؤبه به ، ولا يعتقد ان غاب ، ولا يستأذن عليــه ان احتجب ، فيجد الراحة فــي نفسه من عدم مشاهدتهــم ومخالطتهم من غير أذى يصل اليه منهم ، فيسلم له دينه ودنياه .

وأما من كان مشهورا بينهم موسوما بخصوصيته، تستشرف النفوس الى لقائه ومخاطبته ، فلا ينبغي له أن يحتجب عنهم ، ويظهر الانزواء عنهم ، والتكره للقائهم ، سيما ان كان يصرح بذمهم ويعيب ما هم عليه ، فان ذلك وان كان حقا في نفسه الا انه عرض في نفسه آفات كثيرة كان في غنى عنها ، اللهم إلا أن تكون لــه قاهرة فيترك ، وما انتحــل من ذلك فان الله جاعل لــه عنه فرجا ومخرجا .

وقد بلغني بعد انفصالي عن المدينة بأزمان أن صاحب الترجمة حرس الله مهجته ، قد أوذي وكثرت القالة فـي شأنه ، وأدى ذلك الى خروجه مـن المدينة الى مكة ، وأطلق الحسدة فيه ألسنتهم ، وقد كنت شممت بعض ذلك من بعض الناس ونحن هناك ، الا أني ما كنت أظن أنه يبلغ ما بلغ ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً ، وديانته ومكانته من العلم بالله تحميه ان شاء الله منهم ، سيما وهو غير منازع لهم في دنياهم ، ولا مساهم لهم في خططهم التي يتنافسون فيها ، إلا أن داء الحسد قديم ، ودواؤه من بين الأدوية عديم ، والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم .

ولما قدمت المدينة المشرفة ، ولقيت صاحب الترجمة ، ولم أكـن أعرفه قبل ذلك ولا عرفني ، الا ان عنده من خبري ما عندي من خبره ، فبالغ في التحفي ، وباشر الملاقاة أحسن المباشرة ، وعند ما أخبرته بما نويته من المجاورة سر بذلك ، وهيأ لنا منزلا بجواره كان ينزل فيه قبل ، وهو محل خزانة كتب وقف السلطان قايت باي ، مشرف على الحرم ، وأدخلني اليـه وأرائيه ، وباشر الخدمة فيه بنفسه ، من كنس وفرش وتنظيف وتهييء مرافق، حتى أخجلني ما رأيت من بره واحسانه وتواضعه ، فجزاه الله أحسن الجزاء ، ورمت أن أساعده في العمل ، وأخفف عنه فامتنع ، وكتبت له بسبب ذلك أبيـاتـا :

بطيبة قد خيمت بعد تعسـف ... وزرت شفيع الخلق في كل موقف
وصححت عزمي في الجوار بأرضه ... وكان نزولي عند أفضل منصـف
أخي وخليلي بل امامي وسيـدي ... وجامع كل الفضل دون تخلـف
فلما نزلنا أحسن النزل واللقـا ... وقام مقام الخادم المتلطـف
وليس بعيب خدمة المرء ضيفـه ... ولكنها زيادة في التشـرف
وبالغ في اكرامنا واحتفى بنـا ... ودام على حسن اللقاء والتألـف
وأخجلني احسانه فهممـت أن ... أخفف عنه رغبة في التعطـف
وقال لي الظن الجميل به فمـا ... عليك فلا تخجل فلست بمسـرف
ولا كلفة فيما فعلت فانمـا ... علامة صدق الود ترك التكلـف

وقد كنت أرجو أن أفوز بوصلـه ... وكنت له قدما كثير التشـــوف
جزاه إلاه العرش عني فاننـــي ... لما نالني من خيره ذو تعــرف
أقول له والقلب يغبط حالـــه ... هنيئاً لك البشرى بما نلت فاعرف
منحت جوار المصطفى فاغتبط بـه ... ينلك غنى الدارين حسبك فاكتف
هو البحر جوداً غير أن شمائــلا ... له عذبت حتى حلا ذكره بفـــي
عليه صلاة الله ثم سلامـــه ... ينيلان أمنا في مكان التخـــوف

ثم لم تتيسر الاقامة بجواره لتعذر أسباب اقتضى الوقت مباشرتها ، فانتقلت الى محل آخرولم أزل بعد ذلك أكثر الترداد اليه وأستشيره في أموري، وكان ميمون النقبية ، له ورع تام ما رأيته في عصرنا لاحد ، لا يقبض من أحد شيئاً الا قليلا ممن علم وجوه مكاسبه وتحقق استقامته فيها ، انتهى به الورع الى ترك أكل ثمار المدينة بالجملة ، لفساد معاملة أرباب الحوائط لعمالها في الغالب ، فان رب الحائط يعامل المساقى على أوْسُقٍ معلومة في كل سنـة يدفعها له ، وهذا فاش عندهم ، قل من يعامل المساقي بالجزء المشاع السائغ شرعا ، ومن ورعه أنه لا يتقوت في الغالب الا من كسب يده ، وكانت له يـد صناع ، يحسن غالب الحرف المهمة سيما الرقيقة العمل ، الرائقة الصنع ، كالطرز العجيب والصياغة المتقنة ، وتسفير الكتب والخرازة .

وقد أخبرني أنه لما كان بمراكش كان لا يتفرغ في الاسبوع الا يوم الخميس فيطلع فيه ثلاثة أزواج من السباط وأكثر ، فيبيعها ويتقوت بها الى الخميس الآخر ، وله يـد طولى في عمـل الاسطرلابات وغيرها مـن الآلات التوقيتية ، كالارباع ، والدوائر ، والانصاف ، والمكانات ، ومن أعجب ما رأيته من صناعته أنه يجبر قوارير الزجاج المنصدعة بحسن احتيال ولطف تدبير ، الى أن لا يكاد صدعها يبين ، ويصير مثل الشعرة الرقيقة .

ومن ألطف ما أبدعه ، وأدق ما صنعه وأجل ما اخترعه ، الآلة الجامعة النافعة في علمي التوقيت والهيأة ، ولم يسبق الى مثلها ، ولا حاذى أحد على شكلها ، بل ابتكرها بفكره الفائق ، وصنعه الرائق ، وهي كورة مستديرة الشكل ، منعمة الصقل ، مغشاة ببياض الوجه المموه بدهن الكتان ، يحسبها

الناظر بيضة من عسجد لاشراقها ، مسطرة كلها دوائر ورسوم ، قد ركبت عليها أخرى مجوفة ، منقسمة الى نصفين : فيها تخاريم وتجاويف لدوائر البروج وغيرها ، مستديرة كالتي تحتها ، مصقلة مصبوغة بلون أخضر ، فيكون لها ولما يبدو من التي تحتها منظر رائق ومخبر فائق ، وهي التى تغني عن كل آلة تستعمل في فني التوقيت والهيأة ، مع سهولة المدرك ، لكون الاشياء فيها محسوسة ، والدوائر المتوهمة في الهيأة ، والتقاطع الذي بينهما مشاهد فيها ، وتخدم لسائر البلاد على اختلاف اعراضها وأطوالها ، وحاصل القول فيها ، أن النوصف لا يكاد يحيط بها ، ولا يعلم قدرها ومزيتها ، الا من شاهدها .

وكانت له معرفة بالعلمين فيرى ما يذهل الفكر ويحير النظر ، ويعلم أن من اهتدى لاستخراج ذلك للعيان ، بعد أن كانت القرائح الجيدة تحير في تصوره ذهنا قد أيد بنور الهدى والهام رباني ، وقد ألف واضعها رسالة في وصفها ، وكيفية العمل بها في سائر المطالب ، التى تدرك بغيرها وزيادة ، فلنورد أولها لما فيه من ذكر غالب رسومها ، والاشكال المثبتة فيها ، قال رضي الله عنه :

بسم الله الرحمان الرحيم

ان أزهى ما تجلى لبصائر العقول من أوجات عوالم الالهام ، وأبهى ما تحلى بمشاهد عرفانه دوائر النفوس وطوالع الافهام ، حمد من تحجب في سرادقات الكبرياء بسبحات عزه ومجده ، وأصدع بمحامد لسن العوالم ، وان من شيء الا يسبح بحمده ، فسبحانه من عظيم ، خجلت سوابق همم الابطال دون مطالع جلاله ، المحجب الحاجب ، وحكم نصبت قدرته الباهرة في فسيح الفضا قبب الافلاك المرصعات بجواهر زواهر الكواكب .

والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه ، نجوم الاهتداء ، وقادة المشارق والمغارب .

أما بعد فان من فيض منن الله التي لا تحصى ، واغداق وابل مواهبه التي لا تستقصى ، أن الهمني لوضع آلة يستفيد بها ان شاء الله في علمي

الهيأة من التوقيت من القاصرين امثالي ، ويجمع بها ما تفرق في جميع الآلات من أعمال الأيام والليالي ، ومن أحاط بها علما أغنته عن المجسطا في التعليل والبرهان لانه غيب ، وهي شهادة وليس الخبر كالعيان ، وقد فتح الله تعالى بتعليق هذه العجالة عليها ، وابتهل اليه جل جلاله في الاسعاد بالرجوع ثانيا اليها لابراز ما تنطوي عليه ، وما كمن من الفوائد لديها ، لرجائي من الكريم نفعها سميتها بـ (النافعة ، على الآلة الجامعة) .

وحسبي الله لا الاه الا هو ، عليه توكلت واليه أنيب أينما توليت ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العـلي العظيم ، وصلى الله عـلى سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

مقدمة في تسمية اجزاء الجامعة ورسومها

الجزء الاول من الاجزاء المنفصلة المركبة ، وهي الكورة العليا من الجامعة المخرمة المنفصلة الى قطعتين وصل بينهما قفلان ، ويشتمل علـى تسع دوائر ، وأربعة أقطاب ، ومحور ، وشطبتين ، وقوس ، ومرى الاجزاء ، وكـواكب .

أما الدوائر، فالاولى هي منطقة الفلك الثامن، وتسمى منطقة البروج، وهي المنقسمة الى 360 أقسامـا متساوية ، عليهـا أسماء البروج مكتـوبة .

الثانية : منطقة الفلك التاسع ، وتسمى معدل النهار ، وهي المقاطعة للاولى على غير قوائم ، وغاية ميل الاولى عنها هو غاية الميل الاعظم ، وتنقسم الى مثل الاقسام الاولى .

الثالثة: دائرة مبدإ الميل وهي المقاطعة للثانية ، على قوائم المنقسمة الى مثل تلك الاقسام أيضا .

الرابعة : دائرة وسط السماء ، وهي المقاطعة للثلاث الاول علـى قوائم ، وهي والخمس البواقـي محددات للبروج الاثني عشر ، قسم منهـا مرسومة ، وقسم مخرومة ، والمحددة منها بين الحمل والحوت تتقاطع مـع

الثلاث الأول على نقطتين ، إحداهما رأس الحمل ، وتسمى بالاعتدال الربيعي ، والثانية رأس الميزان وتسمى بالاعتدال الخريفي . وأما الأقطاب فاثنان منها قطبا الفلك التاسع ، ويقال لهما قطبا معدل النهار ، وهما النقطتان المتقابلتان اللتان تتقاطع عليهما دائرة مبدا الميل ، ودائرة وسط السماء ، في أحداهما مسمار يسمى المحور ، والاثنان الباقيان قطبا الفلك الثامن ، ويقال لهما قطبا فلك البروج ، وبهما النقطتان اللتان يتقاطع عليهما دوائر البروج . واما الشطبتان فهما الصفيحتان المثقوبتان المنصوبتان على دائرة مبدإ الميل في جنبتي القطب الذي فيه المحور ، وأما القوس فهو أحد نصفي دائرة مبدإ الميل فيما بين قطبي العالم . وأما المري فهو النقطة التي هي رأس الحمل ، ومنه ابتداء أجزاء كل من القوس ، وفلك البروج ، ومعدل النهار . وأما الكوكب فهي الشظايا المحددة المكتوب عليها أسماء الكواكب ، وقد توضع على سطح المركب نقط لكواكب أخرى ، ويكتب في كل جنب نقطة اسم ذلك الكوكب .

الجزء الثاني للكورة وهي الجسمة التي يدور عليها المركب ، وسطحها ينقسم الى نصفين : احدهما يسمى الظاهر وهو الذي رسمت فيه المقنطرات ، وهي الدوائر المتوازنة المتضايقة ، واعظمها أولها وتسمى دائرة الافق ، وعدد المقنطرات تسعون ، وتكون ثلاثية وخماسية وغير ذلك ، وفي داخل أضيقها نقطة تسمى سمت الرأس ، والسموت وهي المقاطع جميعها لجميع المقنطرات ولسمت الرأس ، ويقسمها الى أربعة أقسام ، عظيمتان قائمتان على سمت الرأس وعلى الافق ، وتسمى احداهما نصف النهار وهي التي ربعها مبخوش بأبخاش تسمى ابخاش العروض ، وقد يطلق نصف النهار على النصف الظاهر من هذه الدائرة ، وهي التي تقاطع الافق على نقطتين : المبخوشة منهما تسمى عين الشمال ، ومقابلتها تسمى عين الجنوب ، والدائرة الاخرى تسمى دائرة عين المشرق والمغرب ، وأم السموت أيضا ، ومنها دائرة مبدا السموت، فاذا عدلت الجامعة بأن وضعت المحور في عين الشمال ، وأدرت المركب حتى يكون أول السرطان على نصف النهار من النصف الظاهر ، فنقطة تقاطع أم السموت والافق التي تحت أول الميزان تسمى نقطة المشرق ، وعين المشرق، ومشرق الاعتدال ، وعين المغرب ، ومغرب الاعتدال ، ونصف الجامعة

والحالة هذه ، الــذي حول المحور من السمــوت ، ونصف النهــار ، والمقنطــرات ، ومنطقة البروج ، والكــواكب ، والاقطاب ، يسمى شماليــاً ، والنصف الآخر يسمى جنوبيا ، والنصف الذي حول مشرق الاعتدال يسمى مشرقيا ، ومقابله يسمى مغربيا ، فالربع من السموت الذي من عين المشرق الى عين الشمال شرقي شمالي ، ومقابله غربي جنوبي ، والذي الى عيــن الجنوب شرقي جنوبي ، ومقابله غربي شمالي ، وفي كل ربع تسعون سمتا ، وقد يوضع بين المقنطرات قوس العصر أو غيره في عرض مخصوص ، وقد يوضع ذلك بين الساعات وهو الاصح .

والنصف الآخر من سطح الكرة يسمى الخفي ، وفيه قسي الساعات الزمانية لبعض العروض وهي قطع دوائر عددها اثنا عشر ساعة ، ومبدأها من الافق الغربي ، ونصف الليل ، ويسمى وتد الارض ، وهو النصف الخفي من دائرة نصف النهار ، ويقسم النصف الخفي من دائرة المشرق والمغرب إلى ربعين ، كل منهما مقسوم الى تسعين جــزءا ، ادراج الارتفاع ، وقد يكتفــي غالبا بالمغربي منهما ويسمى قوس الارتفاع ، وقوس الظل هي الموازية لقوس الارتفاع المقسومة الى نصفين ، فبينهما فصل مشترك مكتوب على الموالي للافق ، الظل المنكوس ، وعلى الآخر الظل المبسوط ، فان قسم كل منهما الى اثنى عشر فالاقسام أصابع ، أو الى ثمانية فهي أشبار ، أو الى سبعة فهي أقدام ، وقد يوضع لكــل منها قوس ، فتكــون قسيا متوازية وموازيــة لقوس الارتفاع ، ومبدأ المنكوس والارتفاع من الافق ، ومبدأ المبسوط من وتــد الارض . وقوس الجيب : وهو قوسان متوازيان تحت قوس الظل الاعلا للجيب المبسوط ، وابتداؤه من الأفق الأسفل ، والأسفل للجيب المنكوس وابتداؤه من فوق الارض . وتحت الافق قوسان موازيان له ، الشرقي منهما يسمــى قوس الفجر ، والغربي يسمى قوس الشفق ، وتحت عين الشمال في وتد الارض بخش يسمى بخش التركيب ، والفصل المشترك بين قوسي الارتفاع ويسمى سمت الرجل وفيه مسمار مقصوص مغرف ، وفي رأسه ثقب يسمى بخش التعليق ، ونصف هذا النصف الخفي وهو الربع الجنوبي من الكرة وضعت فيه الاقاليم السبعة ، ووضعت في كل إقليم بعض مدنه المشهورة ، فلنفرض أنه هو الربع الشمالي من الأرض وهو المسكون .

الجزء الثالث العلاقة : وهي كلاب منفصل معلق فـي خيط وثيق ، توضع عطفة الكلاب في بخش التعليق عند تعليق الجامعة لاخذ الارتفاع ، وفي الجامعة دوائر أخرى موهومة كدوائر الميول ، ودوائر العروض ، وسيأتـي قريبا ان شاء الله بيانها ، وكدوائر مقنطرات الانحطاط وسموته ، وأهملنـا وضع جميعها لعدم الاحتياج إليها ، والله تعالى أعلم .

وقد قرأنا عليه بعض هذه الرسالة مع إحضار الآلة الجامعة ، وبيان ما يحتاج الى البيان من الاعمال المأخوذة منها ، ولما شاع ذكر هذه الآلة عنـد الناس تنافسوا في أقتنائها ، ولا يقدر أحد على اتقانها الا هو ، فكان يبيـع الآلة منها بثمن غال ، وطلبت منه بيع واحدة منها فأبى من البيع ، ووهبها لي جزاه الله خيرا ، والعجب أنها مصنوعة من الكاغد ، ومع ذلك لو ألقيت مـن شاهق لم تنكسر ، فهي مع صلابتها خفيفة الحمل ، لينة المجسة ، وصفة ما تتخذ منه على ما أخبرني أن يؤخذ الكاغد ، فيلقى في الماء حتى يتحلل ويصير مثل العجين ، ثم يؤخذ الصمغ العربي فيلقيه في الماء حتى يتحلل ، فيعجن بمائه ذلك الكاغد عجنا ناعما ، ثم يتخذ منه الكرة ويجتهد في تكويرها حتى تكور متساوية الاقطار بالنسبة إلى المركز ، بحيث لو ألقيت على سطح مستو لوقفت على نقطة واحدة .

وقد أخبرني أن ذلك شق عليـه ، حتى أخذ مسمارا وأدخله فـي وسطها ، ثم أخذ نصف دائرة من نحاس مثقوب الطرفين ، فأدخل طرفيه في رأسي المسمارين الخارجين عن جنبي الكورة ، ثم أخذ يدير نصف الدائرة المذكورة ، على ذلك العجين المكور، ويزيل الناتيء منها، ويزيد على المنخفض حتى تكورت غاية التكوير ، ثم طلاها ببياض الوجه ، ثم كتب عليه ما احتاج الى كتابته ، ثم دهنها بدهن الكتان فوق الكتابة ، فلأجل ذلك لا تمحى الكتابة المذكورة ولو أصابها بلل من عرق اليد أوغيره .

وكذلك ايضا الدائرة التي فوقها مصنوعة من مثل ذلك الا أنها يخرمها ما دامت رطبة ، فاذا يبس شيء منها قبل تمام خرمه شق عليه خرمه ، لانه لا يكاد يعمل فيـه الحديد الا بمبرد من الهنـد يبرده به ، كما يبرد النحـاس

والحديد ، وقد اخبرني ان الآلة الاولى التي استخرجها بقي في وضعها نحو عام ، واحتاج الى كثير من الآلة في اصطناعها ، ثم بعد ذلك سهلت عليه حتى صار يصنعها في مدة قليلة ، وبالجملة فهو أعجوبة الدهر في الذكاء وصنعة اليد ، فلا يكاد يتعاصى عليه شيء من الصناعات المندرسة التي لم يبق الا اخبارها فضلا عن الموجودة .

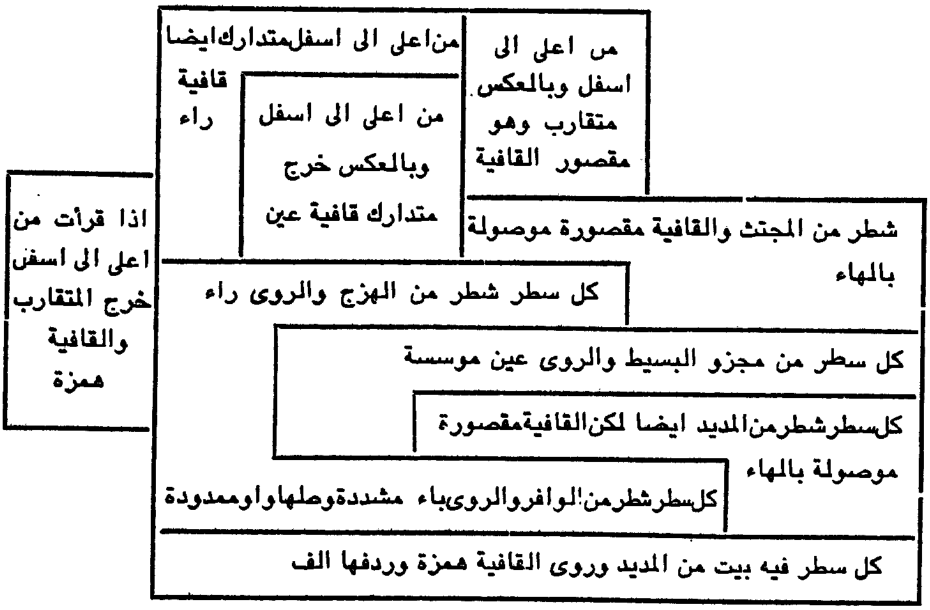
وقد حقق علم التنجيم بجميع أنواعه مع ما يتوقف عليه من علـوم كالحساب وغيره ، الا انه يتحاشى تعاطي ما يدل منه على الحوادث المستقبلة، ديانة منه رضي الله عنه .

وكان يقول لي ان ما يتبجح به فلان ، يعني ابن التاج من علم حوادث الجو ، من الخسوفات والكسوفات ، ونزول الامطار والصواعق ، وما هـو بسبيل ذلك أمر قريب المدرك ، سهل التناول والتحقيق ، في هذا العلم أمر وراء ذلك ، والتشاغل بمثل ذلك بطالة وتمويه على العوام بأمور تشبه ادراك الغيب ، وذلك مذموم شرعا .

وله رضي الله عنه قصيدة في علم التوقيت أكبر من (الروضة) بالغ في تجويد نظمها ، وأتقن فيها الفن غاية الاتقان ، وخالف كثيرا من المؤلفين في ذلك الفن في أشياء بين حقيقتها بالدليل والبرهان ، وقرب العمل فيهـا بضوابط وقواعد مبنية على الارصادات الصحيحة الواقعة في هذه الازمنـة القريبة ، كارصاد السلطان أولغ بيك أحد ملوك العجم المتأخرين ، تمهر في هذا الفن غاية ، وجمع من علماء مملكته من هو مثله في تحقيق الفن ، فاستعان بهم في تحقيق ما رامه من ذلك ، ولم يقلد الأقدمين ولا من بعدهم فـي شيء من تلك الاشياء ، فرصد بنفسه هـو وأصحابه ما احتاج الـى رصده ، حتى تحقق له ما يبنى عليه الاعمال المطلوبة حسبما ذكر ذلك . كل ذلك في أول زيجه الذي هو أصح الازياج في زماننا هذا على ما قال أرباب ذلك الفن .

ولصاحب الترجمة شرح عـلى منظومته المذكورة ، أجاد فيه غايـة الاجادة ، أعانه الله على اكماله ، وقـد كنت أردت كتابة ما كتب منه ، فلـم يتيسـر لي .

ومن نظمه الدال على براعته قصيدة أجاب بها أبياتاً لصاحبه الشيخ يحيى بن الباشا الاحسائي نزيل المدينة ، وهي كما ترى ثمانية أبيات من المديد رويها الهمزة ، وتتفرع عنها عدة أبيات من ابحر شتى ، حسبما رسم فوقها ، وأوائل حروف الابيات الاصلية حروف ، يايحيى خذ ، مشيرا الى قوله تعالى : « يايحيى خذ الكتاب بقوة » على طريق الاقتباس ، ويغتفر ما فيها من الركاكة ، وعدم الانسجام لاجل ما اشتملت عليه من أفنان الفنون ، ويانع الغصـــون .



ي يفعت * غـرة بـدر * تباهـا   لامـع * وجها * سمـي * الذكـاء
أ ارتقى * على الانام * ضيـاه   ساطع * عطره * شـذى * النـداء
ى يقـظ * فطن أريب * لبيـب   شامـخ * المجـد * ذكـى النهـاء
ح حاكم * نظم اليتامى * ذكـاه   بـارع * شعـرا * سني * البهـاء
ي يقتضي * شكرا علينا * ثنـاه   بـاهر * الحسن * بهـي * النقـاء
أ أصله * عند انفخام * حبـاه   رافـع * قـدرا * ولـي * اللـواء
خ خطبة * في نسج * نظم * بديع   بحـره * طـام * وفـي * العطـاء
ذ ذارشى * عبد الخزام * شذاه   هامع * زهـرا * زهـي * الصباء

ثم كتب باثر الابيات نثرا نصه :

دونكها بكرا تدانيها ، لأنك أخو أبيها ، اقترحها فكر بارد ، وقدحها زند خامد ، قال تعالى : « يخرج الحي من الميت » وفقتها من القصائد عشرا ، وفوقتها من النوافح نشرا ، لتكون مكان قصيدتك بما لها ، والحسنة بعشر أمثالها ، ولهذا ساوت بقصائدها الظاهرة أبيات قصيدتك الباهرة ، فان لاقيتها فيافوزها بسعادتها ، أو ألقيتها فياخسارتها في تجارتها ، فان قلت الشعر بالشعر ربى ، والتفاضل في البيع ربى ، قلت : التفضيل عند المالكية حاصل، والتحصيل بعد المعية فاصل ، وقول باهرتك أن القريض على العبيد كثير ، على بمعنى عند وسبق القلم ، فكتب محل الكاف عينا ، والثاء سينا تذنيبا منه بنكتة كالشمس خفاها ، والضياء دجاها .

وصلى الله على من لا نبي بعده ، ولا يخلف وعده ، سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

لطيفـة :

ومن مفادات صاحب الترجمة ما رأيته في مجموع له بخط سيـدي الطيب بن أحمد البوعناني الجزائري ، وذكر لي أنه رواه وكتبه من خط من ذكر ، ونصه :

الحمد لله

وجد بخط سيدي أحمد بن أيوب ما نصه : وأما الواو من وصلى الله بعد البسملة ، فهكذا هو في المؤلف رحمه الله يعني ـ سيدي عبد الرحمان الثعالبي ـ وقد رويته عنه بواسطة الشيخ العارف بالله سيدي محمد بن منصور الجزائري ، ابتدأت عليه قراءة الرسالة لابن أبي زيد ، فقلت :

بسم الله الرحمان الرحيم ، صلى الله على سيدنا محمد ، قال : قـل وصلى الله ، فانه لما ابتدأت رواية البخاري على سيدي عبد الرحمان الثعالبي ، قلت : بسم الله الرحمان الرحيم ، صلى الله على سيدنا محمد ، قال لي : قـل

وصلى الله ، فاني لما ابتدأت الختمة على الاستاذ سيدي أبي جمعة ببجاية ، أريد الجمع ، قلت : بسم الله الرحمان الرحيم ، صلى الله ، قال لي : قل وصلى الله ، فاني رأيت سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم ، فاستأذنته أن اقرأ عليه القرآن ، وأذن لي ، فقلت : بسسم الله الرحمان الرحيم ، صـلى الله على سيدنا محمد ، قال صلى الله عليه وسلم : قل وصلى الله ، فهذا ما حدثني بـه سيدي محمد بن منصور بالجامع الاعظم من مدينة الجزائر أمنها الله ، ولهذا لم يوجد بخط هؤلاء الشيوخ الا باثبات الواو ، ولهذا لم اكتبه بخطي الا باثباته اقتداء وتبركاً بهم،هذا ما وجد بخط سيدي أحمد بن أيوب في نسخة من (الأنوار) نسخها من خط مؤلفها الشيخ الثعالبي ، ذكر ذلك في آخرها ، بعد ما ذكر أنه لم يغير ما وجد بخط الشيخ من شكل ولفظ ، ومن جملة ما وجد بخط من ذكر وجده الطيب بن أحمد البوعناني .

انتهى ما وجدته بخط بحروفه . واخبرني به عنه صاحب الترجمة ، فاتصلت لنا روايته بحمد الله تعالى انتهى .

ترجمه في (الرحلة الناصرية) ، وفي (الصفوة) ، وفي (التقاط الدرر) أيضا ، و (نشر المثاني) ، والحضيكي في طبقاته ، وكلهم لخصوا ما في (الرحلة العياشية) .

وممـن أخذ عنه مؤلف (المشرع الروي ، في مناقب بنـي علوي) العلامة سيدي محمد بن أبي بكر الشبلي ، قال فيها لما ترجم لنفسه ما نصه : وقرأت علم الميقات والحساب بسند الخرقـة والصحبة ، عن شيخنا خاتمـة المحققين ،منقطع المثيل والقرين ، محمد بن محمد بـن سليمان المغربي ، وأجازني وأطعمني الاسودين بسنده الى سيد المرسلين ، انتهى .

وممن أخذ عنه وترجمه صاحب' (المنح البادية) ، قال فيها : الحادي عشر ، الشيخ العالم حكيم الفقهاء محمد بن سليمان الروداني ، ثم ذكر أنـه أجـــازه .

وذكر في (خلاصة الاثر) في ترجمة الشيخ ابراهيم بيري مفتي مكة الحنفي ، أنه عزل عن فتواها لما كان بينه وبين المترجم من عدم الالفة ، وكانت أمور الحرمين في أول الشريف بركات مناطة به ، والشريف بمنزلة الصفر ، الحافظ لمرتبة العدد .

وممن أخذ منه أيضا أحمد بن تاج الدين الدمشقي ، المتوفي سنة 1081 كما فيها أيضا وفي غيرها .

وممن أخذ عنه الشيخ امام الدين بن أحمد بن عيسى المرشدي العمري الحنفي مفتي مكة ، كما في ترجمته منها .

وأخذ عنه أيضا تلميذه الشيخ عبد الله بن سالم البصرى ، كما في ثبته الذي صنفه ولده سالم المسمى (الامداد ، في معرفة علو الاسناد) ، وأخذ عنه غيرهم .

وقد ختم المسند محمد سعيد بن الشيخ محمد سنبل الشافعي رسالة أوائل كتب الحديث بمعاجم الطبراني الثلاثة ، للحافظ الشيخ محمد بن سليمان المغربي ، وذكر المترجم في كتابه (الصلة) : انه لم يثبت فيها الا من تحقق انه روى جميع مروياته من فوقه رواية صحيحة ، ما بين سماع وأخبار واجازة ، خاصة وعامة .

695) **محمد بن عمر الهشتوكي** قاضي مراكش ، توفي في أواخر رجب عام 1098 ثمانية وتسعين وألف .

قال في (المنح البادية) عند ذكر أشياخه الذين لم يجيزوه ما نصه : وكذلك الفقيه العلامة قاضي مراكش محمد الهشتوكي ، سمعت عليه نحو النصف من (شرح المحلى على جمع الجوامع) ، وهو أخذ عن الشيخ سعيد قدورة وطبقته ، انتهى .

وقال في (النشر) لدى السنة المذكورة : وفي أواخر رجب توفي قاضي مراكش محمد الهشتوكي ، وفي أوائل شعبان منه وقع البريح بأن لا يضع أحد كتابا بالارض ، وهذا أحسن ما يكون من الادب .

انتهى ، ونحوه في (التقاط الدرر) .

وقال التمنارتي في (الفوائد الجمة) ما نصه : في جواب لقاضي مراكش محمد بن عمر ما نصه بعد كلام ، فترك الأحكام الشرعية ، واستنباط ضوابط وقوانين ، تخالف أحكام الشرع المحمدي كفر صراح ، فيجب على من مكنه الله في الارض أن يحسم مادة أولئك الفجرة ، ويردهم الى الشرع ولو بقتلهم ، انتهى .

واعلم أن أحكام البربر المسماة يزرف ينظر فيها ، فما كان منها على مقتضى الشرع فهو نافذ ، سواء حكم به عامل أو قاض أو جماعة ، وان كان مخالفاً للشرع كعدم توريث الزوجة والبنت ، وكأنواع النكاح الفاشية بينهم ، وكالحاق الولد لغير والده وما أشبه ذلك ، فهو حرام ولا يجوز تسميته بالاحكام ، لأن الاحكام لا تكون الا على مقتضى ما شرعه الله تعالى على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ، واستنبطه علماء أمته من أصول شريعته ، (ومَن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يُقبَلَ منه) ، وقد قرر العلماء أن الغيرية صادقة في الاصول والفروع ، فسواء اتبع دينا غير الاسلام ، أو ابتدع احكاما غير أحكامه ، ومن اعتقد حلية ذلك يكون كافرا .

وقد أفتى العلماء بكفر المهدي بن تومرت لافتعاله أحكاما غير شرعية، كما ذكره أبو اسحاق الشاطبي في كتاب (الحوادث والبدع) انتهى .

696) محمد بن ابراهيم الهشتوكي

محمد بن ابراهيم ، من بني ابراهيم ، بن موسى ، الهشتوكي ، قاضي مراكش ، الشيخ الفقيه العلامة .

وصفه الامام الحسن اليوسي في فهرسته بالفقيه الامام العالم المتفنن، قال : قرأت عليه (مورد الظمآن) ، وجملة من (ألفية ابن مالك) ، و (تنقيح القرافي) في الأصول ، وجملة من (مختصر خليل) ، ومن القلصادي ، وقد انتفعت به وهو في قيد الحياة ، انتهى .

وكان رحمه الله صدرا من صدور علماء وقته ، له المشاركة التامة في الفنون ، ولي القضاء بمراكش مدة يسيرة ، وكان صلبا في أموره غير مكترث بولاة الامر ولا مداهن لهم ، دخل يوما على بعض أمراء وقته وهو في فسطاطه ، فأوهوت الشمعة فلطمت ثيابه ، فقال له الامير مداعبا له : قد بدأتك النار في الدنيا قبل الآخرة ، فقال له الشيخ : صدق الله العظيم (ولا تركَنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار) ، فكأنما ألقمه حجرا .

ثم نقله السلطان لفاس ، ثم ولي قضاء الناحية ، ثم رجع لمراكش فتوفي بها سنة ثمان وتسعين وألف .

أخذ رحمه الله عن أشياخ مراكش وفاس ، ثم رحل للجزائر ، فأخذ بها عن سيدي سعيد قدورة ، وقرأ بجبال زواوة ، ثم رجع لفاس ،فأخذ عن سيدي عبد القادر الفاسي (التلخيص) ، و (الورقات) ، و (رجز ابن زكري) في مصطلح الحديث ، وغير ذلك .

ولما دخل مراكش أول قفوله من الرحلة ، جاهره طلبتها بالنكير ، وصاحوا عليه صيحة الحمير ، ففهم منهم الازدراء به فخرج عنها وأقام بالسوس مدة إلى أن اشتهر ظهوره بخلطة بعض الأمراء ، فرجع لها مؤيداً رحمه الله .

فـائـدة

كان صاحبُ الترجمة إذا جاءه العامي الذي لا يعرف عقائده يستفتيه عن الحلف بالطلاق الثلاث ، يقول له : لا شيء عليك ! اذ لا نكاح بينكما أصلا بناء على أن المقلد كافر ، وشاع ذلك عنه .

قلت: كأن مستنده ما رأيته في تقييد الأبيِّ عن ابن عرفة في التفسير، ونصه : سمعتُ عن الفقيه المدرس أحمد بن بن عيسى البحث أنه كان يسأل العوام وبعض جهلة العرب ، فاذا رآه اختل في بعض عقائد التوحيد ، قال : أنت كافر ،وقرر له العقيدة حتى سمعت أنه أباح لمن هذه حالته أن يرد مطلقته

بالثلاث ، لأنه طلقها في حال الكفر وطلاق الكفر باطل ، وكذلك نقل عن تلميذه عبد الرحمان الوغليسي المدرس ببجاية ، والله أعلم بصحة ذلك ، انتهى ، وهذا خطأ صراح لا يحل ، انتهى منه من آخر سورة المائدة .

وقال المسناوي في (اجازة المنور) ما نصه : وشيخنا الفقيه المتفنن القاضي محمد بن إبراهيم الهشتوكي الأصل ، المراكشي السكنى والوفاة ، حضرت عنده في جل (لشفاء) أو كله ، وفي بعض (شرحي السعد) ، و (المحلى على التلخيص) ، و (جمع الجوامع) أيام اقامته بفاس أيضا .

وقال في (المورد الهني) عند تعداد أشياخ اليوسي ما نصه : والعلامة المتفنن سيدي محمد بن ابراهيم الهشتوكي ، انتهى .

وفي (ديوان الامام اليوسي) ما نصه : وقال في كتاب بعثه من الزاوية البكرية لشيخه سيدي محمد بن ابراهيم الهشتوكي لما ارتحل من سوس الى مراكش ، يعتذر له في عدم مكاتبته له رحمهما الله تعالى :

اما وفؤاد بات ظمآن ذابلا ... لبيْن وجفن ظل ريان ناهلا
وفكر تداعته الهموم فلم تجد ... مصادر عنه اذ وردن مناهلا
وطيف يزور القلب والليل عاكف ... اذا صارم الاخدان أصبح واصلا
وعهد خلا في سالف الدهر ما عفت ... معالمه يوما ولا كان ماثلا
ولا أغفلت روضاته مزن الحيا ... ولبا وعهدا من ودادي هوامللا
لأصفيتُك الود الصميم الذي به ... غدا الصدر معمور الجوانب آهلا
وأعليت فوق الناظرين مكانه ... لمجدك بل فوق السماك منازلا
وما كنت فيها قد خلا بمضيع ... لحق ولا عن ذلك العهد حائلا
ولكنني قد قلت أي مقالة ... أحلي بها تلك الحلا والشمائلا
لانظم للدر الثمين قلادة ... من الودع أو شبها أصوغ خلاخلا
وما حيلتي في جيد علياك انما ... يحلى من الاجياد ما كان عاطلا
وهل لرياض بالخميلة حاجة ... الى الطل ان أمسى بها الغيث هاطلا
وهل يستعير البدر ضوءا من الدجا ... ويسأل سحبان الابانة باقلا

وهبنيَ أعطيت البيان وأسهمـاً تصيب لدى الرمْي الكلا والشواكلا
أأرمي لبدر منك أشرق عاليـــا ؟ بحق على كل الكواكب عائـــلا
وهل أنت الا البحر أصبح زاخـرا طميا لاحشاء البرية هائـــلا
وليث اذا ما أمّه المرءُ بالشـرى تملأ رعباً وادلى متثاقـــلا
إذا رام ذو لبٍّ خطابك يغتـدى فهيها ويضحى شخصه متضائـلا
على أنني بين الصوارم والقنـا أزاول صرف الازمة المتماحـلا
خطوب يصرن الشهم فدماً وفطنة ولوذا لدى البذلاء جراء حابـلا
فخذها كما هب النسيم سحيـرة من السحر غب الوْبل غادى خمائلا
علىحسب المُهدي الهدايا ولو ترى على حسب المعطي لكن جلائـلا
ومن كان ذا قدر كمثلك لم يـزل صفوحا على الزلات للنزر قابـلا

ومن ترجمه الحضيكي في طبقاته ، وقد وقع اتفاقه مع المترجم قبله في كونه هشتوكيا ، والاخذ عن سيدي سعيد قدورة وتولّي قضاء مراكش ، والوفاة عام 1098 ، واختلفا في اسم الاب ، فالاول ابن عمر ، والثاني ابن ابراهيم .

697) **محمد بن محمد العكاري المراكشي** ، الفقيه العالم الدراكة الفهامة الخطيب الفصيح البليغ . كان عالما عاملا ورعا ، زاهدا أديبا ، أخذ عن الحسن اليوسي ، وسيدي عبد القادر الفاسي وأجازاه ، وعن غيرهما ، وله تلامذة شتي بالدلاء ، وفاس ، ومكناسة ، ومراكش وغيرها ، منهم : العلامة سيدي محمد بن عبد الرحمان الصومعي الدلائي ، والفقيه عبد السلام البجيري المكناسي ، أخذ الطريقة الشاذلية عن سيدي علي بن عبد الرحمان الدرعي ، دفين تمجت ، موضع بجبل دير تادلة ، وله قطعة شعر في مدحه ، وكتب له السلطان مولاي إسماعيل بالقدوم لحضرته ليكون خطيبا بها ، فامتثل باشارة شيخه ، ثم لما مرض بالمرض المسمّى عند العامة بالضيقة طلب منه أن يذهب لداره بمراكش ، فأعفاه ووقره بعهد يتضمن احترام حاشيته ، وجعل داره حرما ، فرحل لمراكش ، وأقام متبركا به الى أن مات بها ، ودفن بتربة جده للأم ، الشريف التركي ، اذ هي مقبرة آل العكاري هناك .

ترجمه حفيد أخيه في (البدور الضاوية) وهي مبسوطة هناك ، وعقب المترجم فرعه العلامة علي بن محمد المترجم في موضعه من هذا الكتاب . هذا الكتاب .

698) **محمد بن يعقوب الايسي** المراكشي ، قال في (درة الجمال) : وقد لقبه بعض الطلبة بصدر الافاضل ، أديب ناظم ناثر ، وله سند ، أخذ عن محمد القصار ، وعن عبد الواحد بن أحمد الشريف الحسني السجلماسي ، وعن محمد بن يوسف الترغي ، وعن يعقوب بن يحيى اليدري أجاز له ولم يسمع منه ، وله نظم ، من ذلك في اسم عامر من المعمى :

فديتك ما وجدي وقلبي طائـــر ... أبيت وجفن العين مني ساهـــر
وليت الذي أهواه رق لذي الهوى ... بعيني وأصلا وهو آمـــر ؟

فأطلعني عليه ،فقلت في الاسم نفسه :

رمى قلبي بسهم أثر عيـــن ... أصابتني مليح الوجنتيـــن
فلا تعذل على جزعي فانـــي ... مصاب القلب ذو هجر وبيـــن

وقلت من التورية في اسم علي :

سباني بلبلي النغمـــه ... بديع الحسن ذو لمـــة
فان تخبره تلفيـــه ... على القدر والهمـــة

وقلت في صدر الافاضل المذكور :

وفتى تقدم من تقادم في العـــلا ... اكرم به من عمدة وحميـــم
حاز المفاخر كلها متقدمـــا ... بالصدر محمول على التقديـــم

فأجابني بقوله :

أوريت زند قريحة وقـــادة ... ولهيب عقلك بالذكا مشبـــوب
أبدى الشهاب لذا العجاب بنظمـه ... وكذا الشهاب على الدوام مصيب

وله قصائد مدح المخدوم بها منها قصيدة مطلعها :

حديث الركب ريحاني وراحـــــي الى ذكر الحمى سكن ارتياحـــــي
أدر لي من حديثهم كؤوســـــــا ففيها من شفا هذي الجـــــراح
وأطنبْ في ادكار عهود ليلـــى تعاودها المساء مع الصبــــاح
يحن القلب ان ذكرت مغـــــان كما حن الشجاع الى الكفـــاح
سعيت لتبلغ الرضوان منهــــا وقد وضح الصدود من الـــرواح

ومنهـا ختاما :

اذا افتخرت بمحضركم نـــــزار فحضكم المعلى من قـــــــداح

وأنشدني منه كثيرا أثبت هذا خوف الطول ، ولد سنة ست وستين وتسعمئة ، أنتهى .

وأنشد في (المنتقى المقصور) للمترجم في مدح الواثق عبد العزيز ولد المنصور قصيدة مطلعها :

وميمون طير قد جرى وهو سانـح ببشرى غدا قلبي بها وهو فـــارح
بابلال خير الناس أصلا ومحتـدا وأثبت عقلا والعقول جوامـــــح

وقال في (كفاية المحتاج) : قـال الثقة محمد بن يعقـوب الاديب المراكشي في فهرسته ، ثم نقل عنه ما تقدم نقله في ترجمة مؤلفها ، وقال بعده في حق المترجم : ولم ألق بالمغرب أثبت منه ولا أوثق ولا أصدق ، ولا أعرف بطرق العلم منه ، انتهى .

وقال في (الصفوة) بعد نقله ما نصه : قال أبو زيد في الفوائد وقوله في ابن يعقوب : لم ألق الخ جموع عن شهادة العيان ، فان ابن يعقوب لم يبلغ شسع نعل الايمة الذيـن كانوا يأخذون عنـه ، كعلي بـن عمران ، ومحمـد الرجراجـي ، وأحمد ابـن القاضي ، وابن أبـي النعيم ، وأضرابهـم وبمثل هذه الغفلة ، كان يفتي رحمه الله بحلية دخان تبغ المنتـن الخبيث ،

الذي أجمع فقهاء الامصار من الحرمين الى بلد جزولة على حرمتــه لخبثه ، والجواد يكبو ، والسيف الصارم ينبو ، وابن يعقوب المذكور من أدباء الدولة المنصورية .

أنظر التعريف به في كتابنا (النزهة) .

انتهى كلام (الصفوة) .

ونص كلامه في (النزهة) عند ذكر مشاهير كتاب المنصور ما نصه : وممن يعد في الكتاب ، وان كان قدره أعلا من الكتابة ، الفقيه الأديب ، الاوحد الأريب ، محمد بن يعقوب الايسي ، وكان صدر الادباء في وقته بمراكش وغيرها ، بحيث كان الكتاب يرجعون أليه في عويص المكاتبات ، ويترافعون اليه في حل المشكلات والمهمات ، وحسبك أن الامام سيدي أحمد بابا السوداني نقل عنه في (كفاية المحتاج) ، ووصفه بالثقة الناقد ، وقال فيه : اني لم ألق بالمغرب أثبت ولا أصدق ولا أعرف بطرق العلم منه ، انتهى .

ولابن يعقوب هذا في فهرسته شعر حسن .

ومن نظمه في البهائم التي تدخل الجنة :

فكبش الذبيح ثم هدهد ذو النبا ... حمار عزير ثم ناقة صالـــــح
وعجل الخليل ثم ناقة أحمــــد ... كذا كلب أهل الكهف أفضل نابح
وصفراء موسى لونها سر ناظــري ... ونملة قالت وهي أنصح ناصــح
تحل جنانا ثم سابح يونــــس ... مقاتلهم يرويه عن ذي النصائــح

ومن شعره قوله :

أبيت كأن في العيون مـــــراودا ... سميرا ولا تحلو لدى المراقــــد
أهم بأمر لو وجدت مساعـــــدا ... اذا عظم المطلوب قل المساعــد

699) **محمد بن عبد الله الاندلسي** دفين جنان ابن شقرة من مراكش ، من أهل القرن الحادي عشر ، كان يعلم أولاد الجن ! وأخذ عنه الامام أحمد بن ابراهيم العطار علم الباطن .

ذكره في (الصفوة) في موضعين منها .

700) **محمد بن علي المراكشي** ، الفقيه الأجل ، العالم الأفضل ، قاضي الجماعة ، من أصحاب الشيخ سيدي علي بن عبد الرحمان الدرعي المتوفي عام 1091 رحمه الله .

ذكره في (دوحة البستان) .

701) **محمد الطليطلي الاندلسي** نزيل مراكش ، من أهل القرن الحادي عشر ، دفن خارج باب أغمات من مراكش .

ذكره في (الصفوة) .

702) **محمد بن فارس الوريكي**

محمد بن فارس بن الحسن الوريكي ، من أهل القرن الحادي عشر ، دفين سفح جبل غيغاية من أعمال مراكش ، كما في (الصفوة) .

اما الفقيه سيدي الحسن بن فارس المتوفي سنة 1259 ، القاضي بفاس الجديد المذكور بـ (السلوة) ، فهو مدفون بناحية القباب بفاس .

703) **محمد الشاذلي**، به دعي،ابن الشيخ الشهير القطب العارف الكبير سيدي محمد فتحا ، ابن الولي الكامل العارف الواصل سيدي أبي بكر الدلائي ، الشيخ الفقيه السيد الكامل النزيه ، العالم العلامة الاوحد ، الامام الفاضل الامجد ، قدوة الانام ، وحسنة الليالي والايام ، فريد الدهر ، ووحيد العصر ، صاحب الاخلاق السنية ، والاحوال المرضية ، والافعال السنية ، الاديب البارع ، الحافظ المحقق ، الحبر اللافظ ، الجامع بين العلم والدين ، والمتأسى بسيرة أسلافه المهتدين .

ولد بزاويتهم بالدلاء ، وبها نشأ ، وقرأ على والده وأعمامه ، وعلى غيرهم من الواردين عليهم بها ، منهم : أحمد بن علي بن عمران السلاسي الفاسي ، وسيدي العربي الفاسي ، وغيرهما .

ثم خرج مع من خرج من الزاوية عند الحادثة العظمى ، وسكن بفاس، ولقي بها مشائخها ، كشيخ الاسلام سيدي عبد القادر الفاسي ، وأخيه سيدي أحمد ، وخرج منها ودخل مدينة مراكش ، ولقي أئمتها ، ونفع وانتفع . ثم رجع لفاس واستوطنها ، وكان يقوم على (مختصر خليل) ويذكر أنه أقرأ ألفية ابن مالك مئة مرة ، وأقرأ (مقامات الحريري) نحوا من ثلاثين مرة . وقرأ عليه بفاس عدة مشائخ منهم : سيدي عبد السلام بن الطيب القادري ، وأخوه سيدي العربي ، وسيدي ادريس المنجرة .

وكان رحمه الله أعجوبة من أعاجيب الزمان في الحفظ والفهم والاتقان ، والغوص على المعاني الدقيقة البديعة ، والنكت اللامعة الرفيعة ، جيد الانشاء والانشاد للشعر ، وله البراعة في النظم والنثر ، وأنفرد في عصره بعلم اللغة وحفظ أيام العرب وأقوالها ، وحكمها وأمثالها ، وحفظ دواوين المتقدمين والمتأخرين ، وتولى الخطابة بالمدرسة العناية ، وبها كان غالب تدريسه ، والفتوى بفاس ، وتخلى عنهما اختيارا منه وفرارا من خطة الولاية كلها ، حتى توفي رحمه الله بفاس الادريسية ، صبيحة يوم الاحد خامس عشر جمادى الاولى عام ثلاثة ومئة وألف ، ودفن بالكغادين بروضتهم المذكورة .

قال في (البدور الضاوية) ، وقبره مزارة كبيرة رحمه الله ، انتهى .

ترجمه في (البدور) المذكورة ، وفي (النشر) ، وكذا صاحب (المورد الهني) وادريس المنجرة في فهرسته ، وأشار إليه صاحب (حدائق الازهار الندية) عند تعرضه لاولاد سيدي محمد بن أبي بكر الدلائي فقال :

والثامن الشيخ الامام الحافظ ... الحجة الصدر المكين اللافظ
الشاذلي كاسمه في الحال ... وفي العلوم منتهى الآمال
أخذ عن جماعة أطواد ... سموهم على السماك بادى
والده وعاطر الانفاس ... أحمد أعني بن علي الفاسي
وعنصر الكمال والمفاخر ... شيخ شيوخ الدين عبد القادر
وكان في الشعر يصيغ الجوهرا ... وينثر السحر حلالا كوثرا

له رسائل كمثل الزهـــــر — معنى وفي اللفظ كمثل الـــدرر
قد ختمت به علوم جمــــة — لما نعوا وقالوا : كان أمــــة
وسفح الجفن عليه وانجــــرح — في عام تصحيف لقولكم سفح (1)

وممن ترجمه أحمد بن عبد الوهاب الوزير الغساني في تأليفه في (التعريف ، بمولاي عبد السلام القادري) ، وصاحب (السلوة) .

استدراك

كنا وقفنا على ج 6 من (الذيل والتكملة) للمراكشي بالمكتبة الوطنية بباريز ، وعليه خط الامام محمد بن أحمد بن مرزوق ، وألفينا فيه جماعة من الذين كانوا بمراكش ، ولم تكتب تلك التراجم ، ولما وصلنا في الطبع ، (المحمدين) ، كتبت لبعض المستشرقين راغبا منه أن ينسخها لي ، والصائر علي ، فبخل علي حتى بالجواب ، ولما ذهبت لباريز لمشاهدة معرضها انتسخت تلك التراجم ، وقد أثبتناها هنا في (المحمدين) ، وان كان تأخر وضعها في المؤمف حيث أنه معجم مفهرس مرتب على التواريخ وهي هذه (2) .

704) محمد بن عبد الرحمان الأسدي

محمد بن عبد الرحمان بن محمد بن مهلب الاسدي مرسي أبو بكر ، روى عن أبي عبد الله بن أبي الخصال لقيه بمراكش ، وأبي الوليد ابن الدباغ ، وكان محدثا راوية نبيلا متقناً أديباً ، كاتباً محسنا ، من بيت علم ورواية (3) .

---

1) يعني 1000 شقج ، $\frac{100}{3}$ (مؤلف)

2) ذهلنا اثناء التحقيق والتصحيح عن وضع التراجم التالية التى استدركها المؤلف فى مواضعها حسب تسلسلها التاريخى ، فلم نر بدا بعد التنبه من اثباتها كما اثبتها المؤلف فى جزء الاعلام الرابع المطبوع بفاس

3) الذيل والتكملة 6 : 323 ع 961 طبع بيروت

705) محمد بن خلَف الشَّبوقي

محمد بـن خلَف بن أحمد بن علي بـن حسين اللخمـي ، الشمبوقي ـ بفتح الشيـن المعجم والباء وواو وقـاف منسوبا ـ روى عـن أبي الاصبغ عيسى بن أبي البحر ، وأبي العباس بن مكحول ، وأبي جعفر بن محمد بن عبد العزيز ، وأبـي الحسن شريح ، وأبي عبد الله بن خلف بـن أحمـد بن قاسـم الخولاني ، وأبـوي محمد بـن علي اللخمي ، سبط أبـي عمر بن عبد البر ، وابن عتاب ، ومحمد بن عبيد الله بن صمادح .

روى عنه أبوا الحسن : بن موسى ابن النقرات ، وبن عبد الرحمان بن يحيى المصمودي ، وحسين بن علي بن القاسم ابن عشرة السلوي ، وبنوه ، وكان محدثا فقيها ظاهري المذهب ، وهو ممن غرب عن الاندلس ، واعتقـل بمراكش أيام الامير علي بن يوسف بن تاشفين اللمتوني .

وقفت على مجموع في التصوف ، ذكر أنه كتبه بسجـن مراكش ، وفرغ منه آخر يوم من رمضان تسع وعشرين وخمسمئة (1) .

706) محمد بن عبيد الله ابن صمادح التجيبي

محمد بن عبيد الله بن محمد بن معن بن محمد ابن صمادح التجيبي ، مـروي وشقي الاصل ، سيـد الدولة ، وقـد تقدم رفـع نسبه في رسـم أبيه أبي مروان عبيد الله ، روى عن أبيه ، وأبي بكر بن الفرج الربوبله ، وأبي العباس بن عثمان ابن مكحول ، وأبي الفضل بن شرف ، وأبي محمد بن السيد ، وغيرهم من أهل بلده وسواه .

روى عنـه محمد بـن خلف الشَّبوقي ، وكـان بارع الأدب متقدماً في العربية ، متحققا بالعروض ، وصنف فيه مصنفا لم يخله من افادة ، وكان شاعراً محسناً ، اشتهر بالفضل والايثـار أيام رياستهم ، ومدحـه الشعراء فأجزل صلاتهم ، وممن مدحه أبو عامر ابن الاصيل .

---

1) الذيل والتكملة 6 : 181 ع 498

ولما اختلت رياستهم بموت جده أبي يحيى المعتصم ، لحق بميورقة ناصر الدولة مبشرا ، ثم الى سرقسطة ، فاتصل بابن هود ، ثم صار الى طرطوشة ، فاتهم في تجوله هذا فقبض عليه واجيز به الى العدوة ، فاعتقل في سجن مراكش ، وله في ذلك وفي غيره شعر كثير .

فمن شعره في اعتقاله واستشعاره الصبر على تغير حاله قوله :

احبتنا الكرام بغوا علينـــــــا ... وبغي المرء محبطة ونـــــار
وقالوا الهجر لما يعلمــــــوه ... وهجر القول منقصة وعــــار
وما صرف الهوى حرم مبـــاح ... ولا محو الوداد دم مثـــــار
وقد ينبو الزناد لقادحيـــــه ... ويستولي على الفرس العثـــار

ومـنـه :

صبرت على منازعة الدواهـــي ... وطبع الحر صبر وانتجـــــار
وقلت لعلها ظلم المـــــت ... وحال الليل آخرها السفـــار
وما أنسى الجزيرة والأمانـــي ... تدير لهم ودار العـــــز دار
فان يكن الردى يكن اصطبـــار ... وان تكن المنى يكن اغتفـار

وقوله يشكو النوائب :

صبراً على نائبات الدهر ان له ... يوماً كما فتك الاصباح بالظلـم
ان كنت تعلم أن الله مقتــــدر ... فثق به تلق روح الله في أمـــم
وقلما صبر الانسان محتسبـــاً ... إلا وأصبح في فضفاضة النعـم
ما زلت في جزع أصبحت اظهـره ... إلى الفناء وريب الدهر مخترمـي
ولو بلغت الذى أملت في جزعـي ... لكان صبري في عال من الهمـــم

ثم سرح ، وتوفي في حدود الأربعين وخمسمئة .

انتهى من (الذيل والتكملة) (I) .

I) الذيل والتكملة 6 : 335 ع 883

707) محمد بن عبد الله ابن سماك العاملي

محمد بـن عبد الله بـن أحمد ابـن سماك العاملي ، مالـقي ، روى عن أبيه وغيره ، وكان فقيها ذاكراً للمسائل ، مشاورا عارفاً بالاحكام ، جرت بينه وبين بني حسون رؤساء مالقة منازعة ، ففر منهم الى غرناطة ، ثم سار إلى مراكش أول أيام عبد المومن ، فاستقر بهـا ، ومنها ولي قضاء مالقة بعـد مصيرها الى عبد المومن ، بقتل أبي الحكم المتأمر بها من بني حسون ، وكان قتله فـي ربيع الأول عام ثمانية وأربعيـن وخمسمئة ، وقد تقدم ذلك فـي رسمه ، ثم ولي قضاء غرناطة ، فكان أول قاض استقضي بها في دولة عبـد المومن ، وكان جزلا في أحكامه ، مسدد الاغراض في أقضيته ، وذكر الملاحي أن المنتقل الى غرناطـة جده ، وقد ولي أبـوه قضاءها سنة سبع وثلاثيـن وخمسمئة ، وكان محمد هذا حياً سنة خمس وخمسين وخمسمئة (1) .

انتهى من (الذيل والتكملة) .

708) محمد بن خلف ابن عميرة

محمد بن أبي القاسم خلف بـن محمد ابن عميرة ، مروي ، سكـن مراكش ، روى بالمرية عن أبوي بكر بن الاسود ، ولازمه في العدوتين، واختص به كثيرا ، وكان القارىء عليه ، وابـن العربي ، ثم جاوره بمراكش مـدة ، قال : وكنت أجالسه ليـلا ونهارا ، وآباء الحجاج : القضاعي ، وابـن محمد المقري ، وابن يسعون ، وآباء الحسن : عبد العزيز ابن شفيع ، وابن معدان ، وابن موهب وأكثر عنه ، وابن نافع ، وآباء عبد الله : بن أحمد بن هيثم ، والحمزي وابن زغيبة ، وابن الفراء ، وابن وضاح ، وابن أبي أحد عشر ، وأبي العباس القصبي، وأبوي علي : ابن عريب، والمغراوي الاحدب، ثم تركه، وآباء القاسم : أحمد بن ورد ، وعبد الرحمان بن عبد الله بن سعيد الحضرمي ، وعبد الرحمان ابن قاسم التجيبي ، كذا سماه ، وأراه عبد الرحيم ، وهو الحجازي ، وأبوي

---

1) الذيل والتكملة 6 : 237 ع 690

محمد : الرشاطي ، وعبد الحق بـن عطية ، وأبي المعـالي رافع ابن القيـم الاسكندري ، وبمرسية عن أبي محمد بن أبي جعفر ، وأبي الوليد ابن الدباغ ، وببلنسية عن أبي محمد ابن السيد، وبقرطبة عن أبي الحسن يونس ابن مغيب، وأبوي القاسم : ابن بقي ، وابن رضا ، وأبي محمد ابن عتاب ، ولقيه وأبـو محمد مريض ، فسمع عليه يسيرا وأجاز له ولقي بها أبوي عبد الله : ابن الحاج، وابن أخت غانم ، وأبوي الوليد : ابن رشد ، وابن طريف ، وأخذ عن ابراهيم ابن خفاجة ، وأبي الفضل ابن شرف ، وأبي محمد ابن الحاج اللورقي الكاتب ، وأجاز له ممن لم يلقه هو : آباء الحسن : شريح ، وعباد ابن سرحان ، وابن واجب ، وأبو عبد الله المازري ، وأبو الفضل عياض .

روى عنه أبو الخطاب ، وأبو عمرو ، وابنا الجميل ، وأبو عبد الرحمان قاسم بن أبي بكر ابـن الجبر ، وأبو علي ابـن صمع ، وأبو محمـد سعدون البرجاني .

وكـان فقيها حافظا محدثا مسنـدا ، عالي الرواية ، وأسن كثيـر فتنوفس في الاخذ عنه ، والسماع عليه ومنه .

وسكن مراكش طويلا ، وكتب لابـن تاشفين ، ثم نزع عن ذلـك ، وانقطع الى نشر العلم ، واسماع الحديث وغيره ، الى أن تـوفي بمراكش عام 576 ستة وسبعين وخمسمئة (1) .

709) محمد بن علي ابن البراق الهمداني

محمد بن علي بن محمد بن ابراهيم بن محمد الهمداني وادى آشي أبو القاسم ابن البراق ، روى عن أبي بحر يوسف بن أحمد ابن أبي عيشون ، وآباء بكر : ابن رزق ، والعقيلي ، وتلا بالسبع عليه ، وابن أبي ليلى ، وآباء الحسن : ابن عز الناس ، وابن فيد ، وابن ابراهيم ابن الملا ، وابن النعمة ، ونجبة ، ولقيه بمراكش ، ووليد ابن موفق ، وأبوي عبد الله : ابن يوسف ابن

---

1) الذيل والتكملة 6 : 190 ع 538

ادريس ، والخروبي ، وتلا عليه بالسبع وأكثر عنه ، وعرض عليه من حفظه كثيرا ، ومن ذلك (الموطأ) ، و (الملخص) وغير ذلك . وابن مضا ، وأبي علي ابن عريب ، وأبوي القاسم : ابن حبيش ، وابن عبد الجبار ، وآباء محمد : ابن سهل الضرير ، وعاشر ، وقاسم ابن دحمان ، وأبي يوسف ابن طلحة ، وأجاز لـه آباء بكر : ابن خير ، وابـن العربي ، وابن فندله ، وابـن نمارة ، وآباء الحسن : شريح ، وابن هذيل ، ويونس ابن مغيث ، وأبو الخليل مفرج ابن سلمة ، وأبو عبد الله حفيد مكي ، وأبو عبد الرحمان ابن مساعد .

وذكر ابن الابار أنه سمع منه ، ولم يذكر ذلك ابن البراق في برنامجه الذي وقفت عليه ، بل سماه في جملة الذين أجازوا له ، ولم يلقهم ، وأبو عامر محمد بن أحمد السالمي ، وأبو القاسم ابن بشكوال ، وأبو محمد ابن عبيد الله ، ولقيه في قول ابن الرومية ، وهو باطل ، وأبو مروان الباجي ، وابن قزمان ، وأبو الوليد ابن حجاج ، وله برنامج ذكرهم فيه ، وبين كيفية أخذه عنهم .

قال في (الذيل والتكملة) : وقفت على نسخة منه عليها خطه في عقب شعبان أحدى وتسعين وخمسمئة .

روى عنه ابنه القاسم ، وأبو الحسن بن محمد ابـن بقي الغساني ، وأبو عبد الله بن يحيى السكري وغيرهم .

وكان محدثاً حافظاً راوية، مكثراً ضابطاً ثقة، كاتباً بليغاً مكثراً مجيداً، سريع البديهة في النظم والنثر ، والادب أغلب عليـه ، وصنف فـي الآداب مصنفات منها : (بهجة الافكار ، وفرحة التذكار ، في مختار الاشعار) ، ومنها : (القرارة اليثربية ، المخصوصة بشرف الأحناء القدسية) وهي في نحو ستة أوراق ، مع تسميط تلميذه أبي الكرم جودى ،أولها :

يامسبلا من عينه عبراتهـــــــا   أشجتك هاتفة على أثلاثهـــــــا
أم شمت بارقة بعرض فلاتهـــــا   بالهضب هضب زرود أو تلعاتهـــا
شاقتك هاتفة على نغماتهـــــا

وهي مذكورة في (الذيل والتكملة) ، المترجم له فيها في نحو 12 ورقة ، واستوفى الكلام على شيوخه ، وأعترض على ابن الزبير حتى قال : وقد احوجنا فعل ابن الزبير في ذكره أشياخ ابن البراق ، وقلة تثبته في نقله اياهم ، واعتماده ذكر الملاحي اياهم ، وما انجر بسبب ذلك كله الى اطالة ليست من شأننا ، أردنا بذلك التنبيه على عمل ابن الزبير في كثير مما اشتمل عليه كتابه ، ولنبين أن الاتقان له رجال خصهم الله بفضيلته ، نفع الله بهم ، وأوجدنا بركة الاقتداء بهم .

ثم قال : وكلامه نظما ونثرا كثير جيد .

ولد سنة 529 ، وتوفي ودفن لثلاث بقين من رمضان سنة (596) ست وتسعين وخمسمئة ، وكانت منيته من عشرة (1) .

710) محمد بن أحمد ابن فُطَيْس الغافقي

محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد ابن فُطَيْس الغافقي ، غرناطي ، الفهري أصل السلف ، سمع من أحمد ابن زرقون نزيل الخضراء وهو آخر من روى عنه ، ومن أبوي بكر : بن عبد الله ابن العربي ، وبن موسى ابن سيد خطيب الجزيرة الخضراء ، وهو آخر من روى عنه ، ومن أبي عياض بن موسى آخر من روى عنه بسماع .

وأخذ القراءات عن أبي جعفر ابن البيذش ، وأبي عبد الله السعدي ، والطب عن أبي مروان ابن زهر وبرع فيه ، روى عنه أبو بكر ابن مسدي ، وقال : ذكره يوما الملاحي فقال خيراً ثم قال : إلا أنه كان بخيلا بالرواية ، فعرفته باجازته لي مرتين ، الأولى سنة خمس وستمئة ، والثانية مقدمه من مراكش سنة احدى عشرة وستمئة ، وبيته نبيه وشهير .

توفي سنة ثلاث عشرة وستمئة عن مئة سنة وثلاث سنين ، وكان ممتعا بحواسه ، ومولده على رأس العشر وخمسمئة .

انتهى من (الذيل والتكملة) (2) .

---

1) **الذيل والتكملة** 6 : 457 ع 1241

2) **الذيل والتكملة** 6 : 505 ع 1293

711) محمد بن عبد الله اليانبي الأنصاري

محمد بن عبد الله بن عبد الرحمان الأنصاري ، أشبيلي ، يانبي الاصل ، سكن مراكش ، أبو بكر اليانبي ، أخذ عن صهره الاستاذ أبي بكر بن عبد العزيز السلاقي ، وبه انتفع وعليه عول ، وخلفه في حلقته بعد وفاته بمراكش فدرس العربية والآداب ، وكان ذا بأو (1) شديد ونزوع بنفسه إلى أكثر مما يجب له ، وكان يقرض شعرا يجيد في أقله ، وتوفي ولم يبلغ الاربعين أو بلغها بمراكش في ذى الحجة عام سبعة عشر وستمئة .

انتهى من (الذيل والتكملة) (2) .

712) محمد بن عبد الرحمان ابن عفير الأموي

محمد بن عبد الرحمان بن عبد الله بن عبد الرحمان ابن عفير ، أموي لبلي ، أبو بكر ، وقد تقدم الخلاف في نسبه في رسم اسماعيل بن سعد السعود ابن عفير ، له رحلة الى المشرق ، لقي فيها أبا الفرج ابن الجوزي وطبقته ، وتلبس بالوعظ ، وسلك فيه طريقة أبي الفرج ، وعاد الى المغرب والاندلس ، ودخل مراكش وأغمات وغيرهما من بلاد العدوة ، وعقد فيها مجالس الذكر والوعظ ، وكان مستظرف المنازع فيما يأتي به منها ، وله في الكدية مآخذ غريبة .

أخبرني التاريخي أبو سعيد عثمان بن . . . المعروف بابن خرزوزة قال : حضرت بعض مجالسه الوعظية بتلمسان ، وقد ذكر للحاضرين أنه يريد التزوج أو التسري ، والتمس منهم كفايتهم اياه النظر في ذلك ، ثم أنشد :

وقلت يارب حملناكم	لما طغى الماء على الجارية
عبدك هذا قد طغى ماؤه	فاحمله يارب على الجارية !

فتأثر له الحاضرون وياسروه في مطلبه .

---

1) البأو : الكبر والتعاظم

2) الذيل والتكملة 6 : 285 ع 735

وذكر لي غير واحد أنه تكلم على أهل أغمات في مجالس ، فلم يصل اليه منهم احسان ، فادرج في بعض مجالسه تنبيها لهم وعتبا قوله : لاعبت الزمان ، في دست الحدثان ، فضربني في طرة الحرمان ، شاه مات ، فشكوت الحال الى أهل أغمات ، فكلهم قالوا : أغْ مات ، ومعنى أغْ بلسان المصامدة وهم البربر المجاورون لمراكش وما صاقبها من البلاد ، خذ ، فكان معنى ما تقول عليهم : خذ مات ، أي أن الاعطاء لا يوجد منهم .

وكان لأول ما ورد أغمات نزل بقريته بشرقي الجامع الاعظم ، منها داخله كانت قبله متعبداً لبعض أفاضلها ، فلما انصرف الى منزله قصده بعض وجوهها معتذرين إليه ومتنصلين مما نُسب اليهم ، وذكروا له انهم ما زالوا منذ ورد عليهم ناظرين فيما يقابلونه به ! فقال لهم : لا يرضيني الا ألف دينار ، ولا آخذها الا من رجل واحد ، فجمعوها ودفعوها الى بعضهم ، فحملها اليه فقبلها وانصرف عنهم .

ولما قفل الى الاندلس، وقصد أشبيلية وهمَّ بعقد مجالس الوعظ فيها منعه أهله وقرباؤه ، وقالوا : لا نبيح لك ولا نساعدك على التعرض الى الكدية في بلد يعرف فيه شرف أسلافك ، وبمسجد كان فيه أبوك خطيبا ، فانصرف عنهم إلى بلاد الاندلس ثم إلى العدوة ، وشاع في الآفاق ذكره ، وتلقى الناس أحواله بالاستحسان ، وقابلوه بضروب من الاحسان ، وكان حسن الصوت ، طيب النغمة ، عجيب الايراد ، وتوفي في نحو العشرين وستمئة (1) .

انتهى من (الذيل والتكملة) (2) .

713) **محمد بن طاهر (3) بن عبد الله** ، أندلسي ، أخذ عنه أبو بكر ابن مسدي وهو في عداد أصحابه ، وكان من أهل الادب .

توفي بمراكش سنة أربع وعشرين وستمئة ، وقد بلغ حد الكهولة .

انتهى من (الذيل والتكملة) (4) .

---

1) بهامش احدى نسخ الجزء السادس من **الذيل والتكملة** : روى عنه أبو بكر ابن مسدى، وقال : مولده بعد الخمسين وخمسمئة ، وتوفى باشبيلية سنة اثنين وعشرين وستمئة ، قال : وذكر لى هو واخوه انهم من ذرية عثمان بن عفان رضى الله عنه .

2) **الذيل والتكملة** 6 : 346 ع 929

3) فى نسخة **الاعلام** المطبوعة بفاس : طافر

4) **الذيل والتكملة** 6 : 507 ع 1303

714) محمد بن اسماعيل ابن عفير

محمد بن اسماعيل بن سعد السعود بن أحمد ابن عفير ، شقيق أبي الوليد محمد الآتي ذكره ، يكنى أبا العباس ، روى عن أبيه ، وكان شاعراً مجيداً مفلقاً ، يفضل على أخيه أبي الوليد في النظم ، كما يفضل أبو الوليد عليه في النثر ، وقد ذكر له في (الذيل والتكملة) قصيدة خاطب بها ابراهيم بن يوسف ابن الحجر ، ويصف له شكاية ألمت به ، ويستدعي طبَّها منه ، أولها :

نظمي ونثري استمدا نخبة الفكـر وقلدا المجد منها خيرة الـــدرر

مولده عام أربع وتسعين وخمسمئة ، وتوفي بمراكش قبل الزوال من يوم الثلاثاء لخمس خلون من جمادى الاولى سنة أربع وأربعين وستمئة ، ودفن يوم الاربعاء المذكور بمقبرة باب تاغزوت داخل مراكش .

ترجمه في (الذيل والتكملة) (1) .

715) محمد بن أحمد المُسلهَم الرندي القيسي

محمد بـن أحمد بن محمد القيسي رنـدي ، سكن مراكش ، أبـو عبد الله الرندي والمسلهم ، روى عن أبي اسحاق بن أحمد الرندي ، وأبي البركات عمر بن مودود الفارسي ، وأبوي بكر : ابن أبي تليد ، وابن علي بن المرخي ، وأبوي جعفر : بن يحيى الخطيب، وابن يسعون الشريشي ، وأبوي الحجاج : ابن الشيخ وأجاز له شفاهاً ، وابن المعز المكلاتي ، وآباء الحسن : حازم ابن حازم ، وسهل بن مالك ، وابن خروف النحوي ، والدباج ، وابـن السعود ، وابن عفان ، وابن الفضل ، وابن القطان ، ومحمد بن محمد ابـن زرقون ، ويوسف ابن رختاط ، وأحمد بن محمد ابن واجب لقيه وأجاز له ، وأبي الربيع ابن أبي العزيز ، وأبي بكر ـ ويقال أبو زكرياء ـ بن محمد بن أبان الشعباني ، وأبي سليمان ابن حوط الله ، وأبي الصبر السبتي ، وأبا عبـد الله : بن ابراهيم ابن حريرة وتدبج معه ، وابن أبي العباس ابن ورد ، وابن عبد

---

1) الذيل والتكملة 6 : 123 ع 311

الله البرنامج ، وآباء العباس : بن ابراهيم الطنجي ، وابن شكيل ، وابن علي بن هارون ، وابن محمد العزفي ، لقيه بسبتة وسمع عليه وناوله وأجاز له ، وأبوي علي : بن الحسن بن عبد الله بن يوسف أجاز له ، وعمر بن عبد المجيد الرندي ولزمه ببلده وبمراكش ، وأبي عمر ابن عات ، وأبي عمرو محمد بن عبد الله ابن غياث ، وأبي القاسم ابن بقي وأكثر عنه ، وابن الحداد التونسي ، وأبوي محمد : ابن حوط الله، وعبد الحق بن عبد الله بن عبد الحق، وأبي مروان محمد بن أحمد الباجي، لقيه بطريف ومراكش وناوله، والحاج القلفاط وغيرهم.

كان محدثاً مكثراً متسع الرواية ، أديباً ، من أبرع الناس خطاً ، عاقداً للشروط ، جماعا للكتب وفوائد الشيوخ ، نسابة لخطوط العلماء ، ذاكرا للتواريخ ، حسن المحاضرة ، جميل اللقاء ، جالسته مرات ، وكان صديقاً لأبي رحمهما الله .

ولاكثاره غمزه بعض أشياخنا ، وتكلموا فيه ، وكان شيخنا الناقد العدل حسن بن علي ابن القطان يصرح بتكذيبه ، وادعائه تحميل شيوخ ما ليس في روايتهم ، وحمله عنهم ما لا صح له ، وقد كان يظهر ذلك منه ، ولعله بالاجازة والله أعلم .

وكان ذا حظ من الكتابة وقرض الشعر ، يحسن في أقله ، ومنه ونقلته من خطه :

يسائلني من لا أراع بوده ... فأكتمه حالي وليس أخا ريْب
اذا كان دائي من أماكن لذتي ... تركت عذولي خائضا ظلم الغيب

توفي يوم الثلاثاء قبل طلوع الشمس لاربع خلون من صفر 653 ثلاث وخمسين وستمئة ، وقد زاد على الثمانين أربع سنين أو خمسا ، ودفن ضحى يوم الاربعاء تاليه بمقبرة باب أغمات .

انتهى من (الذيل والتكملة) مع حذف باقي شعره المذكور فيه (1) .

---

1) الذيل والتكملة 6 : 61 ع 133

716) محمد بن أبي بكر الحرار الانصاري

محمد بن أبي بكر بـن سعيد بن عبد الغفـور الانصارى الاوسي قرطبي ، نزل بآخرة مراكش أبـو عبد الله الحرار ، حرفته التى كـان قديما ينتحلهـا .

كان عدلا عاقدا للشروط ، حسن السياقة لها ، مثابرا على المطالعة ، فكه المحاضرة ، وهو أبو صاحبنا أبي القاسم هبة الله ، جالسته كثيرا وخبرت منه جودة . وتوفي بمراكش يوم الخميس لثلاث عشرة بقيت من رجب 658 ثمان وخمسين وستمئة ، ودفن من الغد اثر صلاة الجمعة بجبانة الشيوخ .

انتهى من (الذيل والتكملة) (1) .

717) محمد بن اسماعيل ابن عُفَيْر الاموي

محمد بن اسماعيل بن سعد السعود بن أحمد بن هشام بن ادريس بن محمد بن سعيد بن سليمان بن عبد الوهاب ابن عفير الأموي . وقد تقدم في رسم أبيه تحقيق نسبهم ، وما قيل فيه ، لبلي سكن اشبيلية طويلا ثم مراكش، أبو الوليد .

روى عن أبيه أبي أمية ، وأبي بكر ابن طلحة ، وأبي الحسن بن عبد الله ، وأبوي الحسين : أبن زرقون ، وابن عظيمة ، وأبي عبد الله ابن تميـم البهراني ، وأبي علي ابن الشلوبين ، وأبي القاسم موسى ابن نام ، وعبـد الحق بن عبد الله بن عبد الحق وغيرهم .

قرأت عليه وسمعت وأجاز لي ، وانشدني كثيرا من شعره ، وطالعني بجملة من رسائله ، وكان من بيت علم وجلالة ، أديبا جيد الكتابة ، شاعـرا محسنا ، طيب النفس ، كريم الاخلاق ، حسـن اللقاء ، كثير البر ، سالـم الباطن ، ممتع المجالسة ، فكه المحاضرة ، مليح التندير ، مشكور الطريقة ، قديم النجابة .

---

1) الذيل والتكملة 6 : 139 ع 349

تلبس طويلا في الاندلس ومراكش بعقد الوثائق ، وكان بصيرا بها وبعللها ، نافذاً في معرفتها ، واستقضي ببلد نفيس من أحواز مراكش ، ثم بالسوس وعرف في ذلك كله بالنزاهة والعدالة .

مولده عام ثلاثة وتسعين وخمسمئة ، وتوفي بمراكش بعد عصر يوم الاربعاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من جمادى الاولى ، سنة سبع وستين وستمئة، ودفن عصر يوم الخميس بعده بمقبرة باب الصالحة احد أبواب مراكش الشرقية.

ومن شعره ما انشدنيه ونقلته من خطه :

اقصر ففي الحرص والتطويل للاجل ... عجز يؤدى الى التقصير في العمـــل
غر الغرور بآمال تكفلهـــــا ... فهل تكفل بالتأخير للاجـــل

ومنه يعزي شيخنا أبا الحسن في ابنه الانجب صاحبنا أبي الحسين محمد رحمه الله ، وسمعته ينشدهما أياه عند الفراغ من مواراته على قبره :

أبا الحسين لئن غيبت في جنـن ... فما تغيب ما خلفت من حســن
واذ أجور الرزايا فوق مـــا رزأت ... فلا كأجرك فاصبر ياأبا الحسـن

وذيل بيتي :

ألا ليت شعري هل ابيتن ليلـــة ... بواد وحولي إذخر وجليـــل
وهل أردنْ يوماً مياه مجنـــة ... ويبدو لعيني شامة وطفيـــل ؟

بقولـه :

وهل لي لبيت الله حج معجـــل ... ييسر في قصدي اليه سبيـــل
أطوف به سعيا والثم ركنـــه ... وأدعو وعيني بالدموع تسيـــل
وهل عرفات انتحيها بوقفـــة ... تحط ذنوبا حملهن ثقيـــل

وقد مر له ذكر في رسم أبيه ، وسيأتي له ذكر في رسم الشريف يـونـس .

انتهى من (الذيل والتكملة) مع حذف باقي اشعاره (1) .

---

(1) **الذيل والتكملة** 6 : 119 ع 310

انتهى ما وقفت عليه في الجزء المذكور مما لم يتقدم في موضعه ، وترجم فيه لأبي بكر محمد بن عبد الله بن يحيى بن الفرح ابن الجد المتقدم ، وضبط فرح ــ بفاء مفتوح وراء ساكن وحاء غفل ــ وصرح بانه كان بقصر مراكش سنة 581 ، ولأخيه محمد بن عبد الله بن فرح ابن الجد بعد تمام ترجمة أبي بكر المذكور ، وترجم لابن مرج الكحل المتقدم من محول ورقة 40 الى محول ورقة 43 ، وذكر في ترجمة ابن اغلب المتقدم أنه توفي بمراكش .

وقال ابن الزبير : وتوفي بتلمسان وليس بشيء .

718) محمد المراكشي

قال في الباب الخامس وخمسمئة من (الفتوحات المكية) في معرفة حال قطب كان منزله (واصبرْ لحكم ربك فانك بأعيننا)، كان عليه من أصحابنا محمد المراكشي بمراكش :

ليس قلب الوجود غير وجـــودي وكذا في الشهود عين شهـــودي
فانا القلب والمهيمن قلبـــــــي وهو مني مكان حبل الوريـــــد
لا تحدوه للذي قد سمعتـــــــم انه جل عن قيود الحـــــدود
من رآني فقد رآه ومن لـــــــم يرني لم يقل بفرض السجـــود
انما يفرض السجوذ على مـــــن قال في الحق : انه من وجـــودى

يريد قوله صلى عليه وسلم : من عرف نفسه فقد عرف ربه .

رأيت محمد المراكشي بمراكش ، وكان يكاثرني ليلا ونهارا ، وكان هذا هجيره دائماً ، فما رأيته ضاق صدره من شيء قط ، وكانت الشدائـد تمر عليه فلا يتلقاها إلا بالفرح والضحك ، فتفرج عنه في نظرنا وهو ينتقل من فرح الى فرح ، ومن سرور الى سرور ، فكنت أقول له : كيف تصبر علـى حلول هذا النوازل المكروهة طبعا ؟ فيقول : لما صبرت أولا ، فأنتج لي ذلك الصبرُ على الحكم الالاهي مشاهدةَ العين ، فشغلتني عن كل حكم فما أتلقاه الا به ، فهو مجني ، فاياه أسأل ، فان النوازل به تنزل في رؤيتي ، وأنتم ترون حكم النازلة في صورتي ، وكل عند نظره .

ثم كان هذا الشخص من أحفظ الناس على اوقات عباداته ، والله ما رأيت مثله بعده في هذا المقام ، وما تحسر أحد من اخواني على فراقي حين فارقته الى هذه البلاد مثل تحسره على فراقي ، وكان يقول لي : والله لولا مشاهدة العين التي حجبتني عن نفوذ الحكم الرباني في ، لسافرت معك ، فوالله ما يغيب عني منك الا تحول صورة الحق الى صورة أخرى ، فأشهده غيبا ومحضرا ، وهذا ذوق عجيب .

كان كثير الادب ، كثير الكلام ، يكاد لا يصمت بدا عن دلالة الناس على الله عز وجل ، فاذا قيل له في ذلك يقول : أنا أؤدي فريضتي في كلامي ، وأنت بالخيار في مجالستي والاصغاء الى ما نورده ، أنا أتكلم مع مَن يسمع ما أتكلم ، لا مع مَن لا يسمع ، أعلم أن هذا الذكر يعطي الثبوت مع الحكم الرباني لما فيه من المصلحة ، وان لم يشعر به العبد وجهله فهو في نفس الامر مصلحة، كان الامر ما كان ، وهذا مقام الاحسان الاول الذي هو فوق الايمان ، فله الشهود الدائم في أختلاف الاحكام ولا بد من اختلافها ، لانه تعالى كل يوم في شان ، فان كنت صاحب غرض وتحس بمرض وألم ، فاحبس نفسك عن الشكوى لغير من آلمك بحكمه عليك ، كما فعل أيوب عليه السلام ، وهو الادب الالاهي الذي علمه انبياءه ورسله ، فانه ما آلمك ، وحكم عليك بخلاف غرضك وغرضه، جعل حكمه فيك الا لتسأله في دفع ذلك عنك ، بما جعل فيك من العرض الذي بسببه تألمت ، فمن لم يشك الى الله مع الاحساس بالبلاء وعدم موافقة الغرض ، فقد قاوم القهر الالاهي .

جاع أبو يزيد البسطامي فبكى ، فقيل له في ذلك ، فقال : انما جوعني لأبكي ، فالأدب كل الأدب في الشكوى إلى الله في رفعه ، لا الى غيره ، ويبقى عليه اسم الصبر ، كما قال الله تعالى في رسوله أيوب عليه السلام : « انا وجدناه صابرا » في وقت الاضطراب والركون الى الاسباب ، فلم يضطرب الا الينا ، لا الى غيرنا ، فانه لا بد طبعا عند الاحساس من الاضطراب ، وتغير المزاج ، ولذلك لطخ الحلاج وجهه بالدم ، حين قطعت اطرافه لئلا يظهر الى عين العامة تغير مزاجه غيرة منه على المقام ، لمعرفة بهذا كله ، وهو القائل في وقت هذه الحال :

ما قُدَّ لي عضو ولا مفصـــل الا وفيه لكم ذكـــــــر

بخلاف الآلام النفسية اذا وردت الامور التى من شأنها أن تتألم النفوس عندورودها ، فقد يتلقاها بعض عباد الله ، ولا أثر لها فيه على ظاهره ، والامور المؤلمة حسا اذا أحس بها تحرك لها طبعا إما الى الله في إزالتها كأيوب وذي النون عليهما السلام ، الا أن شغله عنها أمر يزيل احساسه بها ، واما الى من ليس بيده من الامر شيء ، كالمعتاد في العموم ، وتلك حالة اكثر العالم عباد الاسباب ، وبها يتستر الاكابر من عباد الله عن أن يشار اليهم ، فاصبر لحكم ربك المأمور به ، فذلك هو الثبوت مع الله ، عند نفوذ الحكم الالاهي فيه ، أي حكم كان من بلاء وعافية ، فان الفرح بنيل الغرض يزيل صاحبه عن الثبوت أكثر من زوال صاحب البلاء ، فان حركة الفرح تدهش ويكثر اضطراب صاحبه، إلا أن يكون له قوة حال أكثر من وارد الفرح ، وأما الهم والغم فانه أقرب إلى الثبوت والسكون لمن حكم عليه به من فرح الواصل الى غرضه ، فهو ذكر يعم الخير والشر معا ، وهما حالان ، والاحوال هي الحاكمة أبدا ، والمحكوم عليه لا بد أن يكون تحت قهر الحاكم لنفوذ حكمه فيه ، وهو الذي جعله يضطرب ، لأن مطلوب الانسان بالطبع الخروج من الضيق الى الانفساح والسعة ، والضياء المشرق لما رآه من ظلمة الطبع وضيقه ، فلا يصبر على القهر فقيل له : اثبت للحكم فانك لا تخلو عن نفوذ حكم فيك ، اما بما يسوءك أو بما يسرك ، فان ساءك فتحرك الينا في رفعه عنك ، وان سرك فتحرك الينا في ابقائه عليك بالشكر على ذلك ، فيزيدك ما يتضاعف به سرورك ، ولا يضعف ، فأنت رابح على كل حال ، وما أمرناك بالصبر إلا ليكون الصبر عبادة واجبة ، فتُجازَى جزاء من أدى الواجب ، فتكون عبدا مضطرا مثنى عليك بالصبر والرضا ، ولو تركناك على التخيير وصبرت لكنت عبداً مختاراً ، أي ذا اختيار ، ولم تذق طعماً لسيادتنا عليك، فان المختار يُولِّينا على نفسه إذا شاء، ويعزلنا إذا شاء ، ويخجلنا اذا شـــاء ، ولا يخجلنا اذا شاء ، فنحن فـــي الاختيار بحكمه ، وفـــي الاضطرار حاكمون عليه ، فانظر الى رحمة الله بك حيث أمرك بالصبر لحكم ربك ، ثم زاد فانك بأعيننا ، أي ما حكمنا عليك الا بما هو الاصلح لك عندنا ، سواء سرك أم ساءك ، هذا قصده بقوله : فانك بأعيننا ، أي ما أنت بحيـــث نجهله أو ننساه .

فكن أي عبد شئت بعد هذا ، فأنت لما قصدت ، والله يقول الحق ، وهو يهدي السبيل (1) .

719) محمد بن المنذر

محمد بن المنذر بن محمد بن أبي عقيل عبد الرحمان بن المنذر المغربي المراكشي، أبو منصور الفقيه الشافعي نزيل حلب ، قدم والده الى بغداد ، واتصل بابن هبيرة قبل وزارته ، وتوفي بالموصل ، وولد المذكور ببغداد ، وسمع بهـا الحديث من أبي عبد الله ابن خميس ، وتفقه على أبي البركات الشميرجي ، وغيره ، وقرأ القرآن على أبي بكر القرطبي ، وصحب أبا نجيب السهروردي ، وسمع منه الحديث ، ومن المظفر ابن السبلي ، وابن المارح ، وابن البطـي وغيرهم ، وسمع كتاب الالكامي هكذا من سعد الله بن أحمد في دار ابن هبيرة ، ولقي عبد القادر الجيلي ، وسافر الى الشام ، وقرأ قطعة من (تاريخ دمشق) على مصنفه علي بن القاسم ابن عساكر ، وكان يمتنع من الرواية ، ويقـول مشايخنا اسمعوا ، وهم صغار لا يفهمون ، وكذلك مشايخهم ، وأنـا لا أرى الرواية عمن هذه سبيلة ، وعمرت وعلت سنه ، ولم يرو شيئاً ، وكان فقيهاً فاضلا غزير العلم ، عالما بالاب .

قال ابن النجار : اجتمعت به بحلب غير مرة ، وكان حسن الاخلاق ، كيسا ممتعا باحدى عينه .

توفي سنة ثمان وعشرين وستمئة بحلب ، ودفن خارج باب النصر .

وله شعر لم يذكر منه شيئاً ، ومحله بياض .

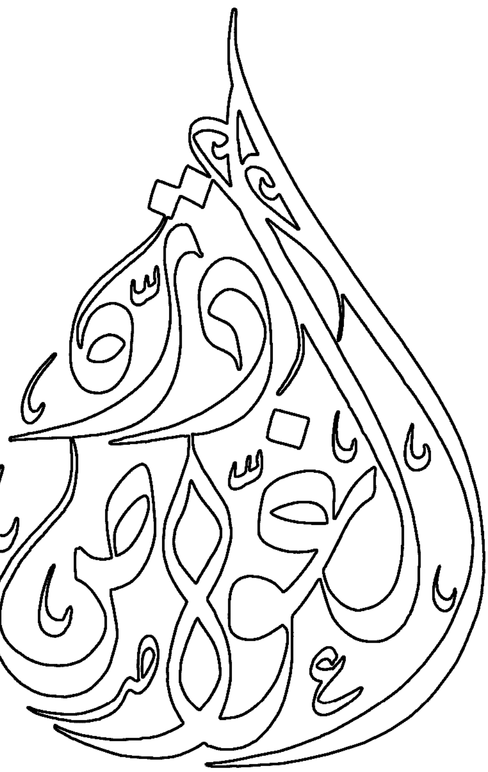
انتهى من (الوافي بالوفيات) للصفدي ، أقول : وقد تقدم شيء من أخباره في ترجمة القاضي أسعد ابن مماتي .

انتهى من (اعلام النبلاء ، بتاريخ حلب الشهباء) ص 376 ج 4 (2) .

---

1) الفتوحات المكية 4 : 181

2) هذا الرجل كان ينبغى ان لا يذكر فى هذا الكتاب لانه بغدادى ولم يدخل أغمات ولا مراكش وان نسب الى الأخيرة



فهرس

الجزء الخامس من (الاعلام)

تابع حرف الميم

النمرة		الصحيفة
630	محمد بن محمد الشيخ المعروف بالبرتغالي الوطّاسي	118
631	محمد بن عبد الرحمان الوقاد	126
632	محمد بن عيسى الكبير الفهدي السفياني الأصل ثم المختاري	126
633	محمد بن داوود الشاوي	128
634	محمد الحران بن محمد المهدي السعدي	128
635	محمد بن علي الخروبي الطرابلسي المنشأ	129
636	محمد المهدي بن محمد (القائم بأمر الله) السعدي	131
637	محمد . . . . الحساني	150
638	محمد بن عبد القادر السعدي	151
639	محمد بن سعيد	153
640	محمد بن الحسن العريبي الشاوي	153
641	محمد بن عبد النعيم الحامدي	154
642	محمد بن علي ابن عسكر	154
643	محمد (المتوكل على الله) بن عبد الله (الغالب بالله) السعدي	156
644	محمد بن محمد الحسني السجلماسي	171
645	محمد (شقرون) بن هبة الله الوجديجي التلمساني	171
646	محمد بن عيسى التاملي	172
647	محمد بن أحمد ابن الناظر	172
648	محمد (الكامل) بن أبي عمرو القسطلي	173
649	محمد بن علي الدادسي	179
650	محمد بن محمد التواتي	179
651	محمد الحاج أدركو	180
652	محمد بن علي ابن الزبير	180
653	محمد بن عمر بن قاسم الشاوي	180
654	محمد بن علي الهوزالي	182
655	محمد بن عبد الرحمان الوزروالي	183

النمرة		الصحيفة
656	محمد بن مسعود المراكشي	185
657	محمد الساعي نزيل مراكش	185
658	محمد بن أحمد الحلفاوي	185
659	محمد بن عبد الرحمان المراكشي	186
660	محمد (حمو) بن أحمد الطاهري الحسيني	187
661	محمد بن أحمد السالمي	187
662	محمد بن مبارك الزعري	188
663	محمد بن عبد الواحد الشريف السجلماسي	190
664	محمد بن يوسف الترغي	192
664	(مكرر) محمد بن علي الجزولي الانسوي	208
665	محمد بن قاسم القصار	208
666	محمد (الحاج) بن أحمد المريني التلمساني	217
667	محمد بن عبد المومن السعدي	218
668	محمد بن علي ابن ريسون	219
669	محمد بن أحمد الرسموكي	221
670	محمد بن علي الفشتالي	221
671	محمد الشيخ المامون السعدي	223
672	محمد بن عبد الله الرجراجي	248
673	محمد (قدار) بن يحيى البوخصيبي	251
674	محمد بن علي السجتاني الفاسي	253
675	محمد المامون التونسي	254
676	محمد بن محمد العقاد المكي	255
677	محمد بن أحمد ابن مليح السراج	259
678	محمد بن أبي بكر الصنهاجي الدلائي	262
679	محمد بن موسى الاديب ، الحامدي	265
680	محمد بن يوسف التاملي السوسي	266

المطبعة الملكية. الرباط

رقم الإيداع القانوني : 768 / 1999

ردمك : 8 - 03 - 905 - 9981 (المجموعة)

ردمك : 6 - 21 - 905 - 9981 (الجزء الخامس)

الإعلام

بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام

تأليف

العباس بن إبراهيم السملالي

قاضي مراكش

راجعه

عبد الوهاب ابن منصور

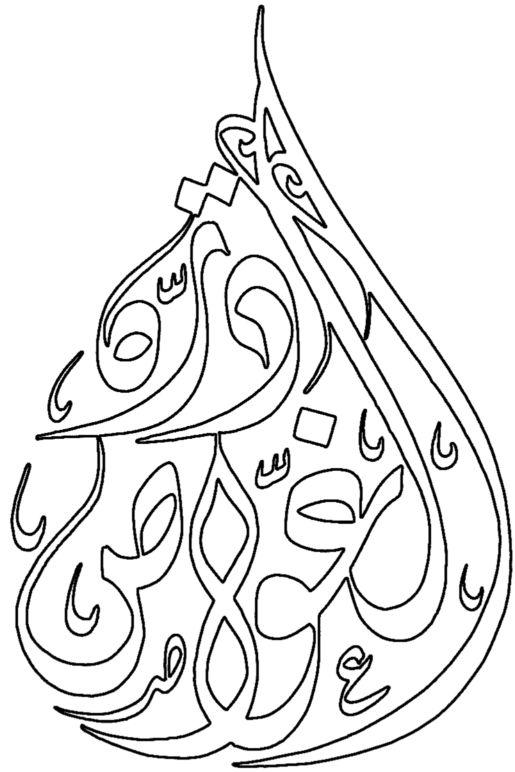
مؤرخ المملكة عضو أكاديمية المملكة المغربية

(الطبعة الثانية)

1413 هـ - 1993 م

المطبعة الملكية - الرباط

الجزء السادس



الإعلام

بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام

تأليف

العباس بن إبراهيم السملالي
قاضي مراكش

راجعه

عبد الوهاب ابن منصور
مؤرخ المملكة عضو أكاديمية المملكة المغربية

الجزء السادس

(الطبعة الثانية)

المطبعة الملكية. الرباط
1422هـ - 2001م



بســم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

720) محمد بن الشيخ سيدي الحسن اليوسي (I) الفقيه من الفضلاء النبلاء ومن أكابر النبهاء ، وهو معدود في جملة الفقهاء ، موصوفاً بالصلاح والخير والفلاح ، ذكر هذا في (النشر) لدى العام السابع من العشرة الأولى بعد المئة والألــف .

سافر السيد محمد مع والده سيدي الحسن للحج ، وقد ألف فـي ذلك رحلة صغيرة هي عندي (2) نبه فيها على أنهم وصلوا مراكش أول ربيع الثاني سنة اثنتين وتسعين وألف ، وسلكوا طريق رباط سلا ، ثـم رباط أزمور ، وبعد ثلاث سنين رحلوا منها يوم الاثنين لثلاث بقين من صفر لقرية الزاوية البكرية ، وفي أهلها قال والده : بنو اسحاق كلهم عراقى الخ ، وخرجوا منها يوم الاثنين أوائل رجب عام 1098 ، ونزلوا بشعاب حمود ، ورحلوا منها أول صفر الى قرية صنهاجة صفرو ، ونزلوها يوم الأحد التاسع من الشهر ، ولم يلقوا داراً ولا جاراً ، ولا منزلا ولا قرارا ، فبئست القرية !

فلو أبصر الشيطانُ صورة وجهها تعوّذ منها حين يُمسي ويُصبح

وأما ناسها فكأنهم خشُب" مسندة ، ثم رحلوا منها يوم الاربعاء أواسط جمادى الثانية عام مئة وألف ، ونزلوا فاساً يوم الخميس من غده بدار علي ابن

I) ترجم المؤلف قبل هذه الترجمة لمحمد بن ابراهيم التاملي المراكشي ، وهـو نفس أحمد بن ابراهيم التاملي المراكشي الذى سبق أن ترجم له فى 2 : 330 من هذا الكتاب ، مشيراً الى أنه وجد له اسمين : أحمد ومحمد ، فترجم له مع الأحمدين ومع المحمدين ، وهذا من هنات المؤلف التى يؤاخذ بها ، فقد كان من واجبه أن يتحرى ويتأكد ، حتى اذا ترجح له أحد الاسمين ترجـم لصاحبه فى بابه ، ولم يترجم له مرتين كان الشخص الواحد شخصان ، وقد تصرفنا بحذف هذه الترجمة دفعاً للالتباس . ومن أراد الاطلاع عليها فهى مثبتة فى الصفحة الثانية من الجزء الخامس من طبعة فاس .

2) توجد نسخة من هذه الرحلة محفوظة بالخزانة الملكية بالرباط تحت نمرة 2343

رحمون بدرب العلوج بالطالعة ، ولها باب ينفذ لدرب السراج ، فلم تستقم له أيضا سكنى ، وبقوا فيه سبعة أشهر ونصفا وخرجوا منه يوم الأحد لثمان بقين من المحرم لتمام المئة ، ونزلوا بقرية تمززيت أولاد عباد ، وهي بلدة قليلة خالية من شياطين الأنس ، وأهلها همج مسلمون لا ينفعون ولا يضرون ، وهناك خلّفوا العيال ، فخرج مع والده من الدار يوم الخميس الثاني عشر من جمادى الأولى عام واحد ومئة وألف ، وتوجه والده لفاس ، فأقام فيه شهرا ويومين، ثم خرج الركب ورحل منه يوم السبت الرابع عشر من جمادى الثانية ، وباتوا عند أولاد الحاج على حاشية وادي سبو ، ورجع المترجم لأخذ ما بقي ، وبات بمطيطة ، ثم اجتمعوا مع الوالد عند أهل الوادي، ويوم الاربعاء بات عند مكناسة بوادي قنصرة ، ورجع المترجم لمدينة تازة ، ثم سافروا ووصلوا لعين ماضي ، ثم نزلوا بقرية سيدي خالد ، ورحلوا لاقليم الزاب ، فدخلوا بسكرة ، وليس فيها مَن يضيف ولا مَن يقري ، ومروا بمقام سيدنا عقبة ، ثم حامة توزر ، ومنذ جاوزوا تازة ما رأوا أهل العقول والصلاح والكرامة ، وباتوا بحامة قابس ، ومن وادي الرأس الى النيل ما ترى ماء حلواً يجري على وجه الارض ، وبلغوا قبالة جزيرة جربة ، ونزلوا بمليتة وأقاموا بطرابلس تسعة أيام ، وباتوا بتاجورة ، وزاروا ضريح الشيخ سيدي أحمد زروق بمسراتة ، وهناك ءاخر ما تراه من البنيان الى مصر ، وباتوا بخراب أجدابية ، وصعدوا عقبة الجبل الأخضر ، وهو حد برقة البيضاء ، وبلغوا مورد التميمي ، ووصلوا سوق درنة ، وبلغوا جرجوب ، ووردوا منهل الشمامة ، وبلغوا وادي الرهبان ، ثم وصلوا قبالة بولاق يوم الجمعة الرابع عشر من شوال ، ووجدوا العلامة سيدي محمد الخرشي شارح (المختصر) ، وأجازه الوالد ، ثم بلغوا عجرود ووادي التيه ، وسطح العقبة ، ثم وصلوا مكة ، وأقاموا بها خمسة عشر يوما ، ثم زاروا المدينة المنورة ، ثم رجعوا الى مصر ، فوجدوا الشيخ الخرشي توفي رحمه الله ، وأقاموا بمصر أربعة أشهر وتسعة أيام ، ثم خرجوا من مصر يوم الخميس الخامس عشر من جمادى الثانية ، ثم كتب له أخوه العلامة سيدي محمد مع الركب الشرقي الذي تلاقوا به بالصحراء قبالة طرابلس ، وبلغوا عين ماضي خامس شوال ، وقد خص الله نساء هذه البلدة بحسن وجمال لا يكاد يوجد في غيرها ، ثم بلغوا تازة ووجدوا هناك أخاه الشقيق والاخوة الصغار ، وبلغوا الدار بتمززيت يوم الأحد الخامس والعشرين من شوال .

انتهى ما اقتطفته من هذه الرحلة .

وهذا المترجم هو مدفون مع والده بتمزيت ، وقد زرتهم جميعاً في هذه السنة 1358 تقبل الله بمنه ، وبين ضريحه وبين فاس نحو خمسين كيلومتراً .

ثم اعلم أن الامام اليوسي كان عنده ولدان اثنان كل منهما يسمّى محمداً ، وكانا معاً في مراكش حين كان والدهما هناك ، أما أحدهما فتقدمت وفاته ، وهو الذي مات عام 1107 ، وأما الثاني فتأخرت وفاته بعد ذلك ، فقد كان حياً سنة 1109 ، وهو المذكور في (الرحلة الناصرية) حيث كتب للشيخ أحمد بن ناصر ، كما في رحلته لدى ذكر حجته الثالثة الكائنة سنة 1109 ما نصه :

تنبيه

ويوم رحيلنا من هذه الدار بعد الرحيل من توزر في 8 رجب سنة 1110 ، رجعتنا عام عشرة ، التقينا بالركب المشرقي وأميرهم الحاج الحسيني الفاسي رحمه الله ، وأتونا بكتب من أهالينا ومن أهل محبتنا ، وبعث الأخ سيدي محمد بن الحسن اليوسي كتاباً فيه قصيدة نصها :

كتبت ودمعي واكف العبرات ... وقلبي حزين دائم الزفرات
وقد فتكت أيدي النوى بجوانحي ... وجسمي ، فهل من عودة لحياتي ؟
وهل يأنس المهجور بعد بعاده ... ويشهد جمع الشمل بعد شتات ؟
وقد سار قلبي تابعاً لمسيرهم ... وخلف جسم الصب بين عداتي
إلى الله أشكو ما أُلاقي وانه ... بحالي بصير عالم الخفيات
فواحزني ماذا أجد من الأسى ... ومن مضض الأحزان والحسرات
أعد الليالي ليلة بعد ليلة ... وقد عشت دهراً دائم الغفلات
فياأهل نجد هل أتاكم أحبتي ... يلبون في الأوهاد والهضبات ؟
يؤمون بيت الله والحجر والصفا ... مواطن من قد فاز بالدرجات
وساروا بخيف والمحصب من منى ... وهل ظفروا بالغنم من عرفات
وقد شعروا في مشعر الله واهتدوا ... بهدي وهل مروا على الجمرات ؟

وحلوا وفاضوا فائزين بقصدهـــم بفضل من الرحمان والبركـــات
وهل زار قبراً للنبي محمـــد وعفر حر الوجه في الحجــرات ؟
عليه من الله الكريم تحيـــة مباركة أنفاسها عطراتـــي ؟
وصحبه مع أهل البقيع وكل مَن بطيبة من صحب ذوي العظمـات
هنيئاً لكم أحباب قلبي بحجـة مطهرة الأركان والجنبـات
لقد أسعدت تلك الرفاق وأينعـت عراجينهم واخضر كل نبـات
بمحيي رسوم الدين بعد دثـوره وحاميه فرداً دون كل حمـاة
إمام علا فوق السماكين رتبـة وطهره المولى من الشبهـات
فياأحمد قطب السلوك وغوث مـن دعاه لدى الاعلال والكربـات
دعاك غريب نازح متملـق أنِلْهُ بفضل صالح الدعـوات
فليس له عن بابكم متحـول مدَى الدهر في المحيا وبعد ممات
عليك سلام الله ما ذر شـارق وما ناحت الورقا على الشجـرات
فنسأل رب العرش تعجيل أوبـة لكم دون ما سوء ولا جرحـاتي
وربي أرجو أن يمن بفضلـه علينا بجمع الشمل قبل وفاتـي

721) مَحمد بن اسماعيل العلوي

مَحمد فتحاً بن أمير المومنيـن ، مولانا اسماعيل الحسني العلـوي الشريف .

قال في الفصل الثاني من الباب الثاني من (المورد الهني ، بأخبار الامام المولى عبـد السلام الشـريف القادري الحسني) ، وكانت له ـ يعني سيدي عبد السلام القادري المؤلف فيه التأليف المذكور ـ الحظوةُ التامة عند ولاة وقته ، ولا سيما الخليفة العلامة الشريف الأسمى مولاي محمد بن مولانا أمير المومنين ، مولانا اسماعيل قدس الله روحه لقراءته على صاحب الترجمة ، فقد كان يجمع عليه ، يعني يجمع مولاي مَحمد المترجم على نفسه كبراء علماء فاس للاقراء عليهم ، ويجيبونه لذلك ، ويقاسون معه الشدائـد لذكائه وشدة فطنته ، مخافة الافتضاح معه في قصور فهم أو نقل .

انتهى المقصود .

ورأيت في طرة هذا المحل ، أن المصنف ضرب عليه في مبيضته ، وقال في (مطلع الاشراق) : وقد ورد علينا في حدود ست وتسعين وألف بتقديم الفوقية ، مع ركب الحج المنقلب للمغرب شريف من ناحية الينبوع ، من نسل محمد النفس الزكية ، الذين لهم هناك شهرة ، وبيده مع ذلك رسم فيه تقييد سلسلة نسبه ، وظهائر ملوكية من صنيع ملوك الترك العثمانيين المستولين على غالب الأقطار الشرقية لهذا العهد ، وسألني القدوم معه الى الفقيه الخليفة بفاس الجديد يومئذ مولانا محمد ابن ملك الوقت ، السلطان مولانا إسماعيل أيده الله وسدده ، فتصفحت بحضرته ما بيده ، وما اشتملت عليه رسومه من النسب ، وتضمنته ظهائره من وصف الشرف ، والعطاء المرتب فيها لأجله ، وعرفنا كل ذلك ، وإذا بطابع ظهير العثماني ملك الترك على شكل بديع ، كأنه صورة طاووس لا يستطيع أحد تصويره ولا تزويره لغرابة شكله ، ولما علم من ضبط أهل ديوانهم ، فتبين لنا أنه أتى بالخبر على وجهه ، واستفدنا من كل ذلك ومن قرائن أحواله ، ومن وروده من ذلك الموطن ، ومع الركب ، ومن صحة ما بيده ، وصدق لهجته وصحة المنسوب اليهم ، أنه شريف النسب ، وعرف مولانا محمد سدده الله في ذلك رتبته ، وأكرم مثواه ، وأجزل صلته ، وكان أراد المقام بالمغرب ، وسمعت أنه تزوج بمراكش ، وولد له ، ولا أدري الآن مقره ، انتهى .

ووقفت على قصيدة كتبها المترجم لشيخه العلامة الحافظ سيدي محمد بن أحمد القسنطيني المدعو الكماد ، المتوفي عام ستة عشر ومئة وألف، وهي هذه بعد حذف الصدر المتقدم في المقدمة (1) .

إلى العالم النحرير والحجة التي	روى فضلها غرُّ السراة الجماهر
إلى شيخنا الأسمى السمي محمد	أحملها هوج الرياح العواطر
أحملها مر النسيم تحية	إلى الماجد الأرضى الكريم العناصر
وأقطعها الود الصميم وان نأت	به الدار عن بحر من العلم زاخر

1) انظر 1 : 12 من هذا الكتاب ، وانظر القصيدة كلها في 4 : 78 من **اتحاف أعلام الناس**

فلله ما يشكو الفؤاد من النـــوى ... ولله ما تطوى بطون الدفاتـــــر
إذا ما ذكرت العهد واشتقت للقـا ... جعلت فؤادي بين أضلع صابـــر
فيادوحة العلم التي عمَّ عرفهـــا ... جميع البرايا بين باد وحاضـــر
وياسيدا حملته كـــــل وارد ... سلامي وقد حملته كل صـــادر
وياكوكباً قد لاح في أفق الهـدى ... فألقى سناه في عيون المآثـــر
ألست الذي إن عز في العلم مشكل ... تلقاه فهم منك في زي باتـــر ؟
ألست الذي ترتاح كلُّ عويصـة ... إلى ذهنه من بين ناه وآمـــر ؟
حنانيك هاض القلب سهم ابن مقلة ... فأدمى فهل تروي حديث ابن جابر؟
عليك سلام الله ما شاق شيقــا ... بريق وما لاح الصباح لناظـــر

فأجابه شيخه الممدوح بقوله :

خليلي عج بالركب من أم عامـــر ... وعرج على كثبان نجد وحاجـــر
وسل واكفات الدمع فوق محاجري ... أنار الغضا في القلب أم أم جابر ؟
وعرض بسقمي واعتلال ضمائري ... وأسند حديث الحب عن شلو ضامر
وصحح غرامي عن مسلسل ناظري ... وضعف سلوي عن هواها وناظري
فحيا الالاه حيها وربوعهـــــا ... وعطر من أعطافها كل ناظـــر
الى حيها تشتاق نفسي ومهجتـي ... فهم منيتي والأكرمون عشائـــري
أهيلي وأحبابي اذا ما ذكرتهـــم ... يفيض غزير الدمع من طرف ساهر
وتحترق الأحشاء شوقاً لربعهـــم ... وتكلمها الأشجان عند التذاكـــر
رعى الله ذاك الربع مرتع فكرتـــي ... ومنية نفسي واحتلال معاشـــري
وحي الحيا تلك الديار عشيـــة ... وعمر من أرجائها كل داثـــر
ديار بها روحي وروحي وراحتـــي ... وقلبي وريحان الفؤاد وناظـــري
سليل أمير المؤمنين وعلقـــه ... مَحمد محمود السجايا العواطـــر
وشمس المعالي كوكب المجد والعلا ... وسعد سعود للمنى والبشائـــر
وغيث الندا بحر السماحة والسنا ... وكهف بني الآمال كنز الذخائـر
وطود الحيا والحلم والصدق والوفا ... صفوح عن الزلات عند التشاجر

فلا هجره يخشى ولا سوء عشرة يوافي بحسن العهد عند التنافر
ويولي جزيلا من نداه وان نأت به الدار عنا فهو خير مؤازر
ولا عيبَ فيه غير أنه حازم وحامي الذمار ملجأ للقساور
وعالم أهل البيت فخر سراتهم وتاج وسيف الدين عند التشاجر
وقاعدة التحصيل أنك فاضل إمام همام مركز للدوائر
وقد كانت الأيام تجمع شملنا فهل عودة للوصل ياخير شاكر ؟
وهل تسمع الآذان عذب حديثكم وتهتز أعطافي لتلك الجواهر
وتسحرني حسناء فهمك كلما أماطت نقاب الحسن عن طرف فاتر
فياخاتما للمجد دُمْ راقي العلا مرجى لكشف الغيم زين المفاخر
عليك من الرحمان صوب تحية مبشرة بالوصل من أم عامر

وممن أجاز المترجم مولاي مَحمد العالم : شيخه العلامة سيدي أحمد بن العربي بن الحاج ، ووقفت على إجازة سيدي محمد المسناوي له ، وسيدي محمد بن أحمد الولالي الذي أقرأه البديع والبيان والمعاني ، وأصول الفروع . وأصول الدين ، وقواعد التصوف ، وعلم المنطق . وقد ذكرها بنصها في (الدر المستحسن) ، ولم يقف على الأولى .

وفي سنة إحدى عشرة ومئة وألف ، عقد السلطان مولاي إسماعيل لابنه المولى مَحمد المدعو بالعالم على إقليم سوس ، ورتب معه ثلاثة آلاف من الخيل ، ولما دخلت سنة أربع عشرة ، بعث السلطان ولده المولى الشريف إلى درعة والياً عليها ، فثار المولى مَحمد العالم ببلاد السوس ، ودعا لنفسه ، وزحف إلى مراكش ، فحاصرها في رمضان من السنة المذكورة ، وفي العشرين من شوال اقتحمها عنوة بالسيف ، فقتل ونهب ، ولما اتصل خبره بالسلطان ، بعث ولده المولى محمد المدعو زيدان فارس أولاده في العساكر لقتاله ، فقدم مراكش ، فصادف المولى مَحمد قد خرج عنها ، وعاد إلى ردانة ، ولما احتل المولى زيدان مراكش عاثت عساكره فيها ، ثم تبع أخاه المولى مَحمد العالم إلى السوس ، فنزل على ردانة ، واتصلت الحرب بينهما .

وفي الحادي والعشرين من صفر سنة ثماني عشرة ، (1) ورد الخبر باستيلاء المولى زيدان على ردانة وقبضه على أخيه المولى محمد العالم بعد محاربته له ثلاث سنين ، هلك فيها أمم وقواد ورؤساء وأعيان يطول ذكرهم، ولما دخلها المولى زيدان عنوة ، قتل جميع من بها حتى النساء والصبيان ، هكذا في (البستان) .

وفي رابع ربيع الأول من السنة ، وصل المولى محمد العالم مقبوضاً عليه إلى وادي بهت ، فبعث السلطان من قطع يده ورجله من خلاف بعقبة بهت ، ومات بمكناسة في خامس عشر ربيع ، وكانت الغلبة عليه بعد أن هزم أخاه مولاي حفيد الفار لآسفي بعد الهزيمة .

وقال في (الجيش) : لما توفي المولى محمد العالم صلى عليه القاضي سيدي محمد العربي بردلة ، فنقم عليه ذلك بعض الحسدة ، وأوغروا قلب السلطان عليه ، وقالوا له : انه يبغضك ، ولولا شدة بغضه لك ما نازع إلى الصلاة على عدوك الذي ثار عليك ، ورام نزع الملك من يدك ، فكتب السلطان إلى القاضي بردلة يتهدده ويوبخه ، فأجابه القاضي بأن صلاته عليه نظيرة صلاة الحسن البصري على الحجاج بن يوسف ، فلما ليم على ذلك ، قال : استحييت من الله تعالى أن استعظم ذنب الحجاج في جنب كرم الله الغفور الرحيم ، على أنني ما صليت عليه بغير إذن ، بل خرج الاذن من الدار المولوية، وبلغ ذلك مبلغ الشهرة التي لم يبق معها شك ، وذلك على لسان مترجمه

---

1) الصحيح فى استيلاء مولاى زيدان بن اسماعيل على ردانة انه كان صبيحة يوم الجمعة 15 صفر عام 1118 هـ ، وننقل فيما يلى ما كتبه الشرقى كاتب زيدان عن هذا الفتح فى مذكراته المحفوظة بالمكتبة الملكية تحت نمرة 1428 :

« فى صبيحة الجمعة منتصف صفر عام 1118 فتحت ردانة ، ودخلها زيدان ، لأن الباشا عبد الكريم بن منصور التكنى أبرم اتفاقاً مع أعيان الباب الواعر الذى كانوا به على فتحه لقاء حقن دمائهم ، فلما فتحوه خرج مولاى محمد من باب الخميس وقصد جبل زكيتة ، فأدركه عبيد البخارى واتوا به الى أخيه زيدان ، فتغير مخافة عليه من والده ، وتصبب جبينه عرقاً حياء منه ، وبعدما مكث عنده أربعة أيام أرسله لوالده فتلقاه بوادى بهت وقطعه من خلاف ، فمكث يومه وليلة ، ومات عشية الأحد 16 ربيع النبوى 1118 وبلغ خبره زيدان يوم 26 منه »

ينسب الأمر الى الجانب المولوي ، فلا افتيات بعد ذلك ، بل الواجب هو القيام بذلك ، ولو بغير اذن اجلالا وتعظيما لجانب مولانا نصره الله ، ولما قال صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه في قضية الحديبية : امح لفظ رسول الله ، قال علي رضي الله عنــه : والله لا أمحوه أبدا ، فتعارض وجـوب امتثال أمر الرسول بالمحو ، ووجوب الاجلال لمقامه الأرفع ، فرجح رضي الله عنه وجوب الاجلال، ثم الصحيح ان الحدود كفارات، ففي الصحيح عن عُبادة بن الصامت رضي الله عنه : ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به في الدنيا ، فهو كفارة له .

انتهى باختصار (1)

وكانت هذه القضية من الفتن العظيمة بالمغرب ، عمت أهل القطر السوسي ، وخصت أعيان غيرهم من العلماء الذين كانوا يخالطون المولى محمد العالم لولا لطف الله تعالى ، فان الشيخ محمد المسناوي الدلائي كان مـن أخص الناس بالمولى محمد ، فوشي بـه إلى السلطان ، وقيل انه مـن شدة اتصاله به لا يغيب عنه عزمه على القيام عليك ، فاذاً هو موافق له على ذلك ، فبادر بعض أصحاب السلطان ممن كان يجنح للمسناوي بالاعتذار عنه ، بأنه كان ينهاه عن القيام ، وأنشد للمسناوي في ذلك :

مهلا فان لكل شيء غايـــــــة ... والدهر يعكس حيلة المحتـــــال
فالبدر ليس يلوح ساطع نـــــوره ... والشمس باهرة السنا في الحـال
فاذا توارت بالحجاب فعنــــد ذا ... يبدو بدوّ تعزز وجمـــــــال

فوقع ذلك من السلطان ، وتحقق براءة الشيخ ، رحم الله الجميع .

انتهى كلام (الجيش) .

---

1) انظر النص الكامل لجواب الفقيه العربي بردلة للسلطان مولاى اسماعيل فى 4 : 82 من اتحاف اعلام الناس

وفي هذا المعنى قلت في خامس ربيع الثاني عام ثلاثين وثلاثمئةوألف في (الديوان) ، بباب البوجات بفاس ، لما رأيت القمر طالعا في النهار ، وليس له نور :

ما الفرع مع أصله صاح بمعتبر كالشمس ان طلعت غطت على القمر
فانظر إلى نوره يظهر منكسفا وجرمه ظاهر ليس بمنكدر

قال كنسوس : وقولنا عمت أهل القطر السوسي ، لأن ظهوره التام انما كان هنالك ، ولأن جل من ينتسب الى العلم والصلاح منهم كانوا معه ، موافقين له ومؤيدين فعله ، انتهى .

قال في (النشر) : كان المولى محمد العالم ماهرا في العلوم ، كالنحو ، والبيان ، والمنطق ، والكلام ، والأصول ، وكان ينفعل للشعر ، ويتأثر بأريحية الادب .

ومما كتبه له أخوه مولانا الشريف صدر مراسلة ما خاطب به سيف الدولة ابن حمدان أخاه ناصر الدولة :

رضيتُ لك العليا وان كنت أهلها وقلت لهم بيني وبين أخي فرق
أما كنت ترضى أن أكون مصليا اذا كنت أرضى أن يكون لك السبق

والمصلّي هو الثاني من الخيل في الحلبة ، وفي (القاموس) صلى الفرس تلا السابق ، والمجلّي هو الأول ، (القاموس) والمجلي السابق في الحلبة ، فاقترح المكتوب له على الشيخ أبي عبد الله المسناوي أن ينوب عنه في الجواب ، لأنه كان من الوافدين عليه حينئذ ، فأجابه رحمه الله بقوله :

بلى قد رضيت أن تكون مجليا ويتلو نداكم في العلا مَن له السبق
وما لي لا أرضى لك المجدَ كلَّه وأنت شقيقُ النفس إن عرف الحق
ولكن ذوو الضغن انتحوا ذات بيننا فغادرها افسادهم وبها رنق

ورنق براء مهملة ونون (القاموس) : رنق الماء كفرح ونصر رنْقاً ورنَقاً ورنوقاً كدره .

وفي سنة سبع عشرة ومئة وألف ، انتزع الانجليز جبل طارق من يد الاصپنيول ، حاصره ثلاثة أيام براً وبحراً في جند يسير ، فملكه لاشتغال الاصپنيول يومئذ عنه بأمر الفتنة التي حدثت في مملكته ، ولما ملكه الانجليز عظم ذلك على أجناس الفرنج ، خصوصاً الاصپنيول والفرنسيس ، ورأوا أن الانجليز قد ملك عليهم باب أورپا ، ولذا حاصروه مرارا ، فلم يحصلوا منه على طائل ، واستمر في يده الى الآن (I) .

722) **محمد بن عبد الله الحمري المراكشي** ، مقدم الطائفة الناصرية في زمن الشيخ سيدي أحمد بن ناصر بمراكش ، وله رسالة طويلة أجاب بها سيدي أحمد بن عبد القادر عن رسالته المؤرخة عام II2I واحد وعشرين ومئة وألف ، نص المقصود منها :

بسم الله الرحمان الرحيم   صلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله

الحمد لله الموفّق مَن وفّقه بفضله ، الخاذل مَن خذله بعدله ، العالم بما تُكنه الصدور ، وما تأتي به الدهور ، وما انطوت عليه طوية كل إنسان ، من مكر وخير وإحسان ، الذي أرسى الأرض بجبال شوامخ من عباده الأقطاب ، تحسبها جامدة وهي تمرُ مرَّ السحاب ، وجعل الليل لباساً ، وأزال عن قلوبنا شكاً والتباساً ، وأرانا من الهدى مناراً ، وخلقنا أطوارا ، وأطلع علينا شموساً وأقماراً تدل على حكمته ، ونستدل بها على قدر نعمته ، وأظهر السنة وأنارها ، وأدحض البدعة وأبارها ، وجعل الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين لهم أنصار السنة وحماتها ، وجعل من بعدهم أعلام الطائفة الناصرية الشاذلية شعارها ودثارها ، وحرس بهم طائفة أهل الحق الموحدين عن جهل الجاهلين ، وانتحال المبدلين الزائغين ، وأثني عليه بأفضل الثناء على ما منح وأنعم ، وأشكره على ما منَّ به وتكرم ، وأشهد أن لا إلاه إلا الله وحده لا شريك له ،

I) تنظر ترجمة الأمير محمد العالم بن السلطان مولاى اسماعيل العلوى فى **اتحاف اعلام الناس** 4 : 6I

وأن محمداً عبده ورسوله ، الذي ختم به رسله، شهادةَ عبد لا يرتاب في توحيد خالقه ، ولا يحيد عن طريق شيخه وحقائقه .

والصلاة والسلام على سيدنا محمد صاحب الشريعة الاسلامية ، المقتدى به وبسنته السنية ، الذي أيقظنا من مرقد الضلالة ، وجلى عنا غياهب الجهالة ، وأظهر الرشاد بعد احتجابه ، فتوارى الغي في حجابه ، وعلى آله وأصحابه الكرام البررة الطيبين ، والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين .

وبعد ، فعليكم أيها القدوة الأفخم ، المُفرد العلم الأعظم ، والصدر الأوحد ، العلامة الأمجد ، والمنهل المورود الأسعد ، البركة ، السيد أبو العباس بن البركة ، السيد عبد القادر بن البركة ، السيد محمد بن مبارك المتبرك بهم في الحياة والممات ، أزكى وأسنى ما حيَّيتنا به من التحيات ، ما تتابعت الأخوة ، وتعطفت الأبوة على البنوة .

هذا وقد لاح لنا منك عنوان ، وشيم منك ما ليس لنا عنه سلوان ، تذوب النفوس عليه كمداً ، وتخشى العيون بعده رمداً ، وأشرقت لنا من أفقك أنوار ساطعة ، وبروق لامعة ، وكيف لا ؟ وأنت سيدنا أزخر علمائنا بحراً ، وأوسعهم فخراً ، وأحسنهم خواطر ، وأسكبهم مواطر ، وأسيرهم أمثالا ، وأعلاهم مثالا ، وأصدقهم لسانا ، وأعمهم احساناً .

ولقد ناهزت سيدنا الفرصة ، في سبيل القربة المحضة، ونبهت قلوباً غمرها الصدى ، وخامرها الردى ، بسهام موعظة بالغة ، من قلب مرتد من التقوى بأردية سابغة ، فجليتها جلاء ، ومنحتها ضياء ، فلا محا الله عن وجه الزمان غرتك ، ولا أسقط عن جبينه درتك ، ولا زلت بالحق صادعاً ، كما لم يزل هلال أفقك طالعاً ، وروضك الأنيق زاهرا ، وبحر علومك السنية زاخراً ، أدام الله النفع بك للاسلام ، وجعل سراجك يجلو كل ظلام ، ووسيلة الى الله في كشف الضر واستنزال الغمام ، وأبقاك للاخوان عدة ، كما جفوت من اللهو هزله وجده ، طالباً القرب من الله والارتقا ، وما عند الله خير وأبقى .

وليكن سيدنا على يقين في الطائفة الناصرية السنية المراكشية ، الراغبين في دعائكم الجدير ان شاء الله بالاجابة ، وأن يعدوا من السالكين أهل الانابة ، بأنهم عضوا بالأيدي والنواجذ ، ووقفوا وقوف ذي بصر نافذ ، على عهد شيخهم الناصح ، وواسطة عقد السالكين سبيل السنة المحمدية الواضح ، السامي في سماء الحق مناره ، العظيم الشامخ مقداره ، المؤسس على أساس السنة قراره ، العام النفع والتبركة الغزير مدراره ، سيدنا أحمد ابن ناصر، ذي العز الباذخ والنور الباهر ، الذي شهود الحق له قائمة ، وأمداد التوفيق عليه حائمة ، معدن التقوى ، والآخذ من أسبابها بالسبب الأقوى ، ولا يدعى بدعوى ، ولا تستميله الأهوا ، فما منهم من هو صارم حبله ، ولا تارك سبله ، ولا مستمد من أمداد غيره ، لا في سره ولا في جهره ، بل صمموا على عهده وطريقته أعظم تصميم ، وتنافسوا فيها وفي اصلاح ذات بينهم من قديم ، لا يبغون عنها حولا ، ولا يريدون بها بدلا ، وشمروا على طريقته أذيالهم متسابقين ، وأقبلوا عليها بكليتهم متفقين ، وفي رباطهم المبارك في المواسم والجمعات يجتمعون ، وفيه إلى ربهم بالدعاء يبتهلون ، لأنفسهم وأشيخهم وإخوانهم حيثما حلوا ، وهذا دأبهم وما بدلوا ، وحاشا ظن سيدنا الجميل ، وذهنه السليم النبيل ، أن يعتقد بهذه الطائفة الاغترار بكل ناعق ، أو أنهم يشيمون كل بارق ، أو يكونون ممن ينقل خطواته ، إلى كل ذي ريب في دعواته .

وأما ما طرق سمع سيدنا من التبديل ، الموجب لهذا التهويل ، فاعلم وفقك الله أنه انما وقع لرهط تسعة ، ولا يخفى عليك ما في التسعة ، منهم : رجل دباغ ، حاد عن الطريق وزاغ ، يقال له ابن زيد ، وما زال في عمايته يزيد ، والمتفقه الخراص ، وهو يزعم فيمن رجع إليه أنه من الخواص، والسبعة الباقون من الغوغاء الأخلاط ، الذين لا يعتد بهم في حل ولا رباط ، نقضوا على الشيخ عهده ، ونبذوا ورده ، واعتزلوا مذهبه وشردوا ، فانعزلت عنهم الطائفة وبعدوا ، ووعظهم أعيان الطائفة فلم تنفعهم موعظة ، وأبوا الا ما سولت لهم أنفسهم ، ونصحوهم فلم يبالوا ... الى آخر الرسالة ، وهي طويلة .

وختمها منشئها بقوله : وكتبه خديم الصالحين ، ومقبل الأرض بين بين أيديهم ، المقدم محمد بن عبد الله الخمري ثم المراكشي وفقه الله بمنه (1) .

723) محمد بن محمد ابن ناصر

محمد بن الشيخ سيدي محمد بـن محمد ابن ناصر ، أكبـر أولاد الشيخ رضي الله عنه ، الولي الصالـح المخلص الناصح ، والد والـد مؤلف (الروض الزاهر) مترجمه فيـه ، قال : ولد سنة . . . وأمه السيـدة مريم بنت السيد محمد حنيني ، وأقرأه والده القرآن ، وابتدأ لوحه على القطـب السيد أحمد بن إبراهيم ، وحج مع والده سنة ست وسبعين وألف .

وهو نادرة الزمان وأعجوبة الأوان ، فـي علم الحساب والهندسـة والتوقيت ، لا يباري فيه ، وبالجملة قد أخذ من كل علم طرفاً ، وزاد به عند جميع الخلق شرفاً ، وزوجه والده الشيخ رضي الله عنه ابنة القطب أحمد بن إبراهيـم السنيدة ميمونـة ، فولد لـه منها أولاد منهم : والدنـا موسى بـن محمد ، وأخوه الأستاذ السيد عبد الله بن محمد ، وتـوفيت رضي الله عنهـا بالطاعون سنة إحدى وتسعين وألـف ، وقد كانت ولدت منه . . . وهاجـر رضي الله عنه للمغرب لطلب العلم ، كتلمسان ، وفاس ، ومراكش عدة سنين ، وكان جيد الخط ، كتب بيده عدة كتب ، ولا تجـد كتابه الا مملوءاً بالفوائـد المفيـدة .

وحدثني الاستاذ السيد أحمد الكنسوسي ، أنه سمع الشيخ أحمد ابن ناصر يقول : أخي سيدي محمد سريع الرضى ، سريع الغضب ، مجاب الدعوة، فلا تتعرضوا له ، وما سأل الله شيئاً إلا ورزقه إياه في حينه ، وما دعا الله قط على ظالم الا أهلكه الله في حينه ، وكان كثير الانبساط والسرور .

---

1) ذكر المؤلف بعد هذه الترجمة محمد بن قاسـم عليش المراكشى ، جامـع الحراطين المتوفى عام 1123 وقال ان اسمه عمر لا محمد ، وأحال على ترجمته فى حرف العين ، فلذلك حذفنا ما كتبه اجتناباً للالتباس

ومن كراماته رضي الله عنه ما حدث به بعض الثقات من أصحابه ، قال : قدم بعض السنين على أمير المومنين مولانا اسماعيل لأمر أوجب القدوم عليه بمدينة مكناسة الزيتون ، فالتقاه وأظهر الملك الفرح والسرور به ، فانفصل المجلس بينهما ، وقام رضي الله عنه ليخرج ، فمشي قليلا ، فاذا بالأسود ونوع من الكلاب يقال لهم القناجر ــ ترمي الملوك اليهم من غضبوا عليه ، فيمزقوه طرفا طرفا ــ مقبلة اليه ، فاتحة أفواهها ، فلما قربوا أخمد الله نارهم ، ووقاه شرهم ببركة الإشياخ رضي الله عنهم ، وأخذ أصحابه رضي الله عنه الارتعاش وخفقان لما رأوه ، فقال لهم : لا بأس عليكم ، وجعل يضرب على رقاب تلك الأسود ! ويقول : ما أسمن هذا ؟ ليته ضحية عيد ! والملك ينظر من موضع اختفى فيه ، وجاء الموكل بهم بعد ذلك وهو يقول : خرجوا علي غفلة مني ، وذلك بأمر الملك على سبيل التجربة ، كما كانت الملوك قبله تعمله لامتحان الصالحين والأولياء رضي الله عنهم أجمعين .

وكان يرسم الجدول المخمس ، فيقتلع منه شيئاً ، مثاقيل الذهب كما هو معلوم عند أهل ذلك الفن ، فأمره والده الشيخ بترك ذلك ، فقال له : لا أتركه الا على شرط أن تضمن لي أن لا يخصني شيء من أمور الدنيا في مهماتي وملماتي ، فقال له : قد ضمنت لك ذلك ما تركته ! فلم يعد ، وما اشتكى بالفقر حتى لحق ربه رضي الله عن الجميع .

فصل في ذكر بعض الفوائد وجدتها بخطه رحمه الله ورضي عنه

فمن ذلك ما نقل من كلام ولي الله أبي يعزى : ولقد وعدني الحق سبحانه بقضاء حوائج المسلمين ، فمن يأتي الينا من البعد ، فله عندنا سبع مسائل ، ومكناسة الزيتون فله عندنا ثلاثة مسائل ، والقاطن عندنا له مسألة واحدة . قال بعضهم : هذا النقل صحيح ، ولكن يشترط المبيت عنده ثلاث ليال .

ونقل من خط العالم العلامة البحر الفهامة ، السيد عبد القادر بن علي رضي الله عنه ، ناقلا عن زروق : ابتلى الله أصحاب ثلاث مسائل، بثلاث مسائل: صاحب الحكمة بالفقر ، وصاحب الحرف بالذل ، وصاحب التنجيم بالموت على أقبح حالة .

وقال سفيان الثوري أربعة لا تطلبها في آخر الزمان ، فانك لا تجدها : لا تطلبْ عالماً يعمل بعلمه فانك لا تجده ، فتبقى جاهلا ، ولا تطلب طعاماً بغير شبهة ، فانك لا تجده فتبقى جائعاً ، ولا تطلب صديقاً بغير عيب فانك لا تجده فتبقى وحيداً، ولا تطلب لنفسك عملا بلا رياء فانك لا تجد ذلك، فتبقى بلا عمل.

وفي (صحيح البخاري) عن أبي سعيد الخذري رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : إياكم والجلوسَ على الطرقات ، فان أبيتم الا الجلوس فاعطوا الطريق حقها ، قالوا : وما حق الطريق ؟فذكر خصالا جمعها ابن حجر وهي :

جمعت آداب من رام الجلوس على ... طريق من قول خير الخلق انسانا
أفش السلام وأحسن بالكلام وشمـ ... ـت العاطسَ الحمّاد إيمانـــا
في الحمل عاون ومظلوما أعن وأغث ... لهفان رد سلاما واهد حيرانــا
بالعرف مرْ وانهَ عن نكْر، وكفَّ أذى ... وغض طرفاً ، واكثر ذكر مولانــا

وجمع بعضهم السبعة الذين يظلهم الله تحت ظله يوم لا ظل الا ظــل عرشه ، فقال :

محب عفيف ناشيء متصـــدق ... مصل وباك والامام بعدلـــه

وزاد ابن حجر سبعة أخرى فقال :

وزد سبعة إظلال غاز وعونـــه ... وإنظار ذي عسر ، وتخفيف حمله
وارفاد ذي عدم وعون مكاتـــب ... وتاجر صدق في المقال وفعلـــه

وقيل : زيارة أبي يعزى لما طلب ، وماء زمزم لما شرب .

ونقلت أيضاً من خطه رضي الله عنه بعد البسملة .

الحمد لله ، وصلى الله على سيدنا محمد المصطفى ، المبعوث الى سائر الورى ، المنتقى من كنانة وعدنان ، المبعوث بأكمل الكمال ، المفضل على الملائكة والانس والجان .

وبعد ، فيقول أسير ذنبه ، المنتظر العفو من ربه ، محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن الحسين بن ناصر بن عمرو : حدثني أستاذي وشيخي ووالدي ، بدر العلماء ، وقطب دائرة الصلحاء، خاتمة العلماء العاملين ، وأحد المتقدمين المبرزين في الفضل بعصر الأولين ، وخاتمة الأصفياء والصديقين ، سيدي محمد بن ناصر أسعد الله حاله ، وختم بالصالحات أعماله ، عن شيخه أبي الهدى والتحقيق ، ومن له أوفر حظ من التحقيق ، أحد الأولياء الأكابر ، وعالم العلماء المشاهير سيدي علي بن يوسف . . . عن شيخه سيدي عبد الرحمان بن محمد بن بني مهرة ، عن سيدي محمد بن محمد بن ناصر ، من أهل الرقيبة ، عن سيدي عبد الكبير وهو جد سيدي عبد الرحمان المذكور ، عن القطب الكامل إمام الأولياء وفخر العلماء ، سيدي عبد الرحمان الثعالبي رضي الله عنه أنه قال : مَن رأى من رآني الى سبعة ضمنت له الجنة !

وفي سلسلة كل واحد ، يقول لصاحبه : أشهد أني رأيتك ، وقد أشهدت على ذلك شيخنا ووالدنا ، وفي أسفله بخط الشيخ رضي الله عنه ، ونفعنا بهم : نعم شهد بذلك كاتب هذا السطر محمد ابن ناصر كان الله له .

وجمع بعضهم أجداده ، صلى الله عليه وسلم في ستة أبيات ، وهو سيدي أحمد بن علي السوسي بقوله :

عدد أصلاب أبوي خير الـــورى ... بها ولاح نوره واشتهـــرا
هي لدى الناس جميعاً تـــدرك ... صلى عليه ربنا وبـــارك
عبد الاله ، ثم عبد المطلـــب ، ... وهاشم عبد مناف قد حســب
قصي ، كلاب ، مرة ، كعب ، لؤى ... وغالب فهر ومالك وفـــي
نضر كنانة خزيم مدركـــة ... اليأس نجل مضر فادركـــه
نزار معد ثم عدنان هنـــا ... قد انتهى اجماعهم نلت المنى

ومن خطه : تاريخ موسى بن عمران بن يصهر بن ناهت بن كادى بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمان عليهم الصلوات والسلام أجمعين .

وقال بعض الفضلاء : مَن ذكر هذه الاسماء الثمانية حشره الله يوم القيامة عند موته ، ومن ذكرهم وهو حي غفرت ذنوبه ، ومن ذكرهم على من به وجع برىء منه باذن الله ، وهم :الحسن البصري ، وهرم بن حيان ، والربيع بن خثيم ، والأسود بن يزيد ، وعامر بن عبد الرحمان بن عبد قيس ، ولاون بن الأجزع ، وأبو مسلم الخولاني ، وأويس القرني .

اللهم إنا نسألك ونتوسل إليك بجميعهم أن تفرج علينا ما أهمنــا من أمر الدين والدنيا وأمر الآخرة ، وأن تمنَّ علينا بحسن الخاتمة بفضلك ياذا الفضل العظيم .

فــائــدة

إذا كنت في طريق وخفت أن يضرك المطر ، فخط على نفسك خطاً بعصا أو نحوها واتل : ان الله يمسك الي غفوراً ، وياأرض الى الماء أسكن أيها الغيث كما سكن عرش الرحمان ، وله ما سكن الى العليم ، وللمصروع اذا كتبت في أناء طاهر الفاتحة ،وقوله : ثم انزل الى الصدور ، محمد رسول الله الى آخر السورة ، ومحيت ودهن بها المصروع ، أفاق من صرعه .

فــائــدة

قال بعض الصالحين : إذا خرجت من منزلك إلى السفر أو غيره ، وخفت من العدو ، فصور صورة حائط مسجد ، واستقبل وأذن وأقم واقــرأ الفاتحة وآية الكرسي من غير صلاة ، ثم أخرج رجلك اليمنى من الحائط قائلا : بسم الله الرحمان الرحيم ، فانك لا ترى سوءاً أبدا .

وقد جاء في بعض الآثار ، ان من قرأ آية الكرسي قبل خروجه من منزله ، لم يصبه سوء في سفره حتى يرجع إلى منزله ، ومن قرأ ان الذي فرض عليك القرآن الى آخره ، لا بد أن يرجع الى منزله ولو قرب أجله أمهل حتى يــرجــع .

فـائـدة

أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وطلحة ، والزبير ، وسعيد ، وسعد ، وعبد الرحمان ابن عوف ، وأبو عبيدة ابن الجراح ، وسعيد بن ربيعة ، وسعد بن أبي وقاص ، وعبيدة بن عبد الصمد ، وخالد بن الوليد المخزومي ، والمقداد بن الأسود الكندي ، وعمر بـن أمية الضمري ، وعمرو بـن أويس القرشي ، وأبو دجانة الانصاري ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن سلام ، وعبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن عمر ، وأبو الدرداء ، وأبـو ذر الغفاري ، وسلمان الفارسي ، وحذيفة بن اليمان ، ومحمد بن محجن ، وربيعة بنـت سعيد بن مقاتل ، ومعاذ ابن جبل ، وجابر بن عبد الله الانصاري ، وأبو طلحة الانصاري ، وعمرو بـن أبي العاص ، وسلمـة بنت الأكوع ، وأبـو موسى الأشعري ، وأبو سعيد الخذري ، وحسان بن ثابت ، وزيد بن ثابت، وأسامة بن زيد ، وداوود بن مالك ، وأبو هريرة ، وبلال ابن حمامة ، 42 جيش رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مَن كتبهم وجعلهم في خرقة لم يكشف ، ومَن علقهم أمِن من اللصوص وغيرهم ، ومَن قرأهم على مريض برىء باذن الله تعالى ، ومَن جعلهم في حرز وعلقهم في عنق الميت أو بين أكفانه لم ير وحشة القبر .

ومن رسائل والدي لبعض أهل الزاوية الدلائية بعد البسملة ما نصه :

من عبيد ربه تعالى محمد بن ناصر كان الله له ، الى عيبة الوداد سيدنا الشرقي بن سيدنا أبي بكر ، سلام عليك ورحمة الله وبركاته ، فاني أحمـد إليك الله .

وبعد ، فاني كالمأمور أن أتلو عليك قوله تعالى : « ألم يان للذيـن آمنوا ... إلى العظيم » فاعزب بنفسك عن شغل الدنيا ، فقد شغلنا عن الله بما لا نشك في بطلانه ، فاتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه ، وقدموا لأنفسكم فقد ذهب صفو الزمان ، فالبدار البدار ، فما يدريك لعل الساعة تكون قريباً ، أو لم ينظر إلى قوله : « قد اقترب أجلهم » ، فاجعل الموت نصب عينيك ، يهن عليك قطع هذا الزمان المريض مرضاً مزمنا ، وتخلف عليك نوائبه ، نسأل الله لنا ولك أحسن التوفيق ، واستغفر الله لي ولك .

لسبع بقين من رجب ، وكتبه محمد بن ناصر .

ومما أفادنيه بعض الاخوان عن والدي ، أن هذين البيتين يقومان مقام الاستخارة :

يالطيفا بخلقه	أنت تعطي وتمنع
قد تحيرت سيدي	دلني كيف أصنع

ومما روى عن بعض الأيمة أن يقول على المقابر عند ما يوقف عليها : السلام عليكم ياأهل لا إلاه الا الله ، اغفر يامولانا لمن قال لا إلاه الا الله ، واحشرنا في زمرة من قال لا إلاه الا الله .

ومن خط والدنا رحمه الله على ترتيب المسبعات العشر ، الفاتحة ، وآية الكرسي ، والكافرون ، والاخلاص ، والمعوذتين ، والباقيات الصالحات، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم .

اللهم اغفر لي ولوالدي وللمؤمنات والمسلمين والمسلمات ، انك مجيبُ الدعوات ، اللهمَّ افعل بي وبهم عاجلا وآجلا ، في الدين والدنيا والآخرة ، ما أنت له أهل ، ولا تفعل بنا يامولانا ما نحن له أهل ، انك غفور رحيم ، جواد كريم ، ورؤوف رحيم .

انتهى ما اقتطفت من أزهار فوائده ، ولو تتبعناها لخرجنا عن المقصود وأمرنا المعهود .

توفي رحمه الله ورضي عنه بزاوية تامكَروت يوم الاثنين 26 من صفر عام ست وعشرين ومئة وألف ، رضي الله عنه ورحمه ونفعنا به ، وألحقنا به وبأمثاله على حسن الخاتمة بمنه وكرمه ، وما توفيقي الا بالله ، عليه توكلت وإليه أنيب .

انتهى كلام (الروض الزاهر) ، وترجمه في (طلعة المشترى) أيضاً باختصار .

724) محمد بن أحمد بن يعقوب الشرقي

وقفت على اجازة شيخيه لـه : سيدي سعيد بن ابراهيم الهوزالـي المؤرخة أول شوال عام 1086 ، وسيدي أحمد بـن محمد الخطيب القيسي ، ر-لاه الأول بالأخ في الله المحب من أجله السيد النجيب النزيه الأريب الفقيه الفاضل ، وأنه صاحبه مدة طويلة اطلع فيها علـى صدق نيته ، وعرف فيهـا قوة دينه وصفو طويته ، وقرأ عليه عدة من الكتب ، وحضره في إقراء عدة منها أيضا ، كالصحيحين ، والشمائل النبوية للترمذي ، والشفا لأبي الفضـل ، والجامع الصغير ، ورسالة أبي محمد ، ومختصر خليل ، والكبرى والصغرى ، والمقدمة للسنوسي ، وألفية ابـن مالك ، ولامية الأفعال لـه ، والجرومية ، وتلخيص المفتاح ، والجمل ، والسُّلَّم .

وحمله دينه وانصافه وجده في سيرة مَن تقدم من الأيمة السادة ، على أن استجازه في ذلك وغيره ، فأجازه في جميع ذلك إجازة تامة مطلقة ، عامـة بشروطها المعتبرة عندهم ، وحلاه الثاني بالفقيه النبيه الدراكـة النزيه ذي الفطنة الوقادة ، والسجية المنقادة ، وأجازه في جميع ما قرأه معه وسمعه منه من (صحيح البخاري) ، و (الجامع الصغير) للامام السيوطي ، و (الشمائل) للامام الترمذي ، و (مختصر خليل) ، وألفية ابن مالك ولا ميته ، وجميع ما يجوز له وعنه روايته مـن مقروء ومسموع ومنظوم ومنثور ، كل ذلك علـى شرطه المعتبر عند أربابه ، إجازة عامة شاملة ، وحلى المعرف بخط الاجازتين: الأول بالعالم العلامـة ، الحافظ المدرس الفهامة ، والثاني بالأجـل المدرس الأحفل ، الفقيه القاضي سيدي أحمد بن محمد الخطيب ، وتاريخ التعريـف أوائل رمضان عام 1107 ، والمعرفان محمد بن أحمد المريني ، وأحمد بن محمد أكزو ، وخاطب عليه محمد ابن بركة ، واعمله قاضي مراكش محمد بن أحمد السجتاني .

725) محمد بن أحمد السجتاني قاضي مراكش ، وقفت على رسـم مؤرخ بسادس جمادى الأولى عام ثلاثين ومئة وألف ، بخطابه وأعمله قاضيها محمد بن أحمد العبادي ، ثم أثبت التعريف في عاشر شعبان عام 1256 ستة

وخمسين ومئتين وألف ، قاضيها الفاضل ابن مريدة ، وأثبت النسخة منه قاضيها ابن المدني في 22 حجة عام 1276 ستة وسبعين ومئتين وألف .

وقد علمت أن المترجم امتد قضاؤه أكثر من عشرين عاماً ، حسبما دل عليه ما في الترجمة قبله (1) .

726) محمد (المسناوي) بن أحمد الدلائي

محمد الشهير بالمسناوي ، ابن الفقيه العلامة الأستاذ سيدي أحمد ، ابن الشيخ الامام المحدث ، سيدي محمد الملقب بالمسناوي ، ابن ولي الله سيدي محمد، ابن الشيخ العارف، سيدي أبي بكر الدلائي، شيخ الاسلام، وعالم الأعلام ، خاتمة المحققين ، ورئيس الهداة وقدوة الموفقين ، الامام الكبير ، العالم الحجة الشهير ، الدراكة الحافظ المتقن ، المشارك المتفنن ، تاج الكراسي والمنابر ، وعين أعيان المشايخ والأكابر ، أستاذ الأيمة، ونجم الامة، شيخ الجماعة وعمدة المفتين .

ولد رحمه الله بالزاوية البكرية سنة اثنتين وسبعين وألف ، وبها كان دخوله للمكتب . وقدم مع والده وأهله لفاس عام تسعة وسبعين ، بعد الاستيلاء على زاويتهم ، ونشأ في عفاف وصيانة ، وثقة وديانة ، وأكب على تعلم العلم وسماعه عن أشياخه، فأخذ عن جماعة من المشايخ، كسيدي عبد القادر الفاسي، وولده سيدي محمد وأجازه اجازة عامة ، وسيدي عبد السلام القادري ، وأخيه سيدي العربي ، ومحمد القسنطيني ، وهو من عمده ، وأحمد ابن الحاج وهو من عمده أيضا ، والحسن اليوسي ، وعبد الملك التاجموعتي ، وعم والده محمد المرابط ، وغيرهم .

---

1) ترجم المؤلف بعد هذا لمحمد بن الحسن اليحمدى ، وهو نفس أحمد بن الحسن اليحمدى المترجم فى 2 : 369 من هذا الكتاب ، اسمه الحقيقى محمد ، ولكن السلطان مولاى اسماعيل سماه أحمد فغلب عليه وعرف به ، وقد حذفنا الترجمة الثانية حتى لا نجعل من الشخص شخصين ، ومن أراد الاطلاع على الترجمة الثانية فهى منشورة فى ص 135 من الجزء الخامس من هذا الكتاب ، طبعة فاس

وكان رحمه الله آية في تحصيل العلوم ، وحجة في صحة الادراكات والفهوم ، آخذا بأوفر نصيب في غالب الفنون ، ولا ينقر المسائل الا في سواد العيون ، مقصودا لحل المشكلات ، معتمدا في النوازل والمعضلات ، وكان جميل المعاشرة ، جميل الثياب ، معتنياً بنظافتها ، عالي الهمة ، كبير الوقار ، وأحرى في مجلس العلم ، فكان لا يستطيع الكلام معه في مجلسه الاكابر لهيبته ، وإذا أخذ في تقرير مسألة يأتي على تمام وجوه احتمالاتها ، ولا يدع شيئاً مما يختلج في نفس أحد من الحاضرين ، مع التحرير بمقتضى العقل والنقل ، وكان دؤوباً على التدريس في أول عمره في أنواع العلوم ، ومارس قراءة مختصر السعد على التلخيص ومطوله ، ومختصر السنوسي في المنطق ، وغير ذلك ، وكانت قراءته في آخر عمره التفسير ، وحديث الصحيحين ، وكان مرجوعاً اليه في كل أمور العامة والخاصة ، وأذعن له عامة مشايخ عصره ، فأمرُه عندهم هو المطاع ، ولا يسعهم فيما أفتى به الا الاتباع ، وكان يتحرى عن الأجوبة في نوازل الطلاق والنكاح وما أشبههما تورعاً من الدخول في ذلك ، مع كونه لم يتعين ذلك عليه ، لوجود من يقوم به .

وتولى الخطابة والامامة بالمدرسة العنانية زماناً ، ثم بعد ذلك تولى الامامة والخطابة والتدريس بمسجد مولانا ادريس رضي الله عنه بعد بنائه عام اثنين وثلاثين ومئة وألف ، ثم تخلى عن ذلك ، وتولى أيضا الفتوى ، ثم تخلى عنها لما آل الأمر لفساد الدين .

وتلمذ له من يعتبر من أهل عصره ، وانفرد برئاسة العلم في وقته وعصره ، وممن تلمذ له وأخذ عنه : محمد ميارة الحفيد ، ومحمد بن حمدون البناني ، وولد عمه ابن عبد السلام البناني ، وأحمد ابن مبارك ، ومحمد الكندوز ، ومحمد كسوس ، ومحمد ابن زكرى ، وغيرهم .

وكان رحمه الله زواراً للأولياء الأموات ، كالقطب مولانا عبد السلام ، والغوث أبي يعزى ، والشيخ أبي سلهام ، وأبي الحسن بن داوود ، وكان له في الشيخ سيدي أحمد بن عبد الله معن الأندلسي محبة أكيدة ووداد ، وجميل ظن وحسن اعتقاد ، وكان يُثني عليه في مجلس درسه ، ويُعلي ذكره ، ويشيد

فخره ، ويعظمه ويجله ، ويذكر مزاياه ويبجله ، وكان يصحبه في زيارة مولانا عبد السلام بن مشيش رضي الله عنهما ، وكانت له بركة عظيمة ، ومناقب واضحة جسيمة ، نفعنا الله به .

وله رحمه الله تآليف عديدة ، كـ (جهد المقل القاصر ، في نصره الشيخ عبد القادر) ، و (نتيجة التحقيق ، في بعض أهل النسب الوثيق) ، و (القول الكاشف ، عن أحكام الاستنابة في الوظائف) ، و (رسالة نصرة القبض ، والرد على مَن أنكر مشروعيته في صلاة النفل والفرض) ، قال في (إفادة النبيه ، مَن ادعى الاجتهاد أو ادعي فيه) : ومنهم الامام عالم المغرب محمد المسناوي الدلائي ، له تفوقات تؤيد أنه كان ينتحل هذا المسلك ، ومن طالع (نصرة القبض) له علم هذا وتحققه ، انتهى ، و (صرف الهمة ، إلى تحقيق معنى النمة) ، وله أجوبة كثيرة ، وتقاييد جيدة في أنواع مختلفة ، يبدي فيها العجائب من حل المشكلات ، والتفطن لدقائق المعضلات ، لوجمعت لكانت مجلدا ضخما .

وترجمته واسعة جدا ، وقد ألف فيها بالخصوص الفقيه العلامة أحمد بن عبد الوهاب الوزير الغساني ، وكان رحمه الله قد حفر قبره في حياته قبل موته ، بنحو ثلاث سنين ، داخل قبة ولي الله تعالى سيدي محمد العايدي ، ملاصقا بجدار القبة وراء ظهره ، بعد أن كتب لأولياء الشيخ يستأذنهم في الدفن ، فأذنوا له ، وبعد الفراغ من الحفر اضطجع فيه ، وقرأ ما تيسر ، وبقي يتعاهده بالقراءة الى أن توفي .

ولما مرض مرض موته نظم قصيدته التي مطلعها :

يارب عطفا على مسيء   قد ساقه القوم للمقابر

إلى آخرها ، وهي أربعون بيتاً يتضرع فيها الى الله تعالى في الرحمة والرضوان ، والقبول والغفران ، وأوصى أن يشيع بها بعد وفاته ، فنفذت وصيته ، وشيع بها من داره بزقاق الرواح إلى قبره ، وقد جرى عمل الناس بعده بفاس بقراءتها عند تشييع الميت من داره وتنزيله في النعش اقتداء به ،

لكنه ترك ذلك في هذا الوقت ، واتفق له الوقف في التفسير على قوله تعالى : « رب قد آتيتني من الملك ، وعلمتني من تأويل الاحاديث » الى آخر السورة ، وقرر هذه الآية تقريراً حسناً ، وأكثر حين تقريره من البكاء والتضرع ، وكان آخر عهده بتفسير القرآن قوله تعالى : « توفني مسلما وألحقني بالصالحين » .

وكانت وفاته رحمه الله بعد زوال يوم السبت سادس عشر شوال سنة ست وثلاثين ومئة وألف. وخرج أهل فاس بجنازته رجالا ونساء وصبياناً، وكادت أكباد الناس أن تنفلق على فقده بكاء كبيراً وصغيراً ، أميراً ومأموراً ، وأخذ الناس نعشه قطعا تبركاً به ، ودفن بعد صلاة العصر من يومه ، داخل قبة سيدي العايدي بالقبر المذكور .

قال بعضهم : وهو آخر آل أبي بكر الدلائي علماً ، وآخر أهل عصره بقطره دينا وعفة رحمة الله عليه ونفعنا به .

ترجمه في (النشر) (1) و (التقاط الدرر) ، و (المورد الهنى) ، و (البدور الضاوية) ، وسيدي ادريس المنجرة وولده سيدي عبد الرحمان في فهرستيهما ، وغير واحد ، وأشار اليه صاحب (حدائق الأزهار الندية) في أبيات عديدة ، وممن ترجم له العميري في فهرسته .

ووقفت على إجازته للعالم سيدي محمد المنور التلمساني إجازة عامة ، وأجاز أيضاً للفقيه العلامة سيدي محمد فتحا بن حمزة بن أبي سالم العياشي .

وقال في (درة المفاخر) :

والشيخ عمدة الشيوخ الـراوي … محمد بن أحمد المسنـاوي
له مؤلف جليل الشـأن … في الشيخ عبد القادر الجيلانـي
وفي الذي له مـن الأولاد … وفي فروعه من الأحفـاد
وكلٌ منصف إليه يظمـا … أما الحسودُ فبه لا يعبـأ

وقال في (إغاثة اللهفان) عند تعديد تلامذة مولاي عبد السلام القادري :

---

(1) نشر المثاني 2 : 124

والشيخ كوكب البهاء الضـــــاوي　　خدن المعالي الفاضل المسناوي

ووجدت بخط بعضهم أن الفقيه الحريشي استدعى من الامام المسناوي مطالعة شرحه على الشفا ، فلما طالعه كتب له ما نصه :

إن صرصر البازي فلا ينبغـــــي　　للديك يامعتوه أن يهتفــــا
لو يعلم القاضي أبو الفضل أن　　ستضع الشرح ما ألفــــا

وقال أيضاً متغزلا :

صاح ان الهوى سقاني خمـــرا　　بعد ما قد صحا فؤادي دهـــرا
وأطار الكرى رؤية ظبـــــي　　حاز من اضرب المحاسن عشـــرا
شعر فاحم كليلة صـــــد　　أو فؤاد متيم ذاق هجـــــرا
وجبين يفوق غرة صبـــح　　ولحاظ غدت من السقم سكـــرى
زانها حور واسهم هـــــدب　　من تصادف فؤاده مات صبـــرا
والحواجب مثل قوس هــــلال　　صنع من هو بالمحاســـن أدرى
واذا ما بدت للحظك منــــه　　نار خد تشب بالقلب جمـــرا
خر قلبك ساجدا لسناهـــــا　　كمجوس ودان بالحب قهـــرا
ويح خال ثوى بحر لظاهـــا　　كيف لم يحترق ولم يخش ضـــرا
واذا افتر عن عقـــــود لآل　　لمع النور من ثناياه فجـــرا
فغدا يخطف العقول جهـــارا　　مثل ما يدهش النواظر سحـــرا
أي خمر حوته تلك الثنايـــــا　　لو رآها ناسك لعربد سكـــــرا
ليت شعري هل لقلبي منهــــا　　رشفة ترقص الجوارح شكـرا ؟
وشفاه غدت لذاك صوانـــــا　　من رقيق العقيق تنفح نشـــرا
بالجيد يفوق دمية عـــــاج　　صيغ من فضة واشرب نضـــرا
يخجل الظبي منه عند التفــــات　　ولهذا تراه يسكن قفـــــــرا
تتمنى النجوم أن لو تحلــت　　بسناه وخالطت منه نحـــــرا
وتود الغصون تشبه منــــــه　　رمح قد يميس تيها وكبـــــرا
وإذا هزه تولت جيوش الصبــــ　　ــر مهزومة تتابع سيـــــرا

هبه تحكيه عطفة واعتـــــــدالا | أي قدٍّ حوى من الحسن طــــرا
وترى الجسم منه يحكي زجاجـــا | في الصفاء وفيه ما ليس يـــدرى
هذه جملة المحاسن فاغضـــض | عن سواها ولا تجل فيه فكــــرا
فمن العاشقين ما قد ذكرنـــــا | ومتى رمت غيرها رمت خســـرا
هكذا يعشق المليــــــح والا | لم يجد مدعي المحبة عــــذرا
من يكن حبه كذا يتهتـــــــك | ويدر أكؤسَ الصبابة خمــــرا
سيما أن يكن ممنع وصــــل | وشريف أصل يطاول بـــدرا
ذا شمائل مثل زهر ريـــــاض | قد غداها الحيا فسلسل تمـــرا
وبدا عاطر النسيم عليهـــــا | ساحبا ذيله ففتح نــــــورا
وأقامت بها البلابل شوقـــــا | من رقيق الغناء تنشد شعـــرا
فهناك يطيب للصب عيـــــش | ويجر الثياب زهوا وفخـــــرا
ويرى منشدا لفرط هـــــواه | صاح أن الهوى سقاني خمـــرا

وقال المسناوي أيضا :

بي غزال يشتكي سفك دمــــي | قد رماني بلحاظ منه ســـــود
صار جسمي من هواه ناحـــلا | اصفر اللون ضعيفا مثل عــــود
وغدا طرفي يهمى بــــــــدم | مسبلا في الخدِّ من نار الصـدود
عادني الاعداء من طول الضنــا | وحبيبي بوصالٍ لا يجــــود
دائما أشكو له ما قد دهـــــا | قلبي المضني فيصغى للحســود
واذا ما افتر عن ثغر صفـــا | خلته نظم لآل في عقـــــود
واذا ابصرته من خجـــــل | نبت الورد سريعا في الخـدود
قد قسا قلبا ولان عطفــــه | ورضى لي في عذاب بالخلــود

وقال في (رياض الورد) : انه وجد بخط المترجم زمن اقامته بمراكش ما نصه :

الحمد لله وحده   وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

أدام الله سيادة شيخنا الامام ، نخبة الاكابر ، وبقية الاعلام العالم الفقيه المطهر ، من دنس العجب والتكبر ، المستمسك بعرى الدين ، والسالك سنن المهتدين ، المستضاء بنور علمه في ليل الجهل الداج ، سيدنا وسندنا أحمد بن الحاج ، أعلا الله قدره ، وخلد في الصالحات ذكره ، وأنار بتوفيقه سراجه ، وعدل بشراب حبه مزاجه .

نهدي لسيدنا من السلام ما يليق بقدره العظيم ، ونقبل بشفاه الروح أرضا أقلت بساطه الكريم ، وننهي لكريم علمه ، ان العبيد على ما يعتاد منه في جنابكم من صفاء المودة ، وخلوص الطوية والاعتقاد ، وأن شط المزار ، وعاقت عن القرب الاقدار :

لئن أصبحت مرتحلا بجسمي   فقلبي عندكم أبدا مقيم
ولكن للعيان لطيف معنى   لذا سأل المعاينة الكليم

وكيف لا ؟ وما آنسنا نارَ الهدى إلا من طور سيناكم ، ولا اقتبسنا جذوة الاهتداء الا من سناكم ، فلكم علينا الحق الذي يجل عن تضييع عظيم قدره ، والاحسان الذي نقر بالعجز عن الوفاء بشكره ، والعجز عن الادراك ادراكه ، والله يجازيكم بأجر غير ممنون ، ويتولى حفظكم ورعايتكم في كل حركة وسكون .

ونحن والحمدُ لله في أحسن حال وأعزِّ مُقام ، وأجمل صحبة وأتمّ اكرام ، وحظوة تامة ، لدى الخاصة والعامة ، منذ فارقت الديار ، وركبت متون الأسفار ، مع نعمة البدن ، وفراغ البال من سوى الحنين الى الوطن ، ولقد صدق في الخبر من قال : ان فقد العجز في الحضر ، الى آخره ، وذاك نتيجة ما اغترفنا من فيض حياضكم ، وثمرة ما اقتطفنا من زهر رياضكم ، لما انتسبت الى حماك تشرفت ذاتي ، فصرت أنا والا من أنا .

انتهى المقصود منه .

وسيأتي الكلام على علمائهم ، وذكر تواريخ وفياتهم في ترجمة جده سيدي أبي بكر الدلائي ، وذكر المترجم في (الانيس المطرب) من أشياخه ، وأنشد قصائد له في مدحه ، ورسائل أجابه بها ، وذكره الامام ابن الطيب الشرقي في (حاشية القاموس)من أشياخه ، ونقل عنه فيها مرات محليا له بشيخنا الامام البارع محمد المسناوي أعزه الله (I) .

727) **محمد بن عبد الرحمان بن أبي زيان المراكشي** ، نزيل الصحراء قرب جبل بشار ، الشيخ الفقيه ، الامام أبو الاقبال الحاج الأبر ، صاحب الكرامات ، له أحوال وكرامات ، ويبوح بها ويفشيها ويشيعها ويحب ذكرها ، وله حال في التصرف .

قال المنجرة في (فهرسته) عند ذكر الاشياخ في الدين والانتفاع والتبرك : لقيته ببلده ، واستفدت منه ، ولقنني وواعدني ، وصرح لي بما أرجو الله في حصوله وأكثر ، وكاتبني ووقعت بيني وبينه أشياء لا تفشى ، وهو في قيد الحياة الى الآن عام 1136 .

وقال ابن عبد السلام الناصري في رحلته بعد أن ذكر وصولهم للقنادسة ضحى يوم الخميس فاتح رجب من سنة حجه ما نصه : بعد أن تلقانا سكانها من المرابطين بني الشيخ بن أبي زيان مظهرين الفرح ، والبلدة منقطعة في صحراء من الأرض ، بها عيون قلية الماء جدا مع كونها غير عذبة ، الا أن البلد يصلح عليها كالدواب يزعم ذلك أهلها ، وبها نخل قليل ، والبلد عامر تصلى فيه الجمعة الا أنه فارغ من العلم ، انتهى .

728) **محمد بن أحمد الصغير الورزازي**

محمد بن أحمد بن عبد الله بن الحسين الورزازي ، منشأ التمجروتي ، الدرعي أصلا ومحتدا ، الحافظ المتفنن ، العلامة الماهر الشهير بالصغير وبالقاضي ، وكان يستخلفه نيابة عنه القاضي عبد الكبير بن أحمد لما علم من غزارة علمه ، واتقاد ذهنه وفهمه .

I) وتنظر ترجمة محمد المسناوى الدلائى أيضاً فى **سلوة الأنفاس** 3 : 44

أخذ بسجلماسة عن الفقيه الشهير عبد الواحد القندوسي صاحب الحاشية على مختصر خليل ، ولازمه مدة مديدة ، وارتحل لفاس ، فأخذ بها عن العلامة أحمد بن الحاج الفاسي، وأبي عبد الله القسنطيني، ورحل وحجّ صحبة أحمد بن ناصر ، ثم ارتحل ثانيا للمشرق فارا من غوائل أبناء الدنيا ، فرزق قبولا عظيما هناك في مصر والحجاز ، وحج ورجع الى مصر ، واشتغل بالتدريس ، وكانت له يد طولى في العلوم العقلية والفقهية ، أخذ عنه العلامة القاضي أحمد بن علي الحاحي بالزاوية الناصرية ، وسمع منه أن الزرقاني حصل له من الأجهوري ، وحصل للأجهوري من البرماوي ، وحضهم على الحطاب والمواق ، واجتمع في أول أمره بمحمد بن محمد بن سعيد المرغيثي بمراكش ، وسمع منه فوائد منها في ثقاف العقرب يكتب من أول يوم من أبريل الى الثالث من مايه ، وهو قوله :

منه تكتب رقاع العقرب	الى ثلاثمئة فلتكتب
ولفظهن انضجت غير عقت	قط قرستت بها أن تكتب
ثم اكتبوا آية نوح العلمين	وعلقنها ثم كن بها أمين

وللمترجم شرح على (الحفيدة السنوسية) .

توفي بمصر سنة 1138 أو في التي بعدها ، ودفن بمشهد الامام ابن القاسم ، وأشهب ، وغيرهما من أيمة المالكية .

ترجمه تلميذه في (الدرر المرصعة) ، وسيأتي ذكره في ترجمة سيدي يوسف الناصري .

729) محمد بن محمد المرغيثي المراكشي

محمد بن محمد بن سعيد المرغيني المراكشي ، العلامة الأديب ، الناظم الناثر ، ولد صاحب (المقنع) ، له نظم مختصر والده من السيرة النبوية لليعمري مطلعها :

الحمد لله العلي الأعـــــــــــلا   الواحد الفرد السميع المولـى

ذكره فـي (الدرر المرصعة) فـي ترجمة محمد المدعو الصغيـر الشهير بالقاضي حيث لقيه بمراكش .

قلت أظنه هو المدفون بالضريح الكائن بالدرب المنسوب إليـه بسويقة التبن من روض العروس من مراكش ، واما والده فهو مدفون في غير ذلك المحل ، كما في ترجمته ، وهو ممن أخذ عن سيدي محمد بن عبد الله السوسي كما تقدم .

قال في (مباحث الأنوار) عند ذكر والده ما نصه : وترك ولده الفقيه محمد وبقي بعده يسيرا من الزمن ، ثم توفي ولم يعقب ذكراً رحمة الله عليـه وعلى أبيه ، انتهى .

730) **محمد ابن العياشي** ، كان بيده دواوين الحراطين الاسماعيلية، ولما مات المولى اسماعيل قتله وصلبه العبيد ، كان رحمه الله فقيهاً علامـة قاضياً ، وزيرا .

قال في (الازهار الندية) : ومنهم الفقيه المفتي النوازلي القاضـي العلامة المدرس محمد بن العياشي ، قرأ بمراكش على شيوخها ، وحصـل الفقه وفروعه ، فكان لا يطار تحت جناحه فيه ، يدرس مختصر خليل ، وفروع الفقه التحفة واللامية ، ويبحث في الفتوى ، فيجيب بالعجب العجيب ، يحكم القياس ويحفظ النصوص ، وله عقل راجح ، سريع الحركة في الرأي والجسم .

ولحق بمشور مولانا اسماعيل بن مولاي الشريف الحسني ، فلـزم خدمته والوقوف ببابه ، فعلم السلطان بذكائـه وحسن اشارته ، فلما كثـر النهب بين قبائل المغرب ، واكثروا الفتن ، وعلم السلطان أن ما عنده مـن الجيش لا يكفيه للحركة اليهم لتمهيد البلاد استشار صاحب الترجمة ، من أي قبيلة يتخير جيشاً ؟ فقال له : ياسيدي أمير المومنين مولاي أحمد الشريف الحسني السعدي ، كان وجه جيشا لفتح بـلاد السودان ، فسبوا عبيـدا ،

فاتخذهم جيشاً ، ودفعهم الى ولده مولاي محمد المدعو ببابا الشيخ الثاني ، فأنزلهم في جنات أهل فاس بوادي زواغة ، الى أن أراد القيام على والده المذكور ، وقبض عليه ، ونهب العبيد ، وفرق جمعهم . . . . فتفرقوا في القبائل ، والآن اجمعْهم ، فانهم مملوكون لبيت المال، واتخذهم جيشاً للخدمة، فقال له السلطان : أنت النائب عني في جمعهم ، فقال له : ياسيدي عين وكيلا يقوم في طلب حق بيت المال ، وأنا القاضي بينه وبينهم ، فقلده القضاء في الفصل في ذلك ، وسمي بقاضي القضاة ، وعين السلطان الوكيل وهو الباشة عليلش ، ثم شرع عليلش في جمع العبيد ، فكان مبدأ أمره أن ينادي في الأسواق في الحاضرة والبادية ، من يريد خدمة السلطان من العبيد فليأت إلينا ؟ فيأتيه الرجل كان عبدا أو حرا ، فيعطيه الكسوة ، والفرس ، والسلاح ، والمرتب . فجمع من ذلك نحو الخمسة آلاف ، وكف عنهم الناس ، فدخلوا في جيش السلطان مع الأمراء ، وقاموا بالخدمة أحسن قيام ، وهذا الجمع الاول هم الذين سموا بعبيد الزنقة ، ثم أخذ عليلش بقبض العبيد والأحرار جبرا ، ويضمهم الى الجيش ، فساء في ذلك ، وقبض الاحرار تعديا ، ونهب الاموال كما هو معلوم ، نعوذ بالله مما فعل ، وعند ربكم تختصمون .

وهذا الجمع الثاني هم المعروفون بعبيد البخاري ، واستمر على فعله كذلك ، فاذا طلب أحد منهم الوصول الى الشرع ليتحاكما بينهما يقول له عليلش : نذهب الى قاضي القضاة يفصل بيننا ، فلا يقدر أحد من القضاة أن يفصل بينهما سوى صاحب الترجمة ، خوفا منه ، ومن تكلم في ذلك من القضاة عزله صاحب الترجمة ، ويولي غيره ، وجمع عليلش منهم نحو سبعين ألفاً ألحقها بمشرع الرملة ، وألحق بباب السلطان نحو العشرة آلاف من الذكور ، ومن الاناث نحو عشرين ألفا ، وجمع منهم لخدمة السلاح مفترقين عدداً كثيرا ، فاكتفى السلطان بهم عن خدمة غيرهم ، واستعمل منهم الولاة واعتدوا على الناس كل الاعتداء ، الى أن كان من أمرهم ما كان من التعدى على أولاد السلطان ، من الخلع والولاية ، ونهب قبائل المغرب كما تقدم ذكره .

وتوفي صاحب الترجمة بمكناسة ، وكذلك عليلش ، ولما توفي السلطان مولانا إسماعيل وهضب العبيد مكناسة ، أراد العبيد حرق قبر صاحب الترجمة وعليلش ، فلم يعرفوا المقابر التي دفنا فيها .

وأما قول صاحب الترجمة : نطلب عقب عبيد مولاي أحمد الذهبي ، فمن الجاري من قضاء الله في المغرب ، أن نسل العبيد أهل السودان ينقطع ، ولا يستمر من الأب والأم لبرد المغرب عن حرارة السودان ، كما أنهم لا ينجحون في بلاد الأندلس أبناء جوارى السودان مع الأحرار ، لبرد البلاد حتى شهل سواد عيون أهلها ، ولا تتخذ على الله عادة ، ويخلق ما يشاء ، ويخلق ما لا تعملون ، انتهى . وستأتي ترجمة عمر بن قاسم عليلش .

731) محمد (الصالح) بن محمد (المعطى) الشرقي

محمد المدعو الصالح ابن الشيخ سيدي محمد المدعو المعطي بن المرابط سيدي عبد الخالق ، ابن القدوة البركة العالم سيدي عبد القادر ، ابن الولي الصالح الكبير ، والقطب الغوث الشهير ، صاحب زاوية أبي الجعد من تادلة ، سيدي محمد المدعو الشرقي النادلي القرشي العمري .

أخذ عن شيوخ عدة ، منهم الولي الصالح سيدي محمد الحاج بن عبد القادر المتوفي في محرم عام 1132 اثنين وثلاثين ومئة وألف ، والامام الحسن اليوسي ، وبحر المواهب سيدي محمد بن سعيد الهبري الطرابلسي ، والامام القدوة سيدي أحمد العطار ، والعالم الامام سيدي محمد بن عبد القادر الفاسي ، وغيرهم .

وفي مناقبه رحمه الله ألف (الزهر الفائح ، في مناقب الشيخ الصالح) ، كما ألّف فيه أيضاً (الروض اليانع الفائح ، في مناقب الشيخ

محمد المدعو الصالح) لمؤلفه علي بن محمد المعداني (I) حسبما صرح به مؤلفه داخل التأليف المذكور قبيل الخاتمة ، وذكر فيه أن الفقيهين الجليلين الفاضلين سيدي ابراهيم بن يوسف ، والسيد أحمد الشاوي ، سمعا من المترجم أخذ المصافحة عن الشيخ عبد المومن الجني عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فصافحهما بهذه المصافحة .

ومن كراماته أنه تلاقى بالقاضي عياض وأخذ عنه ، ودخل المترجم مراكش مرات ، ومكث في بعضها أربعة أعوام ، ووقفت على إجازة المترجم للمنور التلمساني ، قال فيها : أجازه به الشيخ السني . . . الذي أرجو به أن تمزق أطمار بوسى ، وهو سيدنا الحسن بن مسعود اليوسي ، من رواياته ومسموعاته ومنظوماته ومنثوراته ، وكذا بما أجازني به سيدنا ولي الله الطبيب

I) قرأت مقالة منشورة فى (المجلة المغربية للقوانين والمذاهب والأحكام الاهلية) العدد 4 السنة الاولى 1935 ـ 1936 ص 22 فى ترجمة العلامة ، صاعقة العلوم ، على بن رحال المعدانى ، عند تعداد محل قراءة المترجم ما نصه : وبرواية محمد المدعو الصالح الذى ترجم له فى مؤلف خاص ، واذا عثرنا على هذا المؤلف امكننا الجزم بذلك هـ فوجب على تبيين أن هذا الامام ـ شارح المختصر ، ومحشى شرح التحفة ، المتوفى عام 1140 ووقع فى (الفكر السامى) ص 110 ج 4 انه توفى سنة 1040 وهو سبق قلم فقط ـ ليس هو الذى ترجم لسيدى محمد المدعو الصالح فى مؤلف خاص ، بل الحسن المعدانى اثنان ، الأول المتقدم الشيخ الحسن بن رحال المترجم له فى المقالة المذكورة ، وهو من تلامذة سيدى محمد المعطى بن عبد الخالق الشرقى دفين باب الدباغ من مراكش ، ووالد السيد محمد المدعو الصالح الذى الف فيه السيد الحسن بن محمد المعدانى (الروض الفائح ، فى مناقب الشيخ محمد المدعو الصالح) ، وهو ولد سيدى المعطى صاحب (الذخيرة) ، قال سيدى الحسن بن محمد المعدانى فى كتابه (الروض) المذكور فى الفصل الثانى من خاتمة المؤلف المذكور ما نصه : قلت وهذا الولى العارف الناسك المكاشف سيدى محمد المعطى هو من أشياخ الولى الصالح العالم الناسك ، حافظ وقته ، ومن شهده بكمال علمه أبناء جنسه ، صاحب المطالعة والاتقان ، والنقل والتحرير الذى تحار فيه الأعيان ، من تقاصر عن علمه القاصى والدانى ، سيدى الحسن بن رحال المعدانى ، نفعنا الله وبعلومه ، وأفاض علينا من أسراره وفهومه ، حسبما وجدت ذلك بكتاب بخطه كتبه للعارف الناصح ، الكامل الصالح ، سيدى محمد المدعو الصالح ، ثم أورد كتابه المذكور ، والثانى هو السيد الحسن بن محمد المعدانى ، قال فى كتابه (الروض) المذكور قبل الخاتمة ما نصه : قال مؤلفه الحسن بن محمد المعدانى ، كان الله له ولياً فى حالة البعد والتدانى ، هـ .

وأصل هذا الغلط فى نسبة (الروض) المذكور للعلامة لسيدى محمد بن جعفر الكتانى ص 311 ج 3 من كتابه (السلوة) عند تعداد التآليف التى نقل منها فى الكتاب المذكور ، وقد كنت نبهته على هذا الغلط قيد حياته رحمه الله عام 1326 (مؤلف) .

الماهر سيدي أحمد بن ناصر ، لأني اجتمعت معه بزاويته المحروسة ، فقرأت عليه من كل كتاب من كتب الأيمة ، صدرا من صحيح حجة الاسلام سيدي محمد بن إسماعيل البخاري ، وصدراً من كتاب الامام محمد بن زيد ابن ماجة ، وصدراً من الترمذي ، وصدراً من كتاب أحمد سن شعيب بن علي النسائي ، وصدراً من تأليف مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري ، وصدراً من شمائل الترمذي ، وصدراً من موطأ إمام دار الهجرة وعالم المدينة ، الامام مالك رضي الله عنه .

وكتب تحت الاجازة ما نصه : أجزت المذكور فيما قرأ علي إجازة تامة بشرطه ، وكتب تاسع ربيع الثاني عام اثني عشر ومئة وألف .

عبيد الله تعالى ، أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن الحسين بن ناصر بن عمرو ، كان الله له آمين .

وطلبت منه المصافحة والمشابكة أيضاً ، فصافحته وشابكني وهو صافحه سيدي عيسى الثعالبي ، عن سيدي سعيد بن ابراهيم الجزائري ، عن سيدي سعيد المقري ، عن سيدي أحمد حجي، وهو عن سيدي محمد الوهراني، وهو عن سيدي إبراهيم التازي ، وهو عن سيدي صالح الزواوي ، عن الشريف محمد الفاسي نزيل الاسكندرية ، عن والده عبد الرحمان الشريف ، وعاش من العمر مئة وأربعين سنة .

وأحمد بن عبد الغفار بن نوح القوصي ، عن أبي العباس الملثم ، وهو صافح المعمر ، وهو صافح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : مَن صافحني أو صافح من صافحني الى يوم القيامة دخل الجنة ، وصافح الشريف عبد الرحمان أيضاً ، عبد الرحمان الحطاب التونسي ، وهو صافح الصقلي ، وهو صافح المعمر ، وهو صافح رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وبالسند المتقدم الى سيدي ابراهيم التازي قال : صافحني سيدي عبد الله العبدوسي وشدّ يده على يدي ، وقال : المراد بهذا الشد ، الاشتداد في تأكيد الصحبة .

قال : صافحني محمد بن جابر الغساني ، عن محمد بن علي المراكشي وشهرته بابن عليوات ، عن أبي عبد الله الصدفي ، عن أحمد بن البناء عن أبي عبد الله الهزميري ، عن أبي العباس الخضر ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم نقل سند المشابكة وحديثها المروي مناماً : شابكني ، فمَن شابكني دخل الجنة ، زاد بعضهم ، فمن شابك من شابكني الى يوم القيامة دخل الجنة .

ثم قال : وقد أجازنني والدي رضي رضي الله عنه ، وهو سيدي محمد الملقب بالمعطى وأنا صغير السن بفشتالة ، فكتب لي بخطه ما نصه : وقد أجزت ولدنا محمد الصالح في المصافحة ومصافحته ، فليروها عني بهذا السند المبارك ، وليحمد الله تعالى الذي منَّ علينا وعليه بذلك ، وليدع لنا بخير الى آخره .

ثم قال : أما سند سيدنا الوالد في المصافحة ، فهو ما كتب بخط يده ونصه : قال ، صافحني السني السنة ، الشيخ الصوفي سيدي محمد بن سعيد المرغيثي بحضرة مراكش ، قال : صافحني الأمام الحافظ عبد الله بن طاهر الحسني ، قال : صافحني الشيخ المنجور الفاسي الى آخره عن أنس بن مالك ، قال : صافحت بكفي هذه كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما مسست خزاً ولا حريرا ألين من كفه صلى الله عليه وسلم .

قال : ومن خط والدي رحمه الله ، كتبه عقب السند المذكور ، أما الكيفية فانه لما صافحني وضع كفي في كفه ، وبسط ابهامه على ظاهر كفي ، من بين أصلي السبابة والابهام تقابل الكوع ، وبسط سبابته على باطن المعصم، متوسطة من الكرسوع والكوع . . . . بأصابعه الثلاثة على ظاهر الكف من أصل الخنصر ، وأمرني أن أقبض أنا على كفه كذلك .

ثم قال : وقد أجزته أيضا بما أجازني به العالم العلم سيدي محمد بن منور القلب القاسي ، سيدي عبد القادر الفاسي ، وبما أجازني به العلامة سيدي مهدي الفاسي اجازة عامة الى آخره . وقد كتب لي بخط يده ولي الله سيدنا أحمد بن ناصر ، ونحن نحبك في الله تعالى ، وأنت بضعة منا ، يسرنا

ما يسرك ، ويسوءنا ما يسوءك ، وكذلك كتب لي شراب الحقائق . . . . سيدي أحمد بن عبد القادر بن القطب سيدي محمد محمد بن مبارك التستاوي بنحو ذلك الى آخره .

ثم قال : وكتب العبد الفقير الى الله الغني ، محمد صالح بن محمد الملقب بالمعطى بن عبد الخالق بن عبد القادر الشرقي ، عفا الله عنه ، انتهى .

وقال في (الروض) ما نصه : ومن كراماته أدام الله بركته ما حدثني به المرابط الأصيل سيدي محمد الشريف ، نجل الولي الكامل العارف ، العامل سيدي محمد الشرقي ، والشريف لقب له ، قال : رأيت في المنام في اليوم الذي توفي فيه الشيخ سيدنا الصالح نفعنا الله به ، أن الامام السهيلي صاحب باب الرب من مدينة مراكش ، قدم علي وأنا بباب دار الشيخ سيدنا الصالح ، وقال لي : أنا الامام السهيلي ، قلْ لسيدي الصالح يتكلم للسلطان ، فدخلت للشيخ في دويريته التي كان مريضا بها ، فذكرت له مقالة الامام السهيلي التي قال لي ، فقال لي نفعنا الله به : لا يزحمني بالعقل علي ، فخرجت للامام السهيلي وذكرت له مقالة الشيخ ، فخرج يريد ناحية القصبة التادلية ، ثم رجعت للشيخ وأخبرته بذهاب الامام المذكور ، فقال لي : أجر وراءه ورده نمشي معه ، فخرجت في طلبه ، فأدركته عند أولاد سيدي قاسم بن شقرون من ريف أولاد سيدي أحمد الحارثي ، فذكرت له مقالة الشيخ ، ورددته لباب الشيخ ، ثم استيقظت وكنت نائما ببيت من مدرسة الشيخ سيدي محمد الشرقي ، واذا بأخي السيد محمد يضرب علي باب البيت ، وقال لي : أنت راقد والشيخ سيدنا الصالح مات ، فقدمت مسرعا لداره المباركة ، فوجدته في النزع ، ومات من حينه في تلك الساعة نفعنا الله به .

ووقفت على مجموع فيه (القول الوجيز ، في تهذيب الابريز) ، وهو مختصر من (الذهب الابريز) للشيخ أحمد بن مبارك ، اختصره بعض تلامذة الشيخ التاودي باشارة السلطان مولانا سليمان ، وهو محمد بن عامر التادلي ، وعلى (توشيح الديباج ، وحلية الابتهاج) للبدر القرافي ، بخط سيدي الصالح بن المعطى الشرقي ، وعليه خط ولده وحفيديه ، قال :

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد بن عبد الله

من منة الله على كاتبه بخط يده الفانية ، أن تملكه نسخاً ، وكتب عبيد ربه محمد المدعو بالصالح بن محمد الملقب بالمعطى الشرقي وفقه الله بمنـه .

الحمد لله ، ثم انتقل من يد والده بالارث الصحيح لعبيد ربه وأسير ذنبه ، المعطى بن الصالح الشرقي التادلي صانه الله من الدنس ، ونفع به في الدنيا والآخرة ، انتهى .

الحمد لله .

ثم انتقل من يد والده بالارث الصحيح لعبيد ربه وأسير ذنبه ، عبد القادر بن المعطى بن الصالح الشرقي التادلي نفعه الله بما فيه ، انتهى .

ثم انتقل بالارث من الوالد لعبيد ربه علي بن عبد القادر .

انتهى تاريخ انتساخ الكتاب المذكور عام 1114 ، وفي 26 شعبان عام 1337 بأبي الجعد أوقفني الفقيه الأجل ، القاضي سيدي عبد الله بن الفقيـه سيدي الحاج العربي الشرقاوي على كناشين من كنانيش جده الولي الصالح سيدي محمد الصالح ، جلهما مكتوب بخطه ، وفيهما خط كثير من علماء عصره في بطائق يكتبونها له ، منهم الامام سيدي أحمد بن ناصر في تلقينه للورد ، ومنهم سيدي عبـد القادر بن العربي بـن شقرون ، ومنهم سيـدي الصغير اليفرني ، وسيدي محمد ابن زكرى ، وسيدي محمد بن قاسم ابـن زاكور ، والامام المسناوي ، وفيه حزب الشيخ الولي الصالح سيدي محمد بن ابراهيم التاملي ، بخط تلميذه سيدي صالح ، وفيه خط حفيده سيدي العربي بـن المعطى بن صالح ، وفيه اجازة سيدي محمد بـن عبد القادر الفاسي بخطـه لسيدي صالح مؤرخة في ربيع الثاني عام 1109 ، ومنه نسخة اجازة سيـدي محمد بدر الدين القرافي مؤلف (التوشيح) ، وغيره سيدي محمد بن سيدي محمد الشرقي رضي الله عنه مؤرخة في ربيع الثاني عام 1003 عامة ، ووقفت على

(اختصار يتيمة العقود الوسطى) لسيدي المكي بن المعطى مؤلف (الذخيرة) ، ولم يكمل . . . لبعضهم .

وصفنا طريق الصالحين وفعلهم — وما خصنا الا التزين بالوصف
وما ذاك الا رحمة أزلية — ويكفي بها التشبيه والعرف بالعرف

ومما ينسب لابن رشد :

تجنب بلاد الغرب ما دمت إنها — بلاد حروب دائما وكروب
وخيم بلاد الشرق تلق بها المنى — فللخير أنواع بها وضروب
فللشرق من أجل الشروق مسرة — وللغرب من أجل الغروب كروب

ثم أوقفني على مجموع آخر كله بخط المترجم ، فيه (دلائل الخيرات) والأحزاب وغيرهما ، وقد ذكرته في ترجمة سيدي أحمد بن إبراهيم التاملي .

توفي المترجم رحمه الله في عام تسعة وثلاثين ومئة وألف ، وقد ذكر في (الروض) من كرامات المترجم 208 ، ثم اعلم أنني زرت كافة أضرحة السادات الشرقيين ، منهم رجال الميعاد وهم أولاد الشيخ سيدي محمد الشرقي ، لأنهم دفنوا في محل واحد ، وهم : سيدي الغزواني ، وسيدي عبد السلام مولى المظل ، وسيدي الطنجي ، وسيدي الحارثي ، وسيدي الحاج المكناسي ، كل واحد منهم في قبته .

ثم زرت ضريح محمد الشرقي ومعه سيدي عبد الخالق ، وضريح سيدي المعطي بن صالح ، ومعه سيدي محمد بن قاسم السجلماسي ، وبجنبه ضريح سيدي محمد بن عبد الكريم العبدوني وبقربه ضريح ولده سيدي العربي ، وضريح سيدي محمد الصالح ، وضريح سيدي عبد القادر بن محمد ، وضريح سيدي المالقي ، وضريح سيدي أحمد المرسي ، وضريح سيدي الظاهر ومعه سيدي الضاوي ، وضريح للا ميرة بنت بوعبيد ، وضريح سيدي الحفيان ومعه ولده سيدي قدور بن الشرقي ، وقبالته ضريح ولده سيدي محمد الحفيان ، ومنها ضريح سيدي بنداود ، وضريح ولده سيدي العربي .

732) **محمد المريني الشيخ** ، نزيل مراكش ، لبسه عباءة ، طويل القامة ، أسمر ، يأوى في ضريح بعض صلاح المدينة ، دائماً له بين حاجبيه نتوء ، كاد أن يكون كهيأة الاجاصة وقدرها .

قال إدريس المنجرة في فهرسته لدى ذكر الاشياخ في الدين والانتفاع والتبرك : زرته هناك ، وكان قبل يراسلني بالمكاتبة ، وينوه بما لا أعرفه في نفسي ، بلغ الله المقصود ، انتهى ، وقد ألف هذه الفهرسة في حدود العشرة الرابعة من القرن الثاني عشر .

قلت ولعله هو سيدي محمد المريني من تلامذة سيدي علي بن عبد الرحمان التادلي المذكور في ترجمته من هذا الكتاب .

وقال في (دوحة البستان) ناقلا عن (تحفة الزمان) : ومنها أي من كرامات الشيخ سيدي علي بن عبد الرحمان الدرعي ما حدثني به سيدي محمد الملقب بالمريني ، قال : خرجت من مكناسة قاصداً للزاوية البكرية ، فلما وصلت الى سيدي أبي يعزى نفعنا الله به ، استشرت مع بعض اصحابنا ، فنهاني عن السفر لأجل اللصوص والمشقة الكبيرة ، فخالفتهم وسافرت ، فبينما أنا سائر مع القافلة ، إذ وقفنا على وادى أجرو ، فوجدناه حاملا مانع القد ، فقلت لبعض القوم : مَن يجرب الوادي ؟ فقالوا : أنت ، فدخلت الوادي راكباً على بغلتي ، وتركت عندهم حمارا كان عندي ، فلما دخلت تبعني الحمار فاراً من الذين تركته عندهم ، فلما توسطنا الوادي وجدته حاملا ، فجعل يمشي بي حتى أشرفت على الهلاك ، وجعلت أنادي على الشيخ ، ونتوسل به إلى الله تعالى أن ينجيني منه وأنا في حسرة وضيق ، وإذا برجل أقبل عليَّ وأخرجني مع دوابي ، ولم يتعد علي شيء من بركة الشيخ ، وقال لي : أين تريد ؟ قلت : إلى أهلي ، فقال لي : انصرف معي أدلك على الطريق ، فانصرفت معه حتى بلغنا الطريق وهو يمشي أمامي حتى غاب عني ، ثم انصرفت حتى بلغت إلى أهلي ، فوجدت الفقراء خارجين لزيارة الشيخ ، فانصرفت معهم ، فلما بلغنا اليه وجلسنا بين يديه ، جعل يحدثنا كما كانت عادته ، ثم قبضني من أذني ، وقال لي قبل أن أقول له شيئاً : كيف كنت مع ما جرى لك في الوادي ؟

ولله در القائل :

وإذا الغريق دعاه في كرباتـــــه يأتيه غوثا شبه برق عجـــــرد

733) **محمد بن عبد الله الوولاتي** ، المدعو مولاي الشريف ، المعمر الراويـة .

أخذ عن سعيد بن إبراهيم عرف بقدورة ، وعن محمد بن خليل عرف بابن أكرماش الحنفي ، تلميذ ابن حجر العسقلاني ، وعن علي الأجهوري، وعبد الرحمان بن محمد الفاسي ، ومحمد العربي الفاسي ، وعبد الواحد ابن عاشر ، وعن محمد بن أحمد بن يوسف الفاسي ، وعن العجل ، وعن الشريف المعمر محمد بن عبد الكريم ، وعن السراج عمر بن الالجائي ، والشيخ بدر الديـن الكرخي ، والشمس العلقمى ، وعن النور علي الزيادي ، وعـن أبي عبد الله الطهطاوي ، وأحمد المقري ، والشهاب الخفاجي ، وأحمد الغنيمي .

أخذ عن المترجم علامتا المنطوق والمفهوم محمد بن سنة العمرى ، ومولاي سليمان الدرعي ، كما في (قطف الثمر) لتلميذهما الشيخ صالح الفلاني شيخ الحافظ محمـد الهندي الصفوي ، شيخ سيدي عثمان الدمياطي ، شيخ الشيخ أحمد دحلان ، شيخ سيدي الحاج علي الدمناتي المراكشي ، كما في الباب الرابع من ثبته .

دخل المترجم مراكش كما في (الثبت الكبير) للشيخ صالح الفلاني، وراجع ما كتبناه في ترجمته .

734) **محمد العطار المراكشي**

قال أبو القاسم العميري في (فهرسته) : مشايخ والدي رحمه الله ، العلامة سيدي محمد العطار ، وكان يقول لنا فيه إنـه انحا من ابـن مالك ، قال : قرأت عليه بحمراء مراكش ، وبها استوفيت قراءتي ، وجمعت على ما حصل لي بها من وجوه الطلب ملاءتي ، انتهى .

735) **محمد بن الشريف سيدي المهدي العلمي** الفقيه ، كان يسكن بالمواسين من مراكش هو وعمه السيد عبد الله بن المهدي ، وابن عمهم السيد أحمد ، وابن عمهم السيد المبارك ، وهو بدرب أصبان منها ، وهم أولاد سيدي عثمان بن سعيد بن عبد الوهاب بن علال بن القطب مولانا عبد السلام بن مشيش ، وسيدي سعيد المذكور هو الجامع بينهم وبين شرفاء غيروزيم ، ذكره في (فتح العليم الخبير ، في تهذيب النسب العلمي بأمر الأمير) ، العلامة سيدي محمد بن الصادق العلمي ابن ريسون ، أمره بتأليفه السلطان سيدي محمد بن عبد الله العلوي .

736) **محمد بن سعيد المهدي المراكشي** ، الشيخ الامام نبيه الدين مؤلف (موافقة العقول ، في التوسل بالرسول) ، وهو مختصر في فضائل النبي عليه الصلاة والسلام ، أوله : الحمد لله الذي أطلع شمس الهداية من سماء الفكرة ، الى آخره .

ذكره في (كشف الظنون) .

737) **محمد بن مسعود المراكشي** ، الفقيه الوجيه ، أخذ عن الشيخ سيدي محمد بن عبد الله السوسي المراكشي وانتفع به ، سمعه يقول : بعثني الله لأسقي حياً وميتا ، نقله عنه في (البدور الضاوية) ، وذكره في (مباحث الأنوار) قال : وفي الزاوية البكرية أتاه الشيخ محمد بن مسعود المراكشي ، وتاب على يده ، وكان قبل ذلك مع اشتغاله بتعلم العلم بالزاوية البكرية ، حتى كان ممن يؤخذ عنه خليل والألفية وغيرهما ، مخالطاً لبعض أولاد الولاة ، يأكل ما يأكل ، ويفعل ما يفعل ، ولم يظهر له تحر في اكتساب ولا في أكل ولا شراب ، حتى قدم الشيخ رضي الله عنه الزاوية فأتاه ، فطلب منه أن يقبل له الصحبة ، وأول ما لقيه ، فطلب منه قبولها في تلك الدار ، فقال له : ياسيدي إني أريد رضاك ، فقال له الشيخ : اطلب رضى الله تعالى ، فقال له ابن مسعود المذكور : رضى الله تعالى في رضاك ، فضربه الشيخ في يده ، وتبدل حاله في الوقت ، وأقلع عن كل ما كان فيه منهمكاً ، فتجدد له حال التوبة ، وغلب

عليه وارد في الحين ، وقطع عنه ثياب شبهة أو حرام ، ثم انقطع لجوار القدوة سيدي علي بن عبد الرحمان التادلي بعد سفر الشيخ ، ولم يزل عنده محببا يدرس العلم مقدما للامامة بمسجده ، تظهر فيه أحوال المحبة ، وربما غلب عليه حال ، فينطق بأمور من الغيب ، ثم ارتحل الى تنغملت بقرب مراكش ، ولم يزل فيها على ديانته ، مشتغلا بما تيسر من الحديث والعلم ، الى أن توفي بها شهيدا بالطاعون رحمة الله عليه .

ذكره في (مباحث الأنوار) .

738) **محمد بن عبد الرحمان الصومعي التادلي** ، أحد أحفاد الولي الصالح سيدي أحمد بن أبي القاسم الصومعي ، كان رضي الله عنه فريد عصره وأعجوبة دهره ، في تدريس العلوم الفقهية ، والنحوية ، واللغوية ، وكان يطعم الطعام ، ويقوم بالليل والناس نيام ، صحب الشيخ الكامل سيدي محمد بن ابراهيم التاملي المراكشي في صغر شبابه ، وجعله فاتحة كتابه ، على ما حدث به الثقات .

وفي وسط عمره ، ذهب الى فاس وصحب الولي الصالح سيدي أحمد بن عبد الله مولى المخفية ، وانتسب اليه واشتهر حاله ، وبانت خصوصيته لديه وظهرت له كرامات ، منها أن الناس كانوا كلما صلوا العشاء سمعوا الصياح في قبر هناك مرات عديدة ، فردوا عليه خبر ذلك ، فصلى العشاء في تلك الليلة وذهب الى القبر ، فجلس عنده ودعا لصاحبه بالعفو والمغفرة ، فمن تلك الليلة انقطع عنهم ذلك الصياح ببركة سيدي محمد بن عبد الرحمان ، انتهى من (اليتيمة) .

وللمترجم شرح على الهمزية .

وقال في (مباحث الأنوار) عند ذكر المترجم : كان يأخذ العلم عن الشيخ سيدي الحسن اليوسي بالزاوية الدلائية ، فلما سمع بمناقب الشيخ سيدي محمد بن عبد الله السوسي بمراكش ، سافر للأخذ عنه اليها ، فبقي

في مراكش الى أن قدم معه للزاوية البكرية ، وتقدم ذكره في ترجمة شيخه المذكور ، وكان خاضعاً منيبا ، عالما أريبا ، وعده شيخه رضي الله عنه ، أنه يرى النبي صلى الله عليه وسلم يقظة ، وكان مقبلا على ما يعنيه من العلم والعمل ، تخرج عليه في العلم أناس من أصحابه ، وكان منقطعا عن الولاة وعن الاشتغال بأسباب الدنيا ، مثابرا على الأذكار ، وحج بيت الله الحرام مع بعض العارفين ، وهو سيدي أحمد بن عبد الله صاحب زاوية المخفية ، وكان المترجم لايُرى غالبا الا ذاكرا أو مشتغلا بالعلم ، تعليما أو مطالعة أو مذاكرة ، وهو فيه ذو انصاف ، سليم الصدر ، انتهى .

ونقل في (السلوة) في ترجمة سيدي أحمد بن عبد الله ما نصه : وفي فهرسة سيدي ادريس المنجرة ، في ترجمة الشيخ الصوفي ، الفقيه الرباني المكاشف سيدي محمد بن سعيد الطرابلسي ، أنه قال لبعض أصحاب صاحب الترجمة ، وهو الفقيه الصوفي سيدي محمد بن عبد الرحمان الصومعي الهروي حين لقيه ببلده ، بقصد زيارته أحمد بن عبد الله في مقام موسى ، وأحمد اليمني في مقام عيسى ، وأحمد بن ناصر كان من الابدال ، انتهى .

وقال في ترجمة سيدي الحاج محمد المدعو الكبير السرغيني العنبري: أنه تربى بالولي الصالح سيدي محمد بن عبد الرحمان الصومعي التادلي ، وأخيه سيدي العافية محمد بن عبد الله الشريف المراكشي ، كانت له أحوال عظيمة من بركة الشيخ سيدي محمد بن عبد الله السوسي تغلب عليه ، وربما نطق وأخبر بكوائن ، وتقع كما أخبر .

كانت له مجاهدات بلزوم مخالفة هوى نفسه ، وكان له تصرف ظاهر بالهمة ، ولم يزل رحمه الله ملازما لورده ، مثابرا على طاعة ربه ، الى أن توفي بالطاعون شهيدا رحمة الله عليه .

ذكره في (مباحث الأنوار) .

739) **محمد الساحلي** ، من ذرية الصالح المشهور الشيخ محمد الشرقي دفين تادلة بأبي الجعد ، الوجيه الأرضى ، المتواضع المرتضى ، من

شجعان العرب ومن فرسان تادلة ، فلما أراد الله به لطفا ذهب الى مراكش زمن ظهور الشيخ سيدي محمد بن عبد الله السوسي ، فلما دخل عليه ، اعترتـه هيبة عظيمة ، وقلب الله تعالى أحواله ، وبدل ما كان من عمل الاسراف حسنا ، وقال له شددنا عليك ان شاء الله حزام التقوى ، فجعل يقضي من الفوائت كل يوم خمسة عشر يوما ، وتزهد وكثر دمعه وندمه على ما فات ، مقبلا علـى شأنه ، إلى أن قربت وفاته ، فارتحل إلى المشرق بقصد الحج ، فلما فرغ من المناسك أدركته الوفاة في موطن الحج رحمة الله عليه .

ذكره في (مباحث الانوار) .

740) محمد بن ناصر ابن ناصر الدرعي

محمد بـن ناصر بن محمد بن علي ابن ناصر ، المراكشي المنشـأ الدرعي الأصل والمدفن ، العالم العلامة ، مولده بمراكش سنة نيف وثمانين وألف ، ووفد عـلى الزاوية الناصرية وهو ابـن أربع عشرة سنة ، وكفلـه الشيخ الامام أحمد بن مَحمد بن ناصر رحمه الله ، وزوجه ابنة أخته ، واشتغل بالقراءة والتعليم ، ورحل للمشرق صحبة الشيخ المذكور ، فحج ورجع وولاه الامامة والخطبة بالمسجد الجامع بها ، والنظر فيما له من الأوقاف ، فقام في ذلك أحسن القيام ، واشتغل بالتدريس والاقراء فيه ، الى أن توفي .

أخذ عن الامام أحمد المذكور ، وعن العلامة أحمد الجزولي ، وعـن العلامة محمد الصغير الشهير بالقاضي الورزازي ، وعن الحسين بن محمد بن شرحبيل ، وعن الاستاذ المسن إبراهيم بن علي الدرعي ، ووصفه القاضـي الورزازي المذكور في بعض رسائله ، بالعالم العلامة ، الدراك الراوية ، وكانت وفاته بالزاوية الناصرية في رابع وعشري جمادى الأخيرة سنة 1140 أربعين ومئة وألف ، عن نيف وخمسين سنة ، وحضر جنازته الشيخ محمد بن الشيخ سيدي محمد بن ناصر ، وأبو علي بن شرحبيل ، ودفن بالمقبرة التي بداخل الزاوية رحمه الله ورضي عنه .

ترجمه في (الدرر المرصعة) ، وجعله صاحب (تحفة الاسرار) محمد بن محمد بن علي الى آخره ، وحذف ناصر بين محمد الأول والثاني ، وزاد في تاريخ وفاته أن ذلك في ليلة الجمعة ، وزاد في حضور الجنازة الشيخ موسى بن مَحمد قائلا : وقبره مشهـور بها ، وخلف ولده الشيخ العلامـة ، الدراك الفهامة ، العالم العلم ، العامل الزاهد الورع الاكمل عليا .

كان متفننا في علوم شتى ، واماما بمسجد الخلوة بالزاوية الناصرية، وحج مع سيدي يوسف الناصري ، انتهى .

741) محمد الصغير بن محمد اليفرني

محمد الصغير بـن محمد بن عبد الله اليفـرني المراكشي ، قـال سيدي سليمان الحوات في تقييد له ما نصه : الفقيه العلامـة ، النبيه الفهامة ، المحدث الحافظ النقادة ، النحوي البياني الأديب ، البليـغ الفصيح الخطيب ، محمد المدعو الصغير بن الحاج محمد بن عبد الله اليفرني ، نسبة ليفرن بفتح الياء والراء ، بينهما فاء ساكنة ، كما ضبطه صاحب القاموس كجعفر ، وهي قبيلة مشهورة بالمغرب ، كانت لها دولة متداخلة مع مغراوة وهم اخوان ، وكانت دولتهم المذكورة بعد انقراض دولة الأدارسة الحسنييـن ، ودعوتهم لبني أمية أمراء الاندلس كما هو معروف .

كان محمد الصغير المذكور رحمه الله ، عالما ثبتا ، مشاركا فـي فنون شتى ، مولده بمراكش قرب الثمانين بعد الألف ، وقرأ ببلده على جماعة من الأعيان ، كالشيخ أحمد بن علي المداسي المراكشي ، فقد لازمه كثيرا ، وانتفع به غاية ، وارتحل لطلب العلم بفاس ، فأخذ بها عن جماعة من الأيمة ، وأفراد الأمة ، كالعامل المشارك المحصل الصالح سيدي أحمد بن عبد الحي الحلبي رحمه الله ، ومحمد بن عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي ، وهمـا عمدته ، وقرأ على جماعة غير من ذكر .

وكان رحمه الله دمث الاخلاق ، خفيف الروح ، مشتغلا بالتقييد ، مستغرق الأوقات في ذلك ، وله تآليف عديدة ، جامعة لفرائد الفوائد المفيدة ، ومنها ، وهو أول ما ألف : (المسلك السهل ، في شرح توشيح ابن سهل) ، وهو وحده يدل على قوة عارضته ، وامتداد باعه ، ومنها : (طلعة المشتري ، في ثبوت توبة الزمخشري) في ورقات لطيفة ، ومنها : (الافادات والانشادات) وهو تأليف لا كفاء له في الحسن ، وكتاب (نزهة الحادي ، بأخبار ملوك القرن الحادي) ، وهو تاريخ حفيل في الدولة السعدية ، وطرف من هذه الدولة السعيدة خلدها الله ، ومنها : كتاب (صفوة من انتشر ، من صلحاء القرن الحادي عشر) ، وهو من آخر ما قد ألف ، وقد فرغ منه عام سبعة وثلاثين وألف .

وتوفي بعد ذلك في حدود الأربعين ، وله تقاييد مفيدة ، ومحاورات ورسائل ومقطعات شعرية قلائل ، متوسط النظم ، وغالب تآليفه موجود بأيدي الناس ، تغمده الله برحمته ، وأسكنه عليين في جنته ، آمين .

انتهى كلام سيدي سليمان .

ولنذيله بما فاته ، فنقول قوله : توفي في حدود الأربعين الى آخره ، وليس الأمر كذلك ، فقد بقي حياً إلى سنة خمس وخمسين ، كما سيأتي في ترجمة محمد بن عبد المومن من بعد .

وقال في (الدرر المرصعة) في ترجمة العارف سيدي أحمد بن ناصر ما نصه : وممن امتدح صاحب الترجمة أيضاً الأديب النحوي اللغوي البياني المحدث ، حافظ العصر ، ذو التآليف الشهيرة ، محمد الشهير بالصغير بن محمد بن عبد الله اليفرني ، نزيل مراكش ، وهو صاحب (الصفوة) التي اعتمدت في النقل عليها في هذا الديوان ، وقد تقدم ذكره في أول الكتاب ، لقيته بمحروسة مراكش ، بمسجد علي بن يوسف ، وهو الامام والخطيب به ، وذلك في صدر سنة إحدى وخمسين ومئة وألف ، وجرى ذكر صاحب الترجمة ، فأثنى عليه وبجل وعظم ، وأنشدني بعض القصيدة التي امتدحه بها ، وناولني بقيتها مع كراسة من نظمه ، ثم ذكر قصيدته التي قالها بعد الرحلة وقد بلغه طعنُ بعض الطلبة عليه حين تصدر للتدريس ، ونصها :

إلى كم يهتك الحساد عرضي ... وجفني عنهم بالحلم مغضض ؟
وما ذنبي إليهم غير أني ... رفعت عنهم من غير خفض
يرون العلم في حبس وشيب ... وذاك عليهم بالجهل يقضي
وهل في خطة الأحباس شيء ... سوى غضب الالاه وهتك عرض
وكم من أشيب كالبغل يمشي ... ولحيته اللجام له بركض
ولو تركوا حظوظ النفس كانوا ... جميعاً ظامئين لورد حوض
وتاهوا في فجاج الحفظ مني ... ولم يصلوا إلى طول وعرض
وجاءوا مهطعين لبحر علم ... يفيض على المجالس أي فيض
جمعت من النفائس كل علق ... وحزت من اللطائف كل غض
وحلاني الالاه بدر علم ... وأعطاني القبول بكل أرض
وحصلت العلوم بجوع بطن ... وخوض في المباحث أي خوض
وكم من ليلة قد بتُّ فيها ... سمير دفاتر من غير غمض
أخذت العلم عن أشياخ صدق ... وأعملت المطي لكل مرضي
وبعض مشايخي الأبرار لاقى ... نبي الله عيسى دون رفض
فقل لشيوخ مراكش هلموا ... بانصاف لتصطبحوا بروض
ولا يحملكم كوني صغيراً ... على إنكار مرتبتي وبغضي
فان العلم نور الله يعطي ... إنارته لبعض دون بعض

ثم قال في (الدرر) وقال يفتخر ارتجالا :

أنا أشعر الشعراء غير مدافع ... من قال لست بشاعر ياتيني
فكري هو البحر الخضم شبيهه ... والبحر حاوي الجوهر المكنون

راجع تمام ترجمته فيها .

قال في (رحلة الوافد) عن شيخه العلامة سيدي محمد بن أحمد الجدميوي المراكشي انه أرآه سؤالا أورده على صاحبنا العلامة فقيه مراكش سيدي محمد الصغير اليفرني حين رجع من فاس لموضعه بمراكش وذلك عام ثلاثين بعد المئة والألف : وتصدر لقراءة التفسير وصحيح البخاري، واجتمعت

عليه طلبة الحمراء بكثرة البحث والجدال في مجلس اقرائه وتدريسه ، ورموه بالزندقة والجهل باحكامها وعدم توفر شروطها حينئذ ، ورفعوا أمره للقاضي ابن بوعبدلي سيدي محمد بن أحمد ، والخليفة بوحفرة المذكور — يعني باشا مراكش غازي — وقالوا : إن التفسير متى قرئ بمراكش يكون بـه الجوع لا محالة، وقال لهم الفقيه : لا قائل بهذا، فان ادعيتم بزعمكم عدم توفر شروط ذلك فلتحضر علماؤكم وحذاق طلبتكم بمجلسنا ، واقتسمت عليه طلبة المدينـة على قسمين : قسم يحبه ، وقسم يبغضه ، واتفق رأيهم على أن يحضر مجلسه كل يوم سبعة من نبلاء فقهائهم الحذاق يبحثونه ، فمـن عجز عند المناظرة فليخرج الآخر لعلهم يغلبونه ، واستمروا على ذلك فلم يقدروا له على شيء من حفظه وبلاغته .

كـان رضي الله عنه فقيـه عصره وقريع دهره ، كان ذا حفظ واتقان ، وفصيحا وخطيبا تضرب به الامثال ، قد بهر اقرانه من نباهته حتى وقعـت المضاربة بمجلسه بين الطلبة ، وبلغ خبر ذلك للحاكم ، وندبهم على تـرك قراءة التفسير والاقتصار على ما يتعاطاه الناس في الحديث وكتب الفقه وغير ذلك ، ليلا تزيد المشاحنة فيما بينهم ، وامتثل أمره ورجع لتدريس (صحيح البخاري) ، وبقوا معه فيه كذلك ولم يجدوا فيه ما يقولون .

كان من عادته في المجلس اذا افتتح القارئ القراءة أمامه ، يسكت حتى يملي عليه جميع النصاب ، وحينما يشرع في تفسيره حرفاً بحرف من أوله الى آخره من غير أن يكرر عليـه القارئ شيئاً مما قرأ ، ولا مـن كثرة حفظه ، وبقوا معه مدة من عام على تلك الحالة ولم يزد له ذلك منهم الا النشاط القوي ، وحسده طلبة المدينة على ما خوله الله ، وشاع حينئذ خبره في البلدان والسوس ، ويكتبون اليه الأسئلة من كل أرض ، منها ما أورده السيد محمد بن أحمد المذكور عليه من سوس الاقصى اليه بحاضرة حمراء مراكش ، وقد جمع فيه خمسة وعشرين مسألة ، كل واحدة منها تساوي رحلة ، وتطالب الجواب نثراً ونظماً ، وأجابه عن الجميع ، ثم قال : وقد كنت مع السيد الصغير اليفرني المذكور بمدرسة مولاي الرشيد بفاس زمن قراءتنا فيه إلى أن خرجت منها

وتركته بها ، ووجدته حينئذ لوحته في القرآن ، ولما ختمه بدأ فيها الفقيه ابن مالك وأدرك العلوم في مدة عشرة أعوام ، ثم قال : ولنرجع لِما نحن بصدده من تمام كلام شيخنا الفقيه العلامة سيدي محمد بن أحمد المراكشي المذكور ، ثم أورد جواب سيدي محمد بن أحمد المذكور لسيدي الصغير اليفرني يشكره ويمدحه على جوابه المشار له نثراً ونظماً ، منه قوله :

فهل تنسخ الأيام بالجمع بعد مـا تمزق قلبي بين ناب ومخلـب ؟

ومنه قوله :

أتاني جواب هيج الشوق نظمـه كما هيج الكريم صافية الخمـر
فمالت بأفكاري حلاوة نظمـه كما مال سكران على نشوة السكر

ومنها قوله :

فؤادي يشتكي داء حزينـا لبعدي عن مزار الظاعنينـا
وأكبادي من الأشواق ذابـت ووجدي فوق وجد العاشقينـا
يهيج زفرتي تذكار أرضـي ويفجعني ويستهم الجفونـا
سقى الرحمان مراكشا بـلادي عليها صرت مكتئباً حزينـا
وما بمراد نفسي كان عنهـا خروجي لا ورب العالمينـا

ومنه أيضاً :

وهل أردن يوماً مياه مواسـن ؟ وهل أسلون يوماً بخل معطـر ؟
أمتع نفسي في ديار أحبتـي وأقطف أزهاراً بروض ومزهـر

ثم قال :

فكنت بداري مولعاً بابن مالـك ولي همة في كل فن مسطـر
وقد كنت من بين القضاة مؤيـدا ؟

ثم قال :

فاخرجت منها مكرها دون بغيتـي ... بأمر علي لا يرد مقـــــــدر

ثم قال :

ففارقت أعلام النحاة وغيرهـــم ... وواَدعتُ كلَّ مصدر ومصـــدر

راجع تمام ذلك فيها .

وذكـر الناصري مـؤلف (الـدرر المرصعة) في كتابـه (الرحلة المراكشية) أنـه لقيه بهـا سنـة تسـع وأربعـين ومـئـة وألف ، كما يأتي في ترجمة الناصري المذكور ، وقد ذكر في (التقاط الدرر) أن وفاة المترجم في حدود عام خمسين ومئة وألف ، وقد علمت ما فيه ، ومن تآليف المترجم التي لم يذكرها الحوات (فتـح المغيث ، بحكم اللحن فـي الحديث) ، قال في السمط الثالث منه ما نصه : وقال ابـن الصلاح : الدعاء الملحون ان كان لا يستطيع غيره ، لا يقدح في الدعاء ، ويعذر فيه ، ذكره في فتاويـه .

انتهى من كتاب (الأذكار) للشامي ، وانتهى كلام الأجهوري .

فتأمل قوله : الدعاء الملحون فان فيه رخصة عظيمة ، إذ ظاهره الدعاء مأثورا أم لا ، وحينئذ فيشمل نحو كتاب (دلائل الخيرات) ، فان الصلوات والأدعية التي فيه مرفوعة وموقوفة ، ما بين حديث عنه عليه الصلاة والسلام ، أو اثر عن أصحابه أو عن التابعين ، ومع ذلك فان العامة يقرؤونه ولا معرفة لهم بالعربية ، فيصحفون ذلك غاية التصحيف ، ويلحنون أقبح اللحن ، فلولا هذه الرخصة التي نبه عليها ابن الصلاح رحمه الله تعالى لمنعوا من ذلك ، وكان أجرهم وزراً ، واذا حصلت الرخصة في هذا النوع من الحديث ، قيل بها في غيره من باب لا فارق ، لأن الحديث يتعبد بتلاوته ، كما يتعبد بتلاوة القرآن ، والضرورة الشرعية تدعو لقراءته ، كما تدعو للأدعية المأثورة .

ثم قال : فقد حصل لنا من هذه الأدلة كلها أن اللحن في الحديث فيه رخصة واسعة لبعض أهل العلم، وأن من أراد الكتب الحديثية كـ (الصحيحين)

و (الشمائل) مثلا ، ولا معرفة له بالعربية ، وغرضه التبرك بها في خاصة نفسه ، أو يسمعها لقوم بقصد التبرك ، فليطلب نسخة من ذلك تكون صحيحة مقابلة مضبوطة ، وما اعتراه من اللحن فيها فلا يؤاخد به إن شاء الله ، واما ان كان بقصد التصدر وطلب العلو فلا يحل ، ومن هذا المعنى قراءة (دلائل الخيرات) و(تنبيه الأنام) ، فانهما اشتملا على أحاديث كثيرة ، ولم تزل العامة لاهجين بقراءتهما من غير نكير عليهم من العلماء في ذلك ، وما ذاك الا لأن العلماء رأوا في ذلك سعة .

وبما ذكرناه تعلم أن ما نسب للشيخ سيدي المهدي الفاسي شارح (دلائل الخيرات) من أن الأولى للعامة أن يبدأوا في قراءة (دلائل الخيرات) من الأسماء النبوية ، ولا يقرأ فصل فضائل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، لاشتماله على أحاديث ، فربما لحنوها محمول على الأفضل ، وإلا ففيه ما سمعت، ثم قال : فقد تحصل لنا الترخيص في ترك تجويد القرآن والحديث، كما قاله الايمة رضي الله عنهم ، انتهى بلفظه .

ومن تآليف المترجم (درر الحجال ، في سبعة رجال) هذا التأليف لم يكمل ، وقفت عليه بخطه ، ومن فوائده فيه التصريح بأن الامام فقيه العصر الحسن المعداني شيخه ، وحلاه بهذه الحلى ، وبأن الفقيه الصالح سيدي العربي بن أبي القاسم الأمراني بلديه وشيخه ، وبأن الامام محمد المسناوي شيخه ، وهذا الكتاب له مقدمة فيها ثلاثة وثلاثون فصلا ، والمقصد فيه أسماط سبعة ، تم منها السمط الأول في ترجمة سيدي يوسف بن علي ، ووصل للسمط الثاني في ترجمة القاضي عياض ، ولم يتمه رحمه الله .

ومن تآليف المترجم (روضة التعريف ، بمفاخر مولانا اسماعيل بن الشريف) (1) وسماه أيضاً بـ (الظل الوريف ، في مفاخر مولانا اسماعيل بن الشريف) ، اشتمل على ثمانية أسماط : السمط الأول ، في (ذكر نسبه الحسني ، مع اضافة فوائد أبهى من الدر السني) ، والسمط الثاني ، في (ذكر

---

1) طبعت بالمطبعة الملكية بالرباط سنة 1962

ولادته ونشأته ، إلى أن ملكه الله أمر رعيته) ، والسمط الثالث ، (فيمن أخبر به من أهل الكشف والصلاح ، وما وسمه به أهل السيادة والفلاح) ، والسمط الرابع ، في (بيعته ، وكيفية اتصاله بالملك ، وركوبه ذلك الفلك) ، والسمط الخامس ، في (تمهيده البلاد ، ونصره على أهل البغي والفساد) ، والسمط السادس في (ما فتح من المدن التي كانت تحت احتلال النصارى ، التي بلغ بها في المجد القصارى) ، والسمط السابع في (ذكر حلمه وعدله ، وما كثر ببركته في مدته من الخير وأهله) ، والسمط الثامن في (المشاهير من أولاده النجبا ، وذكر مآثرهم التي هي ألطف من نسيم الصبا) ، أتم هذا التأليف سنة ثلاث وثلاثين ومئة وألف .

ومنها شرح (ياقوتة البيان) والأصل له توجد في الخزانة العامة بالرباط تحت عدد 74 وهي في الفهرس لها صحيفة 208 المطبوع سنة 1921 .

قال المترجم في الفرق بين المعنى والمفهوم والماهية والهوية :

فالصور الذهنية المقصودة	باللفظ أسماء لها معدودة
فباعتبار قصدها باللفظ	معنى تسمى فاتسم بالحفظ
وكونها تحصل ذهنا منه	توسم بالمفهوم فابحث عنه
وكونها تقال في جواب ما	ماهية تسمى فحقق وافهما
وكونها ثابتة في الخارج	حقيقة تدعى كصبح بالج
وميزها فيه عن الاغيار	هوية هذا اصطلاح جار

الأغيار جمع غير ، قاله في (لسان العرب)، وشاع في عبارتهم تعريفه بأل فيقال الغير ، وهو لحن لأن غير ملازمة للاضافة ، والهوية بضم الهاء وكسر الواو وفتح الياء المشددة نسبة الى هو ، كالكمية نسبة الى كم ، وقد شرحها ناظمها رحمه الله في نحو نصف كراسة ، وقال فيه : بقي علينا من الالفاظ الجارية مجرى هذا النمط ألفاظ منها الصيغة ، وقال الاجهوري في حاشية الرسالة الماهية والحقيقة والطبيعة ألفاظ مترادفة ، انتهى من الشرح ، وقال : ويعرف بالخارج وبنفس الأمر والعبارتان بمعنى واحد .

وقد جرى ذكر المترجم في فهرسة العميري ، ونقل بعض أجوبته ، وتكلم فيه معه بما يعلم بالوقوف عليه فيها .

ومن كتاب لسيدي محمد اليفرني المترجم يخاطب سيدي صالح الشرقي قوله .

الغياث الغياث ياأحـــرار نحن خلجانكم وأنتم بحـــار
انما تحسن المواساة في الشـــدة لا حين ترخص الأسعـــار

ومنه : وقد أكملنا كتابنا (صفوة من انتشر ، في أخبار صلحاء القرن الحادي عشر) في خمسة عشر كراسا ، وهو كتاب حفيل انقطع به بعده التشوف ، وفرح به أهل التصوف ، وذكرنا فيه والدك ، وكل ما فيه من الغرر والفوائد ، فهو منقول من نحو خمسة وعشرين كتاباً ، وهو عندي قربة الى الله ، فان أردت نسخة فابعث لمن ينسخه لك ، ولو رأيت تراجمه قبلت براجمه ، وكذلك كتابنا (نزهة الحادي ، بأخبار ملوك القرن الحادي) .

انتهى من خطه .

وبيت هذا الفقيه بيت علم وصلاح ، ويقال لبيتهم بيفرن زاوية السدرة ، وقال في (القاموس) : وأفرن كاحمد وكيمنع ، قبيلة من برابر المغرب ، أنتهى .

وأُقبر المترجم رحمه الله بالروضة التي قرب جامع ابن يوسف ، ولما حفرت وجد جسده طريا غضا في دولة مولانا سليمان رحم الله الجميع .

742) **محمد بن محمد السالك الجرني المراكشي** ، الفقيه العلامة ، أجازه العلامة اليفرني الصغير عامة بتاريخ 1135 بـ (المنح البادية) اثر نقله إجازات اليفرني من مشايخه ، كصاحب (المنح) ، والحريشي ، وابن مبارك ، وابن رحال .

راجع السالك بن السالك ، في حرف السين (1) .

---

1) لاشك ان السالك بن السالك هو المترجم أعلاه ، وها نحن ننقل هنا ما كتبه عنه في حرف السين ليلا نجعل من الشخص الواحد شخصين كما فعل المؤلف ، قال :

743) محمد بن عبد المومن المراكشي

محمد بن عبد المومن الاندلسي أصـلا ، المراكشي داراً ومنشئاً ، كان قاطناً برياض الزيتون بحومة الاندلس منها ، له رسالة سماها (تنقيـة النفس والجد في علاجها ، بوعظ ستة أحرف قبرك منك) ، خاطب بها المرابط السيد الشرقي حفيد القطب سيدي محمد الشرقي ، وقفت عليها مع تقريظها للعلامة سيدي الصغير اليفرني المؤرخ في II محرم عام خمسة وخمسين ومئة وألـف .

« **السالك بن السالك المراكشي** : وقفت على شرحه على (المرشد المعين) المسمى (قرة العين ، في شرح المرشد المعين) ، ذكر انه اعتنى بالاعراب حيث رأى الشراح اهملوه ، وعليه تقريظ سيدى (محمد) الصغير اليفرني نصه :

الحمد لله

حمداً لمن شرح للسالك مناهج السلوك ، وحلى جيد الشريعة بما هو ابهى من اسماط السلوك، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد الذى ظهر دينه ظهور الشمس راد الدلوك، وحنت لملته المثلى أنوف الأقيال وجباه الملوك ، ورضي الله عن آله وصحبه الذين . . . على ايديهم للضلال هلوك .

أما بعد فان علماء هذه الأمة المحمدية ، كالكواكب الذرية ، كلما هوت كواكب بزغت كواكب أخرى سرية ، ألا ترى المرشد المعين شرحه ميارة ، ثم جاء السالك فزاد عليه روايـة كالكواكب السيارة ، وكل منهما فاز من المدد المحمدى بحطه ، وفى ذلك دوام كما تكفل الله سبحانه وتعالى بحفظه ، الا أن ابن السالك فى شرحه الذى هو بالفوائد صيب ، لا أجد له مثلا فى اختراع محاسنه الا قول أبى الطيب :

تمشي الكرام على آثار غيرهـــــم وأنت تخلق ما تاتي وتبتـــــــــدع

وقد جمع هذا الشرح فأوعى ، واقتنى البدائع طوعاً وكرهاً ، فمن اقتصر عليه كفاه ، وكان الغنى حازته كفاه ، وقد سماه مؤلفه (قرة العين)، وهو اسم أين مثله في اللطافة أين ؟ الا أن فيه مع المعين اعتراضاً ، لاكن العين لا تستحلى الا ان كانت مراضاً ، ولذلك أشرت اليه ان يسميه (المورد المعين ، في شرح المرشد المعين) ، وليس ما نقله الشارح ، للفطر السليمة بجارح ، فقد ذكر الصفورى في تاريخه أن شرف الدين الامياطي ألف كتاباً سماه (الدر الثمين ، فيمن اسمه عبد المومن) ، وناهيك بالشرف اسوة ، ومنهم للشارح قدوة ، والله يجعل هذا الشرح كاسمه خيرة ، وينفع به من طالعه و ... فى ملكه واقره ، بجاه المصطفى الكريم ، عليه أفضل الصلاة والتسليم . انتهى .

ذكر كاتب أصل المبيضة المنتسخ منه انه كتبها من خط العلامة سيدى الصغير اليفرني امام جامع ابن يوسف وخطيبها بالحضرة المراكشية أمنها الله هـ .

وهذا الشرح في مجلد من القالب الرباعي بخط اليد نسخت منه هذه النسخة في 7 جمادى الأولى عام 1266 .

أما ابن عبد المومن الجزائري فترجم في (نشر أزهار البستان ، فيمن أجازني بالجزائر وتطوان) لمحمد بن قاسم ابن زاكور (1) ومن أشياخ ابن الكماد القسنطيني .

744) **محمد الدقاق الدغمي** الفقيه العلامة ، قال في ترتيب زيارات السبعة رجال بمراكش :

توسل إلى الرحمان بالسبعة التي ... تسامى علاهم وانفشى في البرية
وزرهم على الترتيب ياطالب النجا ... وسلهم فهم والله خير وسيلة
فأولهم بيت القصيدة يوسف ... سليل علي شيخ أهل الطريقة
وثن بتاج العارفين عياضهم ... منور هذا الدين بحر الحقيقة
ومن قد أزاح الجهل عنا شفاؤه ... فكان شفاء للقلوب المريضة
وسر قاصداً من عنده تحظ بالمنى ... ضريح أبي العباس صافي السريرة
وذلك بالسبتي يدعى ومن نزل ... حماه يفز بنيل أي غنيمة
ومن بعد لا تنسى : الجزولي نسبة ... إمام التقى والعلم حامي الشريعة
وتلميذه التباع زده ولا تخف ... اذا سرت للغزواني شؤم القطيعة
وناد اذا زرت السهيلي تضرعا ... أيارب عمر من تقاك عقيدتي
وصل وسلم دائما متواليا ... على أحمد المختار بحر الحقيقة
وآله والأزواج طرا وصحبه ... ومن يتبع المولى بأحسن سيرة

وقال الحافي في فهرسته : الفقيه العلامة ، الشيخ النحرير ، الدراكة الشهير ، محمد بن الفقيه العدل محمد الدقاق السلوي ، كان رضي الله عنه عالما مدرساً متفننا ، لين الجانب ، معظما لجانب أشياخه ، كثير الثناء عليهم ، وذكر أنه قرأ عليه الفقه والبلاغة ، واستفاد منه فوائد .

أخذ عن مشايخ فاس كسيدي محمد بن عبد القادر الفاسي ، وسيدي محمد المعروف بالكماد ، وآخر قضاة العدل ، قاضي الجماعة بفاس سيدي العربي بردلة ، وسيدي محمد بن أحمد المسناوي الدلائي ، وأخذ طريقة

---

1) طبع بالمطبعة الملكية بالرباط سنة 1967 وترجمة محمد بن عبد المومن الحسني في ص 13 منه .

التصوف عن سيدي محمد بن ناصر الدرعي ، ثم سافر لبيت الله الحرام والمجاورة هنالك ، وطالت مدة مجاورته أكثر من عشر سنين ، كان ملازما لمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يدرس الحديث ، وكانت له وجاهة وحرمة عند الناس ، معظما مبجلا عند ملوك تلك الآفاق ، وخصوصاً العثماني ، فانه كان يبعث له في كل سنة جائزة سنية ، وكان يحج كل عام ، ويرجع للمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام .

توفي رضي الله عنه بالمدينة المنورة سنة ثمان وخمسين ومئة وألف ، وبها دفن رحمه الله .

745) محمد (العربي) بن عبد القادر القادري

محمد العربي ابن الفقيه الصالح عبد القادر بن العلامة محمد العربي بن الطيب القادري الحسني .

قال في (السر الظاهر) : تفقه على الشيخ أحمد بن مبارك اللمطي وغيره ، وسمع منه ومن غيره ، وكان وجيها ذكيا نجيباً ، توجه لمراكش مع أعيان علماء فاس وأشرافهم لحضور بعض الأعياد مع سلطان الوقت ، فأصيب بطاعون كانت فيه منيته ، وذلك في حياة والده سنة ثلاث وستين ومئة وألف .

ولما توفي رأى قاضي مراكش الشيخ عبد القادر الجيلاني في منامه وهو يقول : كيف يموت هنا ببلدكم ولدي وأنت غافل عن شهود جنازته ؟ فلما استيقظ سأل عمن مات في ذلك اليوم ؟ فقيل له : شريف قادري من شرفاء فاس الواردين على حضرة السلطان ، فاحتفل حينئذ لتجهيزه وشهود دفنه احتفالا عظيما ، ودفنه بزاوية جده الشيخ عبد القادر الجيلاني ، التي هناك برياض الزيتون ، انتهى .

وقبره المذكور هو الذي يزار بها الآن كما في (نشر المثاني) ، والطيب المذكور هو والد مولاي عبد السلام الحسني مؤلف (الدر السني) ، وقد نظمت نسبه في أرجوزة .

746) محمد بن أحمد اليحمدي الفحصي

محمد بن أحمد بن الحسن اليحمدي الفحصي ، تقدم ذكر والده في الأحمدين (1) ، وولده هذا تقدم ذكره عند ذكر والده في المحمدين (2)

كان فقيهاً كاتباً أوحد ، شاعراً جماعة مطلعا ، وله من التآليف (تحفة الظرفاء ، في جميع ما للكلاعي من الرسائل النبوية ، والصحابة والخلفاء) ، فرغ منه يوم الجمعة عشية عرفة عام 1164 وأهدى أول نسخة منه للسلطان سيدي محمد بن عبد الله ، و (قطر الندى ، في التعريف بالسيد أبي الدردا) ، و (كشف الأسا ، بمحاسن الصالحات من النسا) ألفه في المجاعة الكبرى سنة 1150 ، ذكر في خطبته أنه ألفه من (مرآة الجنان) لليافعي ، وزاد في بيان المترجمات ، وذكر بعض أمهات الخلفاء من الحرائر والجواري ، ومتعففات القينات ومنجبات السراري ، منبها على ما نقله المؤلف عن الذهبي وابن خلكان الى آخره ... غير أنه ذكر فيه جماعة من الصحابيات فقط ، ولم يوف بالغرض .

وله أيضاً (مدد التآليف ، في ترتيب المحفوظات والتقاييد ، محفوظة التكرار والاسانيد) ، ألفه عام 1153 من الخزانة الاسماعلية ، المحتوية على نفائس الكتب منها : كتاب (الهودج والأصليت) لابن أبي محلي ألفه عام 1015، وهو محبس على زاوية الشيخ سيدي أحمد بن عبد القادر التستاوتي بسلا ، وخط المؤلف على طرره كثير ، وله ديوان قال فيه بعد الحمدلة : هذه الأوراق جمعنا فيها بعض المنظوم الذي سمح به الفكر الهائم المهموم ، أيام مقامنا بفاس الجديد ، وسطرناها مخافة الافتراق والتبديد ، وذلك في منتصف رجب عام 1166 في نحو كراس .

---

1) انظر 2 : 369 ع 258 من هذا الكتاب

2) أي في طبعة فاس ج 5 ص 28 ع 425 وقد حذفنا الترجمة ليلا نجعل من الشخص الواحد شخصين كما فعل المؤلف .

747) محمد بن محمد التكركسي

محمد بن محمد بن ابراهيم بن أحمد بن عثمان بن الولي الكبير سيدي محمد بن يعقوب الصنهاجي التكركسي ، النبيه العالم العلامة ، المحدث ، كان رضي الله عنه على سنن أبيه ، دؤوباً على سرد الصحيحيْن وغيرهما من كتب السيرة ، وكتب القوم الصوفية معتنيا به .

أخذ عن سيدي عبد الله الووكدمتي وأعلام مراكش ، وشارك والده في بعض شيوخه ، وحج مرارا ، وأخذ بمصر عن العماوي وغيره .

توفي رحمه الله بشعبان سنة سبع وستين ومئة وألف ، ودفن عند والده رحمها الله ونفع بهما آمين .

ذكره الحضيكي في (طبقاته) .

748) **محمد بن عبد الله الدراوي** ، نزيل مراكش ، شيخ محمد الحضيكي ، مترجمه في طبقاته ، قال فيه لدى ترجمته : شيخنا الفقيه العلامة المتفنن في العلوم الشريفة ، الجامع بين الشريعة والحقيقة ، المتصوف الزاهد النزيه ، كان رضي الله عنه أعلم علماء وقته ، وأزهدهم وأخشاهم لله ، وأتقاهم وأورعهم ، عكوفا على التدريس لمختصر خليل ، وألفية ابن مالك ، وصغرى السنوسي ، حريصا على ايصال الخير للطلبة ، سمعنا عليه تلك الكتب أو جلها ، ظاهر البركة ، هيناً ليناً ، متواضعاً خاشعاً ، دمثاً سهلا حلواً ، دؤوباً على الصالحات والطاعات ، ناصحا لعباد الله ، كثير الزيارة لصالحي المدينة ، لا سيما سيدي أبي العباس السبتي، كان يزوره كل يوم بعد العصر في كل زمان، لا يتخلف لبرد ولا لحر ، صيفاً وشتاء وغيرهما ، لا يفتر ولا يقطع لشدة الزمان ولا لخطوبه إذا نزلت ، فكان فقهاء المدينة يتخلفون لذلك ، ويقول رضي الله عنه : ومن علامة كون العمل لله تعالى ، الدوام والثبوت عند النوازل .

توفي رحمه الله شهيدا بالوباء في حدود الستين ومئة وألف (1) .

1) **طبقات الحضيكي** 2 : 118

749) **محمد بن محمد الحاج البوعبدلي** ، به عرف المراكشي وكان رضي الله عنه من فقهاء وقته ، ولي القضاء فحمد ، وكان دينا خيرا ، حسن السمت متين الدين ، ذاعزم وحزم ، قحط الناس فاجتمعوا على الاستسقاء ، ثم بدا لهم أن يدوروا على سبعة رجال المشهورين بالمدينة ، يجتمعون كل يوم عند واحد ، يستغيثون فداروا عليهم ولم يغاثوا ، ثم واعدوا يوما للاستسقاء ، فلما خرجوا خرج صاحب الترجمة ، وكانوا راودوا زهادهم وعبادهم واحدا بعد واحد أن يصلي صلاة الاستسقاء ، فامتنعوا ، فقال لهم : أنتم أولى بهذا الأمر ، واذا أبيتم لا ينبغي لنا ترك السنة واهمالها ، فتقدم رضي الله عنه ، وصلى والناس حضور بتمامهم وهممهم ونيتهم الصادقة ، ورجاء كامل ، وخضوع وتذلل ، واضطرار وافتقار ، والتجاء الى مولاهم الكريم ، فلما خطب وبالغ وأجاد ووعظ ، واستغفر وأمر ونهى ودعا ، وتضرع وابتهل ، ذرفت العيون وخشعت القلوب ، وضجت الدنيا بالبكاء والنشيج والتأمين على دعائه ، مغلوبون لم يتمالكوا ، وهو كذلك ، تتناثر الدموع على لحيته ، وتسيل على خده ، فما استتم دعاءه حتى أغيثوا ، وأمطرت السماء عليهم بفضل الله ، فتسارعوا للأبواب من شدة المطر ، ونحن معهم في تلك المشاهد كلها ، بتوفيق الله .

توفي رحمه الله بعد ذلك شهيداً بالوباء الذي استشهد به الذي قبله في شهر واحد ، والله أعلم .

انتهى من (طبقات الحضيكي) (1) .

قلت : ومما كتب به العلامة سيدي محمد الصغير اليفرني إلى المترجم القاضي سيدي الحاج محمد البوعبدلي :

ياحاذقا أجب عن اعتراض	فقد شربت العلم من عياض
أعرب لنا قول أبيك القاضي	خليفة الشيخ الرضى عياض
اعلم باستقلاله بالماضي	أين المفاعل على التقاضي

1) **طبقات الحضيكي** 2 : 119

فأجابــه :

يامَن بدا والعلم في اغتمـــاض	واحبذا بعمله المضـــاض
ان مفاعيل مقال القاضـــي	فقدتها لا تك بالمعتـــاض
حذفنا واحدا لعلم الماضـــي	وجر ثاني بالانخفـــاض
وجل ثالث عن انقبـــاض	وفيت ما ترجوه من أغـــراض

750) محمد (المكي) بن موسى ابن ناصر الدرعي

محمد المكي بن موسى بن محمد بن مَحمد بن محمد بن أحمد بـن محمد بن حسين بن ناصر بن عمرو بن عثمان الدرعي المولد والمنشأ ، مؤلف (الدرر المرصعة ، بأخبار أعيان درعة) ، أو (كشف الروعة ، في التعريـف بصلحاء درعة) ، ومواد هذا الكتاب كتاب (التشوف) لابن الزيات ، و (نيل الابتهاج) ، و (النفحة المسكية) للتمجروتي ، و (الفوائد الجمة) للتمنارتي، و (الدوحة) و (اقتفاء الاثر) للعياشي ، و (خلاصة الاثر) و (قرة أعيـن المومنين) للشناوي ، و (فهرسة عمه سيدي الحسين بن ناصر) ، و (تجديد المراسم البالية ، في السيرة الحسنية العالية) لأحمد بن صالح الدرعي ، و (الصفـوة) و (الدرر اللامعة ، فـي السيرة الحسنية الجامعة) لأحمـد الدرعي المذكور،و (فهرسة الامام المرغيثي)،و (المجامع والتقاييد والتلقيات من أفواه الثقات) وما أضاف الى ذلك من التلويحات والتمليحات المناسبات ، وسلك في ذلك مسلك صاحب (النفح) وغيره ، رتب هذا الكتاب على حروف المعجم ، يذكر اسم الرجل ونسبه ، وتاريخ ولادته ووفاته ، وشيوخه ونظمه إن كان له ، وكراماته ان وقف عليها ، وما مدح به ورثي به ، أولهم : أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد المعروف بأدفال ، الدرعي منشئاً ، الحسني على ما وجـد بخطه ، وأنهم مـن شرفاء فجيج ، توفي سنـة 1023 ، لقيـه مَحمد ابن الوقـاد التلمساني بجامـع الشرفاء من مدينـة مراكش ، فـي جمادى الأخيرة من سنة احدى وتسعيـن وتسعمئة ، ذكر ذلك فـي (الفوائد الجمة) ، وضريح هذا الولي مشهور معروف بالزيارة بلكتاوة من أسفل درعة ، أحمد بن أحمد بن محمد البوسعيدي الدرعي ، المعروف بآكحيل ،

دخل مراكش ، أحمد بن علي بن داوود الدرعي ، أحمد بن إبراهيم بن عبد الله الأنصاري الدرعي ، وترجم فيها لابن سعيد المرغيثي ، ومن مؤلفات صاحب (الدرر المرصعة) : (الروض الزاهر ، في التعريف بالشيخ ابن حسين وأتباعه الاكابر) ، كما ذكر فيها ، ومنهم : أحمد بن منصور الدرعي ، العلامة شيخ المرغيثي ، ثم ذكر سيدي أحمد بن الحسين الناصري ، أحمد بن محمد بن داوود بن يعزى بن يوسف الجزولي ، التملي نسبا ، أَحُزِي بفتح الهمزة وضم الحاء المهملة وكسر الزاي ، نزيل درعة ، أحمد الشهير بالهشتوكي مؤلف (انارة البصائر ، في ذكر مناقب القطب ابن ناصر ، وحزبه الأيمة الهداة الأكابر) أطال فيها ، وفي ترجمته ترجم لليوسي وأطال فيها ، أحمد بن مَحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن حسين بن ناصر بن عمرو الدرعي ، ومن تآليف صاحب (الدرر المرصعة) : (البرق الماطر ، في شرح النسيم العاطر) ، كما ذكر فيها .

وأنشد فيها قصيدة في مدح أحمد بن ناصر شقيق المؤلف مطلعها :

هب النسيم معطـــر الأردان   والروح يرفل في حُلا الألـــوان

وفي ترجمته قال : وممن امتدح صاحب الترجمة أيضاً ، الأديب النحوي اللغوي البياني المحدث ، حافظ العصر ، ذو التآليف الشهيرة محمد الشهير بالصغير بن محمد بن عبد الله اليفرني نزيل مراكش ، لقيته بمحروسة مراكش بمسجد علي بن يوسف بها ، وهو الامام والخطيب به ، وذلك في صدر سنة احدى وخمسين ومئة وألف .

وقال في قصيدة له :

أما طريقته المثلى فلست تـــرى   يحوكها غابر الأزمان انسانـــا

وأهدى له المؤلف مجموعاً فيه بعض تآليفه (فتح الملك الناصر ، في إجازات مرويات بني ناصر) ، و (الرحلة المراكشية) ، و (البرق الماطر، في شرح النسيم العاطر) فخاطبه بقوله :

دعوا عنا بفضلكم الكؤوسا فقد أنسى الطلا شعر ابن موسى

إلى أن قال :

حسبنا أن درعة ليس فيها أديب يحسن النظم النفيسا
فلما جاءنا منها علمنا بأن لها بنص السفر عيسا
وأحيا فكره ميت المعاني فلولا عصره خلناه عيسى
أرى أولاد ناصر حيث كانوا بدوراً في الهداية أو شموسا
ولا يفنى فضائلهم مديح ولو أفنى القراطس والنفوسا

فأجابه بقوله :

أحبر الغرب هيجت الرسيسا بنظم دونه الدر النفيسا

الى أن قال :

فانت الشمس والاعلام طرا نجوم أين من نجم شموسا ؟
وأنت البحر والغير السواقي وأنت الفرد حقا لا غموسا

أحمد بن صالح بن ابراهيم الشاوي أصلا ، الدرعي صاحب (الهدية في الطب) وشرحها المسمى (الدرر المحمولة) في نحو عشرين كراسا ، الحاج ابراهيم الانصاري ، إبراهيم بن أحمد بن ميمون قاضي لكتاوة ، ابراهيم بن عبد الله والد ابراهيم بن عبد المومن بن عبد الله بن ابراهيم الدرعي ، ابراهيم بن علي بن محمد بن أحمد الدرعي السباعي شيخ المؤلف ، آمنة بنت عبد الله بن أحمد البكرية ، أبو القاسم بن عمرو السوسي الدرعي ، أبو القاسم بن عبد الرزاق الدرعي ، الحسن بن محمد ، وقيل : ابن عبد الله بن مسعود الدرعي ، أصله من عرب هداج ، الحسين بن محمد بن أحمد بن محمد بن حسين بن ناصر بن عمرو الدرعي ، وفي ترجمته ذكر أن الناصريين مقداديون ، وفي ترجمة والده أيضا الشيخ محمد بن ناصر نسبة الى المقداد الصحابي المشهور ، واعترضه في (نشر المثاني) بأن المقداد بن الأسود لا عقب له ، كما لابن حزم في (الجمهرة) ، ثم الحسين بن محمد بن علي ابن شرحبيل

البوسعيدي النجار ، الدرعي الأصل والدار ، خالد بن عمر بن أبي القاسم الدرعي ، داوود بن محمد بن فتوح التلمساني الدرعي ، سليمان بن عبد الباري الدرعي ، الشريف بن السلطان إسماعيل بن الشريف بن علي العلوي ، صالح بن وحيل الجراري ، تادلي المنشأ ، نزيل وادي درعة ، صالح بن ابراهيم الدرعي والد عبد الله بن محمد بن يوسف ، عرف بالعشاب الغساني الأندلسي ، عبد الله بن علي الولي الصالح ، عبد الله بن حسين الولي الصالح ، عبد الله بن محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن حسين بن ناصر بن عمرو الأستاذ شقيق والد المؤلف ، عبد الرحيم الولي الصالح من أشياخ المؤلف العلامة الفهامة أحمد بن ابراهيم الاستاذ الشهير بالسباعي ، كما ذكر فيها : عبد الواحد الولي الصالح ، عبد الرحمان الدراوي ، عبد العزيز الزمراني المترجم في (الصفوة) ترك أولاده بمراكش الخ ، عبد الكريم بن علي بن محمد بن علي بن عمرو التدغي الأصل ، الدرعي الدار ، أخذ عن العلامة سيدي علي الشهير بالمراكشي ، واليوسي عبد الكبير بن أحمد بن عبد الكبير بن الحسين الدرعي ، أخذ عن العلامة أحمد الشهير بالعطار المراكشي ، وإبراهيم بن علي الدرعي الشهير بالسباعي ، وعلي بن أحمد ، وعلي بن يوسف اللكتاوي ، وعلي بن ابراهيم صنو أبي العباس ، وعلي بن محمد بن علي الانصاري ، وعلي بن محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن حسين بن ناصر الدرعي ، وعمر بن أحمد الانصاري ، الغازي بن محمد بن عمر بن أحمد السنوسي الهرغي ، ومَحمد بن مهدي بن الغازي الجراري ، ومحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن علي الجزولي النجار الدرعي التمجروتي ، ومحمد الحساني الدرعي الدار ، ومحمد بن ابراهيم الجزولي النجار ، ومحمد بن أحمد بن ابراهيم الدادسي ، ومحمد بن أحمد بن محمد بن حسين بن ناصر بن عمرو بن عثمان ، وهو والد الشيخ مَحمد بن ناصر ، الشيخ سيدي مَحمد بن ناصر ، وعد المؤلف فيها أنه يؤلف تأليفا يسميه (بهجة المعاصر ، فيمن قرأ على الشيخ مَحمد بن ناصر) ، ومحمد بن الحسين الدرعي التمجروتي، و محمد بن أبي يحيى بن محمد بن فتوح التلمساني ، ومحمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن حسين بن ناصر ، ومحمد بن عبد المومن التزروتي الدرعي،

ومحمد بن أحمد بن عبد الله بن الحسين الورزازي التمجروتي ، تلاقى بالمرغيثي بمراكش وبولده ، ومحمد بن ناصر بن محمد بن علي ابن ناصر المراكشي المنشأ ، الدرعي الأصل ، وموسى بن عيسى الدرعي ، وأبو عمران الاسود من أهل الجانب الشرقي من مراكش ، مسعود بن محمد الفلالي الدرعي ، وموسى بن محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن حسين بن ناصر والد المؤلف ، وميمونة بنت عمرو بن أحمد الانصارية ، ومريم بنت محمد الملقب حنيني بن محمد بن ناصر ، ويحيى بن أبي بكر الدرعي .

فرغ من تأليف هذا الكتاب في رابع عشر محرم سنة 1152 بالزاوية الناصرية ، وهذه النسخة نسخت في 22 شعبان عام 1155 ، وعليها خط ولد مؤلفها السيد موسى ، ووقفت على نسخة أخرى نسخت عام 1278 .

وذكر في كتابه (فتح الملك الناصر ، في اجازات مرويات بني ناصر) أن الشيخ ابراهيم بن علي بن محمد الدرعي السباعي المتوفي سنة 1138 ، أجاز والده الامام القدوة موسى بن محمد بن ناصر المتوفى سنة 1152 ، والشريف الفقيه السيد محمد بن عبد الله بن محمد الحوات ، والفقيه محمد بن عبد الكريم التدغي ، والفقيه الاريب الفاضل السيد جعفر بن موسى المذكور ، وصنوه السيد محمد الأصغر المدعو بالمكي، ولمن ولد ولمن سيولد لهم، إجازة عامة في يوم الخميس فاتح جمادى الأولى عام اثنين وثلاثين ومئة وألف، ويعني بقوله وصنوه إلى آخره ، جامع هذا التأليف المترجم ، وهي في أزيد من نحو كراسين اثنين ، ذكر فيها فهرسته وهو يروي عن أبي سالم العياشي ما في (اقتفاء الاثر) ، و (اتحاف رفيع الهمة ، بوصل أحاديث شفيع الأمة) ، لشيخه الامام ابراهيم الكوراني ، وثبت شيخه محي الدين عبد القادر بن مصطفى الصفوري ، وثبت شيخه المجيز له كتابة ابراهيم جعمان ، وروى صحيح البخاري من طريق أبي سالم ، ومن طريق الشيخة المسندة فاطمة بنت شكر الله الكورانية ، ومن طريق الشيخ عبد الباقي الزرقاني ، ومن طريق الشيخ محمد الخرشي ، والشيخ ابراهيم الشبراختي ، والشيخ عيسى الثعالبي ، والشيخ ابراهيم منصور الفتال ، والامام أبي عبد الله بن ناصر ، وشاركه في لقيا الامام ابن سعيد المرغيثي ، وناوله الشاطبية .

ومن شيوخه أيضا : الشيخ نـور الدين علي الشبراملسي ، ومـن شيوخه في القراءات : المقريء المشارك ، عبد الرحمان بن القاسم بن القاضي المكناسي ، وممن أجاز المترجم سيدي محمد المكي : العلامة سيدي محمد بن عبد الله الحوات المتقدم مع أخيه الفقيه سيدي أحمد ، كتبها لهمـا على أول ورقة من فهرسته الكبيرة الموسومة بـ (الشموس المشرقة ، في أسانيد المغاربة والمشارقة) بجميع ما اشتملت عليه ، وأجاز المترجم أيضا العلامة أحمد بن ابراهيم السباعي في 28 محرم سنة 1141 ، وحلاه بالشاب الارضى ، العالم العارف الموحد ، السيد محمد بن موسى بن محمد بن ناصر الناصري المقدادي الملقب بالمكي اجازة عامة ، وهو يروي عن الامام أحمد بن ناصر ما اشتملت عليه الفهارس ، وهذه الاجازة كلها مذكورة في (فتح الملك الناصر) المتقـدم .

قدم المترجم الى مدينة فاس سنة ثمان وخمسين ومئة وألف فأصابه بها مرض ، فتوسل الى الله تعالى في أبيات بمولانا ادريس رضي الله عنه ، فشفي ، ودخل مكناسة الزيتون واجتمع بقاضيها يوسف العميري ، وأوقفه على فهرسته ، فمدحها وطلب منه الاجازة ، فأجازه نظما كما ذكر ذلك فـي ذيل الفهرسة المذكورة ، وستأتي ترجمة والده سيدي موسى .

ونص ما حلاه به أبو القاسم في اجازته : الفقيه الأجل المرتضـى الناسك المبجل الناظم الناثم ، ذو المزايا الظاهرة المآثر ، المشارك المتفنن ، محمد المدعو المكي بن الصالح الناصح ، سيدي موسى الى آخره .

وقد ذكر المترجم أنه لقي بمراكش بمسجد علي بن يوسف صاحب (الصفوة) في صدر سنة احدى وخمسين ومئة وألف ، وقد وقفت على رحلته المسماة (الرياحين الوردية ، في الرحلة المراكشية) ، وكان ابتداؤها يوم الخميس 26 شعبان عام 1149 ، وذكر فيها من مؤلفاته : (الروض الزاهر ، في التعريف بالشيخ ابن حسين وأتباعه الاكابر) ، وقد وقفت عليه ، و (البرق الماطر ، في شرح النسيم العاطر) ، وهو شرح قصيدة اشتملت على 45 بيتاً ، في مدح أحمد بن ناصر ، والتقى فيها بخطيب جامع الكتبيين الموقت العارف

الناسك المجاهد السيد الكامل ، ومولاي ابراهيم بن ادريس الحسني ، والرجل الصالح العلامة مَحمد المشهور بالدراوي الدرعي ، وأديب زمانه وفريد أوانه ، محمد المدعو بالصغير اليفرني ، وقاضي مراكش مَحمد المنبهي ، وأتم هذه الرحلة يوم الثلاثاء 8 من ذي الحجة عام 1149 ، وتوفي رحمه الله ...

751) محمد (الهاشمي) بن عبد الله اسكلانطو الأندلسي

محمد الهاشمي بن محمد بن عبد الله اسكلانطو ، الأندلسي الرباطي ، شاعر مصره .

كان رحمه الله فقيها علامة ، أديباً مدرساً، متصدرا للافتاء بالعدوتين ، أديباً حاذقاً مشاركاً متفنناً متقناً ، يقول الشعر ، ويكتب الرسائل البليغة ، فمن شعره ، قوله من الخفيف :

صاح عرج على ربوع المعالي ... ورياض ذوات ماء زلال
وتمتع بلثم ترب حماها ... وتذلل لحسن ذاك الدلال
ولتحيى جميع أهله فورا ... بسلام معنبر متوالى
ولتسل عن سراتهم فاذا ما ... شمته فلتحاك عني مقالي
شوقتني الاخبار عن حال خل ... قد غدا لابسا رداء جمال
ذا يد في القريض صاح ونثر ... لا يجارى ولا يبارى بحال
طاوعته القوافي طرا فأضحى ... مالكا لرقابها باتصال
شاع آدابه بشرق وغرب ... واستضاءت به جميع الليالي

وهي طويلة .

ومن كلامه أيضا من مخلع البسيط :

ظبي بحشو الفؤاد ... أعجز في الوصف كل قائل
وهو بأجفانه سباني ... وسحرها ينتمي لبابل
يرمي بسهم اللحاظ لما ... يرنو فيصمى الفؤاد عاجل
من فتن العقل قد تجنى ... علي حتى غدوت ذاهل

له قوام كخوط بـــــــان ... أو كالقنا السمهري عـــــاذل

بدر بدا كامل المحاســـــن ... في القلب والطرف عاد نـــازل

قد أسر القلب في هـــــواه ... بقيد حسن لجسمي شامـــل

وهي قصيدة بليغة ، مدح بها الولي الصالح أبا محمد صالحا لما حل بآسفي ، وله أخـرى يمدحه بها ، وهـو ممن قرظ عـلى شرح محمد زنيبر السلوي على الهمزية ، وممن قرظ عليه أيضاً الولي الصالح سيدي المعطي بن الصالح ، وابن الطاهر الهواري ، وعمر الفاسي وغيرهم ، وقفت على بعضها بخطوطهم رحمهم الله .

وقال في (الاتحاف) :

ومنهم محمد الأندلســـــي ... يدعى لاسكلنط ذو تأنـــس

يسمى بهاشم بن عبـــد الله ... أخو جلالة وذو انتبـــاه

علامة محاضر أديـــب ... مشارك رحالة عجيـــب

فكم له من نخب تستملـح ... وكم كمال لعلاه يشـــرح

وكم بيان فاق فيه الكبـــرا ... وكم جمال زان فيه النظـــرا

ألف في الأسماء والاذكـــار ... وفي سواها غير ما اسطـــار

وكان مفتي العدوتين وقتـــه ... وقد أطال من أفاد نعتـــه

لكونه كان جليل الحـــال ... وأعمل الاسباب للترحـــال

لدا ربوع شيخه ابن ناصـــر ... ودام بالحوز جليل الخيـــر

قرّ هناك سبعة الأعـــوام ... يفيد في العلم وفي الاحكـــام

ثم غدا بعد الى مراكشـــا ... وفيها أكمل كتابا قد فشـــا

يعرف بالتوضيح وهو يشمـــل ... وصفا بتسبيح الصلاة يحمـــل

وبعد ذاك حل في ثغر ســلا ... وكثرت أشعاره بين المـــلا

ثم قضى بعيد سبعين وألـــف ... ومئة وصار في أكمل وصـــف

انتهى .

وله شرح على (الغنيمة الناصرية) ، كما في ص 314 ج 1 من (طلعة المشتري) ، وبعض رسائله مذكورة في (الروض اليانع الفائح) ، وذكر الفقيه الجماع المعتني المقيد مَحمد بن عبد السلام بن أحمد بن محمد فتحاً الرباطي ، الملقب بالضعيف ، المتولد في زمن الصيف أواخر ذي حجة سنة 1165 خمس وستين ومئة وألف بمدينة الرباط ، أن المترجم كان بمراكش الحمراء عند مروره لزاوية أشياخه الناصريين أوائل ذي القعدة الحرام عام 1169 ، ومكث في حاحة مشارطاً سبع سنين .

752) **محمد (الحبيب) بن محمد الهلالي** ، أخو سيدي أحمد الحبيب بن محمد بن صالح بن أحمد بن يحيى بن محمد بن يحيى بن عيسى بن أحمد بن محمد بن عمر بن علي بن عبد الله بن إبراهيم بن يوسف بن صالح بن أحمد بن عبد الله بن عبد الرحمان بن أبي بكر الصديق الصديقي، السجلماسي، اللمطي، الفقيه العلامة ، دخل مراكش .

753) **محمد (الطاهر) بن علي بن عبد السلام** ، الفقيه الكاتب، العلامة الفاضل ، البليغ الأريب ، الشاعر الأديب ، كان من أماجد أهل عصره ، وأعيان علماء ثغره ومصره ، ولما ذيل صاحبه مَحمد بن عبد الله المغيلي السلَوي بيتي القاضي عياض وهما :

الله يعلم أني منذ لم أركم ... كطائر خانه ريش الجناحين
فلو قدرت ركبت الريح نحوكم ... لأن بعدكم عني جنا حيني

وأجابه بقوله :

سألته زورة قبل الرواح وكم ... له يواعدني بعد رواحين
ويحيي فان نواه اليوم أقلقني ... لذا ترى عاذلي فيه روا حيني

ووقف عليهما المترجم وأنشأ ما نصه :

زار الحبيب فخلت في زيارته ... جبينه ومحياه صباحين
لاحظته والحشا تذكو جوانحه ... عند الوداع وقد هبت صباحيني

وقال القاضي مَحمد زنيبر في شرحه للهمزية عند قول الناظم ، ونحى المصطفى المدينة الى آخره أن النبي صلى الله عليه وسلم لما دخل المدينة ، خرجت ذوات الخدور للقائه صلى الله عليه وسلم ، وجعل النساء والصبيان والغلمان يقلن :

طلع البدر علينـــــــا   من ثنيات الـــــــوداع
وجب الشكر علينـــــــا   مـــا دعـــا لله داع

رواه الحاكم وزاد :

أيها المبعوث فينـــــــا   جئت بالأمر المطـــــاع

الى أن قال : وذيل الابيات الثلاثة صاحبنا الفقيه الاجل سيدي مَحمد بن عبد الله المغيلي ، كان الله له وسدده ، فقال :

أفضل الأيام يـــــوم   ذكره سول سماعـــــي
لما ان حل التهامـــــي   طيبة ذات ارتفـــــاع

طلع البدر علينا الى آخره .

وقد ضمنهم أيضاً صاحبنا الفقيه الأديب سيدي الطاهر بن عبد السلام :

دائما عيني تراعـــــي   أن ترى خيرَ البقـــــاع
وفؤادي ذو اشتيـــــاق   وهيـــام وارتيـــــاع
ياربوعاً زادك اللـــــــ   ــه ارتفاعاً في ارتفـــاع
من قضى لي بافتـــراق   هو يقضي باجتمـــــاع
ان لي شوقاً عظيمـــــا   مؤذنا لي بانصـــــداع
هل يوفي الله قصـــــدي   وأرى خير البقـــــاع ؟
ويزيل الله بُعـــــدي   وصدودي وانقطاعـــــي
جامعا شملي كعقـــــد   زانه حسن ابتـــــداع

قاطعاً كل هضـــــــاب — ووهـاد وتـــــــلاع
ذاهباً مع خير ركـــــب — بمزاد ومتــــــاع
في حفاظ وأمـــــان — واعتزاز وامتنــــاع
سامعاً صوتا رخيمـــــا — مطربا أهل اليـــــراع
منشداً حين أرى مــــن — طبعه خير الطبــــاع
طلع البدر علينـــــا — من ثنيات الـــــوداع
وجب الشكر علينـــــا — مـــا دعـــــا لله داع
أيها المبعوث فينـــــا — جئت بالأمر المطـــــاع
ياشفيع الخلق كن لـــــي — في نزوح ونـــــزاع
وأرحني من خطـــــوب — ضيقت مني اتساعـــــي

انتهى .

وكان المترجم له اتصال بأمير المومنين سيدي محمد بن عبد الله ، ومن الفقهاء الذين يحضرون مجلسه ، وبعثه سفيرا الى الدولة العثمانية سنة 1175 خمس وسبعين ومئة وألف ، عنـد السلطان مصطفى العثماني بهـدية نفيسة ، ومعه السيد الطاهر بناني الرباطي ، فأحسنا السفارة ، وذكره ابن عاشر الحافي في ديوان شعر شيخه ابن عبد القادر التستاوتي ، ووصفه بقوله : أخونا الفقيه الاديب ، وذكر له أبياتا كما ذكر له في (تحفة الزائر) قصيدة في مدح الامام ابن عاشر ، من غرر القصائد .

قال الحافي في تحفته : ولصاحبنا الفقيه الأديب السيد الطاهر بـن عبد السلام كان الله لنا وله ، في ربيع الثاني عام خمسة وثلاثين ومئة وألف :

غزالا أفديه بسمعي وناظـــري — وكل الورى من كل راء وناظـــر
غزال مصيب كل صب اذا رنـــا — باسهم ألحاظ العيون الفواتـــر
تراقبه الأبصار حتى كأنـــه — هلال نشهر العيد من كل باصـــر
وقد لاح منه الشعر من فوق بانة — أرانا دجا ليل سبى في الغدائـــر
فأعلمته قد لاح أني متيـــم — وأني مشغوف بتلك الضفائـــر

يصبرني في كل وقت لقيتـــــه بوعد ولست اليوم عنه بصابـــر
ومن عجب أني سحرت بطرفـــه وأدعوه سحاراً وليس بساحـــر
وفي ثغره مهما تبسم ضاحكـــاً ثغور أقاح أو عقود الجواهـــر
نعم لي في بعدي له كل محــزن نعم لي في قرباه خير البشائـــر
متى تسمح الأيام منه بـــزورة وأظفر في قصدي بخير التجائـر

أنتهى المقصود .

وله تقريظ على شرح زنيبر عام 1165 .

توفي رحمه الله بمراكش في حدود الثمانين ومئة وألف .

وقال في (الاتحاف) :

ومنهم المحاضر الأديـــب الكاتب المبرز الأريـــب
محمد الطاهر وهو بن علـــي ثم بن عبد السلام منجـــل
كان بعصر الملك المعظـــم منصور دولة العلاء الافخـــم
غدا جليسا كاتباً موجهـــا الى ملوك عصره منزهـــا
برع في العلم وفـــي الآداب وفي الدهاء بادي الاعجـــاب
سافر عنه لبلاد التـــرك في عصر مصطفى الجميل النسك
وحمل الهدية العظيمـــة ولم تزل معروفة فخيمـــة
ما بين أفراس وحلي وتحـــف ونخب جلت وفاقت الطـــرف
وكان من أهمّ ما له قصـــد جلب المدافع وأحكام العـــدد
بما به مصلحة الأسطـــول والعود بالخير وبالمأمـــول
وان يزال الحلي عن مصاحفـــا كانت لدى الحرام وقفاً شرفـــا
لما تعذر انتفاع الواقـــف بها وخيف من مآل التلـــف
وأن يعاد جلدها جديـــدا ويحصل النفع ولا مزيـــدا
وقيمة الحلى على الاشـــراف تفرق مع محاوج الاطـــراف
فاعمل النظر مصطفى وجـــل بتركها بحالها وقفا كمـــل
ثم اشترى مصاحفاً من بعدهـــا ووقفتْ يتلا بها لنفعهـــا

وجعل الثواب للذي وقــــف أولها فأمنت من التلــــف
وخاطب المولى بهذي المصلحــة وانها أعلا آلآراء الناجحـــة
تأدبا مع الرسول المصطفــى وحفظ آثار الجدود الشرفـــا
ثمت عاد ثانيا سفيــــرا في عهد نجل مصطفى ظهيــرا
لأجل ان يفتدي الاســـارى من كل أقطار لدى النصـــارى
بمئتي ألف من الريــــال مع ثلاثمئة من مالــــي
وشاء من عبد الحميد أن يرا برأيه في فكها محــــررا
فوجه التركي بسفن أربـــع بمالطه لأجل فصل المنـــزع
فتم الافتدا بذاك المـــال وعظم الأجر بكل حـــال
أنافت الأسرى على العشريــن من الألوف عددا مبينـــا
ذكره مؤرخ تركــــي جودة عثماني وذا حـــري
وخاطب الصدر السفير هل يرى أميرك القرض لنفع غـــزرا ؟
فقال يمكن له ما ترتضـــي وليس يعتاض كهذا الغـــرض
وكان من أمر غزير السلــف ما جل ذكره لعهد الخلــف
وكم لهذا الشيخ من سفـــاره عادت بربح القطر والعمـــاره
حج وزار ورأى المعالمـــا وقيد الرحلة فيما ألهمـــا
ونظم الشعر الجليل وكتـــب من الرسائل جليلا ينتخـب
وكان ذا خط جليل يعـــرف ومن صدور عصره مصـــرف
له خزانة تبين عن طـــرف وعيبة حوت كمالا وتحـــف
ومات في مراكش يقينـــا آخر عقد ثاني المئينـــا
بعيد ألف وبها أبقى النخـــب ولم يبين بعد الوفاة ما كتـــب

754) **محمد بن عمران الرحماني المراكشي** ، كان وزيرا وخليفة عند السلطان سيدي محمد بن عبد الله العلوي ، وحضر معه فتح البريجة عام اثنين وثمانين ومئة وألف كما فـي (الحلل البهيجة) ، كـان خليفته على مراكش ونواحيها ، وقفت على مكاتب تقتضي ذلك ، ودربه الى الآن يعرف بدرب ابن عمران في رياض الزيتون القديم ، وكان قائد مشور والده مولاي عبد الله كما

في (تاريخ الضعيف) . وسيأتي في ترجمة مولاي اليزيد أنه قبض على قاضي مراكش ، السيد عبد العزيز بن حمزة المطاعي المراكشي ، والهاشمي بن عمران وولده ، وأخيه التونسي بن عمران ، وأمين الدباغة الى آخره لما نقضوا بيعته .

755) محمد بن القاسم المراكشي

محمد بن القاسم بن محمد بن محمد بن سليمان المراكشي ، وقفت له على كتاب (الحلل البهيجة ، في فتح البريجة) ، وذكر فيه أنه حضر فتحها، قسم هذا الكتاب الذي هو في نحو ثلاثة كراريس من القالب الصغير الى مقدمة وخاتمة ، وجعل المقدمة ثلاثة أبواب : الأول في ذكر الملك وسيرته وأحواله في رعيته ، والثاني في خروجه من حضرة مراكش وقتال المسلمين مع المشركين ، الثالث في دخول المهدومة وميناها وخدائعها ، والخاتمة في فضل الجهاد .

وذكر في الكتاب الاول ، كتاب السلطان لنصارى البريجة ، يتضمن دعوتهم الى إعطاء الجزية ، وأن يجعل في وسطهم التجار وتكون البلد له ، والا فليخرجوا منه أو يقاتلهم لأنه مقبل اليهم ، فأجابه كبيرهم بالامتناع مما طلبه منهم السلطان ، وأنهم انما يبقون على ما وجدوا عليه آباءهم أو المقاتلة ، فأمر السلطان بالمرابطة عليها ، فأغلقوا بابها وجروا عليها السلاسل والاغلال .

وذكر في الباب الثاني أن السلطان خرج في جنده من مراكش ، في منتصف رمضان يوم الاثنين عند الزوال عام 1182 ، ووصل البريجة في اليوم السادس من خروجه من مراكش ، فشرع نصارى البريجة في ارسال المجانيق من أسوارها فتقع وراء المحلة ، فأمر السلطان بضربهم بالكور والبنب ، وهو شيء على قدر القدور ، مصنوع من سبعة معادن ، وزن كل واحدة يزيد على القنطار ، وبقي الرمي مسترسلا الى يوم عيد الفطر ، وأقبلت احدى عشرة سفينة من البحر لنصرتهم ، فاشتغل نصارى البريجة برمْي الكور والبنب ، فأمر السلطان بضربهم حتى فرت السفن في لجج البحر أياما ، ثم رجعوا ولم يقدروا على الدخول الى جهة المرسى من كثرة الصواعق التي تنزل فوق

رؤوسهم من عند المسلمين ، وبقوا يمرون على وجه الماء أكثر من ثلاثين يوما، وغرق لهم أربعة زوارق ، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، ومات كبيرهم ، وتخربت القصور ، وسقطت الغرف .

وذكر في الثالث أنه لما تضايق الامر على النصارى من شدة الضرب ، والجوع ، والعطش ، والخوف ، وخراب حصنهـم ، وهلاك أولادهم ، وهـدم دورهم ، وموت كبيرهم ، وتشاوروا في أمرهم بتاريخ 27 شوال عامه ، طلبوا من السلطان الامان ، ووجه لهم وزيره الخليفة محمد بن عمران ووصيفه مسرور، فطلبوا الأمان حتى يخرجوا من الأرض والبلاد ، فرجع الوزير والوصيف الى السلطان وأخبراه بذلك، فأمنهم وأجلهم لاصلاح شأنهم ثلاثة أيام، فرجعا اليهم وأعلماهم بذلك فاخرجوا عيالهم وأنفسهم وما عز عليهم في عشية يوم الثلاثاء السابع والعشرين من شوال المذكور .

فلما كان اليوم لثاني من ذي القعـدة صباح يوم السبت ، لم يبـق بالمهدية الا رجل واحد ، أخذه المسلمون وأتوا به للسلطان ، ويقال أنهم أبقوه ليوقد النار في المينات ، ومنعـهُـمْ السلطان من الدخول اليها ، لأن الكفار أهل غدر ومكر ، وربما يجعلون فيها المينات ، وأرسل مناديا يقول : مَن مات منكم مات محارباً لنفسه ، فتأخر عن الدخول من أستجاب ، وأقدم على الدخول من لم يبال ، ووجدوا الباب مغلقا ، فجعلوا يطلعون فوق أسوار المدينة ، ففرقعت المينا تحت السور ، وقتل منهم ما يزيد على المئة ، ثم وقعت مينا أخرى من السور مثل الاولى ، وقتل من المسلمين ما لا يحصى ، وأضرَّ بهم الطمع ، فلما دخلوها لم يجدوا الا ما لا بال له ، فأمرهم السلطان أن يهدموها ويسموهـا بالمهدومة ، وبعد ذلك يبني فيها القباب ، ويشيد فيها القصور والمساجد ، ولما أراد الرجوع لمراكش ، جعل بالمهدومة قبيلتين من دكالة ، يقال لهم بنو ذويب ، واخوانهم أولاد حسين ، وملكهم إياها بحوزها ، وارتحل يوم الجمعة الثامن من ذي القعدة قاصدا زيارة الشيخ أبي شعيب السارية ، وزار في طريقه الشيخ الكامل ، والقطب الفاضل ، سيدي وعدود ، ثم نزل بقرب الولي الصالح سيدي عيسى بن مخلوف ، ثم دخل مراكل في ثالث عشر من الشهر المذكور ،

وزار الولي الصالح سيدي أبا العباس السبتي في دخوله، كما زاره وقت خروجه، ثم زار الشيخ الجزولي ، ثم زار بقية الصالحين ، وخرج الى باب دكالة ، ومنها الى قصره ، وأمر الطلبة أن يذكروا الله بهذا : الحمد لله ، والشكر لله ، ما خاب عبد قصد مولاه .

هذا ملخص مقاصد ذلك الكتاب من أوله الى آخره .

756) محمد بن عبد الله أكيك الكيكي

محمد بن عبد الله بن عبد الرحمان أكيك الكيكي ، العالم القدوة العلامة ، انتهت اليه رئاسة الفتاوي بالبلاد الدمناتية ، توفي في ليلة الثلاثاء من رجب عام خمسة وثمانين ومئة وألف .

ورثاه بعضهم بقوله :

خليلي تنبه فالمنايا سهامها ... تطيش فتخطي تارة وتصيب
وللدهر فينا كل يوم عجائب ... لها نفذ منها الشباب يشيب
مضى طاهر الأثواب أعني محمدا ... امام الفتاوي من عليه ينوب

قال في (الدرر المرصعة) : (عنوان الشرعة ، وبرهان الرفعة ، في تذييل أجوبة فقيه درعة)،أي أجوبة الفقيه الصالح المجتهد الناصح، محمد بن محمد بن عبد الله بن الحسين الدرعي ، للفقيه العلامة سيدي محمد بن عبد الله بن عبد الرحمان أكيك ، غفر الله لهما ورحمهما آمين .

أتمه في يوم الاثنين الرابع من شعبان عام 1167 سبعة وستين ومئة وألف ، بعد أن قال : بدأت هذه الطرر يوم الاثنين أوائل جمادى الاخيرة، قائلا: وقصدت بذلك التبرك باليوم الذي ولد فيه سيد الأولين والآخرين وسيد المؤمنين ، انتهى .

والتذييل المذكور في نحو أحد عشر كراسا من القالب الكبير ، وتوجد نسخة منه في الخزانة التناغملتية ، وله تآليف في حكم حوز القبائل

سماه (مواهب ذي الاجلال ، في نوازل البلاد السائبة والجبال) وحاشيــة على نوازل العباسي .

757) **محمد بن محمد ابن سنة العمري الفــلاني** ، الشيــخ المعمر ، المحقق المدقق ، العلامة المسند الفهامة ، والبركة المدخر .

أخذ عن محمد بــن عبد الله الوولاتي ، المدعو مــولاي الشريف ، تلميذ سعيد بن ابراهيم قدورة ، وعن الشيخ محمد بن أحمد بن محمد بغيغ ، وعن الشيخين المعمرين الشيخ محمد سعيد سفر ، و الشيخ محمد بن عبد الله المدنيين ، وعن أحمد بن علي الشناوي ، وأخذ عن المترجم الشيخ صالــح الفلاني ، ولا توجد الرواية عن ابن سنة من غير طريقه .

دخل مراكش كما في ثبت تلميذه المذكور الكبير ، وراجع ما كتبناه في ترجمة الشيخ صالح الفلاني القائل في ثبته الصغير المسمى (قطـف الثمر ، في رفع أسانيد المصنفات في الفنون والأثر) في المترجم ، لم تر عينه مثله في جودة الفهم وقوة الحفظ ، والاجتهاد في العبادة ، وسرعة الحفظ ، والزهد في الدنيا ، انتهى .

وقال تلميذه المذكور في إجازة له : ان ابن سنة عمره مئة وخمسين سنة ، وانه توفي سنة 1186 ، انتهى .

والفلاني نسبة لفلانــة كرمانة ، قبيلة من السودان يتصل نسبــه بسيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وسِنَّة بكسر السين كفضة ، وبلده وأرضه التي نشأ بها مسوف كتنور ، كما في (ثبت البجعوي) فــي الباب الـرابــع .

758) **محمد بن أحمد الحضيكي الجزولي**

محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد الجزولي قبيلا ، الحضيكي شهرة ، الشاذلي طريقة .

ولد رحمه الله عام ثمانية عشر ومئة وألف .

كان رحمه الله عديم النظير في زمانه ، ورعا ونزاهة وعلما ونباهة ، متبعاً للسنة ، أخذ في كل فن من فنون العلم بنصيب ، وضرب له فيها بسهم مصيب ، عارفاً بالسير والحديث ، وعلوم الحقائق والمعارف ، جمع بين شرفي العلم والولاية ، معرضا عن الدنيا ، وكان متجردا من الأسباب ، لا يعرف كيف يدخل فيها ومع ذلك كان يطعم الواردين في داره ، شديد الشكيمة على أهل البدع ، متبحراً محصلا ، بلغ الدرجة العليا في علم اللغة ، عارفاً بالتاريخ ، وكانت معه هيبة ، مآثره كثيرة وكراماته خطيرة .

أخذ عن عدة من الشيوخ ، كمحيي السنة أحمد الصوابي ، ومفتي البلاد السوسية أحمد العباسي ، وحكيم العلماء سيدي محمد بن يحيى الشبي، وعلى الأولين جل استفادته .

وارتحـل للمشرق فحـج وزار ، وله فهرسة ذكـر فيها شيوخـه وأسانيد هم وجهتهم ، وبه بدأ والد أحمد المذكور المتوفي سنة 1161 بالطاعون، ذهب بلوحه إلى الامام أحمد بن ناصر ،فبدأ له فيها ، وكان صحب والـده الشيخ ابن ناصر نيفا وعشرين سنة .

وثانيهم شيخه الـولي الصالح عبد الله بن أبـي إسحاق الكرسيفي المتوفي عام 1140 ، قرأ عليه كتاب الله من أوله إلى آخره مرارا ، وحفظه عليه ، و (أحكام العبادة) وغيرها ، وثالثهم الزاهد أحمد بن عبد الله الصوابي المتوفي سنة 1149 ، سمع منه المترجم صحيح البخاري خمس مرات فأكثر ، وتفسير ابن الجوزي مرة ، وتفسير الجلالين مرة ، وتنبيه ابن عباد على الحكم العطائية مرة ، وصغرى الامام السنوسي وشرحها له مرارا ، وكبراه مرة ، و (محصل المقاصد) نظم ابن زكري بشرح المنجور ، وشرح التمنارتي في النصف الأول، وكان يفضله على شرح المنجور ، وألفية ابن مالك بشرح المكودي ، والسلم مرتين ، وتصريف المكودي وغير ذلك . ورابعهم أحمد العباسي صحبه نحو خمس سنيـن ، وحضر عنده (مختصر خليـل) مرارا ، (والرسالـة) ، و (الألفية) ، و (التحفة) ، و (لامية الزقاق) ، و (الشمائل) ، وصحيح

البخاري خمس مرات ، وألفيتي العراقي في الاصطلاح ، و (السيرة) ، و (النفحات القدسية السنية) لابن باديس ، و (سكن الفوائد) للشيخ ابن وفا ، و (الأكمهية) للمراكشي ، و (عمدة الموثق) ، وغير ذلك من كتب الوثائق والفوائد ، وقيد عنه فوائد جمة . وخامسهم شيخ مشيخة الأزهر أحمد بن محمد العماوي المتوفي سنة 1155 ، حضر عليه بعض صحيح البخاري، وبعض شرح القسطلاني عليه . وسادسهم شيخ المالكية أحمد بن مصطفى الاسكندري المتوفي سنة 1163 ، حضر عنده (مختصر خليل) ، وسرد عليه شرح الخرشي كله ، و (مختصر الصحيح) لابن أبي جمرة ، و (الجامع الصغير) للسيوطي ، وغير ذلك ، وأجازه بيده . وسابعهم خاتمة علماء المغرب أحمد بن عبد الله الغربي المتوفي سنة 1178 . وثامنهم الشيخ سيدي محمد بن قاسم جسوس المتوفي سنة 1182 ، أجازه بيده . وتاسعهم العلامة أحمد بن عبد العزيز الهلالي المتوفي سنة 1175 . وعاشرهم المحدث مولاي ادريس العراقي المتوفي سنة 1185 ، وأجازه عامة بيده . والحادي عشر الفهامة سيدي محمد بن الحسن البناني ، وأجازه كذلك . والثاني عشر المحقق في المنقول والمعقول سيدي عمر بن عبد الله الفاسي المتوفي سنة 1188 ، وأجازه كذلك .

والثالث عشر علامة فاس وتطوان ، أحمد بن محمد الورزازي المتوفى سنة 1189 بتطوان ، وأجازه كذلك ، سمع منه كثيراً من (مختصر خليل) ، و (جمع الجوامع) ، و (ورقات امام الحرمين) كلها ، وغير ذلك ، وخدمه مدة اقامته بسوس الاقصى ، ونسخ له كتاب (المصباح) في علم البيان لابن مالك ، و (رحلة ابن بطوطة) ، وقال : انهما كتابان عز وجودهما .

والرابع عشر سيدي محمد بن الحسن الجنوي ، وأجازه كذلك .

والخامس عشر أبو الحسن الصعيدي، أجازه كذلك. والسادس عشر خاتمة قراء المغرب صالح شقيق سيدي أحمد الحبيب المتوفي سنة 1179 ، أجازه كذلك .

والسابع عشر ممن كتب له الاجازة ، الشيخ المعطى الشرقي ، صاحب (الذخيرة) المتوفي سنة 1180 .

والثامن عشر أبو مدين بن أحمد الفاسي ، المتوفي سنة II8I .

أخذ عـن المترجم رحمه الله ، جماعـة كثيرة من أجلهم : ابـن عمر الأسغركيسي الآتية ترجمته ان شاء الله ، وسيأتي ما درسه فيها ، وله تآليف عدة ، منها (شرح الهمزية) للبوصيري ، و (شرح الرسالة) لابن أبي زيد في سفرين ، و (شرح بانت سعاد) ، و (شرح كتاب حلية الأنوار ، في أخبار دار القرار) ، وحاشية على كتاب (الغنيمة الناصرية) ، وتأليف صغير الحجم في الرد على ابن عزوز الرحماني ، وحاشية على شرح الشفا ، وشرح الطرفة ، واختصار الاصابة (I) لابن حجر ، واختصار القسطلاني على البخاري ، وحاشية على سيرة الكـلاعي ، وتأليف في آداب المعلـم والمتعلم ، وشرح نصيحـة الامام زروق ، وشرح الشقراطيسية ، وكتاب في مناقب علماء وصلحاء سوس، المشهور بكتاب (الطبقات) ، وكتـاب الرحلة الى الحرميـن الشريفين ، وفهرسة في ذكر شيوخه وبعض أسانيدهم ، وتقاييد ومواعظ وأجوبة .

وقد وقفت على كناشة رحمه الله الذي تضمن اجازة سيدي عبد القادر الفاسـي للعكاريين ، واجـازة سيدي عمـر الفاسي للحضيكي ، وفهرسـة الحضيكي ، وهي كراس واحد ، ثم عدة نسخ منها أيضا احداها في أسانيـد الكتب ، وأجاز تلامذته وسماهم ، والأخرى عرف فيها بأشياخه ، ثم أسماء الكتب التي كانت في خزانته ورقتين ، ثم اجازة أحمد الهلالي له ، وكناه بأبي الوفاء ، وأبي المودة ، ويعرف الحضيكي بالآيسي ، لأنه كان نازلا آيسي زاوية بسوس ، ثم فهرسة الهلالي ، ثم اجازة سيدي ادريس الحافظ له ، ثم اجازة جسوس ، والغزي ، وأبي مدين ، وأحمد الورزازي وفهرسته ، واجاز الحضيكي لأولاده أحمد والحسـين ، إجازة عامة بخـط يـده من غـير وضـع اسمـه ، وأجازهم أيضاً بمثله سيدي محمد بن الحسين ، وفهرسة العياشي ، ثم اجازة الجنوي له ، ثم فهرسـة البناني واجازته له ، ثم تأليف فـي المد والقراءة ، ثم اجازة سيدي صالح له ، وثبت الصعيدي واجازته له ، ثم اجازة العماوي له ،

I) يوجد هو وشرحه على المختصر الخليلي بخزانة دار المخزن بفاس (مؤلف)

وأحمد الأسكندري ، وفهرسة ابن عبد السلام بناني ، وإجازة سيدي محمد المعطى الشرقي له في قراءة كتاب (الذخيرة) ، وإجازة أبي سالم للشريف المجيلدي ، وسلسلة سيدي أحمد بن عبد الصادق الرتبي ، وورقة بخط سيدي محمد المكي بن بلقاسم العميري يخبره بأشياخ والده ، وأن سيدي الحسن بن رحال قرأ على جده سيدي سعيد ، ثم تأليف الهلالي في المد الطبيعي ، و (قرى العجلان ، على اجازة الأحبة والأخوان) لأحمد أحزي ، واجازة سيدي عبد الله الووكدمتي امام مراكش لأحمد الصوابي ، ثم تعريف عبد الله الهاروشي بشيخه سيدي أحمد بن محمد بن جابر المتوفى سنة 1237 ثم العارف سيدي محمد العياشي ، ثم سلسلة سيدي محمد بن عبد الله الرجراجي في صحيح البخاري ، عن المرغيثي ، عن ابن طاهر ، عن القصار ، عن خروف بسنده الى البخاري ، الذي قال فيه الرجراجي المذكور : هذا السند أعلا سند دخل أرض المغرب ، وجميع اجازات أشياخ الحضيكي له فيه بخطوطهم .

توفي المترجم رحمه الله في ليلة السبت ، عند العشاء التاسعة عشرة من رجب الفرد عام تسعة وثمانين ومئة وألف . كما قرأته بخط ولد المترجم أحمد على ظهر حاشية والده على البخاري التي صدرها بقوله : هذه (أنوار ارشاد الساري) ، و (معونة القاري) ، وكتاب (المناقب) ، للمؤلف المترجم فيها نحو اثني عشر كراسا من القالب الكبير ، لم يجعل لها خطبة ولا خاتمة ، وختم التراجم بسيدي يبورك بن عبد الله بن يعقوب السملالي المتوفي سنة ثمانية وخمسين وألف .

ومن تلامذته : سيدي سليمان الناصري ، قال في كتابه (اتحاف الخل المعاصر) ما نصه : ومنهم شيخنا الفقيه ذو الأسرار والكرامات والمواهب والبركات ، سيدي محمد بن أحمد الحضيكي نزيل فم أيمي ، وهو من أعظم من أحدث عنهم ، انتهى .

وألف في المترجم عبد الرحمان الجشتيمي ، تلميذ تلامذة المترجم تاليفا في ذكر مناقبه وتلامذته ومن عاصرهم ، وذكر فيه من تآليفه كتاب (المناقب) ، ذكر فيه الاكابر المشاهير ، واستوعب فيه جميع أشياخه وأشياخهم من أهل المشرق والمغرب .

759) **محمد بن أحمد بن العربي** الرجراجي أصلا ، المراكشي مولدا ووطنا ، كان خيرا دينا بركة ، ورعا زاهدا صوفيا ، متبركا به في حياته وبعد مماته ، رقيق القلب كثير البكاء ، وكان خطيباً بمسجد هيلانة ، أخذ عنه الامام السكياطي المتوفي سنة 1244 ، ومات رحمه الله بمراكش ، ودفن بصحن مسجده ، ومدرسته المعروفة له هناك بباب داره ، في حومة باب هيلانة أحد أبواب مراكش .

ترجمه في (اتحاف الخل المواطي ، ببعض مناقب الامام السكياطي)، والدرب الذي دفن به يقال له : درب بوطبول ، وتقدم ذكر والده المتوفي عام 1185 .

760) **محمد بن الطيب سكيرج الفاسي** ، كان من كتاب حضرة السلطان سيدي محمد بن عبد الله العلوي المعتبرين في الانشاء والترسيل ، وذكره سيدي سليمان في (الروضة المقصودة) ، وحلاه بخاتمة أهل الأدب ، الذي كانت قريحته تنسل في البلاغة من كل حدب ، يتيمة الدهر ، في سلوك جواهر الفخر ، عند ترجمة سيدي محمد جسوس شيخه في الباب الرابع ، ورأيت بخطه أنه زار سيدي بوعلي دفين قرب صفرو ، مع شيخه سيدي محمد بن الحسن بناني ، ومدحه بقصيدة دالية بناها على بيت شيخه المذكور عام (1174) أربعة وسبعين ومئة وألف .

توفي رحمه الله عام 1194 أربعة وتسعين ومئة وألف .

واسم جده عبد القادر بن الحاج حمو ، له زجر في العروض ، شرحه أحمد بن الحاج العياشي بن الحاج عبد الرحمان بن الحاج البرنوصي بن الحاج

محمد بن الحاج أحمد بن حمو سكيرج ، وأرخ تمامه باسم منهل 125 ،الورود 247 ، الصافي 182 ، والهدى 47 من 90 ، فتح 388 ، الكافي 142 المجموع 1321 ، اشتمل جمل اسم التأليف على تاريخ اتمامه من غير تحريف ، يوم عرفة ليلة العيد السعيد .

761) محمد بن ابراهيم المهدي

محمد بن أبراهيم بن عامر الحميري المراكشي المقريء ، ويعرف بالمهـــدي .

قال فيه الشيخ مرتضى في معجمه ما نصه : فاضل مستعد ، ورد علينا حاجاً في سنة 1194 ، وسمع مني الأولية ، والمسلسل بالمصافحة والمشابكة، ويقول كل راو أني أحبك ، فقل : وكان ذلك في أواخر شوال منها ، وتأخر من الحج فلازمني كثيراً فيما يقرأ علي بمنزلي ، وكتبت له الاجازة ، وهو الآن في بلده يثني عليه بخير ، انتهى .

762) محمد (المجيدري) بن حبيب الله اليعقوبي

محمد ويعرف بالمجيدري بن حبيب الله اليعقوبي ، من قبيلة اد يقب ويقال لهم : اليعقوبيون ، ينتهي نسبه الى سيدنا جعفر بن أبي طالب .

قال في (الوسيط) : هو العالم الوحيد ، الذي ما له من نديد ، قيل إنه أحد أربعة لم يبلغ أحد في ذلك العصر مبلغهم ، وهم ابن رازكة المترجم أول الكتاب (1) ثم ابن الحاج ابراهيم الذي تقدمت ترجمته أيضا (2) ومحمد اليدالى (3) الآتي في موضعه هكذا قالوا .

وكان المختار بن بون أحق بكونه في موضعه ، لأنه أستاذه ، ولأن المحققين يقولون : ان الحق مع ابن بون في المسائل التي خالفه فيها ، ولا

1) انظر عنه **الوسيط** ص 1 .

2) انظر عنه **الوسيط** ص 37 .

3) انظر عنه **الوسيط** ص 223 .

شك أنه كان من العلماء الاجلاء ، وكان أعظم تلامذة ابن بون من اليعقوبيين ، ثم وقعت بينهما وحشة شديدة حتى تألبوا عليه كلهم ، وكان ابن بون يذكره في أشعاره بما كـان يعاني من نصيحته ، فمـا أفاد ذلك ، ومات فـي حياة المختار بن بون ، فقال قصيدة مطلعها :

أودى الضلال الا فليفرح الجـــذلا　　　من عاش بعد مضل شاقق الرسلا

فنقضها مولود المتقدم بقصيدة مطلعها :

أودى الكمال ألا فليفرح الجـــذلا　　　من لا يموت ومن لا ينقضي أجـلا

وقد ألف العلامة محنض بابا بن عبيد الديماني رسالة في تضليه ، وهذا لا يقدح فيه لما هو مشهور عند العلماء من قديم .

واتصل بالسلطان سيدي محمد بن عبد الله ، ونال الحظـوة عنده ، ورحل الى المشرق ، وأكرمه أمير مصر ، وبالجملة فقد كان غاية في الفهم ، ويكفيه أن الصالح الصوفي سيدي أحمد بن ادريس الفاسي تلميذه ورجع الى أرضه ، ومات بموضع يقال له بير ايْكْن بهمزة وياء ساكنة ، وكاف ساكنة معقودة ونون مكسورة .

ولم أحفظ من شعره شيئاً ، وانما رويت له أبياتاً فيما ورد من كلام العرب على فاعول ولامه سين وهي :

خذ ما أتى وزن عاعول وآخـــره　　　سين فمنه لداء الظفر داحــوس
وقيل للنار ماموس وموضعهـــا　　　أيضا كذاك وبعض الطير طاووس
وللنصارى بأوقات الصلاة يـــرى　　　ضرب لعود وذاك العود ناقــوس
ومظلم الليل داموس وصاحب سر　　　ر الشر والخير جاسوس وحاسوس
وللأخير بناموس مرادفـــــة　　　وللعواقل في الحيات فاعــوس
وذو النمامة فانوس وفي بقـــر　　　نوع يقال له بمصر جامـــوس
والبحر معظمه القاموس عندهـــم　　　وللرضيع من الأطفال بابـــوس
ووزن فاعلة من دب متســـــم　　　بها اسمها عندهم فاحفظه عاطوس

وله في الموشح يتذكر بلاده وأصحابه لما كان في المشرق ، وهذا النوع يسيمه أهل الصحراء الغناء بالعربية ، وقد تقدم تعريف الغناء العادي عنـدهـم :

يامن يرى ولا يُـــــــــرى	عني الكروب نفّـــــــــس
لقد نفى عني الكـــــــــرى	شوقي لأهلي تيـــــــرس
واجعل لأمر عسُـــــــــرا	يسرا بلا تعكــــــــس
لهفي عليهم نبـــــــــلا	مهذبيـن فضـــــــــلا
ان قيس معبد علــــــــــى	غريدهم كالأخـــــــــرس
أو قيس سحبان علـــــــــى	بليغهم لم ينبـــــــــس
حب المهيمن جـــــــــرى	في الدم منهم وســــــــرى
وامتثلوا ما أمـــــــــرا	به أجل قبــــــــــس
واجتنبوا ما حظـــــــــر	من خبث ورجـــــــــس
منزلهم رحبُ الـــــــذّرى	وكومهم شم الـــــذرى
فاقوْا جميعَ مَن قـــــــرى	وحطّ بالأبَاخِـــــــــس
هم كرام ذي الـــــــورى	هم ثمال البائـــــــس

انتهى (1) .

وقال في ترجمة سيدي عبد الله العلوي ما نصه : وكان السلطان ، يعني سيدي محمد بن عبد الله العلوي عالماً ويجلُّ العلماء فلما ذاكره أعجب به وصار لا يصبر عن مذاكرته ، فسأله بعد تسع سنين عن نسبه ، فأخبره بأنه علوي وبين له ، فقال : سبحان الله ، أنت معنا منذ تسع سنين لم تذكر لنا نسبك يوماً ! وفلان أتعبنا بنسبه ، يعني المجيدري اليعقوبي ، وكان جعفرياً ، انتهـى .

وقال عند الكلام على المكاتبة في أرض شنكيط ما نصه : المكاتبـة عندهم أكثر أحوالها أن لا تـكون متكلفة ، الا اذا كانت فيها تعمية كما وقـع

1) **الوسيط** ص 214

للمجيدري وكان بمراكش ، فبعث إلى أهله مع شخص سلهاماً ، أي برنساً وزربية ، وكان غير مطمئن عليهما من جهة حاملهما ، وعادة الكتب عندهم أن لا تكون في ظروف ، فكتب مع حاملها سلام بزيادة لام ماء الى لامه ، واحدى خبر كان ، في قول الشاعر : ترديت الى آخر كلامه ، فلام سلام لامه الهجائي ، ولام ماء المراد لامه وزنا ، فماء أصله موه بدليل مياه ، واذا قرنت لام ماء الى لام سلام ، يصير اللفظ سلهاماً ، وأشار بقولـه : أحدى خبر كان الى قـول الشاعـر :

ترديت من ألوان نور كأنهـــا زرابي وانهلت عليك الرواعـــد

فزرابي في البيت خبر كأن ، واحدى زرابي زربية .

763) **محمد بن عبد الرحمان العمراني المراكشي**، دفين فحل الزفريتي بالقصور ، المعروف الآن بسيدي عبد الرحمان ، كان رحمه الله عالماً فاضلا ، مشاركاً مقرئاً ، وكانت له زاوية بأبي الجعد ، مدفن والده عبد الرحمان ، وكان يدرس العلم بها ، وله أتباع ، ولعائلته هناك درب يقال له درب الشرفاء بأبي الجعد ، وكانت له مؤاخاة مع الشرقيين .

ورد المترجم مراكش لاستخلاص أمة له أهديت لسيدي محمد بـن عبد الله ، فيحكى أنه أخذ عنه السلطان المذكور ، بعد اختباره في جميع العلوم، وكان يقرأ معه في مدرسة مسجد بريمة ، وكان يخطب به فيه ، وبعده خطب فيه ولده مولاي الحسن ، وبعده ابنه مولاي المكي القاضي ، ووقفت على كتاب فيه امضاء أحمد بن محمد بن بونافع ، يخاطب فيه السلطان مولاي سليمان ويقول له : ان بعض الطلبة الواردين معه لمراكش من فاس ، بعضهم أنزله سيدنا عند القاضي ، وعند الناظر وغيره ، وطلب منه انزاله كذلك لانه انمـا يبيت عند بعض الطلبة الذين شرع معهم في القراءة للألفية ، فكتب له علـى ظهرها أنه أنزله عند الشريف القاضي قائلا : ابن محبنا بن شيخنا ومحب والدنا ، الاستاذ العلامة البركة سيدي محمد بن عبد الرحمان .

كما وقفت على ظهير شريف مؤرخ في 2 ذي القعدة عام 1204 في صدره .

من عبد الله تعالى أمير المؤمنين محمد اليزيد المهدي الحسني أيده الله ونصره ، نص فيه على تجديد ما بأيدي السادات الشرفاء الأجلة أولاد الفقيه الأستاذ السيد محمد بن عبد الرحمان الشريف العمراني ، وعمهم الفقيه العالم السيد الطاهر ، وأخيه الفقيه السيد محمد ، وأخيهما الطالب السيد إدريس ، وأولاده من التوقير والاحترام .

كما وقفت على تجديد الظهائر المذكورة لمولانا الحسن بتاريخ 15 شعبان عام 1304 ، ذكر فيه ماسكه الشريف السيد محمد بن المكي الباعمراني، وبعده تجديد مولاي عبد العزيز لهذا الظهير الاخير ، مؤرخ في 26 حجة الحرام عام 1313 .

ووقفت على ظهير آخر سعدي يتضمن التوقير لحملته ، السيد موسى أبي عمران الى آخره ، وموسى أبو عمران ، هو بن علي بن يوسف بن ابراهيم بن يونس بن أحمد بن يحيى بن عبد العزيز بن عبد الله بن أحمد بن داوود بن يحيى بن سعيد بن أحمد بن يوسف بن حروش بن عبد الرحمان أبي القاسم بن يحيى بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمران بن أدريس بن ادريس ، وعمران قبره بدادس .

764) **محمد بن علي المنبهي** ، من أيمة مراكش في القرن الثاني عشر، أخذ عنه أحمد العباسي ، صاحب النوازل المشهورة ، وذكره الأسغركيسي في الفهرسة ، وسيأتي ذكر أخيه سيدي الحسن .

وقال الناصري في (الرحلة المراكشية) : خرجنا لصلاة العيد خارج باب الرب بمصلى مولانا المنصور، وجاء أمير المدينة بأبَّهة ملوكية، وصلى القاضي محمد المنبهي وخطب خطبة بليغة ، ثم قال : وجاءني رسول القاضي المذكور وأنا بدار مولانا إبراهيم يستدعيني لداره ، فسرت على بركة الله ، فلما وصلنا داره أدخلنا الى قبة وسطها ، وجماعة من الاخوان نحو الثلاثين ، ومرخى عليها بالستور ، وأطعمنا بأنواع الأطعمة جزاه الله خيراً ، وعظم له أجراً ، انتهى .

وقد وقفت على فتاوي المترجم ، التي جمعها تلميذه علي بن أبي القاسم بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمان البوسعيدي العيسي ، وحلاه فيها بالامام ، علم الأعلام ، وفخر خطباء الاسلام ، الناقد النحرير والعمدة الكبير ، ذي الأنظار السديدة ، والكشف عن المسائل الدقيقة الغريبة ، ومن جملة ما فيها : قضية رد فيها على فتوى سيدي الحسن بن رحال ، في نقض حكم قاضي مراكش ، سماه (بلوغ المنى والمطلوب ، في تصحيح الحكم الواقع بين التجموعتي والفقيه ابن يعقوب) ، وكتب في الطرة : ثم راجعه أبو علي وسمى تلك المراجعة (نيل المرغوب ، بمسألة ابن يعقوب) أبدأ فيها وأعاد ، وأحسن وأجاد ، رحم الله الجميع بمنه .

قاله كاتبه محمد المطيع ، انتهى .

وكان ذلك سنة 1131 ، وكان والي المدينة اذذاك الباشا غازي بن أحمد ، فبعث الى أهل فاس ، وصوبوا فتوى المنبهي ، منهم الامام المسناوي ، وسيدي العربي بردلة .

765) **محمد بن عبد الله الهلالي الزغننغي** ، بفتح الزاي والغين وسكون النون ، الملقب بالمراكشي ، كان رحمه الله من فقهاء وقته ، المدرسين من تلامذة الشيخ الحضيكي ، حج مع والد عبد الرحمان الجشتيمي ، فمات في طريق الحج قافلا ، وهو الذي كتب تاريخ والد الجشتيمي في جمادى الأولى عام 1198 .

ذكره عبد الرحمان المذكور (1) .

766) **محمد ابن الشاهد** ، العالم المحدث المدرس النفاع ، قال في (الترجمانة الكبرى) : ولما ولي سيدي محمد بن عبد الله ، نقل المحدثين من فاس ومكناسة وفرقهم على مساجد مراكش ، وصاروا يدرسون بها

---

1) ذكر المؤلف بعد هذا محمد العربي قادوس وزير السلطان سيدى محمد بن عبد الله منبهاً على انه ذكره هنا لان العربي في الأصل لقب محمد ، واحال على اسم العربي في حرف العين ، وقد حذفنا ذلك ليلا يقع التباس ، ينظر اسمه في حرف العين

ويحضرون مجلسه السعيد ، منهم : العلامة الشريف مولاي عبد الله المنجرة ، والشيخ محمد بن عبد الرحمان ، والسيد أحمد بن عثمان ، والسيد محمد بن الشاهد ، والسيد الطاهر السلوي ، والسيد الطاهر بن عبد السلام .

767) **محمد بن الحسن الجنوي الحسني** ، العلامة المتفنن ، المشهود له باجماع أهل عصره بالتحقيق ، دفين مراكش .

قال الشيخ الرهوني في حاشيته على الزرقاني : وأما الجنوي فهو الامام العلامة المتفنن الورع ، الصالح العارف بالله تعالى ، سيدي محمد بن الحسن الجنوي الحسني ، ولد بمدشر أزجن قرب حجر الشرفاء من قبيلة سماته ، في شهر الله رجب الفرد الحرام سنة خمس وثلاثين ومئة وألف ، ونشأ هناك حتى قرأ القرآن ، ثم رحل لطلب العلم ، فقرأ بالقصر الكبير على الامام العلامة المشارك سيدي التهامي أبي الخارف الحسني وغيره، وقرأ بتازروت العلمية زاوية السادات الشرفاء أولاد ابن ريسون ، أهل الفضل الواضح ، وبيت الصلاح الناصح ، على العلامة المفتي النوازلي ، قاضي الحرم العلمي سيدي المجذوب بن عبد الحميد الحسني ، وقرأ بتطوان على الشيخ الامام العلامة ، المشارك المحقق الورع سيدي أحمد الورزازي وغيره ، وأخذ بفاس عن شيخ الجماعة في وقته سيدي محمد جسوس ، وعن الامام العلامة المشارك الفهامة ، سيدي عمر الفاسي ، وعن التاودي ، وكان في طلبه العلم ، عظيم الاعتناء به ، حفظا وفهما ومطالعة وتقييداً ، حتى مهر فيه وصار أماماً في كل فن ، شهد له بذلك أشياخه وغيرهم ، ولقد رأيت التاودي يسأل عن المسائل بحضرته ، فيكل الجواب إليه ، فيجيب على البديهة أحسن جواب ، ولقد قدم التاودي مرة تطوان وأنا بها ، فحضرت معه ليلة في دار بعض شيوخنا ، ومعه شيخنا الجنوي وجماعة من الفقهاء، فقال التاودي : سألني بعض الناس وأنا راجع من المشرق عن آية كذا ، سماها اذذاك ونسيتها الآن ، فلم أدر ما أقول له، فهل على بالكم فيها شيء ؟ فأجابه شيخنا الجنوي على البديهة، قال له فيها ثلاثة أقوال للمفسرين ، المشهور منها كذا كما في ابن جزي ، فطلب التاودي ابن جزي فأحضر في الحين ، فنظروه فوجدوا الامر كما قال ،

وهكذا كان دأبه رضي الله عنه ، علمه معه أين ما كان ، وكان في تدريسه لا يقتصر على شرح معين ، بل يطالع ما أمكنه من الشروح والحواشي، ويراجع المسائل في أصولها ، ويعارض بين النقول ويبين المردود منها والمقبول ، هكذا كان دأبه في التفسير والحديث ، والكلام والفقه والاصول ، والنحو والبيان والمنطق والتصوف ، موصوفاً بالتحقيق والاتقان عند الخاص والعام ، مرجوعاً اليه في المعضلات العظام ، مقدما في كل فن ، وخصوصا في النوازل والاحكام ، لا يكاد يخالف فتواه أحد من القضاة والحكام ، مع مروءة تامة ودين متين ، وخوف من الله عظيم ، وورع جسيم لا يخالف فعله قوله في شدة ولا رخاء ، ولا يختلف في صلاحه ومعرفته اثنان من الصلحاء، ولقد سمعت العلامة قاضي الحضرة الادريسية في وقته سيدي عبد القادر بوخريص رحمه الله تعالى ورضي عنه وأرضاه ، يقول أو بلغني عنه ممن سمعه من الثقات : كان يمثل للمبرز في الصدر الأول بسيدنا عمر بن عبد العزيز ، وبعد ذلك بأبي محمد صالح، ويمثل له اليوم بسيدي محمد بن الحسن الجنوي ، وكلامه هذا موافق في المعنى لقول جسوس فيه : انه وحيد زمانه وفريد عصره وأوانه علما وعملا ، ويأتي كلامه بتمامه ، وكان يخفي صلاحه كثيراً .

ومما كاشفنا به مرة وهو ملازم بوزان ، وكانت الاسئلة والرسوم ترد عليه كثيراً ، وكنت أنا خديمه ومتولي أمره بأذنه ، أنه قال لي : اصحابنا الذين كانوا معنا اما أن تأخذ الاجرة من أرباب الرسوم ، واما أن تتركنا نتولى أمرها ، وكان رضي الله عنه لا يأخذ على ذلك أجرا ، فقلت لهم : أنا لا آخذ من أحد شيئاً ، وان أردتم أن تتولوا ذلك بأنفسكم فافعلوا ، ونحن في مكاننا ليس معنا أحد ، ولم يطلع على ذلك الا الله تعالى ، فلما اجتمعنا معه رضي الله عنه على الطعام ، قال لنا من غير تقدم كلام : أني حين كنت ملازما هنا قبل هذا، كان رجل يدخل لي الرسوم من عند الناس ويخرجها لهم ، وكنت أحبه ظناً مني أنه كان يفعل ذلك لوجه الله تعالى ، حتى علمت بعد ذلك أنه كان يفعل ذلك ليأخذ منهم الدراهم ، فسقط من عيني وتركته ، فخجل أصحابنا خجلا شديداً ، وعلمنا أن ذلك مكاشفة لا شك فيها ، وقد حدثني بعض رفقائنا في

الطلب ، وأحبائنا من خيار تلامذته الثقات وأعلمهم أنه كان يوماً بالمسجد ، فجاءه بعض الناس وجعل يتكلم معه على علم الكمياء ويظهر له أنه عارف بها ، وطلب منه أن يهيىء له من الدراهم ما يتوصل به الى فعله إياها ،.فاذا به رضي الله عنه قد دخل المسجد في وقت لم يكن يأتي اليه فيه ، فصلى ركعتين الى سارية قريبة منهما ، ثم قال لتلميذه المذكور : ان فلانا كان اشتغل بعلم الكيمياء ، فلم يحصل منها على طائل ، ثم أخذ نعليه وخرج من المسجد في حينه وتركه ، فلم يشك أنها مكاشفة .

وكان ذا سخاء عظيم، مضيافاً محبا للمساكين، محسناً اليهم، وكان في أول أمره منقبضاً عن السلطان جداً، لا يرسل اليه ولا يراسله، الى أن سأل مرة أمير المؤمنين وناصر الملة والدين، السلطان الجليل ذو الشرف الأثيل، مولانا محمداً بن أمير المؤمنين مولانا عبد الله بن أمير المؤمنين مولانا اسماعيل التاودي عن فقهاء الوقت ، فذكره وأثنى عليه بين يديه ثناء كثيراً ، فأرسل وراءه وهو اذذاك ملازم بوزان ، فذهب مع بعض أعوانه من هناك ، فلقيه بمكناسة الزيتون ، فأمره بسكناها بقصد التدريس بها ، فلم يجد من امتثال أمره المطاع بدأ ، فسكنها مدة ثم نقله الى ثغر طنجة ، فأقام بها مدة ثم نقله الى تطوان ، وقد زعم بعض الناس ممن لم يطلع على أحواله بعد مخالطته للسلطان ، أو أطلع وغلب عليه الحسد ووسوسة الشيطان ، انه تغير حاله مما كان يقبله منه من المال ، وليس الأمر كما قيل ، فلم ينقص من ورعه وصلاحه شيء ، بل كان ذاك تجربة له وامتحاناً ، ودليلا واضحاً على كمال دينه وورعه وبرهاناً ، وعند الامتحان يعز المرء أو يهان ، ولقد صحبناه قبل المخالطة وبعدها مدة طويلة ، سفرا وحضرا ، وصحة ومرضاً ، ورخاء وشدة ، فلم نر منه ما يوجب في دينه ثلما ولا ما يلحق به وصما ، وقد وجدت بخطه وناولنيه ، فكتبته باذنه ما نصه :

الحمد لله وحده   وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وصحبه وسلم تسليما

يتفضل سيدنا علامة الزمان ، ووحيد الأوان ، فريد عصره ، ووحيد مصره ، الهمام الأسنى المحترم ، ذو الشمائل المرضية ، والاحوال السنية ،

شيخ الجماعة بفاس ، شيخنا وسيدنا محمد بـن قاسم جسوس ، جعلنا الله واياه من أهل وده ، ومتعنا واياه بأنسه ، بالاجازة لهذا المذنب الفقير الى عفو ربه ، المترامي على أبوابه وان لم يكن لذلك أهلا ، محمد بن الحسن الجنوي في جميع مسموعاتكم ومروياتكم ومقروآتكم ، عسى الله أن ينشر نفحات الرحمة من تلك السلسلة ، وأن تهب علينا من جهتكم ريح طيبة ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه .

ثم أختم استدعائي بأزكى السلام عليك وأكمله منشدا قول الشاعر :

بقيت بقاء الدهر ياكهف أهلـــــه

والســـلام .

ومقيدا أسفل هذا بخط العلامة المستدعى ما نصه :

الحمد لله الكبير المتعال ، الموصوف بجميع صفات الجمال والجلال ، والصلاة والسلام الاتمان الاكملان على سيدنا ومولانا محمد ذروة الكمال ، وخاتم الأنبياء والأرسال ، وقدوة جميع الأولياء والعلماء وسائر أهل الفضل والافضـــال .

وبعد ، فان من المعلوم المقرر ، أن أجهل الناس من ترك يقين مـا عنده لظن ما عند الناس ، فلولا ما غطى الله سبحانه وستر ، ما يعلمه منا من العجر والبجر ، ما ظن الرائي لنا الجميل فأثنى وشكر ، فنسأله سبحانه أن لا يسلبنا ما عودنا من فضله ، وأن لا يقطع عنا مـا خولنا مـن جميل ستره وطوله ، وان يجعلنا فوق ما يظنون ، وأن لا يؤاخذنا بما يقولون ، وأن يغفر لنا ما لا يعملون .

ولله در القائل :

ولست بأهل أن أجيز وإنمـــــا قضى الوقت يرقى الدون مرقى الاكابر

ومع هذا فالضرب بالطوب، خير" وأحسن من الهروب، فنقول: وعلى الله الاعتماد ، ومن فيض كرمه الاستمداد ، قد أجزت هذا الامام ، العلامة الهمام ،

وحيد زمانه ، وفريد عصره وأوانه ، علما وعملا ، الشريف المنيف ، مولانا محمد بن مولانا الحسن الجنوي الحسني المذكور أعلاه ، في جميع مسموعاتي ومروياتي ومقروآتي ، وجميع ما تجوز عني روايته ، وتصح لي وتنسب الى درايته ، من معقول ومنقول ، وفروع وأصول ، اجازة تامة مطلقة، عامة بشرطها المألف ، وعلى سننه المعروف ، بحق أخذي لذلك كله قراءة وإجازة ، عن أعلام الشيوخ وجهابذه الرسوخ ، كالشيخ الشهير العالم الكبير ، شيخ المشايخ سيدي محمد بن مولانا عبد القادر الفاسي ، وكالشيخ الجليل آخر قضاة العدل، العلامة سيدي العربي بردلة ، وكالامام الجليل ، الماجد الأثيل ، العلامة سيدي محمد نجل الامام الشهير سيدي محمد بن أحمد ميارة ، صاحب التآليف العديدة والتقاييد المفيدة ، وكابن عمنا الامام العلامة المحدث الصوفي ، الذي لم تأخذه في الله لومة لائم ، سيدي عبد السلام بن حمدون جسوس، وكامام الفصحاء، وذروة البلغاء ، حامل راية المدرسين ، وقدوة ذوي الهمم العالية في الدنيا والدين ، سيدي مَحمد بن الاستاذ سيدي أحمد بن المسناوي الدلائي ، وكالفقيه المدرس العلامة المتفنن ، صاحب التآليف المفيدة سيدي محمد بن عبد السلام بناني ، وكالشيخ الشهير المحقق المشارك الفقيه النحوي الصوفي ، صاحب التآليف المشهورة ، سيدي محمد بن عبد الرحمان بن زكري ، وغيرهم ممن أخذنا عنه ممن يطول بنا ذكره ، وذكر ما تفرع من أشياخهم وأسانيدهم ، نفعنا الله تعالى واياكم وسائر المسلمين ببركاتهم .

وليت شعري ياسيدي هل يقبل على مولاي حتى أكون من جملة عبيدهم ؟ بل من تراب نعالهم ومواطئي أقدامهم ،فأفوز بذلك فوزا عظيما ، وكيف لي بذلك ؟ ووالله ثم والله ما شممت لطيبهم العبير رائحة ، فأين أنا وتقوى الله التي أمرنا بها في الورود والصدور ؟ وأنى لنا ومراعاة مقتضى العلم المنجية من كل سوء ومحذور ، لكنهم قوم كرام لا يشقى بهم جليسهم ، ونطلب منكم سيدنا أن تخلصوا لنا من صالح دعواتكم في مظان الاجابة أمكنة وأزمنة ، لما ثبت بيننا من حق الاخوة وليس رفض حقوقها من المروة ، والله تعالى يصلح من جميعنا القول والعمل ، وينيلنا من جزيل فضله غاية الامل .

وكتب مسلما عليكم محمد بن قاسم جسوس ، كان الله له بمنه .

انتهى من خطه رضي الله عنه ، فكفاه فخرا وسؤددا ، تحلية هذا الامام له بما ذكر .

وكذا ما وصفه به العارف الكبير مستوطن مصر ، فقد وجدت بخطه أيضا ما نصه :

الحمد لله الذى أوضح معالم الدين ، وأنجح مقاصد المسترشدين ، ومنح هدايته أصفياءه المهتدين ، وفتح لاوليائه طرق معرفته ، وأزال عنهم الحجب فأصبحوا بين جلاله وجماله متمتعين ، نحمده تعالى ونشكره على نعم لا نحصيها ، ونستعينه ونستغفره من ذنوبنا العظام التي ارتكبناها ، والصلاة والسلام الأتمان الاكملان على سيد المرسلين وامام المتقين ، وعلى آله وأصحابه أجمعين ، ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين .

وبعد ، فليتفضل سيدنا امام العرفان ، ووحيد الزمان، بحر الشريعة، ومعدن الحقيقة ، صديق مصر ، وامام العصر ، ركن الاسلام ، وكهف الأنام ، العالم الكبير ، والصوفي الشهير ، المتحلى بحلية أولياء الله الكرام ، والداعي الى الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام ، ينبوع العلم والحلم ، المتخلق بمعنى قوله عليه الصلاة والسلام : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم ، كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى بعضه تداعى سائره بالسهر ... » الى آخر الحديث، سيدنا المعتمد في أموره على مولانا الباقي ، الشيخ مولانا محمد الحنفي ، أكرم الله المسلمين ببقائه ، ومتع أهل العلم بدرسه واقرائه ، بالاجازة لهذا العبد الفقير ، الحقير القاصر ، المتمسك بأذيالكم ، والمتمنّي صباحاً ومساء التردد على أبوابكم ، ومقبل ثرى نعلكم وأقدامكم ، ويكون ذلك من سيدنا مقرونا بذكر مروياته ، ونفائس مقروآته ، مع بيان أسانيده ومشيخته ، وإن لم يتيسر الكلُ ، فلا محيصَ عن البعض أو الجل ، ليحصل لنا الدخول في هذا الحمى العظيم ، والاحتماء بهذا الجناب الكريم ، حتى ننتظم في

سلك هذه العصابة العلي قدرها ، الطالعة في سماء المعالي شمسها وبدرها ، وان لم نكن لذلك أهلا ، فنرجو من الله أن ينيلنا بالتمسك بكم منة وفضلا، حتى أصبح في ديوان أهل الفضل أمثالكم محسوبا ، والى جنابكم العلي منسوبا ، ومن جبل على الرحمة والشفقة للخلق مثلكم وراثة نبوية ، لا يخيب من تمسك به وانتمى اليه ، ولا يهمله من ترقيه بهمته وتوجهه حتى يلحقه بأهل الله ، أهل وده ومحبته ، باذن الله وتيسيره ، انه على ما يشاء قدير ، وبالاجابة جدير ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

ثم أختم الكتاب بما به ابتدائي :

الحمد لله ، والصلاة والسلام على خيرة الله من خلقه ومصطفاه ، وحبيبه ومجتباه ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما ، والحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

وكتب المسرف على نفسه الذليل الحقير الراجي عفو الله وغفرانه محمد بن الحسن الجنوي الحسني نسبا ، المغربي اقليماً ، في أول يوم من رجب الفرد ، عام خمسة وسبعين ومئة وألف .

كتبت هذا والقلب منقطع الى رؤيتكم ولقائكم ، ولكن عند البعد تنوب الاقلام ، وان قدر الله الملاقاة ، فما ذلك على الله بعزيز ، والسلام .

انتهى من خطه طيب الله ثراه ، وأسكنه من الفردوس أعلاه .

وبعده بخط الامام المستدعى ما نصه :

بسم الله الرحمان الرحيم ، حمدا لمن شرف علم الحديث على سائر العلوم ، وصانه برجال حفظوا شأنه من غياهب الغيوم ، قاموا بشرع الله رغبة في رضاه، رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، مَن اقتدى بهداهم اهتدى، ومن حاد عن نهج هدايتهم فقد اعتدى ، وصلاة وسلاما على أشرف المرسلين القائل : عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين ، وعلى آله الأنجاب وأتباعه والأصحاب .

أما بعد ، فيقول فقير ربه الغني محمد سبط الامام الحسني المشهور بالحنفي ، بينما أنا جالس على كوثر المعارف ، أروي وأروى من صفاء العوارف واللطائف ، إذ ورد علي من هو أهل لتلك الموارد وناولني قرطاسا كأنه كأس كلل بفرائد ، فانشرح صدري بصدره الرحيب ، إذ بشرني بفريد في الفضائل نجيب ، يلتمس اجازة بأسانيد السنة ، وانتظاما في سلك أيمة لهم علي أجل منة ، فبادرت بالاجابة حين لاحت لي لوائح النجابة ، وشاهدت من الجانب الغربي نوراً ، ان الابرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا ، وأجزت مولى نطقت آثاره بفضائله ودلت أخباره على صدق دلائله ، وعطرت صفاته واديه الاسعد ، المولى محمد بن الحسن المنور الاوحد ، بما أخذت من العلوم النقلية والعقلية عن أيمة فاقوا بكل فضيلة ومزية ، منهم : الشهاب أحمد الخليفي ، والشهاب أحمد الملوي ، والجمال يوسف الملوي ، والكمال الشيخ عبد الرؤوف البشبيشي ، والشيخ عيد الديوي ، والعلامة الشيخ عيد النمرسي ، والشهاب أحمد بن الفقي ، نفع الله بعلومهم الانام ، وأكرمهم في دار النعيم بمزيد الاكرام .

قد أخذت عنهم العلوم وقرأت عليهم كل منطوق ومفهوم ، وأجازني كل بسائر المرويات أسكنهم الله رفيع الدرجات .

ولنقتصر هنا على سند شيخنا الشيخ عيد النمرسي ، فقد أجازني رحمه الله تعالى بعد قراءتي عليه كتبا كثيرة بالكتب الستة المشهورة عند أهل السنة ، وبالمواهب اللدنية ، وبالجامع الصغير ، وألفية المصطلح وشرحيها ، لمؤلفهما الزين العراقي ولشيخ الاسلام زكرياء الانصارى ، وغيرها مما يأتي من كتب الحديث والتفسير ، ومن أراد زيادة فعليه بثبتنا الذى ألفناه في ذكر مشايخنا ومروياتنا العقلية والنقلية ، طلبا للنجاة به يوم المعاد ، ورغبة في مرضاة الملك الجواد .

أما صحيح البخاري ، فقد أخذته عن شيخنا المذكور قال : وقد أخذته عن شيخنا الشيخ عبد الله بن سالم، وشيخنا العلامة الشيخ محمد الشرنبابلي، وشيخنا الاوحد في زمانه الشيخ محمد بن قاسم البقري ، ثلاثتهم أخذوا عن

علامة عصره الشهاب البابلي ، عن الشيخ سالم السنهوري عن النجم الغيطي ، عن شيخ الاسلام زكريا الانصارى ، عن الحافظ بن حجر العسقلاني ، وهو يرويه بطريق مذكورة في أول (فتح الباري) .

وأما صحيح مسلم فنرويه عن ثلاثتهم ، عن الشمس البابلي ، بالسند المذكور للحافظ ابن حجر العسقلاني قال : أخبرنا به محمد بن أبي اليمن بن عبد اللطيف بن أحمد بن أبي الفتح الربعي ، بقراءتي عليه في أربعة مجالس ، سوى مجلس الختم قال : أخبرنا به أبو محمد بن عبد الحميد الهادي المقدسي، ثم الصالحي ، حين قدم القاهرة قال : أخبرنا به أحمد بن عبد الدائم النابلسي ، سماعاً عليه قال : أخبرنا به أبو عبد الله بن صدقة الحراني سماعا عليه قال : أخبرنا به فقيه الحرم محمد بن الفضل بن أحمد الفراوي قال : أخبرنا عبد الغافر الفارسي قال : أخبرنا محمد بن عيسى بن عبد الرحمان الجلودي الزاهد قال : أخبرنا الفقيه الزاهد ابراهيم بن محمد بن سفيان قال : أخبرنا الحافظ مسلم بن الحجاج القشيري سماعا سوى ورقات ثلاثة مبينة فيه ، فبالاجازة ، فلذلك كان ابراهيم يقول عن مسلم : اذا لم يبينها ، ولا يقل : حدثنا .

وأما سنن أبي داوود فنرويه بالسند المتقدم الى الحافظ ابن حجر قال : أخبرنا به محمد بن أحمد بن عيسى بن عبد العزيز بن الفاضل البزار الهروي ، المعروف بابن المطرز بقراءتي عليه لجميعه قال : أخبرنا يوسف بن عمر بن حسين الختني سماعاً عليه سنة أربع وعشرين وسبعمئة قال : أخبرنا الحافظ زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري قال : أخبرنا به ابراهيم بن منصور الكرخي قال : أخبرنا الحافظ أحمد بن علي بن ثابت البغدادى قال : أخبرنا القاسم بن جعفر بن عبد الواحد الهاشمي قال : أخبرنا محمد بن أحمد بن عمر اللؤلؤي قال: أخبرنا سليمان بن الأشعث بن اسحاق بن بشر بن شداد بن عمر بن عامر السجستاني ، فذكره .

وأما كتاب السنن للحافظ أبي عيسى الترمذي ، فبالسند المتقدم الى الحافظ ابن حجر قال : أخبرني به العلامة ابراهيم بن أحمد الشامي فيما قرأت

عليه ، أخبرني بجميعه جماعة، منهم المسند المعمر علي بن محمد بن ممدود بن جامع البندنيجي ، لسماعه عن أبي منصور علي بن عبد الصمد المقري ، بسماعه له من الحافظ عبد العزيز بن محمد بن الاخضر ، بسماعه له من عبد الملك بن أبي سهل الكرخي ، بسماعه عن محمود بن القاسم الازدي قال : أخبرنا به عبد الجبار بن محمد بن عبد الله بن الجراح الجراحي المروزي قال : أخبرنا محمد بن أحمد بن محبوب المروزي قال : قرأت على محمد بن عيسى بن سورة الترمذي الحافظ ، فذكره وأنا أسمع .

واما كتاب (السنن الصغرى) للحافظ النسائي المعروفة بالمجتبى ، فنرويه بالسند المذكور السابق إلى الحافظ ابن حجر قال : قرأت جميع السنن المذكورة على شيخنا المفدى ابراهيم بن القاضي شهاب الدين الحريري البعلي ، بروايته عن أحمد بن أبي طالب الحجار ، بروايته عن عبد اللطيف بن محمد الغيطي ، بسماعه عن أبي زرعة طاهر بن محمد بن طاهر ، بسماعه عن عبد الرحمان بن أحمد الدوني ، قال أخبرني أحمد بن الحسين الكسائي ، قال أخبرنا أحمد بن محمد بن اسحاق بن السني قال اخبرنا الامام الحافظ أحمد بن الحسين ، فذكره .

وأما كتاب السنن للحافظ ابن ماجة فنرويه بالسند السابق إلى الحافظ ابن حجر قال · قرأت جميع السنن لابن ماجة على أحمد بن عمر بن علي البغدادي الجوهري ، بسماعه علي الحافظ جمال الدين يوسف المزي ، بسماعه للجزء الأول والاجازة للباقي من الشيخ عز الدين ، عن أبي محمد بن عبد الرحمان ، عن علوان ، بسماعه من الموفق عبد اللطيف بن محمد بن علي الطيب ، بسماعه عن طاهر بن محمد المقدسي قال : أخبرنا محمد بن الحسين المقدسي قال : أخبرنا القاسم ابن المنذر قال أخبرنا علي بن ابراهيم بن سلمة القطان قال أخبرنا الحافظ محمد بن يزيد ابن ماجة القزويني ، فذكره .

وأما (المواهب اللدنية) فنرويها بالسماع لبعضها والاجازة للباقي على شيخنا وسيدنا عبد الله بن سالم البصري، عن شيخه الشيخ محمد البابلي،

قال سمعت وأجازني بسائرها شيخنا علي الزيادي بروايته لها ، عن قطب الوجود الأستاذ البكري الصديقي ، عن مؤلفها العلامة شهاب الدين أحمد ابن حجر العسقلاني الشافعي .

وأما (الجامع الصغير) ، فنرويه عن شيخنا عبد الله بن سالم ، عن الشيخ محمد البابلي ، عن الشيخ علي الزيادي ، وعن الشيخ سالم السنهوري، بسماع أولهما من السيد جمال الدين يوسف الأرميوني امام المدرسة الكاملية، وبسماع ثانيهما من الشمس محمد العلقمي صاحب الحاشية على الجامع الصغير ، كلاهما عن مؤلفه الحافظ المتقن جلال الدين السيوطي رحمه الله .

وأما (ألفية المصطلح) للزين العراقي ، وشرحها لشيخ الاسلام زكرياء الانصاري وشرحها لمؤلفها ، فنرويها عن شيخنا عبد الله بن سالم البصري ، عن الشمس محمد البابلي ، بالسند المتقدم الى شيخ الاسلام زكرياء بروايته لها ، ولشرح مؤلفها عن الحافظ ابن حجر ، وعن المحققين الشيخ شمس الدين بن محمد القاياتي ، والكمال بن الهمام الحنفي ، برواية الحافظ ابن حجر لهما عن مؤلفها ، وبرواية الشمس القاياتي والكمال بن الهمام ، عن ابن مؤلفها ، وبرواية الكمال أيضا عن السراج قارىء الهداية ، كلاهما عن المؤلف زين الدين عبد الرحيم العراقي رحمه الله .

وأما تفسير القاضي البيضاوي ، فنرويه عن شيخنا الشمس الشرنبابلي ، وعن شيخنا عبد الله بن سالم ، عن الشمس البابلي ، عن أبي بكر الشنواني ، عن الشهاب أحمد بن قاسم العبادي قال : أخبرنا به الأستاذ جمال الدين يوسف ابن شيخ الاسلام زكرياء عن أبيه قال : أخبرني به الفضل المرجاني ، عن أبي هريرة بن الحافظ الذهبي ، عن عمر بن إياس المراغي قال : أخبرنا به شيخنا العلامة قاضي القضاة ناصر الدين البيضاوي .

واستقصاء أسانيدي يطول ، ومن أرادها فعليه بثبت شيخنا عبد الله بن سالم المسمى بـ (الامداد) ، وثبت شيخنا شهاب الدين أحمد النخلي، فان الفقير مجاز بجميع الكتب التي تضمنها وبما تضمنه صلة السلف لابن سليمان

المغربي ، وهو في ضمن الثبتين المذكورين ، أقول قولي هذا وأنا أستغفر الله العظيم ، وأسأله من فضله العميم أن ينفعه وأن ينفع بـه ، ويجعله بركـة للمسلمين .

حمدا لفاتح الأبواب ، وصلاة وسلاماً عـلى سيدنا محمد وأتباعـه والأصحاب .

أما بعد ، فقد اتفق لي أخذ صحيح البخاري مسلسلا بالمحمديـن ، وهذا سنده قد قرأت من أول صحيح البخاري الى قوله بوادره ، على شيخنا العلامـة الشيخ محمد بن عبد العزيـز الحنفي ، وأجازني بسائـره وسائـر مروياته ، عن العلامة الشيخ محمد البابلي ، عن الشيخ محمد المدعو حجازي الواعظ ، عن النجم محمد بن محمد الغيطي ، عن محمد بن محمد الدلجي ، عن القطب محمد بن محمد بن عبد الله الخضيري ، عن محمد بن أبي بكر المراغي ، عن محمد بن اسماعيل القرقشندي ، عن البدر محمد بن فليح بن كيكلدي ، عن محمد بن مسلم بن محمد بن مالك الحنبلي ، وهو والصوفي ، عن محمد بن عبد الرحيم بن عبد الواحد المقدسي الصالحي الحنبلي ، عن عمه الحافظ ضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسي، عن الحافظ محمد بن عبد الواحد البزار، عن محمد بن أحمد بن عثمان ، عن محمد بن مكي الكشميهني ، عن محمد بن يوسف الفربري ، عن مؤلفه محمد بن اسماعيل بن أبراهيم البخاري .

كتبه محمد الحفناوي خديم الفقراء

انتهى من خطه رضي الله عنه .

ونسبته رضي الله عنه (المواهب اللدنية) للحافظ ابن حجر ، سبق قلم منه اذ معلوم مشهو أنها للامام القسطلاني شارح البخاري ، وكثيرا ما ينقل فيها عن الحافظ ابن حجر والله أعلم .

أخذ عنه الجم الغفير ، وتخرج منهم على يديه خلق كثير ، ولقد منّ الله علي بمعرفته وصحبته ، وخدمته سفرا وحضرا زمانا طويلا ، وقرأت عليه

التفسير الى سورة الرعد ، وصحيح البخاري ، وصحيح مسلم بقراءتي عليه ، والأربعين للنووي ، ومختصر الشيخ خليل غير ما مرة قراءة تحقيق وتدقيق ، ورسالة الشيخ ابن عاصم لكن لم نختمها عليه ، ووثائق ابن سلمون ولم نختمها أيضاً ، وألفية ابن مالك غير ما مرة ، ومقدمة الشيخ ابن آجروم و (تلخيص المفتاح) ، و (جمع الجوامع) لابن السبكي الا شيئاً يسيرا من آخره ، و (الحكم) لتاج الدين سيدي أبن عطاء الله ، كل ذلك قراءة حسنة ذات أبحاث رائقة وتحريرات فائقة ، وكانت مجالسه كلها لا تخلو من مواعظ ، فلا يقوم الانسان من بين يديه في أي فن كان غالبا الا وقد أخذت مواعظه منه أخذا، فجزاه الله عنا وعن المسلمين خيرا .

ومن عظيم منن الله علي ، أن غطى عنه مساوئي الكثيرة وذنوبي العظيمة الغزيرة التي لا يعلمها الا الله تعالى ، فكان يحبني حباً شديدا ، ويظهر ذلك ، وكتب لي مرة بعد أن فارقته وتزوجت بما نصه :

الحمد لله وحده وصلى ألله على سيدنا محمد وءاله وصحبه وسلم

إلى من هو عندي أكثر من ولدي محبة ، الفقيه سيدي محمد بن أحمد الحاج الرهوني .

سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

وبعد ، فقد وصلني كتابك وما أرسلت به ، فكثر الله خيرك ولا ترسل لي شيئاً أصلا ، ونحن نحب أن نزيدك والله يجعل لك الخير فيما فعلته ، ويجعل لذلك عاقبة محمودة ونحن قد اشتقنا لك غاية ، ولتعلم أن محبتك لله لا لأجل احسانك ، وطبعك الذي جبلك الله عليه ودينك قد امتزجت في قلبي حتى صارت ذاتنا كذات واحدة ، نطلب الله تعالى أن يجعلنا من المتحابين في الله ... الى أن قال : والسلام . وكتب محبكم بن الحسن الجنوي الحسني .

انتهى من خطه رضي الله عنه .

وكان اشتغاله بالعلم تقييدا ومطالعة ودرسا أهم عنده من سائر النوافل ، وكأن لسان حاله ينشد قول الامام ابن جزي :

لكل بني الدنيا مراد ومقصد ... وان مرادي صحة وفراغ
لأبلغ في علم الشريعة مبلغا ... يكون به لي للجنان بلاغ
ففي مثل هذا فلينافس ذوو النهي ... وحسبي من دار الغرور بلاغ

وقول ابنه أبي عبد الله رحمه الله تعالى ورضي عنه :

لولا ثلاث قد شغفت بحبها ... ما عفت في حوض المنية موردي
وهي الرواية للحديث وكتبه ... والفقه فيه وذاك حب المهتدي

وليس قوله بلاغ آخر البيت الثاني والثالث إيطاء ، بل فيه من محسنات البديع الجناس التام المماثل ، لان الاول مصدر بلغ ، والثانى اسم بمعنى الكفاية ، ففي بلغ الكتاب بلاغا وبلوغا وصل ، ثم قال : وفي هذا بلاغ وبلغة وتبلغ ، أي كفاية ، انتهى منه بلفظه ، وإن كان صاحبا (الصحاح) و (القاموس) لم يذكرا لبلغ مصدرا الا البلوغ ، والله أعلم .

وكان شرع في تقييد حاشية على تأليف الامام ابن سلمون ، ثم لما نقل الى مكناسة شغل عن اتمامها ولم يكن كتب منها الا يسيرا ، وكان يحض عليها ويقول : ان الناس أعتمدوا على تأليف ابن سلمون واشتغلوا بالفتوى منه والحكم بِه كثيراً مع أن فيه أموراً وفروعاً مخالفة للمشهور ، فيتأكد التنبيه على ذلك ، وله تقاييد على حواشي كتبه من كتب الفقه وغيره ، فلو أخرجت طرره التي على زوح ، وق ، وصفى ، ومب ، لكانت حاشية عظيمة الجرم ، وله طرر حسنة على شرح الشيخ ميارة للتحفة قد أخرجها جماعة من حذاق تلامذته ، وطرر على المرادي والتصريح ، وحاشيتي الشيخ ياسين عليه وعلى النظم، لو أخرجت لكان تأليفاً حسناً مفيداً، وكذا حواشيه على البيضاوي وعلى الجلالين ، وكذلك ما كتبه بحواشي المحلي على جمع الجوامع ، وابن أبي شريف عليه ، وبالجملة فمن وقف على كتبه في كل فن ، وعاين ما كان

يقيده بهوامشها علم أنه كان له اليد الطولى في كل فن ، وستقف على كثير من ذلك في هذا التقييد ان شاء الله .

توفي رضي الله عنه بمراكش ، كان دعاه اليها أمير المؤمنين المتقدم الذكر ، وذلك يوم الاثنين الثالث عشر من رمضان عند الزوال سنة مئتين وألف ، ودفن عند الغروب بروضة مولاي ابراهيم الشريف العلمي ، بالموضع المسمى بالقصر بمجاورة الغوث الكبير والقطب الشهير ، مولانا عبد الله الغزواني أفاض الله علينا من بركاتهم .

ولقد حدثني بعض تلامذته الثقات النجباء ، أنه أخبره بعض الفقهاء الحسنيين العلميين ، وكانا معا حضرا موته ودفنه ، أنه رأى ليلة اليوم الذي مات فيه جمعا كبيراً ، فيهم الولي الأكبر ، والعارف الأشهر ، مولاي عبد السلام ابن مشيش ، وكثير من أولياء الله الذين بجبل العلم . فسأل عن مجيئهم لمراكش ، فقيل له : إنهم جاءوا وراء الفقيه سيدي محمد بن الحسن الجنوي ، وذلك فيما يرى النائم ، وفي ذلك من البشارة ما لا يخفى والحمد لله رب العالمين . انتهى .

وقال الاسغركيسي في فهرسته عند ذكر أشياخ شيخه الحضيكي ما نصه : والرابع عشر العلامة شيخ الاسلام محمد بن الحسن الجنوي العمراني الفاسي ، كان الله له ولياً ونصيرا ، وكتب له اجازة بيده أجزل الله ثوابه ، وهو من أروع أمثاله من مدرسي الوقت وفقهائه ، وقد شاركناه في جل أشياخه رحمه الله ورضي عن الجميع ، انتهى .

ووقفت في كناش الحضيكي على اجازة المترجم له ، وقد ذكره أيضا في (ثمرة أنسي)،و (فهرسة ابن عجيبة)،و (فهرسة ابن ريسون)،وذكر ابن عجيبة في الفهرسة : أنه قرأ على المترجم مختصر خليل ، والتلخيص ، ومختصر السبكي ، وورقات الحطاب في الاصول ، والبخاري مرتين ، وجزءاً من مسلم ، والرسالة ، وحكم ابن عطاء الله ، وجزءا من (النصيحة الكافية) ، وجزءين من تفسير القرءان العظيم .

ثم ذكر مناظرة الجنوي للكوهن في الطريق .

وقال في (ثمرة أنسي) مع اختصار يسير ما نصه :

والفقيه العلامة الحافظ المتبحر الصالح سيدي محمد بن الحسن الجنوي الشريف السماتي ، أخذت عنه زمن اقامته بفاس عام 1181 جملة من صدر الألفية ، واستفدت من بحثه ، وتعجبت من حفظه وحسن إملائه بلسان جبلي ، ثم انتقل بأمر من السلطان مولانا محمد بن عبد الله الى مكناسة الزيتون، ومنها الى ثغر طنجة ، ومنها الى تطوان وكانت تجري عليه مرتبات سنية ، وكان استدعاه السلطان المذكور لحضرته بمراكش الحمراء للمباحثة معه ، والتمذهب بمذهب السلطان المذكور في أمور كان مصممة عليها في حق بعض الايمة الصالحين ، ممن كان في سعة عن البحث في شأنه بالاشتغال بما يعنيه من أمور رعيته ، فلما وصل لحضرته وكلمه في جملة من ذلك ، لم يتم له ما أراده منه اذ كان شديد الشكيمة ، صلبا في دينه ، ولما قدم بين يديه توسل الى الله في أن يقبض روحه قبل أن يلقاه ثانيا ، فكان الامر كذلك بموته ثلاثة أيام هناك بمراكش سنة 1200 رحمه الله ورضي عنه ، انتهى .

وقال ابن الصادق في فهرسته : ورمز لوفاته الفقيه القاضي صاحبنا سيدي عبد الكريم الوزديغي في قوله :

قضى نحبه الجنوي في عام خــرت برمضان في يج على حين غفلـــة

وممن ذكره أيضا تلميذه العالم المحدث المسند الضابط محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمان بصري ، المكناسي في فهرسة (اتحاف أهل الدراية والتوفيق والسداد ، بما يهمهم من فضل العلم وآدابه والتلقين وطرق الاسناد) وترجم لسبعة عشر شيخا من أشياخه منهم : سيدي عمر الفاسي ، والشيخ التاودي ابن سودة ، والجنوي ، والشيخ بناني، وعبد الكريم اليازغي، وعبد القادر ابن شقرون ، وغيرهم ، أرخ تمامها في تاسع وعشري شعبان عام ستة ومئتين وألف .

768) محمد بن منصور العيسي المراكشي الأديب، توفي بمكناسة عام ثلاثة ومئتين وألف .

ذكره الضعيف في تاريخه .

769) محمد بن عبد الله العلوي (السلطان)

محمد بن عبد الله بن إسماعيل ، المالكي مذهباً ، الحنبلي اعتقاداً حسبما وصف بذلك نفسه في مؤلفاته ، لانه لا يرى الخوض في علم الكلام على طريقة المتأخرين ، أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين ملوك المغرب الاقصى .

مولده وشيوخه وحجته

كانت ولادته بعاصمة جده مولاي إسماعيل بمكناسة الزيتون سنة أربع وثلاثين ومئة وألف ، وأمه كما قال الضعيف حرة ، ومن شيوخه عبد الله بن ادريس المنجرة ، والشرادي ، وحج قبل البلوغ مع جدته السيدة خناثة المغفرية سنة ثلاث وأربعين ومئة وألف ، كما في ص 4 من ملزمة 28 من ج 2 من (نشر المثاني) .

صفته وحاله

قال عصريه الضعيف : أسمر اللون ، تام القد ، أقنى الانف للتمام ، شعر لحيته عريض ، واسع المنكبين ، شثن الكفين ، سميح الوجه ، كريم اللقاء ، شديد الصفح ، حسن العفو ، فصيحاً بليغا ، أديبا حليماً ، متواضعا شفيقاً ، كريما جواداً ، عالما بالفقه والسنة والحلال والحرام ، وفصل الاحكام. انتهى لفظه .

وقال نجله عبد السلام في كتابه (اقتطاف الازهار ، من حدائق الافكار) ، وهو يعني والده المترجم : في العلم لا يقعقع له بسنان، ولا يجاري في ذلك بعنان .

وقال صاحب (نشر المثاني) في حقه ص 7 من ملزمة 34 ج 2 : وهو نصره الله وأيده في العلم بحر لا يجارى ، وفي التحقيق والمعارف لا يمارى ، وقد جمع من دراية العلم ما تقف العلماء دونه ، وتود زواهر الافق أن تكونه ، فكملت بذلك منة الله على العباد ، وأحيى به الله الدين في كل الارض والبلاد ، مع فرط الكرم والجود ، الذي ورثه من أصله الطاهر عن آبائه والجدود ، وقال فهو أدام الله نصره سلطان العلماء وعالم السلاطين ، انتهى .

وقال الزياني، وذكره في (الاستقصا) ص II4، ثم ص I20 ج 4 : عالي الهمة ، يحب الفخر ويركب سنامه ، يعطي عطاء من لا يخشى الفقر ، يضع المسائل في محلها ويعرف مناصب الرجال ويؤدي حقوقهم ، ويتجاوز عن هفواتهم، ويراعي لأهل السوابق سوابقهم ويتفقد أحوال خدامه في الصحة والمرض ، ولا يغفل عمن عرفه قبل الملك ، متواضع شاكر لنعم الله عليه ، كلما ورد عليه فتح أو خبر يسر المسلمين سجد شكرا لله في وسط مشوره أمام الخاصة والعامة ، ينتخب الرجال ويعدهم ليوم ما ، وينادي كل واحد باسمه وقت اللقاء ، ويوجه كل بطل منهم مع قبيلة وكتيبة من كتائب العسكر ، ويعمل بعمل أهل السياسة في الحروب ، وكان ينشد كثيراً اذا وجه أحدا ممن يعرف نجدته وشجاعته :

والناس ألف منهم كواحـــــد وواحد كالألف ان أمر عنـــــى

وقال في حقه عبد السلام ابن الخياط القادري ما نصه: الامام الموهوب لهذه الأمة على رأس المئة مجددا دينها كما ورد ذلك مرفوعا ، وقال : كـان اماماً من علماء الاسلام ، له تصانيف تقرأ بالمشرق والمغرب ، وقال : وبالجملة فقد نظر في المصالح وقام بها قياما لم يقم به أحد من أهل عصره من ملوك الاسلام ، ولم يسبقْ إليه غيره غير الخلفاء الراشدين ، وفي (الجيش) وغيره ، انه كان يتخلق كثيرا بأخلاق المنصور الذهبي السعدي ، ويعجبه حاله وأخباره ويتحلى بسيرته ويستحسنها ، ويتبعها أكلا وشربةً ولباساً ، وترتيبَ دولة

وضبط أوقات ، فكانت أوقاته لا تتخلف ولا تتداخل أشغالها ، وعوائده مقررة لا تختلف ، تأسى به في مشوره وسائـر حركاته وسكناته ، ويصرح بأنـه أستاذه وقدوته في شأنه كله ، انتهى .

وقال الزياني في (الترجمان المعرب) وفي (الروضة السليمانية) لما ذكـر خروجه لزيارة صلحاء أغمات في فصل الربيع ، وذكره فـي (الاستقصا) ص 114 ج 4 ثم ص 120 منه : وكانت حركة نزهة وراحة وصيد أقام بها نحو الشهرين ، يتقلب في تلك البسائط ، وينزل في منازل المنصور رحمه الله ويقول : هذه منازل المنصور فهو أستاذنا ومقتدانا ، ثم ذكر أنه لما نزل تحت أغمات ، أتاه قاضيه بكبش وعسل ، فوجهه لقاضي العسكر عبد الرحمان بن الكامل وأمره أن ينزل عند القاضي بكبشه وعسله ، ولما ارتحل على وادي نفيس وجه على قاضي العسكر والكتاب ، وكان معه جملة وافرة من أهل الأدب والبلاغة والانشاء ، فلما أتوه قال للقاضي عبد الرحمان يداعبه : بما جزيت القاضي على كبشه وعسله ؟ فتلعثم وخجل ، فلما رأى منه ذلك قال له : لو جزيته بأبيات شعرية لخرجت من العهدة، ولهذا وجهت لكم، فقد سهرت ليلتي في أمرى وأمركم ، وهجوت نفسي وهجوتكم ، لانه لم يبق في وقتنا هذا أمير ولا وزير ولا كاتب ولا حاجب ، فقد وقع مثل هذا في دولة السلطان أحمد المنصور في زيارة أغمات على كبش وعسل ، وأمر الكاتب محمد بن المبارك بسرد ما وقع للمنصور من (مناهل الصفا) للفشتالي ، وما تنافس فيه الكتاب من النظم والنثر .

وفي (الاستقصا) وبالجملة ، فقد كان رحمه الله من عظماء الملوك .

وفي (سلوة الانفاس) ص 330 ج 3 أنه كان علامة دراكة ، فاضـلا محدثا ، تاريخيا كاملا ، محبا للعلماء ، مجالسا للفقهاء الى أن قال : وكان من أعظم الملوك مهابة وفخرا ، وأشدهم نكاية للعدو الكافر برا وبحرا ، تطيعـه ملوك بني الاصفر وتمتثل وتخضع له رقاب الاكاسرة وتجل ذكره ، انتهى .

وهو الذي أعاد للدولة شبابها ، وهيأة للحياة أسبابها ، ونهج لها نهجا جديدا ، وأسس لها بعد جده الأعظم اسماعيل ركناً شديداً ، ونشر بين الخافقين مجدها ، بعد ما كسر من شوكة العبيد حدها .

خلافته بمراكش

واستخلفه أبوه بمراكش سنة 1159 ، وهو ابن خمس وعشرين سنة، فكان ذلك أول انغراس شجرة الملك العلوي بمراكش ، واتخاذها كرسيا لهم ، فنزل قصبتها وليس بها يومئذ الا آثار السعديين والموحدين الخراب ، فضرب خيامه بها وشرع في حفر أساس داره بها ، وكان سفهاء الرحامنة وشرارهم قد ألفوا العيث والفساد في أطراف المدينة ، وكانوا يجتمعون بتلك القصبة ، فلما رأوا منه ذلك منعوه من البناء وأخرجوه عنها ، فتوجه لآسفي فاعترضته قبائل عبدة وأحمر ، فأكرموه وأحتفلوا بأمره وصحبوه الى أن نزل قصبة آسفي ، ففرح به أهلها ورفعوا اليه هداياهم ، وأهدى له كذلك تجار النصارى وأهل الذمة من اليهود ، وتنافسوا في ذلك ، وسرح للتجار وسق السلع من المرسى ، فوفدت اليه المراكب بأنواع سلعها من أوربا ، وقصدها التجار من كل جهة ، وطار صيت الخليفة في بلاد الحوز ، ودخل في طاعته الشياظمة وحاحة وتسابقوا الى خدمته ، فلم تمض عليه ستة أشهر حتى كان يركب في نحو الالف ، وقدم عليه أخوه الاكبر المولى أحمد خليفة الرباط لما أخرجه أهلها منها ، فنزل على أخيه المترجم ، ولما سمع الرحامنة بما صار اليه أمر الخليفة ، ندموا على ما فرط منهم وتوجه أعيانهم بالهدايا اليه بآسفي ، فاعتذروا اليه وتنصلوا ، ونسبوا ما صدر منهم في حقه الى السفهاء ، وأقسموا ألا يبرحوا أبوابه الا معه ولو أقاموا سنة ، فلم تسعه الا اجابتهم فتوجه معهم لمراكش في فرسان عبدة وأحمر ، زيادة على أصحابه وحاشيته ، فلما وصلها نزل قصبتها وقدم له أهل مراكش هداياهم ، وكذا قبائل الحوز ووفود الدير وسوس ، ونافست الرحامنة عبدة في خدمته ، وقصده عبيد دكالة الذين كانوا بسلا ، وتسلل اليه عبيد مكناسة فرادى وأزواجا ، فاستعملهم في بناء داره

الكبرى بالقصبة الى أن أكملها وسكنها ، ثم غرس بستانا عظيما متصلا بداره الكبرى على جهة الغرب ، سماه النيل ، وأسس قصر آخر متصلا بغربي هذا البستان سماه القصر الاخضر ، ويسمى أيضاً المنصور ، وجعل لهذا البستان أربعة أبواب في زواياه الاربع ، كذا قيل والموجود الآن ثلاثة أبواب فقط ، وجعل له بابين آخرين أحدهما للدار الكبرى شرقا ، والآخر للقصر الاخضر غربا ، وجعل في وسط هذا البستان قبة منتخبة ، يتصل بها من جهاتها الاربع مماش تمضي الى قباب أخرى منتخبة أيضا ، وطول هذا البستان ينيف على مئتي خطوة تقريباً ، وعرضه قريب من ذلك . وهذا القدر هو مساحة ما بين القصرين ، أعني الدار الكبرى والقصر الاخضر .

وفي سنة 1162 بايعه عبيد مكناسة ، وخطبوا به بمكناسة وزرهون ، وبعثوا اليه بيعتهم الى مراكش مع جماعة من أعيانهم ، فرد بيعتهم ، وعاتبهم على ما ارتكبوه في حق والده اذكان بارا به ، ساعيا في مرضاته ، وبعث اليه بهدية تقدر بثلاثين ألف مثقال ، ورجع وفد العبيد خائباً ، ومع ذلك استمروا على الخطبة به .

وفي أواخر جمادى الاولى من سنة 1163 ، توجه المترجم الخليفة من مراكش الى مكناس ، فوجد العبيد لا يزالون يخطبون به ، فعاتبهم ، وأنكر صنيعهم وتبرأ منهم فتركوا الخطبة وجددوا البيعة لوالده ، ولما تم له ما أراد من مراجعتهم طاعة أبيه ، ارتحل من مكناسة في جيشه الذي قدم به من مراكش ، واستصحب جماعة من أعيان العبيد وقدم على والده بدار الدبيغ ، فسلم وأهدى وتشفع للعبيد عنده ، فقبل شفاعته وأمره الا يبيت هناك ، فامتثل أمره وتوجه لمراكش من حينه ، وقد رتق ما انفتق .

ثم ان العبيد عادوا لما كانوا عليه مع المولى عبد الله ، وقدموا على ابنه المترجم في ذي القعدة سنة 1164 لمراكش ، وراودوه على قبول بيعتهم فلم يقبل ، وطيب نفوسهم بمنحة وكتب لهم كتابا لابيه يستعطفه لهم ، وانقلبوا

من عنده مسرورين ، فلما قدموا على أبيه سامحهم وأعطاهم ، وتمّ الصلحُ بينه وبينهم ، وفي نفس السنة وجه المترجم لأبيه بهدية فأثنى عليه ودعا له بخير ، وفي سنة 1169 توجه لتمهيد سوس ، فدوخها وجبى أموالها وولى عليها وقرر الحامية بردانة

وفي سنة 1170 توجه للقبض على الطالب صالح المستولي على أگدير المستبد بمال مرساه ، فقبض عليه وسجنه ، ورتب الحامية بأگدير ، ورجع لمراكش منصورا فمكث فيه قليلا ، ثم خرج لاصلاح ما فسد من أمر قبائـل الشاوية ، فقتل منهم ووجه المقبوضين بالسلاسل لمراكش ، ثم توجه للرباط فأضافه أهلها وأهدوا له ، وأغلق عبد الحق فنيش صاحب سلا أبواب المدينة في وجهه ، فقطع الوادي وتنكب سلا وسار الى القصر فتطوان ، وأشرف على سبتة ثم ذهب لطنجة فالعرائش فسلا حيث لقي من قائدها ثانيا ما لقي أولا ، ثم رجع لمراكش .

بيعتـه

وبعد وفاة والده رحمه الله بُويع له البيعة العامة بفاس، إثر الفراغ من دفن والده يوم الاثنين خامس وعشري صفر عام واحد وسبعين ومئة وألف ، باتفاق أهل الحل والعقد ، وكان يومئذ ابن ثمان وثلاثين سنة ، والى سنـة ولايته وبيعته ، أشار القاضي أبو عبد الله الهواري بقوله :

وبايع أهل الغرب في عام واحـــد وسبعين مولانا الامام محمـــدا

قال نجله المولى عبد السلام فـي كتابه (درة السلوك ، وريحانـة العلماء والملوك) : وحضر بيعته جماعة من أعيان العلماء ، مثل قاضي الجماعة بمكناس السيد أبو القاسم (1) العميري، وقاضي الجماعة بفاس السيد عبد القادر

---

1) في الأصل : سعيد العميرى ، والصواب أبو القاسم ابنه ، اذ كان الأول توفي قبـل ذلك (مؤلف) .

بوخريص ، وشيخ الجماعة السية محمد جسوس ، والامام المحقق صاحب المعقول والمنقول شيخنا سيدي عمر الفاسي ، وابن عمه السيد أبي مدين الفاسي ، وهو الذي تولى كتابة البيعة بيده ، وأمام مسجد الشرفاء الاستاذ مولاي عبد الرحمان المنجرة ، وشيخنا العلامة السيد التاودي ابن سودة ، وإمام المسجد الجامع الكبير بفاس الجديد السيد عبد الله السوسي ، والامام المحدث سيدي ادريس العراقي ، وغيرهم ممن لا يحصون كثرة . صح منه مباشرة .

ومن الغد الذى هو يوم الثلاثاء خرج الوفد الفاسي متأبطاً للبيعة المحمدية ، ووجهته عاصمة الجنوب حيث المترجم ، ينتظم ذلك الوفد من أعيان الأشراف والعلماء ، ووجهاء أهل البلد ورؤوس القبائل والأجناد ، وصار إلى أن لحق بالمترجم بنواحي مراكش يؤم الناحية الغربية ، فأكرم مثواه ونزله وغمره في بحار انعاماته الضافية .

وبعد انتهاء أيام الضيافة انقلب الى وطنه مبتهجاً،وبطيب الثناء لاهجا،وبويع له بمراكش بجامع الكتبين،قال الضعيف:تحت شجرة أرنج بصحن المسجد،بمحضر الاشراف والعلماء والاعيان،وقواد الجند وأبطال القبائل،وبعد انتهاء البيعة تهافت الجميع على تقبيل راحتيه ، وتقديم مراسم التعزية في والده والتهنئة بالسلطة فقابل الجميع بصدر رحب ، وواسى الضعفاء والمساكين ، ووصل الاشراف والعلماء وبذل في ذلك أموالا طائلة ، ثم صارت وفود القبائل الحوزية والديرية والسوسية تفد ببيعاتها على جلالته ، وتقدم الهدايا اللائقة بسدته ، واقتفى اثرهم على ذلك أهل الثغور والجبال ، والقرى والامصار ، ولم يتخلف أحد من أهل المغرب الاقصى عن تقديم الطاعة لجلالته ، ولا نازع فيها وهو يستقبل كلا بما يليق بمقامه ، ويهش ويبش ويحسن ويتبرع .

محبته للعلم واعتناؤه بأهله

لقد كان له رحمه الله اعتناء زائد زمن خلافته بمطالعة كتب الادب والتاريخ ، والسياسة وأحوال العرب وأيامها ، ووقائعها وأنسابها حتى فاق في ذلك معاصريه ، وصار المرجوع اليه فيه .

قال الزياني وغيره ممن عاصره وخالطه : كان يستحضر كل مـا يطالعه ، حتى كاد أن يحفظ كتاب الاغاني برمته ، لا يعزب عنه منه الا النادر .

ولما نال الخلافة العظمى عن جدارة واستحقاق ، أكب على مطالعة كتب السنة وولع بسرد كتب السيرة والحديث ، وصار لا شغل له بغيرها فـي أوقات فراغه من الاحكام وتدبير أمور الرعية ، فحصلت له بذلك ملكة في السنة وأحكامها لم يلحقه فيها غيره ، وجلب من المشرق ما لم يكن بالمغرب مـن مصنفاتها ذات البال ، كمسند الامام أحمد ومسندي أبي حنيفة والشافعي ، وغير ذلك من مهم المتون والشروح ، وأمر علماء وقته بشرح مؤلف الصغاني الحديثي ، فكان ممن شرحه الشيخ التاودي ابن سودة .

وكان يجلس بعد صلاة الجمعة بمقصورة الجامع بمراكش مع فقهاء مراكش ، ومن يحضر عنده من علماء المغرب الوافدين عليه يجالسهم اكراما لهم وتنويها بقدرهم ، ويذاكرهم في الحديث وفقهه ، والآداب وأيام العرب ، وكانت له اليد الطولى في جميع ذلك ، وكان يحصل له النشاط التام بالمذاكرة معهم في العلوم ، وكثيرا ما يقول لهم على سبيل التأسف : والله لقد ضيعنا أعمارنا في البطالة واللهو في حالة الشبيبة، ورتب أوقاتاً لسرد الأحاديث النبوية والتفهم في معانيها مع قادة علماء وقته ، وضبطها ضبطا محكما لا يكاد يتخلف وقت منها ، وانتقى جماعة من أعيان فحول علماء دولته لسمره ومجالسته ، فكان يملي عليهم الحديث النبوي ، ويؤلفونه على مقتضى ما يشير عليهم به ، منهـم : العلامة الحجة محمد بـن أحمد الغربي الرباطي ، ومحمد بـن المير السلوي ، ومحمد الكامل الراشدي ، وعبد الرحمان بن عبد القادر بوخريص ، والتهامي بن عمرو الرباطي ، وعبد الرحمان المنجرة ، ومحمد بن عبد الصادق، وعلي بن أويس الفيلالي ، وعبد السلام بن بوعزة حركات السلوي ، هؤلاء هم المخصوصون من أهل مجلسه بالتأليف والدراسة والخوض في جمع ما يملي عليهم ، ويأمر بتدوينه طبق ما يريد .

وجلب المحدثين مـن فاس ومكناس لمراكش ، كالعلامـة الشريف مولاي عبد الله المنجرة أخ مولاي عبد الرحمان ، والفقيه الاديب محمد بـن الشاهد ، نقلهما اليها من فاس ، وأحمد بن عثمان مار الترجمة ، نقله اليها من مكناس ، والسيد محمد بن عبد الرحمان الشريف نقله اليها من تادلة ، والطاهر السلوي ، والشيخ الطاهر بـن عبد السلام ، فرقهم عـلى مساجد مراكش لتدريس العلم ونشره بين العباد ، ثم يحضرون مجالسه بعد صلاة الجمعة للمذاكرة في الحديث والتفهم في معناه ، وكان له اعتناء خاص بمولاي عبد الله المنجرة ، وأخيه مولاي عبد الرحمان .

قال عبد السلام نجل صاحب الترجمة في مؤلفه (اقتطاف الازهار ، من حدائق الافكار) : وكان والدي نصره الله وأدام لنا للمسلمين علاه ، حريصا على تعليم أولاده ، تابعا في ذلك سنة آبائه وأجداده ، يجلب العلماء لحضرته السعيدة المباركة الحميدة ، ويحث على تعليم العلم في سائر القرى والمدن ، ويكرم الاعلام وهو نصره الله مشارك في جميع الفنون العظام ، قد وسع أهل العلم انعاما واحسانا وعطاء وامتنانا ، يعلي مجالسهم ويستخرج نفائسهم ، ويكثر جوائزهم ويقضي حوائجهم ، وله مع الفقهاء مذاكرات ومحادثات فـي سائر الايام وممر الدهور والاعوام ، فيلقي عليهم من المسائل المشكلات في الحديث والسير والاخبار ، وضروب من الفنون العربية ، ونكت من المقطعات الادبية ، فلا يهتدون اليها الا بعد الاطلاع ، وسواء في ذلك ذو العارضة أو قصير الباع ، انتهى .

وحبّس خـزانة كتب جـده السلطان الاعظم اسماعيـل التي كانت بدويرة الكتب الشهيرة بمكناس ، وفرقها على جميع مساجد المغرب ، وكانت تزيد على الاثني عشر ألف مجلد ، رجاء نفع عموم الناس ، وسعياً وراء نشر العلم وتحصيله .

ومن ذيول هذا الباب ما أصدره لأبي مدين الفاسي في إسناد أمـر زاويتهم الفاسية اليه ، مع الخطبة والامامة بالقرويين ، ونص ذلك بعد البسملة والصـلاة :

عن أمر عبد الله ، الغالب بالله ، المعتمد على الله ، الناصر لدين الله ، المفوض جميع أموره الى مولاه في سره ونجواه ، أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين .

ثم الطابع بداخله محمد بن عبد الله بن اسماعيل ، الله وليه ومولاه ، وبدائرته ومن تكن الى آخره .

أيد الله أمره وسلطانه ، وقوى على حزب الشرك أنصاره وأعوانه ، وأسس على قواعد التقوى زواياه وأركانه ، وحرس بعينه التي لا تنام إيالته وأوطانه ، وأسعد عصره وأوانه .

يستقر هذا الظهير الكريم ، المبارك الجسيم ، والخطاب الحتم الصميم ، المتلقّى بالاجلال والتعظيم ، المحفوف باليُمن والاقبال ، ذلك قولا من رب رحيم ، الحافظ نظام العز الشامخ البناء ، واللاحظ المعتمد عليه بعين القبول والاعتناء ، والمجدد مراسم الاعتلاء ، لفضلاء الأبناء ، المتوارث عن أجلة الآباء .

أصدره أيده الله تكميلا للمقاصد ، وإجزالا لعارفة النعم الحميدة المصادر والموارد ، وتنويهاً بما ثبت واستمرّ من الصنع الذي انتشر نشره وفاح عطره في المحافل والمشاهد ، بيد حامله الفقيه العلامة ، الشهير بالديانة والاستقامة ، وارث سر أسلافه ، ومَن يكاد العلم والعمل ينبعان من أغصانه وأعطافه ، حتى صار الهدى والرشاد من ذاتياته وأوصافه ، محبنا في الله وخلاصتنا من أجله، سيدي أبي مدين ، بن العالم الأكبر، والعلم الأشهر، سيدي أحمد ، ابن العالم الناسك، الواعظ المشارك، النور الشارق، الذائع سر فضله في المغارب والمشارق ، سيدي محمد ، بن امام العلماء والزهاد ، ورئيس النقباء والأصفياء والأوتاد ، وجودي الاقتداء ومنار الاهتداء في الحياة والمعاد ، مَن تارجت بعلمه وتتوجت بدقيق فهمه بطون الدفاتر ، وذري المنابر ، ومتن الكراسي ، صاحب البركات ، وذو الكرامات ، سيدي عبد القادر الفاسي ، رحم الله أشباحهم ، وأبّد في الفردوس والنعيم نفوسهم الكريمة وأرواحهم ، آمين .

يتعرف منه بحول الله وقوته ، وشامل يمنه وبركته ، وجميل مواهبه اللدنية ونصرته، أنا جددنا له ولبنيه، وأهله وذويه، حكمَ ما بأيديهم من الظهائر السلطانية ، والأوامر الأمامية ، الصادرة عن أسلافنا الكرام ، الموالى العظام ، الذين اختارهم الله لرعاية الانام ، سقى الله ثراهم بوابل المغفرة والانعام ، المعربة عما ثبت لهم من الأثرة والمبرة ، والرتبة السامية المستمرة ، التي تقيهم ضروب الضيْم والمضرة ، وتعرفهم في أحوالهم كلها عوارف المسرة ، وترقيهم من ساحة التبجيل والتعظيم مكانا عالياً ،وتدني لهم في حدائق التنويه والتكريم من جنا الرعْي والتنزيه زهرا جنياً ، وتقف دون حوزتهم وقوف الذائد ، وتُعلم بما خلعنا عليهم بزته، وأقعدناهم منصته، كما يعلم بالخصب الرائد، وتستدل عليهم من أردية الاجلال والافتخار جلبابا ، وتضرب عليهم من مهابة العلم والنسك سرداقاً وقباباً ، وتفتح لهم من الاقبال والتأييد والامداد حجباً وأبواباً ، مبرة يثبت دوامهــا ، ويؤمن انقراضهــا وانصرامها ، وتمضي بعــون الله عزائمها واهتمامها ، وتستقر أوامرها وأحكامها ، حسبما استمرت بذلك عوائدهــم الجميلة ، وسيرتهم المحمودة الجليلة .

وزاويتهم الجديرة بالتعظيم والايثار ، والمشهورة بالاعتصام لمــن آوى إليها والانتصار محفوظة الأنحاء ، ملحوظة الأرجاء ، مؤمن نزيلها ، مكلوء رعيلها ، لا تطرق أيدي الطارقين جنابها ، ولا ينال عدوانهم أبوابها ولا أعتابها، لأن المدينة الادريسية حاطها الله ، وان فاخرت المدن بالايمة والعلماء والصلحاء سكانها ، حين قيل فيها : يكاد العلم ينبع من حيطانها ، فان نسبة تلك الزاوية المباركة منها وعندها ، كنسبة الانسان من العين ، دون خلاف في ذلك بين اثنين، ولا ريب ولا ميْن، مع ما لها في جانبنا الكريم من الود الصميم والاخلاص، اللذيْن أديا إلى غاية مراتب الحظوة والاختصاص ، وصيرها دارنا وعرارنا ، أجزل الله لديها مورد النعمة ، وأبقى عليها لَبوس الايثار والحرمــة ، وأدام عمارتها بالاسرار المودعة في خلفها الصالح والمكارم الجمة ، وإن كانت دعوة الشيخ سيدي عبد الرحمان المجذوب نفع الله به كفيلة بذلك ما دامت الامة .

والمسند إليه أمرها والنظر فيها وفي مصالحها ومنافعها ، والراصد لسموت ارتفاعها وأوقافها ورباعها وأحزابها ،والمولى الامامة والتدريس بها ، والمتكلم في المؤذنين بمنارها ، والمحترمين بروض معطارها ، هو سيدي أبو مدين المذكور ، وإليه المرجع في الأمور ، لأن رجاها بقطب أسراره تدور ، ومنهلها العذب السلسبيل من عنصره يفور .

بيد أن كل من استجار بزاويتهم ، واستظل بظل عنايتهم ، ينهي إلينا خبره ، فيحمد إن شاء الله ورده وصدره ، ولا يكون واسطة بيننا وبينه ، ولا كلام لأحد من وال أو عامل أو قريب أو بعيد فيها دونه ، لأن مكانته الفضلى، ما زالت صحف آيها توحَى وتُتلا ، وتجدد معالمها ولا تَبلَى ، مثل ما كانت حظوته الشهيرة عند سيدنا الوالد ، ومولانا الجد ، المقدسين المنعمين ، وأرفع وأعلا .

كما جددنا له أيضاً على الخطابة بمنبر القرويين والامامة بها عمرها الله بدوام ذكره ، وعلى جميع ما بيده ويد إخوانه من الأوقاف الماضية ، والصدقات الجارية ، إعانة لهم عما هم بصدده من تدريس العلم وبثه ونشره ، وتحصيل ثوابه وأجره ، بحيث إن مَن حام حول ساحتهم ، أو رام جانب مساحتهم ، تلزمه العقوبة ، ولا يقبل منه عذر ولا متوبة .

وحسب الواقف عليه من الولاة والخدام ، أن يبادر بالامتثال لما أنفذته الأوامرُ والأحكام ، ويقف عند ما تضمنه الطرس وسطرته الاقلام ، والسلام .

وفي العشرين من جمادى الثانية عام واحد وسبعين ومئة وألف .

اختياراته المذهبية

وما رأى من المصلحة حمل القضاة والمدرسين عليه

ونظَّم العدلية الشريفة بايالته وأصدر في ذلك أولا منشورا إليك نصه بعد الحمدلة والصلاة على رسول الله :

هذا ظهير كريم ، يجب أن يتلقى بالتبجيل والتعظيم ، صدر به أمرنا المطاع ، يعلم منه أننا نأمر سائر القضاة بسائر ايالتنا أن يكتبوا الأحكام التي يوقعونها بين الناس في كل قضية ، ولا يهملوا كتابة الحكم في شيء من القضايا ، وليكن المكتوبُ رسميْن ، يأخذ المحكوم له رسماً يبقى بيده حجة على خصمه إذا قام عليه يوماً ، ويأخذ المحكومُ عليه رسماً ليعلم أن القاضي حكم عليه بالمشهور .

وعلى كل قاض من القضاة أن يعمل بموجب ما ذكرناه ، ويقف عند ما رسمناه ، لكونه حكماً شرعياً ، ومنهاجاً بين قضاة العدل مرعياً ، ومَن خرج عما ذكرناه بأن حكم ولم يكتب حكمه ولم يشهد عليه العدول ، فهو عندنا معزول ، وتنالُه منا العقوبةُ التامة .

ونأمر الواقف عليه من عمالنا وولاة أمرنا أن يقفوا في هذا الأمر حتى يجري عليه عملُ القضاة ، ولا يهملوه إلا في المحقرات التافهة المقالات .

ثم أتبعه بما نصه :

بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

مسائل المذهب باعتبار الحكم فيها وفاقا وخلافةً على خمسة أقسام :
الأول ما هو متفق على اثبات الحكم فيه ، الثاني ما أثبت الحكم فيه الأكثر كالثلثيْن ، ونفاه الأقلُ كالثلث ، وهو المعروف عند الفقهاء بالمشهور والراجح ، الثالث ما اختُلِف فيه على قوليْن متساوييْن إثباتا ونفياً ، الرابع ما أثبت الحكم فيه الاقلُ كالثلث ونفاه الأكثرُ وهو المسمى عند الفقهاء بالمرجوح وبمقابل الراجح والمشهور ، الخامس هو ما أثبت الحكمَ فيه رجلٌ أو رجلان ونفاه الباقي وهو المسمى بالشاذ .

فالأقسام الأربعة ما عدا الأخيرة نعمل بها كلها في عبادتنا ، والقسم الخامس وهو الشاذ لا نعمل به فيها ، وأما غير العبادات مما يتعلق به حقوق

العباد كالنكاح والطلاق والعتق والمعاملات الجارية بين الناس ، فالعمل عندي فيها بالأقسام الثلاثة ، وهي المتفق عليه والمشهور ، وما تساوى فيه الطرفان ، وأما القسمان الباقيان وهما مقابل المشهور والشاذ فلا أعمل بهما في حقوق العباد خوفاً من المحذور ، بخلاف العبادة ، فأعمل فيها بمقابل المشهور دون الشاذ ، لأن العبادة بيني وبين ربي ، ودين الله يسر ، كما قال تعالى : « وما جعل عليكم في الدين من حرج » ، وقال صلى الله عليه وسلم : « من غصب شبراً من الأرض طوقه من سبعين أرضين يوم القيامة » .

والرجال الذين ذكرت يعتبر اتفاقهم واختلافهم،فانما أعني بهم أصحاب الامام مالك الذين حملوا عنه مذهبه كابن القاسم ، وأشهب ، وابن نافع ، وابن وهب ، ومطرف ، وابن الماجشون وغيرهم ممن أدرك الامام مالكاً ، وكذلك الذين جاءوا بعده ولم يدركوه فأخذوا عن أصحابه كسحنون ، وابنه محمد ، وأصبغ ، وابن المواز ، وابن حبيب ، وابن عبدوس ، والقاضي اسماعيل ، وغيرهم ، وكذلك الذين جاءوا بعد هؤلاء كالأبهري ، وابن أبي زيد ، والقابسي، وابن القصار ، والقاضي عبد الوهاب ، وأضرابهم ، ثم تلامذتهم كأبي بكر بن عبد الرحمان ، وأبي عمران الفاسي ، وابن يونس ، وابن شعبان ، ثم اللخمي ، والمازري ، وابن رشد ، وابن العربي ، وسند ، وعياض ، وأمثالهم ، ولست أعني الأجهوري وأصحابه ، ، وكل فتوى أفتي بها الأجهوريون فان وافقت قولَ العلماء الأقدمين الذين تقدم ذكرهم فنعمل بها ، وإن لم توافقهم فلا نعمل بها ، وننبذها وراء ظهورنا ، فيجب على القاضي أن يحكم في حقوق الناس بالمتفق عليه ، ثم بقول الأكثر وهو المشهور ، ثم بأحد القوليْن المتساوييْن بعد أن يجتهد في القول الذى يحكم به منهما خشية أن يضيعَ حقُّ المساكين ويميل إلى قوي ، فكلُّ مَن ثبت له حق من المساكين بأحد القولين المتساويين فليثبتْه له بذلك القول ، وليلغ القول الّذي يبطل به حق المسكين ، فاذا حكم القاضي بما ذكرنا كان قد استبرأ لدينه وعرضه ، وأين القضاة الذين كانوا يحكمون بما ذكرنا ولا يهملون حق المساكين ؟ وانما نظر القضاة اليوم إلى صاحب المال لماله ، وصاحب الجاه لجاهه ، فيحكمون لهم ويغلبونهم على المساكين بالقول الشاذ والعياذ بالله .

وأما أنا فكل قضية وصلت إلينا فاننا ننظر في الحكم الذي حكم به لقاضي ، فان وجدناه حكم بالمتفق عليه فعلى بركة الله ، وإن وجدناه حكم بأحد القوليْن المتساويين وأثبت حقَّ المسكين وألغى الطرف الآخر فكذلك ، وإن وجدناه حكم بالقول الآخر الذي يلغي فيه حقَّ المسكين فلا يلومنَّ إلا نفسه ، وكذلك إذا حكم بالقول الشاذ ، فانه يجب على السلطان نزعه وعقوبته.

ثم أتبع ذلك أيضاً بما نصه :

بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

اِعلمْ أن هاهنا فوائد لابد منها ، ومسائل لا يستغنى عنها ، تشتمل على سبعة فصول :

الفصل الأول : أن المرأة لا توكل زوجها لاستخراج حقوقها ، وانما تُوكل قريباً من أقاربها أو أجنبياً ، وما يقبضه لها من حقوقها يدفع بيدها وتبرئه منه ولا يدفعه لزوجها ، فان دفعه له فلا براءةَ له منه إلا أن يكون زوجها ابن عمها وأحبت أن توكله فلا بأس .

الفصل الثاني : ينادى في أسواق البلد بالبراح أن لا يعامل أحد معدماً بفلس أو غيره ، وإنما يعامل مَن له دار أو جنان أو غيرهما من الأملاك فيعامل بقدر ما تساويه أملاكه ، فان عامل أحد معدماً لا دار له ولا جنان ، فقد أتلف ماله ولا يسجن ولا يحكم عليه ، ومن عنده الأملاك فانما يعامل بعد البحث عنه خشية أن يكون عليه دين آخر .

الفصل الثالث : أن من انقرض فيه دين خفيف كمئة مثقال فما دونها، وكانت له صنعة مثل تنجارت وتخرازت (1) أو غيرهما فليجعلْ له القاضي مسألة ، وهو أن يعطي من أجرته لرب الدين نصفها ويعيش بنصفها ، فان قبل فذاك ، وإن لم يقبلْ يُنفَى من البلد ، فان عاد إليها خُلد في السجن .

1) مصدران بربريا الصيغة ، معناهما النجارة والخرازة

الفصل الرابع : إن المال المنقرض إذا كان كثيراً نحو ثلاثة آلاف مثقال فأكثر ، وكان الشخص المقروض فيه المال مفلساً ليس عنده ما يدفع في الدين فانه يُنفى من البلد ، فان عاد اليها خلد في السّجن ، وهذه المسألة وان كانت بدعة فقد رأيناها مستحسنة ، ولذلك امرنا بها ، إذ ربما يكون الرجل عنده أموال الناس ويظهر العدم ويأكلها في داره ، والجلاء أمرٌ عليه من السجن، فان كان أخفى مالا فانه يخرجه ، وان لم يكن عنده صبر على الجلاء .

الفصل الخامس : إذا تخاصم رجل مع زوجته فلا يسجنه القاضي لها إن لم يكن ضربها ، فان ضربها بحث القاضي عن سبب ضربه لها ، فان كان على ترك الصلاة أو على اتلاف ماله فيصلح القاضي بينهما ، وإن كان على غير ذلك بأن كان ضربها ضرباً فاحشا أو بالحديد فليعزلها القاضي عن زوجها ويردها الى أهلها ، ولا ترجع إليه حتى يتوب ويأخذ بخاطرها ، وهذا الأمر الذي أمرت به من أن الزوج لا يسجنه القاضي فيه مصلحة عظيمة عامة نافعة للزوج وللزوجة ، وذلك ان الزوجة اذا رفعته الى القاضي وسجنه لها ، فان مال الزوج يضيع بذلك ، لأن القاضي يأكل منه طرفاً، وأعوان القاضي يأكلون منه طرفا ، والسجّان يأكلون طرفاً ، فهذا مال الزوج قد ضاع بين هؤلاء ، ومع ذلك الزوجة لا تتوصل بحقها .

الفصل السادس : إن مَن قبض رهناً من حلي أو جوهر أو غيرهما ، فليرفعه إلى القاضي ، ويقومه القاضي بحضور أرباب المعرفة حتى تعرف قيمته، وتكتب بالعدول ، بحيث إذا تلف ذلك الرهنُ فلا تقع بين المتراهنين خصومة ولا إنكار ، وأما اذا لم تعرف قيمة ذلك الرهن وبقي أمره مجهولا وتلف فانه يقع بينهما من النزاع والخصومات ما لا يكيف ، ويوجب القاضي اليمينَ على أحدهما ، وربما يحلف على شيء مجهول لم تعرف قيمته فيهلك .

الفصل السابع :اذا أراد الرجل شراء ملك أو دار أو جنان أو أرض حرث أو غيرها فلابد أن يأتي الى قاضي البلد ويعلمه أنه أراد شراء دار في

الحومة الفلانية أو جنان بالموضع الفلاني أو فدان بالموضع الفلاني ، ويقول الذي أراد الشراء : اني أشاورك في هذه الدار مثلا أو غيرها ، فان أنت وافقتني اشتريت ذلك، وان لم توافقني تركت ذلك، فيتعيَّن على القاضي حينئذ أن يبحث أشد البحث في ذلك ، ويأمر باحضار ربِّ الدار أو غيرها بين يديه ، ويسأله بأي وجه دخل بيده هذا الملك الذي أراد بيعه ؟ هل بارث ؟ أم بشراء ؟ أم بهبة ؟ أم بغير ذلك ؟ ويأمره باحضار الرسوم ويتأملها حتى تأملها ، فان وجدها موافقة للشرع ولا نزاع لأحد في الملك المذكور لا من جهة شفعة ولا استحقاق ولا ملك غير ، فحينئذ يوافق مشتريَه على الشراء ، وإن وجد غير ذلك أخره عن الشراء ، ويقول له : هذا فيه شبهة لا يحلُّ لي أن أوافقك على شرائه ، وهذا الأمر المذكور لا يباشره الا القاضي بنفسه ، ولا مدخلَ للعدول في ذلك لا بكتابة ولا بغيرها ، وان أشكل على القاضي الأمرُ في صحة ملكية ذلك البائع وتوقف، فلينادِ أهل الحومة (العارفين) بذلك الملك ويسألهم عن سبب ملكية البائع لذلك الملك الذي أراد بيعه ، فان كان جنانا فلينادِ على جيرانه في الجنان ، وان كانت داراً فلينادِ على جيرانه من الدار ، وما شهد به الجيران المذكورون يثبته القاضي ولا يبقى في ذلك كلام ، فعند ذلك ينادي القاضي على الرجل المذكور الذي أراد الشراء ، فليحضر المال بين يدي القاضي ويدفعه للبائع ، ويشهد عليه بالبيع العدولُ ويثبت له القاضي رسمه ، فحينئذ يكون القاضي هو الذي تولى البيع بنفسه ، فيبقى ذلك الرسم صحيحاً مخلدا لذريته ولعقبه ، ولا يجد مَن ينازعه فيه أبداً ، وإن وقع بعد ذلك قيام غائب أو وارث فدرك ذلك على القاضي لأنه هو الذي تولى البيعَ بنفسه ، وعلى هذا يكون عمل القضاة في سائر بلدان المغرب .

نطلب الله الهداية لنا ولكم ولسائر المسلمين .

وقيدناه عن أمير المؤمنين مولانا محمد ابن أمير المؤمنين مولانا عبد الله الشريف الحسني ،الله وليه ومولاه .

واعلم أن هذا الوقتَ وقتٌ صعب ، كثُر فيه الظلَمة المتمردون ، ومن جملتهم الذين يريدون أن يأكلوا أموال اليتامى ، يأتون الى رب الملك الذي

عنده فيه بعض الورثة أو بعض الحق للغير من شفعة مثلا أو غيرها ، فيأتي ذلك الظالم المتمرد ويشتري ذلك الملك الذي فيه النزاع ، ويتقوى على المسكين صاحب الحق بالمال والرشوة حتى ينزعه منه ويشهد له العدول ، والقاضي يعمل له خاطره ويضيع حقُّ ذلك المسكين ، وبعض القضاة يحكمون لذلك الظالم بالفتاوي الواهية التي لا عملَ عليها حتى يضيع حق ذلك المسكين .

مسألة أخرى : اذا حكم القاضي بحكم وكان ذلك الحكم مشهورا ، وذهب المستفتي ليأتي بحكم آخر مشهور فانه لا يعمل به ولا يحكم إلا بالحكم الأول إذا كان ، وإذا أتى المستفتي لصاحب الفتوى وقد كان حكم عليه القاضي بحكم مشهور فليطرده ولا يفتي له ، ويقول له إن القاضي قد حكم عليك بحكم مشهور فلا نفتي لك بفتوى ، وإن أفتى له بقول آخر مشهور فتلزمه منا العقوبةُ التي تأتي على نفسه ، لان المفتي يريد أن يعينه بفتواه على الخصام وأكل أموال الناس ، وإذا كان القاضي قد حكم عليه بقول ضعيف وكان في المسألة قول آخر مشهور أصح مما حكم به القاضي فليفت له ، ويتعين حينئذ على القاضي أن يحكم بذلك القول المشهور الذي أفتى به صاحب الفتيا ، واذا تمادى القاضي على حكمه الواهي ولم يعمل بالقول المشهور الذي كتب به المفتي فواجب على السلطان نزعه ، وينقض ذلك الحكم الأول ، لأن الحقَّ أحقُّ أن يُتَّبَع .

انظر قضية السيد سلمان الفارسي مع سيدي أبي الدرداء رضي الله عنهما في المسانيد إن كنت من أهل الحديث وطالعْها .

ثم أتبعه بما نصه :

بسم الله الرحمان الرحيم   وصلى الله على سيدنا محمد وآله

اعلم أنه مما ينبغي الاسراع إليه ، وتنبيه قضاة الوقت عليه ، أن كل من أراد أن يشتري دابة أو أمة أو عبدا فانه لا يعقد الشراء مع المالك الذي أراد البيع الا بعد التقليب الشافي والاختبار الكافي ، فان لم يكفهِ التقليب في

اليوم الاول زاد اليوم الثاني ، والا زاده اليوم الثالث ، فان خلصه في اليوم الثالث وحاز المشتري مشتراه والبائعُ ثمنَه ، فلا رجوعَ للمشتري على البائع بشيء يجده في مشتراه وان كان سبب موته وهلك في يده ، لأنه كان قلب ورضيَ وحاز وتصرف .

وقد أمرنا بهذا الأمر لما ظهر لنا فيه من المصلحة ورفع النزاع ، ولا سيما وبياطرة الوقت قد قلّتْ أمانةُ الغالب منهم ، فيستخرجون عيوباً ليست موجودة في الدابة ، فنأمر جميع القضاة وغيرهم من الولاة في سائر إيالتنا السعيدة أن يعملوا بأمرنا هذا ويقفوا عنده ، وأن لا يتجاوزوا حده ، والقاضي لا يثبت رسماً يتضمن ما أقام به المشتري من العيوب المذكورة ، وإنما يثبت رسم الاستحقاق ، يعني إن سرقت دابة أو ذهبت، ولا يقبل القاضي شهادة أجنبي إلا اذا كان من جيرانه ان كان من أهل الحضر ، ومن جيرانه ان كان من أهل البادية ، لأن الأجنبي لا علم له بالدابة ، وان شهد شهد زوراً وجيرانه تكون عندهم معرفة الدابة متحققة ، لأن مرورهم عليها في الصباح والمساء .

ومسألة فصال القضاء على الدواب مسألة صعبة كثيراً ، وأنا أبينها وأبدأ بالفرس لأنه أشرف الدواب ، فان كان الفرس من عتاق الخيل ، فان أهل ربعه (1) النازلين معه كلهم يعرفون الفرس معرفة شافية لحسنه وجودته ، فاذا سرق الفرس المذكور وأتى أهل الربع المذكور يشهدون على الفرس ، فأول شهادتهم السب والشتم لمن وجد في يده لمعرفتهم به ، فلا يبلغون الى القاضي حتى يملؤوا أذنيه سباً وشتما ، فعند ذلك يقولون للقاضي : هذا الفرس نعرفه كما يعرف بعضنا بعضا ، وأن كان جملا في غاية الجودة وحسن الصورة فهو ملحق بالفرس في شهادته ، وان كان ثورا في غاية الحسن والجودة ، فانه يلحق بهما ، وبقي فصلان يكون الفرس والجمل والثور المذكورات ليس بالرديء ولا بالجيد ، فاذا جاء الشهود يجيؤون إليه ويدورون به ويتأملونه ، فاذا استوفيت البينة منهم أخذه صاحبه .

1) **الربع** : في الاصطلاح الاداري المغربي القديم بطن من قبيلة .

والقسم الثالث : ان يكون الفرس أو الجمل أو الثور أو الحمار رديئاً جداً فهذا تصعب البينة عليه ، ولا يعرفه الا ربه أو جيرانه ، فلا يجد صاحبه من يكمل له البينة ، فيجب على القاضي أن يصلح بين من وجدت في يده ، وبين من ادعى انها ملكه ، ولا يلتفت القاضي إلى البياطرة وأقوالهم ، فكل مَن اشترى دابة وحازها فلا يرجع على بائعها الا في مسألة واحدة ترجع بها الدابة ، وهي أنه اذا كان فيها الداء الذي يسمى بالنغلة ، فانها ترجع لصاحبها ولو أقامت عند المشتري سنة ، وأما الداء الذي يسمى بالذباب ، فان ظاهر الدابة التي يكون فيها تكون عجفاء شحباء ، ويكون ظاهراً فيها وفي عينيها ، فاذا اشتراها أحد وقال : انها تسمن عنده ويقلب فيها البيع ، فاذا ماتت في يده فلا قيام له على البائع الذي اشتراها منه ، وضاع في ماله ، انتهى .

وله من هذا شيء كثير .

كتبه كاتب الجناب الشريف عبد القادر بن محمد الهزروم التطواني ، ونقل في تقييده شعراً للمترجم ، وكان يقيد من سنة 1199 الى سنة 1203 .

وبنى المترجم ثغر الصويرة عام 1178 ، وبنى مدينة طيط سنة 1182 ، وفيها فتح ثغر الجديدة ، وتقدم الكلام عليه في هذا الجزء ، وقد تكلم عليه في (نشر المثاني) ص 7 من ملزمة 34 ج 2 ، أما في (الاستقصا) فلم يتكلم عليها الا بنقل كلام لويز وغيره ص 102 ج 4 .

أمـا آثـاره فهي كثـيرة جـداً ، قـال في ص 121 من ج 4 من (الاستقصا) : وخلـد ءاثاراً كثيـرة بالمغرب ، فمـن ذلك بمـراكش تجديد ضريح الشيخ أبـي العباس السبتي ومسجده ، ومدرستـه ، وضريح الشيخ التباع ومسجده ، وضريح الشيخ الجزولي ومسجده ، وضريح الشيخ الغزواني ومسجده ، وضريح الشيخ ابن صالح ومسجده ، وضريح المولى علي الشريف ومسجده الاعظم ، وضريح الشيخ ميمون الصحراوي ، ومسجد الملوك ببريمة ومدرستاه ، وتجديد جامع المنصور ، والمسجد الاعظم بباب دكالة ، والمسجد الاعظم بباب هيلانـة ، والمسجد الاعظـم بالرحبة ،

ومساجد القصبة ومدارسها الست ، ومسجد زاوية الشرادي ، ومسجد رباط شاكر ، ومدينة الصويرة بمساجدها ومدارسها وصقائلها (1) وأبراجها وكل ما فيها ، ومسجد آسفي ومدرسته ، ومسجد مدينة تيط ، ومدينة ءانفا ومسجدها ومدرستها وحمامها وصقائلها وأبراجها ، ومدينة فضالة ومسجدها ومدرستها ، والمنصورية ومسجدها ، وجامع السنة برباط الفتح ، ومساجد أجدال الستة وأبراجه ، والصقالتين الكبيرتين بسلا ورباط الفتح ، ومسجد العرائش ومدرسته وصقائلها وأبراجها وسوقها ، وصقائل طنجة وأبراجها ، والمسجد الأزهر ومدرسته باصطبل مكناسة ، ومسجد البردعيين بها ، وضريح ابن عيسى ، وضريح الشيخ سيدي سعيد ومسجده ، ومدرسة الصهريج ، ومدرسة الدار البيضاء ، ومسجد بريمة ومدرسته ، ومسجد هدراش ، ومسجد باب مراح ، وثلاثة أقواس بقنطرة وادي سبو خارج فاس ، وضريح الشيخ علي بن حرزهم ، وضريح الشيخ دراس بن اسماعيل ، وضريح أبي عبد الله التاودي ، ومدرسة باب الجيسة ، ومسجد تازة ومدرسته ، وضريح المولى علي الشريف بسجلماسة ، وقصبة الدار البيضاء بها ومسجدها ومدرستها ، ومسجد الريصاني ومدرسته ، وأوقافه على المارستان بفاس ومراكش ، فهذه الآثار كلها مما سمتْ إلى تخليده همتُه الشريفة ، بعضها أنشأه ، وبعضها أصلحه وجدده .

ورتب للأشراف بتافيلالت في كل سنة مئة ألف مثقال سوى ما ينعم به عليهم في أيام السنة متفرقا ، ورتب لأهل الحرمين الشريفين وشرفاء المغرب مئة ألف مثقال كذلك .

وأما الطلبة والمؤذنون والقراء وأيمة المساجد فكانت تأتيهم صلاتهم في كل عيد ، وأما ما كان ينفقه في الجهاد على رؤساء البحر وطبجيته وما يصيره على المراكب الجهادية والآلات الحربية التي ملأ بها بلاد المغرب فشيء لا يحصيه الحصر . وأما ما أنفقه من الأموال في فكاك أسرى المسلمين فأكثر من ذلك كله ، حتى لم يبق ببلاد الكفر أسير من المغرب ولا من المشرق ، ولقد بلغ عددهم في سنة مئتين وألف ، ثمانية وأربعين ألف أسير وزيادة .

---

1) الصقالة دكة توضع فوقها المدافع

وأوقافه بالحرمين الشريفين وكتبه العلمية المحبسة بهما ما زالت قائمة العين والاثر الى الآن .

وأما اعتناؤه بالمركب القرصانية فقد بلغ عددها في دولته عشرين كبارا من المربع ، وثلاثين من الفراكط والغلائط ، وبلغ رؤساء البحر عنده ستين رئيسا كلها بمراكبها وبحريتها ، وبلغ عسكر البحرية ألفا من المشارقة ، وثلاثة آلاف من المغاربة ، ومن الطبجية ألفين ، وبلغ عسكره من العبيد خمسة عشر ألفا ، ومن الاحرار سبعة آلاف ، وأما عسكر القبائل الذى كان يغزو مع الجند فمن الحوز ثمانية آلاف ، ومن الغرب سبعة آلاف ، وكانت له هيبة عظيمة في مشوره وموكبه يتحدث الناس بها ، وهابته ملوك الفرنج وطـواغيتهم ، ووفدت عليه رسلهم بالهدايا والتحف ، يطلبون مسالمته في البحر ، بلغ ذلك رحمه الله بسياسته وعلو همته حتى عمت مسالمته أجناس النصارى كلهم ، الا المسكوب (1) فانه لم يسالمه لمحاربته للسلطان العثماني ، ولقد وجه رسله وهديته الى طنجة فردها السلطان رحمه الله وأبى من مسالمته .

ووظف على الاجناس الوظائف فالتزموها وكانوا يؤدونها كل سنة ، واستمر ذلك مـن بعده الى أن انقطع في هـذه السنين المتأخرة ، وكـانوا يستجلبون مرضاته بالهدايا والألطاف ، وكل ما يقدرون عليه ، ومهما كتب الى طاغية في أمر سارع إليه ولو كان محرماً في دينه ، ويحتال في قضاء الأغراض منهم بكل وجه أحبوا أم كرهوا ، وكان أعظم طواغيتهم طاغية الانجليز ، وطاغية الفرنسيس ، فكانوا يأنفون من أداء الضريبة علانية مثل غيرهم من الأجناس، فكان رحمه الله يستخرجها منهم وأكثر منها بوجه لطيف .

وكان له عدة أولاد أكبرهم علي ، والمامون ، وهشام ، وعبد السلام ، هؤلاء لربة الدار المولاة فاطمة بنت عمه سليمان بن اسماعيل ، ثم عبد الرحمان أمه حرة هوارية من هوارة السوس ، ثم يزيد ومسلمة أمهما علجة من سبي الاصبنيول (2) ثم الحسن وعمر أمهما حرة من الأحلاف ، ثم عبد الواحد أمه حرة

---

1) أي الروس ، وكان المغاربة يسمون أهل روسيا جنس الموسكو أو الموسكوب .

2) ويقال انها من جزيرة كورسيكا . وتسمى السلطانة الضاوية

من أهل رباط الفتح ، ثم سليمان والطيب وموسى لحرة من الاحلاف أيضا ، ثم الحسن وعبد القادر لحرة من الاحلاف أيضا ، ثم عبد الله لحرة من عرب بني حسن ، ثم ابراهيم لعلجة رومية .

ومما مدح به السلطان سيدي محمد بن عبد الله رحمه الله من الشعر أرجوزة الأديب البليغ ، أحمد الونان ، المعروفة بالشمقمقية التي يقول في مطلعها :

مهلا على رسلك حادى الأينُق ولا تكلفْها بما لم تطق

وهذه الارجوزة مشهورة بين الناس ، وهي من الشعر الفائق والنظم البديع الرائق ، ابان منشئها عن باع كبير واطلاع غزير على أخبار العرب وأيامها ، وحكمها وأمثالها ، بحيث أن من حفظها وعرف مقاصدها أغنته عن غيرها من كتب الادب ، وقد كنت في أيام التعاطى اعتنيت بتصحيح ألفاظها ، والتتبع لأخبارها وأمثالها ، والتنقيب عن تلميحاتها وتلويحاتها ، حتى فضضت ختامها واستوعبت مبداها وتمامها ، ثم شرعت في كتابة شرح عليها يحيط بمعانيها ، ويستوعب دقائق مبانيها ، فكتبت منه نحو أربعة كراريس ، ثم عاقت ألاقدار عن اتمامه ، نسأله سبحانه وتعالى أن يصرف عنا العوائق فيما ينفعنا في ديننا ودنيانا ، ويحفنا بالسعادة الدنيوية والأخروية في متقلبنا ومثوانا ، انه ولي ذلك والقادر عليه .

وفي (الطرة) قال مؤلف هذا الكتاب : وقد منّ الله تعالى باتمامه ، فجاء والحمد لله غاية في بابه ، انتهى .

كان أمير المؤمنين سيدي محمد بن عبد الله لما خرج من مراكش وبه مرض خفيف ، فتحمل المشقة وجدّ السير ، فتزايد به مرضه في الطريق ، فوصل الى أعمال رباط الفتح في ستة أيام ، فادركته منيته رحمه الله وهو في محفته على نحو نصف يوم من رباط الفتح ، فأسرعوا به الى داره من يومه ذلك ، وهو يوم الاحد الرابع والعشرون من رجب سنة أربع ومئتين وألف .

ومن الغد أجتمع الناس بجنازته وانحشروا من كل وجه ، فجهز ودفن بقبة من قبب داره ، وتأسف الناس لفقده خاصة وعامة رحمه الله ورضي عنه .

وذكر في (السر الظاهر) : أن وفاته كانت في الخامس والعشرين من رجب .

ولنجعل مسك ختام هذه الترجمة ما ذكره ولده في (درة السلوك) :

إن والدي لما وجه الهدية للسلطان عبد المجيد العثماني من مصحف كريم محلى بالذهب ، مرصع بالألماس يساوي مئة ألف دينار الى آخره ، وجه السلطان عبد المجيد له هدية جليلة مع كاتب الديوان السيد أحمد أفندي سنة 1202 ، وفي الهدية سفر واحد مشتمل على (صحيح البخاري ومسلم) ، و (الموطأ) ، و (المسانيد الست) ، و (الشمائل) ، و (عمل اليوم والليلة) وهذه الكتب كلها مشتمل عليها سفر واحد غير كبير الجرم .

وأنفق في غلاء 1189 إلى خمسة أعوام خمسمئة ألف دينار ، وفكٔ من الأسارى ما يزيد على الأربعة آلاف .

ثم ذكر تآليفه (الفتوحات الالاهية) ، و (مختصر الحطاب) ، و (اختصار المسانند الاربعة) .

ومن مآثره بناؤه المسجد الاعظم برباط الفتح ، واعاد بناء مسجد شاكر بن عبد الله الازدي أحد مشاهير التابعين ، دخل المغرب مع عقبة بن نافع الفهري ، فخلّفه عقبة يعلم المصامدة وغيرهم ، وكانت لشاكر أخبار مع رجراجة في جهاد الكافرين ، وما زال رباطه يقصد للزيارة من الآفاق ، وقد اندثر رسم مسجده من حدود المئة الثالثة الى أن أحياه أيده الله .

انتهى منها بلفظها .

وذكِر شاكر" المذكور في (التشوف)، وانه من أصحاب عقبة المذكور، وذكر فى (السلوة) صحيفة 239 من الجزء 3 أن سيدي شاكر ولد سيدي يعلى بن واطل أحد رجال رجراجة ، انتهى .

وبين رباط شاكر ومراكش 85 كيلومتر ، منها 56 في الطريق الصويرية ، ثم ترجع الى اليمين ، فتصل تانسيفت بعد قطع 21 كيلومتر ، ثم تصل رباط شاكر بعد قطع ثمان كليومتر ، فاذا أردت الرجوع الى مراكش على طريق الشماعية ، فمن رباط شاكر اليها 42 كيلومتر ، ومن الشماعية الى مراكش 71 ، الجميع = 113 بين الطريقين 28 كيلومتر .

ذكر المترجم في (السر الظاهر) ، وولده في (الدرة) و (اقتطاف الازهار) ، والزياني في (الروضة السليمانية) وفي (الفهرسة السليمانية) وغيرهما من تآليفه ، وصاحب (الروضة المقصودة) ، والضعيف في تاريخه ، وصاحب (الجيش) و (الاستقصا) ، وصاحب (السلوة) وغيرهم (1) .

770) **محمد العوني** العالم العلامة ، كان يسكن بالرباط الناصري بمراكش ويتولى أمر الرباط فقط ، كان رحمه الله إماماً عالماً متفنناً في علوم شتى في العشرة الثالثة من القرن الثاني عشر من الدرة الجليلة عن والد مؤلفها عبد الله بن محمد بن عبد الله البوشعيبي نسباً مؤلف (تحفة الأسرار ، في ذكر الصالحين الأبرار) ، و (الدرر اللوامع) ، في ذكر من لقيه من أفاضل الأعلام ، ذكر فيه من أخذ عنه الورد الناصري ومن التقى معه وحشر فيه كثيراً من أهل العلم والتصوف والصلاح وما تلقاه عنهم .

771) **محمد بن علي بن محمد المرتبي المراكشي** ، قال يستدعي إجازة من علماء فاس :

أيها الشفر أمهلوني قليـــــلا   انظروني سقيتم السلسبيـــلا
امهلوا سيركم أكون رفيقـــا   ودليلا إذا فقدتم دليـــلا
أمهلوا سيركم أجيء بنـــور   منه يحكي الظلام ألفين ميـــلا
أقبس الضوء من شموس تبـدوا   في سماء العلا جليلا جليـــلا
أشيوخ لكم فضائل جلـــت   أمكّم خادمٌ ضعيفاً عليـــلا
أمكّم مفرداً غريباً فقيـــراً   زودوه فقد أراد الرحيـــلا

---

1) تنظر الترجمة الوافية للسلطان سيدي محمد بن عبد الله في **اتحاف اعلام الناس** 3 : 148 و **الاستقصا** 8 : 3 طبع الدار البيضاء ، و **سلوة الأنفاس** 3 : 230

زودوه من الدعاء بخيـــــــــر ... أمنوه لكم يجوز السبيـــــلا
روجوا درهما نحاساً أتاكـــــم ... واطبعوه ليستحيل فضيـــــلا
ناولوه إجازة وارحمـــــــوه ... فلقد كان ينتحيكم طويـــلا
لا عدمتم جلالة ثم جاهــــا ... وحللتم في الحشر ظلا ظليــــلا
أنتم قادة لكل جهـــــول ... أنتم حقاً تخلفون الرســـولا
وعليه من الرحيم صـــــلاة ... وسلام مكرر مستطيـــــلا

فأجابه سيدي حمدون بن عبد الرحمان ابن الحاج رحمه الله بفضله :

أيها المستجيز من ليس أهـــلا ... أن يجاز وظن ظناً جميـــــلا
وله الأدب الذي لم يجـــزه ... قبله البحتري معنى صقيـــلا
وبعلم البيان قد لاح سعـــــدا ... وبنحو والفقه ضاهى خليــــلا
قد أجزناك دمت تزداد ريــــا ... من علوم وردتها سلسبيـــــلا
لك مراكش تنادي اشتياقـــاً ... أيها المغتدى لنا سلسبيـــــلا
بك تعلو الحمراء يابن علـــي ... فتقدم لها نبيها نبيـــــلا
نسأل الله أن يبينك فيهـــــا ... قمراً طالعاً زماناً طويـــــلا

وأجازه الشيخ الطيب ابن عبد المجيد بن كيران قائلا في إجازته : انه ممن كان يتردد إلينا في الغدو والرواح ، ويبدي مباحث علا بها على مَن غدا معه أو راح ، فعلمت أنه ثاقب الذهن ، وله اليد العليا في كل فن ، لا سيما وقد وجدته أيامَ مروري على مراكش الحمراء تصدى بها للاقراء ، ولم يدفن علمه في أرض النسيان ، ولم يهمل ما تقلده من فحول الزمان ، ثم قال : وقد أجزته في جميع ما سمع مني وغيره من كل ما حصلته من المحصلين ودريته أو رويته عن الراسخين .

772) **محمد بن أحمد العبادي** الفقيه الأجل ، النبيه الأكل ، العلامـة الافضل ، قاضي الجماعة بمراكش ، وقفت على رسم مسجل عليه سنة 1206 ست ومئتين وألف ، ووقفت على بعض فتاويه المدرجة مع فتاوى بعض علماء مراكش في نوازل العلامة ابن أبي القاسم السجلماسي، ففيها: وسئل أيضاً بعد تقديم غيره للجواب عن مسألة نصها : رجل ادعى عليه آخر أنه قتل له أخاه

وأنكره في ذلك ومشى به للمخزن ، وحين جلس بين يدي الحاكم ، اشتغل يتهدد عليه ويخوفه ، وادعى الحاكم مع دائرته أنه أقر عندهم ، فصرفه الحاكم المذكور لامير المؤمنين نصره الله ، وحين وقف بين يدي الامير سأله عن ذلك ، ففاضتْ عيناه بالدموع ولم يجبْه بشي ، وأمر به أيده الله إلى السجن ، وأمر المدعيَ أن يثبت دعواه ، فمكث في السجن مدة من نحو عامين ونصف من غير بينة عادة ولا موجب شرعي سوى شهادة الحاكم المذكور ودائرته ، هل سيدي أعزكم الله تجوز شهادة الحاكم ودائرته عليه إن ثبت أم لا مع أنه ناكر إلى الآن ؟ وهل سيدي يسرح من السجن الذي هو به أم لا ؟ وان طلب تسريحه ليعملَ الشرعَ مع المدعي هل يسرحُ أم لا ؟ جواباً شافياً مأجوراً ، والسلام .

الحمد لله ، الجواب لا يلزمه ذلك ، لأن ذلك اكراه ، وفي (المختصر) ولو عين السرقة أو أخرج القتيل الى آخره ، وعليه يسرح بعد المدة ، قاله محمد العبادي .

الحمد لله المسطر أعلاه صحيح ، وفي السبكي المُكره غير مكلف على الصحيح ، وبه كتب أحمد التستني .

الحمد لله ، صحيح كون المكره بالفتح لا يؤاخذ باقراره ، وسجنه المدة المذكورة لا تساعده نصوص أهل المذهب ، وبه كتب ابراهيم بن الصغير .

الحمد لله ما سطر أعلاه صحيح ، حيث كان الاقرار على الوجه المذكور في السؤال ، وبه يقول عبد العزيز بن حمزة .

الحمد لله ما سطر أعلاه من عدم مؤاخذة المكره باقراره صحيح ، وكتب عبد العزيز بن محمد السجتاني .

فأجاب عقب ما ذكر بما نصه :

الحمد لله اذا كان الامر كما ذكر السائل بالملتصق أعلاه ، فأمر سيدنا نصره الله بسجن الرجل ليستبرىء أمره صواب ، فان لم يثبت عليه شيء في المدة الطويلة وجب اطلاقه ، وان كان متهما بعد تحليفه كما يأتي ، والاقرار المشهود به عليه إن كان مع التهديد والتخويف لا يلزمه ، ولو شهد به العدول ، قاله ابن ناجي في (شرح المدونة) ، وقال غير واحد يسجن المتهم ،

يعني بالقتل شهراً وغير المتهم ثلاثة أيام ، انتهى ، زاد المتيطي بعد نحـو ما تقدم ، فان ظهر عليه ، يعني المتهم ما يوجب أن يزاد في حبسه زيد ، وان لم يظهر عليه شيء غير الدعوى ، استحلف خمسين يمينا على أنه لم يقتل ، وخلي سبيله .

ثم قال بعد نقل كلام ابن سهل في احكامه وكلام (المدونة) ، وابن رشد في (البيان) على نقل صاحب (الدر النثير) ما نصه : ففي هذه النقول المسرودة ما تعلم به أجوبةَ الفقهاء وفرهم الله ، وبالله التوفيق ، انتهى .

وتقدمت ترجمة ابراهيم بن الصغير (1) وستأتي ترجمة عبد العزيز بن حمزة ، وعبد العزيز السجتاني ان شاء الله تعالى في مواضعها من هذا الكتاب .

773) محمد التاودي بن الطالب ابن سودة المُري

محمد التاودي بن محمد الطالب بن محمد بن علي بن محمد بن علي بن أبي القاسم بن محمد ، بن أبي القاسم القادم من غرناطة إلى فاس ، المعروف بابن سودة المتقدم سابقاً ، وسودة بضم السين وفتحها ، المري ، والتاودي في الأصل نسبة الى بني تاودة بضم الواو ، قرية من أعمال فاس (2) ، ثـم صار أهل المغرب وخوصا أهل فاس يلقبون به أبناءهم تيمناً ببعض من ينسب اليها وهـو محمد التاودي دفيـن خارج باب الجيسـة ، والمري بضـم الميم وكسر الراء المشددة نسبة الى مـرة ، والظاهر وهو الذى جزم به العلامـة الرهوني أن المرادَ به مرة قريش ، لأنه المتبادر عند الاطلاق ، وإن أريد غيره قيد ، الأندلسي أصلا ، الفاسي منشئاً وداراً ، الشيخ الامام الفقيه العلامة ، المحقق المدقق الدراكة الفهامة ، الولي الصالح ، البار الناصح ، المتهجـد الخاشع ، الخاضع المتواضـع ، المنور السريرة والفكرة ، السريع البكـاء والعبـرة .

كان رحمه الله ممن جمع بين جلالة العلم والدين، وسلك منهاج السلف الصالح المهتدين ، شيخ الجماعة في وقته ودهره ، وممن ألقت اليـه العلوم بالزمام في عصره ، قد تضلع من جميعهما ،واعتكف على تفهمها وتفهيمها .

1) انظر 1 : 187 ع 35 من هذا الكتاب

2) هي المعروفة اليوم بفاس البالي شمالي فاس

أخذ عن جماعة من أشياخ وقته ، ممن هو مذكور في فهرسته، كالشيخ محمد بن أحمد ابن جلون ، والشيخ أحمد بن علي الوجَّاري ، والشيخ أحمد بن أحمد الشدادي ، والشيخ أحمد بن مبارك السجلماسي اللمطي ، وهو عمدته ، والشيخ محمد بن الحسين الجندوز ، والشيخ يعيش بن الرغاي الشاوي الفاسي ، والشيخ محمد بن أحمد التماق ، والشيخ سيدي مَحمد بن قاسم جسوس ، وغيرهم .

وأخذ أيضاً عن غير واحد من علماء المشرق ، وتبرك بكثير من الأولياء والصلحاء مغرباً وشرقاً ، وأخذ عنهم واغترف من بحارهم ، واقتبس من أنوارهم، من جملتهم الولي الكبير ، القطب الشهير، مولانا أحمد بن محمد الصقلي الحسيني ، وأخذ عنه خلق كثير وجم غفير ، من أجلهم ولده أحمد ، والشيخ محمد بن الحسن الجنوي الحسني ، والشيخ محمد بن علي الورزازي ، والشيخ أحمد الملوي ، والشيخ الطيب بن عبد المجيد ابن كيران ، والشيخ ادريس بن زين العابدين العراقي ، والشيخ يحيى بن المهدي الشفشاوني ، والشيخ محمد بن عمرو الزروالي ، والشيخ حمدون ابن الحاج ، والشيخ سليمان بن محمد الحوات ، والشيخ محمد بن أحمد بن محمد بن يوسف الحاج الرهوني ، وغيرهم ممن يطول ذكره .

وحج سنة إحدى وتسعين ومئة وألف ، فلقي بالمشرق جماعة من أهل الخير وتبرك بهم ، كالشيخ السمان ، والشيخ مرتضى الحسيني شارح (الاحياء) و (القاموس) ، وأخذ عنه هو أيضا وتبرك به ، وقد قال في شرحه على (القاموس) في مادة سود : ومحمد بن الطالب ابن سودة بالفتح شيخنا المحدث ، الفقيه المغربي ، ورد علينا حاجاً وسمعنا منه ، انتهى .

وسمع منه أيضا بالمدينة المنورة ومصر خلق كثير ، وكان له بفاس وغيرها من أقطار المغرب صيت عظيم وظهور تام عند الملوك فمن دونهم من الخاص والعام ، واليه المرجع في كل أمرهم ، وكان مجتهدا في العبادة ، حسن الخلق ، محبا لآل البيت ، شديد الاعتناء بأمور الناس ، رقيق القلب ، كثير البكاء ، غزير العبرة ، وله مآثر شهيرة ، ومناقب كثيرة ، وبركات حميدة ، ومكاشفات عديدة ، وطال عمره الى نحو من أربعة وثمانين عاما ، وهو ممتع بحاستي السمع والبصر ، مع نحافة الجسم .

ألف تآليف عديدة منها : حاشيته على شرح الزرقاني لمختصر خليل المسماة بـ (طالع الأماني) ، وشرحه على التحفة لابن عاصم ، وقد أقبل الناس عليه واعتمدوه واستحسنوه لاختصاره ، وشرحه على لامية الزقاق ، وحاشيته على صحيح البخاري ، وشرح الجامع للشيخ خليل ، ومناسك الحج، وفهرسته جمع فيها أشياخه المغاربة والمشارقة ، وتأليف فيمن لقيه وانتفع به ، من الأولياء ، إلى غير ذلك مما يطول ذكره .

وأولع بالشيخ مولانا عبد السلام ابن مشيش رضي الله عنه ، فكان ممن أنفق عمره في زيارته ، وبذل جهده في التماس اليمن من عنايته ، حتى لقد وقف على قبره ما يزيد على السبعين مرة ، وحمل في وجهته إليه من الأعمال والآداب كل مبرة ، ملتزماً للوقوف كلَّ عام ، وقلما تخلف لعذر فلحقه في ذلك الملام .

وأنشد مرة عند قبره وهو آخر ما أنشده عنده :

أتيتكمْ شيخاً وكهلا وناشئـاً ... وفي كلها أرجو نوالكم الجمَّـا
فها أنا قد خيمتها بفنائكـم ... على وهن والضعف في بدني عمَّا
فلا ترجعوني دون فيض بحاركـم ... ولا تحرموني من مواهبك العظمى

ولما رجع من هذه الزيارة ، لاحت عليه من الخصوصية العظمى الامارة بتوارد الاحوال ، وتعاظم الواردات في الافعال ، وصرف المنازلات ، إلى أوج المعاملات ، حتى ربما غاب في النبي المختار ، وباح بخفي الأسرار ، وكشف عن وجه الجمال الاستار ، ثم لما رشحت بما فيها الاواني ، تظاهرت على بواطنه ظواهر مرض روحاني ، فلزم معه المضجع ما أربى على سنة ، وهو في حال من الغيبة كانها سنة ، ثم بريء من ذلك ، وقوي لحمل ما حمله من الاسرار والانوار هنالك، ولم يزل على حالة مرضية ، وشارة حسنة مزهية ، إلى أن توفي عند عصر يوم الخميس تاسع وعشري ذي الحجة الحرام متم عام تسعة ومئتين وألف ، ودفن من الغد بعد صلاة الجمعة في مسجد القرويين . وبعدما صلى عليه ولده الفقيه القاضي سيدي أحمد في زاويته الكائنة قبالة داره بحومة زقاق البغل ، وهي الآن مسجد تقام فيه الصلوات الخمس وقبره بها يمين محرابها ملتصق بجداره عليه دربوز ، وهو مشهور مزار متبرك به .

ترجمه تلميذه سليمان الحوات في تاليفه المسمى بـ (ثمرة أنسي ، في التعريف بنفسي) وأفرد ترجمته في مؤلف حافل جمع فيه شيوخه وتلامذته ، ومن لقي من الصلحاء ، ومن درج من آبائه من العلماء ، ومن خلف من الابناء والاحفاد الى غير ذلك ، وسماه بـ (الروضة المقصودة ، والحلل الممدودة ، في مآثر بني سودة) .

وترجمه أيضاً صاحب (سلوك الطريق الوارية) والعلامة الرهوني في أول حاشيته على الزرقاني ، وابن عجيبة في طبقاته وغيرهم ، والله أعلم (1) .

وحاصل ما ذكر المترجم في فهرسته أنه لما حج ودخل مصر ، قرأ (الموطأ) وطلبوا منه سنده فيه مع سند الصحيحين ، وذكر جملة مشايخه ، فأجاب طلبتهم ، وذكر أنه يروي (الموطأ) عن محمد بن عبد السلام بناني ، وذكر من شيوخه ثلاثة ، سيدي محمد بن عبد القادر الفاسي ، واليوسي ، وسيدي أحمد ابن الحاج عن والد الأول إلى آخره ، وبالاجازة مع السماع لأوله عن سيدي أحمد بن عبد العزيز الهلالي ، عن شيخه أحمد الحبيب ، وعن شيوخ المشرق أربعة : سيدي محمد بن حسين العجيمي ، وسيدي عبد الوهاب الطنشي ، وعن محشي (القاموس) الفاسي ، والحنفي .

وأخذ عنه كالأول الحديث المسلسل بالأولية ، وأجازه في مروياته وتآليفه ، ومن أشياخ الحنفي سيدي مصطفى البكري ، وسيدي العربي التلمساني ، وثالثهم سيدي أحمد بن مبارك ، قرأ عليه المنطق والكلام ، والبيان والاصول ، والتفسير والحديث ، وأجازه وهو عن سيدي علي الحريشي ، عن سيدي عبد القادر الفاسي الى آخر سند البخاري .

راجع أول فتح البارى .

ورابعهم سيدي محمد بن قاسم جسوس ، قرأ عليه (الرسالة) ، و (مختصر خليل) ، و (الحكم) ، و (الشمائل) ، و (صحيح البخاري) ، وساق سند ابن سعادة .

---

1) كل ما تقدم منقول بالحرف من **سلوة الأنفاس** 1 : 112

وخامسهم سيدي يعيش الرغاي قرأ عليه (التحفة) وطرفاً من البخاري وغير ذلك .

وسادسهم أحمد بن أحمد الشرادي قرأ عليه من بيوع (المختصر) إلى الوديعة أو العارية ، وسمع عليه بعض التفسير من أوله .

وسابعهم سيدي محمد بـن أحمد التماق ، قرأ عليه (الرسالـة) ، و (الحكم) ، والتفسير من الأول الى سورة النساء .

وثامنهم سيدي محمد ابن جلون قرأ عليه (الجرومية) و (الألفية) ، و (المختصر) من الأول إلى اليمين .

وتاسعهم سيدي محمد بن الحسين الجندوز ، قرأ عليه (الألفية) و (السلم) و (التلخيص) .

وعاشرهم سيدي أحمد بن علال الوجّاري ، قـرأ عليه (الألفية) ، وسمع منه شيئاً من (التسهيل) و (المغنى) ، ثم تكلم على سند مسلم ثم ذكـر سند (المختصر) ، والمسلسـل بالأولية ثم أرخ ذلك بـ 21 جمادى عام 1182 .

ثم بعده ترجم لمن لقي مـن المشارقة فمنهم سيدي عبـد الرحمان الحسيني ، أجازه اجازة عامة ، وسيدي حسين بن عبد الشكـور الطائفي ، وأجازه كذلك ، ومنهم سيدي محمد بن خالد الجعفري مفتي المالكية ، ومنهم سيدي أبو بكر بن خالد ، ومنهم سيدي محمد بن عبد الكريم السمان ، ومنهم سيدي ابراهيم أسعد ، ومنهم أبو الحسن السندي الى آخر ما في (الروضة المقصودة) ، وذكر بعض اجازات أشياخه مغرباً أيضاً الى آخره .

وممن أخذ عنه وأجازه اجازة عامة العلامة السيد محمد بن الحسيـن السوسي اليبوركي حسبما في فهرسة تلميذه ابن عمه محمد بن عمر الاسغركيسي ، الا أنه غلط في ذكر وفاة المترجم عام 1210 ، فانه توفي قبل ذلك بسنة .

وذكر في (السر الظاهر) المترجم من المصححين لشهرة نسب الشرفاء القادريين ، أما (الروضة المقصودة) ، فقد اشتملت على أبواب الاول في نسبهم ، والثاني في نشأته ، والثالث فى علومه ، والرابع فى الشيوخ ، والخامس في أسانيده العلمية ، والسادس في ذكر شيوخه من أهل التبرك والتلقين ، والسابع في تدريسه وتأليفه ، والثامن في تلامذته وأراد أن يذكر منهم مئة .

وقال في (ثمرة أنسي) ما نصه : والفقيه العلامة ، الحجة المدقق ، الشيخ الامام المتهجد ، الخاشع السريع العبرة ، سيدي محمد التاودى بن الطالب ابن سودة المري ، كنت أتيت مجلسه للأخذ عنه بعد مجيئه من الحج سنة 1182 اثنين وثمانين ومئة وألف ، وبقيت أتردد اليه زمانا ، ثم قطعت لاغراض فاسدة أفضت الى طول المقاطعة بيني وبينه زمنا طويلا ، كان منه الصفح بعده ، وعدت اليه فأخذت عنه علوماً ، واجتلبت من بحره فهوماً من نحو وبيان وفقه ، وحديث وتفسير وغير ذلك ، وهو شيخ ظاهر النفع كثير التلميذ ، طال عمره الى أن جاوز التسعين بتقديم المثناة ، وهو ممتع بحاستي السمع والبصر مع نحافة الجسم ، وبلغ من الرئاسة مع السلطان مولانا محمد بن أمير المؤمنين عبد الله ما لم يبلغه غيره ، حتى اكتسب من ذلك هو وأولاده أموالا كثيرة ، وأكسبوا غيرهم ممن تعلق بهم ما به الغنى ، واجتمع له ولأولاده أيضا من المناصب والولايات والأخذ من وفر الاوقاف ما لم يتفق لغيره قط .

ولما مات السلطان المذكور ، أقره ولده سلطان وقتنا هذا مولانا اليزيد على ما كان عليه ، وما زال إلى الآن في قيد الحياة قائماً بأمر التدريس في أوقات ، والخطابة بجامع الاندلس ، حريصا على مزيد العناية به في صدور مهمات المملكة على يده .

انتهى بتاريخ 16 حجة عام 1206 ، انتهى محل الحاجة منه .

وقال في (الحسام المشرفي) ومنهم الشيخ التاودي ابن سودة ، ذو المآثر المعدودة والمكارم الممدودة ، التي فاق بها أسلافه وجدوده ، أعرض عن

الدنيا وأطال عنها صدوده ، ثم لما ذكر شرحه على (التحفة) قال : وقد وقفت على نسخة منه بخط الأديب البارع ، الصوفي الفاضل ، علي ابن سودة، وفي آخرها هذه الأبيات : إلى هنا انتهى حلى المعاصم، إلى آخر الأبيات الأربعة .

ثم قال : ومن حِلمه وإنصافه رضي الله عنه أن مولانا سليمان الحوات لما أنشده أبياتاً منها :

قولوا لشيخكم ابن سودة إنــــه ... قرب الرحيل فهل له مــن زاد ؟
عاش القرون وفاز من أيامــــه ... بالمال والأولاد والأحفـــــاد
حتى إذا أوفى الرئاسة حقهـــــا ... أمسى الحمام لديه بالمرصـــاد

أتى اليه وجعل يمسه بيده على ظهره ، ويقول له : جزاك الله خيرا ! ذكرتنا ياابن الرسول ، وأشار بذلك الى قوله في كتابه الذى ألفه في التعريف بنفسه ، وذكر فيه جماعة من أشياخه منهم الشيخ المذكور ، الى آخره .

وقال الشيخ كنون في (الاختصار) عند قول خليل : وعدم بنوة لهاشم الى آخره ، وقول محمد بناني بنت مرة الى آخره ، اعلم أن مرة فى قبائل من العرب في قريش وفي تميم من بني دارم ، وفي غطفان من بنى ذبيان ، وفي هوازن ومر بغير هاء ، في همدان ابن الحارث بن سعد ، كما هو مفصل في (جمهرة ابن حزم) ، وفي (اقتباس الأنوار) للرشاطي ، افي اختصار الامام عبد الحق الاشبيلي المالكي ، وبه يعلم أن المري أعم من القرشي ، والأعم لا اشعار له بأخص معين على أن المتبادر من الوصف بالمري غير القرشي ، اذ لا يعدل عن القرشي الى المري الا جاهل ، وبه يعلم ما وقع للرهوني رحمه الله في ديباجة حاشيته ، فانه جعل بين المري والقرشي تساوياً ، وانه يلزم من كونه مريا كونه قرشياً ظنا منه أن مرة ليست الا في قريش وليس كذلك ، فتأمله منصفا والله أعلم ، انتهى .

وقال في (الدرر البهية) ما نصه : رجوع لنسبهم الى مرة قريش ، لأن مرة تعدد في عدة قبائل من العرب ، ففي تميم مرة بن عبيد ، وفيهم أيضا مرة بن دارم ومرة ابن عامر ، وفي غطفان مرة بن عوف ، وفي همدان مر بغير هاء ، وفي كندة مرة بن حجر ، لكن عند الاطلاق لا يصرف الا لمرة قريش ، واليه ينتسب هؤلاء بنو سودة .

انتهى المقصود من (الدرر المذكورة) .

والذي رأيته في جمهرة ابن حزم هو ما نصه : ودار مرة بالاندلس البيرة ، ولهم باشبيلية بيت واحد ، وهم بنو عوف بن مرة بن ديسم بن يزيد بن المختار بن مخشي بن عزى بن الحرام بن معاوية بن خصيلة بن عدي بن سعد بن مرة بن عوف بن سعد بن ذيبان ، عقد له الأمير محمد على إشبيلية ، وعقد أيضا لامر أتاه عليهم تعصبا للمضرية .

انتهى المقصود والله تعالى أعلم .

وتقدم في ترجمة أحمد بن علال الشرابلي المراكشي (1) أنه دخل عليه المترجم بداره بالقصور من مدينة مراكش .

774) محمد بن عمر الهشتوكي

محمد بن عمر بن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن ابراهيم بن ولي الله القطب الاعظم ، السيد يبروك بن الحسين الهشتوكي ، الفقيه العلامة المتفنن ، الناظم الناثر .

أخذ عن شيوخ عدة وتلاقى بصلحاء أبرار ذكرهم في فهرسته وذيلها ، وأخذ عنهم ما قدر له من الفنون ، فمنهم معتمده الشيخ محمد بن أحمد الحضيكي ، قرأ عليه (مختصر خليل) قراءة بحث وتحقيق ، ونظر وتدقيق ، إلى الربع الاخير منه ، وقرأ عليه (صحيح الامام مسلم) تماما ، و (صحيح البخاري) مرتين ، و (سيرة اليعمري) ، و (الخصائص الكبرى) للسيوطي ، و (الموطأ) بشرح الزرقاني ، و (الشفا) والكلاعى الى الثلث الاخير ،

---

1) انظر 2 : 398 ع 275 من هذا الكتاب

وصغرى السنوسي ، والكبرى بشرح مؤلفها ، وشرح ابن عباد على الحكم ، وشرح زروق عليها ، وكتاب (آداب الكتاب) لابن قتيبة ، وبانت سعاد بشرحه عليها ، و (السلم) بشرح المؤلف عيله ، ومنظومة الرسموكي في المواريث بشرحي المؤلف الصغير والكبير ، ورسالة ابن أبي زيد مرة أو مرتين ، والطرفة ، وورقات امام الحرمين ، و (العزية) لأبي الحسن شارح الرسالة ، و (الشمائل) وغير ذلك ، لازمه مدة من ثلاثة أعوام بزاويته بوادي إيسي ، وأجازه في مرض موته مرة مع شيخه وابن عمه السيد محمد بن الحسين، ومرة مع سائر طلبته .

وثاني أشياخه الفقيه العلامة الصوفي سيدي محمد بن الحسين المتوفي سنة 1196 ، قرأ عليه سائر التآليف .

والثالث محمد بن أحمد التسكاتي الهلالي الولي الصالح خليفة الحضيكي .

ورابعهم العالم العامل محمد بن محمد الولتي ، وأجازه اجازة عامة ، والعالم عبد الله بن الحاج أحمد الترختي ، والعلامة أحمد بن عبد الله الهوزيدي ، قرأ عليه ربع المختصر قراءة تحقيق ، وحضر مجالسه في التفسير والسلم بشرح قدورة ، وبعض الرسالة القيروانية ، وأجازه كذلك، وأحمد بن محمد التكدشتي ، والعالم محمد بن محمد بن يحيى الشبي ، ووالد المترجم أبو حفص المتوفي عام 1195 ، والصالح عبد الملك بن إبراهيم الهلالي ، والعابدة فاطمة بنت محمد الهلالية المتوفاة عام 1207 .

وممن لقيه وذكره في ذيل الفهرسة الولي الصالح سيدي عبد الله بن محمد اليبوركي ، والولي المشهور أحمد بن يحيى الوليني ، والعلامة سيدي محمد الجيلالي بن المختار السباعي لقيه بمراكش ، والقطب الاعظم سيدي يوسف الناصري ، والولي الفقير محمد بن أحمد الافتيضي الحامدي ، وممن تآخى معه السيد محمد بن أحمد الولتي ، وأجازه المترجم مع كونه دونه في العلم والصلاح ، وممن لقيه العابد السيد أحمد بن سعيد الوغزاني المعمر ، ومن العلماء عمر بن عبد العزيز الجرسيفي نجارا ، الهرغي دارا .

أتم هذا الذيل في عاشر ذي الحجة عند الزوال عام اثني عشر ومئتين وألف ، وهو في كراس واحد ، والفهرسة في خمسة كراريس من القالب الرباعي .

775) **محمد بن عثمان المكناسي** ، كاتب السلطان المولى سليمان ، بعثه الى القائد عبد الرحمان بن ناصر العبدي لما استولى السلطان رحمه الله على مراكش سنة احدى عشرة ومئتين وألف ليأتيه به أو يأذن بحربه ، ولما وصل الكاتب المذكور اليه بآسفي ألفاه مريضاً ، فاعتذر عن القدوم على السلطان بالمرض ، وكتب بيعته وأدى طاعته .

وفي سنة 1212 اثني عشرة ومئتين وألف ، قدم على حضرة السلطان باشدور الاسپنيول ، فعقد معه شروط المهادنة ، وكان الذى تولى عقدها معه المترجم قبل وفاته ، وهي ثمانية وثلاثون شرطا ، مرجعها الى الصلح والأمان من الجانبين الا أنها أشد بيسير من الشروط التي انعقدت مع السلطان المرحوم سيدي محمد رحمه الله ، من ذلك أن شروط سيدي محمد كانت تتضمن أنه اذا تشاجر مسلم ونصراني فالذى يفصل بينهما هو الحاكم ، الا أن القنصل يحضر وقت الفصل عسى أن يدافع عن ابن جنسه بحجة ان كانت ، وصارت شروط السلطان المولى سليمان تتضمن أن كلّ واحد منهما يتولى أخذ الحق منه حاكمه ويدفعه لخصمه ، واذا مر نصراني من سبتة أو مليلية أو نكور أو بادس وأراد السلامة فلابد من حضور القنصل ان كان ، والا فالعدول يسمعون منه ثم شأنه وما يريد .

وفي هذه السنة حدث الوباء ببلاد المغرب وعم حواضره وبواديه ، ولما فشا بمراكش وأعمالها رجع السلطان الى مكناسة ، وترك أخاه المولى الطيب نائباً عنه بها ، فبلغه اثناء الطريق وفاة كاتبه المترجم (1)، تركه بمراكش مصاباً بالوباء ، فتوجه صاحب البستان للاتيان بمتخلفه ومتخلف أخوته الاربعة ، خليفته المولى الطيب ، والمولى هشام ، والمولى حسين ، والمولى عبد الرحمان رحم الله الجميع .

1) عام 1213 هـ

وقال الزياني في الفهرسة :

ثم محمد بن عثمان الوزيـــــــر أخذ من وفر ومن در كثيـــــر

قلده خطة القضاء بتطوان مدة ثم استوزره ، وكان من أهل الفضـــل والديــن ، قائما بدولته الى ان توفي بمراكش في الوباء الذي عم المغرب .

وقال الضعيف في تاريخه : دخل سفير تركيا مع الكاتب ابن عثمان إلى مراكش يوم عاشوراء عام اثنين ومئتين وألف ، انتهى .

وله رحلة حجازية (1) .

776) **محمد بن أحمـد الشرادي** ، صاحب الزاوية بحـوز مراكش ، الفقيه العلامة الصالح الورع .

قال في (النشر) لدى العام العاشر من العشرة السادسة بعد المئة والألف في ترجمة والده أحمد : ورد على فاس ولده السيد الأثير ، الفاضـــل الشهير ، ذو القدر الكبير والعز الخطير ، الاجل الامجد سيدي محمد ، لما قفل من حجه عام سبعة وسبعين بموحدة فيهما ومئة وألف ، لقيه أناس من أهلها وأخذوا عنه واستأذنوه في اتباعه في الطريقه فأذن لهم ، فبنيت زاوية لذلك بعدوة فاس الاندلس بدرب الدرج منها ، ورتب لهم فيها أوراد الوظيفة الزروقية وغيرها ، وأقيمت فيها الصلاة الليلية بامام راتب ، ونصب فيها كرسي لتدريس العلم يدرس فيه رسالة ابن أبي زيد ، و (النصيحة الكافية) للشيخ زروق ، وقراءة أحزاب القرآن العظيم صباحاً ومساء الى الآن، وعمارتها والحمد لله متصلة ، انتهى .

ثم ذكر أن والده أخذ عن سادات من أشهرهم الامام سيدي أحمد بن ناصر الدرعي نفعنا الله به ، انتهى .

أجاز المترجم مولانا سليمان السلطان العلوى ، وحلاه في اجازتـه بسيدنا الامام العارف الهمام أمير المؤمنين المظفر بأمر رب العالمين كهـف

---

1) قصر المؤلف تقصيرا مخلا في ترجمة الأديب الفقيه الديبلوماسي السياسي النبيـه محمد بن عبد الوهاب ابن عثمان . تنظر ترجمته في **اتحاف أعلام الناس** 4 : 150

الامان سيدنا ومولانا سليمان ، وهي اجازة عامة حسبما أجازه شيخه الوالد ، عن أبي سالم العياشي بما احتوت عليه فهرسته ، قائلا في آخرها : وعلى سيدنا ايثار العدل ، وقصد الحق ، والنصح لجميع الخلق ، مع الفحص عن الاحوال ، وتاريخها 23 جمادى الاولى عام اثني عشر ومئتين وألف .

ذكره الزياني في الفهرسة ، وقال فيه :

ومقصد العلـــــوم والأوراد محمد ابن الصالح الشـــرادي

وجرى ذكره في (الروضة المقصودة) وتقدمت ترجمة والده ، وقال ابن الصادق في فهرسته : وممن أخذت عنه بمراكش حرسها الله الشيخ المشارك الأديب المؤرخ سيدي محمد بن أحمد الشرادي .

777) **محمد بن عبد الرحمان التادلي** ، الشيخ المقرىء ، المحدث النحوي ، حاج الحرمين .

أخذ عن مولاي عبد الرحمان بن ادريس المنجرة ، وأخذ عنه بمراكش سيدي محمد بن الصادق ابن ريسون ، وذكره في فهرسته .

778) **محمد بن أحمد الجيلالي السباعي**

محمد بن أحمد بن السيد المختار السباعي المعروف بالجيلالي ، كان رحمه الله فقيهاً صادقا في جميع أحواله ، مخلصا لله تعالى في أقواله وأفعاله ، يستنزل به قطر الغمام ، ويستشفي بعلومه من أدواء الجهل والظلام، شريفا حسيبا كريما نسيبا ، ذا قدر منيف ، جامعاً لاشتات الاعمال والعلوم ، مداويا بمرهم نظمه ونثره ما أعيا الاطباء من أدواء الشكوك والكلوم ، وكان له في كل فن من فنون العلم حظ وافر ، وفهم ثاقب عن وجوه المخدرات كاشف سافر ، صوفياً زاهداً ، مرابطاً مجاهداً .

قال الاسغركيسي في ذيل فهرسته : لقيته بمراكش عام طلوعه للحجاز ، أوفى ما يكون من الانحفاز ، وجدته يصلي المغرب في مسجد صغير

قرب ولي الله الذي هو الترياق المجرب لقضاء المآرب ، وتسهيل المطالب ، أبي العباس أحمد بن جعفر السبتي نفعنا الله ببركاته، فأدركت معه الركعتين أو الركعة الاخيرة منها ، الشك مني في ادراك الاثنتين ، وأما الواحدة فلا أشك في أدراكها معه والحمد لله والشكر له على الصلاة خلفه ، اذ الصلاة خلف أمثاله مما يرغب فيه ويسر به ، فلما صلى وفرغ من المعقبات قام فدخل عريشاً كان هنالك يصلى فيه الرواتب ، فسألتُ بعض أصحابه ممّن صلى خلفه وأنا اذذاك غير عارف به لكوني لم ألقه قبل ذلك ولكن عندي من خبره ما عنده من خبري، فقلت له: هل هذا هو السيد الجلالى بن أحمد السباعي الشريف الحسني؟ فقال : لا منكرا متنكراً ، فقلت مستعطفا له ومذكرا : لا شيء يضره مني ، انما جئته لصلة رحم الاخوة فـي الله تعالى وفـي الشيخ ، لأني أخوه فـي الشيخ الحضيكي رحمه الله ، فلما سمع مني تلك المقالة خرج الينا وهو يقول : ما له ؟ ما له ؟ فسألني مَن أنا ؟ فأخبرته، وأخذ بيدي، وصافحني، وأكبرني فأكبرته ،. ثم دخل بي العريش ، ولسهام الاكرام والمبرة يريش ، فتعاطينا فيه من الكلام ، ما يستشفى به المكلوم من الكلام ، في سويعة كأنها احلام طيف ، أو سحابـة صيف ، وجرى مني سؤال عن مسائـل فقهية ، فأجاب عنها بديهة بأجوبـة مرضية ، فتعجبت من سرعة جوابه ، وكثرة حفظه وصوابه ، زاده الله في العلم بسطة ، وجعل ببركة جده صلى الله عليه وسلم فيما يرضي بسطي وبسطه ، آمـيـن .

ونص ما سألتُه عنه ليعرف ويؤخذ من زلال جوابه عنه ويقرر: ما يقول سيدنا أعزه الله فيمن وهب له أبوه هبة ، ثم أراد اعتصارها منه ، فلما علم الابن الموهوب له أن أباه عزم على اعتصار الهبة منه بادر باخراجها من ملكه ، وتصدق بها على ولده قصدا منه تفويت الاعتصار على أبيه الواهب المذكور ، فهل سيدّي يكون فيها لأبيه الاعتصار ؟ وان فوتها الابن بما ذكر ، فترد كما يرد البيع الفاسد ، ولا يفوت بالهبة والصدقة وصحيح البيع إذا قصد بهـا التفويت أم ليس له فيها اعتصار لفواته بصدقة الابن ، ولو كان قصد بهـا التفويت ، على الثاني فمـا الفرق بينه وبيـن البيع الفاسد ؟ أجبْ تؤجـرْ والسـلام .

فأجاب بأن الهبة المذكورة ماضية لا أعتصار فيها للأب بوجه لفواته بالصدقة الصادرة من الابن قبل حصوله وصدوره من الاب ، وقصد الابن بها التفويت لا يضره ، والفرق بينهما وبين البيع الفاسد أن العقد في الهبة صحيح ، بل مندوب اليه وتصرف الابن فيها بما يقتضي التفويت قبل صدور الاعتصار صحيح أيضا سائغ شرعا ، لأنه انما تصرف في ملكه بوجه جائز ، والأب هو الذي فرط في الاعتصار حتى فات بخلاف البيع الفاسد في ذلك ، فان العقد فيه فاسد غير صحيح ، يؤمران بفسخه ورده ، وتصرف المشتري فيه حرام غير سائغ شرعاً ، وأذا قصد تفويته بالهبة أو الصدقة أو صحيح البيع فلا يفوت به ، لأن قصده أيضا فاسد لمخالفته ما أمر به من رده وفسخه فعومل بنقيض مقصوده ، لأن الظالم أحقُّ أن يُحمَلَ عليه لتعديه ، والله أعلم .

انتهى جوابه فتأمله .

وانما أوردته هنا بتمامه ، لأن بعض المعاصرين ممن يدعي العلم وتحقيقه قاس المسألة على البيع الفاسد ، وقياسه كما علمت قياس فاسد ، لأنه قاس الذبيحة على الميتة ، والصحيحة على السكتة والعياذ بالله .

كان صاحب الترجمة آية من آيات الله في الاتقان ، والعلم والعرفان والايقان ، لا يكاد يوجد مثله في زماننا هذا ، ولا يبعد أن يكون هو المجدد على رأس هذه المئة لكثرة ما جمع من العلوم ، مع اتساع الحفظ والباع في الانظار والمفهوم ، بحيث لا يجارى في الحفظ ولا يبارى ، ولا يغالب في صحة الفهم ولا يمارى ، حتى قيل : إنه استجمع واستظهر كتاب (القاموس) حفظاً واتقاناً، وهذا أغرب ما يكون في هذا الزمان ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، لله الأمر من قبل ومن بعد .

وكان صاحب الترجمة رضي الله عنه صنع جدولا عجيبا ، وصنعا غريباً في مدح سيد الشهداء سيدنا حمزة بن عبد المطلب ، أسد الله في أرضه والصابر لدينه وعرضه ، عم الرسول ومنتهى السول ، رضي الله عنه وعنا به آمين ، يتضمن سبعة عشر بيتاً ، كل بيت مبتدأ بميم ومختتم بها ، وأشطار

الأبيات كلها مختتمة بميمات ومبتدأة بها ، كتب تلك الميمات بألوان مختلفة ، فجعل الاخضر منها للقافية ، والاصفر للعروض ، والاحمر للضرب على شكل مدور وهيكل منور ، ورتبه على حروف أبجد بترتيب عجيب ، وأسلوب غريب تحار العقول في فهمه ، وتصاب الاذهان عن اشكاله بنبله وسهمه ، لا يفك ختامه ولا يحط لثامه لولا أن ناظمه أشار الى كيفية قراءته ، والسير فيه بقوله في بيت من أبياته :

من حسنه عن مجال القول معتصم ما لم يشر ساكن المبدإ للكلم

فليراجعه من أراده في محله .

ونظم أيضا قصيدة طويلة جميلة في مدح معدن الوفا والصفا ، سيدنا محمد المصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، افتتح أوائل أبياتها بحروف حمر تكون لها كالوشاح ، وكتب بالاخضر حروفا في اثناء اشطارها الاولى ، وحروفا بالاحمر أيضا في الاشطار الاخيرة تكون مثل أزهار البطاح ، تتضمن تلك القصيدة فى مدح النبي المصطفى ، المنعوت من نسل لؤى ، مع مدح علي وفاطمة والحسن والحسين وأهل البيت باعتبار النشر والطي ، فهي تختلف بالوجه والاعتبار عند أولي الفهم والاستبصار ، فباعتبار الطي هي قصيدة واحدة ، معترفة بفضل من احتوت عليهم غير جاحدة ، وباعتبار النشر هي خمس تدرك بالحواس الخمس ، أشار الناظم لاستخراجها وكيفية انتاجها بقوله في بيت من أبيات الختم ، وفيه شيء من افشاء السر وابداء الكتم :

مفاتيح قصرها عقيق توشحت بسائره الابواب تدعوك للبكل

أي للمزج والخلط ، ويعني أن مفاتيح قصر معاني هذه القصيدة هي العقيق الاحمر الذي توشحت بسائره أبواب بيوتها ، حال كونها ، أي تلك الأبواب تدعوك لبكل بعضها ببعض ، أي مزجها وخلطها من أول القصيدة الى آخرها ، فاذا فعلت ذلك خرج لك من مزج حروف أوائل الابيات الحمر توشيح كبير ، يعرف منه كيفية استخراج القصائد الباقية لمن عقل وفهم ، كما أشار

اليه ناظم درها وحالب درها ، لله دره من قائـل ما أحسنه وأتقنه أو أحذقـه وأفطنه ، رضي الله عنه وعنا به آمين .

وقد كنت قلت فيه وفي نظمه والثناء عليه أبياتا استعطفه فيهـا ، وأتحنن اليه ، لابأس بايرادها هنا لئلا تضيع ، لأن آفة العلم ترك التقييد ، وما قيد منه يستفاد ويفيد ، وهي :

علت همة من ناضح البر بالبحـــر ومخجل در بالحلال من السحـــر
وراكب أهوال ليظفر بالمنـــــى فنال المنى والمجد بالقهر والقسر
وذلت له الأوعار والعلم والعـــلا وصارت رقاب الدهر ترجم بالصخر
همام به أسطو على الدهر ان دها فيرجع بعد العسر خسرا الى اليسر
شريف حسيب مرتضى القوم من بني علي أبي السبطين سادتنا الغـــر
رئيس فحول الجود منه اشتقاقـه ومصدره منهم إلي كلهم يســـرى
جلالي عليه من جليل جلالـــة بها يغتني من الجلال مع الستـــر
متى رمته بالمدح جاءت محاسـن تقول فحدث ما استطعت عن البحر
هو الغوث عند البأس والغيب للورى لدى القحط ان تستسق يأتك بالقطر
محاسنه جمت مكامه عمـــت وقائعه صكت وجوه ذوي الشـــر
وياسيدا من عزه خضعت لـــه رقاب المعالي في السهول وفي الوعر
أتيتك صفر الكف بالباب واقفـــا ذليلا عسى من جودكم نفحة الخير
حنانيك إن الذنب أثقل كاهلـــي وزال به عقلي وضاق به صـــدري
فما لي سوى اتيان بابك حيلـــة تخلص من سجن الخطايا ومن أسرى
وترفعني من بعد خفضي الى الغنـا وتحرس من شيطان همي سما فكري
وتسعدني في سفرتي وتعيننـــي على كاشح يبدي العدواة بالنصـــر
وياءال بيت المصطفى صفوة الورى ظمئت فهل من عندكم شربة تبري؟
ظمئت وأنت العذب في مورد العطا ولا كدر يعروه بالمن والهجـــر
فحاشاكم ياءال بيت نبـــــوة من البخل والاحجام عن نصرة الغير
اليك نزيح الدار يشكو نوائبـــا وخطبا به مرمى الى اللجج الخضر
ظننت وحسن الظن خير سجيـــة بأنك تشفي الضر بالنضر والنصر

فما الفخر الا الجود وهو محـــرم | على غيركم بالبخل والجبن والفقـر
وكا عدها(1)فاعرف إذا كنت منشداً | واياك أن تنسى العفاص من الشكر
على المصطفى المختار أزكى تحيــة | وأزكى سلام طيب الطعم والنشـر
وأصحابه والاهل والتابعين مــا | بدا البدر في الابراج منفلك يسري
وما قال في صدر القصيدة منشـد | علت همة من ناضح البر بالبحـر

انتهى .

ومن تلامذة المترجم أبو سالم السكياطي ، وأبو عبد الله الحمـري مؤلف (اتحاف الخل المواطي ، في مناقب الامام السكياطي) قال فيه عند ذكر شيوخه :

ومنهم شيخنا الذي عم صيته الأقطار، وامتلأت بمآثره الأنجاد والأغوار، غرة العصر ونادرة الدهر المديد الباع الفريد الطباع ، قد شد فما يشرك ، وفذ فما يدرك ، العالم العامل ، الحافظ الحجة الكامل ، الذي حكت شمائلـه روض الزهر واشتهر ورعه بالمشرق والمغرب اشتهار الشمس والقمر ، أزرت محاسنه بالبدر اللياح ، وسرت فضائله سري الرياح ، فتشوف لعلاه الاقطار ، وابتهجت بحلاه الاعصار والامصار ، سلك في ورعه مسلك حمزة الزيات ، وفي زهده ابن أدهم امام الهداة ، ذو النسب الذى ما وراءه منتسب ، والحسب الذي ليس مثله حسب ، الذي لو أدركه لاقتدى به الامام القضاعي سيدي الجيلاني بن أحمد بن المختار السباعي ، وكـان حدثني بعض الاشياخ بأن جـده سيدي المختار ، قال في حقه الشيخ سيدي أحمد بن ناصر : المختار هو ياقوتة المغرب ، ومن يشابه أباه فما ظلم .

رحل رحمه الله الى الشرق لأداء الفـرض ، فجاور هناك بالحرميــن الشريفين ، وتضوع عبير ورعه بالاقطار بركة البلدين ، وهو حافظ حديث النبي صلى الله عليه وسلم ، وكوكب سمائه وشيخ العلم وحامل لوائه ، قـد

1) أي عدد هذه القصيدة 26 بيتاً حيث ان الواو بستة ، والكاف بعشرين ، والالف غير معدودة (مؤلف)

برز في الادب وتناسلت اليه الفضائل من كل حدب ، وله ما يبهر العقول اذا توجهت همته لمعقول أو منقول ، وله في قصائده من الافتنان ، ما يزري بقلائد العقيان ، وقد مدح سيدي أبا العباس السبتي، ومدح مولاي إدريس دفين فاس، ومدح شيخه سيدي أحمد أوزو الذي كـان يقرأ عليه بردانة إلى غير ذلـك من القصائد ، وله من الحفظ ما تحار فيه الافكار ويلتبس بشبهة الانكار ، فيحكى عنه رحمه الله أنه قال : ما القته ولو مرة اذنى أو عيني لمخيلتي ارتسم في نحو الستة الاشهر لحفيظتي .

وقد حدثنا القيم على سيدنا عبد الله بن عباس بالطائف ، قال : خرج معنا ذات يوم عشية ، فسردنا عليه نحوا من ثلاثة كراريس في الحديث جمعها بعض العلماء في تحريم الحرير ، ثم خرجنا عشية غد ذلك اليوم ، فسردهـا علينا كلها من حفظه لمجرد سماعه ، وكان رحمه الله يقرأ التفسير بين العشاءين بالمسجد النبوي ، وجلسنا فى حلقته فقضينا العجب من حفظه ، كان تفسير القرطبي قرأه في صغره حفظاً ، وقرأنا عليـه الفاتحة ، وأول البقرة بروايـة السبعة ، وكان يجلس بالمسجد النبوي بعد صلاة الصبح يكرر حزبه بالسبعة دائمـاً .

ومات رحمه الله في توجهه للغزو ببلد الصعيد ، فالتقى مع النصارى وتقاتل معهم أشد القتال ، ثم اعتل ومرض فمات بقرب مرضه ، ودفن هناك بقرية يقال لها أحكاز ، وكنا جلسنا معه ذات يوم بالمسجد النبوي بعد صلاة الظهر فمازحنا ، وقال : ما هذه العمائم الكبار ؟ فذهبنا من عنده ونزع محبي عمامته حياء منه ، ثم لما التقينا معه ثانيا ، قال لمحبي : رد عمامتك فاني بعد ما قلت لكما ما قلت ، تذكرت أن صلاة المعتم تفضل صلاة غيره بكذا وكذا درجة (1) وعين لنا العدد لكن لم يحضرني الآن ، وكان رحمه الله لا يقبل من أحد

1) أخرج الديلمي في (مسند الفردوس) عن جابر رفعه : ركعتان بعمامة خير من سبعين ركعة بلا عمامة . المناوي في (التيسير) : لأن ذلك حضرة الملك ، والدخول الى حضرة الملك بغير تجمل خلاف الأدب . قال وهو غريب ، واخرج ابن عساكر في تاريخه والديلمي عن ابن عمر رفعه صلاة تطوع أو فريضة بعمامة تعدل خمسا وعشرين صلاة بلا عمامة ، وجمعة بعمامة تعـدل سبعين جمعة بلا عمامة ، لكن قال الحافظ ابن حجر انه موضوع ، ونقله السخاوي وارتضاه ، واقتصر

شيئاً ، ويقول : عاهدت الله الا أقبل من أحد شيئاً الا اذا كنت محتاجا اليه ، وتحدث أيضا معنا ذات يوم ، فقال لنا : أن السلطان مولانا سليمان رحمه الله لأنه هو المنصور في ذلك الوقت ، أرسل لي مئتي دينار ، وقال للرسول وهو الفقيه سيدي محمد الزروالي ، قل له اذا وصلتها اليه إن هذه لم تدخل بيدى ، بل أتتك من دار الاعشار للنصارى برباط الفتح فاقبلها ، قال الشيخ لنا فقلت له : أقرئْه السلام وقل له : إن كان كما قلت فاقضِ بها الدينَ الذي عليك أو على أبيك ، فان الدين لا يقضى الا من الحلال ، وأما أنا فقد أغناني الله عنها ، وردها اليه ، ثم قال لنا : إنه صرف لي وقال : ادع الله لي أن يعينني ، فاني أتكلف العدل ما أمكنني ، قال فقلت له : كيف تعدل وأنت تولي على المسلمين العمال الظالمين مثل فلان وفلان ؟ وسمى لنا بعض من كان من ولاته في ذلك الوقت لو كنت تريد العدل لوليت العلماء الاتقياء وأولياء الله ، مثل الفقيه ابن عبد السلام الفاسي ، ومثل سيدي علي بن أحمد الوزاني ، فقلت له أنا وحبى المرحوم بكر الله : مَن ذكرت لا يتولون ، فقال : يجبرهم ، أهم خير من أبي بكر وعمـر ؟

ثم قال : وشيخنا هذا رحمه الله ، هو الذى طبق صيته المشرق والمغرب، وكان أعز في وقته من عنقاء مغرب ، فهو ذو المآثر الكبيرة والكرامات الشهيرة وكان رحمه الله اذا برز للناس لا يقدر على الوصول اليه مـن كثرة الازدحام عليه الا بعد جهد جهيد ، وكان ذات يوم قال لي : قد منعني ما ترى من صلاة الجماعة في المسجد فاذا خرج يوم الجمعة للصلاة غلقت الابواب حتى يسلك به لداره خوفا عليه من كثرة الازدحام لضعف بنيته رحمه الله ، وهو المولـى المشار إليه بالبنان ، وهو واحد عصره في رفعة الشأن ، وهو المؤثر مـا عند الله على الزخرف الفتان ، وهو المتقلل من المتاع الفان ، أخرج لي ذات يوم

في (التيسير) على قوله قال ابـن حجر موضوع ، انتهى ، ونقل الشيخ بناني في (حاشيـة الزرقاني) عند قول خليل : والرداء ص 214 ما نص المقصود منه : ويدل له ما خرجه السيوطي من انه (ص) لبس العمامة بالعذبة وبغير عذبة وبالتحنيك وغيره وبالقلنسوة وغيرها، ولبس القلنسوة وحدها هـ ومثله ذكره الشعراني في آخر كتابه المسمى (كشف الغمة) ، انتهى كلامه ، وقد أقره الشيخ سيدي محمد الرهوني بسكوته (مؤلف)

رحمه الله من داره المباركة اناء فيه قليل مرقة ، من سواد بطن الشاة ، ونصف خبزة ، وعنقود عنب ، وقال لي : كل هذا مطعمي ، قد سكن رحمه الله وسط بحبوحة مقام العرفان من دوح الايمان والاسلام والاحسان ، وكان صاحب مكاشفة ، كنت ذات يوم وهو بثغر آسفي واقفاً وراءه والناس يزورون ، فجاء طالب يزوره ، فبنفس ما وقعت عليه عين الشيخ قال : اترك عنك ما اشتغلت به ؟ فقال الطالب : أنا أتوب الى الله ، ثم بعد خروجنا سأل ذلك الطالب مولانا ادريس لكونه حضر مقالة الشيخ ، فقال : انـى كنت مشتغلا بتـلاوة بعض الاسمـاء .

وقال الكوهن في فهرسته في تعداد شيوخ شيخه الزروالي ما نصه : والزاهد الـورع سيدي الجيلالي السباعي المتوفي عـام اثني عشر ومئتين وألف ، ومن تلامذته العلامة الفرضي الحيسوبي العربي بن أحمد بنيس شقيق شارح الهمزية ، توفي رحمه الله بعد زوال يوم الثلاثاء متم ذى حجة الحرام متم عام 1213 ، ودفن مع أخيه المتوفى بالعام المذكور ، وقيل عام 1214 المدفون بالضريح الادريسي بروضة مجاورة لميضأة جامع الخطبة ، وهذا الداخل وسط سقيف ، وقيل دفن خارج باب الجيسة ، وقيل داخلها .

779) محمد بن أبي القاسم الفيلالي الرباطي

محمد بن أبي القاسم بن محمد بن عبد الجليل السجلماسي الزيزي البوجعدي الدار والقرار والمدفن المزار الرباطي . أخذ رحمه الله عن العلامة الحسن بن رحال ، وسيدي أحمد بن عبد العزيز الهلالي ، وسيدي أحمد بن عبد الله الغربي ، وغيرهم .

كان علامة متفننا متقنا مشاركا ، نظارا في الفقه ، اماما حافظا كشافا للمعضلات ، جماعة للدواوين ، متبحرا جامعاً لأفراد المكارم .

وأخذ عنه رضي الله عنه جماعة من أهل العلم ، منهم : الولي الصالح سيدي محمد العربي بن سيدي المعطى صاحب (الذخيرة) ، قرأ عليه وأجازه اجازة عامة ، وأسند له (دلائل الخيرات) ، و (المسبعات) عن سيدي أحمد بن

عبد العزيز الهلالي ، وقد أجاز بهذه الاجازة العامة عن المترجم تلميذه سيدي العربي المذكور، سميَّه العلامة سيدي العربي بن القاضي أحمد بن التاودي ابن سودة المري في خامس وعشري محرم عام 1213 ثلاثة عشر ومئتين وألف .

ومنهم جامع نوازله الفقهية الحافلة . . . قال في أولها :

أما بعد ، فان من منن الله علي ، واحسانه المتولى لدي ، أن ألهمني إلى معرفة من لا يشق لـه غبار ، ولا يخفى ما له من السكينـة والوقار ، والحياء والصيانة والعفة ، من علي قطب رحاه مدار النوازل ، وديدنه التطلع والكشف عما عمِيَ عن غيره من نصوص الأواخر والأوائل ، الشيخ الامام ، قدوة الانام ، وحجة على التمام ، العارف بالفروع والاصول ، والجامع للمعقول والمنقول ، خاتمة صدر العلماء وواسطة سطر الفضلاء ، سيدي محمد بن أبي القاسم الفلالي النجار ، والاجعداني الدار ، فلم تزل فوائده تتوالى علي ونوازلـه تساق إلي .

ثم قال : ولم يزل حاله معي على ما ذكرت ، وسيرته الحسنى كمـا وصفت الى أن مد الزمان الينا يد النوى ، وذبل بعد طول النضارة بسبب جريه للحضرة المراكشية ، وظننا له عدم الاوبة باشارة مَن أمرُ طاعته حتم ، أمير المؤمنين سيدي محمد بن عبد الله الى آخره .

ومنهم العلامـة سيدي محمـد بن عامـر التادلي المعداني المتوفـى سنـة 1234 .

وللمترجم مصنفات سارت بها الركبان ، وعمل بها القاضي والدان ، منها شرحه للعمل الفاسي شرحاً أزال عن محياه النقاب ، وقرب به ما كان بعيداً الادراك من الألباب ، قيد شوارده بأوثق قيد ، وأتاه طوعاً ما جمع منه فأوعى وفي جوف الفرا كل الصيد ، وأتى بمـا أربت به على الاوائل الاواخـر ، وقذفت بأصداف الدر المكنون بحوره الزواخر ، لا جرم انجد في البلاد واتهم ، وفتح بأوضح عبارة وألطف اشارة الباب المبهم ، شكر الله سعي اجتهاده ، ومد له من نعيم الجنان على بساط الامتنان طويل مهاده ، وأبقى الثناء عليه مخلداً ، وجيد

علاه لمحاسن حلاه مقلدا ، ولما كمل طبعه عام 1291 قال مصححه وأجاد هذه القصيدة من بحر الكامل نص المقصود منها :

فكأنها وهو المرادُ حديقــــة ... بل شرح حبر من ذوي العرفــان
نزه جفونك في بديع جمالــه ... واملأ وطابك من جنى أفنــان
هذا مؤلف عالم علامــة ... ينبيك عن تحقيقه بلســان
طارت به الركبان في آفاقهــا ... قد طال حامله على خاقــان
متع عيونك في جمال سطــوره ... فطروسُه كالروح والريحــان
فكأنه وسواده ببياضــه ... مقل المها من أحسن الغــزلان
أو قينة أيقنت أن جمالهــا ... حنت اليه عرائس الأذهــان
عرفت به أعراف فاس فارتــوى ... مما روى من علمه الثقــلان
وغدا به العرف المقيد واضحــا ... حلو الجنى وممتعا للجانــي
شرح عجيب ، بل عظيم نفعــه ... يغنى عن الخرشي والزرقانــي
فمسائل المعيار فيه معــارة ... بعبارة في في حسنها بمكــان
ووفوائد الحطاب حطت رحلهــا ... بفنائه بدلائل البرهــان
أضحى به الفقه الأنيق مرونقــاً ... ففروعه كحدائق البستــان
جلت معاني لفظه فكانــه ... يــم رمى بالدر والمرجــان
وغدا بتنبيهاته وفروعــه ... روض الشريعة يانع الاغصــان
شرح تسلسل سائلا بمسائــل ... يسلي عن الاكدار والأحــزان
لاحتْ ملاحةُ طبعه في صنعــه ... ما أبصرت بنظيره العينــان
حق على من ضل عنه سبيلــه ... تحصيله بنفائس الأثمــان
لو يبذل الانسان فيه طريفــه ... وتلاده ما كان ذا خســران
فاصخ بما يلقى اليك فلن تــرى ... الا صميم الحق في تبيــان
لو انصف القاضون والمفتون مــا ... حملوه الا محمل التيحبــان
كم مهمل في النظم لا معنى لــه ... أبداه بحرا لافظا بمعــان
فلله على الفاسي أقصى منــة ... بالنظم صار به عظيم الشــأن
شرح يريح الروح في أحشائهــا ... حاشاهُ من خطأ ومن ألحــان

أكرم به من شارح بل مانـــح ... متكفل بازالة الاشجـــان
لله در أبيه يسمى قاسمـــا ... قد جاءنا بكرائم الولـــدان
لم لا وأصله من بني الصحرا ؟ فما ... أحراه بالتحقيق والاتقـــان
واستوطن الثغر الرباطي مكرمـــا ... أكرم به من موطـــن وأوان
ان رمت مذهب مالك متحـــررا ... فالزم حماه تفق على الاقـــران
فكأنه الحبر ابن رشد مرشـــدا ... يهديك من تحصيله وبيـــان
أبدى الأوابدَ موضحاً أسرارهـــا ... أهدى هبات مغنيات العـــان
فأعر له عين الرضا ايـــاك أن ... ترضي بعين السخط والاضغـــان
واعمل بما حصلته وعلمتـــه ... وتعوذن بالله من خـــذلان
ان الفضائل والفواضل بالتقـــي ... والعلم لا بعمائم الكتـــان
واخش المراقب أن يراك مخالفـا ... وعظ الحشا بمواعظ القـــرآن
وتواضعن وضع التكبر زاهـدا ... ان التواضع رافع الانســـان
واذا بليت فكنت يوما قاضيـــا ... فاعدل كعدل شريح أو كأبـــان
ولقد أتى أن القضاة ثلاثـــة ... للنار منهم في الحديث اثنـــان
واعلم بأنك ثالث لثلاثـــة ... قد قيد منهم للجحيم اثنـــان
إياك والجورَ الذي يُردي وكُـــنْ ... متبصرا بتبدل الازمـــان
أين الذي قد كان قبلك غافـــلا ... قد غر بالأموال والاخـــذان ؟
فكأنني بك والمنية انشبـــت ... أظفارها ورأيتها بعيـــان
وحللت رمسا لا يصد عن الـــذي ... تلقاه الا رحمة الرحمـــان
ما ذا تقول اذا حملت الى الثـــرى ... وأتى لأجل سؤالك الملكـــان ؟
ما ذا تقول اذا وقفت بموقـــف ... وحشرت فارغ سفرة وخـــوان ؟
ما ذا تقول اذا وقفت مخاطبـــا ... وسئلت عن زيد وعن نقصـــان ؟
فاعمل لنفسك ما يفيدك في غـــد ... واعلم بأنك مدرج الاكفـــان
إياك والدنيا فانك راحـــل ... عنها وأن الدهر ذو ألـــوان
أين الذين تمسكوا بسرابهـــا ؟ ... صاروا رميما في محل رهـــان
والدهر مثل المنجنون تقلبـــا ... لا يستقرُّ لحالة بعنـــان
لا تتبع أبدا هواك فان مـــن ... تبع الهوى قد باء بالخســـران

كم من فتى قد قام في غفلاتـــه ... أبلى جديد شبابه الملـــوان
واستغن بالله الذي يغنـــــي ولا ... تصبح بسوء الظن في حسبـــان
لا تأمنن المكـــــــر ان الله ذو ... غضب على مـن كان ذا عـدوان
إياك والظلم الذى يردي فكـــم ... من ظالم غلت لديه · يـــــدان
أين الذي قد كان فظا جائـــرا ؟ ... قد هام في خطأ كما هامـــــان
أزرت به أعماله فلبيس مـــا ... قد كان يعمل ساء فعل مهـــان
وخذ القناعة في حياتك راضيـــاً ... بالله في سر وفي اعـــــلان
فالله يعلم ما تكن مع الــــــذي ... أبديته وهما لديه سيـــان
واصبر اذا نابتك نائبة وجـــــد ... بالمال في حضر وفي اظعـــان
انفق ولا تخش الخصاصة واستزد ... ربا يجد بمثالث ومثـــــان
واذا سألت فسل الاهك مخلصـا ... لا تستعن بفلانة وفــــــلان
لا تغترر بنعيم عيش زائـــــل ... لابد من بعد عن الاوطـــان
هذي النصيحة ان قبلت وان تكن ... ممن أبى تبا لحجب الـــــران
يارب كن للمسلمين جميعهـــم ... عند الممات وكل حي فـــان
كثرت لديك ذنوبنا وشفيعنـــا ... سبطا شفيع المحشر الحسنـان
وانصر أميرا قد بدا كالبدر فـــي ... ارجائنا أو هاطل هتـــــان
حبر ذكي الفهم الا أنــــــه ... فرع الملوك وضئضئي الاحسـان
سحت وما شحت علينا كعبـــه ... فندا يديه ووابل صنــــوان
جمع السماحة والشجاعة وارتدى ... بردا الحياء وبهجة الايمـــان
وافتح له ما كان صعبا مغلقـــا ... وأنله ملك الشام مع غطفـــان
واجعله موصوفا بمدلول اسمـه ... حسن يهان به ذوو الكفـــران
واجعله رب على الرعية مشفقـا ... متباعدا عن ساحـــة الادران
وأدمْ به نورَ الشريعة ناميـــا ... حتى ترى بالرفع فوق عنـــان
اصلح به وعلى يديه أمورنـــا ... واخفض مكانة عابد الاوثـــان
واجر له جمع النصارى مغنمـــا ... أسرى له من جملة الغلمـــان
وبه تصير كنائس الكفار قـــد ... نسخت بنصب صوامـــع الآذان
وأنلْه ملكَ جزائر بعساكـــر ... منصورة الاعلام في الميـــدان

فبعفوه وحيائه وبحِلْمِـــــــه | قد باء أهل جناية بجنـــــان
عجبا لقوم خالفوه فاصبحـــوا | سكرى ندامى في مكان هــــوان
جاروا ، وقد ساءوا الى أبوابـــه | مستشفعين له ذوي اذعـــــان
سلك السبيل المستقيم ففعلــــه | فعل الكرام بعفوه عن جــــان
واسلك به نهج السلامة آمنــــا | واحفظه في الاولاد والاخــــوان
وأطل له العمر النفيس بطاعـــة | بحياة حاجبه أبي عمـــــران (1)
واغفر لناظم عرفنا ولشـــــارح | ومصحح ولكاتب بأمـــــان
وسرينا الدباغ وارزق أزرقــــا | ذا الطبع ما يرضيه من إحســان
وصل الصلاة على نبي جاءنــــا | نورا مبينا من بني عدنــــان
من فاق في خلق وفي اخلاقــه | ما في الورى أبدا له من ثــــان
وعلى الصحابة أجمعين وآلــــه | ما سار زائره مع الركبــــان
واقبل دعاء المذنب العاصي ومن | يعزي لسودة طالب الغفـــــران
وختامه مسك ذكي عرفــــه | عمل يثقل كفة الميـــــــزان
قد تم طبع فاخر تاريخــــــه | شرح جميل جاه في الاكـــــوان

ومنها شرحه لنظمه المشتهر بالعمــل المطلق والمسمى بـ (فتح الجليل الصمد ، في شرح التكميل والمعتمد) أتمه عام 1196 ستة وتسعيــن ومئة وألف ، ومنها شرحه للمنظومة المسماة (اليواقيت الثمينة ، فيما انتمى لعالم المدينة) :

من القواعد ومن فرائـــــــد | من النظائر مع الفوائـــــــد

لبحر العلم والأدب الجاري ، علي بن عبد الواحد الأنصاري ، في مجلد وهو ليس بمطبوع ، أوله : الحمد لله الذي لا ينبغي الحمد الا له ، الى آخره .

كان المترجم يسكن بأبي الجعد بتادلة ، ثم أمره السلطان بسكنــى رباط الفتح بقصد قراءة البخاري به وتدريس العلوم ، فامتثل أمر السلطان

---

1) موسى بن أحمد البخاري حاجب السلطان مولاي الحسن وأبيه السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان

فبقي هنالك ، الى أن أذن له في الرجوع لابي الجعد ، فبقي مرافقا لتلميذه الشيخ سيدي محمد العربي الشرقي ، ومدة سكناه في أبي الجعد في حياة سيدي المعطى بن صالح ، وولده سيدي العربي نحو خمسة عشر عاما ، وبقي فيه الى أن توفاه الله تعالى في رمضان عام أربعة عشر ومئتين وألف ، ودفن بجنب سيدي المعطى المذكور ، وقد وقفت على قبره رحمه الله لما زرت رجال أبي الجعد نفعنا الله بهم .

وقد جرى ذكر المترجم في (الروضة المقصودة) وفي أول حاشية الشيخ الرهوني ، وفهرسة الكوهن ، (الفتح الوهبي) ، وغيرها . وقد قرظ للمترجم على جوابه في مغيب الشفق المنقول في (المعيار الجديد) في الأذان سيدي أحمد بن عبد الله الغربي ، وأبو القاسم بن سعيد العميري ، وعلي بن عبود ، وأحمد بن الحسن البوكيلي تلميذ أبي العباس الهلالي .

780) محمد بن الطاهر المير السلوي

محمد المير بن الطاهر السلوي ، كان رحمه الله فقيها علامة ، محققا عارفا بالحديث والتفسير ، دينا مجتهدا في الطب ، وهو من علماء حضرة السلطان سيدي محمد بن عبد الله الذين كانوا يؤلفون الحديث على مقتضى إشارته ، وكانوا أهل مجلسه ، ويسردون ويخوضون فيما يجمعه ويستخرجه من كتب الحديث التي جلبها من المشرق كمسند الامام أحمد ، ومسند أبي حنيفة وغيرهما ، وكان مفتيا ذا خط رائق ، وقفت على بعض فتاويه .

ولما حج بيت الله الحرام وزار قبر نبيه عليه الصلاة والسلام ، لقي مشايخ تلك الآفاق وشهدوا بفضله وعلو مقامه على الاطلاق ، وأجازه الشيخ الفاضل عمر بن عبد الصادق المالكي الششتري الاسكندري ، وقيد له الاجازة بخط يده مؤرخة في سادس جمادى الاولى من عام سبعين ومئة وألف ، ولما رجع من رحلته جلس للتدريس والافتاء ، وكان يدرس التفسير ، ولما وصل الى قوله تعالى : « سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ،

والحمد لله رب العالمين » قبضه الله اليه في اليوم الثامن من ربيع الثاني سنة 1214 أربع عشرة ومئتين وألف ، أو في تاسع عشر من شوال عام 1220 عشرين ومئتين وألف .

ورثاه تلميذه سيدي زين الدين بن رضوان المباركي التستاوتي بقصيدة مطلعها :

لله في خلقه حكم وتدبير — والمرء فيما قضى الالاه مجبور
فكل خطب وان طالت نوائبه — لابدّ يعقُبه لطفٌ وتيسير

ثم قال :

ان الجهابذة الاعلام من سلمت — منهم صدور وبيت الرب معمور

ثم قال :

مات الفقه الوجيه الصدر قدوتنا — عين النها والدها محمد المير

وهي طويلة .

781) **محمد الكامل الرشيدي** الفقيه الدراكة ، من علماء حضرة السلطان سيدي محمد بن عبد الله الذين كانوا يؤلفون الحديث على مقتضى إشارته ، وكانوا أهل مجلسه ، ويسردون ويخوضون فيما يجمعه ويستخرجه من كتب الحديث التي جلبها من المشرق ، كمسند الامام أحمد ومسند أبي حنيفة وغيرهما .

782) **محمد الطاهر بن أحمد الفيلالي**

محمد المدعو الطاهر بن أحمد الفيلالي النجار ، المراكشي الدار ، الفقيه النبيه ، الأتقى النزيه ، ذو الخير الظاهر ، والحسن البهي الباهر ، العلامة مفتي الحضرة المراكشية في وقته .

هكذا هو محلى في مواضع من نوازل العلامة السجلماسي شارح العمل الفاسي .

783) **محمد الزرهوني** كاتب السلطان مولاي سليمان ، وجهه مخدومه في سنة 1213 ثلاثة عشر ومئتين وألف لجمع أحوال المنقطعين ، فجمع منها ما قدر عليه ، وعاد سالماً معافىً ، ولما دخلت سنة تسع عشرة ومئتين وألف توجه السلطان في العسكر الى مراكش ، ولما احتل بها بعث جيشا الى السوس لنظر المترجم .

قال الزياني في الفهرسة :

والكاتب الزرهونيُ النفيس قلده ردانة والسوس

784) محمد بن الحاج العباس بن يس الجزولي

محمد بن الحاج العباس بن الحسن بن محمد بن يس الجزولي السوسي محتدا ، الفاسي دارا ومولدا ، تلقى الطريقة القادرية وأجازه فيها شيخه التاودي بن الطالب ابن سودة ، وشيخه الشريف المنيف ، الخير العفيف، الولي الصادق العارف الناصح ، مولاي عثمان بن الشيخ العارف بالله ، سيدي محمد بن سيدي محمد بن سيدي فرج الله الهزاري الحسني البغدادي القادري ، وشيخه أيضاً العارف بالله العالم الشريف الواصل سيدي عبد الرحمان مصطفى العيدروس اليمني المصري، وتلقن الطريقة الخلوتية وأجازه فيها وأذنه في تلقينها واعطاء العهود شيخه الامام العلامة الهمام مربي المريدين، وامام السالكين سيدي عبد الله بن حجازي الشرقاوي ، مؤلف (ربيع الفؤاد ، في ترتيب صلوات الطريق والأوراد) ، وشيخه سيدي عثمان القادري المتقدم ، وأذنا له في قراءة ورد السحر ، وورد الستار ، وورد الاشراق ، وورد الضحى ، وورد العصر ، وورد الظهر ، وورد المغرب ، وورد العشاء ، وتلقن الطريقة النقشبندية وأجازه فيها شيخه عالم الشرفاء ، وشريف العلماء ، سيدي محمد الأمين بن مولانا جعفر بن حميد بن زين العابدين العلوي الحسني السجلماسي الصوصي ، قاطن أولاد عميرة بالرتب ، وشيخه مولاي عثمان القادري ، وتلقى الطريقة الوازانية ، وأجازه فيها سيدي عثمان القادري ، وشيخه سيدي علي بن أحمد الحسني العلمي اليملاحي ، وأبو عبد الله التاودي ، تلقن الطريقة

الناصرية ، وأجازه فيها سيدي عثمان المذكور ، وأخذها أيضاً بمراكش عن شيخه سيدي يوسف بن محمد الناصري الدرعي ، شيخ سيدي عثمان المذكور فيها أيضاً ، وتلميذه القطب سيدي أحمد بن ناصر الدرعي ، وعن عمه الشيخ سيدي الحاج عبد الله بن عبد السلام بن يس المراكشي الدار والقرار ، الجزولي السوسي ، تلميذ القطب المذكور ، وعن الشيخ التاودي ، وبهذا السند يروي الطريقة الغازية المليانية والزروقية والشاذلية ، وتلقن الطريقة البقالية ، وأجازه فيها سيدي عثمان القادري ، وتلقن طريقة القطب سيدي أحمد الحبيب بن محمد بن صالح بن أحمد يحيى الصديقي الفيلالي اللمطي ، وأجازه بها الشريف مولاي الأمين المذكور ، وتلقن الطريقة الصادقية ، وأجازه بها مولاي الأمين المذكور ، عن سيدي محمد بن عبد الهادي الرتبي الصادقي ، عن سيدي العباس الدرعي ، عن القطب امام الطريقة سيدي أحمد بن عبد الصادق الرتبي رضي الله عنه ، عن سيدي علي الجثومي ، عن عبد العزيز بن عبد الحليم ، عن سيدي بوطيب بن يحيى الميسوري ، عن سيدي عبد الله بن ابراهيم الخياط الزرهوني ، عن سيدي أحمد بن يوسف الراشدي الملياني ، عن سيدي أحمد زروق ، وتلقى طريقة الشيخ سيدي محمد بن منصور الجلولي المصباحي ، صاحب جزيرة البسابس (1) ، تلميذ الشيخ التباع ، وأجازه بها سيدي عثمان المذكور ، وتلقن طريقة سيدي ابراهيم التازي عن الشريف المذكور ، عن يوسف بن محمد الناصري ، عن محمد بن عبد السلام بناني ، عن أبي سالم العياشي ، وتلقى أوراد الايام السبعة التي جمعها أبو حامد الغزالي ، وأجازه بها سيدي عثمان المذكور ، عن سيدي محمد بن محمد بوراس المعسكري ، عن سيدي محمود بن أبي يزيد الكوراني الكردي ، عن سيدي محمد بن سالم الحفناوي ، وتلقن أوراد الايام السبعة للقطب الكامل سيدي محمد بن عبد الكريم السمان المدني الحسني ، وأخذ (دلائل الخيرات) إذناً واجازة عن عمه الحاج عبد الله بن يس المذكور ، عن سيدي أحمد بن محمود بناصر ، عن والده سيدي محمد ، عن سيدي محمد بن سعيد السوسي المرغيثي ،

1) تقع بقبيلة المناصرة الواقعة شمالي مدينة القنيطرة

عن مولانا عبد الله بن علي بن طاهر ، عن القصار ، عن الجنوي ، عن الغزواني ، عن التباع، عن الجزولي، وأخذه أيضاً عن سيدي عثمان المذكور، عن الحفناوي،عن البديري عن المكناسي المسطاري ، عن أبي القاسم السفياني ، عن الشرقي، عن عبد الله بن ساسي ، عن الغزواني بسنده ، وأخذه سيدي عثمان المذكور أيضا عن الشيخ مرتضى الزبيدي بسنده ، وأخذه المترجم أيضا عن الشيخ التاودي ، عن الهلالي عن سيدي العربي التلمساني وهو تلقاه من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقظة ومناما ، وأمره بقراءته والاذن فيه لمن طلبه منه ، كما أخذه التلمساني المذكور عن قاضي الجان الصحابي السيد شمهروش عن مؤلفه رضي الله عنه ، وتلقـن المسبعات العشر وأجازه بهـا الشيخ التاودي والقادري ، عن سيدي محمود بن أبي يزيد الكردي الكوراني الخلوتي ، عـن سيدنا الخضر عليه السلام ، وأخذ أحزاب الشاذلي والصلاتين المشيشيتين عن التاودي والقادري اجازة واذناً ، كما أخذ عـن القادري حزب الدور الاعـلا ، وحزب النووي ، وأخذ كتب الشيخ زروق واذكاره اجازة عن سيدي علي محمود الرباطي عن الحفناوي وعن القادري ، وكتب ابن عطاء الله كذلك ، وقراءة فاتحة الكتاب مئة ما بين الليل والنهار،ونظم (I) خواص ذلك شيخه سيدي سليمان بن أحمد الفشتالي رحمه الله في شرحه (سلك اللآلي ، في شرح مثلث أبي حامد الغزالي) ونصه :

اذا ما كنت ملتمسا لـــــرزق ونجح القصد من عبد وحـــر
وتظفر بالذي ترجو سريعـــا وتأمن من مخالفة وغـــدر
ففاتحة الكتاب فان فيهـــا لما أملت سراً أي ســـر
فلازم ذكرها في كل وقـــت وفي صبح وظهر ثم عصـــر

I) هذه المنظومة في خواص قراءة الفاتحة هي لأبي حامد الغزالي نفسه ، وقد تقدم ذكرها في ترجمته (4 : 30 ع 480) ، وقد نسبها له الامام المحدث شهاب الدين أحمد بن عبد اللطيف الشرجي اليمني المتوفى سنة 898 في الفائدة الخامسة والثمانين من كتاب (الفوائد ، في الصلات والعوائد) ص 102 ، أما الامام الشيخ احمد بن علي البوني المتوفى سنة 622 في كتابه (شمس المعارف الكبرى) فقال انها منقولة من كتاب (كنز المقربين) للعلامة ابن سبعين نقلها عن الامـام علي كرم الله وجهه وذلك في I : 75 منها عند ذكره دعوة الفاتحة الشريفة ، وابن سبعين المتوفى سنة 669 هو من تلامذة البوني كما تقدم ، فتأمل هذا (مؤلف)

وبعد غروب شمس كل يوم — إلى تسعين تتبعها بعشر
تنل ما شئت من عز وجاه — وعظم مهابة وعلو قدر
ويسر لا تغيره الليالي — بحادثة من النقصان تجري
وتوفيق وأفراح دواماً — وأمن من قلائد كل شر
ومن عسر وفقر وانقطاع — ومن بطش لذي نهي وأمر
فانك إن فعلت أتاك ءات — بما يغنيك عن زيد وعمرو

وقد أخذها اجازة عن القادري ، عن بناني ، عن النخلي ، عن العقيلي ، عن حجازي ، وروى حديث الرحمة المسلسل بالأولية عن القادري والأمين العلوي ، وصافح كلا منهما ، وروى عنهما حديثها وشابكهما وروى عنهما حديثها ، وروى حديث الضيافة المسلسل بها عن الثاني ، والمسلسل بالسؤال عن الاسم وتوابعه ، والمسلسل بمناولة السبحة .

وممن أجاز المترجم بالأسماء السبعة الخلوتية الشيخ عبد الله بن حجازي الشرقاوي ، لقه بمصر ولقنه الذكر ، ونص إجازته :

الحمد لله وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى .

أيها الفاضل الرشيد، الموفق السعيد، ذو الأخلاق المرضية، والطريقة السنية ، الفقيه محمد بن العباس بن يس الفاسي ، لازال محمود الافعال ، لابسا حلل الرضا من درجات الافضال ، غارفا بكؤوس العرفان ، متمسكا بحديث الاحسان ، آمين .

بعد السلام، والدعاء ببلوغ المرام، فقد وصل كتابكم، وفهم خطابكم، وأجزناكم بالاشتغال بالأسماء السبعة من أولها على الترتيب : الاسم الاول : لا الاه الا الله ، الثاني : الله ، الثالث : هو ، الرابع : حق ، الخامس : حي ، السادس : قيوم ، السابع : قهار ، وتستعملون كل اسم منها مئة ألف مرة من غير كسل ولا تقصير ، فيحصل بفضل الله لكم الخير الكثير والفتح الشهير ، فان الله لا يضيع أجر العاملين ولا يخيب عباده الصادقين ، مع ملازمة شروط الطريق المستقيمة ، والتمسك بالشريعة القويمة .

اوالله تعالى يوفقكم لذلك ، ويتمم نظامكم في رياض تلك المسالك ، ولا تقطعوا أخباركم عنا وأسراركم ، والسلام ختام ، ثامن الحجة سنة احـدى عشرة ومئتين وألف .

عبد الله ابـن حجازي الشرقاوي المصري الخلوتي ، خـادم العلماء والفقراء .

وبعده الختم بداخله اسمه .

وممـن أجازه بالاجازة العامة سيدي عثمان القادري المتقدم ، لقيـه بزاوية جده بفاس مرارا ولقنه الذكر ، ونص ما كتبه له :

الحمد لله ذاكر الذاكرين ، ومقيل المستغفرين ، والصلاة والسـلام على سيدنا محمد خاتم النبيئين ، وإمام المتقين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وأصحابه السادات الاكرمين ، والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين .

وبعد ، فيقول عبد ربه المعبود الباري ، عثمان بن محمد الهزاري ، زاده القادري الحسني الموساوي البغدادي ، قد التمس مني من يجب اسعافه ولا ينبغي خلافه ، وهو الفقيه الأمجد ، الخير الناسك الأرشد ، المرابط الأوحد الأسعد ، سيدي الحاج محمد بن الحاج العباس بن الحسن بن محمد الجزولي السوسي محتدا ، الفاسي دارا ومولدا ، وطلب مني الاجازة في جميع ما لديَّ من الطريق والاوراد والاذكار والاسماء ، والمسميات والأسرار ، والمسبعات والصلاة على النبي المختار ، فأجبته الى ما طلب ، واسعفته فيما دعا اليـه وكرر الطلب، وأجزته بجميع أورادنا وبسائر الطرق المتصلة السند بأشياخنا، على طريق كل ولي وقطب وشيخ وأستاذ ، على طريق كل مذهب والمذاهب الاربعة الامجاد ، وبكل ذكرَ وورد ، وحزب ووظيفة ، وحفيظة ودعوة ، وتصلية صغرى وكبرى ، وكل واحدة تماثل الاخرى ، بكل مطنب أو وجيز منصوص ، أو مدخر أو مكنون أو مخصوص ، وبكتاب (دلائل الخيرات ، الجامع لأنواع المسرات) والأسماء والمسميات ، وما في ضمنها من الدعوات ، واسم الجلالة

والذات العلية والمسبعات ، وما ثبت للتميمي من المعشرات ، وبالدائرة الشاذلية والاسماء الخلوتية ، واسماء البركة والاربعين الادريسية ، ودعوة الواقعة ، وأوراد الأيام السبعة للسمان ، وكذا أوراد الغزالي وغيره من الأعيان ، إجازة تامة ، مطلقة عامة ، بشرطها المعتبر ، وقيدها المحرر ، أذنته فيها أن يجيز خصوصا ذوي الاهلية والتمييز ، وأن يلقن الاذكار ، ابتغاء وجه الملك الجبار ، وأن يعطي العهود ويورد المريدين بأي طريق شاء من طريق العارفين .

نسأل الله تعالى أن يفتح عليه وعلى من تلقن وتلقى منه بقلب سليم وطريق مستقيم ، وألبسته جبة العبادة القلبية ، وجعلتها له جسدية وقلبية ، حسبما أجازني أشياخي بذلك ، والحقته بما هنالك ، وذكرهم لا يحمله هذا المسطور لما به من الضيق والقصور ، وجلهم عنده معروف ، وبكل خير موصوف .

وأوصيه ألا ينساني من صالح دعواته في خلواته وجلواته ، والسلام .

وكتب خديم أولياء الله ، وأهل بيت رسول الله ، عبد ربه ، الواثق بالمعبود الباري : عثمان بن محمد الهزاري القادري البغدادي الموساوي الحسني لطف الله به ، ووفقه وغفر له بمنه ءامين، انتهى .

ومنهم العلامة المشارك فريد زمانه محمد الأمين العلوي المتقدم ، لقيه بفاس أيضا ، ولقنه الذكر ، وأجازه بجميع مروياته عن جميع أشياخه اجازة عامة ، ونصها :

الحمد لله ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم .

لما منّ الله تعالى على العبد الفقير ، البائس الحقير ، محمد الأمين بن جعفر الحسني الصوصي من أهل سجلماسة بوادي الرتب ، من أولاد عميرة دارا بملاقاة سيدنا وأستاذنا ونعمة الله التي أولانا ، سيدي الحاج محمد بن سيدي العباس بن يس الفاسي ، طلب مني بالوداد أن أكتب له فأجبته امتثالا لامره فأقول وبالله التوفيق : أني أجبت داعيه وأجزته بجميع ما رويته عن أشياخي ،

وما صحت لي روايته بالاذن الصحيح مـن أرباب الهمة وبالالباس ، وتلقيـن الذكر للمريدين ، وبربيع الفؤاد لشيخنا سيدي عبد الله بن حجازي الشرقاوي رحمه الله ، وبطريق سادتنا النقشبندية ، كما أخذتها عن شيخنا الحاج الطيب التازي ، عن جده من جهة الام السيد عبد الوهاب التازي رحمه الله ، قال هذا بفمه وكتبه بقلمه ، أفقر الورى الى الله محمد الامين بن جعفر المذكور ، والله خليفتي على السيد المذكور ، وأني أذنته في الاذن لمن وفقه الله ، وشـرط التقوى ، وأن لا ينساني من صالح الدعوات في الخلوات والجلوات ، وأولادنا وأهلينا وأحبائنا ، وأهل المحبة كافة ، والسلام .

في 19 من ربيع الأول عام 1226 رزقنا الله خيره ، ووقانا شره ، آمين .

ومنهم الفقيه الحجة الانبل ، الخيـر الناسك الافضل ، بركة وقتـه وعمدته ، وقطب دائرته وحجته ، ذو الفضل السامي ، والكف الممدود ، سيدي علي محمود الرباطي الدار والقرار ، الخلوتي الطريقة والنجار ، لقيـه مرارا وأخذ عنه مسائل عديدة وفوائد فريدة جيدة ، ولقنه الذكر ، وأذن له فـي مطالعة كتب الشيخ أحمد زروق ، وابن عطاء الله ، وابن عباد ، برسالة نصها :

من عبد ربه وأسير ذنبه ، تراب الاقدام وخادم الخدام علي محمود ، أحمد الله عاقبته وغفر زلته .

إلى محبنا في الله ، المرابط الارضى سيدي الحاج محمد ابن يس ، جعلك الله من الآمنين بمنه ءامين .

لقد وصلنا كتابك ومسطور خطابك ، دلنا على خالص ودادك ، جزاك الله خيرا وأصلح منك الظاهر والباطن .

وأما ما طلبت منا فلسنا من أهله ، لكن عليك بكتب زروق ، وابن عطاء الله ، وابن عباد ، والله يفتح عليك في فهم كلامهم والتفطن لاشارتهم ، والتنبه بالقلب والسير لمراداتهم وما انطوت عليه نصائحهم بجاههم ءامين .

ونريد منك أن تكتب لي وتبشرني بشيء من ذلك وما أفاء الله عليك من فضله ، بلغك الله قصدك وقصدنا فيك ، بمنه والسلام ، انتهى .

وقد ألف المترجم فهرسة سماها (المواهب القدسية ، في أسانيد بعض المشايخ الصوفية ، مع بعض الكتب البهية ، والمسلسلات النبوية) ، وقد اشتملت على مقدمة ، وبابين ، وخاتمة المقدمة في النية الصالحة ، وفوائد قرب الاسناد وما ثبت في ذلك عن السلف الصالح من العلماء الارشاد ، والباب الاول في كيفية التلقين لأوراد كل طريق ، وسندها المتصل بالتحقيق ، والباب الثاني في أسانيد (دلائل الخيرات) والمسبعات والمعشرات ، وبعض أحزاب العلماء القادات ، وبعض كتب السادات الصوفية ، وفي ضمنها من المواهب الربانية ، والخاتمة في بعض الاحاديث المسلسلات بالاسانيد المتصلة الى سيد السادات ، ثم أعقبها بذكر اجازات أشياخه ، ومن هذه الفهرسة لخصت ترجمته ، وهي في نحو كراس ونصف من الرباعي .

785) **محمد بن إبراهيم الزداغي** قاضي مراكش الفقيه العلامة ، ذكره الزياني في شرح فهرسة مولانا سليمان التي ألفها له من الطبقة الثالثة من ثلامذته ، وسراد كتبه ومغيري حواشيه وأبحاثه وأجوبته في المشكلات ، وكاتبه في ديوان رسائله ونساخ كتبه العلمية ، قال :

وقاضي الحمرا مخيف الباغـــي   محمد بن القاضي الزداغـــي

انتهـى .

وقال فيها : ثم الفقيه النحرير قاضي مراكش الحمراء ، وابن قاضيها السيد محمد بن ابراهيم الزداغي الاصل ، المراكشي الدار والنشأة ، ثم أخوه الفقيه اللطيف الذي لمكارم الاخلاق رديف ، السيد المعطي بن ابراهيم الزداغي النسب (وتقدم) ذكر والده إبراهيم (1) .

وقال في (الجيش العرمرم) : حدثنا جماعة وافرة ممن حج مع المولى ابراهيم — يعني بن مولانا سليمان سنة 1226 — في تلك الحجة ، مثل الفقيه العلامة القاضي السيد محمد بن ابراهيم الزداغي ، والفقيه العلامة القاضي

1) في الأصل (وسياتي) اعتباراً للترتيب الأول للكتاب

السيد العباس ابن كيران الفاسي ، والفقيه الشريف البركة سيدي الأمين بن جعفر الحسني الرتبي ، والفقيه المؤقت الصادق الامين السيد عبد الخالق الودي ، حدث كلٌ واحد منهم أنهم ما رأوا من ذلك السلطان سعود ما يخالف ما عرفوهُ من ظاهر الشريعة ، وانما شاهدوا منه ومن أتباعه غاية الاستقامة ، والقيام بشعائر الاسلام من صلاة وطهارة وصيام ، ونهي عن المناكر المحرمة ، وتنقية الحرمين الشريفين من القذرات والآثام التي كانت تفعل بها جهاراً بلا انكار ، وذكروا أن حاله كحال أحد من الناس ، لا تميزه من غيره بزي ولا مركوب ولا لباس ، وانه لما اجتمع بالشريف الخليفة مولانا ابراهيم ، أظهر له التعظيم الواجب لأهل البيت الشريف ، وجلس معه كجلوس هؤلاء المذكورين وغيرهم ، من خاصة مولانا ابراهيم .

وكان الذي تولى الكلام معه هو القاضي ابن إبراهيم الزداغي ، وكان من جملة ما قال لهم : ان الناس يزعمون أننا مخالفون للسنة المحمدية ، فأي شيء رأيتمونا خالفناه في السنة ؟ وأي شيء سمعتموه عنا قبل رؤيتكم لنا ؟ فقال له القاضي المذكور : بلغنا أنكم تقولون بالاستواء الذاتي المستلزم لجسمية المستوي ، فقال لهم : معاذ الله ، ، إنما نقول كما قال مالك : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، ،والسؤال عنه بدعة ، فهل في هذا مخالفة ؟ فقالوا : لا، وبمثل هذا نقول نحن أيضا ، ثم قال له القاضي : وبلغنا عنكم أنكم تقولون بعدم حياة النبي صلى الله عليه وسلم وإخوانه من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في قبورهم، فلما سمع ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ارتعد ورفع صوته بالصلاة والتسليم عليه وقال : معاذ الله تعالى ، بل نقول : انه صلى الله عليه وسلم حي في قبره ، وكذلك غيره من الانبياء ، حياة فوق حياة الشهداء ، ثم قال له القاضي : وبلغنا أنكم تمنعون من زيارته صلى الله عليه وسلم ، وزيارة الاموات قاطبة مع ثبوتها في الصحاح التي لا يمكن انكارها ، فقال له : معاذ الله ان ننكر ما ثبت في شرعنا ، وهل منعناكم أنتم لما عرفناكم أنكم تعرفون كيفيتها وآدابها ؟ وانما نمنع منها العامة الذين يشركون العبودية بالالوهية ، ويطلبون من الاموات أن تقضي لهم أغراضهم التي لا تقضيها الا الربوبية ، وانما سبيل الزيارة الاعتبار بحال الموتى وتذكار مصير الزائر الى ما صار اليه المزور ، ثم

يدعو له بالمغفرة ويستشفع به الى الله تعالى ، ويسأل الله تعـالى المنفرد بالاعطاء والمنع ، بجاه ذلك الميت ان كان ممن يليق أن يستشفع به ، هذا قول إمامنا أحمد رضي الله عنه ، ولما كان العوامُّ في غاية البُعد عن إدراك هــذا المعنى منعناهم سدا للذريعة ، فأي مخالفة للسنة في هذا القدر ؟ انتهى .

هذا ما حدث به أولئك المذكورون ، سمعنا ذلك من بعض الجماعة ، ثم سألنا الباقي أفرادا فاتفق خبرهم على ذلك ، انتهى .

وقد تكلمنا على هذه المسألة في (اظهار الكمال) فراجعه ، وذكرنا ذلك أيضاً فيما تقدم لدى ترجمة سيدي أحمد ابن العريف .

786) **محمد بن عمرو ابن عبد الله** الزروالي الأصل ، الفاسي الـــدار والمنشأ ، العالم العلامة المحقق ، الحبر البحر الفهامة المدقق ، أعجوبة الدهر في التحقيق والاتقان ، والكعبة التي يطوف بها الطائفون من بعيد البلدان ، المترجم في جميع العلوم ، القائم عليها قيام أهل الذكاء والمفهوم ، مع فصاحة لسان يعجز عنها سحبان . كانَ رحمه الله بحرا لا يجاري في مجارى العلوم ، ومهندا يفري أديم المشكلات بماضي الفهوم ، حافظا ضابطا متقنا ماهرا محصلا متفننا ، عارفا بالاصول والفروع ، حاضر الافراد والجموع ، مشاركا في معقول العلم ومنقوله ، ذا نظر يؤدى إلى تحصيل مجهوله بمعلومه في منطق وبيان ، وعربية وأصلين ، وتصوف وفقه ، وحديث وتفسير ، مع استغراق الأزمان ، في الاعتناء بالمطالعة والافادة بكل وجه حسب الامكان ، ذاهمة علية ، ومناقب زكية سنية ،طبق ذكره الآفاق ، وسارت بالثناء عليه الرفاق .

أخذ رحمه الله عن الشيخ سيدي الطيب بن كيران ، والشيخ بناني ، والشيخ التاودي ، والشيخ عبد الكريم اليازغي ، وابن عبد السلام الفاسي ، وسيدي الجيلالي السباعي، وسيدي عبد القادر ابن شقرون، وسيدي محمد بن طاهر الهواري ، وغيرهم .

وأخذ عنه هو من لا يحصى من جملتهم : السلطان مولانا سليمان ، أخذ عنه الفقه والحديث والتفسير والنحو وغير ذلك ، والعلامة سيدي عبد القادر بن أحمد الكوهن ، أخذ عنه الفقه والحديث ، والبيان ، والاصول ، والتصوف .

توفي رحمه الله من غير عقب صبيحة يوم الاحد ثاني وعشري ذي القعدة الحرام عام 30 ، وقيل تسع وعشرين ومئتين وألف ، ودفن عن يسار شيخه سيدي الطيب .

ترجمه في (امداد ذوي الاستعداد) وغيره .

وقال في (جمهرة التيجان) ما نصه :

والعالم المعدود في الموالـــــي محمد بن عمرو الزروالــــــي

انتهى .

ووقفت على ورقة بخط سيدي المجذوب بن عبد الحفيظ الفاسي ، نص ما فيها :

الحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمـد وءاله وصحبه وسلـم تسليماً .

ومما نظمه الفقيه الأديب سيدي حمدون ابن الحاج رحمه الله ما نصه :

خيمة ما بها سوى قائـــل أح وبها مد صوته وترنـــح
منهم مشتك صداعا ومنهـــم مشتكٍ مشْيَ بطنه به صبـــح
وسراويله بكفه محلـــــو ل يخاف إن سده فيه يسلـــح
منهم مشتك بواسر قعـــر لا تراه الا يميل ويجنـــح
منهم مشتك بدمل ابـــط يشتهي الفجر منه بالعصر يلمـح
منهم مشتك بطول ركـــوب قد أضر لكنه ما تنحنـــح
منهم مشتك بداء مخـــوف هو من كل داء أقوى وأرجـــح
حل في خيمة ليفرد عنـــا بأنيس به يطيب ويفـــرح
وأنيس من مسه من ســـواه قال أح أح دعني لخـــلى أح أح

انتهى .

وسبب نظمه الابيات أعلاه ، أنه كان مع رفقة من الفقهاء مسافرين لحضرة مراكش ، منهم الفقيه العلامة سيدي محمد بن عمرو الزروالي ، والفقيه العلامة سيدي محمد بن محمد ابن منصور ، والشريف المحدث سيدي عبد الرحمان بن ادريس العراقي ، وكاتب الحروف المجذوب بن عبد الحفيظ الفاسي ، والسيد سيدي محمد بن أحمد بناني ، فاتفق يوما أن كان كل واحد منهم يشتكي بضرر من الاضرار المذكورة في الابيات أعلاه ، فكاتبه يشتكي بصداع رأسه ، والشريف العراقي يشتكي مشي بطنه ، والفقيه بناني يشتكي بواسير ، والفقيه ابن منصور يشتكي دمالة تحت إبطه ، والناظم إنما يشتكي بطول الركوب ، والفقيه الزروالي يشتكي بضر مخوف قد أطال به حتى تفرد في خيمة لكثرة أنينه ونزعه ، وكان له أنيس يخدمه ويباشره ، فان مسه غيره صاح ، وقال : (أح أح دعني لخلي أح أح) .

انتهى بحرفه .

ورأيت مرثيه في ديوان الفقيه ابن ادريس للمترجم اشتملت على ستين بيتا مطلعها :

خطب عرا ومصيبة دهمـــــاء   قرحت لها الاجفان والاحشـــــاء

وختامها :

سلم على الدنيا سلام مـــودع   ان أقبرت أعلامها العلمـــــاء

ووقفت على خطه الحسن ، على نسخة كانت في ملكه من حاشية سيدي محمد اللقاني ناصر الدين على (التوضيح) للشيخ خليل في مجلد واحد، وهو خط نفيس ، وقد جمع تلك الحاشية بعضهم من طرر اللقاني على التوضيح وجعلها نسختين .

787) **محمد بن محمد ابن منصور** الشفشاوني الأصل ، الفاسي الدار والمنشأ ، الشيخ الفقيه العلامة ، الحافظ المشارك الفهامة ، المتفنن في المعقول والمنقول ، الكثير التحصيل لما ينقل أو يقول .

كان رحمه الله حافظاً لمذهب مالك، يوشك أن يعدَّ من رجال (المدارك)، مستحضرا للنوازل التي تعرض من معضلات المسائل ، مشارا اليه بكمال التحصيل ، معولا عليه فيما يرجع لحال الرسوم أي تعويل ، مع المشاركة في النحو والأصليْن والبيان والحديث والتفسير ، وكان ملازماً للتدريس والتقييد، والافادة للخاص والعام ، مع ما انضم الى ذلك من رشاقة العبارة وبلاغتها ، واذلال عويصات المسائل ، حتى يستوفى فهمها الذكي والغبي .

له حاشية على التصريح ، وحاشية على مختصر السعد ، اختصرها من حاشية سيدي محمد بن عبد الخالق البناني المصري مما جمعه من طرر شيخه الصبان ، شرع في طبعها بالمطبعة الفاسية ، وحاشية على المحلي ، جمعها من طرر شيخه سيدي عبد الكريم اليازغي ، وحاشية على شرحي بناني وقدورة على السلم ، وحاشية على الخرشي لم تكمل ، وحاشية على الاحياء كذلك الى غير ذلك .

أخذ عن الشيخ سيدي الطيب ابن كيران ، والشيخ بناني ، والشيخ سيدي التاودي ، وسيدي عبد الكريم اليازغي ، وابن عبد السلام الفاسي ، وسيدي الجيلالي السباعي، وسيدي عبد القادر ابن شقرون ، وسيدي محمد بن طاهر الهواري ، وأجازه سيدي محمد بـن عبد السلام الناصري الـدرعي ، والشيخ سيدي مَحمد فتحا بن مُحمد ضما بن أحمد بن عبد القادر الشهير بالامير ، المتوفى في شوال عام اثنين وثلاثين ومئتين وألف ، ومولده سنة أربع وخمسين ومئة وألف .

ولد المترجم رحمه الله بعد المغرب يوم الاربعاء من ذي الحجة الحرام عام تسعة وسبعين ومئة وألف ، وتوفي عند زوال يوم الاربعاء ثاني وعشري شعبان عام اثنين وثلاثين ومئتيـن وألف ، ودفن عند أرجل شيخـه سيدي الطيب ، ومن ذكر معه .

ترجمه في (أمداد ذوى الاستعداد) .

وتقدم أنه سافر لمراكش في ترجمة رفيقه سيدي محمد بن عمرو الزروالي ، وقال في (جمهرة التيجان) :

وخدنه العلامة المبـــــــرور   محمد ابن منصور المشهـــــور

وقال الضعيف في تاريخه : وفي هذا اليوم ورد السيد عبد السلام اليزمي الفاسي ، مع الفقيه محمد ابن منصور الفاسي على رباط الفتح ، ولما وصـــل اليزمي وابن منصور لمراكش أخذا في تدريس العلم بالسلطـــان ، وولي ابن منصور القضاء ، وأما الزروالي فاتى مريضاً مع الحاج العربي بن علي للرباط ، انتهى .

788) **محمد بن محمد المزوري** نسبة الى مزورة من الشاوية ، الفقيه العلامة قاضي مراكش في دولة مولاي سليمان في أواخرها ، وأوائل دولة مولاي عبد الرحمان ، وقفت على تسجيلات عليه في عدة رسوم ، وهو الذى أثبـت حوالة الاحباس الكبرى لما جددت ، منها رسم مؤرخ في فاتح شعبان عام 1237 سبعة وثلاثين ومئة وألف .

قال في (الجيش العرموم) بعد ذكر وفاة مولانا سليمان ما نصه : لما فرغ من دفنه ، واجتمع الناس الاعيان بباب دار السلطان لتعزية من حضر من أهله ، وهو شقيقه مولاي موسى ، وولده مولاي بوبكر الاصغر ، جعـل مولاي موسى يشير الى أنه أحق بالامر ، وأنه لا أكبر منه ، وهو صادق مـن جهة الجرم والسن ، ولكن لا أصغر منه عقلا وهمة ، وكان القاضي المزوري ، والفقيه سيدي محمد بن الطاهر الفيلالي إلى جنبي ، فأخرجت ذلـك الكتاب الذي كان كتبه السلطان بالعرائش ، وأمرني بحفظه ، يعني العهد ، لمولانا عبد الرحمان ، فأريتـه للقاضي ،وقلت : ان السلطان قد عهد لمولاي عبـد الرحمان ، فقل لهذا الاحمق أن يسكت حتى يظهر الخبر من الغرب الذى فيه الجيش ، وأهل الحل والعقد ، فلما قرأ القاضي ذلك الكتاب ، وتحقق خـط السلطان ، دفعه خفية لسيدي محمد بن الطاهر فقرأه خفية ومولاي موســى مشغول بالثرثرة مع من حوله ، فقال له القاضي : ما قلت ياسيدي الا الحق !

أنت بركتنا ، وأنت ولد سيدي محمد وشقيق السلطان رحمه الله ، ومن ذا الذي يتقدم عليك ؟ ولكن نحن لا كلام لنا في هذا الامر ، وانما الكلام في الغرب الذي فيه العساكر السلطانية من العبيد والوداية وعلماء فاس ، فقال له مولاي موسى : أنت يافقيه غير اسكت ، لا كلام لك ، انما أنت قاضي ، اذا أتاك من تحكم عليه فاحكم عليه ، أليس هؤلاء الذين حضروا عسكرا ؟ هنا العبيد ، وهنا الوداية ، وهنا العلماء ، ومراكش دار السلطنة ومنها تخرج الملوك .

فرفع سيدي محمد بن الطاهر يديه ، وقال : الفاتحة ، الله يرحم السلطان ويجعل البركة في بقيته ، فقرأ الناس الفاتحة فقام سيدي محمد وانصرف ، وناداه مولاي موسى : يافقيه ، يافقيه ، فلم يلتفت إليه كأنه لم يسمعه ، وقام القاضي وجعل الناس ينصرفون حتى بقي مولاي موسى وحده مع أصحابه وخاصته ، انتهى .

789) محمد بن أبي بكر اليازغي الزهني

محمد بن العلامة أبي بكر بن عبد الكريم بن علي الزهني اليازغي أصلا ، العمدة المحقق المشارك المدقق ، وحيد عصره في علم المعقول من غير مدافع ، بل وفي علم المنقول المتشيع في محبة آل البيت ، ومن له الذكر الشهير والصيت ، أديب الزمان ووحيد العصر والاوان ، بهذه حلاه تلميذه سيدي الوليد العراقي في (الدر النفيس) ، لما ترجم لنفسه في آخره قائلا : لازمته في ألفية بن مالك بشرح الازهري وحواشيه، قراءة بحث وتحقيق، وفي (مختصر السعد) كذلك مرارا ، وفي (المحلى) كذلك مرتين ، وفي (الصغرى) ، وفي (السلم) ، وفي (المغنى) ، وفي (الخزرجية) ، وفي (الحكم) ، وفي (صحيح البخاري) ، وغير ذلك ، وانتفعت به ما لم انتفع بغيره ، انتهى بمعناه .

ومن شعره رحمه الله :

خليلي ان الفاسيين لجوهر ... على جيد هذا الدهر لاح وأبرقا
صغيرهم للمجد يسرع يافعا ... وأكبرهم فوق السماك قد ارتقى

أزاهرهم عن يمن فِهرٍ تفتّقتْ | وغصنهم لا زال باليمن مورقـــا
ولو أنصفوا كانت خطا نعلهم على | جباه الورى غرب البلاد ومشرقـا

وبعض فتاويه منقولة في (النوازل الرندية) .

وفـــي مدحه يقول تلميـــذه الوزير محمد ابـــن ادريس حين قراءتـه عليـــه :

سقى معهد الاحباب صوب السحائب | ورد الى أحبابها كل غائـــــب
وحيا ثغور زهرها كل بـــــارق | يحاكي وميضا من ثغور الكواعـب
وجر النسيم الرطب من عرصاتها | ذيول دلال بين تلك الملاعـــب
ولا برحت تعتادها كل غــــادة | من الانس بيضاء الحلى والترائب
ربوع بها أنسي وراحي وراحتـــي | وأهلي وأصحابي وجمع الحبائـب
قطعت بها شرخ الصبابة والصبا | ونلت بها كل المنى والرغائـــب
كما نلت في عصر الشباب بصالح | مفازا سما عن كل خل وصاحـــب
خليل خلا من كل عيب يشينـــه | كما قد تحلى بالعلا والمناقـــب
رأى فضله نقصي كمالا فخصنـي | بود وفي العهد صافي المشـارب
بدت شمسه من غربنا فسمت بـه | لخطة فضل ليس فيها براغـــب
فأصبح مرفوع الجناب مؤيـــدا | بتوفيق رب العرش من كل جانب
فلله منه مفرداً صار جامعـــاً | لأوصاف فضل ليس تحصى لكاتب
حوى الفضل بين الناس إرثا وطارفا | وجاء بآي للعلا ومناقـــــب
هو الصدر حاز الصدر منه نفائسا | من العلم عفوا ليس تدنو لطالـب
اذا قال شعرا أو غدا ناثرا لــه | أراك اللآلي في نحور الكواعـب
ويبدي لدى فهم الغوامض آيـــة | مبينة التحقيق من فيض واهـب
ويظهر في علم التصوف والصفـا | دقائق تتلو فعله بالمواهـــب
فلا زال محفوظ المكارم راقيـــا | مراقي النجوم الزهر بين الكواكب
بجاه رسول الله أحمد من لـــه | مقام رفيع القدر سامي المراتـب
عليه الصلاة والسلام وآلـــه | وأصحابه ما سار غر النجائـب

وفيه يقول أيضا عند ختم (مختصر السعد) سنة 1230 :

جعلت حديث الحب مسك ختام　　فصح بارسال الدموع غرامي
وما زال مذ نيطت عليَّ تمائمي　　بحب الظباء الآنسات هيامي
تخذتُ ربوعَ الحب دار مقامة　　وقوضت من أرض السلو خيامي
وما زادني الا غراما ولوعة　　مقال عنول مولع بملام
ولي من ظباء الانس هيفاء غادة　　كستني بطول الهجر ثوب سقام
أحلت دمي باللحظ ظلما وحرمت　　بطول تجنيها لذيذ منامي
وقد منعت حتى زيارة طيفها　　وضنت على المضنى برد سلام
وقدت برمح القد جسمي ومهجتي　　ولم ترع في شرع الغرام ذمامي
أعارت ظباء البيد جيدا وناظرا　　وأعطت غصون البان حسن قوام
فلو برزت للشمس خرت بفضلها　　وللبدر لم يوصف بوصف تمام
لقد عز في هذا الزمان نظيرها　　كما عز في الاعلام مثل امام
رفيع ذرى العلياء شيخي محمد　　مجل بنور العلم كل ظلام
سليل العلا والمجد والجود والتقى　　امام هدى للناس وابن امام
بدا في سماء العلم بدر سمائها　　وحل من التحقيق أعلا مقام
هو الأوحدُ الصدرُ الذي بعلومه　　تيسر للطلاب كل مرام
علوم الورى قد أذعنت لذكائه　　وألقت اليه كلها بزمام
فمعقولها قد أعقلته فهومه　　ومنقولها قد قاده بخطام
ولا فن الا وهو فارس دسته　　يحلى به بالفهم كل همام
يدير على الطلاب خمرة فهمه　　فيتركهم في الخلق حلف هيام
سكارى من التحقيق حارت عقولهم　　نشاوى معان لا نشاوى مدام
يضيء دياجى المشكلات ذكاؤه　　ويبرمها من فهمه بحسام
فتبدو لأرباب العقول كأنها　　لدى فلك الافهام بدر تمام
فلله يوم قد تشرف أذ غدا　　بتلخيص سعد الدين يوم ختام
لقد حررت أبحاثه ونقوله　　وحط عن المقصود كل لثام

وحلي بالتحقيق أبدع خليـــــة وجلـّي عن معناه كلُّ ختام
فلا زلت يابدر العلوم محمـــد تزيح عن الافهام كل ظـــلام
وأبقاك ربي للفضائل منهـــلا تروي بعذب الفهم كـــل أوام
وأسأل رب العرش يتحف جمعنـا بفتح عظيم بالمعارف ســـام
ويلحقنا بالعاملين بعلمهـــم لننجو غداً من شدة وزحـــام
بجاه إمام المرسلين محمـــد وآل وصحب ماجدين كـــرام
عليه صلاة الله ما ذرّ شـــارق ووشّى أديمَ الروض صوبُ غمام

وللمترجم قصيدة رائية من البسيط ، نظمها في مدح تاريخ الزياني ، وقد أثبتها الزياني في آخر (الروضة السليمانية) ، وحلاه بالعلامة الأديب ذي الرمي المصيب ، ومن نظمه رحمه الله (حدائق الازهار الندية ، في التعريف بأهل الزاوية الدلائية) .

وقال أيضاً :

إليك أبا العباس جئنا وما لنـــا سوى بابك الأحمى ملاذ ومعقـــل
قصدناك للأمر الذي فطر الحشـا ومنه أبحر الجود يزيد يدبـــل
وحاشا وكلا أن نؤوب بخيبــــة فشأن كريم الاصل يحمي ويحمل

وقال أيضاً :

إليك رسول الله أرفع ما دهـــا فأنت لها يامن يقول أنا لهـــا
ومن جودك الفياض نرجو أمانيا بك الله في الدنيا والاخرى أنالهـــا

وقال أيضاً :

ياليلة الاسرا لك الشرف الذي من دونه رتب الكواكب تنـــزل
تيهي كما تاه البراق بأجمـــد فغدا بعزّ ركوبه يتدلّـــل
سبحان من أعطاكما فضلا بـــه فهو الكريم بخلقه المتفضـــل

وقال أيضا هذا الموشح :

من هواك أصبح في أمانـــــــي

لا يــــــــزال * يعلو بعليـــاك ... ياطراز الكـــون * ياذا البهـــــا

يازيـــــن زيـــــن ... يارفيع في رتب المباني

الـــــوجـــود * من سر معناك ... إنســه والجـان * بك أزدهـــى

السعـــــــود * في طي مرضاك ... ياسنا الكونيـــن * يامشتهـــى

يازيـــــن زيـــــن ... في بهاك تنجذب المعاني

فـــي سنـــاك * يادر أسـلاك ... قــرة العيـــن * أنس النهـى

فـــي حمـــاك * ما زلت أرعـاك ... أرتجي في الحين * نورا زهـــا

يــــــازيـــــن زيـــــن

وقال أيضا رحمه الله :

يارسول الله خطبي معضـــــل ... ليس إلا بالدوا منك يــــــزول

جاهك الشمس وخطبي ظلمـــة ... ما له عند سناها من نـــــزول

أنت غوثي وملاذي دائـــــما ... ياملاذ الكل عند ما يهـــــول

فأغثني يامغيثا في غــــــد ... وأنلني كل مأمول وســــول

أنت باب الله ياعين الهــــدى ... يامفيض الفضل ياعين الوصـول

وعليك الله صلى دائمـــــا ... ما أمال الغصن في روض قبـول

وقال أيضاً :

أرى المرء في الدنيا على كبر يسعى ... ولا يرعوى عنها بموعظة ترعـــى

أضرَّ به حمق ألم تر أنـــــه ... حريص عليها وهو يعلمها أفعـــى

وصبه حكيم العصر يبطل سمهـــا ... فكم من حكيم ماهر أخطأ النفعـــا

وأفضل خلق الله شخص رمى بها ... ثلاثا فلم يملك لعصمتها الرجعـا

يؤى ضدها الاخرى وكيف بعاقل ... يجوز في الضدين أن يبصر الجمعا

طوى شقة منها فعادت لأصلهـــا ... وللأصل أسباب تكون له رفعـا
وسافر عنها وهو فيها وانمـــا ... هو حب القلب لا الماء والمرعى

وقال أيضاً :

مولد للمصطفى شـــرف ... وبه للأنبيا شغـــف
جوده في الكون مُنبلـــج ... منه كل الخلق يغتـــرف
نوره للكافرين دجـــا ... فدهاهم في الوغى تلـــف

وشـرح كتاب أميـر المؤمنين المقـدس مولانا سليمان لأهـل فاس بالتقريع في قضية من خرج عن الطاعة من أهل الشر والعصيان ، نقله الزياني في (الروضة السليمانية) في حوادث سنة 1235 ، وأشار اليه أحمد ابن الحاج في صدر شرحه لكتاب مولانا الحسن له .

فـائـدة

ذكـر الزياني فيما كتبه علـى (الروضة السليمانية) حيـن قدمها للسلطـان مولانا سليمـان ، أن محمد ابـن ادريس ، والمترجم اليازغـي ، ومحمد الكنسوس هم الذين ظهروا في دولة أمير المؤمنين بعد الشيخ حمدون، والشريف سيدي سليمان الحوات ، وأن أعرفهم بالتاريخ ابن ادريس لكونه باشره معه حالة تخريجه ، وستأتي ترجمة الباقيين .

توفي المترجم رحمه الله في ذي القعدة الحرام عام 1238 ثمانية وثلاثين ومئتين وألف بمراكش ، ودفن بضريح ولي الله أبي العباس السبتي ، وترجم لوالد المترجم في ص 110 من ج 2 من (السلوة) .

790) محمد (العربي) بن محمد (المعطى) الشرقي

محمد العربي بن محمد المعطي بن محمد المدعو الصالح الشرقي ، الشيخ الامام أبو المواهب ، ألف فيه حفيده علامة وقته الامام المجمع علـى بركته ، سميه سيدي الحاج العربي بن داوود (الفتح الوهبي ، في مناقـب

الشيخ أبي المواهب مولانا العربي) ورتبه على مقدمة ، وستة أبواب، وخاتمة ، المقدمة فيما يتعلق بالاولياء من سلوك طريق الادب معهم ، واعتقاد الخير فيهم ، وإثبات الكرامة لهم ، وكيفية زيارتهم ، وما اختير لذلك من الدعاء ، الباب الأول في فضل سيد الوجود ، والسبب في كل موجود ، الثاني في فضل الأمة المحمدية ، الثالث في التعريف بجده الشيخ سيدي محمد الشرقي ، وأشياخه وطريقته ومناقبه ، وبعض أولاده وتلامذته ، الربع : في التعريف بالشيخ صاحب الترجمة ، وذكر نسبه الصالح ، وابتداء حاله ، وبناء أمره على الاستقامة والتقوى ، الخامس : في ذكر أشياخه من المشارقة والمغاربة ، والسادس : في مآثره ، والخاتمة : فيما ينبغي للمريد سلوكه مع مولاه .

كان المترجم رضي الله عنه اماماً عارفا وجبلا راسخا .

ورث الولاية والدا عن والد وغدا لاهل الأرض خير سراج
من غر أسلاف وأكرم معشر من حل أرضهم سمي بالتاج

نشأ محافظا على دينه من صغره ، بسبب دعوة دعاها والده لامه السيدة الحقاوية من ذرية الشيخ سيدي عبد الحق القيرواني دفين جبل تعزيط ، من بلد بني عتاب ازاء وادي العباد (1) .

كان المترجم زوارا للأولياء ، ثم حبب اليه كثرة الصلاة والذكر والدعاء ، يبيت يناجي مولاه ساهر الطرف ، باكي العين ، ثم أشرب قلبه حب تلاوة القرآن ، والمحافظة على الصلاة في الجماعة ، مغتبطا بكتاب الله ، لا يبقى بلا وضوء قط ، يبيت يطالع كتبه ، ملازم الصلاة في الجماعة الا لعذر ، زاهدا صابرا وقوراً حلو المفاكهة ، طيب الاخلاق ، غاض الطرف عن مريدي اذايته ، ويجازيهم بالاحسان الجزيل ، محافظا على السنة متمسكا بها ، متخلقا بأخلاقه عليه السلام في شؤونه كلها .

---

1) كذا بالأصل ، ولعله يريد وادي العبيد

أخذ القرآن العظيم والتوحيد على الفقيه البركة سيدي المحجـوب الموسوي ، ومن أشياخه رحمه الله العلامة سيدي محمد بن بلقاسم السجلماسي شارح (العلمين) ، قرأ عليه وأجازه اجازة عامة ، وأسند له (دلائل الخيرات) و(المسبعات) عـن سيدي أحمد بن عبـد العزيز الهلالي ، ومنهـم سيدي التاودي ابن سودة ، وأجازه اجازة عامة ، وأخذ علم الحديث عن العلامة سيدي أحمد جاد الله خناني ، والتفسير والتوحيد وغير ذلك عن العلامة سيدي محمد العقاد الفيومي بجامع الازهر ، و (الشمائل) و (الشفاء) عن العلامة سيدى محمد بـن أحمد الاثري الحنفي البخـارى الخليلي ، ومختصر أبـي الضياء ، ورسالة ابن أبي زيد ، وشرحهما ، والنحو والمنطق والمعقول عن سيدى علي الجدادي المالكي ، والمصافحة عن الشيخ مرتضى .

وممن أجازه سيدي محمد الحديدي الازهري ، والخناني المذكور ، ثم الامام أحمد الدمنهوري ، والفيومـي المتقدم ، وسيدي محمـد الحفناوي الشافعي ، وسيدي محمد بن ابراهيم المصلحي الشافعي ، والجدادي المتقدم ، وسيدي حسن بن علي الـكفراوي ، والشيخ مرتضى ، والامام عبـد البسيط السنديوني .

وأما الطريقة فمبنى أساسه ونور نبراسه ، فهو والده الامام الشيخ مولانا المعطى ، وما مات رضي الله عنه حتى تركه وليا صالحا ، وان كان قـد تركه صغيرا ، ثم أعاد الاخذ عن سيدي محمد بن أبي القاسم السجلماسي ، فهو الواسطة بينه وبين والده ، وأخذ الخلوتية عن الحفناوي .

ومـن كرامات المترجم رضي الله عنه أن العلامة سيدي العربي بـن السايح الشرقي ، أخبر أن والده السيد السايح كان لا يلد الا الاناث ، فأتى يوما للشيخ فزاره واشتكى عليه ، فأعطاه الشيخ قميص صبي ، وجعل له فيه وردة ، فصدق الله اشارة الشيخ ورزق السيد العربي ، فكان وردة في العلم والعمل ، وقد استوفى كرامته رضي الله عنه في الاصل .

توفي رحمه الله يوم السبت في جمادى الاولى عام أربعة وثلاثين ومئتين وألـف .

ومن أولاده رضي الله عنه العلامة سيدي بن داوود ، كانت له محبة في الشيخ سيدي أبي العباس السبتي ، إذا عرضت له حاجة يكتبها في بطاقة ويرسلها إلى قبره ، فيكون قضاء تلك الحاجة كفلق الصبح .

لخصت هذا كله من التأليف المذكور ، وقد قرظه العلامة سيدي أحمد ابن سودة بتقريظ حسن ، مؤرخ في ثامن شوال عام 1298 .

وللمترجم سيدي العربي :

أمولاي ياقطب الزمان ومن به ... ملاذ اذا ما المرء أصبح في ضيق
فسرح عبيدا واعطف اليوم سيدي ... غياثا فأنت الغوثان خيف من خفق
فحاشاك ياقطب الانام وشمسها ... يضام لكم نجل ويخشى من الزلق
وأنت أمام زاهد متورع ... وغوث لمن ناداك ياسيدي الشرقي

ووقع له بسبب بعض الوشاة من ولاة بني زمور من قبيلة ورديغة ، الذين وشوا للسلطان سيدي محمد بن عبد الله أن جل قبيلتهم يدخلون للزاوية الابي جعدية وما حواليها ، ويمتنعون من أداء ما وظف عليهم لجانب المخزن ، فكتب السلطان بأن يقع التصرف في جميع نواحي أبي الجعد ما عدا الحرم ، فدخل العسكر والقبائل ، وصاروا يأخذون الناس من الاضرحة من غير اطلاع المخزن على ذلك ، والمترجم بداره لا يعلم ما يقع ، وفي اليوم الثاني وجه المخزن عليه وهيأ له عدة من البغال ، لينتقل لمراكش مع بني عمه ، حتى تظهر نتيجة خدمة الواشي ، فلما وصل لقصبة تادلة أكرمه السلطان اكراماً جزيلا الى أن وصل لمراكش ، فنزل بحومة القصور وبقي هناك نحو الثلاث سنين يسرد معه صحيح البخاري ، ولما وقع الختم أكرمه وأمره بالرجوع لمحله ، فتربص بعده بعض الايام ، وخرج السلطان للرباط فأخذته المنية بالطريق ورجع الشيخ للزاوية .

ولما بويع مولاي اليزيد وجه على الشيخ ، واعتنى به وأتحفه بخزانة من كتب وتوادع معه ورجع للزاوية ، وبعد مماته بايع مولانا هشاماً كغيره من أهل الحوز .

ثم لما بويع مولانا سليمان بفاس كتب للشيخ بأن يوجه بيعته ، فلم يمكنه ذلك لبيعة مولاي هشام ، وبقي الامر يتردد بينهما والوشاة يشون بينهم، ولما طلب الاقالة من مولاي هشام وأقاله في بيعته ، بايع المولى سليمان وذهب لفاس ومكث نحو العشرين شهرا مع علماء وقته واشرافه ، ولما أذن له في التوجه عجل بالرجوع لوطنه .

وذكر الزياني أن المترجم وأولاده وبني عمه أخرجهم سيدي محمد بن عبد الله من زاوية أبي الجعد الى مراكش ، فاستقروا بها الى أن مات ، فردهم مولاي هشام الى زاويتهم ، ثم نقلهم منها الى فاس ، ثم ردهم الى زاويتهم ، انتهـى .

وقال سيدي حمدون ابن الحاج يوم ختمه لتفسير البقاعي ، مستشفعاً لمولانا سليمان أن يرد المترجم لوطنه بسلام ، وأن يصلح ثغور الاسلام ، قصيدة مطلعها :

طاب المقام وطاب السير والسفر   وما تشاؤه فيه النصر والظفــــر

وحلى المترجم مولانا سليمان في (عناية أولى المجد) بالشيخ العالم الحافظ المشارك الصالح ، أبي حامد العربي بـن الشيخ العارف الصالـح ، المعطى بن الصالح الشرقي العمري ، عند ذكر تلامذة الشيخ المقريء العلامة سيدي محمد بن عبد السلام بن محمد بـن عبد السلام بن العربي بـن أبي المحاسن الفاسي ، وهذه النسخة من (العناية) بخط سيدي عمر بن عبـد الـرحمان الفاسي ، بتاريـخ صفر عام 1299 . وكان حج المترجم عـام 1190 ، وذكره الشيخ مرتضى في (شرح الاحياء) في كتاب السماع ، وقـال فيـه أحـد الأولـيـاء الصالحين ، ومن مشاهير تلامذته محمد بـن عـبـد السلام بن محمد بن أحمد البناني المتوفي سنة 1234 ، وأبو حامد العربي بن القاضي أحمد بن التاودي ابن سودة ، وأبو حامد محمد العربي بن محمد الدمنتي الفاسي ، ومحمد بـن حفيد بـن هاشم القادري الحسني ، وأحمد بـن . . . التلمساني السماتي ، ومحمد الهاشمي البقالي ، والشيخ العربي الزرهوني ، وأجازه اجازة مذكورة في (اتحاف الحفيد ، بترجمة جده الصنديد) .

791) **محمد المكي ابن مريدة السرغيني** الساوري الصنهاجي المراكشي ، من أهل مراكش ، وكان اماما بها بسيدي أحمد السبتي ، ومن أهل العلم والفقه والجلالة والدين .

توفي بفاس بعد قدومه اليها زائرا ، ودفن بباب دار الوزير السيد موسى قريبا من دار المخزن ، وضريحه هناك مشهور معظم .

ذكره في (السلوة) .

وذكره الزياني في شرح (جمهرة التيجان) من أشياخ مولانا سليمان ، وهو صنو قاضي مراكش السيد الفضيل والد الفقيه السيد علي .

وللمترجم رحمه الله تأليف سماه (الكواكب السيارة ، في البحث والحث على الزيارة) ، وقفت عليه في مجلد ، ذكر فيه أنه لما صدرت من مولانا سليمان رسالة مختصرة مفيدة مشتملة على علوم جمة ، تكلم فيها على الزيارة لأجل ما عرض بها وطرأ من البدع التي لا تخفى على أحد ، أراد أن يكتب بعض ما ظهر مما سطره علماؤنا رحمهم الله ، امتثالا لما أوجبه الله من طاعته .

وقال في (المجد الطارف) ما نصه : المكي بن محمد ابن مريدة السرغيني الصبيحي ، من بني صبيح من قبائل العرب القادمين في المئة السادسة ، زمن الموحدين الى المغرب الاقصى .

كان هذا الفقيه رجلا عالما صوفيا لا تأخذه في الله لومة لائم ، له الوجاهة عند السلطان أمير المؤمنين مولانا سليمان بن محمد رحم الله الجميع ، فوشى به بعض الولاة الظلمة للسلطان حتى أوغر صدره عليه ، فأشخصه لحاضرة فاس ، ثم أتبعه بعياله وأهله ، فلم يبق العامل الذى سعى به الا أياما حتى قطعه قبيلة الرحامنة اربا اربا ، ورموه بوادي نسيفة (1) ، فذهب به الوادي شذر مذر ، أي متفرقاً ، وتبعه بالقرب مولانا سليمان رحمه الله ، فنعوذ بالله من دعوات الصالحين .

---

1) نهير يجري شمالى مدينة مراكش ، اشتهر باسمه المبربر : تانسيفت

توفي سيدي المكي المذكور سنة أربع وثلاثين ومئتين وألف بفاس، هكذا بخط ولد أخيه الفقيه النزيه ، المدرس الواعظ سيدي علي بن الفضيل بن مريدة ، انتهى .

792) **محمد بن عبد الله الغربي الرباطي** ، من العلماء الذين كانوا أهل مجلس السلطان سيدي محمد بن عبد الله العلوي الذين كانوا يؤلفون له ويسردون ويخوضون فيما يجمعه ويستخرجه من كتب الحديث التي جلبها من المشرق ، كمسند الامام أحمد ، ومسند أبي حنيفة وغيرهما ، وكانوا لا يفارقونه سفراً وحضرا ، وسافروا معه من مراكش الى الصويرة وغيرها .

793) **محمد بن عبد السلام الشرقي** ، دفين روضة القطب الأكبر سيدي الجزولي رضي الله عنه .

كان رحمه الله وليا صالحا ، زاهدا ورعا أستاذا مبرزا ، أخذ عنه ابن عمه سيدي محمد الحفيان الآتية ترجمته (1)

794) **مَحمد (فتحا) المدعو الحفيان** ، من حفَدة الشيخ سيدي مَحمد الشرقي ، قال في (البغية) عند قول المنية :

والعمري السيد الحفيان ذي العلم والصلاح والعرفان

ما نصه : العلامة الأستاذ المقريء المشارك الفاضل ، سيدي مَحمد بالفتح المدعو الحفيان ، آل الشيخ الكبير ، والقطب الشهير ، سيدي مَحمد الشرقي العمري رحمه الله تعالى ورضي عنه ، رحل من بلده في طلب العلم الى مراكش، فأخذ القراءات وأحكامها عن ابن عمه الولي الصالح ، الزاهد الورع ، الاستاذ المبرز سيدي محمد بن عبدُ السلام الشرقي دفين روضة القطب الاكبر سيدي

---

1) هذا الشيخ (تقدم) ذكره في ترجمة تلميذه العلامة سيدي أبي القاسم بن عبد العزيز الشاهد المراكشي الذي أجازه في التاسع عشر من جمادى الأولى عام 1217 (مؤلف) ، انظر 1 : 30 ع 11 من هذه الطبعة

محمد بن سليمان الجزولي رضي الله عنه ، وسمع بها شيئاً من الحديث ، ثم رحل الى فاس فأقام بها مدة ، وقرأ بها على غير واحد من مشايخها ، وفي هذه المدة لقي الشيخ رضي الله عنه وأخذ عنه ورده ، وصحبه وانتفع بصحبته نفعا ظاهراً .

وحدثني قدس سره عن سبب اجتماعه بالشيخ وأخذه عنه ، فقال : كان لي رفيق من الطلبة من أولاد أبي السباع ، وكان قد أخذ عن الشيخ رضي الله عنه ورده ، وانخرط في سلك أهل طريقته ، فكنت اذا وجدته يذكر أوراده وهو على غاية ما يكون من الخشوع والحضور وغضّ الطرف والاستغراق في الذكر ، أهزأ به كالمداعب له ، وأقول له : أي شيء تصنع ؟ وما هذا الشغل الذي أنت فيه ؟ فكان يصبر لي ويستمر على عمله ، فاذا قضى غرضه من ذلك أقبل علي وذكرني ، وتطلف معي في الوعظ والتنفير عن الاستهزاء بأهل نسبة الله تعالى ، وربما ذكر لي الشيخ رضي الله عنه بما يرغبني في الاخذ عنه ، فلما كان ذات ليلة وقد فعلت معه مثل ذلك وبالغت فيه ، التفت إليّ بعد ما قضى ذكره وكلمني في ذلك ، وذكرني بجد وبعض تعنيف على وجه النصيحة لي ، فلم أشعر أن قلت له : ان أردت أن أدخل معك في هذا الامر فأرني كرامة يطمئن بها قلبي لما تقوله ، فقال لي : وهل أنت فاعل إن رأيت كرامة ؟ فقلت : نعم ان شاء الله ، وقد كان مضى من الليل القدر الذي ينام فيه الناس ، وتشد أبواب السكك ، بحيث لا يفتح الموكلون بغلقها الا لمن عرفوا أنه من أهل الحومة مثلا ، بعد مشقة تلحقه معهم في ذلك كما هو معلوم ، قال : فتوافقت مع الرفيق المذكور على أننا إن قصدنا دار الشيخ رضي الله عنه في ذلك الوقت ، ولم يتعذر لنا فتح الابواب التي بين المدرسة التي نحن نازلون بها ، وبين داره ، وهي كثيرة ولا يتعذر علينا أيضا لقاء الشيخ في ذلك الوقت ، فان ذلك يكفيني كرامة ولا أرجع حتى آخذ عنه رضي الله عنه .

فنهض الرفيق بشدة عزم وقال لي : قم بنا ، ففتحنا المدرسة وخرجنا قاصدين دار الشيخ رضي الله عنه ، فكلما أقبلنا على باب درب أو سوق وجدناه مفتوحا ، وكذلك حوانيت أهل الاسواق مفتوحة والمصابيح موقدة بها ، وأنا لا

أشك أن ذلك ليس من عادة أهل البلد ، وأن ذلك خرق عادة ، فاخذني من ذلك رعب عظيم ولم نزل كذلك حتى أقبلنا على باب دار الشيخ رضي الله عنه ، فاذا الضوء يظهر لنا ببابها ، فلما انتهينا الى الباب استأذن الرفيق ، فاذا الشيخ رضي الله عنه جالس كالمتهيء للقيانا المنتظر لنا ، فأدينا الواجب من التسليم عليه وجلسنا بين يديه ، فرحب بنا وأقبل بكليته علينا ، ثم طلبت منه التلقين ، فمن الله تعالى علي بمساعدته لي على أحسن ما ينبغي في الحين ، ثم رجعنا والابواب على حالها وكذلك الحوانيت ، فلما دخلنا المدرسة ، سمعنا بعض المؤذنين بالقرويين ممن عادته أن لا يؤذن الا بعد مضي ثلث الليل .

قال صاحب الترجمة قدس الله ثراه : وهذا أول خارق اتفق لي مع الشيخ رضي الله عنه ، ثم شاهدت بعد ذلك ما لا يكاد ينحصر ، قلت : وقد حدثني من ذلك بشيء كثير ، وقد أثبت بعضه في هذا التقييد ، ولا يمكنني استيفاء ترجمته تفصيلا الآن والله المستعان ، انتهى .

وانما لم يبسط في (البيعة) ترجمته لأنه من عائلته وقرابته ، وبسط الكلام فيه يؤدى الى التزكية ، فتنكب بسط كراماته فيها قصدا للخمول ، انتهى .

وممن أخذ عن المترجم : الاستاذ البركة السيد عبد السلام بن المخفي الحصيني ، قرأ عليه القاضي سيدي الحاج عبد الله بن خضرا بقراءة أبي عمرو بن العلاء ، ثم بالقراءات السبع ، وكان ذا باع في علم القراءات ، عارفا بالرسم والضبط والنحو ، كما في (الاتحاف ، بما يتعلق بالقاف) للقاضي المذكور .

795) محمد بن محمد (الصادق) ابن ريسون العلمي

محمد ابن العلامة المحدث محمد الصادق ابن ريسون الحسني العلمي اليونسي التطواني ، باقعة صقعه ، عميد الأشراف ، العلامة المسند ، المحدث الضابط ، النسابة الرحلة ، الراوية الصالح .

رحل الى فاس سنة 1177 ، وروى بها عن جسوس ، وعمر الفاسي وابن الحسن بناني ، والتاودي ابن سودة ، ومحمد بن الحسن الجنوي ، وعبد القادر بوخريص وأجازوه اجازة عامة ، كما أجازه أيضا بالمغرب محمد بن أبي القاسم الرباطي ، شارح (العمل) ، ومحمد بن علي الورزازي ، وابن عبد السلام الناصري الدرعي الأخير عام 1216 .

وحج عام 1216 فاجازه جماعة بالمدينة : عثمان الشامي المدني ، والسيد زين العابدين جمال الليل المدني ، وبمصر عبد الله الشرقاوي ، والأمير الكبير ، وعبد المنعم العموي المالكي ، وأحمد العريشي الحنفي ، والشمس محمد الدسوقي ، وسالم ابن مسعود الطرابلسي الازهري ، وعبد العليم الفيومي الضرير ، وبتونس الشيخ محمد بيرم الاول ، وبطرابلس البرهان ابراهيم بن محمد بن علي بن عبد النور اليزليتني الطرابلسي وغيرهم .

وروى الحديث المسلسل بالفاتحة عن الاستاذ عبد الرحمان المنجرة من طريق شمهروش الجني ، وأخذ بمراكش عن المقريء المحدث النحوي ، حاج الحرمين ، محمد بن عبد الرحمان التدلاوي تلميذ المذكور قبله ، وأخذ أيضا عن الشيخ المشارك الاديب المؤرخ محمد بن العباس الشمرادي ، وأخذ الطريقة الشاذلية عن الطيب بن محمد الوزاني ، وطريقة سلفه عن محمد بن علي بن الحسين ابن ريسون ، وعن أبيه محمد الصادق ، عن جده أحمد ، عن أبيه الحسين ، عن أبيه محمد ، عن أبيه علي ، عن مولاي عبد الله بن حسين المغاري المصلوحي ، وأخذ الطريقة الخلوتية عن القطب أحمد الصقلي دفين زاويته بفاس ، وتلميذه المعمر عبد الوهاب التازي ، قال المتوفى عن نحو المئة ، وعبد العليم الفيومي وغيرهم .

ومات بوزان سنة 1234 كما وجدته بخط تلميذه ابن رحمون ، وبخط شيخنا القاضي ابن سودة سنة 1236 . له فهرسة حافلة ألفها باسم أبي القاسم الزياني صاحب (الرحلة) ، ومنها نقلت ما ذكر .

أجاز المترجم للسلطان سليمان بن محمد العلوي ، والتهامي ابـن رحمـون ، والشهاب أحمد بن عبد الرحمـان الطرابلسي الطبولي المتوفـي بطرابلس سنة 2154 ، ومن طريق الاخير نتصل به عن الشيخ فالح الظاهري ، عن الشيخ السنوسي وعمران الياصلي ، كلاهما عن الطبولي عنه ذكـــره في (فهرس الفهارس) (1) .

ووقفت على فهرسته المذكورة وهي في نحو كراس ونصف من القالب الكبـــير .

796) محمد بن عبد السلام ابن ناصر الدرعي

محمد بن عبد السلام بن عبد الله بن محمد الكبير بن الشيخ محمد بن ناصـر .

قال الكوهن في فهرسته لدى ترجمة شيخه سيدي الطيب ابن كيران: وأجازه حسبما أخبرني به بعض الثقات ، خاتمة الحفاظ بالديار المغربيـة ، الامام المحدث سيدي محمد بن عبد السلام الناصري الدرعي المتوفي في صفر سنة 1239 ، انتهى .

وقال في (طلعة المشتري) : كان علامة أديبا فقيهاً محدثاً ، حافظا فاضلا ، لم يأت بعد الشيخين في آل ناصر من هو أعلم منه ، قرأ بفاس على شيوخها كالشيخ جسوس ، والشيـخ التاودي ، والشيخ بناني ، والعلامـة الحافظ سيدي ادريس بـن محمد العراقي الحسيني ، وهو عمدته فـي علم الحديث ، وأحمد الشرايبي ، وكل هؤلاء اجازه باجازات طويلة ، وأجـــازه الفقيه العلامة سيدي محمد بن أبي القاسم السجلماسي شارح العمل وناظمه وغيرهم ، ورحل إلى المشرق مرتين ، إحداهما سنة ست وتسعين ومئة وألف ، والاخرى سنة احدى عشرة ومئتين وألف ، وكان عالي المنزلة عند السلطان

1) الترجمة منقولة بالحرف من **فهرس الفهارس والأثبات** 1 : 333

مولاي سليمان بن محمد رحمه الله ، فكان اذا حج أرسل معه أموالا جزيلة بقصد تفريقها على علماء مصر والحرمين الشريفين وأشرافهما .

واجتمع هنالك بجماعة من الايمة المشاهير ، وأخذ عنهم وأخذوا عنه ، منهم الشيخ مرتضى الحسيني الواسطي الحنفي المذهب ، شارح (الاحياء) و (القاموس) وغيرهما ، أجتمع به في حجته الاولى ، وأقبل عليه وأجازه ، ومنهم الشيخ أحمد بن محمد الدردير شارح المختصر وغيره ، والشيـــــخ محمد بــن علي الصبان شارح الخلاصة وغيرها ، وهــو شافعي المذهب ، والشيخ محمد بن محمد الامير صاحب المجموع وغيره ، ومن عدا هؤلاء من الأيمة المشاهير ، وكلهم أجازوه ، وأجازتهم مثبتة في كناشه ، وقفت عليهـا بخطوطهم رحمة الله ورضوانه عليهم .

ومن الفوائد التي استفادها في رحلته الثانية ، أنه لما انتهى الــى طرابلس ، عثر عند رجل من طلبتها يقال له أبو الطبل ، على كتب نفيســـة غريبة اشتراها باصطنبول في صفقة واحدة بثمن تافه ، منها سفران من كتاب (الكمال) للحافظ عبد الغني المقدسي ، في رجال الكتب الستة ، وهو الذى اختصره أبو الحجاج يوسف المزي الدمشقي ، وسماه (تهذيب الكمال) ، ثم اختصره الذهبي ، وسماه (المقتضب) (1) ومنها نسخة من صحيح البخاري في مجلد واحد بخط الحافظ أبي علي الصدفي شيخ القاضيعياض ، قال فراودته على إبدالها بنسخة جليلة مذهبة ، يناهز ثمنها السبعين دينارا فيجزء أيضا فابى، وعرضت عليه الثمن مضعفاً فابى ، ويأبى الله الا ما يريد ، وعليها من سماعات العلماء أهل القرون السالفة عياض فمَن دونه إلى ابن حجر العجب ، ومــن جملة ما كتب عليها وأظنه بخط الحافظ السخاوي ما نصه : هذه النسخة هي الاصل الذى يعتمد عليه ويرجع عند الاختلاف اليه ، ولقد اعتمد عليها شيخنا الحافظ أبو الفضل ابن حجر حالة شرحه للجامع الذي سماه (فتح الباري) . وعليها أيضا ما نصه : لكاتبه ابن العطار في الشيخ الامام الحافظ حسين بــن

1) واختصر **تهذيب الكمال** الحافظ ابن حجر العسقلاني وسماه **تهذيب التهذيب** ، وهــو مطبوع في 12 سفراً (مؤلف)

محمد بن عيسى الصدفي ، كاتب هذه النسخة من صحيح البخارى ، وهـو شيخ القاضي عياض صاحب كتاب (الشفا) وغيره .

قد دام بالصدفي العلم منتشـــرا وجل قدر عياض الطاهر السلـف
ولا عجيب اذا أبدى لنـــا دررا ما الدر مظهره الا من الصـــدف

وقلت أيضا فـي سيدنا ومولانا قاضي القضاة ، برهان الدين ابـن جماعة الكناني الشافعي أدام الله أيامه وأعز أحكامه ، وقـد حملت اليه هـذه النسخة لمجلسه بالصالحية في العشر الاول من رجب الفرد سنة اثنتيـن وثمانمئة ، فنظر فيها ، وقال : لو كتبت نسخة واضحة بخط حسن ، وقوبلت على هذه لكانت أحسن ، ثم مال اليها لان كاتبها رجل جليل القدر ، فقلت :

رأى البخاري بخط الحافظ الصدفي قاضي القضاة امام النيل والسلف
فمال واسطة العقد الثمين لـــه ولا عجيب بميل الدر للصدفـــي

انتهى كلام ابن عبد السلام المذكور في (الرحلة) .

وقال في كتاب (المزايا) له ما نصه : ورواية موسى بن سعادة أولى وأوثق وأضبط من اليونينية ، لاجتماع الشيوخ في أمصار المغرب عليها ، قال ولقـد عثرت على أصل شيخه الصدفي الذي طاف به البـلاد بخطه ، وذلك بطرابلس في جزء واحد مدمج ، لا نقط به أصلا على عادة الصدفي وطريقة بعض الكتاب ، الا أن بالهامش اختلاف الروايات والرمز عليها ، وفي آخرها سماع عياض وغيره من الشيخ بخطه ، وفي أولها كتابة لابن جماعة الكناني ، والحافظ الدمياطي ، وابن العطار ، والسخاوي قائلا : هـذا الاصل هو الذى ظفر بـه شيخنا ابن حجر العسقلاني ، وبنى عليه شرحه الفتح واعتمد عليه ، لأنـــه طيف به في مشارق الارض ومغاربها ، الحرمين ، ومصر ، والشام ، والعراق ، والمغرب ، فكان أولى بالاعتماد . كرواية تلميذه ابن سعادة ، قال : ولقـد بذلت لصاحبه صرة ذهب ، فأبى من بيعه وبقي ضائعا في ذلك القطر ، فـلا حول ولا قوة الا بالله .

قال : ثم حملتني الغيرة على العلم والمحبة فيه أن ابلغت خبره لامامنا المنصور بالله سليمان بن محمد أيد الله ملكه ، وأنجح أمره ، فوجه الى صاحبه حسبما شافهنى به ألف مثقال أو ريال ، الشك مني ، فأجابه بأنه يقدم به الى حضرته ، وما منعه الا الفتنة فيما بين ترك تونس والجزائر ، ثم لما طال الامد أعاد الكتابة اليه في ذلك ، والى الآن لم يظفره الله به .

قال : ولقد داعبته ذات يوم ، فقلت له فـي شأن سماع الصدفـي المذكور ،وما ذا لمبلغ خبر هذه الخصلة ؟ فوعدني أنه ان ظفر به يجدد منه فرعا ، ويعطيني أحدهما على اختياري ، ثم ذكر أبيات ابن العطار المتقدمة في مدحه ، ثم قال : وقلت أنا في ذلك :

هذا سماع الامام الحافظ الصدفي ... بخطه وعليه رونق الشـــــرف
تداولته يد الحفاظ من خلـــف ... عن سلف فرماه الدهر بالتلـــف

وفوائد ابن عبد السلام المذكور كثيرة .

وله تآليف ، منها كتاب (المزايا ، فيما حدث من البدع بأم الزوايا) وهو كتاب مفيد جدا لولا ما فيه من التحامل في بعض المواضيع ، ومنهـا كتاب (الرحلة الحجازية) مفيد كذلك ، اشتمل على أخبار وفوائد علمية ، ومنها أجوبة في نوازل شتى وغير ذلك .

ومما رأيته منسوبا اليه من الشعر ، هذه القطعة وهي غاية في بابها :

لله في الخلق ما اختارت مشيئتـــه ... ما الخير الا الذي يختـــــاره الله
اذا قضى الله فاستسلم لقدرتـــه ... ما لامرء حيلة فيما قضـــــى الله
تجري الامور بأسباب لها علـــل ... تجرى الامور على ما قـــــدر الله
ان الامور وان ضاقت لها فـــرج ... كم من أمور شداد فـــــرج الله
اذا ابتليت فثق بالله وارض بـــه ... ان الذى يكشف البلوى هـــو الله
ياصاحب الهم ان الهم منفـــرج ... أبشر بخير فان الفاتـــــح الله
والله مالك غير الله مـــــن وزر ... ولا يصيبك الا ما قضـــى الله

اليأس يقطع أحيانا بصاحبـــه لا تيأسن فان الصانـــع الله
الله لي عدة في كل نائبـــــة أقول في كل حال حسبـــي الله
ثم الصلاة على المختار ما تليت في محكم الذكر قدما قل هو الله
والآل والصحب ما طابت حياتهم ثم استقاموا فقالوا ربنـــا الله

ورأيت بخط الفقيه السيد المعطي بن الطيب مرينو الرباطي ما نصه :

الحمد لله

انشدنا الفقيه العلامة الدراكة الحجة البركة ، ابـن خالتنا سيـدي محمد بن عبد السلام الناصري ، وهو مريض ببيتي شفاه الله وأطال عمره بمنه، يوم الاحد الثامن والعشرين من ربيع النبوي الانور الاسعد ، سنة ست عشرة ومئتين وألف ، من نظم ابن الفخار (1) شيخ أبي العباس السبتي ، وكـان الشيخ يستحسن انشادها حتى أنه أنشد له ذلك عند النزع ما نصه :

عقدت عليك مكمنات ضمائـري عقدَ الرجاء فألزمتْك حقوقـا
ان الزمان عدا علي فزادنـي علما بأنك مالكي تحقيقـاً
ما نابني ضيم بوجه مســاءة الا عبرت به اليك طريقـا
امض القضاء على الرضى مني به اني وجدتك بالعباد رفيقـاً

توفي الفقيه ابن عبد السلام المذكور ليلة السبت ثاني عشر صفـر سنة تسع وثلاثين ومئتين وألف .

انتهى كلام (الطلعة) .

ووقفت على رحلة المترجم في مجلد ضخم من القالب الكبير بخط اليد ، وخط يمينه في آخرها بمقابلتها ، ولعزتها لابد أن نذكر طـرفا منها ،

1) هكذا في **التشوف** وليست له . بل هي معروفة من زمن التابعين ، وقد أنشد الأبيات الثلاثة الأولى في **تلخيص معالم الايمان** عن الزاهد عقال ابن غلبون المتوفى بالحرم المكي سنة 291 وقدمنا ما يتعلق بذلك في 1 : 336 من **الأعلام** . وراجع 2 : 152 من **تلخيص معالم الايمان** ، وراجع 1 : 297 من **الاعلام** (مؤلف)

فنقول : ذكر في أولها أنه قاصد تقييد ما عنّ له في سفره للحرمين الشريفين ، من وصف المراحل ومن لقيه من الفضلاء ، وأجوبته عـن بعض سؤالات مـن بعض النبلاء ، ومن زاره من الاحياء والاموات ، وغير ذلك من الحوادث والنوادر والاخبـار .

ثم أنشد قول القائل وهو القطب سيدي عبد الله بن أبراهيم المرغتي الطائفي الحسني الشاذلي ، شيخ شيخه سيدي محمد الجوهري :

هذي التآليف من بعض الخطيئات	فاشهد علي واشهد كل من ياتـي
اذ كلها شقشقات واتباع هـــوى	وفخفخات وعجب بالوريقـــات

ثم ذكر في المقدمة فضائل الحج والزيارة ، وفي الخاتمة آداب السفر، ثم ذكر أن يوم سفرهم من الزاوية الناصرية هو الخميس 3 جمادى الثانية سنة 1196 بعد صلاة الظهر بها ، خرجوا في جماعة من الفضلاء والعلماء والاعيان ، وخرج لوداعهم عـم والده الشيخ الامام أبـو المحاسن والمفاخر ، سيدنـا يوسف بن محمد بن مَحمد بن ناصر ، ثم ذكر مدة دخولهم سجلماسة واقامتهم بها ، ومن زاره بها أو لقيه من الاخيار ، ثم نزلوا بتابوعصامت (1) ثم نقل عن البكري ما نصه :

مدينة سجلماسة بنيت سنة أربعين ومئة وهـي سهلية ، أرضهـا سبخة ، حولها أرباض كثيرة ، وفيها ديار رفيعة ومبان سرية ، ولها بساتين كثيرة ، وسورها أسفله مبني بالحجارة وأعلاه بالطوب ، بنـاه اليسع بـن منصور ، ولها اثنا عشر بابا ، ثمانية منها حديد وهم يلتزمون النقاب ، وهي على نهرين ، عنصرهما من موضع يقال له أكلف به عيون كثيرة ، فاذا قـرب من سجلماسة ، تشعب نهرين ، يسلك بشرقيها وغربيها ، وجامعها متقن البناء، وحماماتها ردية البناء ، وماؤها زعاق ، وكذا جميع ما ينبسط من الماء بها ، وشرب زروعهم من النهر في حياض كحياض البساتين ، وهي كثيرة النخل

---

1) **تبوعصامت** : قرية شهيرة بعيادة الريساني من اقليم الرشيدية

والاعناب وجميع الفواكه ، وزبيب عنبها المعرش الذي لا تناله الشمس لا يزبب إلا في الظل، ويعرفونه بالظلي، وما أصابته الشمس منه يزبب، وهي صحراوية لا يعرف في غربيها ولا في شرقيها عمران ، وليس بها ذباب ولا يجذم من أهلها أحد ، واذا دخلها أحد بجذام توقفت عنه علته ، وأهلها يسمنون الكلاب ويأكلونها كما يصنع أهل مدينة قفصة ، وقسطيلية ، يعني توزر ، ويأكلون الزرع اذا خرج شطؤه ، وهو عندهم مستظرف ، والمجذومون عندهم هم الكنافون ، والبناءون عندهم يهود ، لا يتجاوزن هذه الصناعة ، ويزرع أهلها سنة ويحصد من تلك الزريعة ثلاثة أعوام لانه بلد مفرط الحر شديد القيظ ، فاذا يبس زرعهم تناثر عند الحصاد ، وأرضهم مشققة فيقع ما تناثر منه في تلك الشقوق ، فاذا كان العام الثاني حرثوا بلا بذر وكذلك الثالث ، وقمحهم رقيق صيني ، ويعمل بها ثياب يبلغ الثوب منها أزيد من عشرين مثقالا ، انتهى ، وغالب ما وصف غير موجود اليوم حسبما شوهد .

وزرنا في مدة الاقامة أعيان البلد مولانا الغازي ، المرة بعد الاخرى ، وكذا شيخه علي بن عبد الله ، ومولانا الحسن الشريف ، ومولاي علي الشريف ، وسائر من في مقبرته، وزرنا مولانا أبا زكرياء، والامام مولانا عبد الله الدقاق، والامام ابن هلال صاحب (النوازل) ، والامام الحبيب اللمطي ، وتلميذه أحمد بن عبد العزيز الهلالي ، وعلي بن أبي زينة ، ورجال جاوز وسائر من في مقبرتهم ، وكان من أفضل من لقيته من الاكابر بها الشيخ المسن البركة ، الطائع لربه في السكون والحركة ، سيبويه زمانه ، وفريد عصره في أوانه ، ملين القلب القاسي ، عبد الرحمان بن أحمد التنغراسي ، ولد سنة 1113 ، وأنشد لغيره معرضاً بأولوية ابن هشام بالثناء من المرادي :

تصدى للخلاصة اذ نحاها ... بتوضيح وتسهيل مفاد
فان ترد الوصول الى مناها ... فخذه فانه فوق المراد

والحق ان الجمع والتحرير وقوة الاطلاع مع المرادي أكثر منه مع ابن هشام .

وأنشد لغيره أيضا :

يابن هشام حويت علمـــــــا	يحتاج كل الورى اليـــــــه
جاوزت في النحو والمعانـــي	عمرو بن عثمان سيبويـــه

ثم ذكر أن المغاربة يعتنون بالدراية عن الرواية ، فيتركون الاجازة واستعمال الاذكار النبوية لفقد المربي ، وعلى ذلك أدرك شيوخه ، كسيدي مَحمد جسوس ، ومولاي عبد الرحمان بن ادريس المقري ، وسيدي ادريس العراقي الحافظ .

ثم أنشده لغيره :

أودعكم وأودعكم جنانـــــي	وأسكب أدمعا مثل الجمـــان
فلو نعطي الخيار لما افترقنـــا	ولكن لا خيار مع الزمـــــان

قال : وممن لقيته الشيخ المسمن البركة الاستاذ أبو القاسم بن الشيخ الحبيب ومن أمثلة الطلبة بهذه البلدة ، الفقيه النحرير المفتي أبو القاسم بن محمد بن عبد الملك التجمعتي، ثم نقل عنه أن ابن الفخار شيخ أبي العباس السبتي هو مقريء الصبيان وليس شيخ أبي العباس إلا في القراءة ، فقلت : انه ابن الفخار الفقيه ، فقال : لا ، الفقيه منهما معاصر لابن عتاب وابن مالك الفقيهين ، فقلت : اما اذا كان معاصرا لهذين الامامين فهو من أهل القرن الخامس كهما ، وأحمد من أهل السادس فلا يبعد ان يدركه ، اذ ليس بينهما من الزمان كثير ، فقد ذكر غير واحد أن ابن الفخار توفي سنة 419 ، وابن عتاب ولد ثلاث وثمانين وثلاثمئة ، وتوفي سنة 462 ، انتهى .

قلت : الصواب مع التجمعتي ، فان الشيخ أحمد لم يولد الا بعد موت ابن الفخار الفقيه بنحو مئة سنة وست سنين ، اذ ولادته كانت سنة 524 ، ثم قال : ولنا ممن ينتسب هذه النسبة ثالث من أهل القرن التاسع ، وأوقفني عليه في (نفح الطيب) انتهى .

وفـي (الطرة) هذا الذي بـ (نفح الطيب) هو الامام ابـن الفخار النحوي ، وهو غير أبي عبد الله الفخار دفين تطوان شيخ أبي العباس ، وهو مختبر الصبيان بالطيور كما في (الابريز) ، وهناك ابن الفخار رابـع ، ترجم له في (التشوف) وهو أبن كامل ، دفين داخل باب الدبغ ، انتهى .

ثم ذكر المؤلف ما وجد شيخ شيوخه أحمد الرسموكي المراكشي بخط تلميذه محمد بن عبد الله الابريزي ما نصه : وينبغي للمسمع أن يجعل صوت تكبيره لجلوس التشهدين مخالفا لصوت باقي تكبيراته الى آخره .

ثم قال : وممن اجتمعنا به ألفاضل محمد بن يوسف الغنجاوي ، وهو تلميذ أحمد الهلالي ، ثم ذكر أنه وقف على اختصار نوازل ابن الحاج المسمى (تقريب المنهاج ، لفوائد نوازل ابن الحاج) ونوازل منسوبة لسيدي العربي الفاسي ، وتقاييد منسوبة لعبد الرحمان الفاسي العارف ، أنشد فيها لغيره .

شرط الذي يمكن أن يستفتـى ويقتدى بفعله أن افتـى
دين قويم وتقى مشتهـر وفقه ذهن هذبته الفكـر

ثم ذكر خروجهم من سجلماسة في صبيحة يوم السبت 26 جمـادى الثانية ، ثم ذكر أن ابتداء وادى كير من ناحية بلدة آيت عياش ، وعليه قرى ومزارع ، ويمتد كذلك الى ناحية الصحراء ، والعمارة متصلة في جوانبه الى أن يصل الى أطراف الحماد الكبير الذى بينه وبين سجلماسة ، فمـن هناك تنقطع العمارة الى أن يصل الى قرى وادي الاساورة (1) فتتصل قراه كذلك نحوا من عشرة أيام الى قريب من توات ، فينعطف يمينا في رمال كثيرة ، وهو أطول أودية المغرب مسافة ، وأكثرها مخافة .

انتهى وهذا بخط المؤلف ، ملحق بـ (الطرة) .

وبعده ذكر وصولهم للقنادسـة ضحى يوم الخميس فاتـح رجب ، وتعرف في القديم بالعوينة ولعل تسميتها بالقنادسة محدثة تسمية لها باسم

---

1) هو وادي الساورة

من نزلها بعد أن تلقانا سكانها من المرابطين بني الشيخ ابن أبي زيان مظهرين الفرح ، والبلدة منقطعة في صحراء من الارض لها عيون قليلة الماء جدا مع كونها غير عذبة ، الا أن البلد يصلح عليها كالدواب يزعم ذلك أهلها ، وبها نخل قليل ، والبلد عامر تصلى فيها الجمعة الا أنه فارغ من العلم .

ثم ذكر أنه تلقاهم أحبتهم من أهل فجيج ، وزار ضريح الامام العالم العلامة الشريف الادريسي سيدي عبد الجبار جدهم مختصر (تفسير القرطبي) مع زيادة عليه ، وابنه سيدي محمد ناظم (مختصر الشيخ خليل) وسماه (نظم اللآلي الحسان) ، وقد نظمه أيضا ابن المترجم ، وهو بالزاوية الناصرية .

ثم قال سيدي منصور مدفون بنواحي توات بموضع يعرف بتجطون من گرارة ، يزعمون أنه أخ مولاي عبد الله الغزواني دفين مراكش توثر عنه كرامات ، ثم قال : وبالبلد رجل اسمه محمد بن زيان من أولاد سيدى الشيخ دفين الابيض ، من ذرية سيدي سليمان أبي سماحة دفين فجيج ، اعتزل عن الناس في خلوة يزار فيها ، وله صيت ، ظهر عليه من الخلوة آثارها ، ولاحت عليه أنوارها ، معرضا عن الدنيا بحذافيرها ، زرناه بالنية فاكرمنا ودعا لنا ، وأولاد سيدي الشيخ المذكور بهذه البلاد الشرقية لهم صيت .

ثم قال :

تنبيه

ورد علينا هنا رجل ينتمي للعلم والصلاح من شرفاء عين ماضي ، اسمه سيدي أحمد التجيني،رفض سكنى بلده بعد تطليق زوجه وانقطاعه للجولان شرقا وغربا ، وقدومه الآن كان من تلمسان مزعجا من بعض أمراء الترك بها ، زعم أنه أخذ عن الشيخ السمان المدني وأجازه ، وأخذ العهد على الشيخ محمود الكردي المصري ، وتذاكرنا معه في مسائل حتى انجر للكلام لعدم تحسين الظن بمتربطة (1) الزمان ، فأنشد لغيره :

---

1) أي بأدعياء الصلاح مشتق من **المرابط** وهو في عرف متأخري المغاربة الولي الصالح

إذا لم يكن الا الاسنة مركبـــــــا فما يسع الانسان الا ركوبهـــــــا

ومن تشديده لما حضرته صلاة العصر ، فرام اتباعه من أهل البلد الصلاة خلفه ، فمنعهم معتلا بأنه لم ينو اقامة تقطع حكم السفر ، معتمدا على كراهة اقتداء المقيم بالمسافر ، فقلت : فضل الجماعة يجبرها وهو أولـــى بالمراعاة كما قالوا ، وانجرّ الكلام للتأسف على قلة تعاطي العلم وتدريسه وذهاب أهله ، فقال : يحرم التدريس في هذا الزمان لفقد شرطه من الامتثال ، وتطهير الباطن كالظاهر وتحسين النية ، فقلت : لا والله لا يحرم ، بل هو في هذا الزمان الذي عمت به سحائب الجهل أوجب ، ثم ذكر أن هذه المسألة في أول ذخيرة الامام القرافي ، لو اعتبرنا هذا لانحسمت مادة التعليم والاقراء : فينقطع الشرع ويفسد النظام الى آخره .

وقال لما وصل عين ماضي : وهذه البلدة عامرة بأهلها ، وغالبهم شرفاء من أهل البيت من قبيلة بالظهرا تعرف بالتجاجنة ، يحفظون القرآن ، وتقدم في أسلافهم العلم ، وأما اليوم فالعلم قد ذهب أهله ، وجاءنا المسن فقيه البلد سيدي محمد بن زيان ، فمنه يستمدون وعليه يعتمدون ، وله بعض ممارسة بألفاظ مختصر خليل ، أوقفني على التقييد الكبير لأبي الحسن الصغير على (المدنة) في ستة أجزاء ضخام من الكبير حبسا ، بدأه بمقدمة في فضل العلم ، يرمز بالضاد لعياض ، وبالشين لابن رشد ، والخاء للخمي ، والميم لابن يونس ، والعين لعبد الحق ، وربما استغنى بالقاف وحدها له ، والشيخ لمؤلفه المملي .

ووجدت فيه ما نصه : واختلف في الدغفل وهو ايرن على قولين ، فقال ابن القاسم تخرج منه ، يعني الزكاة ، ومنع ذلك أبو محمد بن أبـــي زيد ، انتهى .

وليس في الخزانة الناصرية من تقييد الشيخ أبي الحسن هذا إلا جزآن . نسأل الله أن يكمله لنا ، فنعم الكتاب .

ثم قال في وصف عين ماضي : وبلدتهم هذه حصينة ، مبنية كلها بالحجارة ، دارت بها الأجنة والحدائق ، وفتحوا لها الأبواب من داخل البلد ومن خارجها ، وهي مشتملة على فواكه ، وما أكثر لديهم التفاح ، تسقى الأجنة كلها من عين واحدة خارجة من سفح جبل بقربهم ، عذبة باردة ، يزعمون أنه يورث الشقوق في الأيدي والأرجل في زمن الشتاء ، ثم قال : ونساء عين ماضي لايغتسلن من جنابة ولا من حيض أو نفاس ، يزعمن أن الاغتسال بمائهم يعقمن ، فتركن ذلك لذلك ، فقلت لمن حدثني بذلك ما هي إلا عقوبة من الله لهن على ترك الواجبات ، وأما الحجاب فما رأينا في هذه البلاد مثلها في تركه ، الرجل وزوجته وابنته يسقون الركب ، باديات مزينات ، مع ما وسمن به من الحسن البديع ، ولا يتولى البيع والشراء غالباً لديهم إلا النساء ، فلا حول ولا قوة إلا بالله ! وأعظم من ذلك اعتيادهم للطهارة الترابية من غير عذر ، حتى من وسم بالفقه منهم تراه يضرب الارض عند كل صلاة ، اتكلوا في ذلك على زعمهم أن ماءهم يضر بالبصر ، ولقد والله توضينا منه مرارا وما رأينا منه ضرراً ، فان كان ذلك يحدث بكثرة الاستعمال أو في فصل دون آخر وتحقق الضرر وتعذر الوضوء فغيره من مياه الآبار ، فلا شك أن ذلك يبيح الانتقال للتيمم .

ثم قال عند ذكرى قرى الزاب : وممن اجتمعت به بهذه البلدة الشريف الفقيه سيدي الخضر بن محمد ابن عطية ، وأنه وقف على (الانفاس الزكية ، في شرح الحكم العطائية) للشيخ علي الحجازي ، وعلى شرح القصيدة المشهورة في الطريقة التي مطلعها :

من ذاق طعم شراب القوم يدريه ومن دراه غدا بالروح يشريه

وهو حسن ولم يسم الشارح نفسه .

ثم أرخ تاريخ دخولهم لبسكرة في متم رجب ، ثم ذكر مفتي البلد في الوقت ، محمد الهادي بن أحمد بن سليمان المصمودي الاصل ، قرأ بقفصة وأجازه علماؤها ، كالشيخ التاودي لما مر به حاجا ، يحفظ كثيرا على عادة

أهل البادية ، تراه يسرد فصولا من (الشفا) لعياض ، وقصائد وحكايات ومواعظ عن ظهر قلب ، وحدثه أن الامام الرقعي هذه بلدته وبها قبره ، انتهى .

قلت : فيه نظـر .

ثـم قـال بـعـد نقـل قـول أبـي سـالـم العياشي : مـا رأيت شرقا وغربا أحسن منها ولا أحصن وأجمع لأسباب المعاش الخ ، فيه نظـر ظاهر فبالمغرب بل والمشرق ما هو أحسن منها وأحصن ، وأجمع لاسباب المعاش من أمهات المدن ، كمراكش وفاس ومكناسة الزيتون ، وغيرها من بعض الثغور كآسفي ، ورباط الفتح ، وأزمور ، وأين أنت من نيـل مصر وصعيدها ؟ وما بها من مضاعف البركات كما بدمشق ، والشام ، والعراق وغيرها ، فلا نرى ببسكرة من أسباب المعاش ما بها ، الا أنها فضلت ما ذكر بأنواع تمار النخيل الجيد ، ونخيل مصر ومراكش على الضد من ذلك ، فلو قال ما رأيت بافريقية أحسن الى آخره لكان قريباً على ما فيه ، وأين أنت من قسنطينة وتونس وطرابلس ، وما بها من أسباب المعاش والحسن والتحصن ؟ ولكن حبك الشيء يُعمي ويُصم ، والعذر له أن بسكرة أول ما يلقاه في سفره للحرمين الشريفين على بعض ما وصف ، فقال فيها ذلك ، والخطب سهل ، ثم نقل عن (الاستبصار ، في أخبار (1) الأمصار) ، وعن (الروض المعطار ، في أخبار الأقطار) .

ثـم قـال : وبقي عليه من مدن قسطيلية الودان ، ويقال تقيوس اذ بها مدينته بالتاء لا بالدال ، كما تنطق به عامة أهل تلك البلاد ، ثم قال : وكذا زرنا بتوزر الجديدة ، سيدي ميمون ، وابن غلاب ، وسيدي عبيد بـن خضير من أولاد سيدي عبيد الشارف ، المقبور ببلدة تعرف بالجامع بظهر النمامشة قرب خنقة سيدي ناجي ، وله ولذريته بهذه البلاد الافريقية صيت ، وذريته كثيرة الآن تبلغ آلافا محترمين عند الامراء وهم من أولاد أبي السبع ، سكـان سوس الاقصى ، ومن صلحائهـم المقبورين بتوزر الجديدة سيـدي

---

1) المعروف : في عجائب الأمصار ، وهو لمؤلف موحدي مجهول الاسم ، طبع بالاسكندرية سـنـة 1958

عبيد ابن الذيب وسيدي عبد العاطي ، وسيدي علي الكموني، وسيدي أحمد بن عثمان بن أبي القاسم ابن أشويط ، وسيدي عبيد بن عبد الملك ، زرنا الجميع بالنيـة .

ثم ذكر أنه اجتمع من طلبتها بالفقيه محمد بـن أحمد بـن منصور الجمني نسبه لبلدة بنفزاوة على مرحلة ونصف من توزر ، أوقفه على (سلم السعادة) ، نظم للشيخ عبد الصادق بن عيسى في طريق القوم ، عدد أبياته أربعة آلاف وخمسمئة ، أتم نظمه عام 1081 ، وعلى شرح الخروبي لنظم الشيخ زروق في عيوب النفس في خمسة عشر كراسا من الرباعي ، وعلى منظومة الأخضري فيالتوقيت التي نظمها وهو ابن عشرين سنة المسماة بـ (السراج) ، وعلى شرحها للشيخ سحنون بن عثمان ، وعلى حواشي البطيوي على المكودي، على الخلاصة في نحو ثلاثين كراسا جامعة مانعة في بابها من الرباعي ، وذكر هنـا أن الاجوبة الناصريـة صحح نسخة منهـا سيدي أحمد بـن سليمان الرسموكي ، وعلى حواشي الشميخ الصعيدي على شرح شيخ الاسلام زكرياء على ألفية العراقي في المصطلح في خمسـين كراساً رباعياً ، واجتمع أيضـاً بقاضي البلد سيدي محمد بن عبيد ، وأخيه سيدي عبيد ، وأوقفه على (نسمة الآس ، في حجة سيدنا أبي العباس) ، وسيدي خالد بن الحاج ابراهيم أوقفه على جزءين من تفسير المهدوي الذي ينقل عنه ابن عطية ، وعلى شرح ابن قنفذ على منظومة ابن فرح في الالقاب .

ثم ذكر وصوله لقابس ، ثم قال : ومن الذين اجتمعت بهم وكان ذلك منة من الله تعالى علي قاضي البلد ومدرسها وشيخ الجماعة ومعلمها الشيـخ أبو بكر بن الحاج أحمد بن تامر أقنونو به عرف ، ثم ذكر أنه تذاكر معه في قضية انسان باع ملكا من أخيه في الاشاعة بينه وبين الورثة ، فلما تقابضا الثمن والمثمن ، قامت بنية المشتري أنه قال بعد انعقاد البيع ودفع الثمن ، ان الملك االمذكور حبس من والده دنية ، وأشهد مع ذلك على نفسه أن لا يرجع على البائع بما قبض من الثمن ، هل يكون قوله هذا اقرارا على نفسه فيلزمه ؟ وهل يسري اقراره لنصيب غيره من الورثة أو يكون في نصيبهم شاهدا ؟ فقال المؤلف : اقراره مقصور عليه لا يتعداه لغيره ، عملا بما في حد ابن عرفـة

والقرافي الى ءاخره ، فعارضه القاضي بقوله : جوابك هو الذي لاح في النازلة له ، ولكن في تبصرة ابن فرحون أنه لا يقبل قوله في نصيبه ولا في نصيب غيره ، وعلله باتهامه باسقاط القبول والحيازة ، قال وبه عارضني بعض الطلبة لما قلت أنه مقر في نصيبه ، شاهد في نصيب الغير ، فقال المؤلف : يرجح ما في ابن فرحون بقول المتن أواخر العتق وان شهد أحد الورثة أو أقرّ أن أباه أعتق عبدا لم يجز ولم يقوم عليه ، أي لم تجز شهادة ولا اقراره كما في نص المدونة ولا يقوم عليه ، اذ ليس هو المعتق وجميع العبد رقيق .

ثم ذكر ما في (الدر النثير) من جواز تقارر الورثة على الحبس ما لم يظهر كتابه ، فيكون العمل عليه الى ءاخره .

ثم ذكر اجازة القاضي المذكور له ولشيخه أحمد بن الحسن بن علي سبط الشيخ ابن ناصر العامة ، حسبما أجازه بها الشيخ الامام عبد الله بن محمد السوسي نزيل تونس ، وهو أخذ عن ابراهيم بن عبد الله الجمني ، وسيدي ابراهيم بن موسى الفيومي الأزهري ، كلاهما عن الخرشي والزرقاني باسانيدهما ، وأخذ أيضا عن الشيخ منصور المنوفي الضرير الشافعي وأجازه بمروياته ، وعن الشيخ أبي العز اللخمي الشافعي القاهري وأجازه أيضا ، وعن الشيخ عبد الله بن سالم البصري المكي الشافعي ، وأجازه في الكتب الستة وغيرها عام 1127 بمكة المشرفة ، ثم ذكر له سند البخاري عن الاخير ، وأرخ لهما هذه الاجازة بمنتصف شعبان من عام 1196 .

وأنشد بعد ذكر طرابلس الغرب قصيدة والد قاضيها المالكي في الوقت ، وهو سيدي أحمد بن عبد الدائم الانصاري مطلعها :

أرى زمنا قد جاء يقتنص المهـــا   بلا جارح والاسد في فلواتهـــا

ثم ذكر أنه وقف على شرح هذه القصيدة المسمى (التذكار ، فيمن ملك طرابلس أو كان بها من الاخيار) لسيدي محمد بن عقيل بن أحمد بن عبد الرحمان بن غلبون الطرابلسي الدار ، الدرني أصالة ، ولما ذكر رجالها ، قال :

ومنهم سيدي محمد الصيد ، وابنه سيدي عبد الحفيظ ، ومقبرتهما في مكان يسمى الهنشير على ستة أميال من المدينة ، والصيد بلغة أهل طرابلس الاسد سمي بذلك لقهره للجبابرة ، ولعدم اجتراء أحد على معارضته .

أخذ الطريق عن أبي معزة التلمساني ، وهو عن سيدي أبي عمرو المراكشي ، ولذريته اليوم كمال محبة في ذرية أبي عمرو والسؤال عنهم ، والصيد المذكور هو شيخ ابن مساهل ، زرناه وتلقانا بنوه بالترحاب والاكرام ، توفي سنة خمسين وألف .

ثم ذكر من اجتمع به من علمائها ، منهم الشاب العلامة سيدي محمد العربي ، والفقيه محمد بن مكرم المالكي ، وقاضي البلد محمد بن أحمد بن عبد الدائم الانصاري ، ومنهم الهمام علي بن أحمد ابن شارح (المرشد المعين) علي (I) بن عبد الصادق ، حدثه حفيده المذكور أنه رأى أيام غربته بتونس رحلة لابن العربي المعافري المالكي في أسفار ، وأوقفه على تآليف مبيضات لجده المذكور ، منها شرحه على (المرشد المعين) ، وعليه من تقريظ عبد السلام بن عثمان التاجوري بخطه ما نصه :

جازاك في الدارين رب خالق	من كل خير ياابن عبد الصادق
فلقد أجدت القول فيما رمته	من حسن سبكك في اختصار رائق
ما ان رأينا مثل ما أبديته	من شرح مرشدنا العظيم الفائق
لا يبلغن معشار ما قد ضمه	ممدوح شرحك صامت أو ناطق
لو شامه ميارة مع شرحه	لأقر قطعا أن شرحك فائق
أو قد رآه عاشر من قبله	لاشار لابنه أن هذا السابق
إن كنت فيما قد تأخر عهده	فلانك في بحر العلوم الفائق
فضل من الرحمان فاشكره على	أنعامه فهو الكريم الرازق

I) هذا ابن عبد الصادق الطرابلسي غير ابن عبد الصادق الدكالي الفرجي شارح المختصر الخليلي الذي أفتى فى قضية احداث المكس بفاس وسائر أقطار المغرب ، وقد غلط صاحب **الاستقصا** حيث جعله الطرابلسي ، وهذا الغلط سلم منه الزياني والكنسوسي (اللذين) ما ذكر لفظ الطرابلسي (مؤلف)

لا زلت مقداما لكل فضيلـــــة — لا يلحقنك في المكارم لاحـــــق
ومحبكم عبد السلام مؤمــــــل — منكم دعاء من فؤاد صـــــادق
بصلاح حال في الحياة وبعـــده — ختم بخير يرتضيه الخالـــق

ومنهم كاتب الجناب العلي الشأن ، سراج مملكة آل قرمان ، مصطفى بن قاسم المصري ، خوجة به عرف ، الحنفي المذهب ، كان مما استنسخه لنا طالبا أجره مــن خالقنا : ابن الشاط على فــروق القرافي ، والوانوغي على المدونة ، وزروق على البخاري (1) ، والشيخ عبد الغني النابلسي على (اضاءة الدجنة) ، وحواشي الشيخ يعيش على شرح ميارة على التحفة ، ثــم وعــده بانتساخ تكميل التقييد لابن غازي من النكاح الى آخره ، وحواشي عبد الرحمان العارف على البخاري ، والأبي على فروق القرافي ، ثم وجهها له حين وصل بلاده ، وأتحفه بشرح ابن زكري على النصيحة ، وأوقفه على خزانته فرأى بها نوازل ابن عظوم القيرواني في مجلدين ، وشرح أبي الحسن الانطاكي على (البردة) في عدة أجزاء ضخام ، وعلى (بشائر أهــل الايمان ، بفتــوح آل عثمان) لكاتب الانشاء بالحضرة التونسية ، وترجمان أميرها ، من أهل القرن الحادي في مجلدين عربه من التركية للعربية ، واستطرد علماءهم إلى زمانه ، وعلى (الحلل السندسية ، في الاخبار التونسية) للوزير ، لقبا التونسي في سن الاربعين في قرن المؤلف في ثلاثة أسفار من الكبير ، ومنهم أخوه المفتي أحمد أوقفــه على (لب الالباب ، فيما تضمنه أبــواب الكتاب ، من الاركان والشــروط والموانع والاسباب) لابــن راشد القفصي ، (والفائق) له فــي سفريــن .

ثم ذكر أن سيدي عبد السلام بن عثمان التاجوري ذيل (المعيار) بسفرين ، وشرح (المرشد) ، ولقي أحمد بن ناصر ، وذكر أن شجر العشر هو الخرفع ، ويسمى بالبربرية الاكرنك .

وقال قبل ذلك **لطيفة** :يضرب المثل في الدناءة والبخل بأماكن أربعة في المغرب جزيرة الاندلس ، وخصوصا مالقة ومدينة سبتة وفاس ، حتى قال الـقائـل :

---

1) طبع بالقاهرة سنة 1975 فى خمسة أجزاء

لا تلمني على الدناءة أنـــــي مالقي وقد سكنت الجزيـــرة
ومررت بسبتة ذات يـــــوم وشربت مع الفويسي الحريرة (1)

وهذا أمر غير مطرد في سائر أفراد الناس الى آخره .

ثم ذكر أنه وقف على رحلة البلوي ، وأن غالبها شعر وأدبيات ، وقال أيضا : وناهيك بمن مدحه العبدري ، وقد علم لسانه في البدوي والحضري ، ثم ذكر أن رحلة التجاني انتهت بمسلاتة من عمالة طرابلس لكونه عرض له مرض ، فرجع عن الحج ، وأنشد لغيره عند الكلام على أيلة :

بطريقة أيلة أجبل وعِقـــاب لا يرتجي فيها النجاة عُقـــاب
فكأنما الماشي عليها مذنـــب وكأنما تلك العِقابُ عِقـــاب

وقـال :

سلكنا عِقاباً في طريق كأنهـــا صياصي ديوك في سلوك عِقـــاب
وما ذاك الا أن ذنبي أحاط بـــي فكان عِقابي في سلوك عِقـــاب

وقال حين التكلم على مقبرة مكة : وبداخل البيوت قبر عباس بـن مرداس ، وعباس بن عبد الله بن عباس في قبة صغيرة ، ثم ذكر أن الشيخ علي امام مقام الحنابلة ،ومفتي مذهبه بحث عنه حتى اجتمع بالمؤلف تجاه الحجر بقرب دار الندوة ، وقد صاحب معه ضيافة تقبل الله منه ، وأخبره أنه أخذ العهد الناصري من عمنا الشيخ يوسف بن محمد طيب الله ثراه لما حجَّ سنة احدى وستين ، انتهى .

ثم ذكر أن تأليف أبي الحسن السندي على مسند الامام أحمد فـي ثلاثة أجزاء اشتُريَ لاميرنا نصره الله ، فجيء به له ، ثم قال حين وصل زابغا حاكيا للاسئلة التي سأله عنها محبه في الله ، العلامة الدراكة القاضي عبـد العزيز بن حمزة المراكشي ، وكـان كرفيقه العلامة أحمد بـن عبد الرحمان

1) الفويسي تصغير الفاسي ، المنسوب الى فاس ، والحريرة حساء معروف

القضوي الدمناتي من أهل الدين والصلاح والمحبة للمؤلف ولأسلافه قائلا : وكنا نترافق ليلا ونهارا ، وكان والله من الافاضل الذين أبرزهم الوقت ، ثم ذكر أجوبته له عنها .

وقال عند ذكر الابواء : وبهذا المنزل أنشدني الاديب أحمد بن عبد الرحمان الدمناتي ، وقد جرى ذكر الجواري لشيخنا عمر الفاسي رحمه الله في مملوكة له اشتراها بمراكش مدة اقامته بها :

ومملوكة أمسيت أملك رقهـــــا فما أصبحت الا وقد ملكت رقــــي
لي الله لا أرجو الخلاص من أمرها ورب فتى يرجو التخلص بالعتــق

وبه أنشدني له رحمه الله في هجو بعض معاصريه ، وكان بيده خال وقد كان يأنف القراءة على الشيخ متكبرا ، ثم نزلت به ملمة فجاء يشكوها الى الشيخ ، فقام وهو عند أمير البلد في رفعها عنه قائلا متغزلا :

خليلي ما للخال حط الى اليـــد وعهدي به يعلو بخد مــــــورد
أجار بفرط الفكر فانحط مهنـــة وشأنُ ذوي الكبر الرجوعُ إلى اليد

ثم ذكر عند الكلام على من لقي بالمدينة المنورة ، أن المسن البركة الشيخ علي بن محمد الشرواني الحنفي أخذ العهد الناصري من عمه الشيخ أبي يعقوب .

ثم قال : عادة المشارقة اليوم في النوازل الفقهية مالكية وغيرهم ، أنهم يعتمدون تقريرات وظواهر ولا يعتنـون بمطالعة كتب الاحكـام الفقهية كـ (المعيار) ، ثـم ذكر عند تعداد فضـلاء العماء بالقرافة الصغرى مدفنهم سيدي أحمد بن العربي المراكشي الدار ، وأنـه زاهم كلهم عـلى التعيين .

ثـم ذكر في الكـلام عـلى من لقيـه بمصر شيخه الشيـخ مرتضى الزبيدي ، وأن كتبه كثيرة لم يشاهد مثلها فـي خزانة ، ولو خزانة شيخـه الحافظ سيـدي ادريس العراقي بفاس ، ثـم ذكر ما ذكره شيخه الشيـخ التاودي ابن سودة حـين قراءته (الموطأ) بمصر من أن الامـام الشافعي ليس بحافظ على مصطلح أرباب الحديث الى آخره .

ثم ذكر أن التقاريظ التي قرظت على شرح القاموس للشيخ مرتضى بلغت مجلدا جمعها مؤلفه ، ومنها ما قال فيه شارحه المذكور :

شرحنا على القاموس شرحا محققا	غدت أعين الحساد منه على الغض
والفيت لما أن مزجت بشرحــــه	عليه رداء سابغ الطول والعــرض
ونوهت من ذكراه ما كان حافــلا	حنانيك بعض الشر أهون من بعض

ومن تآليفه (إنجاز الحاجة الماسَّة ، في تحقيق لفظ سجلماسة) ، و (نور النبراس ، في نسب بني العباس) .

ثم أورد اجازة شيخه المذكور ، وفيها فأول ما سمعه من حفظي ولفظي حديث الرحمة المسلسل بالأولية ، وحديــث سلمة بن الاكوع ، وهــو أول ثلاثيات البخاري ، املاء لسندهما ومتنهما ، ومن خرجهما من الايمة بالموافقات والابدال ، وقد كتب له ذلك بخط أحد السامعين لها في المجلس والتاريخ ، وهو الفقيه النبيه علي بن عبد البر بن علي الحسني الونائي الشافعي ، ثــم سمع في عشية يوم الخميس لاربع بقين من صفر الخير من السنة الاولى ، يعني سنة II97 من كتاب (الصحيح) للامام البخاري الى قوله : بوادره ، ومــن صحيح مسلم مــن أول كتــاب الايمــان الى آخــر الباب وهو قولــه : بنحو حديثهم ، ومن سنن أبي داوود الى قولــه : الخبث والخبائث ، ومن سنــن الترمذي الى قوله : فلا تقتلنَّ بعدي ، ومن سنن النسائي المعروفة بالمجتبى الى باب : كيف يستاك ، ومن سنن ابن ماجة الى قوله : ليلها ونهارها سواء ، ومن مسند الامام أحمد : رواية ابنه أول حديث ، ومن مسند الامام الشافعي الى قوله : وبما أفضلت السباع كلها ، ومن مسانيد الامام أبي حنيفة : تخريج الخوارزمي الى تمام الخطبة ، ومن (الموطأ) لامام دار الهجرة الى قوله : وقت الجمعة ، كل ذلك بقراءة سيدنا المجاز المشار اليه ، فسمع ذلك كله الجماعة السادة الفضــلاء : سيدنا الفقيــه ، الدين الثقة ، العــدل المرتضى ، قاضي الجماعة بمراكش عز الدين أبو العز عبد العزيز بن العباس بن حمزة المطاعي الفزاري ، وسيدنا الفقيه العدل الصالح الارضى ، قاضي الجماعة سري الدين أبو العرفان أحمد بن عبد الرحمان الدمناتي ، وسيدنا الفقيه الصالح العالم

المدرس ، سلالة الأشراف ، شمس الدين أبو التوفيق محمد الصديق بن مولانا محمد الهاشمي بن مولانا علي بن عبد الله بن طاهر الحسني السجلماسي أدام الله فضلهم ، ونفع بعلومهم المسلمين .

ثم في يوم السبت سادس ربيع الاول قرأ على سيدنا المجاز حفظه الله تعالى بعضامن مسلسلات ابن عقيلة ، وهو شيخ مشايخنا ، وناولتها لـه مع حاشيتي عليها المسماة بـ (التعليقة الجليلة ، بمسلسلات ابن عقيلة) الى آخره .

ثم ذكر من مشايخه ، أعني الشيخ مرتضى السيد المعمر عبد الحي بن الحسين الحسني البهني ، من تلامذة البصري ، والنخلي ، والزرقاني شارح (الموطأ) ، ثم من أشياخه المغاربة محمد بن عبد الله بن أيوب التلمسانـي المنور ، والشيخ التاودي ،وقد أجاز السيـد المذكور جميع من حضر مـع المؤلف اجازة عامة ، ثم ذكر المؤلف انه شرح أربعين حديثا في الظلم جمعها صاحبه وشيخه سيدي محمد الجوهري ، وحثه على ذلك ، ثم ذكر من أشياخه الشيخ سليمان الجمل صاحب حاشية ذى الجلالين ، وأنه كان أميا لا يكتب ولا يقرأ ، وان تلك الحاشية كان يسرد عليه تلامذته مواد التفسير فيأمرهم بكتابة ما يريد منها ، كان رحمه الله صواما قواما زاهدا متقشفا وليا من أولياء الله تعالى .

ثم ذكر شيخه أحمـد الدردير ، وشيخه سيدي محمـد البخاري ، والشيخ الامير ، والشيخ أحمد البجيرمي ، وأجازوه جميعا اجازة عامة ، وفي اجازة الاخير أن أبا الصلاح علي بن عبد الواحد الانصاري شيخ سيدي عيسى المغربي الثعالبي ، وتلميذ أحمد المَقْري ، ومن أشياخ المؤلف سيدي محمد السمنودي المنير ، وسيدي محمد بن ابراهيم المصلحي الضرير الشافعي تلميذ الشيخ الصباغ الاسكندري ، حدث ابن الصباغ قال له ذات يوم : اقدم الينا يوم الخميس نجتمع بالشيخ يوسف بن محمد بن محمد بن ناصر ، وكان ذلك سنة اثنين وستين عام قفوله من الحرمين ، قال : فاتفق أن جعل الشيخ يدرس بالازهر متن خليل في قوله : ومـن بادر اخرج له الآخر فـي النكاح ،

ويرددها مرارا حتى سقط من ذلك مغشيا عليه ، فحمل لداره فهلك يوم الخميس الذي وقع الوعد به ، قال : فما هو الا أن بلغني النعي فذهبت نحو داره ، فوجدت الشيخ أبا يعقوب قد سبقني ، فلم يقع اجتماعي به الا على جنازة الشيخ رحمه الله ، قال : وأوصى أن يتولى الصلاة عليه أبو يعقوب ففعل ، ومنهم ابن الست الشلبي العزيزي ، نسبة لعزيزة قرية من قرى الريف، والشيخ حسن الجداوي المالكي ، يقتصر على متن خليل ، وما لا بد منه من الشرح ، لا نظير له في ذلك الا شيخ المؤلف أيضا سيدي عبد الله السوسي بفاس العليا ، ومنهم الشيخ أحمد العروسي ، والشيخ أحمد السمنودي ، والشيخ سليمان البجيرمي ، والشيخ عبد الرحمان البناني محشي المحلى ، والشيخ الصبان وغيرهم ، وكلهم أجازوه اجازة عامة كشيخه أحمد بن الحسن الناصري بطلبه منهم له ذلك .

تم قال بعد أن ذكر ذم العبدري لمصر وأهلها ما نصه : جريا على عادته عفا الله عنه في ذم البلاد وأهلها ، وما كان ينظر الا بعين السخط اليها فليته مدح من يستحق المدح ، وذم من يستحق الذم ، أو يتغافل عنه الا بقصد البيان ، وما رأيناه مدح بلدة ولا ساكنها الا مدينة تونس ، ولو أمكنه أن يقول في الحرمين هجوا لقال ، وما ذاك إلا أن الرجل بربري من سكان الجبال ، لم يألف الناس ولا البحث عنهم ولا الذهاب اليهم ، وانما ينزل بمدرسة من جملة الطلبة ، أو بفندق من جملة الغرباء ولا يتفطن له عالم ولا ذو مروءة ، حتى اذا صدر عن البلد ، قال فيه ما شاء .

وقال عند ارتحالهم من مصر وإشرافهم على منهل التميمي ما نصه : فانشدنا الاديب العلامة أحمد بن عبد الرحمان القضوي الدمناتي لنفسه وقد رأى فتى بارعا في الحسن راكبا على فرس يسابق خلف جارح يغريه على غزال حتى تمكن منها :

فيا عجبا حتى الغزال رأيته ... يصيد غزالا يقتفيه على النعت
يحاكيه في معنى الصفات جميعها ... فما باله لم يحكه في التلفت

وقال في ذلك الدراكة الفهامة قاضي الجماعة بمراكش أبو فارس :

بتميم رأيت بدرا تـــــلألأ راكباً صافناً ينـــــادي الألاء
قد رمى مهجتي بسهم لحـــاظ ليته قد سقاني عذبـــا زلالا
أضرم في فؤادي نار هـــــواه فاعجبوا لغزال صاد غـــزالا

فراجعتهما على البديهة بقولي مداعبا :

الا فليمت بالعشق من كان ميتـا ويترك أسباب الغزال وما يحكـى .
ويأتي رياض الذكر يجني أزاهـرا يسلي فؤادا طالما صده يشكـــى

وكان ذلك غدوة وقت الاشتغال بالاذكار .

ثم راجعني أحمد المذكور على البديهة بقوله :

نغوص على در القوافي بفكـــرة ونسبك منها التبر في أحسن السبك
ونترك ما شان الشريعة في الهوى فليس علينا فيه يرجع بالـــدرك

ثم قال : وألغز الشريف الاديب مولانا وسيدنا محمد الصديق ، من ذرية مولانا عبد الله بن طاهر في لفظ قربة ، وقد شاهد ما الناس عليه من الجد في تعمير القرب من التميمي لقطعه مفازة السروال قائلا :

ما اسم أتى على حروف أربـــع أوله نصف لثانيه فـــع
وربع لرابع ويقلـــــب وقلبه في الجو حينا يرقـب
يركب فوق الدهر أو يرتفـــع وأنت في بسط متى ما يشبـع
وان ضممت الحرف منـــه أولا يصير طاعة به قد اجتـــلا

فأجبته بقولي :

لله حبر ماهر يسبي العقـــول بسحره العذب البديع في المقول
عني وعاء روح كل ذي نفـــس فساده بالثقب اذ يبدو النفـــس

ثم نقل عن أبي فارس المراكشي ، في حكمة قول الانسان بعد الفراغ من قضاء حاجته : غفرانك كما ثبت بذلك الحديث ان الشارع وان أمر الانسان بنتيجة ذكر الله فيه فهو ذنب باعتبار ، فأمر لذلك بالاستغفار ، فباحثه بأنه أمر بالترك فامتثل ، فكيف يعد ذنبا يستغفر منه ؟ وأجاب عن ذلك الشريف سيدي محمد بن محمد الهاشمي الشهير بالصديق المتقدم الذكر ، بأن كفارة المجلس مطلوبة حتى في ختم مجالس الخير وفي عمل الطاعات ،فهذا من باب كفارة المجلس وهو حسن ملائم .

ثم قال : لم أوتي بالواو بدل الفاء في قوله تعالى : « جاء الجق وزهق الباطل » ، الجواب : انه لو أتى بالفاء لاقتضت الآية : ان الباطل كان ثابتا ، وليس كذلك ، اذ الباطل زاهق أولا وبالذات ، ولا يلزم من وجدانه ثبوته ، فافهم ،ولم أر من المفسرين ولا من المعربين من أشار اليه وهو ظاهر .

ومن مستفاداتي عن أبي فارس عن شيخه أحمد بن عبد الله الغربي الرباطي رحمه الله تعالى : أنه حضر درس شيخه الامام سيدي سعيد العميري للتفسير بمكناسة الزيتون ، وهو يقرر في هذه الآية فسأله سائل عن ذلك ، فأجابه على البديهة مع اختصار بقوله الباطل جفا ، وهو معنى ما أجبنا به لله الحمد على الموافقة ، انتهى .

وقال أيضاً : مَن اشترى أمة فظهر بها الجذري عنده ، أهو عيب قديم يوجب الرد على البائع ، أذ الأصل فيه أنه بقية حيض في البطن تغذى به الجنين أم لا ؟ لأنه من الامراض الهائجة على الانسان كغيره من سائر الطبائع ، الجواب بعدم الرد ، وأنها مصيبة من المبتاع إلا إن سأل عنه البائع فدلس قائلا نزل بها الجذري فبرئت منه ونحو ذلك ، أو كان قبل عقد الشراء ولم يطلع عليه المبتاع الا بعد انعقاد البيع ، أو حدث بها بقرب انعقاد البيع كظهوره يوم الشراء ، لأن البائع يتهم أنه تفطن له لمقدمات ومخايل ، فعند ذلك يكون عيبا يوجب الرد على البائع .

ومن مستفاداتي من أبي فارس اني نزلت بمكناسة أيام السلطان مولانا اسماعيل رحمه الله تعالى ، فافتى فيها علماء وقته بذلك ، وخالفهم في

ذلك السيد عبد الوهاب الدراق ، وكانت له خبرة تامة بالطب ، وقال : انه عيب يوجب الرد محتجا بأن الفقهاء يستندون الى الاطباء في العيوب ، وهم حكموا بأن أصله من غذاء الجنين في البطن بالدم ، فصار قديما عيبا لهذا المعنى، وكتب في ذلك رسالة سماها (هزء السمهري ، في الرد بالجذري) ، فقلت : ان كان مدار رسالته على هذه الحجة فهي واضحة السقوط كما لا يخفى .

قال أبو فارس : وقعت عيني على نص للمالكية بموافقة ما للدراق قلت : ولا أخال ذلك ، اللهم ان كان فيجب تقييده بما قررناه ، وبما اذا جرى عرف الناس ، يكرهون شراء مَن يصبه الجذري ، ويزهدون في شرائه ، وان كان بثمن بخس ونحو ذلك ، يجب على البائع البيان ، حسبما تقرر في الفقه المالكي أن الضابط في العيب هو نقصان الثمن إلى ءاخره .

ثم ذكر أنه وقف لشيخه الشيخ التاودي على أن الجذري لا يرد به ، لان الفقهاء انما اعتبروا في الرد بالعيب قدمَه لا قدمَ مادته ، وأيضا فالرد بما العادة السلامة منه ، وأنتم تقولون لا سلامة الى ءاخره ، أنتهى .

ثم ذكر أنه وقف على رحلة البلوي بطرابلس ولم نر لتينهم — يعني أهل الزوارات من عمالة طرابلس — شرقاً ولا غرباً نظيراً في الحلاوة واللون ، فقلت في ذلك ارتجالا ومداعبا لبعض من تنزه عن أكله ، لكون المالكين له أباضية ، أصحاب عقائد زائغة :

بادر إلى الباكور واعن بـــــه ... ولا تحد عنه من أجل نفـــاق
لاسيما الزوري إن لـــــه ... حلاوة في خضرة بها فـــاق

وأنشدني في ذلك أبو فارس لغيره ، والحديث شجون ، لبعض فقهاء مكناسة الزيتون ، وقد واعده صاحب بستان يجتمع معه لاكل الباكور بعيد صلاة الصبح ، فجاء الفقيه وتخلف صاحب البستان ، فكتب له في ذلك :

باكر إلى الباكور وقت الغســق ... واجن جناه في ديباج الـــورق
ولا تثق بالوعد من أهلــه ... فانهم من أجله في قلـــق

ومن أشياخ المؤلف : الشيخ بناني محشي الزرقاني ، ثم ذكر أن بالخزانة الناصرية زهاء أربعين فيما بين تفسير وحاشية على كتاب الله تعالى من دون تكـرار .

ثم ذكر أنهم اجتمعوا بالركب الفاسي والسجلماسي ذاهبين للحـج ومعهما مولانا اليزيد بن مولانا نصره الله تعالى ، ثم ذكر أنه لما تراءت لهـم سجلماسة في ضحى التاسع والعشرين من شعبان عام 1197 ، فلم أنشب جوف الليل الا برجل من أعراب بني مَحمد جاء يخبر أنه قدم من بلادنا درعة وترك عمنا الشيخ يوسف بن محمد بن محمد بن ناصر مريضا مشرفا على الهلاك ، فما أتم خبره حتى جاء آخر يخبر أنـه حضر في هذا اليوم بزاوية الشيـخ الامام الغازي ، حتى جاءت بينة رسالة من الزاوية الناصرية تخبر بلقاء ربه في آخر ثلث الليل الاخير من ليلة الجمعة السادس والعشرين من شعبان رحمه الله تعالى ، فلا حول ولا قوة الا بالله .

ثم ذكر المؤلف أنه كان مقيما بفاس سنين السبعين ، ثم ذكر المؤلف أنه أتم هذه الرحلة في سنة 1199 جزاه الله خيرا ، وهذه النسخة التي وقفت عليها قوبلت من مؤلفها سيدي محمد بن عبد السلام بن محمد بن محمد بـن ناصر سنة مئتين وألف ، وعليها خطه الرائق في داخلها وآخرها ، والحمد لله أولا وآخرا ، وقد طالعتها في نحو يوم واحد وزيادة ، والله ولي التوفيـق والهدايـة .

وقد وقفت على شرحه المذكور للاربعين الجوهرية ، في ترك الظلم وأجوبة فقهية له ، ونظم في موجبات الفقر والهم ، وبعض اجازات أشياخه له في مجموع ، ثم وقفت على رحلة المترجم الثانية الواقعة عام 1211 ، وهـي الحجة الثانية ، ذكر في هذه الرحلة أنه زار في مدينة الجزائر الامام أبا زيد الثعالبي ، والخروبي شارح الصلاة المشيشية ، والجزائري ناظم التوحيد ، وأنشد في وجدة قول القائل :

فأمـا أرضها فأعـــــــزُّ أرض وأمـا ناسهـا فأخسُّ نـــــاس

797) محمد بن ادريس العمراني المراكشي

محمد بن ادريس بن محمد بن عبد الرحمان العمراني المراكشي ، كان عالما فاضلا عارفا ، قرأ بفاس وذهب للاخذ عن شيخه مولاي العربي الدرقاوي بزاويته ببوبريح ، ثم أذن له في الذهاب لمراكش بعد أن خدمه ، يحكى أنه كنس كنيف شيخه المذكور ، ويحدث عنه بكرامات ، ووجد بعد موته بنحو أربعين عاما جسده حيث عُثر عليه كأنه دفن لم تعدُ عليه الأرض ، وأخبر بذلك السلطان وطلب منه اجراء الماء لزاويته بالقصور ، فساعدهم عليه، ثم أخذه بعد ذلك بعض الولاة لداره ، وأخبر كثيرا من أهل الطائفة الدرقاوية ان المترجم أشكلت عليه مرة مسألة فعظم عليه بطنه واتسع فمه ، فخرج منه رأس وشافهه في القضية بما شفى له الغليل ! فعلم أن ذلك شيخه المذكور ، ونشر الطائفة الدرقاوية بمراكش .

ثم توفي في حياة شيخه ، ودفن بزاويته في القصور في فحل الزفريتي ، والزفريتي المنسوب اليه الفحل المذكور كان محتسب مراكش سابقا ، وهو منسوب الى زفريت قرية بأولاد مطاع ، خارج مراكش .

798) **محمد بن أحمد بناني** الفقيه ، تقدم ذكر سفره لمراكش في ترجمة رفيقه ابن عمرو الزروالي ، وقال فيه في (جمهرة التيجان) عند ذكر أشياخ مولانا سليمان :

وسابق الحلبة في الميـــــدان **محمد بن أحمد البنانـــــــي**

انتهـى .

وحلاه تلميذه العلامة سيدي محمد بن حمدون ابن الحاج عند عدّ أشياخه في اجازة سيدي محمد بن أحمد بن الطيب بناني الآتية ترجمتهما بالعلامة النحوي البياني سيدي محمد بن أحمد البناني .

799) **محمد بن ابراهيم الاندلسي المراكشي** الهمام ، العلامة الامام ، له الشرح الكبير للحزب الموسوم ، بسبحان الدايم لا يزول ، للقطب سيدي محمد بن سليمان الجزولي .

طبع هذا الشرح بالمطبعــة التونسية بنهج سوق البلاط عــدد 57 بتونس سنة 1327 ، موافق 1909 م في 92 صحيفة ، وهو شرح نفيس نقل فيه عن شرح سيدي عبد الوارث لهذا الحزب ، وبسط الكلام على ألفاظ الحزب واستوفاه كله .

قال فيه ص 62 : وأجمع العبارات في معنى وصف الكريم ، ما قيل الكريم الذي إذا قدر عفا ، واذا وعد وفى ، وإذا أعطى زاد على منتهى الرجا ، ولا يبالي كم أعطى ولا لمن أعطى ، وان رفعت حاجة الى غيره لا يرضى ، وان جفا عاتب وما استقصى ، ولا يضيع من لاذ به والتجا ، ويغنيه عن الوسائل والشفعا ، فاذا كانت هذه الصفات لا يستحقها أحد سوى الله تعالى فينبغي أيضا أن لا تتخطاه آمال المؤملين الى غيره ، كما قال بعضهم :

حرام على من وحد الله ربــــه وأفرده أن يجتدي أحدا رفــــدا
وياصاحبي قف بي مع الحق وقفة أموت بها وجدا وأحيا بها وجــــدا
وقل لملوك الارض تجهد جهدهــا فذا الملك ملك لا يباع ولا يُهدى

وفي 83 منه ذكر فضل المسبعات التي رواها الخضر عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وهي في كتاب (قوت القلوب) لأبي طالب المكي ، وفي كتاب (الاحياء) للغزالي ، ولم أقف على ترجمة لهذا الشيخ ولا تاريخ وفاته ، وما هنا من تسميته الشارح المذكور محمد بن ابراهيم هو الذي في نسخة الطبع ، والذي وجدته في نسخة بخط اليد ، أنه لولده مهدي بن محمد بن ابراهيم الى آخره ، وفي هذه النسخة من الشرح المذكور ما نصه : كان الفراغ من تبييضه وجمعه عند عشية يوم الثلاثاء 7 من شهر ربيع النبوي عام 1241 ، ألفه عبد ربه الفقير مهدي بن محمد بن ابراهيم الاندلسي المراكشي، لطف الله به ءامين ، انتهى .

800) محمد بن محمد التهامي ابن عمرو الرباطي

محمد بن محمد التهامي بن محمد بن عمرو بن قاسم الأوسي أبــاً الحسني أماً الرباطي .

من أشياخه العلامة سيدي عمر بن المكي الشرقي ، وشيخهما العلامة القاضي أحمد الحكمي والد محمد صالح ، والعلامة السيد عبد الواحد بن مَحمد بن أحمد بن مَحمد بن أبي السعود عبد القادر الفاسي ، والعلامة سيدي محمد بن أحمد بن عبد الله الغربي الرباطي ، وسيدي عبد الرحمان السرايري ، والشيخ سيدي محمد الرهوني ، وسيدي أحمد بن التاودي ابن سودة، وسيدي عبد القادر ابن شقرون ، وسيدي محمد بنيس ، وسيدي محمد بن عبد السلام الناصري ، وسيدي عبد الله الجكني . ودخل المترجم مراكش عام أربعة وعشرين ومئتين وألف .

كان رحمه الله مستقلا بحمل راية العلم ونشره بالعدوتين ، وتصدر لنشره بالتدريس والافتاء على الأمور المعضلات ، وتوارد عليه طلبة العلم من كل ناحية من أقطار المغرب ، وكان رحمه الله يرجع اليه في الامور المهمات ، فمن ذلك ما وقع ذات يوم في حكم من الاحكام صدر بالرباط ، وكان رحمه الله هو المباشر لكتبه وتعضيده بنصوص الايمة ، ثم ان الخصم لصاحب هذا الحكم ، أخذ نسخة وتوجه بها لفاس ، وكان القاضي بها اذذاك هو الفقيه السيد العباس بن السيد أحمد بن التاودي ابن سودة ، فكتب على ذلك الحكم بالفساد ، فأخذ منه صاحبه نسخة ، ورجع بها الى كاتب الحكم الفقيه ابن التهامي المذكور ، فحقق المسألة ورفعت القضية لحضرة مولانا سليمان ، وأحضر العلماء بمراكش ، وفاوضهم في ذلك وكتب :

الحمد لله وحده — وصلى الله على من لا نبي بعده

الحق أحق أن يقال ، والحق هو ما كتبه في المسألة أهل الرباط ، بهذا أقول ولو أفتى به سحنون ، هم رجال ونحن رجال ، ذلك فضل يوتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم .

فنأمر الوقف عليه من عمالنا أن يعمل بمقتضاه ولا يتعداه ، والسلام .

كتبه سليمان بن عبد الله كان الله له .

وكان المترجم رحمه الله كثير المطالعة في كتب الفقه والنوازل والاحكام ، واللغة والعروض ، والشعر في مدح النبي صلى الله عليه وسلم ، اناء الليل وأطراف النهار ، طلق الوجه بشوشا ، حسن الخلق ضاحكا في سائر دهره ، كثير الخير للفقراء والمساكين واليتامى والارامل ، وتأنيس الغريب وتسلية المحزون ، وتنفيس كربة المكروب ، وتفقد ذوي الحقوق ، وبذل الميسور من الطعام والدراهم وغير ذلك ، لا يكترث لشدة ولا يهتم لنائبة ، واثقاً بالله ويقضي بنفسه حاجة المحتاجين ، جواداً مفضالا ، ومجلسه في التدريس مجلس علم وفهم وحفظ وبحث وتحقيق ، تروقك عبارته ، وتهديك اشارته ، وفي خطابة الجمعة لا تسمع أفصح منه ، واستخلفه شيخه الحكمي المذكور في أحكام القضاء أيام ولايته فكانت أحكامه حسنة ، وخوطب بالتولية بعده فلم يقبل ، وكان ينوب عن غيره أيضا ، وكان يجتمع مع الفضلاء الاعلام كالفقيه العلامة سيدي الحفيان الشرقي ، والفقيه الأديب شارح قافية الونان سيدي محمد بن أحمد بن الفقيه الجريري ، وكتب بيعة مولانا عبد الرحمان من تلفيقه وانشائه ، وزار والده بضريح الولي الصالح سيدي مكدول بثغر الصويرة ، وتطوف زائرا صلحاء أحوازها ، وتوجه بعد ذلك لمراكش ، فزار صلحاءها ورجع للرباط .

ولما رحل لحجه ودخل تونس ، أخذ عن الاوحد ابراهيم الرياحي ، وحضر درسه في البخاري والتفسير والتلخيص ، وكا نلقيه بالرباط أيضا ، والشيخ محمد بن الشيخ محمد بيرم في التلخيص والدرر والبخاري ، ولقي والده ، ولقي علامة القطر سيدي محمد المحجوب ، والشيخ مصطفى بيرم ، وابن أخيه الشيخ محمد ، والشيخ محمد بن الخوجة ، وسيدي محمد الآبي ، وسيدي محمد الشاذلي ، وبالغ هؤلاء كلهم في تعظيمه ، واستجازوه فأجازهم وأجازوه أيضا .

ومما خاطبه به حفيد ابراهيم الرياحي المذكور :

لا تعجبن لشرب البنّ منفـــــردا ... فان عذري لذي الاذهان معقــــول
في لفظك الشهد أغنى عن مقارفتي ... وسكّر القول في ناديك مبـذول
فذاك عذر يزيل القول موقعـــــه ... والعذر عند كرام الناس مقبــــول

وكتب في اجازته لابراهيم الرياحي أنه أجازه في (الرحلة العياشية)، وأذن له في جميع ما تضمنتْه قائلا : وقد أخذتها من عدة طرق ، فأرويها عن شيخنا الامام المحدث الحافظ المتقن محمد بن عبد السلام الناصري الدرعي ، عن راهب الامة وعالم الاسلام أحمد بن محمد الورزازي التطواني الدار ، عن شيخه محيي السنة سيدي أحمد بن محمد ابن ناصر الدرعي ، عن مؤلفها الشيخ أبي سالم ، ثم ذكر أن الناصري المذكور يرويها عن الشيخ جسوس ، عن سيدي محمد بن عبد القادر الفاسي ، عن مؤلفها ، ويرويها المترجم أيضا عن الشيخ الرهوني ، والناصري المذكور ، عن الشيخ التاودي ، عن أبي الحسن الحريشي شارح (الشفا) عن مؤلفها ، ويرويها الناصري أيضا عن الشيخ مرتضى ، ويرويها المترجم أيضا عن الصالح الحافظ الشيخ عبد الله الجكني، عن شيخه تاج الاولياء محمد بن عبد الودود الجكني ، عن والده ، عن المحدث سيدي أحمد الخطاط ، عن الشيخ أحمد بن ناصر ، عن مؤلفها .

وقد قرظ على حاشية شيخه الشيخ الرهوني ونصه :

اللهم صل على سيدنا محمد وأزواجه وذريته وسلم .

يقول كاتبه المسرف على نفسه ، المرتجي عفو ربه ، محمد بن محمد التهامي بن محمد بن عمرو بن قاسم الاندلسي لقبا ، الاوسي نسبا ، الرباطي دارا ومنشأ ، جبر الله صدعه بمنه .

لما وقفت على هذه الحواشي التي قيدها شيخنا الامام سيدي محمد الرهوني أبقى الله بركته وقضيت منها العجب ، دعتني الرغبة في صالح دعائه ، أمنه الله بفضله الى أن قلت في مدحها وان قصرت :

قد زار طيف من بثينة في الكرى ... فعجبت مما خلته لن يذكرا
وبدا لطرفي من بديع جمالها ... ما أدهش القلب العميد وأسكرا
وجلت محيا الدهر تحت نقابها ... فامتاز ما قد كان قبل منكرا
واستل من بيض القواضب جفنها ... ما قد فرى ودج العنود فبكرا
فحسبتها شمس الضحى لكنها ... تكسو الشموس محاسنا لن تنكرا

ولها يخر البدر عند تمامــــه … أو ما ترى منه المحيا أعفــرا
روحي فداها كم لها من نعمـة … عمت قصارى أمرها أن تشكـرا
ملكت على حكم الهوى رقّي كما … حازت من العلياء ما لا يفتـرى
فكأنها تاج على هام العــلا … وكأنها ماء الحياة لمن سـرى
بل فوق ما أحكيه الا أنهـا … عقد نفيس بالجميل تصـدرا
قد صاغه حبر الايمة شيخنـا … المفرد الجمع الجموع الأنـورا
العالم النحرير من قد خصـه … مولاه بالتحقيق فضلا محضـرا
وله انتهت في العلم كل رئاسـة … حقا على الاطباق من أهل الثـرى
صدر الافاضل في الصدور محمدا … أعني الرهوني الامام الأكبـرا
أمست حواشيه الفريدة تحفـة … تنبيك عنه بين اساد الشـرى
تزهو بفضفاض الذيول تجـره … ويحق للحسناء أن تتبختـرا
ولها أريج عاطر يجلو الاسـى … عن كل مفؤد براه ما بـرى
تدعو من الاكفاء قرما ماجـدا … هذا جمالي قد بدا فليمهـرا
سارت مسير الشمس في افاقها … فاستعظم الاعظام منها المخبـرا
شمس تفوق الشمس الا أنهـا … فاعجب لها شمس تحلي المنظـرا
تهديك للسر المكتم فاغتبـط … بغنى اذا ما نلته لن تفقـرا
واشدد يديك بعروة منها تقـي … ليل الجهالة لن يحوم بمن قـرا
واعكف عليها كي تفوز بسرهـا … ودع الشواغل تمس فردا في الورى
جمعت من التحقيق كل غريبـة … أضحت لعين الشمس حقا مظهـرا
اكرم بها لو لم تكن تسبي النهـى … ببدائع تنسي المنى والمصـدرا
وغدت بأجياد الحواشـي درة … بنفائس الارواح بخسا تشتـرى
وبجبهة الشرح المرونق غـرة … غراء تكسوه الجمال الازهـرا
حوت المحاسن والمفاخر جملـة … فغدت ثمال العالمين كما تـرى
سبحان من أولاكما من فضلـه … ذخرا جزيلا بالجزاء مـوزرا
فاهنأ بأجر كامل من ربنـا … وابشر بخلد في الجنان مسـورا
واسلم لهذا العصر شمس ظلامـه … وامامه المقصود فيما قد عـرا
يأيها الشيخ الذي كلّ الـورى … عن وصفه فثنوا مقاولهـم ورا

جد للفتى الاوسي منك بنظـــرة ... يحيا بها منه ذوات اقفـــــــرا
وتجله في جيله حتى يـــرى ... علما بتقديم الالاه مصـــــدرا
فلقد كساه الجهل ثوب مهانـــة ... لو لم يشنه بالذنوب تستـــرا
فارحم بوجه الله بزة حالـــه ... وانظر له نظر الاساة المعتـــرا
وعليك من هذا العبيد تحيـــة ... ما زار طيف من بثينة في الكـرا

انتهت،وليت فكرتي عن ذلك انتهت،اذ من المحال قطعا أن تفي بمدائح هذه الخريدة ، أو أن تأتي ببعض كمالات هذه الفريدة ، فانما هي منحة ربانية ، ونفحة وزانية ، ودين على العلماء مخلد في الطروس ، وحلي واجب ان تتزين به كل عروس ، وبهجة بهية ونهجة مرضيـــة ، والله المسؤول أن يديم بقـاء مفتض ابكارها العين ، وساقي طلابها سلسبيلا من ماء معين ، ويجزل له بها المثوبة الكاملة ، ويلحفـه أردية العافية الشاملـة بمحمد وءاله عليه وعليهم الصـلاة والسلام ءامين .

في 17 من صفر الخير عام 1229 .

انتهى من صحيفة 354 ءاخر الجزء الثامن .

وفي ديوان المترجم إثر ذكره قصيدته القافية التي عارض بهـا قصيدة ابن ونان التي مطلعها :

تسحب في الادلاج كل خيفـق ... يراء سبسب يباب سملـق

ولما تعرض لذكر الذين قرظوهـا من أيمـة المغرب قال ما نصه : وأجازه أيضاً على هذه القافية :

هذي فتوح هيئت فـــي أزل ... ثم بدت في علية من رونـــق
أكرم بها من حلة في نســق ... أبهى وأسنى من حلي العنـــق
قد صاغها الأرضى السريُّ الالمعي ... ذو الادب الغض الشهي المورق
رقّت وفاقتْ غيرها لأنهـــا ... في مدح خير الخلق زاكي الخلق
صلى عليه الله ما حيا الحيـــا ... محلولك الربع بسيل مغـــدق

وهذه القصيدة كمل نظمها في شعبان الابرك عام 1230 ، عدد أبياتها 176 ، راجعها في كناش الفقيه سيدي محمد بن الحسن المراكشي .

وقال في (الاتحاف) :

ومنهم أديبنا ابن عمـــــــرو … أعجوبة الدهر بغير نكـــــر
محمد بن التهامي السابـــــق … ابن الفقيه الصالح الموفـــــق
عمرو بن قاسم بالاوسي يدعـــا … أندلسي هاجر منها يرعـــــى
نادرة الدهر الذي لم يظفـــر … له بثان في جميل الاثـــــر
الفاضل المشارك المحقـــق … العالم العلامة المدقـــــق
أبو المعالي في علـــــوم الادب … وذو اتساع بمعال قد حُبِـــي
شارك في المعقول والمنقـــول … وفاق أهل العصر من فحـــول
كان عجيب الحال علما ودهـــا … وأوحد الدهر ذكاءً نزهـــــا
أخذ عن أهل الرباط وســـــلا … ومن بفاس فعلا وحصـــــلا
وكان من عمده ابن الحكمـــي … أحمد ذو الفضل الغزير الافخـــم
وبأبي الجعد أبو حفص عمـــر … وغيره من كل خريت بهـــــر
وظهرت ءاياته بكل فـــــن … ونقرت نغمته بكـــــل رن
ونظم الشعر العجيب ونثـــر … لولاه لم يعرف رباط بعبـــر
أصيب بالنقرس في المفاصـــل … وكاد أن يكون كالمستأصـــــل
فنقرت امرأة بـــــــداره … وطلبت أخباره بأمــــــره
قالت رأيت قائلا في النــــوم … قل لابن عمرو لن ترى من لـــوم
ان مدح السلطان بالقريـــــض … تعني ابن عبد الله بالتعريـــــض
قال فقصها لبعض الفضـــــلا … قال امدحن خير الملوك النبـــلا
قال ابن عبد الله أعلا من ملـــك … هذا الوجود مطلقا وقد سلـــك
نبينا محمدا خير المـــــــلا … صلى عليه ربنا كما تــــــلا
فنظم الشعر البديع القافيـــة … الحائز السبق بخير البريـــــة
وحصل الشفا له والمكرمـــة … وأول النظم غريب فاعلمـــــه
تسحب في الادلاج كل خيفـــق … يرأء سبسب يباب سملـــــق
جلت عن الوصف وجل حسنهـــا … وبعدت وقربت من النهـــــي

ثم قال :

وقد تفانى في مديح المصطفى   فجل قدره بما قد وصفا
ونال فوزا لم ينله مرتضى   رأى النبي قائلا لك الرضى
متمما اخر بيت منها   لما انتهى القول بها فأنهى
وقوبلت بكل أرض المغرب   بأجمل الوصف العجيب المطرب
وصح جسمه فنال الفرجا   وعظم الشوق به مثل الرجا
فشدّ رحله لأرض المشرق   والعمر منه في الشباب المورق
فلم يزل يروي ويلقى العلما   ويحرز السبق بما قد عظما
حتى غدا شمسا بأفق العلم   ما بين غربه وشرق أعظم
وحل في أرض الحجاز نيرا   يروي السنا عن كل من قد ظهرا ،
ومر ذكر ذاك مع مرافقه   محمد بن عيسى أعظم فقيه
وظل في مصر مع الحجاز   أربعة الاعوام في اعتزاز
وختم الله له بالحسنى   مكرما لدى المقام الاسنى
دفن بين خير أم الخلق   وزوجه ذات السنا والسبق
خديجة لدى المعلى الأنور   فحبذا الفخر الجميل المخبر
عام ثلاثة وأربعينا   من ثالث القرون خذ يقينا
وعاد خدته ومن يرافقه   بكتبه وما حوته ورقه
وكلها علم وجيد يغزر   ولمع ونكت قد تندر
وفيها ما أسند من شرق وغرب   وما حوته رحلة وكل عجب
وهي بنحو عشرة الكرارس   ومنها ما حذف أو بعد نُسي
اذ لم يكن مجمعها المؤلف   وانما أبرز منها نتف
وعلق الشرح على منظومته   كشفا لما انغلق من قافيته
وحاله يفرد بالتأليف   وخبره يخص بالتصنيف
وفي الذي أبديته كفاية   لذى النهي محصلا للغاية

انتهى .

توفي رحمه الله بمكة المكرمة سنة أربع (1) وأربعين ومئتين وألف ، بعد أن خرج من الرباط للحج في 10 ربيع النبوي عام 1243 (2) وألف فهرسته ورحلته .

801) محمد بن الطاهر العلوي المدغري

محمد بن الطاهر بن محمد بن مَحمد بن السعيد بن مُحمد بن مَحمد بن قاسم بن مولانا الحسن العلوي المدغري ، العلامة المحدث الحافظ دفين مراكش .

ولد سنة 1185 خمس وثمانين وألف ، وأخذ مبادىء العربية عن علماء سجلماسة ، ثم انتقل الى فاس واستوطنها ، وأخذ عن سيدي حمدون ابن الحاج وطبقته ، وشاركهم في الاخذ عن شيخ الجماعة سيدي التاودي ابن سودة ، واعتمد عبد القادر ابن شقرون ،ومحمد الطيب ابن كيران في عدة فنون ، وكان علامة محدثا حافظا محققا ، له مشاركة تامة في جميع الفنون ، ماهرا في التفسير والحديث وعلوم العربية مع الاستغراق في الاعتناء بالمطالعة والافادة ، ومحبة الاولياء والصالحين ، والمجذوبين والسالكين .

أخذ عنه سيدي الطالب ابن الحاج مترجمه في (الاشراف) ، والاخوة الثلاثة : الفقيه العالم النسابة الدراكة مولاي الزكي مؤلف (المطالع الزهراء ، الجامعة لأسماء بني الزهراء) ، ومولانا الصديق ، ومولانا الحبيب العلوي .

وقال تلميذه الوزير محمد ابن إدريس في قصيدة يمدح بها مولانا عبد الرحمان ، وقد ختم صحيح البخاري ، وكان المترجم اذذاك هو الذي يحقق روايته ، ويحسن درايته في الحضرة منها :

فالزم على شيخ تحقق درسه ... أفهامه للمشكلات ظهور
وادأب على تحصيله بأصوله ... واحفظ فحفظُك للحديث نصير

---

1) هذا يتنافى مع ما سبق فى النظم المتقدم من انه توفي (عام ثلاثة وأربعين) الخ .

2) لعل خروجه من الرباط كان عام 39 أو 1240 لما تقدم فى النظم السابق من انه بقي فى مصر والحجاز اربعة أعوام

واذا ظفرت بمثل شيخي محمـــد ... وأتاك في تقريره التحريـــر
تبدو لك الاسرار وهي سوافـــر ... وتلوح من خلل التراجم حـــور
فاذا وردت وردت أعذب منهـــل ... يروي نداه المعتفي ويميـــر
لو لم يكن فرد الايمة ما أعتنـــي ... بحضوره في درسه المنصـــور
شفع الصيام بدرسه فبدا لـــه ... من فهمه بدجى الغوامض نـــور
كلفا كعادته بكل فضيلـــة ... وعناية تذكي الحجا وتنيـــر
قد فاح مسك ختامه بختامـــه ... وتضاعفت في الطاعتين أجـــور
وبدا القبول على الحضور وكيف لا ... وجنود أملاك السماء حضـــور
نشر العلوم بدرسه متواتـــر ... ووجوده بوجوده ميســـور
قد شاد للعلماء فيه مفاخـــرا ... وسما لديه الماهر النحريـــر

وعدتها سبعة وثلاثون بيتا ، راجع تمامها في ديوانه .

توفي المترجم رحمه الله بحضرة السلطان بمراكش ، وأقبر بضريح مولاي علي الشريف بها في منتصف جمادى الاولى عام 1248 ، وصلى عليه اماماً ، العالم السيد الهادي الامراني امام الضريح الادريسي في اليوم الذي دخل فيه مراكش .

قال تلميذه مولاي الزكي المذكور : استوزره امام وقته مولانا عبد الرحمان بن هشام ونوه به ، ولازمه في حضره وسفره الى أن توفي بمراكش .

802) محمد التهامي بن حمّاد الحمادي المكناسي

محمد التهامي بن الولي الصالح سيدي حماد بن عبد الواحد الحمادي من آيت حمادي ، فخذ من بني مطير الشهير بالمكناسي قاضي مراكش وخطيبها، ومدرس العلم بها ، وآخر حفاظ المغرب الفقيه العلامة المشارك أبو الفتح ، أخذ عنه العلامة سيدي الوليد العراقي الاجرومية ، والألفية ، والمرشد المعين كما في (الدر النفيس) له .

وممن أخذ عنه سيدي الطالب بن الحاج ، وسيدي محمد بن عبد القادر الكردودي ، وسيدي محمد ، وقفت على أستدعائهم الاجازة منه ، واجازته

لهم اجازة عامة مطلقة ، ومنهم سيدي الحاج عمر ابن سودة كما صرح بـه في اجازة شيخنا السباعي ، ولسيدي محمد ابن الحاج أبيات يستعطف بها المولى سليمان في حق المترجـم مذكورة في ديوانه في الامـداح السلمانيـة ، ووالده مترجم في (السلوة) في الجزء الثاني ، وقفت للمترجم على خطابه في رسم مؤرخ 1246 .

توفي رحمه الله برباط الفتح منعطفاً الى فاس من مراكش يوم الاربعاء حادي عشر صفر عام تسعة وأربعين ومئتين وألف ، أو في التي قبلها عـن أربع وستين سنة ، وفن بدويرة بالزاوية الناصرية بحومة أبي القرون .

وممن أجازه من أشياخه : سيدي إدريس بن زين العابدين العراقي ، والشيخ الطيب ابن كيران ، وأخذ المترجم عن العلامة سيدي أحمد بن الشيخ التاودي ابن سودة ، كما صرح به تلميذه الحاج عمر ابن سودة .

ومن شعره مخاطبا للسادة الفاسيين ، ومادحا كما في ترجمة أبي القاسم بن أحمد الفاسي من (السلوة) :

أبي الجود الا أن يكون لكم عبـدا	ولا العرف الا من أناملكم يسـدى
ملكتم ملاك الفضل قدما وحادثـا	فأضحت اليكم كل مكرمة تهـدى
ولو نسبت يوما لغير جنابكـم	لكان على وجه المَجاز حوى بعـدا

وكان رحمه الله شيخ مجلس قراءة الصحيح بين يدي السلطان ، وكان شيخ المجلس المذكور السيد العباس ابن كيران المتولد في نصف ذي الحجة عام 1220 من عام 1253 الى 5 قعدة عام 1271 ، وسيدي عبد القادر الكوهن قبله من عام 1249 إلى 1253 ، ثم سيدي المهدي ابن سودة ، ثم سيدي أحمد ابن سودة المتولد ليلة الثلاثاء 29 رجب عام 1241 ، من عام 1294 الى أن مات رحم الله الجميع .

803) محمد بن سيدي محمد ابن أبيج العلوي

محمد بن سيدي محمد بن سيدي عبد الله بن الفغ (1) سيدي أحمد بن محمد بن القاضي عبد الله بن الطالب بن حبيب بن أبيج من قبيلة إدوعلي ، ينتهي نسبه الى يحيى العلوي الجد ، الجامع لاكثر القبيلة في تلـك البلاد .

قال في (الوسيط) ما نصه : برع في عنفوانه في العلوم ، وصرف همته الى نظم الشعر ، وبلغ صيته في قطره مبلغا لم يبلغه أحد ممن عاصره ، فاذا قيل ابن محمد خضعت له رقاب الأدباء ، وفطاحل البلغاء ، وأنا أسوق عنه بعض ما يبرهن عما ذكرت ، وغطت شهرة شعره على علومه ، مع أن له اليد الطولى ، في العربية والفقه ، وكان ينظم القصيدة فيقدمها الى العلامة بابَ بن أحمد بيب العلوي ، فينشده إياها ، فيأمره بسترها ، فيمتثل أمره ثم يعود إليه بغيرها ، حتى قال قصيدته التي رثى بها محمد الدنبج التندغي وهي :

لا عذر للقلب أن يقني السلـو ولا — للعين أن تبق في آماقها بلـــلا

فانشده إياها فاستحسنها، وجعل يزحف عن مجلسه استحساناً لها، وهي في غاية الانسجام ، ومنها بعد المطلع :

إن النعي بفيه الترب فاه بمـــا — أسهى وأسهر من تبريحه المقـلا
رمى القلوب بما لو كان صادفـــه — رضوى ولبنان دهدى منهما القللا
نعى محمدنا الناعي فقلت لـــــه — هلا عطفت عليه العلم والعمـــلا

ومنها يخاطبه :

ياهالكا وقسنيُّ الموت ما برحــت — ترى وأغراض رامى نبلها النبـــلا
ان تعتبرها قنى أم اللّهيم لكـــم — نفست معضلها المرهوب ان نزلا
أو سرت عن هذه الدنيا الغداة لقد — سارت مزاياك في اقطارها مثـــلا

---

1) أي الفقيه بلغة مغاربة شنجيط ، وينطق مغاربة الشمال الفقيه الفقي

نفاد زادك من دنياك زودنـــــا ... حزنا وان كنت مسرورا به جـذلا
وورد الموتَ روانا الزعاق وإن ... رواك مورده الصهباء والعســلا

ومنها يخاطب قومه ، وكانوا يلقبون بحلة أربعين جوادا :

يأربعين جوادا ان حسبكـــم ... لطف المهيمن فلترضوا بما فعـلا
ولتذكروا الرزء لا ضاعت أجوركم ... بخاتم الرسل تنسوا خاتم الفضلا

ولما نبغ محمد طار صيته في ذلك القطر ، وكان صغير السن يدهش الناس بسلاقته وحدة ذهنه ، وكان محمد بن الطُّلْبَ المشهور في تلك البلاد موجوداً إذذاك فاجتمع به يوماً ، فانشده قصيدته التي يقول فيها :

فيمن أهيم بها لاموا ولو هامــوا ... بمن أهيم بها يوما لما لامــــوا
هام الفؤاد بمن لولا ملاحتهـــا ... ماسفهت من ذوي الاحلام أحــلام
هام الفؤاد بخيت الناس بحت بها ... اذ في الكناية تلبيس وابهـــام

حتى أتى على آخرها، فقال له مَحمد المذكور : الحمد لله الذي جعلك في غير زمني ، وكان مَحمد إذذاك شيخاً كبيراً ، ولما حدقت إليه العيون نزعته أعراقه إلى طاعة الله والتفكر في أمر الآخرة ، فاشرأبت نفسه الى حج بيت الله الحرام ، وزيارة نبيه صلى الله عليه وسلم ، فوازره على ذلك صديقه وابن عمه ، سيدي أحمد بن حرمة بن الصبار العلوي ، وكان فاضلا عاملا ، وكان لهما ابن عم آخر ، فوافقهما على ذلك ثم بدا له فيه ، فجلس وجعل يثبط همة محمـد فقال فيه :

يامشفقا من رحيلي لج في كمـد ... هل أنت من دون ربيء آخذ بيدي؟
أمسى يفندني فيمـــا أرى وأرى ... مفنِّدي فيه منسوباً إلى الفَنَـد
دعْني وعزميَّ والبيدا وراحلتـي ... وما جرى من بنات الفكر في خلدي
الله حسبي لا ألوي على أحــــد ... كلا ومثلي لا يلوي على أحـــد
وعمدة العزم مني لا يحل بهـــا ... حل اذا حل عزم محكم العقـــد

وقالِ أيضا لما عزم على الحج :

تجلد جهد نفسك للفـــــــراق … وكفكف غرب سافحـة المـآقـي
وجرد من عزيمك ما يــــوازي … مترات المهندة الرقـــــــاق
ونكب عن مقال أخي الهوينـــا … وعنها فهي خاسرة الصفـــاق
وعن باك وباكية أراقـــــــةً … دموعا ليس واكفها بـــــراق
الى البيت العتيق بنص احـــدى … عتاق الكوم أو أحد العتـــــاق
بنص شِمِلّة تعدو بعالـــــي … قراها عدو منفرد لهـــاق
أجادت خلف غاربها بنــاء … يدا صفو المراتع والمســاق
تباري الريح جافلة وتطـوي … عريضات الفلا طيَّ البطــاق
لو أرسلها وقد لحقت كلاهـــا … على خرجاء أيقن باللحـــــاق
فلا تبرح تروح بها وتغـدو … وتدلج لاتناخ سوى فـــــولق
الى أن تستحيل على حنايـا … فقار الظهر لاصقة الصفـــــاق
وتحسبها اذا بغمت لغوبـــا … من الادلاج ثاغية العنــاق
وعاشر كل منتدب ليرقـــى … من ابنية العلى صعب المــــراق
به حملت مفزعة نـــــــوار … على الأحكام من حبك النطـــاق
أأحبابي أعاد الله منــــــي … ومنكم بعد فرقتنا التـــلاق ؟
الى أرض الحجاز أحلت عنكـــم … صفيحة وجه وجدي واشتياقـــي
سلوت أحبتي واشتاق قلبـــي … بتلك الارض لا نُجْلَ الحـــداق
ولا بيض الترائب والثنايـــا … مديرات الجمان على التراقـــي
بزمزم غلتي تغلي فمن لــــي … بكأس من مدامتها دهـــــاق
صفا نفسي الصفا ومني مناهـــا … وبالجمرات قلبي ذو احتـــراق
الا ياركب حقق ما رجوتـــم … على حسن التلاطف والوفـــاق
ثقوا بالله واعتصمـوا وسيــروا … خفافا فالمهيمن خيـــــر واق
فلا الاقدام يجلب ما كفينـــا … ولا الاحجام يصرف ما نلاقـــي
وشدوا الميس من قود النواجـــي … بجنبي كل يعملة دفـــــاق
وذوقوا السهد فوق ذرى المطايـا … لذيذا والكرى مر المـــــذاق
وشجوا البيد عازفة النواحـــي … وجنح الليل منسدل الـــرواق

وخوضوا في الهواجر كـــل آل ... طمى والشمس لافظة البصـــاق
وأن عرض العتاب بمنشـــآت ... مواخر لا تزال على اختـــراق
هوابط من جبال الموج طـــورا ... وطورا في بوادخـــه رواق
اذا جاشت دواخنها تناهـــت ... صواعدها الى السبع الطبـــاق
نجائب لا تعرس في مبيـــت ... ولا ترعى ولست لها بســـاق
الى حيث النجاح وحيث يغـــدو ... أسير الذنب مفكوك الوثـــاق
وحيث تنيخ حامدة سراهـــا ... لدى الاصباح مدلجة الرفـــاق
وحيث نطوف سبعا ثم نسعـــى ... ونسرع للمواقف في استبـــاق
ونشعر بعد وقفتنا ونرمـــي ... ونأوي للمحلق للحـــلاق
ونرجع للطواف وقد أرقنـــا ... دماء المشعرات من النيـــاق
ونمضي يومنا بمنى فنقضـــي ... بلا عجل ليالينا البواقـــي
فان طبنا بطيتنا نفوســـا ... تنادينا لطيبة بانطـــلاق
فوافينا الحبيب وذاك أوفـــى. ... وأوفر ما نؤمل من خـــلاق
ودرنا بالقباب كما أردنـــا ... ودرنا بالنخيل وبالزقـــاق
الا يانعم طيبة والعوالـــي ... وحيطان الحدائق والسواقـــي
هي الدار التي شرفت وتاهـــت ... على شام المواطن والعـــراق
على من صاغ منصبه حلاهـــا ... وساق لها العلا كل المســـاق
صلاة الله ما لبى حجيـــج ... وما حم اللقا عقب الفـــراق

ولما وصلا الى مراكش ، نزلا عند محمد الامين بن أبي ستة ، وكان من المقربين عند السلطان مولاي عبد الرحمان ، فلم يوصل خبرهما من أول الأمر الى حضرة السلطان ، فقال :

هل حامل أسنى السلام كلـــه ... لحامل الملك وعبء كلـــه
ومُتولّي عقده وحلـــه ... وواضع الامر على محلـــه
من لا يجود زمن بشكلـــه ... ولا يرى عدل عديل عدلـــه
مأوى الغريب ومحط رحلـــه ... وملتقـــى نزولـــه ونـزلـــه
قضى له الله بجمع شملـــه ... ووطىء من خالفه بنعلـــه

ودام خفض العيش تحت ظلـــه وعز الاسلام وعز أهلـــــه
موجبه لازال فوق سؤلـــه ما يرتجي سائله من بذلــــه
انا نرجى من جميل فعلـــه ما يرتجي أمثالنا من مثلـــه

ولما أبلغ ابن أبي ستة خبرهما الى السلطان أمر باحضارهما ، فلما سلما عليه واستقصى خبر الجهة التي قدما منها أنشده قصيدتيه الآتيتين ، وكان السلطانُ رحمه الله شديدَ الاهتمام بأقصى المسلمين من أهل مملكته (1) حتى أنه يعلم أهل الخير من كبار أهلها وأهل الشر ، ولما أنشد القصيدتين استحسنهما السلطان ، وأولاهما :

هل في بكا نازح الاوطان من باس أم هل لداء رهين الشوق من آس؟
أم هل معين يعين المستهام علـى ليل كواكبه شدت بامـــراس ؟
آه لمغترب بالغرب ليس لـــه جنس وان كان محفوفا بأجنـــاس
عل الامام بفضل الله يمنحـــه رحمى فيكشف غم الآسف الآسي
أقول والركب محزون بوحشتنـا صبرا فكم وحشة أفضت لايناس
اذا وضعنا بأرض الغرب أرحلنـا راح الرجاء علينا طارد اليـــأس
اني كفيل بنيل السؤل لي ولكـم اما بمراكش المحروس أو فـــاس
امامنا في كلا المصرين نورهمـــا امامنا المستماح المطعم الكاسـي
خليفة المصطفى وهو ابن بضعته ثوبا من المجد لم يعلق بأدنـــاس
الله منك حقوق الناس قلدهـــا يقظان لا غافل عنها ولا نـــاس
عَمَّرتَ عُمِّرت من عهد الشريعة ما باض النعام بدور منـــه أدراس
داركتها بعد ما مالت دعائمهـــا فاستحكمت واطمأنت فوق آساس
وافاك ركب تعاطوا من نعاسهـــم على متون المطايا قهوة الكـــاس
حثوا جلاس المهارى لا يرون على منابر الميس منها غير جـــلاس
حتى برى السير منهم كالقداح ومنـ ـــها كالقسيِّ حنتْها كف قــواس
فواسنا بلقا ما اعتيد منك ومـــا فضل المقالة الا قولنـــا واس

---

1) وهذا دليل على مغربية الصحراء

وحقق الظن انا سوف تحملنـــــا على مجوفة الحيزوم كالـــــراس
لها دخان حريق الغاب ازعجـــه أنف الجنوب بأنفاس فانفـــاس
واسمح لنا بدعاء منك صالحــــه بيمنه يسهل المستعصب القاسي

والقصيدة الثانية :

ألمتْ بنا أهلا بها أم سالـــــــم على نأيها أم تلك أحـلام نائـم ؟
ألمت بنا وهنا وقد ضرب الدجا علينا خباء في متيه المخـــــازم
ألمت بشعث في الفلاة توســـدوا مرافق خوص كالسهام سواهــم
نضونا على انضائها من عزيمنـــا سواهم أمضى من شفار الصوارم
وجبنا عليها مهمها بعد مهمـــــه الى ابن هشام كي نزور ابن هاشم
الى أن انخناها لديه ولم نكـــن كمن عاقه عن ذاك ضعف العزائم
خليفة مصباح الهدى وحفيـــــده ومحيي عافي ربعه المتقـــــادم
غيور على بيضاء سنته التــــي أبيحت لها لولاه كل محـــــارم
فكم غض عنها طرف من رام طرفها بغض وكم قد كفّ من كفٍّ ظالم
أنام عيون الناس تحت عدالــــة وقت رجل ساري الليل لدغَ الأراقم

ومنها يخاطب السلطان :

تعاظمنا هول الطريق ومنكـــــم عظام اللهى نعتاد دفع العظائـــم
وثقنا بري حين أمت ظماؤنــــا موارد طامي بحرك المتلاطـــم

ومنهــا :

أمولاي لا زالت مدى الدهر منكـم حصون المعالي عاليات المعالــم
ولا برح التقبيل شغل أكفكـــم وأقدامكم تحذى أديم الجماجـــم
فأصبح ثغر الارض سوقا وأصبحت مآسدها مرعى المخاض السواهـم
حماها حماه الله ان تستبيحهـــا من أعدائها دهم الدواهي الدواهم
وبشرنا أن سوف تأتي ركابنـــا أبا فاطم انا أتينا ابن فاطـــم
على جده في كل بدء ومختتـــم مبادي صلاة ما لها من مخاتـــم

وقال أيضا يخاطب ابن أبي ستة ، ويسأله التوسطَ في أمر السلطان :

أثار من التذكر حيـــن زارا ... خيال من أميمة ما أثـــارا
سرى بعد الهدو فما أعيــرت ... قلوب العاشقين كما أغـــارا
وكم بعث الخيال لذى انتـــزاح ... نزوعا للأحبة وادكـــارا
الا أهلا بها ولو استحالـــت ... على قرب زيارتهـــا ازورارا
لئن أنأى أميةَ ما اعتسفنـــا ... رواحا بالنجائب وابتكـــارا
فقد أدنت مباراة المطايـــنا ... نوافخ في البُرى مَن لا يبـــارا
ازارتنا الفقيه فانصفتنـــا ... من أيدي النأي إذ مطـل المزارا
وغادر طيها نشر الموامـــي ... اليه طي حاجتنا انتشـــارا
قد أهدى الدهر اذ اهدى الّينـــا ... لقاه من أساءته اعتـــذارا
إلى مثل ابن أحمد فلْيسافـــرْ ... أخو العزمات أو يدع السفـــارا
همام سل صارمه ليحمـــي ... من الحق الحقيقة والذمـــارا
أبى نور الهداية من يديـــه ... لمحيار الضلالة ان يحـــارا
وشيد للحقيقة من زوايـــا ... تعاطي الذكر أرفعَها منـــارا
له خلق يدير مدى الليالـــي ... عليها من معارفه عُقـــارا
سرى لمحمد في الأرض حمـــد ... يسير به المسافر أين سارا
حكمنا فيه بالخير امتداحـــا ... الى أن أصبح الخبر اختبـــارا
فأبصرنا شواهد ما سمعنـــا ... كمفتوق الصباح اذا استطـــارا

ومنهـــا :

أسيدنا النبيه ومن تحلّـــى ... بما فضح الجواهر والنضـــارا
أسارانا ببابكم فبـــادر ... الى تخليص إخوتك الاســـارى
ودارِكْ بالنجاة ذماءَ غرقـــى ... قد اقتحموا بما اقتحموا بحـــارا
أطاعوا أمر غيهم ولجـــوا ... غرورا في عمايتهم سكـــارى
فانهم وان شطحت نواهـــم ... لجارك فارع حق من استجـــارا
رعاك الله من راع نصيـــح ... رعاية من قد أودع واستعـــارا
وبارك فيك ربك من خديـــم ... قد أحسن في أوامره ائتمـــارا

ومنهـا :

أمتخذ الهدى خذها هَدِيـــاً | بدت في زي فارهة العـــذارا
تغض الطرف من خجل وتدنـــى | عليها من مهابتك الخمـــارا
قد أكسبها فخارك حين زفـــت | اليك على نظائرها فخـــارا

وقال أيضا يصف ليلة سهرها عنـد بعض أفاضل أهـل مراكش ، ويصف ما اعتراهم فيها من السرور ، ويصف منزل صاحب الدعوة ، وكيفية شرابهم للشاهي (1) :

ياليلة راح فيها عازب الوطـــر | بات الصفاء بها يسطو على الكدر
طابت مجالسنا فيها وخامرنـــا | حسن السرور على موضونة السرر
اذ بات أحمد يسقينا على مهـــل | أشهى من الراح في أبهى من الدرر
في منزل تتعب الافكار عبرتهـــا | فيه كما يتعب الابصار بالنظـــر
فيه النهار عشاء والمعائـش والأ | نهار تجري وفيه مثمر الشجـــر

ثم إنه رحمه الله بعد مقابلة مولانا السلطان عبد الرحمان وحفاوته به وبمن معه ، ركبا البحر متوجهين الى الحرمين الشريفين ، وفي الركب ابن أبي الشيكر (2) (بكاف معقودة) قائد أبناء أبي السباع ، فبدءوا بالزيارة ثم قضوا حجهم ، فتوفي رحمه الله بين مكة وجدة ، ولم نعثر له على نظم فى الحجاز سوى بيتين قالهما لابراهيم القاضي صاحب الصولة في الينبوع وضواحيه ، وكان تلقى ذلك الركب بما ينبغي وهما :

ياقاصدا بطحاء مكة يرتجـــى | نيل الطواف ببيتها المرفـــوع
لا تخش من ينبوع حاجك غـورة | ما دام ابراهيم بالينبـــــوع

---

1) **الشاهي** هو الأتاي ، وقلت فيه فى حدود العشرين وثلاثمئة وألف :

الشاي ذاب نضاره فى الكاس | وغدا كلوني عاطر الأنفـــاس
فاشربه طاب مذاقه وحلا وطب | من طيب عنبره بروض غـــراس
دع عنك خمرا مر طعم مذاقهـــا | وتثير حرب الفتية الجـــلاس
واشربه من خود بهاء جمالهـــا | تسبي القلوب بقدها الميـــاس

(مؤلف)

2) تقدمت ترجمته ، انظر 2 : 417 ع 292 من هذا الكتاب

وقال يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم :

هاج التفرق فاعذليني أو دعـــى شوقا أصم عن العواذل مسمعـــي
لا تنكري مني الشحوب فهكـــذا فعل الفراق بكل صب مولـــع
ان الاحبة أودعوا اذ ودعـــوا في القلب شجوا لم يكن بمـــودع
كيف السلو خلافهم أم كيف لـي بالكف بعد نواهم من مدمعـــي ؟
باتوا فبت بليلة لم تنكشـــف من بعدهم وبمقلة لم تهجـع
بانت ببينهم الرباب وخلفـــت بين الجوانح غلة لم تنقـع
دار الرباب اربّ فيك على الربـى ينهل مرتجس الركام الممـــرع
حي الالاه زماننا اذ لم يـــرع فيك الصدود ولا نعيب الا بقـــع
دهر مضى جمعت لنا أيامـــه شمل السرور فهل له من مرجـع
أم هل تقربها النجائب ان تـــرح عوجا سواهم جائلات الانســـع
من كل مجفرة لها بعد الونـــى عدو الهجف أو الاتان الملمـــع
يانفس قد ولى الشباب وأنت عن غي البطالة والصبا لم تنـــزع
قد تعلمين مصيرَ أمرك فارعـوي فالعلم محض الجهل ان لم ينفـــع
والموت منتظر اللقاء وذو الحجـا متأهب للقائه المتوقـــع
ما لي أشاهد كل حين عبـــرة وعن الغواية سادرا لم أقلـــع
وارحمتا لاسير ذنب تاه فـــي ظلم الضلالة عن قويم المهيـــع
اني فزعت وفكرتي جعلت الـــى خير البرية مشتكاي ومفزعـــي
انسان عين الكون غرة وجهـــه حاوي التفرد بلمقام الارفـــع
ذو الرتبة العليا التي ما للـــورى من مطمع في نيلها من مطمـــع
باب الالاه ومصطفاه لســـره وسراج حجته الذي لم يقشـــع
من خصه بحلى الكمال الاهـــه والكون واقع أمره لم يوقـــع
والى اسمه ضم اسمه شرفا لـــه من قبل حيعلة المنادى المسمـع
وبه توسل الانبياء الى الـــذي حازوه من سر النبوة أجمـــع
أسرى الالاه به وأودع صـــدره في ستر جنح الليل أشرف مودع
يامولد الهادي لشهرك نفحـــة أرج الزمان بنشرها المتضـــوع

أكرم بمولد ذي الختام بيومه ... وبشهره وبعامه والموضع
حليَ الزمانُ به كما حليَ الربى ... بالروض اثر الساريات الهمع
لله أكملُ خِلقة وخليقة ... مُنِحا لصفوة هاشم ومُجمَّع
بحر اذا ورد العفاة وان بدا ... فالبدر ماضي عشره والأربع
يغشى الهياج اذا التظى متبسما ... والبيضُ تلمع والفوارسُ تدَّعي
والخيل ثائر نقعها من نسجه ... وجه الغزالة مدرج في برقع
في سرج مشرفة التليل طِمِرَّة ... أو سلهب ظامي المفاصل جرشع
حطم الاعادي حطمة جنحت بهم ... لتبذل من بعد طول تمنع
وبها غدى من أبي السجود لربه ... وله سجود بعدها لم يرفع
قتلى تنازع في الوغى أشلاءها ... بين الجيوش جيوش طير وقع
فغدت حصون الشرك رسما داثرا ... لعبت به أنفاس ريح زعزع
لم يبق فيه المصطفى من قيصر ... كلا ولا كسرى ولا من تبع
بهدى الكتاب دعا فمن لم يرتدع ... بهدى الكتاب فبالكتائب يردع
فِرقٌ هُدين به ، وأخرى حُمِّلت ... من سيف سطوته الذى لم تسطع
لاتال مدحا للنبي وبَلْه (1) ما ... تدري النصارى في المسيح وتدعي

* * *

ياخيرَ مَن حمل المطيُّ ومن به ... زجر العتاق بلامعات اليلمع
أثنى عليك إلاهُنا فلتعترف ... بقصورها فِكَرُ البليغ المصقع
اني بمدحك استجير وانني ... منه لفي الحصن الحصين الامنع
فأمنت طارقة الحوادث وانثنت ... عني دواهم كل خطب مفظع
وبك احتميت من المكاره فاحمني ... وبك استعنت على الزمان فكن معي
لتكن معي عند الممات وكن معي ... عند السؤال وكن معي في مضجعي
لتكن معي يوم الجزا ان قدمت ... نفسي لما صنعت وما لم تصنع
صلى الاله عليك ما صدحت على ... فنن مطوقة الحمام السجع

---

1) بلـه : اسم فعل بمعنى اترك

ومن غرر قصائده قوله يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضا :

زارت عُلَيُّ على شحط النوى سحرا ... فاعتاض جفنك من عذب الكرى سهرا
زارت فبات نظام الهم مجتمعـا ... شوقا وبات نظام الدمع منتشـرا
فالقلب يغلى وجفن العين يسعده ... بمدمـع كلمـا كفكفته انحـدارا
يارب مشتبهات لا منار لهـا ... من خاضها ركب الاهوال والغررا
خاضت الي ودوني من هوائلها ... ما يستتيه عن القصد القطا الكُدُرا
زارت معرس سفر بعدما ارتحلوا ... شهرا رواحا وتهجيرا ومبتكـرا
تهوى بهم راقصات العيس طاوية ... أخفافها من عراض البيد ما انتشرا
تعلو الهضاب وصم الصخر حافية ... ما ان ترى نقبا فيها ولا دبـرا
بُزلا سما النيُّ في أثباجها وعلى ... غربانها لبدت اذنابها الخطـرا
عهدي بها لم تزر جاراتها كسـلا ... واهاً لها كيف باتت تسلك الوعرا؟
باتت تشق ظلام الليل نحوهـم ... ياعظم ما كلفت أوصالها الفتـرا
ما انس لا انس والايام مولعـة ... بفرقة الشمل اذ خالستها النظـرا
فأومأت بكحيل الطرف باسمـة ... نحوي لكيما أرى أن الرقيب يرى
أيام أحسو رحيق الوصل آمنـة ... نفسي ان أحسو سمَّ الصرم والصبرا
ما كنت أحسب هذا الدهر تحدث لي ... احداثه من ليالي صفوه كـدرا
اني اذا الحبل أمسى من علية ذا ... صرم وأمسى تدانيها نوى شطرا
عديت عنها وعن جاراتها وخـدت ... بي نجبُ فكريَّ للمختار من مضرا
من يشغل الذهن منه في محاسنه ... يستقبح اللعس المعسول والحورا
لما برى كبدي ما قد جنته يـدي ... يممته صارفا عن غيره البصـرا
وجهت وجهي الى خير الورى وأرى ... لنفسي الفوز بالمطلوب والظفـرا
وجهت وجهي الى مغنى الفقير ، ألا ... أني لمعروفه من أفقر الفقـرا
وجهت وجهي لذي الخلق العظيم وذى ... المجد الصميم عديم الشكل والنظرا
وجهتُ وجهي لمحمود المقام ومة ... ـصود الأنام إذا الخطبُ الجليل عرا
مولى الشفاعة في الهول العظيم اذا ... ما صد عنها جميع الرسل واعتذرا
منير صبح الهدى للمهتدين بـه ... من بعد ما جن ليل الكفر واعتكرا
به الى مهيع الحق اهتدى نفـر ... وضله نفر من قوله نفـرا

قد اخرست عن مقال الحق السنهم ... والضب أخبر لما استخبر الخبـرا
وخالفوه ففاض الماء منفجـــــرا ... لما دعاه ونادى فاندعى الشجـــرا
والشمس عن صوبها ردت له وله ... قد أسبل المزن لما استمطر المطرا
من آيه وكفى القرءان معجـــزة ... ما كان من خارق في بدئه ظهـــرا
يكفيك أن إلاه العرش صـــوره ... كما يشاء ومنه صور الصـــــورا
لا لا تقس بالورى الماحي فذو خطأ ... من قاسه بالورى لو لم يكن بشرا
أثني عليه بما قد كان ناسبــــه ... رب العباد فماذا يبلغ الشعـــــرا
أهدى اليه قديما من بدائعـــــه ... كعب وحسان والهمزي ما كثـــرا
أسدوا به وأناروا ثم ما بلغـــوا ... كلا لعمرك من معشاره العشــــرا
لكن أتوا فيه بالقدر الذي اقتدروا ... قبلي فهلهلت أقفو منهم الاثـــرا
لا يوجد الدهر الا راكبا خطـــرا ... أو قائدا شقرا أو طاردا أخـــرا
أو قائدا عسكرا أو مفنيا زمـــرا ... أو قارئا سورا أو قائما سحـــرا
ما زال يغزو وجند الله يـــؤزره ... والنصر يصحبه في كل ما شجرا
حتى استبد وبز الكفر دولتـــه ... بالغزو واستعبد الاشراف والامرا
واصبحت ملة الاسلام واضحــة ... وعم نور هداه البدو والحضـــــرا
قد انكروا ما أتى البر الصدوق به ... والبر أنزل تصديقا له الســـــورا
من صد عن ءايه العظمى أعد لــه ... بواتر الهند والخطية السمـــــرا
والجرد جرد المذاكي القود حاملة ... ربداً ضراغم في زيٍّ الورى جسرا
مستلئمى حلق الماذي يقدمهـــم ... شاكي السلاح يهز الصارم الذكرا
ثبت الجنان وموج البحر ملتطـــم ... والحرب رامية من شهبها الشررا
يخوض ثم بحار الموت مبتسمـــا ... تلك الجراءة بله الضيغم الهصـــرا

هذا ما بقي في الخاطر منها ، وربما وقع فيها تقديم وتأخير .

ومن بديع قوله في الغزل :

ولت ليال الينا ساقها الزمـــــن ... ما سيق من بعدها للاعين الوسن
ولت سراعا وولى البشر يتبعهـــا ... عنا وأقبل من ادبارها الحـــــزن
ولت فقائم ركن الصبر منهـــدم ... من بعدها ومصون الدمع ممتهـن

قد غبن بالوصل ممن لم يغب جزعي — من بعد ما غاب عنا وجهها الحسن
بمن اذا قابلت يوما محدثـــــة — تحاسدت عند ذاك العيـن والأذن
بانوا بها لا سقى السّاقي مطيهم — ولا رعت ما وشاه العارض الهتن
ياظاعنين ولي نفس تصاحبهـم — في بينهم حينما ساروا وما سكنوا
حملتموني ثقلا من تحملكـــم — يعوق جلد القوي عن حمله الوهن
ان ظلت بعدكم أدعو الربوع لمـا — هاجت لقلبي من ذكراكم الدمـن
تعتادني زفرة يرتد صاعدهـــا — عن عبرة ضاق عن منهلها الجفـن
فانني ببكا غيلان ربع لـــوا — حزوى أو أربع وعسى مشرق قمن
ليت الاولى ظعنوا بالقلب اذ ظعنوا — لم يظعنوا والأولى لم يظعنوا ظعنوا

وما وقع بينه وبين سيدي محمد بن الشيخ سيدي رحمهما الله ، ذكره أكثر منه ، كان محمد هذا رحمه الله في غاية الآداب ولا يلاحي الناس ، ولم تزل الفتن تقع بواسطة أهل الوشاية ، ونقل الاخبار على غير وجهها ، فاتفق أن أحد الادباء من تلامذة الشيخ سيدي أنشد أبياتا لسيدي محمد المذكور ، وأولها :

يا مُعْملين قلاصا حاكتِ الحِرَفا — صارت وصارت لها أنواعه حرفـا

فتوقف محمد المذكور في جمع حَرْف على حِرَف ، وهو في الحقيقة غير مقيس ولم ينكر ، فابلغ ذلك الاديب سيدي محمد المذكور أن ابن محمد لحنه فكتب اليه :

يامنكرا جمعنا حَرفا على حِرَف — لتتئد لا تكن للمرتمى هدفـا
انكار من ليس يدري اشدد به غررا — أذ هو من جُرُف الألحان فوق شفا
ينهار من هذر والصمت يثبتـه — والفر قبل اللحاق للجبان شفـا
لو خضت لجة قاموس وجدت به — دررا جلا جلو مصباح الدجا السدفا
حرف الكدى لا سواه جمعه حرف — وزانه عنب والجمع قد عرفـا
ثانيه طل ولم يجمع على فِعَـل — فعل سوى ذين قد كانا به اتصفـا
والعلم ذو كثرة في الصحف منتشر — وأنت ياخل لم تستكمل الصحفا

فلما وصلته الابيات استغرب ذلك ، لأنه لم يتكلم بما يمس كرامة صاحبها ، فأمر رجلا كان معه أن يكتب ، فأملى عليه ارتجالا أربعين بيتا في ذلك البحر ، والروى ، وكان يملي بيتا فيكتبه بسرعة ، فيأتي بغيره قبل تمام نسخه، ولما بلغت بابَ المتقدمَ الذكر محا بعضها وأقسم عليه أن لا يتفوه به، حفظا لكرامة ابن الشيخ المذكور والقصيدة هذه :

منّي إلى ابن كمال الدين مَن خلفا ... بين الورى أحمد المختار والخلفا
أزكى سلام يحاكي حسن سيرته ... وطيب شيمته لا روضة أنفا
سيديَّ قطب رحا أهل المعارف من ... أمسى يجدد رسم الدين حين عفا
ما زال مذ عقدت منه الازار يد ... صبا مشوقا بأفكار العلا كلفا
فنال منزلة تعلو السعود الى ... أن صار للناس من داء القلوب شفا
اعلم أياخل أني لست حاسدكم ... وان مني لكم محض الوداد صفا
لا تسمعن ما وشى بعض الوشاة به ... واسمع مقالي فليس الأمرُ ما وُصِفا
اذ قد حكى البيت راويه على حِرَف ... فقلت مستفهما لا منكرا حِرَفا
وهل سمعتمَ بحَرْف جمعه حِرَف؟ ... قد كان ذا عن قياس الجمع منحرفا
ما كان من شيمتي نكر على أحد ... يأبى لي النكر طبع منه قد أنفا
ولا مجافاة أرباب الجفا شغلي ... مثلي اذا ما جفا حلفُ الجفا صدفا
وان أتي صائلا ذو الضعف يوعدني ... فالله يعصمني من صولة الضعفا
قد سره جريه في القفر منفردا ... فظن سرعته فيه وقد دلفا
اقصر بطرفك لا تطمح الي به ... فشأن من ليس يدري الجري أن يقفا
ومن يخض لجة القاموس ليس له ... فلك تقيه من الالحان قد تلفا
أهدى الي من الاشعار مضحكة ... للخلق أودعها من لحنه كِسَفا
ان صير الهمز همز القطع متصلا ... وقال جلوى وجلوا ثم ما ألفا

ومنها :

والشعر صعب عزيز ليس يدركه ... سوى ذكي حديد الفهم قد ثقفا
لا يكسب الشعر تبجيل وقولهم ... عسى تكون لنا من شيخنا خلفا
كلا ولا أنا نجل الشيخ سيدنا ... أبي وأمي قد فاق الورى شرفا

وهذا ما تذكرت منها ، وربما وقع فيها تقديم وتأخير لقدم عهدي بها .

ولما شاعت هذه القصيدة تداولها الناس،فتداعى تلاميذ الشيخ سيديً على هجو ابن محمد ، فلم يكثرت بهم ولم يجب منهم غير الشيخ أحمد بن سليمان الديماني لانه رآه كفوءا ، وهذه العادة قديمة في الشعراء ، كانوا لا يهاجون من يرون أنه دونهم ، فلما بلغ الشيخ سيدي انتصارهم لابنه دعاهم ، وقال لهم : ان انتصرتم لابن شيخكم ، فاني أنتصر لابن شيخي ، وكانت أم محمد المذكور بنت حرم بن عبد الجليل المتقدم ، وكان الشيخ سيدي تلميذا له فهذه احدى مكارم أخلاق الشيخ سيدي ، ولما بلغ الامر أيضا والد محمد صاحب هـذه القصيدة ، أقسم عليه ليذهبن اليه ويطلب منه الصفح ، فركب وأناخ فـي مسجد الشيخ ، فوجده فيه ، فأنشده قصيدته الآتية ، فقال له : ليتك هجوتنا في كل يوم واعتذرت بمثل هذه القصيدة استحسانا لها وهي : -

هاجت رسيس بلابلي وهمومـــي ... قسرا دوارس أربع ورســـــوم
أودت بهن يد الزمان فأسـأرت ... كالوحي أو كمرجعات وشــــوم
كانت لروض اللهو مرعى فانتهت ... للعين مرعى الشيح والقيصـــوم
لله ما جلبت له عرصاتهـــــا ... من ذكر عهد للشباب قديـــم
فأراد يكتم ما به وبدمعــــه ... ظهرت ضمائرُ سره المكتـــوم
ان ترمني بسهام لحظ غــادرت ... بين الجوانح داميات كلـــوم
فلربما سرت بمرأى رائـــق ... عيني أوان مسرة ونعيـــــم
ولكم سحبت بربعها برد الصبا ... وشربت عذب رحيقه المختوم
ولكم عمدت الى الملاعب مائسا ... كالغض عطّفه هبوبُ نسيـــم
ولكم رشفت من الشفاه بربعهـا ... عذبَ الزلال بعاتق الخرطـــوم
قد خنت عهد عهودها ان لم أقف ... حيران يلتهب الأسى بحزيـــم
بل لم أقم بحقوقها ان لم أقــم ... منهلً جفن بالدموع جمـــــوم
لا زال يعهدها السماك معاهـدا ... بأجش منبجس الصبير هزيـــم
مرخي الجوانب ذي روايا حفــل ... تمري قوادمَها الجنائبُ شيــم
لما رأت دمن الصبابة والهـــوى ... سفهن حلمي واستبحن حريمي

هبت تلوم ومن يلم متذكـــرا ... عهد الشبيبة لام غير مليـــم
فأجبتها نهي المحب كأمـــره ... فدعي الملامة في الهوى أو لومي
ما خلتني أجد السلو ولم تـــزل ... ذِكَرُ الأحبة تستثير همومـــي
قالت وكنت من الضلالة سائـرا ... في ظل مسترخ السدول بهيـــم
هلا اهتديت بنجم شيبك اذ بـــدا ... فكم اهتدى ذو حيرة بنجـــوم
أو ما كبرت عن النسيب ألا تـرى ... عنه العدول الى امتداح كريـم
بمحاسن تنسيك ما للبيض مـــن ... وجه أغر الوجنتيْن وسيـــم
هذي محاسن من غدا بصفاتـــه ... مستوجب الاجلال والتعظيـــم
من بالسيادة والمحامد وسمـــه ... وفق اسمه فالاسم كالموسوم (I)
نالت من الرتب العوالي كفـــه ... ما لم تكن لتنال كف أريـــم
ألفى المكارم قد تهدد ركنهـــا ... فأقام ساقط ركنها المهـــدوم
خلق الالاه بنانه للبحث عـــن ... صعب العلوم وكسْب كل عديـم
ولسانه للكف الا مدمنـــا ... لتعلم أو مدمن التعليـــم
وجنانه الماضي المنير لفهم ما ... عنه قد أكدى فهم كل فهيـــم
وقصائد ود العذارى جعلهـــا ... حليا مكان اللؤلؤ المنظـوم
يا راكبا يدنيه ساحة بابـــه ... تقريب دامية الاظل رســـوم
أبشر فقد يممت مَن مَن ينحُـه ... يظفر بنيل مؤمل ومـــروم
ان سائلا يممت بحر مواهـــب ... أو جاهلا يممت بحر علـــوم
أو مشتك من ذي عداء مظلمـــا ... يممت رفع شكاية المظلـــوم
علم المعارف والمعاني والمعـــا ... لي من أب نبه بهن عليـــم
شيخ هدى من ضل عن سنن الهدى ... حتى كسا الانوارَ كلَّ أثيـــم
عم الانام بهديه وأمدهـــم ... كلا بفيض من نداه عميـــم
وردت حياض نواله وعلومـــه ... هيمُ الورى فشفى غليل الهيـــم
في كفه رزق الانام فكلهـــم ... ساع لموضع رزقه المقســـوم
فترى البيوت أمامه مملـــوءة ... من بين ناوي رحلة ومقيـــم

١) معناه ان الذي يخاطب به لفظة سيدنا فهو سيد كاسمه

كلا بنسبة ما يحاول خصه   من قوت أفئدة وقوّت جسوم
لم يكفه الميرالكثير لدى القرى   كلا ورسل الكوم نحر الكوم
فترى بساحته الدماء وفرثها   ولقي العظام جديدة ورميم
وترى القدور رواسيا وترى الجفا   ن لوامعا بحواضر المطعوم
من قاسه بالاكرمين فانه   في الشأو قاس مجليا بلطيم
بل قاس ملتطم البحار بنطفة   والروض غضا ناضرا بهشيم
حدث ولا حرج عن الشيخ الرضا   أو دع اذا حدثت بالمعلوم
ياحبذا ذاك الكمال وحبذا   جلساؤه من زاير وخديم
ولحبذا تلك القعيدة أنها   حليت بدر من حلاه يتيم
نالت عظيم الحظ حين تعلقت   بمنال حظ لا ينال عظيم
قد أكملت خلقا وخلقا وانتمت   لاروم صدق فوق كل أروم
عدمت نظائرها فواجد من لها   شبه لعمرك واجد المعدوم
ان كنت قد أخرتها ذكرا فكم   من آخر في رتبة التقديم
ياحائز الشرف الصميم ومنتهَى   أمل المريد وحيلة المحروم
حز ما ابتغيت من الكمال فأنت في   زمن بمثلك في الانام عقيم
لا زلت باقي الدهر سالك مهيع   في أثر والدك الكريم قويم
وبقيتما زمنا فكل منكما   غوث المضيم وبرء كل سقيم
مني اليك تحية تزداد ما   بعث التشاجرَ مَن مشى بنميم
ونفى اساءته بعتبى معتب   وعلا بصون الحلم كل حليم
وعلى النبي من الالاه صلاته   وسلامه في البدء والتتميم

ومن رقيق شعره قوله :

شمر لعل رسيم الاينق الذلل   من بعد عشرين يدني ساكني العُقُل(1)
سر مدمنا عبر أمواج الهجير وسر   تحت الدجا ثالث البيداء والابل
واعص العذول فمشتاق الاحبة من   ما ان يميز بين العذر والعذل
واصحب دليلا من الشوق المبرح ان   مال القطا عن سبيل القصد لم يمل

---

1) العقل : مواضع معروفة لها آبار غير طويلة بالنسبة لما يقال له بئر في عرفهم

واجعل مهادك بطن الرحل من جمل ... جون المؤخر أو وجناء كالجمـــل
رعت من الروض في أكناف دومسما ... لم ترع منه بجنبي هضبة الوعـل

ومنهـا :

سهل تجشمي البيداء معتسفـــــا ... لو كنت من وصل من أهوى على أمل
إني وإن حلت ياذي عن مودتنـا ... عما عهدت لديّ الدهرَ لم أحـل
سلي فؤادي عني هل سلوتكـــم ؟ ... والجفن بعدك هل ذقت المنام سلي ؟
بورد خدك الا ما وصلت أخـــا ... بث آلم يان بعد الهجر ان تصلـي
صلي أخا كلف كم بات من شغف ... الى لقاك سمير النجم أو زحـــل

ومن رقيق غزله قوله :

بعد الهدو يمين الضرع اسرى لي ... طيف أحل ببالي كل بلبالـــــي
أسرى فنبهني وهنا بتيرس (1) من ... بارين(2)طيف قطوف المشي مكسال
زارتك عائشُ والجوزاء جانحـــة ... والليل ملتفٌ أوراق وأذيـــال
زارت ومن دونها شم الجبال وأو ... عاث الرمال ولماع مـــــن الآل
وكل مغبرة الارجاء طامســـة الأ ... علام حفت بأوجال وأهـــــوال

ومنهـا :

أما وكل خلوب اللحظ ساعدهـــا ... والساق غصًا بدملوج وخلخـــال
لفي الفؤاد هوى مني لعائـــش لا ... يبلى وكل جديد غيره بــــال
مل المعاتب فيه من معاتبتـــي ... فكف عني ومل العذل عذالـــي
وطالما سمته كتما فنم بــــــه ... دمعي وأخبر عنه مخبر الحـــال
دعني اليها أجوب البيد ممتطيـــا ... بزلا تواصل إرقالا بارقـــــال
أدني بها النازح النائي وأسبحهـــا ... بحر الدجا وبحور الآل فـي الآل

وله أيضاً :

أرض العقيلات يابرق الحيا وعلى ... أحيائها لعيون الشائمين لـــــح

1—2) تيرس وبارين مكانان معروفان بصحراء المغرب

ولا ترق دونها في الارض ملء فم — من ساريات روايا ودقك الدلـــح
حول المليحة خيم واغدون ورح — ثم اغدون وزج ثم اغـــدون ورح
ولا تزل مستطيرا مثل ما رمحـت — بلق العوادي زهاها فادح المـرح
حتى اذا عمت السقيا مسارحهـــا — فاسق المسارح من بارين واسترح

ومن ظريف ما يحكى عنه أنه كان مسافرا ومعه ناس من أهل الفضل ، فنزلوا أمام بيت فيه عبيد لابن جَيْرفَّينٌ أحد من اشتهر في بلده ، وكان ابن جَيْرفَّينٌ المذكور موجودا في تلك الليلة عند عبيده،فلم يسلم عليهم ولم يبعث اليهم بفراش ولا قرى ، فاجتمعوا به من غد تلك الليلة ، فأخبرهم أنه غدا يذهب إلى ابن أحمد ابن عيدٌ أمير آدرار ، فقالوا له : نريد منك أن توصل اليه هذا المكتوب ، فظن أن المكتوب فيه سلام على الامير لا غير ، فلما ناوله اياه أمر من يقرأه فاذا فيه :

ان يمنع الله رزق العبد ينزلـــــه — ضيفا لدى نجل جَيْرفَّينٌ ذي البقر
اهدى اليه بنا عوز الكرام ومــــا — لاقت نجائبنا من شدة السفـــــر
لم يأتنا بفراش لا ولا بقـــــرى — ولم يسلم ولم يسأل عن الخبـــر
فبات ملآن بطن حولنا ولنـــــــا — مبيت موسى كليم الله والخضـــر

فلما قرئت الابيات ضحك الناس ممن يحمل هجو نفسه الى أمير ، فهذه الصحيفة مثل صحيفة (المتلمس) ، وكان لابن جيرفّينٌ هذا ابن عم يملك الابل ، فلما سمع الابيات قال : الحمد لله على أن لم يقل ذي الابل .

وقال أيضا يرحب بأحد أفاضل قبيلته قادما من الحج :

وافى الهمام فتاه الدهر وابتهجـــا — وانزاح برح هموم النفس وانفرجا
لم يأت دهر لعمري قبل حجتـــه — بحجة أشبهت أيامها حججـــــا
وافى فزاد به الرحمان شانئنـــا — كربا وكان لنا من كربنا فرجـــا
وافى وقد شاد من بنيان والــــده — والعم وانتهج النهج الذي ابتهجـا
قوم شعارهم قدما وديدنهـــــم — في الله أن يبذلوا الأرواح والمهجا

قد وجه العيس نحو البيت تمرح في ... فيح الفلا والخلايا تعبر اللججـــا

تقتاده همة قصوى ويجذبـــــه ... شوق حوى الصدر منه لوعة وشجا

لم يثن همته ظل البيـــــوت ولا ... بيض العوارض تجلو الظلم والفلجا

مضى مذيلا لحر الشمس وجنته ... وللموامي اذا الليل البهيم دجـــا

حتى قضى ما انطوى في النفس من أرب ... وتم ما قد رجا يانعم ذاك رجـــا

فقرت العين إذ ألقى عصاه لـدى ... حيث الالاه يحط الوزر والحرجـا

وطابت النفس منه حين فاح لـــه ... من طيب طيبة أذكى فايح أرجـــا

فنال من زورة الهادي وشيعتـــه ... ما نال والصيد كلا في الفرا اندرجا(I)

سقيا ورعيا لعيس بلغته علـــى ... أين تشكته من أيدي النوى ووجا

راحت سواهم عوجا بعد ما رحلت ... غلبا مبارية هوج الصبا هوجــــا

ياضيعة الناجيات القود ليس لهـا ... تحت العجاج بمغبر الفجاج نجـــا

والحمد لله ربي اذ أتيح لـــــــه ... من ورطة البحر والداء العضال نجا

لا زال آخر آل الحبر أولهــــــم ... يقفو ولا زال يعلو كعبهم درجـــــا

ثم الصلاة على المختار ما دلجا الر ... كب المجد الى البطحاء وادلجـــا

وله من قصيدة يرثي بها ولي الله سيدي مولود فال اليعقوبي :

ما لراجي الخلود نيل خلـــود ... ان ورد المنون حتم الـــــورود

انما الموت عرضة ليس عنـــه ... من محيص كلا ولا من محيـــد

ان ليبي في جنبه لقصيـــــر ... ليل بنت الشريد بابن الشريـــد

ومنهـا :

غادروه تحت الصعيد دفينـــا ... نعم ذاك الدفين تحت الصعيـــد

وهي تقرب من قصيدة ابن مناذر التي رثى بها عبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفي .

I) قوله ، والصيد كلا في الفرا اندرجا ، يشير به الى مثل مشهور وهو : كل الصيد في جوف الفرا ، يعني ان كل قربة يرتجي ثوابها من غير الفرائض افضلتها زيارته (ص)

ومن غزله :

ردته بعد تمام الحلم والنَّبِـــــهِ ... احدى الجواري رهين الشوق والوله
ان أمرءا سفهته بعد كبرتـــــه ... بنات عشر لمعنور على السفـــه
كم قائل لي الى كم لا ترى أبـــدا ... من نومة الحب الا غير منتبـــه ؟
فقلت لا تعجبي مني فكم سلبـــت ... حسناء قبلي لب الحازم النبـــه
يمين حق بمرآها المليح ومـــا ... بالباطل الحق إن يُسْمَعْ بمشتبهُ
ان الذي قد جنى ما كان من ولهي ... لهي وإن شفا برح الغرام لهـــي

وقال في مدة اقامته بفاس حرسها الله لما زار ضريح الشيخ سيدي أحمد التجاني رضي الله عنه :

أبدى الزمان من البشاشة والصفا ... سرا واثبت منهما ما قد نفـــى
ان غاب قبل اليوم عنا سعـــده ... فاليوم أسعد بالمرام وأسعفـــا
وقضى بعدل وهو قدما جائـــر ... ووفى وعادته العدول عن الوفـــا
وصفا لنا بعد الصدود وصالـــه ... بوصول قبر المصطفى بن المصطفى
بالأحمدي خليقة وطريقـــــة ... واسما ووسما واقتداء واقتفـــا
الله يمنحه الكرامة كلمـــــا ... ذكر المشائخ ما أشف وأشرفـــا
ان رمت خال مقامه ومقامهـــم ... فانظر لحال المقتفي والمقتفـــى
منه استمدوا واستبد بزائـــد ... فات المعارف كنهه ان يعرفـــا
قد خصه الهادي بأنفس تحفـــة ... ولكم أب خص البنين واتحفـــا
ياروضة شمخت بطود شامـــخ ... أنفا واكسبها علاه تأنفــــا

ومنهـا :

يدلي ببرح محبة قد طالمـــا ... منها تشوف للقاء تشوفـــا
وبخدمة سلفت لوالده الـــذي ... لو سمتموه البيع لم يستنكفـــا

وهذا ما تذكرت الآن من شعره، وديوانه مجلد ضخم ، رحمه الله رحمة واسعة ، وكان حيا بعد الخمسين والمئة والألف ، انتهى (1) .

---

1) الترجمة منقولة بالحرف من **الوسيط** ص 17

804) محمد بن علي الحاحي النكنافي الفقيه ، استوزره المولى عبد الرحمان عام 1251 ، ثم أخره ورد وزيره سيدي محمد بن إدريس .

805) محمد التهامي بن محمد الأوبيري الحمري

محمد التهامي بن محمد بن مبارك بن مسعود الحمري الأوبيري ، كان شيخه ابن عبد السلام الجبلي حسن النغمة بالقرآن ، وكان ذات يوم يسرد قتل ظلماً ، أخذ عن مولاي التهامي الوزاني ، وكان المترجم مسنا جاوز المئة ، كان شيخه بن عبد السلام الجبلي حسن النغمة بالقرآن ، وكان ذات يوم يسرد معه لوحته بالسبعة ، فمر جماعة من النصارى على البيت الذي كان فيه ، فوقفوا يستمعون قراءته رحمه الله تعالى .

أخذ عن شيخه سيدي محمد بن أحمد بن العربي الرجراجي المراكشي مولداً ووطناً ، والشيخ أحمد بن طاهر الأندلسي أصلا المراكشي مولداً ، وهو عمدة قراءته بمراكش في الفقه والنحو والأدب ، وشيخه مولاي علي الشريف البوعناني ، قرأ عليه بعضاً من الشاطبية ، وشيخه سيدي أحمد الشاوي لقبا ، التاذلي نسبا ، المراكشي وطناً ، قرأ عليه بعضا من الألفية ، وصدرا من الرسالة ، وشيخه سيدي محمد بن بدن الدكالي ، قرأ عليه الالفية والتصوير ، والضبط ، و (الدرر) ، وبعضاً من (الشاطبية) ، وسيدي أحمد أبن الحضري الدكالي العثماني بعضا من (خليل) وبعضا من (الالفية) ، والمحقق سيدي محمد بن عبد الكريم الرحماني قرأ عليه الشاطبية ، وكان يسرد معهم الجعبري ، والامام سيدي الجيلاني بن أحمد بن المختار السباعي ، والشيخ سيدي علي بن أحمد الوزاني ، وأذن له في الاذكار كـ (الدلائل) ، وأحزاب الشاذلي ، والزروقية ، والنووي ، والمشيشية وغير ذلك ، والعلامة سيدي محمد بن عبد السلام الناصري قرأ عليه ابن عاشر ليلا في سفره معه لحج بيت الله الحرام ، عام أحد عشر بعد المئتين والألف ، ثم قدم عندهم لموضعهم عام سبعة عشر ، فقرأ عليه أول البخاري ، وبعضا من سنن أبي داوود ، وفاتحة الموطأ وأجازه .

ومنهم الشيخ التاودي حضر عليه في (صحيح البخاري) بجامع القرويين ، والعلامة سيدي محمد بن عبد السلام الفاسي المقرىء ، سرد عليه قصيدة ابن المرحل ، فيقول في بعض المواضع : هذه اللفظة ليست في القاموس ، قرأ عليه الشاطبية بالجعبري الى ياآت الاضافة ، ودالية ابن مبارك ، والكتاب العزيز ، والشيخ سيدي الطيب ابن كيران قرأ عليه صدر عبادة خليل ، والسلم ، ومجالس في التلخيص ، وسيدي عبد القادر ابن شقرون في (خليل) أول البيوع الى الختم ، ومجالس من العبادة ، والبخاري ، و (الموطأ) ، وسيدي محمد بن طاهر الهواري قرأ عليه السلم والأزهري ، وزار سيدي أحمد بن موسى دفين سوس ، ومنهم سيدي العربي بنيس قرأ عليه بعض التلخيص ، وبعض تفسير النسفي ، وسيدي عبد السلام أحلوي قرأ عليه الدرر اللوامع ، وتصوير الهمز والضبط ، ومنهم الامام الامير حضر عليه في مجالس من (المختصر) ، والشيخ على الضرير ، والشيخ حسن البصري الضرير حضر فيه مجالس في التفسير بالجامع الازهري ، والتقى مع الشيخ عبد العليم الضرير ، والشيخ عبد الله الشرقاوي شيخ الشافعية ، ومع الشيخ محمد المسيري بالاسكندرية ، حضر مجلسه في البخاري .

ولما استخفّ إخوانه حمير (1) بعامل المولى عبد الرحمان وبولده وضربوهم بالبارود ، فسجنهم السلطان مدة تشفع فيهم بقصيدة منها قوله :

امنن عليهم كما منّ الرسول على … وفد هوازن مع ما كان من خلل

فأجاب بعد النثر بقوله :

ياعالما أبدت القربى حنانته … فجاء من رائقات النظم بالمثل

شفعت في حمير ترجو نجاتهم … والظلم منهم وليس الظلم من قبلي

ما حمير غير أنصار ومهما هفوا … فالعفو من شيمتي والصفح من خللي

---

1) تعرف اليوم بأحمر ، قبيلة شهيرة بين مراكش وأسفي

الى أن قال :

فالعفو شيمتنا والحلم سيرتنــــا   وراثة من أبينا سيد الـــــرسل

وكان ألزمهم من الغرم في تلك الوقيعة نحو الاربعين قنطارا ، فقد صدق أبو حنيفة رضي الله عنه في قوله : من استخف بالسلطان ذهبت دنياه .

وقفت من تآليف المترجم على (اتحاف الخل المواطي ، ببعض مناقب الامام السكياطي) ، وهو في نحو ثلاثة كراريس كلها درر ، منه لخصت هذه الترجمة وزدت من غيره .

ومما وقفت عليه من تآليفه (مدد اللطيف ، في شرح السبط والتعريف) ، فرغ منه ضحوة يوم الخميس سابع ذي الحجة عام 1249 وهو شرح لطيف بين الايجاز والبسط ، جعله للمبتدىء بعد أن اطلع على شرح ابن المرابط .

وشرح نظمه في موانع الصرف ، وشرح منظومة العروض لأحمد الرسموكي ، وشرح نظمه حكم الوقوف لحمزة المقرىء ، والأربعة عندي نسخ القاضي سيدي الجيلالي بوخريص ، (اتحاف الخل المواطي) من نسخة المؤلف يوم الاحد رابع ربيع الثاني عام 1250 هـ .

806) **محمد العربي بن محمد الهاشمي العزوزي الزرهوني** ، القاضي المفتي العلامة ، ألف في ترجمته السيد عبد الحي الكتاني تأليفا في نحو أربعة كراريس سماه (اتحاف الحفيد ، بترجمة جده الصنديد) رتبه على أربعة أبواب وخاتمة ، الأول في اسمه وكنيته وشيوخه ، والثاني في المراتب الدينية التي تقلب فيها وأسماء مؤلفاته وتاريخ وفاته ومدفنه ، والثالث في بعض فوائده ونتف من فرائده ، والرابع في أسماء تلاميذه وتراجمهم وأخبارهم وبعض نعوتهم ، الخاتمة في بعض أسانيد العلوم الشرعية المتصلة به مع اتصالاته به فيها .

ولا بأس بالاشارة الـى مقاصده ،فنقول : هو الامام العلامة الفقيـه الاديب المشارك المحقق الاريب أبو المعالي ، أو أبو حامد ، ونسبته الـى زرهون بسكنى بعض آبائه به ، وهو جبل بالمغرب فيه مدفن مولانا ادريس الاكبـر .

زرهون أفضل ما في الغرب من بقع　　　اذ فيه قبر عظيم من ذوي الكـرم

ولد سنة ست وتسعين ومئة وألف ، وطلب العلم بفاس ، وأخـذ منطوقه والمفهوم عن كبار أهلها من وجهاء الناس ، منهم عالم المغرب في وقته محمد الطيب بن عبد المجيد بن عبد السلام بن محمد بن عبد الواحد بن الطيب المعروف بابن كيران الفاسي دارا ومنشئاً ومدفنا ، المتوفي بالشهدة فـي سنة 1227 ، دفين روضة العلماء خارج باب الفتوح ، ومنهم العلامـة المحدث المؤرخ محمد بن عامر المعداني الفاسي ، جامع الفتوحات المحمدية على ما ذكر بعض المتأخرين ، توفي مقعدا بفاس سنة 1234 أربعا وثلاثين ومئتيـن وألف ، ومنهم العلامة العربي بن المعطي بن الصالح الشرقي التادلي منشئا ومدفنا ، المتوفى في التاريخ 1234 المذكور ، أجاز المترجم في دلائل الخيرات والمسبعات في خامس ربيع الثاني سنة 1219 تسعة عشرة ومئتين وألف ، وفي الطريقة القادرية وتلقينها ، حسبما أجازه بذلـك الشيخ التاودي عـن الشيخ محمد بن عبد الكريم السمان ، ثم أجازه اجازة عامة في جميع ما يرويه في ثاني التاريخ المذكور ، ومنهم الشيخ الصالح البركة المعمر العلامة النازلي محمد بن عبد القادر المعروف بقدور بن محمد بـن عبد القادر بن علي بـن موسى بن المير الصبيحي النافعي الزغلولي الزواق المستاري أصلا، الزرهوني قرارا ومدفنا ، الناصري طريقة ، أجازه بدلائل الخيرات ، توفي في منتصف ذي الحجة عام 1231 واحد وثلاثين ومئتين وألف .

ومنهم العالم العارف عبد القادر بن أبي جيدة بن أحمد بن محمد ابن شيخ الشيوخ أبي السعود الفاسي لقباً وداراً ، النقشبندي الشاذلي طريقة ،

شارح (الفتوحات المحمدية) شرحا حافلا لم يكمل ، مات رحمه الله شهيداً بالطاعون في منسلخ ذي القعدة سنة ثلاث عشرة ومئتين وألف .

ومنهم مَحمد بن حبيب الله الصغير ، المختاري طريقة ، أجازه بالاوراد القادرية وتلقينها بروايته لها عن سيدي محمد بن الشيخ المختار الكنتي .

ومنهم العلامة المحدث الرحالة المعمر مَحمد بن عبد السلام بن عبد الله بن محمد الكبير بن الشيخ مَحمد بن ناصر الدرعي الشاذلي ، وقف على نسخة البخاري بخط أبي علي الصدفي بطرابلس الغرب في ملك رجل ، وأعطاه في ثمنها نحو المئة والخمسين ديناراً فلم يقبل ، وهي في جزء واحد (1) مدمج لانقط به أصلا على عادة الصدفي ، وفي آخرها سماع عياض وغيره من الشيخ بخطه ، ولما بلغ خبرها لمولانا سليمان وجه لصاحبها ألف مثقال ، ووعد بالقدوم بها . توفي الناصري المذكور في ليلة السبت ثاني عشر صفر سنة 1239 تسع وثلاثين ومئتين وألف .

ومنهم المعمر سليل الصالحين محمد بن عبد الهادي أحد أولاد الشيخ العارف أحمد بن عبد الصادق الرتبي السجلماسي دفين البطاطحة من سجلماسة المذكور في (التحفة الصديقية) واختصارها ، و (نشر المثاني) ، المتوفي سنة 1066 ستة وستين وألف .

وهؤلاء أشياخه التسعة المترجمون فيه .

ثم ذكر في الباب الثاني أن المترجم السيد العربي الزرهوني درس وألف ووعظ وصنف ، فمن أشهر مؤلفاته شرحه على (المرشد المعين) ، وشرحه على تحفة ابن عاصم الا أنه لم يتم ، وشرحه على لامية الزقاق . ومنها

---

1) يعني في ستة عشر كراسا . كل وجه فيه خمسون سطرا كما في رحلة الفاسي الذي حج في هذا القرن الثالث عشر ، وراجع ما تقدم في ترجمة سيدي محمد بن عبد السلام الناصري ص 193 من هذا الجزء

روض المنى وبلـوغ المرام لشرح شواهد المكودي وابـن هشام ، وهـو مطبوع ، وحواش على الاجرومية ، وشرح عـلى شواهد التلخيص ، ومنهـا نوازله ، وولي قضاء صفرو سنة 1239 ، ثم في حدود سنة 1247 ترقى لمنصب القضاء في فاس العظيمة لما أخر عنه محمد بن ابراهيم الدكالي في سادس ربيع الاول سنة 1247 سبع وأربعين ومئتين وألف ، ثم ورد الخبر بعزله من فاس ثاني عشر شعبان من السنة المذكورة ، واقتصر على الفتوى الى أن بدرت منه بادرة ، وفلتت منه فلتة نادرة من اباحة بناء اليهود لحمام بملاحهم ، وذلك أنه استفتي إمام وقته مولانا عبد الرحمان في حدود اثنين وخمسين ومئتين وألف عن طائفة من أهل الذمة في حارة منفردين ، أرادوا احداث حمام بحارتهم لا ضرر فيه على أحد من المسلمين ، هل يمنعون من ذلك أم يجابون اليه ؟ فأجاب قاضي فاس مولاي عبد الهادي العلوي بأنه لم يقف على نص في عين النازلة ، وظواهر وتعليلات عن الايمة الاعلام تقتضي منعهم ، لأن عدم اتخاذهم له في هذه الاقطار هو زيهم الواجب مـن الصغار ، فاحداثـه يوجب لهم غاية الشهـرة والافتخـار ، ووافقه عـلى هذا الشيخ بدر الدين الحمومي ، ثـم علي التسولي ، ثم عبد القادر الكوهن ، ثم محمد بن أحمد السنوسي ، ثم محمد بن عبد الرحمان الحجرتي ، ثم أبو حامد الزرهوني قائلا : ان ما كتبه القاضي لا شك فيه صحيح ، فطالما طالع ولم يجد نصـاً ، فالله أعلم بسبب عدم ذكرهم لحكمه مع معرفتهم به وعلمه ، فلم يبق الا أن يتمسك بالعموم ، فيقال كـل وصف يخرج أهل الذمة عن الذل والصغار يمنعون من ارتكابه كما هو ظاهر ، ثم كتب بعده عبد الواحد بن أحمد بن التاودي ابن سودة ، ثم أحمد المرنيسي ثم مولاي عبد السلام بوغالب ، ثم محمد بن أحمد الشفشاوني الحسني ، ثم كتب الشيخ المترجم أبو حامد الزرهوني فتوى تناقض ما كتبه أولا وما أفتى به من ذكر ، وهي في نحو الكراس .

وها أنا ألخص ما هو في عين النازلة من كلامه مع الاختصار ، قال : انه وقع سؤال عن أهل ذمة ملاح المدينة البيضاء ، وهم على ما أعلم منفردون

بسكناه ، لا يسكنه معهم أحد من المسلميـــن ، أرادوا احداث حمام بملاحهـم المذكور، فهل يجابون لمطلبهم أو يمنعون ؟ وجوابه يستدعي تقديم ثلاثة مطالب :

الأول في الكلام على الأرض التي بها سكناهم ، الثاني فيما يجــوز لأهل الذمة إحداثه بمحل سكناهم وما لا يجوز ، الثالث هل وقع التصريـح في ديوان من دواوين المذهب بذكر إحداثهم للحمام ؟ وهل عرف لهم حمام قط ؟

وحيث قلت الحاجة الى نقل كلامه في المطلبين الأولين ، فلنُلخص كلامه في المطلب الثالث فنقول : قال رحمه الله : المطلب الثالث اعلم أنه لم يتعرض أحد من أيمة المذهب فيما علمت لحكم احداث أهل الذمة الحمام ، ولا وقفت عليه في ديوان من دواوين المذهب المعتبرة في النوازل والأحكام، لا في تهذيب البرادعي ، ولا مختصر ابن عرفة ، وابن الحاجب ، والتوضيح وحــواشى اللقاني عليه ، وشامــل بهرام ، ومختصر خليل ، وشروحــه ، وحواشيه ، ولا غير ذلك مما وقفت عليه من الكتب المعتمدة ، ولم يذكروه ، والله أعلم ، لجوازه وبقائه على الأصل في الأشياء الذي هو الاباحة ، ألا تراه ذكر في المختصر ما يمنع منه أهل الذمة فحصره ، وترك ما عداه مما يجوز لهم ، ثم استنتج مما مهده في المطالب أن أهل الذمة الموصوفين في السؤال لا يمنعون من احداث حمام في موضع مملوك لهم بالحارة المنفردين بسكناها ، بدليل ما ذكر في المطلب الثاني من النقول المفيدة ، لكون التفصيل انما هو في خصوص الكنائس التي هي متعبدهم ومحل اظهار كفرهم ومعتقدهم ، أما بناءاتهم لغيرها فلا يمنعون من إحداثها ، بشرط أن لا يستطيلوا في بنائهـا على المسلمين كما في نصوصهم ، وذكره في المعيار وغيره ، فدخل في عموم غيرها احداث الحمام دخول أولياً ، إذ هو من الضروريات المحتاج اليها ، وليس في بنائه رفع دين الكفر ونصره ، فيكون له كالفرن المعد لطبخ الخبز ، ألا تراهم لم يمنعوا في محلهم الخاص من اتخاذ موضع يعصرون فيه الخمر ، أو يضربون فيه الناقوس ، أو ما في معنى ذلك ، وان كان يحصل لهم فيه من التسلي والفرح والسرور ما لا يحصل لهم في الحمام ، وهذه الكنائس التي

هي متعبدهم ومحل اظهار دينهم أُذِنوا فيها على التفصيل السابق ، فكيف بالحمام ؟ وفي المعيار من جواب للامام الرصاع ما نص المراد منه : « واذا صارت الارض المذكورة على ملكهم دون اشتراط أماكن يُعبَد فيها غير الله فلهم أن يتصرفوا فيها ببناء ما يحبون » ، وفيه من جواب لمحمد التَّنَسي فلما كانت العطية المطلقة ، والكراء المطلق ، إنما يقصد بهما الوجه الجائز حمل مالك السؤال على ذلك ، ولم يحكم سوى بهدم الكنائس ، ويبقى الأمر على الصحة فيما سوى ذلك من التصرفات انتهى ، والشاهدُ قوله : « ببناء ما يحبون » ، وقول الثاني : « جميع التصرفات » ، فانهما شاملان بعمومهما لاحداث الحمام ، ومعلوم أن التمسك بالعموم متعين ، حتى يدل دليل على التخصيص ، ثم قال : « ولا يقال أنهم يمنعون مما فيه التباهي ، ويلزمون بما فيه وقار الاسلام ، أي تعظيمه واحترامه » لأنا نقول بموجب ذلك ، لكن المراد بالتباهي الذي يمنعون منه هو تزييهم بزي المسلمين الخاص بهم ، من ركوب الخيل ، ولَبْسِ العالي من الثياب والعمائم ، ونحوه مما يظهرون به ويتباهَوْن ويتفاخرون ، وليس التباهي بما يحدثونه من بيت الشيطان في محلهم الخاص بهم ، لأنه بيت يتخذونه بداخل حارتهم التي انفردوا بها ، فلا يراه الا النزر اليسير من المسلمين ، وفي المعيار « وذكر الامام ابن عطية في تفسيره أن عمر كتب الى أبي عبيدة بن الجراح ، انه بلغني أن نساء أهل الذمة يدخلن الحمامات مع نساء المسلمين ، فامنع ذلك ، وحُلْ دونه ، فلا يجوز أن ترى الذمية عورة المسلمة » ، والمقصود من هذا كله ، أن الحمام كان معهوداً عند أهل الذمة ، وان شرط عمر عليهم أن لا يفعلوا أموراً مخصوصة ظاهر في ابقاء الحمام المعهود عندهم ، على الأصل في الأشياء الذي هو عدمُ الحظر ، وعلى كل فهو يفيد أنهم كانوا يدخلون الحمامات ويغتسلون بها ، وليس في دخوله لهم التباهي على أهل الاسلام ولا عدم وَقارهم ، ولو كان في دخولهم له شي من ذلك لما تركوا يدخلونه قديما . فقول سيدنا عمر : فامنع ذلك هو صريح في منعهن من الدخول على الحالة الموصوفة ، ومفيد لجواز دخولهن على غير ذلك ، ولدخول رجالهن أيضا . وما زال الأمر ببلاد المشرق على دخول أهل الذمة الحمام مختلطين مع

المسلمين من غير نكير ، لا يقال اتخاذهم لحمام في حارتهم المختصة بهم ربما يكون لهم فيه المباهاة ، بخلاف دخولهم لحمامات المسلمين ، لأنا نقول الأقرب العكس ، وهو أن الاشتهار انما يحصل مع اختلاطهم بالمسلمين في حماماتهم ، وتراجعهم في الكلام عند تناول الماء ، وتدافعهم على السبق للموضع والماء ، ونحو ذلك ، فان قلت اختصاصه غالبا بالمدن دون القرى دليل على أن في اتخاذه نوعاً من الرفاهية ، قلت لا دليل فيه ، وإلا لكان الفرن ودار الدباغة ، والجزارة ، وحوانيت الحجامين ، ونحوها مما هو مختص بالمدن غالباً كذلك ، ولا قائل به ، فافهم ، الى أن قال : وكتب محمد العربي بن الهاشمي الزرهوني بتاريخ 28 شوال سنة 1202 .

وعقبه نقد الجواب المذكور لعلي التسولى شارح التحفة،وقد ملأ هذا بالتحامل المتفاحش والمغالطة الكبيرة بما يستحيى من تسطيره، حتى أنه ألزم الشيخ محمد الزرهوني الكفر،وذلك أنه ذكر أن الامام العبدوسي جعل تمكينهم من الكنائس موادة، واستدل بقوله تعالى: « لا تجد قوماً يومنون بالله واليوم الآخر » على المنع، وكفر مَن تسبب فيه ، قال : وتمكينهم من بناء الحمام كذلك أيضاً ، بل أحرى لما فيه من الرفاهية المنافية للذل والهوان المشروعين لرجاء الاسلام ، وعليه فيجري في الكاتب المذكور ما قاله العبدوسي ، وأي فرق بين الكنيسة والحمام؟ إلى آخره، وهو تحامل بارد، وخروج عن الحق والانصاف والله شارد،فأي بليد أو جاهل لا يفهم الفرق بين الحمام والكنيسة ، وما بني كل واحد منهما له ؟ وحين قرأت هذا الرد فهمت مغزى مَن منع الاجتهاد اليوم ، وتحقق عندي أنهم منعوه بالنسبة الى مثل هؤلاء الذين يتكلمون بما يشتهون ، ويكفرون ويزندقون مَن يشاؤون ، فلو أبيح الاجتهاد حتى لمثل مَن هذا حالُه لادخل فى الدين ما ليس منه بالمرة ، فهذه الادراكات التي سمعت تقضى لأصحابها بأن لا يباح لهم الا التقليد المحض ، ومَن أبردِ ما عنده انه جعل الحمام يقتضي الرفاهية أكثر من الكنيسة ، فهل هذا يصدر من عاقل فضلا عن فاضل ؟ فأين الحمام من الكنيسة ؟ كأنه جهل أن الكنيسة ينادى فيها غيرُ الله ، ويذم نبينا سيدنا محمد فيها آناء الليل وأطراف النهار ، بخلاف الحمام ،

وضع لازالة الاوساخ والادران ، وما أكثر تسارع المتأخرين الى التكفير في أدنى العمل اليسير ، مما لا يستوجب ولا حتى مطلق اللوم ، فغاية الامر في مسألة الحمام لو تعين الصواب مع التسولي ومَن وافقه أن يكون خصمهم ظهر لـه خلاف ما ظهر لهم ، فيكتفى بأن يقال لـه : خالفت ما ظهر لك مـن الصواب ، أما التفكير فهو نقمة سلطها الله على ألسِنة المتأخرين ، وتتسارع اليها أقلامهم ، فانا لله وإنا اليه راجعون .

ولم تزل الافاضل في كل عصر وحين يسلط الله عليهم مَن يؤذيهم ويعنفهم ويبكتهم ، فقد ينصره الله عليهم ، وقد يدخر لذلك الفاضل نصـرة حقه في الآخرة فيجرى عليه ما جرى على الأسلاف وأتباعهم من الاخـلاف ، ومنهم الشيخ محمـد الزرهوني ، فانه بسبب تحامـل علي التسولي عليـه سعى في ترحيله ، فرحل الى ثغر السويرة ، ومرَّ في طريقه على مراكش كما أخبرني بذلك بقية أولاده ، وهو الناسك المسن الخاشع محمد المهدي بارك الله في عقبه ءامين . ثم مكث بالسويرة ، ومكث بها حتى مات مغرباً عن وطنه ، شهيدا ماجوراً لبعده عن سكنه ، وذلك يوم الخميس عاشر جمادى الثانية عـام ستين بعد المئتين والألـف ، ودفن بضريح سيدي مگـدول بالسويرة ، خارج سورها بمسير نحو ربع ساعة ، رحمه الله رحمة الابرار ، وأسكنه جنات عدن تجري من تحتها الانهار .

ثم ذكر في الباب الثالث لدى ذكر ما كتبه الايمة الاعلام من علماء القرن الثالث عشر على رؤيا الامام الحلبي ما نصه : كان في جملة من كتب أيضا محمد العربي الزرهوني المؤلف فيه ، ونص ما كتبه حرفيا :

الحمد لله الذي فضل آل بيت الرسول على سائر الامم ، وجعلهم بين أظهرنا رحمة بنا أشهر من نار على علم ، والشكر لله العلي العظيم ، المستحق كل ثناء وتحميد وتبجيل وتعظيم ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد عنصر كل شرف ومنبع كل مجد وخلـق كريم ، وعلى ءاله الأطهار ، والمهاجريـن والأنصار ، الذين حازوا قصب السبق في هذه الدنيا وفي دار النعيم .

وبعد فلما وقف كاتبه على ما سطره الايمة الاعلام ، علماء الامة ، ونصحاء الاسلام ، المحبون في ءال نبينا عليه الصلاة والسلام ، رام التطفل على الأبواب ، والسلوك في عقد أهل المحبة والحق بلا ارتياب ، بعد أن سأل مَن لا تسع مخالفته من الأحباب ، ناشداً قول بعض أهل الخير والصلاح :

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم　　　إن التشبه بالكِرَام رباح

قال اعتمادا على فضل الكبير المتعال : لا مِرْية فيما زخرفته أيدي البديع ، ونمق بأساليب الترصيع ، في شأن هذا النسب الرفيع ، يعني نسب الشرفاء الكتانيين ، سيما ما يبرز من فكر أبي الربيع — يعني سيدي سليمان الحوات — الذي سحر الألباب نظما من ورد عذب مشارعه لا يظمأ وبهر البلغاء نثراً لو سمعه الاموات لأزمعوا نشرا ، نادرة الزمان ، وأعجوبة الدهر والأوان ، المزري أدبُه بالحريري وابن خاقان ، أقسم بمن أسجد لذكائه الأفهام ، وأنطق لبراعته الاقلام ، وأخذمه القوافي القيم باودها الحافى ، وأهرق عليه من ماء الفصاحة ، وأفرغ عليه من حُلل البلاغة ، لقد نشر ألويةَ هؤلاء الاشراف للناظرين ، وزاد قواعد شرفهم تأسيسا ، ومكن أي تمكين ، وأشاد من الادلة ما شنف آذان السامعين ، وأرغم أنوف الحاسدين الجاحدين ، وصادف صوب الصواب ، بما أبداه في تلك الانساب ، وبعد أن نمق وأجاد ، ووضح السبيل المراد ، وقف عليه بعض أهل العصر من الأيمة المحققين ، والبلغاء المتفننين ، فصرحوا بلسان واحد بحقيقته وتصويبه ، وحسن سياقه وتهذيبه ، وهذه خطوطهم تجلَّت للعيان ، وليس بعد البيان من بيان ، فهو جدير بأن يعتمد ويدخر ، حتى يكون موكدا لشهرة هذا النسب الذي هو كالشمس بل أبينُ وأظهر ، فليشد الواقف عليه يديه ، وليعض بنواجذه عليه ، تمسكا بالحق ورجوعا اليه ، فلم يبق لمن يريد الفوز بالمنا والسؤل إلا أن يسأل الله بجاه نسبهم الشريف ، أن يرزقه محبة آل الرسول ، وأن يلهمه قدر هذه النعمة الكبرى بوجودهم فينا ، فهنيئاً لنا وبشرى ، وأن يغفر بجاههم ذنوبنا ، وانْ كانت متكاثرة ، وان يرحمنا برحمته في الدنيا والآخرة ، إنه ولي الاجابة بمنه ءامين .

وكتب خديم الشرفاء ومحبهم بلا امتراء ، العربي بن الهاشمي الزرهوني تولاه الله بحضرته بمنه وكرمه .

ثم ذكر في الباب الرابع : ان المترجم أخذ عنه كثيرون من علماء الحاضرة والبادية ، وانتفعوا بعلومه من داءات الجهل الطافية ، وهم كثيرون ، فانّى يأتى عليهم حصر ، أو يجمعهم ديوان في مصر ، ولكن نقتصر على ما وقفت عليه ساعة التقييد مع استعجال ، لعدم انجماع الفكرة وسلو البال، فمنهم وهو أكبرهم ذكرا العلامة اللغوي النحوي البياني المؤرخ الاديب ، الدراك الافضل محمد بن عبد القادر الكردودي ، ناظم شرح اصطلاح القاموس ، وشارح خطبة الألفية ومؤلف كشف الغمة ، في بيان أن حرب النظام حق على هذه الامة المطبوعات بفاس ، المتوفي سنة 1268 ثمان وستين ومئتين وألف ، ودفن خارج باب الفتوح بفاس ، ومنهم : العلامة المحصل المشارك الراوية المعمر ، أحمد بن محمد بن أحمد بن الطاهر الأزدي المراكشي الدار ، الفاسي الرحلة والمزار ، المدني الهجرة والمدفن ، أجاز له محمد العربي الزرهوني عامة ما له ، ومنهم العلامة الهمام ، المشارك المتفنن القاضي الأعدل، عبد الرحمان بن أحمد بن الولي الصالح التهامي البريبري السلوي أصلا ، الرباطي دارا ، المتوفـّى سنة ؟ 128 بالرباط ، ومنهم : الفقيه الراوية الدراكة النحرير المعتنى المقيد ، محمد التهامي بن محمد المكي بن عبد السلام ابن رحمون المصمودى الحسني الفاسى ، أجاز له المترجم في الطريقة القادرية ، وفي دلائل الخيرات ، وفي همزية البوصيري ، وبردته ، وفي سائر ما يرويه من الأذكار والأوراد ونشرها وتلقينها في خواتم عام 1227 سبعة وعشرين ومئتين وألف ، توفي في يوم الاربعاء سادس عشر ذي القعدة سنة 1263 ثلاث وستين ومئتين وألف ، ودفن بزاوية سيدي قاسم ابن رحمون ، وقبره في أعلا درج الباب من الدرب المشار إليه ، ومنهم العلامة المعمر النحرير ، الصوفي الناسك علي المدعو علالا بن محمد بن أحمد ابن جلون الكومي الفاسى ، محتسب فاس ، المتوفى صبيحة يوم الاثنين سابع عشر جمادى الأولى سنة 1292 اثنين وتسعين ومئتين وألف ، ودفن بروضة مجاورة لزاوية الشيخ محمد بن ابراهيم الخياطي ، التي بدرب الحرة من طالعة فاس ، بينهما

الزنقة المعروفة بدرب أهل تادلة ، ذكر أخذ علي ابن جلون عن محمد العربي الزرهوني في سلوة الانفاس ، ثم ذكر في الخاتمة أنه يتصل بالمترجم بروايته بالاجازة العامة ، عن علي بن ظاهر الوتري بروايته كذلك ، عن أحمد بن الطاهر المراكشي كذلك ، عن المترجم محمد العربي الزرهوني بسنده لصحيح الامام البخاري ، ولفقه الامام مالك ، وللطريقة القادرية ، ولدلائل الخيرات ، أتم هذا التأليف البارع ، وحرره وجمعه في يومين آخرهما عشية يوم الثلاثاء ثلث وعشري ربيع الثاني سنة 1328 ثمان وعشرين وثلاثمئة وألف ، ولخصته من مبيضته التي كتبها بخطه المبارك ، جزاه الله خيراً ، وأولاه مثوبة وأجراً ، وقد وقفت على نوازل المترجم وهي في مجلدين .

807) محمد بن ادريس ابن إدريس الزموري العمراوي

محمد بن ادريس بن محمد بن ادريس بن محمد بن ادريس بن الحاج الزموري العمراوي .

قال في (الجيش العرمرم) بعد أن ذكر أنه وجد بخط المترجم محمد بن ادريس مكررا ثلاث مرات ما نصه : فقلت له ما هذا التكرار ؟ فقال لي هكذا بخط والدي مرفوعاً الى السيد محمد بن الامام ادريس بن ادريس بن عبد الله الكامل ، تكرر محمد بن ادريس في عمود آبائنا تبركاً بالجد المذكور ، قال : فقلت لوالدي هذا النسب صحيح ، فقال هكذا كان آباؤنا ينتسبون ، وكانت عندهم ظهائر الملوك المتضمنة للتوقير والاحترام ، وضاعت لهم في بعض الفتن الواقعة في باديتهم قبل انتقالهم لفاس ، وكان بعض من ذكر في ذلك العمود وهو السيد عبد القادر بن محمد بن ادريس رجلا صالحاً زاهدا في الدنيا ، معرضاً عن كل شيء من أسبابها ، وكان أولاده أرادوا تجديد تلك الرسوم التي ذهبت ، فنهاهم عن ذلك ، وقال لهم : « أما النسب فانه ثابت لنا والحمد لله بالحياة المستترة ، والمزية النافعة النفع الحقيقي إنما تظهر في الآخرة . وأما في الدنيا فان كان مرادكم التوقير بين الناس والخروج من وظائف العوام فأنا ضامن لكم ذلك الى آخر الدنيا » انتهى .

ثم قال : وكان مقام سلفهم بقبيلة زمور من بني عمرو منهم ، من عهد قيام مغراوة على الأدارسة واختفاء الأدارسة في أغمار القبائل ، وكان والده المذكور سيدي ادريس رجلا صالحاً أدركناه وزرناه مراراً ، وكان يلتمس منه الخير ، ويرغب الناس في صالح دعواته ، فلا يلقاه أحد الا قبَّل يديه ، وطلب منه الدعاء ، ولا يعرف أحدا اذا لم يكلمه ، كأنه مصطلم ، ولكن ليس كـل الاصطلام ، يذهب من داره بدرب اللمطي الى جامع الاندلس ، ويصلي الصلوات المفروضة كلها هنالك ، ويجلس في ناحية من المسجد ، واذا لم يحضر الامام الراتب لا يصلى غيره ، حتى كأنه هو الراتب ، لان الأيمة يتكلون على وجوده هناك في كل وقت ، فلا يحتاجون الى طلب من ينوب عنهم . هكذا أدركناه ، وكنت أقرأ هنالك حزباً بين الظهرين ، وهو من جملة أهل ذلك الحزب فاغتنم زيارته ، وتقبيل يديه ودعاءه ، مع ما كان بيني وبين الوزير المذكور مـن شدة الاتصال في زمن القراءة، بسبب المناسبة الادبية الجامعة بين المتجانسين، وسببه أني لما قدمت لفاس أول مرة ، وذلك عام تسعة وعشرين ومئتيـن وألف ، وكنا نحضر معاً عند الفقيه الآزمي وجدناه في باب الشهادات مـن المختصر ، فلما ختم أنشد الناس في ذلك قصائد على العادة ، ومن جملة ذلك قصيدة لي أولها :

ختامُ الهوى قد فُضَّ منك بسره   فمالك تطوى الحبَّ من بعد نشره؟

فكتب إليَّ الوزير يطلب نسخة منها بقطعة أولها ·

ختام الهوى هام الحبيب بحسنها الخ .

فتمكن من يومئذ بيننا وبينه حب روحاني ، بقضاء سابق سبحاني ، فقضينا زمن الشبيبة في تحصيل ما كتب من علوم الرسوم ، في اشتراك المشايخ والمجالس، واقتناء الفضائل والنفائس، وإقامات الافراح والمنتزهات، والمخاطبات والمساجلات ، والمباسطات والنزهات ، فمضت لنا في ذلك ليال وأيام أرق وأطيب من أيام ذي سلم بلا منغض ، الا سرعة زوالها كأحلام من حلم ، وكان والده المذكور في أول أمره يُعلم الصبيان في المكتب الذى بباب

درب اللمطي زماناً ، وانتفع الناس به ، فلما ترعرع ولده الوزير أقامه مقامه ، وغلب عليه الهروبُ من الناس والانفراد كما أشرنا اليه ، فكان الوزير في ذلك لامتثال أمر أبيه ، وكان لا يخالفه فيما قلّ ولا فيما جل ، ولا يفعل أمرا من الامور المهمة الا باذنه ، ولا يسقط في يده درهم فأعلا الا ألقاه في يد أبيه ، فأقام في ذلك المكتب فأعانه الله عليه ، وبارك له في حركته ، وأُعطي القوة الباهرة ، فكان يُكتّب الصبيان ، ويكتب غالباً الكتب التي يقرأ بها ، ولا يفوته ما هو بصدده من حضور مجالس التعلم ، واذا ذهب الى القراءة يترك عمه سيدي أحمد ينوب عنه في المكتب حتى يرجع ، وقد كتب على تلك الحالة كتباً عديدة زيادة على الانصبة التى يحضر بها وهي شيء كثير ، كتب ثلاث نسخ من الشفا وسفّرها بيده وباعها ودفع ثمنها لأبيه ، ونسختيْن من القاموس ، وباعهما بثلاثين مثقالا لكل واحدة ، وذلك أعلا ثمن في ذلك العهد ، والشفا بعشرة مثاقيل لكل واحدة ، وهو ثمنها . والاشياء في ذلك الوقت رخيصة ، والدراهم قليلة .

ولما فرغ السلطان العادل مولانا سليمان من بناء الدارين اللتين بزقاقيْ الحجر والرواح لولديه مولاي ابراهيم ومولاي علي جعل وليمة عظيمة للشرفاء والعلماء وخواص الطلبة ومَن يُشار إليه بالخير ، فأحيا الناس تلك الليلة بالصلاة وتلاوة القرآن والذكر والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان الوزير المذكور ممن حضر ، وأنشد قصيدة طنانة عجيبة المنزع أولها :

حياك حياك ربّ العرش يادارُ ولا تحلْ حماك الدهر أكدارُ

فعجِب الناس بها في ذلك المجمع ، وأنشدها النشادون في كل بيت من بيوت الدارين وكان من جملة الحاضرين شيخنا سيدي حمدون ابن الحاج ، فأخذها وتركها عنده ، وفي صبيحة تلك الليلة طلع بها للسلطان ، وقال له : هذا نفس غريب في هذا الزمان ظهر في ولد من أهل فاس ، وأنشد في هذه الليلة هذه القصيدة ، فأمر له السلطان بمئة مثقال ، ولكل واحد من

الفقهاء بخمسين مثقالا ، ولكل واحد من مطلق الحاضرين بعشرة مثاقيل ، فدعا شيخُنا الوزير ودفع له مئة مثقال ، وكانت مئةُ مثقال إذذاك لها بال عظيم ، فقال الناس فلان أعطي مئة مثقال ، فذهب بها الوزير وصبَّها في حجر أبيه ، وبذلك مع ما باع به الكتب التي كان يكتب زوجه أبوه ، فما زالت الايام تدرجه وترقيه ، حتى كان ما تقدم من قيام أهل فاس على الامام العادل مولانا سليمان ومبايعتهم لأولاد مولاي اليزيد ، حتى انطفأت نيرانهم ، وانكشف دخانهم ، ورجع الناس لامامهم العادل ، وولى على فاس ولد أخيه السلطان المؤيد مولانا عبد الرحمان ، فاتصل الوزير بخدمته ، فلما بويع بعد موت عمه العادل بقي الوزير على مرتبته ، تسمو به السعادة، حتى استقلَّ بالوزارة، وكان يقول أنه ما أدرك ما أدرك الا ببركة ولي الله تعالى سيدي مولاي عمرو ، وهو رجل صالح مشهور بالزهد والعبادة ، والتجافي عن جميع أسباب الدنيا ، يقبل بكليته على ما خلق لأجله ، وكان الناس يقصدونه للزيارة ، ويستمدون منه البركة والخير ، وهو مقيم بمدرسة الصهريج التي بجوار جامع الاندلس ، وهو رجل أستاذ يقرأ بالجماعة ، دائم العكوف على التلاوة والذكر ، قيل ان السلطان العادل كان طلب منه الوصول اليه فامتنع ، فأتاه السلطان في بعض الليالي وهو لا يعرفه فزاره ودعا له ، ولو عرفه ما ظهر له ، وكان الوزير ملازماً لأجل الخدمة والقيام بكل ما يخصه من الضروريات زمناً طويلا ، وكنتُ طلبت منه أن يوصلني اليه لطلب الزيارة ، فاستأذنه لي فأذن ، فدخلت عليه في بيت بأعلا المدرسة ، فرأيت رجلا تذكّر الله رؤيتُه ، جالسا على حصير أظنه بلا لبد ، لابساً حائكاً وقميصا لا غير ، وكان الزمان بارداً جداً ، وهو ضعيف الجسم ، نحيل مائل الى الطول ، أسود اللحية ، فدعا لنا بالخير ، وقرأنا الفاتحة ، والحمد لله على لقاء أهل السعادة ، فانه ما أفلح من أفلح إلا بصحبة مَن أفلح ، وكان هذا السيد لا يقبل عطية أحد ، ذكر الوزير أنه كان يعرف في بعض الكهوف بخارج باب الفتوح من حضرة فاس معدن الفضة، فكان اذا احتاج إلى القوت يأتي بتراب منه ويدفعه للوزير أو لرجل آخر كان يخدمه أيضا ، يقال له السيد محمد المغيرفي ، يسبكه من دفعه اليه ، فيصرف منه عليه حتى ينقضي ويأتي بآخر ، ولم أتيقن تاريخ وفاة السيد عمرو المذكور،

وإن كنت حاضرا في الصلاة عليه وفي دفنه ، الا أنني ما كنت أقيِّد شيئاً من أمثال هذا ، انتهى .

وقال قبل ذلك ما نصه : وأما الوزير العلامة المفوه الرئيس أخونا في الله سيدي محمد بن ادريس ، فانه كان عصامَ الدولة وحِلْيَةَ جمالها ، ومجليَ محاسنها ومظهرَ كمالها ، فآثاره تزري دولة بني مولانا هشام بدولة بني مروان بالشام ، ساعدته أحكام السعود ، وعاملته بانجاز الوعود ، فأدرك في ظلال دولة السلطان المؤيد مولانا عبد الرحمان من الجاه والعز والصولة بعد عبوس ، وأركبته أعز المراكب وألبسته أفخر ملبوس ، وبيته في فاس ومنبته منبت طيب (أدرك) ما لم يدركه الوزير المهلبي مع ملوك الديلم ومعز الدولة ، فضحكت له الايام ، وأصله الاصيل ناشيء عن واكف من الاصالة صيب .

ثم قال في محل آخر بعد ذكر المترجم : فمما أنشأه في بعض الاعياد قوله :

أعد الحديثَ عن الحما وظبائه ... فالسمع مشتاق إلى أنبائه
وصل الحديثَ عن اللوا وعقيقه ... والنازلين الجزعَ من جرعائه
فهناك معترك النواظر والنهى ... ومجال أفراس الهوى وظبائه
كم من صريع هوى بأفنية الحمى ... فتكت عيون العين في احشائه
ومتيم لعب الغرام بقلبه ... لما سقاه الوجد من صهبائه
وأسير وجد في اسار جمالهم ... قادته مرسلة العيون لدائه
ان القتيل من الغرام ودائه ... مثل الشهيد مضرجا بدمائه
ياصاح إن وافيتَ منزلةَ اللوا ... ومررت ما بين العذيب ومائه
ولقيتَ أسرابَ الظباء رواتعاً ... حول الحمى يمرحن في أرجائه
فاحفظ فؤادك من ظُبا تلك الظُّبا ... فلكم كمي صيد في أحيائه
وإذا بدا سلع فعرج نحوه ... وتنشق الارواح من تلقائه
واذا مررت بحي قومي حَيِّهم ... وصل السلام على الحمى وظبائه
واخلع نعالك في مقدس وادهم ... واحطط رحالك خاشعا بفنائه
فهناك طابت طيبة من طيب من ... طاب الوجود بطيب طيب ثنائه

وهناك روضة خير من ركب المطا // واجل من لاذ الورى بعلائـــه
وهناك من أسرى الالاه بذاتـــه // غمر الوجود بجوده وعطائـــه
وحباه قربا لا يضاهي خصـــه // بمصون سر الحب في ايحائـــه
وأراه من آياته وصفاتـــه // ما كلّت العقلاء عن إحصائـــه
وكساه من أجلاله وجلالـــه // ما حارت الأفكار في انهائـــه
أوَ ليس آدم قد توسّل باسمـه // بعد الخطيئة فاهتدى لدوائـه ؟
وغدا يكون وما تكون بعـــده // من ذي احتباء تحت ظل لوائـه
أو ليس كل الرّسل من نوابـه // وجميعهم هاد بنور ضيائـه ؟
قد بشروا أتباعهم بظهـوره // وتواطأوا طرا على عليائـه
أخذ االعهود عليهم أن يؤمنـوا // ان أدركوه وينصروا لدعائـه
يالأمة المختار طولوا رفعـة // واستبشروا طرا بنيل ولائـه
ولتكثروا أمداحه في ليلـة // رد النهار لها سنا لالائـه
قد فاقت القدر الرفيعة منصبـا // وسما الزمان بها على آنائـه
كم آية شفت القلوب بنعتهـا // رفعت بها الأخبار عن شفّائـه (1)
فدنت الى الارض النجوم محبـة // وبدت قصور الشام من بطحائـه
وبدا الرّجوم من النجوم بطرد من // رام استراق السمع من أعدائـه
خمدت به نيران فارس واعتـرى // إيوان كسرى الكسر من أعلائـه
غارت بحيرة ساوة وأساءهـم // ما قد رأى في النوم من اسرائـه
وله من الآيات ما عجز الـورى // في وصف بعض البعض من اجزائه
والوحي أعظم آية قد نالهـا // وأدل معجزة على استعلائـه
أسراره لا تنقضي وعلومـه // لا تنتهى أبدا على استقرائـه
كم معجزات قد تواتر ذكرهـا // دلّت على تصديقه وسنائـه
كالضبي في تكليمه والضبِّ في // تسليمه والجذع عند بكائـه
والماء في تفجيره والزاد فـي // تكثيره والنخل عند دعائـه
والصم في تسليمه والجن فـي // تعليمه والفحل في استعدائـه

١) **الشفـا**، بتشديد الفاء أم عبد الرحمان بن عوف (ض) وقابلة رسول الله (ص)

والشمس ردت بعد ما غربت لـه   والبدر شق له بأفق سمائـه
وكذا الحصا قد سبحت في كفـه   ورمى بها فأصاب أهل نوائـه
نطق الذراع له وأفصح معلنـا   عن سمه وأبان خافي دائـه
أربى على الاحصاء باهر فضلـه   وسما على الادراك كنه علائـه
مَن ذا يروم مديحه ؟ وإلاهنـا   أسماءه قد شق من اسمائـه
هل بعد مدح الوحي مدحة مادح ؟   فاقرأه تلق ثناه في اثنائـه
علّقتُ آمالي بجاه محمـد   وقصرتها قصدا على عليائـه
ورجوت من ربي المفاز بجاهـه   والظن أن لا أخيب عند رجائـه
وعلقت من آل النبي بذمـة   تدني القصيَّ الى كريم منائـه
من طهر المولى وخص المصطفى   شرفا وجللهم كريم كسائـه
وخدمت واسطة الأيمة منهـم   نجلَ النبيِّ المهتدَى بضيائـه
مولى الخلائف عابدَ الرحمان مَـن   رحم الالاه الخلق عند ولائـه
أحيى به الدين الحنيف وزانـه   بسنائه وحيائه ووفائـه
وأعاد أرض الغرب روضا ناضـراً   برُخائه وسخائه ورَخائـه
ونفى عن الاسلام كلَّ ضلالـة   وأضاء نور العلم في أرجائـه
وأشاد مغنى الملك فاستعلى بـه   وقضى حقوق الله في أعدائـه
وأعاد في جسم الخلافة روحهـا   وشبابها وكساها ثوب بهائـه
من حاز مجموع المكارم مفـردا   وروى حديث الجود عن آبائـه
الحلم من أوصافه والعلم مـن   آلائـه والفهم عبد ذكائـه
والعدل من أحكامه والفضل مـن   انعامه والفضل من ندمائـه
والنصر من أحزابه والشكر مـن   أصحابه والبحر من اسمائـه
والحسن من قسماته والأمن مـن   حسناته واليمن من وزرائـه
والجدُّ من أترابه ، والمجدُ مـن   أثوابه والسعد تحت لوائـه
والسيفُ من عزماته ، والعيثُ من   سطواته والغيث من نظرائـه
والزهر من نفحاته والزهر مثـ   ـل صفاته والفخر تحت ردائـه
والحق في أفعاله والصدق فـي   أقواله والحذق في عرفائـه
والسر في كلماته والبر فـي   جنباته والجهر في استرضائـه

فاق الثواقب والمناقب والحـــلا — وزرى بطيب المسك نشر ثنائــه
قد فاخر الاعصار عصر وجـــوده — وتنافس الاملاك في استصفائـــه
غمرتني أنعمه الّتي قد أعجـــزت — شكرا فقمت لها ببعض أدائــــه
وأتيت من حر الكلام بمدحـــــة — خلع الجمال عليها حسن روائــه
وجلوت عذراء المدائح غـــــادة — وشى حلاها الفكر في انشائـــه
أهدى البيان لها عقود جواهـــــر — نُظِمتْ على همز الرويّ وهائـــه
وأتت بكاملها الرفيع لكامـــــل — بحلى الكمال سرى على اكفائـــه
والله أسأل بالشفيع محمــــــد — في أن يمتعنا بطول بقائـــبـــه
ويديم نصرته ويثبت عـــــزه — وعلاءه ويثيبنا برضائـــــــــه
صلّى عليه الله ما حيا الحيـــــا — وترنم الحادي بحسن غنائـــــه
وعلى الاماجد آله وصحابـــــه — والتابعين الحق مع خلفائـــــه

وهكذا كانت سُنّةُ مولانا المؤيد في ختم امداح الليلة المباركـة بمثل هذه القصيدة الفريدة من انشاء وزيره الأعظم المذكور ، ولم يتخلـف قط الا في المدة التي عزل فيها وقام غيره مقامه ممن حرم مراضع الادب ونسلت اليه الجفاوة من كل حدب ، ونعاه الدست السلطاني مع وجوده وندب، فلما عاد الوزير الاعظم الى نصابه ، واسترجع حقه من غصابه ، عادت الدولة الشريفة إلى شبابها ، وتمسكت بمتيـن أسبابها ، وجرت سُنَّةُ التعظيـم والتشريف على مجراها ، ونالت من المحامد كبراها وصغراها ، ولم يزل قائماً في مركزه الأعز الاسنى ، ملازما لعادته الحسنى ، إلى أن توفاه الله عام أربعة وستين ومئتين وألف ، فأصبح الدست العالي من تلك الحلية عاطلا ، وغزيم الزمان بقضاء تلك الديوان مماطلا .

ثم قال بعد ذلك : ولما توفي الوزير الاعظم ، انقطعت هذه السنـة الحميدة ، وبوفاته رحمه الله تهدم ركنُ عال من أركان الدولة ، وظهر أثره في أخلاق مولانا المؤيد ، وقد قال بعض جلسائه ذات يوم : منذ مات ابـن ادريس ما وجدنا مثله ، ولا من يقاربه ، انتهى .

ثم قال بعد أن ذكر المرض المسمَّى بالحلاقم : وكان أخونا في الله الفقيه العلامة الوزير لسان الدولة في أول أمره أوان تردده في مجالس العلم ، يكاد أن لا يمر عليه شهر من الشهور ، الاّ ويصيبه وينفجر له من داخل بعد أسبوع ، لكن لا يمرُّ ذلك الأسبوع إلا وقد أشرف على الهلاك ، فأضر به في ذاته ذلك غاية ، ثم أني رأيت ابن الهندي ذكر في كتاب (الرحمة) دواء ذكر أن من استعمله يشفى منه ، ولا يعود اليه أبدا ، فأوقفت عليه الوزير المذكور، فاستعمله فلم يعد اليه بعد ذلك ، وكان كدواء المسيح ، وكذلك جربناه لكم من واحد ، فلم تتخلف تلك الخاصية المذكورة ، وهو أن تذبح دجاجة ، وتؤخذ مرارتها ، ويحتفظ بها ، ثم تطبخ الدجاجة فاذا نضجت أخذ من مرقها ، فتفرغ فيه تلك المرارة ، ويشربها العليل مع ذلك المرق .

وقال في رياض الورد في ترجمته ما نصه : رقيق الاشارات حلو الحكايات ، له في النظم والنثر القلم الأعلا ، والمورد الأحلا ، لازم الجثوّ للتعليم بين يدي أكثر أشياخنا فمن فوقهم ، ثم اتصل بمولانا السلطان عبد الرحمان بن هشام ، وأنشده قصيدة منها :

رفعتْ لمجدك رايةُ الاحسان — وبدا بعصرك ساطع البرهان
وسرت بسرك في الانام مسرة — سر المحب بها وغص الشاني
يامفردا في الفضل غير مشارك — أقسمت مالك في البرية ثاني

فاشتملت عليه دولته اشتمال الأكمام على الزهر ، والهالة على القمر ، حتى انتظم في سلك الرئاسة وارتبط ، وحلّ ما شاء بحكم اختصاصه بها وربط .

وكانت له رحمه الله معرفة ببعض العلوم كالحساب والتعديل، أخذهما عن الشيخ سيدي محمد بن الطاهر بن أحمد الحبابي رئيس الموقتين بمنار القرويين من فاس ، وكالنحو واللغة والعروض والأدب أخذها عن غير واحد ، وكانت له أمداح عديدة سلطانية ، وأخرى نبوية وغيرها ، وأشعار كثيرة ، ومقطعات . وله أيضاً صحبة كبيرة لأولياء عصره ، ومحبة فيهم . وأخذ عن بعضهم كالشيخ سيدي الطيب الكتاني ، والشيخ سيدي عبد القادر العلمي

دفين مكناسة الزيتون ، وغيرهما مما يكثر ، وانتماء الى الخير وأهله ، ويد بالغة في الادب ، رحمه الله تعالى بمنه وكرمه ، توفي يوم الاثنين رابع محرم فاتح عام أربعة وستين ومئتين وألف .

وقال الزياني في آخر (البستان) ما نصه : وهذه القصيدة من انشاء الاديب السيد محمد بن ادريس بن الحاج ، كان في ابتداء أمره يستخرج لنا ما كنا نقيده في تأليف (الترجمان) ، و (البستان) ، و (الالفية) ، و (الجمهرة) ، و (الفهرسة) ، و (الحادي) ، و (البغية) ، و (السهام الراشقة) ، وشرح الكورة والرحلة وغيرهم ، وكان ملازمي في البيت يدي ويده الى الليل ، فاستماله الفقيه السيد حمدون ابن الحاج رحمه الله وجلبه ، وقاطعني وهاجرني إلى أن كان يمر ببابي ولا يسلم ، ولم أقصر معه في الاحسان ، وأنكر الصنيع فتركته حتى أهملته ، وجعلت غيره من الطلبة ينسخ لي ما أقيد الى أن توفي السيد حمدون رحمه الله ، فجعل يوجّه لي من يستعطفني على الرجوع لحاله الأول ، فأبيت لما ظهر لي من سوء صنيعه بعد انتفاعه بالأجر والاجرة والمعروف التام هذه مدة من ثلاثة أعوام ، وأنا أعطيه خمس أواقي في كل يوم ، ولا يخرج الا ممتلىء الجراب من كل ما يدخل علي من فواكه الوقت وغلله ، واشتغل يتعلق بخواص الطلبة المتصلين بنا وبالمكاتب ، وقط ما أجبته عن واحد منهما الى أن أتاني شفيعاً الفقيه الشريف سيدي أبو بكر المنجرة بكتابه ، وطلب مني أن أجيبه عليه ، فما وسعني الا جوابه ، ثم قدم علي في هذه الايام بهذه القصيدة الرائقة ، فانها من غرر القصائد عدّ فيها ما لنا من التآليف التي استخرجها ، حيث لم يكتب عليها مع من كتب من الادباء الذين مدحوها ، وعمتهم صلة أمير المؤمنين ، فمدحها جملة، فمن أجل ذلك عرفت به أمير المومنين، وأظنه يخلف مقام السيد حمدون أو يقرب منه ، ووجهتها لامير المومنين ليراها ، إذ هو الجهبذ الأحبر ، والنقاد الأكبر ، وهؤلاء الثلاثة ظهروا في دولة أمير المومنين بعد حمدون ، والحوات هذا ابن إدريس ، والبازغي ، وكنسوس ، وهذا ابن الحاج أعرفهم بالتاريخ لأنه باشره معنا أيام تخريج ما قيدنا ، والله يبارك لنا في عمر سيدنا والسلام .

ابن أحمد الزياني ، وفقه الله

وهذه القصيدة :

متى ينجلي ليل التهاجر بالوصل ويرفع مجد الود منا الى الأصـل
وتسعدني سعدي برؤيى جمالهـا فقد أضجرتني بالتعلل والمطـل
لقد طال عمر الصد بيني وبينهـا ولا شحطت داري دراها ولا رحلـي
عجبت لها تدني المريب لوصلهـا وتقصي الذيأصفى الوداد عن الوصل
وتمنع حتى طيفها وصل صبهـا وتزور عن رد السلام من البخـل
وحوراء اما قدها فمهفهـف قويم واما لحظها فري العقـل
تريك قضيب البان ماس على نقا وأثمر بدرا قد تطلع في ليـل
يذكرني الدهر المؤرخ ثغرهـا وناظرها الوسنان لحظ مها الرمل
دهتني ولم تدر بأني مدنـف وأني بها عن من سواها لفي شغـل
وزائرة والليل مرخ رواقـه وأنجمه ترنو بأعينها الشهـل
ينم عليها طيبها وهو صائـك ويفضحها صوت القلائد والحجـل
بسطت لها خدي المصون تذلـلا وما كنت لولا الحب أصبر للـذل
فبتُّ بها بين العذيب وبـارق وبين النقا والبان والبدر والليـل
وباتت وما غير العفاف نديمنـا تغازلني حتى الصباح على رسـل
حديثا كما أملى أبو القاسم الرضا فنون علوم من نقول ومن عقـل
إمام أطاعته البلاغة والنهـى وحيته أفكار المعارف والنبـل
يصرف في كل الفنون يراعـه فيأتي بسحر القولفي المنطق الجزل
ويغرس في أرض الطروس حدائقا ويمطرها من سحب فهمه بالوبـل
فتثمر أصناف المعاني كأنهـا أزاهر روض في عبير وفي شكـل
فلله ما يسدي ويلحم فكـره ولله ما يتلي علينا وما يبـل

* * *

أبا قاسم قد فقت كل مؤلـف وأحرزت في نيل العلا قصب الخصل
جمعت من الاخبار كل غريبـة عقول جميع الناس عنهن في عقل
والفت في كل العلوم سواطعـا مرونقة الألفاظ عادمة المثـل
ففي الترجمان المعرب الفخر أعربت مزاياك عن علم كثير وعن نقـل

وفي تحفة الحادي لدى الفضل للورى ... ومثلك من يأتي البرية بالفضـــل
وأبديت في نظم السلوك عجائبـا ... تبين على حفظ غزير وعن عقـل
وأطلعت في البستان للناس آيـة ... وأبقيتها دينا على كل ذي فضـــل
وتوّجت عصرا أنت شمس علائه ... بجمهرة التيجان حييت من نجـل
نظمت به أشياخ عالم وقتنـــــا ... امام الورى شمس الخلافة والفضل
وأطلعت في العمود أقمار سـؤدد ... ولكنه بالوصف فاق على المثـــل
وأظهرت في رشق المحيا عجائبـا ... هديتَ بها أهلَ المعارف للسؤل
وأصفيت حتى الأولياء نصيحـــة ... وأبدلت إكسير الضلالة والجهـل
وفوقت في أمر السهام رواشقـاً ... رشقت بها أحشا الزنادقة النذل
جمعت لنا في الترجمانة ما بـــدا ... ببر وبحر من حزون ومن سهـــل
وضعت لنا كل العوالم كـــورة ... بسطت بها في الرحلة القول بالفصل
وفي الهيكل الموصوف بالجامع الذي ... جمعت به ما في التواريخ من نقـل
وأنست بالأنيس كل مهــــذب ... وأطربته فلا يميل الى المثـــــل
وفي تحفة أهل النباهة حلـــــة ... لمن لبسها منهم وللسفها الويـــل
وكم لك من آي تلوح لك العـــلا ... كما لاحت الاقمار في صدفة الليل
وما أنت الا غرة الفضل في الورى ... طلعت لنا في دولة الملك العـــدل
سليمان سر الكون عين كمالـــه ... عريق عريض المجد سامى ذرى الفضل
هو الملك العلامة العالم الـــذي ... به تقتدي الأعلام في العقل والنقل
إمام تحلى بالمكارم والنــــدى ... وحاز صفات المجد جريا على الاصل
فما ان له غير الشريعة من هـــدى ... وما ان له غير المعارف من شغـــل
فناهيك من علم وحلم وعفـــة ... وحكم وفهم حاز سبقا ومن عـــدل
وهذا على الاجمال ان شئت شرحه ... على الحق والتحقيق فاصغ إلى قولي
عليك بما أبداه كاتب ســـــره ... أبو القاسم الارضى ودونك ما يملي
فقد نظمت أقلامه در فضلـــه ... بسلك نضار فصلته يد العقـــل
وقد جمعت أوضاعه كل رائـــق ... من الوصف حدث ما تشاء عن الفضل

* * *

أبا قاسم جاءتك أبكار فكرتـــي ... بشفعة كل تسلك العدل عن عـزل
كسوتك من وشي القريض وشائحا ... مطرزةَ الأبراد رائقة الغــــزل

فقابلْ باقبال فانك أهلـــــه / وعِـدْ بالرضى والعفو منك على جهلي
أيا قاسم لا زلت للجود قاسمـــا / ولا برحت آياتكم للعلا تُملـــي
فقد نلت رفعا فوق ما قال ماجـــد / وحييت بالتكريم في المجلس الحفل
فقلْ لذوي الاحقاد موتوا بغيظكـم / أبى الله إلا رفع قدر ذوي الفضـــل
فما الكحل الممدوح كالكحل فعلـه / ولا الجد ما بين البرية كالجهـــل
فلا زلت في أوج السعادة صاعـداً / مسربل ثوب العز متصل الوصل

وقال في (اللؤلؤ المكنون) في ترجمة مولاي عمرو العمراني المتوفي سنة 1230 ثلاثين ومئتين وألف مـا نصه : ومن كراماته رضي الله عنـه أن الفقيه سيدي محمد بن ادريس وزير مولانا عبد الرحمان المتوفى يوم الاثنين الرابع من المحرم فاتح سنة أربع وستين ومئتين وألف ، المدفون بروضته بالقباب ، كان وقتئذ يؤدب صبيانا هناك ، وينظف ميضة المسجد المذكور ، يعني جامع الاندلس وهو فقير ملصق بالأرض لا درهم له ولا دينار ، ولا شيء يباع ، وكان يأوى الى هذا السيد المذكور ، ويحن اليه ، ويطلب منه الدعاء الصالح ، وهو يلقبه بالسلطان الصغير ، ويضربه بين كتفيه ، ويقول له : لا بد أن تدرك كذا وكذا ، فكان من أمره ما كان ، وأدرك من الجاه والمال والرئاسة ما هو معلوم .

وقال في (الحسام المشرفي) ما نصه : وأول كتَبَتِه — يعني المولى عبد الرحمان — ووزرائه، الحافظ ما بين يديه وورائه، أديب الأدباء ، وأنجب النجباء، مَن تُتلا فضائله في مجالس الاقراء ومنابر التدريس ، الفقيه الوجيه السيد محمد بن ادريس ، هو الوزير الافخم ، وديوان الملك الاعلم ، وممن ظهر حسن صبره على انتظام أمره ، وممن حسن صبره على شدائده في حوادث الدهر ومكائده ، ومعرفته بعيب نفسه أوثق عنده من مدح أبناء جنسه ، منقبض عن العامة ومن يجانسها ، ممتنع عن التكبر والتجبر بما يحاسنها ، عالي الهمة ، متين الرحمة ، بقاء النعمة على كتده مقرون ببقائها على يده ، وجريان الامور على مذهبه ، بحسب استقامتها بسببه ، تحفة الحضرة السلطانية وما حواليها، يرغب الرعية بعطف قلوبها عليها ، يتتبع الفضائل دون الفضول ، وأبواب

الخبر دون الفصول ، ولا يشتغل بفروعها المتشعبة عن الاصول ، ولا يصرف عملا عن وقت يسرده وينصه ، فان لكل وقت عملا يخصه ، لا يضجر من ازدحام الأعمال،ما لم يخش تطرق الفساد إليها والاختلال،عند الاستحثاث والاستعجال، إحسانه للحـر يحمله على المكافات ، وللوغـد يحمله على معاودة السـؤال وطي المسافات ، يضع إحسانه حيث وضع الرأي الصريح ، والاختبار الصحيح ، أجود من حاتم وأمامة ، وحسنات الدهر ملأت كناشه ورقامه ، وأحق ما ينشد فيه قول هذا الأديب النبيه :

تراه إذا ما جئته متهلــــلا ... كأنك تُعطيه الذي أنت سائلــه
كريم اذا ما جئتَ للعرف طالبــاً ... حباك بما تحوي عليه أناملُــه
هو البحر من أي النواحي أتيتــه ... فلجتُه المعروف والجود ساحلـه
فلو لم يكن في كفّه غيرُ روحــه ... لَجاد بها فليتق اللهَ سائلُــه

وهذا الذى وصفناه به نقطة من يم ، وتافه من جم ، وحصاة من ثبير ، وقليل من كثير ، وألا فالبسط والتوسعة في فضائله وشيمة الرفيعة وخصائله أكثر من أن تحصى أو تعد وتستقصى ، وكلها تنبىء عن قوة رأيه ، وصحـة عزمه ، واستقامة سعيه ، واستعماله رحمه الله الاقتصاد في أمره أدوم لسلامته وأرفع لملامته ، وأغض لفرق حاسده ، وأصدق لفوائده ، وأروح لقلبه، وأخلص فيما بينه وبين ربه ، ولعلو قدره وعزة أمره ، لا يخلو من قريـن يعانده أو حاسد يكايده ، يتوهـَّم ان له همة تطاول منزلته ، وصفة يتحلى بها تطابق حليته ، ويرى أن حظه معه منحوسا ، ومثله مع وجود الكنسوسي لا يكـون مرءوساً ، فتعسا له وخسراناً من حسود لا يسود ، وبالهم يموت كمدا مَـن لا يزال يحسد من تحت اللحود ، فلهذا الوزير المرحوم بمنة الله اظهار المواهب ولطف المحل ، والتقدم في العلم والفضل ، فمن حسده ناهض فضله ، وأراد أن يحل محله ، فلم يهيء له الله أسبابا ، ولا فتح لطلبته أبوابا ، فبالفضائل الدينية أحرز مقامه ، وبالفواضل الدنيوية والعطايا حصن ذاته ارتحاله ومقامه ، وبالمناصحة لمـن خصه بالمزايا ، والتحرز مـن ملابسة الدنايا ، دافـع الله عنه كيد الطامعين وبلوى الرزايا ، وكسر شوكة حسدهم بالاحسـان ،

وعودهم المعروف من طلاقة الوجه واللسان ، ولم ينشر معايبهم المطوية مثل نشرهم ورميهم أولياء الله وعلمائه بأسواء الدنية ، وتكرم بالعفو على ما بلغه من سوآتهم السوالف ، وخلاهم وما بقلبهم من الحسائف ، ووقت فراغه من خدمة الملك يصرف الى العبادة وجه همته ، وهكذا كانت سيرته الى أن لحق بربه ورحمته، فتأسف على فراقه الملك الهمام، حيث خلا بيته من روض حضرته البسام، وإذا تذكره الأنام، ترحم عليه اللئام والكرام، وما زال علَم نثره وشعره منصوبا بين الاعلام ، وحكم مثله وأمثاله تتلى ويستشهد بها أيمة الاسلام ، فاق المخضرمين والمولدين والمحدثين والمجددين ، فمن أشعاره الفائقة ، ذات المعاني الرائقة ، يوم غزا السلطانُ المذكورُ برابرَ زمُّور ، هذه القصيدة التي تنبىء عن توغله في علم الادب :

مهور المعالي البيض والاسل السمر وأقصى أماني السيد الامر والنهر

ثم أنشدها وهي 118 بيت .

ومن أشعاره السلسة المساق المشتملات على التشبيهات البديعة ، والاستعارات الرفيعة ، من غير ارتكاب لغة وحشية فيها ، وكل أشعاره رضى الله عنه يرتكب فيها سهولة التركيب ، ويترك كل لفظ عدى الغريب ، وكان ذلك هو المطلوب في مدح الملوك ، فقد نقل الشيخ المغيلي أن من الادب في مدح الملوك بالشعر تهذيبه وتحسينه ، وتقريب عباراته وتزيينه ، ولا يرتكب قائله الاوزان الضعيفة ، ولا اللغة الوحشية ، بل يعتمد في مدح الملك ما رق وراق ، انتهى .

وللمترجم رحمه الله ديوان شعر حافل ، جمعه ولده ادريس (المتقدمة ترجمته (1) ، قال فيه عند زيارة السبعة رجال ، وقد حظِي ببلوغ الآمال ، ونال بركة أهل الكمال :

---

1) في الأصل : الآتية ترجمته ان شاء الله ، اعتباراً للترتيب السابق للكتاب ، وقد تقدمت ترجمة ولده ادريس في 3 : 22 ع 336 من هذا الكتاب

جزى الله أهل الخير خيراً فانهـم … حموا جانبي من كل عيب ومن رذ
هم أرشدوني للهدى بعد حيـرة … ولا يمنح الارشاد الا ذوو الرشـد
وهم أوردوني بالحمى مورد الصفـا … الى أن صدرت بعد ريي عن الـورد
وهم البسوني حلة المجد والرضا … وهم رفعوا قدري الى دارة السعد
حللت حماهم خائفاً مترقبـا … فجادوا وعادوا بالعناية والوجـد
حططت رحالي عندهم طالب القرى … بمراكش حتى قروا.ورعوا وفدي
كرام بدوا في دارة الجود سبعـة … حكتها الدراري السبع في النور والجد
فبابن علي يوسف فتح بابهـم … وعند عياض ما تؤمل من مجـد
وأما أبو العباس فهو امامهـم … ولابن سليمان الرضى آية القصد
وسل من علا التباع ما شئت من هدى … ومولاي عبد الله ذي الكرم العـد
ويسهل ما تبغيه من كل مطلـب … بجاه السهيليّ الرضَى العالم الفرد
أولئك أرباب العناية والعـلا … وهم قادة والمهتدون على قصـد
وكم من امام في جوار ديارهـم … له ما لهم من رفع جاه ومن رفـد
هم القوم لا يخشى من الجور جارهم … وان جاور الموفون في الناس بالعهد
هم يكرمون الجار ما دام بينهـم … وتتبعه الامداد موفورة الرفـد
ولا أحد يرعى الذمام كرعيهـم … ويحمي ذمار المستجير على البعد
فلا زلت معمور الجناب بفضلهـم … أنال بنيل منهم فائض المـد
وزادهم المولى الكريم ترقيـا … وبسطا وفضلا زائدين على الحـد
وأبقاهم المولى مظاهر رحمـة … بجاه الذي أولاهم مدد الفـرد
عليه صلاة الله ثمّ سلامـه … وآله والأصحاب ما فاز ذو قصـد

وقال أيضاً يخاطب ولي الله أبا العباس السبتي رضي الله عنه :

تبسَّم في وجه الرجاء سعـودي … وأورق في أرض المسرة عـودي
وقابلني دهري ببشر ورحمـة … وانجز من بعد المطال وعـودي
وعاد باحسان الي ومنـة … وقال لأيامي المليحة عـودي
ووافت بألحان التهاني بشائـر … تفوق حلى طار ونغمة عـود
وذلك لما أن قصدت حمى الـذي … تناهَى ثناء في علا وصعـود

اليك أبا العباس أهدي على النوى مدائح تكسوني ثياب سعـــــود
وأنزلت رحلي في حماك وقد دنـا وطال قيامي في الورى وقعـــودي
وجردت من حبي إليك ظعينـــــة على متن طرف أو سنام قعـــــود
فأنت الذي نستدفع الخطب باسمه ونأ من أهداف البلا بوعـــــود
ونستجلب الخير الجليل بقصدكم ونظفر من بحر الندى بـــورود

وقال في توسل منه :

وبالحسن اليوسي ناديت سائـلا لعليّ أحظَى بالامان وبالذخـــر
وناديت عبد الله أعني ابن طاهـــر وأولاده أهل السياسة والبـــر
وبالمرتضَى المولى عليّ شريفهم توسلت والرحمان يرفع لي ذكري
فهم جيرتي بين الانام ومقصـــدي وعندهم روحي العزيزة مع فكـري

وقال في توسل رحمه الله منه :

بجاه أبي يعزى الرفيع مقامـــــه وجاه أبي العباس غيث الندا البر
وبالمرتضَى المولى عليّ ونسلـــه وبابن آلعريف سابق السادة الغر
وبالقاضي عياض بن موسى ويوسف هو بن علي صاحب الغار والاثـــر
وبابن سليمان الجزولي ذي العـلا وعبد العزيز المرتضَى وأبي عمرو
وبالغزواني والسهيلي والرضـــا أبي ياسين ميمون مبرىء ذي الضر
وأحمد السوسيّ ذي الفضل وابنه منيل العلا العباس مهلك ذي الجور
وبابن حسين عابد الله وأبنـــــه أبي الفضل ابراهيم جابر ذي الكسر
وجاه ابن ساسي ذي الكمال وجاره مفيد العلا وحال ذي الكرم الوفـر
وجاه ابن موسى أحمد ورجالـــــه كذا نجل عبد المنعم النير الفكـر
وسيدي نجل سيدي وجميع مَـــن بسوس وأهل الله في كل ما قطـر
وسيدنا مكدول قلْ وجميع مَـــن برجراجة الانجاد من سيد بـــــر
ومَن حل في تلك النواحي بأسرها وجملة أهل الله في ساحل البحـر
بسكان تيط أهل كل كرامـــــة ومَن فضلُهم سام على الانجم الزهر
وسيدنا أبي محمد صالـــــــح وبالمرتضَى أيوب أعني أبا الصبر

ثم ذكر رجال سلا والرباط ورجال مكناسة وأقطار تادلة ودرعة قال :

فبالبطل الشرقي أعني محمـــدا   وأبنائـه الابطال في حومة الذعـر
فبالغزواني المرتضى ثم صالـــح   وسيدنا المعطي الذخيرة للذخـــر
وسيدنا العربي غوث زمانــــه   وأبنائه الانجاب والسادة الغـــر

ثم قال :

وبالصومعي الفرد وابن مبـــارك   أنادي وأشياع له وبني النجـــر

ثم ذكر أعلام فاس قال :

ودراس الارضى وجاه ابن حرزهـم   ويوسف الفاسي مع صنوه الحبر

ثم ذكر رجال وزان ، وأولاد مصباح والقصر ، وأهل الحرائـق ، وأولاد البقال وأولاد مولانا عبد السلام ابن مشيش ، ثم مولاي علي الشريف وغيرهم ، ثم قال :

ومولاي عبد الله أعني ابن طاهـــر   وأبنائه أهل الولاية والطهـــــر
وجاه شعيب الغوث في كل بلـدة   أبي مدين وابن الخلوف الذي يقري

ثم ذكر رجال الشرق وتونس والاسكندرية ومصر ، ثم جملة أهـل الله ، ثم قال :

سألتكم بالله لا ربّ غيـــــره   وأحمد المبعوث بالفتح والنصــر

وهو منه رحمه الله قلب للحقيقة ، فليتوسل لله بأوليائه ، ولا يتوسل للأولياء بالله ، وعدتها 105 أبيات .

وقال أيضا يتشوق الى فاس :

حنت لأحمال أثقال النوى عيـري   فذكرتْنيّ أصواتَ النواعيـــر
يا عيري حُثّي الخطا واستنشقي أرجا   من نحو فاس وان عزّ الخطا طيري

فما مقامي بأرض لا أنيس بهـــا ... ولا شراب سوى ماء الخطاطيـــر
إيه فما البعد عن أرض بها سكني ... أهل الحضارة فيها والقناطيـــر
في كل قطر بها أرض وساقيـــة ... فلا مجاز سوى على القناطيـــر
تلقى بها أوجها زانت نضارتهـا ... مثل الدنانير في زي النواويـــر

وبعدها 13 بيتاً في أغراض مختلفة .

وقال أيضا :

وهم مفتاح أبواب العطايـــا ... وأسرار الاجابة والســـؤال
نزلت بحيهم أرجو نجاحـــا ... وتوفيقا وأسأل جبرَ حالـــي
ولذت بأحمد السوسي أبغـــي ... قضاء مآربي وهناء بالـــي
وقد نشبت بي الايام ظفـــرا ... وأبدت نابها نوب الليالـــي
ومَن ينزلْ حِمى الكرماء يأمَـنْ ... ولا يُلقي لحادثة ببـــال
وظني أنني أنزلت رحلـــي ... بأكرم سيد وأجل والـــي
يوالي القاصدين بفيض فضـــل ... ويلقاهم بمحمود الخصـــال
ويبسط في قرى الاضياف كفـا ... معودة التفضل بالنـــوال
سما بالله أوصافا وحـــالا ... وأكرم بالتقرب والوصـــال
وصار له التصرف في البرايـــا ... بما يبغي بسر الانفعـــال
أسيدنا قصدتك مستجيـــراً ... أؤمل منك فوزا باتصـــال
وأرجو شفاء قلبي من هـــواه ... وما بالذات من داء عضـــال
وأنتم للورى مفتاح خيـــر ... كما قد جاء في صدق المقـــال
وكيف يخيب راجي الخير منكـم ... وجاهكم لطالبه موالـــي
ونجلك أحمد العباس قطـــب ... وفي أبوابه حطت رحالـــي
أأخشى وأنتمُ فينا حمـــاة ؟ ... ويهضم جانبي ولكم أوالـــي
جعلت كليكما لكما شفيعـــا ... فكيف يضيع بينكما سؤالـــي ؟
وجاه المصطفى للكل أمـــن ... به الرحمان رحمته يوالـــي
صلاة الله والرحمى عليـــه ... وآل والصحاب وكل تالـــي

وقال أيضا :

أبا العباس ياغوثَ الانـــــام ... ويامولى الاكارم والكــــرام
وياحرز الأنام لمستجيـــــر ... وياورد الّتهان لكل ظــــام
عهدتك في الشدائد لي مغيثـــا ... وغوثا ناصراً بين الأنــــام
معاذ الله تسلمني لحـــط ... وأنت الفارس البطل المحامـــي
علقت بذمة منكم قديمــــاً ... وشأنُك في الورى رعْيُ الذمـام
وجاهُك للورى وَزَرٌ وحِـرْزٌ ... فكيف يسام سربي باهتضـام ؟
فراع واعتنِ وادفعْ ودافـــع ... ووال المكرمات وجد وحــام

وله رحمه الله في السادات سبعة رجال :

ياسادة الحي ياكـــرام ... ومن هم القصد والمـــرام
ياجيرة جارهم عزيـــز ... فلا يسام ولا يـــرام
ياسبعة فاقت الـــدراري ... بذكرهم ينجلي الظـــلام
أنتم بحور الندى وأنتـــم ... بدور سر بها التمـــام
انا قصدنا الى حماكـــم ... وعندكم يحسن المقـــام
لكم بمراكش طلـــوع ... بنوره استبشر الأنـــام
وأنتم مظهر التعالـــي ... ومنكم الفضل مستـــدام
فقابلوا بالقبول ضيفـــا ... له باقبالكم غـــرام
وعاملوه لله فضـــلا ... فأنتم الناس والكـــرام
تحية الله كل حيـــن ... تهدي لمغناكم والســـلام

وقال وقد وفق الله بعض أعيان الدولة العلية لتجديد بناء ضريح الولي الصالح سيدي ميمون وضمنه تاريخ ذلك البناء :

من فضل ربي وخير الخلق صفوتـه ... ومن سعادة عالي القدر والهمـم
مولى الملوك أبي زيد الذي سمحـت ... به الليالي فأحيا دارس الرمـم
قد أهـّل الله من أبناء دولتـــه ... مَن صان ذي الروضةَ الغنا من الهرم

ضريح سيدنا ميمون من ظهـــرت ... له المكارم في عرب وفي عجـــم
دواء سقمك معقود بزورتـــــه ... تاريخه فاقصدنه ملقي السلـــــم

وقال يفخر بنظمه وأدبه ، ويقول للوالّه انتبه :

سل الرواة عن نفثات شعــــري ... فكم أبرأن من قلب سقيـــــم
وكم أظهرن جودا من بخيـــــل ... وكم أولدن من بكر عقيـــــم
فان الشعر في التحقيق سحـــر ... كما قد جاء في الاثر الكريـــم
ولي في نظمه القدح المعلـــى ... وأسرار تغيب عن العليـــــم
فأنظم حين أنظم رائعـــــات ... تفوق الدر في العقد النظيـــم
وأرفع بالمديح مقام قـــــوم ... وان كانوا ذوي أصل لئيـــم
واخمل بالهجاء منار قــــوم ... وان كانوا ذوي قدر عظيـــم
ولي قلم له بأس شديـــــد ... يثلم حده حد الصريـــــم
يلين بالبلاغة كل قـــــاس ... ويسحر بالبيان لهى الصريـــم
ويترك ضربه الأقران صرعـــي ... لدي الميمون بالضرب القويـــم

وله أيضا رحمه الله يمدح المولى الاشهر سيدي ميمون دفين مراكش نفعنا الله به :

الله حقق بالشفاء ظنونـــــي ... وأقرّ من أهل الكمال عيونـــي
وتدارك العبد الضعيف بلطفـــه ... بدواء أهل السر والتمكيـــن
لما نزلت بحيهم متضرعـــــا ... متوسلا بعلاهم الميمـــــون
عافوا علي والبسوني حلة الـــ ... ـاقبال والاسعاد والتأميـــن
يأأيها الشاكي السقام بذاتـــه ... وبقلبه زرهم بحسن يقيـــن
والجأ لبابهم ولُذْ بحماهـــم ... تجد الشفاء بذاك طوع يميـــن
ما للشفاء من السقام اذا عـــرا ... الا زيارة سيدي ميمـــون
شيخ بادواء الخلائق عالــــم ... ودواؤهم بيديه كالمضمـــون
لا سيما الجار الغريب فانـــه ... لا يكتفي من فضله بالـــدون

ولما نزل بداره بجوار سيدي ميمون المذكور نفع الله به، أضر به البعوض ، ومنعه النوم ، فنظم هذه الأبيات مستغيثا بالولي المذكور ، فلم يضره بعد ، قال رحمه الله حتى أن من ينام معه بالمحل يبيت مروعاً ومايصيبه هو أذى :

ياسيدي ميمو ن يامَن فضلـــه — حلّى لساني الدرَّ مع آذانـــي
اني نزيلك والبعض أضر بـــي — فامننْ بنفْي جميع ما آذانـــي
أعط النزيل جزيل فضلك واكفـه — شر العدا وتقلب الأزمـــان

وقال في زيارة الولي الصالح سيدي أبي شعيب بأزمور :

قصدنا حمى الامام أبي شعيـــب — رفيع القدر مُقري الزائرينـــا

وله أيضا رحمه الله في زيارة الولي الصالح العارف بالله سيدي عبد الله الغزواني :

طب العليل ومورد اللهفـــان — في قصد أهل السّر والعرفـــان
ومقر كل العز في عرصاتهـــم — ومنال كل الخير والاحســـان
أبوابهم للزائرين مناهـــل — ومقامهم لهم مقام أمـــان
هم قبلة للسائلين وكعبـــة — للآملين وعصمةٌ للعانـــي
كم نال قاصدهم بهم أسنى المنى — وسما بمكرمة ورفعة شـــان
ولكم بهم خرق العوائد صـــادق — في كشف معضلة ونيل أمـــان
روضاتهم روضات جود زخرفـــت — وقطوفها للزائريـــن دوان
فالهج بذكرهم وصرح باسمهـــم — في حالة الاسرار والاعـــلان
واذا عرتك من الزمان ملمـــة — فانزل بهم تأمن من الحدثـــان
فالله خصّهم بكل فضيلـــة — وحباهم بتصرف الأكـــوان
وحمى حماهم أن يضام وخص من — يعزى لهم بالأمن والاحســـان
لا سيما بحر المعارف والنـــدى — عبد الالاه العارف الغزوانـــي
علم الولاية والعناية والعلـــى — ومقام أهل الفضل والعرفـــان

وحماية اللاجي وعون المرتجـــي … وعناية الناجي وغوث العانـــــي
صعب الأمور بقصده متيســـــر … وبعيد آمال به متـــــــدان
فرد سما بالله في أحوالـــــه … لما خلا عن ربقة الاكـــــوان
وسقى بكأس نال صفو شرابهـــا … أهل الصفاء وصفوة الاخـــوان
وغدا بعيد الشيخ وارث ســـره … عند اختلاف الجلة الأقـــران
أبدى لهم من سره ما سلمـــوا … واستسلموا لمقاله الربانـــي
ولديه من سر الوراثة خاتـــم … ختمت بها أسرار أهل الشـــان
كم آية ظهرت له وكرامـــــة … جلت لكثرتها عن الحسبـــان
من ذا يؤمل حصر ما قد نالـــه … من رفع مرتبة وعزة شـــــان
ويروم وصف مقامه والله قـــد … أعلا مراتبه على كيـــــوان
فقف المطي على ربوع مقامـــه … والهج به في معقد الحدثـــان

وقال أيضاً :

والله لولا سبعة أرجو بهـــــا … نيل المفاز ورحمة الرحمـــان
ما قمت في باب الخلافة آمـــراً … أو ناهياً في خدمة السلطـــان
إبلاغ حاجات وغوث مؤمـــــل … ودفاع مكروه وبذل أمـــــان
وعلاء إسلام وبث نصيحـــــة … واعانة الاخوان والاخـــــدان

وقال يفتخر بالعفاف وعلو الهمة وينزه نفسه عن اكتساب المذمة :

شعبي وشعب الغواني غير ملتئـم … ووصلهن أرى ضرباً من الحلـــم
كم لي أسائل عن سلمى وجارتهـا … وعن رسوم عفت وأينق رســـم
وكم أكفكف دمعا في مرابعهـــا … ضلا وأسأل عونا واكف الديـــم
والشيب قد لاح في فودي وقنعني … والسيف أحسن فعلا منه في اللمم
أسرى بليل شبابي فاستنار بــه … كغاسق لاح في داج من الظلـــم
وبصر العين سبل الرشد فانبعثت … أخلاقه لطلاب المجد والكـــرم
نفسي عن الكبراء القدر قد كبـرت … وفوق هام الثريا قد علت هممـــي
ما ذا يقول ذوو البغضاء في رجـل … خال عن الكبر مكسي حلة الحكـم

والعرب بالباب والأخبار سائـــرة وألْسُنُ الخلق تبدي كل مكتتـم
أصون ماء المحيا عن إراقتــــه ليس الدناءة والالحاح من شيمـي
ولا أمدن عيني نحو عارفـــــة من كف نذل ولو أربى على هـــرم
وكم فتى لجنابُ الملك منتسبـــا أعدى على المال من ذئب على غنم
يظل يسدي ويهذي في زخارفـــه وليس يصدق في ضرب من الكلم

وقال كما نقله ولده من خطه : ولعبد الصالحين محمد بـن ادريس العمراوي هذه القصيدة في مدح القطب سيدي محمد بن سليمان الجزولي ، أنشأها في شهور 1244 :

روح القبول من الاخبار حيانـــي وعرفه بجزيل العرف أحيانـــي
لو لم يكونوا رضوني لامتداحهـــم ما عمر الفكر بالأشعار أحيانـي
أو لم يريدوا قضاء ما أؤملــــه ما ألهموني إلى تقويم أوزانـــي
هم الكرام ومن يحلل بساحتهـــم ينل مناه بلا حد وميــــــزان
للشعر عندهم قدر وصاحبـــــه مقضي الحوائج مخصوص باحسان
والعرب ان مدحوا جادوا فنال بهم ذو الفقر دنيا وفكوا ربقة العانـــي
فكيف من قد أتاه ربه شرفـــــاً وخص منه بتقريب وعرفـــان ؟
شيخ الشيوخ الجزولي الرفيع مدا محمد المرتضى نجل سليمـــان
قطب الكمال ومن قاموس راحتـه يروي البرية من قاص ومـــن دان
قد احتسى من كؤوس الحب مترعها ثم أدار على صحب وخـــــلان
سقاهم صفو خمرة الصفا فصفـوا لله في حال اسرار واعـــــلان
كأس بها اغتبق الاكياس واصطبحوا انسا على نغم الألحان والحـــان
راح تروح بها الارواح طيبـــــة اذا احتستها على روح وريحـــان
رقت فما تبصر العينان صورتهـا ولا تحل بأكواس وكيـــــزان
قديمة زانها وصف الشباب فمـا تنفك تصرع في شيب وشبـــان
كاساتها الصدق والعرفان نشوتها وسكرها صفتا صحو ووجـــدان
من ذاقها ترك الدنيا وزخرفهـــا وصار في العالم العلوي روحـــان
كل على قدره أعطته نشوتهـــا حالا فمن ثابت جاشا ومن فـــان

الموت فيها حياة لا انقضاء لهـــا   فمت تعش عيشة المرفع الهانـــي
كم سالك في غمار الخلق عاقرها   وهائم واجد في طود لبنـــان
ومنتش وهو صاح من تثبتـــه   وآخر ثمل في الناس هيمـــان
خمر بها الحسن البصري خامـره   وجد فأضحى عظيم القدر والشان
منها تروي حبيب صافيا فغـــدا   من بعد عجمته لسان احســـان
ونال بسطا أبو يزيد حيـن روى   فقال هل من مزيد حسوها شان ؟
وقد سرتْ فيالسريّ الفرد نشوتها   فألبسته على صدق وإيمـــان
كما تحسى الجنيد صفوها فغـــدا   إمام علمي حقيقة وعرفـــان
ولابن أدهم لاح سر مظهرهـــا   فحاد عن ملك أموال وأعـــوان
وأكسبتْ خلد النوريّ معرفـــة   فغاب عن صحبه في كشف أحزان
وهام من أجلها الشبليُّ منتشيـاً   لما ارتدى فاهتدى لنهج كتمـــان
وباح من سكرها الحلاج عربـــدة   فمات حدا بها ما بين ندمـــان
والجيلانيُّ حبتْه رفعَ منزلـــة   في حضرة القدس قرب ما له ثـان
وحاز سهل بها تسهيل مطلبـــه   وبشرت بشرا الحافي برضـــوان
وفاز معروف الكرخي بمعرفـــة   بشربها فغدا معروف عرفـــان
أما الفضيلُ بن عياض فنال بهـا   فضلا ولم يبصر الدنيا بانســـان
واغتبق الحاتمي كأسها فغـــدا   في علمه اللدني بحر اتقـــان
ثم الى عمر بن الفارض انتقلـــت   فنال حسن بلاغة وتبيـــان
ونال من صفوها عبد السلام صفا   فنال أنسا بها عن كل أزمـــان
والشاذلي تحساها فما برحـــت   يفوح منها شذا في كل أزمـــان
ونال منها أبو العباس فانتشـرت   منه الى ابن عطاء الله صنفـــان
أبو يعزى بها قد عز شاهـــده   فهام وجدا ولم يجنح لسلـــوان
وفي أبي مدين لاحت سرائرهـــا   لما انتشى فنهى عن لوم سكـــران
أبو شعيب بها استعلت مراتبـــه   حتى غدا معرضا عن زخرف فـــان
أبو محمد صالح حبتْه عُـــلا   ورفعته على هامات شهبـــان
ثم احتساها أبو العباس صافيـــة   فحاز من أجلها تصريف أكـــوان
والقطب ادريس منه شمسها طلعت   بمغرب بين أقطار وبلـــدان

وقد تجلت بسر نجله فســـــرت أسرارها في فؤاد القاصي والداني
قوم لهم قدم التقديم ان ذكـــروا لأنهم في الورى أعيان أعيـــــان
ولم تزل يشرب الاخيار صفوتهـا في حضرة القدس في أكواس ايقان
ونحن نرجو بفضل الله قسمتنــا منها وان عمنا أوصاف نقصـــان
فان لله سرا في خليقتـــــه ونفحة عرفت بقلب أعيـــــان
ياسيداً قد سمت بالله رتبتـــه علما وحالا وتقريبا ببرهـــــان
انا ضيوفك والاقتار حالتنـــا وأنتم الاغنيا في حال إمكـــان
حاشاكم أن يخيب السعد عندكـم فقاصد الله لا يغدو بحرمـــــان
وقد تطلفت في أبواب فضلكـــم بذكر أسماء أهل الفضل والشـــان
وصفت خمرتكم كيما ألذَّ بهـــا وأحتسي في حماكم فضل احسان
وأنتم القوم لا يشقى الجليس بكم قطعاً وقاصدكم يحظى برضـــوان
ولا يخاف لدى الدنيا محبكـــم أذى ولا يختشي إحراقَ نيـــران
فلتقبلوني فاني في حمايتكـــم ولترحموني فانى مسرف عـــان
ولتشفعوا في قضاء ما أؤمّلـــه حتى أعود بأوطاري لأوطانـــي
فقد أتيت لباب الفضل ملتجئـــاً وأنتم وزر المستضعف العانـــي
وسيلتي جاه خير الخلق أجمعهـم محمد المصطفى من خير عدنـــان
صلى عليه وءال والصحاب معـــاً رب الورى ما سرت أرواح غفـران
وما بدا وجه اقبال فقال فتـــى روح القبول من الأخيار حياني (1)

808) محمد بن المدني الفلاقي الغرفي

محمد بـن المدني بـن الكبير الفلاقي الغـرفي ، الشيخ العلامـة المشارك الفهامة الحافظ العامل صدر الدين الكامل ، كان رحمه الله فقيهـاً محدثاً نحوياً بيانيا علامة مشاركاً ، ولي القضاء بحضرة مراكش مدة الى عام 1252 اثنين وخمسين ومئتين وألف ، ودرس الحديث والفقه وغيرهما ، أخذ عن الشيخ سيدي الطيب ابن كيران ، وسيدي حمدون ابن الحاج وغيرهما ،

---

1) ينظر عن الوزير محمد بن ادريس ذكريات **مشاهير رجال المغرب** ع 3 و**فواصل الجمان** ص 40 و**اتحاف اعلام الناس** 4 : 189

وانتفع به هو جماعة من الطلبة ، وكان يقرأ مع السلطان سيدي محمد في حياة والده مولانا عبد الرحمان .

توفي رحمه الله يوم الاربعاء رابع عشر جمادى الثانية عام سبعة وستين ومئتين وألف ، ودفن بروضة العلماء بفاس قريبا من رأس شيخيه المذكورين ، وكان عند رأسه في جدار الروضة تاريخ وفاته فأقلع .

ذكره في (السلوة) ، و (الحسام المشرفي) وغيرهما .

809) **محمد بن محمد الزهني اليازغي** ، ولي حسبة مراكش في دولة مولاي عبد الرحمان ، وكان فقيهاً عدلا مدرساً ، وقفت على علامته في رسم مؤرخ عام 1267 ثم عام 1269 ، وكان يسكن بدرب تزكارن من حومة باب دكالة .

810) **محمد بن قلور اليزمي المراكشي** ، الشيخ الصالح ، الفقيه الاستاذ المقريء ، البركة الوجيه ، العالم العامل ، الزاهد الورع . درس الشاطبية وغيرها بجامع حومة باب دكالة ، وكان خطيباً به توثر عنه كرامات .

توفي رحمه الله في العشرة السابعة من القرن الثالث عشر ، ودفن بروضة باب دكالة .

811) **محمد بن حمو الرحماني البربوشي المراكشي** ، قاضي الرحامنة، المدرس الفقيه الأستاذ ، كان رحمه الله قاضياً بها في دولة المولى عبد الرحمان ، وكان مسموع الكلمة مع رفيقه العلامة السيد البهلول عند السلطان المذكور ، واليهما ترجع أمور قبيلتهم ، ويستشيرهما في تولية عمال الحوز ، ثم وشى بهما عاملا قبيلتهما علال بن عبد الله الشياظمي ، وزروال ، زاعمين أنهما ما داما في الرحامنة لا يستقيم لهما أمر ، فقبضا عام سبعين بموحدة ومئتين وألف ، ثم رحلا إلى فاس وكان قبل ترحيله يسكن بالزاوية العباسية من مراكش ، عمر طويلا . وتوفي رحمه الله في أواخر دولة المولى عبد الرحمان .

812) مَحمد بن مُحمد الأبيض

مَحمـد بفتـح الميم بـن مُحمد بضمها بـن قدور المغربـي الأصل ، المراكشي الاسكندري الدار المكنى الأبيض ، أورده أحمد ابـن حسون في رحلته التي ألّفها عام 1207 ، فقال عند ذكر دخوله للاسكندرية ما نصـه :

وفي هذا اليوم أيضاً تلاقيت مع شيخنا سيدي مَحمد بفتح الميم بن مُحمد بضمها أبن قدور المغربي المراكشي الأصل ، الاسكندراني الدار ، المكنّى الأبيض ، فتفاوضت معه في مسائل فقهية ، وأراني شرحاً له مطولا على تأليف شيخه شهاب الدين أحمد الدردير في مديح المصطفى صلى الله عليه وسلم ، سماه (مورد الظمآن ، لشرح مولد سيد ولد عدنان) ، عادة أهل الاسكندرية أنهم يقرأون ذلك التأليف ليلة المولد، فتذاكرت معه في مواضع منه، من جملتها حديث أنا سيد ولد آدم ولا فخر، فقلت لِمَ خص صلى الله عليه وسلم ولد آدم وهو صلى الله عليه وسلم سيد آدم وولده؟فقال لي إذا كان سيد ولد آدم، وفيهم من هو أفضل من آدم كابراهيم وموسى كان أفضل من آدم بالأوْلى،وأراني هذا الجواب مكتوباً عنده بشرحه المذكور ، فقلت له : فالدليل على أن ابراهيم وموسى أفضل من آدم ، وقد خصص المفسرون البعض المفضل في قوله تعالى: (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض) بمحمد صلى الله عليه وسلم ، ووقع الاتفاق على أن المراد بالبعض في آية : (ورفع بعضهم درجات) محمد صلى الله عليه وسلم ، ويدل له حديث ، وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر ، وآية: (كنتم خير أمة أخرجت للناس) وشرف الامة بشرف متبوعها ، فاشتغـل يستدل على ذلك ، وحاصل استدلاله آيل الى تفضيل موسى فقط ، وبقوله تعالى : (اني اصطفيتك على الناس برسالتي وبكلامي) لاغير ، فقلت له : سلمنا أنهما أفضل من آدم لما في نظم الامام السيوطي المسمى بـ (الكوكب الساطع) ونصه :

يليه ابراهيم ثم موسـى ونوح والروح الكريم عيسـى
وهم أولو العزم فمرسلو الأنـام فالأنبياء فالملائك الكـرام

ويلزم من جوابه أن يكون صلى الله عليه وسلم أفضل من آدم ، فما نكتة العدول عن التصريح الى اللزوم والأول أقوى ؟ فسكت ولم يأت بجواب ، وظهر لي أن نكتة العدول المذكور التأدب مع آدم عليه السلام ، لانه أبو الأشباح ، ورأيته اعترض في شرحه المذكور على ابن حجر الهيثمي شارح الهمزية في تفضيله حواء على آمنة ، وصوب أن آمنة أفضل ، وهو اعتراض متجه ، وذكر لي انه لم يره لأحد ، وتذاكرت معه في مسألة الوجود ، هل هو عين الموجود كما نسب للاشعري أو غيره كما قاله الامام الفخر ؟ فقلت له : كيف يسوغ للأشعري أن يقول هو عينه ؟ والاشتقاق ينافيه ، وكذلك الاضافة في قولنا وجود مولانا قديم مثلا ، إذ الشيء لا يضاف لنفسه ، والمشتق منه سابق على المشتق ضرورة ، ومعاذ الله أن يجهل الأشعري أمثال هذا ، فقال لي إن الخلاف لفظي لا حقيقي ، وإن ما قاله الفخر يوافقه عليه الأشعري ، وما قاله الاشعري يوافقه عليه الرازي ، فقلت له : ما نكتة هذه المخالفة اللفظية ؟ فتوقف ، وهي مذكورة في كتب القوم ، وهي الرد على أكثر المعتزلة، إذ قالوا المعدوم الممكن قبل وجوده شيء وذات ومتقرر في نفسه في الخارج ، الا أن الممكنات قبل أن تكسى بنور الوجود مخبوءة في بيت مظلم ، ثم يفيض الله على من شاء منها نور الوجود ، فتبرز للعيان ، فللذات الموجودة عندهم تقرر قبل الوجود ، والفاعل المختار عندهم انما فعل الوجود لا الذوات .

قال البدر الزركشي : وهذا يجر بهم الى القول ، بقدم العالم الى آخر ما هو مذكور في كتب الكلام ، فلتراجع . وذكر لي أن له شرحاً على مقدمة ابن آجروم ، وله رسالة في مناسبة أبتداء البخاري بقوله : كيف كان بدء الوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ وقول الله تعالى : « انا أوحينا اليك » الى آخره ، مع قوله صلى الله عليه وسلم : « انما الاعمال بالنيات ... » وان له تأليفاً في اصطلاح الحديث سماه : « القول المستملح في علم المصطلح » ، وله حاشية على النخبة العليا ، وله تكملة لتأليف الامام الاخضري في الفقه من باب السهو ، وله حاشية على مناسك الشيخ خليل سماها « فتح الجليل » وله جزء صغير لخص فيه القدر المحتاج اليه من مناسك الحج ، وأراني جواباً حسناً أجاب عن مسألة الحبس على المعين ، هل يجوز قسمه

قسمة استغلال لأجل نحو العشرين سنة دون قسمة البتات ، أم يجوزان معا ؟ نقل فيه وحـرر أن قسمة البتات لا تجـوز ، وان وقعت فسخت ، وقسمـة الاستغلال تجوز ، وأنشدني من نظمه على لسان حال الامام مالك رضي الله عنه ما نصه :

يقول امام الدين والعلم مالـــك … لقد عدم الانصاف والجهل حالـــك
أيحسن بالانسان يزعم أنـــــه … على مذهبي وهو الفقيه المشـارك
فيتركه عمداً ويزعم أنـــــه … لنصرة دين الله حقاً يعـــارك
اينصر قولا للمخالف فتنــــة … أما حجتي تغري الذي هو حائـك ؟
يوافقني الجمهور من كل مذهـب … فيتبع قولا سد عنه المسالـــك
كذبت لعمر الله أنت أخو المـرا … فان كنت مني انني لك تـــارك
فلا خير في شخص يعطل مذهبـي … فيا صحبتي حقا أغيثوا وداركـوا

813) محمد بن المكي العمراني المراكشي

محمد بن المكي بـن الحسن بن محمد بـن عبد الرحمان العمراني المراكشي ، قاضيها بمقصورة المواسين .

كان يحفظ مختصر خليل ، وتصدر منه الفتاوي الرائقة ، وكان عدلا عام 1229 تسعة وعشرين ومئتين وألف ، وقفتُ على علامته في رسم مؤرخ بذلك ، وعلى رسم خاطب عليه مؤرخ في 10 رمضان عام 1242 . واستقضي بالصويرة عام 1245 ، كما وقفت على ما يدل على ذلك ، وأعمل رسماً مؤرخاً عام 1243 ، وكان قاضياً بمراكش من عام 1238 ، ثم عام 1250 وقفت علـى خطابه على رسم مؤرخ بذلك ، كان خيِّراً ديِّنا ، ثم أخِّر منه وذهب لفاس ، ثم رجع وولي حسبة مراكش ، وكان خطيباً بمولانا عبد الرحمان بمسجـد بريمة ، وتوفي يوم الجمعة بعد اغتساله لصلاتها بعد عام 1270 سبعين ومئتين وألف عن نحو ثمانين سنة ، وخلف من الاولاد سيدي محمد والد مولاي عبد الله ، ومولاي أحمد ، ومن البنات : زوجة شيخنا السباعي والدة أولاده مولاي أحمد ، ومولاي محمد ، والسيدة حليمة زوجة مولاي عمر ، ووقفتُ على عدة

فتاوي لعلماء مراكش في قضية رسم شهادة سماع حبس قطعية مؤرخ عام 1267 سبعة وستين ومئتين وألف أثبته سيدي الطالب ابن الحاج أولهم : سيدي محمد المطيع ، وسيدي سعيد جيمي ، ثم سيدي محمد المكي المترجم ، ثم عبد الله بن محمد العثماني .

فائدة :

قال في 2 : 179 من (الدرر البهية) ما نصه : « شرفاء دادس الباعمرانيون يرفعون نسبهم لأبي عمران ابن ادريس الامام ، ومنهم بمراكش جماعة وافرة بحومة القصور ، ولهم هناك شهرة بالشرف ، منهم : القاضي الشريف الفقيه السيد المكي بن الحسن ، والفقيه السيد المكي بن ادريس قاضي رُدانة ، ومنهم بفاس الشريفُ الوجيه ، التاجرُ النزيه ، السيد الغالي ابن الفقيه السيد أبي عزة بن عبد السلام القاطن الآن بدرب بني يعدس من عدوة فاس القرويين ، ورأيتُ نسبَ هؤلاء مرفوعا لأبي عمران في غير ما رسم ، وكذا ما بأيديهم من الظهائر السليمانية وغيرها الى هلم جراً ، على أنه لم يذكر أحد من النسابين أبا عمران في أبناء الامام ادريس ، فلعله غلط أو في عمودهم اسقاط أو تحريف ، فقد زاد العشماوي وغيره عمران في أبناء الامام أدريس ، واليه ينسب البراكنة والمغارمة ، فجدُ جميعهم هو السيد عبد الرحمان بن يوسف بن زيان بن زين العابدين بن يوسف بن حسن بن إدريس بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن حمزة بن سعيد بن يعقوب بن داوود بن حمزة بن علي بن عمران بن مولانا إدريس الأزهر ، هكذا رفعه العلامة السنوسي في كتابه (الدرر السنية ، في السلالة الادريسية) ، وكان لهؤلاء سلطنة ودولة بتلمسان ونواحيها » انتهى .

ووقفت على ظهير شريف لمولانا سليمان بن محمد مؤرخ 5 محرم عام 1238 صرح فيه بابراء الفقيه القاضي مولاي المكي بن الحسن من متروك الهالك الشريف الطيب الوزاني المتجمل فيه مئتا ريال ، وزيادة مثقالين فضة حسبما رسم في الزمام بعد حوزه لها منه على أن يدفع مثلها لورثته بالعرائش إن شاء الله ، وعلى كتاب بامضاء الوزير سيدي محمد بن ادريس مؤرخ 29 محرم

عام 1263 باذن مولانا له في الافتاء في الأحكام الشرعية بهذه الحضرة المراكشية بالمشهور من مذهب إمامنا مالك ، ووجه له بطاقة للقاضيين ليكونا على بصيرة من ذلك ، وراجع ما تقدم في ترجمة جده سيدي محمد بن عبد الرحمان .

814) **محمد البركة** الولي الصالح ، المتبرك به حيًّا وميتا ، المتوفَّى سنة احدى وسبعين ومئتين وألف بالوباء ، ودفن بروضة باب الدباغ قبلة العين الجارية هناك .

قال في (حديقة الازهار) : كان هذا الولي صاحبَ كرامات ظاهرة، وإشارات باهرة ، اتفق لي معه أني كنت مع بعض الاصحاب من الطلبة بسوق الرقيق أيام طلب العلم بالحمراء ، فانتدبنا الى زيارة الولي عبد الله الغزواني نفعنا الله ببركاته ، فمررنا بدرب هذا الولي ، فقال بعض أصحابي : تعالَ إلى زيارة سيدي الحاج البركة ، فقلت أنا لم أنوِ زيارته ، وإنما نوينا زيارة الغزواني ، فقال أهل الرفقة لا بدَّ من زيارته ، فدخلوا ، وذهبت أنا للغزواني، فبنفس ما جلست وشرعت في قراءة آيات قرآنية ، دخل عليَّ أصحابي ، فلما فرغنا من الزيارة قلت انكم عجلتم في زيارة الحاج البركة ، فقالوا وجدناه مروعَ الحال ، سألنا منه الدعاء ، فقال لنا : اذهبوا الى الغزواني ، فأعدنا عليه، وقال لنا مثل ما قال أولا ، وكان هذا الرجل صاحب أحوال يقصده العامة والخاصة للزيارة ، كشيخنا سيدي محمد الطالب بن حمدون كان يزوره كثيراً، وكان السلطان يعظِّمه ويُبجله ويقدره ، ويصبر على ما يصدر منه بحضرته . حدثني بعض أصحابه أن السلطان المذكور أرسل اليه لدار الملك فأتى فوجد أصحاب السلطان مصطفِّين ، فصار يصافحهم قبل أن يلقَى الأمير وهم خلق كثير ، والامام قائم لمصافحته ، فبدأ بمن عن يمينه حتى انتهى اليه وصار يصافح من بعده ، وقد حضر بعض الاشراف من قرابة الامير ، فقال لقد أكثر هذا ، فانتهره السلطان وقال اسكت ، وكان هذا السلطان رحمه الله له فراسة نافذة ، ونورانية ناقدة ، فانه ما تعرف لأحد من المنتسبين الا ثبتت خصوصيته ، كالشيخ أحمد بن علي الدباغ المتوفى في السنة المذكورة آنفا، بل ماتا معاً أي محمد البركة الدباغ في يوم واحد في الوباء المذكور ، ودفن الثاني بروضة باب أغمات أحد أبواب حمراء مراكش .

815) محمد الفران المراكشي

كان رحمه الله ولياً صالحا ، وعلماً واضحا ، صدرت له كرامات وتصرفات ، ولما عزل السلطان مولانا عبد الرحمان بن هشام رحمه الله الفقيه الوزير السيد العربي بن المختار عن خطبته ، وولى مكانه الفقيه سيدي محمد غريط عام 1269 طالب مؤلف خرق العوائد المترجم في أن يقبل شفاعته في السيد العربي المذكور ، فانه كان طلب منه ذلك ، فقال والله انه لا يعود اليها أبداً ، فقد جاء عندي للدار وجعل السكين في فمه ، وقبّل الارض ، فلم أقبل منه شيئاً من ذلك ، لكونه لم يحسن العبارة مع خلق الله ، فأخبرت السيد العربي بذلك ، فقال : لا حولَ ولا قوةَ الا بالله ، ثم حدث بعضُ أصحاب الشيخ سيدي قدور العلمي بما اتفق له مع المترجم في شأن الوزير المذكور بمراكش في تلك السنة أيضا ، قال ياسيدي اني أتيتك قاصداً ، فقال له وهل أتيت زائراً أو راغباً ، قال راغباً ، قال فيمن ؟ قال في فلان ، قال اخترْ واحدة من ثلاث دون تفكر ، قال وما هي ؟ قال قولُه تعالى : « ومَن يسلم وجهه الى الله » أو « فمن أظلم ممن كذب على الله » أو « اليه يردُّ علم الساعة » ، قلت « اليه يرد علم الساعة » ، قال انك من أهل الحيلة ، قال فاذهب اليه وقل له اني سآتيه في بيته ، فأتاه فجعل يرغب ويبكي بين يديه ، فقال له : أما الوزارة لا تعود اليها ، وأما غيرها سنُوليك ان شاء الله ، فكان الامر كما قال ، قد ولَاه السلطان على اخوانه شراكة وأولاد جامع حتى مات عنها ، وقد اجتمع محمد التاودي السقاط مع الجامعي المذكور بداره بمكناسة الى ان قال له إن هذا السيد الفران المذكور هو السبب في عزلي عن خطة الوزارة ، فقلت كيف ذلك ؟ قال رأيتُ ذات يوم وأنا نائم بفاس بداري التي بفندق اليهودي كأني خرجت من الدار أريد الركوب على الدابة ، فلما رفعت رجلي من الارض لأضعها في الركاب أتى اليَّ وقال لي انزل والله لا ركبتها فاني قد عزلتك ، فلما انتبهت من نومي وتفكرت في ذلك حصل لي همٌّ وغمٌّ من ذلك ، فلما وصلت مراكش مع السلطان في تلك السنة وقع بي ذلك على يده وكان هو السبب فيه ، قال التاودي المذكور في كلامه (خرق العوائد) وقد اتفق لي

مع هذا السيد المذكور كرامات عجيبة ذكرتها في كتابنا (الرحلة المشرقية)، وله سر عجيب قد اشتهر به بمراكش .

ثم قال في محل ءاخر منه بعد أن ذكر الحاج محمد بن المدني بنيس انه كان معه يوماً بمراكش ، وكان قد وجَّه عليه السلطان مولانا عبد الرحمان بن هشام اذ دخل علينا الولي الأشهر سيدي محمد الفران ، فجلس بازائي ، ثم سألني ، فقال أين هو بنيس الذي صيته في المشرق والمغرب ؟ فقلت ها هو نائم على الفراش ، فمدَّ يده اليه لينزع عنه الغطاء بعنف ، فانتزعه فانتبه بنيس من نومه فزعاً مرعوباً ، فأشرت اليه ففهم ، ثم قال السيد المذكور : أهو هذا بنيس ؟ قلت : نعم ياسيدي ، قال انما هذا بنينيس فقط ، فقلت له : هذا ما أعطى الله ، ثم التفت اليه ، فقال هات الريال فأشرت اليه ، فناوله ريال واحد ، فقال زد فزاده ، ثم قال : زد ، فزاده إلى أن دفع له عدداً ، ثم قال : هات العنبر والعود ، فمكنه منه ، ثم قال : هات السكر ، فأتى له بقالب ، فقال زد ، فزدناه إلى أن حاز ثلاثة قوالب ، ثم قال هات الطلبلة فأتى بها ، فاشتغل يعمل الأتاي دون أن يذوقه ، ثم صبَّه فناوله كأساً ولنا آخر ولمن كان حاضراً معنا هنالك . وهكذا الى أن شربنا ثلاثة كؤوس لكل واحد منا دون أن يشرب هو شيئاً منه ، ثم قام قائما فقال : بنينس كررها ثلاثاً ، وقال شرقاً وغرباً براً وبحراً جوفا وقبلة يهوداً ونصارى ومجوس وغير ذلك . والأسد يدك في جوفه قلبْه كيف شئت ، ومن له عين واحدة فليضف لها ألفاً ، وذهب لحاله .

وقد ذكرت هذه الحكاية وما وقع لنا مع هذا السيد المذكور مستوفى في كتابنا (الرحلة المشرقية) بتمامه .

ولما وصل المكي القباج لباب الخميس أحد أبواب مراكش وهمَّ بالدخول لها استقبله المترجم وقال له عند الباب المذكور ان رجال مراكش مثل الزرع في المقلى ، انك تدخل ولا تخرج ، فكان كما قال له رضي الله عنه . قال في الكتاب المذكور : وقد سمعت هذه الحكاية ممن حضرها وقتئذ ، ثم شاع ذكرها بين الناس .

ثم ان المكي المذكور مات بعد ذلك بمراكش عام 1272 .

816) مَحمد بن محمد العربي عاشور الرباطي

مَحمد فتحا بن مُحمد العربي الرُشاي بضم الراء المهملة وفتح الشين المعجمة وبعدها ألف ثم ياء عاشور الأندلسي الرباطي ، قاضي الجماعة بمراكش ، الفقيه العلامة النحرير النقاد المطلع ، وقفت على تسجيل عليه مؤرخ 1256 ثم آخر عام ثمانية وخمسين ومئتين وألف ثم آخر عام 1259 ، ثم آخر ، وولي مكانه سيدي الطالب ابن الحاج ، كان يحكم بمقصورتي المواسين وابن يوسف ، وكانت فيه حدة ، سجن العلامة سيدي محمد السليطن حيث كان يفتي بنقض أحكامه ، ويعترض عليه فيها ، ووقع بينه وبينه لجاج ، ومنعه من الفتوى ، ثم سرحه السلطان مولاي عبد الرحمان في الحين . وكان لا يقبل من العدول الا المبرزين ، واختار منهم جماعة قليلة وعزل غيرهم ، واقتصر عليهم بأمر مولوي ، وصاروا يعرفون بالعدول العاشوريين ، ومن انصافه انه كان يأتي دار مفتي الديار المراكشية سيدي عبد القادر الدباغ يستفهمه عن القضايا ، وكان والده عدلا بالرباط ، وقفت على علامته في تسجيل ثبوت نسخة على قاضيه سيدي محمد العربي بن علي القسنطيني بتاريخ واحد ومئتين وألف .

وأبو بكر بن الرشاي ذكره في (الذيل والتكملة) من أشياخ محمد بن عبد الله ابن البر الجزيري نسبة الى الجزيرة الخضراء ، وهو ليس بأبي بكر محمد بن علي بن الحسن بن علي التميمي الغوثي القيرواني المترجم فيه .

فائدة :

ذكر في (نفح الطيب) في أوائل الجزء الثاني ما نصه : كان سيدي محمد الشاطبي لا يقدم من الشهود أحداً الا عند الحاجة ، وان حصلت الكفاية فلا يقدم أحداً غير مَن حصلت به الكفاية ، ويقول الشهود هم أولياء الله ، ويرى أن جنايتهم في صحيفة مَن قدمهم ، ويقول ما أجلّ الشهادة ان كانت صفة ، وأخسَّها إن كانت خطة .

تحذير وإنذار من بدع عاشوراء بمراكش .

وقفت على الرسالة المنسوبة للمترجم القاضي محمد عاشور في بدع عاشوراء بمراكش التي ذكر في أولها السلطان مولاي سليمان ، وهي في نحو كراسين من القالب الرباعي ، وعليها خط ولد المترجم تدل على براعة منشئها وتحقيقه ، فقهاً وحديثاً ، وتضلعه اطلاعا وبحثاً ، حُبب إليّ ايراد بعض نكت منها هنا ، قال في أولها : هذا ، وان هذه رسالة حفيلة ، بالنصيحة والهداية لمن ألقى السمع وهو شهيد كفيلة ، نهج لي طريقتها ، وكشف لي حقيقتها ، سيدنا الامام الاوحد ، أمير المومنين مولانا سليمان بن مولانا محمد ، أبقاه الله عمدة للدين ، وقامعاً لاهل البدع المعتدين ، وضعتها في ردّ ما اشتهر بمراكش ليلة عاشوراء من أمور أحدثوها ، وسموها الفراجة، تشتمل على مناكر هي لهدم بنائها وقلعها من أصلها محتاجة ، وذلك كتشبه الرجال بالنساء ، وتشبه الرجال باليهود والنصارى ، وكالمحاكاة لأناس من قبيلة أو من بلد أو تجار ، أو كاتخاذ الصور ، وضرب الرجال آلات اللهو من أكوالات (1) ومزامير وغيرها ، وأخذهم بذلك أموالا من غير طيب أنفس أهلها ، بل يعطونهم اياها حماية للعرض ، وتوقياً من الضرب والشتم وسائر أنواع الاذايات . وكأخذ الكراء على تدوير الصبيان وغيرهم بالنواعير ، وما ينشأ عن ذلك من الضرر والجراحات . وعلى فضل الله وتوفيقه التعويل ، وبه الاهتداء الى سواء السبيل .

اعلم وفقنا الله وإياك لاتباع السنة أن الامور المذكورة بدع قبيحة محرمة ، والاتيان بها على وجه اللعب والهزل لا يخرجها عن الحرمة ، سيما عند مَن يرى سدّ الذرائع ، كما هو مبنى مذهب امامنا مالك رحمه الله ، فان مَن يلعب بتلك الامور قد يألفها ويتطبع بها ويستحسنها ، ويميل اليها ، وينتظر متى يصل وقتها ، فاللعبُ بالمحرم حرام ، وذكر أبو بكر بن العربي

(1) **اكوال** من أدوات الطرب بالمغرب . وشكله مستطيل من فخار أجوف يتسع من أسفل ويضيق من أعلا ، يجلد وينقر حسب ترتيب معروف ، وهو اكبر من **التعريجة** . وتتنوع اسماؤه حسب حجمه وزخرفه ورنينه . فهو **أكوال والهرازى والدعدوع ، والدربوكة** نوع منه .

في قوله تعالى : « ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب ، قــل أبالله وءاياته ورسوله كنتم تستهزءون » ؟ ان الهزل بما هو كفر يوجب الكفر اجماعا، ونصه في أحكامه لا يخلو أن يكــون ما قالوه من ذلك جدا أو هزلا ، وهــو كيفما كــان كفر ، فان الهزل بالكفر كفــر لا خلاف فيه بيــن الامة انتهى ، ونقله عنــه القرطبي في تفسيره وأقــره ، ولعل كلامهما فــي صريح الكفر ، وفي القول الذي يقتضيه ، فان هزلهما كجدهما ، وأما الفعل الذي يتضمنه كشد زنار فيأتي ان شاء الله عن ابن مرزوق أنه ان كان على وجــه الهزل واللعب فهو حــرام ولا ينتهي بصاحبه الى الكفــر ، أما تشبه الرجال بالنساء وعكسه ، ففي صحيح البخاري باب المتشبهين بالنساء والمتشبهات بالرجال ، ثم نقل كلام ابن حجر ، وحديث الجامع الصغير لعن الله الى آخره وكلام المناوي عليه، وقال بعد أن نقل عن المناوي، ولم يعزه لأحد الصحيحين، وهــو ذهول عجيب فانه في البخاري في اللباس عن ابن عباس ، والتقديم والتأخير ليس عذراً في ترك العزو له ما نصه : قلت : ولا ينهض عذرا أيضا في ترك العزو للبخارى ، ان روايته فيها اسناد اللعن الى النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي رواية غيره اسناده الى الله لأن معنى اللعن من النبي صلى الله عليه وسلم دعاؤه بلعنة الله ، فالمآل واحد . ثم نقل كلام الطبري ، وابن حجر هنا ، وفي كتاب النكاح ، ونقل عنه في حديث اللباس أنه يحرم على الرجال لبس الثوب المكلل باللؤلؤ ، ثم نقل عن المناوي في كبيره ، ثم نقل حديث الجامع الصغير : لعن الله المخنثين من الرجال ، والمترجلات من النساء ، ونسبه للبخاري في الادب المفرد ، وللترمذي ، قال المناوي : ظاهره أنه لا يوجد في أحد الصحيحين وهو ذهول ، إذ هو في أصح الصحاح الحديثية في الحدود في نفي أهل المعاصي عن ابن عباس انتهى .

وقال بعده قلت : وهو في كتاب اللباس أيضا من أصح الصحاح ، في ترجمة باب اخراج المتشبهين بالنساء من البيوت ، عن ابن عباس أيضا ، لكن في روايتيه معاً : اسناد اللعن الى النبي صلى الله عليه وسلم ، لا الى الله ، وقد علمت أن ذلك ليس عذرا في ترك العزو اليه ، وأن المآل واحد ، على أن الذي رأيته في نسخة صحيحة من الجامع الصغير الرمز بالخاء والدال منفصلين،

وهما علامة البخاري في الصحيح ، وأبي داوود ، فكأن بعضهم خلط الخاء بالدال ووصلهما ، فصارا على صورة الرمز للبخاري في الأدب المفرد ، وليس كذلك ، ثم نقل كلام العلقمي في المخنثين المأخوذ من كلام ابن حجر في النكاح ، وكلام الحطاب وغيره في الخنثي ، ثم كلام القاموس في المخ... والمصباح ، ثم ذكر نفي المخنثين ، ثم ذكر كلام الفقاء في عيبي تخنث العبد وفحولة الامة ، وأما تشبه الرجال باليهود والنصارى في هيأتهم وزيهم ، فنقل فيه كلام ابن مرزوق ، المنقول في شرح الشيخ جسوس ، وحاشية الشيخ بناني ، وكلام الحسن ابن رحال ، ثم حديث الجامع الصغير : من تشبه بقوم فهو منهم ، وكلام العلقمي عليه ، واما المحاكاة لمعين فهي من الغيبة المحرمة ، ونقل فيه كلام الاحياء ، واما اتخاذ الصور ، فذكر فيه كلام الفقهاء في أمثلة المنكر المبيح لترك اجابة دعوة الوليمة ، وصور على كجدار ، وكلام ابن حجر والأبي وغيرهما ، وحصل فيه أن الاحاديث الصحاح تفيد أن محل التشديد والوعيد فيما كان صورة حيوانية كاملة متجسدة ، وظاهر الأحاديث سواء كانت مما يطول بقاؤه ، كنحاس وحجارة وخشب ، أو لا كعجين وطين وفخار وعيدان تنكسر ، والأول هو الذي حكى فيه الاجماع على التحريم . والثاني هو محل خلاف أصبغ ابن الفرج ، ثم نقل عن القرطبي في قوله تعالى : « وتماثيل » أنه ذكر أنها صور الانبياء والعلماء ، كانت تصور في المساجد ليراها الناس فيزدادوا عبادة واجتهاداً الى آخره .

وقال بعده معترضاً على القرطبي ، ولم يثبت اباحة الصور الحيوانية في شريعة من الشرائع ، وانما أبيح لعيسى خاصة أن يصنع كهيأة الطير لمصلحة إظهار المعجزة ، وما ذكرناه عن القرطبي من استدلاله بالحديث السابق على أن التصوير كان مباحاً في ذلك الزمان فاسد ، اذ الحديث شاهد عليه لا له ، فهو من القلب ، وذلك أنه صلى الله عليه وسلم بعد ما قال : أولئك كانوا إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا ، وصوروا فيه تلك الصورة ، قال : أولئك شر الخلق عند الله ، والحديث في الصحيحين ، فدل وصفهم بأنهم شر الخلق عند الله ، على أن ذلك التصوير لم يكن جائزاً في

شرعهم ، إذ لو كان جائزاً لهم لما وصفهم بأنهم شر الخلق عند الله ، أشار اليه ابن حجر ، ثم نقل كلام الرسالة : ويكره التماثيل فيّ الأسرة والقباب والجدرات والخاتم الى آخره .

وأما ضرب الرجال أجوالات والمزامير وغيرها من الملاهي في تلك الليلة ، فلا يجوز ، ونقل فيه كلام الرسالة (ولا يحلُ لك أن تتعمد سماع شيء من الملاهي) الى ءاخره ، ثم نقل كلام زروق في شرحها ، وتسمية الدف بالبندير بالمغرب ، وقال : وما فسر به الكبر يقتضي أنه المعروف بـ : الجوال ، وبذلك صرح بعضهم في تفسيره ، وقيل هو الطبل الكبير المجلد من الجهتين ، وقد ذكر صاحب النهاية التفسيرين ، وقد مثلوا أيضاً أوقات الفرح التى تلحق بالعرس على قول بأيام العيد وقدوم الغائب والعقيقة وحفظ الولد القرآن ، وليس منها ليلة عاشوراء ، اذ ليس لها خصوصية ظاهرة .

ثم نقل عن شرح الشيخ زروق للوغليسية ما نص المراد منه : « وما وقع لبعض المباركين من السماع بهذه الآلات وغيرها محمول على أنهم فيه أصحاب حال ، وصاحب الحال له حكم المجنون في جميع الاحكام ، فيسلم له ولا يقتدى به ، وانما الفرق بينهما أن صاحب الحال ذهب عقله بمعنى رباني ، فوجب تعظيمه لأجل ذلك المعنى ، والمجنون ذهب عقله بالخيالات الوهمية ، فترك في حيز العدم ، لتعلقه بالعدم ، وقد يكون صاحب الحال ثابت الذهن ، قائما بالحجة ، لكنه فان فيما توجه له من جهة أخرى ، فتقتدي به فيما صحّ فيه اتباعه للسنة لا غير ، وان قام عليه حقٌ شرعي فالقائم به نائب عن الله ، ما لم يكن الحامل عليه هوى ، فان القائم عليه يتضرر ، لأن جانب الحق عظيم ، مَن تعرض لهتكه بنفسه تهتك ، الا أن يكون بحق في حق ، ولا أحد أغير من الله » .

وأما ما يفعلون من ذهابهم متلبسين بتلك البدع الى كل مَن له وجاهة أو غنى ليعطيهم مالا فان لم يفعل آذوه وشتموه أو ضربوه أو سلبوه بعض ملبوسه فهو حرام ، ومِنْ أكل أموال الناس بالباطل والغصب .

ثم قال : وأما ما يؤخذ على التدوير بالنواعير فممنوع أيضا ومن أكل أموال الناس بالباطل ، لأن شرط المنفعة في الاجارة أن تكون لها قيمة شرعاً ، ثم نقل كلام الفقهاء في ذلك ، ثم قال ولا شك أن التدوير لا قيمة له في الشرع ، ولا التأثر به تأثر شرعي ، بل ينشأ عنه مفاسد من الدوخة والجرح والكسر ونحو ذلك ، وما تتوقع منه مفسدة ولا مصلحة فيه واجب الترك ، كما نصوا عليه ، ويلحق بهذا البحث بيع ما لا منفعة فيه شرعية .

ثم قال عن ابن رشد ، وانما استخف الرقوم لأنها ليست تماثيل مجسدة ، والمحظور ما كان على هيأة ما يحيى ، وما يكون له روح بدليل حديث : أحيوا ما خلقتم ، والمستخف ما كان بخلافه مما لا يحيى عادة ، فالمستخف من هذه الصور لعب الجواري ، لما جاء أن عائشة كانت تلعب بها فلم ينكره عليها النبي عليه السلام ، بل كان يرسل اليها الجواري ، وكل ما كان ليس كامل التصوير ، وكل ما قل الشبه قوى الجواز ، وكل ما جاز اللعب به جاز عمله وبيعه ، قاله أصبغ في كتاب الجامع ، قال البرزلي : وعليه الآلات التي يلعب بها الصبيان كالدوامات ونحوها لا بأس بها ، وكذا ورد فيها ، وسمعت شيخنا الغبريني يفتي بجواز ذلك في حق الايتام ، قال : « يشترى لهم الدوامات والزرابيط ونحو ذلك » . وكأنه رأى أن لعب الصبيان وفرحهم بها منفعة شرعية ، وانظر هل يسلم ذلك ، وانظر هل للأيتام مفهوم ؟

ثم ذكر خاتمة في اللعب بالنرد والشطرنج وما أشبه ذلك ، ثم نقل عن الحطاب عن ابن رشد أن اللهو في العرس عمله وحضوره ليس خاصاً بالنساء ، بل يجوز للرجال أيضاً ، ومسألة من يمشي على الحبل على جبهته وآخر يمشي على جبهته خشبة ثم يركبها انسان ، ثم ختم بحكاية وعظية مزهدة في اللعب واللهو مذكورة في روض الرياحين عن بهلول ، والله الموفق للصواب ، واليه المرجع والمآب .

وبقي عليه رحمه الله الكلام على ايقاد النيران في تلك الليلة وهي من البدع التي تضمنت اضاعة المال بلا فائدة ، وهو ممنوع شرعا ، كما

تضمنت التشبه بالمجوس الذين يوقدونها ، لأنها معبودهم ، وما ذكره لي بعضهم أن أصل ذلك : أن الناس كانوا يصورون صورة قاتل الحسيـــن ، ويلقونها في النار فهو بدعة على بدعة ، وفيه التشبه أيضا بموقد نار سيدنا ابراهيم الخليل على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ، وقد نجاه الله تعالى منها في تلك الليلة المباركة ، فليحذر من ذلك كله .

817) **محمد بن أحمد أزنيط المراكشي** ، أصله من بلاد الولية الصالحة السيدة عزيزة المترجمة في (أنس الفقير) ، كان رحمه الله علامة اماما ماهراً متقناً مدرساً مفتيا من صدور علماء الحضرة من طبقة سليطن ،وكان والده علامة أيضاً ، ولما ورد بعض علماء شنجيط على المولى عبد الرحمان بمراكش وصار يتفوه بأن الحضرة خالية من الاتقان في العلم اقتضى نظر السلطان أن أمر السيد العربي الهداجي عاملها بتوجيه أحد علمائها لمذاكرته ، فوقع اختياره على المترجم ، فاجتمع به في الديوان ، وصار يذاكره الى أن أفحمه المترجم ، وسُرَّ بذلك السلطان وأنعم عليه بجائزة وافرة ، وحبس عليه العامل المذكور الدارَ التي بجوار الجزولي ، وما زالت في يد أحفاده ، أخذ عنه ولَداه : الحاج أحمد ، والحاج مَحمد فتحا ، الذي حجَّ مع والده في حياته ، وكان للمترجم مجلس حفيل بين العشاءين بجامع الجزولي يحضره الكثير من الناس ، وكان يحضره النحوي سيدي أحمد الحيوت .

توفي رحمه الله عام 1273 ثلاثة وسبعين ومئتين وألف ، وفيها ابتدأ التدريس ولده الحاج مَحمد رحم الله الجميع .

818) **محمد الطالب بن حمدون ابن الحاج السلمي**

محمد الطالب بن الشيخ سيدي حمدون ابن الحاج السلمي الفاسي الشيخ الامام العلامة ، الدراكة ، المحقق الفهامة ، المؤرخ النسابة الاكمل ، الفقيه النوازلي الانبل ، القاضي ، كان رحمه الله من أهل الفضل والدين ، بعيد الساحة عن كل ما يشين ، قال في معجم أصحاب الرضوى ، بعد ذكـــر المترجم ، كان اماماً نادرة في وقته في الجمع والتحصيل والتحرير والاجادة

مع الضبط والاتقان والانشاء الرفيع ، وعلى طريقة المتقدمين في جميع الفضائل لم يكن له في عصره مشارك في ذلك ولا مشابه ، ألف وأفاد في الفقه والحديث والنحو والتاريخ والانساب وغير ذلك ، واشتهرت تحاريره ، وأقبل الناس على النفع بها ، أدرك والده آخر عمره يقرأ صحيح البخاري والمختصر والتفسير ، ولكن لم يأخذ عنه لصغره ، وأخذ عن أخيه العلامة المحدث محمد بن حمدون .

قال في (رياض الورد) : « قرأت عليه صحيح البخاري ومسلم ، والشفا والموطأ ، والشمائل ، وألفيتي العراقي وابن مالك ، والسعد ، والمحلى ، ونصف مختصر خليل ، وخريدة والده في المنطق ، والجرومية ، وابن عاشر ، واستفدت من علومه بالمذاكرة في غالب الفنون ما وجدت بركة الانتفاع به في الدين والدنيا من وصايا ونصائح » .

وأخذ أيضا عن محمد اليازغي ومحمد بن طاهر العلوي الحسني ، وقاضي مكناس أحمد بن عبد الملك العلوي ، وقاضي فاس عبد الهادي بن عبد الله العلوي ، وادريس البدراوي ، ومحدث فاس عبد القادر بن أحمد الكوهن ، والعربي بن محمد الدمناتي ، وأبى بكر بن زيان الادريسي ، وقاضي مراكش التهامي المكناسي ، والعباس ابن كيران ، وعلي المتيوي ، وعلي بن عبد الله المتيوي ، وأخذ الطريقة الشاذلية عن العارف محمد بن محمد الحراق العلمي الموسوي ، وأخذ دلائل الخيرات عن محمد بن عبد الحفيظ القادري جد شيخنا محمد بن قاسم ، وأجازه عن شيوخه أبو محمد الكوهن ، وله مع رفيقه محمد بن عبد القادر الكردودي ألف فهرسته (امداد ذوي الاستعداد) ، وأبو حامد الدمناتي ، وقفت على اجازة لهما أيضا ، اجتمع بالشيخ محمد صالح وتبرك به واستجازه فأجازه بكل ما له ، وذلك في أواسط قعدة الحرام عام ستين ومئتين وألف ، وصافحه وشابكه ، وأخذ عنه صلاة الشيخ مُحيي الدين الطمطمية وغيرها كما رأيت جميع ذلك منقولا من خطه ، وسيأتي تفصيله بحول الله سبحانه . وللمترجم من المصنفات ما سارت به الركبان ، كحاشية شرح المرشد ، وحاشية على بحراق الصغير والأزهار الطيبة النشر ، في

المبادي العشر ، والاشراف ، على بعض مَن حلَّ بفاس من مشاهير الأشراف، ونظم الدرر واللئال ، في شرفاء عقبة ابن صوال ، الذين هم أهل بيتنا الكتاني، ألفها لابن أخت جدي الأدنى القطب محمد بن عبد الواحد قدس الله سره ، ورياض الورد ، الى ما انتهى أليه هـذا الجوهر الفرد ، يعنى أبـاه سيدي حمدون ، ذكر فيه نسبه وما يتبعه من الولادة الى الوفاة ، وهذه المصنفات كلها عندي وانتفعت بها ، وعندي مما هو بخطه الجليل : شرح علـى احياء الميت للحافظ الاسيوطي ، وبلغني أن له ثبتا جامعا سماه : روض البهار ، في ذكر جملة من مشائخنا الذين فضلهم أجلا من شمس النهار ، وعندي ورقات بخط يشبه أن يكون منه ، وَلي قضاء مراكش مدة .

قال محمد بن المعطي السرغيني في فهرسته حين ترجمه : كان حجة في العربية واللغة والمنطق والبيان والحديث والفقه ، ولي القضاء بحضرة مراكش مدة تنيف على عشرة أعوام ، فما عدت له هفوة ، والخطابة بالجامع اليوسفي ، وتصدر فيه للاقراء وبثَّ العلم ، قرأت عليه مختصر خليل إلـى كتاب اللقطة ، وشيئاً من صحيح البخاري ، وهمزية البوصيري ، ثم نقل الى قضاء الجماعة بحضرة فاس ، وحُمدت سيرته أيضا ، وحاشيته على المرشد المعين تداولها الناس في حياته وسارت بها الركبان قبل مماته، انتهى ملخصاً.

ثم بعد وفاة القاضي بفاس عبد الهادي العلوي ولي بها سنة اثنتين وسبعين ومئتين وألف ، ومات على القضاء بفاس تاسع ذي الحجة سنة 1273، فحمدت سيرته فيهما ، ولم يحفظ عنه ما يشين ، وكان بعض من لقيته مى الشيوخ يقول : انه لم يسمع بمثل عدله في الاعصار المتأخرة ، حتى أنه لما ولي بفاس جاء ناظر الاحباس بدراهم توفرت لمن كان قبله ، فأبى أشدَّ الاباية من قبولها بعد أن ألزمه شيخه وأخوه أبو عبد الله قبضها ، ولما مات لم يخلف شيئاً ، فرحم الله أولئك الناس ، دفن يوم النحر بروضة سيدي عزيز داخـل درب الطويل من فاس .

أخذ عنه من شيوخنا المحدث المعمر الفضيل بن الفاطمي الشبيهي ، شارح البخاري ، وأحمد بن الطالب ابن سودة ، والقاضي حميد بن محمد بن عبد السلام بناني وغيرهم ، ولم تتصل الرواية عنه بالاجازة العامة لكل ما يرويه الا من طريق تلميذه المعمر محمد بن أحمد بن الطيب بناني المراكشي ، وقد تأخرت وفاته جدا ، وكنت أرسلت الى مراكش مَن يأخذ لنا عنه الاجازة فلم يتيسر ، ولله الأمر من قبل ومن بعد ، انتهى .

وللمترجم شرحُ علم القافية من مقصورة والده سيدي حمدون التي عارض بها الخزرجية وشرحها في ثمانية كراريس من القالب الرباعي ، وعدد أبياتها مئة وستة وستون بيتا ، وتاريخ نظمها عام 1203 .

وترجمه في السلوة وفي الشرب المحتضر وفي حديقة الازهار .

819) **محمد بن حمدون ابن الحاج السلمي الفاسي** ، الفقيه العلامة ، الأديب المشارك ، المحدث الاريب ، الناظم الناثر ، ولد رحمه الله بفاس في نيف ومئتين وألف، وبها نشأ في حجر والده ، وقرأ القرآن وجوده على الشريف الاستاذ الصالح عبد السلام بن أحمد أخريف الحسني العلمي ، ثم شمر عن ساعد الجد في قراءة العلم على علماء العصر ، فاعتمد في العربية والفقه صهريه محمد بن عمرو الزروالي ، ومحمد بن محمد بن منصور ، والعلامة ادريس بن زين العابدين الحسيني العراقي ، واعتمد في الكلام والأصليين والبيان والمنطق والتفسير والحديث والتصوف والفقه والده سيدي حمدون ، والشيخ محمد الطيب ابن كيران حتى بلغ غاية الارب في تحقيق علوم الادب من النحو والتصريف والاشتقاق واللغة والعروض والمعاني والبيان والبديع والأصلين والمنطق ، وانفرد في علم الحديث بالحفظ والاتقان والضبط . فاتسعت بذلك عارضته ، واشتدت في العلم والعمل عنايته ، مع الدين المتين ، والسير على سنن المهتدين ، والهمة العالية ، والرتبة السامية ، وله رحمه الله مؤلفات عديدة ، منها شرح بعض الأبيات من الخمسيْن الأخيريْن من ميمية والده ، كمل به شرح والده عليها باذن منه عند وفاته ، وشرح خريدةَ والده

في المنطق سماه : بالجوهرة الفريدة ، في حل رموز الخريدة ، ونظم مختصر خليل ، ونظم توضيح ابن هشام ، وغير ذلك ، وكان له في نظم الشعر عارضة قوية ، وله في الأمداح النبوية وغيرها قصائد كثيرة ، وانتفع به خلائق .

توفي رحمه الله بعيد غروب اليوم السابع عشر من شوال الأبرك سنة أربع وسبعين ومئتين وألف ، ودفن ببيت سيدي أحمد بن العربي قريبا من وسطه أمام قبر أخيه المذكور قبله ، بينهما قبر واحد (1) .

ترجمه في رياض الورد ، الا أنه لم يذكر وفاته ، لكونه تأخر عنه ، قرأ عليه أخوه سيدي الطالب ابن الحاج صحيحي البخاري ومسلم ، والشفاء للقاضي عياض ، وموطأ الامام مالك ، وشمائل الترمذي ، وألفية العراقي في الاصطلاح ، وألفية ابن مالك بشرحي المكودي وابن هشام ، والسعد ، والمحلي ، والنصف الاول من مختصر خليل ، وخريدة الشيخ حمدون والده في المنطق بشرح الشيخ سيدي الطيب ، والاجرومية ، واستفاد من علومه بالمذاكرة .

ومن تآليفه تتميم شرح ميمية والده ، وشرح خريدته ، ومدح سلطان وقته مولاي عبد الرحمان لما فتح قصبة الشرادي بعد أن أكل هشتوكة والشياظمة بقصيدة مطلعها : فتوح في مضمنها فتوح ، وبعث بها للسلطان لحضرة فاس ، واستمطر أنواء قرائح أعلامها في قصائد في ذلك المعنى ، ولما وصلت قصائد أهل فاس ، وهي نحو الثلاثين لحضرة السلطان بمراكش ، وقرئت كلها بين يديه ، وقد أخذت بمجامع قلبه وقالبه ، وأعجب بها ، وأجازهم بنحو ألف مثقال ، حضر هناك مَن أضمر قلبه حسدا ونفاقاً وبغضا وشقاقا ، وتكلم فيها بما هي بريئة منه ، وأغرى الاديب السيد عبد الله الديماني الشنكيطي على أن قال قصيدة في ذَمّهم بأن قصائدهم ليس فيها صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وعريتْ عن التغزل ، وعن محسنات الشعر ، وأنه شغلهم عن البيان الفقه الذين يتوصلون به إلى القضاء ، وأطال في ذلك في قصيدة لامية من الطويل ، وأجابه صاحب الترجمة عن ذلك كله حتى قال له :

---

1) ما تقدم منقول من **سلوة الانفاس** 1 : 156

وما أنت إلا من فريق تشـــردوا ... وآبُوا بخسران وخسف معجـــل

وصدر بيتي الفقيه الجليل الماجد الاصيل مولاي عبد الواحد بـن سيدي محمد بن عبد الله أمير المومنين ، ووقع بينه وبين قضاة العصر شنآن ، فأنشده والده ارتجالا :

أسقط عدادك من عـــــدول ... ما دام هذا القضاء ساقـــط
قاضيك لو كان من شهـــود ... وأنت قاضيه كنت ساخـــط

دخل مراكش مرات .

820) **مَحمد غرنيط** ، المكناسي الولادة والاستيطان ، المراكشـي الوفاة والمدفن ، تلميذ سيدي قدور العلمي ، الفقيه الكاتب الطبيب الماهـر المسن البركة المرحوم ، قال في مواهب الرحمان لدى ترجمة سيدي قدور العلمي نقلا عن محمد بن المكي السوسي ما نصه : ولم أسأل الشيخ مباشرة عن شيخه لصغري حينئذ ، لأني أعلم أنه لا بد للشيخ من شيخ ، كما أنه لا بدّ للأب من جد ، فقلت له ، يعني السوسي المذكور على البديهة إلا من كـان كسيدنا عيسى وسيدنا آدم عليهما السلام وعلى نبينا الصلاة والسـلام ، فانهما لا أب لهما ، فأحرى الجد ، وأشرت له بذلك الى أن من المشايخ مَن يكون فطامه على يد رسـول الله صلى الله عليه وسلم لا يحتاج الـى شيخ ، كابراهيم الدسوقي وغيره ، ففهم وسكت رحمه الله تعالى . وقد انتفع به هذا الشيخ وكل ما كان فيه ببركته ، كالذي حدث عنه محمد غرنيط ، ويقال إن له فيه مؤلفاً خاصاً ومنظومة جيدة .

قلت أما المنظومة فرأيتها ، وبعضها عندي يزيد على الكراسة ، وهي من الرجز قال فيها :

وإن من فضل الالاه كان لـــي ... محسن عشرتي بحسن العمـــل
سايرني بحسن خلقه علـــى ... جهلي ويهديني إلى الله عـــلا
كمثل ما يفعل مع كل جليـــس ... معْه فيصبح له خير أنيـــس

الى آخره .

821) **محمد بن عبد الرحمان المراكشي** ، ولد الشيخ مولاي المهدي البدوي ، كان رحمه الله قوي الحال ، عظيم الشان ، واضح البرهان ، توثر عنه كرامات .

توفي عام 1275 خمسة وسبعين ومئتين وألف .

822) **المحمدي** الولي الشهير المعروف عند العامة بسيـ ي وهو بقرب الدرب الكبير من حومة سيدي محمد بن صالح .

823) **مُحمد بن ابراهيم السوسي**

مُحمد ضمّاً بن إبراهيم بن الحسن القاضي بن مَحمد فتحاً السوسي أصلا ، المراكشي داراً ووطناً ، جدي رحمه الله .

كان فقيهاً ، نبيهاً ، وجيهاً ، ذا خط رائق نسخ به كثيراً من الكتب الحديثية وغيرها ، تزوج الشريفة السيدة حبيبة بنت مولاي الطاهر الحسني الادريسي البوعناني ، فولد له منها والدي محمد ، وتزوج غيرها من النساء كثيراً ، ونشأ في حضانة والده السيد ابراهيم عفيفاً صيناً مشتغلا بما يعنيه ، وكانت تجري له مع قضاة مراكش نوادر عجيبة ، وإفحامات غريبة ، ينقض بها أحكامهم ، ويوجه بها لسان الملامة عليهم ، كان شعلة في الذكاء وحدة الفهم ، وحليتي تشبه حليته في كل شيء ، وكان رحمه الله صدرا في أعيان مراكش وسراتها ، محترماً عند رؤسائها وولاتها ، يُعظمون حرمته ، ويُوالون مبرته ، وممن كان له محبة في جانبه السلطان الاعظم مولانا عبد الرحمان ، ووزيره الفقيه ابن ادريس ، والرئيس السيد عبد الله بن أحمد ، والأغا السيد الطاهر بن الحاج عبد الكبير السرغيني ، وهذان كل منهما وجه إكراماً لداره بعد موته تعزية فيه ، أخبر رحمه الله بموته ، وأعلم الناس لحضور جنازته في داره بدرب الحلفاوي ، وكانت بينه وبين شريف تامصلوحت مولاي سعيد والد مولاي الحاج الشهير صداقة تامة ، فلما مات استولى على خزانته العجيبة لصغر والدي إذذاك .

وزد جده رحمه الله من قبيلته سملالة بسوس في أوائل القرن الفارط، واستعمل قاضياً على بعض أعمال مراكش ، كفروكة ، وطالت مدتـه فيها ، فنسب اليها ، وكان لا يتظاهر بالنسب السملالي رحمه الله ، ويدخره الى محل نفعه ، واقتفى أثره في ذلك أحفاده رحم الله الجميع بمنه وفضله ، ووالـده ابراهيم كان أستاذا مقرئاً امام جامع درب الجامع بحومة ضَبَشي ، وكان ينيب عنه في امامته الفقيه العدل السيد الحسن بن غزوان المعمر ، توفى بعد غلاء الخبيزة المعروف بعام عشرين في حدود عام أربعة وستين ومئتين وألف . وتوفى ولده المترجم في أواسط العشرة الثامنة من القرن الفارط ، وليس في لحيته شعرة بيضاء ، ودفن بمقبرة باب أغمات ، أخبرنـي بترجمته الفقيهان المعمران الشريف مولاي أحمد الدمناتي ، والسيد المصطفى ابن قاضـي مراكش السيد عبد القادر الحشمي وغيرهما .

ولا بأس أن نورد هنا قصيدة مشجرة ، أوائلها باسمي واسم الجد لرشاقتها وبلاغتها من انشاء العلامة الاديب سيدي أحمد سكيرج الفاسي ، سدده الله ، وهي مشجرة تضمنت أوائل أبياتها سيدي العباس بن ابراهيم المراكشي :

سما مقامك في الدنيا وفي الديـن ... ودام قدرك في عزٍّ وتمكيـــن
يابن السراة الذين جلَّ فضلهـم ... بالعلم والحلم والاحسان والديـن
دانتْ لهم فيالورى السادات وابتهجت ... دنياهم بهم بين السلاطيـــن
يجلُّ بين ذوي العلياء قدرهـــم ... لما غدوا بهجة صدر الدواويـن
إن يفتخرْ أحدٌ كان الفخار لهـم ... بما لهم من مزايا في الميادين
لهم مساكنُ في الاحسان قد قصدت ... أبوابها الاقويا مع المساكيـن
عنتْ لرتبتهم أهلُ العـلا وإذا ... أتوا إاليهم ينالوا القصد في الحين
بهم تباهى العلا وأنت بينهـم ... بدر محوط بتحسين وتحصيـن
أبنت ياسيدي العباس نهج هـدى ... للعالمين بايضاح وتبييـن
سلبت منهم باظهار الكمال نهـى ... لما تناهَى لديك سرُّ تلقيـن
به تفتقت الازهارُ وازدهـرت ... فصار في العلم من أبهى البساتين

نور الفنون به أضحى بطيب شذا | أشها إلى النفس من شمّ الرياحين
أتيتَ بالدرّ من علم ومن حكـــم | وجئتَ بالسحر في تنويع تلويـن
بهرتَ أهلَ النهى بما أتيت بـــه | من الخوارق في أحكام تدويـــن
رفعتَ فيه منارَ الحقّ فانشرحت | به الصدور على رغم الشياطيـــن
أبديتَ فيه لنا جواهراً نُظمـــت | ثمينة القدر عند كل تثميـــــن
هذا وعمرك لا أفي مدائحــــــه | ولو ملأتُ بها كل الدواويـــــن
يكفيك أن الوفا بمدحه عجـــزت | عنه الفحول وعجزي عنه يكفينـي
مَن لي بعارضة في مدحه رجحـت | فيه على غيره بها موازينــــــي
أم كيف أبلغُ ذاك وهو قلدنـــي | بفضله مناً منه توافينـــــــــي
لو قلتُ ما قلتُ كي أحصي محامده | لم أستطعْها على كل الاحاييـــن
ما ذا أقول ونطقي فيه ذو حَصَر | ولم نطق حصرَ مدح فيه يشفيني
رفعتُ شكري له يوماً ليقبلــــه | فقابلتْني أياديه تكافينــــــــي
أهدت إليّ من الوصف الجميل ثنا | وتوجتني بتاج العز في الحيـــن
كيف السبيلَ إلى الوفا بمدحتــه | والعجزعن درك ما استحقّ يكفيني
شرحت عجزي له عن الوفاء بـــه | عساه يقبل تأبيني لتأمينــــــي
ياسيدي حفِظ المولى جنابَك مــا | سما مقامُك في الدنيا وفي الدين

كان المترجم رحمه الله رائقَ الخط ، متقنَ الضبط ، نسخ به كثيراً من الكتب وصححها وأجاد في كتابتها ، منها نسخة لكتاب الامام ابن عباد في شرح الحكم نسخها عام 1263 .

بشرى عظيمة :

في ليلة تاسع عشر ربيع النبوي الانور عام ثلاثة وثلاثين وثلاثمئة وألف ، رأيت مناماً فقيهيْن من طلبة العلم بمراكش أحدهما شريف عقلتُ اسمه ، والآخر لم أعقله ، أخبراني أنهما رأيا النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال لهما إنه ــ يعنيني ــ شريف ، فقلت لهما إن والدي سيدي محمد بن محمد بن ابراهيم رحمه الله شريف محض ، أبوه سملالي ، وأمه بوعنانية ، وطالما تردد في خاطري تحقيق ذلك بواقعة منامية الى أن بشرتماني بذلك عن النبي صلى

الله عليه وسلم ، فجزاكما الله تعالى عني خيراً ، فقالا لي كفانا مجازاة عن ذلك كونُ ذلك تسبب عن رؤيتنا للنبي صلى الله عليه وسلم ، فهو فضلٌ كبير ، والله على ما نقول وكيل ، وله سبحانه المنة والطول ، وهذا كله في عالم المثال الذي أوسع وأكمل ، وحق وصدق .

قال الشيخ مولانا سليمان الحوات : ولقد أعتدّ بهذه المرائي النبوية واعتبرها غير واحد من أفاضل العلماء وأكابر الايمة المتقدمين والمتأخرين ، وعدوها من الآيات الظاهرة، والمناقب الباهرة ، انتهى نقله من (السلوة) (1).

وقال العلامة سيدي جعفر الكتاني في (الرياض الربانية ، في الشعبة الكتانية) بعد أن ساق الكلام المتقدم بحروفه ما نصه : ومَن رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقد رآه حقاً ، فان الشيطان لا يتمثل به كما في الحديث الصحيح ، وفي الحديث أيضاً انقطع الوحي فلم يبق الا الرؤيا الصالحة ، يراها الرجل أو ترى له ، وهذه منها ، فهو إخبار ممن يجب صدق خبره ، وقد ظهر مصداقها في الحين على وفق ما وعد به سيد المرسلين ، فهي إذن آية بينة لا يعدلها تسجيل حكم ولا بينة الى آخره . وراجع مطلع الاشراق، وراجعْ ما تقدم في ترجمة سيدي أحمد بن عبد الحي الحلبي ، وراجع الرحلة العياشية ، ونص رسم عدة إراثة بنت الجدة رحمها الله : يعرف كاتبه عفا الله عنه الشريف مولاي الحاج بن الطيب العلمي معرفة كافية ، ويشهد مع ذلك أنه يعلمه ، مات رحمة الله علينا وعليه عمن أحاط بميراثه ، زوجته عائشة بنت عبد الله المراكشي ، ولالّ حبيبة بنت مولاي الطاهر الادريسي ، وأولاده ، فمن الأولى : مولاي محمد ، ومولاي الطيب ، ومولاي ابراهيم ، وسيدي محمد ، وخديجة ، ومن الثانية : لالّ حاجة ، ونفيسة ، ثم ماتت لالّ حاجة عن زوجها المكي بن محمد المراكشي ، وعن والدتها المذكورة ، وعن أخيها للأم السيد محمد بن ابراهيم المراكشي ، وشقيقتها لالّ نفيسة المذكورة ، ولا يعلم وارثاً لمن ذكر أولا وآخراً سوى مَن ذكر ، وهم معروفون لديه مثل معرفة موروثهم المذكور ، عدى النساء معرفة تليق بهن ، كل ذلك في علمه ، وبه

1) سلوة الانفاس 2 : 170

قيدت شهادته مسؤولة لسائلها في عشري ربيع النبوي عام أربعة وتسعين ومئتين وألف ، وخاطب على هذا الرسم قاضي مراكش سيدي محمد بن المدني السرغيني .

فائدة :

قال في كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار ما نصه : مدينة فروجة يسمونها أفروجا بينها وبين مراكش مرحلة ، وهي في بطحاء كثيرة المياه والفواكه والخيرات ، انتهى . من نسخة خطية مكتوبة عام 1003 .

824) محمد الكبير بن ادريس العمراني

محمد الكبير بن أدريس بن محمد بن عبد الرحمن العمراني المراكشي استقضي بر'دانة في دولة المولى عبد الرحمان ، وكان عالما بالنوازل له الاطلاع فيها ، توفي عام ثمانية وسبعين ومئتين وألف ، ودفن بمقبرة باب أغمات خارج مراكش عن سن عالية تجاوز الثمانين ، وقد وقفت على شهادته عدلا مؤرخة عام أربعة وأربعين ، وأثبتها ابن عمه القاضي مولاي المكي ، وعرف بها عام خمسة وثمانين ، وخلف المترجم من الأولاد : مولاي الصالح ، ومولاي سعيد ، وسيدي محمد الكبير ، ومحمد المرتضى ، ومولاي ادريس ، وسيدي محمد الصغير العدل المفتي ، ومولاي محمد ، ومولاي علي . ومن البنات زوجة الفقيه السيد عبد القادر العبدي ،وخلف ولده محمد المرتضى التوفّى قيدَ حياته عام ستة وسبعين من الأولاد :أحمد وسليمان المترجمين في هذا الكتاب ، وشمس الدين ، ومحمد الصغير ، وخلف مولاي أحمد ، محمد الكبير ، وعبد الرحمان ، والفقيه السيد محمد المرتضَى ، وعبد السلام ، والحسن .

825) محمد بن أحمد السوسي التيوتي الرداني المراكشي ، عم السيد سعيد جيمي ، كان رحمه الله فقيهاً علامة مجتهد وقته ، ورئيس عصره ، حجة أخذ عنه ابن أخيه المذكور صحيح البخاري ورواه له عن شيخه الولي الصالح ، والقطب الواضح ، ذي التلاميذ العديدة ، والاوضاع المفيدة ، سيدي

أحمد الوزيري ، دفين ردانة ، المنتفع به حياً وميتا ، الشهير قدراً وصيتا ، شيخ سيدي الجيلاني السباعي ، عن شيخ الجماعة بفاس الشيخ التاودي ابن سودة بسنده .

وقفت له رحمه الله على الجزء الثالث من شرح البخاري بخط يده أولـه في القيام لجنـازة اليهودي ، وآخره في الحـج ، يشرح فيه الامـور الضروريات الواضحة ، وكأنه جرى فيه على ما نقله الحطاب في أول المواهب عن ابن رشد أن مَن ألف في فن يذكر كل شيء ، ولا يقول أن هذا واضـح ، ويسكت عليه .

كان المترجم رحمه الله ورعا زاهداً ، أخبرني والدي رحمه الله أنـه كان يبيت فوق المغسل بجوار سيدي محمد بن صالح بمراكش ، وجرت له أمور غريبة رحمه الله .

توفي أواخر دولة مولاي عبد الرحمان .

826) محمد السليطن السملالي

محمد المدعو السليطن ، الشريف السملالي المراكشي ، العلامـة الشهير ، كان أستاذا فقيهاً ، مقرئاً مجوّدا حافظاً للعشرين ، مدرسا مفتياً ، حيسوبياً محققا ، عدلا موثقاً ، ورعاً زاهـدا ، شيخ الجماعة بمراكش فـي القراءات ، وعنه أخذ الحساب أبو اسحاق بن يدر ، ألف تأليفا سمـاه دواء الموت وجعله كمختصر الافاريد ، اشتمـل على أدبيات ولطائف ، ونـوادر ومستملحات ، نحو كراس ونصف ، كـان ولده سيدي ياسين يستنسخـه ويهديه للناس ، وسبب تلقيبه المذكور ، أنه لما أراد أن يقدم من سوس ، وقيل له ان أهل مراكش يلقبونك ، فاختار لنفسه لقبَ السلطان ، وقال لهم هو محمد السلطان ، ثم صار يقول لهم السليطن ، وقيل إنه كان يُؤمَّر على الطلبة في وقت النزهة ، وكان يعترض في فتاويه على أحكام القاضي محمـد عاشـور ويُفتي بنقضها ، ووقـع بينه لجاج" فسجنـه ومنعه من الفتـوى ، ثم سرحه السلطان المولى عبد الرحمان في الحين ، كما أنه تخلّى عن الشهادة حيث أمر بها في قضية وامتنع .

توفي رحمه الله عن نحو المئة سنة في أواخر دولة مولاي عبد الرحمان .

827) **محمد بن العربي الحاجي** الفقيه العلامة قاضي درعة ، نزيل مراكش ، والد الفقيه سيدي محمد قاضي قصبتها .

كان أسند الايصاء على أولاده للمولى عبد الرحمان ، كتب ولده المذكور للسلطان سيدي محمد قصيدة يقول فيها :

وامننْ بحمل الوصاة والظهير كما   وشّي المقدس في التحرير أبداه

828) **محمد بن محمد غرنيط** ، الفقيه الاديب الكاتب الوزير ، قال ادريس بن ادريس في الديوان الذي جمعه لوالده ما نصه : وقال أيضاً رحمه الله ووجهها لرفيقه الفقيه الكاتب سيدي محمد غرنيط مع كسوة وكساء ، وكان ارسال ذلك في المساء :

ألا يالبيباً بل حبيباً مقرباً   وخلاً تسامى صفوة ووفاء
نتائج ودي أمهرتْك خرائداً   وأهدت اليك كسوة وكساء
وقد أطلعت أفكارُ فكري منصة   ولا غرو أن تجلّى العروسُ مساء

ولما قدم مراكش السلطان المولى عبد الرحمان سنة تسع وستين ومئتين وألف عزل لأول دخوله الوزير المختار الجامعي ، ورتب مكانه المترجم أياماً يسيرة ، ثم استوزر الفقيه الصفار .

توفي رحمه الله عام ثمانين ومئتين وألف ، ودفن بالمسجد المجاور لضريح الولي الأكبر ، سيدي علي أبي غالب بفاس (1) .

829) **محمد بن الطيب السجلماسي المراكشي** ، كان رحمه الله مؤدباً فقيها صالحاً ، صاحب جدّ ومتجر رابح ، صوّاما قواماً ، مجودا لكتاب الله عز وجل ، قيماً على التهجد به ، يعطي مخارج الحروف حقها ، ويحسن نطقها ،

1) قصر المؤلف تقصيراً كبيراً في التعريف بالوزير الصدر محمد بن محمد غرنيط ، تنظر ترجمته في **فواصل الجمان** ص 63 و **اتحاف اعلام الناس** 1 : 248

وحج بيت الله الحرام مرتين ، قرأ القرءان بالروايات السبع على الاستاذ السيد المعطي بن أحمد السرغيني المراكشي ، والد مؤلف حديقة الازهار ، قال فيها : واتفق لي معه ، أنه مرض مرة وهو بالزاوية العباسية مـن حضرة مراكش ، فذهبت لعيادته ، وأنا يومئذ بالمدرسة اليـوسفية ، فلما أردت الانصراف ، قلت له أرجو من الله ألا يكونَ بك باس على عادة عائد المريض ، فتبسم وقال لي : هل خفتَ عليّ أن أموت الآن ؟ فقلت ان الموتَ قريب من كل أحـد ، فقال لا أموت الآن في هذه البلدة ، فانه أتاني الصادق المصدوق ، وقال لـي يادفين البقيع ، فكان الامر كذلك ، فتوفى بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، سنة احدى وثمانين ومئتين وألف .

وكنت يوماً بين يديه رحمه الله أقرأ لوحيً مع أخي العلامة المقرىء سيدي المدني ببستان لنا تحت شجرة من التين ، فأتي الوالد رحمـه الله ، فجلس بازائنا بيده سبحة ، فنظر الى تلك الشجرة ، فاذا فيها غصنٌ ناعـم خرج منها وجاوزها طولا ، فقال سبحان الله ، انظر إلى هذا الغصن كيف ارتفع ارتفاعا كبيراً حتى جاوز أصله ، ثم التفت والدى رحمه الله فضرب بينَ كتفي ، وقال لي كذلك تكون ان شاء الله ، أرجو من الله أن تكون فوق رتبتي أو كلاما هذا معناه ، ثم قال : فقال المؤدب – يعني المترجم – فزت بهذا يافلان ، فاني أترقب مثل هذه الدعوة ، فقد خصَّك بها أبوك ، انتهى .

والسجلماسي نسبة الى سجلماسة ، ومن الغرائب ما ذكر صاحب تقويم البلدان أن مساحة حائط يحيط على جميع بساتينها ونخيلها يمنع غارة العرب أربعون ميلا ، انتهى .

830) **محمد بن أحمد الدكالي الغربي** ،وقفت على ظهير شريف مؤرخ في 15 رجب عام 1282 لسيدي محمد بن عبد الرحمان يخاطب ولده مولانـا الحسن جواباً عن كتابه ، وبطيه بطاقة القاضي السيد محمد بن المدني في شأن ما طلبه أهل المدارس من جعل الراتب للفقيه السيد محمد بن أحمـد الغربي ، وانه ختم معهم ألفية ابن مالك درساً ، فأمر القضاة أن يقدروا له مثل ما يقدر لامثاله من الاحباس وما قدروه نفذه له والسلام .

831) **محمد خوي بن مصطفى المجلشي** ، الفقيه الاديب ، أخذ عنه الفقيه الحاج عبد المعطي السباعي نصف رسالة ابن أبي زيد قراءة حفظ واتقان ، وجملة صالحة من الادب .

توفي بمراكش سنة 1283 .

832) **محمد بن أحمد ابن دح الازموري** ، نزيل مراكش ، كان رحمه الله شيخ الطريقة ، جامعا بين الشريعة والحقيقة ، آية في الحديث والفقه وطريق القوم ، أديباً شاعراً ، أريباً ماهراً ، جواداً سمحاً ، جزيل المعروف ، موقنا من الله بالخلف ومن رذيلة البخل مصروف ، كانت تأتيه الهدايا والصلات، فلا يقوم من مجلسه حتى لا يبقى لها بين يديه ثبات ، جعله الله نعمة ورحمة للعباد ، وانتشر صيتُه في الاقطار والبلاد ، يُلقن الناس الاوراد المختارية والناصرية ، لقي الشيخ الامام سيدي المختار الكنتي ، الخليفة وأخذ عنه ، ولقي أخاه الشيخ أحمد البكاي .

ومن شعره في تعزية شيخه المختار ، الغيث المدرار ، بعد الافتتاح :

وبعد لما سمع الأذنان ... وفاة شيخنا عظيم الشان
قطب الوجود نخبة الأخيار ... غوث العوالم أبي الأنوار
أستاذنا إمامنا النظار ... سيدنا عمدتنا المختار

الى أن قال :

ونحن بالحمد له جلَّ علا ... والشكر قد أعقبنا بما تلا
من الخليفة أبي العلاءِ ... **سيدنا أحمد البكاءِ**
بحبوحة العلم ودوحة الشرف ... ياقوتة العرفان جوهر الصدف
كهف الانام عصمة الارامل ... قطب الانام عمدة الافاضل

راجع تمامها في حديقة الازهار مع ما قاله رضي الله عنه أيام كونه في حرم ولي الله أبي شعيب السارية لما ناله من بعض ولاة الامر من الاذاية ، وبعض فوائده في الاستخارة ، وجوابه الحفيل عما كتب إليه أخوه في الله وصفيه العام الزاهد سيدي مهدي الدكالي العوني ، عما بلغه أنه يأكل من من موائد الخلفاء ، ويلبس الحرير ، ويقبل هداياهم ، وغير ذلك .

قرأ المترجم بفاس ثم بدكالة على سيدي أحمد بن ميمون السباعي ، تلميذ السيد أحمد بن التاودى ابن سودة ، وشيخ البوجمعوي المراكشي ، ولقي الشيخ عمر بن المكي الشرقي ، وأخذ عنه الاحاديث من طريق الجن ! وأجازه بالموطأ ، وكتب الحديث عن السجلماسي شارح العمل عن الحسن ابن رحال كما ذكره تلميذه سيدي ابراهيم التادلي في ما كتبه على الموطأ ، وكان له اذن في إعطاء الطرق الثلاثة ، المختارية ، وبها اشتهر ، بل هو عمودها بالمغرب ، والوزانية ، قال السيد عبد الحي الكتاني : والظن أنه أخذها عن سيدى الحاج العربي ، والناصرية والظن أنه عن أخذها عن سيدي عمر بن المكي ، أما المختارية فشدّ الرحلة من أزمور الى بلاد الصحراء بقصد أخذها عن القطب سيدي محمد بن القطب سيدي المختار الكنتي فوجده توفي ، ولعله في العشرة الخامسة فأخذها عن الشيخ سيدي المختار الخليفة ، فهطلت أسراره ، وازدانت أنواره ، وله مع الشيخ سيدى أحمد البكاي مناشدات ومراسلات شعرية مذكورة في الرحلة الحجازية للسيد عبد الحي عمه الله تعالى بلطائف الامداد ، وغالب الظن أنه أخذها عنه أيضا ، ووقع لبعض المتأخرين الجزم بذلك ، ورجع الى أزمور فشدت له الرحال من أقطار المغرب ، وشيد بها الزاوية المختارية هو والمقدم الطاهر ، وأقرأ بها العلوم الحديثية والفقهية ، وبها لقيه الشيخ محمد بن سعد التلمساني فاتح حجة عام 1255 . كما وقفت عليه بخطه في كناشه ، ومن أشهر الآخذين عنه عالم الرباط سيدي ابراهيم التادلي وأجازه عامة ، قال في اجازته لتلميذه زين العابدين بن أبي بكر البناني الرباطى لدى عدّ أشياخه ما نصه : ومنهم شيخنا الولي الصالح السيد الحاج محمد ابن دحـ الزموري ، أجازني بمكة عن شيخه سيدي عمر بن المكي بن المعطى بن الصالح صاحب الذخيرة ، عن السيد شمهروش قاضي الجان ! عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا سند أعلا من هذا السند اليوم في الدنيا كلها ، انتهى منها باللفظ ، نقله في مواهب الامتنان في صحبة قاضي الجان ، ومنهم : سيدي عبد الكبير الفاسي ، وأجازه بالطرق الثلاثة كما في معجم أصحاب الرضوى ، ومنهم : الفقيه ابن المعطى السرغيني المراكشي ، أجازه كما نقلناه في ترجمته عن فهرسته حديقة الازهار ، ومنهم

شيخنا الفقيه السباعي أجازه بالورد المختارى بأزمور وبمراكش ، وأجازنا به عنه خصوصا زيادة على الاجازة العامة التي أجازنا بها ، وسيدي محمد بن الهادى الدباغ ، المترجم في السلوة ، وهو بانى الزاوية المختارية بالعيون من فاس ، ومنهم : موقت الجامع الكبير بمكناسة الزيتون الفقيه الحيسوبي الموقت البركة سيدي الجيلاني بن عزوز الرحالي ، من ذرية سيدى رحال الكوش المتوفى بمكناسة عام 1309 ، دفين الزاوية المختارية ، ثم تلميذهما بركة مكناسة الزيتون سيدى السعيدي المنوني ، حفيد الشيخ سيدى علي بن منون شيخ سيدي محمد ابن غازي المترجم في فهرسته ، رحل إليه مرتين لأزمور ، وبركة زرهون سيدي عبد الله بن أحمد المعروف بعسيلة المترجم في الأنجم السوابق الاهلة ، وسيدي محمد بن المدني الشرقي البيضاوي المترجم فيها أيضا ، وكان الشيخ يحبه كثيرا وأعطاه لما أراد ان يسافر للحج نسخة من صحيح البخاري وضاعت له في فتنة سطات في رمضان عام 1321 ، والحاج العربي العبدوني أخذ عنه الطريقة المختارية ، وأخذها عنه الشيخ خليل بن خالد المتقدمة ترجمته في حرف الخاء .

توفي المترجم رحمه الله بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام سنة أربع وثمانين ومئتين وألف ، وقد كان انتقل اليها بقصد المجاورة، فتشرف بالدفن في البقيع ، وقبره هناك شهير ، حدثني الفقيه السيد الحاج عبد السلام اليعيشي أنه زاره عام 1280 بأزمور ، ووجده حلت به نزلة الفالج ، ودعا له بخير ، وكان بهي الصورة ، وغلبه الشيب إذذاك ، ولم يظهر عليه كبر ، وكان ممتعا بالدنيا ، فبيته بيت الرؤساء ، مجلل بالستور المعروفة بالحيطى ، وله خدم .

ومن نظمه رحمه الله

ان الكرام اذا حل الوفود بهم ... هشوا وبشوا وبالقرى لهم عجلوا
وتمموا بكمال القصد زورتهم ... وبالأماني مواليهم لهم كملوا
واستبضعوا معهم لأهلهم تحفا ... قرت بها عينهم ياحسن ما عملوا
طوبى لمن أم كعبة العطاء لكم ... ياخير بيت به الركاب قد نزلوا
وأنتم آل عين الفطر قاطبة ... أولى بذا شرفا لانكم كمل

حاشا زواركم يخيب قصدهـــــم | أو يرجعون بغير ما بكم أملـــــوا
وأنتم منبع العطا بلا كـــــذب | وفيضكم للورى يجرى بما سألـوا
بجاه جدكم المختار من مضـــر | فغنموا وفدكم وبالمنى رفلـــوا
صلى عليه الاه العرش ما سطعـت | شمس المعارف في قلوب من كملوا
وآله وصحابه الذين بـــــه | ذوي المجادة في أصل العلا حصلوا

ومن فوائد المترجم أنه سمع من والده أنه وجد مقيداً بخط سيدي الحاج أحمد ابن عاشر دفين سلا المؤلف في مناقبه (تحفة الزائر ، ببعض مناقب الولي الصالح سيدي الحاج أحمد ابن عاشر) للعالم سيدي أحمد ابن الحافي ، منسوبا أليه من شعره هذان البيتان :

سلا كل قلب غير قلبيّ ما سـلا | أيسلو بفاس والأحبة في سـلا
بها خيموا والقلب خيَّم عندهـم | فأجروا دموعي مرسلا ومسلسـلا

ووالده الفقيه العلامة القاضي السيد أحمد ابن دحّو نزيل أزمور من تلامذة القاضي أبي العباس الحكمى ، والد أبي عبد الله محمد صالح .

833) محمد بن عمر الدباغ الادريسي

محمد ابن الصالح عمر بن البركة محمد بن ادريس بن القطب مولانا عبد العزيز الدباغ الحسني الادريسي ، الشريف الجليل ، البركة الحفيل ، الفقيه الناسك المجذوب السالك الولي الصالح العارف الواضح ، الذاكر الأمجد ، كان ءاية باهرة كثير الأوراد والأذكار ، شهير الذكر ، جواداً مفضالا ، يجود بما وجد ، وربما بات طاويا ، من أهل الخير والبركة والصلاح ، معروفا بالنجابة والفضل والسماح ، فقيهاً نبيهاً معظماً وجيهاً ، كثير التهجد في الأسحار ، وإغاثة الملهوف ، قرأ شيئاً من العلوم ، ونال منها ما يقيم به الرسوم ، ثم اشتغل بعلم الاسماء حتى حصل منه ما فيه الكفاية والشفاء ، واشتهر به اشتهار النهار ، ورحل لأخذه عنه من متباعد الاقطار ، ولقي غير واحد من الأخيار، والشيوخ الكبار، وأخذ عنهم وتبرك بهم، منهم : الشيخ سيدي محمد صالح بن السيد خير الله الرضوى البخاري ، قال

في (السلوة) في ترجمة المترجم : سمعت بعض أهل الخير يثني عليه كثيرا ، والمترجم هو الذي فتح الباب للولي الكبير الموسوم بالقطبانية سيدي عبد السلام بن ريسون في علم الزيارج ، حتى توصل به لمعرفة الاسم الأعظم ، وحصل له الفتح من جهته ، فكان شيخه الذى فتح الله على يديه ، قال في (السلوة) : ويقول إنه كان من كبار الاولياء ، الا أنه كان ملامتيا ، لانه كانت تصدر منه أمور ينكر ظاهرها من الحلف بالحرام في بعض المرات ، ونحو ذلك .

وشوهدت له رضى الله عنه كرامات ، وخوارق عادات ، منها ما حدثني به بعض أصحابه أنه كان له أب يتَّجر في بلاد الروم ، وكان خائفاً عليه أن يموت هناك ، ففكر في نفسه يوما في ذلك بمحضر صاحب الترجمة ، فقال له : ما لك ؟ فقال له : ياسيدي ما بي الاّ هم أبي ، أخاف أن يموت في بلاد الروم ، قال : فاحمرت عيناه ، ووقف شعره في رأسه ، وقال لي : عليَّ الحرام لا مات والدك الاّ في بلاد الاسلام ! قال : فكان كذلك .

ومنها : أن رجلا من القواد قبض عليه السلطان بمراكش ، وكان إذذاك هو بحضرتها ، فجاء أهله اليه ، وشكوا له ذلك ، وكان ذلك يوم السبت ، وقال لهم : عليَّ الحرام لا بات في اليوم الخامس أي الذي هو يوم الاربعاء الاّ معكم طليقا ! فجاء يوم الاربعاء المذكور ، وقرب تمام النهار ، ولم يظهر لتسريحه أثر ، فجاءوا اليه ، وقالوا له : ياسيدي هذا هو اليوم الذى وعدتنا بتسريح صاحبنا فيه ، وقد انقضى ولم يظهر لتسريحه أثر ، ولا خبر ، فذهب في تلك الساعة بنفسه الى السلطان ، ولم ينفصل عنه حتى أمر بتسريحه على سبيل خرق العادة ، لأنه لم يكن يظن أن السلطان يفعل ذلك ، فسرح بعد غروب شمس ذلك اليوم ، وبات تلك الليلة مع أولاده ، كما قال رحمه الله تعالى.

ومنه كان الوباء في سنة من السنين ، وكان بعض أصحابه جالسا معه ، فقال له : ياسيدي نخاف على أنفسنا وأهلينا من الوباء ، فقال له : عليَّ الحرام لا خرج من دارنا ولا من داركم في هذا الوباء أحد ! فكان الأمرُ كما قال .

ومنها ما حدثني بــه بعض أصحابه ، قال : دفعت اليه مــرة عشرة مثاقيل ، ففرقها على من كان حوله ممن يظن الغنى ، فتغيرت في نفسي ، وقلت: لو انفقها على نفسه وأهله ومن يلوذ به من الضعفاء لكان أولى ، قال : فكاشفني في الحال ، وقال لي : قلت كذا وكذا ، أني اذا أنفقتها عليهم يأتيني الله عز وجل عوضا منها بكذا وكذا ، لعدد كثير من الدراهم ، قال ، فقلت له : اني تائب الى الله عز وجل ، وانصرفت .

وخرج مرة الى ضريح جده مولانا عبد العزيز الدباغ رضي الله عنه بهذا الخارج ، فلما وصل اليه ، ودخل قبته ، اضطجع في موضع قبره الذى هو به الآن ، ثم قال لبعض أصحابه ممن كانوا معه : اذا أنا مت فادفنوني هاهنا ، فلم يبق بعد ذلك الا نحو الثمانية أيام ، ومات رحمه الله ، وكانت وفاته بالوباء زمنه صبيحة يوم السبت خامس عشر شهر الله المحرم فاتح عام خمسة وثمانين ومئتين وألف ، ودفن داخل قبة جده المذكور .

كان المترجم رحمه الله مقامه بمراكش أكثر من فاس ، وترجمه فــي (الدرر البهية) و (الشرب المحتضر) أيضا .

834) محمد الطيب بن اليماني بن أبي العشرين الانصاري الخزرجي

الوزير الاعظم ، الهمام الاجل الأكــرم ، عصام الدولة وامامها ، ومــن بيده البيضاء زمامها ، النبيه العلامة ، المنيف المبارك ، الرئيس الوجيه ، سلالــة الأماجد من خزارج الانصار ، الذين تساوى في مدحهم الاطناب والاختصار ، بهذا حلاه في (طالعة الجيش) ، ألف العالم البارع سيدي الغالي بن سيدي محمد العمراني اللجائي تأليفا سماه (دوحة المجد والتمكين ، في نسب ووزارة العالمين ابنى عشرين) أوله :

الحمد لله الذي زيّن سماء الوزارة بدوحة المجد والتمكين إلى آخره .

ولما تكلم على المهدى بن تومرت ، نقل كلاما عن بعض المؤرخين ، ثمأحال هذا البعض قائلا : ومن أراد خبر ذلك مستوفى ، فليطالع كتاب أبي

عبيدة المراكشي ، المؤرخ المشهور ، وذكر فيه أن المترجم أجاز له عامة ، سيدي بدر الدين الحمومي ، وهو عند حفيده الاديب الحاج محمد بن الحاج ادريس بن الطيب .

وقال أكنسوس في (جيشه) : وأما الوزير الاعظم المبارك الأعز الاكرم ، الذي له في ساحة المجد أرفع المباني ، العلامة سيدي الطيب بن اليماني ، هذا السيد انتشأ في حجور السعادة والصون ، وصادف من العناية كل تأييد وعون ، فجمع له بين الرئاستين ، فتردد بين المرتبتين النفيستين ، بعد ما اقتنى من علوم الشرع ما اقتنى ، وحاز منها ما توجه اليه الاعتنا ، اتخذه السلطان المؤيد مولانا عبد الرحمان بن هشام معلماً لاولاده الكرام ، الذين خصهم الله بعناية الاعتزاز والاحترام ، فلما قدم مولانا المظفر مراهقاً من سجلماسة ، في صدر خلافة والده ، أضافه الى تربيته ونظره ، وخصه بكفالته في ورده وصدره ، فانتشا مولانا المظفر في حضانته انتشاء الدر في صوان الصدف ، وما خرج عن أخلاقه الحسان وما صدف ، حتى جمع عليه القرآن الكريم حفظا ورسما ، وأدرك غاية الكمال مسمى واسما ، وقرأ مقدمات العلوم وأمهاتها ، وأحاط بصورة النجابة من جميع جهاتها ، فلازمه بعد ذلك حتى تجلت شمس الخلافة في مشرقه ، ولاح تاج الامامة الكبرى على مفرقه ، فهو الآن قطب دائرة ملكه ، ويتيمة عقد سلكه ، بيمنه حفظ الله نظام الدولة من الانتثار ، وبوجوده تنال السلامة من الكبو والعثار ، حفظ الله سيادته ، وأدام في سماء العلا سعادته .

ومما كتبت له في بعض قدماته مع مولانا نصره الله من فاس لمراكش وكان قد طال مكثه بالغرب ما نصه :

أيها السيدُ الرفيعُ المكانَهْ ⁂ والذي عظَّم الالاهُ مكانه
أنت ياأيها الوزيرُ همام ⁂ أمَرَ المجدُ أن يكونَ فكانه
طيب الأصل والفروع زكي ⁂ أنت والله حافظ للأمانه
ليس للملك غيرك اليوم كاف ⁂ رافع بالنُّهَى له بنيانه

كلما دجت الخطوب أنـــارت — منك ما قد دجا شموس الفطانـه
قد وسعت الورى بخلق كريـم — وأبنتَ الامورَ كلَّ الابانـه
قدِمَ اليمنُ إذ قدِمتَ وجـاءت — كلَّ مَن يستعين منك الاعانـه
فهنيئاً لكم بمقدم بحـر — لافظ دره لكم وجمانـه
بحر علم من آل قيلة قـوم — نصر الدين باسهم وأبانـه
حفظ الله ذلك المجد حفظـاً — دائماً وأعزه وأعانـه

ثم قال بعد ذكر والده سيدي اليماني ما نصه :

ومآثر هـذا الوزير ومحاسنه وآثاره فـي تشييد أسباب الخير في الدولتين الهاشميتين لا تعد ، ولو ذهبنا الى تقييد ما شهدنا من ذلك بالعيان لانقضى الزمانُ قبل انقضائه ، وأفضى بنـا إلى براح الفخر وفضائه ، ولـو أفرد بالتأليف لكان بذلك حقيقاً ، وكان فعل ذلك لفاعله الى نيـل السعادة سببا وثيقا .

انتهى كلام أكنسوس .

وحدثني الاديب الحاج محمد بوعشرين حفيد المترجم أن مؤلـف الجيش المذكور ألف في ذلك تأليفين : أحدهما سماه (حسام الانتصار ، في وزارة بني العشرين الانصار) ، والثاني سماه (خمائل الورد والنسرين ، في وزارة بني العشرين) ، وأنه ذيل الاول بنحو أربع كراريس ، وأن الاصل في عشرين كراساً .

وقال في الحسام المشرفي عند ذكر شيوخ السلطان سيدي محمـد ما نصه : ثم الفقيه الوجيه امام المكرمات النبيه ، مصباح أهل زمانه ، ومفتاح قفل المشكلات بين أقرانه ، العلامة الاوّاه ، الخائف من مولاه ، أستاذ الدراية والرواية ، الحامل لألوية العلوم أدرك فيها الغاية ، مَن ألف لاجله الفتـح والتيسير وحرز الأماني ، سيدي الطيب بن اليماني ، هو والله من أيمة الدين الذين لهم الرسوخ ، ويشار اليهم بكمال المعرفة ويدعون بالشيوخ ، ومـن عز سيدنا المؤيد على والده المرحوم ورضاه عنه عيَّنه له شيخاً وأفرده به ، ليأخذَ عنه قراءات القرآن على وجهها ، ومن أجل ذلك تمسَّك سيدنا بحسن

العهد ، وجعله معه وزيرا منذ ولاه أمر الخلافة ، الى أن أظفره الله بالملك فأقره عليها ، وهذا شأن سيدنا مع كل مَن تقدمت له معه صحبة ، ولاه الولاية، ورقّاه أعلا المراتب والدرجات ، حسناً منه بالعهد ، وفي صحيح البخارى : باب حسن العهد من الايمان ، وفي ذلك من كرم طباعه ، المؤذن بكرم طباع أسلافه ، ما يعلمه العام والخاص ، وفي مثل هذا يقول القائل :

إن الكرام اذا ما أسهلوا ذكـــروا　　　مَن كان يألفُهم في الموطن الخشن

وقال في (الاستقصا) ما نصه : وفي سنة ست وثمانين ومئتيـــن وألف ، وذلك عشية يوم الخميس الرابع عشر من شعبان منها ، توفي الوزير محمد الطيب بن اليماني المدعو بأبي عشرين ، وكان سبب وفاته أنه كان به داء الحصر ، فدخل الميضأة التي بمشور أبي الخصيصات من دار السلطان بحضرة مراكش ، فيقال أن مثانته تمزقت ، فمات رحمه الله ، وحمل الى داره ، وصلي عليه بعد الجمعة بمسجد المواسين ، وحضر جنازته الجمّ الغفير ، ودفن بضريح الشيخ أبي محمد الغزواني من حومة القصور ، وكان رحمه الله ذا جد في الأمور ، ونصح للسلطان والمسلمين . انتهى .

حدثني شيخنا الفقيه السباعــي أن المترجم كان رحمه الله جامعــاً لشروط الوزارة علماً وأدبا وديانة وسياسة وخلقةً (1) .

835) **محمد سيدي الحاج** الحداد حرفة ، المراكشي ، الولي الصالح، البركة الفالح ، المكاشف المسن ، كان رحمه الله في أوائل أمره يخدم حدادا بمراكش ، ثم انتقل عنها الى فاس ، وصار يأوي فيها الى حانوت بالحفارين من فاس القرويين عن يسار الطالع لباب الجيسة ، وكان الناس يأتونه أفواجاً أفواجا للزيارة والتبرك ، ويأتونه بالأقوات ، فمنهم مَن يقبل منه ، ومنهم مَن لا ، ومنهم مَن يأكل ما يأتيه به ، ومنهم مَن لا يأكله ويتصدق به ، وكـــان يخبرهم بما في ضمائرهم ، ويكاشفهم كشفا صريحاً ، وكان ربما يقابل في

1) تنظر ترجمة الوزير الطيب بوعشرين في **فواصل الجمان** ص 71 **واتحاف أعلام الناس** 3 : 97

بعض الاحيان بعضَ زائريه بالسب ونحوه ، وربما كان الزائر المقابل بذلك من أعيان البلد من أهل العلم والدين ولا يبالي ، وكان أشيب ، طويل القامة ، ليس في رأسه عمامة ، وانما فيه طربوش أحمر بال متسخ ، وكانت الاحوال تغلب عليه في بعض الاحيان ، فلا يقدر أحد أن يأوي اليه أو يتكلم معه ، فاذا سكن حاله تكلم وربما انبسط ، وربما أخذ دلائل الخيرات ، وجعل يصلي فيه على النبي صلى الله عليه وسلم .

قال في (السلوة) أدركته ورأيته وزرته مع والدي ، وسمعت بعض الاخيار يثني عليه ويقول : انه كان من كبار الاولياء ، الا أنه كان ينحو نحو الملامتية ، ومن كراماته أنه لما قربت وفاته ، قال لبعض من كان يأوي اليه من أهل الحومة التي هو فيها أني تزوجت وأردت الدخول ، وأردت أن أعمله عندكم في داركم ببيت عمك فلان ، فقل له يأذن لي في ذلك ، فقال له : ياسيدي وبمن تزوجت ؟ فقال له ببنت السلطان ، فقال له حباً وكرامة ، ثم بعد أيام قلائل توفي ، واتفق من قدر الله ان غسل وكفن في بيت العم المذكور من غير قصد منه لذلك ، بل على سبيل الاتفاق .

وكانت وفاته رحمه الله في الخامس والعشرين من رمضان المعظم عام ستة وثمانين ومئتين وألف ، ودفن بهذا الخارج قريبا من سيدي المكي بروضته (1) .

836) محمد الطيب بن العربي الدرقاوي

محمد الطيب ، بن الولي الصالح مولاي العربي ، بن أحمد ، بن الحسين ، بن علي ، بن محمد ، بن يوسف ، بن أحمد ، بن الشيخ محمد الشهير بأبي درقة ، المتوفَّى بمراكش ، المنقول بعد اقباره بمراكش لتامسنا، بن يوسف الشريف ، بن كنون الجدّ الجامع ، وهو أبو عمران بن عبد الرحمان بن سليمان بن الحسن بن محمد بن محمد مرتين بن أحمد بن

1) **سلوة الانفاس** 3 : 135 وعفا الله عن المؤلف وعمن ينقل عنه ، ما كان أغناهما عن ترجمة هاؤلاء الحمقى والمجانين الذين لم يفيدوا دينا ولا دنيا

كنون بن أحمد بن الامام أدريس الازهر نفعنا الله به ، الدرقاوي الزروالي، أخذ أولا عن والده ، ثم بعده عن تلميذه الصالح ، المربي الناصح ، العالم العامل سيدي أحمد بن دحمان اليالصوتي ، من عقب العارف بالله تعالى سيدي عبد الوارث اليالصوتي ، المتوفى في ربيع الاول عام 1266 ستة وستين ومئتين وألف ، دفين زاويته من بني زروال ، قرب مجوط ، وبه تربى وتهذب .

كان المترجم أمياً ناسكا عابدا ، منسلخاً عن الدعوى بالكلية ، صوفيا ورعاً ، زاهدا لا يتظاهر بمشيخة ، متواضعا حسن الاخلاق ، ومن المتواتر عنه أنه لما أراد دخول مراكش عام خمسة وثمانين ومئتين وألف وخرج لملاقاته الفقراء دخل من باب آخر على حمار وحده فراراً من الشهرة ، في غاية الورع والزهد ، والتقلل من الدنيا ، فاق بذلك والده ، وأخذ عنه عالم من الخلق ، وانتفع به الكثير ، ومن مشاهير المنتمين اليه ، السيد علي بن أحمد المساري الكنوني الشريف دفين شراكة قرب سيدي العباد ، والفقيه السيد محمد ابن دحمان السلَوي ، ومولاي الحاج المغارى دفين المدينة المنورة ، وممن أخذ عنه بمراكش السيد علي بن الفضيل ، والقاضي ابن المدني السرغيني ، والفقيه التادلي ، والناسك السيد أحمد المغازلي المعتمر بسوق الغزل ، وكان يعمل في بناء الزوايا بيده ، وكذلك زاويته ببني زروال .

قال في (الاستقصا) ما نصه : وفي فجر يوم الجمعة الثامن من جمادى الأولى من السنة المذكورة ــ يعني سنة سبع وثمانين ومئتين وألف ــ توفي الولي الصالح الناسك السني محمد الطيب بن الشيخ الاشهر مولاي العربي الدرقاوي ، ودفن بمحل زاويته بآمجوط ، من بلاد بني زروال ، وكان من خيار عباد الله ، على غاية من التقوى والورع والتواضع مع الناس ، يركب الحمار ، ويلبس الجبة ، ولا يتميز عن أصحابه بشيء مع السكينة والوقار ، وعدم الخوض فيما لا يعني ، والاعراض عن زهرة الدنيا وأهلها ، رحمه الله ونفعنا به.

وما ذكره في وفاته ، قد وقفت عليه بخط ولده الخيِّر الناسك مولاي عبد الرحمان غير أنه قال : توفي في ليلة الجمعة ثامن جمادى الاولى عام 1287 ،

والفجر أخص من الليلة بل هو من النهار في عرف الشرع ، ومن الليل في عرف الفلكيين ، لأن النهار عندهم من طلوع الشمس ، وقد رثاه بقصيدة دالية الفقيه الحاج ادريس بن الفقيه الوزير سيدى محمد بن ادريس مطلعها :

سهم المنية للعيون مسدد والموت للنفس النفيسة مرصد (1)

837) **محمد التاودي بن محمد السقاط** ، بشر به والده في رؤيا رآها قبل أن يولد له بأنه يكون مباركاً ، وأنه هو الوارث له من بعده ، ثم زار مولانا ادريس فأسر رجل من الصالحين في أذنه بأن المرأة التي يتزوج في حرم سيدي أحمد الشاوى ، ثم تزوجها ، وولد له منها أولاد ماتوا ، ثم زار الشيخ محمد التاودى ودعا الله عنده أن يرزقه ولدا يعيش له ويقرأ ، فولد له المترجم فسماه باسمه وكناه بكنيته في العشرة الثالثة من القرن الثالث عشر ، وكان يطوف به والده على مقابر الصالحين ، ويحدثه بمناقبهم ، ثم قرأ على جماعة من أهل عصره ، واختلف الى جماعة من الصالحين وتبرك بهم ، ثم توفي والده سنة اثنين وأربعين بعد المئتين والألف ، ودفن خارج باب الفتوح بمطرح الاجلة .

وممن لقيه المترجم الولي العارف سيدي الحاج المختار البقالي المذكور في (الدر النفيس) للعراقي ، والشيخ سيدي عبد القادر العلمى ، ثم تزوج سنة 1246 ، ثم توجه لزيارة سيدي عبد القادر العلمي بمكناسة ، ووقعت له في طريق ذهابه اليه كرامات له ، ثم كاشفه بعد أن لقيه بأمور ، وحدث عنه بأسرار ، وأختص به ، ثم صار من أصحاب عامل فاس القائد الطيب البياز ، فسافر معه لها في سنة 1258 ، فوصلهم في الطريق كتاب شريف بخط الفقيه الوزير الاديب سيدي محمد بن ادريس متضمناً لبيتين وهما :

قد بشرت بقدومكم ريح الصبا أهلا بكم يازائرين ومرحبا
استنشقت أرواحنا أرج اللقا ياحبذا قرب الزيارة أطربا

---

1) راجعها في كناش الفقيه سيدى محمد الحسن المراكشي وعددها 30 بيتا (المؤلف)

ثم لما قبض البياز عام 1260 ووقع البحث على أصحابه نجاه الله تعالى من التبعة ، وسلم جانبه بعد الخوف والدهش ، ثم صار كاتبا مع عامل فاس القائد محمد بن الطالب الهنتيفي نحو سبع سنين، ثم حج بيت الله الحرام، وعمل رحلة ، ووعده سيدي قدور العلمي بأنه لا يتصرف فيه أحد ، وصحبه سبعة وعشرين سنة ، وتوجه للجزائر في رفقة الحاج العياشي بنيس ، والقائد عمر الزراري عام 1277 ، وزار سيدي عبد الرحمان الثعالبي ، ودخل مراكش عام 1269 تسعة وستين بعد المئتين والألف وتلاقى بالصالح سيدي محمد الفران بها ، وألف كتابا في مجلد سماه (خرق العوائد ، واستجلاب الفوائد) ذكر فيه أحواله ، وما وقع له مع الأشياخ وغيرهم ، ونقل كثيراً من كلام الصوفية في شروط التصوف ، وما يتعلق به ، وذكر كثيرا من أحوال شيخه سيدي قدور العلمي رضى الله عنه وغيره ، وفرغ من تصنيفه في عشرى صفر الخير عام 1288 ، وقفت عليه بخطه الرائق ، ثم خرج من يد ولده العربي عام 1303 ، ووقع ذكره في (رحلة الفتح المبين ، في وقائع الحج وزيارة الامي الأمين) صلى الله عليه وسلم ، من الذين سردت تآليفهم بالزاوية الكتانية بسباباط القرادين بفاس .

838) **محمد بن الحاج محمد ابن المليح الدكالي** ، المستوطن بمراكش ، وقفت على ظهير شريف محمدي مؤرخ 29 جمادى الاولى عام 1288 يخاطب ولده مولاي الحسن بأن حامله المترجم بيده صك باجازات الفقهاء ، وطلب أن يجري مجرى أهل العلم الشريف ، وعليه فاجعل عليه من الحرمة والوقار ما هو معهود لاهل العلم ، ونفذ له من الاحباس الكبرى بها ما يقبضه أمثاله من المشاهرة ، إعانة على تدريس العلم ، ويرجع في تقديرها لاجتهاد القاضيين ، وذلك بشرط الاشتغال والملازمة ، والسلام .

839) **محمد بن المكي المراكشي** ، الرجل الصالح البدر الواضح ، كان صاحب أزجال وتوسلات ، تضرع الى الله بين الظهرين الى غروب الشمس، في إجراء ماء بسقاية فأجيبت دعوته !

توفي رحمه الله في حدود الثمانين ، من القرن الثالث عشر ، ودفن بالمزارة المجاورة لضريح أبي العباس السبتي .

840) محمد القطب الذيابي

من الذيابات فرقة من دكالة كان يسكن بحومة ابن صالح من مراكش، درقاوي الطريقة ، أخذ عن مولاي العربي بن أحمد الدرقاوي ، وطلب منه أن يكون قطب الذيابات فقال لـه : أنت قطب دكالة ، فاشتهر بذلك ، وهو صاحب نوادر مستملحات ، يعتريه الجذب في بعض الاوقات ، كان ذاكرا متلون الحال ، يسافر لزيارة مولاي العربي دائما .

توفي في دولة سيدى محمد بن عبد الرحمان .

841) محمد الوزاني القدرة ، كان فقيهاً عاملا ربانيا مكاشفا نورانيا ، ملامتي القدم ، يذكر عنه كرامات ، توفي في العشرة التاسعة من القرن الثالث عشـر .

842) محمد بن ابراهيم النظيفي

محمد بن ابراهيم بن الحسن الهشتوكي المراكشي النظيفي ، مختصر العمل الفاسي ، الرباطى ، الفقيه العلامة ، المحصل الدراكة ، المشارك العارف بالفنون القديمة ، المفتي المدرس ، المؤلف البركة ، وشرح الهدية ، وألف في الجدول .

توفي في العشرة المذكورة ، وقفت على تقاريظ شرح الهدية للمترجم الصادرة من سيدي الحسن بن أحمد الصالح ، وسيدي محمد بن أحمد الكنسوسي ، والعلامة سيدي الحاج محمد بن العلامة سيدي أحمد أزنيط ، والفقيه اللوذعي الدراكة معدن العلم والعمل ، السيد محمد بن محمد الصديقي، والعالم سيدي محمد عمر السوسي الجراري ، والفقيه الأفضل السيد علي بن محمد العتابي الصنهاجي ، والفقيه السيد عبد العزيز بن عبد الرحمان المرابط، والفقيه السيد عبد الله بن محمد بن إبراهيم المراكشي ، والفقيه السيد

الحسن بن أحمد التسجدلتي ، والفقيه الطالب السيد أحمد بن عبد الوهاب الغلاوي الحوضي ، والعلامة السيد أحمد بن مبارك المراكشى دارا ومنشئاً ، والفقيه العالم المدرس في الفقه سيدى محمد بن احمد البزيوي .

843) **محمد بوجيدة** الفقيه الصوفي ، كان مثرياً ثم تزهد وتورع وتصوف ، وتجرد للعبادة الى أن لقي ربه .

توفي عام 1298 ثمانية وتسعين ومئتين وألف .

844) **محمد الأشخم** الموقت هو الذي سطر الرخامة بجامع المنصور ، كان يسكن بالقنارية بمراكش ، كان مع السلطان سيدي محمد قبل أن يتصل بالسيد عبد الرحمان العلج الآتية ترجمته ، والسيد محمد الأشحم ولده لم يدرك علم والده وانما كان يتظاهر بذلك .

845) **محمد بن علي الصنهاجي المراكشي** ، الموقت الحيسوبي المُعدل عارف بعلم الفلك وبأحكام التنجيم وتدريس الكواكب وأسرارها ، ورسم أعمال نصبة الكواكب ، وكان ساكناً ومعتكفاً بالمسجد بزاوية تاسفت بوادي نفيس عند المرابط الحاج إبراهيم بن عبد الرحمان الزرهوني ، وقرأ عليه ولده عبد الله مؤلف (رحلة الوافد ، في أخبار رحلة الوالد) تناظر مع العلامة السيد محمد المهدي التلمساني في وفق المخمس الخالي .

846) **محمد بن عبد الرحمان بن هشام العلوي** (السلطان سيدي)

محمد بن مولانا عبد الرحمان أمير المومنين الشريف الحسني العلوي ، كان سيدي محمد بن عبد الرحمان بن هشام رحمه الله (مخصوصاً) بعين الرضى من والده منذ نشأ وشب ، وكان متميزاً عن سائر إخوانه بشدة البرور بأبيه ، ومتصفا بالسكينة والوقار والصلاح والتقوى ، وسائر خصال الخير ، واستخلفه أبوه صغيرا ، فجرى على السنن الأقوم ، وحمدت سيرته ، ولما رأى منه السلطان رحمه الله مخائل النجابة والصلاح ، فوض اليه وألقى

برنام مملكته بيديه ، ولم يدخر عنه شيئاً من أمور الملك ووظائفه ، فاستلحق في أيام أبيه واستركب ، واتخذ العساكر وجند الأجناد ، وقدم وأخر ، وخفض ورفع ، وأعطى ومنع ، حتى كأنه ملك مستقـل ، وكانت العادة انه اذا كـان السلطان بمراكش كان سيدي محمد هذا بفاس أو بمكناسة ، وبالعكس ، فلما مرض السلطان رحمه الله مرض موتـه بمكناسة ، كان سيدي محمـد بمراكش ، فلم يرعه الا ورود الكتب عليه من أخيه المولى العباس ومن الوزير الصفار أن السلطان قد أشرف ووقع الاياس منه ، فنهض سيدي محمد مـن مراكش منزعجا وجد السير لعله يدرك حياة أبيه ، فلما كان ببلاد السراغنة على مرحلتين من مراكش أتصل به الخبر بوفـاة السلطـان رحمـه الله ، ثـم قدمت عليه بيعة أهل الحضرتين فاس ومكناسة ، وجميع الجيش البخارى ، وسائر أهل الحل والعقد من أعيان القبائل والبربر (1) ، فاسترجع السلطان لمصابه ، وشكر الله اذ أبقى أمر المسلمين في نصابه ، وكتب بالخبر الـى مراكش ، وبعث بالبيعة الواردة عليه ، فاجتمع أهل مراكش على طبقاتهـم بجامع الكتبيين ، وحضر عامل البلد يومئذ أحمد بن عمر بن أبي ستـة ، وقائد الجيش السوسي بالقصبة ابراهيم بن سعيد الجراوي ، وقواد الحوز من الرحامنة وغيرهم ، فقرىء كتاب السلطان سيدى محمد بن عبد الرحمان بالاخبار بموت والده ، واجتماع الناس على بيعته ، فارتفعت الاصوات بالترحم على السلطان الصائر الى عالم الرضى والرحمة ، وبالنصر لهذا الذى اختاره الله لحماية الامة ، وكتب أهل مراكش بيعتهم من إنشاء محـمـد الكنسوس ، وكذا الجيش السوسى وأهل الحوز ، وقدموا على السلطان سيدي محمـد بمكناسة مؤدين الطاعة ، داخلين فيما دخلت فيه الجماعة ، فأكرم وفادتهم ، وأجل مقدمهم ، وأفاض عليهم من الاحسان ما غمرهم ، وكان مما قيل فـي تهنئته بالملك ، قول محمد الكنسوس :

---

1) انظر نماذج من بيعات المدن والقبائـل للسلطان سيدى محمد بـن عبد الرحمان فـي **الوثائق** ج 2 ص 337 وما بعدها

وجوه الأماني حسنها متجـــــدد ومنظرها يحكيه خد مـــــــورد
قضى الحبُّ في كل القلوب بأنهــا مماليك أرباب الجمال واعبـــــد
وكم من عصيٍّ للهوى متعفـــف يفر من السود العيون ويبعـــــد
تصيَّده ظبيٌ على حين غفلـــــة مهفهف مستن الوشاحين أغيـــد
فاصبح مفقود الفؤاد مخبـــــلا وأي فؤاد عاشق ليس يفقـــــد
ولله في أسر الغرام ونهـــــره نفوس ضعاف ليلهن مسهـــد
اذا الليل أضواها تكنفها الهــوى وليس لها غير الكواكب منجـــد
وذي ظمأ بين الضلوع يجنـــــه الى رشفات للصبابة تبـــــرد
تراءى له من منحنى الجزع برقـه فظن بان الجزع ثغر منضـــــد
وتذكره تلك البروق مباســـــا عليهن مرفض الجفان معقـــــد
يراقب أسراب النجوم بمقلـــــة تقسمها شطرين نسر وفرقـــــد
ويهفو لأيام العقيق فتنثنـــــى مدامعه مثل العقيق تبـــــدد
وهل يتناهى عهد من سكن اللوى اذ العيش غض والحبائب تسعـد
وما زالت الأيام تُغري بنا النــوى وتنفى الذي نهواه عنا وتبعـــد
ولست أبالي للزمان صروفـــــه وكهفي أمير المومنين محمـــــد
خليفة رب العالمين بأرضـــــه وصارمه الشاكي الشباة المهنــد
إمام تولى الله تشييد ملكـــــه وناهيك ملكاً بالالاه يشيـــــد
وصفوة هذا الخلق من آل هاشــم وأعلا ذوي التيجان فخرا وأمجـد
وأرحبهم في العز باعاً وفي العــلا وأكثرهم في الفضل حظاً وأزيــد
أتته عروس الملك عاشقة لـــــه وكم عاشق عنها يذاد ويطـــرد
وألقت على شوق اليه زمامهـــا فطاب لها منه الجناب الممهـــد
فاصبحت الايام تزهو بعدلـــــه وتنعم في ظل الهناء وتسعـــــد
ففي بابه مأوى المكارم والنـــدى وفي بابه الخيرات تولى وتوجــد
ودولته للعز والنصر مألـــــف وحضرته للأمن واليمن موعـــد
تذل ملوك العالمين لبأســـــه وتركع مهما أبصرته وتسجـــد
له راحة في الجود ما الغيث عندهـا وما البحر والدر النفيس المقلـد

له أنعم" تأوي الى ظلها المنى — وتسحب أذيال السماح وترفد
وعزم على الخيرات ليس بسامع — مقالة مَن في المكرمات يزهد
ورأي ينير الخطب عند اعتكاره — ويفسخ ما أيدي النوائب تعقد
ووجه اذا ما لاح أيقنتَ أنه — محيا له وقت السعادة مولد
حيي كثير الابتسام مبارك — يكبر ربي أن بدا ويوحد
أهز بهذا المدح منه معاطفا — تجر ذيول الفخر ان هو يحمد
له العسكر الجرار تبرق في الوغا — صوارم منه والمدافع ترعد
يعد الى الاعداء كل كتيبة — من الرعد يحدوها الوشيج المسدد
وكل كمي كالغضنفر مغضبا — وكل صقيل وهو ماض مجرد
يبذ العدا قبل اللقاء مهابة — فصارمه يفري الطلى وهو مغمد
هو الملك المشهور بالحلم والدها — وبالعلم، والشهب الدراري تشهد
تشد لادراك الغنى عند بابه — ركائب أنضاها الدؤوب المشدد
يحدث عنه الوفد عند صدوره — أحاديث من بحر اذا البحر يزيد
الى مجده آمالنا قد تطاولت — وليس لها الا حماه المؤيد
فياملكا يحمي الرعيةَ بأسه — ويحييهم بالبذل والبذل أرغد
يدبر فيهم كل يوم مصالحا — تعود بما يرضون والعود أحمد
ويشملهم بالعدل والفضل والندا — ويصلح بالصمصام من هو مفسد
هنيئا لك الملك الجديد فانه — يدوم بحمد الله وهو مسرمد
هنيئاً لنا نحن العبيد فاننا — بسؤدد مولانا الامام نسود
ودونك ياخير السلاطين كاعبا — بديعة حسن للنهى تتودد
تدير كؤوس الراح دون تأثم — اذا هي اثناء المحافل تنشد
فلا زلت ما بين الملوك مخيرا — كما اختير ما بين المعادن عسجد

وفي هذه الايام ظهر المولى عبد الرحمان بن سليمان بن محمد، وقرب من فاس طالباً للملك، قيل ان بعض أبناء عمه بفاس ومكناسة لما توفي السلطان رحمه الله كاتبوه واستحثوه للقدوم، وواطأهم على ذلك بعض عبيد البخاري، وبعض البربر الذين بأحواز مكناسة، ولما قرب من فاس كان الفقيه محمد العربي بن المختار الجامعي يومئذ يلي أمر شراكة بها، فقام في ذلك

أحسن قيام ، وحمل الناس على الثبات والتمسك بطاعة أمير المومنين سيدي محمد بن عبد الرحمان فكان ذلك سببا في سكون هذه الفتنة ، وانحسام مادتها ، فرجع المولى عبد الرحمان بن سليمان عوده على بدئه ، وأيس من بلوغ قصده ، وأقام بزاوية العياشي عند البربر الى أن اضمحل أمره ، ولما قدم السلطان سيدي محمد رحمه الله من مراكش إلى مكناسة اجتاز بمدينة سلا ، ونزل برأس الماء في الثالث والعشرين من صفر سنة ست وسبعين ومئتين وألف ، وبعد الزوال دخل في جماعة من حاشيته ، وزار الشيخ عبد الله بن حسون ، والشيخ أحمد بن عاشر رضى الله عنهما ، ودخل البستيون الكبير ، ورأى مدافعه منصوبة على عجلات الحديد ، وكانت تغوص في الأرض اذا جرت من شدة ثقل المدافع ، فاشار بأن يفرش لها بساط من العود الجيد المحكم الصنعة والتركيب ، حتى يتأتى جريانها عليه بلا كلفة فصنعت لها كما أشار رحمه الله .

وقد كنت مدحته بقصيدة لم يبق على ذكري الآن منها إلا بيتان وهما :

حوى العلويون المعاليَ كلَّها ... وما منهم الا ذرى المجد صاعد
ولكن أمير المومنين محمد ... هو البدر في العلياء وهي الفراقد

انتقاض الصلح مع الاصبنيول واستيلاؤه على تطاوين ورجوعه عنها والسبب في ذلك

كان السبب في انتقاض الصلح مع جنس الاصبنيول أن العادة كانت جارية مع أهل سبتة من النصارى وأهل اللانجرة من المسلمين أن يتخذ كل من الفريقين محلا للحراسة على المحدة التي بينهما ، وكان النصارى يتخذون هنالك بيوتا صغارا من اللوح ، والمسلمون يتخذون اخصاصا من البردى ونحوه ، فلما كان آخر دولة السلطان المولى عبد الرحمان رحمه الله بنى نصارى سبتة على المحدة بيتاً من حجر وطين ، وجعلوا فيه علامة طاغيتهم المسماة عندهم بالكرونة ، فتقدم اليهم أهل اللانجرة وقالوا لهم لابد أن تهدموا

هذا البيت الذى لم تجر العادة ببنائه وترجعوا الى حالتكم الأولى مـن اتخاذ بيوت الخشب ، فامتنع النصارى من ذلك ، فعمد أهل الأنجرة إلى ذلك البيت فهدموه ، والى تلك الكرونة فنجسوها بالعذرة، وقتلوا منهم أناساً، وضيقوا على أهل سبتة بالغارات حتى كانوا يصلون الى السور ، فرفعوا أهل سبتة أمرهم الى كبيرهم بطنجة ، فكلم كبيرهم نائب السلطان بها وهو يومئذ محمد بن الحاج عبد الله الخطيب التطواني ، وشكا اليه ما نال أهل سبتة من عيث أهل الانجرة ، فدافعه الخطيب فلم يندفع وقال : لا بد من حضور اثني عشر رجلا منهم بطنجة ، وسماهم بأسمائهم ، ولا بد من قتلهم جزاء على فعلهم ، فعظم الأمر على الخطيب ،وربما كلم في ذلك باشدور الانجليز ، فقال له : أحضر هؤلاء المطلوبين على عين الاجناس واذا حضروا وظهر حق الاصپنيول فأنـا ضامن أن لا يصيبهم شيء ، فأعجب الخطيب ذلك وعزم عليه ، فاتصل الخبر بأهل الانجرة ، وأن الخطيب عازم على أن يكتب الى السلطان في شأن اثني عشر رجلا منهم بأعيانهم ، فمشوا الى الشريف سيدي الحاج عبد السلام بن العربي الوزاني ، وقالوا له : ان الخطيب لا ينصح السلطان ولا المسلمين ، وان كل ما قاله النصارى يساعدهم عليه حتى جسرهم علينا ، ونحن جئناك لتُعلم السلطانَ بأمرنا وتسأله ان يمدنا بالقبائل المجاورة لنا ونحن نكفيه هذا الهم ، وفي اثناء هذه المدة توفي السلطان المولى عبد الرحمان رحمه الله ، وولي ابنه سيدي محمد وقدم مكناسة ، واجتمعت كلمة أهل المغرب عليه ، فكتب له الشريف سيدي الحاج عبد السلام بأمر أهل الانجرة ، وقرر لـه مطلبهم فشاور السلطان في ذلك بعض حاشيته ، فمال الى الحرب ، وذلك كان الراجح عند السلطان ، لأنه عظم عليه أن يُمكن العدو من اثني عشر رجلا من المسلمين وفق اقتراحه واختياره يقلتهم بمحضر الملأ من نواب الأجناس ، ورأى رحمه الله ان لا يمكنه من مطلبه حتى يعذر فيه ، فاستخار الله تعالى ، وبعث خديمه الحاج محمد بن الحاج الطاهر الزبدي الرباطي الـى الخطيب بطنجة ، وأمره أن ينظر في القضية ، ويستكشف الحال ، وان لا يجنح الى الصلح الا اذا لم يجد عنه محيصا ، وكثر المتنصحون لدى السلطان ، وهوّنوا

عليه أمر العدو جداً مع أنه ليس من السياسة تهوين أمر العدو وتحقيره ولو كان هيناً حقيرا ، فوصل الزبدي الى طنجة ، واجتمع بالخطيب وفاوضه في القضية ، فوجد الخطيب جانحا الى السلم ، فأبى أن يساعده على ذلك ، وأظهر كتاب السلطان بتفويض النظر اليه في النازلة ، فتأخر الخطيب عنها ، وترك الخوض والكلام فيها ، وآخر الامر أن الزبدى انفصل مع نائب الاصپنيول على الحرب ، وذهب الى حال سبيله ، وأزال الاصپنيول سنجقه من طنجة ، وركب الى بلاده في الحين ، وكتب الزبدى الى السلطان بالخبر ، فكتب السلطان الى الثغور يخبرهم بما عقده مع الاصپنيول من الحرب ، وأمرهم ان يكونوا على حذر وأن يأخذوا أهبتهم للجهاد ، وفتح السلطان بيت المال ، وأبدأ وأعاد في تفريق المال والسلاح والكسي ، وقدم أولاد القائد المامون الزراري الى تطاون في نحو مئة فارس وخمسمئة من رماة العسكر ، فرابطوا خارج تطاون الى جهة سبتة ، ثم برز جيش الاصپنيول من سبتة في نحو عشرين ألفاً من العسكر في غاية الاستعداد وكمال الشوكة ، ونزل على طرف المحدة داخل أرضه ، وكان خروجه يوم السبت أواسط ربيع الاول سنة ست وسبعين ومئتين وألف ، فنهض اليه أهل الانجرة ومن جاورهم من قبائل الجبل ، وتسامع الناس بذلك ، فقدموا من كل جهة حتى اجتمع منهم نحو الخمسة آلاف ، وزحفوا الى العدو وقاتلوه نحو نصف شهر ، وكل يوم يقتل منه ضعف ما يقتل من المسلمين ، لأن حربه كان زحفاً بالصف ، وحربهم كان مطاردة بالكر والفر ، فلابد أن يهلك منه أكثر مما يهلك من المسلمين ، غير أنهم لم يتمكنوا من مخالطته في معسكره ، ولا من هزيمته ، لانه كان يحصن على نفسه باشبارات والمتارزات بخناشي الرمل وغيرها غاية التحصين ، ثم بعث السلطان رحمه الله أخاه الفقيه العلامة المولى العباس في كتيبة من الخيل نحو الخمسمئة فارس ، فنزل بموضع يعرف بعين الدالية قرب طنجة ، ثم بعد أيام زحف الى العدو ، فنزل بمدشر يقال له البيوت باللانجرة ، واستمر القتال بين المسلمين والنصارى على نحو ما سبق نحو العشرة أيام ، ثم انتقل المسلمون الى موضع آخر يعرف بابي كدان خوفاً من كرة العدو ودهمه اياهم ،

فكان ذلك مما جرأ العدو عليهم ، وأظهر الفشل فيهم ، وقاتلوا هنالك نحو الخمسة عشر يوماً ، ثم ان العدو اجتمع يوما وتحمل بخيله ورجله ، وزحف الى المسلمين فصدمهم بجميع قوته وشوكته ، فصبروا له ، وصدقوه اللقاء ، فردوه على عقبه ، ولما لم يستقم له ذلك جمع نفسه ذات ليلة من غير شعور من المسلمين ، وركب البحر ونزل بمحل يعرف بالفنيدق ، لأنه كان هنالك فندق قديم ، وكان العدو في تنقلاته هذه لا يفارق الساحل ليحمى ظهره بمراكبه البحرية ، وكان بين الفنيدق ومحلة المسلمين نحو ساعة ونصف ، فأشار أهل الرأي على المولى العباس بأن يتأخر قليلا لكون العدو قد ضايقه فتأخر المولى العباس بالجيش الى موضع يعرف بمجاز الحصا ، فازداد طمع العدو في المسلمين ، وظهر له ضعف رأيهم في مكائد الحرب ، وعدم ثباتهم لدى الطعن والضرب ، وكان قائد عسكر الاصبنيول يسمى أودنيل ، ووزيره المشار عليه يسمى بريم ، ورينتهم (1) يومئذ ايسابيلا الثانية ، ثم عاد المسلمون الى مطاردة العدو ومقاتلته على نحو ما أسلفنا ، فكانوا يذهبون اليه وهو بالفنيدق ، فيقاتلونه من الصباح الى المساء ، فكانوا ينالون منه وينال منهم ، وفي اثناء هذه المدة وفد جماعة من أهل تطاوين على السلطان رحمه الله بمكناسة ، فأعظموا أمر العدو وتخوفوا معرته في مالهم وأولادهم ، لأنهم كانوا قد أحسوا بشدة شوكته ، فوعدهم السلطان رحمه الله بأن يمدهم ويحامي عنهم ، ولا يدخر عنهم شيئاً من العدد والعدد حتى يعذر فيهم وفي غيرهم .

ثم ان العدو ارتحل من الفنيدق بعد نحو عشرة أيام ، وتقدم نحو تطاوين ، وكان الناس قبل هذا لا يدرون أين هو قاصد ، ولما ارتحل من الفنيدق عرفوا أنه قاصد تيطاوين ، فنزل بموضع يقال له النيگرو ، فأقام هنالك نحو ثمانية أيام ، والقتال على حاله المتقدم ، غير أن العدو كان في مادة قوية من البر والبحر ، يصل اليه من سبتة وغيرها كل ما يحتاج إليه من طعام وعلف وأرز وشعير وبقسماط وغير ذلك ، حتى أنه كان اذا ارتحل

---

1) **الرينة** كلمة اسبانية معناها الملكة

ترك من ذلك فضلة كثيرة يتعيش بها ضعفاء أهل تلك الناحية ، وكل ذلك مكيدة مقصودة عنده يظهر بها القوة والرفاهية ، وكان شذاذ المتطوعة من أهل البادية يهجمون على معسكره بالليل ويجلبون منه البغال والثيران ويصبحون بها في تطاوين وغيرها ، وكان ضعفاء العقول من العامة يستحسنون ذلك ، وينشطون له ، ويرون انهم قد صنعوا شيئاً مع أن ذلك لا عبرة به في جنب ما كان يستولي عليه العدو من الأرض ، ويتقدم به في نحر المسلمين ، وهم يتأخرون ، والحاصل ان المسلمين لم يكونوا يقاتلونه على ترتيب مخصوص ، وهيأة منضبطة ، وإنما كانوا يقاتلونه وهم متفرقون أيدي سبأ ، فاذا حان المساء تفرقوا الى محالهم في غير وقت معلوم وعلى غير تعبئة ، فكان قتالهم على هذا الوجه لا يجدي شيئاً ، وكان العدو يقاتل بالصف وعلى ترتيب محكم ، وكانت عنايته بما يستولي عليه من الأرض ، ويرى تقدمه إلى أمام وتأخر المسلمين بين يديه الى خلف هزيمة عليهم .

وقد ذكر ابن خلدون في فصل الحروب قتال أهل المغرب الذي هو المطاردة بالكر والفر وعابه فقال : وصفة الحروب الواقعة بين أهل الخليقة منذ أول وجودهم على نوعين : نوع بالزحف صفوفا ، ونوع بالكر والفر ، اما الذي بالزحف فهو قتال العجم كلهم على تعاقب أجيالهم ، واما الذي بالكر والفر فهو قتال العرب والبربر من أهل المغرب ، وقتال الزحف أوثق وأشد من قتال الكر والفر ، وذلك لان قتال الزحف ترتب فيه الصفوف وتسوى كما تسوى القداح أو صفوف الصلاة ، ويمشون بصفوفهم الى العدو قدماً ، فلذلك تكون أثبت عند المصارع ، وأصدق في القتال وأرهب للعدو ، لأنه كالحائط الممتد والقصر المشيد ، لا يطمع في ازالته ، و في التنزيل : « ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص » ، انتهى .

وما زال العدو هكذا ينتقل شيئاً فشيئاً حتى وصل الى واد يعرف بوادي اسمير ، وكان يتحرى في تنقلاته يوم السبت معتمدا في ذلك حكما نجوميا على ما قيل ، فلما احتل بآسمير صادف ريحا شرقية هاج من أجلها البحر حتى لم تقدر مراكبه أن تحاذيه قرب الساحل ، فانقطعت عنه مادة البحر ،

وطلع ماء البحر في وادي النكيرو مـن خلفه فأفعمه ، وقطع عنه المادة مـن سبتة كما طلع أيضاً في وادي أسمير من أمامه فحبسه عن العبور ، وصار العدو متوسطاً بين الواديين والبحر عن يساره ، وانقطعت عنه المواد حتى حكي بعض عسكره بعد ذلك اليوم أن الكليطة وهي خبزة صغيرة تشبه البقسماط ، كانت أول النهار تباع ببسيطة وفي آخـره بيعت بريال ، ولا وجود لها ، وأيقنـوا بالهلاك لو وجدوا من ينتهز الفرصة فيهم ، ولكن أين اليد الباطشة ؟ وبقوا على تلك الحال يومين أو ثلاثة ، ثم سكن البحر ، وانفش الواديان ، وجاءه المدد ، ولما رأى المسلمون أن العدو وصل الى ذلك المحل تقهقروا ونزلوا بمدشر القلالين بينه وبين تطاويـن نحو ساعة ، ثم ان العدو عبر الوادي مـن آخر الليل وأصبح بموضع يقال له المضيق ، وكان متطوعة الاعراب في هذه المدة على قسمين : الحازمون وأهـل الغيرة منهم يقولون لولا أنه بيـن الجبال ومتحصن بالمتارزات لفعلنا وفعلنا ، والآخرون يقول أحدهم : ما لي وللتقدم إلى هذه الشرشمة (I) وانما أهل تطاوين يقاتلون عن تطوانهم ، وأما أنا فحتى يصل اليّ لخيمتي في عبدة أو دكالة أو كلاما هذا معناه ، كأنه يعتقد انه لا تجب عليه نصرة المسلمين ، نعم الذين قاتلوا قتالا شديدا وأحسنوا للدفاع وقامـوا بالنصرة بنية خالصة ، وهمة صادقة ، هم طائفة من شبان أهل فاس ، وطائفة من أهل زرهون ، والبعض من آيت يمور ، وخصوصا الحسين المعروف بأبي ريالة منهم ، فانه أبدأ وأعاد ، وأتى بما لم يسمع إلا في زمان الصحابة رضي الله عنهم ، حكى من حضر وتواتر عنـه أنه كان معلماً براية صفراء ، وكـان يضمها الى صدره ويسددها نحو العدو ، ثم يحمل على صفهم فيخرقه حتى يأتي من خلفه ويفتك فيهم أشد الفتك ، ثم يعود ويستلب خيل العدو ، ويقودها بأرسانها ويأتي بها حتى يدفعها لمن بازائه ، وكان اذا تقدم نحو العدو يقول لمن حوله : تقدموا فانا درقتكم وأنا سوركم ، تكرر ذلك منه المرة بعد المرة ، ولما أصبح العدو بالمضيق فارق البحر ، وصعد الى تطاوين ، فدخل بيـن جبلين ، وكان في انتهاء ذلك المضيق الذي بين الجبلين من جهة تطاوين ويسمى

I) الشرشمة كلمة تطلق في العامية المغربية على المصيبة والداهية ، ولا اعرف أصلها ، يقال بالعامية : الله يعطيه شريشمة أى مصيبة

فم العليق بعض أخبية أهل فاس وغيرهم ، فصعد العدو نحوهم وبغتهم بالكور والضوبلي ، وهو يقرع طبوله حتى أعجل البعض منهم عن حمل أثقاله ، ولما وصل إلى هذا الموضع بتطاوين انزعاج كبير ، واستأنف الناس الجد والاجتهاد والقتال ، وتذامر جيش المسلمين ، وكان اليوم شديد المطر ، وقاتلوا قتالا شديدا ، وأبدأ أبو ريالة وأعاد في هذا اليوم ، هلك تحته فرسان، وأرسل له المولى العباس فرسه ، وكان يعتني به وينوه بقدره ، ويبعث الطبل يقرع على خبائه ، واصابته في هذا اليوم جراحة خفيفة ، وهلك من المسلمين والنصارى عدد كثير،قيل هلك من أهل تطاوين فقط نحو الخمسمئة،وكان الظهور في ذلك اليوم للعدو ، ومن الغد ارتحل من فم العليق وعدل يسارا الى المرسى فنزل بها ليتمكن من مدد البحر ، واستولى على برج مرتيل وما والاه كدار مرتيل التي هي الديوانة ، وبمجرد وصوله إليها حصنها باشبارات الرمل والمدافع وغير ذلك ، واتخذ بها دورا من اللوح ، وحوانيت منه ، وأقام مطمئناً، وصارت المراكب تتردد له في البحر بالأقوات والعدة والعسكر ، وجميع ما يحتاج اليه حتى استراح ثلاثة عشر يوماً ، ولم يكن في هذه المدة قتال ولا أنشبه العدو .

وفي هذه الايام ورد المولى أحمد بن عبد الرحمان في جيش بعث به السلطان من مكناسة ، ونزل بموضع يقال له فم الجزيرة بالتصغير ، وكان المولى العباس نازلا بمدشر القلالين بمحل مرتفع يشرف على ما حوله ، ولما استراح العدو وصلحت أحوال جيشه أنشب القتال ، فكان يخرج فيحوم حول المحلتين فيقاتل ويرجع ، فكان بريم دائما يكون في أول المقدمة على فرس أبيض مشهورا عندهم موصوفا بالشجاعة وجودة الرأي ، ثم ان العدو عزم على مصادمة المسلمين والهجوم على تطاوين ، فارتحل يوم السبت الحادي عشر من رجب سنة ست وسبعين ومئتين وألف ، وانكمش واجتمع ، وتقدم للقتال ، وارسل جناحا من الخيل طالعاً مع الوادي الى جهة المدينة ، وجناحا من العسكر الرجالة طالعا مع الغابة الى جهتها أيضا ، وزحف بعسكره شيئاً فشيئاً ، وهو في ذلك يرمي الكور والضوبلي ، والبغال تجر المدافع ، والجناحان ممتدان يكتنفان محلة المولى أحمد ، ولما قربا منها وكادا ينطبقان عليها فرّ من

كان بها ، وتركوا الاخبية والاثاث بيد العدو ، فاستولى عليها ونزل هنالك بعسكره وحصن عليها، وتقهقر المولى العباس بجيشه حتى نزل خلف تطاوين، وبقيت بينه وبين العدو ، وكان في تقهقره هذا قد دخل المدينة ومر في وسطها واضعاً منديلا على عينيه وهو يبكـي أسفاً على الدين وقلة ناصره ، ولمـا استقر بالمحلة مع العشى خرج اليه أهل تطاوين وشكوا إليه ما نزل بهم من أمر العدو ، واستأذنوه في تحويل أثاثهم وأمتعتهم وحريمهم الى مداشر الجبل حيث يأمنون على أنفسهم قبل حلول معرة العدو بهم ، فأذن لهم وعذرهم ، وكان قبل ذلك منع الناس من نقل أمتعتهم وحريمهم لئلا يفتنوا المسلمين ، ويجروا عليهم الهزيمة ، ولكي يقاتلوا عليها بالقلب والقالب ، فلما كان هذا اليوم وشكوا اليه أمر العدو الذى قد أطل عليهم ، ولم يبق الا أن يثب وثبة أخرى فيصير بها في وسط البلد عذرهم ، وكان العدو حين نزل بفم الجزيرة عشية ذلك اليوم ، قد أرسل أربع كورات على تطاوين فوقعت في وسط المدينة كأنه يعلمهم بأنه قد أشرف عليهم ، ولم يبق دون أخذهم قليل ولا كثير ، ولما سمع الناس كلام المولى العباس انطلقوا مسرعين الى نقل امتعتهم ، وقام الضجيج في المدينـة ، واختلط المرعي بالهمل ، وامتدت أيدي الغوغاء إلـى النهب ، وخلع الناس جلباب الحياء ، وانهار من كان هنالك من أهل الجبل والاعراب والاوباش ينقبون ويكسرون أبواب الدور والحوانيت ، والداخل للمدينة أكثر من الخارج ، وباتوا ليلتهم كذلك الى الصباح ، ولما طلع النهار وتراءت الوجوه ، انتقلوا من نهب الامتعة الى المقاتلة عليها ، فهلك داخل المدينة نحو العشرين نفسا ، وعظمت الفتنة ، وتخوف مَن بقي بتطاويـن عاجزاً عن الفرار ، فاجتمع جماعة منهم على الحاج أحمد بن علي أبعيـر أصله من طنجة ، وسكن تطاوين ، وتشاوروا فيما نزل بهم ، فأجمع رأيهم علـى أن يكتبوا كتابا الى كبير محلة العدو أردنيل يطلبون منه أن يقدم عليهم لتحسم مادة الفتنة التي هم فيها ، فكتبوا الكتاب ووجهوه مع جماعة منهم ، فما انفصلوا عن المدينة غير بعيد حتى عثروا على طلائـع العدو يطوفون حول المدينـة ويحرسون محلتهم ، فتسابقوا اليهم ، وهشوا وبشوا ، وسألوهم ما الذي أقدمكم ؟ فقالوا جئنا بكتاب الى أردنيل فابلغوهم اليه ، فاظهر أيضاً البشر

والفرح ، وقدم اليهم طعاما من الحلوى ، وقال لهم في جملة كلامه : أني أفعل معكم ما لم يفعله الفرنسيس مع أهل الجزائر وتلمسان ، يعني من الاحسان ، وكذب خذله الله ، فان ذلك من حيله التي يستهوي بها الأغمار ، ويفسد بها الدين ، وإلا فأي إحسان فعله الفرنسيس مع أهل الجزائر وتلمسان ؟ ألسنا نرى دينهم قد ذهب ؟ وأن الفساد قد تمّ فيهم وغلب ؟ وان ذراريهم قد نشأوا على الزندقة والكفر الا قليلا ، وعما قريب يلحق التالي بالمقدم ، والله تعالى يحوط ملة الاسلام ، ويكسر بقوته الزنادقة وعبدة الاصنام .

ولما عرضوا على العدو الدخول إلى بلدهم، قال لهم أما اليوم فيوم الأحد، وهو عيد النصارى ، ولا يحل لي التحرك والانتقال ، واما غدا فانتظروني في الساعة العاشرة من النهار ، فرجعوا إلى أهلهم وأصحابهم وأعلموهم بمقالة العدو، والحال ما حال والتقال مازال، وأبواب الحوانيت تكسر ، والدور تخرب، والقوي يأكل الضعيف ، وباتوا ليلة الاثنين كذلك ، وأصبحوا من الغد كذلك ، ثم ان العدو استعد وأخذ أهبته ، وتقدم إلى تطاوين بعد أن فرق عسكره على جهتين ، فرقة مرت مع أردنيل على الجبانة قاصدة الباب الذي يُفضي إليها ، وفرقة ذهبت مستعلية الى جهة القصبة والبرج ، ولما وصل أردنيل الى الباب وصل الآخرون الى القصبة ، فأما أردنيل فوجد الباب مغلقا ، وكلمه المسلمون من داخل المدينة فأمرهم بالفتح ، فقالوا ان المفاتيح قد ذهبت في الفتنة ، فقال اكسروا الأقفال فكسروها ودخل ودخل معه كبراء عسكره ، فتوجه هو إلى دار المخزن ، فنزل بها ، وافترق كبراء العسكر في المدينة ، بأيديهم ورقات مكتوب فيها أسماء الدور التي ينزلون بها كل واحد بداره مكتوبة في ورقته ، فكان أحدهم يسأل عن دار الرزيني ، وآخر يسأل عن دار اللبادي ، وآخر يسأل عن دار ابن المفتي ، وهكذا بحيث دخلوا على بصيرة بأمر البلد ، ودور كبارها ، فاستقر كل واحد منهم في داره التي عينت له .

وأما الذين ذهبوا نحو القصبة ، فانهم لما وصلوا الى السور أنشبوا فيه سلاليم من ثمن غلاظ برؤوسها مخاطيف معوجة ، وتسلقوا فيها بسرعة ، ولما صاروا في أعلا البرج ، رفعوا سنجقهم في أعلا الصارى ، وأخرجوا عليه

مدفعا ، ولما سمع المشتغلون بالنهب والقتل حسّ المدفع رفعوا رؤوسهم الى البرج ، وبمجرد ما وقع بصرهم على بنديرة العدو تلوح خرجوا على وجوههم فارين كالنعم الشارد ، فالامر لله ، ولا حول ولا قوة الا بالله ، وأسفا على الدين وأهله .

ولما استقر العدو بالبلد ، رتب حكامها ، وكف اليد العادية عنها ، وولى على المسلمين الحاج محمد أبعير المذكور آنفاً ، وكان دخوله إلى تطاوين واستيلاؤه عليها ضحوة يوم الاثنين الثالث عشر من رجب سنة ست وسبعين ومئتين وألف ، ورثاها الاديب الشريف السيد المفضل أفيلال بقصيدة يقول فيها :

يادهر قل لي على مه — كسرت جمع السلامه
نصبته للدواهي — ولم تخف من ملامه
خفضت قدر مقام — للرفع كان علامه
ملكته لاعاد — ليست تساوي قلامه
فالدين يبكي بدمع — يحكيه صوب الغمامه
على مساجد أضحت — تباع فيها المدامه
كم من ضريح ولي — تلوح منه الكرامه
علق فيه رهيب — صليبه ولجامه
ومنزل لشريف — وعالم ذي استقامه
صار كنيفا لعلج — ولم يراع أحترامه
وكم وكم من أمور — للدين فيها اهتضامه
تبكي عليها عيون — كآبة وندامه

* * *

تطوان ما كنت الا — بين البلاد حمامه
أو كخطيب تَردّى — من بعد لبس العمامه
بل كنت روضا بهيجا — زهرك أبدى أبتسامه

أو كمحيا عـــــــروس ... علاه في الخد شامـــــه
فقت بهاء وحسنـــــا ... فاسا ومصر وشامـــــه
رماك بالعين دهـــــر ... ولا كزرقا اليمامـــــه
ففرق الأهل حتـــــى ... لم يبق الا ارتسامـــــه
ما كان أحلى زمانـــــا ... وما ألذّ غرامـــــه
مضى لنا مع بـــــدور ... ذوي نهى وفخامـــــه
ما بين إنشاد شعـــــر ... وبين إنشا مقامـــــه
وشملنا في التئـــــام ... والبسط يهوى التئـــــامه
حن السرور اليـــــه ... شوقاً ورام التثامـــــه
ساعده السعد حتـــــى ... نال المنى ومرامـــــه
ياحسنها من ليـــــال ... لو لم تصر كالمنامـــــه

* * *

تطوان يادار أنـــــس ... وخيس أهل الزعامـــــه
هل للوصال سبيـــــل ... فالهجر أكمل عامـــــه
والقلب ذاب اشتياقـــــا ... وحسرة واستهامـــــه
والوجد أضعف جسمـــــا ... وكاد يبدي عظامـــــه

* * *

ياأهل تطوان صبـــــرا ... فما لخطب إدامـــــه
دوام حال محـــــال ... وهل لظل اقامـــــه ؟
ان غاب نجم سعـــــود ... ولاح نجم شآمـــــه
فسوف يطلع بـــــدر ... سناه يمحو ظلامـــــه
فاعتصموا برجـــــاء ... وارعوا بصدق ذمامـــــه
وحسنوا الظن تنجـــــوا ! ... دنيا ويوم القيامـــــه
وفوضوا الأمـــــر لله ... يكف عنا انتقامـــــه
ما فاز إلاّ ذكـــــيّ ... قدم خيراً أمامـــــه
حيث أقامه يرضـــــى ... ولو بقصر كتامـــــه
ولا يزل ذا انتظـــــار ... في كل وقت ختامـــــه

يراقب الله سـرا وجهرة باستدامه
يطلب حسن ختـام وحل دار المقامه

ثم إن أودنيل بعد أن رتب الحكام بتطاوين عاد إلى محلته ، وقسم عسكره قسمين ، وأنزله مكتنفا للبلد شرقاً وغرباً ، واختار منه عشرة ءالاف فأدخلها المدينة ، وبقي هو خارجاً باحدى المحلتين ، يقال إن جيشه كان يوم دخل تطاوين سبعين ألفاً ، كلها مقاتلة في غاية الاستعداد وكمال الشوكة ، ثم أمر بالنداء في البلد ، أن من أوقد نارا تلزمه العقوبة الشديدة ، حذرا من أن يكون هناك مينا للمسلمين أو ما أشبهها ، فبقي الناس على ذلك نحو أربعة أيام لم يوقدوا فيها نارا ، ونادى أيضا أن مَن فرَّ من أهل البلد ولم يأت إلى متاعه وأصله الى سبعة أيام فلا شيء له بعد ، ولم يقدم شيئاً على نقل البارود والمدفع الذى كان للمسلمين بالمدينة ، فاما المدفع فحمله الى اسپانيا ، واما البارود فجعله بضريح ولي الله تعالى سيدي السعيدي ، وكذا فعل بجميع آلات الجهاد . ثم عمد الى ضريح سيدي عبد الله البقال ، فجعله كنيسة وجعل مسجد الباشا مختزنا للأرز والشعير ، ومسجد القصبة مختزنا للكليط ، ثم سار في المسلمين بالتوقير الاحترام ، ولم يسمهم خسفا ولا كلفهم شغلا ، ولا اقتضى منهم مغرما كان يتألفهم بذلك ، ومن باع منهم شيئاً أضعف له في الثمن واربحه ، وكذا فعل مع أهل المداشر الّذين حول البلد حتى اتخذ الناس سوقاً يعرف بكدية المدفع خارج تطاون ، وشاع خبره في قبائل الجبل ، فانهاروا عليه من كل جانب ، وربحت الناس فيه ، ثم كتب اردنيل كتبا وبعث بها الى قبائل الجبل يعدهم ويمنيهم ان قدموا عليه ، وخالطوه بالبيع والشراء ، ويتوعدهم أن لم يفعلوا ، فقدموا من كل أوب ، وارتفعت الاسعار ، فزادت ضعف ما كانت عليه وأكثر ، واستمرت كذلك فلم ترجع بعد ، ثم أخذ في ترتيب بناء المدينة ، وتبديل شكلها حسبما جرت به عادة النصارى في مدنهم ، فهدم ما لم يوافق نظره ، وفرز الدور من سور البلد ، وكل دار كانت ملتصقة بالسور فصلها عنه ، واستمر على هذا الحال نحو العشرين يوماً ، ثم دار الكلام بينه وبين المولى العباس في الصلح ، وتسامع الناس به ففرح

المسلمون والنصارى معاً ، أما المسلمون فوجه فرحهم ظاهر ، واما النصارى فانهم وان كان لهم الظهور ، فهم لا يدركونه سهلا ، بل مع القتل العظيم والجرح الكثير والمشقة الفادحة ، قال تعالى : « ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون » هذا الى مفارقة بلادهم التى ألفوها ، وعوائدهم التى ربوا عليها لا سيما عامة جيشهم الذين الغلبة في ضمن هلاكهم، فدماؤهم هي ثمنها كما قيل : « بجبهة العَيْرِ يُفدَى حافرُ الفرس » .

وحكى من حضر أن عسكر النصارى لما سمعوا بتناول الصلح حصل لهم من الفرح أضعاف ما حصل للمسلمين ، وصاروا يترددون إليهم ، ويبحثونهم عما تجدد من الاخبار ، وكلما سمعوا بشيء من أمر الصلح طاروا فرحا ، وذلك لأن قتال النصارى كله على الاكراه ، اذ لا يمكن عسكريا منهم أن يفر من الزحف حال القتال ، لان الخليفة والسيافة من ورائهم يذمرونهم الى الامام ، ومهما رجع أحد منهم الى خلف وترك في الصف فرجة ضربت عنقه في الحين ، فالموت عندهم في الفرار محقق وفي التقدم مظنون ، فيختارون المظنون على المحقق ، اللهم الا اذا اشتدت الحرب وحمى الوطيس ، واختلط الرجال بالرجال ، أمكن الفرار حينئذ لاشتغال الرئيس والمرؤوس كل بنفسه ، وبهذا الضبط لم تتفق لهم هزيمة منذ أن خرجوا من سبتة ، ومن عادة العدو في الحرب : أنه اذا نهض للقتال ، ارتحل بجميع ما في عسكره كأنه مسافر، فترى العسكري منهم اذا تقدم للقتال حاملا معه جميع ما يحتاج اليه من ماء وطعام وبارود ورصاص ، حتى الموسى والمقص والمرآة والصابون وغير ذلك ، قد اتخذ لجميع ذلك أوعية لطافاً وعلقها عليه ، فلا يؤذيه حملها لأنه اقتصر من كل على قدر الحاجة ، واما الاخبية فيحمل كل ثلاثة رجال خباء ، ولا تلحقهم كلفة في حمله ، لان أخبيتهم في غاية اللطافة والصفافة ، وأعمدتها لطاف صلبة ، فهي مع كفايتها على الوجه الاتم في غاية الخفة ، بحيث اذا لف الخباء بما فيه كان كلا شيء ، ولو أراد أن يحمله واحد لفعل ، لكنه يقسمه ثلاثة أشخاص ، زيادة في الرفق ولئلا يحصل الضجر اذا طال السفر ، واما المدافع فقد اتخذوا لها عجلات أفرغت افراغا ، وركبت عليها على وجه محكم ، واتخذوا

للعجلات بغالا خصية تجرها في غاية الفراهة والارتياض ، ويجعلون فوق تلك العجلات صناديق الاقامة من بارود ورصاص وضوبلى وغير ذلك ، وتجلس الطبجيه على تلك الصناديق ، ويقوم ءاخرون حولهم قد أخذوا أهبتهم للقتال بكل ما يمكن ، ثم تندفع العساكر على هذا الترتيب صفوفا صفوفاً ، وتتقدم شيئاً فشيئاً يخلف بعضها بعضا ، كانها أمواج البحر تبرق الشمس علـى طئوس رؤوسها ، وتلمع على عددها المصقولة وآلاتها ، وهو في هذه الحالة لا يفتر من رمي الكور والضوبلى والشرشم (1) على كل جهة ، هكذا قتاله أبدا ، واذا أدركه المساء أو وقعت محاجزة أثناء النهار ، وكان قصده الثبات ثبت بمحله ذلك ، ولا يتزحزح عنه بحال ، الا أذا فنى كل عسكره أو جله ، فبمثل هذا الضبط كان له الاستيلاء والظهور ، وأما مقاتلة المسلمين له ، فكانت غير منضبطة ، وانما قاتله من قاتله منهم باختياره ، ومن قبل بنفسه، وان كان هناك ضبط من أمير الجيش فكلا ضبط ، ومتى ظهر له ان يذهب ذهب مع ان الله تعالى يقول : « واذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه » ، لكـن المقاتل من المسلمين يأتي القتال وليس معه ما يأكل ولا ما يشرب، فبالضرورة اذا جاع أو عطش ذهب يبحث عما يقيم به صلبه ، ثم هم يقاتلون على غير صف ولا تعبئة ، بل يتفرقون في الشعاب ومخارج الاودية وحول الاشجار ، فيقاتلون من ورائها ، وأذا دفعوا في نحو العدو دفعوا زرافات ووحدانا ، ثم اذا أدركهم المساء ، ووقعت المحاجزة ذهب كل الى خبائه الذى تركه وراءه بمسافـة بعيدة ، وهم في هذا كله ليس لهم وازع يحملهم على ما يراد منهم ، فالحاصل أن جيش مغربنا أذا حضروا القتال ، وكانوا على ظهور خيولهم فهم في تلك الحال مساوون في الاستبداد لأمير الجيش ، لا يملك من أمرهم شيئاً ، وانما يقاتلون هداية من الله لهم ، وحياء من الامير وقليل ما هم ، وقد جربنا ذلك فصح ففروا عن السلطان المولى سليمان في وقعـة ظيان أولا ، وفي وقعـة الشراردة ثانيا ، وكان السلطان المولى عبد الرحمان أهيب في نفوسهم منه ،

---

1) **الشرشم** : يظهر انه من المواد الحربيـة الفتاكة التى تلقى على العدو كالنفط فـى الماضى والنابالم فى العصر الحاضر ، وهو جمع مفرده الشرشمة ، ويراد بها فى العامية المغربية المصيبة والداهية وقد تقدم شرحها

فكانوا يلزمون غرزه ، لكنهم لما بعثهم الى تلمسان فعلوا فعلتهم ، وسلكوا عادتهم ، ولما شهدوا مع الخليفة سيدي محمد بن عبد الرحمان وقعة أيسلى جاءوا بها شنعاء غريبة في القبح ، ولو لا انه قام بنفسه ليلة الحاج عبد القادر ، ومنع الناس من الركوب لربما عادوا الى فعلهم ، وأحسن ما كانت حالهم في هذا الحرب ، فانهم قاوموا العدو وفرقوا صفوفه غير مرة ، لكنهم أتوا من عدم الضبط الذي هو كضبطه ، فعدم ملاقاتهم للعدو في الكيفية القتالية هو الذى أضرَّ بهم وأوجب لعدوهم الظهور عليهم ، اذا الشيء كما علمت : انما يقاوم بمثله ، والشر انما يدفع بضده ، فالتنافى انما يحصل بين الضدين أو المثلين ، وحربنا وحرب الاسپنيول كان من باب الخلافين ، ولا تنافى بين الخلافين ، كما هو مقرر في علم الحكمة ، والتوفيق انما هو بيد الله .

ولنرجع الى الكلام على الصلح المتناول ، فنقول : لما دار الكلام بين المولى العباس رحمه الله ، وبين اردنيل في الصلح اتعدوا للاجتماع في يوم معلوم بمكان سوي بين المحلتين ، فلما كان ذلك اليوم ضرب بالمحل المعين خباء ، وجاء المولى العباس ومعه جماعة من وجوه جيشه ، وفيهم الخطيب التطوانى ، وخرج أردنيل ومعه جماعة من وجوه عسكره وخرج معه مقدم المسلمين بتطاوين الحاج أحمد أبعير ، رجاء أن يكون هو الترجمان بين الاميرين، فيفوز بذكر ذلك الجمع وفخره ، فأخفق رجاؤه ، لأنه لما توافى الجمعان الى الخباء بقي الناس كلهم قائمين على بعد منه ، ولم يدخله الا المولى العباس وأردنيل والخطيب لا رابع لهم فيما قيل ، وأبدى أردنيل من الادب والخضوع للمولى العباس ما جاوز الحد وتفاوضوا ساعة ، ثم انفض المجلس ، وتناقل الناس أن حاصل ما دار بينهما ان أردنيل رغب في الصلح وتأكيد الوصلة بينهم وبين المسلمين على شروط ذكرها ، وان المولى العباس توقف فيها وأحال ذلك على مشورة أخيه السلطان سيدى محمد ، وذهب كل الى سبيله ، وبقي الناس ينتظرون بأي شيء ياتى الجواب من عند السلطان ، وبعد أيام ورد الخبر بان السلطان لم يقبل ذلك الصلح ، فاستمر الناس على حالتهم الاولى من كون محلة العدو بتطاوين، وبعضها خارجها شرقاً وغربا، ومحلة مولاي العباس على بعد من البلد مقدار نصف يوم ، ثم ان المسلمين اجتمعوا ذات

يوم ، وبيتوا محلة العدو النازلة خارج البلد في ليلة معلومة ، فتقدموا اليها ، وذلك في أواخر شعبان سنة ست وسبعين ومئتين وألف ، وهجموا عليها في ليلة مظلمة ، والنصارى غارون وفتكوا فيهم فتكة بكرا باتوا يقاتلونهم الليل كله ، ومن الغد كذلك الى المساء ، وقاتل النصارى ذلك اليوم أيضا ، ولكن الظهور كان للمسلمين ، ولو لا قوة نفوس العدو باستنادهم الى البلد وتحصن كبيرهم بها لكانوا انكسروا كسرة شنيعة ، وكان عدد القتلى من النصارى في هذه الوقعة نحو الخمسمئة ، والجرحى أكثر من ألف ، وأما المسلمون فكان القتل فيهم ضعيفا ، ولما أصبح أردنيل ورأى ما حل بعسكره ساءت أخلاقه ، وقلب لاهل تطاوين ظهر المجن ، وأبدل تلك الشفقة التى كان يعاملهم بهـا بالغلظة ، والبشاشة بالاكفهرار ، وعمد الى مسجد الشيخ علي بركة رحمه الله ، فاتخذه مارستانا للجرحى ، فظلت الجرحى تنقل اليه ، وفرض على أهل تطاوين اللحف والقطائف ، فجمع من ذلك شيئاً كثيراً فرشه بالمسجد المذكور لجرحاه ، وصار عامة عسكر النصارى بتطاوين كلما لقوا أحداً من المسلمين عيروه بالغدر وقبحوه ، ثم ان أردنيل أقام بعد هذه الوقعة نحو عشرة أيام ريثما استجم جيشه ، وأبلت جرحاه وخرج في تمام الشوكة ، وكمال الاستعداد يريد ان يضرب في محلة المسلمين ، فجعل تطوان خلفه وتقدم حتى كان بوادي أبي صفيحة ، فلما شعر به الناس من أهل المداشر ، والمتطوعة تسابقوا اليه من كل جانب ، ووافق ذلك اليوم قدوم عرب الحياينة جاءوا في حرد كبير ، وحنق شديد ، فقويت قلوب الناس بهم ، واشتد أزرهم ، وتقدموا الى العدو فانشبوا معه الحرب بابي صفيحة ، قبل أن يصل الى محلة المسلمين ، وكثروه فأوقعوا وقعة انست ما قبلها ، فقتلوا منه ما خرج عن الحصر ، وأما الجرحى فقل ما شئت ، وكست قتلاه الارض ، ولما أعياه الدفن جعل يجمع الجماعة من الثمانية الى العشرة ويهيل عليهم التراب ، ومع ذلك بقي منه عدد كبير بلا دفن ، حتى انتن موضع المعركة من شدة نتن الجيف ، ونال المسلمون من عدوهم في هذا اليوم ما لم ينالوا قبله مثله ، ولا ما يقاربه ، وكان الذكر فيه لعرب الحياينة ثم للمتطوعة غيرهم ، وأما محلة المولى العباس فكانت بعيدة عن المعركة بمسافة كبيرة ، وقد ذكر منويل خبر هذا اليوم ، فأقر بأنه أهرق منهم دم كثير ، وخسروا فيه عددا كبيراً من نفوس العسكر والخيل .

ولما بلغ المولى العباس أن العدو قد برز من تطوان وأن المسلمين يقاتلونه الآن في أبي صفيحة قلب رأيه ، واستأنف النظر في عاقبة أمره ، ورأى ان المسلمين وان نالوا من العدو في هذه المرة وأبلغوا في نكايته ، لكن الثمرة ضعيفة من جهة ، ان نكايتنا له انما هي في القتل والجرح ، ونكايته في أخذ الأرض والاستيلاء عليها كما قلنا غير ما مرة ، فجنح رحمه الله إلى الصلح ، واختاره على الحرب حتى تدور للمسلمين سعود أن شاء الله .

أخبرني صاحبنا القائد الاجل محمد بن ادريس بن حمان الجرارى حفظه الله قال : لما طالت الحرب بين المسلمين والنصارى على تطوان ، استدعانى السلطان سيدى محمد بن عبد الرحمان رحمه الله ، وأعطاني ستين ألف مثقال أذهب بها الى جيش المسلمين المرابط على تطوان بقصد المؤونة والصائر ، وقال لي مع ذلك : اذا وصلت الى محلة المسلمين فانظر حالهم ، وتبصر في جميع أمورهم ، وما هم عليه في قتال عدوهم ، من الضبط وعدمه ، وهل هم مكفيون في جميع ما تدعو الحاجة اليه أم لا ؟ واستوعب ذلك ، وائتني بالأمر على وجهه ، قال : فذهبت فوصلت الى المحلة يوم الخميس ، وفي صبيحة اليوم الذى يليه كان حرب أبي صفيحه فجاء النذير الى المولى العباس ، وأخبره بأن المسلمين الآن يقاتلون العدو ، قال : فركبت في جماعة من الناس ، وذهبت لانظر حال المسلمين وحال عدوهم ، كما أمرني السلطان رحمه الله ، فوصلت الى مقاتلة المسلمين فاذا هم يرتادون موضعا ينزلون به أثقالهم ، ويضربون به أخبيتهم ليتفرغوا لقتال عدوهم ، فاذا هم عزموا على النزول بوادي آكراز فاجهضهم العدو عنه بالرمي بالكور والضوبلى ، وهو متقدم أمام لا يثنيه شيء ، فتأخروا عن ذلك المحل ونزلوا بمحل أمنوا به على أخبيتهم وأثاثهم ، ثم تقدموا اليه ، وقاتلوه قتالا شديدا حتى ردوه على عقبه بالموضع المعروف بآمصال مرتين أو ثلاثا ، وقتلوا منه ما جاوز الحصر ، وفي ذلك اليوم استشهد عامل سفيان ، وبني مالك : عبد السلام بن عبد الكريم بن عودة الحارثي ، وبات العدو تلك الليلة بوادى آكراز الذى كان المسلمون أرادوا أن ينزلوا به ، وباتت محلة المسلمين بالفنيدق ، وتفرق جلّ متطوعتها كل إلى حال سبيله على

عادتهم ، وكان الوقت وقت شتاء وبرد غاية ، قال : فلم يعجبني ذلك ، ومن الغد وهو يوم السبت أصبح العدو مقيما والمسلمون مقيمين كذلك ، وان كان الرأي ان يعاجلوه بوقعة أخرى ، ويلحوا عليه كي يكسروا شوكته ، ويهجموا ما دام متألما ، ولا يتركوه حتى يجم ويستريح ، لكنهم لم يفعلوا ، ودار الكلام في ذلك اليوم في الصلح ، فأذعن كل من الاميرين أمير المسلمين وأمير النصارى، وجنحوا اليه ، لأنهم كانوا معا قد سئِموا الحرب وملوا القتال ، ثم من الغد وهو يوم الاحد تداعوا للاجتماع بعد أن نهض العدو من محله الذي كان نازلا به واجتمع وانكمش ، وأظهر القوة بالتهييء للحرب والتعبئة للقتال ، حتى انه اذا كان صلح فذاك والا فالقتال فعل ذلك مكيدة ، والحاصل أن المولى العباس تقدم في جماعة من وجوه الجيش وتدنى أردنيل في جماعة من أصحابه كذلك ، بعد ان أمر بضرب خباء صغير يجتمعان به ، وتقدم أودنيل على الخباء بكثير لملاقاة المولى العباس واظهار الادب معه ، فتلاقى به وعادا معاً الى الخباء ، وحضر معهم الترجمان ورجلان آخران ، وأبرموا الصلح وأعطى كل خط يده بذلك ، وانفصلوا وذهب كل الى محله ، وكان ذلك آخر حرب بين المسلمين والاسپنيول .

ولما وصل الخبر بانعقاد الصلح الى عسكر النصارى ، فرحوا فرحاً لم يعهد مثله،وجعلوا ينادون: البَّاصْ .. البَّاصْ ..،أي الصلح الصلح،ودخلوا تطوان وهم رافعون بها أصواتهم ، ومهما لقوا مسلماً هشُّوا له ، كأنهم يهنؤونه بالصلح ، وكان الصلح قد انعقد بين المسلمين والاسپنيول على شروط منها : ان يدفع اليهم السلطان عشرين مليونا من الريال ويخرجوا من تطوان ، وما استولوا عليه من الارض التى بينها وبين سبتة الا شيئاً يسيرا يزاد لهم في المحدة على سبيل التوسعة .

وكان انعقاد هذا الصلح في أواخر شعبان سنة ست وسبعين ومئتين وألف ، وتراخى السلطان رحمه الله في دفع هذا المال ، فاستمر العدو مقيما بتطوان حتى يستوفيه ، وبعد سنة من يوم هذا الصلح استوفى عشرة ملايين منه ، وبقيت عشرة وقع الاتفاق فيها على أن يقتضيها العدو من مستفاد مراسي

المغرب ، فأقام أمناءه بها لاقتضاء نصف داخل كل شهر منها ، وهم الآن بهذا الحال ، والله تعالى يكفي المسلمين شرهم وشر كل ذى شر .

وبعد ما وقع هذا الاتفاق أسلم النصارى تطوان الى المسلمين ، وكان خروجهم منها ضحوة يوم الجمعة الثاني من ذي القعدة سنة ثمان وسبعين ومئتين وألف ، بعد أن مكثوا فيها سنتين وثلاثة أشهر ونصفا .

ووقعة تطوان هذه هي التى أزالت حجاب الهيبة عن بلاد المغرب ، واستطال النصارى بها ، وانكسر المسلمون انكساراً لم يعهد لهم مثلـه ، وكثرت الحمايات ، ونشأ عن ذلك ضرر كبير ، نسأل الله تعالى العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة .

ولما فرغ السلطان رحمه الله من أمر تطوان جدَّ في جمع العسكر المرتب على الترتيب المعهود اليوم ، وكان هذا السلطان أول من أحدثه من ملوك المغرب ، وكان احداثـه اياه في دولة أبيه رحمه الله بعـد رجوعه من وقعة يسلى مـع الفرنسيس ، ثم جد فيه في هذه الايام فجمع منه ما تيسر جمعه ، ثم رتـب المكوس على الابواب والمبيعات ، وكتب في ذلك كتباً للآفاق .

فمما كتبه لأمناء مرسى الدار البيضاء في ذلك ما نصه :

وبعد ، فانا لما أخذنا في جمع النظام للمصلحة المتعينة الواضحـة البينة ، المقرر أمرها لدى الخاص والعام ، واجتمع منه عدد يسير ، واختبرنا ما صير عليه في شهر واحد ، فاجتمع فيه عدد كثير ، فكيف ان جمعنا منـه عددا معتبرا يحصل به المراد ، ويكون قذى في أعين أهل العناد ، اقتضى الحال ذكر ذلك لكبراء التجار ، لينظروا فيما يستعان به على أمرهم ، اذ لا بد من كفايتهم ، والا انحل نظام جمعهم ، وفي ذلك ما لا يجهله من له أدنى عقل ومحبة في الدين ، فأشاروا بفرض اعانة لا ضرر فيها على الرعية ، وسطروها في ورقة ، وهي كلا شيء بالنسبة لما ارتكبه الملوك في مثل هذا للاستعانة به على المصالح المرعية ، وللضرورة أحكام تخصها كما هو معلوم مقرر ، ومسطر في غير ما ديوان محرر ، ثم اقتضى نظرنا أن نسند الامر في ذلك لأهل العلم ، ليقرروا للناس حكمه تقريرا تنشرح له الصدور ، ويعمل بمقتضاه في الورود

والصدور ، وان كان جلهم يعلم هذا ، اذ من المعلوم أن الرعية لا يستقيم أمرها إلا بجند قوي بالله ، ولا جندَ إلا بمال ، وهو لا يكون إلا من الرعية على وجه لا ضرر فيه ، وقد أخذ الناس هذه مدة بحضرتنا العالية بالله بمكناسة وتازة والعدوتين ومراكش في ذلك ، وسلكوا في ترتيبه أحسن المسالك ، ولا نشك أن بركة ذلك تعود عليهم في أموالهم وأولادهم وأنفسهم .

فبوصول هذا اليكم ، قوموا على ساق الجد في القبض من الناس بالباب على نحو ما في الورقة المشار اليها ، ولا دخل للنصارى في ذلك ، والله أسأل أن يبارك للمسلمين في مالهم ، ويعوضهم خلفاً ءامين ، والسلام .

في الثاني والعشرين من رجب الفرد الحرام عام سبعة وسبعين ومئتين وألف .

وإذ انجرَّ بنا الكلامُ على اتخاذ العسكر وترتيبه ، فلا بد من تتميم الفائدة بذكر كلام نافع :

القول في اتخاذ الجند وترتيبه وبعض آدابه

اعلم انه واجب على الامام حماية بيضة الاسلام ، وحياطة الرعية، وكف اليد العادية عنها والنصح لها ، والنظر فيما يصلحها، ويعود عليها نفعه في الدين والدنيا ، ولا يمكنه ذلك الا بجند قوي وشوكة تامة بحيث تكون يده غالبة على الكافة ، وقاهرة لهم ، فاتخاذ الجند إذاً واجب ، وعليه فيندب له أن يتخذ لهم ديواناً يجمع أسماءهم ، ويحصي عددهم ، ليحصل الضبط ، وينتفي اللبس ، وأول من اتخذ الديوان أمير المومنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، أمر عقيل بن أبي طالب ، ومخرمة بن نوفل ، وجبير بن مطعم ، وكانوا من كتاب قريش ، فكتبوا ديوان العساكر الاسلامية على ترتيب الانساب مبتدأ من من قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فما بعدها ، الاقرب فالاقرب ، فهكذا ينبغي للامام أن يرتب جنوده في ديوان يحفظها ، ودستور يجمعها ، ثم ينبغي ان يكون عنده أولا ديوان كبير ، هو الام يجمع أسماء العساكر كلها ، الحاضرة والغائبة ، والخاصة والعامة ، ثم يجعل دواوين صغار يشتمل كل واحد منها على طائفة مخصوصة ، مثل عسكر الامام الذي يلازمه حضرا وسفرا ، وعساكر

الثغور والقلاع ، ونحو ذلك ، وتكون هذه الدواوين الصغار بمنزلة الفروع للكبير ، تجدد كلما تجددت الطوائف كما سيأتي ، وكل ديوان منها يشتمل على أرحاء مثلا ، وكل رحى على مئين ، وكل مئة بضباطها وطبيبها وعالمها الذي يعلمها أمر دينها ، وغير ذلك .

قال صاحب (مصباح الساري) ما ملخصه :

كانت الدولة العثمانية في أول أمرها، اذا استخدمت طائفة من الجند بقيت في الخدمة طول عمرها، ولما كان هذا الامر صعبا يعني، وغير مقتض للتسوية بين الرعية في هذا الحق العظيم ،اقتضى نظرهم أن يعملوا القرعة بين أبناء الرعايا عند انتهاء كل خمس سنين، فمن استكمل مدة خدمته، وتبصر بما يلزمه من حرب عدوه، وقدر على المطالبة والمدافعة ، ذهب الى حال سبيله ، لطلب معيشته ، فذو الحرفة يرجع الى حرفته ، والتاجر الى تجارته ، وهكذا ... ويؤتى بطائفة أخرى بدلها ، حتى تصير الرعية كلها جندا قادرا على المطالبة والمدافعة ، متى احتاجت الى ذلك ، ثم من استوفى مدة خدمته بقي معدودا في صنف الرديف سبع سنين أخرى ، ومعنى الرديف أنهم يكونون عدة للدولة متى احتاج تاليهم في نازلة عظيمة ، أو حرب عامة مثل ما يكون بين الاجناس ، فاذا انسلخت السبع سنين فهو حر دائما ، وأبدا فلا يضرب عليه بعث ، ولا يكلف بغزو الا ان يشاء ، فجملة مدة الخدمة العسكرية بين أصلية ورديفة اثنتا عشرة سنة ، وشرط المستخدمين في العسكر ان يكونوا في سن العشرين الى خمس وعشرين سنة ، فمن زاد على ذلك أو نقص لا تقبله الدولة لينضبط الامر ، وان اصطلح على أقل من ذلك أو أكثر فلا بأس ، فاذا أريد اعمال القرعة بينهم وذلك عند رأس خمس سنين ، كما قلنا اجتمع كل من هو في ذلك السن من أهل الناحية مثل مراكش وأعمالها ، وفاس وأعمالها ، والعدوتين وأعمالهما ، في يوم معلوم من السنة ، لا يتقدم ولا يتأخر ، فيحضر نائب السلطان ويحضر القاضي والشهود ، وتكتب بطائق على عدد رؤوس الحاضرين ، فلان ابن فلان الفلاني سنه كذا ، فاذا أجتمع لنا من البطائق مئة ونحن غرضنا استخدام خمسين مثلا أخذنا تلك البطائق واحدة واحدة ، حتى نستوفي الخمسين ، ثم نفتحها ،

فمن عثرنا عليه فيها فهو عسكري في تلك المدة ، ومن اخطأته القرعة ذهب الى حال سبيله ، لكنه ان جاوز سن العسكرية الذى هو خمس وعشرون سنة ولم تصبه القرعة ، فهو في صنف الرديف الى سبع سنين كما قلنا ، والذين أصابتهم القرعة وأثبتوا في الديوان ، يرخص لهم في الذهاب الى محالهم عشرين يوما ، لقضاء أوطارهم ثم يحضرون بعدها الى القشلة ، ومن تخلف عن حضور هذا الجمع بدون عذر مقبول يثبت في الديوان بلا قرعة ، ويسقط من أصل العدد المطلوب ، ولا تقبل فيه شفاعة ولا فداء ، ومن ليس له الا ابن واحد من رجل كبير ، أو امرأة أرملة ، أو نحو ذلك ، ولا كافي له سواه ، فانه يسرح له لئلا يضيع ، لكن بعد حضور الجمع واثبات ما أدعاه ، ومن له ولدان وأصابتهما معا القرعة ، فيمسك واحد ويسرح له الآخر ، ومن له أربعة أو خمسة وأصابت القرعة منهم ثلاثة فأكثر أمسك اثنان وسرح الباقي ، ويعفى عن كل من كان مفردا في بيته ، وعن كل أعور وأشل وأعرج وأحدب ، وعن كل مبتلى بداء مزمن ، أو علة معدية ، أو ضعيف الجسم ، نحيف البنية ، لا يقدر على الاعمال الجندية ، وغير سالم المزاج ، وهكذا ... ويعفى عن طلبة العلم لكن بعد حضورهم وامتحانهم ، فمن ظهرت نجابته خلى سبيله ، لأنه قد قام بوظيف هو من هم الوظائف ، ومن كان قليل الفهم ، أو مقسم البال ، أو طائش الفكرة لا ترجى فائدته ، وانما تستر بطلب العلم ، دخل في القرعة ، واذا كان لرجل ولدان ، وأصابت القرعة أحدهما وأراد ابداله بالآخر ، فذلك له اذا توفرت فيه شروط الخدمة ، واذا أراد أن يبدله بغير أخيه من عبد أو أجير ، فلا بد من زيادة قدر معلوم من المال لا يجحف به ، ولا يؤدى الى تعطيل تجارته ، ولا بيع أصله ، ولهذا البدل شروط :

الاول : أن يكون سالما من الآفات المتقدمة .

الثاني : أن لا يكون ممن استوفى مدة الخدمة التى هي خمس سنين، ودخل في صنف الرديف ، اللهم الا اذا لم تكن القرعة أصابته حتى جاوز السن المعلوم ، وصار في صنف الرديف ، فهذا يقبل .

الثالث : ان يكون من أهل تلك الناحية ، فلا يقبل مراكشي عن فاسي مثلا وبالعكس .

الرابع : أن لا يكون من العبيد السود ، اللهم الا إذا كان في الجند صنف منهم فيقبل في صنفه ، ولا بأس اذا كان مملوكا أبيض .

الخامس : أن لا يكون من الذين استعملوا في الجندية ، وأخرجوا منها لعارض خلقي ، أو خلقى مثل آفة بدنية ، أو فعل قبيح من سرقة ونحوها .

السادس : أن لا يكون البدل قد جيء به بعد ثلاثة أشهر ، ثم اذا فرَّ البدل فينتظر مجيئه الى شهر ، فان جاء ، والا أخذ به صاحبه الذي جاء به .

ثم اذا انتظم هذا الجمع العسكرى فأول ما يعلمونهم أمر دينهم مما لا بد منه على سبيل الاختصار ، بأن يلقنوا كيفية اللفظ بالشهادتين ، ويبين لهم معناها بوجه اجمالي ، فان جل العوام سيما أهل البادية والقرى النائية لا يفقهون ضروريات دينهم ، ويعلمون كيفية الوضوء ، والصلاة ، ويلزمون بالمحافظة عليها ، حتى أن من لم يحضر منهم وقت النداء لها يعاقب عقاباً شديدا ، والا فلم يحضر عند سماعه الطرنبيطة ، ولا يحضر اذا سمع داعي الله فهذا أول ما يتعلمونه ، لتعود عليهم بركة الدين ، وينجح سعيهم في حماية المسلمين ، فانا لم نرد بهذا الجمع الا حفظ الدين ، فاذا كان الجند مضيعا له ، فكيف يحفظه على غيره ، ويعود على المسلمين نفعه ، ثم بعد هذا يعلمون الامور التي تدل على كمال المروءة ، وعلو الهمة ،و الحياء والحشمة ، والايثار ، وترك الكلام الفحش ، وتوقير الكبير ورحمة الصغير ، ويلقنون ان من أفضل الخصال عند الله وعند العباد الغيرة على الدين والوطن ، ومحبة السلطان ونصحه ، ويقال له مثلا : اذا كان العجمي الزنديق يغضب لدينه الباطل ووطنه ، فكيف لا يغضب العربي المؤمن لدينه ودولته ووطنه ، ولا بد من ترتيب مجلس يومي يسمعون فيه سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومغازيه ومغازي الخلفاء الراشدين ، وسلف الامة وأخبار رؤساء العرب ، وحكمائها وشعرائها، ومحاسنهم وسياساتهم، وليتخير لهم من الكتب الموضوعة في

ذلك أنفعها مثل كتاب (الاكفاء) لأبي الربيع الكلاعي ، وكتاب ابن النحاس في الجهاد ، وكتاب (سراج الملوك) ونحوها ، فان ذلك مما يقوى إيمانهم ، ويحرك هممهم ، ويؤكد محبتهم في الدين وأهله ، وينبهون على التحافظ على ثيابهم وأطرافهم من الأوساخ والأوضار التي تدلُّ على دناءة الهمة ونقصان الانسانية ، وعدم النخوة ، ويلزمـون بترك استعمال الدخان ، فانـه مناف لنظافة الدين ، ومذهب للمروءة والمال بلا فائدة ، ثـم اذا رسخت فيهم هذه الآداب في ستة أشهر أو عشرة أو أكثر ، أخذوا في تعلم الثقافة ، وأمور الحرب، ثم من أهم ما يعتنى به في شأنهم أن لا يتخلقوا بأخلاق العجم ، ولا يسلكـوا سبيلهم في اصطلاحاتهم ومحاوراتهم وكلامهم وسلامهم وغير ذلك ، فقد عمت المصيبة في عسكر المسلمين بالتخلق بخلق العجم ، فيريدون تعلم الحرب ليحفظوا الدين ، فيضيعون الدين في نفس ذلك التعلم ، فلا تمضى على أولاد المسلمين سنتان أو ثلاث حتى يصيروا عجما متخلقين بأخلاقهم ، متأدبيـن بآدابهم حتى أنهم تركوا السـلام المشروع في القرآن ، وأبدلوه بوضع اليـد خلف الأذن ، فيجب على معلمهم في حال تعليمه إياهم أن يعدلَ عن الاصطلاح العجمى الى العربي ، ويعبر عن الالفاظ العجمية بالعربية ، وان كان أصل العمل مأخوذا عن العجم ، فليجتهد المعلم الحاذق في تعريبه ، وليس ذلك بعسير على من وفقه الله اليه ، وليس فيه الا ابدال لفظ عجمى بلفظ عربي ، بأن يقول مثلا : أمام ، خلف ، دائرة ، نصف دائرة ، وهكذا ... فاذا مرنوا عليه شهرا أو شهرين كان أسهل شيء عليهم وأحبه إليهم ، لأن تلك هي لغتهم التي فيها نشئوا وعليها ربوا ، فالعمل عجمي ، والكلام الذى ينبهون به على ذلك العمل عربي ، فأي كلفة في هذا ، وبه يندفع عنهم التشبه بالعجم المنهى عنه شرعا ، فان التزيي بزيهم لا يأتي بخير أبدا ، وهو والله من أفسد الاشياء للدين الذى نريد أن نحوطه بهم ، قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه : من لم تصلحه السنة فلا أصلحه الله .

ثـم عمود هذا كلـه وصلبـه المقيم لـه وروحه الذي بـه حياته ، هو الكفاية في المطعم والملبس ، وليختار لهم من الأغذية أطيبهـا وأنفعها للبدن ، وليجعل لهم كسوتان ، كسوة الشتاء ، وكسوة الصيف ، وليتخير لهم من المساكن والمنازل أطيبها وأصحها هواء وأبعدها عن محل

الوخم ، وليلزمهم بالاعتناء بتنظيف مساكنهم وتبريدها ، وتطييبها حتى لا ينشأ عنها داء ، واذا تراخوا في مثل ذلك عوقبوا عليه ، لانه دال على دناءة الهمة ، ودنيء الهمة لا يأتي منه شيء ، وليرتب لهم الأطباء العارفون ، حتى إذا أصاب أحدا منهم مرض عالجه الطبيب في الحال ، فان هذا الجند هم سور الاسلام وسياج الدين ، فبحفظه يحفظ الدين ، وبسلامته يسلم ، فاذا اتخذ الجند على هذه الكيفية التى ذكرنا سهل على الناس الدخول في الجندية ، وتنافسوا فيها، ومن كان عنده من الرعية درهم طابت نفسه بان يقتسمه معهم ، ويكون الجند حينئذ في مرتبة هي أشرف من مرتبة الرعية بكثير ، لان الجند يحفظهم ، والرعية تكسب وتبذل لهم ، ثم اذا ظهر من آحاد الجند نجابة أو شجاعة أو نصيحة في الخدمة السلطانية رفع قدره ، ونوه باسمه ليغتبط هو بمنزلته ، ويزداد في خدمته ، ويغبطه غيره، وينافسه في خصاله التي أكسبتْه تلك المنزلة، وليقس ما لم يقل ، والله الهادي الى التوفيق بمنه .

ولنرجع الى التاريخ فنقول : وفي سنة سبع وسبعين ومئتين وألف وذلك في يوم الثلاثاء الثانى عشر من ذى القعدة منها توفي والدنا الفقيه المرابط الاخير خالد بن حماد بن محمد الكبير الناصري بقبيلة سفيان ، ودفن بتربة الشيخ أبي سلهام رضى الله عنه ، وكان رحمه الله من الورع والتحرى في أكل الحلال على جانب عظيم ، بحيث فاق أكثر أهل زمانه في ذلك ، وكان دينا وقورا ، كثير الاوراد ، ذا سمت وجد ، وله المام بالفقه والسيرة النبوية ، مرجو البركة عند العامة ، رحمنا الله واياه والمسلمين (1) .

إيقاع السلطان سيدى محمد بن عبد الرحمان رحمه الله بعرب الرحامنة

لما كان السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان رحمه الله ببلاد الغرب مشتغلا بأمر الاسپنيول وحربه على تطاوين ثار عرب الرحامنة بالحوز، وعمدوا

1) كل ما تقدم منقول بالحرف من **الاستقصا** ، وقد حذف المؤلف من الطبعة الفاسية الفصل المتعلق بثورة الجيلانى الروكى ومقتله وجعل منه ترجمة خاصة عنونها بالجيلالى الروكى السفيانى اثبتها فى حرف الجيم وطبعت فى الجزء الثالث ص 103 ع 376 ثم استأنف ينقل ما بعدها من **الاستقصا** أيضاً

إلى سوق الخميس بمراكش فأغاروا عليه وأنتهبوه وسلبوا المارة وأربـاب الجنات ، وضايقوا أهل مراكش ، حتى منعوهم من الارتفاق حول المدينة ، فانقطعت السبل ، وارتفعت الاسعار ، وقطع الرحامنة ما حول الاسوار من الأشجار واحتطبوها ، وحصدوا الزروع في الفدن واغتصبوها ، واشتد الحصار، وتخاذلت الأنصار ، ودام الحال إلى أن فرغ السلطان رحمه الله مـن حرب الاسپنيول وفتنة الروكي فوجه وجهته إلى مراكش ، فلما قرب منها تحزبت الرحامنـة ، وأجمعوا على حربـه ، فانحازوا إلى ناحيـة الرميلة والودايـة وزاوية ابن ساسي ليحولوا بينه وبين الدخول لمراكش ، فهجم عليهم وأوقع بهم وقعة سيقوا بها بعد ساعة الى مراكش ، مقرنين في الحبال ، حتى ضاقت بهم وقعة سيقوا بها بعد ساعة إلى مراكش مقرنين فـي الحبال حتى ضاقت عفا عنهم بعد أن انتزع منهم بلاد آيت سعادة ، وغواطم ، والوداية ، وهـي من أخصب البلاد وأزكاها .

وكتب السلطان في هذه الوقعة لاخيه المولى الرشيد بكتاب مختوم عليه بالخاتم الكبير بين الافتتاح والخطاب ، وبداخل الخاتم : محمد بن عبد الرحمان غفر الله له ، وبدائرته :

ومن تكن برسول الله نصرتـــه ان تلقه الاسد في آجامها تجـــم

وما توفيقي الا بالله ، عليه توكلت واليه أنيب ، وبأركان الخاتم : الله محمد ، أبو بكر ، عمر ، عثمان ، علي .

ونص الافتتاح :

الحمد لله الذي تدارك الامة باللطف الكفيل بتمهيد أقطارها ، وتيسير أوطارها ، وصلى الله على سيدنا محمد وآلـه وصحبه الذين نصروا الديـن بالصفاح والأسنة ، وأوضحوا أحكام السنة .

أخانا الاعز الأرضى مولاي الرشيد

أصلحك الله وأعانك وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته

وبعد ، فانه لما تواترت الانباء المحققة بعد التباسها ، وتـواردت الأخبار التي يُغني نصها عن قياسها ، بما ارتكبه ظالمو أنفسهم الرحامنة ، من أنواع الفساد التى أذاعوها ، وأظهروها وأشاعوها ، وقد كانت في صدورهم كامنة ، صرفنا الوجهة اليهم ، وطوينا المراحل من أجلهم ، ولما حللنا ببلادهم ، أرسلنا عليهم سيل العرم من العساكر المنصورة ، والجيوش الموفورة ، فما كان غير بعيد ، حتى أتوا برؤوس منهم كثيرة محمولة على أسنة الـرماح ، وأُسارى من مقاتلتهم مجردين من الثياب والسلاح ، ومن نجا منهم رجع مجردا الا من خيبة سعيه ، وما سقي الا بكأس بغيه ، واستولت العساكر والاجناد على جميع ما كان عند أهل الفساد ، ومن المعلوم أن من سل سيف البغي يعود الى نحره ، ومَن ركب متن الشقاق يغرق في بحره ، وأن الفتنة نار تحرق مَن أوقدها ، والمخالفة صفقة تعود بالخسارة على مَن عقدها ، ولما أردنا معاودتهم لقطع دابرهم ، وتشتيت ما بقي من رماد أثرهم ، تعلقوا بالمرابطين من ذوي الوجاهات ، وأكثروا من الذبائح على المحالِ وتوجيه العارات ، وقاموا بواجب السمع والطاعة ، في كل ما أمرنا به جهدَ الاستطاعة ، فأبقينا عليهم ، وإن عادت العقرب عدنا بحول الله لها وكانت النعل لها حاضرة !

فالحمد لله الذي خيَّب آمالهم، وأبطل أعمالهم، وخذل أنصارهم، وأركد إعصارهم ، لما أعمى أبصارهم ، وردهم ناكصين على الاعقاب ، بعد سلب الاموال وقطع الرقاب ، ذلك بأنهم شاقُّوا الله ورسوله ، ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب ، ونعوذ بالله من الآراء المعكوسة ، والحظوظ المنكوسة ، وسوء الفعل الذى يورد المهالك ، والحرمان الذى يجعل البصير كالاعمى في دجنة الليل الحالك .

هذا ويصلكم ما قُطِع من رؤوس قتلاهم لتعلق بباب المدينة ويعتبر بها المعتبرون ، ويتذكر بها المتذكرون ، والله أسأل أن لا يكلنا الى أنفسنا طرفة عين ولا أقل من ذلك ، وأن يكون لنا وللمسلين بما كـان لاوليائه وأحبائـه وأصفيائه ، وان يوفقنا واياهم لما يحبه ويرضاه ، ويختم للجميع بخيـر ، والسـلام .

في ذي الحجة الحرام عام ثمانية وسبعين ومئتين وألف .

ومن تمامه : وان علقت يوماً واحداً ، فادفعها لحملتها ، ولا بد ليتوجهوا بها الى مكناسة ، صح به .

انتهى الكتاب الشريف .

وفي سنة تسع وسبعين ومئتين وألف سافر شيخنا الفقيه العلامة البارع محمد بن عبد العزيز محبوبة السلاوي الى الحجاز لأداء فريضة الحج فوافته منيته بمكة المشرفة بعد الفراغ من الحج والعمرة ، ودفن بالمعلاة ، وكان رحمه الله واعية دراكة نفاعة ، كثير الدرس والتقييد ، والنسخ للكتب المعتبرة ، فصيح العبارة ، حسن النغمة والصوت ، عارفا بالحديث دؤوباً على سرده ، عارفا بالنحو والفقه وعلوم الآلة ، لازمناه وانتفعنا به ، وعادت علينا بركاته ، رحمه الله ونفعنا به ، وكنت رثيته بقصيدة ذهبت في جملة ما ذهب من شعري ، إذ لم يكنْ لي اعتناءٌ بتقييده ، ومطلعها :

ملازمة التذكار تذهب باللب   وتغرى قديم الوجد بالهائم الصب

هدة البارود بمراكش

وفي سنة ثمانين ومئتين وألف ، وذلك يوم السبت الرابع عشر من شعبان منها ، كانت هدة البارود بمراكش ، وذلك انه كان بجامع الفناء فندق في بعض بيوته منها نحو أربعمئة قنطار من البارود ، وبه أيضا شيء من فحم الريش المتخذ للبارود ، فوقعت فيه نار ، وسرت منه الى البارود ، فنفض وقت الغروب من اليوم المذكور ، والناس كثيرون حول الفندق ، فطار الفندق بما فيه ، وكانت حيطانه عادية ، وطار من كان حوله من الناس ، قيل نحو الثلاثمئة ، فمنهم من لم يوجد أصلا ، ومنهم من وجد بعضه من يد أو رِجل ونحو ذلك ، وتهدمت كل دار كانت متلاشية بمراكش ، وانخلعت الاقفال من الأبواب ، وصرصرت السقوف والحيطان ، وكان الحادث عظيما .

وفي هذه السنة ورد يهودي من اللوندرة على السلطان من مراكش يطلب منه الحرية ليهود المغرب ، وذلك لانه لما كانت وقعة تطوان ودهم

الناس ما دهمهم من أمر الحمايات ، وأكثر من تعلق بها اليهود لم يقتصروا على ذلك ، ورأموا الحرية تشبها بيهود مصر ونحوها ، فكتبوا الى يهودي من كبار تجارهم باللوندرة اسمه روشبابيل ، وكان هذا اليهودى قارون زمانه ، وكانت له وجاهة كبيرة في دولة الانجليز ، لانها كانت تحتاج اليه فيسلفها الأموال الطائلة ، وله في ذلك أخبار مشهورة ، فكتب يهود المغرب اليه ، أو بعضهم يشكون اليه ما هم فيه من الذلة والصغار ، ويطلبون منه الوساطة لهم عند السلطان رحمه الله في الانعام عليهم بالحرية ، فعين هذا اليهودى صهرا له للوفادة على السلطان رحمه الله في هذا الغرض وفي غيره ، وأصحبه هدايا نفيسة ، وسأل من دولة الانجليز أن يشفعوا له عند السلطان ، ويكتبوا له في قضاء غرضه ففعلوا ، وقدم على السلطان بمراكش وقدم هداياه ، وسأل تنفيذ مطلبه فتجافى السلطان رحمه الله عن رده مخفقا ، وأعطاه ظهيرا ، فتمسك به اليهودي يتضمن صريح الشرع ، وما أوجبه الله لهم من حفظ الذمة ، وعدم الظلم والعسف ، ولم يعطهم فيه حرية كحرية النصارى .

ونص الظهير المذكور ، بالطابع الكبير :

بسم الله الرحمان الرحيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

نأمر من يقف على كتابنا هذا أسماه الله وأعز أمره ، وأطلع في سماء المعالي شمسه المنيرة وبدره ، من سائر خدامنا وعمالنا ، والقائمين بوظائف أعمالنا ، أن يعاملوا اليهود الذين بسائر ايالتنا بما أوجبه الله تعالى من نصب ميزان الحق والتسوية بينهم وبين غيرهم في الاحكام ، حتى لا يلحق أحدا منهم مثقال ذرة من الظلم ولا يضام ، ولا ينالهم مكروه ولا اهتضام ، وأن لا يتعدّوا هم ولا غيرهم على أحد منهم ، لا في أنفسهم ولا في أموالهم ، ولا ان يستعملوا أهل الحرف منهم الا عن طيب أنفسهم ، وعلى شرط توفيتهم بما يستحقونه على عملهم ، لان الظلم ظلمات يوم القيامة ، ونحن لا نوافق عليه لا في حقهم ولا في حق غيرهم ولا نرضاه ، لأن الناس كلهم عندنا في الحق سواء ، ومن ظلم أحدا منهم أو تعدى عليه فانا نعاقبه بحول الله .

وهذا الأمر الذى قررناه ، وأوضحناه وبيناه ، كان مقرراً ، ومعروفاً محررا ، لكن زدنا هذا المسطور تقريرا وتأكيداً ووعيدا ، في حق من يريد ظلمهم وتشديداً ، ليزيدَ اليهودُ أمناً إلى أمنهم ، ومَن يريدُ التعديَ عليهم خوفاً إلى خوفهم .

صدر به أمرنا المعتز بالله في السادس والعشرين من شعبان المبارك عام ثمانين ومئتين وألف .

ولما مكنَهم السلطان من هذا الظهير أخذوا منه نسخا وفرقوها على جميع يهود المغرب ، وظهر منهم تطاول وطيش ، وأرادوا أن يختصوا بالأحكام فيما بينهم ، لا سيما يهود المراسي ، فانهم تحالفوا وتعاهدوا على ذلك ، ثم أبطل الله كيدهم وخيَّب سعيهم ، على أن السلطان رحمه الله لما أحس بطيش اليهود عقب ذلك الظهير بكتاب آخر بين فيه المراد ، وأن ذلك الايصاء انما هو في حق أهل المروءة والمساكين منهم المشتغلين بما يعنيهم ، وأما صعاليكهم المعروفون بالفجور والتطاول على الناس والخوض فيما لا يعني فيعاملون بما يستحقونه من الادب .

واعلم أن هذه الحرية التي أحدثها الافرنج في هذه السنين هي من وضع الزنادقة قطعا ، لأنها تستلزم اسقاط حقوق الله ، وحقوق الوالدين ، وحقوق الانسانية رأسا .

أما اسقاطها لحقوق الله فان الله تعالى أوجب على تارك الصلاة والصيام، وعلى شارب الخمر ، وعلى الزاني طائعاً ، حدوداً معلومة ، والحرية تقتضي اسقاط ذلك كما لا يخفى .

وأما اسقاطها لحقوق الوالدين ، فلأنهم خذلهم الله يقولون : ان الولد الحدث إذا وصل إلى حد البلوغ ، والبنت البكر اذا بلغت العشرين مثلا ، يفعلان بأنفسهما ما شاءا ، ولا كلام للوالدين فضلا عن الاقارب ، فضلا عن الحاكم ، ونحن نعلم أن الاب يسخطه ما يرى من ولده أو بنته من الأمور التي تهتك المروءة ، وتزري بالعرض ، سيما اذا كان من ذوي البيوتات ، فارتكاب ذلك على عينه مع منعه من الكلام فيه موجب للعقوق ، ومسقط لحقه من البرور.

وأما اسقاطها لحقوق الانسانية فان الله تعالى لما خلق الانسان كرّمه وشرفه بالعقل الذي يعقله عن الوقوع في الرذائل ، ويبعثه على الاتصاف بالفضائل ، وبذلك تميز عما عداه من الحيوان، وضابط الحرية عندهم لا يوجب مراعاة هذه الامور ، بل يبيح للانسان أن يتعاطى ما ينفر عنه الطبع ، وتأباه الغريزة الانسانية ، من التظاهر بالفحش والزنا وغير ذلك إن شاء ، لأنه مالك أمر نفسه ، فلا يلزم أن يتقيد بقيد ، ولا فرقَ بينه وبين البهيمة المرسلة الا في شيء واحد ، وهو اعطاء الحق لانسان آخر مثله ، فلا يجوز له أن يظلمه ، وما عدا ذلك فلا سبيل لاحد على الزامه اياه ، وهذا واضح البطلان ، لان الله تعالى حكيم ، وما ميز الانسان بالعقل الا ليحمله هذه التكاليف الشرعية ، من معرفة خالقه وبارئه ، والخضوع له لتكون له بها المنزلة عند الله في العقبى: « انا عرضنا الامانة على السموات والارض ... الآية » .

واعلم ان الحرية الشرعية هي التى ذكرها الله في كتابه ، وبينها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته ، وحررها الفقهاء رضي الله عنهم في باب الحَجْر من كتبهم ، فراجعْ ذلك وتفهَّمْه ترشدْ ، وبالله التوفيق .

وفي سنة احدى وثمانين ومئتين وألف كمل بناء الدار الفيحاء التى أنشأها السلطان سيدي محمد رحمه الله بأكدال من ظاهر رباط الفتح بجوار ضريح جده سيدي محمد بن عبد الله ، وهي دار كبيرة حسنة البناء ، واسعة المقاعد والفناء ، يقال أنها من أخوات بديع المنصور ، ولما كمل بناؤها أمر السلطان رحمه الله أن يختم فيها فقهاء رباط الفتح صحيح البخارى أولا ، وفقهاء سلا ثانياً ، فدخلناها في جملتهم ، وتقصينا منازلها ومقاعدها ، فرأينا ما ملأ أبصارنا حسنا واتقانا ، وعجيب صنعة .

وفي سنة اثنين وثمانين ومئتين وألف حدثت فتنة بفاس ، وذلك أن الناس كانوا في صلاة الجمعة بمسجد القرويين خامس ربيع الاول ، وكان فيهم التاجر الامجد حبيب بن هاشم بن جلون الفاسي ، فلما سجد مع الناس شدخ بعض اللصوص رأسه بحجر كبير من أحجار التيمم التى تكون بالمسجد ، ثم

انحى عليه بخنجر كان بيده فقطع به صفاق بطنه ، وساوره التاجر المذكور ، وما بالعير من قماص ، ولما وقعت الضجة قطع الناس صلاتهم ، وخرجوا فارين من المسجد ، وتركوا ثيابهم ونعالهم ومصاحفهم وغير ذلك ، فقائل يقول : ان الامام المهدى قد خرج ، وآخر يقول : ان الناس يذبح بعضهم بعضاً في الجامع، واهتزت المدينة ، ثم تراجع الناس بعد حين ، واما اللص فانه خرج شاهرا سلاحه حتى وصل الى باب المسجد ، فكثره الناس ، وقبضوا عليه ، وانتزعوا السلاح من يده وكشفوه ، فاذا به قد ادار حبالا كثيرة من تحت الثياب على بدنه وقاية له ، فقتلوه هنالك ، وبقي التاجر ابن جلون يعالج جراحاته إلى أن مات من آخر الليل ، واتهم أولياؤه ناسا من أعيان فاس بانهم أغروا بقتله ، ولم يثبت ذلـك .

وفي هذه السنة ــ أعني سنــة اثنين وثمانــين ومئتين وألف ــ وجه السلطان رحمه الله قائد جيشه محمد بن عبد الكريم الشرقي ، وعامل ســلا محمد بن سعيد السلوي باشدورين الى دولة فرنسا بپاريس ، وكان السبب في ذلك ما أخبرنا به القائد محمد بن سعيد المذكور قال :

«كان سيدنا أمير المومنين سيدي محمد بن عبد الرحمان رحمه الله قد أصحبَنا كتابا الى طاغية الفرنسيس ، وأمرنا بالكلام معه في شأن هؤلاء النواب الذين يبعثهم الى المغرب، وأن يكون ينتخبهم من بيوت الاعيان، وممن يتصف بالتأني وحسن السيرة والوقوف عند ما حد لهم ، ولما وصلنا الى پاريس شرحنا ذلك للطاغية المذكور كتابة ، ففرح وقابلنا بما لا مزيد عليه من البرور الذي لا نقدر على شرحه ، مع أن اكرامنا والحمد لله لهم يفوق ذلك في الصوائر ، وكنا توجهنا ومعنا خيول وغيرها ، وأقمنا في پاريس شهرا ، وكان مقامنا بدار كثيرة الفرش والأثاث من الفضة والمعدن ، ووكل بنا أمين يُصَيِّر' علينا حسب نظرنا، وقَوَمَة" يباشرون فرش المنزل وتنظيفه وغير ذلك ، ومعنا أصحابنا وطباخنا ، الا أنهم منعزلون بمحل يخصهم ، وفي كل يوم تستدعينا الدولة للفرجة ليلا ، بمحل يسمى (التياترو) وفيه مواعظ وحكم لمن تبصر ، ومتعة للنفس لمن كان حظه النظر ، وقد أكرمنا الطاغية بمنزله ، وأكرمنا الوزراء وعامل البلد

والاعيان ليلا ، وكل واحد يجمع علينا أعيان الدولة وأهل البلد نساء ورجالا ، وعادتهم عند دخول المنزل أن تحيي الزوجة ومن معها بالسلام أولا ، ثم بعد ذلك تحيي الرجل ، ورأينا من الطاغية ووزيره على الامور البرانية من البرور والبشاشة ما جاوز الحد ، وطلب منا هذا الطاغية أن نبحث له في كتب التاريخ بالمغرب ، هل نعثر على تاريخ بناء رومة ؟ وفي أي وقت بنيت ؟ واسم بانيها ؟ ونبعث به اليه ... » .

انتهى كلام العامل المذكور ، وهو حفظه الله من أمثل الناس وأعدلهم وأتقاهم ، وله المنزلة الكبيرة عند السلطان وعند الناس حرس الله مجادته ، وأدام بمنه عافيته وسلامته .

ونص الكتاب الذي وجههم بـه السلطان رحمه الله مكتوبا فيه اسـم السلطان بداخل الطابع الشريف .

بسم الله الرحمان الرحيم   ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

من عبد الله المتوكل على الله ، المفوض أمره الى الله ، أمير المومنين بن أمير المومنين بن أمير المومنين بالمغرب الاقصى ، وهو محمد بن عبد الرحمان وفقه الله وأدام الله نصره ، وزين بالخيرات عصره .

الى المحب الذى حل من مراتب الرئاسة أسناها ، وحاز من خصال التقدم أقصاها وأدناها، فأصبحت ألسنُ الرؤساء لهجة بذكره، مفصحة بتسليم نتائج فكره ، ملك الممالك الفرنساوية السلطان ناپليون الثالث بونپارتي .

أما بعد ، فموجب تحرير هذا المسطور اليكم ، اعلامكم بما تضمنه الفؤاد من خالص المحبة وحفظ الوداد ، وأننا مسرورون بما يتجدد لدينا كل وقت من عقد أسبابها ، وما يظهر كل حين من تشييد أركانها وفتح أبوابها ، فان محبتنا معكم الشخصية زادت على ما كانت عليه في عهد الاسلاف ، وذلك لما جُبلتم عليه من صفاء الطويـة وحسن الائتلاف ، فـان القلوب في الوداد تتضاهى ، وما بني على أصل وثيق كان جديرا بأن يعظم ويتناهى .

وبموجب ذلك عينا للسفارة اليكم خالنـا الارضى الانجد القائـد محمد بن عبد الكريم الشرقي وهو أحد باشات جيشنا ، ومن كبراء رجال دولتنا ، مع ما تشرّف به من قرابة الرحم لدينا ، ومعه خديمنا الارضى الامين الحاج محمد بن سعيد قائد سلا ، وهو عندنا أيضا بالمكان المكين ، لما تخلق به من الادب والعقل الرصين ، والغرض من توجيههما تجديد العهد بكـم ، والحرص على موالاة المواصلة معكم ، لما في ذلك من تأكيد أسباب المحبة بين الدولتين ، وتمهيد طريق الخير بين الايالتين ، والظن بشيمتكم مقابلتهم بحسن قبول ، وتبليغهم في وجهتهم غاية المأمول ، جرياً على عادتكم القديمة ، وسلوكاً على طريقتكم القويمة ، وقد حملناهم ما في خاطرنا من أمور السياسة الجالبة لمصالح الجانبين ما يقررونه لديكم ، ويعرضونه عليكم ، ففي إخبارهم كفاية ، وأوصيناهم بحسن الاستماع لما تلقونه اليهم ، والادب في تلقّي ما تعرضونه عليهـم .

كما أننا نتحقق أنكم لحسن معاملتكم ومزيد محبتكم ، توصون نوابكم الذين توجهونهم للخدمة بايالتنا السعيدة بحسن المعاملة، والتقصّي في ترحيب الصدر والمجاملة ، والوقوف عند الشروط ، والعمل بمقتضاها .

والتمام في الثاني والعشرين مـن ربيع الأول سنة اثنتين وثمانـين ومئتين وألف .

واعلم أن هذا الكتاب بديع" في بابه ، غريب في منواله ، قد اشتمل من التوريات والنكات ومقتضيات الأحوال على ما يشهد لمنشئه بالمعرفة والمهارة ، والبصيرة والبصارة ، رحمه الله .

وفي شوال مـن هذه السنة مرض السلطان رحمه الله مـرضا شديدا أشرف منه على الهلاك ، بل أشاع المرجفون أنه قد هلك ، واضطربت أحوال الرعية ، وعاد أعراب البادية الى العيث في الطرقات ، واستلاب الناس بها من المارة وغيرهم ، وحاصر عرب عامر مدينة سلا ، وعاثوا في جناتها ، ومنعوا الداخل اليها والخارج منها ، وغلقت الابواب ، واستمر ذلك الى عيد الاضحى .

ثم ورد الخبر اليقين بابلال السلطان وافاقته من علته ، وكانت علته الـداء المعروف بالخوانق ، بلغ به الى حد اليأس والاشراف ، ثم تدارك الله المسلمين بلطفه ، ومنّ على امامهم بالعافية ، فأعمِلَتْ المفرحات والولائم في جميـع الامصـار .

قال محمد الكنسوس ما ملخصه : « لما أفـاق السلطان رحمه الله مـن علته هذه ، كتب حجاب الحضرة ووزراؤها لابنه الخليفة المنتصر بالله ، المولى الحسن بن محمد يهنئونه بعافية السلطان ، فأمر هذا الخليفة أعزه الله باخراج المدافـع والانفاض حتـى اهتزت الجبال ، ثـم دعا أيده الله الناس الدعـوةَ الجَفَـلا ، فلـم يتخلف ممن كـان بمراكش أحدٌ مـن العقلاء ، فأمـر أيده الله بتهيئة جنان رضوان ففتحت أبوابه ، وفرشت قصوره وقبابه ، وفجرت أنهاره حتى تفتقت أزهاره ، وحضر وجوه الدولة وأعيانها ، ورؤساء القبائـل وأقيالها ، وكان ذلك بأثر عيد الاضحى قبل انفصال وفود العيد عن الحضرة ، ثم اندفع عليهم من الدار المولوية من سيول موائد الطعام الفاخر ، ما عمّ الأول منهم والآخر ، هذا للعامة المطلقة ، والأوزاع الملفقة ، وأما الخواص والوجوه فلهم الحظ الاوفر من العناية ، والخطاب بصريح الترحيب دون كناية، بالقعود على الفرش الحريرية المذهبة ، والمقاعد العالية المطنبة ، والرش بمياه الازهار ومباخر الطيب ، وكل معنى لطيف ومنظر عجيب ، وقد أحضر كل واحد ما شاء من آلات اللهو والفرح على حسب ما اشتهى واقترح ، فلا تكاد تسمع في تلك المجالس والمغاني ، الا أصوات المثالث والمثاني ، وضروب الالحان والاغاني ، واستمر الناس في ذلك ثلاثة أيام ، والمولى الحسن الخليفة أعزه الله مع اخوته وبني عمه في القبة المحمدية الصويرية المشرفة على مجارى الخيل ، وملاعبها ومطاردها ومتاعبها ، وكل عشية يركب من بالحضرة من الوجوه والاكابر ، على عتاق الخيل والجياد الضوامر ، ويبدي ما عنده من الثقافة والفروسية ، مع اظهار الشارة المخزنية والابهة الملوكية .

ثم بعد هذا شرع كبار الدولة ووجوهها ورؤسائها وقوادها في انتخاب الصنائع والولائم ، كل على حسب ما أداه اليه اختياره واعتناؤه ، ثم تتابـع

الناس في نزهاتهم ، واظهار أبَّهاتهم ، وأنتخاب دواعي الافراح ، ومقتضيات الازدهاء والانشراح ، فما يمر أحد ببستان الا ويجد به جماعة زاهية ، وطائفة منبسطة لاهية ... » .

وفي سنة ثلاث وثمانين ومئتين وألف ، كان بالمغرب جراد سدَّ الافق، وذلك في ربيع الاول الموافق لشهر مارس العجمي ، فأكل النجم والشجر ، ثم عقبه فرخه المعروف بآمردْ ، فأكل كلَّ خضراء على وجه الأرض ، واستلب الاعواد من أوراقها وقشرها من لحائها، وفاض في الامصار حتى دخل على الناس في بيوتهم .

وفي سنة أربع وثمانين ومئتين وألف ، كان الغلاء المفرط بالمغرب الذى لم يتقدم مثله ، بلغ فيه الربيَّعْ وهو ربع ثمن المد بسلا ورباط الفتح ستين أوقية ، وباع الناس أثاثهم وحليهم بالبخس ، وكان الامر شديدا على الضعفـاء .

وفي ذي القعدة 1284 توفي القائد الاجل عبد الله بن عبد الملك بن بيهي الحاحي ، وكان من كبار قواد المغرب ، وأهل البذل والايثار ، والمعروف له في ذلك أخبار مذكورة رحمه الله .

وفي سنة خمس وثمانين ومئتين وألف ، كان الوباء بالمغرب بالقيء والاسهال المفرطين ، على نحو ما وصفناه في السنين الماضية .

وفي زوال يوم الاحد الحادى عشر من جمادى الاولى من السنة المذكورة توفي قاضي سلا الفقيه العلامة الورع محمد العربي بن أحمد بن منصور ، ودفن بالجبانة المتصلة بضريح الشيخ ابن عاشر رضي الله عنه ، وكانت لهذا القاضي سيرة حسنة وعدل في الاحكام وتأني فيها ، مع سمت ومروءة وانقباض رحمه الله . وبقيت سلا بلا قاض أربعين يوما ، حتى وقع اختيار السلطان على شيخنا الفقيه العلامة القاضي سيدي أبي بكر ابن الفقيه العلامة القاضي سيدي محمد عواد رحم الله الجميع .

وفي هذه السنة أمر السلطان رحمه الله بضرب الدرهم الشرعي ، وحاول ضبط السكة به ، وحمل الناس على أن لا يذكروا في معاملتهم وانكحتهم وسائر عقودهم الا الدرهم الشرعي، وشدد في ذلك وكتب فيه الى ولاة الامصار، يقول في كتابه ما نصه :

وبعد ، فان أمر السكة من الأمور الواجبة المتعين رد البال اليها والاهتمام بشأنها ، والنظر فيما يصدر بسببها ، من النفع والضرر للمسلمين وبيت مالهم . وقد كان أسلافنا رحمهم الله اعتنوا كثيراً بشأنها وبضبط مصالحها ودفع مفاسدها ، وجعلوها على قدر شرعي معلوم لضبط أمرها والتبرك بتلك النسبة ، اذ بذلك يعلم المسلم علم يقين كمال النصاب عنده فتجب عليه فيه الزكاة التي هي من دعائم الاسلام ، أو عدم كماله فلا يكون مخاطباً فيه بشيء .

ولما رأينا ما حدث فيها من التغيُّر وعدم الضبط ونشأ عن ذلك من الضرر للمسلمين وبيت مالهم ما لم يخف على أحد ، اقتضى نظرنا السديد ردها لاصلها الاصيل الذى أسسه أسلافنا الكرام سنة ثمانين ومئة وألف ، اذ لنا فيهم اسوة حسنة في الاجمال والتفصيل ، فرددنا الدرهم الكبير المسلوك على وزن الدرهم الشرعي والمنهاج المرعي، كما كان على عهد جدنا سيدي الكبير (1) قدسه الله وجدد عليه وابل رحماه ، بحيث تكون عشرة دراهم منه هي المثقال ، كما هو معلوم أن عشرة دراهم من الدراهم التي كانت تروج قبل على عهد أسلافنا رحمهم الله هي المثقال ، وبهذا العدد الذي هو عشرة منه في المثقال تكون جميع المعاملات والمخالطات في البيع والابتياع وغيرهما بين جميع رعيتنا السعيدة في كل البوادى والحواضر ، وبه أمرنا جميع العمال ، ومن هو مكلف بعمل من الاعمال ، واشاعته ليبلغ الشاهد الغائب ، وبه يقبل لجانب بيت المال . وأمرناهم بالعمل بهذا الامر الذى أصدرناه وأبرمناه بحول الله وأمضيناه ، وأن يعاقب كل من عثروا عليه ارتكب خلاف ذلك ، وبأن يسلكوا به أضيق المسالك ، جزاء وفاقاً على مخالفته وتعديه الحد وافتياته .

1) يعنى السلطان سيدى محمد بن عبد الله

نعم ما سلف من المعاملات بجميع أنواعها فيما تقدم قبل تاريخ هذا الكتاب ، فحكمه حكم ما تقدم في السكة ، فلا يكلف أحد بزيادة ، ومن كان بذمته شيء فيما سلف يؤديه بحساب ما كانت تروج به السكة في الريال والدرهم ، والعمل بهذا الذى أمرنا به هو من الآن لما يستقبل ان شاء الله ، وبهذا يزول الاشكال فيما تقدم بين الناس في المعاملات .

ونسأل الله أن يخلص العمل في سبيله ومرضاته ، ويجازي من فضله وكرمه على قصده وصلاح نيته ، والسلام .

في ثامن شوال عام خمسة وثمانين ومئتين وألف .

وفي يوم الجمعة السادس عشر من شوال المذكور ، توفي البركة الخير المنتسب سيدي الحاج محمد بن العربي الدلائي الرباطي بالدار البيضاء ، ودفن يوم الجمعة بالزاوية المنسوبة اليه بها رحمه الله ، ونفعنا به .

وفي هذه السنة كان سوق دار البلار بپاريس من أرض فرنسا ، وذلك أن الطاغية ناپوليون الثالث لما بلغ من ضخامة الدولة ، ونفوذ الكلمة ما قل اتفاقه لغيره من الاجناس ، حاول أن يتجاوز ذلك الى أن يجلب الى رعيته ودار ملكه كل أمر غريب في العالم ، حتى يجتمع عنده ما افترق لغيره من الاجناس ، فكتب الى ملوك الآفاق يقول : أنه قد عزم على اقامة سوق بپاريس في وقت معلوم ، وطلب منهم أن يبعثوا بتجارهم ليحضروها ، وجلب سلعهم وغرائبهم إليها ، وقصده بذلك عموم النفع ، وتعدي الصنائع والحرف من أمة إلى أخرى ، فأجاب الملوك داعيه بمقتضى العرف الجاري بين الدول ، والعادة المقررة من عهد الملوك الاول ، ولم يبق الا من بعث تجاره ونفائسه وغرائبه من الجليل الى الحقير ، فكان السلطان سيدي محمد رحمه الله قد بعث تاجره الحاج محمد بن العربي القباج الفاسي المعروف بالفرانساوى ، وهذا الرجل من العارفين باللسان الفرنسوى الفرنجي ، البصيرين بعوائد ذلك الجيل ، ولذلك لقب بالفرنساوى ، وبعث معه السلطان رحمه الله كل شيء غريب مما اختص به قطر المغرب من سروج مذهبة ، ومناطق مزخرفة ،

وقطائف منمقة ، وغير ذلك من الاعلا الى الادنى، حتى الزليج الفاسي، والمعلمين الذين يباشرون ترصيعه في محاله ، وحضر هذا السوق الملوك فمن دونهم من كل اقليم حتى السلطان عبد العزيز العثماني رحمه الله ، فكان الحال كما قال أبو الطيب المتنبي :

تجمع فيه كل لسن وأمـــــــة فما تفهم الحداث الا التراجــــــم

وأقامت عمارتها ثلاثة أشهر ، ثم انفضّ الناس الى بلادهم ، ولما بلغ ناپليون الثالث الى هذه الغاية فاجأته وقعة البروس(1)التي كسرت من شوكته، وفلت من غربه ، وقبض عليه باليد ، وحوصرت دار ملكه پاريس مدة طويلة ، فبلغ فيها لحم الحمار أربعة ريالات فرنك(2) لكل رطل على ما قيل . ولم تغب عنهم محنة ، ووقع الصلح على شروط ، منها ألف مليون من الريال تدفعها دولــة فرنسا لدولة البروس .

وفــي عشية يــوم الخميس 14 شعبان 1286 ، توفــي الوزير محمد الطيب بن اليماني أبو عشرين ، وسبب وفاته أنه كان به داء الحصر ، فدخل الميضأة التي بمشور أبي الخصيصات مــن دار السلطان بحضرة مراكش ، فيقال أن مثانته تمزقت فمات رحمه الله وحُمل الى داره ، وصلى عليه بعد صلاة الجمعة بمسجد المواسين ، وحضر جنازته الجم الغفير . ودفن بضريح الشيخ الغزواني من حومة القصور ، وكان رحمه الله ذا جد في الامور ، ونصح للسلطان والمسلمين .

وفي ليلة الخميس 14 ربيع الثاني 1287 ، خسف القمر خسوفاً كليا بعد الغروب الى نصف الليل .

وفي فجــر يوم الجمعــة 8 جمادى الاولى 1287 ، توفي الولي الصالــح الناسك السني محمد الطيب ابن الشيخ الاشهر مولاى العربي الدرقاوى ،

---

1) يريد الحرب الفرنسية الالمانية التى وقعت سنة 1870 وانتهت بانتصار ألمانيا وعودة الجمهورية الى فرنسا

2) ريال الفرنك يساوى خمسة فرنكات فرنسية

ودفن بمحل زاويته بامجوط من بلاد بني زروال ، وكان من خيار عباد الله على غاية من التقوى والورع والتواضع مع الناس ، يركب الحمار ويلبس الجبة ولا يتميز عن أصحابه بشيء ، مع السكينة والوقار وعدم الخوض فيما لا يعني، والاعراض عن زهرة الدنيا وأهلها ، رحمه الله ونفعنا به .

وفي التاسع والعشرين من رمضان من السنة المذكورة انكسفت الشمس ، وكان ابتداء الكسوف على ما أعطاه التعديل بعد الزوال بنحو نصف ساعة ، وكاد يكون كليا حتى أظلم الجو ، وبقي من الشمس حلقة نورانية يسيرة ، ولم يمكن تحقيق وقت التجلي لتراكم السحاب . وفي هذه الايام ظهرت حمرة في السماء غريبة أرجوانية مع غاية الصحو ، وكان ظهورها يكون فيما بين العشائين معظمها في جهة الشمال ، ودامت كذلك نحو سبعة أيام ، وانقطعت .

وفي ليلة السبت الثامن من شوال من السنة المذكورة أعلاه وذلك في الساعة الثالثة منها ، زلزلت الارض ولم يشعر بها كثير من الناس لكونهم نياما .

وفي سنة تسع وثمانين ومئتين وألف ، غزا السلطان سيدى محمد رحمه الله قبائل تادلة ، فمرّ على السماعلة في منتصف رجب ، ثم منهم لبني زمور ، ثم لأبي الجعد ، ثم توجه لقصبة تادلة ، وعبر القنطرة ونزل على بنى عمير ثم زحف لبنى موسى ، فأوقع بهم لانهم كانوا خارجين على عاملهم الغزواني ابن زيدوح ، فقطع خمسين رأسا منهم وقبض على أربعين مسجونا . وفي اثناء ذلك قدم عليه وفد أهل مراكش ، وكانوا قد ثاروا على عاملهم أحمد بن داوود لكونه كان يسير فيهم سيرة غير حميدة ، فقدموا على السلطان متنصلين مما فرط منهم ، فاعرض السلطان عنهم ولم يسمع منهم كلاما ولا قبل لهم عذرا ، فرجعوا مخفقين ، ثم تقدم السلطان الى مراكش وهو غضبان على أهلها، وكانوا مظلومين فيما قيل ، الا أنه لبس على السلطان في أمرهم ، فلما شارف المدينة خرجوا اليه بالعلماء والقراء وصبيان المكاتب متشفعين ،

ثم يقف لهم الا التفت اليهم ، وكان ابنه وخليفته المولى الحسن حاضرا يومئذ ، فتقدم الى أهل مراكش ورق لهم وقال لهم قولا جميلا ، وكان هذا الحادث في رمضان من السنة المذكورة .

ثم لم يلبث ابن داوود بعد ذلك الا مدة يسيرة حتى توفي وتخلصت قائبة من قوب ، وعفو الله بعد ذلك مرقوب .

وفي سنة تسعين ومئتين وألف ، كانت جائحة النار بكثير من بلاد المغرب أحرقت الزروع والثمار ، واجيحت الجنات ، وتراجع الناس في أثمان ما بيع منها بعد اثبات الموجبات .

وكانت أيام السلطان سيدي محمد رحمه الله في أولها شديدة بسبب ظهور العدو على المسلمين ، وما عقبه من الغلاء والموت ، ثم بعد ذلك اتسع الحال وحصل الامن ، وانخضدت شوكة قبائل العرب بالمغرب ، وأمنت الطرقات من عيثهم ، وازدهت الدنيا ، ورخصت الاسعار رخصا يسيراً ، وكان الناس ممعشين في أيامه ، وغلت الدور والاملاك حتى كانت في بعض السنين لا تسمسر ، ومن يشترى دارا انما يشتريها بالتنقير عنها والطلب من ربها بالثمن الجافي ، واتخذ الناس ذوو اليسار المراكب الفارهة ، والكسي الرفيعة ، والذخائر النفيسة ، وتأنقوا في البنيان بالزليج والرخام والنقش البديع لا سيما بفاس ورباط الفتح ، ولاحت على الناس سمة الحضارة الاعجمية .

وكان للسلطان سيدي محمد رحمه الله في كل بلد عيون يكتبون له بما يقع من الولاة فمن دونهم ، فكانت الرعية كأنها في كف يده ، وكان أولائك العيون من العوام ، فكانوا يكتبون له بالغث والسمين ، فيسمع ذلك كله ، فينتقي منه الصحيح ويطرح السقيم ، فاستقامت أحوال الرعية بذلك .

وكانت وفاة أمير المومنين سيدي محمد بن عبد الرحمان رحمه الله في زوال يوم الخميس الثامن عشر من رجب الفرد الحرام سنة تسعين ومئتين وألف بداره بحضرة مراكش في البستان المسمى بالنيل ، ولم يمرض الا يوماً أو بعض يوم ،

قيل أنه شرب دواء مسهلا فكان فيه أجله، والله أعلم . ودفن ليلا بضريح جده المولى علي الشريف قرب ضريح القاضي عياض ، وكتب على رخامة قبره أبيات ليست من جيد الشعر وهي :

أمستعبراً حولي رويدك إنـــــــي ضريح سعيد حل فيه سعيـــــــد
هو العلوي الهاشمي محمـــــــــد أمام له في الملك سعي حميـــــد
أبوه أبو زيد وقدس ذكـــــــره فقد كان يبدى في العلا ويعيـــــد
ترحم عليه واعتبر بمصابـــــــه فقد كان يُبدي في العلا ويُعيـــد
ومن رام تاريخ الوفاة فقل لـــــه بشعرك أرّخ ما عليك مزيـــــد

وكان السلطان سيدي محمد بـن عبد الرحمان رحمـه الله متقياً لله تعالى ، بانياً أمره على الشرع لا يشذ عنه طرفة عين ، حتى أنه لما عزم على بناء داره التى برباط الفتح ، قام جماعة من أهل البلد يطلبون منه النصفة في جناتهم التى هنالك ، فأذعن رحمه الله لأعمال الشرع معهم واستناب وكيلا عنه ، واستنابوا هم وكيلهم أيضاً ، وتحاكموا لدى قاضي سلا الفقيه محمد العربي بن أحمد ابن منصور ، ثم انفصلت القضية عن ضرب من الصلح بأن أعطاهم أثمان جناتهم أو بعضها وذهبوا بسلام .

وكان رحمه الله حازماً في أمره ، عالي الهمة ، رامياً بها الغرض الأقصى، إلا أن الزمان لم يساعده كل المساعدة ، فكانت همته أجل من دهره ، وكان ذا سياسة وسكينة ، وتأنٍّ في الأمور وتبصر بالعواقب ، كثير الحياء ، بعيد الغضب ، سريع الرضا ، مشفقاً على الرعية ، متوقفاً في الدماء ، لا يزايل خوفُ الله قلبَه ، رحمه الله ونفعنا به وبأسلافه .

وله آثار بالمغرب منها ما خلده أيام خلافته في حياة والده ، ومنها ما فعله بعد ولايته ، فمن آثاره في أيام أبيه كما قـال الكنسوس : إجراء الأنهار وتفجير العيون التي عجز الملوك المتقدمون عنها ، وتكملة غرس أكدال بحضرة مراكش ، وكان في زمن الصيف يناله الجدب من قلة الماء ، لأن بركه التي كان يختزن بهـا الماء كانت قد تعطلت بامتلائهـا بالتراب والطين الذي تجلبـه

السيول اليها ، وأعظمها البركة الكبرى التى بدار الهناء ، وكان يقال لهـا البحر الاصغر ، وطولها اثنتا عشرة مئة قدم ، وعرضها تسعمئة قدم حسبما أخبر من قاسها ، وكان تربيعها بمنزلة سور القصبة ، فجاء من بنَى في وسطها قرية بدورها وأزقتها وأسواقها ، فجاء السلطان سيدي محمد رحمه الله أيام خلافته ، فأمر باخراج ما في تلك البرك والصهاريج كلها وتنقيتها من الطيون المتحجرة ، فاجتمع على ذلك عالم من الناس فكنسوها ، وعادت الى حالها الذى بنيت لاجله وهو اختزان الماء لوقت المصيف ، وبذلك كمل المراد من أكدال وصار آمناً من العطش والامحال .

ومن ذلك أيضا احياء عين أبي عكاز خارج باب الطبول من مراكش ، وكانت لها بركة بائدة على الوصف الذى ذكرنا ، فعمد اليها سيدي محمـد رحمه الله وفجر لها عينا ثرة وماء غدقاً ، وأجراه الى البركة المذكورة بعد أن أمر بتنقيتها واصلاحها ، فعاد ذلك البسيط الذى حولها مزارع نفاعة تغنـي الزارعين وتبهج الناظرين ، وبنى رحمه الله حولها قلعـة يأوى اليها الاكـرة والحراثون بأنعامهم ومواشيهم ، واتخذ هنالك من إناث الخيل المعدة للنتاج عددا كثيرا .

ومن ذلك احياء عين المنارة ، وبركتها العظمى التى تقرب من البحر الاصغر بدار الهناء ، وكانت قد عطلت منذ زمان فقيض الله لها هذا السلطان فجمع الأيدي عليها حتى أخرج ما في جوفها من جبال الطين ، وأصلح ما تشعت من حيطانها ، وأجرى اليها العيون والانهار ، وأمر بغرس ما حولها من الفضاء بأنواع الاشجار ، وضاهى بها جنة أكدال .

ومن ذلك أيضاً إجراء النهر المسمَّى بتاركة ، المستمد مـن وادي نفيس ، فانه ضاهى به النهر القديم الذى هنالك ، وهذا النهر الجديد أنفع منه وأوسع ، أحيا الله به تلك البسائط التي بين مراكش ووادي نفيس .

ومن ذلك أيضاً اجراء النهر الذى جلبه من تاستاوت الـى البسيط الذي بين بلاد زمران والرحامنة والسراغنة وهو المسمى بفيطوط ، فصـار

ذلك كله رياضاً مخضرة وبساتين ذات أزهار مفترة ، وبنى فيها رحمه الله قصبة عامرة ، يأوي اليها الوكلاء والفلاحون ، وصارت آهلة عامرة بعد أن كانت بائدة غامرة .

ومن آثاره بعد ولايته أمر المومنين داره الكبرى بأكدال رباط الفتح ، والسور الكبير المحيط بنسيطها ، وجلب الماء اليها بعد أن صير عليه أموالا كثيرة ، وأحيا جامع السنة قربها ، وكان بائدا يعشعش فيه الصدى والبوم ، وأقام فيه الصلوات الخمس ، والخطبة كل جمعة ، وأحيى المسجد الصغير هناك المسمى بمسجد أهل فاس ، واعتنى به وزخرف سقوفه ، وانتهج الطريق من الدار المذكورة الى الوادي أسفل من حسان تسهيلا على المارة وتقريبا عليهم .

ومنها : أنه نقل طائفة من الجيش السوسي الذى بالمنشية وأوطنها حول الدار المذكورة بأكدال ، فاستطابوا المقام هناك وحسنت حالهم ، وانعمرت بهم تلك الناحية ، وهم الآن بهذا الحال .

ومنها بالدار البيضاء المسجد الجامع بالسوق ، وكان الصائر عليه من أحباس المسجد القديم ، وانما السلطان رحمه الله أذن في بنائه باشارة عاملها يومئذ محمد بن ادريس الجراري ، ومنها الحمام القديم الذى بها ، وكان الصائر عليه من بيت المال ، وأصلح رحمه الله أسوار الجديدة وأبراجها ، واعتنى بشأن الثغور ، وبعث من نوابه من يتفقد أحوالها .

ومنها بمراكش دار فابريكة معمل السكر بأكدال منها ، صيّر عليها أمولا طائلة ، وجاءت على عمل متقن وهيأة ضخمة ، الا أنها اليوم معطلة لقلة المادة ، ومنها دار فابريكة تزديج البارود بالمحل المعروف بالسجينة من مراكش أيضا .

ومن ذلك برج الفنار الذى على ساحل البحر بأشقّار قرب طنجة ، يسرج فيه ضوء كثير يظهر للسيارة في البحر ليلا من مسافة بعيدة ، وصيّر عليه مالا له بال ، وكانت المراكب تنشب بذلك الساحل كثيراً ، إذ لم يكن

لها علامة تهتدى بها في البحر ، ولما اتخذ السلطان رحمه الله هذا الفنار أمنت من تلك الآفات .

وله رحمه الله آثار كثيرة يطول ذكرها ، جعلها الله في ميزان حسناته، ورفع بها في عليين درجاته (1) .

ومن مآثره : اصلاح أسوار الجديدة وأبراجها ، وبناء ضريح الشيخ سيدي أحمد الشاوي بفاس والزيادة فيه ، فجعله مسجدا جامعا تقام فيه الجمعة ، وزيادته في سمك قبر مولانا ادريس الاكبر بزاوية زرهون الى غير ذلك . وكان رحمه الله ذا حلم ووقار ، وتأن واستبصار بعيد الغضب ، سريع الرضا ، مغضيا عما يمكن فيه الاغضاء ، وقد طبعت بعض ظهائره الشريفة بنصها في المكاتب المغربية ، فراجعها هناك .

وكان السلطان سيدي محمد كتب لخديوي مصر إسماعيل باشا في شأن مطالب ، فأجابه بمكاتب أثبتت في كتاب الآثار الفكرية المطبوع سنة 1315 ، وراجع ص 54 — 56 في شأن تعليم صنعة المطابع وصنعة التبرديج، والجواب في شوال عام 1283 هـ .

وقال في (الحسام المشرفي) عند ذكر السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان ما نصه :

أما أشياخه في القراءات في بداية أمره، فالفقيه الصالح الخير، وكوكب الدر النير ، الذي فلك الكرامات عليه يدور ، الشريف الغطريف سيدي قدور ، الصوصي من كورة سجلماسة ، وعليه دخل المكتب، ثم الاستاذ البركة، الموفق في السكون والحركة ، من خدمه الزمان والشوق في الله هزه ، أبو العبادات السيد حمزة ، من تافيلالت أيضاً ، ثم الخير الذى يعترف له بالفضل الجاحد ، الفقيه سيدي محمد بن عبد الواحد ، الفاسي ، الذي كانت له معرفة

1) ما تقدم من بداية الترجمة كله منقول من **الاستقصا** 9 : 80 وما بعدها ، طبع الدار البيضاء

بفن القراءات ، ثم الفقيه السيد العربي الوديي فقيه خير ، وله باطن نير ، ثم الفقيه الوجيه ، إمـام الكرامات النبيه ، مصباح أهـل زمانه ، ومفتاح قفـل المشكلات بين أقرانه ، العلامة الأواه ، الخائف مـن مولاه ، أستاذ الدرايـة والرواية ، الحامل لألوية العلوم التي أدرك فيها الغاية ، مَن ألف لأجله الفتح والتيسير ، وحرز الأماني ، طلعة السر سيدي الطيب ابن اليماني ، وهو والله من أئمة الدين الذين لهم فيه الرسوخ ، وممـن يشار إليهم بكمال المعرفـة ويدعون بالشيوخ ، ومن عزٍّ سيدنا المؤيد على والده المرحوم ورضاه عليه ، عينه له شيخاً وأفرده به ، أخذ عنه قراءات القرءان على وجهها ، ومن أجـل ذلك تمسك سيدنا بحسن العهد ، وجعله وزيراً منذ ولاه والده أمرَ الخلافة إلى أن ظفره الله بالملك فأقره عليها ، وهذا شأن سيدنا ، فكل من تقدمت له معه صحبة ولاه الولايات ، ورقاه أعلا المراتب والدرجات ، حسناً منه بالعهد ، وفي صحيح البخارى باب حسن العهد من الايمان ، وفي ذلك من كرم طباعه المؤذن بكرم طباع أسلافه ، ما يعلمه العام والخاص ، وفي مثل هذا يقول القائل :

ان الكرام اذا ما أيسروا ذكـــروا   من كان يألفهم في الموطن الخشـــن

وأشياخـه في العلميـات والادبيـات الدينيـة ، الفقيه النبيـه ، سيدي التهامي البوري ، فاسي الدار والقرار ، ثم العلامة الارضى ، الخيـر الأحظى ، الدراكة الفهامة ، سيدي محمد بـن الطاهر الفيلالي ، ثم العلامـة المدرس قاضي مكناسة الزيتون ونواحيها السيد بستير الرباطي ، ثم الفقيه النبيه ، الذي يعزُ له النظير والشبيه ، عربي اللسان في عدم اللحن وأسرار الفصاحة ، وأفيد مـن تصدى للتعليـم بنباهة ونصاحة ، السيد محمـد اذا بالحسن ، ثم الفقيه سيدي العباس ابن كيران الفاسي ، ثم سيبويه وقتـه ، السيد أبو بكر ابن العلامة سيدي الطيب ابن كيران الفاسي .

وأشياخه في التوقيت والحساب وعلم الهيأة والتعديل يحفظ له في بعضها والله أعلم الفقيه السيد علي بـن عبد الواحد ، وربما أخذ شيئاً فـي التوقيت عن الحاج محمد الحبابي .

وأما قراءة الحديث في الاشهر الثلاثة : رجب وشعبان ورمضان وأشياخه فيه العالم العامل ، صدر الدين الكامل ، الدراكة العلامة ، الحافظ الفهامة ، ذو الأدب الصوفي ، والخير العُرفي ، سيدي المدني الغرفي ، ثم العلامة الفقيه المدرس الكامل المفتي بالديار المراكشية ونواحيها سيدي عبد القادر الدباغ .

ومن الذين يسردون الحديث مولاي أحمد بن ادريس الشبيهي الزرهوني ، والشريف سيدي الحبيب الصوصي من الذين يحضرون مجلسه ، وكذا الفقيه العلامة ، إمام الأيمة ، سيدي بنعبد الله المجاوي من الذين حضروا لمجلسه الشريف مرة واحدة ، والفقيه سيدي الهادي أخ القاضي العلامة السيد السعيد المراكشي .

ومن أشياخه في الحديث أيضاً العلامة سيدي محمد بن الحاج حمدون الفاسي ، والذين يحضرون مجلسه الشريف وقت الحديث الفقيه سيدي عبد الله الدّمَنى ، والفقيه الاديب السيد أحمد الوداني ، والسيد محمد الامين الصحراوى ، والفقيه العلامة سيدى محمد بن عبد الله الغزاوي .

وبعد استقلاله بالامارة ، فسح مجلسَه في هذه الاشهر الثلاثة للفقيه العلامة الوجيه أبي الاحسان والمودة ، سيدي المهدي ابن سودة المري ، وليس عليه المعتمد في حل ما أشكل ، بل سيدنا أيده الله ممن بلغ الغاية في معرفة الحديث والتدريس ، ومن الذين يسردون الحديث صنوه السيد محمد ابن سودة، والسيد عبد القادر العراقي،وديار هؤلاء الفقهاء ديار علم وعمل،وكان يحضر معهم الشريف الغطريف مولاي العربي بن الصديق ، ومن الذين يحضرون مجلسه أيضاً زمان الخلافة ، السيد محمد ابن جلون المراكشي سراداً ، وبعده ولده ، وهذه عادة مولانا نصره الله ، حسن العهد كما ذكرنا أولا، فمَن مات من أصحابه لا يفوت أولاده أهل الفلاح والصلاح ، حتى يظهر من أولادهم ما ينفي رتب آبائهم جعله في الغير ، ولسيدنا البارع في علم الحديث الذي لا يدرك ، وله معرفة كبيرة في صحيح الحديث وسند رجاله ومناسبة الترجمة مع المتن ، حاصلى متن الحديث وسنده عن ظهر قلب منه ، حسبما رويناه عن أيمة الحديث الذين

يحضرون مجلسه الكريم ، وقالوا إنه أهتم بشرح يجعله على الجامع الصحيح ، ليكون جامعا لتعداد الاحاديث المكررة والرواة ، فمنعه من ذلك اشتغاله بكلف الرعية التي كلفه الله بها ، حقق الله رجاءه ، وله بحث وفهم دقيق ، يغوص رضي الله عنه على درر المعاني ، وكل سنة يبدأ صحيح البخاري في رجب ويختمه في 27 رمضان الأبرك ما لم تشغله الاعذار عن ختمه ، فيتبرك منه ولو بجملة ، نفعه الله به آمين .

وحيث قلنا السند مطلوب في كل شيء ، فسنده في الامارة معلوم ، فقد أخذها عن والده بالعهد ، ولم تكن بالوصية الشرعية من النبي صلى الله عليه وسلم صراحة ، فان النبي صلى الله عليه وسلم قال مروا أبا بكر فلْيصلِّ بالناس ، ففهموا منه أنه إنما قدمه في الدين ليقدم في الدنيا ، فلا يقال إنه تسوّر عليها ، أو من ظهرت شوكته وجبت طاعته ، فأخذها بالعهد مقرر في فروع المالكية وسائر المذاهب ، وبالعهد كان يأخذها ملوك السلف ، فلا حاجة إلى نقل النص الصريح فيها للطول المؤدي للملل .

كما أخذ سند الرماية عن أناس من حمير بزاوية البركة سيدي بوسونة، وكل ذلك ابتداء لا دواماً ، فقد تلاقى مع غيرهم مشهورين بالرماية .

كما أخذ سنَدَ التادلي دفين باب الساكمة من فاس العليا بمصلى العيد ، وهذا هو عمدته في البداية ، والا فله أشياخ غيره ، وسنده في رماية المكحلة محفوظ حسبما قدمنا آنفاً ، وأما سنده في المدفع فلم نحفظ له شيخا ، غير أنه فيه شديد الساعد ، وما نصب غرضاً فأخطأه به أصلا .

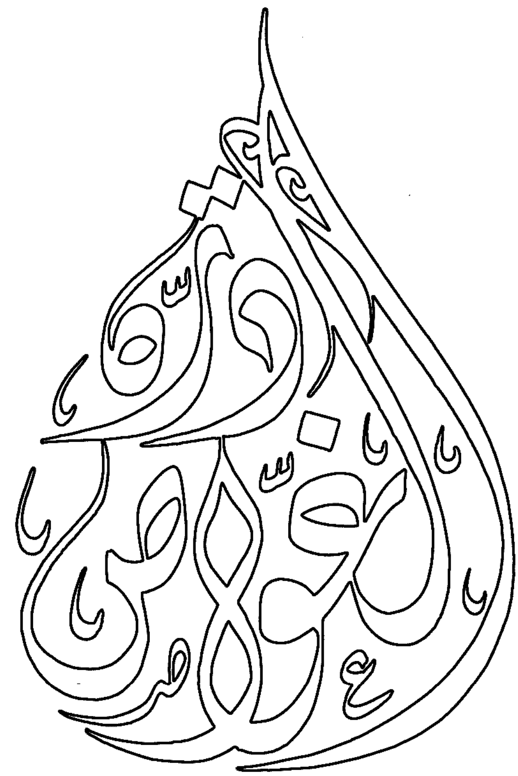
ودولته المحمدية لها جيوش وعساكر ، وقواد وأمراء ودائرة تدور بين يده كل يوم ، وبطانة ووزراء ، وكتاب أشغال ، وأمناء صائر ، ونظماء ، وأهل خدمة عامة وخاصة ، فجيوشه الملازمون لخدمته حضرا وسفرا خمسة قبائل بل ستة : بخاري ، شراكة ، الجامعيون ، شراردة ، الوداية ، سوس المنشية ، وجيوش الثغور الريفية ، وكلهم أهل خيل .

وعساكره الرجلية ، ليس لهم قبيلة مخصوصة ، بل هم من سائر القبائل ، وذكرت الجيوش وأهل الخدمة العامة حتى سائر القبائل قاسيا ؛ فقوله تعالى : « محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار » الآية ، وتشريعا للامة اذ لو شاء الله ذكر محمد وحده لذكره .

فالجيش البخاري سكناه حضرة مكناس ، وقواد الحضرة السلطانية وبطانة السر واعيان الدائرة منه ، وهم على مراتب .

فالذين عليهم المدار ، وأهل الخدمة الباطنية في صُفَّة الدار ، الوزير الاكبر ، الكبريت الأحمر ، روض البهار والنسرين ، الفقيه سيدي الطيب أبو عشرين ، صموت وقور ، تنصت لقوله بيزان الدولة والصقور ، وبوجوده في دار المخزن تعظم الهيبة ، وربما يجد الناس تنفسا بخروجه منها وساعة الغيبة ، فاذا جاء سكن الكبير وسكت الصغير ، وفي ترجمته السابقة ، ما يغنى عن هذه النتفة في أوصافه اللاحقة .

ومنهم نقيب الأبرار ، وترجمان الأخيار ، وسفير الملوك الأحبار ، أبو البشرى الفقيه سيدي محمد الصفار ، فهو أمين الدعاوي ، وأمير الشكاوي ، وبأكثر من هذا وصفته ، وبمدح بلدته سابقا ترجمته ، ثم ترجم للقائد الطيب الوديني قائد فاس ، والباشا على مكناس مَحمد بن القائد وخليفته القائد حم ، وترجم بمكناسة الزيتون لنقيب شرفائها العلويين مولاي أحمد بن علي بن زيدان .


درة الغواص

فهرس

الجزء السادس من (الاعلام)

تابع حرف الميم

النـمـرة		الصحيفـة

النـمـرة		الصحيفـة

الإعلام

بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام

تأليف

العباس بن إبراهيم السملالي

قاضي مراكش

راجعه

عبد الوهاب ابن منصور

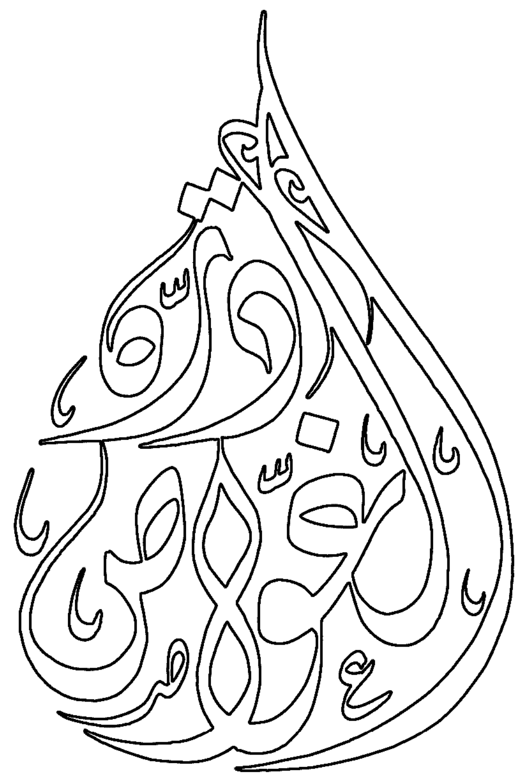
مؤرخ المملكة عضو أكاديمية المملكة المغربية

(الطبعة الثانية)

1413 هـ - 1993 م

المطبعة الملكية - الرباط

الجزء السابع



الإعلام

بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام

تأليف

العبّاس بن إبراهيم

الجزء السابع

تحقيق

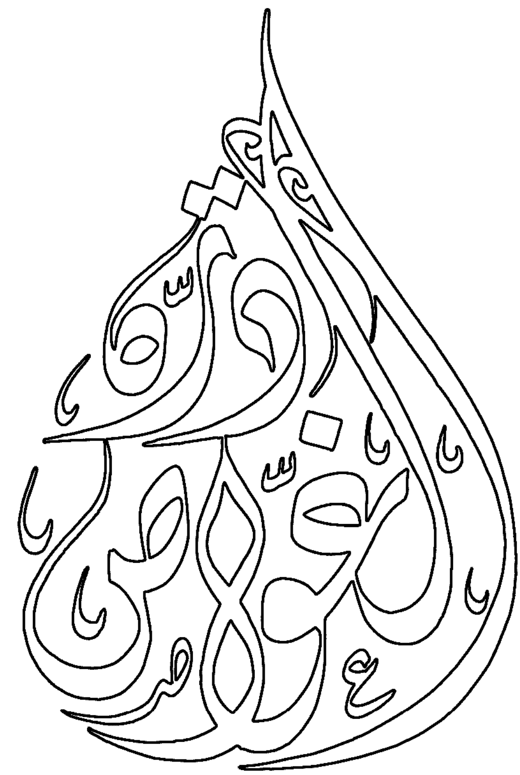
عبد الوهاب ابن منصور

مؤرخ المملكة المغربية

1397 هـ

1977 م

المطبعة الملكية - الرباط



بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

847) **محمد بن الطالب الحربيلي المراكشي** الفقيه الاستاذ ، كان رحمه الله معدلا حيسوبياً عارفا بالتوقيت والقراءات ، حافظاً لقراءة حمزة ، أقرأ ودرس الحساب والتوقيت ، وكان يزوره السيد عبد الله بن أحمد (1) في محله ، وأخذ عنه السيد أحمد بن إبراهيم النظيفي ، وكان يوقِّت بجامع ابن يوسف مع رفيقه السيد الطائع الجنَّان ، وكانت فيه حدة ، يُواخذ مَن يتراخَى من المؤذنين في الأوقات .

توفي عن نحو سبعين سنة عام تسعين ومئتين وألف .

848) **محمد الخراص** لقباً المراكشي ، كان خراز الجديد في سوق النعال ، ثم صا ر يخرج البالي ، كان رجلا متورعاً صالحاً زاهداً متبعا للسنة ، مستعملا نفسه في خدمة قُوته بوجه حلال كالصيد ، باراً بوالدته ، حجَّ وزار ، وكان من الاخيار الأبرار .

توفي رحمه الله في العشرة الثامنة من القرن عشر ، ودفن بالمقبرة من ضريح القاضي عياض رضي الله عنه .

849) **محمد السعيد بن محمد ابن العباسي**

محمد السعيد بن محمد بن عمر ابن العباسي ، قاضي الجماعة بمراكش ، كان رحمه الله فقيهاً علامة ، استقضاه مولاي سليمان بسجلماسة وهو ابن خمس وعشرين سنة بعد موت والده قاضيها ، فبقي قاضيا بها

---

1) عبد الله بن أحمد ، باشا فاس الشهير ، أخو الحاجب الوزير موسى بن أحمد ، ووالد الوزير الصدر المختار بن عبد الله . اليه تنسب سويقة سيدى عبد الله قرب باب الحمراء بفاس .

نحو سبع عشرة سنة ، ثم اشتغل بمجالسة مولاي عبد الواحد العلوي ، فنقله من بلاده وجعله بالصويرة ، وبقي بها الى أن مات فنقله منها الى فاس مولانا عبد الرحمان ، ثم استقضاه بالقصر الكبير ، ثم نقله الى قضاء مراكش .

وقفت على رسم مؤرخ 1248 أثبته ، وعلى رسم مؤرخ عام 1258 ، ثم آخر عام 1266 ، ثم آخر مؤرخ عام 1267 ، ثم ءاخر مؤرخ عام 1269 ، ثم أخِّر من القضاء ووِلّي بعده ابن عبد الواحد الدويري .

وقد كان المترجم رحمه الله نديم السلطان سيدي محمد ، وله قصيدة في مدحه ، وكان له إخوة ثلاثة هو أكبرهم : العلامة السيد المطيع ، والمفتي السيد الهادي ، وأخوهم السيد أحمد ، كان المترجم قيَّد في كناش له أحواله ومَن لقيه من المشايخ ، وهو عند البوكيليين .

توفي رحمه الله بمراكش عام 1291 واحد وتسعين ومئتين وألف عن نيف وتسعين سنة ، وقد ترجم لقريبهم سيدي محمد بن سعيد الشيخ مرتضَى في معجمه قائلا بعد أن حلاه بانه قاضي الجماعة بسجلماسة وانه أوحد عصره في الفنون ما نصه : وليَ القضاءَ ببلده كأسلافه ، وهم يعرفون بأولاد أبو محلي من قرابة الشيخ العلامة أوحد عصره أحمد بن عبد الله بن أبي محلي صاحب كتاب (الاصليت ، في قطع بلعوم كل عفريت نفريت) وبيتهم يعرف بالقضاة ، ومحل سكناهم يقال له زاوية القاضي فيها هو مع بني عمه لا غير ، وأما أحمد المذكور فانه هاجر من هذا المحل الى الصحراء فابتني بها دورا وحفر آباراً وغرس أشجاراً ، وقطن بها ، واختلف في سياق نسبهم ، فقيل انهم نسبوا الى بوعباس قرى بصحراء سجلماسة ، وقيل انهم من ولد هارون الرشيد ، وقد ساق أحمد المذكور هذه الاقوال وأطال في الانتساب ، وقد أملى عليَّ من حفظه في ارجوزة ميمية بديعة كان أنشدها لنا والله أعلم بذلك .

انتهى المقصود .

وعندي اجازة الشيخ مرتضى له مع أولاده عامة ما له مع تآليفه مؤرخة عام 1203 بخطه الحسن رحمهما الله .

ويحكى في سبب ترحيل المترجم من سجلماسة بعد أن كان قاضياً بها كما تقدم أنه ذهب عنده بعض الاشراف ورأى عنده قطارات الورد ، فورد على السلطان وقال له : انه عنده قطارات الخمر ، فاستقدمه عنده ، ومن النوادر التي وقعت له مع المولى عبد الرحمان انه كان يميل للرفاهية وسماع آلات الطرب واستعمال الطيب ، فشمَّه فيه مرة وقال له : مرحباً بقاضي ناس الهوى ، فتغيَّر من ذلك ، وأخبر بذلك وزيره السيد محمد بنَ ادريس فاعلم السلطان بذلك ، فأجابه بأن مقصوده الدعابة معه لا غير ، ثم صار بعد ذلك نديم ولده السلطان سيدي محمد ، وهو الواسطة بينه وبين السيد التهامي المدغري في الأزجال التي يصنع ، لأنه كان يبوح بسره للقاضي وهو يعني ذلك لصاحب الأزجال . رحم الله الجميع (I) .

850) **محمد المدعو أمَّ عيني الدليمي** المراكشي المجذوب دفينها ، كانت تضره عينه فكان يقول أمَّ عيني فعرف بذلك ، كان رحمه الله مجذوباً ينطق بالمغيبات من سكان درب شنتوف من رياض العروس بمراكش ، أطبق أهلُ حومته على أنه يخبرهم بكل ما يقع عندهم من الحوادث بالاشارات التي تظهر معانيها بعد ذلك ، وأخبرتْني خالتي الخيرة الطاهرة السيدة خديجة بنت مَحمد بن الطاهر السجدالي المراكشي أنه أذا قربت وفاة أحد بالحومة المذكورة ينادي المترجم أبيَّار ويبكي فيفهمون أن أحداً من أهل الدرب يموت لا محالة فيقع ذلك ، وقوله أبيَّار يقولها العامي الذي يحفر الآبار ينادي بذلك ليطلب منه ، وهو يُكنِّي به عن حفر القبر ، ويؤيد ذلك بالبكاء ، وكان ثيابه متسخة دائماً سوداء ، واذا خرج من الدار يستدعي الصدقات ، فمَن وقف عنده لا يرده بلاشيء ، وكان أربابُ الدولة يعتقدونه لما تبين لهم من أمره ، ولما مات عام أحد وتسعين ومئتين وألف قاموا بتجهيزه ودفنه ، وكانت جنازته حافلة ،

I) من الحكايات التي تروى عن السلطان مولاي عبد الرحمان أنه كتب لابنه وولي عهده يوماً رسالة يعظه فيها ويذكر ويحذره من مخالطة قرناء السوء على عادة السلاطين مع أبنائهم وأولياء عهودهم ، فأجابه الأمير سيدى محمد يقول ان بطانته بطانة خير ، فهو لا يختلط الا بالافاضل كالقاضي السيد محمد **السعيد** المترجم ، وأخيه السيد **المطيع** ، والزجال السيد التهامي المدغري ، فرد عليه السلطان قائلا : **انت بين شقي وعاصي ، وملذذ المعاصي**

ودفن بالرباط المنسوب لمولاي أحمد بن الطالب قرب ضريح سيدي حمزة بن علي رحمهما الله تعالى بمراكش داخل قوس هنالك وجعل عليه دربوز (1) .

وراجع ترجمة الحسن المولى التركماني المتوفَّى بدمشق في شوال سنة 724 من (الدرر الكامنة) ، فأحوالُه تشبه بعض أحواله .

851) محمد بن محمد الوفراني

محمد بن محمد بن عبد الله الوفراني المراكشي ، العلامة الشهير ، الولي الصالح ، توفي رحمه الله في ساعة الجمعة عند الخطبة عام ثلاثة وتسعين ومئتين وألف .

852) محمد بن أحمد الكنسوس

محمد بن أحمد بن محمد بن يونس بن مسعود السوسي المراكشي الكنسوس يعرف ، العلامة الأديب ، اللغوي الحيسوبي الأريب ، الموقِّت المعدل الفرضي ، الشاعر النحوي ، الكاتب الناثر ، نخبة الدهر ، وغرة العصر ، أديب الغرب والسوس ، تفرد بالأدب ، لا يشقُّ في ذلك غباره ، ولا يبارى فيه مضماره ، أربى شعره على أدب الفقهاء ليس بعده في وقته منتهى.

ولد عام 1211 أحد عشر ومئتين وألف ، وقدم فاس عام 1229 ، فأخذ العلم رحمه الله عن جماعة من أهل العلم بها كالعلامة الحافظ محمد بن عامر التادلي من جلساء السلطان سيدي محمد بن عبد الله ، وعن العلامة سيدي حمدون ابن الحاج ، وعن العلامة شعلة الذكاء ، محمد بن أبي بكر بن عبد الكريم اليازغي ، وسيدي أحمد بن الشيخ التاودي ابن سودة ، وسيدي عبد السلام الأزمي ، والسيد محمد بن عمرو الزروالي ، والسيد محمد بن منصور ، وسيدي محمد بن عبد السلام الناصري ، وسيدي عبد القادر الكوهن ، والفقيه

---

1) صارعنا نفسنا طويلا في اثبات هذا السخف ومثله ، ورأينا انه أحقر من أن يضيع فيه الوقت وحتى ثمن الورق ، ثم رجحنا في النهاية اثباته لا ثقة بما ورد فيه أو تقديرا قليلا أو كثيراً لصاحبه ، ولكن للاستدلال به فقط على عقلية كاتبه وتفكير معاصريه من خالته الى رجال الـدولـة .

المتصوف الزاهد الورع ، أويس زمانه ، سيدي المكي ابن مريدة السرغيني المراكشي ، وسيدي الحاج عبد الله السكياطي ، والفقيه الشريف البركة مولاي الطاهر البوعمراني التادلي المراكشي ، والأستاذ البركة سيدي محمد بن القطبي الشيظمي ، والفقيه الأستاذ البركة سيدي الحاج التهامي الأوبيري وغيرهم ، نقلت هذا من إجازته العامة للعلامة الحسن التنمليزي .

حلَّ بمراكش عام 1248 واستكتب عند المولى سليمان ثم استوزره في آخر عمره ، ولما توفي المولى سليمان توجه المترجم عند المولى عبد الرحمان فلقيه بقصر كتامة ، قال في الجيش العرمرم : وهناك قدمنا عليه من مراكش ففرح بنا كل الفرح وبنفس وصولنا أمر بدخولي عليه لشدة تشوفه لخبر مولانا العادل المرحوم ، فدخلت عليه وهو في قبته السلطانية ، وجلست بين يديه نحو ساعتين ، فسأل عن كل شاذة وفاذة داخلة وخارجة ، فلما خرجتُ وجدت الأحوال التي كنت اعرفها قد تبدلت ، والأقوام قد تنكرت ، وكان قدومي ودخولي على السلطان قذي في عيونهم ، وشجي في قلوبهم وصدورهم ، ولما صلينا مع السلطان العصر وردتْ مكاتيب قنصوات النصارى من طنجة ، فدعاني السلطان فقرأتها عليه ، فذهبت لمحلِّ نزولي مع مولاي عبد السلام ، فجاءني الفقيه الكاتب ، أخونا في الله تعالى ، سيدي محمد بن ادريس بتلك المكاتيب ، وقال : أن سيدنا أمرني أن آتيك لتخبرني كيف كنتم تخاطبون هؤلاء النصارى ، فأخبرته ، فوجدته هو أيضاً قد استثقل قدومي مع انني معه كنا كأخويْن شقيقيْن ، ثم قال : فلما قام السلطان لصلاة العشاء خرجت معه فازداد القوم عليَّ حقداً وحسدا ، وأجتمعوا في تلك الليلة عند عبد الملك الجبوري وكان هو قائد المشور والجماعة المذكورة مع الفقيه أخينا سيدي محمد بن ادريس والفقيه الكاتب السيد المختار الجامعي ومولاي الحجازي ، ومولاي العابد ، ومولاي الحبيب شريف من مدغرة كان يكتب معهم، ومولاي الوليد ولكنه من ناحيتنا ، فاجتمعوا على ما يفعلون ويقولون في إبعادي عن السلطان ، فلما أصبح جاءني مولاي اليزيد وشرح ما وقع ، وقال إنني قلته للسلطان ، وقال لي قل له لا عليه فيهم ، فانني أعرفهم وأعرفه ومكانته

وصدقه وأمانته ، وقد صحبته من الرباط الى القصر مدة من شهر أو أكثر جنبه الى جنبي وما رأيت مثله ديناً ومروءة ، فقُل له يرجع معنا الى الرباط ونرجع في قريب ، فانه لا يرى منا الا الخير ، فلما خلوت مع نفسي ظهر لي أنه لا يمكنني معاشرة هذه الدائرة المتواطئة على بغضي وعداوتي ، والواحد لا يقوم مقام الجماعة ، ثم قال فذهبت الى مولاي الوليد ، وكانت له مكانة تامة عند السلطان يدخل عليه بغير اذن ، فرغبت منه أن يعتذر عني بكل ما قدر عليه ، وقلت له إنه لا محالة اني ذهبت الى فاس مع مولاي عبد السلام ، ولا أرجع الى الرباط ، وارتحلنا نحن لفاس ، فلما بلغ السلطان لمحل المبيت سأل عني فوجد أولائك الأعادي سبيلا الى مرادهم ، وقالوا ما شاءوا ، وكان ما أراد سبحانه ، ولم تفارقنا ألطاف مولانا سبحانه وبره واحسانه وعنايته ، انتهى .

ثم قال فيه أيضاً : وجدت آبائي ينتسبون الى سيدي جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه فحصلت لي ريبة في ذلك لما وقفت على قول الشيخ ابن عبد السلام التونسي وتلميذه ابن عرفة يصعب اثبات نسب له ستمئة سنة ، فبحثنا عن تحقيق تلك النسبة لأسلافنا كل البحث ، فلم أقفْ لذلك على ما يعتمد عليه ، إلا أن الشيخ ابن ناصر كان ينسب لهم ذلك لما صاهرهم على ابنته ، ولم أتحقق أيضاً قول الشيخ ابن ناصر رضي الله عنه ، فتركت ذلك الانتساب ، فلما وقفتُ على الحديث الذى نقله الشيخ — يعني سيدي أحمد زروق — حيث قال مَن وجد بيد آبائه نسباً فلْيتمسك به للتبرك وان لم يقف على صحته ، للحديث تبرؤ من نسب وان دقَّ كفر ، والناس مصدقون في أنسابهم ما لم يُعلمْ خلاف ما قيل رجعت الى تلك النسبة رجاءَ بركتها وخوفاً من الوقوع في ذلك الخطر ، انتهى .

وقد وقعت للمترجم أوهام في هذا الكتاب (١) منها أنه سمى تأليف العلامة سيدي محمد الصغير اليفرني في المولى اسماعيل (الظل الظليل ، في مفاخر مولانا اسماعيل) مع أن الذي سماه به مؤلفه في صدره (الظل

١) أى الجيش العرمرم الخماسي

الوريف ، في مفاخر مولانا اسماعيل بن الشريف) أو (روضة التعريف ، بمفاخر مولانا اسماعيل بن الشريف) (I)، وعده في الجيش في الديباجة من كتب التاريخ الخاصة (صفوة الأدب) في دولة الموحدين لاحمد بن عبد السلام الجراوي ، وهذا غلط ، فان هذا الكتاب في معنى (الحماسة) لا غير ، فهو ديوان شعر كما في ترجمة مؤلفه من تاريخنا هذا (2)، وذكر في اللواء السادس من (الجيش العرمرم) في دولة بني مرين ما نصه : و (القرطاس) لقب لمؤلف الكتاب المعلوم نبهنا عليه ، لا انه أسم أو وصف لذلك الكتاب ، انتهى . وهذا غلط واضح (3) ، فان هذا الاسم هو للكاتب لا لمؤلفه ، ولما ألفه وقع هدفاً لسهام المعترضين ، فألف في الرد عليه العلامة سيدي علي بن ظاهر المدني ، وصاحب (الطالع المنحوس ، في الردّ على الكنسوس) ، والشيخ سيدي أحمد البكاي في رسالة سماها (بغية الالف ، في ابن يذكر تلف) ، ثم اجابه الكنسوس فرد عليه بـ (فتح القدوس ، في الرد على الكنسوس) وقفت عليه، ومنهم المشرفي وبالغ في تأليفه المسمى (الحسام المشرفي ، لقطع لسان الساب الجعرفي ، الناطق بخرافات الجعسوس ، سيء الظن الكنسوس) وغير هؤلاء .

وأنشد المترجم في هذه الدولة الشريفة في (الجيش العرمرم الخماسي) :

يزهى بها الدهر والأيامُ مشرقة ... تهزُّ في ظله أعطافَها تيها

ثم أنشد :

بها رفعت عليا مَعَدٍّ عماد ها ... ودانت لها الأيام بعد حِران
فأفياؤهم للمستجير معاقل ... وأبياتهم للمكرمات مبان

I) طبع بالمطبعة الملكية بالرباط سنة 1962

2) انظر 2 : II4 ع 155 من هذا الكتاب

3) بل فيه نظر ، فقد رجح بعض الباحثين الاوربيين أن يكون الفرطاس (بالفاء) المضاف اليه الروض علماً على واحد من وزراء بني مرين أو وجيه من وجهاء فاس كان له روض ناضر مونق يجتمع فيه العلماء والأدباء للمساجلة والمذاكرة ، وفي روض الفرطاس هذا ألف ابن أبي زرع تاريخه

وأنشد فيه :

لعل الذي فوق السموات عرشه يُسنّي لنا من قصدنا ما رجوناه
ويختم بالاحسان من قد بدا به فما يُرتَجَى لمبلغ القصد الا هو

أمره المولى سيدي محمد بن عبد الرحمان بتأليف تاريخ هذه الدولة الشريفة العلوية ، وأكد عليه في ذلك الوزير سيدي محمد الطيب بن اليماني(1) وأنشد في تاريخه المأمور بتأليفه :

قلبُ الخميس مثابة الكبراء ومصادر الاحكام والآراء
والقلب تخدمه الجوارح كلها وبه الصلاح لسائر الأعضاء

ثم أنشد :

لواء العز مرفوع بفتح وقصر تستضيء به الدياجي
يفيء على البرية كل خير واغناء لشاكٍ باحتياج

وقال في الجيش أيضاً لما ذكر بناء المولى عبد الرحمان للزيادة التي زادها في مسجد مولانا ادريس ما نصه : وكنت نظمت التاريخ المنقوش في خدود الباب المجاور لباب القيسارية ، ونظم الفقيه السيد عبد الواحد ابن شيخنا القاضي سيدي أحمد بن التاودي التاريخ المنقوش على السواري الزليجية التي في المسجد وكان ضمن فيه قول المتنبي في سيف الدولة :

مبارك الاسم أغر اللقب كريم الجرشي شريف النسب

والبيت من المتقارب ، والشعر الذي ضمنه فيه من السريع ، فأنكر الناس عليه ذلك ، وكتبت له بطاقة أداعبه فيها وأمازحه على عادتي معه ، ثم أنف من ذلك وغضب ، وظن أنني هجوته ، وكانت تعتريه سوداء في آخر عمره ، فشكا الى العامل سيدي محمد بن الطيب وكان صهره على بنته ، فبكى بكاء شديداً ، فهمَّ ابن الطيب بالبطش بي وكان يتفاخر بذلك .

انتهى المقصود .

---

1) بوعشرين

ثم قال : وقد كنت خاطبته نصره الله لما أبطأ بفاس في بعض حركاته بالقصيدة الرائية ، وذكرت فيها المصانع المراكشية تشويقاً له واستدعاء ، وهي هذه :

لك الخير تحدوه إليك البشائـــر ... هل اذكرت احبابهن العشائـــر
أراهم على شطّ المزار هواجعـــا ... وطرفيَّ عن نيل التفرق ساهـــر
تحنُّ اليهم كلَّ حين ركابُـــــه ... عشاراً وتحكيها الجياد الضوامـر
وترقص ما بين المرابط كلمـــا ... سرى من حواليها الخليطُ المجاور
أما والذي لو شاء قربيَّ صار مَن ... هويتُهم والله ربيَّ قـــــــادر
لقد نال منا البينُ ما لا تنالُـــه ... عُداة بأيديها الصفاح البواتـــر
ولاكن إذا ما الأمر بالغ وانتهـــى ... لغايته لاشك فالأمر قاصـــــر
وقد آن من نور الصباح انصداعه ... فتنزاح بعد الانصداع الدياجـــر
اذا ما بدا وجهُ الامام محمـــــد ... فقد جاء نصر الله والفتح ظاهـــر
محمد نور الله في الارض كلهـــا ... محمد سيف الله للدين ناصـــــر
سليل أمير المومنين وزيـــــره ... ومن أهله يرضى الفتى مَن يؤازر
وشبل ملوك من ذؤابة هاشـــم ... تراثهم ملكُ الورى والمفاخـــــر
يجاذبه اني تلفَّت ســــــؤدد ... أوائله مشهورة والأواخـــــــر
فأعمامه مثل الشمس ضواحيـــا ... وأخواله مثل البدور زواهـــــر
هو الملك الحجحاج ليس لمعتـف ... سواه إذا دارت عليه الدوائـــر
هو السيد المرهوب يعلو ببأسـه ... رؤس الأعادي لا تقيها المغافـــر
يسير فتغشاه السعود مطيعـــة ... أماماً وخلفاً حيثما هو سائـــــر
وتختفق الراياتُ فوق كتائـــب ... لها عزه ناهٍ لهنَّ وآمـــــــــر
أسود على جرد إذا احتدم الوغـا ... لها النقعُ ناب ، والسيوف أظافر
هو العالم البحر المحيط ، علومـه ... تناقلها في الناس بادٍ وحاضـــر
تضيء وراءَ الغيبِ أنوار رأيـــه ... فما هو راء فهو بالنجم سافـــر
به جبر الله المغاربَ فاغتــــدت ... صحاحاً ونالتْ ما تروم المكاسـر

* * *

أسيدنا ياكهفنا يا أماننا … دعاك اشتياق في الجوانح ثائر
دعاك الى هذي المواطن أهلها … فكلهم من فرط حبك ساهر
دعاك إلى أرض البديع منازه … يزايلُ عنها الصبرَ مَن هو صابر
مبانٍ كما شاء الجمالُ تكونت … تحار بمرءاها الأنيقِ النواظر
قباب على سمت السعادة شُيدت … تحفُ بها الأدواحُ وهي نواضر
فمنها التي في السيل تلعب حولها … ظباء تجاريها المها والجآذر
وفي مدخل الرضوان أخرى تصونت … قد ابتهجت في جانبيْها المشاور
وأخرى على أرض المصلّى مطلة … قد اعتدلت أهواؤها والعناصر
وفي وسط الزهراء ذات مجالس … مفتحة تفتر فيها الأزاهر
ودار الهنا حول الخليج مقاعد … يلذ بها للسامعين المزاهر
وفي ابن عقيل للمقيل مسارح … يردد فيها الطرف والطرف حائر
كذلك أكدال الصغير الذي له … منازه عزٍّ ترتضيها المنابر
اذا انفجرت تلك المناهلُ أو جرت … فليس تضاهيها البحار الزواخر
وليس بفاس مثلُها برياضه … وليس يحاكيها زرود وحاجر
ولاكنها لا يستتمُّ جمالُها … وبهجتها الا بأنك حاضر !
فبادر أدام الله عزك وصلَها … فكم حاز إدراكَ المنى مَن يُبادر

ثم قال في الجيش أيضا ما نصه : سألني مولانا سليمان يوماً أظنه على جهة الاختبار عن قوله تعالى : (ولكم في القصاص حياة) مع ما كان العرب يقولون إنه لا أوجز منه في كلامهم وهو قولهم : القتل أنفَى للقتل ، فذكرت له ما قاله السعد في المطول على التخليص ، وكنت قريب العهد بذلك، فأعجبه ذلك مني غاية على البديهة ، وذلك من عناية الله تعالى بي ، وبذلك كان يرى لي مزية ، وأوجب لي مكانة وعناية منه على صغر سني اذذاك ، وكان يقدمني على مَن هو أكبر مني رحمه الله ورضي عنه ، وكان جلساؤه من العلماء كلهم أئمة في هذه الفنون ، كالعلامة السيد عبد القادر ابن شقرون ، والسيد محمد الهواري ، والشيخ السيد حمدون ابن الحاج ، والسيد الطيب ابن كيران، والفقيه العلامة السيد محمد بن عمرو الزروالي ، والسيد محمد بن منصور ،

فهؤلاء كلهم أشياخنا ما عدى ابن شقرون وأبن كيران والهواري ما أدركناهم، وكل واحد منهم حجة في البيان والأصول والمنطق والكلام والتفسير والحديث، وكلهم عنده في غاية القبول والمكانة العالية ، انتهى . ذكر هذا في ترجمة مولانا عبد الرحمان بن هشام .

وقال في (طلعة المشتري) في صحيفة 157 من ج 2 ما نصه : وقد ذكر صاحب التائية سيدي بلة هذا ، يعني عبد الله بن محمد بن بلقاسم بن علي بن مَحمد بن ناصر مع صهره الاستاذ سيدي أحمد الكنسوسي ، وهو والد الأديب المشهور سيدي محمد الكنسوس رحم الله الجميع ، فقال :

وقد كان عبد الله نجل محمد بـــــ	ـــن قاسم سخَّاء بكل ثمينـــــــة
وصهرهم الأستاذ أحمدٌ الـــــذي	لكنسوس يُنمَى من أعز قبيلـــة
وفي صهر ذا الأستاذ أيضاً سميه	فضائل تنبي عن نفوذ بصيـــــرة

عمي المترجم رحمه الله في ءاخر عمره .

ورأيت في ديوان الفقيه ابن ادريس ما نصه : وقال أيضاً رحمه الله في جواب أستدعاء للفقيه الأديب سيدي محمد الكنسوس رعاه الله :

لبيْك لبيْك سمعـــــــــــــــاً	وطاعـــة ووفـــــــــــــــــــاء
يادوحةَ المجد يامَـــــــــــن	سما سنى وسنـــــــــــــــــاء
دعوتَني بنظـــــــــــــــام	فاق الجمالَ بهـــــــــــــــاء
وقلت اطلع بـــــــــــــــدرا	طلوعَ سعد عشـــــــــــــاء
وأنت شمسٌ ومنهـــــــــــــا	استمدَّ بدرٌ ضيـــــــــــــــاء
عليك أزكى ســــــــــــــلام	يهدي سنى وسنـــــــــــــاء
ما فاح وردٌ ونـــــــــــــــد	وما دنا مَن تنـــــــــــــاءى

وفي الطرة ، ونصُ الاستدعاء المذكور :

ياروضةَ العلم فانعـــــــــــم	على الدوام مســـــــــــــاء

وبعدُ فالوعدُ ديْــــــــن وقـــد أردنــــــا الاداء

وهاك مني سلامـــــا هدية واقتضـــــاء

فاطلعْ علينا بسعـــــد طلوع بدر عشـــــاء

ورسائـل المترجم التي خاطب بهـا الوزير الجامعي جمعها الوزيـر الجامعي ، وهي في نحو خمس كراريس أبلغ من تاريخه ، وله ديوان شعر .

توفي المترجم رحمه الله في تاسع عشر (1) محرم الحرام عام أربعة وتسعين ومئتين وألف ، ودفن بمقبرة السهيلي خارج باب الرب من مراكش .

ووقفت على ظهير شريف مؤرخ في 24 جمادى الأولى عام 1282 لسيدي محمد بن عبد الرحمان يخاطب ولده الأبر الأرضى سيدي حسن ، بأنـه أذن لمحبه الفقيه السيد محمد كنسوس في الفتوى والحضور في مجلس الشورى مع القضاة والفقهاء المعيَّنين لذلك لما يعلم فيه من الخير والدين والعلـم والتحرّي في الأمور ، فلابد للقضاة أن يكونوا يُحضرونه في كل مجلس عقدوه لذلك من غير إلزام عليه في ذلك ولا تكليف ، بحيث إن تعذَّر عليه الحضور فيقبلوا عذره في التأخر ، والسلام .

وظهير ءاخر مؤرخ في 1 رجب عام 1282 يجيبه ولده المذكور عـن كتابه ، بأنه نفذ ما أمره به في شأن مرتب الفقيه السيد ابراهيم السوسي ، وفي شأن الاذن للفقيه السيد محمد كنسوس في الافتاء والحضور مع المعيَّنين الى ءاخره .

وآخر مؤرخ في 5 منه عن كتابه أنك امرت امناء البنيقة الشريفة بدفع مئتي ريال للفقيه السيد محمد كنسوس ، وثلاثين مثقالا للحاج عبد السلام التازي ، كما دفع له امناء الهري خمس خراريب من القمح عملا بما أمره به .

1) كذا فى الأصل ، والذى عند الاستاذ عبد الله كنون فى **ذكريات مشاهير رجال المغرب** ج 4 ص 13 أن وفاته كانت يوم الثلاثاء 29 محرم

وفي ظهير ءاخر مؤرخ في 25 ربيع الاول عام 1286 ، يأمره بجعل الفقيه السيد محمد الكنسوس مع العدول الذين مع مقدم الولي الأكبر سيدي أبـي العباس السبتي أدام الله النفع به على أن يكون يقبض ما يقبضه أحد العدول المذكورين .

وظهير مؤرخ في 14 جمادى الاولى عامه ، بأنه وصله جوابه بأنه نفّذ ما ذكـر .

وظهير ءاخر مؤرخ في 4 جمادى الثانية عام 1288 ، بأن يأمر الامناء أن يدفعوا للفقيه السيد محمد كنسوس مئتي ريال بالتثنية (1) .

853) محمد المطيع بن محمد العباسي

محمد المطيع بن محمد بن عمر العباسي ، قاضي الجماعة بمراكش ، وخطيب مسجد ابن يوسف بها ، وخطب بجامع المنصور قبل ذلك ، ومفتيها ، العلامة المحقق ، الزاهد الورع ، تقدم الكلام على نسبه في ترجمة أخيه سيدي محمد السعيد (2) .

أخذ رحمه الله عن العلامة سيدي علي التسولي وطبقته، رأيته ينقل عنه في فتاويه ويُحليه بشيخنا ، كان حامل راية الاجتهاد بمراكش في دولة المولى عبد الرحمان وولده سيدي محمد ، أخبرني شيخنا الفقيه السباعي أنه لما قدم من فاس لم يجد بها بمراكش من العلماء في أعوام السبعين الا أربعة : الفقيه السيد أحمد ابن الطاهر ، والمترجم ، والفقيه السيد محمد النتيفـي (3) ، والسيد سعيد جيمي ، وان علماء مراكش وعلماء فاس الذيـن أدركهم كانوا ذوي همم ورفعة وترفع عن الدنيا ، ولهـم همة العلماء ، وان نجابـة هاؤلاء

1) تنظر ترجمة محمد الكنسوس المطولة فى **فواصـل الجمان** ص 7 **وذكريات مشاهيـر المغرب** ع 3

2) انظر 7 : 5 ع 849 من هذا الكتاب

3) سياتى ذكره فى ترجمة تلميذه سيدى محمد بن المعطى السرغينى (مؤلف)

العصريين الذين نحن منهم أعلا واكثر ، غير أن الهمة تبسطت فـي الدنيا ، وارتفعت تلك الشنشنة المعروفة السابقة .

ولما مدح الندرومي المترجمَ بقصيدة من أبياتها :

نظرتُ فما عليها من مطيـــــع ... سوى القاضي محمدٍ المطيـــع !

أجابه شيخنا المذكور بما نصه يهجو الندرومي :

مطيع هواه والمولى عصـــــاه ... عرفت لكل فرض بالمضيـــــع
لقد غلط الذين أتوا بطــــــاء ... مكان الضاد باسمه الوضيـــــع
وقبح الاله جهولا أطــــــرا ... تملقاً بقوله الفظيـــــــع
(نظرت فما عليها من مطيـــع ... سوى القاضي محمد المطيـــع)
نفى التقوى على الاسلام طـــرا ... وأثبتها لعاصٍ لا مطيـــــع
أيدري الرشد معتزلي صرفـــا ... طريقته السؤال بذا الصنيـــع
فلولا أنه بِـدعي اعتقـــــادا ... لما أبدى بذا القول الشنيـــع
يسمي زكيا بمعنى مضـــــل ... وقبان وهماز منيـــع (1)
بذى النطق أفحش ما يكـــون ... ولون علج أو لون الرجيـــع

كان المترجم قاضيا بمراكش أوائل العشرة الاخيرة من القرن الثالث عشر ، وتوفي رحمه الله في ذى القعدة عام 1295 خمسة وتسعين ومئتين وألف ، ودفن بداخل قبة الرباط الوزاني بحومة القصور ، عن نيف وستين سنة (2) ، ووليَ مكانه ابن أخيه السيد محمد ابن الهادى الذى كان لا يقبل شهادته عمه المذكـور .

كان السيد المطيع مقتصداً في أكله وفي أموره كلها ، يتعاطى الاسماء والأوفاق ، وشرح مثلث الغزالي ، قرأ بفاس في فاقة شديدة أيام قضاء أخيه

---

1) كذا فى الاصل ، **والقبان** الأمى الجهول فى العامية المغربية

2) فى الاصل كتب ما يلى : وتوفى رحمه الله فى ذى **الحجة** عام 1294 عن نيف وستين سنة ، وتوفى أواخر ذى القعدة عام 1295 خمسة وتسعين ومئتين وألف

السيد السعيد بالقصر الكبير ، وكان من الصلاح بمكان ، ولم يخلف تركة عدا بعض الكتب وحرم الدويرة ، بادن الجسم ، له بسطة في العلم والجسم ، رحمه الله تعالى .

854) **محمد بن الطالب ابن سودة المُري** ، قال في (الدرر البهية) : كان خيراً دينا ذاكرا تالياً فقيهاً محدثــاً ، ذا وقار وصمت ، وحسن هــدي وسمت ، وكان من المنتخبين لقراءة الحديث بالحضرة السلطانية ، أخذ العلم عن أشياخ وقته ، ثم أخذ طريقَ القوم عن الولي الصالح ، الفقيه العلامة ، سيدي مُحمد الحراق وتقدمت ترجمته (1)، وكان من خيار أصحابه، وكان يتكلم بعد عصر يوم الجمعة بزاويته على الفقراء ، فانتفع به خلق كثير ، وكان يتعاطى خطة الشهادة الى أن توفي .

ولد في حجة عام ستة عشر ومئتين وألف ، وتوفي عام أربعة وتسعين بمثناة ومئتين وألف ، انتهى (2) .

كان المترجم يرد مراكش لقراءة الصحيح بالحضرة ، وستاتي ترجمة ولده عبد السلام .

855) **محمد بن المدني السرغيني المراكشي** ، قاضيها العدل المبارك الخير الديِّن العلامة ، أخذ عن الفقيه سيدي أحمد بن الطاهر المراكشي ، والسيد سعيد جيمي ، وغيرهما بمراكش ، وقرأ بفاس أيضاً وأخذ عن الشيخ الامام العارف سيدي محمد بن عبد الواحــد الكتاني دفين زاوية القراديــن بزايته المشهورة ، فأتاه مرة بدلاع هدية ، فقال له : وليتك قضاءَ مراكش ، فبكى خشية من أن يموت قاضياً ، فقال له لا تموت قاضياً ، فكان كلما مرض وهو قاض وأشرف على الهلاك يعلم أهله بأنه لا يموت والحالة هذه لبشارة الشيخ له بذلك فكان الامر كذلك ! وأخذ الطريقة الدرقاوية عن مولاي الطيب بن

---

1) أي في **الدرر البهية**

2) **الدرر البهية** 2 : 307

مولاي العربي رحمه الله ، وكان رحمه الله نافذ الأحكام ، مستبداً برأيه لا يرجع عن حكم اذا حكم به ، ولا يتخذ رفاهية ولا يركب بهيمة ، ولي القضاء في ءاخر أيام المولى عبد الرحمان ثم أعفي ووليه في أيام المولى محمد ولده ، وفي أيام المولى الحسن ، وكان عامل مراكش السيد محمد بن داوود طلب من صهره الوزير السيد موسى أن يكون جمْع أهل الشورى والقضاة لفصل الاحكام بالمسجد الذي بقرب داره ، فصدر الأمر بذلك للمترجم ، فأجاب الوزير بما نصه : الزمانُ زمانٌ مصيف ، والعبدُ ضعيف ، والعلم يوتَى ولا يأتي ، فورد عليه الاعفاء من القضاء أوائل عام 1295 وطالت مدته في القضاء نحو عشرين عاماً ، وكان يستسلف أموال المحاجير والمقدمين ويعطيهم خط يده ويشترى بذلك الأصول ، فلما مرض أوصى الفقيه السيد محمد بن نون بأن يبيع من أملاكه ما يفي بتلك الديون ، فلما مات انفذت وصيته فاستغرقت بذلك أملاكه رحمه الله ، ولما مات كانت له جنازة حافلة وتبعه الثناء الحسن، وقال في (حديقة الأزهار) وفي هذا اليوم نفسه ، يعني أواخر ذى الحجة عام تسعين بتقديم المثناة ومئتين وألف ختم صحيح البخاري بقراءة قاضي الوقت الوجيه الأمثل الاحظى الحكم العدل محمد بن المدني السرغيني ، بل كان الختم في ساعة واحدة بحضرة علماء الحضرة والخليفة ووزرائه ، وكان ذلك اليوم مشهوداً ، وموسماً من مواسم الخيرات معدوداً .

وقال الحاج الطاهر بن محمد المراكشي في كتابه (نشاط الأذهان ، وتحفة الاخوان ، في استنباطات ومناقب مولانا الحسن) ما نصه : وبعد السبعة الأيام يعني من موت السلطان سيدي محمد بن مولانا عبد الرحمان صار القاضي في الوقت يسرد بالضريح المذكور — يعني ضريح مولانا علي الشريف — سيدي البخاري ، والفقيه ابن المعطي يسرد الامام سيدي مسلم حتى ختم كل ما كان يقرؤه بمحضر العلماء والقضاة والشرفاء ، وكان ذلك اليوم عظيماً أعطى فيه الصدقات وأطعم فيه الضعفاء والطلبة وغيرهم ، وكان الوقت وقت غلاء ، انتهى .

لطيفـة

أمر المترجم العدل السيد أحمد بلقزيز ورفيقه ليخاطب لهما على رسم فاعتذر بأنه ليس في محل الحكـم ، فقال أولهما له كان ابـن المرابط يأتينا لديارنا لاثبات الرسوم وأنت تتمنع علينا فأثبته له .

توفي رحمه الله في الساعة التاسعة من ليلة يوم الأربعاء السادس عشر قعدة الحرام عام خمسة وتسعين ومئتين وألف .

856) **محمد البوبوشي** ، رجل كان مجذوباً ، أدرك أيام المولى عبد الرحمان ، وتوفي في حدود التسعين ومئتين وألف ، ودفن بقبة قبالة باب الخميس من مراكش .

وسيأتي في ترجمة مروان بن عبد الملك اللمتوني المتوفى سنة 57I أنــه دفن أمام باب فاس من أبواب مراكش في صحن المسجد الصغير الذى هناك ، وباب فاس هو المعروف اليوم بباب الخميس .

857) **محمد بن الفاطمي الصوصي العلوي** ، الفقيه الناسك المقرىء ، ذكر في (المجد الطارف) أنه سمع منه أنه حضر مجلس القائد عبد الله ابن بيه الحيحي بالمواسين ، وكان المجلس حافلا ، فذكر القائد المذكور أن الناس ذكروا أن سبب عدم بناء سيدي محمد بن عبد الله لضريح القاضي عياض هو كونه طعن في نسب الأشراف العلويين ، وقد أفكوا في ذلك إفكاً عظيما واعظموا على الله الفرية .

858) **محمـد الأمين بـن عبد الله الدجاجـي** الجعفري الحسنـــي ، الصحراوي ، المراكشي الدار والقرار ، دفينها ، قدم مراكش في شبيبته ، وألقى بها عصا التسيار زهاء أربعين سنة ، وتزوج وسكن بدرب زاوية مولاي عبد القادر الجيلاني بحومة ضبشي منها ، وكان يدرس بها في حياته ، كان أديباً علامة تاريخياً شاعرا ناظما متصوفاً مستحضرا ، جماعة واعية ، له ولوع بالأدب واطلاع على التاريخ ، وشغف باللغة وحفظ الكثير من حوشيها ، أخذ

الطريقة المختارية عن أصحابها ، وله محبة في الصالحين ، وكان زوارا لهم ، معتنياً بلقاء المشايخ والاستفادة منهم .

صفته أسمر كث اللحيــة ضعيف الجسم ، ربعة للطــول ، معتدل الأعضاء ، حسن الثياب ، ذو هيبة ، وجيه" له وجاهة عند السلاطين ورؤساء الدولة ، ووقعت له مع الوزير السيد الطيب بوعشرين مناورة أدت الى أن أراد المترجم أن يناوشه بالضرب ، فذهب محترماً بضريح الشيخ الجزولي ، كان له ولد اسمه عبد الوهاب ظهرت نجابته فاخترمتْه المنية في مكناسة الزيتون في محرم عام 1291 واحد وتسعين ومئتين وألف ، ودفن بقبة سيدي غريب خارجها ، ورثاه بقصيدة بليغة مطلعها :

جفني همى بعقيق الدمع باكيـــــه　　على الغريب الذي غابت بواكيـه

له أمداح في الرؤساء ، وكان فيه سخاء وفتوة ، ولما خرج ما صنفه من تأليفه (الارتجال) ومقدمته وأهداه للمولى الحسن والوزير السيد موسى أجازاه بذهب كثير فرقه في الضيافات وغيرها عن قريب ، بحيث لم يُبْقِ من ذلك عنده إلا درهمين احتاج إليهما بعد نحو شهر في حياته ، ولم يوجد شيء منها بعد وفاته .

وكان للسلطان سيدي مُحمد فيه محبة كبيرة ، وكان يصله بالعطايا الوافرة ، ولما أراد والده مولاي عبد الرحمان أن يمد فيه اليد تشفع له فيه ، ونفى عنه ما رمي به ، وكان له حساد وأعداء .

وذكر في كتابه (الارتجال) أنه ألف في وفيات رجال هذه الحضرة المراكشية ، التي برقم حلل كرامات أوليائها موشية ، وبسبب دعائهم قبل نشأتها صارت منشية ، كما أخبرنا به بعض أولياء الله تعالى من أهلها ، ثم قال : وقد كان بعض طلبة العلم المعاصرين صنع تاريخاً جديدا لم يصنه من شين الهجاء ، بل صيَّره ميدانا لأضاحك السفهاء ، فمجَّه من هذا أهل الذوق السليم ، ولسعتْه ألسنُ الحذاق النقاد بما هو أوجع من لدغ السليم ، وجدير بمَن تعرض لهتك الاعراض بالأغراض ، أن يرد عليه بمعراض الاعتراض ،

ثم قال : وقد سميت هذا الكتاب بكتاب (الارتجال ، في مناقل ومشاهد سبعة رجال ، ومَن اشتهر في مراكش أو دخلها من مشاهير صلحاء الرجال) ، وكل مشهد مشهور في طريق زيارة السبعة الشهيرة أو قريب من الطريق بحيث تأتيه طائفة الزوار أو تستفتح له حالة مسامتتهم لمقامه ، ووعد بذكر طرف من أخبار الملوك وتفسير اللغات الغريبة ، وأنه يختم الكتاب بخاتمة سماها بـ (المنهج المختار ، والكوثر المدرار ، في مناقب الشيخ المختار ، وأشياخه الابرار) ، ثم انه ترك تمام هذا الكتاب ، واشتغل بتأليف مقدمته التي أكثر فيها من الاستطراد حيث اطلع العلامة سيدي أحمد بن خالد الناصري على ما ألفه المترجم من مقدمات كتاب (الارتجال) ورأى تقريظ العلامة سيدي عبد الرحمان الشرفي ، وتقريظ العلامة القاضي سيدي محمد الدخيسي الأزموري ، وقرظ كذلك سيدي أحمد المذكور في 21 محرم عام 1294 وسأله عن أولية سبعة رجال وسبب تسميتهم بهذا العلم المشهور ووقت شهرتهم به، وسمى تلك المقدمة (المجد الطارف والتالد ، على أسئلة الناصري سيدي أحمد بن خالد) ، و (تحبير التحرير ، على أسئلة البحر النحرير) ، وذكر فيها أنه كان سنة اثنين وستين ومئتين وألف في رياضة أيام اشتغاله بالاسم الاعظم الذي في كتاب (الفوائد النورانية) للشيخ سيدي محمد بن الشيخ المختار الكنتي ، وبالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في كتابه (موانح الوهاب ، في الصلاة على النبي الأواب) الذي ألفه في ذلك الوقت ، ففي أثناء ذلك رأى في النوم أنه اجتمع مع القطب وانه من بخارى أخبره بذلك وبسر مكتوم ، فقصد زيارة مولاي عبد الله الغزواني ، فلما قرب من المقام تعرض له رجل عربي اللون أشيب بدوي عليه مرقعة سوداء ، فأمسكه وشغله بكلام رطانة أعجمية لا يعرفها وليست ببربرية ، ورأى لسانه مشقوقاً نصفين رقيقاً كأنه لسان حية ، فشُغل عن الزيارة مما رأى من العجب وتمنى أنه القطب ورده لزيارة شيخه فرس الزمان الملامتي الشريف مولاي العربي الوزاني ، وكان في مراكش مع المولى عبد الرحمان وقال له : قل لذلك الدرويش يدعو لنا وسلم منا عليه هـ .

وقد ذكرت في (إظهار الكمال) قصيدة المترجم الميمية في بناء ضريح الامام السهيلي الآتية في ترجمته .

ثم ذكر في المقدمة أيضا أنه ذكر في كتاب (الارتجال) أن شيخه العلامة الولي الصالح العمري سيدي عمر بن المكي الشرقاوي البوجعدى رأى الامام الصحابي الجنى سيدي شمهروش وأضافه وأجازه في الرواية عنه ، وانه مات في القرن الثالث عشر ، أجازه بمجرد اللفظ في سنة تسع وخمسين ومئتين وألف وهو اذذاك ما طرّ شاربه ، ومات الشيخ رضي الله عنه سنة ستين بفاس ، ذكره في مقدمة كتاب (الارتجال) .

حدثني شيخنا العلامة العارف الأديب العمري سيدي عمر بن المكي الشرقاوي البوجعدي التادلي بمراكش سنة تسع بتقديم المثناة الفوقية وخمسين ومئتين وألف ، قال لي أجزتك في جميع مروياتي عن صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدي شمهروش عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخبرني أنه من جن نصيبين الذين سمعوا القرآن من رسول الله صلى الله عليه وسلم الخ .

ثم ذكر في (المجد الطارف) ما نصه : أقول : هذان البيتان ، يعني يابني الزهراء الخ أتاني بهما عام أول قبل تاريخه بسنة صاحبنا المنشد السيد محمد الشاهد الفاسي صاحب السماع ، وطلب مني تخميسها ونحن في دار محبنا الفقيه العلامة المفتي المدرس ، الكاتب الوزير ، سيدي علي المسفيوي، فخمستها بقولي :

إنني قد ضقتُ ذرعاً ببذي — أو حسود ذي لسان أحوذي
فأنادي بأولي العَرف الشذي — (يابني الزهراء والنور الذي
ظنّ موسى أنه نار قبس)

قسماً بالله مَن ناداكم — أهل بيت عظمت أنداكم
وبنار أحرقت أعداكم — (لا أوالي الدهرَ مَن عاداكم
انه ءاخر سطر من عبس) (1)

---

1) آخر آيات سورة (عبس) قوله تعالى : أولئك هم الكفرة الفجرة

وقلت مخمساً قبل أن أقف على هذا التخميس ما نصه :

مدحُ ءال المصطفى للمحتـــذي عطره أذكا من العطر الشــذي
فاستمعْ قولة حقٍّ واحتــذ (يابني الزهراء والنور الــذي
ظنَّ موسى أنه نار قبــس)

انجح الأمر لمَن والاكــم خاب حوجاء ؟ الذي ناواكــم
قضيت حاجة مَن ناداكــم (لا أوالي الدهرَ مَن عاداكــم
إنه ءاخر سطر من عبــس)

ثم ذكر في المقدمة أن الوزير السيد موسى قال لـه إن السلطان سيدي محمد يأمرك بتخميس بيت الشاعر الأسيدي الذى لم يقفْ على تسمية قائله وهو :

ليس الفتى بفتى لا يستضاء بــه ولا تكون له في الأرض ءاثــار

فاخترع لذلك أربعة أبيات وخمس الجميع في الثناء على السلطان المذكور حيث قال :

ياطلعة البدر حسناً في كواكبــه وطالع السعد في نادي مواكبــه
بسط البسيطة وهبٌ من مواهبه تجري ركائبها مجرى سحائبــه
يجود جوداً له بالبذل إكثــار

إمامنا العلوي في مراتبــه قد فاق للمشترى الدري وكاتبـه
نصر من الله في لوا كتائبــه وأصبح الفتحُ بعضاً من مراكبـه
سيف من الله للعداة بتــار

أحيا بألسن بنيان عجائبــه مئاثرا كان منها للرجاء بــه
كمال حسن فيثْني عن غرائبــه لسانُ شكر يبقّي ذكرَ صاحبـه
فكيف يدريه نظام ونثــار

• نعم الهشامي الفتى مسدي رغائبه　　كفَّاه قد كفتنا فضلا لراغبـــــــه
وشفتنا شفتي راجي أطايبـــــــه　　وبالوفا وفتنا ومن مذاهبـــــــه
حيا وحلم وإغضاء وإيثـــــــار

ءاثاره شهدت على مناصبـــــــه　　وقد أضاء الورى أضوا محاربـــه
وأنشدتْنا الأمالي من مناقبـــــه　　(ليس الفتى بفتى لا يستضاء بـه
ولا تكون له في الأرض ءاثـــــار)

وأجازه على ذلك بذهب كثير .

ولما حل المترجم بالرباط نزل عند القائد عبد السلام السويسى وأقام فيه ثلاثة أيام واعتنى به،وتلاقى بكاتبه الفقيه السيد علي وأخيه العدل الفقيه سيدي محمد ابني محبه الفقيه العلامة سيدي محمد دينيا، ومع أخيه في الله تعالى الرجل الصالح الزاهد الورع المختاري طريقة ، السيد المكي بن عمرو الرباطي ، وزار معه رجال العلو روضة لمجاهدين ، والولي المشهور سيدي عبـد الله اليابوري شيخ سيدي أحمد بن عاشر السلوي،واتصل بأوراق منعند الأخ سيدي ابراهيم النظيفي فيها بعضُ قصيدة للامام اليابوري الذي لم يقفْ علىترجمته بعد البحث الطويل سنين عديدة ، وتلاقى بدكالة في دار القائد محمد بن الكامل بالعلامة الصوفي سيدي الحاج عمر ابن سودة سنة أربع وثمانين ومئتيــن وألف ، ثم اجتاز المترجم الى سلا وزار وليها سيدي الحاج أحمد بن عاشر ، ونزل عند الفقيه الخير الديِّن ، سيدي الحاج العربي ابن سعيد ، ثم ارتحل لفاس لزيارة مولانا ادريس ومدحه بقصيدة مطلعها :

مولانا ادريس من للمغرب مفتـاح　　ومَن لكل فتوح الغرب فتـــــاح

وكان عهده به من سنة 1265 خمس وستين حين قدم على مولاي عبد الرحمان بعد بعثه إليه من مراكش على يد وزيره الفقيه الوجيه سيدي العربي بن المختار الجامعي ، وكان مدحه إذذاك بقصيدة مطلعها :

زر قبرَ نور بنور الله محـــــروس　　وروضه من رياض القدس مغروس

ثم ذهب عند صفيه الفقيه النزيه ، الاديب ، باشا مدينة فاس ، عبد الله بن أحمد ،ولقي الوزير السيد موسى ، ثم أنزله الباشا في رياض الفقيه السيد الطيب بن أبي العشرين ، ثم تردد في مجالس العلم بالقرويين وزيارة الصالحين ، فتلاقى فيها مع الشريف العلامة مولاي ادريس بن شيخه مولاي عبد الهادي العلوي ، ومع العلامة مولاي الكامل الامراني ، والفقيه سيدي صالح التادلي حاجب مولاي السعيد ، والقاضي مولاي مَحمد ، والفقيه الضرير ، الولي الصالح ، مولاي عبد الملك العلويين ، والعلامة سيدى الحاج محمد كنون ، وسيدي أحمد ابن سودة ، وابن عمه سيدي محمد بن عبد الواحد ، وسيدي جعفر الكتاني ، وسيدي عبد الله بن ادريس البكراوي ، والخطيب سيدي علال الفاسي ، والفقيه الكاتب سيدي محمد الصنهاجي ، والفقيه سيدي محمد السباعي ، وسيدي عبد الواحد ابن المواز .

وقال المترجم في مدح حاضرة فاس :

قد حاز فاسُ مزايا الخير ساكنه — حتى الأحابيش منهمُ وزرزايه (1)
فزر أهاليَه حتى زرازرهـــــم — وان رسمت اسم زرازي فزد زايه
بيتان عزا من أن يعــــــزا — بثالث تقتل المتيوي رزايـــه (2)

وفي نسخة فكفينا كل زراية ، فعجزت جميع طلبة فاس ومكناس عن الاتيان برابع من جهة هذا اللزوم في القافية ، اذ ليس له مثال من كلام العرب على ما قال .

ثم ارتحل لمكناسة الزيتون ، فزار شيخه القطب سيدي عبد القادر العلمي ، وكان لقيه في صغره سنة ست وخمسين ، وهو الذي أشار عليـه

---

1) المراد بالأحابيش العبيد السود ، أما **زرزاية** مفرده **زرزاى** فهم حمالون خصوصيون ينتمون الى قبيلة أولاد سيدى عيسى بجهة ملوية ، يكونون بالاسواق التجارية يحملون فى النهار بضائع التجار ويخدمون الناس ويحرسون الاسواق فى الليل (بياتة ـ مفرده بيات) ، وهـم مشهورون بالامانة والاستقامة .

2) كتبت الأبيات فى الاصل بخط ردىء ، فنقلناها حسب الاجتهاد

بسكنى مراكش ، ثم زار الولي سيدي عبد الرحمان المجذوب ، والسلطانين مولاي اسماعيل ، ومولاي عبد الرحمان ، ثم زار غالب رجالها ، وقد اعتنى به الفقيه الوجيه سيدي محمد بن العربي الجامعي ، والمقدم الموقت السيد الجيلاني الرحالي ، والفقيه النجيب السيد الحاج المختار بن عبد الله بن أحمد، وتلاقى مع قاضي مكناسة سيدي فضول ابن عزوز .

ورثى المترجم شيخه سيدي محمد بن عبد الودود الحاجي بلديه بقصيدة قال فيها :

قل لمن غاب عنه سير سناهـــا لذكاء يبيد فهم البليـــــــد
لا يشين البديع غضُّ بليـــــد ليس يدري بديعَ شعر لَبيـــد

وللمترجم رحمه الله قصائد عدة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم فمنها قصيدة قرأها في مواجهته صلى الله عليه وسلم سنة خمس وخمسين مطلعها :

أهاج الهوى طيفُ الخريدة للنهى فبات النهى مثل المرزح اذ دهـــى

وله شرح نظم (إضاءة الأدموس) .

توفي المترجم رحمه الله تعالى عام خمسة وتسعين ومئتين وألف عن نحو السبعين سنة ، وكانت له جنازة حافلة ، وقرأت فـي مجموع صاحبه العلامة سيدي محمد بن المعطي السرغيني بخطه ما نصه : وكتبت يوماً للفقيه الاديب ، محمد الامين الشنجيطي وقد قدمت لداره فلم نجده وتكرر ذلك :

أياعالما أربى على كل مُرتقَـــى وبابحر علم بالفنون تدفقـــــــ
صديق فكم بالباب من وقفة مضت وعنفني دهري وما كان ملتقـــى
فأبتُ على رِسلي ومني التفاتــة وأعوزني وصلي وعدتُ معوقـــا
ورمت انتظام الشمل ثم هنيــأة لنشرب راح الود من كف من سقى
ورمت وداعي الشوق يزعج خاطري الى سرح من أهوى به الدهر اشرقا
ألذ من السلوى حبيبي حديثكـم فتهتز أعطافي له وهو منتقـــى

فياليت من أهوى به الدهر مسعد ... ويالهف قلبي بالخليل تعلقا
محمد الأمين ذي الادب الذى ... توهج طيب الغرب منه ترقرقا
يميناً بمَن أولاك أحسن رتبة ... وللبحث قد أبقاك سهماً مُفوقا
وحرزاً حصيناً للعلوم تفيدها ... لقد حزتَ وداً في الفؤاد محققا
ووداداً صميما يعلم القلب صدقه ... فبالله عن روح المشوق ترفقا

859) محمد بن المعطي السرغيني المراكشي

محمد بن المعطى بن أحمد بن محمد الشيخ بن يوسف السرغيني المراكشي ، ينتسب الى السادات العمرانيين النازلين بدادس ببلد القبلة ، ثم جاء أسلافه إلى بلد السراغنة بتاساوت من الشط الشرقي مما يلي مدينة دمنات ، وكان رحمه الله فقيها ، علامة ، أديبا ، مشاركا ، واعية .

ولد في حدود خمسة وأربعين من القرن الثالث عشر (1245) ، ونشأ في رفاهية عيش تحت جناب والده ، وأدخله مكتب العالم الرباني سيدي محمد الدكالي ، وباشر معه والده القراءة بنفسه ، ثم قرأ على الفقيه الصالح سيدي محمد بن الطيب السجلماسي المراكشي من سورة البقرة الى سورة الاحقاف ، ولقى جده للأم الشيخ عباس بن علي السرغيني الفطناسي الذى لقى صاحب ذخيرة المحتاج ، المتوفي عام نيف وخمسين من القرن الثالث عشر ، وتلميذه ابن عبد الكريم ، كما لقى والده علي المذكور الشيخ أحمد بن ناصر رضي الله عن الجميع .

ولقي المترجم أيضا الولي الصالح سيدي أحمد بن حنين السرغيني الحمزاوي أحد شيوخ والده ، وسمع المترجم من والده القرآن العظيم بالروايات السبع ، والشاطبية الا شيئاً منها ، وضبط الخراز ، وشيئاً من (مورد الظمآن) ، و (المرشد المعين) ، و (الآجرومية) ، وقرأ بعض (صحيح البخاري) على العلامة أحمد المرنيسي عام 1276 بفاس ، وعلى القاضي العدل محمد الطالب ابن الحاج ، زمن قضائه بالحضرة المراكشية ، وقرأ جميعه على العلامة الحاج محمد بن المدني كنون ، وحضر عليه في التفسير من سورة

الانعام إلى سورة يونس عليه السلام ، وأجازه في جميعه بخطه ، وحضر في التفسير أيضا على المرنيسي بتفسير البيضاوي ، وحاشية الشيخ زاده عليه ، وأجازه في الباقي بخطه ، وقرأ مختصر خليل على جماعة من العلماء ، وأجازه فيه عمر أبن سودة ، وسيدي أحمد بناني ، والمرنيسي ، وختم قراءة صحيح الامام مسلم بن الحجاج أواخر ذى الحجة عام تسعين ومئتين وألف بروضة مولانا علي الشريف دفين مراكش ، وقال في ذلك قصيدة تضمنت مدح الكتاب وتصنيفه ، وهي في سبعة وأربعين بيتا ، وقد أوردها في فهرسته ، ونقلها العلامة السيد التهامي كنون في ختمة صحيح مسلم المطبوعة بفاس عام 1316 ، وحضر في ختم المترجم علماء مراكش والخليفة ووزراؤه ، وكان ذلك اليوم مشهودا ، وموسما من مواسم الخيرات معدودا .

وأخذ عن قاضي مراكش السيد عبد القادر الحشْمي الراشدي ، وعن العلامة مَحمد بن محمد أبي أذينة النتيفي وطناً القرشي نسباً المتوفَّى عام 1273 وهو عمدته في الفقه ، كان ــ أي النتيفي ــ بمراكش أيضاً ، قال لنا الفقيه السباعي لم أجد من العلماء بمراكش لما قدمت أعوام السبعين الا أربعة عده أحدهم ، وكانت عليه همة العلم وان كان فقيرا بربرياً اذا مرَّ في الزقاق كأنه ملك رحمه الله ، وأخبرني الفقيه الحاج عبد السلام أنه كان يقرىء أولاد مولاي عبد الرحمان السلطان بمراكش وتقدم ذكره في ترجمة سيدي محمد المطيع (1) ، وهو ــ أي النتيفي ــ أخذ عن سيدي بدر الدين والمحقق أبي عبد الله البجاوي ، والفقيه سيدي محمد بن عبد الرحمان ، والمرنيسي ، وسيدي عبد السلام بوغالب .

وأخذ المترجم عن الفقيه الورع سيدي الحسن الصالح السوسي الهشتوكي المراكشي ، وذاكره في مسائل من التفسير والحديث، وعلم القوم، وأخبر بالمسائل المتوقعة فكانت كما قال ، ونفعه الله به، وأخذ عن العالم الرباني عبد الله السوسي السملالي المراكشي خلاصة ابن مالك ، مع توضيح ابن هشام الى جمع التكسير،

---

1) انظر ص 17 من هذا الجزء

وبعض مسائل من الحساب والتوقيت ، وعن شاعر المغرب محمد بن أحمد الكنسوس ، وعن العلامة الوزير السيد علي بن محمد المسفيوي المراكشي ألفية ابن مالك مع التوضيح ، وحواشي ارشاد السالك ، ومختصر الشيخ خليل الى البيوع ، ولامية الزقاق ، وبعض التحفة ، وصغرى السنوسي ، والسلم ، وعن الجامع بين الشريعة والحقيقة سيدى محمد بن دح الازمورى نزيل مراكش ، أجازه بعد ما سمع منه تفسير الفاتحة ، وآيات أخرى ، وأحاديث ومسائل علمية ، وأخذ عن سيدي الطالب ابن الحاج المتقدم الذكر مختصر الشيخ خليل إلى كتاب اللُّقَطة ، وشيئاً من صحيح البخاري ، وهمزية الامام البوصيري .

درس المترجم رحمه الله بمراكش وأفتى ، ونظم ونثر ، وأخذ عنه جماعة من أهل العلم ، منهم ولد أخيه العلامة السيد صالح بن المدني بن المعطي السرغيني المراكشي ، والفقيه السيد الهاشمي بوعبولة المراكشى ، والعلامة السيد عبد القادر المراكشي ، والسيد المحجوب المراكشي ، والسيد الصديق الحنصالي نزيل مراكش ، والسيد سعيد القطاريني ، والفقيه السيد ابراهيم بيبى المراكشي ، وغيرهم .

وله قصيدة في التوسل بأهل الله مع التصريح بمشاهير حمراء مراكش أولها :

إليك أبا يعقوب رفع شكيَّتي ... أيوسف اني في حماكم بئال ؟

وقد أوردتها في كتاب (اظهار الكمال) فراجعها فيه .

وله مخاطبا بعض العلماء استدعاء لنزهة برياض من حضرة مراكش حرسها الله :

فهل لكم ياأنس قلبي وخاطري ... في روض بجمع الشمل أبهج عاطري
به الورق تشدو والأزاهر تجتني ... وبلبلها يزري بصوت مزاهر
وأنواره ما بين ورق وعسجد ... وأطياره ما بين حاد وزامر

وأمواه نهر كالرحيق رضابـــه ... به تبرز الاشعار من غير شاعـــر
تعالوا نجدد ما تقادم عهـــــده ... لندفع بجيشات الهموم البواتـــر
ونمزج به كأس المودة والمنـــى ... ونبرد به أحشاء مثل المجامـــر
وقهوة بُن في الصباح توهجـــت ... لهيبا وفي الفؤاد برد لساهـــر
فهل يسمح الدهر المعنف باللقا ؟ ... وهل نتهادى الجام بين العشائـر ؟
أهيْلي وأحبابي وروحي وراحتـي ... وروحي وجيراني وسمعي وناظري
فلله ما يلقى الفؤاد من النـــوى ... وشوقي اليكم كالغيوث المواطـــر

فأجابه عنها شيخنا العلامة مفتي مراكش ، سيدي محمد بن ابراهيم السباعي بما نصه :

سمعنا أطعنا ياسُوَيْداءَ ناظـري ... وروضة مشتاق ونزهة خاطـــري
ندبت لنزهة بيانع جنـــــــة ... بها سلسبيل من لجين وناضـــر
وأفنانها تزري بدر وعسجـــــد ... بزهر وورد كالعيون الفواتـــر
محياك محيانا وروحك روحنـــا ... ووجنتك الجنات ذات الازاهـــر
ربيع الفؤاد أنتم وحضوركـــــم ... لنا غنية عن كل روض وعاطـــر
انبغي مياها غير ماء وجوهكـــم ... به يتسلى كل آت وصـــــادر
فنفنى جميع ما جمعنا لجمعنـــا ... بكم لحظة ولنعط أصل الدخائـــر

وللمؤلف رحمه الله مؤلفات حسان ، منها فهرسته المسماة (حديقة الأزهار ، في ذكر معتمدي من الاخيار) اشتملت على مقدمة ، ومقصد ، وخاتمة. المقدمة في فضل العلم وأهله وآدابه ، وشروط العالم والمتعلم ، والمقصد في ذكر معتمديه من الشيوخ ومن لقيه من ذوي الفضل ، والخاتمة في ذكر أدبيات ، ثم المقدمة هي نصف الفهرسة التي احتوت على مجلد واحد من القالب الرباعي ، أتمها في يوم التروية من سنة 1288 ، ومنها شرح بردة المديح سماه بالتوشيح ، وقفت على بعضها بخط يده ، فيها فوائد وأنظام له ، منها لما زار رجال أغمات في أوائل محرم سنة 1294 قوله :

يانفحة الله فاقصدي بلا مهـــــل   صوب الفقير الذليل مبتغي الأمـــل
من خير ما راح من دنيا وآخــــرة   برحمة الخلق جدى السير عن عجل

الى ءاخره .

وفي العام المذكور زار رجال عين الفطر والساحل من أرض دكالة ، وقال في ذلك عينيته أولها :

يارب اني سائل لك أضـــــــرع   يامَن له تعنو الوجوه وتخضـــع
فارحم عبيدا ما له من حيلـــــة   الا الرجاء وباب رب يقـــــرع

وقال في صدر رسالة لشيخه الشريف العلامة مولاي عبد الملـك الضرير نزيل مراكش ، قصيدة مطلعها :

سل الّبان هل بانت به أم مالــك   بنجد وحدثها بحالة سالـــــك ؟

وتاتي في ترجمة شيخه المذكور ان شاء الله .

وله أبيات قافية كتبها للعلامة الامين الصحراوي المراكشي تقدمت في ترجمته أيضاً (1) .

توفي المترجم رحمه الله ليلة ثاني عشر محرم عام 1296 ستة بمثناه ، وتسعين بتقديمها ومئتين وألف ، ودفن بلصق ضريح القاضي عياض عن يسار الداخل ، وخلف الفقيهين عبد السلام ، ومحمد المتوفى في يــوم الخميس تاسع رجب عام 1329 .

860) **محمد بن أحمد الجبلي المراكشي** من سكان حومة القصور ، كـان أستاذاً حافظاً ، ملازمـا لتعليم القرآن الكريـم بمكتب خلف ضريـح الشيخ الغزواني ، وكان مقصودا في القراءات السبع ، صالحاً ورعا زاهدا ، أخذ عنه الجم الغفير من حفاظ كتاب الله تعالى ، منهم الاستاذ سيدي عمـر

1) انظر ص 28 من هذا الجزء

الكلاوي ، وهو غير المفتي سيدي عمر الكلاوي الورع الزاهد الذي كان يسكن بحومة سيدي أبي عمرو ، والأستاذ سيدي العربي بن أحمد اليعيشي ، وشقيقه العدل سيدي محمد ، والأستاذ سيدي علي أخياط السوسي الذي انتشرت عنه قراءات حمزة بمراكش ، والأستاذ سيدي أحمد الدويك ، وغيرهم .

861) محمد بن عبد الله الصفار الأندلسي التطاوني

محمد بن عبد الله بن عبد الكريم الصفار لقباً ، الأندلسي أصلا ، التطواني نشأة ودارا ، المراكشي مدفناً ، الفقيه الكاتب الخيِّر النزيه ، العلامة الأفضل .

ولد في العشرة الثانية من القرن الثالث عشر بتطاوين وبها نشأ ، وتلقى المبادىء العلمية على مشايخها ، ثم انتقل إلى فاس لطلب العلم ، فأخذ بها عن الفقيه ابن عبد الرحمان الحجرتي وطبقته ، ثم رجع لوطنه واشتغل بالتدريس والعدالة ، ثم استكتب مع عاملها أشعاش ، وقدم في رفقته إلى فاس عام 1267 بقصد تقديم تهنئة العيد للسلطان ، فقبض على العامل ، واحترم المترجم بزاوية أبي السعود الفاسي ، واعتنى به الامام سيدي الكبير الفاسي ، ولما ضاق به الأمر حين طال استحرامه تشفع فيه عند السلطان سيدي الكبير المذكور ونوه به ، فاستكتبه عنده ، فبقي في الكتابة نحو سنة ، فاستوزره السلطان المولى عبد الرحمان آخر قدمة قدمها لحضرة مراكش ، بعد أن عزل الوزير السيد محمد غرنيط ، المُولَّى بعد السيد محمد العربي الجامعي سنة 1270 ، وقال له : اني قلدتك أمور الرعية التى طوقت بمقالدها ، فاياك أن تخفي عني أمر كل مظلوم يشتكي من مظلمة وقعت له ، وحكى ذلك لسيدي الكبير وكلفه بمثله ، وكان يعتني به .

ولما توفي السلطان مولاي عبد الرحمان وخلفه في السلطنة ولده سيدي محمد ، واستوزر شيخه سيدي محمد الطيب بن أبي العشرين ، نقل المترجم الى وزارة الشكايات ، وهو أول وزير بها في هذه الدولة ، وبقي بها الى أن توفي في أواسط قعدة عام 1298 بتادلة بدار ولد زيدوح ، فنقل لمراكش ودفن بروضة ضريح سيدي يوسف بن علي ، وصلى عليه خَلَفُه في وزارته علي المسفيوي .

درس المتـرجم بفـاس ، وأخذ عنـه بها جماعـة منهم سيـدي أبو جيدة الفاسي ، وقرأ عليه مقدمة ابن آجرم ، وممن أخذ عنه السلطان مولاي الحسن ، كان رحمه الله ذا جد وصرامة ، مقتصدا في أموره ، من أهل العلم والتحصيل ، كثير الاطلاع والبحث والتقييد ، وله سفارة لفرنسا (1) ، ولما مات رحمه الله اعتنى بأولاده السلطان مولاي الحسن ، ووجه ولديه السيد العباس ، والسيد عبـد الله مع ولديـه مولاي الكبير ومولاي حفيـد لقراءة القرآن ببلاد حمير (2) .

ومن شعره رحمه الله يمدح المصباح :

ان مشكلات أتتك ياخليل وقـــد غابت شموس النهى عجل بمصباح
فهو المعين لمن أراد معرفـــة وكاشف عن مخدرات أفـــراح

وله في الاقتصاد :

اذا أردت راحة القلـــب وأن تسلم من كيد الزمان والمحـــن
فصن معيشتك بالتدبيـــر ودع منافسة في التبذيـــر
فحسبك التدبير في الكفـــاف اكفى من الكثير في الاســراف

862) **محمد بن العربي التطاري** ، الفقيه النقاد ، البحاث المحقـق ، كان مفتياً بمراكش ، وقفت على بعض فتاويه المحررة المحيرة في قضايـا عام اثنين وثمانين ومئتين وألف (1282) ، افتى فيها مع السيد محمد بن أحمد الكنسوس ، والمزميـزي ، وجيمي ، والفجيجي ، والسيد محمد بـن أحمد الدادسـي .

---

1) في الأصل لانجلترا وهو خطأ ، فان السفارة كانت لفرنسا لا لانجلترا ، ذهب فيهـا كاتباً مع الحاج عبد القادر أشعاش عامل تطوان ، وكتب عنها كتابا كبيراً يوجد محفوظا بالمكتبة الملكية بالرباط تحت رقم 113 وقد قامت المستعربة الامريكية السيدة سوسان ميللر بدراسة الكتاب ووضعت حوله أطروحة

2) تنظر ترجمة الصفار في **فواصل الجمان** ص 70 و**تاريخ تطوان** 7 : 78

863) محمد المدني بن الفقيه الصوفي علي بن جلون الكَومي ، لقباً ، الفاسي داراً ومنشأ وقرارا ، كان رحمه الله علامة ماهرا ، ومحققا باهرا ، له معرفة بالفقه ، والحديث ، والنحو ، والبيان ، والمنطق ، والاصول وغيرها ، جامعا مانعا ، محصلا غواصاً على الدقائق ، بحاثاً نظارا مع صغر سنه الى بضع وثلاثين عاما ، وكان شديد الانصاف والتواضع ، كريم النفس ، زكي الاخلاق ، كريم المعاشرة ، عظيم النزاهة .

ولد رحمه الله حسبما رأيته مقيدا بخط والده في ربيع النبوى الانور، عام أربعة وستين ومئتين وألف (1264) ، وأخذ عن عدة من الشيوخ كوالده المذكور ، وسيدنا الوالد (1)، واستجازه فأجازه إجازة عامة ، والفقيه سيدي الحاج محمد كنون ، والفقيه سيدى الحاج المهدي بن الطالب ابن سودة ، وشقيقه الفقيه الصوفي سيدي الحاج عمر ، والفقيه سيدي محمد الحمادى الشهير بالمكناسي ، والفقيه سيدي محمد التازي ، والفقيه مولاي أحمد العراقي ، والفقيه سيدي محمد ابن ملوك التلمساني ، والفقيه سيدي المهدي ابن الحاج ، والفقيه سيدي الحاج محمد المَقْرى التلمساني الملقب بالزمخشري ، والفقيه سيدي ادريس السنوسي ، والفقيه سيدي الحاج أحمد ابن سودة وغيرهم ، وانتفعت به أنا وغيري من نجباء طلبة الوقت في المختصر وغيره ، وما رأيت قراءة أعجب الي من قراءته ، ولا أشد تحقيقاً ، ولا أعظم تلخيصا وجمعا .

وله رحمه الله تآليف عديدة مفيدة ، منها : (الطرفة العبيقة ، المهداة لخير الخليقة) في المطالب السبعة التي ينبني عليها برهان حدوث العالم ، و (نزهة ذوي العقل السليم ، في بعض علوم باسم الله الرحمان الرحيم) ، و (حديقة الأزهار ، المهداة لسيد الأبرار) في التحذير من تعاطي علم الكيمياء والكنوز والنار ، والخط وخواص الآي والسور والتنجيم والحروف ، و (اللآلي اليتيمة ، فيما يتعلق بالفاحشة العظيمة) ، و (الطيب العبق النشر، المتحف به

1) أي سيدى جعفر الكتانى والد صاحب **السلوة** المنقولة منها هذه الترجمة

من يقول أنا لها في موقف الحشر والنشر) ، تمم به النوافل التي بقيت على خليل وصاحب المرشد ، و (استنشاق الفرج بعد الأزمة ، من حضرة المسمى عين الرحمة) ، في سفر صغير ، وتقييد في المبشرين بالجنة ، وآخر في الصحابة الذين غيَّر المصطفى صلى الله عليه وسلم أسماءهم ، وآخر في بعض الأحاديث المتواترة ، وآخر في لا النافية للجنس ، وآخر على قول الخلاصة ، ونعت غير واحد اذا اختلف البيتين ، وشرح على تقرير الشيخ الطيب في الاستثناء ، وأجوبة متفرقة في علوم شتى ، وطرز كثيرة على حواشي كتب متعددة في أنواع من العلوم ، وتقاييد كثيرة ، وكان من عادته رحمه الله اذا سمع من يتذاكر في مسألة علمية لم يستحضر التحقيق فيها ، يذهب الى موضع ويراجعها حتى يعرف وجه الصواب فيها ويقيد ذلك ، وشرع في جمع أربعين حديثاً ، وسماها بـ (أسباب النضارة، بالأربعين المختارة) فلم يكملها، ثم شرع في شرح عليها ، فكتب منه عدة كراريس ولم يكمله أيضا ، وله أيضا مراء نبوية وقفت على بعضها بخطه ، وتركت ذكرها مخافة الطول .

وولي في آخر عمره القضاء بثغر الصويرة (1) ثم بعد إعفائه منه صار يحضر قراءة البخاري مع السلطان الامجد،مولانا الحسن بن مولانا محمد، وجماعته في مجلسه ، فغبط به السلطان المذكور ، وأرسله لبعض المصالح العارضة بناحية الغرب، فبقي هناك مدة من أشهر ورجع مريضاً الى فاس، فبقي بها يومين أو نحوهما، وتوفي في نصف ليلة الرابع عشر من ربيع النبوي عام ثمانية وتسعين ومئتين وألف (1298) ، ودفن خارج باب الفتوح بروضة كبيرة لبعض أولاد ابن جلون ، يسار الهابط من روضة أولاد ابن ادريس قريباً منها ، وبني عليه بناء ضعيف للتمييز ، وكتب عند رأسه تاريخه .

انتهى من السلوة (1) .

ودخل مراكش في ذهابه للصويرة حين استقضي بها .

---

1) ورد عليها قاضيا يوم الاحد 3 شعبان عام 1295

2) **سلوة الانفاس** 2 : 363 وينظر عنه أيضا **ايقاظ السيرة** ، **لتاريخ الصويرة** 1 : 109 و**الشموس المنيرة** ص 37

864) مَحمد بن عبد الرحمان المدغري

مَحمد فتحا بن عبد الرحمان بن قاسم العلوي المدغري ، من ذرية مولاي مَحمد بن علي بن طاهر .

كان يدرس بأمسيفي (1) قرية من قرى الغرفة من بلاد سجلماسة ، ثم كتب السلطان مولاي عبد الرحمان للقاضي بسجلماسة مولاي الصادق بن مَحمد المدغري بالنظر فيمن يكون من أهل العلم والدين والشرف ليوجه لحضرته، فأشخصه لذلك ، فورد على السلطان بحضرة مراكش وأمره باقـراء أولاده بقبيلة حمير مبادىء العلوم كالمقدمة في النحو، فأجاب بأنه يصلح لقراءة التفسير والحديث والفقه ، فأذن له في التدريس بالجامع اليوسفي ، فشرع فيه وحضر عنده طلبة مراكش ، ولما توفي بالقرب من ذلك قاضي فاس سيدي الطالب ابن الحاج أشار البعض على السلطان بتولية المترجم في محله فولاه ، قال في (معجم أصحاب الرضوى) بعد أن ذكر المترجم ما نصه : قاضي الجماعـة بفاس العالم الحافظ الناسك ، المحب في الخير وأهله ، المتعفف النزيه ، كان آية في حفظ ما يقرأ ويسمع ، ربما أملى الكراريس العدة في الفقه وغيره ، قال لي شيخ الجماعة بمراكش محمد بن ابراهيم السباعي بفاس إنه لم ير مَن يطمع قط في مقاربة شأوه في الحفظ مع اتقان اللفظ ، الا أن يكون الامـام شقيقه الشيخ السيد محمد بن عبد الكبير قدس الله سره الاطهر العاطر .

وضم المترجم الى الحفظ العجيب سلامة الصدر ، والخلق الحسن ، وحسن الاعتقاد في الصالحين مع التواضع التام على رفعته ، والصبر والتحمل.

أخذ العلم عن قاضي سجلماسة الصادق العلوي المدغرى ، دفين مراكش ، والقاضي عبد الهادي بن عبد الله العلوي ، وابن عبد الرحمان (2) ،

---

1) **امسيفي** قصبة من قصبات قرية الغرفة بتافلالت مشهورة بانجاب العلماء خصوصا فى القراءات القرآنية ، وهى بلد عبد العزيز المغراوى ويدفن بجوارها العديد من الاولياء والعلماء مثل مبارك وعزى ، وعبد القادر الهلالى وغيرهم

2) سيدى محمد بن عبد الرحمان الحجرتى الفيلالى

والوليد العراقي وغيرهم ، واجتمع بالشيخ محمد صالح ، فأخذ عنه الحديث والمصطلح ، وأقرأ معهم شمسية الكاتبي في المنطق ، ورأى من أحواله ما أعجبه ومن عرفانه ما بهره .

وولي خطة القضاء بفاس سابع صفر سنة 1274 ، وما زال عليه الى أن مات ، وحج سنة 1282 ، وحضر دروسا كثيرة على الاستاذ شيخ المالكية بالديار المصرية محمد عليش في اقراءاته للمختصر من غير أن يعرف ، قالوا ولا يعرف أنه أخذ مدة توليته رشوة ، أوحابى في دعوة ، إلا أنه كان لايبرم الاحكام عن عجل ، بل كان يماطل الخصوم رجاء أن يتصالحوا، وكان يعاب عليه ذلك فيعتدر بكثرة الفجور، وأنه لا يعرف المُحق من المُبطل، وكان له اعتقاد في شيخنا العارف الزاهد محمد بن علي الحبشي الاسكندري ، وأخذ عنه كغيره من المتأخرين ، وكان الحبشي المذكور يحضر درسه أيضا فيما كان يقرأه، وما زال طاهر الساحة مما يشين إلى أن استأثر الله بروحه الطيب(1)سابع وعشري رمضان سنة 1299 ، ودفن بزاوية الصقليين بداخل باب الجيسة من فاس .

أخذ عنه من شيوخنا الكثير ، كالشيخ الوالد وغيره ، وممن أجازهما عنه مسند المدينة علي بن ظاهر الوترى الحنفي ، فانه لما قدم الى فاس سنة 1287 استجاز من المترجم ، فأجاز له عامة ما له ، وقد وقفت على هذه الاجازة بخطه ، وهي مؤرخة بثاني وعشري جمادى الثانية عام سبعة وثمانين ومئتين وألف 1287، وبكل أسف لم يذكر له فيها أحدا من شيوخه ، والاهمال من المستجيز منه ، ولما قدم علي بن ظاهر سنة 1297 الى فاس استجاز منه ولد المترجم عبد الله فأجازه عامة ، وقد درج بعد أبيه رحمهم الله آمين .

وكان المترجم يحتجُ لتأخير القضايا بما ذكره الشيخ أبو علي في شرح المختصر عند قوله : ونفذ حكم أعمى وأبكم الخ . ونصه : **فائدة:** الحكم يجب فورا ، ثم نقل عن البرزلي قال : قضاء القاضي من باب تغيير المنكر ، فتجب

---

1) قبل غروب يوم السبت

الفورية فيه بحسب الامكان ، وما ذكره عن بعض القضاة أنه يـردد الاحكام ويطولها ، قد اعتذر عن ذلك بكثرة طلاب الباطل ، فيطول قضية حتى يقلّ الضرر فيكون من باب تقابل مكروهَيْن فيرتكب أخفهما هـ .

لكن قال الشيخ أبو علي بعد ذكر كلام البرزلي هذا بتمامه، قال كاتبه عفا الله عنه : وينبغي للقاضي أن يطول القضية اذا رأى مخايل الباطل مـن الخصم ، أو كان الخصم معروفا بالباطل ، وأما اذا لم يكن شيء من الامرين فلا يـؤخـر .

وممن أخذ عن المترجم العلامة سيدى جعفر الكتاني ، والعلامة سيدي محمد القادري المترجمان له في فهرسته ، وصاحب (السلوة) ، وذكره في (الشرب المحتضر) ، و (الحسام المشرفي) (1) .

865) محمد بن عبد الواحد ابن سودة

محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن الشيخ سيدى التاودى ابن سودة المري ، الشيخ الفقيه العالم العلامة ، الحبر الفهامة ، النحوى اللغوي الاديب البـركة ، المسـن الأريب ، دخـل مراكش وكـان رحمه الله ممن لـه الباع الكبير في علم النخو واليه فيه المصير ، وكانت له مشاركة في غيره ، وقلم بارع في الانشاء ، وملكة جيدة في الشعر والتوثيق ، وكان فاضلا خيرا دينا ، بعيداً عن خوارم المروءة ومواضع الريب ، ولي القضاء مرة بقصـر كتامة (2) ثم أقيل منه ، وتولى الخطابة بجامع الديوان من فاس ، ثم بجامع الاندلس ، وبقي خطيبا به الى أن توفي .

وكان فصيح اللسان حلو المنطق ، وله خطب فائقة يؤثر وعظه فيها في القلوب ، وحج بيت الله الحرام ، وزار قبر النبي عليه السلام .

---

1) **سلوة الانفاس** 1 : 205

2) القصر الكبير

وقال الشيخ ابن حسون في رحلته ما نصه : وفي بعض هذه الايام لما أرسينا في مرسى الينبوع ، بعث الفقيه الاديب السيد محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن التاودى ابن سودة المري الفاسي يخاطب الاشراف ، وقد كانت سفينتهم أرست حولنا بقوله :

ألا ياأهل زاوية تجلــــت ... كعرس قد سمت فوق المنصـه
وحق علاكم ما أنصفتمونــا ... وأنتم أهله تدرون نصــه
سمعنا دوننا أصوات عــود ... ونحن نريد من رياه حصـه
أياعبد السلام القطب عطفـا ... فقد أملت سقي ثمار عرصـه
ويابن العبد للجبار جبـرا ... وجد كالبحر جودا دون رخصـه

فأجابه على لسان من ذكر مقيده عفا الله عنه بقوله :

ألا يانجل أشياخ عظـام ... شموس قد علوا أعلا منصـه
فسامح في الذى عنك انفرَدْنـا ... برياه انتشى لكن برخصـه
ورخصتنا أخى تبدو وتسمـو ... وبالانصاف عذر تدري نصـه
وان أيدى المقادر جمعتنـا ... فللجمع الكريم منه حصـه
ومنا في الدوام لكم سـلام ... تأرج عرفه أبدا بعرصـه

وكانت هذه الحجة سنة 1269 ، وكان معهم في هذه الحجة سيدى عبد السلام بن الشيخ سيدى الحاج العربي بن علي بن أحمد الوزاني ، وابن عمه سيدى محمد بن عبد الجبار بن علي بن أحمد ، وولده سيدى عبد الجبار ، وسيدي محمد بن سيدي العربي بن المعطى التادلي ، وسيدي أحمد بن عبد الجليل بن مولانا علي بن أحمد المذكور ، وابن سيدي عثمان المرغني المكي تلميذ سيدي أحمد بن ادريس المغربي ، والشيـخ أحمد دحلان ، والشيـخ الجمال ، وسائر علماء مكة المشرفة ، وبعض علماء مصر وفاس .

ثم قال في الرحلة المذكورة : خاطب الفقيه الاديب النحوي اللغوي الخطيب محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن الشيخ التاودى بن الطالب ابن سودة المري الفاسي ، الشريف البركة ، الاديب الدراكة ، سيدى محمد بن سيدى

عبد الجبار الحسني المتقدم الذكر ، وقد جمعهما القدر المحتوم على شاطىء بحر القلزم بقوله :

البحر زاد الندى وجود يمنـــاك والشمس قد خجلت منحسن مرآك
يا أيها المنتقى من عقد زاويـــة باليمن والسعد والاقبال بشـراك
وطاب وقت بشاطىء المويلح مـع قوم ملاح وأحيانا محيـــــاك

وتوفي المترجم أواخر ذى القعدة الحرام سنة تسع وتسعين ومئتين وألف 1299 ، ودفن بصحن الزاوية المنسوبة لجده الشيخ التاودى ، الكائنة بحومة زقاق البغل المذكورة قريباً من وسطه .

قال في (السلوة) : وأخبرني بعض العلماء أنه رآه في النوم بعد وفاته ، وكتب العلم دائرة به ، فسأله عن حاله ، فأخبره أن الله عز وجل قد غفر لـه .

وممن أخذ عنه العلامة سيدى جعفر الكتاني ، والعلامة سيدى محمد القادري ، والعلامة سيدي الكامل الامراني ، كما في فهارسهم الثلاث ، وممن ذكره صاحب (الحسام المشرفي) .

866) **محمد ابن المحجوب المراكشي** ، الأديب ، قال يخاطب الاديب السيد هاشم الرباطي :

كتبت كتابا يلثم الارض خاضعـــا لعل كتابي أن يقوم مقامـــــي
ويسجد اجلالا لكم ومكارمـــــا ويقرئكم عني جزيل سلامـــــي

فأجابه المكتوب اليه :

كتبت بما أبدعت فيه بدائعــــا من الوشي قد أضحى محل غرامي
فياعجبا كيف احتوى بانعطافـــه على عالم يبدي عظيم كلامـــي

ذكره الفقيه ابن المعطي في مجموعه .

867) محمد بن أحمد التنغراسي

محمد بن أحمد المدعو السيد التنغراسي الشاذلي ، المراكشي دفينها ، كان صوفيا عارفا محققاً ، ذا كرامات وكشوفات .

أخذ عن الولي الصالح العارف سيدي الغازي بن العربي الشاذلي دفين سجلماسة ، وكان أميا . ورد مراكش وكان يتعاطى بعض الاسباب ، ويدعى أنه وارث شيخه المذكور ، وكان العالمان السيد سعيد والسيد المطيع تلميذا الشيخ سيدي الغازي ينتقدان عليه ذلك لكونه أميا ، فرأى الاول منهما رؤيا محصلها انه رأى نفسه في زاوية شيخه المذكور الغازي بسجلماسة ، واجتمع الشيخ وسائر فقرائه ، وبقي الشيخ في وسطهم مدة لم يتكلم بكلمة ، ثم عمل فاتحة وقال لهم : عملنا هذا المجلس لابرام أمر ، وحيث لم يحضر سيدي محمد لم يمكنا ابرامه بدونه ! فافاق السعيد ، وبعد أن صلى الصبح قدم عليه المترجم وقال له : هل تسلم اراثتي للشيخ أم لا ؟ فاعترف له بذلك وجدداها عليه ، وكذلك صنوهما السيد الهادى .

وممن أخذ عنه المولى الحسن ووعده بالملك ، وبين له قدر مدته وهو الذى حشره في قبره وقيل لم يأخذ عنه .

وممن أخذ عنه مولاي سليمان بن الكبير ، وصنوه مولاي أحمد ، والسيد محمد بن مبارك الموقت وغيرهم ، وكم منهم طلب منه مطلباً فنال غرضه .

ومن كراماته أن مطرباً بمراكش يقال له النعيمة ، وكان السيد يعمل السماع ويلزمه بحضوره لحسن صوته ، ويتخلف في بعض الاوقات لكونه كانت تعظم عليه ذاته حالة السماع ويخاف منه ، فضربه مرة على جبهته فحصل له جذب ، وصار يأخذ عصا عليها خيط ويضرب عليها ويغني ، فيلتف عليه أهل مراكش للسماع منه في الازقة ، ومرة أخرى أمره أن يبحث على ولد تلف له ، فقال له بين لي الموضع الذى ألقاه ؟ فأنكر عليه وقال له : أمقام النبوة أعلا أم مقام الولاية ؟ فقال مقام النبوة ، فقال له سيدنا يعقوب ما أجاب

بهذا حيـن أخبر بموت سيدنـا يوسف على نبينـا وعليهما أزكى الصـلاة والسلام ، ولكن حيث ابيْت الا الاعلام فاذهب الى الثلاثة فحول ، واسلك أي طريق شئت تجده ، فكان الامر كما ذكر ، وقد جرى ذكر شيء من أحواله في ترجمة سيدي محمد الفجيمي .

تنبيـه :

عندي نحو ثلاثة كراريس من كتاب في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بخط السيد محمد أجنين النساخ الواعظ ، في أوله : (كنـز الذخائر ، وجلب الغنائم) للشيخ سيدي محمد بن أحمد .

توفي المترجم رضي الله عنه أواخر القرن الثالث عشر، ودفن بدرب سبعة رجال بالموقف من مراكش .

ومن تآليفه : كتابه العظيم الموقع الذى وضعه في أسرار النقطـة وعلومها ، ومنها : شرحه الفتوحات القدسية لقول ابن عربي الحاتمي من عرف استعداده عرف استمداده ، ومنها شرحه لملحونة الملياني التي أولها :

أجعلت من المال عمامـــا   **أشدتها شد مائـــل**

الى قوله :

ويلا قال عـــارف **الله**   **يعد لي هذا المسائـــل**

وكتب على الفتوحات المكية شيئاً كثيرا ، ووضح بعض مشكلاتهـا وعويصات مسائلها من **املائه .**

وتنغـراس بكسر التـاء والنون وسكون الغيـن قصر مـن قصور سجلماسة ، وهو في آخرها بفرقة السفالات .

868) محمـد بن زاكـور الشرابلي المـراكشي ، مؤذن الشريـف المحتسب ، كان كثير المدح لمولانا رسول **الله** صلى **الله** عليه وسلم ، كثيـر التواجد بذلك ، من أهل الخير والفضل .

ذكره الامين الصحراوي .

869) **محمد ابن المرابط** ، الفقيه المفتي ، من علماء دولة المولى عبد الرحمان العلوي ، وكان قاضياً بمراكش ، وهو الذى أفتى للمولى عبد الرحمان في الشراردة بأنهم تابوا قبل القدرة عليهم ، فتوقف السلطان رحمه الله عن قتلهم ، كما يأتي في ترجمة المهدى الشرادي ، وأصله من جاوصة بالصحراء ، كان يلبس الخنث ويجلس جاثيا على ركبته ، ولما قربت وفاته صلى العشاء بالضريح العباسي ، وقضى عليه قبل الفجر ، ودفن عند عتبة الباب على يمين الداخل لقبة الضريح العباسي في السواري .

870) **مَحمد (فتحا) بن الحسين العلوي** ، الشريف الولي الصالح والعامل الناصح ، صاحب المكاشفات الظاهرة ، والاسرار الباهرة ، الكامل الواصل ، صاحب قصيبة النحاس ، من حضرة مراكش ودفينها .

قال في (الدرر البهية) : أقام بصفرو اربع عشرة سنة ، وخلف أهله وحشمه ، وحل بفاس فأقام بها سنة ملازما للضريح الادريسي ، ثم انتقل نحو مراكش ، فأقام بها مدة طويلة بقصيبة النحاس ، وظهرت له كرامات وأسرار باهرة ، حملها الكافة عن الكافة ، وهو ممن لقيناه ، واستفدنا منه صالح أدعيته وانتفعنا به ، ورأيت له من الكرامات شيئاً كثيراً ، وأخبرني بأمور فكانت كما قال رضي الله عنه .

توفي في العشرة العاشرة بعد مئتين وألف ، وقد خلف ثلاثة أنجال كرام ، الشقيقان : سيدى محمد والسيد المصطفى ، والسيد المرتضى المنفرد. أما سيدي محمد فقام مقام والده ، واشتهر شهرة كبيرة ، وقصده الناس للزيارة ، فلم ينشب أن لقي ربه بمراكش .

وأما السيد المصطفى فأقام بقرية صفرو وهو من أهل المروءة والدين المتين والعبادة والتلاوة ، وما زال قائم الحياة ، وكذا اخوه السيد المرتضى .

والذى كتب فوق قبره بضريح أبي العباس السبتي ، قرب باب القبة بلصق الحائط عن يمين الداخل في زليجة ، أنه توفي ليلة السبت خامس جمادى الثانية عام تسعة وتسعين ومئتين وألف .

كما أن ولده البركة الصالح سيدى مُحمد ضماً ، توفي ليلة الاثنين رابع عشر ربيع النبوى سنة ست وثلاثمئة وألف ، ودفن بلصق والده المذكور .

871) **محمد الطائع الجنان** ، المكناسي الاصل ، المراكشي الدار والقرار ، كان عارفا بالتوقيت والربع المجيب ، محققا فيه وفي الحساب والتعديل ، ودرسه بالجامع اليوسي (1) .

وممن أخذه عنه تلميذه السيد المحجوب بن محمد الحمرى ، والفقيه السيد محمد بن الحاج عزوز شنطيط الاندلسي المراكشي ، من سكان جنان ابن شقرة ، كان مؤقتا بجامع ابن يوسف أواخر دولة سيدي محمد وأول دولة ولده المولى الحسن ، وهو صاحب الحصة التوقيتية المتداولة بمراكش ، وبعده تولى التوقيت بالجامع المذكور السيد محمد بن مبارك المسفيوي .

توفي رحمه الله في عشرة التسعين من القرن الفارط (2) .

872) **مَحمد (فتحا) المكي** ، الحكيم ، المراكشي قرارا ومدفنا ، المدعو المكاوي ، من شرفاء مكة المشرفة ، كان عارفا بعلوم الحكمة وعلم الطب والكيمياء ، بارعا في ذلك ، بلغ الغاية القصوى فيه ، وجال بلاد المعمور ولقي أرباب الحكمة ، وتلقى عنهم ما صار به مفردا في فنه ، وأخذ علم الحرف عن رجل بفاس ، ولقي بمراكش سلطانها سيدى محمد بن عبد الرحمان بعد أن نبهه عليه مولاى عبد الله بن عبد السلام الوزاني ، فطلب منه مباشرة الحَب الافرنجي في بعض حظاياه ، فوعده بالشفاء في أيام قلائل وسقاهن مسهلا ، وأمر بعدم مسهن ان غشي عليهن ، فلما وقع لهن ذلك أعطاهن ليمونا ممزوجا ببعض الادوية ، فشممنه فأفقن ، فبعد ذلك يبس الحب ، ثم دهن آثاره بدهن ، ولم يبق بهن أثره ، فقال للسلطان : لاتجد من يفعل هذا في الدنيا غيري ، وأجرى عليه مئونة ، ونفذ له بعض المغلات ، ولما وقع داء السكتة بالاديب

---

1) لعله الجامع اليوسفى ، ولا وجود لأى مسجد بمراكش بهذا الاسم حسبما اعلم

2) كتب بهامش الاصل المنقول منه : 1299

الحاج ادريس بن ادريس نائب الحاجب موسى أمر بفصد عرق منه فأفاق في الحين ، وكان في مراكش مقصودا في ذلك يداوى الفقراء مجانا ، ويأخذ من الرؤساء الكثير ، ويصنع الادوية الغالية الاثمان ، وأخباره في ذلك مشهورة .

توفي رحمه الله أواسط العشر الأخيرة من القرن الفارط .

873) محمد بن محمد الجيلالي التادلي

محمد بن محمد الجيلالي التادلي المراكشي الدرقاوي ، عمدة الزاوية الدرقاوية بالقصور مع السيد أحمد بلقزيز . أخذ الطريقة الدرقاوية عن مولاي الطيب .

كان رحمه الله فقيها ، مدرسا ، زاهدا ، ورعا ، من عدول عام 1282 ، حج عام ثمانين ومئتين وألف ، وفي آخر عمره صار عطارا بالرحبة في حانوت يجلس عنده فيها الطلبة ، ولم يترك التدريس ، وقرأ بفاس هو ورفيقه السيد علي المسفيوى في وقت واحد من عام أربعة وستين من القرن الفارط ، وهو من أهل العلم الذين فروا عند ثورة أهل مراكش على ابن داوود ، وسلموا من غائلتها ، وهم : سيدي محمد بن الفاضل ، والفقيه ابن نون ، وابن المعطي ، وكانوا رحمهم الله رفقاء أخيارا .

توفي رحمه الله في العشرة الاخيرة من القرن الثالث عشر ، أو عام اثنين وثلاثمئة وألف 1302 ، ودفن بروضة باب دكالة .

874) **محمد بن محمد الفجيجي** المراكشي ، كان رحمه الله فقيها علامة مشاركا ، من وجوه علماء مراكش وسراتها ، وكان في أول أمره يلبس اللباس الفاخر وله جمال بارع حاد الذهن .

ولد في منتصف القرن الثالث عشر، وحضر مجلس الشريف مولاي العباس بن مولانا عبد الرحمان ، وكان كثير الانتقاد عليه ، حتى أنه دعا عليه في بعض الاوقات لما أضجره .

أخذ عن سيدي الحسن الفيلالي وطبقته ، وكان مدرسا ، وناب في قضاء أسفي عن قاضي مراكش الفقيه ابن المدني في أيام السلطان سيدي محمد قرب وفاته لانها من عمالتها اذذاك ، فبقي فيها قاضيا نحو عام واحد ، وسيأتي أنه ولي في 2 شعبان عام 1287 في محل الحاج علي الدرعي ، وأنه عزل في 2 شعبان عام 1288 ، وسبب ذلك انه أثبت رسوما لبعض أهل الحماية تضمنت مالا كثيرا ، فألزمه السلطان بأداء ذلك ، وتوجه له بالكتاب الكاتب السيد محمد بن سليمان ، فلما وصل منزله وأعلمه بالقضية خرج وأنزله بموسى حاد ، وأغلق عليه باب البيت ، وقال له : اذبحني أو أذبحك ، فأخذ منه الموسى وفتح البيت وذهب لحال سبيله ، وأعلم السلطان بأن القاضي المذكور اختل في عقله ، ثم بيع لاجل ذلك البعض من أمتعته ، ثم سجن ، ثم سرح في أول دولة المولى الحسن ، وصارت تصدر عنه افعال المجاذيب والحمقى ، يمشي في الطرقات عارياً غير متستر ، وسبب ذلك والله اعلم ، أنه لقي بمراكش محمد بن أحمد المدعو السيد ، وأخبره المترجم أنه يشرح الانسان الكامل لسيدي عبد الكريم الجيلي ، فقال له : مَن شيخك في الطريقة حتى تشرح كلام الجيلي ؟ فأجابه : شيخي علمي ، فقال له السيد : علم الباطن لا يشرح بكلام أهل الظاهر ، فقرأ عليه كراسة مما كتب فأجابه بأن هذا كلام بعيد ، اذ لا يفهم الكلام الا من بلغ المقام ، وأنت لم تبلغه ، وأنشده البيت المعلوم :

سارت مشرقة وسرت مغربا ... شتان بين مشرق ومغرب

فأعرض عنه المترجم وذهب مغضبا ، فالتفت السيد للحاضرين وقال لهم : انه لا بد أن يقع له في عقله ما يقع ، ويذهب مكشوف العورة ، ويغلب على عقله ، فكان الامر كما ذكر ، وبعد وفاة السيد بأمد كثير ، وقفت على أول شرح المترجم للحكم العطائية في مبيضته ، ذكر فيه عند قول الامام ابن عطاء الله : من علامة الاعتماد على العمل نقصان الرجاء عند وجود الزلل ما نصه : ثم انه لا بد من شيخ يريك كيفية التخلص من الاعتماد على العمل ، مثل شيخنا سيدى التهامي التازي ، أدام الله لنا النفع به .

توفي المترجم أواخر القرن الثالث عشر رحمه الله .

والشيخ سيدي التهامي التازي كان من أكابر الاخاذين عن مولاي العربي الدرقاوي ، ومن أهل المعرفة والذوق ، والنسبة الصحيحة ، وله أتباع وأصحاب .

وهناك آخر يقال له سيدي التهامي التازي ، أخذ عن سيدي عبد الواحد بناني ولقي من كان في ذلك الوقت من الاخيار ، كان تاجرا ، ولما مات شيخه المذكور سيدى عبد الواحد دفنه في رياضه .

875) **محمد ابن نون** الرحماني ، المحمدي المراكشي الرباني الفقيه العلامة ، كان مجلسه حافلا بالزاوية العباسية بالمسجد العباسي ، وكان فاضلا ناسكاً ساعياً في قضاء حاجات المسلمين دائما ، قاطعا للشحناء بينهم ، متعففاً متقشفا .

أخذ عن الفقيه سيدي أحمد بن الطاهر المراكشي وغيره ، وكان قيم خزانة كتب جامع المواسين .

توفي في أواخر العشرة الاخيرة من القرن الثالث عشر .

876) **محمد بن علي السملالي** ، التمجروتي ، الناصري طريقة ، الفقيه النحوي المحدث الحافظ ، سكن مراكش مدة نحو العام في أواخر العشرة التاسعة من القرن الثالث عشر بمدرسة المواسين .

أخذ عن العلامة ابن عبد السلام الناصري ، وكان حافظاً ، درس بمراكش (دلائل الخيرات) ليلا بجامع ابن يوسف ، والشمائل برياض الزيتون ، وحضر عليه نجباء طلبتها وأكابر علمائها ، كالعلامة مولاي أحمد بوغربال ، ومولاي أحمد ابن الكبير ، ومدحه بقصيدة لما ختم الشمائل ، أتى فيها مورياً بأبواب الشمائل منها :

أصْلِحْ أمير المومنين وكن له ... فصلاحنا بصلاحه أي مقترن

جاوز المئة سنة ، ثم سافر لتمجروت وبها توفي بعد ذلك ، وخلف ولده الفقيه السيد القرشي .

والمترجم غير سيدي مَحمد (فتحا) بن علي بن الحسين بن عبد السلام الدرعي الناصري المزكيطي الداخل لمراكش أيضا .

877) **محمد بن علال الدليمي** المراكشي الفقيه ، كان ينوب عن القاضي السيد عبد الواحد ابن المواز بمحكمة ابن يوسف عام سبعة وتسعين ومئتين وألف لغيبته بفاس ، وبقي في النيابة الى أن مات رحمه الله .

وقفت على خطابه والتعريف به ، وعلى تأليفه شرح الاربعين النووية وهو مجلد في القالب الرباعي ، فيه ستة وعشرون كراسا ، أتمه في 14 جمادى الاخيرة عام 1292 ، وسماه (اللطائف السنية ، على الاحاديث النووية) .

878) **محمد بن أحمد سروخ الادريسي العلمي** ، نزيل جبل العلم ، البركة الصالح ، لقيه سيدي علي بن ظاهر بمراكش عام ستة وثمانين ومئتين وألف 1286 ، وأجازه المترجم بالطريقة الناصرية ذكرا وتلقينا عن الشريف البركة سيدى ابراهيم الرباطي ، عن سيدي الحسين بن شرحبيل ، عن سيدي أحمد بن ناصر ، وأجازه بهذه الصلاة أيضاً وهي : اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ونبينا ومولانا محمد ، وعلى آل سيدنا محمد ، صلاة تُحبِّبُنا بها إلى قلب نبيك ورسولك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وإلى قلوب الأولياء والمؤمنين من أمته ثلاثا ، عقب كل صلاة .

نقله السيد أبو الاسعاد من كناش ابن ظاهر المذكور بالمدينة المنورة بخط يده ، وهذا الكناش صار في ملك صاحبه الشيخ أحمد أبي الخير الأثري .

879) **محمد بن محمد غرنيط** ، الفقيه الأديب ، البارع الأريب ، قال يمدح السلطان الأعظم ، سيدي محمد ، ونجله الخليفة الأفخم ، مولانا الحسن ، من مجزو الرجز :

لاحت شموس الفـــرح   وانجاب ليل التـــرح
وأصبحت لنظر الـــدو   ح أجل مطمـــح
ولجمالها عَنَـــى   كل كريم جحجـــح
وما رآها متيـــح   الا بعيـــن الازوح
اذ بسناها احترقـــا   كمارد مُطيَّـــح
منها بدا مشـــردا   مبدداً بزحـــزح
يوحي لأوليائـــه   وحي الزنيم الممســح
سحقا له أنكرهـــا   كمبصر مشفـــح
رحرح هاذبا بمـــا   أطال غم التمســح
ما أكذب الظن من السفـــ   ـــل الخسيس الزومـــح
فعدٌ عن مفتريـــا   تـه لنهج الابحـــح
وعج بنا لروضـــة   أذبح فيها برحـــي
حيث جرازى من لحـــا   ظ رشأ صرنضـــح
وزهره نسيمـــه   يحيي رميم مرحـــي
فنقنص الصيد بسهـــ   ـــم صائب ومضـــرح
على عتاق شـــزب   تنظم عقد اللبـــح
واملأ لدى مســرة   من السرور مصبـــح
فانها تزخرفـــت   بنورها المفتـــح
ونهرها جرى علـــى   زبرجد بمـــزح
فالله أوجد لنـــا   عيداً عظيم الفلـــح
ما بين عيدين بـــدا   يسحب برد البجـــح
فيه عمرنا بالهنـــا   أندية التركـــح
مع كل خدن لتـــح   جم الشذاء أصمـــح
بشرى لنا ترغم أنـــ   ـف كل قال مِـــذْوح
قد كشفت قناعهـــا   عن المحيا الأصمـــح
ففاح من اردانهـــا   نشر الكبا المونـــح
وصرحت ببرء مـــن   أفاض بحر المنـــح

الملك بن الملـــــــــــــك	بـن الملك الملحلـــــــــــــح
ابن الامام بن الامـــــــــام	ذى الفخار المكمـــــــــــح
ابن أبي النصر الهمـــــــــا	م العلوي الاريحـــــــــــي
سيدنا سمي جـــــــــــــد	ه الرسول الأبطحـــــــــــي
سيدنا السلطان مـــــــــن	هو شفا الملتمـــــــــــح
ملاذنا السعيد مـــــــــن	بـه الشقاء يمتحـــــــــى
ذاك الذي أخلاقـــــــــه	عن الوفا لم تبـــــــــرح

880) **محمد بن عبد الواحد النويري** السجلماسي الفقيه العلامـة ، المدرس الفهامـة ، قاضي مـراكش ، كان فقيهـاً عالماً مشاركا ، مفتيـاً نـوازلياً ، أخذ عن شيـخ الجماعة سيدى محمد بـن عبد الرحمان الفيـلالي الحجرتي ، وعن القاضي مولانا عبد الهادى بن عبد الله العلوي وغيرهما ، وأخـذ الطريقة الخلوتيـة الصقلية عن الشيـخ الصالح سيدي محمد بـن الطيب الصقلي الحسيني المعروف ببوشنتوف المتوفى عام واحد وسبعيـن ومئتين وألف 1271 .

كان يدرس مختصر خليل ، ونظم ابن عاصم ، ولامية الزقاق وغيرها .

أخذ عنه جماعة منهم العلامة سيدي جعفر الكتاني كما في فهرسته ، استقضي بمراكش أوائل العشرة الثامنة في دولة المولى عبـد الرحمان ، ووقعت بينه وبين قاضيها أذذاك سيدي الحاج محمد كنون خصومة مشهورة ، وبقي قاضيا في دولة ولده سيدي محمد الى عام تسع وثمانين ومئتين وألـف 1289 ، عـزله وتركه وولـى مكانه سيـدي عبد لسلام الوزانـي ، وسبـب ذلك دخولـه مع أهـل مراكش فـي ثورتهم على عاملها أحمـد بن داوود في يـوم الجمعة ثالث جمـادى الثانية مـن العام المذكور لكونه كـان يسير فيهم سيرة غير حميدة ، حيث كان خليفته صالح الاقرع الذى استعمـل صاحب الدور أحمد الباز ، وصل أن وظف عليها أداء مئة مثقال في اليـوم يأخذونها من البغايا ، فأدى بهم الحال أنهم يرشـُون المرأة الصينة بالخمر إذا كانت مارة بالطريق ، وينسبونها للبغاء ، ويودعونها في السجن ، ويأخذون

منها حليها حتى انقطع خروجها ، ثم انتقل الأمر بعد ذلك لغيرهن فيأخذون العبد ويقولون له انك كنت مع فلانة وأخذت لها كذا ، فبسبب ذلك قام علال بن الحسن المراكشي الخراز ، وذهب مع جماعة الى ضريح الشيخ ابن العريف ، واتفقوا على رفع هذا المنكر ، ولم يقصدوا نزع العامل ، ثم وجه العامل لهم مولاي الشريف الهبيل وسالما الجزع ليكفوهم، فتغلظ عليهم الشريف المذكور، فصرحوا بعدم قبول ولايته عليهم ، ثم احترموا بضريح الشيخ أبي العباس السبتي ، ثم اجتمع معهم المحتسب مولاي أحمد بن عامر ، والناظر الصبان وأضرابهما خفية من أعيان مراكش وعضدوهم ، ثم في الغد صاروا يغلقون الحوانيت ، واجتمعوا واختاروا علالا المذكور عاملا عليهم مع مولاي الغالي ، ووافقهم المترجم ، ودام الامر على ذلك أربعة أشهر ، واستقامت الاحوال ثم وجهوا وفدا منهم يشتكي للسلطان ويبين له حقيقة الحال ، وقدموا على السلطان بتادلة متنصلين مما فرط منهم ، فأعرض السلطان عنهم ولم يسمع منهم كلاما ولا قبل لهم عذراً بعد أن أمر برفعهم للسجن ، فرجعوا مخفقين ، فقام علال المذكور وأمر الشريف مولاي أحمد بن الكبير أن يكتب كتابا على لسان السلطان ليقرأ على أهل مراكش ، وأن السلطان أنزلهم وفرح بهم ، فقرأ ذلك على الناس أحمد بوضربة ، ثم أسرع السلطان السير الى مراكش ، وتقدم اليها وهو غضبان على أهلها وكانوا مظلومين ، إلا أنه لبس على السلطان في أمرهم ، فلما شارف المدينة يوم السبت فاتح شعبان من العام المذكور ، خرجوا اليه بالعلماء والقراء وصبيان المكاتب ، وتلقوا له بباب أحمر على العادة متشفعين فلم يقف لهم ، وكان ابنه وخليفته المولى الحسن حاضراً يومئذ ، فتقدم الى أهل مراكش ورق لهم وقال لهم قولا جميلا ، وأخبر الواشي السلطان أنهم أرادوا أن يضربوه ، فترك المظل ، وأصلح الاحوال مولاي العباس بن مولاي عبد الرحمان ، ثم قبض على مولاي أحمد بن عامر ، وعزل المترجم كما تقدم ، ثم بعد ذلك استقضي بآسفي في ذى الحجة عام 1293 ، ثم أعفي منه ورجع الى فاس ، فتوفي بها في ثامن ربيع الاول سنة اثنين وثلاثمئة وألف ، ودفن بزاوية سيدي الملاحفي بأقصاها أمام الدخل (1) .

---

1) **سلوة الأنفاس** 1 : 256

881) محمد بن المدني كنون

محمد بن المدني بن علي بن عبد الله كنون ، عالم فاس وشيخ الجماعة بها ، قال في معجم أصحاب الرضوى في ترجمته ما نصه : الجهبذ النقاد ، صاحب الصيت العظيم ، والتجلد على دوام التعليم ، ولد في حدود الاربعين بعد مئتين وألف ، وحجّ مع أبيه وهو ابن ثلاث سنين ، وحج مرة ثانية وهو ابن عشر سنين أو ما قاربها ، فكلتا حجتيه لم يحصل بها الفرض إذ كان طفلا ، ولذلك لم يلق أحداً من أهل المشرق به ، وحبب اليه طلب العلم ، فأخذ عن شيخ الجماعة بدر الدين بن الشاذلي الحمومي وأجازه ، وعبد الله المدعو الوليد العراقي ، وعبد السلام بوغالب ، وأحمد المرنيسي ، ومحمد بـن عبد الله المجاوي التلمساني ، والحاج الداودي التلمساني ، والقاضي العباس ابن كيران ، وأبي بكر بن الطيب ابن كيران ، ومحمد بن عبد القادر الكردودي ، وشيخ الجماعة ابن عبد الرحمان (1) وأجازه ، والقاضي الطالب بن حمدون ابن الحاج ، والقاضي المهدي بن الطالب ابن سودة ، وأحمد بن أحمد البنانـي وغيرهم ، واعتقد الولي الصالح المهدي بن علي بن محمد العلوي السجلماسي المتوفي سنة 1296 ، وكان يتردد اليه أيام اعتقاله بسجن فاس الجديـد ، والمعمر محمد بـن محمد الحفيان المدعـو أخمليش المتوفى سنـة 1297 ، قال لي الشيخ الوالد سيدنا عبد الكبير الكتاني : سألته عمن يعتقد فيه الخير الآن بالمغرب ؟ فسماهما له ، واجتمع بالشيخ محمد صالح النجاري قال في إجازة له وقفت عليها لدى عدّ شيوخه ، ومنهـم العلامة الحافظ المحصـل البركة سيدي محمد صالح النجاري أصلا ، المدني وطناً ، أخذت عليه التفسير وغيره بفاس ، وقد رأيته أسند من طريقه الصحيحين والموطأ والشفا .

كان المترجم آية الله الظاهرة في الصبر على المطالعة والتدريس والاطالة فيهما بما لم يعهد لاهل عصره، اذ ربما جلس من الصباح الى قرب الزوال، وقلّ ان تجد له كتابا الا وعليه توقيفات مما يدل على أنه قد طالعه ، وربما تجد له عدة نسخ من الكتاب الواحد ما يقتضي تكرار النظر فيه ، واختصّ مجلسه بالهيبة

1) محمد بن عبد الرحمان الحجرتى الفيلالى

والوقار ، لا يقدر حاضر أن ينظر كراسا أو يلوي رأساً ، أو يتأخر عن الموعد ، ولو بالنزر الذى لا يعتبر ، رفيع الهمة ، ناهياً عن الطمع ، يصدع بما يظهر له انه الحق ، ولا يبالي بعال أو سافل ، شديداً عـلى أهل البدع والمنكرات ، كثير التعريض بأهل عصره وأفعالهم ، خصوصا أهل النسبة والمتظاهرين بها ، يقع فيهم بأدنى شيء ، ويشير للولاة وظلمهم بالتلويح والتصريـح ، وامتحن بذلك وسجن وأسيء في حقه ، وكانت نكبته رزية الرزايا ، كـان صادق الحال ، يتبع القول بالفعال ، مقتدياً بكتب الشيخ زروق ، معتمدا على ما فيها من التشديدات والتقييدات حتى في حق نفسه ، فكان يزيل الحرير الذى يجعل في القلنسوة وآخر مغطى الرأس من البرانيس ، ولا يحلق ما تحت أسفل لحيته من الشعر ، وينقل في ذلك عن عدة المريد ، واما توفير ما تحت اللحية فهو السنة ، ولكن جرت عادة أهل المغرب بحلقه للتنظيف ، ثم ذكر فيها عن عمر أنه أنكر حلقه ، وقال إنه من فعل المجوس ، ثم قال وبالجملة فحلقه مباح ، وتركه مستحب ، وقد يعارضه ما يقتضى منعه .

وقلد خطه القضاء بمراكش سنة 1274 بعد اباية شديدة،ولم يقبل الا بعد اشارة شيخه فقيه المغرب محمد بن عبد الرحمان الحجرتي بالقَبول، وأوصاه بالعدل واتباع الشريعة ، وقال له : انك ان فعلت ذلك تعفَى يسيراً من هذه البلية، لأن أهل هذا الزمان لا يقبل أحد منهم الحق، والسير على منهج الشريعة، فانها سارت لديهم بدعة لما ألفوه من ضدها ، فكان الامر كما قال ، فلما وصل إلى مراكش كان أول ما فعـل أن أرسل إلى الشهـود ، فجمعهم عليه وقـرأ عليهم ما ذكر ابن عيشون من أن أول ما يفعله القاضي البحث في الشهود ، ثم قال لهم : إني لا أعرفكم لاني لست من بلدكم ، ومن أراد البقاء على الشهادة فليأتني بتزكية نفسه من عند القاضي السابق ، فذهبوا جميعهم الى القاضي ، فقال لهم انتم مزكَّون مقبولون عندي ، فلا تعودوا إليه ، فلم يرجع إليه أحد منهم ، فأقام إذذاك ستة شهود باجتهاده بعد البحث في أحوالهم ، ثم كتب الى السلطان بعزل نفسه ، واحتج بنصوص على ذلك فقبل منه ، وكانت مـدة توليته ثمانية أشهر ، فرجع الى بلده مكرما ، مشتغلا بالدرس والنفع ، فكانت له مجالس بالقرويين وغيرها ، يقرأ فيها الحديث والفقه في الغالب والأصول

والنحو مرات ، وانتفع به جمهور أهل المغرب من حاضرة وبادية ، بحيث لا يوجد الآن وقبله بلدة أو قرية أو محلة إلا وفيها من المنتفعين به الكثير ، أو بمؤلفاته العديدة ذات النفع الشهير التي منها اختصار حاشية فقيه المغرب الرهوني ، وزاد عليها زيادات صدر كل باب ، وهو فيها اذا نقل أحسن منه اذا فهم ، وحاشية على الموطأ في سفرين لخص فيها شرح محمد بن عبد الباقي الزرقاني ، والدرة المكنونة ، في النسبة الشريفة المصونة ، والتسلية والسلوان ، بمن ابتلى بالاذاية والبهتان ، ونصيحة ذوي الهمم الاكياس ، في بعض ما يتعلق بخلطة الناس ، والدرة المبشرة ، في حديث لا عدوى ولا طيرة ، ونصيحة النذير العريان ، لأهل الاسلام والايمان ، في التحذير من مخالطة أهل النميمة والغيبة والبهتان ، والزجر والاقماع بزواجر الشرع المطاع ، لمن كان يومن بالله ورسوله وبيوم الاجتماع ، عن آلات اللهو والسماع. وفي معارضة هذا المؤلف ألف عصريه وقريبه العلامة الصوفي فقيه المغرب ، وعالم صلحائه ، خالنا جعفر بن ادريس الكتاني قدس سره كتابه العجيب (مواهب الأرب ، المبرئة من الجرب ، في السماع وآلات الطرب) ، وذلك أن خالى كان على الضد من المترجم في مسائل جلها مما يرجع لطريق الصوفية ، فكان المترجم على طريقة ابن الحاج في التشديدات ، وخالي على طريق المواق في التسهيلات ، رحم الله الجميع .

ومن مؤلفات محمد كنون حاشية على شرح فرائض المختصر لبنيس ، وشرح سيرة ابن فارس اللغوي ، وحاشية على شرح التاودي ابن سودة على جامع خليل ، وحاشية على شرح الصغرى للسنوسي لم يكملا ، وتأليف في النشوز، واختصار رسالة العجيمي في الطرق الأربعين، وتأليف في الشهادة والقضاء ، وتكميل بتر في حواشي العلامة ابن زكرى على البخاري ، وما بقي منه أكمله أيضا أخو المترجم الفقيه الناسك المسن محمد التهامي وهو حي لهذا العهد .

وللمترجم رسائل صغار ، وفتاوي وغير ذلك ، وجل ما سميناه من مؤلفاته قد طبع بفاس ، وله شعر كثير ، إلا أنه كشعر الفقهاء جله

في نظم قواعد فقهية ، والتحذير من متأخري الصوفية ، ولم يكن يشينه شيء إلا ذلك ، إذ كان في عصره أجلة يغبط الجلوس بين أيديهم ، وكان هو يقع فيهم رحمه الله وغفر الله له .

أخذ عنه الناس طبقة بعد طبقة ، كالشيخ الوالد وغيره ، وممن أجاز لنا عنه عبد الله بن محمد العلوي الامراني ، وعبد الله بن الاستاذ محمد بن الطاهر ، ومحمد بن ابراهيم السباعي ، وجماعات .

ومن أجل الآخذين عن المترجم العالم اللغوي الرحال الامام محمد محمود بن التلاميذ التركزي الشنكيطي نزيل مصر ودفينها في سنة 1323 ، أخذ عن المترجم حين ورد على فاس من بلاده في عشرة التسعين فيما يظهر ، وكتب له استدعاء نصه :

الحمد لله رب العالمين ، المحيط علمه بسر المسرين ، وعلانية المعلنين ، الباعث رسله مبشرين ومنذرين ، وجاعل خلفائهم في الشريعة العلماءَ العاملين .

هذا ، واني لما أراد الله مروري بفاس حرسها الله من كل باس، وجدت بها النحرير الافخم ، وأمير العلماء الاعظم ، خاتمة الفقهاء المحققين ، ودعامة النبلاء الفضلاء المتقين ، الجامع بين الشريعة والحقيقة ، البائع نفسه لله في تعليم العلوم الجليلة والدقيقة ، الفقيه سيدى محمد كنون لطف الله بنا وبه وبالمسلمين الآن ويومَ المنون ، أردت أن يجيزنا في مسموعاته ومحفوظاته حفظنا الله واياه ورعانا ، وجعل لوجه الله مسعاه ومسعانا ، فأجازه المترجم وأجاز لنا عنه في مصر ، خطيب الأزهر ، الشيخ حسن بن رجب سبط شيخ الشيوخ ابراهيم السقا ، قدس الله روحهم .

وحين دعا المترجمَ الأجل ، لبى ربَّه عز وجل ، فمات ليلة الجمعة مهل ذى الحجة الحرام ، سنة اثنين وثلاثمئة وألف ، وهو ابن ثلاث وستين سنة ، فحزن الناس كافة لفقده ، وعظم المصاب به ، ولم يتخلف أحد من طبقات الناس عن حضور مشهده ، ودفن بالقباب خارج باب الفتوح ، أسفل ضريح سيدي يوسف الفاسي ، فوقه شجرة تين مظلة .

ورثي بقصائد ، منها قول الناظم الناثر الفصيح، المشهود له بالتقدم في الهجو والمديح ، العربي بن علي المشرفي المعسكري نزيل فاس :

الى كم في خطا وخطا أسيـــــــر ... وفي رق الهوى أبدا اسيـــــــر
وتسلمنا الأماني للمنايـــــــــا ... مخادعة وليس لنا شعـــــــور
وسلطان الهوى يقوى ويطغـــــى ... فلم يصدمه في نصح وزيــــــر
ألسنا واقعين من المنايـــــــــا ... فما يبقى السرور ولا الشـــرور

وألف فيه بالخصوص ، سيدي محمد بن الحاج مصطفى المشرفـي (الدر المكنون) وذكر فيه شرفه ، فرد عليـه سيدى الحسين العراقـي ، بـ (صوارم المنون ، في قمع من نقص بالنسبة الشريفة الحاج محمد كنون) ، وقد ذكرنا ما يتعلق بذلك في ترجمة أخيه سيدي التهامي في حرف التاء .

وممن ترجم المترجم شيخنا سيدي محمد بـن قاسم القادري فـي فهرسته ، وصاحب (السلوة) (1) ، و (الدرر البهية) ، وصاحب (الحسام المشرفي) ، وغيرهم .

282) محمد المهدي بن البشير البربوشي

محمد المهدى بن الولي العلامة الحاج البشير بن عبد الحي البربوشي، العلامة المشارك الصوفي ، الشيخ الزاهد ، قرأ العلم في مراكش ، وسافـر لادَوَعْلِ التي في القبلة ، وقرأ هناك ، وأخذ طريقة الشيخ سيدي أحمـد التيجاني ، وأتى بعد ذلك الشيخ بن حامِّن ، ومكث ثمَّ ، ولما تلاقى مع ابن حنبوب وكان يعرفه قبل ، وسأله عن شيخنا الشيخ ماء العنين رضي الله عنه ، أتى شيخنا المذكور وأخذ عنه ، وكان يلازم المكث عنده ، ويرسله لاهله ، وبلغ مبلغ القوم السادات .

قال فـي (النفحة الاحمدية) : وحكـى لي مشاهدات وقعت له من مشاهد القوم ، وكان لا يمكنه الصبر عن الاتاي ، وقال لي : انه يعينه علـى

---

1) سلوة الأنفاس 2 : 304

السهر ، قلت له ليلة : ان هذه النفس اجيرة لا تعمل إلا بالاجرة ، فقال لي رحمه الله : الحمد لله على عملها بالاجرة ، فانى كنت قبل أشربه وأنام ، وكثير من يفعل ذلك من الأنام ، قلت له : صدقت ، ونبهني من غفلتي رحمه الله .

توفي بعد أن مكث مدة بعد صحبته لشيخنا رضي الله عنه ، وكان لازم الاعظم الاعجمي ونهاه عنه شيخنا ، ولقيته وكنت مسافرا ، ووجدته في غاية الذبول ونهيته عنه ، وقال لي : انه لا يمكن أن يفتر عنه لما رأى فيه من الحلاوة ومن المشاهدات ، وعدم حجب النفس بمخالطة العوام ، وقد ترجم فيها لابن حامِّن ، وابن حنبوب .

883) محمد بن أبي بكر الناصري

محمد بن أبي بكر بن علي بن يوسف بن مُحمد ضما بن الشيخ القطب سيدي مَحمد فتحاً بن محمد بن أحمد بن محمد بن الحسين بن ناصر بن عمر بن عثمان بن أحمد الشبلي الأحرزي بن علي بن سلام بن عمر بن أبي بكر بن المقداد بن ابراهيم بن سلام بن أحريز بن حباش بن كلاب بن ربيع بن إبراهيم بن موسى بن سعيد بن محمد بن أحمد بن حامد بن عقيل بن معقيل بن هجروس بن محمد بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم . هكذا في الفهرسة المجموعة للمترجم عام 1290 التي تضمنت سند الطريقة الناصرية وفضائلها ومحاسنها وشروطها، ولكن في ذلك مخالفة بزيادة ونقص مع ما أثبته في (طلعة المشتري) ص 102 من الجزء الاول منها فراجعْه هناك .

وحلى جامعها المترجم بما نصه : اهدي غنيمة الدنيا والآخرة ، والتجارة الرابحة غير الخاسرة ، سيدنا ومولانا ، ونعمة الله التي أولانا ، الذى أشرقت أنواره في الآفاق، وسارت ببركاته وكراماته وعجائب كشوفاته الرفاق، مَن أدين الله بمحبته ، والتقرب إلى الله بخدمته ، ناصر السنة بصارمه الماضي ، ومحيي ما اندرس من آثارها في الآتي والماضي ، المحافظ عليها جهده وجده ، سيدي ومولاي ، وسمط محياي ، وعمدة مماتي ومحياي ، سيدي محمد بن القطب الجامع ، والنور الساطع اللامع ، سيدي أبي بكر الخ ...

قال المترجم : أخذنا طريقتنا هذه عن سيدنا الوالد العارف المغرف من بحر المعارف سيدنا أبي بكر ، عن والده القطب الجامع ، الغيث الهامع ، علي ، عن والده القطب الكامل يوسف بن محمد ، عن العارف الرباني سيدي محمد بن عبد السلام بناني ، والعلامة الاوحد سيدي محمد بن الطيب الفاسي كلاهما قال : صافحت الشيخ الاوحد السيد أحمد بن محمد بن ناصر ، وهو رضي الله عنه صافح والده سيدي محمد بن محمد بن أحمد بن الحسين بن محمد بن ناصر وأخذ عنه ، وهو عن القطب سيدي عبد الله بن الحسين الرقى القباب ، عن القطب سيدي أحمد بن علي الدرعي الحاجي جبار المكسور ، عن القطب سيدي الغازي ، عن القطب سيدى علي بن عبد الله جبار التلائق ؟ عن القطب سيدي أحمد بن يوسف الملياني الراشدي ، عن القطب سيدي أحمد رزوق ، عن القطب سيدي أحمد بن عقبة الحضرمي ، عن القطب أبي الحسن القرافي ، عن القطب يحيى الشريف القادري ، عن القطب علي بن وفا ، عن القطب والده محمد وفا ، عن القطب داوود الباخلي ، عن القطب ابن عطاء الله ، عن القطب المرسي ، عن القطب أبي الحسن الشاذلي ، عن القطب مولانا عبد السلام ابن مشيش ، عن القطب سيدي عبد الرحمان المدني الزيات العطار ، عن القطب تقي الدين الفقير ، عن القطب فخر الدين ، عن القطب نور الدين ، عن القطب تاج الدين ، عن القطب عمر ابن الفارض التركي ، عن القطب شمس الدين ، عن القطب زين الدين محمد القزويني ، عن القطب ابراهيم البصري ، عن القطب أحمد المروزي ، عن القطب سعيد ، عن القطب فتح السعود ، عن القطب سعد ، عن القطب جابر بن عبد الله ، عن أول الاقطاب، وريحانة الصادق الاواب ، رسول الله صلى الله عليه وسلم : مولانا الحسن عن والده سيدي علي بن أبي طالب ، عن مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن جبريل ، عن ميكائيل ، عن اسرافيل ، عن عزرائيل ، عن اللوح ، عن القلم ، عن رب العزة عز وجل . بتلخيص .

وله طرق أخرى شهيرة ، وراجع خاتمة فهرسة البوحمعوي .

ولما مات سيدي أبو بكر والده قسم تركته بين ورثته ، صهره العلامة سيدي علي الدمناتي البوجمعوي ، وكان أعطاه خزانتهم يطالع فيها لما ظهرت

نجابة ولده السيد عبد الله الذى كان يقرأ عليه ، وهي التى حملته على التأليف، فلما ورد سيدي محمد ولده لدرعة وعلم بذلك أمر البرابر بنهب داره فنهبوها، وتشتتت كتب زايتهم ، واتهمه بأنه أخذ ذهباً كثيراً فأنكر ، ورحل للمشرق فحج به ، وقال له : انك انما أمرت بنهب دار أختك .

دخل المترجم مراكش مرات ، فكان ينزل بزاويتهم قرب سيدي أحمد السوسي .

وممن أخذ على المترجم الطريقة الناصرية الفقيه سيدي الكامل الامراني ، والفقيه السيد صالح بن المدني السرغيني .

وقال في (طلعة المشتري) بعد ذكر والد المترجم المتوفي سنة 1281 ، كما ياتي في ترجمة مَن اسمه عبد الله ما نصه :

فتولى أمر الزاوية بعده الفاضل محمد بن أبي بكر الناصري ، وقدم المغرب مراراً لزيارة الشيخ مولانا عبد السلام رضي الله عنه ،ولغير ذلك ، الى أن توفي يوم الاربعاء الثامن عشر من ربيع الاول سنة أربع وثلاثمئة وألف 1304 ، وذلك بزاوية ادّوارين من رأس الواد من أرض السوس الاقصى ، ومات مبطونا عقب قدومه من المغرب ، وغسله وصلى عليه الفقيه الفاضل سيدي محمد بن التهامي بن أبي الفتوح الحسني السليماني ، وحمل الى زاوية تامكروت ، فدفن بها رحمه الله ورحم سلفه .

ثم تولى أمر الزاوية بعده ولده سيدي محمد الحنفي بن محمد بن أبي بكر ، بأمر السلطان مولاي الحسن بن محمد العلوي ، ثم توفي عام 1325 ، فتولى أمر الزاوية بأمر المولى عبد الحفيظ صهر المترجم الفقيه البركة ذو السمت الحسن ، والهدي المستحسن ، وملازمة الاوراد ، وشرح الحديث على عادة أسلافه ، أحمد بن أبي بكر ، وكان ساكناً مراكش أعواماً عديدة ، الى أن قدم على الزاوية ، فسافر لتمجروت وبقي بها الى أن قتل عام 1337 ، فتولى أمر الزاوية بعده النبيه الاديب سيدي عبد السلام ، وتقدمت ترجمة سيدي أحمد المذكور .

884) **محمد بن المعطي المسطاري** الفقيه ، كـاتب المقام السامي ، بلغ في الفضائل اسناها ، ومن الفصاحة والبلاغة واليراعة ثرياها ، ودخلت عليه عرائس المعاني من كل باب ، ورفع عن مخدرات النظم والنثر كل حجاب، وصنع من البيان للعقول سحراً ، وأفاض من البديع بحراً .

ومن شعره في ليلة المولد الشريف عام 1298 :

بدا طالع الاقبال في أفق البشرى — فعمت وجوه الخلق أنواره بشـرا
ووافى سعيد السعد يُنبي عن العلا — حديثاً رواه الفرقدان عن الشعرى
عن البدر عن شمس الظهيرة أنـه — لمولد طه المصطفى الآية الكبـرى
بشهر ربيع ثنتيْ عشرة ليلـة — تبدى بايضاح الهدى قبس الزهرا
فآمنة فيها أرتنا أماننـا — وآمالنا من قبلة الطلعة الغـرا
حبيب إلاه العرش حلّ ببطنهـا — فلاح فلاحا لألأ البر والبحـرا
فأهلا بمرآه الأغر ومرحبـا — فكم منح الاحسان والبر والخيرا
هو الطالع الميمون ذو البر من به — سعدنا وكنا أمة قد سمت قـدرا
فيامولد المختار دمت عنايـة — للاسلام والامداح فيك لنا تُقْـرا
ودام بك التمكين والامن والهنـا — لسيدنا انسان أعيننا طـرا
امام التقى والعلم والحلم والوفـا ، — سليل الرسول المصطفى وكفى فخرا
أبي علي يمّ الصفا العلمُ الـذي — به نِعَم المولى بمغربنا تتـرى
هو الحسن المنصور ذو الحسن والبها — كريم حوى في كل مكرمة ذكـرا
سرى خلقه مسرى النسيم لطافة — وطيب نفس الكائنات به عطـرا
شريف له القدح المعلى اذا جـرت — مساهمة الآراء أو حاولت أمـرا
رقيق حواشي الطبع تعزى لمجده — رفائق آداب بها استعبد الحـرا
هنيئاً لعام فيه لاح همامنـا — ومن عزه الاعوام تستوجب الشكرا
فناهيك ما أحلا شمائله التـي — أرتنيّ كيفالفضليستخدم الفكرا
فيارب واكلأه بحفظك دائمـا — وأولِـهِ منك الفتحَ والعزّ والنصرا
وهنّئه بالعيد السعيد وموسـم — وسيم سما قدراً بذي الليلة الغرا
وأسدلْ علينا يامهين رحمـة — وعفواً من الافضال تمحو به الوزرا

فأنت كريم لا يؤودك محْوُ مــا | جنيتُ جواد تكشف الضيــر والعسرا
وصل على من هو مفتاح ديننــــا | وخاتمة الارسال من مُنح الاسْرا
صلاة بها ترضى على كل من لجـا | اليك به يستمطر الجود والبـــرا
صلاة بها ياذا المواهب والعــــلا | تمحض ذنب السامعين ومَن يقرا
صلاة تعم الآل والصحب مذ بدت | بدا طالع الاقبال في أفق البشرى

ذكره ابن الحاج في مولده .

لـطـيـفـة :

كان المترجم ينزل بقصبة مراكش عند القائد أحمد ابن مالك ، وله معرفة بالازجال كالموشحات ، واقترح عليه السلطان مولاي الحسن قصيدة ملحونة في حظيته، أم المولى عبد العزيز (1) في معارضة الهيفا للمصمودى فعملها في تسعة أقسام ، وأنشدها بين يديه وزيره السيد المفضل (2)، وأمر العميان بحفظها ، فقالوها من وراء حجاب بمحضر الممدوحة بها .

توفي المترجم ببلده مكناسة عام أربعة وثلاثمئة وألّف .

وله قصيدة يخاطب بها السلطان المذكور ، من أبياتها :

ياسيدي انني لفضلكـــــم راج | فلا تَكِلْني لمسفيوي(3)وصنهاجي(4)

885) محمد بن حمُ كُرداس الدمناتي

محمد بن حمُ كرداس يعرف ، الدمناتي ، قاضيها وشيخ الجماعـة بها . تولى نيابة القضاء بدمنات سنة بضع وسبعين ومئتين وألف ، واستقل بالقضاء في بضع وثمانين .

---

1) رقبة الشركسية

2) غرنيـط

3) علي بن حمو المسفيوي وزير الشكايات المتوفى بمراكش يوم 6 رجب عام 1316

4) محمد بن أحمد الصنهاجي الكاتب الوزير ، ناب عن الوزير الصدر محمد بن العربي الجامعي أيام مرضه ، توفي عام 1309 ودفن بروضة سيدي قاسم بن رحمون بفاس

قرأ بفاس على الفقيه ابن عبد الرحمان (I) والفقيه كنون ، والعلامة سيدي محمد بن عبد القادر العدلوني بدمنات قبل رحلته لفاس ، وأتقن علـم العربية ، وكان لا يجارى فيها حفظاً واتقاناً ، مشاركا في غيرها من العلوم .

أخذ عنه عنه صاحبنا العلامة مولاي علي ولد شيخه المذكور التلخيص بمختصر السعد ، ومختصر خليل بالخراشي والزرقاني ، وألفية ابن مالـك مرارا ، ولامية الزقاق نحو مرتين ، ونظم الزواوى ، ولامية الافعال ، والبخاري مرتين ، والشمائل نحو أربع مرات ، واستعارة الشيخ الطيب ، والجروميـة بحاشية سيدى أحمد بن الحاج ، والتحفة مرتين ، ورسالة ابن أبي زيد بين العشاءين ، والمرشد المعين من عام ثمانية وتسعين ومئتين وألف الى عام أربعة وثلاثمئة وألف ، ثلاث مجالس في اليوم : المختصر صباحا ، والألفية فـي الظهر ، والرسالة أو صحيح البخاري ليلا ، وفـي العواشر يقريء البخاري خاصـة .

وحضر عليه أيضا الحاج قاسم الصويري وأولاده ، منهم القاضـي بعده العالم الفاضل السيد محمد صاحبنا وهو أكبر أولاده بعد أخيه أحمد ، الآخذ عن والده أيضا ، وأصغر أولاده السيد عمر لم يأخذ عن والده ، كان آية في الحفظ .

والمترجم كان بادن الجسم جدا ، كوسج اللحية ، ضعيف البصر ، بل فقده في آخر عمره ، وكان محمود السيرة في قضائه ، أخذ عنه الفقيه السباعي قبل سفره لفاس وهو من أترابه ، حضر عليه في المقنع فيما يظن .

توفي المترجم رحمه الله عام أربعة وثلاثمئة وألف 1304 ، بعد مناهزة السبعين بموحدة ، ودفن بضريح ولي الله سيدي مَحمد بن سعيد .

886) **محمد ابن داني** الكبير المراكشي دارا وقرارا ، وزير مولانـا الحسن في خلافته الصغرى ، كان كاتباً بارعاً ، له خط رائق وديانة وتورع ،

I) محمد بن عبد الرحمان الحجرتي الفيلالي

كان بتازة منزعجاً عن وطنه ، ثم وجه عليه سيدى محمد بن عبد الرحمان لما رأى خطه في كتاب أعجبه .

ولصهره السيد محمد اَلندرومي الشهير بابـن داني بسبب تلـك المصاهرة عدة قصائد في مدحه مذكورة في ديوانه .

توفي رحمه الله في جمادى الاولى عام خمسة وثلاثمئة وألف 1305 ، ودفن بضريح سيدى يوسف بن علي .

وقال سيدي عبد السلام بن أحمد الحسني اللجائي العمراني في كتابه (بيان الغلط وطلب التوبة ، ممن يقـول من القمل الملصق كـان صلى الله عليه وسلم يفلي ثوبه) ما نصه : ولما حل الأديب الكاتب الوجيه ، الاستاذ العلامة سيدي محمد ابن داني التازي مرة بالعرائش ، وكنت مقيما بهـا ، فتعرفت اليه لكون العلم رحما بين ذويه ، فكان يتهجَّد بتلاوة اَلقرآن اَلكريم بقراءة السبع ، جعل الله تلك المعرفة نافعة في الآخرة ، وأنشأ رحمه الله تعالى يقـول :

بمرسى العرائش ما يشتهـى — وأن غبت عنها تشوقتهـا
بروضتها علم قد أضـا — ضياء المصابيح ان رمتهـا
فتلك الجليلة آمنـة (1) — فيافوز مَن نال زورتهـا
فان زارها المرء في حاجـة — قضى الله حاجته وقتهـا
ويأمَنْ من كل ما يُختشَى — فقد عظم الله حرمتهـا
لابناء مصباحٍ الفضـلا — روى الجهبذ الثبت نسبتهـا
وما أنتِ إلا كشمس الضحى — فلم يستطع أحد نعتهـا
وإنا لنا بكِ معرفـة — فكوني تراعين وصلتهـا
فجودى علينا بمكرمـة — فقومك تجزل عطفتهـا

---

1) منانة المصباحية

887) محمد بن علي العدلوني الدمناتي

محمد بـن علي بـن محمد بـن عبد القادر بـن عبد الرحمان بـن علي بن سعيد بن علي بن ابراهيم بن الحسن العدلوني الدمناتي .

ولد رحمه الله في نحوم عام 1230، وقد هاجر الى مصر، فأخذ عن علمائها، ومن أكبر أشياخه الشيخ عليش ، والشيخ البولاقي ، وبقي في مصر ثمانية أعوام قرأ فيها ثمان سلك في مختصر خليل ، وكل سلكة يقرأ فيها ما تيسر من التآليف ، ثم رجع بعد أداء فريضة الحج الى المغرب ، وكان بفاس والتقى بالشيخ علي التسولي صاحب (البهجة) ، ثم انتقل الى أسفي فكان يدرس فيه ماشاء الله ، ثم انتقل لمراكش ودرس فيه أيضا ، وبقي فيه الى أن طلبته قبيلة دمنات أن يسكن ببلدهم ، حيث أن العلم قليل بها ، فانتقل وتزوج عائشة بنت سعيد ولم يعقب معها ، ثم تزوج بالسيدة آمنة بنت مولاي العربي ، يعرفون بآل السيد آماد من قرية بدمنات يقال لها بنوجنون ، وله معها أولاد لم يبق منهم الا صاحبنا العلامة المفتي مولاي علي المتولد بدمنات في شعبان عـام 1281 ، وقرأ على والده جميع المؤلفات المشهورة بالغرابة .

كان المترجم مشهوراً بقبائـل دمنات ، وفطواكة ، والسراغنـة ، وهنتيفة ، وجبال درن بالفتوى في قضاياهم ، وكان يدرس بمسجد القصبة ، وخطيباً بها إلى أن حلّ به مرض الفالج ، فكان ينوب عنه ولده مولاي علـي المذكور في كتابة الافتاءات ، ويضع علامته ، وفي آخر الامر صار ولده يضع علامتـه .

ألف تآليف عديدة منها : شرح البردة ما زالت مبيضة ، وشرح على الابيات المشهورة وهي كل المعاني صفة تعلق الخ ، وله كتابة على السنوسية، وأخذ عن سيدي محمد العربي المدغري الدرقاوي وذلك أن المترجم لما كان بمصر لقي رجلا من الصالحين زاره ، فكاشفة بما نفسه، وقال له : أنت قصدتنا فيمن يأخذ بيدك الى الله وفي ولد صالح ، أما الولد فيكون كذلك ، وأما الشيخ فاذهب فانه ياتيك الى باب دارك ، ثم رجع من مصر ، ثم انتقل لأسفي ، ثم

لمراكش ، ثم لدمنات وبقي مدة ينتظر الشيخ ، حتى قدم شيخه سيدى محمد العربي المدغرى الدرقاوى الى دمنات ، فأخذ عنه وفهم أنه المبشَّر به في مصر .

ومن تلامذته القاضي محمد بن حمُّ كرداس المتوفى قبله ، المتقدمة ترجمته قريباً .

توفي المترجم عام ستة وثلاثمئة وألف 1306 عن نحو ثمانين سنة ، ودفن بضريح ولي الله سيدي محمد بن سعيد .

وفي هذه السنة توفي ناظر الأحباس الكبرى الحاج المكي الصبان ، وكانت الأحباس المذكورة كلها في غاية الضياع قيد حياته ، وأسندت نظارة الأحباس المذكورة للحاج عبد السلام الورزازي ، وشرك معه في ذلك الارضى الحاج محمد بوعافية في جمادى الاولى من العام المذكور .

888) محمد بن الحاج محمد التازي الرباطي

استدعاه السلطان مولاي الحسن في سنة 1296 الى حضرته العالية بالله بمراكش ، فقدم عليه وأجل السلطان مقدمه ، وأسند اليه أمر خراج المغرب ومراسيه ومستفاداتها وما يتبع ذلك من صوائرها ، وفوض اليه في ذلك تفويضاً تاما لعلمه بنصحه وأمانته وضبطه .

وهذا الرجل من أمثل أهل المغرب وأصدقهم وأنصحهم للسلطان ، وأشدهم غيرة على الدين والوطن ، حتى لو كان في الدولة عشرة رجال على شاكلته ومذهبه لكان يظن أن يكون لها بذلك النجاح التام .

نسأل الله تعالى أن يصلح أمرها ، ويشيد بمنه عزها وفخرها .

ذكره في (الاستقصا) (1) .

---

1) **الاستقصا** 9 : 166 طبع الدار البيضاء

وبقي قائما بأعباء وظيفـه مصاحباً للركاب السلطاني إلى أن مـات بفاس في رمضان عام 1307 ، ودفن بضريح مولاي أحمـد الصقلي ، فتولـى مكانه أخوه الاصغر الحاج عبد السلام بن محمد التازي .

889) **محمد السوداني** ، الشيخ الاستاذ ، الفقيه المقرىء ، المدرس المحقق ، العالم الصالح الورع .

كان رحمه الله منقطع القرين ، يحفظ قراءات السبع ، والعشر الكبير والصغير ، عارفا بعلوم القرآن أداء ودرسا وتفسيرا ورسماً ، محققا في ذلك ، أعزب لم يتزوج .

ويذكر عنه أنه يختم القرآن في أقرب مدة ، يلبس الخنث متلثماً لا يظهر من وجهه الا الحدقتان ، أخذ الطريقة المختارية عن الشيخ سيدي أحمد البكـاي .

توفي رحمه الله في رجب عام ثمانية وثلاثمئة وألف1308 ، ودفن بروضة الامام السهيلي رضي الله عنه .

890) **محمد البشير بن أحمد ابن عطية المراكشي**

محمد البشير بن أحمد بـن محمد بن أحمد بـن محمد ابن عطيـة المراكشي ، المعمر المنور النبيه .

كان رحمه فقيهاً عدلا ، موثقاً عارفا بفقه الشروط ، فرضياً ، خطيبا ، درس الفقه بجامع رياض العروس بمراكش الذي ولّيت وظيفة التدريس به والامامة ، وخطب بجامع الشيخ الكامل السيد القسطالي المراكشي الـذى خطب به نحو العام ، ووعظ بجامع الشيخ التباع ، نفعنا الله به .

وبعد وفاته تولى الوعظ به صهره الفقيه السيد محمد بن المهدي ابن شقرون الآتية ترجمته ، وتولى العدالة بالاحباس الكبرى بمراكش ، وكان له خط رائق نسخ به الكثير بعد السنتين من القرن الفارط ، وعندي بعض تآليفه

التي نسخ ، ورفع فيها عمود نسبه الى عطية ، وبيتهم من أعيان بيوت مراكش، رأيت جده مسمًّى في الأعيان الذين حضروا بيعة مولاي اليزيد ، وكان جيد الضبط والاتقان لما ينسخ ، لا يوجد فيه تحريف ولا إلحاق ، ولم أرَ شبيهاً به في ذلك الا الفقيه السيد محمد بن أحمد بناني رحمه الله .

لقيت المترجم مرات وهو والد شيخنا النحوي السيد محمد الصغير عافاه الله من الألم الذى حلّ به .

توفي المترجم عام ثمانية وثلاثمئة وألف 1308 عن نحو الثمانين سنة، ولما مات وكان بيده أمصَنْجى الجنان المعروف لأحباس الزاويتين المحترمتين العباسية والجزولية يتصرف فيه ويدفع وأجب الشركة لجانب الاحباس ، أقر السلطان المولى الحسن ولده الطالب السيد محمد الفاضل عليه بشرط استحقاقه لذلك ، وصيانته والقيام بسقي أشجاره ، والمحافظة عليها بتاريخ 29 شوال عام 1308 ، حسبما وقفت على الظهير الشريف المتضمن لذلك ، وتقدم ذكره في ترجمة أحمد الرحيلي (1) .

891) محمد بن أحمد الصنهاجي

طلع رحمه الله في سماء العلوم طلوع الشمس في الحمل ، وارتقى سلم المعالي وبلغ في الكل الأمل ، فضّ ختام عرائس المعاني وأزال عنها الحجاب ، وتبختر في ميدان الفصاحة والبلاغة بلا اعجاب ، قوي العارضة ، عالماً أديبا ماهرا ، نجماً زاهرا .

وله رحمه الله قصيدة في المولد الشريف عام 1298 نصها :

شوقي إلى نجد ومن بتِهـــام   وإلى العقيق أحنُّ شعب ضيـــام
والى ربا تلك المعالي ألوذ مـــن   شوق تزأيد باشتعال غرامـــي
وإلى الحجاز أشير نحو ربوعـــه   ومع الحجيج أسير سير هيـــام

---

1) انظر 2 : 424 ع 302 من هذا الكتاب

وإلى الحمى آوى لعلي أشتفـــي ... يوما برقة ثغرها البســـــام
ياراًئداً جد المسير وعج علـــى ... تلك الخيام وحط رحل مقـــام
و تيممن ذاك الفنا واقصد إلـــى ... مأوى الأحبة معلناً بســـــلام
واستنشقن عرفَ الحبيب وعفرن ... خدا بطيبة واضرعن بمقـــام
ربع حوى خير الأنام ففاز مــــن ... فضل ويمن وازدهى بامـــــام
اذ خصه المولى الكريم بحبــــه ... واختاره صدفا لحفظ همـــــام
ومن الثرى غارت ثريا الأفق مــن ... كمد على بين الحبيب السامـــي
ليل الرقي وجبريل مسامـــــره ... حتى دنا فتدلى للافهــــــام
أوحى إليه الله ما أوحى وكــــم ... أسدى لأمته من الانعـــــام
بشرى لأمة أحمد بوجـــــوده ... نالوا به الزلفى من العــــلام
مولى به ساد النبيئون جملـــة ... فغدا امامهم بيوم زحـــــام
واذا لواء الحمد أضحى لأحمـــد ... **فالكل تحت** لوائه النظـــــام
ومقامه المحمود اغتبطت لــــه ... كل الخلائق خاصهم والعـــام
هو شافع ومشفع وعروسهـــــم ... يوم القيامة حافظا بزمـــــام
والرسل كل مشفق من هيبــة ... وجلالة حملت على الأحجـــام
والخلق ارتعدت فرائصهم وقــد ... أضحوا بأنفسهم رهان أثـــام
حتى إذا ضجوا لمولى بعدمـــا ... لاذوا بكل الرسل في استرحـــام
قال الشفيع انا لها فأنا لهـــا ... كل الخلائق مطفيـــــاً لأوام
من بعد ما يفضي الى رب العـــلا ... بسجوده بمحامد الالهــــام
قال الرحيم له ارفعنْ رأسا وسل ... واشفعْ تشفع وامحـون لمـلام
بشرى لأمة أحمد بوجــــوده ... إذ كان خير مشفع لأنـــام
ياليلة فخراً بمولد أحمـــــد ... قطب الوجود ومظهر الأعظـــام
ياليلة شرفت بغرة **أحمـــــد** ... فكسيتِ أنواراً بمحو ظــــلام
ياليلة فخرا بمن لولاه مــــا ... كشف الوجود عن الوجوه لثامـــي
أنتِ التي حزتِ الفخار بمولــد ... وبنوره أزريت بالأيـــــام
وسموتِ بالمجد الذي بجلالــه ... جلت فضائله عن الاتمـــــام

يامصيغاً سمعاً لمدح محمـــد ... أبشر بمغفرة ومحْو آثـــام
وامدد أكف ضراعة واجنح إلـى ... مأوى النجاة وناديَنْ بذمـام
هذا زمان اليمن اشرق نـوره ... والسعد أقبل والسرور أمامـي
فرع كأصل في الخصال ومن لـه ... كل المحاسن اسست بكـرام
ملك حوى حلماً وعلماً وائتسى ... بأيمة فازوا بفضل قيـام
دين متين والهدى بجنابـه ... خذن له في الحل والاحـرام
ملك به أحيى الالاه مآثـراً ... ومفاخراً للدين والاسـلام
فأقامه المولى الكريم يذوذ عـن ... ذاك الحما بالشعر والأقـلام
ملك به حاط الالاه رعيـة ... بسياسة وسماحة وحسـام
وبه تباهى العصر مفتخرا علـى ... كل الدهور بصائل بسـام
وبه تباهي اليمن في كل مـورد ... وبه تاثل مجد آل هشـام
يامالكَ الحسن البهي وراثـة ... أبقاك ربك محكما بزمـام
وأطال عمرك والسعود تؤمكـم ... في كل ما يعرو بنيل مـرام
مولاي ياحسن الملوك سبيت مـن ... كل العقول رجيحها بمـدام
هي البلاغة مفصح بعجيبهـا ... سحر حلال باقتضاء مقـام
يارب بالجاه العظيم ومن بـه ... باهيت يوم جلالة وقيـام
اعتق رقابنا من لظى وجهنـم ... واجعلنا من أهل اليمين الجـام
وأنلنا من تلك الجنان فرادسـا ... نحظى بها بالقرب يوم صـرام
واجعلنا من حزب النبي محمـد ... يوم الذهول وزلة الاقـدام
والأمن حصنا في كثيب أيمـن ... وبنظرة أحظى بمحو سقـام
وانصر أميرنا واجعلنه مؤيـدا ... في كل ما يغشاه من إلمـام
وأدم له فتحاً مبينا ظافـرا ... متمكناً من كل ما ضرغـام
واجعله في حصن حصين واكفـه ... شر اللئيم بدافع شهـام
بالمصطفى وبآله وصحابـه ... من هاجر أو ناصر مقـدام
صلى عليه الله ملءَ فضائـه ... والآل والأصحاب أسد ضـرام
مانيلت الأمال أو قال منشـد ... (شوقي إلى نجد ومَن بتهـام)

ذكره ابن الحاج في مولده .

وقال في (المجد الطارف والتالد) في عدّ مَن لقي بفاس ما نصه : وكذا تلاقيت مع الفقيه الاديب الكاتب الصنهاجي ، فما أعذب اخلاقه وما ألطف أريكته ، ويااليتهم اركبوه على سرجه ، وسلكوا به طرق نهجه .

ورد والده رحمه الله فاساً من صنهاجة الجبل ، فأقرأ بها القرآن الكريم، واشتغل المترجم رحمه الله في أول أمره بالنساخة ، ثم صار عـدلا بسماط العدول بطالعة فاس ، ثم صار كاتباً في الديوان الشريف ، ثم ناب في الوزارة، ثم استقلّ بها ، وكان يلهج في كل أحواله بالوزارة ويدعو الله لنفسه بها في كل مجلـس .

حدث الشريف العالم مولاي عبد السلام بن عمر العلوي : أنه كان جالساً مع المترجم في بعض الاوقات في جماعة آخرين ، فدعا الله تعالى كل واحد منهم بمرامه ، فدعا هو بنيل الوزارة ، فنالها بعد مدة قليلة ، وسبب ذلك ان السلطان مولاي الحسن لما فتح بني مجيلد ، أمر جملة الكتاب بانشاء كتاب لاعلام الرعايا ، فأنشأ المترجم والفقيه ابن المواز وغيرهما مكاتب في ذلك ، فاستحسن كتاب المترجم ، وطار له بذلك طائر الاشتهار ، ونال بذلك مـنـاه .

توفي رحمه الله في سادس جمادى عام تسعة وثلاثمئة وألف 1309 ، وكان يسكن بالمواسين في مراكش بدار الفقيه الصفار ، ودفن بفاس بروضة سيدي قاسم بن رحمون (1) ، وبعده ولي وزارة القلم الحاج المعطي ، وها نص جواب السلطان مولاي الحسن للمحتسب مولاي عبد الله البوكيلي بعد الافتتاح:

خديمنا الارضى المحتسب ، مولاي عبد الله البوكيلي .

وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

وبعـد ، وصل كتابـك مهنئاً بمـا عززنا به ابـن خالنا الطالـب المعطي بن العربي بن المختار من وزارة القلم ببابنا العالي بالله ، وصار بالبال ، فلْيُهْنِـك من الله رضوانه والسلام .

في 2 شعبان عام 1309 .

---

1) ينظر عن الوزير محمد الصنهاجي **فواصل الجمان** ص 78

ممن مدحه إدريس السناني بقصيدة مطلعها :

ياشيخنا الحبر النبيه الأوحـــــد نجل الاماجد والسراة محمـــــد

راجعها في ديوانه .

892) **محمد العربي بـن السايح الشرقي الرباطي** ، العالم العلامـة الأديب ، الحافظ الصوفي الأريب ، فريد أهل عصره ، وشيخ الجلال والجمال في دهره ، كان بحراً عارفاً ، انتفع به الكثير من الناس واستفاد وأفاد ، ألف (البغية) في الطريقة التيجانية .

ومن نظمه قوله :

الله أكبر لا كبير ســــــواه جلت محامده وعز ثنـــــاه
هادي العباد إلى سنى عرفانـــه لولا التفضل ما اهتدوا لسنـــاه
ملك الملوك وحكمه في خلقـــه ماض فلا حكم يرى لســـــواه
وهو السلام فلم يزل متقدســـا ذاتاً وفعلا في كمال غنـــــاه
سبحانه القدوس في حضراتـــه عن كل ما لا ينبغي لعــــلاه
حقاً رداءُ الكبرياء له فمـــــا اردى المنازع فيه ما أشقـــاه
وهو الحفيظ لنا وليس يـــؤوده في أرضه حفظ ولا بسمـــاه
وهو اللطيف لما يشاء حقيقـــة من حفه باللطف منه كفـــــاه
حسبي العليم بكنه حالي كافيـــا في كل ما أرجوه أو أخشـــاه
ياحيُّ ياقيوم يامَن كلمـــــا ناداه مضطر أجاب دعـــــاه
أنت الجليل الفرد والصَّمَدُ الذي يعطي الذي يدعوه كل منـــاه
ياربنا ياربنا ياربنـــــــا ياربنا ياربُّ ياربـــــــاه
يارب بالذات العلية باسمهـــا بمصون سر فيه يا غوثـــاه
اكشف كروبَ المسلمين جميعهم وأغثهم منّاً بنصرك ياهـــــو
واكد مصر الكيد واردد كيـــده في نحره ويلاه مـــــا أرداه

وعلى حبيبك من سرى في ليلـــة لعلاك فابتهج العلا لســــــــراه
أزكى الصلاة مع السلام المرتضى ما أشرقت أرض النهى لسنـــاه
والآل والأصحاب ما داع دعـــا بادي الضراعة فاستُجيب دعـــاه

وله هذه الأبيات المتوجة أوائلها بحـروف اسم الصحابي الجليـل سيدنا عمران ابن حصين ، الذي ورد فيه أن من عرف اسمه دخل الجنة وهي :

عودتني منك إحسانا وثقت بـــه وحاش فضلك أن أراه ممنوعـــا
ما زلت تولي العطا لمن عصاك ولم يكن عطاك لأجل الذنب مقطوعـــا
رب البرية يامَن لم يزل أبـــدا دعاء كل امرء دعاه مسموعـــا
إني دعوتك مضطرا أخا كَمَـــد ركن اصطباري أضحى منه مصدوعا
نَفّسْه' عنيّ يامولاي عن عجـل حتى أرى غيمه في الحين مقلوعـــا
إني سألتك بالمختار أفضل مـن به كفيت الورى أذى وترويعـــا
بحر المكارم تاج الرسل خاتمهـم من لم يزل ذكره لديك مرفوعـــا
نور الهدى من بدا في أصل فطرته على التقي والحيا والزهد مطبوعـا
حماه أوسع بي ان أزمة دهمـــت وظلّ من أجلها ذو الحلم مصروعا
صلى عليه إلاهي كل آونـــــة ما دام للجود والاحسان ينبوعـــا
يارب وارض عن الصّحاب أفضل من بذكرهم ظل باب الفتح مقروعـــا
ناهيك من سادة حازوا الكمال بمن ساد الخلائق تابعا ومتبوعـــا

ومن نظمه في التحذير من مخالطة المنكرين على أهل الله :

الا لا تركنن أبدا لقـــــــال لأهل الله ذي قيل وقـــــــال
وحاذر أن ترى ما دمتَ حيـــا بحي المنكرين أخا احتفـــال
ولا تامنهم والزمْ جفاهـــــم وصارمهم على مرّ الليالـــــي
فان السم يسري من عيـــون لهم ادهى وأنفذ من نبـــال
وكم سلب الارادة من مريـــد بقربهم فيالك من وبـــال
فقد حباه وصلهم جهـــــارا وسقّهم' النكالَ ولا تبـــال
فان الله آذنهم بحـــــرب كما قد صحّ عن خير الرجـــال

وقال في مدح النبي صلى الله عليه وسلم :

إليك رسول الله ياملجأ العانـــــي لجأنا حيارى من هموم وأحــزان
فلا تسلمنّا للنوائب واشفعَـــنْ لنا عند رب واسع الفضل منـــان
فأنت لنا نعم الشفيع وما لنـــا سواك ولياً نرتجيه لذا الشـــان
عليك صلاة الله ما لجأ الـــورى إليك ففازوا باقتراب ورضــوان
وءالك طُرّاً والصحاب وكل مـن تلاهم إلى يوم الجزاء باحســان

وقال في مدحه صلى الله عليه وسلم ، مخمسا القصيدة المسماة بـ (أبيات الامان ، في مدح سيدي بني عدنان) ، المنسوبة للعارف بالله ، القطب الشهير الامام الخروبي الطرابلسي ، الذى قال في حقه سيدنا رضي الله عنه الخروبي الطرابلسى كان قطباً ، وسأل النبي صلى الله عليه وسلم الشفاعة في أهل عصره ، فقال له صلى الله عليه وسلم : سبقك بها ولدي محمد – يعني محمد بن عبد الله الشريف – دفين وزان ، ونصها في التخميس وهو :

لئن ألمت بهذا العبد كربتـــه وأرقته لما يلقاه غربتــــــه
فانت مأوى الغريب أنت أسرتـــه ياسيدا جعلت في الارض تربتـــه
مع أن رتبته من أعظم الرتـــب

أوفى الخلائق أنت أنت أجودهـم وأنت أنت لدا الالاه أحمدهـــم
فمن بقربك فاز فهو أسعدهـــم ليأمن الناس اذ فيهم محمدهـــم
من كل خسف ومكروه من النــوب

قد أفصح الذكر تحقيقا بمأمَنِهِم وذاك كون الرسول بين أظهرهـم
فهو المرجى لديهم عند نكبتهـم وان أصابهم مكرٌ ألمَّ بهـــم
لاذوا به فنجوا من سائر الكــرب

يافوز من صار قصده له شعـــلا حتى توطن في جواره نــــزلا
هناك لا يشتكي جورا ولا عـــدلا أكرم بتربته بين الانام عـــلا
لأنها جمعت أعضاء خير نبــــي

تاج العوالم ، بل مصباح نورهـــم سرُّ الخلائق ، بل حياة كونهـــم
قطب النبيئين ، بل يعسوب سرهم محمد سيد السادات كلهـــم
الطيب الطاهر الاعراق والنســب

من قد سما للعلا من فوق كل سما | فنال من ربه الاسرار والحكمـا
فأي قدر يضاهى قدره عظمـا | روحي الفداء لقبر جلّ فيه ومـا
مقدار روحي فتفدي أشرف الرتب
اني إذا نابني خطب له ضرعـت | أولو النهى وقواهم له انصدعـت
ناديت فانجلت الاحزان وانقشعت | ياأكرم الخلق مسكين قد انقطعت
أسبابه من سوى علياك فاستجـب
لولاك ما كانت الأسرار ساريـة | ولا سقى الغيث أرجاء وانديـة
ولا استجاب لنا الاله أدعيـة | ياأعظم الخلق عند الله منزلـة
يابن الكرام العظام السادة النجب
كم فاز ذو أمل بنجح مطلبـه | كنت المؤمل في حصول مرغبـة
وكم غبي أغثتَه ومنتبـه | بك استجرنا فنعم المستجار بـه
وحق ربي من استعطاك لم يخـب
ولم تزل كرما للحق ترشدنـا | وفي الشدائد والكروب تنجدنـا
وان سألناك بالمطلوب تسعدنـا | فأنت ذو الجود والاكرام سيدنـا
وأنت أنت ملاذ العجم والعـرب
ياخير هاد دعا فأوضح السبـلا | وخير مَن قام للاله مبتهـلا
ومن به كل حسن في الورى كملا | مني عليك الصلاة والسلام علـى
مرّ الليالي مع الايام والحقـب

توفي المترجم سيدي العربي السائح المذكور في انسلاخ رجب عام تسعة وثلاثمئة وألف 1309 ، ودفن بالرباط ، وقد دخل مراكش مرات .

893) مَحمد بن هاشم العلَوي الصفريوي

مَحمد بن هاشم بن الولي الصالح مولاي محمد العلوي الصفريوي المراكشي ، كان ساكناً بقصبة مراكش ، من أهل الخير والصلاح ، وظهرت على يده كرامات ، لقيه بمراكش في العشر الأول من صفر الخير عام أربعة وثلاثمئة وألف ، العلامة سيدي المكي البطاوري بجامع المنصور يوم الجمعة ، ومن المسجد توجه صحبته لمحل سكناه بالقصبة ، وأكرمه مع خطيب جامع

المنصور الفقيه العلامة ، الـورع الناسك ، الفاضـل المشهور بالخيـرات والصلاح سيدي علي بن الفاضل المتوفّى بعد خروجه من مراكش في ربيع الأول من السنة المذكورة ، وطلب من المترجم بعضُ محبيه تزويج امرأة علق بها ، فوعده بها ثم انها تزوجت غيره ، فورد عليه متشكيا ، فقال له : إنهـا زوجتك ولا بد ، فبعد مدة طلقها زوجها ، وبعد العدة تزوجها وكانت أم أولاده .

ولما أراد الامين السيد محمد بن محمد بن عبد الوهاب بنيس التوجه من مراكش لفاس في فصل الشتاء ، والمطر مسترسل ، ذهب عند المترجم وزاره ، وطلب منه أن يذهب لبلده من غير أن يُصيبه المطر ، وأعطاه على ذلك دراهم فضمن له ذلك ! فتوجه لبلده ولم تمسه قطرة في الطريق الى أن وصل، ففتح الله تعالى السماء بمطر منهمر غزير .

وتقدم مثل هذه الكرامة في ترجمة سيدي جابر بن مخلوف الطليقي(1).

توفي رحمه الله عام تسعة وثلاثمئة وألف ، وولده الآن في صفرو .

وقرأت في منتخب (كنز العمال) ما نصه: عن يعلى بن الأشدق، عن عبد الله بن جراد ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم لا تطعْ تاجرا ولا مسافرا ، فان مسافرنا يدعو الله كي لا يمطر ، وان تاجرنا يتمنى شدة الزمن ، وغلاء السعر . الديلمي ، انتهى .

894) **محمد بن محمد الفلاق** السجلماسي الأصل ، والفلاق لقب له ، وليس من الفلالقة بالغرب الذين هم فرقة من سفيان ، استقضي بفاس الجديد نحو عامين ، ثم استقضى بمراكش ، وكانت فيه غِلظة في الأحكام نشأت عن اتصاله بالمخزن ، وكان يحضر في مجلس البخاري بالحضرة ، وكانت (الجواهر) لابن شاس لا تفارقه ، ودائما يقول : إنه حمل مذهب مالك وراء ظهره ، وحج صحبة سيدي عبد الجبار الوزاني في جملة العلماء الذين حجوا معه ، وءاخر تسجيل عليه وقفت عليه مؤرخ برابع وعشري رجب عام 1309 .

ثم توفي رحمه الله في 26 ربيع الثاني عام 1310 ودفن بضريح سيدي أبي شامة بوادي السبع ، قرب معيطن من سفيان التي تولّى القضاء بها . وقيل

1) انظر 3 : 100 ع 372 من هذا الكتاب

هو نفسه من سفيان ، ويعرف بالصويبي وقـرأ بقبيلة الغرب على العلامـة النوازلي أحمد بن ادريس بن الزيزون الشهير . وكان له تعلق بصنعة الاكسير ولذلك استجلبه السلطان المولى الحسن لمراكش واستقضاه بها ، وكان يسكن بدرب عزوز بالمواسين وكان شكله (1) يظهر فيه اسمه واسم والده ولقبه ، وله رحلة، وقد وقفت على ظهير شريف أُمِرَ به محتسب مراكش مولاي عبد الله البوكيلي بتاريخ 18 شوال عام 1308 بعقل الثلاث نوب عدى سدس من كافة جنان ابن الداودي وعرصة الصقارة مع البياض المجاور لها ، عن الخديم القائد العربي بن الشرقي، وورثة الأمين الطالب محمد الصبان بحيث لا يتصرف فيهما أحـد" حتى يسلكا الشرع لـدى المترجم كما أمـر بذلك ويحكـم لمستحقهما ، وان يبقى مـا دخل في استغلالهما علـى يده حتى يؤمر فيـه بالمقتضى ، حيث كتب للحضرة الشريفة الفقيه القاضي المذكور بأن الشرع أعزه الله حكم بعقل ما ذكر ، وكتب بذلك للخديم المذكور فلم يمتثل .

فائدة وتنبيه :

قال في (شذر الذهب ، في خير نسب) : إن أولاد الفلاق بسوماتة انتسابهم للشرفاء العلميين كذب ، وراجع (الدرر البهية) ص 101 ج 2 .

حدثني الفقيه الحاج العربي أن القاضي الفلاق لما أراد أن يسافر أرسل اليه واستنابه ، فأجابه بأنه رجل معروف عند المخزن فلا يقبل النيابة الا باذن خاص ، فلم يقبل منه ذلك وانابه ، فبعد حين حضر النائب عنـده ليسأله عن أحكامه ، هل يعذر فيها إن طلب منه الاعذار ؟ لكونه كان يعتمد على فتواه في أحكامه من غير اعذار ، فقال له المستنيب بمجرد مالقيه من غير سؤال عن ذلك : لا تتكلّم في أحكامي ولا تقربها .

ولما وقع النزاع بين السيد عمر بن الحاج مَحمد بوسته ، وورثة عمه السيد أحمد ، في قضية الفرديتين من جنان سقر ، المشترك بين الاخوين المذكورين ، المشتمل على أربع فرديات مشاعة بينهما ، وكان السيد أحمد

---

1) توقيعـه

حبّس فرديتين منها على من يقرأ دلائل الخيرات تجاه الروضة الشريفة بالمدينة المنورة ، وافتى في القضية سيدي سعيد جيمي ، وسيدي عبد الوهاب بأن ما صدر من القسم عن الاذن الشريف لازم ، لأن ذلك من قبيل الاقطاع ، وما صدر من التحبيس على رواية سحنون فيمن باع بعض المشترك انه بمنزلة مَن باع حق نفسه فقط ، المنقولة في ابن سلمون ، آخر الشفعة ، وان فرضها في البيع محض مثال ، حكم فيها المترجم بإمضاء القسم ، وان ما فعله الحاج مَحمد من أخذ مثل ما حبَّسه أخوه في مقابلة الحبس المشار له هو كذلك ، والحبس انما هو في نوبتين فقط لا في غيرهما حُكماً تاما بتاريخ 12 حجة مُتم عام ثلاثة وثلاثمئة وألف . ثم أمضى ذلك السلطان بتاريخ 9 ربيع الاول عام 1304 ، قائلا في توقيعه : يمضي ما حكم به الشرع المطاع في ذلك ، حسبما رأيته في نفولة نائب الوزير سيدي محمد بن أحمد الصنهاجي .

قلت ما افتى به الشيخان في قضية تحبيس المشاع وإجرائه على رواية سحنون في البيع وأطال الأول منهما في جلب نقول البيع قائلا : انه فرض مثال فقط ، غفلة" منهما رحمهما الله تعالى عن النص في عين النازلة ، في قضية تحبيس المشاع المبسوط حكمها في شراح العمل الفاسي عند قوله : ووقف جزء شائع لا ينقسم من غير اذن من شريكه ، الى آخر الابيات الخمسة ، وشرح العمل المطلق عند قوله : والجزء المحبس المشاع . . . البيتين ، والكمال لله تعالى . وهذه المسألة مذكورة في أواخر الجزء الأول مما خرج من نوازلنا ملخصة ، راجع صحيفة 416 من الجزء الاول منها .

وهذه بطاقة كتبها الوزير للقضاة بمراكش ، نصها :

الحمد لله وحده .

أحباءنا الأرضين ، الفقهاء الاخيار ، القضاة السيد أبو بكر بناني ، والسيد محمد الفلاق ، والسيد علي الرجراجي .

حفظكم الله وسلام عليكم ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله .

وبعد ، فقد اشتكى بالحضرة العالية بالله المعلم أحمد بن محمد المراكشي ، لزوجه دعوى شرعية مع الحاج محمد بابه وشقيقه الصالح علَى دار بباب دكالة ، وهذه مدة وهو يسلك الشرع معهما ، ولم يحصل على طائل ، طالباً جمعكم مع العلماء المعيَّنين على قضيته .

ولمَّا أنهينا شكواه لسيدنا أمركم بمساعدته على ذلك ، وحسم مادة النزاع بينهم ان كان للجمع محل ، وعلى المحبة والسلام .

في 23 ربيع الثاني عام 1308

علـي المسفيـوي
(وفقـه الله)

واثره ما نصه :

وبعد فعلى سيادة سيدنا الفقيه الوزير سيدي علي المسفيوي أزكى السلام ، فاعلم أن مادة النزاع محسومة بجمع من قبْلَنا من العلماء والقضاة ، وعوده يؤدي الى التسلسل ونقض الاحكام بالشهوة والغرض من الطالبين ، ولو سوعدوا على ذلك ما مضى حكم على أحد ، فالواجبُ القمع لكل مَن أراد نقض ما حُكِم به عليه ، والسلام .

أسير ذنبه : محمد بن محمد الفلاق أمنه الله ، وأبو بكر بناني أمنه الله.

895) محمد العربي بن محمد الهاشمي العلوي المدغري

محمد العربي ، ابن قاضي مدغرة سيدي محمد الهاشمي ، بن محمد ، بن العربي ، بن الحسن ، بن أحمد ، بن عبد الرحمان ، بن عمرو ، بن الحسن ، بن يوسف ، بن مولاي علي الشريف العلوي الحسني المدغري .

قال في (الدرر البهية) بعد ذكره : ومنهم ابنه الولي الصالح ، والقطب الرابع الناجح ، سيدي محمد العربي ، صاحب الزاوية والتلاميذ ، كان رضي الله عنه من العارفين الكبار ، كبير المقدار ، هرع الناس ليأخذوا عنه من سائر الجهات والاقطار ، ووفدت عليه وفود الزوار ، وقصده الناس

مما نأى وقرب من الديار ، وبعد صيته حتى بلغ جميع الامصار ، فلا تجد قبيلة من قبائل المغرب حواضره وبواديه إلا وفيها من تلامذته العدد الكثير ، والحجم الغفير ، سرى سره في الاقطار المغربية من أطراف السودان الى أقصى السوس ، وظهرت له كرامات وخوارق لا تحصيها الاعداد ، ولا ترقمها في القراطيس أيادٍ ، تردُ عليه الخلائق ألوفا ، فيطعمها من الطعام صنوفا ، وربما وفدت عليه القبائل بخيلها ورجلها ، فيطعم ويسقي جميعهم ودوابهم ، زيادة على ما في الزاوية من الفقراء والمساكين الملازمين لها ، وربما وصل بالصلات العظيمة ، والحاصل فأمره عظيم ، وخطبه جسيم ، ينبىء بما تكنه الضمائر ، ويتواضع للصغار والاكابر ، كان دائم الخدمة لمولاه ، عارفا به ، قائما بأوامره ، تابعا للسنة ، تاركا للبدعة ، مستغرق الاوقات في الاذكار والعبادة ، وعليه أنوار السعادة ، كثير المحبة في الناس والتودد لهم ، قليل الدعوى ، لم يدع ولاية ولا مقاما مدة حياته ، كان رحمه الله يحبنا ويكاتبنا ، ويثني على جهتنا من غير رؤية سبقت ، ولا معرفة تقدمت ، جزاه المولى أحسن جزائه .

توفي رضي الله عنه سنة عشر وثلاثمئة وألف 1310 ودفن بداره بمدغرة ، وقصد الناس زيارته ، انتهى .

وما ذكره ، من أن وفاته سنة عشر هو الذى عليه الكثير ، وذكر في (السلوة) انه توفى عام 1309 . وقال فيها في ترجمة شيخ المترجم القطب سيدي أحمد البدوي زويتن المتوفى ثالث وعشري ذى الحجة عام خمسة وسبعين ومئتين وألف 1275 ما نصه :

وذكر تلميذ صاحب الترجمة الشريف الفقيه ، المرشد النبيه ، الشهير الذكر في الآفاق ، والواقع على جلالته وولايته الاطباق ، العارف بالله ، الدال بحاله ومقاله على الله ، سيدي محمد العربي بن محمد الهاشمي المدغري

الحسني المتوفي في أواخر شهر جمادى الاخيرة من عام تسعة وثلاثمئة وألف 1309 في تأليف له ضمَّنه التعريف بشيخه المذكور صاحب الترجمة ، وذكر فيه أحواله وبعض مناقبه ومعارفه .

انتهى المقصود من هذا المحل (1)

وقال فيها في ترجمة الولي الصالح ، سيدي محمد فنجيرو ، تلميذ مولاي العربي الدرقاوي المتوفى عام 1289 ما نصه :

ومما يدل على نورانية باطنه ، وصدق فراسته وكشفه ، ما أخبرني به العلامة سيدي الطيب ابن العلامة سيدي أبي بكر ابن كيران ، قال : أخبرني سيدي عبد الواحد بن الحاج البدوي بناني ، وكان ثقة ، قال : كان سيدي الحاج فنجيرو جالساً معي بحانوتي بسوق العطارين ، وذلك يوم مات سيدي أحمد البدوي ، قبل أن يعلم الناس بموته ، فبينما هو جالس إذ شمَّ بأنفه شمة عظيمة ، وقال هذا سر سيدي أحمد البدوي ، هاهو ذا جائز الى الصحراء ، هاهو ذا ، فلم نبرح أن سمعنا بموت سيدي أحمد البدوي في تلك الساعة ، قلت : وظهر بعد ذلك معنى ما أخبر به من جواز سر الولي المذكور الى الصحراء ، فانه ظهر هناك في تلميذه الولي الصالح العارف بالله تعالى ، محمد العربي المدغري ، فقد انتفع به هناك الجم الغفير ، وأخذ عنه مَن لا يحصى من الخلق ، وتحكى عنه كرامات وبركات ، نفعنا الله به .

كان المترجم رحمه الله جاء الى فاس بقصد طلب العلم ، فجلس بها مدة يسيرة في حدود الستين من القرن الفارط ، ثم حصل في شبكة الشيخ الصالح سيدي أحمد البدوي المذكور ، فصار يخدمه خدمة العبيد ، فبلغ ذلك لوالده ، فكان يكتب له متوعدا مهدداً ، فلم ينجحْ فيه شيء الى أن تم فطامه على يديه ، وأذن له بالتسليك والتلقين ، ورجع إلى بلاده في حدود السبعين

1) **سلوة الأنفاس** 1 : 261

هاديا مرشداً في حياة شيخه المذكور ، ثم لما مات جدد عليه أصحابه ، ودخل في بيعته البربر وغيرهم ، وصار صيته الى أقصى بلاد المغرب ، ولم تخْل بلدة من حاضرة وبادية ممن ينتمي اليه أو عن الآخذين عنه ، ودخل مراكش ودمنات ، وجال بلاد المغرب .

وكان العلامة سيدي محمد بن علي بن محمد بن عبد القادر العدلوني الصفريوي ثم الدمناتي بمصر ، لقي رجلا من الصالحين زاره فكاشفه بما في نفسه ، وقال له : أنت قصدتنا فيمن يأخذ بيدك إلى الله ، وفي ولد صالح ، أما الولد فيكون كذلك ، وأما الشيخ فاذهب فانه يأتيك الى باب دارك ، ثم رجع من مصر ، وبقي بآسفي يدرّس العلم ، ثم انتقل لمراكش ، فأتاه أهل دمنات ورغبوه في الانتقال اليهم ، فانتقل ، وبقي مدة ينتظر الشيخ حتى قدم المترجم الى دمنات ، فأخذ عنه ، وفهم أنه المبشر به سابقا بمصر .

وكان مولاي الحسن شديد الانحراف عنه ، وكان يكتب له في رسائله: الى أكابر مجرميها ! فكان المترجم يعد كسوة فاخرة ويعطيها لمن يقرأ هذه الرسالة على فقراء زاويته كما حدّث بذلك الفقيه ابن محمد القاضي العلوي ، وكان من غرضه في التوجه الى سجلماسة إلقاء القبض عليه ، فقيل له ذلك ، فقال ، لا نراه ولا يرانا ، فكان موته من أعظم ما قوبل به المولى الحسن من المسرات ، وتوفي قبل وروده اليها سنة عشر ، وسبب ذلك الانحراف اجتماع قبائل المغرب على حبّه ، وامتثال أوامره ، وكان يعلن بالجهاد ، وكان المولى الحسن لا يحب ذلك ، وسجن كثيرا من أصحابه ، وفي آخر أمره كتب رسالة سماها (رسالة الاذن) أكبر من كراس ، فرقها في المغرب يدل الناس فيها على نفسه ، ويخبرهم بحصول الاذن له في ارشاد الخلق .

وكانت له دنيا عريضة ، وبنى قصرين ببلده على هيأة دور الملوك من كثرة المرافق لسكناه ، أحدهما سماه رحمة الله ، والآخر نعمة الله ، فكان بعض الناس يقول لاصحابه : من أين خرجتم ؟ فيقولون : من نعمة الله ، ومن رحمة الله ، وكان له خدام بحضرته كثيرون يجاوزون الألف من الملازمين ، وجاهد في ناحية الصحراء .

وممن أخذ عنه سيدي الحسن التمكدشتي ، والمعمَّر المجاهد شيخ الطريقة الشيخية أبو عمامة الشيخي ، ولما ورد عليه القائد الطالب محمد اليوسي والد القائد عمر ليغتنم قتله حيث أمِر به ، أمَر المترجم آيت عطاء بالتعرض له فقتلوه وجزؤوه أجزاء .

مات المترجم عن نحو التسعين سنة ، وبعد موته تشتت أمر زاويته شذر مذر ، ولم يخرج في أولاده مَن يقوم مقامه ، ولم يأت بالمغرب مَن أدرك الصيت الذي أدركه المترجم وعمل الابهة للمشيخة كأبَّهة الملوك من عهد سيدي أحمد بن موسى السملالي الذي زاره مولاي عبد الله السعدي إلى وقته مثله ، وله رسائل في مجلد جمعت من كتاباته الى أصحابه .

كان عارفا بطريق القوم ، ذكره السيد عبد الحي .

وقد وقفت له على رسالة بخطه عنوانها :

كافة اخواننا في الله آل مراكشة ، خصوصا المقدميْن المعظمين ، الشريف الامجد ، سيدنا ومولانا المهدي بن محمد ، والبركة الكبْرى سيدي مَحمد (فتحا) بن علي ، أمنهم الله بمنه آمين ، آمين ، آمين .

وبداخل طابعها : لا ألاه الا الله ، محمد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم وعلى آله .

افتتاحها : بعد البسملة والحوقلة ، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم :

السادة الاجلة ، البدور الكاملة الاهلة ، المجدون في خدمة الله كما أمرهم الله ، أولياء الله تعالى ، وخلاصته من خلقه جل وعلا ، المجتهدون في إحياء دين الله ، عبودية لله ، اخواننا في الله ، وأحباءنا في ذات الله ، كافة ساداتنا وموالينا الفقراء ، آل مدينة مراكشة ذكوراً واناثاً ، متجردين ومنتسبين كل واحد منهم باسمه الخاص خصوصاً شرفاءهم وعلماءهم وأعيانهم ، والمقدمين المعظمين ، والمقدمات المعظمات ، وخصوصا البركة الكبرى المقدم المعظم المحترم سيدي مَحمد بن علي التدغي .

زاد الله الجميع من قطع الهمم اليه ، ومن الاقبال بالكلية عليه ، حتى لا يجد الهوى فينا وفيكم محلا يأوي إليه ، ورزقنا ورزقكم التآلف على ذلك ، والثبات عليه الى لقائه بمنه ، وسلام تام شامل عام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وعلى كافة أهلكم وأولادكم وكل من كان منكم واليكم ، وعلى سائر اخواننا في الله اينما حلوا ونزلوا في بلاد الله من عباد الله ، قوى الله مدد الجميع بكرمــه .

أما بعد ، فقد وصلني كتابكم الأول والثاني ... الخ ، ثم حضهم على الشكر ، ثم قال : وعظم الله أجرنا وأجركم فيمن صار الى رحمة الله وعفوه ، الاخوين في الله ، الولييّن لله ، الفقيه الاجل العالم المبجل ، سيدي ابراهيم بن الحسن الماغوسي ، والمنقطع الى خدمة الله وذكره سبحانه ، المتجرد من كل العلائق والعوائق التى تشغله عن الله حتى لقيه ، سيدي يوسف ، رحمهما الله وأكرم نزلهما ومثواهما ، ونوبوا عنا فــي تعزية أهلهما ، ثم دعا بالبركــة لسيدي محمد في الدار التي اشترى قرب الزاوية ، واستحسن فتحه لمدخل منها لها ، ثم أرخ هذه الرسالة بيوم عرفة تاسع الحجة الحرام متم 1283 هـ ثم حضهم على المؤالفة وتعظيم حرمات الله تعالى، ثم قال : واعلموا إخواني قد واخيت بين البركتين الكبيرتيـْن ، الواضحتين الشهيرتين ، الولين لله تعالى والدالين عليه جل وعلا ، المقدمين المعظمين ، سيدي مَحمد بن علي ، والشريف سيدنا ومولانا المهدي بن محمد بن عبد الرحمان أخوة لا افتراق بعدها ، وألفة لا خلاف معها ، فكلاهما مقدم الآخر ووزيره ، ليتعاونا على عبودية الله تعالى ، ثم عبودية اخواننا في الله ، ساداتنا وموالينا الفقراء ، اذ الدين ما قام الا بالمعاونة، ثم قال : واعلموا اخواني أنه بحسب ما علمني الله تبارك وتعالى ، ما جاد وتكرم وتفضل علي الا بالاخوان الصادقين الصديقين المصدقين المشتغلين بما يعنيهم، التاركين لما لا يعنيهم الفارين عما سوى أهل فنهم المشتغلين به سبحانه في سائر أوقاتهم ، التاركين الفضول وأهلها ، القاطعين نظرهم عما سوى مولاهم فهما منهم أن كل ما سواه يفنى ويزول ، ولا يبقى ألا هو سبحانه ، لله الحمد ثم له الشكر ، ثم أكد على المقدمين المذكورين تعيين وقت لسرد الرسائل على الفقراء وتلاوتها بترتيل كبير ، وصوت عال ، فان في ذلك مددا عظيمــا

وسراً كبيرا ، ثم يذكرون عقب تلاوتها اللطيف الكبير ، وعدده 116،487 ثم فدية الهيللة وهي 70،786 ثم فدية الحولقة ، وهي ألف ، وهذه الاسماء الشريفة:ياالله ياستار ، ياباق ، يابر ، ياخالق ياخلاق ؛ ، يامالك ، يالطيف ، ياخبير ؛ ياغالب ، يارحمان . يبدأ أول كل عدد باللهم ، ويختم بلا الاه الا الله ، لا الاه الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين ، قد تحيرت في أمرى ، فخذ بيدي ، انك على كل شيء قدير .

والله يتولى هدانا وهداكم بفضله ، وعاملونا بصالح دعائكم ، والوقت وأهله ، وخصوصا السلطان نصره الله ! والسلام .

في 4 من محرم الحرام عام 1284

خديم أهل الله أفقر الورى الى الله كليا ، آل جانب الله ، أقل الخليقة، مَن ليس بشيء في الحقيقة ، عبد الله تبارك وتعالى ، محمد العربي بن المرحوم بكرم الله ، العالم الرباني ، سيدنا ومولانا محمد الهاشمي الحسني الله سيده ومولاه ، ومتوليه ومالكه .

وهذا كتاب شريف جليل القدر ، مبارك سعيد منيف عظيم القدر ، أذنا الاخ في الله الاجل ، العالم العلامة المبجل ، الشريف المنيف الافضل ، الولي لله عز وجل ، سيدنا ومولانا أحمد بن الحسن السبعاوي ، من آل البركة العظمى، ولي الله تعالى ، سيدي مولاي مَحمد السبع، نفعنا الله به والمسلمين، أن يجيب عما وصلنا على أيديكم من الكلام بالرد والطعن بالجهل في أحوال سادتنا وموالينا أهل الله رضي الله عنهم ، ثم ذكر أنه حبسه على الزاوية ورغبهم في انتساخ نسخ أخرى منه وتحبيسها على زاوية دمنات ثم على زاوية تادلة ، وزاوية غيغاية ، ثم اعطاء نسخة للاخ في الله الأسعد ، الفقيه النبيه الامجد ، ولي الله تعالى ، سيدى الحسن بن أحمد التمكدشتي بسوس .

وهذه الرسالة التي انتقينا منها ما ذكرنا هنا في أربعة أوراق .

896) **محمد ابن داني** ، الصغير المدعو **ماخوخ** ، ولد بمراكش ، كان أستاذاً فقيها ، كاتبا عارفا بالانشاء ، متوسط الخط ، يقرض الشعر ، أخذ

عن الفقيه سيدي محمد الطالب بوحدّو ونزيل مراكش . كانت تعرض عليه المكاتب المولية ليصححها في حجابة السيد أحمد بن موسى حين كان كاتباً عنده ، وهو القائم بأمور صائر المطبخ السعيد .

توفي في كهولته في العشرة الاولى من القرن الرابع عشر الهجرى .

897) **محمد الطاهر بُوحَدّو المكناسي** ، نزيل مراكش ، أخذ عن الفقيه سيدي العباس ابن كيران ، والحاج المهدي ابن سودة وكان قارىء مجلسه ، كان المترجم صدرَ علماء مكناسة ، علامة مشاركا نقادة ، أخذ عنه الفقيه القصري ، وسيدى مَحمد السوسي ، وسيدى السعيد المنوني بها . ثم رحَّله سيدي محمد بن عبد الرحمان لمراكش ، ومكث فيها نحو عشرة أعوام ، وأخذ عنه بها جماعة منهم الفقيه السيد الهاشمي بوعبولة ، والفقيه ابن داني المدعو ماخوخ ، والفقيه سيدي محمد ابن القرشي السرغيني المراكشي ، والفقيه سيدي علال ابن المؤذن بالسراغنة ، وكان يقرض الشعر .

توفي في العشرة الأولى من القرن الرابع عشر ، ورأيت في ديوان أحمد الناصري يخاطب المترجم جوابا عن أبيات خاطبه فيها ، فأجابه على بحره وقافيته ورويه :

يأديبا غدا بحسن اتفـــــاق ... ينفثُ السحرَ في المعاني الرقاق
قد أتتْنا حدائق من ثناكـــــم ... جددت أرسماً لعهد التلاقــــي
وعلمنا منها بأنك لا زلْـــــــ ... ـــت بنا ذا صبابة واشتيـــــاق
لستُ أدري أهِي فلائــــد درٍّ ... أم نجوم محتْ دياجي الفــراق ؟
توجتْ مفرقَ الزمان على فتـــ ... ـــرة شعر من الورى وانمحـــاق
ولقد ساءني الذى قلت من جهـــ ... ـــل وأنت الفتى الكريم الوفـــاق
أنت تحكى النسيم في الخُلق والصا ... رم في العزم والطلا في المـــذاق ؟
وبنا من فراقك الصعب ما لـــوْ ... كان بالبدر لاكتسى بالمَحـــاق
فأزلْ ما بالقلب من وحشة البيـــ ... ـــن وما بالجفون من إيـــــراق
ما محياك حين تغدو علينــــــا ... غير يُسْرٍ أتى على إمـــــلاق

فعليك السلام من هائم مــــــــا زال من فرط وجدكم في احتــراق
وعلى خدنك الامام الذي حــــــــل من المجد في أعز المراقــــي
سيدي الأعربيّ مَن أعربت عـــن فخره ألسُنُ الورى باتفـــاق
ما شدا في محافل الانس شـــادٍ وحدا بالحِسان حادي النيـــاق

ومراده سيدي العربي ابن السايح ، لأن السيد الطاهر كان نازلا عنده بالرباط بعد أن خرج من سلا .

وأولاد بوحدو أصلهم من سلا ، ثم انتقلوا لمكناسة .

898) **محمد ابن عزوز** الرباطي المراكشي ، كان فقيها أديباً محاضرا، وكان يشهد في سماط عدول مراكش في دولة مولاي عبد الرحمان ، من رفقاء مولاي أحمد بوغربال ، وكان يجوّد قراءة القرآن في اللوح بعد كبره ، درّس بجامع ابن يوسف ، وأخذ عنه السلطان مولاي الحسن ، وكان يباسطه . ووهب له بعض إمائه ، ملازما له في بعض حركاته ، وهو معدود في ديوان الكتاب ، إلا أنه مراح من المخدمة في الكتابة ، وكان يوجّهه لفصل القضايا المهمة ، ويحترمه الناس من أجل ذلك ، وكان يسكن في باب دكالة من مراكش.

توفي في أوائل العشرة الاولى من القرن الرابع عشر .

وقال العلامة سيدي أحمد الناصري وهو بمراكش يخاطب المترجم جوابا عن هذين البيتين في فاتح رجب عام أربعة وتسعين ومئتين وألف .

سلا البحر ما بحر بُنيتِ بشطه كبحر علوم فيك أنشىء صالحـــا
فهذا هو الفياض بالعلم والتقـــى وذاك هو الفياض بالماء مالحـــا

فأجابه بما نصه :

بعثت أبا عبد الالاه مدائحـــــاً هي الدرّ حسنا والشذور لوائحـا
فنبهت فكرا طالما بات نائمـــا وروّضْت ذهنا طالما ظل جامحـــا
وشيدت من ذكري وقد كان خاملا وهيجت من قلبي الشجي القرائحا

وطوقتني النعمى بتقريظك الـذي | به ظل نجمي للنجوم مصافحـــا
وإلا فما قدري وان جد جـــده ؟ | وما قيمتي لو لم تكن لي مادحـا ؟
فأنت أديب العصر حقا ، ومن غدا | لعمري لابواب المعارف فاتحـــا
فخذْ من أخيك العي واستر عيوبه | وسامح فظني ان تكون مسامحـــا
فوصفُك يُعيي كل أشذق بـــارق | ولو ظل في بحر البلاغة سابحـــا
وبلغت من ذي العرش كل كرامـة | ووقيت من هذا الزمان الطوائحـا
ولا زال هذا الدهر طوعك خادمـاً | علاك وطرف الدهر نحوك طامحـا

وقد أورد هذه الابيات النّاصري في ديوانه وفي الاستقصا حيث ذكر بقية أخبار ابن الخطيب بسلا ، غير أنه قال فيه : ولم ندر هل البيتان له أو تمثل بهما ، حيث كتبهما له بأسفل بطاقة استدعاه فيها بالتاريـخ المذكور وقد أثبتها فيه .

899) **محمد الخربة الدكالي** أصلا ، الزموري داراً ، المعروف بالخربة وهو في الحقيقة العمارة ، كان رجلا ناسكا ولياً صالحا زاهداً ورعا ، متقشفا في لباسه ، موثراً لطاعة مولاه ، راضيا بالكفاف ، صواما قواما ، لا يأكل الا من كدّ يده ، مشتغلا بالفلاحة في بليدة له ، الى أن لقي ربه راضيا مرضيا .

أخذ الطريقة الدرقاوية عن صاحبها العارف الكبير مولاي العربـي الدرقاوي ، وصحبه نحو عشرين سنة الى أن كمل فطامه بموت شيخه المذكور، فظهرت أسراره ، ولاحت أنواره ، وصار يخبر بالمغيبات فتقع كفلق الصبح .

ورد مراكش عام 1284 ، وسكن بها قليلا فرجع الى بلده أزمور ، وكان لا يدعي دعوى وينكر على مَن يسِمُه بشيء من الصلاح .

توفي رحمه الله في العشرة الاولى من هذا القرن عن نحو مئة سنة ، وهي التي أخبر في حياته أنه يعيشها .

900) **محمد البكراوي**

محمد ابن العلامة أبي النصر، ابن العلامة ادريس ، ابن القادم إلى فاس

السيد عبد الله البكراوي الادريسي ، كان رحمه الله فقيها عالماً مدرسا ، كان يدرس بالقرويين المختصر والألفية ، وتقضَّى في ثغر الصويرة ، حدثني سيدى محمد امام الزاوية الناصرية بها وحافظ مكتبتها بالقصبة ، ابن المفتى الحاج عبد القادر ، أن المترجم دخل مراكش ، توجه لها من السويرة حين كان قاضيا بها عام أربعة وثلاثمئة وألف ، وكان فيه بسط ودعابة ، وكان بديناً .

توفي رحمه الله عند زوال بوم الاثنين تاسع عشر شعبان الابرك عام أحد عشر وثلاثمئة وألف ، ودفن من يومه بعد أن صلي عليه هبوط العصر بالقرويين بزاوية سيدي أبي يعزى بفاس .

وذكره في (الدرر البهية) و (السلوة) .

901) محمد المدني بن المعطي السرغيني

محمد المدني بن المعطى بن أحمد بن محمد السرغيني المراكشي ، صنو مؤلف (حديقة الأزهار) قال فيها : قلت ومات الوالد رحمه الله عن أولاد عشرة ، رشداء كرماء بررة ، اكبرهم سنا وأتقنهم لكتاب الله حفظا ، واعلاهم في ذلك حظا ، واكبرهم أناة وحلما ، وأزيدهم بالتجويد علما ، وأعظمهم في ذلك قدرا ، واحاطة به وخبرا ، واجلدهم على حمل الكَل ، وأقواهم صيانة للجزء والكُل ، وأحسنهم في ذوي النسبة أعتقاداً ، وأكثر الناس على مدعيها انتقادا ، الفقيه المشارك ، شعلة الذكاء الأفضل الناسك ، سيدي محمد المدني، قرأ ألقرآن على شيخنا السجلماسي – يعني سيدي محمد بن الطبيب المراكشي – ثم على والدي بالروايات السبع ، ثم على شيخنا الامام سيدى المهدي العوفي الدكالي براوية السبع أيضا ، ثم بقراءة الثلاثة أبي جعفر ويعقوب ألحداد وخلف البزار ، وأخذ عنه ألفية ابن مالك ، والدرر اللوامع في مقرأ نافع ، ودالية ابن مبارك في الوقوف لحمزة وهشام ، والفرائض ومختصر خليل، ثم انتقل الى الحضرة – يعني مراكش – فأخذ عن مشائخها كالمحقق عمر بن محمد الجلاوي ، وشيخنا القاضي سيدى الطالب بن حمدون ، وشيخنا سيدي عبد القادر ابن سحنون الواسطي الراشدي – يعني قاضي مراكش – أيضا .

902) محمد التاودي بن المهدي ابن سودة

محمد التاودي بن المهدي بن الطالب ابن سودة ، الفقيه المدرس ، من الأعيان ، أهل النباهة والشان ، له في جملة العلوم مشاركة ودراية ، مصمم في دينه ، حارص على رسوخه وتمكينه ، تولى خطة القضاء بطنجة أيام المولى الحسن ، فبحلوله بها هدأت فتنة الخصوم ، ثم طلب الرجوع إلى وطنه فسوعد .

ولد عام أربعة وأربعين ومئتين وألف ، قدم مراكش ، وتوفي رحمه الله ...

903) محمد بن التهامي الوزاني أصلا ، الفاسي دارا ومنشئاً وقرارا ، الفقيه الشهير ، النفاعة الكبير ، المشارك المتفنن ، الدراكة المتقن .

قال في (السلوة) بعد أيراد ما تقدم : كان رحمه الله علامة مشاركا في فنون عديدة من نحو ومنطق وبيان وفقه وكلام وغير ذلك ، وكان الغالب عليه العلوم المعقولة ، يقررها أتم تقرير ويحررها كذلك ، حافظا للشواهد والنوادر ، مجتهدا في القراءة غاية الاجتهاد في كل يوم اربع مجالس ، وربما زاد عليها وربما نقص ، لا يعرف بطالة ، ولا له اهتمام أو تعلق بغير القراءة ، فاق في ذلك جميع أهل عصره ، وكان يورد في مجالسه حكايات يتسلّى بها المحزون ، ويداعب الطلبة كثيرا ، ولكنه حافظ مع ذلك لمروءته غاية المحافظة، ولا يتجاوز القدر اللائق في ذلك ، وكان الطلبة يحبونه غاية المحبة ، ويزاحمون على مجالسه ما لا يزاحمونه على غيرها من المجالس ، فكان يجتمع عليه الجم الغفير من المئين من الطلبة ، ونفع الله به غاية النفع .

وكان له قيام وذكر وتلاوة ، وتنسك وزيارة لبعض الصالحين ، خصوصاً مولانا ادريس رضى الله عنه ، وزار أيضا مولانا عبد السلام بن مشيش وغيره ، ولقي غير واحد من الصالحين ، وأخذ عنهم وتبرك بهم ، كالولي الشهير سيدي العربي ابن السايح الرباطي ، لقيه برباط الفتح وأخذ عنه الطريقة التيجانية وغيرها ، وأذن له في تلقينها لمن يطلبها بشرطها المقرر عند أهلها ، وأخذ أيضا الطريق المختاري عن السيد الناسك الذاكر البركة سيدي محمد الغياثي الشريف الحسني الودغيري ، وأخذ عنه أيضا شيئاً من علم الجدول ، وأما العلوم الظاهرة فأخذها عن أشياخ فاس في وقته كالعلامة

سيدي محمد بن عبد الواحد ابن سودة المري ، والعلامة سيدي أحمد بن أحمد بناني ، والعلامة سيدي الحاج محمد بن الاكحل المَقْري المدعو الزمخشري ، والعلامة سيدي الحاج محمد كنون ، وغيرهم ممن يطول ، ولم يكن له كبير اعتناء بالتأليف ، فقلّت بسبب ذلك موضوعاته ، وأخذ عنه من أعيان الطلبة وصدورهم الجم الغفير ، وولي القضاء بثغر الصويرة ثم أُعفي منه ، وتعاطى شيئاً من الفتوى ثم تخلى عن ذلك ، وأمّ بمسجد الجواييين من حومة الجوطية .

وتوفي رحمه الله بعد ما مرض خفيفا نحوا من سبعة أيام ، بُعَيْد صلاة العشاء من ليلة الاثنين ثاني عشر شعبان الابرك عام أحد عشر وثلاثمئة وألف 1311 عن نحو من خمسين سنة ، وصُلِّي عليه ظهر ذلك اليوم بخارج باب الفتوح عند محل دفنه ، صلى عليه سيدنا الوالد ، وحضر جنازته من الخلائق ما لا يحصى ، وبكى الناس عند فقده ، خصوصا الطلبة ، وكسر العامة أعواد نعشه ، وقطعوا سجادته تبركا ، ودفن بروضة العلماء وسط الناحية التي عن يمين الداخل اليها ، وعُمل له صباح القبر مدة سبعة أيام ، ورُثِيَ بقصائد أنْشد بعضها عند قبره ، وبني عليه شاهد صغير .

ودخل المترجم مراكش في عام 1307 لما ولي قضاء الصويرة ، ودخلها أيضا لقراءة الصحيح بها مع السلطان مولاي الحسن ، ومن مؤلفات المترجم رحمه الله (ختمة مختصر الشيخ خليل) ، و (تقييد في إيمان المقلد) .

904) محمد الفاطمي بن الحسين الصقلي

محمد الفاطمي بن الحسين الصقلي دفين المدينة المنورة فيما أظن ، قال السيد عبد الحي : قرأ عليه علم العروض والقوافي الحاج ادريس بن علي السناني (1) وسيدي محمد بن جعفر الكتاني ، والفقيه المطلع المشارك

---

1) ذكر هذا الحاج ادريس المذكور فى ديوانه عند ذكر قصيدته التى مطلعها :

لقد جاد بعد التيه والصد هاجرى ... وأطلق من قلبى لهيب هواجرى

راجعها فيه ، قائلا : وكانت قراءتنا عليه بالمصرية المشيدة على الساباط الذى بين مكتب سيدى النالى ودار أبى على محل الحكومة ، وذلك سنة ست وتسعين ومئتين وألف (مؤلف)

المؤرخ ، سيدي ادريس ابن طلحة على محدث المدينة سيدي علي بن ظاهر ، قرأ لهم (الكافي) بمصرية دار عديل، ولما أكملوه عام 1297 أمر كل واحد منهم بانشاء قصيدة ففعلوا ، وعانى بعد ذلك مطالعة كتب الادب وأشعار العرب ، ولقى الشيخ أحمد الضرير دفين مراكش وكتب عنه من شعره ، وله استدعاء حافل كتبه لشيخه ابن ظاهر في طلب الاجازة نظما ونثراً فأجازه اجازة حافلة في نحو كراس ، ولازم ابن عمه سيدي الهادي الصقلي ملازمة الظل للشاخص، وكان سيدي الهادي يهتبل به اهتبالا شديداً ، حدثني بعض الاشراف بأن سيدي الهادي دخل مرة دارا فقام مَن بها يتعرضون له ، وكان في جملتهم المترجم ، فقال له لما أقبل عليه : مرحباً بأديب الدنيا ، فأعادها عليه شخص من الحاضرين كالمنكر لها ، فقال سيدي الهادي مرحباً بأديب الدنيا والآخرة ، وله تاريخ في علماء عصره افتتحه بشيخه سيدي علي بن ظاهر ، ألفه لمولانا الحسن ، التزم في كل مترجم أن يختم ترجمته ببيت يرمز فيه لوفاته ان كان درج ، أو لتاريخ حياته ، وله تخميس الوترية طبع بفاس ، وله قصائد في مدح مولانا ادريس . ذكر بعضها في (الأزهار العاطرة الانفاس) ، وله تخميس على قصيدة البسكري في الشوق الى المدينة ورجالها ، وله تعاليق على رسالة ابن زيـدون .

كان رحمه الله شاعرا محاضرا حلو المجالسة منتصبا للشهادة بسماط القرويين ، ولم يكن وجهه كشِعره ، صاحب تؤدة في ملبسه ، وله حلة عجيبة صنفها في تنقلات الشريف الجليل الوجيه سيدي محمد الخمال نزيل طنجة ودفينها ، الكتاني طريقة ، وله عدة تقاريظ على مطبوعات فاس نظما ونثرا ، وقصيدة في مدح جده مولاي أحمد الصقلي مرقومة في حائط زاويته بفاس ، ولشدة ملازمته لابن عمه سيدي الهادي استصحبه في رحلته للحجاز سنـة 1311 ، فمات بالطاعون العام الهائل .

ودخل مصر ، ولقي بها الشيخ محمد محمود الشنجيطي وغيره من المصريين ، وقد ذكر دخوله لمصر مع ابن عمه المذكور السياسي الفاضـل السيد عبد الله نديم الادريسي المغربي في مجلته (الاستاذ) ، وقفت علـى

الرحلة المذكورة التي سماها (النفحة الشمالية العاطرة الانفاس ، في الرحلة الخمالية لزيارة قطب فاس) وهي في كراسين اثنين من القالب الرباعي من انشاء المترجم ، أتمّ تقييدها في رابع شوال عام واحد وثلاثمئة وألف 1301 اشتملت على ذكر مراحله من طنجة الى فاس ذهابا وأيابا ، ومدح بعض الاولياء الذين زارهم ، غير أن المترجم ذكر فيها بعضَ شعره الساقط الوزن في قصيدة من السريع ، وقدم للرحلة امام المقصود مقدمة طالعة جليلة تشفي لمن رام الزيادة منها غليله ، وحصرها في ثلاثة مقاصد : الأول في محبة أهـل الله كواكـب الفضل السيارة ، والثاني في فضل الزيارة ، والثالث في كيفيتها وبعض ما يقوله الزائر لقضاء المطالب ودفع معاطب الزمان الجائر .

وقال في وصف القصر الكبير ما نصه : ولا ينبئك عنه مثل خبير ، هو بلد كالمنافق ، كل عيب فيه نافق ، ظاهره خير من باطنه ، وباطنه خير من قاطنه :

جمع الدنايا والخنا القصـــــــــر	وعليه كل نقيصة قصـــــــــر
للجبن واللؤم الذميم وللجفــــا	والذل فيه وأهله مصـــــــــر
ما حله فضل ولا كـــــرم ولا	علم ولا عزٌ و لا نصــــــــر
خالٍ من الأنعام الا أهلـــــه	ما فيه لا قصف ولا هصـــــر
وسخ به وخم ونتن وصفــــه	قد ضاق عن تعداده العصـــــر

وأما مطلع القصيدة المنكسرة الوزن فهو قوله :

أبارق وافى بغيث مريـــــــع	فجلل الارض ببرد مريـــــع

وكذلك قصيدته الاخرى التي مطلعها :

اهنأ بما نلت وما تريـــــــد	ياطالع المجد السعيد الفريـــد

وعدد في هـذه الرحلة من الصلحاء الذين زارهم بفـاس ذا المقام المرعي ، سيدي أحمد ابن ناصر الدرعي ، وهو غلط واضح اذ ليس قبـره بفـاس .

ولما كان بمراكش وتغرّب عن بلده فاس قال متشوقا لها :

حي الحيا الواكف الارجاء من فاس — داراً تطيب بها للطيب أنفاسي
قد أصبحت جنة الآفاق حيث بها — طاب النسيم ولذّ الماء للحاسي
تفوق أندلساً والشامَ نظرتها — كما يفوق بنوها جملة الناس
فارقتُها جاهلا طيبَ الحياة بها — والجهل يلقي الفتى في البؤس والباس
قد قيل مراكش الحمراء ضرتها — في الطيب والحسن والأمواه والكاس
واصلتها بعد طول الشوق مبتهجاً — بها فطال بها حبسي ووسواسي
ألفيتها سبسباً تقذى العيون بها — هوج تكاد بها تمشي على الراس
قد قال صحّ هواها معشر درجوا — نعم لذا فُضّ أسناني وأضراسي !
لولا رجال بها حازوا الكمال لما — حُطّت بأرجائها أحمال أجناس
ياباريء الكون جدْ لي بالاياب الى — دارٍ هواها لما قد مسّني آس
دار بها الاهل والاحباب قد سكنوا — والقلبُ ليس لهم والله بالناسي
ظني جميل ورب الكون ذو كرم — ينظم الشملَ بالأهلين في فاس

قلت قد تغالى في بعض ألفاظها بما تورك به على مراكش وانتصر به لفاس ، وقابله سيدي الغالي ابن سليمان بقوله :

ما نزه الطرف في ورد وفي آس — وخامر الفضل بالحمراء في كاس
الا كئيب مشوق حلّ مراكشاً — فصار في ظلها يحنو الى فاس
إن جئت مراكشاً نلت النوالَ بها — أو جئت فاساً فان الناس بالناس
ثِنتان ما نظرت عيني لواحدة — إلا وشقت إلى الأخرى بأنفاس
فَذِي تعانقني حُور الجنان بها — وتلك تُرضي بأنواع وأجناس
لكنني وخيار القول أصدقُه — أحنو لفاس لأنْها مسقطُ الراس
لا سيما ولها الحقُ الأكيد على — مَن نال في العلم منها حسيةَ الحاسى
وكيف أنسى ائتلافي في أماكنها — ولي اختلاف بأخماس وأسداس
ما غبت في غرة الا وكنت لها — صباً مشوقاً تريني الشكل في الكاس
هيهات هيهات طال الشوق واقتربت — منها الزيارة منية لجلاسي
ياربِّ قربْ لها الايابَ عن عجل — مع حسن عافية من كل وسواس

والقصيدة المذكورة وجوابها من البسيط .

وقد كنت قلت عام 1327 قصيدة بفاس طهرها الله مـن الأرجاس ، أوردتها لمناسبة ذكر فاس ومراكش وقافية السين .

ومن المصائب أنني في فـــاس بلد العلوم ومنتدى الأكيـــاس
أدهَى بخلاب يُخيِّب منيتـــي بعد الشكاية من ذوي الأشـراس
رمتُ التزوجَ فانتدبت مخادعــاً من بعد ما قد خلته لـــي آس
فحباني الفدمُ المخادعُ عاتقــاً من أهله حولاء في الانكـــاس
فوجدتها شوهاء تقبح منظــراً فكأنها من جنة لا النـــاس
فسألتُه من بعد ما أعلمتــه فأجاب بالانكار ذو الافـــلاس
فظننتُ أنه صادق فاذا بــه دجال وقْتي من ذوي الاتعـــاس
تالله ليس بمفلح من خاننـــي ان النفاق لَخَصْلَةُ الأرجـــاس
ياخادعاً خِلاً رءاك مواصـــلا اِخسأ أصابك أسوأُ الأبنـــاس
مَن غش أمةَ أحمد لم يلتحـــق بهمُ فأنت خليل ذي الوســواس

ولله در الشريف الاديب مولاي عبد السلام المحب اذ يقول في جوابه لي عن ذلك :

هونْ عليك فلســـتَ أول آس غرتْه في نظر دُمَيْنـــةُ آس
فجناه مغترا بها ، فجنى علـــى طيب النفوس بأخبث الأنفـــاس
ودُهِيَ في فاس بما شُجَّتْ بـه خيرُ الرؤوس من المقيم بفــاس
وعدا عليه ثعلبان" رائـــغ منها وضربان" مخادع قـــاس
أحسِبْتَ فاسا مخطئاً كمراكش خطأ به ساويتها بقيـــاس
هيهات ليس الارض مثلَ الأرض في حكم، وليس الناسُ مثلَ الناس
فتلطفنْ بعروسك السعلاة قبــ ـل تطابُق الأنياب والأضـراس
واصبِرْ علىحوَل العيون وشزرها وشرارها بالليل كالمقبـــاس
واثبتْ وشجعْ قلب جبن ليــن عند العراك على أقل القـــاس
وتحيلَنْ في نقذ نفسك بعــد ذا وخلاصها بالرفق والاينـــاس
واذا نجوت فلا يغرك بعدهـــا ثــوب على ذيب ولاتكُ نـــاس

فالمرء يُلدغ مرة لا مرتيْـــــــ ـــن اذا غدا حرا من الاكيـــــاس
والعاقل الخريت تعرف عينـــــه بسَّام مَن يلقاه من عبَّـــــــاس

وقال لي الاديب سيدي العباس الشرفي :

صبراً جميلا راحة الانفـــــــاس فالصبر يكشف ظلمةَ الالبـــاس
واصرف وجوه العزم في جلب الهنا واحذر وسائل علة الافــــــلاس
واركنْ فديتك لاعتزالٍ فهو فــــي هذا المقام محجة الاكيـــــــاس
واذا سئمتَ ورمت وحدتك التــي حبت اليك ابنها في قرطـــــاس

وما أحسن الطباق الواقع فـي قول الاول فـي الشطر الاخير مـن القصيدة ، ونحوه في قولي مشيراً للكتاب الثلاثة المسمى كل واحد منهـم باسمي ، عبابيس البـْنيقة لا تراهم اذا ضحكوا سوى بسام سن .

ولا سيما اذا ظفروا ونالـــــــوا مناهم بارتشاف رضاب حســـــن

فأجازهما الثاني بقوله يعنيني :

وأعظمهم نشاطا ذو عـــــــروس يسر بها متى حـزن يبيـــــــن
تداعبه وتدعوه لأنـــــــــس بكل لطافة في كلّ أيـــــــن

فقلت

فلا والله لم يظفر بحســـــــن ولا بلطافة لكن بغبـــــــن
وان كانت تداعبه بأنـــــــس فيبلى من خشونتها بحــــــزن

ومن هذا المعنى قول زكرياء بن عمرو الأنصاري الخزرجي نزيـل فاس المتوفى سنة 590 :

أحسن ما في الدنا فتـــــــاة كاملة الحسن والحيــــــــاء
ما الغبنُ في خطة ومـــــــال وإنما الغبن في النســــــاء

فقــال :

لعمرك ما غبنت بكل وجـــــــــه ... وما أوتيت إلا نور عيـــــــن
فأقبلْ من هنا فرحا عليهــــــا ... وقابلْ ما تراه بحسن ظـــــن

فقلت :

فلا إقبال مني أرتجيــــــــه ... ولا فرح بذات ذات شيـــــن
واني في المساء وفي البكـــور ... قذى عيني أراها دون ميـــــن

فقــال :

فأما الحسنُ فهو لها خديـــــم ... وأما السعدُ فهو خصوص مَــنٍ
ومن شأن المليحة سوءُ حـــظ ... قديماً والسلام عليك منٍّــــي

فقلت :

عكست أخيَّ وصفا دون شـــك ... وحسَّنت القبيح بكل فـــــن
فأما السعد فهو لها خديـــــم ... وأما الحسنُ فهو لغير جـــن
أراها شابهت جناً مثـــــالا ... فلا ظفرت بحسن الود منـــي
ولست أراك تقبلها قَبـــــولا ... إذا ردت اليك بغير عيـــــن

فقــال :

أراك رعاك ربي ذا احتجـــــاج ... تقيم لما تشاء حقـــــوق وزن
ألست ببنت شيخ فزت فضـــلا ... سماءُ علومه فينا كمُـــــزن
فان يكُ فاتها حسنٌ فيكفـــــي ... قرابتها له فاليك عنـــــــي
فسلم واعتبرْ وارجع وصمـــم ... على بذل الوداد لها وذرنـــي

وقال الشريف المذكور :

ارق من المدامة مـــــلء دن ... نظام جاء من خدن لخـــــدن
فهذا باحتجاج صار يُقصـــــي ... وهذا بادعاء صار يدنـــــي

وحكمي في القضية نقْذ ظبـــــي غرير من شباك الكركـــــــــدنٍ
فليس جزاء عامل كل ظــــــرف سوى حور حسان عند عــــــدن

فقلت :

أبنت الحقّ يامرضي حكـــــــم وخلصتَ الفؤاد من أسر حـــزن
فقد بانتْ بطلقتها بتاتــــــــاً فلا رجعت ولا قرت لعيــــــــن

فقــال :

فنعم المرء أنت فـــــــــلا دواء سوى بت الفراق لداء ضغـــــن
وما الاحلام تُسمِنُ جســـمَ ود ولا عن ذي الفهوم الفهم يغنـــي

وقال يخاطبني محمد غرنيط :

أنت المهنا رضيع الثغر والكـاس عار من الريب لكن بالهوى كـاس
تصيد ظبي النقا والعين هاجعـــة ولو أثرت عليه حرب جســـــاس
دبت اليه دبيب النوم في مُقَــل يد المحبٍّ سُحَيْرا وسط أغراس

وما ألطف قول الشريف المذكور يخاطبني :

أبا الفضل أصبحت في شـــــارة تنبىء عن عرسك المستطـــــاب
فان عنوة كان ذاك الدخـــــول فنعم الذي نلته من خضـــــاب
وإن كان صلحاً فلست حــــــر ياً بملء الذي نلته من وطــــاب

فأجبته بقولي :

أفارس ميدان شعر عجـــــاب وفاتق أبكار فصل الخطـــــاب
فان الدخول مضى عنـــــوة فحينا خرقْنا لذاك الحجـــــاب
وأدميت منه مصوناً زكـــــــا كما قد نعمنا بذاك الخضـــاب

وقال الشريف المذكور يهنيني :

هنيئاً مريئاً بلوغ منـــــــــى بلثم شفاه ورشف رضـــــاب

وضم وحسن مواصلـــــــة تفرج بالطبع كرب اغتـــــراب
فدمْ في اعتزاز يؤمّك مـــــا يسر ويجفوك كل اضطـــــراب

فأجبته بقولي :

حباك الاله رفيع الجنـــــاب ونلت مناك بغير حســـــاب
وأولاك من فضله منـــــة يوافق فعلك متن الصـــــواب
نعم ليس لي لذة غير مـــــا ذكرت فعندك كشف النقـــــاب

فأجابني بقوله :

ملأت بلطفك وسعَ الرحـــــاب وملكت حسناً جميع الرقـــــاب
تمتع بذاك مقدمـــــة وبالقصد عزز بفور الذهـــــاب
فان شمت عجزاً فدونك مـــــا يؤثر في الأير منك انتصـــــاب

وقلتُ له مداعبا :

ألا أشكوا الّيك قيامَ أيـــــرى فقد أعيا انتشاره أيَّ نشـــــر
وادخله بفرج كل وقـــــت وليس يريد إلا دخول جحـــــر
وماؤه قد تقلل دون نكـــــر بُعيْد المدّ صار أخي لجـــــزر

فقـال :

ألا أشكو اليك عظيم شغـــــل دهاني عن منادمتي لأهلـــــي
وأتركه لأنس كل حيـــــن وليس يريد إلا ذهول عقلـــــي
وداعيه تكاثر دون شـــــك وبعد الجزء صار أخي لكُـــــل

فقلت :

عليك بالانبساط وترك شغـــــل يؤثر في متاركة لأهـــــل
ولا تحفلْ بشيء غير بســـــط وجانب موجباً لذهول عقـــــل
وجزء وقتك الّخالي ثلاثـــــا لنفسك ثم أهلك ثم كـــــل

أي باقي مَن له حق .

وقال الاديب الحاج محمد بوعشرين :

وقيتَ الشر من ضيم وضيــــر ... ووفقك الالاه لكل خيــــــــــر
رقود الأير أخبث كل وصـــــف ... لمن هو في السمو رفيع قــــدر
فان يكُ نومُه من أصل طبــــع ... فتلك جِبِلَّة" وضعت لأمـــــر
وان يكُ نومه من ضعف جســـم ... فذاك علاجه في طول هجــــر
وان يكُ من دوام أو تـــــراخ ... فان شفاءه في شرح صــــدر
وتبديل الفروج ولطـــــف ذات ... وقول جالب لقيام أيــــــر
وهاك جواب ما تشكو بأيْـــــر ... رعاك الله من شهْم وحبــــر

ثم أجاب الشرفي المذكور عن أبيات الدعابة بقوله مداعباً أيضا :

فوالِ النيك في سر وجهــــر ... وأكد ما ستطعت ركوب ظهـــر !
ودعْ عنك الفروج سوى لنسـل ... فأي هوى يروق بقعر بحــــر
هناك تود نشرا بعد نشـــــر ... وتهوى الجزر في ذاك الممـــر

ثم خاطبني بقوله :

الى الحبر الحكيم المستشـــار ... أبي الفضل المتوج بالوقـــار
أبث شكايتي وأودُ أنـــــــي ... أنال برأيه ليلَ افتكـــار
وذلك ضعف إنعاظ وكونــــي ... كأهلي عند خلع للعــــــذار
وكم حذرته وأخذت عنــــه ... مواثيق القيام والانتشـــار
فيخلف وعده ويروم هجــــراً ... ويحلف أنه من ذاك بــــار
وكم أوليتُه مني علاجـــــا ... وأطرق رأسه حب اختصـــار
ولا كان المنام له صديقـــــاً ... ولا منع الكواكب والـــــذراري
فسامحْ بالجواب أخي وعجِّـــل ... وعالجْ إنني لك ذو افتكـــار

فأجبته بقولي :

أبا الفضل المؤمل للفخـــار ... وتاج النبل قامع مَن يمـــاري
أتاني من نظامك عقــــد در ... يباهي حسنه سمط الـــدراري

تسائل عن معالجة لأيْــــــــــر ... غدا خلف ارتخاء وانكســــــــار
ولم يقبل علاجك في انتشـــــــار ... وقد وجدت بواعث الانتشــــــار
فهاك جوابي المرضي حكمـــــــاً ... لتقفو ما يفيد مع أختصــــــار
فخذْ لبنَ النياق بعيد مـــــزج ... بشيء من مجاج النحل جــــار
وداومْ شربه لترى عجيبـــــــاً ... من انعاظٍ بليل أونهـــــــــار
فليس ينام أيْرك كلَّ حيـــــن ... فجربْ تستفدْ نجح اختبــــار
وان ترد النكاحَ بطول ليــــل ... ولمْ تكُ للعلاج أخا بــــــدار
فخذْ بيضاً لدفع الجوع يكفـــي ... مع السمن الطريِّ طبيخ نـــار
وألق عليهما عسلا وخلِّـــــطْ ... وكله بما خبزته ذا احـــــورار
لتظفرَ بالمقرر قبل حقـــــــا ... وتأمن من غوائل الانكســـــار
وان تشربْ على ريق دوامـــاً ... مجاج البيض تظفر بانتشــــار
شفاك الله من ضعف ملـــــم ... بأيرك كي يقومَ للانتصـــــار

وقــال في (نفـح الطيب) (1) من رسالــة لمحمد ابــن الخطيب يخاطب بها الامام عبد الرحمان ابن خلدون حين تسرى جارية رومية صبيحة الابتناء بها : فمن قائل :

أرفعه طوراً على إصبعـــــــــي ... ورأسه مضطرب أسفلـــــــه
كالحنش المقتول يلقى علــــى ... عود لكي يطرح في مزبلـــــه

وقــائــل :

عدمت من أيْري قوي حسِّـــــه ... ياحسرةَ المرء على نفســــه
تراه قد مال على أصلـــــــه ... كحائط خر على أســــــه

وقــائــل :

أيحسدني ابليس داءيْن أصبحـــا ... برجلي ورأسي دملا وزكامـــا
فليتهما كانا به وأزيـــــــده ... رخاوةَ أيْر لا يطيق قيامـــا
اذا نهضتْ للنيك أزبابُ معشــر ... توسَّد احدى خصيتيْه ونامـــا

1) **نفح الطيب** 6 : 178 طبع بيروت

وقـائـل :

أقول لأيْري وهو يرقب فتكـــة ... به خبتَ من أيْرٍ وغالتْك داهيه
إذا لم يكن للأيْر بخت تعـــذرت ... عليه وجوهُ النيْك من كل ناحيـه

وقـائـل :

تعقَّف فوق الخصيتيْن كأنـــه ... رشاء الى جنب الركية ملتـــف
كفرخ ابن ذي يوميْن يرفع رأسه ... إلى أبويْه ثم يدركه الضعـــف

وقـائـل :

تكرَّش أيْري بعد ما كان أملسـا ... وكان غنياً من قواه فأفلســـا
وصار جوابي للمها إن مررن بـــي ... (مضى الوصل إلا منية تبعث الأسى)

وقـائـل :

بنفسي من حبيْته فاستخفَّ بـي ... ولم يخطر الهجران يوماً على بالي
وقابلني بالغور والنجد بعد مـــا ... حططت به رحلي وجردت سربالي
وما أرتجي من موسر فوق تكـــة ... عرضت له شيئاً من الحشف البالي

انتهى المقصود ، راجعها .

وعلى ذكر فاس وقافية السين أذكر قصيدة أحمد ابن المواز التي أنشأها في 26 شوال عام 1326 ونقلتها من خطه في التاريخ المذكور حين خرجنا للنزهة مع الجناب الشريف أعزه الله بدار الدبيبغ خارج فاس :

لحضات طرفك في مزارع فـــاس ... قامت مقام الغيث للأغـــــراس
فلها الهناء بطلعة منك انجلـــت ... كالبدر يكشف حندسَ الأغـلاس
في غدوة كُسِيَ الزمانُ جمالَها ... واستبشرت فيها جميع النـــاس
بسعادة الملك الذي حفظ الـــورا ... من كل ضيم يعتريه وبـــاس
لما بدا من باب بوجات (1) العـــلا ... كالليث في أجم من الأتـــراس

---

1) **باب البوجات** باب شهير كان منه الدخول الى مشور باب المكينة المؤدى الى باب السبع ثم باب الدكاكين أحد أبواب القصر الملكى بفاس ، وكان يقع عن يسار الخارج من باب المشور المذكور الى طريق مكناس جامعاً بين برجه والبرج المواجه له القائم باحدى زوايا قصبة الشراردة ، وقد هدم أخيراً ، وكان يقابله من الجهة الاخرى باب يفضى الى ضريح أبى بكر بن العربى ثم الى باب الشريعة (المحروق) ، وقد هدم هو أيضا لتوسعة الطريق

يُزجي مواكبه الرضى ويقودها … يُمْن يبشرنا بالاستيناس
ملك تخاله حيث لاح سناؤه … ملكاً يجل عن التماس قياس
بين الصفوف على أغر مطهم … مختال مشْي صاعد الأنفاس
حتى اذا حلّ الجنان كأنه … أقوى الاسود أوى الى الأخياس
كمل السرور وآذنتْ أوقاته … بجميل صنع وافر الأرغاس
لله من ملك تود الزهر' أن … كانت لطلعته من الحراس
فلفضله الأخلاق غير مقيد … وعموم يمنه لا يُخَصُّ بناس

وهي على وزن وقافية قصيدة أحمد الحرالي التي منها :

هذى ربوع المستقى قد برزت … في وسمها هذى منازل فاس

وتقدمت في ترجمته .

وعلى وزن القصائد السابقة من السينية والقافية أيضا قال عبد الواحد بن أحمد الونشريسي لما جدد السلطان أحمد الوطاسي جسر الرصيف (1) بفاس :

جسر الرصيف أبو العباس جدده … فخر السلاطين من أبناء وطاس
فجاء في غاية الاتقان مرتفعاً … لمن يمرُّ به من عدوتيْ فاس
وكان تجديده في نصف عام غنى … من هجرة المصطفى المبعوث للناس

وعلى ذكر فاس والقافية فقط قول أحمد العزاني الاستاذ المشارك المتوفَّى بها بعد العشرين وتسعمئة .

إذا كنت في فاس ولم تك' ساكناً … بطالعها الاعلا فما أنت في فاس
بطريانة طارت همومي ً كلها … اذا شعشع الساقي وثار بأكواس

وفي أوائل (الجذوة) أن الشيخ الصالح علي ابن حرزهم عاتب البكي على ما خلَّد من القبائح في أهل فاس ، فأطرق البكي وأنشده :

---

1) **جسر الرصيف** قنطرة كانت على وادى أبى طوبة (بوخرارب) بفاس تصل رحبة التبن بمدخل جزاء برقوقة ، **والرصيف** المضاف اليه الجسر شارع شهير يبتدىء من القنطرة وينتهى بفندق الملح الفاصل بين البستيونية والحواتين ، وقد هدم الجسر المذكور فى الستينات عندما تقرر بناء طريق للسيارات فوق الوادى

رأيتُ جنانَ عدن في منامـــــي وحورَ العين في أسنى لبـــاس
فقلت بما أحصّل بعضَ هـــذا فقيل اذا هجوت لأهل فـــاس !

ومما قاله البكّي المشار اليه كما في معجم البلدان :

فراق الهم عند خروج فـــاس لكل ملمة تُخشَى وبـــاس
فأما أرضها فأجـــلُّ أرض وأما ناسُها فأقلُّ نـــاس
بلاد لم تكن وطناً لحـــر ولا اشتملتْ على رجل مـــواس

وله فيهم أيضا :

اطعن بأيرك مَن تلقى من النـــاس من أرض مصر الى أقصى قرى فاس
قوم يمصّون ما في الارض من نطف مصَّ الخليع زمان الورد للكــاس

وله أيضا فيهم :

دخلت بلدةَ فـــاس استرزق الله فيهـــم
فما تيسَّر منهـــم أنفقتُه في بنيهـــم

وقال في (نفح الطيب) ص 206 من ج 2 مـا نصه : ولما أفرط أبـو يحيى البكي في هجاء أهل فاس تعسّفوا عليه وساعدهم واليهم مظفر الخصي من قبل أمير المومنين علي بن يوسف والقائد عبد الله بن خيار الجياني وكان يتولى الامور السلطانية بها ، فقدموا رجلا ادعى عليه بدين وشهد به عليـه رجل فقيه يعرف بالزناتي ورجل آخر يكنى بأبي الحسين من مشايخ البلد ، فأثبت الحق عليه وأمر به الى السجن ، فرفع اليه وسيق سوقاً عنيفاً ، فلما وصل الى بابه طلب ورقة من كاتبه وكتب فيها وأنفذها الى المظفر مع العون الذي أوصله الى السجن ، فكان ما كتب :

ارشوا الزناتي الفقيه ببيضـــة يشهد بأن مظفرا ذو بيضتيْـــن
واهدوا اليه دجاجة يحلف لكـــم ما ناك عبد الله عرس أبي الحسين

وقال ابراهيم بن محمد الاصيلي والد الفقيه عبد الله كما في المعجم أيضا :

دخلت فاسا وبي شوق الى فـاس — والحين يأخذ بالعينين والـراس
فلست أدخل فاساً ما حييتُ ولو — أعطيتُ فاساً بما فيها من الناس

وقال أحمد ابن فتح قاضي تاهرت من قصيدة طويلة :

اسلح على كل فاسي مررتَ بـه — بالعدوتين معاً لا تبقيَنْ أحـدا
قوم غذوا اللؤمَ حتى قال قائلهـم — مَن لا يكون لئيماً لم يعش رغـدا

وينسب لعثمان السلالجي المترجم فيما ياتي في أهل فاس :

خذوا ضماني أن لا تفلحوا أبـدا — ولو شربتم مدادَ الكتب بالصحف
انتم صغار كبار عند انفسكـم — هل يستوي مَن يقيس الدر بالصدف

وقد أكثر الشعراء في مدح فاس والثناء عليها منذ بنيت الى الآن ، وقد انشد سيدي مصباح نبذة من ذلك في (أنس السمير ، في مهاجاة الفرزدق وجرير) في فصل المدح من الباب الرابع ، وقال في الذم ان اهلها مهجوون قديماً وحديثاً موصوفون بقلة الوفاء ونقض العهد وشدة البخل وبغْض مَن يساكنهم ممن ليس من جنسهم ، وقد أكثر الشعراء من وصفهم بهذه الاخلاق ، ونقله في (رياض الورد) .

ووقفت للمترجم سيدي الفاطمي على كراسة في قضية ورثة مولاي علي المقدس مع معتقه الحاج سالم وإبطال حكميْ قضاة الحمراء والرد على فقيهها وأطال فيها بلا طائل ، وجمع من الأمثال والأشعار في النسب ما ملأ به تلك الكراسة ، أما موضوع القضية فلا محصول له فيه ، ولم يات بنص في الـرد .

905) **محمد ابـن المبارك الهشتوكي الدرقوي المراكشي** ، الرجـل الصالح ، الفقيه الصوفي ، ألف (المفاخر العلية ، فـي الشمائل المهدية) يعني به شيخَه مولاي المهدي الدرقوي ، و (غنية المسكين ، في شرح المرشد

المعين) وصل فيه لباب الحج في ثلاثة أسفار ، و (المسالك السنية) شرح الأجرومية ، و (الموارد الهنية) شـرح البردة البوصيرية فـي سفريْن ، و (الكوكب الزاهر) شرح الورد الباهر يعني به وردَ شيخه مولاي المهدي الدرقاوي ، و (إثمد المقل) شرح مهمات الجمل ، و (المواهب القدوسية) شرح العقيدة السنوسية و (شرح الصلاة البكرية) ، و (حلل العروس ، في تزكية النفوس) .

وفاتـه

توفي رحمه الله بعد صلاة العشاء الاخيرة وفراغه من القراءات والوعظ وهو مستقبل القبلة ليلة الخميس سابع جمادى الاولى عام ثلاثة عشر وثلاثمئة وألف (1313) .

906) **مَحمد (فتحا) بن خليفة المدني** ، دفين مكناسة الزيتون ، يزعم انه من ذرية عبد الله بن مسعود ، الفقيه الاديب الشاعر المسند الجوال ، رحل من المدينة عام خمس وثلاثمئة وألف ، أخذ العلم بالحجاز عن الشيخ دحلان ، والشيخ أبي خُضَيْر الدمياطي ، والشيخ محمد بالي المفتي ، والسيد جعفر البرزنجي ، والشيخ رحمة الله الهندي ، والشيخ محمد حقي النازلي ، وغيرهم ، ورحل الى مصر فأخذ عن الشيخ الانبابي ، وعبد الهادي الابياري ، والشيخ السعيد الحامدي ، وغيرهم ، ثم دخل الى تونس والجزائر وأخذ بهما عـن الشيخ محمد النجار المفتي المتوفى عام واحد وثلاثين وثلاثمئة وألف ، والحاج علي بن موسى الجزائرى المتوفى في العام المذكور ، والشيخ أحمد بوقندورة، ودخل وهران فأخذ عن مفتيها الحاج علي بن عبد الرحمان ، ثم دخل فاس عام تسعة وثلاثمئة وألف فأخذ عن سيدي جعفر الكتاني ، وولده سيدي محمد ، وأخذ عن مولاي عبد الكبير الكتاني وساجل ولده محمد في أدبيات شعرية ، ثم رحل الى مكناسة فأخذ عن علمائها ، ثم رحل الى الرباط فأخذ عن سيدي العربي ابن السايح ، وتدبج مع سيدي الحاج أحمد بناني قاضي الرباط اذذاك، ثم ذهب لمراكش فسكنه مدة ، وكان نازلا بفندق لارنجة منها ، وأخذ بها عن سيدي الحاج مَحمد (فتحا) أزنيط (دليل الخيرات) وأسنده له عن ابـن الشاوي من طريق الهلالي ، وتردد بين الصويرة وآسفي ، وساجل شعراء هذه البلاد ، وأجاز في الصويرة سيدي أحمد الوغروس باجازة اشتملت على نحو

كراسين ، وفي آسفي للفقيه التريكي ، وفي فاس للسيد أحمد ابن العباس ، وفي الرباط للسيد فتح الله ، وجمع أموالا طائلة من العمال والأمناء صرفها في اقتناء الكتب ومحبة الاخوان حتى أنه جمع صناديق متعددة تقرب من العشرين كلها مما نسخه أو انتسخه أو اشتراه حتى اتهمه بعض الأذكياء بأن في ذلك يدا أجنبية .

وآخراً مات غريبا شريداً بمكناسة عام ثلاثة عشر وثلاثمئة وألف ، وتفرقت كتبه أيادي َ سبأ بحيث لم تدر أين هي ، وكان يوقع ما نصه : محمد بن الخليفة ، خادم العلم بالروضة الشريفة .

وذكر بعضهم أنه كانت ولايته في المدينة على رواق سيدي عثمان كالنظارة عليه والتقديم .

وتدبج معه علي بن أحمد بن موسى الجزائري وأحمد التناني دفين آسفي ، وأحمد بن محمد بن المهدي ، وأبو محمد بن أبي بكر الشاذلي ، وممن روى عن المترجم بالرباط الفقيه الصوفي أبو محمد بن زين العابدين بن أبي بكر بناني الرباطي اجازة عامة .

ذكره السيد عبد الحي .

907) محمد الزوين بن مَحمد الشرادي

مُحمد الزوين ، بن مَحمد (فتحا) بن علي الشرادي ، دفين زاويته خارج مراكش بنحو ست ساعات ، الاستاذ الولي الصالح المعمر ، ذو الكرامات الشهيرة ، والمآثر الكثيرة ، كان حافظا لقراءة حمزة أخذها عن سيدي التهامي الابيري صاحب الزاوية بقبيلة حمير ، كان كثير الاطعام ، ربما يكون في زاويته من الطلبة الذين يقرؤون القرآن نحو الخمسمئة يمونهم ولا يعملون شيئاً غير القراءة والحطْب للزاوية ، وكان يرد عليه الزوار كل وقت فيقوم بضيافتهم ، ويطعم في كل يوم نحو الخروبتَيـْن من القمح ، وكانت له أملاك ببلاد متعددة ، معتنياً بالحراثة وحفر العيون ، حبس جميعَ أملاكه على

طلبة القرءان بزاويته ، وأمضاه له السلطان مولاي الحسن ، ولقيه لما كان ورد زاوية الشرادي في بعض توجهاتـه لسوس ، وراوده على أن ينفذ لـه عشر ثمزكَلفتْ الساقية الكبيرة الخارجة من وادي نفيس اعانة علـى إطعام الفقراء فامتنع ، وقال له المخزن أحق بها ، وكان رحمه الله متقشفاً في لباسه زاهداً صابراً على تعليم القرآن ، وكان في أوله طفلا يقرىء الطلبة ويتسبب بكتْب الحروز للناس بزاوية سيدي أبي الاعواد ، الى أن اشتهر وكثـرت أملاكه فبقي على حاله مـن تعليم القرءان الى أن مات عام أربعـة وعشرين وثلاثمئة وألف ، وكان يخبر في نسبه فيما زعم بعض الناس سماعا منه أنه عمـري .

ورد مراكش مرات ، وكانت له بها دار ينزل بها ، كان ملازماً لحضور قراءة البخاري بزاويته كل سنة ، وكان يرد عليه لأجل ذلك فقهاء مـراكش كسيدي علي ابن الفاضل ، والحاج علـي القرمودي ، والتادلي ، والفقيـه السباعي ، وكان ربما سرد أمام الاول منهما تلميذه سيدي السرغيني الذي سار يقرأه بعده مع السيد المعطي البربوشي هناك .

زرت قبره في واحد وعشرين رمضان عام واحد وثلاثين وثلاثمئـة وألف 1331 ، وبجانبه قبر والده سيدي مَحمد ، وقبر ولده سيدي مَحمـد (فتحا) الولي الصالح ، سالك طريقته في تعليم القرءان ، المتوفى في يوم الخميس سابع عشر قعدة عام تسعة وعشرين ، وقريبه سيدي علي بن مسعود المعروف بالفحل مدفون بمدشر أبي الأعواد بين الزاوية الشرادية وضريح سيدي الزوين الذي بناه القائد بودلاحة الوديي ، ويقال انه من ذرية سيدنا عمر بن الخطاب ، واختلط نسبهم بقبيلة زرارة من الشراردة ، وهم بيت صلاح وعكوف على تعليم القرءان ، وذكر في (الصفوة) في ترجمة أبي زيد الفحيلي دفين ضفة أم الربيع أن أولاد فحل من زرارة أحد أحياء الشبانة .

وقال السيد عبد الحي في ترجمة المترجم : سيدي محمد ولد مـن أبوين كأشين ما يكون خشنَ الصورة ، فعرف بالثور ، فذهب به والده مرة الى صالح بلاد أحمر وعالمها ومقرئها سيدي عبد الله الـسكياطي ، فقال له هذا

ولدي الثور جئت به لك ، فقال بل هو محمد الزوين ، فاشتهر بذلك ، أخذ القراءات والطريقة الناصرية عن الشيخين السكياطي المذكور ورفيقه السيد محمد التهامي الوديي كلا عن ابن عبد السلام المقرىء الفاسي ، وعن ابن عبد السلام الناصري الاول في القرءان والثاني في الأوراد ، ففاضت أســراره ، وعمت أنواره ، وعمر دهرا طويلا ، وبنى زاويته بالوداية ، فقصدها الوارد من كل ناحية .

ممن أخذ عنه الطريقة الناصرية سيدي عبد السلام بن عبد الله الصقلي.

مات في أوائل العشرة الثانية عن أولاد أكبرهم سيدي مَحمد (فتحا) الأستاذ ، وتعمرت منه زوايا منها زاوية سيدي عبد الله بن حفيظ الشيظمي ، كان رحمه الله يضيف الوراد بالطعام القليل فيكفيهم ، وكان يخاف من السلب كثيراً ويتحامَى من لقاء أرباب الزوايا تحفظا من ذلك ، وجرى على طرقته ولده سيدي مَحمد (فتحا) .

908) **محمد بن المدني الحسني البوعناني المراكشي** ، كان ناسكـاً فاضلا أمياً ، احترف بالخرازة في أول أمره ، ثم لما أسن وكبر لازم الضريحَ العباسي ، وصار الناس يحسنون اليه ، جمع تآليفه في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد الثمانين ومئتين وألف ، وكان يأمر كل طالب بكتابة شيء منه ، وسماه (لؤلؤ الأنوار ، وقلائد الجوهر ورياض الازهار ، في الصلاة على النبي المختار) قال في أولها : وسبب تأليفه انى نائم حتى اتاني في المنام فلقنني هذه الصلاة وهي : اللهم صلّ على سيدنا محمد عدد ما نظرت الابصار ، وجالت الافكار ، وشعشعت من نوره الانوار ، كما هي مثبتة في اثناء الكتاب ، وقال لي صلّ بمثل هذه الصلاة ، فحركني الوجد والشوق ، ونهضت فــي الحال ، وشرعت فيها على حسب ما مسني من الذوق ، ثم قال وقد أتاني رجل في المنام فقال لي ما اسم الكتاب ؟ فقلت اسمه (لؤلؤة الانوار) فقال لــي سميتُه الكيميا ، وتكلم معي بعلم لم ادره ، ثم رأيت رجلا حسن الوجه عليه حلة خضراء ، فقال أر الكتاب أدوزه ، فقلت له مدوز ولكن مخصوص بالوقف ، قال لي حق ، انتهى ، طبع بفاس في حياة صاحبه في 22 جمادى الثانية عام خمسة عشر وثلاثمئة وألف ، وبعد ذلك توفي رحمة الله عليه ، وقد علمت أن صاحبه أمي فلهذا وقع اللحن فيه .

909) محمد بن الهادي الناضوي (1) ستاتي ترجمة والده ، كان المترجم فقيهاً نبيهاً من بيت علم ، ولي قضاء مراكش أواخر القرن الثالث عشر ، ثم أخِّر عنه أوائله (2) .

أخذ عن العلامة السيد البهلول ، والكنسوس ، وقاضي مـراكش السيد الطالب ابن الحاج بمراكش ، وأخذ بفاس عن محمد بن عبد الرحمان الحجرتي ، والمرنيسي ، وغيرهم ، ووقفت على حكم مؤرخ عام 1295 صادر من قضاة مراكش الثلاثة إذذاك ، وهم السيد عبد الواحد ابن المواز ، ومحمد بن المدني السرغيني ، والمترجم مع أهل الشوري في امضاء صفقة على محجور ، وقد تقدم ذكر ذلك مفصلا في ترجمة أحد المفتين فيها ، وهو السيد الطيب بن عمر الشرقي (3) .

توفي رحمه الله في أواسط العشرة الثانية من القرن الرابع عشر .

910) محمد بن أحمد الصقلي

محمد بن أحمد بن العربي الصقلي الحسيني ، الفقيه العلامة المشارك في العلوم فقهاً وحديثاً ونحواً ، ومعقولا وأصولا ، لازم التدريس سنين ، كان من المرشحين لقراءة الصحيح بالحضرة الشريفة ، حسنَ العبارة ، لطيـف الاشارة ، مع لّين جانب ومكارم أخلاق وحسن هدي واستقامة ، وهو والـد الفقيه السيد عبد اللطيف .

ذكره في (الدرر البهية) .

911) مَحمد بن مُحمد أزنيط

مَحمد (فتحا) ابن العلامة مُحمد (ضما) ابن العلامة أحمد أزنيط المراكشي ، شيخا الامام ، الدراكة الهمام ، المحقق المدقق المطلع ، أعجوبة

---

1) كذا بالأصل ، فهل يكون الناصرى ؟

2) كذا بالأصل ، ولاشك انه يريد أوائل القرن الرابع عشر

3) انظر 3 : 269 من هذا الكتاب وقد سماه هناك سيدى محمد بن عبد الهادى ولم يذكر نسبـه

الزمان في صناعة التدريس وحسن الالقاء والتفهيم ، وابلاغ المقصود لكل الأفهام ، وتحرير المنقول والمعقول ، حامل راية العلوم ، الحاوي من المسائل لكل تفسير ، العارف بالمنطوق والمفهوم ، الفقيه الأصولي ، المحدث المؤرخ ، الولي الصالح ، الصوفي الناسك ، الورع الزاهد الخطيب .

كان رحمه الله أحد شيوخ هذه الحضرة المراكشية وبدرها الزاهر في سماء العلوم الربانية ، مفتياً محققاً مُكباً على التدريس ، انتفع به الطلبة كثيراً من البادية والحاضرة على اختلاف طبقاتهم ، راغبين في الحضور عنده لكون كلٍّ واحد منهم ولو كان في البلادة باقلا اذا حضر درسه لا بد أن يفهم المقصود وينتفع به ، لمعرفته بصناعة التدريس وحسن الالقاء ، يقرر رأيه أولا بعبارات واضحة ، وتقريرات في غاية الايضاح ، بحيث يفهمه كل أحد لا فرق بين ذكي وغبي ، ثم يقرره ثانياً محصلا له ، ثم يجمله ثالثاً بحيث لا يفهمه إلا نقاد الطلبة ، هكذا دأبه في التدريس دائماً ، لا يمل من ذلك ولا يكل ، ولا يخرج من الصورة إلا اذا فهمها الحاضرون ، فيسلك أولا مسلك البيان والتصريح والاطناب ، وثانياً مسلك المساواة ، وثالثاً مسلك الايجاز ، وربما سلك أولا مسلك البيان والتصريح ، وثانياً مسلك الايجاز ، وثالثاً مسلك الألغاز .

ولد رحمه الله في أواسط القرن الثالث عشر ، وقرأ ببلده مراكش على علمائها والواردين من غيرها اليها ، وكانت قراءته كلها فتحاً لثقوب فهمه وشدة ذكائه ، فحصل في الزمن اليسير ما عسر على غيره في الزمن المديد ، فمن أشياخه والده وصنوه السيد الحاج أحمد وسيدي أحمد بن الطاهر المراكشي ، وسيدي سعيد جيمي ، ومولاي هاشم بن محمد المدغري نزيل مراكش ، وحج مع والده في حياته وحج مرة أخرى ، ولقي الشيخ ابراهيم الباجوري وأخذ عنه عام 1276 ، ولقي أيضاً الشيخ عليش وغيرهما من مشايخ الحرمين ومصر ، وانتفع به ، وحج مرة ثالثة .

كان ذا همة غالية ، ومشاركة في العلوم عالية ، وتحلى بحسن الخلق والشيم الفاضلة السامية ، ووضع الله تعالى له القَبول في الارض بين عباده ، فالناس أميرهم ومأمورهم من أهل محبته ووداده ، وانتسب للطريقة الناصرية،

وأخذ عن قطبها السيد أبى بكر الناصري ، وظهرت عليه أسراره ، وفاضت فيه أنواره .

أخذ عنه رحمه الله جميع طلبة العلم بمراكش كبيرهم وصغيرهم ممن أدركه ، بحيث لم يتخلفْ أحد ممن كان يقرأ العلم بمراكش عن حضور درسه ، حضرت عليه قدس الله سره في علم الكلام والفقه والنحو والمنطق ، وكانت أنوار فكرته لأهل العلوم تشرق ، ولازمته أعواماً ، وهو عمدتنا مع الفقيه السباعي .

وكان رحمه الله متواضعاً حلو الشمائل لطيف المحاضرة ، حسن المذاكرة ، يأتي بالنادرة والشاردة في البادرة ، جميل الخَلْق والخُلُق ، فصيح اللسان ، ثبت الجنان ، وابتدأ يدرس في شبابه عام ثلاثة وسبعين بعد وفاة والده ، وظهر منه العجبُ والجولانُ في النقول ، بحيث كان يملي نصابه في الدرس من حفظه .

وقلت أمدحه في حياته ، متعه الله تعالى بانعاماته :

قد أخذنا المختصر ... عن امام ذي نظر
غاص في بحر العلو ... م فجانا بالدرر
علم الأعلام مَن ... سائر الناس شكر
كلُ أهل العصر قد ... له بالعلم أقر
ولَعمْري إنَّهُ ... لحقيق بالخبر
كيف لا وهو ورد ... في العلوم وصدر
لا يجاريه أحد ... ان يجاريه انكسر
فاجلسنْ مجلسه ... تتحقق ما سطر
تستفد منه درر ... ونكاتٍ كالقمر
ويزولن مشكل ... كان قبله استتر
تحظ بالعلم الذي ... جاءنا فيه الخبر
شاكراً لله إذ ... كنت ممن قد حضر

ياإلاهي أبقِـــــــــــــــهِ	ذا فلاح وظفـــــــــــــر
عَـانِياً محـَمـــــــــــــدا	مَن إلى البيت نظـــــــــــر
برِضاكم كرمـــــــــــــا	أتحفَنْ يامَـــن قـــــــــدر
أعطه الحسنـــــــــــى وزد	ما ذكرت مَن غفـــــــــــر
وصلاتي وسلامـــــــــــي	للذي ساد البشـــــــــــر
ءاله والصحب مَـــــــــن	قد قفوه في الأثـــــــــــر
نجل أبراهيم انـــــــــــ	ـشدكم ما قد سطـــــــــر
فادعونْ لي برضـــــــــا	ياإماماً ذا نظـــــــــــر

ومن خطه رحمه الله نقلت ما نصه :

ولنذكر سندنا في المختصر : أخذناه عن العلامة المحقق سيـدي سعيد جيمي رحمه الله ، وهو أخذ عن الشيخ البركة العلامة سيدي بدر الدين ، عن الشيخ التاودي ، وأخذه أيضاً شيخنا عن سيدي سعيد ، عن الفقيه النفاعة ، سيدي أحمد المرنيسى ، وهو أخذه عن سيدي أحمد ، عن أبيه الشيخ التاودي، وأخذ شيخنا المذكور أيضا عن مدرس حاضرة فاس ، الفقيه العلامة ، سيدي محمد بن عبد الرحمان الحجرتي ، عن سيدي عبد السلام الأزمي ، عن الشيخ العلامة المحقق سيدي محمد بن الحسن بناني محشي الزرقاني ، وأخذ الشيخ التاودي عن سيدي محمد بن قاسم جسوس ، عن خاله سيدي عبد السلام بن حمدون ، عن شيخ الشيوخ سيدي عبد القادر الفاسي ، عن عمه العارف بالله سيدي عبد الرحمان ، عن الشيخ القصار ، عن سيدي رضوان ، عن المنجور ، وعن أخيه ، وأخذ الشيخ بناني المحشي عن سيدي محمد بن عبد السلام بناني ، عن سيدي محمد بن عبد القادر الفاسي ، عن أبيه عن العارف بالله سيدي عبد الرحمان الفاسي عـن المنجور وأخيه سيـدي يوسف ، كلاهما عـن محمد اليسيتني عن الناصر اللقاني ، عـن الشيخ علـي السنهوري ، عـن الشيخ البساطي ، عن الشيخ بهرام ، عن المؤلف رحمهم الله ورضي عن جميعهـم ونفعنا ببركاتهم وبعلومهم آمين ، انتهى . وأساوي شيخنا المذكور في هذا السند بروأيته للمختصر عن الفقيه محمد بن عبد الرحمان الحجرتي ، وسيدي

أحمد المرنيسي المذكوريْن ، عن سيدي أحمد ، عن أبيه الشيخ التاودي ، عن جسوس المذكور بسنده المتقدم ، وعن المسناوي الدلائي ، وعن عم والده محمد بن محمد بن أبي بكر ، عن القصار ، عن اليسيتني عن الحطاب شارح المختصر ، عن الشيخيْن محب الدين أحمد بن القاسم ، وابن عمه الشيخ عبد القادر ، عن المعمر الشيخ حسين البوصيري خاتمة أصحاب الشيخ خليل ، عن الشيخ خليل ، رحم الله الجميع .

وأخذ المترجم رحمه الله عن العلامة الحاج محمد بن المدني كنون حين كان قاضياً بها ، والعلامة مولاي عبد الله الضرير نزيلها ، وكانت عند المترجم إجازات أشياخ سيدي سعيد جيمي له منها اجازة سيدي بدر الدين ، وسيدي محمد بن عبد الرحمان الحجرتي ، وسيدي محمد بن عبد الله البجاوي ، والفقيه المرنيسي المؤرخة إجازته في 22 جمادى الاخيرة عام 1259 تسعة وخمسين ومئتين وألف أجازة عامة .

ومن خط المترجم أيضاً ما نصه :

الحمد لله ، أخذت صحيح الامام البخاري عن سيدنا ومولانا الشريف البركة ، سيدي مولاي عبد الملك ، عن العلامة المحقق الشريف مولاي الوليد العراقي ، عن الشيخ الطيب ابن كيران ، عن الشيخيْن المحققين سيدي عمر الفاسي ، وسيدي محمد بن الحسن بناني ، وأخذتُ شفاء القاضي عياض عنه أيضا عن سيدي محمد العراقي ، عن الشيخ الطيب ابن كيران ، وعن سيدي ادريس العراقي عنهما ، وأخذت صحيح مسلم عنه أيضا عن سيدي محمد العراقي عن الشيخ الطيب ابن كيران ، وعن سيدي ادريس العراقي . انتهى . ومراده بسيدي محمد العراقي الشيخ سيدي الوليد المذكور .

وللمترجم تقاييد حسنة عديدة، وأجوبة محررة مختصرة مفيدة، وله ختمة سيدي خليل ، ثم ختمة الالفية ، ثم حاشية على البردة شرع فيها لما طلبه الطلبة في قراءتها عام خمسة وتسعين ومئتين وألف ، ثم على المرشد المعين ، وشرع أيضا في شرح عقيدة سيدي عبد القادر الفاسي ، وقفت على ذلك كله،

وكان يروي دلائل الخيرات عن سيدي الحسن بن الشاذ العلوي ، المتوفى عام 1302 المترجم في الجزء الاول من (السلوة) .

لازم المترجم تدريس العلم بمراكش نحو أربعين عاما ما ترك التدريس قط ، ودرس بمصلوحة (تامصلوحت) في عشرة الثمانين ، وكان إماماً بجامع الشيخ الجزولي وخطيباً به ، وكان يخطب بخطب مختصرة في كل خطبة أحاديث ثلاثة مروية ، ويمليها من حفظه ، عاكفاً في المسجد المذكور ليلا ونهاراً الى أن توفي رحمه الله عند ظهر يوم الثلاثاء ثاني عشر شوال عام سبعة عشر وثلاثمئة وألف 1317 عن نحو السبعين سنة ، وتأسف الناس لفقده وحضروا جنازته بين شريف ومشروف ، وعالم ومتعلم ، ورئيس ومرؤوس ، ودفن ليلة ثاني التاريخ المذكور في جهة يسار الداخل للضريح المذكور من باب السقاية ، وقبره مزدج في حائطه رخامة وفاته .

وقد رثاه الاخوان ، بما يروى غلة الظمآن ، وقلت أرثيه ، وبخصاله أبكيه :

هي الدهور تديـر ... صروفها فتـدور
فقد رزئنا إمامـا ... قضى بذلك القديـر
عليه تبكي البواكـي ... مجالس وسطـور
مناقب وطـروس ... مدارس تقريـر
قد كان بالعلم ضخمـاً ... وللمسائل نـور
عنانها له ألقـت ... لها دهوراً نصيـر
بغيرها ما تشاغـلْ ... له لم يُدْرَ نظيـر
مَحمد فتحاً الشيـ ... ـخُ ذو العلا والوقـور
أزينط فخرنا المجـ ... ـد والعلي الشهيـر
فياله من عليـم ... ذاك التقي الصبـور
إقراؤه لا يضاهَـى ... وفضله مشهـور
لا تعدلَـن أحداً بـه ... فذاك فذٌّ كبيـر
فكيف صبري عليـه ... حين الجناح كسيـر

حين المصائب عمّــــــــــت ... كل الورى تقديــــــــــر
لاكن نسلّى بشيـــــــخ ... في رقه التحريـــــــر
شيخي السباعي إمامــــــي ... ذاك الشريف المنيـــــر
أبقاه ربي مفيـــــــداً ... لنا العلوم ينيـــــــر
هما اعتمادي ومجــــــدي ... هما افتخاري الكبيـــــر
وياصحابي اعذرونـــــي ... في ذا الرثا تقصيـــــر
فان بالي كئيـــــــب ... بذا البلاء قصيـــــر
عليه رحمة ربـــــــي ... كذا الرضا المشكـــــور
عليه غفران ربـــــــي ... فهو الرحيم الغفـــــور
ثم الصلاة على المصـــــ ... ـطفى البشير النذيـــــر
وءاله وصحابـــــــه ... ومن بهم نستنيـــــر
وفاتــه أرخنْـــــــه ... قضى عليهم شكـــــور
من غير ريب وحـــــل ... يبقى الحساب الشهيـــــر
يوم الثلاثاء في يـــــب ... من فطرنا مستـــــور

وقال صاحبنا الفقيه الاديب اللغوي سيدي أحمد بن محمد المراكشي:

قد اغبرّت الايام وانكسب الدمع ... وزلزلت الغبراء فانتثر الصقـــع
وقد سدد الدهر الخئون نبالــــه ... ففاجأنا بغتاً وذاك له طبـــــع
لفقد امام عالم كامل الحجـــــا ... أبي عذرة التحقيق من قوله القطـع
أديب فريد فاق أهل زمانــــــه ... وحيد ورب البيت ليس له شفـــع
ملاذُ الورى طرا وكعبة مقصـــــد ... وطالع سعد طاب أصله والفـــرع
أجلُّ شيوخ العلم ذاك الذي لـــه ... مآثر ما لمبتغي حصرها وســـع
له طول باع في الفنون بأسرهـــا ... وهمته القصوى لمن طلب النفـــع
له الفخر والمجد المؤثل والـــذرى ... على كل من للعلم كان له طلـــع (1)
كساه الاهُ العرش من حلل الرضا ... وتوجه تاجاً ودرعــــــه درع
وقد عظمت عنا المصيبة وارتـــوت ... اذا كان محمولا وحامله الربع (2)

1) أى مقدار ونصيب ! (مؤلف)

2) أى النعش (مؤلف)

فيابعدها من حرقة ثم سحقهـــــا / برت كبداً لنا فأعقبه صـــــرع
وعبرتنا عزت فلم يشف ما بنـــا / ولم نستطع صبراً وضاق به الذرع
فمن لليراع والبراعة والعلـــى / وأشتات علم غامضات ولا جمـــع
ومن لصنيع درسه الباهر الـذي / تكامل حذقاً لا يعادله صنـــع
ومن لمنابر المديح وسيـــرة / ومن لزمام الشاردات ولا طـــوع
أقلبيٌ ثق بالله واستعمل الرضـا / فقد شبٌ في أحشائنا اللوع والروع
وكن صابراً فالصبر خير مطيـــة / علاها الذي عليه قد عظم الفجـــع
عليه من المولى سحائب رحمـــة / تسحُ بلا ريث كما الوابل الوقـــع
وسقّى بصوب من رضاه ضريحَه / ونضّره رحمى يطيب بها الضجع
وصل وسلم ثم بارك على النبـــي / وءاله والأصحاب يامَن له أدعـــو
وصار الى المولى الهمام محمـــد / أزينط أصل المكرمات لها نبـــع
بيوم الثلاثا ثاني عشر شوالنـــا / برشق المنايا نبلها انسكب الدمع

1317

ومن رثاه أيضاً الفقيه الاديب محمد الطاهر الهشتوكي ، والفقيـه سيدي محمد بن أحمد اللحياني الهشتوكي ، والفقيه النبيه سيدي الحسين بن محمد المسفيوي .

تنبيـه

حدثني السيد عبد الحي أن (أباه) السيد محمد كان يثني على المترجم الثناء الفائق ، وكان يعتقد فيه أنه مفرد مراكش ، وأنه كانت بينهما وصلـة متصلة ، وحضر معه حلقة الذكر ورقص مع انه كان ناصري الطريقة ، وذاكره في مسألة القبض ، وكان لا يخرج عن قوله نحن خليليون ، فحاجّه بأنه ناصري، ومن طريق الناصريين العمل بالحديث ولو مرة واحدة ، فامتثل ذلك وقبض في الصلاة مرة واحدة ، رحم الله الجميع .

وأخذ عنه دلائل الخيرات السيد محمد بن خليفة المدني وأسنده له عن ابن الشاذ من طريق الهلالي ، قال في اجازته للوعزوني ما نصه : وممن أجازني في قراءة دلائل الخيرات بالسند المتصل أيضاً الفقيه العلامة ، البحر

الفهامة مفتي الاسلام بحمراء مراكش ، سيدي محمد أزنيط الخطيب بجامع سيدي محمد بن سليمان المؤلف لدلائل الخيرات والمقيم بضريحه وزاويته ، كما أخذ هو السند المذكور عن سيدنا الشريف البركة مولانا الحسن ابن الشاذ ، عن شيخه سيدي محمد بن المكي الشريف الحسني الفيلالي ، وصنو أبيه مولاي الطائع ، عن شيخه مولاي الفضيل بن علي ، وعن سيدي العربي بن ناصر ، عن مولاي الفضيل المذكور ، عن شيخه البركة العظمى سيدي أحمد بن عبد العزيز الهلالي الخ انتهى .

أما مولاي الحسن فمذكور في (الدرر البهية) ، وسيدي محمد بن المكي مذكور في (الشجرة الزكية) ، وتوفي بسجلماسة والده في ربيع الثاني عام 1234 وترجم فيها أيضا لسيدي الفضيل المذكور القاضي .

وحدثني القاضي عبد القادر بن قاسم أنه قرأ على شيخنا الحاج مَحمد المترجم ألفية ابن مالك مرتين احداهما بالتصريح بالتمام مع حواشيه .

912) محمد بن أحمد بناني النفزي

محمد بن أحمد بن الطيب بناني المراكشي النفزي ، الفقيه العالم الفاضل المعمر الوجيه النبيه العدل ، وقفت على كناشه في استدعاءاته وأجازة أشياخه له ، ومنه : الحمد لله الذي اختار لحفظ كلامه مَن شاء من عباده ، وجعل تلاوته سبباً لنزول رحمته في أرضه وبلاده ، نحمده ونشكره اذ نشر رايات العلماء من سائر الاقطار ، وزين بهم المحافل في جميع البلدان والامصار ، وتوَّجهم بتيجان المهابة ، وألبسهم ملابس السداد والاصابة ، وأطلعهم في سماء المحاسن اقمارا وشموسا ، وطهرهم أفئدة ونفوساً ، وصلوات الله على مَن في حياض معارفه اغترفوا ، وبه سمت معارفهم وعزوا وشرفوا ، مولانا ومولى كل مولى ، سيدنا محمد الذى آيات محاسنه لم تزل في الملأ الاعلا تتلا، وعلى آله الذين كمل لهم به الشرف ، وأصحابه الذين استخرجوا الجواهر من الصدف .

وبعد فان أفضل ما أنفقت فيه نفائس الاعمار ، وأشرف ما تحلى به أهل البصائر الكبار ، الاشتغال بالعلم الذى تشرق ببهجته أرجاء القلوب ، وتنفرج به مدلهمات الكروب ، وتتضح به المشكلات ، وتنحل به العويصات المعضلات ، وان ممن جال في ميدانه ، وحاز قصب السبق فيه من بين أقرانه، صاحبنا الفقيه النجيب ، الفاضل الاريب ، الوجيه السيد محمد بن أحمد بن الطيب البناني المراكشي كاتب الاستدعاء في الورقات يمنته ، أمد الله بالفيض ملكته ، وجعل في طاعة الله شهوته ، فقرأ على كاتب هذا الرقيم ، لما اقشعرت البلاد ورعي الهشيم ، ما أشار في الاستدعاء اليه ، وغيره مما يكون المعول عليه ، على أنه استسمن ذا ورم ، ونفخ في غير ضرم ، وقد طلب مني لحسن نيته الاجازة ، والى قوله بعين الاستجازة ، ومع ذلك فقد ساعدته على مرغوبه، وتجشمت هذا الامر لتحصيل مطلوبه ، فرارا من لحوق تهمة المظنة ، واغتناماً لما نرجو بركته ولا سيما عند وجود المظنة ، ولست بأهل أن اجاز ، وانما قضى الوقت برقيٍّ الدون مرقَى الاكابر ، تشبيهاً بالشيوخ ، أهل العناية والرسـوخ .

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهـم   إن التشبه بالكرم ربـاح

وقلت وبالله اعتصم مما يصم ، قد اجزت الاخ المذكور مما هو فـي استدعائه مسطور ، وفي غيره من كل منظوم ومنثور ، إجازة بالعموم متصفة ، وبالشمول معرفة ، بشرطها المقرر عند أهل الحديث والاثر ، وهو الصدق والتحري ، وأن يقول فيما لا يدريه لا أدري ، وهي التي إذا أخطأها العالـم أصيبت مقاتله ، ومعلوم قول مالك وسائله ، ولله در القائل :

جنة العالـم لا أد   ري فان قال فجُنَّـه
الزم الجُنة تسلـم   إنما الجُنة جَنـَّة

وورد تعلموا لا أدري كما تتعلمون أدري ، وقيل في الحكم : مَن رأيته مجيبا عن كل ما يسأل عنه فاستدل بذلـك على وجه جهله ، فان الاحاطـة بالعلوم ، من أوصاف الحي القيوم ، وأوصيه بالتقوى ، والاخلاص في معاملة عالم السر والنجوى :

ألا انما التقوى هي العز والكـــرم   وحبك للدنيا هو الفقر والعـــدم

وهي وصية الله للأولين والآخرين ، (ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله) فهذه الآية هي قطب القرآن قبلكـم ، والعهدُ الذي اخذه منزل القرآن :

إذا المرءُ لم يلبس ثياباً من التقى   تجرد عرياناً ولو كان كاسيــا
ولا خيرَ في علم اذا لم يكن تُقى   ولا خيرَ في التقوى اذا اعمَّها الجهل

وأوصيه أيضا أن لا تكون همته في مجرد الرواية والدراية ، ويهمل ما هو المقصود بالذات من الرعاية ، فان ذاك شأن مَــن يطلب العلم للمباهاة والتفاخر والمصاولة على الاقران ، وهذا الذي يكسب النفس طغياناً وكبرا واحتقارا لغيره وليس هو بعلم وانما تحصل لصاحبه قلقلة اللسان ، وانما العلم النافع هو الذي تحصل به الخشية من الله ، والتواضع لجلال الله ، واحتقار النفس وعدم الرضا عنها ، بحيث لا يستحسن شيئاً من أحوالها ، فيتَّهم نفسه دائما في توجيه أعماله ، وتصفية أحواله ، بحيث لا يرى في الوجود أحقر منها لعدم أمنه وجهله بعاقبة أمره ، ولذا قال الشريشي :

ولا ترين في الارض دونك مؤمنــا   ولا كافرا حتى تغيب في القبــر
فان ختامَ الامر عنك مغيـــب   ومن ليس ذا خسر يخاف من المكر

ويستعين الانسان على ذلك بالتفرغ من الشواغل ، وترك ما لا يعنى ، وايثار السلامة على غيرها ، كما قيل :

وقائلة مالي أراك مجانبـــاً   أمورا وفيها للتجارة مربـــح
فقلت لها مالي بربحك حاجـــة   فنحن اناس بالسلامة نفـــرح

وأوصيه أيضاً أن لا يضيع نفسه في المزاحمة على الدنيا ، والتنافس في رياستها ، فان ذلك مذهب لنور العلم ، مفسد لصفو اليقين ، ولذا قال :

ألا إن حب المال والجاه مفســد   قبيح بأهل العلم ذاك أقبـــح

وأي شيء رياسة الدنيا ؟ حتى يتنافس فيها ويبدل فيها أنفس شيء
وهو عمر الانسان الذى هو رأس ماله مع أنها كثيرة العنا ، سريعة الانقضا

عرضة للفنا ، وأنه لا بد لبناء هذه الدار أن تمهد دعائمه ، وتسلب كرائمه ، فيشتغل العاقل بما يبقى ويزهد فيما يفنى ، وقد قال الناصح الاكبر ، صلوات الله عليه ، لأبي ذر : أراك رجلا ضعيفاً وأحب لك ما أحب لنفسي ، فلا تأمرنَّ على اثنين ، ولا تتولينَّ مال يتيم .

وأوصيه أيضاً بالمحافظة على الصلوات الخمس في أوقاتها وفي الجماعة، لانها عمادُ الدين ، وأول شيء فرض على المسلمين ، وهي مفتاح أبواب الهداية ، فلقد كان عمر رضي الله عنه يكتب لعماله : إن أهم أموركم عندي الصلاة ، فمَن حافظ عليها حافظ على غيرها ، ومَن ضيَّعها كان لما سواها أضيع ، وهي بمثابة الوجه من الانسان ، وأول ما يرى من الانس وجهه ، ولا يضيعها الا خاسر ، وقد قال الشيخ زروق : وان فاتتْك تكبيرة الاحرام مع الامام فلا كلام معك ، أي لأن ذلك من التقصير والتفريط .

وأوصيه أيضاً أن لا يترك المذاكرة في العلم ، فان مذاكرته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وتعليمه صدقة ، وبذله لأهله قربة ، وقال بعض الشيوخ : فهْمُ سطرين خيرٌ من حفظ وقريْن ، ومذاكرة اثنين خير من هاتيْن ، والمذاكرة لا شك أنها من اسباب الفتح ، وقالوا : إن العلم ميت وحياته المذاكرة، فاذا حيي فهو ضعيف وقوته المذاكرة ، فاذا قوي فيهتف بالعمل ، فان وجده والا ارتحل .

العلم نور في القلوب يوضـــع   يدركه القلب التقيُّ الخاشـــع

وليس هو بكثرة الروايات كما قال مالك .

وأوصي الأخ المذكور ألا ينساني مـن دعائه ، حال توجـه القلب وصفائه ، في الحياة وبعد الممات .

والله يمدنا واياه بمعونته ، ويشغل قلوبنا بالاستغراق في محبته ، وينور بصائرنا بنور تأييده وهدايته ، ويجعل هذه الاجازة رحمة له ولقرابته عموما وخصوصا على صنوه عمر ، وأن يجعلنا من الاحسنين أعمالا ، وألا يجعل العلم علينا وبالا ، وأذنت أخانا المذكور في قراءة دلائل الخيرات وأحزاب الشاذلي والنووي والزروقية والصلاة المشيشية ، والعبد معترف بأنه ليس أهلا لارشاد غيره لكثرة جهله وعمى بصيرته ونقصان عقله ، ولولا أن الله غطى بمحض فضله ما بنا من العجر والبجر ما رأى الرائي لنا الجميل فأثنى وشكر ، وما أحقني بقول القائل :

أدل على التقوى كأني من أهلهـــا	وريحُ المعاصي من ثيابي تفـــوح
فلو كشفت عني براقعُ فضلـــــه	لكانت وحوش من ذنوبي تنـــوح

سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

وكتب عبد ربه ، وأسير ذنبه ، محمد بدر الدين الحسني ، أحسن الله عاقبة أمره ، وكان له في سره وجهره ، آمين ، بثالث وعشرين من جمادى الثانية سنة أربع وستين ومئتين وألف .

انتهى من خطه .

وقال الشيخ المجاز في الاستدعاء في ذكر ما قرأه عليه : قرأت عليه المرشد المعين بشرحه الفائق الذي سماه بـ (منهل الماء المعين) ، وسمعت عليه بلفظه جل شمائل صاحب اللواء والتاج بشرحه الشافي الذي أسمـاه بـ (وسيلة الفقير المحتاج) ، وقرأت عليه مختصر الشيخ خليل بلفظه الا النفر منه والقليل ، وسمعت عليه بلفظه صدرا بل ومواضع من الصحيحين ومن الموطأ والشفا والاكتفا والتسهيل وتفسير الجلاليْن ، ومن دلائل الخيرات وشرحه (مطالع المسرات) لسيدي المهدي الفاسي أبي البركات ، ومـن الحكم العطائية وشرحها لابـن عباد ذي المواهب الالهية ، إلى غير ذلك مـن الابحاث والتقريرات ، نفعنا الله بذلك ، وسلك بنا أحسن المسالك .

ثم طلبه بالاجازة في جميع العلوم وفي الورد وفي وصية نافعة ، وتاريخ الاستدعاء 20 جمادى الثانية عام 1264 وهذا الاستدعاء في نحو أربع أوراق ، ونص سند بدر الدين الشريف المعمر البركة في مختصر سيدي خليل عن شيخه وأستاذه سيدي التاودي أنه قرأه عليه ثلاث مرات ، والشيخ التاودي أخذه عن شيوخه بفاس ، منهم سيدي محمد بن قاسم جسوس ، وهو عن شيخ الجماعة سيدي محمد المسناوي الدلائي ، عن شيخه سيدي أحمد ابن الحاج ، عن الشيخ مياره شارح التحفة وغيرها ، عن الشيخ سيدي عبد الواحد عاشور ، عن الشيخ القصار ، عن البدر القرافي ، عن عبد الرحمان بن علي الاجهوري ، عن شمس الدين اللقاني ، عن علي السنهوري ، عن عبادة الانصاري ، عن عبد الله الاقفهسي ، عن بهرام ، عن مؤلفه رضي الله عنه وأرضاهم ، وحشرنا بفضله في زمرتهم مع الصديقين والشهداء والصالحين .

انتهى من خط المجاز المذكور .

وراجع ترجمة سيدي بدر الدين في (السلوة) (1) .

وذكر العلامة سيدي أحمد المرنيسي في اجازته للشيخ سيدي محمد بناني المذكور بالاجازة العامة من خط يده المباركة ما نصه : بعد أن أذكر له في ذلك بعض سندي ، ومَن هو من الشيوخ معتمدي ، فما وسعني إلا الجواب ، قائلا والله الموفق للصواب : حدثنا بصحيح البخاري الامام الأجل ، الفقيه الأفضل ، القاضي الامثل ، سيدي أحمد ابن سودة المري ، عن أبيه البركة العلامة ، الحبر الفهامة ، ذي التآليف العديدة ، والتقاييد المفيدة ، سيدي محمد التاودي ، عن سيدي أحمد ابن المبارك ، عن سيدي علي الحريشي دفين البقيع ، عن الشيخ سيدي عبد القادر الفاسي ، عن عمه سيدي عبد الرحمان ، عن الشيخ القصار ، عن الشيخ خروف التونسي ، عن سقين العاصمي ، عن الشيخ زكرياء ، عن ابن حجر ، قال حدثنا النيسابوري ، حدثنا الطبري ، حدثنا المكي ، حدثنا الطرابلسي ، حدثنا أبو مكرم بن أبي ذر ، حدثنا أبو ذر ، حدثنا المستملي وصاحباه ، حدثنا الفربري ، حدثنا البخاري الخ . وأجزتك أيها الأخ إجازة تامة ، شاملة مطلقة عامة ، الى أن قال : وكتبه في الحادي والعشرين

---

1) **سلوة الأنفاس** 1 : 187

من رجب الفرد عام 1264 عبيد ربه تعالى : أحمد بن محمد المرنيسي ، وفقه الله بمنه آمين .

ونص ما ذكره في الاستدعاء أنه قرأ عليه خلاصة النحو أزيد من مرتين، كما قرأت عليه بلفظي الورقات لامام الحرمين ، وسمعت عليه موطأ مالك ، كما سمعت عليه البخاري كله وبعضه بلفظي كذلك ، وقرأت عليه اللامية الزقاقية ، وجل التحفة العاصمية ، وحضرت لديه في مجالس عديدة من التلخيص البياني ذي النكت المفيدة ، وسمعت عليه ما يقرب من نصف خليل قراءة بحث وتحقيق وتحصيل ، الى غير ذلك من التقريرات والنكت العجيبة ، والابحاث المفيدة ، والفوائد الغريبة . انتهى .

وممن أجازه الاجازة العامة إمامُ المغرب في المذهب المالكي في وقته ، سيدي محمد بن عبد الرحمان الفيلالي رحمه الله ، ونص محل الحاجة من خط يده المباركة : قد أجزتُ الفقيهَ المذكور في جميع ما ذُكِر مما قرأه معنا وسمعه منا ، وفي جميع مسموعاتي ومقروءاتي ومروياتي ، وجميع ما تجوز عني روايته وتصح لي أو تنسب درايته ، إجازة تامة ، مطلقة عامة ، بشرطها المعتبر ، وقيدها المقرر ، عند أهل الحديث والاثر ... الى أن قال : قاله وكتبه محمد بن عبد الرحمان لطف الله به آمين .

ونص ما ذكر المجاز في الاستدعاء:أنه قرأ عليه أزيد من نصف الشيخ خليل قراءةَ تدقيق وتحقيق وتحصيل ، وسمع عليه تحفة الحكام المشهورة لابن عاصم ذي الأيادي الممدودة ، والآداب المنشودة ، كما حضرت لديه مجالس عديدة من رسالة ابن أبي زيد القيرواني المضمون لقارئها البركة المفيدة ، إلى غير ذلك من أبحاثه النفيسة الشريفة ، وتقريراته العذبة المنيفة .

وممن أجازه كذلك إمامُ المحدثين ، سيدي محمد بن سيدي حمدون ، ونص المقصود منه من خط يده المباركة : وشيوخي المعتبرون مما ذكر بالجملة والدي قدس الله سره جملة ، والهمام الطيب ، سيدي الطيب ، والعلامة بالاجماع والتمالي ، سيدي محمد الزروالي ، وصهرنا العلامة ذو السعي

المشكور ، سيدي محمد بن محمد ابن منصور ، والشريف المنيف ، ذو القدر النفيس ، العراقي الحسني سيدي ادريس ، والعلامة الشريف السني ، سيدي عبد السلام الأزمي الحسني ، والعلامة النحوي البياني ، سيدي مَحمد بن أحمد البناني ، الى أن قال : وكتب محمد بن حمدون بن عبد الرحمان ابن الحاج ، السُلَمي المِرداسي سلك الله به أقوم المحاج ، وغفر ذنوبه .

ونص ما ذكر المجاز في الاستدعاء : أنه قرأ عليه رحمه الله تعالى صحيح البخاري مرة ونصفاً ، كما سمعت عليه شمائل الترميذي حرفاً حرفاً ، وقرأت عليه أزيد من نصف الموطأ لامامنا مالك ، السالكة بمقتفيها والعامل بها أحسن المسالك ، جل ذلك كله بلفظي والحمد لله . وغيره بلفظ بعض أبنائه النجباء وفرهم الله، وقرأت عليه ألفية العراقي في الاصطلاح، قراءة تحقيق وتدقيق وافصاح ، وسمعت عليه بلفظي صدراً من الشفاء ، للحبر البحر الفياض ، القاضي عياض ، وصدراً من صحيح مسلم ، ومن الاكتفاء لأبي الربيع ، وغير ذلك من التقريرات والابحاث ، أعاد الله علينا بركة الجميع .

وممن أجازه كذلك:الشريف العلامة سيدي الحاج الداودي التلمساني،ونص المقصود من إجازته المباركة من خط يده المكرمة : قد أجزت الفقيه المذكور أن يحدث بما سمعه مني أو بلغه عني،كماأجازني بذلك أشياخي وأشياخي عن أشياخهم بشرط مراجعة الكتب ... إلى أن قال : قال ذلك بفمه ، وكتبه بقلمه : عبد ربه الداودي بن العربي بن الحاج التلمساني وفقه الله بمنه آمين في أواخر جمادى الثانية عام 1264 .

ونص ما ذكر في الاستدعاء أنه قرأ عليه رحمه الله التلخيص البياني بالسعد التفتزاني مرة كاملة ، وأخرى إلى الفن الثاني ، وسردت عليه أزيد من ربع مختصر خليل . وقرأت عليه المرشد المعين ، ومقدمة النحو لابن آجروم ، وحضرت عليه بعض مجالس صغرى الامام السنوسي ، وسمعت عليه أكثر من ربع خلاصة النحو إلى غير ذلك .

وممن أجازه بالاجازة العامة كذلك الشريف سيدي الوليد العراقي طيب الله ثراه ، وذكر في سنده للبخاري شيخه سيدى ادريس العراقي عن

الشيخ التاودي بالسند المسلسل بالمالكية السعادي ، ثم قال : وكتب أسير ذنبه ، وأحوج الخلق إلى عفو ربه ، الوليد بن العربي العراقي الحسني كان الله له بما كان به لأوليائه . وحشره في زمــرة أحبابه وأصفيائه ، آمين آميــن ، والحمد لله رب العالمين ، من خط يده المباركة .

ونص ما ذكر المجاز في الاستدعاء : أنه قرأ عليه فقرات عديدة حفظه الله بعدما حفني مجلسه الأسما ، بالمقام النفيس الأدريسي الأحمى نحوا من نصف صحيح البخاري ، بعضه بلفظهما . وسمعت عليه جمع الجوامع لابن السبكي بشرح الجلال المحلي ، كما حضرت لديه في مجالس عدة من خلاصة النحو لابن مالك ، ومن السلم المنطقي للأخضري ، ومن همزية الامام البوصيري كذلك ، إلى غير ذلك من أبحاثه الكاشفة ـ عن دقائق المسائل ـ النقاب ، والمزيلة ما تخالج في الخلد من الشك فيها والارتياب ، وقرأت عليه بلفظي الصدر والآخر من شفاء القاضي عياض، المزري بزواهر الفلك وأزهار الرياض ، نفعنا الله بكل ذلك .

وممن اجازه كذلك العلامة المشارك سيدي الطالب ابن الحاج سقاه الله تعالى صيب الغفران ، قال فيها بعد التصريح بالاجازة العامة في المنقول والمعقول : وقد أجزت السيد المذكور بجميع ما احتوت عليه فهرسة شيخنا العلامة البركة دفين المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام سيدي عبد القادر بن أحمد الكوهن حسبما هو أجازنا في آخرها ، ثم قال : وكتب العبد الفقير الى رحمة مولاه ، الوجل من سوء ما جنت يداه ، محمد الطالب بن حمدون بن عبد الرحمان ابن الحاج السلمي النجار ، الفاسي الدار ، كان الله له بما كان به لأوليائه ، وخاصة أصفيائه ، انتهى من خط يده الشريفة .

ونص ما ذكر في الاستدعاء أنه قرأ عليه جمع الجوامع لابن السبكي المنتشر نفعه في الآفاق بشرحه للمحلي الى مسألة الاشتقاق ، وقرأت عليه جل رسالة ابن أبي زيد القيرواني ، بعضها بلفظي والحمد لله واهب الأماني ، كما قرأت عليه كذلك جل خلاصة النحو لابن مالك الجياني ، الحاوية لمقاصد النحو المحتوية على الحكم والمعاني ، وحضرت عليه في مجالس عديدة من

صغرى السنوسي الامام ، كما حضرت لديه في الخزرجية من علم العروض وفي المرشد المعين لابن عاشر الهمام ، إلى غير ذلك من أبحاثه المفيدة ، وتقريراته النفيسة العديدة ، أعاد الله علينا ذلك كله بالبركة .

انتهى ما نقلته من كناش الفقيه سيدي محمد بناني رحمه الله تعالى ، المذكور فيه استدعاآته واجازات شيوخه له بخطوط أيديهم المكرمة ، واقتطفت منه ما نقلت خوف الطول ، لأن ما ذكر أزيد من كراستين اثنين . وعد من شيوخه الأئمة الأجلة ، المتبرك بهم المذكورين رضي الله عنهم سبعة ، وكلهم أجازوه بالاجازة العامة وهم : الولي الصالح سيدي بدر الدين الحمومي ، والعالم سيدي أحمد المرنيسي ، والعالم الناصح سيدي محمد بن عبد الرحمان ، والمحدث سيدي محمد بن سيدي محمد بن سيدي حمدون ، والشريف سيدي الداودي التلمساني ، والشريف سيدي الوليد العراقي ، والقاضي العدل سيدي الطالب ابن الحاج ، وتقدم الثاني والثالث والخامس من شيوخ شيخنا الفقيه السباعي الآتي بيانهم في ترجمته ان شاء الله ، غير أنه لم يذكر انهم أجازوه الاجازة العامة .

وكان له خط رائق نسخ به كثيراً من الكتب في اتقان واجادة ، وكان من عدول الربيعة العباسية الى أن توفي .

وهو من بنان التي بافريقية . المقول فيها :

والأصل بنان التـــــــــــي   بأرض أفريقيـــــــــــــة

والنفزي نسبة الى بني نفزاو ، قال في (الرحلة الناصرية) : بنو نفزاو بن لوا الأكبر بن بر بن قيس بن الياس بن مضر بن نزار . قال الشريف في كتابه : ومن ولد نفزاو هذا جالوت الذي قتله داوود عليه السلام ، واسم جالوت ضريس بن لوا الأصغر بن نفزاو ، وعن نفزاو تفرعت زناتة كلهم ، وهم في الأصل عرب ، وانما تبربروا لمجاورتهم للبربر من المصاميد ومخالطتهم لهم ، وراجع أوائل (روضة النسرين) .

وممن أخذ عنه بالاجازة العلامة سيدي أحمد ابن الخياط ، وقد تقدم ذكر المترجم في ترجمة شيخه سيدي محمد الطالب أبن الحاج قاضي مراكش . ولم نتنبهْ لاستجازته ، لأننا لم نطلع على أسانيده العالية الا بعد موته ، ونتصل به من طريق سيدي أحمد بن الخياط المذكور .

توفي رحمه الله عن نحو اثنين وتسعين سنة في يوم الثلاثاء سابع عشر شعبان عام سبعة عشر وثلاثمئة وألف 1317 .

913) **محمد بن الكبير التادلي** . من أولاد زيدوح ، من بني موسى ، المراكشي الدار والقرار ، كان لـه خط بارع وانكباب على المطالعة ، أخـذ الطريقة عن مولاي الطيب الدرقاوي . ونسخ كتباً كثيرة ، وحجَّ مرتين ، أقرأ العروض بجامع المواسين . كان أستاذاً حافظا لقراءة السبع ، ويتعاطى النحو والعروض ونظْم الشعر . أخذ عن السيد الحسن الفيلالي ، والفقيه أحمد ابن الطاهر وابن عبد الواحد الدويري وطبقتهم ، وأخذ علم العروض عن الفقيه الديماني ، ولقي أعلاما وأجازه غير واحد .

وقعت له سكتة مات بها عام سبعة عشر وثلاثمئة وألف 1317 . ودفن بالزاوية الدرقاوية بالقصور .

914) محمد الكبير بن محمد ابن سليمان الغرناطي المراكشي

محمد الكبير بن الفقيه محمد بن سليمان الغرناطي أصلا ، الفاسـي منشئاً ، المراكشي وفاة ، كان رحمه الله فقيها كاتبا بارعاً أديبا ، ذا عقـل راجح ، وسعي ناجح ، توفي بمراكش في رجب سنة سبع عشرة وثلاثمئـة وألـف .

وكان كاتباً من أيام الوزير السيد الطيب بوعشرين ، مُنشئاً مرسلا ذا خط رائق ، أديبا فصيحاً ، واستكتب بدار النيابة بطنجـة ، واستوزره السلطان لخليفته مولاي العباس بمراكش ، وتوجه للسفارة صحبة السيـد مَحمد (فتحا) بن موسى بن أحمد المَختل الشعور الذي لمـا رأى الأسدَ

كاشراً أنيابه بحديقة الوحوش بباريس ظن أنه أراد افتراسه . وكاد يقضي الحاجة في سرواله (1) .

ودفن المترجم بضريح الولي الصالح سيدي عبد العزيز التباع ، وحضرنا جنازته رحمه الله وهو أخو السيد عبد الكريم ، والحاج المهدي ، والحاج محمد .

915) **محمد بن أحمد المسكيني اليعيشي المراكشي** الأستاذ ، كان يحفظ قراءة البصري ، أخذ القراءة عن الاستاذ سيدي محمد الجبلي من سكان القصور ، وكان عدلا ناسكا . وله خط بارع ، وورع تام ، وادراك عجيب ، غريب التفرد في اتصافه بالعدالة في وقته ، ممن يستحق اسم العدالة ، وكان يقوم الليل ، محافظاً على الأذكار ، مختاري الطريقة ، أخذها عن الفقيه ابن دحّو بأزمور ، سافر إليها لذلك ، وأخذ عن والده، وحضر مجالس أهل العلم بمراكش كسيدي الحسن الفيلالي وسيدي عبد القادر الحشمي قاضيها ، ومولاي أحمد بوغربال . وكان يجلس بسماط الطالعة في بعض الاوقات حتى يأخذ قرشا أو نحوه وينهض من الحانوت قناعة بذلك ، وحاله في ذلك تشبه حال الشريف علي الغرّافي الحسيني المترجم في (الدرر الكامنة) ، ومرة احضر لدار المخزن لبعض الاغراض ، فسأله الوزير عما يعرف ؟ فقال : أعرف لا اله الا الله ونجا منهم بذلك .

أخذ عنه صديقنا ابن عمه الفقيه سيدي الحاج عبد السلام وغيره .

درس الألفية والمقدمة والفقه ، مختفياً نازعا بذلك عن الشهرة ، مائلا لطريق التصوف ، وكان رفيقه الزاهد الورع الناسك السيد عبد القادر

---

1) بل فعل ذلك ، وفعل أكثر منه مما يجل الكاتب عن كتبه والقارىء عن قراءته ، وذلك مما يؤاخذ عليه أخوه الصدر الأعظم ، أحمد بن موسى البخارى الذى كان يسند الوظائف الكبرى لذوى قرباه ولو كانوا غير مؤهلين لها جسمانيا وعقليا ، وقد ردت الحكومة الفرنسية السفير المذكور على عقبه الى بلده واحتجت على الحكومة المغربية بسبب ارسالها سفير قذر مختل العقل الى فرنسا للتفاوض مع ساستها .

الدكالي أمام الضريح العباسي من سكان الزاوية العباسية ، وهو غير سيدي عبد القادر الذي يسكن بسيدي أحمد السوسي وان توافقاً في الاسم والنسب والزهد والورع .

توفي المترجم في ليلة الجمعة 18 شوال عام ثمانية عشر وثلاثمئة وألـف .

916) **محمد بن عبد النبي التويمي ابن جلون** ، كان محباً لأهل العلم والصالحين ، كثير المعروف والمسكنة ، مجلسه مجلس وقار وسكينة ، ينتمي للصالحين كثيرا . وكتب للشيخ سيدي محمد العربي المدغري في الصحراء مراراً . وأجابه بطابعه ، وكان له حب خصوصي في البيت الكتاني ، انتسب للطريقة الكتانية هو وأولاده ونساؤه ، ولي عمالة السويرة ، وكان قدم مراكش عند المولى الحسن ، كانت له معرفة بالفقه ، لازم الفقيه كنون أكثر من عشرين سنة ، وفي آخر عمره سأل عن وقت معين ، وهو منتصف النهار من شهر كذا عام ثمانية وعشر وثلاثمئة وألف ، وأعلم بوقت موته إذذاك، أخبره بذلك الشيخ أبو الفيض فمات في الوقت المعين ، وكانت له جنازة حافلة ، ودفن بمقبرة باب الفتوح في روضة التويميين ، وصنو أبيه السيد البرنوسي صحب مولاي الطيب الكتاني . وذكر في ترجمته في (السلوة) .

ذكرة السيد عبد الحي .

917) **محمد المكي بن المهدي ابن سودة المري**

محمد المكي بن الامام القاضي سيدي المهدي ابن سودة الفقيه النبيه المدرس النفاع ، حسن الأخلاق ، طيب المحادثة ، له مشاركة في فنون العلوم، تولى قضاء ثغر السويرة ثم أخِّر عنه ، ولازم التدريس بالمسجد القروي ، وهو أحد المحدثين الذين رشحوا لسرد الحديث الشريف بالحضرة الشريفة الحسنية . ذكره في (الدرر البهية) .

وقال الاديب الحاج إدريس السناني لما ختم المترجم المختصر بعد القيام في ذلك المقام :

أرى الجو أضحى بالسحاب مبرقعا وهذي السما في غير إبانها تبكي
ولو أنصفتنا ما بكتْ حال ختمة لسيدنا السوديّ واسطة السلك
على أنها والله حق لها البكا فقد بعدت عن مجلس كشذا المسلك
وما اختفت الشمس المنيرة عن قلا ولكن حياء من سنا العالم المكّي

وقال فيه أيضاً قصيدة مطلعها :

ياخليلي هذا المرام تناهى وسليمي قد شِمتُ برقَ سناها

وقرظ له على كتابه الذي شرح فيه قصائد الشيخ سيدي محمد الحراق نظماً ونثراً ، مطلع نظمه :

يانائما مستيقظ الأحداق فانهض لتدرك حلبةَ السباق

918) **محمد تقي الله بن الشيخ ماء العينين** حدثني سيدي أحمد بن الشمس أن المترجم تكلم في المهد حسبما أخبرت بذلك والدتُه زوجها والدَه وحدثه به ، كما أن داجنا من الغنم كان يأتي الى أصبعه فيرضعه ، وشاهد منه بعض الناس خروج الحليب اذذاك ! ولله في خلقه عجائب .

توفي بمراكش وبها دفن عام عشرين وثلاثمئة وألف 1320 .

919) **محمد بن محمد الرايس الفاسي** ، ولد عام 1262 أخذ عن القاضي سيدي الهادي الصقلي الحديث والسيرة ، وعن الفقيه السيد أحمد بناني كلاّ (1) الفقه ، وأخذه عن غيرهما كسيدي أحمد ابن الخياط .

كان رحمه الله بارعاً في علوم الآداب عارفاً بالنعم يقرض الشعر ، وللشرفاء فيه زيادة محبة ووداد ، وكان من سراد صحيح البخاري عند المولى الحسن بفاس ومراكش ، وصحح بعض مطبوعات فاس وقرظ عليها ، وربما عارضه بعض قضاتها في الألفاظ المصححة فيقيم الدليل على صحتها ،

---

1) لقبه

ومع ذلك كان يقع الاخلال فيها ، وكان له صوت حسن ربما يدعى للانشاد عند بعض الكبراء ، وكان عدلا لا بسماط القرويين ، نديماً للشريف سيدي الفاطمي الصقلـي .

ومن تقريظاته ما كتبه على (لؤلؤة الأنوار) ، و (الأنيس المطرب) للعلمـي .

ومن شعره ، ما ذكره الاديب الحاج ادريس السناني في ديوانه بعد ذكر قصيدة على لسان قبة مولاي أدريس بن عبد الهادي العلوي ، **ونصـه** : ذيّلها الفقيه الأديب ، الناظم الاريب ، سيدي محمد الرايس ببيت ضمنه تاريخ البناء فقـال :

والدهر في كل الأمور مساعـــدا   والكون « اشرقه » ضياء سناكـــا

ولفظة **أشرقه** محتوية على التاريخ وعدده كما لا يخفى 1306 .

توفي رحمه الله بعد العشرين من هذه المئة .

920) **محمد بن أحمد العراقي** مـن حفدة الشريف المحدث سيـدي ادريس العراقي ، كان رحمه الله فقيها جليلا ، عدلا نبيلا ، يتعاطى الشهادة بحضرة فاس ، مبرزاً مشهورا ، محدثاً واعظا بكرسي أسلافه قرب محراب مسجد القرويين ، من سراة الاشراف وأعيانهم وفضلائهم وأبرارهم ، وكان يسكن بشرق القرويين عمره الله بذكره ، وله رحمه الله دراية بالحديث وطرقه وصحيحه وضعيفه ، ومن المحدثين المنتخبين لقراءة الحديث عند مولانـا الحسن ، وكان يرد لمراكش لذلك ، وهو والد الشريف مولاي ادريس بائع الكتب بالسبيطريين .

توفي رحمه الله ...

921) **مَحمد بن مَحمد (فتحا) الماسِّي المراكشي** ، ولد عام سبعة وثمانين ومئتين وألف 1287 ، وحفظ القرءان العظيم ، وشب في السكينـة

والوقار والتقي ، أخذ العلم عن الحاج علي البوجمعاوي وحضر عليه في جل العلوم بمراكش ، وأخذ عن الفقيه الحاج محمد أزنيط ، وهو عمدته ، لازمه نحو سبع سنين ، وأخذ عن غيره من فقهاء مراكش ، كالسيد الهاشمي بوعبولة . ثم رحل بعد العشرة الأولى من هذه المئة الى سوس ، وتولى التدريس بالزاوية الدرقاوية بسوس عند شيخها السيد الحاج علي السوسي وانتفع بشيخها هناك ، ثم انقلب الى مراكش في منتصف العشرة الثانية ، واجتمع بها بالسيد محمد بن الكبير الكتاني الذي جاءها مختبراً . ثم ألقى اليه الانقياد ، وأخذ عنه الطريقة الكتانية ولازمه بها ، ثم بعد انقلابه الى مسقط رأسه فاس شدّ اليه الرحلة فوصله سالماً ، وألزمه الشيخ مرافقة أخيه السيد عبد الحي الكتاني في طلب العلم ، فبقي مصاحباً له إلى عام عشرين . وكان في تلك المدة يكتب له رسائله إلى كافة زوايا المغرب ، وكان رئيس سدنة باب داره ، وإمام مسجدها .

ثم لما سافر محمد بن الكبير الى الحجاز رافقه في جماعة من فقهاء مراكش ، فحج وزار ، ومكث بمصر مدة كان ملازما فيها دَرس الشيخ محمد عبده هناك مدة اقامته ، ثم رجع الى المغرب مريضا ، ولقيه الشيخ عبد الحي بطنجة لما توجه لملاقاة محمد بن الكبير بها ، وازداد مرضه بمراكش الى أن توفي بها عند خاله ابن فضيل المراكشي في ليلة الجمعة ثاني ربيع الثاني عام ثلاثة وعشرين وثلاثمئة وألف 1323 .

كان رحمه الله فقيهاً نحويا حيسوبيا صوفيا ناسكا صالحا صموتا وقوراً مهيباً ، عليه أثر السكينة ، سريع الفهم والانشاء والكشف عن الأنقال ، عارفاً بالوقت وأهله ، يعامل الناس بما يناسبهم ، قلّ أن يرى ضاحكا ! ألّف تأليفاً في الردّ على البوعزاوي في نحو كراسين ، وآخر في الرد على الحاج محمد بن عبد السلام كنون في نحو كراسين أيضاً ، مبيضته عند السيد عبد الحي ، وله رسائل عدة .

922) **محمد بن علي الزعراوي الجرني المراكشي** ، كان رحمه الله فقيها مدرساً مفتياً مشاركا في عدة فنون ، أخذ عن علماء مراكش كالفقيه السباعي ، والسيد سعيد جيمي ، وغيرهما . وقرأ بفاس على علمائها ، وأجازه الفقيه كنون والسباعي والهواري وابن الخياط وعبد الله ابن الشاوي بدكالة ، ثم رجع لمراكش فصار مفتياً به . والشيوخ اذذاك متوافرون في أعوام التسعين ، وبقي كذلك الى أن صار أحدَ المرجوع اليهم فيها ، ثم لما وليت الفتوى عام واحد وعشرين وثلاثمئة وألف 1321 كنت كثير الانتقاد عليه في فتاويه لجريانه فيها على مراد الخصم ، ويُنصب لذلك شبهات تظن دلائل بقوة فطنته ، وكنت لا أسلم منها الا القليل ، وربما أجاب عن بعضها تعسفا .

وكان شيخه الفقيه السيد سعيد جيمي حبس داريْه في حياته على أولاده الذكور دون الاناث ، غير أن مَن تأيَّمت تسكن ، ومَن تزوجت فلا ، فأراد بعض أصهار البنات نقضَ الحبس فأفتاه بذلك معللا بأمور واهية بعد أن أفتى بصحته أولا . وتبعه على ذلك عشرة من المفتين الذين يفتون بفتواهم بمراكش، فلما انتسخ أولاده تلك الفتاوي التي تردي في المهاوي وردوا عليَّ بها طالبين نصرتهم ، وتصحيح الحبس ، فكتبتُ في ردّ ذلك فتوى حافلة ونقضتُه عروة عروة ، ونقلت نصوصا حاسمة للنزاع عام ثلاثة وعشرين 1323 فلما وصل ذلك الى حضرة القاضي الشرعي انكمش ولم يجب داعي النقض الى مرامه . راجع أوائل أجوبتنا الفقهية .

رأيت المترجم يدرس الألفية بجامع ابن يوسف ومجلسه غاص بالطلبة ، وكان يدرس المختصر الخليلي وغيره .

ومن أجوبة المترجم المصححة قوله : الحمد لله ، سُئل كاتبه عفا الله عنه عن قضية رجل ، اشتملت على فصول شتى ، منها : أنه حبس على أولاده ملكاً مشاعاً بينه وبينهم بالثلث الموصَى به لهم من والده ، وكان يتصرف عليهم فيه بالكفالة والحجر ، وهم لا علمَ لهم الى أن مات وترك الوصي عليهم ، ثم مات الوصي وترك آخر ، فرشد مَن رشد ، وعثر على رسم الثلث فوجده مشاعا محبساً مع ملك المحبس ومع ما كان مختصا به في حياته من نوبتين

وربع ، هل التحبيس ماض فيما له وفيما للأولاد أو يكون ماضيا على شرطه فيما له فقط ويرد ما لأولاده ؟ ومنها : أن تصرفه عليهم هل يكون بالمصلحة كالوكيل أم لا ؟ ومنها : أنه حيث لم يوجدْ في تركته كتاب ولا حساب فيما يرجع للفريضة على الاولاد هل يعدُّ إنفاقه عليهم في حياته حسبة وتبرعـا ويحسب عليه ما لهم من غلة الثلث في المدة المعينة للتصرف من تاريخ نفوذ الوصية بالموت الى موت المحبس ؟ ومنها : أن الوصي المأخوذ من يده حيث لم يغير واتبع في ذلك نسق مَن قبله ، وترك ما كان على ما كان لجهله بالحكم وتعذر الزمان وخوف أن يتهم من حيث أمه اذ لها دخل في مال المحبس هل عليه درك أم لا ؟ ومنها : أن الثلث اذا انحلَّ الحبس فيه ودخل فيه مَن لم يكن له دخل في أصل التحبيس هل يرجع بالغلة على مَن كـان يتصرف بالحبس والشبهة أم لا ؟

ومنها : أن الغلة اذا تقدرت بتقدر الثلث بالتقويم وصارت دينا هل يباع فيها من الحبس ما تملكه بعد الدين وان لم يف أو ما يفي أو ما يتضاعف ثمنه ، أو ما يخاف فيه من ضرر الشركة ، وعدم التقديم من قلة اليد ؟

فالجواب والله الموفق الى الصواب أن تحبيس المشارع ، مما شاع فيه الخلاف وذاع ، وتحصيل الاقوال فيه ثلاثة حسبما للحطاب والتوضيح وشارح العمل ، ونقله المحشي بناني في حواشيه عن ابن عرفة ، ومحله اذا اقتصر الانسان في التحبيس على ماله فقط وكان مما ينقسم أم لا ، وأما اذا حبس الانسان ملك غيره وصفقه فلا قائلَ بصحته ولا محل للخلاف فيه ، كما أفصح به قول المتن أوله صح وقف مملوك ولو تعليقاً كما أفاده الزرقاني رحمه الله ، وعليه فالثلث بيد حملته المشهود به من الحاج المعطي لأحمد وعمر ولدي الحاج محمد ، وما يتزايد له بعدهما لا يتناوله التحبيس من والدهما المذكور ولا يصح فيه فيما بعد الوقوع والنزول ، بل تقوم أملاك المعطي ويزال منهـا ثلثها بالتقويم ، فينقض فيه الحبس ، وما كان مختصاً به والدهما الحاج محمد من النوبتين وربع لا دخل له في التقويم ويقسم حينئذ على فرائض الله ، مَن بقي فله نصيبه ، ومَن مات عن حق فلوراثه يتصرفون فيه كيف شاءوا ببيع وابتياع وغيرهما .

واما الجواب على الفصل الثاني فقد قال فيه في المعيار مـا نصه وقاعدة الباب أن الشرع أقام الاب وكيلا لابنه ، والوكيل لا يتصرف الا وفق المصلحة ، فان خالف ذلك ردّ فعلُه ، ويعرف ذلك بالنظر فيه عند نزوله ، اذ أبواب النظر لا تنحصر ، وعليه فأي نظر فيما فعل من أحرامه بتحبيس الثلث من له دخل فيه فقط ، ولا دخل له في الحبس ، وقد فوت فيما فعل مقصود الموصي مما ورد في صحيح مسلم من قوله عليه السلام : « ما حق امرء مسلم له شيء يوصى فيه يبيت ليلتين إلا وصيته مكتوبة عند رأسه » .

وأما الجواب عن الفصل الثالث فقد قال فيه بعض العلماء من أرباب النوازل في اثناء جواب له : عادة الآباء اليوم اذا لم يكتبوا عوضا ولا محاسبة التبرع بالانفاق ، فالمسألة من باب تعارض أصل ، وغالبه أيهما يقدم وهو أصل مختلف فيه بين العلماء ، وهو أدرى بتفصيل من يفصل بين العين وغيره لتأخره . وقد قال الشيخ التسولي أيضا ما نصه : اذا تعارض الاصل والغالب فالحكم للغالب ، وعليه فهذا أدل دليل في الجواب عنه . الفصل الثالث سترتب غلة الثلث بعد معرفته بالتقويم من تاريخ تصرفه فيه ، وهو تاريخ موت المعطي الى وفاته هو ، وما تجمل يباع فيه ما تملكه بعد الدين ان كان يفي حسبما في معاوضات المعيار ، لأنه اذا قيل ببيع الحبس اذا خرب ولم يوجد مَـن يصلحه باجارته سنين وببيعه إذا وجد فيه ثمناً غبيا دارا أو غيرها حسبما نقله الحطاب بلفظ فرع ويبيعه لما ترتب في الذمة مع قول خليل رحمه الله وللغريم منع مَن أحاط الدين بماله الخ . وبالتقويم والتعيين تعرف الاحاطة في الكل أو البعض .

وأما الجواب عن الرابع فظاهر من قاعدة قولهم : كل مَن ادعى الجهل فما يجهله أبناء جنسه فهو مصدق فيه فلا درك عليه . حيث تبع في ذلك نسقَ مَن قبله ، وجهل اختلاف حكم الوصية والحبس ورأى أن الكل راجع لأهـل الفريقيْن مع مشقة المباشرة من غير من له ذلك .

واما الجواب على الخامس فهو ما في المختصر وشروحه من ان كل مَن كان يتصرف في شيء بشبهة فالغلة له ، وفي المعيار أيضا ما نصه : ان

الحبس اذا انفرد باستغلاله بعض المحبس عليهم دون سائرهم انما يقضي لهم بحقوقهم فيما يستقبل لا فيما مضى ، فكيف اذا انفرد باستغلاله مَن لا دخل له في هذا ، والحوز المذكور في الحبس عن الصغر معاينة لم يفي الشهود فيه معرفة الصغر ، مع أنه أمر لا بدّ منه ، قاله في البهجة .

وكتبه عبد ربه راداً العلم لله : محمد بن علي الزعراوي وفقه الله .

انتهى من خطه كتبها عام 1317 ، وصححها له الفقيه السيد الحاج علي القرمودي ، ونقل فتوى الشيخ عليش في تحبيس الزوج ملكه وملك زوجته بغير اذنها برد تحبيسه نصيبها ، والفقيه سيدي محمد بن محمد العلوي في التاريخ المذكور ، ثم كتب نحو ذلك الفقيه الحاج العربي عام 1332 وذكر أن غيبة الرسم عذر ، وأنه يباع ما يقضى به الدين تقديماً للواجب على التبرع كما قال خليل : (أو جهل سبقة لدين) وهنا تقدم الدين قطعا وكذا شرط حوزه منه قبل فلسه ، وكتبت في هذه المسألة جوابا طويلا أثبته في نوازلنا فراجعـــه .

توفي المترجم رحمه الله فجأة بمراكش يوم الخميس تاســع جمادى الثانية عام ثلاثة وعشرين وثلاثمئة وألف 1323 ، ودفن بمقبرة باب أغمات .

923) محمد بن العربي السملالي الأدوزي السوسي

محمد بن العربي بن ابراهيم بن عبد الله بن علي بن محمد بن عبـــد الله بن يعقوب السملالي الأدوزي السوسي الفقيه العلامة المشارك ، غزير العلم، ذو مقدرة غريبة في الانشاء والتحرير ، وذوق خاص في كتابة التاريخ والمباحث الأدبية ، أخذ عن السيد الحسن بن أحمد التمكدشتي وألف كتباً جمة ودواوين عديدة تشهد له بعلو الكعب وهمة عالية ، منها (العكاز ، المضروب به مَن جوَّر للأب بعد موت ابنته أن يسترد الجهاز) تعرض فيه للحقائق الشرعية كالجهاز والهبة والصدقة والارث والمحاسبة بين الورثة ، وقواعد أحكام قضاة المغرب الأقصى ، والعرف الجاري فيها وأجوبة وسؤالات بين العلماء الفاسيين

والمراكشيين ، وبه ما تنشرح القلوب لاستماعه ، كفتوى صاحب المعيار وابن غازي والمنجور والحسن الجزولي ، والشيخ السجتاني والسنوسي والشيخ محمد بن ناصر وأبي القاسم الهوزالي قاضي مدينة رودانة وغيرهم ، وبأوله أدبيات شعرية لبعض أدباء المغرب .

ولد المترجم عام 1248 وسكن مراكش مدة كوالده شارح الألفيـة المسمى (ايسر المسالك ، إلى ألفية ابن مالك) وقفت عليه في مجلد بخط اليد ، وستأتي ترجمته في حرف العين . أما جده فشرح (المرشد المعين) .

توفي المترجم في 25 من ذي الحجة عام 1323 ودفن بلصق أبيه بمقبرة تمشت بأدوز ، وبين أدوز والعين التي لبني جرارة مسيرة خمس ساعات بسير البهائم ، وبين العين المذكورة وتزنيت نحو ثمانية عشر كيلومتر ، وسيأتي ذكر سيدي عبد الله بن يعقوب ، وعندي شرح المترجم على منظومة الاستعارة للشيخ الطيب ابن كيران .

وقال للعلامة السيد الطاهر اليفرني يرثيه :

قضى المجد حزناً مذ قضي العالم الّرضا   وأظلم أفقُ الدين من بعد أن أضا
وصوح نبْتُ الدين وانقضّ نجمُه   وولى رعيلُ المكرمات وقوضـا
وفاضت دموع العلم إذ فاض ربهـا   وأصلى الأسى أحشاءه جمرة الغضا
قضى عالم الدنيا الأدوزيُّ نحبَـه   فخلّف وجداً دائما ما له انقضـا

الى ءاخره .

924) محمد بن المهدي ابن شقرون المراكشي

محمد بن الحاج المهدي بن الطيب ابن شقرون المراكشي ، كان رحمه الله فقيهاً مدرسا مشاركاً في عدة فنون ، أخذ العلم عن علماء مراكش ، كالفقيه الحاج علي البوجمعاوي ، والفقيه السيد سعيد جيمي ، والفقيه سيدي محمد بن ابراهيم السباعي ، والفقيه سيدي عبد الوهاب ابن البهلول ، والفقيه الحاج

محمد أزنيط ، والنحوي السيد عبد الله ابن وناصر ، والفقيه النحوي سيدي أحمد بن مبارك ، والقاضي الحاج علي الرجراجي ، وغيرهم ، وكان يقيد ما يسمعه من أشياخه على طرر مقروءاته ، رأيت أصوله بذلك مهمشات ، حضرت دروسه رحمه الله في الألفية والمقنع ومختصر الحساب للقلصادي وعقود الجمان للسيوطي والمرشد المعين ، وفرائض المختصر ، وغير ذلك . وكان يرجع الي في حل مشكلاتها .

كان رحمه الله عارفا بالقاء الدروس ، حسن التفسيح ، حسن النغمة بالقرءان ، عارفا بالألحان حافظا للأناشيد ، صلى التراويح بالجامع اليوسفي أعواماً ودرس به وبغيره ، وله منظومة في التوحيد تصلح أن تكون شرحاً على توحيد المرشد المعين ، ومنظومات غيرها أوقفني على ذلك كله ، وألف كتاب صلاة الانوار على الحبيب المختار ، صلى الله عليه وسلم ، فرغ منه ليلة الاربعاء ثامن ربيع الثاني عام تسعة وتسعين ومئتين وألف 1299 جمعه من صحيح البخاري ، وجامع الترمذي ، والذخيرة ، ورتبه على القوافي والاشكال، وجعله على أربعة أرباع ، الأول : في المعجزات وولادته صلى الله عليه وسلم ، وتوسل الأنبياء به ، والثاني في إسرائه ، والثالث في شمائله وخلقه وتواضعه ودعواته المستجابة ، والرابع في وفاته ، وميز الارباع بصلوات مسرودات ، منّ عليه بها باري النسمات ، واعقب الصلوات في النصف الأول بلفظ عدد. وفي النصف الثاني بلفظ صلاة . وختمها بدعوات للسلطان مولاي الحسن وهو في نحو تسع كراريس في القالب الثماني ، وقفت عليه ، وكان يودني كثيرا ، وانتفع بي كما انتفعت به ، وصحبته من عام خمسة عشر وثلاثمئة وألف الى أن توفي في 26 ربيع الثاني سنة أربع وعشرين وثلاثمئة وألف 1324 . عن نحو الستين سنة رحمه الله .

925) محمد الطاهر بن عبد الكبير الفاسي

حاله : كان الشيخ الوالد رحمه الله من جلة العلماء الحفاظ ، وذوي المشاركة والتمكن في كثير من العلوم ، موفور الحفظ في الحديث والسير والتوحيد والفقه والعلوم العربية ، متقدماً في التاريخ والوفيات والحوادث

وأخبار الملوك والأمم السالفة وشعوب قبائل المغرب ، ولا سيما الأشراف منها . حاضر الذاكرة ، جيد الحفظ ، ما سمع شيئاً ونسيه ، سيّال الذهن قوي الادراك ، جم التحصيل ، حتى أنه كان لا يتكلف لدروسه بكثير من المطالعة ، بل كان يتكل على حفظه ، ويجني ثمرة ما غرسه أيام قراءته ، وأعانه على ذلك حفظ المتون ، وكانت عادته في التدريس أنه يتكلم على المسألة بالمتحصل فيها ، ولا يكثر من ذكر الاقوال والخلافات والاعتراضات والأجوبة واحتمالات الشروح ، نافرا من الحواشي ، فأحرى التقريرات ، ويقول انها عديمة الجدوى ، وانها تشوش ذهن الطالب ، يؤيد ما يلقيه من المسائل الفقهية بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، ويستحضرهما كأنهما نصب عينيه ، ومع تضلعه في الفقهيات كان لا يفتي فرارا بدينه ، فاذا سأله سائل أجابه لفظا . ويأبى الكتابة، ولو أراد أن يفتي لأثرى كما أثرى غيره ، ولكنه كان قانعا بمعيشته ، يتعيش من فضل أملاكه مع ما يصله من جملة العلماء من جراية السلطان ، يقصده الناس في الشهادة بداره فيدلهم الى سبيل الحق فيها ، فيجاملونه ويمدونه مما طابت به أنفسهم من غير كلفة ، وكان خطيباً بليغا مصقعاً عارفا بصناعة الخطابة ، شهيرا بمعرفة المناسبات الزمانية والتكلم على الحوادث الوقتية ، يلبس لكل حالة لَبوسها ، ولو لم يسبق الى ذلك ، بل ربما خطب ارتجالا ، وخطبه خالية من الاحاديث الموضوعة ، وفضائل الصلوات المكذوبة في الليالي الفاضلة كليلتيْ النصف من شعبان وسبع وعشرين من رجب ، ولهذا كان الناس يتسابقون الى استماعها ، ويتنافسون في كتابتها ونقلها ، وكان رحمه الله شديد اليقين في الله تعالى ، عظيم التوكل عليه في كل الاحوال ، لكن مع معاطاة الاسباب ، ولم يكن للخرافات على عقله أدنى سلطة ، شديد الشكيمة في قول الحق ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، رفيع الهمة ، متنزهاً راضياً من الغنيمة بالسلام ، سليم الصدر ، فلم يضمر لاحد بغضا ، ولا أخفى له سوءا ، شهد بهذا أحباؤه وأعداؤه بعد وفاته ، كثير التواضع ، عظيم الانفة على أهل الكبر وذوي الرئاسات ، يبتدىء بالسلام من عرف ومَن لا يعرف ، يخالط الفقراء ويلين لهم القول ويفقههم في دينهم في أي محل وجدهم ، خفيف المؤونة على نفسه وعلى الناس ، يحمل مشتراه بيده ، متوسطا في أموره ، كان يلبس

ويأكل ما يجد ، شديد المحبة في ءال البيت النبوي معظما لهم، مهتما بأمورهم، معتنيا بشؤونهم ، حريصا على ايصال الخير اليهم ، ساعيا في قضاء حاجاتهم ما أمكنه ، متواضعاً معهم ، مكرما لهم غاية الاكرام ، مرشدا لهم ومذكرا ومنبها، محذراً لهم من الاتكال على حالهم من فضيلة القرابة مخافة أن يُغريَهم ذلك على عدم اتباع سنن جدهم صلى الله عليه وسلم وترك العمل وتلبُّسِهِمْ بالرذيلة ، محبا في الصوفية ، معظماً لهم ومتبركا بهم ، إلا أنه كان لا يكتفي بمجرد الدعوى عن ثبوت الفضائل ، إذ لم يكن يخدع بحال ، ولا يغتر بالظواهر والاقوال ، وليس بأمعة في الرجال ، ولهذا كان ينفر من خزعبلات أهل العصر المدعين وخرافاتهم ، كما ينكر الرقص وينفر منه بكل معاني الكلمة ، فما حضر حلقة رقص ولا أثنى عليها ولا استحسنها رحمه الله تعالى ورضي عنه .

مشيخته : سمع رحمه الله موطأ الامام مالك عن الشيخ محمد بن المدني جنون وادريس السنوسي والعارف محمد بن عبد الحفيظ الدباغ والمهدي ابن الحاج والقاضي مَحمد (فتحا) بن عبد الرحمان العلوي المدغري ، وصحيح مسلم على أحمد بناني كلاً ، وادريس السنوسي ، والشمائل على والده وجنون وابن الحاج ، والشفا على والده وجنون ، وقرأ رسالة ابن أبي زيد القيرواني على والده وجنون ، والمختصر على جنون ، وابن الحاج ، وأحمد السلوي التطواني ، ومحمد بن عبد الرحمان القاضي ، ومحمد التازي مسواك ، والتحفة على القاضي العلوي ، وأحمد السلوي التطواني ، والمهدي ابن الحاج ، والزقاقية على شيخ الجماعة محمد بن عبد الرحمان الفيلالي الحجرتي، والقاضي محمد بن عبد الرحمان العلوي ، والمرشد المعين ، وفقهية الجد على والده وجنون ، وجمع الجوامع والتلخيص على بناني ، والمغني على أحمد الورياغلي والألفية على جنون ومحمد بن عبد الواحد ابن سودة ، والورياغلي ، وعبد الرحمان الزروالي ، ومحمد التازي وأحمد السلوي التطواني ، والموضح على السلوي ، وابن عبد الواحد ابن سودة ، والتازي ، والأجرومية على جنون وابن سودة ، ولامية الأفعال والبسط والتعريف والجمال لابن المجرادي على ابن سودة ، والسلم للأخضري على أبي القاسم القادري ، وابن الحاج ، وجنون،

والسنوسية على جنون . ورسالة الوضع على القادري ، والهمزية على والده وجنون ، وألفية العراقي في المصطلح ومنظومة العربي الفاسي في المصطلح أيضاً والنصيحة الزروقية الثلاثة على ابن الحاج ، والحساب والتوقيت على رئيس الموقتين بفاس ادريس بن محمد الحبابي ، والفرائض على الحبابي المذكور وجنون ، ولم يجزه منهم عدا والده عبد الكبير لفظاً وجنون اذناً ، فانه لما عزم على تدريس بعض العلوم ابان قراءته عليه ذهب اليه مستأذنا فقال له : أنت مأذون منا في كل شيء .

وحج في معية والده سنة 1287 فلقي العارف المحدث الشيخ عبد الغني بن أبي سعيد الدهلوي ، وسمع منه الاولية وأوائل الموطأ ، وكتب السنة ، وتلقّى منه الطريقة النقشبندية ، وابن أخيه الشيخ محمد مظهر بن الشيخ أحمد سعيد ، والشهاب أحمد الرفاعي، وتلقّى منه الرفاعية والدرقاوية، والشيخ عبد الجليل برادة كلهم بالمدينة ، ولقي بمكة الشهاب أحمد دحلان وسمع منه الأولية ، والشيخ محمد حسين جمال الليل وتلقى منه النقشبندية والقادرية والحبشية والسهروردية والشاذلية ، والشيخ رحمة الله الهندي وقرأ عليه بعض كتابه (اظهار الحق) ، وحسين بن ابراهيم الأزهري المالكي، ولقي بمصر ابراهيم السقا وأجازوه كلهم . كما أجازه مكاتبة بعد ذلك من المدينة المنورة السيد هاشم الحبشي الباعلوي ، وقد عمته اجازة الشيخ عابد السندي الذي أجاز لأهل عصره والشيخ الوالد منهم ، لأنه ولد سنة 1255 ، والشيخ عابد توفي سنة 1257 وكذا عمته اجازة أحمد بن سليمان الاروادي الطرابلسي لانه توفي سنة 1275 . وأخذ دلائل الخيرات عن عمر أغيلان الطنجي عن محمد بن الهاشمي البقالي ، عن الشيخ العربي بن المعطى الشرقاوي ولقي الشيخ محمد ابن مسعود الفاسي بمكة وتلقى منه ، والمعمّر عبد السّلام الفراح السوري نزيل مصر ، وبالمغرب عبد السلام ابن ريسون ، وتلقى من محمد بن دحّو الأزموري الكنتية والناصرية والتهامية ، ومن والده كافة ما تلقى من الطرق والاوراد والاحزاب، وقد فصلت كل ما تلقاه من مشايخه المذكورين من المغاربة والمشارقة مع تراجمهم ومشيختهم في كتابنا (روضات الجنات ، في ذكر شيخنا الوالد وأشياخه وما لهم من المناقب والحسنات) .

مولده ووفاته

كان مولده في يوم الاثنين عشري 20 رجب الفرد الحرام عام خمسة وخمسين ومئتين وألف 1255 بمدينة فاس ، ومات جدد الله عليـه الرحمات عشية يوم الاثنين أيضا ثاني شوال الابرك عام أربعة وعشرين وثلاثمئة وألف 1324 ، ودفن ضحوة الغد بالزاوية الفاسية بمحل درسه عند رأس الجد الامام عبد القادر رحمهم الله .

ذكره فـي (معجم الشيوخ) (1) .

926) **محمد بن أحمد العلوي** ، المدغري الدرقاوي ، أخذ عن الشيخ سيدي محمد العربي المدغري ، وكان المترجم من أولاد مولاي عبد الله بـن علي بن طاهر ، سواحاً يتعبد بمدرسة الوادي من فاس ، ودخـل مراكش ، وتوفي عام أربعة وعشرين وثلاثمئة وألف ودفن بصفرو .

927) **محمد بن سعيد السلوي** ، المحدث الفقيه النحوي الصوفـي ، أخذ عن سيدي ابراهيم التادلي ، ودخل في عموم إجازته ، ثم رحل الى فاس وأخذ عن ابن التهامي الوزاني وطبقته ، ودخل مراكش ، ثم عاد لوطنه ، وشغله التكسب بالعدالة عن التصدر للعلم ، وحج ثلاث مرات أجازه في أولاها الشيخ عبد الستار المكي وغيره ، وفي ثانيتها الشيخ عبد الله البنا في الاسكندرية والسيد محمد سر الختم المرغني ، والسيد حسين الحبشي ، والشيخ محمد سعيد القعقاع وغيرهم ، وفي الثالثة توفي محرماً ودفن بالمعلاة بمكة بعد أن سافر من المغرب باهله لما وقع الاحتلال بالدار البيضاء .

كان سريع المراجعة والكتابة حسن النطق بالحديث ، يستحضر غالب الصحيح ، وكان مدرساً بالزاوية في سلا ، ومن علماء الطائفة الكتانية رحمه الله . ذكره السيد عبد الحي .

---

1) **رياض الجنة** 1 : 16

928) محمد بن محمد العلوي المدغري

محمد بن محمد بن محمد (ضماً ثلاث مرات) بن مَحمد (فتحا) بن عبد الله بن طاهر بن عبد الكريم بن علي بن طاهر العلوي المدغري . ولد في حدود العشرة الخامسة من القرن المنصرم ، وقرأ القرآن على الأستاذ المعمر شيخ التجويد في وقته السيد عبد الله بن أبي بكر الانصاري المتوفى في أواخر العشرة الاخيرة من القرن الفارط ، وقرأ العلم على جماعة من أهل بلده ، منهم الشريف مولاي قاسم المدغري ، ومولاي أحمد بن محمد قاضي مدغرة وأستاذها الجواد المفضال الصارف جل ماله على الاشراف ، وابن عمه مولاي هاشم بن مَحمد (فتحاً) المدغري ، وعلى القاضي مولاي الصادق العلوي ، والشريف مولاي الأمين المدغري وغيرهم ، وحفظ المختصر الخليلي هناك وعدةَ متون من غالب الأمهات المتداولة ، ثم رحل لفاس بقصد قضاء بعض مآربه والرجوع لاستيطان بلده ، فوجد بها تِربَه' ورفيقه في القراءة ببلده الشريف العلامة سيدي الحسن بن محمد خليفة الشيخ سيدي محمد العربي الدرقاوي وشيخ التربية بعده يقرأ العلم بها ، فألحّ عليه في الاقامة بها لقراءة العلم فساعده ، وأخذ بها عن جماعة من علمائها، منهم العلامة سيدي محمد بن عبد الرحمان الحجرتي قبل وفاته بنحو العام ، والفقيه العلامة مولاي محمد القاضي وانتفع به كثيراً ، وكان قارىء مجلسه في المختصر والتحفة ، وعلى الحاج عمر ابن سودة ، وكان قارىء مجلسه أيضاً ، وعلى أخويه الحاج المهدي ، والسيد أحمد ابن سودة ، وسيدي قاسم القادري كما في فهرسة ولده . وعلى العلامة مولاي عبد المالك الضرير ، وعلى الحاج محمد المَقْري الزمخشري ألفية ابن مالك . وعلى الفقيه المكناسي ، وسيدي أحمد بن أحمد بناني ، كلاّ (1) التفسير ، والمرنيسي الألفية ، وسيدي محمد بن المدني كَنون ، والسيد عبد الواحد ابن المواز وادريس السنوسي والد السيد ابراهيم ، ومحمد بن عبد الواحد الدويري ، والحاج علي الدمناتي البوجمعاوي لما كان حالا بها صحبة السيد أبي بكر الناصري وغيرهم ، ومكث بها لقراءة العلم نحو ست سنين لازم فيها

---

1) لقبه

شيوخ الوقت ، وحصل علوماً كثيرة ، وحضر في المختصر بشرح الخرشي نحو أربع مرات حتى صار غالبه في حفظه على ظهر قلبه ، ثم انتقل من فاس للزاوية العياشية الحمزوية بطلب مقدمها السيد أحمد بن العباس حفيد أبي سالم العياشي بقصد إقراء أولاده ، فأقرأ بمسجدها خمس سنين لا همة له الا في نشر العلم . وأخذ عنه بها جماعة كثيرة من طلبة الصحراء وفدوا الى الزاوية المذكورة بقصد القراءة عليه ، وكانت الزاوية تقوم بمؤونتهم لوفرة أحباسها ، وطالع خزانتها العلمية المشتملة على كثير من الكتب النفيسة ألتي لا توجد الا فيها ، جمعها الرحالة أبو سالم العياشي من المغرب والمشرق ، ويحكى أنه لم يترك بعد وفاته ألا كتبه وبغلا . وولده السيد حمزة هو الذي وقف على هذه الزاوية أوقافاً كثيرة ، واليه تنسب اليوم ، وبينها وبين مدغرة مسافة يومين في جبل العياشي ، واليها ينتاب الوافد من فاس الى مدغرة لكونها في طريقه ، وتزوج في خلال هذه المدة ببلدة مدغرة ، وكان يسافر أليها كل عام ، وأتي بأهله اليها ، ثم بعد تمام الخمس سنين توفي قاضي مدغرة ، فولاه السلطان سيدي محمد قضاءها باشارة شيخه القاضي مولاي مَحمد ، وامتنع من القبول والذهاب الى مدغرة ، ثم طلع شيخه المذكور من فاس الى مدغرة ، فورد زاوية العياشي في طريقه ، وجبره على قبول الولاية وذهب به معه اليها فبقي قاضياً بها نحواً من ستة وعشرين عاماً . وعكف في خلال تلك المدة على بث العلوم نهاراً وليلا ، وأقرأ العربية والفقه والحديث والتفسير بالمسجد الأعظم بقصر سيدي عبد الله بمدغرة ، وكان يحضر بمجلسه جلُّ أشرافها ، وكانت تقصده طلابه من البلاد النائية ، وانتفع به خلق كثير ، منهم : أخوه الفقيه مولاي العربي الوارد من مراكش ، والشريف مولاي عمر بن محمد صنو الشريف سيدي الحسن المذكور آنفاً ، والشريف مولاي هاشم بن قاسم من حفدة مولاي عبد الله بن علي بن طاهر ، وابن أخيه الشريف سيدي محمد بن الطيب ، والعلامة شيخ القراء في وقته سيدي أحمد بن المبخوت السجلماسي الغرفي (1) وغيرهم . وولد له هناك عدة أولاد منهم الشريف الفقيه العدل

1) لا يزال أحفاده فى قصر أمسفى فرقة الغرفة بالريصاني

مولاي الحسين المتولد في عام 1290 ، ثم أشقاؤه الفقيه مولاي أحمد ، ثم مولاي عبد الله ، ثم مولاي ادريس ، وكلهم قرأوا عليه وانتفعوا به أيام سكناه بفاس ومراكش ، وكان له صيت عظيم كبير في البلاد الصحراوية ، كثير السعي في مصالح الأشراف ، واصلاح ذات بينهم ، وكان كثير التردد فيها لذلك .

ثم في عام (9) من هذا القرن الرابع عشر ، استدعاه السلطان مولاي الحسن لوفادته عليه بالحضرة الفاسية ، فترك نائباً عنه في قضاء مدغرة ابن عمه الشريف الفقيه مولاي هاشم بن شيخه مولاي الأمين المدغري ، فقدم لفاس أواخر جمادى الثانية منه ، وأجلّ السلطان مقدمه ونزله وجعل له مؤونة وأجرة . وقدم صحبته جماعة من بني عمه وأكرمهم السلطان ورجعوا الى منازلهم وبقي هو في ضيافة السلطان ، وحضر في مجلسه العلمي لقراءة صحيح البخاري بجامع أبي الخصيصات بفاس العليا ، ثم نفذ له دارا بها ووهب له سرية . ثم ولاه قضاءها ، وولى الفقيه السيد عبد السلام الهواري قاضيها قبله قضاء القصر الكبير في سنة 1310 . ثم سافر في خلال هذه السنة صحبة الركاب الشريف لسجلماسة وترك نائباً عنه في قضاء فاس العليا أخاه الفقيه مولاي العربي ، وولاه السلطان في هذه الحركة قضاء محلته ، وكان يشاوره في مهمات أمور قبائل الصحراء ، ولما قفل السلطان من زيارة تلك النواحي وتوفي قاضي فاس الادريسية مولاي الهادي الصقلي بالمدينة المنورة ولاه في محله ، وغادر المحلة السلطانية ببلاد تدغة ورجع لفاس ، فقام بأعباء القضاء بها ، وولى القاضي السيد محمد بن رشيد قضاء فاس العليا بعد أن كان نائباً عن القاضي مولاي الهادي المذكور ، ودرس بفاس المختصر الخليلي ، والشمائل ، وكان يحضر مجلسه جل طلبة المدارس وغيرهم .

ثم لما سافر السلطان مولاي عبد العزيز من فاس عام 1313 أصحبه معه ، وجعل نائباً عنه الفقيه العلامة السيد عبد الرحمان ابن القرشي وورد مع السلطان مراكش وحرك معه الحركة الشاوية ، ثم رجع الى مراكش وبقي بها ودرس وأفتى ، ولقيناه بها الى أن سافر منها ، ثم بعد ذلك أقام بفاس الى أن توفاه الله في عاشر محرم عام 1325 خمس وعشرين وثلاثمئة وألف ، رحمة الله عليه .

929) محمد بن عبد العزيز العلوي

محمد بن عبد العزيز ، ابن أمير المومنين مولانا سليمان العلوي المراكشي ، قرأ العلمَ بمراكش عن علمائها كسيدي أحمد الكنسوسي ، والسيد حسن الفيلالي ، ومولاي أحمد بوغربال ، وقاضيها سيدي الطالب ابن الحاج ، كان رحمه الله شريفاً وجيهاً فقيهاً علامة نبيهاً خيراً هيناً ليناً متواضعا .

ومن فوائده ما نصه :

الحمد لله وحده ، اللهم صلّ على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي الى صراطك المستقيم وعلى آله حقّ قدره ومقداره العظيم .

وبعد ، فلما أورد الامام البخاري في صحيحه حديث عبد الله بن أنَس من أواخر كتاب التوحيد ، وهو : (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يحشر اللهُ العبادَ فيناديهم بصوت يسمعه مَن بَعُدَ كما يسمعه مَن قرب أنا الملك أنا الديان) . كتب عليه شارحه القسطلاني في إرشاده ما نصه : أي لا مالك إلا أنا ، ولا مجازي إلا أنا . وهو من حصر المبتدأ في الخبر ، فلم يتبينْ وجهٌ لقوله مَن حصر المبتدأ في الخبر لما سنذكره وحاصله ، أنه علم من جهة العقائد المسلمة أن أسماءه تبارك وتعالى كصفاته غير محصورة في عدد كما هو في شرح الكبرى وغيرها من دواوينهم ، وأنه إنما وقع التكليف بمعرفة ما ورد وقام الدلّيل عليه رفقاً وغيره توفيقى الى آخر ما لهم ، ولا نقول إنه ليس وراء الوارد غيره ، واذا علم هذا فلا يصحُ قوله انه من حصْر المبتدأ في الخبر هنا قد قام الدليل القاطع على أنه غير محصور في شيء من الاسماء والصفات ، بل ما ثَمَّ إلا القدم الذي لا يأتي عليه حصر ، ولا يدخل تحت حيطته قصر ، بل أسماؤه تبارك وتعالى محصورة ،وصفاته في ذاته الأقدس مقصورة عليه جل وعلا قصرَ تحقيق لا تتعداه الى غيره أبداً . وقد علم من جهة المعاني أن القصر على ضربين : حقيقي وهو ما كان في تخصيص الشيء بالشيء بطريق مخصوص على حسب

الحقيقة وفي نفس الأمر بمَن لا يتجاوزه الى غيره أصلا ، وغير حقيقي وهو الاضافي ، وينقسم الى قصر إفراد ، وقصر قلب ، وقصر تعيين ، وذلك باعتبار حال المخاطب ، وان كلا من الحقيقي وغيره نوعان : قصر الموصوف على الصفة ، وهو أن لا يتجاوز الموصوف تلك الصفة الى صفة أخرى ، لكن يجوز أن تكون تلك الصفة لموصوف آخر ، وقصر الصفة على الموصوف ، وهو أن لا تجاوز تلك الصفة ذلك الموصوف الى موصوف آخر ، لكن يجوز لذلك الموصوف صفات أُخر ، وعليه فلا ريب أن نقول : أنا الملك لا مالك الا أنا الى آخره . قصر حقيقي من قصر الصفة على الموصوف في لسان المعاني ، ومن حصر الخبر في المبتدا في لسان النحو لا العكس ، كما رسخ في نسخة القسطلاني . نعم يحتمل القصر المذكور أن يكون قصر إفراد بالنسبة لمن يعتقد الشركة في ذلك ، وقصر قلب بالنسبة لمن يعتقد الملك لغيره تعالى ، وعلى كل فهو قصر الصفة على الموصوف قطعاً . ومما يزيدك أيضاحاً ما ذكره النحاة من القاعدة المسلمة وهي أن المبتدأ إذا تجرد عن اللام وكانت في الخبر سواء كانت للجنس أم لا فانه يكون منحصراً في المبتدإ . وذكره الرضي وغيره ونظمه الشيخ علي الأجهوري في البيت الثاني فقال :

مبتدأ بلام جنس عرفـا — منحصر في مخبر بـه وفـا
وان خلا عنها وعرف الخبـر — باللام مطلقاً فالبعكس استقـر

والحاصل أن قوله حصر المبتدأ في الخبر لا يظهر بل لا يصحُّ وما أخاله إلا تحريفاً ، والله تعالى أعلم . وصلى الله وسلم على سيدنا محمد الفاتح الخاتم وعلى آله وصحبه .

وكتب عليه شيخه العلامة سيدي سعيد جيمي ما نصه :

الحمد لله در مولانا الشريف، العلامة المنيف ، المنشيء هذا الكلام ، المحرر على المهيع المقرر، كيف وهو من عنصر النبوة، وسبط المملكة والفتوة، هو مولانا مُحمد بن مولانا عبد العزيز بن مولانا سليمان أمير المومنين أيده الله وأعزه أن أتانا بالاتقان ، وفيه النص الصريح في غاية إتقان أن حصر

الموصوف في الصفة لم يقع في التنزيل ، فاتضح المدلول بهذا الدليل ، وغاية ما يمكن الاعتذار به عن العلامة أنه تحريف أو يرجع كلامه لما قرره من قوله لا مالك الا أنا ولا مجازي الا أنا ، لأن المبتدأ فيهما هو مالك ومجازي وهما صفتان ، والخبر أنا ، فيصح حينئذ مع تعسف ونوع من التلطف .

وكتب عبد ربه سعيد بن محمد جيمي لطف الله به .

انتهى من خطه رحمه الله .

توفي رحمه الله في عشري رجب عام ستة وعشرين وثلاثمئة وألف 1326 .

ومما يعجب منه أن صاحب (الدرر البهية) ذكر موته في كتابه المطبوع عام 1314 وهو غلط واضح ووهم فاضح ، ووالده مولانا عبد العزيز استوطن مراكش ، وكان من أعيان الشرفاء ، وأهل الفضل والوفاء ،جواداً سخياً مضيافاً ذا مرؤة وطلاقة وجه وإحسان . توفي عند انقلابه من فاس أيام السلطان سيدي محمد بن مولانا عبد الرحمان . وتوفي ولده الشريف الخير مولاي الحسن بن عبد العزيز في فاتح جمادى الأولى عام خمسة وثلاثين وثلاثمئة وألف (1335) وتوفي ولد المترجم الشريف المحترم مولاي سليمان في منتصف رجب عام اثنين وثلاثين وثلاثمئة وألف (1332) وتوفي الشريف الخير شقيقه مولاي مَحمد فتحا في يوم الأربعاء التاسع والعشرين منه .

ثم اعلم أن المترجم أمه شريفة وهي السيدة فاطمة حفيدة مولاي زيدان ، وأخوه مولاي الحسن ولد أمة يقال لها : « دائم الهناء » وشقيقه مولاي ابراهيم ومولاي أحمد أخوهما أمه أمة اسمها رابحة .

930) مَحمد بن علي التدغي

مَحمد (فتحا) بن علي حفيد سيدي الحاج عمرو التدغي الفركلي الدرقاوي المراكشي ، المقدم المعظم المحترم البركة العظمى ، الولي الكامل ، المربي الواصل ، شيخ الطائفة الدرقاوية بزاوية سيدي محمد بن صالح من

مراكش أخذ عن سيدي العربي بن عبد الله الهواري ، وسيدي أحمد البدوي زويتن تلميذ مولاي العربي الدرقاوي المتوفَّى بفاس عام 1275 خمسة وسبعين ومئتين وألف ، وعن تلميذه سيدي محمد العربي المدغري ، وكان في أول أمره يلبس المرقعة ويحزم بشريط ! وفي آخر عمره صار يركب الخيول ، ويلبس الرفيع من الثياب .

توفي رحمه الله في يوم الثلاثاء ثاني عشر ربيع الأول يوم العيد النبوي عام ستة وعشرين وثلاثمئة وألف (1326) ودفن بوسط قبة زاويته التي بناها في حياة شيخه بحومة ابن صالح وقد تقدم ذكره في رسائل سيدي محمد العربي المدغري الموجهة لمراكش سنة 1283 .

931) مَحمد بن مُحمد كَنُّون

مَحمد بن محمد بن عبد السلام بن أحمد كَنُّون ، الفقيه العلامة المشارك النفاع ، دو السمت الحسن ، والهدي المستحسن ، أحد الأعلام الفضلاء ، والفقهاء النبلاء ، له مشاركه في سائر المعقول والمنقول ، وعارضة قوية في التدريس وتنظيم المقول ، مفتاح عويصات المسائل العارف الفروع والأصول ، وألف تآليف عديدة منها تأليفه في شرح الجوهرة ، وفي ايمان المقلد ، وله تقاييد أخرى وقصائد ، دخل مراكش مرات، وتوفي بفاس في (1) شعبان عام 1326 وستأتي مرثيته الصادرة من تلميذه مولاي عبد السلام المحب في ترجمته (2) .

932) محمد بن العربي الطريس ، التطواني النائب السلطاني بطنجة ، كان خيراً ديناً فاضلا نبيها نبيلا سياسياً حازماً ضابطا عفيفاً نزيهاً ، محافظاً على ديانته ، ملازما للصلوات وأداء الزكوات ، عفيفاً عن أخذ الرشوة عاقلا وقورا حسن السمت لم يثبت عنه أنه ارتشى في قضية ، ناب في طنجة في

---

1) بعد زوال يوم الجمعة 26 شعبان من السنة المذكورة ، ودفن بضريح سيدى على بوغالب داخل باب فتوح بفاس

2) تنظر ترجمته فى **رياض الجنة** 1 : 49

أيام السلطان سيدي محمد ، ثم بعده لولده مولاي الحسن ، ثم لمولاي عبد العزيز ، وفي أيامه تكاثرت عليه تهافتات الوزراء في القضايا ، وتنطعاتهم وصار يقول : « ان دام هذا عامين يفلس المغرب » ،فكان الأمر كذلك ، دخل مراكش مرات ، آخر قدمة قدمها عام 1308 .

توفي رحمه الله عام1326 .

وهذا نص الظهير الذي كتبته بقلمي لخلفه في النيابة .

الحمد لله وحده — وصلى الله على سيدنا محمد وآله

يعلم من كتابنا هذا جدد الله به مآثر التوفيق ، وأحيى به معالم الرشد الجارية على أقوم طريق ، وحقق بسعادته ما يظن في نجاح التعريف ، وجعل جناسات أعماله الامتيازية مصونة عن التحريف ، أننا بحو الله وقوته ، وشامل صنعه ومنته ، كلفنا ماسكه خديمنا الأرضى المتحلي بمزايا خدمتنا الشريفة،المتمسك بأذيالنا الوريفة، المعتمد الطالب،مَحمد بن محمد الجبَّاص بعمل النيابة المستقلة عن جانب المخزن في التكاليف الخارجية ، وقلدناه ربقة أشغالها وقضاياها الحملية والاستثنائية،وأحللناه في ذلك محل الناصح المرحوم بالله الطالب محمد الطريس ، لاعتقاد اتصافه بما لا يتوسم فيه العدول عن لواحب الاسئاد والتغليس ، فنأمره أن يتوشح بحمائل الصدق والمراقبة فيما قلدناه ، ويقوم بجلي النصائح وخفيها في التكاليف التي ألحفناه بها وطوقناه ، ويجتهد في كل ما ينتج تسيراً وصلاحا ، ويحقق في مباشرة النيابة نجحا وانتصاحا ، حتى تكون أعماله في ذلك موصوفة بذاتيات الثقة والائتمان ، وحركاته الأينية والنفسانية معروضة لحصول الثواب من الله وشمول الرضوان ، مؤثراً في ذلك تقوى الله التي تجعل لمن تمسك بها في المضائق مخرجا ، وترقيه في أوج السعادات درجا . والله يلهمه السداد ، ويجريه على ما يراد .

ونأمر الواقف عليه من سائر ولاتنا أن يعلمه ويعمل بمقتضاه ، والسلام .

صدر أمرنا المعتز بالله في 7 رمضان المعظم عام 1326

ثم كتبت له ظهيراً آخر لخليفته السيد عبد الله بن سعيد هذا نصه :

وبعد ، فانه يرد عليك خديمنا الطالب عبد الله بن سعيد الذي جعلناه خليفة لك لمقابلة عمله في أشغال دار النيابة السعيدة هناك ، فنأمرك أن تُجريه على ما قدمناه لك في شأنه والسلام .

في 7 رمضان عام 1326

وهذا ظهير إعلام النائب المذكور .

وبعد ، فاننا جعلناك نائباً مستقلا في التكليف بمقابلة أشغال دار النيابة بمحروسة طنجة في محل المرحوم بالله الطالب محمد الطريس ، وظهيرنا الشريف بذلك يصلك صحبته ، وقد عينا خديمنا الارضى الطالب عبد الله بن سعيد السلوي خليفة لك لاعانتك ومباشرة الامور معك والمفاوضة فيما يعرض لأعمال النيابة وأشغالها ، والمصارفة فيها على الوجوه التي يظهر نجاحها ، وينتج سدادها وصلاحها ، لما توسمناه فيه من الديانة والامانة والنصيحة ، وتحري الصواب والتحفظ والاحتياط بوجه محمود ونية صالحة ، فنامرك أن تجري معه على مقتضاه ، ونفذنا لك في راتبك الشهري ما كان منفذاً للخديم الطريس رحمه الله ، ونفذنا للخليفة المذكور مئتين ريالا في الشهر راتباً له ، وكتبنا للخديم الحاج ادريس بن جلون باجراء العمل معكما على ذلك استقبالا في التنفيذ من المخرج المعين له ، اصلحك الله وأعانك والسلام .

في 7 رمضان عام 1326 .

933) محمد القصري المكناسي

من ذرية الشيخ الصالح سيدي الحاج عبد الله القصري ، صاحب المزارة الشهيرة بمكناسة الزيتون ، الفقيه العالم النحوي المدرس الوجيه ، ولد بمكناسة الزيتون ، وأخذ عن سيدي المهدي ابن سودة ، والسيد المفضل ابن عزوز ، وغيرهما من فقهاء بلده ، ثم تصدر للتدريس والعدالة والخطابة بها وانتفع به كثير من الطلبة ، وكان درسه عجيبا في حسن الالقاء والفصاحة ،

لطيف المجالسة ، عجيب المحاضرة ، لا تُمَلّ مجالسته ، بارعاً في النحو والآداب ، تولى الخطابة بجامع الأروي خارج مكناسة ، وخطب بزاوية الشيخ سيدي عبد القادر العلمي نائباً ، وكان لأبناء موسى بن أحمد عليه إقبال ، فكانوا يرشحونه لاقراء العائلة الشريفة الملوكية ، فكثرت أسفاره مع المولى الحسن لاقراء الشرفاء ، فدخل مراكش مرات ، وسكن بها سنين ، وكان تيجانيّ الطريقة ، ثم انتقل الى الطريقة الكتانية ، وصار من زعمائها ، وثابر على تدريس البخاري بالزاوية الكتانية الكبرى ببلده .

توفي رحمه الله في رجب عام سبعة وعشرين وثلاثمئة وألف 1327 .

ذكره السيد عبد الحي .

934) **محمد بو النية** ، من ذرية سيدي سعيد بن عبد النعيم أو عبد المنعم الحاحي . كان ولياً صالحاً زاهدا ورعاً متقشفا منسلخاً من متاع الدنيا الفانية ، مقبلا على ربه الى أن توفي مُعمرا ، كان يسكن بمجاط خارج مراكش وكانت له ثروة عظيمة ، ثم زهد فيها ، وأقبل على الله بعد أن قرأ العلم بسوس وغيرها ، ثم صار ملازماً لضريح سيدي عبد الخالق بن ياسين ، وكان لا يأكل الا كسرا من الخبز بماء يتجرعه من الساقية ، ويستأجر نفسه في حراسة المقاثي الى أن يحصل له ما يشتري به جلابة صوف خشن فيقتصر على لباسها دائما عاري الرأس حافي القدم ، اشتد خوفه من الله تعالى ، فرق جسمه ، وكبر حتى وهن عظمه ، لا يتكلم إلا فيما يعنيه ، وصدرت منه مكاشفات واشارات لما وقع بعد موته ، واخبر بموته قبله بنحو خمسة عشر يوما ، توفي عام 1327 ودفن بروضة سيدي الزوين .

دخل مراكش مرات ، وكانت أخته تسكن فيه ، وله أخرى سلكت طريقته وفرت من الاحياء ، والتزمت ضرايح الاولياء مقبلة على ما يعنيها من ديانتها ، وهي الحاجة خديجة ، رأيتها في رمضان عام واحد وثلاثين عمياء ملازمة لضريح أحمد الشرادي مدة من سنة ، وكانت لازمت قبله ضريح سيدي عبد الخالق بن ياسين نحواً من عامين .

بنو الصالحين الصالحون ومن يكن ... لآباء صدق يلقهم حيث يمهل

935) محمد بن عبد الكبير الكتاني

هو محمد بن عبد الكبير بن محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الواحد بن عمر بن ادريس بن علي (الجد الجامع لكافة القبيلة الكتانية اليوم)، وهو ابن القاسم بن عبد العزيز بن محمد بن قاسم بن علي بن عبد الواحد بن محمد بن علي بن موسى بن أبي بكر بن محمد بن عبد الله بن الهادي بن يحيى بن عمران بن عبد الجليل بن يحيى بن يحيى بن محمد بن ادريس بن ادريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثني بن مولانا الحسن السبط بن مولاتنا فاطمة وسيدنا علي كرم الله وجههما وعليهما السلام ، (أبو الفيض) الكتاني الحسني شيخ الطريقة الكتانية ، ترجمان الصوفية ، لسان المتكلمين ، الامام العلامة المتبحر ، من أهل فاس ، رحمه الله تعالى .

أوليتـه :

تكلم على السادات الكتانيين العلامة عبد السلام القادري الحسنـي في (الدر السني ، في من بفاس من أهل النسب الحسني) ، والعلامة محمد بن الطالب ابن الحاج في (الاشراف ، على من بفاس من مشاهير الاشراف) ، وألف فيهم بالخصوص تأليفه (عقد الدرر واللئال، في شرفاء عقبة ابن صوال) ولما ذكرهم صاحب (الدر السني) قال فيهم ما نصه: هم (من) شعب الادارسة، الذين آثارهم واضحة غير دارسة ، نسبهم أوصل نسب ، وسببهم أوثق سبب، وبيتهم بيت مسكنة وكفاف ، تواضع وعفاف ، لهم في الناس على ما هم عليه في أنفسهم من الخمول ، تسليم من الكافة لنسبهم وقبول ، لا يخفى امرهم ولا يجهل قدرهم ، انتهى .

وما ذكره من وصفهم بالخمول لم يبق ملازما لهم ، فقد اشتهروا أخيرا بمن ظهر فيهم من أهل الولاية والصلاح ، كالأخوين محمد الطيب وأخيه محمد المدعو الحمدوشي ، وتلاهما جدنا من قبل الأم محمد بن عبد الواحد صاحب زاوية القطانين ، ثم ظهر فيهم بعدهم بالمظهر العلمي شيخنا جعفر بن ادريس ، وولده شيخنا محمد ، وخالنا عبد الكبير ، ثم ازداد البيت الكتاني شهرة بما أوتيه صاحب الترجمة من بعد الصيت واقبال الخلق وناهيك به .

حالـه : صدر من صدور عصره ، عالم متبحر ، حافظ مـن حفاظ الحديث ، بصير بمعانيه وفقهه ، متمكن في علم التفسير والاصلين والكلام ، متبحر في التصوف ، غواص على دقائقه ، ناهج في ذلك منهج أرباب الحقائق وأصحاب وحدة الوجود ، كالشيخ الاكبر الحاتمي والجيلي وابن سبعين وابن الفارض وأمثالهم ، خبير بأحوالهم وطبقاتهم ومنازعهم ومنازلهم ومذاهبهـم وفرقهم ومشاربهم ومقاصدهم واصطلاحاتهم ، قدير على فكّ المشكلات وفض المعضلات ، مثابر على نشر العلم دؤوب على تقريره وتدريسه ، لا يخلو وقت من أوقاته من الخوض في مسائله ، حر الفكر والضمير ، يجاهر بأفكاره ومبادئه في مؤلفاته ودروسه ، مقتدر على اقامة الحجة واقناع الخصم والاستيلاء على أفكاره بما أوتي من قوة العارضة والقدرة على البيان ، والبراعة في الاستدلال وفصاحة اللسان وثبات الجنان ، لم يبلغ أحد من أهل عصره بعد الشيخ ماء العينين مبلغه في اقبال الخلـق وبُعد الصيت وشهرة الذكر فـي المشرق والمغـرب .

مشيخته : أخذ العلم عن والده خالنا عبد الكبير وعن خاله جعفـر ومحمد بن التهامي الوزاني ، وأحمد ابن الخياط ، وشيخنا الوالد وغيرهم ، وأجازه والده والشيخ ماء العينين ومحمد حسين العمري الهندي الالاهآبادي ، والقاضي حسين بن محسن السبعي الانصاري، ومحمد شرف الدين بن مرتضى المشهدي الاحمد أبادي ، ومحمد نور الحسنين الخزرجي اللكنوي ، والشهاب أحمد بن صالح السويدي البغدادي ، وحبيب الرحمان الردولوي ، وأحمد بن اسماعيل البرزنجي ، وعلي بن موسى الجزائري وغيرهم ، وتلقى من والده كافة ما تلقى من الطرق والاوراد عن والده وغيره ، كما أخذ الطريقة الجشتمية عن محمد حسين السابق ، والطريقة الدرقاوية عن علي بن أحمد المستاري خليفة محمد الطيب الدرقاوي ، وأخذ أيضا عن الشيخ محمد الغياثي بأسانيده .

تصانيفه : المترجم ممن رزقوا الاعانة على التأليف ، فألف الكثير في التصوف والحقائق والتفسير والفقه والحديث وغير ذلك ، فمنهمـا (روح الفصوص) ، و (الكشف والتبيان ، في قوله تعالى : ما كنت تدري ما الكتاب

ولا الايمـــان) ، و (اللمحات القدسية ، فـــي متعلقات الروح بالكـــلية) ، و (المواقف الالهية ، في التصورات المحمدية) ، و (الدرة البيضاء ، فـــي معنى الصلاح الذي تطلبه الانبياء) ، و (السر الصمداني) في كون العارف لا يزايله الخوف ولو بعد دخول الجنة ، وكتاب (حياة الانبياء) ، و (البحر الخضم ، في شروط الاجتماع بالنبي الاعظم) ، و (الديوانية ، في وقت ثبوت الفتح للذات المحمدية)،و (طوالع السعود)في حقيقة الحيرة فتوح الجوارح ابتداء الدوائر الوجودية ، (الاستباقات ، الى حضور الحق للموجودات) نسخه من غاب عنه مطرب مراتب التوحيد الخاص ، تفسير سورة الضحى ، و (كشف اللثام ، في سر الصيام) ، و (المنازلات) في سر تكبير العيد ، تأليف في سنة القبض في الصلاة ، وآخر في الرفع عند الركوع والرفع منه ، الى غير ذلك مما هو مشهور ومطبوع .

امتحانه : لما صرح المترجم بمشيخته وأظهر طريقته ، صار الناس ينقلون من دروسه ومؤلفاته كلمات عديدة ومسائل كثيرة ، بعضها يرجع الى الاعتقاد ، وبعضها يرجع الى فضائل الصلوات والاوراد ، فعظمت فيه من علماء فاس القالة وظهر عليه الانتقاد ، وساءت فيه الظنون وقبح الاعتقاد ، ثم رفعت بذلك العرائض والحجج الى السلطان مولاي عبد العزيز بمراكش ، وزادوا فاتهموه بطلب الملك ، فقصد المترجم اذذاك مدينة مراكش حيث كان السلطان بها مبرّئاً نفسه مما اتهم به من طلب الملك ، فلما استقر به المقام ، وكانت المكاتيب التي رفعت للسلطان من الخليفة بفاس والعلماء قد وصلت ، صدر الامر باجتماع العلماء بالحضرة المولوية ، وبعد مناظرات معه في تلك المقالات كتب السلطان لقاضي فاس اذذاك العلامة عبد الرحمان ابن القرشي معرفا فيه بأن المناظرة انفصلت عن رجوع المترجم عن تلك المقالات ، ولم يؤذن للمترجم اذذاك بالرجوع الى فاس ، بل بقي صحبة الركاب الشريف مع الاحتبال ، وغاية الرعاية والاحتفال ، وكان الفضل في ذلك للشيخ ماء العينين الذي أوصى به الوزير أحمد بن موسى خيرا ، وحضّه على الاعتناء به ، ولما طال مقامه وكتب والده عليه الرحمة يستمنح من صدر الوزارة رجوعه ، أنعم بشرط أن لا يخرج من فاس الى القبائل ، وأن يقدم كفيلا بذلك ، فلم يجسر أحد على ضمانته ،

بعضهم خوفا من العاقبة ، وبعضهم بغضاً فيه وحرصا على عدم رجوعه لفاس ، الا والدي (1) رحمه الله تعالى لما كان بينهما من المحبة الصادقة،والالفة الخالصة، فأشهد بذلك على نفسه ، وبعث بها الى الوزير الذى عندما استلمها وجَّهه الى فاس معززاً مكرماً،وقد كان المترجم عليه الرحمة يعرف لوالدي ذلك،ويرى منته عليه عظيمة، وكتب له من مراكش كتابَ شكر على ذلك طويل الذيل ، ولقد بكى عليه يوم مات بكاء الثكلي ، شأن النفوس الكريمة مع مَن أحسن اليها ، وقد حظِي المترجم بعد هذه الواقعة عند السلطان مولاي عبد العزيز وعلت منزلته لديه ، وعمته أياديه ، وحج على نفقته .

محنته : كان المترجم من أعظم العوامل في مبايعة مولاي عبد الحفيظ بفاس لا لكونه كان يدعو الى ذلك ، بل ان كثيرا من ذوي الحل والعقد لم يسارعوا في الدخول فيما دخل فيه أهل فاس من مبايعته الا خوف أن يقدم العامة المترجم للملك ان تفاقم الخلاف (2) لما كان له اذذاك من النفوذ ، ولانفصام عرى الجماعة واختلاف أهواء القبائل ، ولما عزموا على عقد البيعة أملى المترجم شروطا كان في بعضها مصيبا كتقييد السلطان بالشورى ، فوقع عليها الكافة ، بعضهم موافقة واستحسانا ، وبعضهم خوفا من العامة ونفاقا ، الا أنه لما رفعت البيعة الى السلطان لم ترق تلك الشروط في عينه ورآها تحجيراً عليه ، وحطّاً من قدره ، فكانت هي الحلقة الاولى من سلسلة سوء التفاهم بينهما ، فلم يره بعد ذلك بعين الاحترام ، بل غض من قدره ولم يجره على عوائده تضييقا عليه ، فقلت الوفود عليه ، وساء حاله ، وضاقت معيشته ، وخرج من فاس في 25 صفر الخير عام 1327 قاصدا بلاد البربر هو وولده وأخوه(3) ووالدهما وكافة أهلهم وأولادهم وحشمهم ، فقامت قيامة السلطان لذلك ، وبعث الخيل في أثره الى القبائل التي كانت في طريقه ، مقنعا له بالرجوع الى فاس في الامان ، فاغتر المترجم بذلك ولم يكن سياسياً حاذقا ولم يسمع

---

1) الطاهر الفاسي

2) وهذا يدل على انه كان مترشحا للملك

3) عبد الحى

نصيحة مـن كانوا معه مـن الدهاة الذين أشـاروا عليـه بعدم الرجـوع إلا اذا ماتـوا دونـه ووقع أسيـرا ، وحيث أنـه لم ير مبـررا لسفك الدماء مـا كان ينبغي لـه أن يخرج أولا ، بـل يصبر على المـر ، وحيث خرج ما كان ينبغي له أن يرجع الا أن يموت أو ينتصر ، ولكن ما قدر قد كان ، فلما رجع المترجم ومن معه وقاربوا فاس مع القبائل المتكلفة بالامان، تلقتهم كتيبة من خيل السلطان ، فألقوا القبض عليهم وصفدوهم في الحديد ، ووصلوا عشية الثلاثاء فاتح ربيع النبوي الانور ، فأمر بسجنهم جميعا حتى النساء والصبيان ، ثم صدر الامر بتسريح النساء والصبيان وبعض الحشم ، وبقي هو وولده وأخوه ووالدهما في مشور أبي الخصيصات من فاس الجديد يعانون من الشدة والضيق ما لا يخطر ببال ، ولم يكتف بذلك بل لما ثارت قبيلة بني مطير وقتل القائد عبد الوهاب العياشي الذي كان السبب الاكبر في رجوعه أمر بجلد المترجم الى أن أغمي عليه وسحب الى بنيقة أفرد فيها الى أن مات (1) .

روايتي عنه : لازمت المترجم نحو العشرة أعوام في الحديث والتفسير وغيرهما ، وتلقيت منه في مجالسه العامة والخاصة فوائد عديدة ، وأجازني اجازة عامة ، وأذن لي في كل ما له حسبما ذلك في اجازته ، وملخص المقصود منها قال : ولما استمنح جنابنا جناب الاخ في الله ، العضد في دين الله ، المرجو له كمال الذهول في الذات الاقدس ، والاستغراق في الجناب الأحمى الأسما الامنـع الأحرس ، والحفظ من خطـوات الشيطان ، والاستهلاك فـي الذات المحمدية في كل آن ، والقيام بالوظائف التشريعية في محلها ، والوقوف مع الشرع الكريم في كل موطن وما يقتضيه ، العلامة المكين ، السري المتين ،

1) اخبرني الحاجب السلطاني المرحوم محمد الحسن بن يعيش أن السلطان عبد الحفيظ لما بلغه خبر موته تحت العذاب لم يثق بذلك ، فارسل حاجبه يومئذ الحاج أحمد الكريسي الى البنيقة التي توفي فيها ليتأكد من موته ، فدخل الحاجب المذكور الى البنيقة ، وكانت هي الاولى المجاورة لباب القصر من مشور باب البوجات – وقد هدمت أخيراً – فغرز في الاصبع الكبير من رجله اليمنى ابرة كبيرة من النوع المسمى عندنا في فاس بالزكوري ، فلما لم يتحرك أيقن بموته، وعاد الى السلطان فأكد له موته .

المتفنن الاسعد ، الماجد الاصعد ، الشيخ عبد الحفيظ الفاسي حماه الله ، وأزاح عنه الشبه وغبار نقع الظنة آمين ، أن أجيزه اجازة عامة ، وأن آذن له في طريقتنا ، ثم قال بعد كلام في وصف الطريقة ، وقد أجزنا وأذنا جنابكم الاسعد بطريقتنا هذه ، وتلْقينِها للغير مع مراعاة شروطها .

انتهى المقصود منها ، وهي طويلة في ثماني ورقات ، وكان صدورها منه ضحى يوم الخميس عاشر شعبان المعظم عام 1325 .

ولادته ووفاته

كانت ولادة المترجم في ربيع الاول عام تسعين بتقديم التاء ومئتين وألف 1290 ، ومات رحمه الله بمحل اعتقاله من مشور أبي الخصيصات (1) وحيداً فريدا عزيزاً شهيدا صبيحة يوم الثلاثاء ثالث عشر ربيع الثاني عام 1327 ودفن عشية يومه بمقبرة باب الساكمة وطمس قبره ، وقد أرخ وفاته العلامة القاضي عبد القادر بن قاسم الرجراجي الدكالي المراكشي بقوله :

شريف زكي قام لله داعياً — وصبر قضى والصبر يجزى عَدٌ
1327

ذكره في معجم الشيوخ (2) .

وقال في المعجم الكبير :

محمد بن عبد الكبير بن محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الواحد بن عمر بن ادريس بن علي (الجد الجامع لكافة القبيلة الكتانية اليوم) وهو ابن القاسم بن عبد العزيز بن محمد بن قاسم بن عبد الواحد بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن أبي بكر بن محمد بن عبد الله بن الهادي بن يحيى بن عمران بن عبد الجليل بن يحيى بن يحيى مرتين بن محمد بن ادريس بن ادريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنَّى بن مولانا الحسن السبط بن

---

1) بل مشور البوجات حسبما أكد لي ذلك الحاجب السلطاني المرحوم الحاج محمد الحسن ابن يعيش ، وقد شاهد موته شهود عيان ، الا أن يكون نقل اليه بعد موته

2) كل ما تقدم منقول من **رياض الجنة** 1 : 44

مولاتنا فاطمة الزهراء ومولانا علي بن أبي طالب عليهما السلام ، أبو الفيض الحسني الادريسي الكتاني ، شيخ الطريقة الكتانية ، ترجمان الصوفيــة ، لسان المتكلمين ، الامام العلامة المتبحر ، من أهل فاس رحمه الله تعالى .

أوليتــه : تكلم على السادات الكتانيين العلامة النسابة عبد السلام القادري الحسني في كتابه (الدر السني ، في من بفاس من أهــل النسب الحسني) ، والعلامة مَحمد الطالب ابن الحاج في كتابه (الاشراف ، على مَن بفاس من مشاهير الاشراف) ، وألف فيهم بالخصوص تأليفه المسمى (عقد الدرر واللآل ، في شرفاء عقبة ابن صوال) ، وأوردهم العلامة النسابة المتفنن الاديب محمد بن عبد الرحمان الدلائي في رجزه في الانساب المسمى (درة التيجان) فقال :

ومن بني محمد الادريســــي — وعقد ذاك الجوهر النفيــــس
الكتانيون بذاك عرفــــوا — ودارهم في أرض فاس تعــرف
نسبهم من أوجه الانســـاب — سببهم من أوثق الاسبـــاب
وقدرهم في الناس ليس يجهــل — قد عذب الورد وطاب المنهــل

ولما ذكرهم صاحب الدر السني قال فيهم ما نصه : وهم من شعب الادارسة ، الذين ءاثارهم واضحة غير دارسة ، نسبهم أوصل نسب ، وسببهم أوثق سبب ، وبيتهم بيت مسكنة وكفاف ، وتواضع وعفاف ، لهم في الناس على ما هم عليه في انفسهم من الخمول ، تسليم من الكافة لنسبهم وقَبول ، لا يخفى أمرهم ، ولا يجهل قدرهم ، ثم قال ما ملخصه : وهم من بني محمد بن ادريس الخليفة بفاس بعد وفاة أبيه ، ثم من ولد حفيده يحيى بن يحيى ، وكلا هاذين كان بفاس أميرا ، وقد كان وقع لهؤلاء الشرفاء بسبب وقوع يحيــى مكررا في عمود نسبهم غلط فــي الانتساب الى جوطة ظنا منهم أنه يحيــى الجوطي ، حتى كتبوا ذلك الانتساب في رسوم بيعهم وشرائهم وعمود نسبهم ، هذا بمعزل عن ذلك ، لكونه ذاهبا من طريق يحيى بن يحيى من ولد محمد بن ادريس ، ويحيى الجوطي من ولد القاسم بن ادريس ، ولذلك لما كوشف به

الموجدون منهم حقيقة الامر وطريقه ، ضبطوا توثيقه وتحقيقه ، ولا غرو في وقوع العامة في مثل هذا مما كثير من الفقهاء يجهله ويضل عنه ولا يتعقله ، لقلة تعاطيهم التاريخ الذي يهتدى به في مثل هذا سبيله .

وكان ورود هؤلاء الاشراف على فاس من مكناسة الزيتون ، وذاك أواسط المئة العاشرة ، وأول منزل لهم بها عقبة ابن صوال ، ولم يزل سكناهم بها الى أن صاروا يعرفون بها ، وأول قادم اليها هو السيد محمد بن قاسم بن عبد الواحد ، فأعقب بها عبد العزيز وهو خلف القاسم ، وهو أعقب عليا الذي هو الجد الجامع لكافة القبيلة اليوم . وكان له ولدان أحدهما ادريس ، وهو جد فريق المترجم ، والثاني مَحمد بالفتح وهو جد فريق شيخنا جعفر . وهم المعروفون بالحلبيين لكون جدهم كان متزوجا بابنة الشيخ أحمد بن عبد الحي الحلبي ومنها أولاده ، فعرفوا بذلك .

وما وقع في (الدر السني) من وصفهم بالخمول لم يبق ملازما لهم ، فقد اشتهروا أخيرا بمن ظهر فيهم من أهل الولاية والصلاح ، كالاخوين الوليين الشهيرين ، محمد الطيب ومحمد المدعو الحمدوشي ، وتلاهما جدنا من قبل الام وهو جد المترجَم ، الشيخ محمد بن عبد الواحد صاحب زاوية القطانين ومؤسس الطريقة الكتانية ، ثم ظهر فيهم بالمظهر العلمي شيخنا جعفر بن ادريس الآتي بعد ، وولده شيخنا محمد واخوته ، ثم خالنا عبد الكبير ، ثم ازداد البيت الكتاني شهرة بما أوتيه صاحب الترجمة من شهرة الذكر وبعد الصيت واقبال الخلق ، وناهيك بأخيه السيد عبد الحي ، وشهرته في الديار المشرقية تفوق شهرته في المغرب .

حاله : كان صدرا من صدور عصره ، عالما متبحرا حافظاً من حفاظ الحديث ، بصيرا بمعانيه وفقهه ، متمكنا في علم التفسير والاصلين والكلام ، متبحرا في التصوف غواصاً على دقائقه ، ناهجا في ذالك منهج أرباب الحقائق كالشيخ الاكبر محيي الدين بن عربي الحاتمي ، قدس الله سره ، وكالجيلي وابن سبعين ، وابن الفارض ، وأمثالهم ، لا سيما كلام الشيخ محيي الدين

الحاتمي في وحدة الوجود ووحدة الصفات ، فكان له فيه بصر تام في فهمه وشرحه وحل اشكالاته وابراز خفاياه والاستدلال عليه ، وكان خبيراً بكافة أحوال الصوفية وطبقاتهم ومنازعهم ومنازلهم ومذاهبهم وفرقهم ومشاربهم وأصولهم ومقاصدهم ومستنداتهم واصطلاحاتهم ، قديرا على فك المشكلات وفض المعضلات ، مثابرا على نشر العلم ، دؤوبا على تقريره وتدريسه ، لا يخلو وقت من أوقاته من الخوض في مسائله ، حر الفكر والضمير ، يجاهر بأفكاره ومبادئه في مؤلفاته ودروسه ، مقتدرا على اقامة الحجة واقناع الخصم والاستيلاء على أفكاره بما أوتي من قوة العارضة والقدرة على البيان ، والبراعة في الاستدلال وفصاحة اللسان وثبات الجنان ، يقضي من أمره العجب في ذلك ، فلقد كان رحمه الله اذا تكلم في مسألة من القرآن أو الحديث أو التصوف بهر العقول بالاستدلال والترجيح ، وما رأيت أسرع منه انتزاعا للآيات الدالة على المسألة التي يوردها وللأحاديث التي يستدل بها ، كأن القرآن والسنة نصب عينيه ، فكان يورد في مجالسه من نصوصهما ما لا يمكن لغيره أن يأتي به في عدة مجالس ، وربما تكلم من الشروق الى الزوال من غير توقف ولا مراجعة ، كما وقع في ختماته العديدة وغيرها ، أما كلامه في المعارف فليس له نظير ، ولا يشق له غبار ، ومؤلفاته العديدة دالة على تبحره وعلى سعة عارضته ومقدرته على الكلام ، لا سيما الاخيرة منها ، كتفسير الفاتحة ، وكتاب حياة الانبياء ، وروح الفصوص ، وهذا الأخير ما أظن أنه ألف في موضوعه مثله ، ومَن لم يره لم يعرف مقدار الرجل ، فليرجع القارىء اليه اذا كان له ذوق للمعارف وفهم لمصطلحات أرباب هذا الشأن ، ليعرف ما أشرت اليه من بيان قدر هذا المؤلف ومنزلة مؤلفه في المعارف ، وربما ينسبني الى التقصير في حق المترجم ، أما من لم يكن له ذوق ولا فهم لما ذكرنا ولا سيما اذا كانت معدته ضعيفة لا تقوى على هضم ما يبتلعه فالاجدر به أن لا يجوب ، لأنه اذا طالعه وطالع أمثاله من كتب هذا الفن فانه اما أن يصبح كافرا بأهل ذلك الفن لما يعطيه كلامهم من شبهة الحلول والاتحاد ، أو يصبح كافراً بربه إذا اعتقد كلامهم على ظاهره .

ولم يبلغ أحـد من أهل عصر المترجم بعد الشيخ ماء العينين مبلغه في أقبال الخلق ، وبعد الصيت وشهرة الذكر في المشرق والمغرب ، ومع ذلك لم يعبأ بمادة أو يتوصل بذلك لجلب المال وادخاره ، مع انه كان من اليسير عليه ان يذخر ثروة عظيمة من أضخم الثروات ، فقد كانت الاموال ترد عليه من كافة الجهات ، زيادة على العطايا الكثيرة، والمرتبات المخزنية الجزيلة، إلا أنه كان ينفق كل ذلك عليه وعلى اللائذين به ، وقد جلب اليه كثيرا من الذين كانوا من ألد أعدائه بكرمه وبشاشته ولباقته ، وزاده عونا على ذلك محبة أهل المغرب في ءال البيت الشريف وخصوصا أهل فاس ، لان منزلة الاشراف عندهم فوق كل مرتبة ، فأدرك في النفوس مكانة لم ينلها غيره ممن عاصره ، فكان اذا دخل مجلساً أو مشى في طريق يقوم الناس له ويفسحون له في المجلس أو الطريق ولو كانوا من أعدائه ، ويندفع الجميع ليقبلوا يده ، وكان جسورا مقداماً لا يهاب شيئاً في سبيل اعتقاده ، ولم يدخر وسعا في نشر طريقته وتأييد مبادئه ، والاشارة على رؤساء زواياه بالطرق التي ينبغي أن يسلكوها ، والخطة التي ينهجوها في ردودهم وأجوبتهم نحو العامة والخاصة ، وتجاه أرباب الطرق والزوايا الذين قاموا ينكرون مشيخته وختميته وطريقته وأوراده ، ويقابلوهم بالعداء ، حيث قلل من نفوذهم ، واستلفت الانظار نحوه دونهـم .

وقد كان رحمه الله يصرح في مجالسه وفي كتبه ورسائله بأن النبي صلى الله عليه وسلم هو شيخه الحقيقي الذي وقع له الفتح على يده ، وهو الذي أذنه في تلقين الاوراد ، وتربية الخلق بالهمة والحال ، وأن ورده وصلواته التي يلقن لمريديه كلها متلقاة منه صلى الله عليـه وسلم وعلى ءاله كفاحـا يقظة لا مناما ، وأنه هو الختم المحمدي الذى يختم الله به الولاية المحمدية ، وأنه في الختم المحمدي واحد في الامة لا يتعدد ، ولم يتقدم ظهوره قبله ، ولا يكون ختم آخر بعده ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم وعلى ءاله يحضره مع مريديه بذاته الشريفة عند قراءتهم لاوراده وصلواته ، وناهيك بما كتبه في أول كتابه الرقائق الغزلية ، وهو من أهم مؤلفاته ، فقد قال رحمـه الله : ان الواحدة من الصلاة الأنموذجية بثمانمئة من دلائل الخيرات ، والواحدة منها

بتسعمئة من صلاة الفاتح المنسوبة للبكري وهي عندهم بستمئة ألف من غيرها ، وعليه فمن قرأ الانموذجية كان عند الله ــ ولا عبرة بالمنتقد ــ كمن قرأ صلاة الفاتح أربعا وخمسين مئة ألف مليون مضعفة أربعة مرات ، والمنة للبرزخيات الثلاث ، وقد كان القطب الاشهر سيدي ابراهيم الدسوقي أراد أن يخرجها لاصحابه ، فقيل له انها ليست لك ، انها لمحمد بن عبد الكبير الكتاني الاحمدي الابراهيمي الصديقي الاويسي يظهر في القرن الرابع عشر ، ثم قال في آخر الرقايق : اعلم أن الحق تعالى خص طريقتنا هذه الأحمدية الابراهيمية الصديقية الأويسية الكتانية بخصيصات منها ومنها ومنها أن المصطفى صلى الله عليه وسلم وعلى ءاله يحضر على رأس المئة الثانية مريا أحد بجسمه الشريف، ثم انه يحضر عند ذكر الصلاة الانموذجية بجسمه الكريم ، وزيادة المعية الخاصة به صلى الله عليه وسلم وعلى ءاله في مقام القرب المعنوي فيحضر مع زيادة حلل من التجلي الذاتي ، تخصيصا لطريقتنا هذه ، وهذا مشهود لدى أرباب البصائر ومن عميت عليهم الانباء يومئذ فهم لا يتساءلون ، والحمد لله رب العالمين ، وبهذه الصيغة التى نقرأها عليها في الزاوية الكتانية بها سمعت الملائكة تقرأها ، (وترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة) ، فلا تبغ بهذا بدلا ، فان قلت لا شك أن هذا كان يعلمه صلى الله عليه وسلم وعلى ءاله ، واذا علمه فيلزم عليه أنه صلى الله عليه وسلم وعلى ءاله اطلع على عمل تنطوي لنا فيه الاعوام والشهور ، وهو في لحيظة ، ومع ذلك لم يخبرنا به، قلت اعلم أن المصطفى صلى الله عليه وسلم اطلع على هذا ، لكن كان عند الصحابة ما يغنيهم عن هذا ، لان اللحظة الواحدة منهم بمثابة ءالاف من السنين منا ، لان عبادتهم على الكشف وتحقيق العيان سيما مع النظر فيه صلى الله عليه وسلم ، فأغناهم هذا عما ذكر ، وأيضا ادخر صلى الله عليه وسلم ذلك لهذه الطائفة الاحمدية الكتانية تشريفا لها واختصاصا لها من بين سائر الطرق ، وأيضا قد قال صلى الله عليه وسلم : كل يوم ترذلون ، ولا شك أن أصحاب الهمم اذا علموا ذلك تفككت أزرار هياكلهم فجبر الحق كسرهم ، وأبرز هذه الصلاة الانموذجية لتقوم لهم مقام عبادة الآلاف من السنين ، مع شدة أسوداد ظلمة الوقت ، وغلبة سلطان أرباب الدنيا ، واشتداد شوكتهم على

القاصي والداني ، فالصحابة كان عندهم ما يكفيهم ،فحازوا ما لم يشم له أكابر المحققين منا رائحة ، لكن قال صلى الله عليه وسلم : أمتي كالمطر لا يدرى أوله خير أم آخره ، فأقيمت قلوبنا على ساق ، والعلم عند الكبير الخلاق ، وأيضا فقد أخبرنا به صلى الله عليه وسلم ، فلا نقول انه لم يخبر ، وهـذا بالنسبة لكل أحد في كل مدة ، والحمد لله رب العالمين .

انتهى من الرقائق باللفظ ، ومثله وغيره في كثير من كتبه ورسائله ، فأحدثت هذه البشائر أثرا عظيما في نفوس العامة والخاصة ، وتسارعوا الى أخذ طريقته ، واعتقاد بشائره ، ولا شيء يأسر قلوب الناس مثل ذلك ، لانهم يميلون الى الفضل الكبير والاجر العظيم مع العمل اليسير الذي يغني عن الاخذ بالعزومات الشاقة على النفس .

أما مقـام الختمية الذي ادعاه المترجـم فهو من مقامات الولايـات الكبرى كالقطبانية والغوثانية بل هو أعلا منها ، وهو عزيز الوقوع ، وأول من تكلم عليه فيما نعلم الحكيم الترميذى صاحب (نوادر الاصول) ، ثم جاء بعده الشيخ الاكبر ابن عربي قدس سره ، فأفاض القول فيه في كتبه كالفتوحات ، والفصوص ، وغيرهما ، وبيـن ان الختم ختمان : ختم يختم الله به الولايـة المطلقة ، وختم يختم الله به الولاية المحمدية ، فأما ختم الولاية المطلقة فهو عيسى عليه السلام فهو أولى بالنبوءة المطلقة في زمان هذه الامة ، وسينزل في ءاخر الزمان وارثا خاتما ، لانه لا نبوة تشريع بعد نبينا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى ءاله ، وأما ختم الولاية المحمدية وهو واحد في العالم لا يتعدد يختم الله به الولاية المحمدية فلا يكون في الاولياء المحمديين أكبر منه وهو الولي الوارث الآخذ عن الاصل المشاهد للمراتب ، وهو حسنة من حسنات خاتم الرسل صلى الله عليه وسلم ، ومنزلته منه صلى الله عليه وسلم كمنزلة شعرة واحدة من جسده صلى الله عليه وسلم ، ولهذا يشعر به اجمالا ولا يشعر به تفصيلا إلا من أعلمه الله أو من عرفه هو بنفسه ، وقد صرح قدس سـره بأنه اجتمع به بفاس سنة خمس وتسعين وخمسمئة ورأى العلامة التي أخفاها

الله فيه عن عيون عباده وكشفها له ، حتى رأى خاتم النبوءة السارية في الخلق التي لا يعلمها كثير من الناس ، لكنه أشار ولوح فـي عدة مواضع الى أنـه يعني به نفسه ، بل صرح في أبيات له أنه هو الختم المذكور ، وهو واحد في كل زمان يختم الله به الولاية الخاصة ، وهو الشيخ الاكبر .

واذا أحطت علماً بما ذكرنا من كون الختم هو واحد في الامة لا يتعدد وان الحاتمي صرح بوصوله اليها بعد ما لوح الحكيم الترمذي ، وعلمت أن هذا المقام قد ادعاه جماعة بعد الحاتمي كسيدي محمد وفا ، والصفي القشاشي ، وأبي العباس الشاوي ، وأبي العباس التيجاني ، والمترجم وغيرهم تبيـن لك تناقض بين ما قاله الحاتمي وبين دعوى هؤلاء من وجوه ، منها أنه لا يتعدد، وليس في الامة المحمدية الا ختم واحد ، وأنه هو المراد وهؤلاء قد ادعوها بعده ولا يمكن الجمع بينهما ، ولا يقال ان مستند الحاتمي فيما ذكر هو الكشف ، والكشف قد يخطىء ويصيب كما هو مقرر عند العلماء حتى الصوفية أنفسهم ، فمن المحتمل أن يكون الحاتمي قد أخطأ كشفه ، وانه ليس هو الختم أو لم يجتمع به ، أو ان وقته لم يكن قد حان في التاريخ الذي عين ، لأنا نقول إنه اذا كان مستند الحاتمي كما ذكرنا ، فمن المحتمل أن كشف من ادعاها بعده هو المخطىء فتصير حجتهم حجة عليهم ، وهكذا القول في دعواهم أيضاً ، فيلزم عليه بطلان ادعاء من ادعى ما عدى واحدا منهم ، ولا دليل لهم يعين أيهم أصدق كشفا ، وأقوى برهاناً ، والقاعدة أن الحجج اذا تكافأت وتعارضت فانها تسقط كما هو مقرر معروف ، أما اذا نظرنا الى المرجحات فاننا نرى أن الحاتمي هو المقدم على الجميع أحب من أحب أو كره من كره ، لكـن صرح العارف القشاشي فيما كتبه على رسالة (شق الجيب) بتعدد مقام الختمية في كل زمان ، ونصه : أن الختمية الخاصة مرتبة الالاهية ينزل بها كل أحد بها حسب وقته وزمانه غير منقطعة أبد الآباد الى أن لا يبقى على وجه الارض مَن يقول الله الله ، لعدم خلـو المراتب الالهية عن القائمين بهـا ، حتى يصير القائـم كالصفر الحافظ لمرتبة العدد فيما قبله وبعده .

فاذا أحطت بهذا خبرا تبين لك أن مقام الختمية ينفرد به في كل وقت واحد لا يتعدد ، وأن من حل فيه ادعى انه هو الختم ، وربما يكون مشربه خاصا ومنفردا به ومغايرا لمقام غيره ، فيدعي أنه لم يتقدمه غيره ، ولا يأتي بعده ختم غيره ، فهو صادق في دعواه بما تحقق به في خاصة نفسه ، لكنه غالط في ادعائه أنه لا يأتي ختم ءاخر بعده، وحصول الغلط والخطأ لغير المعصوم ليس من المحال ، ولا يقدح بحال ، وبهذا ينزاح الاشكال ، لانه ليس لنا أن نجزم بتصديق فريق وتكذيب غيره ، حيث لا مرجِّح ولا قاطع ، وقد قالوا انه لا يتكلم في مقام الا من وصل اليه أو أشرف عليه ، وأين نحن من هذا ؟ على أنه كان الاولى لنا عدم الخوض في هذا وشبهه ، لان هذه المسألة ليست من مسائل المعتقدات أو ما تعبَّدَنا الله به ، وكلفنا بالتمشي عليه ، فاذا نحن لم نعتقدها ولم نعتقد صدق من ادعاها فانه لا يكون خادشا في عقيدتنا وديننا، ولم يسألنا الله تعالى عليها يوم القيامة ، وما حملنا على ايرادها والكلام عليها الا لزوم ذكرها في ترجمة الشيخ المترجم رحمة الله عليه لان مشيخته مبنية على ختميته وهي محور الخلاف بينه وبين التيجانيين ، فانه لما ادعى أنه هو الختم المحمدي وكان ذلك مناقضا لقول الشيخ أحمد التيجاني رحمه الله تعالى الذي ادعى هذا المقام قبل لنفسه ، وقال انه لا يأتي بعده ختم ءاخر كان ادعاء الشيخ محمد الكتاني كالتكذيب له ، فألف شيخنا محمد كنون كتابه (الدر المنظوم ، في الذب عن القطب المكتوم) وأفاض القول في ابطال ختمية الكتاني ومشيخته ، لأن الشيخ التيجاني هو الختم المحمدي الذي لا يأتي بعده ختم كما لا يأتي بعده شيخ الا اذا كان من أتباعه ، والكتاني ليس من أتباعه ، فلزم بطلان كل ما ادعاه ، فرد عليه الشيخ الكتاني بكتابه (الكمال المتلالي ، في الرد على أهل التفريط والتغالي) وأفاض القول في ذلك حسبما يعلم بمراجعة كتابه المذكور وكتابه (خبيئة الكون) فليرجع اليهما مَن أراد ذلك ، انتهى من خطه .

936) محمد بن محمد ابن الشيخ السوسي الغيغايي

محمد بن محمد بن مبارك بن أحمد بن ابراهيم بن محمد بن علي بن يوسف ابن الشيخ السوسي أصلا ، الغيغايي مولدا ومنشأ ، كان رحمه الله فقيها علامة مشاركا ، ذا أخلاق حسنة ، وأوصاف مستحسنة ، ناظما ناثرا هينا

لينا متواضعاً حيسوبيا معدلا عارفاً بالنجوم وبالكيميا وسر الحرف ، قرأ العلم بفاس على علمائها كالسيد الحاج محمد بن المدني كنون ، وسيدي المهدي ابن الحاج ، ومولاي مَحمد القاضي ، ومولاي عبد الملك الضرير ، وغيرهم ، ومن أشياخه في علم التدبير وسر الحرف وغيرهما والده ، ذكره في شرحه على منظومة (معدن الأسرار ، وكنز الحقائق والانوار) سيدي الحاج عبد السلام المسماة بالقافية المسمى بـ (البحر الحاف من حول قاف) تفاؤلا لا تطاولا ، ثم ذكر أن والده أخذ عن الشيخ صاحب هذا النظم بالرواية، وهو أخذ عن أشياخه بمصر والمدينة المنورة بالدراية بسندهم المتصل الى الامام الغزالي ، وأخذ شيخ والده أيضا المذكور عن الاستاذ المراعي لمولاه في السكون والحركات سيدي عبد الله الأخلي المعروف بالكرامات ، قائلا ان له سندا متصلا الى مؤلف البهجة ، ثم الى الشيخ سيدي أحمد بن موسى السوسي السملالي ، وكان له أشياخ السر غيرهما ، وسيدي مبارك جده هو الذي انتقل من سوس الى غيغاية وبها دفن في مدشرهم ، وبلاد أسلافه بسوس يقال لها ءايت غمورة ، وسيدي الشيخ مشهور بالكرامات ومقصود بالزيارة ، له موسم يتبرك به فيه .

سكن المترجم رحمه الله مراكش مدة ، وكان نازلا عند الوزير السيد أحمد بن موسى بداره ، معتنيا به .

ومن فوائده ما نصه :

الحمد لله

لا ينكر أحد أن بين العالم السفلي والعالم العلوي ارتباطات ما أجرى الله تعالى العادة به بمحض اختياره وارادته ، وبسببه يعلم من حال العلوي عند الولاة وغيرها ما يحدث من الاحوال الحسنة والاحوال السيئة في مدتها . والعلم بذلك بقدر ادراك ذلك الارتباط ، ولا يخفى أن ما نصب له الله الآيات والعلامات ليس من الغيب في شيء ، ولكن ذلك لا يخرجه عن التجسس على الغيب ، فلا يسوغ الاقدام عليه الا للضرورة أو المصلحة ، هذا ومَن تأمل

الصورة عند البيعة الميمونة السعيدة ــ يعني بيعة المولى عبد الحفيظ ــ علم جودة الاصول وقوتها ، فيستغنى في معرفة ما يحصل في اثناء مدة الولاية المباركة من سعادة أو ضدها ، المدفوع بمقابلة ما يُحلله أو تربيعه بتسيير الادلة الأصلية ، وهي درجة وسط السماء... 15 ودرجة الشمس.. 5 ودرجة الطالع 23 بينان ودرجة الزهرة التي لّها الهيلاجية والمزاحمة القوية في الطالع الى أشعة السعود وجواهرها ، وبتسييرها كذلك الى الادلة المذكورة ، ولا يحتاج معها الى تسيير القرانات قبلها وتحاويل السنين التي بعدها ، فقد قال أرسطو في كتاب الأسرار له كما في الأدوار ما نصه : لن تضر النحوس الفرعية ولا التحويلية مع جودة الاصول وقوتها ، وعليه فاذا سيرنا السعود الأربعة التي لها مزاحمة قوية في الطالع وهي المشتري والزهرة وعطارد ، والراس دلت على زيادة سعادة وتمكين ، وقوة متتابعة بقدر ما بين درجاتها ووسط السماء من الايام من 23 يوماً الى شهر ، واذا سيرنا الأدلة المذكورة لبخس المريخ لمعرفة وقت العوارض وحالها دل تسيير درجة الّطالع للمريخ — الى المريخ على حدوثها بعد أن مضي نحو شهرين قد رما بينهما بدرج السماء من الأيام ، ويشهد له تسيير بهم السلطان للمريخ أيضا . وتسيير وسط السماء ودرجة الشمس أيضاً لشعاع زحل ، ولكن مقابلة المريخ للسعود الاربعة السابقة تحلل منحسته وتدفع مضرته وتبطل غائلته ، وكذلك تربيع زحل لها ، ويشهد له تسيير وسط سماء للقمر في الطالع الدال على حدوث سعادة وفتح بعده بنحو 13 يوما ويشهد له من القرءان العظيم الذي هو عنان اللوح المحفوظ وصورته الكلية قوله عزّ من قائل : (ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير)،ولكن نصّ أئمة الصناعة على أن الاستدلال لا يسلم الا اذا استوعبت جميع الادلة وشهد بعضها لبعض كلها أوجلها ، وان وجدوها متكافئة الدلالة على الامر وضده أمسكوا عن الحكم، والله تعالى أعلم .

توفي رحمه الله ضحى يوم السبت ثامن شوال عام 1328 ، ودفن بالمقبرة بازاء مدرسته بأزر' غيغاية .

937) محمد مصطفى ماء العينين الادريسي الشنجيطي

محمد مصطفى (ماء العينين) بن محمد فاضل، بن مامين الشنجيطي(1).
قال في (الوسيط) ما نصه :

الشيخ ماء العينين هذا علم اشتهر به ، واسمه مصطفى ابن الشيخ محمد فاضل ابن مامين ، هو العلامة الوحيد ، له معرفة بعلوم الشرائع من الحديث والتفسير والفقه وغير ذلك ، وما جاء بعد الشيخ سيديّ مثله في اقبال الناس عليه وانفاقه ، وحج (2) في أيام السلطان مولاي عبد الرحمان رحمه الله . وتردد على السلطان سيدي محمد ، وكان حظه في أيام السلطان مولاي الحسن أحسن منه في أيام أبيه وجده ، وهو في أيام المولى عبد العزيز أحسن من أيام مولاي الحسن ، وصارت له في مراكش أملاك طائلة من زوايا ودور وبساتين ومزارع ، وكان هذا الشيخ فاضلا كريما لا يوجد أحسن منه أخلاقاً ، وقد اجتمعت به حين خروجي من مدينة شنجيط الى مراكش في توجهي الى الحجاز ورأيت منه ما حيرني ، لأني أقدر مَن معه في وادي السمارة(3) من الساقية الحمراء بعشرة آلاف شخص ما بين أرملة ومُزمن وصحيح البنية وكل أصناف الناس ، وكل هؤلاء في أرغد عيشة كاسياً من ذلك الشيخ، ويزوج الشخص ويدفع المهر من عنده ، ويجهز المرأة من عنده ، مع حسن معاشرته لهم ، لا فرق عنده بين ولده والمحسوب عليه ، ولا يمضي عليه يوم إلا وقد بعث قافلة تأتيه بالميرة أو قدمت اليه أخرى تحملها ، ومتى بلغ الانسان قريبا منه يسمع ذويّ مريديه يذكرون الله وينشدون الادعية ، ورأيته في تلك الايام التي أقمت عنده لا تفوته صلاة الجماعة في أول الوقت مع كِبر

---

1) ولد فى الحوض بالقبلة جنوبى اقليم شنجيط المغربى (جمهورية موريتانيا اليوم) يوم الثلاثاء 27 شعبان عام 1246 هـ (8 يبراير سنة 1831 م)

2) خرج الشيخ ماء العينين من بلده متوجهاً الى الحج يوم الخميس 12 جمادى الاولى عام 1274 ، فسار من الحوض قاطعاً صحراء شنجيط مارا بأدرار ووادى نون حتى بلغ الصويرة ، ومنها التحق بمراكش حيث اكرمه الخليفة السلطانى بها الامير سيدى محمد ، ثم سار حتى دخل مكناس ليلة 27 رمضان فتلقاه السلطان مولاى عبد الرحمان بكل اجلال ، ثم ارسله الى طنجة فاركبه واليها فى مركب متوجه الى الشرق بعد ما بالغ فى اكرامه

3) الشيخ ماء العينين هو الذى بنى السمارة ، وكان الشروع فى بنائها باعانة السلطان مولاى عبد العزيز سنة 1316

سنه وضعف جسمه . وبعد صلاة العصر يسردون الحديث وهو يسمع ، ثم يشرح لهم بعض المواضع منه ، وكان الموضع الذي هو فيه صعباً بعيداً من الاماكن التي تجلب منها الارزاق ، إلا أنه نفعه مرسى لُبَّيْطَ ، اذ كان السلطان يملأ له البابور في كل أربعة أشهر أو ستة فينزله بها ، وهي تبعد عن محله بأربعة أيام أو نحوها ، ولكن معظم المئونة يأتيه من أكلميم ، وهو نحو عشرة أيام ، ومن الحنيكات ومسافتها اثنا عشر يوما ، ومن أدرار وهو قريب من العشرين ، ومن سانكال ويقال له اندر (1) وهو قريب من شهر ، وكثيرا ما تعدو عليه شياطين العرب فينتهبون قوافله من جهة سوس وغيرها وانما كان الشيخ سيدي أشد احتراما عند حسان منه ، لأن العرب الذين يحوطون بالشيخ سيديّ لهم رؤوساء يطيعونهم ، وهم أحسن ديناً وأخلاقا من الذين في أرض الشيخ ماء العينين ، ولم يزل نافذا الكلمة في المغرب الى أن وقعت الفتن ، وازدادت الشرور .

ولما أراد الفرنسيون احتلال شنقيط وصحراءه أرسل اليهم الشيخ ماء العينين يحضهم على الدفاع ويمنيهم بمساعدة السلطان لهم ، وكانوا يعتقدون أن السلطان أقوى من الفرنسويين ، فبعض القبائل سالمهم ، وبعضهم جعل يقطع عليهم الطريق ويحاربهم من بعيد بالهجوم ليلا ونحو ذلك ، ثم ان الشيخ بعث اليهم أحد أشراف فاس(2) وأخبرهم بأنه هو خليفة السلطان عليهم فقدموا اليه من كل الجهات ، وكان ذلك الشريف حازماً مدبرا ، فوقعت بينه

---

1) أندر هو الاسم المغربى للمدينة الساحلية الواقعة على مصب نهر السنيغال المعروفة عند الفرنسيس بسان لوى دى سنيكال

2) هو الامير مولاى ادريس بن عبد الرحمان حفيد السلطان مولاى سليمان ، وجعل السلطان معه الفقيه الغرفى وزيراً ، والفقيه المدنى الصحراوى كاتباً ، وذهب معهم أيضاً الفقيه المرحوم السيد محمد الحسن ابن يعيش من القصر الملكى يحمل أربعة عشر ظهيراً لقواد الصحراء، و500 بندقية مع ذخيرتها لمجاهديها الذين كانوا يحاولون صد الجيش الفرنسى الزاحف من السنيغال على المغرب من صحرائه ، وكان ذهاب الخليفة السلطانى ومن معه عن طريق بحرى — برى ، ذهبوا أولا من فاس العاصمة الى العرائش ، ثم ركبوا البحر الى الصويرة حيث اكترى لهم الباشا المرحوم الحاج عبد الرحمان بركاش باخرة اسبانية نقلتهم منها الى طرفاية، ومنها التحقوا براً بالشيخ ماء العينين فى السمارة، فقدم الشيخ الخليفة السلطانى الجديد الى أعيان الصحراء، وتسلم القواد الجدد ظهائر توليتهم ، وأمر الشيخ قبائل الصحراء بدفع الزكاة المتخلفة بذممها لخليفة السلطان فاجتمع منها 1100 من الابل أرسلت الى أندر (سان لوى) فبيعت بها ، وكان ذلك كله فى عام 1323 (1904 م)

أيام مع الفرنسويين انتصر في بعضها وخذل في بعض ، فلولا قلة الفرنسويين وكثرة الصحاري والجبال لقهروهم في أول وهلة ، ولولا رداءة سلاح أهل الصحراء وعدم انتظامهم في أنفسهم لدافعوهم سنين كثيرة ، على أنهم ما دخلوا أدرار منذ دخلوا تيججك الا بعد سنين ، وهما كالشيء الواحد ،ولولا ما يعدهم الشيخ ماء العينين من انجاد السلطان لسلموا لهم أيضا ، فطال الروغان ، فلما علم الشريف بعدم الفائدة رجع الى فاس (1) لان العرب لما طال عليهم الامر فنيت مواشيهم ، وكابدوا كثيرا من الشدائد ، فصاروا يهربون الى افرانس ، ويصالحونهم ، ثم بقيت تلاميذ الشيخ ماء العينين ومَن انضم اليهم من شذاذ الناس وصعاليكهم يناوشون الفرنسويين حتى احتلوا مدن آدرار فتركوا محاربتهم ، ولجأ الشيخ الى تيزنيت (2) من أرض سوس ، وتوفي رحمه الله سنة ثماني وعشرين وثلاثمئة وألف 1328 .

مبايعته للسلطان مولاي عبد الحفيظ

قدم الشيخ ماء العينين من الساقية الحمراء في جموع كثيرة ، ليأخذ لهم المئونة والسلاح من السلطان مولاي عبد العزيز ، وكان اذذاك برباط الفتح ، فلما وصل الى نواحي مراكش بلغه أن أهله بايعوا مولاي الحفيظ ، وأن أهل المغرب ناقمون على أخيه السابق ، وتعرض بينه وبين مولاي عبد العزيز ، وما أمكنه الا أن يبايع مولاي الحفيظ فقدم مراكش بجموعه وبايع ، واحتفل به السلطان وأكرمه والناس يخوضون فيما لا يعرفون حقيقته ، فان السلطان الحالي كان يطفىء الفتن الداخلية التي التهمت نارها المغرب ، ولا يمكنه أن يلتفت الى غيرها ، ويكفي الشيخ ماء العينين أنه لم يعارضه في شيء مما يملك ، أما أمره له بالرجوع عن فاس فانه لم يكن عن نية سيئة ، بل لأن السلطان كان محتاجا الى أن يستنجد بفرانس وهم يعادون الشيخ المذكور ، وكان السلطان يتوقع مجيئهم ، فلو دخلوا فاس وقع السلطان بين أمرين ، اما

1) في أواخر أيام السلطان عبد الحفيظ ، ومنها انتقل الى مراكش فسكنها وبقي بها الى أن توفي سنة 1340 وله بها عقب

2) كان وصوله الى تيزنيت في أوائل ربيع الاول من عام 1328 هـ

أن يتركهم وشأنهم به ، فان السلطان لا تسمح له مروءته بذلك ، واما أن يحدث ذلك ضغائن بينهم وبينه فذلك مما يضر بصالحه ، فأمره بالرجوع (1) .

وللشيخ المذكور ديوان شعر ، وهو لا يوجد عندي ، ومن شعره :

تغافل عن الاخوان في كل زلـــة   واياك والتبصير في زلـــة الأخ
وكن راحم المسكين واصل رحمه   واياك أن تبدو له بالتبلـــخ (2)
وإياك والتقصير فيما أحبـــه   وساو زمان العسر في ذاك والرخي
وداوم على تقوى الاله وعلمـــه   تفزْ وتنلْ مما رجوت بخٍ بخ (3)

وقال في (الوسيط) أيضا عند الكلام على الساقية الحمراء ما نصه :
هي أرض مشهورة ، وهـي آخر شنقيط من جهة وادي نون ، تبعد عن شنقيط عشرين يوما بالسير الحثيث ، وتقدمت أبيات ابن الشيخ سيديَّ التي صرح فيها أن مسافتها شهر بسير الابل ، من الصباح الى المساء ، وبذلك يتضح ما قلت لأن أرضه تبعد عن شنقيط بنحو عشرة أيام ، وكانت الساقية الحمراء خالية لا أنيس بها لشدة الخوف ولقحولتها دائما حتى عمرها الشيخ ماء العينين وبنى فيها الدور وغرس النخل ، فسهلت المواصلة بين شنقيط وغيرها من المواضع المغربية أعني التابعة للمخزن ، وهي في الاصل للركيبات ، قبيلة أصلهم من الزوايا ، الا أنهم يحملون السلاح في أكثر أوقاتهم ، والعلم فيهم قليل .

انتهى (4) .

1) أمر السلطان عبد الحفيظ الشيخ ماء العينين بالرجوع من حيث أتى بعد طلب الحكومة الفرنسية منه اعتقاله ان وصل الى فاس أو ابعاده ان لم يصل اليها ، فاختار الامر الثانى ، وكان الذى حمل اليه رسالة السلطان بالرجوع هو السيد عبد الله بن القائد ادريس ابن يعيش

2) التبلخ : الكبر

3) بخ بخ بكسر الاولى منونة وكسر الثانية للقافية والاصل تسكينها : كلمة تقال عند الاعجاب والرضا بالشىء أو الفخر والمدح

وكل ما تقدم منقول من **الوسيط** ص 365

4) **الوسيط** ص 438

وقال الوزاني في فهرسته ما نصه : وممن أخذت عنه بالاجازة أيضاً وليُّ الله تعالى ، الشيخ الكامل ، العارف الواصل ، سيدي محمد مصطفى الملقب ماء العينين الشنكيطي فكتب لي :

الحمد لله وحده ، والسلامان على أفضل مَن عبده ، الجوهر المكنون ، صومعة الفنون ، إضاءة الدجنة ، قوام السنة ، معدن السيادة ، ومنبع الزيادة، الصيت المنتشر ، وبدر الرابع عشر ، منارة العباد ، فلذة الاكباد ، العلَم العالِم الرباني ، سيدي المهدي بن سيدي محمد الوزاني ، لا زال معزاً بعز العزيز ، مؤيداً بتأييده القوي العزيز ، سلام ألذ من ملاقاة الاحباب ، وأشهى من مفاكهة أولي الالباب ، سلام يحاكي طلعتكم المنيفة ، وتحية تضاهي رتبتكم الشريفة ، موجبه اليك أنه وصلنا درك الثمين ، الذي بكتب ماء الذهب قمين ، وجعلناه على الرأس والعين ، ولم تقاومه عندنا ألف عين ، ولو حملت العروض والعقار والعين ، وجرى سروره مجرى العين ، وسرنا أي ما سرور قافيه ، ولم يكن شيء من الدنيا عندنا يكافيه ، وأشعرنا ما كتبت عما فيه رغبت وأذنا لك اذنا شافيا كافيا في كل فن ، قراءة وتأليفاً مما سنحت به القريحة من فضل ذي المن ، جعلنا الله واياك من المحبين الفائزين المقربين، بجاه سيد العالمين، وكنا ظننا أنك لم يزدك شيء عندنا حتى انتسبت الى الولي النغريس ، سيدي عبد الله بن ادريس ، فحزت بذلك مرتبة في الفؤاد ، لا يلحقها أحد من العباد .

ياسيدي المهدي لا زالتْ علومكم	كالدر والبدر بل كالشمس في العصر
تملي العلوم على كل الورى نسقاً	والصيت منتشر في الأفق في البشر
جزاك ربك ياالوزاني عالمنـــــا	بكل خير وحسن العفو في العمـر

الى أن قال : وجزاك الله بما تحبه بالتمام ، بجاه سيد الانام ، عليه أفضل الصلاة والسلام ، يوم الاثنين السابع والعشرين من رمضان عام تسعة وثلاثمئة 1309 .

عبد ربه ماء العينين كان الله له .

انتهـى .

وأجازه الشيخ المترجم لنا ذكرتها في (اظهار الكمال) .

توفي المترجم بتيزنيت في يوم الجمعة رابع وعشري شوال (1) سنة ثماني وعشرين وثلاثمئة وألف 1328 عن نيف وثمانين سنة ، لانه ولد سنة ست وأربعين ومئتين وألف (1246) .

938) **محمد بن عبد الكبير الدمناتي** المراكشي ، ورد مراكش في خلافة سيدي محمد بن مولانا عبد الرحمان هاربا من عامل دمنات بعد أن مات والده محتسبها ، فصار شرطيا مع عامل القصبة القائد ابراهيم بن سعيد الجراري ، ثم ان كاتبه غاب في بعض الاوقات فاحتاج الى كَتْب بطاقة ، فسأل هل في أصحابه مَن يحسن الكتابة ؟ فعيَّنوا له المترجم ، فجعله كاتبا ، ومن أجل ذلك صحب مولاي أحمد بن الكبير ، فصار يعلمه حسن الخط والترسيل، فتخرج به في ذلك ، وتزوج بربيبة القائد المذكور البتول ، ثم بعد موتها تزوج ببنته ، ثم تنقلت به الاحوال فصار كاتبا مع السيد أحمد حين كان حاجبا ، وولاه صائر مطبخ المخزن ، ثم صار كاتبا بالبنيقة الكبرى ، ثم في بنيقة وزارة الحرب ، واستعمل نائباً عن وزيرها ، ومنها ولي باشا على القصبة وأعمالها ، ونال بذلك دنيا عريضة ، وبنى دوراً منعددة ، وتأثل أموالا وأصولا ، وكان رجلا ذاكرا .

صحب السيد عبد الله السنوسي حين كان يتردد الى مراكش وغيره،وعلق بذهنه من النوادر كثير ، ومن الحكم الصوفية در نثير ، وله خط فائق ، وترسيل رائق ، ومحبة في الشعر ، قال لي مرة لما سمع قصيدة أعجبته : ان بيتاً منها اذا أعطيت في جائزته داري هذه كانت قليلة في حقه ، ثم لما بويع المولى عبد الحفيظ بمراكش جعله وزيراً كبيرا ، ولكن حسبه كتابة المكاتيب في التهنآت وأجوبة الناس ، ولم يكن له كبير أمر في الحل والعقد ، وكان مرجع ذلك الى غيره ، ثم لما حل بفاس عزله وعدد عليه أموراً كان ارتكبها في حال ولايته ، منها التدليس في أمر بعض العمال الذين كانوا ينحاشون اليه ، كعامل دمنات أبلاغ ، ثم جعله وزيرا للمظالم فكان أمره فيها كالحالة السابقة،

---

1) كذا بالأصل ، والذى عند الوزير المرحوم الاستاذ المختار السوسى فى **المعسول** 4 : 99 أنه توفى ليلة 21 من الشهر المذكور ، وهو أضبط واعرف بأحوال تلك الجهات ورجالها

بل أدون ، ثم أخره عنها وجعله أمين الطائر ، ثم في عام ثمانية وعشرين طلب الاعفاء والتوجه لمراكش فسوعد على ذلك (1) وكُتِب له ظهير طويل عريض في التنويه بخدماته السابقة وتوقيره وجميع من انجاش اليه ، فتوجه اليها ، فلما وصلها مات رحمه الله في ثالث عشر محرم من العام الذي يليه (1329) (2):

ومَن كانتْ منيتُه بـــــأرض   فليس يموت في أرض سواهـــا

939) محمد بن محمد السرغيني المراكشي

محمد بن محمد بن المعطي السرغيني المراكشي ، ولد في أوائل العشرة الاخيرة من القرن الثالث عشر ، ومات والده وهو صغير ، فكلفه اخوته وأعمامه ، وأخذ العلم عن شيخنا الفقيه سيدي مَحمد أزنيط ، وولد عمه الفقيه السيد صالح ، وأخيه الفقيه السيد عبد السلام بمراكش ، وعمه سيدي محمد المدني المتوفى سنة 1309 ، قال السيد عبد الحي : انه لقي مولانا بحرَ العلوم ، وحيدَ الدين ، أبا الفيض (3) بمراكش ومدحه بقصيدة قبل الاخذ عنه ، ثم أخذ عنه الطريقة وسلم له الارادة ، وأخذ عنه العلم بعد أن جاء لحضرته مختبرا وأجازه في العلم والطريق ، فظهر عليه فضله ، وانتشرت أسراره ، وتقدم الى فاس مرارا بقصد زيارة أستاذه ، وأجازه مولانا العارف الكبير والده سيدي عبد الكبير الكتاني إجازة عامة ، وولده مولانا السيد عبد الحي اجازة عامة بعد أن حضر دروسه بمراكش ، وعمل مؤلَّفا في ترجمته ، وله تقاريظ طنانة على عدة من كتبه بعضها مطبوع مع الرحلة المرسلة ، وله مؤلفات منها (حل الطلاسم ، في شرح صلاة القاسم) طبع بمصر ، وقرظه الشيخ السيد علي زنيبر غير أنه لم يطبع (4) ، وتلقاه أهل الشرق بالاستحسان ، ونفذت نسخه التي تبلغ نحو الالفين ، وله شرح على الانموذجية ، وشرح على الحكم

---

1) وتولى الصدارة بعده الوزير المدنى الجلاوى

2) له ترجمة فى **فواصل الجمان** ص 120

3) محمد بن الكبير الكتانى

4) كذا بالاصل ، ولعله يريد بجملة الذى لم يطبع التقريظ

لم يكمل ، وديوان شعر في مدح النبي صلى الله عليه وسلم ، وأمداح السادات المذكورين ، وهذه مطالع قصائد ديوانه المذكور ، الأولى في مدح النبي صلى الله عليه وسلم مطلعها :

ياصاحبي اذهبا سيْرا بلا مهـــل　　　وعاجلا باغتنام ساعة الاجـــــل

ومطلع الثانية :

إذا اشتدّ خطبٌ فاستغثْ بمحمد　　　وفرَّ الى الرّكن الشديد المشيد

ثم مطالع قصائد مدح شيخه محمد الكتاني ، فمطلع الاولى :

هبّتْ رياح مسرةٍ وتهـــــان　　　فتمايلتْ منها غصون البـــــان

ومطلع الثانية :

ألا ياركابَ الشوق عرج بمهجتـي　　　على فاسٍ الغراء مأوى الأحبـة

ومطلع الثالثة :

برزتْ مخدرة الجمال الأبهـــــر　　　غيداء ترفل في قميص أخضـــر

ومطلع الرابعة :

علوتَ منبرَ قوم كنت سيدهــم　　　ومذْ علوتَ نشرتَ الحق والدينا

ومطلعُ الخامسة لما وقف على بيتيْ الشيخ مصطفى البولاقي فـي شيخه الامير :

دعْ ذكر من قد مضى من أهلقرطبة　　　كذا الغزالي واترك ذكرك الرازي
واذكر مناقبَ مولانا الامير فقـــد　　　أبدت لنا كتبُه آياتِ اعجـــاز

حركه ذلك فقال في شيخه محمد الكتاني واصفاً مقامه الخاتمي ، لا رفضاً لمقامات مَن ذُكِر :

دع ذكرَ ساكن لبنان وذكرَ فتى جيلان واله' عن المُرسيّ في النادي

ومطلع السادسة :

كيف يحلو بعدكم لي وسَنـــــي ولظى بُعْدكم' تُحرقنـــــي

ومطلع السابعة :

أهنيكم' ياركبَ ميةَ بالْوصـــل وأفديكم بالنفس والمال والأهـــل

ومطلع الثامنة :

سل الركب عن ربع الاحبة هل حنا لقرب مشوق أوجب البعد أن يفنى

ومطلع التاسعة

مدا الصدود وما حلا للقلب غيـــر" منذ لاح جمالكم للناظـــر

ومطلع العاشرة :

سقى الله ربعاً فيه قلبي أسيـــر وعطره مسك" شذاه عبيـــر

ومطلع الحادية عشرة :

لا والذي فطر السما ما لذّ لـــي من بعدك العيش' الهنيُّ الاخضـر

ومطلع قصيدة في مدح مولانا عبد الكبير الكتاني وولده محمد :

متى ياسوادَ العين تبدو لناظـري فأطفيء نارَ البعد من مُزَنَ القرب

ومطلع قصيدة في مدح ولده مولاي عبد الحي :

إن المشوق اذا نال الذي طلبـــا تخيَّل الشمسَ في يمينه طربـــا

ومنها (1) (روض الجنان ، فيما لشيخي من الخصوصية والعرفان) ، و (المنحة العطوفية ، في جواز الرقص للصوفية) ، قرظة أديب فاس الحاج ادريس بن علي السنّاني .

---

1) أى من مؤلفاته

وله من مطلع قصيدة :

قبلة الاكوان طه فاقصـــــــــدِ	ولِمِحْراب حماها فاسجـــــــدِ
افرغ القلب لمعنى حسنهـــــــــا	ها جمال الحق يبدو فاشهـــــــد
إن تكن تبغي ارتقاء فاجعلـــــــنْ	شخصَه في نصب عين تسعـــــد

كان المترجم رحمه الله ذا قلم بارع في النظم والنثر ، واقدام على شرح الحقائق الصوفية .

توفي في يوم الخميس تاسع رجب عام 1329 ودفن بروضة باب أغمات (من مراكش) .

940) محمد يحيى بن محمد المختار الداودي الحوضي الولاتي

محمد يحيى بن محمد المختار ابن الطالب عبد الله الداودي ، نسبا ، الحوضى ثم الولاتي وطناً ، الفقيه العلامة الأصولي المشارك الفهامة ، أخذ عن عمار بن محمد الطفيل ، وأبي بكر بن أحمد معلوم الولاتيين ، له شرح على البخاري في أربع مجلدات شرحا نفيسا ، وشرح مختصر ابن أبي جمرة لـه كذلك شرحاً في غاية النفاسة ، وله نظم نفيس في القواعد ، جمع فيه كل ما في (منهج الزقاق) بزيادة سماه (المجاز الواضح) ، وشرحه شرحا عجيباً سماه (دليل الماهر الناصح) ، وشرح تكميل ميارة للمنهج المذكور شرحا طويلا كثير الفوائد ، وله شرح نفيس على الحصن الحصين ، وله تأليف حسن في الفروع مع بيان أدلتها من الكتاب والسنة ، يقول فيه : الحكم كذا لقوله تعالى كذا وكذا ، والحكم كذا لحديث كذا وكذا . سماه (منبع العلم والتقي) ، وشرحه شرحاً نفيسا سماه (العروة الوثقى) ، الى غير ذلك من مصنفاته الحســـان .

كان اماماً من أهل الجد لا تأخذه في الله لومة لائم ، كثير الردع لاهل البدع والمناكر ، ومن تآليفه (ايصال الناسك ، في أصول الامام مالك) ، و (خلاصة الوفا ، على نخبة الاصطفا ، في طهارة أصول المصطفى ، من الشرك والعهر والجفا ، من لدن آدم الى أن برز للوجود ووفـــى) ، ومعتمده فيهـــا

(مسالك الحنفا) للامام السيوطي والسيرة النبوية لدحلان المكي ، وربما نقل عن غيرهما نادرا ، طبعه بتونس ، وأجاب علماءَ تونس وأعيانَها بابطال خبر التلغراف في ثبوت الهلال ، وكذلك ايقاد النار والبارود ، وقد ردّ عليه فيها السيد المهدي الوزاني ، ولم يسمه ، وحصل أن كتاب القاضي والتلغراف والنار والبارود اذا جرت العادة بها وكانت بحيث لا تتخلف فانه يتعين العمل بها ، لانها في معنى نقل الواحد أو أقوى منه لأن العادة المستمرة تنزل منزلة الشاهدين في أحد القولين المشار لهما في قول العمل الفاسي :

والمتقرر من العـــــــادات كشاهد أو شاهديـــــن ءات

راجعه ص 194 من الجزء الاول من نوازله الصغرى ، والصواب مع الوزاني لا مع المترجم الواهم في هذه المثالث وهماً واضحاً ، وله (فتح الودود ، على مراقي السعود) ، و (نيل السول ، على مرتقى الوصول) طبعا بفاس عام 1327 ، ودخل مراكش عام سبعة عشر وثلاثمئة وألف . وتوفي بعد ذلك في شعبان عام 1330 .

941) **محمد المعطي بن محمد البربوشي المراكشي** ، الفقيه العلامة ، المشارك الفهامة ، المحصل النبيه النبيل ، قرأ العلم بمراكش على علمائها ، كشيخنا الفقيه السباعي ، ولازم تدريس المختصر الخليلي وألفية ابن مالك بجامع أبي العباس السبتي سنين عدة ، وأنتفع به الطلبة كصاحبنا الفقيه الحافظ السيد حمد الضرير وغيره ، وله تأليف في التوحيد رأيته .

توفي رحمه الله في يوم الخميس سادس عشر محرم عام واحد وثلاثين وثلاثمئة وألف (1331) .

942) مَحمد بن أحمد ابن داني الندرومي

مَحمد (فتحا) بن أحمد بن محمد بن عبد الله الندرومي مولدا ومنشأ، المراكشي داراً وقرارا ، أخذ العلم بفاس عن شيوخها ثم قرّ قراره بمراكش ، كان رحمه الله يدعى ابن داني شهرة بأصهاره ، كان أديباً منشئاً مرسلا ناظما مكثراً ، له ديوان كبير عندي منه شعر بخطه فيه أمداح نبوية وأخرى في

الصالحين ، والتوسل الى الله تعالى بهم ، وفيه أمداح كثيرة في الرؤساء ، ما ترك رئيساً من أهل العصر الا مدحه ويطيل في ذلك ، كان يتعاطى الشهادة بسماط الطالعة من مراكش ، له تاليف على نسق (قلائد العقيان) في تاريخ الدولة الحسنية في سفر لطيف ترجم فيه لبعض أهل العصر .

قال في ختم البخاري بالحضرة المولوية :

يضوع المسلك صرفاً من بخـارى فلا يبغي الخبير به فخـــارا
وأحيا ميت الأحياء شوقـــاً وحيَّى عرفه تلك الديــــارا
وجال نسيمه شرقاً وغربـــاً وعمّ عبيره حتى البحـــارا
ووافى روحُه عجماً وعربـــاً فصانوه اقتناء وادخـــارا
وكيف يفوتها كرم وفضـــل وقد ساد البخاري بها فخـــارا
وخط كتابه الحاوي المُجلِّـــي أحاديثَ الصحيح فلا تُبـــاري
وحدثَ فيه عن ءاثار قـــوم جلوا كالشمس لا تخفَى نهـــارا
وأنبأ عن مآثرهم وأسمـــا مفاخرهم وأولاها اشتهـــارا
وأخبر عن ضمائرهم وأفشـــى سرائرهم وشيَّدها منـــارا
وسابق حلبة الأخيار طـــراً فغبّر في وجوههم وســـارا
أحلّ حديث مَن ساد البرايـــا محلّ النيرات فما تـــوارى
محمد المتوج بالمزايـــا وتاج المرسلين فلا تمـــارا
وأفضل مَن على ظهر المطايـــا وأكرم من غدا يحمي الذمـــارا
عليه تحية ما سار صـــب إلى أعلامه يطوي القفـــارا

وقال رحمه الله في مدح مولانا ادريس الأكبر دفين زرهون :

طوفا بقطب الغرب من زرهـــون ثم اسألا عن قلبيّ المرهـــون
وتبادرا للترب من أعتابـــه باللثْم والتقبيل والتمكيـــن
واستوهباه عناية وحمايـــة بتلطّف وتضرع وسكـــون
وتناشدا شعري المطرز بالثنـــا في سلك در حديثه المكنـــون
وتحملا عني اليه تحيـــة تُزري بطيب المسك من جيـــرون

ثم اشرحا حالَ النزيح المصطلـي ... نار الفراق بحرها تكوينــــي
ترميه عن قوس النوى أيدي الثوى ... فدموعه تجري كجرْي عيــــون
لله ياإدريس هل مـــــن زورة ... عجْلَى تُفرج كربةَ المحـزون ؟
يستعذب التعذيبَ في جنب الهوى ... ويروقُه ما حلّ بالمجنــــون
ويشوقه برق الصريمة واللــــوا ... مهما تألّق في الليالي الجــــون
هذا الفؤاد المستباح رهنتــــه ... في حبك المفروض والمسنــون
إن المتيّم في هواك لَراغــــب" ... في فضلك المعلوم والمظنـــون
ومؤمل من فيض بحرك غرفــــة ... فامننْ فمنُّك ليس بالممنــــون

إلى أن قال :

وسرى مديحك في الورى مَسرى الضيا ... قد صيغ في الملحون والمــــوزون
وغدت لفضلك في البسيطة شهرة ... سارت وجازت ما ورا جيحـــون
وسقاك عبدُ الله من أســــراره ... شتَّى كؤوس لم تكنْ بالـــدون
يجزى حبيبكم نعيماً سرمــــدا ... وبغيضكم يجزى عذاب الهـــون
يشقى ويحرم عاجلا أو ءاجـــلا ... ياشقوةَ المحروم والمغبــــون
ياويل ما ملك المضل رأيــــه ... قد خاب سعيُ الفاجر الملعــون
إني لأحسبه غوياً مجرمـــــــاً ... يغشاه حزب وساوس وجنـــون
فتن اللعينُ وغره شيطانــــــه ... يافتنةَ المغرور والمفتــــــون
لله فتكك بالشقي ياراشـــــد" ... أنت الرشيد برأيْك الميمـــون
اذ لحت تطلب ثأر ءال محمـــــد ... طلبَ الغريم غريمَه بديــــون
يارب عبدك قد دعاك بما دعــــا ... ك به النبيُّ المجتبَى ذو النــون
ناداك في الظلمات مع صدق الرجا ... بعد الفراق لفلكه المشحــــون
ان طفتما ياصاحبيّ بمكــــــة ... طوفا بقطب الغرب من زرهـــون

وقال في مدح أبي مدين الغوث رضي الله عنه :

إذا اشتد أمر وافتقرتَ الى الغوث ... فلذْ بحمى الدنيا أبي مدين الغوث
ولازم فناه وانتصر بجنابـــــه ... عسى الامل المرجو ينهل كالغيــث

وردد على رغم الحسود حديثَــــه ... ولا تشتغلْ عنه بالانعام والحــرث
وزرْ قبره المحفوفَ بالحسن والبها ... وقابلْه والبثْ لا تملّ من اللبْث
وأيقنْ بانجاز المواعد عنـــــده ... وكن مطمئنَّ البال لا تعْيَ بالبحث
توسّل الى الله العظيم بجاهـــــه ... ولا تخش من جور السلاطين والليث
وقلْ بلسان ضارع متملـــــق ... الى الله أشكو لا الى غيره بثــــي

وقال يمدح الشيخ الجزولي مؤلف (دلائل الخيرات) رضي الله عنه :

زورا عميدَ الخير والخيـــرات ... من خصّنا بدلائل الخيـــرات
غيث الندا ، غوث الندا، بدر الهدى ... رب المزايا ، كاشف الغمـــرات
قطب الورى، نجم اسرى، ليث الشرى ... فخر البرايا ، وافر البركـــاتْ
حلو الشمائل ، زينة الدنيا ، ومَن ... فاقت صلاتُه سائرَ الصلـــوات !
حاوي المعارف والعوارف والعـــلا ... ماضي العزائم ساكب العبـــرات
زامي الفضائل والفواضل والسنا ... زهر الخمائل باهر الآيـــــات
سامي المراتب والمناصب قــدره ... في كل وصف بالغ الغايـــات
راوي أحاديث النبيِّ المصطفَــى ... صافي السرائر سيد الســــاذات
باهي المحاسن والحلا حامي الحمى ... مصباحنا الوقاد في الظلمـــات
فاق الأزاهرَ والزواهرَ نـــوره ... يلتاح كالمصباح في مشكـــاة
فرد مجيد ماجد متفــــــرد ... فالمجد فيه رافع الرايـــات
عالي المعالم والشواهق والـــذرا ... مُجلِي الكروب ومذهب الحسرات
مُحيي رسوم العابدين ومَن همتْ ... عيناه كالامطار في الخلـــوات
جلت مراتبه الجليلة واجتلـــت ... للناظرين كروضة الجنـــات
لو أنت ياعبدَ الجليل رأيتَــــه ... لمدحتَ جانب قدره مـــرات
ورأيته أولى بصرف المدح مـــن ... ممدوحك المقبور في أغمـــات
هبت نسائم قبره بالمسك والريـ ... ـحان دهرا عاطر الهبـــات
ويخاله الرائي لها قمر الدجــى ... لكنها الأقمار بالهـــالات
نعم الكتاب غدت قراءة صحفـــه ... ورداً من الأوراد كالصلـــوات
تعني به الركبان في أسفارهـــا ... وتعده ذخرا لدى الفاقـــات

ياقبة رفعت سماها للسمـــــــــا   وغدتْ محلَّ تنزل الرحمـــــــات
يغشَى العيونَ سناؤها وبهاؤهـــا   وحرامها من أعظم الحرمـــــات
تزكو الصلاة بها وينمو فضلهـــا   متعدداً بتعدد الركعـــــــــات
لا تُعرضنْ عنها وكن متعرضـــا   في وسطها لتعرض النفحـــات
واصلْ بها الاذكار واسجدْ واقترب   واشغلْ زمانَ العمر بالقربـــات
يامَن جميعُ أموره في قول كـــن   كن لي اذا ما كنتَ في السكـرات
والطفْ بعبدك في جميع أمـــوره   واحفظْه في الغدوات والروحـات
وامدده بالتوفيق في حركاتـــه   ياموجد الحركات والسكنـــات
وارحمه في حال الحياة وميِّتــــاً   ياراحم الاحياء والامـــــوات
أنت المؤملُ في الشدائد كلهـــا   والمشتفي من سائر العِـــلاَّت
وانقذه من بحر الذنوب تفضـــلا   يامُنقذَ الغرْقى القديم الـــذات
واصفح وجد بالعفو وارحم ضعفـه   واغفر له ياغافر الــــــزلات
وأقلْه يامولاي من عثراتـــــه   يامَن يُقيل بجوده العثَــــرات
وارزقنيّ التثبيت وامحُ جوائحي   يامفرداً بالمحو والاثبـــــات
واغمر عبيدك في النعيم وكنْ لـه   في كل ما حال من الحـــالات
واقبلْ دعائي عاجلا لا اجـــلا   يامَن يُجيب ويقبل الدعـــوات
واقهرْ عداتي وانتقم لي منهـــم   وافتك بهم وبحزبهم فتكـــات
واكففْ أذاهم ، واستجب لي فيهم   لا تُولِهم ربِّي سوى النقمـــات
واجبْ ندائي واستمع لضراعتـي   وشكايتي ياسامع الاصـــوات
ولئن هفوتُ وما أنبتُ فعفوك الـ   ـمشهور يمحو سائرَ الهفـوات
بمحمد خير الورى الممدوح في الـ   ـقرءان والانجيل والتـــوراة
صلى عليه الله ما هبت صبـــا   وترنَّمت ورق" على البانـــات
وبئاله الغرِّ الكرام وصحبه الـــ   ـزهر الذين تنافسوا الحسنـات
وافَتْك حوْرا يامحمد غــــادة"   من حُر شعر واضح اللبـــات
في كامل البحر الجليل تنظمـت   أبياتها من أحسن الابيـــات
جاءتك في أجنادها لكنهـــا   شنتْ على مَن عابها الغـــارات
لو جاورت يوماً جريراً لم يـــزل   بجوارها يحمي حما الجـــارات

بل واصطفاها خالة أو عمـــــة عوضاً عن الخالات والعمـّـــات
حيتـْك ياقبر الجزولي ً الرضـــى غرُ الغمام تسح ّ بالرحمـــات
ان شئتمتا ياصاحبَي ّ مبــــرة زورا عميدَ البر والخيــــرات

وقال يمدح الولي الصالح سيدي رحال :

فوضت أمري ً في حلي وترحالــي لله ربي في ءات وفي حــــال
وقلت للنفس لما عز مطلبهــــا هذا ضريح ولي ُ الله رحـــال
زوريه واسترفديه واستغيثي بـه يغثك ربـُك لا تخشي ْ من امحـال
هذا البدالي الذي دانت ْ به البدلا وشاهدوه باطراق واقبــــال
هذا الجليل الذي جلت مواهبـــه لا تحصى بالعدد المرسوم في البال
هذا السمي ُ الذي سمت مراتبـه فوق السماك وفوق الفرقد العالي
هذا الوجيه الذي عنت له الوجهـا قد واجهوه بتعظيم واجـــلال
هذا العليم الذي سادت به العلمـا وسودوا فضلهم بفضله الحالــي
هذا الكريم الذي عزت به الكرمـا فما يميل الى بخل واقـــلال
هذا الصفي الذي صفت مـــوارده فاشرب ْ هنيئاً مريئاً غير مختـال
هذا الولي ُ الذي شاعت ولايتـُـه شرقاً وغربا ببكرة وءاصـــال
هذا الشريف المنيفالمجتبَى زخرت بحاره بمكارم وافضـــــال
فلا تحد ْ عن حماه يامحاذيـــه والزم ثراه ولا تمل ْ لاغفـــال
اغث أغث ياغياثَ المستغيث فقـد **حططت** ُ رحلي بغوث الله رحـــال
وجـُبت مهمهَ قفر كي ْ أراك وقــد هجرت بين فراسخ وأميــــال
زمران ز ُمرتـُه يحمون جانبــــه من كل أمر عظيم الشأن مهـــوال
سموا بقبته نحو السماء فمــــا يصيبـُها غير طير الجو في حـــال
من ثم خو ّلهم عزاً ومكرمــــة وكاثروا الناس بالأهلين والمـــال

وقال في مدح الولية الصالحة السيدة عزيزة دفينة سكساوة :

مدحتك ِ حباً ياعزيزَ بلا ريــــب وزرتك ِ غباً فاعذريالصب ّ فيالغب
وردت ُ سروراً في ضريحك فائضاً يسح ُ على الوراد كالمطر الصيب

ترفع قدرك الرفيع على الدنـــــا … وحلّ محلّ الفرقديْن أو القطـب
وعانق مجدك السماكيْن والنهـى … وجال بأكناف النعائم والقلــب
وطاول عزك الشواهق والـــذرى … وفضلك عمّ الارض بالشرق والغرب
وخيرك هامٍ في البوادي وفي القرى … وجاهُك معروف لدى العجم والعرب
وذكرك يُزري بالرياحين طيبــه … وقلبك معروف الى الواحد الـرب
سكنت الجبال الشامخات رعايـة … لقدرك اذ هو المسامتُ للشهـب
فسبحان مَن أعلامقامك في الورى … وزادك تشريفا وخصك بالقـــرب
وعرفك منشور على كل زائـــر … وسرك مسدول الستائر والحجـب
تجمعت العباد شرقاً ومغربـــاً … على فضلك المزوج بالعشق والحب
فأنت هلال السالكين وقطبهـــم … وأنت غياث الصالحين ذوي الجذب
فيادارنا أمسيت دار عزيــــزة … مشعشعة الانوار طاهرة الجيـب
ترفع على الشم الطوال ولا تخـف … معرة عيّاب يسومك بالعيــــب

ثم قال :

فيا عالما بحالنا الطفْ بحالنــا … إليك يردُ العلم ياعالم الغيــب
فيا عالما بحالنا الطفْ بحالنــا … على أحمد المختار والآل والصحب

ومدح الامام بن العريف وغيره .

توفي رحمه الله في أوائل ربيع الاول عام 1331 .

943) محمد بن محمد كرداس الدمناتي

محمد ابن الفقيه محمد بن حمُ كرداس الدمناتي ، قاضيها ، ولد عام 1277 سبعة وسبعين ومئتين وألف كان عالما فاضلا ، يلتمس الخير كثيرا ، حافظاً للنوادر ، ممتع الحاضرة ، درس بدمنات وأقرأ العربية والبخاري في الاشهر الفاضلة . أخذ عن والده العلامة سيدي محمد ، تولى المترجم القضاء نحوا من ثمان وعشرين سنة ، ودخل مراكش مرات .

توفي رحمه الله بدمنات أواخر رجب أو أوائل شعبان عام واحد وثلاثين وثلاثمئة وألف 1331 .

ثم استقضي في محله أخوه أحمد ، ولقد تقدمت ترجمة والده (1) .

944) **محمد بن الطيب البوعزاوي** ، دفين مراكش ، كان رحمه الله فقيها نبيهاً ناسكا متصوفا ، ذا أخلاق حسنة ، همته نصرة الدين ، كان أولا منعزلا عن التداخل في السياسة ، ثم لما وقعت وقعة الدار البيضاء قدم مراكش وتلاقى بالمولى عبد الحفيظ واتفقا على الجهاد ، ومقابلة جيش الدولة الفرنسوية بالدار البيضاء ، وجمع الجموع المولى عبد الحفيظ ووجهها لذلك، وكان يصحبهم المترجم ، وفي كل مدة يرجعون بلا طائل ، الى أن أعياه الامر فتركوا ذلك وتوجهوا لفاس ، وبقي المترجم هناك ، كان متقشفا في لباسه وفي فراش داره وفي طعامه ، لا يلبس الكساء ويقتصر على لبس الجلابة ، جاعلا رداء على كتفيه ، ثم انقلب لمراكش بعد أن احتمى بدولة ألمانيا! عام 1328 ، وله اتباع بالشاوية كثيرون .

ألف كتاب (الانتصار بالله ، لقول لا الاه الا الله) الذي يحكى أنه أعانه عليه المولى سليمان بن الكبير ، فرد عليه في ذلك محمد بن الكبير الكتاني بلسان الحجة البرهانية ، وللمترجم رسائل في التصوف مطبوعة بفاس في 22 رمضان عام عشرين وثلاثمئة وألف 1320 سماها (رسالة المريد ، في منهل أهل التجريد) صفحاتها 124 ، وقد ألف بعض تلاميذه تأليفا في مناقبه ، ثم لبى دعوة مولاه في يوم الاربعاء ثاني عشر جمادى الاولى عام اثنين وثلاثمئة وألف 1332 ، ودفن بداره بالزاوية العباسية في الطريق المارّ لسيدي غانم من ضريح أبي العباس السبتي بمراكش .

وقد وقفت على ورقة فيها ورده وبعده خاتمه بداخله محمد بن الطيب وفقه الله ، نصها :

---

1) انظر ص 63 ع 885 من هذا الجزء

بسم الله الرحمان الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

قد أذنا بحول الله وقوته للأخ في الله ، والمحب من أجله ، سيدي أحمد ابن الفقيه في وردنا المخصوص المفتوح على صاحبه بفضل الله وبركات مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو هذا : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق سبعاً ، باسم الله الرحمان الرحيم ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم عشرا ، استغفر الله العظيم الذي لا الاه الا هو الحي القيوم وأتوب اليه ، ثلاثاً ، اللهم صل على الروح النورانية الخالصة مـن صفاء بياض نور الهدية الساري سرها في الناسوتية واللهوتية الحائطـة بمعاني الجزئيـة والكلية ، القائمة بالهيكل العظيم القمري المنزه تنزيه تكريم وتشريف عـن الوصوم البشري السبب في الرتق والفتق وجميع النشأة لجلاله ، فسجدت الملائكة لآدم ، والمقصود لجماله العاجزة العقول عن ادراك كنهها ، اذ لا سبيل للوصول اليها الا ان يكون شيئاً بفصلها ، كهيعص ، يس ، والقرءان الحكيم إنك (يامحمد) لمن المرسلين على صراط مستقيم ، ن ، والقلم وما يسطرون، ما أنت (يامحمد) بنعمة ربك بمجنون وان لك لأجـراً غير ممنون وانـك (يامحمد) لعلى خلق عظيم عين الهدية ، وروح الهدية ، وطلعة الهدية ، التي أشرق نورها في الشموس والاقمار والجنان والحجب، الهدية، قطب رحا دائرة العرشية والعريشة ومشكاة طلعة الأنوار الهدية ، ومظهر التجليات الهدية ، عنصر العناصر والهياكل الروحانية والجثمانية ، المنزه سره دائماً في حدائق وبساتين الهدية ، الملحوظ وحده بنظرة الهدية ، الهادي الى طريق الهدية ، المسفر عن لثام قل هو الله ، صلاة تليق بك منك تؤدي بها عنا حقه ترضيه وترضي عنا ، وتعرفنا بها واياه ، وتفتح بها عنا أبواب الخير والسبل مـا تهواه ، وتحول بها بيننا وبين الشر ومن نواه ، وعلى ءاله وأصحابه والمهاجرين من الانصار ومن تبعه ، وسلم تسليما مثل ذلك ، والحمد لله ثلاثا ، لا الاه الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يُحيي ويميت ، وهو على كل شيء قدير ، خمسة وعشرين ، لا الاه ألا الله وحده لا شريك له ، الاهاً واحدا ، ونحن له عابدون ، خمسة وعشرين ، لا الاه الا الله وحده لا شريك له ، ولا

نعبد الا اياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ، خمسة وعشرين ، لا الاه الا الله وحده لا شريك له ، هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، خمسة وعشرين ، اللهم أحسن عاقبتنا في الامور كلها وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة ، سبعاً ، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ثلاثاً ، ربنا هبْ لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين اماما ، ثلاثا .

سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

945) محمد بن ابراهيم السباعي

محمد بن ابراهيم بن محمد بن الحفيد السباعي ثم الحاجي المراكشي، شيخ الجماعة بها من فخذ يعرفون بالعبيدات من أولاد أبي السباع جد سيدي المختار السباعي صاحب الضريح في طريق الصويرة لمراكش ، وأبو السباع هو عيسى بن ابراهيم بن هلال بن محمد بن يوسف بن أبي زيد بن عبد الرحمان بن سلام بن عبد العزيز بن عبد المومن بن زيد بن رحمون بن زكرياء بن محمد بن عبد المجيد بن علي بن عبد الله بن عبد الله بن أحمد بن ادريس بن ادريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنَّى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت مولانا رسال الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم ، هكذا ساق أحمد بن المهدي الغزال نسب أبي السباع ، وسيأتي خلافه، فالمترجم رحمه الله شيخنا الامام سواه الله من طينة الشرف والحسب ، وغرس دوحته الطيبة بمعدن العلم الزكي المحتد والنسب ، الفقيه العلامة الذي تمشي تحت علم فتياه العلماء الاعلام ، وتخضع لفصاحته وبلاغته صيارفه النثر والنظام من حَمَلة الاقلام ، الدراكة الفهامة الذي ساجله علماءُ عصره ليدركوا في مجال الادراك شأوه فرجعوا منكوسى الاعلام ، حامل لواء الفتيا ، ومالك أزمة المنقول والمعقول من غير شرط ولا ثنيا ، مَن زُرع حَبُّ حُبه في القلوب فاستوى على سوقه ، وكاد كل قلب من تلامذته وغيرهم يذوب من حر موته وشوقه ، الذي تزينت بدروسه المساجد والمدارس ، واحتاج الى

منطوقه ومفهومه كل مُذاكر ومُدارس ، وجمع شمل العلوم ونسق نظامها ، ورفع منار الافادة ونشر أعلامها ، مفرد زمانه الا أنه قام مقام الجمع ، المستغرق لأوقاته في الافادة والتصنيف لما يشنف السمع،الساعي في ذلك أشرف المساعي، الى أن دعاه مولاه لدار كرامته فلبى دعوة الداعي ، قدس الله روحه ، وبرد ضريحه ، واسكنه من أعلا الجنان فسيحه ، بمنه وفضله وكرمه واحسانه ، وجوده وامتنانه .

ولد رحمه الله في أواسط العشرة الخامسة من القرن الثالث عشر ، أخذ العلم رحمه الله عن شيوخ وقته بمراكش وفاس وغيرهما ، وأجازه منهم أعلام ، منهم الشريف الجليل العلامة الحافظ ، مولاي الصادق العلوي دفين روضة مولاي علي الشريف بمراكش ، وشيخ الجماعة العلامة المشارك البركة، سيدي أحمد المرنيسي المتوفى عام سبعة وسبعين ومئتين وألف 1277 ، والشيخ الفقيه العلامة ذو القريحة الوقادة ، سيدي الحاج محمد بن المدني كنون ، أخذ عنه صحيح البخاري عن آخره درسا ، والشفا ، وممن أخذ عنه جميع البخاري سرداً العلامة سيدي الحاج عمر ابن سودة ، وممن أخذ عنهم الفقيه العالم العامل بعمله سيدي سعيد بولواح الدمسيري ، ثم بعده شيخ شيوخ الجماعة كلها بعصره ، فذ الزمان فـي دهره ، أعجوبته في صناعـة التدريس وتحقيقه وتحريره ، سيدي محمد بن عبد الرحمان الفيلالي المتوفى عام خمسة وسبعين ومئتين وألف 1275 ، ومعاصره البركة طيب الاخلاق أحمد المرنيسي المتقدم ، ثم الفصيح اللافظ الحاج عمر ابن سودة ، ثم الحافظ اللافظ ، قاضي الجماعة الشريف مولاي مَحمد بن عبد الرحمان العلوي ، والفقيه الحافظ السيد محمد المكناسي المتوفى بعد قفوله من الحج بالينبع سنة 1283 المترجم في (اللؤلؤ المكنون ، في اختصار ابن عيشون) ، والفقيه الحاج محمد كنون ، وهؤلاء هم العمدة الكبرى المذكورون في اجازته العامة في كل ما له بتاريخ عام عشرين وثلاثمئة 1320 المذكورة مع ما يتعلق بهـا وبترجمته في (اظهار الكمال) في نحو ثلاث عشرة ورقة من القالب الرباعي. فلتراجع هناك .

وأخبرني الشيخ رحمه الله أنه قرأ التفسير من قوله تعالى (لا خير في كثير) الى سورة الرعد على سيدي أحمد المرنيسي ، وأنه قرأ علم العروض على الشريف العلامة مولاي عبد المالك الضرير العلوي ، وأن شيخه المذكور أقرأه بهذه الحضرة سابقا ، كما أخبرني أنه أقرأ بفاس جميع صحيح البخاري من ثاني عشر جمادى الثانية الى ليلة السابع والعشرين من رمضان ، وكان يجلس في كل مجلس نحو أربع ساعات ، وأن شيخه العلامة سيدي المهدي ابن الحاج كان يستشهد على الصور الفقهية بالاحاديث النبوية ، حضر عنده في فصل السهو من المختصر ، وذلك أنه اذا كان في الصحيحين والموطأ حديث في المعنى الذي يقرره يأتي به ، قال وهذا من علو الهمة ، وأن شيخه الفقيه ابن عبد الرحمان كان شيخه سيدي عبد السلام الأزمي يأمر الطلبة بالقراءة عليه وملازمته دون غيره ، وأنه أنجب منه ، ولا يدرس في وقته في القرويين في الثاني أحد ما عدى الفقيه سيدي محمد المكناسي المتوفى بالمشرق ، وأن الفقيه المرنيسي كان يُقرئهم عشرين بيتا أو خمسة وعشرين من الألفية في المجلس ، وأن سبب الحبسة التي كانت في لسان الفقيه ابن عبد الرحمان من عطش في سفر مع أولاد مولانا سليمان وآثرهم بالماء فعاتبهم أبوهم على ذلك ، وقال لهم : أمثل الفقيه يؤثر الانسان نفسه عليه ؟ ، وأهدى له مرة لباسه لما وجده بجامع القرويين حيث لم يجد معه غير اللباس.

كان الشيخ المترجم السباعي اماماً مطلعاً نقادا متبحرا نظارا حامل لواء المذهب المالكي ، قرأ بمراكش وبدمسيرة على شيخه سيدي سعيد بولواح المتقدم في حدود الستين ومئتين وألف، ثم رحل بعد السبعين بموحدة لفاس بقصد تتميم دروسه بها ، فبقي نحو خمس سنين ، ثم انتقل الى مراكش فاتخذها قراراً ووطنا ، ومازال بها الى أن توفاه الله تعالى .

كان صدراً شهيرا حافظا نقادا موفور الحظ في الحديث والتفسير والأصلين والعربية والتاريخ متقدما في الفقه حافظاً له ، مستحضرا لقواعده ، مستشهدا لها من الكتاب والسنة والاجماع، يقتس الاشباه والنظائر، ويستخرج من النصوص الفوائد ، يهجم بالمعقول على المنقول ، ويعارض ويرجح ويرد

ويزيف ، ويقول (نحن رجال وهم رجال) . وانتهت اليه رئاسة قلم الفتوى في مراكش مع كثرة من كان بها من الشيوخ اذذاك ، بل كانت ترد عليه الاسئلة من كافة أنحاء المغرب فيجيب عنها بما يبهر العقول من غير تسويد لكثرة تحصيله واستحضاره ، ولا يبقي عنده منها نسخة ، ولو جُمعت فتاويه لأربت على نوازل (المعيار) ، وكان رحمه الله دؤوباً على التدريس صيفاً وشتاء ، ليلا ونهارا ، وكان في دروس الفقه يمكث نحو الثلاث ساعات ، ويحضره نقاد الطلبة ، وكان يباحثهم ويسائلهم ويستخرج ما عندهم ويحرك هممهم ويحضهم على العلم والاخذ في تعلمه بجد واجتهاد ، وكثيرا ما ينشد في دروسه :

قالت مسائل سحنون لقارئهـــــا ... بالدرس يدرك مني كل ما استترا
لا يدرك العلم بطال ولا كســـــل ... ولا ملول ولا مَن يألف البشـــرا

وكان متبحراً في أيام العـرب ومعرفة وقائعهم ، حافظا لمـا كانوا يوردونه من أمثالهم وحكمهم مع أشعارهـم وأشعار المولدين وتاريـخ دول الاسلام ، والقضايا الواقعة قديماً وحديثاً ، وكان له رحمه الله لسان حاد ، وقلم كالسيف لا يبقي ولا يدر على المبتدعين والمخالفين للشرع المطهر ، فاذا رفعت اليه فتوى لبعض معاصريه ووجد فيها تحريفا ، أو تساهلا بالغ في فضيحة صاحبها نصرة للحق ، ويقول كان ابن عباس يقول : كذب عدو الله ، ويأتي بحديث : (الا أن تنتهك حرمات الله فلا يقوم لغضبه شيء) ، ولم يقتصر في الانكار على العلماء والمفتين ، بل تصدى للانكار على المخزن في وقته ، وبيان أحوال الوزراء والكتاب الملتفين حول السلطان وما هم عليه من سوء السيرة ونهب أموال الرعية منبها على سوء أفعالهم ونصحهم مخافة أن تتخرب الدولة بأعمالهم ، فكانت تقع له الاذاية بسبب ذلك ، وتعصبوا عليه ، وسجن مراراً لأسباب اختلقوها ، ومع ذلك لم يرتدع لحظة واحدة عن تغيير المنكر والمجاهرة بالحق ، فلم تأخذه في ذلك لومة لائم ، ولم يخش سطوة جائر ، ومع هذا كان مسموع الكلمة مقبول الشفاعة ، توجه الى السلطان مـولاي الحسن يوماً متشفعاً في بعض أقاربه الذين كانوا بسجنه ، فلما حضر بالباب كتب رقعة بيده اليه ، وكان من جملة فصولها أن قال : إن الله تعالى لم يقدر

أن يكون في وقتك ابن أبي زيد القيرواني ، وفلان ، وعدد جماعة من العلماء ، وانما خلق في وقتك مثل محمد بن ابراهيم السباعي ، ومن العار أن يسمع الناس أنك ترد شفاعة علماء وقتك ، وقد جئتك متشفعا في فلان الفلاني ، فلما اطلع عليها السلطان قبل شفاعته ، وأجزل صلته ، وكان ذا دين متين ، وسنن مستقيم ، معظماً محترماً ، مرموق الجناب ، عظيم النزاهة ، رفيع الهمة ، كريم النفس ، زكي الاخلاق ، متباعدا عن الرياء والسمعة ، كثير الحاشية ، واسع الناد ، رفيع العماد ، مسعود الحظ ، ميمون النقيبة ، صاحب ثروة عظيمة ، ونعمة جسيمة ، من نقد ورباع ، ونعم وكراع ، وبالجملة لم يكن في وقته من يشابهه في كل أموره ، ولم يخلف بعده مثله رحمه الله .

أما محنته بالسجن فلاسباب وأمور كانت تنقل عنه الى المخزن ، أعظمها شدة شكيمته وكثرة أفكاره ، وكانت الدائرة المخزنية اذذاك من وزراء وكتاب وعمال يجسمون ذلك ويكبرونه انتقاما منه لكونه كان مُشهراً ومنكراً لأحوالهم وما هم عليه من سوء السيرة ونهب أموال الرعية ، وقد رُحِّل مرة الى فاس بسبب ذلك ، الا أن كل ذلك لم يفلّ من غربه ، ولم يوهن من صرامته ولا حده ، بل بقي على صدعه بالحق لا يهاب في ذلك كبيرا ولا صغيرا الى أن لقي ربه ، وذلك من أعظم الادلة على اخلاص قصدة وحسن نيته ، وقد ألف تأليفاً بين فيه الأسباب الموجبة لامتحانه ، معتذرا عن نفسه وعن السلطان بكونه كانت لا تبلغه الأشياء على حقيقتها ، بل كانت دائرته تُلبِّس عليه ليتوصلوا الى أغراضهم والانتقام منه ، سماه (سيف النصر لدفع الايهام ، وذكر موجب محبة ذرية مولانا هشام) .

ونص اجازته لصهرنا وصديقنا الراوية المسند المؤرخ سيدي عبد الحفيظ الفاسي :

أحمدك اللهم يامجيز مَن استجاز كرمك وفضلك ، وعلى قدر محبتك وبفضل سرعة اجازتك لهم على الصراط ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك وحبيبك الذي جعلته مفتاح كل سعادة أبرزتها قدرتك ، وجعلت انسان عين السعادة العلم الذي تحصل به معرفتك ، وتتم به عبادتك ، التي ما خلقت الانس والجنّ إلا لها ، وثمرتُها وقلبها خشيتُك .

هذا وقد استجاز العبدَ الضعيفَ قصيــر الباع ، قليل الاطــلاع ، الشاب الحيي الحبيب ، الأديب النسيب ، سيدي عبد الحفيظ نجل الفقيه سيدي طــاهــر ، نجل البركة سيدي الكبــير الفاسي ، الطــود الراســي رحمه الله . ولما تعينت مساعدته لصلاح قصده وحسن نيته ، وان لم أكــن أهلا لذلك ، قلت أجزتك أيها الاخ فيما تريد ، وفي جميع ما حصلت من العلم، كما أجازني أشياخي بالكتابة ، فمنهم الشريف البركة العالم المحرر العلامة الحافظ مولاي الصادق العلوي دفين روضة مولاي علي الشريف بمراكش ، أجاز لي في متون الحديث بسنده الى البخاري ، ومنهم الفقيه المسن البركة سيدي أحمد المرنيسي كذلك بسنده الى البخاري ، وعندي سنده في الفقه الى الشيخ خليل ، ومنهم شيخ الجماعة الذي لم ينل أحد شأوه في التحرير وحسن الصناعة ، سيدي محمد بن عبد الرحمان الفيلالي السجلماسي ، ومن بعد هؤلاء ممن يطول تعدادهم ، فمنهم ذو القريحة الوقادة ، وقوة التوجــه للعلم استفادة وافادة ، سيدي محمد بن المدني كَنون .

وأوصي المستجيز بأخذ العلم بزمامه ، وخطامه ولجامه ، الذي هــو التقوى وحفظ اللسان ، وسلامة الصدر والتسليم ، وعدم الرضى عن النفس ، اذ لا تحصل ثمرة العلم الا بذلك ، وأوصيه وأياي بما أوصى به الله الأولين والآخرين ، قال سبحانه : (ولقد وصَّيْنا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم واياكم أن اتقوا الله ، واتقوا الله ويعلمكم الله) فالله يوفقنا جميعاً لما يحبه ويرضاه ، بمحض فضله وكرمه آمين ، والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، وءاله وصحابته أجمعين .

وكتبه محمد بن ابراهيم السباعي وفقه الله ، وذلك عام 1320 .

ولنورد هنا فصوص نصوص اجازات أشياخه له فنقول : هذا مطلع استدعاء المترجم الاجازة من شيخه مولاي الصادق المتقدم .

باسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وصحبه.

حمدتُ محيزَ مَن أحبَّ بسرعـة — صراطاً له كالبرق ثم برتبـة
وأثنى على مفتاح أخذ النجائـح — محمد المبعوث خير البريـة
فمن فرعه أرجو نسيم اقتفائـه — ومن بحره أبغي الشراب بغرفـة

فأجابه الشيخ بما نص المقصود منه :

فلله ربي الحمد ما دام فضلـه — محيزاً للاستدعاء أكمل منيتـي
وصلّ وسلمْ ثم بارك على الـذي — لموصول دينه استناد البريـة
وءاله والصحْب الكرام ومقتـفٍ — لآثارهم صدقاً بحسن الطويـة

ثم قال :

ولكن أجزتُكم لصالح قصدكـم — جميع دراياتي وكل روايتـي
صحيح البخاري ثم جامع مسلـم — موطأ الامام والشفاء لعلـة
شمائل خير الخلق ثم أجزتكـم — بكل سماع من جميع مشيختـي
أبي رحمات الله تنعم روحـه — بروح وريحان بأرفع جنـة

ثم قال :

كـذاك الّذي سمعته وأجازنـي — به غيره حقاً شيوخ أجلـة

ثم قال : وبه كتب راجيا جميل عفو مولانا وستره ، عبيد ربـه : محمد الصادق بن محمد الهاشمي بن محمد بن محمد بن الحسني بن الحفيد بن أبي القاسم بن الحسن بن يوسف بن علي الشريف الحسني ، والاجازة أعلاه للمستدعي المذكور وهو سيدي محمد بن ابراهيم السباعي أسعده الله بسلامة الدنيا وكرامة الآخرة ، إنه على ما يشاء قدير ، وبالاجابة جدير .

انتهى من خط المجيز رحمه الله .

ونص المقصود مـن اجازة سيدي عمر ابـن سودة المؤرخة ءاخـر ربيع النبوي سنة ست وسبعين ومئتين وألف (1276) :

وان ممن حضر معنا ولازم مجالس درسنا وأقرائنا في العلوم الشرعية المعقودة للمذاكرة المطلوبة ، الفقيه الاسعد ، والشريف الأمجد ، الغطريف الالمعي سيدي محمد السباعي ، نور الله بصيرته ، وطهر سريرته ، طلب منا الاجازة الجارية بين ذوي العلوم فيما حضره وسمعه وفي غيره ، فها نحن ساعفناه على ذلك وساعدناه ، تشبهاً بأهل الفضل من الشيوخ ، الذين ثبت لهم القدم في العلم والرسوخ ، ثم قال قد أجزت الفقيه المذكور في جميع مسموعاتي ومقروءاتي ومروياتي ، وسندنا في البخاري ما في طي كتابى ، بيد أن الواسطة من أبي العباس – يعني سيدي أحمد ابن الشيخ التاودي – أشخاص كلهم يروونه عنه ، منهم العالم الجليل الذي كان لا يُرى الا تالياً أو ذكرا ، سيدي عبد القادر الكوهن ، ومنهم ءاخر حفاظ المغرب ، سيدي التهامي المكناسي ، ومنهم سيدي العربي الدمناتي ، ومنهم مستحق التقديم على الاطلاق ، الجامع بين بحريْ الشريعة والحقيقة ، الشريف العلمي سيدي محمد الحراق ، ومنهم ولد أبي العباس المذكور القاضي سيدي العباس رحمهم الله ، أجازة بالعموم متصفة ، وبالشمول معترفة .

ونص المقصود من اجازة سيدي أحمد المرنيسي له : هذا وممن أخذ في طلب العلم بالحظّ الأوفر ، والنصيب الاكبر ، وذاق من صهباء تلك الكؤوس ، ما تهواه وتحبه النفوس ، الفقيه الانجد ، الشريف الامجد ، السيد محمد السباعي ، فقد طالما زاحم بالركبْ أهل المجالس ، وبارز منهم الراجل والفارس ، ولقد طلب مني أن أجيزه فيما أخذ عني من العلوم العقلية والنقلية الشرعية ، وفي سند صحيح الامام العالم العلامة الاوحد ، الفهامة الأمجد ، سيدي محمد بن اسماعيل بن ابراهيم الفارسي البخاري ، فلم يسعْني الا الجواب ، قائلا والله الموفق للصواب : قد أجزتك أيها الولد اجازة تامة فيما أخذت عني من العلوم بشرط الاتقان ، وأن تقول فيما لا تدري لا أدري ، ثم قال : وأما سنده في صحيح الامام البخاري فقد أجزته فيه أيضا ، وهو الذي

أخذته ورويته عن القاضي الأرضى ، الخير المرتضى ، الفقيه الأمجد ، العلامة الأرشد ، سيدي أحمد ابن الفقيه العالم العلامة الدراكة الفهامة الجامع بين الشريعة والحقيقة ، سيدي التاودي ابن سودة المري ، ثم ساق السند الى تمامه ، وقد نظمته في رجز مع تراجم رجاله قلت في أوله بعد الافتتاح :

وبعد ذا عباسٌ الفقيـــــــــــر ... يذكر ما أسنده الشهيـــــــــر
شيخُه اذْ أتحفه بـه لـــــــدى ... أجازة شريفة نجم اهتـــــــدا
ذاك الشريف العالم المحقـــق ... نجل أبي سالم المدقـــــــــق

الى أن قلت :

لازمته في الدرس أعواماً زكـــت ... عشراً فيالها سنين شرفـــــت
في الفقه والحديث ثم النحـــو ... صبحاً وظهرا وعشاء نـــــروي

راجعها في (اظهار الكمال) ، وهي نحو مئتي بيت ، ومن السباعيين الشيخ عبد الله ابن ساسي البوسبَعي ، بفتح الباء ، وهي اللغة المنحرفة في السبع بضمها الآتية ترجمته في حرف العين ، ومنهم : الولي الصالح سيدي غانم بن سعد السباعي تلميذ سيدي عبد الله أبن ساسي المذكور الآتية ترجمته أيضا ، ومنهم الأستاذ الرُحَلَة المحقق المشارك الراوية المسند ابراهيم بن علي بن محمد بن أحمد الدرعي المتوفى سنة 1138 ، تلميذ شيخه ومربيه الامام مَحمد ابن ناصر ومجيز حفيده الفقيه السيد موسى بن محمد بن محمد ابن ناصر وولديه الفقيه السيد جعفر ، والسيد محمد المكي مؤلف (الدرر المرصعة) ومَن سيولد لهم ، بالاجازة العامة بتاريخ 1132 المذكورة فهرسته في تأليف الأخير المسمى (فتح الملك الناصر ، في اجازات مرويات بني ناصر) في أربعة كراريس من القالب الرباعي ، ومنهم الامام العلامة أحمد بن ابراهيم السباعي تلميذ والده مجيزه والقطب أحمد ابن ناصر ومجيز سيدي محمـد المكي المذكور بالاجازة العامة في عام واحد وأربعين ومئة وألف ، المختوم به كتاب (فتح الملك) المتقدم، وهو ووالده مترجمان في (الدرر المرصعة)، ومنهم الشيخ العلامة الاستاذ الورع الزاهد الشريف سيدي الجيلاني السباعي ذكره

بهذه التحلية سيدي الطالب ابن الحاج في ذكر أبيات كتبها له أبوه سيدي حمدون في مصرف الزكاة من حاشيته على شرح ميارة الصغير ، وتقدمت ترجمة السيد الجيلاني المذكور في المحمدين ، ومنهم الامام الفهامة ، الهمام العلامة ، الذي به من الفضائل والفواضل ما لم يُرَ بغيره ، ولي الله السباعي الدكالي الفرجي ناصية الناس ، أحمد بن عمر بن مَحمد (فتحا) بن ميمون شيخ أفضل تلامذته سيدي محمد بن دحُ ، وتلميذ الامام أحمد ابن الشيخ التاودي المذكور في أجلى مسانِد العلي الرحمان ، ومنهم العلامة مفتي الديار المغربية في أوانه ودهره ، سيدي عبد السلام ابن أبي زيد ، بن الطيب الأزمي الحسني الادريسي السباعي ، ومن مجاذيبهم سيدي محمد السباعي المتوفى عام اثنين وثلاثمئة وألف (1302) المذكور في (السلوة) ، ومنهم الولي الصالح المجذوب السائح الملامتي سيدي العربي السباعي المتوفى عام تسعين ومئتين وألف (1290) المذكور في (السلوة) أيضا .

ونصُ المقصود من اجازة الفقيه كنون : وبعد فاني أجزت الفقيه أعلاه بمثل ما أجازه به المجيز أعلاه حرفاً حرفا ، كتبها في أسفل اجازة المرنيسي .

ونص المقصود من اجازة سيدي محمد بن حمادي المكناسي المكتوبة أسفل اجازة الحاج عمر ابن سودة : وكان ممن أستعمل في طلبه عوامل الافكار، وجاب في تحصيله الفيافي والقِفار ، وكابد غصص الحر والقر وتجرع الفَقار، وساجل في فهم معانيه أرباب القوافي من النثار والنظام ، وغاص في لجج بديع المعاني فالتقط درر الغواص وجوهر النظام ، الشريف الاسعد ، الفقيه الانجد ، المحافظ على ديانته المراعي ، سيدي محمد بن ابراهيم السباعي ، أفاض الله علينا وعليه من بحور ءالائه ، وكان لنا وله بما كان لأوليائه ، وقد طلب منا اتحافَه باجازة شاملة تكون تامة عامة ، لأعين العدا ساملة ، فأجبناه اسعافاً لما اقترح ، ومنبأ عما اغترفه من بحور العلم وانتزح ، فأقول ، وعلى الله الكمال المأمول ، قد أجزت الفقيه المذكور أعلاه ، في كل ما قرأنا أو روينا أو سمعنا من أشياخنا تغمدهم الله برحماه ، اجازة شاملة مطلقة ، على شرط التثبت والتحري .

كتبت ذلك من خطوطهم رحمهم الله ، وقد ناولينها الشيخ رحمه الله في حياته ، وهي تخرج في نحو ست أوراق ، ولولا مخافة الطول لأوردتها كلها، ولكن قد حصل المقصود بما جلبناه منها .

ثم في عشية يوم الأربعاء ثالث رمضان عام واحد وثلاثين وثلاثمئة وألف 1331 صحبة العلامة المحدث السيد عبد الحي الكتاني حضرنا جميعاً بمنزل شيخنا المذكور بحومة القصور من مراكش وناولنا ورقة في كناش ، نصهـا .

الحمد لله .

صبراً عسى فرج يأتي بـــــه اللهُ	من حيثُ لم تحتسبْ أسرار مبناه
فكم لربك من لطف يرى علنـــــاً	ومن خفي يدقُ عنك معنـــــــاه
فلا تبت شاغلا للفكـــــر ذا أرق	فلم يكن ألا ما قد شــــــــاءه الله

ولتصلِّ ركعتين الأولى بالكافرون بعد الفاتحة ، والثانية بسورة الاخلاص ، وقل في السجود (قالتْ مَن أنبأك) الى (الخبير) ، وبعد السلام تدعو بدعاء الاستخارة النبوية ، ثم اضطجع مستقبل القبلة قليل الأكل في محل وحدك ، وافتح بياعليم ياخبير حتى يستغرقَك النوم ، فانك ترى علامة الاذن فــي اعطاء الورد ماء أو خضرا ، فقد أذنا لك في اعطاء الورد المختاري بالشرط المذكور من الاستخارة ، ولا تنسنا من صالح الدعاء .

وكتب بيده الفانية الراجي لعفــو ربه ومغفرته عبيد ربــه تعالى : محمد بن أحمد بن دحُ لطف الله بالجميع بجاه النبي الشفيع .

ومن خطه : الحمد لله

وبعد فان ما فوقه خط شيخنا ووسيلتنا وعنايتنا ومفيدنا القدوة ، سيدي محمد بن دح قدس الله روحه في أعلا الجنان ، لما شكوت عليه مــن بعض الكرب وسألته الاذن في أعطاء الوسيلة ، وكانت شكايتي نظماً ، فأجاب بما فوقه من خط يميه .

محمد بن ابراهيم

وقد أجازنا بذلك خصوصاً قائلا : وافقته على هذا لِحُسْن نيته : **محمد السباعي** .

انتهى من خطه .

وفيــه سمعنــا من لفظــه أحاديث مــن أول الصحيح الجامــع للبخاري وحديثاً من ءاخره وناولناه ، ثم سمعنا أول كتاب الشفا وءاخرها ، قراءة عليه بلفظ السيد عبد الحي ، ثم قرأنا عليه أول حديث من موطأ الامام مالك ، وحديث جبريل من صحيح مسلم ، وأول حديث من الشمائل ، وتلفَّظ الشيخ المسمع في الساعة المذكورة اليّ بالاجازة ، وله فيما ذكر وغيره مما يصح له أن يرويه أو يحدث به أو يجيزَ اجازة عامة تشمل كل مؤلف وعلم ، وأشرك معنا في الاجازة المذكورة أولاد السيد عبد الحي : محمد عبد الواحد ، ومحمد عبد الرؤوف زين العابدين ، ومحمد أبو بكر ، ولمن سيوجد بعد له ولهم من الاولاد والاحفاد ، وكذا أجاز للامام العلامة الشيخ محمد المكي ابن عزوز التونسي نزيل الأستانة ، وكذا للعلامة سيدي عبد العزيز بن محمد بناني الفاسي ، وأولاد الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني وهم محمد المهدي، ومحمد الباقر ، ومحمد علي الرضا ، وعبد العلي ، ولاخوته أحمد ، ومحمد الماحي ، كل ذلك بطلب السيد عبد الحي المذكور في المجلس المذكور .

وللمترجم رحمه الله تآليف عديدة ، وتقاييد مفيــدة ، وأجوبة فــي الفقه محبرة بليغة محررة ، ونظم ، فمن تآليفه شرح الأربعين النووية فــي مجلدين لطيفين ، سمعناه عليه الا مواضع عنه أقرأه ليلا بجامع المواسين ، وهو عجيب قد جمع فيه فأوعى ، ومنها تاريخه المسمى (البستان الجامع لكل نوع حسن ، وخبر مستحسن ، في بعض مآثر السلطان مولانا الحسن) ، ألفه بعد أن أصدر له أمره الشريف به على يد وزيره السيد علي المسفيوي ، وهو في مجلد ، مشتمل على كثير من الامثال والحكم نظما ونثراً ، طالعته ، وهو دال على استبحاره في معرفة أيام العرب ووقائعهم وما كانوا يوردونه من أمثالهم الشائقة ، وحكم أشعار المولدين والقضايا التاريخية الواقعة في دول الاسلام ، ومنها : تأليفه الذي ألَّفه فيما يتعلق بالحماية وهو عندي سماه (كشــف

الستور عن حقيقة كفر أهل بسبتور) (1) ألفه في حدود التسعين، وهو يدل على ما له من الاحاطة بالقواعد الفقهية ، وما ينبني على الأصول من الفروع ، ومنها رسالة في مدح القلم والحض على الكتب الخطية والاعتناء بها ، لكونها فيها البركة وعليها الاعتماد ، والتحذير من الكتب المطبوعة ، وبيان أنها سبب في تقليل الهمم وعدم حفظ العلم ونسيانه ، طالعته ، ومنها (سيف النصر لدفع الايهام ، وذكر موجب محبة ذرية مولانا هشام) طالعته وهو عندي بخطه ، ضمنه حكماً وفوائد وغررا ترتاح لها النفوس ، وتبتهج بها الطروس ، بناه على ثلاثة تراجم ، الأولى ترجمة مولانا عبد الرحمان ، والثانية ترجمة شبله السيد محمد ، والثالثة ترجمة المولى الحسن ، وأنشد :

فأكرم فخراً ان فخرت وعنصـــر   هم الغرة الزهراء في فرع هاشـم

ثم أنشد :

قوم أبوهم هشام حين تنسبهـم   طابوا وطاب من الأفلاذ ما ولـدوا
لو كان يقعد فوق الشمس من كرم   قوم بفضلهم أو مجدهم قعـــدوا

ولا بأس أن ننقل منه ما يتعلق بترجمته منه ، ذكر في الترجمة الاولى أنه لو لم يكن على هذا الفقير من سوابغ نعمه الا كونه نشأ وشب تحت ظل دولته ، وقرأ كتاب الله وما قدر له من العلم تحت أطناب أمنه ويمنه والكل من أسرار بركته ، لكان ذلك كافياً في وجوب شكره ، وقد تواصلت علينا زمن قراءة العلم صلاته المباركة ، كما تيسر الفتح لاهل العلم أكثر في دولته ، ثم ذكر في الترجمة الثانية ، أنه لم يزل يترفل في سابغ ثوب نعمهم ، قرأ في دولتهم وأقرأ حتى لم يبق والحمد لله بمراكش اليوم (عام 1309) الا وهـو اخذ عنه سوى نحو الثلاثة . وكذلك بعض ممن يدرس اليوم بفاس تلـك

1) يريد بأهل بسبور ، المغاربة الذين كانوا يذهبون الى بعض البلدان الأوربية والأمريكية ويقيمون فيها بعض الوقت ريثما يحصلون على شهادات تجنس بجنسية البلد الذى يقيمون فيه ثم يعودون الى المغرب بلدهم الأصلى ، حاملين تلك الشهادات زاعمين أنهم أجانب لا تطبق عليهم أحكامه ، ولا يخضعون لسلطة ولاته ، وكانت شهادات التجنيس تعرف ببسبور أو بصبور يومئذ ، لأن أصحابها كانوا يحملون جواز سفر (بسبور) أجنبياً .

انظر عن قضية المحميين والمتجنسين مقدمة الجزء الرابع من مجموعات الوثائق

السنين الخمس التي أقام بها في حدود التسعين بعد المئتين وألف ، وذلك كله في صحائف هؤلاء الملوك ، ثم ذكر في باب عقده بعد الترجمة الثالثة أن هؤلاء الملوك الكرام قد ألحقوه بالصالحين وليس منهم ، وبالعلماء الذين كتب الله امتحانهم على أيدي الملوك بأن سجنوه ثلاث مرات ، الأولى على يد السلطان سيدي محمد ، واثنتان على يد ولده المولى الحسن ، الأولى شهد مَن تعرض لاذايته بأن بعض العمال وضع عنده وعند الفقيه ابن المدني مالَه ، وأكرم الشهود ولده المسجون اذذاك ، ورغبوه أن ينسب ذلك الي وها هو حـي ، والثانية لم يبين له سببها الى الآن ، وقد طال تحير ذهنه في سببها ، لكن كثرلهج' الناس بأن سببها تردده على مولانا علي بن مولانا عبد الرحمان ، وقد خالف في ذلك عادته من الانقباض عن أمثاله ، الثالثة التي هـي سبب هذا التقييد كان يطلب التوصل بحق وجب له شرعاً ، وتعرض له عليه بعض الولاة تعدياً ، وله يزل متعرضاً له عليه من نحو عشر سنين ، حتى أفرغ جهده في اذايته ، والحق واجب له باجماع ، وكان أفتى على سببه بكتاب شريف ، وحكم له بالحق القاضي الذي كتب اليه الكتاب ، وحكم له به أيضا الخليفة مولانا عثمان ، فلم يفد ذلك شيئاً مع المتعرض ، ثم انه في تلك السجنات التي سجنوه فيها يُصَبُّ عليه الخير فيها صباً ببركتهم وصلاح نياتهم ، ففي المرة الاولى لم يكن عنده الا الكتب وحرم الدويرة ، وكم من ليلة يبيت في الظلمة بدون مطالعة نصاب القراءة لعدم ما يسرج به ، ثم إنه خرج منه غنياً ، والثانية قد أقبلت المسغبة ولو أدركته بمراكش لباع الدويرة والكتب ، فسجن ، ونقل لفاس بدون زاد ، وفيه نال من الدنيا ما لم ينلْه قط ، حتى رجع بأمتين وبغلتين ودراهم ، وأما وجه الثانية فحاصل اتصاله بمولاي علي المتقدم الذي كـان يخالطه كثيراً الفقيه كنسوس وكان يبسط صدره وءاماله بأشعار ونحو ذلك ، فلما انقطع عنه بفقد بصره وتقعده ، صار يبحث عن عوضه ، فكأنه أشير له بالمترجم ، فصار يبعث اليه ويحضره ويقدمه في الجلوس معه على الطعام ، ويؤخر مَن سبقه اليه من أهل العلم وفيهم أشياخه الذين هم أكبر منه سناً ويسبقوه للعلم ، كمولاي أحمد بوغربال ، والسيد أحمد بن مبارك معلم الشرفاء، ثم جمعتْهم وليمة ذات ليلة ، وكان الشريف المذكور الى جنبه الفقيه القاضي ابن المدني السرغيني ، وأكثر الشريف معه التناجي جدا فسأله عن ذلك بعد، فأجابه بقوله : بكثرة ذلك الذي رأيت أستخرج جميع ما استبطن الناس في

مكنون ضمائرهم ، فخاف من ذلك ، فصار يرغب المترجم عن مخالطته ، وبذلك اشتدت رغبته في جانبه ظناً منه أن عنده حكمة ، أو له بعض الاسماء يتلا لمثل ذلك ، فصار يبعث اليه رسله ، ويختفي منهم ، ثم يصطادونه ليلا بالمسجد ، وما يرميه الناس به ما ظهر له منه رائحة ، وهو بعيد كل البعد من التشوف لذلك ، لأنه كان فيه من الجبن ما ليس في النساء والصبيان ، بحيث كان لا يقدر أن يتحرك في الحديقة التي بها سكناه وحده نهاراً ، وأبوابها موجفة محكمة ، ويصرح أنه لا يقدر أن يخرج من البيت ليلا ولو للمستراح ، فكيف يتشوف لمقام لا يغشاه الا الأسود .

ثم قال : وسبب حسد أهل الجنس أني أنعم الله علي بفراغ اليد من شواغل الدنيا ، فلا أتعاطاها بتجارة ولا غيرها مما يخل بالديانة ، فانقطعت للتعليم ، ومال المتعلمون كلهم لي عن غيري غالباً لأمرين : عدم الاشتغال عنهم بلا بطالة ، ويأتون بظن حسن ، ونية خالصة ، فيفتح الله عليهم في قريب ، لخلوص نيتهم لا غير ، فاشتد الحسد ممن ليس لهم همٌّ الا في سعاية أو شكاية ، أو حكاية أو نكاية .

خير المقال مقال الصدق فاصغ ودع   عكس الصواب مع التبديل والسقم

فرغ من تقييده في عاشر ربيع النبوي ، عام تسعة وثلاثمئة وألف .

ومنها (أي من تآليفه) شرح خطبة الامام سيدي محمد بن سيدي محمد بن علي الخِرشي بكسر الخاء نسبة الى خراشة على غير قياس قرية من قرى الصعيد لمختصر الشيخ خليل ، وهو في نحو خمسة كراريس من القالب الرباعي ، عندي بخطه ، ذكر فيه أنه جمعه على ضرب من العجلة حيث ابتداه مقارناً لبدإ قراءة المختصر ، وكان يتكلف كل يوم كتْب النصاب الذي يقرىء به في اليوم الذي بعده مع توزع الفكرة وكثرة الأشغال المانعة من مراجعته وتنقيحه ، أتمَّه في 22 من جمادى الأولى عام 1311 وكان الشروع فيه في 21 من ربيع الثاني عام 1311 ، ومنها تقييد في أسباب خلع المولى عبد العزيز بناه على ست مراتب: الأولى في الامامة، الثانية في بيان الأمور التي تسبب عنها خلعه، وبيان استحقاق بدله ، الثالثة في بيان وجوه المصلحة التي رعاها الناس في ذلك ، الرابعة في معارضة ما عسى أن يستدل به المنكر ، الخامسة في بيان بطانة

السوء الملتفة حول الأول ، السادسة في تحصيل ما تقدم ، وله تقييد في ختمة المختصر يوم الاثنين رابع أو خامس صفر الخير عام 1291 وهو عندي أيضاً .

ولما ختم درس الشفا ليلة الخميس تاسع عشر شعبان عام 1299 قال في ذلك قصيدة طويلة ، منها :

هذا الشفاء الذي أبدى خصائص من ... ساد الأنامَ والأنبياء والرسـلا
بالرسل أمَّ مع الأملاك حيث سرى ... وصار يخدمه جبريل حيث عـلا
أبدى خصائص سر الكون رحمته ... والكل من نوره الأعلا وما نـزلا

وهي طويلة فيها ثمانية وأربعون بيتاً .

ولما ختم صحيح الامام البخاري عام ثمانية وثلاثمئة وألـف 1308 بحضرة السلطان ، قال قصيدة مطلعها :

هذا البخاري بحمد الله قد كمـلا ... ونشر أسراره بعونه سهـلا

ولما ختمه يوم الاثنين رابع ربيع الثاني عام أربعة وعشرين وثلاثمئة وألف ، قال قصيدة اشتملت على أربعة وثمانين بيتا مطلعها :

صحيح البخاري هذا صح له الأفرا ... وتمَّ وعون الله قد أوجب الشكـرا

ثم قال :

فلله درُّ ذا البخاري وصنعـه ... وشرط صنيعه به اكتسب الفخرا
فطوق جيد العلم عقداً منضَّـدا ... وزاد حلا الحديث حسناً كما يدري
صنيع تولَّى الله تشييدَ مجـده ... وأودعه السر المصون الذي أجرى
فسر به الاسلام قدماً وحادثـاً ... وأتحفه بذا محاسنَ لا تـرى
وحاز به الثناء عنها ومشكـرا ... وبيَّن أسراراً لهم لم تكن تـدرى
وجاء بما يستعظم الناس أمـره ... ولو بالغ المُثني فلا يبلغ القـدرا
له الفضل والتقديم في كل مشهد ... وأجلى ظلام الجهل عن كل من يقرا
له في الحديث رتبةٌ لا ينالهـا ... سواه وكتْبٌ في فضائله تقـرا
فمَن مثله دنياً وعلماً وحفظـه ... ومن مثله قد زاد شرعتنا طهـرا

فمَن كالبخاري في العلوم جميعها ومن كالبخاري زان في وضعها نشرا؟
فصان أحاديث الرسول بنشرهــا وزان الصنيع في حلاوتها ذكـــرا
أقام بها من فطرة الدين سنـــــة فجدد رسمها وأوضحها خبــــرا
يذكرنا في كل حكم نبينـــــــا حبيب الالاه سيد الرسل لا فخرا
بايضاح حكمه وسيرته التـــــي أمرنا بها فرضاً ونفلا وما أحـــرا

ومنهــا :

هو الشمس بث في البسيطة نوره فمَن قال نور الله محضاً فما أطــرا

وقلت في هذا الختم تائية من الطويل ذكرتها في (اظهار الكمال) مطلعهــا :

أحق الأمور باعتناء ورغبـــــــة دراس الحديث لاقتفاء الشريعـــة

وأملى ختمته في نحو أربع ساعات .

وللمترجم رحمه الله رائية من الطويل ، في ختم مختصر الشيخ خليل ، ورّى فيها بتراجمه ، وضمنها نصيحة المتعلم والعالم ، وهي مشهورة .

وقد ختم (مختصر خليل) مــرات ، وقرأه مرة مسروداً بشـــرح الخرشي من أوله الى ءاخره في ثلاثة عواشر من الشروق الى الزوال ، يقرأ كراساً في اليوم منه ، ومرة به ، وبشرح الزرقاني وحاشية البناني والرهوني، وكان معتنياً بشرح الحطاب والمواق .

حدثني المترجم رحمه الله أنه قرأ العلم بفاس نحو خمسة أعــوام وشهرين ، وهي من أوائل العشرة الثامنة من القرن الثالث عشر ، كما أقرأه به حين ترحيله في أواخر العشرة الأخيرة منه مثل المدة المذكورة ، وقال له القائد محمد بن سعيد حين اجتماعه به في سلا لما رجع : ان المولى ادريس رضي الله عنه ، قال لك العلم الــذي أخذتَه ببلدي اجلس فيه حتى تؤديــه ، كما أنه درس العلم بمراكش نحو نصف قرن .

كانت وفاة المترجم رحمه الله في الساعة الواحدة من ليلة يوم الاثنين سادس رجب الفرد الحرام عام اثنيـن وثلاثمئة وألف 1332 عن نحـو سبعة وثمانين سنة ، ودفن بضريح الشيخ الغزواني داخل قبته على يمين الداخل لها قريبا من الشيخ عند رجليه . وكانت له جنازة حافلة بعُد العهد بمثلها في مراكش ، حضرها كافة الناس حتى الخليفة السلطاني ، وعظم مصاب الناس بموته لما له من العلم والدين المتين رحمه الله .

وأصبنا أيضاً في هذه السنة بفقـد والدنا روحا وجسما الحنيـن الشفوق ، الطيب الأخلاق والأعراق ، الذي بلغنا بمحبته ورضاه كل أرب ، وكانت همته متوجهة لنا مشهداً وغيباً ، ويؤثر حبنا على ما يحبه ، سيدنـا محمد ابن الفقيه محمد ابن الامام الاستاذ ابراهيم المراكشي الدار والقرار ، في أول الساعة الثالثة من يوم الجمعة حادي عشر شوال 1332 شهيدا مبطونا ، فذهب مأسوفاً عليه ، تغمده الله برحمته ، وأسكنه فسيح جنته بمنه وفضله ومنته ، فانا لله وانا اليه راجعون .

وقلت أرثي المترجم :

صرفُ الدهر أكثرها شـرور ووقعُ النائبات به مبيـر
وأيامُ السرور به قصـارٌ وأوقاتُ العزاء به كثيـر
سهامُ الموت فينا صائبـات ففي الأقات نعْيٌ مستطيـر
فتختار الأفاضلَ تجتنيهـم فتذهب بالمعالي اذ تبـور
فشيخ العصر محمود المزايـا وركن العلم راسخه المديـر
امام المعضلات وغـوث لاج لفكٌ المشكلات اذا تثـور
ممجّدنا وسيدنا المرجّـى محمد السباعي المستنيـر
مضى لسبيله فانقضَّ بـدر وأظلم عصرنا اذ غاب نـور
فدرس العلم حلَّ به الرزايـا محققه به سعدت قبـور
وأقلام الفتاوِ مكسّـراتٌ فلا تحقيق الا ما يديـر
شريف ماجد جمُّ المعالـي مآثره شوارق لا تغـور

فكم بث العلوم بكل نــــــــاد ... ووضح مشكلا لا يستنيـــــــــر
وصنَّف في العلوم مصنفـــــات ... بها التحقيق يدركه الأثيـــــر
وكم عَبَدَ الالاهَ ونال ذخـــــراً ... وأرضاه المبشر والبشيـــــــر
شمائله الشريفة لا تضاهَـــــى ... وأخلاق مطهرة تنيــــــــر
ونفس لا تجيب الى خسيــــس ... وخلق لا تغيِّره الدهـــــــور
زعيم الفقه أضحى في البرايـــــا ... وسمت العلم فهو له ظهيــــــر
بغير العلم ليس له اهتمــــــام" ... بغير الفضل ليس له حبـــــور
عفيف زاهد ورع تقــــــــيٌّ ... نقي لذيل طاهره وَقـــــــور
همام مصقع ليث غيـــــور ... وغوث الملتجِي عون نصيـــبــر
به مراكش رزئتفتاهـــــــا ... فجربها جهينتها الخبيـــــــر
فعلم الفقه حلَّ بقبر حبـــــر ... وطم الجهل واستعلى الغـــرور
فيابحر المنية فزت منـــــــه ... ببحر العلم اذ ذهب البصيـــر
فلهفي للامام فقيد علـــــــم ... رَداهُ دهاه يحمله سريـــــر
أغرب الدمع سح ببدر غـــرب ... به غرب السميدع والمجيـــر
ألا مَن للفتاوي والقضايـــــا ... ومَن يهدي اذا ضل الحيـــــور
أعزي النفس عنه بالتأسِّــــي ... وان بالعصر عزَّ له النظيـــــر
وللفقها بنيه الصبرُ يُجـــدي ... وتتبعه من المولى الاجـــــور
فصبرا يابنيه اليوم عنـــــــه ... فأجر الصبر يمنحه الصبـــور
فليس لنا بفجعته شبيــــــــه ... وما لفقيهنا أبداً نظيـــــــر
به مراكش الحمراء تباهِـــــى ... نصيف القرن وهو لها المشيــر
بها حيا وميتاً في القصـــــور ... عليه رحمة ورضا كبيـــــــر
فياركن العلاء حميد سعْـــــي ... ويالث الوغى أسد هصـــــور
ذهبت محمداً بلسان صــــــدق ... يشيعك الثناء المستطيـــــر
وياعلم الهداة وكنز علـــــم ... يساعدك النظيم أو النثيــــر
يُكنُك في الضلوع حنين وجـــد ... فيتبعه شهيق أو زفيـــــــر
ويابدر السناء شرقت غربـــاً ... فعمَّ بك الضياء المستنيــــر
فيارب العباد أنله عفـــــواً ... وقدسه فأنت له الشكـــــور

بمشهـــــــــده أورى اذا أورخ عماد العلم مرتعه القصـــــــور
يلاوني عليه سلام ربـــــــــي تعانقه بعليين حـــــــــور

وفي ليلة موته رحمه الله ، وجه على مقيده عفا الله عنه للوداع فمن سوء الحظ لم يتلاق مع رسوله ، فلما رجع وأعلمه اغرورقت عيناه بالدموع ، وتأسف غاية .

واعلم أن معتمدي في الفقه من علماء مراكش اثنان : المرحوم العلامة الولي الصالح الناسك سيدي الحاج مَحمد (فتحا) أزنيط المتوفى عام 1317 رحمه الله المتقدمة ترجمته ، وهذا على جلالة قدره كان يقول : اللهم ارزقنا فهم كلام الأئمة ، ونحن لا نشق لهم غبارا ، ولا لنا بالمباحثة معهم يد ، والثاني هو المترجم هنا العلامة النقاد المتبحر سيدي محمد السباعي ، وهذا كان يقول : نحن رجال وهم رجال ، بعد ما يكثر من البحث حين الدرس والمناقشة ، ووقع لي معهما ما وقع للشيخ ميارة مع الامامين المقْري وابن عاشر ، جدد الله تعالى على الجميع الرحمات .

فائدة وتنبيه :

وقد قدمنا أن المترجم رحمه الله من فخذ يعرفون بالعبيدات من أولاد أبي السباع ، قال الامام المحدث النسابة محمد بن عبد السلام الناصري رحمه الله في رحلته حين ذكر توزر : وكذا زرنا بتوزر الجديدة سيدي ميمون ، وابن غلاب ، وسيدي عبيد بن خيضر من أولاد سيدي عبد الشارف المقبور ببلدة تعرف بالجامع بمظهر النمامشة قرب خنقة سيدي ناجي ، وله ولذيته بهذه البلاد الافريقية صيت ، وذريته كثيرة الآن تبلغ آلافاً ، محترمين عند الأمراء ، وهم من أولاد أبي السبع سكان سوس الأقصى ، ومن صلحائهم القبورين بتوزر الجديدة سيدي عبيد بن الذئب وسيدي عبد العاطي ، وسيدي علي الكموني ، وسيدي أحمد بن عثمان بن أبي القاسم ابن الشويط ، وسيدي عبيد ابن عبد المالك زرنا الجميع بالنية .

انتهى من النسخة التي قوبلت على المؤلف ، وعليها خطه رحمه الله .

وقال في كتاب الأنساب المنسوب للامام أحمد بن محمد بن عبد الله ابن جزي الكلبي ما نصه : وشرفاء أولاد ابن السبع خرجوا من شجرة الزيتون، وافترقت في الساقية الحمراء ، وفي ونشريس ، وفي وادي شلف ، وفي ناحية الجزائر في سواد ، وفي خمليشة ، وفي قمقولة من سوس . وجدهم حيثما كانوا هو سيدي ومولاي الحاج السبع عبد الله بن عبد الخالق بن عبد الرحمان بن عبد الوهاب ابن ملحة ابن الشريف الحسني ، وقال العشماوي : ومنهم فرقة في الساقية الحمراء أولاد أبي السباع ، وهو عامر الهامل في الساقية الحمراء ، وهم أعراب يرحلون وينزلون .

وقال في 168 من الجزء الثاني من (الدرر البهية) : وأما الشرفاء أهل دويرة السبع فمن بني ولي الله سيدي محمد المدعو السبع ، فكل سبعي صح نسبه فلهذا الجد .

وقال في تأليف (أشراف غريس) ما نصه : وهؤلاء الأشراف السباعيون لهم صيت بالمغرب الاقصى ، وقفرهم قريب من سوس ، وكانت بينهم وبين أولاد سيدي عمر مزاورة ومواصلة في القديم ، يعترف كل منهم للآخر بالقرابة والاتصال ، حسبما أخبرني بمضمنه مَن اثق به من علمائهم ، ومن علمائهم المشهورين بالعلم والولاية سيدي ابن يامنة ابي دوخة ، ، قال ابن عمنا الأمير عبد القادر أيده الله : فانه كان سيبويه زمانه ، اصبحي عصره وأوانه ، وكانت الرئاسه فيهم قديما وحديثاً في بيت أولاد أبي دوخة ، وفي بيت أولاد سيدي البشير ، وأولاد سيدي محمود ، وفيهم الآن الفضلاء والعلماء والله ولي التوفيق .

946) **محمد ماني الصنهاجي** ، الفقيه العلامة المفتي النوازلي ، أخذ عن الفقيه سيدي محمد بن المدني كنون وغيره ، وكان من العلماء الذين يحضرون مجلس السلطان المولى الحسن في قراءة الصحيح ، وألف تآليف منها (البشارة التي تسرُّ الناظرين، في حديث لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين) في الرد على مَن اعترض عليه في تقريره بمجلس السلطان المذكور للحديث المذكور ، ورتبه على مقدمة وخمسة مباحث وخاتمة ، المقدمة في تخريج الحديث

ورواياته وأنه متواتر ، المبحث الاول في تحقيق أن المراد من الغرب في رواية لا يزال أهل الغرب هو القطر المخصوص ، المبحث الثاني في اختلاف الروايات في محل هذه الطائفة وتحقيق ما تعين المرجع اليه في ذلك ، المبحث الثالث في تعيين نوع هذه الطائفة وتحقيق أنها تعددت ، المبحث الرابع في تحقيق أشخاصها ، المبحث الخامس في تقرير الحديث وشرح ألفاظه وبيان معنى الظهور والحق وأمر الله من قوله حتى يأتي أمر الله ، وفيه بيان الساعة وترتيب أشراطها من المهدي ، وعيسى وظهور الروم ومآلهم الى الانحطاط وغيره من بقية الاشراط ، الخاتمة في فوائد الحديث ومستنبطاته ، وهي أمور عجيبة الاجماع وعدم خلو الزمان عن مجتهد ، وأن من أسباب النصر اظهار التجار عند الكسر ، وأن الخير وأهله لا ينقطعون من هذه الامة ، وأفضلية المغرب على المشرق ، وبقاء هذه الشريعة المطهرة والدين المحمدي الى قيام الساعة ، وأن الملك يبقى بيد الاسلام عموما ، وأنه يبقى بالقطر الشامي وبالقطر المغربي خصوصا ، وأنه يبقى بهذه الدولة السعيدة الى أن تنضم الى المهدي كبقية دول الاسلام ، وأن اتباع الحق هو سبب الفلاح ، والظهور والغلبة والنجاح ، وختمه بتتمة في بعض ما يجب على دول الاسلام من شكر هذه النعمة ، وهو في نحو ثمانية كراريس بخط اليد في القالب الرباعي ، وقفت عليه . قال في المبحث الرابع : ومن رسالة الامام الحجة الشيخ أبي بكر الطرطوشي التي بعث بها الى سلطان وقته بمراكش حسبما ذكره التادلي في أول كتاب التشوف (1) والزرقاني في شرح المواهب ، والشهاب في شرح الشفا ، والشيخ كسوس في شرح المرشد المعين ، وابن زكرى في حاشية البخاري بعد أن ذكر حديث مسلم (لا يزال أهل المغرب الخ) ما نصه : والله أعلم هل أرادكم رسول الله صلى الله عليه وسلم معشر المرابطين أو أراد بذلك جملة أهل المغرب لما هم عليه من التمسك بالسنة والجماعة وطهارتهم من البدع والاحداث في الدين والاقتفاء لآثار السلف الصالح رضي الله عنهم ؟ (2)

1) **التشوف** ص 1

2) وردت العبارة محرفة قليلا فى الاصل ، وقد حررناها اعتمادا على نص رسالة الطرطوشى المنشورة فى **الوثائق** 1 : 209 ع 74

وهو يفيد أن المراد ذلك السلطان ودولته ، وقال في المبحث الثالث وقيل المراد بالطائفة أهل فاس ، ذكر في (كعبة الطائفين) أن بعضهم كان يحمل الحديث عليه ، وقال في الفائدة العاشرة من الخاتمة : يؤخذ من الحديث الشريف أيضا أن الملك يبقى بهذه الدار السعيدة ، والدولة العالية الحميدة ، ولا يزال فيها وهي عامرة ، وبالمحاسن زاهرة ، الى أن تنضم الى المهدي كبقية دول الاسلام على ما في أخبار المهدي ، وبيان كيفية أخذ ذلك يتوقف على تقديم مقدمة ، وهي أن تعلم أن أخذ المعاني من عدد الحروف أمر شائع ومهيع معروف ، ثم قال : فاعلم أنه تقدم في الحديث روايات من جملتها (لا يزال أهل المغرب ظاهرين على الحق ...) وفيها الشاهد ، فانه في قوة قولنا لا يزال ملوك بنجم الدولة العلوية ظاهرين الخ . وذلك لأن عدد أهل 36 المغرب 1173 و 120 وذلك بقية عدد ما ذكر ، أعني قولنا ملوك الخ. فان مجموع عدد اللفظة الاولى 96 واللفظة الثانية 95 والثالثة 471 والرابعة 547 يجمع ذلك 1309 .

قلت ولا مساوة بينهما حيث أن عدد الثانية يفوق الاولى بمئة ، فان مجموع الأولى كما قال 1209 والثانية 1309 .

ووقفت على رسالة بخط القاضي سيدي أحمد ابن سودة يخاطب بها العلامة الوزير الصنهاجي بأن كتاب ماني لم يسعه مراجعة أحاديثه المنقولة فيه في مواطنها ، وأما تصرفاته فهي لا تخلو عن نظر ، وقد نص الحافظ السيوطي على أن عدم عَزو الانقال لأصحابها من أعظم أسباب سلب البركة عن التأليف .

قلت وألف قديماً الامام الحافظ الحسين بن محمد الغساني المعروف بالجياني تأليفا في قوله صلى الله عليه وسلم (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق) .

توفي المترجم فجأة في 11 ربيع الاول عام 1333 .

947) محمد بن محمد الحاجي الدرعي

محمد بن محمد بن العربي الحاجي الدرعي قاضي درعة وقصبة مراكش الحمراء ، قرأ العلم بفاس في حدود السبعين ومئتين وألف 1270 ، وأخذ عن العلامة ابن عبد الرحمان الحجرتي وطبقته ، ثم استقضي بدرعة ، وكان مَن يأتيه للتحاكم عنده يستعمله في اصلاح غروسه هناك القائم باصلاحها ومنها يتعيّش حيث لم تكن له أجرة من بيت المال .

كان رحمه علامة مشاركا في عدة فنون ، له عكوف على اللغة وخصوص اطلاع عليها ، وإكباب وتعلق بالصالحين ، وكان يفتي ويقرض الشعر وكانت في لسانه لكنة لا يقدر أن يبلغ بها ما في جنانه ، ثم استقدم في أيام المولى عبد العزيز من درعة لوشاية به من بعض رؤسائها وعين قاضيا بقصبة مراكش ، فكان دائما له حنين لوطنه ، كثير الزيارة لذلك ، ونظم قصيدة في مدح الرجال السبعة ذكرتها في أوائل (إظهار الكمال) يتشفع بهم . فنال مطلوبه ، منها :

ياسادتي شفَّني اصطباري	على شمات العدا الشقور
وطال شكوي وظلم جاري	ذل مجير الحمر الغيور
فأنصفوني من الأعادي	وعاجلوا الكل بالدمور
وأزمعوا السير بي معافَى	إلى معادي وحيث دوري
حتى أهنا مديد باع	بالعلم والأهل والدثور
وفسحة العلم في اتباع	خير الورى أحمد الطهور
تترى عليه مع الأهالي	صلاةُ ربِّي مدى الدهور

ولما توفي الوزير أحمد بن موسى تهيأ له مرغوبه ، فأذن له بالسفر لبلاده ، وقر بها قراره ، ثم توفي رحمه الله في ثالث وعشري رمضان وثلاثمئة وألف 1333 عن نحو تسعين سنة .

وقد تقدم ذكر والده (1) .

---

1) انظر 6 : 315 ع 827 من هذا الكتاب

948) محمد بن العربي الجامعي

محمد ابن الوزير العربي ابن الوزيرر المختار ابن القائد محمد بن عبد الملك الجامعي كان رحمه الله فقيها نبيها ، رئيسا ، وجيهاً ، قرأ العلم على الفقيه ابن عبد الرحمان ، والحاج محمد كَنون والقاضي مولاي مَحمد ، ثم رجع كاتباً بالَبنيقة(1)الكبرى أياماً قليلة ، ثم ترقّى إلى وزارة الحرب في دولة سيدي محمد بن عبد الرحمان ، وحينما مات رحمه الله وقف وقوف الكرام في بيعة ولده مولاي الحسن ، فأقره على وزارة الحرب الى أن مات الوزير موسى بن أحمد في محرم سنة ست وتسعين ومئتين وألف 1296 فاستوزره مكانه ، فسار بسيرة حسنة ، وهش وبش للقاء الناس ، وأنزلهم منازلهم ، وكان يباشر الامور على غاية من التحري والصدق ، ويكرم الكتاب ، ويبالغ في الحفاوة بهم ، وحمد الناس مسعاه ، وكان عند مستوزره بمكان رفيع ، وتكرمة جليلة ، ويعمل باشارته ويبالغ في تعظيمه وينزله منزلة الخال لكون والدته هي الحرة المصونة السيدة منانة عمة المترجم ، بنت الوزير السيد المختار جده وتزوج والده أختها عائشة بعد موتها ، وانتشر للمترجم صيت عظيم ، ومن جملة أمانته عند مستوزره أنه كان يدخر عنده أموالا طائلة ولم يضعها في بيت المال ودفعها في العشرة الثانية من هذه المئة ، حيث أعلم بها المتولي بعده (2) من غير أن يطلع أحد ، وكانت داره محلّ وفود أهل العلم والفضل ، يكرمهم ويحسن اليهم ، منهم شيخه كَنون ، كان يزوره ويحبيه ويعتني بأموره، ويسمع لوعظه ، وكان له يوم في الجمعة خاص باكرام العلماء والكتاب ، وهو يوم الخميس ، وله محبة في الصالحين ، وظفّ في ضرائحهم طلبة القرآن العظيم لقراءاته وجعل لهم على ذلك حبساً ، وجدد زاوية الشيخ مولانا عبد القادر بدرب ضبَشي بمراكش في أواخر القرن المنصرم ، وحبّس على خدمة

---

1) **البنيقة** فى الاصطلاح الادارى المغربى القديم هى مكتب الوزير بالقصر الملكى ، و **البنيقة الكبرى** هى مكتب الصدر الأعظم (الوزير الأول)

2) المتولى بعده هو أحمد بن موسى البخارى الصدر الاعظم المشهور ، والجامعى المترجم انما دفع المال ــ الذى ربما كان ماله لا مال السلطان ــ اتقاء لشر أحمد الذى بطش بأسرته ، ولو لم يفعل ذلك لما تأخر أحمد عن الفتك به رغم عجزه ومرضه

الحرم الشريف النبوي جناناً برباط الفتح يعرف بعرصة مُلِينة وكانت عادته مع الكتاب أن المستوطنين منهم بمراكش اذا وردوا من فاس ينزلهم عنده ، ويقوم بمؤونتهم ، وعنده يكون بفاس مستولداتهم ، ويفعل مثله بالفاسيين اذا وردوا مراكش ، وما تعلق به أحد منهم في غرض الا نال مطلبه .

ولأهل عصره فيه أمداح كثيرة ، منها ما رأيته مكتوباً على قبة بناها من خشب الأرز في بعض رياضه بفاس ، وهي هذه :

لحتُ في حسن انتهـــاء ... من كمال وازدهـــاء
قبة الأفق أحاكـــي ... في سمو وضيـــاء
مَن رأى حسنَ ارتفاعـــي ... خال شمساً في سمـــاء
قمتُ في الروض عروســـاً ... في برود من بهـــاء
ما ترى الأشجارَ حولـــي ... خاضعاتٍ كالامـــاء
وترى الاشجارَ عنـــدي ... كعقود في سنـــاء
وترى الأنهار تحتـــي ... سكبت فضةَ مـــاء
وترى الأرواحَ منـــي ... حملت نشرَ كبـــاء
وترى الأطيار قامـــتْ ... فوق غصن ذي انثنـــاء
شاكرات لأيـــادي ... مَن به يسمو بنائـــي
عين أعيان الأعالـــي ... ووحيد النبهـــاء
الوزير بن الوزيـــر ... بن وزير ذي ارتقـــاء
دام في يمن وأمـــن ... وسُرُور بفنـــاء
يرتقي أسما بروجـــي ... في سعود واعتـــلاء
تحت حفظ الله يبقـــى ... في انشراح وصفـــاء
وبه يعمر ربعِـــي ... ما شدا طيرُ الهنـــاء
ارغداً أزهى صنيـــع ... فاق حسنا في انتهـــاء

وله مبان مُشيَّدة بسائر عواصم المغرب كفاس ومكناس ومراكش .

وكـان مولعاً بمطالعة كتب الأدب ، رأيت له توقيعات علـى كتاب (نفح الطيب) ، وجمع رسائل كنسوس في نحو خمسة كراريس ، وغالبُها في مخاطبته ومخاطبة والده ، وأنشأ لها خطبة بليغة ، وهي عندي .

ولد حدود العشرة الخامسة من القرن المنصرم ، ثم إنه أصابه داء الفالج بمراكش في أوائل هذه المئة سنة ثلاث وثلاثمئة وألف 1303 ، فأبقاه مستوزره وزيرا واستناب عنه في الوزارة السيد محمد الصنهاجي ، وبقي نائباً عنه نحو الخمس سنين ، ثم لما طال به المرض أسقط النائب المذكور من امضاءاته لفظ نائب الوزير ، وبقي معظماً محترماً لا يرام جانبه بخدش .

لقيته بفاس وبالغ في الحفاوة بي ، وجده القائد محمد بن عبد المالك كان في دولة سيدي محمد بن عبد الله .

وكانت للمترجم خزانة كبيرة علمية فيها من كل فن ، وكان جعل النساخ في كتب العلم مرتبين في داره مع مسفر اقتداء بمخدومه .

توفي رحمه الله أواخر عام 1333 .

949) مَحمد بنعيسى طريدانو الرباطي

مَحمد (فتحاً) بنعيسى بن أحمد بن مسعود الرباطي يعرف بطريدانو ، ولد رحمه الله عام 1269 ، ولما بلغ عشرة أعوام حفظ القرءان في السلكة الاولى على اقراء الشيخ سيدي مصطفى الركركي ، ثم على الفقيه عمر الذي خرج على يده من الطلبة ما يزيد على المئة بعد أن كان أمياً، ثم قرأ القرآن وهو كبير ، ثم صار يقرأ العلم على شيوخ بلده ، منهم العلامة سيدي عمر عاشور في المعقول والمنقول ، والفقيه سيدي أحمد ملين كذلك ، والعلامة سيدي ابراهيم التادلي حضر عليه جميع ما كان يقرأه وعلى الفقيه العلامة سيدي عبد الرحمان بن عبد الله لُبَريس ، وكان في غاية التحقيق ، وله تآليف كثيرة ، كان يقول الفقيه سيدي الحاج محمد كنون : الرباط فيه سيدي عبد الرحمان ، وعلى الفقيه القاضي سيدي محمد بن عبد الرحمان البريبري ، وعن غيرهم ممن يطول ذكره ، وحضر بفاس على العلامة سيدي الحاج محمد كنون ، وعلى القاضي مولاي مَحمد العلوي ، وعلى القاضي سيدي أحمد ابن سودة ، وأجازه من المذكورين اجازة عامة في جميع العلوم سيدي عمر عاشور والفقيه سيدي ابراهيم التادلي كتابة مطولة ، وأجازه لفظاً سيدي عبد الرحمان لبريس وسيدي أحمد ملين قاضي الرباط .

حج عام 1305 ، واجتمع بعلماء مكة كسيدي أبي بكر شامحي ووجده يفسر القرءان العظيم وقال له : انه نقر بابه سيدنا الخضر عليه السلام وقال له : أزل الاعراب من تفسيرك ، وبشر المترجم بأنه لا يرجع للمغرب الا بعافية حيث أنه كان مريضاً بالفالج ثم شفاه الله تعالى ، وذلك أنه بعد أن دخل المدينة المنورة وزاره صلى عليه وسلم في روضته الشريفة وحصل له بعض الشفاء ، وأكل اللحم وشرب الأتاي بعد أن كان ممنوعاً منهما ، وبقي جالسا بالمدينة ، واجتمع بالمدينة المنورة بأهل الخير ، منهم مولاي الشافعي العلوي مــن سجلماسة كان يبيت بالقرويين بفاس ، ثم أذن بالتوجه للمدينة فبقي فيها نحو خمسة وأربعين عاما بباب حجرة مولانا فاطمة الزهراء ، بحث عن المترجم ورافقه وأدخله الحجرة الشريفة كبيرها مرجان رئيس الحَجبَة وألصق نفسه بالشباك الشريف ، وأوقد مصابيحها الشريفة بشمعة بقيت عنده، وأدخل معه كفنه وزمزمه ، وأوصى بأن تشعل عند مرض موته ، وأكرمه مولاي الشافعي المذكور بخبــزة أدخلها للحجرة الشريفة الرئيس ، وباتت فيها ليلتيــن ، وأكرمه الفقيه العلامة سيدي عبد السلام خليفة الرئيس ، ثم رجع الى المغرب. كل هذا حكاه المترجم من لفظه عن نفسه ، كان المترجم رحمه الله فقيها مشاركاً نبيلا ، ذا أخلاق حسنة ، زوارا للصالحين ، محباً لاهل العلم والمنتسبين ، كثير الحكايات عنهم ، حافظاً لمناقبهم ومآثرهم ، وبها يلهج طول عمره ، جوادا كريماً سمحاً فاضلا ، لقي أمما من الصالحين وأخذ عنهم وتبرك بهم وخدمهم وانتسب اليهم ، حسن النية في أهل الخير .

سكن مراكش مدة ، وسرد صحيح الامام البخاري بضريح الشيخ سيدي عبد العزيز التباع ، ثم رجع للرباط وكان يسرد الصحيح بها كل سنة بضريح سيدي العربي بن الشرقي المدعو ابن السائح ، وأخذ عنه بها جماعة كالفقيه سيدي أحمد بن ابراهيم ، وتولى نظارة أحباسها فضبط شؤونها ، كثير المرائي النبوية ثقة ثبتاً محبوبا ملحوظاً .

ولما قدمت للرباط وسكنت فيه أوائل عام أربعة وثلاثين تحبب الي وصار بيننا وداد ينسي كل الغربة ، وسعى في قضاء مآربي ، واعتنى بي غاية الاعتناء جزاه الله .

مرض رحمه الله بانتفاخ في رجله حتى انفجرت ، وتوفي مأسوفا عليه في عشية الخميس ودفن في مواليه يوم الجمعة تاسع رمضان المعظم عام خمسة وثلاثين وثلاثمئة وألف 1335 بالزاوية الرحمانية هناك ، على يمين الداخل لقبتها ، وكانت له جنازة حافلة حضرها جميع أعيان الرباط وغيره ، وفي يوم موته رأيت مناماً سقوط أضراسي ، فهالني ذلك ، فلما خرجت نُعِي لي رحمه الله ، فكان تأويل تلك الرؤيا ، فموت الأحباب ثلمة لا تسد .

950) مَحمد بن الرشيد أبو غالب الادريسي

مَحمد (فتحا) بن الرشيد أبو غالب الشريف الادريسي الشاعر المجذوب سكن مراكش مدة ، وله القصائد الطنانة والشعر البليغ منها : (1) .

951) محمد الاغظف بن أحمد الوسري الحوضي

محمد الأغظف بن أحمد مولود الوسري ، الحوضي أصلا ، المراكشي دارا ومدفناً ، الفقيه البركة الناسك ، الشيخ العلامة الأروع المشارك ، الذي لا ينفك عن ذكر الله ، المعود لسانه دائماً كلمة لا الاه الا الله ، شيخ الاخيار والأمراء والكبار والعرفاء .

أخذ عن الشيخ سيدي محمد يحيى الولاتي المتقدم ، وشرح (نظم مغني اللبيب) وهو مطبوع .

وحبَّس عليه وعلى ولده محمد عبد الله وعقبهما ما تناسلوا وامتدت فروعهما تلميذُه المولى عبد الحفيظ جميعَ البياض المسمى بأرض سيدي أحمد الرحالي بتسلطانت وبوره وجميع أربع فرديات عن كل عشرة أيام من ساقية تسلطانت حُبُسا مؤبدا وتضمن الظهير الحفيظي تحديد الارض المذكورة وبورها وهي نحو ألفيْ هكتار ! وبعد تنازله عن الملك انتزعت منه تلك الارض.

---

1) ترك المؤلف في الأصل ثلاث صفحات بيض ليثبت فيها شعره ولكنه لم يثبت شيئاً

توفي بمراكش في شوال عام 1337 ودفن بروضة الامام السهيلي ، وقام أهل المدينة بتجهيزه قياماً عجيبا ، واجتمع عليه خلق كثير ، وجم غفير ، كبراء وأجلاء وغيرهم .

952) محمد (العربي) بن عبد الله الوزاني

محمد العربي بن عبد الله بن التهامي بن الحسني ابن القطب سيدي محمد التهامي ابن القطب سيدي محمد بن مولاي عبد الله بن ابراهيم المدعو الشريف الوزاني اليملاحي ، المعمر البركة الوجيه ، صاحب التقييدات العديدة منها (بلوغ المنى والآمال ، فيمن لقيته من المشايخ وأهل الفضل والكمال) المرتب على مقدمة وثمانية فصول وخاتمة ، المقدمة في حسن الخلق والتواضع ، الفصل الأول في حسن الظن بعباد الله ، الثاني في ذم الغيبة ، الثالث في ذم النميمة ، الرابع في ذم الحسد ، الخامس في أن أول المشايخ الأبوان وفي برورهما ، السادس فيمن لقيه من أكابر المشايخ الآخذ عن بعضهم ، السابع فيمن لقيه من مشايخ العلماء ، الثامن فيمن لقيه من أهل الخير والمجاذيب . والدته هي مولاتنا عائشة بنت الفقيه سيدي ابراهيم بن مولاي أحمد بن عبد الجليل بن الحاج ابراهيم بن الشيخ مولاي التهامي الوزاني . لما قربت اشهر ولادتها له استأذنت والده في زيارة الولي الصالح سيدي عبد الله اليابوري ، فأذن لها ، فزارت في طريقه القطب الشهير مولاي المكي بن محمد الوزاني دفين الرباط ومن معه من الأولياء ،كسيدي أحمد بن مولاي علي بن أحمد بن مولاي الطيب ، ثم مولاي المكي بن عبد القادر دفين الدورة . ثم سيدي عبد القادر بن أحمد ، وسيدي محمد الضاوي ، ثم زاوية مولانا عبد القادر الجيلاني ، ثم السيدة عائشة اليابورية ومن بطريقها من خارج القبة ، ثم وصلتْ لمقصودها سيدي عبد الله اليابوري ، وتشفعت الى الله أن يرزقها ولداً يقرُّ الله به عينَها ، ثم زارت سيدي التركي ، وسيدي السعيدي ، ثم رأت مناماً جد المؤلف للأب سيدي محمد بن التهامي صاحب الضريح المقابل لضريح مولاي المكي بن محمد وقال لها ادفعي هذه الامانة

لولدي الذي يولد عندك وسميه محمد العربي ، وكان قصد جدته تسميته المكي موافقة لاسم مولاي المكي بن عبد الله ولد مولاتنا شامة بنت عبد الله المدفونة بالضريح بداخل الدار المعروفة بروضة أسلاف سيدتنا الوالدة ، وليلة ولادته قدم الشيخ سيدي الحاج العربي للرباط فناولته القابلة له ، وأذن في أذنه اليمنى ، وأقام الصلاة في اليسرى ، وبصق في فمه ودعا له ! ويوم سابع ولادته وجه سيدي العربي جميع الاشراف ، منهم الشريف البركة سيدي التهامي بن الحسني بن التهامي بن الحسني بن الشيخ مولاي التهامي ، ومعهم كبش التسمية وأمر أولهم أن يتولى الذبح والتسمية بمحمد العربي والتكنية بأبي الشتاء ، وفي هذا اليوم عنده أيضا عقيقة ولده سيدي عبد السلام الهادي سنة 1252 ، ولما مضى لولادته نحو الثلاثة أشهر وفد لزيارته جماعة من العلماء ، منهم العالم سيدي عبد الله الزناتي البردعي نزيل قصبة فضالة ، وقاضي الرباط السيد صالح الحكماوي ، ومفتي العدوتين السيد المعطي بن قاسم الادريسي العزوزي الوراوي ، وخطيب المسجد الاعظم بالرباط السيد عبد القادر بوعياد ، والبركة مولاي أحمد القسطالي ، كانت والدته رحمها الله كثيرة الكرامات ، الا أنها تتبرأ منها ، وكانت لها محبة قوية في الاولياء وممن كان يزورها مولاي أحمد بن علي بن أحمد ، وسيدي الهاشمي الطالب ، والشريف سيدي عبد السلام البقالي ، وسيدي عبد الجبار ، وسيدي علال بن المهدي العيسوي ، وسيدي العربي بن السايح كان يحبها ، ومن عنايتها وكرامتها ما أخبر به المعلم بوعزة الاعلاوى المعروف ببرا بالترفيق ، قال : انه كان مريضا بعواقب الحب المسمى بالنوار ، فجعل العشبة مرارا ولم يحصل له الشفا ، فأشار عليه بعض الناس بأن يعيد العشبة ويصلحها عندها ، فأتى باب الدار ليصلحها كما هي العادة عند الناس بالرباط ، وطلب الاذن ، وإذا داخلان بطاجينين من الحوت الشابل المطبوخ في الفرن بالحامض والفلفلة ، فاشتهاه فأمرت له بطاجين في الحين منهما مع خبزة ليأكل حتى يشبع ، وقالت لا يفعل الله تعالى الا الخير ، وهو مولي الخير ، ففرح وأيقن بالشفاء ، فأكل وشرب من المرق ، ثم تلفف في كسائه وجعل فوقه الجلابة ونام في الاسطوان نومة ما نام مثلها ، فعرق عرقا شديداً حتى ساح من تحته العرق ، فكان ذلك هو سبب الشفاء .

توفيت رحمها الله يوم الاحد في عشري حجة عام 1303 ثلاثة وثلاثمئة وألف ودفنت في ضريح أسلافها الكرام .

وأما والده رحمه الله ، فكان يؤدبه ويهذبه ، وأمره بالاخذ عن شيخه سيدي أحمد بن علي ، فأخذ عنه الفروسية والرماية ، وأجاد عليه ورد أسلافه الكرام ، وكان العلامة السيد عبد الله ابن الفقيه السيد العربي بن عبد الله الزناتي البردعي حدثه أن الشيخ سيدي أحمد بن علي قال لأهل فضالة : اطلبوا من سيدي عبد الله (والد المؤلف) أن يطلب من الله الغيث ، فنزل المطر كأفواه القرب ، وذكر المؤلف أن القائد أحمد بن عبد السلام بن محمد بن الرشيد بن عثمان يتصل نسبه بسيدي عمر بن الحسن دفين بلاد السراغنة بن القاسم بن عبد الكريم بن ابراهيم بن عبد العزيز بن عمر بن سليمان بن عيسى بن محمد بن أحمد بن علي بن عبد الله بن عيسى بن مولاي ادريس ، ولقد نظم له هذا النسب الفقيه الاديب العدل السيد أحمد الزعيمي في قصيدة ذكرها في صفر عام 1321 .

ثم ذكر معلمه للقرءان الكريم العالم الزاهد سيدي عمر بن الحاج محمد الشرقي الرباطي ختم عليه الختمة الاولى ، وكان في جملة من حضر حداقها العلامة سيدي الطيب لبير القاضي ، ولما بلغ في الثانية الى (واذكروا الله) وقبض والده اشتغل بالاسفار ، وأولع بالاجتماع بالرماة والرماية والركوب ، وممن ذكره في الفصل السادس سيدي مولاي أحمد بن علي الوزاني ، أخذ عنه الفروسية وورد الاسلاف الذى قيده له عن اذنه امام ضريح مولاي المكي بن محمد الفقيه السيد محمد بن علي الشريف الشرشالي الملقب بالبطاوري ، ولقنه له مولاي أحمد بلفظه وكانت لمولاي أحمد كرامات وتمسك بالسنة لا يخاف في الله لومة لائم ، توفي رحمه الله عام 1265 خمسة وستين ومئتين وألف ، ودفن بضريح مولاي المكي بن محمد عند رجليه ، وروضته به مشهورة يتبرك به ، ومنهم أخوه البركة الهمام سيدي عبد الله بن علي ، أخذ عن أخيه سيدي الحاج العربي وأخذ المؤلف عنه الورد ، وأذن له في تلقينه لمن طلبه ، وقد قيَّد المؤلف

بعض كراماته في (بلوغ القصد والمرام ، في مناقب سيدي الحاج عبد السلام) ومنهم الشريف الامجد البحر الزخار ، سيدي محمد بن سيدي الجبار بن سيدي علي بن أحمد جدد عليه الورد ، وأذن له في تلقينه ، ومنهم بحر المعارف ، وقطب الولاية سيدى الحاج عبد السلام بن سيدي الحاج العربي ، المتوفى سنة 1267 أخذ عنه وأطلق له الاذن في تلقين الورد ، ومنهم البركة سيدي محمد بن العربي الدلائي نسباً الحراقي طريقة ، أخذ عن الشيخ سيدي محمد الحراق فأذن له ، وأخرجه للمشيخة ، وكذلك عن الشيخ سيدي العربي ، كان أولا ساكنا بالرباط ثم انتقل للدار البيضاء في ولاية القايد محمد بن ادريس الوديي الجراري ، ولم يكن بها اذذاك الا المسجد العتيق المجاور لدار المخزن . وكانت خالية قفرا ، ليس بها أكثر من عشرين دارا ، وهذا الشيخ هو الذي دلّ على بناء المسجد بالسوق والحمام في دولة السلطان مولاي عبد الرحمان . وكانت له محبة في المؤلف ، ومنهم السيد ابن عاشر الحداد أخذ عنه الاسم باذن من الشيخ الحاج محمد بن العربي مناماً .

ومن المشائخ الذين زارهم وسنه نحو عشرة أعوام الكامل سيدي أبو بكر الناصري حين كان يسرد صحيح البخاري بالرباط نازلا بدار التاجر المكي بريطل . ومنهم ولده السيد الحاج محمد بن أبي بكر ، ومنهم ولده الحافظ المحدث سيدي الحنفي لقيه في فاتح عام 1323 بالرباط .

وذكر في الفصل السابع مَن لقيهم من مشائخ العلم مرتبين من أول الملاقاة الى عام 1323 ، فأولهم خاله العلامة مولاي التهامي بن ابراهيم بن أحمد بن عبد الجليل بن مولاي التهامي ، كان له مجلس حافل بمولاي المكي دفين الدورة ، وممن كان يحضر عليه الفقيه السيد محمد بناني ، والفقيه السيد الحاج عبد السلام الزبدي والفقيه السيد محمد ملين ، والفقيه ابن جينوش ، والفقيه السيد المكي الازرق ، والمحتسب الفقيه السيد محمد الزكي ، وكان المؤلف اذذاك صغير السن يجاوز العشر سنين ، فكان يناوله بعض الكتب ويأمره بمطالعتها ، ومنهم العلامة السيد ابراهيم بن محمد بن الطيب ابن الولي الصالح سيدي محمد بن الجناوي الرجراجي دفين وادي كريفلة

من زعير ، كان يأمره والد المؤلف بأن يطالع معه المرشد في التوحيد ، أخذ عنه الفقيه السيد المعطي الوراوي وحضر معه عنده في فتح مختصر خليل ، وحضَّه على قراءة دلائل الخيرات ، ومنهم العلامة السيد المعطي ابن الفقيه السيد محمد بن قاسم الشريف العزوزي ، كان حســن التدريس تغصُّ مجالسه بالطلبة ولا يدخر شيئاً كثير الانفاق ، مجاب الدعوات ، وكان صهرا للسلطان مولاي سليمان ، وتولى على الزيادة عام 1254 ومنهم القاضي الزاهد سيدي عبد الرحمان البريبري ، ومنهم الفقيه الخطيب السيد أحمد ابن الغازي، حضر مجلســه في سرد صحيــح البخاري ، ومنهــم الفقيه السيد البــدوي السرايري ، كانت مذاكرته أفضل من تدريسه ، ومنهم الفقيه السيد الهاشمي الزياني الضرير ، والفقيه العدل السيد عبد القادر بوعياد ، والزاهد الورع العلامة القاضي ، سيدي محمد بن ابراهيم ، حضر مجلسه في سرد صحيح البخاري ، كانت له شفقه على الفقراء ، حسن السيرة ، ذا بشاشة ، كثيرا ما يصلح بين الناس في أحكامه ، وكان الناس يحبونــه ، وله باع في علــم الفرائض والوثائق ، وكان السلطان سيدي محمد يعتني به ويوجهه لقضايــا كانت بينه وبين الاجناس بطنجة ليفصلها مع بعض العلماء ، فكانت له اليد البيضاء في ذلك ، ومنهم العلامة الشيخ ابراهيم بن مُحمد (ضما) بن علي بن عبد الله من ذرية الولي الصالح سيدي جابر بن سليمان ــ دفين تادلة ، وله بها قدر معروف مشهور ــ بن الحسن بــن مُحمد (ضما) بن الرضى بــن عبد العزيز بن علي بن عبد الله من ءال القطب الواضح سيدي علي بن عبد الله ــ المعروف بجبار التلائف دفين زاويته المشهورة بسجلماسة ــ بن عبد الجبار بن تميم بن هرمز بن حاتم بن قصي بن يوسف بن يوشع بن ورد بن بطال بن احمد بن عيسى بن محمد بن الحسن بن علي ابن أبي طالــب ، هكذا بخط صاحب الترجمة بلا زيادة ولا نقصان ، والله أعلم . له مجالس في تدريس العلم عديدة في كل يوم ، وكلها بشراحه ، وكان يحضر مجلسه جم غفير من الطلبة، حضر عليه في سرد صحيح البخاري وتدريسه ، وتدريس الهمزية كانت له كرامات ومكاشفات ، ولما أطلع على تأليف المؤلف المسمى بـ (فيض النيل ، في أدب الفروسية والمعرفة بأوصاف الخيل) استحسنه ، وقال للمؤلف

ياأخي هذا علم بالعمل والصنعة ، فاني اتخذتك فيه شيخا ، ومنهم العالم العامل سيدي العربي ابن السايح ، كان معتنياً بسرد البخاري ، قال للمؤلف يوما ان سيدي أحمد التجاني قال : دخلت على شيخي سيدي ومولاي الطيب الوزاني فوضع يده المباركة بين كتفي ، فوصل بردها الى كبدي ، فما زلت أحس به الى الآن ، كما أن الشيخ سيدي العربي الدرقاوي قال مثل ذلك في بعض رسائله كما ذكر المؤلف ، ومنهم العارف سيدي أبو بكر بن السيد محمد بناني ، ومنهم العلامة سيدي عمر عاشور ، ومنهم الفقيه العالم سيدي أحمد ملين القاضي ، كان مشتغلا قبل خطة القضاء بالتجارة ولا تخظر له الولاية ، يقال ثم لما استقضي ضاق صدره أولا ، ثم اتسع وسار سيرة حسنة الا أنه كان يجنح للمخزنية في أحكامه ، كان يدرس المختصر بالمسجد الاعظم تدريس تحقيق ، ويحضر مجلسه الكثير من الطلبة ، ومنهم الفقيه العالم السيد محمد بن عبد الرحمان البريبري القاضي بعد الذي قبله ، وبعدة تولى القضاء الفقيه العالم السيد علي ابن الفقيه السيد أحمد دينية ، وبعده تولى الفقيه العالم السيد أحمد بناني ، كان قبل ولاية القضاء لا يفارق جمع المؤلف مع مَن كان مرافقاً له من العدول كالفقيه السيد الحاج محمد ابن الغازي الكبير الخطيب ، وأخيه الفقيه الخطيب السيد الحاج محمد الصغير ، والفقيه العدل السيد أحمد المعروف ببورقية المكناسي ، والمرابط البركة سيدي الحاج الطاهر الشرقاوي ، ومنهم الفقيه العلامة السيد الحاج علي بن محمد بن علي الشرشالي الملقب بالبطاوري بعد اعفاء الذي قبله ، وكان لا يتشوف لها ، وانما كان معتنياً بالتدريس ، ومنهم الفقيه العلامة السيد الجيلاني بن ابراهيم وبه يقتدي القضاة ، ومنهم الفقيه العلامة السيد عبد الله ابن خضراء ، أخذ عن المؤلف الورد ولقّنه له بمحله مع جماعة من العلماء ، منهم الفقيه القاضي السيد الحاج محمد السدراتي ، والفقيه العدل السيد احاج محمد عواد ، والفقيه القاضي سيدي الحاج المكي البطاوري ، ومنهم الفقيه العلامة السيد علي ابن الفقيه السيد مَحمد عواد ، استدعى المؤلف لحضور ختم سرد صحيح البخاري ، فأملى من حفظه نحو ست ساعات ولم يحصل له عياء ولا ضجر

بالمسجد الاعظم بسلا حتى أن البعض أصيب بحصر البول والريح المعكوس (I) ومنهم العلامة مولاي عبد الملك الضرير ، وحين يكون عند المؤلف بداره لا بد من سرد الحديث والتفسير كالصحيح والشفا وروح البيان ، ومنهم العلامة مولاي الحـاج عبد السلام بن عمر العلوي ، ومنهم العلامة سيدي التهامي الوزاني ، ومنهم العلامة سيدي محمد بن جعفر الكتاني الـذي شرب غسالة المؤلف ! بدار المقدم السيد عمر بن الفقيه الحاج أحمد دينية ، ومنهم العلامة سيدي مأمون العراقي قاضي الدار البيضاء ، ومنهم العلامة سيدي محمد بن أحمد البركة زويتن ، ومنهم الفقيه المتصوف الشيخ سيدي محمد البوعزاوي، والشريف المولى عبد الملك ابن أمير المومنين مولاي عبد الرحمان بن هشام، ومنهم العلامة سيدي عبد السلام الهوازي ، والعلامة السيد العباس التازي ، والعلامة سيدي الكامل المراني ، ومنهم الفقيهان السيد المهدي ابن سودة ، وأخوه السيد أحمد ، حضر مجلسهما لسرد صحيح البخاري مع السلطان مولاي الحسن بالرباط ، ومنهم العلامة السيد فضول السوسي المكناسي ، ومن فقهاء وزان العلامة سيدي عبد الله بن الطيب بن أحمد مؤلف (الروض المنيف ، بالتعريف بأولاد مولاي عبد الله الشريف) ، والفقيه القاضي السيد عبد السلام ابن حمو ، والفقيه الاديب القاضي السيد أحمد بن الحسن ، والفقيه السيد العسال . ومن علماء زاوية القشريين ابن خاله العلامة سيدي محمد بن التهامي بن ابراهيم بن أحمد بن مولاي التهامي ، ومنهم ابن عمـه الفقيه سيدي عبد الله بن أحمد بن العربي بن الحسني بن مولاي التهامي ، وولده الفقيه العدل سيدي محمد ، ومنهم الفقيه سيدي أحمد بن الطيب بن محمد بن عبد القادر بن مولاي التهامي ، وممن لقي بتلك الزاوية العلامة مولاي أحمد الهلالي ، وهو شيخ ابن خاله سيدي محمد ، كان خطيباً بزاوية القشريين، ومن علماء تامسنا المفتي السيد علال ابن الفقيه السيد أحمد بن عبد الله ، وأخوه السيد محمد ، والسيد العربي بن عبد الله الزناتي البردعي ، وولده الفقيه السيد عبد الله ، والفقيه السيد الجيلانـي بن المصمودي الزناتـي

I) كان أولى لهم أن يغادروا المسجد والدرس حتى لا يصابوا بحصر البول والريـح المكعـوس

الزواغي ، والسيد محمد بن السنوسي الزناتي المغراوي ، والسيد أحمد بن الحاج الغرافي الزناتي المجذوبي ، ومن فقهاء الدار البيضاء قاضيها في أيام المولى عبد الرحمان السيد بوعزة بن ادريس ، والفقيه القاضي السيد الحاج محمد بن عزوز المومني ، والفقيه السيد الصغير الحداوي نائب قاضي الدار البيضاء ، والسيد عبد الرحمان ، والسيد محمد الصوفي بن الفقيه السيد محمد القائد الزيادي ، والفقيه السيد الحاج محمد ابن الفقيه الحاج أحمد ابن غازي المعروفي ، ومفتيها الفقيه السيد علي بن منصور الدكالي البوعمراني ، والفقيه السيد محمد بن عبد السلام الجبلي العروسي ، ومن فقهاء تامسنا السيد الصغير ابن العناية الحريزي الفقري ، وذكر في الفصل الثامن سيدي عبد الكريم بن الراضي بن علي بن محمد بن مولاي الطيب بن عبد الله ، وأخاه الشريف المجذوب سيدي عبد الله ، والمجذوب مولاي الطيب بن محمد بن عبد القادر بن مولاي التهامي، وسيدي المكي بن التهامي بن علي ، وسيدي أحمد بن محمد بن التهامي بن الحسني بن مولاي التهامي ، وسيدي محمد بن العربي بن الراضي بن عبد القادر ، وسيدي الهاشمي الطالب ، والسيد محمد كلزيم السلَوي ، وسيدي الحسن بن العربي بن المعطى الشرقي ، وسيدي صالح بن قدور بن علي بن سيدي المعطي بن الصالح ، وأخاه سيدي محمد بن قدور ، ومن الناصريين سيدي التهامي بن يوسف ، ومنهم سيدي الحاج التهامي بن عرفة ، والمجذوب سيدي اسماعيل بن المامون العلوي ، وأخوه المجذوب مولاي التقي ، وابن عمهم سيدي محمد بن قاسم ، وبوعزة البعودي ، والشريف سيدي الحاج عبد القادر القادري ، والمجذوب الجيلاني البركاوي زناتي الاصل ، من بني خلف ، والسيدة عائشة بنت سيدي علي النصري المعروفة بعريانة الراس ، والسيدة عائشة البوهالية ، والسيدة فطيش المكناسية ، والسيدة شراحيلة المكناسية الرباطية المجذوبة المطلسمة .

وذكر في الخاتمة فضلَ الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وذكر بعض صيغها ، وبعض مسائل فقهية في الاسلام .

وهذا الكتاب في عشرة كراريس في القالب الرباعي .

لقيته بالرباط حين عدت والده الفقيه سيدي عبد الله في عشية يوم الثلاثاء سادس محرم عام 1336 ، وحدثني أنه دخل مراكش عام 1276 ، وبعدها مرات عديدة ، حيث كان يسافر لها صحبة سلاطينها ، وكان ينزل عند الشرفاء المسعوديين بالقصور .

توفي رحمه الله بالرباط يوم الخميس خامس شعبان عام 1339 ، ودفن برياض له في جوار الزاوية التهامية بالرباط (1) .

953) **محمد بن يخلف الحشمي** الضرير المراكشي ، الفقيه المعمر ، الصالح الذاكر المنور ، لقي أمما من الصالحين بالمغرب الاقصى والأوسط ، ثم سلم الارادة للأستاذ محمد بن عبد الكبير الكتاني وله منه اجازة الطريق ، ذكره في (المظاهر السامية) .

وممن لم أقف على تاريخ وفاته :

954) **مَحمد (فتحا) بن علي** الولي الصالح ، وقبره بدرب الحمام من باب ايلان وعليه حوش ، وبداخل ضريحه نخيل .

955) ومنهم الولي الصالح المعروف عند العامة بمولانا **مَحمد (فتحا) الشقيق** لقباً ، ويذكر عنه أنه كان يؤدب أولاد الجن ، والناس يقصدونه لرفع اذاية الجان خصوصاً داء الشقيقة ، وقبره مندثر وعليه علامة ببيت الجنائز عن يمين الداخل من الجامع بحومة الجزولي .

956) ومنهم الولي الصالح **محمد بن عبد الله الاندلسي** المعروف عند العامة **بجبار التلائف** ، بنيت عليه قبة صغرى بازاء ضريح الشيخ سيدي عبد العزيز التباع رضي الله عنه ، وقيل كان من أهل القرن السادس والله أعلم .

957) ومنهم الولي الصالح سيدي **الحاج محمد** المعروف **بالغريب** ، بُني عليه بيت بقرب عرصة مولاي عبد السلام .

---

1) الشكوى الى الله

958) ومنهم **محمد** المكنَّى **بأبي عطفة** ، الولي الصالح الحاج بداخل مسجده المنسوب اليه برحبة الدقيق ، ويعرف عند العامة بللا عطفة .

لم أقف لهم على ترجمة .

959) **محمود الشنجيطي** ، الشيخ الأستاذ المجود العارف الخامل الخلوتي ، كان رحمه الله تعالى عالما بأحكام القراءات متجرداً خالياً ، من الصائمين القانتين المعتكفين على طاعة الله وعبادته وطاعة رسوله ، كثير الصمت قليل الكلام ، ذا همة عالية وهيبة وحرارة في الطبيعة ، لباسه في الصيف لباسُه في الخريف ، لا تراه الا ذاكراً ومصلياً ويطالع الكتب ، ولن تراه بطالا قط ، كان رحمه الله يخلو للعبادة ليلا ونهارا في المستودع الاعلا من مسجد القرويين ، وبقي في المستودع المذكور يتعبد مدة مديدة وسنين عديدة إلى أن توفي رحمة الله عليه .

وكان له أصحاب وأتباع من أعيان الناس يجتمعون عليه في المكان المذكور ، ويتبركون به ، ويسيرون بسيره ، وكان رحمه الله يُلقنهم الاسماء الحسنى ، وهي كانت طريقته ، ويأتي اليه الأشراف والعلماء والطلبة ولا يتكلم الا في ما يعني ، نهاره في خلوته على الحالة التي وصفنا ، وليله بين سواري القرويين واقفاً يتهجَّد في الظلمة ورأسه عار وعمامته مطروحة بالأرض ، واذا كان في زمن الشتاء تكون في رأسه عراقية قطن ، وفي ليالي الاحياء من رمضان يبيت واقفاً مع سارية في الصف الأول وحده يركع ويسجد الى وقت الفجر عند الختمة ويختم مع الناس .

توفي رحمه الله تعالى شهيداً قتله ملك الوقت على يد بعض أصحابه كانوا ينقلون عنه الكلام ويبوحون به وهم كاذبون فيه ، وكان السلطان مريضاً وشنعوا على الشيخ انه أخبرهم بموت السلطان من ذلك المرض ولن يقوم منه قط ، وشاع ذلك في الناس ، فلما عافى الله السلطان من مرضه بلغ ذلك عنه وذلك عام أحد وثمانين ومئة وألف فأمر بقبضه وسجنه مسلسلا مكبلا ، ودخل عليه بعض الاخوان للسجن فوجدوه من غير قيد ، فقال لهم الشيخ ذاك المرأة

صفية لبنّادة جزاها الله عنا خيراً أنقذتنا من هذا الحديد فسرحه السلطان بعد ذلك بمكناسة ، ثم عاد لقبضه بمراكش وسجنه في بنيقة أو مطمورة وبنى لوجهه حائطاً نسأل الله السلامة والعافية حتى توفي فيها جوعاً وعطشا رحمة الله عليه ، ووقع البحث والتفتيش عن أصحابه ، ودفن رحمه الله بمراكش بباب الرب عند الامام السهيلي عام خمسة وثمانين ومئة وألف . ذكره في (سلوك الطريق الوارية) .

قلت : كنت قبل أن أطلع على هذا كتبت في شأن المترجم الرسالة التي ألفتُها في الثورة الشنجيطية بمراكش الواقعة في رمضان عام ثلاثيـن وثلاثمئة وألف في الفصل الرابع منها لدى التنبيه الثالث في ذكر بعض الثوار الذين ثاروا في الدولة العلوية بادعاء الخوارق فافتضح كذبهم ما نصه : ومنهم الشيخ محمود الشنجيطي المتصوف النابغ بفاس ، كان قدم من بلاده ونزل بمستودع القرويين وأظهر النسك ، فصار يجتمع عليه الأعيان والتجار من أهل فاس ويعتقدونه ، فلم يقتصر على ما هو شأنه من إقبال الخلق عليه ، بل صار يتكلم في الدولة ويكاتب البربر ويزعم أن السلطان سيدي محمد بن عبد الله جائر ولم يوافق عليه من الأولياء أحد ، وكان يقول ان السلطان يموت في شهر ، ففشا ذلك فـي العامة وتسابقوا الى شراء فحـم الحطب وإدخال الاقوات ، وحصلت فتنة بفاس ، فأنهي ذلك الى السلطان ، فكتب لعامل فاس بالقبض عليه وتوجيهه الى مراكش في سنة خمس وسبعين ومئة وألف ، فسجن بها ، ثم أبقي الى أن مات ولم تبكه أرض ولا سماء .

960) المختار بن عمر الكنتي

المختار بن عمر الملقب بالشيخ جد الشيخ المختار الكنتي ولي ابن ولي ، قال في كتاب التوحيد له بعد ذكره : ولما ذهب الى مراكش بقافلـة جرارة من جميع المساكين وجد نصرانياً بمراكش قد أخـذه بعض الملوك السعدية وزيراً وأذن لـه في الفساد ، فوجـده السيد الوافي يفعل ذلـك بالمسلمين ، فسأل عنه فقيل له هو نصراني ، فقال لهم : كيف يمكن أن يفعل مثل هذا في بلاد الاسلام ؟ فقالوا له : ان السلطان قد أذن له بذلك ، فدعاه

الى المصارعة فصارعه حتى كسر أضلعه ، ثم أخذ برجليه فضرب به الحائط فانتثر دماغه فمات ، وبلغ ذلك السلطان فغضب فبعث إليه وهو غضبان وقد لبس السواد وركب جواداً أدهم وبيده رمح أسود ، فقال السيد المختار لأخويه وهما السيد وافى والسيد الفيرم : ان شئتما شققتما الارض وأنا أصلح ، وان شئتما شققت وأنتما تصلحانها ، فقالا له نحن نشق وأنت تصلح ، فتقدما اليه فخطّا حوله بعكازيْهما ، فانشقت الأرض وجعلت ترجف به وهو يقول العفو ياسادتي ، فقالا له ان خليتَ سبيلنا خلينا سبيلك ، فقال لكما ذلك من غير طوع مني ، فجاء السيد المختار فمسح الشقّ بيده فالتأم باذن الله تعالى ، فكتب لهم أن لا سبيل عليهم ما بقي الملك في ملوك السعدية ولا على مَن ينتسب اليهم من المساكين ، ثم قالا لا تعدْ الى مثل هذا ، تعمد الى كافر فتسلطه على المسلمين من غير وجه شرعي ، وانما حق الكافر اذا كان في أرض المسلمين وتحت ذمته الذل والهوان ، أو ما بلغك أن الله تعالى يقول (حتى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون) ، فاتبع السنة يمتد ملكك ويبقى سلطانك ، وإلا فقد عرضت نفسك للهوان ، فان الملك بيد الله تعالى يجعله حيث يشاء ، وانه يقول (قل اللهمّ مالكَ الملك تؤتي الملك مَن تشاء وتنزع الملك ممن تشاء) الى (بغير حساب) ، فقال سأفعل ان شاء الله ما أمرتموني به ، ويروي انه حسنت سيرته من يومئذ حتى مات .

ويروي أن السيد المختار بن سيدي عمر دعا على قبيلة يقال لها الزنيكات وكانوا طغاة يبلغ عددهم أربعمئة رجل ، فنزل بهم الوباء ، فما حال الحولْ على أحد منهم .

وكان يؤخذ عليه العلم كثيراً ، ويأتيه المتعلمون من الآفاق ، وكان اذا كان في مجلس التدريس لا يكلم أحدا ولا يرد السلام على أحد حتى ينقضيَ المجلس ، وكانت قبيلة يقال لها أبناء عبد الرحمان متكبرة متجبرة ، فوقف عليه رئيسهم على فرس حالة التدريس فسلم فلم يردّ عليه أحد ، فغضب وجعل يقول : بلغتمْ من التكبر غاية وانما انتم مساكين حتى جعلتم لا تردون السلام على المسلم فلا تستحقون الا أن يفعل بكم ويفعل بكم حتى تعرفوا

قدركم ، فلم يرجع عليه أحد حتى فرغ المجلس ، وكان من عادتهم ألا يركب أحد منهم الا اتبعه عبد يحمل زربية أو بساطاً فلا ينزل عن فرسه الا على بساط ، فلما انقضى المجلس رأى بعض بني أخيه التغير في وجهه ، فاتبع الرجل حتى لحق به ، فقال له أنزل لأريك قدرك فانك وجدتنا مشتغلين بالتدريس ، فنزل من فرسه وهو يظن أنه يريد اكرامه ، فلما نزل قال له تهيأ فأني أريد بك سوءاً ، فأخذ بعنقه وجعل يخنقه حتى سقط وغشي عليه ، ففر عبده الى حي البرابيش ، فقال لهم ان كناتة قد قتلوا فلانا ، فلما علم الشيخ به أتاه واعتذر اليه أنه لم يأمر بذلك ، فأخذ ثيابه ودفع اليه ثياباً جدادا وغسل ثيابه من الأذى ، فتجمع أبناء عبد الرحمان على حرب كناتة ، فأمرهم الشيخ بالارتحال ، فلما تجمعوا اتبعوهم فلحقوا بهم في بلاد يقال لها دار كشاكش ، فهزموهم وقتلوا منهم سبعة وعشرين رجلا فيهم الرئيس المذكور واسمه محمد بن الفلالي ، ثم غزوا ثانية فأغاروا على بني حسان ، فاتبعوهم فقتلوا منهم أربعمئة ، وكانت معهم طائفة من التوارك (1) ، فجعلوا كلما وجدوا منهم رجلا أخذوا جَمَله وتركوه ، فأخبر أهلهم مَن سلم منهم أن من مات منهم لم يقتله الا ابناء عبد الرحمان ، فبيَّتوهم فأحاطوا بهم ، فلم يتركوا منهم إلا مَن لا بال له ، ولما التقى الشيخ ببعض المنهزمين قال له : ان الناس انهزموا ساعتئذ، فقال ارج الله ، قال له ان الهزيمة لا تكون ما بقي مَن بقي ، ثم التفت نحوهم وقال انهزموا فانهزموا ساعتئذ ، وقال أرجو الله أن لا أموت حتى لا يبقى منهم أحد على وجه الارض ، فكان الامر كذلك .

وكانت له ابنة صغيرة يقال لها خديجة مشهورة بالولاية والتعبد ، ذكر أن رجلا من بني ملوك أصابه القُطّاع ، فأخذوا ما عنده ، ثم حملوه الى موضع في جرف تحته ماء يغرق فوقه جرف لا يطاق فوضعوه ثم مكتفاً فان سقط سقط في الماء فغرق ، وان بقي مات جوعاً وعطشا ، فلما رأى ذلك استغاث بالصالحين والصالحات من أبناء سيدي محمد الكنتي فأتته في الجبل، فحلّت وثاقه ، ثم قالت : الحقْ بهم وقل لهم : قلتُ لهم لئن لم يُرجعوا اليك

---

1) **التوارك** بجيم بدوية جمع **تاركي** ، منسوب الى قبيلة **تاركة** البربرية سكان صحراء المغرب الجنوبية الشرقية ، ويكتب الاسم محرفاً (الطوارق) فى الصحافة والكتب الشرقية .

ما أخذوا منك عاجلهم الهلاك فلا يرون أهلهم الى يوم القيامة ، فلما لحقهم وأخبرهم رجعوا معه حتى رأوا آثارها حين حلّت وثاقه وانصرفت ، فصاحبوني حتى أتوا الحيّ وبعثوا الى أهلهم ، فذلك أول نزول بني ادريس بكناتة على وجه التوبة ، ثم انتقلوا بعد ذلك للبرابيش .

ولما مات سيدي المختار بنولة بنوا عليه عظيمة على عادتهم للأولياء خرج من قبره فهدمها ، ثم بنوا عليه ثانيا فهدمها ، ثم بنوا عليه ثالثاً فأتى بعض صلحاء توات فقال لهم : قل لهم يقول لكم المختار انه هو أبو المساكين في الدنيا والآخرة ، فاذا بشيخ على قنة لم يصل الى الأقوياء من الناس وليس البناء على الموتى من السنة المستعملة وعن اصحاب السنة في الدنيا والآخرة، فلم يبق عليه يومئذ ، وهو مشهور بتوات يزار الى يومنا هذا ، وتواتر أنه لا يأتي أحد قبره في حاجة الا قُضيت .

961) **المختار** الولي الصالح الشهير ، دفين ضريحه الكائن بأرض تغسرت موطن قبيلة أولاد أبي السباع في طريق الصويرة من مراكش ، هو جد أحد افراد المتأخرين سيدي محمد الجيلاني بن أحمد بن المختار المتقدم ، وله أولاد ، قدم المترجم المذكور من الصحراء ونزل بتامكروت على الشيخ أحمد ابن ناصر ، وبقي عنده مدة ، ثم رحل لقبيلة الشياظمة واشترى الأرض المذكورة ونز بها ، وكانت عليه قبة صغيرة ، ثم بنيت عليه أخرى جديدة عام ثمانية وعشرين وثلاثمئة وألف .

962) **المختار بن عبد الملك الجامعي** ، استوزره المولى عبد الرحمان بعد أن عزل الوزير محمد ابن ادريس ، فقام بأعباء الخطة وبرز فيها رحمه الله.

توفي في محرم سنة واحد وخمسين ومئتين وألف (1) .

963) **المختار ابن الوزير علي المسفيوي المراكشي** ، الفقيه الأديب ، الكاتب البارع ، حسن الأخلاق طيب الأعراق ، حضر الهزيمة الشنعاء الواقعة

1) له ترجمة في **فواصل الجمان** ص 60

على المولى عبد العزيز ، وجرى عليه ما جرى على غيره من السلب والنهب ، فقدم لفاس واستكتب ، ثم سافر الى مراكش مسقط رأسه ، ثم استقدم للرباط واستكتب بالعدلية ، فتوفى هناك في رمضان عام واحد وثلاثين وثلاثمئة وألف .

ومن شعره قوله :

لقد زاد الوجود بـك اعتــــزازا ومن طرب به اهتزَّ اهتــــزازا
وصبح النصر أسفر بالتهانــــي وعزك في البرية لا يــــوازي
ووجه الأفق منبسطُ المحيــــا حكى في وشيه الأبهى طــــرازا
وقد غنَّى لسان الكون شكــــرا وأنشدنا الغريبةَ والحجــــازا
وأعلن بالهناء لعظم فتــــح بشير يتبغي البشرى جهــــازا
ألا بشراك ياملك المعالــــي ومَن ملك الجدود الغرَّ حــــازا
فقد نصرت جيوشك أي نصــــر وحلوا من سعادتكم بتــــازا
وهم في رفعة وكمال عــــز وتأييد به ملكوا الركــــازا
فحلُّوها وقد ظفروا وأثــــروا وما طلبوا نزالا أو نجــــازا
ومازوا طيبات من خبيــــث وخير الناس مَن بالحق مــــازا
وقد نهجوا سبيل العدل فيهــــا وما ارتكبوا بها إلا الجــــوازا
وقد غاب الدنيُّ النحسُ ممَّــــا به منَّى عشائره فضــــازا
وألبسه العتادُ لباس خــــزي ولم يُلفِ المشومُ له احتــــرازا
وأرداه الهوى لما ارتــــداه فعنه الذلُّ لا يبغي جــــوازا
كما خابت جموع البغْي طــــرا ونالت فيهم الفرص انتهــــازا
وقد نكصوا على الأعقاب قهــــرا يؤمون البراري والنشــــازا
وتاهوا في فيافي الخوف لـمــــا رأوا في الجيش شاهيناً وبــــازا
لَبوسُهم الهوانُ متى استقلُّــــوا ومن فعل القبيح به يجــــازى
وكيف وقد طغو وبغوا وضلُّــــوا وفعلهم استحقوا به البــــزازا
وقد حادوا عن الرشد المهيــــا لذا طلبوا بجهلهم البــــرازا
فجاءتهم أسود الخيل فوجــــاً ففوجاً طبقت لهم البــــرازا
فهدوا ربعَهم وسبَوْا وغلُّــــوا رؤوسا عندهم كانوا عــــزازا

أذاقوهم وبال الأمر حتـــــــى   قد احتزّوا رءوسهم احتـــزازا
فسحقاً للمضل وما انتحـــــاه   وما من ظالم إلا مجـــــازى

* * *

أمير المومنين اهنأ بفتـــــح   أتاح لنا الحقيقةَ والمجـــازا
فأنت فخار هذا الدين قطعـــاً   ففخرك سيدي بلغ الحجـــازا
وقد خفقت بنصركم بنـــــود   فهـزّ الأنس أرواحـــــاً ورازا
فأنشأنا المدائح والتهانـــي   بأشعار لها المولى أجـــازا
خويدمك المقصرُ ما توانـــى   مجيزاً في مديحك أو مجـــازا
فدمْ فردَ المفاخر والمعالـــي   وعبدكم بما يرجوه فـــازا
ودونكها عَروباً ذاتَ حســـن   بفضلك تستحقُ أن تجـــازا
يردد حسنها ان جا خطـــاب :   (لقد زاد الوجود بك اعتـــزازا)

964) المختار بن عبد الله البخاري

المختار بن عبد الله بن أحمد (بن موسى البخاري) ، الفقيه العلامة ، قرأ العلم بفاس على الفقيه كنون وطبقته ، واستعمل خليفة عن أبيه بزرهون ووزيرا للخليفتين مولاي عمر ومولاي عرفة ، ثم كاتبا ثم وزيرا (1) عام 1318 بعد وفاة ابن عمه أحمد ولم تكن له دراية يحفظ بها مقامه ، لأنه تورع بالعلم ولم يدرس الدسائس ، فعزل وبقي مهملا الى أن مات رحمه الله ، أخذ عن عبد القادر بن أبي القاسم العراقي المتوفى سنة 1288 وأجازه اجازة عامة .

وتوفي في أواسط شعبان عام 1335 (2) .

965) **مخلوف** خديم الشيخ الهزميري ، ذكره في (إثمد العينين) ، وأظنه هو الذي ينسب إليه الدرب المعروف به بمراكش .

---

1) وزير أول (صدر أعظم)

2) دفن بالزاوية الكنتية من حومة سدراته بمكناس ، له ترجمة في **اتحاف اعلام الناس** 4 : 306

966) مخلوف بن علي البلبالي (1)

مخلوف بن علي بن صالح البلبالي ، فقيه حافظ رحلة ، اشتغل بالعلم على كبَر على ما قيل ، فأول شيوخه العبد الصالح سيدي عبد الله بن عمر بن محمد أقيت شقيق جدي ببلاد ولاتة ثم دخل بلاد السودان كبلد كندوكشن وغيرهما ، وأقرأ هناك ، ثم دخل تنبكتو وأقرأ بها ، ثم رجع للغرب فأرسى بمراكش وسُمَّ هناك ، فرجع لبلده ، وتوفي بعد الأربعين وتسعمئة .

ذكره الشيخ أحمد بابا (2) وذكره الحضيكي في طبقاته (3) ولـم ينسبه لـــه .

967) المدني بن أحمد ابن عطية المراكشي

المدني بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد ابن عطية المراكشي ، صنو السيد البشير ، كان رحمه الله حافظاً لكتاب الله مجوداً له ، أخذ عنه جماعة من قراء بلدنا مراكش وتخرجوا به ، منهم شيخنا ابن أخيه الحاج محمد الصغير ، وخال والدتنا ، حسن التلاوة لكتاب الله تعالى حلوها رقيق النغمة ، السيد أحمد التادلي السجدالي ، وصنوه المقرىء المجود السيد عبد القادر ، وغيرهم ، قال لي إنه أمَّ بجامع رياض العروس الذي أقمت فيه اماما بعد نحو ستين سنة ، سمع مني جميع الدروس التي كنت ألقيها في الجامع المذكور بين العشاءيْن وبعد صلاة الصبح من سنة تسع عشرة الى أن توفي رحمه الله ، كالموطأ والشمائل للترميذي والمواهب اللدنية والرسالة القيروانية والمرشد المعين ، وأخبرني مرة بعد درس الشمائل أنه رأى النبي (ص) في المنام ، فقلت له بما ذا علمت أنه النبي (ص) ؟ فقال باعتقاد خَلَقَهُ الله في قلبي ، فعلمت أنه على بصيرة من أمره ، وكان لم يبق في فمه سن ولا ضرس ، ومع ذلك كان يحسن مخارج الحروف حالة التلاوة .

توفي رحمه الله عام ثلاثة وعشرين وثلاثمئة وألف (1323) .

---

1) منسوب الى قرية بلبالة (تابلبالت بالبربرية) المغربية الموجودة بتافيلات جنوبي قرية الطاووس

2) نيل الابتهاج ص 344

3) طبقات الحضيكى 2 : 122

968) المدني بن المبارك الفيلالي

المدني بن المبارك الفيلالي الغرفي ، نزيل مراكش وقاضي قصبتها ، كان حافظاً لكتاب الله مجوداً حسن النغمة به ، حافظاً للمختصر الخليلي وغيره ، وكان نازلا باحدى مدارس فاس يقرأ بها ، وحجَّ قديما ، ثم ورد مراكش عام سبعة وثلاثمئة وألف ، وأم بالحضرة الشريفة بها بعد أن ورد من فاس صحبة الركاب الشريف ، ثم صار يُعلم الشرفاء بالدار العالية القرآن الكريم ، منهم مولاي العباس ، ثم في عام تسعة عشر وثلاثمئة وألف ولـي قضاء القصبة بها بعد أن سافر قاضيها السيد محمد بن العربي الحاجي منها لوطنه ، ولم يكن للمترجم معرفة بالاحكام ، ثم سافر عنها لقضاء غرض مخزني بشنجيط مع الخليفة الشريف المولى ادريس بن سليمان العلوي فبقي هناك الى أن ورد نعيه عام اربعة وعشرين وثلاثمئة وألف (1324 هـ) ورجـع الشريف المذكور من الصحراء بعد وقوع الاذن له بالرجوع في ثامن ربيع الأول عام 1325 حسبما وقفت على الظهير المكتوب له في ذلك بيد ولده المولى اسماعيل .

969) المدني بن محمد الكلاوي

المدني بن محمد المزواري الجلاوي المراكشي الدار والقرار ، ولد في حدود العشرة التاسعة من القرن الفارط ، ونشأ في حجر والده القائد محمد ، وأخذ عن الفقيه السيد مَحمد (فتحا) الهسكوري واستخلفه والده في حياته ، ولما توفي والده عام أربعة وثلاثمئة وألف ولاه السلطان المولى الحسن على إيالة والده وأوسع له فيها بنواحي الصحراء، ولما حرك السلطان عام 1310 لسلجماسة أظهر من القدرة على القيام بالمحلة في كل ما تحتاج اليه ما لم يكن يُترقَّب منه مما فيه غناء ومقنع ، فحصلت له بذلك التفاتة خاصة من جانب السلطان ، ومن هناك طنَّتْ حصاته وطار له طائر الاشتهار ، وما زال حاله يزداد ، وباثر ذلك توفي المولى الحسن فكافأه نجله المبايَع بعده بأن ولاه على تافيلالت وحمله المراقبة على تلك النواحي ، وسافر اليها وأدار شؤونها ، ثم لما كانت حادثة أبي حمارة عام 1320 كان في مقدمة قواد

القبائل الذين تقدموا لفتح تازة وحازوا قصب السبق في ذلك ، وبقي فيها مدة الى أن رجع على طريق وجدة ، وبعد رجوعه ولاه على مسفيوة وفطواكة وما أضيف اليهما ، ولما وقعتْ حادثة الدار البيضاء وكانت ذريعة لدعوة المولى عبد الحفيظ لنفسه باسم الامام المجاهد في 6 رجب عام 1325 كان المترجَمُ أول مَن وازره وبذل مهجته ومالَه في ذلك ، واستمال زعماء الحوز حتى انحاشوا له ، فعظمت دعوته بسبب ذلك ، وأدى الحال الى خلع المولى عبد العزيز فعين أولا وزير الحرب لدولة رئيسه ، وكان اليه مرجع تدبير الملك والقيام بأعبائه ، وفوض له في ذلك التفويض التام ، ومهما أشار بأمر انقاد له المولى عبد الحفيظ ، وتعاضدا على كل الشؤون التي ظهر في أول مرة اصغاءُ الناس اليها وتهافتُهم على مبايعة المولى المذكور والدخول تحت دعوته ، حاسبين لذلك كل حساب ، فبايعه بذلك المغرب كله ، وتطايرت له بذلك المكاتيب من أقصى السوس الى أقصى توات ، ووفدت عليه الجيوش العديدة ونظم العساكر النظام المغربي القديم ، ووظف على عمال الحوز عاداتهم في التنقلات المخزنية ، فقدموا بخيلهم ورجلهم لمراكش ، واقتضت المصلحة إذذاك أن وجه سرية لناحية حاحة لتأخر مبايعة زعيمها أنفلوس لانحراف بينه وبين زعيم متوكة تحت رياسة المولى جعفر عم السلطان المذكور ، وكبيرها القائد الحبيب باقة ، وسرية أخرى لناحية دكالة بأولاد فرج تحت رياسة اخ المترجم القائد الحسن لشدِّ عضُد القائد بوعلي الفرجي ، وسرية أخرى للشاوية تحت رياسة ابن عمه سيدي محمد بن رشيد ، وكبيرها القائد عمر السجتاني ، ثم صاهر المترجم السلطان ببنته ربيعة ، ثم رحل المترجم مع مخدومه من مراكش في أواخر شوال من العام المذكور ، فخيَّم بظاهر باب للرب نحو ثلاثة أيام ، ثم رحل من هناك قاصداً أولاد سيدي رحال بالسراغنة لانحرافهم عن عاملهم القائد محمد بن فايدة فأخبر بأن اخوانه قتلوه ومثلوا به ، ولما خيَّم برأس العين منبلاد الرحامنة تألبت عليه السراغنة ومَن وافقهم من الرحامنةفقصدوا المحلة ليلا للفتك بها وأخذها على غرة ، ولا يبعد أن يكون ذلك بايعاز ممن ما زال على بيعة مولاي عبد العزيز ، فقابلتْهم المحلة ، وفي الحين انهزموا ورجعوا على أدبارهم بعدما تركوا بعض القتلى ، ووقع انخذالهم بسبب

تيّههم ليلا ووحلهم بوادي نسيفة (تانسيفت) ، وفي الغد رحلت المحلة وخيمت وسط قبيلة السراغنة وفتكت بهم وحرقت الدواوير الى أن أظهروا التوبة وقبلوا ما وظف عليهم غرامة ، فنهض مع مخدومه وجاست المحلة خلال ديارهم ، وبقيت المحلة هناك الى عيد الاضحى ، فورد الخبر بدخول الحملة الفرنسوية لقصبة مديونة وانهزام محلة سيدي محمد بن رشيد أمامها ، فنهضت المحلة الى أم الربيع ، وخيمت بالمجاز المدعو مشرع الشعير ، وصار المولى عبد الحفيظ يوجه المحال لمقابلة الحملة الفرنسوية ، وهنا وردت عليه بيعة أهل فاس ومكناس وأحوازهما ، وفي خلل ذلك قدم القائد الشهير محمد بن حمو الزياني في جموعه من البربر ، وخيم بنواحي زعير ، والبطل الشهير مُحَ وسعيد الوِرْزاوي وحضر في عدة وقائع دموية .

ولما طال به المقام هناك نحو أربعة أشهر الى أن أسفر الحال أنه لا طاقة له بمقابلة الحملة الفرنسوية ، وتعددت المخابرات بينه وبين قائدها والاجتماعات ، وتبين من تلك المخابرات أن قائد تلك الحملة المذكورة لم يكن عنده أوامر تخوله أن يتقدم أزيد من عشرة كيلومترات عن الدار البيضاء ، وانما اوجب له ذلك كون محلة سيدي محد بن رشيد منعت الشاوية من الاتجار مع المرسى المذكور عزم السلطان على العبور لناحية بني مسكين ليسافر من هناك الى مكناس ويجتمع مع بقية محالّه بالشاوية ، فشرعت المحلة في العبور بمشرع الحليب من الوادي المذكور ، هذا كله بعد أن كان يبشرهم النظيفي بن عبد الواحد بأن صفر من العام المذكور لا يبقى فيه أحد من الفرنسيس بالشاوية كما رأيته بخطه في أبيات نظمها ووجهها له .

ولما اطلع زعيم متوكة على أن النتيجة المترقبة ليست بالأمر السهل ، وأنها أضغاث أحلام ، وأن عدو أنفلوس يعاضده المولى عبد العزيز بحراً من ثغر السويرة وتخوف على داره بمتوكة منه صار يتربص غرة لانسلاخه عن بيعة المولى عبد الحفيظ وعهْد المترجَم ، ففرّ ليلا من مخيم المحلة بمشرع الحليب وترك أثاثه وجميع معداته التي كانت هناك كأنه حاضر ، وتلقته خيل اخوانه في الطريق ، وأشاع أصحابه بمراكش أنه مات وأنه أتي به ليدفَن

في ضريح السهيلي ، فخرج أصحابه بعياله من مراكش ، ثم انكشف الغيب أنه وصل لأسكجور بظاهر مراكش وبقي هناك الى أن التقى مع أصحابه وذهب لفروجة ومنها لداره ورجع لبيعة المولى عبد العزيز .

ثم سافر المترجم مع مخدومه لمكناس ودخلها في ربيع الثاني من العام المذكور ، وبقي هناك نحو خمسة عشر يوماً فسافر لفاس ، ولما حلّ استوزره مخدومه وزارة الصدارة وأخر عنها السيد محمد ابن عبد الكبير الدمناتي ، وجعله وزير الشكايات بتاريخ أربعة عشر من جمادى الاولى عام ستة وعشرين وثلاثمئة وألف .

وفي أثناء ذلك خرج المولى عبد العزيز (1) من الرباط قاصدا لمراكش بسبب أنه انحاش اليه المتوكي ومن في حزبه وثغر السويرة والمراسي الحوزية والسراغنة ، وقدم لذلك سرية فيها المولى أبو بكر بن الشريف والقائد البشير بن السناح وصلت لثغر الصويرة بحراً وأمرت أن تتمشّى بنظر زعيم متوكة ،فندبه مخدومه اذذاك للتوجه للحوز لمقابلة ما حدث بتلك النواحي وعززه بوزير الخارجية القائد عيسى بن عمر العبدي وبصنوه الشريف مولاي الكبير الذي فرّ عند رجوعه للرباط مدعياً ، فتوجهوا على طريق البربر بتادلة ، وعقدوا مع القائد محمد الزياني المحافظة على الطريق بين فاس ومراكش بحيث تبقى مأمونة الجواز لكون طريق الشاوية تعذر المرور بها اذذاك بسبب وجود الحملة الفرنسوية ، وكان المتوكي المذكور قام بنشر دعوة المولى عبد العزيز ، ولما ظهرت محلة المولى عبد العزيز (2) بالسراغنة وتوجه القائد الأمجد العيادي الرحماني والقائد حسن ومَن معهما من العمال وقبائل الحوز

1) توفي رحمه الله ضحوة يوم الاربعاء 5 جمادى الثانية عام 1362 موافق 9 نونبر سنة 1943 بطنجة ، ونقل لفاس ، ودفن بضريح جده المولى عبد الله ، وقد شغلت ترجمته من التاريخ الزيداني 133 صفحة (مؤلف)

2) كتب فى الطرة امام هذه الكلمة ما يلي :

ما احسن قول صاحبنا النابغة الشاعر الفحل الفقيه السيد محمد البيضاوى الشنجيطى من قصيدة يمدح بها المذكور :

تنازل عن اريكته امـــــــام   بصولته وقـــام بهـــا امــــــام

لمقابلة محلة المولى عبد العزيز أغتنم المتوكي الفرصــة وزحف لمراكش لكونه لم تبق للمحلة التي تقابله طاقة به ، ثم لما علم أن المحلة التي قدم بها المولى عبد العزيز هزمتها المحلة التيتوجهت لمقابلتها رجع على أدراجه لناحية داره ، وذلك أن المحلة التي بها الرحامنة وقوادهم العيادي والزادي وولد الأعظم وولد كديرة ومَن معه من السراغنة والبربر وكلاوة وتحركت محلة المخلوع لهم فتحالفــوا أن لا يأخذوا سعاية ولا يقفــوا الا إذا أحاطوا بقبة المخلوع ، فافترقوا على أربعة طرق ، وبدأ القتال من الساعة العاشرة من رابع وعشري 24 رجب عام ست وعشرين وثلاثمئة وألف فما وصلت الساعة الواحدة حتى أحاطوا بالمحلة وأخذوها برمتها وما فيها من خيــل وســلاح ومدافع ، والقتلى لا يحصى لهم عدد ، والمساجين بلغوا نحو الثلاثمئة ، ودخل المظل والموسيقى بطبولها لمراكش والمدافع ببغالها وخيولها ، وعجز الناس عن حمل القش والاثاث والمال ، وملئت الأيدي بالمتاع مما لا يخطر ببال ، وبيع موسى به مئة ونيف وعشرون آلة بثلاثين ريالا ، وأما أنواع منجانات (1) الذهب والفضة والحلي المنبت بالجواهر فحدثْ عن البحر .

ثم أمر المترجم بالذهاب بالمحال لتخريب دار القائد عبد المالــك المتوكي ، وخيمت الجموع الكثيرة برأس العين بشوشاوة ، وبقيت المخابرة جارية بين المترجم والزعيم المتوكي الى ان اسفرت بالصلح مع جانب المخزن على أن يدفع ما عنده من العدة المخزنية وذعيرة مالية ووظف على القبائل المنضمة لحزبه غرامة كذلك .

---

1) **المنجانة و المجانة** بجيم بدوية آلة صغيرة أو كبيرة تعرف بها الساعات الزمنية ، وهي **المجانة الجلاسية** ان كانت من النوع الطويل ذي **الثقاقيل** الذي ينزل على الارض ، **ومجانة الحيط** ان كانت من النوع الذي يلصق بالجدران ، **ومجانة الشون** ان كانت من النوع المستدير الذي يخبع في الجيوب ، **ومجانة اليد** ان كانت من النوع الصغير الذي يثبت في الرصغ .

وتنقسم المجانة الى اثني عشر **قسما** كل قسم فيه خمس دقائق ، ويدل على الساعات في أرضية المجانة **موري** صغير ، وعلى **الدقائق موري** كبير ، ويعمرها (يطلعها) ان كانت كبيرة **مفتــاح** (ساروت) وان كانت صغيرة **دفــاش** ، وجهازها الداخلي يتركب من **عقرب** ذي **شعــرة ونواعير** مسننة يدير بعضها بعضا حسب ترتيب دقيق ، وصوت حركتها ان كانت صغيرة يسمى **التكتكة** وان كانت كبيرة تعمل **برقاص** سمي **التشييرة** ، ودقاقها الدالة على الساعات والانصاف والارباع تسمى **الضربات** .

ولما صفا أمر الحوز رجع لفاس صحبة مَن ذكر على طريق الشاوية بمراقبة الجنود الفرنسوية إلى أبي زنيقة ، والباقي من المحال توجه على طريق بني مسكين بطرف الشاوية والتقوا بالرباط ، ثم توجهوا لفاس وتلاقوا بالمولى عبد الحفيظ .

ومما وقع أن المترجم لما توجه للحوز ترك نائباً عنه في وزارته الفقيه السيد العباس الفاسي وتسبب عن ذلك وشايات عدة للسلطان وللمترجم ، فكان السلطان يكتب له بكل ما يبلغه عنه فيجيبه عن ذلك بما عنده في ذلك وينقده ، ووقع سوء التفاهم من الجانبين ، وكان من جملة ما توجه به للحوز مكاتيب مختومة بخاتم السلطان ليمضي فيها الوزير المذكور ما شاء من الولايات أو غيرها لیلا تطول المسافة وتفوت النتيجة ، وهذا غاية الثقة والاطمئنان للوزير .

وكانت خاتمة سعادة مخدومه الظفر بأبي حمارة والفتك به ، وصفا أمر الغرب أيضا واعترفت الدول بمخدومه سلطاناً على المغرب ، فانتقل المترجم من طور السذاجة والليونة ومراعاة بعض المصالح العامة إلى طور الرفاهية والبذخ والمصالح الخاصة ، وكان في ذلك ما بيَّنه صديقنا الفقيه الكاتب الأبرع سيدي العباس بن الفقيه الكاتب سيدي أحمد الكردودي في مقالة سماها (بطانة السوء الملتفة حول الوزير) ، ونصها :

الحمد لله

(بطانة السوء الملتفة حول الوزير)

ما منهم بَرٌّ ولا ناسك　　　الا الى نفع لـه يجذب
أفضل من أفضلهم صخرة　　　لا تظلم الناس ولا تكذب

قضى الله سبحانه ولا مرد لقضائه على هذا القطر السعيد في نفسه ، السيىء بأهله ، أن يكون أرباب مناصبه ومراتبه سبب هلاكه وسقوطه في الهوة التي لا قعر لها ولا قيام له منها ، فبعد أن كان المرتجَى من أرباب مناصبه

الحاليين حياطته وصيانته والسير به في مدارج الترقي والكمال طبق الواجب عليهم وكما ينبغي ، فيحضون على العلم والعمل به ، واصلاح المختل ونبذ الكسل والتغافل ، لأن الدرس الذي قرأوه في الحالة قبلهم ما زالوا حديثي العهد به ونصب أعينهم وفــي ذاكرتهم ، ولا يزال هو نتيجة التهاون وهــو الذي يُنبِّههم ويشعرهم بالواجب عليهم ، ولكن انعكست القضية جرياً على المقدور ، وتصديقاً لقول الرسول (ص) : إذا وسد الأمر لغير أهله فانتظر الساعــة .

تشكلت بباب سيادة الصدر الأعظم الذي حمله شعوره وغيرته على أمته على أن يقدم نفسه وماله قربانا لوطنه ، هيأة من نوابــغ كتاب الوقت برئاسة كاتبه الاول ، غايتها فيما يقال أن ترشد سيادته لسلْك المناهــج المشروعة والنصح له في كل ما يعود بالخير ، لأنه يقول ان قصده هو الاصلاح ما استطاع اليه سبيلا ، ولكن لسوء الحظ ونكد الطالع كانت بطانة السوء لا تأمر إلا بشر ، ولا تنهَى الا عن خير ، لأن فاتحة أعمالها كانت هي تقريرها أن تبعد عن الوزير كل من فيه الشعور أو مسكة من علم أو ميل لوطن أو كاشف عن اضاعة وقت ، أو استهجن في فكره ما شاهده غير صواب ، أو تمنى أن يرى سوق العلم رائجا طبق المواعيد التي كانت تلوكها الألسن ، أو أن تتحلى الأمة بفضيلة من الفضائل،أو يقام شبه عدل لتظهر مزية الانقلاب،فنفذت قرارها فيمن ظنت به ذاك ، ولكن جرت على قاعدة الخائنين ، فانتحلت أسباباً تعقل عند متبوعها ، حيث أنها تعرف المنافذ التي تتسرب منها الى عقله ، فبدل أن تدله على أن نجاحه موقوف على العلم بالاحوال الداخلية والخارجية والمثابرة على العمل عكست له القضية ، فصارت تعنف زيدا وتزدري عمراً وتهين خالدا وتشمئز من عبد الله في محادثتها مع مستشيرها ، حتى أدخلت في عقله أن كل متأمل خارج الدائرة المحيطة به يجب طرده ، فامتثل أوامرها لظنه أن ذلك من باب النصح الذي هي مكلفة به ، وأكبر ما تلمز به أن فلانا يقرأ الجرائد ، وإن أردت امتحانه فعليْك به ، يستغرب القارىء عند ما يصل لهذه النقطة حيث يرى أن الجرائد في دوائر السياسة صارت عاراً ، ولكن جناب الصدر حفظه الله وجَّه على من ظن به ذلك ، وهش وبشّ في وجهه على عادته ، ثم استفهمه

على الجرائد وما قيمتها في العالم ، فأجابه بمعقتده فيها وبوجوب الاطـلاع عليها لأمثال سيادته ، ثم ناول جناب الوزير أحد أعداد جريدة المؤيد وبها اكتتاب مفتوح لعين زبيدة بمكة المكرمة ، فتذاكرا في الاكتتاب وفائدته وأصل وضعه، ولما ذا وعلى ما ذا الخ.. وفي الاخير قال لمن حوله من أعضاء البطانة والله أعلم انه لجرائدي وانتهى المجلس، ثم قرر ابعاده عن الخدمة لأنه كان من جملة المستخدمين، وجعله بمنزلة المعتقل حتى لا يصدر منه ما لا ينبغي، وبهذا سدت هذه الادارة الاستشارية الباب أمام كل مَن كانت الأمة تنظر اليه بعين الاعتبار، وقربت لجناب صدرنا السليم الصدر ما يشتغل به حتى يلهو عن أعمالها،وتجره إلى ما جُرت اليه الوزارات قبله بمثل هؤلاء من سفاسف الأمور التي تحل محل الجد والاجتهاد والاعتماد على النفس ، وبعد ما أفاق ذلك السيء الحظ توجه لرئيس البطانة ليستفهمه عن سبب اهانته فيمكث الزمان الطويل ببابه المشتمل على جماعة من المنتظرين ألوانا وأصنافاً بين بربري وعربي ، وشريف وضعيف ، ووضيع ورفيع ، ذلك يريد سفك دم هـذا ، والآخر يريد تخليد غيره فـي السجن ، وغيره يستشير في قتل فلان وبيده ثمن رقبته ، وهذا يشتري إيالة بحاكمها ونسائه وأولاده ورياشه وأثاثه وسجنه تحت يده حتى يمثل به في يوم نزهته ، ومن بين الضعفاء بعض الافراد من الذين ينطبق عليهم الانخداع بالعناوين من يهمهم ويدمدم ، وهو حامل تحته الجداول والاوفاق والحروز ليضمن له دوام السلطة ، وخناشي الدراهم مبعثرة في الباب تنتظر من يحوزها، وان طلب أحد من الجالسين الاذن له يقال له انه قائم في شغل الوزير لا ينبغي لك أن تستأذن عليه ، فلْتمكثْ حتى يخرج والا فدونك الطريق ، ثم حيث قدر الله خروجه خرج يتبختر ، يزدري المخلوقات بعينيه ، ولما كلـَّمه في الموضوع أجابه بأنه لا علم له ، وسيباشر رفع الاهانة ، وبعد الايام العديدة فعل ما أداه له اجتهاده مما يدل على صدقه أو كذبه ، عجباً وألف مرة عجباً لرجال مغربنا ، يكتب الكاتبون في أقطار الدنيا في الحض على العلم والأخلاق ويجود المتمولون للغاية نفسها بما لا يخطر ببال ويحارب المصلحون الخبائث والمفاسـد ، وينشر السياسيون المبـادىء العائدة على بلادهم بالراحـة والاطمئنان من الالتزامات والاتفاقات ، وتزدري بطانتنا بل تسعى بكل قواها لاحباط مساعي مَن تشوفت نفسه لأي فضيلة كانت ولأي علم .

هذه الجرائد التي هي لسان جميع الامم وأول مصلح في العالم وأول رابط بعضه ببعض والعامل الأكبر في إفاقة الامم من سكرتها بالمناداة على تحسين المستحسن واستهجان المستهجن ظهرت في هذا المغرب هذه مـا يزيد على السبع سنوات وهي تنادي بمـلء فيها بالحقيقة تشيد بوجـوب الاجتماع ، تقرر ما ينفع حالا واستقبالا ، تلقي لكل حادثة درساً مفيدا ، وتؤيد ذلك بالادلة المحسوسة مما لا ينكره عاقل أو متحامق ، وترشدنا وتنصحنا ، ويجب على كل منا أمعان النظر في قولها ، وما كان منه نافعا فعلناه ، الى الآن لم تحزْ أدنى اعتبار من الطبقة التي تريد أن تدير دفة السياسة بالمغرب في الداخلية والخارجية المكتنف بالضواري ، بل تقرر في دار ندوتها محاربة كل ذلك ، ولا إخال الا أنها تظن أن بذلك تدوم سلطتها ، فلا وربك لا يكون هذا قطعاً ، لأن انعكاس الحقائق وقلب الاعيان أمر متعذر ، وما زالت الطبيعة التي أوجدها الله في النار هي الاحراق ، وفي الماء هي الري ، وجعل السبب وسيلة للمسبب ، بل الذي تعطيه الحالة والمتوقع هو الخراب والدمار حسب طبيعة الكون ، ولله في خلقه شؤون .

قل بالله عليك أيها القارىء المتأمل كيف يرجَى صلاح هؤلاء أصحاب السلطة والحل والعقد فيها وهم على ما هم عليه من الكذب والغش وخيانة عباد الله ووطنهم ودينهم ومستنصحهم ، ولكن سياتي يوم تجزى فيه كل نفس بما كسبت وعند عالم الغيب يجتمع الخصوم .

وليعلم مولانا الوزير أن هذه الخطة لا تأتي بخير أصلا ، اذ عهدنا به أنه محب الاصلاح يهوى العدل ، يرتقب أن تكون على يده مزايا لوطنه العزيز، ويتنبه بأن الوقت وقت يقظة لا نوم ، وترك الحبل على الغارب لا معنى له ، وتفضيل الراحة والدعة والسكون والرفاهية وعدم المبالاة بعباد الله عاقبته وخيمة ، والزمان كشاف ، ومَن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، وان الله لا يُغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، وان الله لسميع الدعاء .

انتهى كلام المقالة المذكورة .

ولقد شاهدنا النتائج وتحول الاحوال وانقلاب تلك السعادة وذلك السكون الذي ساد في الايالة فأعقبه الاضطراب والانتقاض حينا بعد حين حتى اتسع الخرق على الراقع ، وحوصرت فاس نحو ثلاثة أشهر ، وانقطعت السبل، ولم تمكن المترجم أن يستفيد من اخوانه ولا أهل حزبه نصرتهم وفكهم من ذلك الضغط وأيسوا من كل نصر يأتيهم من قبل المغرب لاطباق الكل على مناوأتهم بظهور سوء المعاملة وابتزاز أموال الرعية والرجوع الى الحالة القديمة بيعاً وشراء ، وتولية من لا يستحق ، حتى اذا تولى علي قبيلة شرع في انتهاك حرمها بعد أن يبتزّ أموالها ، وقدّمت برابرة الغرب مولاي الزين الذي كان بمكناس سلطانا عليهم ، ولله الأمر من قبل ومن بعد ، فآل الحال الى استقدام الحملة الفرنسوية بالشاوية لانقاذ فاس بعد الحصار المذكور، فقدمت في 22 جمادى الأولى عام 1329 و فضّتْ تلك الجموع التي كانت محاصرة لفاس ، وباثـر ذلك أخر المترجم عن وزارته في يوم الجمعة 27 منها ، وفي حينه أعلن قنصل فرنسا بفاس (1) للسلطان حماية الدولة الفرنسوية للمترجم، ثم في فاتح جمادى الثانية عامه وقع القبض على الكاتب الاول وحاز المخزن ما عنده لكونه ابتزّ أموال الرعية ، ثم توجه المترجم لمراكش ، وبقي عاطلا من الخدمة الى أن تنازل مخدومه عن الملك وبويع أخوه السلطان المولى يوسف أيده الله ، فأعيدت له الولاية التي كان مولى عليها قبل ، وألقى عصا التسيار بمراكش وشرع في بناء القصور الشاهقة ، والمقاصير الرائقة ، وأتى الصناع في ذلك بأرقى ما يمكن من الفسيفساء ، ومهما أتم بنيان قصر أنتقل الى غيره بلا فتور ولا ملل ، وجلب له من السرايا والمغنيات ما لم يجتمع لغيره ، واستقدم أبرع معلم بفاس وغيرها لتعليم الغناء للاماء ، فبرعن في ذلك ، وصار يجتمع منهن أعظم جوق للمغرب ، وتمتع بما جمعه من الحلي والحلل التي كان ادخرها من عهد قديم ، وزاد على ذلك ما يبهر ، وكان عند الدولة الفرنسوية ورجالها محل اعتبار واكبار ، وتقلد النياشين العديدة الى أن خرج لقتال برابرة نواحـي دمنات فأصيب في ملحمة بينهم بفقد نجله القائد عبد الملك الذي جل اعتماده

---

1) هنرى كايار

عليه في ولايته الأخيرة ، فتأثر من ذلك غاية ، وأصيب من أجله بحمى لم تطل به ، فأجاب داعي ربه في ذي القعدة عام ست وثلاثين وثلاثمئة وألـف 1336 وأقبر بضريح الامام الجزولي بمراكش ، والبقاء لله وحده .

كان المترجم فطناً ذكيا ذا هيبة ، مجربا عارفاً بعوائد البربر وأخلاقهم، مسموع الكلمة في قومه ، هشاشاً مضيافا ، يحب الاحسان الى من أساء اليه ، حافظاً للعهد مع قدماء أصحابه لا يتغير عليهم ، محسناً الى مَن يأوى اليه في الحاضرة والبادية ، يكرم أهل العلم ويُبجِّلهم ، محافظا على الصلوات فـي أوقاتها ، صيناً مثابراً في آخر أيامه عـلى الحضور فـي سرد صحيح الامام البخاري ، الى أن توفي ، فتولَّى أخوه القائد الانجد ، الباشا الاسعد ، البطل المقدام ، السيد الحاج التهامي جميع من كان في ايالته من القبائل مضافا الى من في نظره قبل ، فكان اليه منتهى الرياسة في الحوز بلا مدافع ، سدده الله ووفقه لما فيه رضاه .

وهذا نص كتاب كتبه عمر التازي في شأن طلب رجوع مولاي بوبكر لبيعة أخيه مولاي عبد العزيز :

محنا الأعز الارضى ، الشريف الاجل الاحظى ، صنو مولانا المؤيد بالله ، مولاي بوبكر .

رعاك الله .

وبعد فلا يخفاك أن سيدنا أعزه الله قد عبر وادي أم الربيع بمحالّه السعيدة وجيوشه المنصورة المظفرة ، قاصداً حضرته السعيـدة بمراكش المحروسة بالله ، ولم يبق بينه وبينها الا قدر ما بين سواد العين وبياضها ، ولأجل ما نعلمه منك من المحبة لجانبه الشريف والخيرة والحياء والمروءة والأوصاف الحميدة والأخلاق الحسنة التي تميزتَ بها عن غيرك كتبنا لك هذا لتغتنم المزية والسبقية الى طاعة مولانا المؤيد بالله وجبر خاطره الشريف فتبادر الى القبض على التهامي الجلاوي المتولِّي على المدينة ، وكذلك المتولي على القصبة السعيدة وجميع مَن يسعى في الفتن ويوقد نارها ويدير رحاها ،

وتنال بذلك المكانة العالية والمزية الرفيعة ، وتتخذ بذلك يدا عند جلالة مولانا المنصور بالله ، وأنا أضمن لك جميع ما تطلبه من سيدنا أعزه الله وجميع ما تؤمله ، وعلى المحبة والسلام .

في 4 رجب .

الجـواب .

الى التاجر الحاج عمر التازي (1) .

سلام على مَن اتبع الهدى ورحمة الله .

وبعد وصلنا كتاب بأن مولاي عبد العزيز عبر وادي أم الربيع قاصدا حضرة مراكش ، ولم يبق بينه وبينها الا قدر ما بين سواد العين وبياضها ، وأعلمتنا بذلك طالباً منا اغتنام مزية السبق الى طاعته وجبر خاطره بالمبادرة الى القبض على عامل المدينة وكذلك المتولى بالمنشية السعيدة لننال بذلك المكانة العالية وأنت الضامن لي جميع ما أطلبه منه ، وصار بالبال .

فأي طاعة لمَن قلعه المسلمون ؟ وأي منزلة ننالها فيما فيه مخالفة جميعهم فيما تواطئوا عليه من خلعه ونصب سيدنا المؤيد بالله ، المنصـور بعين عناية الله وعنايته مولانا عبد الحفيظ (2) أدام الله عزه وسعادته وعلاه ، والمتعين عليكم أنتم أن تدخلوا في طاعته ، وتتركوا عنكم العناد والمخالفة وأنا أضمن عنه الأمان لكم ، والا فان التمادي على الحال الذي أنتم عليه لا يرضاه الله ورسوله ، ولا يغني عنكم من الله شيئاً ، (فانها لا تعمَى الأبصار ، ولا تكن تعمَى القلوب التي في الصدور) ، وأما قولك لم يبق بينه وبيـن مراكش الا قدر ما بين سواد العين وبياضها ، فهيهات هيهات ولو تحققنـا

---

1) توفى رحمه الله فى فجر يوم الثلاثاء 3 ذى القعدة الحرام عام 1354 عن نيف وستين سنة ، واقبر بضريح سيدى المكى بالرباط

2) توفي رحمه الله بعد الزوال من يوم الاحد 22 محرم عام 1356 بفرنسا ، ونقل للمغرب ودفن بضريخ جده مولاي عبد الله بفاس الجديد

يعبوركم الوادي لبرزنا اليكم ومعنا من جنود الله وأنصاره وحماة دينه ما يجعل الله البركة فيه ، ولولا (1) أن الشرع العزيز أمر بتعظيم جيوش الاسلام وجنود أهل الايمان والمباهاة والافتخار بكثرتها لما قررنا لكم أمرها ، اذ لا اعتماد لنا ولهم الا على حول الله وقوته ونصره وتأييده ، فارجع الى نفسك أيها المسكين، وتبْ اليه فانه يقبل التوبة عن عباده في كل وقت وحين ، ودع عنك كلام من لا ينهضك حاله ، وهذه نصيحة ان قبِلْتَها ، وموعظة ان وفّقْت لها ، والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ، فنعم المولى ونعم النصير .

في 12 رجب .

970) **مرزدغ الغمارى الصنهاجي** من صنهاجة مصباح ، ضرب السكة وكتب فيها مرزدغ الغريب ، نصر الله قريب ، فتابعه خلق كثير من غمارة وصنهاجة وأوربة ، فأفسد تلك الناحية ودخل مدينة تاودا (2) وقتل فيها خلقا كثيراً وسباها ، فبعث اليه أمير المومنين يوسف بن عبد المومن الموحدي جيشاً من الموحدين فقتل وحمل رأسه الى مراكش سنة تسع وخمسين وخمسمئة .

ذكره في الانيس المطرب بروض القرطاس (3) .

971) **مروان بن عبد الملك العابد اللمتوني** ، قدم مراكش وقد أشخص من مدينة فاس ، فتاب الى الله تعالى وأقام بمراكش الى أن توفي بها عام أحد وسبعين وخمسمئة ، وقيل عام اثنين وسبعين ، ودفن أمام باب فاس من أبواب مراكش في صحن المسجد الصغير الذي هناك .

قال في (التشوف) : حدثني الثقة أن مروان بعث اليه القاضي حجاج بن يوسف أن يصل اليه من فاس ليقدمه على خطة الحسبة بمراكش ،

---

1) هذه الكلمات مأخوذة من رسالة علماء الاسلام التى أجابوا بها محمد المسلوخ المعروف بالاكحل السعدى المتقدمة فى ترجمته (مؤلف)

2) **بني تاودة** : الاسم القديم لقرية **فاس البالي** الواقعة ببطن البوار من قبيلة فشتالة (قيادة قلعة سلاس - اقليم فاس)

3) **الأنيس المطرب بروض القرطاس** ص 209 وص 264 طبع الرباط

فلما قدم سمع بعابد اجذم بمسجد تورجين نزل على رجل من الصالحين يعرف بأبي عبد الله الصوفي ، فذهب مروان لزيارته ، فرأى الناس يزدحمون عليه يقبلون رأسه ويديه ، فقال هذا رجل أمي لا علم عنده يعظمه الناس هذا التعظيم وأنا لم ينفعْني الله بشيء مما تعلمته ، والله لا أتولّى ولاية ولأنقطعنّ الى الله تعالى ، فحفر كهفاً يتعبد فيه ويخرج في أوقات الصلوات فيصلي مع الناس ، ثم يعود الى كهفه ، فأقام على ذلك الى أن لحق بالله عز وجل ، والى الآن يُعرف المكان الذي كان به بدرب العابد .

سمعت عمر بن ونصار اللمطي يقول: دفعت امرأة لي ولصاحب من أصحابي دقيقاً نحمله الى الفقيه مروان ، وكنا شابّيْن ففتشنا الدقيق فاذا فيه دراهم ، فقال لي صاحبي نأخذ من هذه الدراهم ما نُنفقه ، فأخذنا منها ، فلما دخلنا عليه قال لنا اذا وقع اليكما شيء فلا تخونا ، فتوبا الى الله تعالى وانتما في حلٍّ مما أخذتما .

قال عمر اللمطي وحدثني موسى بن عيسى الجراوي قال : دخلت على الفقيه مروان وبين يديْه رحى تطحن دون أن يُديرها بيده فانتبه من نومه وأخذ يديرها بيده ، وقال لي ياأخي عسى أن تكتم عني ما رأيت (1) .

972) مروان بن عبد الله ابن عبد العزيز البلنسي

مروان بن عبد الله بن مروان بن محمد بن مروان بن عبد العزيز ، من أهل بلنسية وقاضيها ورئيسها ، سمع من أبي الحسن ابن هذيل ، وأبي محمد البطليوسي ، وطارق ابن يعيش ، وأبي بكر ابن أسود ، وأبي الوليد ابن الدباغ ، وأبي عبد الله ابن سعيد الداني ، وأجاز له أبو عمران بن أبي تليد ، وأبو علي ابن سكرة ، وأبو عبد الله ابن الفراء قاضي المرية ، وأبو الحسن ابن موهب ، وغيرهم .

وولي قضاء بلده في ذي الحجة سنة ثمان وثلاثين وخمسمئة ، وقيل في سنة تسع وثلاثين بعدها ، ثم تأمّر به عند انقراض الدولة اللمتونية في عقب رمضان أو صدر شوال منها ، وبويع له بذلك في

---

1) **التشوف** ص 223 ع 93 **وجدوة الاقتباس** ص 334 ع 351

صفر سنة أربعين ، وأقام على ذلك يسيراً وخلع وانفصل عن بلنسية فظفر به اللمتونيون واعتقلوه ببعض معاقل ميورقة نحواً من أثنتي عشرة سنة ، وفي ذلك يقول :

أفٍ لدنيا تقلبتْ بـــــــــــي | تقلُّبَ المسْيِ والغـــــــــدو
قد كنت فيما مضى عزيـــــزاً | مسامي النجم في العلــــــــو
فحاليَّ الآن لو رآهـــــــــــا | بكي لها رحمة عـــــــــدوي

ثم تخلص وسار الى مراكش في قصة طويلة ، وحدث هنالك وأخذ عنه جِلَّة ، منهم أبو محمد ابن حوط الله ، وأخوه أبو سليمان ، وأبو طالب ابن عطية ، وأبو الخطاب ابن الجميل ، وأخوه أبو عمرو ، وغيرهم .

وتوفي بمراكش سنة ثمان وسبعين وخمسمئة ، ومولده ببلنسية سنة أربع وخمسمئة ، كان لدة أبي القاسم ابن حبيش .

ترجمه ابن الابار في (التكملة) و (المعجم) ، واسند من طريقه حديث أبي بكرة أن النبي (ص) كان اذا رأى ما يفرح به أو بُشِّر بما يسره سجد شكرا لله عز وجل (1) .

973) مروان بن محمد بن علي بن مروان . . . ابن جبل الهمداني تلمسيني . . . الأصل حديثاً شلوبانيه قديما ، أبو علي ، تفقه بأبيه وغيره ببلده وبمراكش . . . وكان فقيها حافظا للمسائل بصيرا بالفتوى في النوازل، واستقضي . . . سنة ثلاث عشرة وستمئة ، وبتلمسان وغرناطة ومرسية .

974) مزاحم بن علي البطويي

مزاحم أبو داوود بن علي ، بن جعفر ، بن سليمان ، بن علي ، بن أبي عزيز ، بن أبي حربيل ، بن ورترد ، بن يصليتن ، بن بطويْ ، وقيل ابن بطوية ، وهو من وادي النكور من حوز المزمة الى وادي ملوية ، القطب العارف الولي ، ذو الفضل الظاهر الجلي ، والقدر السمي العلي ، المتأبط في جيد الافادة أسنى حلي ، الذهب اجتهاده من الراحة صفر خلي ، جابر الكسر ، والمنقذ من الاسر ، المتعطف المتلطف ، الراحم .

---

1) **التكملة** 2 : 696 ع 1751 و **معجم أصحاب الصدفي** ص 199 ع 172

كان رحمه الله من كيس الكرامات منفقاً ، وبذوي الرياضة مرفقاً ، وعلى المحتاجين مشفقا ، وقد قيل ان التصوف اشفاق وارفاق ، قال في (المقصد الشريف) حدثني حفيده الشيخ الزكي الزاهد الورع أبو عقيل بن عبد الواحد بن الحاج ابراهيم بن عيسى ابن أبي داوود أنه سافر من بلدة بني ورترد الى الاندلس ، فأقام بها زمانا ، ثم رجع فاتصل بالشيخ الزاهد أبي مدين المدفون بالعباد فهو شيخه ، ورجع الشيخ أبو داوود الى بلده بني ورترد من عهد الشيخ أبي مدين ، فأقام بداره المعروف بأفلاس آخر ساحل تغلال ، وبين داره وبين المزمة خمسة فراسخ ، وبنى على ساحل البحر رابطة كان يتحنَّث فيها مع أصحابه وتلامذته ، وهي في مكان مخوف من عدو البحر المغتال للمسلمين ، قال أبو عقيل حدثني عن مشيخته أهلي وجيراني ، وحدثني جدي الحاج ابراهيم بن عيسى ابن أبي داوود وكان أدرك أبا داوود : كان استفاض عندنا ما اتفق لابي داوود مع العدو البحري قصمه الله ، وذلك أن الشيخ أبا داوود بات ليلة من الليالي في رابطته فحبسه العدو فيها ، وتحمل أسيرا في سلورة للروم ، فلما حاولوا المسير به توقفت السلورة ، فما زالوا كذلك حتى أصبحوا وهم في موضعهم الذي كانوا فيه حين تحمل الشيخ أبو داوود عندهم في السلورة ، فعلموا أن ذلك من أجل الشيخ ، فقالوا له قم فانزل فأنت طالق ، قال لهم لا أنزل حتى تخلوا سبيل كل أسير عندكم من المسلمين، ففعلوا ثم راموا الحركة بالسلورة فلم تتحرك ، فأشاروا اليه بالضراعة والتذلل أن يخلي سبيلهم ، فأشار اليهم أنه قد بقي في سلوزتكم عصاي وقيل كان نعليْه ، فلما ردوا عليه عصاه أو نعليه نهض جفنهم ، قال أبو عقيل وما زال الشيخ أبو داوود يتعبد في رابطته حتى مات وحفيده جدي ابراهيم الحاج ، وما رأينا فيها قط عدوا بحرياً يتسور عليها وهي ظاهرة بارزة يراها كل مَن مرَّ على الساحل ، قال فيظهر أن أسر الشيخ أبي داوود انما كان في حق من استقر في تلك السلوة أسيراً من المسلمين حتى خلصه الله ببركته .

قال أبو عقيل وحدثني عيسى بن حمُ بن عبد الله الياصليتي وكان من جيران الشيخ أبي داوود قال : كفَّ بصر الشيخ أبي داوود في آخر عمره ، فرأيته يوما وقد طرح جبته للشمس وحجل أمامه يلتقطون القمل من

ثوبه . حدثني يحيى بن علي الغصاصي قال لي أبي علي : عاينت زوجة الشيخ أبي داوود الحجلة تلتقط القمل من ثوبه ، فقالت له على وجه المداعبة : أعطني حجلة واحدة من هذه الحجل ، فقال لها لا أعطي من حجلي شيئاً ، قال أبو عقيل وكفَّ بصرُ جدي أبي داوود وسببه أنه كان رأى ماشية له تأكل عيون شجرة له ، فساءه ذلك ، فهلكت الماشية من يومها ، وكانت معزا ، فناله من ذلك تغير ، فقال يارب ان بصري قد شوش علي فاكفني شأنه ، قال : فكفَّ بصره من حينــه .

قال يحيى بن علي الغصاصي : كان أبو داوود لايرى أحدا يفعل معصية كبيرة أو صغيرة الا هلك الفاعل ، فدعا الله أن يكف بصره ففعل .

وحدثني يحيى بن علي المذكور عن أبيه عن رجل من جيران الشيخ أبي داوود اسمه يحيى بن لقمان قال : أصابت دابتّان من دوابّ أبي داوود شيئاً من زرعه ، فشكوت ذلك اليه فقال كفيتَهما ، فأهلكهما السبع تلك الليلة.

وحدثني أبو عقيل قال أصاب أمير المومنين بمراكش وهو أحد أولاد عبد المومن بن علي داء وأظنه البرص ، فأعجز شأنه الاطباء ، فذكر له أن ببلاد بطوية شيخاً صالحا يبرىء الادواء والعاهات ، فوجه اليه من خدامه مَن يشخصه اليه على جواد رائع ، فلما بلغه الرسول بالامر والفرس أبى أن يركب الفرس وقال ان دابتي تبلغني وكانت أتاناً ، فقال له الرسول قد أمرت باسراع السير فلا تستطيع مصاحبتي بهذه الأتان ، ولا يمكن أن أخلفك ورائي ، فقال له سرْ فما بتَّ في منزل الا بتُّ معك فيه ، قال فأسرع الرسول السير ، فما بات في منزل الا وجد الشيخ أبا داوود فيه قد سبقه ، فلما بلغ الى مراكش تقـدم الرسول فعرف أمير المومنين بوصول الشيخ وبما اتفق له معه في الطريق من كونه لا يبيت بمنزل الا وجده فيه مع ضعف أتانه ، فسر بذلك أمير المومنين ، فعلم أنه صاحب كرامة ، فأمر بدخوله عليه ، ثم قال له ان بجسدي داء قد أعيا الاطباء ، وأنا أرجو بركتك في برئه ، فأخذ الشيخ من ريقه بسبابته اليمنى وقال للأمير امسك يدي ومر بسبابتي على الموضع الذي في جسدك ، ففعل الامير ما أمره به الشيخ ، فبرىء من حينه ، فأمر له بمال جزيل ، فامتنـع

من قبوله ، وقال له ان عندي قدر الكفّ من تراب نصفه حجر فهو يُغنيني عن مالك ، يعني فداناً كان بازاء داره ، قال الراوي وكان صحبه من أولاد يوسف ابنُه ، فأتاه أحد وزراء الامير بقدر الصاع من الدراهم ، فقال له خذْ هذه تستعنْ بها ، فقبِلها منه في خفية من الشيخ ، فلما التحق بالشيخ ردّ رأسه إليه وقال له أخذت صلته أماتك الله فقيراً ، قال يحيى بن علي بل كان قال له أخذت مال السلطان ياشيطان أماتك الله فقيرا ، قال فما تمّ عليه الحول حتى ذهب ذلك المال من يده ومات فقيرا حقيراً من بين سائر أولاده .

قال أبـو عقيل وحدثتْني جدتي ست البنات بالدراهم التي قبلهـا يوسف وما كان من شأن فقره وفاقته ، قال أبو عقيل وكانت عزيزة زوجة عيسى ابن أبي داوود وهي أم جدي الحاج ابراهيم قد أسنت وكبرت وضعفت عن جميع الحركات والشغل الا الطحن فانها لا تبالي به وتطحن ما لا يطيقه الشابات ، فقيل لها في ذلك ، فقالت كنت عروسا في بيت عيسى ابن أبي داوود فدخل عليّ أبو داوود وأنا أطحن زرعاً لنا ، فوقع يده معي في الرحا فوجدت خفة للطحن ، فمن ذلك الوقت لا أبالي به قلّ أو كثر ، ولا تنالني فيه مشقـة .

وحدثني أبو عقيل المذكور قال سمعت جدي الحاج ابراهيم يقـول سمعت الشيخ جدي أبا داوود يقول : كان موضع هذه الرابطة التي أقام بناءها مراحا لبعض جيراننا ، فكنت أصلي فيه ، فاذا جاء ربه وجد فيه محراباً مبنيا ، فيقول لي ياأبا داوود مَن أحل لك أن تبني محرابا في أرضي بغيـر أذني ؟ أتريد أن ترد أرضي مسجداً ؟ فأقول لهما : ما بنيتُه ولا أمرت به ، فيهدمـه وينصرف ، ولما طال ذلك علي وعلم صدقي قال لعل الله أراد أن يكون فيـه مسجد ، قد وهبته لله ، قال فبنى فيه أبو داوود رابطته المعروفة له التي اتفق له فيها مع النصارى القصة المتقدمة ، وأنفق في بنائها بالآجر والخشب الطيب والزواق ، فأنفق فيها مالا جسيماً أعانه فيها رجال صالحون موسرون نفعهم الله بذلـك .

وحدثني يحيى بن علي الغصاصي قال : حدثني موسى بن مركاب البلدي وكان مركاب من أكابر تلاميذ الشيخ أبي داوود ، قال : بلغ الشيخ أبا داوود أن الفقيه الصالح الزاهد أبا زيد بن هبة وكان أخاً لأبي داوود من الشيخ ، شيخهما واحد ، وهو الشيخ أبو مدين ، بلغه أنه اذا ضره أحد دعا عليه فهلك في الوقت ، قال : فوصل أبو داوود الى الفقيه أبي زيد لبلاده مزيات من حوز فاس ، فقال له ياأبا زيد أصلح ولا تفسد .

وحدثني أبو عقيل قال : قال لي جدي الحاج ابراهيم : لما احتضر جدي الشيخ أبو داوود قال لي ياولدي ياإبراهيم قد قبل الله دعائي فيك ، وأنالني قرة عين منك ، لكونك حفظت كتاب الله ، فعليك بتلاوة القرءان .

قال أبو عقيل : وكان جدي الحاج ابراهيم قد مات أبوه جدي عيسى بن أبي داوود وخلّفه صغيراً في حجر جده أبي داوود ، فرباه وكفله وعلمه كتاب الله ، قال وكذلك مات أبي عبد الواحد فخلفني صغيرا في حجر جدي الحاج ابراهيم ، رباني وكفلني وعلمني كتاب الله تعالى ، وكان خلف أبو داوود الحاج ابراهيم ابن ثمانية عشرة عاما .

وتوفي أبو داوود رحمه الله سنة ثمان وسبعين وخمسمئة ، وفي حاله أقول مطابقاً للمنقول :

ظهرت محاسنه ولاح كمالُـــه ... وزكت ببرٍّ في التقى أفعالُـه
في الجد أبدي السعد ناصر سنـة ... فيها تتابع دائما أعمالـه
فالرشد حِلْيتُه وغاية قصـده ... قرب تنال بها رضا آمالـه
في العالم العلوي راية فخـره ... نشرت فعم الخافقين كمالُـه
جارى الجياد السابقات فبزّهـا ... ببرية من فوقها أسمالـه
وأرى الخليفة ءاية من برىء مـا ... عز الطيب فناله اخمالـه
رفع الوجود فعمّه من وجـده ... بشر تلالا حسنه وجمالُـه
غنى وقد غسى الدجا لما سـرى ... ركب الحبيب وأرقلت اجمالـه
نصبت له أسماؤه وصفاتـه ... شرك فصيد به المحب ومالـه

975) **المكي بن المهدي ابن سودة** ، كان فقيها عالما مدرسا قاضياً ، له مشاركة في كثير من الفنون وتبريز في علم التوقيت ، ممن أخذ عنه سيدي محمد العلمي ، ولي قضاء فاس الجديد ، ثم أخِّر عنه .

ولد عام 1255 وتوفي خامس جمادى الاولى عام 1317 .

976) منصور بن محمد اللمتوني

منصور بن محمد بن الحاج داوود بن عمر اللمتوني ، أبو علي ، روى بمراكش عن أبي عمر ميمون بن ياسين اللمتوني ، وبقرطبة عن أبي بحر الأسدي ، وأبي محمد ابن عات وأكثر عنه ، وبفاس عن أبي محمد بن أيوب الشاطبي ، وببلنسية عن أبي الحسن طارق بن يعيش ، وبمرسية عن أبي علي الصدفي ، وأبي الوليد ابن الدباغ .

وكان محدثاً حافظا ذكيا فهماً حسن الخط . . . . العلم ما لم يكن لأحد مثله في عصره ، وكانت له في قومه رياسة ، وهو فخر لمتونة العلمي ، ليس لهم مثله ممن دخل الاندلس ، وعليه قام أبو الحكم بن الحسين بن الحسن ابن حسّون بمالقة كما تقدم في رسمه ، وولي بلنسية ليحيى بن علي بن غانية نحو أحد عشر عاماً . وتوفي بيابسة سنة سبع وأربعين وقيل بميورقة في حدود الخمسين وخمسمئة .

977) منصور بن عبد الرحمان السايوي

منصور بن عبد الرحمان السايوى أبو علي ، تلميذ يحيى بن يسولال الصنهاجي ، أصله من بلد هسكورة ومات بتاهورت من بلد ايلان قرب الزوال يوم الخميس سابع عشر من شهر رمضان عام سبعة وتسعين وخمسمئة .

كان عبداً صالحاً زاهدا ، منزويا عن الدنيا وأهلها ، وما تزوج قط وما ركن الى معلوم .

قال في (التشوف) سألت تلميذه مخلوف بن ياسين عن أحواله ، فقال لي ما جاء قط أحد يسأله عن شي الا سمع منه الجواب قبل الدخول

اليه ، وقد طال عهدنا باللحم في بعض الاوقات ، فخرج من بيته ورفع بصره الى السماء ، وقال يارب عودتنا فضلك فأفض علينا ما عوّدتنا ، ثم قال لي : احدد السكين واغسل الصحفة ، ودخل بيته ، فلما طلعت الشمس سمعت قارعاً يقرع بـاب الدار فخرجت اليه فاذا برجـل بشاة سمينة فدفعها لـي وانصرف ، فأدخلتها وذبحتها وأكلت منها .

وحدثني مخلوف بن ياسين قال سمعت أبا علي يحدث ، قال أتى عليّ وقت" وليس عندي فيه شيء غير حصير ننام عليه ، فأتاني رجل بلحم ، وكان رفيقي يوسف الرجراجي غائباً ، فجعلت اللحم في العود وغرست العود فوق رأسي في الحائط وقلت : اتركه حتى يجيء رفيقي ، فنمت فسمعت في نومي قارئاً يقرأ القرءان ، فانتبهت وأنا أسمع قراءة قوله تعالى : وظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة الى قوله تعالى عُرباً أترأبا لأصحاب اليمين ، والصوت في جهة اللحم ، فلا أدري هل كان ذلك الصوت في اللحم أو على قرب منه (1).

978) **منصور السعدي** بن محمد المهدي أمير المومنين القائم بأمر الله تعالى الشريف الحسني ، كان خيراً محسنا لطلبة العلم والمساكين .

توفي سنة سبع وسبعين وتسعمئة ، ذكره في (لقط الفرائد) (2) .

979) **منصور بن محمد المومني** ، فقيه مشارك ، له معرفة بالاصلين والبيان ، أخذ عن أحمد المنجور ، وعن القاضي سعيد بن علي ، وأجاز لـه محمد بن يوسف الترغي وغيره ، لقيه أحمد ابن القاضي بمراكش المحروسة سنة ثمان وتسعين وتسعمئة وترجمه في (درة الحجال) (3) .

980) **منصور المراكشي** ، الشاب الاديب ، والطالب اللبيب ، كـان له ادراك حسن في علم المعقول والمنقول ، قد ذاق من أسرار الشيخ سيدي

---

1) الترجمة منقولة بالحرف من **التشوف** ص 295 ع 145

2) **لقط الفرائد** ص 310 في (**الف سنة من الوفيات**)

3) **درة الحجال** 3 : 10 ع 895 طبع تونس

محمد بن عبد الله السوسي حظا ، وحصل له عنه قسط ، وأخبر عن نفسه أنه* بنفس ما لقيه غلب عليه حال المراقبة حتى اذا غلب عليه النوم ليلا ووجد نفسه على غير هيأة الادب لم يملك نفسه أن يتحول إلى تلك الجلسة ، وكان رحمه الله تعالى بعد غيبة الشيخ مخالطا للناس ، يغلب عليه حال البسط الى أن قرب أجله ، فوفق للاقلاع عن كل شغل عن العبادة ورفض مخالطة الخلق وانقطع للتعبد في خلوة الى أن توفي برباط سلا وهو مقبل على العبادة رحمه الله تعالى .

ذكره في (مباحث الانوار) .

981) **منصور المراكشي** ، الفقيه العالم العلامة الزاهد، توفي بمراكش وقبره بها مشهور ، من أصحاب الشيخ سيدي علي بن عبد الرحمان الدرعي المتوفى عام واحد وسبعين وألف .

ذكره في (دوحة البستان) .

قلت : ولا أعلم صاحب قبر مشهور بسيدي منصور بمراكش الا قبر سيدي منصور دفين قصبة مراكش ، فاستفدنا من هذا معرفته ، وقد سئل عن صاحب هذا القبر المؤرخ السيد الامين الصحراوي المراكشي فأجاب بأنه أبو يوسف يعقوب المنصور الموحدي ، وأتى على ذلك بدلائل واهية ، ولو أطلع على (دوحة البستان) لم يقل هذا والله أعلم ، وكثير من هذه الاغلاط وقعت له ، والعذر له أنه يهجم بالظن في علم التاريخ الذي لا يفيد فيه الا النقل لا تحكيم العقل فقط .

982) **المعطي الزداغي المراكشي** ، الفقيه من علماء دولة مولانا سليمان الذين يحضرون معه قراءة صحيح البخاري عام اثنين وثلاثين ومئتين وألف ، وجه عليه لذلك من مراكش ومكناس ، وأنزله عند قهرمانه الامين الحاج الطاهر بادّو فأنزله بدار العريفة حول داره ، ذكره في (الجيش العرمرم) خلال ترجمة السيد اليماني بوعشرين وحلاه بصاحبنا الفقيه السيد الحاج المعطي الخ .

983) **معنين** الولي الصالح دفين مراكش ، لقيه سيدي الوليد العراقي عام أربعة وثلاثين ومئة وألف كما صرح به في آخر كتابه (**الدر النفيس**) .

984) المفضل (فضول) بن المكي السوسي

المفضل المدعو فضول بن الفقيه المدرس المسن المكي السوسي المكناسي ، العالم المشارك المعمَّر ، شيخ الجماعة في مكناسة ، سكن مراكش مدة ، ولقيته بها عام 1319 ، لقي سيدي قدور العلمي ، وتوفي بعد عصر يوم الأحد سابع ربيع الثاني عام عشرين وثلاثمئة وألف ، ودفن بالزاوية الناصرية بفاس (1) .

985) المستضيء بن اسماعيل العلوي (السلطان)

المستضيء ابن المولى اسماعيل بن الشريف العلوي ، أمير المومنين ، بايعه العبيد بعد أن قبضوا على أخيه السلطان مولاي محمد بن عربية (2) وكتبوا بذلك الى الآفاق ، فساعدهم الناس عليها وبعثوا جريدة من الخيل على عادتهم لتأتي به ، فأقبل مسرعا ، ولما انتهى الى مدينة صفرو لقيه أهل فاس بها في اشرافهم وعلمائهم وأدوا بيعتهم ورجعوا معه إلى فاس الجديد فأراح به ، وولّى عليهم القائد أحمد الكعيدي فاستناب الكعيدي عليهم من قبله شعشوع اليازغي ، والحال ما حال ، والظلم ما زال ، ثم ارتحل السلطان المولى المستضيء الى مكناسة فاحتل بها وبايعه العبيد البيعة العامة ، وقدمت عليه وفود القبائل والامصار بهداياهم ، فقابلهم بما يجب ، واستتبّ أمره .

لما استقر السلطان المولى المستضيء بمكناسة كان أول ما بدأ به أن بعث بأخيه المولى محمد ابن عربية مقيداً الى فاس ومنها الى سجلماسة ، فسجن بها ، وبعث بقائده السيد عبد المجيد المشامري والشيخ عبد الرحمان الشامي يسجنان بفاس الجديد ، ونهبت دار المشامري وصودر الى أن مات تحت العذاب ومُثل به ، ثم بعث السلطان كتابه الى أهل فاس ، ولكن رسم أن يقرأ بفاس الجديد ويحضر أعيان أهل فاس لاستماعه فارتابوا وتغيبوا ولم يحضر منهم الا نحو العشرين ، فقبض عليهم وسجنوا هنالك ، ثم وظف عليهم مالا ثقيلا لم يقوموا به .

---

1) له ترجمة مطولة فى **اتحاف أعلام الناس** 4 : 327

2) ثار العبيد (عبيد البخارى) على السلطان محمد (المعروف بابن عربية) بن السلطان مولاى اسماعيل يوم 24 صفر عام 1151 وقبضوه واستدعوا أخاه المستضىء الذى كان مقيماً بسجلماسة للقدوم عليهم ليملكوه فقدم وكان من خبره ما ينقله المؤلف من **الاستقصا**

وافتقـرت الـدولة في أيـام هذا السلطـان واحتاج إلـى المال ليقطع عنه لسان العبيد ، فأخذ في البحث عما في المخازن الاسماعيلية التي لم يلتفت اليها الملوك قبله ، فوقع على خزين من الحديد فاستخرجـه وباعه ، ووقع على الخزين الكبير وفيه آلاف من قناطير الكبريت فباعها أيضاً ، ووجد شيئاً كثيرا من ملح البارود والشب والبقام وغير ذلك مما كان يجلب الى الحضرة من غنائم أجناس الفرنج فباع ذلك كله ، ثم اقتلع شراجب القبـة الشطرنجية وكانت من نحاس مذهب وأقتلع الدرابيز التي عن يمينها وشمالها من الحديد المنتخب من باب الرخام الى قصر المولى يوسف ودفعها لأهل الذمة وألزمهم أداء ثمنها فأجحف بهم ، ثم أنزل المدافع النحاسية التي كانت بابراج الحضرة فكسرها وضربها فلوسا فما أغنى ذلك شيئاً ، وقتل في هذه المدة نيفا وثمانين رجلا من عرب بني حسن وسلّط العذاب على مساجين أهل فاس ليغرموا المال فغرموا ما قدروا عليه ، ثم أمر بالقبض على تجار أهل فاس ليشتروا أصول مساجينهم فعذبوا الى أن أدوا بعض المال وعجزوا وأفتي العلماء أن هذا البيع الواقع في هذه الاصول صحيح تقديماً لخلاص الانفس على الأموال .

ثم قبض هذا السلطان على شريف مـن الأشراف العراقيين مـن أهل حومة كرنيز اتهمه بأن الحرة خناثة بنت بكار استودعته مـالا فضرب وامتحن ، ثم ولّى على فاس المولى عمر المدني وكان رفيقه وجليسه فاستناب المولى عمر على فاس رجلا يقال له ابن زيان الاعور ، وتقدم اليه في مصادرة أشراف فاس واستصفاء أموالهم ، فامتثل ابن زيان أمره وما قصر ، وكان الحامل لعمر على هذا أن داره بفاس كانت قد نهبت أيام المولى محمد بـن عربية ولم ينكر ذلك أحد من أهل فاس ، فحقدها عمر عليهم إلى أن أدالتْـه الأيام منهم في هذه المرة ففعـل ابن زيان ما فعل ، فأمر السلطان المولـى المستضيء بالقبض على ابن زيان ، وأن يطاف به على حمار والسياط في ظهره وهو يقول : هذا جزاء مَن يؤذي الأشراف ! فطيف به ثم أزيل رأسه وعلق على باب المحروق ، هذا والاشراف ما زالوا في العذاب ، ثم أمر بمساجين أهل فاس فحملوا اليه في السلاسل والاغـلال ثم قتلوا بباب القصبة عـن

آخرهم ، وأمر باخراج ولد مامي من الحرم الادريسي ، فلما وصل اليه قتله ، وأسرف المولى المستضيء في القتل والعسف ، وأراد أن يشتبه بأخيه المولى عبد الله الذي جرد السيف وبسط الكف فغطّى سخاؤه عيبَه ، وهيهات ، فقد كان المولى المستضيء مسكيناً مهزوم الراية على ما قيل ، تغمدنا الله واياه والمسلمين بالرحمة والعفو والغفران ، ثم قتل القائد غانماً الحاجي ، ووالي مكناس القائد سعدون ، وستة من أولاد الزياتي أصحاب السجن .

ثم ان السلطان المولى عبد الله أغرى البربر الذين كان مقيما فيهم بشن الغارات على الوداية والعيث في طرقاتهم ففعلوا ، وانقطعت السبل وتعذر المعاش ، وكان زين العابدين بن اسماعيل محبوسا عند أخيه السلطان المولى المستضيء فأمر باخراجه واحضاره بين يديه ، فأحضر وضرب ضرب التلف وبعث به مقيداً إلى فيلالة ليسجن مع بعض أشرافها ، فبعث العبيد جماعة منهم فانتزعوه من يد حامله وبعثوا به الى القائد أحمد الكعيدي ببني يازغة وتقدموا اليه في الاحتفاظ به والاعتناء بشأنه .

شغب العبيد عليه وفراره إلى مراكش

ولما كان منتصف ذي القعدة من سنة اثنتين وخمسين ومئة وألف شغب العبيد بمكناسة على السلطان المولى المستضيء وتآمروا في عزله ومراجعة طاعة أخيه المولى عبد الله ، ولما أحس المولى المستضيء بما أجمعوا عليه خرج من مكناسة في شيعته وأنصاره قاصدا ضريح الشيخ عبد السلام بن مشيش رضي الله عنه ، فتبعه مولاي عبد الله في جمع من العبيد فأدركوه ببعض الطريق ، فكرَّ عليهم وقاتهلم حتى رجعوا ومضى لوجهه الى أن وصل الى طنجة ، فأقام بها نحو الشهرين عند أحمد بن علي الريفي ، ومنها توجَّه الى مراكش ، فانهم كانوا قد بايعوه ، وكان أخوه المولى الناصر نائبا عنه بها ، ولما استقرَّ بمراكش كاتب قبائل الحوز يستصرخهم على أخيه المولى عبد الله ويستنفرهم للخروج معه اليه ، فتقاعدوا عنه ، لأن عبدة والرحامنة وأهل السوس كانوا شيعة للمولى عبد الله ، ولم يبق في حزب المولى المستضيء الا أهل دكالة أخواله ، وبنو حسن عرب

الغرب ، ولما رأى المولى المستضيء تقاعد قبائل الحوز عنه أقام بمراكش يزجي الايام الى سنة خمس وخمسين ومئة وألف ، والباشا أحمد الريفي صاحب طنجة يفتل للعبيد في الذروة والغارب الى أن بايعوه ثانية بعد أخيه المولى زين العابدين وبعد خلع السلطان المولى عبد الله حسبما نذكره بعد ان شاء الله .

اعتراض المولى المستضيء للسلطان المولى عبد الله وعود الكرة عليه ومقتل بني حسن

لما انهزم المستضيء من مكناسة بعد ايقاعه بأهلها خرج الى حلة بني حسن وأقام بين أظهرهم ، فاتصل به خبر مقتل ناصره ووزيره على أمره : أحمد الريفي ، ففتّ ذلك في عضده ، وهدّ أركانه ، ثم لما بلغه فتح طنجة واستيلاء السلطان عليها استأنف جده ، وأرهف حده ، وأخذ في تحريض العبيد وبني حسن على تجديد البعث والنهوض لاعتراض أخيه السلطان المولى عبد الله مرجعه من طنجة ، فخرج كبير بني حسن يومئذ وهو قاسم أبو عريف يطوف في أحيائها ، ويستنفر جموعها ، وخرج المولى المستضيء في لمة من وجوه العبيد الى مشرع الرملة ، فجهز بها عشرة آلاف فارس من عبيده ، ووافاه قاسم أبو عريف بمثلها من بني حسن ، فكان مجموع الجيشيْن عشرين ألفاً سوى مَن انضاف اليهم ، ثم ساروا لاعتراض السلطان ولا علم له بهم ، وقدم المولى المستضيء أمامه الطلائع والعبيد فعادوا اليه بخبر السلطان ، وأنه بايت تلك الليلة بدار العباس ، فصبّحه المولى المستضيء في جموعه على حين غفلة منه ، فلم يرع السلطان المولى عبد الله الا نواصي الخيل مقبلة اليه ، فعبّأ جيشه على عجل ، وأقام الرماة حوالي المحلة ثم صمد اليهم في الخيل وأنشب القتال ، فلم تكن الا ساعة حتى انهزم بنو حسن وولوا الادبار ، وكانوا ميمنة الجيش ، وثبت المولى المستضيء والعبيد في الميسرة فصمد اليه السلطان وصدقه القتال ، فهبّت ريح النصر ، وتمت الهزيمة على المولى المستضيء وعبيده ، ومروا على وجههم لا يلوون على شيء ، فجرد السلطان مع القائد أبي عزة صاحب الشربيل كتيبة من الخيل في أثرهم ، وتقدم اليهم أن

لا يقتلوا أحدا من العبيد ، وانما يجردونهم لا غير ، فلم يقتَل أحد من العبيد في هذه الوقعة ، واستحرّ القتل في بني حسن ، فهلك منهم ما ينيف علــى الألف ، وانتهب منهم أكثر من خمسة آلاف فرس ، ومن السلاح مثل ذلك ، وهذه الوقعة هي التي خضدت شوكة بني حسن وفلت من غربهم ، ونجا المولى المستضيء في فلِّهم وأقام في حلتهم ينتظر أن تدول له دولة ، لأنهم كانوا شيعة كأهل دكالة وأهل مراكش ، وكان أخوه المولى الناصر خليفة على مراكش كما مر ، وقفل السلطان المولى عبد الله الــى فاس الجديد ، فاحتلّ بهــا وفرق المال على أخواله وعبيده ، وأسهم لأهل فاس ، وأقام بدار الدبيبغ الى أن دخلت سنة سبع وخمسين ومئة وألف ، فقدم عليه في شهر ربيع الثاني منها جماعة من قواد العبيد تائبين خاضعين متنصلين مما فرط منهم ، فعاتبهم وقال لهم : لا كلام اليوم بيني وبينكم حتى أقطع دابر بني حسن ومن معهم من شيعة المستضيء ، ثم عفا عنهم وأعطاهم الراتب وأمرهم بالقدوم عليه إلى مكناسة بقصد غزو بني حسن ، فعادوا الى مشروع الرملة عازمين على ذلك ، وأخذ هو في الاستعداد أيضاً ، ونهض من فاس في جيش العبيد والوداية وأهل فاس والحياينة وشراكة وأولاد جامع وعرب الغرب ، ولما انتهى الى مكناسة وافاه بها عبيد مشرع الرملة في وجوههم وأهل الحل والعقد منهم ، فجددوا التوبة واستأنفوا البيعة بمحضر القضاة وأعطوا صفقة الطاعة عن آخرهــم والله غالب على امره .

انعطاف إلى سياقة الخبر عن آخر أيام المولى المستضيء رحمــه الله

قد تقدم لنا أن السلطان المولى عبد الله خرج سنة سبع وخمسين ومئة وألف في طلب أخيه المولى المستضيء ، وأنه دوخ بلاد الحوز لأجله وشرده عن جبال مسفيوة ولجأ الى مراكش ، فطرده أهلها ، ولما لم يجد بالحوز مستقراً رجع أدراجه يتقرى البلاد والقُرى ويصل حرارة التهجير ببرد السرى، فاجتاز ببلاد دكالة ثم بتامسنا ثم ببني حسن فزهدوا فيه ، فتقدم الى طنجة وأعمالها ، فاستقرّ بالفحص منها وطاب له المقام به ، وعسف أناسا في تلك

المدة الى أن عدا على القائد عبد الكريم الريفي فسجنه وسمله وأخذ ماله كما مر ، فوثب عليه أهل الريف وقبضوا عليــه ونهبوا خيله ومضاربه وأثاثــه وسلبوا اصحابه وامتحنوه وأوثقوه حتى بعثوا به الى أخيه المولى عبد الله ، ثم بدا لهم فسرحوه، ولما خلص من المحنة كتب إلى أخيه المولى عبد الله بأنك لم تأت الي ذنبا ولم ترتكب في حقي عيباً ، انما كنت تطلب ملك أبيك كما كنتُ أطلب ملك أبي ، والآن فان أردت الخمول مثلي فأقم بأصيلة واسكن بها ، فهي أحسن من دار ادبيبغ التي أنا بها وأرح نفسك كما أرحتها ، وان كنت إنما تطلب الملك فشأنك واياه ، فاني لا أنازعك فيه والسلام ، فلما وصل اليه كتاب السلطان انتقل الى أصيلة واستوطنها واعتنى بها وأصلح ما يحتاج الى الاصلاح منها ، وأصلح دار الخضر غيلان التي بقصبتها ، وسكنها سنة أربع وستين ومئة وألف ، واجتمع عليه بعض أهل الطمع والشرة ممن كان هناك ، فدلوه على وسق الزرع للكفار ، وتوسطوا له في الكلام مع بعض تجار النصارى الذين بطنجة ، وتعاقدوا معه على وسقه ، فانتقل ذلك التاجر الى أصيلة ، ولما قدم عليه مركبه وسق الزرع وأدى صاكته أي واجبه ، فظهر للمولى المستضيء الربح في ذلك ، فشرهت نفسه ورغب في شراء الزرع وبيعه مما ياتيه من التجار ، وتسامع النصارى بأن الزرع يوسق من مرسى أصيلة فلم تمض الا أيام قلائل حتى قدمت مراكبهم من كل وجه وعمرت المرسى وقصد الاعراب البلد بالقمح والشعير من كل فج ، والمولى المستضيء يشتري منهم ويبيع للنصارى ، والمراكب تسق ما قدرت عليه ، فكان يحصل له الربح في ذلك مضاعفاً : ربح الثمن ، وربح الصاكة ، فحسُنت حاله وأثرى وكثر تابعوه ، وأخذ في شراء العدة من تطاوين وتسليح أصحابه وتقويمهم .

واتصل خبره بالسلطان المولى عبد الله ، فندم على إذنه له في المقام هناك ، وكتب الى القائد عبد الله السفياني يأمره بالزحف الى المولى المستضيء وحصاره بأصيلة حتى ينيفه عنها، وكتب الى ولده سيدي محمد بمراكش يأمره أن يبعث اليه مَن يخرجه منها ويكون معه القائد عبد الله السفياني في خمسمئة من الخيل ، فبعث اليه سيدي محمد رفيقه وابن عمه المولى ادريس بن المستنصر في مئة فارس ، وأمره أن يستصحب معه في طريقه عبد الله السفياني في خمسمئة من الخيل كما رسم له والده ويضيقوا على المولى المستضيء بأصيلة حتى

يخرجوه منها ، فمضى المولى ادريس والسفياني حتى نزلا عليه وحاصراه فخرج اليهما وراود ابن أخيه المولى ادريس على الافراج عنه وتركه وشأنه ، واعتذر اليه بأن السلطان أذن له في سكنى أصيلة وأعطاه مستفادَ مرساها ينتفع منه ، فلم يقبل المولى ادريس عنه ولم يزل به حتى أخرجه واستولى على ما وجد بداره من مال وأثاث وسلاح وبارود وغير ذلك ، فساقه الى عمه السلطان المولى عبد الله .

وأما المولى المستضيء فانه لما خرج من أصيلة سار الى فاس ، فنزل بضريح الشيخ أبي بكر بن العربي رضي الله عنه ، وقدم ولده الى السلطان المولى عبد الله يشكو له ما فعل ولده سيدي محمد بن من تجهيز العساكر اليه ونفيه عن أصيلة ، فكان من جواب السلطان أن قال له قل لأبيك ذلك لا سبيل لي عليه ، هو أعظم شوكة مني ومنك ، عد الى بلاد أبيك وجدك وأرح نفسك من التعب ، والموت قريب مني ومنك ، فلما بلغه كلام السلطان لم يسعه الا التوجه الى مدينة صفرو بعد أن ترك عياله بدار الشريف المولى التهامي بالجوطيين من فاس ، ونزل هو بدار الامارة من صفرو ، ولما قدم المولى ادريس بن المنتصر على السلطان بمال المولى المستضيء وأثاثه قبض السلطان البارود والسلاح ، وردَّ الباقي ، وأرسل الى عامل فاس يأمر أن يكتب الى المولى المستضيء ليبعث وكيلا يحوز له متاعه ، فكتب اليه فبعث مَن حاز ماله وأثاثه ودفعه الى عياله بدار المولى التهامي ، وكان المولى المستضيء لما اطمأنت به الدار بصفرو بعث الى أعيان آيت يوسي على ما قيل فقدموا عليه فندبهم الى نصرته والقيام بدعوته ، فتخاذلوا عنه وقالوا له سر الى آيت يدراسن وكروان ، فان أجابوك فنحن معهم ، ولما لم يتمَّ له أمر بصفرو بعث مَن حمل اليه عياله وأثاثه من فاس ، وذهب الى سجلماسة فاستوطنها ، وذلك سنة ست وستين ومئة وألف ، وأعرض عن الملك وأسبابه ، واستمرَّ مقيماً بها الى أن توفي سنة ثلاث وسبعين ومئة وألف رحمه الله وغفر له (1) .

---

1) كل ما تقدم منقول من **الاستقصا** 7 : 147 — 191 باقتضاب ، اذ ترك المؤلف نقل جملة كبيرة من أخبار المستضيء الواردة فيه ، وللمستضيء هذا ترجمة وافية في **اتحاف أعلام الناس** 4 : 333

986) **مسعود الأيلاني** الأسود أبو الخير، أصله من بلد ايلان ونزل محلة داوود من بلاد تادلة وبها مات عام أربعة وستمئة ، وكان عبداً صالحاً زاهداً في الدنيا لا يقبل من أحد شيئاً ، شيخه علي الصنهاجي الزاهد ، قال في (التشوف) : حدثني عبد الله بن موسى ، قال : حدثني يحيى بن عبد الرحمان ابن خيرون ، وأبو بكر بن علي الخياط وكان من الاخيار ، قالا حدثنا أبو الخير قال : دخلت على علي الصنهاجي في خيمته ، فشكوت إليه ما أنا فيه من الفقر وضيق الحال ، فأخذ يزهدني في الدنيا ويهونها ويحقرها ، ثم قال لي قم لتتأهَّب للصلاة ، فخرجنا من الخيمة وكانت في الفضاء وحدها ، وقد نبت الخباز حولها ، فسمعت كصوت السحابة صيت المطر ، فاذا على أوراق الخباز دراهم وقراريط بيض طرية يبرق بياضها على خضرة الأوراق ، فقلت له : أما ترى ؟ فأخذ يمنعني أن أنظر اليها ، وقال لي لا تنظر الى ذلك ولا تلتفت اليه ، وأزعجني حتى بعدنا عنها :

متى سهِرت عيني لغيرك أو بكت — فلا أعطيت ما أملت وتمنت
وان رضيتْ نفسي سواك فلا رعت — رياض المنى من وجنتيك وجُنت(1)

987) **مسعود** أبو سرحان خديم الشيخ السبتي ، وقعت له كرامة على يديه ، وشاهد من أحواله ما أوجب ملازمته له في الخدمة حتى نال مناه ، رحم الله الجميع .

988) **مسعود بن أبي بكر** ، أبو سرحان ، الشيخ الفقير الى الله تعالى ، المتصوف ، حدث عنه في أثمد العينين ، ولقي الشيخ القدوة السالك ، أبا عبد الله بن جامع .

989) **مسعود بن عمر الفودودي** ، أبو سرحان ، الوزير الساذج الخير، ولم تزل الوزارة في هذا القبيل على القدم ، قدمه مولانا أبو الحسن المريني وزيراً بعد الواقعة ، فكان رحمة الله عليه قائماً بما يُحَدُّ له لا يتعداه ، ولا يشارك فيما عداه ، مختصراً في جميع أحواله ، بعيدا عن الدهاء ، سالماً عن

---

1) **التشوف** ص 408 ع 220

الخدع، ثقة أميناً متبذلا عفيفا ديناً مأمون الغيب، لا يعرف الضرر ، ولا يدري الا الخير ، يرفع الشكيات ولا يقضي الا فيما لا يقف فيه متوقف ، ويردع الظلام ، استمرت وزارته الى أن توفي بتونس في عهدي والله أعلم في الوباء ، ولم أحقق الآن وقت موته ولا محله ، رحمة الله عليه .

ذكره ابن مرزوق في (المسند الصحيح الحسن) (1) .

990) **مسعود المراكشي** ، الفقير المحب الولوع المتجرد ، كان في أوله يخدم الحياكة ، وكان حافظاً لكلام الناس محبا في أهل جانب الله ، وكان من البكائين المتواجدين عند الذكر والذكرى ، أخذ رحمه الله عن الشيخ سيدي أحمد السوسي ، ولقي الشيخ سيدي علي ابن عزوز الزغواني وخدمه ، ولقي سيدي علي الحجام ، وسيدي أحمد العباس بن سيدي أحمد السوسي رضي الله عنهم ، وتوفي رحمه الله عام ثلاثة وتسعين ومئة وألف ، قال في (سلوك الطريق الوارية) أوصاني بمباشرة غسله فغسلته ، ولما شرعت في تكفينه وسرولته بسراويل خلق خشن رث قصيف جردته منه ، وفسخت السراويل من وسطي وسرولته به ، فأنا أسروله وهو يتبسم تبسماً كثيرا ظاهراً شهده كلُّ مَن حضر حتى فتح عينه وفمه مع كونه عند الوضوء ما تمكنت من مضمضته الا بكلفة رحمه الله تعالى (2) دفن رحمه الله بوسط صحن زاوية سيدي علي الحجام بفاس يسرة الداخل رحمه الله (3) .

991) **مسعود بن عبد الرحمان العبد السلامي** بالقصور من مراكش ، الشريف الفاضل البركة الكريم الأخلاق ، الشهير الذكر في الآفاق ، بهذا حلاه في (الأشراف) ، وقال في (فتح العليم الخبير ، في تهذيب النسب العلمي بأمر الأمير) العلامة سيدي محمد بن محمد الصادق بن أحمد ابن ريسون المترجم في كتابنا هذا (4) ما نصه : فصل في ذكر مَن بمراكش حرسها الله وأدام حفظها

1) **المسند الصحيح الحسن** نسخة مرقونة خاصة ص 219

2) اذا كان الأمر كذلك فقد دفن الرجل حياً

3) **سلوة الأنفاس** 1 : 374

4) انظر 6 : 190 ع 795 من هذا الكتاب

وهم أولاد سيدي عثمان بن سعيد بن عبد الوهاب بن علال ابن القطب مولانا عبد السلام ، وسيدي سعيد المذكور وهو الجامع بينهم وبين شرفاء غيروزيم ، منهم داران بالقصور ، أحداهما لأخيه المقتفي آثار آبائه في المفاخر ، مولانا عبد القادر ابن السيد عبد الرحمان ، وثلاثة في المواسين منها ، وهم الفقيه السيد محمد بن المهدي ، وعمه السيد عبد الله بن المهدي ، وابن عمهم السيد أبو العباس ، وابن عمهم السيد المبارك ، وهو بدرب أصبان منها أي من مراكش، وستة منهم بزاوية سيدي أبـي العباس السبتي نفعنا الله به لم تحضرنـي أسماؤهم الآن .

وفي (شرح الصلاة المشيشية) لأحمد ابن عجيبة عند ذكر ترجمة الشيخ القطب مولاي عبد السلام ما نصه : كان له من الأولاد أربعة ، محمد ، وأحمد ، وعبد الصمد ، وعلال ، ثم قال : ومن ولده علال المجيَّح منهم فرقـة بمراكش ، وراجع 180 من (المرءاة) ، وبقية نسب المترجم ستأتي عند ذكر ولده مولاي علي .

وقفت على ظهير شريف مؤرخ في 6 جمادى الأولى عام 1213 تضمن تجديد ما بيد الشريف مولاي ابراهيم ابن مسعود من مسطورات أسلافه الكرام المتضمنة توقيرهم واحترامهم ، وكذلك جميع أخوان الشريف المذكور وأولاد عمه ومولاي مسعود ، وهذا اليه يرجع نسب الشرفاء المسعوديين بمراكش .

992) مسعود بن الطيب الدباغ

مسعود بن الطيب بن الحسن بـن العربي شقيق القطب مولاي عبـد العزيز الدباغ ، ابن الفقيه السيد مسعود الدباغ ، الشريف الجليل ، الماجد الأصيل ، البركة الوجيه ، صحب أبناء عمه سيدي عمر وسيدي محمد وولده وسيدي محمد بن عبد الحفيظ ، وكان يسكن بمراكش في قاعة بناهض ، ثم هاجر الى المدينة المنورة ، وتلاقى مع سيدي محمد بن علي السنوسي في حدود السبعين ومئتين وألف بزاويته بأبي قبيس بمكة ، وأذن له في بعض الصلوات .

ووقفت على رسالة حبرها الماجد الأصيل سيدي الكبير الفاسي في 4 ذي القعدة عام أربعة وسبعين ومئتين وألف 1274 في التعريف بشرف المترجم حيث أراد استيطان المدينة المنورة حلاه فيها بالشريف الفاضل الأجل، الطالب الناسك العفيف المبجل، سلالة أعيان الفضلاء، وبقية أكابر الأكابر من الأولياء، مولاي مسعود ابن الفاضل البركة مولانا الطيب الخ. ثم سمي أولاده الفضلاء، الطالب الأمجد الحيبي الأحسب، مولانا أبي القاسم، والطالب مولانا محمد، والطالب مولانا عبد الله الخ. انتهى من خطه رحمه الله، وبعده ولده السيد أبو جيدة، ثم شهد بمثل ذلك سيدي أحمد بن أحمد بناني، وسيدي عبد القادر بن عبد الرحمان الفاسي، ثم محمد التهامي الحمادي المكناسي، ثم عبد الهادي بن عبد النبي بن المجذوب الفاسي وغيرهم، منهم الفقيه السيد ادريس بن الطيب بن اليمني بوعشرين، وأرخها في 11 شوال عام 1296.

وبقي مولاي مسعود المذكور بالمدينة الى أن تنقل الى مكة فتوفي بها في شعبان عام أحد عشر وثلاثمئة وألف، وكان أخذ بمراكش عن الشريف سيدي مولاي محمد العلوي الصفريوي الساكن بقصيبة النحاس، وعن المنتسب السيد الحاج الهاشمي بن عبد الله الدرقاوي الذي كان يسكن بدرب بونوار بتشنباشت من مراكش.

ومن أولاد المترجم السيد أحمد، والسيد صالح، والسيد محمد الطاهر، والسيد عرفي، الموجود منهم الآن السيد أحمد بشرق الأردن، والسيد الصالح والسيد محمد الطاهر بمكة، وأولاد سيدي أبي القاسم أكبرهم سيدي محمد علي بجدة، ثم مولاي عبد العزيز القادم لمراكش، ثم مولاي مسعود توفي عن غير عقب، ثم محمد البحري بمكة، ثم ادريس وشقيقه جعفر من زوجه الشريفة غيثة بنت جعفر بن الطيب عم سيدي أبي القاسم.

993) **مسعود بن يوسف بن فتح الله**، الوزير، صاحب القصبة بمراكش، مما خاطبه بها محمد ابن الخطيب السلماني :

أمسعود بن يوسف طير قلبـــي — على شجر الكرام له وقـــــوع
وفي علياك لي كنز اعتقـــــاد — على أمثاله تطوى الضلـــوع
إذا نفس امرىء ولعت بمغنـــى — فما بسوى كمالك لي ولـــوع

وخاطبه بنثر حلاه فيه بقوله : فلْيثق سيدي من المعتد به بموجب **حقه** ، العليم بسبقه ، والقائل بأنه واحد عصره ، وحسنة دهره .

راجع تمامه في ريحانة الكتاب (1) .

994) مسعود الشريف الحسني الرباني المراكشي أخو مولاي ابراهيم **من أجل** تلامذة الشيخ أحمد بن ناصر بعد مولاي ابراهيم ، كان رجلا تقيـاً سخياً يضرب بسخائه المثل ، وظهرت بركته ظهورا عاماً .

انتهى من (الدرة الجليلة) عن والد مؤلفها ، وقد غلط في كونـه أخ مولاي ابراهيم ، بل والده اسمه عبد الرحمان كما ذكرنا أولا .

995) مسعودة بنت أحمد الوزكيتية

مسعودة بنت أحمد بن عبد الله الوزكيتي ، أم السلطان أحمد المنصور ، قال في (المنتقى المقصور) : وبمثل هذه الصفة اتصفت والدته أم المومنين عاملها الله بلطفه ، ففيها من الرحمة والشفقة على عباد الله تعالى ما لا يدخل تحت الحصر ، فكم جهزت من يتامى ، وكم زوجت من أيامي ، وكم بذلت من صدقات ، وكم أجزلت من صلات ، هذا مع ما كانت تنشيه من المساجـد والقناطر ، واصلاح الطرق للبادي والحاضر ، وغير ذلك ، مع ما كانت تنذره من الصيام والهدايا مع كل من قفل الى المشعر الحرام .

وأما طاعته لها فسأذكرها في محلها من الابواب ان شاء الله تعالى .

فمما أمرت ببنائه المسجد الذي أنشأته بباب دكالة مـن مراكش الحمراء المحروسة ، مسجد عظيم تقام به الجمعة ، وحبّست عليه وقفاً عظيماً ،

1) الشعر والنثر مثبتان في **نفاضة الجراب** ص 209

ثم ذكر نص التحبيس وهو مصدر بمدح أهل البيت والمنصور ووالدته بما نصه : الحرة الجليلة ، الحبيبة الحليلة ، الولية العابدة الصالحة الصوامة القوامة ، الكثيرة الأوراد ، المشفقة على العباد، المحافظة على الادعية والاذكار، والسعي في الخيرات وأعمال البر والايثار للأولياء ، الموفقة بفضل الله لأعمال الصالحين الاتقياء ، المتفضلة على نساء أهل زمانها ، المتحدث بنباهة شأنها ، المعروفة بسداد النظر واصابة الرأي ، والحائزة درجات السبق بالمبادرة والسعي في الخيرات وأعمال البر والايثار للأولياء ، الموفقة بفضل الله لاعمال وبلـّغ الله من كل خير أملها وقصدها ، وألهمها التوفيق ، والهداية الى سواء الطريق ، بعزيمة عُلـِم صدقـُها ، ونية رضي عملها ، اذ كانت أدام الله حفظها أوفر الناس رغبة الى التكثير من الخير والفحص على عمل البر والعثور على أسبابه ، وأفعالـُها المستحسنة خرقت المعتاد خرقاً ، وتجوب البلاد غرباً وشرقاً ، وتلك هداية من الله أستأخرت الى زمنها ، وحسنات ادخرها لميزانها، فحبست لوجه الله العظيم ، ورجا ثوابه الجسيم والنعيم المقيم ، جميع حانوت غير نصف الحانوت الواجب لها في نصفها من القيصرية المشتركة بينها وبين مساكين المارستان المخترعة لها وسط سوق الحضرة المراكشية دون البقعة المتصلة بقبلتها ، وجميـع بيت الرحا الجديـدة المخترعة لها علـى وادي تسلطانت القريب من رحى أولاد الأمين محمد بن قاسم القصطالي وأولاد التاجر عبد الله الشجاري المشتمل على أربع مدارات ، مع جميع داره المبينة له وجميع العين الكبرى التي تملكها من ورثة أحمد بن ربوح الكائنة بالمخالص خارج باب تاغزوت ، مع جميع أرضها وجناتها ومائها ما عدا الحظ الواجب لأولاد الولي الصالح سيدي أبي عمرو القسطالي فيها ، جميع منافع ذلك كله وحقوقه الداخلة عليه والخارجة عنه وما عُدّ منه ونُسِب اليه جعلتْه حبساً مؤبدا ووقفا مخلدا يحاز بما تحاز به الاوقاف ويحرم بحرمتها الى أن يرث الله الأرض ومَن عليها ، على جامعها الأعظم السعيد ، المخترع لها الجديد ، بين حومتيْ باب الرخا وباب دكالة من حضرتهم المراكشية الذي هو لكريم جنابها منسوب ، ولعظيم أجرها مجلوب ، أحيت به ذلك المكان الميت ، وألهمها الله قوله : وما رميت اذ رميت ، بالغت في بنائه ، وبلغت الغاية المحكمة في انشائه،

وامدته بالماء لاسباغ الوضوء وارواء الظمآن ، وتصيير الاوقاف المذكورة يصرف خراجها ومستفادها في مصالح الجامع المذكور من مرتب أئمته وفقهائه وحزابيه ومؤذنيه والقائمين بسائر وظائفه . . . ماله واكمال بنائه بحالة ذلك ، وأشهدت به على نفسها حبُساً وضعت به خاتمها المتضمن اسمها ، في أواسط شهر الله الحرام من عام 995 .

ثم قال : وأفعال برها لا تحصَى كثرة ، ولولا خوف الاطالة بهذه العجالة لذكرت شيئاً كثيراً من أمرها .

وكانت وفاتها سحر يوم الثلاثاء السابع والعشرين من المحرم فاتح سنة ألف 1000 .

ومن المستفيض أنها رئيت بعد موتها ، فسئلت ما فعل الله بها ؟ فقالت غفر لي بسبب أني كنت ذات يوم جالسة لقضاء الحاجة فسمعت المؤذن شرع في الاذان فرددت علي ثيابي إعظاماً لذكر الله تعالى حتى فرغ المؤذن من أذانه فشكر الله لي وغفر لي !

996) **المهدي الكحاك (1) المراكشي**، من الكتاب المعتبرين، ذكره الزياني في (الروضة السليمانية) في خلافة سيدي عبد الله ، وقال في (الأزهار الندية) : ومنهم الفقيه الاديب اللبيب الكاتب العامل ، السيد المهدي الحكاك من أولاد الحكاك من فاس الادريسية المستقرين بمكناسة الزيتون ، خدم السلطان مولاي عبد الله بن مولانا اسماعيل إلى أن سار الى سوس ، ثم خدم بعده أخاه السلطان مولاي المستضيء بالله بن مولاي اسماعيل ، ثم اتصل بخليفة العصر أمير المومنين سيدي محمد بن مولاي عبد الله الحسني ، فكان هو صدرهم يحسن الانشاء في الترسيل ، ويجتنب الفضول والتوغل في التصريف ، ولا يتكلم إلا فيما يؤمر به ، مشتغلا بما يعنيه ، يطلب من الرزق ما يكفيه ، ولا يطمع في أحد سوى السلطان ، عالي الهمة ، متعفف ، ثقة كتاب العصر ، يحب الخمول ، هذا دأبه الى أن توفي بمكناس في العشرة الثامنة بعد مئة وألف ، رحمه الله تعالى .

---

1) في الأصل الحكاك ، ولا وجود لهذه الأسرة بفاس ، **والكحاك** في الأصل صانع الكعك لغة في الكعك

997) مهدي بن محمد ابن ابراهيم الاندلسي المراكشي ، شارح حزب الجزولي المعروف بسبحان الدائم في ثمانية كراريس بالقالب الصغير ، فرغ من تبييضه عند عشية يوم الثلاثاء سابع ربيع النبوي عام 1241 انتهى ، وقد طبع هذا الشرح بتونس ، ونسب لوالد المترجم المتقدم ذكر ذلك في ترجمته في المحمدين .

998) المهدي بن أحمد الشرادي

المهدي بن محمد بن أحمد الشرادي ، ذكر في (الشجرة الزكية) ما نصه : حدثني شيخنا وقدوتنا الشريف العلامة الفقيه الدراكة الفهامة ، سيدي مولاي محمد بن الطاهر العلوي أنه لما أراد الله إنفاذ وعيده في المهدي الشرادي وأهله أرسله هذا الامام — يعني مولاي عبد الرحمان — ليشهد على المهدي في زاويته ، فنصحه فلم يقبل نصحه ، فلما رجع من عنده أخبر بما هو عليه ، فحينئذ مزقهم كل ممزق ، ثم حلم بعد القدرة وأحسن اليهم وجمعهم بعد تشتيتهم انتهى .

نشأ المترجم في دولة السلطان المولى سليمان رحمه الله واتخذ شيئاً من كتب العلم من غير أن يكون له فيه يد تعتبر ، ثم تظاهر بمعرفة السيميا والحدثان فازداد ناموسه وتمكن من جهلة قومه ، وربما نما شيء من أمره الى السلطان فتغافل عنه ، ثم لما قدم السلطان رحمه الله الى مراكش هذه المرة وجد أمره زاد واستفحل ، وكان الشراردة يومئذ قد حسُنت حالهم ، فأثروا وكثروا ، وكان السلطان قد ولـّى عليهم رجلا منهم اسمه قاسم الشرادي ، فحدث بينه وبين المهدي ما يحدث بين المرابطين وأرباب الولاية ، وكان ربما التجأ جانٍ الى زاوية المهدي فيقبض عليه القائد ويخرجه منها ، فاستحكمت العداوة بين القائد وبين المهدي ، ثم جرى شنآن بين المهدي وبين بعض قرابته ، ففر ذلك القريب الى مراكش وكان القائد قاسم بها ، فشكا اليه عمه المهدي فاغتنمها القائد ودخل على السلطان فشرح له حال المهدي وما هو عليه من التهور والسمو بنفسه الى المحل الذي لا يبلغه ، وأنه لا يستقيم أمر المخزن بتلك القبيلة معه ، ولم يزل به حتى أعطاه السلطان مئتين من

الخيل أغار بها على الزاوية فانتهبوها على حين غفلة من أهلها وجلهم غائب في أعماله ، فتسامعوا بأن الخيل قد عاثت في ديارهم ، وجاؤوا على الصعب والذلول وأوقعوا بخيل المخزن واستلبوهم من خيلهم وسلاحهم وعادوا الى مراكش راجلين ، فعظم ذلك على السلطان واغتاظ، واتفق أن كان مع السلطان عامل مراكش عمر ابن أبي ستة وعامل الرحامنة القائد قاسم الرحماني وكلاهما عدو للشراردة لا سيما الرحماني ، فشنّعوا في ذلك بمحضر السلطان وأسدوا وألحموا في غزو الشراردة وتأديبهم حتى لا يعودوا لمثلها ، وفي أثناء ذلك ندم الشراردة على ما كان منهم وبعثوا الى السلطان بالشفاعات وذبحوا عليه وعلى صلحاء مراكش ، فلم يقبلْ منهم ، ويقال أن ذلك لم يكن يبلغ السلطان ، لأن النقض والابرام انما كان لعمر ابن أبي ستة وقاسم الرحماني ، وكان للسلطان رحمه الله كالمغلوب على أمره معهما ، ولم يزالوا به حتى بعث الى قبائل الحوز يستنفرهم لغزو الشراردة فاجتمعوا عليه ، وكان معه جيش الوداية وكبارهم مثل الطاهر بن مسعود الحساني والحاج محمد بن الطاهر وغيرهما ومعه القائد محمد بن العامري في بني حسن وغيرهم من قبائل الغرب .

ولما أجمع السلطان الخروج اليهم قدم أمامه قاسماً الرحماني،اذ كان قد تكفل له بأن يكفيه أمر الشراردة وحده، فكان متسرعاً اليهم قبل كل أحد، فرابط بعين دادة ثمانية عشر يوماً والوسائط تتردد بين السلطان وبين الشراردة ، وكادت كلمتهم تختلف ، إذ قام فيهم رجل مرابط اسمه الحبيب من أولاد سيدي أحمد الزاوية ، وبعث نحو الاربعين من الشراردة الى السلطان سعياً في الصلح فأشار الرحماني وابن أبي ستة فيما قيل على السلطان بالقبض عليهم، فقبض عليهم وحيزت خيلهم وسلاحهم، فشرى الداء وأعوز الرأي، ثم زحف السلطان وانتشب الحرب أول النهار ، ولما اشتد الحر وكان الزمان مصيف تحاجزوا ، ثم عاد قاسم الرحماني فانتشب الحرب مع العشي فكانت الدبرة عليه ، وقتل وحمل رأسه على رمح ، وانهزم جيش المخزن ووقع الفشل في المحلة ، فتفرقت القبائل وباتوا يرحلون لا يولون على شيء ، ولما طلع النهار لم يبق مع السلطان الا جيش المخزن ، فزحف الشراردة الى المحلة ورأوا السلطان قد بقي في قلة ، فطمعوا فيه وأنشبوا الحرب، فانهزم الجيش الذي كان مع السلطان وتركوا

المحلة بما فيها ، فتوزعتها الشراردة شذر مذر ، وانحاز السلطان في حاشيته وقصد مراكش ، فلقيتهم في طريقهم ساقية ماء حبستهم عن المرور ، وخالط الشراردة القوم الذين كانوا مع السلطان وجعلوا يسلبون مَن ظفروا به منهم ، وتراكم المنهزمة على السلطان ولجأوا اليه ، وقتل الشراردة عمر ابن أبي ستة خلف ظهره .

ولمـا رأى السلطان رحمه الله ذلـك نادى في الناس أن لا يقتـل أحد نفسه عليّ ولا على هذه الاسلاب ، أعطوهم منها ما شاؤوا ، واجتمع نحو العشرين من كبار الشراردة وتقدموا الى السلطان فقالوا يامولانا تحيز الينا ليلا تصيبك العامة، فانحاز اليهم وكان راكباً على بغلته، فالتفوا عليه وساروا به الى زاويتهم ، وأنزلوه بالدار المعروفة عندهم بدار الموسم ، واحترموه وغدوا وراحوا في خدمته ، وكان معه وصيفه فرجي صبياً صغيراً ، وهو الذي ولي امارة فاس الجديد في دولة السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام ، وكان معه أيضاً عبد الخالق ابن كيران شاباً كما بقل عذاره ، وبقي عندهم ثلاثة أيام ، وحضرت الجمعة فصلاها عندهم وخطبوا به ، ومن الغد ركبوا وصحبوه الى مراكش الى أن وصل الى عين أبي عكاز فودعوه ورجعوا ، ومما قال لهم عند الوداع : ان الذين أرادوا أن يفتحوا باب الفتنة على الناس قد سدّ الله أبوابها برؤوسهم ، يعني الرحامنة ، وبعد وصول السلطان لمراكش بيوم أو نحوه عدا الرحامنة على محمد بن أبي ستة فقتلوه بسبب أن الشراردة كانوا قد أسروه ثم استحيوه واتخذوا عنده عهداً ويداً بأنه اذا أفضت اليه ولاية مراكش بعد أخيه عمر المقتول يحسن في أدارة أمرهم عند السلطان ، فسمع الرحامنة بذلك فقتلوه .

قال صاحب (الجيش) : لما عـزم السلطان على الخروج لزاويـة الشرادي بعثني قبـل ذلك بثلاث الى السوس فـي شأن ابن أخيه المـولى بناصر بن عبد الرحمان وكان عاملا عليها ، فكثرت الشكايات به الى السلطان، فبعثني في شأنه ، قال : فلما جئت رودانة تربصت قليلا فلم يفجأنا إلا خبر الهزيمة على السلطان بالروايات المختلفة ، فقائل يقول انه قد قتل ، وآخر

يقول انه مات حتف أنفه ، وآخر يقول لا بأس عليه ، ثم ورد علينا كتابان من عند السلطان أحدهما بخط الكاتب مطبوعا ، والآخر بخط يده تحقيقاً لسلامته يقول فيه : ان هذه الحركة ما وقعت الا لهلاك الظلمة والملبسين علينا المظهرين المحبة لنا ، وهم في الباطن أعدا الأعادي مثل قاسم الرحماني وفلان وفلان ، وأما أولاد أبي ستة فقد قتل زرارة عمر على رائحة الرحامنة وقتل الرحامنة محمداً على رائحة أهل السوس ، والشريف سيدي محمد بن عبد الجليل الوزاني أصابته رصاصة رعاية رحمة الله عليه ، والحاصل هان علينا كسر الخابية بموت الفار وقد أحسنت في التربص فاترك الأمر على طيته ، واصحب معك أشياخ السوس ، وعِدْهُم منا بالاحسان ومساعدتهم على ما يطلبونه منا والسلام .

ولما دخل السلطان مراكش راجع القوم الذين انهزموا عنه بصائرهم وأقبلوا اليه خاضعين تائبين ، وعلى أبوابه في العفو راغبين ، فما وسعه إلا الاعراض عن أفعالهم الذميمة ، وطاعتهم السقيمة ، ولا حول ولا قوة الا بالله (1) .

فتح زاوية الشرادي والسبب الداعي الى غزوها

قد قدمنا ما كان من أمر المهدي بن محمد الشرادي الزراري مع السلطان مولاي سليمان رحمه الله بما فيه كفاية ، ثم لما بويع السلطان مولاي عبد الرحمان بايع المهدي في جملة الناس ، ولما قدم السلطان مراكش قدمتَه الأولى لقيه الشراردة في خمسمئة فارس بمشرع ابن حمي مؤدين الطاعة ، ففرح السلطان بهم وأكرم وفادتهم ، ولما عزموا على الرجوع كان في جملة ما قال لهم السلطان رحمه الله : إن ما فات قد مات ، وما نهب في أيام الفتنة فهو هدر ، ومن الآن مَن فعل شيئاً يخاف على نفسه ، فرجع الشراردة الى بلادهم، وعيَّد السلطان بمراكش عيد المولد ، فحضرت الوفود وحضر الشراردة في جملتهم ، وساقوا للسلطان خمسة عشر جملا من الكتان وخمسة أحمال من

1) ما تقدم منقول من **الاستقصا** 8 : 160 طبع الدار البيضاء

الملف وأربعة آلاف مثقال عيناً مما كانوا نهبوه من صاكة الصويرة قبيل وفاة السلطان المولى سليمان رحمه الله حسبما أشرنا اليه قبل ، فكان من تمام إحسان السلطان اليهم وتأليفه اياهم أن قال لهم افرضوا لي مئتي فارس منكم تذهب الى درعة ، وهذا الكتان والملف هو كسوتهم والمال صائرهم ، ففعلوا ، وكساهم السلطان وأنعم عليهم ، ثم لما ولى أخاه المولى المأمون على مراكش مرضوا في طاعته ، ودعا المهديَ تهورُه الى أن شكاه الى السلطان وهو بمكناسة يومئذ ويعتد عليه بانه يأخذ منهم الزكوات والأعشار على غير وجهها الشرعي ، وأنه ولّى عليهم أربعة عمال أو خمسة عوضاً عامل واحد كان يتولى عليهم ، فأغضى السلطان عن ذلك ، وبالغ في إلانة القول له في كتابه ، ووعده بأنه اذا وصل الى مراكش يشكيه من أخيه ، وفي أثناء ذلك أو قبل وصول كتاب السلطان اليه أغرى اخوانه بالخروج عن طاعة السلطان ، والاشتغال بما يسخط الله ويرضى الشيطان، فانبثّت خيولهم في الطرقات ومخروها مخراً (1) وانتسفوها نسفاً ، وعمدوا الى قوادهم الذين ولاهم المولى المأمون عليهم فقبضوا عليهم وأودعوهم في السجن وانتهبوا دورهم ، ووصل المسافرون والتجار الى باب السلطان مجردين عراة يشكون ما دهمهم من أمر الشراردة وتكاثر عليه شذاذهم ، فحينئذ استأنف السلطان جده ، وأرهف حده ، وكتب الى أخيه المولى المأمون باستنفار قبائل الحوز وجمعها عليه حتى يقدم عليه، وسار السلطان في جيش العبيد والوداية وآيت يدراسن وزمور وعرب بني حسن وبني مالك وسفيان ، وكتب الى الشاوية ودكالة أن تكون خيلهم معدة حين يمرُّ بهم ، وكان المهدي قد عظم ناموسه ، وتمكن من جَهَلَة قومه ، وكاد يتجاوزهم الى غيرهم ، حتى صار يعرض أو يصرح بأنه المهدي المنتظر ، وكان السبب الأقوى في طغيانه وطغيان قومه ما اتفق له في هزيمة السلطان المولى سليمان رحمه الله ، فظنّ المهدي وشراردتُه أن لا غالب له من الله ، ولما برز السلطان رحمه الله من رباط الفتح لقيه ركبُ الحجاج الذين انتهبهم هشتوكة والشياظمة الذين بأحواز أزمور ، وكانت العادة يومئذ بالمغرب أن

---

1) أي فسلبوا من فيها وما فيها سلباً ، **والمخار** في عامية أهل مراكش هو اللص المحتال، وله وجه من اللغة ، يقال مخر البيت أخذ خيار متاعه فذهب به

ركاب الحاج تأتي من آفاق المغرب فتجتمع بفاس ، ومنها يخرج الركب على الهيأة المعهودة في ذلك الزمان ، فلما وصل هؤلاء الحجاج من أهل السوس وغيرهم الى الشياظمة انتهبوهم وجردوهم من المخيط والمحيط ، فسمع السلطان رحمه الله شكواهم وامتعض لانتهاك حرمتهم ، وزحف الى هؤلاء المفسدين فأوقع بهم وقعة شنعاء بالموضوع المعروف بفرقالة من أعمال أزمور حتى كانوا يلقون أنفسهم في البحر طلباً للنجاة بعد أن أثروا في المحلة أول النهار ، ثم كانت الكرة عليهم ، وحكم السلطان السيف في رقابهم ، وامتلأت أيدي العسكر من آثاتهم وماشيتهم ، وكانت هذه الوقعة طليعة الفتح ومقدمة الظفر ، ثم عبر الى أزمور ، ومنها الى الجديدة ، ثم سار مع الساحل حتى وصل الى آسفي ، فزار الشيخ أبا محمد صالح رضي الله عنه ، وعطف الى الزاوية الشرادية فبغتها ، وطلعت عليها راياته المنصورة بالله مع الصباح ، ولم يعرج على مراكش ، وقبل نزول الجيش وضرب الأخبية أنشب الحربَ معهم، فتقاتلوا وتحاجزوا مع الظهر، وكان الزمان زمان مصيف، ودامت الحرب سبعة أيام ، ونصب عليهم السلطان المدافع والمهاريس العظام ، وفي اليوم الخامس من تلك الايام كان عيدُ المولد الكريم يوم الاربعاء من سنة أربع وأربعين ومئتين وألف ، وأراد السلطان رحمه الله أن يعفي الناس من الحرب ذلك اليوم ، فحمل الشراردة طغيانهم وبغيُهم على أن تقدموا للجيش وأنشبوا الحرب ، فأمر السلطان بالزحف اليهم والنكاية فيهم ، وكان المعلم الأكبر محمد بن عبد الله ملاح السلوي حاضراً في هذه الوقعة ، فتقدم اليه السلطان بالوصاة بالجد والاجتهاد في الرمي ، فرمى عليهم في ذلك اليوم مئتين وثمانين بنبة كلها في وسط الزاوية تتفرقع عند نزولها فتأتي على ما جاورها من جدار وغيره حتى شاهدوا في ذلك اليوم الموت الأحمر ، وكانوا هم أيضا يرمون بالكور والبنب من المدافع والمهاريس التي استولوا عليها في محلة السلطان المولى سليمان ، ثم لما كان عشي الجمعة السابع من أيام الحرب افترقت كلمتهم وعزم المهدي على الفرار، فقال له أصحابه كيف تفرّ وتتركنا؟ وأين ما كنت تعدنا ؟ فقال لهم أما أنتم فالذي أورثكم أسلافكم هو الخدمة مع السلطان فلا تستنكفوا منها ، وأما أنا فالذي عندي وسمعته من آبائي أن الحرب تدوم

على هذه القرية سبعة أيام ، ثم يستولي عليها السلطان الذي يجيء من ناحية البحر ، وهو هذا ، في كلام آخر تكهن لهم فيه ، واعتقد الجهلة صدقه بعد أن أتلفوا عليه نفوسهم وأموالهم ، ومَن يضلل الله فما له من هاد .

ولما جنّ الليل ركب فيما قيل على حمار وركب معه شرذمة من أصحابه نحو العشرين فارساً فشيعوهم الى الموضع المعروف بتيزكي فودعوهم وذهب الى السوس بعد أن سفك الدم الحرام وانتهب المال الحرام وملأ صحيفته من الآثام ، نسأل الله العفو والعافية .

ولما فرّ المهدي عنهم تفرقوا شذر مذر ، وباتوا يتحملون بنسائهم وأولادهم الى منجاتهم ، والذين صعُب عليهم الخروج اجتمعوا وساروا الى القواد الأربعة فسرحوهم ورغبوا اليهم في الوساطة عند السلطان ، فأصبحوا على أطراف المحلة يستأذنون على المولى المأمون فأذن لهم ، ودخلوا عليه وشفعوا فيمن بقي منهم ، وطلبوا الأمان فأمنهم ، ثم تقدموا الى السلطان فاستأذنوا فأذن لهم ودخلوا وأخبروا بما عقد لهم المولى المأمون من الأمان فأمضاه لهم، ثم أمر السلطان بجمع الشراردة الذين بقوا بالقصبة فجمع له منهم نحو الألفين ، وعاثت الجيوش في بيوتهم وأمتعتهم ، وقيل إن السلطان رحمه الله لم يؤمنهم .

ولما قبض عليهم عزم على تحكيم السيف في رقابهم ، فاستفتى العلماء فيهم فتحاموا الافتاء باراقة الدم حتى أن منهم مَن أفتى ــ وهو الفقيه محمد ابن المرابط المراكشي ــ بأنهم تابوا قبل القدرة عليهم ، فتوقف السلطان رحمه الله عن قتلهم ، وكان وقّافاً عند الحق دائراً مع الشرع حيث دار ، ثم أمر رحمه الله بالاحتياط على عيال المهدي وأولاده ، فاحتيط عليهم فجيء بهم اليه ، وبعثهم الى مكناسة فأنزلوا بدار القائد محمد بن الشاهد البخاري الذي هلك في وقعة أعليل مع السلطان المولى سليمان ، وأمر السلطان بسور القصبة فهدم ابراراً لقَسَمه ، وحيزت المدافع والمهاريس التي كانت منصوبة عليه .

ولما انقضى أمر الحرب وتمّ الفتح هلك المعلم محمد ملاح ، نفطت فيه بنبة فقتلته وقتلت جماعة معه ، فوقف السلطان عليه بنفسه حتى أقبِر وأحسن الى أولاده بعد ذلك .

ورأيت بخط الوزير ابن ادريس في بعض مكاتيبه ما نصه : واعلم أن الله سبحانه قد فتح علينا الزاوية الشرادية ، وأهلك أهلها الظالمين فلم تبق لهم باقية ، وما زالت العساكر مقيمة على هدمها وتخريبها ، وقد قُبض منهم على أكثر من ستمئة رجل ، وربحت الناس بما وجدت فيها من الأثاث والذخائر والأنعام ، كما أن السلطان رحمه الله فرق مساجين الشراردة فسجن بعضهم برباط الفتح وبعضهم بمكناسة وبعضهم بفاس ، ثم بعد مُضِيٍّ نحو سنة سرحهم ونقلهم الى بسيط أزغار (I)، وجمع أخوانهم من القبائل فضمهم اليهم ، وما زالوا موطنين به الى الآن .

وأما المهدي فانه ذهب الى السوس ، وانتهى الى آيت با عمران من ولتيته ، فنزل على مرابطها محمد آعجلي الباعمراني ، واستمرّ عنده ثلاث سنين ، وضاقت عليه الارض بما رحبت ، ثم بعث مَن شفع له عند أمير المومنين ، فقبِل السلطان شفاعته ، وجاء المهدي في قيده الى أن دخل على السلطان بمراكش ، وبكى أمامه وتضرع ، فسامحه السلطان ، ثم بعثه الى مكناسة فاجتمع بأولاده ، وبعد مدة يسيرة ولاه السلطان على إخوانه ، قال كنسوس : عاملهم بالاساءة فعادت محبتهم له عداوة ، وضجوا إلى السلطان منه فعزله ، ثم حجّ المهدي بأذن السلطان ورجع فولاه أيضاً فلم يقبلوه ، ثم سجن ثم سرح ، وتقلبت به الأحوال وتأخرت وفاته الى أوائل شوال من سنة ثلاث وتسعين ومئتين وألف في أول دولة سلطان العصر ، وامام النصر ، أمير المومنين ، المولى الحسن بن محمد رضي الله عنه .

ولما تم فتح الزاوية المذكورة قال شعراء العصر في ذلك ، فمنهم الفقيه الاديب محمد كنسوس قال :

I) حيث مدينة سيدى قاسم اليوم بين فاس والقنيطرة

بشائر لا تحيط بها الشـــــروح ... كأن سميعها فنن مـــــروح
سقى ربع البشير بها غمـــــام ... يباكرها هتون أو يـــــروح
تفديه المحافل وهو يشـــــدو ... فتوح في مضمنها فتــــوح
وتأمل ان تقبله الغوانـــــي ... تذيل له المباسم أو تبيـــح
بشائر كاد يسمعها دفيـــــن ... ويسري في الجماد بهن روح
شفى المولى المؤيد كل صـــدر ... به من قبل وقعتها جـــروح
وأدرك ثار عصبته وأضحـــى ... لعزة قدره شرف صريـــح
لقد حسم الفساد بكل أرض ... فساد به لنا الدين المسيـــح
وزرَّ على زرارة كل خـــزي ... تشق له المجاسد اذ تنـــوح
وقد كانت تصرُّ علـــى ازورار ... وكانت لا ينهنهها قبيـــح
ومَن كانت مراكبه جماحـــاً ... فسحقا حين يصرعه الجُمـــوح
أتيح لهم لحينهم جهـــول ... غويٌّ لا ضلال له جنـــوح
يقودهم الى العصيان ســـراً ... ويظهر أنه البَرُّ النصـــوح
يحدثهم اذا ما حمَّ خطـــب ... حديثاً كان مصدره سطيـــح
هو الدجَّال في سمت وفعـــل ... فمن يدعون مهدياً وقـــوح
فأهلكه الامام فكان عيســـى ... كذا الدجَّال يُهلكه المسيـــح
فصير دار منعتة فـــلاة ... على أطلالها البوم السنيـــح
وفرَّ عن الذمار على حمـــار ... عليل العرض جؤجؤه صحيـــح
فيالؤم الذليل فلا وهيـــن ... فيعذر بالفرار ولا جريـــح
وخير من حياة في هـــوان ... يبوء به الفتى موت مريـــح
أيطمع في النجاة ؟ فلا نجـــاة ... سيدركه الهزبر المستبيـــح
إذا كان السراب له بحـــاراً ... تخوض اليه سهلبة سبـــوح
ستدركه العزائم من إمـــام ... تدك له المعاقل والصـــروح
امام قد أعاد لنا ســـروراً ... وجاد لنا به الزمن الشحيـــح
أعزَّ الله ملك بنى علـــي ... بصولته وتمَّ له الوضـــوح
وجرد من جلالته حسامـــاً ... يزيل به الضلالة أو يزيـــح
وقد كان الخلائق في ظـــلام ... فلاح على الخلائق منه يـــوح

وأصبحت الأباطح باسمـــــــات   وكان على مناظرها كلــــــوح
أعز معود للنصر ســــــاع   الى العلياء مسعاه نجيـــــح
يخاطر في منال العزّ دأبـــــا   برأي كل مدركه رجيـــــح
فرايات السعود عليه نشـــــر   وساحات الفخار لديه جـــــوح

* * *

أبا زيد فأنت لنا مـــــلاذ   وجاهك في المهم لنا فسيـــــح
فقد زانت مآثرك الليالـــــي   ولاح لعدلك الوجه المليـــــح
وهذا الدهر كالطوفان موجـــــاً   وطاعتك السفينُ وأنت نـــــوح
وأنت خليفة الرحمان مَـــــن لا   تؤمنه فمشربه نشـــــوح
كما أن الشبانة حين راغـــــت   وهب لها من الطغيان ريـــــح
عصفت عليهم بالبأس تُزجـــــي   كتائب كالسحاب إذا تلـــــوح
فألقيت الجران على ذراهـــــم   بجيش كلهم بطل مشيـــــح
فجاء العفو منك وهم ثـــــلاث   أسير أو كسير أو ذبيـــــح
وقد قسمت بلادهم بعـــــدل   ودورهم كما قسم الوطيـــــح
وقد نظمت مكايدهم قديمـــــاً   بني سعد وزيدان نصيـــــح
فظنوا آل إسماعيل يرنـــــو   لغير الحزم طرفهم الطمـــــوح
وما علموا بأنكم سيـــــوف   بحدكم نجيعهم سفـــــوح

* * *

أبا زيد إذا تبقى عليهـــــم   بصفح ربما ندم الصفـــــوح
فلا تحلمْ فان الجرح يكـــــوى   طريا بالمحاور أو يقيـــــح
فلا زالت بك الدنيا عروســـــاً   ومجدك من مفارقها يفـــــوح

ومن ذلك قول بعضهم ولعله الفقيه عبد الله الديماني قال :

بشرى تقر بأعين الايمـــــان   كالوصل ينسخ دولة الهجـــــران
جاد الزمان بها على مقداركـــــم   فتقاصرت عنها خطا الأذهـــــان
أين المفر لمَن عتا عن أمركـــــم   أترى البغاة تفوت م العقبـــــان ؟

الأمر أمر الله غير منــــــــــازع … لاح الصباح لمن له عينـــــــان
يامَن يطالب أمرهم بدلائـــــــــل … أتطالب البرهان بالبرهـــــــان ؟
إن كنت تجهل فالحسامُ معلـــــم … بشفي البريء به ويشقَى الجانــي
كم من غويٍّ قد عتا عن أمرهـــــم … كزرارة فمضى إلى الخســــــران
أين المفر لكل مَن شق العصــــا … يوم الكفاح اذا التقى الجمعـــان
لم يمنع الأعداء منهم معقـــــــل … لو أنهم صعدوا إلى كيـــــــوان
لكنهم باءوا بأخسر صفقـــــــة … فكأنهم غصبوا أبا غبشـــــان
جيش تسدُّ وفوده مسرى الصبـا … وتهدُّ وطأته ذرى ثهـــــــلان

* * *

يامالكاً ملأ الوجود محاسنــــــــاً … لا تختفي عن أعين العميـــــان
أجريت بين المعتفين مكارمـــــاً … يسلو الغريب بها عن الأوطـــان
لو قيل للغيث اعترف لم يعترف … إلا بفضل نداكم الهتـــــــان
انسان عين الدهر أنت وإنمــــا … تكميل شكل العين بالانســـان
ذكراك بالأفواه تعذب كاللَّمــــا … وتخفُّ كالبشرى علــــى الآذان
أيقظت جفنَ الحق من إغفائـــه … وأقمت ميلة عطفه الكســـــلان
ألقى لك الزمن العصيُّ زمامـــه … وعنا لطاعة أمرك الثقـــــلان
فالدهر دونك دافع ومدافـــــع … وصروفه لكم من العبـــــــدان
فاذا أشرتم في الزمان لمقصــد … كان القضاء لكم من الأعـــوان
أخلصت للرحمان في طاعاتـــه … فلذا دعيت بعابد الرحمــــان
ألقيت رحلي في ذراك مخيمـــاً … فجريت في الآمال طوع عنــان
وتركت أوطاني وجئت وانمــــا … من فرط حبك غبت عن أوطانـــي
ياليت قومي يعلمون بأننـــــي … من جودكم أردُ الفرات الثانـــي
لا زلتم في أسعد مبسوطـــــة … مقبوضة عنها يد الحدثـــان (1)

(1) ما تقدم منقول من **الاستقصا** 9 : 17 طبع الدار البيضاء

999) **المهدي بن الطالب ابن سودة المُري** ، تقدم ذكر تمام نسبه في ترجمة أخيه أحمد (1) والكلام على أوليتهم في ترجمة جده القادم (2) ، أما المترجم فهو الامام الماهر ، العلامة الباهر ، الطود الأمجد ، والهمام الأصعد ، حامل لواء التحقيق ، وسالك سبيل التدقيق ، قاضي مكناسة الزيتون ونواحيها ، الحاج الأبر .

ولد حمه الله سنة عشرين ومئتين وألف (1220) ، وكان فقيهاً محدثاً أصوليا بيانياً منطقياً نحويا مشاركاً ، درس فأفاد ، ونفع العباد ، وكان بديعَ الدقائق والفهومات ، غريب الأبحاث والاشكالات ، مع اتساعه في العلم وتجرده، والغوص على نفائسه وإشارته وتدبره ، وألف تآليف عديدة منها حواش على مختصر السعد ، وأخرى على المحلى على جمع الجوامع ، وأخرى على شرح السلم للعلامة بناني ، وأخرى على الخرشي ، وتقاييد كثيرة في أوضاع مختلفة ، وكان أخذه بفاس عن سيدي عبد السلام الأزمي ، وسيدي علي بن إدريس قصارة ، قرأ عليه النحو والحساب والعَروض ، وسيدي بدر الدين الحمومي ، وشيخ الجماعة سيدي محمد بن عبد الرحمان الفيلالي وغيرهم ، وارتحل للحج في ثامن ربيع النبوي عام تسعة وستين ومئتين وألف 1269 فحجّ وزار ، ولقي هناك جماعة من الفضلاء والأخيار ، ودرس بمصر والحرمين، وأقرّ له بالفضل والتقديم دون مبين ، ووقع له هناك ظهور كبير ، أخبر به الجم الغفير ، وفي أوائل صفر الخير عام اثنين وسبعين 1272 ولي قضاء مكناسة الزيتون ، وبقي والياً بها الى وفاته ، وكان يقرأ البخاري في الأشهر الثلاثة مع السلطان مولانا عبد الرحمان ، ثم مع ولده السلطان سيدي محمد ، ثم ولده السلطان مولانا الحسن ، إلى أن توفي بفاس عشية الخميس رابع رمضان وصلى عليه من الغد بعد صلاة العصر بجامع القرويين سنة أربع وتسعين ومئتين وألف 1294 ودفن برحبة الزبيب بمحل اتخذ له زاوية بين مسجد العقبة الزرقاء المعلق الأسفل والمكتب الكائن أسفل منه (3) .

---

1) انظر 2 : 455 ع 315 من هذا الكتاب

2) انظر 4 : 364 ع 597 من هذا الكتاب

3) الترجمة منقولة بالحرف من **سلوة الأنفاس** 1 : 303

1000) المهدي بن محمد العمراني

المهدي بن محمد بن عبد الرحمان العمراني المراكشي الدرقاوي طريقة ، أخذ عن سيدي محمد بن العربي المدغري ، ورأيته حلاه في رسائله مع أخيه في الله سيدي مَحمد بن علي التدغي بما نصه : واعلموا إخواني أنني قد واخيت يمن البركتين الكبيرتين ، الواضحتين الشهيرتين ، الوليين لله تعالى ، والدالَّيْن عليه جل وعلا ، المقدميْن المعظميْن ، سيدي محمد بن علي والشريف سيدنا ومولانا المهدي بن محمد بن عبد الرحمان ، أخوة لا افتراق بعدها ، وألفة لا خلف معها ، فكلاهما مقدم الآخر ووزيره ، يتعاونان على عبودية الله تعالى ثم عبودية إخواننا في الله ، ساداتنا وموالينا الفقراء ، اذ الذينْ ما قام إلا بمعاونة ، انتهى .

وتاريخ هذه الرسالة 4 محرم عام 1284 وقد تقدمتْ في ترجمة سيدي محمد المدغري (1) رضي الله عنه .

كان المترجم رحمه الله عالماً عارفاً من أهل الكشف ، وله أتباع في البادية وغيرها .

توفي قبل شيخه المذكور في عام ثمانية وثلاثمئة وألف 1308 ودفن بزاويته بروض الزيتون (من مراكش) .

1001) المهدي بن رشيد العراقي ، العلامة القاضي من أعيان الاعيان ، أهل النباهة والشأن ، له دراية وإدراك تام في المسائل الشرعية ومطالعة الرسوم ، يميز بين الصحيح منها والسقيم ، والمنطوق والمفهوم ، أما الوثائق ففاق فيها الأقران ، ولي قضاء الدار البيضاء ، ثم أعفي ورجع لفاس فتوفي في رمضان عام 1333 .

دخل مراكش ، وراجع 245 من (الدرر البهية) .

---

1) انظر ص 85 من هذا الجزء

1002) موسى بن عبد الله الأغماتي

موسى بن عبد الله بن ابراهيم بن محمد بن ابراهيم بن سنان بن عطاء بن عبد العزيز بن عطية بن ياسين بن عبد الوهاب بن مختار بن عاصم القحطاني المغربي الأغماتي ، أبو هارون ، وأغمات آخر مدينة بالمغرب بينها وبين بحر الظلمات مسيرة ثلاثة أيام ، رحل موسى من بلاده الى ديار مصر والحجاز والعراق والجبال وخراسان ، إلى أن ورد بلاد ما وراء النهر .

قال ابن السمعاني : وكان إماماً فاضلا مناظراً ، أقام بنيسابور مدة ، تفقه على أبي نصر القشيري ، وذكره عمر السمرقندي في كتابه (القند) وقال قدم علينا سنة ست عشرة وخمسمئة 516 وهو شاب فاضل فقيه مناظر ، بليغ شاعر محدث محاضر ، وذكر أنه قال فيه هذا :

لقد طلع الشمس من غربنــــا   على خافقيْها وأوساطهــــا
فقلت القيامة قد أقبلــــت   فقد جاء أول أشراطهــــا

ومن شعر موسى هذا :

لعمر الهوى إني وان شطَّت النوى   لذو كبد حرَّى وذو مدمع سكب
فان كنت في أقصى خراسان ثاوياً   فجسميَّ في شرق وقلبيَّ في غرب

انتهى من طبقات ابن السبكي .

وذكره ياقوت في أغمات (1)، وذكره في (معجم الأدباء) خلال ترجمة الحافظ عمر بن محمد النسفي قائلا : ونسف هي نخشب مما وراء النهر ، وصنف كتباً منها كتاب (القند ، في علماء سمرقند) ذكر فيها ، وقال : وموسى بن عبد الله الأغماتي قدم علينا سنة خمسمئة وستة عشر وهو شاب فاضل ، وبقي عندي أياماً وكتب عني الكثير ، ولأجله جمعت كتاباً سميته (عجالة النخشبي ، لضيفه المغربي) وفيه قلت :

1) معجم البلدان 1 : 224

لقد طلع الشمس من غربهـــــا على خافقيها وأوساطهـــــــا
فقلنا القيامة قد أقبلـــــت وقد جاء أول أشراطهـــــــا

وترجم له في (الجواهر المضيئة) في طبقات الحنفية قائلا : موسى بن بن عبد الله بن ابراهيم بن محمد بن سنان بن عطاء بن عبد العزيز بن عطية بن ياسين بن عبد الوهاب بن سحبان بن عاصم القحطاني المغربي ، أبو هارون ، تفقه ببخاري على عبد العزيز بن عمر بن مازه البرهان ، ذكره عمر النسفي في كتاب (القند ، في تاريـخ سمرقند) ، وقال قـدم علينا سنة ست عشـرة وخمسمئة ، رحل من بلاد المغرب الى بلاد المشرق ، وفارق أولاده ، فقيـه فاضل مناظر ، شاعر بليغ محدث محاضر ، ينشر الحديث والفقه والنظـر والكلام ، وبقي عندي أياماً ، وكتب عني الكثير ، ولأجله جمعت كتاباً لقبته (عجالة النخشبي ، لضيفه المغربي) وقلت فيه :

لقد طلع الشمس من غربهـــــا على خافقيها وأوساطهـــــــا

ثم أنشد البيت الثاني ، ثم قال وفيه قلت أيضاً :

سر قرب الشيخ موســــى ؟ كل قلب كان موســـــى
ومحا الهمَّ كما يمـــــــ ـحو شعور الرّأس موســـى !

1003) موسى بن عبد الرحمان ابن أبي تليد

موسى بن عبد الرحمان بن خلف بن موسى ابن أبي تليد ، واسمه خصيب ، بن موسى ، الخولاني الشاطبي ، أحد الجلة من أصحاب أبي عمـر ابن عبد البر ، وأسْمِعَتْهُ منه ثابتة في تصانيفه وغيرها ، وأكثرها بخط طاهر ابن مفوز واليه كانت الرحلة فيها ، شيخ بلده ومفتيه وكبيره مع الأدب الجم والرواية العالية ، وأكثر عنهم ، وله رواية عن أبيه أبي المطرف وابن عمه وغيرهم ، وبيته قديم النباهة ، وكان مفتي بلده مع التوسع في الأدب ، حدث عنه جِلَّة ، منهم القاضي أبو الفضل ابن عياض لقيه سنة منصرفه من حضرة السلطان بمراكش وأشخص لها لمطالبة لزمته ، فسمع منه (التقصي) لأبي عمر ابن عبد البر ، قرأ جميعه عليه وهو حاضر ، وحدثه به عن مؤلفه ، وناوله

كتاب (الصحابة) لأبي عمر عنه ، وكتب إجازته له بخطه بجميع رواياته ، من ذلك جميع تآليف أبي عمر ابن عبد البر رحمه الله ، ثم اجتاز البحر الى بلده فتوفي اثـر ذلك رحمه الله ، وذلك في ربيـع الآخر سنة سبع عشـرة وخمسمئة ، مولده سنة أربع وأربعين (وأربعمئة) ، وسأله أول ما لقيه عـن حاله فقال حالي مع الدهر كما قلت قديماً :

حالي مع الدهر في تصرفـــــه	كطائر ضم رجله شـــــــــرك
فهمُه في خلاص مهجتــــــــه	يروم تخليصها فتشتبـــــــك

وفي طريقه الى مراكش وعند صدره سمـع منه الناس واستجازوه هنالك ، وكتب الى مالك ابن وهيب زمن حبسه بمراكش وكان قـد انقبض عنه ، قال أبو الفضل ابن عياض وأنشدينها لنفسه :

الليالي تسوء ثم تســــــــرْ	فصروف الزمان ما تستقـــرْ
بينما المرء في حلاوة عيـــــش	إذ أتاه على الحلاوة مـــــــرْ
فالكريم المصاب يفزع فيـــــه	لكريم وينفع الحرّ حــــــــرْ

قال ابن الأبار في (المعجم) لو قال في البيت الثاني ، إذ تلا حلوَ ذلك العيش مرْ لكان في النظم أزين وأحسن .

قال في (الغنية) : وحدثنا رحمه الله قال : حدثنا أبو عمر ابن عبد البر ، حدثنا محمد بن خليفة ، حدثنا أبو بكر بن محمد بن الحسين البغدادي ، قال أبو محمد يحيى بن محمد بـن صاعد ، حدثنا محمد ابـن زيد الرفاعي ويعقوب بن ابراهيم الدورقي ، والحسن بن عرفة ، قالوا : حدثنا أبو بكر بن عباس ، قال حدثنا عاصم عن زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود أن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد عليه السلام خير قلـوب العباد فاصطفاه لنفسه ، وبعثه برسالته ، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون عن دينه .

وقال في (المعجم) وجدت اسمه مقيداً واسم ابنه محمد في السامعين من أبي علي وفي أصله بخطه من عوالي ابن خيرون وذلك عند اجتيازه بشاطبة غازياً الى كتندة في في صفر سنة أربع عشرة (وخمسمئة) (1) .

1004) **موسى ابن حماد الصنهاجي** ، من أهل العدوة ، كان فقيهاً حافظاً للرأي ، عالماً بالمسائل والأحكام، مقدماً في معرفتهما، وكان من جلة القضاة في وقته ، وتولى القضاء في حضرة مراكش (2) وغيرها ، وشهر بالفضل والعدل في أحكامه ، وله رواية يسيرة عن محمد بن علي بن محمد الأزدي الطليطلي ، ويوسف بن محمد المعروف بابن النحوي ، وسليمان بن وليد ، وغيرهم ، وأجاز له أبو محمد ابن عتاب ما رواه بخطه .

وتوفي بمراكش وهو يتولى القضاء بها في ذي القعدة من سنة خمسمئة وخمس وثلاثين 535 (3) .

ذكره ابن بشكوال (4) .

1005) **موسى بن عبد المومن بن علي الكومي الموحدي**

موسى (أبو عمران) بن أمير المومنين عبد المومن بن علي الموحدي، كان من أولاده الأدباء النجباء ، استخلفه أخوه يوسف على مراكش فاعتل وغاب ثلاثة أيام ولم يره أحد ، فكتب اليه القاضي أبو يوسف حجاج :

---

1) **معجم أصحاب الصدفي** ص 194 ع 166 **وبغية الملتمس** ص 457 ع 1334 و **الصلة** ص 610 ع 1336

2) كتب بهامش **كتاب الصلة** ما يلي : **كان قبل ولايته بمراكش** قاضياً بغرناطة وقيل عنه ما لا يحل ذكره ، وكتب بذلك عقوده ومشى بها أحد فقهائها وهو القاضي أبو العباس بن عبد الرحمان وجاز البحر في يوم حصر ، فلما قارب البر غرق على مقربة من جبل موسى (سبتة) وخرج أفرغ من فؤاد أم موسى ، فلما علم بذلك أمير مراكش نقله الى قضاء حضرته ، وألحفه بكرامته ومبرته

3) كتب على هامش أصل **الصلة** ما يلي : وكانت وفاته يوم الاثنين 23 من ذى القعدة . ومولده سنة ست وستين وأربعمئة

4) **الصلة** ص 614 ع 1342

يغيب البدر يوماً ثم يبـــــــدو | وأنت تغيب عن عيني ثلاثــــاً
لئن بلغت ثلاث" لم أراكـــــم | فلست بمدرك يوم الثلاثـــــا

فأجابه السيد أبو عمران بديهة :

أتتنا منكم درر فحلـــــــت | . . . أوجبت منا انبعاثـــــا
ولولا العذر من سبب قـــوي | لسرنا نحوكم حتماً حثاثـــــا
ولاكني أسير بحـــــال ود | إليكم مصبحاً يوم الثلاثـــــا

ذكره في (الأنيس المطرب بروض القرطاس) (1) .

1036) **موسى** (أبـو عمران) **الهسكوري** الأسود مـن أهل الجانب الشرقي من مراكش وبه مات في عام التسعين وخمسمئة ودفن برابطة الغار خارج باب أغمات ، كان عبداً صالحاً ، وكان يمزج ضحكه ببكائه ولا يكـاد ترقأ له دمعة ، وربما يسأل عن كثرة بكائه فيقول انما أبكي على فقد مَن أدركته من الاخوان في الله عز وجل .

لا العذل ينفعه ولا استعبـــاره | لذّ الغرام له ولـــــجّ أواره
فتجنبوا تأنيبه وتعـــــوذوا | من مثل ما هتكت به أستــــاره
لو كان فيه للغرام بقيــــــة | أو للتجمل ما بدت أســـــراره
فحضوره غيب على حكم الهـــوى | فيما يحب وهكذا استحضـــاره

قال في (التشوف) حدثني غير واحد من المريدين قال : ماتت زوج أبي عمران الهسكوري وتركت لـه ولداً رضيعاً اسمه حبيب ، فضاقت بـه أحواله فذهب إلى السوس لزيارة عمر بن هارون ، فشكا اليه بأمر ولده فدعا له عمر ، فنام أبو عمران مع ابنه حبيب فاستيتقظ بالليل وهو يجد البلـل

---

1) **الانيس المطرب بروض القرطاس** ص 203 طبع الرباط
ترجمه المؤلف في حرف العين تحت كنيته أبي عمران

في صدره ، فخاف أن يكون قد بال عليه ولده ، فجعل يمسح صدره ، فبان له أن اللبن في ثدييه ، فصار يرضع ولده من ذلك اللبن الى أن كبر واستغنى عن الرضاع (1) .

1007) **موسى (المعلم) بن اسحاق الوريكي** ، من أهـل مراكش ، وبها مات عام اثنين وتسعين وخمسمئة ، ودفن خارج يمنتان ، صحب أبـا العباس الجباب ، ومحمد بن تميم ، وأبا يعقوب المبتلي ، وأضرابهم ، وكان من أهل الزهو والكبر والركون الى الدنيا ونعيمها ، ثم نزعت به الى الله تعالى همة عالية فزهد في الدنيا ومتاعها .

قال في (التشوف) : لقد رأيته بعد ما تاب محلوقَ الرأس حافيَ الرجلين ، على جسده كساء صوف بال ، وعليه آثار الانكسار والندم ، وما رأيته قط الا ووعظني بحاله وحقَّر الدنيا في عيني ، واذا بتُّ معه في جماعة من المريدين لم ياكل الا آخر الناس بقية الآكلين ، وما رأيته قط ضحك حتى فارق الدنيا ، ولا مرَّ بحجر أو عظم في طريقه الا أماطه ، وما جاءه قط مسكين وعنده مـا يعطيه الا أعطاه ، فـان لم يجدْ عنـده شيئاً يعطيه قام معه الـى السوق يمشي الى الناس ويسألهم له ، وكان يعتب على التشديد على نفسه فلا يقنع إلا بذلك :

دعْ عذله إن كنت من اخوانـه ... يكفيه ما يخفيه من أشجانـه
ان العذول هو الخذول إذا لحـى ... لا تعذلنْه فأنت من إخوانـه
نشرتْ مطاوي سره أنفاسـه ... فبكى وأعرب شانُه عن شأنـه
ياأيها الغادي اجتنبْ بانَ اللوى ... فالأسدُ صرعى اللحظ من غزلانه
إياك إياك العقيق فانمـا ... بلواي بين لوا العقيق وبانـه
واستوقف الحادي وسل أظعانَـه ... ففؤاديَّ المأسور في أظعانـه

---

1) **التشوف** ص 344 ع 175

ترجمه المؤلف فى حرف العين تحت كنيته : أبو عمران

وكان قد دفعت له أربعمئة دينار وقت المجاعة التي كانت عام إحدى وتسعين وخمسمئة ، فتصدق بجميعها على المساكين ، وبقي دون أضحيته ، فأتت امرأة مسكينة الى زوجه وقالت لها عسى أن تكلمي أبا عمران يعطيني من الصدقة التي يفرقها ، فقالت لها زوجه ما عندي بذلك علم ، فلما دخل عليها أبو عمران قالت له كيف فرقت الصدقة على المساكين وأولادك أحوج منهم ؟ فقال لها والله لا أرضى تلك الصدقة للمساكين فكيف أرضاها لأولادي ؟ فمات رحمه الله تعالى ولم يترك قليلا ولا كثيرا ، فرقّ الناس لما كان فيه أولاده من الفاقة والفقر ، فجمعوا له صدقة على قبره فاشتريت لهم دار وأعطوا باقيها ليصلحوا منها شأنهم .

اخبرني بعض المريدين قال أخبرني محمد الغماد وكان من أصحاب أبي عمران قال كنت ليلة في مصلاي وأنا في الذكر إذ سمعت حساً ، فقلت ياهذا من أنت ؟ فقال من مومني الجن ، أتينا من الشام في جماعة لنحضر جنازة أبي عمران المعلم ، فلما أصبحت خرجت وصليت الصبح مع الاستاذ أبي زكرياء يحيى بن حسان المرادي وقلت له سمعت أبا عمران المعلم ، توفي البارحة ، فجلسنا ساعة فجاء ابنه محمد فقال لنا : إن أبي توفي البارحة .

وحدثني علي بن زكرياء قال أخبرني أخي يوسف قال رأيت أبا عمران بعد موته في النوم فقلت له كيف حالك ؟ فقال ، هل جزاء الاحسان الا الاحسان ؟

وحدثني أحمد ابن أبراهيم الأزدي قال : سمعت أبا عمران يقول عقد رجل مع الله عقداً ألا يرى فتات طعام مطروحاً في الارض الا التقطه ، فحضر مع قوم على طعام فسقط فتات فاستحيا من الحاضرين أن يلتقطه ، فخرج ثم إنه رأى أنه قد حلّ العقد الذي كان بينه وبين الله تعالى ، فعاد الى المكان ليلتقطه ، فاذا هو قد انقلب جوهرة ، فاستحيى وخرج ، قلت إنما أخبر والله أعلم عن نفسه ، فانه كان بهذه الصفة ، وما مر قط بطعام في الارض الا رفعه .

ورأيت أنا في النوم الشيخ الصالح يحيى بن أبي بكر الزناتي المعلم بعد وفاته ، فقلت ما فعل الله بك ؟ فقال خيراً ، فقلت له

ما فعل باخواننا في الله تعالى الذين ماتوا ؟ قال كلهم في خير ، ثم ولى عني ذاهباً ، فمشيت في أثره وقلت أسأله عن أبي عمران ، فقلت له ما فُعِل بأبي عمران المعلم ؟ فقال لي ما رأيته ، ولكني سألت عنه فقيل انه مع العارفين (1).

1008) **موسى بن عيسى الدرعي** ، الأسود ، من أهل الجانب الشرقي من مراكش ، وبه مات عام أربعة وتسعين وخمسمئة ، ودفن خارج باب الدباغين ، وكان مسرفاً على نفسه ثم تاب الى الله توبة صادقة ، فجمع القرآن في مدة يسيرة ، وأقبل على الصلاة والصيام والاجتهاد .

قال في (التشوف) : ما رأيته قط ضاحكاً منذ تاب حتى لحق بالله تعالى ، وكنت اذا رأيته ذكرني حاله بالآخرة ، وكان سبب موته أنه حضر مجلس واعظ يوم جمعة فأصابه حال ، فخرج من المسجد الى داره وقد استصحب ذلك الحال ، فسقط في الطريق مغشياً عليه ، فحمل الى منزله فأقام يومين أو ثلاثة فمات رحمه الله تعالى :

هذي الصوافي وذي أعلام نجران ... فاحبس لعليَّ أفضي بعض أشجاني
ولتحبس الركب مقدار السؤال ففي ... سؤال تلك المغاني بعض سلواني
ماذا الهوى الآن مما كنت تعرفه ... قدماً فتزجرني عنه وتنهاني
هذا هوى جاز عن حد الهوى وجرى ... كالموت وجدانه قاضٍ بفقداني (2)

1009) **موسى بن الحاج الركراكي** ، أبو عمران الأسود ، تلميذ خميس ابن أبي زرج ، وكان عبداً صالحاً .

قال في (التشوف) : سمعت بعض المريدين يحدث أن أبا عمران قدم مراكش في جماعة من تلامذته ، فسلم على رجل فقير من أصحابه ، فقال ذلك الرجل لزوجه إنه جاءني ضيف لا يمكنني تركه دون ضيافة ، ولا بدَّ لي من أن أحتال له ، فقالت له زوجته ليس عندنا غير هذا السرير فبعه وأنفقه

1) الترجمة منقولة بالحرف من **التشوف** ص 292 ع 143 وانظر **السعادة الأبدية** 2 : 119

2) الترجمة منقولة بالحرف من **التشوف** ص 301 ع 150 وانظر أيضاً **السعادة الابدية** 1 : 131

عليه ، فلما أظلم الليل أخرج السرير ليلا يراه الجيران فيشعرون بفاقته وفقره ، فباعه بستة عشر درهماً ونصف درهم ، واستدعى الى منزله أبا عمران وأصحابه ، فأنفق عليهم جميع الدراهم ، فخرجوا من عنده فتبعهم يُشيعهم، فلما خرجوا من حضرة مراكش متوجهين إلى رجراجة تأخر أبو عمران عن أصحابه لوداع الرجل وتقدم أصحابه، فبكى الرجل وفاضت عين أبي عمران بالدموع وهدر بصوت كالرعد ، وقال يارب كنت أردت ألا أتكلم بشيء واذا أمرتني الآن بالكلام فاني أتكلم ، باع صاحبنا هذا السرير بستة عشر درهماً ونصف درهم فأنفقها كلها علينا ، اللهم أخلفْ عليه ما انفقه علينا ، فودّعه ورجع الرجل الى البلد ، ففتح الله عليه ذلك اليوم بعينه في مئة دينار ووسع الله عليه (1) .

1010) موسى بن عبد الله ، الأسود ، من أهل الجانب الشرقي من مراكش ، من أصحاب أبي ابراهيم السفاج وأبي عبد الله بن تميم وأضرابهما ، وكان رجلا خيرا من أهل السخاء والايثار .

قال في (التشوف) حدثني محمد بن يحيى بن علي قال : رأيت أبا عمران بعد موته في النوم ، فقلت له من أين أقبلت ؟ فقال : الآن هبطت من السماء الرابعة وصليت هنا مع النبيئين والمرسلين ، فقلت له صدقت (ومَن يطع اللهَ والرسولَ فأولائك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسُن أولائك رفيقا) (2) .

1011) موسى بن محمد ابن جبل الهمداني

موسى بن محمد (3) بن علي بن مروان ابن جبل الهمداني تلمسيني وهراني الأصل حديثاً شلوبانيه قديماً ، سكن مع أبيه مراكش وقتا ، أبو عمران بن مروان ، روى عن أبيه وتفقّه به وبغيره ، واستقضى بمالقة ثم

---

1) الترجمة منقولة من **التشوف** ص 222 ع 92

2) **التشوف** ص 367 ع 188 وانظر أيضاً **السعادة الابدية** 1 : 133

3) تقدمت ترجمة محمد والد موسى المترجم ، انظر 4 : 121 و 476 من هذا الكتاب

بغرناطة ، ولم تطل مدة استقضائه بها حتى أتته المنية في شعبان ثمان وستمئة 608 ، وكان الحفلُ في جنازته عظيما حضرها الوالي بغرناطة فمَن دونه .

1012) **موسى بن يامصل الزمراني** ، النعال ، الأسود ، من أهل أغمات وريكة ، وبها مات عام عشرة وستمئة 610 من أهل الاجتهاد والورع والصيام والقيـــام .

قال في (التشوف) سمعت أبا بكر بن ابراهيم الهزرجي يقول : مات أبو عمران النعال فكنت أتمنَّى أن أراه في النوم ، فأقمت بعد وفاته خمسة أعوام أوستة ، فرأيت بعد ذلك في النوم رجلا من أهلي في حالة سيئة ، فقلت له كيف حالك ؟ فقال لي حال سوء ، فاذا شخصان موكلان بعذابه ، فذهبا به ، فرأيت جماعة من الملائكة فقلت لهم كان لي في الدنيا صاحب يعرف بموسى النعال ، فكيف حاله ؟ فأشاروا الى قصور عالية في الهواء ، فقالوا هو في تلك القصور ، فجعلت أنظر الى تلك القصور الى أن انتبهت من نومي ، فتأسفتُ على أني لم أره ، فأقمت سنة فرأيته في النوم على حالة حسنة ، وعليه ثياب نفيسة ، فسألته عن حاله ، فقال لي أنا على أحسن حال ، فقلت له وكيف أحوالنا عندكم ؟ فقال الله أعلم ، إن ذلك لا يُدرى الا بعد الموت ، فقلت كنت أعرف في الدنيا أقواماً على أحوال أهل الدين والصلاح وقد ماتوا ، فلم أرهم ولا وصلوا اليه (1) .

1013) **موسى بن عيسى ابن عمران الوردميشي**

موسى بن عيسى بن عمران بن دافل المكناسي ، ثم الوردميشـــي التلمسيني (2) سكن مع أبيه وبعده مراكش ، أبو عمران ابن عمران ، روى عن أبيه ، وحسن بن عبد الله ابن الخراز ، وأبي القاسم القرشي ، وعبد الحق ابن الخراط ، ويحيى ابن ياسين ، وكان من بيت علم وجلالة ، وحسب شهيـــر وأصالة ، ذا حظ من العلم ، عظيم الوقار والتؤدة ، سري الهمة ، موسراً نفَّاعا بجاهه وماله ، حظيةً عند الملوك والأمراء ، قلده الناصر من بني عبد المومن

1) الترجمة منقولة من **التشوف** ص 444 ع 253

2) لما تكلم عبد الواحد المراكشي في كتابه **المعجب** (ص 149 طبع سلا) على أبيه قال انه تازى من اهل رباط تازة من أعمال مدينة فاس من قبيلة يقال لها تسول من البربر .

قضاء الجماعة بعد وفاة عبد الله ابن الصيقل ، فاستمرت ولايته القضاء الى وفاة الناصر ، وأقره بعد ابنه المستنصر ، وكان جزلا في أحكامه ، معروف النزاهة مشكور السير ، الى ن توفي بمراكش وهو يتولى قضاء الجماعة سنة ثمان عشرة وستمئة (I) .

واجتمع ابن أبي خالد وأبو الحسن ابـن الفضل الاديب عند أبـي الحجاج ابن مرطير الطبيب بحضرة مراكش ، وجرى ذكر قاضيها حينئـذ موسى ابن عمران بينهم ، وما كان عليه من القصور والبعد عما أتيح له وأوثر به ، فقال أبو الحجاج :

ليس فيه من أبي موسى شبـــــه

فقال أبو الحسن :

فأبوه فضة" وهو شبـــــــــه

فقال ابن أبي خالد :

كم دعاه اذ رءاه عـــــــــــــرة وأباه اذ دعاه يأبـــــــــه (2)

وقال في الذيل والتكملة : موسى بن عيسى بن عمران وأبوه هـو عيسى بن عمران قاضي مراكش ، وسيأتي في حرف العين ، وهو من قضاة يوسف بن عبد المومن كما في القرطاس (3) .

I) لما تكلم عليه عبد الواحد المراكشى فى **المعجب** (ص I94 طبع سلا) قال : واستمرت ولاية أبى عمران هذا الى هذا الوقت وهو سنة 62I لم يبلغنى عزله ولا وفاته ، وذلك غلط بين ، فالرجل توفى قبل ذلك بثلاثة أعوام ، وعبد الواحد المراكشى خرج من المغرب قبل كتابته تاريخه واستقراره ببغداد بعشرة أعوام ، وليس من الحتم ان تكون جميع اخباره تصل اليه . وقد اثنى عليه فى كتابه عاطر الثناء

وينبغى أن ننبه الى أن المؤلف ترجم للقاضى موسى ترجمتين متتابعتين ، احداهما تحت اسم موسى بن عمران ، والثانية تحت اسم موسى بن عيسى بن عمران ، وقد جمعنا الترجمتين فى ترجمة واحدة لأنهما لشخص واحد

2) **نفح الطيب** 4 : 59 طبع بيروت

3) **الأنيس المطرب بروض القرطاس** ص 206 طبع الرباط

1014) موسى بن عيسى ابن المناصف الأزدي

موسى بن عيسى بن محمد بن أصبغ الأزدي مهدوي ، قرطبي الأصل، أبو عمران ابن المناصف ، . . . . أبي عبد الله ، روى عن أخيه محمد (1) . . . بارعاً شاعراً مجيداً مطبوعاً مكثرا ، وقفت على بعض . . . ضخم يحتوي على أزيد من خمسة عشر ألف بيت . . . . . . منها (ملحقة الادب ، في ما اسمك ياأخا العرب) على طريق . . . سيدة ، وابن حريق ، وابن زرقون ، في أراجيزهم . . . . . في أرجوزته الغاية من الاحتفال ، وهي تشتمل على نحو . . . . وقفت عليه بخطه ، ثم أعاد نظمه . . . . من المحتفل في مقدار نصفه . . . . عليه أيضا بخطه ، ومنها أرجوزة في قصة مقتل الحسين رضي الله عنه ، عملها باقتراح الفاضل ابراهيم بن زكرياء الدرعي المالكي الكفيف ، وقدم تقدم له ذكر في رسم أبي أمية ابن عفير ، ورسم عبد الرحمان الفازازي ، وأشار أبو عمران في قريب من آخر أرجوزته الى معنى ما ذكرته من اقتراح ابراهيم المذكور ذلك عليه فقال :

/

وكان داعي نظم هذا المقتـــل ... مرجّزاً في شكله المفضـــل
بعض صحابنا الذين صحبـــوا ... في الله حيا جلّ فيه السبـــب
رغب أن يعمه التنظيـــم ... الصاحـــب . . . . .
المنتمي لدرعة في النســب ... المقتدي بمالك في المذهـــب

وقال بعد هذا بأبيات في عدة هذه الارجوزة :

وحين كملت المراد فكمـــل ... ووفّق الله الى خير العمـــل
انتهت الأبيات منه عـــددا ... مزدوجات ان بلغت الحـــدا
العين في نظامها مرصعـــه ... وان ترد افرادها فأربعـــه

---

1) تقدمت ترجمة محمد **ابن المناصف** هذا أخي المترجم في 4 : 181 ع 541 من هذا الكتاب

وقفت عليها بخطه أيضاً الا يسيرا ضاع من أوله ، وذلك مئتا بيت وستة أبيات مزدوجة لها أربعمئة بيت واثنا عشر مسطورة ، ومنها أرجوزة في قرعة الفال بديعة ، الى غير ذلك من الاراجيز التي أجاز فيها ودلت على اقتداره وتمكن انطباعه .

ومن نظمه في بعض ألوان الخيل ونقلته من خطه :

ويوم تجارت به أربـــــع … من الخيل يالك ما أعجبـــا
أعار لها الجو أثوابـــه … سلكن بهـــا . . . . .
فأهدى الصباح لذا حلـــة … . . . .
وأهدى دجا الليل ثوباً لـــذا … فكان به أدهمـــاً . . .
وورد ذا شفق فاكتسى … بتوريـــده . . . .
. . . الأصيل تبدت بـــذا … فظلّ لشقرته مذهبـــا
وقسَّم فيها هبوب الريـــاح … فما اعترض البرق إلا كبـــا
فهذا شمال وهذا جنـــوب … وهذا دبور وهذا صَبـــا

وفيما يسمَّى من الفرس بأسماء الطير ، ونقلته من خطه أيضا :

بأبي جواد ما جرى في حلبـــة … فتراه إلا مرَّ وهو يطيـــر
قل كيف لا يدع الطيور نواكصاً ؟ … عن شأوه وتحملته طيـــور
فعلا بهامته على عصفـــوره … وسما بديكيْه له التشميـــر
وترى نعامته أكنَّتْ فرخـــه … وذبابه ناء مداه يصيـــر
وتكلف الصردان منه لسانـــه … ولحره في الأذن منه ظهـــور
وحداته قد أشرفت وفراشـــه … وبشعر صلصله تراه يشيـــر
. . . . . . ثم شمامـــة … في الحلق أذا رهن مديـــر ؟
رحبت دجاجته وزان غرابـــه … خرب فليس لحسنهن نظيـــر
والغرُ منه وناهضاه كأنمـــا … للشر يجري بينهنَّ كسيـــر
وترى القطاة علت على خطّافـــة … وترى أديما قد علاه النـــور
وأقل ذلك كله بحوافـــر … صلب أقلَّتْها هناك نســـور
يعدو أجنحتهـــا . . . تمده … فبكتْ شمال خلفه ودبـــور

وفي جغرافيا ونقلته من خطه أيضا :

سافر بلا زاد ولا مركـب — من مطلع الشمس الى المغـرب
وخضْ بحاراً قطُّ ما عربـدت — أمواجها يوماً على مركـب
وجب قفارا ليس تعيا بهـا — في جبَل وعر ولا سبْسَـب
فهذه الدنيا التي سهلـت — سبل المسافات فلم تصعب
. . . . — فابعد بها ان شئت أو فاقـرب
. . . . . . مكان بهـان — فسرْ على الفور الى الأرحـب
. . . . . كذا للفتـى — لم تذهب الأفكار في مذهـب

. . . الرسول ونقلته أيضا من خطه :

. . . . . . طال مهدهـا — وغيَّر منها الرسم تغيير أحـوال
. . . . كرسم الدار بان قطينهـا — ولا شيء أشجى في الديار من الخالي
وجرتْ عليها الرامسات ذيولَهـا — فعفى بها آثارها جرُّ أذيـال
فأنشدت اذ أبصرت تغيير رسمها — (ألا عم صباحاً أيها الطلل البالي)

. . . . ونقلته أيضا من خطه :

وما بالغ في يومه ألف لقمـة — وأكثر أضعافاً اذا هو أطعمـا
وما لقمة الا وتعدل وزنـه — مضاعفة فافهمه فيمَن تفهمـا
اذ امتلأت أحشاؤه قام معجـلا — وخلاَّ برازا كلَّ ما كان لُقمـا

وله في المجبنات :

وسفاحين تحسبهم ملوكـاً — اذا صعدوا منابرهم جلوسـاً
وقد ظفروا بصنعة كيمـاوي — وليس تغيب صنعتها الرئيسـا
أذ ابوا من عجينهم لُجينـاً — فصيَّره اللظى تبراً نفيسـا
وصاغوا للهاة محبَّـنات — تكاد تعيد للموتى النفوسـا
تعود خدودهُنَّ البيض حُمْـرا — كوجنة مَن يعل الخندريسـا
تلوح على أكفهم بـدوراً — وتطلعها طواجنهم شموسـا

كأفلاك ربا نجوم سعـــــــد ؟ — طوالع لا ترى فيها نحيســـــا
كأن شخوصَها اذ قابلتنــــــا — وجوه لا ترى فيها عبوســــا
حشَوْا جبناً بواطنَها وزقــــت — ظواهرها فراق لها لبوســــا
جلوها فضة تزهَى بتبـــــر — مذهبة كما تجلو العروســــا
ترى أيديهم أعناق طيـــــــر — وأنملَها اذا اجتمعت رؤوســـا
وتسمع في حلوق القوم منهـــا — اذا اندرجت بها أبداً حسيســاً
. . . . بان كيســـــــــاً — يفـــــــــرع . . . . . .

وكان من أبرع النّاس خطا في الطريقة المغربية . . . . المجابـي السلطانية ، وفاق في احكامها أهل عصره ، وفيه يقول . . . . ابن غالب وهو من بديع تجنيس القوافي وغريبه . . . . . صاحبها أبي القاسم بن عمــران :

أمالكة سمعي حديث المناصـــف — ولا تعدلي فالعدول رأي . . . .
وان جرت رفقاً لا كما جارت النوى — بجهل فان يوضح لك العلم . . .
صفا باشتياقي البرح سمع حديثه — وان كان فيه يستوى علمنا صـف
حديث المنى يلهج بذكر المناصف — فؤادي وان افصحت فابن المناصف

وقد جرى له ذكر في رسم عبد الكريم ابن عمران .

وتوفي في مراكش في رجب سنة سبع وعشرين وستمئة ودفن خارج باب فاس .

1015) **موسى ابن أبي علي الزناتي** ، الزموري المولد والمنشأ ، المراكشي الدار ، الفقيه الصالح المدرس المـُذكر ، شارح الرسالة والمدونـة والمقامات وغيرها ، كتآليفه في المولد ، أخذ عنه أحمد ابن البنا .

توفي بمراكش في العشر الاول من المئة الثامنة ، بل في سنة اثنين مـنهـا .

نقله في النيل عن بعض أصحابه (1) .

وقال في درة الحجال : موسى بن علي الزناتي الزموري المولد والمنشأ ، نزيل مراكش وبها توفي ، الفقيه الصالح المدرس ، توفي في العشرة الأولى من المئة الثامنة (2) .

وقال في طبقات المالكية : الزناتي شارح الرسالة موسى بن أبي علي ، الشيخ الصالح ، شرح الرسالة شرحاً حسناً في جزأين ، وشرح المدونة ، توفي بمراكش سنة اثنين وسبعين وسبعمئة .

وقال في لقط الفرائد لدى ذكر مَن مات سنة ثمان وسبعمئة ما نصه : وأبو عمران الزناتي صاحب الحلل على الرسالة وشارح المدونة والمقامات ، دفن بروض العروس بمراكش (3) .

1016) موسى بن علي بن محمد المصمودي اليونسي ، كبير أولاد يونس من المصامدة ، لما تولى السلطان أبو سعيد بن يعقوب المريني وانقطع عن المصامدة ما كان لهم من أثر الملك والسلطان وانقادوا للدولة رجع بنو مرين الى التولية عليهم من رجالاتهم ودالوا بينهم في ذلك ، واختار السلطان بعد صدر من دولته موسى بن علي بن محمد للولاية على المصامدة وجبايتهم ، فعقد له وأنزله مراكش ، واضطلع بهذه الولاية سنين ، ورسخت فيها قدمه وأورثها أهل بيته ، وصار لهم بها في الدولة مكان انتظموا له في الولاية ، وترشحوا في الوزارة ، ولما هلك موسى عقد السلطان من بعده لأخيه محمد وأجراه على سننه الى أن هلك ، فاستعمل السلطان ابنيه في وجوه خدمته ، وعقد لعامر منهم على قومه .

ذكره ابن خلدون ، وستأتي ترجمة عامر المذكور .

---

1) **نيل الابتهاج** ص 342

2) **درة الحجال** 3 : 8 ع 885 طبع تونس

3) **لقط الفرائد ص** 167 (في كتاب **ألف سنة من الوفيات**)

1017) موسى بن ابراهيم اليرنياني

موسى بن ابراهيم بن عيسى اليرنياني الوزير النبيل الفاضل المشارك ، وزير بن وزير ، ربي في حجر أبي الحسن المريني واختصَّ به في صغره ، ولم يزل يطمح لهذه الخطة ، ويتشوف لتقلد هذه العهدة ، وأبو الحسن يستعمله في وظائفها ، ويشغله في أعمالها ، من غير أن يجري عليه مسماها ، ولا أطلق عليه لفظها وان قلده معناها ، الى أن تقلدها فقام بها قيام مَن ولد فيها وأحاط بمعرفة معانيها ، والرجل شديد اليقظة والنبل ، عارف بالقضاء في المشكلات والفصل ، تخلق بأخلاق أهل السماحة والفضل ، ممتحن بطوارق الزمان وعوارض الامتحان ، ملطوف به في الابتلاء ، محسود من النظراء ، وان كان نخبة من الوزراء ، ولا أدري الآن هل تقلدها ، ووردها موردها ، أو اكتفى بالكفاية والعافية ، التي هي في طلب السلامة النهاية والغاية .

ذكره ابن مرزوق في (المسند الصحيح الحسن) (1) .

1018) موسى بن أبي عنان المريني (السلطان)

موسى بن أبي عنان ابن أبي الحسن المريني ، **أمه** مولودة اسمها تاملالت . **صفته** أسمر مائل الى السواد ، قصير القامة ، جاحظ العينين ، عظيم اللحية تملأ صدره ، قائم الأنف ، واذا تكلم يملأ لسانه فمه فيخرج من بين شتيه ويتحرك فيقبح كلامه .

بويع يوم الخميس الموفى عشرين من شهر ربيع الأول سنة ست وثمانين وسبعمئة 786 ،وقام بأمر دولته وزيره مسعود بن ماساي مستبداً عليه، ولما استقر امره بالحضرة وجه اليه ابن الأحمر أمه وعياله وكانوا عنده ، وهنأه وزيره محمد ابن زمرك بتوشيح يقول في مطلعه :

قد نظم الشمل أتمَّ انتظام ولاحت الاقمار بعد المغيب
وضاحك الروض ثغور الغمام عن مبسم الزهر البرود الشنيب

---

1) **المسند الصحيح الحسن** ص 220 نسخة مرقونة خاصة

الى أن قال في آخره :

مولاي يهنيك وحق الهنـــــا قد نُظم الشمل كنظم السعــــود
قد فزت بالفخر ونيل المنـــى وأنجز السعدُ جميعَ الوعـــود
وقرت العين وزال العنـــــا وكلما مرَّ صنيعٌ يعـــــود

* * *

ولم يزل ملكك حلفَ الـــدوام يحوز في التخليد أوفى نصيـــب
يتلو عليك الدهر بعد الســـلام (نصر من الله وفتح قريـــب)

وزيــره : مسعود بن رحّو بن ماساي ، **كاتبه** محمد بن محمد ابن أبي عمرو التميمي ، ومحمد ابــن سودة المري . **قاضيــه** : محمد بن محمــد المغيلي .

توفي مسموماً يوم الجمعة الثالث من شهر رمضان عام ثمانية وثمانين وسبعمئة 788 وله ثلاث وثلاثون سنة ، فكانت دولته سنتين وأربعة أشهر ، وولي بعده محمد بن أحمد بن أبي سالم ، والملك لله وحده .

ترجمه ابن خلدون (1) وصاحب الجذوة (2) وغيرهما ، وتقدم ذكر محمد ابن سودة (3) ، وسيأتي ذكر المترجم في ترجمة علي بن ذي الوزارتين الخزاعــي .

1019) موسى بن علي المراكشي

موسى بن علي بن عبد الصمد المراكشي ، نزيل مكة ، كان خيراً صالحاً مشاركا في الفقه ، وكان للناس فيه اعتقاد زائد بحيث أنه لما مات حمل عنان أمير مكة جنازته ، وهو والد صاحبنا الحافظ جمال الدين ابـــن

1) **تاريخ ابن خلدون** 7 : 728 — 735
2) **جذوة الاقتباس** ص 343 ع 362 طبع الرباط
وينظر عنه أيضاً **روضة النسرين** ص 36
3) انظر 4 : 364 ع 597 من هذا الكتاب

موسى قاله في (ابناء الغمر) لدى من توفي سنة تسع وثمانين وسبعمئة 789 وذكره في (الضوء اللامع) من أشياخ سيدي أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن عبد الرحمان الحسني الفاسي المكي المالكي المتوفى سنة 819 في الفقه والعربية ، وذكره فيه في ترجمة سيدي محمد بن عبد الرحمان الحطاب قائلا : قرأ فيها يعني مكة القرءان على موسى المراكشي ، وهذا الشيخ تفقه به سيدي محمد بن عبد الرحمان الحسني الفاسي وبأبيه ، وخلفه في تصدره بمسجد البيت الحرام فأجاد وأفاد ، وكان من الفضلاء الاخيار .

توفي في يوم الاثنين ثالث شوال سنة 806 ست وثمانمئة .

والتلميذ المذكور مذكور في المحمدين مع أخيه أبي حامد محمد في (توشيح الديباج) .

وقال في (الشذرات) لدى ترجمة عبد القوي بن محمد بن عبد القوي المالكي البجائي المغربي الأصل والمولد والنشأة ، نزيل مكة المتوفى بها سنة ست عشرة وثمانمئة ، وقال الشيخ تقي الدين الفاسي : قدم ديار مصر في شبيبته ، فأخذ بها عن الشيخ موسى المراكشي وغيره ، قرأ عليه في مكة القراءات محمد بن عبد الرحمان بن الحسن بن محمد الرعيني الاندلسي الأصل الطرابلسي المولد المالكي نزيل مكة ، بالحطاب يعرف هنالك كسلفه ، ويعرف في مكة بالطرابلسي ، ويتميز عن شقيق له أكبر منه اسمه محمد أيضا بالرعيني ، ولد الرعيني المذكور في صفر سنة احدى وستين وثمانمئة وتوفي ليلة السبت ثاني صفر عام 950 عن تسعين سنة .

ذكره في (شذرات الدهب) وأصله في (الضوء اللامع) كما تقدم .

1020) موسى بن عبد الرحمان المراكشي المالقي

موسى بن أبي قاسم عبد الرحمان ابن عبد الله بن محمد بن عيسى المراكشي ، أبو عمران المالقي ، روى بقرطبة عن محمد بن أحمد ابن عياش .

1021) **موسى بن شعيب الرميلي** ، نزيل مراكش ، الشيخ أبو عمران، أخذ عن سيدي أحمد بن موسى ، قال : وردت لزيارته فوجدته ومعه الفقراء يحوضون له هرجانه (1) ويسقونها ، فقلت في نفسي تعب عظيم في نفع قليل ، وان عندنا ببلدنا نخلا نفعه أكثر من هذا ، وما كنا نتعاهده هكذا ، فجلست في ناحية منهم ، فجاءني ابن موسى وعلى عاتقه برنوس ، فسلَّم علي وأخذ بيدي وقال : عونك يامعين ، ثم قال : ترى هؤلاء ؟ والله لقد كتبوا من أهل النار في اللوح المحفوظ وانهم اذا عملوا هذا العمل على يد أحمد كتبوا من أهل الجنة ، وانهم قد كتبوا الآن من أهل الجنة والحمد لله ، لم أقف من أحواله على غير هذا .

انتهى من الصفوة وطبقات الحضيكي (2) .

1022) **موسى بن علي الزحاف** الولي الشهير ، قال في (الصفوة) : كان من الافراد ، وممن سُلِّمت بركته ، وثبتت كرامته ، وكان أصل أمره أنه نشأ وهو زمِن ، وكانت له أخت تحمله على ظهرها الى موضع يتعرض فيه للسؤال ، فاذا جنَّ الليل حملته الى منزله ، فتركته ذات يوم اما ذهلت عنه واما ملَّت من حمله ، فلما عسعس الليل مر عليه جماعة من الناس فظنَّ أنهم من الاحياء ، فتعرض لهم بالسؤال على عادته ، فمروا ولم يلتفتوا له الى أن قام رجل من أخرياتهم وقال له : كيف أعرضتم عن هذا السائل ولم تكترثوا به ؟ فقالوا له حين نبهتنا عليه فأنت أولى مَن يقوم بواجبه ، فيقال إنه تفل في فيه ، وقيل انه اعطاه روحانياً وقال له : هذا يتولَّى أمورك ، وقال : أنا أبو العباس السبتي ، فأصبح أبو عمران وقد خفقت على رأسه رايات الاشتهار ، وظهرت على أسرَّته مخايل الاسرار ، وعاد يحدث بكشوفات ، وأمور مغيبات ، فتطهر كفَلَق الصبح ، وقصده الناس من كل جانب ، وازدحموا على زيارته من كل جهة ، وكراماته شهيرة .

---

1) الهرجان تعريب كلمة اركان بجيم بدوية زيتون برى يوجد فى نواحى الصويرة واقليم سوس والجبال المجاورة له

2) **طبقات الحضيكى** 2 : 137 وفيها الدمجى بدل الرميلى

توفي رحمه الله عشرة السبعين (من القرن الحادي عشر) ودفن داخل باب الدباغ بالباب الشرقي من مراكش (1) .

1023 موسى بن محمد ابن ناصر الدرعي

موسى بن مُحمد بن مَحمد بن مُحمد بن أحمد بن حسين ابن ناصر، والد مؤلف (الدرر المرصعة) ، كان رحمه الله شيخاً فقيرا علامة صالحا ورعاً، ولي أمر الزاوية الناصرية بعد وفاة عمه الشيخ سيدي أحمد ابن ناصر ، وكان ذلك بأذنه واشارته في تلقين الاوراد للفقراء وغير ذلك من أفعال البر . ولما استقلّ موسى بأمر الزاوية زاد فيها أشياء لم تكن في عهد عمه من كتب وجنات وماء وغير ذلك ، قال ولده في (الدرر) : وأما ما يزعمه الحسدة من أنه ليس بوصيٍّ للخليفة ولا أذن له في تلقين الاوراد وانما وصيه سيدي الحسين بن شرحبيل ، وأنه كان يخبر بذلك عن نفسه في آخر عمره فمردود بما سطره سيدي الحسين المذكور بخط يده وشهادته ، وعطف عليه الائمة الاعلام من بعده ، وذلك عقب موت الخليفة ، ثم قال : ولم يزل والدنا مقيماً بالزاوية مجتهدا في اقامة دين الله واحياء سنة رسوله (ص) واخماد البدعة واطعام الطعام للوارد والصادر متحملا لأذى جيرانه وولاة الامر من أهل زمانه، فانه لقي منه شيئاً يجل عن الوصف ، مستمسكا بسيرة عمه .

ثم قال : ولما دخلت سنة أثنتين وأربعين ومئة وألف 1142 سافر الشيخ سيدي موسى الى بلد السوس الاقصى لتفقد ما بها من أحباس الزاوية من زرع وزيت وحديد ونحاس وغير ذلك ، لعدم وصول شيء منه الى الزاوية لاستيلاء بعض الفَجَرة والمقدمين عليها ، فسار حتى انتهى الى زاوية سيدي الحسين بن شرحبيل المعروفة بزاوية الامان ، فلقيه بها وكلمه فيما جاء اليه، وكان المقدم المذكور من أتباعه المنوبين باسمه الزاعمين أنه الوصي بعد الخليفة رضي الله عنه ، فوعده أن يكتب اليه ويأمره برد ما أخذ ، ثم لم تظهر

---

1) صفوة من انتشر ص 151

لذلك ثمـرة ، فعاد سيدي موسى رحمه الله وبقلبـه نار تستعر ، فاجتـاز بمراكش ، ثم بدمنات وبها ابتدأ مرض موته ، ثم مر بتادلة ، ثم عطف الى زاوية الشيخ الموسومة بزاوية الفيض المعروفة عند العامة بتنغالين ، فظهرت به دماميل لم تزل منه كثيرا ، فتوفي في صبيحة يوم الاثنين ثاني ربيع الاول سنة اثنين وأربعين ومئة وألف 1142 ، ثم حمل الى زاوية تامكروت فدفن بها عند رجلي أبيه سيدي محمد الكبيـر ، ورثاه ولده العلامة الاديب البـارع ، سيدي أحمد بن موسى الناصري دفين شفشاون بقصيدة طويلة طنانة يقول في مطلعها :

قف وقفة بين الحما والـــوادي   واذكر زمان الوصل كالاعيـــاد

انظرها في (الدرر) ، ولما توفي تولى بعده ولده سيدي جعفر أمر الزاوية ، وقد تقـدم بعض ترجمة المترجم فـي ترجمة ولده سيدي محمـد المكي (1) وترجمه ولده سيدي محمد في (الروض الزاهر) أيضاً .

1024) موسى ابن أمير المومنين مولاي عبد الله العلوي ، كان رحمه الله من أهل الفضل والدين والخير ، سريّ الهمة شامخ القدر عظيم الجلالة ، مفضالا سخيا ، مبادراً لأفعال الخير ، استوطن مراكش وبها توفي .

ذكره في (الدرر البهية) .

1025) موسى بن أحمد البخاري

موسى بن أحمد (احماد) بن مبارك ، نظام ملك الدولة المحمديـة الحسنية ، وقطب الفرائد العلمية، ومحط رحال الحوائج الأملية، ضاحك الوجه مستبشره في وجوه الغرباء ، شيّد الملك العلوي بتدبير حماطة جلجلانه ، وقلد جيد الملك قلائد عقيانه وعقود جمانه ، ما تسبب لعباد الله الا في الخير ، يواسي العلماء والصلحاء والاشراف العلويين وأراملهم وأشياخهم ، محافظا على الطهارة في كل وقت ، ملازما قراءته جهراً ليلا في الصلاة أو همهمة بأدعيـة

---

1) انظر 6 : 65 ع 750 من هذا الكتاب

يدعو بها ، وكتاب ديوانه غالبهم أهل علـم وأدب ، وهم زهاء الثلاثيـن ، وينفق على الجميع وينزلهم بازائه ويباسطهم مع حفظ المقام ولا يواجههـم بمكروه ، وله قـوة روحانية ، وجوهرة عقل الاهية ، كـان حاجباً للسلطان سيدي محمد ، ثم استقل بمباشرة أمور العمال ، وقصر الوزير على الخارجية، ثم أستوزره السلطان مولاي الحسن الى أن توفي بمراكش في محرم عام 1296 ستة وتسعين ومئتين وألف ودفن بقبة مولاي علي الشريف (1) .

1026) **ميمون الصحراوي** دفين مراكش ، الولي الصالح ، مما يدلك على أن المترجم من أهـل الصلاح والطب الروحاني ما ذكـره اليوسي فـي قصيدته : وبطبٍ ميمون ورفع وساد ، ووقفت على تقييد للامام اليفرني صاحب (الصفوة) قال فيه في التعريف بسيدي ميمون الصحراوي دفين مراكش : هو الولي الصالح أبو عمر سيدي ميمون (2) بن ياسين الصحراوي الصنهاجي اللمتوني ، كان رحمه الله عالماً كبيراً واماما شهيراً ، وحاجاً مبرورا ، أخذ علم الحديث بمكة شرفها الله عن الشيخ سيدي حسن بن علي الطبري (3) وغيره ، كان ملوك لمتونة جاؤوا به لحضرة مراكش ليعلمهم العلم ، فتوفي بها سنة ست وخمسمئة 506 وليس هو من أصحاب سيدي عبد الخالق بن ياسين ، كما زعمه بعض مدعي المعرفة ، لأنه كان قبله بمدة كبيرة ، ويقال انه من أشياخ القاضي عياض رحمه الله (4) .

---

1) له ترجمة فى **اتحاف اعلام الناس** 4 : 370 وأخرى فى **فواصل الجمان** ص 75

2) هذا غلط ، ميمون الصحراوى غير ميمون اللمتونى الآتية ترجمته

3) هذا خطأ الذى اخذ بمكة عن الطبرى هو ميمون بن ياسين اللمتونى الآتية ترجمته

4) ترجم المؤلف لميمون الصحراوى دفين مراكش المتوفى بها سنة 506 ولميمون بن ياسين اللمتونى الصنهاجى دفين اشبيلية المتوفى بها سنة 530 وخلط بينها متوهما أنهما شخص واحد ، والذى أوقعه فى هذا الغلط هو ما وجد فى تقييد محمد الصغير اليفرنى الذى حسب الأول هو الثانى ، فجعله يرحل الى مكة ويسمع بها صحيح مسلم من الطبرى ، ونحن نرى أن ميمون الصحراوى غير ميمون اللمتونى وأن الأول من نوع المترجمين فى (التشوف) ، والثانى من نوع المترجمين فى (التكملة) و (الذيل والتكملة) ، وغيرهما ، وابن الأبار وابن عبد الملك ثقتان متثبتان لا يعدل عنهما ، فلهذا تركنا ما فى ترجمة ميمون الصحراوى على عواهنه باستثناء بعض جمل حذفناها من آخره لها ارتباط بالخلط الذى وقع فيه المؤلف ، وأثبتنا ترجمة ميمون بن ياسين اللمتونى كما نقلها المؤلف من (الذيل والتكملة) ، مضيفين اليها ترجمته من (التكملة) التى أحال المؤلف عليها فى آخر ترجمة ميمون الصحراوى ولم ينسخها

1027) ميمون بن ياسين اللمتوني الصنهاجي

ميمون بن ياسين الصنهاجي اللمتوني ، سكن المرية ، وأصله من صحراء المغرب ، يكنى أبا عمر .

عني بالرواية وسماع العلم ، وكانت له رحلة حجّ فيها وسمع بمكة من أبي عبد الله الطبري صحيح مسلم في سنة 497 ، وسمع بها أيضا من أبي مكتوم بن أبي ذر الهروي صحيح البخاري في أصل أبيه أبي ذر ، وابتاعه منه بمال جليل ، وهو الذى أوصله الى المغرب .

وقال أبو الطاهر السِّلفي في كتاب (الوجيز ،في ذكر المُجاز والمُجيز) ــ وذكر أبا مكتوم عيسى بن أبي ذر الهروي في شيوخه ــ وقال : كان ميمون بن ياسين من أمراء المرابطين رغب في السماع منه بمكة ، واستقدمه من سراة بني شبابة وبها كان سكناه وسكنى أبيه أبي ذر من قبل ، فاشترى منه صحيح البخاري أصل أبيه الذى سمع فيه على أبي اسحاق المستملي وغيره ، بجملة كبيرة ، وسمعه عليه في عدة أشهر قيل وصول الحجيج ، انتهى كلامه .

ثم قفل ميمون هذا وحدث بالأندلس ، فسمع منه الناس باشبيلية وغيرها ، وممن حدث عنه ، أبو اسحاق ابن حبيش ، وأبو القاسم ابن بشكوال، وأبو اسحاق ابن فرقد ، وأبو بكر ابن خير ، وأبو الحسن عبد الرحمان بن محمد مسلمة ، وأبو الحسن مفرج ابن سعادة ، وغيرهم .

وكان رجلا صالحاً معتنياً بالآثار ، مقتنيا للأصول ، وصحب مالك ابن وهيب .

وتوفي باشبيلية في ذي القعدة سنة 530 .

بعضه عن القنطري (1) .

---

1) **التكملة** ص 718 ع 1823

وقال ابن عبد الملك في (الذيل والتكملة) :

ميمون بن ياسين الصنهاجي اللمتوني حليف بني محمد . . . . . احدى قبائل لمتونة ، مراكشي ، سكن المرية قديماً ثم اشبيلية باخرة . . . . وحج وأخذ بمكة شرفها الله عن أبي عبد الله . . . . الطبري ، ومما أخذ عنه صحيح مسلم بقراءه محمد بن هبة الله . . . . الدمشقي في مجالس بتاريخ ثلاث بقين من شوال سبع وتسعين وأربعمئة . . . . عدة ورقها مئة ورقة وثلاث وسبعون ورقة . . . . منها خمسون سطرا بخط المتقن البارع مالك . . . . أحمد ابن وهيب ، وباقتراح أبي عمر المذكور نسخها كذلك . . . . وانها من أغرب ما رأيت . . . وممن سمع بهذه القراءة عبد الملك بن عبد الجبار بن ذي القرنين الاندلسي . . . . . نسخة أخرى مشرقية الخط من صحيح مسلم مجزأة تسع وعشرين جزءاً تجمعها ستة مجلدات ، سمع فيها أيضا على الطبري وقفت عليها ، وروى هنالك أيضا عن محمد بن أحمد الاندلسي المجاور مكة شرفها الله وابتاع منه أصل أبيه بخطه من صحيح النجاري الذي سمع فيه على شيوخه . . . . وسمعه عليه في أشهر عدة ، وقد وقفت على أسفار ثلاثة منه وهو تجزئة سبعة أسفار ، ثم قفل الى المغرب وأسمع الحديث بمراكش وتاسقيموت وغيرهما ، روى عنه أبوه أبو اسحاق ، وأبو جعفر ، وأبو الحجاج ، وأبو حفص ، وأبو زكرياء ، وأبو عبد الله ، وأبو عمران ، وأبو عيسى ، وموسى ، وعلي ، ووكيل ، وأبو اسحاق ابن حبيش ، وابن فرقد ، وأبو بكر حسين بن عبد العزيز الاشبوني ، والمحمدون ابناء الأحمدين ابن سعادة ، وابن صاحب الصلاة ، وابن أصبغ ، وابن خير ، وابن عبد الله . . . ابن يوسف الحاج ، وأبو الحجاج ابن الجذع، وابن مسرور ، وأبا الحسن الادريسان ابن سليمان، وأبو موسى، وسليمان بن خلف بن سليمان ، وعبد الرحمان بن محمد بن مسلمة ، والعليون: ابن أحمد بن عبد الملك ، وابن محمد بن عمران ، وابن نجبة ، وعمر ابن أحمد بن نجبة ، وعيسى بن حبيب ، والمفرجان : ابن سعادة . . . ، وأبو الحسن سليمان ابن أبي زيد ، وعبد الرحمان بن سليمان . .. . . وابا عبد الله ابني الاحمدين القيسي . . . . . ابن يحيى أبن وهيب ، وأبا العباس بن عبد الرحمان ابن

الصقر ، وابن . . . . وابن حكم ، وابن علي الامير منصور بن محمد بـن الحاج . . . . مبارك مولى الزيك ، وأبـو القاسم ابن بشكوال ، وعبيـد الله . . . . . ، وأبا محمد بن أحمد بن موجوال ، وابن ابراهيم اللواتي ، وابن سعود . . . . ، وابـن سهل ، وكـان من رؤساء قومـه . . . . . محـدثاً . . . . صحيح السماع ثقة فيما يرويه فاضـلا موثراً سمحاً بما يملكـه ، حسن اللقاء ، جميل العشرة ، كريم الاخلاق ، وجليل المقدار ، معظماً عند العامة والخاصة .

توفي باشبيلية فيذي القعدة سنة ثلاثين وخمسمئة .

انتهى من (الذيل والتكملة) .

وسياتي ذكر ولده عيسى بن ميمون بن ياسين ، وسياتي ذكر ولده يحيـى .

1028) ميمون ابن جبارة بن خلفون الفِرداوي (1) يكنى أبا تميم ، قال في (التكملة) : دخل الاندلس ، وولي قضاء بلنسية من سنة 568 الى صفر/ سنة احدى وثمانين 581 ثم صرف عن ذلك منقولا إلى قضاء بجاية ، وكان من كبار العلماء ، معدوداً في الرؤساء ، كريم الاخلاق ، وافر الجاه ، عظيم الحرمة ، له آثار حميدة ، واجتمع اليه ببلنسية وبتلمسان في علم الاصول وغير ذلك ، وبه انتفع أهل بلنسية ، وعنده طول ولايته ناظروا ، وكان هو يصفهم بثقوب الاذهان وجودة القريحة ، واستقدم الى مراكش من بجاية ليُولَّى قضاء مرسية بعد وفاة أبي القاسم ابن حبيش ، فتوفي في طريقه اليها بتلمسان سنة 584 .

وممن أخذ عنه القاضي أبو عبد الله بن عبد الحق وغيره .

أكثر خير عن ابن سالم (2) .

وقال في (الذيل والتكملة) :

1) بكسر الفاء ، وما فى **عنوان الدراية** من انه البردوى مجرد خطأ فى الرسم

2) **التكملة** ص 718 ع 1824

ميمون بن جبارة بن خلفون . . . . أبو تميم ، روى عنه أبو عبد الله بن عبد الحق التلمسيني ، . . . . وكان من كبار العلماء ، وجلة الرؤساء ، كريم اليد ، جميل الاخلاق . . . الحرمة ، استقضي ببلنسية ، وبه انتفع أهلها في ذلك الفن ، وكان يصفهم بالذكاء . . . . وجودة القرائح ، وممن أخذ عنه بها منهم أبو جعفر الذهبي وأبو الحجاج . . . . . ثم صرف عنها الى قضاء بجاية ، فتقلده الى أن استقدم الى مراكش ليستقضي بمرسية بعد وفاة قاضيها أبي القاسم ابن حُبيش ، فتوفي في طريقه اليها بتلمسين سنة أربع وثمانين وخمسمئة .

وقال في (عنوان الدراية) ما نصه :

أبو تميم ميمون ابن جبارة بن خلفون الفرداوي ، رحل الى المشرق وكانت قراءته وصحبته مع القاضي أبي عبد الله بن ابراهيم الأصولي ، ووصلا معاً من المشرق إلى مراكش ودخلا على الخليفة بها ، وكان الفقيه أبو عبد الله يكبر أبا تميم المذكور ويقول هو شيخي ، وخرجا معاً ولييَن القضاء بجزيرة الأندلس ، كل واحد لبلدة مستقلة ، وولي بها بلاداً ، وولي أبو تميم المذكور قضاء بجاية مدة قليلة ، وقد رأيت التسجيل عليه في بعض كتب القضاء الكائنة بمودع بجاية حرسها الله .

وكانت له نفس سرية ، وهمة علوية ، ومن جملة البلاد التي وليها بالأندلس حاضرة بلنسية سنة ثمان وستين وخمسمئة ، ثم صرف عن ذلك منقولا الى قضاء بجاية ، واستقدم الى مراكش من بجاية ليتولى قضاء مرسية فتوفي في طريقه اليها بتلمسان سنة أربع وثمانين وخمسمئة 584 .

وممن أخذ عنه الفقيه محمد بن عبد الحق التلمساني سنة أربع وثمانين ، وممن أخذ عنه محمد بن حماد قال : قرأت عليه (معيار العلم) من أوله الى آخره قراءة تفهم وتعلم ، في بيت الكتاب من قصر بجاية سنة اثنتين وثمانين وخمسمئة 582 ، وقرأت عليه كتاب المقاصد بالموضع المذكور وفي التاريخ المذكور (1) .

---

1) **عنوان الدراية** ص 219 طبع بيروت

وعد فيه (1) لدى ترجمة الاوحد محمد بن علي بن حماد بن عيسى بن أبي بكر الصنهاجي تلميذ الشيخ أبي مدين ومؤلف (النبذ المحتاجة ، في أخبار صنهاجة ، بافريقية وبجاية) المتوفى سنة 628 من أشياخه المترجم القاضي العالم أبا تميم ميمون .

1029) **ميمون بن سحنون الجراوي** ، أبو وكيل ، أصله من تادلة ، قدم مراكش وصحب عبد الغفور ثم انتقل الى تادلة وبها مات .

وقال في (التشوف) سمعت محمد بن خالص الانصاري يقول : رأيت أبا وكيل بجامع أغمات وريكة ، فقال لي أتيت زائراً عبد الغفور ، فعسى أن تذهب معي اليه ، فخرجنا من المدينة ، فجاء الى جوار السور فأطال الجلوس الى أن تعالى النهار ، فقام ومشينا الى أن وصلنا جامع أغمات أيلان ، فتقدمت الى عبد الغفور وسلمت عليه ، وتأخر أبو وكيل ميمون ساعة ثم جاء اليه وتحدثنا معه ، ثم انصرفنا الى مراكش ، فأردت أن أوثره بنعلي فأبى ومشيت حافياً موافقاً له حتى دخلنا المدينة ، فلقيت أحمد بن عبد الرحمان الجباب فحدثته بذلك كله ، فقال لي لعلك أنكرت عليه شيئاً أو خالفته في شيء ، فقلت له لم أنكر عليه شيئاً ولم أخالفه ، فقال لي انه محدث لا يفعل شيئاً الا بأمر ولا يتوقف الا ليومر بما يفعله ، ولقد همّ أن يلازم بيته على التوكل ، فقيل له : ليس هذا مقامك ، اخرج واحترف ، وانه ليمر به الناس فيبصر صورهم الظاهرة قد بدلت بصورهم الباطنة ، فينهاهم عن الاوصاف الذميمة التي ظهروا فيها .

وحدثني محمد بن خالص الأنصاري قال : رأيت أبا وكيل فقلت له ادع لي ، فصاح علي وقال تجعل بينك وبينه حجاباً وتقول ادع لي ، فهلا دعوت لنفسك ؟ فهبت بعد ذلك أن أقول لأحد ادع لي .

---

1) **عنوان الدراية** ص 206 ع 48 طبع بيروت ، وله ترجمة قصيرة فى **البستان فى ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان** ص 294 ذكر فيها أنه تولى قضاء مراكش

وحدثني محمد بن خالص قال : سمعت أحمد الجباب يقول : بت ليلة بمراكش مع أبي وكيل ، فقال لي حدثت أن عبد الغفور توفي الليلة ، فلما أصبحنا جاءنا الخبر من أغمات بموت عبد الغفور رحمه الله تعالى (1) .

وحلاه في (تحفة الوارد) بالشرف .

1030) **ميمون بن تيكرت الموفَّق الوريكي**، أبو وكيل، الأسود، وتلميذ محرز الصفاقسي ، وعليه تفقه ، وكان أسود ، وكان يسمى بميمون الموفق ، وكان من العلماء بمذهب مالك بن أنس رحمه الله تعالى .

حدثني علي بن عيسى بن ناصر ، قال حدثني يحيى بن أبي بكر بن عياد ، قال نمت ليلة فسمعت هاتفاً يقول : مات مالك بن أنس ، فانتبهْت من نومي وخرجت أمشي بأغمات ، فلما وصلت الى المكان الذي سمعت فيه الهاتف في المنام لقيت رجلا فقال لي : مات أبو وكيل ميمون بن تيكرت الموفق رحمه الله .

ترجمه في (التشوف) (2) .

وقال في نظم رجاله وميمون من أهل العلوم مسود .

1031) **ميمون بن علي ابن خبازة الخطابي**

ميمون بن علي بن عبد الخالق الصنهاجي ثم الخطابي فاسي أو من بعض أقطارها ، سكن بأخرة مراكش ، أبو عمْرو ابن خبازة ، نسبة الى خاله الشاعر الشهير بابن خبازة لملازمته اياه ، روى بفاس عن عبد العزيز بن علي ابن ريدان ، وقدم الاندلس قديماً فروى بها عن أبي الحجاج ابن الشيخ ، وأبي محمد بن الحسن ابن القرطبي ، ثم قدمها بعد غير مرة بعد العشرين وستمئة وقبلها ، روى عنه أبو عبد الله ابن أحمد الزندي ، وابن عبد المنعم

---

1) **التشوف** ص 284 ع 133

2) **التشوف** ص 172 ع 64

اللواتي ، وأبو عمران ابن أبي الحسن ، وأبو القاسم ابن عمران ، وكان أديباً شاعراً مفلقاً من أكبر أعاجيب الدهر في سرعة البديهة ، ناظما أو ناثرا ، مع الاجادة التي لا يُجارى فيها ، والتفنن في أساليب الكلام معربه وهزله ، على اختلاف طرائق الناس بحسب بلادهم المتنازحة ، جيد الخط ، قوي الأعضاء ، معتدل التركيب ، متمكن الصحة ، جهوري الصوت ، وافر المنة وهو قد جاوز السبعين ، ذا مشاركة حسنة في علم الكلام وأصول الفقه ، تطور كثيرا وتنسك وتصوف وقتاً ، ووعظ وتلقي وعظه بالقبول ، وعارض ابـن الجوزي في بعض فصوله فأجاد .

قال أبو القاسم ابن عمران : رأيته بسبتة عام أربعة أو خمسة وستمئة وهو في زي النُسَّاك ، اجتمعت به عند الشيخ الفاضل أبي العباس الازرق رضي الله عنه وهو لابس" مرقعة ، وعرض عليه وأنا حاضر وثيقة كتبها في طلاقه الدنيا ، ثم رأيته بعد عام ستة وعشرين وسايرته في محبة المامون يعني . . . . وهو محتسب الطعام بها ، فأنشدني من شعره قطعاً . . . . مكثرا من النظم ، فذكر لي شيخنا أبو الحسن الرعيني رحمه الله . . . . باشبيلية في كف أبي العلاء بن المنصور ، وانه لزمه نحو . . . . فبلغت ثلاثة مجلدات ضخمة ، ومن أمداحه فيه . . . . واليها بعد قرطبة قوله :

ياسعدَ حمصٍ لقد نالتْ بك الأملا — كأنك الشمس قد حلَّت بها الحملا
فكل فصل ربيع ناشر زهــــراً — تخاله فوق أعطاف الربا حلــلا
وأي جلْو تجلَّت فيه منحرفـــا — أنوار عدلك في الدنيا فما اعتـدلا
هي السعادة أحظتْها بما سألـت — وحسب ذي السؤل أن يحظى بما سالا
. . . . — . . . الصدق تلك النية العمــلا
قد حقق الله آمال العباد بمــا — أذهبت عنها ... الروع والوجَـلا
أن كان فيها أميرَ المومنين وقـد — نالت بعلياه في أقطارها الأمــلا
فعدله كالمسمى جيء مبتـــدأ — به وكنت له التوكيد والبـــدلا
سلَّتْك كفُّ الهدى منه على ثقة — سلَّ الحسام بها كي تحسمَ العللا
واليوم قد علمت أقطارُ قرطبـة — لفقد مرءاك منها ما بها نــزلا

باتتْ وسلسال ذاك النهر في كدر ... فيها وناعم ذاك الروض قد ذبـــلا
وأصبحت حمص جنة النعيم وقــد ... أعددت رفدك للعافي بها نـــــزلا
قد كان بالنهر معناها يروق حــلا ... واليوم بالبحر معناها يفوق عـــلا
بحر يهول فيفنى موج سطوتـــــه ... كما يقول فيغني كلٌّ مَن ســـألا
يفيض بالعلم أو بالجود زاخـــره ... يروى ويروى فيغني قال أو فعــلا
فللرواة جميعاً والعفاة بـــــــــه ... للورد سلسال ماء قد صفا وحـــلا
ياواصلا سند التوحيد يحملــــــه ... على الخلائق بالمهدي متصـــــــلا
علياك كالنص لم يبق الظهور بهــا ... من البيان سوى التأويل محتمــلا
وللفضائل أنواع معــــــــــــددة ... وأنت جنس على أنواعها اشتمـــلا
. . . . وهل لها غاية حتى يقـــــــــا ألا
. . . . وكفك الركن مما اعتادت القبـــلا
. . . . . . بها ما صفا وبهـــــا ... بيض القواضب نار تحرق البطلا
. . . . . مائها بالجود منهمـــراً ... والموت من نارها بالبأس مشتعلا
. . . . . وهو من علياه في عــدد ... مقسم الفكر في أبواب كل عـــلا
. . . . . طما بحراً سطا أســـداً ... .
. . . . ونور هـــــــدى ... وهيب ذكر وعلماً بالتقي كمـــــلا
تراه بالخير روضا حاملا زهـــــرا ... لكنه زهر الآداب محتفـــــــــلا
يهزه الطرف غُصناً حفَّ من أدب ... والحلم يرسيه طوداً بالنهى ثقــلا
تهوى محاسنه الدنيـــــــا . . . . فيعرض هجراناً لها وقِـــلا
إن سار كان مهيباً من مهابتـــــه ... وان أقام يرى بالعزم مرتحـــــلا
وعدلُه الشمس لكن غير ءافلـــة ... وفضله الظل لكن ليس منتقـــــلا
حاز العمومة من عدنان مفتخـــراً ... الى الخؤولة من قحطان فاكتمـــلا
فمن سليم بن منصور سؤددهـــا ... ومن حزام عدي مجده انتحـــــلا
وبالجلالين من قيس ومن يمـــــن ... أقام ... قسط الوزن معتــــــدلا

* * *

يابن الخلائف حازوا المجد من مضر ... فعزهم ذلّل الأيام والــــــدولا
جدَّ الزمان وكان الهزلُ شيمتــه ... فينا وجاد علينا بعدما بخــــلا

فنام بالأمن جفنٌ بات من جــــزَعٍ بأثمد السهد في الظلماء مكتحــــلا
وقام قاعد أمر لله منتهضــــــــاً يفي بحمل الأمانات التي حمــــلا
وأصبحت دعوة التوحيد زاهيــــة زهو العروس تجرُّ الحلْيَ والحللا
والبيض تهتز مثل البيض من طرب والخيل تعرف فيها نخوة الخُيَــلا
زهي بالمجلس السامي وحق لــــه حتى لقد طار من زهو به جــــزلا
فقل لمن يدعي هذا المقامَ كفــى فان برهان هذا يبهر الجــــــدلا
واعجب لناديه يقوى حمله وبـــه علم وحلم أقلاَّ السهل والجبـــلا
وكفه كيف همى سحب وابلهـــا وليس تبصر في أرجائها بلَــــلا
. . . . على الافضال ويحكــم وهــل رأيتــــــم . . . .
من جاد يوماً بالذات لا انتقال لـه ومــن يكـــــــــــن . . . .
. . . . . كونه ملكـــــــــــا لولا تحقق علمــــي . . . . .
كانت تروعني الأيام ظالمـــــــة واليوم إن قصدتنــــــــي . . .
وكيف أخشى لجور الدهر حادثه وعدل ادريس يبقى الحادث . . .
من صفحه يصرف الجاني بسطوته الى المتاب وكم صفح جنــى . . .
مَن يستلذُّ ثناء المادحين لــــه منا كما يستلذ العاشق الغــــزلا
من يذعر الأسد والهيجاء قد جعلت لها الصوارم ... والقنا الذبـــلا
في بعضه بعضُ وصف البيض ان نظرت خلت المضارب منها الأعين النجلا
. . . . فتحصر في الهيجاء لا خجلا
بيض تعانق عشاق الهـــو . . . والوصل منها صدود ينفذ الأجـلا
هي السيوف فان فاضت جداولها سقت قلوبَ العدا ماء الردى نهلا

* * *

ياناظم الحمد بالأموال يكثرهـــا ، لقد وصلت من العلياء ما انفصـلا
وراغباً باجتماع الحمد يكسبـــه وزاهداً بافتراق المال مكتمـــــلا
ما زلت تشعر في نظم الفخار كما ما زلت تخطب في نثر اللهى عملا
. . . . . المجد تظهــــــــره والفعل أصدق مدلول لمن عقـــلا
ترى أعيدها المنصور سيدنـــا فالتاج ثاقب ذاك النجم اذ أفـــلا

أحييْت قطراً فقطراً أرضَ أندلس — كأنك القَطر يحيي حيثما نـــزلا
ياعاضد الامر في سرٍّ وفي علـن — حتى استقلَّ سموا بالهدى وعـلا
وباذل النفس والأموال مبتغيـــا — إظهار دين الهدى في كل ما بـذلا
أشبهت في فعلك الصديق حين دعا — خير البرية ... الأمر وامتثـــلا
. . . . — من شعر حسان بيتا سقته مثـــلا
(إذا ذكرت أخا فضل بمنقبـــة — فاذكر أخاك أبا بكر بما فعـــلا)
يدعو الامام لرعي الصدق فيك كما — دعا الرسول الى الصديق اذ فضلا
نبّه الى العلم عيناً طالما رقـدت — عنه وذكِّرْ زماناً طالما غفـــلا
. . . . — وحل حالي بكم لي ألف العَطَـلا
. . . . تهزمهـــــــم — وروح البيض في الأعمال والاسلا
. . . . — . . . . ساعة في سحرهم بطلا
. . . . — . . . أقام وترعاه اذا ارتحـلا
. . . والعيد والصوم السعيد فما — قدمتَ من كل برٍّ فيه قد قبـلا

ومن شعره قوله يرثي عبد الله أحمد بـن محمد بن محمد بـن عبد الملك بن الحافظ أبي بكر ابن الجد ، وتوفي يوم عيد الفطر . . . . توفـي له أخ قبله ويعزي أباهما أبا بكر :

أرجةُ الصعق يوم النفخ في الصور — أم دكة الطور يوم الصعْق في الطور ؟
أم هُدت الارض اظهارا لما زجرت — به الخليقة من إيقاع محـــذور
أم الكواكب في ءافاقها انتثـــرت — وباتت الشمس في طي وتكويـــر
ما للنهار تعرى من ثياب سنـــا — وشابـَه الليل في أثواب ديجـور
قد كان للصبح طِرف زانه بَـلَق — مقسم الخلق بين الدجن والنـور
فما الملمُّ الذي غشَّى بدهمتـــه — أديمه عنبراً من بعد كافـــور
أصخ لتسمعَ من أنبائها نبـــأ — يطوى من الأنس فيها كلُّ منشور
وانظر فان بني عدنان ما حُشِـروا — الا لرزء عظيم القدر مشهـــور
وافـَى مع العيد لا عادت مضاضته — فشاب سلسالَه الأصفى بتكديـر
واعتام داراً لها في السبق جمْهرة — من المفاخر أزرت بالجماهيـــر

رمى قريشاً فأصمى سهمُ حادثِه   أبناء فهر بتفريق المقاديـــــر
فخانها الجدُ في ابن الجدِّ يوم قضى   وأثّر الخطبُ فيها أي تأثيـــر
لله والمجد ما ابقاه من أثــــر   أخرى الليالي بطيب الذكر مأثــور
نوارة عند ما راقت بدوحتهـــا   أهوت الى الترب من بين النواوير
جار الذبول عليها بعد ما مــلأت   معاطسَ الدهر من طيب وتعطيـر
وسيفُ بأس لكسر الخطْب أغمده   صَرفُ الحوادث فيها بعد تكسير
قضى فوافق شهر الصوم مرتحـلا   ووافق الشهر في فضل وتطهيـر
واختاره خاطبُ الخطب الملم بـه   للصهر كفْأ فأمضى العَقد للحور
فسار للحَيَّن مسروراً وخلفنـا   للحزن فأعجب لمحزون بمسـرور
نادته أنجشةُ الأحزان يوم حـدا   أظعان قلبيَّ رفقا بالقواريـــر
فالوجه والدمع من حزن قد اقتسما   قلبي وجفني بمنظوم ومنثـــور
والقلب بالغيظ في تصعيد مُستعر   والجفنُ بالفيض في تصويب ممطور
وسائق الخطب يشدو الحاملين له   يسوقهم سوقَ حادي العير للعير
وللملائك في ءافاقها زجـــل   قد شيَّعتْه بتهليل وتكبيـــر
أثنى المصابُ على شيخ الجزيرة في   عقد وحل وتقديم وتأخيـــر
ذاق الزايا على مقدار منصبـــه   والابتلاءُ على قدر المقاديـــر
لم يصمه الدهر في الأبناء من حنق   ولا بلاه لترقيب وتحويـــر
وانما بادر الأعلاق منتقيـــا   يصونها صونَ تعظيم وتكبيـــر
إن كان شمل الأنس عنه فكـــم   أولاه الأجر من جمع وتوفيـــر
يادهر حملته وقع الخطوب ، ولـم   تزل تُنفذ عنه كلَّ مأمـــور
فلم تجرب عليه جبر ذي حـــرف   في النائبات وللأحجام مذعـــور
أردت بالصبر عنه أن تقيم لنـــا   برهان تقديمه للخَير والخِيـــر
ياعامر الترب كم خلّفتَ من كبد   ومن فؤاد بثاوي الحزن معمـــور
لو كنت تحمي وتفدى للعلا ابتدرت   ءالافها بالقني أو بالقناطيـــر
أسد تنادي بعقبان الخيول الـى   تمزيق لحم الأعادي بالقناطيـــر
مشمرين الى ورد الكريهة مـــا   نالوا العلاء الذي نالوا بتقصيـــر
بنو الكرام أولو الرأيات قاد بهـم   الى الوغى ابنَ نصير كلُّ منصور

ساقتهم غيرة الايمان فانتدبوا لنصرة الدين كالأسد المهاصير
بعزم كل مَعَدي يسايره فتح الجزيرة بين السمع والكور
حفوا بباطل يزرين لحقهم فأبطلوه بأبطال مغاوير
وانما الموت حكم ليس يدخله نسخ لخلق وعدل دون تجوير
يقضي على الأسد في الآجام حاكمه وفي الكناس على البيض اليعافير
ويقنص الشهب في شُم الجبال كما في الوكر يعتام أفراخ العصافير
أعظم بثاياته في آية عظمت فليس تدرك في حال بتفسير
فسلم الأمر فالأقدارُ قد نفذت وكل شيء بتقدير وتدبير
ما فقر ذي الفقر عن جهل ولا كسل ولا غنى المرء عن كيس وتشمير
ولا الحِمامُ بنقص في المزاح ولا ضعف الطبيعة عن أسباب تدبير
وكم صحيح قضى فيها بلا مرض وكم مريض أقامته لتعمير
وانما هي أحكام مقدرة على مداها وأقسام بتقدير
فاسمع بقلبك فالأشياءُ ناطقة وألسنُ الحال تُغني كلَّ تحرير
مقدمات الليالي طالما فضحت نتائج الغدر منها كل مغرور
جمع السلامة معدوم الوجود بها وكم بها للردى من جمع تكسير
وعامل الموت قد أحصى مهندسُه منازل العمر عدّاً دون تكسير
والأرض طرس وهذا الخلق أحرفه والحرفُ ما بين ممحو ومبشور
والدهر يعرب والأفعال يظهرها طوعاً ويعجم منها كل مسطور
وانما الخلق أسماء تعاورها اعرابه بين مرفوع ومجرور
وكلهم في مدى الأعمار تحسبهم كحالها بين ممدود ومقصور
والموت مثل عروضي يقطع من أبياتهم كل موزون ومكسور

* * *

يامن يؤمن أن يبقى وكم نقضت أيدي المقادير من إبرام تقدير
هذي الحقيقة لا ما حدثتك به آمال نفسك عن دنياك من زور
لا تخدعنك الليالي ، إن فتنتَها كادت فكادت ترينا كلَّ محذور
كم باكرت بعبوس الخطب من ملك قد بات بالبشر وضاحَ الأسارير
سائل بكسرى مليك الفرس هل تركت له المنايا جناحاً غير مكسور

وانزل بصنعاء في قصر ابن ذي يزَن تلمّ بقصْر على الأغيار مقصور
واعبر على حيرة النعمان معتبراً تعبر بأطلال نعمى ذات تغيير
وأين مَن كان سجن الجن في يده والانس والجن في قهر وتسخير
وأين مخترق الدنيا بعزمته يطوي البلادَ بها طيَّ الطوامير
بادوا فليس بها بادٍ يحس به منهم ، وأفناهم ريب الدهارير

* * *

هو القضاء أبا بكر أصبت به فاصبر وسلم له تسليم مأجور
والله يحرس علياكم ويدفع عن سامي معاليك أنواعَ المحاذير

وهذا كما تراه من النمط العالي والطراز الكامل الحسن . . . . مطلعها وبينه وثانيه انحطاط يتشبث به النقد . . . . إعرابه بين مرفوع ومجرور نقصه من معربات الأسماء المنصوب . . . . بين ممدود ومقصور لا يتناول ألا أقل الاسماء وما أخره منها . . . . قبل آخره حرف علة أو أمكن الحاقه هنالك في مصطلح بعضهم ولا . . . . حسنه على قبيحه ، ودخل هجينه في شفاعة صريحه .

وقد رأيت تثليت هاتين القصيدتين بقصيدته البارعة التي نظمها في مدح سيد البشر المصطفى محمد (ص) وسماها (الميمونية) ليعزز جمال الرايق بكمال الفائق ، ويعدل على مجازات المجازات الى حقائق الحقائق ، نفع الله ناظمها وراسمها ومنشدها ومستجيدها وسامعها ومستعيدها ، وهي هذه :

حقيق علينا أن نُجيب المعاليا لنفني في مدح الحبيب المعانيا
ونجمعَ أشتات الأعاريض حسبة ونحشد في ذات الاله القوافيا
ونقتاد للأشعار كلَّ كتيبة لنصر الهدى والدين تُردى الأعاديا
فألسن أرباب البيان صوارم مضاربُها تُنسي السيوف المواضيا
لنطلعَ من أمداح أحمد أنجماً تلوح فتجلو من سناه الدياجيا
كواكب ايمان تُنير فيهتدي بأضوائها من بات يُدلج ساريا
سهوت بمدح الخلق دهري ، وهذه سجودي لجبري كلَّ ما كنت ساهيا

فلا مدح الا للذي بمديحه — تطيع إذا ما كنتَ بالمدح عاصيا
رسول براه الله من صفو نوره — وألبسه برداً من النور ضافيا
وما زال ذاك النور من عهد ءادم — ينير به اللهُ العصورَ الخواليا
ثوى في ظهور الطيبين يصونه — وديعةَ سر صار بالبعث فاشيا
وخص بطونَ الطيبات بحمله — ليحملْن فرعاً بالسيادة زاكيا
به وزن اللهُ الخلائقَ كلهم — فألفاه فيهم راجحَ الوزن وافيا
وأنقذنا من ناره بظهوره — ولولاه كان الكل بالشرك صاليا
وءادم لما خاف يجزى بذنبه — توسَّل بالمختار لله داعيا
فتاب عليه الله لما دعا به — وأدناه منه بعد ما كان نائيا
وقد يهجر المحبوب في حالة الرضا — ويأبى الهوى ألا يصدق واشيا
(وعين الرضا عن كل عيب كليلة — ولكن عين السخط تُبدي المساويا)(1)
وأدرك نوحاً في السفينة رعيُه — فخلصه اذ كان في الموج جاريا
وما زال سام وهو ثاوٍ بظهره — على أخويْه بالفضائل ساميا
فخُصص حتى بالمكان كرامة — وأسكن في أعلا البلاد مراقيا
وأنزل حام بالجنوب مجانبا — ويافث في أقصى الشمال مواريا
وأنزل سام للفضيلة وحده — بأوسط معمور البلاد الأعاليا
وبادر جبريل الخليل لأجله — ليحميه اذ أبصر الجمرَ حاميا
ويخبُرَ في وقت البلاء يقينَه — فصادف ورد الخلة العذب صافيا
فقال له هل تسألنَّ كفاية ؟ — فجاوبَه حسبي بربيَّ كافيا
فكانت عليه النارُ بردا كما أتى — به وسلاماً وهي نار كما هيا
وجازاه في الاسراء عنها نبينا — وألهمها فوق السماوات ساريا
فلما انتهى جبريل عند مقامه — بحيث تلقَّى الامر أن لا تماديا
أشار على المختار أن سرْ فانه — مقاميَّ لا أعدوه ما دمت باقيا
فناداه ياجبريل : هل لك حاجة — الى الله فاسألها لتعطَى الأمانيا
فقال له سلْه لأبسط رغبة — على النار مني للعصاة جناحيا

1) هذا البيت من مقطوعة لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ، رواها المبرد فـي الجزء الأول من الكامل

فدُلِّيَ في أفق المهامه رفرف   وزُجَّ براق العز في النور راقيا
ومن أجله خص الذبيح فداؤه   وفي ظهره المختار أصبح ثاويا
فداه بذِبْح عظَّم الله شأنه   لأن كان دهراً في الفراديس راعيا
وثنَّى بعبد الله حامل فضله   فكان بذاك الفرع للأصل راقيا
لذلك ما قال الرسول مُنبِّها   أنا ابن ذبيحَيْها يعد المعاليا
وعف أبوه اذ دعتْه لنفسها   فتاة" رأتْ نور النبوءة ضاحيا
مضى ولذلك النور بين جبينه   شعاعُ سنا يُعشي العيون الروانيا
فأعرض عنها ثم سار لشانه   وكان له الرحمان بالحفظ واقيا
وعاد وقد أدى أمانة ربه   لأمته وعداً من الله ماضيا
ومرَّ على حي الفتاة فنوديت   هلمِّي تصادفْ لذعةُ الحب راقيا
فقالت لهم قد كان ذلك مرة   لأمر عصينا في هواه النواهيا
أردت بأن أعطَى سناه وقد قضى   لغيري به مَن كان بالحق قاضيا
وكم طالب ما لا يُنال ، وقاعد   سعادته تبدي له السؤل دانيا

* * *

وكم شاهدت من ءاية أمُّه به   يصير بها جيد الديانة حاليا
رأتْ في معاليه مرائي جمة   فصدقت الآثار تلك المرائيا
وقيل لها بشراك فزت بخير مَن   يُرى فوق أكناف البسيطة ماشيا
وحفَّت به الأملاك في حين وضعه   بليلة افضال تزين اللياليا
وبشر رضوان الجنان بخلقه   ففتَّح جناتِ النعيم الثمانيا
ونادى منادي العز طوفوا بأحمد   جهاتِ الدنا طراً وعُمُّوا النواحيا
بدى واضعاً كفيْه بالأرض رافعا   لعينيْه نحو الافق بالطرف ساميا
وأعول إبليسُ اللعين ، وقال قد   يئستُ وقدماً كنت للكفر راجيا
وسار الى صنعاء شيبةُ جده   فحلَّ محلا للوفادة قاضيا
وحيا بغمدان ابنَ ذي يزن بها   وهنَّأه بالملك اذ عاد واليا
فقربه دون الوفود وخصَّه   ليسمع قولا في الرسالة شافيا
وقال له انا وجدنا بكتبنا   نبياً يُرى من نحو أرضك ءاتيا
يموت أبوه ثم تهلك أمه   ويكفله بعضُ العمومة حانيا

وقال له والبيت ذي الحجب زاره وفود الورى جابوا اليه الفيافيـــا
لأنت على ما يقتضي الوعد جـــده فشيدٌ به للمجد ما كنت بانيـــا
وقال له احفظ ما أقول فانـــــه سيملك أرضي اذ رأى الملك واهيا
وقول هرقل إذ أظل زمانـــــــه فقال أرى ملك الختان موافيـــــا
وطالع فيه مصحف الأفق ناظـــراً كما زعموه يستشير الدراريـــــا
فلم تنقض الأيام حتى أتى لــــه كتاب رسول الله للحقّ داعيـــا
فباحث عنه أهلَ مكة سائــــــلا وكان بأوصاف النبيئين داريـــا
ولبَّى الهدى لما دعاه جمالـــــه وهام قليلا ثم ألفي ساليـــــــا
وورد الرضى لا يهتدى لسبيلـــه فيروى به مَن كان في البدء صاديا
وايوان كسرى ارتجَّ ليلةَ وضعه وبات عليه قصره متداعيـــــــا
وزاد برؤيا الموبذان ارتياعُـــــه فأذهله أن يستبين المساعيـــــا
وفسرها شـقٌ وشقَّ غبـــــاره سطيحٌ بسجع قصَّ ما كان رائيا
فنصَّا على إرسال أحمد مثبتـــــاً لدين الهدى بالرغم للكفر ماحيـــا
وأخمدت النيران نيرانُ فـــارس وكانت تلظَّى ألف عام تواليـــــا

* * *

وحمل ذاك الحلم حجر حليمـــــة لترضعه درّ الفضائل صافيـــــا
أبى حملَه النسوانُ لليتم وانبرت له فرأت من حينها الرزق ناميـــا
فحازت به السبقَ الأتانُ كرامـة وأخصب مرعاها ففاق المراعيـــا
وشارِفها اذ لا تبِضُ بقطـــــرة فصارت به ثجاً تُروِّي الصواديا
وفي حيِّها وافاه جبريل قاصـــداً وأقبل ميكائيلُ بالأمر تاليــــــا
فشقَّا به صدرَ النبيِّ لشرحــــــه فكان لما يُلقِي له الله واعيـــــا
وردَّاه في الحين التئاماً فما ترى سوى أثر ما زال للشرح باقيـــا
وجاءا بمنديل وطست ليغســـــلا بماء الرضى قلْباً عن الله راضيـا
وعاد أخوه فازعاً مخبرا بمـــــا جرى من مخوف كان للأمر جاريـا
فسارت به من حينه نحو أمــــه تخاف عليه إن أقام العواديـــــا
وما زال محروساً أمينا مؤمَّنــــاً سبوقا صدوقاً سامي القدر عاليـا
حيياً وفياً خاشعا متواضعـــــــاً كريماً حليماً يستفزُّ الرواسيـــا

وفي سيره للشام شام بقربـــــه ... بروقَ الهدى مَن لم يكن قط رائيا
أكبَّ عليه في طريق مسيـــــره ... اليها (بحيرا) للهدى متراميـــــا
ولما رأى تلك العلامات لم يــزل ... لما وافق الكتب القديمة باكيــا
وكانت به من غُلَّةِ الشوق علـةٌ ... فساق له الله الطبيب المداويــا
وقصتُه في ذي المجاز وعمـــه ... به ظمأ قد صيَّر الصبر فانيــا
فأهوى ولا ماء الى الارض راكضـاً ... ففجَّر ينبوعا من الماء جاريــا
وكم بان من يسر لميسرةٍ بـــه ... يردُّ أخا سكر الغواية صاحيــا
فكان اذا اشتدَّ الهجير أظلـــه ... غمام عليه لا يزال مماشيــا
وأخبره نسطور بُصرى ببعثـه ... فأظهر من غيب الرسالة خافيـا

* * *

وبغضت الاصنام للمصطفى فلـم ... يزل هاجراً فعلَ الضلالة قاليـا
وكان يرى ضوءاً يلوح لوجهـــه ... ويسمع تسليماً عليه محاذيــا
ويأتي حراء للتحنث قاصـــدا ... مُحباً لأسباب الوصال مراعيــا
ويخرج من بين البيوت لعلـــه ... يحدث عنه النفس في السر خاليا
وكان رءاه الله أكرم خلقــــه ... فأرسله بالحق للخلق هاديــا
وأسرى به ليلا الى حضرة العـلا ... فما زال فيها للحبيب مناجيــا
وسار على ظهر البراق كرامــة ... له راكبا اذ سار جبريل ماشيـا
ولما أتاه الوحيُ وارتاع قلبُـه ... لشدة ما قد كان منه ملاقيــا
فسارت به عمدا خديجةُ زوجُـه ... لتسأل حَبْراً بالزمانة فانيــا
وكان امرأ قد مارس الكتبَ قارئا ... وبات لضيفان المعارف قاريــا
فبشره أن سوف يطلع صبحـه ... فيكشف من ليل الغواية داجيـا
وقال له ياليتني كنت حاضـرا ... بها جذعاً أوليك نفسي وماليـا
ووقتك ان يدرك زمانيَّ يومـه ... ومَن لى به انصرك نصرا مواليـا

* * *

وءاتيه في الغار اذ نزلا بـــه ... وكان له الصديق بالصدق ثانيـا
وقد أرسل الله الحمامَ لبابـــه ... وقارنه بالعنكبوت مضاهيــا
فباض على الفور الحمام وشيـدت ... من النسج أيدي العنكبوت مبانيـا

فدافع عن صديقه ورسولـــــــه ... بأضعف أسباب الوجود مقاويـــا
وكم آية خصت سراقة اذ مشـــى ... على أثر المختار للغار قافيـــــا
فشاهد ءاثارا من الخسف كاد أن ... يكون لقارون السفاه مؤاخيـــــا
ولما دعا بالهاشمي أجــــــاره ... فأبصره في الحين من ذاك ناجيـا
وأصحبه منه ظهيرا (1) مكرمـــاً ... بخط أبي بكر يخيف الدواهيـــا
وأخبره أن سوف يفتح أمـــــره ... مدائنَ كسرى والبلاد الأقاصيـــا
ويَجعَلَ في كفيْه من بعد فتحــه ... سواراه مما يحرز الدين ساميـــا
فأنجزها الفاروق في حين فتحهـا ... له عدة بالصدق فيها مباهيـــــا
وءاياته في خيمتيْ أم معبـــــد ... وفي الشاة إذ لم تبق تصحب راعيا
وفي الذئب اذ أقعى وأخبر مفصحاً ... عن المصطفى والذئب ما زال عاويا
وفي الضبِّ لما أن دعاه أجابـــه ... وقال له لبيك لبيك داعيـــــــا
وءايتُه إذ فارق الجذع فضلـــه ... فحنَّ اليه الجذعُ في الحال شاكيا
وان انشقاق البدر أعظم ءايـــة ... ترد على مَن كان للدين زاريـــا
وفي الجمل الآتي بحضرة صحبـه ... ليشكوَ تكليفَ المشقة راغيــا
وقصته في المحْل لما دعا لهـــم ... فأبصرت سحباً كالخيال هواميـا
وسال بها وادي قناة (2) لأجلـــه ... ثلاثين يوماً لم يزل متواليـــــــا
وفي قصة الزوراء (3) للخلق ءاية ... وذكرى لعبد كان للذكر ناسيـــا
دعا باناء ليس ينقع مـــــــاؤه ... لقلته بالري مَن كان صاديـــــا
ففاض نميرُ الماء بين بنانـــــه ... وكان وضوءاً للكتيبة كافيـــــا
وزكوته يوم الحديبية التـــــي ... أفاض بها الله البنانَ سواقيـــــا
وإشباعه الجم الغفير بقبضــــــة ... من التمْر حتى شاهدوا التمر باقيا
وإخباره بالشيء من قبل كونـــه ... فيأتي على النص الذي قال حاكيا
فأخبر ذا النوريْن أن ستصيبـــه ... على الامر بلوى تعقب الأجر وافيا
وأخبر عمَّارا بأن حياتــــــــه ... سيقطعها بالقتل مَن كان باغيـــا
وقال لذي السبطيْن أشقى الورى الذي ... يُخضبها من هامة الرأس داميـــا

---

1) **الظهير** فى الاصطلاح المغربى الأندلسى : البراءة يكتبها السلطان ، يريد به كتاب **الأمان الذى** أعطاه رسول الله (ص) لسراقة

2) **وادى قناة** واد بالمدينة المنورة ، روى أنس بن مالك (ض) ان النبى (ص) لما استسقى سال وادى قناة شهرا ، ولم يأت أحد من ناحيته الا حدث بالجود

يصادف نور الشيب أبيض ناصعاً ... فيسقيه صوب الحتف أحمر قانيا
ونصَّ على السبط الشهيد بكربلا ... فقام له الدين الحنيفي ناعيـــــا
وفي الحسن الزاكي أبان بأنــــه ... سيُصلح بين الناس للأجر ناويــا
وقال لقوم انَّ ءاخركم بهـــــــا ... مماتاً سيصلى جاحم الجمر حاميـا
وقال اذا ما مات كسرى فما ترى ... سمياً له أخرى الليالي مساميـــا
وأخبر عن موت النجاشي حينَــه ... وبينهما بحر من الموج طاميـــا
وقال على قرب الحمام لبنتـــــه ... تموتين بعدي فافرحي بلقائيـــا

* * *

وءاياته جلَّت عن العد كثـــــرة ... فما تبلغ الأقوال منها تناهيـــا
وأعظمها الوحي الذي خصَّه بـــه ... فبلَّغ عنه ءامرا فيه ناهيـــــا
تحدى به أهل البيان بأسرهـــم ... فكلهم ألفاه بالعجز وانيـــــــا
وجاء به وحياً صريحا يزيـــــده ... مرور الليالي جدة وتعاليـــــا
تضمن أحكامَ الوجود بأسرهـــا ... وعمَّ القضايا مثبتا فيه نافيـــا
وأخبر عما كان أو هو كائـــــن ... يرى ماضياً أو ما يرى بعد ءاتيـا
ووافق أخبارَ البنين كلهـــــم ... وتمَّم بالغايات منها المباديـــا
وما كتبت يمناه قط صحيفـــة ... ولا ريء يوماً للصحائف تاليـــا
عليه سلام الله ، لازال رائحـــا ... عليه مدى الايام منا وغاديـــا

وهذه وثيقة أنشأها في بيع قلبه من ربه أثبتها عقب هذه القصائد . . . .منظومه بمنثوره ، وأشيربأن الصادر عليه في الفنين من أفضل محفوظ الكلام ومأثوره ، وهي هذه :

يقول العبد الذي اعترف ، بما اقترف ، لمولاه ، وأقرَّ له بما أضاعه ، لا بما أطاعه ، على ما منحه من النعم وأولاه ، الميمون بن علي بن عبد الخالق الخطابي جبر الله بالتقوى كسره ، وفكَّ من حبائل الدنيا أسره ، لم أزل مدة أيام ، بل عدةَ أعوام ، أخالل كل مُخل بديني ، واستظل من إطالة البطالة بكل ظل مضل يرديني ، وأخالف كل صالح مصلح ، وأحالف كل طالح غير مفلح ، وأجرُّ أذيال المجون على أرض الراحة ، وأطلق عنان مُهر الغفلة في ميدان النسيان فيطيل جماحه ومراحه ، راكباً مطايا التسويف دون اهمال ،

مستوطئاً فرش الكسل والانهماك في الشهوات والانهمال ، مستوطناً ربع التصابي بقلة الاعمال وكثرة الآمال ، سالكاً سبيل الهزل وطريقه ، تاركا قبيل الجد وفريقه ، لا أثني عناني الى ما يَعنيني ، ولا أزال أعاني ما يُعنيني ، ولطائف الله عز وجل التي يضيق عن حمد أصغرها الامكنة الفسيحة ، ولا تطيق بلوغ شكرها الألسنة الفصيحة ، صافية الورود ، ضافية البرود ، قد طنبت عليّ قبابَها ورواقَها ، وخلعت بعنقي ثيابها وأطواقها ، واطردت بمياه النعمة مذانبُها وأنهارها ، وتساوى في القدوم بالكرم ليلها ونهارها ، وأنا مع ذلك لا أزيد الا غفلة عن القصد السني وسهواً ، ولا أستزيد الا اشتغالا عن المقصود السني ولهوا ، الى أن أجرى الله عادة احسانه وجوده ، وارادت مراداته السائقة السابقة أخراج العبد المذكور من عدم الغفلة الى ظهور الالهام ووجوده، فسلط رعد الخوف على سحائب سمائي فكشفها وجلاها ، وحلّ بساحة أرضها سكر السلُوّ فسكرها عن سواه وخلاها ، وقلد أجياد فكره بقلائد حمده وشكره وحلاها ، وسل من سويداء قلبه محبة غيره فنزهها عنه وسلاها ، فلاح اصباح النجاح ، وآذن ليل الغفلة بالصباح ، ونادى منادي الوصلة بمنار العزلة حي على الفلاح ، وصاح كاليء صبح النجح بالسفْر المعرسين شدوا المطي فقد سال نهر النهار ، ومال جرف الليل وانهار ، وانفجر عمود الفجر بنوره الوضاح ، فلاح ، فأفاق العبد المذكور من نوم الركون الى السكون والكرى ، وشمر للسير ذيوله ، وضمر للسبق خيوله ، اذ سمع عند الصباح يحمد القوم السرى .

ثم كتب العبد المذكور عقدا ، وعهد مع المولى الجليل عهدا ، وهو على خوف من المولى عز وجل ، يسأله ادراك ما أمله ، والوصول الى ما أمّ له ، ويتبرأ من حوله وقوته اليه ، ويتوكل في جميع أموره عليه ، ويقف بقدم الندم بين يديه ، معترفاً بما كان له مقترفاً ، وراجيا أن يكون من بحر الاحسان لدرر الامتنان مغترفاً ، والعقد المذكور :

هذا ما اشترى المولى اللطيف الجليل ، من العبد الضعيف الذليل ، الميمون بن علي ، اشترى منه في صفقة واحدة دون استبقاء ، ولا تبعيض ،

ولا استثناء بتصريح ولا تعريض، جميع المنزل المعروف بمنزل القلب والفؤاد. الذي من سكانه المحبة والاخلاص والوداد ، حده من القبلة قبول الاوامر المطاعة ، ومن الشرق لزوم السمع والطاعة ، ومن الجوف الاقبال على ما عليه أهل السنة والجماعة ، ومن الغرب دوام المراقبة في كل وقت وساعة ، بكل ما يخص هذا المبيع المذكور ويعمه ، وينتهى اليه كل حد من حدوده ويضمه ، من داخل الحقوق وخارجها ، ومداخل المنافع ومخارجها ، وبكل ما له من الآلات التابعة له في التصريف ، والحواس الجارية معه في حالتي الاضاعة والتشريف ، السالكة مسلكه في التنكير والتعريف ، من يدين ورجلين ، ولسان وشفتين ، وعينين وأذنين ، اشتراء صحيحاً تاماً شائعاً في جميع المبيع المذكور ، وعاما ثبتت قواعده ، وظهرت بالتسليم الصحيح شواهده ، بلا شرط ولا ثنيا ولا خيار ، ولا بقيا مع حظ نفس ولا اختيار ، بثمن رتبته العناية الربانية ، وقسمته المشيئة الالاهية ، بين عاجل وآجل ، فالعاجل العون على كل مندوب ومفترض ، والصون عن كل غرض وعرض ، والثناء على النعم الظاهرة والباطنة ، واهداء الآلاء المتحركة والساكنة ، والآجل الفوز بالدار القدسية ، والحضرية الانسية ، التي فيها ما امتد به جناح التواتر بالخبر الصادق وانتشر ، ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، من النعيم المقيم السرمدي ، والحبور الدائم الابدي .

سلم العبد المذكور هذا المبيع المذكور تسليماً تبرأ به من الملكة ، ورفع به يدَ الاعراض عن ما يفعل المولى الجليل فيما ملكه ، وأيقن أنه المتصرف فيه في سره وجهره ، وعلم أن الملك المذكور تحت يد عزته وقهره ، يجري فيه أحكامه القاهرة ، وينفذ فيه قضاياه الباهرة ، وتحيط به قدرته الظاهرة ، وقد أحاط المولى الجليل بهذا المبيع المذكور احاطة ظهور ، ولم يخف عليه شيء من قليله وكثيره ، وجليله وحقيره ، ومبانيه ومساكنه ، ومتحركه وساكنه ، واطلع عليها اطلاعَ عليم قدير ، (ألا يعلم مَن خلق وهو اللطيف الخبير) ؟

ولما أسلم العبد المذكور المبيع المذكور وأمضاه ، واستسلم لمولاه فيما حكم به وقضاه ، تفضل عليه مولاه ، وغمره بجوده

العميم وأولاه ، وجعل له السكنى بهذا المنزل المذكور مدة حياته ، والاقامة فيه الى حين مماته وإتيان وفاته ، اذ يستحيل على المولى الجليل الحلول في شيء أو السكون الى شيء ، وهو موجد كل شيء وخالق كل ميت وحي ، ومريد كل رشد وغي . ومقدر كل نشر وطي ، وأيضا فبالمولى تعالى قيام جميع العبيد ، وعلى قدره غناهم وفقرهم لأنه الفعال لما يريد ، وهو يسرهم لليسرى والعسرى فمنهم شقي وسعيد ، وله الغنى عن كل شيء والله هو الغني الحميد .

وقد أمر المولى الجليل هذا العبد بخدمة هذا المنزل المذكور خدمة التقرب اليه ، وجعل له التصرف فيه لقبول أمره للفوز بما لديه ، وبهذا المنزل المذكور بساتين تسمى بساتين الاخلاص ، وجنات تعرف بجنات حضرة القلب المعروف بمحل الاستخلاص .

التزم العبد المذكور تسهيل أرضها من شوك الشرك والارتياب ، وتذليلها من حجر العجب والاضطراب ، في حالتي الحضور والغياب ، وتنقيتها من أعشاب الحسد والحقد والكبر ، وزوال ما فيها من عوارض الغش والخديعة والمكر ، وأن يقطع منها كل عود لا منفعة فيه بحديد الفكر ، مثل عود الحرص والطمع ، ويغرس مكانه شجر الزهد والورع ، ويُقلم أغصان الميل الى الادران والأقذار ، وافنان الركون الى الأغيار والاكدار ، وقضبان السكون الى الشهوات والأوطار ، ويفتح أبواب البذل والايثار ، بمفاتيح الجود الحميد المساعي والآثار ، ويطلق ينابيع التوكل على مصرف الاقدار ، وأن يخدم ما توعر من سواقي مياهها الاخلاصية وحياضها ، ويمشي بالمصلحة المصلحة لدوحاتها وغياضها ، ويفجر بها مياه الصفاء من الاكدار ، المتصلة بساقية الوفاء في الايراد والاصدار ، والملاصقة لساقية ترك الجفاء في هذه الدار ، حتى يبدو ان شاء الله صلاحها ، ويكثر ببركة الله اصلاحها ، وتهب بقبول القبول أرواحها ، وتثمر بجني المنى أدواحها ، فتنبت قرنفل التنقل ، وعود التقبل ، وآس الانس والسوسان ، وياسمين اليأس من كل انسان ، ونعمان النعمة التي لا يصفها انسان .

وقد علم العبد المذكور أن بخارج هذا المنزل المذكور حرس الله ايمانه ، وأدام أمانه ، جيشاً نفسياً يغير عليه في مسائه وصباحه ، وينتهز فيه الفرصة في غدوه ورواحه ، ويقطع جادة السبيل ، بالمرور عليها بلا مسافة الى حضرة الملك الجليل ، وملك هذا الجيش المذكور النفس الكثيرة الاغراض ، الميالة الى ما يعرض من الاعراض ، المعتكفة على المئارب المهلكة والأعراض ، وخادم الملك المذكور الشهوة الموقوفة على خدمته ، المعدودة في أعلا خزنته ، ووزيره المفاخرة ، وزمامه المنافسة في زهرة الدنيا وحاجبه المكاثرة ، وقيم جيشه المقدم ، وفارسه الاقدم ، شجاع الغضب ، الذي عنده يتولد الهلاك وبه يكون العطب ، فطلب العبد المذكور من مولاه الامداد بعساكر العزم ، وفوارس الحزم ، ورغب في الاعانة بكتائب السداد والتوفيق ، ومواكب الرشد والتحقيق ، وإرسال جيوش الاصطبار ، وفوارس الانتصار ، والتدرع بدروع الاذكار ، وجولان خيل السعادة في ميادين الاختيار ، والعون بأعلام العلم ، والسكون في حصن الحلم ، حتى يذهب حدة النفس ويزيل كيدها ، ويميتها في المجاهدة ، بسيوف المجادلة ويقطع قوتها وأيدها ، أو يمد يد التسليم بقهرها واضطرارها ، وينطق بلسان اعترافها واقرارها ، أنها اسقطت جملة دعواها واختيارها ، ودخلت تحت امتثال الأوامر الربانية ، ودخل في باب اللطف في حرم كرم الالاهية ، قهر الظهور لذلك نفسه ، وأظهر الحضور أنسه ، حتى تتطهر النفس المذكورة من الاخلاق العرضية ، وتترقى عن الأغيار الارضية ، وتظهر عليها الشمائل الحميدة والاخلاق الرضية ، وتنادى : (ياأيتها النفس المطمئة ، ارجعي الى ربك راضية مرضية) .

أشهد على اشهاد البائع المذكور مَن أشهده به على نفسه عارفا بقدره ، في صحته وطوعه وجواز أمره .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم تسليما .

وقطع مددا من عمره في الارتسام بامتداح ملوك عصره ، فكان يأتي في ذلك بما لم يسمع ذكره ولا يطمع في لحاقه ، سرعة ارتجال ، وحسن افتنان ، وبراعة انشاء ، له في ذلك . . . . في مراكش ، وتوجه صحبة

الرشيد من بني عبد المومن الى سلا فأدركته منيته بها صدر سنة سبع وثلاثين وستمئة 637 .

انتهى من (الذيل والتكملة) ، ومنها اقتطف صاحب الجذوة في ترجمته وزاد ما نصه ، وله من قصيدة :

وجد (1) النبوة حلة مطوية — لا يستطيع الخلق نسج مثالها
فأسرّ حسواً في ارتغاء يبتغي — بمحاله نسجاً على منوالها

قالها بمراكش .

ثم ختمها بقوله وله أيضاً :

هب النسيم ضحى ففاح المندل — وتأرجت منه الصبا والشمأل
أسرى عليلا فاستحث الى الصبّا — صباً بأنفاس الصَّبا يتعلل
يهوى الغدير وساكنيه ومَن له — لو كا ن يدنو منه ذاك المنزل
ما شام برقا بالغضا الا انبرى — شوقاً على جمر الغضا يتململ

وهي طويلة (2) .

توفي برباط الفتح من سلا سنة سبع وثلاثين وستمئة ، انتهى لفظه ، وقبره خارج سلا قبلي الشيخ ابراهيم أبي حاجة .

1032) ميمون بن علي ابن عمران الوردميشي

ميمون بن علي بن عيسى ابن أبي عمران ، ابن . . . . المكناسي الوردميشي المراكشي ، أبو محمد ، تفقه بطائفة من أهل بلده وغيرهم ، وكان فقيهاً حافظاً فاضلا، واستقضي بمالقة والمرية فحمدت سيره وشكرت أحواله(3).

---

1) الضمير يعود على المهدى بن تومرت الذى قال ابن خبازة فيه هاذين البيتين يهجوه بعد ما تبرأ منه المامون وأبدى مساويه وأسقط اسمه من الخطبة

2) انظر بقية القصيدة فى **أزهار الرياض** 2 : 383

3) تقدمت **ترجمة جد أبيه القاضى موسى** فى ص 294 ع 1013 من هذا الجزء ، وسنأتى ترجمة جده عيسى فى حرف العين

1033) منية بنت ميمون الدكالي ، المشهورة عند العامة بميمونة تاكنوت ، أصلها من مكناسة ، ونزلت بالجانب الشرقي من مراكش ، وبه ماتت عام خمسة وتسعين وخمسمئة ، ودفنت خارج باب الدباغين ، وكانت من الأفراد .

قال في (التشوف) زرتها ورأيتها عجوزاً وقد استودت من الاجتهاد ولصق جلدها بعظمها :

وما أبقى الهوى والشوق مني سوى نفس ترند خيالي
خفيت عن المنية أن تراني كأن الروح مني في محال

حدثني أحمد بن ابراهيم الأزدي البسطي قال : مشيت الى رباط شاكر فوجدت فيه منية فقالت : ما رأيت هذا المكان قبل هذه المرة ، ولقد تمنيتك فيه ، ثم حدثتني إلى أن قالت في حديثها قيل : يتفق لي شيء وأنا أظنه الموت ، فقلت لها لعله غير ذلك ، فلما عادت الى مراكش مرضت مرضها الذي ماتت فيه .

وحدثني محمد بن خالص الانصاري قال رأيت منية برباط شاكر فصليت بها في جماعة من المريدين وانصرفت عنهم ، فأخبرني بعض من تحدث معها أنها قالت حضر هذا العام بهذا الرباط ألف امرأة من الأولياء .

وحدثني محمد بن يحيى بن علي قال ، قالت منية زرت ولدي حسونا بحارة أبي يَعبيدن في فصل المطر ، فخرجت من عنده الى مسكن بحارة أبي مروان وأنا أسمع أذان المغرب ، فخرجت ولم أشعر الا وأنا عند مسكني وأذان المغرب لم ينقطع ، قال وزرتها يوماً فوجدتها عند ابن أخيها علي العربي ، فقالت لي : يا محمد ، بات البارحة عندي العربي فصلى بنا عيسى بن موسى ، فكان النور يدخل علينا من هذه الطيقان ، فقلت في نفسي : كيف بات عندها وهو شاب ؟ فقالت لي يابني أو تتهمني ، ألم أقل لك بات ابن أخي علي العربي ، ياعلي ، ألم تكن معنا البارحة ؟ وكان نائما عندها فاستجاب وقال نعم، فخجلت مما كان في خاطري ، ثم اني أقمت زماناً بعد أن حدثني محمد بن يحيى

بهذه القصة ، فلقيت عيسى بن موسى فسألته هل كان شاهد النور يدخل عليه من الطاقة في مصرية منية اذ كان يصلي بها وبعلي العربي ؟ فقال لي : رأيت والله النور داخلا من الطاقة وهو خلفي وأنا انظر اليه الى أن انحرفت عن القبلة:

من رأى البرق بنجد إذ تـــراءى — سلب النوم وأهدي البرحـــــاء
فاض فيها كجفوني مـــــــاؤه — والتظى وهناً كأنفاسي التظــــاء
نام سمار الدجى عن ساهـــــر — تخذ الهمّ سميراً والبكـــــــاء
أسهرتْه دمعة تفضحـــــــه — واذا ما أحسن الدمع أســـــاء
ياخليلَيَّ ولم أُشْعِرِكمـــــا — بالهوى حتى تبينت الاخــــــاء
عللا قلبي بذكرى قاتلـــــي — رب داء ساق للنفــــــس دواء

سمعت محمد بن يحيى يقول : زرت قبر منية فقعدت عنده فرأيتــه يخرج منه شيء كبخار القدر ، ثم رأيت كعمود من نور يخرج من قبرها الى السماء حتى غلب علي شعاع الشمس .

قال محمد : وكانت منية تحدثني قالت : دعاني رجل من التجار الى طعام فأجبته كارهة ، فلما قدم القصعة بالطعام كلمني الطعام وقال لـي لا تأكليني ، فاني حرام ، فاستحييت من صاحبها ورفعت بضعة لحم الى فمي ثم وضعتها ، فحرمت أورادي والنوافل ثلاثة أيام ، والهواتف تهتف بي عن يميني وعن شمالي هكذا يفعل بالكلاب ، على بطونهم يهجرون .

قالت : وصليت الضحى يوما الى أن رأيت الحصير الذي أصلي عليه كأنه يرفعه شيء من تحته ، فقلت في نفسي لعله دخله حيوان ، فلما سلمت رفعته فاذا الذي تحته دراهم طرية ، فخررت ساجدة أبكي وأقول أنت مطلوبي لا سواك ، فأقل عثرتي ، الى أن عاد الحصير كما كان ، فرفعته فلم أجـد شيئاً (1) .

---

1) **التشوف** ص 312 ع 160

حـرف الـنون

1034) ناصر بن عبد العزيز الأغماتي

ناصر بن عبد العزيز بن ناصر الاغماتي ، أبو الفتوح ، روى عن السِّلَفي وسمع منه عبد المعطي ابن الأبياري الاسكندري المتوفى سنة 693 ثلاث وتسعين وستمئة ، ذكره في ترجمة تلميذه المذكور في (درة الحجال) كما سمع منه أبو الحسين شرف الدين يحيى بن أحمد ابن الصواف المتوفى سنة خمس وسبعمئة 705 المترجم فيها أيضا، وراجع ترجمة ابن الصواف المذكورُ في (الدرر الكامنة) ولم يذكر وفاته ، وذكرها في (شذرات الذهب ، في أخبار مَن ذهب) أبو الفلاح عبد الحي ابن العماد الحنبلي .

توفي المترجم ناصر في ذي الحجة سنة احدى وثلاثين وستمئة 631 كما في (الشذرات) .

1035) ناصر بوشنتوف ، عامل مراكش ، كان مستبدا على الوطاسي ويبذل له شيئاً تافها يتقيه به ، ولما مرَّ به الاشراف السعديون في أول أمره داعين الى الجهاد أحسن اليهم غاية ، ولما أوقعوا وقعة اسفي أبرموا أمرهم مع ناصر أبي شنتوف وأظهروا له المحبة والموالاة وطلبوا منه أن يظاهرهم على جهاد العدو وأن يكونوا يداً واحدة وجندا واحدا عليه ، فأسعفهم وقدموا مراكش فدخلوها مرة ثانية وأحسن اليهم ، وبعد أيام خرجوا به للصيد فسمُّوه في خبز صغير يسمى القريشلات (1) ، فهلك للحين، وهو الذي ينسب له الدرب المعروف بدرب شنتوف برياض العروس ، وكانت داره داخلة وخربت ، فصار يقال لها خربة ابن منصور .

---

1) **القرشالة** : خبز مستدير أصغر من قرص الخبز العادى ، يعجن دقيقه مخلوطاً بسكر ونافع وزنجلان ، جمع القرشالة قراشل ، وتصغيرها قريشلة

1036) **ناصر ابن الخياط** . السيد الفاضل ، المريد الصادق ، المحب الفائق ، ذو العهد الواثق ، من تلامذه سيدي عبد الله بن حسين رضي الله عنه ، حدث عنه الزروالي في تأليف مناقب شيخه سيدي أبى عمْرو بما نصه قال : كنت كثير الملازمة لخدمة سيدي عبد الله والمباشرة لحضرته والعكوف ببابه ، حتى عددت من أحبابه ، ولم يحل أحد بيني وبينه من خدامه وحجابه ، بل كنت من أشهر الخدام عند الخواصّ والعوام ، وانتفعت بذلك أي انتفاع ، واستمتعت ببركته أي استمتاع ، فبينما أنا بين يديه ذات يوم من الايام بعد صلاة العصر وقبل المغرب بين محب ومحبوب اذ دعاني فأجبته ، وأسر الي حديثاً خاصا من بين الخدام ، وهو يقول لي أُغدُ الآن تبتْ رجاءنا بالوادي النفيس برسم المبيت ، وهو يُؤكد علي في ذلك ، قال فخرجت في الحين مسرعا وبأدرع الصدق متدرعا ، وأنا الى ما وراء ذلك متطلع ، فما بلغت الا بعد أن أخذت شطرا من الليل في الطريق ، فوجدت فيها رجلا من الرجال ذا حالة وأحوال ، وهيبة وجلال ، لا يكاد يخفى على من رءاه أنه من أولياء الله من أجل ما بدا عليه من نسك المجتهدين ، وسيم العارفين ، وهو مع ذلك متقادم في الازمان والسنين ، قال فقلت في نفسي : لهذا بعثني السيد العارف ، وانه بما يحصل لي من هذا السيد لمكاشف ، قال فسلمت عليه بأفضل السلام ، واستوفيت له بعضَ ما يجب له من التعظيم والاجلال ، وقلت له ان السيد هو الذي بعثني لمؤانستك ومجالستك ، ولم يكن لي مطمع في رؤيتك ، فقال لي أهلا برسول الشيخ ومرحبا ، ومَن هو في بحر الانوار منقلباً ، فأنسني بحسن حديثه العجيب ، ونبهني بكل سر غريب ، وأفاد بحاله في الحقائق أوفر حظ ونصيب ، ومن جملة ما أفادنيه من حديثه المذكور ، ما أفيدكم به ياأتباع الشيخ الكامل لتزدادوا به حبا وبهجة وأكمل سرور ، ذلك أن هذا السيد قال لي : صليت يوماً بجامع الكتبيين مع الأشياخ الثلاثة ، أهل المكنة والاغاثة ، والمعرفة والاراثة ، الشمس المنيرة على البطاح ، والقمر المشرق الوضاح ، العبير المعنبر الفواح ، سيدي عبد الكريم عليه سلام الله كل غدوة ورواح ، والشيخ العارف الرباني ، المشهور بالعلوم والمعارف والمعاني ، ولي الله سيدي عبد الله الغزواني ، عليه سلام الله عدد الدقائق والثواني ، والشيخ الامام الزاعم ،

عضب الاسود والضراغم ، سيدي علي بن القاسم ، رضي الله عنهم وأرضاهم ، ونفع بهم وبمَن والاهم ، قال فلما قضيت الصلاة المكتوبة خرجوا وخرجت في أثرهم ألتمس بركتهم المحبوبة ، وكان خروجهم من أحد الابواب ، فلما توسطوا باب الرواح تكلم ولي الله سيدي عبد الكريم الفلاح ، قال وأفاد وباح ، ياسادتنا لا بد من عمران سوقنا بهذه الحضرة المحروسة عمارة ما رأى الراؤون مثلها ممن تقدمنا بجميعه رجل على أيدينا ، فسكت ، قال وتكلم سيدي علي بن القاسم فقال أنا صاحبي لا يستقيم حاله ، حتى تبيضَّ لحيته فيظهر جماله ، فسكت ، قال وتكلم سيدي عبد الله الغزواني وقال : أنا أشهر صاحبي بالتعريف ، وهو سيدي عبد الله بن حسين الشريف ، فكلما تعِبنا فيه يدركه من غير مشقة تناله في ذلك ولا تكليف ، قال ثم كرر الشيخ عبارة أخرى ، بحالة كبرى ، وهو يقول ياسادتنا الفقراء بقيت لي مسألة أخرى ، فألغز كل إلغاز ، وأتى بكلام يحمل على الحقيقة والمجاز ، وقال أنا أريد أن اطلع ساقية أبي عمرو وأغرس عليها جنة بأنواع الفواكه والتمر ، ولا أخليها من فاكهة تعرف ، حتى لا يبقى لداخلها شهوة اليها يتشوف ، وادخر فيها كل ما يصلح الطعام ، من أنواع الابزار والادام ، والخضر المختلفة الالوان ، تزهو بحسنها للناظر ، وتسلى القلوب والخواطر ، وتنور بها الابصار والبصائر ، كرامة للحضور والحضريات ، المتقادمين في سكنى البلد المتنعمات ، فان الحضور ناس ضعفاء الابدان ، لا قوة لهم على الجولان في البلدان ، ولا يقدرون على غيبة وحال ، واتساع في المجال ، وهو يستفهم صاحبيْه عن هذا المقال ، ويقول لهما أي شيء ظهر لكما ياسادتنا أيكون لغير الحضور فيها نصيب أو لا حظَّ معهم فيها لغير قريب ، فقالا له نظرك أوسع في هذا الباب ، والذي ظهر لك هو الصواب ، فلك الملك فامنُن أو أمسك بغير حساب ، فتنفَّس الصعداء وقال ، هي وقف على الحضور السعداء ، لا أجعل لغيرهم فيها حظاً معلوما ، فقد صيَّرها الله لهم رزقا مقسوما ، ولا يد لأحد عليها ، وهي لهم يتنعمون في اجنتها وأنهارها ، ويمرحون في أنوارها وأزهارها ، وكلما خرج من مائها يعود اليها ، (ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها) ، فاتفقوا على ذلك ولم يختلفوا ، وأمنوا على دعائه وانصرفوا ، واذهلوا بكلامهم جل العقول ، وفي ذلك أقول :

نحن بني السر والانسان أصـــول — أولاد ليث الوغى بذلك يصـــول
طريقتنا السهلة وقف علينا كمـــا — حبسها الجد في الأعقاب يحـــول
لا يطرق البيع والتغيير ساحتهـا — فيها خلقنا لها والفضل تخويـــل
فمن تأهّل للزلفي نقول لـــــه — لبيك ان عطاء الله مكمـــــــول
فأنت سيدنا ونجل سيدنـــــا — والفضل لله هذا العز والطـــول
لله من لذة عظمى نعيش بهـــا — وان توارين في البكماء يجـــول
طريقنا ما عليها لسوانا يـــــد — أساسها بسنام النهي محمـــول
الله خول والمختار كمـــــــل — والفلاح نول والارزاق سيـــول
وماؤها واحد وسرها نافـــــذ — وجاء في لذة الانواع تفصيــــل
ناول شيخ الشيوخ أهل حضرته — أسنى الموائد والمحسوس معقول
لله دركِ ياشيخ الشيوخ لقـــد — صرحت بالفضائل والاغوات تقول
قلت وكمل ربّ العرش رغبتكـم — ضمنتها ودعا بذاك خليـــــل

1037) **ناصر اليحيَوي** ، الولي الصالح ، ليس بينه وبين الشيـخ سيدي عبد العزيز التباع الا شيخ واحد ، وهـو الشيخ سيدي مبارك بـن تعليوت ، وضجيعه في القبر كما تقدم ، ويظهر لي أنه هو ناصر بن الخياط المذكور قبل ، تلميذ سيدي عبد الله بن حسين المغاري ، ولقي الشيوخ الثلاثة سيدي عبد الكريم الفلاح ، وسيدي عبد الله الغزواني ، وسيدي علي بـن بلقاسم ، وحدث عنه ونقل ذلك عنه الزروالي والحلفاوي في تأليفيهما ، ولم يدر صاحب (الممتع) شيخ سيدي ناصر المذكور .

1038) **الناصر ابن المولي اسماعيل الشريف العلوي** ، كان خليفـة أخيه المولي المستضيء على مراكش (1) .

1039) نجبة بن يحيى ابن نجبة الرعيني الاشبيلي

نجبة بن يحيى بن خلف بن نجبة بن يوسف بن عبد الله بن محمد ابن نجبة الرعيني، من هل اشبيلية، يكنى أبا الحسن، أخذ القراءات عن أبي الحسن

1) انظر بعض أخباره في ترجمة المستضيء من هذا الجزء ص 258

شريح بـن محمد ، وشعيب بن عيسى اليابـري ، وأبي جعفر ابـن عيشون الجذامي ، وأبى العباس ابن حرب المسيلي ، وروى عن صهره أبى مروان الباجي ، وأبي بكر بن العربي ، وأبي الحسن بن لب الباغي ، وأبي بكر بن طاهر ، وأبي جعفر بن ثعبان ، وأبي الخليل مفرج بن عبد الله ، وأبي الحسن ابن مسلم ، وأبى بكر بن فندله ، وأبي الوليد بن حجاج ، وأبى القاسم ابن الرماك ، وغيرهم ، وجاز له ولابنه يحيى : أبو بكر عتيق بن محمد الردائي من أصحاب ابن نفيس وطبقته سنة 525 وهو آخر مَن حدث عن أبي الحسـن القابسي .

وتصدر لاقراء القرءان وتعليم العربية ، وكان اماماً في ذلك مع الفضل والصلاح والتواضع وغلبة الخير عليه ، يتحقق بالقراءات ويشارك في الحديث .

استوطن مراكش باستدعاء السلطان اياه واستجلابه الّيها ، وأقرأ بها القرءان وبافريقية في حركته اليها مع جيوش الغرب .

قال ابن الابار : حدث عنه جماعة من شيوخنا وغيرهم ، وتوفي بقرية فيسانة في أخريات جمادى الآخرة سنة 591 ودفن باشبيلية ، قرأت ذلك بخط أبي الربيع بن سالم ، قال : وقال لي بعض أصحابنا انه توفي يوم الاربعاء السادس والعشرين (1) من جمادى الآخرة ، وكانت وفاته بالموضع المعروف بعطف جزيرة قبيطيل وهو واصل صحبة المنصور مقدمَه لغزو الروم ، وسيق الى اشبيلية فدفن بمقبرة الفخارين لصلاة الظهر من يوم الخميس المذكور .

انتهـى (2) .

وذكر في (التكملة) في ترجمة موسى بن محمد الكناني أنه سمع من صهره أبي الحسن نجبة بن يحيى وترجمه أيضاً في (بغية الوعاة) .

---

1) في بعض النسخ : ليلة يوم الخميس السابع والعشرين ، ولا تناقض بينهما

2) كل ما تقدم منقول مع حذف من **التكملة** ص 758 ع 1879

حــرف الصــاد

1040) الصادق بن محمد الهاشمي العلوي

الصادق بن محمد الهاشمي بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن الحفيد بن أبي القاسم بن الحسن بن يوسف بن علي الشريف السجلماسي ، حلاه في (الروضة المقصودة) بما نصه : العالم الذكي ، الفاضل السري ، الماهر المتفنن ، الأصيل المتمكن ، الجاري على سنن أسلافه في علمه ودينه ومروءته وانصافه ، أديب وقته في شرفاء مدغرة ، الذي لا يفي بشكره قلم ولا محبرة ، ثم ذكر نسبة الشريف ، ثم أنشد له قصيدة رائية من البسيط فيها أربعة وثلاثون بيتاً .

وقال في (الدرر البهية) : ومنهم الشريف الفقيه العلامة ، المشارك النفاعة ، قاضي الجماعة بسجلماسة ونواحيها ، سيدي محمد الصادق ، كان رضي الله عنه ورحمه من الجهابذة الاعلام ، وأحد أئمة الاسلام ، المرجوع اليهم في المسائل العظام ، تدفع اليه القضايا الصعبة من سائر أقطار المغرب فيفك معضلها ، ويحل مشكلها ، له باع في الاصول والفروع والحديث والتفسير والمنطق والبيان ، امام في كل فن ، أمير في الفنون وأحكام القضاء لا يضاهَى ولا يجارى ، كاد أن يملي المعيار من حفظه رحمه الله ، أخذ عن شيوخ عديدين، كالامام الرهوني ، والسيد أحمد بن التاودي ابن سودة المُري ، والسيد عبد القادر ابن شقرون ، والفقيه الزروالي ، والشيخ الطيب ابن كيران ، وغيرهم ، ودرس بفاس وبسجلماسة ، وانتفع به خلق كثير ، واستمد منه جمع غفير ، اتخذه أمير المومنين سيدي محمد بن عبد الرحمان شيخاً ، فكان يحضر مجلسه في الحديث ، وكان له فيه كبير اعتقاد ، ومع هذا فكان ولياً صالحاً ، عابداً عاملا ناصحا ، كثير العبادة والاذكار ، مع جلالة قدر ونفوذ أمـر ، مسموع

الكلمة ، مطاع في جميع الاقطار والبقاع ، أخذ طريق القوم عن الشيخ سيدي عبد الرحمان البدوي زويتن الفاسي ، وانتفع به ، لقيناه مرارا عديدة عند وفادته على الحضرة السلطانية في دولة أمير المومنين سيدي محمد بن عبد الرحمان ، وانتفعنا بنظرته وصالح أدعيته ، وسمعت منه أسرارا على حداثة سني وقتئذ ، فكانت كما قال ، أخبرني مَن لا اتهم من فقهائنا أنه سمع منه أمورا عظيمة ، ورأى له كرامات عديدة تشهد بجلالته وعظيم ولايته .

توفي رحمه الله بمراكش عند وفادته على أمير المومنين لقراءة صحيح البخاري على عادته ، فاخترمتْه منيته في ثالث شوال الابرك سنة تسع بتقديم المثناة وسبعين بموحدة ومئتين وألف 1279 ودفن بداخل قبة مولاي علي الشريف بجنب ضريح أمير المومنين مولانا سليمان ، وقد وقفت على قبره وزرته .

أخبرني أمير المومنين مولانا الحسن بن محمد أن والده أمير المومنين سيدي محمد هو الذي وضعه في قبره بيده ، قال لي وقد حضرت جنازته رحم الله الجميع .

وقلت فيه في منظومة رواة البخاري ما نصه :

أقول أروي جامع البخاري — رواية تعلو مدى الأدوار
عن شيخنا العلامة المذكور (1) — عن شيخه العلامة الشهير
العلوي النسبة في الأشراف — قدس سره الاله الشافي
دفين مراكش مَن به زكت — وطابت التربةُ منها مسكت
أبي السلاطين علي الشريف — سيدنا الذي الى المجد أضيف
توسلن به إلى الرحمان — تر الذي يعمُّ من احسان
قد كان ذا الصادقُ شيخاً صالحا — وعابدا وعالماً وناصحا
وكان في كل الامور ناجحا — بحراً بسنة النبيِّ طافحا
أمير أهل وقته في علمه — أصوله فروعه بفهمه

1) أعنى سيدى محمد بن ابراهيم السباعى (مؤلف)

فإن تعرض لحل مشكلــــــه ْ شفى الغليل موضحا للمسألـــــه ْ
من حفظه (المعيار) كاد يملــي وكان في تقريره يُجلِّــــــــي
سيدنا محمد تلمَّـــــــــذا له أمير ُ وقته وحبـــــــــــذا
كان له فيه كبير ُ الاعتقـــــاد منه استمدَّ علماء عُبَّـــــــاد
أطيع في كل النواحي أمـــــره وكان عندهم جليلا قـــــــــره
درس بالمدينتين الحِبَّتَيْـــــن وطنه وفاس المحروستَيْـــــن
أخذ عن جماعة عديــــــــــدة سيدنا أحمد نجل ســــوده
كذا الرهوني مع الزروالـــــي كذا ابن شقرون الامام العالـــي
كذا الامام الطيب ابن كيـــران وغيرهم أولو العلا والاحســـان
وضعه في قبره سيدنــــــا تلميذه السلطان حقَّ الاعتنـــا
قاله نجلُه أمير المومنيــــــن سيدنا الحسن ذو الفضل المبيـن
أخبر عن نفسه أنه حضـــــر جنازةَ الصادق ذي المجد الأغـر
شيخي أجاز متحفاً بمـــا روى بسند لدى الصحيحيْـــن روى
مثل موطأ الامام مالـــــك إمامنا منور الحلائــــــك
كذا شمائل الامام الترمـــذي كذا الشفاء للامام المحتـــذى
أبي الفضائل امام الديـــــن مزيل ريب الشك باليقيــــن

وقد كتب مولاي سليمان لوالده السلطان مولاي عبد الرحمان مـن تافيلالت في 2 ربيع الاول عام 1272 بأنه طلب مـن المترجم القاضي الأعـدل افتتاحَ مجلس لتعليم العلم بضريح مولانا علي الشريف في صدر النهار قبل حضور الخصوم لينتفع بذلك الخاص والعام ، وأجابه لذلك ، وشرع معه في قراءة شمائل المصطفى (ص) وورد لهم الامر الشريف بذلك .

تنبيـه : مولاي الصديق بن الهاشمي غير مولاي الصادق ، فمولاي الصديق مدغري من حفدة مولاي عبد الله بن علي بن طاهر ، وهو المذكور في رحلة الامام أبن عبد السلام الناصري ، وفي ديوان ابن ادريس .

واعلم أن للمترجم ختمة على المختصر أخذها مولاي مَحمد العلوي ومولاي عبد المالك الضرير في ختمتيْهما على المختصر ، ثم أخذ سيدي محمد

العراقي القاضي ختمتَه على المختصر من ختمة مولاي مَحمد العلوي كما قال سيدي مَحمد القادري رحم الله الجميع .

1041) **صالح بن واندلوس السوسي** ، الأسود ، أبو محمد ، أصله من رودانة ، استوطن مراكش وأغمات وريكة بعد أن حجّ واستقر أخيرا بالسوس الأقصى ، وبه مات رحمه الله تعالى بعد التسعين والخمسمئة ، وكان أبو محمد من الافراد ، اذا رءاه مَن لا يعرفه ظنّه معتوها ، وكان لا يمسك مما يفتح له فيه .

قال في (التشوف) سمعت مخلوف بن محمد الانصاري وكان من جيرانه الخاصين به يقول : حدثني أبو محمد صالح قال : لما علمت كسرت لأهلي خوابيَ المسكر ، فسجنوني ، فقلت لهم : لن أنطلق من سجنكم حتى يصلَ الى هذا البلد أقوام يضفرون شعورهم كالنساء ، يعني الأغزاز ، وتنهزم طائفة من سور البلد ، فقال أهلي حمق صالح وقيدوني ، فأقمت في السجن الى أن دخل الاغزاز ، فوصلت منهم طائفة الى السوس ، وانهزمت طائفة من السور ، فخرجت من السجن وتوجهت الى المشرق ، وصحبني رجل من أهل بلدي ، فكلما دخل بلدا رام بيْعي وأدخلني في السوق فلا يجد مَن يشتريني وأنا لا أنكر عليه شيئاً ، الى أن رجعت الى السوس ، فحدثت عنه أنه لما وصل بلده تصدق على المساكين بجميع ما ورثه عن أبيه من الأملاك ، ولم يتمسك بشيء .

وحدثني علي بن أحمد الصنهاجي قال ، حدثني أبو محمد صالح قال : عندي صديق من مومني الجن وعدني أن يعطيني درهميْن كل يوم على أن لا اخذ من أحد شيئاً فاحتجت الى تجهيز يتيمة أخذت لها مالا أجهزها به ، فغاب عني شهرين ثم عاد الي وقال : ألم أوافقك على أن لا تأخذ من غيري شيئاً .

وحدثني ابراهيم بن أحمد قال : سمعت يوسف بن عيسى بن عمران يقول : حضرت بدار الشيخ أبى يعقوب المبتلى خارج باب أغمات بحارة الجنمي مع جماعة فيهم أبو محمد صالح ، وكان بيده درهم فكان يرميه من يد الى يد الى أن سقط من يده ، فطلبناه أشدّ الطلب فلم نجده ، فقال لنا ان لي صاحباً من الجن فاذا وقع في يدي متشابه رماه من يدي ولم يتركه فيها .

حدثني أحمد بن محمد القيسي قال : أخبرني عبد الوهاب بن الغازي قال : دخل علي أبو محمد صالح يوما برجل عريان مجروح خرج عليه قوم فجرحوه وسلبوه أثوابه ، فقال لي ياعبد الوهاب اكسُ هذا وأعطه ما يستعين به ، فاعتذرت اليه ، فقال لي : والله لا أفلحت أبدا ، ولينهدمنَّ لك من هذا البيت ما تنفق فيه خمسين دينارا ، فقلت له لا تفعل ياأبا محمد ، دعني بالله من كلامك ، فخرج عني بالرجل فخرجت من البيت بعد ساعة فانهدمت منه طائفة أنفقت في بنائها خمسين دينارا .

وحدثني ابراهيم بن أحمد الوراق ، قال سمعت ابراهيم بن محمد بن يوسف ابن زكرياء الشاهد يقول ، مرَّبي أبو محمد صالح يوم الجمعة ، وكان اليوم الحادي عشر من شعبان من سنة احدى وتسعين وخمسمئة وانا في جماعة ، فقال لي قد اجتمع ألفريقان ، وكان الظفر لصاحبنا ، فلم نفهم معنى كلامه ، فكأنه علم أنا لم نفهم عنه ، فعاد الينا وقال : قد اجتمع المسلمون والكفار ، ونصر الله طائفة الاسلام ، فدخل كل واحد منا داره ، وأرخ اليوم الذي حدّث فيه ، ثم بعد ذلك وصل الخبر الصحيح من جزيرة الاندلس بغزاة الارك التي هَزَمَ المسلمون فيها ألفونسو الثامن (I) وجيش الروم ، وأن ذلك كان من فتح الله تعالى ونصره يوم الاربعاء التاسع من شهر شعبان سنة احدى وتسعين وخمسمئة ، وحدثني بهذا الخبر غيرُ واحد من الموثوق بهم عن جماعة أخبرهم أبو محمد صالح بوقعة الارك وهي صحيحة .

وقال لي ابراهيم بن أحمد : كان أبو محمد صالح صديقا لأبي ، فسافر أبي مرة الى بلد أزمور ، فلقيته فقال لي لأي شيء لا تزور والدك ؟ فقلت له ليس عندي شيء أصلح به شأني ، فقال اذا فتح الله لك في عشرة دنانير أتزوره ؟ فقلت له نعم ، ففتح الله لي في أمد يسير في عشرة دنانير ونسيت ما عاهدني عليه أبو محمد صالح ، فلقيني وقال لي : تركت زيارة أبيك ، فقلت له الآن أشرع في ذلك ، فقال لي لا تتحرك ، فانه سافر من بلد

I) في الاصل اذفونش

أزمور ، ثم مكثت أياماً فاتصل بي أن والدي سافر من بلد أزمور ، ثم أتيت يوما الى منزلي فوجدته واقفا ، وكان من عادته اذا أراد أن يُكلم أحدا يُطأطىء رأسه ، ويتكلم وحده وهو ينظر الى الارض ، فقال لي أما بلغك الخبر ؟ فقلت له ما بلغني شيء ، فقال لي مات صاحبنا ، وانصرف عني ، ولم أفهم معنى كلامه ، فأقمت أياماً وجاءني الخبر بموت أبي ، ثم ورد علي كتاب فيه كيفية قتله ، فحدثني بأمره كما ورد الكتاب علي بشرح الحال ، ولم يخالف قوله شيئاً مما ورد علي به الكتاب .

فقلت : أدركت أنا بمراكش أبا محمد صالح ورأيته ، وكان يأتي إلي ويكلمني بكلام لا أفهمه ، واذا رءاه من لا يعرفه يقول هذا مجنون ، وكان المساكين لا يفارقون منزله فتارة يخرج اليهم بصدقات ، وتارة يرمي اليهم الدراهم من بين الابواب ، وكان من أعاجيب الزمان ، وأخباره كثيرة عجيبة ، يكفي منها ما أوردته (1) .

وقد ذكر بعضَ هذا الحضيكي في طبقاته .

1042) صالح بن محمد العمري المسوفي الشهير بالفلاني قرأ الموطأ برواية يحيى بن يحيى الليثي قراءة بحث وتدقيق مع احضار (الاستذكار) و (المنتقى) و (القبس) و (المختار) و الزرقاني و (التنوير) و (المخلص) والغافقي على الشيخ المعمر المحقق المدقق ، محمد بن محمد ابن سنة العمري الفلاني ويرويه الشيخ صالح أيضاً في المدينة المنورة عن الشيخين المرحومين الشيخ محمد سعيد سفر والشيخ محمد بن عبد الله المدنييْن قراءة على الأول من أوله الى آخره ، وقراءة على الثاني من أوله الى ءاخره ، واجازة للباقي ، ويرويه صالح برواية أبي مصعب أحمد بن أبي بكر الزهري عن ابن سنة عن مولاي الشريف عن علي الاجهوري ، ويروي صحيح البخاري من طريق أبي ذر رواية ودراية تحقيقاً وتدقيقاً عن العلامة المسند المعمر الفهامة ، محمد ابن سنة قراءة عليه من أوله الى ءاخره مرة ، وسماعا

---

1) الترجمة منقولة بالحرف من **التشوف** ص 348 ع 179

منه مرارا مع احصار الارشاد والفتح والكواكب والمشارق والتعليق والتوضيح واللامع وابن المنير وابن بطال والتوشيح وابن غازي وزروق والسنوسي عن مولاي الشريف محمد ، ورواية البربري من طريق الختلاني عن سفر ، ويروي الشيخ صالح صحيح مسلم رواية ودراية عن الشيخ محمد سعيد سفر ، وصالح عن الشيخ الشريف مولاي سليمان الدرعي عن شيخه حسن العجيمي ، ويروى صالح سننَ أبي داوود قراءة مـن أوله الى كتاب الحج عـن مولاي سليمان المذكور الدرعي عن التنبكتي ، ويرويه عن ابن سنة قراءة لاوله واجازة للباقي، وبقراءة لأوله الى بدء الاذان وسماعا للباقي بقراءة غيره على الشيخ محمد بن محمد بن عبد الله المغربي المدني والشيخ محمد بن سنة العمري ، ويروي جامعَ الترمذي قراءة لبعضه واجازة للباقي عن مولاي سليمان المذكور وابن سنة والشمس ، ويرويه قراءة ورواية ودراية لجميعه عن الشيخ محمد سعيد سفر المدني ، ويرويه أيضا قراءة للبعض وسماعاً لسائره بقراءة غيره عن الشيخ محمد بن محمد بن عبد الله ، وسنن النسائي الكبرى والصغرى فيرويهما قراءة لأولهما واجازة لسائرهما عن ابن سنة ، والصغرى قراءة من أولها الى آخرها عن الشيخ محمد سفر في الروضة النبوية عام واحد وتسعين ومئة وألف في رمضان بعد العصر الى المغرب في سبعة وعشرين مجلسا مع مجلس الختم ، وقرأها من أولها الى كتاب الحج على الشيخ محمد بن محمد بن عبد الله ، وسنن ابن ماجة قراءة من أولها الى آخرها على محمد سعيد سفر ، ومسند الدرامي قراءة من أوله الى الزكاة واجازة لسائره على الشيخ محمد سعيد سفر، وصحيح ابن حبَّان المسمى بالتقاسيم قراءة لاوله واجازة لسائره عن الشيخ محمد سعيد سفر ، ويروي المستدرك للحاكم ويروي مسند الامام أحمد ابن حنبل مع زوائد عبد الله قراءة من أوله الى مسند المكيين واجازة لسائره على سعيد سفر ، ويرويه عالياً سماعاً من أوله الى مسند أهل البيت بقراءة غيره على الشيخ محمد بن محمد بن عبد الله المغربي ، ويرويه عاليا اجازة مع قراءة البعض على ابن سنة عن مولاي الشريف ، ومسند الامام الشافعي قراءة من أوله الى آخره عن الشيخ محمد سعيد سفر وعن ابن سنة ، وسنن الدرقطني قراءة من أوله الى آخر الجلد الاول وهو كتاب الحج على الشيخ محمد سعيد

سفر ، واجازة لسائره عن ابن سنة ، والسنن الكبرى والصغرى للبيهقي قراءة لأولهما على الشيخ محمد سعيد سفر ، واجازة لسائرهما ، وشرح السنة والمصابيح ومعالم التنزيل للبغوي قراءة من أوله الى كتاب الحج ، وقراءة للثاني من أوله الى ءاخره ، والثالث من أوله الى سورة المومنين على الشيخ محمد سعيد سفر ، واجازة لسائره ، ومشكاة المصابيح قراءة من أوله الى ءاخره على الشيخ محمد سعيد سفر ، والأدب المفرد للبخاري قراءة من أوله الى ءاخره في سبعة عشر مجلسا علـى محمد سعيد سفر ، بعد الظهر فـي الروضة النبوية ، واجازة عن ابن سنة ، والترغيب والترهيب ، ومختصـر مسلم ، ومختصر أبي داوود ، قرأ الثلاثة من أولها الى ءاخرها على الشيخ أحمد بن محمد سعيد سفر ، على والده محمد سعيد ، وأجازه هو أيضا بهـا بسنده في سنن الدار قطني والاستذكار ، والتمهيد ، والكافي ، وكتاب العلم، والاستيعاب ، والتقصي ، كلها لابن عبد البر ، قرأ بعض الاوليْن وإجـازةْ لسائرهما والخامس ، وقرأ الثالث والرابع من أولهما الى ءاخرهما على ابن سنة ، وشرح الموطأ لمحمد الزرقاني قرأ أكثره على الشيخ محمد سعيد سفر، وشرح الكرماني على البخاري قرأ غالبه واجازه سائره ابن سنة ، وفتح الباري ومقدمته قرأهما سرداً من أولهما الى ءاخرهما على الشيخ أحمد بن محمد سعيد سفر ، واجازة عن ابن سنة ، وأرشاد الساري قـرأ أكثره على ابـن سنة ، وأجازه سائره ، وشرحه المسمى بتحفة القاري لشيخ الاسلام زكرياء قراءة لبعضه واجازة لسائره عن ابن سنة ، وحاشية ابن غازي على صحيح البخاري سماعاً من أولها الى ءاخرها بقراءة بعض الطلبة على ابن سنة ، وحاشية الشيخ زروق على البخاري بالسند المتقدم ، وحاشية السيوطي المسماة بالتوشيح سامعاً على ابن سنة ، وتنقيح الزركشي قراءة منه لمواضع كثيرة واجازة لسائره على ابن سنة ، والمصابيح للدماميني سماعاً لبعضها وقراءة لكثير منها واجازة لسائرها عن ابن سنة ، واللامع الصبيح للبرماوي سماعاً لأوله وقراءة عليه لطرف منه واجازة لسائره عن ابن سنة ، والمشارق للقاضي عياض سماعا لأكثرها وقراءاة لسائرها على ابن سنة ، والشفا قرأه سبع مرات قراءة بحث وتحقيق عن ابن سنة باحضار غالب الشروح والحواشي وغير ذلك وشرح

البخاري للعيني وشرح الشواهد له قراءة لبعضها واجازة لسائرها عن ابن سنة . واكمال الاكمال في شرح مسلم للأبي قراءة لبعضه وإجازة لسائره عن ابن سنة ، وشرح النوَوي قراءة لبعضه وإجازة لسائره عن ابن سنة ، وشرح السنوسي على مسلم سماعاً من أوله الى ءاخره على ابن سنة ، وجامع الاصول لابن الأثير قراءة لأوله على الشيخ محمد سعيد سفر ، واجازه سائره ، ومجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيتمي قراءة من أوله الى كتاب العلم على محمد سعيد سفر ، وأجازة لسائره ، وعلوم الحديث لابن الصلاح قراءة من أوله الى ءاخره على الشيخ محمد سعيد سفر ، وألفية العراقي وشرحها له قراءة من أولها الى ءاخرها على أبن سنة ، وحواشي الكتب الستة ومسند الامام أحمد بن حنبل للشيخ أبي الحسن السندي الكبير قراءة لأول كل منها على الشيخ محمد سفر وأجازة لسائرها عن مؤلفها ، ومعالم السنن ، وشرح سنن أبي داوود للخطابي قراءة من كتاب الفتن الى ءاخر الكتاب على الشيخ محمد سعيد سفر ، واجازة لسائره ، وعارضة الاحوذي في شرح الترمذي قراءة لكتاب البيــوع منه وهو أول الجلد الثاني على محمد سعيد سفر ، واجازة لسائره عن أبي الحسن السندي ، وكتاب أقضية رسول الله (ص) لابن فرج مولى ابن الطلاع سماعا من أوله الى ءاخره عن ابن سنة ، وكتاب بهجة النفوس لابن أبي جمرة قراءة من أوله الى ءاخره على ابن سنة ، والأحكام الكبرى والصغرى لعبــد الحق قراءة للثاني من أوله الى ءاخره ، والأول الى كتاب الزكاة على ابن سنة ، والعمدة للحافظ عبد الغني المقدسي قراءة من أوله الى ءاخره رواية ودراية في اثني عشر مجلساً بأم القرى على محمد سعيد سفر ، وشرح العمدة لابن دقيق العيد قراءة على الشيخ أحمد سفر من أوله الى ءاخره ، وتفسير ابن عطية سماعا من أوله الى ءاخره على ابن سنة ، ومعالم التنزيل للبغوي قراءة على ابن سنة ، وتفسير القرطبي في عشرين مجلدا وتذكرته ، قرأ الثاني من أوله الى ءاخره ، والأول الى سورة ءال عمران على ابن سنة ، وتفاسير الواحدي الوجيز والبسيط والوسيط قرأ طرفاً من الأول من أوله الى سورة البقرة على ابن سنة المذكور ، وتفسير الفخر الرازي وهو خمسة عشر مجلدا قرأ المجلد الأول وهو تفسير سورة الفاتحة على الشيخ أحمد بن محمد سعيد سفر .

والكشاف للزمخشري قرأه من أوله الى تفسير سورة البقرة على الشيخ محمد سعيد سفر ، وتفسير البيضاوي قرأه من أوله الى ءاخر سورة البقرة على المذكور ، والتفاسير الثلاثة لأبي حيان قرأ البحر المحيط الى تفسير سورة الفاتحة ، والنهر الى قوله تعالى لّن تنالوا البر على ابن سنة ، وتفسير ابن جزي سمعه من أوله إلى ءاخره على ابن سنة ، وتفسير عبد الرحمان الثعالبي قرأه من أوله الى ءاخره على مولاي سليمان بن محمد ، وسيرة ابن اسحاق قرأها من أولها الى ءاخرها على ابن سنة ، وسيرة الكلاعي قرأها من أولها الى ءاخرها على ابن سنة ، والروض الأنف سمعه من أوله الى ءاخره على ابن سنة ، وعيون الأثر لابن سيد الناس بالسند الى ابن حجر ، والسيرة الحلبية قرأ أولها الى ذكر أجداده عليه السلام على ابن سنة ، والمدونة الكبرى والمختلطة قرأها من أولها الى كتاب الحج ، ومن كتاب السلم الاول الى ءاخر كتاب السلم الثالث قراءة بحث وتدقيق مع احضار التنبيهات والطراز على ابن سنة ، والعتبية وتسمى المستخرجة قرأ أولها الى سماع أشهب وابن نافع على ابن سنة ، والتهذيب لأبي قاسم البرادعي قرأه من أوله الى ءاخرهقراءة بحث وتحقيق وتدقيق على علامتيْ المفهوم والمنطوق محمد ابن سنة العمري ومولاي سليمان الدرعي ، وكتاب الرسالة لابن أبي زيد وكتاب المدارك في اختصار المدونة سمع الأول مرارا على ابن سنة مع الشروح الثلاثة لأبي الحسن عليه ، والثاني من لفظه ، مرة من أوله الى ءاخره وكتاب التعريف لابن الجلاب ومسائل الخلاف قرأ الاول من أوله الى ءاخره ، والثاني الى الحج على ابن سنة ، وكتاب التلقين وكتاب المعونة لدرس مذهب عالم المدينة ، وكتاب في شرح مختصر أبي محمد لم يتم ، وشرح المدونة ، وكتاب الاشراف في مسائل الخلاف ، وشرح الرسالة كلها للقاضي عبد الوهاب قرأ الأوليْن من أولهما الى ءاخرهما على ابن سنة ، وقرأ بعض الباقي ، والبيان والتحصيل لما في المستخرجة من التوجيه والتعليل ، والمقدمات والممهدات ، واختصار المبسوط ، وتهذيب نكت الطحاوي في مشكل الآثار والفتاوي في النوازل كلها لابن رشد قرأ الأول من أوله الى كتاب الزكاة وشيئاً من ءاخر الثالث على ابن سنة ، وجامع الامهات لابن الحاجب ومختصر منتهى السول والأمل في

الأصول وفي الجدل ، وكافيته في النحو ، وشافيته الصرفية ، ووافييه وأماليه وشرحه على المفصل ومنظومته في العروض والقوافي قرأ الاولين والرابعة من أولها الى ءاخرها قراءة تحقيق وتدقيق على ابن سنة ، ومختصر ابن عرفة الفرعي والمنطقي وفي الفرائض قرأ الاول من أوله الى الزكاة ومن السلم الى الرهن والآخرين من أولهما الى ءاخرهما على ابن سنة ، ومختصر خليل قرأه جميعاً تفقهاً وتحقيقا لمقاصده مفهوماً ومنطوقا على الشيخين العَلَمين مولاي الشريف أبي القاسم والشيخ محمد ابن سنة مع مراجعة غالب شروحه كشرح الأجهوري الوسط والسنهوري والحطاب وعبد الباقي وشرح الخرشي وشرحي التتائي وشروح بهرام الثلاثة وشرح الحضيري والسوداني والوداني وأحمد بابا وشرحي المواق وشرح اللقانين وغير ذلك من الشروح والحواشي مسلسلا بقراءة تحقيق وتدقيق ، وكتاب الذخيرة ، ومقدمته ، التنقيح ، وشرح المحصول ، وشرح الاربعين وشرح التفريع لابن الجلاب ، وكتاب الأمنية في النية ، والفروق ، وهو قواعده كلها للقرافي وسائر تصانيفه قراءة واجازة على ابن سنة وكتاب المُعتمد في الفتوى على مذهب الامام وشرحه المستند ، والعدة في اختصار العمدة ، ثلاثتُها لأبي مهدي المغيلي قرأها قراءة بحث وتحقيق من أولها الى ءاخرها على ابن سنة ، والشامل لبهرام وشروحه الثلاثة على مختصر خليل وشرحه على شامله قرأ بعضها على ابن سنة ، وشرح مختصر ابن الحاجب وتبصرة الحكام والألغاز والديباج كلها لابن فرحون عن ابن سنة ، وكذلك شرحه لابن عبد السلام ولابن راشد القفصي ، وشرح مختصر خليل للبساطي ، ومغني اللبيب له أيضاً قراءة على ابن سنة ، وإجازة ، وشرح مختصر أبن الحاجب الفرعي ، وشرحا مختصر خليل ، وشرح رسالة ابن أبي زيد كلها للتتائي ، وفهرسته ، وسائر تصانيفه عن ابن سنة ، وشرحا المختصر للمواق قرأ الكبير الى البيوع ، والصغير الى الحج على ابن سنة ، وشفاء الغليل في شرح لغات خليل ، وشرح ءاخر عليه ، وستة شروح على رسالة ابن أبي زيد ، وشرحان على البخاري كلها لأبي الحسن الشاذلي ، وتحفة المصلي ، وشرحه ، والمقدمة ، وشرح مسلم ، وسائر تصانيفه ، سمعها على ابن سنة ، الا شرحَ البخاري ومسلم فبالاجازة مع سماع البعض ،

وشرحه للحطاب وشرحا الورقات ، والمتممة ، وتحرير الكلام في مسائل الالتزام ، وتفريج الكرب ، وشرح منسك خليل ، كلها له ، قراءة على ابن سنة واجازة ، وشرحه للسنهوري قراءة على ابن سنة واجازة ، وشرحاه للأجهوري ، وحاشيته على شرح الرسالة للتتائي ، وشرح خطبة الرسالة ، وشرح خطبة المختصر ، وشرح ألفية السيرة للعراقي ، والفتاوي ، وشرح مختصر ابن أبي جمرة ، وشرح تهذيب المنطق ، وحاشيته على شرح النخبة ، ومنسك صغير ، وعقيدة منظومة ، وشرحها ، كلها قراءة واجازة عن ابن سنة ، وشرحه لابن مرزوق الحفيد من أوله الى فرائض الصلاة مجلدان ومن القضاء الى ءاخر الكتاب مجلدان ، وشرحه على البردة والهمزية والشقراطيسية والجمل الخزرجية بين قراءة واجازة على ابن سنة ، وشرحه للشيخ أحمد بابا ، ورسالته في (خصصت نية الحالف) ، وشرحه على أم البراهين ، وكفاية المحتاج ، ونيل الابتهاج ، وجميع تصانيفه عن ابن سنة ، وتحفة الحكام لابن عاصم قرأها من أولها الى ءاخرها عن ابن سنة ، وشرحها لميارة ، وسائر كتبه قراءة على ابن سنة ، وشرح الرسالة ، وشرح العمدة ، وشرح الاربعين النووية ، كلها للفاكهاني عن ابن سنة ، وشرح مختصر ابن الحاجب الأصلي ، والمواقف ورسالة الوضع وأخرى في ءاداب البحث والمناظرة ، وشرح المفاتح ، كلها للعضد وتصانيفه كلها عن ابن سنة ، وحاشية التفتزاني على شرحه ، وسائر تصانيفه عن ابن سنة ، وشرح مختصر ابن الحاج الأصلي لسعيد بن محمد العقباني ، وشرحه على الحوضية في الفرائض ، وشرحه على العقيدة البرهانية ، وشرحه على الجمل الخونجية ، قرأ كلها على الشيخ عبد الكريم ، وشرح الجمان للسبكي ، وجمع الجوامع له ، وشرحه على منهاج البيضاوي ، قراءة واجازة على المذكور ، وشرح جمع الجوامع للمحلي وشرحه على الورقات ، وتفسيره وشرحه ، لولي الدين العراقي ، وشرحه على تقريب الاسانيد ، والمستفاد من المبهمات ، وشرحه على سنن أبي داوود ، عن ابن سنة ، وكتاب سيبويه في النحو ، وكتاب القوافي له ، قرأ الأول من أوله الى قوله : هذا باب الامر والنهي ، ومن قوله : هذا باب الاضافة الى ءاخر الكتاب ، والثاني قراءة من أوله الى ءاخره على ابن سنة ،

وكتاب الجمل للزجاجي ، والأمالي له ، قرأ الاول من أوله الى ءاخره ، وأول الثاني ، وكتاب الجمل للشيخ عبد القادر الجرجاني ، ودلائل الاعجاز والعوامل له ، قرأ الاول والاخير من أولهما الى ءاخرهما على ابن سنة ، وأجازه الثاني ، والمقدمة الجزولية عن ابن سنة ، وكتاب الايضاح والتبصرة ، والتذكرة ، لأبي علي الفارسي ، وسائر تصانيفه ، قرأ البعض على ابن سنة ، وكتاب المقرب لابن عصفور ، وشرح الجمل ، وسائر تصانيفه عن ابن سنة ، والمقدمة الجرومية ، سمعها مراراً وقرأها على ابن سنة وغيره ، وكتب ابن مالك بين قراءة واجازة عن شيخه المعمر ، البركة والمدخر ، الذي لم تر عينه مثله في جودة الفهم وقوة الحفظ والاجتهاد في العبادة ، وسرعة الحفظ والزهد في الدنيا ، محمد ابن سنة العمري ، وشرح التسهيل لناظر الجيش ابن سنة ، والمفصل للزمخشري وسائر تصانيفه بين قراءة واجازة عن ابن سنة ، والتوضيح ، ومغني اللبيب ، والنزهة ، والشذور ، وشرحه ، والقطر ، وشرحه ، والجامع الصغير ، والتذكار ، وحواشيه على التسهيل ، كلها لابن هشام وسائر تصانيفه عن ابن سنة ، والتصريح على التوضيح ، وشرح الأجرومية الأزهرية وشرحها ، وشرح جمع الجوامع ، واعراب الألفية ، وشرح قواعد الاعراب لخالد الأزهري ، قرأها كلها قرأءة تحقيق وتدقيق على ابن سنة ، وشرح الالفية لابن عقيل ، وشرحه على التسهيل عن ابن سنة ، وشرحها للمكودي ، والبسط والتعريف له قرأهما قراءة بحث وتقرير وتحقيق على ابن سنة ، وشرحها للأعمى والبصير وبديعة وسائر تصانيفه عن ابن سنة، والملحة ، ومقامات الحريري ، ودرة الغواص ، قرأ جميعها من أولها الى ءاخرها على ابن سنة ، والشروح الثلاثة على مقامات الشريشي عن ابن سنة ، وتلخيص المفتاح في المعاني والبيان والايضاح للقزويني عن ابن سنة ، وشرح بهاء الدين السبكي عليه عن ابن سنة ، وكتاب العين المنسوب الى الخليل قرأه من أول حرف العين وهو أول الكتاب الى ءاخر حرف الخاء على ابن سنة ، وصحاح الجوهري قرأ أوله الى باب الباء على ابن سنة ، وأجزاءه سائره ، وكتاب الفصيح لثعلب عن ابن سنة ، واصلاح المنطق لابن السكيت عن ابن سنة ، والقاموس للمجد قرأه من أوله الى ءاخر حرف الهمزة على ابن

سنة قراءة تحقيق وتدقيق ، والمجمل لابن فارس وفقه اللغة له عن ابن سنة ، وأمالي القالي عنه ، والعباب للصغاني ومشارقه وشواذه وجميع تصانيفه عن ابي سنة ، والكامل للمبرد عن ابن سنة ، وحواشي ابن بري على الصحاح عن ابن سنة ، وتهذيب اللغة للأزهري عنه ، ولسان العرب قرأه من أوله الى باب الهمزة على ابن سنة ، والارشاد الشامل والبرهان والورقات كلها لامام الحرمين ، وتصانيفه الباقية بين قراءة واجازة على ابن سنة ، وكتب الرازي والأربعين والمحصول وأجوبة المسائل النجدية ، والمحصل والملخص ومعالم الأدلة ، ونهاية العقول ، والمباحث العمادية عن الشيخ عبد الكريم ، ومحصل المقاصد وبغية الطالب لابن زكري قرأهما على ابن سنة ، واضاءة الدجنة للمقْري وقصيدته في المخمس قرأهما قراءة بحث وتحقيق مع مطالعة شروح الأولى ، وفتوحات ذي الرحمة وارشاد الخالق والمصور للغدامسي ورائحة الجنة للنابلسي على شيخ عبد الكريم ، وشرحا محصل المقاصد للمنجور وحاشيته على شرح الكبرى قرأها من أولها الى ءاخرها على الشيخ عبد الكريم ، وحاشية اليوسي على شرح الكبرى وعلى مختصر السنوسي ، وزهر الاكم في الامثال والحكم ، وداليته وشرحها ، ومحاضرته كلها لليوسي ، قراءة لجميعها على الشيخ عبد الكريم والجوهرة وشروحُها الثلاثة ، وشرح على مختصر خليل ، وبهجة المحافل لرجال الشمائل ، كلها لابراهيم اللقاني عن ابن سنة ، وشرح السلم لقدورة ، قرأه قراءة بحث وتحقيق على الشيخ عبد الكريم ، وشرح جمل الخونجي للشريف التلمساني عن ابن سنة ، والقصيدة الخزرجية عن ابن سنة ، وشرحها للشريف الغرناطي عن ابن سنة ، والشاطبيتان قرأهما على ابن سنة ، والحصن الحصين وعدته قرأهما على ابن سنة ، وشرحا الشاطبيتين للجعبري عن ابن سنة ، وشرحاهما للسخاوي عن ابن سنة ، وشرح الكبرى منهما للفاسي عن ابن سنة ، والحكم لابن عطاء الله ، ولطائف المنن ، وكتاب التنوير وإسقاط التدبير ، ومفتاح الفلاح ، وتاج العروس بين اجازة وقراءة على ابن سنة ، والمدخل لابن الحاج قرأه كله على ابن سنة ، واحياء علوم الدين ، ومنهاج العابدين وسائر تصانيف الغزالي عن ابن سنة ، وأحزاب الشاذلي قرأ أحزابه الستة على ابن سنة ، ودلائل الخيرات للشيخ

الجزولي قرأه كله على الشيخ محمد سعيد سفر ، والعقد الثمين في تاريخ البلد الامين بين قراءة أوله واجازة سائره على ابن سنة ، والشمائل للترمذي عن ابن سنة .

لخصت (1) مقروءاته ، أعني الشيخ صالح الفلاني ومسموعاته من فهرسته العجيبة الجامعة المختصرة المسماة (قطف الثمر ، في رفع أسانيد المصنفات في الفنون والأثر) من نسخة خطية كتبت بالمدينة المنورة بخط الشيخ عمر حمدان التونسي المدني ، وقد طبع هذا الفهرس الطبعة الاولى بمدينة حيدر أباد الدكن الواقعة في الهند سنة 1328 في صحائف 74 أتم المؤلف فهرسته هذه عام 1203 ورفع في ءاخرها عمود نسبه العمري ، ونصه : قال ملفقة : صالح بن محمد بن نوح بن عبد الله بن عمر بن موسى بن محمد بن محمد بن محمد بن مَحمد بن عبد الله بن عمر بن عبد الله بن عمر بن علي بن محمد بن أحمد بن عمر بن محمد بن محمد بن العلامة الحافظ عليم الأندلس الشاطبي بن عبد العزيز بن عبد الرحمان بن أبي القاسم خلف بن هانيء بن ادريس بن عامر بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عمر بن عبد الله بن علي بن أبي بكر بن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزيز بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بمهملة ثم معجمة وءاخره مهملة ، بن عدي ابن كعب بن لؤي بن غالب ، المسوفي الشهير بالفلاني العـُمـَري .

وقد ذكره تلميذه مفتي الشام محمد بن عابدين ثبته ، ومن شيوخه أيضا العلامة محمد بن عبد السلام الناصري ، أخذ عنه بالمدينة وأجازه بالمنح البادية ، وشهد له بالرؤية الناصرية .

قال السيد عبد الحي الكتاني ما نصه : الحمد لله ، من أعجب ما يستغرب ، وأغرب ما يعجب ، ما ذكره مسند الحجاز وحافظ المالكية ، الشيخ صالح الفلاني في ثبته الكبير الذي ألفه بعد (قطف الثمر) وهو ثبته الكبير ، وفي الكبير ذكر دخول شيخه ابن سنة وشيخه الوولاتي الى سائر

---

(1) وليته لم يفعل

بلاد المغرب ومن ذلك مراكش أن ممن أجاز شيخه المعمر محمد ابن سنة الفلاني وشيخه مولاي الشريف الوولاتي كافة شيوخ القرن الحادي عشر بل للثاني كافة شيوخ القرن العاشر ، وذلك أنه أتى لكافة شيوخ عبد القادر الفاسي وتلميذيه العياشي واليوسي المذكورين في فهرستيْهما وكذا شيوخ تلميذهم محمد بن عبد الرحمان صاحب الملح فجعل شيوخ هؤلاء الثلاثة كلهم شيوخه وهو شيء يستحيل عادة ويمتنع أن يتفق له الاخذ عن جميعهم ، فلعل ذلك التبس على الشيخ صالح أو اتكل فيه على اطلاق مثلا كأن يقولَ أحد شيوخه هؤلاء أخذت عن شيوخ البلدة الفلانية والعصر الفلاني ، اتكل على هذا الاطلاق، هكذا يظهر تحسيناً للظن ، والا فالشيخ كان ثقة ولا اشكال ، ولأن كافة الأسانيد والتراجم التي ذكرها لشيوخه الذين يقرب عددهم من الأربعين مشارقة ومغاربة كلها عرفناها من الخارج ونحفظها عن غيره ، كما أنه لا توجد الرواية عن ابن سنة من غير طريق الشيخ صالح ، ولا سمعت به عند غيره ، الا أن شيخ بعض شيوخه محمد العطوشي المدني روى الحديث عن محمد الفاسي عن ابن سنة ، ولم أعرف مَن محمد الفاسي هذا ، وقد سألت عنه مسند الشرق أحمد أبو الخير الهندي فلم يعرفه ، فهو وأنا لا نعرفه ، وربما يمكن أنه محمد الفاسي المذكور في شيوخ ابراهيم الرياحي والله اعلم .

وقد وقفت على تأليف المترجم (ايقاظ أولى الابصار ، للاقتداء بسيد المهاجرين والانصار) (ص) .

ومن خط السيد عبد الحي على ظهر هذا الكتاب ما نصه : هذا التأليف من تفضلات عالم عصره ، ومحدث مصره ، الشيخ صالح الفلاني المغربي ثم المدني ، توفي سنة 1218 بالمدينة المنورة ، من شيوخه التاودي ، والصعيدي ، والدردير ، والشيخ مرتضى الزبيدي ، وأمثالهم ، ومن تلاميذه الشيخ حمدون ابن الحاج ، والشيخ عمر بن عبد الرسول خطيب مكة ، والشيخ عابد السندي المدني ، والسيد اسماعيل البرزنجي مفتي المدينة وهو ءاخر أصحابه وفاة ، أخذنا عن أصحابه ، ومن تلامذه محدث الشام أحمد بن عبيد العطار ، ومحمد بن عبد الرحمان الكزبري ، وولده محدث الشام عبد الرحمان

الكزبري ، ومفتي الشام محمد بن عابدين وقد ترجمه في ثبته ، وغيرهم ، وبالجملة فهو من أشهر علماء القرن المنصرم ، وأفضل محدثيه ، حتى وصفه الشيخ القاوقجي بالاجتهاد وهو جدير به ، رحمه الله ورضي عنه .

وقد وقفت على ثبته الأكبر والأصغر ، وهو المشهور بـ (قطف الثمر) ، وله مؤلفات أخرى ، قال وبمطالعة ثبته الصغير يعلم قدره وكثرة ما سمعه على شيوخه وما قرأه عليهم رحمه الله رحمة واسعة .

وقال ابن عابدين في (عقود اللآلي) ما نصه : ومن مشايخي عالم المدينة ، الشيخ صالح الفلاني العمري ، فانه لما ذهب الحاج الشريف أوصيت الشيخ صالح الحيدري أن يطلب لي الاجازة عنه ، فذهب اليه فوجده مريضاً ، فكتب له : الحمد لله وحده وسلام على عباده الذين اصطفى ، أقول قد أجزت سيدي الشيخ صالح بن الشيخ حيد الكردي وولديْه عبد الله وعبد الغني ، والفاضل النبيل ، الأمجد الاثيل ، السيد محمد بن السيد عمر عابدين الحسيني الدمشقي جميع ما يصحُّ لي روايته من الكتب الستة ومسند أحمد وغيرها بأسانيد من أعلاها عن شيخنا محمد ابن سِنَّة بكسر السين وتشديد النون المفتوحة ، المعمر مئة وخمسين سنة ، عن مولاي الشريف محمد بن عبد الله ، عن محمد ابن أركماش الحنفي ، عن الحافظ ابن حجر العسقلاني ، بأسانيده المشهورة في الفهارس ، قاله بفمه ورقمه بقلمه ، الفقير الجاني ، صالح بن محمد الفلاني العمري عافاه الله تعالى سنة 1217 .

وقد أجاز أي الشيخ صالح الفلاني لصاحبنا السيد محمد سعيد الأسطواني اجازة حين حج ، ثم أوردها وذكر فيها المجيز المذكور أن شيخه ابن سِنَّة توفي عام 1186 وتاريخ هذا الاجازة عام 1215 .

1043) **صالح بن شريف الرندي** ، أبو البقاء ، وأبو الطيب ، هو العلامة الأديب ، الناظم الناثر ، الكاتب ، مؤلف (الوافي (1) ، في نظم القوافي)

---

1) سمي في **الذيل والتكملة** وفي **الاحاطة** بالكافي ، وصحح الاسم في هامش **الاحاطة** المحفوظ في الاسكوريال بالوافي كما ورد هنا

وقفت عليه وليس فيه ذكر اسمه ، وهذا الكتاب في مجلد بخط اليد كثير التصحيف ، شحنه بنظمه ونثره ، وقسمه الى أربعة أجزاء ، الجزء الاول في أربعة أبواب ، الاول في فضل الشعر ومَن تكلم به وأثاب عليه ، الباب الثاني في الشعراء وطبقاتهم ، صنف جاهلي ومخضرم واسلامي ، الباب الثالث في عمل الشعر وأدبه لفظاً ومعنى ووزناً وقافية ، والباب الرابع في أغراض الشعر وأدبه وهي ثمانية ، النسيب ، والمدح ، والتهنئة ، والرثاء ، والاعتبار ، والعتاب ، والذم ، والوصف .

وأنشد فيه من شعره قولَه وهو بمراكش :

بحياة مَن نضت عـــرى الأزرار ... بذمام ما في الحب من أســـرار
بالحِجْرِ بالحَجَر المكرم بالصفا ... بالبيت بالأركان بالأستـــار
بالله الا ما قضيتَ لبانتـــي ... تقضي بها وطراً من الأوطـــار
ويكف من أشجاه صبٌ يشتكـي ... جورَ الزمان وقلة الأنصـــار
بلغ لأندلس السلام وصفْ لهـا ... ما بيَّ من شوق وبُعد مـــزار
واذا مررت برندة ذاتِ المنـــا ... والراح والدلموس واللـــوزار
سلمْ على تلك الديار وأهلهـــا ... فالقوم قومي والديار ديـــاري
حيث أستوت تلك المدينة معصما ... ولوى عليها النهرُ نصفَ ســوار
وامتدَّ في تلك البطاح أمامهـــا ... ما شئت من ظل وماء جـــار
وتنسمت ريح المنى تلك المـــنا ... فتبسمت في أوجُه النظـــار
والروض قد سامى السما بحسنه ... لما ازدهى بالنهْر والأزهـــار
فكأن ذاك النهر فيه مجـــرة ... وكأن ذاك الزهر فيـــه دراري
وبسيحة العليا لنا مُتنـــزَّه ... فيه منى الأسماع والأبصـــار
حيث انتهت في الحسن كل حديقة ... وجرى النسيم وفاح كل عـــرار
والغصن في حركاته متحيِّـــرٌ ... بين الغناء وغنة الأطيـــار
ويكاد قلب الصب يفنى رقـــة ... بين النسيم ونغمة الأوتـــار
لله كم بتنا بها من ليلـــة ... وكأنها سحر من الأسحـــار
ولكم قطعنا الدهرَ في ظل الصبا ... ما بين إعذار وخلْع عـــذار
عيش تلاعبت الخطوبُ بعهـــده ... حتى غدا خبراً من الأخبـــار

ومعاهد كانت عليّ كريمـــة لم يبق لي منها سوى التذكـــار
واحسرتا من ذكر أيام الصبـــا ها قد بدا شيبي فأين وقـــاري ؟
يارب خذ بيدي من الذنب الـذي أنا حائر في بحره الزخـــار
لا تأخذ الجاني بما هو أهلـــه واغفر بجاه المصطفى المختـــار

أنشدها في الباب الرابع من الجزء الاول ، وأنشد فيه من شعره وهو مما يُغنَّى به قوله :

ياسالبَ القلب عندما رمقـــا لم يبق حبك لي نفسا ولا رمقـــا
لا تسأل اليوم عما كبدت كبـدي ليت الفراق وليت الحب ما خلقـا
ما باختياري ذقتُ الحبّ ثانيـة وانما جرت الأقدار فاتفقـــا
وكنت في كلفي الداعي الى تلفي مثل الفراش أحب النار فاحترقـا
يامَن تجلى الى سري فصيَّرنـي دكاً وخرّ فؤادي عند ما صعقـــا
انظر إليّ فان النفس قد تلفـت وارفقْ عليّ فان الروح قد زهقـا

وقال في الباب الثالث عشر من الجزء الثاني ما نصه : ولأخينا الفقيه الجليل أبي عبد الله بن مهران رحمه الله :

المال زين والحياة شهيـــة والجود يفقر و الشجاعة تقتـــل
والبخل شين والجبان منعـــم والقصد أحكم والتوسط أجمـــل

وابن مهران قال عنه هذين البيتين في نفح الطيب قائلا : وقال ابن مهران مما يشتمل على أربعة أمثال .

ومن شعر المترجم الذي أنشده فـي الباب الرابع عشر مـن الجزء الثاني في محاسن الشعر وبديعه المقسم الى أربعين باباً :

تحكم على نفسي فأنت لها مولـي فخذ مهجتي مني فأنت بها أولـى
تزيد روحي في هواك لطافـــة فلله ياروحي هواك وما أولـــى
وفندني فيك العذول جهالـــة وسيان عندي مَن يفندنـي أو لا
تجنيت ياقلبي وقلبي الذي جنـى على نفسه هذا فأولى له أولـــى

والأبواب الأربعون هي : الابتداء ، والانتهاء ، والاستطراد ، والمطابقة، والمقابلة ، والمناسبة ، والتشبيه ، والاستعارة ، والتخييل ، والتفريع ، والتوجيه ، والتمثيل ، والتمثل ، والتجنيس ، والمضارعة ، والترديد ، والتصدير ، والاتباع ، والتبديل ، والتضمين ، والاطراد ، والتفسير ، والمبالغة ، والتتميم ، والتسهيم ، والتحرر ، والالتفات ، والتحريف ، والاشتقاق ، والاستدراك ، والقلب ، والتصحيف ، والترصيع ، والشجيع ، والتسميط ، ولزوم ما لا يلزم ، والتفصيل ، والتختيم ، والاحالة ، ونفي الشيء باجابته ، اللغز .

الجزء الثالث في عيوب الشعر : الاخلال ، والسرقة ، والضرورة .

الجزء الرابع في حد عروض الشعر والقافية وجعل أنواع الشعر وألقابه أربعة وعشرين ، خمسة عشر قديمة تكلمت بها العرب ، وتسعة محدثة ولدها المحدثون ، وهذا الكتاب فيه أوراق 107 من مسطرة 19 ولم يقف عليه صاحب (كشف الظنون) ، وانما ذكر (الوافي في علم القوافي) لعلي بن اسماعيل ابن سيدة التنغوي المتوفى سنة 458 ومؤلفه متأخر عن ابن سيدة ، وقد يصرح المترجم بأنه كان معاصرا لابراهيم ابن سهل الاسلامي ، وابراهيم ابن سهل توفي غرقاً سنة 649 كما في صحيفة 304 من ج2 من نفح الطيب ، وأمداح المترجم في الدولة النصرية وذكر مرثيته للسلطان أبي عبد الله منهم .

وقال المترجم أيضاً في الباب الثالث من ج 1 وكان في عصرنا الهيثم الاشبيلي أحد الأعاجيب في هذا الشأن ، كان يمتحن فيقترح عليه رسالة وشعر وموشحة في أي نوع قصد وأي عروض وأي قافية ، كان يملي الثلاثة على ثلاثة ، لا يتوقف ولا يجف لأحد منهم قلم ، وحدثني الشيخ أبو علي القصري بسبتة رحمه الله قال اجتاز علينا بقصر كتامة وهو يريد الحضرة ، فأتينا اليه وسلمنا عليه ، وقلت له ياأستاذ ، بلغنا عنك كيت وكيت ، فقال ان شئتم ، فاقترحنا عليه رسالة وشعرا وموشحة ، فوجدناه كما قيل ، وأنشدني الشعر الذي أملاه عليهم ، وكان أوله :

من انبت الورق خلال البهار   وعمم الليل ضياء النهار
وخط بين الدر من فوقه   صاد عقيق تحت لام العذار

في أبيات غير هذه أنسيتها ، فهل هذا الا من أعجب الاشياء ؟

وذكر المترجم في نفح الطيب ونقل قصيدته التي مطلعها :

لكل شيء اذا ما تمّ نقصان   فلا يغر بطيب العيش انسان (1)

وتقدم ذكره من أشياخ محمد بن علي المعروف بابن قطرال (2) ، وفي ترجمة علي بن عبد الله المدعو ابن القطرال تلميذاً لعلي المذكور ، وشيخاً لمؤلف (الذيل والتكملة)وأنشد فيه في الجَلَم ولم يسم قائلَهما :

ومعتنقين (3) ما اتهما بعشق   وان وُصِفا بضمٍّ واعتناق
لعمر أبيد ما اجتمعا لمعنى   سوى معنى القطيعة والفراق

ذكرهما في الباب الرابع من الجزء الاول ونقلهما في نفح الطيب عن المؤلف المترجم ، ونسبهما التجيبي ابن ليون في اختصار (روح السحر) لعبد العزيز بن ريدان المذكور في ص 361 من ج 2 من (تاج العروس) .

ومن تآليف المترجم الفرائض وشرحها الامام أبو الحسن القلصادي ، ذكره في نفح الطيب (4) .

وبعد هذه الأبحاث التي سقناها في ترجمته نسوق لك ما قاله فيه تلميذه الامام ابن عبد الملك في كتاب (الذيل والتكملة) وما قاله ابن الخطيب فى (الاحاطة) (5) .

---

1) **نفح الطيب** 4 : 486 طبع بيروت

2) انظر 4 : 338 ع 6 58 من هذا الكتاب

3) وفى رواية أخرى : ومتصلين

4) **نفح الطيب** 2 : 694 طبع بيروت

5) لم يثبت المؤلف ما قاله ابن عبد الملك عن صالح بن شريف الرندى فى **الذيل والتكملة** ، ولا ما قاله ابن الخطيب عنه فى **الاحاطة** ، ويمكن الاطلاع على ما قاله الاول فى 4 : 136 ع 263 من كتابه ، وعلى ما قاله الثانى فى 3 : 360 من كتابه

1044) **صالح بـن الحاج المعطي التادلي** ، الفقيه العلامة ، دخـل مراكش ، وكان من أصحاب مولاي الطيب بن مولاي العربي الدرقاوي ، وكان لا يفارقه سفرا ولا حضراً ، وساح معه مرات ، وصحبه الى أن مات ، وكان والده السيـد المعطي مقرىء بنات مـولانا عبد الرحمان ، وكان يتبرك بـه لصلاحه ، وكان السيد سليمان بن الهادي المنصوري مـن أصحاب الحاج الصالح وتلامذته ، وكان يتلو سلكة ونصفاً من القرءان كل ليلة ، وكانـت الهيللة تسمع من صدره ، ودفن في القبب بتاريخ أوائل عام 1286 أو في أوائل 1287 وهو سيخ شيدي حماد بن علال بن عمر الصنهاجي دفين الحرم الشريف بمكة سنة 1322 بعـد أن جاور نحو عام ، وقد كـان يتعبد بزاوية سيدي الخياط بدرب الحرة بعد انتقال الغياثي منها ، يقال لم يعص الله تبارك وتعالى ، وكان الفقيه سيدي الحاج محمد كنون يُجله ويُعظمه ، وكان الحاج الصالح يتقن نحو ثمانية وعشرين علما كما صرح به تلميذه سيدي سليمان المذكور ، وهو من تلامذة بدر الدين ، وأخذ عنه مولاي اسماعيل ابن سيدي محمد بن عبد الرحمان ، واستوزره له في خلافته بفاس الصغرى والده سيدي محمد ، فبقي فيه وزيرا نحوا من 24 عاما مـن تاريخ 1287 الى تمـام القرن المنصرم ، ثم بقي منه الى عام 1307 الذي توفي به بعد المغرب يوم الاثنين الرابع عشر من جمادى 2 ودفن قريبا من قبة سيدي العايدي بالقبب رحمه الله ، ولد عام أربعة وأربعين ومئتين وألف 1244 أخذ المترجم صحيح البخاري سماعا عن سيدي علي بن حمدون ابن الحاج ، والحاج الداودي التلمساني وسيدي محمد بن ابراهيم السلوي ، الأول عن أبيه ، والثاني عن الأمير الكبير، والثالث عن محمد صالح الرضوى ، وأخذ الشفا سماعا عن قاضي مكناسة السيد العباس ابن كيران ، وعنه أخذه سيدنا عبد الكبير الكتاني ، وأخذ عن سيدي أحمد المنجرة وسيدي بدر الدين الحمومي ، والفقيه سيدي محمد بن عبد الرحمان الفيلالي ، وحج في عشرة التسعين ، ولقي سيدي علي بن طاهر فأجازه باجازة عامة في أربعة كراريس ، وأجاز كل منهما الآخر ، ومن تلامذة المترجم أيضا السيد أحمد ابن الخياط ، تدبج معه ، والسيد المهدي الوزاني، وله منه اجازة .

1045) الصديق بن أحمد الحنصالي

الصديق بن أحمد بن محمد بن مَحمد بن أحمد بن يوسف ابن الشيخ سيدي سعيد أحنصال المترجم في (الصفوة) ، لقيه السيد عبد الحي عام عشرين 1320 بفاس ، ثم بأزمور لقيه في العام الذي بعده ، فقدم اليه قصيدة يمدحه فيها ، وأخبره أن عمدته في علماء مراكش حين قراءته بها الفقيه ابن المعطى ، وزعم أن له منه اجازة عامة ، وأوقفه على اجازات ثلاث من علماء مراكش متضمنة الثناء عليه وتحصيله للعلوم ، منهم أبو محمد عبد الوهاب وسمع من السيد عبد الحي حديث الأولية وكتب له السند فيه والاجازة له ولأولاده ، وأوقفه على مجموع كان معه فيه شرح الدمياطية بخطه انتسخه شيخه ابن المعطي ، فأخبره أن لأسلافهم عناية بالمنظومة الدمياطية والاذن في قراءتها واستعمالها فاستجاز فيها فأجازه بها عن شيخه البركة سيدي محمد التباع ، وهو عن شيخه سيدي أحمد دفين دكالة ، وهو عن شيخه ووالده سيدي يوسف دفين تطوان بدرب أحفير ، وهو عن شيخه ووالده الشيخ سيدي سعيد ابن يوسف أحنصال دفين ءايت بوزيد قرب جبل اغنن أمام بني عتاب ، وطريق استعماله لهذه المنظومة طريق استعمال الحنصاليين المبين في (سلوك الطريق الوارية) .

توفي عن نحو الستين في جمادى الاخيرة عام تسعة وعشرين وثلاثمئة وألف 1329 ، كان فقيهاً أديباً محاضراً باللطائف عدلا موثقا بأزمور وبها توفي ، وقد وقفت على بعض فتاويه .

1046) صفوان ابن ادريس التجيبي

صفوان بن ادريس بن ابن ابراهيم بن عبد الرحمان بن عيسى ابن ادريس التجيبي المُرسي ، أبو بحر ، كان أديباً حسيباً مُمَتَّعاً من الظرف ، ريان من الأدب ، حافظاً سريع البديهة ، ترف النشأة ، على تصاون وعفاف ، جميلا سرياً ، ممن تساوى حظه في النظم والنثر على تباين الناس في ذلك . روى عن أبيه وخاله ابن عم أبيه القاضي أبي القاسم ابن ادريس ، وأبي بكر

ابن مغار ، وأبي رجال ابن غلبون ، وأبي عبد الله ابن حميد ، وأبي العباس بن مضا سمع عليه صحيح مسلم ، وأبي القاسم ابن حُبيش ، وأبي محمد الحجري ، وأبي محمد ابن حوط الله ، وأبي الوليد ابن رشد ، وأجاز له أبو القاسم ابن بشكوال ، وروى عنه أبو اسحاق اليابري وأبو الربيع بن سالم ، وأبو عبد الله ابن أبي البقاء، وأبو عمْرو ابن سالم، ومحمد بن محمد ابن عيشون...(1) وله تواليف أدبية ، منها (زاد المسافر) ، وكتاب (الرّحلة) ، وكتاب (العجالة) سفران يتضمنان من نظمه ونثره أدباً لا كفاء له ، وانفرد من تأبين الحسين وبكاء أهل البيت بما ظهرت عليه بركته من حكايات كثيرة (2) .

وقال في الغرض الذي نظم فيه الرصافي في وصف بلده وذكر اخوانه ومعاهده يساجله في العروض والروي عقب رسالة سماها (طراد الجياد في الميدان ، وتنازع اللّدات والأخدان، في تقديم مرسية على غيرها من البلدان):

لعل رسول البرق يغتنم الأجـــرا ... فينشر عني ماء عَبرته نثــــرا
معاملة أربى بها غير مذنــــب ... فأقضيه دمعَ العين عن نقطة بحرا
ليسقي من تدمير قطرا محببـــا ... يقرُّ بعين القطر أن تشرب القطرا
ويقرضه ذوب اللُّجَيْن وانمـــا ... توفيه عيني من مدامعها تبـــرا
وما ذاك تقصيرا بها ، غير أنـــه ... سجية ماء البحر أن يذوي الزهرا!
خليليَّ قوما فاحبسا طرق الصبا ... مخافة أن تحمَى بزفرتيَّ الحـَرا
فان الصَّبا ريحٌ عليَّ كريمـــة ... بأية ما تسري من الجنة الصغرى
خليليَّ أعني أرض مرسية المنى ... ولولا توخِّي الصدق سميتها الكبرى
محليَّ بل جوي الذي عبِقت بـه ... نواسم ءادابي معطرة نشْـــرا
ووكري الذي منه درجتُ فليتني ... فُجِعت بريش العزم كي ألزم الوكرا
وما روضة الخضراء قد مثلت بهـا ... مجرتها نهرا وأنجمها زهـــرا

1) بعد هذا بياض يقدر بسبعة أسطر فى أصل **الذيل والتكملة** المنقول منه

2) ما تقدم منقول من **الذيل والتكملة** 4 : 140 ع 264 ولم يكمل المؤلف نقل الترجمة على عادته فى النقل ، بل انتقل الى النقل من **الاحاطة** ، وذلك سهو أو غش من الذين كانوا ينسخون له

بأبهجَ منها والخليج مجـــــــرة ... وقد فضحت أزهار ساحتها الزهرا
وقد أسكرت أعطافُ أغصانها الصَّبا ... وما كنت اعددت الصبا قبلها خمرا
هنالك بين الغصن والقطر والصَّبا ... وزهر الربا ولدت ءادابي الغـــرا
اذا نظم الغصن الحيا قال خاطري ... تعلمْ نظام النثر من هاهنا شعرا
وان نثرت ريحُ الصَّبا زهر الربا ... تعلمت حلَّ الشعر أسبكه نثــرا
فوائد أسحار هناك اقتبستهـــــا ... ولم أرَ روضاً غيره يُقرىء السحرا
كأن هزيزَ الريح يمدح روضهـــا ... فتملأ فاها من أزاهـــــــره درا
أيارنقاتِ الحسنِ هل فيك نظرة" ... من الجرف الأعلا الى السكة الغـرا
فانظر من هاذي لتلك كأنمـــــا ... أغير اذا غازلتُها أختها الاخــرى
هي الكاعب الحسناء تُمِّمَ حسنها ... وقدَّت لها أوراقُها حللا خضــــرا
اذا خُطِبتْ أعطت دراهم زهرها ... وما عادة الحسناء أن تنقد المهرا
وقامت بعرس الانس قينة أيكهـا ... أغاريدها تسترقص الغُصُنُ النضرا
فقل في خليج يلبس الحوت درعه ... ولكنه لا يستطيع بها نصــــــرا
اذا ما بدا فيها الهلال رأيتـــــه ... كصحفة سيف رسمُها قبعة صفرا
وان لاح فيها البدر شُبِّه متنـــه ... بشط لُجَيْن ضم من ذهبٍ عشرا
وفي جُرفيْ روض هناك تجافيـــا ... لنهر يود الأفق لو زاره فجـــــرا
كأنهما خلاَّ صفاء تعاتبــــــــا ... وقد بكيا من رقة ذاك النهــــــرا
وكم لي بالباب الجديد عشيــــة ... من الأنس ما فيه سوى أنه مــرا
عشايا كأن الدهرَ غصَّ بحسنهـا ... فأجلت سياطُ البرق أفراسها شقرا
عليهن أُجْري خيلَ دمعي بوجنتي ... اذا ركبت حمرا ميادينها الصفـرا

* * *

أعهديَّ بالغرس المنعم دوحُـــه ... سقتْك دموعي انها مزنة شكـــرا
فكم فيك من يوم أغر محجـــــل ... تقضت أمانيه فخلدتُها ذكـــرا
على مذنب كالنحر من فرط حسنه ... تود الثريا أن يكون لها نحــــرا
سقتْ أدمعي والقطر – أيهما انبرى – ... نقا الرملة البيضاء فالنهر فالجسرا
واخوان صدق لو قضيت حقوقهم ... لما فارقت عيني وجوههم الزهـــرا
ولوكنت أقضي حقَّ نفسي–ولم أكن– ... لما بت استحلي فراقهم المـــــرا

وما اخترت هذا البعد الا ضرورة ... وهل تستجيز العينُ أن تفقد الشفرا
قضى الله أن تنأى بيَّ الدار عنهم ... أراد بذاك الله أن أعتب الدهـــرا
ووالله لو نلت المنى ما حمدتهــــا ... وما عادة المشغوف أن يحمد الهجرا
أيأنس باللذات قلبي ودونـــــه ... مرام يجدُّ الركب في طيها شهــرا
ويصحب هادي الليل راء وحرفــه ... وصادا ونوناً قد تقوس وأصفــرا
فديتُهم بانوا وضنُّوا بِكَتْبِهِــم ... فلا خَبَراً منهم لقيت ولا خُبْرا
ولولا عُلا هِمَّاتهم لعتبتُهـــــم ... ولكن عراب الخيل لا تحمل الزجرا
ضربت غبار البيد في مهرق السرى ... بحيث جعلت الليل في ضربه حبرا
وحققت ذاك الضرب جمعاً وعــدة ... وطرحا وتجميلا فأخرج لي صفرا
كأن زماني حاسب متعســـــف ... يطارحُني كسراً وما يحسن الجبرا
فكم عارف بي وهو يحسد رتبتـي ... فيمدحني سراً ويشتمني جهـــــرا
لذلك ما أعطيت نفسيَّ حقَّهـــا ... وقلت لسِرب الشعر لا ترم الذكرا
فما برحت فكري عذاري قصائدي ... ومن خُلق العذراء أن تالف الخدْرا
وليست وان طاشت سهامي بآيس ... فأن مع العسر الذي يُتَّقى اليسرا

وكتاب المترجم (زاد المسافر) ألفه ذيلا قصيرا على كتاب (سمط الجمان ، وسقط الرجان) لابي عمرو عثمان ابن الامام الاشبيلي الذي ذكر فيه جماعة ممن أدرك المئة السابعة صدر دولة بني عبد المومن .

قال المترجم حدثني بعض الطلبة بمراكش أن أحمد الجراوي كان في حانوت وراق بتونس وهناك فتى يميل اليه ، فتناول الفتى سوسنة صفراء وأومأ بها الى خديه مشيرا ، وقال أين الشعر ؟ تحريكا للجراوي فقال ارتجالا:

وعلوي الجمال اذا تبـــــدى ... أراك جبينه بدراً أنـــــارا
أشار بسوسن يحكيه عرفـــاً ... ويحكي لونَ عاشقه اصفـــرارا

قال أبو بحر : ثم سألني أن أقول في هذا المعنى ، فقلت بديها :

أوما الى خده بسوسنـــــــه ... صفراء صيغت من وجنتيْ عبـده
لم تر عيني من قبله غصنـــا ... سوسنه نابـــــت ازا ورده
أعملت زجري فقلت ربَّتمـــا ... قرب خدَّ المشوق من خـــده

وحدثني المذكور أنه اجتمع مع أبي بكر ابن مجبر رحمه الله تعالى قبل اجتماعه في ذلك الموضع الذي اجتمع فيه بعينه فحدثه بالحكاية كما حدثني ، وسأله أن يقول في تلك الحال فقال بديها :

لي رشأ وسنان مهما انثنى حار قضيبُ البان في قده
مذ ولي الحسنَ وسلطانَه صارت قلوب الناس من جنده
أودع في وجنته زهرة كأنها تجزع من صده
وقد تفاءلت على فعله اني أرى خدي على خده

فتعجبت من توارد خاطريْنا على معنى هذا البيت .

قال أبو بحر : ثم قلت في تلك الحال :

أبرز من وجنته وردة اودعها سوسنة صفرا
وانما صورته ءاية ضمنها من سوسن عشرا (1)

وكتب أبو الربيع الكلاعي مؤلف (الاكتفا) وغيره المتوفى شهيدا في وقعة انيجة بالاندلس سنة 634 أربع وثلاثين وستمئة الى المترجم أبي بحر عقب انفصاله من بلنسية سنة 587 :

أحنُّ الى نجد ومَن حلَّ في نجد وما ذا الذي يغني حنينيَّ أو يُجدي
وقد أوطنوها وادعين وخلفوا محبِّهم رهن الصبابة والوجد
تبين بالبين اشتياقي اليهم ووجدي فساوى ما أجن الذي أبدي
وضاقت علي الارض حتى كأنها وشاح بخصر أو سوار على زند
الى الله أشكو ما ألاقي من الجوى وبعض الذي لاقيته من جوى يردي
فراق أخلاء وصد أحبة كأن صروف الدهر كانت على وعد
فياسرحتيْ نجد نداءَ متيم له أبداً شوق الى سرحتيْ نجد
ظمئت فهل طلٌّ يبرد لوعتي ؟ ضحيت فهل ظل يسكن من وجدي
ويازمناً قد بان غير مذمم لعل لأنس قد تصرَّم من رد

---

1) **نفح الطيب** 4 : 87 طبع بيروت

ليالي نجني الأنس من شَجَر المنى ونقطف زهرَ الوصل من شجر الصد
وسقياً لاخوان بأكناف حاجـــر كرام السجايا لا يحولون عن عهد
وكم لي بنجد من سري ممجَّــد ولا كابن ادريس أخي البشر والمجد
أخو همة كالزهر في بعد نيلهـــا وذو خلق كالزهر غِبَّ الحيا العد
تجمعت الاضداد فيه حميـــدة فمن خلق سبط ومن حسب جعـد
أياراحلا أودى بصبري رحيلُـــه وفلَّل من عزمي وثلَّم من حـــدي
أتعلم ما يلقى الفؤاد لبُعدكـــم ألا مذ نأيتم ما يُعيد ولا يبــــدي
فياليت شعري هل تعود لنا المنى وعيش كما نمنمت حاشيتيْ برد
عسى الله أن يدني السرور بقربكم فيبدو، ومنّا الشملُ منتظم العِقد (1)

وقد أجابه عنها بقصيدة طويلة ذكر بعضها في (النفح) منها :

سقى مضربَ الخيمات من علميْ نجد أسحُ غمامي أدمعي والحيا الرغدْ

الى أن قال :

أحيي برياها جناب ابن سالـــم فيقرع فيه الباب في زمن الورد (2)

وقد ذكر في (النفح) ما كتب به اليه محمد بن ادريس ابن مـرج الكحل في ترجمته (3) ونقلناه في ترجمة ابن مرج الكحل في المحمدين (4) .

ورحل المترجم أبو بحر الى مراكش متسبِّباً في جهاز بنْت بلغت التزويج، وقصد دار الخلافة مادحاً ، فما تيسَّر له شيء من أمره ، ففكر في خيبة قصده، وقال لو كنت أمَّلْت الله تعالى ومدحت النبي (ص) وءال بيته الطاهرين لبلغت أملي بمحمود عملي ، ثم استغفر الله تعالى من اعتماده في توجهه الاول ، وعلم أن ليس على غير الثاني من معول ، فلم يكن إلا أن صوب نحو هذا القصد سهمَه،

1) **نفح الطيب** 4 : 476

2) تنظر القصيدة كلها فى **نفح الطيب** 5 : 66 ونقلها ناشر **زاد المسافر** ص 34 فى مقدمته

3) **نفـح الطيب** 5 : 58

4) انظر 4 : 201 من هذا الكتاب

وأمضى فيه عزمه ، وإذا به قد وجه عليه فأدخل على الخليفة فسأله عن مقصده ، فأخبره مفصحا به ، فأنفذه وزاد عليه ، وأخبره أن ذلك لرؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم يأمره بقضاء حاجته ، فانفضل موفّى الاغراض ، واستمر في مدح أهل البيت عليهم السلام حتى اشتهر بذلك (1) .

وتوفي بمرسية سنة ثمان وتسعين وخمسمئة ، وسنه دون الاربعين ، وصلى عليه أبوه ، فانه كان بمكان من الفضل والدين رحم الله الجميع ، وولد أبو بحر سنة ستين وخمسمئة أو في التي بعدها ، وله ديوان شعر مشهور بالمغرب ، وكان من جلة الكتاب البلغاء ، ومهرة الأدباء الشعراء ، ناقدا صحيحا مدركا جليل القدر ، متقدماً في النظم والنثر ، ممّن جمع ذلك .

وله رسائل بديعة ، وقصائد جليلة ، وخصوصا في مراثي الحسين .

وقال صفوان المذكور رحمه الله : حييت بعض أصحابنا بزهرة سوسن فقال :

حيّى بسوسنةٍ أبو بحر

فقلت مجيزاً :

نضراء تفضح يانعَ الزهر

عجباً لها لم تُذوها يدُه ... من طول ما مكثتْ على الصدر

وقال أيضاً : ماشيت الوزير الكاتب أبا محمد ابن حامد يوما ، فاتفق أن قال لأمر تذكره :

بين الكثيب ومنبت السدر ... ريح غدا مثواه في صدري

فقلت أجيزه :

لوشاحه قلقٌ بلا ألَم ... ولقرطه خفق بلا ذعر

لو كنت قد أنصفت مقلتَه ... برأت هاروتاً من السحر

أو كنت أقضي حقّ مرشفه ... أعرضت لا ورعاً عن الخمر

---

1) الاحاطة 3 : 359

وناولته يوماً وردة مغلقة فقال :

ومحمرة تختال في ثــوب سندس ۔۔۔ كوجنة محبوب أطل عـــــــذاره

فقلت أجيزه :

كتطريف كف قد أحاطت بنانهــا ۔۔۔ بقلب محب ليس يخبـــو أواره

وقال رءاني الوزير أبو اسحاق وأنا أقيد أشعاراً من ظهر دفتر ، فقال:

ماذا الذي يكتب الوزيـــــــــر

فقلت :

بدائع ما لها نظيـــــــــــــر

فقال :

درٌ ولكنه نظيـــــــــــم ۔۔۔ من خير أسلاكه السطــــور

فقلت :

من أظهر الكتب اقتنيهـــــــــا ۔۔۔ وخل ما تحتوى البحــــور

بتلك تزهو النحور لكـــــــن ۔۔۔ بهذه تزدهى الصــــــدور

ولكن الانصاف واجب ، هو قال المعنى الاخير نثراً وأنا سبكته نظما.

وقال جلسنا بعض العشايا بالولجة خارج مرسية والنسيم يهبُّ على النهر ، فقال أبو محمد بن حامد :

هبَّ النسيم وماء النهر يطـــرد

فقلت على جهة المداعبة لا الاجازة :

ونار شوقي في الأحشاء تتقـــد

فقال أبو محمد : ما الذي يجمع بين هذا العجز وذاك الصدر ؟ فقلت : أنا أجمع بينهما ثم قلت :

فصاغ من مائه درعاً مفضضـــــة ... وزاد قلبي وقْدا للذي يجـــــد
وانما شبَّ أحشائي لحاجتـــــه ... إذ ليس دون لهيب يصنع الــزرد

وخطرنا بمغنى على شجرة تهزها الريح ، فقال أبو محمد :

وسرحة كاللواء تهفـــــــو ... بعطفها هبَّةُ الريـــــــاح

فقلت :

كأن أعطافها سقتْهـــــــــا ... كف النعامي كـــــؤوس راح

فقال :

اذا انتحاها النسيم هـــــزت ... أعطافها هزة السمـــــاح (1)

فقلت :

كأن أغصانها كـــــــرام ... تقابل الضيف بارتيـــــاح

ولصفوان رحمه الله :

تحية الله وطيب الســـــلام ... على رسول الله خير الأنـــــام
على الذي فتح باب الهـــــدى ... وقال للناس ادخلوا بســــلام
بدر الهدى غيم الندى والســـدى ... وما عسى أن يتناهى الكـــلام ؟
تحية تهزأ أنفاسهـــــــا ... بالمسك لا أرضى بمسك الختـام
تخصه مني ولا تنثنـــــــي ... عن أهله الصيد السراة الكـــرام
وقدرهم أرفع لكننـــــــي ... لم ألف أعلا لفظة من كـــرام

وقال :

يقولون لي لما ركبت بطالتـــي ... ركوب فتى جم الغواية معتـــدي
أعندك شيء ترتجي أن تنالـــه ... فقلت نعم عندي شفاعة أحمـــد

---

1) هذا الشطر يؤكد ما يذكره الفنانون عن رقصة السماح الشهيرة بسوريا وحلب منها على الخصوص من أن أصلها اندلسى

صلى الله عليه وسلم ، وشرف وكرم ، ومجد وعظم ، ووالى وكمل وأتم .

ترجمه ابن الابار (1) ، وابن سعيد (2) ، وصاحب الاحاطة (3) ، وصاحب النفح ، وراجع فوات الوفيات (4) لمحمد بن شاكر بن أحمد الكتبي المتوفى سنة 764 وراجع 80 من الجزء 1 من نفح الطيب ، وأنشد له في ص 50 منه :

أين أيامنا اللواتي تقضت اذ زجرنا للوصل أيمن طير

وقال في ص 179 من ج 2 منه ما نصه : وكتب أبو بكر البلنسي الى الأديب أبي بحر صفوان بن ادريس هاذين البيتين يستجيزه القسم الاخير منهما :

خليلي أبا بحر وما قرقف اللمى بأعذب من قولي خليلي أبا بحر
أجز غير مأمور قسيما نظمته . تأمل على مجرى المياه حلى الزهر

فأجازه :

تأمل على مجرى المياه حلى الزهر كعهدك بالخضراء والأنجم الزهر
وقد ضحكت للياسمين مباسم سرورا بآداب الوزير أبي بكر
وأصغت من الآس النضير مسامع لتسمع ما يتلوه من سور الشعر

وله ولد شاعر اسمه يحيى ذكره في ص 207 منه .

وقال في (النفح) ص 340 من ج 2 ما نصه :

وقال صفوان بن ادريس يصف تفاحة في ماء :

ولم أر فيما تشتهى العين منظراً كتفاحة في بركة بقرار
يفيض عليها ماؤها فكأنها بقية خد في اخضرار عذار

1) **التكملة** ص 768 ع 1895

2) **المغرب ، فى حلى المغرب** 2 : 260 ع 533

3) **الاحاطة** 3 : 349 طبع بيروت

4) **فوات الوفيات** 1 : 392 ع 165

وفي 103 من ج منه ما نصه :

وما أحسن قول أبي بحر صفوان بن ادريس المرسي رحمه الله تعالى وقال :

أنا إلى الله من أنـــــــاس قد خلعوا لبسة الوقـــــار
جاورتهم فانخفضت هونـــــا يارب حفضٍ على الجـــوار

وقال في النفح ص 248 منه ما نصه : رجع الى أخبار أبي البركات :
ولما وقع بينه وبين ابن صفوان ما يقع بين المعاصرين ردّ عليه ابن صفوان ، فانتصر لأبي البركات بعض طلبته بتأليف سماه (شواظ من نار ونحاس . يرسل على من لم يعرف قدره وقدر غيره من الناس) وهو قدر رسالة الشيخ أو أطول ، وألفي على ظهره بخط الشيخ أبي البركات ما صورته :

قد شبع الكلب كما ينبغـــي من حجر صلد ومن مقـــرع
فان يعدْ من بعد هذا الـــذي قد كان منه فهو ممن نُعـــي

وقال في ص 367 منه : وأنشد يعني أبا عثمان سعد بن أحمد ابن ليون التجيبي الذي تآليفه أربت على المئة حيث عني باختصار الكتب وهو من أشياخ محمد ابن الخطيب : لصفوان ابن ادريس :

حمى الهوى قلبه وأوقـــد فهو على أن يموت أو قـــد
وقال عنه العذول ســـال قلده الله ما تقلـــد
وباللوا شادن عليـــه جيد الغزال ولحظ فرقـــد
علّله ريقه بخمـــر حتى انتشى طرفه فعربـــد
لا تعجبوا لانهزام طرفـــي فجيش أجفانه مؤيـــد
أنا له كالذي تمنـــى عبد نعم عبده وأزيـــد
إن بسملت عينه لقتلـــي صلى فؤادي على محمـــد

وترجمه في (معجم الادباء) ص 269 من ج 4 ، ونقل الشريشي في شرح المقامات ص 70 من ج 1 أبياتا ستة له ميمية قائلا : وقال أبو بحر صفوان بن ادريس في فتى اسمه ابراهيم ، وذكر لفظ المقامات ، وأبدع ما شاء حيث قال :

أسميَّ مَن سنَّ القِرى رفقاً بمن | يفنى عليك صبابة وغرامـــــــا
أنا ضيف حسنك فاصطنعني إنني | ضيف الهوى يستوجب الاكرامـا
لما نظرت نجوم خيلان بـــــدت | في صحن وجنتك استفدت مقامـا
أفنيت جسم الصب شوقاً مثلمـا | أفنى سميُّك قبلك الاصنامـــا
يازهرة سكنت فؤادي غضـــــة | اني تبوأت اللهيب كمامـــــا
حتى كأن الحب قال لأضلعــــي | يانار كن بردا له وسلامـــــا

1047) صهيب بن عبد المومن ابن مجاهد الرومي الصنهاجي

صهيب بن عبد المومن ابن أبي الجيش مجاهد بن محمد بن مجاهد ، رومي الأصل ، وولاؤه لبعض الصنهاجيين ، وسكن هو وعقبة مراكش ، وأصله من عمل جيان ، يكنى أبا يحيى .

ولي قضاء جيان وغيرها ، وروايته عن أبيه عن جده أبي الجيش ، أخذ عنه الموطأ بين سماع وقراءة ، حدثه به عن ابن غزلون وعن الصدفي ، وسمع الموطأ أيضا على ابن الجد باشبيلية ، وعلى أبي عبد الله ابن زرقون ، وأجازا له هما وأبو محمد ابن عبيد الله ، وتناول سنن أبي داوود .

وقال ابن فرتون : اجتمعت به بفاس وأجاز لي بعد أن قرأت عليـه أحاديث من كتاب مسلم ، وأصابه فالج بآخرة من عمره أقعده عن التصرف الى أن توفي بسبتة في شهر رمضان سنة احدى وثلاثين وستمئة 631 .

قال في (الجذوة) في أول ترجمة المترجم عند ذكر كنية جده أبي الجيش : واسمه يعني أسم جده مجاهد بن محمد بن مجاهد .

قلت تقدمت ترجمته (1) ، وتوفي بمراكش سنة 585 قبل وفاة حفيده المترجم المتوفى بسبتة بنحو 47 سنة ، وقد نقلنا ترجمته في محلها من هذا الكتاب عن تكملة ابن الابار (2) .

---

1) انظر 3 : 281 ع 472 من هذا الكتاب

2) **التكملة** ص 769 ع 1896 وانظر أيضا **جذوة الاقتباس** ص 360 ع 379 طبع الرباط

فهرس

(الجزء السابع من الاعلام)

تابع حرف الميم

النمرة | الصحيفة

النـمـرة		الصحيفـة

النـمـرة		الصحيفـة
887)	محمد بن علي العدلوني الدمناتي	66
888)	محمد بن الحاج محمد التازي الرباطي	67
889)	محمد السوداني	68
890)	محمد البشير بن أحمد ابن عطية المراكشي	68
891)	محمد بن أحمد الصنهاجي	69
892)	محمد العربي بن السايح الشرقي الرباطي	73
893)	مَحمد بن هاشم العلَوي الصفريوي	76
894)	محمد بن محمد الفلاق	77
895)	محمد العربي بن محمد الهاشمي العلوي المدغري	80
896)	محمد **ابن داني** الصغير المدعو **ماخوخ**	86
897)	محمد الطاهر بوحدّو المكناسي	87
898)	محمد ابن عزوز	88
899)	محمد الخربة الدكالي	89
900)	محمد البكراوي	89
901)	محمد المدني بن المعطي السرغيني	90
902)	محمد التاودي بن المهدي ابن سودة	91
903)	محمد بن التهامي الوزاني	91
904)	محمد الفاطمي بن الحسين الصقلي	92
905)	محمد ابن المبارك الهشتوكي الدرقوي المراكشي	106
906)	مَحمد (فتحا) **ابن خليفة** المدني	107
907)	محمد الزوين بن مَحمد الشرادي	108
908)	محمد بن المدني الحسني البوعناني المراكشي	110
909)	محمد بن الهادي **الناصري**	111
910)	محمد بن أحمد الصقلي	111
911)	مَحمد بن مُحمد أزنيط	111
912)	محمد بن أحمد بناني النفزي	119

النمرة | الصحيفة

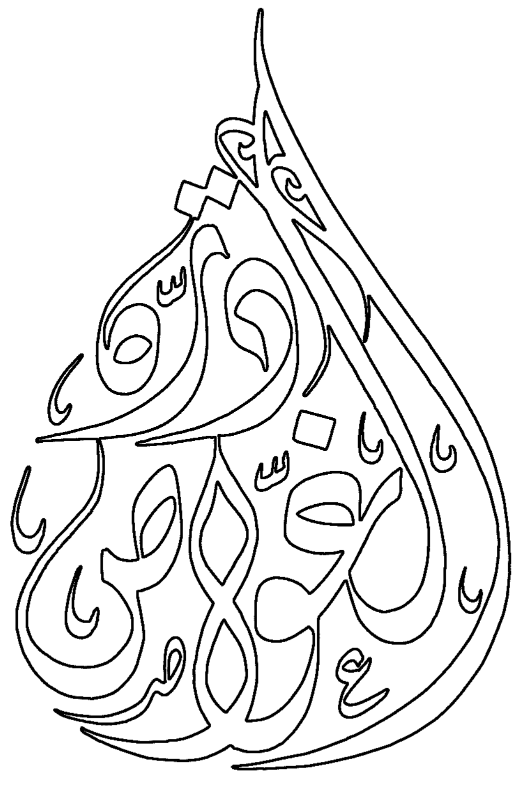
النمرة		الصحيفة

النـمـرة		الصحيفـة
965)	مخلـــوف	234
966)	مخلوف بن علي البلبالي	235
967)	المدني بن أحمد ابن عطية المراكشي	235
968)	المدني بن المبارك الفيلالي	236
969)	المدني بن محمد **الكلاوي** (الوزير)	236
970)	مرزدغ الغماري الصنهاجي	248
971)	مروان بن عبد الملك العابد اللمتوني	248
972)	مروان بن عبد الله ابن عبد العزيز البلنسي	249
973)	مروان بن محمد بن علي بن مروان **ابن جبل**	250
974)	مزاحم بن علي البطويي	250
975)	المكي بن المهدي ابن سودة	255
976)	منصور بن محمد اللمتوني	255
977)	منصور بن عبد الرحمان السايوي	255
978)	منصور السعدي	256
979)	منصور بن محمد المومني	256
980)	منصور المراكشي	256
981)	منصور المراكشي	257
982)	المعطي الزداغي المراكشي	257
983)	مـعـنـيـن	257
984)	المفضل (فضول) بن المكي السوسي	258
985)	المستضيء بن اسماعيل العلوي (السلطان)	258
986)	مسعود الأيلاني	265
987)	مـسـعـود	265
988)	مسعود بن أبي بكر	265
989)	مسعود بن عمر **الفودودي** (الوزير)	265
990)	مسعود المراكشي	266

النمرة		الصحيفة
991)	مسعود بن عبد الرحمان العبد السلامي	266
992)	مسعود بن الطيب الدباغ	267
993)	مسعود بن يوسف بن فتح الله	268
994)	مسعود الشريف الحسني	269
995)	مسعودة بنت أحمد الوزكيتية	269
996)	المهدي الكحاك المراكشي	271
997)	مهدي بن محمد ابن ابراهيم الاندلسي المراكشي	272
998)	المهدي بن أحمد **الشرادي** (الثائر)	272
999)	المهدي بن الطالب ابن سودة المري	283
1000)	**المهدي بن محمد العمراني**	284
1001)	المهدي بن رشيد العراقي	284
1002)	موسى بن عبد الله **الأغماتي**	285
1003)	موسى بن عبد الرحمان ابن أبي تليد	286
1004)	موسى ابن حماد الصنهاجي	288
1005)	موسى بن عبد المومن بن علي الكومي الموحدي	288
1006)	موسى (أبو عمران) الهسكوري	289
1007)	موسى (**المعلم**) بن اسحاق **الوريكي**	290
1008)	موسى بن عيسى الدرعي	292
1009)	موسى بن الحاج الركراكي	292
1010)	موسى بن عبد الله	293
1011)	موسى بن محمد **ابن جبل** الهمداني	293
1012)	موسى بن **يامصل** الزمراني	294
1013)	موسى بن عيسى ابن عمران الوردميشي	294
1014)	موسى بن عيسى ابن المناصف الأزدي	296
1015)	موسى ابن **أبي علي** الزناتي	299
1016)	موسى بن علي بن محمد **المصمودي** اليونسي	300

حرف النون

حرف الصاد



تحت الطبع

انبعاث امة

الجزء الثاني

(الطبعة الثانية)

1977

والجزء الثاني والعشرون

الوثائق

الجزء الرابع

الإعلام

بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام

تأليف

العباس بن إبراهيم السملالي

قاضي مراكش

راجعه

عبد الوهاب ابن منصور

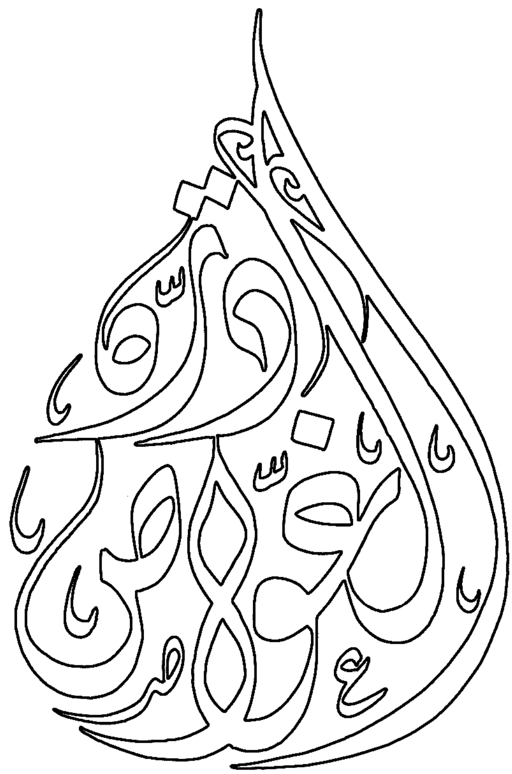
مؤرخ المملكة عضو أكاديمية المملكة المغربية

(الطبعة الثانية)

1413 هـ - 1993 م

المطبعة الملكية - الرباط

الجزء الثامن



الإعلام

بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام

تأليف

العباس بن إبراهيم السملالي

قاضي مراكش

راجعه

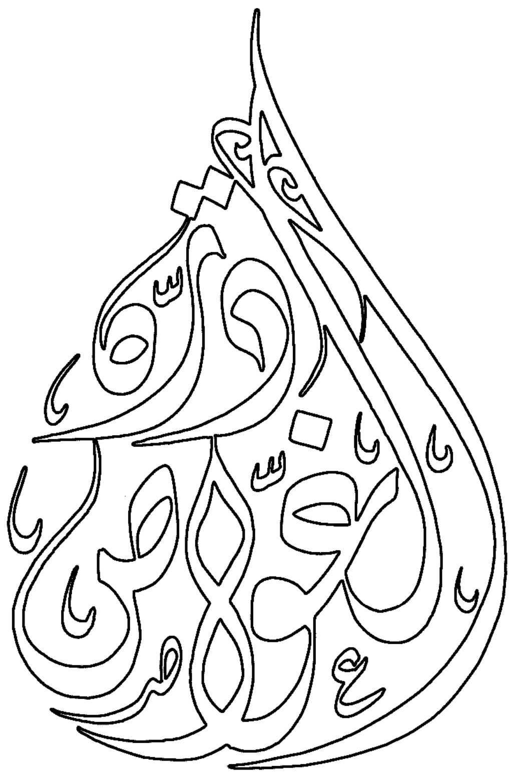
عبد الوهاب ابن منصور

(مؤرخ المملكة ومدير الوثائق الملكية)

الجزء الثامن

(الطبعة الثانية)

المطبعة الملكية - الرباط
1423هـ - 2002م



بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

حرف العين

1048) عامر بن عبد الله المريني (السلطان ابو ثابت)

عامر بن عبد الله بن يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المريني، أبو ثابت، كان والده عبد الله قد انتبذ عن أبيه يوسف وبقي متنقلا في جهات الريف وبلاد غمارة الى أن هلك في بلاد بني سعيد منهم ، وأنه خلف ثلاثة أولاد ، أحدهم أبـو ثابت عامر بن عبد الله هذا الذي ولي الأمر بعد جده ، وذلك أنه لما هلـك السلطان يوسف رحمه الله بالمنصورة (1) كما يأتي كان حافده عامر هذا في جملته ، وكان له في بنى ورتاجن من أهل تلك البلاد خؤولة فلحق بهم ودعا لنفسه ، فبايعوه وقاموا معه في أمره ، وبايعه معهم أشياخ بني مرين والعرب بظاهر المنصورة يوم الخميس ثاني يوم وفاة جده يوسف (2) ، وبادر الحاشية والوزراء ومـن شايعهم بداخل المنصورة الـى بيعة الامير أبي سالم ابـن السلطان يوسف ، وكاد أمر بني مرين يفسد وكلمتهم تفترق ، فبعث السلطان

---

1) المنصورة : مدينة ملوكية بناها بنو مرين بظاهر تلمسان من جانبها الغربي ، لا تزال اطلالها ماثلة للعيان

2) توفي السلطان يوسف بن عبد الحق المريني قتيلا بمنصورة تلمسان يوم الاربعاء 17 ذى القعدة عام 706 هـ

عامر لحينه ، وكان شهما مقداماً ، الى صاحبي تلمسان : أبي زيان وأبي حمو ابني عثمان بن يغمراسن فعقد لهما عهدا على أن يرحل عنهم بجموعه ، وأن يمدوه بالأدلة ويرفعوا له كسر بيتهم ويضموه اليهم ان خاب أمله ولم يتم له أمر ، فأجابوه الى ذلك ، وحضر العقد أبو حمو فاحكمه ، وشرط عليه السلطان عامر أن لا يتعرضوا لمدينة جده المنصورة بسوء ، وأن يتعاهدوا مساجدها وقصورها بالاصلاح ، وأن مَن أراد الاقامة بها من أهلها فما لاحد عليه من سبيل ، لأن الناس كانوا قد استوطنوها والفوها وطاب مقامهم بها وتأثلوا بها الأثاث والمتاع والخرثي وسائر الماعون مما يثبط المرتحل ويثقل جناح الناهض ، فقبل أبو حمو ذلك كله .

وتفرغ السلطان عامر لشانه وجمع كلمة قومه ، واختل أمر أبي سالم فلم يتم ، وكتب السلطان عامر الى حامية بني مرين وحصصها التي كانت متفرقة في الثغور الشرقية التي استولى عليها السلطان يوسف أيام حياته ، فاقبلوا اليه ينسلون من كل حدَب ، واسلموا البلاد الى أهلها من بني عبد الواد ، وقتل السلطان عامر عمّه أبا سالم بن يوسف ، ثم اتبعه بعم أبيه أبي بكر بن يعقوب في ءاخرين من القرابة وغيرهم ممن يتوقع منه الشر ، وفر بقية القرابة خشية على أنفسهم من سطوة عامر فلحقوا بعثمان بن ادريس (1) الثائر بجبال غمارة من عهد السلطان يوسف فشايعوه على أمره وتقوى بهم على ما نذكره .

ثم ارتحل السلطان عامر قاصدا حضرة فاس في جموع لا تحصى ، وأمم لا تستقصى ، فعيد عيد الاضحى من سنة ست وسبعمئة 706 في طريقه بين تلمسان ووجدة ، ثم نهض الى فاس فدخلها فاتح سنة سبع وسبعمئة 707، ثم نهض بعد ذلك الى مراكش على ما نذكره .

---

1) عثمان بن ادريس (أبى العلاء) بن عبد الله بن عبد الحق المرينى شيخ غزاة بنى مرين بالاندلس ، توفى بمالقة يوم الاحد 2 ذى الحجة عام 730 (16 شتنبر سنة 1330 م) ، له مراسلات مع ملوك قشتالة واراغون نشر بعضها فى الوثائق 1 : 309 وما بعدها

ولما علم بنو يغمراسن أن عامر قد ابعد عنهم وانه توغل في البلاد المراكشية واشتغل بحروب الثائرين بها عمدوا الى المنصورة فجعلوا عاليها سافلها وطمسوا معالمها ومحوا اثارها ، فاصبحت كان لم تغن بالأمس .

ثورة يوسف بن محمد بن ابي عياد بن عبد الحق وما كان من امره

كان السلطان عامر لما فصل من تلمسان قدم بين يديه ابن عمه الحسن بن عامر بن عبد الله بن يعقوب وامره بالنظر في أحوال فاس والمغرب، وأمره بضبطها وتسريح سجونها ورد مظالمها وتفريق الاموال على الخاصة والعامة ففعل ، ولما قدم حضرة فاس عقد لابن عمه يوسف بن محمد بن أبي عياد بن عبد الحق على مراكش ونواحيها وعهد اليه بالنظر في أحوالها وضبطها ، فصعد اليها واحتل بها وتمكن منها ، ثم حدثته نفسه بالانتزاء فاستلحق واستركب واتخذ الآلة وجاهر بالخلعان ، وتقبض على الوالي بمراكش الحاج المسعود فقتله من تحت السياط في جمادى الاخيرة سنة سبع وسبعمئة 707 ودعا لنفسه ، واتصل الخبر بالسلطان عامر وهو بفاس فسرح اليه وزيره يوسف بن عيسى بن السعود بن خرباش الحشمي بالحاء المهملة ويعقوب بن أصناك في خمسة آلاف فارس ، فساروا الى مراكش ، وبرز يوسف بن محمد بن أبي عياد الى حربهم ، وعبر اليهم وادي أم الربيع ، فالتقوا معه على ضفته الشرقية فهزموه وعاد الى مراكش ، واتبعه الوزير ودخل ابن أبي عياد مراكش فقتل جماعة من جند الفرنج الذين بها وسبى ذراريهم ، وخرج منها الى أغمات فلم يستقر بها ، ثم فر الى جبال هسكورة ، فنزل على كبيرها مخلوف بن هنو الهسكوري ، ولحق به موسى بن سعيد الصبيحي من أغمات تدلى من سورها فلحق به ، ودخل السلطان عامر مراكش منتصف رجب من سنة سبع وسبعمئة 707 وأمر بقتل أوربة (1) المداخلين لابن أبي عياد في انتزائه فاستلحموا جميعا .

---

1) اوربة بفتح اوله وثانيه وسكون الراء وفتح الباء اسم قبيلة شهيرة لا تزال بقيتها باقليم تازة تسمى وربة ، والى هذه القبيلة تنسب حومة الوربية بفاس

ولما لحق ابن أبي عياد بمخلوف بن هنو الهسكوري واستجار به لم يُجِرْه على السلطان عامر ، بل قبض عليه مع ثمانية من كبار أصحابه وبعثهم في الحديد اليه وهو بمراكش ، فقتلوا في مصرع واحد بعد أن مثل بهم بالسياط ، وبعث برأس ابن أبي عياد الى فاس ، فطيف به فيها ، ونصب على سورها ، ثم اثخن عامر في كل مَن كان على رأى ابن أبي عياد وخاض معه في الفتنة ، فاستلحم منهم بمراكش ما ينيف على ستمئة وصلبهم على سورها من باب الرب أحد أبواب مراكش الى برج دار الحرة عزونة ، وقتل في اغمات منهم مثل ذلك .

وخرج في منتصف شعبان الى منازلة السكسيوي وتدويخ جهات مراكش، فنزل بتامزوارت وتلقاه السكسيوي بالبيعة والهدية والضيافة ، فقبل السلطان عامر ذلك منه ، ثم بعث قائده يعقوب بن أصناك في جيش من ثلاثة آلاف فارس الى بلاد حاحة برسم غزو قبائل زكنة (1) ففروا بين يديه حين دخلوا بلاد القِبْلة وانقطع أثرهم ، ورجع الى معسكر السلطان بتامزوارت وأخبره بسكون البلد وأمنها فانكفأ السلطان عامر راجعا الى مراكش فدخلها غرة رمضان من سنة سبع وسبعمئة ، ثم خرج منها في منتصفه قاصدا رباط الفتح ، فاجتاز على بلاد صنهاجة وعبر وادي أم الربيع من مشرع كتامة في القوارب لزيادة الماء يومئذ ، ثم ارتحل فاجتاز ببلاد تامسنا فتلقاه بها عرب جشم من قبائل الخلط وسفيان وبني جابر والعاصم ، فاستصحبهم معه الى مدينة أنفا بعد أن استأذنوه في الرجوع فلم يأذن لهم ، ولما احتل بأنفا دعا باشياخهم فحضروا عنده فقبض على ستين منهم أودعهم السجن في أنفا وضرب أعناق عشرين من فسادهم القاطعين للسبل وصلبهم على سور أنفا ، ثم نهض الى رباط الفتح فدخله في السابع والعشرين من رمضان فعيد هنالك عيد الفطر ، وقتل به ثلاثين من فتاك العرب المتهمين بالحرابة وقطع الطريق وصلبهم على أسوار

---

1) لعلها تحريف تكنة

العدوتين ، ثم ارتحل منتصف شوال لغزو عرب رياح الموطنين بأبي طويل وفحْص ازغار وبلاد الهبط ، فغزاهم وأخذهم بالاحن القديمة فقتل منهم خلقا وسبى ذراريهم وانتهب أموالهم ، ونهض الى فاس فاحتل بها منتصف ذي القعدة وعيد بها عيد الاضحى ، ثم نهض الى سبتة على ما نذكره .

غزو السلطان عامر بلاد غمارة وسبتة ومحاصرته لعثمان ابن أبي العلاء

ثم اعلم أن عثمان بن أبي العلاء كان قد ورد من الاندلس صحبة الرئيس ابي سعيد ابن الاحمر المتغلب على سبتة أيام السلطان يوسف ، وأنه ثـار بجبال غمارة ودعا لنفسه واستحوذ عليها ، وكان السلطان يوسف بلغـه خبره واهمه شأنه ، الا أنه كان يرجو أن يفتح تلمسان عن قريب ، ثم ينهض اليه فعاجله الحمام دون ذلك ، ولما افضى الامر الى السلطان عامر وقدم حضرة فاس شغله عن عثمان بن أبي العلاء ما كان من ثورة يوسف بن محمد بن أبي عياد بمراكش كما قدمناه ، فعقد على حرب عثمان بن أبي العلاء لابن عمه عبد الحق بن عثمان بن محمد بن عبد الحق ، فزحف اليه ، ونهض عثمان بـن أبي العلاء الى لقائه منتصف ذي الحجة سبع وسبعمئة 707 فهزمه عثمان بن أبي العلاء واستلحم مَن كان معه من جند الفرنج ، وهلك في تلك الوقعة عبـد الواحد الفودودي من رجالات الدولة المرشحين للوزارة ، وسار عثمان بـن أبي العلاء الى قصر كتامة فدخله واستولى على جهاته ، وكان بطلا من الابطال ، وعلى اثر ذلك كان رجوع السلطان من غزاة مراكش وقد حسم الداء ومحا أثر النفاق ، فاعتزم على النهوض الى بلاد غمارة ليمحوَ منها أثر دعوة ابن ادريس التي كادت تلج عليه دار ملكه ، ويستخلص سبتة من يد ابن الاحمر المتغلب عليها ، لأنها صارت ركابا لمن يروم الخروج على السلطان من القرابة المتغربين وراء البحر غزاة في سبيل الله ، فنهض السلطان عامر من فاس عقب عيـد الاضحى من سنة سبع وسبعمئة حتى انتهى الى قصر كتامة ، فتلوّم به ثلاثا حتى تلاحق به قبائل مرين والعرب والرماة من سائر البلاد ، فعرض جيشه وارتحل قاصدا جبال غمارة ، وكان عثمان بن أبي العلاء قد فر أمامه الى ناحية

سبتة ، فسار السلطان عامر في اتباعه حتى نازل حصن علودان (1) واقتحمه عنوة واستحلم به زهاء أربعمئة ، ثم نازل بلاد الدمنة حتى شاطىء البحر ، فقتل الرجال وسبى النساء والذرية وانتهب الأموال ، وكانوا قد تمسكوا بطاعة ابن أبي العلاء وأجازوه الى القصر في وسط بلادهم ، وبالغوا في تضييفه واكرامه ، ودخلوا معه القصر وأصيلة ونهبوا كثيرا من مال أهلهما ، ثم ارتحل السلطان عامر الى طنجة فدخلها فاتح سنة ثمان وسبعمئة وتحصن ابن أبي العلاء بسبتة مع أوليائه من بني الاحمر ، وسرح السلطان عامر عساكره فتفرقت في نواحي سبتة بالغارات واكتساح الاموال .

بناء مدينة تطاوين

ثم أمر السلطان باختطاط مدينة تطاوين لنزول عسكره ولاخذ بمخنق سبتة ، هكذا عند ابن أبي زرع وابن خلدون .

واعلم أن تطاوين هذه هي تطاوين القديمة ، وأن قصبتها بنيت في سنة خمس وثمانين وستمئة 685 وذلك لاول دولة يوسف بن يعقوب بن عبد الحق ، ثم بنى السلطان عامر هذه المدينة عليها في هذا التاريخ الذي هو سنة ثمان وسبعمئة ، وكان بناؤها خفيفا شبه القرية ، عدا قصبتها فان بناءها كان محكما وثقيا ، واستمرت هذه المدينة عامرة الى صدر المئة التاسعة فخربت ، ثم جدد بناؤها بعد نحو تسعين سنة ، قالوا ولفظ تطاوين مركب من كلمتين : تيط ومعناها في لسان البربر العين ، ووين وهي كناية عن المخاطب، نحو يافلان وما اشبه ذلك ، قالوا والسبب في تسميتها بذلك أنهم في وقت اختطاطهم لها كانوا يجعلون الحرس على أسوارها مخافة فجأة العدو ، فكان الحرس ينادون بالليل أو بالنهار تطاوين تطاوين ، أي يافلان افتح عينيك، لأن عادة الحارس أن يقول ذلك، فصار هذا اللفظ علماً عليها، ويظهر ان هذا من كلام العامة ولا أصل له ، وكذا قول بعضهم تيط معناها العين ووين معناها مقلة ، ومعنى مجموع الكلمتين مقلة العين ، والاضافة مقلوبة كما هي في بعض لسان الامم العجمية فانه لا مستند له والله أعلم .

---

1) علودان حصن وجبل بقبيلة بني زروال (قيادة تافرانت — اقليم فاس)

ولما شرع السلطان عامر في بناء مدينة تطاوين أوفد كبير الفقهاء بمجلسه أبا يحيى ابن أبي الصبر الى ابن الاحمر صاحب سبتة في شأن النزول له عن البلد ، وأقام هو بقصبة طنجة ينتظر الجواب بماذا يكون ، وفي أثناء ذلك مرض مرض موته ، وتوفي يوم الاحد الثامن من شهر صفر سنة ثمان وسبعمئة ودفن بظاهر طنجة ، ثم حمل شلوه بعد أيام الى مدفن آبائه بشالة فووري هنالك رحمة الله عليه وعليهم ، وهو الذي أنشأ باب الحديد بفاس وسلوقية الماء المحمول الى مسجد الاندلس (1) .

ترجمة ابن خلدون (2) وصاحب الحلل الموشية (3) والدرر الكامنة (4) والاستقصا (5) وغيرهم .

1049) **عامر بن فتح الله السدراتي**، أبو ثابت وزير أبي الحسن المريني وغيره، ربي نشأتهم ونشأة نعمهم هو وأبوه ، كانت لأبيه مكانة مكينة عند الملك العابد يعقوب المريني المجاهد ، وكان أحد سيوف الله المسلولة على الكفار ، وممن اشتهر بالبسالة والاقدام أعلا الاشتهار ، وربي في خدمة أبي سعيد وملازمته في محله ، مطلعا على ما لا يطلع عليه سواه من أسراره ومتصرفاته ، ولما حضرته الوفاة أوصى عليه أبا الحسن المريني فقدمه وزيرا ، فكان خير وزير أخلاقا رضية ، ونفساً زكية ، وهمة سرية ، ومكارم برمكية ، يكتب الخط الرائق ويجيد الكتابة ويستحضر الشواهد ، جميل المحاضرة ، حسن المذاكرة ، ذكي المباسطة ، حلو الممازحة ، كثير العطاء ، كبير السناء ، يقوم باكرام العلماء وتعظيم الصلحاء ، وتأدية حق الشرفاء ، والمعرفة بحق الأدباء ،

---

1) **الترجمة منقولة بالحرف من الاستقصا**

والسلطان أبو ثابت عامر هذا ولد في غرة رجب عام 683 ومات مسموما صغير السن له من العمر 24 سنة فقط

2) **كتاب العبر** 7 : 485

3) **الحلل الموشية** ص 148

4) **الدرر الكامنة** 2 : 338 ع 2077

5) **الاستقصا** 3 : 97 طبع الدار البيضاء

له انتماء الى كبار من الأولياء كسيدي عبد الرحمان الهزميري وابي عبد الله بن تيجلات المراكشي وأمثالهما ، كـان أحد الوزراء المعظميـن وأول الخواص المتقربين ، ينفذ الأموال بخطه ويرفع الشكايات وينفذ أحكامه بين الناس ، يعرف ذوي الاقدار ، ويشتد على الاشرار ، ويشارك في الرأي والتدبير ، ويفاوض في القليل والكثير .

توفي رضي الله عنه شهيدا في واقعة طريف وهو على خطته ، وذلك عام 74I .

ذكره الحافظ ابن مرزوق في (المسند الصحيح الحسن) (I) .

1050) عامر بن محمد الهنتاتي

عامر بن محمد بن علي الهنتاتي (أبو ثابت) ، كان للوزير عمر بن عبد الله الياباني مودة ومصافاة مع الرئيس الشهير أبي ثابت عامر بن محمد الهنتاتي كبير جبل درن والبلاد المراكشية ، ولأن الوزير عمر المذكور قد بعث اليه بصهره وظهيره على الملك مسعود بن عبد الرحمان ابن ماساي يكون عنده عدة وعتاداً ليوم ما ، فلما بويع السلطان أبو زيان استقدم عمر بن عبد الله صهره المذكور لوزارته ، وكان عامر بن محمد مجمعاً القدوم على السلطان المذكور ، فقدم في صحبته مسعود ونزلا مـن الدولة بخير منـزل ، وعقد السلطان أبو زيان لمسعود المذكور على وزارته باشارة الوزير عمر بن عبد الله ، فاضطلع بها ، ودفعه عمر اليها استمالة اليه ، وثقة بمكانه واستظهارا بعصبيته ، وعقد مع عامر بن محمد الحلف على مقاسمة المغرب شق الأبلمة ، وجعل امارة مراكش لأبي الفضل ابن السلطان أبي سالم اسعافا لغرض عامر بن محمد في ذلك ، وخطب اليهم عامر بنت السلطان أبي بكر الحفصي التي توفي عنها السلطان أبو الحسن (2) فاجابوه وحملوا أولياءها على العقد عليها وانكفأ الى مكان عمله بمراكش يجر الدنيا وراءه عزا وثروة وتابعا وذلك في جمادى الاولى من سنة ثلاث وستين وسبعمئة 763 فاستقل بأمر ناحية مراكش وجبال

I) **المسند الصحيح الحسن** ص 2I7 نسخة خاصة مرقونة

2) في الاصل أبو عنان وهو غلط

المصامدة وما اليها من الاعمال ، واستبدّ بها ونصب أبا الفضل بن السلطان أبي سالم صورة ، واستوزر له ، وتمكن سلطانه وعلا ذكره ، وصارت كأنها دولة مستقلة ، فصرف اليه النازعون من بني مرين عن الدولة وجوه مفرهم ولجأوا اليه فأجارهم على السلطان ، واجتمع اليه منهم ملأ واتسع الخرق على الراقع ، واضطربت الاحوال بالمغرب ، وخرج على السلطان أبي زيان الامير عبد الحليم بن أبي علي بن أبي سعيد، وتغلب على سجلماسة وأعمالها، ثم تغلب عليه أخوه عبد المومن بن أبي علي ، فخرج عبد الحليم الى المشرق لقضاء فريضة الحج ، واستمر عبد المومن بسجلماسة وأقام بها دولة كما كان لوالده من قبل إلى أن فتحها الوزير مسعود بن عبد الرحمان ابن ماساي وأضافها الى مملكة فاس، ثم انتقض الوزير مسعود أيضا وبايع الأمير عبد الرحمان ابن أبي يفلوسن ابن أبي علي ، ونصبه للأمر ، وصار يُشوش به على الدولة ، وشرق عمر بن عبد الله بدائه في أخبار طويلة ، ولما لم يتم له أمر عبر هو وسلطانه البحر من مرسى غساسة (1) الى الاندلس فاتح سنة سبع وستين وسبعمئة 767 وأقبلا على الجهاد ، واستراح الوزير عمر وسلطانه أبو زيان من شغبهما والله غالب على أمره (2) .

انتقاض ابي الفضل بن ابي سالم ثم مقتله بعد ذلك

وقد قدمنا أن أبا الفضل ابن أبي سالم كان قد عقد له الوزير عمر بن عبد الله على مراكش اسعافاً لكافله عامر بن محمد الهنتاتي ، فلما فتك السلطان عبد العزيز المذكور سولت لأبي الفضل نفسه مثلها في عامر بن محمد لاستبداده عليه ، واغراه بذلك بطانته ،فاحس عامر بالشر ، فتمارض بداره

1) غساسة في الاصل اسم قبيلة بربرية من شعب نفزاوة ، سكنت منها فرقة بجبل الريف الشرقي فسمي بها مرسى شهير كان يقع في الطرف الغربي لشبه جزيرة ورك مسامتا لمدينة مليلية ، ولا يزال معروفا بهذا الاسم الى اليوم ، كما لا تزال اطلاله ماثلة للعيان . واليها نسبة أولاد الغساسي بفاس

2) ما تقدم منقول بالحرف من الاستقصا 4 : 50

من مراكش ، ثم استأذنه في الصعود الى معتصمه من الجبل ليمرضه هناك حرمه واقاربه ، فارتحل بجملته واحتل بحصنه ، وكان أعز من الابلق الفرد ، فيئس أبو الفضل من الاستمكان منه ، ثم اغرته بطانته اذ فاتهم عامر بالفتك بعبد المومن بن أبي علي ، وكان قد انضاف اليه بعد اجفاله عن سجلماسة ، فسكر أبو الفضل ذات ليلة وبعث عن قائد الجند من النصارى فأمره بقتل عبد المومن بمكان معتقله من قصبة مراكش فجاء برأسه اليه ، وطار الخبر بذلك الى عامر ، فارتاع وحمد الله اذ خلصه من غائلته ، وبعث ببيعته الى السلطان عبد العزيز وأغراه بأبي الفضل ورغبه في ملك مراكش ووعده بالمظاهرة ، فاجمع السلطان أمره على النهوض اليها ، ونادى في الناس بالعطاء ، وقضى أسباب حركته ، وارتحل من فاس سنة تسع وستين وسبعمئة 769 وقد استبد أبو الفضل بمراكش واعمالها ، واقام بها رسم الملك، واستوزر واستلحق ، وجعل شواره لمبارك بن ابراهيم ابن عطية الخلطي .

ولما نهض السلطان عبد العزيز من فاس اتصل خبره بأبي الفضل وهو منازل لعامر بن محمد،فانفض معسكره ولحق بتادلة ليعتصم بجبل بني جابر منها، فاتبعه السلطان عبد العزيز اليها ونازله واخذ بمخنقه ، وقاتله ففلّ عسكره ، ثم داخل بعض بني جابر في جر الهزيمة عليه على مال يعطيه لهم ، ففعلوا وانهزمت جيوشه وتقبض على اشياعه ، وسيق مبارك بن ابراهيم الى السلطان عبد العزيز فاعتقله الى أن قتله مع عامر بن محمد كما نذكر ، ولحق الفضل بقبائل صناكه وراء بني جابر ، فداخل بنو جابر صناكه في شأنه ، وبذلوا لهم عن السلطان مالا دثرا في اسلامه فأسلموه ، وبعث السلطان اليهم ووزيره يحيى بن ميمون فجاءه به أسيراً ، واحضره أمام السلطان فوبخه ثم اعتقله بفسطاط مجاور له ، ثم غُطّ في الليل فكان مهلكه في رمضان سنة تسع وستين وسبعمئة 769 لمضيّ ثمان سنين من امارته على مراكش ، وبعث السلطان عبد العزيز الى عامر بن محمد يختبر طاعته فأبى عليه وجاهر بالخلاف ان كان من شانه ما نذكره .

انتقاض عامر بن محمد الهنتاتي وحصار السلطان عبد العزيز اياه وظفره به

كان عامر بن محمد الهنتاتي مجير السلطان أبي الحسن من ابنه أبي عنان على ما وصفناه من بلوغ الغاية في الرئاسة والاعتزاز على الدولة وطول الاستبداد بمراكش وأحوازها ، وكان قد حصل في مدة رئاسته على ثروة عظيمة وجاه كبير ، وكان له معتصم بجبل درن أعز من بيض الأنوق قد حصن فيه ماله وسلاحه وذخيرته ، وكان كلما هاجه هيج صعد اليه وأمن على نفسه، فلما صفا الامر للسلطان عبد العزيز جعل عامرا هذا من أهم أمره ، فنصب له واستعد لقتاله ، وعقد على وزارته لأبي بكر بن غازي بن يحيى ابن الكاس ، ونهض اليه من فاس سنة سبعين وسبعمئة 770 فحاصره في جبله سنة كاملة، ولما طال الحصار على عامر وشيعته اختلفت كلمتهم عليه وفسد ما بينه وبين ابن أخيه فارس بن عبد العزيز بن محمد ، فبعث الى السلطان وسهل له الطريق لاقتحام الجبل ، فرجعت العساكر والجنود وشارفت المعتصم ، ولما استيقن عامر أن قد أحيط به بعث الى ابنه أبي بكر أن يلحق بالسلطان مختارا له ومشيراً عليه بالتي هي أحسن وأسلم، فالقى الولد بنفسته الى السلطان، فقبله وبذل له الامان ، والحقه بجملته ، وانتبذ عامر عن الناس وذهب لوجهه ليخلص إلى السوس ، فرده الثلج ، وقد كانت السماء ارسلت به منذ أيام حتى تراكم بالجبل بعضه على بعض ، وسد المسالك ، فاقتحمه عامر حتى هلك فيه بعض حرمه ونصف مركوبه ، وعاين الهلكة العاجلة ، فرجع أدراجه مختفيا حتى آوى الى غار مع أدلاء كان قد استخلصهم وبذل لهم مالا على أن يسلكوا به ظهر الجبل الى صحراء السوس ، فأقاموا ينتظرون امساك الثلج وقد شدد السلطان عبد العزيز في التنقير عنه والبحث ، فعثر عليه بعض البربر بالغار المذكور ، فسيق الى السلطان فأحضره بين يديه ووبخه فاعتذر واعترف بالذنب ورغب في الاقالة ، فحمل الى مضرب له بازاء فسطاط السلطان واعتقل هنالك ، وانطلقت الأيدي على معاقل عامر ودياره فانتهب من الاموال والسلاح والذخيرة والزرع والأقوات ما لا عين رات ولا اذن سمعت ، واستولى السلطان على الجبل ومعاقله في رمضان من سنة احدى وسبعين وسبعمئة 771 لحول من يوم حصاره ، وعقد على هنتاتة لابن أخي عامر ، وهو فارس بن عبد العزيز

بن محمد بن علي الهنتاتي ، وارتحل الى فاس فاحتل بها ءاخر رمضان المذكور، ودخلها في يوم مشهود برز فيه الناس ، وحمل عامر وسلطانه تاشفين من بني عبد الحق كان نصبه للأمر مموها به على عادته ، فحملا معاً على جملين وقد أفرغ عليهما لباس رث وعبثت بهما أيدي الاهانة ، فكان ذلك عبرة لمن رءاه .

ولما قضى السلطان عبد العزيز نسك عيد الفطر احضر عامرا فقرعه بذنوبه وأتى بكتاب بخطه يخاطب فيه أبا حمو بن يوسف الزياني ويستنجده على السلطان ، فشهد عليه به ، وأمر السلطان بامتحانه فلم يزل يجلد حتى انتثر لحمه ، وضرب بالعصا حتى ورمت اعضاؤه ، وهلك بين يديْ الوزعة ، وجنب تاشفين سلطانه الى مصرعه فقتل قعصاً بالرماح ، وجنب مبارك بن ابراهيم الخلطي من محبسه بعد الاعتقال فالحق بهم ، ولكل اجل كتاب ، وصفا الجو للسلطان عبد العزيز من المنازعين .

قاله ابن خلدون (1) .

وقال في النفح (2) في ترجمة فصل نثر محمد ابن الخطيب :

وقال رحمه الله تعالى مخاطباً عميد مراكش المتميز بالراي والسياسة والهمة وافاضة العدل وكفّ اليد والتجافي عن مال الجباية ، عامر بن محمد بن علي الهنتاتي :

تقول لي الأظعان والشوق في الحشا … له الحكم يمضي بين ناهٍ وءامـــر
اذا جبل التوحيد أصبحت فارعـاً … فخيمْ قرير العين في دار عامـــر
وزر تربةَ المعصوم (3) ان مزارها … هو الحجُّ يمضي نحوه كل ضامر
ستلقى بمثوى عامر بن محمـــــد … ثغورَ الأماني من ثنايا البشائـر

1) بل هو منقول بالحرف من الاستقصا 4 : 53 والاستقصا يعتمد على ابن خلدون وينقل عنه احيانا بالحرف

2) نفح الطيب 6 : 209 طبع بيروت ، ونحن نعتمد فى تحقيق القطعة على نفاضة الجراب

3) فى بعض النسخ المعلوم ، ومن القاب محمد ابن تومرت : المعصوم المهدى المعلوم . وبجبل هنتاتة مدفنه ، وربما كان يريد بتربة المعلوم او المعصوم المكان الذى توفى به أبو الحسن المرينى من الجبل المذكور

وﷲ ما تبلوه من سعد وجهـــــة   وﷲ ما تلقاه من يمن طائـــــر
وتستعمل الأمثال في الدهر منكما   بخير مزور أو باغبط زائـــــر

لم يكن همّي أبقاك الله تعالى ، مع فراغ البال ، واسعاف الآمال ، ومساعدة الايام والليال ، اذا الشمل جميع ، والزمان كله ربيع ، والدهر مطيع سميع ، الا زيارتك في جبلك الذي يعصم من الطوفان ، ويواصل امنه بين النوم والاجفان ، وأن أرى الافق الذي طلعت منه الهداية ، وكانت اليه العودة ومنه البداية ، فلما حم الواقع ، وعجز عن خرق الدولة الأندلسية الراقع ، وأصبحت ديار الاندلس وهي البلاقع ، وحسُنت من استدعائك إياي المواقع ، قوي العزم وإن لم يكن ضعيفاً ، وعرضت على نفسي السفر بسببك فألفيته خفيفاً ، والتمست الاذن حتى لا نرى في قبلة السداد تحريفاً ، واستقبلتك بصدر مشروح ، وزند للعزم مقدوح ، والله سبحانه يحقق السول ، ويسهل بمثوى الاماثل المثول ، ويهيء من قبيل هنتاتة القَبول . بفضله . انتهى (1) .

ثم قال : ولما ذهب محمد ابن الخطيب الى عامر بن محمد لجبلــه المشهور ، زار محلّ وفاة السلطان المقدس أبي الحسن رحمه الله تعالى حيث أصابه طارق الأجل الذي فصل الخطة ، وأصمت الدعوة ، ورفع المنازعة ، وعاينته مرفعا عن الابتذال بالسكنى ، مفترشاً بالحصباء ، مقصودا بالابتهال والدعاء ، فلم أبرح يوم زيارة محل وفاته أن قلت :

ياحسنَها من أربع وديـــــــار   أضحت لباغي الأمن دارَ قــرار
وجبال عز لا تذل أنوفُهــــــا   الا لعز الواحد القهـــــــار
ومقر توحيد وأس خلافـــــة   اثارها تُنبى عن الأخبــــار
ما كنت أحسب أن أنهار النـدى   تجري بها في جملة الأنهــــار
ما كنت أحسب أن أنوار الحجـــا   تلتاح في قُنَنٍ وفي احجـــــار
محت جوانبها البرود وان تكـــن   شبّتْ بها الأعوادُ جذوةَ نــار
هدت بناها في سبيل وفائهـــا   فكأنها صرعى بغير عُقـــــار
لما توعدها على المجد العـــدا   رضيت بعيث النار لا بالعــــار
عمرت محلة عامر وأعزهـــــا   عبد العزيز (2) بمرهف بتـــار

---

1) نفاضة الجراب ص 44

2) ابن اخى عامر الهنتاتى

فرسا رهان أحرزا قصب الندى … والبأس في طلق وفي مضمار
ورثا عن الندب الكريم أبيهما … محضَ الوفاء ورفعة المقدار
وكذا الفروع تطول وهي شبيهة … بالاصل في ورق وفي اثمار
ازرت وجوه الصيد من هنتاتة … في جوها بمطالع الأقمار
لله أي قبيلة تركت لها النـ … ـظراء دعوى الفخر يوم فخار
نصرت أمير المومنين وملكُه … قد أسلمته عزائم الانصار
آوت علياً عندما ذهب الردى … والروع بالأسماع والأبصار
وتخاذل الجيش اللهام وأصبح الـ … أبطالُ بين تقاعد وفرار
كفرت صنائعه فيمّم دارها … مستظهراً منها بعز جدار
واقام بين ظهورها لا يتّقي … وقع الردى وقد ارتمى بشَرار
فكأنها الانصارُ لما آنستْ … فيما تقدم غربة المختار
لما غدا لحظا وهم أجفانه … نابت شفارهم عن الأشفار
حتى دعاه الله بين بيوتهم … فاجاب ممتثلا لأمر الباري
لو كان يمنع من قضاء الله ما … خلصت اليه نوافذُ الاقدار
قد كان يأمل أن يكافىء بعض ما … أولوهُ لولا قاطع الأعمار
ما كان يقنعه لو امتدَّ المدى … الا القيام بحقها من دار
فيعيد ذاك الماءَ ذائبَ فضة … ويعيد ذاك الترب ذوبَ نضار
حتى تفوزَ على النوى أوطانها … من ملكه بجلائل الاوطار
حتى يلوح على وجوه وجوههم … اثرُ العناية ساطعَ الأنوار
ويُسوّغ الأملَ القصيُّ كرامها … من غير ما ثنيا ولا استقصار
ما كان يرضى الشمس أو بدر الدجى … عن درهم فيه ولا دينار
اوان يتوج أو يقلد هامها … ونحورها بأهلة ودراري
حق على المولى ابنه إيثار ما … بذلوه من نصر ومن ايثار
فلمثلها ذخر الجزاء ومثله … مَن لا يُضيع صنائع الاحرار
وهو الذي يقضي الديوان وبرُّه … يُرضيه في علن وفي اسرار
حتى تحج محلة رفعوا بها … علم الوفاء لأعين النظار
فيصير منها البيت بيتاً ثانياً … للطائفين اليه أي بدار

تغني قلوب القوم عن هدي بـــــه ودموعهم تكفي لرمي جمـــــار
حُييتَ من دار تكفل سعيها الـــ ـمحمود بالزلفي وعقبى الـــدار
وضعت عليك من الاله عنايـــة ما كرَّ ليل فيك اثر نهـــــار

ويعني بالمولى ابنه السلطان أبا سالم ابن السلطان أبي الحسن .

ومن العجائب أن الرئيس عامر بن محمد الذي جرى في هذه الابيات ذكره كان يومل بايوائه للسلطان أبي الحسن ونصرته له وعدم اخفار ذمته فيه أن ينال من أولاده الملوك بذلك عزاً مستطيلا ورئاسة زائدة على ما كان فيه ، فقضى الله تعالى أن كان حتفه على يد السلطان عبد العزيز بن السلطان أبي الحسن ، اذ نازله بجنوده ، وحاصره بمعتقله ، حتى استولى عليه وقتله حسبما استوفى ذلك الشيخ الرئيس قاضي القضاة عبد الرحمان ابن خلدون الحضرمي المغربي نزيل مصر في تاريخه الكبير الذي سماه بـ (كتاب العبر، وديوان المبتدأ والخبر ، في أيام العرب والعجم والبربر ، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر) ، فمن شاء فليراجعه ثمه .

وكان الرئيس عامر بن محمد الهنتاتي المذكور خرج على السلطان عبد العزيز بالسلطان المعتمد على الله ، أبي الفضل ، محمد بن أخي السلطان عبد العزيز المذكور ، فكان من قتله ما ذكر والله غالب على أمره .

وما ذكره في (النفح) التقطه من الجزء الثاني من (نفاضة الجراب) قائلا في حق المترجم : فأكرم الوفادة ، واطرأ بين يدي الامارة ، واستدعي من محل سكناه بمراكش الى دار الكرامة ، وشرك في الطعام نبهاء الدولة وعليه الخاصة ، واطرف من استجلاء منزله بقرة العين ، انفساح خطة، والتفاف شجرة ، وجرية ماء ، واستبحار بركة ، واستكثر من كل طرفة ، ونقل من جلسة الى جلسة ، وحرص على تتميم البر بكل حيلة .

انتهى المقصود ، وراجع تمامه فيها ، وترجمنا سابقا لعمه موسى بن علي بن محمد المصمودي اليونسي (1) .

1) انظر 7 : 300 ع 1016 من هذا الكتاب
ولعامر هذا ترجمة في الاحاطة ، وتردد ذكره كثيرا في الجزء السابع من تاريخ ابن خلدون

1051) **عبـاد** ، السيد الفاضل ، العالم العامل ، الزاهد الفاضل ، من اصحاب الشيخ السيد أبي عمرو المراكشي ، بهذه الأوصاف حلاه في (شمس المعرفة) (1) .

1052) **العباس بن صالح الكُمُيلي** من قبيل بني جُمُيل من صنهاجة، قدم بادس في اخر سنة خمس وثمانين وستمئة 685 بعد أن حج وادعى أنه رسول الفاطمي ، وأنه قد قرب وقته ، فدسُ ذلك في بعض الناس ، واتصل خبره بالحاج علي بن ماخوخ التوزيني البطوي المترجم في (المقصد الوزيف) قال في ترجمته : فقال لي قل له يلازم الخلوة ثمانية أيام فيظهر الله له الحق ؛ فلما بلغه كلامه قال : قلَ له ياحاج علي ليس هنا مقامك ، فبلغه جوابه فقال : لا بد من قارعة تنزل به ، فاظهر الحاج العباس دعوته يوم عاشوراء من سنة ست وثمانين وستمئة 686 ودخل بادس عنوة وسبا وقتل وتمادى الى المزمة فقتل بها يوم عشرين من صفر من العام المذكور ، وصلبت جثته على باب المزمة ، وحمل راسه فطيف به في بلاد المغرب ، وعلق على باب الكحـل بمراكش مع راس أبي عامر : عبد الله بن محمد بن علي بن محلي البطوئـي صاحب مراكش ، كان قتله الامير يوسف بن يعقوب بن عبد الحق في صدر ولايته الملك .

قال المؤلف فزرت الشيخ علي بن ماخوخ عقب موت الحاج العباس فجرى ذكره فقال لي كنت في الضحى قاعدا في مكاني هذا ، فخطرت علـى سِنـَة فرايت شخصا في الهوا (2) خاطرا علي وهو يقول لي في هذه الساعة قُتلت الحرباء ، فعند صلاة العصر من ذلك اليوم بلغني خبره أنه قتل في ذلك الوقت ، قال لي الحاج علي أيُ شيء هي الحرباء ؟ فقلت له : هي دويبة تتلون في الشمس الوانا ، فسره ذلك وقال لي كذلك كان حال ذلك الرجل ، واشتهر عنه أنه كان يواصل، فسالت عن ذلك زوجه مريم بنت علي بن عمران المطالسية،

---

1) وممن لم اقف على تاريخ وفاته الولي الشهير عند العامة بسيدى أبى العبادة بحومة ضبشى وعليه حوش مندثر وبوسطه نخيل (مؤلف)

2) الهـواء يريد به المغاربة الريح المشموة والفضاء بين السماء والارض وهو المراد هنا

فقالت لي كان يبقى هنا مواصلا السبعة أيام والثمانية، ولما قام الحاج العباس وقتل تغير السلطان على الطلبة الفقهاء والفقراء والحجاج وصار يذكرهم باقبح الذكر ، فاستعمل الشيخ علي ماخوخ السفر الى المشرق فغاب فيه نحواً من شهرين ، فلما رجع وجدت زاده كما كنت صنعته لم ينقص منه شيء ، فانه ما كان ياكل في سفره طعاماً لأحد كائن من كان ، فقال لي الخديم منذ غاب من هنا ما رأيته (1) .

1053) العباس بن عبد الرحمان بن هشام العلوي (الأمير مولاي)

العباس بن أمير المومنين مولانا عبد الرحمان العلوي ، كان رحمه الله علامة مشاركاً ، أخذ بمراكش عن مؤدبي اخوته : السيد علي المسفيوي ، والسيد علي بن محمد الهواري القاضي ، والفقيه ابن عزوز ، ومولاي أحمد بوغربال ، والفقيه السيد أحمد ابن مبارك ، وكان يحضر عند قاضيها سيدي الطالب ابن الحاج في صحيح الامام البخاري بين العشاءين بجامع ابن يوسف ، ودرس العلم بجامع المنصور ، وأمر والده طلبة العلم بالحضور عنده .

وقال في (الدرر البهية) عند ذكر المترجم ما نصه : وأما الفرع الثاني عشر ، وهو الفقيه العلامة السيد العباس ، فكان رحمه الله في العلوم اية ، ومن أهل الاتقان والرواية ، مشاركا حافظا جاهداً مجاهدا ، ذا إقدام ولسان ، مع كرم واحسان ، رأيته يوماً في بعض المحافل وقد أملى من الاحاديث النبوية مع ما طابقها من الآيات القرءانية ما بهر عقول الحاضرين، وقطع السن المناظرين ، كما اني رايته قد حضر بيعة أمير المومنين مولانا الحسن رحمه الله ، وقد تكلم بكلام يحرك الجماد ، ويصدع القلوب والاكباد ، مفصحا في الخطاب والجواب ، حتى ردّ الناس الى الصواب .

---

1) ترجم المؤلف بعد هذا للعباس بن احمد السوسي ذاكرا انه هو احمد بن علي السوسي الذى سبقت ترجمته في الاحمدين ، وانما اعاد ترجمته في حرف العين لانه سمى نفسه العباس

وبما ان الترجمة فارغة والشخص واحد لم نر ما يدعو الى اثبات ترجمته باسم العباس بعد ما تقدمت ترجمته باسم احمد

حدثني من لا أتهم أن والده أمير المومنين مولانا عبد الرحمان لما دنت وفاته أدناه منه وأشهد مَن حضره من أهله أنه راض عن أولاده عموما ، وعن صاحب الترجمة خصوصا ، وأوصى الخليفة من بعده سيدي محمد بواسطة الحاضرين بالاحسان الى صاحب الترجمة فنفذ رحمه الله وصية أبيه فيه ، وأحسن اليه ، فكان يستعمله في عظائم الامور ، وجهه لغزو الروم (I) وحضر معه عدة مواطن .

توفي قرب مراكش وهو قافل لفاس نحو (2) ابن أخيه أمير المومنين مولانا الحسن ، وحمل لمراكش ودفن هناك رحمه الله رحمة واسعة ، ومحل دفنه ضريح سيدي يوسف بن علي ، وتاريخ وفاته يوم الثلاثاء 8 شعبان عام 1296 (3) ورثاه السيد عبد الواحد ابن المواز بأبيات ستة مكتوبة على رخامة قبره .

وممن أخذ عنه المترجم سيدي أحمد المرنيسي ، وسيدي ادريس السنوسي ، وسيدي عبد السلام بن علي بن ريسون ، والسيد العباس ابن كيران ، والسيد المهدي ابن سودة ، والسيد محمد بن محمد بن علي التدغي، والسيد ابن داوود بن العربي الشرقي ، والسيد محمد غيلان ، والسيد عبد السلام المصوري ، والسيد العربي بن الطاهر بصري ، والسيد محمد براد الشنجيطي ، والشيخ محمد صالح الرضوي ، والحاج أحمد الصفار جميع أوراد الشاذلي وغيرها من الأذكار والأسرار ، وأخذ دلائل الخيرات عن والده السلطان مولاي عبد الرحمان ، عن الحاج التفمرتي ، عن مولاي الطايع بن محمد بن هاشم ، عن مولاي الفضيل بن علي ، عن سيدي أحمد بن عبد العزيز الهلالي ، عن الشيخ مصطفى البكري وخليفته بمصر الشيخ محمد الحفناوي ، عن شيخه اليديري ، عن شيخه محمد بن أحمد المكناسي المسطاري ، عن

I) يعني لحرب الاسبانيين الذين هاجموا تطوان عام 1276 الذي يوافق سنة 1860

2) في الاصل وهو قافل لفاس صحبة ابن أخيه وليس بصحيح ، فان الامير مولاي العباس توفي بقبيلة المنابهة قرب مراكش وهو قاصد فاس لزيارة ابن اخيه السلطان مولاي الحسن

3) في الأصل 5 شعبان عام 1295 وليس بصحيح ، والذي في اتحاف اعلام الناس ان وفاته كانت يوم الثلاثاء 8 شعبان عام 1296 انظر وثيقة تتعلق بوفاته في الوثائق 3 : 491 ع 497

أبي القاسم السفياني ، عن سيدي محمد الشرقي ، عن سيدي عبد الله ابن ساسي ، عن سيدي عبد الله الغزواني وسيدي عبد العزيز التباع ، عن سيدي محمد بن سليمان الجزولي رضي الله عنه . واخذ التفمرتي المذكور عن سيدي العربي بن المعطي الشرقي ، عن سيدي محمد بن أبي القاسم العيساوي ، عن سيدي أحمد بن عبد العزيز الهلالي . وممن اخذ عنه عبد القادر ابن كيران ، وسيدي محمد بن عبد السلام الطاهري، وله ختم على صحيح البخاري وشعر(1).

1054) العباس بن عبد القادر الفاسي

العباس بن عبد القادر بن عبد الرحمان بن محمد الطاهر ، بن يوسف بن أبي عسرية، بن علي، بن يوسف الفاسي الفقيه الكاتب البارع الاديب الأمجد ، الميمون الطلعة ، السري الهمة ، النافذ العزمة ، ترقى من الكتابة الى وزارة الخليفة بمراكش ، ثم ناب عن الصدر بفاس ، وكانت تصدر منه تواقيع بليغة نيابة عن المولى عبد الحفيظ ، الى أن توفي بالحمى في ليلة الخميس خامس جمادى الثانية سنة سبع وعشرين وثلاثمئة والف ، ودفن بزاوية سيدي عبد القادر الفاسي رحمه الله، سكن مراكش مدة وخلف بها دورا بيعت بعده(2).

1055) العباس بن احمد التازي ، الفاسي استيطانا ومدفنا ، اخذ العلم بفاس عن الشريف العلامة مولاي محمد بن عبد الرحمان العلوي ، حضر عليه في المختصر والتحفة ولامية الزقاق ، والعلامة سيدي الحاج عمر ابن سودة ، واخيه العلامة سيدي الحاج المهدي في المختصر ، والفقيه الحاج محمد كنون في المختصر ، والسيد علي السوسي قرأ عليه المختصر والسلم وابن عاصم ، والحاج محمد المَقْري الزمخشري في النحو الألفية وصدر السعد ، وعلى سيدي أحمد بناني (كلا) جمعَ الجوامع الى كتاب التعادل والتراجع ، وسيدي محمد بن عبد الواحد ابن سودة الألفية لابن مالك ،

---

1) له ترجمة مطولة فى اتحاف اعلام الناس 5 : 412

2) ترجمة أطول فى فواصل الجمان ص 217

والجمل ، وفرائض المختصر ، وسيدي عبد الرحمان الشرفي الخزرجية ، وممن أجازه اجازة عامة شيخنا السيد محمد بن ابراهيم السباعي وهو السبب في تدريسه للمختصر .

كان المترجَم علامة مشاركا ذا أدب غض ، ونثر فائق ، وشعر رائق، تحفة المجالس ، وانس المجالس ، محاضراً ذاكراً حلو الفكاهة لا يود جليسه مفارقتـه .

وجاء في كتاب من الوزير موسى بن أحمد لأخيه عبد الله باشا فاس عن الامر العالي بتاريخ 16 رمضان عام 1292 ما نص الغرض منه : وبعد فان السيد محمد بن الحاج محمد الحلو قائم بأمور اخيه للأم الفقيه المدرس السيد العباس التازي آخذ بيده فيما يعرض له من أموره ، فتعين مَراعاته لذلـك لقيامه بخدمة جانب العلم الشريف ، فلابد أن تراعيـه وتلاحظه وتسقط عنه ما ينوبه من هدايا الأعياد لاشتغاله بما ذكر ، وإذا قرأت هذا الكتاب فادفعه له يبقى تحت يده يذكر به عند الاحتياج اليه ، انتهى .

رحلَه المولى الحسن عام تسعة وثلاثمئة والف 1309 لمراكش في قضية سيدي الهادي الصقلي الشهيرة ، فكان يُدرس هناك بجامع سيدي عبد العزيز الى أن رجع لفاس ، ولما حللت فاسا من عام 1326 الى عام 1330 صارت بيني وبينه وبين الفقيه العلامة السيد المهدي الوزاني محبة وصداقة ، بحيث كان يستدعينا لمجلسه كل جمعة ، وكانت تجري بيننا مذاكرات في علوم شتى وفوائد جمة ، وكا ن رحمه الله يحبني حباً جماً ، ويثني علي غاية .

توفي رحمه الله عام 1337 ضحى يوم الجمعة خامس شوال .

قال على لسان الحَرَم العزيزي التباعي بمراكش لما جدد عام 1309:

تأمل بهجتي وبديعَ حسنـــــي بما أولى أمير المومنينـــــا
سليل المصطفى حقاً وصدقـــاً وافضل من أحبُ الصالحينـــا

فمن حسن كسا الأشياء حسنـــاً فصارت بهجة للناظرينــــــــا .
72 1202 35
وتاريخي له بشرى بعــــــــز وان الله مخزي الكافرينــــــــا

والف بشرى مع زاي بعز غير داخلين في التاريخ .

ومن نثره ما كتبه الي عام 1327 ونصه :

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وءاله

علامة عصرنا ، ووحيد دهرنا ، الفقيه النبيه ، المشارك الحجة الدين الوجيه ، سيدي عباس ابن ابراهيم .

بعد السلام ، ولثم السلام ، بوجود مولانا الامام ، فانه قد وصـل الكتاب الكريم ، والاحسان العميم الوطاب الذي ما خلت له الدهر من نظير ، كمهديه الماهر الخبير ، فسر به القلب وارتاح ، وغدا في أشواق الطـرب وراح ، تولى الله لك عنا المكافآت ، وأرقاك في المعالي الى اقصا الغايات ، بحق خدمتك لأعيان السادات :

أوليتَني البرَّ والاحسان مبتدئـاً فليس يطمع شكري أن يكافيكـــا
وليس لي قدرة سوى الدعاء بـأن يعطيك ربك ما ترجو ويحييكـــا

وعلى محبتكم والسلام .

في 27 جمادى الأولى عام 1327 .

سميكم : العباس بن أحمد التازي كان الله له بمنه

1056) عبد الجبار بن أبي بكر ابن حمديس الصقلي

عبد الجبار بن ابي بكر بن محمد ابن حمديس ، الشاعر ، من أهل صقلية ، ومن سرقوسة ، ولد بجزيرة صقلية سنة 447 ودخل الاندلس فـي سنة 471 وامتدح جماعة من ملوكها ، وسار بعد ذلك الـى اشبيلية وخص

بالمعتمد محمد بن عباد ، فحظي لديه ، وفيه أكثر شعره ، وكان أحدَ الفحول المتقدمين في صناعة القريض ، المعروفين بالتجويد والتوليد ، ولم يزل في صحبة ابن عباد الى أن خلعه الملثمون في رجب سنة 484 فتجول بعده في بلاد المغرب ، وقدم عليه بأغمات معتقله ، وافيا له باصطناعه ومعزيا عن نكبته ، ثم انصرف بعد ذلك الى افريقية ، وامتدح ملكها يحيى بن تميم الصنهاجي ، ثم ابنه علياً ثم ابنه الحسن سنة 516 وتوفي بعد ذلك .

قال ابن الأبار ومما قرأت في ديوان شعره :

زن بديعَ الكلام وزناً محــــرر ... مثلَما يوزن النضار المشحــر
وتكلم بما يزينك في الحفـــ ... ــل وتقنى به علاء ومفخــر
ان حسن الثناء بعدك يبقــى ... لك بالذكر منه عيش مكــرر
روح معناك جسمه منك لفــظ ... وعلى كل صورة يتصــور
فاذا ما مقالُ غيرك أضحــى ... عرضاً فليكنْ مقالك جوهــر (1)

ومن ذلك أيضاً :

حرك لمعناك لفظا كيْ تزانَ بــه ... وقل من الشعر سحرا أو فلا تقــل
فالكحل لا يفتن الابصار منظــره ... حتى يُصَيّرَ حشوَ الأعين النجل

ومن قوله في الوعظ :

غرتك دنياك التــي ... لها سراب يخدعــك
يضرك الحرص بهــا ... والزهد فيها ينفعُــك
لا تأمننْ فتنــة ... إن عصاها تقرعــك
مغربُك القبرُ الــذي ... يكون فيه مطلعــك
والحساب موقــف ... أهوالهُ تروعــك
يراك ذو العرش الــذي ... ناديته ويسمعــك
فثقْ به ولا يكــن ... لغيره تضرعُــك

---

1) الديوان ص 204 ع 126

وقـــال :

ذكرت صقلية والأســـــــى / يُهيِّج للنفس تذكارهـــــــا
ومنزلة للتصابي خلـــــــت / وكان بنو الظرف عمارهـــا
فان كنت اخرجت من جنـــــة / فاني احدث أخبارهـــــــا
ولولا ملوحة ماء البكــــــا / حسبتُ دموعي أنهارهـــــا (I)

راجع تمامها في (الوافي ، في نظم القوافي) .

وقـــال :

ولو أن أرضي حرة لأتيتهـــــا / بعزم يعد السير ضربـــة لأزب
ولكن أرضى كيف لي بفكاكهـــا / من الأسْر في أيدي العلوج الغواصب
أمثّلها في خاطري كل ساعـــة / وامري لها قطرَ الدموع السواكب
احنُّ حنينَ النيب للموطن الذي / مغاني غوانيه اليه جواذبـــي
ومَن يكُ أبقى قلبه رسم منـــزل / تمنّى له بالجسم أوبة آيـــب (2)

وقال يصف بدائع دار بناها المنصور :

واذا نظرت الى غرائب سقفـــه / أبصرت روضاً في السماء نضيرا
وضعت به صُنّاعُه اقلامهـــا / فأرتك كل طريدة تصويـــرا

I) من قصيدة طويلة مطلعها :

قضت في الصبا النفس اوطارهـــا / وابلغها الشيب انذارهـــــا

منشورة بديوانه ص I80 ع II0

2) من قصيدة طويلة مطلعها :

تدرعت صبرى جنة للنوائـــب / فان لم تسالم يازمان فحـــارب

توجد بديوانه ص 28 ع 27

ثم (1) ذكر بها بركة عليها أشخار من ذهب وفضة ترمى فروعها المياه وتفنن بذكر أسود أعلا حافتها تقذف بالماء أيضاً :

وضراغم سكنت عرين رياسة ... تركت خرير الماء فيه زئيرا
فكأنما غشى النضار جسومها ... وأذاب في أفواهها البلورا
أسد كأن سكوتها متحرك ... في النفس لو وجدت هناك مثيرا
وتذكرت فتكاتها فكأنما ... أقعت على أدبارها لتثورا
وتخالها والشمس تجلو لونها ... ناراً والسنَها اللواحس نوراً (2)

1057) عبد الجبار بن محمد الوزاني

عبد الجبار بن محمد بن عبد الجبار بن علي بن أحمد بن مولاي الطيب الوزاني الحسني ، قال في (الدرر البهية) ما نصه : أما السيد عبد الجبار فمن يشار اليه ، ويعول في الامور عليه ، كريم سخي ، وسري مرضي ، له في المكارم باع طويل ، وفي مفاخر الشيم الذكر الجميل ، تولى ولاية وزان منذ أزمان ، وبقي فيها مدة الى أن تخلى عنها لأسباب اقتضاها الحال ونفسه بذلك طيبة ، على أنه عالي القدر كثير الشهرة بدون ولاية ولا امرة لما خصه الله به من صفات الكرم ، ومحاسن الشيم ، وكرم النفس وعلو الهمة ومحاسن الأخلاق ، أبقى الله جلالته ، وعظم حرمته ، وسكناه بوزان ، وله ثروة عظيمة ، ونعمة جسيمة ، وله عقب ، انتهى .

وقال السيد عبد الحي : اجتمعت بفاس بالمنور ، الفقيه الوجيه الصدر ، الكامل البركة ، عبد الجبار في ضحى يوم الاربعاء عشرين من جمادى الاخيرة عام ستة وعشرين 1326 وطلبت منه أن يجيزني بطريقتهم فتعلل بعدم

1) بل ذكر قبلها

2) تنظر القصيدة فى نفح الطيب 1 : 492

كانت وفاة ابن حمديس ببجاية على أصح الاقوال فى رمضان عام 527 وتنظر أخباره مفصلة فى وفيات الاعيان ، والذخيرة لابن بسام ، والخريدة للعماد الاصفهانى ، ورايات المبرزين لابن سعيد ، ومقدمة ديوانه المطبوع ببيروت بعناية الاستاذ احسان عباس

أهليته وقصوره ، وحكى أن جده القطب مولاي الطيب حضر جنازة رجل قُتل حدا فتقدم للصلاة عليه تاليا (وصلى عليه غير فاضل) ، وحدثه أن جده السيد عبد الجبار اجتمع بخلوة القرويين بالسيد شمهروش وأخذ عنه الفاتحة فأجازني بها وبطريقتهم ، وأخبرني أنه اجازه بالحجاز دحلان المكي ، والشيخ عبد الله الدراج التونسي، وقرأ بفاس على ابن عبد الرحمان الحجرتي، وسيدي الوليد العراقي ، والمرنيسي ، ومولاي عبد الهادي ، والمكناسي ، وهو يروي عن أبيه محمد ، عن أبيه عبد الجبار ، عن أبيه الشيخ علي ، عن أبيه أحمد ، عن أبيه الشيخ مولاي الطيب ، عن أخيه الشيخ مولاي التهامي ، وأبيهما سيدي محمد ، عن أبيه مولاي عبد الله اليملحي العلمي المصمودي دفين وزان ، وإمام الطريقة الوزانية الزروقية الشاذلية بالمغرب ، المتوفى سنة 1089 انتهى .

تردد المترجم الى مراكش مرات ، وسكن بها مدة ، وكان حاضراً بها وفاة شيخنا الحاج محمد ازنيط فوقف في جنازته وقوف الكرام ، جزاه الله خيرا . توفي رحمه الله . .

1058) **عبد الجليل ابن ويحلان** الدكالي الأصل ونزل بأغمات وبها مات عام أحد واربعين وخمسمئة 541 ، كبير الشأن من أهل العلم والعمل ، رحل الى المشرق ولقي به شيخاً من الصوفية فاخذ عنه هذا الشأن شيخاً عن شيخ بالسند المتصل الى أبي ذر الغفاري رضي الله عنه صاحب رسول الله (ص) .

قال في (التشوف) : حدثني بذلك مخلوف بن ياسين عن شيخه أبي علي منصور ، عن شيخه يحيى ابن يسولان ، عن شيخه عبد الجليل :

قد أحدث الناس أمورا فــــلا تعملْ بها إني امرؤ ناصـــح
فما جماعُ الخير الا الـــذي كان عليه السلفُ الصالـــح

وحدثني مخلوف بن علي عن يحيى قال : درس الناس الفقه على عبد الجليل ثلاثين سنة محتسبا مع شدة فقره ، فاكترى داراً بعشرة دنانير في العام ، فاجتمعت عليه مئة دينار في عشرة أعوام ، فقيل لصاحبها من أين يؤدي لك عبد الجليل ما لك عليه من الكراء وليس عنده شيء ؟ فبلغه ذلك فأهمّه ،

فرأى تلك الليلة في منامه ربّ العزة جل جلاله،فوقف بين يديه،فقال له ما أهمك يا عبد الجليل ؟ فقال يارب أنت أعلم ، فلما أصبح سمع قرع الباب ففتح ، فاذا هو برجل في الظلام ، فناوله مئة دينار وانصرف عنه ، فأخذها منه وبعثها الى صاحب الدار .

وكان اذا انصرف عنه حَمَلَةُ الفقه يقول لخاصة أصحابه تعالوا نأخذ في نور العلم ، فيأخذ في علوم الآخرة وأسرار التصوف .

قال يحيى وانتهى عبد الجليل من شدة فقره الى أن وضعت زوجته ولم يكن عنده غير كساء واحد ، فدفع اليها نصفه واخذ النصف الثاني ، ورحل الى المشرق فحج ورجع ولم يعلم بذلك أحد ، فلزم بيته فكان لا يخرج منه الا يوم الجمعة ، وكانت دار سكناه قريبة من الجامع ، فاذا صلى الجمعة انصرف الى منزله فلم يكن يصل له الا في أول وقت العصر من كثرة ما يحبِسُه الخلق للدعاء والتمسّح به .

وحدثني الشيخ الصالح يحيى بن ابراهيم الهزرجي قال : سمعت الشيخ موسى بن وانصار النعال يقول : جاء ابن زرقون الى القاضي عبد الحق بن ابراهيم ، فقال ألا ترى ما أحدثه عبد الجليل من البدعة لاجتماع الناس عليه من باب الجامع الى باب داره ؟ فقال له القاضي : سر أنت وافعل كفعله واجمع الناس عليك ، فقال له لا يتأتّى ذلك ، فقال له : ما أصنع أنا في رجل وُضع له القَبول في الارض ، فلولا أن الله يحبه ما أحبه الناس .

وحدثني محمد بن أحمد الزناتي سمعت أبا علي ويسنن بن عبد الله البردعي يقول : كنت بدكالة فقال لي الفقيه أبو حفص أريد أن أبعثك بقمح الى عبد الجليل، فقلت له : زودني منك بدعوة صالحة وابعثني ولو الى بلاد السودان، فقال لي سادعو لك ، فأحضر لي جمليْن وعليهما غرائر قمح ، فحملتهما الى أن وصلت الى مدينة مراكش في الحصار والعساكر تطوف حولها ، فلم يعرض لي احد الى ان وصلت أغمات وريكة ، فسالت عن عبد الجليل ، فقيل لي انه في الجامع ، والناس صفوف من باب الجامع الى باب داره يتمسحون باثوابه ،

ويستوهبون منه الدعاء ، فلما وصل باب داره افترق الناس ، فدفعت اليه كتاب أبي حفص فقرأه وأنزلت الغرائر عن الجملين ، فدخل داره ثم خرج وجعل ينظر يمينا وشمالا ، فقال لي قرب الغرائر ، فجعلت أدحرجها واحدة بعد واحدة الى ان قربتها من بابه ، فلم أشعر الا وهو داخل في الدار في أسرع من طرفة العين واني لأعجب من ذلك متى ما ذكرته ، ولقد شاهدت من كرامات الأولياء كثيرا فما رأيت أعجب من ذلك ، فأدخلني وأحضر لي طعاما فأكلت منه وانصرفت .

وحدثني الثقة عن الحسين بن عبد الله وكان قد أدرك عبد الجليل قال:لما كان عام أربعين وخمسمئة نادى المنادي بأغمات : كل مَن هو ساكن بدار قريبة من الجامع فلينتقل منها بأهله وماله ، فمَن اتت عليه ثلاثة أيام ولم يخرج منها فلا يلومنَّ الا نفسه الا عبد الجليل ، فدخل على عبد الجليل من أخبره أن الناس المجاورين للجامع أمروا بالانتقال من ديارهم ولم يستثْنَ احد سواك ، وأن مَن بقي أخذ ماله ، فعظم ذلك على عبد الجليل فأمر اهله بالرحيل مع الناس ، فلما قيل رحل عبد الجليل مع الناس نادى المنادي أن يرجع الناس الى ديارهم ، ورجع الناس الى ديارهم ، فجاء الرسول الى عبد الجليل أن ينهض الى جبل جيليز فاعتذر له بأنه مريض ، فقيل له لا بد لك من النهوض ولو حملناك على نعش ، وكان ذلك في وقت الظهر ، فطلب أن يؤخر الى وقت القصر، فلما كان وقت العصر خرجت الى الناس جنازته رحمه الله ، فصلوا عليه ودفن قبليَّ مدينة أغمات :

يامن له التوحيد والتحميـــــــد	ولوجهه التعظيم والتمجيـــــــد
ياواصلي لما جفاني خلقُـــــــه	ياقائماً بي والعباد رقـــــــود
ياحافظي والناسُ عني غُفَّـــــل	يامَن حماني والعيونُ هجـــــود
أمن المروءة أن ألوذَ بغيـــــره	امدبراً غيرَ الاله أريـــــــد
تالله لا علق الفؤاد بغيـــــره	ما دام في الشجر المُورِق عـــود

حدثني مخلوف بن ياسين قال حدثني أبو علي منصور بن عبد الرحيم، قال حدثني يحيى بن يسولان ، قال لي عبد الجليل : قمت ثلاثين سنة مـا اجتمع عندي مدٌّ مع مد ، أو صحفة مع صحفة ، شك يحيى ، وقال كـان

يواصل أربعين يوماً وجاهد ابليس على ثلاثة أشياء ، الى أن قال له بعد ثلاثين سنة والله لا أطالبنك بها أبدا ، فانك أعييتني ، قال وكانت طائفة باغمات تسيء الظن بعبد الجليل ، فاشترى رجل جبة بعشرة دنانير ووهبها له ، فاخذها عبد الجليل وجعلها في طاق على باب داره ، فمر به نصراني فرمى بها له ، فانتقدوا عليه ذلك وعظم ذلك على واهبها ، فما مرت على ذلك النصراني سبعة أيام الا وأسلم وحسن اسلامه .

وحدثني علي بن عيسى قال حدثني الحسن بن عبد الله قال : قعد أبو زيد أمام الجامع باغمات يوما مع أصحابه ، فتذاكروا أخبار الصالحين الى أن قيل له حدثنا ما شهدت أنت من شيخك عبد الجليل ، فقال ما شهدت أنا شيئاً وانما حدثتني عنه زوجته ، فقيل وما حدثتك به زوجته ؟ قال حدثتني أنه لما أسنّ كان لا يتوضأ الا بالماء السخن ، فقمت ليلة لأسخن لـه الماء فوجدت النار قد طفئت ، فقعدت متحيرة ، فاذا أنا بجمرة قد خرجت من تحت الباب فقمت فأوقدت بها النار ، وسخنت له وضوءه ، قالت وكانت لنا غرفة فيها حصير وسليخة يعني هيدورة ، فيصلي على الحصير وينام على الهيدورة، وكان لنا ولدان سالم وعبد الدائم ، فصاح عليّ ليلة وقال لي مَن صعد الى الغرفة ؟ فقلت لم أدر مَن صعد اليها ، ثم اني سالت ولده سالم فقال لي أنا صعدت ، فقلت ماذا صنعت فيها ؟ فقال لي نمت على السليخة فاحتلمت ، فقلت لعبد الجليل لمَ سألتني عمن صعد الغرفة ؟ فقال لي رأيت النبي (ص) لما قرب منها رماها برجله ، فعلمت أنه حدث فيها أمر ، فقلت له ان ابنك سالم نام عليها ، فاحتلم ، فأمر بها فغسلت له ، انتهى (1) .

قوله ورحل الى المشرق ولقي بها شيخاً من الصوفية فاخذ عنه هذا الشأن شيخا عن شيخ الخ ، شيخه هو أبو الفضل عبد الله ابن بشر الجوهري المصري أمام وقته علما وعملا وحالا ، أخذ عن والده أبي عبد الله بشر وعلى يده تخرج ، عن أبي الحسين النوري ، وهو أحمد بن محمد البغدادي الخراساني الأصل ، كان في حضرة سماع فيها الجنيد ورؤيم وابن مسروق والجريري ، ثم وثب يصفق بيديه وأنشد :

---

1) الترجمة منقولة بالحرف من التشوف ص 125 ع 34 وانظر ايضا السعادة الابدية 1 : 60

رب ورقاء هتوف في الضحى ذات شجْو صدحتْ في فنَن
ذكرت إلفاً ودهرا صالحاً فبكتْ شجواً فهاجتْ حزني
فبكائي ربما ارقها وبكاها ربما ارقني
فاذا تبدؤني أسعدها وإذا أبدؤها تسعدني
ولقد تبْكي فما افهمها ولقد ابكي فما تفهمني
غير أني بالشجا أعرفها وهي أيضا بالشجا تعرفني (I)

فقام جميع مَن حضر بقيامه ساعة من الليل ، أخذ عن شيخه أبي الحسن السري بن المقلس السقطي خال الجنيد ، واستاذ الجماعة ، عن أبي محفوظ معروف بن فيروز الكرخي ، عن الامام المشهور داوود بن نصر الطائي ، عن أبي محمد حبيب العجمي ، عن حسن ابن أبي الحسن البصري ، أدرك الكثير من الصحابة كأنس بن مالك وغيره ، وكان معظما له ، ويقول اسألوا مولانا الحسن، واخذ أيضاً عن مولانا علي بن أبي طالب عن النبي (ص) .

راجع المقري وغيره كـ (روضة الناظرين ، وخلاصة مناقب الصالحين) للوترى .

وقال في نظم رجال التشوف :

وعبد الجليل الصدر اشرق نوره فنجى به الرحمان من ظُلَم الشر

وذكره أيضا في (المنح الصفية) .

1059) عبد الجليل بن محمد المالكي الأنصاري

عبد الجليل بن محمد بن عبد الجليل الأنصاري القرطبي ، أبو محمد المالكي ، قال ابن عبد الملك : كان متقدماً في صناعة العربية ، وله فيها مسائل تدل على بصره بها وتبريزه في معرفتها ، قرأها على السهيلي ابن أبي سليمان السعدي ، وروى عن ابن بشكوال وابن الفخار ، وقرأ أبو رياش القرآن

I) أورد المقرى القطعة فى مقدمة ازهار الرياض I : 8 غير منسوبة

والعربية ثم تحول الى مراكش وولي قضاء الجزيرة الخضراء ودكالة ، وروى عنه أبو الربيع بن سالم ، ومات في حدود ستمئة .

ذكره في البغية .

1060) **عبد الحكم الجوراري** . أخذ عن سعيد المَقّري بتلمسان وعن غيره ، وهو قاضي تكورارين (كوراة) ، وله نظم ، اجتمع به أحمد ابن القاضي بمراكش المحروسة سنة ثمان وتسعين وتسعمئة كما في درة الحجال له (1) .

1061) عبد الحكيم بن علي المراكشي

عبد الحكيم بن أبي الحسن بن عبد الملك بن يحيى ، أصله من قطر مراكش ، كان من أهل المعرفة بالفقه وأصوله على طريقة المتأخرين ، وكان كتابه (المعالم) لابن الخطيب ، وثبت اسمه في (عائد الصلة) لابن الخطيب الأندلسي بما نصه : الشيخ الأستاذ القاضي ، يكنى أبا محمد ،كان رحمه الله من أهل العلم بالفقه والقيام على الأصلين ، صحيح الباطن ، سليم الصدر ، من أهل الدين والأصالة ، بثَّ في الأندلس علمَ أصول الفقه وانتفع بـه وتصرف في القضاء في جهات ، قرأ على أبي علي ناصر الدين المشدالى وغيره من العلماء ، وألف (المعاني المبتكرة الفكرية ، في ترتيب المعالـم الفقهية) ، و (الايجاز ، في دلالة المجاز) و (نصرة الحق) ، و (رد الباغي) في مسألة الصدقة ببعض الأضحيــة ، والكراس الموسوم بـ (المباحث البديعــة ، في مقتضى الأمر من الشريعة) .

توفي في عام ثلاثة وعشرين وسبعمئة .

ترجمه في الديباج (2) .

---

1) **درة الحجال** 3 : 162 ع 1129 طبع تونس

2) ترجم له المؤلف مرتين، مرة باسم عبد الحكم كما كتب اسمه فى **درة الحجال** (3 : 162 ع 1128) ومرة باسم عبد الحكيم كما ورد فى **الديباج المذهب** ، ونقل المؤلف الترجمتين من الكتابين دون ان يحقق اسمه ، ولعله لم يتفطن الى أن الترجمتين والأسمين لمسمى واحد

1062) **عبد الحليم بن اسماعيل الأيلاني** ، أبو محمد الأسود ، من أهل قرية تاوونى من جهة مراكش ، مات عام ثلاثة وتسعين وخمسمئة .

قال في (التشوف) : زرته مرات في داره ، وكان حسنَ الموعظة ، سريع الدمعة ، موثراً بماله يقصده المريدون ويجتمعون عنده فنفع الله به خلقاً كثيراً ، سألت بعض خاصة تلامذته عن أحواله ، فقال لي ما جئت قطُ من بلد نفيس الى قرية تاووني الا وقال لي فعلت بدارك كذا وقلت كـذا ، واخبرني بأمور خفية لا تدرك الا بالمكاشفة .

قالوا عساك مترجم فتبْينَ لــــي — هيهات ليس بناظري ان غرنــــي
هاتيك دارهم وهذا ماؤهـــــــم — فاحبس وردْ وشرِقت إن لم تسقني
إشتقتَ ياسفن الفلاة فبلغـــــي — وطربت ياحادي الرفاق فغنِّني (1)

1063) **عبد الحليم ابن تونارت** أبو زيد الأيلاني ، من أهل قريـــة تامنصورات من بلاد أيلان من عمل مراكش ، كان نهاية في الفضل والخوف من الله تعالى ، وكان أبو شعيب السارية اذا زاره أحد من أهل جهات مراكش يقول أتزورنــي وعندكم أبو زيد ؟ وكان أبـو زيد اذا لقي امرأة في طريــق يرد وجهه الى الحائط حتى تبعد منه .

قال في (التشوف) سمعت ابراهيم بن موسى الهزرجي يقول : حدثني عبد الله بن عثمان قال ذهبت الى زيارة أبي زيد ومعي يزرجان الزائر ، وأوصيت يزرجان أن لا يتكلم بمحضر أبي زيد بشيء يثير به عليه شيئاً ، فخرجنا نمشي في المزارع وقد تقدم عام جدب وأخصب العام الذي بعده والأرض قد اقبلت بركاتها ، فدخلنا في فدان لأبي زيد قد آن حصاده ، فقال يزرجان أما مَن كان له مثلُ هذا الفدان كأن القمح حاصل في غرفته ، فحرك هذا الكلام أبا زيد فقال وماذا يسر الانسان من امر دنياه ؟ وانما ينبغي له أن يغتبط باصلاح أحواله مع الله تعالى ، ثم غشي عليه ، فقلـت

---

1) التشوف ص 309 ع 157

ليزرجـان قتلت الرجل ياعبـد الله ، الم أقل لـك لا تتكلم بشيء تثير بـه عليك شيئاً ؟ فأقام مغشياً والعرق يسيل منه ، فنضحت وجهه بالماء فأفاق بعد حين (1) .

1064) **عبد الحليم بن عبد الله الغماد المرسي** من أهل سلا ، قـدم مراكش مرة واحدة ، ثم عاد الى بلده وبه مات في أعوام التسعين وخمسمئة ، وكاان عبداً صالحاً يطوف على المكاتب ويستوهب الدعاء من الصبيان ويبكي على نفسه .

دعني ، فما قدمت من زلتـــي — وسوء افعالي أفعى لـــي
ثم مراعاتي وحرصي عـــلى — قبول اعمالي أعمى لـــي
ولا أرى فيما أراه ســوى — ترقيع أسمالي أسمى لـــي
ولا أقول الزور ما عشـت اذ — تحقيق أقوالي أقوى لـــي

قال في (التشوف) سمعت ابن خالص الانصاري يقول، قال لي عبد الحليم الغماد ، كنت أصلي صلاة التراويح في رمضان في ليلة شديدة البرد ، ونمت في زاوية المسجد وتغطيت بحصير فنمت ، فرأيت في منامي رمال سـلا كأنها روضات مغروسات يغرسها اقوام لا نعرفهم ، فرأيت روضة قريبة مني قد تركوا غرسها ، فقلت لهم لِمَ لا تغرسون هذه الروضة ؟ فقالوا أنـت ابيت ان تغرس ، فقلت لهم كيف أبيت ؟ فقالوا هذه الروضات لهؤلاء الذين يصلون فنمت أنت فعطلتها ، قال فانتبهت مرعوباً وتوضأت وعدت الى الصلاة معهـم .

وحدثني محمد بن الحسن قال سمعت عبد الحليم الغماد يقـول : رأيت في النوم كأن الخلق قد حشروا وقد أنبتت الأرض كلها نباتاً ذا شوك كرؤوس الابر ، وفي الارض طريق لا شوك فيه ورجل يمشي في ذلك الطريق ، ووراءه خلق كثير يتبعونه ، ووراءه رجل بيده لواء أبيض وهو ينادي بصوت يسمعه الداني والقاصي وهو يقول أيها الناس هلموا الى الطريق ، فرأيت مَن

---

1) التشوف ص 247 ع 108

لم يكن في ذلك الطريق كلما ارادوا الخروج من الأرض ذات الشوك سقطوا ولم يقدروا على الخروج منها ، وكنت في الأرض ذات الشوك ، فكلما رمت الخروج منها آذاني الشوك فسقطت ، فأخذت بلحفتي فلففت بها قدميَّ لأقيَهما من الشوك ، فكلما أردت أن أخرج من الأرض ذات الشوك والوصول إلى الطريق الذي لا شوك فيه سقطت ولم أقدر على الخروج منه ، فقلت ياقوم أخبروني عن هذا الرجل الذي تقدم الخلق ، ومَن هذا المنادى الذي بيده اللواء الأبيض ، فقالوا هذا الذي تقدم الخلق هو رسول الله (ص) ، وهؤلاء الذين اتبعوه من أمته ،وهذا المنادي الذي بيده اللواء هو الفقيه ابراهيم ابن قرقول المحدث ، فلم ازل احاول الوصول اليهم الى أن انتبهت من نومي .

وحدثني محمد بن ابراهيم قال : بنى رجل من أهل سلا داراً وتأنق في بنائها ، فقال لعبد الحليم الغماد أتريد أن ترى داري التي بنيتها ؟ فمرَّ اليها معه ودخلها ، فقال له الرجل ما تقول فيها ؟ فقال له أرى فصلانها متداخلة ولم تعمل للفرس مدخلا يدخل منه ، فقال له وما هذا الفرس الذي يدخل هاهنا ؟ فقال له هو النّعش ، فانه لا مدخل له من تعاريج هذه الفصلان ، فقال له نعيتَ إليَّ نفسي ، فما انقضى عليه شهران حتى مات ذلك الرجل .

أنسيتَ يامغرور أنك ميـــــــت ... أيقنْ فانك في المقابر نـــــــازل
تبلَى وتفنَى والخلائق للبلـــــى ... أبمثل هذا العيش يفرح عاقـــل ؟

سمعت يوسف بن حجاج الأنصاري يقول سمعت عبد الحليم الغماد يقول : دفعت لرجل عشرين درهما لم يكن عندي غيرها على وجه القراض ، فحاسبني على أنه أنفقها علي ولم يبق عنده منها شيء ، فاغتممت غما شديدا ، فنمت بالليل فرأيته في المنام قد سيق إلي في كساء جديد وفي يدي عود ، فكلما ضربته تلقاه بالكساء ، فقلت أي فائدة من ضربه وهو يتلقاه بالكساء ؟ فقيل لي هذا الكساء الذي يتقى به الضرب هو صلاته، فرأيت موضعا من خصره قد انكشف ، فقيل لي هذه صلاة ضيَّعها ، فكنت أضربه في خصره ، فلما أصبحت قيل لي عنه أنه مريض ، فأتيت أعوده فوجدته وبه وجع في خصره ، فخرجت من عنده فمات من ذلك .

ولست بميال الى جانب الغنـــي ... اذا كانت العلياء من جانب الفقر
واني لصبّار على ما ينوبنـــــي ... وحسبك أن الله أثنى على الصبر(1)

وقال في (اتحاف أشرف الملا ، ببعض أخبار الرباط وسلا) :

من أهلها عبد الحليم المرســـي ... يعرف بالغماد ذى التأسـّــي
ذكر في (الفتوح) لابن العربـي ... شيخاً جليلا بالمعارف حبـــي
وفي (التشوف) غدا معروفـــا ... بذي الانابة غدا موصوفـــا
رأى النبي وهو يقفو أثـــره ... والناس حوله كثيــر ووراه
شخص ينادي بلواء أبيضـــا ... هلموا للسبل السوي المرتضَى
وكل مَن حاد عن المسيـــر ... بسبل الرسول في تعسيـــر
فسأل الناس مَن المقـــدم ؟ ... قيل رسول الله يمشي بهـــم
وذو اللوا به غدا ينـــادي ... مفسر محدث البـــلاد
ابراهيم القرقولي حاله عـــرف ... وزاد قصتيْن فيما قد وصـــف
قضى بأرضه سلا مرضيـــا ... لآخر الستمئة جليـــا
وقبره يعرف لصق الجامـــع ... وكان واعظا لخير سامـــع

1065) عبد الحفيظ بن أبي مدين الفاسي

عبد الحفيظ بن أبي مدين بن أحمد بن محمد بن عبد القادر الفاسي الفهري ، العلامة الخطيب البارع ، كان لا يفارق سيدي محمد بن عبد الله سفرا ولا حضراً خطيباً له ، واخترمته المنية في الرباط في رمضان عام 1194 أربعة وتسعين ومئة وألف .

كان رحمه الله علامة خطيب المسجد الاعظم بفاس الغراء عدلا موثقاً ، وقفت على بعض خطبة بخطه الرائق .

1066) عبد الحق بن ابراهيم من فقهاء المصامدة ، زاره المهدي بن تومرت قائلا : وان لنا بمدينة أغمات أخاً في الله فنقصد المرور به فلن نعدم منه رأيا ودعاء صالحاً ، وتقدم ما قاله القاضي عبد الحق بن ابراهيم لابن زرقون في ترجمة عبد الجليل بن ويحلان .

---

1) ما تقدم منقول بالحرف من **التشوف** ص 377 ع 193

1067) عبد الحق بن عبد الله الأنصاري (القاضي)

عبد الحق بن عبد الله بن عبد الحق ، أبو محمد ، الانصاري قاضي الجماعة باشبيلية ومراكش ، اصله من المهدية ، وولي أولا قضاء غرناطة ، ثم اشبيلية، ثم ولي سنة 619 قضاء مراكش وقتا، وامتحن فيها بالفتنة المتفاقمة حينئذ ، وكان أحد العلماء المتفننين في وقته ، فقيهاً مالكياً حافظاً نظارا بصيرا بالأحكام ، جزلا صلبا في الحق ، مهيبا معظماً ، وله كتاب في الرد على أبي محمد ابن حزم دل على حفظه وعلمه أفاد بوضعه ، قال ابن الابار ولا أعلـم له رواية .

توفي سنة احدى وثلاثين (1) ونقله في النيل (2) أيضا .

قلت : وهو غير الامام عبد الحق الاشبيلي خطيب بجاية ومؤلـف الاحكام الكبرى والصغرى والجمع بين الصحيح وغيرها ، فهو عبد الحق بن عبد الرحمان بن عبد الله بن حسين بن سعيد ابن ابراهيم الأزدي الاشبيلي ، راجع عنوان الدراية (3) ، ولما فتك المامون ادريس بن المنصور الموحدي بالموحدين الذين نكثوا بيعته قبض على عبد الحق بن عبد الحق قاضـي الجماعة بمراكش فقيده ودفعه الى هلال بن حميدان الخلطي ، فحبسه حتى افتدى منه بستة الاف دينار ، ذكره في القرطاس (4) وستأتي ترجمة والده عبد الله .

1068) عبد الحق المدعو المعتصم ابن أبي دبوس الموحدي، بايعه الموحدون سنة ثمان وستين وستمئة 868 فبقي مدة من خمسة أيام وخرج فارا في جملة مشيخة الموحدين لما دخل مراكش يعقوب بن عبد الحق المريني وانقرض أمر بني عبد المومن والبقاء لله وحده .

ذكره ابن خلدون .

1) في شوال بمراكش
2) نيل الابتهاج ص 184
3) عنوان الدراية ص 41 ع 3 طبع بيروت
4) الانيس المطرب بروض القرطاس ص 252 طبع الرباط

1069) عبد الحق بن عثمان المريني (ءاخر بني مرين)

عبد الحق بن عثمان بن أحمد بن ابراهيم بن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق الزناتي المريني .

قال في (الاستقصا) أمه علجة اصبنيولية على ما ذكره مانويل ، وفي أيامه ضعف أمر بني مرين جدا وتداعى الى الانحلال ، وكان التصرف للوزراء والحجاب شأن دولة أبيه من قبله على ما نذكره .

زحف البرتغال الى طنجة ورجوعهم عنها بالخيبة

قال منويل كان لطاغية البرتغال خمسة اخوة شجعان ، فارادوا أن يدركوا فخرا باستيلائهم على ثغور من ثغور المغرب يضيفونه الى سبتة ويوسعون به ما ملكوه من أعمالها ، فركبوا قراصينهم في ستة ءالاف عسكري ونزلوا بسبتة ثم زحفوا الى طنجة سنة احدى وأربعين وثمانمئة 841 وحاصروها وضيقوا على أهلها ، ثم عاجلهم سلطان فاس وسلطان مراكش وأزهقوهم عن فتحها وقبضوا على كبير عسكرهم فرناندو وجماعة من أصحابه وعادوا بهم أسرى الى فاس ، فلما صارت عظماء البرتغال في يد المسلمين وأسرهم جنحوا إلى السلم ، فسالمهم المسلمون على أن يردوا لهم سبتة ويسرحوا لهم كبيرهم وأصحابه الذين معه ، فرضي البرتغال بذلك وانعقد الصلح عليه ، ثم كان من قدر الله أن هلك كبير البرتغال الذي وقع الشرط عليه في سجن فاس ، واستمرت سبتة في يد العدو ، وعُدّ ذلك من سوء بخت المسلمين والامر لله وحده .

وقد ذكر صاحب (المرءاة) أن البرتغال استولى على طنجة سنة احدى وأربعين وثمانمئة وهو غير صواب ، وانما كان الحصار فقط والله تعالى أعلم .

اخبار الوزراء والحجاب وتصرفاتهم

كان من جملة وزراء السلطان عبد الحق الوزير صالح بن صالح بن حمو الياباني ، قالوا وهو الذي أوقع بالفقيه القاضي عبد الرحيم بن ابراهيم

اليزناسني قتله ذبحا سنة اربع وثلاثين وثمانمئة ، ومن وزراء السلطان المذكور الوزير يحيى بن زيان الوطاسي ، قالوا وفي سنة ست واربعين وثمانمئة غزا الوزير المذكور الشاوية وكانوا قد تمردوا على الدولة وأعضل داؤهم ، ففل الوزير المذكور جمعهم وضرب منازلهم ، ثم كانت وفاته سنة اثنتين وخمسين وثمانمئة قتله عرب أنكاد على سبيل الغدر قصعاً بالرماح ، وحمل قتيلا الى فاس فدفن بالقلة خارج باب الجسية ، وولي الوزارة بعده علي بن يوسف الوطاسي ، قالوا فكانت أيامه مواسم لديانته وصيانته وحفظه أمور الملك ورفقه بالرعية مع العدل وحسن الادارة ، ثم توفي بتامسنا خامس رمضان سنة ثلاث وستين وثمانمئة وحمل الى فاس فدفن بالقلة أيضا . وفي هذه السنة أو التي قبلها استولى البرتغال على قصر المجاز وهو المعروف بقصر مصمودة والقصر الصغير وهو الآن خراب ، والله أعلم .

وزارة يحيى بن يحيى الوطاسي
ومقتله ومقتل الوطاسيين معه والسبب في ذلك

لما توفي الوزير علي بن يوسف رحمه الله قام بالوزارة بعده يحيى بن يحيى بن زيان الوطاسي ، قالوا فكانت ولاية هذا الوزير هي مبدأ الشر ومنشأ الفتنة ، وذلك أنه لما استقل بالحجابة أخذ في تغيير مراسم الملك وعوائد الدولة ، وزاد ونقص في الجند ، ونقض جل ما أبرمه قبله الوزراء ، وعامل الرعية بالعسف ، ومن جملة ما نقم عليه أنه عزل قاضي فاس الفقيه محمد بن محمد بن عيسى بن علال المصمودي ، وقدم مكانه الفقيه يعقوب التسولي ، وكان المصمودي من الدين وتحري المعدلة بمكان ، فلما رأى السلطان عبد الحق فعل الوزير واستحواذه على أمور الدولة وتبين له أن الوطاسيين قد التحفوا معه رداء الملك وشاركوه في بساط العز وكادوا يغلبونه على أمره سطا بهم سطوة استأصلت جمهورهم الا مَن حماه الاجل منهم ، فتقبض على الوزير يحيى وعلى أخويه أبى بكر وأبي شامة ، وعلى عمهم فارس بن زيان ، وقريبهم محمد بن علي بن يوسف ، وأتى الذبح على جميعهم ، واستمر البحث

عن محمد الشيخ ومحمد الحلو أخوي الوزير المذكور ، فلم يوجد لذهاب الشيخ في ذلك اليوم للصيد واختفاء الحلو عند قيام الهيعة ، فكان ذلك من لطف الله فيهما ، واتصل بهما ما جرى على عشيرتهم وبنى أبيهم فذهبا الى منجاتهما ، وكان من أمرهما ما نذكره .

وكانت هذه الحادثة الصماء بعد مضي سبعين يوما من وزارة يحيى بن يحيى المذكور ، وصفا للسلطان عبد الحق أمره ، ورأى أن قد شفا نفسه من الوطاسيين ونقى بساط حضرته من قضضهم ، وابرأ جسم ملكه من مرضهم ، والله غالب على أمره .

رئاسة اليهوديين هاروق وشاويل

وما نشا عن استبدادهما من المحنة والفتنة

قالوا : كان السلطان عبد الحق منذ أوقع ببني وطاس لم تسمح نفسه باعطاء منصب الوزارة لاحدهم ، ثم نمى اليه أن العامة وكثيرا من الخاصة قد نقموا عليه ايقاعه بالوطاسيين ، وأن أذنهم صاغية الى محمد الشيخ صاحب أصيلة ، وكان قد استولى عليها بعد فراره حسبما نذكر ، وربما شافهه البعض منهم بذلك ، فولى عليهم اليهوديين المذكورين تأديبا لهم وتشفيا منهم زعموا ، فشرع اليهوديان في اخذ أهل فاس بالضرب والمصادرة على الاموال ، واعتز اليهود بالمدينة وتحكموا في الاشراف والفقهاء فمن دونهم ، وكان اليهودي هارون قد ولى على شرطته رجلا يقال له الحسين لا يألوا جهدا في العسف واستلاب الاموال ، واستمر الحال على ذلك والناس في شدة .

وفي سنة سبع وستين وثمانمئة انتزع الاصبانيول جبل طارق من يد ابن الأحمر .

استيلاء البرتغال على طنجة

ثم في سنة تسع وستين وثمانمئة استولى البرتغال على طنجة زحفوا اليها من سبتة في الوف من العساكر واستولوا عليها واستمرت بأيديهم أكثر من مئتين وخمسين سنة ، ثم بذلوها لطاغية الانجليز سنة أربع وسبعين والف في سبيل المهاداة والصهر الذي انعقد بينهما كما سيأتي .

مقتل السلطان عبد الحق ابن ابي سعيد والسبب في ذلك

ثم ان اليهودي عهد الى امرأة شريفة من أهل حومة البليدة فقبض عليها ، والبليدة حومة بفاس ، قالوا : وكانت بدار الكومي قرب درب جنيارة فانحى عليها بالضرب ، ولما الهبتها السياط جعلت تتوسل برسول (ص) فحمي اليهودي وكاد يتميز غيظاً من سماع ذكر الرسول ، وأمر بالابلاغ في عقابها ، وسمع الناس ذلك فاعظموه ، وتمشت رجالات فاس بعضهم الى بعض فاجتمعوا عند خطيب القرويين الفقيه عبد العزيز بن موسى الورياكلي وكانت له صلابة وجلادة عليه بحيث يلقي نفسه في العظائم ولا يبالي وقالوا له ألا ترى الى ما نحن فيه من الذلة الصغار وتحكم اليهود في المسلمين والعبث بهم حتى بلغ حالهم الى ما سمعت ، فنجع كلامهم فيه ، وللحين اغراهم بالفتك باليهود وخلع طاعة السلطان عبد الحق وبيعة الشريف أبي عبد الله الحفيد فأجابوه الى ذلك ، واستدعوا الشريف المذكور فبايعوه والتفت عليه خاصتهم وعامتهم وتولى كبر ذلك أهل حومة القلقليين منهم ، ثم تقدم الورياكلي معهم الى فاس الجديد فصمدوا الى حارة اليهود فقتلوهم واستلبوهم واصطلموا نعمتهم واقتسموا أموالهم ، وكان السلطان عبد الحق يومئذ عائداً من حركة له ببعض النواحي .

قال في (نشر المثاني) : خرج السلطان عبد الحق بجيشه الى جهة القبائل الهبطية وترك اليهودي يقبض من أهل فاس المغارم ، فشدد عليهم حتى قبض على امرأة شريفة وأوجعها ضربا وحكى ما تقدم ، فاتصل بعبد الحق الخبر فنهض مسرعاً إلى فاس ، واضطرب عليه أمر الجند وفسدت نياتهم وتنكرت وجوههم ، وصار في كل منزلة تنفض عنه طائفة منهم ، فأيقن عبد الحق بالنكبة وعاين أسباب المنية ، ولما قرب من فاس استشار هارون اليهودي فيما نزل به ، فقال اليهودي له : لا تقدم على فاس لغليان قدر الفتنة بها ، وانما يكون قدومنا على مكناسة الزيتون لانها بلدنا وبها قوادنا وشيعتنا، وحينئذ يظهر لنا ما يكون ، فما استتم اليهودي كلامه حتى انتظمه بالرمح

رجل من بني مرين يقال له تيان وعبد الحق ينظر ، وقال أوما زلنا في تحكم اليهود واتباع رأيهم والعمل باشارتهم ؟ ثم تعاورته الرماح من كل جانب وخر صريعا لليدين والفم ، ثم قالوا للسلطان عبد الحق تقدم أمامنا الى فاس ، فليس لك اليوم اختيار في نفسك ، فأسلم نفسه وانتهبت محلته وفيئت أمواله ، وحلت به الاهانة ، وجاءوا به الى أن بلغوا عين القواديس خارج فاس الجديد ، فاتصل الخبر بأهل فاس وسلطانهم الحفيد ، فخرج الى عبد الحق وأركبه على البغل بالبردعة وانتزع منه خاتم الملك وأدخله البلد في يوم مشهود حضره جمع كبير من اهل المغرب ، وأجمعوا على ذمه ، وشكروا الله على أخذه ، ثم جنب الى مصرعه فضربت عنقه صبيحة يوم الجمعة السابع والعشرين من رمضان سنة تسع وستين وثمانمئة 869 ودفن ببعض مساجد البلد الجديد ، ثم أخرج بعد سنة ونقل الى القلة فدفن بها ، وانقرضت مملكة دولة بني عبد الحق من المغرب والبقاء لله وحده .

ونقل الثقات أن الشيخ أحمد رزوق رحمه الله كان قد ترك الصلاة خلف الفقيه عبد العزيز الورياكلي لما صدر منه في حق السلطان عبد الحق ، فكان يقول لا ءامن الغندور على صلاتي يعنيه بذلك ، والغندور في لسان المغاربة ذو النخوة والاباية وما أشبه ذلك ، والله يتغمدنا والمسلمين برحمته ءامين (1) .

1070) **عبد الحي** ، أبو محمد ، امام الجامع الاعظم ببلد أغمات المحروسة ، كان شيخا فاضلا لقيه صاحب (المنهاج الواضح) وحدث عنه أنه قال : سمعت اسماعيل الدكاك يقول وقد سألته عن سبب توبته قال : كنت في أول أمري أتسلط على أولاد الصالحين ، فما تركت فحلا ممن يذكر في المغرب من الصالحين الا خالطته وعملت عليهم سوى بيتة أبي محمد صالح، حتى ذكر لي عن الشيخ أبي العباس زواجه في بلد أغمات ، فقلت ما أجد مثل هذه الفرصة ، فقصدت اليه على وجه الخداع ، وسلكت طريق الارادة ، فلما قدمت عليه وأخذت بيده سألني فقال لي من أين أنت ؟ فقلت من بلد آسفي ،

1) كل ما تقدم منقول بالحرف من **الاستقصا** 4 : 90 طبع الدار البيضاء

ثم ذكرت له من أمورهم وأخبارهم ، وعرفته بصبيانهم ونسائهم حتى كأني أقرب الناس اليهم وجعلني مـن جملة مَن يدخل عليه ، فأخذت فـي سرد العبادات من الصيام والقيام حتى ظهر لي أن قد صرت عنده مـن الفضلاء ، والتحقت بدرجة البدلاء ، فخلوت به يوما وقلت له ياسيدي حالي كما رأيت ، وقد ألقى الله في باطني حباً للتأهل ، فأردت مشورتكم في ذلك وخاطركم عسى أن يفتح علي بظعينة تعينني على ما أنا عليه ، وبيدي شيء صالح من هذه الصناعة المعروفة ، وأريد أن استعمل منها شيئاً أتسبب به في هذا الامر ، فقال كل ما نظرت صالح ، والله تعالى يهديك للمصالح ، فقلت كنت أشتهي أن تقرض لي بجاهك وعلى يدك ما أجهِّز به حالي ، فقال نعم ، فدخل الى منزله فاخرج لي مئتي دينار ، وقال هذا الذي وجدته عند الزوجة ، فاقرضته منها ، وأما أنا فمالي شيء ، فقبلت يديه وانصرفت ، فأخذتها ووضعتها في جراب وتحزمت وعزمت على أن لا أبيت الا حيث استقرت بي قدماي ، فلما أردت أخذ الجراب لم أقدر على الوقوف ، فتعجبت ، فقعدت وأخذت الجراب وحملته على ظهري ، فطلبت القيام فلم أقدر ، فاذا طرحته قمت وما بي شيء ، حتى فعلت ذلك ثلاث مرات ، ففتحت الجراب وأخذت المال ثم أتيته بنية خالصة فتضرعت اليه وطلبت منه الاستغفار ، وأعلمته بحديثي كله ، فأقبل علي ، وعاهدت الله تعالى على التوبة بصدق الانابة ، وعلمت أن بينة الشيخ محفوظة ، فوادعته وأخذت بيده ، ودعا لي ثم انصرفت .

وأولاد الشيخ أبو محمد صالح ستة ، فهم العالم الفاضل محمـد ، والولي الصالح أحمد المترجم في الأحمدين (1) وهو المذكور هنا ، وعبد الله المترجم لاحقا ، ثم يحيى مات غريقا في البحر في حال صغره ، ثم عبد العزيز من كبار الاولياء دفين المحلة الكبيرة بمصر ، مات في صفر عام ستة وأربعين وستمئة ، ثم عيسى والي اسفي ، كان شديد التورع شديد السطوة فـي امارته . مات رحمه الله بعد صلاة الصبح من يوم الجمعة الثامن من شعبان سنة ثمان وتسعين وستمئة 698 ودفن ببلد فاس المحروس .

---

1) انظر 2 : 184 ع 176 من هذا الكتاب

1071) **عبد الخالق ابن ياسين الدغوغي** ، تلميذ يحيى المليجي ، صحب محمد ابن أمغار ، وأبا شعيب ، وكان من الافراد ، صاحب علم وعمل ، توفي ببلده سبت بني دغوغ من عمل مراكش يوم الاربعاء الحادي والعشرين، من شهر ربيع الأول عام أحد وسبعين وخمسمئة 571 وزاره أبو شعيب مرة واحدة ، وكان عبد الخالق حسن اللباس فرآ يوما رجل وعليه ثياب بيض ، فقال ماذا لبس الشيخ من الثياب ؟ وكان بعيدا منه ، فلما دنا منه عبد الخالق قال له : وما علي في لباسها اذا كنت مع الله بقلبي .

قال في (التشوف) حدثني ابراهيم بن موسى الهرزجي قال : سمعت موسى بن أبي زيد يقول سمعت عبد الخالق ابن ياسين يقول : لو أمكنني الا أقرأ أمَّ القرءان ما قرأتها أبدا لكن لا بد لي منها ، فاني أكذب اذا قلت إياك نعبد وإياك نستعين .

ما إن ذكرتك الا هم يعتبنـــي	سري وفكري وذكري عند ذكراكا
حتى كأن رقيباً منك يهتف بـــي	إياك ويحك والتذكار اياكـــا
اجعل شهودك في لقياك تذكـــرة	والحق اذكاره إياك اياكـــا
أما ترى الحق قد لاحت شواهده	وواصل الكل من معناه معناكـــا

سمعت ابراهيم بن موسى الهزرجي يقول : سمعت الفقيه يسكر بن موسى يقول : قال عبد الخالق ابن ياسين : طلبنا التوفيق زماناً فأخطأناه ، فاذا هو في اطعام الطعام .

وحدثني الثقة بسنده الى ميمون تلميذ عبد الخالق قال : بت ليلة عند الشيخ ، فسمعت قراءة جماعة يقرأون القرءان ، فظننت أنه قد طلع الفجر، فانتبهت الى موضع محظور بالقصب فانقطع الصوت ، فعدت الى نومي ، ثم قمت بعد ذلك فصليت صلاة الصبح ، فقال لي عبد الخالق : أسمعت البارحة قراءة القرءان ؟ قلت نعم ، قال لي : ان الذين سمعت قراءتهم جماعة من مومني الجن سألوني أن يحضروا عندي لمشاركة الصالحين في الدعاء والذكـر ، فحظرت لهم ذلك المكان بالقصب ليلا تناله نجاسة .

وحدثني محمد بن أحمد الزناتي قال : حدثني الحاج ميمون من أهل مراكش قال : مررت لزيارة عبد الخالق وما كنت رأيته قط ، فلما وصلت الى موضعه رأيت رجلا حسن الثياب ، فقلت له أين عبد الخالق ؟ فقال لي: قد وصلت اليه وما اقعدني هنا الا انتظارك ، فسلمت عليه وحملني الى داره ، فقال : عندي دراهم يسرتها لتشتري بها عجوزا من الخدم تطحن ما يأكله الصالحون ، فعجبت من معرفته بحرفتي ، فقلت في نفسي ان أحضر لي عشرة دنانير رددت عليه مثلها ، فاشتريت له مملوكة جيدة ، فقال لي : هي عشرون دينارا ، فأحضرها الي فعجبت من قوة فراسته ، فقلت له أنا عازم على السفر الى درعة فان وجدت لك بمراكش مرادك والا طلبتها بدرعة ، فواعدته على ذلك ، وطلبت له بمراكش الصفة التي وصف لي فلم أجدها ، فسافرت الى درعة وبحثت على الوصف الذي طلب لي فلم أجده ، فلما عزمت على القفول وجدت مملوكة على الاختيار ، فسألت عن ملاكها فاذا هم أصحاب ، فأخبروني أنها ولدت عندهم وانما باعوها من أجل الحاجة ، فاشتريتها منهم وبقيت لي من العشرين بقية ، فاشتريت بهـا كساء وحملتها معي فنزلنا ليلة ببعض المنازل ، فأصابنا مطر ، فقال لي غلامي ياMولاي أهذه المملوكة التي اشتريتها للرجل الصالح الذي زرناه بسبت بني دغوغ ؟ فقلت له نعم ، فغطها بكسائه من البرد ، فلما وصلت مراكش لقيت الفقيه جلداسن ابن اسحاق الركوني ، فقال لي انت الحاج ميمون ؟ فقلت له نعم ، فقال لي بشرنا الفقيه عبد الخالق بقدومك أمس ، فسلمت عليه وانصرفت الى منزلي ، فلما اصبحت قلت للغلام: اذهب الى عبد الخالق لأوصل اليه مملوكته ، فلما قربت من منزله وجدته على ظهر الطريق ينتظرني ، فسلمت عليه فنظر الى الغلام فقال له ادن أنت الذي آثرت مملوكتي بكسائك ليلة المطر ، فدنا منه فدعا له ، قال أبو محمد : فحدثني ميمون هذا الحديث بمحضر جلداسن بن اسحاق وتونارت ابن واكرام وغيرهما من أصحابه فقالوا كان لعبد الخالق أصحاب من مومني الجن فلعلهم يخبرونه بهذه الامور ، ولقد كنا نسمعه يدعو في بيته فنسمع تأمينهم على دعائه ، انتهى (I) .

I) ما تقدم منقول بالحرف من **التشوف** ص 205 ع 78

قلت : زرت قبره رضي الله عنه في رمضان سنة 1331 وبينه وبين مراكش نحو خمس ساعات ، جدد ضريحه القائد أبو دلاحة الوديي ، وبجانبه بيوت للزوار ، وأروى ومطهرة ومسجد صغير ، وليس به ماء الا من البئر ، كما زرت الوالي الصالح سيدي ياسين في ضريح وحده بقربه ، وسيأتي ذكر الكرامة الواقعة لزواره الثلاثة عند ذكر ترجمة سيدي عبد الواحد بن احمد مفتي بمراكش .

1072) **عبد الخالق ابن الخير الرجراجي** ، كان من أهل الذعارة ، ثم تاب الى الله ، فنهض من مراكش الى مكة فجاور فيها ثم عاد الى مراكش ، فغاب وانقطع ، وكان من الاولياء .

قال في (التشوف) : حدثني محمد بن أحمد الزناتي قال : لما عاد عبد الخالق الى مراكش قلت له : كان الحجاج يتحدثون عنك بالعجائب فاخبرني عن أعجب ما رايته في مجاورتك ، فقال لي خدمت بمكة شيخا من المجاورين مرة ، فقال لي يوما أتريد أن ترى الخضر عليه السلام ؟ فقلت له : من لي بهذا ؟ فقال لي : هو رجل طوال من صفته كذا وكذا ، فقلت له أرنيه ، فقال لا يمكنني ذلك ، ولكن ارقب هذه الصفة عند الطواف فاذا رأيت رجلا على هذه الصفة فهو ذلك ، فبقيت طول الليل أتوسم الوجوه ، فلما كان وقت السحر رأيت رجلا على الصفة التي وصف لي ، فدنا مني حتى تاملته ، فلم اقدر أن اكلمه ، فقمت أدنو منه وهو يمشي القهقري وانا ادنو منه وهو يبعد مني وأهاب أن أكلمه ، فلم أطق أن الحقه الى ان خرج من باب ابراهيم عليه السلام ، وخرجت في أثره ، فنظرت يميناً وشمالا فلم أره ، فعدت الى الشيخ فقلت له : رأيت رجلا من صفته كذا وكذا ، فقال لي هو ذلك .

1073 عبد الخالق بن عبد القادر الشرقي

عبد الخالق بن أبي النصر عبد القادر بن القطب سيدي محمد الشرقي ، سكن مراكش مدة ، وكان يسكن هو وولده بحومة الكتبيين ، وكان يزور بولده سيدي محمد المعطي الصالحين ، فكان اذا ذهب وحمله على الدابة

يبقى يميل يميناً وشمالا لا يستقر عليها ، لما تلاقى بشيخه سيدي محمد بن ابرهيم التادلي وجذبه فكان يخاف من الخدام ان رءاه بتلك الحالة أن يظنوا به السكر فيذهب به الى الوالي الى أن صحا من غيبته بعد ثلاثة اشهر ، ويقال انه ذهب به يوما وهو صغير لبعض أهل الخير بقصد أن يدعو له ، فلما أوصله اليه قال له : اكسه جبة صوف فوقع في خاطري شيء ، لأن الكتان والملف موجود ، وكان ذا مال ولم يتفطن الى أن المراد الاشارة الى أنه يكون من أهل التصـــوف .

ذكره في (المرقى) وذكر في (اليتيمة) أن المترجم كان ذا عرض صين ، وخلق حسن ، محافظا على دينه وعرضه ، حازماً في أداء واجبه وفرضه، سرياً نجيبا ، خيراً أريباً ، تقيا صادقا في معاملة مولاه ، وقد تقدمت ترجمة ولده المذكور (1) .

1074) **عبد الخالق** نزيل الصومعة ، مــن شرفاء مراكش ، الوجيــه الأنجد ، النبيه الأمجد ، الشريف أبو عبد الله ، لم يزل على محبة الشيخ سيدي محمد بن عبد الله السوسي مثنياً عليه الثناء الجميل ، مقبلا على ثنائه ، مواظباً على العبادة ما أمكنه الى أن توفي رحمه الله تعالى .

ذكره في (مباحث الأنوار) .

1075) عبد الخالق بن محمد الشرقي

عبد الخالق بن محمد بن أحمد العروسي بن الشرقي عبد القادر بن سيدي محمد بن الشرقي بن أبي القاسم بن الزعري ، كان رحمه الله فاضلا عالماً ناظما ناثرا ، أخذ عن الولي الصالح سيدي محمد الصالح بن المعطى الشرقي ، واليه يتنسب ، وأخذ برباط الفتح عن العلامة أحمد بن عبد الله الغربي ، وقدم مراكش سنة 1113 ، وقال قصيدة في مدح سيدي محمد المعي والد سيدي الصالح شيخه المتقدم مطلعها :

---

1) انظر 5 : 314 ع 692 من هذا الكتاب

سقياً لأرض أنت فيها طود' مَـن أمسى غريباً قاصداً لنداكـم

وانشده بعض أدبائها :

صاحب الكتب تراه أبـداً غير ذي فهم ولكن ذا غلـط
كلما فتشته عن علمـه قال علمي ياخليلي في سفـط
في كراريس جيادٍ أحكمـت وبخط اي خط اي خـط
فاذا قلت له هات بهـا حك لحييْه جميعاً وامتخـط

والف (المرقي ، في بعض مناقب القطب سيدي محمد بن الشرقي) ورتبه على خمسة أبواب : الأول في فضل النبي (ص) وفيه خمسة فصول : الأول في سبقية وجوده ، والثاني في تثبت النبوءة له ، والثالث في فضله ، والرابع في فضل أمته ، والخامس في كون طائفة منها اقطاباً وأبدالا ونجباء ، والباب الثاني في التعريف بالشيخ سيدي محمد الشرقي وفيه اربعة فصول : الأول في التعريف بوالديه والثاني فيمن أخبر بوجوده من الأشياخ ، والثالث في التعريف بمن أخبر من الاشياخ ، والرابع في نسبه ، والباب الثالث في طريقته وسلسلته وأشياخه وفيه فصول ، والرابع في كرائمه ، والخامس في ذكر صلحاء أولاده وبعض تلامذته ، وختمه ببعض كلامه ، وهو تاليف مفيد ، مرصف محكم بغية المستفيد ، أبدأ فيه وأعاد ، وبين أحواله أتم بيان ووفّى بالمراد ، وذكر فيه من أمداحه قصائد عديدة ، وصحح وزيف ، وأتى بالفوائد وقرط الآذان وشنف ، فمن قصائده في جده المذكور قوله :

فاق الأنام محمد المرتضـى قطب الورى الشرقي أسنى العنصر
قد خص بالمجد الرفيع ورتبـة مرفوعة فوق الثريا ومشتـري
ورث الفضائل كابراً عن كابـر طود الأنام ملاذ كل محيـر
حاز المحامد كلّها ولقد غـدا بحراً الى تلك العطاش الضمـر
غوث الوجود ومَن عليه مـداره وغياثه في كل خطب منكـر

ثم قال :

قد أخبر الحرار بالقطب الـذي هو الخليفة بعده في الأعصـر
والشيخ والده تقدم مخبـراً في قصة مشهورة بالأعصـر

وبه أبو عثمان قد أتى معلمـــــاً … بولادة الشيخ الهمام الأشهـــــر
وكذا الامام المنتمي لرشيـــــدة … نجل ابن يوسف منقذ المتحيـــر

وقال في أخرى فيه :

يكفيه شهرة ذكره وعلومـــــــه … شرقاً وغربا في القرى وحواضـر
وثبوت ما قد صحّ عند أيمـــــة … من كونه قطب الزمان الزاهـــر
وظهور نفع صادر لذوي النهـــى … وخوارق برزت لكل مناظـــــر

وقال في مطلع أخرى :

يصول الامام الشرقي بالغرب والشرق … على أولياء الله في كل منـــــزل
هو القطب والغوث المقدم فيهـم … وجملتهم تحت اللواء المفضـــــل

ثم قال :

إذا افتخر الجيلاني شمس الأحبة … وعظم قدر الشاذلي المبجـــــل
أنا شمس أهل الغرب والشرق كلهم … وقطبهم مني استمدت ذوو الفضل

وقال أيضاً على لسانه من قصيدة :

وإذا مضى الجيلي عبد القـــادر … أو شاذلي فاق فوق منصتـــــي
فأنا المعَدُّ لدفع كل ملمـــــــة … وأنا الوحيد بصولتي ومحبتـــي

وقال في أخرى :

وشهرة فضل الشرقي تغني عن الذي … قصدت فلم نحتج لاثبات موجـــب
وكونه هو القطب والغوث الـــذي … يدور عليه مَن بشرق ومغـــرب

وقال فيه من قصيدة طويلة :

قطب السماحة والمروءة والتقـــى … والبر والمجد الرفيع الأطـــول
سعد الزمان وقطبه وغياثـــــه … وإمامه وملاذه لمؤمّـــــــل

غوث الورى نجل ابن قاسم الذي ساد الرجالَ بهمة وتفضـل
قل للبسيطة والسماوات العـلا تعلو بممشاه وروح مفضـل
فلِتادلا الفخرُ الذي لم ينفصـم بمحمد مجلي هراج المقلـل

وقال أيضا :

لم يبق لي سر الولاية شاهـدا احتاجه لبيان فضل العـارف
قد بان ما يكفي لكل مشاهـد مستبصر لفضائل ومعـارف
إن كان يحتاج الدليل فقد غـدت شمسُ الورى تحتاج ردَّ مخالـف
فضل الامام محمد الشرقي قـد فاق الجميع كل فضل سالـف

وله من أخرى :

أمولاي ياقطب الزمان ببابكـم تحطُّ الرجال لا سواكم بمانـح
أغوث الأنام اليوم اني نزيلكـم فترشد مَن أضحى غريقا لصالـح

وحين ختم قراءة الشفا وكان مريضا شفاه الله تعالى أنشد قصيدة في مدح النبي (ص) ومدح القاضي عياض والسيد محمد الشرقي رضي الله عنهما مطلعهـا :

حدث بفضل محمد وبحقـه عرف وعظم منصباً للممجـد

ثم قال :

فهو المرجّى للأنام اذا دعـا داعي الالاه لهول يوم الموعـد
وهو الذي لولاه ما خلِق الـورى أبدا ولا شيء يرى في فرقـد

وقال من قصيدة في مدح الشرقي :

هو القطب لا قطب يدانيه في الورى هو الغوث لا غوث يماثل ذا العبق
مكانته تعلو على كل فاضـل ورتبته خصت لدى مقعد صـدق

وختم كتابه المذكور بهذه القصيدة :

ياقطب هذا الغرب والشرق الـذي — شرقت بكم أنواركم للناظـــر
ياغوثَ أقطاب الوجود بأسرهـم — وغياثهم في كل خطب ثائـــر
ياطودَ هذا العصر والكهف الذي — أمنت به كل الورى من ضائـــر
ياشيخَ أوتاد الانام وجرسهـم — وممد أهل عوارف وسرائـــر
يابحرَ جود لا نظير له ومَـــن — قد حاز كل فضائل ومفاخـــر
يامجليَ الكربات بعد اياسهـم — وغياث أحوال الغريق الحائـــر
يامنقذا أهلَ المصائب منهـم — ياكاشفَ المعضلات عند تحايـــر
يامنبعَ الخير الجسيم ومعدن الـ — ـسر المصون وخارق كالباهـــر
لكم الكرائمُ تنتهي ولقد غـدت — من علمها كضروريات نواظـــر
وخصالكم شاعت بغرب مِثلَ مـا — شاعت بشرق من أجل الظاهـــر
أنت الذي قد فقت كل مفضـل — ذي رتبة أو نسبة أو ماهـــر
انت الامام لكلٌ فردٍ فاضـل — منك استمدتْ أهل فكر نائـــر
أنت الذي قد حزت مجدا فائقـا — وجمعتَ فضل أوائل وأواخـــر
وسموت للشرق الرفيع فحزتـه — وعلا علاكم فوق ذاك الزاهـــر
ياسيدي الشرقي يامَن قد غـدا — قطب الوجود وغوث باد حاضـــر
جد للكئيب . . . وإذقْه مـن — ذاك الشراب شراب أهل بصائـــر
وامنحْه بالألطاف والتوفيق جـد — بصلاح دنياه وحسن الآخـــر
ياوارثاً علم النبي محمـــد — أنت الملاذ لخائف مستنصـــر
صلى عليه الله ما هب الصبّـا — والآل والأصحاب خير أكابـــر

ولـه قصيدة في مدح سيدي محمـد صالح ، وحلى المترجم فـي (اليتيمة) بالخيِّر الفقيه الفاضل الصادق في معاملته مع مولاه ، ولم يذكر وفاتـه .

1076) **عبد الخالق بن احمد الدباغ المراكشي** ، من أفراد الطريقـة المختارية بمراكش ، كان فقيها مدرساً نبيلا ، وهو الذي وجه له سيدي أحمد البكاي رسالة الرد على الكنسوس ، والزاوية' المختارية' بمراكش كانـت

مدرسة تنسب لحمُ يحتّه مضافة للأحباس الكبرى ، ثم حولها السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان في خلافته الصغرى وجعلها زاوية للكنتيين ، والرئيس السيد عبد الله بن أحمد هو الذي توجه الى الصحراء عند سيدي أحمد البكاي وتلقى منه الورد لنفسه وأتى به للسلطان سيدي محمد ولأخيه السيد موسى بن أحمد .

1077) عبد الرحمان بن محمد ابن العجوز الكتامي

عبد الرحمان بن محمد بن عبد الرحمان بن عبد الرحيم بن أحمد الكتامي ، يعرف بابن العجوز ، الفقيه القاضي أبو القاسم ، من بيت علم وجلالة ، فقيه ابن فقيه ابن فقيه ابن فقيه ابن فقيه ، خامس خمسة ، وعبد الرحيم أكبرهم في العلم والجلالة والأمانة هو المنتقل الى سبتة من أصيلة ، وأصلهم من بلادهم كتامة .

قرأ أبو القاسم هذا على أبيه ، ومروان ابن سمجون ، وسمع حجاجاً الماموني وغيرهم ، وصحب أبا الفضل ابن النحوي كثيراً ، وكان يميل الى الحجة والنظر ، وولي قضاء الجزيرة الخضراء ، ثم سلا ، ثم خلافة القضاء بالحضرة يعني مراكش ، وتوفي مصروفاً عن ذلك .

وحدثني رحمه الله بلفظه قال : حدثني أبي محمد عن أبيه عبد الرحمان عن أبيه عبد الرحيم عن أبي محمد ابن أبي زيد عن أبي بكر ابن اللباد أن محمد ابن عبدوس صلى الصبح بوضوء العتمة ثلاثين سنة خمس عشرة من دراسة ، وخمس عشرة من عبادة ، وأن جده الأعلا عبد الرحيم توفي سنة ثلاث عشرة واربعمئة ، وأن جده عبد الرحمان توفي سنة تسع وأربعين ، وأن أباه توفي بفاس بعد صرفه عن قضائها سنة اربع وتسعين واربعمئة ، وتوفي هو رحمه الله بفاس بعد صرفه عن خلافة قضاء الحضرة سنة خمس عشرة وخمسمئة .

قاله القاضي عياض في (الغنية) ، واختصره عنه ابن بشكوال في (الصلة) ، وقال : توفي بفاس من بعد سنة 510 ، وزاد في (الجذوة) في

ترجمته انه ولي قضاء الجزيرة المذكورة بتقديم القاضي محمد ابن عيسى من سبتة اذ كانت الى نظره ، وانه ولي قضاء سلا بتقديم قاضي الجماعة ابن منظور ، ثم نقل الى مراكش ، ثم انتقل الى مدينة فاس ثم توفي بفاس (1) .

1078) عبد الرحمان بن محمد ابن الصقر الأنصاري

عبد الرحمان بن محمد بن عبد الرحمان بن محمد ابن الصقر الأنصاري ، بلنسي المولد ، مريّي النشاة ، واصله من ثغر سرقسطة الأعلا ومنه انتقل جده لحدوث بعض الفتن بالثغر الى بلنسية مع ابنه محمد وهو صغير ، وولد بها عبد الرحمان المترجم به ، ثم انتقل به أبوه الى المرية فنشأ بها .

روى عن أبي بحر سفيان ابن العاصي ، وأبي الحجاج ابن عديس واختص به ، وأبي محمد سبط ابن عبد البر ، وعبد الجبار بن أبي قحافة ، وأبي عبد الله بن عبود ابن الخياط ، وأبي العباس بن محمد الشاري ، وأبي عمران بن أبي الربيع القشويري ، وأبي محمد بن عبد المنعم القيرواني ابن الكماد ، واخذ بالمرية أول بدئه طلب العلم عن أبي خالد يزيد ابن مولى المعتصم بن صمادح ، وأبي العباس بن عثمان ابن مكحول ، وروى بها أيضا عن أبي بكر بن نعمة الصابر ، وبغرناطة عن أبي الأصبغ عيسى بن سهل ، وأبي بكر غالب بن عطية واجاز له ، وأبي محمد ابن العسال ، وبقرطبة عن أبي عبد الله ابن فرج ، وأبي علي الغساني ، وباشبيلية عن أبي بكر بن طلحة ، وابن العربي ، وأبي مروان بن عبد العزيز الباجي ، وبمالقة عن أبي عبد الله بن سليمان ابن خليفة، وأبي مطرف الشيبي، وبسبتة عن أبي الربيع بن عبد الله بن بقي ، وعن أبي الحسن بن عبد الغني الحصري ، ومروان ابن سمجون ، روى عنه ابنه أبو العباس ، وكان من أهل العلم والخير والدين معتنياً بالحديث وروايته ، عارفاً بطرقه وصحيحه وسقيمه ، ذاكرا للفقه ومسائله ، مائلا إلى التصوف وقراءة كتب الزهد والرقائق ، وسكن مدينة فاس ووعظ بها الناس ، والتزم الوراقة في حانوت بغربي جامعها متقللا من الدنيا زاهدا فيها .

---

1) الصلة ص 354 ع 760 والديباج المذهب ص 150 وسلوة الأنفاس 3 : 295 وجذوة الاقتباس ص 408 ع 423 طبع الرباط

من مصنفاته مختصر السير والمغازي من سير ابن اسحاق وتاريخ أبي جعفر الطبري في سفر متوسط ، ومنتخب سير المصطفى لأبي سعد عبد الملك بن محمد الخراساني الواعظ ، ومختصره في أصول عبارة الرؤيا .

مولده ببلنسه سنة أربع وخمسين وأربعمئة ، واستوطن باخرة مراكش الى أن توفي بها سنة ثلاث وعشرين وخمسمئة ، قاله أبو العباس ابنه، وقال عبد الله ابن ابنه أبي العباس انه توفي سنة احدى عشرة ودفن خارج باب الدباغين أحد أبواب مراكش المحروسة الشرقية رحمه الله تعالى .

ترجمه في الجذوة (I) .

1079) عبد الرحمان بن محمد ابن بِرّجان اللخمي

عبد الرحمان بن محمد المكنى بأبي الرجال بن عبد الرحمان اللخمي ، من أهل اشبيلية ، واصله من افريقية ، وأبو الرجال هو الداخل الى الأندلس في امارة المعتضد عباد بن محمد ، يعرف بابن بِرّجان ويكنى أبا الحكم ، سمع من أبي عبد الله ابن منظور صحيح البخاري وحدث به عنه ، وسمع أيضا من غيره ، وكان من أهل المعرفة بالقراءات والحديث والتحقق بعلم الكلام والتصوف ، مع الزهد والاجتهاد في العبادة ، وله تواليف مفيدة ، منها كتاب في تفسير القرءان لم يكمله ، وكتاب شرح أسماء الله الحسنى ، حدث عنه أبو القاسم القنطري بتاليفيه المذكورين ، وعبد الحق الاشبيلي ، وأبو عبد الله ابن خليل ، وأبو محمد ابن المالقي ، وغيرهم ، وتوفي بمراكش مغربا عن وطنه سنة 530 وقبر أحمد ابن العريف بازاء قبره . قاله في (التكملة) ، ولم يزد في (النيل) في ترجمته على اختصار ما في التكملة .

وذكر في (التشوف) في ترجمة سيدي علي بن حرزهم ما نصه : ولما أشخص أبو الحكم ابن بِرّجان من قرطبة الى حضرة مراكش سئل عن مسائل عيبت عليه فأخرجها على ما تحتمله من التأويل ، فانفصل عما ألزمه من

I) الترجمة منقولة بالحرف من جذوة الاقتباس ص 408 ع 424 طبع الرباط

النقد ، وقال أبو الحكم : والله لا عشت ولا عاش النبي اشخصني بعد موتي ، يعني السلطان ، فمات أبو الحكم ، فامر السلطان أن يطرح على المزبلة ولا يصلّى عليه ، وقلد فيه مَن تكلم فيه من الفقهاء ، فدخل على ابن حرزهم رجل أسود وكان يخدمه ويحضر مجلسه فاخبر ابن حرزهم بما أمر به السلطان في شأن أبي الحكم ، فقال له ابن حرزهم : ان كنت تبيع نفسك من الله فافعل ما أقول لك ، فقال له مرني بما شئت أفعله ، فقال له تنادي في طرق مراكش وأسواقها يقول لكم ابن حرزهم احضروا جنازة الشيخ الفاضل الفقيه الزاهد أبي الحكم ابن بِرِّجان ، ومَن قدر على حضورها ولم يحضر فعليه لعنة الله ، ففعل ما أمره به ، فبلغ ذلك السلطان فقال مَن عرف فضله ولم يحضر جنازته فعليه لعنة الله (1) .

وتقدم ذكر نقله مع ابن العريف والميورقي (2) ثم في ترجمة ابن قسي (3) وستاتي ترجمة ولده عبد السلام ، وترجم في (بغية الوعاة) لحفيده عبد الرحمان بن عبد السلام بن عبد الرحمان المتوفى سنة 627 مؤلف الارشاد في تفسير القرءان المذكور في (الكشف) ، وراجع ترجمة أحمد بن محمد بن أحمد بن أبي هارون الاشبيلي في (غاية النهاية) فقد ذكر انه قرأ عليه عبد السلام حفيد ابن بِرِّجان .

فـائـدة :

ابن بِرِّجان (4) بموحدة وهي المشربة صوت الفاء مهملة، وراء مكسورة وجيم معقودة وألف ونون على الاصح ، وعبر عن الجيم المعقودة أيضاً بالجيم المشددة ، وقيل هو بالباء خالصة مكسورة والراء مشددة مكسورة ، والجيم خالصة ، وانه اختصار أبي الرجال ، وقيل انه بالفاء المدوسة بدل الموحدة وبالشين المعجمة بدل الجيم كما في (تحفة أهل الصديقة) ، وترجم ابن

---

1) التشوف ص 148

2) انظر 2 : 7 من هذا الكتاب

3) انظر 2 : 58 ع 127 من هذا الكتاب

4) Verrigan

الابار في (التكملة) لحفيد المترجم أبي الحكم عبد الرحمان بن عبد السلام بن عبد الرحمان المترجم المتوفى سنة 627 عن نحو سبعين سنة (1) .

1080) عبد الرحمان بن جعفر ابن الحاج المعافري

عبد الرحمان بن جعفر بن ابراهيم بن أحمد المعافري ، أبو محمد ابن الحاج ، ذو الوزارتين ، من أهل لورقة ، وسكن مرسية ، سمع المنتقى لابن الجارود من أبي علي بقراءته عليه في سنة 504 وقف ابن الابار على خطه بذلك في نسخة أبي محمد منه ، وقرأ عليه أيضا الشمائل للترمذي في سنة ثلاث قبلهـا .

وأبوه ذو الوزارتين أبو الحسن جعفر قد ذكرته في بابه وسماعـه لرياضة المتعلمين تاليف أبي نعيم ، وكان ذلك بقراءة موسى ابن سعادة ، وبرع أبو محمد هذا في الآداب ، وهي كانت بضاعته وصناعته ، واستدعي في سنة ثمان وعشرين 528 للكتابة بحضرة مراكش ، فنهض اليها وانتهض بما حمل ، ثم استعفى فأعفي وانصرف الى مرسية هاجرا خدمة الأمراء ، ومواصلا صحبة الفقهاء ، زهدا في الدنيا ورغبة في الآخرة ، وجعل يؤذن بمسجده ، ويؤذن بصحة مقصده ، ويخاطب في استدعاء الدعاء أهل الصلاح وأعلام هذه الطريقة ، وربما داعبه في ذلك بعض مَن عرفه من الامراء الى كثير من الاكفاء والنظراء ، تعجباً مما صنع وهو مكب على التصميم ، ماض على النهج القويم ، وله ما يقول أبو العباس الاقليشي في مراجعته اياه وقد اعلمه أنه مقتد بهداه :

اقر السلام معطرآ نفحاتـــــــه   لأخي الذي أهدى الـــــي وداده
سلك الطريقة بالحقيقة فاهتـــدى   ورأى الالاه مراده فأفـــــاده
خلعت جلاليبَ البطالة نفســـه   فكساه من نور الهدى أبـــراده
فابيضّ خاطره بنور الاهـــــه   ونضا من الجهل المميت حداده
فكأنه بدر اتاه خسوفـــــه   ثم انجلى فمحا البياض سـواده

1) نيل الابتهاج ص 162

ومنهـــا :

رد ياأخي ماءَ المعارف انـــــــه يحيى بلذة طعمــــــــــه ورُاد'ه
واذكر أخاك بدعوة في خلـــــوة فالله يرحم بالدعاء عبـــــــــاده

ولما اختلت دولة الملثمين بقرطبة ولاه المرسيون أمرهم فدعا لأبي جعفر ابن حمدين بقرطبة أياما من شهري رمضان وشوال من سنة تسع وثلاثين 539 وهي السنة التي كثر فيها الثوار بشرق الاندلس وغيرها مـن القضاة وغيرهم ، ثم أظهر التبرم بما حـُمـّل ، والانخلاع مما قـُلـّد ، فتأتـّى له ذلك للنصف من شوال المذكور بقدوم عبد الله بن فرج الثغري والياً على مرسية من قبل سيف الدولة ابن هود ، حفظا لما اعتاد من العبادة ، وتحقيقا لدعواه في الزهــادة .

ثم قال وتخلص ابن الحاج بتخليه ، ورزق السلامة مما عطب غيره فيه ، إلى أن مضى سبيله وادعاً ، ولم اقف على تاريخ وفاته وأحسبها في عشر الخمسين وخمسمئة (1) .

1081) عبد الرحمان بن محمد المكناسي

عبد الرحمان بن محمد بن محمدالسلمي الكاتب من أهــل مرسية ، ويعرف بالمكناسي ، ويكنى أبا محمد ، روى عن أبي عبد الله ابــن سعادة ، سمع منه السير لابن اسحاق وغير ذلك ، وعـُني بالآداب فرأس في الكتابة وشارك في قرض الشعر ، وديوان رسائله بأيدي الناس يتنافس فيه ، وكان كاتبا لأبي عبد الله ابن سعد ، وكتب لغيره من الافراد ، وأخذ عنه أبو القاسم الملاحي كثيرا من نظمه ونثره .

توفي بمراكش وهو دون الاكتهال سنة 571 .

نقله ابن الأبار .

---

1) ما تقدم منقول بالحرف من معجم اصحاب ابى على الصدفي لابن الابار ص 244 ع 244

وذكر في (بغية الوعاة) وفاته سنة 591 ونصُّ ما في ترجمته منها : عبد الرحمان بن محمد بن محمد السلمي الأندلسي ، أبو محمد ، يعرف بالمكناسي ، قال ابن الزبير كان عارفا بضروب الآداب واللغات ، ذاكرا لايام العرب وفرسانها ، كاتبا بارع الكتابة جيد النظم حلو الأغراض ينشيء الرسائل اللزومية ، وبلغ في اللزوم مبلغا اعجز فيه غيره ، قرا وتادب على اشياخ مرسية وغيرها ، وله رسائل جليلة ، ومفاخرة بين السيف والرمح ، مات بمراكش عند قدومه اليها صحبة أبي سعيد بن أبي عبد المومن ءاخر سنة احدى وتسعين وخمسمئة .

وقال الملاحي : وكان شديد العناية بالآداب ، حتى رأس في الكتاب ، وأحسن المشاركة في قرض الشعر ، وله مقامات في أغراض شتى ، وكتب عن أبي عبد الله ابن سعيد وغيره من الأمراء .

1082) عبد الرحمان بن عبد الله السهيلي

عبد الرحمان بن الخطيب عبد الله ، بن الخطيب أبي عمر ، بن أصبغ ، بن حسين ، بن سعدون ، بن رضوان ، بن فتوح ، الخثعمي السهيلي ، الحافظ الامام ، أحد الرجال السبعة ، كتب في (اظهار الكمال) من ترجمته ما نصه :

ثم الامام السهيلي الذي سمحت — به الدهور وأمرته كاقمـــــار
بحراً بسنة خير الخلق منبعهـــا — بروضه ازهرت جميع ازهـــار
شرح لسيرة خير الرسل سيدنا — إن النبي بها منظور نظـــار
ماللضرير شبيه في فضائلـــه — محرر متقن في العلم نظـــار
من أجل عفته وزهده طلبـــه — أمير بلدتنا في قدم أعصـــار
بها أقام مكرماً ثلاث حجـــج — فمات ذا القرم في رضوان غفـــار
أبياته مَن يرى ما في الضمير أتى — بها الدعاء يجاب حين احضـــار

الاعراب : كاقمار اسم بمعنى مثل خال من ضمير المفعول لأبرته ، وبحراً حال ثانية ، وبسنة متعلق بمحذوف نعت لبحر ، ومنبعها صفة لخير الخلق ، وبروضة متعلق بازهرت ، وشرح خبر مبتدأ محذوف تقديره هو أي

الروض المذكور ، ومحرر بدل من الضمير في فضائله ، والوصفان بعده نعت له ، وفي العلم متعلق بنظار ، ومن أجل متعلق بطلبه ، وفي قدم أعصار ظرف للفصل المذكور ، وأبياته مبتدأ ، ومن يرى ما في الضمير محكي قصد لفظه مبتدأ ثان ، وجملة أتى بها الدعاء يجاب حين احضار خبر عن الأول ، والأول وخبره خبر عن الثاني .

اللغة : الامام تقدم تفسيره أنه من يؤتم به ، والسهيلي نسبة الى سهيل (1) قرية بمالقة سميت باسم الكوكب المعرف لأنه لا يرى في جميع بلاد الاندلس الا بجبل مطل عليها ، والسماحة الجود والعطاء ، والامراء الاظهار ، والأقمار جمع قمر يطلق هذا الجمع على اثنين وهما الشمس والقمر تغليبا ، والبحر يستعار للشيء الكثير ، والسنة أقوال النبي (ص) وأفعاله وتقريراته ، وهو خير الخلق أي افضلهم على الاطلاق ، وقد تقدم بيان هذا في ترجمة القاضي عياض ، وراجع الشفاء والمواهب اللدنية وغيرها ، والنبي (ص) منبع السنة ، منه تنبع وتخرج وتتلقى وتستفاد ، والروض المقصود به كتابه المسمى بـ (الروض الأنف) في شرح غريب السير ، قال في أوله : حمد الله مقدم على أمر ذي بال الخ فاني انتخبت في هذا الاملاء بعد الاستخارة إلى ايضاح ما وقع في سيرة رسول الله (ص) التي سبق الى تاليفها أبو بكر محمد بن اسحاق المطلبي ولخصها عبد الملك بن هشام المعافري النسابة مما بلغني علمه ، ويسِّر فهمُه ، من لفظ غريب أو اعراب غامض أو كلام مستغلق أو نسب عويص ، وبدأ املائي في هذا الكتاب في محرم سنة 569 تسع وستين وخمسمئة ، وكان الفراغ منه في جمادى الاولى من ذلك العام ، واختصره عز الدين محمد بن أبي بكر المعروف بابن جماعة المتوفى سنة تسع عشرة وثمانمئة 819 وسماه (نور الروض) وعليه حاشية لقاضي القضاة يحيى المناوي المتوفى سنة احدى وسبعين وثمانمئة ، ثم جرد سبطه زين العابدين عبد الرؤوف هذه الحاشية كما في (كشف الظنون) ، وقد وقفت

---

1) مدينة ساحلية تقع بين مالقة والجزيرة الخضراء ، تسمى اليوم Fuengirola بها مصطاف جميل

على الروض الانف الخ . والضرير من الضرر وهو ذاهب البصر ، والشبيه المثيل ، والفضائل جمع فضيلة من الفضل تقدم تفسيره ، والتحرير من الاتيان بالشيء محرراً خالياً من شائبة خلاف الصواب ، ومثله الاتقان ، النظار من النظر والمناظرة ألفت في ءادائها التآليف وهي المقاولة في العلم لاظهار الحق بدليله ، والعفة التعفف عما لا يليق ، والزهد له ثلاث مراتب ، ترك المنهيات ، وترك فضول الحلال ، وترك ما يشغل القلب عن الله وهو من مقامات اليقين ، والقُدم بضم القاف التقدم ، والأعصار جمع عصر وهو الدهر ، والاقامة بالمحل الحلول به والتكريم الاكرام ، والحِجج بكسر الحاء السنون ، ومات ضد حيي ، والقرم أي السيد ، والرضوان الرضىْ والقَبول ، والغفار من أسمائه تعالى من الغفر وهو الستر مبالغة في غافر ، وإحضار أي إحضار القلب وجمع الهمة بالصدق وقوة العزيمة .

المعنى : يارب أجبْ دعائي بجاه الامام عبد الرحمان السهيلي الذي أنجبت باظهاره الأدوار ، وكان في علومه ومعارفه يهدي الخلائق كما تهتدي بانوار الأقمار ، وفي سنة خير الخلق منبعها بحراً زخاراً منها ذا اكثار ، وروضه الأنف جمع فيه من فنون العلم جميع الأزهار ، وشرح به سيرة سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى ءاله وصحبه وسلم بالعشي والابكار ، وسيرته صلى الله عليه وسلم ناظرها ومتأمل أوصافه فيها كأنه له في حياته من النظار ، والامام السهيلي في عصره لا شبيه له بين أقرانه لجمعه بين المناظرة في العلم وتحريره واتقانه ، وكان عفيفاً زاهدا ، ورعاً عاملا بعلمه عابدا ، ومن أجل ذلك طلبه سلطان وقته أمير بلدتنا فيما تقدم من الأعصار ، وضمه الى حضرته لينال بركة طلعته فكان له بها قرار ، فأقام بها معظماً نحو ثلاثة أعوام هذا السيد وصار الى رضوان ربنا الغفار ، ذي الجلال والاكرام ، وقال ان أبياته الآتية يجاب بها الدعاء حين يكون للقلب إحضار .

قال الشيخ العارف الحنفي في (المنهج الحنيف ، في معنى اسمه اللطيف) وما فيه من الخواص وكيفية التصرف ما نصه · فمن قواعدهم أن لكل اسم خاصية في معناه ، وتصريفه في مقتضاه ، وافادته في وقته وسره

في عدده وتأثيره على قدر التأثر به ، وهذا هو السر الغامض الذي أخفته العلماء ، وذلك انما هو التوجه ، فعلى قدر همة الطالب يكون الطلب ، وذلك بحسب الهمة والقصد والتصديق ، وهو يختلف باختلاف الطبائع والأرواح والأحوال ، (والله يقول الحق، وهو يهدي السبيل)، وفي ذلك اشارة لحديث: ان لله في أيام دهركم نفحات ، ألا فتعرضوا لها ، والنفحات هي مصادفة الوقت اللائق بالمطلوب ، والاسم المطابق للمقصد ، وهذا النوع من الاسرار التي كشفت لأهل العناية من الأنبياء والمرسلين ، ولعباده المقربين ، فلذلك أسرعت الاجابة في حقهم غالباً ، لا سيما ان لاحظ تلك الكيفية حالة الدعاء ، ولأنه (ص) شرط صحة الاستحضار للأمر المطلوب من الحق حالة الطلب ، والمناجي متى أدركته حالة أو دخلت في جوارحه رعدة يترك الأشغال حينئذ ويدعو الله تعالى ويسال قضاء حاجته ، فاذا ارتفع ذلك عنه رجع حينئذ إلى الأشغال .

انتهى المقصود وراجع تمامه .

وقال العلامة ابن فرحون في الديباج (1) ما نصه : ومن الوفيات لابن خلكان : عبد الرحمان السهيلي : أبو القاسم وابو زيد عبد الرحمان بن الخطيب عبد الله ، بن الخطيب ابي عمر احمد ، بن أبي الحسن أصبغ ، بن حسين ، بن سعدون بن رضوان بن فتوح السهيلي الامام المشهور ، صاحب (الروض الأنف) في شرح سيرة الرسول (ص) ، وله كتاب (التعريف والاعلام ، بما أبهم في القرءان من الأسماء الأعلام) وله كتاب (نتائج الفكر) وله كتاب في شرح ءاية الوصية في الفرائض ، كتاب بديع ، ومسالة رؤية الله تعالى في المنام ، ورؤية النبي صلى الله عليه وسلم ، ومسالة السر في عور الدجّال ، الى غير ذلك من توءاليفه المفيدة ، وأوضاعه الغريبة ، وكان له حظ وافر من العلم والأدب ، وأخذ الناس عنه وانتفعوا به .

ومن شعره ، قال ابن دحية (2) أنشدني وقال إنه ما سال الله تعالى بها حاجة الا أعطاه اياها ، وكذلك مَن استعمل إنشادها ، وهي :

---

1) الديباج المذهب ص 150

2) المطرب من أشعار اهل المغرب ص 234

يامَن يرى ما في الضمير ويسمع — أنت المعد لكل ما يتوقَّع
يامَن يرجَّى للشدائد كلها — يامَن اليه المشتكى والمفزع
يامَن خزائن رزقه في قول كن — امنن فانَّ الخيرَ عندك اجمع
ما لي سوى فقري اليك وسيلة — فبالافتقار إليك فقريٌ أدفع
ما لي سوى قرعي لبابك حيلة — فلئن رددتَ فأي باب اقرع
ومَن الذي أدعو وأهتف باسمه — ان كان فضلك عن فقيرٍ يُمنَع
حاشا لجودك أن يُقَنِّط عاصيا — الفضل أجزل والمواهب أوسع

وزاد فيه بعضهم قوله :

ثم الصلاة على النبي وءاله — خير الأنام ومَن به نتشفَّع

وله أشعار كثيرة .

وكان ببلده يتسوغ بالعفاف ، ويتبلغ بالكفاف ، حتى نمى خبره الى صاحب مراكش فطلبه اليها ، وأحسن اليه ، وأقبل بوجهه غاية الاقبال عليه ، وأقام بها نحو ثلاثة أعوام (1) .

وذكره الذهبي فقال : عبد الرحمان العلامة الاندلسي المالقي النحوي الحافظ العالم ، صاحب التصانيف ، أخذ القراءة عن سليمان بن يحيى وجماعة، وروى عن ابن العربي القاضي أبي بكر وغيره من الكبار ، وبرع في العربية والأخبار ، وتصدر للافادة وذكر الآثار .

وذكره ابن الأبار وحكى عنه قال : أخبرنا أبو بكر بن العربي في مشيخته عن أبي المعالي أنه سأله في مجلسه رجل من العوام ، فقال أيها الفقيه الامام ، أريد أن تذكر لي دليلا شرعياً على أن الله تعالى لا يوصف بالجهة ولا يحدد بها ، فقال نعم قول رسول الله (ص) لا تفضلوني على يوسف بن متى ، فقال الرجل انا لا اعرف وجه الدليل من هذا الدليل ، وقال كل مَن حضر المجلس مثل قول الرجل ، فقال أبو المعالي : أضافني الليلة ضيف له عليٌ الف دينار وقد شغلت بالي ، فلو قضيت عني قلتها ، فقام رجلان من التجار فقالا هي ذمتنا ،

---

1) وفيات الأعيان 3 : 143 ع 371

فقال أبو المعالي : لو كان رجل يضمنها لكان أحب الي ، فقال أحد الرجلين أو غيرهما هي في ذمتي ، فقال أبو المعالي نعم ان الله سبحانه أسرى بعبده الى فوق سبع سماوات حتى سمع صرير الأقلام ، والتقم يونس الحوت فهوى به إلى جهة التحت من الظلمات ما شاء الله ، فلم يكن سيدنا محمد (ص) في علو مكانه بأقرب الى الله تعالى من يونس في بعد مكانه ، فالله تبارك وتعالى لا يتقرب اليه بالأجرام والأجسام ، وانما يتقرب اليه بصالح الأعمال .

ومن شعره :

اذا قلت يوماً سلام عليكـــــم ففيها شفاء وفيها سقـــام
شفاء اذا قلتها مقبــــــلا وان أنت أدبرت فيها الحِمـــام

قال صاحب (الوفيات) : والسُهَيْلي بضم السين المهملة وفتح الهاء وسكون الياء المثناة من تحت وبعدها اللام ثم الياء هذه النسبة الـى سهيل وهي قرية بالقرب من مالقة ، سميت باسم الكوكب لأنه لا يرى فـي جميع الأندلس الا من جبل مطل عليها ، ومالقة بفتح اللام والقاف وهي مدينة كبيرة بالأندلس ، وقال السمعاني بكسر اللام وهو غلط .

توفي بحضرة مراكش سنة احدى وثمانين وخمسمئة ، وكان رحمه الله مكفوفاً ، وعاش اثنين وسبعين سنة .

انتهى كلام الديباج (1) .

وزاد في (الوفيات) في ذكر النسب بعد ابن فتوح ما نصه : وهـو الداخل الى الاندلس .

قال الحافظ أبو الخطاب ابن دحية : هكذا أملى علي نسبه الخثعمي .

انتهى . وقال في القاموس خثعم كجعفر جيل وأهله خثعميون ، وابن أنمار أبو قبيلة معد ، قال في شرحه اثر ابن عدنان وصاروا من اليمن ، ثم

---

1) اى ما نقله ابن فرحون فيه عن **وفيات الاعيان** و **المطرب** وغيرهما

قال والامام أبو القاسم السهيلي صاحب (الروض الانف) يعتزي الى ختعم ، ثم قال في (الوفيات) ثم قال في تعداد كتبه : ومسالة رؤية الله تعالى في المنام ، ثم قال ومولده سنة ثمان وخمسمئة بمدينة مالقة ، وتوفي بحضرة مراكش يوم الخميس ودفن وقت الظهر وهو السادس والعشرون من شعبان سنة احدى وثمانين وخمسمئة رحمه الله تعالى . ثم قال : والخثعمي بفتح الخاء المعجمة وسكون الثاء المثلثة وفتح العين المهملة وبعدها ميم هذه النسبة الى خثعم بن أنمار ، وهي قبيلة كبيرة ، وفيه اختلاف ما ذكره في (الوفيات) مما لم ينقله عنه صاحب الديباج وكلام الذهبي المذكور ليس في الوفايات ، وقد ذكره الذهبي .

ووصفه الشيخ الأكبر الحاتمي في مسامرته بشيخنا (1) الضرير أبي زيد السهيلي المالكي الامام في أوائلها عند تعداد الكتب التي الفها منها ، ووصفه الشيخ الامام والد مؤلف جمع الجوامع في شرحه الابهاج على المنهاج بأنه أي السهيلي من المتفننين في العلم ، واحتجَّ بكلامه .

وقال في (نفح الطيب) في الباب السابع من القسم الأول ما نصه : وكان يحضر حلقة الامام السهيلي وضيء الوجه من تلامذته ، فانقطع لعارض ، فخرج السهيلي ماراً في الطريق الذي جرت عادته بالمشي فيه ، فوجد قناة تصلح فمنعته من المرور ، فرجع وسلك طريقاً اخر ، فمر على دار تلميذه الوضيء ، فقال له بعض أصحابه ممازحاً بعبوره على منزله ، فقال نعم ، وأنشد ارتجالا :

جعلت طريقي على بابـــه ... وما لي على بابه من طريـــق !
وعاديت من أجله جيرتـــي ... وواخيت مَن لم يكن لي صديـق
فان كان قتلي حلالا لكـــم ... فسيروا بروحيَ سيراً رفيـــق

وأبو القاسم السهيلي مشهور ، عرف به ابن خلكان ، ويكنى أيضاً بأبي زيد ، وهو صاحب الروض الأنف وغيره .

---

1) السهيلى شيخ الحاتمى ، وقد غلط صاحب شجرة النور الزكية بجعله الحاتمى شيخ السهيلى (طرة بهامش النسخة الخطية) .

واجتاز على سهيل وقد خربه العدو لما اغاروا عليه وقتنوا أهله وأقاربه ، وكان غائبا عنهم ، فأستاجر من أركبه دابة وأتى به اليه ، فوقف بازائه وأنشد :

يادارُ أين البيض والآرام ؟ ... أم أين جيران عليَّ كرام ؟
راب المحب من المنازل أنه ... حيَّى فلم يرجعْ اليه سلام
لما أجابنيَ الصدى عنهم ولم ... يلج المسامع للحبيب كلام
طارحت وُرْقَ حمامها مترنماً ... لمقال صبٍّ والدموع سجام
(يادار ما فعلت بك الأيام ... ضامتْك والأيامُ ليس تضام)

وجرى بين السهيلي والرصافي الشاعر المشهور ما اقتضى قول الرصافي :

عفا الله عني فاني امرؤ ... اتيت السلامة من بابها
على أن عندي لمَن هاجني ... كتائبُ غصَّت بنشابها
ولو كنت أرمي بها مسلماً ... لكان السهيلي أولى بها

وتوفي السهيلي بمراكش سنة واحد وثمانين وخمسمئة 581 ، وزرت قبره بها مرارا سنة عشر وألف ، وسكن رحمه الله تعالى باشبيلية مدة ، ولازم القاضي أبا بكر ابن العربي ، وابن الطراوة ، وعنه أخذ لسان العرب ، وكان ضريراً .

ومن شعره لما قال : كيف امسيت مكان كيف أصبحت :

لئن قلت صبحاً كيف امسيت مخطئاً ... فما أنا في ذاك الخطا بملوم
طلعت وأفقي مظلم لفراقكم ... فخلتُك بدراً والمساء هموي (1)

ومن فهرسة الامام أبي القاسم العميري رحمه الله أن ابن عبد المنان دخل على مخدومه السلطان أحمد المريني يوماً عند المساء ، فقال : مولانا أنعم الله صباحك ، فأنكر السلطان ذلك منه وتوهمه ثملا ، فتفطن ابن عبد المنان فأنشأ يقول :

---

1) ما تقدم منقول من **نفح الطيب** 3 : 400 طبع بيروت

صبَّحته عند المساء فقال لـــــي ماذا الكلام وظن ذاك مزاحـــــا
فأجبته اشراق وجهك غرنــــــي حتى توهمتُ المساء صباحـــــا

ذكرهما قبله العلامة المنجور في فهرسته ، كما ذكرهما اليفرني في شرح التوشيح ، والرصافي . ترجمه في المحمدين في الجذوة .

وقال الامام الزرقاني في شرح المواهب اللدنية هو الامام الحافظ العلامة ذو الفهم الدقيق والمعاني الرائقة ، عبد الرحمان بن عبد الله بن أحمد بن اصبغ السهيلي الخثعمي الأندلسي المالقي ، أبو القاسم ، واسع المعرفة ، غزير العلم ، النحوي اللغوي ، الامام فـي لسان العرب ، العالم بالتفسيـر وصناعة الحديث ورجاله وانسابه ، وبالتاريخ وعلم الكلام واصول الفقه .

وقال في الروض اليانع الفائح في الكرامة الثامنة والثمانين بعـد المئة ما نصه : ومن كراماته يعني الصالح أيضا أدام الله بركته ما حدثني به المرابط الأصيل سيدي محمد الشريف نجل الولي الكامل ، العارف العامل ، سيدي محمد الشرقي والشريف لقب له ، قال رايت في منامي في اليوم الذي توفي فيه الشيخ سيدنا الصالح نفعنا الله به أن الامام السهيلي صاحب باب الرب من مدينة مراكش قدم علي وأنا بباب دار الشيخ سيدنا الصالح ، وقال لي أي الامام السهيلي : قل لسيدي الصالح يتكلم للسلطان ، فدخلت للشيخ في دويريته التي كان مريضاً بها ، فذكرت له مقالة الامام التي قال لي ، فقال لي نفعنا الله به لا يزحمني ، بالعقل علي (1) ، فخرجت للامام السهيلي وذكرت مقاله ، فخرج يريد ناحية القصبة التادلية ، ثم رجعت للشيخ وأخبرته بذهاب الامام المذكور فقال لي اجر وراءه ورده نمشي معه ، فخرجت في طلبه فأدركته عند دار أولاد السيد قاسم بن شقرون من ريف أولاد سيدي أحمد الحارثي ، فذكرت له مقالة الشيخ ورددته لباب الشيخ ، ثم استيقظت وكنت نائماً ببيت من مدرسة الشيخ سيدي محمد الشرقي ، واذا باخي السيد محمد يضرب عليَّ

---

1) عبارة عامية معناها : لا يستعجلني

باب البيت فقال لي : أنت راقد والشيخ سيدنا الصالح مات ، فقدمت مسرعاً لداره المباركة فوجدته في النزع ومات مـن حينه في تلك الساعة ، نفعنـا الله بـه .

ووصفه في سلوة الانفاس (1) بالشيخ الشهير ، القدوة الكبيـر ، العلامة الباهر ، الحافظ الماهر ، ثم ذكر نسبه ومؤلفاته ، ثم قال : وكان رحمه الله مالكي المذهب ، عارفاً بالفقه والعربية واللغة والقرءان والقـراءة والكلام ، والأصول والأدب ، بارعاً في ذلك ، جامعاً بين الرواية والدراية ، عالماً بالتفسير وصنعة الحديث ، حافظاً للرجال والأنساب والتاريخ ، واسع المعرفة غزير العلم ، نبيهاً ذكياً ، صاحب اختراعات واستنباطات ونـوادر غريبة ، وبوادر بالخير عجيبة ، وصلاح وفلاح ، وتصدر للاقراء والتدريس ، وبعد صيته ، ، وروى عن ابن العربي المعافري وابن طاهر وابن الطراوة ، وروى عنه أبو الحسن المالقي وابن العربي الحاتمي وخلق كثير .

انتهى المقصود ، ونحوه في (الكواكب السيارة) ، وجعله الخامس من سبعة رجال ، ثم ذكر في (السلوة) أبياته العينية المتقدمة ، ثم نقل عن ابن خلكان في سبب نقله الى مراكش ومولده ووفاته ، ثم ذكر عن تلميذه الملاحي كلامه في نسب المنصور الموحدي ومفتاح الشفاء ، ثم قال فـي (السلوة) : قلت جلالة السهيلي معروفة ، ومرتبته علماً وعملا لا تجهل ، ولا يظن بمثله التساهل في شيء .

وقال في (المجد الطارف والتالد) ما نصه : قال مقيده محمد الأمين الصحراوي بن عبد الله اذا كان الامام المقري رحمه الله يحمد الله على زيارة هذا الامام ومَن معه من الصلحاء في جلوسه هنا مدة طويلة فنحن أجدر بالحمد في زيارته مدة مديدة زهاء أربعين سنة ، فلله الحمد وله الشكر ، شاهدنا بركة جليلة وتسهيلا للحاجات في زورة الامام السهيلي ، واسمه مشعر بتسهيـل الأمور ، وكان صلى الله عليه وسلم يحب الفال الحسن وياخذه مـن أسماء

---

1) سلوة الانفاس 2 : 225

الأنبياء ، ألا ترى يوم الحديبية لما جاء سهيل بن عمرو للصلح بينه وبين المشركين فقال (ص) : سهل أمركم .

وقال الشاعر :

وقلما أبصرت عيناك ذا لقب ... إلا ومعناه ان فكرت في لقبه

ولما بنى مقامه ومشهده أمير المومنين سيدي محمد بن مولانا عبد الرحمان سنة خمس وثمانين ومئتين وألف ، ووقع الاتفاق أنه كمله في شعبان في الشهر الذي مات فيه ، وكان الواقف عليه خديمه الباشا الجراوي رحمه الله أمرني بانشاء أبيات فيها تاريخ البناء ، فأنشأت هذه القصيدة ووجهت اليه بها ، فاستحسنها غاية ، وأرسل جائزة وافرة رحمه الله ، وهي هذه :

حييت مشهد الامام الأعظم ... ولك الهناء بضم تلك الأعظم
أمسيت للقطب السهيلي مضجعاً ... من روضة الجنات ذات الأنعم
ذاك الولي الحبر مَن فاق الورى ... لمقام سر بالعلوم مدعم
فاق الفراقد خصماً من همة ... فهامة علامة المتعلم
وبروضه الأنف الذي نافت به ... كتب المغارب ناف فوق الأنجم
راض الشمائس من فنون أعوزت ... أفهام أحبار الورى بتفهم
فأبان أوجهها بكشف نقابها ... فتبينت مثل الصباح المعلم
عمي المعاند عن شموس علومه ... والشمسُ لم يبصر لها البوم العمي
لله ما سهلت من علم أيا ... الحبر السهيلي والامام الخثعمي
أكرمْ بمشهد عابد الرحمان ذا ... القطب السهيلي والامام الأكرم
شاد الامامُ عليه قبةَ منصب ... للصالحين بناء حسن محكم
ذاك الامام محمد نجل الهشا ... مي عابد الرحمان عالي الموسم
يامشهداً شهد الأنام بفضله ... تاريخه بشر لبان تكرم

فقولنا بشر لبان هو تاريخ البناء ، ثم نقل كلام ابن خلكان في أبياته المتقدمة .

قال ومن شعره رحمه الله في الغزل :

أسائل عن جيرانه من لقيتـــــه ... وأعرض عن ذكراه والحال تنطق
وما بي الى جيرانه من صبابـــة ... ولكن نفسي عن صبوح ترقـــق

أشار الى المثل وهو قول العرب : أعن صبوح ترقق ؟ وأصلـه أن رجلا نزل بقوم فبات عندهم فجعل يرقق كلامه ويقول : اذا أصبحت غـدا وما اصطبحت كذا يريد إيجاب الصبوح ، وحقيقته أن الغرض الذي يقصده كان عليه ما يستره فيريد أن يجعله رقيقا شفافا ينم عما وراءه وفي حديث الشعبي سئل عن رجل قبل أم امرأته ، فقال أعن صبوح ترقق . حرمت عليه امرأته ، هذا مثل للعرب لمن يظهر شيئاً ويريد غيره ، كأنه أراد أن يقول جامع أمَّ امرأته ، فقال قبَّل ، وكأنَّ الشعبي اتّهم السائل وأراد بالقبلة ما يتبعها ، فغلظ عليه .

ومن شعره أيضا :

لما أجاب بلا طمعت بوصلـــه ... اذ حرف لا حرفان معتنقـــان
وكذا نعم بنعيم وصل اذنـــت ... فنعم ولا في الحب (1) متفقـــان

ومن شعره وقد أفصح به عما جاء على متغايرين في قوله رحمه الله :

اذا قلت يوما سلام عليـــك ... ففيها شفاء وفيها سقـــام
شفاء اذا قلتها مقبـــلا ... وان أنت ادبرت فهي الحِمـــام
عجبت لفرط اختلافهمـــا ... فهذا سَلام وذاك سِـــلام

أخذها من قول الشاعر :

لقيتُ ابنةَ البكريِّ زينب عن عِبر ... ونحن من أم موسى عاشرة العشر
فكلمتها ثنتين كالثلج منهمـــا ... على القلب والأخرى أحرُّ من الجمر

---

1) في نسخة حرفان منفعان . وفي نسخة أخرى في اللفظ متفقان

هذا الشعر جاء على متغايرين ، ومعنى كلمتها ثنتين أي سلمت عليها سلامين ، أحدهما على قلبه كالثلج ، وهو سَلام التحية ، والآخر كالجمر وهو سلام الوداع ، وهذا هو الذي قصد الامام السهيلي رحمه الله تعالى ، والعِبر بكسر العين أواخر الشهر ، ثم ذكر كلام (نفح الطيب) المتقدم ، ثـم قال مقيده محمد الأمين بن عبد الله ، ومن شعره توسله الى الله تعالى واضطراره اليه سبحانه وانكساره ، هذه القصيدة البائية التي أنبأت بمعرفته لربه ، وقوة يقينه ، وتستعمل في نزول الشدائد ، وقد استعملت مراراً لهذا الغرض ففرج الله بها خصوصا عند ضريحه رضي الله عنه ، جربتها فرأيتها ترياقا مجربا ، فاردت أن اثبتها هنا ، واختم بها مناقبه عسى الله ان ينفع بها مَن طالعها ، لأنها عزيزة الوجود ، وهي :

صرفت الى رب الأنام مطالبـــي ووجهت' وجهي نحوه ومآربـــي
الى الملك الأعلا الذي ليس فوقـه مليك يرجّى سيبُه في المساغب
هو الصمدُ البَرُّ الذي فاض جوده وعمَّ الورى طراً بجزل المواهـب
مجيري من الخطب المخوف وناصري مغيثي اذا ضاقَت عليَّ مذاهبـي
مقيلي اذا زلّت بي النعل عاثـرا واسمح غفار واكرم واهــب
فما زال يوليني الجميل تفضــلا ويدفع عني في صدور النوائـب
ويرزقني طفلا وكهلا وقبلهــا جنيناً ويحميني دنيء المكاسـب
اذا سدت الأملاكُ دوني بابَهـا ونهنه عن غشيانهم زجرُ حاجـب
فزعت إلى باب المهيمن ضارعــاً ذليلا انادي باسمه غير هائـب
فلم الف حجاباً ولم أخش منعـة وان كان سؤلي فوق هام الكواكب
كريم يلبي عبده كلما دعــا نهاراً وليلا في الدجى والغياهـب
يقول له لبيك عبدي داعيــاً وان كنتَ خطاء كثيرَ المعائـب
فما ضاق عفوي عن جريمة خاطيء وما احدٌ يرجو نوالي بخائـب
فلا تخش اقلالا وان كنتَ مكثـرا فعرفي مبذول الى كل طالـب
فسائله مما شئت ان يمينـه تسحُ دفاقاً بالمنَى والرغائـب
فحسبيَ ربي في الهزاهز ملجـأ وحرزا اذا خيفت سهامُ النوائـب

وحسبي رسول الله في كل أزمـة ... ملاذاً وأمنا في اختشاء العواقـــب
وحسبي رسول الله أوثق شافـــع ... وأكرم مَن مدت له كفُ راغـــب
عليه كما هبَّ النسيم تحيـــــة ... تفوح بها الأرجاء فيْح السباسب
وأزكى صلاة ينتهى القطر دونهـا ... ويقصر عن احصائها كلُّ حاسب

انتهت القصيدة المباركة ، وبانتهائها انتهى ما قصدناه من مناقبه رضي الله عنه ، ونزيد ان شاء الله في ترجمته من كتاب (الارتجال) ثم نقول : فاذا زرت على ما ذكرنا لك من الترتيب فقد زرت سبعة رجال المخصوصين وسبعة رجال العامين المشاهير ، وإن كان في مراكش رجال كثيرون غيـر هؤلاء ، منهم الشهير ، ومنهم الخفي ، لكن تتعذر زيارتهم بالتوالي والترتيب على كيفية زيارة هؤلاء المتقدمين ، لأنهم متفرقون في الحومات والـدروب والأسواق نفعنا الله بهم جميعاً ، وليس في طوقنا حصرهم ولا عدهم ، ولـم نلتزم ذلك في كتاب (الارتجال) ولا في هذه الاجوبة ، وقال أبو بكر فـي تقييده ما نصه : وذيل الفقيه سيدي أحمد ابن عبد العزيز السجلماسي رضي الله عنه تلك السبعة المتقدمة للسهيلي بقوله عقبَها ما نصه :

ياربَّنا بالسبعة الغرَّ الأولـــــى ... لهمُ من الفضل المقام الأرفــــعُ
هم يوسف بن علي القرمُ الرضى ... وعياض الحبر الجليـــــل الأورع
والسيد السبتي وشيخُ جزولـــة ... والوارث التبَّاع نعم المتبــــــع
والمرتضى الغزواني والبحر الذي ... يدعَى سهيلي عين علم تنبـــــع
وبكل عبد صالح لك في الثـــرى ... أو في السماء وبكل مَن بِك يشفع
وبسيد الشفعاء أفضل مَن بـــه ... تُجلا الخطوبُ المدهشات وتُدفع
صلى عليه الله خيرَ صلاتـــــه ... وعليه طيبُ سلامه يتضـــــوع
وعلى الأماجد آله وصحابـــــه ... صحب النوال ومَن هداهم يتبـع
ياربَّنا يسِّرْ لنا ما همنـــــا ... في الدين والدنيا والأخرى أجمـع
ياربنا ارزقني رضى وسعـــــادة ... وجميلَ ستر دائم لا يُنـــزَع
يسِّر لنا ما أضمرته قلوبُنـــــا ... يامَن يرى ما في الضمير ويسمع

ورأيت للعلامة سيدي ابراهيم السنوسي هذا التخميس :

مولاي باسمك ثم حمدك أضــــرع وبمَن لديك له المقامُ الأرفـــــع
والآن جئت مصلياً أتشفــــــــع (يامَن يرى ما في الضمير ويسمع
أنت المُعَدُّ لكلٍّ ما يتوقـــع)

ما إن لنا في المعضلات لمحلهـــا ولدفعها في قلّها أو جلّهـــــا
إلاك في تشتيت مجمع شملهـــا (يامَن يرجّى للشدائد كلهـــا
يامَن إليه المُشتكى والمفـزع)

عن باب غيرك ماء وجهي فلتصــنْ فضلا وان ضنّ الكرام فانت مُنْ
فسواك يرحم ذلّ ضعفي لم يكـن (يامَن خزائن رزقه في قول كـن
امننْ فان الخير عندك أجمـــع)

يامن له تأتي الملوك ذليلــــة فقراً الى رحماك وهي جليلــــة
وتتلك بالمأمول منك كفيلــــة (ما لي سوى فقري اليك وسيلـة
فبالافتقار إليك فقري أدفـــع)

ان لم تكن لي في الفعال فضيلـة فجلائل الغفران منك جزيلـــة
وصنائع الانعام منك جميلـــة (ما لي سوى قرعي لبابك حيلـة
فلئن رددتَ فايُّ باب أقــــرع)

مَن ذا الذي نرجو مواهب قسمـه أو نرتجي عند الأسى في حسمـه
حتى نرى فرجاً بغاية بسمــــه (ومن الذي ادعو وأهتف باسمـه
إن كان فضلك عن فقيرٍ يُمنـع)

قد جئتُ بابك خاضعاً مستشفيـاً من سقم أوزاري فجدْ بشفائيـــا
ولتعفُ عن عبد أتى مستعفيـــا (حاشا لجودك أن يقنط عاصيـاً
الفضل أجزل والمواهب أوسع)

يامَن تقدس مجده وتعاظمـــا انت الذي ما زال فضلك دائمـا
لم يبق لي إلا جنابك راحمـــا (بالذل قد وافيتُ بابك عالمـا
انَّ التذلل عند بابك ينفـــع)

امنن علي تكرماً وتفضـــــلا واجبْ لدعوة مَن دعاك توسـلا
فلقد أتيت تملقاً وتذلـــــلا (وجعلت معتمَدي عليك توكّـلا
وبسطت كفّي سائلا اتضــرع)

كم مفرق بعد الردى أنقذتـــــه وأنلته كلُّ المنى ورحمتــــــــه
فضلا وكم كرب بدا فرجتـــــه (فبحقِّ مَن أحببْتَه وبعثتـــه
وأجبت دعوة مَن به يستشفــع)
مهد لنا لسلوك رشدك منهجــا ولتكفنا عما لغيرك أحوجـــــا
وافسحْ لنا في كل أمر أحرجــا (اجعلْ لنا في كل ضيق مخرجا
والطفْ بنا يامَن اليه المرجــع)
أصلح لابراهيم سيّءَ حالــــه واجعل كابراهيم حسنَ مآلـــه
وتولَّه باللطف في أحوالــــه (ثم الصلاة على النبي وءالـــه
خير الخلائق شافع ومشفــــع)

وقال العلامة سيدي أحمد ابن الشيخ التاودي ابن سودة رحمهما الله تعالى في شرح الحديث العاشر ما نصه : **خاتمة** : قال الجلال السيوطي في (طبقات النحاة الصغرى) له : رأيت بخط القاضي عز الدين ابن جماعة ، وجد بخط الشيخ محيي الدين النووي ما نصه : ما أنشد أحد هذه الأبيات ودعا الله تعالى عقبها بشيء الا استجيب له ، ثم ذكر أبيات الامام السهيلي العينية المتقدمة ، وراجع ترجمة العلامة سيدي أحمد بن عبد العزيز السجلماسي في النشر في صحيفة 273 من الجزء الثاني ، وراجع ترجمة سيدي أحمد بن سيدي التاودي في (الشرب المحتضر ، والسر المنتظر ، من معين بعض أهل القرن الثالث عشر) للعلامة الشريف سيدي جعفر الكتاني رحمه الله ، وراجع 115 من الجزء الأول من (سلوة الأنفاس) ، ورأيت في الدربوز الذي صنع له بتاريخ 1286 مكتوبة في أرباعه هذه الأبيات :

برءُ الجريح بذا الضريح خليــق وحديث نجح الزائرين حقيـــق
اذ صان في صدق الصيانة جوهراً فرداً سناه بالبهاء أنيــــــق
جسم السهيلي الحبر بحر ولايــة أمواجهُ التحقيق والتدقيـــــق
فمتى حللْتَ حِماه طالب حاجـة فابشر بها في الحين لا تعويـــق
لكم الهنا يازائرين ضريحــــه جازت بكم في الفائزين طريـــق
فعلى مضاجعه الشريفة دائمـــا نورُ الرضى منه الفضاء شريـــق

انتهى ما ذكرت في (اظهار الكمال) في ترجمته .

ووقفت على كتابه (التعريف والاعلام، فيما أبهم في القرآن من الأسماء والاعلام) في نسخة عتيقة جداً، وهو في أحد عشر كراساً، فوائده كثيرة، ذكر في اوله أنه قصد الى ذكر من لم يسمه الله في القرآن باسمه العلم من نبي أو ولي أو غيرهما آدمي أو ملك أو جني أو بلد أو شجر أو حيوان او كوكب له اسم علم قد عرف مما نقله الاخبار والعلمان ، ثم قال في اخره : قال الشيخ أبو القاسم رحمه الله : كان املائي لهذا الكتاب على مسائل سألني عن هذه الأسماء المبهمة في القرآن املاء مما حفظته قديماً وحديثا مطالعة أو درسا في كتب التفاسير والأخبار ، ومسندات الحديث والآثار ، فمنه ما حفظت لفظه فأوردته كما حفظته ، ومنه ما اختلفت فيه الفاظ الرواة فلم أتتبع جميعها ، ولكن لخصت المعنى متحرياً للصواب في تلك الأنحاء واضربت عن الاسناد لما رويته من ذلك مختصراً إذ كان الكتاب جواباً لسائل ، وعجالة لمستفهم ، لكني أحلت في أكثره على المواضع التي منها اخذت ، والدواوين التي طالعت ، وكذا ما أوردت فيه من الأنساب هو موجود أيضاً في كتب السير وأنساب العرب المشهورة عند أهل الأدب ، فلم أحتج الى الاستشهاد على ما ذكرته بأكثر مما أوردته وأحلت عليه ، ومن الله عز وجل أسأل الأجر، واياه استوهب جزيل الأمر، وحط الوزر ، إنه كبير المنعمين ، وهو أرحم الراحمين ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيئين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، وسلم تسليماً .

وصاحب (كشف الظنون) لم يقف عليه ، قال السيوطي : وذيل عليه تلميذ تلامذته ابن نصر وسماه (التكميل والاتمام) وجمعها القاضي بدر الدين ابن جماعة في كتابه المسمى بالتبيان . انتهى .

وصنف الامام محمد بن علي بن الخضر الغساني المالقي المعروف بابن عسكر المتوفي سنة 636 (صلة الاعلام) للسهيلي ، والف أحمد بن يوسف المعروف بابن فرتون المتوفى سنة 660 كتاباً استدرك فيه على السهيلي في كتاب التعريف والاعلام ،وذكر الحافظ في (الدرر الكامنة)

في ترجمة محمد بن علي بن محمد البلنسي ثم الغرناطي ما نصه : وصنف الاستدراك على التعريف والاعلام للسهيلي ، وجمع تفسيراً كبيراً قاله ابن الخطيب .

وممن ترجمة أيضا الحافظ الذهبي في (تذكرة الحُفاظ) وكلامه المتقدم ليس هو المذكور في (طبقات الحفاظ) فقد أطال فيها .

ومن التضمين المستحسن تسديس قصيدته :

يامَن يرى في الضمير ويسمع — أنت المعد لكل ما يتوقع

بما نصه :

إن كنت حقا من ذنوبك تجزع — فافزع الى الباري بقلب يخشع
وأنب له واخضع بدمع يهمع — واسأل وقل بلسان من يتضرع
(يامَن يرى ما في الضمير ويسمع — أنت المعد لكل ما يتوقع)
لم يحصها عدٌ فكيف بجلّها — يامَن له نعم أقل أقلها
يامَن اذا نزلت بفادح كلّها — واتت بما يُخشَى اغاث بحلها
(يامَن يرجَّى للشدائد كلها — يامَن اليه المشتكَى والمفزع)
يامَن اذا لم يقضِ امراً لم يكن — إن لم اكنْ اهلا لعفوك فلتكن
يامن صفات رسوله في لم يكن — لو لم تكن لي في وجودي لم أكن
(يامَن خزائن رزقه في قول كن — امننْ فان الخير عندك أجمع)
يامَن وسائلنا لديه قليلة — وعلى الحقيقة فهي ثم جليلة
إذ أصلُ توحيد الالاه دخيلة — يامَن صنائعه لديَّ جميلة
(ما لي سوى فقري اليك وسيلة — فبالافتقار اليك فقري أدفع)
يارب نفسي بالذنوب عليلة — وخواطري من أجل ذاك كليلة
وجوارحي بالصالحات بخيلة — وعواقبي ان لم تعاف وبيلة
(ما لي سوى قرعي لبابك حيلة — فاذا رددت فأي باب أقرع)
يارب ذنبي أرتجيك لحسمه — أو لا فمَن أرجو لدفع مُلمّه ؟
مَن ذا الذي أرجو الوثوق بحلمه — وعقيدتي فهي الرجوع لعلمه

(ومن الذي أدعو وأهتف باسمه ان كان فضلك عن فقير يمنع)
إن كان قلبي بالمعاصي قاسيا فاغفر وكنْ بالصفح عنه مواسيا
وانظر إليه وكن بعفوك ءاسيا يارب لا قنط فارجع خاسيا
(حاشا لجودك أن تقنط عاصيا الفضل أجزل والمواهب أوسع)
هذا القريض زها لنفحة طيبه فاغفر لقائله وللداعي به
ولمَن أعانهما على ترتيبه وأفاد بالمسؤول من تهذيبه
وأنلهم المأمول من مطلوبه يامَن يرى ما في الضمير ويسمع

وقال في (كشف الظنون) القصيدة العينية للسهيلي أبي القاسم عبد الرحمان بن عبد الله بن أحمد المالكي المتوفى سنة 581 احدى وثمانين وخمسمئة وقد قيل انها لغيره ، أولها :

يامن يرى ما في الضمير ويسمع انت المُعدُّ لكل ما يُتوقَّع

خمسها ابن حجة أبو بكر علي الأديب الحموي المتوفى سنة 837 سبع وثلاثين وثمانمئة ، وأول التخميس : قالوا عداك وانت حي تسمع (1) ، ثم قال (اللمعة النورانية ، في تخميس الأبيات السهيلية) للشيخ زين الدين عمر بن أحمد الشماع الحلبي المتوفى سنة 936 ست وثلاثين وتسعمئة ، مطلعها : يامَن يرى ما في الضمير ويسمع (2)، ثم قال (مسألة السر في عور الدجال) لأبي القاسم السهيلي ، وله مسألة رؤية الله تعالى ورؤية النبي (ص) في المنام (3) ثم نسب له أيضا نتائج الفِكَر في علل النحو ، أوله بحمد الله نفتتح كلامنا الخ.. ذكر فيه أن الاعراب مرقاة الى علوم الكتاب ، فرتبه على ترتيب أبواب كتاب الجمل لميل قلوب الناس اليه (4) ، ثم قال بعد ذكر الروض الأنف : واختصره عزّ الدين محمد بن أبي بكر المعروف بابن الجماعة المتوفى سنة 819 تسع

1) كشف الظنون 2 : 1341
2) كشف الظنون 2 : 1566
3) كشف الظنون 2 : 1662
4) كشف الظنون 2 : 1924

عشرة وثمانمئة ، وسماه (نور الروض) ، وعليه حاشية لقاضي القضاة يحيى المناوي المتوفى سنة 871 احدى وسبعين وثمانمئة ، ثم جرد سبطه زين العابدين بن عبد الرؤوف هذه الحاشية (1) .

وقال في (السلوة) لدى ترجمة سيدي علي الشهير بحمّاموش بتخفيف الميم بن محمد بن عبد الحق بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمان بن عثمان بن يحيى بن الصالح يحيى بن عبد الله بن يوسف بن السلطان الجليل يعقوب المنصور الموحدي ، كذا نسبه غير واحد ما نصه : ويعقوب هذا كومي السلف ، مضري الأصل ، من قيس عيلان بالمهملة بن مضر كما ذكره جماعة من المؤرخين لدولتهم وهو الصحيح كما في المقصد وغيره ، وقيل انه شريف النسب من ذرية محمد بن القاسم بن ادريس ، وممن قال بذلك الشيخ الشهير الحافظ أبو القاسم السهيلي ، ثم قال بعد ذكر ترجمته : وممن نقل عنه ما ذكرناه من شرف يعقوب ، تلميذه الشيخ أبو القاسم الملاحي في تاريخه قائلا أثناء كلام له حين عرف به : أقصاه المنصور وأبعده لسقطة سقطها وهي أنه ألف كتاباً في المنصور الموحدي من ذرية عبد المومن بن علي وجعله من ذرية النبي (ص) ، وأنه أكد معجزاته ، انتهى .

قال في (مفتاح الشفاء) : وقد رأيت بين الناس نسباً ليعقوب المنصور أستحيي أن اذكره ، فان كان هو الذي وضع له السهيلي فياعجباً ، قلت : جلالة السهيلي معروفة ، ومرتبته علماً وعملا لا تجهل ، ولا يظن بمثله التساهل في شيء فضلا عن الكذب فيه ، الظاهر أنه اطلع فيما ذكر على ما لم يطلع عليه غيره أو غره فيه بعض شياطين الانس ممن ظن به الصدق والتحري ، وبالجملة فنسب صاحب الترجمة عربي قطعاً ، وأما شرفه فهو مختلف فيه ، وقد ذكر في المقصد أنه وقف على رسم شرف له بعلامات كثيرة مرفوعاً منهم الى يعقوب ، ثم الى الحسن بن علي ، والله أعلم .

---

1) كشف الظنون 1 : 917

وقال ابن الأبار في ترجمته ما نصه : عبد الرحمان بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن أصبغ بن حسين بن سعدون بن رضوان فتوح الخثعمي السهيلي ، من أهل مالقة ، يكنى أبا زيد وأبا القاسم وأبا الحسن ، أخذ القراءة عن سليمان بن يحيى بن سعيد ، وبعضها عن أبي علي منصور ابـن الخير ، وسمع أبا عبد الله بن معمر ، وأبا بكر بن العربي ، وأبا عبد الله بن المكي ، وأبا عبد الله بن نجاح الذهبي ، وأبا بكر بن الطاهر ، وأبا مروان بن بونة ، وأجاز له أبو عبد الله بن أخت غانم ، وأبو بكر بن قبولة ، وناظر على أبـي الحسين ابن الطراوة في كتاب سيبويه ، وسمع منه كثيراً من كتب اللغـة والآداب ، وحكى عنه أبو محمد ابن حوط الله في برنامجه أنه لم يسمع مـن أبي عبد الله بن سليمان ابن أخت غانم غيـر كتاب الهداية للمهدوي وبعض شرحها ، ولم يجز له ، وكُفَّ بصره بما نزل به وهو ابن سبع عشرة سنة أو نحوها ، وكان عالماً بالقراءات واللغات والعربية وضروب الآداب ، حافظاً للسير والأخبار والأنساب ، اماماً في الحفظ والذكر والادراك ، مقدماً فـي الفهم والفطنة والذكاء ، له حظٌّ وافر من قرض الشعر والتصرف في فنون من العلم ، يغلب عليه علم العربية والغريب ، وتصدر للاقراء والتدريس واسماع الحديث ، فبعد صيته ، وجل قدره ، وكان من أهل الرواية والدراية ، حدث عنه جلة من شيوخ ابن الأبار وغيرهم ، وله تواليف مفيدة ، منها كتاب الروض الأنف في شرح السير لابن اسحاق ، وهو أجل تواليفه ، دل به على سعة حفظه ومتانة علمه ، وذكر في ءاخره أنه ابتدأ املاءه في محرم سنة 569 وفرغ منه في جمادى الأولى منها ، وأنه استخرجه من نيف على مئة وعشرين ديواناً أو نحوها ، وكتاب التعريف والاعلام بما أبهم في القرءان العزيز من الأسمـاء الأعلام ، وكتاب شرح ءاية الوصية ، وله شرح في الجمل اظنه لم يستوفه ، وله مسائل مستغربة في فنون شتى ، واستدعي الى مراكش ليُسمع منه بها ، فتوفي هناك سحر ليلة الخميس الخامس والعشرين من شعبان سنة 581 ودفن لصلاة الظهر في ذلك اليوم بمقربة من المصلّى ، ومولده سنة 509 كذا قال أبو سليمان ابن حوط الله ، وقال أبو القاسم ابن الملجوم : أخبرني بمالقة انه ولد عام سبعة أو ثمانية وخمسمئة ، شكٌّ فيه لوقوع مداد على تاريخه .

وقال في (بغية الملتمس) في ترجمته ما نصه : محدث أديب ، نحوي لغوي علامة ، حدث بمالقة ، وانتشرت تواليفه بها وهي دالة على عنمه وذكائه، وكان مكفوف البصر ، يروي عن الحافظ أبي بكر ابن العربي وغيره ، أذن لي في الرواية عنه ، توفي بحضرة مراكش سنة 581 .

أنشدت من شعره :

أسائل عن جيرانه مَن لقيتــــه ‏ ‏ وأعرض عن ذكراه والحال تنطـق
وما بي الى جيرانه من صبابـــة ‏ ‏ ولكن قلبي عن صبوح يرقـق (1)

وألف أحمد ابن فرتون الفاسي كتاباً استدرك فيه على السهيلي في كتاب التعريف والاعلام ، سماه الاستدراك والاتمام ، وترجمه الجزري فـي طبقات القراء قائلا : طُلِب الى مراكش ليأخذوا عنه فحظي بها ، وولي قضاء الجماعة ، وحسُنت سيرته ، وقال الذهبي في تذكرة الحفاظ صحيفة 138 من الجزء 24 في ترجمته ما نصه : وبلغنا أن السهيلي ولي قضاء الجماعة ، فحمدت سيرته ، كذا وجدت على ظهر كتاب فرائضه الخ... وتوجد نسخة من الفرائض للامام السهيلي في مجلدة بينة الخط نفيســة العبارة نسخت سنــة 996 . وترجمه في الشذرات أيضاً ، وذكر في الضوء اللامع في ترجمة محمد بن أحمد الكفي الدمشقي الشافعي أنه اختصر الروض للسهيلي وسماه زهر الرياض ، وصنف أحمد ابن علوان التونسي الشهير بالمصري المتوفى بالاسكندرية سنة 787 اقتطاف الأكف من الروض الأنف (2) .

1083) عبد الرحمان بن عبد الله الوادي اشي

عبد الرحمان بن عبد الله بن عبد الرحمان من أهل وادي اش ، يكنى أبا القاسم ، لقي أبا محمد بن أيوب ، وسمع منه الحديث المسلسل في الاخذ

1) **بغية الملتمس** ص 367 ع 1025

2) ينظر عن السهيلي عدى ما تقدم **زاد المسافر** ص 138 **والمغرب** ، **في حلى المغرب** 1 : 448 **ونكت الهميان** 187 **وانباه الرواة** 2 : 162 **وتذكرة الحفاظ** 1348 **والعبر للذهبي** 4 : 244 **والشذرات** 4 : 271 **وغاية النهاية** 1 : 371 **والنجوم الزاهرة** 6 : 100 **والاحاطة** 3 : 477

باليد مسلسلا ، ودخل مالقة فأخذ عنه أبو سليمان ابن حوط الله هذا الحديث، وكان شيخاً أديباً كاتباً .

توفي بمراكش سنة 581 .

ذكره في (التكملة) .

1084) عبد الرحمان بن أحمد ابن أبي الأشعري

عبد الرحمان بن أحمد بن عبد الرحمان ابن ربيع الأشعري ، من أهل قرطبة ، يعرف بابن أبي ، ويكنى أبا الحسن ، سمع من أبيه ، وأبي بكر بن العربي ، وأبي محمد النفزي المرسي ، وأبي جعفر البطروجي ، وأبي مروان ابن مسرة ، وأبي إسحاق ابن ثبات ، وأبي القاسم ابن رضي ، وأبي بكر بن مدير ، وعبد الحق ابن عطية ، وأبي بكر بن مسلمة ، وأبي الطاهر التميمي ، وغيرهم ، وكتب اليه جماعة منهم أبو الحسن شريح ابن محمد ، وأبو عبد الله الحمزي ، وأبو الحسن عباد ابن سرحان ، وأبو الفضل ابن عياض ، وأبو جعفر ابن الباذش، وأبو الحكم ابن غشليان، وجعفر ابن رزق ، وألف في شيخه جزءاً مفيداً كتبه ابن الأبار عن شيخه أبي الربيع بن سالم ، وكتب من ذلك في تكملته ما نسبه اليه ، وولي القضاء بأستجة ، وكان شيخاً جليلا معنياً بصناعة الحديث ، راوية ، حدث وأخذ عنه الناس .

قال ابن الأبار وحدثني أبو الربع بن سالم أنه حدثه قال : لما أزمع القاضي أبو محمد الارتحال عن قرطبة قصد المسجد الجامع متبركا ومودعا ، وكنت ممن مشى معه ، فأنشد فيه

استودع الله أهلَ قرطبـــة — حيث عهدتُ الحياء والكرمـا
والجامعَ الأعظم العتيــق ولا — زال مدى الدهر آمناً حرمـا

توفي بغرب العدوة بموضع يقال له الجبوب صادراً عن مراكش في سنة 585 ومولده في شوال سنة 519 ، قاله لي ابن سالم .

والجبوب بين فاس ووادي مكس بالقرب من الموضع الذي مات فيه أيضاً ابن العربي المعافري رحمه الله .

1085) عبد الرحمان بن محمد المكولي

عبد الرحمان بن محمد بن تميم ابن العز ، من أهل تامسنا ، وسكن مراكش ، يعرف بالمكولي ، كان فقيهاً حافظاً مقدماً في ذلك ، يقال انه كان يستظهر كثيراً مما ألف في الآثار والأخبار وغيرها ، ودخل الأندلس وامتحن في الفتنة بها ، وكان مضعفا فيما بلغ ابن الأبار ، وقتل بقرطبة سنة 623 .

ذكره في (التكملة) .

1086) عبد الرحمان بن يَخْلَفْتن الفازازي

عبد الرحمان بن يخلفتن بن أحمد بن تفليت الفازازي .

حـالـه : كان حافظاً نظارا ذكياً ، ذا حظ وافر من معرفة أصـول الفقه وعلم الكلام ، وعناية بشأن الرواية ، متبذلا في هيأته ولباسه ، قلما يرى راكباً في حضر الا لضرورة ، فاضلا سنياً شديد الانكار والانحاء على أهل البدع ، مبالغاً في التحذير منهم ، عامراً أوقاته بطلب العلم شغفاً به ، وانقطاعاً اليه ، وحباً فيه ، وحرصاً عليه ، ءاية من ءايات الله في سرعة البديهة وارتجال النظم والنثر ، وفور مادة وموالاة استعمال ، لا يفتر عن مطالعة أو نسخ أو مذاكرة في علم حتى صارت له ملكة لا يكلف معها الانشاء مع الاجادة وتمكن البراعة ، وكان متلبساً بالكتابة عن الولاة والأمراء ، كارها له حريصاً على الانقطاع عنه ، واختص بالسيد ابراهيم بن يعقوب المنصور ، وبأخيه ادريس وبملازمتهما ، فاستحق الذكر فيمن دخل غرناطة إذا عُدَّ مَن دخلها مع الامراء .

مشيخته : روى عن أبيه أبي سعيد ، وأبي الحسن جابر بن عبد الله ، وابن عتيق بن مومن ، وأبي الحسن ابن الصائغ ، وعبد الرحمان السهيلي ، وأبي عبد الله التجيبي ، وأبي الصبر السبتي ، وأبي عبد الله ابن الفخار ، وأبي محمد ابن عبيد الله ، وأبي المعالي محمد الخراساني ، وأبي الوليد بن يزيد ابن بقي ، وغيرهم .

مَن روى عنه : روى عنه ابنه أبو عبد الله ، وأبو بكر بن سيد الناس ، وابن مهدي ، وأبو جعفر بن علي ابن غالب ، وأحمد بن علي ابن مروان ، وأبو عمرو بن سالم ، وأبو القاسم عبد الرحيم ابن سالم ، وابنه عبد الوهاب بن عبد الرحيم ابن سالم ، وأبو القاسم عبد الكريم بن عمران ، وأبو يحيى بن سليمان ابن حوط الله ، وأبو محمد بن قاسم الحرار ، وأبو الحسن الرعيني ، وأبو علي الماقري .

تواليفه ومنظوماته : له المعشرات الزهدية التي ترجمها بقوله : « المعشرات الزهدية ، والمذاكرات الحقيقية الجدية ، ناطقة بألسنة الوجلين المشفقين ، شائقة الى مناهج السالكين المستبقين ، نظمها متبركاً بعبادتهم، متيمناً بأغراضهم المذكورة واستشارتهم ، مهتدياً في هذا السنن الحسن بالأشعة الواضحة من اشارتهم ، قابضا عنان الدعوى عن مداناتهم ومجاراتهم ، مخلدا دون أفقهم العالي الى حضيضهم ، جامعاً لحسن أقواله وقبح أفعاله بين الشيء ونقيضه : عبد الرحمان » .

وله المعشرات الحبية وترجمتها « النفحات القلبية ، واللمحات الشوقية ، منظومة على ألسنة الذاهبين وجداً ، الذائبين كمدا وجهدا ، الذين غربوا وبقيت أنوارهم ، واحتجبوا وظهرت ءاثارهم ، ونطقوا وصمتت أخبارهم، ووفوا للعبودية حقها ، ومحضوا المحبة مستحقها ، نظم من نسج على منوالهم ، لا يشاركهم الا في أقوالهم : عبد الرحمان » .

والقصائد في مدح النبي (ص) التي كل قصيدة منها لها عشرون بيتا، وترجمتها « الوسائل المتقبلة ، والآثار المسلمة المقبلة ، موضوعة في الشعرية النبوية . والحقائق اللفظية والمعنوية ، نظم مَن اعتدها من أزكى

الأعمال ، وأعدها لما يستقبله من مدهش الأهوال ، وفزع خاطره لها على توالي القواطع وتتابع الأشغال ، ورجا ببركة خاتم الرسالة ، وغاية السؤدد والجلالة ، محو ما أسلفه من خطأ في الفعل وزلل في المقال ، والله سبحانه ولي القَبول والمثوبة ، والمنان بتسويغ هذه المنة المطلوبة ، فذلك يسير في جنب قدرته، ومعهود رحمته الواسعة ومغفرته » .

شعره : وشعره كثير جدا ونثره مشهور موجود ، فمن شعره في غرض الشكر لله عز وجل على غيث جاء بعد قحط :

نعم الاله بشكره تتقيد ... فالله يشكر في النوال ويحمد
مُدت اليه أكفنا محتاجة ... فأنالها من جوده ما نعهد
وأغاثنا بغمائم وكّافة ... بالبشر تشرق والبشائر ترعد
حملت الى ظمأ البسيطة ريَّه ... فلها عليه منة لا تجحد
فالجو براق الشعاع مفضض ... والماء فياضُ الأثير معسجد
والأرضُ في حلْي الأتيِّ كأنما ... نطف الغمائم لؤلؤ وزبرجد
والروض مطلول الخمائل باسم ... والقضبُ لينة الحمائل مُيَّد
تاهتْ عقولُ الناس في حركاتها ... ألشكرها أم سكرها تتأود ؟
فيقول أرباب البطالة تنثني ... ويقول أرباب الحقيقة تسجد
واذا اهتديت الى الصواب فانها ... في شكر خالقها تقوم وتقعد
هذا هو الفضل الذي لا ينقضي ... هذا هو الجود الذي لا ينفد
أحضر فؤادك للقيام بشكره ... ان كنت تعلم قدر ما تتقلد
وانفض يديك من العباد فلكهم ... عجزٌ عن الحلِّ وأنت تعقد
واذا افتقرت الى سواه فانما ... أودى بخاطرك المجال الأبعد
نعم الاله كما تشاهد جمة ... والغائبات أجل مما تشهد
انظر الى ءاثار رحمته التي ... لا يمترى فيها ولا يتردد
ياليت شعري والدليل مبلغ ... من أي وجه يستريب الملحد
مَن ذا الذي يرتاب أن الاهه ... أحد وألسنة الجماد توحد
كل يصرح حاله ومقاله ... أن ليس الا الله حقاً يعبد

ومن شعره أيضا قوله :

عجبا لمن ترك الحقيقة جانبـــاً ... وغدا لأرباب الصواب مجانبـــا
وابتاع بالحق المصحح حاضـــرا ... ما شاء للزور المعلل غائبـــا
من بعد ما قد صار أنفذ أسهمـــاً ... وأشدَّ عادية وأمضى قاضبـــا
لا تخدعنْك سوابق من سابـــق ... حتى ترى الاحصار منه عواقبـــا
فلربما اشتد الخبال وعاقـــه ... دون الصواب هوى وأصبح غالبـا
ولكم امام قد أضر بفهمــــــه ... كتب تعبُ من الضلال كتائبـــا
فاقذف بأفلاطون وأرسطـــا ... طاليس وذرهما تسلكْ طريقا لاحبا
ودع الفلاسفة الذميمَ جميعُهـــم ... ومقالهم تأتي الاحق الواجبـــا
يا طالب البرهان في أوضاعهـــم ... اعزز عليَّ بأن تعمم خائبـــا
أعرضت عن شطِّ النجاة ملججـاً ... في بحر هلك ليس ينجى عاتبـا
وصفا الدليل فما نفعت بصفـــوه ... حتى جعلت له الخير شائبـــا
فانظر بعقلك هل ترى متفلسفـــا ... فيمن ترى الا دعياً كاذبـــا
أعيتْه أعباء الشريعة شـــــدة ... فارتدَّ مسلوباً ويحسب سالبـــا
والله أسأل عصمة وكفايــــــة ... من أن أكون عن المحجة ناكبـــا

ومن شعره :

اليك مددت الكف في كل شــــدة ... ومنك وجدت اللطف في كل نائب
وأنت ملاذي والأنام بمعـــــزل ... وهل مستحيل في الرجاء كواجب
فحققْ رجائي فيك يارب واكفنـــي ... شمات عدو أو اساءة صاحـــب
ومن أين أخشى من عدوي اســاءة ... وسترك ضافٍ من جميع الجوانب
وكم كربة نجَّيْتني من غمارهـــا ... وكانت شجى بين الحشا والترائب
فلا قوة عندي ولا ليَّ حيلـــــة ... سوى حسن ظني بالجميل المواهب
فيامنجيَ المضطرِّ عند دعائـــه ... أغثْني فقد سُدَّتْ عليَّ مذاهبي
رجاؤك رأس المال عندي وربحُـه ... وزهدي في المخلوق أسنى المواهب
اذا عجزوا عن نفعهم في نفوسهـم ... فتأميلُهم عند الظنون الكـــواذب

فيامحسناً فيما مضى أنت قـــادر على اللطف في حالي وحسن العواقب
وإني لارجو منك ما أنت أهلـــه وإن كنتُ خطاء كثيرَ المعائـــب
فصلٌ على المختار من ءال هاشم امام الورى عند اشتداد النوائـب

وقال في مدعي قراءة الخط دون نظـر :

وأدور مياس المعاطف أصبحـت محاسنُه في الناس كالنوع في الجنس
يدير على القرطاس أنملَ كفـّـه فيدرك أخفى الخط في أيسر اللمس
فقال فريق سحر بابل عنـــده وقال فريق ليس هذا من الأنــس
فقلت لهم لم تدركوا سرَّ فهمـه على أنه للعقل أجلا من الشمـس
فتى كفه حب القلوب فأصبحـت مداركها أجفان أنمله الخمـــس

ومن شعره :

صرحتُ بالحب إذ لم يُجد تلميح وبرحت بي لاغرو التباريـــح
وما ترجحت افراحي لغيركـــم الا انثنيتُ وللترجيح تجريـــح
يانازحين وفي الأحشاء بعدهـــم طال النزوح فدمعُ العين مطـروح
لا تطلبوا الاذن من اذن على خلـد فباب قلبي لمَن يهواه مفتـــوح
لم أصغ فيكم الى لوم ولا عـــذل سيان عندي ذاك العذل والريـح
يالائمي في أنين لي به فـــرج مهلا فان أنينَ الحب تسبيـــح
اذا رأيت دموع العين هاميــــة فلا تشكن أن القلب مجـــروح
وان أغرب شيء أنت سامعــــه جسم ينعم في تعذيبه الـــروح
وسائل ضقت ذرعاً أن أجاوبـــه وقد ينوب عن التصريح تلميـح
يقوم عمم وقيم القلب مختبـــل والعقل معتقل والدمع مسفـــوح
قلب به أسطر الأشواق مدمجـــة ولوحه قاصر عن عرضه اللـــوح
فقلت يمنعني من أن أبوح بـــه قول المنزه قدوس وسبـــوح

وفـاتـه : استقدمه الخليفة ادريس المأمون على حال وحشة كانت بينه وبينه ، فورد على المرتضَى بمراكش في شعبان سنة سبع وعشريـن

وستمئة ، وتوفي بها في ذي القعدة بعده ، ودفن بجبانة الشيوخ مع أخيه أبي عبد الله الفازازي رحم الله جميعهم .

انتهى من الاحاطة (1) .

وقال في نيل الابتهاج : عبد الرحمان بن يَخْلَفْتن (بفتح الياء واللام وسكون الخاء المعجمة والفاء) بن أحمد الفازازي القرطبي ، نزيل مراكش ، قال ابن الأبار : ولد بقرطبة ونشأ بها ، ثم سكن تلمسان وغيرها ، روى عن أبي الوليد ابن بقي والسهيلي ، وأبي عبد الله ابن الفخار ، وأبي عبد الله التجيبي ، وغيرهم .

كان عالماً بالآداب متصرفاً في فنونها ، كاتباً بليغا شاعرا مجودا ، وافر المادة ، قوي العارضة ، مشاركا في أصول الفقه ، ذا معرفة بعلم الكلام ، ناظرا في الفقه، كتب دهراً طويلا للولاة ، وجال في بلاد العدوة والأندلس كثيرا ، غلب عليه الادب ، ومال للتصوف وشهر به ، وله أشعار في الزهد سارت منه ، ومال لصحبة المريدين والسعي في مطلبهم والتشدد على أهل البدع ، ليس له بصر بالحديث ، وناله من جفوة السلطان بقرطبة واشبيلية ما ألزمه داره سنة ست وعشرين وستمئة 626 ، ثم ظعن اخرها للعدوة ، فتوفي بمراكش في ذي القعدة سنة سبع وعشرين وستمئة 627 ، انتهى .

وله العشرينيات المعروفة في مدحه (ص) (2) .

وقال في (بغية الوعاة) ومن شعره :

علم الحديث لكل علم حجـــــة ... فاشدد يديك به على التعييـــن
وتوخ أعدل طرقه واعمل بهـــا ... تعمل بعلم بصيرة ويقيـــن

وسيأتي بعض شعره في ترجمة سهل ابن مالك .

1) الاحاطة 3 : 517

2) نيل الابتهاج ص 163

1087) عبد الرحمان بن محمد ابن عياش التجيبي

عبد الرحمان بن محمد بن عبد العزيز ابن عياش التجيبي ، أصله من برشانة ، وسكن مراكش ، يكنى أبا القاسم ، سمع أبا الحسن الصديفي ، أخذ عنه السنن لأبي داوود السجستاني ، وأجاز له أبو الحسن ولبنيه ، وله شيوخ غير هاذين ، وولي قضاء مرسية وغرناطة وغيرهما ، وكان خطيباً مصقعا لسنا مفوهاً ، يشارك في الفقه والادب ، وتوفي بمالقة في يوم السبت التاسع لجمادى الأولى سنة 636 ومولده بجزيرة طريف سنة 581 .

ترجمه في (التكملة) .

1088) عبد الرحمان بن اسماعيل ابن الحداد الأزدي ، من أهل تونس ، يكنى أبا القاسم ، أخذ ببلده عن أبي محمد بن أبي القاسم المؤدب ، وعلي ابن اليسع البلنسي ، وأبي الحسن عبد الولي ابن المناصف القرطبي ، وغيرهم ، ورحل حاجا فأدى الفريضة ، ولقي بمكة أبا حفص الميانشي ، وأبا ابراهيم التونسي ، وبمصر أبا القاسم ابن حبارة ، وعبد الله ابن بري ، ويحيى بن عبد الله القيسي ، وأبا محمد قاسم بن فيره الشاطبي ، وبالاسكندرية أبا الطاهر ابن عوف ، وأبا عبد الله ابن الحضرمي ، فأخذ عنه وسمع منه ، ولقي بدمياط أبا الحسن ابن الدباغ النحوي ، فلازمه لتعلم العربية عنده ، وصدر من رحلته فقصد المغرب ، واستقر بسبتة ، ودخل الاندلس وتردد في بلادها الغربية ، وسكن اشبيلية وقتاً ، وولي قضاء شلب من أعمالها بعد أبي يحيى ابن هانيء الغرناطي ، وأقرأ العربية وهي كانت بضاعته مع المعرفة بالقراءات ، وأخذ عنه .

قال ابن الأبار : وبلغني أنه توفي بمراكش في نحو أربعين وستمئة . وترجمه في (البغية) .

1089) عبد الرحمان بن عبد الله الادريسي

عبد الرحمان ، بن عبد الله ، بن محمد ، بن أحمد ، بن عبد الرحمان . بن سعيد ، بن عبد الملك ، بن أحمد ، بن عبد الله بن عبد

الرحمان ، بن عبد الله ، بن علي ، بن حمود ، بن ميمون ، بن ابراهيم ، بن علي ، بن عبد الله ، بن عمر ، بن ادريس ، بن ادريس ، بن عبد الله ، بن الحسن ، بن الحسن ، بن علي ، بن أبي طالب رضي الله عنه .

ولد بمراكش سنة عشر وستمئة ، قرأ على ابن عمه القاضي أبي القاسم بن عبد الرحمان الأحكام الصغرى لعبد الحق ، والموطأ ، وسمع عن أبي الحسن ابن قطرال صحيح مسلم بمراكش المحروسة ، حدثه به عن أبي عبد الله ابن سعادة سماعاً لجميعه من لفظه وسماعاً لاكثره عن ابن فخار ، وسمع صحيح البخاري بسبتة على أبي مروان الباجي بقراءة أبي الفتوح ابن فاخر ، ولزم مدة حضور مجلس أحمد العزفي ، ومن نظمه :

إن نظم القريض للشيخ عيْب ... ليس فيه شك ولا فيه ريْب
كيف أصبو لنظم شِعر وشَعري ... كلّه من تعاقب الدهر شيْب

وله أيضاً :

الحمد لله ما أبقى النحولُ سوى ... خيال جسميَّ يبدو بين أثواب
وقد نحلت فلو أني ولجت ذري ... محجَّب ما رأتْني عينُ بواب

وله أيضاً :

أياسائلي عن مذهبي ان مذهبي ... تجنُّب خلق الله كلَّ التجنُّب
وصدق وصبر دائم وقناعة ... وإخلاص ود للصديق المهذب
وسادسه ترك الجدال بأسره ... وسابعُه ألا أبوح بمذهبي

وله أيضاً :

لما نحلت وخفَّ جسمي بالضنا ... أصبحتُ أخشَى من هبوب الريح
قد شفَّ جسمي رقة عن أعظمي ... وأذاب لحمي دائم التبريح
فأنا الذي يغني تأمُّلُ ظاهري ... عن كتب جالّينوس في التشريح

وله أيضاً :

قد أمكن القول فقل للعـــــــدا　　قولوا فعِرضي لكم حـــــــلّ
سوف غداً يحكم ما بيننـــــــا　　فراقبوه حكم عـــــــدل

وله أيضا يعارض قصيدة أبي الحسن الرعيني

أقلَّ لوميَّ لما أن رأى ولَهـــــي　　وكفَّ لما رءاني كاسفَ البـــال
وقال لي أجديدٌ ثوبُ عمرك يـــا　　هذا فقلت له ياصاح بلْ بـــال
سربلت ثوب الصبا مذ رقّ عن بدلي　　وكم تسربلْت منه أيَّ سربـــال
دعني أرقْ ماء ءاماقي على رمقــي　　علّي أبل بذاك الماء بلبالـــــي
يحقّ لي أن أحلي بالضنا جسدي　　وأن أديم لوادي الدمع سيالـــي

وله أيضاً :

أصبحت مما بي في وحشـــــة　　أنظر في الحق ولا أنطـــــق
كأنني في قفص طائـــــر　　يقول يارب متى أطلـــــق

وله أيضا :

وما لذة الدنيا وطيب نعيمهـــــا　　سوى صحة الجسم المكمل والأمن
ويومي يأتي لا محالة رزقـــــه　　يُكيِّفه لطف من الله ذو المَـــن

وله غير ذلك .

كتب خطه بالاجازة سنة اثنتين وثمانين وستمئة 682 .

ترجمه في (درة الحجال) (1) ، وذكره في (تحفة الوارد) ، والحلبي صاحب (الدر النفيس) .

---

1) **درة الحجال** 3 : 993 طبع تونس

1090) عبد الرحمان بن عبد الكريم الهزميري

عبد الرحمان ابن الشيخ الفاضل الصالح الناسك ، عبد الكريم ، بن عبد الواحد ، بن يحيى ، بن عبد الله ، الهزميري ، الشيخ العارف الكبيـر ، الولي الصالح الشهير ، العالم العامل ، الواصل المواصل، ذو الكرامات الفاخرة، والآيـات الظاهرة ، والكشـف الصريح ، والخبـر الصحيح ، والأحـوال العجيبة ، والمناقب الغريبة ، الجبل الراسخ ، وطود العلوم الشامخ ، أعجوبة الزمان ، وفريد العصر والأوان ، شيخ الطائفة الهزميرية في المغرب ، منسوب الى هزمير وهي أحدى القبائل الست الكائنة بدكالة ونواحيها .

قال في (أنس الفقير) لما تكلم على جملة الطوائف بالمغرب الأقصى في الأرض التي تنبت الصالحين كما تنبت الكلأ ما نصه : وأما الطائفة السادسة فهم الغماتيون ، وهم طائفة الشيخ الولي الشهير ، عبد الرحمان الهزميري ، ولهم أخوة محدثة بطائفة أبي زكرياء يعني الحاحي الشيخ الشهير . وسائر الطوائف لهم أخوة بطائفة أبي محمد صالح ، قال وقبر عبد الرحمان هذا داخل باب الفتوح من أبواب مدينة فاس في روضة الانوار بازاء جامع الصابرين ، وقد أدركت كثيرا ممن أدركه ، أخبرني بعض شيوخ العدول من مراكش أنه رآه على ظهر بهيمة وهو على جنبه وقد شدّ عليها بشريط لضعفه وكبر سنه ، والناس يتزاحمون عليه ويمسحون وجوههم بطرف ثوبه ، ويجبذه كل واحد منهم اليه ، والخديم يقود به ، وكان أعجوبة في زمانه ، يتحدث دائما على ما في ضمائر الناس ، ولا يعين أحدا بالفضيحة ، وانما يقول مثل رجل فعل كذا في مكان كذا .

وأخبرني شيخ أشياخنا فـي المعالم السماوية ، والمسائـل الحسابية ، الشيخ الامام الصالح ، أحمد بن محمد بن عثمان ابن البناء العددي المراكشي وكانت وفاته في عام احدى وعشرين وسبعمئة 721 أنه مازال يقصده في حل المسائل العلمية التي تشكل عليه من هندسة وغيرها . قال وما زلت أمضي اليه فأجد الزحام ، فنسمع جوابي من طرف الحلقة وننصرف من غير

سؤال ، وحدثني غير واحد ممن لقيت من الاعلام أن انتفاع ابن البناء في علومه ومنزلته الدينية والدنيوية انما كان من بركة الهزميري ، لانه بلغ في دينه النهاية ، وفي دنياه الغاية .

حدثني قاضي الجماعة بمراكش الفاضل المتخلق الحافظ لسير رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمان القيسي ويعرف بطالب عافية أنه أراد أن يقرأ عليه علم العروض ، قال لي ولا دريت هل له معرفة به أم لا ، وفكرت في نفسي كيف يكون سؤالي عن ذلك ، فدخلت عليه وهو في حلقة العلم وأنا في قلق من ذلك ، فجلست فسمعته وقد رفع صوته وهو يقول مثل ما يقول العروضيون كذا ، وتكلم في علم العروض ، فقلت انه معي . وما زال رحمه الله يحدثني بهذه الحكاية وتدمع عيناه في أثنائها .

وقد ألف بعض فقهاء مراكش ، وهو الفقيه المقرىء محمد ابن تيجلات رحمه الله كتاباً حسناً في فضله وفضل محمد أخيه .

وتوفي نفع الله به في حدود سنة ست وسبعمئة 706 والدعاء عند قبره مستجاب ، والى الوسيلة بقبره يلجأ مَن حدث به كرب عنالك .

وسميت روضة الأنوار لأنها جمعت من أولياء الله كثيرا ، وهو في وسطهم ، ورأيت بعض مَن يعيش بالحرام أخذ في تجديد قبره رحمه الله ونفع به فنهيته ، وقلت سألتك بالله لا تكدرْ عليه فأبى وجدده بالجير، فبعد مدة ضربه السلطان ونزع ما بيده من المال وندم على ما كلمته به ودثر ما صنع على قبره ، ولم يبق له أثر .

وسبب حركته من أغمات قضاء حاجة يطول شرحها من السلطان يوسف المريني وهو في حصاره العظيم لتلمسان بعد مدة سبع سنين ، هذا ظاهر أمره ، وفي الباطن يريد أن يصرفه عن ذلك الحصار . ويكف عما انتهى اليه المحصورون من الشدة ، لأنه بلغ ثمن الدجاجة عشرة دنانير من الذهب للقوت لا للدواء ، وكان للفار ثمن معتبر لا أذكره الآن ، فلم يقبل منه ، فرجع

الى فاس ونزل بجامع الصابرين ، وهو موضع مبارك يأوي اليه أهل الفضل والصلاح ، فبعد أيام قتل السلطان يوسف وغرب جيشه أي دخل المغرب بسلطان ءاخر ، فقال له خديمه ظناً أنه ما أقام الا ليرغب الله في الفرج ، مات السلطان يوسف ففرج الله على تلمسان ، فباسم الله تأخذ في الحركة ، فقال له وعبد الرحمان يمُوت بتشديد الميم يعني بعبد الرحمان نفسه ، فمات بعد أيام يسيرة ، ودفن هناك رحمه الله ونفع به .

وقد أخذت طريقه عن ولي الله تعالى الحاج أبي العباس الدكالي عن ولي الله تعالى يحيى الغماتي عن الهزميري نفع الله به، وكان يقول نشفع في كل شيء الا الموت .

وتنازع الفقهاء بمراكش في الحوض والصراط أيهما يسبق ، فلجأ أحدهم اليه ، قال فلما سألته نظر الى السماء واتسعت عيناه اتساعا عظيما ، ثم قال الجنة ، الميزان ، الحوض ، الصراط ، ويشير بأصبعه إلى السماء ، فأعلمت بعض الفقهاء بذلك ، فبكى وقال ليس الخبر كالعيان .

وكانت له أحوال عجيبة ، قال لي بعض الصالحين ما أظن أن يكون أحد بعده كحاله في طريقته وعجائبه .

انتهى كلامه فيه في (أنس الفقير) باسقاط ما لم تدع الحاجة الى نقله (1) .

وفي (المعزى) ما نصه : ويحكى عن سيدي عبد الرحمان بن عبد الكريم الهزميري دفين داخل باب الفتوح بروضة الانوار بازاء جامع الصابرين عام ستة أو سبعة وسبعمئة في حركة حركها غريبة أضربنا عن ذكرها اختصارا ان الفقهاء لما تنازعوا بحضرة مراكش في الحوض والصراط أيهما سبق . وطال الخصام على ذلك ثلاثة أيام بين يدي الشيخ الامام مكمل اكمال المعلم أبي عبد الله البقوري ، فلما طال الحال ذهب طالب ممن كان يعتقد الشيخ الهزميري

---

1) انس الفقير ص 69

لزيارته ، وسأله عن المسألة حتى يشفيه ، قال : فلما سألته فتح عينيه ونظر الى السماء ، ورأيت لعينيه اتساعاً عظيماً وهو ينظر ولا يطرف ، وهو يقول الجنة ، الميزان ، الحوض ، الصراط ، كأنه ينظر في ذلك ويكرر قوله ، ويشير بأصبعه ، قال فخرجت من عنده وأتيت المجلس ، فاذا هو على حاله ، فأخبرتهم فبكى أبو عبد الله البقوري ، وقال ليس الخبر كالعيان .

قال الامام ابن الخطيب كانت للهزميري ولأخيه ، يعني محمد دفين أغمات ، أحوال عجيبة ، قال بعض العلماء لما وقف على حقائق رياضتهما : قلَّ أن يكون مثل حالهما لما شاهده من تحقيقهما في المكاشفة والمقام ، وهما من عجائب الزمان ، ولولا الاختصار لأوردنا من أخبارهما ما يزيد المريد في سلوكه صدقا وتحقيقاً ، لكن كفى بالتعريف بهما صاحب (اثمد العينين ، في مناقب الاخوين) .

وفيه أيضا ، أعني (المعزى) أنه يقال سبعة قليل" مَن بلغ مجاهدتهم في بدايتهم : سيدي أبو يعزى في المغرب ، وسيدي عبد القادر الجيلاني في المشرق في القرن السادس ، وسيدي سهل بن عبد الله في القرن الثالث ، وسيدي أبو يزيد البسطامي ، وسيدي أبو الخير المصباحي ، وسيدي محمد الهزميري ، وصنوه عبد الرحمان رضي الله عنهم ، انتهى .

وفي كتاب (اثمد العينين ، ونزهة الناظرين ، في مناقب الاخوين عبد الرحمان ومحمد الهزميريين) للشيخ محمد بن تيجلات الهزميري المراكشي : كان الشيخ عبد الرحمان رحمه الله أحدَ أركان هذه الطريق ، وقد نال من المجاهدة في حال البداية طورا صعب المرتقى ، بعيد المرمى ، تعذر على كثير من المساكين سلوكه .

وكان الشيخ رحمه الله ، يعني الشيخ صاحب الترجمة وأخوه محمد ينوه بذكره ويثنى عليه كثيرا ، واذا قرئت عليه رسالة القشيري يقول : جاز أخي عبد الرحمان هذه المقامات كلها ، الا أنه لم يؤمر بالتصدر للمشيخة ، ولو أمر لامتثل كما فعل أخوه .

وكان الشيخ أحمد ابن البناء يقول : كنت اذا أشكل عليَّ شيء ركبت دابتي وانصرفت الى أغمات وريكة ، فأجتمع بسيدي عبد الرحمان فيشرح لي ما انبهم علي من المسائل ، ثم أعود الى منزلي ، ولقد كنت أسير في بعض الاحيان فأجد الناس قد احدقوا به فلا أجد كيف أجتمع به ، فأقعد خلف السارية التي كان يستند اليها ، فيتكلم على المسائل التي جئت أستفتيه فيها، مسألة بعد مسألة ، حتى يأتي على اخر المسائل ، فأخرج وأركب دابتي وأرجع الى مراكش من يومي .

وقد ذكر له في الكتاب المذكور كرامات عديدة ، ومآثر حميدة ، فانظرها فيه ان شئت .

وفي (شرف الطالب) ما نصه : وفي سنة سبع وسبعمئة توفي بقية الشيوخ والأولياء عبد الرحمان الهزميري بمدينة فاس ، وقال في (درة الحجال) توفي بمدينة فاس بعد انصرافه من تلمسان بسنة عند مسجد الصابرين سنة ست وسبعمئة ، وقيل في التي تليها بعدها في أولها .

وقال في (جذوة الاقتباس) عبد الرحمان الهزميري الولي الصالح ، ذو الكرامات الظاهرة ، كان عالما عارفا بالحساب والتعليم والهيأة وغير ذلك ، من أهل أغمات ، أخذ عنه أحمد ابن البناء وكان صاحب مكاشفات ، توفي بمدينة فاس بعد انصرافه من تلمسان سنة سبع وسبعمئة ، ودفن بقرب مسجد الصابرين ، ومسجد الصابرين هو المعروف الآن بروضة أبي مدين قريبا من ضريح صاحب الترجمة ، وضريح الامام ابن غازي ، وكان في القديم مدرسة ، وقد رأيت مقيداً ما نصه : مدرسة أبي مدين هي المعروفة في القديم بمدرسة الصابرين والمرابطين اللمتونية ، لأن يوسف بن تاشفين منهم هو الذي بناها .

وفي كتاب (التفكر والاعتبار) لأحمد بن محمد بن محمد ابن عطية السلوي الفاسي ما نصه : ومنهم الشيخ القطب الشهير ، سيدي عبد الرحمان الهزميري دفين الكغاطين داخل باب الفتوح بروضة الانوار ، وبها شهر ، توفي سنة سبع وسبعمئة ، وله كرامات في حياته وبعد مماته نفعنا الله ببركاته .

وقد حلاه بالقطبانية أيضـا الشيخ القصار في مكاتبـة كتبها لبعض أصحابه نقلها صاحب كتاب (سلسلة الذهب المنقود) فراجعه .

ومن كلامه رضي الله عنه : حرام على مَن أطاع الله وعصى والديه أن يدخل الجنة ، وحرام على مَن عصى والديه وأطاع الله ان يدخل النار . ذكره في (اثمد العينين) .

وضريحه معروف مشهور الى اليوم يدور به بيت صغير لا سقف به .

ومـن بركاته مـا يروى عـن الشيخ الـورع الزاهد أبـي عثمان الورياغلي ، أنه رأى في المنام شيخاً بعد موته كان يلقاه في الطريق إذا خرج لصلاة الفريضة سكران طافحا والصبيان يجرونه ويصفعونه ، ورآه وهو على صورة حسنة ، وعليه ثياب لا توصف من حسنها ووجهه يتلألأ نورا ، فقال له ألست فلان ؟ فقال بلا ، فقال له إني عهدتك على حالة ورأيتك الآن على خلافها ، فقال له أحدثك ان اليوم الذي قدر الله بوفاتي فيه مات سيدي عبد الرحمان الهزميري في ذلك اليوم فغفر الله لكل من مات معه فيه من جميع المسلمين في المشرق والمغرب .

ويـروى عن رجل مـن أهل تونس يعـرف بجمال الدين ابـن عطا قال : كنت جالسا على سطح داري ليلة بعد العتمة فسمعت في الهواء دوياً كدوي النحل ، فما زلت اتفكر فيه حتى سمعت هاتفاً ولا أرى شخصا يقول : ياهذا أتعرف هذا ؟ فقلت لا ، فقال هذا روح عبد الرحمان الهزميري توفي في هذه الليلة ، فعرضت عليه حظيرة القدس فأبى أن يدخلها حتى يدخلها مَن مات معه في هذه الليلة .

واليه يشير الشيخ المدرع في منظومته بقوله :

وارجع الى الشيخ الامام العـارف	بحر الحقيقة لكل عـارف
الشامخ المحقق المبيـن	عمدة أهل الفتح والتمكيـن
أعني أبا زيد الرضى الهزميـري	كنز المعارف وبحر النـور (I)

I) ما تقدم منقول بالحرف من **سلوة الانفاس** 2 : 52

وقال في (نفح الطيب) فـي ترجمة جده المَقري مـا نصه : وقال رحمه الله تعالى:حدثت أن عبد الرحمان الهزميري بعث الى أبي عمران التسولي وكان كثير الصلاة أنه لم يبق بينك وبين الله حجاب الا الركيعات ، فرجع اليه مـا معناه أن الاتصال كان منها فلا يكون الانفصال عنها ، يعني من رزق من باب فيلزمه (1) .

وذكره الحافظ ابن حجر في (الدرر الكامنة) ، وسماه عبد الرحمان ابن عبد الله بن عبد الحليم الاغماتي ، وذكر وفاته بفاس سنة 707 قائلا : ذكره الاقشهري (2) وسياتي ذكر تلميذه أبي عبد الله ابن جامع .

1091 **عبد الرحمان بن إلياس الركراكي** ، كان فقيها جليلا متورعاً ، قال في (المنهاج الواضح) حدثني الشيخ الفاضل ، عبد الملك بن يقديون الركراكي قال : سمعت الشيخ الفاضل وحيد عصره ، عبد الرحمان بن إلياس رحمه الله يقول : ما أظن اباحة الفقيه محمد بن ياسين لهذا الرب وتجويزه لشرابه في بلادنا الا من زلة العالم التي حذر منها رسول الله (ص) ، وحدثني أيضا الفقيه أبو محمد بن عبد الحق بن موسى الركراكي بذلك عن رجل عنده ثقة ، عن الشيخ الفقيه عبد الرحمان رحمه الله أنه سمع ذلك منه كما ذكره عبد الملك سواء ، وحدثني عبد الواحد ابن ياكريان الكلاوي فقيه متورع ، قال : سمعت الفقيه يوسف بن محمد ابن راشد يقول ، سمعت الفقيه عبـد الواحد الهرتناني يقول : سألته عن شراب الرب هل تستعمله ؟ قال كـان محمد بن ياسين يستعمله فأنكر استعماله بنفيه لذلك ، وقال رأيت الفقيـه محمد بن ياسين في المنام بعد موته ، فقلت ما فعل الله بك ؟ فقال : عاقبني على هذا الشراب يعني الرب عقاباً شديداً ، وقال لي ياشيخَ سوء ، لولا العلم الذي أودعته فيك لعذبتك عليه عذابا شديدا ، فعلى الجملة مَن بُلي بشراب هذا الرب فليجتنب ما عمل من أعناب الجبال الباردة لأن أعنابها لا تتزبب ،

______

1) نفح الطيب : 5 262

2) الدرر الكامنة 2 : 441 ع 2311

وكل ما لا يتزبب من الأعناب قلت حلاوته واشتدت مرارته فلا يذهب عنه السكر متي تزبب ولو ذهب تسعة أعشاره في غالب العادة عند أهل التجارب ، وأما أعناب السواحل فهي شديدة الحلاوة تتزبب في أغصانها وتتعسل ، فأرى أنها اذا أحكم طبخها لا يبقى فيها سكر ، قال السيد عبد الحي : ووقع في سلسلة الطريقة الجزولية التي كانت مجتهدة عند الفقراء في القرن العاشر ، كما في (الدوحة) أن الشيخ أبا عبد الله أمغار شيخ القطب الجزولي أخذ الطريق عن الشيخ سعيد الهرتاتي هكذا وقع في النسخة التي بيده الآن من (الابتهاج) بتاءين عن الشيخ عبد الرحمان الرجراجي ، وأقام بمكة مجاوراً عشرين سنة فيقرب أن يكون الرجراجي المذكور هو المترجم هنا الواقع ذكره في كلام صاحب (المنهاج الواضح) ، ويؤيده أن صاحب (الدوحة) قال وهو المعروف عند العامة بأبي زيد والياس ، وقبره بوادي شوشاوة من عمل مراكش ، وقد انتهى مقامه الى القطبية ، لأن صاحب (المنهاج) جعل اسم أبيه إلياس وشهرته الشوشاوي المذكور بأبي زيد وإلياس ، فأبو زيد كنية عبد الرحمان ، وأهل سوس علم أنهم يجعلون الواو مكان ابن كما عرف أهل اليمن بانهم يجعلون با مكان ابن أيضا ، فيقولون ءال باعلوي جنيد مثلا ، وربما يبعد ان الشوشاوي المذكور في سند الطريقة الجزولية هو الواقع ذكره عند صاحب المنهاج الواضح ما وقع في سند الطريقة من أن أبا زيد وإلياس أخذ عن الشيخ أبي الفضل الهندي عن الشيخ عندس البدوي راعي الابل ، عن الامام القرافي ، عن أبي عبد الله المغربي ، عن الشيخ أبي الحسن الشاذلي ، فبين الشوشاوي المذكور في السلسلة وبين الشاذلي وسائط أربعة ، ومقتضى رواية صاحب المنهاج مرة وبأكثر ءاونة أخرى ، مع أن عصره كان ءاخر القرن السابع وأوائل الثامن يقتضى لا أقله أن يكون في وسط المئة السابعة ، والشاذلي مات سنة ست وخمسين وستمئة ، فعلى هذا يكونان تعاصرا ، الا أن يقال ان سند الطريقة لا يسلك مسالك أسانيد المحدثين من الغبطة بالعلو وقلة عدد رجال السند ، لأن الصوفيين على ما يقال يرون أن السند كلما كثر رجاله عظم الاستمداد منه والافتخار ، خصوصا مع تباعد الأقطار في ذلك الوقت ، فلا عجب أن يعلو السند من جهة وينزل من أخرى ، وربما يبعد كون الشوشاوي

هو المذكور في (المنهاج) أنه لم يصفه بما يقتضي القطبانية وما هو من ذلك الباب، بل وصفه صاحب المنهاج بالزعامة في الفقه والطريقة، وقد علم كما كتب العارف الفاسي على سند الطريقة واتصاله بابن العربي المعافري عن الغزالي عن امام الحرمين أن مجرد الباطن لما يستمد من الظاهر ، على ان هذه الأسانيد عليها من لوائح الاستغراب وأمارات الضعف ما هو جدير بتلقيها تبركاً لا اعتماداً كالوردة التي تشم ولا تفرك ، لأن التصوف علم أذواق لا علم أوراق وبحث ، والله تعالى أعلم بغيبه وأمر هؤلاء السادات، والسلام على أهل التسليم. انتهى .

تتمة : زرت في رمضان عام واحد وثلاثين وثلاثمئة وألف قبر المترجم بوادي شوشاوة ومدحته بهذه النتفة :

لأبي زيد بن إلياس الامام ... رتبة قسعاء جلت في الأنام
هو مفتي المذهبين المرتضى ... هو قطب القوم غوث وهمام
ياإماماً في المعالي قد عمل ... وبه شوشاوة جلّت مقام
يامغيث المعتفي ان لجأ ... قد قصدنا لحماكم في احترام
فاجبر الكسر وكن غوثا لنا ... عطفة منكم بها القصد يرام
قد دهانا زمن حل به ... من نكال نفحة شبت ضرام
وبكم أسأل ربي مقصدي ... وبأشياخك أقطاب كرام

وذكر في (لقط الفرائد) لدى وفيات سنة 718 ما نصه : وعبد الرحمان الرجراجي .

ثم وقفت على رسالة المترجم في التصوف المنقسمة الى رسالتين : الأولى في المعرفة ، والثانية في ذكر المقامات وكيفية السلوك بها ، وهي في نحو سبع كراريس ، من القالب الرباعي ، قال في الاولى بعد الخطبة : سألني بعض اخواني في الله جمع هذه الرسالة في معرفة بعض نعم الله تعالى على ابن ءادم في بدنه ودينه وأرض الله وسمائه ، وبره وبحره ، اذ كان الشكر واجبا على العباد في كتاب الله تعالى وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وسلم في ءايات

شتى وأحاديث كثيرة ، فأجبته الى ذلك بعد ما استخرت الله تعالى والتجأت اليه أن يلهمني الى الصواب في رد الجواب ، ويصفح عن الزلل فـي الخطاب الخ . ثم قال في الثانية واعلم ياأخي أن هذا الطريق قد اندرس وأنقرض أهله، ولم يبق منهم الا قليل ممن يتكلم في حواشيه وأطرافه على نصفين ، منهم من يتكلم فيه محبة له ورغبة الى الله تعالى أن يجعله من المحبين له ولأهلـه ، فهؤلاء قليل في زماننا ، وصنف ءاخر يتكلمون في حواشيه تفاخرا وتطاولا وادعوا أن يظن الناس أنه من أهله فيتسم بسيماهم ويتحلى بحليتهم ، وليس عنده من طريقهم غير هذا ، فالله تعالى لا ينظر الصور .

1092) **عبد الرحمان بن يوسف الحسني** ، رأى النبي (ص) في المنام وسأله عن أبي العباس السبتي رضي الله عنه فقال (صلعم) هو من السباق ، وحدث عنه صاحب (التشوف) .

1093) **عبد الرحمان بن علي ابن ماساي الفودودي** المدعو برحو من بني فودود ، الوزير الفاضل ، كان وزيرا لوالدهم ثم قدمه أبو الحسن المريني وزيراً فلم تطل حياته ، وكان رجلا خيراً حيياً فاضلا سهلا سمحاً جوادا ، حسن الخَلْقِ و الخُلُق شديد الخجل محتشماً ، وكان أبو الحسن مولاه يؤثره ويوقره ، رحمة الله عليه .

ذكره في (المسند الصحيح الحسن) (1) .

1094) **عبد الرحمان بن سليمان ابن أبي الربيع اللجائي** أحد تلاميذ ابن البناء وأصحابه ، حقق عنه علومه ، وعنه أخذ ابن الخطيب القسنطينـي حدث عنه في (أنس الفقير) أنه رأى في النوم أنه صعد الى السماء وهو يقلب النجوم واحدا بعد واحد ، فانتبه وأعلم والده ساعته فسكت ، فلما أصبـح ناوله نفقة وقال له أخرج إلى مراكش واقصد ابن البناء واطلبه في علومه ففعل .

1) **المسند الصحيح الحسن** نسخة خاصة مرقونة ص 219

قال وكان اللجائي آية في فنونه، ومن بعض أعماله أنه اخترع اسطرلاباً ملصوقاً في جدار والماء يدير شبكته على الصفيحة فيأتي الناظر فينظر ارتفاع الشمس كم هو وكم مضى من النهار ، وكذلك ينظر ارتفاع الكوكب بالليل ، وهو من الأعمال الغريبة ، وقد وقفت عليه زمن قراءتي بين يديه ، وقال لي ما وجدت الا بركة ابن البناء ، وما وجد ابن البناء الا بركة الهزميري (1) .

ووالده أبو الربيع من فقهاء فاس ، من تلامذة القرافي ، وهو أول من أدخل مختصر ابن الحاجب في الاصول الى المغرب ، وعنه أخذ ، وكان فقيهاً متفننا له تواليف .

توفي المترجم سنة ثلاث وسبعين وسبعمئة 773 بمدينة فاس ، ونقله في (النيل) عن (وفيات ابن قنفذ) (2) .

تنبيه : يشترك مع المترجم في الاسم والكنية والنسبة الى لجاية مع الاختلاف في الزمن والنسب والمدفن سيدي عبد الرحمان الشريف العمراني دفين لجاية ، شيخ سيدي عبد القادر الفاسي المذكور في (المقصد الاحمد) وفي (خلاصة الأثر) في ترجمة تلميذه المذكور ، وفي (ابتهاج البصائر) وفي (نشر المثاني) وفي منظومة مؤلفه المسماة (درة المفاخر) وفي غيرها .

تنبيه اخر : الذي رأيته في وفيات ابن قنفذ بخط اليد وفي النيل بالمطبعة في موضعين في نسبة المترجم هو اللجائي باللام ، ورأيته في (جذوة الاقتباس) بالمطبعة في ترجمة ابن البناء البجائي بالباء الموحدة في ترجمة المترجم أبي زيد من الجذوة اللجائي باللام ، وكذلك ترجمة ابن قنفذ تلميذه منها وكذلك عند ذكر والده أبي الربيع في ترجمة تلميذه عبد الله الوانغيلي منها ، فظهر أن ما بترجمة ابن البناء من الباء تصحيف من المطبعة .

---

1) **انس الفقير** ص 68

2) **شرف الطالب** (فى مجموع ألف سنة من الوفيات ص 85) طبع الرباط

فائـدة : قال في (نشر المثاني) في ترجمة سيدي عبد الرحمان الشريف دفين لجاية ما نصه : وليس هو سيدي عبد الرحمان اللجائي الذي ألف كتاب (قطب العارفين) وكتاب شمائل الخصوص) كلاهما في التصوف بل هو غيره .

1095) **عبد الرحمان بن أبي يفلوسن المريني** كان معتقلا عند ابن الاحمر، ثم أركبه الأسطول وقذف به الى ساحل بطوية ومعه الوزير مسعود بن ماساي ، ونهض ابن الأحمر الى جبل الفتح لما لم يجبه السلطان عبد العزيز المريني الى مراده في لسان الدين ابن الخطيب ، ثم ان أبا بكر بن غازي الذي كان تحيز اليه ابن الخطيب ولى ابن عمه محمد بن عثمان مدينة سبتة خوفا عليها من ابن الاحمر ، ونهض هو أعني الوزير الى منازلة عبد الرحمان ابن أبـي يفلوسن ببطوية اذ كانوا قد بايعوه ، فامتنع عليه وقاتله أياما ، ثم رجع الى تازة ثم الى فاس ، واستولى عبد الرحمان على تازة ، ثم نهض عبد الرحمان الأمير من تازة بمن كان معه من العرب الاحلاف وشردهم الى الصحراء ، ونزل الأمير عبد الرحمان بازاء معسكر السلطان أحمد المريني ، وضربوا على البلد الجديد فاس سياجاً بالبناء للحصار ، وأنزلوا به أنواع القتال الى أن كـان فاتح سنة 776 فأجاب ابن غازي إلى التنازل عن البلد الجديد ومبايعة السلطان أحمد ، واشترط عليهم الامير عبد الرحمان التجافي له عن أعمال مراكش بدل سجلماسة ، فعقدوا له على كره ، وارتحل الامير عبد الرحمان يومئذ الـى مراكش واستولى عليها .

ذكره في العبر ونفح الطيب (1) .

1096) **عبد الرحمان بن محمد ابن الاشقر الفاسي** من أهلها ، كاتـب بارع ، أديب شاعر ، من كتاب أبي الحسن المريني ، مشارك في علوم ، صدر من الصدور ، قرأ على الاستاذ ابن اجروم وعلى جماعة ، كان ينشيء ويجيد ،

1) تنظر أخبار المترجم منقولة عن تاريخ ابن خلدون وأزهار الرياض في **نـفـح الطيب** 5 : 102 — 109

ويشارك الفقيه الصدر أبا علي بن تدرارت في كتابة الكتب الملوكية وأشباهها، وقور منقبض الا فيما لا بد له منه ، ديِّن سليم الصدر ، ذاكر بالتاريخ وأيام الناس ، كتب هو وولده عبد العزيز ، ولم يزل معدودا في جملة الكتاب الى أن توفي بفاس المحروسة .

ذكره ابن مرزوق في المسند الصحيح الحسن (1) .

1097) **عبد الرحمان بن علي طالب عافية القيسي** ، قاضي الجماعة بمراكش ، لقيه ابن قنفذ بها ، وحلاه في (أنس الفقير) بالشيخ الفاضل المتخلق ، الحافظ لسيرة رسول الله (ص)، وحدث عنه أنه أراد قراءة العروض على أحمد ابن البناء وشك في معرفته اياه ، قال فدخلت عليه وهو في الحلقة وأنا قلق من ذلك ، فسمعته رافعا صوته وهو يقول : مثل قول العروضين كذا ، وتكلم في العَروض ، فعلمت أنه معي ، وما زال رحمه الله يحدثني بهذه الحكاية وتدمع عيناه في أثنائها .

وهذا الشيخ هو أول مَن قرأت (2) عليه فن المنطق بمراكش ، وكان من الفضلاء ، حضر بمجلسه طالب أعرفه ، فصار يعترضه ويقول كفر هذا الشيخ في كذا ، فخرج في عمالة سلطانية وخرج معه عدويٌ يبلغه الى المكان الذي خرج اليه ويعلمهم به على عادتهم في تنفيذ أوامرهم ، فلما كان في مفازة من الارض المراكشية أصابه منه شيء مات منه ، فنظر المراكشي العدوي في أمره وبعد العمارة منه فأتى به الى مزبلة دار خربة ، وحفر حفرة ودفنه هناك من غير غسل ولا صلاة ، فلما بلغ خبره لهذا الشيخ قال لا إلاه إلا الله ، رجل استهزأ بالناس فاستهزأ الموت به (3) .

---

1) **المسند الصحيح الحسن** ص 226 نسخة خاصة مرقونة ، وهو من أهل تازة ، له ترجمة في نثير **فرائد الجمان** ص 345 ع 24 وسماه فيه بعبد الرحمان بن ابراهيم لا عبد الرحمان بن محمد كما عند ابن مرزوق

2) الضمير يعود على ابن قنفذ

3) **انس الفقير** ص 67

وجرى ذكره في (النيل) في ترجمة ابن البناء .

وقال ابن الخطيب في (نفاضة الجراب) في تعدد من لقي بمراكش : ومنهم الشيخ العدل القاضي برباط ءاسفي عبد الرحمان بن علي بن أبي العيش القيسي المعروف ببلده بطالب عافية من الصدور الجلة ، وأعلام الطلبة بتلك البلدة ، فضلا وعدالة ، وتفننا ومشاركة ، يخوض في كل فن ، ويلقي دلوه الى كل حوض ، أصيل الحفظ ، جيد البحث ، بعيد عن السآمة ، لا يمر له وقت ضياعا الا عن مذاكرة في فن أو اجراء طرفة ، غير مبال بتهويم نوم ، وهجوم هاجرة ، أو مخالطة كد ، الى حسن العشرة ودماثة الخلق ، وايثار التخلي والعزلة والحوم على السلوك والتجريد ، شارك القاضي عبد الله الزكندري في كثير ممّن ذكر أخذه عنه من أعلام بلده (1) .

1098) عبد الرحمان بن محمد ابن خلدون الحضرمي

عبد الرحمان بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن ابراهيم بن عبد الرحمان ابن خلدون الحضرمي الاشبيلي الأصل ، التونسي المولد ، الامام ، ولي الدين ، قاضي القضاة ، العلامة الحافظ المؤرخ، يتصل نسبه بوائل بن حجر من عرب اليمن ، وينتهي نسبه الى قحطان ، وكان مقامهم في حضرموت في شبه جزيرة العرب ، وانتقل خلدون وهو الجد العاشر من المشرق الى المغرب ، وأقام في قرمونة بالاندلس ، ثم انتقل الى اشبيلية، ثم ما زالت هذه العائلة تنتقل في المغرب من مدينة الى أخرى حتى كانت ولادة المترجمَ في تونس .

قال ابن الخطيب في تاريخ غرناطة (2) : هذا الرجل فاضل حسن الخلق ، جم الفضل ، باهر الخصل ، رفيع القدر ، ظاهر الحياء ، أصيل المجد، وقور المجلس ، خاصي الزي ، عالي الهمة ، عزوف عن الضيم ، صعب المقادة ، قوي الجأش، طامح لقنن الرياسة، خاطب للحظ، متقدم في فنون عقلية ونقلية،

---

1) **نفاضة الجراب** ص 66 طبع القاهرة

2) **الاحاطة**

متعدد المزايا ، شديد البحث ، كثير الحفظ ، صحيح التصور ، بارع الخط ، مغرى بالتجلة ، جواد الكف ، حسن العشرة ، مبذول المشاركة ، مقيم لرسوم التعين ، عاكف على رعي خلال الأصالة ، مفخرة من مفاخر التخوم المغربية .

أخذ القرءان ببلده عن ابن برال ، والعربية عن المقرىء الزواوي وابن العربي ، وتأدب بأبيه ، وأخذ عن المحدث ابن جابر الوادي ءاشي ، وحضر مجالس القاضي محمد بن عبد السلام ، وروى عن الحافظ عبد الله السطي ، والرئيس عبد المهيمن الحضرمي ، ولازم العالم الشهير محمد الآبلي وانتفع به.

ورد على الاندلس في ربيع الاول من عام أربعة وستين ، وأكرمه سلطانها وأركب لتلقيه خاصته ، وخلع عليه .

شرح البردة شرحاً بديعا دل على تفننه وادراكه وغزارة حفظه ، ولخص كثيراً من كتب ابن رشد ، وعلق تقييدا مفيداً في المنطق للسلطان ، ولخص محصول الفخر ، وألف في الحساب وفي أصول الفقه .

مولده بتونس في رمضان عام اثنين وثلاثين وسبعمئة (1) .

قال أبو جعفر البقوي في مختصر الاحاطة : وألف تاريخه المشهور ، الذي سحر به الخاص والجمهور ، وسماه بكتاب العبر ، وديوان المبتدأ والخبر ، في ايام العرب والعجم والبربر ، اخترع فيه مذهبا عجيبا وطريقا مبتدعا وأسلوبا ، وسلك فيه من الحديث على العلوم ، وتنقيح الفهوم ، وما يعرض في الاجتماع الانساني من الاعراض الذاتية والخيالات والحلوم مسلكاً غريباً .

وقال بعضهم وخَلدون بفتح الخاء المعجمة وءاخره نون ، حفظ القرءان والشاطبي ومختصر ابن الحاجب الفرعي ، وتفقه بمحمد بن عبد الله الجياني ، وأبي القاسم ابن القصير قرأ عليه التهذيب وعليه تفقه ، وحفظ المعلقات والحماسة وشعر حبيب وقطعة من شعر المتنبي وسقط الزند ، وأخذ العربية

---

1) **الاحاطة** 3 : 497

عن والده وغيره ، وعبد المهيمن الحضرمي ، وتولى كتابة العلامة عن صاحب تونس ، ثم توجه لفاس واعتقل عند سلطانها ، ثم قدم غرناطة وعظمه سلطانها ، ثم توجه لبجاية ثم لتونس ، ثم رحل لمصر فولاه سلطانها الظاهر برقوق قضاء المالكية ، وتصدر للاقراء ، بالجامع الازهر ، وصنف تاريخه الكبير في سبع مجلدات سماه العبر في تاريخ الملوك والامم والبربر ، وكان يسلك في اقرائه مسلك الأقدمين كالغزالي والفخر مع انكار طريقة العجم ، ويقول ان اختصار الكتب في كل فن والتعبد بالالفاظ على طريقة العضد وغيره من محدثات المتأخرين ، والعلم وراء ذلك كله ، وكان يقدم بديع ابن الساعاتي على مختصر ابن الحاجب ، ويقول أنه أقصد بالفن ، زاعما ان ابن الحاجب لم يأخذه عن الشيخ وفيه نظر ، وتكرر عزله مرارا من القضاء وولايته ، نسب في تاريخه الى عظيمة نقلها عنه أبا الحسن بن أبي بكر ، قال ابن حجر ولم يوجد في تاريخه ، مات قاضيا فجأة يوم الاربعاء لأربع بقين من رمضان سنة ثمان وثمانمئة عن ست وسبعين دون أشهر ، ودفن بمقابر الصوفية خارج باب النصر .

قال في (النيل) : قلت وعرف هو بنفسه في تاريخه فأطال فيه نحو أربع وأربعين ورقة من كامل الشام ، وذكر فيه أنه حين رجع لتونس ازدحم عليه طلبة ابن عرفة وغيره ، وأنه وقع بينه وبين ابن عرفة شيء ، وممن أخذ عنه الامام ابن مرزوق الحفيد ، والشيخ البسيلي ، والبدر الدماميني ، والعلامة البساطي وغيرهم .

وذكر له في (الجذوة) مولدية نونية من البسيط (1) .

قال في (ابتهاج القلوب) قال ابن حجر في فهرسته لما عرف بابن خلدون حسبما وجدته بخط الشيخ القصار ما نصه : عبد الرحمان ابن خلدون، أما الفقه فلم يكن يستحضر شيئاً ، وانما يأخذ الامور بقوة ذهنه ، وأما ترسيله فلا نظير له في عصره في طريقة الجاحظ ومَن دونه ، وأما نظمه فليس بذاك .

---

1) **جذوة الاقتباس** ص 412 طبع الرباط

وأما معرفته بالامور والتجارب فاليه المنتهى ، وسمعت من لفظه من تاريخه ، ولا نظير لمقدمته ، فانه يوقف على كنه الاشياء ، ويعرف بحقائق الامور على وجهها ، الا أن دعواه فيها عريضة ، والامور التي يبني عليها غالب قواعدها منقوضة ، مثل قوله أن الملك لا يتم الا بالعصبية ، ومثل قوله انه ما كان يمكن علياً أن يستمر في الخلافة لتعصب قبائل العرب ببني أمية الى غير ذلك .

انتهى نقل الابتهاج .

وقال الحافظ ابن حجر في (أنباء الغمر) لدى سنة 786 بعد أن ذكر ولاية المترجم للقضاء بمصر ما نصه : فقرأت بخط القاضي تقي الدين المقريزي أنه باشر بقوة وشدة وخروج عن العادة وعاند الخليلي وغيره من الاكابر ، فلم تطل مدته ، ثم ذكر في سنة 804 أربع وثمانين وثمانمئة في شعبان عزل ابن خلدون من قضاء المالكية ، ثم ذكر في سنة 808 ترجمته ، وذكر أنه سار الى مراكش ، ونقل عن العيني أنه كان يتهم بأمور قبيحة ، قال ابن حجر كذا قال : كما نقل عن الاحاطة في ترجمته ، وفي أزهار الرياض ناقلا عن انباء الغمر لدى ترجمة روضة الورد ما نصه : تاريخ كبير في سبع مجلدات ضخمة ، ظهرت فيه فضائله ، وأبان فيه عن براعته ، ولم يكن مطلعا على الاخبار على جليتها ولا سيما أخبار المشرق ، وهذا بين لمن نظر في كلامه ، قائلا بعده وأين هذا الكلام من قول شمس الدين البغدادي في الشيخ ولي الدين عبد الرحمان ابن خلدون المذكور رحم الله الجميع :

قاضي القضاة ابن خلدون أتى عجبا	تاريخُه مخبر عن سائر الـدول
قالوا ولي فقلت من كرامتـه	وكشفه جاء ينبينا عـن الأول
وليس بدعاً ولا في الله ممتنعـا	أن يجمعَ العالم الكلي في رجـل

وترجم في (حسن المحاضرة) للمترجم في الفقهاء الذين كانوا بمصر.

وقال بعضهم ابن خلدون فيلسوف المؤرخين الذين ضموا في اللغة العربية أسهب في تاريخه المشهور الكلام عن تاريخ العرب وأوجز في تاريخ الاشوريين والاقباط والعبرانيين أي اليهود والفرس واليونان والرومان ،

وختمه بتاريخ قبائل البربر ودولهم ، وذكر في الخاتمة ترجمة نفسه بالاستيفاء، أما المقدمة لهذا التاريخ فهي أجل ما كتبه المصنفون في اللغة العربية في فلسفة التاريخ ، انتهى .

وفي كتاب (ما علق بالبال ، أيام الاعتقال) المسمى أيضا (اتحاف المهتدين ، ببعض أسانيد كتب الدين) ما نصه عند ذكر اسناد مؤلفات ابن خلدون : ومن أحسن ما نسلّي به انفسنا الآن ما ذكره بعض المصريين ولم أره لغيره ان الامام ابن خلدون ألف مقدمة تاريخه العبر في سجن فاس ، تلك المقدمة التي بهرت فصاحتها الامم ، وأخرس جمعيتها لما يحتاج اليه الانسان في هذا العمران ابناء العرب والعجم ، وقد تناقلها الافرنج الى لغاتهم المتعددة، والتزموا قراءتها في المدارس الى الآن أكثر من عشر مرات ، ولا عجب فالزمان أبى أن ينغص الا قلوب فطاحلة العلماء وكبار العظماء ، فان الهموم بقدر الهمم ، انتهى .

قلت وقد ذكر المترجم نفسه ما يخالف ما زعمه هذا المصري ، وهو أنه لحق بأولاد عريف وأكرموه وأنزلوه بقلعة أولاد سلامة من بلاد بني توجين ، فأقام بها أربعة أعوام متخليا ، فشرع في تأليف تاريخه المشهور وهو مقيم بها ، وأعمل المقدمة على ذلك النحو الغريب ، وطال مقامه هناك ، وتشوق الى مطالعة الكتب والدواوين مما لم يكن لديه ، فمال الى مراجعة السلطان أحمد والرحلة الى تونس ، راجعه ءاخر تاريخه .

فــائــدة نسب للمترجم في كشف الظنون في حرف الراء رحلة (1) . كما زعم فيه أن مقدمته شرحها أحمد المَقّرْي صاحب نفح الطيب .

وقال مؤسس الهلال بعد ذكر تاريخه الكبير ما نصه : وهو من أشهر الكتب ، الا أن الشهرة في الحقيقة للجزء الأول ، وهو المعروف بمقدمة ابن خلدون ، فانها جديرة بأن تكتب بماء الذهب ، لما حوتْه من فلسفة التاريخ والعمران ما لم يسبِقْ له مثيل ولا كتب العرب على مثاله قبل ولا بعد ، أما

---

1) هي في الحقيقة جزء من تاريخه عرف فيه بنفسه ، وقد طبعه الاستاذ المرحوم محمد ابن تاويت الطنجي بالقاهرة سنة 1951 بعنوان **التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا**

التاريخ وهو الاجزاء الستة الباقية فبينها وبين المقدمة فرق شاسع ، حتى ظن بعضهم أن مؤلف التاريخ هو غير مؤلف المقدمة ، ولابن خلدون رحلة غير مطبوعة وغير ذلك .

وقال في محل اخر ما نصه : ولابن خلدون مؤلفات ، منها رحلة لم تطبع ، لكن منها نسخة خطية بالمكتبة الخديوية ، ثم قال قد استوفى في هذا التاريخ تاريخ البربر وضمنه من أنسابهم وأخبار دولهم وعاداتهم ما لم يُسْبَق اليه ، وبسط فيه تاريخ ملوك اسپانيا النصارى مما فاق فيه مؤرخي الافرنج في القرون المتوسطة ، ولا يخلو مع هذا من خلل في أنسابهم وتواريخهم ، فيحسن حمله على ما كان يحول وقتئذ دون تناقل الاخبار على وجوه صحتها من المصاعب ، وما كان في تواريخ الافرنج وأخبارهم من المغالط والاوهام والاكاذيب ، ولتاريخ ابن خلدون أهمية في تاريخ القرن العاشر للميلاد ، لان تواريخ النصارى في عهده ولا سيما أهل لاون لا تتضمن من أخبار ذلك القرن الا القليل الذي لا يغني .

1099) عبد الرحمان (رحّو) بن يعقوب الوطاسي

عبد الرحمان المدعو رحو بن يعقوب الوطاسي ، لما انعقد الصلح بين السلطان سليمان ابن عبد الله المريني وابن الاحمر وحصلت المصاهرة بينهما(1) والمودة كانت رسل ابن الاحمر لا تزال تردد الى حضرة السلطان بفاس ، فقام منهم ذات يوم بعض المنهمكين في اللهو المدمنين للشرب والقصف ، فكشف صفحة وجهه في معاقرة الخمر وتجاهز بذلك بين الناس ، وكان السلطان سليمان قد عزل قاضي فاس أبا غالب المغيلي (2) وولى القضاء مكانه الشيخ الفقيه علي الزرويلي المعروف بالصغير صاحب التقييد على (المدونة) ، وكان رحمه الله قد شدد على أهل الفسوق والمناكر (3) ، فسيق اليه ذات يوم هذا

---

1) انظر عن هذه المصاهرة **الانيس المطرب بروض القرطاس** ص 394 طبع الرباط

2) كان عزله فى أول يوم من جمادى الاولى عام 709

3) قال ابن خلدون عن شدة هذا القاضى وهوسه : كان على ثبج من تغيير المنكرات والتعسف فيها حتى لقد كان مطاوعا فى ذلك وسواس النسك الاعجمى ، متجاوزا بها الحدود المتعارفة عند أهل الشريعة فى سائر الامصار

الأندلسي وهو سكران ، فأمر العدول فاستروحوه واشتموا منه رائحة الخمر وأدوا شهادتهم بذلك ، فأقام القاضي حكم الله فيه وجلده الحد ، فاضطرم الأندلسي غيظا وتعرض للوزير عبد الرحمان بن يعقوب الوطاسي ويقال لـه رحو باللسان الزناتي ، فكشف له عن ظهره يريه أثر السياط ، وينعي عليهم سوء هذا الفعل مع رسل الدول ، فضجر الوزير من ذلك وأخذته العزة بالاثم ، ولعله كان في قلبه شيء على القاضي ، فأمر وزعته باحضاره على أسوإ الحالات، وعزم على البطش به ، فتبادروا إليه ، واعتصم القاضي بالمسجد الجامع ، ونادى في المسلمين ، فثارت العامة بهم ، ومرج أمر الناس ، وقامت الفتنة على ساق ، واتصل الخبر بالسلطان فتلافى الامر وأحضر أصحاب الوزير فضرب اعناقهم وشرد بهم مَن خلفهم جزاه الله خيراً (I) فأسرها الوزير في نفسه وداخل الحسن بن علي بن أبي الطلاق من بني عسكر بن محمد ، وكان من شيوخ بني مرين وأهل الشورى فيهم ، وداخل قائد الفرنج غنصالو المنفرد برياسة العسكر وشوكة الجند ، وكان لهؤلاء الفرنج بالوزير اختصاص بحيث ءاثروه على السلطان ، فدعاهم لخلع طاعة السلطان سليمان وبيعة عبد الحق بن عثمان بن محمد بن عبد الحق كبير القرابة وأسد الاعياص ، فأجابوه وبايعوه ، وتم أمرهم ، ولما كان يوم السبت الثالث والعشرين من ربيع الآخر من سنة عشر وسبعمئة 710 فر الوزير المذكور وقائده الفرنجي ومَن شايعهم على رأيهم ، فخرجوا الى ظاهر البلد الجديد وجاهروا بالخلعان ، وأقاموا الآلة والرسم وبايعوا سلطانهم عبد الحق على عيون الملأ وعسكروا بالعدوة من سبو، ثم ساروا الى ناحية تازة ، ولما استقروا برباطها أخذوا في جمع الجيوش ومكاتبة الخاصة من بنى مرين والعرب يدعونهم الى بيعة سلطانهم والمشايعة لهم على رأيهم ، وأوفدوا على أبي حمو موسى بن يغمراسن صاحب تلمسان يدعونه الى المظاهرة على أمرهم واتصال اليد والمدد بالعسكر والمال ، فتوقف أبو حمو ولم يقدم ولم يحجم ، وبقي ينتظر عماذا ينجلي امرهم ، واتصل خبر

I) بل جزاه بما يستحق ، فان ضرب أعناق أعوان برآء لم يعملوا أكثر من تنفيذ أمر رئيسهم أقبح عند الله من سكر سفير

ينظر عن هذه الحادثة **تاريخ ابن خلدون** 7 : 500 طبع بيروت

ذلك كله بالسلطان سليمان فنهض اليهم ، وقدم بين يديه يوسف بن عيسى الحشمي ، وعمر بن موسى الفودودي في جيش كثيف من بني مرين ، وسار هو في ساقتهم ، واتصل خبر خروجه بعبد الحق بن عثمان ووزيره فانكشفوا عن تازة ولحقوا بتلمسان ، وكانوا يظنون أن السلطان لا يخرج اليهم ، وحمد أبو حمو عاقبة توقفه عن نصرهم ويئسوا هم من صريخه اياهم ، ولما ضاقت عليهم الارض بما رحبت أجاز عبد الحق بن عثمان ووزيره الى الاندلس ، ورجع الحسن بن علي ومَن معه الى السلطان سليمان بعد أن أخذ منه الأمان ، وهلك رحو بن يعقوب بالاندلس لمدة قريبة .

1100) **عبد الرحمان** خليفة أبي الحسن المريني على مراكش .

ذكره في أنباء الغمر .

1101) عبد الرحمان بن أبي القاسم ابن الخطيب الشفشاوني

عبد الرحمان بن أبي القاسم بن علي الشفشاوني الزرويلي المعروف بابن الخطيب ، كان شاعراً هجاء ، من نظمه يهجو مراكش كما في (الجذوة) عن أبي القاسم الوزير عنه (1) ولد قرب الستين وتسعمئة كما في (درة الحجال) (2) وهو مؤلف (حديقة الأزهار) ، وقد ترجم له في (النشر) فيمَن لم يقف على وفياتهم .

ما كان ظني وحقِّ الله فرقتكم … لو أن مراكشاً كانت تواتيني
أظل في نصب مما أكابده … نفض الغبار ومن طرد الذبابين
وطول ليليَّ في كرٍّ وفي تعب … ما بين بقٍّ وناموس يناغيني
أبيت أحرس فرشي من عقاربها … والقلب في فكر منها وتخمين
اذا رأيت سواداً مرَّ بي وأتى … ظننته عقرباً دبَّت لتؤذيني
لم يبق في الفم ضرسٌ استعدُّ به … أفناه مضغُ الحصا من ذى الطواحين

---

1) **جذوة الاقتباس** ص 413 ع 428 طبع الرباط

2) **درة الحجال** 3 : 98 ع 1027 طبع تونس ، وليس فيها ذكر لولادته

منوا عليَّ باطلاقي بفضلكم ... هذا العجاج بها قد كاد يعميني
لم يبق في الكيس فلس" أستعين به ... أفنيت مالي" في غسل وتصبين

توفي سنة ثلاث وتسعين وتسعمئة .

قلت لما قرأت هذه الابيات أجبته عنها بمدح مراكش في قصيدة على وزن قصيدته ورويها مع التشجير بلفظتي مراكش المحفوظة بتاريخ 22 صفر الخير عام 1330 ، وهي هذه :

مراكش البهجة الحمراء تسقيني ... بمائها السلسبيل العذب تشفيني
راقت لناظرها جناتُها وحوت ... كلَّ الأزاهر من نوع الرياحين
رام الحسود لها عيباً فما نفثا ... الا بما كان من وحْي الشياطين
أهل المجادة والتقوى بها سكنوا ... وأحمدوها لدى كل الأحايين
كل الفضائل في بطحائها اجتمعت ... مما يعين على الخيرات والدين
شاقتني الغادة الغراء اذ سكني ... فيها واذ جلت في تلك البساتين
أسوارها كالحديد في حصانتها ... أبراجها قد غدت مثل الأواوين
لها مساجد لا تنفكُّ عامرة ... بالذكر والعلم في نشر وتلقين
ما أمَّها نازح الأوطان مغترب ... الا وفاز بما يبغيه في الحين
حوت قديماً كراسي الملك وابتهجت ... بالواردين من اقصا الغرب للصين
وأهلها ملئوا علماً ومعرفة ... بثوا الصلاح بتذكير وتبيين
طارت مناقبهم في كل ناحية ... حازوا المعارف في عز وتمكين
تمت معارفهم عمت عوارفهم ... بهم أرجِّي المنى مع نيل تأمين

وأحمدوها بالألف أي رضوا سكناها كما في الأساس ، والشفشاوني نسبة الى شفشاون ، مدينة أسسها علي بن راشد العلمي عام عشرين وتسعمئة كما في الرحلة الزيانية ، وقال في نشر المثاني اختطَّها بعض الشرفاء بقصد تحصين المسلمين من الكفرة اذ كانوا لما أخذوا سبتة دمرهم الله يتطاولون على أهل تلك المداشر اذ كان حينئذ ملك بني وطاس ، قال في (المرءاة) : وكان ابتداء اختطاطها في الجهة المعروفة عندهم بالعدوة ، وهي عدوة وادي شفشاون في حدود سنة ست وسبعين وثمانمئة ، انتهى ، وبه يرد قول الزياني سنة 920.

وكثيراً ما هجيت المدن مع عظمتها ، فمن ذلك قول الحصري فيما نسبه اليه ابن دحية :

ضاقت بلنسية بـــــي وذاد عني غموضـــــي
رقص البراغيث فيهـــا على غناء البعـــوض

وفي المرية يقول السميسر خلف ابن شاعرها ابن فرح :

بئس دار المرية اليـــوم دارا ليس فيها لساكن ما يحـــب
بلدة لا تمار إلا بريـــح ربما قد تهبُّ أو لا تهـــب

يشير الى أن جل مرافقها مجلوبة ، وأن الميرة تأتيها في البحر من بر العدوة ، وفيها يقول أيضا :

قالوا المرية فيهـــا نظافة قلت ايـــه
كأنها طست تبـــر ويبصق الدم فيـــه

وقال بعض الهجائين في رندة :

قبحاً لرندة مثل مـــا قبحت مطالعة الذنـــوب
بلد عليه وحشـــة ما إن يفارقه القطـــوب
ما حلها أحد فينـــ ـــوي بعد بيْن أن يـــؤوب
لم ءاتها عند الضحـــى إلا وقيل لي الغـــروب
أفق أغم وساحـــة تملأ القطوب من الكـــروب

وسيأتي ذكر ما هجا به القاهرة علي ابن سعيد في ترجمته .

وقال زياد ابن قنفذ العدوي لما نزل صنعاء فاستوبأها وكان منزله بنجد في وادي ءاش :

لا حبذا أنت ياصنعاء من بلـــد ولا شعوب هوى عني ولا نقـــم

راجع 389 من ج 5 من معجم البلدان .

وقال عبد الله بن المعتز يذم بغداد وأهلها : لا كبغداد الوسخة السماء، الومدة الماء والهواء ، جوها غبار ، وأرضها خبّار ، وماؤها طين ، وترابُها سرجين ، وحيطانها نزوز ، وتشرينها تموز ، فكم من شمسها من محترق ، وفي ظلها من غرق ، ضيقة الدار ، وسيئة الجوار ، أهلها ذئاب ، وكلامهم سباب ، وسائلهم محروم ، ومالهم مكتوم ، ولا يجوز انفاقه ، ولا يحل خناقه ، حشوشهم مسايل ، وطرقهم مزابل ، وحيطانهم أخصاص ، وبيوتهم أقفاص ، ولكل مكروه أجل ، وللبقاع دول ، والدهر يسير بالمقيم ، ويمزج البؤس بالنعيم (1) .

1102) عبد الرحمان بن علي الوقاد المعافري

عبد الرحمان بن الفقيه علي ، بن الفقيه عمر ، بن الفقيه عبد السلام ، بن الفقيه أحمد ، بن الفقيه محمد ، بن الفقيه محمد ، بن الفقيه أحمد ، بن الفقيه محمد بن الامام أبي بكر بن عبد الله بن العربي المعافري ، المعروف بالوقاد ، قال ابن غازي فيه : فقيه حافظ محدث ، قيل انه بلغ رتبة الاجتهاد ، وأخذ عن الامام الحافظ العلامة محمد ابن جابر الغساني فقيه بلدنا أجازه بخط يده ، قال وكان بفاس ، وانتقل الى مراكش وتوفي بها ، انتهى .

وذكر المنجور أنه خلف بمراكش ولدين منهما الفاضل الاجل الاستاذ محمد الوقاد توفي سنة ست وثلاثين وتسعمئة ، وخلف ولده أحمد ، ومن جملة أولاده علي ، والله أعلم .

ذكره في (السلوة) في ترجمة سيدي عمر الوقاد وولده عبد السلام (2) .

1103) عبد الرحمان بن عبد الهادي السجلماسي ، الفقيه ، قال الزروالي في تاليف مناقب سيدي أبي عمرو المراكشي عن المترجم : حدثني من فمه سنة عشر مئة بطريق غريس بينها وبين سجلماسة ، ونحن متوجهون

1) معجم البلدان 1 : 464 طبع بيروت

2) سلوة الانفاس 3 : 159

نحو أدخسان عمره الله ، أنه كان بمدينة مراكش المحروسة ان شاء الله ، ثم قضى الله أن خرج منها متوجها لبلاد زعير مع جماعة من فقراء الشيخ سيدي أبي عمـرو رضي الله عنه ، قال : فلما وصلنا لـوادي أم الربيع صادفنـاه لا يقدر أحد على قطعه من كثرة حمله وعظمته ، واذا بسيدي ابي عمرو رضي الله عنه قبض قبضة من رجل اسمه سيدي علي الشربة من أصحابه الفاسيين ، ووقف وقال : ياأيها الوادي ارجع يميناً وشمالا بقدرة الواحد الاحد ، فما استتم كلامه رضي الله عنه حتى مشى الماء لناحية اليمين وكذلك لناحية الشمال ، وصارت الناس تقطع حتى كانوا يقطعون بسباطتهم (1)، على الرمل ،فلما تعجب الناس وارتعبوا وقصدوا الشيخ يتبركون منه ويزدحمون عليه جعل القصبة المذكورة في حمل بهيمة ثم صار ينعت لهـم ويومى بسبابته اليها ويقـول : زوروا هذه القصبة،وأما أبو عمرو فانما هو بشر مثلكم(2)ويتلون رضي الله عنهم، فانظر ياأخي هذه الاحوال التي أمد الله بها هذا الولي ، أنه قريب سميع مجيب، حتى اذا كانوا ببعض الطريق وباتوا والخوف يومئذ محيط بهم لخلاء الارض من عمارها ، ولعلهم بناحية تادلة ، والله أعلم . فلما قاموا خائفين والفقيه المذكور فيهم ، اذ المجذوب منهم في اثناء الليل يصيح ويقول ما معناه : هل رأيتم هذا السور المحيط بنا ؟ قال لي الفقيه المذكور وأنا اسمعه ولا أعبأ بشيء من قوله لما كان في نفسي من سوء الظن بفقراء الوقت يومئذ ، ثم لم يزل ذلك المجذوب يكرر مقالته كذلك برهة من الزمان ، قال الفقيه : ثم اني خرجت رأسي لبعض حوائجي فاذا أنا بسور من الحديد دائر بنا من السماء والله أعلم الى الارض ، فعلمت صحة ما كان يقول المجذوب أيده الله .

وأخبار هذه الطائفة ومناقب شيخنا لا أحصيها كثرة ، مع أني غير معتن بحفظ ما ينقل ، ولو أني تصديت لذلك في ابانه لذكرت ما يبهر السامع ويذهل الناظر ، رضي الله عنهما . انتهى .

---

1) **السباط** الحذاء فى العامية المغربية ، وقد يخصصونه بالحذاء الاوربى

2) فهل معنى هذا ان القصبة من الملائكة أو أفضل من البشر الذى فضله الله على كثيرا ممن خلق تفضيلا ، وهل معنى ذلك أيضا ان لهذه القصبة قوة خارقة فهو يدعوهم الى عبادتها ؟ اليس هذا دعاء الى الوثنية وتقديس ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عن نفسه شيئا ؟

1104) عبد الرحمان بن عمر الباعقيلي

عبد الرحمان بن عمر بن أحمد الباعقيلي الجزولي ، الفقيه اللغوي النحوي العروضي الحيسوبي ، الموقت المحقق ، وحيد دهره ، وفريد عصره ، توفي رحمه الله على ما أخبر به ولده سيدي عبد الكريم يوم الثلاثاء سابع رمضان سنة ثمان وألف ، وقال صاحب الفوائد : شيخنا الفقيه الاديب الفرضي اللغوي عبد الرحمان بن عمر بن أحمد الباعقيلي الجزولي، له ذكاء وفطنة نافذة، وبرع في عدة فنون من نحو ولغة وتصريف وحساب وشعر وتنجيم وفراسة في علم التنجيم ، نقله المنصور لمدينة مراكش للتوقيت بها والتعليم ، أي تعليم علمه ، وله شرح مفيد على روضة الازهار ، وءاخر على اليسارة ، وءاخر في المنطق ، وقصائد في الشعر مليحة ، وهو الذي نصب في كل من منارات مدينة رُدانة منار القصبة ومنار الجامع رخامة نقش فيها الزمانية والاصابع والمبسوطة والسموت وخط الزوال علم علم ثم كذلك ومسمار يعتبر ظله مع كل خط من تلك الخطوط ، فاذا وقف الظل على خط الزوال علم ، ثم كذلك الى ءاخرها بحيث لا يحتاج المؤذن في شيء من ذلك الى كلفة .

قال شيخنا عبد الله بن المبارك لم أتأسف على فقيه مات تأسفي عليه، ولم يخلف ببلد الغرب من يحققها مثله ، ولغلبة الانقباض عليه قل الاخذ عنه ، وكان سبب نقله لمراكش أن المنصور كانت له خبرة بعلم النجوم ، فرأى من دلائل التنجيم جيوشا فهاله ذلك وظن أنها تزحف له ، فأعلم بذلك صاحب سره علي بن سليمان بن عبد الله التاملي ، فكتب بذلك لاخيه أبي بكر بن سليمان وكان يتعلم عليه ، فسأله عن ذلك ، فقال له هي جيوش الجراد ، فكتب بذلك للمنصور ، فلم يلبث أن جاء الجراد فطبق سائر أقطار المغرب ، فسماه المنصور عبد الرحمان الجراد ، فنقله بذلك لمراكش حتى وقع الوباء فرجع لردانة ، ثم انتقل منها لبلده باعقيلة ، وبها توفي سنة ست وألف .

ومن شعره :

تسفَّه بعضُ الناس كبراً ونخوة وجار وعمَّ الناس منه فســـــاد
فيأسفا ان الأفاضل قد مضـــوا فقام عليها الأرذلون فســـادوا

ذكره في (الصفوة) (1) و (طبقات الحضيكي) ، وهو المعنى بقول ابن سعيد المرغيثي في المقنع ، قال أبو زيد الرضي السوسي ، ووصفه بقوله في شرحه الفقيه العالم الموقت الحيسوبي النحوي والتاريخي ، امام زمانه في الحضرة المراكشية والحضرة المحمدية النبوية ، شيخ شيوخنا عبد الرحمان السوسي الجزولي الباعقيلي ، ثم قال : وتوفي في العشرة الثانية بعد الألف ، قال في (النشر) بعد نقله : وكانت وفاته في عام الترجمة منها ، يعني عام 1020 وشرحه المذكور موجود ، وهو دال على مهارته وعلو مكانته ، وهو غلط واضح ، اذ توفي قبل ذلك كما تقدم (2) .

1105) **عبد الرحمان بن يعزة الرسموكي** ، نقل عنه عبد الرحمان التمنارتي ، وحلاه بالفقيه العدل ، وكان قيِّما على روضة الشيخ سيدي أبي العباس السبتي بمراكش عن أمر القاضي أبي مهدي السكتاني ، وشاهد شيئاً من كرامات السبتي بعد مماته .

1106) عبد الرحمان بن محمد العنابي

عبد الرحمان بن محمد بن عبد الله العنابي ، الفقيه الفاضل كاتب أحمد المنصور الذهبي ، بعث بكبش سمين وعسل للقاضي الحميدي تحفة لما كان بأغمات صحبة المنصور حين خرج له لزيارة صلحائه ، فزار محمد الهزميري وعاج على ضريح الشيخ سيدي عبد الحميد ، ووقف عند الجبانة الكبرى ودعا بما تيسر ، فكتب له الحميدي مداعباً :

أياكاتب السر يامَن بدت ... محاسنه في الورى باهره
هديت إليَّ الشفا وصلة ... فأكرم بها منحة ظاهره
وكبشاً سميناً له كلوة ... تفوق الكلا نعمة زاهره
فلا زلت تثبت كتبَ الامام ... سيوفاً لأعدائه قاهره

---

1) صفوة من انتشر ص 44

2) ينظر عنه أيضا نشر المثاني 1 : 110

وتبارى شعراء الدولة وفقهاؤهـا ، فقال الامام سيدي عبـد الواحد الشريـف :

أشيخ الجماعة ياقطبَهـــــــا ومَن في العلا مركزُ الدائـــره
شننْتَ بأبياتكم غـــــــارة وأحييت لي همة غائـــره
وذكرتني مربعاً لم تـــــــزل قديماً به مقلتي ساهــــره
وحركت فكري بعلم غـــــدت بصدري مراسمه دائــــره
فهذا جواب لأبياتكـــــم الى ابن بدور العلا السافــره
سليل الأفاضل حقاً ومَــــن محاسنُه في الورى ظاهــره

وقال عبد العزيز الفشتالي

أبحر العلوم طمت زاخـــــره وشمس معارفها الباهــــره
لك الفضل عفوا فقد أصبحـــت كتائبُ نظمكم ثائـــــــره
وهزت صوارم إبداعهـــــا فصلت بها صولة قاهـــــره
بقيت تشنُّ بها غـــــــارة لتنشر أمثالك السائـــــره

وقال محمد بن علي الفشتالي :

نسجت أباماالكِ حلـــــــة بصنعاء أفكارك الحاضــــره
وأجريتَ ماء البديع الــــى رياض فكاهتك الساحـــــره
وأخفقت بندَ المعالي علـــى مواكب أغراضك الظافـــره
عيون البيان ولكنهـــــا لغير النهى لم تكن ناظـــره
فخدها بديهةَ مَن قد غـــدت وجوه فهاهته سافـــــــره

وقال الوزير علي الشيظمي :

أياعلمَ العلم ياناشــــــره وحاملَ رايته الظافـــــره
وقاضي القضاة الذي فاخـــرت به الشرق مغربنا الظاهــــره
وناظم عقد المعاني التــــي جرت دونها المثل السائـــره
وأزرت بفعل الطلا بالنهــــى كذا بشذا الروضة الزاهــــره

وظلت تردد حسنَ الثنـــــا … ترويه عن نفسك الطاهـــــرء
وأخلاقك الغرُ لا قصــــــرت … عن النزر بالدرر الفاخـــــره
وأيقظت عمدا عيون البيــــان … من كل فتانة ساحـــــــره
تشير بمعنى لطيف الـــــى … محسان أخلاقك الباهـــــره
وتنبت سحر البلاغة فـــــي … مهارق ظلت لكم شاكـــــره
رويدك نبَّهت سربَ المعـــــا … ني بعد الكرى فاهتدت حاضـــره
ونبَّهت كم من بليغ بهـــــا … حديد الذكا نافذ الباصـــــره
يطبق منها الفياصل غيـــــــ … ـــر هيابة ذي قوى قاهـــره
تـصرف أقلامه بالكــــــلا … م كالريح بالمزنة الماطـــــره
ولولا المضاء بلا نبـــــوة … لشبَّهتُها بالظبا الباتـــــره
فلله درُك من ماجــــــــد … محاسنُه جمة وافـــــــره
ومن سيد جامع للذكـــــــا … ء حلو الشمائل والنـــــادره

وقال الكاتب محمد بن عمر بن قاسم الشاوي :

أمُحي رسوم القضا الداثـــــره … وإنسانَ مقلته الساهـــــــره
ومطلع شمس المعارف مـــــن … مغاربها حكمة ظاهـــــــره
وفخر العلوم التي أوجبـــــت … له الفخر والعزّ في الآخـــــره
وقاضيَ عسكر ملك غـــــدت … لأخمصه السبع كالساهـــــره
ودانتْ له الارضُ طولا وعـــــر … ضاً فأرسل أملاكها سائـــــره
الى بابه تبتغي وصلــــــــه … وأمناً لسطوته القاهــــــره
كفاك افتخارا أبا مالـــــــك … حضورك أيامه الزاهـــــــره

وممن قال في ذلك محمد بن علي الهوزالي (1) والحسن بن عبد الكريم(2) وقد ذكرت أبياتهما في ترجمتهما من هذا الكتاب ، ونقل ذلك في (النزهة) (3).

---

1) تنظر أبياته فى **روضة الآس** ، **العاطرة الانفاس** ص 180

2) تنظر أبياته فى **مناهل الصفا** ص 220 طبع الرباط

3) **نزهة الحادى** ص 110

1107) **عبد الرحمان بن اسماعيل التادلي الصومعي** ، لما سمع بذكر الشيخ سيدي محمد بن عبد الله السوسي المراكشي ، رحل اليه من الزاوية البكرية التي كان يقرأ فيها على الشيخ سيدي الحسن اليوسي وشيعه لذلك عالما مراكش : علي ومحمد العكاريان ، وشيخه اليوسي يرى أن اشتغاله بالعلوم أوفق ، فاعتزوا له بأن له نية وعزماً حسنا ، وأن التيسير الذي هو من علامة الاذن حصل له حتى أنه خرج بلا راحلة ، فاتفق أن صادف مَن يتحمل له بالركوب الى مراكش ، واتفق أن صاحب مَن يأمن منه في الطريق اذ كانت مخوفة ، فقال لهما اليوسي ان ذلك من الفتنة في العاجل ، يعني فكيف يكون الامر في الآجل ، وما قاله اليوسي قاله عن اجتهاد منه في فشو العلم ، فلما ذهب الى الشيخ بقي هناك ، ثم قدم معه الزاوية البكرية رافضا سكنى مراكش، وهو السبب في صحبة سيدي أحمد بن يعقوب الولالي على معرفة هذا الشيخ .

ذكره في كتاب (مباحث الانوار) ونقله في (البدور الضاوية) .

وقال في (السلوة) : (التشوف ، في معرفة أهل التصوف) للفقيه عبد الرحمان بن اسماعيل التادلي العمري الزمراني الصومعي ، وهو أصغر بكثير من الاول ، يعني (التشوف ، الى معرفة رجال التصوف) وصاحبه متأخر .

وتقدم ذكر سيدي محمد بن عبد الرحمان الصومعي في ترجمة سيدي محمد بن عبد الله السوسي .

1108) **عبد الرحمان ابن الكامل المراكشي** ، قاضي المحلة ، ذكره الزياني في (الروضة السليمانية) في خلافة سيدي محمد بن عبد الله ، قال : ففي قفوله طلع مع وادي نفيس الى أن بلغ مدينة أغمات ، فزار ضريح الشيخ محمد الهزميري وغيره من صلحائها ، ونزل بمحلته تحت القرية ، ولما استقر به المنزل جاءه جماعة من أهلها مع قاضيهم بكبش جيد وءانية فيها شيء من الشهد ، فدخل القاضي على السلطان ، ولمَا مثل أمامه أنسه السلطان بالكلام ، وسأله عن أشياخه بما لا طائل تحته ، فقال السلطان للحاجب ابعثْ بالقاضي الى خباء القاضي عبد الرحمان ابن الكامل ، وهو يتوجه قاضيا مع المحلة الى

السوس ان شاء الله ، فأنزله عليه ، وأدفـعْ له هذا الكبش وهذا العسل ، فسار الحاجب بالقاضي وبالكبش والعسل الى خباء قاضي العسكر ، أي عبد الرحمان ابن الكامل ، وأمره أن يُكرم القاضي ليلته ، ومن الغد ارتحل السلطان قافلا الى مراكش ، فلما تعالى النهار نزل على وادي نفيس ، وضرب له هنالك صيوان الراحة على شاطىء النهر ، ثم استدعى القاضي عبد الرحمان وسائر الكتاب ، ولما جلسوا بين يديه سأل القاضي على وجه المداعبة وقال له بما أجزت ضيفَك على كبشه وعسله ؟ فتعلثم في الجواب ، وعلم أن السلطان قصد اختباره بذلك ، وأنه لم يصنع شيئاً حيث أهمل امره ، ولما رأى رحمه الله خجلته قال فلعلك لم تجزه ، فلو مدحته على كبشه وعسله لصادفت المقصود وخرجت من العهدة ، وما بعثت لكم الا بسبب هذا الكبش والعسل ، فانـي سهرت ليلتي ولم أنم ، وذكرت ما اتفق للمنصور السعدي مع كتابه في مثل هذه القضية (1) وعلمت انه لم يبق في وقتنا هذا كتاب ولا أدباء ولا أمـراء ، وسأسمعكم ما اتفق للمنصور في زيارته لهذه القرية الأغماتية ، ثم أمر كاتبه ابن مبارك أن يقرأ عليهم ما حكاه الفشتالي فـي (مناهل الصفا) عـن خروج المنصور السعدي الى أغمات بقصد الزيارة والنزهة ، وما اتفق للقاضي عبد الواحد الحميدي مع مَن أهدى له الكبش والعسل من الشعر والذي شايعه عليه جماعة من كتاب الدولة ، وقد ألممنا بخبر هذه الخرجة للمنصور عنـد ذكر أخباره حسبما مر ، وقد ذكر صاحب (النزهة) أبيات الحميدي ومَن قفا نهجه من الكتاب ، فلتنظر هنالك ، فقرأ الكاتب المذكور الترجمة كلها على الكتاب حتى سمعوها ، وعاب السلطان عليهم تقصيرهم في قضيتهم الموافقة لها ، وفي ظني أن السلطان رحمـه الله أمرهم بنسخ ذلـك ومراجعته تحريكاً لهمتهم ، والله تعالى أعلم .

1109) **عبد الرحمان أبو خريص** ، الفقيه العلامة ، أحد العلماء الذين يجالسون السلطان سيدي محمد بن عبد الله ويؤلفون له ويسردون ويخوضون فيما يجمعه ويستخرجه من كتب الحديث التي جلبها من المشرق كمسند الامام

---

1) انظر ما تقدم فى ترجمة عبد الرحمان العنابى ع 1106 من هذا الجزء

أحمد ، ومسند أبي حنيفة ، وغيرهما . وكان معهم في فصل الربيع سنة ثمان وتسعين ومئة وألف فضربت قبابه بظاهر مراكش .

1110) **عبد الرحمان (المجذوب) بن عبد الحفيظ الفاسي** ، دخل مراكش صحبة سيدي الطالب ابن سودة والزروالي ومَن معهم حسبما تقدم في ترجمة سيدي الطالب المذكور ، كان رحمه الله فقيها علامة ، مشاركاً فهامة ، خطيبَ المسجد الاعظم بفاس الغراء .

توفي سنة ستين ومئتين وألف .

1111) **عبد الرحمان بن ادريس العراقي** الشريف المحدث ، توجه لمراكش صحبة سيدي محمد بن عمر والزروالي والذي قبله وابن منصور وبناني كما تقدم .

1112) **عبد الرحمان بن عبد الله الجشتيمي السوسي التيوتي** ، أخذ عن تلامذة محمد الحضيكي المتقدم الترجمة (1) ، وألف في مناقبه وفي تلامذته ومَن عاصرهم تأليفاً ، وذكر فيه من تآليفه كتاب المناقب ، ذكر فيه الاكابر المشاهير ، واستوعب فيه جميع أشياخه وأشياخهم من أهل المشرق والمغرب، وهو الكتاب المشهور بطبقات الحضيكي وهو عندي .

دخل المترجم مراكش ، ولقي بها سيدي محمد بن ابراهيم الزداغي القاضي (2) ، وسيدي المكي ابن مريدة (3) المترجمين فيما سبق ، وتقدمت ترجمة ولده أحمد (4) .

ومن نظمه رحمه الله :

الحمد لله الذي قد سخـــرا لنا النظامين ولا مفتخـــرا
أنظم حيناً باللسانِ العربـــي وتارة بالأعجميْ الاعـــذب

---

1) انظر 6 : 81 ع 758 من هذا الكتاب

2) انظر 1 : 189 ع 39 من هذا الكتاب

3) انظر 6 : 187 ع 791 من هذا الكتاب

4) انظر 2 : 462 ع 318 من هذا الكتاب

وله أيضا :

ما دام في القبور بعضُ الأعظــــم   فنبشُهُ من أوضح المحــــــــرم
حتى لأخذ النحل منه أو عســــــل   نابشه أمراً عظيماً قد فعـــــــل

وهو أكبر أديب في سوس في أواسط القرن الماضي ، وأعظم معتدٍّ بالأدب وأهله ونساخة الاديبات ، حتى كان مجدد الأدب العربي بسوس ، وله تضلع عظيم في العلوم ، وخصال حميدة في الورع والترفع عن السفاسف ، شديد التضلع في النوازل الفقهية ، تأدب بأكابر أجلهم أحمد البوزيدي شيخ الجماعة ، وعبد الله الكرسيفي ، وغيرهما .

توفي عن سن عالية وتلاميذ كثيرين سنة 1269 وولد سنة 1185 (1) والجشتيمي نسبة الى أكشتيم فرقة من وادي أملن وهي قرية عرفت بالعلـم حتى القرن التاسع ، ومما قرأه عـلى شيخه البوزيدي المقامات والدريديـة والمعلقات والطغرائية ونحوها من أمثالها ، ومن تآليفه الصواعق وهي رسالة كتبها جوابا عن رسالة الشيخ أحمد التمكدشي لما نزل على أحمد بن داوود التملي وأعرض عن المترجم (2) .

1113) عبد الرحمان بن هشام العلوي (السلطان)

عبد الرحمان بن مولاي هشام بن محمد بن عبد الله الحسني العلوي ، ولد رحمه في رأس المئة الثانية بعد الالف ، ولعل ذلك كان عام 1204 ، ولما عهـد له مولاي سليمـان وبعث به الـى فاس وصل خبـر وفاته اليها فـي السادس والعشرين من ربيع الاول سنة ثمان وثلاثين ومئتين وألف عقـب وصوله ، فحضر أهـل العقد والحل وبايعـوه ، واستوزر الفقيه محمد بـن ادريس الفاسي ، ثم بايعه البربر بعد أن قام عليه رئيسهم الحاج محمد ابن الغازي الزموري متشفعا في اطلاق شيخه الشيخ محمد العربي الدرقاوي ،

---

1) ولد فى منتصف جمادى الثانية عام 1185 هـ وتوفى فى ثامن رمضان عام 1269 هـ

2) له ترجمة حافلة فى **المعسول** 6 : 21

فسرحه له ، ثم ان السلطان زوج ابن الغازي باحدى حظايا عمه المرحوم ابنة القائد عمر ابن أبي ستة ، وذهب معه الى مراكش ، ثم ولى على مراكش ابن عمه المولى مبارك بن علي بن محمد وبعثه في صحبتهم فقدمها وتصرف في أمرها ، ثم وسع مسجد مولاي ادريس ، وفي هذه المدة توفي الشيخ الاكبر ، العارف الاشهر ، سيدي محمد العربي بن أحمد الدرقاوي رضي الله عنه، وكانت وفاته ليلة الثلاثاء الثالث والعشرين من صفر سنة تسع وثلاثين ومئتين وألف، ودفن يوم الثلاثاء بأبي بريح من بلاد غمارة ، ثم خرج الى مكناسة ، ونقل يمورة (ءايت يمور) الى الحوز ، وسار الى مراكش ، وسجن ابن الغازي بجزيرة الصويرة لادلاله على السلطان ، ثم أصبح ميتا سنة أربعين ومئتين وألف ، ثم ولى الشريف سيدي محمد بن الطيب بن محمد بن عبد الله (العلوي) على قبائل تامسنا ودكالة بأسرها ، وفوض اليه النظر في أمرها ، فأوقع بهم ، واقشعرت جلودهم لهيبته ، ثم تقدم الى الجديدة فاحتل بها وكانت خربة يومئذ تهدم سورها بالمينة ، فصار الناس يسمونها بالمهدومة فبنى سورها ورمّم ما تثلّم منها ، فسميت الجديدة من يومئذ ، وهو الذي بنى القبيبة الصغرى المقابلة لباب المسجد الجامع بها ، ثم ولاه على وجدة ، ثم غرس أكدال بحضرة مراكش ، ثم كان استيلاء الدولة الفرنسية على ثغر الجزائر في ءاخر محرم فاتح سنة 1246 ، وبايع أهل تلمسان السلطان ، فوجه لهم الجيوش لاخذ البيعة من العرب ، ثم ظهر الاختلال فرجعت الجيوش في ءاخر رمضان من السنة المذكورة ، ثم خرج جيش الوداية على السلطان في المحرم فاتح سنة 1247 سبع وأربعين ، وكان السبب في ذلك أن الطاهر ابن مسعود المغفري الحساني ، والحاج محمد ابن الطاهر المغفري العقيلي ، والحاج محمد ابن فرحون الجرّاري كانوا من كبار قواد هذا الجيش وأعيانه ، وكان السلطان رحمه الله يبعثهم في المهمات ، ويستكفي بهم في الاقطار النائية والجهات ، وكانوا هم يظهرون الطاعة للسلطان وهم في الباطن منحرفون عنه بسبب ان الدالة التي كانوا يدلون بها على السلطان المولى سليمان رحمه الله انقطعت عنهم مع السلطان المولى عبد الرحمان وزالت من أيديهم ، فكانوا يمرضون في الطاعة بعض الاحيان ، والسلطان يطويهم على غرهم ، ويلبسهم على عرهم ،

الى أن كان البعث الى تلمسان ، فوجههم اليه فيمن وجه من أعيان الجيش ورؤسائه ، فكانت قوارصهم لا تنقطع عن الدولة ، وشغبهم لا يفتر من التطاول والصولة ، ثم كان نهب الزمالة والدوائر فأبدأوا في ذلك وأعادوا ، وشايعهم على فعلهم القائد أحمد ابن المحجوب البخاري ، وأظهروا عدم المبالاة بالسلطان وخليفته وعامله ، وكانت بينهم وبين القائد ادريس الجراري منافسة باطنية ، فخاف من الاعتراض عليهم فيما ارتكوه من النهب أن يسدوا برأسه هذا الخرق، فأسعفهم وانتهب معهم ، وكان ما قدمناه من استرجاع السلطان لذلك الجيش وبعث مَن قبض على القائد ادريس بوجدة وجيء به الى تازة فسجن بها ، ولما وصل جيش تلمسان الى عنق الجمل قرب فاس خرج اليهم القائد الطيب الوديني البخاري وكان والياً على فاس ، فقيل أراد أن يقبض عليهم باذن من السلطان ، وقيل أراد أن يحوز منهم أرحلهم وحقائبهم التي ملؤوها من النهب ، وكان الوداية والعبيد لما فعلوا فعلتهم تحالفوا وتعاهدوا على أن يكونوا يدا واحدة على مَن أرادهم بسوء كائنا مَن كان ، فلما خرج اليهم الطيب الوديني تجهموه وهموا به ، فرجع أدراجه وأنهى ذلك الى السلطان ، فأغضى عنهم ، ثم بعد أيام عزم السلطان على القبض على الحاج محمد بن الطاهر العقيلي فأحس هو بذلك ، فذهب الى الطاهر ابن مسعود وتطارح عليه وقال له اني مقبوض لا محالة ، فان ولاك السلطان من أمري شيئاً فأحسنْ ولا تؤاخذني بما كان مني اليك ، وقد كان الطاهر بن مسعود قبل هذه المدة عامـلا بردانة ، فعزله السلطان بابن الطاهر فأساء اليه ، فلهذا قال له ما قال ، فقال الطاهر بن مسعود وأنت مقبوض ، قال نعم ، قال علي وعليَّ لا جرى عليك أمر تكرهه ما دمت حياً ، ثم ان السلطان أحضر الحاج محمد بن الطاهر وأحمد بن المحجوب فقرعهما وأمر بالقبض عليهما ، فقبض أعوان الوداية على أخيهم ، وقبض أعوان العبيد على أخيهم ، وخرجوا بهما الى السجن مع العشي ، وكان الطاهر ابن مسعود قد ترصد بباب دار السلطان للحاج محمد بن الطاهر ليفتكه وصاحبه ، فلما خرجا قام الطاهر بن مسعود الى الاعوان فراودوهم على اطلاق المسجونيْن فأبوا وقالوا انهما مسجونان عن أمر السلطان ، فتصامم عن ذلك واستل خنجره وضرب ادريس البواب الوديي على ترقوته وانتزع منه المسجون ، وتقـدم

لافتكاك أحمد ابن المحجوب فأبى وانتهره وقال : لا أخالف أمر السلطان ، وكان الوداية يظنون قيام العبيد معهم لحلفهم السابق ، فخذل الله فيما بينهم ، ثم أسرع الطاهر وابن الطاهر الى فرسيهما فركباهما ونجوا الى ناحية دار الدبيبغ ، وثارت المغافرة بباب دار السلطان وحملوا السلاح وأخرجوا البارود والرصاص ، وقامت شيعة السلطان لمدافعتهم ، فكثرهم الوداية وهزموهم حتى أغلقوا عليهم باب المشور ، وسأل السلطان عن الهيعة فأعلم بالخبر ، وكان معه الحسن بن حمو واعزيز ، فقال له يامولاي ان هؤلاء ما جسروا على هذا الفعل ببابك حتى عزموا على ما هو أكثر ، فدعا السلطان بفرسه وركبه مع الغروب وخرج من باب البجاة ومعه ابن واعزيز وبعض أصحابه خيلا ورجلا ، ولما علم الوداية بخروج السلطان ركبوا بقضهم وقضيضهم من فاس الجديد ومن قصبة الشرفاء ، فأدركوا السلطان عند قنطرة عياد ، فنزلوا الى الارض يقبلون حوافر فرسه ، ويتشفعون له ويتبرؤون من فعل أولائك السفهاء ، وكان الحال اذذاك حال مطر خفيف والشمس قد غربت أوكادت أن تغرب ، فساعدهم رحمه الله على الرجوع ، وأشار عليه الحاج محمد ابن فرحون بأن يذهب معه الى قصبة شراقة ، وكانت يومئذ لاهل السوس ، فذهب معه الى داره من غير أن يطمئن اليه ، ولكن ذلك الذي اقتضاه الحال في تلك الساعة ، ولما استقر بدار ابن فرحون اجتمع عليه المغافرة والوداية وأهل السوس ، وأساء عليه المغافرة الادب ، بل عزموا على الفتك به ، ولكن الله تعالى وقاه شرهم ، فاختلفت كلمتهم ، وتذامر أهل السوس فيما بينهم ، وقالوا لا يبيتن السلطان الليلة الا بداره ، واستنهضوه فنهض رحمه الله وركب فرسه وصحبوه الى داره في ذلك الليل ، فاستقر بها ، وبعد ذلك بأيام انتقل الى بستان أبي الجلود خارج فاس الجديد على حين غفلة من الوداية ، وانحاز شيعة السلطان اليه من العبيد وغيرهم ، ونزل جلهم بفاس القديم ، وبقي الوداية وحدهم بفاس الجديد ، ثم استدعى السلطان عبيد مكناسة فقدموا عليه ، ولما علم الوداية بعزم السلطان على الخروج من بين أظهرهم ساءهم ذلك وعلموا أنه ان خرج من بين أظهرهم لا يتركهم حتى يوقع بهم ، فراودوه على المقام ، وتنصلوا وأظهروا التوبة ، وتقدم سفهاؤهم للعبيد فأنشبوا معهم الحرب وهلك من الفريقين عدد ، ثم

تدارك السلطان أمرهم وتلطف وطيب أنفسهم ، وأجمع على الخروج الى مكناسة، فخرج بثقله وأثاثه وأمواله ، وسلك طريق قبقب وعقبة المساجين كأنه يريد بلاد الغرب ، وخرج لتشييعه جماعة من أعيان الوداية ، ثم انهم ندموا ونكسوا على رؤوسهم ، وربما سمعوا من العبيد بعض كلام ، فحميت أنوفهم وتحزبوا وأوقعوا بالعبيد فانهزموا عن السلطان ، وانتهب الوداية ذخيرته وأثاثه ، وقام عقالهم دون العيال حتى ردوه الى الدار محفوظا مصوناً ، ولم يفعلوا أحسن منها ، وأما المال والاثاث فقد أتى عليه النهب وكان شيئاً كثيرا، وتقدم السلطان رحمه الله لطيته وتبعه سفيه من سفهاء الوداية كان أراد الفتك به فحماه الله منه ، ووصل السلطان رحمه الله الى مكناسة فاستقر بها ، واتصل خبر هذه الفتنة بالقائد أدريس بن حمان الجراري وهو مسجون بتازة فاحتال على سراح نفسه بأن افتعل كتابا على لسان السلطان وبعث به الى عامل تازة فسرحه ، وكان السلطان رحمه الله قد بعث الى القائد ادريس المذكور وهو بتلمسان أربع ورقات مختوما عليها بالختام السلطاني الكبير ، وأمره السلطان رحمه الله أن يحتفظ بتلك الورقات ولا يستعمل واحدة منهن الا في أهم المهمات مما يتوقف عليه غرض السلطان والدولة ولا تمكن مشورته فيه لبعد المسافة بين فاس وتلمسان ، فعمد القائد ادريس الى واحدة من تلك الورقات فكتب فيها تسريحه ، فسرح وجاء يجد السير الى فاس ، وبنفس وصوله كتب الى السلطان يعلمه بما صنع وأنه ما زال على ما يعهد مولانا من بذل النصح والسعي في صلاح السلطان والجيش ، فأجابه السلطان رحمه الله بما نصه :

وبعد فقد وصلنا كتابك وعرفنا ما فيه ، والحمد لله على سلامتك ، وما وجهنا لك الا بقصد أن نسرحك ، لاننا تحققنا أنك كنت مغلوبا عليك بلا عهدة عليك ، بل من تمام عقلك مساعدتك لمن نهب ، ولو منعتهم من ذلك لتفاقم الامر هناك ، وانت عليك الامان ظاهرا وباطناً في الحال والاستقبال ، فلا تخش من شيء أبدا ، فانك ممن نتهمه بالدين والعقل والصدق ، وقد عاينت وسمعت ما صدر من أخوالنا من النزغة الشيطانية ، ولا ينبغي أن نقابلهم بمثل ما قابلنا به من لا عقل له منهم ، وان قابلناهم به لا نلتقي أبدا ، وأنت اسعَ في الخير والصلاح ما أمكنك ، وتحمل لهم عنا بالامن من كل ما يخافونه من جانبنا ،

فجسارتهم أولى من صلاح القبائل ، فقف على ساق الجد ، لان يهديَ الله بك رجلا واحدا خير لك مما طلعت عليه الشمس ، والسلام .

في سابع عشر من محرم فاتح عام سبعة وأربعين ومئتين وألف .

انتهى لفظ الكتاب الشريف .

ثم ان القائد ادريس أحسن القيام على عيال السلطان الذين بقوا بفاس الجديد ، وكان فيهم حظيته المولاة فاطمة بنت مولاي سليمان ، وتقدم القائد ادريس الى أمين الصائر من قبل ، وقال له ما كنت تدفع الى دار السلطان كل يوم من دقيق ولحم وإدام وغير ذلك فاكتب لي بقدره وابعثْ إلي به ، فأحصاه الأمين المذكور ، فبعث اليه به ، فصار يبعث بذلك القدر الى دار السلطان كل يوم ، وانقطع الماء ذات يوم عن دار السلطان ، فكان القائد ادريس يحمل قربَ الماء اليها كل يوم ، وأصلح القنوات وجدَّ في ذلك حتى رجع الماء الى مجراه ، ثم إن السلطان استنفر قبائل المغرب كلها حوزاً وغرباً وثغوراً فقدموا مكناسة عن بكرة أبيهم ، وسمع الوداية بذلك فاستدعوا الشريف سيدي محمد الطيب من بعض الأعمال والتفّوا عليه وبايعوه ، فحينئذ تبرأت منهم القبائل التي كانت تعدهم بالقيام معهم من مجاوريهم ، لأن سيدي محمد بن الطيب كانت قبائل المغرب قد تناذرته منذ أيام ولايته على تامسنة ودكالة وفعله بأهلها الأفاعيل ، فكان مبغضاً عند العامة ، وزحف السلطان إلى فاس الجديد فحاصرهم بها ونصب المدافع والمهاريس ، وتعاقب عليهم الرمْيُ بها من محلة السلطان بعين قادوس ومن بستيون أبي الجلود (1) وبستيون باب الجيسة وبستيون باب فتوح ، ودام الحصار أربعين يوماً والحرب لا تنقطع في كل وقت ، وكان الوداية يرمون أيضاً بالكور والبنب ، وأبلى بنو حسن في تلك الأيام البلاء الحسن ، ثم إن السلطان عزم على البناء

---

1) **أبو الجلود** مكان بفاس يقع بين باب الشريعة (المحروق) والقصر الملكى داخل سور المدينة ، كان الدباغون ينشرون فيه الجلود التى يدبغونها لتنشف وتيبس ، وهو مثل **منشر الجلد** الذى كان بتلمسان ، والبعض يدعوه **ابا الجنود** وليس بصواب ، وقد بنى فى أسفل **أبى الجلود** هذا باب جميل سنة 1331 هـ (1913 م) ينفذ منه الى المدينة من جهة الطالعة

عليهم ، وجلب اللواحين فشرعوا في العمل ، وسئم الوداية الحرب وملوها ، فأذعنوا الى الصلح ، وسعى في الوساطة بينهم وبين السلطان الأمين الحاج الطالب ابن جلون الفاسي ، فأمَّنهم السلطان على شرط الخروج من فـاس الجديد ، فأذعنوا ، ثم بعثوا شفاعتهم بالمشايخ والصبيان والألواح عـلى رؤسهم ومعهم سلطانهم ابن الطيب ، فسامح رحمه الله الجميع ، وقال لهم في جملة ما قال : الحمد لله إذ لم أغلبكم ولم تغلبوني ، لأني لو غلبتكم لذبحت الجيوش أولادكم ، ولم أقدر أن أردها عنكم ، ولو غلبتموني لفعلتم كل ما تقدرون عليه ، فهذا من لطف الله بي وبكم ، وهذا كلام دال على وفور عقل السلطان رحمه الله وكمال شفقته ورحمته .

ولما عزم السلطان على النهوض الى مكناسة ولَّى على جيش الوداية كله القائد إدريس بن حمان الجراري ، وذلك في الحادي والعشرين من جمادى الثانية سنة سبع وأربعين ومئتين وألف ، ثم نهض الى مكناسة فاحتلَّ بها ، ولما حضر عيد الفطر قدمت الوفود على السلطان بمكناسة واستقامت الأحوال ، وكتب رحمه الله الى القائد ادريس أن يحضر العيد في جماعة وافرة من إخوانه نحو الخمسمئة فحضروا ودخلوا على السلطان ذات عشية بالمشوز فوبَّخهم حتى ظن الناس أنه يقبض عليهم ، ثم سرحهم فعادوا الى فاس الجديد .

ولما عزم السلطان رحمه الله على النهوض الى مراكش قدم أولا فاساً ونزل خارج البلد ونظر في شأن الجيش والرعية ، ثم ارتحل يريد مراكش ، فلما انفصل عن فاس بيوم أو يومين كتب الى القائد ادريس يأمره أن يبعث اليه بالطاهر بن مسعود والحاج محمد بن الطاهر يذهبان معه الى مراكش بقصد الخدمة بها مع ولده وخليفته سيدي محمد بن عبد الرحمان ، فذهبا على فرسيْهما مسرحين ، إلا أنهما كانا حذرين من السلطان لما قدما من الفعل الشنيع الذي كان سبب هذه الفتنة العظيمة ، فقدما مراكش وترتبا في الخدمة مع الخليفة المذكور ، وانسلخت هذه السنة (1247 هـ) .

وفيها عزل السلطان وزيره الفقيه محمد بن ادريس وامتحنه وبقي عاطلا مدة ثم رده الى خطته ، وكان السلطان في مدة تأخيره إياه قد استوزر

مكانه الفقيه العلامة الأديب السيد المختار بن عبد الملك الجامعي ، فقـام بأعباء الخطة وبرز فيها رحمه الله .

وفيها بنى السلطان رحمـه الله المرستان الكبـير عـلى ضريح ولي الله تعالى أحمد ابن عاشر بسـلا ، وكان على ضريح الولي المذكور القبـة والمسجد فقط ، فأدار السلطان رحمه الله على ذلك مارستاناً كبيراً وبنى به مسجداً آخر وبيوتاً للمرضى تنيف على العشرين، وأجرى إليه الماء، وجعل ميضأة بازاء المسجد للرجال وأخرى شرقيها للنساء ، فجاء ذلك من أحسن الأعمال ، وكتب الله أجره في صحيفة السلطان .

ثم دخلت سنة ثمان وأربعين ومئتين وألف (1248) ففي صفر منها ورد على القائد ادريس كتاب من عند السلطان وهو يومئذ ما زال بالرباط يأمره أن يبعث اليه بالحاج محمد بن فرحون الجراري فوصل اليه مسرحاً فقبض عليه وبعثه الى الصويرة ، وباثر ذلك ورد على السلطان كتاب من عند ولده سيدي محمد يعلمه بأنه قبض على الطاهر ابن مسعود والحاج محمد بن الطاهر لكونهما لم يقلعا عن ضلالتهما وشيطنتهما حتى أنهما عزما على اغتياله بمصلى عيد الأضحى من السنة الفارطة فحماه الله منهما ولما وصل السلطان الى مراكش صار يكتب الى القائد ادريس برؤوس الفتنة والقبض عليهم واحداً بعد واحد الى أن استوفي جلهم ، وكان القائد إدريس في هذه المدة قد أحسَّ بأن باطن السلطان مـا زال متغيراً عـلى الوداية ، فألـحَّ عليـه في البحث والاستكشاف عما هو مضمره لهم وما يريد بهم وما الذي يجلب رضاه عنهم ويصفي باطنه عليهم ، فكتب اليه السلطان رحمه الله كتاباً أفصح فيه عن مراده يقول فيه بعد الافتتاح والطابع الشريف بينه وبين الخطاب ما نصه :

خالنا الأرضى القائد إدريس الجراري .

سلام عليك ورحمة الله تعالى ، وبعد فاعلم بأنك طلبتَ منا مشافهة وكتابة أن نعرب لك عن مرادنا ونطالعك بغاية قصدنا وأمنيتنا في الجيش وما يجلب رضانا عنهم ، وكنا نجيبك عن ذلك جواباً إقناعياً لعدم وثوقنا وقتئذ

بصدق لهجتك ، وكان يخيل لنا أنك تباحثنا على جهة الاطلاع على خبيئة أمرنا ، والآن اتضح ما أنت عليه من الصدق ووفور المحبة وخلوص النية ، حتى صرت كأحد أولادنا ،

وليس يصح في الاذهان شيء   اذا احتاج النهار الى دليل

وعليه فأنت أولى من نبثة سرنا ، ولا ندخر عنه شيئاً من دخيلة أمرنا .

فاعلم أرشدك الله أن مَن بارزنا بالسوء قولا أو فعلا من ذلك الجيش هم المغافرة كافة ، وأستوى في ذلك كبيرهم وصغيرهم ، قويهم وضعيفهم ، ولم يلف منهم رجل رشيد ، ولو ساعدهم الوداية وأهل السوس وخلوا بينهم وبين هواهم لكان ما أرادوه من تلف مهجتنا ، ولكن الله سلـَّم ، ولا يخفى على أحد ما استوجبوه لذلك شرعاً وطبعاً ، ولسالف خدمتهم وكظم الغيظ المرغب فيه ارتكبنا في جانبهم أخفَّ ما أوجبه الله تعالى على أمثالهم ، قال جل علاه : (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً) الآية ، وقد ءاليت على نفسي وأشهدت الله وملائكته أن لا يضمنى سور فاس الجديد والمغافرة به ، فهذا هو محض الصدق ، والآن بينْ لنا كيف يكون العمل في ذلك وما نقدم وما نؤخر ، لأن المراد قضاء الغرض من غير مشقة ولا فضيحة للجيش ، وهل تفشي هذا أو تكتمه ،وعلى تقدير أمتثالهم عينْ لنا أيَّ محل ينتقلون اليه من ثغور أيالتنا كالرباط وغيره ، أو قصبة مراكش ، فان النفس لم تسمح بهم بالكلية ، بل المراد زجرهم واقامة بعض حق الله فيهم ، ويحصل لنا الاطمئنان والسكينة ، ونبرد قسمنا ، فالمومن لا يلدغ من جحر مرتين ، وما ذكرت من أننا عاهدناك وواعدناك بالاحسان والتنويه بشأنك فانه وعد صدق لا مرية فيه إن شاء الله ، وكيف وقد استوجبت منا كل جميل ، وقدمك لمعالي الأمور عقلك وصدقك ، ولو ألفينا في الجيش مثلك لضممنا عليه البراجم والرواجب . وفعلنا في جانبه ما هو الواجب ، وقد اقتصرت حيث طلبت أن تكون بمنزلة القائد قدور بن الخضر عند سيدي الكبير رحمهما الله ، فانت عندنا بمنزلة أعظم من منزلته ، واليد التي اتخذت عندنا أعظم وأجل مما اتخذ هو عند سيدي الكبير قدس الله سره ، فقد جازاه على الصدق فقط ، أما

أنت فقد شاركته في هذه المرتبة وفقته بما هو أعظم ، وهو احسانك لعيالنا وأولادنا ، ولولا أنت لهلكوا جوعاً ، فلا يكفر هذه الصنيعة إلا لئيم ، وحاشانا الله من ذلك ، فطب نفساً وقر عيناً ، فلك عندنا من المكانة والحضوة ما لو اطلعت على حقيقته لطربت سروراً ونشاطاً ، وسترى اذا انجلى الغبار ، وزال أهلنا يتذكرون احسانك اليهم بحضرتنا ، أو يلتمسون لك الدعاء الصالح من جانبنا ، وفي الحديث ما معناه أن امرأة من بني إسرائيل أبصرت كلباً يلعق الحمئة من شدة العطش فسقته فغفر الله لها ، فكيف بمن أسدى معروفاً لجماعة انقطع رجاؤهم إلا من الله ، والله لن يخزيك الله أبداً . والسلام .

في ثامن عشر رمضان المعظم عام ثمانية وأربعين ومئتين وألف .

انتهى نص الكتاب .

ثم إن الله تعالى هيأ للسلطان أمره في الوداية ، وألهمه رشده فيهم ، فأمره أولا بنقل رحى المغافرة الى قصبة الشرادي من أعمال مراكش ، وظن الناس أنه يقتصر على ذلك ، لأنه رحمه الله لم يكن يظهر إلا أنه يريد نقل المغافرة فقط ، ثم نقل رحى الوداية الى العرائش وأحوازها ، ثم ردهم الى جبل سلفات ، ثم بعد ذلك بمدة يسيرة نقل رحى أهل سوس الى رباط الفتح ، وانزل حلتهم بالمنصورية على شاطيء وادي النفيفخ ، وقوادهم ووجوههم برباط الفتح ، ثم ردّ الحلة بعد مضي ست سنين الى قصبة تمارة قرب رباط الفتح ، وكانت متلاشية فأمر السلطان بعد سنتين أو ثلاث بترميمها واصلاحها ، وكان رحمه الله قد اسقط هذا الجند الودبي من الجندية واعرض عنه بالكلية سنتين ثم استرده في حددود الستين كما سيأتي .

ولما أخلى السلطان فاس الجديد من جيش الوداية بأسره وكان بمراكش بعث بالطاهر بن مسعود وبالحاج محمد بن الطاهر فسجنا به مدة ، ثم قدمت عريفة الدار الحاجة زويدة بكتاب من عند السلطان على ولده سيدي محمد بفاس يتضمن الأمر بقتل الطاهر ابن الطاهر بالمحل الذي هلك فيه الأول الثاني . فأخرجا الى المحل المذكور وحضر الوصيف القائد فرجي

وقدم الطاهر ابن مسعود فأخرجت فيه عمارة وحُزَّ رأسُه ، ثم قدم الحاج محمد بن الطاهر ففعل به مثلما فعل بصاحبه، فيقال إنه زهقت نفسه قبل القتل، لأنه لم يسل منه دم ، وأما الطاهر بن مسعود فسال منه دم كثير ، وأمر سيدي محمد ولد السلطان بمواراته فووري ، وأما ابن الطاهر فانه رمي على المزبلة ووكل به الحرس الى أن أكلته الكلاب ، ولم يبق إلا رجلاه بالقيد ، وكان ذلك في حدود خمسين ومئتين وألف ، وأما ابن فرحون وأصحابه فانهم استمروا في سجن الجزيرة الى أن هلكوا .

واعلم أن هذه الوقعة الهائلة دالة على كمال عقل السلطان ووفور حلمه وفضله ، حتى أنه ما عامل هؤلاء القوم الذين آذوه أشد الاذايـة إلا ببعض البعض مما استوجبوه كما قال وكما رأيت وعلمت ، ونسأله سبحانه وتعالى أن يتغمده والمسلمين برحمته ، ويقينا وإياهم مصارع السوء ، وينيلنا الأمن في الدنيا والفوز في الآخرة بجنته ، انه على ذلك قدير ، وبالاجابة جدير .

وفي منتصف سنة تسع وخمسين ومئتين وألف غزا السلطان المولى عبد الرحمان رحمه الله قبيلة زموز الشلح وكانوا قد تجاوزوا الحدَّ في الافساد وإخافة العباد والبلاد ، فأوقع بهم وقعة شنعاء كسرت من حدهم ، وفلّت من غربهـم .

ثم انقضت الهدنة مـع الفرنسيس ووقع تمحيص المسلمـين بيسلي قرب وجدة ، كانت الهدنة معقودة بـين هذه الدولة الشريفة وبـين جنس الفرنسيس من لدن دولة السلطان الأعظم سيدي محمد بن عبد الله رحمه الله ، ولما حدث الشنئان بين ترك الجزائر والفرنسيس واستولى الفرنسيس على ثغورهم جاء أهل تلمسان الى السلطان المولى عبد الرحمان رحمه الله راغبين في بيعته ، والدخول في طاعته ، فقبلهم بعد التوقف والمشاورة ، ولما أغزى جيش السلطان تلمسان واجتمع أهل ذلك القطر على الحاج عبد القادر بـن محيي الدين تحت كلمة السلطان برَّ به وأحسن اليه ، وقاوم الفرنسيس بتلك البلاد أشد المقاومة ، إلا أن فائدة حربه كانت تظهر في قتل النفوس واستلاب الأموال ، وفائدة حرب الفرنسيس كانت تظهر في انتقاص الأرض والاستيلاء عليها ، وشتان ما بينهما .

ولما كانت سنة تسع وخمسين ومئتين وألف تمّ استيلاء الفرنسيس على جميع بلاد المغرب الأوسط ، وصار الحاج عبد القادر ينتقل في أطرافها ، فتارة بالصحراء ، وتارة ببني يزناسن ، وتارة بوجدة والريف ، وغير ذلك ، وربما استكثر بهذه التنقلات بمن هو من رعية السلطان أو جنده فمدّ الفرنسيس يده الى إيالة السلطان رحمه الله ، فشن الغارة على بني يزناسن وعلى وجدة وأعمالها المرة بعد المرة ، ثم اقتحم وجدة على حين غفلة أهلها وانتهبها ، وكثر عيثُه في الحدود ، فكلم من جانب السلطان رحمه الله فيما ارتكبه في إيالته ، فتعلل بأن الهدنة قد انتقضت بامداد الحاج عبد القادر بالخيل والسلاح والمال مرة بعد المرة ، وبمحاربة جيش السلطان المرابط على الحدود له ، وبمحاربة بني يزناسن له مع الحاج عبد القادر ، وغير ذلك مما اعتد به ، وكان الحاج عبد القادر في هذه المرة قد فسدت نيته أيضاً في السلطان وفي الجهاد ، مع أنه ما كان لجهاده ثمرة ، وزام الاستقلال ، وأخذ في استفساد القبائل الذين هناك ، وتحقق السلطان بأمره ، وشرى الشر ، وتفاقم الأمر ، فعزم السلطان رحمه الله على حرب الفرنسيس ، وتقدم إلى أهل الثغور بالاستعداد والحراسة وإرهاف الحد لما عسى أن يحدث ، ثم عقد لابن‌عمه المولى المأمون بن الشريف على كتيبة من الجند ووجهها إلى ناحية وجدة ، وعززه بالفقية علي ابن الجناوي من أعيان رباط الفتح ، فكانت لهم مناوشة مع رابطة الفرنسيس التي هناك ، ثم أخذ السلطان رحمه الله في أسباب الغزو والاستعداد التام وحشد الجنود ، واتخاذ الرايات والبنود واستنفار القبائل ، وقال في ذلك الوزير ابن ادريس أشعاراً يستنفر بها أهل المغرب ويحضهم على الجهاد وإيقاظ العزائم ، له من ذلك قوله :

يا أهل مغربنا حق النفير لكم ... الى الجهاد فما في الحق من غلط
فالشرك من جنبات الشرق جاوركم ... من بعد ما سام أهلَ الدين بالشطط
فلا يغرَّنكُم من لين جانبه ... ما عاد قبل على الاسلام بالسخط
فعنده من ضروب المكر ما عجزت ... عن دركه فكرة الشبان والشمط
فواتح المكر تبدو من خواتمه ... فعنده المكر والمكروه في نمط
وأنتم القصد لا تبقنَّ في دعة ... إن السكون الى الأعدا من السقط

مَن جاور الشرَّ لم يعدم بوائقــة ــــ كيف الحياة مع الحيات في سفط
قد يغبط الحيُّ في عــز يخلـــده ــــ وليس حيٌّ على ذل بمغتبـــــط

وفي هذه الأشعار تضمين بيت ابن العسال وهو مشهور .

فاجتمع للسلطان رحمه الله في هذا الاستنفار ثلاثون ألف فارس تزيد قليلا أو تنقص قليلا ، فهيأ الجند وحصص القبائل في أكمل شكة وأحسن زي ، ولم يشهدها من الوداية سوى نفر يسير ، لأنهم كانوا في زاوية الاهمال عند السلطان ، ثم عقد رحمه الله على هذه الجنود لولده وخليفته سيدي محمد بن عبد الرحمان ، وسار حتى نزل بوادي يسلي من أعمال وجدة ، وكان الحاج عبد القادر ما زال جائلا في تلك الناحية ومعه نحو خمسمئة فارس ممن كان قد بقي معه من أهل المغرب الأوسط ، لأن حاله كان أخــذ في التراجــع والانحطاط ، ولم يبق له هناك كبيرُ فائدة ، بل انقلب نفعُه ضرراً ، وحزمه خوراً ، بفساد نيته ، واستفساده لجند السلطان ورعيته ، ولما احتلَّ الخليفة سيدي محمد بيسلي وعسكر به جاءه الحاج عبد القادر يستأذن عليه فــي الاجتماع به فأذن له واجتمع به وهو على فرسه ، فدار بينهما كلام من جملته أن قال الحاج عبد القادر : إن هذه الفرش والأثاث التي جئتم بهــا حتــى وضعتموها بباب جيش العدو ليس من الرأي في شيء ، ومهما نسيتم فــلا تنسوا أن لا تلاقوا العدو إلا وأنتم متحملون منكمشون بحيث لا يبقى لكم خباء مضروب على الأرض وإلا فان العدو متى رأى الأخبية مضروبة لم ينته دون الوصول اليها ولو أفنى عليها عساكره ، وبين كيف كان يقاتله ، وكان هذا الكلام منه صواباً ، إلا أنه لم ينجع في القوم لانفساد البواطن ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وربما انتهره بعض حاشية الخليفة على التفصح بمحضره ، والاشارة عليه قبل استشارته ، فرجع الحاج عبد القادر عوده على بدئــه ، وانتبذ ناحية في جيشه ولسان حاله يقول : لم آمر بها ولم تسؤني .

ولما كانت الليلة التي وقعت الحرب صبيحتها جاء رجلان من أعراب تلك الناحية وطلبا الدخول على الحاجب وهو الفقيه السيد الطيب بن اليماني المدعو بأبي عشرين ، فدخلا عليه وقالا إن العدو عازم على أن يصبِّحكم غداً

ان شاء الله ، فاستعدوا له وأعلموا الأمير ، فيقال ان الحاجب قال ان الامير الآن نائم ولست بالذي أوقظه ، ثم جاء عقب ذلك أربعة أناس آخرون يعلمون بأمر العدو ، فكان سبيلهم سبيل الأولين ، ولما طلع الفجر وصلى الخليفة الصبح جاء عشرة من الخيل قيل من العرب وقيل من حرس الخليفة فأعلموا بمجي العدو ، وأنهم قد تركوه قد أخذ في الرحيل ، فأمر الخليفة رحمه الله الناس بالركوب والاستعداد ، وأن لا يبقى بالمحلة الا الرماة ، فكانوا دون الألف ، وبعث الى بني يزناسن بالركوب فركبوا في ألوف كادت تساوي جيش الخليفة ، وسارت الخيل نحو العدو مصطفة مد البصر ، وراياتها تخفق على هيأة عجيبة وترتيب بديع ، وكان الخليفة سائراً في وسطهم ناشراً المظلة على رأسه ، راكباً على فرس أبيض ، وعليه طيلسان أرجواني ، قد تميز بزيه وشارته ، ولما تقارب الجيشان جعلت الفرسان تبرز من الصفوف كأنما تتعجل القتال ، فأمر الخليفة رحمه الله بالسكينة والوقار والسير بسير الناس .

ثم لما التقى الجمعان وانتشب الحرب رصد العدو الخليفة وقصده بالرمي مرات عديدة حتى سقطت بُنبة أمام حامل المظلة ، وجمح فرسه به وكاد يسقط ، ولما رأى الخليفة ذلك غير زيه بأن أسقط المظلة ودعا بفرس كميت فركبه ، ولبس طيلساناً ءاخر ، فاختفى حينئذ . وكان المسلمون قد أحسنوا دفاع العدو وصدموه صدمة قوية برقت لهم بها بارقة ، وكانت خيلهم تنفر من صوت المدافع ، ولكنهم كانوا يقحمونها إقحاماً وثبتوا في نحر العدو مقدار ساعة ، ولما التفتوا الى جهة الخليفة ولم يروه بسبب تغيير زيه خشعت نفوسهم ، وقال المرجفون ان الخليفة قد هلك ، فماج الناس بعضهم في بعض ، وتسابق الشراردة الى المحلة فعمدوا الى الخباء الذي فيه المال فانتهبوه وتقاتلوا عليه ، وتبعهم غيرهم ممن كان الرعب قد ملك قلبه ، وجعل الناس يتسللون حتى ظهر الفشل في الجيش من كل جهة ، فتقدم بعض الحاشية الى الخليفة وقال له يامولانا ان الناس قد انهزموا وهم الآن بالمحلة يقتل بعضهم بعضاً ويسلب بعضهم بعضاً ، فقال ياسبحان الله ، والتفت فرأى ما هاله من أمر الناس ، فرجع عوده على بدئه وانهزم مَن كان قد

بقي معه عن ءاخرهم ، وتبعهم العدو يرمي الكور والضُبْلي (1) من غير فترة وثبت الله بعض الطبجية بالمحلة ، ولكن سال الوادي فطمّ على القري ، ونفذ أمر الله ، ولم يهزم المسلمين إلا المسلمون كما رأيت .

ولما استولى العدو على المحلة فر النهاب الذين كانوا بها ، وبقيت في يده بما فيها ، وكانت مصيبة عظيمة ، وفجيعة كبيرة لم تفجع الدولة الشريفة بمثلها ، وكان هذا الحادث العظيم في الساعة العاشرة من النهار ، منتصف شعبان سنة ستين ومئتين وألف (2) ولما رجع المنهزمة تفرقوا شذر مذر ، وأهلك الناس العطش والجوع والتعب ، حتى كان نساء عرب أنكاد يستلبنهم كيف شئن ، وانتهى الخليفة الى تازة فأقام بها أربعة أيام ريثما اجتمع اليه الرماة وضعاف الجيش ، ثم قدم فاساً ، وكان السلطان رحمه الله قادماً من مراكش الى فاس فاتصل به خَبَرُ الوقعة وهو برباط الفتح ، فنهض الى فاس مجداً واتصل به في اثناء طريقه خبر وقعتين اثنتين أخريين ، وهما هجوم الفرنسيس على طنجة والصويرة ورميه إياهما بألوف من البومب والكور(3)، ووقع بالصويرة حادث عظيم بسبب الغوغاء الذين بالبلد والشياظمة المجاورين لهم ، فانهم لما رأو العدو دخل الجزيرة ظنوا أنه سيدخل البلد ، فمدوا أيديهم للنهب ، وكان ذلك في اليهود ، ثم عم غيرهم ، وكان ما كان مما لست أذكره ، فكان هذا مما زاد غيظ السلطان وكمده ، فعمد إلى جماعة من قواد الجيش وحلق لحاهم تأديباً لهم .

---

1) **الضبلى** : قنابل المدافع الكبيرة فى العامية المغربية القديمة ، والكلمة اسبانية كما يدل عليه لفظها

2) الذى فى التواريخ الأوربية — وهى أضبط — ان المعركة وقعت فى يوم الثلاثاء 13 غشت 1844 م وهو يوافق 28 رجب عام 1260 هـ وليس التاريخ الذى ذكر المؤلف . وعند ابن زيدان فى **اتحاف أعلام الناس** 5 : 55 أن الهجوم الفرنسى وقع فى غلس يوم الخميس 5 شعبان وكلاهما غير صحيح

3) هجم الاسطول الفرنسى بقيادة الامير دوجوان فيل على طنجة يوم 6 غشت وعلى الصويرة يوم 15 غشت سنة 1844 ، **والبومب** جمع بومبة قديفة المدفع مثل **الكور** جمع كرة ، لان قديفة المدافع القديمة كانت مكورة ، وينطق أهل المغرب البومبة **بونبة**

وذكر منويل هذه الوقعة فزعم أن عساكر الفرنسيس كانت يومئذ عشرة الاف ، وأنه كان غرضه محاربة الذين كانوا يحاربونه على أطراف البلد ، حتى لقد أعطى خط يده للنجليز أنه اذا حارب وغلب لا يمتلك من أرض المغرب شيئاً ، قال فلذالك لما وقعت الهزيمة بعث باثرها رسله يطلب الصلح مع أن السلطان المولى عبد الرحمان لم يظهر عجزاً ولا فلّ ذلك من غربه ، بل استأنف الجد وشرع في جمع العدد والعدد . انتهى .

ثم ان السلطان رحمه الله هادن الفرانسيس على يد الفقيه السيد أبي سلهام بن علي أزطوط عامل طنجة والعرائش على شروط ثمانية (1) ومن جملتها نفي الحاج عبد القادر من تلك البلاد ، لما في بقائه هناك من إثارة الفتنة بين الدولتين بلا فائدة ، ودعت المصلحة الوقتية السلطان رحمه الله الى أن أسقط عن جنس الدينمرك وجنس السويد ما كانا يؤديانه إلى الدولة العلية كل سنة ، فالأول خمسة وعشرون ألف ريال ، والثاني عشرون ألف ريال ، وكـذلـك أسقط عن غيرهم وظائف أخر ، والأمور كلها بيد الله ، لا يسأل عما يفعل ، وهم يسألون !

وفي سنة 1268 ثمان وستين ومئتين وألف هجم الفرانسيس عـلى ثغر سلا ، وذلك بسبب مركبين مملوءين قمحاً انتهبهما العامة ولم يقع فصال في ذلك ، وكان الهجوم على سلا يوم الثلاثاء مهل صفر منها في خمسة بابورات وقاباق كبير يشتمل على نحو ستين مدفعاً أو أكثر ، ومن الغد شرع في رمي الكور إلى أن غربت الشمس ، فرمى نحو سبعة آلاف من الكور ، ويقال اثني عشر ألفاً ، واستشهد نحو سبعة أنفس ، فأقلع ليلا حين انقضى له الكور .

وفي سنة تسـع وستـين ومئتـين وألف غـزا السلطان رحمه الله قبيلة زمور الشلح ، ثم ثار إبراهيم سيمور اليزدكي بصحراء تافيلالت (2) فقيَّض الله له بعض قرابته فاحتزّ رأسه .

---

1) هى التى تضمنتها معاهدة الصلح الممضاة بطنجة يوم الثلاثاء 10 شتنبر 1844 م (25 شعبان 1260 هـ)

ينظر نص المعاهدة فى **الوثائق** 1 : 465 ع 144

2) الذى فى **الاستقصا** 9 : 67 ان ثورة ابراهيم يسمور كانت فى أواسط عام 1271

توفي السلطان يوم الاثنين التاسع والعشرين من محرم فاتح سنة ست وسبعين ومئتين وألف (1) ودفن بين العشاءين أول ليلة من صفر بضريح السلطان المولى اسماعيل رحم الله الجميع .

يكفيك أيها الواقف على أخبار هذا الامام الجليل ، السري النبيل ، من مناقبه خصلتان ، إحداهما شهادة عمه السلطان المولى سليمان له بالتقوى والعدالة والمحافظة على خصال الخير ونوافله ، حتى قدمه على بنيه حسبما مرّ ذلك كله مستوفى ، والثانية إقامته صلب هذه الدولة الشريفة بعد اشرافها على الاختلال ، وردها الى شبابها بعد أن حان منها الزوال والارتحال ، كما رأيته أيضاً ، فعلى التحقيق أن المولى عبد الرحمان رحمه الله هو المولى اسماعيل الثاني ، وأما حزمه وضبطه وكمال عقله وتأنيه في الأمور ووضعه الأشياء موضعها ، وتبصره في مبادئها وعواقبها ، واجرائها على قوانينها فما أظنك تجهل منه شيئاً بعد أن قصصنا عليك ما مضى من أخباره رحمه الله ، وقد رأيت كيف نزلت به النوازل ، وترادفت عليه الهزاهز ، من غير معين يذكر ، ووزير يعتبر ، إلا في القليل النادر ، فقام رحمه الله بأعباء ذلك كله ، وعالج حلوه ومره ، حتى ردّ النصاب الملكي الى أصله ، وأحلّ عزه في محله ، وأما ورعه وصبره وحياؤه وتوقفه في الدماء توقفاً تاماً إلا اذا حصحص الحق وصرح الشرع فكل ذلك أمر معلوم ، يعلمه الخاص والعموم ، وأما آثاره بالمغرب فشيء كثير ، من ذلك ما افتتح به ولايته من بناء ما تهدم من مرسى طنجة ، وصير عليه مالا عظيماً حتى أعاده أحسن وأحصن مما كان ، ومن ذلك تجديد الحرم الادريسي بفاس ، وبناء مسجده وتوسعته وتنميقه ، ومن ذلك البرجان العظيمان بسلا ، وأشبار (2) الكبير المواجه للبحر منها ، والمرستان الكبير بضريح الشيخ ابن عاشر ، والمنار الشهير بالمسجد الأعظم منها ، وخزين البارود بالقليعة وغير ذلك ، وأشبار الكبير برباط الفتح ،وبنى

---

1) يوافق 26 شتنبر سنة 1859

2) **أشبار** فى الاصطلاح العسكرى المغربى القديم خنادق واستحكامات يصمد فيها الجنود ويتمدون ويصدون منها عدوهم (المتاريس)

بأعمالها لحفظها وتأمين طرقها قصبتين كبيرتين ، إحداهما الصخيرات ، والأخرى قصبة أبي زنيقة ، فامن الناس بهما وارتفقوا بالتردد اليهما ، وجدد ما تهدم من أبراج الصويرة واعتنى بها وصيَّر (1) عليها أموالا ثقالا ، فجاءت في غاية الاتقان والحصانة ، ومن آثاره بمراكش أكدال الشهير ، وتجديد جامع المنصور بالقصبة بعد أن لم يبق منه إلا الاسم ، فأعاده الى حياته الأولى وضخامته وانفساحه وعلو بنائه ، وتجديد جامع ، الكتبيين مرتين ، واصلاح قبة الشيخ أبي العباس السبتي رضي الله عنه ، والزياة في جامع الشيخ ابراهيم البلفيقي بسوق الدقاقين منها ، وهدم جامع الوسطى وإعادته على شكل بديع وهيأة حسنة ، وبناء جامع أبي حسون وإقامة الجمعة به ، كما كانت أولا ، وبناء جامع القنارية والزيادة فيه ، ومن آثاره بحضرة فاس العليا تجديد بستان آمنة المرينية .

قال كنسوس : وكان هذا البستان خراباً تألفه الوحوش مع أنه بباب دار السلطان ، وفيسرة الحضرة ، وقد كان في الدولة المرينية على هيأة بهية فيه ظهرت زينة تلك الدولة وضخامتها ، وفيه مقاعدهم ومنازلهم العالية ومجالسهم المشرفة على بساتين المستقى ، إلى أن قال ، وبالجملة فقد كانت تلك العرصة (2) من زينة الحياة الدنيا ، وجنة حائزة من البهجة المرتبة العليا، ثم أخنت عليها الأيام بصروفها، ومحت من تلك الرسوم جميعَ حروفها، فرآها الملوك قبل مولانا المؤيد فلم يرقوا لحالها ، ولا أنقذوها من أوحالها ، مع أنها في جوارهم ، وعقر ديارهم ، فعطف الله عليها هذا السلطان المبارك ، فأعاد بعد الممات محياها ، وأبرز من ظلمات العدم جميل محياها (3) . وقد وقفت على (عقد الجمان ، في شمائل السلطان مولاي عبد الرحمان) وذكر حركاته وغزاوته وعماله وقواده وامنائه وفضلائه وقضاته للعبد الفقير الفاني ،

1) **الصائر** النفقة ، والفعل صير اى انفق فى لسان عامة المغرب

2) **العرصة** فى العامية المغربية الحديقة والبستان داخل سور المدينة ، فاذا كانت خارجيا فهى الجنان (الجنة) والغرسة

3) كل ما تقدم منقول بالحرف تارة وبالاختصار أخرى من **الاستقصا** ج 9

أبي القاسم بن أحمد الزياني ، كان الله له ، ذكر فيه أنه وقف على تأليف أفلاطون في سياسة ملوك العجم ، وسياسة ابن الأزرق وسياسة الحكيم ابن رضوان وهما أعلا ما ألفه حكماء الاسلام ، قال فيه وقيل القليل من الملك خير من الكثير من غيره ، وعطاء الملك زينة ، وسؤاله شرف ، ثم ذكر حاصل تلخيص دولة العلويين .

وقد ألف العلامة سيدي عبد الحفيظ الملقب الكبير الفاسي (إعراب الترجمان ، عن قصة الوداية مع مولاي عبد الرحمان) ، وألف ادريس الجعايدي أحد كتاب ديوانه (الابتسام ، عن دولة ابن هشام) ، وهذا كتاب شريف كتبه لخليفته بمراكش نصه :

الحمد لله وحده

ولدنا الأبر الأرضى سيدي محمد (1) .

1114) عبد الرحمان بن بوطاهر المراكشي الهرغي

عبد الرحمان ، ابن العلامة سيدي بوطاهر ، بن أحمد المراكشي الهرغي ، الفقيه القاضي ببني يازغة ، ممن شهد بثبوت النسب للفقيه القاضي داوود بن أحمد بن علي بن أبي بكر اليلماني المراكشي الذي كان ببني يازغة حوز فاس من ذرية عبد الله بن يحيى بن تميم الهرغي بن سهل بن عثمان بن محمد بن بطال بن سليمان بن أحمد بن علي بن شجاع بن هود بن خالد بن تميم بن عدنان بن سفيان بن صفوان بن عامر بن يحيى بن بطال بن رباح بن المعتز بن العباس بن ياسين ابن ادريس الثالث ، ومنهم عبد الرحمان بن هود بن خالد الخ بالمغرب عرف به ابن خلكان وصاحب نظم السلوك وابن خلدون وابن الخطيب وابن حزم وابن بطوطة وغيرهم أواخر رجب عام ثلاثة وتسعين وألف 1093 ذكره في (الرياض الربانية ، في الشعبة الكتانية) سيدي جعفر الكتاني (2) .

---

1) لا وجود للكتاب السلطاني في الاصل

2) هكذا وردت الترجمة مضطربة في الأصل

1115) عبد الرحمان بن البهلول الرحماني

عبد الرحمـان بن البهلول بن علـي الرحماني البوبكري المحمدي المراكشي ، كان رحمه الله علامة متقناً جميل الهيأة والملبس ، وكان محمد بن بله السوسي عامل الرحامنة يتهمه بالسعي في عزله والتولي محله ، فوشى به الى السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان فسجنه باذنه ، ثم تشفع فيه طلبة المدارس ، فأمره بتسريحه ، فلما خرج من السجن مات في أواسط العشرة الثامنة من القرن الثالث عشر ، لأنه دسّ اليه القائد المذكور الذي ابتلاه الله تعالى بالجذام وسمّه فيما شاع .

ولد المترجم في العشرة الثالثة من القرن الفارط ، وأخذ العلم عن العلامة سيدي الطالب ابن الحاج بمراكش حين قضائه بها ، فلما أراد الرجوع لفاس وشكا اليه الطلبة فقدهم لقراءته قال لهم إني أترك لكم مَن يخلفني في درسي ، ولعله يكون أفضل مني ، فجلس في محله تلميذه المذكور ، وظهر منه ما عجب منه الحاضرون من الحفظ والاتقان والتحقيق ، ورحل لفاس مـع والده ، وأخذ عن الفقيه سيدي محمد بن عبد الرحمان الحجرتي ووالده وطبقتهما ، وهو أعلم من أخويْه السيد عبد الوهاب والفقيه السيد عمر المتولد سنة خمسين ومئتين وألف المتوفى في أواخر العشرة التاسعة من القـرن الثالث عشر ، رحم الله الجميع .

والمترجم والد سيدي المأمون زوج أختنا !

1116) **عبد الرحمان الفيلالي** الدويري ، الشريف كان عالماً ، قرأ على ابن عبد الواحد الدويري وطبقته ، وبسببه استوطن مراكش ، وقصر عليه الاحكام ، وتزوج السيدة مريم بنت المولى عبد الرحمان ، وكان فاضلا جواداً لم يترك مالا ، ومات عن غير عقب رحمه الله ، ووقفت على حكم صدر مـن القضاة الثلاثة السيد قاسم الرجراجي والسيد المدني بن عبد الواحد الدويري وأهل الشورى هم السيد المطيع والمترجم والسيد سعيد جيمي والسيـد الحسن بن عبد الرحمان المزميزي ، وكان ذلك عام ثمانـين ومئتين وألف بأمر مولوي .

1117) **عبد الرحمان التنغملتي** المراكشي ، من حفدة سيدي موسى البوقماني المترجم في (ممتع الاسماع) و (الصفوة) ، له زاوية بتنغملت بين بني عتاب وهنتيفة فيها كتب كثيرة يضرب بها الامثال ، وهي التي خلفت الزاوية الدلائية في ذلك، بقي منها الآن نحو السبعمئة، أخذ العلم بفاس وغيرها، وكان كثير المجالسة لأهل العلم ديناً خيراً ملازما للمسجد ، حسن الهيأة جميل الأخلاق ذا كرم مفرط ، يعمل المعروف مع الأشراف والفقهاء خفية بحيث لا يطلع عليه إلا خالقه تعالى ، وكان يعول كثيراً من الناس ، ففقدوا ذلك بعد موته ، وكان يقترض لأجل ذلك ، ولما توفي ترك عليه ديناً كثيراً فقضي بعد موته من زاويته ، وسكناه بدرب الشرفاء من مراكش ، وسكن قبل ذلك بالزاوية العباسية ، وكانت له فراسة صادقة، لا يدعي دعوى ولا شيئاً مما ينتسب اليه أضرابه .

توفي رحمه الله عام 1296 ستة وتسعين ومئتين وألف .

1118) **عبد الرحمان العلج** ، أصله من فرنسا ، ثم هداه الله للاسلام ، وورد على مولا نا عبد الرحمان فأسلم وحسن إسلامه ، وكان لا يفارقه سفراً وحضراً ، وبث في رجال الاسلام علوم الحكمة الرياضية والحربية الوقتية ، وأخذ عنه جماعة بمراكش وفاس وغيرهما ، منهم مولاي أحمد الصويري ، وسيدي ادريس البلغيتي آخر المحققين المضطلعين بعلوم التعاليم ، ولما وقعت حرب السبعين بين فرنسا وألمانيا وانفصلت بما هو شهير تألم من ذلك ومات بعد أن مرض مدة ، وهو الذي سطر الرخامة التوقيتية بباب ضريح أبي العباس السبتي ، ورخامات عدة بأعلا برج باب الريال بمراكش ، وكان يصنع الشكلاط (1) ، وله تأليف في علم اغريتم ، ووضع عليه سيدي الحسن المزميزي حاشية .

---

1) **الشكلاط** الشوكولا فى العامية المغربية

فائـدة

الرخامة المسطرة لمعرفة الأوقات بظل الشاخص يقال لها الساعة الشمسية ، وراجع ما يتعلق بها في صف[illegible]7 من المجلد الرابع من الهلال ، وهي أقدم الآلات التي استخدمت في تقسيم الوقت ، حتى قيل أن مخترعها البابليون أو انكسمنس الفيلسوف اليوناني الذي نبـغ في القرن الســادس قبل الميلاد ، وقيل انكيسمندر من القرن المذكور أيضاً .

وقـال وزيـر فرنسا المفـوض بالمغرب سابقـاً المسيو هانـري دلامارتنير في كتاب رحلته الى المغرب في الفصل التاسع عند ذكر المترجم ما ترجمته : عبد الرحمان من عائلة فرنسوية يقال لهم دوستلي أحق الناس بالاعتبار من الأورباويين الذين وردوا الى المغرب واعتنقوا الاسلام ، كان في عام 1849 م ضابطاً مهندساً بالجزائر ، فوقعت له قضية غرامية بلغ بها غاية الانكسار والخضوع ، فألزمته الخروج الى تونس ثم منها الى المغرب ،فنزل بمدينة العرائش وعاش بها غير معروف خفي الحال ، وسمى نفسه عـبـد الرحمان ، ففتح بها معملا للصابون ومواد أخرى ، وكان يذهب للتجارة الى طنجة، وقيل إنه كان يصنع بشكيطو (1) فاخبر السلطان مولاي عبد الرحمان به فاستدعاه الى مكناس ، وعهد اليه بترصيف طريق فاس ، وأنعم عليه ببغلة ومئتي ريال ، وبعد ذلك أرسل اليــه السلطان وألزمه بمصاحبته ، وقـد أوشكت الحرب أن تقع مع فرنسا ، فوقع عبد الرحمان في حالة حرجة ، لكن أفلت منها ، فكان يعرض على السلطان الأسباب التي أوجبت على فرنسا حرب الجزائريين لكي يمنع السلطان الخسائر من الجهتين ، ولما وقعت الغلبة اتسع حاله ، ورجع السلطان بسبب ذلك الى ما كان يبديه له من المصلحة في ترك الحرب ، فحظي بسبب هذا العمل بصداقة السلطان سيدي محمد الذي لم يلبث أن جلس على العرش ، وقد ائتمنه السلطان على ما يظهر حتى أنه كان يطلعه على دواخله ، فزوجه السلطان بامرأة من دار المخزن ، فولدت له

---

1) بشكيطو واحدته بشكيطوية الفرنيات في عامية المغاربة ، والكلمة اسبانية

ولدين ، وقد قام المترجم بخدمات ، منها أنه بنى مشور فاس وباب البُجاة ، وحول مجرى وادي فاس الذي كان يمر تحت حيطان المنزه السلطاني ، ومن أعماله قناطير الطريق الموصلة من فاس الى مكناس ، وقنطرة وادي مكس ، وانتفع بعلمه بأعمال في دواخل القصور الملوكية ، منها الساعات الشمسية التي توجد الآن بها ، وفي هرمه بعدما أسندت اليه أمور المدفعية لم يكن يصحب الغزوات الشريفة ، فأسند اليه السلطان مولاي الحسن الذي كان يحبه مراقبة حساباته ، فتمتع بسكنى المأمونية بمراكش ، ثم أنعم عليه باختصاص بيع القهوة بمراكش ، فكان يسكن المترجم بقصبة مراكش في دار حفيده وهو فيها على حالة التقشف ، ولما وصل بمواهبه العلية الى رتبة سامية أراد أن يكون محبوباً عند الناس لا حقد عليه لأحد ، وكان يقيم أخلاق المغاربة المضطهدة المعادية لأفكار الأوربيين .

وكان المترجم حسن الصورة طويل القامة جميل الأطراف طلق الوجه ، ذا قيمة كبيرة ، وكانت تظهر على وجهه ملامح الهمة ، ودائماً حزينا يمتنع من الكلام في ماضيه ، وقال يوماً لبعض أصحابه إنه أذنب مرة فوقع أثر ذلك الذنب في قلبه لا يفارقه ، ومما يؤسف له أننا لم ننتفع بطول إقامة هذا الرجل في المغرب وقربه من السلاطين الثلاثة ، ومما يظهر أنه رغماً عن اختياره الظاهري للتباعد عن هذا العالم الذي ودعه وداعاً لا رجوع بعده كان في امكانه أن يقوم بخدمات جليلة لسياسية فرنسا ، ولما كان المسيو فيرود في فاس صحبة المسيو دوفيرنويي سفير فرنسا رأى المترجم بقرب منه ، ولكن احترم مقامه ، لأنه رأى الدموع تترقرق بعينيه حيث رأى الشيخ المترجم الحلل العسكرية التي حول السفير .

وتوفي المترجم سنة 1879 م (1) (بفاس) وقبرُه بمقبرة باب المحروق قبر أي مسلم لا يتميز عن مطلق مسلم ، ولا يلبث الزمان أن يمحو أثره كما يمحو كل شيء في هذا العالم .

---

1) توافق عام 1296 هـ

1119) عبد الرحمان بن محمد الشرفي

عبد الرحمان بن محتسب فاس السيد محمد ، بن العدل السيد أحمد ، بن محمد ، بن أبي جيدة ، بن أحمد ، بن مَحمد ، بن محمد ، بن ابراهيم ، بن الولي الصالح أحمد ، بن قاسم الشرفي .

قال في (اللؤلؤ المكنون) : ومنهم الفقيه الأجل ، العالم العلامة الأفضل ، المدرس المحقق المدقق ، المشارك في علوم شتى من منطق وبيان وأصول وعَروض وفقه وحساب وفرائض الى غير ذلك ، سيدي عبد الرحمان الشرفى ، أخذ عن أشياخ عديدة ، كالشيخ ادريس البدراوي ، والشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمان ، ويصلي اماماً بمسجد سيدي العواد ، ووصفه ربعة القد ، أبيض اللون ، رضي الله عنه ونفعنا به ءامين ، توفي تغمده الله برحمته يوم الاربعاء 13 من جمادى الاخيرة سنة أربع وثلاثمئة وألف ، ودفن خارج باب فتوح بروضتهم المعلومة لهم بالقباب ، وقد اختلّ عقله في ءاخر عمره . انتهى .

وقال في (الدرر البهية) بعد ذكر والد المترجم : ومنهم ابنه الفقيه العلامة المدرس المحتسب الوزير الكاتب البارع ، السيد عبد الرحمان ، كان رحمه الله أحد الفقهاء المشهورين فقيهاً نبيهاً مدرساً نحوياً منطقيا لغويا محدثا، له باع في الانشاء والترسيل ، محمود السيرة ، كثير الصمت ، حسن السمت، جليلا وقورا ، سري الهمة ، قوي اليقين متمسكا بعروة الدين ، قائما مع الحق ، لا يواجه أحدا بمكروه ولا يداريه ، درس العلوم مرة ، ثم رشح للكتابة بالحضرة السلطانية، وولى خطة الحسبة في هذه الحضرة مدة الى أن أخر عنها لا لريبة (1) أيام أمير المومنين مولاي عبد الرحمان بن هشام ، ثم ارتسم في الكتابة وتصدر في ديوان الانشاء ، ثم استوزره أمير المومنين مولاي الحسن بن محمد لخليفته

---

1) ذكر محمد غرنيط فى **فواصل الجمان** ص 209 أن المترجم أخر عن الحسبة بفاس لعثرة ما اقيلت ، وزلة قيلت ! ثم ذكر ما أوخذ به ، وهو لا يعدو شدته فى معاملة بعض عبيد النصر ربعض الشهود ووشاية ابن الطالب عامل فاس به ، قال غرنيط : فقوبل بالتوبيخ والتهديد ، وعومل بالقسوة والتشديد ، الى أن شفع فيه الفقيه الوزير سيدى محمد غرنيط وبين حقيقة الواقع ، وصرح بأن خرق العامل ليس له الا العزل راقع ، فقبلت شفاعته ، وقبح فعل العامل وعظمت شناعته

صنوه مولاي عثمان بمراكش (1) وما زال على ذلك الى أن توفي رحمه الله بفاس في ثالث عشر جمادى الثانية سنة أربع وثلاثمئة وألف ، وله شعر رائق ، ونثر فائق .

والشرفي نسبة الى جبل الشرف المطل على اشبيلية ، وهو جبل كثير الشجر والزيتون وسائر الفواكه كما في (معجم البلدان) عند ذكر اشبيلية .

وحلاه في (المجد الطارف والتالد) في أوله لما ذكر أنه قرظ له على مقدمات كتاب (الارتجال) بالفقيه العلامة المشارك المتفنن ، أديب الادبا ، مَن به تتخذ الى سماء البلاغة سببا ، الحاجب الاجل ، ثم قال فيه : ومن أبدع اللزوميات ما أنشدنا الفقيه الكاتب أديب الزمان وعلامته ، سيدي عبد الرحمان الشرفي وهو بيت أظنه مطلع قصيدة :

ما نافعى عقلي ولا تجريبي ... ما دمت في سفن الهوى تجري بي

وقال في (الحسام المشرفي) : الكاتب السيد عبد الرحمان الشرفي أديب غزير ، فقيه بأمهات المذهب شهير .

وقرأت في ديوان الفقيه الوزير محمد ابن ادريس ما نصه : وقال وقد بعث له أخوه في الله السيد محمد بن أحمد الشرفي قطعة شعر نظمها ولده الفقيه السيد عبد الرحمان في أول نجابته :

أخي زاد ربُّ العرش فضلك رتبة ... وحاطك من أهل الذعارة والحسد
لقد سرني الدر النظيم الذي أتى ... به النجل منسوقاً فبورك من ولد
سما للدراري في حداثة سنه ... فنظَّمها كالدر في العقد وانتقد
وعلَّمه غواصُ فكرك فانتقى ... وأتحفه هاروت بالنفث في العقد
فلله أنت أو بنيك نجابة ... ولا غرو ان الشبلَ يُشبه للأسد
فلا زال يرقَى والاله يحوطه ... ودمت قريرَ العين متصلَ المدد

1) انظر وثيقة تتعلق بوزارته للخليفة مولاى عثمان فى الوثائق 3 : 429 ع 470

يحكى أن المترجم رحمه الله لما استعمل في الكتابة مع الفقيه ابن ادريس قدم ذات يوم لدار المخزن الفقيه ابن عبد الرحمان ، فقال : لا حول ولا قوة الا بالله ، شيخنا قد قدم ولا نقدر أن نقف له ، فما أتم الخاطر حتى قام الوزير ابن ادريس له وتعرض له واهتبل بمقدمه ، فقام الجميع لملاقاته بسبب ذلك .

ولما استعمل في الوزارة مع الخليفة مولاي عثمان كان اليه مرجع القضايا في الابرام والحل في مراكش عند غيبة السلطان ، وبها استوطن ، كان مقتصداً في أموره ، لا أبهة له ، والمخزن يعظمه ويحترمه ، وفي ءاخر عمره وقع له احتراف في دماغه ، وكان الحاج أحمد التونسي بائع الكتب يعالجه بوضع الثلج على رأسه ، وبقي على ذلك الى أن انتقل لفاس واختل مزاجه في ءاخره بسبب هذا الاختلاط ، وتوفي رحمه الله في التاريخ المذكور .

وقد كان السلطان سيدي محمد وجه المترجم رحمه الله سفيرا ، قال في (الجيش) : ووجه كاتبه الفقيه العلامة الماجد الاصيل ، السيد عبد الرحمان بن محمد الشرفي الفاسي الى جنس النجليز حتى تقررت الامور ، وتمهدت على الوجه المعروف ، وتيسرت الاسباب في البر والبحر .

وقال في (الازهار العاطرة الانفاس) عند ذكر القصائد التي مدح بها مولاي ادريس ما نصه : التاسعة للفقيه الاديب الكاتب ، سيدي عبد الرحمان الشرفي رحمه الله تعالى وعفا عنا وعنه ءامين ، وهي :

حطَّ الرحالَ بأهل الله وانشرح ... واقرع بهم باب فضل الله ينفتح
هم صفوة الله بعد الانبياء فسلْ ... من ربهم بهم ما شئت واقترح
قوم كرام على المولى الكريم، حمى ... مَنْ احتمى بهم والله لم يبح
وداد ءال نبي الله مفترض ... فاخضع بأبوابهم ما عشت وانطرح
مَن لم يدن ربه بصدق حبُّهم ... يُحشرَ ورائحة الايمان لم يرح
لولا الامام ابن عبد الله فخرهمُ ... بغربنا علم التوحيد لم يلح
ادريس جامع أشتات المحاسن كم ... أتيح من شرف كالشمس متضح

ياطالعَ السعد بحر الجود عنصره	أنت المرجّى لكشف الخطب والترح
أنت الملاذُ اذا ما أزمة عظمت	وفوقت أسهماً من منظر اشح
ان المقام الذي قدست تربته	كالمسك تربته والعطر ان يفح
ما أمّه حرج في نفسه قلق	الا وآب بصدر منه منشرح
اذا قصدناك نرجو منك منقلباً	فيه المنى ودوام العز والفرح
ماذا عسى يبلغ المُثني عليك وقد	أتى بغاية مدح فيك منفسح
بحق راشد المولى صفيك من	ورثته السر مكنوناً فلم يبح
والغوث ادريس مَن أضحت مآثره	تتلا بمغتبق منا ومصطبح
اقبل مهيضَ جناح أمَّ بابك يا	كهف العلا وأنله أعظم المنح (1)

1120) **عبد الرحمان بن عبد الله لُبريس** بضمّ اللام ، الاندلسي الرباطي ، العلامة المشارك المدرس النفاعة ، اللغوي الاصولي المنطقي الفلكي، المعدل الفرضي الحيسوبي العروضي . أخذ عن ابراهيم التادلي ، ومحمد بن المدني جنون ، وسيدي قاسم القادري ، وأخذ عنه مولاي الرشيد بن عبد الرحمان بن هشام (2) والقاضي المكي بن محمد البطاوري ، في جماعة اخرين.

استخدمه السلطان سيدي محمد بمرسى الدار البيضاء ، وألف حاشية على شرح الزموري على الخزرجية ، واختصر شرح الشيخ بناني على السلم ، وله كتاب في الوثائق نهج فيه منهج ابن عرضون ، وله كتابة كثيرة على الألفية لابن مالك ، ترتب وحج عام 1307 ، وبالمدينة كانت منيته رحمه الله (3) .

1121) **عبد الرحمان بن أحمد النابلسي** نجاراً ، المدني قراراً، الحنبلي مذهباً ، العلامة الفاضل الرحال ، أخذ عن الشيخ عبد الغني الميداني الدمشقي المعروف بابن خليل باشا ، وأجازه عامة عام 1280 وورد الى المغرب في عشرة

---

1) له ترجمة في **فواصل الجمان** ص 208

2) كذا في الأصل ، والذي في **اعلام الفكر المعاصر** 2 : 38 نقلا عن **الاغتباط** ان الامير المولى الرشيد هو حفيد المولى سليمان

3) كانت وفاته اخر سنة 1307

الثمانين ، فأخذ عنه بفاس سيدي الكامل المراني ، وأجازه عامة ، وبالرباط سيدي العربي ابن السايح ،وبمراكش السلطان سيدي محمد ، حدث سيدي الكامل المراني أنه رأى اجازته بخطه للسلطان سيدي محمد في نسخته من صحيح البخاري ، وأخذ عنه بالصويرة عاملها سيدي علي بن أحمد بن عبد الصادق ، وأجازه ، وسيدي أحمد الوعدوني سمع عليه بها ، وممن أخذ عنه بالمشرق سيدي علي ابن ظاهر حين أجرى ذكر ابن أخيه في كناشة الآخذين عنه ، وعاش الى أوائل هذا القرن عام 1305 خمسة وثلاثمئة وألف .

ترجمه السيد عبد الحي .

1122) **عبد الرحمان بن محمد ابن عزوز** ، من أهل فاس كان رحمه الله من أهل الخير والصلاح ، فيه حياء مفرط ، واقفا مع الشريعة ، لا يخاف في الله لومة لائم ، حضر مرة في بعض المجالس فأحضرت المغنيات والخمر ، وكان هناك شباك فخرج منه وسقط الى الأرض ولم يقع له سوء ، مع أن محل السقوط عال ، ناسكا فاضلا ، أخذ عن الفقيه كنون ، زوارا للصالحين ، حريصا على ملاقاتهم ، حاضرهم وبلديهم ، صحب بفاس سيدي محمد بن عمر الدباغ وقريبه سيدي محمد بوطربوش ، وسيدي محمد بن عبد الواحد الكتاني ، وسيدي عبد السلام ابن ريسون بتطوان ، ماذوناً في تلقين اللطيف ، دخل مراكش مرات تنيف على العشرين معتنياً بتعليم البوادي معالم الديانة ، وله قدم راسخ في ذلك . ولما توجه لزيارة المولى عبد السلام ابن مشيش في رفقة من أهل فاس ، ولقي بتطوان ابن ريسون المذكور، وطلب منه مجيء ولده من لندرة حيث كان تاجراً بها ، فنبه على طلب ذلك من سيدي محمد بن عمر الدباغ ، فحين ورد لفاس طلب منه ذلك وألحّ عليه فيه ، فبعد مدة ورد ولده منها وعد ذلك من بركته .

توفي رحمه الله عن نحو سبعين سنة عام 1320 .

1123) عبد الرحيم بن محمد ابن خلف الله الانصاري

عبد الرحيم بن محمد بن أبي العيش بن خلف بن عبد الله الأنصاري ، يكنى أبا بكر ، أندلسي ، روى عن موسى بن أبي تليد ، وأبي علي الصدفي ،

وأبي محمد ابن عتاب ، وأبي بحر الأسدي ، وأبن الوليد ابن طريف ، وأبي محمد اللخمي سبط ابن عبد البر ، وأبي جعفر بن المرخي ، وكتب اليه من المهدية أبو عبد الله المازري ، واستوطن مراكش وحدث بها . روى عنه القاضي أبو الحسن الزهري سمع منه الموطأ ، وابنه عبد الرحمان بن أبي الحسن ، قال ابن الابار في (المعجم) : وحدثنا عن عبد الرحمان هذا أصحابنا . وقال ابن الابار في (التكملة) : ووجدت السماع منه في سنة 535 ، وأحسب وفاته في نحو السبعين وخمسمئة (1) .

1124) عبد الرحيم بن ابراهيم ابن الفرس الخزرجي

عبد الرحيم بن ابراهيم بن محمد الخزرجي ، يعرف بابن الفرس ، ويكنى أبا القاسم ، من أهل غرناطة ، سمع أبا عبد الله ابن زرقون وحدث عنه بالتقصي لابن عبد البر ، قال ابن الأبار : ولا أعرف له رواية عن غيره ، وكان فقيهاً أصولياً محدثا حافظا متقنا أديبا شاعرا ، سمع منه أبو جعفر ابن الدلال بغرناطة ، وقال لي لم أر أحفظ منه لأسانيد الحديث ، وقتل ببعض نواحي مراكش في سنة 600 .

انتهى من التكملة (2) . ونقل جله في نيل الابتهاج (3) .

وقال في (الاحاطة) عبد الرحيم بن ابراهيم بن عبد الرحيم الخزرجي، يكنى أبا القاسم ، ويلقب بابن الفرس ، ويلقب بالمهدي ، من أعيان غرناطة ، كان فقيها جليل القدر رفيع الذكر ، عارفا بالنحو واللغة والادب ، ماهر الكتابة ، رائق الشعر ، بديع التوشيح ، سريع البديهة ، جارياً على أخلاق الملوك في مركبه وزيه وملبسه ، قال ابن مسعدة : وطيء من درجات العز والمجد أعلاها ، وفرع من الاصالة منتهاها ، ثم علت همته الى طلب الرياسة

---

1) معجم أصحاب الصدفي ص 257 ع 224 ، والتكملة ص 288 (مخطوطة الخزانة الملكية)

2) التكملة 2 : 597 ع 1666 طبع مدريد ، وص 288 (مخطوطة الخزانة الملكية)

3) نيل الابتهاج ص 177

والملك ، فارتحل الى بلاد العدوة ودعا الى نفسه ، فأجابه الى ذلك الخلق الكثير ، والجم الغفير ، ودعوه باسم الخليفة وحيوه بتحية الملك ، ثم خانته الاقدار ، والدهر بالانسان غدار ، فأحاط به جيوش محمد الناصر بن يعقوب المنصور وهو في جيش عظيم من البربر ، فقطع رأسه ، واهزم جيشه ، وسيق الى باب الخليفة فعلق على باب مراكش في شبكة من حديد ، وبقي به مدة من عشرين سنة (1) .

قال أبو جعفر ابن الزبير : كان أحد نبهاء وقته لولا حدة كانت فيه أدت به الى ما حدثني به بعض شيوخي ممن صحبه ، قال : خرجنا معه يوما على باب من أبواب مراكش برسم الفرجة ، فلما كان عند الرجوع نظر الى رؤوس معلقة فتعوذنا بالله من الشر وأهله ، وسألناه سبحانه العافية ، قال : فأخذ يتعجب منا ، وقال هذا خور طريقة وهو من خساسة الهمة ، والله ما الشرف ولا الهمة الا في تلك ، يعني طلب الملك وان أدى الاجتهاد فيه الى الموت دونه على تلك الصفة ، قال : فما برحت الايام والليالي حتى شرع في ذلك ، ورام الثورة وسيق رأسه الى مراكش ، فعلق في جملة تلك الرؤوس ، فكتب عليه أو قيل فيه :

جرى وجرت رجلاه لكنَّ رأسه	أتى سابقاً والجسم ليس بسابق

وكانت ثورته ببعض جهات درعة من .

مشيخته : أخذ عن صهره القاضي عبد المنعم بن عبد الرحيم ، وغيره من أهل البلدة ، وتفقه بهم وتمهر في العقليات والعلوم القديمة ، وقرأ على القاضي المحدث أبي بكر ابن زمنين ، وتلا عن الاستاذ الخطيب أبي عبد الله ابن عروس ، والاستاذ الخطيب أبي جعفر ابن العطار .

ومن شعره في الثورة :

قولوا لأولاد عبد المومن بن علي	تأهبوا لوقوع الحادث الجلل
قد جاء فارس قحطان وسيدها	ووارث الملك والغلاب للدول

1) الاحاطة 3 : 473

ومن شعره قصيدته الشهيرة وهي :

الله حسبي لا أريد سواه ... هل في الوجود الحق الا الله ؟
ذات الالاه بها تقوم ذواتنا ... هل كان يوجد غيره لولاه ؟
يامَن يلوح بذاته أنت الذي ... لا تطمع الأبصار في مرءاه
لا غرو انا قد رأيناه بها ... فالحقُ يظهر ذاته وتراه
يامَن له وجه الكمال بذاته ... فالكلُ غاية فوزهم لقياه
أنت الذي لما تعالى جده ... قصرت خطا الألباب دون حماه
أنت الذي امتلأ الوجود بحمده ... لما غدا ملئان من نعماه
أنت الذي اخترع الوجود بأسره ... ما بين أعلاه الى أدناه
أنت الذي خصصتنا بوجودنا ... أنت الذي عرفتنا معناه
أنت الذي لو لم تلح أنواره ... لم تعرف الأضداد والأشباه
لم أفش ما أودعتنيه فانه ... ما صان سر الحق مَن افشاه
عجز الأنام عن امتداحك انه ... تتضاءل الأفكار دون مداه
مَن كان يعلم أنك الحق الذي ... بهر العقول بحسنه وكفاه
لم ينقطع أحد اليك محبة ... الا وأصبح حامدا عقباه

وقال ابن خلدون : عبد الرحيم بن عبد الرحمان ابن الفرس من طبقة العلماء بالأندلس ، ويعرف بالمهر ، وحضر مجلس يعقوب المنصور في بعض الأيام ، وتكلم بما خشي عاقبته في عقده ، وخرج من المجلس فاختفى مدة ، ثم بعد مهلك يعقوب المنصور ظهر في بلاد جزولة ، وانتحل الامامة وادعى أنه القحطاني المراد بقوله (ص) لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه يملأها عدلا كما مُلئت جورا الى ءاخر الحديث ، وكان مما ينسب اليه من الشعر :

قولا لأبناء عبد المومن بن علي ... تأهبوا لوقوع الحادث الجلل
قد جاء سيد قحطان وعالمُها ... ومنتهى القول والغلاب للدول
والناس طوع عصاه وهو سائقهم ... بالأمر والنهي بحر العلم والعمل
تبادروا أمره فالله ناصره ... والله خاذل أهل الزيغ والميل

فبعث محمد الناصر اليه الجيوش فهزموه ، فقتل وسيق رأسه الى مراكش فنصب بها .

انتهى كلام ابن خلدون بلفظه (1) ، وذكره في الاستقصا (2) من غير عزو وهذا من أغرب الغريب .

وابن الابار يجعل اسم والده ابراهيم وجده محمد ، وابن الخطيب يجعل اسم جده عبد الرحيم ، وابن خلدون يجعل اسم والده عبد الرحمان (3) .

1125) عبد الرحيم بن عيسى ابن الملجوم الزهراني الفاسي

عبد الرحيم بن عيسى بن يوسف بن عيسى بن علي بن يوسف بن عيسى بن قاسم بن عيسى بن محمد بن قبتروس بن مصعب بن عميْر بن مصعب الأزدي ، ثم الزهراني ، من أهل مدينة فاس ، يكنى أبا القاسم ، ويعرف بابن الملجوم ، وقاسم بن عيسى هو الملقب بذلك ، وغلب على أولاده فلا يعرفون الا به ، وعمير بن مصعب هو القادم من أزد السراة بالحجاز في جيش موسى بن نصير .

سمع ببلده من أبيه عيسى،وعمه أبي القاسم،وأبي عبد الله الجياني المعروف بالبغدادي ، وأبي الحكم ابن حجاج الاشبيلي ، وأبي علي ابن الخراز ، وأبي بكر بن ريدان القرطبي ، وعباد بن سرحان قرأ عليه تأليفه في الفرائض ، وسمع عليه رسالة القلم والدينار لابن ماكولا وغير ذلك ، ولقي ببلده أيضا أبا مروان ابن مسرة ، وأبا الفضل ابن عياض ، وأبا الحسن الزهري ، وأبا بكر ابن الجد، ومغيث بن يونس ابن مغيث، وأبا الوليد ابن رشد، وأجاز له جميعهم الا ابن رشد فانه أجاز له المقدمات وشرح العتبية من تأليف أبيه ، وناظر على أبي بكر بن طاهر في نحو الثلث من كتاب سيبويه، ودخل الاندلس فلقي بقرطبة أبا

---

1) تاريخ ابن خلدون 6 : 522 طبع بيروت

2) الاستقصا 2 : 218 طبع الدار البيضاء

3) ينظر عنه أيضا الحلة السيرا 2 : 270

القاسم ابن بشكوال، وأخاه أبا عبد الله، وأبا عبد ابن حفص، وباشبيلية أبا بكر ابن خير، وأبا العباس ابن سيد الأديب،وبمالقة عبد الرحمان السهيلي،وأبا عبد الله ابن الفخار،فسمع منهم ومن سواهم،وكتب اليه أبو محمد اللخمي سبط أبي عمر بن عبد البر ، وكان متصل العناية بالرواية ولقاء الشيوخ والاكثار من حمل الرواية ، بصيراً بالحديث ، محافظاً على تقييده وضبطه ، مع جلالة القدر ونباهة السلف ورفع الشأن في بلده ، وكان عنده من الدفاتر والدواوين كثير مما اقتنى وورث عن أبيه ، على أن خزانة ابن عمه أبي القاسم عبد الرحمان بن يوسف المذكور قبل كانت شهيرة بالمغرب ، حدث وأخذ عنه الناس واستجازوه من أقاصي البلاد رغبة فيه وتنافساً في علو روايته ، وكان أهلا لذلك .

ولد بعد الزوال من يوم السبت السادس لصفر سنة أربع وعشرين وخمسمئة 524 ، وتوفي في شهر ربيع الآخر سنة أربع وستمئة 604 وقد نيف على الثمانين .

قال ابن الابار : وقال لي مَن أثق به في حفظه انه توفي في سنة ثلاث وستمئة (1) انتهى ما قاله في (الجذوة) .

قلت : وذكر دخول المترجم لمراكش ابن الابار في (التكملة) في ترجمة جعفر الشنتمري أحد شيوخ المترجم الذي لقيه بمراكش كما تقدم نقله عنه في ترجمته ، كما يأتي ذكره أيضا في ترجمة يحيى الفهري شيخه ، وهو المعني بأبي بكر ابن زيدان القرطبي فيما تقدم في تعداد شيوخه .

فائدة : انما لقب قاسم جد المترجم بالملجوم لتوقف كان في لسانه من علة عرضت له في صغره ، وكان سلفه قبلها يعرفون ببني مصعب ، وعمير ولده المذكور هو الذي تنسب اليه عين عمير خارج فاس (2) لنزوله بها لما

---

1) **التكملة** 2 : 601 ع 1674 طبع مدريد وص 289 من مخطوطة الخزانة الملكية رقم 1411 ، أما نقل **الجذوة** فهو فى ص 415 ع 432 طبع الرباط

والرواية الأخيرة لابن الابار توافق ما عند ابن الزبير فى **صلة الصلة** فقد ذكر فيها أن وفاته كانت فى ذى القعدة سنة 603

2) تقع عين عمير بدشرة ذوى منيع من بطن أولاد منصور من قبيلة أولاد الحاج سايس خارج فاس

قدم على مولانا ادريس الاكبر المغرب ، وهو أمير على قومه من الازد ، فأحسن نزله واستخدمه في الامارة والحجابة ، وزوجه من أبنته عاتكة ، ووالد مصعب هو خالد بن هرثمة بن الامير يزيد بن الامير المهلب بن أبي صفرة ، وراجع تاليف بيوتات فاس (1) لأبي زيد وغيره .

1126) عبد الرحيم بن أحمد ابن عـُلـَيـْم الأنصاري السبتي

عبد الرحيم بن أحمد بن علي بن طلحة الانصاري،من أهل سبتة،وأصله من شاطبة ، يعرف بابن عـُلـَيـْم ، ويكنى أبا القاسم ، سكن مراكش، ودخل الاندلس غازيا ، وسمع بقرطبة من عبد الله ابن حوط الله في سنة 609 وسمع أيضا عنه بسبتة ومن أبي القاسم ابن بقي بمراكش ، رحل حاجاً في سنة 613 فـأدى الفريضة وكتب الحديث بمصر ودمشق وبغداد وغيرها،فلقي من أصحاب أبي الوقت والسلفي وغيرهما جماعة ، وأقام هنالك مدة ، وقدم تونس في جمادى الاولى سنة 642 وحدث بها ، قال ابن الابار : وسمعت منه جملة من رواياته وأجاز لي لفظاً وخطاً ، وأخبرني أن مولده عصر يوم الجمعة السادس عشر من ربيع الأخر سنة 585 ، وتوفي سنة 655 (2) .

1127) عبد الكبير بن عبد الرحمان (المجذوب) الفاسي

عبد الكبير بن المجذوب بـن عبد الحفيظ الفاسي ، الامام العلامـة المشارك الخطيب المدرس المرابط ، ذكر سيدي الكامل المراني في فهرسته أنه يروى عن الامام العالم العلامة الهمام المشارك الخطيب ، المدرس المرابط سيدي عبد الكبير بن سيدي المجذوب الفهري ، قال : قرأت عليه رسالة ابن أبي زيد والشمائل وغيرهما ، وأجازني اجازة عامة قال فيها : أجزته بجميع مروياتي عن مشايخي وسادتي من فروع وأصول ، ومعقول ومنقول ، وأحزاب وأذكار وأوراد وأوفاق ، وكل ما له نفع واعداد ، وذكر فيها أنه يروى عـن الشيخ العلامة سيدي عبد السلام الازمي ، والعارف سيدي محمد الحراق هما معا عن الشيخ التاودي ، وعلى غيرهما سيدي محمد بن عبد الرحمان الحجرتي،

1) **بيوتات فاس الكبرى** ص 10 ع 6 طبع الرباط

2) **التكملة** ص 290 مخطوطة الخزانة الملكية و 2 : 602 ع 1675 طبع مدريد

والعلامة سيدي التهامي بن حمادي المكناسي ، وسيدي عبد القادر الكوهن ، وسيدي محمد العلمي ، وسيدي محمد بن سعد التلمساني ، وسيدي علي بن ادريس قصارة ، وابن عمه سيدي محمد قصارة ، وأجازه العلامة سيدي محمد ابن دحو الزموري ، والشيخ ابراهيم السقا ، وأجازه هو أيضاً ، والشيخ محمد صالح البخاري ، والشيخ عبد الغني الدهلوي ، والشيخ سيدي أحمد دحلان ، وأخذ الطريقة الدرقاوية عن سيدي محمد الحراق ، وسيدي عبد السلام الميسوري ، عن مولاي العربي الدرقاوي ، والطريقة الرفاعية عن سيدي أحمد الرفاعي المدني ، والخلوتية عن الشيخ محمد النسب الاسكندري ، والنقشبندية عن الشيخ عبد الغني ، والقادرية والناصرية والتهامية عن الفقيه ابن دحو ، وغير ذلك عن جماعة مشارقة ومغاربة ، وله مؤلفات ، منها (تذكرة المحسنين، بذكر وفيات الاعيان والصالحين ، وبعض حوادث السنين) ابتدأه من الهجرة الى سنة سبع وثلاثمئة وألف ، وشرح على مقدمة جده ، وتأليف في الرد على ابن زكري في تفضيل العجم على العرب ، (والكشف والتبيان ، في قصة الوداية مع مولاي عبد الرحمان) وغير ذلك .

وتوفي رحمه الله سابع وعشرين من رمضان عام خمسة وتسعين ومئتين وألف ، ودفن بشالة .

وقال في معجم أصحاب الرضوى بعد ذكره ما نصه : العالم المشارك، الخطيب المصقع ، الكاتب الموثق ، الناظم الناثر ، الرحالة الرحلة ، الراوية المعمر ، بقية بني البيوت العظيمة بالمغرب ، وأول من لقب منهم بالفاسي يوسف جد الشيخ أبي المحاسن يوسف قطب المغرب في وقته ، فانه كان يتردد من فاس لقصر كتامة الكبير بقصد التجارة ، فعرف هنالك بالفاسي ، وبقي عليهم هذا اللقب الى الآن ، وهم في فاس منذ قدموا اليها ، أعيان الوجوه ووجوه الأعيان ، في الدين والدنيا وبحار العرفان ، وفيهم يقول بعض المتأخرين :

ءال فهر أتاكم الله جاهـــاً	وعلا مجدكم ففاق الغزالـــه
حزتم العلم والولاية والجـــاه	وناهيك رفعة وجلالـــه

ونحو قول محمد بن أبي بكر اليازغي :

خليلي ان الفاسيين لجوهر — على جيد هذا الدهر لاح وأبرقا
صغيرهم للمجد يسرع يافعاً — وأكبرهم فوق السماك قد ارتقى
أزاهرهم عن يمن فهر تفتقت — وغصنُهم مازال باليمن مورقا

ولد المترجم سنة احدى وعشرين ومئتين وألف ، وربي في كنف والده مشمولا بأنظار مَن كان يأوى اليه من صالحي الوقت وعلمائه المتوطنين فاساً والواردين ، وسمع حديث الاولية من طريق المغاربة عن القاضي مولاي الصديق بن محمد الهاشمي العلوي المدغري على أبي سالم عبد الله بن محمد الحمزاوي ، عن مولاي الفضيل بن علي العلوي ، عن أحمد بن علي العلوي بأسانيده ، وأخذ العلم عن أهله مثل الشيخ عبد السلام اليازمي وتلميذيه عبد القادر بن أحمد الكوهن وابن عبد الرحمان الحجرتي وعلي بن ادريس قصارة ، وابن عمه محمد ، والقاضي محمد التهامي ابن حمادي المكناسي ، ومحمد العلمي الفاسي ، والعارف محمد بن محمد الحراقي ، وهو مع الاول من أعلا شيوخه ، اذ هما من تلاميذ الشيخ التاودي ، وجلس للتوثيق والعقود ، وتصدر للمنابر والمشاهد ، فبالغ وبلغ ، ودرس وصنف ، فأجاد وأحسن ، وأتقن صناعة الوراقة ، فخلف من الكتب الحديثية مثل الكتب الستة وغيرها ما اكتسب به أجوراً لن تبور ، واعتنى بالتاريخ والوفيات ، وألف كتابه (تذكرة المحسنين ، في وفيات الأعيان وحوادث السنين) إلى سنة نيف وسبعين بعد المئتين وألف من لدن الهجرة ، تخرج في نحو مجلدين كبيرين ، وله مقامات وخطب وشرح على فقهية جده سيدي عبد القادر بن علي ، وحظي عند الملوك العلويين ، اذ كان بقية بني الجد الفهريين بفاس ، بل بالمغرب ، وقلدوه عطاياهم ، وحج سنة سبع وثمانين ومئتين وألف ، وحظي بلقاء أعيان علماء ذلك العهد واستجازهم مثل محدث المدينة الشيخ عبد الغني بن أبي سعيد ، وابن أخيه الشيخ محمد مظهر ، والشيخ محمد مظهر ، والشيخ رحمة الله ابن خليل الرحمان الهندي ، والشهاب أحمد بن منصور الرفاعي ، والشيخ حسين بن عبد الرحمان الأزهري المكي ، والشهاب أحمد دحلان ،

والسيد محمد حسن بن محمد صالح جمال الليل المكي ، وأجازوه عامة ما لهم ، وتدبَّج مع شيخ الشافعية بالديار المصرية خطيب الجامع الازهر ابراهيم السقاء الازهري ، والشيخ عبد الجليل بن عبد السلام برادة المدني ، وأنشد الاخير في ءاخر اجازته له الصادرة منه سنة 1287 فيما قرأته بخطه :

طلب الكبير اجازتي وهو الحري بأن يجيزا
فأجزت ممثلا له والحق هو كان المجيزا

ومن اللطائف أن هذه الابيات كانت على حافظتي وقت ما أخبرني الشيخ عبد الجليل برادة بمكة حين لقيته بها أن المترجم أجاز له أيضاً ، فانشدته اياها فوجدته قد نسيها فأمر أحد أولاده بكتابتها عني ، ولقي المترجم كثيرا من رجال الطريق كالشيخ العارف محمد بن مسعود الفاسي ، والشيخ الفاروقي الهندي ، والشيخ يوسف بن محمد البحراني ، والشيخ حسن بن أيوب النقشبندي الهندي ، والشيخ حامد الطايشي تلميذ العارف السنوسي ، والشهاب أحمد بن عبد السلام الميسوري ، والفراج المغربي الازهري ، والشيخ عبد القادر بن ابراهيم الاسكندري ، والسيد عبد الله بن عبد الله بن علي الحضرمي الحسني ، والشيخ يوسف بن عبد الله البرقي الشامي شيخ الحنابلة بمصر ، والشمس محمد بن محمد بن صالح البناء الخلوي الاسكندري ، والشيخ حسن بن عبد الكريم حمزة الاسكندري وغيرهم ، ثم حج سنة 1294 ولقي ثانياً بعض هؤلاء ، ثم زاد بالرواية عن السيد هاشم بن الشيخ الحبشي الباعلوي ، والشهاب أحمد الكسراوي المدني ، والشهاب أحمد بن أمير رضوان المدني ، وغيرهم ، وقد سبق له بالمغرب أن لقي الشمس محمد بن أحمد ابن دحو الأزموري وأجازه بالطريقة المختارية والناصرية والوزانية ، والعارف النور عمر بن المكي المعري الشرقي ، وأمثالهم ، ولقي بطنجة النور عمر غيلان ، وبتطوان الشيخ الشهير عبد السلام بن علي ابن ريسون ، وبمكناس الشهاب أحمد بن محمد الصفار ، في ءاخرين ممن يتعذر احصاؤهم ، واجتمع بالشيخ محمد صالح وأقبل عليه وأجازه عامة ما له ، وهذا نص ما وقفت عليه بختمه :

الحمد لله الذي حفظ هذا الدين وحماه ، وأهل لحمله من كل جيل أمناءه وفضلاه ، والصلاة والسلام الأتمان على نبيه الأمين ومصطفاه ، وعلى ءاله وصحبه ومن سلك هداه .

وبعد فقد سألني الفقيه النبيه ، اللوذعي النزيه ، سيدي الكبير بن المجذوب الفاسي الفهري أجازة في العلوم العقلية والنقلية ، من حديث وتفسير وبلاغة ومنطق وكلام وغيرها ، فأسعفته فيما سأل ، لكونه بجميع ما ذكرته قد تأهل ، وأجزته اجازة مطلقة عامة بشرطها المعروف وقانونها المالوف ، بأن يقول فيما لا يدريه لا أدري ، وأن يبث العلم ابتغاء وجه الله ، وأن يقتفي أثر أسلافه الكرام ، وأن يهتدي بهديهم على الدوام ، وله أن يروي عني بالتحديث وغيره بسندي المتصل الى جده العالم العامل ، والولي الكامل ، سيدي عبد القادر الفاسي قدس الله سره العزيز ورضي عنه ، ونرجو منه صالح الدعاء ، خصوصا في مظان الاجابة أمكنة وأزمنة ، وكان هذا بعد أن خلت ثلاث عشرة ليلة من ذي القعدة الحرام سنة ستين بعد مئتين وألف من هجرة مَن له المجد والشرف صلى الله عليه وسلم ، ومجد وكرم ، وعلى ءاله وصحبه الى يوم الدين ، والحمد لله رب العالمين .

ثم ختم الشيخ داخله محمد صالح .

وتلقن من الشيخ محمد صالح من رمز الجن وما أشبه ذلك ، كما تحمل في هذا الباب عن غيره مما لا نأتي على بعضه في هذه العجالة الا مع اطالة ، قال صاحبنا العالم الأخباري الواعية المعمر عبد السلام بن الغالي العمراني اللجائي نزيل فاس في شرحه على الصلاة القاسمية من أوراد الطائفة الكتانية لما استطرد كلمات في الشيخ محمد صالح ما نصه : وممن ذهب اليه واجتمع به وصاحبه ، محبنا الفاضل العلامة الوجيه المعظم ، سيدي عبد الكبير بن الولي الصالح سيدي المجذوب الفاسي من حفدة الشيخ سيدي عبد القادر الفاسي ، وكان سيدي الكبير هذا بمولانا عبد السلام ، وحين قدم قيل له أن الشيخ صالح البخاري سافر ، ووجد سيدي عبد الكبير هذا ولدا له حين

قدم محتضرا يجود بنفسه ، فخرج لوداع هذا الشيخ ولم تشغله هذه الاشغال ، واجتمع به بالضويات على مسافة من فاس ، وكان سيدي الكبير هذا محبا في أهل الله ، مكرماً لمن أتاه ، داره دار طعام ، ومحل نزول الكرام ، كان عنده بزاوية جده رجل من العباد ، وكان يقوم بنفقته ، فأمر مولاي عبد الرحمان بن هشام ببيع جميع أمتعة التاجر المكي القباج ، وكان سيدي الكبير يحضر لبيع ذلك ، فجلس سيدي الكبير مدة مع العابد المذكور ، وذكر له أن ليس عنده ما يشتريها به ، فقال له ذلك المنقطع لو أتيتني لسلفتك ثمنها ، فذهب سيدي الكبير من الغد واشتراها وطلبه في السلف ، فقال له ليس عنــدي شيء ، فضاقت الأرض بسيدي الكبير ، فلما كان نحو وسط الليل قرع العابد بابه وجاءه بقدر ما اشتراها به من غير زيادة ولا نقصان ، فكان الرجل المذكـور ينفق من الكون انتهــى .

وذكر في محل ءاخر من الشرح المذكور أن المترجم حدثه أن القاضي العدل مولاي أحمد الملقب دبيزة لقصره ، كان لا يقبل شهادة مَن يشرب أتاي من العدول ، ورأى عدلا من عدوله مرة يشتري سكرا ، فلما جاء لأداء شهادة قال له أتشرب الماء الفاسد يعني أتاي ؟ فقال له لا ، فقال له رأيتك تشتري السكر ، فاعتذر له بأنه اشتراه لسيدي المجذوب الفاسي والد المترجم ، وكان لا يرد أحد كلامه ، فقال لــه القاضي المذكور مَن سرق الصومعة هيَّأ لهــا البير (1) ، انتهى ملخصا من خطه .

ومن شعره قوله حين وقف على ما لمز به بعض المعاصرين شــرح الحافظ الزبيدي على القاموس الذي تضمنه قوله :

أقول لشارح القاموس لمـــــا ... أتى فيه بشبه الفارسيـــــــه
بنى للدين مجدُ الدين قوســـا ... فأحدث فيه شبه الفارسيـــــه

---

1) أصل المثل بالعامية : اللى كيسرق الصمعة كيحفر لها فاين يخبعها ، يضرب فى حق من يعمل عملا غير مرضى ويعد له ما يخفيه فيه أو يعتذر به عن فعله

فقال المترجم ليته قال :

أقول لشارح القاموس لمـــــا — أتى فيه بعقيـــــــان ودر
بنيت وقاية للدين قوســـــا — وقاك الله من سوء وضـــــد

ومنه أيضا ما قرأته بخط ولده العالم المتفوق بجمع اللطائف ، محمد طاهر وسمعته منه غير مرة ناظماً زوجات النبي (ص) على ترتيب التزويج وذكر مَن ماتت منهن في حياة النبي (ص) :

أياسائلي نظماً لنسوة أحمـــــد — فخذه على الترتيب أمي لزوجـــة
فأكرم بأولاهن فضلا خديجـــة — ومن بعدها بالموت جاء بســـودة
فعائشة في اثرها حفصة الرضـى — وزينب فاتت وهي بنت خديجـــة
ومن بعدها هند وزينب اثرهـــا — ومنها قضى زيد كما في التـــلاوة
جويرية مع رملة وصفيـــــة — وميمونة أخرى النساء لصحبـــة
ومَن عد في الأزواج ريحانة فقـد — تعدّى ولكن حكمها كمريـــــة

وله أيضا مما أنشدناه ابنه محمد طاهر عن أبيه :

ألا يامحب الهاشمي وءالــــه — متمم أوصاف الحبيب وءالـــــه
اذا كنت مرتاداً بلوغ كمالــــه — فما نظر الراؤون مثلَ جمالـــــه
ولا سمعت أذن كذكر محمـــــد — وما برأ الباري كشكل مثالـــــه
ولا كانت الدنيا سوى من نوالــه — ولا توجت حسنا بغير لثالـــــه
ولا وطئت أرض بمثل نعالـــه — ولا ولدت انثى كشبه محمـــــد

وله أيضا متوسلا بالولي علي بن أبي غالب الصاريوي دفين داخـل باب الفتوح من فاس :

يامَن به ألم قد ضاق ذرعاً بـــه — ولم يجد في الورى للضر من غالب
فسل إلاهك وانتظرْ لرحمتـــه — مستشفعاً بأمامنا أبي غالـــب

وله أيضاً :

ياولي الالاه جسمي عليـــــل — والدواء حقيقة في يديـــــك

قد أتينا لبابكم باضطــــــرار ابتغي نيل ما رجوت لديـــــــك
ياأبا غالب أغثني وجدٌ لـــــي فالنداء قد طال مني اليـــــــك
ياأبا غالب أغثني وجدٌ لـــــي فالغياث لمثلي حق عليـــــــك

وله أيضا في تاريخ دخول الاسبان مدينة تطوان وخروجهم منها وأيام اقامتهم بها :

قالتْ متى دخل العدو بلادكـم ؟ فأجبتها والحب عاد لشأنـــــه
1276 1278
أقبح بعام به خراب تطـــــوان والدين عاد لها بشرح بيانـــــه
812
مكثوا بها ظبياً ليأتي مكرهـــــم ومضى القضاء بما جرى وزمانـــه

وله أيضا وقد كتب به الى بعض شيوخه جواباً عن طلبه منه نزهة :

أهلا وسهلا مرحبـــــــا بمطلب مـــا أطيبــــــــــــه
يوم الخميس الوعد فـــــي وادٍ لفاس نسبــــــــــــه
من بعد ضرب قبـــــــــة على المثاني المعجبـــــــه
وكل مـــا قد ينتهـــــــي حباً يجد طلبـــــــــــــه
والعبد يبقى جالســــــاً وموجد مـــا أعجبـــــــه
أنتم صدورٌ في الـــــــورى ورأيكم مـــا أعجبـــــه
وإنني لكم وصيـــــــــف وخير مَن قد طلبـــــــه

وله أيضا في عشية رائعة على ضفة وادي فاس قوله :

وعشية تاهت بحسن جمالهـــا كل الزمان بمجمع الأحبـــــاب
والشمس تضرب من وراء ظهورنا والنهر يحسن بارتفاع حبـــــاب

وكتب الى المترجم أديب فاس في وقته عبد السلام الزموري يعرض عليه صحبته لزيارة مولانا عبد السلام رضي الله عنه :

يابن الذين تورمت أقدامهـــــم ... في الله فوق منابر الاعـــــواد
وسقوا سلاف نباهة رقت وقــد ... بلغت الى الأحفـــــاد والأولاد
أعني به عبد الكبير ابن الكبيـــ ... ـــر بن الكبير بن الكبير عمادي
اني وحقكم أريد زيارة الـــــ ... ـــقطب الكبير ومنهل القُصَّـــاد
وأريد صحبتكم على ما كنتـــم ... هيأتم قبلي مـــــــن الأزواد
فلْتقبلوا بالفضل صحبةَ مَن غدا ... يدلي بفرط محبـــــــة ووداد
ولْتجعلوني كواحد منكـــــم ولا ... تستثقلوني ياصدور النـــــادي

فأجابه بقوله :

وعليك يابن الأكرمين تحيـــــة ... من صادق تحكي لحســـن وداد
أنت الذي بك زان ربي موكبـــي ... وبلغت من يمن السرور مـــرادي
هذا وكيف يقال ان نفوسنـــــا ... استثقلوك وأنت نور ســـوادي
أهلا بكم أهلا وسهلا مرحبــــاً ... بزيارة وافتْ بوصل عمـــــاد

ولما وقف على قول القائل :

سألت أحبتي ما بال ذنبــــــي ... أجابوني وأحشائي تـــــذوب
اذا كان المحب قليلَ سعــــــد ... فما حسناته الا ذنـــــــوب

ذيلهما بقوله :

فقلت لهم وقول الحق بــــادٍ ... وماءُ الوجه ينسخه النحيـــب
اذا كان الحبيبُ كريمَ أصـــل ... يعيد السوءَ حسناً أو يتـــوب

توفي رحمه الله تعالى في الساعة الثامنة من سابع وعشري رمضان سنة خمس وتسعين ومئتين وألف بمسجد قصبة فضالة ، وحمل الى شالة فدفن بها عشية الغد ، وأدخل الى شالة احتياطا لعموم الطاعون اذذاك ، ووقفت عليه مراراً رحمه الله تعالى ، وقبره يوافي الداخل لضريح يحيى بن يونس بشالة رحمه الله ونفعنا به ءامين .

ووقفت على كتابه (تذكرة المحسنين ، بوفيات الأعيان وحوادث السنين) ، وذكره سيدي أحمد ابن الحاج في تاريخه (الدر المنتخب المستحسن) في جملة الأعيان الخمسة عشر المتوجهين ببيعة مولانا الحسن من فاس لمراكش التي هي من انشائه ، وحلاه بالفقيه الأفضل العالم المرابط الخير الأجل ، المُلَيَّن قلب القاسي ، سيدي عبد الكبير بن المجذوب الفاسي، وقال توفي عام 1295 .

1128) **عبد الكبير بن البشير ابن عطية المراكشي** ، كان رحمه الله أديبا ناظماً ناثرا ، صاحب أزجال بليغة رائقة ، ذا خط بارع قل نظيره ، وقريحة وقادة ، جاريا على طريقة أهل الأدب ، تولى خطة العدالة بمراكش ، وناب في فرض النفقات عن القضاة ، وكان عارفا بالحساب ، ثم سافر مع المخزن كاتباً الى فاس ، فبقي يلمح بوطنه الى أن مات بفاس غريبا سنة أربع وعشرين وثلاثمئة ، ودفن بضريح سيدي محمد الحاج بالسياج منها ، وحضر جنازته خلق كثير ، رحمه الله وغفر له .

1129) **عبد الكبير بن محمد الكتاني**

هو أبو المكارم عبد الكبير بن محمد بن عبد الواحد الكتاني ، خالي ، الشيخ العالم المحدث الصوفي الشهير رحمه الله تعالى ، تقدمت أوليته في ترجمة ولده محمد (1) مع رفع عمود نسبه .

حالـه : كان من أعظم أهل عصره قدرا وأسناهم فخرا ، شيخاً جليلا وصوفيا كبيرا ، ملازما لسرد كتب الحديث ونشرها ، لاسيما صحيح الامام البخاري الذي كان يسرده كل سنة ، عارفا بسيرة النبي (ص) وشمائله ، متمكنا في علم التصوف ، وذا خبرة تامة بأحوال أهله ، أصبر الناس على المجاهدة وأدومهم على العمل من ذكر وصوم وصلاة ، لا يفتر عن ذلك ، ولا ينام من الليل الا قليلا ، ءاية الله في الجود والايثار ، لا يدخر شيئاً ، ياتيه

1) انظر 7 : 155 ع 935 من هذا الكتاب

مَن يسأله فيدفع له ما عنده وربما كان محتاجا اليه ، فكان الضعفاء والمساكين به لياذاً ينسلون اليه من كل حدب فلا يرد أحداً خائباً ، وأعماله في هذا الباب شهيرة ، عظيم الوقار ، دمث الاخلاق ، طيب العشرة ، صبورا على الغاشية ، وبيته مثابة لرجال العلم والفضل من أهل مدينة فاس والواردين عليها من سائر الطبقات منذ القديم ، حسن الظن ، طاهر اللسان ، ما اغتاب أحداً ولا اغتيب بمحضره، ولا ذكر أحدا بسوء، حتى أني ما سمعته تكلم قط في جانب السلطان مولاي عبد الحفيظ ولو بكناية أو تعريض مع شدة ما أصابه منه حسبما تقدم في ترجمة ولده الشيخ محمد ، ثابت الجأش لم تزعزعه الحوادث ، صبورا عند الشدة والصدمة الاولى ، متلقياً ذلك بصدر رحب ، مؤيدا من الله تعالى في ذلك ، ولقد شاهدت منه في هذا الباب العجب العجاب ، وحين أفرج عنه من السجن عند محنتهم ونزل بدارنا حيث لم يبق لهم محل ينزلون به ، وكان الناس يأتونه مهنئين ومعزين له في ولده محمد ولم يكن له علم بوفاته ، إذ لم أكن أعلمته بذلك قبل خروجه من السجن ولا بعده ابقاء عليه لما كان به اذذاك من الوهن والضعف المفرطين كان لا يجيبهم بشيء ، فلما أكثروا عليه التفت الي وقال لي : ما هذا الذي يقولون ؟ فقلت انه انتقل الى الدار الاخرى ، فعظم الله أجرك وألهمك الصبر على ما أصابك ، ففاضت عيناه ، ولم يزد على أن استرجع وحوقل ، ثم قال لي : هل أنت على وضوء ؟ ثم قمنا وصلينا عليه صلاة الغائب، وما سمعته ذكره بعد ذلك الى أن لقي ربه .

مشيخته : أخذ رحمه الله عن جماعة من العلماء ، كالأخوين عمر والمهدي ابني سودة ، ومحمد كنون ، وسميه ابن عبد الرحمان العلوي ، وابن عبد الواحد ابن سودة ، وأحمد السريفي العلمي ، ومحمد بن التهامي الحمادي ، وصالح التادلي ، وأحمد كلا بناني ، ومحمد المقْري ، ومحمد بن ابراهيم التاملي السلَوي الفاسي ، وأحمد ابن الحاج ، وجعفر الكتاني ، وحج فلقي بمصر أبا المعالي السقا ، والشيخ عليش ، وبالمدينة المنورة المولوي عبد الغني الدهلوي فأجازه ، كما أجازه مكاتبة القاضي حسين السبعي ، ولما ورد على فاس مجيزنا السيد علي بن ظاهر الوتري سمع عليه الكثير وأجازه ، وسمع الأولية من المولوي عبد الغني ، وابن ظاهر ، كما سمعها من بقية مسلسلات الشيخ

محمد صالح الرضوي ، من محمد بن علي الحبشي الاسكندري ، وسمع على الشيخ حسين الأزهري مفتي مكة مناسكه ، ولازم والده الشيخ محمد بن عبد الواحد ، وتربى به وتهذب ، وأذنه في كل ما له وما تحمله عن مشايخه شرقا وغرباً ، ولقي غيره من مشايخ عصره ، كشيخ والده محمد بن قاسم القندوسي، ومحمد بن عبد الحفيظ الدباغ ، والولي الاشهر عبد السلام ابن ريسون العلمي التطواني ، ومحمد بـن قاسم فنجيرو ، وعبـد القادر بن أحمد ابن عجيبـة التطواني ، ومحمد المهدي بن السعيد العلوي الأباري ، والعياشي بوشماع المكنـاسي ، وبالمشرق السيد فضل بـن علوي مولى الدويلة ، وأجـازه بطريقتهـم الباعلوية ، ومحمد منتظر الطرابزوني زاده النقشبنـدي ، وعبد القادر بن عبد السلام اليزليتني الطرابلسي الشاذلي ، والشيخ حامد الطايفي السنوسي ، وأحمد بن عبد السلام المصوري المغربي ثم المصري الشاذلي ، ومحمد راغب السباعي الخلوتي ، ومحمد مظهر بن أحمد سعيد الدهلوي المدني النقشبندي ، وغيرهم .

مؤلفاته : منها (المشرب النفيس ، فـي ترجمة مولانا ادريس بـن ادريس) ، وتاليف في الكلام على سبقية مادة جسمانيته (ص) وروحانيته في مجلد ، والانتصار لآل النبي المختار ، والرد على بحث القصار ، وتأليف فـي الوفرة ، وجزء فى المبشرين بالجنة ، وجزء فـي أسباب رضا الله تعالى عـن العبد والعكس ، وجزء فيما يتعلق بالتبغ والتنفير منه ، وجزء في الرقص سماه نجوم المهتدين ، في دلائل الاجتماع على الذكر على طريقة المشايخ المتأخرين ، برفع الأجل من الارض والاهتزاز شوقاً الى رب العالمين ، وشرح حديث الأعمال بالنيات ، ورسالة في معنى قول بعض الاكابر كن مع أبناء الدنيا بالأدب ، ومع أبناء الآخرة بالعلم ، ومع العارف كيف شئت ، ورسالة في العقائد بالدليـل السمعي على طريقة السلف ، وجزء في المقام الروحي لمولاتنا فاطمة الزهراء عليها الصلاة والسلام ، وله غير ذلك مما تركته اختصارا .

روايتي عنه : قرأت عليه صحيحي البخاري ومسلم ، الاول بقراءته والثاني بقراءة ولده الشيخ محمد ، والشمائل ، وتفسير الدر المنثور للجلال

السيوطـي ، وبعض المجالس المكية لعمر الميانسي ، والعهود المحمديـة للشعراني ، وسمعت منه كثيرا من مؤلفاته ورسائله ، وسمعت منه المسلسل بالأولية ، ولقنني وصافحني وشابكني وأضافني على الأسودَيْن ! وسمعت منه المسلسل بما زلت بالأشواق وبأشهد بالله وأشهد لله ، وبأخبرني ، والله وبالله العظيم ، وباطعمنا وسقانا ، ويرحم الله فلانا ، وفي العزلة سلامة ، وستـة أحاديث مسلسلة بحرف العين ، والمسلسل بالفقهاء وبالاشاعرة والصوفية والأخرية ، وأذن لي في كافة الطرق التي أخذها عن والده وعن غيره ، وأجازني اجازة عامة مرات أولها عام 1319 وءاخرها عام 1327 ، وأجاز في ضمنها لولدي عبد الكبير أرشده الله وأصلحه ، وقد لازمته رحمه الله ما يقرب من عشرين سنة ، ورأيت فيها من أخلاقه وءادابه في معاملاته ما أرجو نفعه في ديني ودنياي.

وفـاتـه : كانت وفاته جدد الله عليه الرحمات ضحى يوم الخميس 26 ربيع النبوي الابرك عام 1333 ، ودفن من يومه وسط صحن زاويتهم المشهورة بفاس ، ثم نقل بعد ذلك الى المحل الذي زيد بالزاوية ، فدفن ضجيعاً لوالده، وكانت له جنازة حافلة بعُد العهد بمثلها ، ووردت التعازي فيه من كافة الانحاء حتى أني تلقيت كتابا من بعض العلماء ببلاد الداهومي .

انتهى من رياض الجنة (1) .

دخل المترجم مراكش ، وقد استوفى ترجمته السيد عبد الحي في المظاهر السامية ، وفي أداء الحق المفترض ، وأفرد ترجمته بالتأليف .

1130) **عبد الكريم بن عبد الله** ، صحب الشيخ عبد الحميد ابن صالح الهسكوري ودخل مراكش ، وحدث في (التشوف) عن محمد بن يحيى عنه ببعض مناقب عبد الحميد المذكور في ترجمته .

---

1) **رياض الجنة** تأليف عبد الحفيظ الفاسي 2 : 74

1131) عبد الكريم بن عبد الواحد الحسني ، الشيخ الفقيه الصالح الفاضل المدرس ، من أصحاب الشيخ أبي زكرياء الزواوي رضي الله عنه ومن قرابته ، كان من أهل العلم والفضل والوجاهة والنزاهة ، ولما كان من أمر الفقيه أبي زكرياء الزواوي في شأن ابن حزم ما قد اشتهر وتعصب له ناس ورفعوا القضية للخليفة بمراكش ، اقتضى نظر الفقيه أبي زكرياء رضي الله عنه أن يتوجه عنه الفقيه عبد الكريم لمراكش ، فتوجه وحمل تآليف الفقيه ورده على ابن حزم المسمى (حجة الايام ، وقدوة الانام) ، ولما وصل حضرة مراكش استحضره أمير المومنين بين يديه بمحضر الفقهاء وعرض تأليف الفقيه عليهم ، وكان الفقيه عبد الكريم الحسني هو النائب في الحديث ، فأحسن وأجاد ، وأطلع أمير المومنين ومَن حضر من الفقهاء على كلام الفقيه رحمه الله ما دلهم على فضله ودينه وعلمه ، فكان من قول الخليفة : يترك هذا الرجل على اختياره ، فان شاء لعن وان شاء سكت ، وانقلب عبد الكريم وهو المبرور ، وسعيه المشكور ، رضي الله عنه وأرضاه .

انتهى من عنوان الدراية (1) .

1132) عبد الكريم بن عمر الفلاح الحاحي التيكن المراكشي ، دفينها ، قال في (ممتع الأسماع) : ومنهم الشيخ عبد الكريم بن عمر الحاحي التيكن المراكشي المعروف بالفلاح ، الجليل القدر ، الكبير الشأن ، خليفة الشيخ أعني التباع عند أهل مراكش فيما حكاه في (الدوحة) ، قال : وكان معاصرا للشيخ سيدي عبد الله الغزواني ومؤاخياً له ومساعفاً لما يريد منه ، كبير الشأن له فضائل جمة ، ومآثر جليلة ، قال : وكانت مائدته مديدة في اطعام الطعام للوارد والصادر ، مع جودته وكثرة الفواكه وأصناف اللحوم وأنواع الطبخ ، شيء يعجز عنه الوصف ، وكذلك كان أصحابه من بعده حسبما نذكره ان شاء الله تعالى ، وقد تواتر عند الناس كراماته وهي كثيرة ، انتهى .

---

1) **عنوان الدراية** ص 247 ع 71 طبع بيروت

توفي بمراكش في ثاني ربيع الاول سنة ثلاث وثلاثين وتسعمئة ، ودفن بقبة القاضي عياض ملاصقا له داخل باب أيلان رضي الله عنهما ونفعنا بهما (1) .

وقال الامام العارف سيدي قاسم الحلفاوي رحمه الله تعالى في كتابه (شمس المعرفة ، في سير غوث المتصوفة) بعد أن ذكر الولي الكامل سيدي عبد الكريم الفلاح ضجيع القاضي عياض رضي الله عنهما ما نصه : نوه أهل الظاهر بالقاضي عياض وفضلوه على ضجيعه الفياض ، واحتجوا على الافضلية بما هو عند العارفين غير مرتاض ، ومدحوه بأنواع المحاسن والمعاني بمقتضى الألفاظ ، لأنهم ما رأوا من فضله الا ما دلهم عليه المسطور في البياض ، مثل الشفا ، والاكمال ، والمشارق ، والمرتاض ، وانتهت مدائحهم فيه الى أن قالوا فيه انه رياض ، ونوه أهل الباطن بالشيخ الفلاح ، ومدحوه بالحال الجاذب عن الفساد للصلاح ، بعد زهده في أكثر من سبعين بابا من المباح ، وطلب الاكمال في كل قول وفعل داع الى الفلاح ، وظهور ما وعد به في كثير من أهل الصلاح، وظهور كراماته الظهور التام ، ومكاشفته التي تكاد (ترى) بالعيان من غير تخمام ، وكمال رجال على يده مثل الكوش ، والغزواني ، والقسطالي الذي ربى من رباني ، وشأن أهل العقول العوارف قبول الدعوى بحسن الانصاف ، وان كانت الدلائل العقلية لا تفيد القطع بتعيين الافضلية حتى يرتفع الخلاف ، اذ التفضيل من أسرار الالاه ، ولا قاطع فيه الا من رسول الله ، أو مَن يجوز ذلك في حقه من أولياء الله ، وسيأتي من ذلك ما يثلج به صدر مَن خصه الله ان شاء الله ، وجريان الخيل في الميدان ، هو شأن الفرسان الشجعان ، وهيمان العقول برؤوس القلوم ، هو شأن التبريد لأفكار الفهوم ، أو التسلي عن الهموم ، قال العلماء من أهل الرسوم : لولا عياض ما ذكر المغرب ، قال أهل الفنون نعم حسبما هو ظاهر رسوم من العلوم ، قال العلماء لولا الشفاء ما ذكر عياض بين الرسوم ، لأن غيره قد ألف أكثر من تواليفه وهو ذلك غير معلوم .

---

1) ممتع الأسماع ص 48

رقيقـة : انما عظم الشفا في الصدور والعيون ، لما اشتمل عليه من المدح المصون ، الذي استغرق أنفاس مؤلفه المشكور ، حتى غاب في بحر الهيبة والنور ، فعظم في القلوب والنفوس ، حيث رأت العين ذلك الملبوس ، فتداولتْه أيدي الفقهاء بالواجب والمندوب والمباح ، وعظَّمتْه الصوفيـة بالتماس البركات بالمحبة والشوق والارتياح ، وأعظمهم قدما في ذلك ضجيعه سيدي عبد الكريم الفلاح ، من باب اعطاء كل ذي حق حقه عند أهل الصلاح ، وعند السالكين من باب تآلف الارواح ، وهو من ثمرة مقام الاستقامة ثاني مقامات الاسلام عند أهل الفلاح ، ثمرة كثرة الصلاة على النبي (ص) بالضابط الوضاح ، ومما يؤيده ما ورد في كتاب (النجم الثاقب ، فيما للاولياء مـن المفاخر والمناقب) عن بعض الصالحين قال : رأيت أبا الفضل عياض بعـد موته في المنام وهو في قصر عظيم قوائمه من ذهب ، قال : فكان يسألنـي فأقول ياسيدي ذكرت في كتابك الموسوم بكتاب الشفا كيت وكيت ، قال : فكان يقول لي أعندك ذلك الكتاب ؟ فأقول له نعم ، فيقول لي شدَّ يدَك عليه ، فبه نفعني الله وأعطاني ما تراه .

قال الشيخ أبو الكامل سيدي أبو عمرو المواصل الواصل ، مدح عياض رسول الله (ص) ليكسوه فكساه في الدنيا كسوة التعظيم ، ورئي في الأخرى على سرائر قوائمها مـن الذهب السليم ، قال وأنا مدحت رسـول الله (ص) من عين المدح ، وأشار بذلك الى بعض شطحاته ، مدحت عياضا مدحت أنا ، واحتج بعض أهل الظاهر على تفضيل القاضي على الفلاح بأن قال: الفاضل هو الاول للمكان ، والمفضول هو الآتي بعده في الزمان ، لأنه أخذ له الحرمة في الشفاعة قياسا على ما هو شائع بين الجماعة ، قال أهل الحقيقة : وتلك شكاة ظاهر عنك عارها بالحديث بمعرفة حسن سيرة الفلاح المشكورة ، وخصائصه التي هي في كل مجلد مسطورة ، يرتفع إشكال هذه الحجة المشهورة، وذلك أنه كان رضي الله عنه الغالب عليه الحضور ، والاتساع في أبحر المعرفة والنور ، لتآلف روحه المحمدية الشريفة ، وتلبسه بكل رقيقة ولطيفة ، وجمعه على الله بكل منيفه ، وفنائه عن ذاته بالكلية ، وتلاشيه فـي مكنته الذاتية ، وتواضعه في مهابته العلية ، وبث ذلك في تلامذته الشاذلية القسطانية ، وقد

كان يكتب للمريد في أول أسطاره مشهورا ، (هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكورا) ، وهو عبارة عن الفناء الذي هو عين البقاء ، وأول ما يقدس في جناب المعتنق شجرة أفنى ، وهو عبارة عن الذلة والانكسار ، واظهار الاحتقار والافتقار ، بين يدي الحليم الغفار ، وهذا عين المطلوب ، عند كل سالك ومحب ومجذوب ، وعليه تتآلف القلوب ، ولا ينكره الا المحجوب ، طهر الله أسرارنا من جميع العيوب ، وبلغنا من رضوانه المرغوب ، بجاه أشرف خلقه صلى الله عليه وسلم وعلى ءاله وكل تابع لسنته ، كالفلاح السالك بسره سراً وجهارا ، فقد كان يتواضع لسيدي عبد الله الغزواني ويمشي خلفه في الطريق وهو أمام ، ويقدم كلامه عند الكلام ، ويغسل يديه عند أكل الطعام ، ويصدقه في كل ما يصدر منه من الدعاوي ، ويقدم فتواه عند ازدلاف الفتاوي ، ويثني عليها الثناء الجميل ، حتى ربما تأذي بذلك أهل ناديه الفضيل، فيداويهم بكل دواء جميل ، فلما توفي سيدي الفلاح قال سيدي الغزواني بعد انتقال السر اليه : لو مت في حياة أخي سيدي عبد الكريم كنت كاذبا فيما فهمت عنه من الدعاوي ، وكان من تواضعه وتلاشيه وتألفه بالروح المحمدية يمر بالفقراء الجم الغفير المرتاض ، حتى يقف بهم على القاضي عياض ، وينوه بقدره ، ويأمرهم بالدعاء عند قبره ، وقد كان ذلك الوقت القبر غير مشهور لقلة عمارة البلد حتى أحياها الله بالشرفاء الاسياد على يد سيدي الفلاح ، حسبما اشتهر ذلك في جميع الاقطار والبطاح ، ومما يلائم تلاشيه في مكانته العظمى مصاحبة ذلك الوصف الاسما في المحيا والممات ، إذ حرمتهما في الغيبة كحرمتهما في الحضور ، بل ظهور الانصاف بعد الوفاة ، أقوى وأعظم من ظهوره في الحياة ، لأ ن الحياة قد تعلل علي لسان المنكر واعاد تامن معرفة وملاقاته بتأليف القلوب بخلاف الممات فلا تلفت لما بعدها الا السادات أرباب الدرايات، فكان من انصاف هذا الشيخ أن لو قدر انفراده بالدفن في بقعة أخرى ويبنون عليه تلك القبة الغراء يؤدي ذلك الى الالتفات عن صاحبه ، وذلك مخالف لشيمته الكبرى ، اذ كان كثيراً ما يعظمه في حياته ، فكيف يعرض باهانته بعد وفاته ، فلذلك أمر والله أعلم أصحابه بدفنه في اكنافه ، استيفاء لحقه من شدة إنصافه ، فلما ظل عليه بلوائه الأغر ، اجتهد سيدي عبد الله الكوش في تشييد

مقامه الأنور ، وأما الموضع المذكور فكان قبل ذلك فارغاً من بهائه ، وهـذا كله تقريب الافهام ، وأما البصيرة التي دفن هنالك بها فهي من وراء العقول والاوهام ، ومما يحتمل أن الشيخ لما تألفت روحه بروح المصطفى ، علق بها من كل صفا ، حتى صاحب كتاب الشفا ، فطلب منه المرافقة في الطريق ، فوفى له بالعهد الوثيق ، للجلالة والتصديق ، وبالله تعالى التوفيق ، واحتج أهل الباطن على تفضيل الشيخ الفلاح على القاضي عياض بوصف القضا ، وروي أن الحكْم وصف" غير مرتضى ، وأنه ليس من أوصاف العدل الرضى ، وقد قال (ص) : قاضيان في النار ، وقاضٍ في الجنة ، وان مَن تعرض للقضاء فقد ذبح نفسه بغير سكين ، الى غير ذلك من الأحاديث المروية في ذلك ، وأين هو من العارفين الخارجين عن العالم والحواس الشاهدين له في جميع الأوقـات من الانفاس غيـر قياس ، ولكن يجاب عـن هذا الايراد ممـا علم من شأن القاضي رضي الله عنه في الاسياد ، أنه كان معدودا من الزهاد ، أهل الورع والجد والاجتهاد ، ولا يمنع تعرضه للقضا ، من بلوغه لمقام القرب والرضا ، وأما تعرضه للأحكام ، فقد يكون في حقه فرض عين من وجوه أو رواية من رسول الله (ص) يقضي عليه بذلك كما يحتمل غير ذلك ، لائقا بمنصبه الكريم في جميع المسالك ، ولكن مجرد الكرامات في التعليل ، لا تدل على التفضيل ، الا اذا كانت بحسب التبعية والتكميل ، لما هو مستقل بنفسه لا يحتاج الى دليل ، فتذكر على جهة التذييل ، والله على ما نقول وكيل ، لانهم ربما يجدون الكرامات في البدايات وتفقد في النهايات ، ويكثر من يشتري المرجان ، ويقل أن يتفق ويجتمع على شراء الياقوت كما قال أئمة الشان ، فوجب الاستماع لما قاله أرباب البصائر النافدة ، أهل الحكمة والفائدة ، والهمة والمائدة ، والمعرفة الزائدة ، سئل سيدي أبو عمرو القسطالي مـن الأفضل من هاذين السيدين ؟ فقال وعزة مولانا ما بينهما الا ما بين السماء والأرض ، وربما قال مرة أخرى لا يبلغ عياض كعبة الفلاح ، وما عظم القاضي الا سيدي الفلاح ، ولاكن ميعادنا يوم تبرز العَرائس ، هنالك تظهر الدسائس .

حدثني سيدي محمد بن سيدي محمد المراكشي أنه حدثه السيد الفاضل سيدي علي بن موسى الكنسوسي أن رجلا من أولياء الله يسمى سيدي يعزى ، وكان يكاشف بأولياء الله ، يعرف الارض ويعرف القوي من الضعيف ، وكذلك يكاشف بقرب الماء وبعده في الارض ومسكنه واشتهر بها شهرة لا تخفى ، قال : فأول ما جاء الى مراكش أحدق به الفقراء يلتمسون بركته والدعاء منه ، قال : فطلبنا منه الاسعاف والزيارة ، فأجابنا فقال : اليوم يتبيين لنا من هو المحق في دعواه ، ومَن هو على بصيرة في فتواه ، اما أهل الظاهر ، واما أهل الباطن ، قال : فدخلنا معه لروضة سيدي الفلاح ولم نعلمه بأحدهما فقلنا له أي الرجلين أقوى من صاحبيْ هذين القبرين ؟ فقال : نور صاحب هذا القبر أقوى وأشرق أنوارا وأضواءا ، ودلنا على قبر الشيخ ، فقلنا الحمد لله على صدق أهل البصيرة والصلاح ، فقلنا لعله صادق فجئنا معه الى روضة هنالك دفن فيها علجان وهي مبهجة غاية ، فقلنا انظر أي هاذين السيديْن أقوى ؟ قال فليس هنا سيد ولا سيدة ، ولم أر هنا سوى جنازتيْ كلبيين ، فقام لهم دلائل في موضع واحد على تصديقه ، واستدلوا بذلك على تحقيقه في طريقه ، والحمد لله على كماله في توفيقه ، وكل فريق مدح بما عنده ، وكل سيد مدحه حزبه .

ومن التلميح المليح ، ما لبعض الأدباء في القاضي من المديح ، فقال وأعلن في التصريح :

ظلموا عياضاً وهو يحلم عنهم ... والظلمُ بين العالمين قديم
جعلوا مكانَ الراء عيناً مهملا ... كي يكتموه وشأنه معلوم
لولاه ما فاحت أباطحُ سبتة ... والروض بين فنائها معدوم

ولنا من هذا القبيل ، شيء يشبه هذا المدح الجميل ، محتوياً على أنواع من البديع والتعليل ، والاشارة والتمثيل ، قال عبد الكامل الفضيل :

عياض رياض ، والفلاح فلاح ... ولا رياض لم يغرسه فلاح
فكل رياض يوماً لناظر ... فانه للفلاح ملك ياصاح

وما لقب الفلاح الا بروضـــــــة بتحصيل مندوب وحال فيــــاح
فيصلح بالفلاح روضة حولـــه وقرب فلاح للرياض نجـــــاح
فيبدو من أوصاف الرياض لداخل ثمار وزهر مستنير فيـــــاح
فيبدو أثناء الرياض لزهـــــرة وان ذكر الفلاح ثم الفـــلاح
وما جمع المولى الفلاح وروضـــه الى أن قضى أن العقول صحـــاح

انتهى كلام الحلفاوي رضي الله عنه ، وذكر في حق سيدي عبد الكريم الفلاح رضي الله عنه أنه ادرك مقام الغوثية .

قال مؤلفه عباس بن ابراهيم في هذا الشيخ رضي الله عنه قلت من البسيط :

مائده الأوليا عبد الكريم غـــدا فلاح روض العلا معطي العفاة جرى
قطب النهى محتد الاكرام منبعُـه غوثُ الورى منبعُ الأسرار بث هدى
له الكرمات لا تُحصَى عجائبُها أمواجها صاح لا ترى بها زبَــدا
إطعامه الناسَ قد جلت صنائعُـه واصفه عنهم تعجيــــــزه وردا
وزث سره فيه عنه وارثـــــه عليهما رحمة الالاه جلَّ نـــدا
يارب أسألك السترَ الجميلَ لنا ووالدي وأشياخي ومَن حمـــدا
يارب صلّ على خير الــورى وأدم رضاك رب على ءال له سعـــدا
والصحب أجمعهم همُ الأولى ظفروا بكل منقبة أهدوا لنا مـــددا
امداد علي رسول الله قد نقلـــوا لتابعيهم حبوا من بعدهم رشـــدا
يارب اعظم لهم جزاء فعلهــــم يارب وارض عن أوليائك الرشـــدا
أجب دعاءَ عبيدك الفقيــــــر ولا تحرمه من فضلهم جميع ما قصدا

وقال الحلفاوي في (شمس المعرفة) في الباب الاول ما نصه : ومن ذلك ما حدث به مَن يوثق بحديثه أن سيدي عبد الكريم الفلاح بعثه أبواه في حال صغره لزيارة سيدي محمد بن سليمان الجزولي ، فأجلسه الشيخ في حجره وجعل يمسح بيده على رأسه ، وقد كانت قصة من شعر في رأسه ، فأخذ الشيخ المقص وجز تلك القصة ، فلما رجع سيدي الفلاح من عنده جعل

يدور على أبويه ويقول لهما اكسى اكراع تكير طنوا بلغة البربر ، معناه أزال الفقير قصتي ، قال : فكان كلما استفهمه أحد عنها يكرز تلك اللفظة الى غير ذلك من الشهادات الصادرة عن حق اليقين من الاغوات المقربين ، وأما الشيخ سيدي أبي عمرو فكان غوث الملاح ، ومليح الاغوات الصحاح ، سيدي عبد الكريم ابن عمر الفلاح ، فهو شيخ الشيوخ ، المقدم في هذا الشأن على أهل الثبوت والرسوخ ، من كل ولي تقدمه ناسخ ومنسوخ ، نص شيخه سيدي عبد العزيز الجرّاري رضي الله عن الجميع بمنه ورضي عنا بهم بجوده وكرمه، انه ولي ذلك لمن تعلق به ، قال سيدي أحمد بن قاسم حفظ الله وجوده : أما سيدي عبد الكريم بن عمر الفلاح فقد كان والده يسكن بحاحة قبل عمر السياف المعروف بالمغيطي ، وانتقل الشيخ لمراكش قرب الثمانين من القرن التاسع ، فلما انتقل الشيخ سيدي عبد العزيز من موضع سكنى والديه بالقصور من درب ابن حارب واستقر بحومة النجارين برابطة الصالحين ، أتاه خادمه فقال : ياسيدي رجل بباب أغمات يقول احملني للشيخ اسمه سيدي عبد الكريم ، فسكت عنه ، فعاوده مرارا فأكثر المراجعة ، قال له ايت به ، فحدثني من أثق بقوله أنه سمع من سيدي سعيد بن أبي بكر الدكالي المكناسي قال : كنت جالسا عند سيدي عبد العزيز فأتاه خادمه ، فقال ياسيدي ها السيد عبد الكريم الذي قلت لك ، قال له أدخله ، فلما دخل قبل يده فرفع رأسه فيه ، فقال باللسان الزناتي قتلتني فأد علي ، فقلت للذي يليني هذا هو الوارث لهذا الشيخ ، قال المؤلف وفقه الله : ومن ذلك ما سمعت من غير واحد من الثقات أن الشيخ عبد العزيز كان يقول في مجالس شتى نرفد عبد الكريم من العسل ونغمسه في السمن ، ونرفده من السمن ونغمسه في العسل ، فكان ذلك كناية عن وضع القبول له في القلوب ، قال غير واحد فما رأى أحد سيدي الفلاح الا أحبه ، ولا سمع بذكره الا هش له واشتاق لرؤياه ، ومن ذلك ما حدثني به من يوثق بحديثه أن سيدي عبد الكريم الفلاح طلب من الشيخ سيدي الحرار أن يأذن له في اطعام الفقراء ليلة من الليالي ، فأجابه الشيخ ، فلما كان ليلة مبيتهم عنده بقيت زاوية سيدي الحرار تلك الليلة لا أوراد فيها ولا أذكار ، فاستفهم أهل المنزل الشيخ عن غيبة الفقراء من موضعهم ، فقال الشيخ عند

ذلك مبيناً أشرف المسالك ، بقول صادر من حضرة المالك ، ان الفقراء ذهب بهم عبد الكريم الفلاح ! الفقراء ذهب بهم عبد الكريم الفلاح ! الفقراء ذهب بهم عبد الكريم الفلاح ! وقال الزروالي والحلفاوي عن سيدي ... تلميذ سيدي عبد الله بن حسين عن ولي من أولياء الله تعالى قال : صليت يوما بجامع الكتبيين مع الاشياخ الثلاثة أهل المكنة والاغاثة ، والمعرفة والاراثة ، الشمس المنيرة على الربا والبطاح ، والقمر المشرق الوضاح ، العبير المعنبر الفواح ، سيدي عبد الكريم الفلاح ، عليه سلام الله كل غدو ورواح ، والشيخ العارف الرباني ، المشهور بالعلوم والمعارف والمعاني ، ولي الله سيدي عبد الله الغزواني ، عليه سلام الله عدد الدقائق والثواني ، والشيخ الامام ، الزاعم ، عضب الاسود والضراغم ، سيدي علي بن قاسم رضي الله عنه وأرضاهم ، ونفع به ولمن والاهم ، قال : فلما قضيت الصلاة المكتوبة خرجوا وخرجت في أثرهم ألتمس من بركاتهم المحبوبة ، وكان خروجهم من أحد الابواب الجنوبية الملاح ، فلما توسطنا باب الرواح ، تكلم ولي الله سيدي عبد الكريم الفلاح ، قال وأفاد وأفاح ، ياساداتنا لا بد من عمران سوقنا بهذه الحضرة المحروسة عمارة ما رأى الراؤون مثلها ممن تقدمنا ، يحميه رجل على أيدينا ، فسكت ، قال فتكلم سيدي علي بن بلقاسم فقال أن صاحبي لا يستقيم حاله ، حتى تبيض لحيته فيظهر جماله ، فسكت ، قال : وتكلم سيدي عبد الله الغزواني وقال : أنا أشهر صاحبي بالتعريف ، وهو السيد عبد الله بن الحسين الشريف ، فكل ما تعبنا فيه يدركه من غير مشقة تناله في ذلك ولا تكليف ، قال ثم كرر الشيخ الفلاح عبارة أخرى بحالة كبرى ، وهو يقول ياساداتنا الفقرا ، بقيت لي مسألة أخرى ، فألغز كل إلغاز ، وأتي بكلام يحتمل الحقيقة والمجاز ، وقال أنا أريد أن اطلع ساقية أبي عمرو ، أغرس عليها جنة بأنوار الفواكه والتمر ، ولا أخليها من فاكهة تعرف ، حتى لا يبقى لداخلها شهوة اليها تشوف ، وأدخر فيها كل ما يصلح للطعام ، من أنواع الأبازير والادام ، والخضر المختلفة الألوان ، حتى البصل والباذنجان ، تزهو بحسنها للناظر ، وتسلي القلوب والخواطر ، وتنور بها الأبصار والبصائر ، كرامة للحضور والحضريات ، المتقادمين في سكنى البلد المتنعمات ، فان الحضور ناس ضعفاء الابدان ، لا قدرة لهم على

الجولان في البلدان ، ولا يقدرون على تمرين ولا امتحان ، ولا يرجون الا فضل الحنَّان المنان ، وزاد في هذا المنوال ، ومعه غيبة وحال ، واتساع في المجال ، وهو يستفهم صاحبيه عن هذا اتّمقال ، ويقول لهما أي شيء ظهر لكم ياسادتنا أيكون لغير الحضور فيها نصيب ، ألا حظّ معهم فيها لغير قريب ، فقالا له : نظرك أوسع في هذا الباب ، والذي ظهر لك هو الصواب ، فلك الملك فامننْ أو أمسك بغير حساب ، فتنفس الصعداء ، وقال هو وقف على الحضور السعداء ، لا أجعل لغيرهم فيها حظا معلوما ، فقد صيرها الله لهم رزقا مقسوما ، ولا يد لأحد عليها وهي لهم يتنعمون في أجنتها وأنهارها ، ويمرحون في أنوارها وأنهارها ، وكلما خرج ما بها يعود اليها ، ما ننسخْ من ءاية أو ننسهانات بخير منها أو مثلها ، فاتفقوا على ذلك ولم يختلفوا ، وأمنوا على دعائه وانصرفوا ، وأذهلوا بكلامهم جل العقول . انتهى .

قال الحلفاوي ما نصه : فمن ذلك ما فشي وانتشر ، وبلغ التواتر والخبر ، أن خليفة مدينة فاس من بني مرين ذلك الزمان ، قدم من فاس لنهب مراكش ، فلما نزل عليها خرج اليه سيدي الفلاح وسيدي الغزواني فرحب بهما ، وأظهر برورهما ، وجعلهما بمكان من مقامه ، فاستفهم عن مرادهما سيدي الفلاح نريد منك الرجوع عن نهب هذه البلدة وتصفح عن أهلها ، ولك في ذلك الأجر العظيم عند الله الكريم ، فقبل الخليفة شفاعتهما في ذلك ، فقال له الشيخ بعد ذلك : عوضناك بنهبها وبالغنيمة التي تحصل لك منها ، المعمورة ، فطلب منه الامير الدعا ، وارتحل من حينه وولى مسرعاً ، فلما كان له التوجه لفاس بمرحلتين أو ثلاث اذا بعبد من عبيده يخبره بأن عشر مئة كافر خرجت بالمعمورة ، تقطع وادي العبيد تطلب غرة من المسلمين لما سمعوا بقدوم الامير لمراكش ، فسرى اليهم وعداهم برؤوس الخيل ، فلم ينشب أن أخذهم عن ءاخرهم وغنم غنيمة لم يتقدم لأسلافه مثلها قط ، ففرح الخليفة فرحا كثيرا ، وسر سرورا مفرطا ، حتى بلغ به الفرح أن كان يقف في سرجه ويقول بأعلا صوته : الله ينفعني بسيدي المصمودي ، الله ينفعني بسيدي المصمودي،

يشبع حمل الدال بلفظه ويكرر ذلك على رؤوس الأشهاد اظهارا لكرامة ولي الله العظيم الغوث الواصل سيدي عبد الكريم (1) .

1133) عبد الكريم بن أبي بكر الشباني

عبد الكريم ابن القائد أبي بكر الشباني ثم الحريزي ، أمير مراكش ، لما قتل السلطان أحمد بن محمد الشيخ بن زيدان في التاريخ المتقدم ذكره سنة تسع وستين وألف 1069 (2) ، ثار كبير حي الشبانات بمراكش من عرب معقل ، وهو الرئيس عبد الكريم بن القائد أبي بكر الشباني ثم الحريزي ، وحريز فخذ منها هي النبعة والصميم فيها ، وعبد الكريم هذا يعرف عند العامة بكروم الحاج ، فدخل مراكش ، ودعا الناس الى بيعته ، فبايعوه بها سنة تسع وستين وألف ، وانتظمت له مملكة مراكش ونواحيها ، وسار في الناس سيرة حميدة ، وكان في أيامه الغلاء المؤرخ بعام سبعين وألف ، وهو غلاء مفرط بلغ الناس فيه غاية الضرر حتى أكلوا الجيف، ولم يزل مستقيم الرأي بمراكش الى أن توفي بها سنة تسع وسبعين وألف قبل أن يدخلها المولى الرشيد بن الشريف بأربعين يوما .

وقال منويل لما بايع أهل مراكش عبد الكريم الشباني خالفت عليه اسفي وأعمالها ، فغزاهم ثم رجع مفلولا الى مراكش ، وكانت المجاعة المشهورة عقب ذلك ، ثم قتله بعض أجناده ، دخل عليه فطعنه برمح فأتلفه ، ثم قبض على القاتل وقتل أيضاً في الحين ، ولما توفي بايع الناس ولده أبا بكر بن عبد الكريم ، فبقي الى أن قدم المولى الرشيد وتقبض عليه وعلى عشيرته فقتلهم، ثم تتبع الشبانات فأفناهم قتلا ، وأخرج عبد الكريم من قبره فأحرقه بالنار ، وانقرضت دولة الشبانات والبقاء لله وحده (3) .

---

1) عفا الله عن المؤلف ، كان في سعة من ايراد هذا الهراء الذي يغم النفس ويبلد الحس

2) كذا في **نزهة الحادي** ، والذي في **نشر المثاني** ان قتله كان سنة 1065

3) الكلام منقول بالحرف من **الاستقصا** 6 : 108

وقال في (النشر) : استولي على مراكش عام 1065 خمسة وستين وألف الى أن غلب عليه المولى الرشيد ، وذكر في (تذكرة المحسنين) وفاته عام واحد وثمانين وألف .

1134) **عبد الكريم بن عبد السلام ابن زاكور** الفقيه، أحد كتاب السلطان سيدي محمد بن عبد الله العلوي، كان بعثه السلطان المذكور من مراكش والياً الى العرائش ، فلما وفد عليه أهل تطاويـن طائعين متنصلين من فعل عاملهم محمد بن عمر الوقاش الذي كان انحرف عن السلطان أيام خلافته بمراكش ثم عاذ بضريح الشيخ عبد السلام ابن مشيش لسوء ما قدمه،ولاه عليهم (1) كما في (الاستقصاء) .

1135) **عبد الكريم بن حسن المراكشي** الاصل ، القاهري الـدار ، صاحبنا التاجر الصدوق، ولد بمدينة أسيوط، إذ كان والده يمكث هناك أحياناً برسم التجارة ، وعاد به الى مصر فنشأ في عفة وصلاح وحب للصالحين ، يحضر دروس العلماء ويواسيهم ويعرضهم الى محله ويكرمهم ، واشترى منزلا حسنا بالقرب من المشهد الحسيني ، وأثرى وراج حاله ، وصار يأخذ جماعة من العلماء والصالحين بصحبته الى زيارة السيد البدوي في المواسم المعتادة، ويقري عليهم ، وكنت أنا من جملة مَن سافر معه اليه مرارا ، فبلوت منه حسن خلق وطيب عشرة وسماحة نفس ، واشترى دارا وبناها وسواها وجعلها لنزول أحبابه في أيام الموالد ، وتزوج امرأة من بتنون من بنات مشايخ العرب ، وجاء بها الى . . . وأسكنها هنالك ، وكنت قد عملت له أبياتا أهنيه بها ، جاء في تاريخه : تجلى على وسم الهلال الشمس ، ولم يزل على حاله من الحب والمواساة حتى تعلل أياما وطال به المرض وانقطع لذلك في منزله وأقبل على العبادة وترك ذلك الاجتماع وما كان بيده من الأموال ، فقد أبرزها لأولاده وزوجهم وفتح لهم دكاكين ، وهو الآن من الاحياء بارك الله فيه .

---

1) كانت ولايته على تطوان عام 1171 هـ ثم نكبه السلطان بعزله وسجنه وبيع أملاكه عام 1179 . وقد كان الوالى المذكور فقيها أديبا ، له ديوان (السراج الوهاج ، فى امتداح صاحب التاج والمعراج) وغيره

ينظر عنه **تاريخ تطوان** للاستاذ محمد 3 : 104

انتهى من (معجم الشيخ مرتضى) (1) .

1136) **عبد الكريم العميري** الفقيه المفتي بمراكش ، توفي عام 1253 ثلاثة وخمسين ومئتين وألف ، أفاده سيدي الطالب ابن الحاج .

1137) **عبد الكريم بن محمد ابن سليمان** الغرناطي أصلا ، الفاسي، حلاه في (الدرر البهية) بالفقيه الاريب ، الحاذق اللبيب ، الخير الزكي الغطريف ، الكاتب الأنبل ، ومدحه الاديب ادريس السناني بقصيدة مطلعها :

أتتك سليمي بوقت السحـــــر منقبة بنقاب الحــــــذر

راجعها في (ديوانه) .

ترقَّى من الكتابة مع الباشا عبد الله بن أحمد ، ثم لابن أخيه أحمد في حجابته الى أن عين بمكتب وزارة الخارجية عام 1306 ، ثم ترقى الى وزارة الخارجية عام 1318 ، ثم الى الصدارة ءاخر أيام المولى عبد العزيز ، وحضر الهزيمة الشنعاء الواقعة بالمحلة العزيزية ، ونهب ، ثم توجه الى پاريس فاكد الأمن على نفسه وماله ، والوعد باستخدامه واستعماله ، وجاء الى فاس فلم يقابلْه المولى عبد الحفيظ ، ثم توفي رحمه الله في 15 قعدة عام 1326 ستة وعشرين وثلاثمئة وألف . وبعد دفنه بأربعة وعشرين يوما أخرج من قبره ، وقطع رأسه وعلق بمحراب مصلى باب الفتوح ، وأحرق شلوه ومثل به ، غفر الله لنا وله (2) .

وتقدم ذكر أخيه السيد محمد الكبير بن سليمان (3) وسيأتي ذكر ابن عمهما السيد الغالي بن سليمان (4) .

---

1) هذا الرجل ليس على شرط المؤلف ، لانه لم يولد بمراكش أو أغمات ولا حل بهما ، وبابته ان لا يذكره

2) حكى لي الحاجب المرحوم محمد الحسن ابن يعيش أن السلطان عبد الحفيظ هو الذى بعث من اخرج جثته من القبر وقطع رأسه بارا بيمين كان أقسمها على قتله

3) انظر 7 : 129 ع 914 من هذا الكتاب

4) ينظر عن الوزير عبد الكريم ابن سليمان **فواصل الجمان** ص 92

1138) عبد الله بن ادريس الاول الحسني

عبد الله بن ادريس الازهر بن ادريس الاكبر رضي الله عنه ، كان أمير أغمات وبلد نفيس وجبال المصامدة وبلاد لمطة والسوس الاقصى .

ذكره ابن خلدون (1) .

1139) عبد الله بـن ياسين الجزولي العالم العلامة الفقيـه الرئيس الناصر للدين ، العامل الناصح الورع ، صاحب لمتونة ووتد دولتهم ، وموطدها القائم بسياستها ، حتى قامت علـى ساقها وأعمدتها ، وذلك أن أبـا عمران الفاسي الفقيه بعث الى تلميذه سيدي وجاج دفين أكلو بالساحل ليقوم بتعليم لمتونة بالصحراء ويقيم السنة فيهم ، بعث اليه من تونس أو من القيروان ، وكان رجل منهم (2) طلب ذلك من أبي عمران ، فلم يجد من طلبته مَن يقبل (الذهاب) مـع اللمتوني ، فبعث اليه ، ثـم بعث سيدي وجاج من طلبتـه وأصحابه الذين يقرؤون عليه سيدي عبد الله بن ياسين مع اللمتوني ، فلما رأى منهم القابلية والعزم بالعلم والحزم في اقامة الدين واتباع السنة واحيائها، ندبهم الى فتح البلاد واحيائها بالعلم والدين ، فأجابوه ، فأقام معهم حتى توفي شهيدا بالغزو سنة احدى وخمسين وأربعمئة .

ذكره صاحب (القرطاس) .

---

1) **تاريخ ابن خلدون** 4 : 25 وهو أيضا ما عند ابن أبى زرع فى **الانيس المطرب** ص 51 طبع الرباط

2) هو الامير يحيى بن ابراهيم الجدالى أمير قبيلة جدالة من صنهاجة الصحراء ، خرج من بلده الى الحج سنة 427 فلما كان راجعا اجتمع بالفقيه أبى عمران موسى بن الحاج الغاسى بالقيروان وطلب منه أن يرسل معه أحد طلبته الى الصحراء ليعلم أهلها القرءان ويفقههم فـى الدين ، فارسله الى تلميذه وجاج بن زولو بكتاب يطلب منه فيه أن يندب أحد تلاميذه للدخول مع زعيم جدالة الى الصحراء ، فسار يحيى بن ابراهيم مغربا حتى اجتمع به بمدينة نفيس فى رجب عام 430 وسلمه الكتاب فلما عرض الامر على تلاميذه تطوع منهم للدخول الى الصحراء عبد الله ابن ياسين الجزولى

قال أبو زيد في فوائده : تامنرت قاعدة بلاد جزولة ، ومنها كان الفقيه الصالح سيدي عبد الله بن ياسين المقيم للدولة اللمتونية بالغرب ومقرر عقائدهم . نقله الحضيكي في طبقاته ، ودفن رحمه الله بكريفلة من بلاد زعير .

ودخل المترجم الأندلس في دولة ملوك الطوائف ، وأقام بها سبع سنين ، فحصل علما كثيرا ، وعاد الى المغرب الاقصى كما في (الحلل) ، وقد أطلنا فيما يتعلق بالمترجم في ترجمة الامير أبي بكر بن عمر اللمتوني (1) في حرف الهمزة كما أطلنا في ترجمته ، وقد أطال في ترجمته في القرطاس .

ثم ان سيدي وجاج كان بمدينة نفيس وبجامع تينمل قبر سيدي وجاج ، وقد زرته مرات ، وما تقدم أنه دفين أكلو فأكلو بساحل البحر المحيط قرب تيزنيت بنحو خمسة عشر كلومتر .

1140) عبد الله بن بلقين الصنهاجي

عبد الله بن بلقين بن باديس بن حبوس الصنهاجي ، المظفر ، كان من جملة ملوك الاندلس الذين تغيظ عليهم أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، وبسبب ذلك جاز الى الاندلس الجواز الثالث سنة 483 .

قال في (الحلل) : فأول مَن شهر ذلك (2) وتظاهر به وجدٌ فيه المظفر عبد الله بن بلقين بن باديس ، واتصلت أنباؤه بيوسف بن تاشفين ، فاشتد غضبه واستزاد حرجه عليه ، ولما احتل بالجزيرة الخضراء وافاه ابن عباد فتلقاه بعادته من التعظيم ، وأحتفل في التضييف والتكريم ، وتوالت عليه الاخبار من الأمير عبد الله بن بلقين بما يغيظه ويحقده ، فاستنزل من مالقة أخاه المستنصر تميم بن بلقين ، وتوجه الى غرناطة فلقيه المظفر عبد الله بن بلقين خارج الحضرة ، فسلم عليه وترجل اليه ، ودخل معه البلد فسلم اليه الأمر ، وقام ينظر في توطيد البلاد وتمهيد الأمور ، واحتمله وأخاه المستنصر

---

1) انظر 1 : 196 ع 58 من هذا الكتاب

2) أى قدح ملوك الطوائف فى يوسف بن تاشفين ودمهم اياه

تميما الى العدوة ، وأسكنهما بأغمات ، وقد استوفى الكلام في هذا الامير عبد الله بن بلقين في الكتاب الذي ألفه في دولة قومه (1) .

وفيه قال بعض أدباء عصره :

يبني على نفسه سفاهـــــــاً كأنه دودة الحريـــــــر
دعوه يبني فسوف يـــــدري اذا أتت قدرة القديـــــر

وتقدم أن محمد ابن الخطيب السلماني أوقفه الخطيب بأغمات على تاريخ للمترجم صدر عنه أيام اعتقاله ، شرح فيه الحادثة على ملكه في أسلوب بليغ ، ختمه بمقطوعات من شعره تشهد بفضله .

وقال في (نفح الطيب) ما نصه : ولما بلغ المعتصم أن خلف بن فرج السميسر هجاه احتال في طلبه حتى حصل في قبضته ، ثم قال له : أنشدني ما قلت في ، فقال له وحق مَن حصلني في يدك ما قلت شرا فيك، وانما قلت :

رأيت ءادم في نومي فقلت لـــه أبا البرية ان الناس قد حكمـــوا
أن البرابر نسل منك قـــال إذن حواء طالقٌ ان كان الذي زعمـــوا

فأباح ابن بُلقين صاحب غرناطة دمي ، فخرجت الى بلادي هاربا ، فوضع عليَّ مَن أشاع ما بلغك عني لتقتلني أنت فيدرك ثاره بك ، ويكـون الاثم عليك ، فقال : وما قلت فيه خاصة مضافاً الى ما قلته في عامة قومه ؟ فقال: لما رأيته مشغوفاً بتشييد قلعته التي يتحصن فيها بغرناطة قلت :

بنى على نفسه سفاهــــــــاً كأنه دودة الحريـــــــر

فقال المعتصم لقد أحسنت في الاساءة اليه ، فاختر هل أحسن اليك وأخلي سبيلك أم أجيرك منه ؟ فارتجل :

---

1) **الحلل الموشية** ص 57 طبع الرباط . والكتاب المشار اليه هو المسمى **التبيان** . وقد طبع بالقاهرة سنة 1955 باسم **مذكرات الأمير عبد الله آخر ملوك بنى زيرى بغرناطة**

خيَّرني المعتصـــــــــــم وهو بقصدي أعلـــــــــم
وهو إذا يجمع لـــــــــــــي أمناً ومناً اكـــــــــــرم

فقال خاطرك خاطر شيطان ، ولك الأمن والأمان ، فأقام في إحسانه بأوطانه ، حتى خلع عن ملكه وأوطانه (1) .

وفي معنى الابيات المذكورة ما نقله في (ارشاد الاريب) في ترجمة ابراهيم نفطويه عن الثعالبي قال : وقد صيره ابن بسام نفطَوْيَه بضم الطاء وتسكين الواو وفتح الياء فقال :

رأيت في النوم أبي ءادمـــــــا صلى عليه الله ذو الفضـــــــل
فقال أبلغْ ولدي كلهـــــــــم مَن كان في حزن وفي سهـــــل
بأن حواءهم طالـــــــــــق ان كان نفطوية من نسلـــــــــي

وتوفي نفطوية سنة 323 هـ (2) .

1141) **عبد الله بن اسماعيل** ، اشبيلي، كان من أهل العلم التام والحفظ للحديث والفقه ، وكان يميل في فقهه الى النظر واتباع الحديث ، من أهـل التقشف ، خرج الى المغرب فسكنه مدة ، وولي قضاء أغمات ، ثم نقل الـى قضاء الحضرة بمراكش ، فتقلده الى أن توفي سنة 497 ، وكان مشكور السيرة حسن المخاطبة ، كثيرا ما كان يقول لمن يحكم عليه بالسجن للأعوان : خذوا بيد سيدي الى السجن ، وله تصنيفان في شرح المدونة ومختصر ابن أبـي زيد مُلئا علما ، أفادنيه القاضي أبو الفضل بن عياض .

قاله في الصلة (3) .

---

1) **نفح الطيب** 3 : 412 طبع بيروت

2) ينظر عن المترجم **الاحاطة** 3 : 379 وكانت ولادته عام 447

3) **الصلة** 1 : 289 ع 237

1142) عبد الله بن محمد ابن منصور اللخمي النكوري

عبد الله بن محمد بن ابراهيم بن قاسم ابن منصور، اللخمي، القاضي، أحد رجال وقته وفقهاء زمانه، وأصله من نكور وسكن سبتة، تفقه عند فقهاء بلده ابن عبد الله وابن عيسى، وسمع منه معنا،واختص بأبي الاصبغ ابن سهل وتفقه عنده، وسمع منه ومن حجاج بن المأموني ، وأبي القاسم الباجي ، وسمع من أبـي علي بن سكره الصدفي أخيرا عند اجتيازه بنا ، وكانت الدراية والفهم أغلب عليه من الرواية والحفظ ، لم يعتن بضبط الكتب وتقييدها ، وأخذ الأدب عن شيخنا أبي علي النحوي وغيره ، وقرأ على أبي القاسم الخطيب الاصول وذاكر بها أبـا بكر المرادي وأبا الحسـن الصقلي وغيرهـم ، وكان من أهل النبـل والنباهة والنظر والتفنن والمشاركة في ضروب العلم ، ناظرنا عنده في المدونة والموطأ وأصول الدين والفقه ، وكان يحضر مجلسه الاكابر من مشايخنـا وأصحابه لكثرة فوائده ، كان يلازمه شيخنا أبو اسحاق ابن الفاسي ، وأبـو محمد ابن شبونة ، وأبو القاسم ابن العجوز، وغيرهم، وكان ابن الفاسي يفضله كثيرا ، وكان ابن سهل يعجب في شبيبته من نبله وذكائه .

ولي قضاء بلدنا يعني سبتة بعـد خمسمئة ، ثم نقل الـى حضرة السلطان يعني بمراكش فتمكن منه وجـل مقداره ، ثم أنكر من حاله شيئـاً فاستعفى فعوفي سنة عشر ، ثم قلد قضاء سبتة ثانية أول سنة اثنتي عشرة فوليها الى أن توفي في شعبان سنة ثلاث عشرة ، مولده سنة ثمان وخمسين وأربعمئة ، وكان حميد السيرة حسن العشرة .

قاله القاضي عياض في (الغنية) ، واختصر ابن الابار في (المعجم) ترجمة المترجم ، وزاد فيمن سمعه من أشياخه أبا القاسم بن أبي الوليد الباجي وصرح بأن المترجم ولي قضاء الجماعة بمراكش ، وأعان أبا علي في التخلي عن قضاء مرسية حين استخفى من طول ما استعفى ، وما زال يحسن له السعي عند ابن تاشفين ويبسط معاذره الى أن أسعف رغبته على حنق واذن له في مخاطبته بذلك على كره (1) .

---

1) معجم أصحاب الصدفي ص 214 ع 185

1143) عبد الله بن محمد ابن أيوب الشاطبي

عبد الله بن محمد بن أيوب بن القاسم الفهري ، من أهل شاطبة ، سمع بها من أبي علي ما قرىء عليه اذذاك ، وشيوخه طاهر ابن مفوز ، سمع عليه موطأ مالك بقراءة ابن أخيه محمد ابن حيدرة في مسجد ابن وضاح سنة 483 ، وسمع أيضا منه الحديث المسلسل بالأخذ باليد ، فحمله عنه الناس وكتبوه وسلسلوه معه حيثما لقوه ، وأبو الحسن ابن الدوش المقرىء ، وموسى بن أبي تليد ، سمع عليه الموطأ والتقصي لأبي عمر بن عبد البر في سنة 511 ، وأبو جعفر ابن غزلون سمع عليه صحيح البخاري في سنة ثلاث عشرة ، وأبو بحر الأسدي لقيه ببلنسية ، وسمع عليه الموطأ في سنة 508 قبل انتقال أبي بحر إلى قرطبة ، نقل أكثر هذا ابن الابار في (المعجم) من خط أبي محمد ، قال : ووجدت فيما قيدت أن العباس العذري أجاز ليوسف بن أيوب ولابنه عبد الله جميع ما رواه وألفه في غرة شعبان سنة 470 بعد أن سمع عليه أبو الحجاج صحيح مسلم في التاريخ ، وأجاز أيضا معهما ليحيى ابن أيوب أخي يوسف ولأخيهما محمد وابنه عبد الله هذا ، وتوفي بشاطبة بلده في شعبان سنة 530 ، ثم أسند من طريقه عاليا حديث رفع اليدين عند كل خفض ورفع ، ثم الحديث المسلسل بالاخذ باليد عن البراء بن عازب ، قال دخلت على رسول الله (ص) ، فرحب بي وأخذ بيدي ثم قال لي : يابراء تدري لأي شيء أخذت بيدك ؟ قال قلت خيرا يانبي الله ، قال لا يلقَى مسلم مسلماً فيبشُ به ويرحب به ويأخذ بيده الا تناثرت الذنوب بينهما كما يتناثر ورق الشجر اليابس ، قال ابن الابار : كتبته من خط ابن أيوب ، وأصله منه صار الي ، ثم قال وقد أخذ عنه بمراكش الامير سير بن علي بن يوسف بن تاشفين وبمدينة فاس أبو علي المنصور بن محمد بن الحاج (1) وقال أبو الفضل بن عياض وسماه في شيوخه فسمع منه هذا الحديث مَن لا يُعَد (2) .

---

1) اسمه المنصور بن محمد بن الحاج داوود بن عمر الصنهاجي يكنى أبا على ، توفى بجزيرة يابسة سنة 547 وقيل بميورقة فى حدود 550 من تلاميذ ابى على الصدفى ، قيل فيه : هو فخر صنهاجة ليس لهم مثله ممن دخل الاندلس ، له ترجمة فى **معجم أصحاب الصدفى** ص 201 غ 173 وأخرى فى **التكملة** ص 712 ع 1808

2) **معجم أصحاب الصدفى** ص 218 ع 195

1144) عبد الله بن علي اللخمي

عبد الله بن علي بن أحمد بن علي اللخمي ، سبط أبي عمر بن عبد البر ، وقال فيه ابن فرتون من أهل شاطبة ، فقيه محدث ، سمع جده أبا عمر وأجاز له روايته وتواليفه سنة 462 ، وسمع من أبي العباس العذري صحيحَي البخاري ومسلم ، ومن أبي الوليد الباجي صحيح البخاري ، ولم يجيزا له شيئاً من رواياتهما ولا تواليفهما ، قال ابن الابار : وقرأت بخط عبد الله بن أبي البقاء أنه روى عن أبي الفتح السمرقندي ولم يجزْ له أيضا، وولي قضاء أغمات بالمغرب وحدث بها وأخذ عنه جماعة .

قال في (بغية الملتمس) يروي عنه محمد بن عبد الرحيم وغيره ، قلت منهم عيسى ابن الملجوم الآتية ترجمته ان شاء الله .

قال ابن الابار وقد أجاز لابن بشكوال وأغفله ، وكان مقلا من الرواية، وعمر حتى بلغ التسعين وتوفي بأغمات وهو يتولى قضاءها سنة 532 كذا قال ابن حبيش في وفاته ، وقرأته بخط أحمد ابن عميرة . وحكى ابـن الملجوم عن عمه أبي القاسم عبد الرحمان ابن يوسف أنه توفي في صفر سنة ثلاث وثلاثين ، وتابعه عليه أبو القاسم ابن بشكوال في معجم مشيخته وهو الصحيح، ومولده ببلنسية سنة 443 .

ترجمه في (بغية الملتمس) و (التكملة) (1) .

1145) عبد الله بن محمد ابن عمر السلمي

عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عمر السلمي ، من أهل جزيرة شقر، هو والد القاضي أبي حفص بن عمر ، روى عن صهره أبي محمد اللخمي سبط أبي عمر بن عبد البر ، وسكن معه أغمات وريكة حين ولي قضاءها ، وبها ولد له ابنه أبو حفص ، روى عنه أبو حفص ابنه ، وابن السيرافي ، وكان فقيها

---

1) **بغية الملتمس** ص 349 ع 940 **والتكملة** ص 821 ع 2008 وص 244 (مخطوطة الخزانة الملكيـة)

حافظا جليل القدر سري الهمة عاقدا للشروط بصيرا بها ، كتب عن صهره أبي محمد المذكور أيام استقصائه بأغمات، وساكنه فيها مدة طويلة، واستقضي بفاس ، فعرف بالعدل في أحكامه والجزالة في قضائه ، وأوصاه صهره أبو محمد بن علي وقال له : انك قد ابتليت بالقضاء وهو أمر عظيم ومحنة كبيرة ، فأوصيك بما أهونه عليك وينفعك الله به : لا تبيتنّ وفي قلبك غش وعداوة لاحد من خلق الله ، قال أبو حفص فكذلك كان رحمه الله .

ترجمه ابن الابار في (التكملة) ، وابن عبد الملك المراكشي في كتاب (الذيل والتكملة) ، وصاحب (الجذوة) قال فيها في هذا المحل : وأغمات وريكة المذكورة يقال لها أيضا أغمات هيلانة ، ومراكش نفسه من أرض هيلانة ، قلت تقدم أن أغمات بلدتان : أغمات وريكة ، وأغمات ايلان ، ولا يخفى أن هيلانة هو أيلان ، والى الآن ما زال يقال للباب الذى يخرج منه من مراكش لأغمات ويكة باب أغمات ، وللباب الذي بجواره باب أيلان وهيلانة ، وقد بينا ذلك بيانا شافياً في المقدمة (1) .

1146) عبد الله بن أحمد ابن شبونة الأزدي

عبد الله بن أحمد بن خلوف الأزدي الفقيه ، يعرف بابن شبونة ، أحد الحفاظ المبرزين للمذهب القائمين به ، درس بسبتة على أبي الاصبغ ابن سهل ، وسمع منه وتفقه عنده وعند الفقيه أبي عبد الله بن عيسى ، وسمع من أبي علي ابن سكرة عند اجتيازه بسبتة ، ومن أبي محمد بن أبي جعفر ، وغيرهما من مشايخنا السبتيين والطراة عليها ، وبرع في الفقه ، وجلس بجامع سبتة وناظرنا عنده ، ثم خرج عنها لشيء جرى بينه وبين شيخه ابن عيسى وهو متولي القضاء اذذاك ، فنزل ببني عشرة بسلا فأكرموه وتوسعوا له ودرس عندهم ، ثم انتقل الى أغمات ، فكان رأسا بها مقدماً في التدريس فيها والفتيا ، وتفقه عنده خلق كثير ، وكان أحفظ أهل وقته للمالكية ، واختلاف المالكية فيها ، مع حظ من الأدب وطلاقة لسان وحلاوة شمائل ، وورع في فتياه

---

1) **التكملة** ص 476 ع 1375 طبع مدريد . وص 248 (مخطوطة الخزانة الملكية) .

ووقف عندما ما علمه وحفظه ، سمعت الفقيه أبا علي المتيجي يثني عليه بذلك كثيرا ، وكان لا يداهن في فتياه ولا يصانع أحدا ، وكان أمير المؤمنين علي بن يوسف يصفه بذلك ويعرف حقه ويكرمه ويمازحه ، وكان هو يدل عليه بصحبته وسلامة مذهبه .

وتوفي بأغمات سنة سبع وثلاثين وخمسمئة ، وقد قارب الثمانين سنـــة .

قاله القاضي عياض في (الغنية) .

1147) **عبد الله المليجي** رجراجي الأصل ، ونزل أغمات وريكة وبهـا مات قبل الأربعين وخمسمئة من أقران عبد الجليل بن ويحلان ، من الاكابر ، شديد الورع ، وكان الغالب عليـه الزهد والتقشف ، وكان طعامـه عصيدة الشعير بلا ملح حتى صار كالسفود المحترق ، ولما احتضر أوصى أن يغسله عبد الجليل ، فسمعوه يقول : لقد استرحت ياأبا محمد ، فلما أدرجه في أكفانه قيل له : سمعتك تقول وقت غسله لقد استرحت ياأبا محمد ، فقال : عهدي بجسمه أسود من التقشف والعبادة فلما جردته لأغسله رأيت بدنه ليس بالذي عهدتـه .

وحدث في (التشوف) عن علي بن عيسى عن شيوخه أنه لما أفتى الفقهاء باحراق كتاب الغزالي ، فأحرق في صحن جامع السلطان ، سأل عبـد الله عن الذين أفتوا باحراقه ، فكلما سمي له واحد دعا عليه ، ثم قال والله لا أفلح الاشقياء أبدا ، فما جاز شهر حتى مات جميع أولائك الفقهاء .

وحدث عن مخلوف بن ياسين قال : حدثني الشيخ منصور بن عبد الرحيم عن شيخه يحيى ابن يسولان قـال : جاء السلطان من مراكش الـى أغمات وريكة ، فزار عبد الجليل ابن ويحلان وعبد الله المليجي وبعث الى كل واحد منهما بألف دينار ، فأما عبد الجليل فأخذها وتصدق بها على المساكين ، وأما عبد الله فردها عليه ، فقال له عبد الجليل : هلا تصدقت بها ولم تردها عليه ؟ فقال له : أخذت أنت فان عندك من العلم ما تقبل به وتعطي ، وأما أنا فما عندي من العلم ما آخذ به وأعطي .

قال يحيى : وجاء رجل بتين حلال خلطه بتين حرام ودفعه جميعه لعبد الله ، فأكل منهما الذي كان حلالا وترك الحرام ، فعرفت أن الله تعالى قد حماه من الحرام ، وأمر أن يشتري كساء منسوجا من صوف حلال ، فاشترى لــه بعد التحري والاجتهاد فرده ، فسألت المرأة التي صنعته فقالت : عملته من صوف من كبش ماشيتي الا أني أعوزني شيء من الصوف فطلبته من جارتي فكلمت به الكساء .

ترجمه في (التشوف) (1) .

ومليجة قرية من بلاد رجراجة كما في (التشوف) أيضا في ترجمة يحيى بن أبي موسى المليجي .

وقال في نظم رجاله :

وتاقت لعبد الله نفسي وانهـــــا اليه لتشتاق الزيارة في الوكـــر

1148) **عبد الله بن محمد ابن جبل الهمداني** ، من أهل وهران ، وأصله من الأندلس ، كان فقيها خطيباً مفوها ، ونال بخدمة السلطان دنيا عريضة .

توفي بمراكش مستهل ربيع الآخر سنة 557 ودفن بروضة الشيوخ .

ذكره في (التكملة) (2) .

1149) **عبد الله بن محمد ابن عمران الصدفي**

عبد الله بن محمد بن قاسم ابن عمران الصدفي ، من أهل شلب ، روى باشبيلية عن أبي الحسن بن الأخضر ، وبقرطبة عن أبي بحر الاسدي ، وأبي الحسن ابن مغيث ، وأبي بكر ابن العربي ، وولى القضاء والخطبة ببلده ، وكان

---

1) **التشوف** ص 124 ع 33 **والسعادة الابدية** 1 : 62

2) **التكملة** ص 527 ع 1484 طبع مدريد ، وص 205 (مخطوطة الخزانة الملكية) .
وجعله عبد الواحد المراكشي في **المعجب** ص 121 (طبع سلا) من قضاة عبد المومن بن على ، وجعله ابن صاحب الصلاة في **المن بالامامة** من خطبائه وكتابه

من نبهائه وفقهائه ، وتوجه في الوافدين من أهل شلب على مراكش ، وهـو الذي صلى على أبي القاسم القنطري عند وفاته بها في ذي الحجة سنة 561 . ذكر ذلك ابن أخيه وحدث عنه هو ويعيش بن القديم .

نقله في (التكملة) (1) .

1150) عبد الله بن محمد ابن المالقي الانصاري

عبد الله بن محمد بن عيسى الأنصاري ، يعرف بابن المالقي ، أصله منها ، وسكن مراكش ، أخذ في صغره عن أبي الحكم ابن برجان ، واختلف اليه بقريته من نظر طلياطة من شرق اشبيلية ولازمه ، وبرع في علمه ، وكان فقيها نظارا خطيبا مفوها ذا حظ من الادب وافر ، ونال بخدمة السلطان دنيا عريضة، ورأس طلبة حضرته مراكش ، وتوفي بها سنة 574 عن ابن عمرو ، وقال ابن صاحب الصلاة : توفي سنة ثلاث وسبعين وأثنى عليه كثيرا .

نقله ابن الأبار (2) .

1151) عبد الله بن عبد الحق الانصاري ، من أهل المهدية (3) ، أخذ عن مشيخة بلده ، وانتقل الى المغرب وولى قضاء الجماعة باشبيلية ، وكان جزلا صارما صليباً في الحق ، وكانت له بالدعار سطوات مرهوبة ، وآثار في الأحكام محمودة ، وتوفي بقصر عبد الكريم منصرفه من حضرة السلطان بمراكش سنة 589 ،حكى ذلك ابن سالم وقال : بلغني أن لأبي عبد الله المازري عليـه ولادة .

نقله في التكملة (4) .

وتقدمت ترجمة ولده عبد الحق قاضي مراكش (5) .

---

1) التكملة ص 479 ع 1582 طبع مدريد

2) التكملة ص 486 ع 1394

3) مهدية تونس

4) التكملة ص 529 ع 1488

5) انظر ص 39 ع 1067 من هذا الجزء

زعم صاحب (شجرة النور الزكية) أن المترجم تولى قضاء مراكش ، وأنه توفي بها ، راجع صحيفة 145 .

1152) عبد الله بن محمد ابن عبيد الله الحجري

عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله ابن عبيد الله بن سعيد بن محمد بن ذي النون الحجري ، من حجر ذي رعين ، من أهل المرية ، كذا كان يملي نسبه ، ويقول : ان أصلهم في القديم من جهة طليطلة ، وببني ذي النون كان بيتهم قديما يعرف حتى نشأ عبيد الله جد جده ، وكان له كرم وخلال صالحة ، فنسب اليه ولده بعد أبيه وعرفوا به ، وعفا ذلك على ما كانوا يعرفون به ، ونزل سلفه بذلك قنجاير حصنا بينه وبين المرية ثلاثون ميلا على جادة الطريق الى مالقة .

سمع ببلده أبا عبد الله ابن زغيبة ، كان يروى صحيح مسلم ، وأبا القاسم ابن ورد ، وأبا الحجاج ابن يسعون ، وأبا عبد الله ابن أبي أحد عشر ، وأبا الحسن ابن اللوان ، وأبا الفضل ابن شرف ، وأبا محمد الرشاطي، وأبا الحجاج القضاعي ، وناظر على أبي الحسن ابن نافع في المدونة ، وسمع من أبي الحسن ابن موهب فهرسته ، ورحل الى قرطبة ، فلقي بها من بقية أعلامها وخاتمة أئمتها أبا القاسم ابن بقي ، وأبا الحسن ابن مغيث ، وأبا عبد الله بن مكي ، وأبا جعفر البطروجي ، وبها لقي أبا بكر ابن العربي ، وأبا بكر ابن المرخي ، ولقي باشبيلية شريح بن محمد ، وأبا عمر بن صالح ، وأبا اسحاق ابن حبيش فسمع منهم وأكثر عنهم ، وقرأ على شريح صحيح البخاري في رمضان سنة 534 ، وحكى أنه قرأه في احدى وعشرين دولة ، قال : وقد اجتمع للسماع نحو ثلاثمئة من أعيان طلبة البلاد ، وكان شريح رحمه الله بطول العمر قد انفرد بعلو الاسناد فيه لسماعه إياه من أبيه وأبي عبد الله ابن منظور عن أبي ذر ، فكان الناس يرحلون اليه بسببه، وكان قد عين لقراءته شهر رمضان، فيكثر الازدحام عليه في هذا الشهر من كل سنة . ويتواعد أهل الاقطار المتباعدة للاجتماع فيه عنده ، وكان أبو عبد الله النميري الحافظ موعودا بقراءته في تلك السنة ، فارتقب مقدمه من غرناطة بلده والناس مجتمعون للسماع ، فلم يصل

لقدر منَعَه ، فحظي ابن عبيد الله بهذه القراءة ، ويقال انه نُصب له كرسي يقعد عليه للسماع وشهرت لكثرة مَن رحل من سامعها ومن حدث بها بعد ذلك ، ومنهم أبو الحسن الزهري وابنه عبد الرحمان ، وأبو القاسم الحوفي ، وأبو الفضل ابن الأعلم ، ونجبة ابن يحيى ، وأبو اسحاق ابن ملكون وأبو الحسن ابن لبال ، وأبو بكر ابن عبيد الأركشي ، وأبو عبد الله بن مالك الشريشي ، وأبو القاسم ابن الشراط القرطبي، وأبو جعفر ابن حكم الغرناطي، وأبو القاسم ابن الشراط القرطبي ، وأبو جعفر ابن حكم الغرناطي ، وأبو محمد بن يزيد السعدي ، وأبو عبد الله الاستجي ، وغيرهم ، وكان أبو عبد الله ابن حميد يقول سمعته على شريح سنة خمس وثلاثين بعدها في نحو المئتين .

وكتب الى ابن عبيد الله جماعة ، منهم : أبو بكر بن فندلة ، وأبو عبد الله ابن معمر ، وأبو الوليد ابن بقوة ، وأبو بكر بن أبي ركب ، وأبو الفضل بن عياض ، وأبو جعفر ابن الباذش ، وأبو بكر ابن طاهر ، وغيرهم ، ومن أهل الاسكندرية : أبو طاهر السلفي ، وأبو عبد الله ابن أبي سعيد السرقسطي ، ومن المهدية أبو عبد الله المازري ، وفي شيوخه كثرة ، وجل روايته عن أبي بكر ابن العربي منهم .

حكى أبو سليمان ابن حوط الله أنه قرأ عليه وسمع كتبا كثيرة تزيد على المئة ، وأشبه أبا القاسم ابن بشكوال في أكثاره عن ابن عتاب ، ويحكى أن شيوخه كانوا يستحسنون قراءته وايراده مع صلاحه وانقباضه ، وكثيرا ما سمع منه العلم بقراءته ، وكان الغاية في الصلاح والورع والعدالة والفضل الكامل ، كان أبو القاسم ابن حبيش يقول : انه لم يخرج على قوس ألمرية أفضل منه ، يجمع الى ذلك العناية بالرواية والمشاركة في معرفة القراءات ، وولي الصلاة والخطبة بجامع ألمرية ، ودعي الى القضاء فأبى وامتنع من ذلك ، وخرج بعد تغلب العدو على ألمرية الى مرسية ، فدعي الى ولايات زهد فيها وأبى منها ، ورغب في الخمول ، وضاقت حاله بها فخرج الى مالقة فلم تقله ، فأجاز البحر الى مدينة فاس ، وأقام بها مدة ، ثم انحدر الى سبتة فاستوطنها وأقام بها بقية عمره يقريء القرءان ويسمع الحديث ، وبعُد صيته وعلا ذكره ،

فكان الناس يرحلون للسماع منه والاخذ عنه لعلو اسناده ومتانة عدالته ، وكان له ضبط وتقييد يعينه عليه حسن الخط وبصر بصناعة الحديث ، وكان نظراؤه يصفونه بجودة الفهم ، واستدعي الى حضرة السلطان بالمغرب مراكش ليسمع عليه هنالك ، فتوجه وأقام حيناً ثم استأذن في العود إلى سبتة فأذن له، وحدث عنه عالم من الجلة الاعلام بالأندلس والعدوة ، فيهم جماعة من شيوخ ابن الابار وغيره ، قال في تكملته : وأنشدنا أبو الربيع بن سالم قال : أنشدنا عبد الله ابن عبيد الله في مسجده بسبتة سنة 589 ، قال : أنشدنا أبو الفضل جعفر بن محمد ابن شرف لنفسه :

لعمرك ما حصَلْتُ على خطير ... من الدنيا ولا أدركت شيا
وها أنا خارج منها سليبا ... أقلب نادما كلتا يديا
وأبكي ثم أعلم أن مبكي ... ي لا يجدي فأمسح مقلتيا
ولم أجزع لهذا الموت لكن ... بكيت لقلة الباكي عليا
وأن الدهر لم يعلم مكاني ... ولا عرفت بنوه ما لديا
زمان سوف أنشر فيه نشرا ... اذا أنا بالحِمام طويت طيا
أسرّ بأنني سأعيش ميتا ... به ويسوءني أن مت حيا

ولد بقناجير لخمس مضين ، وقيل للنصف من ذي الحجة سنة 505 . وقال ابن فرتون سنة ثلاث ، وتوفي بسبتة ليلة الاحد الحادي والعشرين من شهر محرم ، وقال أبو سليمان ابن حوط الله في أول صفر سنة 591، وكذلك قال أبو الحسن الشاري أنه توفي ليلة الأحد الأولى من صفر وهو ابن خمس وثمانين سنة ، ودفن بالموضع المعروف بالمنارة من داخلها ، وكانت جنازته مشهورة والجمع فيها عظيماً ، والثناء عليه جميلا .

قال شيخنا أبو الربيع ابن سالم وقرأته عليه : كان يخبر أن وفاته تكون في المحرم لرؤيا رءاها ، فكان متى قرب قبل ذلك مدار هذا الشهر من كل سنة يتقدم بالاستعداد وزيادة الاجتهاد في العمل الى أن تقضى محتوم أجله ، فأتته منيته في شهر المحرم المذكور وفق ما كان رءاه ، ودفن بجبل المينا منها ، وصادف وقت وفاته بسبتة قحطاً أضرّ بأهلها، فلما وضعت جنازته

على شفير قبره توسلوا به الى الله تعالى في اغاثتهم وتداركهم بالسقيا فسقوا من تلك الليلة مطرا وابلا ، وما اختلف الناس الى قبره مدة الاسبوع الا في الوحـل .

وقرأت على أبي سليمان ابن حوط الله قال حدثنا صاحبنا أحمد بن محمد بن أحمد اللخمي قال : حدثنا الفقيه محمد ابن غاز قال : أخبرتني ابنة عمة لي وكانت من الصالحات ، أنها استحيضت حيضة شديدة وتمادى بهـا ذلك زماناً ، وأنها لما سمعت بموت عبد الله ابن عبيد الله أشفقت من أن لا تحضر الصلاة عليه ودفنه لما رجت في ذلك من الثواب ، فقالت اللهم ان كان هذا الرجل عندك مـن الصالحين فارفع ما بـي حتى أشهد الصلاة عليـه ، فاستجيبت دعوتها وحضرت ما سألت ، وارتفع عنها بعد ذلك دم الاستحاضة ولم يرجع اليها الى أن توفيت رحمها الله (1) .

قال ابن الزبير : ومن حجر بن ذي رعين في حمير كان المترجم يعني ابن عبيد الله خاتمة المسندين ، وءاخر الجلة العلية من المحدثين ، من ذوي الجلالة واليسار ، وهو من أعمال المرية ، فنشأ بها واختلف الى علمائها ، ثم جال في الاندلس ولقي الشيوخ واجتمع له علم جم ، فمن شيوخه ابن ورد ، ومحمد بن حسن ابن احدى عشرة ، وعلي ابن اللواز ، وابن مغيث ، وسمى خلقاً ، قال : وأقام بمالقة يقرىء القرءان والحديث واللغة العربية ، ثم سكن سبتة وسكن فاس مدة ، ورد الى سبتة ، ورحل اليه الناس من كل مكان ، ثم طلبه السلطان قبل موته الى مراكش فأسمع بها ، وولي قضاء سبتة فحكم يوما واحداً ونزل ، وولي الخطبة ثم عجز عنها واستعفى ، وكان ممن جمع الله له بين العلم والعمل واتساع الرواية وعلو الذكر الى أن مات ، وكان من الكتاب البلغاء ، قال شيخنا أبو الحسن الغافقي : ما دخل على قوس باب سبتة أزهد منه ، وان قلت لم يخرج الاندلس الى العدوة لم يبعد ، وقال أبو الربيع بن سالم : اذا ذكر الصالحون الذين أدركناهم فحي هلا به .

---

1) ما تقدم منقول بالحرف من **التكملة** ص 495 ع 1416 طبع مدريد ، وص 253 (مخطوطة الخزانة الملكية)

وقد اختصر في ترجمته في (الجذوة) و (النيل) وكذلك في (مرآة الجنان) لليافعي صحيفة 473 الجزء الثالث .

1153) **عبد الله بن أحمد المؤذن** ، من أهل الجانب الشرقي من مراكش ، وبه مات في أعوام التسعين وخمسمئة ، وكان رجلا خيرا ناحل البدن شديد الصفرة .

قال في (التشوف) : سمعت محمد بن يحيى يقول : أخبرني مخبر أن عبد الله المؤذ ن كان يسأل من الله تعالى أن يريه ولياً من الأولياء ، قال عبد الله : فقمت ليلة الى مسجد أبي مروان ، وفتحت باب المسجد ، ثم أغلقته وكبرت للصلاة ، فأبصرت رجلا داخلا في المسجد ، فركع وسلم من صلاته ، وفرغت من صلاتي ، وكلمني وكلمته ، وأخذ بيدي ، وخرجت معه من المسجد ومشينا الى أن وصلنا باب الدباغين ، فانفتح ودخلنا الى الباب الثاني فانفتح، وأخذ يؤنسني ويحدثني الى أن وصلنا الى المسجد فدخلناه ، فوجدنا فيه رجالا يصلون ، فصلينا معهم ما قدر لنا ، ثم قال : قد قرب طلوع الفجر فاذهب، فرجعت معه وهو يحدثني ، فلم أشعر الا وأنا عند باب المسجد وغاب عني .

وأخبرني ثقات من الجيران أن عبد الله المؤذن مرض مرضه الذي مات منه وكان يحدثهم بما شاهده :

يراد من القلب نسيانكم	وتأبى الطباعُ على الناقل
ولو زلتمُ ثم لم أبككم	بكيت على صبريَ الزائل
وهبت السلوَ لمَن لامني	وبتُ من الحب في شاغل
كأنَّ الجفون على مقلتي	ثيابٌ شُقِقْنَ على ثاكل (1)

1154) **عبد الله بن عمر ابن حمويه السرخسي**

عبد الله بن عمر بن علي بن محمد ابن حمويه ، الشيخ الامام ، شيخ الشيوخ ، تاج الدين السرخسي ، من بيت كبير ، ولد سنة 573 له رحلة

1) الترجمة منقولة بالحرف من **التشوف** ص 347 ع 178

مغربية ذكر فيها عجائب شاهدها بالغرب ومشايخ لقيهم ، منهم الحافظ عبد الله ابن حوط الله ، سمع عليه سنة سبع وتسعين وخمسمئة الحديث وشيئاً من تصانيف المغاربة ، ولقي بالمغرب الفقيه ابن أبي تميم وأنشده :

اسمع أخيَّ نصيحتـــــــــي والنصحُ من محض الديانـــــه
لا تقربنَّ إلى الشهـــــا دة والوساطة والامانـــــه
تسلمْ من ان تعزي لـــــزو رٍ أو فضولٍ أو خيانـــــه

وأدرك الشيخ سيدي أبا العباس السبتي بمراكش سنة أربع وتعسين وخمسمئة وقد ناهز السبتي الثمانين ، وتركه في سنة ثمان وتسعين حياً يرزق لأنه توفي سنة 601 كما تقدم في ترجمته .

كان المترجم شيخ الشيوخ بدمشق، أحد الفضلاء المؤرخين المصنفين، له كتاب في ثماني مجلدات ذكر فيه أصول الاشياء ، وله السياسة الملوكية صنفها للملك الكامل محمد ، وغير ذلك ، وسمع الحديث وحفظ القرءان ، وكان قد بلغ الثمانين ، وقيل لم يبلغْها ، وقد سافر الى بلاد المغرب سنة ثلاث وتسعين 593 ، واتصل بمراكش عند ملكها يعقوب المنصور الموحدي ، فأقام هنالك الى سنة ستمئة ، وقدم مصر وولي مشيخة الشيوخ بعد أخيه صدر الدين ابن حمويه ، كان فاضلا متواضعاً نزيها حسن الاعتقاد ، قال أبو المظفر : كان يحضر مجلسي وأنشدني يوماً :

لم ألق مستكبرا الا تحول لـــــي عند اللقاء له الكبر الذي فيـــــه
ولا حلا لي من الدنيا وزينتهــــا الا مقابلتي للتيه بانتيـــــــه

وقال السرخسي المذكور في رحلته : اني وان كنت خرساني الطينة ، لكن شامي المدينة ، وان كانت العمومة من المشرق ، فان الخؤولة من المغرب، فحدث باعث يدعو الى الحركات والاسفار ، ومشاهدة الغرائب في النواحي والأقطار ، ثم ذكر أنه دخل القدس 593 ثم الى الديار المصرية ، ودخل الغرب من الاسكندرية في البحر ، فاتصل بخدمة المنصور ، وقال له يوماً كيف ترى هذه البلاد ؟ وأين هي من بلادك الشامية ؟ فقلت ياسيدنا بلادكم حسنة أنيقة

مجملة مكملة ، وفيها عيب واحد ، فقال ما هو ؟ فقال إنها تنسي الأوطان ! قال فتبسم وظهر لي اعجابه بالجواب ، وأمر لي من غد بزيادة رتبة واحسان .

واجتمع أيضاً بمراكش بالسيد سليمان بن عبد الله بن عبد المومن بن علي لما قدم لمبايعة محمد الناصر ولد المنصور ، وذكر جملة من علماء الاندلس والمغرب لقيهم في هذه الرحلة .

ومن نظم المترجم قوله :

ياساهر المقلة لا عن كـــــــرى	غفلت عن هجعي وأوصابـــــــي
لولم يكن وجهك لي قبلـــــــة	ما أصبح الحاجب محرابـــــــي

وكان متفننا في العلوم ، وهو عم الامراء الوزراء الرؤساء فخر الدين واخوتـه .

من مصنفاته (المسالك والممالك) و (عطف الذيل) في التاريخ ، وله أمالي وتخاريخ ، وقدمه المنصور صاحب المغرب على جماعة . وتوفـي رحمه الله تعالى بدمشق الشام ودفن في مقابر الصوفية عند المنبع ، وكـان عالي الهمة ، شريف النفس ، قليل الطمع ، لا يلتفت الى أحد رغبة في دنياه لا من أهله ولا من غيرهم ، وذكره صاحب المرءاة وغيره ، وترجمته واسعة رحمه الله تعالى .

ذكره في نفح الطيب (1) .

1155) عبد الله بن أحمد ابن علوش اللخمي

عبد الله بن أحمد بن محمد بن علي بن ابراهيم بن سليمان اللخمي ، من أهل اشبيلية ، وسكن مراكش ، يعرف بابن علوش ، سمع من جده محمد بن علي ، ومن أبي بكر بـن العربي ، وأخذ القـراءات عن شريح بـن محمد ، واستأدبـه يعقوب المنصور بـن يوسف لبنيه بمـراكش فانتفعوا بتعليمـه

---

1) الترجمة منقولة باختصار من **نفح الطيب** 3 : 99 طبع بيروت

لتجويده وإتقانه ، ومعرفته بالقراءات وطرقها ، ومشاركته في العربية والآداب، وكان مهيبا في تأديبه مشددا على تلاميذه ، ذكره ابن الطيلسان ، وأخذ عنه يسيرا عند قدومه قرطبة سنة 593 ، وروى عنه شريح عن أبي محمد ابن حزم قوله :

لا تلمني لان سُبقت بحظ فات إدراكه ذوي الألباب
يسبق الكلب وثبة الليث في العدْ و ويعلو النخال فوق اللباب

وحُكي أنه عاد اليها في سنة تسع وتسعين وخمسمئة 599 ، وتوفي بعد ذلك بيسير .

نقله ابن الأبار (1) .

1156) عبد الله بن محمد (2) التادلي

عبد الله بن محمد بن عيسى التادلي ، القاضي الاديب ، أصله من تادلة وكان بفاس ، وشوور أبوه أيام لمتونة بها .

روى عن ابن عتاب وأبي بحر الاسدي وأجاز له وهو ءاخر من روى عنهما بمغرب العدوة ، ودخل الاندلس فلقي ابن العربي وابن بشكوال ، واعتمد في الرواية على المذكورين قبل وبسببهما أخذ عنه الناس كثيرا لانفراده بهما أخيرا ، ولي قضاء بسطة وغيرها واستوطن مكناسة ، قال أبو الخطاب ابن خليل : كتب لي بالاجازة من مراكش ، كان من عدول القضاة تؤثر عنه غرائب ، وكان أديباً شاعرا مفلقاً ، ومن شعره يخاطب ابن مضا :

ياغارساً لي ثمار مجد سقيتَها العذبَ من زلالك
أخاف من زهرها سقوطاً ان لم يكن سقيُها ببالك

---

1) **التكملة** ص 501 ع 1421 طبع مدريد ، وص 256 (مخطوطة الخزانة الملكية)

2) فى الاصل المنقول منه : محمد بن موسى بن يحيى التادلى ، وفى **نيل الابتهاج** (ص 137) الذى ينقل منه المؤلف ورد اسمه هكذا : عبد الله بن عيسى بن محمد التادلى ، وكل ذلك غير صحيح ، واسمه واسم أبيه وجده هو ما صححناه نقلا عن اقدم نسخة مصححة معروفة لكتاب **التكملة** لابن الابار ، وهى المحفوظة بخزانة القصر الملكى بالرباط تحت نمرة 1411

روى عنه ابن خليل المتقدم ، وأبو عبد الله الازدي ، وأبو الحسن الغافقي ، وغيرهم ، واختلَّ ذهنُه أخيرا .

توفي بمكناسة قبل الستمئة .

ترجمه في (النيل) (1) .

1157) عبد الله بن طاهر الصقلي الحسيني

عبد الله . قاضي الخلافة الموحدية بمراكش ، ابن طاهر ، بن الحسين ، بن موهوب ، بن أحمد ، بن محمد ، بن طاهر ، بن الحسين ، بن علي ، بن محمد ، بن علي الرضا ، بن موسى الكاظم ، بن جعفر الصادق ، بن محمد الباقر ، بن علي زين العابدين ، بن أمير المومنين الحسين ، بن علي ، بن أبي طالب .

كان المترجم فقيها اماماً صالحاً . كان هذا البيت الشريف الصقلي من الاندلس ، وقدموا مراكش ، وقد خدموا بها ملوكها من بني عبد المومن . وقد ولّوْهم بمراكش ، كان فيهم الكتاب وقضاة الدولة : أبي الجيش، وقاضي الجماعة ، وكان قدومه على الاندلس من صقلية المعروفين بها ، وتقدمت ترجمة ولده محمد قاضي الجماعة بمراكش (2) وهناك أتممنا الكلام على نسبهم الشريف ، وممن تكلم عليه صاحب العمل الفاسي في بيوتات فاس (3) ووقع في نسخة الطبع تحريف ونقص ، وتقدم ذكر ولده عبد الرحمان في ترجمة محمد أبي زيان المريني السلطان (4) .

---

1) **نيل الابتهاج** ص 137 **والتكملة** ص 530 ع 1491 طبع مدريد ، وص 266 (مخطوطة الخزانة الملكية بالرباط)

وكانت ولادة المترجم عام 511 ووفاته عام 597 حسبما روى ذلك ابن الابار عن أبي الحسن الشارى

2) انظر 4 : 100 ع 533 من هذا الكتاب

3) **بيوتات فاس الكبرى** ص 15 طبع الرباط

4) انظر 5 : 24 من هذا الكتاب ، وليس فيه ذكر لعبد الرحمان الصقلي ، وبما ان تراجم الكتاب أكثرها منقول من كتب أخرى ، فلعل الاشارة الى عبد الرحمان وقعت فى الكتاب المنقول منه

1158) عبد الله بن محمد ابن فهم الازدي

عبد الله بن محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر بن هشام بن ملك ابن فهم الأزدي الوادي ءاشي ، سكن مراكش واستوطن فاس ، ثم رحل منها الى المشرق ، فحج وسمع بدمشق مقامات الحريري من أبي الطاهر الخشوعي ، وسمع أبا القاسم ابن عساكر ، وأبا القاسم أحمد بن مالك البغدادي وجماعة .

توفي في أول محرم سنة ستمئة . ذكره في (الذخيرة السنية ، في تاريخ الدولة المرينية العبد الحقية) (1) .

1159) عبد الله بن ياسين الدغوغي، دفين المواسين بمراكش، أخو سيدي عبد الخالق بن ياسين ، وهو دغوغي من بني دغوغ كما تقدم في ترجمته ، قال الصحراوي : ينزل لضريحه بدرجات ،ويبعد كل البعد ما شاع بين أهل مراكش أن مسجد المواسين كان حارة لليهود ، فكيف يكون مسجد هذا الفقيه ومقامه مجاورا لليهود ، فقد كان في القرن السادس وله جاه وعلم وصلاح ، ذكره في (التشوف) في ترجمة شيخه أبي محمد بن محمد الجزولي .

ومن عجيب كراماته أن سنة سبعين ومئتين وألف اشترى يهودي جملا وأتى به للشهود ، فانسلّ الجمل هاربا ودخل مقامه وبرك فيه وأبى أن يقوم ، فأنهي الخبر لأمير المومنين مولانا عبد الرحمان قدس الله تعالى روحه فخلصه من اليهودي برد بيعه ورجع للمسلم .

وقال في (تذكرة المحسنين) لدى سنة 1262 **غريبة :** من حوادث هذه السنة اشترى يهودي جملا بمراكش وجاء به الى العدول ووقع اشهاد على المسلم ، فبينما هما في حالة الاشهاد واذا بالجمل انسل منهما فدخل مسجدا أو ضريحا بالقرب منه وبرك وتمنع من الخروج كلما ضرب يفهم الناس أنه لم يرض بتملك الذمي له ، فجعلوا يقولون له ان الذمي قد أخرجك من ملكه

---

1) **الذخيرة السنية** ص 39 طبع الرباط ، وينظر عنه أيضا **التكملة** ص 503 ع 1450 طبع مدريد . وص 256 (مخطوطة الخزانة الملكية بالرباط)

فيتحرك للخروج ، فاذا قيل له ان الذمي ما زال مالكا له يرجع لما كان عليه من الامتناع من القرب ، فرفع أمره لأمير المومنين ، فأمر بأداء ثمنه لليهودي وأخرج بلا مشقة وأرسله لجنانه المدعو أجدال يرعى ولا يستعمل في شيء ، وما ذكره في (الروضة المقصودة) من أن المترجم هو المجاهد المذكور في دولة المرابطين غلط واضح ، إذ ذاك ليس مدفونا بالمواسين ، بل هو مدفون بغابة كريفلة حسبما قدمناه في ترجمته .

وقال أيضا في كتابه (المجد الطارف والتالد) : انه المشار اليه في ترجمة محمد بن محمد الجزولي من (التشوف) قائلا : أخذ عنه أبو محمد عبد الله بن ياسين فقيه المصامدة الآن .

1160) عبد الله بن محمد ابن الياسمين

عبد الله بن محمد بن حجاج المعروف بابن الياسمين ، وينسب في أساسه من البربر ، أخذ عن أبي عبد لله بن قاسم علم الحساب والعدد ، وشارك في غير ذلك ، وكان أحد رجالات السلطان بالمغرب ، وله أرجوزة في الجبر والمقابلة قرئت عليه وسمعت منه باشبيلية في سنة سبع وثمانين وخمسمئة ، ولم يكن مرضيا .

توفي ذبيحاً بمراكش سنة احدى وستمئة ، وقيل في ءاخر سنة ستمئة (1) .

ترجمه في (الجذوة) . وقال في (الذخيرة السنية) عند ذكر المترجم من بني حجاج أهل قلعة فندلاوة ، وكان أحد خدام المنصور ثم ولده الناصر ، انتهى المقصود .

وممن شرحها أحمد بن ابراهيم المتقدم الذكر في ترجمته أحمد ابن البناء ، وأبو الحسن القلصادي المتوفى سنة 891 شرحا ، ثم اختصره كما في ترجمته من نفح الطيب ، وشروح هذه الأرجوزة موجودة خطاً في المكتبة

---

1) **التكملة** ص 531 ع 1492 طبع مدريد ، وص 266 (مخطوطة الخزانة الملكية) . وينظر عنه أيضا **الغصون اليانعة** ص 42

الخديوية ، منها (اللمعة المارد ينية ، في شرح الياسمينة) لمحمد بن محمد بن سبط المارديني من علماء القرن التاسع ، وللمترجم أيضا أرجوزة في أعمال الجــذور .

1161) **عبد الله بن محمد ابن زهر الايادي**

عبد الله بن محمد بن عبد الملك بن زهر بن عبد الملك بن محمد بن مروان ابن زهر الايادي ، تقدم ذكر والده محمد (1) ، ولد عام سبعة وسبعين وخمسمئة 577 في اشبيلية ، وكان طبيبا ماهرا تعلم في المدرسة لأبيه ، ولقد ألحقه الخليفتان يعقوب المنصور ثـم الناصر محمد الموحديان ببلاطهمـا ، وغمراه باحسنانهما ، وتوفي بالسم عام اثنين وستمئة كما توفي والده برباط الفتح وكان في طريقه الى مراكش بالغا من العمر خمسة وعشرين عاما ، ودفن بالرباط ثـم نقل جثمانه الى اشبيلية حيث وضع الى جانب قبور أجداده خارج باب النصر ، وخلف ولدين عبد الملـك ، ومحمد ، وقد عاش كلاهما فـي اشبيلية ، وكان لصغرهما طبيبا كذلك كما كـان على علم صحيح بمؤلفـات جالينـوس .

1162) **عبد الله بن حريز ابن تاخميست** من أهل فاس ، وبها مـات ليلة الثلاثاء السادس والعشرين لذي الحجة عام ثمانية وستمئة 608 ، وكان عبدا صالحاً كثير الشان على سنن السلف ، كثير الانقباض مـن الناس حدثوا عنه أنه كان ساكنا بمكناسة في دويرة قريبة من المسجد ، فاقام بها مدة ، فرحل عنها وسقطت صومعة المسجد على الدويرة فانهدمت .

وأخبرني أحمد بن يوسف قال : أدركت ابن تاخميست بفاس ، وكان حسن المميرة ، يلبس برنسا أكحل ، فاذا سلم الامام من الصلاة دخل بين الناس وغاب حتى لا يجتمع بأحد .

---

1) انظر 4 : 134 ع 517 من هذا الكتاب

وأخبرني يوسف بن موسى قال : كان عبد الله ابن تاخميست يدفع لأصحابه قراطيس فيها دراهم طريــة طيبة ، وكان ينسخ المصاحف بيــده ويدفعها لمن يراه أهلا لها .

وأخبرني مخبر ثقة قال : نهضت من المغرب إلى مكة كرمها الله تعالى ، فركبت البحر ، فحدثنا رجل صالح مــن رؤساء البحر قال : ركب عبــد الله ابن تاخميست البحر في رحلته الى المشــرق ، فمال بنا البحر واضطــرب اضطرابا شديدا أشرفنا منه على الهلاك ، فسمعنا هاتفا يقول : لولا عبد الله ابن تاخميست لأغرقتم ، فطلبناه عندنا فلم نعرفه ، فلما فطنا به غاب من بيننا، فلما وصلنا مرسى الاسكندرية قيل لنا انه وصل الاسكندرية منذ أيام ، وقد تقدم الى مكة :

ولما ركبت البحر نحوك قاصــدا	ولم أر غير الله مالا ولا أهــــــــلا
دعوتك بالاخلاص والموج طامــح	بصدق وداد لم يكن قبل معتــــلا
أيامنقذ الغرقى وياملهم التقـــــى	وياصمداً يبقى اذا أذهب الكــــلا
لوجهك ذل البر والبحر خاضـــع	وحق لهذا الخلق أن يألف الــذلا

وحدثني محمد بن علي بن عبد الرحمان الهواري قال : حدثني أبــو بكر بن الاستاذ محمد بن علي الانصاري السقطي قال مرضت فدخل علي عبد الله ابن تاخميست يعودني ، فمسح يده علي ثلاث مرات وهو يقول : أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يشفيك ، فما أكملها في المرة الثالثة حتى برئت من مرضي وخرجت (1) .

وجعل في (الجذوة) اسم المترجم محمد بن جرير ابن تاخميست (2) وكناه أبا عبد الله الشيخ الصالح كان كثير الورع شديد الانقباض عن الناس ،

---

1) ما تقدم منقول بالحرف من **التشوف** ص 399 ع 213

2) **جذوة الاقتباس** ص 220 ع 187 طبع الرباط ، ولا شك أن السبب في هذا القلب هو هذه الكنى الملعونة التي تقرن بالأسماء ، ونحن نعتقد أن من نسخ الكتب التي نقل عنها ابن القاضي رأى في كتاب كان ينسخ منه اسمه مكتوبا هكذا : أبو محمد عبد الله بن حريز فكتبه محمد بن جرير، فصار كل من ينقل عن النسخة المحرفة أو عن من نقل عنها يكتب الاسم محرفا ، وعلى أي فاننا نعتمد على **التشوف** لانه أقدم من **القرطاس** ومن **جذوة الاقتباس** ، ورفعا للالتباس صرنا نحذف في أكثر الاحيان الكنى من الكتب التي نحققها ، وحبذا لو يقتدي بذلك المحققون والمشرفون على طبع كتب التراث

وكان له خط حسن ، كان ينسخ المصاحف بيده ويدفعها لمن يراه أهلا لها ابتغاء الثواب ، مولعا بطلب العلم وتدريسه وتحصيله الى أن مات ، وهو القائل:

أخو العلم حيٌّ ذكره بعد موته وأوصاله تحت التراب رميم
وذو الجهل ميت وهو ماش على الثرى يظن من الأحياء وهو عديم

توفي سنة ثمان وستمئة ليلة الثلاثاء السادس والعشرين لذي حجة، ودفن بخارج باب الجيسة .

ذكره ابن زرع (1) .

قلت قوله وهو القائل أخو العلم الخ... في نسبة البيتين المذكورين له نظر ، ولعله انما تمثل بهما ، وهما لعبد الله بن محمد بن السيد النحوي البطليوسي المتوفى سنة 521 قبل المترجم بنحو سبعة وثمانين عاما . قال ابن بشكوال في صلته لدى ترجمته أنشدنا أبو الطاهر محمد بن يوسف صاحبنا قال : أنشدني عبد الله ابن السيد لنفسه :

أخو العلم حي خالد بعد موته البيتين المذكورين .

1163) عبد الله بن سليمان ابن حوط الله الانصاري

عبد الله بن سليمان بن داوود بن عبد الرحمان بن سليمان بن عمر بن خلف ابن حوط الله الانصاري الحارثي ، من أهل أندة عمل بلنسية ، وبها ولد ونشأ، سمع أباه وأخذ عنه القراءات، وقدم بلنسية فسمع من أبي الحسن ابن هذيل النصف الاول ونحوه من ايجاز البيان في قراءة ورش لابي عمرو المقرىء ثم يسمع منه غير ذلك ولا أجاز له ، ورحل الى مرسية فلقي أبا القاسم ابن حبيش ، وأبا عبد الله ابن حميد ، فاخذ عنهما القراءات وسمع منهما الحديث ، وناظر في العربية على أبي عبد الله منهما ، وقيد عنه الآداب واللغات . ثم جال في بلاد الاندلس ، وبها يومئذ بقية من الرواة وجلة من المحدثين والنحاة .

1) الأنيس المطرب ، بروض القرطاس ص 272 طبع الرباط

يأخذ القراءات عن المقرئين ، ويروي الحديث عن المسندين ، ومن أعلام مَن لقي بقرطبة أبو القاسم ابن بشكوال فأكثر عنه ، وأبو العباس المجريطي، وأبو الوليد ابن رشد ، وأبو عبد الله ابن عراق ، وأبو الحسن الشقوري ، وأبو عبد الله ابن حفص ، وأبو عبيد البكري ، وأبو القاسم بن رشد الوراق ، وباشبيلية أبو بكر ابن الجد ، ونجبة بن يحيى ، وأبو اسحاق ابن ملكون ، وأبو الوليد ابن نام ، وأبو القاسم الحوفي ، وأبو عبد الله ابن مالك الشريشي، وأبو العباس ابن مضا القرطبي ، وبغرناطة أبو خالد ابن رفاعة ، وأبو الحسن ابن كوثر ، وأبو جعفر ابن حكم ، وبمالقة محمد ابن الفخار ، وعبد الرحمان السهيلي ، وأبو عبد الله ابن العويص ، وأبو محمد ابن غياث الصدفي ، وأبو بكر الابار القاضي ، وأبو الحجاج ابن الشيخ ، وبسبتة أبو عبد الله ابن زرقون، وعبد الله ابن عبيد الله ، وأبو القاسم بن عباس الجذامي ، وجماعة سوى هؤلاء يطول تعدادهم سمع منهم وأكثر عنهم .

وكتب اليه من أعيان المشرقيين وأعلامهم أبو الطاهر ابن عوف ، وأبو الفضل ابن الحضرمي ، وأبو الثناء الحراني ، وأبو الرضا ابن طارق ، وأبو محمد ابن عساكر ، وأبو الطاهر الخشوعي وغيرهم .

واعتنى بذلك من لدن صغره الى كبره ، وروى العالي والنازل .

وكان اماماً في صناعة الحديث مقيدا ضابطا بصيرا بها ، معروفا بالاتقان لها ، حسن الخط ، حافظاً لاسماء الرجال ، واقفا على المعدلين والمجرحين ، يجمع الى الاحتفال في الرواية حسن الاستقلال بالدراية .

وألف كتابا في تسمية شيوخ البخاري ومسلم وأبي داوود والنسائي والترمذي ، نزع فيه منزع أبي نصر الكلاباذي لم يكمله .

وامتحن بالتجول ، فذهبت أصوله ، وضاعت كتبه في بعض أسفاره ، ولو فرغ للتأليف والتصنيف لعظم الانتفاع بمعلوماته بعده .

ولم يكن في زمانه أكثر مسموعا منه ومن أخيه أبي سليمان رحمهما الله ، وفهرسته الحافلة شاهدة بذلك ، وكان له على أخيه الشفوف الواضح في علم العربية والتفنن في غير ذلك والتميز بانشاء الخطب وتحرير الرسائل والمشاركة في قرض الشعر ، واستأدبه يعقوب المنصور لبنيه بعد اقرائه القرءان والعربية بقرطبة قديما ، فحظي لديه ، ونال من جهتهم وجاهة متصلة، ودنيا عريضة ، وتصرف في الخطط النبيهة ، فولي في أوقات مختلفة قضاء قرطبة واشبيلية ومرسية وسبتة وسلا وغيرها من حواضر البلاد بالأندلس والعدوة ، وكان حميد السيرة كريم العشرة ، جامد الراحة ، محببا في الناس، جزلا ، صلبيا في الحق ، مهيبا على حدة ربما أوقعته فيما يكره ، عالما مقدما ، خطيبا مفوها .

حدث وأخذ عنه الناس ، وسمع منه الاكابر ، قال ابن الابار وفاتني أن ألقاه أو أستجيزه .

وتوفي بغرناطة وهو يقصد مرسية واليا قضاءها ثانية في نحو الثلث الاول من ليلة الخميس الثاني من شهر ربيع الاول ، قاله ابن غالب ، وقال غيره منتصفه سنة 612 ودفن عصر يوم الخميس المذكور ، ثم نقل الى مالقة ، وكان دفنه بها على مقربة من مسجد الغبار يوم الاثنين الحادي والعشرين من شعبان من السنة ، قاله ابن الطليسان ، وبعضه عن ابن فرقد .

ومولده بأندة يوم الاربعاء الرابع من رجب ، سنة 549 (1) .

قال في الذيل والتكملة : روى عنه ولده أبو عمر ابن حوط الله ، وعدة ، قال ابن الزبير : سمع بمدائن الاندلس وسبتة ومراكش وسلا من عالم عظيم مع أخيه ، وحصل لهما سماع جم لم يشاركهما فيه وفي كثرته أحد ، اعتينا بالرواية ، وأخذ عبد الله السبع عن أبيه وعبد الحق ابن بونة بمالقة ، ونجبة بن يحيى تلا عليه باشبيلية ، وابن رفاعة بغرناطة ، وعبد الصمد بن

1) ما تقدم منقول بالحرف من **التكملة** ص 506 ع 1435 طبع مدريد ، وص 258 (مخطوطة الخزانة الملكية)

محمد ابن المنكب ، وكان عبد الله مع ذلك فقيها أصوليا نحويا شاعرا من البلغاء ، يكتب الخط الانيق بشماله لتعذر يمينه ، أدب محمد الناصر ولد يعقوب المنصور ، ونال دنيا عريضة .

وقال في التكملة في ترجمة أبي محمد القرطبي : سمعت صاحبنا محمد بن ابراهيم الاندي يقول ، سمعت عبد الله ابن حوط الله يقول : المحدثون بالاندلس ثلاثة : أبو محمد القرطبي ، وأبو الربيع ابن سالم ، ويسكت عن الثالث ، فيرونه يريد نفسه ، قلت ولم يكن أبو القاسم الملاحي بدونهم ، قلت ممن روى عن المترجم عبد الله : أحمد ابن فرتون الفاسي صاحب الذيل والاستدراك ، والاتمام المترجم في الجذوة (1) وغيرها ، وابراهيم ابن الكماد المرادي الفاسي الحافظ .

ودلالة على ما قاله ابن الابار من وصف المترجم بتحبير الرسائل نورد تقريظ المترجم عبد الله ابن حوط الله الذي كتبه على صلة شيخه ابن بشكوال في صدر ثاني صفح من أول أوراق الجزء الاول من أجزاء الشيخ المكتتب بخطه التي تلي الورقة الاولى الواقية ونصه : قرأت على الشيخ الفقيه الأجل العدل سناء السلف ، وشرف الخلف ، أبي القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود ابن بشكوال رضي الله عنه جميع تأليفه الذي وصل به تاريخ الحافظ أبي الوليد ابن الفرضي رحمه الله في الاعلام بالاعلام الاندلس من العلماء المتفننين ، والقراء والمحدثين المتقنين ، والفقهاء النبهاء ، ومن قدمها من العرفاء الغرباء ، الذي نظمه فيهم نظم الجمان ، وحلى بمحاسنهم عطر الزمان . وناط من مناقبهم أثافنه بلبة الدين درراً وجواهر ، وأطلع من مآثرهم السمامية في سماء الفضل نجوماً زواهر ، بل بدوراً بواهر ، سابق فيه الأكابر فسبق وبذ ، وساهم عليه المكابر والمكاثر فسهم بالمعلى التوأم والفذ ، وانتحى النبع منه أي مبار ، وسلم له كل سحار وجبار ، فاستولى على الامر ، وحاز ملاءة الحضر ، وفاز بقصب السبق ، الى ما وشحه به مما يليق بهم حين جلوا قدرا .

(1) جذوة الاقتباس ص 117 ع 45 طبع الرباط

وحلوا من كل فضيلة ذروة وصدرا ، وبه حين ثبت عذرا ، وكرم موردا وصدرا، من الاعراض ، عن تناول الأعراض، والاجتناب، أن يعلق بهم خدش ظفر أو ناب، مع ما ضمنه على الاختصار من الفوائد المتممة المستوفاة ، وأودعه من ذكر المولد والوفاة ، وهذا علم يحرق متبوأ المقعد الكاذب بناره ، ومنهج لا حب لا يهتدي الا الخريت بناره ، ومحمود سعي يتلقى ان شاء الله بالجزاء الاوفى . وزكاة علم يترقى بها بيمن الله الى صلاة كصلاة أبي أوفى ، وكتب القارىء : عبد الله بن سليمان بن داوود بن عبد الرحمان ابن حوط الله ، وفقه الله ، حامدا الله تعالى ، ومصليا على رسوله المصطفى وءاله ومسلما . في الثالث والعشرين من شعبان سنة 575 وهذا التاريخ فيه كملها قراءة عليه . وقرظ هذا الكتاب أيضا الفقيه الامام المحدث ابراهيم بن يحيى بن ابراهيم ابن الامين ، والفقيه الامام الحافظ أبو مروان ابن مسرة .

وترجمه الحافظ الذهبي في تذكرة الحفاظ ببعض ما في التكملـة ص 183 ج 4 ، وذكره في الشذرات .

1164) **عبد الله بن عثمان الزرهوني الصنهاجي** ، كانت أمه زرهونية فغلب عليه النسب اليها ، مات بمراكش عام اثني عشر وستمئة . وكان من العلماء بطريق التصوف ، حافظا لاخبار الصالحين ، أدرك ابن حرزهم ، وأبا شعيب ، وأبا يعزى ، وغيرهم من صالحي المغرب .

قال في (التشوف) : سمعت محمد ابن خالص يقول : سمعت عبد الله الزرهوني يقول : أقمت برباط شاكر أياما فأصابني الجوع في الميل وأنا في المسجد ، فأحسست شخصا مد لي خبزة درمك ليست مما يعمل بذلك المكان ولا عرفت مَن مدها لي .

وسمعت ابن خالص يقول : مرّ علي وقت أتذكر فيه الموت عند النوم، وغلب ذلك علي ، فلقيت الزرهوني فذكرت له ما أنا عليه من البطالة ، فقال : يكفي الانسان تذكر الموت عند النوم (1) .

---

1) الترجمة منقولة بالحرف من **التشوف** ص 442 ع 251

1165) **عبد الله بن محمد القناع** من أهل مراكش ، وبها مات في أعوام عشرة وستمئة .

قال في (التشوف) : سمعت محمد ابن خالص الانصاري يقول : لقيت عبد الله القناع فقال لي : أنت الآن على غير وضوء ، فقلت له نعم ، فقال لي وأنت غير صائم ، فقلت له نعم ، فعاتبني على ذلك ، ثم أمرني أن أصحبه الى المنزل ، فذهبت معه اليه ، فصعد علي السطح وصعدت خلفه ، ثم مر ليأتيني بطعام ، فقلت لنفسي : لعل الشيخ كوشف بأني على غير وضوء وأني غير صائم ، فاذا أتى قصصت عليه الرؤيا التي رأيتها البارحة ، فقال لي : أي شيء كانت الرؤيا ، فتحققت أنه كوشف بذلك كله (1) .

1166) **عبد الله ابن أمغار الصنهاجي** صاحب رباط تيط عين بالبحر يدخلونها خصوصا يتوارثونها خلفا عن سلف ، قال ابن الزيات : انهم يتوارثون الصلاح خلفا عن سلف ، ونقله عنه ابن قنفذ أيضا .

قال في (المعزي) : قلت وما زالوا الى الآن يتوارثونه والغالب أنهم أعلام اما في الصلاح والعلم واما في الصلاح ، ولا تجد مَن له نسبة حقيقية بهم الا وتجد فيه خلة من الصلاح رضي الله عنهم ، وله معه كرامات أضربنا عنها اختصارا ، وكانت لعبد الله هذا كرامات ومكاشفات ، وكان يسكن بسبت بني دغوغ من عمل مراكش ، وقال قبل ذلك في ترجمة مالك بن تماجوزت تلميذ أبي يعزى الذي تقدمت ترجمته إنه كان كثير الزيارة لسيدي عبد الله ابن أمغار المترجم .

1167) **عبد الله بن عبد الرحمان ابن سعيد الغرناطي**

عبد الله بن عبد الرحمان بن عبد الملك بن سعيد بن خلف بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن الحسن بن عثمان بن محمد بن عبد الله بن سعيد (بن عمار بن ياسر) الغرناطي ، القلعي الأصل سكن مالقة .

---

1) **التشوف** ص 443 ع 252 و **السعادة الأبدية** 2 : 121

حـالـه : قال صاحب الطالع (1) هو المشهور بالبريطول ، زاد على أخيه بخفة الروح ، وطيب النوادر ، واختار سكنى مالقة ، فما زال بها يمشي على كواهل ما تعاقب فيها من الدول ، ويقلب طرفه مما نال من ولايتها من الخيل والخول ، حتى أن ابن عسكر قاضي مالقة وعالمها كان من جملة من مدحه وتوسل به الى بلوغ اغراضه عند القوم ، وصنف له شجرة الانتساب السعيدية ، وكان قبيح المنظر مع كونه من رياحين الفضل والأدب .

فمن الحكايات المتعلقة بذلك أنه دخل يوما على الوالي بغرناطة السيد أبي إبراهيم وكان مختصاً به واقتضى ذلك أن ردَّ ظهره للشيخ الفقيه الجليل عميدة البلدة سهل ابن مالك ، ثم التفت فردَّ وجهه اليه وقال اعتذر لكم بأمر ضروري ، فقال سهل : انما تعتذر لسيدنا فانقلب المجلس ضحكاً .

ومنها أنه خرج الى السوق الذي تباع فيه الدواب مع أبي يحيى الحضرمي المشهور بخفة الروح ، وكان مسلطاً على بني سعيد ، فبينما هو واقف إذ بنخاس ينادي على فرس : فم يشرب من القادوس ، وعين تحصد بالمنجل ، فقال له : ياقائد سر بنا من هاهنا ليلا توخذ من يدي ولا أقدر لك بحيلة ، فعلم مقصده ، فلم يخف عليه أن تلك صورته ، فقال سل جارتك عنها ، فمضى لأمه وأوقع بينها وبينه ، فحلفت أن لا يدخل عليها الدار ، قال أبو عمران بن سعيد واتفق أن جزت بدار أم الحضرمي ، فرأيته الى ناحية وهو كئيب منكس، فقلت له ما خبرك يا أبا يحيى ؟ فقال لي عن أمه وعن نفسه : النساء يرمين أبناء الزنا صغارا ، وهذه العجوز الفاعلة الصانعة ترميني ابن خمسين سنة ، قلت وما سبب ذلك ؟ فقال : ان ابن عمك يوسف الجمال لا أخذ الله له بيد ، فما زلت حتى أصلحت بينها وبينه .

ومن نوادر أجوبته المسكتة له أنه كان كثير الخلطة بمراكش لأحد السادة لا يفارقه الى أن ولي ذلك السيد وتمول واشتغل بدنياه عنه ، فقيل له ترى السيد فلان أضرب عن صحبتك ومنادمتك ، فقال : كان يحتاج الي وقت كان يتبخر بي ، وأما اليوم فانه يتبخر بالعود والند والعنبر .

---

1) **الطالع السعيد ، فى تاريخ بنى سعيد** تاليف على بن موسى ابن سعيد

وقال له شخص كان يلقب بفسيوات في مجلس خاص : أي فائدة في البريطول وفيما ذا يحتاج اليه ؟ فقال لا تقل هذا ، فانه يقطع رائحة الفساء ! فود أنه لم ينطق .

وتكلم شخص من المترفين فقال أمش بع الباذنجان ، فقال : أمس بعنا الباذنجان الذي بدار خالتي ، بعشرين مثقالا ، فقال لو بعت الكزبر الذي فيها لساوى مئة أو أكثر ، وأخباره كثيرة .

قال علي بن موسى : وقفت في رسائل الكاتب الجليل شيخ الكتاب عبد الرحمان الفازازي على رسائل في حق عبد الله البريطول وفقه الله ومنه اليه ، فمنها في رسالة عن السيد ادريس صاحب قرطبة الى أخيه أبي موسى صاحب مالقة : ويصلكم به ان شاء الله القائد الاجل الاكرم ، الحبيب الانجد الامجد ، أبو محمد أدام الله كرامته ، وكتب سلامته ، وهو الاكيد الحرمة ، القديم الخدمة ، المرعى المتاتة والحرمة ، المستحق البر من وجوه كثيرة . ولمعان أثيرة ، منها أنه من عقب عمار ابن ياسر رضوان الله عليه ، وحسبكم هذا مجدا موثلا ، وشرفا موصلا ، ومنها تعيثن بيته وسلفه ، واختصاصهم من الاجادة والظهور بأنوه الاسم وأشرفه ، وكونهم بين معتكف على مصحفه ، أو مجاهد بمرهفه ومثقفه ، ومنها سبقهم الى هذا الامر العزيز ، وتميزهم بأثرة الشفوف والتمييز، ومنها الانقطاع الى أخيكم ممد مورده ومصدره ، ومكرم مغيبه ومحضره ، وهذه وسائل شتى واضحة قلما تأتي لغيره أو تتأتى .

وفاته بمالقة بعد العشرين والستمئة ، قال الرئيس أبو عمر بن حكم شاهدته قد وصل الى السيد أبي محمد البياسي أيام ثورته ، وهو بشنتلية مع وفد مالقة بالبيعة سنة ثنتين وعشرين وستمئة .

انتهى من الاحاطة (1) .

---

1) الترجمة منقولة بالحرف من **الاحاطة** 3 : 456

1168) عبد الله بن محمد ابن العربي المعافري

عبد الله بن محمد بن عبد الله بن العربي المعافري ، من أهل اشبيلية ، روى عن أبيه وعن نجبة بن يحيى ، وغيرهما ، واستجاز له أبوه جماعة من أهل المشرق ، وتلبس بالدنيا ، ولم يكن يعرف الحديث ، وقد أخذ عنه ابراهيم ابن الكماد فيما بلغ ابن الابار ، وحمل عنه وناوله أكثر كتب خزانته .

وتوفي بمراكش في سنة 637 أو نحوها .

ذكره في التكملة (1) .

1169) عبد الله بن صالح الماكري

عبد الله بن الولي الصالح أبي محمد صالح ، دفين رباط آسفي . كان رحمه الله حاجاً فاضلا ، وله دنيا ، وكان ممن قام برباط الشيخ بعده دهرا. قال في (المنهاج الواضح) : ولم أحفظ له شيئاً لبعدي عن سكنى البلد ، مات رحمه الله ليلة الثلاثاء مستهل صفر عام احد وخمسين وستمئة ، ودفن في تربة والده عن يسار الداخل أمام أخيه محمد رحمة الله على جميعهم .

وقال في محل ءاخر منه : ومنها ما حدث به العم المرحوم الحاج عبد الرحمان بن أحمد بن أبي محمد صالح رحمة الله عليهم أجمعين قال لما سجن عبد الله بن صالح ولد الشيخ رحمه الله بحضرة مراكش المحروسة وسجن معه جماعة من الفقراء وذلك عند توجهه الى المشرق ، فتوعدهم السلطان ان لم يكتب الشيخ فيهم كتابا ويعرفه بأن عبد الله المذكور ولده والا قتلهم أجمعين، قال فكتبوا الى الشيخ كتابا وهم يحرضونه على الكتب في حقهم بما لهم عليه من الحقوق وما له من الاجر في عتقهم وعصمة دمائهم . فلما بلغه الكتاب كتب اليهم في ظهر مكتوبهم :

---

1) التكملة 2 : 581 ع 1451 طبع مدريد ، وص 262 (مخطوطة الخزانة الملكية)

باسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله

من ظهر في سير الفقر في أوائل الامور رضي الله في كل ما قضى من الشوق وغير ذلك ياهذا :

سيكون الذي قضـــــــي سخط العبد أورضــــــي
سلم الأمر يافتـــــــى كـل هـم سينقضــــي

قال علي رضي الله عنه : ان صبرت جرت عليك المقادير ولك الاجر ، وان جزعت جرت عليك المقادير وحرمت الاجر ، حرمان أجر المصيبة أعظم منها ، وقال تعالى : (واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا) ، والكلام يطول ، والســلام .

وقال للرسول قل لهم لابد إن شاء الله من اطلاقكم عن قريب شاء أولئك او أبوا ، وأما الكتب فما كنت ممن يكتب لهم أبدا ، فهذا أقصا درجة قد ذكرت في ورع مَن مضى من السلف الصالح حيث لم تصل به رقة الكبر والشفقة على الولد ، ولقد سمعت هذه الحكاية بأطول من هذا من الشيخ الفاضل أبي علي عمر بن أبي محمد المديوني الشهير ببلد مديونة من قطر تلمسان وحدثني بها عن أبيه ، وكان ممن حضر مجلس الشيخ رحمه الله حينئذ ، فهذه أعلا درجة في التسليم والرضا لمجاري القضا ، وقد سلك في الاعراض سبيلا منعه مـن الاعتراض كما ذكر عن بعض الفضلاء أنه ضاع له ولد صغير ، فقيل له هل لا سعيت في طلبه ، فقال اعتراضي عليه فيما قضاه أشد علي من فقد ولدي .

1170) عبد الله بن يعقوب المنصور الموحد

عبد الله (العادل) بن يعقوب (المنصور) الموحدي ، بويع له البيعة الأولى بمرسية من بلاد الاندلس في منتصف صفـر سنة احدى وعشريـن وستمئة 621 وتلقب بالعادل في أحكام الله ، ثم خلص له الامر ،وبايعه كافـة الموحدين ، وخطب له بحضرة مراكش أواخر شعبان من السنة المذكورة ،

وتوقف عن بيعته السيد عبد الرحمان بن محمد (1) أخو البياسي كما ذكرنا ءانفا ، وكان والياً على بلنسية وشاطبة ودانية ، ولما رأى السيد عبد الله البياسي أخاه السيد عبد الرحمان توقف عن بيعة العادل وضبط بلاده ثار هو ببياسة وما انضاف إليها من قرطبة وجيان وقيجاطة وحصون الثغر الاوسط ، وتلقب بالظافر ، وانما دعي البياسي لقيامه من بياسة ، فوصلت بيعة الموحدين من مراكش الى العادل ومعها كتاب أبي زكرياء يحيى بن الشهيد شيخ هنتاتة بقصة المخلوع وما كان من أمره ، فصادف وصولها هيجان هذه الفتنة ، فشغل العادل بها عن مراكش ، وبعث أخاه السيد أبا العلاء الأصغر وهو ادريس بن يعقوب المنصور في جيش كثيف الى البياسي فحاصره ببياسة ، ولما اشتد عليه الحصار أظهر الطاعة والانقياد وبايع للعادل ، حتى اذا أفرج عنه ادريس عاد الى النكث وبعث الى ألفونسو يستنصره على العادل ، وضمن له أن ينزل عن بياسة وقيجاطة ، فكان أول مَن سنّ اعطاء الحصون والبلاد للفرنج ، فوجه اليه ألفونسو بجيش من عشرين ألفا ، ولما توافت لديه جموع الفرنج نهض من قرطبة يريد اشبيلية حتى اذا دنا منها خرج اليه السيد ادريس الاصغر وهو الذي دعي بعدُ بالمامون ، فالتقوا واقتتلوا قتالا شديدا ، فانهزم ادريس واستولى البياسي والفرنج على محلته بما فيها من أثاث وسلاح ودواب ، ولما رأى العادل ما وقع لاخيه وجنده خشي أن يتفاقم داء البياسي ويمتد عباب فتنته الى مراكش ، فترك أخاه ادريس قبالته وعبر البحر الى العدوة ، ولما احتل بقصر المجاز دخل عليه عبد الله بن عبد الواحد ابن أبي حفص المدعو بعبّو فقال له العادل : كيف حالك ؟ فأنشده :

حال متى علم ابنُ منصور بهـــا   جاء الزمانُ اليَّ منها تائبـــا

فاستحسن ذلك منه وولاه افريقيا ، وهذا البيت لابي الطيب المتنبي ، وانما تمثل به عبو لموافقته اسم منصور فيه لاسم والد العادل ، فحسن التمثيل

---

1) الأمير عبد الرحمان بن محمد بن ادريس بن يوسف بن عبد المومن كذا في **القرطاس** . وعند ابن خلدون عبد الرحمان بن محمد بن عمر بن عبد المومن

به ، وانتهى العادل في سيره الى سلا فأقام بها ، وبعث عن شيوخ عرب تامسنا، وكان لابن يوجان عناية واختصاص بهلال بن حميدان أمير الخلط ، فتثاقل جرمون بن عيسى أمير سفيان عن الوصول الى العادل ، ثم بادر العادل الى مراكش وقاسى في طريقه اليها من العرب شدائد ، ثم دخلها ، واستوزر عبد الرحمان بن عبد الواحد بن أبي حفص ، وتغير لابن يوجان ففسد باطنه ، وسعى في افساد الدولة ، وغلب أبو زكرياء ابن الشهيد شيخ هنتاتة ويوسف بن علي شيخ تنملل على أمر العادل ، ثم خالفت عليه عرب الخلط وهسكورة ، وعاثوا في نواحي مراكش وخرجوا بلاد دكالة . فخرج اليهم ابن يوجان فلم يفد شيئا ، فأنفذ اليهم العادل عسكرا من الموحدين لنظر ابراهيم ابن اسماعيل ابن الشيخ أبي حفص فانهزم وقتل . واضطربت الاحوال على العادل ، فخرج ابن الشهيد ويوسف ابن علي الى قبائلهما للحشد ومدافعة هسكورة والعرب، فاتفقا أيضا على خلع العادل ، واضطربت الامور ، ولما انتهى الى ادريس صاحب الاندلس خبر أخيه العادل بمراكش وما هو فيه من الاضطراب دعا لنفسه باشبيلية ، فبويع فيها ، وأجابه أكثر أهل الاندلس ، وتلقب بالمامون ، وبايع له السيد عبد الرحمان صاحب بلنسية وهو أخو البياسي ، وكان ذلك في أوائل شوال سنة أربع وعشرين وستمئة ، ولما تمت بيعته كتب الى الموحدين الذين بمراكش يدعوهم الى بيعته ويعلمهم باجتماع أهل الاندلس والموحدين الذين بها . ووعدهم في ذلك ومناهم ، فكان منهم بعض توقف ، ثم اجتمع رأيهم على مبايعته وخلع أخيه العادل . فدخلوا عليه قصره وسألوه أن يخلع نفسه فامتنع ، فوثبوا اليه ودسوا رأسه في خصة ماء كانت هناك فقالوا له لا نفارقك أو تشهد على نفسك بالخلع ، فقال اصنعوا ما بدا لكم ،والله لا أموت الا أمير المومنين ، فوضعوا عمامته في عنقه فخنقوه ورأسه في الخصة حتى فاض .

وكان خيرا فاضلا رحمه الله وكانت وفاته في الحادي والعشرين من شوال سنة أربع وعشرين وستمئة 624 وكتبوا ببيعتهم الى ادريس المأمون وبعثوا بها اليه مع البريد ، ثم بدا لهم في بيعة المامون بعد انفصال البريد

عنهم فنكثوها وبايعوا يحيى بن محمد الناصر بن يعقوب المنصور ، واضطربت الاحوال بالمغرب والأندلس ، وطما عباب الفتن بهما (1) .

1171) **عبد الله بن يعقوب المريني** ، الملقب بالعجب ، كان أفرس مَن ركب السروج في زمانه ، فلُقب بالعجب لجماله وكرمه وشجاعته ونجابته وعلو همته .

توفي بكليز خارج مراكش في سنة احدى وستين وستمئة 661 زمان حصار والده لمراكش ، فارتحل عنها والده بسبب موته .

ذكره في الذخيرة السنية (2) .

1172) **عبد الله بن يوسف المريني (الأمير)**

عبد الله بن السلطان يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المريني ، أبو عامر. لما احتل السلطان يوسف بفاس وأقام بها خرج عليه ابنه عبد الله ولحق بمراكش ودعا لنفسه أخريات شوال(3) سنة سبع وثمانين، وساعده على الخلاف والانتزاء عاملها محمد بن عطو ، وخرج السلطان في أثره الى مراكش ، فبرز الى لقائه ، فكانت الدائرة عليهم ، وحاصرهم السلطان بمراكش أياما ، ثم خلص عبد الله الى بيت المال فاستصفى ما فيه وقتل المشرف ابن أبي البركات ، ولحق بجبال المصامدة ، ودخل السلطان من غده الى البلد يوم عرفة ، فعفا وسكن ونهض منصور ابن أخيه الامير أبي مالك من السوس الى حاحة فدوخ أنحاءها. ثم سرح اليه المدد من مراكش ، فأوقعوا بركنة من برابر السوس ، وقتل منهم ما يناهز أربعين من سرواتهم ، وكان فيمن قتل منهم شيخهم حيون بن ابراهيم ، ثم ان ابنه عبد الله ضاق ذرعه بسخط أبيه واجلابه في الخلاف ،

---

1) ينظر عن عبد الله العادل الموحد **الانيس المطرب بروض القرطاس** ص 215 طبع الرباط. و**تاريخ ابن خلدون** 6 : 527 طبع بيروت

2) **الذخيرة السنية** ص 07 طبع الرباط

3) بل في اول يوم من ذى القعدة عام 687 أما خروجه من فاس فكان يوم السبت 24 من شوال

فلحق بتلمسان ومعه وزيره ابن عطو فاتح سنة ثمان وثمانين (I) ، فآواهم عثمان بن يغمراسن ، ومهد لهم المكان ، وبيتوا عنده أياما ، ثم عطفت السلطان على ابنه رحم كما عطفت ابنه عليه ، فرضي عنه وأعاده الى مكانه ، وطالب عثمان بن يغمراسن أن يسلم اليه ابن عطو الناجم في النفاق مع ابنه ،فأبى من اضاعة جواره واخفار ذمته ، وأغلظ له الرسول في القول فسطا به واعتقله ، فثارت من السلطان الحفائظ الكامنة ، وتحركت الاحـن القديمة والتـرات المتواترة ، واعتزم على غزو تلمسان ، والله أعلم .

1173) عبد الله بن محمد الأغماتي

عبد الله بن محمد بن يحيى الاغماتي ، الشيخ الفقيه النحوي المنطقي، الاستاذ الجليل ، اللغوي التاريخي ، من أهل أغمات .

قال في عنوان الدراية بعد ما تقدم ما نصه : ولقي بالمغرب جملة من الأفاضل ، منهم ابن خروف وغيره ، واستوطن بجاية وولي القضاء ببعض جهاتها ، وكان مشتغلا بالتدريس بها ، وقرأ عليه الشيخ الاجل أبو اسحاق بن عمران أيام ولايته السلطانية ببجاية .

وكان في علم العربية بارعاً ، وله تحصيل لكتاب سيبويه ، وكـان كثيرا ما ينظر مسائله بعضها ببعض ، أخبرني شيخنا الاستاذ أبو عبد الله عنه، أنه كان أعلم الناس بكتاب سيبويه ، وما رأيت أعرف منه بمقاصـد كتاب سيبويه ، ولا أشد منه تنظيرا وفهماً لمسائله ، وأما كراس عيسى الجزولي ومفصل الزمخشري فكانا عنده من المبادىء .

وكان له تحصيل لعلم المنطق ، وكان جيد الفهم حسن النظر ، وذكر لي بعض أصحابنا الطلبة أنه ليلة يبيت على الفقه ويتعمد على كثرة النقل انه يضاهي شيخنا عبد العزيز ابن كحيلة في نقله ، ولكنه لم يكن كثير الاشتغال

I) الذى فى **الأنيس المطرب بروض القرطاس** ص 379 ان وصوله الى تلمسان كان فى يوم 12 رجب سنة 688 وذلك هو المعقول

بالفقه وانما اشتهر وظهر في علم العربية والمنطق وما يتبعهما ، وكانت له أخلاق كريمة ، وطريقة قويمة ، ويتصل اسنادي عنه من طريق شيخنا أبي عبد الله الاديب ، وشيخنا عبد الحق بن ربيع رحمهم الله (1) .

1174) عبد الله بن محمد ابن تيجلات التادلي

عبد الله بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله ابن تيجلات التادلي المراكشي الفقيه المقرىء ، قال ابن قنفذ في (أنس الفقير) ما نصه : وقد ألف بعض الفقهاء بمراكش وهو الفقيه المقرىء عبد الله (2) ابن تيجلات رحمه الله كتابا حسنا في فضله ، يعني عبد الرحمان الهزميري وفضل محمد أخيه .

وقال في (نيل الابتهاج) عند ذكر ترجمة محمد الهزميري : قلت وله كرامات كثيرة أفردها مع كرامات أخيه عبد الرحمان الشيخ أبو عبد الله (3) ابن تيجلات الاغماتي بتأليف سماه (اثمد العينين ، في مناقب الاخوين) ذكر منها كثيرا وقفت عليه بمراكش، ونسبه في (مرآة المحاسن) لأبي محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله (4) وهو الصواب، لأنه الموجود في أول تأليفه،قال في أوله يقول العبد الفقير الى ربه ، المذعور القلب لفرط ذنبه ، المسرور النفس بما يرجو من عفو ربه ، اذ قال فيما أنزل من محكم وحيه على خير خلقه (قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله) عبد الله بن محمد بن عبد الله ابن تيجلات المؤدب ، نزيل الجانب الشرقي من مدينة مراكش حرسها

---

1) أحال المؤلف على **عنوان الدراية** ولم ينقل الترجمة ، ولعله ترك ذلك الى ساعة الطبع . فعملنا ذلك . انظر **عنوان الدراية** ص 223 ع 58 طبع بيروت

2) الذى فى **أنس الفقير** ص 69 ان اسمه أبو عبد الله ابن تجلات فيكون اسمه حسب هذه الكنية محمد لا عبد الله . ونعود فنكرر القول بأن من أكبر أسباب الفوضى فى أسماء العرب والمسلمين اقتران هذه الكنى الملعونة بها . فحبذا لو يعمل كل مؤلف كتاب أو محققه على حذفها مما يؤلف أو يحقق أو يطبع .

3) وهنا سيدى أحمد بابا التنبكتى السودانى يكنيه بأبى عبد الله

4) **مرآة المحاسن** ص 235

الله ، غفر الله له ورحمه وتقبل منه ، وحلاه في (السر الظاهر) بالشيخ المقرىء، وقال في فهرسته ابن عجيبة عند ذكر أغمات : ومنها كان سيدي عبد الرحمان الهزميري وأخوه سيدي عبد الله الهزميري اللذان ألف التادلي في مناقبهما كتابا كبيرا سماه (اثمد العينين ، في مناقب الاخوين) .

وذكره الامام ابن مرزوق في كتاب (المسند الصحيح الحسن) في ترجمة الوزير عامر بن فتح الله وانه كان له انتماء الى كبار الاولياء كسيدي عبد الرحمان الهزميري وسيدي أبي عبد الله ابن تيجلات المراكشي (1) وتقدم ذلك في ترجمة الوزير المذكور .

وقال في (التحفة القادرية) وقال عبد الله بن محمد ابن تيجلات الهزميري المراكشي وقرأ على الملياني وروى عنه . ولقي الحاج أبا درهم المدفون بعدوة فاس الاندلس وأخذ عنه ، انتهى المقصود منه . ثم قال ومؤلف تاليف اثمد العينين وقفت عليه وطالعته ونقلت عنه منه ، وهو الشيخ الفقيه المقرىء الصوفي أبو عبد الله محمد ابن تيجلات الهزميري المراكشي .

1175) **عبد الله بن أحمد (أبي العباس) السبتي** المراكشي ، صحب والده وسمع منه ، وحدث عنه صاحب (التشوف) .

1176) عبد الله بن محمد المراكشي

عبد الله بن محمد بن عبد الله المراكشي فخر الدين ، ولد في حدود سنة 630 ، وسمع من محمد بن سعد ، وعبد الله ابن الخشوعي ، والرشيد العراقي ، والسديد ابن علان ، والبلخي ، وغيرهم ، وحدث واشتغل كثيرا ، وقرأ القراءات على الزواوي وأم بالرواحية ، ومات في ربيع الاول سنة 712 دخل حماما فوقع فمات في الحال .

ذكره في (الدرر الكامنة) زاد في الهامش ودفن بمقابر الصوفية (2).

---

1) **المسند الصحيح الحسن** ص 217 نسخة خاصة مرقونة . فعلى هذا يكون اسمه محمدا وكنيته أبو عبد الله

2) **الدرر الكامنة** 2 : 403 ع 2222

1177) **عبد الله بن يوسف ابن رضوان المالقي** . أبو القاسم ، قال ابن خلدون في تاريخه ما نصه : كان يكتب عن السلطان ويلازم خدمة عبد المهيمن رئيس الكتاب يومئذ وصاحب العلامة التي توضع عن السلطان أسفل المراسيم والمخاطبات ، وبعضها يضعه السلطان بخطه ، وكان ابن رضوان من مفاخر المغرب في براعة خطه ، وكثرة علمه ، وحسن سمته ، واجادته في فقه الوثائق والبلاغة في الترسيل عن السلطان ، وحوك الشعر والخطابة على المنابر ، لانه كان كثيرا ما يصلي بالسلطان ، فلما قدم علينا بتونس صحبته واغتبطت به وان لم أتخذه شيخاً لمقاربة السن فقد أفدت منه كما أفدت منهم ، وقد مدحه صاحبنا أبو القاسم الرحوي شاعر تونس في قصيدة على روي النون يرغب منه تذكرة شيخه عبد المهيمن في ايصال مدحه الى السلطان أبي الحسن في قصيدته على روي الباء ، وقد تقدم ذكرها في أمداح السلطان . وذكر في مدح ابن رضوان أعلام العلماء القادمين مع السلطان ، وهي هذه :

عرفت زماني حين أنكرت عرفاني ... وأيقنت أن لا حظ في كف كيوان
وان لا اختيار في اختيار مقوم ... وان لا قراع بالقران لأقراني
وأن نظام الشكل أكمل نظمه ... لأضعف قاض في الدليل برجحان
وان افتقار المرء في فقراته ... ومن ثقله يغني اللبيب بأوزان

الى ءاخرها .

ثم يقول في ذكر العلماء القادمين :

هم القوم كل القوم أما حلومهم ... فأرسخ من طودي ثبير وثهلان
فلا طيش يعلوهم ، وأما علومهم ... فأعلامها تهديك من غير نيران

ثم يقول في ءاخرها :

وهامت على عبد المهيمن تونس ... وقد ظفرت منه بوصل وقربان
وما علقت مني الضمائر غيره ... وان هويت كلا بحب ابن رضوان

وكتب هذا الشاعر صاحبنا الرحوي يذكر عبد المهيمن بذلك :

لَهِيَ النفس باكتساب وسعـــي — وهو العمر في انتهاب وفـــي
وأرى الناس بين ساع لرشـــد — يتوخى الهدى وساع لغـــي
وأرى العلم للبرية زينـــاً — فتزيٍّ منه بأحســـن زي
وأرى الفضل قد تجمع كـــلا — في ابن عبد المهيمن الحضرمـــي

ثم يقول في ءاخرها :

تبتغي القرب من مراقي الامانـــي — والترقي للجانب العلـــوي
فأنلْها مرامها نلت سهـــلا — كل دان تبغي وكل قصـــى

ثم كانت واقعة العرب على السلطان بالقيروان فاتح تسع وأربعين وسبعمئة 749 ، فشغلوا عن ذلك ولم يظفر هذا الرحوي بطلبته، ثم جاء الطاعون الجارف فطوى البساط بما فيه ، وهلك عبد المهيمن فيمن هلك ، ودفن بمقبرة سلفنا بتونس لخلة كانت بينه وبين والدي رحمه الله أيام قدومهم علينا .

ثم قال : وأما ابن رضوان الذي ذكره الرحوي في قصيدته فهو أبو القاسم عبد الله بن يوسف ابن رضوان النجاري ، أصله من الاندلس ، نشأ بمالقة ، فأخذ عن مشيختها وحذق في العربية والأدب ، وتفنن في العلوم ، ونظم ونثر ، وكان مجيدا في الترسيل ، ومحسنا في كتابة الوثائق ، وارتحل بعد واقعة طريف ونزل بسبتة ، ولقي بها السلطان أبا الحسن ومدحه فأجازه، واختص بالقاضي ابراهيم بن أبي يحيى وهو يومئذ قاضي العساكر وخطيب السلطان ، وكان يستنيبه فـي القضاء والخطابة ، ثم نظمه في حلبة الكتاب بباب السلطان ، واختص بخدمة عبد المهيمن رئيس الكتاب والاخذ عنه الى أن رحل السلطان الى افريقية ، وكانت واقعة القيروان ، وانحصر بقصبة تونس مع مَن انحصر بها من أشياعه مع أهله وحرمه ، وكان السلطان قد تخلف ابن رضوان هذا بتونس في بعض خدمه، فجلاً عند الحصار فيما عرض لهم من المكاتبات، وتولى كبر ذلك، فقام فيه أحسن قيام، إلى أن وصل السلطان إلى القيروان ، فرعى له حق خدمته تأنيسا وقربا وكثرة استعمال ، الى أن رحل من تونس في الاسطول الى المغرب سنة خمسين وسبعمئة 750 كما مر ،

واستخلف بتونس ابنه أبا الفضل ، وخلف أبا القاسم ابن رضوان كاتبا له ، فأقاما كذلك أياما ، ثم غلبهم على تونس سلطان الموحدين الفضل بن السلطان أبي يحيى ، ونجا أبو الفضل الى أبيه ، ولم يطق ابن رضوان الرحلة معه فأقام بتونس حولا ثم ركب البحر الى الاندلس وأقام بالمرية مع جملة مَن هنالك من أشياع السلطان أبي الحسن كان فيهم عامر بن محمد بن علي شيخ هنتاتة كافلا لحرم السلطان أبي الحسن وابنه أركبهم السفين معه من تونس عندما ارتحل وخلص الى الاندلس ونزلوا بألمرية ، وأقاموا بها تحت جراية سلطان الاندلس، فلحق بهم ابن رضوان وأقام معهم، ودعاه يوسف بن اسماعيل سلطان الاندلس الى أن يستكتبه فامتنع ، ثم هلك السلطان أبو الحسن وارتحل مخلفه الذين كانوا بألمرية ووفدوا على السلطان أبي عنان ووفد معهم ابن رضوان ، فرعى له وسائله في خدمة أبيه ، واستكتبه واختصه بشهود مجلسه مع طلبة العلم بحضرته ، وكان محمد بن أبي عمرو يومئذ رئيس الدولة ونجيّ الخلوة وصاحب العلامة وحسبان الجباية والعساكر قد غلب على هوى السلطان واختص به، فاستخدم له ابن رضوان حتى علق منه بدمه،ولاية وصحبة وانتظام في السمر وغشيان المجالس الخاصة ، وهو مع ذلك يدنيه من السلطان وينفق سوقه عنده ويستكفي به في مواقف خدمته اذا غاب عنها لما هوأهم ، فحلا بعين السلطان ونفقت عنده فضائله ، فلما سار ابن أبي عمرو في العساكر الى بجاية سنة أربع وخمسين 754 انفرد ابن رضوان بقلم الكتاب عن السلطان، ثم رجع ابن أبي عمرو وقد سخطه السلطان فأقصاه الى بجاية وولاه عليها وعلى سائر أعمالها وعلى حرب الموحدين بقسنطينة ، وأفرد ابن رضوان بالكتابة وجعل اليه العلامة كما كانت لابن أبي عمرو فاستقل بها موفر الاقطاع والاسهام والجاه ، ثم سخطه اخر سبع وخمسين 757 وجعل العلامة كما كانت لمحمد بن أبي القاسم بن أبي مدين ، والانشاء والتوقيع لابراهيم بن الحاج الغرناطي ، فلما كانت دولة السلطان أبي سالم جعل العلامة لعلي بن محمد بن سعود صاحب ديوان العساكر ، والانشاء والتوقيع والسر لمؤلف الكتاب عبد الرحمان ابن خلدون، ثم هلك أبو سالم سنة اثنتين وستين 762 واستبد الوزير عمر بن عبد الله على مَن كفله من أبنائهم ، فجعل العلامة لابن رضوان سائر أيامه ، وقتله عبد

العزيز بن السلطان أبي الحسن واستبد بملكه ، فلم يزل ابن رضوان على العلامة ، وهلك عبد العزيز وولي ابنه السعيد في كفالة الوزير أبي بكر بن غازي ابن الكاس وابن رضوان على حاله ، ثم غلب السلطان أحمد على الملك وانتزعه من السعيد وأبي بكر بن غازي ، وقام بتدبير دولته محمد بن عثمان بن الكاس مستبدا عليه ، والعلامة لابن رضوان كما كانت الى أن هلك بازمور في حركة السلطان أحمد الى مراكش لحصار عبد الرحمان ابن بو يفلوسن بن السلطان أبي علي .

انتهى من تاريخ ابن خلدون (1) .

وقال الخطيب ابن مرزوق في (المسند الصحيح الحسن) : والفقيه الفاضل العلامة الخطيب أبو القاسم عبد الله بن يوسف ابن رضوان وقد تقدم ذكره في علماء الحضرة ، تخطط بالعدالة ثم بالكتابة ثم بالخطابة ، ولم يزل يترقّى ، وينتقل به من درجة الى أرقى ، ما جمع من أدوات الاهلية، وتحلى به من الصفات السنية ، الى أن خلف الامام عبد المهيمن (2) .

وقال في الجذوة في ترجمته ما نصه : يكنى أبا القاسم ، وأبا محمد ، وهو صاحب القلم الاعلا بالمغرب ، نسيج وحده فهما وعلماً وانطباعا ، مع الدين والصدق له خلال حميدة من خط وأدب وكتابة وحفظ ومشاركة في معارف جمة ، رحل من بلاده الى المغرب فارتسم بفاس في كتاب الانشاء بالباب السلطاني ، ثم بان فضله ونبه قدره ولطف محله ، وعاد الى الاندلس لما جرت على سلطانه الهزيمة بالقيروان ، وهو أبو الحسن المريني ، ولم يستقله الدهر بعدها مع جملة من خواصه ، ولما صير الله أمر مخدومه الى ولده أبي عنان جنح اليه ولحق ببابه مقترن الوفادة بيمن الطائر وسعادة النصيب . فحصل على الحظوة ، وائتمن على خطة العلامة ، من رجل ناهض بالكل . جلد على العمل ، جيد النادرة ، حلو الفكاهة ، متقدم في باب التحسين ، قرأ ببلده

---

1) انظر **التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا** ص 22 — 44

2) **المسند الصحيح الحسن** ص 227 نسخة خاصة مرقونة

على المقرىء أبي محمد ابن أيوب ، والمقرىء الصالح أبي عبد الله بن أبـي الجيش ، والقاضي أبي جعفر بن عبد الحق ، وروى عن الخطيب المحدث أبي حفص الطنجالي ، والقاضي أبي بكر ابن منظور بغرناطة عن رئيس الكتاب أبي الحسن ابن الجياب ، وقاضي الجماعة أبي القاسم بن أحمد الحسني ، ولزم بمدينة فاس عبد المهيمن الحضرمي ، والقاضي ابراهيم ابن أبي يحيى ، وأبا العباس ابن يربوع السبتي ، وبتلمسان عن محمد الآبلي ، ومحمد ابن النجار وغيرهما ، وبتونس عن قاضي الجماعة أبي عبد الله بن عبد السلام ، وعـن جماعة سواهم ، وكان له ببلده بيت معمور بفضل وأمانة ، وكان له خط بارع، وفهم الى حل الغوامض مسارع .

من نظمه مهنئاً :

لعلكما أن ترعيا لي وسائـــلا فبالله عوجا بالركاب وسائـــلا
وطوفا بأوطان لنا ومنـــازل وبالحب خصا بالسلام المنـــازلا
ألا فانشدا بين القباب من الحمـا فؤاد شج أضحى عن الجسم راحلا
وبثا صباباتي هنالك واشرحــا لهم من أحاديثي عريضا وطائـــلا
رعى الله مثواكم على القرب والنوا ولا زال هامي السحب بالربع هاملا

ومهنـا :

أتعبتني اذ قد أفدتك موقفـــا لدى أعظم الاملاك حلماً ونائـــلا
مليك حباه الله بالخلق الرضـــى وأعلا له في المكرمات المنـــازلا
مليك علا فوق السماك فطرفـــه غدا لهلال الافق يبصر ناعـــلا
إذا ما دجا ليل الخطوب فبشـــره صباح وبدر لا يرى الدهر ءافـلا
نماه من الانصار غرّ أكابـــر لهم شيم ملء الفضاء فضائـــلا
تلوا سور النعماء في حزبهم كمـا جلوا صور الايام غرا أخايـــلا
تسامت لهم في المعلوات مراتـب يرى زحل دون المراتب زاحـــلا
عصابة حزب الله طابت أواخـــرا كما قد زكت أصلا وطابت أوائـلا
لقد كان ربع المجد من قبل خاليا ومن ءال نصر عاد يبصر ءاهـــلا
اذا يوسف منهم يلوح يمينـــه تقول سحاب الجود والبأس هاطلا

كتائبه في الفتح تكتب أسطـــرا ... تبين من الانفال فيها المسائـــلا
عوامله بالحذف تحكم في العـــدا ... كما حكموا في الحذف جزم العواملا

ومهنـا :

يبدد جمع الكفر رعباً وهيبـــة ... كما بدد الاموال جودا ونائـــلا
ولما استقامت بالزمان أساطـــل ... له واستقلت للسعود محامـــلا
رءاها عدو الله فانفض جمعـــه ... وأبصر أمواج البحار أساطـــلا
ومن دهش ظن السواحل أبحـــرا ... ومن رهَب خال البحار سواحـــلا
ومن عندكم هبت عليه عواصـــف ... تدمر أدناها الصلاب الجنـــادلا
تفرقهم أيدي سبا وتبيدهـــم ... فقد خلفت فيهم حساما وذابـــلا
وعهدي بأن الريح للنار موقـــد ... فقد أطفأت تلك الحروب المشاعلا
وكن لهم برد العذاب ولم يكـــن ... سلاما وما كادوه قد عاد باطـــلا

وهي طويلة .

ومن مقطعاته :

تبرأت من حولي اليك وأيقنـــت ... برحماك ءامالي فصحّ يقينـــي
فلا أرهب الايام اذ كنت ملجئـــي ... وحسبي يقيني باليقين يقينـــي

توفـــي بأنفا ، ودفـــن بمقبرة الحـــاج صالح سنـــة ثلاث وثمانيـــن وسبعمئة (1) .

1178) **عبد الله** قاضي مراكش المحروسة ، توفي سنة ثمان وستين وسبعمئة .

ذكره في (درة الحجال) (2) .

---

1) **جذوة الاقتباس** ص 435 ع 465 طبع الرباط

2) **درة الحجال** 3 : 52 ع 956 طبع تونس

1179) **عبد الله بن سليمان المراكشي** من أهل القرن الثامن ، أخذ عن المقرىء أحمد بن محمد بن عبد المولى ابن جبارة شارح اللامية والرائية المتوفى فجأة بالقدس في رجب سنة 728 عن ثمانين سنة (1) .

راجع ص 122 من ج 1 من (غاية النهاية) ، وأظنه هو أخ **محمد بن** سليمان المراكشي المتوفى عام 717 المتقدمة ترجمته .

1180) **عبد الله المراكشي الهنتاتي** المالكي ، جمال الدين ، الشيخ العلامة ،فوض اليه الشيخ القدوة عمر نجم الدين بن يعقوب البغدادي ثم المقدسي المعروف بالمجرد المتولد ببغداد سنة 712 أمر زاويته المعروفة بزاوية المغاربة ببلد سيدنا الخليل في خامس شهر جمادى الاولى سنة خمس وتسعين وسبعمئة 795 وتوفي في ذي الحجة منها ، وأقام بها ، وفعل من كل حسنة وجميل ، ثم في العشر الاول من شهر ربيع الاول سنة ست وثمانمئة 806 قرر الشيخ جمال الدين المذكور ولديه محمد وأحمد في المشيخة بالزاوية والتصرف فيها ، وكتب مستندا بذلك عليه خط شيخ الاسلام شهاب الدين أحمد بن الهائم ، والشيخ خليفة المالكي .

ذكره في (أنس الخليل) صفحة 505 ج 2 وستاتي ترجمة حفيده عبد الله ابن ولده أحمد المذكور بن عبد الله المترجم (2) .

1181) **عبد الله بن علي الياباني**

عبد الله بن علي بن سعيد الياباني، قال في (المسند الصحيح) كان ممن يتعرض لخطة الوزارة ، ويزعم أن أبا الحسن المريني قلده اياها مع وعده السابق له بها ، ولم يزل يتشوف اليها ويتهالك عليها ، ربي في حجر أبي الحسن وفي احسانه وبين يديه وفي خدمته ، وقدمه وزيرا لولده الارضى الاسعد أبي علي الناصر، وكان جملة حسنة ذاتا وأدوات جميل الخلق حسن الخلق ، فاضلا جوادا نبيلا يقظان وقورا خوافا من الامر مسارعا لأنفاذ الاوامر ، استقل بالنظر في سبتة ، وكان يزعم أن مولانا عند ما ودعه قلده الخطة وأجرى عليه السمة ، ولم يكن الامر فيما علمت كذلك ، ثم تقلدها بعد للمولى أبي عنان رحمة الله

1) هذا الرجل فلسطيني وليس مغربيا ، وانما اثبته المؤلف لنسبته المراكشية كما ينسب بعض المغاربة الى تونس وطرابلس والعراق واليمن مع أنهم ليسوا منها . وبابته ان لا يذكر في هذا الكتاب

2) وهذا ايضا مثله مثل الرجل المتقدم

عليه ، ثم خف وتقلدها بغير عقب مولاه فنقم عليه ذلك المولى أبو سالم فلم يقلده اياها ، وتوفي سليماً معافى ، وخلف مَن عمل العظائم وارتكب الجرائم ، ولده عمر ، عمر الله به زوايا الجحيم ، وجدد عليه العذاب الاليم ، وكتب لمولانا سيده الثواب الجسيم والاجر العظيم ، بحرمة محمد نبيه الكريم (1) .

1182) **عبد الله المرسي السبتي** ، الفقيه ، من كتاب أبي الحسن المريني الاحظياء الذين عاشرهم الخطيب ابن مرزوق قائلا فيه في (المسند الصحيح الحسن) كان فاضلا مشاركاً نبيلا محسنا مجيدا شاعرا سري الهمة ، نزيه النفس ، حسن الهيأة ، وقورا ، لم يزل كاتبا للعزفيين فانتقل الى الحضرة، وكان مشاركا في علوم (2) .

1183) عبد الله ابن أبي مدين العثماني

عبد الله بن أبي مدين شعيب بن مخلوف ، من بني أبي عثمان احدى قبائل كتامة المجاورين للقصر الكبير ، الفقيه الكاتب ، كان بيته بيت العلم والدين ، واتصلوا بخدمة بني مرين أيام دخولهم المغرب واستيلائهم عليه ، وكان عبد الله هذا من خاصة السلطان يوسف بن يعقوب ، وجعل بيده وضع العلامة على الرسائل ، وفوض اليه في حساب الخراج والضرب على أيدي العمال وتقييد (3) الأوامر بالقبض والبسط فيهم ، واستخلصه لمناجاته ، ولما هلك السلطان يوسف وولي بعده السلطان عامر ضاعف رتبة هذا الرجل ، وشفع له حظه ومنصبه ورفع على الاقدار قدره، ثم ولي بعده أخوه سليمان، فسلك فيه مذهب سلفه ، واضطلع عبد الله ابن أبي مدين بأمور دولته ، وكان بنو وقاصة اليهود حين نكبوا أيام السلطان يوسف يرون أن نكبتهم كانت بسعاية عبد الله فيهم ، وكان خليفة الاصغر منهم قد أفلت من تلك النكبة كما ذكرناه ، فلما أفضى الامر الى السلطان سليمان استعمل خليفة هذا بداره في بعض المهن ، فباشر الامور وترقى فيها حتى اتصل بالسلطان ، فجعل غاية

1) **المسند الصحيح الحسن** ص 221 نسخة خاصة مرقونة

2) **المسند الصحيح الحسن** ص 226 نسخة خاصة مرقونة

3) **التقييد** فى العامية المغربية الكتابة ، التسجيل ، ضبط الملاحظات والمذكرات والحسابات ونحوها ، ويطلق ايضا على الورقة التى **يقيد** فيها

قصده السعاية بعبد الله بن أبي مدين ، وكان يوثر عن السلطان سليمان أنه كان يختلي مع حرم حاشيته ، وتعرف خليفة ذلك من مقالات الناس ، فدس الى السلطان أن ابن أبي مدين يعرض باتهامك في ابنته وأن صدره قد وغر بذلك ، وأنه مترصد بالدولة ومتربص بها الدوائر ، فتمكنت سعايته من السلطان ، وظن أنه صادق ، وكان يخشى غائلة ابن أبي مدين لما كان له من الوجاهة في الدولة ومداخلة القبيل ، فاستعجل السلطان سليمان دفع غائلته ، ودس الى قائد جند الفرنج بقتله ، فسار اليه ولقيه بمقبرة الشيخ أبي بكر ابن العربي ، فرصده وأتاه من خلفه وطعنه طعنة أكبَّتْه على ذقنه ، واحتز رأسه فألقاه بين يدي السلطان سليمان ، ودخل الوزير سليمان بن يرزيكن فوجد الرأس بين يديه فذهبت نفسه عليه وعلى مكانه من الدولة حسرة وأسفا ، وأيقظ السلطان لمكر اليهودي وأطلعه على خبثه وأخرج له براءة كان بعث بها ابن أبي مدين معه الى السلطان يتنصل فيها ويحلف على كذب ما رمي به عنده ، فتنبه السلطان لمكر اليهودي وعلم أنه قد خدعه وندم حيث لا ينفعه الندم ، وفتك لحينه بخليفة ابن وقاصة وحاشيته من اليهود المتصدين للخدمة وسطا بهم سطوة الهلكة فأصبحوا مثلا للآخرين .

ذكره ابن خلدون (1) .

وقال في (نفاضة الجراب) عند ذكر مَن لقيه بمراكش : ومنهم صاحب الاشغال بتلك الحضرة ، الشيخ الفقيه الموصوف بالسلامة والعفة ، الكاسع الى صف الانقباض ، المتحيز الى فئة العافية ، المُعفي اليدَ عن غمسها في كيوس الجباية ، أبو الحسن ابن الرئيس الصدر مديل الدول الاولى ، المخصوص باليد الطولى ، عبد الله ابن أبي مدين (2) انتهى المقصود .

وسياتي ذكر ولده المذكور في حرف العين فيمن اسمه علي .

---

1) **تاريخ ابن خلدون** 7 : 495 طبع بيروت

وينظر عن عبد الله ابن أبي مدين العثماني هذا : **مستودع العلامة** ص 41 **ونثير الجمان** ص 255 **وبيوتات فاس الكبرى** ص 56 **وجذوة الاقتباس** ص 438 ع 466

2) **نفاضة الجراب** ص 61

1184) **عبد الله الطريفي الحاجب** ، لما توفي فارح أبن مهدي في 22 ربيع من عام 806 ولي الحجابة من بعده عبد الله الطريفي ، وكان من فضلاء الحجاب ، وهو الذي بنى مسجد السوق الكبير بفاس الجديد ، وحبس عليه كتباً كثيرة ، فكان ذلك من حسناته الباقية نفعه الله بقصده .

ذكره ابن خلدون .

1185) **عبد الله بن محمد الزكندري** قال ابن الخطيب القسطنطيني في وفياته : هو قاضي الجماعة بمراكش ، الفقيه العالم ، تالي كتاب الله دائما ، حضرت درسه بمراكش في التفسير والحديث ، ولم يكن بها مثله في زمانه ، توفي سنة ثمان وستين وسبعمئة 768 (1) .

ولقيه ابن الخطيب السلماني وأثنى عليه في نفاضته ، وذكر أن له رحلة للمشرق .

وذكره في (النيل) (2) .

واليه ينسب جامع الزكندري بالقصور .

وزكندر مدينة صغيرة بسوس بناها يوسف بن عبد المومن سنة ثمان وسبعين وخمسمئة 578 على المعدن الذي ظهر هناك .

ونص ما قال فيه ابن الخطيب عند ذكر مَن لقيه بمراكش:ومن أهل العلم والدين الشيخ الفقيه القاضي عبد الله بن محمد بن عبد الله الهرغي الزقندري ، وزقندر معدن الفضة ببعض تلك الجهات ، ولذلك ما قلت أداعبه :

سألتك عبد الله إيضاحَ مشكـــل ... وأنت لكشف المعضلات بمرصـد
زقندرُ قالوا عنه معدنُ فضـــة ... فما بالـه أبداك بدرة عسجـــد

---

1) **شرف الطالب** ص 84 (فى كتاب **الف سنة من الوفيات**) وفى الأصل انه توفى سنة 808 وليس بصحيح ، فان وفاته انما كانت فى التاريخ الذى اثبتناه

2) **نيل الابتهاج** ص 148 وفيها ان وفاته كانت سنة 808 وذلك هو الذى جعل المؤلف يغلط فى تاريخ وفاته

فاضل متفنن ، حسن الهيأة ، راجح الوزان ، كثير الوقار ، بعيد عن الدّخْلة ، متساوي الظاهر والطوية ، مطرح للهوادة ، ما شئت من رجل غزير الحفظ ، جيد المعرفة ، مضطلع بفنون ، سديد النظر ، جم المشاركة في حديث ورواية وتاريخ وخبر وكلام وفقه ونظم ونثر ، الى فضل المجالسة ، وحسن العشرة ، والغفلة عن نصيب النفس ، والاحتطاب في حبل الرفق ، واقطاع غبيط السذاجة وفضل الفكاهة ، والجهر بالتلاوة في سبيل الورد المترتب ناشئة الليل ومبادىء الاسحار ، ورحل وحج ولقي كثيرا من الفضلاء ، وأخذ عن عدد كثير من أهل المغرب دراية ورواية ، فمن المراكشيين أحمد الغفائري، ويوسف الدغوغي ، وأبو القاسم ابن معنصر ، وأبو القاسم ابن القشاش ، وأبو عبد الله ابن سعود ، ومن أهل أغمات أبو يحيى الجزولي من حفاظ المذهب، ومن الفاسيين عبد العزيز القروي ، والقاضي محمد بن عبد الرزاق ، ومن أهل تازة أبو محمد الرجالي ، ومن التلمسانيين الشيخ الفقيه النظار أبو موسى ابن الامام ، والقاضي أبو العباس المديوني ، والشيخ المحقق نسيج وحده في العقليات ، محمد الآبلي ، ومن التونسيين أبو عبد الله ابن دمعون ، وابن هارون ، وابن عبد السلام ، والراوية الرحال محمد ابن جابر ، ومن أهل الاسكندرية أبو العباس ابن فتوح ، وجمال الدين ابن سلامة القضاعي ، والعدل أبو الحسن ابن الفرات ، والمشايخ الاربعة : محمد بن عبد الكريم ابن عطاء الله ، واسماعيل الضرير ، وأبو الحسن الاقبالي ، وجمال الدين بن عبد الرزاق الربعي ، وناصر الدين ابن المنير ، ومن أهل مصر قاضي المالكية تقي الدين الاخنائي ، وأبو الحسن الماردیني ، وعز الدين ابن جماعة ، وجمال الدين الدلاصي ، وأبو حامد السبوكي ، ومن أهل دمشق شهاب الدين بن فضل الله كاتب الانشاء ، وشمس الدين ابن نباتة ، وأبو الخير الحريري ، وشمس الدين السلاوي ءاخر أصحاب ابن عبد الكريم ، وتقي الدين ابن عبد الكافي ، والعلامة الأديب أبو الفضل ابن صرايا ، ومن الصالحية عز الدين المقدسي ، والمسند عبد الرحيم التنوخي ، ومن أهل مكة شمس الدين النوفري ، وامام الموسم خليل بن محمد ، ومن أهل المدينة عفيف الدين المطري من ذرية سعد ابن عبادة .

ولي قضاء مراكش في منتصف رمضان عام ستين 760 بعد ولايته أغمات وسبتة .

ولد بمراكش في سابع عشر ربيع الأول عام خمسة وسبعمئة 705 ، وابتدأ بهذا العهد تخريج الاحاديث التي أشار اليها الترمذي . وأنشدني من نظمه ولها حكاية تدل على ظرفه وحسن عهده :

ولما تجاوزنا زلولا وشنـــــــــة وطاشت حلوم لم تكن قبل طائشه
تيقنتُ أن لا منزلا بعد سبتـــــة يسر وأن إلف من بعد عائشـــــه

توجه مؤانساً لي متحفياً الى جبل هنتاتة ، فأمتع ما شاء حفظه الله وحسن مجازاته (1) .

1186) **عبد الله بن أحمد بن عبد الله المراكشي** القادري الشافعي ، جمال الدين ، شيخ زاوية الشيخ عمر المجرادي بمدينة سيدنا الخليل عليه الصلاة والسلام ، كان رجلا مباركا وعنده فضل ، توفي في شهر شوال سنة خمس وتسعين وثمانمئة 895 ودفن بالزاوية المذكورة عند والده ، ذكره في (الأنس الجليل) ص 550 ج 2 والشيخ عمر المجرد اثنان صاحب هذه الزاوية المتقدم ذكره في ترجمة جد المترجم ، والآخر الشيخ الصالح عمر بن عبد الله بن عبد النبي المقري المصمودي صاحب الزاوية المعروفة بزاوية المغاربة ومَن بأعلا حارتهم بالقدس الشريف ، وأنشأها من ماله ووقفها على الفقراء والمساكين في ثالث ربيع الآخر سنة ثلاث وسبعين وسبعمئة ، وتوفي بالقدس الشريف ودفن بماملا عند حوش البصانية من جهة الغرب كما في ص 580 من (الأنس الجليل) (2) .

1187) **عبد الله بن داوود** دفين الويدان ، كتب إلينا بعض أولاده ما نصه : توفي يوم الجمعة الثاني عشر من ذي الحجة عام 860 كذا قيل عنهم ، وانه كان يخرج لزيارة سيدي عبد العزيز التباع بمراكش والله أعلم .

انتهى من طبقات الحضيكي .

1) نثاضة **الجراب** ص 62 وينظر عنه أيضا **وفيات الونشريسي** ص 125 **ولقط الفرائد** ص 213 (**كتاب الف سنة من الوفيات**)

2) هذا الرجل فلسطيني غير مغربي . وانما اورده المؤلف للنسبة فقط

وهناك ضريح عليه قبة يقال لصاحبه سيدي عبتُو ومعناه عبد الله .

1188) **عبد الله ابن عجال الغزواني** المراكشي ، الامام الصوفي الشهير، كتبتُ في ترجمته من (إظهار الكمال) ما نصه :

والقطب شيخ المشايخ الامام أبــي ... محمد غوث أهل الله الأحــــــرار
مَن بارتحاله عن فاس قد ارتحلا ... ملكُ المريني ولم يحظَ بأنصــار
من مدفع كرة مست وما جرحــت ... صدراً له قد وقاه حصنُ الاقــدار
كأنما ضربت في صخرة عظمــت ... وقرصت وانجلا افزاع أفكــــار
وقال هذا ختام ضربهم فانمحــت ... دعواهم الملك من فجاج أقطــــار
والليل رده بعد أن بدت طلعــت ... طلائعُ الفجر ذي صدق وأنـــوار
ومن كراماته ما يقتضي عجبــاً ... تحظى العقول بها بفهم أســـرار

الاعراب : من بدل من أبي محمد ، وبارتحاله متعلق بارتحل ، وعن فاس متعلق بارتحل ، وفاعل ارتحل ملك المريني ، ومن مدفع حال من كرة كان نعتاً له ثم لما قدم عليه أعرب حالا على حمدليت موحشا طلل . وكرة مبتدأ والمسوغ ما تقدم ذكره ، وجملة مست من فعل وفاعل وهو الضمير العائد الى المبتدا في محل خبره ،والواو حرف عطف ، وما نافية ، وجرحت هي أي الكرة، وصدرا متنازع فيه الفعلان فأعمل أحدهما وأضمر الآخر معموله ، وله متعلق بمحذوف نعت لصدر كالجملة بعده ، وطلعت بدل من بدت . وطلائع الفجر فاعله ، وذي صدق وأنوار بدل من الفجر .

اللغـة : القطب تقدمً تفسيره ، وقال الشيخ الاكبر ابن عربي الحاتمي في تفسير اصطلاحات الصوفية الواردة في (الفتوحات المكية) ما نصـه : القطب وهو الغوث عبارة عن الواحد الذي هو موضع نظر الله في كـل زمان أعطاه الطلسم الأعظم من لدنه ويسري في الكون وأعيانه الباطنة والظاهرة سريان الروح في الجسد ، بيده قسطاس الفيض الأعم . وزنه يتبع علمه ، وعلمه يتبع علم الحق ، وعلم الحق يتبع الماهية الغير المجعولة ، فهو يفيض روح الحياة على الكون الأعلا والاسفل ، وهو على قلب اسرافيل من حيـث

حصته الملكية الحاملة مادة في الحياة والاحساس لا من حيث انسانية ، وحكم جبريل فيه كحكم النفس الناطقة في النشأة الانسانية ، وحكم ميكائيل فيه كحكم القوة الجاذبة فيها ، وحكم عزرائيل فيه كحكم القوة الدافعة فيها القطبية الكبرى ، هي مرتبة قطب الاقطاب ، وهو باطن بنبوة محمد عليه السلام ، فلا يكون الا لورثته ، لاختصاصه عليه السلام بالاكملية ، فلا يكون خاتم الولاية وقطب الاقطاب الا على باطن خاتم النبوة ، راجع اليواقيت والجواهر ، والباب الثامن من الجزء الثالث من النفحات الشاذلية في شرح البردة البوصيرية للعلامة الشيخ حسن العدوي الحمزاوي ، والشيخ مَن يصح أن يقتدى به في طريق القوم لجمعه شروط الاقتداء كالامام ، قال في الشريشية :

وللشيخ ءايات اذا لم تكن لـه ... فما هو الا في ليالي الهوى يسري
اذا لم يكن علم لديه بظاهـر ... ولا باطن فاضربْ به لججَ البحر
وان كان الا أنه غير جامـع ... لوصفهما جمعاً على أكمل الأمـر
فاقرب أحوال العليل الى الـردى ... اذا لم يكن منها الطبيبُ على خبر

راجع شرحها .

وأبو محمد كنية سيدي عبد الله الغزواني ، والغوث هو القطب حينما يلتجأ اليه ، ولا يسمَّى في غير ذلك الوقت غوثاً قاله في (التعريفات) ، وأهل الله أضيفوا اليه تعالى تشريفا لهم لكونهم أحباءه ، وما أحبوه حتى أحبهم . أمدنا الله بمددهم ، وحشرنا في زمرتهم ، فقد قال (ص) : المرء مع من أحب . قال في (الروض) عن الحافظ ابن حجر : وقد جمع أبو نعيم طرق هذا الحديث في جزء سماه (كتاب المحبين مع المحبوبين) والى هذا أشار سيدي ابراهيم التازي رضي الله عنه بقوله :

ونص على مدح التشبه شهمُهـم ... أبو مدين غوثُ المعاصر والتالـي
وقد قال حب الاولياء ولايـة ... ولي الاله الشاذلي ابن بطـال

فيالها نعمة من نعم الله سبحانه ألحقت المحبين والمحبوبين وهم على فرشهم نائمون ، وجعلتهم من السابقين وهم في سيرهم واقفون .

مَن لي بمثل سيرك المدلـــــل   تمشي رويداً وتجي فـــي الأول

والأحرار جمع حر ، وهم مَن لم يستعبده تعلق لغير الله كما فـي (المرشد) :

يصير عند ذاك عارفاً بـــــه   حراً وغيره خلا من قلبـــــه

وقال غيره :

أتمني من الزمان محـــــالا   أن ترى مقلتاي طلعة حـــــر

والارتحال الرحلة بالكسر ، وفاس عاصمة مدن المغرب وأفضلها ، أسستها بضعة نبوية طرية ، راجـع خصائصها في (الانيـس المطرب) ، و (القرطاس) ، و (جذوة الاقتبـاس) ، و (الدر النفيس) ، و (الأزهـار العاطرة الأنفاس) وغيرها . والمريني أي الوطاسي ، فان بني وطاس فرقة من بني مرين ، غير أنهم ليسوا من بني عبد الحق ، ويُحَطْ بضم الياء وفتـح الحاء وجزم الطاء من حاطه يحوطه من باب قال وكتب كلأه ورعاه ، والانصار جمع نصير كشريف وأشراف ، وهو الناصر وجمعه نصر كصاحب وصحب ، والمدفع يطلق في العرف القديم حتى على المكحلة في عرفنا اليوم ، وكرة بوزن ذرة بالتخفيف معروفة ومثلها كرة اللعب ، قال في (المستارية) :

ولعِبُ الكرة ليس مذهبـــي   اذ فيه للقتال أقوى سبـــب !

والمسُ ملاقاة جسم لآخر . والجرح الادماء ، والصدر سبعة أعظم من عظام العنق لها سناسن كبار وأجنحة غلاظ ، وله أيضا نقر أربع بسناسـن وأجنحة دونها وخامسة بلا جناح ، وحجاب الصدر من لحم وعصب حساس ، قاله الامام السيوطي في (علم التشريح) ، والوقاية الحفظ والحصن مـا يتحصن به ويمنع من السوء ، والأقدار جمع قدر ، وهو ما قدر في الأزل من عدم اضرارها عناية بالمحفوظ ، وقرصت من التقريص أي صيرت قرصة . وانجلا أي ذهب افزاع أفكار أي الخوف الناشيء في أفكار الناس ، وختـم ضربهم أي خاتمته وءاخره فانمحت دعواهم الملك أي زال ملكهم ورجع الى

غيرهم ، والفجاج جمع فج ، وهو الطريق الواسع ، والقطر بالضم الناحية ، وجمعه أقطار ، والليل رده أي رجعه ، وطلائع الفجر تباشيره ، وذو صدق أي الفجر الصادق ذو الانوار المنشورة في الأفق لا الفجر الكاذب الذي يكون مستطيلا فقط ، والكرامات تقدم تفسيرها ، والعجب ما خفي سببه ، والحظوة نيل المنزلة الرفيعة ، والعقول جمع عقل وهو جوهر مجرد عن المادة في ذاته مقارن لها في فعله ، والنفس الناطقة التي يشير اليها كل أحد بقوله أنا ، وقيل العقل جوهر روحاني خلقه الله تعالى متعلقا ببدن الانسان ، وقيل العقل نور في القلب يعرف الحق والباطل ، وقيل العقل جوهر مجرد عن المادة يتعلق بالبدن تعلق التدبير والتصرف ، وقيل العقل قوة للنفس الناطقة وهو صريح بأن القوة العاقلة أمر مغاير للنفس الناطقة ، وأن الفاعل في التحقيق هو النفس، والعقل آلة بمنزلة السكين بالنسبة الى القاطع ، وقيل العقل والنفس والذهن واحد ، الا أنها سميت عقلا لكونها مدركة ، وسميت نفساً لكونها متصرفة ، وسميت ذهنا لكونها مستعدة للادراك ، راجع تمامه في (التعريفات) ، ونقل في الخامس والعشرين من ج 8 من (تاج العروس) عن (المواقف) ما نصه : قال الحكماء : الجوهر إن كان حالا في آخر فصورة ، وإن كان محلا لها فهيولي، وان كان مركباً منهما فجسم ، فان كان متعلقاً بالجسم تعلق التدبير والتصرف فنفس ، والا فعقل .

والمعنى يارب أجب دعائي بجاه القطب الذي حكمته في عوالمك العلوية والسفلية شيخ مشايخ التربية الامام سيدي عبد الله الغزواني ذي المواهب القدسية الذي أخبر أنه ارتحل الامر عن بني مرين بارتحاله عن مدينة فاس ولم تحمه أنصار ، ولم يرد بحماة ولا حراس ، ومن كراماته أن كرة مدفع ضربت صدره فما خرقت الا قشابته ولم تدم صدره ، بل حفظته على حسب عنايتك به ، وما في أزلك قدرته كأنما ضربت تلك الكرة في صخرة صماء عظيمة ، فيالها من كرامة فخيمة زال بسببها عن الافكار ما كانت تتوقعه من الأضرار ، ثم اخبر بالغيب في ذلك الوقت ، وقال هذه خاتمة ضربهم ، وفات المريني الملك أي فوت ، وانقطعت دعواهم الملك في فجاج أقطار مراكش أحدى قواعد مدن المغرب ولم تقم لهم بعد قائمة تنعش ما عندهم من الملك

فيها سلب ، ولم يعد لبني وطاس وصول بعدها الى مراكش ولا الى أعمالها ، ومن كراماته الباهرة وءاياته الظاهرة رجوع الليل بدعوته بعد أن قال ارجع وامري بالله وقوته ، فكر الليل راجعاً بعد طلوع تباشير الفجر الصادق ذي الانوار ، وفي كراماته ما يقضي بالعجب ويظفر العقول بمواهب الاسرار .

قال الوزير في شرح مقصوراته ما نصه : القطب الرباني ، قال في الممتع : قال ابن عسكر هو شيخ المشايخ العارف بجلال الله وجماله ، الداعي الى حضرة الربوبية بجميع أقواله وأحواله ، سيدي عبد الله ابن عجال الغزواني، هذا الرجل ءاية من ءايات الله في ملكه، وبهجة عقد الأولياء وواسطة سلكه، عجز اللسان عن العبارة التي توفي بحقه ، وما هو الا الايماء بالاشارة الى علو مجده ، ثم قال في ءاخر الترجمة : وعلى الجملة فأخبار سيدي عبد الله الغزواني أكثر من أن تحصى ، ومناقبه لا تستقصى ، ولو تتبعناها لكانت في مجلدات ، قال وهو ممن لاشك في ولايته ، وبركته أشهر من أن تذكر (1) .

وقال في أوائل الترجمة : أصله من غزوان قبيلة من العرب بالمغرب، ومن الناس مَن يجعل نسبه علويا ، كان يتعلم العلم بفاس ، فسمع بالشيخ علي صالح الاندلسي فذهب اليه ولازمه أياما ، فرأى من بركته ما حرك بلباله ، وانهض الى حضرة القدس أحواله ، فسأل منه ان يسلك به طريق التربية النبوية ، فقال له ياولدي صاحب الوقت بمراكش فاذهبْ اليه ، وأمره بالرحلة الى الشيخ عبد العزيز التباع المعروف بالحرار نسبة الى صناعة الحرير ، فرحل اليه ولازمه ، فأمره الشيخ برفع الحطب الى الزاوية ورعاية الدواب ، فبقي على ذلك مدة ، ثم استعمله على حياطة بستانه وخدمته فاستمر على ذلك الحال الى أن قال الشيخ يوما لاصحابه : قوموا بنا الى بستان الغزواني ، ومهما وجدتم غـرة فيه فاضربوا وانهبوا ثمار البستان ، فذهبوا إليه وهم مئون والشيخ خلفهم ، فلما وصلوا الى البستان وجدوه مصونا وبابه عتيـد وسوره حصين ، فلم يستطيعوا أن يتسوروا عليه ، فكلموه أن يفتح لهم الباب فقال أما لكم فلا ، فوقفوا إلى أن وصل الشيخ ، فقال لهم ما منعكم من الدخول ؟ فقالوا لم نجد سبيلا اليه ، فقال مثل الغزواني مَن يحمي حماه ، ثم قال له اذهب فقد كمل حالك .

(1) ممتع الاسماع ص 38 ودوحة الناشر ص 96 ع 04 طبع الرباط

ثم توجه الى قبيلة بالهبط تسمى بني فزكار ، فأقبل الناس اليه من كل جهة ، وضجّت الأرض بصيته وشاعت وذاعت كراماته ، فبلغ ذلك السلطان محمد ابن الشيخ المريني ، أنهاه اليه الفقيه ابن عبد الكريم ، فوجه السلطان الى الشيخ لما خشي منه على ملكه ، فلما وصل إليه أمر بسجنه وجعله في سلسلة وبعثه الى فاس ، وأوصى به صاحب شرطته بقصبة فاس البالي ، فلما قفل السلطان الى فاس لقيه ابن شقرون صاحب شرطته وأخبره عن الشيخ بأمور عجيبة ، منها أن أهل السجن أخبروه عنه أنه ينزع السلسلة من عنقه في أول الليل ويخرج عنهم حتى اذا طلع النهار دخل الى موضعه ورد السلسلة في عنقه ، فأمر السلطان بسراحه ، واعتذر اليه وطلب منه الدعاء ، ورغب منه أن يكون سكناه بفاس ، فأجابه الى ذلك ، وبنى زاويته بداخل باب الفتوح، وهي التي دفن بها تلميذه سيدي محمد بن علي ابن الطالب، وأقام هناك مدة إلى أن رحل إلى مراكش ، وقال : ارتحل الأمر عن بني مرين برحيلي عنهم ، فكانت حركة السلطان المذكور وأخيه الناصر الى مراكش وحصروا بها السلطان أحمد بن محمد الشريف وأخاه محمد الشيخ ، ونُصبت الأنفاض على سور البلد ، فقيل للشيخ أن أهل البلد ضجروا وخشوا على أنفسهم ، فركب مع أصحابه وخرج على باب مراكش المعروفة بباب الشيخ أبي العباس السبتي فوجدوا رماة السلطان المريني يرمون ، فوقف الشيخ يعتبر ، فجاءت كرة رصاص من مدفع فيصدره ، فثقبت قشابة صوف كانت عليه ووقفت على لحمه ، ولم تدخل فيه ، على أنها صارت قرصة كأنها ضربت في صخرة صماء ، ثم قبض الشيخ عليها بيديه وقال لا الاه الا الله ، هذه خاتمة حربهم ، ثم رجع الى البلد فوردت الانباء على المريني في تلك الليلة بأن أولاد عمه قاموا بفاس ونبذوا دعوته ، فأصبح راحلا ولم تقم له ولا لأهل بيته من بعده قائمة ، ولله الامر من قبل ومن بعد .

ثم استقر الشيخ بمراكش الى أن توفي سنة خمس وثلاثين 935 ودفن بزاويته الكائنة بالقصور (1) .

وقال في (الدوحة) في ترجمة والده المولى الصالح سيدي عجال : ما نصه : وكان يقول قبل ظهور الشيخ ولده : عندي ابن تركته يقرأ العلم

1) النقل من دوحة الناشر ص 96 طبع الرباط

سيكون ذا شأن ، وله من الاتباع عدد ما في صابة الزبيب من حبوب ، كبيرها حلو ، وصغيرها حلو ، انتهى المقصود (1) .

وضبط ابن عسكر اسم سيدي عُجَال في ترجمة والدته السيدة عائشة بضم العين المهملة وفتح الجيم ، وقال في ترجمة تلميذه الولي الصالح سيدي عبد الله الهبطي ما نصه : فاعتمد في التصوف وطريق الوصول الى الله تعالى والتربية النبوية على شيخه الرباني ، سيدي عبد الله الغزواني ، وهو شيخه في طريق الفتح ، وله معه قضايا وعجائب لو استوعبتها لاستقلت بها الأسفار .

قال مؤلفه عباس : من ذلك ما قال في (ابتهاج القلوب) ونصه : وقد وقع لسيدي عبد الله الهبطي مع شيخه الغزواني أنه يوما أخذ بيده داخلا على بعض دور الناس فلم يطاوعه ، وقال ليست نفسي الأمارة كنفسه المطمئنة حتى أكون مثله ونحو هذا لكونه لم يكن في قبضة هذا الحال في الوقت، ذكره في الباب الاول .

وقال في (الدوحة) في ترجمة والدته الولية الصالحة السيدة عائشة تلميذة القطب الغزواني ما نصه : حدثني والدي علي رحمه الله قال : لما حصلت في أسر العدو الكافر بطنجة أنا وصاحب لـي وجعلنا قبطانها فـي مطمورة فضاقت علينا الارض بما رحبت ، وبقينا كذلك عشر ليالي ، فاذا كانت الليلة العاشرة واذا بنداء من باب المطمورة في جوف الليل ياعلي ياعلي ، فقلت نعم وأنا في حال اليقظة حاضر الفهم والذهن ، فاذا أنا بصوت أمك الست عائشة مع الست ريسون أم الشيخين الشريفين عبد الرحمان وعلي ، قال فقالتا لي معاً لا بأس عليك ، الساعة يفك الله سراحك أنت وصاحبك ، فقلت لصاحبي أبشر بخير ، الساعة يطلـق الله سراحنا ، فقال وأين لنا بذلـك ؟ فبينما هو يخاطبني واذا بباب المطمورة يفتتح والسجان يقول الصبي يامُرْ أي اطلع يامسلم ، فطلعت أنا وصاحبي ، واذا بجمع من النصارى وفي أيديهم الشمع الموقود ، ففكّوا عن أرجلنا الحديد ، وذهبوا بنا الى القبطان ، فلما مثلنا بين يديه قال : اذهبا الى بلادكما واخرجا الآن ، فلما ولينا عنه قال برطانة أندري أي امش سريعا قال فخرجنا ليلا ، فلما سرنا في الفحص قال صاحبي الليلة

1) دوحة الناشر ص 100

ياكلنا الاسد ، فقلت بركة أولياء الله معنا ، فلم يضرنا شيء ، فما أصبح الصبح علينا حتى وجدنا أنفسنا ببني حرشن من بلاد المسلمين ، ولما ذكرت هذه الحكاية لها رحمة الله عليها وسألتها عن ذلك قالت لي : يابني انه لما بلغني أن العدو أسر والدك اهتممت من أجله ، فبينما أنا في الليلة الثالثة وقد غفوت غفوة فرأيت الشيخ سيدي عبد الله الغزواني ومعه أمي ريسون ، فقال اذهبي أنت وهذه الى زوجك فأخرجاه ، فاستيقظت وناديته من موضع مصلاي ، فكان ما منَّ الله تعالى به .

وقال في (الدوحة) ونقل هذه القضية أيضا عن الدوحة صاحب (ابتهاج القلوب) فيه عند ذكر ترجمة الشيخ المجذوب سيدي الصنهاجي الملقب بالدوار في الباب الأول في ترجمة سيدي علي بن عثمان الشاوي الولي الصالح تلميذ الشيخ الغزواني بعد حكاية الاعجوبة في سلب أبي الحسن السريفي تلميذهما بعد أن ترك الانتساب الى الاول وانتسب لشيخهما الثاني فقط ما نصه : ولما بلغ ذلك الى الشيخ عبد الله الغزواني قال : ذلك جزاء مَن يكفر باحسان شيخه .

وقال في ترجمة سيدي مَحمد بن عيسى ما نصه : وسمعت الشيخ البصري يقول : ثلاثة مشايخ لم يكن لهم نظير في المغرب ، سيدي محمد بن عيسى ، وسيدي عبد الله الغزواني ، والشيخ عبد الله الهبطي .

وقال في ترجمة الامام ابن غازي : حدثني بعض الفضلاء أنه حرك مع السلطان محمد بن الشيخ الوطاسي للاغارة على الكفرة بأصيلة يومئذ ، فاعتراه مرض في ايابه ، وكان السلطان اعتقل الشيخ الولي سيدي عبد الله الغزواني في تلك السفرة بموضع تاحنوت ، وأمر باشخاصه الى فاس ، فرجع اليها في سلسلة ، وكان الشيخ ابن غازي حملوه مريضا الى منزله بفاس ، فلما وصل الى مقربة عقبة المساجين من حوز فاس اشتد به الحال ، فأمر أصحابه أن يريحوا به هناك ، فبينما هم كذلك اذ مر بهم الشيخ سيدي عبد الله الغزواني في سلسلة مع المشاورية ، فلما رءاه سأل المشاورية أن يجيئوا به إليه حتى يعوده ، ففعلوا ، فلما وقف عليه طلب الشيخ ابن غازي منه الدعاء ، فدعا له وانصرف ، فلما غاب عنه قال ابن غازي لأصحابه : احفظوا وصيتي ، فاني

راحل عنكم الى الله تعالى بلا شك ، فقالوا ياسيدي ما عندك الا خير ، ولا بأس عليك ، فقال ان الله وعدني أن لا يقبض روحي حتى يريني وليا من أوليائه ، وقد أراني اياه الساعة ، فدلني ذلك على انقضاء الاجل ، فحملوه من ساعتهم إلى منزله فكان ذلك ءاخر العهد به (I) .

وقال في ترجمة الشيخ الاكبر ، الولي الاشهر ، مولاي عبد الله بن حسين المغاري ما نصه : كان هذا الشيخ من أصحاب الشيخ سيدي عبد الله الغزواني ، حدثني الرضى الشيخ أبو العباس قال : لما مرّ الشيخ سيدي عبد الله الغزواني بضريح أبي ابراهيم المدفون بقرية مصلوحة على نصف مرحلة من مراكش ، والقرية المذكورة خالية متعطشة لا ماء بها ، وكان والدي في جملته ، فالتفت اليه الشيخ وقال له : ياعبد الله هذا موضعك ، وان الله يحيي عمرانه على يدك ، فانزل بأهلك وولدك به ، فقال : ياسيدي اجعل لي سببا أستعين به على هذا الشأن ، فقال الشيخ : ان الله تعالى جعل لك الحكم على كل طير يؤذي ، فلا يدعا إليك طير يؤذي الا أجاب ، وان الله جعل لك حكمة في المرأة العقيمة أنها تلد اذا أكلت طعاما مسّته يدك ، فالزم مقامك في هذا المكان ، فان الله ينفع بك الناس ، قال فارتحل والدي وليس معه أحد الا أنا وأمي وبقرة واحدة وتليس على عاتقه لفراشه ، فنزلنا بمصلوحة (تامصلوحت) والارض خالية مقفرة لا أنيس بها ، فاستوحشت أنا وأمي ، وقلت هذا تغرير ، فقال لنا مَن كان في كفالة أولياء الله لا يخاف شيئاً ، ثم ان الشيخ الغزواني توفي وأقمنا مدة مديدة ، فاجتاز يوما بعض عمال السلطان على طريق مصلوحة فوجد تلك البقرة في بعض مراعيها ، فقال لاصحابه هذه ضالة حيث هي وحدها فاحملوها وصيروها في بعض مصالح المخزن ، فلما تفقدها والدي قيل له ان خدام السلطان حملوها ، فذهب الى مراكش وهو لا يعرف بها أحدا سوى الشيخ علي بن أبي القاسم المتقدم الذكر ، فذهب اليه وأخبره بما جرى ، فقال له ومَن هو هذا العامل ؟ قال له لا أدري ، فقال له اذهب الى شيخك الذي أسكنك في ذلك القفر ليردّ عليك بقرتك ، قال فخرج من عنده إلى قبر الشيخ الغزواني ، وبكى عليه ، ثم حكى له مقالة علي

I) دوحة الناشر ص 46 طبع الرباط

وانصرف خارجا الى مصلوحة ، فلما خرج من الباب الجديد وجد البقرة والعامل راكب بازائها ، فلما رءاه العامل ينظر إلى البقرة قال سألتك بالله آنت عبد الله بن حسين صاحب البقرة ؟ قال له نعم ، فنزل عن فرسه وسار يقبل يديه ويستعفي مما فعل ، فقال له والدي مَن الذي حملك على ما أرى منك ؟ قال له : كنت الآن راقدا في داري فرأيت فيما يرى النائم رجلا طويلا بيديه سيف مسلول وقد وضع قدمه على صدري ، وقال والله ان لم ترد البقرة الى عبد الله بن حسين الآن لأذبحنك الساعة ، فقلت : وأين نجده وأنا لا أعرفه ؟ فقال : اخرج بها الى الباب الجديد الساعة فانه يتبعك إليها ، فاستيقظت مرعوبا وجئت بها من فوري ، فلما رأيتك تنظر اليها علمت أنه أنت ، فقال له والدي أنظرني بها حتى أرجع اليك الساعة ، فقدمت الى الشيخ علي بن أبي القاسم وقلت له ياسيدي ان شيخي رد علي بقرتي ، فقال علي يقدر عليها ذلك العربي ، فذهب والدي مسرورا بما جرى من كرامات شيخه ، وقد تقوت العزيمة ، فما كان الا برهة من الزمان واذا بالشيخ علي المذكور جاء مع أهله الى زيارة الشيخ أبي ابراهيم ، فلقيه والدي وقد صنع له طعاما ، فقال له ما سبب زيارتك لابي إبراهيم ؟ فقال علي : لي امرأة لا تلد قط ، وأردت الذرية ، فجئت بها الى ضريح سيدي ابراهيم ، فقال له والدي هذه الحاجة تقضى ان شاء الله بحول الله ومشيئته من بركة شيخي ، فقال له افعل ما آمرك به ، فأمر والدي بصرة دقيق تأتيه فأتي بها وفتحها وتفل فيها ثلاثاً وقال لعلي مرها تجعل منها عصيدة وتفطر عليها ثلاثة أيام ، ففعلت وحملت من حينها ، فجاءت بولد ، ثم بثان وثالث ، فقال الشيخ علي : مثل الغزواني مَن تأتي على يده مثل هذه المواهب.

انتهى المقصود (١) ، راجع ترجمة سيدي عبد الله بن حسين ، وتقدمت ترجمة ولده مولاي أحمد بعدها ، وترجمة حفيده الولي الاشهر مولاي ابراهيم في (الدوحة) وغيرها .

وممن ترجم له صاحب (ابتهاج القلوب) ، وقال في (المعزى) في أوائل الباب الثالث ما نصه : واعلم أعزك الله أن هذا الامام سيدي أبا يعزى ممن اتفق العلماء على كراماته ، وقد شاهدنا له في ذلك كثيراً رضي الله عنهم .

---

١) دوحة الناشر ص ١٠٤ طبع الرباط

فمن بعض ذلك أني كنت قبل الوباء الذي كان عام أربعة وستين أعلم الصبيان وأقرىء جماعة من الطلبة ما يقرب في جملتهم من الثمانين الى الصبيان والطلبة الغرباء الواردين وأهل المنزل ، قالت نفسي ان الوصول الى مقامات الصديقين والعارفين انما هو بالخروج من هذا الامر ، وانك تعزم الى السواحل، فعزمت على أني أخرج وأجد وعزمت على طلاق الزوجة فبعثت اليها مع عدلين صديقين كانا على محبتي ومودتي ، فقالت لهما وما ذنبي حتى يطلقني ؟ فقالا لها انما أراد أن يذهب لينقطع لطاعة ربه ولعبادته ، فقالت لهما ان كان هذا قصده فأنا طلقته لوجه الله وصبرت عليه يعمل بنفسه ما شاء ، فلما كان اليوم الذي عزمت على الخروج أصابني كسر في بدني وأخذني نوم ، فطرحت نفسي، فلما جاز علي بعض النوم ولم أستغرق واذا بأسودين أعظم ما يكون وأنا كأني في موضع مرتفع كأنه منار وأنا في وسطه مع رجلين ، واذا بهما أعني الاسودين رفعا أحد الرجلين ، أخذا أحدهما من عند رأسه والآخر من عند رجليه ، فرموا به من تلك الكوة التي كنا عندها وهي كالباب ، وأخذا أيضا الآخر ففعلا به مثل الاول ، ثم انهما قال أحدهما للآخر : هذا الذي لم يهنٌ روحه في هذا الموضع الذي أقيم فيه ، تعالوا حتى نرموه ، فأخذ أحدهما من عند رأسي والآخر من عند رجلي وأنا بينهما كالجنازة المطروحة لا أستطيع دفعهما وأنا ساكت ، واذا برجل ضخم كبير الكرش كث اللحية كامل القد على قدرهم في القامة وقف وجعلني بين رجليه وقال لهم : اهدَوْا اعدوا اهدوا (1) نحن جعلناه هنا ، أو قال نحن أقمناه ، فسكتا عنه وانصرفا عني وتركاني في موضعي ، وتكلم الذي أنقذني منهما فقال لي : أتدري مَن هذا ؟ قلت لا ، قال لي وأنا عرفتني ؟ قلت لا ، قال أنا عبد الله الغزواني ، ثم قال لي وهذا الموضع الذي أرادوا أن يرموك منه تدريه ؟ قلت لا ، قال لي عنا التعليم للطلبة وتأديب الصبيان ، أي شيء أعجلك للخروج ، اجلس في مكانك حتى يكون خروجك من الله وذلك اذا أتى وقتك ، فقمت وقد غسل الله ذلك السفر وذهبت تلك

---

1) تحريف عامي لكلمة اهدأوا

الخواطر من قلبي ، فعلمت أن الشيخ أبا يعزى من أهل التصريف وأن مادته بعد مماته كحياته ، فكنت أزوره في ذلك الزمان كل سنة ، فوجدت له بركة (1).

انتهى كلام المعزى بلفظه ، ونقله في الصفوة في ترجمة مؤلفه عن المعزى مختصرا .

وقال في الجذوة : عبد الله بن محمد الغزواني الولي الصالح دفين مراكش ، دخل مدينة فاس ، ولم أقف الآن على وفاته (2) ، وقال الزروالي والحلفاوي عن سيدي ناصر تلميذ سيدي عبد الله بن حسين عن ولي من أولياء الله تعالى ، قال : صليت يوما بجامع الكتبيين مع الاشياخ الثلاثة ، أهل المكنة والاغاثة ، والمعرفة والاراثة ، الشمس المنيرة على الربى والبطاح ، والقمر المشرق الوضاح ، العبير المعتبر الفواح ، سيدي عبد الكريم الفلاح ، عليه سلام الله في كل غدو ورواح ، والشيخ العارف الرباني ، المشهور بالعلوم والمعارف والمعاني ، ولي الله سيدي عبد الله الغزواني ، عليه سلام الله عدد الدقائق والثواني ، والشيخ الامام ، الزاعم عصب الاسد والضرغام ، سيدي علي بن بلقاسم رضي الله عنهم وأرضاهم ، ونفعنا بهم وبمن والاهم ، قال : فلما قضيت الصلاة المكتوبة ، خرجوا وخرجت في أثرهم ألتمس من بركاتهم المحبوبة ، وكان خروجهم من أحد الابواب الجنوبية الملاح ، فلما توسطنا باب الرواح ، تكلم ولي الله سيدي عبد الكريم الفلاح ، قال وأفاد وأباح ، ياسادتنا لا بد من عمران سوقنا بهذه الحضرة المحروسة عمارة ما رأى الراؤون مثلها ممن تقدمنا يحميه رجل على أيدينا ، فسكت ، قال وتكلم سيدي علي بن بلقاسم فقال : ان صاحبي لا يستقيم حاله ، حتى تبيضّ لحيته فيظهر جماله ، فسكت، قال وتكلم سيدي عبد الله الغزواني وقال أنا أشهر صاحبي بالتعريف ، وهو السيد عبد الله بن حسين الشريف ، فكلما تعبنا فيه يدركه من غير مشقة تناله في ذلك ولا تكليف ، قال ثم كرر الشيخ الفلاح عبارة أخرى بحالة كبرى ، وهو يقول ياسادتنا الفقراء بقيت لي مسألة أخرى ، فألغز كل الالغاز،

1) تقدم هذا في ترجمة صاحب (المعزى) ، وانما أعيد هنا لاجل المترجم الشيخ الغزواني (مؤلف)

2) **جذوة الاقتباس** ص 440 ع 469 طبع الرباط

وأتى بكلام يحتمل الحقيقة والمجاز ، وقال أنا أريد أن اطلع ساقية أبي عمرو، وأغرس عليها جنة بأنواع الفواكه والتمر ، ولا أخليها من فاكهة تعرف ، حتى لا يبقى بداخلها شهوة اليها يتشوف ، وأدخر فيها كل ما يصلح الطعام ، من أنواع الابازير والادام ، والخضر المختلفة الالوان ، حتى البصل والباذنجان ، تزهو بحسنها النواظر ، وتسلى القلـوب والخواطر ، وتنور بها الأبصـار والبصائر ، كرامـة للحضور والحضريـات ، المتقادمين في سكنى البلـد المتنعمات ، فان الحضور ناس ضعفاء الابدان ، لا قدرة لهم على الجولان في البلدان ، ولا يقدرون على تمرين ولا امتحان ، ولا يرجون الا فضل الحنان المنان ، وزاد في هذا المنوال ، ومعه عنية وحال ، واتساع في المجال ، وهو يستفهم صاحبيه عن هذا المقال ، ويقول لهما أي شيء ظهر لكم ياسادتنـا أيكون لغير الحضور فيها نصيب ، أو لا حظ معهم فيها لغير قريب ، فقالا له : نظرك أوسع في هذا الباب ، والذي ظهر لك هو الصواب ، فلك الملك فامنن أو أمسك بغير حساب ، فتنفس الصعداء وقال وقف على الحضور السعـد ألا أجعل لغيرهم فيها حظاً معلوما ، فقد صيرها الله لهم رزقا مقسوما ، ولا يد لأحد عليها ، وهي لهم يتنعمون في أجنتها وأنهارها ، ويمرحون في أنوارهـا وأزهارها ، وكل ما خرج من مائها يعود إليها ، (ما ننسخْ من ءاية أو نُنسها نات بخير منها أو مثلها) ، فاتفقوا على ذلك ولم يختلفوا، وأمنوا على دعائه وانصرفوا، وأذهلوا بكلامهم جل العقول .

وقال الحلفاوي ما نصه : فمن ذلك ما فشا وانتشر ، وبلغ مبلـغ التواتر والخبر ، أن خليفة مدينة فاس من بني مرين ذلك الزمان قدم من فاس لنهب مراكش ، فلما نزل عليها خـرج اليه سيدي الغلاح وسيدي عبـد الله الغزواني ، فرحب بهما ، وأظهر برورهما ، وجعلهما بمكان من مقامه ، فاستفهم عن مرادهما فقال له سيدي الغلاح نريـد منك الرجوع عن نهب هـذه البلدة وتصفح عن أعلها ، ولك في ذلك الاجر العظيم عند الله الكريم ، فقبل الخليفة شفاعتهما في ذلك ، فقال له الشيخ بعد ذلك عوضناك بنهبها وبالغنيمة التي تحصل لك منها المعمورة . فطلب الامير منه الدعا، وارتحل من حينه وولى مسرعا ، فلما كان له التوجه لفاس برحلتين أوثلاث اذا بعبد من عبيده يخبر بأن عشر مئة كافـر خرجت بالمعمورة قطعت وادي العبيد تطلب غرة فـي

المسلمين لما سمعوا بقدوم الامير لمراكش ، فسرى اليهم وعداهم برؤوس الخيل ، فلم ينشب أن أخذهم عن ءاخرهم ، وغنم غنيمة لم يتقدم لأسلافه مثلها قط ، ففرح الخليفة فرحا كثيرا ، وسر سرورا مفرطا حتى بلغ به الفرح الى أن كان يقف في سرجه ويقول بأعلا صوته : الله ينفعني بسيدي المصمودي ، يشبع حمل الدال بلفظه ويكرر ذلك على رؤوس الاشهاد ، اظهارا لكرامة ولي الله العظيم ، الغوث الواصل سيدي عبد الكريم .

وقال في (الممتع) : وأما أصحاب الشيخ التباع فمنهم وارثه الشيخ عبد الله بن محمد بن ولي الله سيدي عجال الغزواني، القطب الغوث الجامع الوارث الرباني ، قال أحمد المرابي في حقه : هو الشيخ الامام العالم الرباني المحقق الصوفي ، ذو الاحوال السنية ، والمقامات العلية ، قطب زمانه ، وفريد وقته وأوانه ، ثم قال كان من الاكابر ، وكان في أحواله بحراً لا يجارى ، وءاياته لا تبارى ، ثم قال : له الكرامات التي لا تحصى ، والمنازلات التي لا تستقصى، بلغ بها التواتر في أقصى البلاد ، ولم تزل متداولة بين العباد ، ثم قال : وبالجملة فقد كان رضي الله عنه من أعظم الايمة في وقته في تربية المريدين ، وممن له قدم راسخ في الطريق ، وتخرج به جماعة من صدور المشايخ انتهى (1) .

وقال أحمد بن عبد الله بن أبي محلي السجلماسي : وبالجملة فالغزواني رضي الله عنه قد ظهر عليه المدد ، وسرى في الغرب سهله وجبله في وقته ، وقد مات ابن غازي سنة تسع عشرة وتسعمئة 919 .

وقال أحمد ابن أبي محلي : كان عبد الله الغزواني من جملة الطلبة بحضرة فاس ، ثم جذبه الله اليه عن حكاية غريبة ، وهي أنه فيما يقال عمد ذات ليلة في نفر من الطلبة الى زاوية لبعض أصحاب التباع بباب الفتوح من حضرة فاس أمنها الله لبثوا عند صاحبها بقصد الفرجة لسوء المعتقد به وبنحوه ، فلم يصبح عليه الصبح الا وقد أحيط بعوالمه العلقية فانجذب لحضرة مراكش من ساعته ، قال وكان يخدم الشيخ التباع عشر سنين في بستان ، وبعد تمام الاجل خرج عن اذنه شيخا واصلا موصلا .

---

1) ممتع الأسماع ص 37

وقال في (المرءاة) : ان الشيخ عبد الله الغزواني كان يقرأ في مدرسة الوادي بعدوة الاندلس من فاس ، وكانت جماعة من الفقراء تجتاز في عشية الخميس بباب المدرسة ، فتساءل الطلبة فيما بينهم الى أين تجتاز ؟ فقال بعضهم لزاوية قريبة من هنا ، فقالوا هل لكم في المبيت معهم فنتفرج في حضرتهم أي السماع ؟ ونشبع من الكسكسو عندهم ، فساروا الى الزاوية لهذا الشيخ ، وهو سيدي عبد الله الغزواني ، فلما أخذ الفقراء في الذكر دخل معهم فيه ، فأدركه في باطنه أمر عظيم ، قال لهم : انه كشف له من العرش الى الفرش ، ويقال انه غسل أيدي الفقراء بعد الطعام وشرب الماء الذي غسلوا فيه أيديهم، فلما نزل به ما نزل جلس بين يدي شيخ أولائك الفقراء ، وهو الشيخ علي صالح ، وقص عليه قصته ، وطلب منه أن يقبله مريدا ، فقال له الفقراء ياسيدي اقبله فقال لهم هو عربي قوي بالغا المرية من الكاف كما ينطق به أهل الأندلس ، بل أبعثه إلى الشيخ ، فبعثه الى مراكش للشيخ عبد العزيز التباع فصحبه وخدمه ، وكان من أمره ما هو مشهور .

قال : ومما يتصل به وهو مما حدثني به شيخنا محمد النيجي انه لما بعثه الشيخ علي صالح الى الشيخ عبد العزيز التباع وخدمه ما شاء الله فقال له مرة : سر الى ابن داوود وكان من أشياخ الشاوية وعتاتهم ، وقل له احتجنا الادام ، فسار اليه وذكر له ذلك ، وبات عنده ، ومن الغد نزع ثيابه ولبس ثياب الفقراء وكسر رمحا وجعل منه عكازا ، وقدم بين يديه جميع ما يملكه ، وسار الى الشيخ عبد العزيز صحبة سيدي عبد الله الغزواني ، فلما وصل لمراكش قبله الشيخ وأقبل عليه ، وقال له : قد قبلت ذلك ورددته عليك ، فاعمل زاوية ، فرجع وعمل الزاوية وصار من أهل الخصوصية ، ثم بعد ذلك قال أيضا للشيخ سيدي عبد الله سر الى أهلك من الشاوية وقل لهم احتجنا الادام ، فسار اليهم ، فبينما هو يتهيأ للرجوع الى الشيخ ورد عليه خبر موت الشيخ ، فحمل ما اجتمع الى دار الشيخ ، وعزى فيه ، ورجع الى أهله فأقام فيهم ما شاء الله ، فاذا جماعة من اخوانه الملازمين لزاوية الشيخ بمراكش وردوا عليه فقالوا له : انا اذا قرأنا الحزب في الزاوية تتبعنا أصواتنا

حتى نجدها تستقر عندك ، وذلك منهم اشارة الى أنه وارث الشيخ ، فقال لبعض أصحابه سر الى مكان عينه له ، واجعل رأسك بين ركبتيك وناد نداء المستغيث في نفسك ، ففعل ذلك ، فأقبل الناس من كل جهة ، فعلم أن وقته قد حضر ، فخرج مع اخوانه الواردين عليه الى أن وصلوا بلاد بني فزكار ، فنزلوا على عين ماء ، وأقاموا هنالك أياما ، فجاءهم رجل فقال لهم هذه العين وما والاها من الارض كلها ملكي ، فان احتجتم اليها فقد وهبتها لكم فقبلوها منه ، وشرعوا في البناء بها ، فاستقروا واشتهر ذكر الشيخ عبد الله الغزواني اشتهاراً عظيما، وقصده الناس من كل جهة ، وكان الفقيه عبد الكبير البادسي السفياني الاصل وأبوه يصحب الولاة والعمال ويخرج في محلاتهم قاضيا ، فكثرت سعايته بالشيخ عبد الله الى سلطان الوقت محمد الملقب بالبرتغالي ابن الشيخ الوطاسي ، فتحرك الشيخ لزيارة سيدي أبي سلهام فتعرض له العروسي قائد القصر الكبير وناوله كتاب السلطان يأمر فيه بقدوم الشيخ الى فاس دار الملك اذذاك ، فقال له الشيخ طاعة السلطان واجبة ، وقال للزائرين معه بلغت النية ، فتوجه الشيخ الى فاس من ذلك المكان ، وكلما بات في المنزل ذهبت جماعة من الذين معه فلم يصل معه الا القليل ، وكان سيدي عبد الوارث اذذاك ساكنا بفاس ولم يكن صحب الشيخ قبل ذلك ، فلما دخل الشيخ حضرة فاس لقيه سيدي عبد الوارث في المدينة ، فسلم عليه وشد الشيخ يده على يده ، فلم يطلقها حتى عاهده على الرجوع ، فلما انفصل عنه اشترى خبزا وعنبا وحمل ذلك للشيخ وأصحابه ، فوجدهم عند القاضي أبي عبد الله المكناسي في المسجد القريب من داره بدرب السعود ، فناولهم ما معه ، ووجد الشيخ موكلا به وأصحابه يدخلون ويخرجون ، ثم دخل عليه القاضي للمسجد ، فقال للشيخ : ما هذا الذي يذكر عنك ؟ قال سيدي عبد الوارث فتكلمت أنا وقلت : ان هذا السيد نزل بلادا عظيمة المنكر وأخذت أعدد المناكر ، وصار هذا السيد ينهاهم عن ذلك ، فهدى الله على يده مَن هدى ، وشق له من أبى ، فقام القاضي وركب الى دار السلطان ، ورجع وبات في داره ، ومن الغد ركب أيضا الى دار السلطان ومعه الشيخ ، فلما استقر مجلس السلطان بهم وكان فيهم صاحب تازة أحمد أخو السلطان فسكت الجميع ، وتكلم كاتب السلطان وامام

صلاته ، ولم يسم لنا ، فقال للشيخ ما هذا الذي يسمع عنك ؟ فقال له الشيخ أنت لا تتكلم حتى تغتسل من جنابتـك ، فاستشاط غضبا ، فقال لـه أخو السلطان كأن هاؤلاء القوم يعنون بالجنابة غير ما تعنيه العامة ، يشير الى ما في الحكم ، فقال له السلطان من أين تعرف هذا ؟ فقال له من سيدي محمد بن عبد الرحيم يجَّبْس بشد الجيم المفتوحة وسكون الباء الموحدة بهذا ضبطه في (تحفة أهل الصديقية) ، ففرح السلطان بمعرفة أخيه ذلك ، وقال للشيخ نحن نريد قربك وأن تكون معنا في هذه المدينة ، فقال له على بركة الله فانتقل الى فاس ، وبنى خارج باب القليعة داخل باب الفتوح ، وأقام هنالك ما شاء الله الى أن كانت سنة تعطل فيها المطر وأخذ الناس في اخراج السواقي للحرث ، فأخرج الشيخ من وادي اللبن ساقية لم يكن في سواقي السلطان وغيره مثلها ، فبعث اليه أخو السلطان وهو الناصر الملقب بالقديد بالقاف المعقودة وقال له : نحن أحق بتلك الساقية ، فقال له الشيخ : خذها وأخذ بالرحيل الى مراكش ، ولما توجه تلقاء مراكش أخذ خنيفه في يده وجعل يشير به من جهة فاس الى جهة مراكش أيًّا سلطنة ، الـى مراكش ، هذا حديـث شيخنا محمد الينجي ، وأخنيف معروف ، وهو نوع من البرانس السود ، ومعنى أيا بلغة المغرب وهي بربرية سر معي ، وموضع بني فزكار أظنـه تاصروت فانها اسم منسوب له الى الآن ، وانه منزله الذي كان بـه ، ومـا زالت ءاثاره هنالك ، والدار التي بنى بباب القليعة هي المتصيرة لتلميـذه الشيخ محمد الهروي المعروف بالطالب التي دفن بازائها ، وبنيت عليه القبة المعروفة هناك ، ولعل سنة اخراج السواقي سنة ست وعشرين وتسعمئة 926 فانها تعطل فيها المطر ، وحدث عنها الغلاء الكبير المؤرخ سنة سبـع وعشرين .

وقال في (ابتهاج القلوب) ما نصه : وذكر في (المرءاة) إقامته أي الشيخ الغزواني بفاس إذذاك نحواً من سبع سنين برغبة سلطان الوقت محمد البرتغالي فيه وبنائه الدار التي بباب القليعة ورجوعه الى مراكش سنة اخراج

السواقي التي حدث عنها الغلاء المؤرخ سنة سبع وعشرين وتسعمئة ، وان كان ذلك الغلاء دام قبل وبعد نحواً من احدى عشرة سنة ، أولها سنة تسع عشرة 919 ، وهي السنة التي امتحن فيها .

وذكر الشيخ أحمد المنجور في فهرسته أن سنة ثمان وعشرين هي التي تسميها العامة سنة الخلف ، وفيها ارتحل اليسيتني للشرق ، وانتفع بالشيخ الغزواني في المدة المذكورة وقبلها وبعدها أقوام ، وتخرج عليه أشياخ كثيرون ، وكان هو المشار اليه بالقطبانية في الوقت ، وقدره جليل ، وأمره شهير ، ووسع دائرته كيف سمعت من الشيخ الوالد رضي الله عنه أنه بات يوماً عند الشيخ سيدي علي بن ابراهيم المتقدم يعني البوزيدي دفين تادلة وهو أخوه في الشيخ ، فأخذ سيدي علي من الليل في تهجده واجتهاده، وأخذ الشيخ الغزواني يشد عمامته ويحسنها وأطال في ذلك لما علم من شدة سيدي علي المذكور وهو ينظر اليه حتى قرب الوقت وعلم ضيق صدره من ذلك ، قال له ياهذا ، انتخاب ربط هذه العمامة أفضل من صلاتك هذه ، وهو نظر متسع ، لأنه مأذون بتربية الخلق والظهور إليهم رضي الله عنه ونفعنا ببركته .

كانت وفاته صبيحة يوم السبت ثامن ذي الحجة الحرام سنة خمس وثلاثين وتسعمئة 935 ودفن بمراكش ، وعليه قبة جليلة شهيرة مقصودة للزيارة نفعنا الله ببركته ، ونسبته رضي الله عنه الى غزوان من عرب الشاوية، وهو بطن من أولاد بوعطية ، وكلام المرآة المنقول في الممتع ذكره في المرآة في موضعين ، أولهما في الفصل الاول من الباب الثاني في ص 137 ، وثانيهما من قوله قال : ومما يتصل به الخ.. في ترجمة شيخ مؤلفها محمد النيجي في ص 231 .

قال في الممتع وكانه أشار الى انتقال السلطنة عن فاس وبني وطاس ملوكها الى مراكش والشرفاء الذين جعلوها كرسي ملكهم ، والمراد بابن داوود الشيخ محمد بن داوود من أولاد بوزيري ، وابن داوود من الشاوية دفين أزراك من تادلة ، وكونه أشار بكلامه الى انتقال السلطنة عن بني وطاس الى

الشرفاء هو المتبادر ، وهو الذي تقدم لصاحب الدوحة صريحا ، وقد يحتمل أن يكون مراده نفسه ، وقد كان يطلق عليها السلطنة ، ويسمى نفسه سلطانا، وقد سمع امرأة تزغرت على السلطان وهو مار بالطريق فقال لها علي فلتزغرتي يابنت الحزينة ، اذ أنا سلطان الدنيا والآخرة .

وفي المرءاة أنه قال للفقراء : اذا قيل لكم مَن زاهدكم ؟ فقولوا سيدي عبد الكريم الفلاح ، واذا قيل لكم مَن عابدكم ؟ فقولوا سيدي علي بن ابراهيم ، واذا قيل لكم مَن مجذوبكم ؟ فقولوا سيدي محمد بن داوود ، واذا قيل لكم مَن مائدتكم ؟ فقولوا سيدي رحال الكوش ، واذا قيل لكم مَن عالمكم ؟ فقولوا سيدي سعيد بن عبد النعيم ، واذا قيل لكم مَن سلطانكم ؟ فقولوا سيدي عبد الله الغزواني ، ولعل المائدة هو سيدي عبد الكريم الفلاح ، والزاهد هو سيدي رحال الكوش ، حسبما يأتي .

وحكى لي بعض مَن ينتمي للفقر من الطلبة أنه لما توفي الشيخ سيدي عبد العزيز التباع وكان قد أطلق مَن أطلق من المشايخ من أصحابه في حياته بقي الذين ترك بزاويته بعده في فترة مدة مديدة لا يدرون أين وارث شيخهم . وقد كان عهِد اليهم في حياته ولسيدي عبد الكريم الفلاح خصوصاً أن وارثه منهم ، وحاله لا يتعداهم ، وكان سيدي عبد الكريم الفلاح هو خديمهم الخاص به الموالي له الموكل بطعام زاويته ، والساعي في حاجات داره ، فانتدب لجمع أصحاب الشيخ وجعل يدعوهم ويبعث في طلبهم في نواحي مراكش نحو الخمسة أيام حتى اجتمعوا كلهم ، وصنع لهم طعاما وأعده لهم ، فقال بعض الفقراء ما نرى سيدي عبد الكريم الا يدعو لنفسه ويريد أن يجمع الناس عليه ، فبلّغها له بعض الموالين له ، فقال ما نبالي بذلك ، وما نواخذ اخواننا ، والله يعلم سريرتنا ، فلما حضر الجميع بزاوية شيخهم واجتمعوا عن ءاخرهم قدم اليهم الطعام ، ثم قال لهم لا تمسوه حتى تخبرونا ، فان الشيخ عهِد الينا أن وارثه منا ، وسره بيننا ، ونحن لم نعرفه ، فنقدم اليكم حق الشيخ لمن كان عنده وصف من أوصاف الشيخ ورثه منه ليخبرنا به ، وقد قيل أو قال الشيخ : لا سرَّ مكتوم بين الفقراء ، ولا مال مقسوم ، فتكلم سيدي سعيد بن عبد النعيم

لعلمه وجعل يذكر ما يعرفه من أوصاف الشيخ وحال الوارث ، وما سمعه في ذلك من الشيخ ، فقال سيدي رحال الكوش أنا راكب العرائس لم أركب عروسة لا تركب ، وأنا صاحب الاغاثة في البر والبحر ، ثم قال سيدي علي بن ابراهيم : وأنا عابدكم ، أصلي الليل وأصوم النهار ، ثم قال سيدي سعيد بن عبد النعيم : وأنا عالمكم ، مَن احتاج الى علم الظاهر والباطن فلياتني فانا صاحبه ، وقال سيدي عبد الكريم الفلاح : وأنا مائدتكم ، مَن أحب الطعام فلياتني لا يبقى من طعامي خماس ولا مراس ، قال كل واحد ما عنده ، وسيدي عبد الله الغزواني فيهم ساكت لا يتكلم ، ولم يتحرك له حال ، ولعل هذه القضية كانت بعد انتقاله من فاس الى مراكش ، ويحتمل أنها قبل سكناه بمراكش ذهب زائرا اليها من فاس أو بني فزكار أو من قبيلة الشاوية ، والله أعلم ، فقالوا له : وأنت ياسيدي عبد الله ما الذي عندك وماذا تقول ؟ فحينئذ حركوا منه ما كان ساكناً، وأظهروا من وجده ما كان كامناً ، فقال لهم : وأنا سلطانكم وصاحب سكتكم عندي تضرب ، فمَن طبعت درهمه أو ديناره جاز ، ومن لا فلا ، فسكتوا استنكارا لذلك فقال لهم سكتم ، أستنكرتم قولي ؟ فقالوا نعم ، فأخرج يده وقال : الله ماذا عليها ، وقبض بيده قبضة في الهواء وضم أصابعه ، فقال لهم : ماذا تقولون ؟ وما عند كل واحد منكم ؟ فأنكروا قلوبهم ولم يجدوا فيها شيئاً مما كانوا يعهدون وما كانوا يخبرون عنه ، فعلموا ما الذي استفهم وأن قوله صحيح ، وأنه وارث الشيخ ، وأنه حاجتهم ومطلوبهم ومددهم منه ، فاذعنوا له وخضعوا له ، فمد يده ثانيا وقال الله يرد عليهم أحوالهم وأمرهم بالانصراف فتفرقوا مجتمعين عليه .

ثم ان سيدي رحال الكوش فيما يقال ظهر بمراكش ظهورا يضاهي ظهور سيدي عبد الله الغزواني ، فقال له سيدي عبد الله : اما أن تتركها لي أو أتركها لك ، وأما حنشان في غار فلا يجتمعان ، فقال له سيدي رحال : أنا أخرج عنك وأتركها لك ، فخرج الى أنماي ، فذلك الذي أسكنه هنالك الى أن توفي رضي الله عنهم أجمعين ، ونفعنا ببركاتهم .

قال مؤلفه عباس قوله : فخرج الى انماي الخ.. قال الوزير في شرح مقصورته : الشيخ الامام ، الولي الهمام ، صاحب الاغاثة برا وبحراً ، المستجاب

الدعاء ، أبو العزم سيدي رحال الكوش ، نزيل أنماي من حوز مراكش كان من الأبدال مستجاب الدعاء ، له أسهم صائبة ، وكرامات شائعة ذائعة ، وكانت له شهرة عظيمة في الخلق ، توفي في ءاخر العشرة الخامسة ، يعني من القرن العاشر ، ودفن بزاويته من أنماي رحمة الله عليه .

وفي الدوحة سائر المشايخ من أصحاب الشيخ الغزواني كيوسف التليدي وعبد الوارث بن عبد الله وعلي بن عثمان وغيرهم يصرحون بقطبانية الشيـخ .

وفي تحفة الاخوان عن سيدي رضوان يصف الشيخ : عليه بهاء ونور، كأني أنظر اليه رجل عظيم البدن ، تعلوه حمرة كأنه قطعة نور اذا رأيته قلت هو ، وأراني بعض الناس قلنسوة عنده بيضاء من قطن أو كتان تعرف بالعراقية تلبس غالباً في زمن الحر ، وقال لي انها لسيدي عبد الله الغزواني ، فرأيـت قلنسوة تدل على أنه كان عظيم الهامة .

قال في التحفة عن سيدي رضوان وكان ربما سمع منه فـي بعض الأحيان صيحة يصيب السامع لها رعب في قلبه ، وكنت أقول ياترى من أي شيء يصيح ؟ قال المؤلف المرابي وله كلام عال في المعارف والحقائق منه نفحات المريدين عند تلقيات السلوك والجذب المحيط بكل أين ولا أين أين له فمن ظهر ذلك فيه عالم بالسمع الأعلا وتنزيه الادنى ومطالعة أهل الكشف حقائق التوحيـد فهو الموصوف بخفـي السر الرباني ، ومنه مـن خصص بتخصيص التوحيد شهد لله أنه لا الاه الا هو ، وله كلام كثير في الطريق نظما ونثرا ، الا أنه غامض لا يفهمه الا مَن فتح عليه ، وكان يقول لبعض مَن كان يلقيه عليه من أصحابه يافلان لا تنظر الى لفظ والى معنى ، وكانه يمده فيه .

وكتب إليه الشيخ ناصر الدين اللقاني من مصر يسأله تفسير الفاتحة على طريق القوم ، فكتب اليه بشيء من ذلك ، فلما انتهى اليه ما كتبه المجيب به أعاد الكتْب إليه بالاعتراف به ، وكان سأله مع ذلك عن القطب أين هـو ؟ فكتب اليه يشير الى نفسه ، فلما بلغه الجواب قال لحاضريه هذا صاحب

الوقت ، فمن أراد لقاءه فليتوجه اليه ، وكان رضي الله عنه يقــول لاصحابه محذرا لهم من الاغترار بكل ناعق : يافقراء اختاروا الفقراء في الفقراء ، ويقول لهم محذرا لهم من الدخول فــي الفضول ، حاضاً على الاشتغال بمــا يعني : الدنيا بسلاطينها ، والدنيا بحكامها ، والدنيا بقضاتها ، والدنيا بكذا ، والدنيا بكذا ، يعدد أهل الخطط ، الى أن يقول والدنيا بفقرائها ، يعني أهل الفضول، وأنتم ها ، ويريهم السبحة لا إلاه الا الله ، محمد رسول الله صلى الله عليــه وسلــم .

وفي (الدوحة) حدثني الشيخ محمد الدقاق وكان مختصاً به ، قال كان الشيخ رضي الله عنه دأبه الحركة في أسباب الحراثة واستخراج المياه ، وكانت الدنيا لا تنجح على يديه ، وطعامه المأكول بزاويته لا يزيد على الماء والملح شيئاً ساذجا ، وكل ما يأتيه من أسباب الدنيا يدفعه لذوي الحاجات ، وشأنه ملازمة الذكر والذكرى ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ووقعت له الاجابة في سائر أقطار المغرب ، وخلف المئين من المشايخ ، وكان لسان الحال لديه أفصح من لسان المقال ، وقال بعد عن سيدي عبد الله الهبطــي يجيب بالحال أكثر مما يجيب بالمقال ، انتهى .

وفي (تحفة الاخوان) كان من عادتــه أن يأمر أصحابه بالحراثــة والغرس والخدمة وحفر السواقي ، فحفر مرة ساقية مع بعض اخوانه ، وكانت في ذلك عادتهم أن مَن حفر ساقية يصنع طعاما ويدعو الناس لأكله ، فلمــا حفر الشيخ الساقية مع صاحبه صنع الصاحب طعاما ودعا الناس لأكلــه ، فأكلوا ، وقال للشيخ : بقي طعامك ياسيدي ، فأي وقت نأكله ؟ فقال لهم نرجو الله أن يفتح لنا غدا من عنده ، فلما كان من الغد ونحن جالسون اذ سمعنــا صياحاً وضجيجاً ، فنظرنا أمامنا فاذا بشيء يعلوه غبار على بعد ، والناس من خلفه وهو يقرب حتى دنا منا ، فاذا هو واحد من بقر الوحش ، فبرك أمــام الشيخ ، فقبضوه ، فأمرهم بذبحه وصنع لهم طعاما فأكلوه ، فعلموا أنها كرامة له رضي الله عنه ، قال وكان يوما جالسا وناس اما من فقرائه أو من سائر الناس أرادوا أن يجروا قضيباً من قضب المعاصر فلم يطيقوا عليه ، فأجمعوا

على أن ينظروا أناساً ءاخرين يعينونهم ، فلما أرادوا الذهاب قام الشيخ سيدي عبد الله وبيده قضيب ، وأمر رجلين بجر القضيب ، فقاما ، فأخذا بالحبال ، فجاء الشيخ ووقف خلف القضيب وأخذ يضربه بالقضيب الذي بيده ، وكان يقول شيئاً ، قال فرأينا القضيب يسير ولـم يجره الا اثنان مـن الرجال ، فاستغرب الناس من ذلك ، وكانوا لاول مرة لم يطيقوه ، فعلمو أنها بركة .

ويحكى أن ناساً كانوا في تدعيم دار بالخشب ، فأقاموا خشبة على موضع ، فوجدوها قصيرة لا تقدر لذلك ، وكان هو ينظر ، فأخذ الخشبة من أيديهم وأقامها في الموضع الذي تحتاج له ، فكفت الحاجة . ويحكى أنه كان مرة مع أصحابه في زيارة خـارج مراكش ، فقال لهم اذا لقيتم قافلـة عنب فخذوها ، فلقوها فأخذوها وحازوهـا ، فاذا أهل القافلة قد لحقوا فجعلـوا يصيحون ويخاصمون ، ويقولون لهم اصحبونا الى الحاكم وهم لا يكترثون بهم، وجعلوا يكلمونهم ويستنزلونهم الى أن قالوا لهم انها هدية لسيدي عبد الله الغزواني ، فقالوا لهم هو الذي أخذها وها هو ذاك ، فأذعنوا . ومرة أخرى لا أدري في تلك الزيارة أو في غيرها سمع بعض أصحابه يقول انهم قد اشتهوا اللحم ، وكان ذلك ليلا ، فقال لهم اذا لقيكم بقر أو غنم غدا فخذوها ، فلقوها فأخذوها ، فجاء أربابها يفعلون فعل الاولين ، فلقوهم واستنزلوهم فأخبروهم بأنها هدية لسيدي عبد الله الغزواني ، فأخبروهم أيضا فأذعنوا كذلك . حدثني بهاذين الحكايتين بعض الطلبة المتفرقين . ونحو هذا قضية سيدي عبـد الرحمان المجذوب في فحل البقر ، وذلك أنه كان مع أصحابه في زيارة ، فمروا بقطيع بقر ، فقال لهم خذوا ذلك الفحل لعجل أراهم اياه وقد غشيهم ظلام الليل بحيث لا يعرفه صاحبه ، فأخذوه وذبحوه واشتغلوا به ، فبينما هم كذلك اذا بربته تفتش عليه وتذهب يمينا وشمالا حتى وصلت اليهم ، فسألتهم عنـه وقالت لهم ما بي الا أنه عندي عدة (1) لسيدي عبد الرحمان المجذوب ، فقالوا لها ان صاحبه قد أخذه ،وأخبروها بقصته ، وأروها اياه ، فسكتت رضي الله عنهم أجمعيـن .

---

1) العدة في عامية المغاربة النذر ، وينطقونها **الوعدة**

وقد وصف الشيخ أحمد الفاسي صاحب الترجمة بمثل ما وصف به سيدي عبد الرحمان المجذوب ، فقال وكان شيخ وقته عبد الله الغزواني رضي الله عنه صاحب أحوال ، تصدر منه أمور غامضة لا يسلمها الا مَن أيده الله أو كان من أهلها ، وسيأتي مثل هذا في وصف الشيخ المجذوب رضي الله عنه .

قال في (الدوحة) : وكان ، يعني صاحب الترجمة ، اذا رأى مَن يتحرك في حلق الذكر أو يقصر في خدمة ضربه بعصا لا تفارقه ، وكل من يضربه يفتح الله تعالى عليه في الحال ، ولقد رأيت ضربة فوق حاجب الشيخ سيدي عبد الله الهبطي هشمت العظم كان ضربه اياها الشيخ الغزواني ، وكانت تثور عليه الى ءاخر عمره ، وكان سيدي عبد الله الهبطي يقول كل ما فتح عليه به انما هو من بركة سيدي عبد الله الغزواني (1) .

توفي رضي الله عنه سنة خمس وثلاثين وتسعمئة 935 كما تقدم ، وكان من موته على ما في التحفة أن خرج يوماً على عادته الى البادية في صلح، وخرج معه أصحابه ، فغابوا ما شاء الله ثم رجعوا ، فلما كان قريباً من البلد وهو راكب على فرسه سائر على الطريق اذ رأوه قد مال عن فرسه ، فأسرعوا اليه، فاذا هو ميت ، فحملوه الى المدينة ودفنوه بزاويته بحومة القصور داخل مراكش ، وبنوا عليه قبة حافلة ، وهو مزارة عظيمة مشهورة ، رضي الله عنه ونفعنا به .

وأكثر انتشار الطريقة الجزولية وتفرع شجرتها من هاذين الشيخين: سيدي عبد العزيز التباع وارث الشيخ ووارثه سيدي عبد الله الغزواني حتى أن الطريقة والطائفة تنسبان اليهما ، فيقال تباعية ، ويقال غزوانية .

انتهى كلام (الممتع) .

وقال نور التبيان ، وعلامة الزمان ، سيدي الحسن اليوسي عند شرح قوله في داليته :

---

1) **دوحة الناشر** ص 47 وهو يكنى الهبطي مرة أبا عبد الله ومرة أبا محمد !

شمس الزمان وسعده وملاذه — وجرى المحيل غنية المسترفد
فالدهر نور ليله ونهاره — من نوره معطٍ يدَ المتعبد
حتى توهم سبع أموان له — زوجن من زوم بسبعة أعبد

في الكراس الاخير منه ما نصه : فان الولي اذا جعل في مرتبة التصرف أمكن أن تكون الكائنات كلها تحت طوع يده باذن الله تعالى الذي يقول للشيء كن فيكون ، فيتصرف في الزمان كما يتصرف في غيره ، فقد حدثونا عن سيدي عبد الله الغزواني دفين القصور من حضرة مراكش حرسها الله أنه خرج ذات مرة الى بعض القبائل لا يقاع صلح في أمر وقع ، فلما راح اليهم افتتح الذكر ، فتواجد الناس كلهم حتى اختلط الفريقان ، ولم يزل ذلك دأبهم جميع الليل ، وكان ذلك في رمضان ، فلما علم الفجر صاح الناس وأشفقوا من بقاء الناس بلا سحور وأعلموه ، فقام وقال وأمر بامر الله ارجع أيها الفجر أو كما قال ، فذهبت تباشير الصبح التي ظهرت ، وأقبل الليل بظلامه كما كان حتى تسحر الناس واكتفوا وفرغوا ، فعند ذلك جاء الفجر ، وأصله استيقاف الشمس ليوشع، ثم لنبينا عليهم الصلاة والسلام،(1) وكل ذلك بفعل الله وارادته لا تأثير لمخلوق في شيء من الاشياء ، وانما الولي ظرف تجرى فيه هذه التصاريف وعلى يديه اذا أراد الله وقوع شيء جعل في قلب الولي ارادته فيوقعه على وفق ذلك ، ومتى لم يرد وقوع شيء لم يجعل في قلب الولي ارادته فليس ثم الا الله وحده لا شريك له ، فافهم ، انتهى .

ذكر في الشذرات في ترجمة الشيخ القدوة اسماعيل بن محمد بن اسماعيل الحضرمي المتوفى سنة 678 المترجم في طبقات المناوي أنه قصد بلدة زبيد ، فكادت الشمس تغرب وهو بعيد عنها ، فخاف أن تغلق أبوابها ، فاشار الى الشمس فوقفت حتى دخل المدينة ، واليه يشير الامام اليافعي بقوله :

---

1) الشمس والقمر ءايتان من ءايات الله كما قال في حق الأولى رسول الله (ص) تسيران طبق نظام محكم ، ولم تتم ليوشع في الاولين كما لم تقفا للغزواني في المتاخرين ، وكل ما يروى في ذلك ليس الا من أساطير الدجالين والمشعوذين

هو الحضرمي نجل الولي محمـد   امام الهدى نجل الامام محمـــــد
ومن جاءه أوما إلى الشمس أن قفي   فلم تمش حتى أنزلوه بمقعـــد !

انتهى كلام اليوسي في القضية بتمامه ، ونقل في المرقى بعضه . وأموان مثلثة جمع أمة كما في القاموس .

وقال في يتيمة العقود الوسطى ما نصه : وحدثونا عنه عن سيدي أبي القاسم والد سيدي محمد الشرقي فيما وصلنا أنه سابع أهل المدينة وقصته عندهم معلومة ، وهي أن هؤلاء السادات ، وهم سيـدي عبد الكريم الفـلاح ، وسيدي عبد الله الغزواني ، وسيدي رحال ، وسيدي علي بن ابراهيم ، وسيدي محمد بن داوود دفين أزراك وسيدي أبو عثمان الصومعي ، وسيدي أبو القاسم، هذا على ما ذكروا ، وجدوا ساقية للشيخ عبد العزيز التباع أنهدمت وانهدر ماؤها الى الخلاء ، ولم يجدوا ما يسدونها به ، فسدوها بذواتهم تلك الليلة ، وتعرضوا لمائها وردوه الى زرع الشيخ حتى يسقى ، فلما وصل خبرهم الى الشيخ دعا لهم بما قرت به أعينهم ، قالوا وكان الشيخ سيدي أبو القاسم هو أصغر اخوانه في الشيخ سناً وتلميذا لخاصتهم مثل عبد الله الغزواني ، وسيدي علي بن ابراهيم ، وسيدي أبو عثمان وخدمهم ، وأنفق عليهم ماله ودعوا له بالبركة في ذريته ، والى تلك الدعوة يشير الشيخ سيدي يوسف الفاسي بقوله : الى الشيخ سيدي محمد الشرقي في تلك المكاتبة الواقعة بينهم حين قال لهم : ما عليكم الا بركة والدكم يعني الذي تسبب لكم في الدعاء من عباد الله الصالحين حتى وصلكم بذلك الى هذا المقام ، ويؤيد ذلك ما أشار له بقوله في الحديث : وروى أن ما زرعه الوالد يحصده الولد .

انتهى المقصود .

وقال في الروضة المقصودة والحلل المحمودة ما نصه : ولم يزد في الكواكب السيارة في ترجمة الشيخ الغزواني على ايراد جمل مما في الممتع ، ثم ذكر هنا وفيات الشيوخ الثلاثـة ، سيدي الجزولي ، وسيـدي التباع ، وسيدي الغزواني ، وراجع أواخر الجزء الثاني من الاستقصا .

خاتمة : قال شيخنا حفظه الله تعالى في (سلوة الانفاس) في ص 210 من الجزء الثالث ما نصه : وقال الشيخ القصار : كان سيدي عبد الله الغزواني من كبار المحبين لرسول الله (ص) ، حدثني سيدي رضوان أنه سمعه في العام الذي مات فيه يزغرت حين ظهر هلال ربيع النبوي على المولود فيه أفضل الصلوات والسلام ، وقال في 257 من الجزء الثاني منها أيضا في ترجمة تلميذه المحدث الصوفي المتفق على علمه وصلاحه ودينه ، سيدي رضوان بن عبد الله الجنوي ما نصه : ولقي الشيخ عبد الله الغزواني في صغره، فرشه بقربة ماء وجده يتوضأ منه ، وذلك بزاويته بباب القليعة ، فزرعت فيه الخيرات وانبتت خصال البر ، وله في هذه الرشيشة أمداح ، ثم ان الغزواني انتقل الى مراكش ، فبقي صاحب الترجمة متشوقا الى رؤيته ، متطلعا الى صحبته ، متشوفا إلى زيارته ، فلما كبر تهيأ له ذلك في رفقة من زواره ، فذهب اليه وانجمع بهمته عليه ، وكان لا يرى غيره ، ولا يؤمل الا خيره ، خالي السر من كل شيء سواه ، مشغوفا بمحبته وهواه ، وقدمه الشيخ للصلاة به ، وبقي معه على ذلك نحو الاربعة أشهر ، ثم قضى الشيخ نحبه ، وبلغ أجله ، فبقي بعده بمراكش نحو العام يقرأ ويطلب العلم ثم عاد الى فاس، ثم قال : ولم يشتهر من أصحاب الشيخ الغزواني من الفاسيين غيره .

وفي (المجد الطارف والتالد) بعد أن رد على صاحب (الممتع) الاحتمال الثاني من كونه جاء زائرا في قضيـة الاجتماع على معرفة الوارث بأنه كان ساكنا بمراكش اذذاك بدليل قضيته مع سيدي رحال رضي الله عنهما، وتأمله حق التأمل ، قال ما نصه : وبالجملة فالشيخ عبد الله الغزواني غاية لا تدرك ، وءاية من ءايات الله تعالى ، فينبغي زيارته أن يداوم عليها فضلا عن أن تترك .

وأردت أن أثبت هنا كرامتين شاهدتهما من بركته ، احداهما سنة ثنتين وستين ومئتين وألف 1262 وذلك أني كنت في رياضة أيام اشتغالي بالاسم الاعظم الذي في كتاب الفوائد النوارنية للشيخ سيدي محمد بن شيخنا المختار قدس الله أرواحهما ، واشتغلت أيضا بالصلاة على النبي صلى الله

عليه وسلم في كتابي (موانح الوهاب ، في الصلاة على النبي الاواب) الذي ألفته في ذلك الوقت ، ففي أثناء ذلك رأيت في النوم أني اجتمعت مع القطب ، وأنه من بخارى أخبرني بذلك وبسر مكتوم بيننا ، فقمت من النوم متعجبا كيف يكون الامر ، وكان لي ولد مريض اشتد به الحال ، وكنت كيف أراد الله من ذلك ، فخرجت لزيارة هذا السلطان مولانا عبد الله الغزواني بقصد تفريج ما بي ، فلما قربت من المقام ووصلت دكانة محكمة محبنا الشريف الفاضل المحتسب مولاي ابراهيم بن عبد الله السوارت أبي أخينا الفاضل العاقل المحتسب مولاي عبد الله تعرض لي رجل عربي اللون أشيب بدوي عليه مرقعة سوداء ، فأمسكني وشغلني بكلام رطانة أعجمية لا أعرفها وليست ببربرية ، ورأيت لسانه مشقوقاً نصفين شقا رقيقا كأنه لسان حية،فشغلت عن الزيارة مما رأيت من العجب ، وردني الى طريقي لم أزر ، لأنه أمسكني ، فرجعت معه ، وصار يفصح تارة بكلمات عربية وأكثر كلامه الرطانة ، ومشينا حتى دخلنا دارنا بحومة ضبش ، فأتيته بالولد ورفعه وجعل بطنه من فوق رأسه ، فشفاه الله ، وقال لي : انه أتى من بخارى ، وانه مكلف بستمئة مدينة ، وشافهني بسر لا ينبغي افشاؤه ، هو أجدر بقول الشاعر :

ومستخبر عن سر ليلى كتمته فأصبح من ليلى بغير يقين
يقولون لي صفها فأنت أمينها وما أنا ان أخبرتهم بأمين

فحققت أنه القطب ، فأمرني نذهب الى شيخنا سيدنا جرس الزمان. الملامتي الشريف ، مولانا العربي الوزاني قدس الله روحه ، وكان في مراكش مع أمير المؤمنين مولانا عبد الرحمان ، وكان يصحبه في أسفاره تبركا به ، وكنت أديم زيارته لما شاهدت من حصول النفع به ، واذا رأيت بشارة يكاشفني بها قبل اعلامي له بها ، فلما جيئت قال لي : قل لذلك الدرويش يدعو لنا وسلم عليه منا ، ثم غاب عني فلم أره بعد .

ومن عجيب أمره وتحقق قطبانيته أني ذهبت الى العطارين عشية يوم لقائه أو بعده بيوم ، فتلاقيت مع رجلين من أهل الصلاح والخير في مراكش ، وكان أحدهما سيدي محمد ابن زاكور الخراز الشرابلي مؤذن الشريف

المحتسب المتقدم الذكر ، كثير المدح لمولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم، كثير التواجد بذلك ، والآخر كذلك في المدح والمحبة والوجود ، وهو سيدي أحمد الرامي الساكن بحومة سيدي أحمد السوسي ، فقالا لي بعد مذاكرة : الرجل الذي تلاقيت معه اليوم أو البارحة نسيت أيهما كان لم يقدر أحد يتلاقى معه غيرك خوف الاحتراق بالنور، فقضيت العجب من ذلك، ثم مشينا حتى وصلنا جامع الحنة بالسوق ، فقال لي نريد نزور بيتك الذي كان فيه ذلك الرجل القطب ، فقلت مرحبا بكما ، ثم أتياني بعد المغرب وصار يتقلبان في محله ويتخشعان ويمدحان النبي صلى الله عليه وسلم ويتواجدان ، وبتنا في ليلة طيبة ، ثم ماتا رحمة الله عليهما وألحقنا بهما مسلمين ءامين .

الثانية أني رأيت في يوم من الايام وأظنه سنة تسعين في عالم النوم أني زرته قدس الله سره ، فسمعت بعد دخولي لمقامه صراخ رجل خارج مقامه بالقرب منه كأنه قبلة مقامه وهو يعذب في قبره نسأل الله السلامة والعافية ، فدخلت للشيخ في تلك الحالة ازوره وحالي كيف أراد الله لما سمعت ، فسار الشيخ يكلمني كأنه حي ، وأنا اعتقد حياته في تلك الحالة من عالم النوم ، وقال لي : شكونا الى الله تعالى من هؤلاء الناس يدفنون الظلمة معنا أو في مقامنا ، والشيخ متغير ، فقمت من نومي فزعا مرعوبا ، وصرت أحوقل وبادرت لزيارته في الحين ، وسألت الله تعالى يخفف عن ذلك الرجل جاره ببركة القرآن العظيم الذي أهديت له وبركة رسول الله (ص) وبركة الشيخ ، وأخبرت قيم مقامه مولاي الطيب رحمه الله تعالى بهذا وأمرته أن تقرأ السلكة في المصاحف ويهدون ثوابها لذلك الرجل جار الشيخ ، ويجعل صدقة ، وقلت لعل هذه الرؤيا انما كانت لهذا ، وهذه موعظة لامثالنا الله ينبهنا من سنة غفلتنا ، ويتجاوز عنا ويبدل سيئاتنا حسنات ، وأن يرحم ذلك الرجل ، انه هو أرحم الراحمين .

وكنت أردت الوجازة والاختصار هنا ، فأبى الله الا فيضان بحر هذا الرجل ، فاطلت الكلام عند ذكره ، ووجدت ترجمته في (الدوحة) وفي (ممتع الاسماع) من أوسع التراجم كلاما (1) .

---

1) توجد ترجمة الغزواني في ص 90 ع 94 من **دوحة الناشر** طبع الرباط ، وص 37 من **ممتع الاسماع** طبع فاس

وقال في (المرقى) بعد أن تكلم على رجال الطريقة الجزولية التباعية الغزوانية بما أمكنه ما نصه : وهنا انتهى الكلام على طريقة الشيخ الجزولي ، ولم نقف في ذلك على من عرف ما ذكر تعريفا واضحا حتى يذكـر الاشياخ وانسابهم وكيفية الاخذ واللقاء ، وغير ذلك مما يذكر في مثل هذا ، وقد تكلم على شيء من ذلك صاحب (الدوحة) ، وأحمد المرابي صاحب (التحفة) ، والشيخ القصار ، والشيخ علي بن محمد صالـح الاندلسي ، وأحمد بابـا السوداني ، ومَن أتى بعدهم كالشيخ العربي الفاسي صاحب (مرءاة المحاسن)، وصاحب (ممتع الاسماع) ، ولكن لم يستوعبوا تلك الاخبار ، ولم ينقلـوا جميع ما وقع ، ولكن جزاهم الله خيراً على ما نقلوا ، وأورثهم فسيح جناته على ما فعلوا ، ولولا ما خلدوا وما قيدوا لتنوسي ما قالوا ، فالله يجزل أجرهم على جميل صنيعهم ، ونحن معهم ، وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وصحبه .

وقال الشيخ الامير في وسيلته التي نظم فيها رجال الطريقة ما نصه :

بمحمد أمغار زموريّهـــــــم ثم الجزولي للدلائل وءالـــــه
وبعبدك التباع والغزواني يـــــا مولاي دارك حائرا بكلامـــــه

راجعها في الباب الثامن من الجزء الثاني من (النفحات الشاذلية) ، في شرح البردة البوصيرية) للشيخ حسن العدوي الحمزاوي رحمه الله تعالى، قال فيها في ص 140 من الجزء الثاني ما نصه : في ترجمة القطب سيدي محمد الحنفي الشاذلي وأفرد الناس ترجمته بالتأليف منهم : الشيخ نور الديـن علي بن عمر البتنوني رضي الله عنه ، وهو مجلد أو مجلدان ، والحق أنه لم يحط علما بمقام الشيخ رضي الله عنه حتى يتكلم عليه ، انما ذكر بعض أمور على طريقة أرباب التواريخ وأهل الطبقات ، بل لو رام الولي نفسه أن يتكلـم على مقام نفسه لا يقدر كما هو مقرر فى كلام أصحاب الدوائر الكبرى ، والله أعلـم .

انتهى ما ذكر في (اظهار الكمال) في ترجمته .

وقال في (الروضة المقصودة) عند ذكر القطب مولانا عبد السلام بن مشيش ما نصه : فهذا الشيخ العارف امام أهــل الصديقية الكثير التلاميــذ والاتباع ، دفين القصور من مراكش وقف على قبره مرارا ووقف عليه بتعيينه من يمين القبور الثلاثة التي داخل البيت المحوش لمن كان حاضرا معه من أعيان تلامذته كأفضل . . القطب وهو الشيخ القدوة الولي عمر بن عبد الوهاب الحسني العلمي العبد السلامي ، وحفيدي عمه الاخوين الشيخين الوليـيــن علي بن ريسون ، وعبد الرحمان ابني عيسى الحسني العلمي اليونسي ، وغيرهم رضوان الله عليهم ، وكان القبر الشريف من قبل غير معين من القبرين معه والقبران أحدهما لاكبر ولد القطب ، وهو محمد الذي سبق أنه أجاب الشاذلي، والآخر للخديم ابن خدامة ، وهنالك تم بدره ، وظهر بحره ، نفع الله بهم .

وقال مؤلف (الزهر الباسم) فيه : قال المحقق المسناوي : ومن المنقول عن سيدي عبد الله الغزواني أن روضة مولانا عبد السلام مشتملـة على ثلاثة قبور : الوسط منها هو قبر مولانا عبد السلام ، والذي خلف ظهره هو والده سيدي محمد ، والذي بين يديه قبر خديمه ابن خدامه ، رحمهم الله ونفعنا بهم . ورأيت نحوه في جواب لاحمد بن عبد القادر قيده 1120 ، وقد ذكر في (سلسلة الانوار ، في طريق السادة الصوفية الاخيار) بعض كلام الشيخ الغزواني فراجعه ، وراجع ص 211 من (المرءاة) .

وقال في (فتح العليم الخبير) ما نصه : وقد كان الشيخ سيدي الغزواني رضي الله عنه حين يجتمع أصحابه بين يديه يقول لهم الهبطي للكلام، والتليدي للطعــام ، وسيدي عبــد الرحمان ابــن ريسون ياقوتة تضــوي في جبل العلم ، وقد قال الشيخ العلامة سيدي عبد الوارث اليلصوتي دفين بني زروال تلميذ الشيخ سيدي عبد الله الغزواني اني كنت أرى الشخ يلمس بيده ذات سيدي عبد الرحمان ابن ريسون وهي تصفو حتى كان يرى باطنه من ظاهره ! ورءاني الشيخ أنظر فيه وأتعجب في نفسي ، فنظر الي وقال لي : قليل هذا في حق ياقوتة العلم وياقوتة المغرب ، وسيدي عبد الرحمان هذا

وأخوه سيدي علي والد سيدي محمد المتقدم الذكر قد رأى غير واحد من صلحاء شرفاء العلم مولانا عبد السلام يقول لهم : مَن لم يستطع الوصول الينا وشق عليه الوصول فليزر سيدي عبد الرحمان الشريف ، أعني ابن السيدة الجليلة للا ريسون المذكورة هي ووالدها في (الدوحة) .

وقال في (أزهار البستان) ما نصه : وقول سيدي عبد الله الغزواني للذي قتل يهوديا أنت غزوت وأنا لا أجوز يهوديا فدل باطلاعه على أن اليهودي مات مسلما فهذا التعيين من الاولياء ليس من قاعدة شرعية ، وانما هو بعلم لدني أطلعه الله عليه ، وليس لغيره أن يعين مخصوصا من عموم ما عينه ، بل ولا في العموم انما حكم عليه ضابط شرعي الى ءاخره .

وقال ابن عبد السلام الناصري في رحلته ما نصه : سيدي منصور موجود بنواحي توات بموضع يعرف بتيجطون من كَرارة يزعمون أنه أخ مولاي عبد الله الغزواني دفين مراكش تؤثر عنه كرمات الى ءاخره .

وممن أخذ عن المترجم عبد الرحمان سقين ، أخذ ارادة ، وراجع ترجمة تلميذه سيدي علي بن صالح الاندلسي من (السلوة) .

وقال المرابي في (التحفة) ما نصه : وجدت بخط أبي القاسم المخلوفي رضي الله عنه ما نصه : حدثنا الشيخ الصالح الحسن بن عيسى الجزولي امام أئمة وقته أنه قال كتب الشيخ ناصر الدين اللقاني من الديار المصرية الى الامام عبد الله الغزواني يسأله تفسير الفاتحة على طريقة القوم ، فكتب اليه بشيء من ذلك ، فلما انتهى اليه ما كتبه أعجب به وأعاد الكتب اليه بالاعتراف به ، وقال لحاضريه هذا صاحب الوقت ، فمن أراد لقاءه فليتوجه اليه ، وتقدمت سابقا ، وراجع المرقي ، وتحفة الاخوان ، وطبقات الحضيكي .

وقد وقفت على ظهير حسني مؤرخ في 13 ربيع عام 1301 يخاطب فيه محتسب مراكش مولاي عبد الله بأنه قد بلغ لعلمنا الشريف أن قبة الولي الاشهر مولاي

عبد الله الغزواني افتقر قرمودها للاصلاح مع مباحها ، وأمره بالتوجه اليها صحبة المعلمين حتى يعرف ما افتقرت اليه ، ويشرع في اصلاحها بما لا بد منه من غير حيف ولا اسراف ، ويقيد صائر كل يوم ويدفع التقييد لامناء البنيقة المراكشية المأمورين بالصائر على ذلك .

وفي 5 جمادى الاولى عام 1305 بين كيفية تزليج الصحن الذي فيه القبور ، وهو أن القبر الذي وجد تزليجه متساويا مع الارض قديما كان أو حادثا فلا يمس بوجه ، لانه حبس والميت يتأذى بما يتأذى به الحي ، والقبر الذي وجد تزليجه بالحصا مرتفعاً على الارض فيبنيه الزلايجي مع التلطف في تقليع زليجه ويعاد مستويا مع الارض ، وكذلك القبر الذي يكون منحدرا يسوى حتى تكون الارض كلها مستوية على نسق واحد ، وما كان زليجه جديدا مساويا للوزنة فيبقى بحاله ولا يمس ، والقبور كلها تكون لها العلامات من رأس القبر ورجله بحساب العدد الموجود بالصحن مع غاية الاستيعاب ، لان المحل مشتمل على مقابر الاشراف من الاخيار والاعيان ، وفي 22 جمادى الاولى 1306 نفذ له الخصة (1) .

1189) عبد الله بن ابراهيم الخياط

عبد الله بن ابراهيم بن عبد الله بن ابراهيم بن أحمد بن ابراهيم ، الشريف الرفاعي الشهير بالخياط دفين زرهون ، كان والده المذكور خرج من بلاده من اليمن شابا صغيرا ، وجاز على شاطىء النيل ، وبقي يتردد في زيارة أولياء الله ، ولقي مشايخ منهم الشيخ أحمد زروق لقيه بالقاهرة سنة أربع وثمانين وثمانمئة 884 وقرأ عليه علوما وأجازه فيها ، وانتقل معه بالاهل

---

1) حاولت أن أعقب على كثير مما ورد فى هذه الترجمة من الخرافات والاساطير والاقوال المنافية للعقل والشرع التى لا تصدر الا عن المجانين والحشاشين ، فوجدت أن الشرح سيكون أطول من المتن كما يقول شراح كتب النحو والفقه ، فوكلت ذلك للقارىء الذى لا شك أن نفسه ضاقت بقراءة هذا الهراء مثلما ضاقت به نفسى ، والمسؤولية فى كل هذا تقع على المؤلف الذى كنا نربأ بعلمه وثقوب ذهنه أن يقبل سماع مثل هذه القاذورات فأحرى أن يخلدها فى كتاب سامحه الله وعفا عنه

والاولاد الى برقة ، ثم أمره بالرحلة الى بلاد المغرب ، فقال له : سر ياولدي على بركة الله ، ولعل نفع أولئك يكون في المغرب ان شاء الله ، ودعا له بالبركة فيه وفي أولاده الى يوم القيامة ، فرحل بأولاده الثلاثة سيدي محمد العربي ، وسيدي محمد الطيب ، وسيدي عمر ، ونزل قابسا وولد له بها المترجم لسنة خلت من رحلته ، ثم رحل بهم الى وهران محل استيطانه ، ووقعت له كرامات، منها أن بعض أولاده ضربه رجل بسكين خطأ فشق بطنه فوضع يده على موضع الضربة ومعها شيء من الدواء ، فقام الولد من حينه وما عليه من بأس ، فلقّب بالشيخ ابراهيم الخياط ، ودفن بوهران بعد وفاته بها ، وقد نص على شرفهم المشارك عبد الرحمان بن أحمد التجاني الغريسي في (عقد الجمان النفيس ، في ذكر الاعيان من أشراف غريس) لما ذكر الشريف الشيخ الكامل سيدي علي بن عبد الجبار بن سيدي محمد العربي صنو المترجم ، وبقية الاشراف الذين فيه ، أولهم السيد عبد الله بن عبد الرزاق تلميذ ابن غازي ، ثم سيدي ابن خدة الراشدي ، وسيدي عبد القادر جد محيي الدين ، وسيدي دح بن رزبة وهو سيدي عبد الرحمان بن عيسى ، وصاحبه مولاي علي الشريف ، وسيدي أبو يعقوب ، وسيدي عثمان بن عمر ، وسيدي عثمان الزياني ، وسيدي محمد بن يحيى السليماني ، وأبو موسى عمران كما في نظم قاضي تلمسان ، وقد شرح هذا الكتاب الشيخ محمد الجوزي الغريسي الراشدي شيخ الشيخ مصطفى الرماصي شرحا حفيلا سماه (فتح الرحمان ، في شرح عقد الجمان) .

ثم ذهب سيدي عبد الله الخياط لمكناسة الزيتون ، وقرأ مع ابن خالته سيدي عمر الخطاب شيخ سيدي عبد الرحمان المجذوب على مؤدب واحد في مكتب واحد ، فكان بعض أهل البصائر يأتي الى المكتب فيقول لنمعلم عندك هنا قنديلان يضيئان ، فكان المعلم لا يعرفهما الى أن كبرا وكان من أمرهما ما كان .

كان المترجم رحمه الله عارفا ربانيا ذا مواهب سنية ، وكرامات لدنية ، وأخلاق ربانية ، وتربية نبوية ، قطب زمانه ، وعديم المثل في أوانه ، وكان له صيت طويل ، ومحفل عجيب ، يأوى اليه البعيد والقريب ، وكانت

له زاوية عظيمة لاطعام الطعام لم يكن في قطره وعصره مثلها ، وكان كثيـر الشأن جليل القدر ظاهر الولاية شهير البركة ، وكان قويا في السلوك عظيم الكشف يخبر بالمغيبات والوقائـع المستقبلات ، وكان موئلا لأهـل العلم والدين ، وموردا للضعفاء والمساكين ، ولقي كثيراً من المشايخ ، وذهب إلى الشيخ الحسن بن عمر أجانا الجناتي السوسي من أصحاب الشيخ الجزولي وهو دفين وادي اللبن بالحياينة وصحبه المترجم اثنتي عشرة سنة وهـو يسقي له الماء ويحطب له الحطب ، ثم وجهه سيدي الحسن الى سيدي أحمد بن يوسف الملياني ، وقال له أنا طهرت فخارتك وهو الذي يعمرها ، وأعطاني خبزة سخينة فلحق الزاوية بمليانة والخبزة كذلك ، وفي ذلك اليوم فتـح عليه أن يكون من أهل الخطوة ، ووجد الشيخ الملياني خارجا لملاقاته ، ثم اتفق أن نطحت بقرة رجلا بين يدي الشيخ الملياني كان يسقي له الماء ، قال الشيخ خيطها ياسيدي عبد الله بن إبراهيم الرفاعي ، الله يرفع مقامك على جميـع الاشياخ الحاضرين ، فدنا اليه الشيخ الخياط ، ومسح بيده على موضـع الضربة ، فقام الرجل من حينه وليس به شيء ، فكان ذلك اذنا من الشيخ له في التصرف ، فجلس عنده ما شاء الله ، وكانت بينهما محادثة نفيسة ، ثـم بعد ذلك أعطاه شاقورا وأمره بالخروج الى زرهون ، وأشار الى الفقراء بكونه الخليفة بعده ، وأنه الوارث .

ولما خرج من مليانة جاز فـي البلدان وجاز على مراكش ودكالـة وتادلة ، وجلس في مكناسة الزيتون مدة ، وكان بينه وبين الشيخ سيدي محمد بن عيسى الفهدي محبة كثيرة ، ولما نزل بجبل زرهون من الوجه الذي يلي وادي مكس وهب له جماعة من الزراعية موضعاً يسمى كدية التراب مـع ما حولها من الارض ، وناله من بعضهم إذاية فانتقم الله تعالى منهم بالوباء ، وربما بلغ عنده المريدون عشرين ألفا ، وأحيانا يزيدون ، واحياناً ينقصون . واذا نقصوا لا يقلون عن العشرة ءالاف ونحوها ، وكان بزاويته ما ينيف على الألف من حملة القرءان . ولا يفتر من تدريس العلم ، وكان غالب قراءته الرسالة القيروانية ، والحكم لابن عطاء الله . قال الشيخ محمد المسناوي : كنت كثير الزيارة للشيخ سيدي عبد الله الخياط ، وجئت مرة مع الشيخ الولي الصالح

سيدي محمد بن عمر الغيلالي دفين زاوية مولانا ادريس بزرهون ، قال فلما قرب الشيخ سيدي محمد بن عمر من خلوة سيدي عبد الله الخياط الكائنة قرب ضريحه خلع نعليه ، فقلت له : ياسيدي ما هذا ؟ فقال لي : ياولدي ، لو علم الناس قدر هذه البقعة ما وطئوها بالأقدام ، فوالله ما من موضع في خلوة هذا الشيخ وضريحه الا وقد جلس فيه مع النبي (صلعم) ، وله كلام نفيس في الطريقة .

وللمترجم كرامات لا تحصى ، كان أعطي التصريف بهمته ، فظهرت منه الخوارق العظام ، والكرامات الجسام ، وان كان أهل القوة والتمكين ، والرسوخ في اليقين ، لا يحتاجون الى شيء منها ، وقد تقدم منها التئام جرح الذي نطحته بقرة بمسه في الحين ، ومنها أنه لما كان بدكالة واحتاج الى الماء ولم يجده ضرب بعكازه الارض ، وقال اخرج ياماء ، فخرج الماء يضج ضجيجا، فتوضأ وصلى هو وأصحابه ، ومنها أنه لما وصل قرب تادلة هو وأصحابه وقد طار صيته سمعت به الفقيرة رحمة أم الشيـخ سيدي محمد الشرقي ، فطلبت من زوجها أبي القاسم الزعري أن يأذن لها في زيارته ، وأن يعطيها ما تزور به ، فامتنع ، وبعد الحاح أذن لها في ثور متوحش لا يكاد يقرب منه أحد، فلما ذهبت لناحيته قصد اليها وقبضته ولم يمسسها بسوء ، فلما وصلت الى الشيخ قال لها أنت جئت بعجل صردي أكحل العينين ، ونحن نطلب الله أن يرزقك ولد صردي أكحل العيينن ، وأن يجعل فيه البركة وفي عقبه الى يوم القيامة ، فحملت بالشيخ سيدي محمد الشرقي من حينها ، فلما ذهب زوجها الى سيدي أحمد الملياني وحكى له الحكاية قال له سم ذا! بطن زوجتك محمد الشرقي ، وخميرة الشيخ الخياطي يكون منها ما يكون ! ومنها اخراجه للعين التي قرب ضريحه المسماة الآن بعين العكاز ، وذلك أنه احتاج الى الوضوء بعض تلامذته فأخذ الشيخ عكازا كان في بئر بعضهم وضرب به الارض فخرج الماء من أثر الضربة ، ومنها اخراج يده من الحجر في خلوته ، وهي كهف تحت الارض في الحجر الصلب ، وذلك أنه كان يتعبد فيها ، فأتاه بعض أصحابه بالخبز ، فأخرج الشيخ يده من داخل الكهف من الحجر الصلب ، فأخذ الخبز من يده وأدخله اليه ، فبقي النقب الذي خرجت يده منه بأصابعه كلها مشاهدا الى الآن في الحجر الصلب ، وهي كرامة عظيمة وعبرة لمن اعتبر .

ونقل عن الشيخ في ذلك أنه قال كنت جالسا مع النبي (ص) في الخلوة ، فجاء صاحبي بالطعام الذي جاء به ، فامتنعت من الكلام معه حياء من النبي (ص) ، وخفت من الله تعالى فجلس صاحبي ينتظرني فيشتغل بحاجتي عن ذكر الله تعالى وعبادته ، فألهمني الله الذي لا الاه الا هو ، فرددت يدي الى ورائي وأخرجتها من الحجر فأخذت ما جاء به صاحبي ، وذلك لطول جلوسي مع حبيبي (ص) ، وذلك كله من بركته وهو الاصل ، ومن كراماته أنه كان بين أصحابه في موضع حجر صلب منبسط على الارض بين خلوته وضريحه ، فاذا به قام من بينهم مسرعا وهو يقول : ان استجرت أجرت ، فأنا لها ياكذاب وأنت الكذاب في قولك ، فوقف في موضعه ووضع احدى قدميه في الارض ورفع الاخرى ، وبقي هنيأة يتكلم بكلام مخاطبا لغيره ، وكلا تحزن ولا تخف ونحوه ، وهو في كرب وجهد جهيد ، وجبينه يرشح عرقا شديدا ، ولما تم الكلام ورفع قدمه من الارض بقي أثر قدمه بأصابعها الخمسة كلها غائراً في الأرض في الحجر الصلب ، كأنما عبر بالقالب ، ثم أخبرهم أن بعض أصحابه ركب في البحر للحج ، فانكسرت خشبة من المركب ودخل فيه الماء فصار يقول ياعبد الله الخياط الكذاب غدرت بي ، فوضع قدمه في المحل الذي غاصت فيه والأخرى هناك حتى خرجت السفينة وكان بينها وبين البر مسيرة عشرة أيام فقطعها في طرفة عين بقدرة الله تعالى . ومنها أنه أغاث سفينة أخرى من الغرق ، ومنها أن رجلا من أولاد سعدون كان ساكنا بمكناسة الزيتون صدر منه حلف بالطلاق أنه يحج في تلك السنة ، وكان لا مال له ، فحين وصل زمان الحج خاف من تطليق المرأة عليه ، فدخل الى الشيخ راغباً منه أنها اذا طلقت منه يردها له أولياؤها ، فكلمهم في ذلك بعض أصحابه على لسانه فامتنعوا ، فذهب به الى الحرم الشريف وقال له قم واتبع هؤلاء القوم وافعل ما يفعلون فانهم الحجاج يحرمون لدخول مكة ، واذا قضيت حجك فأشهد عليه الركب المغربي وايتني به ، ففعل فاجتمع عليه خلق كثير لما ذكر ذلك لبعض أهل بلاده الذين حجوا ووقع بينهما لجاج فسقطت منه خبزة دفعها له الشيخ ، فقال لهم المجادل هذه خبزة بلادنا ، وسلم الامر ، فقضى حجه وفعل ما أمره به الشيخ ولم يحنث في يمينه ببركته . ومنها أن بعض الفقراء لما كانوا في

حصاد زرع الشيخ ولم يخرج لهم في الغذاء الا الخبز وحده اشتهى عليه العسل الجديد ولم يكن في الدار ، فضرب بعكاز في موضع صلب من حجر فخرج منه العسل وأكل منه الفقراء حتى استكفوا وكانوا ينيفون عن المئة ، ثم انقطع العسل وبقي موضع الثقب الى الآن في الارض الصلبة مشاهدا . ومنها أن أناسا فروا وأضر بهم الجوع ، فتوسل به بعضهم فيما يسدون به الرمق ، فناموا ، فاذا برجل ينادي ياأضياف عبد الله الخياط قوموا ، فلما قاموا وجدوا ءانية من الطعام وعليها شيء من اللحم وما زال الطعام سخينا ، فلما كان الصباح وجدوا مزوداً فيه سويق ، فتزودوا به حتى وصلوا أوطانهم ، فذهب الرجل الى الشيخ ، فلما أقبل عليه قال لهم أكلتم الطعام وتركتم الآنية هناك ، وهلا رددتم الامانة الى أهلها ، ففهم الرجل الاشارة من الشيخ ، فقال له : ياسيدي الحمد لله الذي ألهمنا لمعرفتك ومنها أن بعض أصحابه حبسه ظالم وجلده ، فلما أفاق قام وما عليه بأس ، ففعلوا ذلك به مرارا ، فسأله عن سبب عـدم احساسه بالضرب ، فأخبره بأنه يستغيث بالشيخ ، وأنه جعل عليه رداءه فلا يحس بشيء ، ويكون بين النائم واليقظان ، فندم على ما فعل ، ووجه صاحبه للشيخ يستعطفه ، فما وصله حتى أخذت الحاكم أكلة مات بسببها بعد أن رأى الشيخ في النوم ضربه في موضع الاكلة . ومنها أن بعض أصحابه سجن بعد أن ذهب للحج واتهم بالسرقة لما خرج في وقت لا يخرج فيه أهل ذلك المحل ، وعذب بأنواع النكال ، فاستغاث بالشيخ ، ففي ليلة وجد نفسه بين الفقراء في زاويته ، ومنها نظيرتها في فكه أسيرا من بلاد النصارى . ومنها أن بعض الامراء طالبه في أن يعينه بمريديه نحو اثني عشر ألفا في قتال بعض المخالفين له ، فأجابه بأن اصحابه انما شغلهم عبادة الله والذكر والتلاوة ، وببركته أطاعه المخالفون له وأذعنوا لاعطاء ما صيره في حصارهم . ومنها بركة الطعام في زاويته وكفاية القليل منه كالقصعة تكفي المئين من المريدين ولم ينقص منها شيء في وقت المسبغة يأكل منها الألف ويبقى الطعام . ومنها ما حدث به الشيخ أبو القاسم بن منصور في تأليفه لما ذكر بعض كرامات شيخه المترجم قال فخرجنا مع الشيخ الخياط في بعض الاسفار بقصد الزيارة من زرهون وقت الضحى ، وكنا مع الشيخ نحو ستة من أصحابه ، فصلينا الضحى

في اليوم المذكور في شالـة ، وصلينا الظهر في الجبل الاخضـر ، والعصر بالسوس الاقصا ، وصلينا المغرب بالزاوية بزرهون ، وفي الجبل الاخضر تلاقى من رجل وأطال الجلوس معه ، فقلنا له نحن نريد أن نصلي المغـرب بزاوية زرهون ان شاء الله تعالى ، فقال الشيخ سبحان الله تعالى أنتم تريدون صلاة المغرب بالزاوية ، والرجل يريد أن يصليها بمكة المشرفة ، وهو من الابدال ، ويصل مكة في طرفة عين ، وكان الشيخ من أهل الخطوة ، ولقي أسدا فقبل الاسد طرفه ، ومنها أن بعض أولاده ذهب به الاسد فأرسل بعض أصحابه يقول له على لسانه : ردَّ علي ولدي والا دعوت عليك دعوة تكون بها من أهل النار ، فسمع صوت الصبي ، وذهب وأخذه وليس به بأس ، غير أن بثوبه بعض التقطيع . ومنها أن رجلا سرقت له بقرة فشكى بالسارق للشيخ ، فأمره بردها له ، فأجابه بعدم الامتثال ، وأغلظ له في القول ، فقال الشيخ اللهم ان كان هذا هو السارق فأنطق البقرة في بطنه ، فاذا بصوت البقرة يخرج من بطن السارق ، ففزع وأقر بأنه أكلها مع جماعة ، فأمرهم بغرمها ، فأنكروه وطالبوه بأن تتكلم في بطونهم كما تكلمت في بطنه ، فأمر الشيـخ صاحبها بأن يخاطبها بذلك فتكلمت في بطونهم ، فدهشوا وتابوا الى الله تعالى وغرموها له . ومنها أن صواغا من أهل الذمة كان يتردد الى الشيخ ويتبسم الشيخ في وجهه ، فتعجب أصحابه من ذلك ، فسافر مرة فخرج عليه لصوص، فقال في نفسه اليوم تظهر كرمات المسلمين ، واستغاث بالشيخ ، فلما هموا بقتله رفع الله يدهم عنه وكتفوه بحبل وتركوه في الغابة ، فأمر الشيخ بعض أصحابه بأن يذهب اليه ويجيره مما هو فيه ، وقال له اطلب الله أن يجعلك من جيرانه ، فحين رءاه تغير الرجل في وجهه ، فلما وصلا الى الشيخ قال الذمي اشهد أن لا اله الا الله ، وأن محمداً رسول الله (ص) ، ثم صار من الاولياء ، وكانت له زاوية كبيرة ، ومنها اجابة دعائه لمن يدعو له بشيء ، وابراء العاهات من البرص والجذام والاخبار بالمغيبات واطلاق المقعد . وقد نظم كراماتـه الفقيه السيد محمد بن أحمد السجلماسي ، وأورد النظم في (جواهر السماط ، في مناقـب سيدي عبد الله الخياط) لبعض مَن أخـذ عن تلامذة الشيـخ المسناوي .

وقال في الشيخ المترجم رضي الله عنه في (المرءاة) وهو من كبار المشايخ الذين نفع الله بهم ، وكثرت الهداية على أيديهم ، وكان كثير الاتباع للسنة ، ويحضر مجالس العلم ، ويحض أصحابه على التعلم ، وقال فيها وحدثني شيخنا محمد النيجي أن شيخه عبد الوارث وهو شيخه الاول لما ظهرت بدعة الشراقية وانتسابهم لسيدي أحمد بن يوسف وقع في نفسه من ذلك شيء ، فقيل له ان سيدي عبد الله الخياط من أصحابه ، فقال أنا تائب الى الله ، كفى في طهارة جانبه كون الخياط من أصحابه .

وقال في (الدوحة) كان من مشايخ الصوفية ، وأهل التربية النبوية، ثم قال وكانت له أحوال سنية ، وشعائر مرضية ، وكانت تظهر عليه كرامات الاولياء مع سبيل الاستقامة ، وله أتباع صحت أحوالهم . وسمعت الثقات يحكون عنه مناقب كثيرة .

قال في (الممتع) من كلامه رضي الله عنه : واعلم بأنه لا يسمى العارف عارفا وله دعوى ، ولا يسمى المحبُّ محبا وله شكوى ، ولا يسمى الموحد موحدا وله اعتراض ، وليس يسمى السالك سالكا وله اختيار ، ولا يسمى المريد مريدا وله ارادة ، مَن لم يضبط المحسوسات لا يقدر على ضبط المرسوسات ، اذا رأيت السالك لا يفرق في سلوكه بين الاستقامة والاعوجاج فكفى بجهله دليلا على الاستدراج . وله كلام عال نفيس في الطريق يوجد عند بعض الناس رضي الله عنه ونفعنا به .

توفي المترجم مسموماً سنة تسع وثلاثين وتسعمئة 939 ودفن بزاويته بزرهون ، وروضته هناك مشهورة . من مؤلفاته (الفتح المبين ، والدر الثمين ، في فضل الصلاة والسلام على سيد المرسلين) ، توجد منه نسخة بخزانة وزان في جزء وسط .

ترجمه في (المرءاة) و (الدوحة) و (الممتع) و (طبقات الحضيكي) و (جواهر السماط) (1) .

---

(1) تنظر ترجمته في **دوحة الناشر** ص 53 ع (2) طبع الرباط . **وممتع الاسماع** ص 5، **وسلوة الأنفاس** 3 : 191

تنبيه : قد ذكر في (الممتع) من أصحاب الشيخ سيدي عبد الله الخياط كثيراً كالشيخ عبد الملك الوهابى ، والشيخ أبي طالب بن يحيى بن أبي القاسم اليحياوي نزيل ميسور من بلاد ملوية ودفينه المذكور في الدوحة والمرءاة المتوفى سنة 988 ، وكالشيخ أحمد بن يعقوب الضُعَيِّف بالتصغير ، وكالشيخ موسى بن علي الزرهوني المعروف بذي الصخرة دفين جبل زرهون المذكور في الدوحة المتوفى في أواسط العشرة التاسعة من القرن العاشر ، وكالشيخ محمد بن بوقرين اليازغي .

1190) **عبد الله ابن ساسي** البوسبعي بفتح الباء وهي اللغة المنحرفة في السبع بضمها ، قال في (المرءاة) : كان من أكابر المشايخ الاعيان ، وجلة المشاهير من أهل هذا الشأن ، صحب الشيخ عبد الله الغزواني وعول عليه وانتسب اليه ، واختصم فيه الشيخان عبد الله الغزواني ، وعلي بن ابراهيم البوزيدي ، فقال الشيخ علي أنا أحق به ، فقد عنيته وهو في بطن أمه ، فقال له الشيخ عبد الله أنا أحق به فقد عنيته وهو في صلب أبيه ، فاستحقه . انتهى .

وقال في (الدوحة) : كان من أهل الخير والفضل والصلاح ، له مآثر جمة ، وأحوال سنية حسنة ، وكان النصارى اسرته بمدينة أزمور وافتكه المسلمون . انتهى (1) .

قال في (المرءاة) وتوفي رضي الله عنه ليلة الجمعة السادس والعشرين من شعبان سنة احدى وستين وتسعمئة . انتهى .

وفي (الدوحة) ودفن بزاويته على ضفة وادي نسيفة (تانسيفت) بمقربة من مراكش ، وقبره مزارة مشهورة هنالك . انتهى من الممتع .

وقال في (أزاهر البستان) بعد الحكاية المذكورة : ثم قال سيدي الغزواني هذه دعوة مني ومنك ثم أشار بيده نحو النبي (ص) فرفع الحجاب بينه وبين كل مَن حضر حتى عاينوه كلهم (ص) ، فقال سيدي الغزواني : يارسول الله لمَن هو ؟ فقال (ص) هو لك (2) .

---

1) **دوحة الناشر** ص 115 ع 107 طع الرباط

2) ينظر عن عبد الله ابن ساسي **طبقات الحضيكي** 2 : 182

1191) **عبد الله بن مسعود الكوش المراكشي** ، مـن أهل مراكش ، الشيخ الامام الفاضل ، الولي الصالح الكامل ، كان رحمه الله من أكابر أصحاب الشيخ عبد الكريم الفلاح ، وهو والد السيدة الزهراء بنت الكوش الشهيرة ببلد مراكش ونواحيها .

قال في (الدوحة) : وكان له عقل وذهن وديانة ، وكان على مطبخة الشيخ عبد الكريم ووكيله على اطعام الطعام ، فلما ءالت المشيخة اليه كان ذلك أفضل القرب عنده ، فكان له في ذلك ما هو خارج عن طور العادة ، حدثني بعض الفضلاء من أصحابه أن كل واحدة من قدور مطبخته الكبرى يطبخ فيها الثور والثوران في مرة ، ويذبح في كل يوم البقر والغنم والابل ، وعنده بلاط واسع مجصص يبرد فيه الكسكس بالألواح كما يفعل بصابة الزرع عـنـد التذريـة والتصفية ، والعجب أن له على كـل نوع من أنواع الطعام وكيـلا مخصوصاً ، فاذا قال علي بفلان يأتيه في الحين بكل ما يكون من ذلك النوع اما مشوياً أو مطبوخاً أو فاكهة أو عسلا أو سكرا على جميع الطبخ ، وذلـك في كل وقت من ليل أو نهار على الدوام . انتهى (1) .

وكان الشرفاء لما دخلوا الملك أخذوا داراً للنصارى بسوس مـن يد النصارى وأخرجوهم منها ، فلما رأى النصارى ذلك أخلوا أصيلة وأزمور ، فسارع الى أزمور جماعة من الفقراء ، منهم صاحب الترجمة ، وسيدي عبـد الله ابن ساسي ، فقعدوا بها يحرسونها حتى يأتي مدد المسلمين ومَن يسكنها منهم مخافة أن يرجع اليها العدو ، فاذا بالعدو رجع اليها فدخلوا عليهم فأسروهم حتى افتكهم المسلمون ، فلما افتدى صاحب الترجمة وعزم على الخروج وكان أسيراً عند امرأة من النصارى ناولته كتبا وقالت له : هذه كتب عندي مـن كتب المسلمين ، فلا حاجة لي بها ، فخذها إليك ، فخرج بها في قفة على رأسه ، فكان من جملتها كتاب تنبيه الانام المعروف في الصلاة على النبي (ص) ، فكان ذلك أول دخوله هذا البلاد على يد صاحب الترجمة رضي الله عنه .

ثم قال صاحب (الدوحة) اثر ما تقدم عنه : ولما بعد صيته وكثر اتباعه وتحدث الناس بالكرامات عنه وقع في نفس السلطان محمد الشيخ منه شيء حذرا على الملك ، فأمر باخلاء الزاوية ورحل الشيخ الى فاس ، فوصلها

---

(1) دوحة الناشر ص 110 ع 105

وسكن في دار ملاصقة لمسجد القرويين ، وكان لا يرى الصلاة فيه لانحراف محرابه عن أدلة القبلة ، وكان يقول لاصحابه ان الله يخرج هذا السلطان في هذه السنة من داره كما أخرجني من داري ، فكان خروج السلطان المذكور من ملكه بفاس في تلك السنة وهي سنة ستين 960 في شهر المحرم منها ، مزعجا بسبب حركة أبي حسون المريني اليه مع صاحب الجزائر صالح باشا التركماني ، ولما دخل أبو حسون الى فاس قال أصحاب الشيخ الآن نذهب الى مراكش مع سيدنا ، فقال لهم : أما أنتم فتمشون اليها عن قريب ، وأما أنا فمقيم بفاس ، فبعد سبعة أيام تطهر ولبس ثيابه وركب فرسا له وخرج على باب البلد الى ناحية المستقى على قدر ثلاثة أميال من فاس ، ولم يترك أحدا من أصحابه يمشي معه سوى رجلين ، حتى وصل المستقى ، فنزل الى الارض وقعد ، واذا بجملة فرسان من محاربي عرب أنكاد (1) وصلوا اليه ، وقالوا له : انزع ثيابك ، فجرد ثيابه وطرحها ولم يبق الا السراويل ، فقال له أحدهم : انزع السراويل ، فقال : ان الله نهى عن كشف العورة ، فطعنه برمح في بطنه كانت منيته منه ، ولما حمل جريحا الى داره قيل له لأي شيء ركبت الى ذلك الموضع ؟ فقال : للشهادة التي أمرت بالنهوض اليها .

وتوفي رحمه الله في السنة المذكورة في أول شهر منها ، وقبره بجبل العرض ، لقيته بفاس ، وتكلمت معه ، وطلبت منه الدعاء ، فدعا لي بخير ، وكان أسود اللون ضخما بطيناً رحمة الله علينا وعليه . انتهى (2) .

وتقدم شيء من ترجمته في ترجمة الامام سيدي عبد الله الغزواني ، وممن ترجمه الحضيكي في طبقاته (3) .

1192) عبد الله بن حسين المغاري الاريسي

عبد الله بن حسين بن سعيد بن ابراهيم بن يحيى بن ابراهيم بن محمد بن يوسف بن يونس بن ادريس بن عبد الجليل بن عبد الله المعروف

---

1) انجاد بجيم معطشة الأرض الواقعة شرقي نهر ملوية ، بينه وبين نهر تافنا

2) دوحة الناشر ص 110

3) طبقات الحضيكي 2 : 182

بتالميت بن محمد بن علي بن عبد العظيم ابن الشيخ القطب أبي جعفر اسحاق بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن عبد الخالق بن عبد القادر بن عامر بن رح؛ بن دوح بن مصباح بن صالح بن سعيد بن عبد الله بن ادريس بن ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، هكذا ساق في (ابتهاج القلوب) نسبه قائلا : وقد وقفت على نسبه في ورقة لا أعرف كاتبها ولا من أين نقله ، وهو مشكل بزيادة العدد والله أعلم ، وأما شرفه رضي الله عنه فقد وجد التنصيص عليه ، وانما يبحث عن تحقيق الاجداد والله أعلم .

وقال في (المرءاة) : عبد الله بن حسين من أهل بزو قبيلة نتيفة نزيل مصلوحة من حوز مراكش ودفينها ، وتوفي في غالب ظني سنة سبع وسبعين وتسعمئة وقيدها بعضهم عند الزوال يوم الاثنين الحادي والعشرين من ربيع الاول سنة تسع وسبعين وتسعمئة ، ودفن بعد العصر من يومه ، ولعل هذا الأخير هو الصواب . وكلام (المرءاة) في صحيفة 206 منها خلال ترجمة سيدي محمد ابن ريسون شيخ مؤلفها رضي الله عنه ، والعدذ عندهم أن تعد لكل مئة سنة ثلاثة من الآباء كما ذكره في صحيفة 177 من (المرءاة) عن ابن خلدون . ثم قال : وهذا على حسب التقريب ، فقد توجد الزيادة والنقصان لكن في اليسير ، وساق نسبه في (السلسلة الوافية ، والياقوتة الصافية) (1) هكذا : عبد الله بن حسين بن سعيد بن ابراهيم بن شعيب بن يوسف بن يونس بن ادريس بن عبد الجليل بن عبد الله بن محمد بن عبد الخالق بن الحسين بن عبد الله أمغار بن جعفر بن اسماعيل بن سعيد بن داوود بن أحمد بن حدوش بن عبد الرحمان بن بلقاسم بن يحيى بن علي بن عبد الله بن عمران بن محمد بن ادريس بن ادريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثني بن الحسن السبط بن فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم . انتهى بحروفه .

ونسب في (السلوة) نسب محمد أمغار الكبير هكذا : ابن الشيخ أبي جعفر سيدي اسحاق بن اسماعيل بن محمد بن أبي بكر بن أحمد بن الحسين ،

---

1) لاحمد بن محمد العشماوى (مؤلف)

وصغر، بن عبد الله بن ابراهيم بن يحيى بن موسى بن عبد الكريم بن مسعود بن صالح بن عبد الله بن عبد الرحمان بن محمد بن أبي بكر بن تميم بن ياسر بن عمر بن يحيى بن أبي القاسم بن عبد الله بن ادريس باني فاس رضى الله عنهم ، هكذا وجد هذا العمود الشريف في شجرة قديمة بخط قديم محفوظة عند حفدة محمد أمغار المذكور ، وما يوجد في بعض المقيدات مما يخالفه لا صحة له وهو من الخطأ الصراح ، وقريب منه ما في (الدرر البهية) مع تغيير يسير جعل محل أبي جعفر اسحاق ما نصه بن جعفر بن اسحاق ، وجعل محل ياسر ياسين ، وجعل محل أبي القاسم القاسم ، وقد وسمهم بالشرف جماعة من الأيمة كما في (الممتع) وغيره .

وقال في (الروض اليانع) : ونقل أنهم رضى الله عنهم دعوا على مَن طعن في نسبهم الشريف بقطع عقبه ، فليحذر الانسان من الوقوع في مثل ذلك .

وقال في (الممتع) في ترجمة المترجم ما نصه : ووجدت بخط صاحب الترجمة في مكاتبة كتبها بخطه لبعض أصحابه : وكتب عبد الله بن حسين الشريف الحسني ، وسيأتي في قول صاحب (المرءاة) أنه من أهل بزو قبيلة نتيفة ، وكأنه نشأ فيهم ، وكان في عدادهم ، وأصله من تيط من شرفاء بني أمغار والله أعلم . وما تقدم من قوله الشريف الحسني هو الذي في حفظي من خطه ، والذي بخط الشيخ القصار أنه وجد في رسم شرف (1) أهل عين الفطر مؤرخ بعام ستة وتسعين وستمئة أنهم حسينيون بالياء (2) .

وقال في (الدوحة) : ومنهم أعجوبة الدهر ، الشيخ الولي ، ذو المناقب التي لا تحصى كثرة ، عبد الله بن حسين الحسني من شرفاء بني أمغار أهل عين الفطر الذين ألف مناقبهم صاحب (التشوف) والتجيبي ومحمد بن عياض وغيرهم .

---

1) هذا الرسم مذكور في ص 12 من كتاب **الاخبار ، في كرامات الشرفاء بني امغار** ، (مؤلف)

2) **ممتع الأسماع** ص 46

كان هذا الشيخ من أصحاب الشيخ سيدي عبد الله الغزواني ، حدثني الرضى الشيخ أبو العباس قال لما مر الشيخ سيدي عبد الله الغزواني بضريح الشيخ أبي ابراهيم المدفون بقرية مصلوحة على نصف مرحلة من مراكش ، والقرية المذكورة خالية متعطشة لا ماء فيها ، وكان والدي في جملته ، فالتفت اليه الشيخ وقال له : ياعبد الله هذا موضعك ، وان الله يحيي عمرانه على يدك ، فانزل بأهلك وولدك به ، فقال ياسيدي اجعل لي شيئاً أستعين به على هذا الشأن ، فقال الشيخ : ان الله تعالى جعل لك الحكم على كل طير يؤذي ، فلا يدعا اليك طير يؤذي الا أجاب ، وان الله جعل لك حكمة في المرأة العقيمة أنها تلد اذا أكلت طعاما مسته يدك ، فالزم مقامك في هذا المكان ، فان الله ينفع بك الناس ، قال فارتحل والدي وليس معه أحد الا أنا وأمي وبقرة واحدة وتليس على عاتقه لفراشه ، فنزلنا بمصلوحة والارض مقفرة لا أنيس بها ، فاستوحشت أنا وأمي ، وقلت هذا تغرير ، فقال لنا مَن كان في كفالة أولياء الله لا يخاف شيئاً ، ثم ان الشيخ الغزواني توفي ، وأقمنا مدة مديدة فاجتاز يوما بعض عمال السلطان على طريق مصلوحة فوجد تلك البقرة في بعض مراعيها ، فقال لاصحابه هذه ضالة حيث هي وحدها فاحملوها وصيروها في بعض مصالح المخزن ، فلما تفقدها والدي قيل له ان خدام السلطان حملوها ، فذهب الى مراكش وهو لا يعرف بها أحد سوى الشيخ علي بن أبي القاسم المتقدم الذكر ، فذهب اليه وأخبره بما جرى ، فقال له ومَن هو هذا العامل ؟ فقال له لا أدري ، فقال علي : اذهب الى شيخك الذي أسكنك في ذلك القفر ليرد عليك بقرتك ، قال فخرج من عنده الى قبر الشيخ الغزواني وبكى عليه ، ثم حكى له مقالة علي وانصرف خارجا الى مصلوحة ، فلما خرج من الباب الجديد وجد البقرة واقفة والعامل راكب بازائها ، فلما رءاه العامل ينظر الى البقرة قال له سألتك بالله : آنت عبد الله بن حسين صاحب البقرة ؟ قال له نعم ، فنزل عن فرسه وصار يقبل يديه ويستعفى مما فعل ، فقال له والدي مَن الذي حملك على ما أرى منك ؟ قال له كنت الآن راقدا في داري ، فرأيت فيما يرى النائم رجلا طويلا بيده سيف مسلول وقد وضع قدمه على صدري ، وقال والله ان لم ترد البقرة لعبد الله بن حسين الآن لاذبحنك الساعة ، فقلت

وأين نجده وأنا لا أعرفه ؟ فقال اخرج بها الى باب الجديد الساعة ، فانه يتبعك اليها ، فاستيقظت مرعوبا وجئت بها من فوري ، فلما رأيتك تنظر اليها علمت أنه أنت ، فقال له والدي : أنظرني بها حتى أرجع اتيك الساعة ، فقدمت الى الشيخ علي بن أبي القاسم ، وقلت له ياسيدي ان شيخي رد عليّ بقرتي ، فقال علي : يقدر عليها ذلك العربي ، فذهب والدي مسرورا بما جرى من كرامات شيخه ، وقد تقوت العزيمة ، فما كان الا برهة من الزمان وإذا بالشيخ علي المذكور جاء مع أهله الى زيارة الشيخ أبي ابراهيم ، فلقيه والدي وقد صنع له طعاما ، فقال له ما سبب زيارتك لأبي ابراهيم ؟ فقال علي لي امرأة لا تلد قط ، وأردت الذرية ، فجئت بها الى ضريح سيدي ابراهيم ، فقال له والدي هذه الحاجة تقضى ان شاء الله بحول الله ومشيئته من بركة شيخي ، فقال له افعل ما آمرك به ، فأمر والدي بصرة دقيق تأتيه ، فأتِيَ بها وفتحها وتفل فيها ثلاثا ! وقال لعلي مرها تجعل منها عصيدة وتفطر عليها ثلاثة ايام ، ففعلت وحملت من حينها ، فجاءت بولد ، ثم بآخر ، وثالث ، فقال الشيخ علي مثل الغزواني مَن تأتي على يده مثل هذه المواهب .

ثم انتشر صيت الشيخ عبد الله بن حسين وقصدته الوفود ، وظهرت على يده الخوارق التي لا تحصى. منها أن الطير المؤذي كالبرطال والجراد ونحوها اذا نزل بفدان زرع أو بالكرم مـن الجنانات (1) يكتب دعوته إلى الشيـخ في رقعة وتجعل في قصبة وترفع في فدان ، فان الطير يرحل من حينه ، ولقد رأيت أهل الثيران يجعلون وظيفا على أزواجهم في الحراثة أخماسا وأعشارا، ثم يصرف ذلك لزاوية الشيخ ويطعم بها ، وبسبب ذلك دفع الله عنهم ضرر الطير فهم يفعلون ذلك الى اليوم ، وهذا شائع في تلك الاوطان كلها .

ومنها أن كل امرأة لا تلد اذا أكلت لقمة من دقيق مسه بيده تلد بقدرة الله تعالى ، فاكنه ءالاف لا تحصى .

---

1) الجنانات جمع **جنان** : الحديقة ، البستان : الجنة في العامية المغربية

ولقد أخبرني أهل قرية مصلوحة أن الشيخ تغير على أولاده مـدة وحلف ليرحلن من مصلوحة ، وكان بدار زاويته حمام كثير اذا طار كأنه قطعة سحاب ، فلما خرج الشيخ راحلا الى وادي نفيس ليبر يمينه ارتحل الحمام فوق رأسه ولم يبق حمام بمصلوحة ، فلما رأى أهل القرية ذلك حملوا نساءهم والتحقوا بالشيخ ، وقالوا له والله لا رجعنا الى ديارنا الا اذا رجعت معنا ، فما عذرنا وفي هذا الطير معتبَر ؟ فرجع معهم ورجع الطير .

وبالجملة فمناقبه كثيرة لا تحصى ، ولو تتبعناها لكانت تستدعى الى ديوان مستقل ، رأيت منها جملة .

وكانت بيني وبين الشيخ مودة راسخة ، ومحبة شامخة ، ورأيـت له بركات ، واستفدت منه دعوات ، والحمد لله ، وكان الشيخ رحمه الله أصابه ارتعاش وكان يعرج برجله اليمنى ولولا قصد الاقتصار وعدم الفراغ لأفردنا له كتابا مستقلا .

توفي رضي الله عنه في سنة ست وسبعين رحمه الله (1) .

وقال في (الممتع) بعد نقل كلام (الدوحة) ما نصه : وسمعت مَن يذكر أصل حكاية ارتحال الحمام معه وتظليله فوق رأسه يقيه حر الشمس ، وزاد فيها أنه قيل له ياسيدي ان هذا الحمام قد تبعك وترك فرخـه ، فقال لقائل ذلك أو غيره ناد فيه مَن له أفراخ فليرجع ولا يصحبنا الا المتجرد ، فنادى فاذا بها تتعازل ، فرجع بعضها وهـو ذو الفرخ ، وبقي بعضها وهـو المتجرد ، الا أنه ذكر ان ذلك وقع له في ارتحاله من مراكش الى مصلوحـة (تامصلوحت) وأنه كان في ابتداء أمره وانتصابه للخلق بعد شيخه بمراكش ثم لما كثرت الجموع عليه وقصده الناس من كل ناحية أرسل اليه السلطان عبد الله الغالب اما أن تخرج عنى أو أخرج عنك ، فخرج من فوره الى مصلوحة وكان وقت الحر ، فتبعه الحمام ، فكان من أمره ما ذكر .

وكان هذا الشيخ سيدي عبد الله شيخاً جليلا كبير الشأن ، من أهل الرسوخ في العرفان ، وكان قوي الحال ، ومع ذلك لا يستفزه ولا يغنبه .

---

(1) دوحة الناشر ص 104 ع 103 طبع الرباط

فكان من أهل التمكين والكمال ، بهذا وصفه سيدي قدار لما سأله عنه سيدي يوسف الفاسي ، وكان سيدي قدار قد ذهب اليه بعد موت شيخه سيدي سعيد بن أبي بكر ، وكان اعني صاحب الترجمة مقصودا للزائرين ، ومفزعا لأرباب القلوب والسالكين من المريدين (1) .

وقال في (الممتع) وأما حفدة الشيخ الغزواني فمنهم : الشيخ أبو الغنائم فارس بن الحسن الوزيكي الولي الجليل الشهير من أصحاب سيدي عبد الله بن حسين صاحب تامصلوحت فيما ذكر لي ، وقيل انه من أصحاب سيدي مَحمد بن عيسى الكبير الفهدي .

وقال في (ابتهاج القلوب) ما نصه : فلما مات الشيخ المجذوب وكان ليلة عرفة بينما الشيخ أبو المحاسن ذاهبا الى جنانه خارج باب الوادي أحد أبواب القصر لقيه انسان من أهل الخصوصية ، فقال له عظم الله أجرنا وأجرك في سيدي عبد الرحمان المجذوب ، فانه لم يقف معنا العام على الجبل أي جبل عرفة ، وكان من شأنه ذلك ، وقد انتقل حاله الى سيدي عبد الله بن حسين ، فقال له الشيخ أبو المحاسن : ونحن أجرنا على الله ، فقال انه سيعود عليك ، فلم يزل الشيخ سيدي عبد الله بن حسين يبعث الى الشيخ أبي المحاسن أن يأتيه ، فامتنع الشيخ أبو المحاسن أن يذهب اليه ، وقال اني لا أذهب اليه ، فاني أخاف ان ظهر شيء علي يقال ان ذلك من سيدي عبد الله بن حسين فيضيع حق شيخي وظهور بركته علي ، وان كان لي عند سيدي عبد الله بن حسين شيء يصلني أن شاء الله ، فكان الامر كذلك ، وعاد اليه ما ورثه من شيخه ، فانه لما حضرته الوفاة أوصى له بشيء من أثاثه ، فلما مات أزمع الشيخ أبو المحاسن السفر لمراكش ، فلما قرب من البلد أبدل السمة ودخل في زي عامة تلك البلاد ، وعليه خنيف ، وهو برنس أسود ، وبرأسه كرزية ، وهو حزام من صوف ، ومع ذلك لم يخف ، وقصده الخاصة والعامة ، وأقبلوا عليه هنالك ، وقصد موضع السيد سيدي عبد الله ، وذلك اشارة الى ما كان أودعه من تراث شيخه المجذوب ، فأخذها ورجع ، ففاضت أنواره ، وطار في الآفاق ذكره واشتهاره ، وسارع نحو أرباب الارادات ، وانتقل الى فاس بلدة العلماء

1) ممتع الاسماع ص 70

والسادات ، باشارة أهل وقته وأهل الخصوصيات ، كما تقدم اعلان شيخه له بذلك ، لعجز أهل بلاده عن تحمل ما هنالك ، وقصور أفهامهم عن ادراك دقائق علومه ، والنكوص على الجري على نهجه ورسومه ، فاستوطن مدينة فاس ، بلدة السادة والناس ، وتصدر للتعليم والافادة ، وتربية أهل السلوك والارادة ، سمعت الحكاية من الشيخ الواحد وقيدتها من خطه بلفظ ما ذكرنا، وهي مشهورة سُمِعت من غير واحد أيضا .

وقال في (الروضة المقصودة) : والشيخ التاودي أخذ بالروحانية عن سيدي عبد الله بن حسين دفين مصلوحة ذكر أنه لما زاره جلس أمام قبره المبارك وشرع في القراءة واذا الدربوز (1) يتحرك وانشق القبر وخرج له الشيخ بكفنه على كتفه ورأسه بشعـره ، ولحيته على حالها لم يتم شيبها ، وفرح بـه غاية ، ونال منه ما منّ الله عليه به ، وحين خرج لباب الروضة وجد أحدا من بنيه على صفة جده وصورته كأنه هو ، فقال سبحان الله ، ان هذه الاقـدام بعضها من بعض ، فأكرم بها منقبة عظيمة للزائر من المزور نفع الله بهما .

وقد ذكر في (الشذرات) لدى ترجمة الشيخ محمد بن أحمد بـن محمد ابن قدامة الحنبلي القدوة القطب الزاهد نقلا عن الضياء عن عبد المولى بن محمد أنه كان يقرأ عند قبر الشيخ سورة البقرة ، وكان وحده ، فبلغ الى قوله تعالى (لا فارض ولا بكر) ، قال فغلطت فرد علي الشيخ من القبر ، قال فخفت وارتعدت وقمت ، ثم مات القارىء بعد ذلك بأيام الخ..

وقال في (فتح العليم الخبير) ما نصه : وقد قال الشيخ الكبير مولانا عبد الله بن حسين الشريف الحسني المغاري دفين مصلوحة لتلميذه العارف بالله سيدي محمد بن علي ابن ريسون العلمي الحسني حين جاءه بقصد الاخذ عنه سرنا من العلوم أتى به سيدي الغزواني ، ويسود في هذا الرجل ، أعني

---

1) **الدربوز** في العامية المغربية : جدار خشبي مركب من الواح رقيقة متقاطعة طـولا وعرضا غير متلاصقة ، تسمح الرؤية من ثقوبها ، يكون في الأدراج ومحازات الطوابق الفوقانيـة المطلة على الطوابق التحتانية من الدار ، وتستعمل منه الأغطية الخشبية لأضـرحة الاولياء والصالحين

سيدي محمد بن علي الولاية تغيب عن موضعها زمانا ثم تعود اليه (ما ننسخ من ءاية أو ننسها نات بخير منها أو مثلها) رضي الله عنهم .

وقال في (درة المفاخر) :

وعابد الله إمام الابــــــرار ابن حسين من شرفا بني مغــــار
من أهل عين الفطر وهو دفنــا عند تمصلوحت فيارب اكفنــا
وعند ستة وسبعين قضــــا في عاشر من القرون قد مضــا

وذكر في (الممتع) من أصحاب المترجم الشيخ سعيد بن علي الشتوكي دفين ووزغت .

وقال في (شمس القلوب) ما نصه : وتكلم سيدي عبد الله الغزواني وقال أنا أشهر صاحبي بالتعريف ، وهو سيدي عبد الله بن حسين الشريف ، فكل ما تعبنا فيه يدركه من غير مشقة تناله في ذلك ولا تكليف .

وقلت لما زرت المترجم في ليلة 12 رمضان عام 1331 هذه القصيدة :

فحط رحال المعتفين ببقعــــة غدت روضة للصالحين الأئمــة
كغوث الورى القطب الامام زعيمهم امام غدا كهف الهداة الاعــزة
كراماته في الخلق ذاعت بكثــرة شريف عليُّ القدر شامخ رتبــه
أمولاي عبد الله يابن حسينهـــم حباك الاه الخلق أعظم بغيــة
مناقبكم جمت وعمت تواتــرا وجلّت عن الاحصاء من أجل كثرة
ومولانا رب الخلق أعظم قدركــم وحكّمكم في كل طير أذيــة
وأكل عقيم ما مسستم مولــد وبرهانكم قد بان في كل وجهــة
علا قدركم بين الأنام ففضلكــم به ناطق مع صامت في السويــة
وبحركم قد فاض عذب الزلال من سقيتم بشربة ينل كل تحفــة
فمنك استقى الكمّال وافر شربهم كيوسف اذ أتى يزور لروضــة
فحاز من التحقيق كل عروبــة وصار بقطب الخلق يدعى بحيطة
وشيخ العلوم التاودي محمــد أتى قبركم يرجو النوال لفيضــة

فواجهتموه منة وتفضـــلا وأتحفتموه كل فضل ومنـــة
فها أنا ذا يممت ربعك قاصـداً لنيل الأماني ياإمام الفضيلـة
فانعم وأكرم واقر ضيفك مغدفـا بكل مرام واشف من كل علـة
فبيتكم بيتُ المعالي بأسرهــا صلاح وعلم ثم أشرف نسبـة
مناقب أجداد لكم قد تواتـرت بها كتب الأعلام باحتْ بصحـة
وأولادكم سارت على نهج سيركم فأحمدهم قد نال كل مزيـة
كما نال ابراهيم سيدنا الامــا م غوث الورى اكسير كل سعادة
بحقكم فامنن علينا بمبتغــى وسل من الاه العرش لي كل حظوة
وصلى الاله ثم سلَّم دائمــا على أفضل الهادين أكمل شرعة
وءاله مع صحب كرام أجلـة محط رحال المعتفين ببقعـة

وممن ترجمه الحضيكي في طبقاته (1) .

ومن تلامذة المترجم حفيده المولى ابراهيم بن أحمد بن المترجم كما تقدم في ترجمة سيدي حسين والد المترجم ، ضريحه بأبزو ، وضريح والده سعيد وجده عبد الجليل في المحل الذي يسمى بزاوية أغبالو ، وقبيهم هناك ، وقد زرتهم مرارا ، أما الامام سيدي محمد بن عبد الله أمغار شيخ الامام الجزولي المتقدم الترجمة فهو مدفون بأعمرول في زناكة من نتيفة قرب فم الجمعة ، ويلقب أعمرول عندهم بآيت انسواى .

راجع ما كتبه في جواب الاسئلة الثمانية في شرفاء ءايت أمغار .

1193) عبد الله بن محمد الشيخ السعدي

عبد الله بن محمد الشيخ بن أبي عبد الله القاسم الشريف الحسني السعدي ، الملقب بالغالب بالله ، بويع بمدينة فاس بعد قتل والده سنة أربع وستين وتسعمئة 964 أو في التي بعدها ، وولد في رمضان سنة ثلاث وثلاثين ، وبنى جامع المواسين بحضرة مراكش والبركة المتصلة بـه والمارستان ، وجدد المدرسة اليوسفية سنة 972 وغير ذلك ، وحصر البريجة المسماة اليوم بالجديدة ولم يُقدَّر له فتحها ، وله أهدى قطب الدين الحنفي المتوفى عام 988

---

1) طبقات الحضيكي 2 : 303

وابن علاء الدين بن أحمد النهرواني المكي كتابه المسمى كتاب (التمثيـل والمحاضرة ، بالأبيات المفردة النادرة) في مجلد لطيف رتبه عـلى حروف المعجم ، وقفت عليه ، وأجبت عن أسئلة ثلاثة بما نصه :

الحمد لله وحده (1) .

توفي المترجم في ثامن وعشري رمضان سنة احدى وثمانين وتسعمئة 981 بمراكش المحروسة ، ودفن بازاء والده رحمة الله تعالى عليهم اجمعين .

ترجمه في (الجذوة) و (نشر المثاني) و (درة السلوك) قال فيها بعد ذكره : وفي أيامه ملك النصارى غرناطة ولم يبق للمسلمين ذكر بجزيرة الأندلس ، وأخذ النصارى أيضا في أيامه مليلية ، وحجر النكور ، وبادس ، وكان يميل الى الراحة والدعة متظاهرا بالدين والمروءة وحب الصالحين ، وكان في زمانه جماعة من الصالحين والأولياء في المغرب مثل الشيخ أحمد بن موسى السملالي ، والشيخ سعيد بن عبد المنعم ، والشيخ سيدي محمد الشرقي دفين تادلة ، والشيخ سيدي محمد بن ابراهيم الصومعي، والشيخ أبي الرواين دفين مكناسة ، والشيخ سعيد بن أبي بكر ، والشيخ يوسف الفاسي ، وغيرهم من أهل هذه الطبقة .

وقال في شرح (ألفية السلوك ، في وفيات الملوك) المسمى (تحفة الاعلام ، في شرح دول الاسلام) ان أهل الاندلس لما خرجوا من الأندلس وصلوا مراكش في عهد السلطان الغالب مولاي عبد الله السعدي عام 970 وبنى لهم بالجانب الغربي الدور ، وسمى المحل روض الزيتون ، وأقطع لهم خلف السور تلك الارض اغترسوها ، وذكر أن القاضي الخصاصي المراكشي تولى القضاء بفاس . وبعده تولى القاضي الحميدي ، وتقدم ذكر المترجم في ترجمة شيخه سيدي أحمد بن موسى السملالي ، وقول الزياني الجانب الغربي غلط ، فان روض الزيتون ليس بالجانب الغربي بل هو بالجانب الشرقي الجنوبي .

---

1) لم يورد المؤلف الاجوبة

1194) **عبد الله بن يعقوب السوسي** الجزولي السملالي ، دفين مدشر عبيد الله ، من أصحاب الشيخ أبي عمرو المراكشي ، قدم لزيارته بمراكش مرات ، وتقدم ذكره في ترجمة أبي بكر الدلائي .

1195) **عبد الله بن محمد الوردي المراكشي** ، له رحلة للمشرق ، وسمع الحديث من جماعة ، وله سند صحيح الا أنه ليس من أهل العلم ، أخذ عن طاهر بن زيان ، وعبد العزيز البسكري القسنطيني ، وعن غير هؤلاء ، أجاز لاحمد ابن القاضي جميع مروياته . ولد سنة أربعين وتسعمئة 940 كان حيا سنة تسع وتسعين وتسعمئة 999 ترجمه في (درة الحجال) (1) .

وهو من أشياخ أحمد الصومعي صاحب (المعزي) ، قال فيه : اعلم حفظك الله تعالى أن اتصالنا بهذه الخرق الثلاث يعني الشاذلية ، والمدينية ، والقادرية ، ونسبتنا لهؤلاء السادات رضي الله عنهم نتصل بها من وجوه عديدة ، وقد قدمنا في اثناء هذا حقيقة انتسابنا اليهم من الطريقة الجزولية والزروقية ، والذي لقينا منهم ، وأما لبس الخرق فالذي أكرمنا الله بها على يده الأخ في الله والصديق من أجله ، الحاج المبرور المجاور عبد الله بن محمد الوردي ، لقانا الحق به جل وعلا اكراما وافضالا ، فالبسني الخرق الثلاث ، والمصافحة العمرية بالاسناد الصحيح ، والمشابكة، وتلقين الذكر ، وكذلك المصافحة المروية عن المزميزي عن الخضر عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وكذلك الطريق الفتحية الرفاعية ، وكان ذلك الاتفاق برابطة الشيخ البقالي في باب أغمات من مراكش يوم السبت السادس عشر من شهر الله المحرم عام سبعة وثمانين وتسعمئة 987 ، وهذا سند شيخ المترجم طاهر بن زيان على وجه الاختصار لبس الخرقة طاهر المذكور من شيخه الشيخ المولى سيدي أحمد بن موسى البنتيتي نسبة لى بنتيت قرية من قرى ريف مصر ، كما لقنه وصافحه وشابكه ، وهو لبسها من الشيخ الصالح سيدي

---

1) **درة الحجال** 3 : 55 ع 966 طبع تونس

أحمد رزوق البرنسي الفاسي ، وكان عند الشيخ أحمد بن موسى المذكور نحو السبع عشرة خرقة لبسها من شيخ وقته علي ابن شيخ الحقيقة والشريعة عمر ، ابن العالم الرباني علي البنتيتي ، وكان الشيخ ابن موسى المذكور ألبس الخرقة للشيخ زروق أيضا من رواية الاكابر عن الأصاغر ، قال ألبسني الشيخ زروق كما ألبسته عن شيخي القدوة علي ابن العارف بالله عمر بن علي البنتيتي ، قال ألبسني الخرقة وأرخى لي العذبة والدي عمر المذكور ، ولقنني الذكر وصافحني وشابكني ، قال ألبسني ولي الله العارف بالله مجد الدين صالح الزواوي ، قال ألبسني الشيخ محمد بن محمد ابن مخلص الطيبي ، قال ألبسني الحافظ علم الدين مغلطاي ، قال ألبسني السيد الشريف محمد ابن الشيخ سيدي أبي الحسن الشاذلي ، قالا ألبسنا الشيخ الامام النافع العارف الخاشع ، الغوث الفرد الجامع ، علي بن عبد الجبار الشريف الحسني الشهير بالشاذلي رضي الله عنه ، وقد لبس الخرقة تبركا من محمد بن علي ابن حرازم، وهو قد لبس من الشيخ صالح ، وهو لبس من الشيخ أبي مدين ، وهو لبس من الشيخ سيدي علي بن حرازم ، وهو لبس من حجة الاسلام أبي حامد الغزالي ، وهو لبس من شيخ الاسلام أبي طالب محمد بن علي بن عطية الله المكي ، وهو لبس من أبي عثمان المغربي ، وهو لبس من أبي عمرو محمد بن ابراهيم الزجاجي ، وهو لبس من شيخ طوائف الصوفية أبي القاسم الجنيد ، وقد لبس الخرقة أبو مدين من شيخه أبي يعزى ، قال ألبسني الشيخ أبو شعيب السارية ، قال ألبسني الشيخ عبد الجليل المتقدم بقية السند في ترجمته ، ولبس الشيخ أبو مدين أيضا من الشيخ أبي بكر الطرطوشي ، عن الشاشي ، عن الشبلي ، عن الجنيد ، عن الشرقي ، وتقدم أن أبا يعزى لقي الامام ابن العربي ، وكذا سيدي علي بن حرازم لقي الامام ابن العربي ، وسلسلة أبي الحسن الشاذلي متصلة بسلسلة أبي مدين ، وسيدي أبو مدين سلسلته متصلة بسلسلة عبد القادر كما تقدم في ترجمة أبي مدين نفعنا الله بجميعهم ءامين .

وراجع بقية الاسانيد في الباب السابع من (المعزى) .

1196) **عبد الله الطرابلسي** الشريف العارف ، لسان البيان ، وقلب الاعيان ، وسيف الحق الصقيل ، وأنف الحقيقة الطويل ، الامام المشهور ، والبحر المسجور ، وقع به شوق في طلب المسك الاذفر ، وتوغل ما أمكنه في السياحة ، وقصد كل بلد يبحث عن الشيوخ والشبان ، وكل من يظن به العرفان ، حتى وصل سيدنا عبد القادر الجيلاني ، فمكث أياما ووقف عليه ، فأعرب له عن مقصوده ، فقال له اذهب الى مراكش تجد مَن يرشدك ، فقال له : ياسيدي ما اسم الولي الذي يرشدني ؟ فقال أبو عمرو المراكشي ، قال فانتبهت من نومي ، واسترحت من تعبي ، وسرت الى مراكش ، فلما وصلت صبيحة النهار وجدته واقفاً مع الجسر ، وصغر بين عيني ، فقلت في نفسي ليس هذا بولي ، فكشف علي وقال في المحفل المذكور : كل ما أجمل عليك واردك اراك الآية الكبرى ، فبكى سيدي عبد الله المذكور حتى غشي عليه ، وانتقل من شكه ليقينه ، فنبهه الشيخ وقال ياولدي ادخل رأسك ، فوجد قلبه يذكر الجلالة مثل الرعد ، فقال له : ياولدي الغم مشغول بما يعنيه ، ونظر فيه نظرة وصله من حينه وأمره بالقدوم لبلده في ذلك اليوم حتى كان من أهل الاغاثة في البر والبحر ، نفعنا الله ببركتهم .

ذكره الزروالي .

1197) عبد الله بن محمود الصنهاجي

عبد الله بن محمود بن عمر بن محمد أقيت بن عمر بن علي الصنهاجي المسوفي شقيق جد أحمد بابا السوداني . كان فقيها ساذجاً مستحضرا لمسائل الفقه ونوازله ، معتنيا بذلك خصوصا مختصر خليل والرسالة يستحضرهما نصب عينيه ، لاحظ له في غير الفقه .

توفي بعد امتحانه واجلائه مع أهل بيته الى مراكش يوم الاثنين أول يوم من شعبان عام ستة وألف 1006 في الطاعون مطعونا تقبل الله شهادته ، وكان رحيما رقيق القلب رحمه الله تعالى .

ترجمه في (النيل) (1) .

---

1) نيل الابتهاج ص 161

1198) عبد الله ابن المبارك الأقّاوي السوسي

عبد الله بن المبارك بن علي بن الولي الشهير الكبير البركة محمد ابن المبارك السوسي الأقاوي، قال صاحب (الفوائد) أبو زيد : شيخنا الولي الصالح الجامع الرئيس عبد الله ابن المبارك، كان من أعلام الدولة المنصورية ببلاد المغرب، انتهت اليه الرياسة بها في سياسة الادب ، معظماً عند ملوكها وعظمائها، مرجوعاً إليه في حوادث الامور عند نزولها واعترائها ، ماضي العزم في تأن وتؤدة ، مستجم التدبير ، سديد الرأي ، كامل الفضل ، متين العلم والدين ، شديد العناية ، سماعي القلب وصفاء الباطن ، حسن السيرة ميمـون المشورة ، صادق الفراسة ، له فطنة صادقة ، ومروؤة فائقة ، ومآثر حسنة ، وءاثار في الارض محمودة .

حدثني العابـد الزاهد ، تلميذه يعزى بـن موسى التاملي قـال : كان سبب اتصالي به أنني سألت ببلادنا رجلا يعرف بالخير أن يريني وليا حياً، فقال عليك بفلان بمراكش ، فأخذت أهبتي اليه فسألت عنه فاذا هو رجل من أهل الأسباب ، فقلت فلان بعثني اليـك أن تريني وليا حياً ، وكنا بجامـع الكتبيين ، فقال لي غداً يوم الجمعة يصلي في ذلك المكان ، فرصدته من الغد حتى جلس فيه سيدي عبد الله ابن المبارك ، وكان بمراكش اذذاك وافدا على السلطان ، فحصل لي بذلك ثلاث فوائد : ملازمته ، مدار عبادته على المواساة واطعام الطعام وحضور الصلاة في الجماعة واصلاح ذات البين وتفقد الاسباب، وكان يؤثرها على التجريد لعموم نفعها ، وله فيها نظر دقيق ، واحتياط بالغ ، وهو مع ذلك جواد كريم ، لا تفارقه أهبة الضيافة أينما توجهت به مطيته ، ويجيز الوفود بمثل جوائز الملوك ، ويداري أحسن مداراة ، وينزل الناس منازلهم ، ويسعى بنفسه وماله في قضاء حاجاتهم ، ويصابرهم في جفائهم بتحمل اذايتهم ، ولا يكترث بما يلقاه من المشاق في أمورهم ، ويرى ذلك من أرفع المقامات في زمانه ، وردت عليه بلده في سنة خمس عشرة وألف 1015 ، فقدمني للصلاة وحده ومع غيره ، وأمرني أن أجيب عنه بالمشافهة والمكاتبة ، وقرأت عليه كتاب الانوار السنية ، في اختصار صحائح الآثار للامام ابن جزي.

وكتاب الشفاء للقاضي عياض ، وكتاب المنهاج للغزالي ، قراءة بحث وتحرير ، وكان ينبه عن كثير من الاسرار والغوامض فيها مع ما يضيفه لذلك من ملح حكايات الأولياء ومباحث الحقيقة المستغربة ونكت أسرارها المستعجبة، وكثيراً ما كنت أتمثل في أثناء ذلك بقوله :

ولما أنخناها بذى الرمت واللـوا — وجاوزت أعلام العقيق ورائيـــا
نزلت بوادي الجزع والايك ناعـم — غضيض وصادفت النسيم اليمانيا
وأرض ثراها المسك والنبت مندل — ورند وكافور وقد كان عاريـــا
فقلت أرى الوادي خصيبا ومـــاؤه — أرى النور من ضفـَّيْه يعلوه صافيا
فقلت سعاد أقبلت بين تربهـــا — فخاضتْه حتى صار بالنور حاليـا

ولما بلغت الى قوله في (المنهاج) وقد رأيت بمكة حرسها الله بعض المشايخ منفردين من أهل العلم وهو لا يحضر المسجد الحرام في الجماعات مع قربه منه وسلامة حاله ، فحاورته في ذلك يوماً في حال ترددي اليه ، فذكر مـن عذره ما أشرنا اليه ، وهو أن ما يجده من الثواب لا يفي بما يلحقه من الاثم والتباعات في الخروج للمسجد ولقاء الناس ، قال آخذ بقول هذا الشيخ، واعتزل الناس وأدخل عنهم ، فقذف في قلبي أنه ورى بقرب أجله، فتمثلت بقول الشاعر وكان ذلك عشية :

تمتعْ من شميم عرار نجـــــد — فما بعد العشية من عـــــرار

فاعتل علة وفاته ، ولـم يجلس للاقراء بعدها ، وكان لا ينفـك اثناء مرضه عن مسألة يدبـّرها ، أو حاجة يقضيها ، الى أن غلب عليه اغماؤه بنحو يوم أو يومين .

فتوفي ليلة الاثنين لتسع بقين من رمضان سنة خمس عشرة وألف 1015 ومولده رضى الله عنه بذي قعدة سنة ست وثلاثين وتسعمئة 936 فعمره تسع وسبعون سنة الا شهرا .

أخذ عن العالم العامل الشهير ، فقيه جزولة محمد بن ابراهيم بن عمر بن طلحة التمنرتي ، وعن الحسن بن عثمان الجزولي التملي ، وعن الامام ابن غازي ، وأحمد الونشريسي ، وأخذ أيضا عن الصالح أحمد بن سليمان الرسموكي ، وأخذ عن الفقيه العالم العامل علم العلماء ، أحمد بن عبد الرحمان المسجدادي ، وأخذ أيضا عن الولي الكبير ، أحمد بن موسى السملالي ، فقال : أي عبد الله ابن المبارك رضي عنه: أتيته يوما أريد موادعته، فتمنيت أن يدعو لي بالفتح ، فلما قربت من حلقته رفع الي رأسه وقال لي : فتح الله لك على ما تمنيت ، وأوصاني أن اعمل لنفسك عملا تسعد به ، قال وحضرته يوما أكثر أعرابي من تقبيل يده ، فقال له ان ترفع يدك من الطعام وأنت تشتهيه مامور به شرعاً يأعرابي .

نقله الحضيكي في طبقاته (1) .

وقال في ترجمة شيخه أحمد بن سليمان بن يحيى الرسموكي المذكور: كان رحمه الله عالما عابداً زاهدا ورعاً عاملا يحب الخمول والخلوة ، وكان الشيخ ابن المبارك الاقاوي يستشيره في جميع أموره ، قال أوصاني أن اتخذ لنفسك وقتا تناجي ربك ، توفي رحمه الله ببلده سنة أربع أو خمس وثمانين وتسعمئة، ونقل ترجمة عبد الله المترجم عن أبي زيد في الصفوة أيضا ، واختصر منها بعض ما تقدم . وقال في ءاخرها ومن أشياخه أيضا الفقيه الامام سيدي محمد المضغري ، لقيه بسوس في وفادته على مولاي محمد الشيخ الكبير ، فسأله في الصحبة ، فقال له ألك أبوان ؟ فقال نعم ، أمي ، فقال لي تفتقر الى اذنها ، فأسف لفراقه ، وساله عن أولياء الله ، فقال له عليك بهم في قرون الجبال وبطون الاودية ، وان شئت أن تكون منهم فعليك بالصلاة في الجماعات ، فقال ابن المبارك فقلت في نفسي اذا رجعت الى بلادي اتخذ مسجداً بفناء دارى أقيم فيه الجماعة ، فاذا به يناديني من بعيد ياسيدي عبد الله في الجامع ، يرفع بها

---

1) طبقات الحضيكى 2 : 215

صوته هـ ، وأخبار صاحب الترجمة كثيرة ، توفي رحمه الله عام خمسة عشر والف ، وقال في أولها الاوقاوي نسبة الى أقا بهمزة مفتوحة وبعدهـا قاف مشددة ، موضع بسوس .

1199) عبد الله (أبو فارس) بن أحمد (المنصور) السعدي الحسني .

كان المنصور رحمه الله قد فرق عمالات المغرب على أولاده كما مر ، فاستعمل الشيخ على فاس والغرب وولاه عهده ، واستعمل زيدان على تادلة وأعمالها ، واستخلف عند نهوضه الى فاس ابنه أبا فارس عبد الله على مراكش وأعمالها، وكان يكاتبه بما مر بعضه من الرسائل ، فلما اتصل بأهل مراكش وفاة المنصور ، وكتب اليهم أهل فاس بمبايعتهم لزيدان امتنعوا وبايعوا أبا فارس لكونه خليفة أبيه في دار ملكه التي هي مراكش ، ولأن جل الخاصة من حاشية أبيه كان يميل الى أبي فارس لأن زيدان كان منتبذا عنهم بتادلة سائر أيام أبيه ، فلم يكن لهم به كثير المام ولا مزيد استئناس ، مع أنه كان جديرا بالأمر لعلمه وأدبه وكمال مروءته رحمه الله ، الا أن السعد لم يساعده ، وقد قيل في المثل قديماً : قاتل بسعد والا فدع .

ولما شقّ أهل مراكش العصا على زيدان كثر في ذلك القيل والقال حتى صدرت فتوى من قاضي فاس أبي القاسم ابن أبي النعيم ، ومفتيها محمد القصار تتضمن التصريح بحديث : اذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما، وكانت بيعة أبي فارس بمراكش يوم الجمعة أواخر ربيع الاول من سنة اثنتي عشرة وألف 1012 وهو شقيق الشيخ المأمون ، أمهما أم ولد اسمها الجوهر ، ويقال الخيزران ، واسم ابي فارس هذا عبد الله ، وتلقب بالواثق بالله ، وكان أكولا عظيم البطن مصابا بمسّ الجن ، ويقال انه لذلك ابتنى المسجد الجامع بجوار ضريح الشيخ أبي العباس السبتي ، وشيد مناره ، وشحن الخزانة التي بقبلي المسجد المذكور بمنتخب الكتب ونفائس الدفاتر ، كل ذلك رجاء أن تعود عنه بركة ذلك الشيخ بالبرء من تلك العلة ، وكان مع ذلك يميل الى المروءة والرفق وحسن السيرة رحمه الله .

نهوض السلطان زيدان لحرب أبي فارس وانهزامه بأم الربيع
ثـم فـراره الـى تلمسـان

لما بايع أهل مراكش عبد الله (أبا فارس) بن أحمد (المنصور) عزم زيدان على النهوض اليه ، فخرج من فاس يؤم بلاد الحوز ، واتصل الخبر بعبد الله فجهز لقتاله جيشا كثيفاَ ، وأمَّر عليهم ولده عبد الملك الى نظـرة الباشا جؤذر ، فقيل له ان زيدان رجل شجاع عارف بمكايد الحرب وخدعه ، وولدك عبد الملك لا يقدر على مقاومته ، فلو سرحت أخاك الشيخ لقتاله كان أقرب للرأي ، لأن أهل الغرب لا يقاتلونه لأنه كان خليفة عليهم مدة ، فهـم ءانس' به من زيدان ، فأطلق عبد الله أخاه المامون من ثقاف السجن ، وأخذ عليه العهود والمواثيق على النصح والطاعة وعدم شق العصا ، ثم سرحه في ستمئة من جيش المتفرقة الذين كان المنصور جمعهم ليبعث بهم الى كاغـو من أعمال السودان ، وقال له ولأصحابه جدوا الليلة كي تصبحوا بمحلة جؤذر على وادي أم الربيع ، فلما انتهى الشيخ الى المحلة وعلم الناس به اهرعوا اليه واستبشروا بمقدمه ، ثم كانت الملاقاة بينه وبين السلطان زيدان بموضع يقال له حواتة عند أم الربيع ، ففر عن زيدان أكثر جيشه الى المامون ، وحنوا الى سالف عهده وقديم صحبته ، فانهزم زيدان لذلك ورجع أدراجه الـى فاس فتحصن بها .

وكان عبد الله قد تقدم الى أصحابه فـي القبض على الشيخ متـى وقعت الهزيمة على زيدان ، فلما فر زيدان انعزل الشيخ فيمن انضم اليه من جيش أهل الغرب ، وامتنع على أصحاب عبد الله فلم يقدروا منه على شيء ، وانتعش أمره واشتدت شكوته ، ثم سار الى فاس يقفو أثر السلطان زيدان ، ولما اتصل بزيدان خبر مجيئه اليه راود أهل فاس على القيام معه في الحصار والذب عنه والوفاء بطاعته التي هي مقتضى بيعتهم التي أعطوا بها صفقتهم عن رضى منهم ، فامتنعوا عليه وقلبوا له ظهر المجن وأعلنوا بنصر الشيخ وبيعته لقديم صحبتهم له ، ولما أيس زيدان من نصرهم وقد أرهقه الشيخ في جموعه

خرج من فاس بحشمه وثقله ناجياً بنفسه وتبعه جمٌ عظيم من أصحاب الشيخ فلم يقدروا منه على شيء ، وذهب الى تلمسان ، فأقام بها الى أن كان من أمره ما نذكره .

وأما الشيخ فانه لما وصل الى فاس تلقاه أهلها ذكورا واناثاً وأظهروا الفرح بمقدمه ، فدخلها ودعا لنفسه فأجيب ، واستبد بملكها ، ثم أمر جيش أهل مراكش أن يرجعوا الى بلادهم فانقلبوا الى صاحبهم مخفقين ، وكان الشيخ لما تم غرضه من الاستبداد بالأمر والانفراد بالسلطنة دعا بالشيخين الفقيهين قاضي الجماعة أبي القاسم بن أبي النعيم ومفتيها محمد بن قاسم القصار فلامهما على مبايعة زيدان وقولهما فيه وفي أخيه عبد الله ان أولاد الاماء لا يتقدمون في الأمر على أولاد الحرائر ، وكان عبد الله والشيخ ولدي أمة اسمها الخيزران كما مر ، وزيدان أمه حرة من الشبانات ، وعزم أن ينكل بهما ثم بعث بهما مع جيش مراكش الى أخيه عبد الله ليرى فيهما رأيه ، فأما الشيخ القصار فتوفى رحمه الله على مقربة من مراكش بزاوية الشيخ ابن ساسي وحمل الى مراكش فدفن بقبة القاضي عياض ، وذلك في أواسط سنة اثنتي عشرة وألف 1012 وأما القاضي أبو القاسم فاجتمع بعبد الله فقبل عذره وصفح عنه ورده مكرما الى فاس ، هكذا ذكره بعضهم ، وقيل ان الذي بعث بالشيخ القصار الى مراكش هو السلطان زيدان على وجه يخالف هذا والله أعلم .

نهوض عبد الله بن المامون (الشيخ)
لحرب عمه عبد الله (أبي فارس) واستيلاؤه على مراكش

ثم ان الشيخ المتغلب على فاس دعا بتجار أهلها فاستسلف منهم مالا كثيراً وأظهر من الظلم وسوء السيرة وخبث السريرة ما هو شهير به ، ثم تتبع قواد أبيه فنهب ذخائرهم واستصفى أموالهم وعذب مَن أخفى من ذلك شيئا منهم ، ثم جهز جيشا لقتال أخيه عبد الله بمراكش ، وكان عدد الجيش نحو الثمانية ءالاف ، وأمَّر عليهم ولده عبد الله ، فسار بجيوشه فوجد عمه عبد الله بمحلة في موضع يقال له أكلميم ، ويقال في مرس الرماد ، فوقعت الهزيمة

على أبي فارس عبد الله ، وقتل نحو المئة من أصحابه ، ونهبت محلته ، وفر هو بنفسه الى مسفيوة ، ودخل عبد الله بن الشيخ مراكش ، فاباحها لجيشه ، فنهبت دورها واستحييت محارمها ، واشتغل هو بالفساد ، ومَن يشابه أباه فما ظلم ، حتى حُكي أنه زنى بجواري جده المنصور ، واستمتع بحظاياه ، وأكل رمضان ، وشرب الخمر فيه جهارا ، وعكف على اللذات ، وألقى بجلباب الحياء عن وجهه ، وكان دخوله مراكش في العشرين من شعبان سنة خمس عشرة وألف 1015 .

مجيء السلطان زيدان الى المغرب

واستيلاؤه على مراكش وطرده عبد الله ابن الشيخ عنها

كان السلطان زيدان لما فر من فاس الى تلمسان كما مر أقام بها مدة، وكان قد بعث الى ترك الجزائر يستمدهم ويستعديهم على أخويه ، فأبطأوا عليه وطال عليه انتظارهم ، فلما يئس منهم توجه الى سجلماسة فدخلها من غير قتال ولا محاربة ، ثم انتقل عنها الى درعة ، ومنها الى السوس ، فكتب اليه أهل مراكش وقد ندموا على ما فرطوا فيه من أمره والدخول في طاعته ، أن يأتيهم ولو وحده ، فتوجه اليهم ودخل عليهم ليلا ، فلم يفجأ عبد الله ابن الشيخ الا نداء أهل مراكش بنصر السلطان زيدان ، وتحزبوا معه وتقدموا الى قائدهم عبد الله أعراس الذي ولاه عليهم الشيخ فقتلوه ، وخرج عبد الله فارا بجموعه من أهل فاس والغرب ، فحاصرهم أهل مراكش بين الاسوار والجنات ، وقتلوا من أصحاب عبد الله بموضع يعرف بجنان بكار نحو الخمسة ءالاف وخمسمئة ، وأمر زيدان بقتل كل مَن تخلف عن عبد الله من جيشه ، فأتى القتل على جميع مَن وجد بمراكش من جيش أهل فاس ، وذلك في أواخر سنة خمس عشرة وألف 1015 وفر عبد الله بن الشيخ ناجيا بنفسه حتى قدم على أبيه بفاس في أسوء الحالات ، مفلول الجموع معتاضا عن جيش النصر بجيش الدموع .

عود عبد الله بن الشيخ الى مراكش واستيلاؤه عليها وطرده زيدان عنها

لما قدم عبد الله بن الشيخ على أبيه بفاس سليبا مهزوما قامت قيامته، ورأى أن يُهيِّىء عسكرا ءاخر ويجدد جمعا ثانيا ، فلم يجد لذلك طاقة لفراغ يده من المال وقلة جبايته فاستحيى أن يستلسف من التجار ، لانه كان استسلف منهم فلم يرد لهم شيئا ، ولما أعيته الحيلة رجع الى قواده فقلب لهم ظهر المجن ونهب أموالهم واستنب ذخائرهم ، وصار يفرقها على التجار ، فاجتمع له من ذلك أموال عريضة صرفها في جيشه ، وتهيأ عبد الله للمسير الى مراكش ، وكان أهل فاس قد غضبوا لمن قُتل من اخوانهم بها ، ونادوا بأخذ ثأرهم ، حتى أن بعضهم خرج مع عبد الله من غير أخذ مرتب ولا جامكية ، فخرج عبد الله بجموع عديدة ، وجيوش حفيلة ، ولما بلغ خبره السلطان زيدان بعث اليه العلج مصطفى باشا في جيوش كثيرة .

قال في (شرح زهرة الشمريخ) : كان بعث مصطفى باشا وخروجه من مراكش في شعبان سنة ست عشرة وألف 1016 فالتقى الجمعان بموضع يقال له تافلفلت (1) على طريق سلا ، فهزم مصطفى باشا وقتل من جيش مراكش نحو التسعة ءالاف ، وبعث الشيخ جماعة من عدول فاس الى موضع المعركة حتى أحصوا القتلى ، ثم توجه عبد الله الى مراكش فبرز اليه أهلها في ستة وثلاثين ألف مقاتل ، والتقى الجمعان بموضع يقال له رأس العين ، فانهزم أهل مراكش ، وتقدم عبد الله بن الشيخ فاقتحمها ، وفر زيدان الى المعاقل المنيعة والجبال الشامخة . فبقي متنقلا هنالك .

عود عبد الله بن الشيخ الى فاس واستيلاؤه عليها ومقتل مصطفى باشا رحمه الله

لما دخل السلطان زيدان حضرة فاس واستولى عليها أقام بها الى أن دخلت سنة ثمان عشرة وألف 1018 فاتصل به خبر قيام بعض الثوار عليه

1) هذا هو الاسم الحقيقي للقرية الواقعة بين الرباط والخميسات ، اما تيفلت فتحريف حدث في عهد الحماية الفرنسية

بناحية مراكش ، فنهض اليها مزعجا واستخلف على فاس مولاه مصطفى باشا، ولما اتصل خبر نهوضه بعبد الله بن الشيخ وهو بدار ابن مشعل زحف عليه الى فاس فيمَن انضم اليه ، فبرز اليه مصطفى باشا وضرب محلته بظاهر فاس من ناحية باب الفتوح .

قال في (المرءاة) وعرض لعلي بن يوسف الاندلسي المعروف بالبيطار غرض من أمور العامة كان يتردد فيه الى المحلة ، فركب اليها يوم الاثنين السابع عشر من ربيع الثاني سنة ثمان عشرة وألف 1018 فالتقى الجمعان يومئذ بين الظهرين فانجلت الحرب عن مقتل مصطفى باشا ، وفقد علي ابن البيطار .

وقال في (النزهة) لما رحل زيدان الى مراكش بسبب ما بلغه من قيام بعض الثوار عليه هنالك قدم عبد الله بن الشيخ وعمه أبو فارس عبد الله الى فاس ، فخرج مصطفى باشا لمقاتلتهما ، فعثر به فرسه وقتل ، وأخذت محلته بأسرها ، وهلك مَن لا يحصى من الناس ، ووقع النهب حتى انتهب من البقر التي تحلب نحو ستة ءالاف ، ودخل عبد الله بن الشيخ فاسا مع عمه أبي فارس عبد الله وذلك سابع عشر ربيع الثاني سنة ثمان عشرة وألف .

تلخيص خبر أبي فارس عبد الله ومقتله رحمه الله

تقدم لنا أن عبد الله بن المنصور بويع بمراكش وبعث أخاه الشيخ لقتال السلطان زيدان ، فنكث الشيخ عهده واستبد عليه ، ثم بعث اليه ابنه عبد الله فهزمه الى مسفيوة ، ثم فر منها الى السوس فأقام عند حاجب ابيه عبد العزيز بن سعيد الوزكيتي ، ثم لما بالغ زيدان في طلبه فر الى أخيه الشيخ . فلم يزل مع ابنه عبد الله بن الشيخ الى أن قتل مصطفى باشا ودخل عبد الله فاسا واستولى عليها كما ذكر ءانفا ، فاتفق رأي قواد شراكة على قتل عبد الله وتولية عمه أبي فارس عبد الله ، فبلغ ذلك عبد الله فدخل على عمه أبي فارس عبد الله ليلا مع حاجبه حمو بن عمر ، فوجده على سجادته وجواريه حوله ، فاخرجهن وأمر بعمه فخنق وهو يضرب برجليه الى أن مات ، وذلك في جمادى

الاولى سنة ثمان عشرة وألف ، هذا هو الصواب لا ما في (نشر المثاني) على اضطرابه ، فأسف الناس عليه لانه كان يرده عن المناكر ويزجره عن كثير من القبائح .

وذكر في (المنتقى) أبياتا من انشاء الكاتب عبد القادر بن أحمد بن القاسم الفشتالي مما كتب تطريزا على نجاد الواثق بالله أبي فارس عبد الله المذكور ، وهي :

أتيه وأزري بكلّ نجـــــــاد ... يروق على حُلة اللابـــــــس
اذا كنت يوم الوغى محمــــلا ... لعضب حكى شعلة القابـــــس
علي عاتق الملك المرتضـــــى ... سليل الوصي أبي فـــارس (1)

1200) عبد الله بن محمد الشيخ (المامون) السعدي

هو الأمير عبد الله بن محمد المعروف بالشيخ الملقب بالمامون ابن السلطان الشهير أحمد المنصور السعدي الشريف الحسني ، تقدم في ترجمة عمه عبد الله المكنى أبا فارس أنه لما تغلب محمد الشيخ الملقب بالمامون على فاس جهز جيشاً عدده ثمانية ءالاف وأرسله اليه الى مراكش تحت امرة ابنه عبد الله المترجم ، فانهزم عبد الله (أبو فارس) ودخل عبد الله بن محمد الشيخ المامون الى مراكش واشتغل فيها بالفساد ، وكان دخوله لها في 20 من شعبان سنة 1015 هـ وكان أخوهما الثالث زيدان ابن السلطان أحمد المنصور أقام مدة بتلمسان يرجو اعانة الأتراك لقتال أخويه ، فلما لم يعينوه توجه الـــى سجلماسة فدخلها من غير قتال ، ثم انتقل الى درعة فسوس ، فكتب اليه أهل مراكش يطلبون منه ان ياتيهم ولو وحده ليدخلوا في طاعته ، فتوجه اليهـــم ودخل عليهم ليلا ، فلم يفجأ عبد الله بن محمد الشيخ المامون الا نداء أهل مراكش بنصر عمه زيدان ، وذلك في أواخر سنة 1015 ففر عبد الله ناجيـــاً بنفسه حتى قدم على ابيه بفاس،فجهز جيشاً ثانيا أرسله تحت امرة ابنه عبد الله هذا لمحاربة عمه زيدان بمراكش ، ولما بلغ خبر ذلك زيدان بعث لاعتراضه في الطريق جيشا قوياً بقيادة العلج مصطفى باشا ، وذلك في شعبان سنة

1) كل ما تقدم منقول من **الاستقصا** () : 4 طبع الدار البيضاء

1016 فالتقى الجمعان بموضع على طريق سلا يقال له تافلفلت فهزم مصطفى باشا وقتل من جيشه عدد كبير ، وتوجه عبد الله الى مراكش فبرز اليه أهلها فهزمهم ثم اقتحم البلد عليهم ، وفر زيدان إلى الجبال المنيعة ، ولما استولى عليها فرت شرذمة من أهلها الى جبل گليز وبايعوا محمد بن عبد المومن بن السلطان محمد الشيخ ، وكان رجلا خيرا ديناً ، فخرج عبد الله لقتاله فانهزم وولــى أصحابه الأدبار، ففر عبد الله من مراكش مهزوما يوم 6 شوال عام 1016 وسار الى فاس عن طريق تامسنا فوصلها يوم 24 من الشهر المذكور بعد جهد جهيد .

ثم جهز له أبوه محمد الشيخ جيشا ثالثا وأرسله ءاخر ذي الحجة من العام المذكور لمحاربة عمه زيدان الذي استولى على مراكش مرة أخرى فهزمه زيدان على نهر أبي رقراق وفر عبد الله تاركاً محلته بما فيها بيد عمه ، ولما اتصل الخبر بمحمد الشيخ خاف الفضيحة وسار بأهله وحشمه الى ناحية العرائش ، فلحق به ابنه عبد الله مهزوما بالقصر الكبير ، والتحق بهما أبــو فارس عبد الله بن أحمد المنصور فارا من أخيه زيدان أيضا ، ثم دخلت فاس في طاعة زيدان ، وسار جيشه بقيادة مصطفى باشا الى ناحية القصر الكبير بقصد القبض على أخيه محمد الشيخ وحزبه ففر الى العرائش ومنها ركب البحر بعياله الى اسپانيا مستصرخا سلطانها على أخيه زيدان وذلك فــي شهر ذي القعدة عام 1017 هـ أما ابنه عبد الله ، واخوه أبو فارس عبد الله فانهما فرا الى موضع يقال له سطح بني وارثن ، فجاء زيدان ونزل قبالتهما بموضع يقال له ءاروورات ، ففر من كان معهما الى السلطان وسارا هاربين الى دار ابن مشعل من بلاد بني يزناسن .

ولما رجع زيدان الى مراكش سنة 1018 زحف عبد الله بن محمد الشيخ الى فاس فبرز اليه واليها مصطفى باشا من ناحية باب الفتوح فجرت بين الفريقين حرب يوم الاثنين 17 ربيع الثاني عام 1018 انتهت بقتل مصطفى باشا وأخذ محلته ، ودخل عبد الله بن محمد الشيخ المامون الى فاس مع عمه أبي فارس عبد الله بن أحمد المنصور .

وبعد شهرين غدر عبد الله بن الشيخ بعمه المذكور فقتله خنقا في شهر جمادى الأولى كما تقدم في ترجمته .

ثم جرت بين زيدان وابن أخيه عبد الله بن محمد الشيخ مناوشات وحروب انتهت بانهزام زيدان سنة 1019 فانسحب الى مراكش صارفاً عنايته الى ضبط ما خلف وادي أم الربيع ، وتوارث بنوه السلطنة على ذلك النحو من بعده وبقي عبد الله بن محمد الشيخ المامون يقطع الايام بفاس الى أن هلك بها بعد فتن وثورات وحروب يوم الاثنين 23 شعبان عام 1032 بسبب مرض اعتراه من اسرافه في الخمر وادمانه عليه ، وكان لا يفارقه ليلا ولا نهارا ، ويتعاطاه سرا وجهارا . وتولى بعده أخوه عبد الملك فاقتصر على ما كان قد صفا لأخيه (1) .

1201) عبد الله بن علي ابن طاهر العلوي

عبد الله بن علي بن طاهر بن الحسن بن يوسف بن مولانا علي الشريف السجلماسي ، الامام العامل ، شريـف العلماء ، وعالم الشرفاء ، قال فـي (الصفوة) وانما بدأت به مع كونه مات في وسط القرن تبركا به ، لانه جمع بين الشرف والعلم والولاية ، كان رحمه الله رجلا ناسكا خاشعاً ، معرضا عن الدنيا ، مقبلا على الآخرة ، شديد الشكيمة على أهل البدع ، حريصا علـى فضيحتهم واخماد بدعتهم حتى ناله بسبب ذلك من بعض السفهاء المبتدعة اذاية عظيمة . وضربوه ضربا مبرحا ولم يمكن الانصاف منهم ، لانهم كانت لهم صولة من ولاة الامر ، وصحّ عنه رحمه الله أنه كان يرى النبي (ص) في اليقظة ، وحكي عنه أنه دخل عليه يوما بعض الطلبة ممن كان يتعاهده للقراءة، وكان هذا الطالب يشرب الدخان ويخفيه عن الناس ، فكاشفه الشيخ بذلك ، فقال له : أتشرب الدخان ؟ فقال له نعم ياسيدي ، فقال له الشيخ الآن قام النبي (ص) من ذلك الموضع ، وأشار لمكان في بيته ، كنت جالسا معه عليه السلام ، فسألته عن عشبة الدخان ، فقال لي هي حرام هي حرام هي حرام ، فتاب الطالب من ذلك .

---

(1) نقل المؤلف ترجمة عبد الله بن محمد الشيخ المامون من **الاستقصا** ، ولما كنها لاحظ ما فيها من طول وانها تشتمل على أخبار لا علاقة لها به . فصار يضرب على فصولها او يكتب في طرة هذه العبارة : تقدم ذكرها ، وقد اضطررنا ذلك الى تحرير هذه الترجمة المختصرة منقولة من **الاستقصا** الذي نقلها المؤلف منه ثم بدا له فألغاها

وحدثوا عنه أنه كان ذات يوم يجود القرءان العظيم مع بعض الطلبة ، فاعتراه حال عظيم احمرت منه عيناه وانتفخت أوداجه ، فقال والله لو أطلقت عنان لساني لأشرقت الأرض من نوره ، فلما أفاق من حاله قال للطالب لا تخبر أحدا بما شاهدت مني مدة حياتي .

وحدث عنه تلميذه العلامة أبو بكر التطافي رحمه الله قال : دخلت على شيخنا العلامة الزاهد سيدي عبد الله بن علي بن طاهر يوماً وهو إذذاك بقرية أولاد الحاج مـن بلد مضغرة ، فقال لـي : ان بني يفوس وهم قرية من الخنك وقع بينهم قتال ، قال فقلت ياسيدي أجاء أحد من هناك ؟ قال لا ، ولكن أخبرني بذلك قلبي وقلبي لا يكذب علي ، وقد جربته ، وكان بينه وبين هؤلاء مرحلة ، قال فجاء الخبر بوقوع الامر كما أخبر به .

وفي كتاب (بذل المناصحة) للشيخ الصالح أحمد بن علي السوسي قال : استجزت صاحب الترجمة فأجازني وكتب في التحلية : أجزت سيدي الفقيه العالم الصالح ، سيدي أحمد بن علي الصنهاجي ، قال سيدي أحمد فتأملت قوله في نسبي الصنهاجي ، فوجدته ذكر نسبة لم تعرف لي ولا لآبائي الأقربين ، ففحصت في أصول الاجداد الاقدمين ، فوجدت النسبة كذلك ، فعلمت أنه اطلع على ذلك من طريقة المكاشفة .

وكان صاحب الترجمة ءاية الله في حفظ السير النبوية والتنقيب على أخبار الصحابة وأحوال السلف الصالح ، يوشح مجالسه بذلك ، فكان لمجلسه بذلك حلاوة عند الخاص والعام ، وله اعتناء بتفسير القرءان ، فكان يقرؤه بجامع الحرة من حضرة مراكش حين وفد عليها سنة أربع وألف 1004 ويعتنى بمناسبات السور والآيات يقطع جل أوقاته في ذلك ، وألف في علوم القراءة كتابا سماه (الدر الأزهر . المستخرج من بحر الاسم الاطهر) جمع فيه اثنين وسبعين فنا وحذا به حذو (الاتقان) للسيوطي ولكنه زاد عليه . وله ديوان شعر في الامداح النبوية ، وحاشية على المرادي ، ونظم في اصطلاح الحديث ، وله قصيدتان بديعتان صغرى وكبرى اقتصر فيهما علـى الحروف

التي اشتملت عليها سورة الاخلاص ، وهي ثلاثة عشر حرفا ، ولم يدخل فيها غير ذلك من حروف المعجم ، فصعبت بذلك ، اذ صار يرتكب الغريب من اللغة فيها .

أخذ عن المنجور وأبي القاسم بن عبد الجبار الفجيجي وغيرهما ، وأخذ عنه جماعة كابن سعيد المرغيثي ، وسيدي أحمد بن علي المتقدم ، وأبي بكر التطافي ، وغيرهم .

وكان يوصي أصحابه بالصلاة التازية ويقول انها ترياق مجرب في جميع الحالات والحاجات دنيوية وأخروية ، وهذا نصها : اللهم صل صلاة كاملة وسلم سلاما تاما على نبي تنحل به العقد ، وتنفرج به الكرب ، وتقضى به الحوائج ، وتنال به الرغائب وحسن الخواتم ، ويسقى الغمام بوجهه ، وعلى ءاله وصحبه ، قال الشيخ الحسن اليوسي في فهرسته وصفة استعمالها أن يركع ركعتين يقولها أربع ءالاف مرة ، وعادة الاخوان اذا استصعبها الانسان الستين وتسعمئة ، انتهى .

توفي رحمه الله سنة خمس وأربعين وألف 1045 وكانت ولادته بعد الستين وتسعمئة ، انتهى (1) .

ووصفه في (المرءاة) بالامام العلامة الاستاذ المتبحر ، وقال أدركناه واستفدنا منه (2) .

وأثنى عليه الشيخ الحسن اليوسي وذكر أنه من أهل المكاشفة ، وكذلك العلامة سيدي أحمد بن يعقوب الولالي في كتابه (مباحث الانوار) وهو جدير بذلك . اذ كان رحمه الله اماما في العلم والعمل والديـن واتباع السنة ، من العلماء العاملين الراسخين ، والأئمة المحققين ، ءاية في الحفظ والتحقيق والزهد والورع والاجتهاد في العبادة ، قال في (النشر) ولا عبرة

---

(1) صفوة من انتشر ص 3

(2) مرءاة المحاسن ص 156

بمقالة يحكيها أهل الجهل وأسندوها لبعض الاكابر ، وهي أن حفاظ زمن صاحب الترجمة ثلاثة : حافظ ضابط ثقة وهو أحمد بن يوسف الفاسي ، وحافظ ضابط غير ثقة وهو أحمد المقْري ، وحافظ غير ضابط ولا ثقة وهو عبد الله بن علي بن طاهر الشريف الحسني السجلماسي ، قال الشيخ المسناوي وأنا أقول أعوذ بالله من ذلك ، قال مقيده واستغفر الله من كتْبه للتشنيع على قائله فكيف يسلب الثقة عن هذين الامامين ، اللذين كانا في زمانهما كالنيرين ، وتتلمذ لهما الشيوخ ، من أهل الثبات في العلم والرسوخ، وكلاهما كان منتصباً للفتوى في حاضرته على توفر شيوخ زمانهما ، ولم يقل في أحد منهما مثل هذا ولا ذكره حاسد ولا جاحد الى هذا الزمن الذي ظهر فيه مثل هذا القائل ، وهل هذا الا قدح في جماعة المسلمين ، وغمض لقدر العلماء العاملين ، وزادوه بان يسندوه لمَن يتحاشى قدره عن هذا الضلال المبين ، فالذي يتعين أن هذا الكلام مكذوب على مَن أسند اليه من الاعلام ، وقد أطلت البحث عن أقوالهم وتقييداتهم ووقع بيدي منها شيء كثير ولا رأيت ما يشعر بشيء من هذا الكلام ولا ما يقاربه ، بل الذي وقفت عليه عندهم ضده ونقيضه ، فليس يذكرون هؤلاء الائمة الثلاثة الا بمجموعة الاوصاف الثلاثة الحفظ والضبط والثقة ، وكل ما هو من أعلا مراتب التعديل ، والله يوفق مَن شاء بفضله ، ويخذل مَن شاء بعدله .

قال الزاهد الورع المحقق سيدي أحمد بن علي السوسي في صاحب الترجمة : كان من كبار الشرفاء ، وعظماء العلماء ، ثاقب زمانه في حفظ السير النبوية وأيام الصحابة وأنساب العرب وسير السلف الصالح ، ومناهج انقطاع سلكهم الواضح ، له بصيرة بالمذاهب السنية والابتداعية ، لسن الانتفاد على الفرق الباغية ، حضرته بمراكش عام أربعة أو خمسة من هذا القرن الحادي عشر في تفسير القرءان ، ولكلامه فيه طلاوة تسبي الأسماع لما تستحلي من الحلاوة ، يمزجها بأحوال النبوءة وأسرار النزول ، ويحليها بما قل من النحو وما لا بدله من النقول في بسط المناسبات فيما بين الآيات والسور بأوائلها ، وله في ذلك صناعة بديعة واليد الطولى ، وكان يكره أهل البدع ويشنع عليهم في درسه ، وتسلط عليه بعض سفهائهم وكانت له صولة

شيطانية من قبل ولاة الامر ، فضربه ضربا مبرحا فلم يقدر على الانصاف منه ، له أمداح كثيرة في النبي (ص) ، وله كتاب سماه (الدر الازهر) ذكر فيه أن للنبي صلى الله عليه وسلم ألف اسم ، نقله عن ابن العربي في العارضة، ونقل عنه كلاما طويلا في السماع والمفتقرة .

انتهى كلام سيدي علي المذكور بنصه .

ثم قال وفيه دعابة لا تفارقه ، فمن مستظرفاته أن قبيلة يقال لهم بنو أبي يحيى يتطيَّرون من الهرّ ولا يذكرون اسمه ليلا ولا نهاراً وخصوصاً الغداة ، وكان شيخ منهم ساكنا معه في حومته ، فيأتي مولاي عبد الله بالهر فيحلف الشيخ له لو فعله غيرك لقتلته ، ومراده التأنيس بينه وبين الهر لتزول عنه الطيرة التي لا أصل لها ، وكان سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فيه دعابة ، انتهى .

وتركنا من كلام سيدي أحمد أجوبة من صاحب الترجمة لانه يطول جلهـا .

أخذ رضي الله عنه عن الشيخ القصار ، والشيخ المنجور ، واعتمده في علوم ، وعن ابن عبد الجبار الفجيجي ، وأخذ عنه خلق كثيرون ، وجماعة من الأعلام ، منهم الشيخ العلامة أبو بكر بـن الحسن التطافي ، قال عنـه وكان يحدثنا بالصلاة التازية ، أي المروية عن سيدي ابراهيم التازي ، وهي : اللهم صل صلاة كاملة وسلم سلاما تاماً على نبي تحل به العقد ، وتنفرج به الكرب، وتقضى به الحوائج ، وتنال به الرغائب وحسن الخواتم ، ويستسقى الغمام بوجهه الكريم وعلى ءاله وصحبه . قال الشيخ الحسن اليوسي : كذا كتبها لنا رحمه الله ، يعني شيخه أبا بكر المذكور ، ويقول انها كانت عنده ترياقا مجربا في جميع الحاجات دنيوية واخروية .

ومن الاعلام الذين أخذوا عن صاحب الترجمة سيدي علي بن علي السوسي الآتية ترجمته ان شاء الله ، وكان يحضر مجالسه ، ويؤكد القراءة عليه ، وله عنه اجازة ، ومن الآخذين عن صاحب الترجمة الشيخ العلامة سيدي

محمد بن سعيد المرغيثي ، ومن المهم التنبيه على أن ما يذكر عند الجهلة من أن صاحب الترجمة اجتمع مع السلطان أحمد المنصور الشريف الملقب الذهبي على طعام ، فقال السلطان له أين يلتقى جدي وجدك ؟ فقال له صاحب الترجمة هنا التقت يدي ويدك ، معناه الالتقاء بينهما لينفيه عن الشرف فاحتال الذهبي في قتله بأن أجلسه على رخام في زمن البرد قدرا معلوما من الزمان ، حتى تمكنت منه علة البرد فمات منها ، فهو كله من الكذب الذي لا يمكن لأمور لا يمكن بسطها هنا ، لما يفضي اليه من التطويل ، ومن أوضحها أن وفاة السلطان أحمد المذكور تقدمت على وفاة صاحب الترجمة بأزيد من ثلاثين سنة ، فان السلطان المذكور تقدمت وفاته عام اثني عشر 1012 وصاحب الترجمة هذه سنة وفاته أربع وأربعون 1044 فهذه المقالة من هذر البطالين الذين لا يعقلون ، وتوفي صاحب الترجمة في جمادى الثانية من عام أربعة وأربعين ، ودفن ببلاده مدغرة من أعمال سجلماسة ، وبنيت عليه قبة مقصودة للزيارة والتبرك .

وفي فهرسته سيدي الطيب الفاسي أن صاحب الترجمة توفي سنة خمس وأربعين وألف 1045 ، قال في (النشر) : والأول أرجح ، لان الذي ذكره معاصر له ، وحاضر لزمن وفاته ، وليس مَن رأى كمن سمع ، والله أعلم .

واقتصر في (الصفوة) على أنه توفي سنة خمس وأربعين وألف وكانت ولادته بعد الستين وتسعمئة .

والذي رأيته في اجازة تلميذه الامام ابن سعيد المرغيثي للامامين سيدي محمد ابن ناصر وأخيه سيدي الحسين أنه توفي رحمه الله عند طلوع الشمس من يوم السبت الثاني عشر من جمادى الثانية عام اثنين وأربعين وألف بمدغرة ودفن خارج قرية أولاد الحاج بها ، وقد نقلتها برمتها في ترجمة سيدي الحسين المذكور فراجعها هناك ، فقد ذكر فيها ما قرأه عليه وأشياخه وأحواله رضي الله عنه .

وقال في (الدرر البهية) ما نصه بعد ذكره : وكان كثير الرؤيـا للنبي (ص) حتى قيل انه كان يراه كل ليلة ، وربما كان يراه يقظة ، وسأل ولده سيدي عبد الهادي كم تبقى لا ترى النبي (ص) ؟ فقال أمكث شهرا أو أكثر ، فعابه بذلك ، وأخبره صلى الله عليه وسلم أنه ولده ، وهذه منقبـة عظيمـة .

ومن مناقبه أنه كان يوما مع تلامذته فاحمرت عيناه وانتفخت أوداجه وظهر فيه أمر عظيم ، ثم قال : والله لو اطلقت عنان لساني لاشرقت الارض من نوره ثم سقط مغشيا عليه ، فلما أفاق قال لمن معه هل رأى منا أحد ذلك ؟ فقال لا ، قال لا تخبر بذلك أحدا ما عشت رضي الله عنه .

وكان قائماً مع الحق لا يراعى فيه أحدا ، كان ذات يوم مع السلطان أحمد الذهبي السعدي ، فاتفق أن قرأ قوله تعالى : (يأأيها الذين ءامنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ، بعضهم أولياء بعض ، ومَن يتولهم منكم فانه منهم) وكان قد رأى بباب السلطان يهودياً له حرمة عظيمة ، فلم يزل يرددها الى أن فطن السلطان ، فأمر بقتل اليهودي ولا شعور لصاحب الترجمة به ، فلما خرج وجده قتيلا ، فرجع الى السلطان وقال له الآن لست منهم ، وكان يغمَى عليه غالبا عند رؤية اليهود ، فانظر الى هؤلاء القوم كيف كان كلامهم في الله وبالله ، ولم يخشوا سواه ، خافوه فخافهم كل شيء ، وهابوه فهابهم كل شيء ، وراقبوه فراقبهم كل شيء .

ومن مناقبه الشهيرة أنه كان مرة صحبة بعض قوافل سجلماسة اذ خرج عليهم قطاع ءايت يوسي ، فالتجأ الناس اليه لما يعلمون من ولايته ، فحذرهم وأنذرهم ، فلم ينتهوا فاغتاظ وحصلت فيه حالة ربانية ، وكان يقرب جبل ، فاتكأ بيده على صخرة فلانت ودخلت يده الى المرفق ، وقال ايت ياجبل باذن الله فتضعضع الجبل وانشق وتساقطت حجارته ! فاعتذروا وتابوا ، فاشار بيده الى الجبل فكف ، ولم يزل به اثر ذلك الى الآن ، وكذا محل يده يقصده ذوو العاهات والأسقام ، نفعنا الله به وبأمثاله ءامين .

توفي رضي الله عنه بمدغرة سنة أربع وأربعين وألف ، ودفن هناك ، وقبره مزارة عظيمة ، وعليه جلالة شهيرة .

وقال في (زهر البستان) ما نصه : وأخذ عن الشيخ المنجور مولاي عبد الله بن علي بن طاهر الشريف الحسني السجلماسي دفين مدغرة نفعنا الله وبآبائه الاكرمين ، سلالة سيدنا ومولانا رسول الله (ص) ونبعته الزكية ، قال فيه صاحب (الدوحة) وهو اليوم مدرس بالمسجد الذي بنته أم السلطان مولاي أحمد الذهبي قدس الله روحه عودة بنت أحمد الوزكيتي ، وذلك قبل عودته من مراكش لبلاده بالصحراء ، فانه نفعنا الله به انتقل بعد مولاي أحمد الذهبي لتافلالت مركز سلفه الكرام ، ولقيه يوما في طريقه والد سيدنا المنصور بالله مولانا الشريف بن مولانا علي بن مولانا محمد بن مولانا علي بن مولانا يوسف بن مولانا علي الشريف أصل قعدد سادتنا شرفاء سجلماسة ، سأل مولاي عبد الله بن علي بن طاهر ومَن معه عن مولانا الشريف حين قصده للزيارة وهو صبي لم يدرك الحلم يلعب مع أبناء عمه من الشرفاء ، فأجابه بأنه ولد سيدي علي بن محمد فضمه اليه مولاي عبد الله بن علي بن طاهر ونظر اليه نظرة ربانية ، أمده فيها بسر الخصوصية الالاهية ، وأودع فيه بسببها نور الخلافة ، وقال له : مرحبا بولد سيد الشرفاء ، ولم يزده على هذه الكلمة ، ومن يومئذ لمح مولاي الشريف بالخصوصية التي أودع الله فيه من بركة نظرة هذا المولى المبارك ، فظهر ذلك في عقبه الكرام نفعنا الله بهم ءامين ، لا جرم أن أبان سر ذلك النور ونشر شعاعه في هذا القطر المغربي سادتنا الخلفاء ملوك وقتنا بنو مولاي الشريف الذين تدارك الله بهم رمق الاسلام في هذا القطر المغربي بعد أن فني أهله أو كادوا الخ .

ترجمه في المرءاة وفهرسة اليوسي ، والصفوة ، والتقاط الدرر ، ونشر المثاني ، والسر الظاهر ، وطبقات الحضيكي ، وفتح الملك الناصر ، وغيرها . ووقفت في مجموع على أسماء النبي (ص) منقولة من خط المترجم من كتابه المسمى بالدر الازهر .

1202) **عبد الله بن ابراهيم الشاطبي** الفقيه قاضي الجماعة بمراكش ، قال اليفرني في (درر الحجال) ما نصه الفصل السادس والعشرون في حكم الحلف في روضات الصالحين هل هي كالمساجد لمن وجبت عليه يمين أم لا ؟ تقع هذه المسألة كثيرا ، وهي أن القاضي ربما حكم باليمين ، فيقول المحكوم له رب الحق لا أحلّفه الا في روضة سيدي أبي العباس السبتي ، ويقول المحكوم عليه لا أحلف الا في المساجد حيث يحلف المسلمون ، والجواب أن يُجبر على الحلِف حيث شاء رب الحق ، وان كان الشرع انما جاء باليمين في المساجد ، لكن هذا من نمط الحرم المتقدم حكمه زيادة في الارهاب لكثرة استهوان الناس بالايمان ، والمسألة وجدتها منصوصة في كتاب المهذب الرائق للامام أبي عمران المغيلي ونصه : وينبغي أن يجتهد القاضي في ردع أهل الفجور الذين يتوسم فيهم اقتطاع أموال الناس بالايمان الحانثة بما يرى أنه يصدهم عن فجورهم ويردهم الى الاعتراف بالحق كالحلف بالطلاق أو في زاوية معظمة مرهوب منها أو مسجد غير الجامع ، وبمصحف في بيته وشبه هذا ، فان الناس قد أدخلوا ، ورأيت بخط الفقيه قاضي الجماعة بمراكش سيدي عبد الله بن ابراهيم الشاطبي رحمه الله على كلام المهذب ما نصه : زاد الامام الجزولي في مسبحة يد المرابط المخاف منه وعكازه ونحو ذلك ، الا أن في النوازل القروية ما نصه : مَن طلب أن يحلف له خصمه في روضة فيأبى الخصم الا في الجامع لا يجاب الى الحلف في روضة أو يد صالح ، ولا يحلف الا في الجامع على ما هو معلوم ، وفي كلام الجزولي ما يدل على هذا أيضا فانظره . انتهى من خطه ، والصواب ما في المذهب ، والله أعلم .

تـنـبـيـه :

كثير من العامة يحلفون بهؤلاء السادات الصالحين ، بل بعض الناس يحلف بالله فيقول له صاحبه لا ءامنك حتى تحلف بسيدي أبي العباس ، وقد نص بعض علماء الشافعية على أن هذا كفر لاستخفافه بجانب الله ، قال ومثله اذا حلف بالله فيقول له بل احلف لي بطلاق زوجتك ، وفي هذا والعياذ بالله من الاستخفاف والتهاون بعظمة الله ما لا يخفى ، ان لم يكن كفرا فقريب منه ،

وقد اختلف العلماء في النهي عن الحلف بغير الله هل هو على الكراهة أو على التحريم ، والمشهور الاول ، وعليه ففي المسألة للعامة تنفيس وسعة .

انتهى منها من خط مؤلفها .

1203) عبد الله بن أحمد السكتاني

عبد الله بن أحمد بن الحسن السكتاني الووكدمتي نزيل مراكش ، وبها مات رحمه الله ، شيخ شيوخنا العالم العلامة ، شيخ الجماعة ، وحيد عصره ، وفريد دهره ، انتهت اليه رياسة العلم والعمل والولاية ، أدرك الاكابر وأخذ عنهم ، وصحب العلماء والصلحاء وفضلاء وقته وخدمهم بصدق ونصح فصار منهم والتحق بهم ، وانتظم في سلكهم ، واعتلت مرتبته وعظم في القلوب، وملأت هيبته النفوس ، وعم صيته البلاد ، وتبرك به الناس حيا وميتاً ، وتخرج به جماعة من شيوخنا وغيرهم .

أخذ عنه شيخنا سيدي محمد بن عبد الله كدرار نزيل مراكش ، وشيخنا سيدي محمد بن محمد البوعبدلي المراكشي أيضا ، وشيخنا أحمد بن محمد العباسي ، وشيخنا أحمد بن عبد الله الصوابي السوسيان ، وغيرهم ممن لا يحصون .

ومن أشياخه رضي الله عنه العلامة سيدي أحمد بن الحاج الفاسي ، والعلامة الامام أحمد بن ابراهيم العطار الاندلسي المراكشي المتوفى سنة خمس ومئة وألف 1105 ، والعلامة الهمام الولي الانجح سيدي أحمد بن محمد بن ناصر ، والعلامة الكبير ، أعجوبة الدهر ، سيدنا الحسن بن مسعود اليوسي ، وولده العلامة سيدي محمد بن الحسن ، وغيرهم ، رضي الله عنهم ونفعنا بهم .

انتهى من طبقات الحضيكي .

قلت : وقفت في كناش الحضيكي على اجازة عبد الله المترجم لتلميذه أحمد الصوابي المؤرخة 29 حجة عام 1129 وأجاز المترجم عامة من أشياخه المذكورين أحمد العطار ، وابن الحاج ، وابن ناصر ، ومحمد اليوسي . وقبر

المترجم شهير بدرب الحمام من المواسين بمراكش ، وقد وقفت من فوائده على نحو خمس كراريس كانت بيد السيد عبد القادر بن موسى الدكالي .

تنبيــه : يقال للمترجم سيدي عبد الله تكدمت لان التاء تزاد فــي الكلمة في اللســان البربري دلالة على النسبــة ، فقولهم تكدمت كقولــك الووكدمتي .

ومن كراماته رضي الله عنــه ان بعض مَن اشترى الدار التي بهــا ضريحه أوائل القرن الرابع عشر نبش قبره متعللا بأنه أراد أن يعزل القبــر ليزلجه ويكون موضعه محترما ، فلما كشف عنه وجد الشيخ رضي الله عنه كأنه يوم مات ، فزلجه وجعل القطعة التي كان مدفونا بها من البيت داخل الدار من اسطوانها ، وأحدث بين البيت وبينه حائطا حجب به البيت .

ونقل في (الروض اليانع الفائح) نص طلب سيدي محمد الصالح الشرقي الاجازة من المترجم فأجازه عامة تباريخ أواسط رمضان المعظم عام خمس وثلاثين ومئة وألف 1135 وولده محمــد ممن أخذ عن الشيخ سيــدي أحمد بن ناصر ، وأخذ عنه سيدي يوسف الناصري كما سيأتي نقله عن الشيخ مرتضى في ترجمة تلميذه سيدي يوسف المذكور ، وتقدم ذكر ولده سيدي مبارك في ترجمة أحمد أحضري .

1204) عبد الله بن اسماعيل العلوي (السلطان)

عبد الله أمير المومنين ابن أمير المومنين مولانا اسماعيل العلوي ، قال في (نشر المثاني) لدى عام 1141 واحد وأربعين ومئة وألف : ومن حوادث العام فتن عظيمة جدا أفضت الى فناء خلائق لا يحصون ، ووقع نهب كثير ، وسفك دماء لا يحاط بها ، وكاد أن يهلك جميع مَن في المغرب لولا لطف الله ورحمته بالمومنين ، ثم منّ الله على المغرب بطالع الملك السعيد ، ورحمة الله التي عمّ بها القريب والبعيد ، السلطان المظفر الذي أولاه الله من عزه ما أولاه ، مولانا عبد الله ، الذي اختاره الله من صميم أهل بيت نبيه الطاهر ،

سادتنا وموالينا الخلفاء الراشدين ، أدام الله بهم حماية الاسلام ، ومتع المسلمين في ظلهم على الدوام ، فبويع مولانا عبد الله المذكور ، وكان حينئذ بسجلماسة، ووصل الى فاس في مهلّ رمضان من عام الترجمة 1141 ثم خرج بحفظ الله لمكناسة ، وأخذ في الجد والاجتهاد ، حتى بسط الله له اليد على جميع مَن بالمغرب من حاضر وباد ، لله الامر من قبل ومن بعد .

ثم قال فيه في ترجمة العلامة سيدي محمد بن محمد بن أحمد بن يوسف الفاسي ما نصه : ولي بعد ذلك الخطبة بالسلطان مولانا اسماعيل، وخطب بولده السلطان مولانا عبد الله بعده ، وولي التدريس بمسجد قصبة دار الامارة حسبما سمعنا كل ذلك عمن أخبرنا ولم نره أصلا .

وقال في عام 1150 خمسين ومئة وألف ما نصه : وفي هذا العام هُزم جيش الثائرين على يد مولاي عبد الله هزيمة شنيعة بعد أن صدر منهم فساد كثير على أنواع متعددة ، وذلك على يد البربر ، وارتفعت الاسعار جدا ، فبلغ القمح أزيد من خمس أواقٍ قديمة للصاع النبوي الذي بوقتنا الآن منه أربعة ءاصع في كل مد ، فيكون المد الموجود الآن بحسب مثقالين اثنين لكل مُد ، نسأل الله تعالى السلامة والعافية بمنه وكرمه ، وأدام نعمته علينا بوجود مولانا المنصور بالله ، ولا حرمنا من بركته ءاباد الآبدين ، وجعل اللصوص يهجمون على الناس في ديارهم ليلا ويقتلونهم ويستغيثون فلا يغاثون ، وبلغ الخوف الى أرباب الدور المتطرفة بفاس نهارا فلا يستطيع أحد أن يخرج على باب مصمودة في العدوة ، ولا عن باب القصبة القديمة في الطالعة ، ولا عن حومة الحفارين من باب عجيسة ، وكثر الهدم في الدور لأخذ خشبها وءاجرها ، وقوي الخراب ، وخلت الحومات ، تجد الدرب مشتملا على عشرين دارا وأكثر وكلها فارغة ، وافتضح الناس من أهل المروءة ومَن يظن به الدين ، وكل مَن قدر على نهوض خرج من فاس ، وقلّ مَن سلم بعد خروجه ، وخرج الناس لتطوان وما والاها لجلب الطعام ، اذ سخَّر الله العدو والكافر يحمل الطعام من بلاده لارض المسلمين ، واشترى منه أهل فاس كثيرا ، فامتنع من حمله لهم أهل الابل ، وهم البداوة وماطلوهم ، فشكوا لوالي تلك المدن الحاج أحمد بن علي الريفي .

بويع المترجم بعد وفاة أخيه السلطان مولانا أحمد الذهبي ، وذلك سنة احدى وقيل اثنين وأربعين وألف 1142 فكان ذا حزم وعزم وابرام ، وقوة ونجدة وشجاعة واقدام ، وعلو همة واباء ، وجود وكرم وسخاء ، عزيز الجار ، محمي الذمار ، شديد المحبة لآل البيت الكرام ، كثير المودة لهم على الدوام، كثير الاجلال والتعظيم للصلحاء والاولياء ، عظيم الاحترام للعلماء والطلبة والمرابطين والضعفاء ، ومن مآثره الهدية النفيسة التي بعثها مع الركب المغربي الى الحرم الشريف ، وذلك سنة خمس وخمسين ومئة وألف 1155 وفيها ثلاثة وعشرون مصحفاً بين كبير وصغير ، محلاة بالذهب ، مرصعة بالدر والياقوت ، ومن جملتها المصحف الكبير العقباني الذي نسخه بالقيروان عقبة بن نافع الفهري الصحابي المشهور فاتح المغرب من المصحف العثماني على ما قيل ، وبقي متداولا بين أهل المغرب الى أن وقع بيد الاشراف السعديين ، ثم بيد صاحب الترجمة فغربه من المغرب الى الحجرة الشريفة ، فعاد به الدر الى وطنه ، والابريز الى معدنه ، وبعث معه ألفين وسبعمئة حصاة من الياقوت المختلف الألوان للحجرة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، تقبل الله عمله ، وأجزل ثوابه ، بمنه ءامين .

وكان رحمه الله مولعاً بصناعة الملحون ، صرف همته اليه ، حتى صار كأنه طوع يده ، وأحواله كثيرة ، ووقائعه وأخباره ممتدة شهيرة ، قد بسط الناس الكلام عليها ، ووجهوا وجه الالسن والأقلام اليها ، دخل رحمه الله في ءاخر عمره داره المعروفة بدار الدبيبغ ، وهي التي بخارج فاس الجديد ، وأقام بها الى أن توفي ليلة الخميس سابع وعشري صفر الخير عام واحد وسبعين بموحدة ومئة وألف 1171 وغسله قاضي فاس سيدي عبد القادر بوخريص مع مَن حضر من علماء فاس ، ودفن في ءاخر النهار بعد ما صلى عليه القاضي المذكور بباب داره المذكورة في مقابر الشرفاء العلويين التي في جوار دار الملك من فاس العليا ، وبنيت على ضريحه هناك قبة ، وجعل على قبره بها دربوز وكسوة ، وهو معروف مشهور معظم مزار نفعنا الله به وسائر ءال بيت نبيه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ءامين .

ترجمه في (النشر) وفي (التقاط الدرر) وغيرهما، وسمي الضُّعيِّف في تاريخه عامل مراكش في وقته الحاج حسين المراكشي .

1205) عبد الله بن ادريس المنجرة

عبد الله ابن الشيخ العلامة الجامع ، شيخ جماعة القراء في وقته ، سيدي ادريس النجار المدعو المنجرة ، ابن الشريف سيدي محمد ، بن سيدي أحمد ، بن سيدي محمد ، بن علي ، بن محمد ، بن أبي بكر ، بن الحسن ، بن عيسى ، بن مخلوف ، بن الحسن ، بن بختي ، بن علي ، بن سادور ، بن أحمد ، بن عبد القوي ، بن العباس ، بن عطية ، بن مناد ، بن السري ، بن قيس ، بن غالب ، بن أبي بكر ، بن عبد الله ، بن ادريس الاصغر باني فاس ، بن ادريس الاكبر دفين زرهون ، بن عبد الله الكامل ، بن الحسن المثنى ، بن الحسن السبط ، بن مولانا علي بن أبي طالب وفاطمة رضي الله عنهما بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال في (الطريق الوارية) هكذا وقفت عليه في ظهائر بأيديهم .

كان سيدي عبد الله في ابتداء أمره يخدم صنعة الحرير ، ويكتب لوح القرءان حتى حفظه ، واشتغل بالقراءات على أخيه مولاي عبد الرحمان ، وبقراءة النحو والفقه والحديث وغير ذلك ، ثم بعد ذلك لما فتح الله عليه انتقل من فاس الى مراكش ، واشتغل بقراءة العلم فيها ، ونفذ له أمير الوقت الامامة بمسجد المواسين ، فكان اماماً به ويدرس العلم ، له مجالس في كل وقت يجتمع عليه الناس كثيرا ، بقي على ذلك الحال الى أن توفي رحمه الله تعالى عام خمسة وسبعين ومئة وألف 1175 .

وذكر في محل ءاخر وسبب الفتح على المترجم خدمته في مرمة الحرير التي كان يخدم فيها صاحب الاحوال الربانية سيدي أحمد السلوي دفين فاس، وانه ما خدم فيها أحد الا فتح عليه ببركته رضي الله عنه ، ووقفت بمراكش على كتاب مسند الامام عبد الله بن عبد الرحمان الدلامي بخط المترجم كتبه عام ثلاثة ومئتين وألف 1203 . ووالده هو المعروف بالمنجرة الكبير المتوفى

عام 1137 بفاس ، وولده عبد الرحمان بن ادريس هو المعروف بالمنجرة الصغير المتوفى بفاس عام 1179 ، ولادريس فهرسة في نحو ثلاثة كراريس سماها (عذب الموارد ، في رفع الأسانيد) ، ولعبد الرحمان فهرسة في نحو كراستين، وتقدمت ترجمة ادريس رحمهم الله ، ووقعت للمترجم مشاحنة في قضية مع قاضي مراكش عبد العزيز العبدلي عزله عن القضاء بسببها السلطان سيدي محمد بن عبد الله ، ثم رده بعد ذلك وهي مبسوطة في (الترجمان المعرب) .

1206) **عبد الله بن الرضي التاملي المراكشي**

عبد الله ابن الفقيه الرضي حفيد العالم الاكمل البركة الصوفي المبجل علي بن سليمان التاملي المراكشي ، كان فقيها جليلا ، فاضلا أثيلا ، مشاركا نبيلا ، وهو الذي عاوض من فيض ماء الاحباس بثمانية عشرا بها لداره بدرب الاشراف وأمضى هذه المعاوضة القاضي عبد العزيز بن محمد السجتاني بتاريخ 29 من ذي قعدة عام 1180 وأعمل هذا الرسم القاضي سيدي المكي بن الحسن العمراني بتاريخ 16 رمضان عام 1242 ووجدته محلى بتلك التحليات في رسم المعاوضة ، قال الشيخ التاودي في ترجمة سيدي الحسن بن مبارك السوسي دفين مكناسة الزيتون حذاء سيدي عمرو بن عوادة لما زاره عند وروده لمكناسة عقب افاقة السلطان من مرضة كبيرة كان مرضها ما نصه : وعن هذه المرضة أخبرني وزيره وحاجبه وأخص الناس به يومئذ السيد عبد الله بن الرضي المراكشي أنه خاف الموت على السلطان والحمد لله ، ثم قتل ابن الرضي مع ما كان من المكانة عنده والمنزلة ، مات سيدي الحسن رضي الله عنه سنة نيف وسبعين ومئة وألف . وفي تذكرة المحسنين تعيين سنة موته وهي سنة خمس وسبعين ومئة وألف 1175 .

1207) **عبد الله بن عبد السلام ابن ياسين** ، حفيد سيدي عبد الله ابن ياسين دفين المواسين المتقدم ، المراكشي الدار والقرار ، الجزولي السوسي، تلميذ القطب سيدي أحمد بن محمد ابن ناصر ، وأخذ عنه ابن أخيه الفاضل الحاج محمد بن الحاج العباس بن الحسن بن محمد بن ياسين الفاسي دارا ومولداً . وذكر في (الروضة المقصودة) عند ذكر سيدي عبد الله ابن ياسين

الشيخ العالم الحاج عبد الله بن عبد السلام بن ياسين تلميذ الشيخ سيدي محمد دفين زاويته بالعيون من فاس المحروسة ، وعن الشيخ سيدي أحمد ابن ناصر ، وأسند عنه الشيخ التاودي في بعض الاجازات دلائل الخيرات ، والحزب الكبير ، وبردة المديح ، وكانت وفاته سنة خمس وثمانين ومئة وألف 1185 بثغر رباط الفتح بعد أن كان يتردد بالسكنى فيما بينه وبين مراكش وفاس لما رمى من يده عصا التسيار ، ولزم المغرب دار القرار ، رحمه الله ورضي عنه .

وقال أيضا : كان صاحب الترجمة شيخا حسن الاخلاق ، متمسكا بالسنة في عامة أفعاله على الاطلاق ، حج مرارا وزار ، ولقي جماعة من الاشياخ، وناهيك بأبي حامد العربي التلمساني .

وحلاه عبد الله بن محمد ابن يخلف الاندلسي الانصاري الفاسي دارا ومنشأ في كتابه (سلوة المحبين) بالمرابط الخير القاطن بمدينة الرباط ، ونقل عنه أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم والشيخ سيدي محمد ابن الفقيه أمامه ، فقلت ياسيدي يارسول الله عمن ءاخذ ؟ فقال لي صلى الله عليه وسلم عن هذا ، وأشار بيده الكريمة اليه ، فأخذت عنه بازجن .

انتهى باختصار .

1208) **عبد الله ابن عزوز المراكشي** دارا ومنشأ السوسي أصلا ثم القرشي العباسي نسباً ، هكذا وجدت في أول تأليفه (ذهاب الكسوف ونفي الظلمة ، في علم الطب والطبائع والحكمة) ، فرغ من تأليفه في يوم الخميس الثامن من رمضان عام أربعة وتسعين ومئة وألف 1194 ، ووقفت على تأليفه (لباب الحكماء ، في علم الحروف والاسماء) و (المختصر الأزهر ، في فضل العلم والعمل) ، و (اثمد البصائر ، في معرفة حكمة الظاهر) وعلى كتابه (رسالة الصوفي للصوفي ، في التعريف بالاسم الاعظم المفرد الجامع الكافي ، وفي التعريف بشرابه الصافي ، وميزانه الوافي ، وسره الخافي) ، وقد اشتمل على ثلاثة مجالس : الباب الأول من المجلس الاول في خواص اسم الله الاعظم

المفرد ، الجامع الكافي اسم الجلالة وفيه ثلاثة أبواب ، وصرح في الباب الاول أنه جمع فيه من خواص الاسم الاعظم وهي فنون الحكمة والاسرار المصونة والعلوم المكنونة ما لم تجده مجموعا في كتاب ، وصرح فيه بالعبارات والاشارات لاهل البصائر النافذات ، الباب الثاني منه في ذكر الاسم الاعظم وفضائله ومنافعه وفوائده ، الباب الثالث في خواص الذاكر الذي يذكر الاسم الاعظم المفرد الجامع الكافي في اسم الله الجلالة ، الباب الاول من المجلس الثاني في فضل عمل هذا الاسم الاعظم المفرد الجامع الكافي اسم الجلالة الله على سائر الاعمال ، الباب الثاني من المجلس الثاني في الدعاء بهذا الاسم الاعظم الله وفي الرقية به والارتقاء بدعائه ، الباب الاول من المجلس الثالث في كيفية التصرف في الذوات ، الباب الثاني من المجلس الثالث في كيفية التصريف بالنفوس باحضار أغراضها ومطالبها أو بخرق عادتها ، الباب الثالث منه في كيفية التصريف في الارواح وأرواحها الروحانية وجلي أغراضها ومطالبها أو دفع ذلك ، الباب الرابع منه في كيفية التصريف في العقول قاطبة وفي كيفية التصريف بالحرف الفعلية الذاتية والنفسية والروحية والعقلية واظهار خواصها ومنافعها وفوائدها ، فرغ من تأليفه ليلة الخميس الثامن والعشرين من صفر عام خمسة وتسعين بمثناة ومئة وألف 1195 وهو في مجلد من القالب الرباعي ، وقد وقفت عليه والحمد لله ، ووقفت على تأليفه كتاب (الانوار ، في سر الاختصار) ، الباب الأول فيمن عرف ربه ، ونال في بلوغ السعادة ربحه وحظه ، الباب الثاني فيمن يعتقد فيه حكم التصريف بالمثلث ، ومنها أجوبته النورانية ، ومنها الاسئلة والأجوبة في الفقه والاصول والطب ، ومنها كشف الرموز ، و (بحر الوقوف ، على سر الحروف)، ومنها (السر الوافي، والترتيب الكافي) ، ومنها (حل العقود ، وعقد الحلول) .

كان المترجم رحمه الله من أفراد أهل عصره في الحكمة أكب عليها وألف فيها التآليف الكثيرة المبسوطة والمختصرة ، ومن أشياخه سيدي أحمد الحبيب اللمطي المتقدمة ترجمته .

توفي المترجم رحمه الله المدعو عند العامة ببلة ابن عزوز بفتح الباء وتشديد اللام ومعنى بله في لسان البربر عبد الله قتيلا أواخر العشرة الاخيرة من القرن الثاني عشر ، ودفن بداره بدرب الحمام من باب ايلان ، وقد وقفت على ظهير حسني مؤرخ في 4 رمضان عام 1303 يأمر محتسب مراكش بأن ينفذ لاصلاح ضريح سيدي بلة ابن عزوز نفع الله به من الجير والآجر على يد الخدام امناء البنيقة السعيدة ، وقبره مزارة عظيمة ، وله مناقب وكرامات ، وعندنا بلة ابن عزوز الرحماني المراكشي تقدم في حرف الباء .

1209) عبد الله بن ابراهيم اليفرني

عبد الله بن الحاج ابراهيم بن محمد بن عبد الرحمان بن أحمد بن محمد اليفرني الشريف الحسني ، لقي الفقيه العلامة سيدي محمد بن المهدي الراشدي من أحواز تلمسان عام 1125 حين قدم لزيارة صالحي هذا القطر ، ولما وصلت محلة الباشا عبد الكريم ابن منصور لبلادهم أمره والده بخروج من في الزاوية من باب المنهل لناحية فجة جندافة ، ثم شاور الفقيه العلامة القاضي عبد الرحمان بن ابراهيم بن محمد التفنكلتي المعمر فاشار عليه بالذهاب لبلدة مسكالة عند محمد بن الحاج ، فهدم الباشا الزاوية ودار الشيخ يحيى وكريم ومعه من الجيش تسعة ءالاف فارس وثلاثة وعشرون ألف راجل ، وشرب المترجم ماء زمزم الذي كان ورد به معه حين حج سنة 1121 ودخل أهل البلاد مع أهل انين وأخذوا جميع ما في الزاوية من الكتب وجميع ما فيها ، وأمرهم مولاي الشريف باضرام النار فيها وقطع الاشجار ، ثم رحل الباشا ليلة سبع وعشرين ونزل بآيت وعبدي في بلاد حنكيرة في دير بني سمك ، ثم رحل الباشا الى قبائل زداغة مطاردا للحاج ابراهيم المذكور عام 1127 ، وكان المترجم رحل للزاوية الناصرية بتامجروت عام 1120 وقرأ على جهابذها، ثم ان المولى اسماعيل عفا عنهم ، وقال له : ان ما فعله ولده مولاي الشريف وخديمه عبد الكريم ما أمرهم بذلك ولا وافقهم عليه في 8 شوال عام 1127 وأمره بالقدوم عنده مع السكين المذكور ، ثم ان الباشا قتل بمراكش في جامع الفنا بودربالة الثائر بسوس ، ثم نقل المترجم عن القاضي عبد الرحمان المذكور

أن بلدة رحالة كانت كلها بحرا من أكدير ، وكان المرسى بمدينة اغفر ، والحجر الاحمر . قال المترجم في كتابه (رحلة الوافد ، في أخبار رحلة الوالد) ما نصه : وقد ذكر لي محبنا السيد الحاج محمد بن ابراهيم الجعفري الساكن في روض العروس بمراكش عام 1118 ونحن خارجون من باب دكالة متوجهين لنحو باب الروب ، وكنت أسأله عن القدرة الكبيرة التي هي مركبة في جامور منار الكتبية ما قدر وسعها ؟ فقال ملؤها ست غرائر زيدانية ملحاً ، وتعجبت من ذلك ، وهي مطلية بالذهب تلمع ، انتهى .

ثم ذكر أن علي بن يوسف هو الباني للمدرسة الكبيرة المعلومة بمراكش ، وهو غلط ، ثم ذكر أن مسجد تنمل الكبير افتى علماء مراكش في الوقت ، منهم المفتي القاضي سيدي محمد بن أحمد المريني من شرفاء بقية بني مرين ، والامام سيدي أحمد بن سليمان الرسموكي ، وقريبه في العلم الولي الصالح الزاهد ، سيدي عبد الله الووكدمتي السوسي ، والعلامة السيد العربي اليفرني ، وقاضي الجماعة سيدي محمد بن بوعبدلي المراكشي ، ونائبه الفقيه سيدي أبو جمعة الماسي ، وغيرهم من أهل الفقه والعلم بالمدينة، وبسبب ذلك أحدث المسجد الصغير الذي بتنمل بازاء المسجد الكبير ، وفتحوا محرابا لتصبح القبلة لناحية المشرق لا الجنوب ، لان مذهبهم ربع الدائرة تسعون نصفها جنوبي ونصفها شرقي لا مئة وثمانون نصف الدائرة .

وقرأ المترجم على الفقيه الوجيه سيدي أحمد بن الحسن الهوزالي قاضي الجماعة برحالة ، والمحدث الفقيه الصالح سيدي محمد بن ابراهيم بن أحمد العثماني نزيل رباط زاوية تكركست ، يسمع صحيح البخاري والموطأ وصحيح مسلم والجامع الصغير للسيوطي والخصائص الكبرى وغير ذلك ، ويستحضر في مجلس التدريس من الكتب اثنين وسبعين كتاباً ، وزار قبر سيدي عمر ابن هارون ، وسيدي عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم المناني ، وحضر قراءة البخاري ثلاث سنين ثمة مع العلامة سيدي محمد بن أحمد بن ابراهيم التفنكتي ثم المراكشي ، كان فقيها جليلا متفننا في علوم شتى .

وكان أديبا من شعراء الوقت ، وتلاقى مع فقهاء مراكش كسيدي الحسن الحميدي عام 1115 والعلامة الفقيه سيدي أحمد بن المرابط المراكشي ، وكانوا أحيوا سنناً أندرست ، ومن أشياخه العلامة سيدي محمد بن أحمد الجدميوي ، ولقي أيضا صاحبه العلامة فقيه مراكش سيدي الصغير اليفرني حين رجع من فاس لموضعه بمراكش عام 1130 وتصدر لقراءة التفسير وصحيح البخاري ، وكان حافظا متفننا ، ودرس المترجم مع أخيه محمد الصغير الرسالة والمختصر والخلاصة واللامية والجرومية وحقائقها والجمل والمرشد والكراريس مورد الظمآن على الرسم وكتاب الضبط على الضبط ، وكتاب ابن بري على التجويد، وحرز الاماني ، وأرجوزة ابن الجزري على اتقان الرسم وعلى التجويد ، وتوحيد الحوضي والسنوسي ، وبيوع ابن جماعة ، وقواعد ابن هشام ، والسلم ، ومختصر السنوسي ، ومختصر جمع الجوامع للسيوطي ، والقصادي في الحساب ، ومنية ابن غازي ، ورسالة للصفار على الاسطر لاب ، وبعض تحفة الحكام ، وكتاب الله أربع مرات في مدة أربعة عشر عاما ، سبعة في حياة والده والاخرى بعد موته .

وبقي المترجم حيا الى عام 1142 ومن أشياخه الشيخ سيدي محمد بن علي .

1210) عبد الله بن محمد الانصاري

عبد الله بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الله بن عبد العزيز الانصاري أخو أحمد المتقدم ذكره ، وأمهما صفية بنت الحسين بن محمد بن علي بن شرحبيل البوسعيدي أحد المقدمين في الزاوية الناصرية ، وهو ابن رحال والدهما ورد عليهما مع أخيه في سنة 1197 فسمع معه أشياء ، وأجزت لهما وهما في نهاية من الصلاح والتقوى والبر وحسن القيام في طاعة المولى ، مع التوجه اليه في السر والعلن ، وقد توجها الى مراكش بارك الله فيهما .

انتهى من معجم الشيخ مرتضى .

1211) عبد الله بن الحسين ابن ناصر الدرعي

عبد الله (القطب) بن الحسين بن أحمد بن الحسين ابن ناصر ، انتقل الى أرض السراغنة ، واتخذ هناك زاويــة بتاكلوت على ضفــة وادي تساوت توارثها عقبه من بعده الى يومنا هذا .

كان المترجــم عالما تقيا ورعاً وليــاً مكاشفا ، وصفه غير واحــد بالقطبانيــة ، وأثنى عليه أئمــة عصره الثناء الجميــل ، وذكروه فــي تآليفهم ، منهم الشريف العلامة المحدث سيدي الوليد العراقي ، والعلامة الشريف النقيب سيدي سليمان الحوات ، والعلامة القاضي الاعدل ، سيدي الطالب ابن الحاج، وغيرهم . قال ابن الحاج المذكور في كتابه (الاشراق) ما نصه: كان العارف بالله سيدي محمد الهادي ابن العلامة سيدي زيان العراقي ممــن اشتهر بالخصوصية ، وظهرت على يده كرامات وخوارق ، فتح عليه على يد الشيخ العارف بالله سيدي عبد الله بن الحسين بن أحمد بن الحسين ابــن ناصر ، وكان الشريف المذكور يثني عليه ويقول انه من نظراء أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه ، وذكر أنه سأله يوما عن مسألة فقال له سل عنها جدك يعني النبي (ص) ، قال فلم أستطع أن أراجعه بقولي ومَن لي بذلك ، ثم رأيت في نوم خفيف طرأ علي كأني راكب خلف النبي صلى الله عليه وسلم ، وشيخي سيدي عبد الله المذكور واقف وهو يقول لي : سل رسول الله صلى الله عليه وسلــم .

انتهى كلام ابن الحاج .

وقــد بسط هــذه القضية سيدي الوليد العراقــي رحمه الله في كتابه (الــدر النفيس) فقال ما نصه : لما حــج السيد الشريــف الفقيه النبيه ، المشارك النزيه ، العارف بالله حقا والدال عليه حالا ونطقا ، سيدي محمد الهادي بن زيان العراقي الفاسي لقي في رحلته المذكورة غير واحد من أكابر الاولياء ومشايخ الطريق ، فأخذ عنهم واستفاد منهم ، وانتفع بهم ؛

وتأدب بتأديبهم ، وأشير عليه وهو بالمدينة المنورة بالشيخ العالم الدراكة النحرير ، الولي الكبير ، العارف بالله الخطير ، صاحب الكرامات الظاهرة ، والمكاشفات الكثيرة الباهرة ، عبد الله بن الولي الصالح الحسين بن أحمد بن الحسين ابن ناصر القاطن بدرعة محل أسلافه وأقاربه الكرام ، ذوي المناقب السنية ، والطريقة المستقيمة السنية ، رضي الله عنهم ، فأشهد مَن كان حاضرا معه هنالك بأن عليه زيارته ، ولما انتهى الى فاس رحل اليه بفور قدومه، فلقيه بقرب زاويتهم الكائنة بتامكروت من بلاد درعة ، فأخذ عنه واغترف من بحره ، ونال منه غاية وطره ، وهو شيخه الذي تربى به وتأدب ، وتكمل عليه وتهذب ، وكان يبالغ في الثناء عليه كثيرا ، ويسأل الله تعالى أن يجازيه عنه خيرا ، ويقول فيه انه من أقران القطب الشهير أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه ، ويذكر له كرامات عظاما ، وخوارق جساما ، منها أنه سأل عن مسألة فقال له سل عنها جدك رسول الله (ص) ، قال فلم أستطع أن أراجعه أدبا معه حتى أقول مَن لي بذلك ، قال الشريف المذكور ثم اني رأيت في نوم خفيف طرأ علي وكأني راكب خلف رسول الله (ص) وشيخي عبد الله المذكور واقف وهو يقول لي : سل رسول الله (ص) .

وورد الشيخ عبد الله على فاس سنة تسعين بتقديم المثناة ومئة وألف 1190 فيما أظن ، ونزل بدرب جنيارة بدار بعض أصحابه ، وتوفي سنة ثلاث ومئتين وألف 1203 وكان يجل الشريف المذكور ويعظمه بأبلغ تعظيم ، ويكرمه أرفع تكريم ، وربما أجلسه على فخذه رحمه الله ورحم الجميع .

انتهى كلام سيدي الوليد العراقي رحمه الله .

قلت وسيدي الهادي بن زيان المذكور هو الذي أخبر أن شيخه سيدي عبد الله بن الحسين المذكور أخبره أن الشيخ ابن ناصر جعفري النسب، ولا يخفى أن خبر هذا الشيخ الجليل الذي أثنى عليه هاؤلاء الايمة وغيرهم الثناء الجزيل حجة وأي حجة ، كيف وقد انضم الى ذلك من الشواهد وكلام الائمة غيره ما تقدم بسطه في الباب السابع ، فراجعه ان شئت ، وقد ذكر العلامة النقيب الشريف سليمان بن محمد الحوات في كتاب (الروضة)

ترجمة سيدي عبد الله بن الحسين هذا وأطال فيها، فقال ما ملخصه : ومنهم يعني ومن شيوخ العلامة الامام سيدي التاودي ابن سودة المري رضي الله عنه الشيخ الولي السني ، العارف الواصل الى المقام اللدني ، المتضلع من علمي الشريعة والحقيقة ، السالك في اتباع السنة ما انتهجه أسلافه شيوخ الطريقة ، عبد الله ابن العالم العامل الحسين ابن المبارك التقي أحمد ، ابن الشيخ العلامة القدوة الصالح الحسين ، أخي القطب سيدي محمد ابن ناصر رضي الله عنه ، ثم قال : حدثني تلميذ صاحب الترجمة ، وهو صاحبنا العالم العامل العابد الناسك الكامل ، محمد الهادي بن شيخنا ، مولانا زين العابدين العراقي الحسيني أنه سمع صاحب الترجمة ينتسب الى سيدنا جعفر الطيار رضي الله عنه ابن عم النبي (ص) ، قال وبيت صاحب الترجمة بيت علم وولاية ، وقيام على على السنة في البداية والنهاية ، فكم فيهم من العلماء العاملين ، وأولياء الله الصالحين ، وأثر الاتباع باق بزاويتهم الى الآن ، وطريقتهم بالمغرب أكثر الطرق في كثير من البلدان ، وأهلها ماشون على السنة والجماعة ، منفقون فيما يقربهم الى الله زلفى أنفس البضاعة ، نشأ صاحب الترجمة بين ظهراني ءابائه في كفالة العلم والعمل ، مقتفياً ءاثارهم في كل ما يوصل الى الله عز وجل ، حتى أورقت أغصان فهومه ، وفاضت بحار علومه ، واشرقت في صدره أنوار العرفان ، وتجلت له من ربه شموس الاحسان ، ثم انتقل من درعة الى بلاد السراغنة ، وهنالك أبدى على الدعوة أدلته وبرهانه ، فانحشر الناس للاخذ عنه والانتفاع به ، وأفشى لهم الاسرار بالمكاشفة عن أمرها المشتبه ، حتى ترى الانسان اذا فعل ما يريد استتاره ، لا يحوم حوله ليله ونهاره ، والا فغالب مَن أتاه يقول له فعلت كذا ، تركت كذا ، أظهرت كذا ، خيرا كان أو ضراً ، وكان قد أضر في الصغر ، وفقد من كلتا عينيه النظر ، ما يبصر شيئاً ، ولا يميز من الظلمة ضوءاً ، انتهى .

وقال العلامة الامام سيدي التاودي ابن سودة رحمه الله في فهرسته ما نصه : حدثني الشيخ الصالح الناسك السالك ، سيدي عبد الله بن الحسين ابن ناصر عن والده قال ، كان سيدي محمد التوزاني دفين تازة اذا قال المؤذن الله أكبر قرأ كذا وكذا حزبا ، قال ولم يكن في أصحاب الشيخ سيدي أحمد ابن

ناصر أكبر منه والشرحبيل ، قرأت على الشيخ سيدي عبد الله المذكورالفاتحة، وأجازني بها عن والده عن سيدي أحمد ابن ناصر ، عن الشيخ عبد المومن الجني ! عن النبي (ص) ، قال وأنا أتيت النبي (ص) بالماء في غزوة بدر لصلاة الضحى ، وصافحني وشافهني ، وذكر أيضا عن والده الشيخ سيدي أحمد عن شمهروش عن النبي (ص) ، قال وأخذ عن الشيخ ابن ناصر من الجن ستة ءالاف ! لقيته في جمادى الاولى سنة احدى وتسعين ومئة وألف 1191 .

انتهى كلام الشيخ التاودي في الفهرسة .

قال النقيب في (الروضة) عقب هذا الكلام ما نصه : وأقول اني أيضاً لقيت هذا الشيخ صاحب الترجمة أعنى سيدي عبد الله بن الحسين رضي الله عنه في هذه السنة حسبما أفصحت في ذلك في بعض مؤلفاتي ، اذ جعلته في عدد مَن منَّ الله علي بلقياهم من الاولياء والصالحين ، فقلت ومما تفضل الله به علي أني لقيت بها أعني بفاس أيضا الشيخ العالم ، ذا الاخلاق السنية ، المقتفي نهج أسلافه في سلوك الطريقة السنية ، العارف بالله الكامل الولي المكاشف الضرير ، سيدي عبد الله بن حسين ابن ناصر رضي الله عنه ، ورد فاساً وأنا لم أزل فقيها بالمدرسة قبل التأهل سنة تسعين بتقديم المثناة ومئة وألف 1190 فيما أظن ولست على ثقة به ، ونزل بدرب جنيارة من عدوة القرويين ، فذهبت لزيارته وفي صحبتي سيدي محمد الهادي ابن شيخنا العلامة مولانا زين العابدين العراقي الحسني ، فما دخلت عليه حتى عرفني وعرف بي لمن كان معه بقوله هذه رائحة الحاجة صفية الله يرحم سيدي محمد الحوات ، والحاجة صفية هي زوجة عمه وشيخه سيدي أحمد ابن ناصر رضي الله عنه ، وكانت من الصالحات ، وهي خالة والدي رحمه الله ، أبوها وأبو أمه واحد ، وهو الفقيه الصالح سيدي محمد الشفشاوني ، ومحمد الحوات الذي ترحَّم عليه هو والدي ، وكان له بهم اتصال تام في المودة والطريقة بالاخذ عن الشيخ سيدي أحمد بن ناصر المذكور حسبما سبق الحديث عنه في ترجمة الشيخ سيدي محمد التوزاني رحمه الله ، ثم سألني عن الخال وطلبت منه الدعاء والانتساب اليه فأجاب ، وبالغ في الدعاء بصلاح الظاهر والباطن ، ولمن كان

معي بما أضمره في نفسه ، ثم انصرفنا مسرورين بمشاركة دعائه والحمد لله ، وذهبت مع سيدي الهادي المذكور بعد الانصراف عن الزيارة لعيادة والده شيخنا ، وكان مريضا ملازم الفراش ، فلما دخلنا عليه وأخبرناه بملاقاة هذا الشيخ وزيارتنا على الوجه المتقدم ألح علي في انشاء أبيات شعرية على لسانه يطلب منه صالح الادعية لعل الله يكشف ما به من الضر مع حسن الاعتذار والتلطف فيه بشدة المرض الموجب للتخلف عنه ، ففعلت في الحال ، ورجعت اليه وصحبني أيضا الولد سيدي الهادي المذكور ، وأنشدته الابيات ، فارتاح لها ورأى من الواجب أن يغتنم أجر عيادته والفوز بمرضاته لعلمه وتواضعه ونسبه الشريف ، فبادر للذهاب اليه معنا فورا ، فكان في دخوله عليه مقدمة برئه وكشْف ما به ، واستعاد انشاد الابيات ، فأنشدت بأنغام طيبة من منشد حسن الصوت ، وهي هذه :

أعبد الله أنت البحرُ فيضـــــاً	ولاكن في المعارف والمواهـــب
وأنت ابن الأولى أعلوا منـــاراً	بسنة خير خلق الله لاحـــب
سرى شوقي اليك فكدت أســري	به لمقامكم قبل الركائـــب
ولما أن طلعت بأفق فـــاس	ونحن من الحوادث في غياهـــب
بعثت اليك من كلمي حروفـــاً	تقوم عن المريض ببعض واجـــب
وتطلب صالح الدعوات منكـــم	بما يرجى به نيل المطالـــب

وأنشدت عن البديهة هنالك بيتين اخرين متوسلا به الى الله تعالى وهو رضي الله عنه رافع كفيه بصالح الدعاء ، وأنشدهما مَن أنشد الابيات السابقة كذلك ، فظهرت أنوار تقطع بالاجابة لكل مَن حضر ، هما :

قوم أمامك رافعون أكفهـــم	متوسلون بكم الى الرحمـــان
فلتدعُ لي ولهم بما نرجوه مـــن	لطف ومن عفو ومن غفـــران

والحاصل ان لقياه من المواهب الاختصاصية التي ادخرها الله للمتأخرين من عباده ، يجذب نفوسهم الأبية مغناطيس عرفانه ، ويغمرهم بحره بعبابه وفيضانه ، ثم رحل بعد ذلك سنة ثمان وتسعين ومئة وألف 1198 بما

حصل له من الاذن النبوي في المدينة المنورة عند حجته الاولى صاحبنا سيدي محمد الهادي ابن شيخنا زين الدين العراقي المذكور ، وذلك بنفس قدومه من الحج ، فأخذ عنه هنالك ببلده ، وكان الشيخ الامام سيدي التاودي ابن سودة رضي الله عنه كثيرا ما يتمنى لقاء صاحب الترجمة بعد فلم يتيسر له ذلك ، لانه كان قد ارتحل من السراغنة الى بلده درعة ، وهو بلد بعيد عن حضرة فاس المحوطة ، الا أنه كان كثيرا ما يتجدد العهد بينهما بالمراسلة ، وكتب اليه صاحب الترجمة مرة بالاذن في التلقين لمن أراد الدخول في طريقتهم حسبما قاله الشيخ التاودي رضي الله عنه فيما كتبه مما يتعلق بأخذ الطريقة الناصرية.

وكان والد صاحب الترجمة من أحظا الاقارب عند ابن عمه وشيخه الامام سيدي أحمد ابن ناصر رضي الله عنه ، فكان يؤكد في الوصية عليه كبقية الاقارب ، قال النقيب المذكور : وكان بين والد صاحب الترجمة سيدي الحسين بن أحمد وبين والدي رحمه الله أخوة صادقة من لدن كان والدي عندهم بدرعة حياة الشيخ سيدي أحمد وبعدها ، فلا تفتر المراسلة بينهما ، وكان سيدي الحسين كلما ورد لزيارة الغوث مولانا عبد السلام ابن مشيش رضي الله عنه يمر عليه ببلده شفشاون المحروسة لزيارته ، فتتأكد بينهما المودة ، وترتبط الوصلة ، نفعنى الله واياهما بذلك ءامين .

قال وانما لم يخصه الشيخ التاودي في فهرسته بترجمة تكشف عن حاله ، وتعرف عما ناله من نواله ، لأنه كان حياً حالة التقييد ، وهم لا يبوحون بسر الاحياء كما سبق ، وكانت وفاة سيدي عبد الله بن حسين المذكور بدرعة سنة ثلاث ومئتين وألف 1203 رحمه الله ونفع به .

انتهى كلام النقيب سيدي سليمان الحوات رحمه الله .

وقد قدمنا أن سيدي أحمد بن الحسين أقام بزاوية جده بأغلان ، وأن أخاه سيدي عبد الله القطب انتقل الى تاكلاوت من أرض السراغنة واتخذ زاوية توارثها بنوه من بعده الى يومنا هذا .

1212) **عبد الله بن أحمد الوزاني**

عبد الله بن علي بن أحمد بن الشيخ مولاي الطيب الشريف الوزاني ذكره العلامة أحمد ابن حسون الوزاني في رحلته الحجازية ، ووصفه بالشريف الأسمى ، البركة العظمى ، ذو الاخلاق الحسنة ، والشيم المستحسنة ، وقال انه توفي قبل الفجر بنصف ساعة ليلة الاربعاء الرابع عشر من صفر عام 1270 بمدينة مراكش نور الله ضريحه ، وأسكنه من الجنان فسيحه .

1213) **عبد الله بن محمد العثماني الشهير بالدراوي** ، والد العدل السيد عبد السلام قاضي مراكش ، الفقيه العلامة ، وقفت على رسم خاطب عليه مؤرخ في 25 شعبان عام 1270 سبعين ومئتين وألف ، كان يسكن بحومة أزبزط ، وكان يحكم بمقصورة ابن يوسف ، ووقفت له على فتوى .

توفي رحمه الله عام 1271 وكان اماماً بجامع أبي اسحاق وخطيباً به ، وبعده تولى امامة الجامع المذكور السيد علي المسفيوي وأما الخطبة فللفقيه سيدي سعيد جيمي .

1214) **عبد الله (أبو بكر) بن علي الصديق الناصري**

عبد الله اسما ، أبو بكر كنية ، الصديق لقباً ، بن علي ، بن يوسف ، الناصري ، هكذا حلي في (نحور حور الجنان) ، كان فقيها صالحا ناسكا ، زاول السنة وكتبها وقرئت بين يديه طول عمره ، وانفرد برئاسة الطريقة الناصرية بالمغرب بعد وفاة والده علي وابن عمه الحافظ ابن عبد السلام ، وشدت اليه الرحال ، وأخذ عنه الناس طبقة بعد طبقة ، منهم العلامة سيدي محمد بن سعد المتوفى سنة أربع وستين ومئتين وألف 1264 وسيدي أحمد السماتي شيخ القراءات بالبلاد الجبلية ، وصهره علي بن سليمان الدمناتي المراكشي ، والشيخ سالم الحمري المعمري صحبه حضراً وسفرا ، وحدث من كراماته واستجابة دعوته بالعجب ، والمعمر عبد الله المغراوي المراكشي، وله منه اجازة في الطريقة الناصرية ، ومولاي محمد بن العياشي المباركي البجعدي أخذ عنه الطريقة الناصرية بالمكاتبة ، كان والده سيدي صالح ابن يعفوز مقدما عنده وعنده اجازة له بخط يده .

امتحن المترجم أيام السلطان المولى عبد الرحمان وحصره بمراكش ومنعه من الخروج منها ، ففر خفية ولم تلحقه الخيل الموجهة في اثره ، قال المغراوي المذكور انه كان يقرأ اذذاك حزب الاختفاء للشاذلي ويرميهم بالتراب، ويقول شاهت الوجوه ، ولما مات قام مقامه ولده السيد محمد ، أخذ الطريقة الناصرية عن أبيه المذكور ، قاله السيد عبد الحي .

وحلي في أول (حلي نحور حور الجنان) تلميذه البوجمعاوي المذكور بالقطب الصدر سيدي أبي بكر .

ولما ولي المترجم رئاسة الزاوية الناصرية لم يقبله أكابر الناصريين، وسبب فراره من مراكش أن السلطان مولاي عبد الرحمان اتهمه بأن القائد الصديق الدكالي أودع عنده المال ، ثم تصالح مع السلطان مولاي عبد الرحمان بعد ، فورد مـراكش أيضا ، وقد وقفت عـلى رسالة كتبها لفقراء مكناسـة الناصريين يحضهم فيها على مكارم الاخلاق والتقوى والمحافظة على الصلوات والسؤال عن أمور الدين ، وحض العلماء على التعليم واتباع السنة قائلا : واعلموا أنه توفي الفقيه العلامة السيد محمد بن قدور بزرهون ، والشريف مولاي أحمد بن عبد الملك بمكناس ، الاول والثاني ، وما رأينا منكم أحداً ولا عينتم لنا مَن يتصدى لتلقين الذكـر لمَن وفقه الله في الدخول في زمـرة الاشياخ ، ثم قال وقد بلغنا الفقيه الاجل ، الناسك الأفضل ، الاحب السيد محمد بن أحمد المجاطي وناب عنكم في الزيارة ودعا لكم ، وقد أذناه بتلقين الورد الناصري للعام والخاص بالحاضرة والبادية لما رأينا فيه من أنه أهل لذلك ، وبعده : وكتب أبو بكر بن علي بن يوسف .

انتهى من خطه .

وقال البوجمعاوي في فهرسته لما ذكر أن المترجم أجازه ما نصه : اذ كتب وقال لم...ـغيركم قط بقرب موته بعد كتبه البسملة والتصلية أجزنا الصهر الفقيه سيدي علي بن سليمان بكل شيء ظهرا وبطناً فمدها لي وقال : ما كتب هذا الا ببركتك ، انتهى .

وقال في (طلعة المشتري) بعد ذكر والد المترجم ما نصه : توفي سنة خمس وثلاثين ومئتين وألف 1235 ، فتولى أمر الزاوية بعده ولده الشيخ العالم المحدث البركة ، أبو بكر ، وكان على سنن ءابائه في الخير والصلاح والقيام بوظائف الدين ، واتباع السنة ، والتودد الى الاقارب والتعطف عليهم ، وتفقد أحوالهم ، معمرا أوقاته بالعبادة من صلاة وأذكار وسرد الحديث النبوي، لا تفارقه دراسته سفرا وحضرا ، ويحف به شيوخ العلم وأئمة الدين ، لا يخلو مجلسه منهم أبداً ، وبالجملة فالثناء عليه من الخاصة والعامة كثيــر شهير ، لم يأت بعده مثله رحمه الله .

قلت وقد أدركت هذا الشيخ ورأيته وتبركت بطلعته مرارا ، ولم ءاخذ عنه لصغر السن حسن الملاقاة .

توفي رحمه الله في منتصف جمادى الاولى سنة احدى وثمانين ومئتين وألف 1281 .

وقال في ص 169 من ج 2 منها ما نصه: وأما سيدي أبو بكر بن علي بن يوسف بن محمد الكبير بن محمد ابن ناصر فكانت ولادته سنة احدى ومئتين وألف ، وتولى أمر الزاوية بعد وفاة أبيه الخ .. كما تقدم ، وكان من خيار عباد الله وصلحائهم شاغلا أوقاته بأنواع.. (1) .

1215) عبد الله بن ابراهيم العلوي الشنجيطي

سيدي عبد الله ، بن الحاج ابراهيم ، بن الامام محنض أحمد العلوي ، يجتمع مع الذين تقدموا عليه في يحيى ، علامة نحرير ، طار ذكره وانتشر ، واشتهر علمه في الآفاق وابذعر ، ما عاصره مثله علماً وفهما ، مكث أربعين سنة يرتاد طلب العلم لم يشبع منه ، يأخذ عن من وجد عنده زيادة حتى انتهى إلى الغاية القصوى ، جمع أولا ما في الصحراء ، ثم أقام بفاس مدة كثيــرة

---

1) هنا وقع بتر ملزمه أو نحوها من الاصل المخطوط . والصفحة التي بعد الصفحه المبتورة هي جزء من ترجمه عبد الله بن ابراهيم العلوي الشنجيطي منقولة من **الوسيط** ، وقد نقلناها منه . ولا ندري عدد المراحه الذي تلف بعد ترجمة عبد الله (أبي بكر) الناصري المبتورة

للنظر والتحرير ، وتلقى على البناني محشي عبد الباقي ، وتلقى البناني عنه أيضا ، فحج ولقي مَن يشار اليه من علماء مصر وذاكرهم أيضا وأفادهم واستفاد منهم ، وبلغ خبره أمير مصر ، ولعله محمد علي باشا فأكرمه ، ومن جملة ما اتحفه به ، فرس من عتاق خيل مصر المعروفات بالكحيلات ، فسئل عنها فقال : جعلتها حطّابا (اسم كتاب في فقه المالكية) .

ولما اشتهر ذكره بفاس ، أرسل اليه السلطان سيدي محمد بن عبد الله ، فامتنع عن الذهاب اليه ، فأمر المخازنية بحمله اليه ، على الهيأة التي يجدونه بها ، فوجدوه على فراشه يطالع ، فأدخلوه عليه على تلك الهيأة ، وكان السلطان عالما ويجل العلماء ، فلما ذاكره أعجب به وصار لا يصبر عن مذاكرته ، فسأله بعد تسع سنين عن نسبه ، فأخبره بأنه علوي ، وبين له ، فقال : سبحان الله أنت معنا منذ تسع سنين لم تذكر لنا نسبك يوما واحدا ، وفلان أتعبنا بنسبه ، يعني المجيدري اليعقوبي (1) . وكان جعفريا .

وفي أول جزء من كتابه نشر البنود على مراقي السعود ، المطبوع بفاس ما نصه : قال العلامة الاديب ، سيدي ممحد الطالب ابن الحاج رحمه الله تعالى ، في (الازهار الطيبة النشر) بعد أن ذكر أن الحافظ السيوطي نظم (جمع الجوامع) في رجز سماه (الكوكب الساطع) ما نصه : وكذلك نظمه بعض العلماء المتأخرين من علما شنكيط ، وهو الفقيه سيدي عبد الله بن ابراهيم بن الامام العلوي المتوفى في حدود الثلاثين ومئتين وألف 1230 ، في رجز سماه (مراقي السعود) ، ثم ذكر أبياتا لوالده أبي الفيض سيدي حمدون ابن الحاج في مدحه ، فلتنظر فيه .

وقال الامام العلامة الدراكة الفهامة مالك زمانه ، سيدي محمد ابن مايابي الشنجيطي الجكني الملقب بالخضر ، أبقاه الله ورعاه ، وأدام الانتفاع بعلمه وهداه : هو سيدي عبد الله بن الحاج ابراهيم ذى العلم العميم ، والذوق السليم ، العلوى نسبة الى سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، من غير مولاتنا فاطمة الزهراء رضي الله عنها ، من قبيلة من الشناكطة ، يقال لها

---

(1) تنظر ترجمة في الوسيط ص 215 وفي 6 : 87 ع 702 من هذا الكتاب

اذ وعل ، كثيرة بحور العلم ، تفقه في بلده بالمختار بن بون الحكني فريد دهره ، وعالم عصره ، باديه ومصره ، وارتحل الى الحرمين وقضى نسكه ورجع ، وصحب البناني بفاس المحروسة الحمى ، بحول (1) رب السماء سنين عديدة ، أعطته العلوم بأزمتها ، فصار من أعظم علماء أئمتها ، حاو جميع الفنون ، كثير الشروح والمتون ، ألف هذا النظم المسمى بمراقي السعود ، وشرحه نشر البنود ، على أصول الامام مالك رضي الله عنه ، لم يأت الزمان بمثله ، ولا جاد فيما مضى بشكله ، وألف في علم البيان نظمه (نور الاقاح) وشرحه (فيض الفتاح) جمع من الفنون الثلاثة الدر المتين ، ألغى الغث وأخذ السمين ، ونظمه (طلعة الانوار) في مصطلح الحديث ، وشرحه كذلك ، الى غير ذلك من التآليف العديدة ، التي لم يبق للطالب بعدها فائدة مفيدة ، مآثره لا ترام بالحصر ، لما نشر الله به في ذلك القطر ، انتهى .

قوله أخذ عن العلامة المختار ابن بون لم نسمعه من غيره ، ولعله سمعه ممن تحقق ذلك ، ولا يعارضه أن المختار المذكور كان يقرأ بالجيم المتفشية مع أنه نص على أنها شديدة في احمراره وطرته (2) ، فلما قدم تكانت صار يقرأ بالشديدة ، فسئل عن ذلك فقال لا يمكن مخالفة ابن الحاج ابراهيم ما دمنا بتكانت ، فربما كان الرجل يأخذ من ءاخر ثم يجوزه في المرتبة فيضطر الاخير للأخذ عنه ، ثم انه ترك من كتبه المشهورة نوازله في الفقه .

ولنذكر بعض ما ترك من أخباره فنقول : كان رحمه الله أوحد زمانه في جميع العلوم ، ولم يبلغ أحد من العلماء هناك مبلغه في الحديث بعد العلامة القاضي ابن الطالب العلوي .

وقال العلامة باب بن أحمد بيب في منظومة يرثيه بها :

قد كاد أن يوصف بالترجيح ــــــ لفهمه ونقله الصحيح
وكان في الحديث لا يباري ــــــ كأنما نشأ في بخاري

---

(1) من هنا تبدأ الترجمة المبتورة

الاحمرار نظم للمترجم مزجه بألفية ابن مالك . والطرة شرح لها

ولما أبرزه الله جوهرة لأهل زمانه ، حسده أبناء عمه الادنون ، وهم أهل طويلب فهموا بقتله ، ونقبوا داره فلم يجدوه فيها ، وكن أخبر فخرج مختفيا يصحبه تلميذه الطالب ابن حنكوش ، ولم يزل ذكره يعلو حتى صار أمير تكانت مَحمد بن مُحمد شين لا يقطع أمرا دونه مما يتعلق بالشريعة ، ولم تشتهر له قصائد حتى نوردها ، وانما له أنظام تدل على قوة سليقته ، وهذا أول نظمه (مراقي السعود) :

يقول عبد الله وهو ارتسمـا — سُمي له والعلويُّ المنتمَى
الحمد لله على ما فاضـا — من الجدى الذي دهورا غاضا
وجعل الفروع والأصـولا — لمن يروم نيلها محصـولا
وشاد ذا الدين بمن ساد الورى — فهو المجلي والورى الى ورا
محمد منور القلـوب — وكاشف الكرب لذي الكروب
صلى عليه ربنا وسلمـا — وءاله ومن لشرعه انتمى (1)

1216) عبد الله بن علي السكياطي

عبد الله بن علي بن مسعود الرجراجي السكياطي صاحب الزاوية بقبيلة الشياظمة ، وسكياط احدى زوايا قبيلة الشياظمة ، ألف فيه صاحبه العلامة سيدي محمد التهامي بن محمد بن مبارك الحمري الاوبيري المتقدم الترجمة كتابه (اتحاف الخل المواطي ، ببعض مناقب السكياطي) قال فيه : كان رحمه الله حسن العمة ، كبير الهمة ، مليح الوجه ، طاهر اللون ، رجلا بين الرجلين ، أبيض مشربا بصفرة مثل أهل الجنة ، منور الشيبة ، تجلله السكينة والوقار ، مشتهرا بالخير كأنه نار على علم أو منار ، صدوق اللهجة ، رافقته أكثر من عشر سنين فما رأيت أصدق لهجة منه ، أحرز ملابس الثناء ، كثير الحياء ، ثم قال ومع حيائه الكثير فهو رحمه الله في الحق سيف صارم ، لا يخاف في الله لومة لائم ، ثم قال : وكان محبي رحمه الله تعالى الغاية القصوى في تفريج كرب المكروبين ، ونصرة المظلومين ، وتأنيس المستوحشين ،

(1) الترجمة منقولة من **الوسيط** ص 37.

ثم قال : وكان محبي رحمه الله حسن النغمة بالقراءة يعد سامعه المثالث والمثاني بكاءه ، ثم قال قلت وكان شيخي ابن عبد السلام الجبلي بثغر الصويرة أعطاه الله من ذلك حظا وافرا ، وكان ذات يوم يسرد معي لوحتي بالسبعة ، فمر جماعة من النصارى على البيت الذي كان فيه ، فوقفوا يسمعون حسن قراءته رحمه الله . ثم قال : وكان محبي رحمه الله عارفا بالتجويد ، ضابطا لأصول القراءة وفروعها ، حافظا للسبعة نحويا لغويا عارفا بالحديث والفقه والتفسير ، ورعاً زكيا ، وحج وجاهد ، وكان يقوم من الليل ما شاء الله ، ومن ورعه أنه امتحن أيام السلطان مولانا سليمان بطلبه للقضاء ، فذهب اليه راغباً أن يعفيه من ذلك ، فلم يرفع له رأسا ، وقال له مثلك يجبر بالحبس والضرب على تولية القضاء ، وذلك لما سمعه عنه من صرامته في الحق ، وكتب له اني وليتك القضاء ولا يتعرض لك أحد فسكت ، ولما رجع من عنده فر بنفسه حتى أنجاه الله بصدقه في عدم ارادته تلك الخطة ، ثم قال فصرف له السلطان بأني أعفيتك من ذلك ، فرجع الى موضعه ، ثم قال وما زال محبي رحمه الله للفضائل يرتضع أخلافها ، وينتجع أكنافها ، حتى طواه ضريحه ، وركدت ريحه ، وقد عظمت المصيبة به حتى كأنه لم يمت حي سواه ، وورد كل انسان من لوعة فقده ما أرواه ، ثم قال : وقد رثيته بقولي :

ولما أتانا نعيُ أوحد عصره ... فقلت وبالحشا الأسى ما له حد
أما لانسكاب الدمع في الخد جولة ... يكون بها في الوجنتين اسا خد
على العالم الأسنى الذي وطيء النهى ... فخارا كما قد ضاع من عرفه الند
امام هدى وبحر بذل لمعتف ... وكهف أمان للذي خانه المجد
وبهجة كون ، روض حلم وسؤدد ... وبحر عطاء ليس ينزفه الورد
وفي كل أرض من أحاديث فضله ... ثناء به تضوع الغور والنجد
وقد أحرزت علياه كل فضيلة ... مآثره والله لم يحصها العد
وأغرب من عنقاء في الوقت نده ... وعزة ربي انه الاوحد الفرد
ومن رام أن يلقى نظيره بعده ... ولو جال كل الارض يعجزه الجهد
وما هو الا الشمس كل والنا ... أقمنا في ليل حين غيَّبه اللحد

سأبكيه شجواً ما حييت ، وما عسى … تفيد الدموع من علا كبدء الكمْد
ويبكيه كل المسلمين وكيف لا … وقد كان نور المقلة الوقت تعتد
بحسب المنايا أن تفوز بمثله … عبيد الاله السكياطي له الخلد
سقى الله قبره شآبيب رحمة … وأسكنه الفردوس ياحبذا المهد
بجاه الشفيع أحمد ثم آله … وأصحابه الذين أمّهم المجد

أخذ عن شيخه سيدي محمد بن أحمد الرجراجي المراكشي مولدا ووطنا ، والشيخ سيدي أحمد بن طاهر الاندلسي أصلا المراكشي مولدا ووطنا، وهو عمدة قراءته بمراكش في الفقه والنحو والادب ، وشيخه مولاي علي الشريف البوعناني قرأ عليه بعضا من الشاطبية ، وشيخه سيدي أحمد الشاوي لقبا التادلي نسباً المراكشي وطنا قرأ عليه بعضا من الالفية وصدرا من الرسالة ، وشيخه سيدي محمد بن بدني الدكالي قرأ عليه الالفية والتصوير والضبط والدرر وبعضا من الشاطبية ، وسيدي أحمد الحضري الدكالي العثماني بعضا من خليل وبعضا من الالفية ، والمحقق سيدي محمد بن عبد الكريم الرحماني قرأ عليه الشاطبية ، وكان يسرد معهم الجعبري ، والامام سيدي الجلالي بن أحمد بن المختار السباعي ، والشيخ سيدي علي بن أحمد الوزاني ، وأذن له في الاذكار كالدلائل وأحزاب الشاذلي والزروقية ، والنووي. والمشيشية ، وغير ذلك ، والعلامة سيدي محمد بن عبد السلام الناصري قرأ عليه ابن عاشر ليلا في سفره معه لحج بيت الله الحرام عام أحد عشر بعد المئتين وألف ، ثم قدم عندهم لموضعهم عام سبعة عشر 1217 فقرأ عليه أول البخاري وبعضا من سنن أبي داوود ، وفاتحة الموطأ ، وأجازه ، ومنهم الشيخ التاودي حضر عليه في صحيح البخاري بجامع القرويين ، والعلامة سيدي محمد بن عبد السلام الفاسي المُقرىء سرد عليه قصيدة ابن المرحل فيقول في بعض المواضع هذه اللفظة ليست في القاموس ، قرأ عليه الشاطبية بالجعبري الى ياءات الاضافة ، ودالية ابن المبارك ، والكتاب العزيز ، والشيخ سيدي الطيب ابن كيران قرأ عليه صدر عبادة خليل ، والسلم ، ومجالس في التلخيص . وسيدي عبد القادر ابن شقرون في خليل من أول البيوع إلى الختم ، ومجالس من العبادة ، والبخاري ، والموطأ ، وسيدي محمد بن طاهر الهواري قرأ عليه

السلم والازهري ، وزار سيدي أحمد بن موسى دفين سوس ، ومنهم سيدي العربي بنيس قرأ عليه بعض التلخيص وبعض تفسير الشفا ، وسيدي عبد السلام الحلوي قرأ عليه الدرر اللوامع ، وتصوير الهمز والضبط ، ومنهم الامام الأمير حضر عليه في مجالس من المختصر ، والشيخ علي الضرير ، والشيخ حسن البصري الضرير ، حضر عليه مجالس التفسير بالجامع الأزهر ، والتقى مع الشيخ عبد الحليم الضرير والشيخ عبد الله الشرقاوي شيخ الشافعية . ومع الشيخ محمد المسدي بالاسكندرية ، حضر مجلسه في البخاري .

توفي رحمه الله سنة 1244 .

من تلامذته الشيخ أبو جعفر عمر بن أبي جمعة الرجراجي السكياطي صاحب المدرسة الشهيرة قاضي الصويرة والشياظمة العدل في سيرته المتوفى عام 1266 والقاضي علي بن أحمد بن عبد الصمد الرجراجي الآتية ترجمته .

1217) عبد الله بن عبد الملك الحاحي

عبد الله ابن الرجل الصالح القائد السيد عبد الملك ، بن بيهي الحاحي ، كان رحمه الله أمسك زمام الاحكام السلطانية في هذا القطر وقطر السوس الذي وراء الجبل في أوائل دولة سيدي محمد بن عبد الرحمان ، حيث لم يبق جانب من جوانب المغرب الا مال ، ولا قبيلة من القبائل الا دخلها الزلزال ، ما عدا قبيلته ، والناس كلهم متشوفون اليه . فلما رأوا ثباته واجتهاده في الطاعة ، ولم يروا ازوراره ولا التفاته ، أمسكوا أعنتهم في الظاهر حتى قدم السلطان .

ذكره في (الجيش العرمرم) .

كان رحمه الله صاحب خيرات ومبرات ، وحج وصحبتَه البركة المسن الحاج محمد بن الطيب السملالي ، وصيَّر في حجه المذكور أمولا طائلة في أبواب الخير ، كان يسكن بحومة المواسين من مراكش .

وقال في (الاستقصا) : وفي ذي القعدة من سنة أربع وثمانين ومئتين وألف 1284 توفي القائد الاجل عبد الله بن عبد الملك بن بيهي الحاحي، وكان من كبار قواد المغرب وأهل البذل والايثار والمعروف ، له في ذلك أخبار مذكورة رحمه الله . وما ذكره من أن وفاته سنة أربع غلط ، بل تأخرت الى سنة سبع وثمانين فقد ذكر بلديه الامين المراكشي في (المجد الطارف والتالد) أن في سنة ست وثمانين ومئتين وألف جدد مقام العريف ابن العريف القائد عبد الله بن بيهي الحيحي ، وصرف عليه مالا له بال ، وبعده بسنة مات القائد المذكور ودفن خلفه . وهذا هو الصواب ، لان بعض أهل العلم الواردين الى مراكش عام 1286 لقيه بها حيا يرزق .

ووقفت على ظهير شريف محمدي مؤرخ في 17 جمادى الثانية عام 1288 أمره ولده مولاي الحسن بأن يدفع لعيال ولد وبيهي مافيه الكفاية لهم من الزرع والادام ، ولا يغفل عنهم ، ثم في 29 رجب عامه بأن ولده مولاي الحسن دفع لعيال ولد وبيهي 8 خراريب من القمح ، و2 خوابي من الخليع ، و4 قليلات من السمن تنفيذا كما أمر به من دفع ما فيه الكفاية الخ.. وفي كتاب ءاخر مؤرخ في 13 رمضان عامه جواب عن جواب عن الكتاب المذكور بأنك نفذت لعيال ولد بيهي هناك عوضا عما كانوا يقبضونه بالصويرة بعد التوثق بخط أمناء الصويرة أن قدرها خمسون مثقالا صغيرة عن كل شهر حسبما وجهت بطي كتابك .

والمولى بعده هو ولده القائد محمد ، فقد وقفت على ظهير شريف محمدي مؤرخ في 20 صفر عام 1286 جوابا لكتابه عما أخبره الخديم الطالب محمد بن عبد الله من أنه رجع لداره بعد استصلاح ما كان نبغ من الفساد بأطراف ايالته الخ.. ووقفت على كتاب ءاخر محمدي مؤرخ عام 1287 بأن الطالب محمد بن عبد الله اشتكى بأن الناظر بمراكش قطع عنه الماء الذي كان اشتراه والده ، فبوصول كتابنا هذا اليك مر الناظر يرد الماء له ، لانه مشترى برسوم تحت يده ، وسيوجهها ، وفي رجب منها وصله جوابه بأنه رد على كيفيته الاولى ، وجمعت الاصابع المقدرة له في رسم الشراء بمحضر نائبه حسبما في الرسم الذي وجهه .

1218) عبد الله بن أحمد البخاري

عبد الله بن أحمد بن مبارك البخاري ، روى عنه العلامة سيدي علي بن طاهر المدني الطريقة المختارية ، عن ابن دح دفين المدينة ، تقلب المترجم في الوظائف المخزنية ، وكان مجلسه فيها مجلس أهل العلم ، ولاء السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان وزارة الحرب وتنظيم العسكر ، وكان أول مَن أسند اليه ، ولما بويع مولانا الحسن ولاه على فاس ، مقداما داهية جوادا مكيناً ، وسكن مدة بدرب الحمام بحومة المواسين ، وكان صديق جدي محمد ابن ابراهيم رحمه الله ، وممن مدحه ادريس السناني بقصيدة همزية فقال له تغاليت ، لكن أهل المحبة يسامحون ، وأمر له بجائزة وأكرمه ، راجعها في ديوانه .

توفي في عام ..

1219) عبد الله بن حمدون بناني

عبد الله بن حمدون بن الهادي قاضي الصويرة ، ابن مؤلف (الوثائق الفرعونية) محمد بن أحمد بن محمد بناني ، المعروف بفرعون ، أخذ عن الفقيه المرنيسي ، وابن عبد الرحمان ، وطبقتهما ، كان رحمه الله فقيها جليلا خيراً دينا فاضلا علامة مدرسا نبيلا محصلا أديبا زاهدا ورعا ، شديد الحب لآل البيت ، يدرس بالقرويين النحو والفقه ، وكانت له في النحو مجالس حفيلة ، وكان أغلب عليه ، أخذ عنه جماعة من أهل العلم كالعلامة سيدي أحمد بن الجيلالي ، والسيد محمد بن الطاهر بناني ، والسيد محمد بن عبد الكبير الكتاني ، وكان من أهل محبة بيتهم ، وصاهرهم ، وكان درسه من أكثر الدروس طلبة بفاس حاضرة وبادية ، ولي قضاء الصويرة عام خمسة وثلاثمئة وألف 1305 وفيه دخل مراكش ، وولي قضاء طنجة . وغيرها لما رجع من طنجة الى فاس ، حدثني تلميذه سيدي عبد السلام بن المعطي أنه رءاه باثر قدومه من طنجة بنحو أيام سبعة يبيع ءانية بعد العشاء بفاس بباب السلسلة بقصد الانفاق. وكان يتعاطى الشهادة بسماط العدول. وكان مشهورا بالتحري فيها .

توفي رحمه الله ليلة الخميس ثالث ربيع الثاني سنة سبع وثلاثمئة وألف 1307 وصلى عليه بعد صلاة ظهر يومه بالضريح الادريسي ، ودفن بالزاوية التي دفن فيها العلامة سيدي محمد بن عبد السلام بناني المتوفى سنة ثلاث وستين ومئة وألف 1163 الكائنة بالزنقة المعروفة بدرب القطان بين الديوان والصاغة من عدوة فاس القرويين (1) .

1220) **عبد الله ابن وقاص المراكشي** ، الفقيه العلامة ، حدثني الفقيه القاضي السيد عبد القادر بن قاسم أن المترجم قرأ الالفية بشرح المكودي على النحوي سيدي الحسن الفيلالي ستين مرة (2) ، وكان مكبا على تدريسها ، ختمها مرات عديدة ، وأخبرني الفقيه الكاتب مولاي عمر بن عبد الرحمان أن المترجم أخبره أنه درسها ثلاثا وثمانين مرة ، وأخذ أيضا عن الفقيه سيدي أحمد بن الطاهر المراكشي وغيره ، ومن تلامذته الفقيه الحاج محمد أزنيط ، والنحوي أحمد أكناو ، وكان المترجم رحمه الله عالماً مشاركاً أقرأ المختصر ، وجمع الجوامع ، والتلخيص ، والمنطق ، وأخبرني شيخنا الفقيه السباعي أن ابن الهادي لما ولي القضاء طلب المترجم أن يقرئه الأجرومية فامتنع .

توفي رحمه الله سنة 1308 ثمان وثلاثمئة وألف ، وقيل عام 1311 عن نحو ثمانين سنة .

1221) عبد الله بن ادريس البكراوي

عبد الله ابن العلامة ادريس ابن القادم الى فاس الفقيه السد عبد الله ، بن عبد القادر ، ابن الفقيه النقيب أحمد ، بن عيسى ، بن الحسن ، بن محمد ، بن عيسى ، بن موسى ، بن أبي بكر ، بن محمد ، بن عبد الله ، بن أحمد ، بن السيد جمال ، بن محمد ، بن كثير ، بن أبي النصر ،بن منصور ، بن يعقوب ، بن علال ، بن عبد الله ، بن عبد الرحمان المستوطن فجيج ، ابن يعلى دفين طالعة فاس ، بن عبد العلي الملقب اسحاق دفين مصمودة من فاس الاندلس،

1) صار درب القطان يعرف الآن به . ، يقال له درب سيدي بناني

2) تبارك الله أحسن الخالقين !

ابن أحمد دفين جرواوة ، بن محمد ، بن الامام ادريس الازهر ، الشهير بالبكراوي الجمالي الشماسي أصغر أخوته سنا وأكبرهم قدرا وعلماً ، لازم العلم تدريسا ورواية ، وبلغ في فنونه الغاية ، هرعت الناس اليه في الفتوى ، وصدروا عن حكمه في غير ما دعوى ، لسياسته وعدله ، وديانته وفضله ، ولما سلم صدره ، نفذ أمره ، وعلا قدره ، فجل في العيون قدرا ، وانتشر فضله في الاقطار نشرا ، وبعد صيته ، وتواتر حديثه ، واتدى من مكارم الاخلاق رداء ، ونشر من مفاخر الشيم لواء ، حسن التدبير ، بصير بالعواقب خبير ، ذو أناة ولين ، ما لم تنتهك حرمة رب العالمين ، كثير الحيا ، طلق المحيا ، تولى نقابة الشرفاء الوداغير ، ومَن انضاف اليه من المشاهير ، كالشرفاء العلميين ، وسلك في نقابته أوسط سلوك ، فعظمه الحكام والملوك، كان المولى الحسن يخاطبه خطاب الأشراف والعظماء ، ويجريه مجرى أعيان العلماء ، ينزله أعلا المنازل ، ويزين بطلعته صدور المحافل ، وكان يحضره الصحيح بمراكش بحضرته (1) .

أخذ رحمه الله عن أئمة اعلام ، منهم سيدي الوليد العراقي ، وسيدي عبد السلام بوغالب ، وشيخ الجماعة ابن عبد الرحمان ، وسيدي بدر الدين الحمومي ، وسيدي علي قصارة ، والمرنيسي ، وغيرهم ، وأخذ عنه من أشياخنا سيدي أحمد ابن الخياط ، وسيدي محمد القادري .

كان المترجم فقيها عالما محدثا خيرا دينا فاضلا عالي الهمة .

توفي في زوال يوم الاربعاء 29 متم ذي الحجة الحرام عام ستة عشر وثلاثمئة وألف 1316 وعمره تسع وسبعون سنة (2) ، ورثاه الشريف المنيف، مولاي ابراهيم العلوي بقصيدة مطلعها :

دها خطب الحوادث كل نفس ‌ ‌ ‌ ‌ ‌ ‌ وكدر فجعُ هوله صفوَ أنس

1) ما تقدم منقول من **الدرر البهية** 2 : 131

2) دفن بزاوية الشيخ أبى يعزى من حومة البليدة بفاس

ومنهـا :

فواعجبا لدهر قد دهانـــــي ... وأيتمني بعبد الله أنســـي

ومنهـا :

فقد فقد الذي قد كان أهــــلا ... سليل أبي العلاء شريف أنــس
امام هدى لدى الانساب يحمــي ... لساحتها الكريمة شين وكــس
سراج ياله بدر منيـــــــر ... بأفق الدين مطلع عين شمــس
همام في العلوم لا يضاهـَـــى ... وجامع فنها فصل وجنــس
ولا سيما الحديث وعلم فقــه ... وتاريخ يقرره بطـــــرس
فيالله كم أغنى وأقنــــى ... وأحيا سنة ورســـوم درس

وهي طويلة ، ترجمه في الدرر البهية والقادري في فهرسته وغيرهما .

وقال في (السلوة) في ترجمة سيدي محمد المدعو بوطربوش الدباغ ما نصه : حدثني شيخنا العلامـة البركة مولاي عبد الله ابن العلامـة الاستاذ مولاي ادريس البكراوي الحسني قال حدثني الشريف العلامة سيدي محمد بوطربوش الدباغ قال كنت آتي والدك سيدي أدريس عند هبوط الظهر بظهر الصومعة من مسجد القرويين لأسمع منه تلاوة القرءان الذي كان يتلوه هناك مع الطلبة في هذا الوقت ، فأتيت يوما من قعر المسجد المذكور من ناحية باب الخلوة ، فلما كنت عند الثريا الكبيرة رأيت هنالك النبي (ص) والخلفاء الاربعة وهم قاصدون نحو ظهر الصومعة المذكـور ، قال شيخنا المذكـور فقلت له رأيتَـهم يقظة أو مناما ؟ قال يقظة ! قال فقلت له يارسول الله أين تريد؟ قال أريد أن اسمع القرءان من ولدي هذا ، وأشار الى سيدي ادريس بالناحية التي هو بها ، ثم قال عليه السلام وهو يستمع لقراءته ويسمعها هكذا أنـزل علي (1) .

---

1) سلوة الانفاس 1 : 127

وذكره سيدي أحمد ابن الحاج في تأليفه (الدر المنتخب المستحسن، في بعض مآثر أمير المومنين مولاي الحسن) من الاعيان الخمسة عشر الذين توجهوا ببيعة مولانا الحسن من فاس لمراكش .

وممن مدحه ادريس السناني في ديوانه بقصيدة ملطعها :

كمل المرام وجاء دهرك بالوطـــر هذا خليل الروح عندك قد حضر(1)

1222) عبد الله بن محمد كنسوس

عبد الله بن محمد بن أحمد كنسوس السوسي المراكشي ، العلامة الكاتب البارع ، أخذ عن والده ، وعليه جل قراءته واعتماده ، وأخذ عن غيره أيضا كالفقيه سيدي الحاج المهدي ابن سودة ، كان رحمه الله عالماً مشاركا محرراً كاتبا بارعاً منشئا ، عارفاً بالترسيل ، ماهرا فيه ، استكتب في الديوان الشريف ، وكان يكتب المكاتب الطنانة البليغة ، درس ، سمعه مرة الوزير السيد الطيب بوعشرين يدرس فأعجب به وتمناه أن يكون ولده حيث لم يحظ بمثله علما وتحقيقا ، وكان حافظاً تؤدة نحيف الجسم ظريفا متأبيا لبيقاً فاضلا، وكان يقرض الشعر ، وكتب السلطان المولى الحسن لاخيه خليفته بمراكش مولاي عثمان بأن كاتبه الطالب عبد الله الكنسوس توجه بقصد صلة رحمه وقضاء أغراض له هناك ، فلابد لاحظْه بعين الاعتناء حتى يرجع ، واستخدمْه مع الكتاب ما دام مقيما هناك ، وان ظهر نفع فيه فوجهه والسلام ، في 18 محرم الحرام عام 1292 وبعد موته حيز ما عنده من مقيدات لاطلاعه على أسرار القصر وماجريات البلاط الملكي ، وله تاريخ .

توفي رحمه الله في يوم الثلاثاء سابع وعشري محرم عام 1317 (2) .

ومن شعره قوله :

شوقي الى الخضراء شق نفوســـاً وعلا بآفاق الغرام شموســــــــا
حسناء ذات ضخامة وفخامـــــة تجلى بمنظرها البهيج عروسا (3)

1) يسطر عنه **رياض الجنة** 2 : 113

2) الذي في **فواصل الجمان** أن وفاته كانت في شهر ذي القعدة عام 1316 ومؤلفها يؤكد ذلك في سياق ترجمته

3) انظر بقية القصيدة في ص 172 من **فواصل الجمان**

ومنه مطلع قصيدة في مدح السلطان :

فاضت سجال الجود فيض بحـار | عمّت وخصّت بالسخاء الجـاري
فعلى المساكن والمساكن بذلهـا | قد أبدل الاقتار بالاكثـار (1)

ومنه يخاطب الوزير أحمد بن موسى :

زفت اليك خريـدة | ما إن يطاق نظيرهـا
لسنا نقول ذكا اسمهـا | انا بذاك نضيرهـا
فاجعل قبولك مهرهـا | ان الجفاء يغيرهـا
وصغ النضار نعالهـا | ان الحفاء يضيرهـا (2)

1223) عبد الله بن عبد السلام الوزاني

عبد الله بن عبد السلام بن التهامي بن عبد الله بن محمد بن علي ، بن القطب مولاي التهامي ، الوزاني ، كان ملازما لدرس أهل العلم كالفقيه كنون ، وبينهما مودة وصحبة أكيدة ، حتى ان الاول وهب للثاني دار سكناه وقبلها منه الفقيه ثم وهبها على أولاده في الحين وخيره في الازواج ليخرج له عمن أحب منهن فامتنع الفقيه ثم تفاقم الامر بينهما .

كان المترجم رحمه الله أحد الاشراف الامجاد ، والفضلاء الافراد ، عظيم الفخر ، سامي الامر ، شهير الذكر ، جليلا ذاكرا ناسا خيرا من أهـل الخير والفضل ، قائم الليل صائم النهار صيام داوود عليه السلام ، لا يدخل مكانا الا اذا صلى فيه ركعات ، ويتبعه أهل داره في صلاته الليلة ، ولا يترك أحدا منهم يسهر بعد العشاء ، ولا أن ينام قبل الفجر ، زوارا لمولانا ادريس حافياً من النجارين ، ومنه الى القرويين كذلك ، عارفا بالطب ، وأخذه عن أخيه الحكيم سيدي ابراهيم ، عارفا بخصائص النباتات وأعيانها وتركيـب المعاجين واستخراج الزيوت والادهان من المعادن والحيوانات ، وهو آخر معلم في دهن الآجر بالمغرب ، أخذ بعض ذلك عن الحكيم سيدي محمد المكي دفين مراكش ، وله معرفة بعلم الكيمياء ، ومن معروفه أنه طبع شرح ابن زكرى

1) تنظر بقية القصيدة في **فواصل الجمان** ص 178

2) انظر بعض اخباره وأشعاره في **فواصل الجمان** ص 171

على المشيشية ، وشرح عقيدة سيدي عبد القادر الفاسي ، وكان يعرفهما ، ذا فروسية في ركوب الخيل بحيث لا يضاهَى في ذلك ، معتنيا بتأديبها ، وتلمذ له فيها عامة قبائل المغرب ، يتصدق بما يفتح به عليه في أول النهار ، معتنيا بسنة السواك ، يلبس الرث والرفيه ، حج وزار عام أربعة وتسعين ومئتين وألف 1294 وتزوج بمراكش ، وكان يسكن بحومة القصور منها ، وتلاقى مع المولى الحسن بها ، أهدى له سبحة فيها مئة حبة من باد زهر وعطورا غريبة ، صحب ذلك معه من حجته وستة عكاكيز من العود الماوردي ، وحبوبا مصنوعة عند حكماء الهند يقع الانعاظ بمجرد امساكها ، وقومت تلك الهدية بنحو ثلاثة ءالاف ريال ، وأمره السلطان بتقييد طلبه عند الوزير موسى بن أحمد فأنف من ذلك ولم يقيد شيئاً ، وظهرت له اشارات ، منها أنه لما أراد خروجه الاخير من فاس لمراكش طلب بعض أولاده في التوجه معه ، فامتنع ، فخرجوا لتوجيهه بمصلى وادي فاس ، فتوجه الجماعة ، وقال الله معك ياغريب ، فكانت اشارة الى وفاته ، فلما حل بدكالة عند القائد ابن الدرقاوي من أهل خاصة محبته وخدمته لكرمه فأدخله للحمام وطال فيه ، فلما خرج منه قضى عليه عام ثمانية عشر وثلاثمئة وألف 1318 فدفن بدكالة ، وبنى عليه قبة رحمه الله ، ولما كان متنزها بأولاد جامع عند صاحبه الطبيب الماهر السيد العربي بنيس طلب منه السيد العربي شرب أتاي بالعنبر ، ففي الحين أخرج له من جيبه مقدار شربة من الأتاي فجعل في الابريق فسطع ريح العنبر منه كأنه معجون به ، وكان كريم المائدة يفد اليه الغرباء وغيرهم فيكرمهم ويحسن اليهم غاية ، وممن أخذ عنه علم الطب السيد العربي المذكور، وصهره الشريف الجليل ، الطبيب الماهر الحكيم ، سيدي محمد بن الهاشمي الادريسي سبط سيدي البدوي زويتن ، وكان لا يفارق المترجم ، دخل معه مراكش ، وكان بواب داره ، وكان يكتب الحروز ويظهر الله تعالى الشفاء على يده ، وقد جرى ذكره في ترجمة رفيقه في الحج العلامة سيدي أحمد بناني (كلا) المتوفى عام 1306 .

انتهى من معجم أصحاب الرضى .

وتلاقى المترجم بالشيخ صالح الرضوى بعرضة ولد الضاوية بالسياج داخل فاس .

1224) عبد الله (الكامل) بن محمد العلوي

عبد الله الكامل ، بن محمد ، بن عبد الله دفين الحاجب ، ابن الطاهر دفين أكْراي ، بن محمد بن الطاهر ، دفين يفرن من بلاد زيان ، بن مَحمد فتحا دفين يفرن ، بن عبد الواحد ، بن محرز ، بن علي ، بن القطب السيد يوسف ، بن مولانا علي الشريف الحسني ، قمر الزمان ، وياقوتة الاقران ، ذو العلوم النافعة ، والفهوم النابعة ، العامل العابد ، الذي وافق اسمه صفته، كما وافق سره علانيته ، أخذ عن شيوخ أجلة ، منهم العلامة سيدي عبد الكبير بن المجذوب الفاسي ، قرأ عليه رسالة ابن أبي زيد ، والشمائل ، وغيرهما ، وأجازه اجازة عامة ، وسيدي أحمد بن أحمد بناني قرأ عليه الحديث والتفسير ، وأجازه عامة ، ومنهم الفقيه سيدي محمد بن المدني كنون قرأ عليه الموطأ والبخاري والمختصر والالفية وابن السبكي والسلم والسنوسية وغير ذلك ، وأجازه اجازة عامة ، وسيدي أحمد السلوي التطواني قرأ عليه البخاري والمختصر والتحفة والالفية وغير ذلك ، ولازمه كثيرا ، واستفاد منه علماً غزيرا ، وأجازه اجازة عامة ، وسيدي المهدي بن محمد ابن الحاج قرأ عليه البخاري والشمائل ومنظومة سيدي العربي الفاسي في المصطلح ، والنصيحة الزروقية والتحفة والمختصر والالفية وغير ذلك ، وأجازه اجازة عامة ، وسيدي أحمد بن أحمد الورياكلي قرأ عليه مغني ابن هشام والالفية وغير ذلك ، وأجازه اجازة عامة ، وسيدي قاسم بن محمد القادري الحسني قرأ عليه رسالة العضد والسلم ، ومولاي محمد بن عبد الرحمان العلوي قرأ عليه البخاري والمختصر والتحفة والزقاقية ، وسيدي محمد بن عبد الواحد ابن سودة قرأ عليه الألفية وغيرها ، وسيدي الطيب ابن كيران قرأ تلخيص المفتاح والالفية وغيرها ، ومولاي عبد الملك الضرير قرأ عليه تلخيص القزويني والألفية والأجرومية ، وسيدي العربي بن محمد بن محمد السايح اجتمع معه برباط شالة عام تسعين ومئتين وألف 1290 وطلب منه الاجازة

فأجازه عامة ، ومنهم سيدي عبد الرحمان بن أحمد النابلسي أصلا الساكن بالمدينة المنورة وأجازه اجازة عامة عام واحد وثمانين ومئتين وألف 1281، وهو أول مَن أجازه .

انتهى ملخصاً من فهرسته المؤرخة في ثامن وعشري ربيع الأول عام تسعة عشر وثلاثمئة وألف 1319 .

دخل مراكش مرات لقراءة الصحيح مع الحضرة الشريفة بها .

وممن مدحه ادريس السناني بقصائد ذكرها في ديوانه ، راجعها فيه .

وتوفي رحمه الله بقرحة خرجت في شاربه الاعلا غروب يوم السبت 20 جمادى الاولى عام واحد وعشرين وثلاثمئة وألف 1321 ، وصلى عليه بالضريح الادريسي ، ودفن بالرياض جوار محل سكناهم من حومة السياج قرب الزاوية الناصرية وصار من بعد مدفنا لعائلتهم ، ورثاه تلميذه مولاي أحمد بن المامون البلغيثي بقصيدة مطلعها :

حكم المنية في البرية جـــــار تقدير رب نافذ الأقـــــدار

1225) **عبد الله بن الهاشمي ابن خضراء السلوي** ، الامام العلامة ، قاضي الجماعة بمراكش وفاس ، المحقق المدقق ، شيخا جليل القدر ، سامي الذكر ، نبيلا شاعرا ناثرا محصلا للاصول والفروع ، أديبا ماهرا عارفا بالاعراف ، أخذ عن شيوخ بلده سلا ، ثم حج فلقي الشيخ أحمد دحلان ، والسقاء ، وطبقتهما ، ودخل مصر والحجاز والشام ، ولقي الاعلام وأجازوه . ورجع للمغرب ، ولما حل السلطان المولى الحسن سلا عام 1293 وزار جامعها الاعظم أم به المترجم ، وفي ربيع الثاني من سنة ست وتسعين ومئتين وألف 1296 قدم مراكش للخدمة السلطانية بالمراسي المغربية ، فقال قصيدة في مدح السلطان نصره الله نصها :

لبيك لبيك ياخير السلاطيـــن أدامك الله في عز وتمكيـــن
دعوت عبدك فاستجاب مبتـدرآ وقد أناخ على الخير الميامـيـن

يهدي اليك تحية مباركـــــــة ... أذكى وأطيب من مسك ونسريـــن
ممرغاً وجنتيْه فارحاً جـــــذلا ... اذ فاز منك بتخصيص وتعييـــــن
مؤملا راجياً بلوغ مقصـــــــده ... مستبشرا بالرضى بالنجح مقرون
يانجح سعيي ويابشراي قد سعدت ... حالي وفزت بتقريب وتأميـــــن
من مبلغ معشري أني اويت الــى ... ظل مديد يظلني ويؤوينـــــــي
ظل الالاه على عباده وكفـــــى ... به كفيلا وذخرا للمساكيـــــن
رب السماح فما معن بن زائـــدة ... وأين من راحتيه نهر سيحـــون
لله من ملك جلت مآثـــــــــره ... عن أن يحيط بها حصر بتدويـــن
دعا المعاليَ فانقادت ملبيـــــة ... يضيق عن وصفها بطن الدواويـن
له السعادة قد ألقت أزمتهـــــا ... والفتح رائده في كل ما حيـــن
وبشر طلعته يسرذا حـــــــزن ... وأينما حل كان خيرَ مأمــــون
حامي الشريعة والرحمان ناصـــره ... ماضي العزيمة لا يرضى بتوهيـن
في كل قطر ثناء عنه منتشـــــر ... أي انتشار يفوق مسك داريـــن
ساس العباد بتدبير ومعدلـــــة ... وأحسن الامر في الدنيا وفي الدين
وليس يعبأ بالدنيا وزينتهـــــا ... لكنه بين مفروض ومسنــــــون
وطبق الأرضَ عدله ونعمتُـــــه ... فحاله بين تسكين وتحسيـــــن
بسعده الغرب قد بدت محاسنـــه ... فجر ذيلا على بغداد والصيـــن
وتاه مزدرياً بكل مملكـــــــة ... يميس في حلل ذوات تلويـــــن
نعم الامام الهمام المرتضى حســن ... فخر الملوك سلالة السلاطيـــن
السيد الملك ابن السيد الملـــك ... ابن السيد الملك المعروف باللين
بحر خضم مغيث سيد بطـــــل ... بذّ الليوث وفرسان الميادـــين
دانت بطاعته العدا بأجمعهـــــا ... مذ ألبست ملبس الصغار والهون
وفاق مَن قبله حلماً ومكرمـــــة ... وسطوة بهرت أهلَ الأواويـــن
لا غرو أن نال ما فات الاولى عبروا ... وشاد ما عجزوا عنه بتحصيـــن
قد يدرك الآخر الشأو الذي قصرت ... عنه الأوائل في ماضي الأحاييـــن
تبارك الله ما أسما مفاخـــــره ... كسبا وارثا من الشم العرانيـــن
ولا ترى الغرس قد زكت أرومتـه ... الا أتى الفرع منه في أفانيـــن

ياخيرَ مَن أمّه الراجي وأكرم مَن	يثني عليه بمعرب وملحـــــــون
ويابن خير الانام مَن نبوتـــــه	له وءادم بين الماء والطيـــــــن
ويامَلاذ الورى يامَن سما كرمـــا	يانعمة عظمت ياكنز مسكيـــــن
يامنبع الجود ياتاج الفخار ويـــا	مأوى العفاة وياسلوان محـــزون
يامَن روى عن أبيه رفع ســؤدده	يامَن أوامره اليه تدعونـــــــي
وفدتُ ملتمسا رضاك ياسنـــدي	وليس شيء سوى رضاك يرضيني
فامننْ علي بعطفة تصاحبنـــــي	مدى الدهور وللعلا ترقينــــــي
بقيتَ ما شئت في عز ومقـــدرة	ودمت في نعم بحق جبريـــــــن

ولما وقف السلطان أعزه الله على هذه القصيدة هزت من عطفه ، وأمر أن يسأل منشئها عن مطلبه ، فاقترح أن يؤذن له في الافتاء ، وأن يعطي ظهيرا بالتوقير والاحترام ، وأن ينعم عليه بما يقتضي الاعتناء به ، فأنعم عليه السلطان أعزه الله بالاذن في الافتاء وبظهير الاحترام ، ونفذ له راتبا من أحباس جامع ابن يوسف اعانة له على الدرس به (1) .

وحضر دروس الشيخ دحلان بمكة فـي تفسير البيضاوي وعوارف السهروردي ، واستدعى منه الاجازة نظما ونثراً فأشار عليه أن يلخص فهرسة الامير ، وكتب له عليها اجازة عامة حلاه فيها بالعالم الفاضل ، النبيل الكامل ، وحجته تلك عام 1293 .

وفي ءاخر سنة سبع وتسعين ومئتين وألف 1297 عين قاضيا بحضرة مراكش ، فكان بها محمود السيرة ، حسن السريرة ، وقال في مدح الجناب الشـريف :

لبيك دمت مؤيدا ومظفـــــــراً	ولك الكمال كما تشاء موفـــــراً
وافى خديمك أمرك العالي الـذي	في ضمنه اسعاده بين الــــورى
اذ خص دونهم بأشرف دعـــوة	ياسعد مَن أضحى بها مستبشـرا
فأجاب مبتدرا اجابة صـــــادق	لم يلهه أهل ولا حب الـــذرى

(1) القصيدة وما بعدها منقولان من **الاستقصا** 9 : 166

وطوى المراحل كي يحل بحضرة ... يلقى بها وجه الاماني مُسفرا
فبدت له الدار المنيفة يالها ... داراً أعز حمى وأبهى منظرا
ونحا الجناب المستجار بظله ... وأناخ فيه خاضعا ومعفرا
يهدي إليك تحية مختارة ... أذكى من المسك الذكي وأعطرا
ويمد كفيْه بصدق داعيا ... لك بالبقاء مهنئاً ومبشرا
ويُجيد شكر مواهب أوليتها ... كرماً وحق لمثلها أن يشكرا
ويعيد ذكر محاسن أوتيتها ... ويصوغ مدحك صوغ تبر أحمرا
ويروم اقبالا عليه بالرضى ... يافوزه ان بالرضى هو بشرا
ان ناله نجحت له ءاماله ... ودنت مناه وارتقى واستبشرا
يامَن يؤمل رفعة وسعادة ... يمم حمى المولى الهمام لتظفرا
ملك عظيم القدر جلّ كمالُه ... عن أن تعد خصاله أو تحصرا
ملك كريم الطبع عز مثاله ... خلقا كريما لم يضاهَ ومفخرا
ملك جزيل الفضل عمّ نوالُه ... كل الانام وفاق غيثاً ممطرا
ملك أفاض على الرعية خيره ... وأنامهم في ظله متبصرا
ملك جميل سياسة وسريرة ... ويدل ظاهره على ما أضمرا
ملك ترقى في سماء مكارم ... فغدا به أفق المكارم مقعرا
ملك رحيم خاشع متواضع ... ويرى اكتساب الحمد أربح متجرا
قرت به عينُ الخلافة واغتدى ... من سعده ذا القطر أنعم أزهرا
من أهل بيت المصطفى أكرم به ... نسبا شريفا ما أجل وأطهرا
جمع المفاخر مكسباً ووراثة ... وحوى مآثر حقّها أن تؤثرا
ماضي العزيمة في الامور مسدد ... في رأيه الميمون ليس مقصرا
قل للمحاول شأوه في مجده ... أو رفده أو حلمه أطرق كرا
هذا همام لا يشقّ غباره ... هذا همام لن يجارى ان جرى
مولاي ياأزكى الائمة شيمة ... وافيتُ بابك أبتغي منك القِرا
لا أبتغي الا الرضى ، وكفى به ، ... فأنلني الحظ الجزيل الاوفرا
مولاي ما عندي اليك هدية ... الا مديحك هاك منه جوهرا
نظمتْه فكرة مخلص متودد ... خذه اليك منظما ومحبرا

لازلت في نعم تدوم ونصـــرة   وسعادة لازالت أنت الاكبـــرا
لازلت في حلل العناية رافـــلا   لازلت في ملك كبير أبهـــرا (1)

ثم قلد قضاء فاس سنة سبع عشرة وثلاثمئة وألف 1317 وبقي فيه قاضيا الى أن توفي بفاس سنة أربع وعشرين وثلاثمئة وألف 1324 ، وكان محبوبا من الجميع لحسن سيرته ، وكـان يدرس السيرة بكرسي السيـر بالقرويين ، له مؤلفات وحواش ، منها حاشية الفرائض وشرح البيقونية أخذه من شرح الزرقاني ومحشيه ، والاتحاف بما يتعلق بالالقاب ، وشرح بيتين في الادب ، والجميع مطبوع بفاس .

وكتب للوزير السيد محمد بن العربي الجامعي كتابا مؤرخا في 2 ربيع النبوي عام 1301 ما نص الغرض منه : والمعروض على كريم العلم اني عزمت على ختان ابنين لي في هذا المولد المبارك ، وأملت في سيدنا دامت سعادته أن يكسوني ويعنيني بمد رباطي من الزرع وبأذرع من ملف كربل وأربع شقق من مرزاية وموزق لكسوة العيال والاولاد ، فان ما كان كساني واياهم به أعزه الله عام 1298 قد بلي وخلق ، فنحب من سيادتكم أن تنهوا ذلك الى شريف علمه أسماه الله وتباشروا لنا الامر عند سيادته أدام الله بهجتها وتقرروا ما عندي من صدق المحبة في جنابه الشريف .

انتهى المقصود .

1226) **عبد الله (أبو محمد) ابن عمران** ، الخطيب هو الذي صلى على محمد القنيطري لما توفي بمراكش ليلة الاربعاء ودفن يوم الاربعاء ودفن يوم الاربعاء الرابع من ذي الحجة سنة احدى وستين وخمسمئة ، مع من كان هناك من جيرانه أهل شلب في وفادتهم على مراكش كما تقدم في ترجمته (2) عن (الذيل والتكملة) .

---

1) القصدة في **الاستقصا** 9 : 172

2) انظر 4 : 105 ع 500 من هذا الكتاب

1227) **عبد الله (أبو محمد) ابن يونس** ، كان من جملة وزراء الموحدين من هنتاتة وكان المرتضى قد استوزره ثم سخطه وعزله سنة خمسين وستمئة ، وألزمه داره بمصلوحة (تامصلوحت) وفر عنه قومه وحاشيته ، وكان من أهل قرابته علي بن يدر من بني ياداسن ، ففر الى السوس وجاهر بالخلاف سنة احدى وخمسين ونزل بحصن تانصاحت بسفح الجبل ، حيث يدفع وادي سوس من درن وشيده وحصنه وتغلب على حصن تيسخت من أيدي صنهاجة ، وشيده ، وأنزل فيه ابن عمه بوحمدين ، ثم تغلب على بسيط سوس وجأجأ بني حسان من أعراب المعقل من مواطنهم بنواحي ملوية الى بلاد الريف فارتحلوا اليه وعاث بهم في نواحي السوس ، وأطاع له كثير من القبائل ، فاستوفى جبايتهم ، وأجلب على عامل الموحدين برودانة وضيق عليه المسالك وتفاقم أمره وألهم الوزير أبو محمد بن يونس بمداخلته وعثر على كتابه الى علي بن يدر فأمر المرتضى باعتقاله وقتله سنة اثنين وخمسين .

ذكره ابن خلدون (1) .

1228) عبيد الله بن علي ابن غَلِنْدو الاموي

عبيد الله بن علي بن عبيد الله ابن غَلِنْدو الأموي مولاهم من أهل سرقسطة ، أبو الحكم الطبيب ، قرأ على الطبيب عبد الملك ابن زهر في سجن مراكش كتاب الاقتصاد سنة 535 كان شاعرا أديبا صناع اليدين أبرع الناس خطا وأحسنهم ، ولما تولى الخلافة يعقوب المنصور جاء به من الاندلس ، وهذه قدمة ثانية لمراكش ، ولد سنة 484 في سرقسطة ، وخرج منها مع أبيه وجده لما تغلب على المدينة ألفنش ملك أرغون سنة 512 وجاء الى قرطبة، وفيها أخذ العلم عن محمد ابن أبي الخصال ، ويحيى ابن الفتح الحجاري ، ثم رحل عنها الى اشبيلية فأوطنها ، وكتب علما كثيرا ، وكل ما وجد من تقييداته في غاية الاجادة ، ومن شعره الذي أنشده ابن الابار في (التكملة) عن لزومياته :

اذا كان اصلاحي لجسمي واجبـــا　　فاصلاح نفسي لا محالة أوجـــب
وان كان ما يفنَى الى النفس معجباً　　فان الذي يبقى الى العقل أعجب (2)

---

1) انظر **تاريخ ابن خلدون** 6 : 543

2) **التكملة** ص 539 ج 1540 طبع مدريد ، وص 200 (مخطوطة المكتبة الملكية بالرباط)

وتوفي بمراكش سنة احدى وثمانين وخمسمئة 581 فيكـون عاش سبعا وتسعين سنة .

انتهى من (الذيل والتكملة) .

وقال في ص 338 من الجزء الثاني ما نصه : ومرض أبو الحكم ابـن غلنده ، فعاده جماعة من أصحابه فيهم فتى صغير السن ، فوفاه من بره ما أوجب تغيرهم ، ففطن لذلك وأنشدهم ارتجالا :

تكثر من الاخوان للدهر عــــدة ... وكثرة در العقد من شرف العِقـد
وعظمْ صغير القوم وابدأ بحقــه ... فمن خنصري كفيْك تبدأ بالعَقد

وقال في ص 131 من ج 4 من (ارشاد الاديب) ما نصه : أبو الحكم ابن غلندو الاشبيلي ... (1) .

1229) عبد الملك بن مسعود ابن أبي الخصال الغافقي

عبد الملك بن مسعود أبي الخصال بن فرج ، بن خلصة ابي الخصال الغافقي ... (2) قرطبي فرغليطي الاصل، أبو مروان ابن أبي الخصال، وهو أخو ذي الوزارتين محمد وصغيره، روى عن أبي بحر وغيره من أعلام أهل العلم بقرطبة، روى عنه أبو عبد الله ابن العويص ، وكان من أهل الادب والتقدم في الكتابة والبلاغة والفصاحة ، ذا حظ من قرض الشعر ، وكتب عن بعض رؤساء لمتونة بمراكش وبفاس وبغيرهما ، ثم تخلا عن ذلك وانقطع الى الله وأقبل على ما يعنيه من أمر معاده ، وتوفي لست بقين من شهر ربيع الاول سنة تسع وثلاثيـن خمسمئة 539 ابن نحو ستين سنة ، ورثاه أخوه كبيره محمد بقصائد فرائد منها هذه القصيدة :

الصبر أجمل لو اطقت الأجمــلا ... وأخف لو صدق التجمل محمــلا
ياواحداً عمَّ الجميعَ مصابُــه ... ما كنت الا عارضا متهلــلا

---

1) لم ينقل المؤلف ما ورد في **ارشاد الاديب**

2) بياض في الاصول . وفي **التكملة** من ولد معاوية بن صالح

قدمت قبلي في الوفاة وهكـــــذا يتقدم الاخيـــــــار أول أولا
ولقد تخرمت المنية شطرنـــــا وبقيت في شطر فكان الافضـــلا
عشنا بذلك حقبة في غبطـــــة وبذاك يحمل كل عبء أثقـــــلا
وسددت خلة من مضى لما انقضى واستقبل الباقون خطباً مقبـــــلا
وكفيتني وكفيتهم ما يُتَّقَــــى وجلوت خطب الدهر عنا فانجـــلا
فليبكينَّك كلُّ ناد صالـــــح وليندبنَّك مَن أحب ومن قـــلا
وليبقينَّ عليك ذكر ناصـــــع ما أدبر الليل البهيم وأقبـــــلا
حملت عشرتنا وطول زماننـــــا لما تفرطنا فكان كـــــلا ولا
يامَن تواضع قدره عن رفعـــة ما فوق ما أصبحت فيه مُعْتَـــلا
فاستوف حظك عند ربك كلـــه واحطط لديه فقد بلغت المنـــزلا
فله تركت الفانيات ولم تـــزل بالباقيات الصالحات موكـــــلا
ما مرَّ يوم من حياتك عاطـــــلا بل كان بالتقوى محلى مخمـــــلا
والليل يعرف منك نضواً خاشعاً لله يسكب فيه دمعا مسبـــــــلا
ما ذاق طعم النوم الا خلســـــة بخلت على أجفانه أن يكحـــــلا
فطواه بين ركوعه وسجــــوده بدموع تقواه مندى مخضـــــــلا
أحشاؤه موقودة ولسانـــــــه يهدي الى الله الكتاب مرتـــــــلا
ماذا أؤمل بعد وضعك في الثـرى هيهات أخطأ ءامل ما أمـــــــلا
ياواهب العلق النفيس أخذتـــه فاجعله في دار الرضا متقبـــــلا
ولقد فقدت سميه من قبلـــه متضرجاً بدم الفؤاد مقتـــــــلا
رزء على رزء تتابع ثكلـــــــه وكما ثكلت فغايتي أن أثكـــــلا
عزيت نفسي عنهما ولربمـــــــا غلب البكاء تجلدي فاسترســـلا
يأيها السهم المغب لوقتــــــه لابد يوماً أن تصيب المقتـلا
عذرا أبا مروان عشت ولم أمـــت كمدا عليك وكان موتي أسهـــــلا
فاذهب كما ذهب الحيا أحيى الربا علواً وغادر كل خفض منهـــــلا
فلقد تركت بناء صدق خالـــــدا يبقى جديدا والجديد الى بـــــلا
ياليتني قدمت قبلك سابقـــــاً وبقيتَ بعدي ثابتا متهلـــــلا
يأوي اليك طليقنا وأسيرنـــــا وتفكُّ ربقة كل عان مُبْتَـــــلا

لا تخلف الايام مثلك ماجـــــــداً ... أندى وأعطى في الحقوق وأبــذلا
وأشد في ذات الالاه صريمـــــة ... وأمد شأواً في الصعاب وأطــولا
لوددت برك أن يشاب بجفـــوة ... فيكون عذراً عند قلبي أن ســـلا
لكن صفت منك الخلائق واعتلـت ... عن علة تبدي العيون تنصــــلا
صلى عليك الله من متقــــــــدم ... ظهرت كرامته فكان الامثـــلا
وسقتك ديمة مزنة هطالـــــــة ... تروي مع العلم المنيف المجمـــلا
وتعهدتْك من المهيمن رحمـــــة ... فتحت الى الفردوس بابا مقفـــلا
اعددت بعدك حالتين هما همـا : ... صبراً أقيِّده ودمعاً مهمـــــــلا
هملت عليك العين اذ أقررتهـــا ... ومن الوفاء بعهدها أن تهمـــلا
لم تبق لي في العيش بعدك لــذة ... ولئن أمرَّ مذاقه في ما حـــــلا
ناجيت قبرك والدموع سوافــح ... ورأيت شخصك بالضمير مخيــلا
ووددت إذ عشنا معا انا معــــاً ... اذ فات صنوك أن يكون الأعجـــلا

انتهى من (الذيل والتكملة) ، وقدمت ترجمة أخيه أبي عبد الله (1) وذكره في المعجب (2) .

1230) عبد الملك بن زهر ابن زهر الايادي

عبد الملك بن زهر بن عبد الملك بن محمد بن مروان ابن زهر الايادي . اشبيلي ، وقد تقدم رفع نسبه في رسم أبيه ، روى الحديث عن أبي محمد ابن عتاب ، وكتب اليه والى أبيه من بغداد القاسم بن علي الحريري ، وأخذ علم الطب عن أبيه .

أخذ عنه ابنه أبو بكر محمد ، وعبيد الله ابن غِلَنْدو ، وكان وجيه بلده ، جليل القدر في أهله ، نبيه السلف ، حظيا عند الامراء والملوك .

---

1) انظر 4 : 86 ع 495 من هذا الكتاب

2) ينظر عن عبد الملك ابن أبي الخصال **التكملة** ص 610 ع 1706 طبع مدريد ، **وطبقات الزبيدي** ص 237 **وبغية الوعاة** ص 314 **والمعجب** ص 104 طبع سلا

متحققا بصناعة الطب متقدما فيها ، موفقا في علاج المرضى ، وكان أبو الوليد ابن رشد يقول بتفضيله في صناعته على غيره من أهل عصره ، ويرفع بـه ويشهد بمهارته ، وصنف للامير ابراهيم بن أمير المسلمين يوسف بن تاشفين اللمتوني كتاب (الاقتصاد ، في صلاح الاجساد) وفرغ منه سنة خمس عشرة وخمسمئة 515 ، وله في الصناعة كتاب (التيسير) في مداواة العلل على الاعضاء ، شهر في الناس وتداولوه وانتفعوا به واعتمدوه ، وكان أبو الوليد ابن رشد يثني على هذا الكتاب أيضا ويقول بفضله ، وأدركته مطالبة عنـد علي بن يوسف ابن تاشفين كانت سبب اعتقاله بسجن مراكش مدة ، وفيه لقيه عبيد الله ابن غلندو ءاخر صفر سنة خمس وثلاثين وخمسمئة 535 ، ثم سرح وعاد الى بلده ، وتوفي به سنة سبع وخمسين وخمسمئة 557 .

انتهى من (الذيل والتكملة) (1) .

وتقدمت ترجمة والده (2) وولده (3) محمد وعبد الله ولده عند ذكر محمد ، ونقل في (نفح الطيب) ما نصه : وأما كتب الطب فالمشهور بأيدي الناس الآن في المغرب وقد صار أيضا في المشرق لنبله كتاب (التيسير) لعبد الملك بن أبي العلاء زهر ، وله كتاب (الاغذية) أيضا مشهور مغتبط به في المغرب والمشرق ، انتهى المقصود .

1231) عبد الملك بن سعيد ابن سعيد العنسي

تقدم تمام نسبه في ذكر ولده محمد (4) وتقدم ذكر حفيده عبـد الله بن عبد الرحمان ، وسيأتي ذكر حفيده علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك ، كان من الائمة الفقهاء الفضلاء ، مولده سنة 494 وتوفي بمراكش سنة

---

1) **الذيل والتكملة** 5 : 18 ع 31 و تنظر ترجمته أيضا فى **التكملة** ص 616 ع 1717 طبع مدريد ، و **طبقات الاطباء** 2 : 66 **والمغرب** 1 : 265

2) انظر 3 : 250 ع 444 من هذا الكتاب

3) انظر 4 : 134 ع 517 من هذا الكتاب

4) انظر 4 : 123 ع 514 من هذا الكتاب

562 وهذا الذي ابتدأ تاليف (المغرب ، في حلى المغرب) ، و (المشرق ، في حلى المشرق) وله ألف عبد الله الحجاري (المسهب ، في فضائل المغرب) وذيل عليه كما ياتي في ترجمة حفيده علي .

ولما رجع ثوار الأندلس الى عبد المومن وبايعه المترجم غمره احسانا وبرا كما في (نفح الطيب) ، ولما سجنه عبد المومن قال فيه ولده أحمد :

مولاي ان يحبسك خير خليفة ... فبذاك فخرك واعتلاء الشان
فالجفن يحبس نوره من غبطة ... والمرهفات تصان في الاجفان
فابشر فنزع الدر من أصدافه ... يعليه للاسلاك والتيجان
ولئن غدا مَن ظلَّ دونك مطلقا ... ان القذى ملقى عن الاجفان
والعيس تحبس دائما أجفانها ... وهداية الانسان بالانسان
والطرس يختم ما حواه نفاسة ... ويهان ما يبدو من العنوان
فاهنأ به لكن مليا مكثه ... سجنا لغير مذلة وهوان
فلتعلون رغم الاعادي بعده ... بذرى الخليفة في ذرى كيوان

ثم اتبعه بنثر ذكره في ص 189 من الجزء الرابع (1) .

وكان المترجم يذكر ابنه أحمد لعبد المومن وينشد من شعره رغبة في تشريفه بالحضور بين يديه وانشاده في مجلسه ، فأمره ، فعندما دخل عليه قبل يده وأنشد قصيدة منها قوله :

عليك أحالني داعي النجاح ... ونحوك حثني حادي الفلاح
وكنت كساهر ليلا طويلا ... ترنح حين بشر بالصباح
وذي جهل تغلغل في قفار ... شكا ظمأ فدل على القراح
دعانا نحو وجهك طيب ذكر ... ويذكر للرياض شذا الرياح (2)

وأطال ترجمة أحمد المذكور في (نفح الطيب) .

---

1) كان في الاصل : في ص 440 من الجزء 2 أي الطبعة القديمة

2) نفح الطيب 4 : 181 طبع بيروت

1232) عبد الملك ابن عياش الأزدي القرطبي

عبد الملك بن عياش بن فرج بن عبد الملك بن هارون الأزدي ، قرطبي نزلها أبوه ، وأصل سلفه من يابرة ، أبو الحسن ، روى عن أبيه وهو كان القارىء لما يسمع عليه ، ومحمد بن مسعود ابن أبي الخصال ، وأبي القاسم ابن بشكوال ، روى عنه ابناه علي وعبيد الله ، وأبو جعفر بن يحيى ، وأبو عبيد البكري ، وأبو محمد بن شعيب القرطبي ، وكان أديبا كاتبا بليغا شاعرا مجيدا، صدرا في محسني النظم والنثر ، بارع الخط ، جميل الوراقة ، روى قطعة صالحة من الحديث ، وتفقه ، ولم يزل على خير حال واستقامة طريقة صدر عمره حتى كان يعرف بالزاهد لورعه وفضله ، حتى استكتبه أحمد بن محمد ابن حمدين قاضي الجماعة بقرطبة ءاخر أيام اللمتونيين وحظي عنده واستخلصه لنفسه لما تقرر عنده من موجبات ذلك ، ثم لما هم أحمد هذا باثارة الفتنة التي أنشأها بعد ، فرَّ علي هذا عن قرطبة ولحق باشبيلية منقطعاً الى العبادة في بعض روابط قرى اشبيلية على خير متصل لا يتقوت الا من مال صديقه أبي الاصبغ الباجي لعلمه بطيب مكسبه لوراثته اياه عن اسلافه ، فقطع علي هذا بحالته هذه مدة ، ثم ان أبا أسحاق براز بن محمد المسوفي العامل باشبيلية لعبد المومن بن علي التمس كاتبا يكتب عنه ، فدل عليه ، فلم يرعه الا رسوله عنه ، فلما وصل اليه ألزمه الكتابة عنه فتقلدها على كره وتقية على نفسه ، ثم نشب في صحبة الملوك بالكتابة عنهم ، وارتسم في جملة خُدامهم . وعدل عن طريقته الاولى المثلى ، فكتب بعد أبي اسحاق هذا عن الامير عمر بن عبد المومن ، وتوجه معه الى تلمسين ، ثم عن عبد المومن بعد مقتل أحمد ابن عطية ، ثم عن يوسف بن عبد المومن وهو وال باشبيلية ، ونال دنيا عريضة ، وكانت له منهم منزلة وكان ممدحا وأصهر اليه أبو عبد الله ابن زرقون .

وقال صاحبه أبو الاصبغ الباجي المذكور : دخلت اليه أعوده في مرضه الذي توفي منه قبل وفاته بثلاثة أيام ، فأنشدني لنفسه متندما من أفعاله وسوء انقلابه :

عصيتُ هوى نفسي صغيرا فعندما ... رمتْني الليالي بالمشيب وبالكبر
أطعت الهوى عكس القضية ليتني ... خلقت كبيرا وانتقلت الى الصغر

وتوفي بعد ذلك بثلاثة أيام، ودفن بمقبرة مشكة، وعسى الله أن يسمح له ويتجاوز عنه بتندمه .

قال المصنف عفا الله عنه : وعلى ذكر هذين البيتين فقد تبعه ابنه علي فقال :

أبي قال قولا سار في البدو والحضر　　　وخلف في الباقين ذكرا وقد غبر
وأسلف احسانا أوان اقتباله　　　وخاف من التقصير فيحيِّز الكبر
لذلك ماوالى أنيناً وزفرة　　　وأصبح يهوى أن يعاد الى الصغر
هنيئاً له أن لم يكن كابنه الذي　　　أطاع الهوى في الحالتيْن وما ائتمر

وذيلها شيخنا علي الرعيني رحمه الله بقوله وأنشدنيه :

ويهنيه أن أبدى اعترافا وعذرة　　　وتُغفَر للجاني الذنوب اذا اعتذر

وتلاهما ابنه عبد الله بن أبي الحسن عبد الملك فقال :

أطعت هوى نفسي زمان شبيبتي　　　فأرجو المتاب اليوم في زمن الكبر
اذا كنت سن الشيب برا فمنة　　　بها يغفر الرحمان ما كان في الصغر

وضمن القاضي الحسيب أبو أمية ابن عفير رحمه الله عجز الثاني من بيتي أبي الحسن عبد الملك المبدوء بهما فقال في معنى اقتضاه وقد أنشدنيهما ابنه القاضي أبو الوليد رحمة الله عليه :

يساري أغناني صغيرا عن الورى　　　وألجاني الاقتار في حالة الكبر
فأولى بحالي قولُ مَن قال ليتني　　　خلقتُ كبيراً وانتقلت إلى الصغر

وقرأت على شيخنا علي الرعيني رحمه الله ، وأنشدني ابن بقي يعني شيخه أبا القاسم فيما أذن لي فيه ، قال أنشدني أبو عبيد البكري قال أنشدني الكاتب أبو الحسن ابن عياش لنفسه : عصيت هوى نفسي البيتين ، قال أبو الحسن شيخنا قلت زاد ابنه أبو الحسن هنيئاً له البيت ، قال وزدت أنا ويهنيه البيت .

قال المصنف عفا الله عنه : وكتابة أبي الحسن هذا بارعة ، وشعره رائق ، ومما خاطب به القاضي ابن أبي بكر :

يامن ترنَّح للعلياء معطفُــــــه ترنُّحَ الغصن بين الريح والمطــر
ومَن اذا حاجة راحت براحتـــه أذكى لها أعينا ندت عن السهــر
لا أعدمنك انتهاضاً لي بمثقلـــة في مثلها احجم المقدار من خـــور
حملتها لم تلذْ فيها بمعـــــذرة في ساعة لاذ فيها القوم بالعذر

بل بسطت لها دام عزك يد الاستدعاء ، وبوأتها كنف الاسترعاء ، وشريت بها ناصع الشكر ، وخالص الذكر ، حرصا على فضيلة تعقد بلمتك ، وتنتسب إلى شرف همتك ، وتثق في معرض الابتياع بوفور ذمتك ، وما أخبرت الا عن ما أعطى الاختبار حقيقته، وأبرز شقيقته، وحسبي وقد وضعت عنك اصراً من اصاري ، وأقمت بك عمد استظهاري ، وجعلتك في حاجة النفس مركـز مداري ، فألفيتك حيث ألقى الأمل بجرانه ، وقد سرى عاكف لحظه وواقف انسانه ، سميعا للنداء ، سمحاً بصفـة الابتداء ، فاستوجبت الشكر حقـاً مكتوباً ، واقتضيته أنواعاً وضروباً ، وشغلت بـه الأوقات لزوماً ودؤوباً ، والسلام الاتم يخصكم ورحمة الله وبركاتـه .

وتوفي سنة ثمان وستين وخمسمئة 568 .

انتهى من (الذيل والتكملة) (1) .

وقال في ص 266 من ج 2 من نفح الطيب وقال الشريشي حدثنا شيخنا أبو الحسين ابن زرقون عن أبيه عبد الله قعد مع صهره أبي الحسن عبد الملك ابن عياش الكاتب على بحر المجاز وهو مضطرب الامواج ، فقال له أبو الحسن أجـز :

وملتطم القوارب موَّجتْـــــه بوارج في مناكبها غيـــــــوم

---

1) الذيل والتكملة 5 : 26 ع 64

فقال أبو عبد الله :

تمنع لا يعوم به سفين ولو جذبت به الزهر النجوم

وقد راجعت شرح الشريشي فوجدته ذكره في ص 313 ج 1 من شرحه للمقامات (1) .

وقال في مواضع من (القرطاس) عبد الملك ابن عياش القرطبي النشأة ، اليابري الاصل ، أبو الحسن ، استكتبه عبد المومن الموحدي في الرسائل والأوامر حين قتل أحمد ابن عطية ، وكان رحمه الله من أهل الحديث والرواية والكتب البارع ، له عقل ورأي سديد .

وقال في (المعجب) عند ذكر وزراء عبد المومن ما نصه : ثم كتب له بعد أحمد ابن عطية هذا أبو القاسم عبد الرحمان القالمي من أهل مدينة بجاية من ضيعة بأعمالها تعرف بقالم ، وكتب له معه أبو محمد عياش بن عبد الملك ابن عياش (2) من أهل مدينة قرطبة ، وذكر في كتاب ابنه يوسف أيضا ، وذكره الشريف الغرناطي في شرح المقصورة من كتاب المنصور (3) .

1233) عبد الملك بن اسماعيل التجيبي الوشقي

عبد الملك بن اسماعيل بن محمد بن محمود التجيبي، وشقي، روى عن أبي بكر ابن العربي بمراكش ، وعن عباد بن سرحان ، أراه الذي ذكره ابن بشكوال في معجم شيوخه ، وقال فيه الخشني ولم يذكر محمودا جدا فيه ولا شيئاً مما بعد كنيته (4) .

---

1) اعاد المؤلف بعد هذه الفقرة ترجمة عبد الملك بن عياش هذا مرة ثانية معنونا اياها بعنوان خاص ، وبما ان الترجمة الثانية هى لنفس الشخص المترجم فى الترجمة الاولى لم نر ما يدعو الى اثباتها كترجمة مستقلة ، فادمجناها فى الاولى بعد التحوير اللازم لاستقامة الكلام وتسلسله

2) كذا سماه فى **المعجب** ص 121 (طبع سلا) ، والصواب أن اسمه عبد الملك بن عياش

3) ينظر عن ابن عياش أيضا **التكملة** ص 618 ع 1721 (طبع مدريد)

4) **الذيل والتكملة** 5 : 14 ع 17

1234) عبد الملك بن محمد ابن صاحب الصلاة الباجي

عبد الملك بن محمد بن أحمد بن محمد بن ابراهيم أبو مروان ، وأبو محمد ، (يعرف) بصاحب الصلاة ، وبالباجي ، والاولى أشهر ، روى عن أبي بكر بن أبي هارون ، وأبي ... بن ملك ، وأبي عبد الله ابن عميرة الكاتب ، وأبي علي ابن الأشيري وكان أديباً كاتبا محسنا ، عني بحفظ التواريخ وتقييدها. وصنّف تاريخ ثورة المريدين بالاندلس ودولة عبد المومن ومن أدرك بحياته من بنيه وكل ذلك مما أحسن فيه وأفاد به (1) .

1235) عبد الملك بن زيدان السعدي (السلطان)

عبد الملك بن زيدان بن أحمد المنصور السعدي أمير مراكش ، تولى عام سبعة وثلاثين وألف 1037 مكان والده زيدان في مراكش وأحوازها الى أن توفي قتيلا عام أربعين وألف 1040 ذكره في (النشر) .

وقال في (الاستقصا) لما توفي السلطان زيدان رحمه الله في التاريخ المتقدم بويع بعده ابنه عبد الملك ، ولما تمت له البيعة ثار عليه أخواه الوليد وأحمد ، فوقعت بينه وبينهما معارك وحروب الى أن هزمهما واستولى على ما كان بيدهما من العدة والذخيرة ، وفر أحمد الى بلاد الغرب فدخل حضرة فاس يوم الجمعة الخامس والعشرين من صفر بعد وفاة أبيه بستة وأربعين يوما ، فاتسم بسمة السلطان ، وضرب سكته ، وفي ثالث عشر شوال من السنة عدا على ابن عمه محمد بن الشيخ المعروف بزغودة فقتله غدرا بالقصبة ، ولما كان الحادي عشر من ذي الحجة سنة سبع وثلاثين وألف أخذ أحمد المذكور وسجن بفاس الجديد على يد قائدهم عبو وباها ، وبقي مسجونا سبع سنين ، ثم خرج من السجن مستخفيا بين نساء في سابع رجب سنة أربع وأربعين وألف 1044 ، وأعلن العامة بنصره ولم يتم له أمر ، ثم توفي قتيلا في

---

1) ما تقدم منقول من **الذيل والتكملة** 5 : 32 ع 70 وينظر عنه أيضا **التكملة** ص 620 ع 1720 وتقديم الدكتور عبد الهادى التازى لكتابه **المن بالامامة على المستضعفين**

الرابع والعشرين من ذي القعدة سنة احدى وخمسين وألف 1051 ، رمي برصاصة من بعض العامة فكان منها حتفه وذلك بفاس الجديد ولم يتم له أمر (1) .

1236) عبد الملك بن محمد ابن أبي مَحَلّي التاجموعتي

عبد الملك ، بن محمد ، بن مروان القاضي بن عبد العزيز ، بن محمد القاضي ، بن أبي مَحَلّي ، العباسي ، المالكى ، المغربي ، التاجموعتي ، السجلماسي ، هكذا ساق في الخلاصة نسب المترجم في ترجمة أخيه العلامة المحدث أحمد المتوفى سنة ثلاث وثمانين وألف 1083 قتيلا ، وكان له ثلاث اخوة : محمد ، وعبد العزيز ، وعبد الملك ، وكلهم علماء أجلاء ، وأبوهم محمد عالم معدود من أولياء زمانه ، مات محمد سنة سبع وثمانين وألف 1087 ، وعبد العزيز مات سنة ثمان وخمسين وألف 1058 ، وعبد الملك حج وجاور وقرأ في الحرمين الحديث والعلوم ، وهو الآن قاضي سجلماسة ، ولعبد العزيز ولد اسمه أحمد علامة كبير متبحر في العلوم ، بث الرواية ، قدم مصر وحج وزار البيت المقدس ، انتهى .

وقرأت في اجازة العلامة محمد بن أحمد المسناوي التي أجاز بها عامة الفقيه سيدي محمد بن عبد الله بن أيوب التلمساني المدعو المتورفي المجيز أشياخه ما نصه : وشيخنا الفقيه المحدث الاديب البارع عبد الملك بن محمد التاجموعتي السجلماسي ، قرأت عليه بلفظي مبادىء الصحيحين وسنن أبي داوود وجامع الترمذي وسنن النسائي الكبرى والصغرى وسنن ابن ماجة والموطأ والشفا ، وأجازني أيضا اجازة عامة في ذلك كله وغيره ، وذلك في بعض قدماته بفاس انتهى ، وفي طرتها بخط يده في منتصف المحرم صدر عشرة ومئة وألف 1110 .

ودخل المترجم مراكش كما في اجازة الامام ابن سعيد المرغيثي له ، وأخذ عن الامام ابن ناصر ايضا .

---

1) الاستقصا 6 : 72 طبع الدار البيضاء

وقال المترجم سائلا أهل مراكش :

أهل مراكش أسائلكم مـــــــا بين مفتٍ منكم ومَن هو قــــاض
هل على من يبسمل الحمد للــــه عتاب اذا أتى بافتـــــراض
قال مالك فيه عتب ولكــــن لابن ادريس فيه أي اعتـــراض
قوله بالوجوب فيه اتفاقــــا قول مالك بالكراهة مــــــاض
أترون على اختلاف الاماميـــن جواباً كلاهما بــــه راض
اذ يقول محمد هي وحـــــي بجواب تتليه أومن ريــــاض
وامامه قال ليست من الوحــي ورد بقوله بانتقـــاض
هي أولى من القرءان ابتـــداء جلكم رواة له من حيـــاض
وبهذا أجريت فتوى ابن ادريـــس وناهيك من هدى مستفاض
وجرت فتوى مالك بنقيض الـــكل فاقض ان شئت ما أنت قاض
وكلا المذهبيْن قال وفاقـــا حيرة الفكر أصل كل تـــراض
كلُّ مَن قال في القرءان بـــرأي أو تنقص فكفره عن تــراض
لا ولا يلزم المقال بكفر الخــصم للخصم فاعدلوا عن تــراض
بجواب يكون سهلا ولكـــن للموافق فيه فصل ارتكـــاض
فلتجيبوا اذا أجبتم بنظـــم يسحر اللب كالعيون المـــراض
شطره شطره ، وحرف كحـــرف وشفاء يشفي شفاء عيـــاض

وهذا جوابه :

خذ جواباً يحلُّ كل اعتـــراض دون مفت منا ومن هو قـــاض
ويريكَ السها غزالة صحـــو فتنبـّهْ وأنت بالحـــق راض
ذا السؤال مقرر في الاصـــول بجواب يشفي شفاء عيـــاض
قال فيه ابن الحاجب الحبر نصـا كحسام قد فارق الغمد مـــاض
قوة الشبهات فيه حمت مـــن كفر كل فالكل نور ريـــاض
فاقصدنه وشارحيه ورد مـــن سلسبيل وعذب تلك الحيـــاض
والسيوطي أفكارها قد جلاهـــا من خدور فأذعنت لاقتضـــاض
فاركض الطرف ان أردت اليـــه واسرح الطرف فيه دون اغتماض

تقتنص زهرة الجواب مُجِـــــــلا أهل مراكش بغير اعتـــــــراض
عند ختمي أهدي صلاة توالـــــى لشفيع لا نام يوم التقاضـــــــي
وكذا الآل والصحاب وتـــــــال ما اضمحلّ الدجى بصبح بيـــاض

وللمترجم رسالة سماها (ملاك الطلب ، وجواب أستاذ حلب) في علم النبي (ص) وقفت عليها في نحو ورقتين ، ثم تعقبها سيدي الحسن اليوسي وأجابه ثانيا التاجموعتي بجواب طويل في نحو ثلاثة كراريس صغار ، وهو عندي ، قد نال فيها من الامام اليوسي ، قال المترجم وقد أخبر صلى الله عليه وسلم عن ربه بحصول ذلك له ووقوعه على سبيل العموم ، فلم يبق الا الاذعان والايمان ، وقد ورد مثل ذلك في ادراكاته صلى الله عليه وسلم ، فقال فيما يرجع الى بصره ما من شيء لم أكن أريته الا رأيته في مقامي ، الحديث ، قال بعض العلماء حتى الذات العلية رءاها في مقامه ذلك ، وقال صلى الله عليه وسلم اني أرى ما لا ترون ، وأسمع ما لا تسمعـون ، أطّت السماء وحق لها أن تئط ، وفي حديث أسامة بن زيد قال أشرف النبي (ص) على أطم من ءاطام المدينة ، فقال هل ترون ما أرى ؟ قالوا لا ، قال فاني لأرى الفتن تقع خلال بيوتكم كمواقع القطع الخ.. ثم قال : وقوله مراتب الكمال اللائقة به كل ما يحليه به ربه جل وعلا لائق به صلى الله عليه وسلم ، وما يهجس بخاطرك من توهم المماثلة نزغة شيطانية ، فان كمالاته وخصوصياته صلى الله عليه وسلم مخلوقة لله تعالى ، ويخلق ما لا تعلمون ، وأنى يلتبس الخالق بالمخلوق والرازق بالمرزوق ؟ أفمن يخلق كمن لا يخلق ، أفلا تذكرون ؟ ثم قال : وقوله غير مطلوب منا ، مطلوب منك ومن غيرك من المكلفين الايمان بالنبي (ص) والتصديق بكل ما جاء به ، ومن جملة ما جاء به أنه أوتي علم كل شي ، وكل مَن يقتدى به من أهل العلم والنور ابقوه على ظاهره ، والحديث مروي مـن طرق ، وما حمله أحد محملك الذي يترتب عليه ضرب العنق ، ثم قال : وقوله على حدّ علم الله تعالى ، هذا كفر لا يحتمل التأويل ، ولا تختلف فيه الآراء ولا الأقاويل ، فان التباين في اللوازم دليل التباين في الملزومات ، اذ من لازم علم الله تعالى القدم ، ومن لازم علمه صلى الله عليه وسلم وكل حادث الحدوث، فما معنى على حد علم الله تعالى ؟ وبالضرورة ان علم النبي (ص) الشامـل

موجود بايجاد الله تعالى وتخصيصه نبيه فيه فضلا وكرامة ، فكيف تذهب الى أنه على حد علم الله باطنه والحقيقة فلا اختلاف في كفره ، ثم قال : ثم قوله وأشركت مع الله غيره، المشرك مع مَن يقول بمثلية وصف الحادث للصفة القديمة في القدم كما في أساطيرك ، وأما النبي صلى الله عليه وسلم فيقول أوتيت أي أعطيت ، ومعلوم ألا مؤتي ولا معطي الا ربه جل وعلا ، فمن أين الاشراك لولا هواك الذي أعماك ؟ ثم قال : وقوله فان أجاب الى قوله فليس كل جائز واقعا ، فنقول والله يقول الحق وهو يهدي السبيل قد تقرر من الاحاديث الدالة على عموم علمه (ص) ما بلغ القدر المشترك منه حد التواتر ، وأفاد القطع بنسبة معناه اليه ، وان كانت تفاصيله احادا كشجاعة علي وسماحة حاتم ، واذا حصل القطع بنسبة معناه اليه حصل القطع بحقيقته ، لان الرسول عليه الصلاة والسلام معصوم ، وكل ما هو خبر المعصوم حق ، لقوله أوتيت علم كل شيء ، وتجلى لي علم كل شي ، الى غير ذلك من الاحاديث ، ثم قال وما يختلج في فكرك من إثبات لا المثل لله تعالى في صفة من صفاته من سوء الفهم وقصر الادراك ضرورة تباين اللوازم الملزوم لتباين الملزومات ، ثم قال : وقوله ومن الدليل عقلا الخ.. هذا الدليل منقوض من غير ما جهة ، لانه مبني على ما توهمه من تعلق القدرة بما لا تتعلق به ، وعلى ما تخيله من الوراثة لما لا يتناهى وما لا يتناهى لا يتعقل له وراء ، فالممكنات لا تتناهى ، اذ كل ما وجد ممكن صح وجود مثله ، ولا وقوف للعقل الى غاية يحكم عندها باستحالة وجود ذلك ، لان ما صح على الشيء صح على مثله وهكذا لا الى نهاية ، ثم قال : ولا سبيل الى جعل كلية المصطفى جزئية ، ومن طبع الله على قلبه يتحكم برأيه وهواه على الشارع عليه الصلاة والسلام الذي لا ينطق عن الهوى الخ..

وهو كان قاضي محلة مولاي رشيد عند توجهه لاخلاء الزاوية الدلائية كما تقدم في ترجمته .

ولما قال المترجم :

فلو كنت في الفردوس جارا لبربر ... لوليتُ رحلي من نعيم الى سقـر
يقولون للرحمان بابا بزعمهـــم ... ومن قال للرحمان بابا فقد كفـــر

أجابه اليوسي بقوله مؤولا قولهم بأحسن تأويل :

كفى بك جهلا أن تحن الى سقـــر بديلا عن الفردوس في خير مستقر
وتجهل معنى مستبينا مجـــازه لدى كل ذي فهم سليم وذي نظـر
فان أبا الانسان يدعوه أنـــه كفيل وقيوم رحيم به وبـــر
ومَن قال للرحمان بابا فقد عنـى به ذلك المعنى المجاز وما كفـر
وقد قال عيسى انني ذاهب الـى أبي وأبيكم جاء ذلك في الأثــر
عليه صلاة الله ثم سلامـــه على المصطفى المختار من سائر البشر

وقال في (النشر) فيمن توفي عام ثمانية عشر ومئة وألف 1118 ،
ومنهم الفقيه العالم العلامة قاضي سجلماسة عبد الملك بن محمد التاجموعتي . كان محدثا خطيبا ، وله وجاهة مـع السلطان ، حـاد اللسان ، ذرب عالـم بالمخاطبات السلطانية ، ووقع النزاع بينه وبين بعض علماء فاس في مسائل حتى قال في بعض رسائله يخاطب بعض خواصه : أما بعد فقد اتصل بنـا مكتوبكم الانور يلتمس الافادة بحقيقة العلم النبوي ، وقد أجبنا به بحضرة النخبة العليا ، وبهجة هذه الدنيا ، الزكي النحرير ، الناقد البصير ، مولاي محمد بن مولاي السلطان أدام الله تأييده وتسديده ، من أنه صلى الله عليه وسلم لم يفارق الدنيا حتى علم كل شيء ، استغربه واستنكره بعض طلبـة فاس ، وبالغوا في التشنيع بين عوام الناس ، فانا لله وانا اليه راجعون على ضياع العلم وفقد أهله ، هيهات ، ما هذا بعُشِّك فادرجي ، وإني ممن أنكر الخوض في مثل هذه المسائل ، وغالب مـا يتعاطاه وشيوخه من قبل فـي الدروس : ندب لقاضي الحاجة جلوس ! ويرحم الله ابن خلدون حيث قال : لم نشاهد في المئة الثامنة من سلك طريق النظار بفاس لاجل انقطاع ملكة التعليم عنهم ، ولم يكن منهم مَن له عناية بالرحلة ، بـل قصرت هممُهم ، واقتصرت على طريق تحصيل القراءة ودرس التهذيب فقط ، نعم أخـذوا شيئا من مبادىء العربية من أهل الاندلس مثل ابن أبي الربيع ، والشلوبين ، وغيرهما لوجود ملكة النحو في قطر الاندلس بسبب رحلة علمائـهم الى تنقيه من أربابه بالمشرق ، كما ارتحل أعلامهم الى بغداد في تحصيل علم الفقه عن

الابهري وكذا يحيى بن يحيى عن مالك وغير واحد . وكذلك علوم الحديث ، كرحلة الامام أبي بكر بن العربي ، انتهى الغرض منه ، وسقناه حجة على كثير ممن يغلط منهم وسرى الفضل لنفسه بمجرد سكنى فاس كالحاكم في قضية العلم النبوي بتكفير القائل بعلم النبي (ص) كل شيء على ما أخبرنا به الفرع الزكي مولانا محمد بن السلطان أدامه الله ، لما سألنا عن ذلك فاجبناه بأن القول بعلم النبي (ص) كل شيء صحيح ، والتكفير بعيد وجهل من القائل له . انتهى المراد من كلام صاحب الترجمة بنصه ، ثم استدل على ما قاله بما رواه الطبراني عن ابن عمر مرفوعا : أوتيت مفاتيح كل شيء الا الخمس . وقول حسان رضي الله عنه :

نبي يرى ما لا يرى الناس حولـــه ويتلو كتاب الله في كل مشهـــــد
فان قال في يوم مقالة غائـــــب فتصديقه في ضحوة اليوم أو غـد

وأطال النقل في ذلك ، ثم قال ما نصه : وفي الصحيح وسنن أبي داوود عن أبي وائل عن حذيفة رضي الله عنه قال : قام فينا رسول الله (ص) مقاماً فما ترك شيئاً يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة الا أخبرنا به، حفظه مَن حفظه ونسيه من نسيه ، قد علمه أصحابـي هؤلاء ، وانه ليكون منـه الشيء فاعرفه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب عنه ثم اذا رآه عرفه، انتهى، واللفظ لأبي داوود ، وفي جامع أبي عيسى عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : صلى بنا رسول الله (ص) يوما صلاة العصر ، ثم قام خطيبا أفلم يدع شيئا يكون الى قيام الساعة الا أخبرنا به ، حفظه من حفظه ونسيه من نسيه ، وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه فيما أخرجه الامام أحمد والطبراني وغيرهما لقد تركنا رسول الله (ص) وما تحرك طائر بجناحيه في السماء الا أذكرنا منه علما، وفي الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد رفع الدنيا فأنا أنظر اليها والى ما هو كائن فيها الى يـوم القيامة كما أنظر الى كفي هذه ، انتهى لفظه ، وقد نقل أيضا عن الشيخ ابراهيم اللقاني ما حاصله أنه صلى الله عليه وسلم لم يفارق الدنيا حتى علم كل شيء حتى الخمس ، حتى الروح ، وقال البوصيري في همزيته :

لك ذات العلوم من عالم الغيـــــ ـــــب ومنها لآدم الأسمـــــــــاء

وقال في البردة :

دع ما ادعته النصارى في نبيهـــم واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم

قلت : ولا خلاف بينه وبين مَن حاجّه من أهل فاس من أنه صلى الله عليه وسلم يعلم كثيراً من الغيب مما يتعلق بالدنيا والآخرة، ويعلم جميع ما دلت على علمه هذه الاحاديث وأكثر من ذلك لانها لا تدل على الاحاطة بالمعلومات ، وفي الموطأ والصحيحين عن أسماء ما هو أصرح من أنه صلى الله عليه وسلم حمد الله وأثنى عليه بعد صلاة الكسوف ، ثم قال : ما من شيء كنت لم أره الا قد رأيته في مقامي هذا حتى الجنة والنار ، ولكن في روايات عند مسلـم : رأيت في مقامي هذا كل شيء وعدتم ، قال الابي وغيره : أي الجنة والنار . وطرقوا فيه احتمالين الرؤية البصرية أو العلمية فتكون هذه الرواية مخصصة لرواية العموم ، على أن العموم المتقدم لا ينافي هذا ، اذ يعتقد أنه صلى الله عليه وسلم علم كل شيء يكون الى قيام الساعة ، وكل شيء من الدنيا والآخرة وغير ذلك ، وانما نزاع مَن نازع في القدر الزائد على ذلك والله أعلم ، ثـم الامساك عن الخوض في هذا الزائد أحسن ، لانه لم ينقل لنا كلام عن أسلافنا فيه والله أعلم مع اعتقاد أنه صلى الله عليه وسلم بأعلا درجة الكمال في الدرجة التي لا درجة فوقها ، وأنه صلى الله عليه وسلم سيد الاولين والآخرين ، ولا يعلم قدره الا خالقه رب العالمين .

قال في (محصل المقاصد) :

نبينا أفضل بالاطبـــــــــاق من كل مخلوق على الاطـــــــلاق

صلى الله عليه وسلم وعلى ءاله وصحبه وأزواجه وذريته .

ولصاحب الترجمة شرح على رائية الشيخ العارف محمد بن ناصر في قواعد الدين الخمس ، وكان ينظم الشعر ، ومن نظمه يمدح سيدي أبا يعزى رضي الله عنه :

عباد الله في الدنيا اللثالـــــــي   أبو الانوار لؤلؤها الثميـــــن
أنخ بجنابه واحكم عليـــــــــه   بما أملته وأنا الضميـــــن

توفي صاحب الترجمة في تافيلالت في صفر عام الترجمة ، انتهى (1) .

وقال في ترجمة سيدي عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي ما نصه :
وممن مدحه أيضا العلامة عبد الملك التاجموعتي بقطعة مطلعها :

رحماك ياعابد الرحمان رحمـــاك   لولاك ما لذّ لي القريض لـــولاك

وخاطبه أيضا بقطعة مطلعها :

يجلُّ سلامي أن تؤديه الكتـــب   الى مَن زها فخراً به الشرق والغرب

وقال في (خلاصة الاثر) في ترجمة أخيه المتقدم : والتاجموعتي بفتح التاء المثناة وسكون الجيم وضم الميم وفتح العين المهملة وبعدها تاء مثناة ساكنة نسبة الى بلدة بالسوس .

وأنشد الزياني في الترجمانة الكبرى من نظم المترجم :

هم البرابر لا ترجو نوالهـــم   وسلْ من الله تعجيل النوى لهـــم
لا أبلغ الله قوما منهم أمــــلا   وأبلغ الله قلبي ما نوى لهـــم

ومسألة عموم علمه صلى الله عليه وسلم ما زال الخلاف فيها جائيا الى الآن ، وقد كثرت فيها الرسائل والابحاث ، وراجع ختمة العلامة سيدي الحاج محمد بن المدني كنون للمختصر ، والرسائل المطبوعة بالهند ، واليواقيت الثمينة في الاحاديث الخاصة بظهور سكة الحديد ووصولها الى المدينة ، والجامع من المعيار الجديد ، ولبعض أهل العصر من المبالغين المرسلين الكلام جزافا بدون تأمل ما ينشأ عن ذلك :

1) نشر المثاني 2 : 96

الله أعطى المصطفى خير الـورى فضلا عظيما ما له من غايـــــة
وحباه علما واسعاً وحماه مـــــن علم يضر كما بنص روايـــــة
قف في الامور بحكم ربك راضيا ودع الغلاة على سبيل غوايـــــة
الفقر لازم كل مخلوق الـــــى باريه بالاطلاق دون نهايـــــة

ولنجعل مسك الختام ما قلته صدر نظم (اليواقيت الثمينة) وهو :

يقول عباس بن ابراهيمـــــا أناله خالقه النعيمـــــــا
الحمد لله الذي قد نبـــــأ بعينه رسوله المنبـــــأ
مؤيداً بالمعجزات الباهـــــره معززاً بالمكرمات الظاهـــــره
أعلمه بعلم الأولينـــــــا وعلم الآخرين مستبينـــــــا
عنيت ما كان وما يكـــــون بلا تناه قاله المكيـــــن
صلى عليه الله كل حيـــــن ما غرد الطائر في الغصـــــون
وءاله وصحبه الهـــــداة مَن نقلوا لبيّن الآيـــــات
وبعد فالأخبار قد دلت علـــــى اعلامه بالغيب في وسط المـــــلا
اذا خبر الرسول جمعهم علـــــوا بكل حادث يكون فاجتلـــــوا
فلم يزل يظهر كل حيـــــن صحة ما أخبر باليقيـــــن
وهذه أحاديث الرســـــول تضمنت لمعجز العقـــــول
وهي الاشادة لما قد يقـــــع يحمد في الامور أو يستبشـــــع
فلم يدع من الامور نبـــــأ الا به أعلم مَن قد نبـــــأ
وهي كثيرة فليست تحصـــــر معجزة عضدها التواتـــــر
وقد روى حذيفة فيمـــــا روى منها كثيرا بينا دون امتـــــر
كمثل تبيين رؤوس الفتنـــــه من وقته الى قيام الساعـــــة
مع بيان جملة الاسمـــــاء كانت لهم صاح وللأبـــــاء
وللقبيلة كذاك في السنـــــن روى أبو داوود قامع الفتـــــن
وقد روى أحمد في مسنـــــده قول أبي ذر نائم جـــــده
تركنا الرسول سادة الامـــــم صلى عليه ربنا باري النســـــم
مهما تحرك لدى السمـــــاء طير أفاد أحد الانبـــــاء

ومسلم روى عن ابن أخطب ... مقالة تروق أهل الطلب
أخبرنا الهادي بما قد كانا ... وما يكون علمه أولانا
وحدث المغيرة بن شعبه ... كذا أبو مريم سامي الرتبة
حدثنا الهادي بما يكون ... الى قيام الساعة تبين
والحبر عبد الله عنه أثرا ... علم النبي في اسماء والثرا
كذاك ما بين المشارق وما ... بين المغارب فحقق وافهما
وزبنا الدنيا اليه قد رفع ... ينظر فيها كل ما فيها يقع
كنظر لكفه الشريف ... رواه عنه الحبر ذو التشريف
من ذي الاحاديث الشهيرة وما ... ضاهى يفاد ما نظمت محكما
بكل شيء قد أحاط علمه ... وله حقاً قد تجلى فهمه
موهبة من ربنا الكريم ... لذاته الواجبة التكريم
والفرق أن علم ربنا العظيم ... قدمه وجوبه أمر قديم
وهو ذاتي لمولانا علا ... والكسب والحدوث كل قد جلا
في علم هادي الخلق سيد الرسل ... سلام ربنا عليهم منسدل
والخمس من علومه والقلم ... واللوح ليس عنه فيه مبهم
فالله لم يمت جناب المصطفى ... حتى أبان له ما عنه اختفى
بهذا قال جازما مَن حقَّقا ... مؤيدا دليله منمقا
كابن أبي الجمرة وابن العربي ... كذا السيوطي امام النجب
ثم الشهاب وأبو مروانا ... أتقن ما ألفه اتقانا
وغيرهم من المحققينا ... تابعهم وزاده تبيينا

انتهى المقصود منها .

وقد جرى ذكر المترجم عبد الملك في رحلة الامام أحمد بن ناصر في أوائلها حيث قال : وفي سنة تسع وصلنا قبل هذا المحل يعني المداكيك الفقيه المسن العالم العلم ، الامام المعظم ، قاضي الجماعة بسجلماسة ونواحيها، سيدي عبد الملك التاجموعتي لقصد موادعتنا ، إذ هو من خلصاء أحبتنا ، رحمه الله عليه ومن أئمة الدين ومن أبكار الوالد رضي الله عنه ، وله مشاركة في

العلوم العقلية والنقلية والادب وسائر الفنون ، وله شرح على مساعدة الاخوان لسيدنا الوالد رضي الله عنه شرحا لا يأتي الزمان بمثله ، ثم قال والقاضي المذكور هو القائل في مدح الشيخ الوالد عام رجوعه من حج بيت الله الحرام وزيارة نبيه عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام حجته الاخيرة بروضة القطب سيدي الغازي :

بسمت ثغور الزهر بالنشـــــر … وجلت عبوس الروض بالبشـــر
وألمَّ طيف من سعاد بعد مــا … أصمت فؤاد الصب بالهجـــر
وتعللت نفس العليل بوجدهـــا … فسرى الخيال وكان لا يســري
لولا العيافة لا تسوغ تدينـــاً … لحكمت فيه بمقتضى الزجـــر
لكن ما في الفال يكفي قـــدوة … والفال حكم شرعه يجـــري
ورجاء ليس مؤنسا مما حفـــا … شان الاحبة خائن الدهـــر
فاطلب ولا تضجر فكم من واحـــد … قد فاز بعد العسر باليســر
واسلكسبيل الهدْي واحذرْ من هوى … يهوي بصاحبه الى القعـــر
فالحب في غير النبي وءالـــه … وصحابه والسادة الغـــر
لا يثمر التقوى ولا يجدي رضـــا … ومآله للشر والخســـر
يارب بالمخصوص منك محبـــة … بمواهب التوفيق والبـــر
وسلوك مسلط مَن صفا ممن مضى … من راهب أو راغب الخيـــر
ما هو الا الشيخ والأستاذ مَـــن … حاشا معارفه من الحصـــر
مولاي نجل الناصر الممتاز مـــن … بين الورى بالفتح والنصـــر
شيخ الطوائف مغرباً أو مشرقـــا … حدث ولا حرج عن البحـــر
امنن عليَّ بتوبة عن خشيـــة … محفوفة بعزائم الصبـــر
وبحجة مبرورة في صحبـــة … لمحمد بن ناصر الحبـــر
قاد الركاب إلى النبي محمـــد … المصطفى المختص بالذكـــر
المقتفَى المنعوت في الكتب التي … نزلت على الأرسال بالبـــر
مَن أنقذ الله العوالم كلهـــا … بسراجه من ظلمة الكفـــر
مَن أذعنت وتضاءلت لظهـــوره … كل المعاقل من ورا النهـــر
من سبَّحت في كفه الحصباء مَـــن … جاءت اليه غزالة القفـــر

الخاتم المنصور بالرعب الـــذي ... يغشى العدو مسيرة الشهـــر
من لا أعد ولو عددت كواكب الــ ... ـخضراء ما يبديه من ســـر
بين الوجود وعينه وضيـــاؤه ... منه ضياء الشمس والبـــدر
ياركبه ياوفده ناشدتكـــم ... بالله أنتم رقية تبـــري
فارقوا عبيداً طالما رقدت بـــه ... أمّارة بالسوء والنكـــر
وادعوا له فدعاؤكم متقبـــل ... بالقهر للشيطان والقســـر
كم ذا يؤمل أن يحج ويغتـــدي ... مع طائف بالبيت والحجـــر
ويميل بعد لطيبة ياطيبهـــا ... طابت بخير الرسل والنـــذر
فيصده مهما يريد توجُهـــاً ... ذنب وأنه مثقل الظهـــر
يارب بالمختار والركب الـــذي ... قد خف من ثقل ومـــن وزر
وبمن تراه مراقباً لك خاضعـــاً ... أو ضارعاً في البر والبحـــر
أصلحْ فسادي وامحونَّ خطيئتـي ... واستر علي بأجمل الستـــر
وانهض بعبدك للمعالي دون مـــا ... ريث وفك عناه من أســـر
واجعل شفيعه في القيامة أحمـــدا ... فهو الشفيعُ بموقف الحشـــر
نظمت وقد علمت قبولك سالمـــا ... هذا أوانُ الحمد والشكـــر
وثوابها المرجو منك عنايـــة ... بطهارة الاحساس والســـر
لا أبتغي عرضا ولا وفرا بهـــا ... ما لي وللأعراض والوفـــر
ان الحقائق بحرها الاسرار مـــن ... شيخ وأنت مطلع البحـــر
فاعتم بي لله وانظر حالتـــي ... تغنيك عن خبر وعن خبـــر
فقضيتي قد شانها الاهمال مـــن ... سور التقي نوافل الخيـــر
واصرف الي همة قدسيـــة ... فأنا المسيء وقد مضى عمـــري
والعبد منك بنسبة بكريـــة ... ولأنت أولى مَن رعى البكـــري
لا غرو ان تتركه في اسر الهـوى ... فالهجرُ ذو مدٍّ وذو جـــزر
بأبي محمد الذي أولاك مـــن ... أسراره ما اكتنَّ في صـــدر
وبتلوه الأتقى أبي العباس مَـــن ... حاز الفضائل عن ذوي الصـــدر
وبشيخ عبد الله أحمد ذي الثنا الـ ... ـمزري سنا بالأنجم الزهـــر
وبشيخه الغازي الامام المرتضـى ... شيخ الشيوخ وءاية العصـــر

وبنجل عبد الله اسرته علـــــى أكرم به من صالح بـــــــر
وبشيخه المختص بين ذوي العلا لم يلتفت للبيض والصفـــــــر
وبشيخه زروق أحمد ذي التقـــي ناهيك من كنز ومن ذخـــــر
ان الشيوخ كما الليالي نسبـــة لكن أجمل ليلة القـــــــدر
وبكل مَن أبدى وأنهى ســـره للغير حتى منتهى الســـــر
انفث بروعي نفثة تسري معـــي وتهب لي من حيـــث لا أدري
وتحثني للصالحات بهمــــــة وتحوطني في الطي والنشـــر
وتخصني ببصيرة وتدلنـــــي لله في الاسرار والجهـــــر
واليك ياأملي انتهاء وسيلتـــي وشكاية من معضل الضـــــر
والفضل منك بداية ونهايـــــة وعهدت منك قبول ذي العـــذر
وعسى اللسان أطال تقرير مـــا فيه القليل أدل من كثـــــر
والعذر أن الرمز لست من أهلـــه ان الاشارة من أولي الامـــر

ومن شعر المترجم :

فان تسألوا عن سوس فالكل مذعن يغادون كيف شئت لم يصعب الود
يقولون هذا اليسر بالرأي عندنـا ومَن أنتم حتى يكون لكم عنـد ؟
على كل حال ما رأيت شبيههَهُـم بألسنة ، لكن وأفئدة صلـــــد
ولم أر مثل أهله في غبـــاوة وسخف وأما النوك ليس له حـد
ولا تحسبوا أني قصدت هجاءهـم فما قلت الا بالذي علمت سعـد

وأجاب أهل سوس عن ذلك وردوا عليه ، منها قول سيدي محمد الشتوكـي :

وفيهم ومنهم مَن يلاذ بظلـــه فحول الوغى أسد سوابقهم جـرد
بهم بان فضل الغرب لا أرضك التي تسمن كلباً للعيال بها الجـــد
فلولا بنو خير البرايا ونسلـــه لما جاءكم جاء ولا وفد الوفـــد
فذا جذل أفحمت فاه بغصـــة تلجلج فيها لا مســـاغ ولا رد
ذكرناك اذ ذكرتنا بنقيصـــة تجازى بمثلها فلا عتب ياطـــود

1237) عبد الملك بن اسماعيل العلوي (السلطان)

عبد الملك بن المولى اسماعيل العلوي الحسني ، أمير المومنين ، لما خلع السلطان المولى أحمد رحمه الله وسجن خارج القصبة كما مر اجتمع من الغد الجيش كله ، وركبوا لملاقاة المولى عبد الملك بن اسماعيل ، فاجتمعوا به خارج مكناسة ، وأدوا واجب الطاعة ، والتفوا عليه ودخلوا به الحضرة في زي الملك وأبهة السلطان ، ثم حضر أعيان الدولة وأمراؤها وعلماؤها وأشرافها فبايعوه ، وكتبت بيعته الى الآفاق ، ومن الغد قدم عليه أعيان فاس من العلماء والاشراف وغيرهم ببيعتهم فدخلوا عليه وبايعوه ، ثم قدمت عليه الوفود للتهنئة من حواضر المغرب وبواديه ، فجلس لملاقاتهم وقابلهم بما يجب من البشر الى أن فرغ من شأنهم ، وتفقد أخاه المولى أحمد المخلوع فأمر بـه الى فاس كي يسجن بهـا ، ثم بدله فأمر بتوجيهه الـى المخلوع فأمر به إلى فـاس كـي يسجن بها ، ثم بدا له فأمر بتوجيهه الـى سجلماسة، قال في (الازهار الندية) لما بعث السلطان المولى عبد الملك بأخيه المولى أحمد المخلوع الى تافيلالت كتب الى عامله بها أن يسمل عينيه بفور بلوغه ، فنما ذلـك الى المولى أحمد ففر الـى زاوية الشيخ سيدي سعيـد أحنصال وكان مقدم الزاوية يومئذ السيد يوسف بن الشيخ سعيد المذكور ، وكان يتكلم في الحدثان ، فقال للمولى أحمد انك سترجع الى الملك ، فكان كما قال .

ورجا الناس أن يكون السلطان المولى عبد الملك كابيه وأن يسير فيهم بسيرته ويسد مسده ، فخاب الظن واخفق السعي :

وابن اللبون اذا ما لزّ في قـــرن   لم يستطع صولة البُزل القناعيس

وأمسك الله يده عن العطاء ، فلم يسمح للعسكر ولا للوفد بدرهم . فكان ذلك من أكبر الاسباب في اختلال أمره وتفسيخ دولته ، فطلب العسكر البخاري منه جائزة البيعة على العادة ، فبعث اليهم بأربعة ءالاف مثقال ، وكان راتبهم على عهد السلطان مولاي اسماعيل رحمه الله مئة ألف مثقال ، ولما بويع السلطان المولى أحمد زادهم في الراتب خمسين ألفا ، فلما وصلت اليهم جائزة المولى عبد الملك سقط في أيديهم ، وعلموا أنهم لم يصنعوا شيئاً في بيعته ،

وتناجوا بعزله ، وأضمروا ذلك وتحينوا وقت الفرصة فيه ، فنما اليه ذلك عنهم فأخذ حذره ، وصار يكاتب قبائل العرب ويعدهم ويمنيهم ، ويحضهم على اجتماع كلمتهم كي ينفعوه يوما ما ، ظنا منه أنهم يقاومون العبيد ، ثم كتب الى البربر يغريهم بالعبيد ، وأغرى العبيد بالبربر ، وقال لهم في جملة من ذلك: انه لا يستقيم لنا الامر الا بعد الايقاع بهاؤلاء البربر ، وشغلهم بالاستعداد لغزوهم ، وكتب الى أهل فاس يأمرهم أن يبعثوا رماتهم الى حضرته لغزو البربر ، وأخذ في التضريب بين العسكر والبربر ، واطلع العبيد على خبيئته فحاصوا عنه حيصة حمر الوحش واتفقوا على عزله ورد أخيه المولى أحمد لملكه لسخائه وبسط يده ، وكذبوا ، فان المولى عبد الملك رحمه الله كان أنسب حالا بالخلافة من أخيه المولى أحمد لنجدته وحزمه ، وكان قد عزم على تطهير الحضرة وبساط الدولة من افتيات العبيد وتحكمهم على أعياصها ، الا أنه لم يحكم التدبير في ذلك فعاجلوه قبل أن يعالجهم .

ولما تحقق المولى عبد الملك بما عزم عليه العبيد من خلعه بعث اليهم الشيخ البركة مولاي الطيب بن محمد الوزاني واعظا مذكرا ، فأتاهم ووعظهم ووعدهم الخير ان أقلعوا ، ونهاهم عن الخروج على السلطان واتباع سبيل الشيطان ، وخوفهم في ذلك من سخط الله ، فما زادهم الا نفورا ، ثم بعثوا بجريدة من الخيل الى سجلماسة لتأتي بالمولى أحمد ، وفي أثناء ذلك ركب العبيد من الديوان وأغاروا على مكناسة فاكتسحوا سرحها ، ثم اقتحموا المدينة فنهبوها واستباحوا حرماتها وقتلوا مَن ظفروا به من أعيانها ، ثم دخلوا دار الملك للقبض على السلطان المولى عبد الملك فلم يجدوه لانه سمع بما فعله العبيد بمكناسة فركب في جماعة من أصحابه وفر الى فاس ، فدخل حرم المولى ادريس رضي الله عنه واستجار به ، وبعث الى أهل فاس فاستجار بهم فوعدوه بالدفاع عنه والقيام بأمره ، فلما علم العبيد بموضع المولى عبد الملك من فاس وما وعده به أهلها حبسوا رماتهم الذين كانوا قد قدموا مكناسة بقصد غزو البربر كما تقدمت الاشارة اليه وثقفوهم حتى يقدم السلطان المولى أحمد من سجلماسة ويرى فيهم وفي أخيهم رأيه ، وكان ذلك في ذى الحجة سنة أربعين ومئة وألف 1140 (1) .

---

1) ما تقدم منقول من **الاستقصا** 7 : 119 طبع الدار البيضاء

1238) عبد الملك بن أحمد الفاسي

عبد الملك بن أحمد بن عبد الملك بن أحمد بن عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي الفاسي ، كان رحمه الله فقيها أديباً .

توفي بمراكش ودفن بجوار السهيلي عام تسعين ومئتين وألف 1290 .

1239) عبد الملك الضرير بن محمد العلوي

عبد الملك الضرير بن محمد بن عبد الله بن عبد الملك بن محمد بن الطاهر بن الحسن بن الحفيد بن قاسم بن الحسن بن يوسف بن مولانا علي الشريف الحسني ، الولي الصالح ، البركة الناصح ، العالم العلامة ، الدراكة الفهامة ، أخذ عنه شيخنا سيدي القادري ، وحضر مجلسه في مختصر الشيخ خليل ، وهو يروى عن سيدي الحاج الداودي التلمساني ، ومولاي الصادق العلوي ، وسيدي الوليد العراقي ، وسيدي محمد الحراق ، وابن عبد الرحمان، ومولاي عبد الهادي ، وسيدي عبد السلام بوغالب ، وسيدي أحمد بناني ، وغيرهـم .

كان رحمه الله من الاولياء العارفين ، وعباد الله الصالحين ، له مآثر عديدة ، ومناقب حميدة ، ومرائي نبوية كثيرة ، وأذكار وأدعية ، وله ختمة على مختصر خليل ، وتواليف في النصيحة ، وقصائد في أمداح نبوية على حروف المعجم ، وقرأت في مجموع الفقيه ابن المعطي ما نصه :

الحمد لله ولكتابه محمد بن معطي السرغيني العمراني في صدر رسالة لشيخه الشريف العلامة عبد الملك العلوي الفاسي القرار :

سل البان هل بانت به أم مالك ؟   بنجد وحدثها بحالة سالـــك
وقلْ قد تركنا القلب منه مولهـا   فهل أنت منه ليت شعري كذلـك
وقد طالما أضناه شوق ولوعـة   نهارا وليلا سبت حالة هالـك
تطارحه الاشجان في كل برهـة   من الدهر لا يرتاح فوق الأرائـك
وحرم منه الجفن سهدا لما عـدا   من البين في ليل طويل وحالـك
شربنا بذاك الحي كأساً رويـة   دهاقا من الصهباء في عرق راحك

طربنا به زمان لهو وسلوة ... زمان سلو البال في عز مالك
شهدنا به ضروب حسن منيفة ... على البدر تزهو من كعاب وفالك
سهرنا مع الاخوان سراً وجهرة ... ودارت كؤوس بين سعدى وعاتك
كلا اللهُ ذاك الربع ربعَ أحبتي ... فهم سكني والروح لست بآفك
سقى الله أدواحاً هناك أنيفة ... فيالك من مرعى خصيب المبارك
ففيها كرام قد صبوت بحبهم ... كصبوة قيس لست حباً بتارك
أصافيهم الود الصحيح الذي له ... شواهد أسقامي عرتني نواهك
فنحيى بها الارواح ترتاح من عنا ... اذا هبت الأرواح بين المسالك
وحي فريد الدهر منهم تحية ... أحيي أبو مروان دمث العرائك
وعالم أهل البيت شمس ضحاهم ... فيالك من حبر عليم مشارك
فلا عيب فيه يزدرى غير أنه ... مجيد مجيد وهو ليث المعارك
ودود فلا تخشاه من سوء عشرة ... صفوح عن الزلات ليس بماسك
تحية مشتاق معنى من الجوى ... عليل ومضنى الجسم ياخير ناسك
أما والذي أولاه عزاً ورفعة ... وصدقاً وعفة وعلم مناسك
وسمتاً جميلا مع حياء وعفة ... وزان بك الدنيا بمذهب مالك
وأبقاك للاسلام ذخراً موفرا ... وشدَّ بكم أزرا لدرس المدارك
لقد كنت كل الدهر أرعى ودادكم ... وأصبو اليكم من جميع الممالك
ملكتم جميع الروح مني حقيقة ... وسر وجهر العبد ياعبد مالك
حنانيك أضنى الجسم سهم مسدد ... من الشوق هل ترزي حديث ابن مالك
غرامي صحيح مسند ومسلسل ... ووصلي بقطع شيب من أجل فاتك
فؤادي سقيم معضل ومعلل ... وقلبي مدرج به كل هاتك
فهل تسمح الأيام منك بنظرة ... فيرجع بعض الروح بعد المهالك
وهل أنعم يوما بعذب حديثكم ... فينصع نور القلب من كل حالك

وقال فيه في (الحسام المشرفي) ما نصه : والسيد مولاي عبد الملك الضرير ، عالم باطنه نير ، وظاهره خير ، كريم الطبع ، لين الجانب ، يألف ويؤلف ، يدرس الفقهاء وغيرهم عن قضايا المنطقيات في الغالب . واذا رجع الى تدريس المحاني يقول هذا محلي .

وقـرأ عليه سيدي الكامل اليفرنـي تلخيص القزويني والألفيـة والاجرومية وغير ذلك .

توفي رحمه الله ورضي عنـه صبيحة يوم الجمعة منتصـف جمادى الأخيرة عام ثمانية عشر وثلاثمئة وألف 1318 وصلى عليه بعد صلاة العصر بجامع القرويين ، ودفن بالزاوية الناصرية .

ترجمه القادري في فهرسته ، وصاحب الدرر البهية ، وغيرهمـا ، وممن مدحه الاديب ادريس السناني بقصائد راجعها في ديوانه ، وراجع بعض شعره فيه .

1240) **عبد الملك بن الامير عبد القادر بن محيي الدين الجزائري** ، ولد في دمشق ، وأتم تحصيلة في بيـروت ، ثم سافر لقصر يلديز فـي حاشية السلطان عبد الحميد ، ثم فر من اسطنبول لسعايـة وشي بها وسافر الـى الاسكندرية ثم الى جبل طارق ثم الى المغرب الاقصى ، فبقي هنالك الى أن أذنت له الحكومة الفرنسوية بالذهاب الى الجزائر ، فسافر اليها وانتظم في سلك الجيش الفرنسي فيها ، ثم عين قائدا لقوة الشرطة المغربية في طنجة ، وهي القوة التي قضى مؤتمر الجزيرة الخضراء بتأليفها ، ثم انضاف الى أبي حمارة ، ثم رجع الى أحضان الدولة الفرنسوية ، فخرج بحملة ضد مولاي عبد الحفيظ ، ولما وصل مولاي عبـد الحفيظ الى فاس اجتمع قـواد الجيوش العسكرية التي تحت نظره وألقوا القبض عليه ثـم ذهبوا به لفاس وقدمـوه لمولاي عبد الحفيظ ، وكان يتوهم أنه يريد قتله لولا أن قنصل فرنسا تداخل في القضية وسجن هناك ببرج الى أن سرح تحت ضمانة قنصل فرنسـا ، فتوجه لطنجة وعين هناك في وظيف الى أن فر ، وقبل فراره ورد مراكش عام 1331 وفيها لقيته ، ثم انتقل لطنجة ، ولما كنت فيها عام 1332 أضافني وأكلنا على المائدة بالشوكة والمعالق (1) ، وقال لي : ان المغرب هو الذي بقي منعزلا عن الاكل على هذه الطريقة ، ولما نشبت الحرب العامة فر المترجم من طنجة الى الحدود ودخل المنطقة الاسبانية ، وجعل يبث الدعاية لالمانيا ويحض القبائل ضد فرنسا ، وبعد انتهاء الحرب العامة عينته السلطة الاسبانية حاكما

---

1) **المعالق** ج **معلقة** : تحريف **معلقة** في العامية المغربية

على قبائل صنهاجة ، وبقي في هذا الوظيف الى عام 1341 ولما قام ابن عبد الكريم الخطابي في الريف كتب في أول نهضته الى المترجم يطلب انضمامه الى قوته ليكونا يدا واحدة فرفض المترجم هذا الطلب بشدة ، وأغلظ لرسول الخطابي في الجواب ، وهدده إن عاد اليه مرة ثانية ، لأن المترجم لم يكن يريد أن يظهر غيره في الميدان ، ثم جعل بين حين وءاخر يعرض على السلطة الاسپانية أن يتولى قيادة الجنود المراكشية لمحاربة بطل الريف ، فقبلت السلطة منه ذلك وذهب بالفصائل التي جندها من المرتزقة الى مليلية ، وقام بهجوم شديد على أهل الريف في شتنبر سنة 1924 موافق 1342 فوقع صريعا في المعركة الاولى (1) .

1241) عبد المنعم بن مروان ابن سمجون اللواتي

عبد المنعم بن مروان بن عبد الملك اللواتي ، أصله طنجي ، أبو محمد الزاهد ، ولي قضاء مكناسة فعدل فيها عدلا لم يمكنه ان يبقى معه فاستعفى وأكثر الشكوى ، فنقل الى ألمرية ، فعدل فيها وسلك مسلك الزاهد أبي عبد الله فلم يقدر مع فساد الزمان وأهله على شيء ، فارتحل الى مراكش

1) هذا الجاسوس المغامر ، الجزائرى الأصل ، الشامى المولد والنشأة ، هو ثالثة الأثافى التى عصفت باستقلال المغرب فى بداية هذا القرن العشرين ، شم رائحة الملك فى اظافره ، فجاء يطلبه فى المغرب من المشرق ، ولما فطنت الحكومة التركية لأحاييله ، ورفضت المشاركة فى مشاريعه جاء مصر يطلب عون الانجليز فارسلوه الى جبل طارق ، ولكن الفرنسيين احتضنوه وجعلوه من أدوات تنفيذ مخططهم الرامى الى احتلال المغرب واقتسامه ، فذهبوا به الى الجزائر حيث تلقى تدريبا عسكرياً فى جيشهم ثم أدخلوه حاملا هوية فرنسية الى طنجة ورشحوه لحكومة المغرب ليتولى قيادة قوة الشرطة المغربية فاسعفتهم وعينته فوق ذلك نائبا لوزير الدفاع ، ولكن أطماع المغامر عبد الملك بن محيى الدين كانت تمتد الى أبعد من ذلك ، أى الى الملك ، فانضم الى بوحمارة ، ولما فشل وذهبت ريحه والقى عليه القبض تدخلت فرنسا لانقاذ عميلها فسرح من السجن تحت ضمانها ، ثم لما صفت أمر المغرب مع الدول الكبرى ولم يبق لها كبير حاجة به نفضت منه يدها ، فانضم الى اسبانيا وعمل خلال الحرب الاولى مع المخابرات الالمانية ، ولما اشتد ساعد الثورة الريفية التى كان يقودها المجاهد الكبير محمد بن عبد الكريم الخطابى وضعت اسبانيا قوة نظامية تحت امرته لمحاربة مجاهدى الريف ، ولكنه خر صريعا تحت علم الكفر والاستعمار وهو يقاتل المجاهدين المسلمين ، فنقلته السلطات الاسبانية الى تطوان وشيعته جيوش احتلالها وسلطات استعمارها الى مرقده الاخير بضريح سيدى عبد السلام ابن ريسون . فلا رحم الله تلك العظام .

والعجب ان تحاول بعض الانظمة (الثورية) ان تجعل من هذا القرد الاجرب أسدا عظيما ومن هذا العميل المارق مجاهدا غيورا ، لكن الاعجب غفلة المسؤولين المغاربة الى هذا الأفاقى المغامر . ووضعهم منصبا من اخطر مناصب الدولة وأكبرها بين يديه بدون سابق تجربة واختبار

ولقي أمير المسلمين طالباً ان يعفيه ، فلما وصل لم يستفهم وعلم مراده ، فأشخص الى اشبيلية فعدل فيها عدلا لم يسعه القيام بها ، فأكثر الشكوى والاستعفاء فعوفي ونقل الى غرناطة ، فكان بها الى أن توفي بعد هبوطه من المرية ، فكان ابن مروان من ندرات الزمان .

ذكره في (مختصر المدارك) في ترجمة والده المذكور ، وفيها ترجم أهل بيته الفقهاء الائمة (1) .

1242) عبد المنعم بن يحيى ابن الخلوف الحميري

عبد المنعم ، بن يحيى ، بن خلف ، بن النفيس الحميري غرناطي . سكن الجزيرة الخضراء ، ثم مراكش ثم الاسكندرية ، أبو الطيب وأبو محمد ابن الخلوف ، تلا بالسبع على أبيه وأبي الحسن بن عبد الله ابن ثابت ، وأبي الحسن ابن هذيل ، وأبي القاسم ابن الفرس ، وبحرف نافع باشبيلية على أبي الحسن شريح ، وروى عنهم وعن ءاباء بكر : ابن طاهر المحدث ، وابن العربي ، وابن المرخي ، وابن مسعود ، وأبي الحسن عبد الرحيم الحجاري ، وعباد بن سرحان ، وابن اللوان ، وابن موهب ، ويونس ابن مغيث ، وأبي داوود الهشامي ، وءاباء عبد الله : جعفر حفيد مكي ، والبغدادي ، وأبي معمر ، والنوالشي ، وابن أبي الخصال ، وآباء العباس : ابن ثعبان ، وابن حرب ، وابن عيشون ، وأبي الفضل عياض ، وأبوي القاسم ابن رضا ، وابن ورد ، وأبوي محمد الوحيدي ، وعبد الحق ابن عطية ، وأبوي مروان ابن بونه ، وابن مسرة ، وأبوي الوليد ابن بقوة ، وابن خيرة ، ورحل الى المشرق وتجول ببلاده ، وحج ولقي أبا الطاهر السلَفي وأخذ عنه ، واستقر بالاسكندرية مستوطنا فيها بعد حجه وحدث بها .

روى عنه بالاندلس ابو عمرو عثمان ابن الجميل ، ويوسف بن أحمد البهراني ، وبالاسكندرية ابو الحسن ابن خيرة ولقيه بها سنة أربع وثمانين وخمسمئة 584 وابن المفضل القرشي ، وأبو عبد الله بن عبد الرحمان التنيسي

---

1) ذكره ابن الابار في **التكملة** ص 653 ع 1810 (طبع مدريد) وذكر وفاته سنة 524 وعنه في **نيل الابتهاج** ص 187

وحدث عنه بالاجازة أحمد العزفي ، وكـان عارفاً بالقراءات ذاكرا لهـا ، ذا حظ من العربية وطرف صالح من رواية الحديث، رديء الخط، غير ضابط أسماء شيوخه ، خرج من وطنه في الفتنة ونزل مراكش . وأكتب بها القرءان مدة ثم رحل الى المشرق (1) .

1243) عبد المنعم بن محمد ابن الفرس الخزرجي

عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم بن محمد بن فرج بن خلف بن سعيد بن هشام الخزرجي ، غرناطي ، أبو محمد ابن الفرس ، تلا حرف نافع على جده ، وبالسبع على أبي الحسن ابن هذيل ، وقرأ عليهما وسمع غير ذلك ، وبحرف نافع على أبي بكر ابن الخلوف ، وروى قراءة وسماعا على أبيه ، وتفقه به في الحديث وأصول الفقه وعلم الكلام وعلى ابن سعادة ، وأبي عامر بن شروية، وأبي محمد ابن أيوب الشاطبي ، وأبوي الوليد ابن بقوة ، وابن الدباغ وأكثر عنه . وناوله أبو الحسن ابن النعمة تفسيره ، وأبو عامر السالمي بعض مصنفاته وغيرها ، وأبو محمد عاشر أجزاء من شرحه المدونة ، وكلهم أجازوا له مطلقا الا جده وأباه وابن الخلوف والسالمي وابن شروية فانهم أجازوا له ما رووه . وزاد السالمي ما ألف ، وروى قراءة وسماعا أيضا عن أبي بكر بن الحسين بن بشر، وأبي الحسن بن محمد ابن زيادة الله، وأبي عبد الله ابن ابراهيم الجذامي، وأبوي العباس : الخروبي ، وابن محمد ابن زيادة الله ، وعبد الجبار بن موسى السماتي ، ولم يذكر أنهم أجازوا له ، وأجاز له من أهل الاندلس ءاباء بكر : ابن برنجال ، وابن طاهر المحدث ، وابن العربي ، وابن فندله ، وابن أبي ليلى، وأبوا جعفر : بن عمر ابن قبليل ، وابن المرخي ، وأبو الحجاج القضاعي ، وءاباء الحسن شريح ، وابن الباذش ، وابن موهب ، وابن نافع ، ويونس بن مغيث ، وءاباء عبد الله : الجمزي ، وابن سليمان البونتي ، وابن صاف الجياني ، وابن غلام الفرس ، وابن معمر ، وابن نجاح ، وابن وضاح ، وابن أبي الخصال ،

---

1) الترجمة منقولة من **الذيل والتكملة** 5 : 64 ع 132 وقد كتب فى حاشية احدى نسخها : توفى أبو الطيب هذا رحمه الله بالاسكندرية فى العشر الاول لشهر ربيع الاول المبارك لسنة 580 ودفن بوعلا . ومولده سنة 518

ينظر عنه **التكملة** ص 651 ع 1813 وصلة **الصلة** ص 10

وأبو عبد الرحمان مساعد الأصبحي، وأبو العباس ابن النخاس، وأبو القاسم بن بقي ، وابن ورد ، وءاباء محمد : الرشاطي ، وسبط ابن عبد البر ، والتوحيدي، وعبد الحق ابن عطية ، وأبوا مروان الباجي ، وابن قزمان ، وأبو الوليد ابن حجاج ، ومن أهل سبتة أبو الفضل عياض ، ومن أهل المشرق أبوا بكر : المحمدان : ابن عبد الباقي ابن أحمد ، وابن عشير بن معروف الشرواني ، وأبو سعيد ويقال أبو سعد حيدر بن يحيى ابن حيدرة الجيلي ، وأبو الطاهر السلفي ، وأبو عبد الله المازري المهدي ، والحسن بن عبد الله بن عمر المقري ابن العرجاء ، وأبو الفضل جعفر بن زيد بن جامع بن الحسن الطائي وعبد الرحمان ، ومحمد ابنا امام الحرمين ، وقاضيهما علي بن الحسن الطبري .

روى عنه ابنه عبد الرحمان ، وجعفر بن أبي الحسين ابن زعرور ، وأبو اسحاق بن عبد الله ابن قسوم ، وأبوا بكر : ابن عبد النور ، وابن عتيق اللاردي ، وأبوا جعفر : ابن زكرياء ابن مسعود ، وابن عبد المجيد الجيار ، وءاباء الحسن : ابن الجنان ، وابن القطان ، وابن قطرال ، وابن واجب ، وابن أبي محمد بن يحيى ، وعبيد الله ابن عاصم ، وأبو الربيع بن سالم ، وأبو سليمان ابن حوط الله ، وأبوا عبد الله : التجيبي ، وابن عبد الحق التلمساني ، وأبوا العباس : ابن الرومية، وابن هارون، وأبوا عمرو : ابن سالم، وسعد بن محمد بن عزيز ، وءاباء القاسم : المحمدون : ابن عبد الواحد الملاحي ، وابن عامر ابن فرقد، وابن محمد بن عبد الرحمان بن الحاج، وأبوا محمد : ابن حوط الله ، وابن محمد الكواب ، وأبو الوليد ابن الحاج ، وأبو يحيى هانيء ، وحدث عنه بالاجازة أبو بكر ابن محرز ، وأحمد العزفي ، وأبو القاسم ابن الطيلسان .

وكان من بيت علم وجلالة مستبحراً في فنون المعارف على تفاريقها ، متحققا بها ، نافذاً فيها ، ذكي القلب ، حافظا للفقه ، حاضر الذكر له ، متقدماً في علوم اللسان ، فصيح المنطق ، استظهر أوان طلبه الكتابين المدونة وكتاب سيبويه وغيرهما ، وعني به أبوه وجده عناية تامة ، فأسمعاه ممن أمكن اسماعه اياه من شيوخ زمانه ، واستجازا له من لم يتأت سماعه منهم ، وطلب بنفسه ، فاتسعت بذلك روايته ، وعظمت درايته ، وشارك الجلة من أعلام بقايا المئة

السادسة كأبي جعفر ابن مضا ، وأبوي القاسم : ابن حبيش ، والسهيلي، وأبي محمد ابن عبيد الله في الرواية بالسماع عن طائفة كبيرة من شيوخهم ، وانفرد عنهم بكثرة المخبرين له حسب ما مر ذكره مفصلا ، وكان ءاخر تلك الطبقة وخاتمة أكابرهـــا .

وقيد بخطه البارع ، واعتنى بكتاب سيبويه ومصنفات الفارسي وابن جني ، وله مصنفات كثيرة ، ومختصرات نبيلة ، ونظم ونثر ، وكل ذلك شاهد بمتانة علمه وصحة ادراكه ، ومن أجلها مصنفه في أحكام القرءان ، فانه أجل ما ألف في بابه ، وهو الذي قال فيه الناقد أبو الربيع ابن سالم : وهو كتاب حسن مفيد ، جمعه في ريعان الشبيبتين من طلبه وسنه ، فالنشاط اللازم عن ذلك أثره في حسن ترتيبه وتهذيبه، وفرغ من تأليفه بمرسية عام ثلاثة وخمسين وخمسمئة 553 وله في الأبنية مصنف نافع ، واستقضي بغير موضع ، وعرف بالطهارة والجزالة في أحكامه .

قال أبـو القاسم ابـن فرقد سألنا مـن القاضي العالـم أبي محمد ابن حوط الله أن نسمع منـه كتاب السيرة ، قـال فأسمعنا منه أولا ثم لما كان ذات يوم رمى من يده الكتاب وقال : أرى أن هذا خيانة ، قلنا وما ذاك ياسيدنا ؟ قال الذي اعتمد عليه في سماع هذا الكتاب منه قد وصل فقوموا بنا اليه . قال فحملنا الى خارج البلد من جهة النهر الاعظم وأدخلنا على ابن الفرس في خبائه وقدر أن سمعنا عليه والحمد لله ، قال أبـو القاسم : فشاهدت من عبد المنعم من الذكاء ما لم أعهد من غيره ، ورأيت مناظـرات وكأني لم ألق قبله أحدا في كلام غير هذا .

وقال أبو الربيع ابن سالم سمعت أبا بكر ابن الجد وحسبك به شاهدا في هذا الباب يقول غير مرة : ما أعلم بالاندلس أحفظ لمذهب مالك من عبد المنعم ابن الفرس بعد أبي عبد الله ابن زرقون ، وكان المنصور من بني عبد المومن كلما وقعت اليه مسألة غريبة وقدر شذوذها ذكرا أو فهما عن الحاضرين بمجلسه من أهل العلم، وكان عبد المنعم هذا من أجلهم، أجرى ذكرها بينهم، فوقعت المذاكرة فيها بينهم حتى اذا استوفى كل منهم ذكر ما حضره فيها استشرف المنصور

الى الشغوف عليهم باستقصاء ما من الاجوبة فيها لديهم ، فعند ذلك يتقدم عبد المنعم فيقول بقي فيها كذا وكذا ، فيأتي على ما كان المنصور قد أعده للظهور بينهم ، وكثر هذا من عبد المنعم حتى استثقله المنصور ، فكان من أكبر الدواعي الى هجرته اياه .

وقال أبو عبد الله التجيبي وقد عده في شيوخه : لقيته بمرسية سنة ست وستين وخمسمئة 566 وقت رحلتي الى أبيه ، فرأيت من حفظه وذكائه وتفننه في العلوم ما عجبت منه ، وكان يحضر معنا التدريس والالقاء عن أبيه ، فاذا تكلم أنصت الحاضرون لجودة ما ينصه واتقانه واستيفائه جميع ما يجب أن يذكر في الوقت ، وكان نحيف البدن شاعرا مطبوعا ، وأنشدني كثيرا من شعره ، واضطرب في روايته قبل موته بيسير لاختلال أصابه صدر سنة خمس وتسعين وخمسمئة 595 ، مع علة خدر طاولته فترك الأخذ عنه الى أن توفي على تلك الحالة بغرناطة عند صلاة العصر من يوم الاحد لاربع خلون من جمادى الآخرة سنة سبع وتسعين وخمسمئة 597 ودفن خارج باب البيرة،وشهد جنازته عالم لا يحصون كثرة ، وكسر الناس نعشه ، وتقسموه تبركا به ، ومولده سنة أربع وعشرين وخمسمئة 524 قاله أبو سليمان ابن حوط الله وأبو القاسم ابن فرقد ، وقال ابنه عبد الرحمان وأبو محمد ابن القرطبي عنه ان مولده سنة خمس وعشرين 525 ، زاد أبو الربيع بن سالم اخر السنة (1) .

1244) **عبد المنعم بن أحمد ابن تيسيت** من أهل مراكش وسكن مدينة فاس يكنى أبا القاسم ، روى عن أبي محمد اللخمي السبط ، وأبي بكر ابن ميمون ، وقاسم الزقاق المغربي ، وغيرهم ، وكان من أهل المعرفة بالعربية والآداب والحساب ، وقد أخذ عنه ، قال ابن الابار : وقفت على خطه بالاجازة لبعض أصحابنا في غرة رمضان سنة ثمان وتسعين وخمسمئة 598 ، وبلغني انه دخل الاندلس (2) .

---

1) تنظر ترجمته في صلة الصلة ص 17 ، والتكملة ص 651 ع 1814 (طبع مدريد) . والاحاطة 3 : 541 **وتحفة القادم** ص 81 **وروايات المبرزين** ص 54 **وبغية الملتمس** ع 1050 **وبغية الوعاة** ص 315

2) **التكملة** ص 310 (مخطوطة الخزانة الملكية) **وجذوة الاقتباس** ص 444 ع 476 طبع الرباط

1245) عبد المعطي بن أحمد السباعي

عبد المعطي بن أحمد بن محمد بن عبد العاطي بن ابراهيم بن يحيى بن مَحمد (فتحا) بن عبد المولى ، بن عبد الرحمان الغازي ، بن عمرو ، بـن عمر ، بن سيدي عامر المكنى بأبي السباع ، الفقيه العلامة الشريف التقـي النقي الاديب ، ولد بأولاد أبي السباع القاطنين ببلاد بوحمادة في أول عشرة السبعين ومئتين وألف ، أخذ عن الفقيه الصوفي الطالب أحمد بن عبد الوهاب الحوضي الغلاوي الاصل المتوفى بمراكش العقائد والتصوف ومقدمة ابـن اجروم الصنهاجي في النحو ، وأخذ عـن الشيخ محمد خوي بـن مصطفى المجلشي المتوفى بمراكش نصف رسالة ابن أبي زيد قراءة حفظ واتقان وجملة صالحة من الادب ، وأخذ عن الشيخ الكبير النحرير الصالح سيدي أحمد بن مبارك الرسموكي ببلاد أولاد أبي السباع بزاويته المتوفى عام 1312 مقدمة ابن اجروم ولامية المجراد ولامية الافعال والخلاصة ونظم قواعد الاعراب للزواوي، وكثيرا من مختصر الشيخ خليل ، وتمم الرسالة عليه ، ومجالس من البخاري والهمزية والبردة وغير ذلك ، وبمراكش عن الفقيه سيدي محمد بن المعطي السرغيني ، ومجالس من المختصر وجميع لامية الزقاق ، وأعاد عليه لامية الافعال ، وعن القاضي العدل سيدي محمد بن المدني السرغيني ، وعن الشيخ الصالح سيدي محمد بن نون الرحماني جملة صالحة من الخلاصة ، وعـن الولي الصالح الشيخ مبارك ابن الشيخ المختار الدميسي السباعي دفيـن روضة باب دكالة خارج مراكش بأكران التوحيد ، ثم انتقل لسوس ، فأخذ بهشتوكة باذا ومَحمد عـن الولي الصالح العامل سيدي سعيد بـن أحمد الادريسي الكثيري المتوفـى برأس الوادي سنة 1294 صحيـح البخاري ، والشفاء ، والشمائل ، ومختصر الشيخ خليل ، والتحفة ، وذا الجلالين ، والوجيز ، وتفسير القرطبي أيضا ، وغير ذلك من العلوم (1) الحجة المشوبة بالتصوف والحض على الاخذ بالخير وتنبيه القلوب للصالحات مع الاجازة في ذلك كله ، وأجازه أيضا الشيخ القاضي العدل المحب لاهل البيت ، الحاج

1) كذا في الاصل ، ويظهر أن الناسخ سها عن كتابة بعض الكلمات أو الجمل

علي بن عبد الصادق الشياظمي في جميع مروياته ومسموعاته ، منها الصحيحان وغيرهما ، وأجاز له في أحزاب الشاذلي كلها ، والوظيفة الزروقية ، والصلاة المشيشية ، وحزب النووي ، بالاجازة المطلقة العامة ، وأخذ عن الفقيه سيدي عبد الله الحرطيطي التناني علم الفرائض والحساب بتأليفيْ الرسموكي ، وحج مع شيخه سيدي سعيد المذكور عام 1291 ، ولقي في حجته سيدي ابراهيم السنوسي بثغر الاسكندرية فأجازه كل ما يرويه عند رؤيته ، ورأى الشيخ عليش بمصر ، وأخذ الطريقة الناصرية عن الشيخ مبارك المذكور ، وسيدي الزوين ، وسيدي ابراهيم السوسي اليحياوي ، ولقي بالصحراء السادات الكرام أهل محمد سالم ، والشيخ محمد المقري سيدي ابراهيم الشيخ بن حامن المستقل بقراءة العلم من عام 1274 الى سنة 1280 على يد شيخه سيدي سعيد المذكور ، ولما انتقل المترجم للصحراء عام 1295 ظهر علمه فصار يلقب عندهم بالفقيه ، وله نظم ، ومدحه شعراء الصحراء ، منهم الشيخ محمد المختار بن محمد عبد الرحمان :

انسى لما مطل الزمان لقاءه ... فالغرب من عينيَّ أعوز ماءه
كلِفتْ به نفسي أوان صبوتي ... والقلب أوسع حبه سوداءه
وافيته بتحية مسكية ... عمت بفائح نشرها أرجاءه
ياليتني شمائل يزهو بها ... ومحاسن طول الزمان أراءه
وسخاء كف وابتغاء محامد ... وفكاهة تنسي الوليدَ غذاءه
وعلى جلالة قدره ووفائه ... لم تعط ناهدة الثدي حياءه
وافى فجدد من شريعة جده ... ربعاً عفا والمدلهم أضاءه
واستل عضباً في احترام حريمها ... واتساد ما هد الغواة نباءه
حلاك ربك يا حلي زمانه ... أدبا وعلماً فاكسونً رداءه
وسيادة قعسا وحسم تشاجر ... صيتاً به لمست يداك سماءه
وأضفت للمعطي فناسبت السما ... تعطي الجزيل ولا ترد جزاءه
وخليل ربك يوم أذن صارخاً ... في صلب جدك قد أجبت نداءه
كم طالب أسعفته بمراده ... ومهمٌ خطب قد كفيت عناءه
كم نازل لاقيته ببشاشة ... وخبي علم قد كشفت غطاءه

ناساك حينك ياأعز مَن انتمـــى لنبيّه فالمجد حزت لـــــواءه
ياربنا يسر لوارث جـــــده نيل المنى وأدم له نعمـــاءه
غيظ الحسود وشامت بعدائـــه جزلا وجنبه المجيب بـــلاءه
هذي بنات الفكر زفّت نحوكـــم كالبدر فات هناءه أنـــوءه
بز اشتياخي درها أصدافـــه فأعار ما تحت المروط صفـــاءه
وصلاة ربي والسلام على الـــذي ختمت به رسل الاله بقـــاءه

وللشيخ محمد المختار المذكور مرثية فـي شيخه العلامة التقـي الزاهد الورع عبد الودود ابن المكور مطلعها :

صروف الدهر تركض في البراري وتنزل بالأسافل والخيـــار

ومنهـا :

لقد تاهت بك الايام دهـــراً كما تاه المعاصم بالســـوار
جمعت مكارم الاخلاق طفـــلا ووافيت الوفاة بلاشنـــار
حوى كل العلوم مع اتبـــاع وجدد رسم أربعها الدثـــار

ثم قر قرار المترجم بمسقط رأسه عام 1318 يقرىء العلوم بزاويته الى أن توفي رحمه الله به ظهر يوم الجمعة خامس شعبان عام ثلاثة وثلاثيـن وثلاثمئة وألف 1333 .

ألف فيه ولده محمد الصغير (مهذب الاخلاق والطباع ، بمناقب سيدي عبد المعطي سلالة أبي السباع) .

1246) عبد المهيمن بن محمد الحضرمي

عبـد المهيمن بن محمـد بن عبد المهيمـن الحضرمي ، كان بنـو عبد المهيمن من بيوتات سبتة ، ونسبهم في حضرموت ، وكانوا أهل تجلة ووقار ، منتحلين للعلم ، وكان أبوه محمد قاضي سبتة أيام أبي طالب وأبي حاتم ، وكان له معهم صهر ، ونشأ ابنه عبد المهيمن في حجر الطلب والجلالة،

وقرأ صناعة العربية على الاستاذ الغافقي وحذق فيها ، ولما نزلت بهم نكبة الرئيس أبي سعيد سنة خمس وسبعمئة 705 ، واحتملوا الى غرناطة احتمل فيهم القاضي محمد بن عبد المهيمن وابنه ، وقرأ عبد المهيمن بغرناطة على مشيختها وازداد علما وبصرا باللسان والحديث ، واستكتب بدار السلطان محمد المخلوع ، واختص بوزيره المتغلب على دولته محمد ابن الحكيم الرندي فيما اختص به من رؤساء بني العزفي ، ثم رجع بعد نكبة ابن الحكيم الى سبتة وكتب عن قائدها يحيى بن مسلمة مدة ، ولما استخلص بنو مرين سبتة سنة تسع 709 اقتصر على الكتابة،وأقام منتحلا مذاهب سلفه في انتحال العلم ولزوم المروءة ، ولما استولى السلطان أبو سعيد على المغرب واستقل بولاية العهد والتغلب على الأمر ابنه أبو علي وكان محباً للعلم مولعا بأهله منتحلا لفنونه وكانت دولته خلوا من صناعة الترسيل من عهد الموحدين للبداوة الموجودة في أولهم وحصل للامير أبي علي بعض البصر بالبلاغة واللسان تفطن به لشأن ذلك وخلو دولتهم من الكتاب المترسلين وأنهم انما يحكمون الخط الذى حذقوا فيه ، ورأى الأصابع تشير الى عبد المهيمن فى رياسة تلك الصناعة فولع به ، وكان كثير الوفادة مع أهل بلده أوقات وفادتهم فيختصه الامير أبو علي بمزيد بره وكرامته ، ويرفع مجلسه ، ويخطبه للكتابة وهو يمتنع عليه ، حتى اذا أمضى عزيمته أوعز الى عامله بسبتة سنة ثنتي عشرة 712 ان يشخصه الى بابه فقلده كتابته وعلامته ، حتى اذا خرج أبو علي على أبيه تحيز عبد المهيمن الى الامير أبي الحسن ، فلما صولح أبو علي على النزول عن البلد الجديد وكتب شروطه على السلطان كان من جملتها كون عبد المهيمن معه وأمضى له السلطان ذلك وأنف الامير أبو الحسن منها ، فأقسم ليقتلنه ان عمل بذلك ، فرفع عبد المهيمن أمره الى السلطان ولاذ به وألقى نفسه بين يديه ، فرق لشكواه وأمره باعتزالهما معا والرجوع الى خدمته ، وأنزله بمعسكره ، وقام على ذلك ، واختصه منديل الكناني كبير الدولة وزعيم الخاصة وأنكحه ابنته ، ولما نكب منديل جعل السلطان علامته لأبي القاسم ابن أبي مدين وكان غفلا خلوا من الأدوات ، فكان يرجع إلى عبد المهيمن في قراءة الكتب واصلاحها وانشائها حتى عرف السلطان له ذلك فاقتصر عليه

وجعل وضع العلامة اليه سنة ثمان عشرة 718 فاضطلع بها ، ورسخت قدمه في مجلس السلطان ، وارتفع صيته ، واستمر على ذلك أيام السلطان وابنه أبي الحسن من بعده الى أن هلك بتونس في الطاعون الجارف سنة تسع وأربعين وسبعمئة 749 والله سبحانه تعالى خير الوارثين .

انتهى من تاريخ ابن خلدون (1) .

وقال في مكان آخر : وأما عبد المهيمن كاتب السلطان أبي الحسن فأصله من سبتة ، وبيتهم بها قديم ، ويعرفون ببني عبد المهيمن ، وكان أبوه محمد قاضيا أيام بني العزفي ، ونشأ ابنه عبد المهيمن في كفالته ، وأخذ عن مشيختها ، واختص بالاستاذ أبي اسحاق الغافقي ، ولما ملك عليهم الرئيس أبو سعيد صاحب الاندلس سبتة ونقل بني العزفي مع جملة أعيانها الى غرناطة ونقل معهم محمد بن عبد المهيمن استكمل قراءة العلم هناك ، وقرأ على مشيختها : ابن الزبير ونظرائه ، وتقدم في معرفة كتاب سيبويه ، وبرز في علو الاسناد وكثرة المشيخة ، وكتب له أهل المغرب والاندلس ، واستكتبه رئيس الاندلس يومئذ الوزير محمد ابن الحكيم المستبد على السلطان المخلوع ابن الاحمر ، فكتب عنه ، ونظمه في طريقة الفضلاء الذين كانوا بمجلسه . انتهى .

وولد بسبتة سنة سبع وسبعين وستمئة 677 وممن اجاز له مالك ابن المرحل ، وأبو الفتح ابن سيد الناس ، ومن المشرق ابن عبد الهادي ، وخليل المراغي ، وأبو حيان ، والدمياطي ، وست الفقهاء بنت الواسطي وغيرهم نحو العشرين ذكرهم في تأليف ضاع بضياعه علم كثير .

قال اللؤلؤي في تاريخه : جلس للتدريس بتونس أيام الدولة المرينية بمجلس السلطان أبي الحسن فقرأ القارىء وهو الشيخ ابن عرفة في كتاب مسلم حديث مالك بن مِغْوَل بكسر الميم وفتح الواو من مغول ، فقال له عبد

---

1) تاريخ ابن خلدون 7 : 515 طبع بيروت

المهيمن والفقيه الصباغ مَغوِل بفتح الميم وكسر الواو ، فأعاد هذا القاري قاصدا خلافه كما قرأها فضحك السلطان وأدار وجهه الى عبد المهيمن ، وقال له : أراه لم يسمع منك ، فأجابه بقوله لا تبديل لخلق الله ، انتهى .

وما قرأ به القاري هو الذي في شرح النووي والديباج وغيرهما .

وقال لما أشرف على سجلماسة :

لقد راقني مرأى سجلماسة التـــي | يقر له في حسنه كل منصـــــف
كأن رؤوس النخل في عرصاتهـــا | فواتح سورات بآخر مصحـــــف

قال المقري : وهذا من التشبيه العقيم الذي لم يسبق اليه فيما أظن.

وحلاه ابن مرزوق الخطيب في (المسند الصحيح الحسن) برحلة الوقت واعجوبة الزمان شيخ وقته ، وامام عصره ، ذكره في الكتاب وفي علماء الحضـــرة .

وقال اللؤلئي أيضا : ومن نظم أبي حيان في عبد المهيمن :

ليس في الغرب عالـــــــــــم | غير عبد المهيمـــــــــــن
نحن في العلم هكـــــــــذا | أنا منه وهو منـــــــــــي

وأخذ عنه لسان الدين ابن الخطيب ، وابن خلدون ، والامام المقْري ، وعبد الله بن يوسف ابن رضوان ، وغيرهم .

له أربعينيات في الحديث (1) .

1247) عبد المومن بن علي الكومي الموحدي (الخليفة)

عبد المومن بن علي بن مخلوف، بن يعلى بن مروان بن نصر بن علي بن عامر بن الأهتم، بن موسى ، بن عون الله، بن يحيى ، بن ورزايغ، بن مصمود، بن

---

1) ينظر عنه أيضا : **التعريف بابن خلدون** ص 20 ونثير **الجمان** ص 223 و**مستودع العلامة** ص 50 و**جذوة الاقتباس** ص 444 ع 477 و**نفح الطيب** 5 : 464

ينور ، بن مطماط ، بن هودج ، بن مادغيس ، بن بر ، بن قيس ، بن عيلان ، بن مضر ، بن نزار ، بن معد ، بن عدنان ، هكذا قال في نسبه بعض النسابين كما في (الحلل) (1) و (القرطاس) و (الجذوة) ، قال : ويذكر بعضهم أن في خط عبد الواحد المخلوع بن يوسف بن عبد المومن ما يدل على أنه مصنوع . اذ هذه الأسماء ليست من أسماء البربر ، وانما هي كما تراها كلها عربية ، والقوم كانوا من البربر معروفون بينهم ، وانتساب مصمود الى مطماط تخليط أيضاً ، فانهما أخوان عند نسابة البربر أجمع ، وعبد المومن بلا شك منهم ، وراجع (نزهة النظار ،في عجائب التواريخ والاخبار) لابي الثناء محمود بن سعيد مقديش الصفاقسي المتوفى سنة 1228 .

وهو زناتي الاصل ، وكان والده علي فخارا يعمل النوافخ (2) ، وكان عبد المومن تطلب في صغره ، ولازم المساجد لدرس القرءان ، فمر به المهدي حين قدم الى المغرب فضمه اليه لما أراد الله تعالى من أمره (3) ، والصحيح في نسبه أنه زناتي كومي من كومية هنين من عمل تلمسان ، وقد رحل عبد المومن الى تلمسان ، وأخذ عن مشيختها ابن صاحب الصلاة ، وعبد السلام البرنسي ، وكان فقيها يعد في فنونه ، وكان شيخ عصره في الفقه والكلام ، يعطش التلميذ بعده الى القراءة ، ومن أشياخه الفقيه محمد بن تومرت المهدي، حكي أنه لما مات المهدي ربى عبد المومن طائرا يقــول باللسان العربي : النصر والتمكين ، والفتح المبين ، لعبد المومن أمير المومنين ، وربى شبل أسد وصار يبصبص له اذا رءاه ، ثم لما كمل له مراده أمر أشياخ الموحدين أن يحضروا مجلسه ، فأمر فضربت له قبة ، وجعل الطائر في عود ، وأمــر سايس الاسد أن ياتي به اذا غص المجلس فيطلقه بينهم ، فلما اجتمعوا قام عبد المومن خطيبا ، فحمد الله وأثنى عليه ، وأعلمهم بموت المهدي ودعا لهم ، فلما علت أصواتهم اذا بسائس الأسد قد أطلقه بينهم ، ومعلم الطير قد صفر

1) **الحلل الموشية** ص 117 طبع الرباط

2) ج **نافخ** : المجمر فى عامية أهل فاس

3) لقيه المهدى بقرية ملالة (تاملالت) القريبة من بجاية

له فقال الطير بلسان فصيح : النصر والتمكين ، لسيدنا الخليفة عبد المومن أمير المومنين ، وأما الاسد فزأر في الناس وكشر أنيابه ، ففر الناس لما رأوه ، ثم لما رأى عبد المومن بصبص على عادته ، وجر عبد المومن يده عليه ، فلما رأوا ذلك اتفقوا على تقديمه عليهم ، وفي ذلك يقول الحسن ابن الاشيري :

أنس الشبلِ ابتهاجاً بالأسـد ورأى شبه أبيه فقصـد
ودعا الطائر بالنصر لكـم فقضى حقكم لما وفـد
أنطق الخالقُ مخلوقاتـِه بالشهادات فكل قد شهـد
أنك القائمُ بالأمر لـه بعدما طال على الناس الأمـد

وكانت بيعة عبد المومن يوم الخميس الرابع عشر من رمضان من سنة أربع وعشرين وخمسمئة 524 رزق المترجم النصر على اللمتونيين ، فأباد دولتهم ، واقتلع شوكتهم ، فقتل منهم بمراكش وحدها ما يزيد على الثلاثين ألفا بعد أن حصرها تسعة أشهر حسبما تقدم شرح ذلك في المقدمة ، وملك المغرب الاقصى والاوسط وافريقية وطرابلس ، وملك جزيرة الاندلس ، وغرب القاضي عياض من سبتة الى مدينة داي بتادلة ، وغرب الحافظ ابن رشد الى مراكش ، وأبا بكر بن العربي المعافري وجماعة من علماء الاندلس ، وولي بنيه على قطر المغرب ، واستفحل ملكه ، وأخذ المهدية من أيدي الروم بعد ما ملكوها . قال في (درة السلوك ، وريحانة العلماء والملوك) ولا يخفى ما في ذكر ابن رشد الحافظ اذ توفي قبل ذلك عام 520 كما تقدم في ترجمته .

وقال في (الحلل الموشية) : ولما تخلص له ملك المغرب وصلته البيعة من بعض المواضع بجزيرة الاندلس ، وأول بيعته وصلته منها وأول وفد وفد عليه أهل اشبيلية ، ولذلك اعتنوا بها في مدتهم وصيروها حاضرتهم بالاندلس ، وكان من الوفد القادمين عليه القاضي أبو بكر بن العربي المعافري ، والخطيب أبو عمر ابن الحجاج ، والكاتب أبو بكر ابن الجد ، وأبو الحسن الزهري، وأبو الحسن ابن صاحب الصلاة المؤرخ، وأبو بكر ابن شجرة، والباجي، والهوزني ، وابن القاضي شريح ، وعبد العزيز الصدفي ، وابن السميد ، وابن الزاهر . وغيرهم من وجوه اشبيلية في ذلك العهد ، فأذن لهم في السلام

عليه ، وتقدم القاضي أبو بكر ابن العربي وخطب خطبة بليغة استحسنها الخليفة عبد المومن ، ثم تلاه الفقيه أبو بكر ابن الجد بخطبة ثانية فأحسن وأجاد ، ودفعوا له بيعة أهل اشبيلية مشهودة بخطوطهم فقبلها منهم ، واستحسن فعلهم ، ثم ان الخليفة عبد المومن سأل ابن العربي عن المهدي هل رءاه ولقيه في مجلس أبي حامد الغزالي ؟ فقال له لم ألقه ، وانما سمعت به ، وأن الشيخ كان يقول لا بد من ظهوره (1) .

فائدة : قال في (معالم الايمان) ثم انقضت هذه الطبقة بعد الخمسمئة سنة ، ولم يبق بالقيروان مَن له اعتناء بالتاريخ لاستيلاء مفسدي الاعراب على افريقية وتخريبها واجلاء أهلها عنها الى سائر بلاد المسلمين ، وذهاب الشرائع بعدم مَن ينصرها من الملوك ، الى أن منّ الله على الناس بظهور دولة الموحدين ، فوضحت بها معالم الدين وسبل الحق ورسوم الشرع، فظهر بظهورها بافريقية العلماء والصلحاء ، وذلك في سنة الاخماس : خمس وخمسين وخمسمئة 555 ، والله تعالى أعلم .

وفي هذه السنة دخل عبد المومن المهدية وانقادت اليه أقاليم افريقية كلها ، وفيها جاز الى الاندلس ثم عاد الى مراكش وقد كمل له بملك افريقية كلها مسيرة أربعة أشهر من المشرق الى المغرب من طرابلس الى أقصى السوس ، ومن الجنوب الى الشمال في اعرض المواضع من قرطبة الى سجلماسة خمس وعشرون يوماً .

فائدة أخرى : بني المترجم عبد المومن مدينة رباط الفتح على وضع بناء الاسكندرية ، وهي جنوبي سلا ، وتقع سلا في شمالها ، نقله في (تقويم البلدان) عن ابن سعيد ، قلت : سيأتي في ترجمة حفيده يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المومن انه هو الذي بناها ، ويظهر أن المراد هو القصبة المعروفة الآن بقصبة الوداية بالرباط .

---

1) **الحلل الموشية** ص 122 طبع الرباط

وكان عبد المومن بارا بمَن انضوى اليه ، عارفا بأقدار الناس ، مكرما لأعيانهم وأهل البيوتات منهم ، عالما بمقادير العلماء ، ينزل الناس على قدر منازلهم ، وبلغ جيشه الى خمسة وسبعين ألف فارس ، ومن الرجال الى خمسمئة ألف ، ويتقدم الناس أمامه بمصحف عثمان رضي الله عنه ، كان عند الناصر عبد الرحمان الأموي بالاندلس ، فجيء به اليه ، وأنفق عليه أموالا عظيمة ، وصنع تابوتا عجيبا وغلفه بغلاف صحائفه من الذهب ورصعه بالياقوت الاحمر . وراجع ما يتعلق باحتفاله به في (نفح الطيب) ونقل ذلك عن الوزير الاجل أبي زكرياء بن أحمد بن يحيى بن محمد بن عبد الملك ابن طفيل القيسي المتقدمة ترجمة جده .

وكانت مدة ملكه من حين وفاة المهدي ثلاثة وثلاثين سنة وثمانية أشهر وخمسة وعشرين يوماً .

ومن شعره لما أقبلت حشود لمطة الى فحص مراكش مع الامير اسحاق ابن أمير المومنين علي بن يوسف وهزمهم الموحدون وغنموا لهم من الجمال نحو ثمانين ألفا وهنأه المشرقي أبو عبد الله الجياني بشعر أوله :

اضاءت لنا الايام واتصل النجح وكانت وجوه الدهر مسودة طلح

فأجابه الخليفة عبد المومن :

هو الفتح لا يجلو غرائبه الشرح أصاب بني التجسيم من بأسه قرح
أتتنا به البشرى على حين غفلة بمهلك قوم كان وعدهم الصبح

تنبيه : طبع كتاب تعاليق المهدي بن تومرت التي أملاها المترجم بمطبعة الجزائر في أول كتاب أعز ما يطلب وافضل ما يكتب وأنفس ما يدخر وأحسن ما يعمل العلم الذي جعله الله سبب الهداية الى كل خير هو أعز المطالب وأفضل المكاسب وأنفس الذخائر وأحسن الاعمال الخ . وفيها باب في بيان طوائف المبطلين من الملثمين والمجسمين وعلاماتهم قال احداهن أنهم الحفاة ، والثانية أنهم العراة الخ ..

ثم اعلم أن الموحدين قد نحلوا المذهب المعروف لهم من انكار الرأي في الفروع الفقهية والعمل شرعا على محض الظاهرية ، وجروا على ذلك سنين بطول ايالتهم الى أن انقرضوا ، وأولهم في ذلك مهديهم أول ملوكهم محمد بن عبد الله الحسني المعروف بالامام المهدي اطرح الرأي وأمر بحرق كتب الفقه وازالها ووضع في السنن أوضاعا وتابعه على ذلك أمير المومنين بعده عبد المومن بن علي وأولاده ، ولم تزل كتب الفقه عندهم مهجورة منبوذة ، وتمذهبوا بمذهب الظاهرية ، ولم يعدلوا ... على ظاهر القرءان والحديث فقط ، وأوقعوا المحن بذوي الفروع وقتلوهم وطرحوهم بالسياط وألزموهم الايمان المغلظة من عتق وطلاق وغيرهما ألا يتمسكوا بشيء من كتب الفقه ، وأظهروا التعويل على كتب مهديهم في الحديث ، ومن الغرائب أن المدونة نقلت من صدر الفقيه علي ابن عشرين الخزرجي الفاسي في أول الدولة المرينية ، وقوبلت بعد ذلك مع نسخة وجدت فوجدوها كما هي لا خلاف بينهما إلا في فاء أو واو .

وتوفي الخليفة عبد المومن برباط الفتح سنة ثمان وخمسين وخمسمئة واحتمل الى تينمل ودفن بباب قبر المهدي رحمة الله عليهما .

ولما مدح أبو القاسم أخيل بن ادريس الرندي عبد المومن في جبل الفتح بقصيدة أولها :

ما الفخر الا فخر عبد المومن ... أثنى عليه كل عبد مومن

قال أبو جعفر ابن سعيد دعاه التجنيس الى الضعف والخروج عن المقصود ، والاولى أن لو قال : شاد الخلافة وهو أول مبتن .

ومن هذه القصيدة :

أما ابن سعد فهو أول مارق ... ياليته بأبيه سعد يكتني
ما قدر مرسية وحكمك نافذ ... ان شئت من عدن لأرض المعدن

قال فلما أكملها قال عبد المومن أجدت ، فقال ارتجالا :

مَن لي أمير المومنين بموقفـــي   هذا وقولك لي أجدت ولم تـــن
فلقد مدحتك خائفاً أن لا يفـــي   لسني بما يعيي جميع الألســـن

وتقدم شيء من ترجمته عند ذكر محمد بن هود بن عبد الله الماسي ، وفي ترجمة أبي زكرياء بن يومر قائده ، وفي ترجمة محمد المهدي بن تومرت.

وقال في (الشذرات) في ترجمته : وكان يقرأ كل يوم سبعا من القرءان العظيم ، ويجتنب لبس الحرير ، ويصوم الاثنين والخميس ، ويهتم بالجهاد والنظر في الملك كأنما خلق له ، وكان سفاكاً لدماء مَن خالفه .

ومن شعره وقد كثر الثوار عليه :

لا تحفلن بما قالوا وما فعلـــوا   ان كنت تسمو الى العليا من الرتب
وجرد السيف فيما أنت طالبـــه   فما ترد صدور الخيل بالكتـــب

انتهى المقصود فراجعها .

وقال في (ارشاد الاريب) في ترجمة أسامة بن مرشد بعد أن نسب له هذين البيتين :

ألقى المنية في درعين قد نسجا   من المنية لا من نســـــج داوود
ان الذي صور الاشياء صورنـــي   ناراً من البأس في بحر من الجود

وهذان البيتان يرويان لعبد المومن ملك المغرب .

وقال في (الشهب اللامعة) في الباب التاسع ما نصه : ومن حسن التغافل ما أخبرني شيخنا القاضي الخطيب العالم أبو البركات ابن الحاج قال: حكى لنا بعض الشيوخ بفاس أن عبد المومن بن علي وجه عن الشيخ أبـي محمد صالح رضي الله عنه لما بلغه أنه تكلم في المهدي ، فقال له ما تقول في المهدي ؟ فقال له الشيخ أبو محمد أفي الله شك ؟ فقال له عبد المومن : هو المظنون بك أيها الشيخ ، جزاك الله خيرا ، انصرف رحمك الله ، فلما خلا

عبد المومن بخاصته قال لهم أتظنون أن الشيخ احتال علي في كلامه ووري عني ؟ بل عرفت والله وجه كلامه ، غير أني إن كشفت القناع معه صعب الأمر من جهة المهدي وجهة رجل من أولياء الله ، فقضيت القضية ولم أزد على صرفه .

انتهى منها بلفظها ، ونقلها عنه أيضا ابن الازرق في (بدائع السلك).

1248) **عبد المومن** عصري يحيى بن أبي عبد العزيز ، كانت له أحوال ، قال في (انس الفقير) : أخبرني بهذا بعض فقراء المصامدة أن له معرفة تامة بكتاب البوني في اسرار الأسماء ، ويسمع منه الفقراء بمراكش أشياء أنكروها فأحضروه يوما للسؤال والبحث عن سبب ما يصدر عنه من الأحوال ، فقال أنا أعرفكم بسبب ذلك ، أنا مع ربي بالباطن ، وأنتم معه بالظاهر ، فتركوه وسلموا ، وكان معاصرا للشيخ يحيى بن عبد العزيز الحاج ، وكان كل منهما غير طيب بصاحبه ، ولا حاجة لي باستيفاء هذا .

1249) **عبد العزيز التونسي** الزاهد ، أصله من تونس ، وأخذ الفقه عن الفقيه أبي عمران الفاسي ، وأبي اسحاق التونسي ، وغيرهما ، وسكن مالقة وغيرها من بلاد الاندلس ، واستقر أخيرا بأغمات وبها مات سنة ست وثمانين وأربعمئة 486 ودرس الناس عليه الفقه ، ثم تركهم لما رءاهم نالوا به الخطط والعمالات ، وقال صرنا بتعليمنا اياهم كبائع السلاح من اللصوص ، وكان ورعاً متقللا من الدنيا ، هاربا عن أهلها .

قال في (التشوف) : حدثني بذلك أحمد بن يزيد عن خلف بن عبد الملك ابن مسعود الانصاري ، عن عياض بن موسى اليحصبي :

ان لله عباداً فطناً ... طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
فكروا فيها فلما علموا ... أنها ليست لحيٍّ وطنا
جعلوها لجة واتخذوا ... صالح الاعمال فيها سفنا

أخبرنا يحيى بن عبد الرحمان عن محمد بن عبد الرحمان الأخنس عن شيوخه أنهم سألوا عبد السلام التونسي عن عبد العزيز التونسي وأحواله ،

فقال لا أطيق أحواله ولا أقدر عليها . فمنها أني كنت أسيح معه على ساحل بحر المغرب فأقمنا أياما لم نجد شيئاً نأكله الى أن أضرَّ بنا الجوع ، فبينما نحن نسير على ساحل البحر اذ قال لي : ياعبد السلام هذا القوت ، فنظرت فاذا بسمكة قد لفظها البحر ، فقطعت منها بالسكين ، فقلت له احمل هذا الى أن أجد الملح والنار فأصنع منه ما نأكله، فقال لي ياعبد السلام أفي كل مكان يوجد الملح والنار ؟ فأخذ القطعة من السمك ونهش نهشة بأسنانه وابتلع ، وقال لي أما أنا فقد اكتفيت ، وأما أنا فلم اقدر أفعل كما فعل .

وحدثوا عن عبد العزيز ان المصامدة أخذوا عنه الفقه ثم عادوا الى بلادهم فسادوا في قومهم بما تعلموه من الفقه وصاروا قضاة وشهودا وخطباء وغير ذلك من المراتب ، فذهب عبد العزيز في بعض سياحته الى أقصى أرض المغرب ، فكلما مر بقوم تلقوه ، فوجد ثلاثة قد نالوا الخطط والمراتب بما تعلموه منه ، فقطع درس الفقه ، وأمر تلامذته بالنظر في رعاية المحاسبي ونحوها من علوم التصوف الى أن عثر على بعض تلامذته وقد وقع من جهل الفقه في الربا ، فقال سبحان الله كرهت تدريس الفقه خوفا من أن تنال به الدنيا ، فضيعت معرفة الحلال والحرام ، فعاد الى تدريس الفقه ، وكان عبد العزيز زاهداً في الدنيا متقشفا ، وكان يقتات مداً من الشعير في اثنيْ عشر يوما ، وهو مع ذلك قادر على أوراده وتدريسه ، فاذا اقتات مدا في عشرين يوما لم يضعف الا عند التدريس خاصة .

ترجمه في (الصلة) و (التشوف) (1) .

وقال التستاوتي في نظم رجاله :

وعبد العزيز الفخر من تونس بدا ويقتات في العشرين مداً بلا نكر

والمراد بأبي القاسم خلف المذكور في كلام صاحب (التشوف) هو مؤلفه الصلة ابن بشكوال الذي أضفنا الى كلام التشوف ما فاته من ترجمته

1) الصلة ص 370 ع 807 والتشوف ص 68 ع 5

فيه ، والابيات الثلاثة التي انشدها هنا كان كثيرا ما ينشدها أبو بكر الطرطوشي المتوفى بالاسكندرية سنة 620 كما في الصلة ، والمراد بأبي القاسم أحمد بن يزيد هو الفقيه القاضي أبو القاسم أحمد ابن يزيد راوي الصلة عن مؤلفها في محرم سنة 535 .

1250) عبد العزيز بن خلف ابن مدير الأزدي

عبد العزيز بن خلف بن عبد الله بن سعيد بن العباس ابن مدير الأزدي ، أبو بكر ، أصل سلفه من أشونة وسكنوا قرطبة ، كتب اليه أبو علي ، وله سماع صحيح عال بقراءة أبيه أبي القاسم على أبي الوليد الباجي وأبي العباس العذري وأبي عبد الله ابن سعدون القروي ، وكان آخر مَن حدث بالسماع عن هؤلاء الثلاثة ، وأربعتهم من شيوخ أبي علي ، ويروى أيضا عن أبي عبد الله ابن فرج ، وعبد الصمد بن موسى بن هذيل البكري ، وأبي المطرف الشعبي ، وأبي علي الغساني ، وأبي عبد الله ابن حمدين ، وأصبغ ابن المناصف ، وأبي الوليد ابن رشد ، وأبي عبد الله ابن الحاج ، قرأ ابن الأبار أسماء شيوخه بخطه ، بدأ بأبيه وختم بالشعبي ، وقال فيه مشاور مدينة مالقة ، ولم يذكر فيهم أبا علي الصدفي ، وروايته عنه صحيحة حكاها أبو الحسن جابر بن أحمد القرشي عند ذكره في مشيخة أبي بكر ابن خير ، ونص عليها أيضا غيره ، وكان من أهل المعرفة بالمسائل الفروعية وعقد الشروط ، حدث عنه ابن بشكوال وابن خير وابن حبيش وابن حميد وابن عبيد الله .

قال ابن الابار في (المعجم) : وكان شيخنا أبو الخطاب ابن واجب يشك في اجازته اياه مع أبيه أبي الحسن ، وقد أخذ عنه أهل بيته ، وربما أثبتها في بعض الأوقات ، ولم أقف له على تحديث عنه .

وتوفي بمراكش سنة 544 ومولده سنة 467 ، وفي طرة هذا المحل من المعجم : وفي السامعين على أبي علي مع ابن الطلاء لعوالي الزينبي أبو الاصبغ عبد العزيز بن خلف بن مالك المعافري الأوريولي (1) .

---

1) معجم اصحاب ابى على الصدفى ص 268 ع 239

1251) **عبد العزيز بن محمد الباغاني** ، من أهل أغمات وريكة ، صحب محمد بن اسماعيل الهواري ويوسف بن يعقوب المرادي وغيرهما من أهل الفضل ، وكان عبدا صالحاً زاهداً في الدنيا وأهلها . قال في (التشوف) وحدثني علي بن عيسى بن ناصر قال : بعث قاضي القضاة حجاج بن يوسف التجيبي الى عبد العزيز الباغاني ليجبره على قضاء أغمات ، فقدم مراكش واستعفاه فلم يعفه ، فقال له لا بد لك من ولاية القضاء ، فقال له عبد العزيز : والله لو نشرت بالمنشار من قرني الى قدمي ما قبلت هذه الولاية ، فلما رآه قد صمم على ذلك قال له حجاج قد أعفيتك ، فجزاك الله خيرا عن دينك ، فرجع عبد العزيز الى بلده .

قال علي بن عيسى : وكان سبب وفاته أنه قام ليلة الى ورده فتوضأ واكمل وضوءه وجاء الى مصلاه فقعد فيه ومد يده وحرك شفتيه بالتشهد فقضى نحبه رحمه الله تعالى (1) .

وقال في نظم رجاله :

وعبد العزيز الفخر يزهد في القضا ليسلم من سحب الوجوه على الجمر

1252) **عبد العزيز بن تومرت أخو المهدي** ، لما عقد عبد المومن بن علي الموحدي لابنائه على فاس وتلمسان وسبتة وبجاية تغيرت ضمائر عبد العزيز المذكور وأخيه عيسى فلحقا بمراكش سنة احدى وخمسين وخمسمئة 551 (2) مضمرين للغدر وادخلا بعض الاوغاد في شأنهما فتوثبوا بعمر بن تافراكين بمكانه من القصبة عند بداية الصلاة فقتلوه ، وفضحهم الصبح فاستلحمهم

---

1) **التشوف** ص 186 ع 72

2) الذى عند ابن ابى زرع فى **القرطاس** ص 195 (طبع الرباط) أن ثورة عبد العزيز وأخيه عيسى كانت سنة 549 ويفهم من كلام ابن عذارى فى **البيان المغرب** ص 27 (طبع تطوان) وابن خلدون فى **كتاب العبر** 6 : 492 (طبع بيروت) ان ثورة عبد العزيز وأخيه عيسى كانت قبل ذلك التاريخ

وتنظر عن ثورتهما أيضا رسالة لعلها من انشاء احمد ابن عطية منشورة فى **مجموع رسائل موحدية** ص 38

العامة ، ووصل على اثرهما أحمد ابن عطية وعبد المومن على أثره فأطفـأ نار تلك الثورة ، وقتل أخوا المهدي ومَن داخلهما فيها .

1253) عبد العزيز بن علي ابن الحاج الطحان السماتي

عبد العزيز بن علي بـن محمد بن سلمة بن عبـد العزيز السماتي المُقرىء ، من أهل اشبيلية ، يعرف بالطحان ، وبابن الحاج ، أخذ القراءات عن شريح بن محمد ، وأبي العباس ابن عيشون ، وروى عنهما وعن أبي عبد الله ابن عبد الرزاق الكلبي ، وأبي بكر بن مسلمة قرأ عليه بمنزله بدرب أبي زيد من قرطبة ، ويحيى ابن سعادة ، وأبي مروان ابن مسرة ، وابن جعفر ابن نميل ، وسمع منه جامع الترمذي عن أبي علي الصدفي ، وأبي عبد الله ابن مكي ، وأبي القاسم ابن بقي ، وأبي عبد الله ابن نجاح الذهبي ، وأبي الحسن ابن مغيث روى عنه مصنف النسائي ، وأبي محمد ابن عتاب ، وروى بالمرية عن أبي محمد الرشاطي ، وأبي عبد الله ابن أبي أحد عشر ، وأكثر عنه ، ويروي عـن محمد بـن صالح بـن أحمد الاشبيلي عـن الرازي ، وكان أستـاذا ماهراً في القراءات ، وله تواليف مفيدة ، منها تأليف سماه (شعار الأخيار الأبرار ، في التسبيح والاستغفار) ، ورحل من اشبيلية ولم يعد اليها بعـد سنة 554 وفيها دخل مدينة فاس ، ثم رحل الى المشرق فأدى الفريضة ، وسُمِع منه ، وجل قدره ، واستقر هناك الى أن توفي رحمه الله وقبره بحلب.

ذكره عبد الحق الاشبيلي وروى عنه هو وأبو بكر بن طاهر الحدب ، وعلي بن يوسف المصري من شيوخ التجيبي ، وأبو القاسم ابن بقي شيخ ابن الابار أجاز له ما رواه .

نقله في التكملة (1) وذكر في (الحلل الموشية) أن ابن الحاج الاشبيلي من وفد اشبيلية الذين وفدوا على عبد المومن بن علي في صحبة أبي بكر ابن العربي في وجهته الى المغرب التي دخل فيها مراكش (2) .

1) **التكملة** ص 628 ع 1750 طبع مدريد

2) **الحلل الموشية** ص 122 طبع الرباط

1254) **عبد العزيز العمراني** الفقيه قاضي مراكش في دولة يعقوب بن عبد الحق المريني ، ذكره في (الذخيرة السنية) ، وصاحب (القرطاس) (1) .

1255) **عبد العزيز بن عبد الواحد الملزوزي**

عبد العزيز الملزوزي أبو فارس ، شاعر ملوك بني مرين ، قال يخاطب أمير المومنين يعقوب بن عبد الحق المريني ويمدحه ويحرضه على غزو يغمراسن بن زيان سنة 669 :

أرى كل جبار بسيفك يصغر ... وكل مليك عن فعالك يقصر
وكل عزيز خاضعاً متواضعا ... وكل يمان عن يمينك يمطر
تنام عيون الناس طراً وأنت في ... صلاح العلا والخلق ما زلت تسهر
أضاءت بك الدنيا فزال ظلامها ... فأيامُها من نور وجهك تسفر

وهي طويلة راجع تمامها في (الذخيرة السنية) (2) وسيأتي ذكر المترجم في ترجمة ممدوحه عبد الواحد بن يعقوب المريني ، وتقدم ذكره في المقدمة ، وله أرجوزة تسمى (نظم السلوك ، في الأنبياء والخلفاء والملوك (3) ، أو (نظم السلوك ، في أخبار مَن نزل المغرب من الملوك) ، ينقل منها ابن أبي زرع ، وصاحب الذخيرة السنية .

كان المترجم قوي العارضة ، متدفق الطبع ، متفنناً في ابداع ضروب القول ، مقربا من يعقوب بن عبد الحق مرافقاً له في جميع حركاته ، واصفا لغزواته في قصائده حتى أن واحدة منها تناهز المئتين والخمسين بيتاً ، فأجازه المنصور عليها بعشرة ءالاف دينار ، وبألف دينار لمنشدها بين يديه عبد الرحمان الغرابلي الفاسي (4) ، أولها :

---

1) **الذخيرة السنية** ص 86 طبع الرباط ، **والقرطاس** ص 298 وص 375

2) **الذخيرة السنية** ص 126 طبع الرباط

3) طبعت بالمطبعة الملكية بالرباط سنة 1963

4) الذى فى **القرطاس** ص 364 (طبع الرباط) ان السلطان اجاز الشاعر بألف دينار ، والمنشد بمئتى دينار

بحمد الله أفتتح الخطابـــــــا وأبدأ في النظام به الكتابـــــــا

ثم قال :

ولم يعلم جهاد للأعـــــــادي بهذي الارض يحتسب احتسابـــا
الى أن فتح الرحمان فيـــــه ليعقوب بن عبد الحق بابـــا (1)

1256) عبد العزيز بن أبي الحسن المريني (السلطان)

كان شأن الوزير عمر بن عبد الله في الاستبداد على سلطانه محمد هذا (2) عجباً حتى بلغ مبلغ الحجر للسفهاء من الصبيان ، وكان قد جعل عليه العيون والرقباء حتى من حرمه وأهل قصره،وكان السلطان كثيرا ما يتنفس الصعداء مع ندمائه ومن يختص بذلك من حرمه الى أن حدث نفسه باغتيال الوزير وأمر بذلك طائفة من العبيد كانوا يختصون به ، فنمى القول وأرسل به الى الوزير بعض الحرم كانت عينا عليه فخشي على نفسه ، وكان من الاستبداد والدالة أن الحجاب مرفوع له عن خلوات السلطان وحرمه ومكاشفة رتبه ، فخلص اليه في حشمه وهو معاقر لندمائه فطردهم عنه وتناوله غطا حتى فاظ وألقوه في بئر في روض الغزلان، واستدعا الخاصة فأراهم مكانه وأنه سقط عن دابته وهو ثمل في تلك البئر وذلك في المحرم سنة ثمان وستين لست سنين من خلافته (3) واستدعى من حينئذ عبد العزيز بن السلطان أبي الحسن وكـان في بعض الدور من القصبة بفاس تحت الرقباء والحراسة من الوزير لما كان السلطان محمد يروم الفتك به غيرة منه على الملك لمكان ترشيحه ، فحضر بالقصر وجلس على سرير الملك ، وفتحت الأبـواب لبني مرين والخاصة والعامـة ، فازدحموا على تقبيل يده معطين الصفقة بطاعته وكمل الأمر ، وبادر الوزير من حينه الى تجهيز العساكر الى مراكش ونادى بالعطاء وفتح الديوان وكمـل

---

1) ينظر عن عبد العزيز الملزوزى **ذكريات مشاهير المغرب** ع 9 ومقدمة **روضة السلوك**

2) يشير الى السلطان محمد بن أبى عبد الرحمان بن أبى الحسن المرينى

3) الذى فى **روضة النسرين** ص 32 (طبع الرباط) أن اغتيال السلطان محمد المذكور وقع يوم الاحد 22 ذى الحجة سنة 767

الأغراض ، وارتحل بسلطانه من فاس في شهر شعبان وأغذ السير إلى مراكش ، ونازل عمر بن محمد بمعقله من جبل هنتاتة ومعه الأمير أبو الفضل بن السلطان أبي سالم ، وعبد المومن بن السلطان أبي علي أطلقه من الاعتقال أيضا وأجلسه موازي ابن عمه ، واتخذ له الآلة ليموه به شأنه الأول ، ثم سعى بينه وبين عمر في الصلح ، فانعقد بينهما وانكفأ راجعا بسلطانه الى فاس في شهر شوال ، فكان حتفه اثر ذلك كما نذكره ان شاء الله تعالى ، والله أعلم .

الخبر عن مقتل الوزير عمر بن عبد الله واستبداد السلطان عبد العزيز بأمره

كان عمر قد عظم استبداده على السلطان عبد العزيز فحجره ومنعه من التصرف في شيء من أمره ، ومنع الناس من التعرض له في شيء من أمورهم ، وكانت أمه حذرة عليه اشفاقا وحبا ، وكان عمر لما ملك أمره واستبد عليهم سما إلى الاصهار إليهم فى بنت السلطات أبي عنان ، واشترط لها فيما زعموا تولية أخيها الأمر ، ونما ذلك الى السلطان وأن عمر مغتاله لا محالة ، وقارن ذلك أن عمر أوعز الى السلطان بالتحول من قصره الى القصبة ، فركب اسنة الغدر لاضطراره واعتزم على الفتك به ، وأكمن بزوايا داره جماعة من الرجال واعدهم للتوثب به ، ثم استدعاه الى بيته للمؤامرة معه على سنته ، فدخل معه وأغلق الموالي من الخصيان الباب من ورائه ، ثم أغلظ له السلطان بالقول وعتبه ، ودلف الرجال اليه من زوايا الدار ، فتناولوه بالسيوف هبرا (1) وصرخ ببطانته بحيث أسمعهم فحملوا على الباب وكسروا أغلاقه فألفوه مضرجا بدمائه فولوا الأدبار ، وانفضوا من القصر وانذعروا ، وخرج السلطان الى مجلسه فاقتعد أريكته ، واستدعى خاصته ، وعقد لعمر بن مسعود بن منديل بن حمامة من بني مرين ، وشعيب بن ميمون بن وردار من الحشم ، ويحيى بن ميمون بن أمصمود من الموالي ، وكملت بيعته منتصف

---

1) هبر اللحم قطعة قطعا كبارا ، وهبرناهم بالسيوف قطعناهم بها

ذي القعدة سنة ثمان وستيـن 768 ، وتقبض على ابن الوزير عمر وأخيـه وعمه وحاشيتهم وذويهم واعتقلهم حتى أتى القتل عليهم لليال ، واستأصل النكال شأفتهم ، وسكن وأمن ، ورد المنافرين بأمانه وبسط لهم بشره ، ثم تقبض لايام على سليمان ابن داوود ومحمد السبيع وكانا فى مخالصة عمر بمكان ، فاعتقلهما استرابة بهما ولشيء نمى عنهما وأودعهما السجن إلى أن هلكا ، واعتقل معهما علال بن محمد ، والشريف أبا القاسم ريبة بصحابتهما ، ثم امتـن عليهما بشفاعة ابـن الخطيب وزيـر ابن الاحمـر وأقصاه ، ثـم أطلق عنانه فى الاستبداد ، وقبض أيدي الخاصة والبطانة عن التصرف في شيء من سلطانه الا باذنه وعن أمره ، وهلك لأشهر من استبداده الوزيـر شعيب بن ميمون ، ثم هلك يحيى بن ميمون على ما نذكره ان شاء الله تعالى .

الخبر عن انتزاء أبي الفضل ابن المولى أبي سالم ثم نهوض السلطان اليه ومهلكه

لما فتك السلطان عبد العزيز بعمر بن عبد الله المتغلب عليه، سولت لأبي الفضل بن السلطان أبي سالم نفسه مثلها في عامر بن محمد لمكان استبداده عليه ، وأغراه بذلك البطانة ، وتوجَّس لها عامر فتمارض بداره ، واستأذنه في الصعود الى معتصمه بالجبل ليمرضه هنالك أقاربه وحرمه ، وارتحـل بجملته ، ويئس أبو الفضل من الاستمكان منه ، وأغراه حشمه بالراحة مـن عبد المومن ، ولليال من منصرف عامر ، ثمل أبو الفضل ذات ليلة ، وبعث عن قائد الجند من النصارى فأمره بقتل عبد المومن بمكان معتقله من قصبـة مراكش ، فجاء برأسه اليه ، وطار الخبر إلى عامر فارتاع وحمد الله إذ خلص من غائلته ، وبعث ببيعته الى السلطان عبد العزيز ، وأغراه بأبي الفضل ورغبه فى ملك مراكش ووعده بالمصاهرة ، فأجمـع السلطان على النهوض لمراكش ، ونادى فى الناس بالعطاء ، وقضى أسباب حركته ، وارتحل من فاس سنة تسع وستين 769 واستبد أبو الفضل بعد مهلك عبد المومن . واستوز طلحة النوري ، وجعل علامته لمحمد بن محمد بن منديل الكناني ، وجعل شوزاه لمبارك بن ابراهيم بن عطية الخلطي ، ثم سخط طلحة النورى

بسعاية الكناني فقتله ، واعتمد منازلة عامر ، ولما فصل لذلك من مراكش جاء الخبر بحركة السلطان عبد العزيز اليه ، فانفض معسكره ولحق بتادلة ليعتصم بها فى معقل بني جابر ، وعاج السلطان عن مراكش بعساكره اليها ، فنازله وأخذ بمخنقه وقاتله ففل عسكره ، وداخل بعض بني جابر فى الاخلال بمصافه يوم الحرب على مال يبذله لهم ، ففعلوا وانهزمت عساكر أبي الفضل وجموعه ، وتقبض على أشياعه ، وسيق مبارك بن ابراهيم الى السلطان فاعتقله الى أن قتله مع عامر عند مهلكه كما نذكره ، وفر الكناني الى حيث لم يعلم مسقطه ، ثم لحق بعامر بن محمد ، ولحق أبو الفضل بقبائل صناكة من ورائهم، وداخلهم أشياع السلطان من بني جابر وبذلوا لهم المال الدثر فى إسلامه فأسلموه ، وبعث السلطان إليهم وزيره يحيى بن ميمون فجاء به أسيرا ، وأحضره السلطان فوبخه وقرعه واعتقله بفسطاط فى جواره ثم غط من الليل ، وكان مهلكه فى رمضان من سنة تسع 769 لثمان سنين من امارته على مراكش ، وبعث السلطان الى عامر يختبر طاعته بذلك فأبى عليه وجاهر بالخلاف .

الخبر عن ارتجاع الجزيرة الخضراء

قد تقدم ذكر تغلب الطاغية الهنشه على الجزيرة سنة ثلاث وأربعين، وانه نازل بعدها جبل الفتح سنة احدى وخمسين وهلك بالطاعون وهو محاصر له عندما استفحل امره واشتدت شوكته، فكفى الله به شأنه، وولي أمر الجلالقة بعده ابنه بطره وعدا على سائر اخوته ، وفر أخوه القمط ابن حظية أبيه المسماة بلغتهم ألريق بهمزه إلى قمط برشلونة ، فأجاره وأنزله خير نزل ، ولحق به من الزعماء المركيس ابن خالته وغيره من أقماطهم ، وبعث اليه بطره ملك قشتالة فى اسلام أخيه فأبى من اخفار جواره ، وحدثت بينهما بذلك الفتنة الطويلة ، افتتح بطرة فيها كثيراً من معاقل صاحب برشلونة وأوطأ عساكره نواحي أرضه، وحاصر بلنسية قاعدة شرق الاندلس مراراً وأوجف (1) عليها بعساكره ، وملأ البحر اليها بأساطيله ، الى أن ثقلت على النصرانية وطأته ، وساءت فيهم

---

1) اوجف عليه بالخيل والرجل : حمل عليه بشدة ، وفى القرءان الكريم (وأوجف عليهم بخيلك ورجلك)

ملكته ، فانتقضوا عليه ودعوا القمط أخاه فزحف الى قرطبة وثار على بطره أهل اشبيلية وتيقن طاغية النصارى إليه ففر عن ممالكه ولحق بملك الافرنج وراء جليقية فى الجوف عنها وهو صاحب انكلطرة واسمه البرنس غالس ، ووفد عليه صريخا سنة سبع وستين 767 فجمع قومه وخرج في صريخه إلى أن استولى على ممالكه ورجع ملك الافرنج ، فعاد النصارى إلى شأنهم مع بطره ، وغلب القمط على سائر الممالك فتحيز بطره إلى ثغوره مما يلي بلاد المسلمين ، ونادى صريخاً بابن الأحمر ، فانتهز فيها الفرصة ودخل بعساكر المسلمين فأثخن فى أرض النصرانيـــة وخرب معاقلهم ومدنهم مثل ابـــذة وجيان وغيرهما من أمهات أمصارهم ، ثم رجع الى غرناطة ولم تزل الفتنـــة قائمة بين بطره وأخيه القمط الى أن غلب عليه القمط وقتله .

وفى خلال هذه الفتن بقيت ثغورهم مما يلي أرض المسلمين عورة وتشوف المسلمون الى ارتجاع الجزيرة التى قرب عهدهم بانتظامها فـــى ملكة المسلمين ، وكان صاحب المغرب فى شغل عن ذلك بما كان فيه من انتقاض أبي الفضل ابن أخيه وعامر بن محمد ، فراسل صاحب الاندلس أن يزحف اليه بعساكره على أن عليه عطاءهم وامداده بالمال والاساطيل على أن يكون مثوبة جهادها خالصة له ، فأجاب إلى ذلك ، وبعث إليه أحمال المال ، وأوعز الى أساطيله بسبتة فعمرت وأقلعت إلى مرسى الجزيرة لحصارها ، وزحف ابن الاحمر بعساكر المسلمين على أثرها بعد أن قسم فيهم العطاء وازاح العلل واعد الآلات للحصار ، فنازلها أياما قلائل ثم أيقـــن النصارى بالهلكة لبعدهم عن الصريخ ويأسهم عن مدد ملكهم فألقوا باليد وسألوا النزول على حكم السلم ، فأجابهم السلطان اليه ونزلوا على البلد ، وأقيمت فيهـــا شعائر الاسلام ومراسمه ، ومحيت منها كلمة الكفر وطواغيته ، وكتب الله أجرها لمـَن أخلص فى معاملته ، وكان ذلك سنة سبعين 770 ، وولي ابـــن الاحمر عليها من قبله ، ولم تزل لنظرة إلى أن تمحض النظر عن هدمها خشية استيلاء النصرانية عليها فهدمت أعوام ثمانين 780 وأصبحت خاوية كأن لم تغن بالأمس ، والبقاء لله .

الخبر عن حركة السلطان الى تلمسان واستلائه عليها وعلى سائر بلادها وفرار أبي حمو عنها

كان عرب المعقل موطنين بصحراء المغرب من لدن السوس ودرعة وتافيلالت وملوية وصا (1) ، وكان بنو منصور منهم أولاد حسين والاحلاف مختصين بطاعة بني مرين وفى وطنهم ، وكانوا مغلوبين للدولة تحت قهر من سلطانها ، ولما ارتجع بنو عبد الواد ملكهم بتلمسان على يد أبي حمو ، وكان الاختلاف بالمغرب ، عاث هؤلاء المعقل وأكثروا فى الوطن الفساد ، ولما استقلت الدولة من عثارها تحيزوا الى بني عبد الواد وأقطعوهم فى أوطانهم، واستقروا هنالك من لدن نزوع عبد الله بن مسلم العامل كان بدرعة الى أبي حمو ووزارته ، وفسد ما بين سلطان المغرب وبين أبي حمو من جراء ذلك . ونهض أبو حمو سنة ست وستين 766 الى المغرب ، وعاث فى نواحي دبدو وثغر المغرب. فشبت لذلك نار العداوة بينه وبين صاحب الثغر محمد بن زكران فكان داعية لعداء صاحب المغرب على الايام ، ولما استبد السلطان عبد العزيز وهلك عبد الله بن مسلم صاحبهم وترددت الرسائل بين أبي حمو وبين السلطان عبد العزيز ، كان فيما اشترط عليه التجافي عن قَبول المعقل عرب وطنه لما فيه من الاستكثار بهم عليه ، وأبي أبو حمو منها لاستظهاره بهم على زغبة من أهل وطنه وغيرهم ، وكثر التلاحي في ذلك ، وأحفظ السلطان ، وهم بالنهوض اليه سنة سبعين 770 وأقصر لما أخذ بحجرته من خلاف عامر وصاحب الثغر محمد بن زكران أثناء ذلك يحرضه على الحركة الى أبي حمو ويرغبه فى ملك تلمســان .

ولما قضى السلطان حركة مراكش وفرغ من شأن عامر ، رجع الى فاس فوافاه بها أبو بكر بن عريف أمير سويد فى قومه من بني مالك بحللهم وناجعتهم صريخاً على أبي حمو لما نال منهم ، وتقبض على أخيهم محمد من رؤساء بني مالك جزاء لما يعرف لهم ولسلفهم من ولاية صاحب المغرب ، ووفد عليه رسل أهل الجزائر ببيعتهم يستحثون السلطان لاستنقاذهم من لهواته ، وأمر السلطان بذلك وليه ونزمار ومحمد بن زكران صاحب دبدو ،

---

1) هو المعروف اليوم بوادى زا (بزاى مغلظة) الواقع ببسيط انكاد بين وجدة وملوية

فزعموا له بالغناء فى ذلك واعتزم على النهوض إلى تلمسان ، وبعث الحاشدين الى مراكش للاحتشاد ، وتوافد الناس على بابه على طبقاتهم أيام منى من سنة احدى وسبعين 771 وأفاض العطاء وأزاح العلل، ولما قضى منسك الاضحى اعترض العساكر ورحل الى تلمسان ، واحتل بتازة ، وبلغ خبر نهوضه الى أبي حمو فجمع اليه مَن اليه من زناتة الشرق وبني عامر من عرب المعقل وزغبة ، وتوافت جموعه بساحة تلمسان ، وأضرب هنالك معسكره ، واعتزم على الزحف للقاء بني مرين ثقة بمكان المعقل ، وتحيز مَن كان معه من عرب المعقل الأحلاف وعبيد الله الى السلطان عبد العزيز بمداخلة وليهم ونزمار ، واجتمعوا اليه وسرح معهم صنائعه ، فارتحلوا بين يديه وسلكوا طريق الصحراء ، وبلغ خبر تحيزهم واقبالهم الى أبي حمو فاجفل هو وجنوده وأشياعه من بني عامر وسلكوا على البطحاء ثم ارتحلوا عنها وعاجوا على منداس وخرجوا الى بلاد الديالم ، ثم لحقوا بوطن رياح ، فنزلوا على أولاد سبّاع بن يحيى ، وارتحل السلطان عبد العزيز من تازة،وقدم بين يديه وزيره أبا بكر بن غازي على العسكر من بني مرين والجنود والعرب من المعقل وسويد ، وسرحه فى اتباعهم ، وجعل شوراه إلى وليه ونزمار ، وفوض إليه فى ذلك ، وارتحلوا من تلمسان فى ءاخر المحرم ، وكنت وافدا على أبي حمو ، فلما أجفل عن تلمسان ودعته وانصرفت الى هنين (1) للاجازة الى الاندلس ، ووشى بعض المفسدين الى السلطان بأني احتملت مالا للاندلس ، فبعث جريدة من معسكره بالقبض علي. ووافوني بوادي الزيتون قبل مدخله الى تلمسان ، فأحضرني وسألني وتبين كذب الواشي ، فأطلقني وخلع علي وحملني، ولما ارتحل الوزير في اتباع أبي حمو استدعاني وأمرني بالنهوض الى رياح والقيام فيهم بدعوته وطاعته وصرفهم عن طاعة أبي حمو وصريخه ، فنهضت لذلك ولحقت بالوزير بالبطحاء ، وارتحلت معه الى وادي وراك من بلاد العطاف ، فودعته وذهبت لوجهي ، وجمعت رياح على طاعة السلطان ، ونكبت بهم عن طاعة أبي حمو فنكبوا عنه ، وخرج أبو زيان من محل بؤرته بحصين ، فلحق بأولاد محمد بن علي بن سباع من الدواودة ، وارتحل أبو حمو من المسيلة فنزل بالدوسن وتلوم بها ، وأوفدت من الدواودة

---

1) **هنين** : مرسى تلمسان فى القديم ، تقع بين مصب وادى تافنا وبين مرسى الغزوات ، بنى بها ملوك بنى مرين بناءات جميلة ما زالت ءاثارها شاهدة بماضيها المغربى

على الوزير ونزمار فكانوا أدلاءهم في النهوض اليه ، ووافوه بمكانه من الدوسن في معسكره من زناتة وحلل بني عامر ، والوزير في التعبئة ، وأمم زناتة والعرب من المعقل وزغبة ورياح محدقة به ، فأجهضوه عن ماله ومعسكره ، فانتهب بأسره ، واكتسحت أموال العرب الذين معه ، ونجا بدمه الى مصاب ، وتلاحق به ولده وقومه متفرقين في كل مفازة ، وتلوم الوزير بالدوسن أياما . ووافاه هناك اتحاف بني مزني ، وانقلب الى المغرب ، ومرّ على قصور بني عامر بالصحراء فاستباحها وشردهم عنها الى قاصية القفر ومفازة العطش . ولحق بتلمسان في ربيع الثاني .

ووفدت أنا بالدواودة على السلطان ورئيسهم أبو الدنيار بن علي بن أحمد ، فبرّ السلطان مقدمه ورعى له سابقته عند أبيه ، وخلع عليه وحمله ، وخلع على الوفد كافة ، وانصرفوا الى مواطنهم ، وبعث السلطان عماله على الامصار ، وعقد لصنائعه على النواحي ، وجهز الكتائب مع وزيره عمر بن مسعود بن منديل بن حمامة لحصار حمزة بن علي بن راشد من ءال ثابت بن منديل كان ربي في حجر الدولة ونشأ في جو نعمتها ، وسخط حاله لديهم ، فنزع الى وطن سلفه من بلاد مغراوة ، ونزل بجبل بني بوسعيد فأجاروه وبايعوه على الموت دونه ، وسرح السلطان وزيره الى الأخذ بمخنقهم ، فنزل عليهم وقاتلهم وامتنعوا في رأس شاهق لهم ، فأوطن الوزير بالخميس من وادي شلف وأجحرهم بمعتصمهم ، وتوافت لديه الأمداد من تلمسان فجمرها كتائب ، وبوأهم المقاعد للحصار ، وأقام هنالك ، واستولى السلطان على سائر الوطن من الأمصار والأعمال ، وعقد عليها واستوثق له ملك المغرب الاوسط كما كان لسفه .

الخبر عن مهلك السلطان عبد العزيز

وكان السلطان منذ أول نشأته قد أزمنت به الحمى بما أصابه من مرض النحول ، ولأجل ذلك تجافى السلطان أبو سالم عن احتماله مع الأبناء الى رندة ، ولما شبّ أفاق من مرضه وصلح بدنه ، ثم عاوده وجعه في مثواه

بتلمسان ، وتزايد نحوله ، ولما كمل الفتح واستفحل سلطانه اشتد به الوجع وصابر المرض وكتمه عن الناس خشية الارجاف ، واضطرب معسكره خارج تلمسان للحاق بالمغرب ، ولما كان ليلة الثامن والعشرين من ربيع الآخر سنة أربع وسبعين 774 قضى متودعاً بين أهله وولده .

1257) عبد العزيز بن أحمد المريني (السلطان)

عبد العزيز بن أحمد بن ابراهيم المريني المستنصر بالله ، أبو فارس ، من الاتفاق الغريب أن سلطان فاس والمغرب في هذا التاريخ كان اسمه عبد العزيز بن أحمد ، وسلطان تونس وافريقية كان اسمه أيضا عبد العزيز بن أحمد ، وكانت ولايتهما في سنة واحدة ، الا أن مدة الحفصي طالت جدا ، أم هذا السلطان أم ولد اسمها الجوهر ، صفته شاب السن ، ربعة من المقوم ، أدعج العينين ، جميل الوجه ، لما توفي السلطان أحمد بن ابي سالم رحمه الله بتازة كان ابنه عبد العزيز هذا بتلمسان ، فاستدعاه رجال الدولة منها فقدم عليهم بتازة وبايعوه بها يوم السبت التاسع من محرم سنة ست وتسعين وسبعمئة ، ولما تم أمره أطلق بأزيان ابن أبي حمو الزياني، وكان معتقلا عنده بفاس لالتجائه الى أبيه من قبل في خبر ليس تفصيله من غرضنا ، وبعثه الى تلمسان أميرا عليها من قبله ، فسار اليها أبو زيان وملكها وأقام فيها دعوة السلطان عبد العزيز ، ثم خرج عليه أخوه يوسف ابن أبي حمو ، واتصل بأحياء بني عامر بن زغبة ، وعزم على الاجلاب عليه بهم ، فسرب أبو زيان فيهم الأموال فقتلوه وبعثوا اليه برأسه ، فسكنت أحوال تلمسان ، وذهبت الفتنة بذهاب يوسف ، واستقامت أمور دولة السلطان عبد العزيز .

قاله ابن خلدون وهو ءاخر ما ورخه من دولة المغرب (1) .

---

1) ولد السلطان عبد العزيز بن أحمد المريني عام 777 هـ وبويع يوم السبت 9 محرم عام 796 وتوفي يوم السبت 8 صفر عام 799 ودفن مع ابيه بالقلة بفاس وكانت دولته 3 أعوام وشهرا

ينظر عنه **روضة النسرين** ص 39 طبع (المطبعة الملكية) بالرباط

1258) **عبد العزيز الحلباوي** قاضي مراكش ، أخذ عنه أبو الطاهر بن عبد الله المراكشي المتوفى سنة 839 المترجم في (انباء الغمر) و (الشذرات) المتقدم ، وقرأ عليه محمد بن سليمان بن داوود المتقدم .

1259) **عبد العزيز بن عبد الحق (1) الحرار (التباع)** المراكشي دفينها، أحد الرجال السبعة ، ذكرت فى ترجمته من (اظهار الكمال) ما نصه :

ثم الولي عظيم القدر مَن شرفت — بذكره الكتب فى عز واكبــــــار
عبد العزيز امام القوم حوزتـــــه — علية ذو حقائق وأســـــــــرار
بقدره نوه الأقطاب وانتفعـــــوا — من ءاية الله كيمياء الأبـــــرار
قد كان للأمر تباعاً ومنتهيــــاً — عن النواهي وقواماً بالاسحـــــار
بحر المعارف والمآثر اكتسبــــا — وراثة الشيخ ذو جود وايثــــار
من شربه ورد الأصحاب فامتــلأوا — علماً ودينا وتسليكاً بحــــرار
منَّ الالاهُ علينا بالجوار لـــــه — به علينا يدوم ستر ستـــــار

الاعراب : مَن بدل مما قبله ، الكتب فاعل ، شرفت فى عز واكبار متعلقان بمحذوف حالا من المعرفة ، وحوزته علية مبتدأ وخبر جملة فى محل نصب على الحال من عبد العزيز ، وهو بدل مما قبله على القول بتكراره ،

---

1) جعل صاحب **شجرة النور الزكية** اسم والده عبد القادر وهو غلط (راجع ص 375 ع 1023) فى ترجمته ، لكن ذكره على الصواب فى ترجمة الغزوانى (ص 377 ع 1038) الا انه غلط فى تسمية الغزوانى محمد مع ان اسمه عبد الله ، وذكر الغزوانى على الصواب فى ترجمة الشيخ محمد بن أبى جمعة الهبطى (ص 277 ع 1030) الا أنه غلط فى جعل محمد بن أبى جمعة هو صاحب سيدى عبد الله الغزوانى ، فان الهبطى صاحب الغزوانى اسمه عبد الله بن محمد بن أحمد الطنجى المعروف بالهبطى المتوفى سنة 963 دفين حوز شفشاون ، فقد ذكر صاحب **نشر المثانى** فى ترجمة الفقيه محمد الهبطى بن الشيخ عبد الله الهبطى قائلا ما نصه : وليس أحد منهما صاحب تقييد وقف القرءان العظيم ، فانه محمد بن أبى جمعة الصماتى بالصاد والميم كما بخط من يعتمد ، وصحح عليه ، وتوفى هذا بمدينة فاس سنة 930 قاله فى **الجذوة** هـ

وراجع ترجمة سيدى محمد بن أبى جمعة المذكور ص 67 فى ج 2 من **السلوة** ، وقد ذكر الهبطى على الصواب (ع 1075 ص 284) الا أنه قال أخذ عن الغزوانى والتباع) ، وهو انما أخذ عن الغزوانى الآخذ عن التباع ، قال فى **الجذوة** فى ترجمته : أخذ بمدينة فاس عن عبد الله الغزوانى وصحبه واعتمده وفتح له على يده هـ ، وقد أطال فى ترجمته فى **الدوحة** ، راجع ترجمته منها ، والصواب جعل عن الجارة مكان واو العطف بين الغزوانى والتباع هـ . (مؤلف)

وامام القوم نعته ، وذو حقائق خبر لمبتدأ محذوف ، وأسرار معطوف على حقائق ، بقدره متعلق بنوه ، من شربه متعلق بورد ، وعلينا وبالجوار متعلقان بمَنَّ ، وله متعلق بالجوار ، لكونه مصدرا ، وبه وعلينا متعلقان بيدوم .

اللغـة : الولاية تقدم حدها وحد الولي في موضعين ، وقال في شرح المقصورة في أهل الطريق المذكور فيها سيدي أحمد بن عبد الله معن الاندلسي الفاسي ما نصه : لو علم الانسان قدر المخصوصين يعني الولي ، وأطلعه الله على بعض ما منح لم ير نفسه يساوي قدر زبل قعر رجليه ، ثم انه مع هذا يعتني به ويتنازل له ويأخذ بيده ويهتم بأموره وكافة شؤونه دنيا وأخرى ، ويتفقد أحواله من زيادة ونقصان الخ.. انتهى .

ثم اعلم أن الولاية على ما ذكره الأئمة ولاية عامة وهي المشار اليها بقوله تعالى (انما وليكم الله ورسوله والذين ءامنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) الخ.. وولاية خاصة وهي اما كسبية واما وهبية ، فالكسبية هي ما نشأت عن نسك وعبادة ، وعلوم وافادة ، والوهبية هي التي اكرم الله بها عباده بمحض فضله ، وخصهم بها بكرمه وجوده وطوله ، وهي ذات أحوال وارادات ، ومعارف وجذب وسلوك ومشاهدات ، يخص بها تعالى مَن يشاء من عباده ، ويمنح بها من أراده بمحض مشيئته ووداده ، وفي ذلك يقول الامام حجة الاسلام (1) :

قد كنت أحسب أن وصلك يشترى ... بنفائس الأرواح والأشباح
وظننت جهلا أن حبك هين ... تفنى عليه كرائم الأرواح
حتى رأيتك تجتبي وتخص من ... تختاره بلطائف الأمناح
فعلمت أنك لا تنال بحلية ... ولويتُ رأسي تحت طي جناحي
وجعلت في عش الغرام اقامتي ... فيه غدوي دائما ورواحي

1) هذه الابيات للحضرمي شيخ سيدى أحمد زروق

ومما ورد فى صفة الأولياء ما أخرجه البزار عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن من أولياء الله الذين اذا رُؤوا ذكر الله ، وقد قال فيهم تعالى فى كتابه العزيز : « ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، الذين ءامنوا وكانوا يتقون لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، لا تبديل لكلمات الله » فى الحياة الدنيا باكرامهم وتوقيرهم وتعظيمهم وتبجيلهم ، وفى الآخرة بوقوفهم للشفاعة للخلق بين يديْ الملك الحق ، وأخرج الترمذي عن ابن أمامة قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان أغبط الأولياء عندي لمومن خفيف الحاذ » قالوا وما خفيف الحاذ يارسول الله ، قال : « الذى لا أهل له ولا ولد ، ذو حظ فى الصلاة ، أحسن عبادة ربه ، وأطاعه فى السر والعلانية ، وكان غامضاً فى الناس لا يشار له بالأصابع ، وكان رزقه كفافاً فصبر على ذلك ، ثم نفض يده وقال ، عجلت منيته وقلت بواكيه » وورد من حديث أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد ذكر الأبدال فقال : « كلما مات واحد منهم أبدل الله مكانه من المومنين واحداً ، فبهم يُحيي الموتى وبهم يصرف الله الآفات عن أهل الأرض ، وبهم يميت الأحياء ، وبهم يسوق الماء الى الأرض الجرز » قالوا يارسول الله ، وبم نالوا ذلك ؟ أبالصوم ؟ قال : « والذى نفسي بيده ما نالوها بصوم ولا بصلاة ، ولكن نالوها بسخاوة النفوس ، وصدق الحديث ، وسلامة الصدور » وحكاية أبي بكر المطوعي عن أحمد بن محمد العابد المعلومة فى عددهم أنه لما التقى مع السيد أحمد الخضر والسيد الياس فقال للسيد أحمد الخضر : أكل ولي على الأرض تعرفه ؟ قال السيد أحمد الخضر : أما المعدودون فنعم ، قال : فما معنى المعدودين ؟ قال : اعلم انه لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم بكت الأرض وقالت الهى وسيدي بقيت لا يمشي على ظهري نبي الى يوم القيامة ، فأوحى الله اليها أني سأجعل على ظهرك من هذه الأمة من قلوبهم على قلوب الانبياء عليهم السلام ، ولا أخليك منهم الى يوم القيامة ، قلت وكم هم ؟ قال ثلاثمئة وهم الأولياء ، وسبعون وهم النجباء ، وأربعون وهم الأبدال ، وعشرة وهم النقباء ، وسبعة وهم العرفاء ، وثلاثة وهم المختارون ، وواحد وهو الغوث ، فاذا مات الغوث نقل واحد من الثلاثة

فجعل غوثا ، ونقل واحد من السبعة الى الثلاثة ، ومن العشرة الى السبعة ، ومن الأربعين الى العشرة ، ومن السبعين الى الأربعين ، ومن الثلاثمئة الى السبعين ، ومن سائر الخلق الى الثلاثمئة ، وهكذا الى يوم ينفخ فى الصور .

قال الشيخ الاكبر (١) ان من رحمة الله بخلقه أن جعل على قدم كل نبي ولياً وارثا له ، فما زاد فلا بد أن يكون فى كل عصر مئة ألف ولي وأربعة وعشرون ألف ولي على عدد الانبياء ، ويزيدون ولا ينقصون ، فان زادوا قسم الله علم ذلك النبي على مَن ورثه ، فان العلوم المنزلة على قلوب الانبياء لا ترتفع من الدنيا وليس لها الا قلوب الرجال فتقسم عليهم بحسب عددهم ، فلا بد أن يكون فى الامة من الأولياء على عدد الانبياء وأكثر من ذلك .

روينا عن الخضر أنه قال اجتمعت بشخص يوما لم أكن أعرفه، فقال لي ياخضر سلام عليك ، فقلت له من أين عرفتني ؟ فقال لي : ان الله عرفني بك ، فعلمت أن لله عبادا يعرفون الخضر ولا يعرفهم الخضر .

واعلم أن لله عبادا أخفياء أبرياء أصفياء أولياء ، بينهم وبين الناس حجب العوائد ، غامضين فى الناس لا يظهر منهم ما يميزهم عن الناس ، وبهم يحفظ الله العالم وينصر عباده ، معروفون فى السماء مجهولون فى الارض عند أبناء الجنس ، لهم الهناءة فى الدنيا والآخرة ليسوا بأنبياء ولا شهداء ، يغبطهم النبيئون والشهداء ، لا فى الدنيا يعرفون ، ولا فى الآخرة يشفعون ، انفردوا بالحق فى سرائرهم ، وما كانت عرفت أن الله قد جعل فى الوجود وليا له على كل قدم ولي ، فان الله تعالى لما جمع بيني وبين أنبيائه كلهم حتى ما بقي نبي الا رأيته فى مجلس واحد لم أر أحدا معهم ممن هو على قدمهم ، ثم بعد ذلك رأيت جميع المومنين وفيهم الذين هم على أقدام الانبياء وغيرهم من الاولياء ، فلما لم يجمعهم مجلس واحد لذلك لم أعرفهم ، ثم عرفتهم بعد ذلك ونفعني الله برؤيتهم .

---

١) العادة عند الصوفية انه اذا أطلق الشيخ الاكبر ينصرف الى الامام ابن عربى الحاتمى دفين دمشق الشام

وكان شيخنا أحمد العريني على قدم عيسى عليه السلام ، وكنا نقول قبل هـذا ثم أولياء على قلوب الانبياء ، فقيل لنا لا ، قل على أقدام الانبياء ، لا تقل على قلوبهم ، فعلمت ما أراد بذلك لما أطلعني الله على ذلك رأيتهم على اثارهم يقفون ، ورأيتهم لهم معراجين : المعراج الواحد يكونون فيه على قلوب الانبياء ولكن من حيث هم الانبياء أولياء ، والنبوءة التي لا شرع فيها ، والمعراج الثاني يكونون فيه على أقدام الانبياء أصحاب الشرائع لا على قلوبهم ، اذ لو كانوا على قلوبهم لنالوا ما نالوه من الأحكام الشرعية ، وليس ذلك لهم وان وقع لهم التعريـف الالاهي بذلك ، ويأخذون الشرع من حيث أخذتـه الأنبياء ، ولكن مشكاة أنوار الانبياء يقترن معه حكم الاتباع فما يخلص لهم ذلك من الله ولا من الروح القدسي ، وما عدا هذا الفن من العلم فانه مخلص للأولياء من الله سبحانه وتعالى ومن الارواح المقدسة ، وهذا كله لتمييـز المراتب عند الله ليعرف ذلك فيعطي كل ذي حق حقه ، كما أعطى الله لكل شيء خلقه ، وهذا كله من رحمة الله التى أفاضها على خلقه ، انتهى من ص 277 من الجزء الثالث ، وتكلم على اكتساب الولاية فـي 18 منه فى الباب الثالث وثلاثمئة ، وعرف العباد والصوفية والملامتية فى الباب التاسع وثلاثمئة ، انتهـى .

وأنشد فى ص 54 فى حق نفسه :

فى كل عصر واحد يسمو بـــه وانا لباقي العصر ذاك الواحـــد

وتكلم على المعراج فى 27 من الجزء الثالث فى الباب 314 ونقل فتيا الامام فى المرأة الغاسلة القاذفة فى ص 78 وتكلم على مسألة ما يراه المصلي فى صلاته فى 81 منه ، وذكر قضية أهل الدائرة الزروالي والحلفاوي وصاحب المرقَى والروض واليتيمة وغيرهم كصاحب ابتهاج القلوب ، قال فى الفصل 3 الى الباب الثاني ما نصه : وقد ترجم المحقق العارف البكي فى رسالـة المثمانين لكل واحد من أقسام أهل الدائرة والعدد ، وذكر من الاحاديـث والاشارات القرءانية ما استدل به على وجود كل من هذه الاقسام . وقـال ليس بين أولياء الله ولا بين العلماء الراسخين فى العلم ولابين المومنين الذين

ءامنوا بالله ورسوله خلاف فى مراتبهم المذكورة ، وهي القطبية والامامية والوتدية والبدلية والنجيبية والنقيبية وان اختلفوا فى العدد كما رأيت فليس بينهم خلاف فى هذه المراتب ، على هذا اجتمعت كلمتهم وكل متكلم منهم تكلم على ذلك ، ونقله منهم الخلف عن السلف كرجل الحلية ورجال الرسالة وطبقات السلمي والشيخ أبي طالب المكي والشيخ أبي حامد الغزالي رضي الله عنهم ، ثم ذكر أقواما من الاولياء ، ثم قال : وبالجملة اتفق أولياء الله على ذلك شرقا وغرباً سلفا وخلفاً ، أنتهى .

ثم ذكر الاحاديث الواردة فى معنى ذلك ، ثم قال وبالجملة فالآثار فى هذا كثيرة ، اذ ما منَّ الله من السلف والخلف الا وقد تكلم بذلك ، وأشار الى ما هنالك ، ولو استقصينا كلماتهم واشاراتهم بذلك لطالت الرسالة ولزم الخروج عن المقصود ، والشهرة عنهم أغنت فى ذلك عن النقل ، وبالجملة فهذه المسألة علمية ليست اعتقادية صرفة ، يكفي فى مثلها أقل من هذه الاستدلالات ، كيف وقد اتفق فيها الاجماع ، فليت شعري فيما ذا يتوقف المشكك ؟ وعلى ما ذا يعتمد المنكر ؟ وبما ذا يتمسك المعترض ؟ ولكن الله يضل مَن يشاء ويهدي مَن يشاء .

انتهى نصه . ثم نقل كلام (عوارف المعارف) فيهم .

وقولنا عظيم القدر رأي رفيع المنزلة ، والشرف الرفعة ، والعز ضد الذل ، والاكبار الاعظام ، قال الله عز وجل : فلما رأينه أكبرنه أي أعظمنه ، وأمام القوم رئيس الصوفية المؤتم به ، وحوزته أي جانبه ، وذو حقائق وأسرار صاحب معارف وكشوفات ، قال أبو القاسم القشيري فيما نقله عنه سيدي عبد القادر الفاسي رحمهما الله تعالى : واعلم أن الشريعة حقيقة من حيث انها وجبت بأمره ، والحقيقة شريعة أيضا من حيث أن المعارف به سبحانه وجبت بأمره ، انتهى .

علم الحقيقة علم ليس يعرفه ... الا أخو ثقة بالعلم موصوف
وكيف يعلمه من ليس يشهده ؟ ... وكيف يبصر ضوء الشمس مكفوف ؟

ونوهت باسمه أي رفعت ذكره ، وقولنا من ءاية الله المراد بها العلاّمة العظيمة الشأن ، الدالة على عظيم قدرة الله تعالى القاهرة ، وحكمته الباهرة . وهي مضافة الى أعرف المعارف ، والقاعدة أن المفرد اذا أضيف الى المعرفة يعم ، فتكـون جمعا فى المعنى ، ومن الداخلة عليها للتبعيض ، والكيمياء الاكسير الذى يقلب الاعيان ويصير نحاسها فضة وذهبا ، ورديئها جيـدا ، وبحر المعارف والمآثر أي الكثير العلوم الوهبية ، والفضائل السنية ، واتباع الامر العمل به ، والانتهاء عنه تركه ، والقيام بالاسحار التهجد ءاخر الليل قبيل الصبح ، وقولي اكتسب وراثة الشيخ أي كان وارثا لحال شيخه رضي الله عنهما ، والجود والسخاء ، والسماحة الاعطاء ، والايثار تقديم الغير على النفس فى المصالح وفى الدفع عنه ، وهو النهاية فى الأخوة ، وقولي مـن مشربه أي من مشربه وفيضه استقى تلاميذه فحصل لهم الري من العلم ، والدين أي العمل ، وسلكوا طريق القوم بصحبته رضي الله عنه والمرء على دين خليله ، فلينظر أحدهم مَن يخالل ، والمن التفضل والانعام ، والالاه المعبود بحق ، والجوار المجاورة ، والسر الحفظ ، والستار من اسمائه تعالى.

والمعنى أجب دعائي يامولاي بجاه وليك رفيع المنزلة الذي أضحت الكتب بذكر مناقبه فى شرف وعز وتعظيم سيدي عبد العزيز مقتدى الصوفية أهل التبجيل والتكريم ، عالي الجناب ، صاحب المعارف والكشوفات الالاهية التى رفع ذكره العارفون المشاهير ذوو المواهب الربانية ، وبه انتفعوا ، وهو من ءاياتك الدالة على عظيم قدرتك الذى صير الرجال كمالا بنظرتـه ، وجذب قلوبهم الى المعالم القدسية باكسيره وشريف طريقته ، ومَن كان متبعا لامرك ونهيك محمولا الى حضرتك الشريفة بجميل هديك ، يتجافى جنبه عن مضجعه بالأسحار ، طلباً لمرضاتك ، وتقرباً اليك ياخالق الجنـة والنار ، ومنحته من معارفك ما صارت له به المآثر ، واكتسب مقام شيخه فى الهداية اليك ، والدلالة عليك ، ياأول ياءاخر ، فجاد على المريدين بالتربية ، وبلغ كل واحد منهم بالامنية ، وءاثر الاخوان بما فضله به بان ، وفاض بحره على اتباعه فنالوا من مصاحبته العلم والعمل ، وسلكوا به الطريقة المثلى على

حسب ما قدرته لهم فى الأزل ، ومننت علينا بكون قبره الشريف بين ظهرانينا، فاجعل لنا به يامولانا الحفظ الدائم ، وأدم علينا جميل سترك فى الدارين يامَن هو بالخفايا عالم .

قال الخطيب : قال محمد ابن المنكدر : ان الله تعالى يحفظ بصلاح العبد ولده وولد ولده وعشيرته وأهل دويرات حوله ، فما يزالون فى حفظ الله ما دام فيهم ، انتهى .

ونقل نحوه صاحب مناقب الشرفاء بني أمغار عن الكشف والبيان للثعالبي بعد أن قال ما نصه : حدثنا غير واحد من أهل الفضل والدين أن رجلا من الصالحين قال رأيت فى النوم شيخاً كبيرا جداً لابسا ثيابا بيضاء نفيسة قد قام النور على رأسه كالعمود حتى بلغ عنان السماء ، وبيده عصا يعني عكازا وهو يطوف بعين الفطر سبع مرات كل مرة يدير بهـا عصاه ، فقلت له مَن أنت ياسيدى يرحمك الله ؟ وما قصدك بالطواف بعين الفطر ؟ فقال أنا محمد بن اسحاق الشريف أمغار هكذا أطوف بعين الفطر كل يوم أحرس أولادي وأولادهم وذرياتهم وقرابتهم وجيرانهم وكل مَن سكن معهم برباط عين الفطر ، وقال فى محل ءاخر قال بعض الصوفية الرحمة تنزل على قبور أولياء الله وعلى جانبها بمقدار أربعين ذراعا وقيل أربعين ميلا ، وقيل ان بعض الصالحين لما حضرته الوفاة قال : أنا ضامن على الله لمَن دفـن بجوار قبري ولو على مسيرة أيام أن تنزل عليه الرحمة بفضل الله تعالى ، وحكى بعض الصالحين أنه رأى مكتوبا على قبر ابن عبد الحكم أنه رئي فى المنام ، فقيل له ما فعل الله بك ؟ فقال رحمني ربي وأنزلني منزلة خير ، فقيل بماذا ؟ فقال بمجاورتي لابن القاسم ، وكان دفن بازاء قبر ابن القاسم رحمهم الله ، ولله در القائل :

فمن أجلهم نال المجاورُ رحمـــة ومن أجل مَن في الدار ترعى الجوانب

ومن أجل أن الرحمة تتنزل على قبور الصالحين ومن دفن بجوارهم ينبغي لأقارب الميت أن يدفنوه بجوار الصالحين ، وفي كتاب العافية لعبد

الحق : ويستحب لك أن تقصد بميتك قبور الصالحين ومدافن أهل الخير فتدفنه معهم وتنزله بأزائهم وتسكنه بجوارهم ، انتهى . اللهم انزل علينا الرحمة ببركتهم ، واحشرنا فى زمرتهم ، وحلنا بحليتهم ، ياأرحم الراحمين .

اذا ما الليل أظلم كابـــدوه فيسفر عنهم وهم ركـــوع
أطار الخوفُ نومَهم فقامـــوا وأهل الأرض فى الدنيا هجـــوع
لهم تحت الظلام وهم ركـــوع أنين منه تنفرج الضلـــوع
وخرس بالنهار لطول صمـــت عليهم من سكينتهم خشـــوع

* * *

ياساهياً وهو فى الاموات معـدود وغافلا وهو بالآفات مقصـــود
أفنيت عمرك فى قالوا وفى فعلوا والقلب عن كل ما يعنيه مصـدود
تهوى الصلاح ولا علم ولاعمـــل شيء لعمرك يابطال مفقـــود
الصالحون لياليهم منـــــورة فكيف تعدله أيامُك الســود ؟
وجدت قلباً وغابت عنك رقيتـــه وربما غاب أمر وهو موجـــود

وقد ترجم للشيخ سيدي عبد العزيز رضي الله عنه جماعة وأجملوا ، وبمناقبه ومقامه والعمل وفيضه السني كتبهم جملوا ، منهم صاحب **الدوحة** قال فيها فى صحيفة 99 ما نصـه : ومنهم شيخ المشايخ ، وجبل الفضـل الشامخ ، بحر العرفان ، وجرثومة المآثر الحسان ، ولي الله ، العارف بالله ، سيدي عبد العزيز التباع المراكشي المعروف بالحرار نسبة الى صناعته ، لانه كان حرارا فى بداية أمره ، وصحب القطب محمد بن سليمان الجزولي ، فكان صاحب الاراثة من بعده ، وصحب الشيخ محمد الصُغَيِّر بالتصغير ، وكان من الاكابر ، وقد مر فى غير ترجمة ، وترجم المشايخ بعلو مقامه لانه كبير الشأن جليل القدر ، من الأفراد ، انتفع المريدون بتربيته ، وشهد الاكابر بولايته ، وكراماته رضي الله عنه أشهر من أن تذكر ، ولو تتبعناها لشغلنا بها أسفارا ، وحسبك أن الشيخ عبد الله الغزواني ، والشيخ عبد الكريم الفلاح ، والشيخ سعيد بن عبد المنعم ، والشيخ ابيه ابن داوود وغيرهم ممن تقدم

ذكره من تلامذته ومن بركة تربيته خفقت ألوية الولاية على رؤوسهم ، توفي رضي الله عنه سنة أربع عشرة وقبره مزارة عظيمة بمراكش على مقربة من جامع ابن يوسف رحمه الله ، وأنشد فيها عن شيخه سيدي عبد الوارث اليالصوتي تلميذ القطب الغزواني :

فمن سرى سره فى سر تلميذه هذاك هو فلا ترضى به بدلا

وقال فى المعزّى فى الباب السادس ما نصه : حدثني بعض الاخيار فى حدود ثمان وخمسين من هذا القرن أن الشيخ سيدي عبد العزيز الحرار لما أتى من عند سيدي الصغير السفياني قصد زيارة الشيخ سيدي أبا يعزى ، وبات عند قبره مضطرا أو متضرعاً ، فرأى فى تلك الليلة كأنه شق صدره وأدخل فيه القرءان ، فلما أصبح وجد نفسه يفهم القرآن مع أنه كان أمياً، فكان حيثما تكلم مع انسان أتى بنص القرآن رضي الله عنهما، وقد ذكر سيدي علي بن محمد الجزولي الدرعي الدار والقبر والمزار أنه قال قصدته وبقيت عنده ستة أشهر في حكاية غريبة أضربنا عنها اختصاراً، قال فلما أردت الانصراف أتيت اليه لأودعه ، فقلت له ياسيدي عندي أولاد الله يصلحهم ، وزوجتي الله يوفقها ، وعندي والدة الله يسترني معها ، واذا به يقول : (ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين اماماً) ، وكان هذا الدعاء غالبا علي فى سفري وظعني واقامتي ، فتعجبت من مكاشفته ، وكيف جرى ذلك على لسانه، مع أنه كان امياً ، انتهى .

ثم قال فى المعزى : وقد حدثني من يوثق بقوله عن سيدي عبد العزيز بن عبد الحق أنه عدا بعض الظلمة على أصهاره اسمه محمد بن يوسف فى الموضع المعروف بالجلان فخرج الشيخ وقت الظهر على الفقراء ، وهم ما بين متوضىء وراكع وجالس ذاكر ، فنادى على الفقراء فقال قولوا ءامين سياتي خبر محمد بن يوسف غدا في هذا الوقت ، فلما كان الظهر والناس يتوضأون جاء خبر ذلك الرجل أنه قتل بالامس فى الوقت الذي تكلم فيه الشيخ مع الفقراء ، نسأل الله السلامة ، ثم قال فى أول الباب السابع ما نصه : واعلم أن لنا من الشيخ يعني سيدي أبا يعزى اتصال نسب من وجوه شتى .

ولكن أقواها وجهان ، الوجه الاول الطريقة الحرارية الجزولية الشاذلية ، فهذه الطريقة التى أظهرها فى المغرب بعد اندراسها الشيخ الامام القدوة فريد دهره ووحيد عصره ، وهو سيدي محمد الجزولي وأخذ عنه جماعة ، لكن المشهور بعوالمها وتحقيق معارفها ومعالمها سيدي عبد العزيز بن عبد الحق المراكشي يعرف بالحرار ، فعنه انتشرت ، وبه اتضحت ، وقد أدركنا الكثير ممن أدركه وأخذ عنه ، انتهى المقصود .

وقال العلامة سيدي محمد الزروالي فى مؤلفه فى مناقب الشيخ الاكبر سيدي أبي عمرو المسمى (شمس القلوب ، لكل محبوب) في الباب الأول ما نصه : ومن ذلك ما سمعناه منتشرا على ألسنة قدماء وقتنا أن الشيخ سيدي أبا عمرو حمل فى صغره الى سيدي عبد العزيز الحرار زائرا على سبيل التبرك ، فقيل للشيخ ان أم هذا الصبي تطلب بركتك فيه ، فان الاولاد لا يعيشون لها ، فاستفهم الشيخ عن اسمه ، فقيل له نعمره ونثمره بفضل الله ثلاثا ، فكان من أمره ما كان ، والحمد لله على كمال الجود والاحسان ، يروى أن سيدي أحمد الامين والد سيدي أبي عمرو لما أراد سيدي عبد العزيز الحرار سكنى القبابين وهب له بقعة وامتنع من أخذ ثمنها ، فدعا له أن يرزقه الله ولدا صالحا ، فحملت أم الشيخ سيدي أبي عمرو بقدرة الله تلك الليلة ، الى غير ذلك من الاشارات الصادقة ، والآيات الخارقة ، ثم قال الشيخ رضي الله عنه كان سبب قراءتي مختصر الشيخ خليل أن رجلا سألني عن مسألة في الفرائض المهمة فعجزت عن الجواب ، فاحتقرت نفسي ، وصغرت فى عيني همتي ، وانعطفت على القراءة بكليتي ، حتى رأيتم من حالتي ، وكان رضي الله عنه أعجوبة فى درسه له ، وءاية فى فهمه له ، وقال رضي الله عنه : كنت ذات يوم فى بعض الخلوات بقرب فاس الوالي منودا للدراس ، خاليا من الوسواس ، ولم اقتصر فيه على حد ولا قياس ، فبينما أنا أجول فى مسارح أقطار المولف ، وأتفهم فيما له فى ذلك من التكلف ، بأفضل عبارة وأحسن التصرف ، اذ خرج علي رجلان ، واحد شبهته بسيدي عبد العزيز الحرار ، والآخر مثل الغزواني ، لم أر أحسن منهما ، وقالا لي : ما مرادك ياشاب من هذا الاجتهاد والتكلف ؟ قال : قلت لهم المراد الاصلي الحقيقي هو معاملة الحق القيوم القديم ، وما

يعرض علي من الخواطر المغيرة فى المقصد ، لا يعول عليها ولا مستند عند جميع من تحقق وتجرد ، قال الشيخ رضي الله عنه فقبلني أحدهما فوق عيني ، وبعد ذلك غابوا عني ، وبقيت صورتهما فى ذهني ، انتهى .

ثم قال : قال رضي عنه رأيت فى عالم النوم كأني غلب علي سكر ، فبينما نحن على هذه الحالة واذا برجل من أهل الفضل والكمال يصيح علي ويغلظ المقال ، ويقول لي راجع على طريق الدليل ، فان غايتها معرفة الواجب والحائز والمستحيل واسلك طريق الرجال ، أهل المعرفة والوصال . فرجعته ، واذا به سيدي عبد العزيز الحرار رضي الله عنه ونفعنا ببركاته ءامين يارب العالمين ، فساعدته فى الامتثال ، فقال فى الحال ، دونك وطريق الابطال ، واذا أنا بطريق واسعة ، وقال لي : هذه طريق أشياخك رضي الله عنهم فى جميع المسالك .

وقال العارف الحلفاوي فى شمس المعرفة فى سر المتصوفة : قال المؤلف رحمه الله : ولمثل هذا الاعتبار ، هو التعريف بسيدي عبد العزيز الحرار ، فانه من جهة سيدي محمد بن سليمان الجزولي تمحضت له الهداية والاقتداء ، ومن جهة سيدي محمد الصغير السفياني الصحبة ولبس الخرقة ، ثم قال وان شئت قلت لا نعتبر فى شيخ التربية الا مجرد اللقاء والتبرك كما هو معلوم فى مذهب الصوفية ، وعليه فلتقل بذل من لقي لقي ، انتهى .

ثم ذكر قصة دعاء الشيخ سيدي أبي عمرو رضي الله عنهما المتقدمة الى أن قال فاستفهم الشيخ عن اسمه فقال له أبو عمرو ، فقال الشيخ نعمره ونثمره بفضل الله ، نعمره ونثمره بفضل الله ، ثم قال وأما الشيخ سيدي أبي عمرو فهو غوث الملاح ، ومليح الاغواث الصحاح ، سيدي عبد الكريم بن عمرو الفلاح ، فهو شيخ الشيوخ ، المقدم فى هذا الشأن على أهل الثبوت والرسوخ، من كل ولي تقدمه ناسخ ومنسوخ، قبض شيخه سيدي عبد العزيز الحرار رضي الله عن الجميع بمنه ، ورضي عنا بهم بجوده وكرمه ، انه ولي ذلك لمن تعلق به ، قال سيدي أحمد بن قاسم حفظ الله وجوده : أما سيدي عبد الكريم بن عمر الفلاح فقد كان والده يسكن بحاحة ، قتل فى فتنة عمر السياف المعروف

بالمعيطي ، وانتقل الشيخ لمراكشي قرب الثمانين من القرن التاسع ، فلما انتقل الشيخ سيدي عبد العزيز من موضع سكنى والديه بالقصور من درب ابن حارجب واستقر بحومة النجارين برابطة الصالحين ، أتاه خادمه فقال ياسيدي رجل بباب أغمات يقول احملني للشيخ ، اسمه عبد الكريم ، فسكت عنه ، فعاوده مرارا ، فأكثر المراجعة ، قال له إيت به ، فحدثني مَن أثق بقوله أنه سمع من سيدي سعيد بن أبي بكر الدكالي المكناسي قال كنت جالسا عند سيدي عبد العزيز فأتاه خادمه فقال : ياسيدي هاالسيد عبد الكريم الذى قلت لك ، قال له ادخله ، فلما دخل قبل يده فرفع رأسه فيه ، فقال باللسان الزناتي قتلتني بادى علي ، فقلت للزناتي هذا هو الوارث لهذا الشيخ .

قال المؤلف وفقه الله : ومن ذلك ما سمعت من غير واحد من الثقات أن الشيخ سيدي عبد العزيز الحرار كان يقول فى مجالس شتى نرفد عبد الكريم من العسل ونغمسه فى السمن ، ونرفده من السمن ونغمسه فى العسل، فكان ذلك كناية عن وضع القَبول له فى القلوب ، قال غير واحد فما رأى أحد سيدي الفلاح الا أحبه ، ولا سمع بذكره الا هش له واشتاق لرؤياه ، ومن ذلك ما حدثني به مَن يوثق بحديثه أن سيدي عبد الكريم الفلاح طلب من الشيخ سيدي الحرار أن يأذن له فى اطعام الفقراء ليلة من الليالي ، فأجابه الشيخ ، فلما كان ليلة مبيتهم عنده بقيت زاوية سيدي الحرار ، تلك الليلة ، لا أوراد فيها ولا أذكار ، فاستفهم أهل المنزل الشيخ عن غيبة الفقراء من موضعهم ، فقال الشيخ عند ذلك مبينا أشرف المسالك ، بقول صادر من حضرة المالك ، ان الفقراء ذهب بهم عبد الكريم الفلاح ، الفقراء ذهب بهم عبد الكريم الفلاح ، الفقراء ذهب بهم عبد الكريم الفلاح .

ثم قال فى الباب الرابع ما نصه السادسة مواساته لما فى يدك اذ قالوا أقبح من كل قبيح ، صوفي شحيح ، قال سيدي عبد العزيز الحرار تمنيت أن أسوي بين مَن أتى بشيء وبين مَن لم يات بشيء ، فلم أجد ، انتهى .

ثم قال فى الباب الخامس عند ذكر الكرامة الثانية والسبعين للشيخ سيدي الكامل رضي الله عنه ما نصه : فكان من كلامه رضي الله عنه : اخواني

كل مَن وعدناه وعدا حسنا يراه على أيدينا لا محالة ان شاء الله ، والله لا يخلف وعده (I) ، وكل مَن لم يبلغ ما أعطي له على أيدينا باجتهاده فان الله يبتليه بالمحن والأسقام حتى يبلغ مقامه .

والذي نجد البارحة ان رجلا من أصحابنا أعطى مقام سيدي عبد العزيز الحرار على أيدينا ، والرجل قليل الاجتهاد ، لابد أن يمتحن عليه ، ويرى من الأسقام بسببه ويرى ، فجعل يعدد ذلك ويعظمه حتى بكى رضي الله عنه ، انتهى .

وقال فى المرقى فى الفصل الاول من الباب الثانى ما نصه : وحدثني أيضا بعض الفضلاء أن الشيخ سيدي عبد العزيز التباع كان اذا وصل فصل الشتاء يقول لأولاده سيقدم عليكم أبو القاسم يعني والد سيدي محمد الشرقي رضي الله عنهم ان شاء الله ببقرات الحليب ، فيقدم بذلك هو عليهم رضي الله عنهم .

وقال فى الممتع ومنهم وارث حاله الشيخ سيدي العزيز بن عبد الحق الحرار ، عرف به وبالتباع ، والحرار نسبة الى صناعة الحرير ، اذ كانت حرفته فى الأول ، كان عالماً وشيخاً كاملا ، بحر العرفان ، ومجمع المآثر الحسان ، شيخ المشايخ ، وأستاذ الاكابر وجبل الفضل الشامخ ، وجرثومة المفاخر ، قطب وقته ، ووارثه وثمرته النفاع ، وامام أئمة الطريقة فى عصره من غير اختلاف ولا نزاع ، قال أحمد المرابي فى تحفة الاخوان : كان رضي الله عنه فى امامته وجلالته بمكان يعز على الوصف بلوغ مداها ، ويعلو على ارتفاع الشأن وشهرة الصيت نداها ، وقد تخرج عليه من أكابر المشايخ ما لا يكاد يحصيه عد ، أو يحصره حد ، وبالجملة فقد أفعمت أقطار المغرب أنواره. وملأت صدور رجاله معارفه وأسراره ، حتى كان يشتهر فيما تلقيناه من بعض الصالحين من الاقطار المراكشية بسيدي عبد العزيز الشيخ الكامل ، وكان يقال النظرة فيه تغني ، انتهى .

I) فهل معنى هذا أنه يعد نفسه الاها ؟

ووصفه شيخه بالكيمياء ، وذلك أنه خدمه مدة وفتح له على يديه ، فلما حان أجله أوصى به سيدي الصغير ، وقال له ياصغير ، الله الله فى عبد العزيز ، فان عبد العزيز كيمياء ، فسار اليه بعد موت الشيخ ، فخدمه سنين بمنزله من خندق الزيتون ، وكان اذا رقد بالليل غطاه سيدي الصغير بثوبه الذي عليه وقعد يحرسه ، وكان على ذلك الى أن كان ذات يوم وكان شديد المطر والريح والطين . وكان فى خدمة الشيخ ورعاية ماشيته ، فنظرت زوجة الشيخ اليه على بعد ، وكان اسمها تاتو ، وهو حامل شيئاً على عنقه وشيئاً بيده ، فأشفقت منه على تلك الحال فى ذلك اليوم ، فقالت للشيخ انظر ما هو فيه عبد العزيز ، لو كان في يدي شيء لأنلته إياه اليوم ومكنته منه، فلما وصل قال له الشيخ يا ولدي ، ادع لامك تاتو ، فدعا لها ، ثم قال له سر ينتفع بك الناس ، فأطلقه من ثقاف الارادة ، وسار فاستقر بمراكش وطنه ، وأقبل الناس اليه من كل مكان ، واشتهرت كرامته وانتشرت تبعته ، وعمر خبره من المغرب الزاوية والاركان.ذكروا عنه أنه احتجب مرة في داره أياما ثم خرج لباب الدار فسمع الناس بخروجه وأمرهم بدعائهم له ، فجعلوا يأتونه فيسلمون عليه وينظر اليهم ، فلما انقضى ذلك أخبرهم أنه ولد فى ذلك اليوم خمسمئة ولي وظهر بهذا ومثله مصداق قول شيخه فيه انه كيمياء ، توفي سنة أربع عشرة وتسعمئة ، وقبره بمراكش مزارة عظيمة مشهورة بالموضع المعروف بين الثلاثة فحول ، يزدحم عليه الرجال والنساء ، وأثر الجمال عليه يظهر رضي الله عنه ونفعنا به .

ثم ذكر فى الممتع فى ترجمة سيدي علي أبي القاسم الذى كان تلميذا للشيخ التباع ما نصه : ويقال انه الذى غسله ، يعنى غسل شيخه المذكور رضي الله عنهما ونفعنا بهما .

ثم قال فى الممتع فى ترجمة تلميذ الشيخ سيدي صالح الاندلسي قال فى المرءاة وهو من أهل غرناطة ، وكان يطلب شيخا يُلقي اليه قياده ، فكان يقال له شيخك فى العدوة ، فانتقل الى فاس وفتح فيها حانوتا فى القيسرية ، ثم قدم اليها من مراكش شيخ المشايخ عبد العزيز بن عبد الحق

الحرار الشهير بالتباع ، ونزل بمدرسة العطارين ، وقعد فى وسط قبتها ، وانحشر أهل فاس للتبرك به ، وجال الشيخ أبو الحسن في ءاخرهم ، فحين قرب من الفصيل الذى ينفذ منه الى الصحن قام اليه الشيخ سيدي عبد العزيز يتخطى الناس ، فتلقاه وأخذ بيده وصعدا فى درج المدرسة فمكثا هنيأة ونزلا، وطلب الشيخ سيدي عبد العزيز فرسه للركوب ، فطلب منه الاقامة فامتنع ، وقال انما جئت لأداء أمانة كانت عندي لربها فقد أديتها ، ورفع المغلاق الاسفل فقط على نية الرجوع قريبا ، فلما لقي شيخه كان ذلك ءاخر عهده بالحانوت ، فلم يعد اليه وتأهل من حينه للمشيخة ، انتهى المقصود ، راجع تمامه فيه .

وفى السلوة فى ص 208 من الجزء الثاني ، قال فى ابتهاج القلوب فى الباب الاول ما نصه : ويذكر عن الشيخ التباع عند دخوله فاس واجتماعهم عليه حتى اقبل عليه سيدي علي صالح فقام وأخذه بيده وساره وأمده بمدده ، ثم رجع الى الناس ، فلما استقر محفلهم أخذ قملة بمحضره فقتلها ومسحها بثيابه فتفرقوا عنه .

وقال فى الممتع فى ترجمة سيدي محمد بن عيسى نزيل مكناسة الزيتون ما نصه : وفى الاصليت لاحمد ابن أبي محلي أن الشيخ ابن عيسى أظنه انه لما توفي شيخه الحارثي ذهب لاخيه التباع ، فقال له : ان أخي الحارثي قد صفى درهمك ، ولكنه ما طبعه ، وغير المطبوع فى السوق لا يجوز ، اذهب فقد طبعته لك ، فلما مر بالسيد الصغير السهلي وهو يرعى البقر وكان فى البادية ربما رعاها قال له أعد علي مقالة أخي التباع ، فحكاها له . ثم دار دورة حالية ، فقال ما معناه هلا قال لك ها أنت وربك ، فمن عنده امتلا بن عيسى مدداً حتى كان منه ما كان ، سمعت هذه الحكاية بالمعنى من أستاذى رضي الله عنه ، يعني سيدي محمد بن مبارك الزعري ، ولكني اختصرتها وهي أطول من ذلك ، انتهى كلام (الممتع) .

وقال فى (المرقى) فى الباب الثاني ما نصه : الفصل الثاني فى ذكر من أخبر بوجود سيدي محمد الشرقي وبشر به والديه من الاشياخ رضي الله عنهم ، منهم القطب الاكبر ، والغوث الاشهر ، شيخ الجماعة بالمغرب ، عبد العزيز التباع ، ارسل يوما أناسا بالاجرة فى مدينة مراكش فى المساجد والاسواق ينذر الناس ويجمعهم ليغنموا فضل الشيخ ويسقوا من فيضه ، ويقول ان سيدي عبد العزيز يقول هلموا لتغنموا فضلي ، واجتمعوا اليه ولم يحضر سيدي أبو القاسم فى ذلك الوقت ، ثم حضر بعد ذلك فقال للشيـخ : ياسيدي سمعت وانك فعلت وفعلت يذكر ما سلب فما اعطيتني أنا وأين حقي ؟ فقال له : أعطيتك درهما ينفق منه أهل المشرق والمغرب ، يعني وجود الشيخ سيدي محمد الشرقي ، انتهى .

ثم قال فى الفصل الثالث ما نصه وسبب صحبته يعنى الشيخ سيدي محمد بن داوود الشاوي للشيخ عبد العزيز التباع أن الشيخ عبد العزيز التباع أرسل وارث حاله سيدي عبد الله الغزواني الى سيدي محمد بن داوود المذكور، وقال له : قل لابن داوود قد احتجنا الادام ، وكان ابن داوود من أشياخ الشاوية وعتاتهم ، فسار اليه ، وذكر له ذلك ، وبات عنده ، ومن الغد نزع ثيابه ولبس ثياب الفقراء ، وكسر رمحا وجعل منه عكازا ، وقدم بين يديه جميع ما يملكه، وسار الى الشيخ عبد العزيز صحبة سيدي عبد الله الغزواني ، فلما وصل لمراكش قبله الشيخ وأقبل عليه ، وقال له : لقد قبلت مالك ورددته عليك . فاعمل زاوية ، فرجع وعمل الزاوية ، وصار من أهل الخصوصية . انتهى .

وذكر فى (يتيمة العقود الوسطى) قضية تبشير الشيخ عبد العزيز لأبي القاسم المتقدمة فى (المرقى) بالدرهم الذى ينفق منه أهل المشرق والمغرب وسجعها ، ثم قال والتحقيق ما تلقيناه من سيدي أحمد بن المعطى . وهو أن سيدي صالح أخذ عن سيدي أحمد بن عبد القادر التستاوتي عن سيدي محمد بن المفضل فى قضيته المتقدمة عن سيدي محمد الحفيان الرتبي الفلالي عن سيدي محمد الشرقي القطب الكبير عن شيخه سيدي عبد الله بن ساسي ، عن شيخه سيدي عبد الله الغزواني ، عن الكبريت الاحمر ، والغناء الاشهر ،

سيدي عبد العزيز التباع الحرار المراكشي ، عن الشيخ سيدي محمد الصغير السهلي السفياني صاحب الشيخ الجزولي ، وقد تأخرت وفاته عن الجزولي وتلمذ له سيدي عبد العزيز بعد وفاة شيخهم الجزولي ، وكفله نحو سبع سنين ، ورحل اليه من مراكش الى السهول الى وادي اللبن ، وبقي عنده تلك المدة حتى بلغ اشده ، وفي تلك المدة أخذ سيدي محمد الصغير عن سيدي أحمد زروق على ما ذكره العالم العلامة الولي الصالح ، التقي الناصح ، سيدي أحمد بن أبي القاسم التادلي الصومعي دفين مدينة داي فى تأليف له ذكر فيه سلسلة الشيخ الجزولي وصاحبه الشيخ محمد الصغير السهلي ، قال الشيخ سيدي أحمد بن أبي القاسم : وقعت للشيخ سيدي عبد العزيز التباع مع الشيخ سيدي محمد الصغير حكاية أضربنا عنها اختصارا ، قلت ولكن نذكرها على ما حدثني به الثقات ان شاء الله ، وذلك أن سيدي عبد العزيز التباع رحل بعد وفاة الشيخ سيدي محمد بن سليمان الجزولي الى سيدي محمد الصغير السهلي أخيه فى الشيخ وتلمذ له وخدمه نحوا من ثماني سنين ، وهو يقضي له حوائج داره التي يقدر عليها ، ويصون بهائمه ، ويأتي بحزمة الحطب ، فلما كان فى بعض الايام مطر كثير ووصلته كفلة مع البهائم والحطب على ظهره ، فرأته زوجة الشيخ فأشفقت من حاله ، وقالت اني أسعى فى نفع هذا الولد عند السيد لعل الله يثقل ميزاني بذلك ، فقالت له ياسيدي انظر من حال عبد العزيز التباع فاني أشفقت عليه ، فقال لها الشيخ ان شاء الله ، فلما راح الشيخ عبد العزيز الى الدار ببهائمه وحطبه قال له الشيخ : ياعبد العزيز ان أمك أشفقت عليك ، فاذهب الى مدينة مراكش ينتفع بك الناس ، فذهب فكان من أمره ما كان ، وفى تلك المدة أخذ سيدي محمد الصغير على سيدي أحمد زروق فزاد به انتفاعا . انتهى ، وفيه زيادة على ما تقدم فى الممتع .

ثم قال فى اليتيمة ما نصه : ان الشيخ بن عيسى أخذ على سيدي أحمد الحارثي دفين مكناسة الزيتون صاحب سيدي محمد بن سليمان الجزولي رحم الله جميعهم ، وتوافق معه وخدمه الى أن مات وترك فى حيز الارادة ، وبعد وفاته ذهب الى الشيخ عبد العزيز التباع بقصد أن يكمل له ارادته ، فلما وصل اليه سيدي محمد بن عيسى وشكا اليه حاله قال له : وكيف كان حالك

مع بابا أحمد الحارثي ؟ قال جاهد معي غاية المجاهدة ، وعاملني بأحسن المعاملة ، الا أن القدر هذا غاية ما وصلني منه ، فقال له : وهل ترى أنا خير منه أو أحسن مني ؟ فقال له سيدي أحمد الحارثي أحسن منك ، فنظر فيه الشيخ عبد العزيز وقال له فرحا لما شكرت احسان أخي أحمد الحارثي ، ثم قال : ان أخي أحمد الحارثي صفّى درهمك وتركه بلا طابع ، والدرهم غير المطبوع لا يجوز فى الاسواق . وها أنا طبعته لك ، فاذهب ينتفع بك الناس ، فذهب الى بلده يعني للمغرب ، فمر فى طريقه بالشيخ سيدي محمد الصغير السهلي وهو مع بعض مواشيه فى الخلاء ، فسلم عليه وأخبره بحاله مع سيدي عبد العزيز التباع ، فدار سيدي محمد الصغير دورة ربانية ورمى بعكازه الى السماء ، وقال له : هلا قال لك هاأنت وربك ؟ فمده فى تلك الدورة مع تلك الكلمة بمدد ظهر له فيه سر الملكوت ، ونور الجبروت ، وذهب من حينه بالفتح والمدد ، والخير والصلاح والرشد ، فكان من أمره ما كان ، وانتفع الناس به فى كل قطر ومكان ، انتهى .

ثم قال فى اليتيمة ما نصه : قلت ولا بد لي أن أذكر حال سيدي عبد العزيز التباع مع سيدي محمد الصغير السهلي فأقول : حين توفي الشيخ الجزولي ترك سيدي عبد العزيز فى حجر الصغير وأوصاه عليه ، فكفله نحو التسع سنين وهو عنده يحضي بهائمه ومواشيه الى أن وصل وقت ظهوره ، فرأته زوجته فى يوم كثير الشتاء مع تلك البهائم ، فقالت للشيخ انظر ياسيدي محمد حال عبد العزيز ، فقال لها اذا أنت أطلقت سراحه نسرحه ان شاء الله ، فقالت له سرحه وادع له ، فقال له الشيخ الصغير : ياعبد العزيز اطلق الله سراحك ، فان أمك تاتو سرحتك ، اذهب الى بلدك وهي مراكش ينتفع بك الناس . فذهب الشيخ عبد العزيز فكان من أمره ما كان . فاجتمع عليه خلق كثير . وانتفع به أناس كثيرون ، فتلك طريقة هاؤلاء السادات الكرام ، والاولياء الفخام ، كلهم تخرجوا على يده ، ونبتوا من زريعته ، وتفرعوا من شجرته ، ولم تزل شجرته تزيد وتنمو الى الآن ، ونسأل الله العظيم ، برسوله المصطفى الكريم ، وصحابته أهل الجلالة والتعظيم ، وأوليائه السالكين على نهجه القويم ، أن يجعلنا من فروع تلك الشجرة المباركة ، ويثمر شجرتنا

وشجرة أشياخنا أكثر من ذلك ، ويطيل فروعها كذلك ، ويطعمنا من ثمراتهم ، ويسقينا من حوضهم ، ويجعله نافعا لنا ولذريتنا وذريتهم وأحبتنا وأحبتهم ، ومن أهل طريقتهم ومددهم ، ءامين والحمد لله رب العالمين ، انتهى .

واقتصر فى الكواكب السيارة على ذكر ما فى الممتع فى ترجمة الشيخ من غير ذكر الوفاة ، ثم قال وهذا ما تيسر من التعريف بالشيخ التباع بحسب الوقت ، وأخباره رضي الله عنه كثيرة ، وجوده ونفعه لعباد الله لا يخفى على أحد نفعنا الله برضاه ، وحشرنا مع أمثاله المتقين ، بجاه سيد النبيئين ، محمد صلى الله عليه وسلم .

خاتمة : تقدم فى خاتمة ترجمة القاضي عياض عن المعزى نقل تعداد الشيخ سيدي عبد العزيز ممن جربت الاجابة عند قبره ، راجعه ، والعبد الفقير الى الله تعالى ممن استجيب له بالدعاء عند قبره ، أمدنا الله تعالى بمدده، وجعل بركته معنا فى الحياة وبعد الممات ، وختم لنا بالحسنى ، ءامين ، بجاه النبي الامين ، صلى الله عليه وعلى ءاله وصحبه أجمعين ، وسلم تسليما .

وقال فى المجد الطارف والتالد بعد ذكر تاريخ وفاة الشيخ ما نصه : وتاريخ ذلك منقوش فى رخامة عند رجليه ملصقا بجدار قبته نفعنا الله به . وفيها قصيدة امتدحته بها مطلعها :

لذ بالامام السيد التبــــــــــاع غوث العباد الأرفع النفــــــــــاع

ويحكى أن المسافر اذا زاره يوم سفره يرجع سالما غانما بحول الله وقوته ، وجربنا ذلك فوجدناه كذلك ، لله الحمد والمنة ، انتهى .

كان الشيخ سيدي عبد العزيز رضي الله عنه يلقن لا الاه الا الله ، محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو ذكر سيدي رضوان الجنوي ، ويربّي أصحابه بالمباحث الاصلية للشيخ العارف ابن البناء السرقسطي ، وكان شيخه الجزولي يربيهم بقصيدة الشيخ أبي الحجاج الضرير فى أصول الدين ، والغزواني يربيهم بقصيدة الشيخ الشريشي ، ثم قلت غفر الله تعالى لي ما أسررت وما أعلنت ، انتهى .

وقال اليفرني في درر الحجال عن الشيخ التباع أنه كان يقول من أراد أن يزورني فلا يسأل جيراني ، انتهى .

وممن ترجمه الحضيكي في طبقاته (1) ، وذكر القادري في تحفته ان المترجم من ءال يعقوب عليه السلام ، ذكر ذلك في السلسلة التي ذكرها لطريقة جده سيدي عبد القادر الجيلاني ، وهذه المقالة كمقالة مَن ادعى النسب الحسني أو الحسيني له فلا أصل لذلك ولا فصل ، وان كان نقله أي النسب الاسرائيلي في الابتهاج من الدوحة فيما قيل ، وجميع فروعه الى حفيده سيدي محمد بن عبد الله بن عبد العزيز ، وهو أعقب ثلاثة : محمد وعبد الحق وعبد الباقي ، ومحمد أعقب عبد السلام ، ومحمد ابنه اعقب محمدا وعلياً وأحمد ، وعبد السلام أعقب ابا عزة وعبد الكريم ، وعبد الباقي أعقب عبد الله ، ومن هذه الفروع يتفرع جميع أبناء الشيخ المذكور ، وأحمد وعقبه محمد والمحجوب، فالمحجوب من عقبه محمد ، وقد وقفت على الظهائر الشريفة الصادرة في حقهم من تاريخ السعديين والاسرة العلوية الشريفة : مولانا اسماعيل وأولاده مولاي عبد الملك ، ومولاي عبد الله ، وولده سيدي محمد بن عبد الله ، وولده مولانا سليمان ، ومولانا عبد الرحمان بن هشام بن سيدي محمد بن عبد الله المذكور وهلم جراً الى الآن، وهي تبلغ نحو العشرين ، فلم يصرح في الظهائر المذكورة بنسب له أصلا ، وانما فيها الاقتصار عليه أو على والده عبد الحق ، فاعلم ذلك.

1260) **عبد العزيز بن عبد الله السكتاني** الكاتب الناسخ ، له خطوط متعددة ، وله مشيخة النساخين ، وهو المقدم لتعليم الخط بجامع الشرفاء من مراكش المحروسة كما هي العادة بالقاهرة وغيرها من بلاد المشرق ، له نظم وعدة تصانيف الا أنها لم تكمل ، اطلع عليها أحمد ابن القاضي ، ولد سنة ست وخمسين وتسعمئة ، كان حيا سنة تسع وتسعين وتسعمئة 999 .

ترجمه في درة الحجال (2) .

---

1) **طبقات الحضيكي** 2 : 188

2) **درة الحجال** 3 : 131 ع 1076 طبع تونس

1261) عبد العزيز بن محمد الفشتالي

عبد العزيز بن محمد بن ابراهيم الفشتالي ، الكاتب الارفع ، البليغ الأبرع ، صاحب القلم العالي ، والقدم التي رسخت بالبلاغة على هام المعالي ، أعجوبة الايام والليالي ، جامع أشتات فنون الأدب على التمام ، والمزيل عن خفايا بدائعه النقاب واللثام .

قال الشهاب الخفاجي شارح الشفا في رحلته ، لما ذكر محاسن أهل عصره من المغربيين ما نصه : عبد العزيز الفشتالي أديب عذب اللسان ، ماضي السنان ، له دمث اخلاق وشمائل ، تجر وراءها ذيول الصبا والشمائل ، ألطف من وجنات ورد عذارها الآس ، وأسحر من عيون الغيد اذا حار بها النعاس ، إن خط زَيَّنَ ثوب البلاغة ووشاه ، وتعاون على أخذ الرقة لفظه ومعناه ، فيطرب السمع لالفاظه ويرقص القلب لمعناه ، بهمة هي حدث الفضا ، ولطف طبع ألذ من ذنب محاه الرضا ، الى ءاخر ما مدحه به وأثنى عليه .

وحلاه في (فتح المتعال) بأنه سابق الحلبة بالمغرب ، وحائز قصب السبق ، وبه افتخر أهل المغرب على أهل المشرق .

وحلاه فى النفح بقوله : صاحبنا الوزير الشهير الكبير البليغ ، صاحب القلم الأعلا ، صب الله عليه شآبيب رحماه .

وقال فى درة الحجال ما نصه : عبد العزيز بن محمد بن ابراهيم الفشتالي الصنهاجي ، وزير القلم الأعلا ، فقيه أديب ، ناظم ناثر ، وهو متولي تاريخ الدولة المنصورية أبقاها الله على مر الأيام ، تاريخه المذكور فى مجلدات اشتمل على تاريخ دولة سادتنا الشرفاء من أولها الى وقتنا هذا أبقى الله هذا الامر فيهم وفى عقبهم الى يوم الدين ، اشتمل على وقائعها ومغازيها وحوادثها وغير ذلك ، وعلى محاسن أحمد المنصور ، وألف فى الجيش أي جيش التوشيح لابن الخطيب السلماني ، وألف مقدمة لترتيب ديوان المتنبي على حروف المعجم الذي أمر بترتيبه على ذلك النهج ، المخدوم مولانا أحمد المنصور ،

وقد ذكرت صدور التآليف المذكورة في المنتقى المقصور على مآثر الخليفة أحمد المنصور ، وذكرت فيه من شعره وما ألفيته بخطه ما نصه : وخاطب الى ءاخـره .

ولد سنة ست وخمسين وتسعمئة 956 ، وتقدمت قصائده التي قالها في قصر البديع في المقدمة فلا حاجة لاعادتها هنا فراجعها هناك (1) أخذ عن المنجور والزموري والحميدي وعبد الواحد مفتي مراكش (2) .

وقال في النفح بعد ذكر قصائده : ومحاسن صاحبنا المذكور فـي النظم والنثر يضيق عنها هذا التأليف ، أثبت منها جملة في غير هذا الموضع ، ثم أثبت رسالة له كتبها له حين عزم على الرحلة الى الحجاز واختضها من سلطان المغرب في وعده له بها النجار من حضرة مراكش ، والمؤلف يحنئذ بفاس وتاريخها 20 محرم عام 1027 ثم قال : ومَن أراد شيئا من أخباره فعليه بكتابي المسوم بـ (روضة الآس ، العاطرة الانفاس ، في ذكر مَن لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس) ، وقد بلغتْني وفاته رحمه الله تعالى وأنا في مصر بعد عام ثلاثين وألف رحمه الله تعالى فلقد كان أوحد عصره ، حتى أن سلطان المغرب كان يقول ان الفشتالي نفتخر به على ملوك الارض ونباري به لسان الدين ابن الخطيب ، رحم الله تعالى الجميع (3) .

وقال في النزهة بعد أن نقل ترجمة المترجم عن درة الحجال ما نصه: وذكر صاحب الاعلام أن من تأليفه شرح مقصورة المكودي رحمه الله (4) .

1) انظر 1 : 71 من هذا الكتاب

2) **درة الحجال** 3 : 129 ع 1074 طبع تونس

3) **نفح الطيب** 6 : 59 طبع بيروت

4) **نزهة الحادى** ص 165 طبع الرباط

ثم قال فى النزهة (1) ومما وقع له مع المنصور أنه كتب له يشكو له بعض ما أهمه من أمر دنياه ، فوقع له المنصور من نظمه بيتيْن بخطه :

ياكاتباً اذا كتب غرس روضاً ذا فنَن
إن جوابي للذي يشكو دناه اردد حزن

يعني درهم ، هكذا وجدت هذين البيتين فى بعض مسوداتي ، ولا أدري من أين نقلتهما (2) .

قلت البيتان أنشدهما للمنصور فى المترجَم فى نفح الطيب كما تقدم فى ترجمة المنصور منشدا صدر البيت الاول هكذا :

ياكاتباً ألفَاظه تغرس رَوضاً الخ..

والبقية كما فى النزهة .

وقال فى النشر فى ترجمته : ووجدت فى بعض المقيدات مما نظمه صاحب الترجمة رحمه الله فى فتح أصيلة فى عشرين من ذي القعدة عام سبعة بموحدة وتسعين وتسعمئة 997 وقد خاطب بها السلطان أحمد المنصور الذهبي الشريف :

بكرُ الفتوح لكم تهلل بشرها وافتر عن شنب المسرة ثغرها
وعقيلة الامصار وهي أصيلة أنت العزيز لذا أطاعك مصرها
وافى بها الفتح المبين يزفها لكم وليس سوى قبولك مهرها
شغفت ببدرك واستباك حنينها فتجمعت بكما حنين وبدرها
كانت ليالي الكفر فيها دمَّلا وبعصرك الأقوى تبيَّن فجرها
أوطيءْ جيوشك أرض أندلس فقد نذرت تطيعك كي يوفى نذرها

---

1) بل قال هذا قبل ما سبق

2) نزهة الحادى ص 165

واحصد رؤوس المشركين بها فقد ءان الحصادُ لها وأزطب بسرهـــا
واملك جميع الارض فهْي وراثــة وإليكم بالفتح يسند أمرهــــــا

وسبحان المنفرد بالدوام ، واليه الملك الدائم الذي لا تبليه السنون والأيام ، فلم يبق لهؤلاء الملوك أثر فيما نعلم ، وكذا الفشتاليون أهل هؤلاء المذكورين ، فلا نعلم الآن مَن ينتسب اليهم ، أما مطلق مَن ينتسب لفشتالة فكثيرون ، لانهم قبيلة معروفة بالمغرب ، وسبحان مَن أحاط بكل شيء علما، انتهـى (1) .

وقد أحسن بقوله فيما نعلم ، والا فان ذرية السعديين الى هذا العصر ما زال بعضهم بمراكش وهم معروفون .

توفي المترجم رحمه الله سنة واحد وثلاثين وألف .

وحلى المترجم في (المنتقى المقصور) حين عدد خواص مجلس المنصور بما نصه : الفقيه الناظم الناثر حامل لواء الادب .

قلت وفاة الفشتالي يظهر أنها كانت في مراكش حيث أن مخدومه كان بمراكش في ذلك التاريخ ، ولم يخرج منها الا سنة 1034 .

ولنختم ترجمته بذكر قصيدته الفريدة التي مطلعها (2) :

هم سلبوني الصبر والصبر من شأني وهم حرموا من لذة الغمض أجفاني
وهم أخفروا في مهجتي ذممَ الهوى فلم يثنهم عن سفكها حبيَ الجاني
لئن أترعوا من قهوة البين أكؤسي فشوقهم أضحى نديمي وندمانـي
وان غادرتْني بالعراء حمولهـــم كفى أن قلبي جاهدٌ إثر اظعـــان
قف العيس واسأل ربعهم أية مضوا ألّلجزع ساروا مدلجين أم البـان ؟
وهل باكروا بالسفح من جانب اللوا ملاعب ءارام هناك وغــــزلان
وأين استقلوا ؟ هل بهضب تهامة أناخوا المطايا أم على كثب نعمان ؟

---

1) نشر المثاني 1 : 141

2) القصيدة مذكورة في روضة الآس ص 120 و نفح الطيب 5 :29 طبع بيروت

وهل سال في بطن المسيل تشوقا ... نفوس ترامت للحمى قبل جثمان
واذ زجروها بالعشي فهل ثنــــــى ... أزمتَها الحادي الى شعب بــــوان
وهل عرسوا في دير عبدون أم سروا ... يؤمُّ بهم رهبانهم ديرَ نجـــران ؟
سروا والدجى صبغ المطارف فانثنى ... باحداجهم شتى صفات وألـــوان
وأدلج في الأسحار بيض قبابهـــم ... فلحن نجوماً في معارج كثبــــان
لك الله من ركب يرى الارض خطوة ... اذا زمَّها بُدْناً نواعم أبــــــدان
أرِحْها مطايا قد تمشَّى بها الهوى ... تمشِّي الحُميا في مفاصل نشــوان
ويمِّمْ بها الوادي المقدس بالحمى ... به الماء صدا والكَلاَ نبت سعدان
وأهد حلول الحجر منه تحيـــــة ... تفاوح عرفاً ذاكي الرند والبـــان
لقد نفحت من شيح يثرب نفحـــة ... فهاجتْ مع الأسحار شوقي وأشجاني
وفتت منها الشوق في الغرب مسكة ... سحبت بها في أرض دارين أرداني
وأذكرني نجدا وطيب عــــــراره ... نسيم الصبا من نحو طيبة حيانــي
أحنُّ الى تلك المعاهد انهــــــا ... معاهد راحاتي وروحي وريحانـــي
وأهفو مع الاشواق للوطن الــذي ... به صحَّ لي أنسي الهنيُّ وسلواني
وأصبو الى أعلام مكة شائقـــــاً ... اذا لاح برق من شمام وثهــــــلان

* * *

أهَيْلَ الحمى ديني على الدهر زورة ... احنُّ بها شوقاً لكم عزمي الواني
متى يشتفي جفني القريح بلحظـة ... تزجُّ بها في نوركم عين انسانــي
ومَن لي بأن يدنو لقاكم تعطفــا ... ودهري عني دائما عِطفَه ثانـــي
سقى عهدكم بالخيف عهداً تمــده ... سوافح دمع من شؤوني هتـــان
وأنعم في شط العقيق أراكـــة ... بأفيائها ظل المنى والهـــوى دان
وحيا ربوعا بين مروة والصفــــا ... تحية مشتاق لها الدهر حيـــران
ربوعا بها تتلو الملائكة العـــــلا ... أفانين وحْي بين ذكر وقـــرءان
وأول أرض باكرت عرصاتهــــــا ... وطرزت البطحا سحائب ايمـــان
وعرس فيها للنبوة موكـــــــب ... هو البحر طام فوق هضب وغيطان
وأدى بها الروح الأمين رسالـــة ... أفادت بها البشرى مدائح عنـوان

هنالك فضَّ ختمها أشرفُ الــورى   وفخر نزار من معد بن عدنــــان
محمد خير العالمين بأسرهـــــا   وسيد أهل الارض والأنس والجان
ومن بشرت فى بعثه قبل كونـــه   نوامسُ كهان وأحبارُ رهبــــان
وعلّة هذا الكون ، لولاه ما سمت   سماء ولا غاضت طوافح طوفـــان
ولا زخرفت من جنة الخلد أربـــع   تسبح فيها أُدْمُ حور وولـــدان
ولا طلعت شمسُ الهدى غب دَجية   تجهم من ديجورها ليلُ كفـــران
ولا أحدقت بالمذنبين شفاعـــــة   يذود بها عنهم زباني نيــــــران
له معجزات أخرست كل جاحـــد   وسلت على المرتاب صارمَ برهان
له انشقَّ قرص البدر شقيْن وارتوى   بماء همى من كفه كل ظمــــآن
وانطقت الأوثان نطقاً تبــــرأت   الى الله فيه من زخارف ميـــان
دعا سرحة عجما فلبت وأقبلـــت   تجر ذيول الزهو ما بين أفْنــــان
وضاءت قصور الشام من نوره الذى   على كل أفق نازح القطر أو دانـي
وقد بهج الانوا بدعوته التـــي   كست أوجه الغبراء بهجة نيســان
وان كتاب الله أعظم ءايـــــة   بها افتضح المرتاب وابتأس الشاني
وعدى على شأو البليغ بيانــــه   فهيهات منه سجع قس وسحبـــان
نبي الهدى مَن أطلع الحق أنجماً   محا نورها اسدافَ إفك وبهتـان
لعزتها ذلَّ الأكاسرة الأولـــى   هم سلبوا تيجانها ءال ساســـان
وأحرز للدين الحنيفى بالظبـــا   تراث الملوك الصيد من عهد يونان
ونقع من سمر القنا السم قيصـرا   فجرعه منه مجاجة ثعبـــــان
وأصبحت السمحا ترفُّ نضـــارة   ووجه الهدى بادي الصباحة للراني

* * *

أياخير أهل الأرض بيتا ومحتـداً   وأكرم كل الخلق عجم وعربـــان
فمَن للقوافي أن تحيط بوصفكـم   ولو سجلت سبقاً مدائح حســـان
اليك بعثناها أماني أجدبـــــت   لتسقى بمزن من أياديك هتـــان
فأنت الذى لولا وسائل عـــزه   لما فتحت أبواب عفو وغفـــران
عليك سلام الله ما هبت الصبـــا   وماست على كثبانها مُلْد قضبان

وحمل فى جيب الجنوب تحيـــة ... يفوح بمسراها شذا كل توقـــان
الى العـُمرين صاحبيْك كليْهمـــا ... وتلوهما فى الفضل صهرك عثمان
وحيًّا علياً عرفُها وأريجهـــا ... ووالى على سبطيْك أوفر رضـــوان

* * *

إليك رسول الله صمَّمت عزْمـــة ... اذا أزمعت فالشحطُ والقرب سيان
وخاطبت مني القلب وهو مقلـب ... على جمرة الاشواق منك فلبانـي
فياليت شعري هل ازم قلائصـــي ... اليك بدارا أو أُقَلْقِلُ كيراني(1)
وأطوى أديم الارض نحوك راحـلا ... نواجي المهارى فى صحاصح قيعان
يرنحها فرطُ الحنين الى الحمـا ... اذا غرد الحادى بهن وغنانـــي
وهل تمحون عني خطايا اقترفتهـا ... خطى لي فى تلك البقاع وأوطـان
وماذا عسى يثني عناني وإن لــي ... بآلك جاهاً صهوة العز أمطانـي
اذا صدَّ عن زوارك المالُ والغنى ... فجود ابنك المنصور أحمد أغنانـي
عمادي الذى أوطا السماكين أخمصي ... وأوفى على السبع الطباق فأدناني
متوج أملاك الزمان وان سطـــا ... أحلَّ سيوقاً فى معاقد تيجـــان
وقارى أسود الغاب بالصيد مثلها ... اذا اضطرب الخطي من فوق جدران
هزبر اذا زار البلاد زئيـــــره ... تضاءلُ فى أخياسها أسد خفـــان
وان أطلعت غيم القتام جيوشـــه ... وأرزم فى مركومه رعدُ نيـــران
صببن على أرض العداة صواعقـا ... أسلْن عليهم بحر خسف ورجفان
كتائب لو يعلون رضوى لصدعت ... صفاهْ الجياد الجرد تعدو بعقبان
عديد الحصى من كل أروع معلـم ... وكل كمي بالرديني طعَّـــــان
اذا جنَّ ليل الحرب عنهم طلى العدا ... هدتهم الى أوداجها شهبُ خرصان
من اللاء جرعن العدا غصص الردى ... وعفرن فى عفر الثرى وجهَ بستان(2)
وفتحن أقطار البلاد فأصبحـــت ... تؤدى الخراج الجزل أملاكُ سودان
امام البرايا من علي نجـــاره ... ومن عِترة سادوا الورى آل زيدان

---

1) الكيران جمع كور ، يعني رحاله

2) يريد سباستيان ملك البرتغال الذى قتل فى معركة وادى المخازن

دعائم ايمان وأركان سـؤدد ذوو همم قد عرست فوق كيـوان
هم العلويون الذين وجوههـم بدور اذا ما أحلولكت شهبُ أزمان
وهم ءال بيت شيَّد اللهُ ملكـه على هضبة العلياء ثابت أركـان
وفيهم أتى الذكر الحكيم وصرحت بفضلهم ءايات ذكر وقـرءان
فروع ابن عمٍّ المصطفى ووصيـه فناهيك من فخرين قربى وقربـان
ودوحة مجد معشب الروض بالعلا يجود بأمواه الرسالة ريـان
بمجدهم الاعلا الصريح تشرفـت معدٌّ على العرباء عاد وقحطـان
أولئك مجدي ان فخرتُ على الورى ونافس بيتي في الولا بيت سلْمان (1)
اذا اقتسم المداح فضل فخارهـم فقسمي بالمنصور ظاهرُ رحجـان
امام له فى جبهة الدهر ميسـم ومن عزه في مفرق الملك تاجـان
سما فوق هامات النجوم بهمـة يحوم بها فوق السماوات نسـران
وأطلع فى أفق المعالي خلافـة عليها وشاح من علاه وسمطـان
اذا ما احتبى فوق الاسرة وارتدى على كبرياء الملك نخوة سلطـان
توسمتَ لقمان الحجا وهو ناطق وشاهدت كسرى العدل في صدر ايوان
وان هزه حر الثنا تدفّقـتْ أنامله عرفا تدفّقَ خلجـان

* * *

أياناظر الاسلام شم بارقَ المنـا وباكر لروض فى ذرا المجد فينان
قضى الله فى علياك أن تملك الدنا وتفتحها ما بين سوس وسـودان
وانك تطوي الارض غير مدافـع فمن أرض سودان الى أرض بغدان
فكم هنأت أرض العراق بك العلا ووافتْ بك البشرى لاطراف عمَّان
فذي شارفت شرق البلاد سيوفكم أتاك استلابا تاج كسرى وخاقـان
ولو نشر الأملاكَ دهرُك أصبحت عيالا على علياك أبناءُ مـروان
وشايعك السفاح يقتاد طائعـاً برايته السوداء أهل خراسـان
فما المجد الا ما رفعت سماكـه على عمدي سمر الطوال ومـران
وهاتيك أبكار القوافي جلوتُهـا تغازلهُنَّ الحور في دار رضـوان

---

1) يريد سلمان الفارسى الذى قال فيه الرسول (ص) : سلمان منا أهل البيت

أتتك أميرَ المومنين كأنهـــا لطائم مسك أو خمائل بستـان
تعاظمْن حسنا أن يقال شبيهها فرائد در أو قلائد عِقيـان !
فلا زلت للدنيا تحوط جهاتِها وللدين تحميه بملك سليمـان
ولازلت بالنصر العزيز مؤزراً تقاد لك الاملاك فى زيٍّ عُبدان

وترجمه فى ص 1762 من ريحانة الالبا ، وفى ص 582 من السلافة (1).

1262) عبد العزيز بن الحسن الزياتي الفاسي

عبد العزيز بن الحسن (أبي الطيب) بن يوسف الزياتي الفاسي ، كان رضي الله عنه فقيها عالما متفننا ، أخذ عن خاله سيدي العربي الفاسي ، والعارف عبد الرحمان الفاسي ، ورحل لمراكش ، وأخذ عن مشايخها كمحمد بن يوسف التملي جمع عليه القراءات العشر ، ثم رحل للمشرق وأخذ عن شيخ القراءات وغيرها سلطان المزاح وغيره كالأجهوري ، له شرح على قصيدة خاله المذكور فى الذكاة ، وله تأليف فى فن القراءة ، وكان ورعا زاهداً فى الدنيا وأهلها ، وما يوجد بخطه من العزائم والدعوات واستخدام الجن فقد كان ذلك لسبب ، ذلك انه ضاع له مال حلال ثم تركه ورفض الدنيا بالكلية ، وكان رأى عند ذلك طائفة من الجن قالوا له ياهذا أحرقتنا ، ولولا رجل صفته كذا وكذا يصفون الشيخ المجذوب يقف على رأسك كلما جئناك لهنا وجدناه يحرسك لأعنكناك فى مرة .

توفي رحمه الله ورضي عنه على أحسن حال وأكبر جهاد سنة خمس وخمسين وألف 1055 بتطاون ، وقبره هناك .

ذكره في (الصفوة) (2) والحضيكي فى طبقاته (3) .

---

1) ينظر عن عبد العزيز الفشتالى ذكريات مشاهير المغرب ع 1 وخلاصة الأثر 2 : 425 وشجرة النور الزكية 1 : 298

2) صفوة من انتشر ص 81

3) طبقات الحضيكى 2 : 274

وقال في (النشر) : فيمن توفي عام 1055 ومنهم الفقيه الاستاذ العالم المشارك عبد العزيز ابن الشيخ الامام سيدي الحسن الزياتي ، وتقدمت ترجمة والده المذكور ، كان صاحب الترجمة استاذا مجودا مقرئاً عالما محصلا نبيلا ، وله كتاب في النوازل والاحكم جمع فيه أنقالا جليلة ، وكان سبطا للشيخ سيدي يوسف الفاسي ، ولد بنته ، توفي عام الترجمة بمدينة تطوان ، ودفن خارج باب المقابر ، وبنيت عليه قبة ، فله سلف وخؤولة في العلم والصلاح رضي الله عنهم (1) .

قلت والد المترجم هو أحد العلماء الذين هربوا للبوادي حيث أنهم لم يريدوا افتاء المأمون بن المنصور باعطاء العرائش للنصارى كما تقدم .

1263) عبد العزيز المراكشي

كان رحمه الله مواظبا على المجالس العلمية ، متمسكا بالطلب ، كانت وفاته ليلة الجمعة رابع عشر شوال من سنة ست وخمسين وألف 1056 ، ودفن يوم الجمعة بعد الصلاة ، وقد جمع الله له موت الغربة وموت الاسهال والحمى المفرطة وموت الجمعة (2) .

ذكره في تذكرة المحسنين .

1264) عبد العزيز الزمراني الشيخ كان متقشفا فارا بنفسه ، يركن الى المساجد الخالية ، كثير الذكر ، ترك ماله وأولاده بمراكش ، ثم رحل لفاس وأقام بجامع الاندلس منها عشر سنين لا يشعر به أحد الا المؤذنون ، وظن أهله أنه مات ، فجاء ولده لفاس يسأل عنه ، فرأى ولده قبل أن يراه الولد ، فهرب منه ، وقال انما تركته لله ، ثم خرج لقلعة بني حمادي فأقام بها مدة ، ثم سافر لدرعة فمات بها سنة احدى وسبعين وألف 1071 .

1) **نشر المثاني** 1 : 185

2) هنيئا له !

ذكره فى الصفوة ، وابتهاج القلوب ، والدرر المرصعة ، والحضيكي فى طبقاته ونشر المثانى .

1265) **عبد العزيز بن محمد بن عبد الله التاملي** الكاتب ، له من قصيدة يمدح بها محمد المأمون بن أحمد المنصور الذهبي :

تجلت بطاح الارض فى حلل خضر   بديعة وشي أتقنتْه يدُ القطـــــر

كان فقيهاً أديباً كاتبا ، ألف (طلائع اليمن والنجاح ، فيما اختص لمولانا الشيخ من الامداح) .

ذكره فى (المنتقى المقصور) و (الحسام المشرفي) (1) .

1266) **عبد العزيز بن محمد البوعبدلي المراكشي**

عبد العزيز بن الفقيه الاسعد السيد محمد بن أحمد بن بوعبدلـــي المراكشي ، قاضي الجماعة بمراكش ، العالم العلامة ، البحر الفهامة . حضر فتح البريجة مع السلطان سيدي محمد بن عبد الله ، وخطب به فى عيد الفطر حين كان محاصرا لها كما فى (الحلل البهيجة) .

وقال ابن المعطي فى مجموعه : عبد العزيز بن محمد قاضي القضاة ، وتاج مفرق الولاة ، النحرير ، المختص فى فن القضاء بمزيد التثبت والتحرير.

توفى رحمه الله افتتاح رجب عام اثنين وتسعين ومئة وألف 1192 .

وقال الضعيف فى تاريخه : ان المترجم كان قاضي مولاي عبد الله بمراكش ، وجعل وفاته فى رجب عام 1191 وحلاه بالفقيه السيد عبد العزيز البوعبدلي السكتاني المراكشي ، وقال الشيخ مرتضى فى معجمه ما نصه : عبد العزيز بن محمد بن أبي عبد الله السكتاني الشيخ الفاضل الفقيه .

---

1) ترجم المؤلف بعد هذا لعبد العزيز بن سيدى رحال الكوش نافلا عن **صفوة من انتشر** ص 204 وبمراجعة الصفوة ظهر أن المؤلف حصل له غلط فى النقل ، اذ المذكور فى تلك الصفحة هو أحمد بن عبد العزيز المصباحي تلميذ سيدى رحال ولذلك لم نثبت تلك الترجمة لانها غلط نشأ من ترجمتين لرجلين آخرين غير الرجل الذى عنونت به

1267) عبد العزيز بن أحمد المطاعي

عبد العزيز بن أحمد بن حمزة المطاعي المراكشي ، قاضي الجماعة بها ، أخذ عن العلامة سيدي أحمد بن عبد الله الرباطي ، وسيدي أحمد الحبيب وغيرهما ، وأنجب في العلوم ومهر ، وولاه السلطان قضاء الجماعة بمراكش ، فسار فيه سيرا حسنا ، ورد علينا حاجا في سنة 1196 فسمع الاولية والشعر مع جماعة ، وبعد عوده من الحجاز لازمني في أكثر الاوقات ، فسمع علي من أول الصحيح بقراءة العلامة محمد بن محمد بن عبد السلام بن ناصر الدرعي مع بحث واتقان وامعان ، وحمل عني بعد ذلك جملة من المسلسلات ، وحصل نسخة من (الجواهر المنيفة ، في أصول أدلة مذهب أبي حنيفة) من تأليفي وقرأه علي من أوله ، وكتبت له الاجازة الغراء الحاوية للاسانيد العالية ، وتوجه الى بلاده ، وهو اليوم عميد تلك الديار ، ومورد العلماء الاخيار ، يكاتبني كل عام بمراسلته ، ويشرفني بلذيذ مخاطبته ، انتهى من معجم الشيخ مرتضى الزبيدي ، وفي الطرة على هذا المحل بخط السيد عبد الحي الكتاني : ثم حج سنة ثلاث ومئتين وألف 1203 وفي ذي الحجة منها اجتمع مع مسند الحجاز الشيخ صالح الفلاني المدني وأخذ عنه ، وممن أخذ عنه أيضا الشيخ عمر بن عبد الرسول المكي تلميذ المؤلف بالمكاتبة ، فقد قال في اجازة له بعد أن ذكر اسم المترجم : أسمعني وأجازني بلفظه وخطه ، وممن أخذ عنه الشاب أحمد الدمهوجي وأجازه ، الا أني لا أدري أفي هذه الحجة أم في حجة ثالثة . انتهى .

وقال ابن عبد السلام الناصري في رحلته حين وصل رابغا انه سأله محبه في الله العلامة الدراكة ، القاضي عبد العزيز بن حمزة المراكشي وكان كرفيقه العلامة أحمد عبد الرحمان القضوي الدمناتي من أهل الدين والصلاح والمحبة لنا ولأسلافنا ، قائلا وكنا نترافق ليلا ونهارا ، وكان والله من الأفاضل الذين أبرزهم الوقت ، ثم ذكر عند الكلام على مَن لقي بمصر شيخه الشيخ مرتضى الزبيدي ، ثم أورد اجازة شيخه المذكور له ، وفيها : فأول ما سمعه من لفظي حديث الرحمة المسلسل بالأولية ، وحديث سلمة بن الاكوع وهو أول ثلاثيات البخاري املاء بسندهما ومتنهما ومن خرجهما من الأئمة بالموافقات

والابدال ، وقد كتب له ذلك بخط أحد السامعين لها في المجلس والتاريخ ، وهو الفقيه النبيه علي بن عبد البر بن علي الحسني الونائي الشافعي ، ثم سمع في عشية يوم الخميس لأربع بقين من صفر الخير من السنة الاولى يعني سنة سبع وتسعين ومئة وألف 1197 من كتاب الصحيح للامام محمد البخاري الى قوله بوادره ، ومن صحيح مسلم من أول كتاب الايمان الى ءاخر الباب ، وهو قوله بنحو حديثهم ، ومن سنن أبي داوود الى قوله الخبث والخبائث ، ومن سنن الترمذي الى قوله فلا تقتتلُنَّ بعدي ، ومن سنن النسائي المعروفة بالمجتبى الى باب كيف يستاك ، ومن سنن ابن ماجة الى قوله ليلها ونهارها سواء ، ومن مسند الامام الشافعي الى قوله ربما افضلت السباع كلها ، ومن مسند الامام أبي حنيفة تخريج الخوارزمي الى تمام الخطبة ، ومن موطأ امام دار الهجرة الى قوله وقت الجمعة ، كل ذلك بقراءة سيدنا المجاز المشار اليه، فسمع ذلك كله الجماعة السادة الفضلاء ، سيدنا الفقيه الدين الثقة العدل المرتضى ، قاضي الجماعة بمراكش عبد العزيز بن العباس بن حمزة المطاعي الفزاري ، وسيدنا الفقيه العدل الصالح الارضى ، قاضي الجماعة ، أحمد بن عبد الرحمان الدمناتي، وسيدنا الفقيه الصالح العالم المدرس، سلالة الاشراف، محمد بن مولانا محمد الهاشمي بن مولانا علي بن عبد الله ابن طاهر الحسني السجلماسي ، أدام الله فضلهم ، ونفع بعلومهم المسلمين ، انتهى المقصود .

ثم قال الناصري عند أيغالهم في مصر واشرافهم على منهل التميمي ما نصه : وقال في ذلك ـ يعني وقد رأى فتى بارعا في الحسن راكبا على فرس يسابق خلف جارح يغريه على غزال حتى تمكن منها ـ الدراكة الفهامة قاضي الجماعة بمراكش عبد العزيز :

بتميم رأيت بدراً تــــلا لا   راكباً صافناً ينــــــادي ألا لا
قد رمى مهجتي بسهم لحـــاظ   ليته قد سقاني عذبـــاً زلالا
أضرم في فؤدي نار هـــواه   فاعجبوا لغزال صاد غــــزالا

فراجعتهما يعني عبد العزيز والدمناتي المذكورين :

ألا فليمت بالعشق من كان غانيا ويترك أسباب الغزال وما يحكي
ويأتي رياض الذكر يجني أزاهرا يسلي فؤادا طالما صده يشكي

وكان ذلك غدوة وقت الاشتغال بالاذكار ، ثم راجعني أحمد المذكور على البديهة بقوله :

نغوص على در القوافي بفكرة ونسبك منها التبر في أحسن السبك
ونترك ما شأن الشريعة في الهدى فليس علينا فيه يرجع بالدرك

ثم نقل عن عبد العزيز المراكشي في حكمة قول الانسان بعد الفراغ من قضاء حاجته غفرانك كما ثبت ، ان الشارع وان أمر الانسان بشحة ذكر الله فيه فهو ذنب باعتبار فأمر لذلك بالاستغفار ، فباحثه بأنه أمر بالترك فامل فكيف يعد ذنبا يستغفر منه ، وأجاب عن ذلك الشريف سيدي محمد بن محمد الهاشمي الشهير بالصديق المتقدم الذكر بأن كفارة المجلس مطلوبة حتى في ختم مجالس الخير ، وفي عمل الطاعات ، فهذا من باب كفارة المجلس ، وهو حسن ملائم ، ثم قال لمَ أوتي بالواو بدل الفاء في قوله تعالى : (جاء الحق وزهق الباطل) ، الجواب أنه لو أتى بالفاء لاقتضت الآية أن الباطل كان ثابتا وليس كذلك ، اذ الباطل زاهق أولا وبالذات ، ولا يلزم من وجدانه ثبوته ، فافهم ، ولم أر من المعبرين ولا من المعربين مَن أشار اليه وهو ظاهر، ومن مستفاداتي عن عبد العزيز عن شيخه أحمد بن عبد الله الغربي الرباطي رحمه الله تعالى أنه حضر درس شيخه الامام سيدي سعيد العميري للتفسير بمكناسة الزيتون ، وهو يقرر في هذه الآية . فسأله سائل عن ذلك ، فأجابه على البديهة مع اختصار بقوله الباطل جفا وهو معنى ما أجبنا به ولله الحمد على الموافقة انتهى . وقال أيضا مَن اشترى أمة فظهر بها الجذري عنده أهو عيب قديم يوجب الردَّ على البائع . اذ الأصل فيه أنه بقية حيض في البطن تعذر به الجنين أم لا لانه من الامراض الهائجة على الانسان كغيره من سائر الطبائع. الجواب بعدم الرد ، فانه مصيبة من المبتاع ، الا ان سال عنه البائع فدلس قائلا نزل بها الجذري فبرئت منه ونحو ذلك ، وكان قبل عقد الشراء ، ولم يطلع عليه المبتاع الا بعد انعقاد البيع أو حدث بها بقرب انعقاد البيع كظهوره

يوم الشراء لان البائع يتهم أنه تفطن له لمقدمات ومخايل ، فعند ذلك يكون عيبا يوجب الرد على البائع .

ومن مستفاداتي من عبد العزيز انها نزلت بمكناسة الزيتون أيام السلطان مولانا اسماعيل رحمه الله فأفتى بها علماء وقته بذلك . وخالفهم فى ذلك السيد عبد الوهاب الدراق وكانت له خبرة تامة بالطب ، وقال انه عيب يوجب الرد محتجا بأن الفقهاء يستندون الى الاطباء فى العيوب ، وهم حكموا بأن أصله من غذاء الجنين فى البطن بالدم ، فصار عيباً لهذا المعنى ، وكتب فى ذلك رسالة سماها (هز السمهري ، فى الرد بالجذري) ، فقلت ان كان مدار رسالته على هذه الحجة فهي واضحة السقوط كما لا يخفى ، قال عبد العزيز وقعت عيني على نص للمالكية بموافقة ما للدراق ، قلت ولا إخال ذلك إلا لهم ان كان فيجب تقييده بما قررناه وبما اذا جرى عرف الناس يكرهون شراء من لم يصبهم الجذري ويزهدون فى شرائه وان كان فبثمن بخس ونحو ذلك . فيجب على البائع البيان حسبما تقرر فى الفقه المالكي ان الضابط فى العيب هو نقصان الثمن ، ثم ذكر أنه وقف لشيخه سيدي التاودي على أن الجذري لا يرد به ، لان الفقهاء انما اعتبروا فى الرد بالعيب قدمه لا قدم مادته ، وأيضا فالرد بما العادة السلامة منه ، وأنتم تقولون لا سلامة ، وأنشدني فى ذلك ويعني الباكور عبد العزيز لغيره والحديث شجون ، لبعض فقهاء مكناسة الزيتون ، وقد واعده صاحب بستان يجتمع معه لاكل الباكور ، فكتب له فى ذلك :

باكر الى الباكور وقت الغسق   واجن جناه فى دياجي الورق
ولا تثق بالوعد من أهله   فانهم من أجله فى قلق

وما ذكره الشيخ مرتضى من تسمية والد المترجم بأحمد فى معجمه خلاف ما ذكره الشيخ فى الاجازة المذكورة المتقدمة من رحلة الناصري من أن اسم والده العباس ، وقد وقفت على خط المترجم فى كثير من الشهادات على السلطان بتحبيس الكتب .

وممن سمع منه حديث الاولية المسند محمد بن محمد بصري المكناسي ، وهو أول حديث سمعه منه بشرطه بالحرم تجاه الكعبة المكرمة ، عن الحافظ الزبيدي مرتضى بشرطه بأسانيده ، ولما أراد أن يحج أعطاه السلطان سيدي محمد بن عبد الله ألف ريال .

1268) **عبد العزيز (عزوز) بن سعيد الوزكيتي** ، قائد قواد المنصور وباشته ، هو صاحب الدرب المنسوب اليه إلى الآن بالمواسين من مراكش ، وكان حظيا عند المنصور فيشاوره في المهمات ، وكان حازما لا يداهن في الامور ، ولما وقعت وقعة المامون بن أحمد المنصور المسمى محمد الشيخ وشاور المنصور في شأنه الحاضرين فلم يجبه أحد الا المترجم قال له الرأي ان نقتله فانه لا ينجبر امره ، ولا يرجى صلاحه وخيره ، وقد رأيت ما صنع ، فلم يعجب المنصور ذلك وقال كيف اقتل ولدي ؟ فبعث بالتضييق على الشيخ والزيادة عليه في ذلك (1) .

والمترجم هو الذى كان بعثه المنصور ليأتي بالمامون المذكور من فاس ليجدد له البيعة على إخوته (2) .

1269) **عبد العزيز بن محمد بن أبي عبد الله السكتاني** الشيخ الفاضل الفقيه ، تولى قضاء الجماعة بمراكش ، قدم علينا سنة 1190 حاجا ونزل في درب الدليل بالقرب من حياض الموصلي ، فدخلت للسلام عليه ، فطلب مني سماع شيء من الحديث ، فسمع الاولية والاول من ثلاثيات البخاري ، وحديث انما الاعمال بالنيات ، والمسلسل بالجيب ، وحديث سعد بن زيد أحد العشر ، وسمع منه والده محمد المعطي ومحمد الاكبر وجماعة آخرون ، وكتبت له الاجازة ، ثم لما ارتحل الى انابة وهو متوجه الى بلاده وصلت اليه لوداعه ،

---

1) **الاستقصا** 5 : 178 طبع الدار البيضاء

2) جدد السلطان أحمد المنصور البيعة لولده محمد الشيخ الملقب بالمامون في شوال عام 992 هـ واخذها له مرة ثانية على اخوته ، لانهم كانوا في البيعة الاولى دون البلوغ (الاستقصا 5 : 116)

وهو من أكابر الفضلاء صاحب جاه وصيت ، بلغني أنه توفي بمراكش فى سنة 1192 ، وبعض فتاويه فى نوازل السجلماسي ، راجع العمل الفاسي ، وراجع ص 15 من ج 10 من المعيار الجديد .

1270) **عبد الغالب بن يوسف السالمي** المتكلم على مذهب أهل السنة من الاشعرية ، أخذ عن ابن شيرين القاضي وغيره ، وأخذ عنه الناس كثيرا ، وكان خيرا فاضلا مشتغلا بعلمه اماما ، له فيه تصانيف كثيرة ملاح ، صحبته كثيرا ببيته مدة مقامه بها ، وناولني كثيرا من مجموعاته ، ثم انتقل الى المغرب فتوفي فيه بمدينة مراكش سنة ست عشرة 516 ، وكان الفقيه أبو الطيب السفاقسي يثني عليه كثيرا ويفضله ويصفه بسعة العلم فى بابه والمعرفة ، وقد كتب هو وأبو الحجاج الضرير كتابه فى اختصار الهداية والشامل المسمى بأنوار الحقائق ، وأسرار الدقائق ، وقد ولي الخطبة وصلاة الجمعة عندنا بسبتة مدة مديدة رحمه الله تعالى ، وقال له القاضي عياض فى الغنية ، واختصر ابن بشكوال ترجمته فى الصلة نقلا عنه قائلا : وكان عالما بالاصول والاعتقادات ، وان السالمي نسبة الى مدينة سالم بالاندلس ، قال بعضهم وهي التى دفن فيها المنصور ابن أبى عامر (1) .

1271) **عبد الغفار بن يوسف البلكدوي**

الكرني المراكشي ، الفقيه النحوي الاديب ، صاحب شرح المرشد المعين المطبوع بفاس عام ثمانية عشر وثلاثمئة وألف .

1272) **عبد الغفور بن يوسف الأيلاني** من أهل تاكاترت من بلد أيلان ، ومات بأغمات وريكة وقت طلوع الفجر من يوم الثلاثاء لست خلون من رمضان المعظم سنة ست وثمانين وخمسمئة 586 وكان رجلا صالحا ، درس الفقه بأغمات على القاضي حجاج بن يوسف .

---

1) الصلة ص 388 ع 835

قال فى التشموف : حدثني اسماعيل بن عبد العزيز بن ياسين قال ، حدثني محمد بن الامان الجزولي المعلم قال : كان عند اخوة عبد الغفور صك بالحمل على البر والرعاية ، فكتب بعضهم فى البعوث ، فتكلف عبد الغفور بسبب ذلك الوصول الى مراكش واستشفع فيه فلم تقبل شفاعته ، فبـات عندي مغموما من أجل ذلك ، ثم قال لو كنا فوضنا أمرنا الى الله تعالى لكفانا ، فلما ركنت الى الخلق عجزني ، والله ان وصلت داري لامزقن الصك ولأردنَّ أمري الى الله تعالى ، فذهب الى داره بأيلان ، فجمع الناس صبيحة تلك الليلة وقيل لهم : لا يكتب أحد فى العسكر من هيلانة ولا من هزميرة ولا من وريكة ، فاعفوا من ذلك حينئذ .

وحدثني عبد الله بن موسى قال : ضلت رمكة لعبد الغفور فذهبنا فى طلبها فوجدناها ترعى فى مرج والأسد رابض على القرب منها ، فلما رءانا الاسد ذهب وأتينا بالرمكة .

قال عبد الله بن موسى وذهبت مع عبد الغفور الى أغمات ، فمررنا بقوم مجتمعين على قتل الجراد ، فقاموا الى عبد الغفور وشكوا له ما نزل بهم من الجراد ، فقال لهم لعل الله يصرفه عنكم حتى لا تعلموا هل غاص فى الارض أم صعد الى السماء ، فدعا لهم وانصرفنا ، فرجعت من أغمات فى اليوم الثاني فمررت بأولئك القوم فقالوا اقرأ سلامنا على الفقيه عبد الغفور ، وأعلمْه أن الله تعالى قد أراحنا من الجراد ، ولقد تفقدنا الفدادين والجنات فما وجدنـا جرادة ، فلا نعلم هل غاص فى الارض أم صعد السماء .

قال عبد الله بن موسى : وبت ليلة عند عبد الغفور ، فرأيت فى النوم بعيرا برك عند باب داره ، فجاء وركبه وتوجه به الى أغمات ، فاخبرت بذلك بعض قرابته ، فنظروا فى كتب التعبير فاذا تأويله انه يسافر سفرا بعيدا ، فقصصتها عليه فسكت ولم يقل شيئاً لي ، فأقمنا مدة بعد ذلك فذهبنا الـى أغمات وريكة ، فجلست معه بداره فى يوم الجمعة ، فتأخر عن التهجير المعتاد منه ، ثم توضأ وخرج الى الجامع ، فخرجت فى أثره فالتفت يمينا وشمالا ثم ير أحدا ، فقال لى ياعبد الله هذا أوان تفسير رؤياك ،فما انصرف من صلاة

الجمعة الا والحمى ترعده ، فأتى منزله وأوصى ، وقال لهم : تأهبوا لوصول الناس غدا لحضور جنازتي ، فمات رحمه الله تعالى بالليل ، فوالله ما أصبحنا حتى جاء الاخيار والصالحون عن مواضع بعيدة ولا نعلم من أعلمهم بذلك ، فدفناه بمقبرة أغمات وريكة ، فنام بعض الصالحين من أهل أغمات فرأى أباه في النوم وكان قد مات منذ زمان طويل ، فسأله عن عبد الغفور ، فقال من يراه ومن يدركه ، فقال له ياأبت ألم تكن اكثر منه اجتهادا ؟ وكان وقتك أصفى من وقته ؟ فقال له نعم ، ولكن صادف وقتا يشق فيه التحفظ ، فاجتهد حتى وصل، ونحن لم نحتج الى كبير تحفظ ، فلذلك زاد مقامه على مقامي (1) .

1273) **عبد القادر ابن السلطان الشيخ السعدي الحسني** ، وزير أبيه، توفي سنة 959 ذكره في النزهة ، وتقدم ذكر ولد هذا الوزير محمد وزير عمه عبد الله الغالب بالله .

1274) **عبد القادر بن أحمد بن بلقاسم الفشتالي** اليزيدي الكاتب ، ولد سنة أربع وستين وتسعمئة 964 كاتب الواثق أبى فارس بن أحمد المنصور، فقال فيه مما كتب على نجاد سيفه :

أتيه وأزري بكل نجـــــــاد　　يروق على حلية اللابـــــس
اذا كنت يوم الوغى محمـــلا　　لعضب حكى شعلة القابـــس
على عاتق الملك المرتضـــى　　سليل الوصيّ أبي فــــارس

وله قصيدة في تهنئته من مرضه مطلعها :

لما أعاد الله صحتك التـــي　　من فقدها فُقِد الكرى بمحاجـر
سرت البشائر في الورى وتسابقت　　خيلُ السرور لكل قلب حائـر

1275) **عبد القادر المكنى ذا المارستان** الشيخ الفاضل ، لقيه المولى الصالح سيدي علي بن عبد الرحمان الدرعي رضي الله عنهما بمراكش وزاره كما يأتي في ترجمته نقلا عن دوحة البستان . وقال في الصفوة : عبد القادر

---

1) الترجمة منقولة من **التشوف** ص 239 ع 104

صاحب المارستان الشيخ المجذوب ، من الملامتية ، وذوي الفراسة الصادقة، كان مقيما ببيت من بيوت المارستان ، وفى عنقه سلسلة كهيأة مَن خرج عقله، الا أن الناس يقصدون زيارته فيتكلم لهم بخوارق العادات ، يأتيه الشيخ فيقف قبالته ويقول له ياسيدي ان فلانا يقرئك السلام ، فيخبره بما وقع أو يقع لذلك الشخص من خير أوشر ، وذلك دأبه مع كل مَن أتاه فلا يخطيء فى شيء مما يخبر به .

أخذ عن الشيخ سيدي ابراهيم بن أحمد بن عبد الله بن حسين المتقدم، ويحكى أنه كان خرازا فخرج مع رجلين لزيارة الشيخ المذكور ، فلما كانوا ببعض الطريق تذاكروا بينهم فى نياتهم فى تلك الزيارة ، فقال احدهم مرادي ءاكل عند الشيخ طعاما رفيعا سماه ، وقال الآخر أردت أن يعطيني حفنة من الدراهم ، قال سيدي عبد القادر مرادي أن يغيِّبني فى الله ، فلما جلسوا بين يدي الشيخ كاشفهم ، فأخرج ذلك الطعام بعينه ، وقال لمشتهيه هذا حظك من زيارتك ، ثم أخذ درهما فجعله على ابهامه وحرف به للسقف فسقطت من السقف حفنة من الدراهم ، فقال للآخر هذه حاجتك فخذها ، ثم التفت لصاحب الترجمة فضمه فغاب عن حسه ثلاثة أيام ، ثم أفاق وقد غلب على حسه ، فكان منه ما كان .

توفي رحمه الله بالطاعون العام فى حدود التسعين وألف 1090 وقبره خارج باب الدباغ شهير (1) .

1276) **عبد القادر المدعو الجيلالي الاسحاقي** ، من أعيان الدولة الاسماعيلية المغربية ، الكاتب المؤرخ النسابة ، ألف رحلة حجازية دون فيها حجة الاميرة خناثة بنت بكار زوجة سلطان المغرب المولى اسماعيل بن الشريف العلوي ، وهذه الرحلة موجود الجزء الاول منها بخزانة القرويين بفاس (2) .

---

1) **صفوة من انتشر** ص 188

2) توفى بعد رجوعه من الحج بعد سنة 1150 ينظر عنه أيضا **اتحاف اعلام الناس** 5 : 230

1277) عبد القادر بن عبد الرحمان الشريف المراكشي العبدسلامي الساكن بالقصور من مراكش ، كان مقتفيا ءاثار ءابائه فى المفاخر ، ذكره ابن عبد الصادق فى فتح العليم الخبير .

1278) عبد القادر بن محمد الهزروم المهدي التطواني كاتب السلطان سيدي محمد بن عبد الله العلوي ، أخذ عن العلامة سيدي عبد السلام بن العلامة سيدي محمد ابن قريش ، وقفت على كناش كله مملوء بفوائده التى قيدها فى حوادث دولة مخدومه المذكور ، قال فيه : وفى 25 من شوال عام 1199 كنـا بحضرة مولانا أمير المومنين سيدي محمد بن عبد الله فى عرصة النيل ، وأمر بشرب الأتاي لمَن كان أمامه من طلبته ، فشرع الساقي يسقي وكان عن يساره ، وكان عن يمين الساقي الاديب السيد حمدون ابن الحاج ، وعن يسار الساقي الزوين ، فقال له أمير المومنين : أما تخاف من الشاعر يهجوك وهو عن يمينك ؟ فمكث ساعة فقال له نصره الله : ياحمدون ما لك سكتت ولم تنشد على ميمون شيئاً ما يتأدب به ، لانه خالف الحديث ، وخالف عادة الاجاويد ، فان الناس يعظمون الاضياف وينزلون الناس على قدر منازلهم وهو لم يفقه شيئا من هذا المعنى ، فأنشد السيد حمدون ابن الحاج بديهة (وافر) :

صددتَ الكاس ياميمون عنـــا … وكان الكاسُ مجراها اليمينـــا
ولم تعمل بحكم الشرع فينـــا … كما حلاه خيرُ المرسلينـــا
رسول الله فيما صح عنـــه … من أنه قال تُوليها يمينـــا
ويكفى فى . . . كما سمعنـــا … عن الحبر ابن عباس مُبينـــا
من أنه كان وهو صغير ســن … يمينَ رسول ربِّ العالمينـــا
وصاحبه أبا بكر يســـارا … وقد حضر الشراب له معينـــا
فناوله بعيد أن تــــروى … وقال حقيق أنت بها يقينـــا
وان توثر سوانا به فغضـــل … تنال به ثواب المؤثرينـــا
فوثر لست أقسم من ســوادي … بحظ منك برٍّ به يقينـــا
وأعجب منك ياميمون اذ لـــم … يكن هذا ببالك مستبينـــا

وأنت بمجلس يزهو أمينـــــا بمولانا أمير المومنينـــــا
محمد بن عبد الله مَن لـــــمْ يزل يبدي لنا العلم المتينـــــا
ولم يعرف لها من قبل ذكـــــر ولا طرقت بأذن المسامعينـــا
به طلعت شموس فى سمـــــاء بأقصى مغرب للناظرينـــــا
ونصر الله واقع في سيـــــوف له فيها حتوف الكافرينـــــا
ويخزيهم وينصركم عليهـــــم ويشف صدور قوم مومنينـــــا
أدام الله نصره فى ازديـــــاد وأجزله ثواب المحسنينـــــا

فأهدى له ميمون هدية باذن السلطان ، ومنحه السلطان حلة سكرية من لباسه ، وبغلة بسرجها .

ثم قال ومن البسيط من كلام سيدي عبد الكريم الورديغي لما رحنا من دمنات :

رحنا وراح الحيا لأهل دمنـــات فكمّل الله أنواع المســـرات
بتنا بها ليلة جاد الزمان بهـــا مع الأحبة فى أنعم حـــالات
فدمعنا ودموع الغيث هاميـــة من السرور بأنفس الهنيـــات
وكيف لا وأبو العباس أعـدل مَن قضا بها فى الزمان الماضي والآتي
فى صدر مجلسه كالشمس فى حمل أو مثل بدر الدجا فى وسط هالات
وقاضي فطواكة أحمد مَن نظمت به المحاسن فى سلك الافـــادات
يلقى المحاسن من علم ومـن أدب بلين لفظ وألطف عبـــارات
ياحسنها ليلة لو انها وقيـــت شر انتقاص وحفت بالزيـــادات
لا شيء للنفس أشهى من مذاكرة مع الافاضل فى علم الديانـــات
لا غيّب الله عنا وجه ذي مقـــة من أهل فطواكة وأهل دمنـــات

فأجابه الاديب سيدي محمد بن عبد الله الدمناتي بقوله :

رحتم وراحت الى الأرواح راحتنا وراحة الوبل تهدي ذرها العالـــي
فروح دمنات لم ينفك فى مـــدد اذ جاءها الوبل مصحوبا بأمثـــال
لذاك شمخت وارخت عن ذوائبهـــا تجر أذيالها فى زيها العالـــي

تمرُّ من كمها المخضر أنملـــة | تشير أن فاعذروني ياذوي البـال
وقد قرتكم من الكافات ثالثهـا | وتبتغي العذر فى المتلو والتالـي
غنتكم من دويٍّ الماء فى هـدر | فأنعموا بين هدار وهطـال
هذا وان طيورا في جوانبهـا | غنت ورنت بقلب مطرب سـال
تقول بيتا يسرُّ القلب مسمعـه | وينجلي حزني منه وأهوالـي
لا أبعد الله هذا الركب من حرمـي | من كل ورديغي وكلٍّ دكالـي
شفعتها وصميم القلب يقدمهـا | تحية من ضعيف القول والحـال

1279) **عبد القادر المراكشي** الفقيه الاجل ، الخير الافضل ، التالي لكتاب الله على كل وجه ، كان يؤدب بنات مولانا سليمان ، وكان وليا صالحاً زاهداً ورعا متقشفا قانعاً بالدون الى أن لقي الله تعالى ، ودفن بروضة مولاي أحمد بن علي الوزاني ، وبنيت عليه قبة عظيمة رضي الله عنه ونفعنا به ءامين .

ذكره فى مختصر ابن عيشون ، وقال الزياني عند ذكر شيوخ مولانا سليمان : والفقيه العلامة السيد عبد القادر المراكشي أصلا التازي استيطانا .

1280) **عبد القادر بن أحمد الدباغ المراكشي** ، الفقيه المدرس الكامل، مفتي الديار المراكشية ونواحيها ، العلامة ، عده فى (الحسام المشرفي) من أشياخ سيدي محمد بن عبد الرحمان فى قراءة الصحيح فى الاشهر الثلاثة الفاضلة وقت خلافته الصغرى ، فكـان رحمه الله يدرس التفسير والحكـم العطائية ، أخذ عنه السيد علي ابن الفاضل ، والفاضل أحمد بن العربي الكيري أصلا العبدي منشأ ، الآسفي موطنا ، المتوفى بعد سنة 1260 ، وكان القاضي سيدي محمد بن العربي عاشور يأتيه لمنزله ليستفهمه عن القضايا ، وذكر فى (المجد الطارف والتالد) أن المترجم توفي فى رجب سنة خمس وستيـن ومئتين وألف ، ودفن عن يمين قبة الولي الصالح سيدي يوسف بن علي خارج باب أغمات ، وحلاه بمحبنا الفقيه العلامة المفتي ، ووقفت على بعض فتاويه فى قضايا عام خمس وخمسين بخطه الحسن، وتقدمت ترجمة أخيه عبد الخالق (1).

1) انظر ص 53 ع 1076 من هذا الجزء

1281) عبد القادر (قدور) بن محمد العلمي

عبد القادر المدعو قدور بن محمد بن أحمد بن قاسم الطالبي العبد السلامي المشيشي العلمي المتوفى عن سن عالية تزيد على المئة والعشرين سنة ليلة الاثنين قبيل الفجر بساعة مكانة 26 رمضان عام ألف ومئتين وست وستين 1266 ودفن بزاويته الشهيرة به بمكناسة الزيتون بحومة سيدي أبي الطيب ، العارف الكبير ، البركة الشهير بالكرامات الكبيرة ، والمناقب الشهيرة ، والخيرات الجزيلة ، نشأ رضي الله تعالى عنه فى عفة وعفاف ، والتخلق بأجمل الاوصاف ، لا يعرف لعبا ولا لهوا ولا ما يرجع لامور الدنيا وزينتها ، سيدا حصورا لم يحتلم قط ! حدثني العالم المشارك المعمر الوجيه شيخ الجماعة بمكناسة وفارس التدريس بها ، محمد فضول ابن الفقيه المدرس المسن المكي السوسي ثم المكناسي المتوفى بعد عصر يوم الاحد سادس ربيع الثاني عام عشرين بعد الثلاثمئة وألف ودفن بالزاوية الناصرية منه أنه شافهه الشيخ المترجم بأنه لم يدر لذة الجماع قط طول عمره ، ولم يزل كما ذكر الي أن أدرك مقام الكاملين ، وغاية درجة الواصلين (1) ذكر شيخنا الامام الوالد رضي الله تعالى عنه فى ترجمة الولي العارف سيدي عبد السلام بن علي بن ريسون الحسني فى كتابه (المشرب النفيس) أنه شاع بلوغه رتبة القطبانية ، ثم قال ما نصه : أخبرني بعض الثقات أنه لقي رجلا متبحرا فى علم التنجيم ، وكان من مهارة علمه به أنه كان يعرف نجم القطب ، ففي أي محل يكون القطب يكون ذلك النجم فيه ، وأنه كان بوزان لما كان فيه سيدي الحاج العربي رضي الله عنه ، ثم بمكناس لما كان فيه سيدي قدور رضي الله تعالى عنه ، ثم بتطوان لما ظهر فيه سيدي عبد السلام رضي الله تعالى عنه . انتهى بلفظه .

---

1) ان كان هذا صحيحا فلا شك فى ان المترجم كان مصابا بعقدة نفسانية أو عاهة جسمانية عاقت أعضاءه عن ممارسة وظائفها الفيسيولوجية الغريزية ، ومقامات الكاملين ودرجات الواصلين لا يحول دونها الزواج ، والنبى محمد ، سيد الاولياء وصفوة الاصفياء عليه السلام كان يصلي وينام ، ويصوم ويفطر ، ويتزوج النساء ، ومن رغب عن سنته فليس منه

ومن مبيضة : كان كثير اللهج والذكر لقطب المغرب سيدنا ادريس الاكبر ، وله فيه عدة أماديح على طريقة أهل الملحون صرح فيها بقطبانيته بل بغوثانيته ولازم عتبته مدة من السنين ، فكان يشتهر بأن الفتح انما وقع له على يديه ، ومنبئاً عما شاهده من عظيم مكانته ورتبته فى الولاية ، وان كان رضي الله تعالى عنه قد لقي فى بداية أمره جماعة من الاولياء ، وجملة وافرة من الاصفياء ، منهم الشيخ العارف الكبير علي بن عبد الرحمان بن محمد بن علي بن ابراهيم بن عبد الرحمان بن محمد بن علي بن ابراهيم بن عبد الرحمان بن محمد بن علي بن ابراهيم بن عمران الشريف الحسني العمراني الملقب بالجمل ، وعند الملائكة بالجمال ، المتوفى تاسع وعشري ربيع الاول سنة أربع وتسعين ومئة وألف عن مئة سنة وستة أعوام فأزيد ، كان يجالسه كثيرا وانتفع بصحبته ، وشيخ أفاقي اسمه بدر الدين أتى اليه بقصد تربيته ، فكان يلقنه الذكر الى أن تم فطامه وذهب الى حال سبيله من غير أن يعلم بهما أحد ، والعارف الكبير الورع ، حمادي بن عبد الواحد الحمادي الشهير بالمكناسي المتوفى فى أثناء القرن الثالث عشر ودفن قريبا من وادي الزيتون بفاس كما تلقيت لقنه بالاولين من تلميذه محمد بن المكي السوسي المذكور قريبا سمع ذلك من تلميذه وملازمه الفقيه الكاتب ، الطبيب الماهر المسن البركة المرحوم محمد غريط المكناسي الولادة والاستيطان ، المراكشي الوفاة والمدفن ، قال لي السيد فضول ولم أسأل الشيخ مباشرة عن شيخي لصغري حينئذ لا أعلم أنه لا بد للشيخ من شيخ كما انه لا بد للأب من جد ، فقلت – أي المؤلف – له على البديهة الا مَن كان كسيدنا عيسى وسيدنا ءادم عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام . فانهما لا أب لهما فأحرى الجد . وأشرت له بذلك الى أن من المشايخ مَن يكون فطامه على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحتاج الى شيخ كابراهيم الدسوقي وغيره ، ففهم وسكت رحمه الله تعالى ، وقد انتفع به هذا الشيخ ، وكل ما كان فيه ببركته كالذي حدث عنه محمد غريط . ويقال ان له فيه مؤلفا خاصا ومنظومة جيدة .

قلت أما المنظومة فرأيتها وبعضها عندي يزيد على الكراسة وهي من بحر الرجز ، قال فيها :

وان من فضل الالاه كان لــــــي محسن عشرتي بحسن العمـــــل
سايرني بحسن خلقه علـــــى جهلي ويهديني الى الله عـــــلا

الى أن قال :

حتى قضى بقرب فجر الاثنيـــــن ليلة يوم سادس وعشريـــــن
من رمضان ستة وستيـــــن وألف اثر مئتين اثنتيـــــن

وهي طويلة أصاب فيها جزاه الله تعالى خيرا ، وأبقى الخير فى عقبه ياذا الجلال والاكرام ، وهو كما قلنا أحد من انتفع بصاحب الترجمة ، ونال الخير الجزيل منه . انتهى من (مواهب الرحمان) .

دخل المترجم مراكش وذكر فى (الارتجال) أنه قال له المترجم أنه مكث بضعا وعشرين سنة بمراكش ، وكل يوم يزور سبعة رجال أو يزور الاربعة المتقاربة من أبى العباس الى الغزواني أو يقتصر على السبتي . انتهى. وسكن فى المصرية التى بباب الثلاثة فحول مجاورة ضريح الشيخ التبـاع بمراكش نحو ثلاثة عشر عاما .

وقال فى (الحسام المشرفي) وكل من توسل به ـ يعنى مولانـا ادريس الازهر ـ أو بأبيه نال مراده ، وبلغ ما أراده ، ألا ترى أن ياقوتة زمانه العارف بالله سيدي قدور العلمي أشار بل صرح فى غير ما موضع من توسله المعلوم أنه نال الولاية بمداومة زيارته لضريح مولانا ادريس الاكبر بزرهون ، وانعقد الاجماع منذ قرون خلت على أنه كعبة الطالبين للدنيا والآخرة ، وسارت بذلك الركبان للمشرق وأقصى المغرب ، فسبب ذلك صارت الرحال تشد الى زيارته من أقاصي البلدان في كل وقت وأوان ، والى ضريح ولده بمدينة فاس ، الى أن أظهر الله حفيده الاسنى . الدخيرة الفاخرة الحسني ، قطب دائرة أهل الله بالمغرب ، مولانا عبد السلام ابن مشيش ، فكان ثالثهما ، وشاع خبره شرقا وقبلة وجوفا وذاع ، وعم نفعه وانتشر ظل خيره فى سائر الآفاق والبقاع، حتى قطع بعض من شرح الصلاة المشيشية باجابة الدعاء عند قبر ابن مشيش وأنشدوا :

واطلب بقبر ابن مشيش ما تريـد   تناله وان يكن منك بعيــــــــد

وأما زاوية القطب الرباني ، والغوث الصمداني ، شفاء سقمي وألمي ، سيدي قدور العلمي ، فهي التى ابتهجت بها هذه المدينة ، وصاحبها هو الذى هذب أخلاق أهلها وأدبهم وعلمهم حسن الطرق بما دارسه وكثرت محبتهم فى رسول الله عليه الصلاة والسلام وطالت حياته بين أظهرهم وتمسكوا عنه بما جمَّل الله به بواطنهم وظواهرهم حتى ألفوا النسك والعبادة ، وزين ذلك فى قلوبهم وكره اليهم الفسوق والعصيان ، كان منفردا بعبادة ربه ، أظهره مولاه علما مفردا يأتي الناس لزيارته من كل فج عميق ، من حواضر الاقطار وبواديها أفواجا أفواجا ، وقاصدوه لا يرجعون بالخيبة كائنا ما كانوا ، حلاه الله بكرامات خارقة للعادات ، وبقيت ظاهرة لمَن زاره بعد الممات ، فزاويته اليوم هــي أعظم الزوايا ، تشد الى زيارتها الرحال على المطايا ، وبنيت على ضريح قبره قبة فى أبدع شكل وأتم بناء ، وبجنبها من جميع جهاتها جامــع بني للصلاة المفروضة ، وفيه تقام صلاة الجمعة ، يصلي مع المصلين مَن كان مواجهــا لضريحه الشريف ، ولا يدخل لقبره الا وقت الزيارة ، وما مثل زاويته اليوم الا زاوية مولانا ادريس الاكبر ، وزاوية مولانا ادريس الاصغر ، وزاوية أبي العباس السبتي بمراكشة ، وكان من عباد الله الصالحين أهل العطاء والمنع والضرر والنفع ، وله قصائد عديدة فى ملحون الشعر تتلا فى حضرة الملوك ، وتنشد فى مجالس السرور ، وتسر بها الاسماع ، ويطيب بذكرها وانشادها السماع ، احتوت على توحيد عظيم ، ويتغزل بالخمر والنساء وما حل نطاقا لامرأة من صغره لكبره ، والله اعلم ، وله استغاثات وتوسلات بأولياء الله ، فقصيدته فى مولانا ادريس الاكبر مشهورة صرح فيها غير ما مرة بأنه عمر من زيارته ، وكان يوالي زيارته الايام والاشهر والسنين ، وربما صلى أربعين جمعة متوالية فى ضريحه ، ولم يتخل عنه فى هذا العهد الا حين عجز وضعفت قواه ، وله قصيدة أيضا على ضامن مكناس سيدي أبي زكري ، وقصيدة جليلة أيضا على مولاي عبد الله بن أحمد دفين خارج باب البرادعيين ، وله قصائد فى ظلام الليل وصباحه ضمنها علم التصوف ، فالليلة ضمنها الخلو بالحبيب والانفراد به والاشتغال بعبادته ، والصبحية ضمنها أن ذلك الوقت تحلو فيه منادمة بين

الخليل وشرب الخمر الازلية التى تدب فى أعضائه ويجد بها راحة فى سائر نهاره ، وكان من أهل الكشف الحقيقي والسر المصون ، عمر اناسا ودعا لهم بخير فهم على حالة حسنة الى الآن يجدون فيها لذة الراحة ، جئته يوما أزوره واشتريت بالدين شمعة كبيرة لم يحضرني ثمنها ، لكن أنزلت فى ثمنها كتابا لي ودخلت عليه فى رغبة وشوق ، فلما رءاني قال مرحبا مرحبا بتكرير اللفظ، ولكن لا تجلس عندي الا اذا رددت الشمعة لصاحبها ، فامتثلت أمره ، وكان كثير المحاورة للزوار ، ويلتفت الي المرة بعد المرة وهو يومئذ مستلق على قفاه فوق أعواد ، ولا يلتفت للناس الا برأسه ، حتى اذا جن الليل وخف الزوار من عنده أخرجت له قصيدته المعروفة بالتوسل ، وهي التى فيها :

ما انتاش عاجز نرجوك ياالجليــل ما انتاش غايب تعذر ياالمولــــى

وقلت له ياسيدي فاتتني الخدمة لك بيدي اردت أن أخدمك بقلبي ، ايذن لي فى شرح هذا التوسل ومرادي أن نذكر مناقبه وجملة من كراماته ، فأمرني بقراءتها عليه وهو ساكت ، فلما اكملتها قال لي : مَن قال هذه القصيدة هي لي ؟ ولم يقل ما قلتها ولا ليست لي ، بل مهما كررت عليه قولته فى شأن شرحها يقول مَن قال هي لي؟ ويسكت،فلما ألححت عليه في القول قال لي: نم وغداً ان شاء الله يظهر لنا ولك ما يكون عند الله ، فنمت الى الصباح وجد الفار في أكل سواد الصحيفة دون بياضها ، فسكتت وما سألته بعد ذلك الا ما يكون من أمر الدعاء الصالح فدعا لي بخير ولذريتي ، فالله ينفعنا والمومنين بصالح دعواته . وكنت اذا ذكرت له الغربة وتحولي من بلادي يقول لي رضي الله عنه لا غربة لمسلم ببلاد الاسلام ، فاستفدت من مقالته هذه أمورا انشرح لها صدري واطمأن بمعضلاتها قلبي ، والحمد لله ، وبعد موته بكثير زرته فقال لي عبد الله يأخذ بيد عبد الله ، وما تفعلوا من خير يعلمه الله ، فلما استيقظت من منامي لم يظهر لي تفسيرها الا بعد مدة مديدة ظهرت مخائل كلامه نفعنا الله والمسلميـن ببركته ، فالله سبحانه أولاه فى حياته وبعد مماته الشفقة لعباد الله ، والرأفة والحنان ، ولاسيما مَن تكرم الله عليه بعطفته ، ومن كراماته أنه كان عطوفا على أصحابه لا يعنت العاصي منهم ولو كان على غير طريق ، ويدعو له بالهداية

ويسكت ، والحالة التى كان عليها فى الحياة هي التى عليها والله أعلم بعـد الممات ، فله التصرف التام حيا وميتا ، فقد شاهد المصدقون ومَن لهم فيه نية كبيرة عند زيارته ما يتعجب منه المتعجبون ، اما أنهم يرونه فى عالم المنام ، ويخاطبهم بالمرام ، واما أن يذهبوا بحاجتهم بنفس الزيارة لغيره ، وكيف يخاف عبد زار وليا تولاه الله له وأرشده لهداه ؟ فشد يدك أيها الانسان على زيارته ما أمكنك ، فهو الذى يظفرك بحاجتك ، والواسطة العظمى بينك وبين ربك .

لا تسترب فى كرامات يخصُّ بها — مَن اتقى الله فى سر واعـــلان

وما نبهناك حتى شاهدنا عطفته .

لا لا أبوح بحب عزة انهـــا — أخذتْ علي مواثقا وعهـــودا

أدركنا الله برضاه ، ولطف بي فيما قدره وقضاه ، ءامين .

وقال له محمد التاودي السقاط فى بعض زياراته له ياسيدي بـالله عليك لا تنسني ، فقال : مسكين ، كيف لي أن أنساك أو ننسى كل مَن أتى الي ، وحكى فى كتابه (خرق العوائد) عن بعض أصحاب المترجم أنه قدم على الشيخ ذات يوم يستأذن فى زيارة سبعة رجال بمراكش ، فقال له الشيخ رضي الله عنه ألك حاجة بمراكش ؟ أو لك سلعة تريد بيعها هنالك ؟ قال لا شيء لي من ذلك ، غير أنه تعلق القلب عني بزيارة أولئك السادات الكرام ،ولا أريد غير ذلك ، قال مهلا عليك ، سوف تزورهم ان شاء الله قريبا ، قال بينما هو يتحدث مع الشيخ فى ذلك واذا بالباب يدق فذهبت السيدة هنية لتنظر مَن بالباب ، واذا بهم سبعة رجال قدموا من مراكش أتوا لزيارة الشيخ رضي الله عنه ، فأذن لهم فدخلوا على الشيخ وجلسوا بين يديه يتحدثون معه ، فقال كلاما لم يفهمه أحد ، ثم التفت اليهم رضي الله عنه وقال : ان هذا الرجل القاعد معكم هو من أصحابي ، وقد تعلق القلب منه بزيارتكم فادعوا له فدعوا له وانصرفوا لحالهم ، وكان رضي الله عنه يحث على زيارة الصالحين ويذكر مناقبهم وكراماتهم ويحث على محبة الامير والدعاء له فى كل وقت ، وكان مواظبا على صلاة الجمعة بالزاوية الزرهونية الادريسية سنين عديدة ، ولا يشرب ماء من الجمعة الى

الجمعة الآتية الا من خصة الصحن الكبرى التى بضريح مولانا ادريس . وكان تنخرق له العادات ، واعتراه رضي الله عنه غيبة قطع فيها الكلام ثلاثة أيام لم يذق فيها طعاما ولا شرابا من مرض أشرف فيه على الموت . ثم قال ان الاخيار الكبار كلهم قد اتفقوا والحمد لله على احترام روضتنا السعيدة بأنها من حرمات الله ، وكان يحض أصحابه على التقوى قلبا وقالبا .

توفي رضي الله عنه بقرب فجر الاثنين ليلة سادس وعشري رمضان عام ستة وستين بعد المئتين والألف 1266، وقد ذكر في كتاب (خرق العوائد) كثيرا من أحوال المترجم والوقائع التي وقعت له معه والمرائي وغير ذلك ، وصرح المترجم في غير ما موضع من توسله المعلوم انه نال الولاية بمداومة زيارته لضريح مولانا ادريس الاكبر بزرهون ، ومدحه ادريس السناني بقصيدة مطلعهـا :

انى أرى التفويض أعظم ناصــــر والله فى عون المنيب الصابــــر

راجعها فى ديوانه .

ومن أشياخه الولي الصالح ، العارف الفالح ، السيد الحاج المختار البقالي المتوفى سابع أو ثامن وعشري صفر عام خمسة وخمسين ومئتين وألف 1255 ، ومولاي الطيب الوزاني ، وسيدي محمد بن أحمد الصقلي المتوفى عام اثنين وثلاثين ومئتين وألف 1232 وكان كثير الزيارة لحمادي الحمادي المكناسي، وأخذ عنه السيد فضول السوسي والسلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام ، وسيدي محمد بن عبد الحفيظ الدباغ ، وسيدي محمد صالح الرضوى ، وعبد الرحمان بن التهامي الادريسى الزرهوني ، و العربي بن القاسم الشرقي دفين الرباط وغيرهم (1) .

1282) عبد القادر بن محمد الراشدي

عبد القادر بن محمد بن عبد القادر بن سحنون الراشدي الجشمي منشأ ، ينسب بخطه الحسني المراكشي دارا وقرارا ، قاضي مراكش ، الاديب

---

(1) ينظر عن سيدى عبد القادر (قدور) العلمى **اتحاف اعلام الناس** 5 : 336

العلامة النسيب الاعدل ، الحافظ الامثل ، من العلماء القادمين على حضرة فاس أيام تغلب الفرنسيين على الجزائر وما والاها من وهران وتلمسان ، ثم انتقل الى مراكش فى حدود سنة ثمان وستين 1268 وولي قضاءها من قبل السلطان المولى عبد الرحمان باشارة من المولى المتبرك به حيا وميتا الحاج محمـد البركة ، كان المترجم ءاية فى الذكاء ومعرفة الفقه والفروع ، ممن أتى بالجواهر من معادنها وامترى الضروع ، لا يشق غباره ، ولا يبارى مضماره ، وأخذ من العربية والحديث بأوفر نصيب ، وتمسك من الفطنة بعقل راجح مصيب ، كان جامعا مانعا ، واماما جليلا بارعا ، أحلا الناس نظما ونثرا ، وكتابة وشعرا ، وله تائية مكسورة الروي عدتها 69 بيتا أنشدها حين ختم مختصر خليل الذى حضره الجم الغفير ، ذكر فيها تراجم المختصر ، مشيرا الى مناسبة الابواب والتراجم ، مذكورة فى (حديقة الازهار) لتلميذه الفقيه ابن المعطي مترجمه فيها ، توفي رحمه الله يوم الخميس منتصف جمادى الاولى عام 1272 .

وحلى المترجم فى (الحسام المشرفي) بالفقيه الفاضل ، محط الرجال الافاضل ، أمام النوازل ، من كل معضل نازل ، وفضله لا يجحد ، العلامة السيد عبد القادر بن محمد .

وقال فى (اللؤلؤ المكنون ، فى اختصار ابن عيشون) : ومنهم الفقيه الاجل ، العالم العلامة الافضل ، الخير الدين المسن ، الولي الصالح ، المتفنن فى علوم شتى من نحو ومنطق وبيان وحساب وتنجيم وفقه وحديث وعروض وفرائض وأصول ، سيدي عبد القادر الشركاوي ، وأخذ رضي الله عنه عن أشياخ عديدة فى بلاد تلمسان ووهـران وغيرهما ، وله مجالس بالقروييـن وغيرها ، ويصوم ما شاء الله ويقوم من الليل ما شاء الله ، كثير الفعل لنوافل الخيرات ، وظهر عليه أثر الخير والصلاح والدين ، رضي الله عنه ونفعنا به ءاميـن .

توفي رحمه الله فى سنة اثنتين وسبعين 1272 بمراكش رحمه الله تعالى ونفعنا به ءامين ، انتهى .

كان المترجم يسكن بمكان بأمصفح من مراكش بالدرب الموالي ليمين الذاهب لفندق ابن المرابط ، وكان يحكم بالمحكمة التى بأزبزط ، وهو الذى أحدثها ، وهو والد صاحبنا الفقيه الكاتب البارع المعمر محمد المصطفى الحشمي المتوفى عام 1331 ووقفت له على أبيات لما عزل بسبب وقوع سعاية من الباشا السيد أحمد بن ابى ستة والقاضي السيد الطالب ابن الحاج لكونهما كانا يبغضانه ، أولها :

علمت امام العدل بالعدل قائمـــا وما بسبيل العدل يبغى بديـــلا

الى أن قال :

فلو علم الامام ما كان منهـــم لهمَّ بأخذ القوم اخذا وسيـــلا
ولكن كثافة الحجاب تمكنـــت وما تركت لنا اليه سبيـــلا

وكان ذلك عام 1271 .

1283) **عبد القادر بن الحاج علي المكودي المراكشي** ، الفقيه العدل أيام قضاء السيد الطالب ابن الحاج بها ، وكان ناظرا على الاحباس الكبرى عام تسعة وستين ومئتين وألف 1269 وكان حسن السيرة ، وكان يتجر ، فقال له القاضي المذكور : أنت تتجر وتعدل ، فقال له : لم تقم بي خطة التجارة عن العدالة ، وتوفي فى عشرة الثمانين (من القرن الثالث عشر) .

1284) **عبد القادر بن أبي القاسم العراقي**

عبد القادر بن أبي القاسم بن عبد الله بن ادريس العراقي الفقيه الواعظ المحدث ، أخذ عن والده أبي القاسم ، وعمه محمد ، وسيدي الوليد العراقي ، وعلي قصارة ، والتسولي .

توفي فى ربيع الاول عام ثمانية وثمانين ومئتين وألف 1288 فى الاسكندرية عن ولديه سيدي محمد وسيدي عمر ، وأخذ عنه الحاج المختار بن عبد الله بن أحمد وأجازه اجازة عامة ، كان المترجم يرد على مراكش

بقصد قراءة الصحيح مع المولى عبد الرحمان وولده سيدي محمد ، وتلاقى بها مع الصالح البركة ، الحاج محمد البركة ، وسكناه بفاس بدرب السعود .

1285) **عبد القادر الملقب بالشيخ عبد الرحمان الفاسي** ، العلامة الكاتب ، دخل مراكش وهو والد الوزير السيد العباس ، قال سيدي جعفر الكتاني في فهرسته في تعداد أشياخه : ومنهم الفقيه النبيه ، العلامة الكاتب النزيه ، سيدي عبد القادر بن عبد الرحمان الفاسي المعروف بالشيخ . كان رحمه الله يقرأ معنا الدرس الذى سيقرأه ابن عبد الرحمان غدا ، وكان هيناً لينا ذا أخلاق حسنة ، وأوصاف مستحسنة ، تاركا للعوائد التى اعتادها أهل فاس في اعراسهم وولائمهم ، وكان يحبني محبة شديدة ، ولما ذكرت له أنه شيخي ازدادت محبته وتعظيمه ، وتعجب من ذكري ذلك له . توفي رحمه الله وجميع المسلمين .

قال أبو المعالي : ومنهم أبو محمد عبد القادر الملقب بالشيخ ، ابن عبد الرحمان بن محمد الراضي ، بن محمد ، بن طاهر ، بن يوسف ، بن أبي عسرية محمد السابق ، ولد رحمه الله تعالى بفاس سنة 1238 وأخذ العلم عن شيخ الجماعة محمد بن عبد الرحمان الحجرتي ، والجد أبي المواهب عبد الكبير ، وكان القارىء بين يديه ، وأخذ عنه شيخنا جعفر الكتاني وغيره ، قال شيخنا جعفر المذكور بعد ما عده فى فهرسته من جملة مشايخه : كان يقرأ معنا الدرس الذى سيقرأه ابن عبد الرحمان غدا ، ولما ذكرت له أنه شيخي ازدادت محبته وتعظيمه لي وتعجب من ذكري ذلك له ، وعين رحمه الله كاتبا فى وزارة الداخلية ، فكان من المرشحين لعظائم الامور وكشف العويصات ، وترقى الى أن عُين خليفة للوزير ، فكان يتقابل مع جلالة المقدس سيدي محمد عند اللزوم ، وحظي عنده لما رأى من جده واجتهاده ، وكان مع هذا متواضعا هينا ذا أخلاق حسنة ، وأوصاف مستحسنة ، مترفعا عن السفاسف ، جادا في المعالي ، تاركا للعوائد التى اعتادها أهل فاس فى أعراسهم وولائمهم ، حج سنة 1294 وتوفي فى ثالث شعبان المعظم سنة 1296 بمكناسة الزيتون فنقل الى فاس حيث دفن بصحن روضة الشيخ سيدي يوسف .

وحلاه في الحسام المشرفي بالفقيه الخير قمر الدين من أعلام الشجرة الفاسية ، فصيح القلم واللسان ، وذكي الفؤاد والجنان ، من تطيب بذكره أنفاسي ، سيدي عبد القادر الفاسي .

وهذه وصية كان أوصى بها المترجم عند احتضاره بمدينة مكناس في نقله منه بعد موته ، وتحسين تكفينه وتجهيزه ودفنه بفاس ، تلقاها كاتبه عفا الله عنه ممن كان حافظا لها نصها :

الحمد لله ، يعلم اخونا الفقيه الوزير سيدي محمد بن العربي الجامعي أن الوصية لا تزيد في العمر ولا تنقص منه ، وكل ما هو ءات قريب ، فان قدر الله سبحانه علينا لقاءه في هذه البلاد المباركة أن تجهزني على أحسن ما يكون من العمل والتكفين لفاس في محل يعرف بفدان الغرباء في جوار ولي الله تعالى سيدي بن حرزهم نفع الله ببركاته وأخذ بيده يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا ، لاننا انما نحن فضلات ، وهي جائزة الحذف بمطلق العوامل فأحرى عامل خاص على كيفية خاصة ما أعددنا لها الا تحسين الظن بالله تعالى ورجاء فضله الكريم ، واستودع الله تعالى وملائكته وانسه وجنه شهادة أن لا الاه الا الله ، وأن سيدنا محمدا رسول الله ، وأن دينه هو الدين القويم الذى لا يقبل الله غيره ، والسلام .

في فاتح شعبان الابرك عام 1296 .

ولكن لم ينفذ الوصية في محل الدفن ، بل دفن في ضريح جده سيدي يوسف بجوار والده سيدي عبد الرحمان ، وبينه وبين جده نحو ثمانية أذرع .

1286) عبد القادر بن محمد ابن الشيخ المريني الحسني من أولاد الشيخ سيدي حسين ، اصدر له السلطان المولى الرشيد تجديد ما بيده من ظهائر متصلات للملوك المتقدمين المتضمنة توقيره واحترامه ، وتوقير سلفه واعظامه ، ونفذ له ثلاث موزونات يقبضها كل يوم من صدقات الولي الصالح ، القطب الماجد ، سيدي أبي العباس السبتي ، يستعين بها على قراءته ، وذلك لوجه الله تعالى ونسبته وفقهه ونجابته في أواسط رمضان المعظم عام 1080

وجدده له المولى اسماعيل بتاريخ 3 ذى الحجة عام 1087 ، ثم انعم على ولده محمد بمستفاد دار السكة بالحضرة المراكشية ومستفاد القاعة بها اعانة له على قراءة العلم وتعلمه فى ربيع الثانى عام 1132 وكذلك بتاريخ ثامن محرم عام 1137 ، ولما مات المنعم عليه المذكور اقر أولاده على ذلك وزادهم أربعة أوسق من القمح ورأسين من البقر يقبضون ذلك كل سنة على يد خديم جلالته القائد علي ويشي ، وتقدم ذكر الشيخ محمد المريني .

1287) عبد القادر بن محمد بن قدور الدكالي المراكشي من سكان سيدي أحمد السوسي ، كان رحمه الله رجلا صالحا ، ومتجرا رابحا ، مقبلا على الله ، مستغرقا فى محبة ءال رسول الله (ص) ، قائما بخدمتهم ، ساعيا فى حاجاتهم ، منفقا عليهم جميع ما فتح الله به عليه ، بل كان يوثرهم بذلك على أبنائه ونسائه ، فقيها عالما عابدا زاهدا متبركا به حيا وميتا ، رُئي بعد موته فقيل له ما فعل الله بك ؟ فقال شفَّعني الله فى أهل عصري ، وما زلت فى الضيافة عند مولاتنا فاطمة ، من أشياخه الولي الصالح سيدي الحسن الصالح.

توفي رحمه الله فى متم ثلاثمئة وألف 1300 ودفن قدام روضة الجزولي بباب القبة بين الشرجب والباب ، وقد جمع كراماته السيد محمد بن مبارك الذى كان يسكن بروض العروس المتوفى سنة 1310 فى نحو كراس ونصف .

والمترجم غير سيدي عبد القادر الدكالي امام الضريح العباسي الزاهد الورع الناسك ، رفيق سيدي محمد بن أحمد اليعيشي المتقدم .

وذكر الفقيه السباعي أن المبرز فى وقته هو سيدي عبد القادر الدكالي ، وكان يأخذ فضلات المرضى بالضريح العباسي خفية وينفيهم منها.

ودرس التحفة والالفية ، وأخبرني الفقيه العدل المولى سليمان بن عبد الرحمان بن ابراهيم الدمناتي المراكشي المتولد عام 1274 أنه أخذ القرءان الكريم وغيره عن الولي الصالح سيدي عبد القادر الدكالي الذى كان يسكن

والده بروض العروس بدرب الغيران ، قرأ عليه القرءان بقراءة ابن كثير ثلاث سلكات ، وقراءة ورش ست سلكات .، وحفظ عليه متن الرسالة لابن أبـي زيد ، ومختصر خليل ، ومتن دلائل الخيرات ، وخلاصة ابن مالك ، والمرشد المعين ، وقرطبية الفقه منظومة لسيدي يحيى القرطبي دفين خارج مراكش ، وتحفة ابن عاصم ، ونصرة التجويد في رسم القرءان لسيدي التهامي الغرفي الفلالي في وقت حياته ، والحزب الكبير ، وحزب النووي ، والمشيشية ، وحدود النحو للفاكهي ، ولازمه نحو العشرين عاما حتى لقي الله تعالى .

1288) **عبد القادر العبدي المراكشي** الفقيه ، كان رجلا مقتصدا في أموره ، ورعا عدلا ثبتا مرضيا ، لا يوسم بما يخل عن النزاهة ، وقد كان خطيبا ومدرسا لمسجد رياض الزيتون القديم وتخلى عنهما للفقيه السيد محمد علال الدليمي ، وأشهد على نفسه بذلك ، ودفع له الظهير كان بيده تنفيذهما فقام بهما ، وكتب له ظهير شريف بذلك مؤرخ في 28 محرم عام 1282 .

1289) **عبد القادر بن أحمد الزمراني** ، السويري مولدا ومدفنا ، ولد عام 1247 أخذ فيها عن علمائها كابن عبد الرحمان، والتازي مسواك، والزمخشري، والشدادي ، ومولاي هاشم ، وأولاد ابن سودة الحاج أحمد والحاج المهدي والحاج عمر عام 1269 ، وولي نيابة القضاء عن قاضي السويرة السيد الحسن المزميزي عام واحد وثمانين ومئتين وألف 1281 وعن سيدي علي التناني عام 1291 وعن أبي بكر صهره ، دخل مراكش عام 1207 وبقي فيها فيها مفتيا نحو عاميـن .

توفي عام تسعة وثلاثمئة وألف 1309 ودفن بزاوية درقاوة .

فائـدة : لما حللت السويرة عام 1331 زرت الولي الصالح دفينهـا سيدي مكدول ، ومما قرأته من القصائد التي بضريحه هذه النونية :

كم من كريم قد حللت رحابَـه ... راجٍ مواهب فضله فحبانـي
لا سيما المخصوص بالمجد الـذى ... لم يُلفَ قط نظيره بزمـان
فالهج بذكرك لاسمه واقرع بـه ... باب الالاه ترى المنى بعيـان

غوث تجود يمينه وتقى مـن الأ ... عدا وكيدهم بكل مكـان
ومتى حللتَ ضريحه فاعلم بـأ ... نك فى حماية سيد يقظـان
فهناك ما أملت من جاه ومـن ... نصر ومن طرف من الاحسـان
ياسعد مَن ساقته أقـدار الالا ... ه لباب مكدول من الاخـوان
بشرى لزائره وساكن أرضـه ... ومُحبه العبد الضعيف الفانـي
قد خصصوا بعناية أبديـة ... ومكانة عظمى ورفعة شـان
ياسيد أنا خائف مما ارتكبـ ... ـت وأنت ملجأ الخائف الحيران
فاشفعْ لعبد مسـرف أوزاره ... كادت تعود عليه بالحرمـان
قد غرني اغضاؤكم عمن هفـا ... وجميل ظني فى عظيم الشـان
فبحقكم لا تنقصوا من قـدره ... شيئاً فجاهك لم يضق بالجانـي
وأدم عنايتك التى عودتهـا ... للعبد مبتعدا عن الاوطـان
هذا مقالي حاصرا دعواي فيـ ... ـه لدى جلالة قرة الاعيـان

وفيه أيضاً :

سلام على أهل المكارم والنـدى ... سلام عليكم بالمحبة مبـذول
سلام على الغوث المرابط فى سبيـ ... ـل رب البرايا مَن على الجود مجبول
سلام وتسليم عليك من المحـب ... لاسمك حقا أيها الليث مكـدول
وبعد فان العبد أم حماك فـي ... زمان سعيد لا يخيب به سـول
وسؤلي ومأمولي قراك وان أكـ ... ـون عند ذوي الاقدار ما كنت مقبول
وأرجع من علياك بالعز والرضـا ... على كاهل الاحسان والبر محمول

1290) **عبد السلام التونسي** أصله من تونس ، وصحب عمه عبـد العزيـز التونسي بأغمات ، فلما مات بها عمه نـزل هو الى تلمسان وبهـا مات ، ودفن بالعُباد (1) بالرابطة المعروفة برابطة التونسي . وكان عارفـا بالمسائل زاهدا فى الدنيا متقشفا صليبا فى الحق ، مغلظا على الامراء ، لا

1) **العباد** قريـة بظاهر تلمسان من جهة الجبل ، بها ضريح الشيخ أبى مدين الغوث . وهى مدفن لعدد كبير من العلماء والصالحين

يخاف في الله لومة لائم ، وكان يلبس كساء خشنا على جلده ، ويأكل الشعير الذي يحرثه بيده ، فاذا اشتهى اللحم اصطاد السلاحف البرية فيأكلها رحمه الله تعالى .

ان الغنى تطغى النفوس به فمـــا — بين الغنى وتقى الالاه مناسبـــه
ولذاك قيل ويالـَها من حكمـــة — الفقر حكم ليس فيه محاسبـــه

وحدثوا عن عبد السلام أنه كان ذات يوم يعمل في أرضه ، فاذا مزدلي ابن تيلكان وهو أمير تلمسان قد جاءه فنزل على فرسه فبسط له غلامه برنسه فقعد عليه ، فقال له عبد السلام : ما هذه الاخلاق يامزدلي ؟ أين تجد غــدا برنسا تجلس عليه ؟ فاستحيى من قوله وقام عن البرنس وقعد على الارض ، فقال له عبد السلام : ما تطلب عندي وأنا فقير وأنت أمير ؟ فقال له : جئتك لأتبرك بك وءاكل من طعامك ، فقال وما تصنع بطعامي ؟ وهل هو الا خبــز الشعير ولحم السلحفاة ؟ فقدم اليه خبز شعير ولحم سلحفاة في قدر .

قال في (التشوف) وحدثني يحيى بن عبد الرحمان قال حدثنــي محمد ابن أبي عرجون أن حمود بن سمغون اللخمي من تجار الصحراء لمـا أسنَّ ترك السفر ، فوضعت بيده أحباس جامع تلمسان ، فكنت يوما بالجامع وفيه الامير تميم بن يوسف بن تاشفين ، فصاح عبد السلام ياحمُّود لا تعد ، فقال له حمود وما ذاك ؟ فقال له عبد السلام : استسلف منك تميم بن يوسف من مال الاحباس خمسمئة دينار ، وهل عنده مال يقضي منه مال الحبس الا ماله الخبيث ؟ فقال له حمود اشهد الله واشهدك أن الامير في حل مما استسلف مني ، وأشهد الله وأشهدك أن أدفع من مالي في مال الاحباس للجامع خمسمئة دينار ، فقال له عبد السلام : الآن طابت نفسي .

وحدثوا عنه أنه جاءته أخته من تونس بألف دينار ، وقالت له : هذا ميراثك في أختك ، فقال لها جئتني بهؤلاء الشياطين ، لا حاجة لي بها ، فقالت له : خذ مني مالك ، فقال لها انما هو مالك ، لانه بيدك ، وأما أنا فلا أدري ما هو ولا ءاخذه منك .

وحدثني يحيى بن عبد الرحمان بن عبد الله عن أبيه أن أبا بكر ومحمد ابني مخلوف بن خلف الله كانا ممن أخذ عن أبي الفضل ابن النحوي ، وكانا ذكيين عالمين بالمناظرة ، وكان عبد السلام مقتصرا على حفظ المسائل ، فكانا يعترضان عليه فى مجلس تدريسه ، فدعا الله عليهما فماتا معا فى جمعة واحـدة .

وحدثوا عنه أنه كان بتلمسان رجل من أهل الذعارة ، فشكاه الناس كثيرا ، فلقيه عبد السلام فأخذ بأثوابه وضرب به الحائط ، وقال ياهذا ءاذيت المسلمين وأكثروا بك الشكوى ، فانكب الرجل على رجليه يقبلهما ويقول : أتوب الى الله عز وجل ، فأرسل عبد السلام يده عنه ، ولف كساءه على عنقه ، وجعل يعاتب نفسه ويقول : ياعبد السلام يامسكين ماعذرك عند الله غدا فيما فعلت برجل مسلم ؟ والرجل يقول ما أبرك هذا اليوم الذى أدبتني فيه ، فتاب الرجل الى الله تعالى وأقبل على العبادة الى أن لحق بالاولياء .

وحدثني يحيى بن عبد الرحمان قال حدثتني جدتي أن أمية بنت أبي يغمروسن حدثتها وكانت قد أدركت عبد السلام التونسي وأنافت على مئة سنة أن عبد السلام كان يجتمع عليه الناس اثر صلاة الجمعة فيدعو لهم ، قالت فوقفت مع الناس وهو يدعو لهم واحدا واحدا الى أن انفصلوا ، فوقفت وحدى وأصابتني رعدة من هيبته ، فقال لي ما تريد ؟ فقلت ياسيدي ادع الله لي أن يتوب علي ، فقال لي تاب الله عليك ، فانصرفت الى منزلي وتجردت من أثوابي وتطهرت وأقبلت على طاعة الله ، فكانت تلبس خمار صوف وجبة صوف وتقيم النهار من أوله الى ءاخره بجامع تلمسان الى أن لحقت بالله عز وجل .

أما والله لو علم الانـــــــــام ... لـما خـلقوا لـما غفلوا ونامــــــوا
لقد خـلقوا لما لو أبصرتــــــه ... عيون قلوبهم ساحوا وهامـــــوا
فموت ثم قبر ثم حشـــــــــر ... وتوبيخ وأهوال عظـــــــام
ليوم الحشر قد عملت رجـــال ... فصلـوا من مخافته وصامـــــوا
ونحن اذا امرنا أو زجرنـــــــا ... كأهل الكهف أيقاظ" نيـــام (1)

---

1) كل ما تقدم منقول بالحرف من **التشوف** ص 88 ع 13 وانظر أيضا **البستان** ص 122

وقال فى نظم رجال التشوف :

وعبد السلام التونسي اذا اشتهى   من اللحم شيئا صاد سلحفة البــر

1291) عبد السلام بن عبد الرحمان ابن برجان اللخمي

عبد السلام ، بن عبد الرحمان ، بــن أبي الرجال محمد ، بــن عبد الرحمان اللخمي الافريقي ثم الاشبيلي ، أبو الحكم ، ويعرف بابن برجان ، سمع من أبي عبد الله ابن منظور صيح البخاري ، وحدث به ، وكان من أهل المعرفة بالقراءات والحديث والتحقق بعلم الكلام والتصوف مع الزهد والاجتهاد فى العبادة ، وله تواليف مفيدة ، منها تفسير القرءان لم يكمله ، وكتاب شرح الاسماء الحسنى ، رواهما عنه أبو القاسم القنطري ، وروى عنه أيضا عبد الحق الاشبيلي ، ومحمد ابن خليل وغيرهم .

توفي بمراكش مغربا عن وطنه بعد سنة 530 وقبر أحمد ابن العريف بازاء قبره (1) .

وقال ابن الزبير عن ابن فرتون : كان من أجل رجال المغرب ، إماما فى علم الكلام ولغات العرب والادب ، عارفا بالتأويل والتفسير ، نحويا بارعا ، نقادا ماهرا ، اماما فى كل ما ذكر ، لا يماثَل بقرين ، مشاركا فى علم الحساب والهندسة وغير ذلك ، قد أخذ من كل علم باوفر حظ ، مؤثرا لطريقة التصوف وعلم الباطن متصرفا فى ذلك ، عارفا بمذاهب الناس متقيدا فى نظره بظواهر الكتاب والسنة ، بريئا من تعمق الباطنية بعيدا عن قحية الظاهرية ، شديد التمسك بالكتاب والسنة ، جاريا فى تأويل ذلك على طريقة السلف وعلماء المسلمين وما عليه السواد الاعظم ، ثم مبديا من وجوه التأويل وفيهم ءايات التنزيل ، ما يجرى مع المعروف ، ولا ينافر المألوف ، من غير تعارض ولا مخالفة ، بل مما يشهد المنصف العارف انه من فضل الله الذى يؤتيه من يشاء ، ألف رحمه الله كتابه فى التفسير ، وجرى فيه على طريقة لم يسبــق اليها ،

---

1) التكملة ص 645 ع 1797

واستقرأ من ءايات عجائب وكوائن من الغيوب ، الا أنه اغمض فى التعبير عن ذلك ، فلا يصل الى مقصوده الا من فهم كلامه ، وألف اشاراته والهامه ، وألف كتابه الشهير فى تفسير الاسماء الحسنى ، فجرى على ذلك المنهاج ، وألـف كتاب الارشاد .. الى أن قال : وكان يوثر العزلة والخمول ، وامتحن ثم تخلص، ومات في تغريبه بعد الثلاثين 530 بيسير (1) .

ونسب فى كشف الظنون للمترجم كتاب الارشاد ، وشرح أسماء الله الحسنى ، أوله الحمد لله الذى باسمه تفتح المطالب الخ.. قائلا وهو كتاب كبير ، جمع فيه من أسماء الله تعالى ما زاد على المئة والثلاثين كلها مشهورة مروية ، وفصل الكلام فى كل اسم على ثلاثة فصول ، الاول فى استخراجها، الثاني فى الطريق الى مسالكها ، الثالث فى الاشارة الى التعبد بحقائقها ، وتقدم فى ترجمة ولده عبد الرحمان نسبة التفسير وشرح الاسماء لوالده المذكور نقلا عن النيل عن تكملة ابن الابار كما تقدم عن كشف الظنون نسبة التفسير المسمى بالارشاد لحفيده عبد السلام بن عبد الرحمان بن عبد السلام بن عبد الرحمان بن أبي الرجال المتوفى سنة 627 .

وقال فى تحفة أهل الصديقية ما نصه وأخذ الشيخ علي بن غالب أيضا عن الشيخ عبد السلام بن عبد الرحمان بن محمد بن عبد السلام اللخمي الاشبيلي المعروف بابن برجان ، ثم قال : شخص الى مراكش فمرض بها أياما قليلة وتوفي فى محرم سنة ست وثلاثين وخمسمئة ، وقبره هناك معروف مزور متبرك به ، انتهى .

فائـدة : قال فى بغية الوعاة : ابن برجان مخفف من أبي الرجال ، انتهـى .

والمترجم من الاولياء المشاهير موتا فى هذا البلد المبارك ، وضريحه برحبة الزرع ، وقد ذكر فى المنح البادية اسناد طريقه ، وأنه توفي قتيلا فى السنة المذكورة رحمه الله ، وتقدم أن وفاة والده بعد 530 فبين وفاتهما نحو ست سنين ، لكن هذا لا يصح على ما ذكره ابن الابار فى التكملة أن ولده عبد الرحمان بن عبد السلام توفي عام 627 عن نحو السبعين سنة ، اللهم الا أن

(1) صلة الصلة ص 31 ع 45 طبع الرباط

تقرأ التسعين بتقديم المثناة وهو مخالف أيضا ، من بغية الوعاة وكشف الظنون أن حفيده عبد السلام بن عبد الرحمان بن عبد السلام توفي سنة 627 .

فائـدة أخرى : تكلم المترجم فى تفسيره على أخذ فتح بيت المقدس من سورة الروم ، وقد بين ما اغمض فيه يحيى ابن أبي الحجاج اللبلي الآتية ترجمته ، وحقق وعين ما كان أغمض فيه ابن برجان فى الوقت الذى فتح فيه على المسلمين ، وذكر الجلال السيوطي رحمه الله وكذلك محيي الدين ابن عربي فى الفتوحات عن عبد السلام المترجم فى تفسيره فى سورة الروم أن بيت المقدس يبقى بيد الروم الى سنة ثلاث وثمانين وخمسمئة ثم يُغلبون ويفتح ويصير دار اسلام الى ءاخر الابد ، أخذ ذلك من حساب الآية ، فكان الامر كذلك ، قال أبو شامة وهو الذى ذكره ابن برجان من عجائب ما اتفق وقد مات ابن برجان قبل ذلك بدهر ، وقد ذكر محيي الدين فى الفتوحات كيفية حساب االآية واستخراج ذلك منها ، والمراد بالآية قوله تعالى : غلبت الروم فى أدنى الارض وهم من بعد غَلَبِهم سيغلبون برواية فتح الغين المعجمة واللام فى غلبت وضم الياء فى سيغلبون . ذكر ذلك فى صحيفة 65 من السفر الاول من الفتوحات ، ثم أعاد الكلام عليه فى السفر الرابع فى صحيفة 242 ، فقال : ولقد كنت فى مدينة فاس سنة 591 وعساكر الموحدين قد عبرت الى الاندلس لقتال العدو حين استفحل أمره على الاسلام ، فلقيت رجلا من رجال الله ولا أزكى بعد على الله تعالى ، وكان من أخص أودائى ، فسألني ما تقول فى هذا الجيش هل يفتح له وينصر فى هذه السنة أم لا ؟ فقلت له ما عندك فى ذلك ؟ فقال ان الله تعالى قد ذكر ذلك ، ووعد نبيه صلى الله عليه وسلم بهذا الفتح فى هذه السنة ، وبشر نبيه بذلك فى كتابه الذى أنزله عليه ، وهو قوله : (انا فتحنا لك فتحا مبينا) من غير تكرار الالف عدتها لاطلاق الموقوف فى تمام الآية اعدادها بحساب الجمل فاذا هو الفتح يكون فى سنة 591 ثم جرت الى الاندلس الى أن قال هذا عانيته فأخذنا للفاء 80 وللتاء 40 وللحاء ثمانية وللالف واحد وللميم 40 وللباء 2 وللياء 15 وللنون 50 والالف قد أخذنا عددها ، فكان المجموع 591 كلها سنون من الهجرة الى هذه السنة ، فهي من الفتح الالاهي لهـذا الشخص ، وكذلك ما ذكرناه من فتح بيت المقدس فيما اجتمع بالضرب فى

(الم ، غلبت الروم) مع البضع من السنين المذكور فيه بالحساب بين الجمل الصغير والكبير ، فظهر بذلك فتح بيت المقدس ، وقد ذكرناه فيما تقدم من هذا الكتاب فى باب الحروف ، وهو أن البضع جعلناه ثمانية ، لكون فتح مكة كان سنة ثمانية ، ثم أخذناه بالجمل الصغير (الم) 8 فأسقطنا الواحد لكون الامر يطلب طرحه لصحة العدد فى أصل الضرب فى الحساب الرؤمي ، والفتح انما كان فى الروم الذين كانوا بالبيت المقدس ، فأضفنا ثمانية البضع الى ما اجتمع من (الم) بعد طرح الاس ، فكان 15 ثم رجعنا الى الجمل الكبير فضربنا 71 فى 8 والكل سنون ، لانه قال فى بضع سنين ، فكان المجموع 583 وفيها كان فتح بيت المقدس ، وهذا العلم من هذه الحضرة ، ولكن عبد السلام ابن برجان ما أخذه من هذا الوجه ، فوقع له غلط ولم يشعر به ، وقد بيناه لبعض أصحابنا فتبين له أنه غلط فى ذلك ، ولكن قارب الامر ، وسبب ذلك أنه أدخل علما ءاخر فأفسده .

وقال الامام أبو المعالي قاضي الشام محمد بن قاضي القضاة منتخب الدين محمد بن يحيى القرشي من ذرية عثمان بن عفان رضي الله عنه المتولد سنة 550 المتوفى سنة 598 المترجم فى الشذرات والوفيات ويلقب بمحيـي الدين لما فتح السلطان صلاح الدين الايوبي الذى كان له عنده المنزلة العالية حلب سنة تسع وسبعين وخمسمئة أنشده قصيدة بائية من جملة أبياتها :

وفتحك القلعة الشهباء فى صفـر   مبشر بفتوح القدس فى رجـــب

فكان كما قال ، فان القدس فتحت لثلاث بقين من رجب سنة 583 فقيل لمحيي الدين من أين لك هذا ؟ قال أخذته من تفسير ابن برجان فى قوله تعالى : (الم ، غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين) ، وذكر له حسابا طويلا فى طريق استخراج ذلك .

وممن ترجم للمترجم ابن الأبار في (التكملة) ومنها لخصها فـي (الشذرات) .

1292) **عبد السلام بن محمد الكومي** ، وزير عبد المومن بن علي الموحدي ، وزره بعد أن قتل وزيره أحمد ابن عطية المتقدم الترجمة (1) . وكان يدعى المقرب لشدة تقريب عبد المومن اياه ، فاستمرت وزارة عبد السلام من عام 553 الى أن أرسل اليه عبد المومن مَن قتله خنقا فى شهور سنة 557 ثم وزر له ابنه عمر الى أن توفي عبد المومن كما فى المعجب (2) .

وتقدم فى ترجمة أحمد ابن عطية أن المترجم لما وزر انبرى لمطالبة ابن عطية وجد فى التماس عوراته ، وتشنيع سقطاته ، وأغرى به صنائعه وشحن عليه حاشيته فبروا وراشوا وكان مما نقم على أحمد ابن عطية انه تزوج بنت يحيى الحمار من أمراء لمتونة وكانت أمها زينب بنت علي بن يوسف الخ .. وصاحب المعجب جعلها أختاً ليحيى كما يأتي في ترجمة يحيى المذكور والله أعلم .

1293) **عبد السلام بن رحال الجراوي** ، أخذ عنه باغمات سالم بن سلامة السوسي المتوفى أواخر عشرة التسعين وخمسمئة الآتية ترجمته .

1294) **عبد السلام بن ولجوط العزفي** من أهل الجانب الشرقي من مراكش وبه مات عام واحد وستمئة 601 ودفن خارج باب الدباغين ، وكان فاضلا حزينا دائم البكاء ، لا يكاد ترقأ له دمعة . قال فى (التشوف) فما رأيته فى جموع المريدين الا وأبكاهم بكثرة بكائه :

يانسيم الريح من كاظمـــة	شدّ ما هجت الاسى والبرحـــا
الصبا ان كنت لا بد الصبـــا	انها كانت لقلبي أروحـــا
ياندماي بسلع هـــل أرى	ذلك المغبق والمصطبحـــا
اذكرونا مثل ذكرانا لكـــم	رب ذكرى قربتْ مَن نزحـــا
واذكروا صباً إذا غنى بكـــم	شرب الدمع وعاف القَدحـــا

1) انظر 2 : 61 ع 128 من هذا الكتاب

2) **المعجب** ص 160 طبع سلا . والذى فى **المن بالامامة** ان قتله كان بالسم لا بالخنق . انظر ص 180

اخبرني مخبر أن رجلا صالحا من أهل درعة وصل الى مراكش فسئل عن قبر عبد السلام فدل عليه فدعا عنده وانصرف ، فسئل عن ذلك فقال : نمت ببلدي فرأيت فى نومي أني بمقابر باب الدباغين ، فرأيت فيها قبرا صعد منه النور الى السماء ، فقلت مَن صاحب هذا القبر ؟ فقيل لي هو قبر عبد السلام العزفي ، فأتيته وزرته ، ورئي عبد السلام بعد موته في النوم ، فقيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال : ما لقيت الا خيرا (1) .

1295) عبد السلام بن الطيب القادري

عبد السلام بن الطيب بن محمد القادري الحسني ، شيخ المشايخ ، وطود العلوم الراسخ ، فخر السنة والملة ، وامام الائمة الجلة ، شريف العلماء ، وعالم الشرفاء ، الدراكة الانور ، الزاهد الورع البركة الابهر ، ذو الافعال الحسنة ، والاخلاق المستحسنة ، السري الواضح ، الساعي فى المصالح ، الحافظ الحجة ، الموضح لمَن بعده طريق الحجة .

قال فى (النشر) فى ترجمته : رحل صاحب الترجمة لنواحي سوس الاقصى وزار ما فيه من الصالحين ممن اتفق له ، وجال فى أراضي الله ورجع لبلده فاس فتوفي بها الخ..

ولد رحمه الله بفاس وقت صلاة جمعة اليوم العاشر من رمضان سنة ثمان وخمسين وألف 1058 ونشأ فى عفاف وصيانة ، وتقي وديانة ، مكبا على اقتناء العلوم حتى تضلع من روائها وكشف عن مخدراتها ، فسما مع تواضعه على الاقران ، وقارن بين العلم والصلاح أحسن قران ، وتصدى للتدريس والمناظرة والتأليف زمان شبابه ، وكانت له فى العلوم ملكة لا تجارى ، خصوصاً في النحو والبيان والمنطق والحديث والأصلين ، وله في ذلك أبحاث نفيسة، وله مزيد اختصاص بمعرفة الأنساب، لا سيما قريش ، لا يقاومه أحد في ذلك ولا يدانيه أصلا ، وكان فاضلا جليلا ، شهما كريما حفيلا ، صالحا عالما ،

1) **التشوف** ص 388 ع 202 و **السعادة الأبدية** 1 : 133

صائماً قائما ، عابدا مجتهداً ، زاهداً مزهداً ، متين الدين مقتصداً موثرا على نفسه بماله ونفسه ، حسن السيرة ، منور السريرة ، عارفا كبيرا ، مقلا من الدنيا غافلا عنها ، ويرى أمرها حقيرا ، كاملا مكملا ، واصلا موصلا ، داركا حافظا ، محققا لافظا ، ذا أوصاف حسنة ، وأخلاق واسعة كريمة مستحسنة ، أخذ العلم عن غير واحد من الشيوخ ، كسيدي عبد القادر الفاسي ، وولديه سيدي محمد وسيدي عبد الرحمان ، والعلامــة اليوسي ، وسيدي العربــي الفشتالي ، وسيدي أحمد ابن الحاج ، وغيرهم ، ولقي سيدي قاسم الخصاصي، وسيدي أحمد اليمني وأخذ عنهما وانتفع بهما ، وتربى بالشيخ العارف بالله سيدي أحمد بن عبد الله وانتفع به أتم انتفاع ، ولزم زاويته وشغف به ، ونظم فى حقه ونشر ، وبث فى الناس حديث فضله ونشر ، وألف فى محاسنه وانتفع به هو وجماعة من الاعلام ، وأئمة الاسلام ، من أجلهم العالم العلامة ، الدراكة الفهامة ، الورع الزاهد ، التقي العابد ، ذو الكرامات والبركات ، والمآثــر المستحسنات ، العارف بالله ، والدال على الله ، القطب الجامع ، والنور الساطع اللامع ، سيدي أحمد بن محمد الحبيب الفلالي اللمطي المتوفى رابع المحرم عام خمسة وستين ومئة وألف 1165 ودفن بداره بسجلماسة وبني عليه ، وأحمد هذا هو أحد أشياخ العلامة أحمد بن عبد العزيز الهلالي السجلماسي ، وقد أثنى عليه علما ودينا وزهدا وورعا ويقينا رحمه الله ونفعنا به .

وألف صاحب الترجمة تآليف عديدة ، منها (المقصد الاحمد ، فى التعريف بسيدنا ابن عبد الله أحمد) ، و (مصابيح الاقتباس ، فى مدائح أبي العباس) ، و (الدر السني ، فيمَن بفاس مــن أهل النسب الحسنــي) ، و (العرف العاطر ، فيمَن بفاس من أبناء الشيخ عبد القادر) ، و (معتمد الراوي ، فى مناقب ولي الله سيدي أحمد الشاوي) ، وقد عد تآليفه فــي (المورد الهني) فاوصلها الى ثلاثين مؤلفا .

ومن كلامه القصيــدة المسماة بــ (التماس الرحمة ، فيما يقــول الصبيان عند الختمة) ، ومطلعها :

أحبيبنـــا يـَامحمـــــــــد   الصلاة علـَى محمـــــــــد
طابت الجنة وفاحـــــــــت   وبسرّ الخلد باحـــــــــت
وبها الأنوار لاحـــــــــت   بالحبيب مولاي محمـــــــد

وهي قصيدة طويلة كلها على هــذا النقط ، ولها بركة مشاهــدة ، وعارضها سيدي حمدون ابن الحاج بقصيدة أخرى يقول فى مطلعها :

صلوات الله ســرمـــــــد   لحبيب الله أحمـــــــــد
ذي البها والخلق الأحمـــــد   خاتم الرسل محمـــــــد
مَن له الفتح المبيـــــــن   والكتابُ المستبيـــــــن
وبه الختم يزيـــــــــن   خاتم الرسل محمـــــــد

الى ءاخرها .

وكان رحمه الله زواراً للصالحين، وخصوصاً مولانا عبد السلام ابن مشيش، وزاره مدة فى سنة خمس وتسعين وألف 1095 واستوعب بالزيارة معه جميع ضرائح ءابائه الذين بمداشرالحرم العلمي مبتدئا فيهم بالشيخ سليمان المدعو سلام بن المزوار ، خاتما بالشيخ سليمان المدعو مشيش والد القطب مولانا عبد السلام ، على ما هو المعروف فى ترتيب زياتهم بطريق التدلي .

وترجمته واسعة ، وقد أطال فيها غير واحد ، وألف فيها بالخصوص الفقيه الاديب أحمد بن عبد الوهاب الوزير الغساني ، وأثنى عليه وعلى صريح نسبــه ، ورفع عموده ، وذكــر أشياخه وتلامذتــه ، ووسم مؤلفــه ذلك بــ (المورد الهني ، بأخبار الامام المولى عبد السلام الشريف القادري الحسني). وقد وقفت عليه بخطه .

توفي رحمه الله أذان صبح يوم الجمعة ثالث عشر ربيع الاول عــام عشرة ومئة وألف 1110 ، قال في (المورد الهني) : ودفن عند رجلي شقيقه العلامة مولاي العربي الاكبر منه بالجنان قرب قبة ولي الله تعالى سيدي أحمد اليمني رضي الله عنه ، وممن ترجمه العلامة الهلالي فى شرحه على منظومــة

صاحب الترجمة في المنطق ، وصاحب نشر المثاني ، وفي الزهر الباسم ، وصاحب السر الظاهر ، وغيرهم ، واليه مع شقيقه السابق ورجل ءاخر تأتي ترجمته بعد وهو الشريف الفقيه الصائم القائم سيدي أحمد بن عبد القادر بن علي المدعو علال القادري الحسني ، أشار المدرع في منظومته في صلحاء فاس فقـال :

وشيخنا الشريف عابد الســلام ... القادري المحقق الحبر الهمـــام
علامة الزمان بحر فائـــــض ... قد راض نفسه ونعم الرائـــض
كذا اخوه العربي الحبْر الجليـل ... ذكر مفاخرهما شيء طويـــل
والعابد الصوام نعم المفضـــال ... أخو الرضا أحمد بن عـــلال
فهاؤلاء في الجنان أقبــــروا ... أعني الثلاثة الذين أخــــروا
قبابهم مشهورة معلومـــــة ... نار على علمها مضرومـــــة

ومراده بقبابهم أضرحتهم ، اذ لا نعلم لهم قبابا ، والله أعلم .

انتهى من السلوة (1) .

1296) **عبد السلام بن علي المراكشي** الفقيه النبيه ، أخذ عنه أحمد ابن عاشر الحافي ، صحبه حضرا وسفرا ، وسافر معه لمحروسة فاس عام 1110 بقصد قراءة العلم والاخذ عن علمائها ، كان المترجم كريم الطبيعة جوادا ، توفي رحمه الله عام 1115 ودفن قرب الولي الصالح سيدي الحاج ابن عاشر وراء الجامع من محروسة سلا ، ونص افتتاح رسالة للشيخ العلامة ابن زكرى : من عبيد الله تعالى محمد ابن زكرى إلى اخواننا في الله ومحبينا من أجلـه ، السيد ابن عاشر الحاج ، والسيد محمد الصبيحي ، وأخيه ، والسيد عبد السلام المراكشي ، والسيد محمد ملاح ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . حضهم فيها على النحو والتوحيد وزيارة سيدي الحاج أحمد ابن عاشر ، والتجافي عن الهزل والاشتغال بالعلم .

---

1) **سلوة الأنفاس** 2 : 348 و **نشر المثاني** 2 : 162

1297) عبد السلام بن محمد بن عبد الله العلوي (الامير)

عبد السلام بن أمير المومنين محمد بن عبد الله بن اسماعيل الحسني الشريف ، أمه الشريفة فاطمة بنت مولاي سليمان بن اسماعيل ، قدم مصر حاجا مع الركب فى سنة 1190 فأكرمه الامراء ، وسلم عليه العلماء ، ولما قرب الرحيل الى الديار (الحجازية) طلب منا الاجتماع ، فوصلت له الى انابة للسلام والوداع ، فسمع مني فى ذلك المجلس على شاطىء النيل الاولية والشعر ، وحديث انما الاعمال ، وأول ثلاثيات البخاري ، وكان فى صحبته أكابر الفضلاء فسمعوا معه ، وكتبت له اجازة طنانة ومقامة تنبيء عن شهامته ، ووادعته وذلك في ثاني شهر رجب ، وفي صباحه سافر كان الله له .

انتهى من معجم الشيخ مرتضى .

وكانت حجته هذه سنة 1197 سبع وتسعين ومئة وألف، لانه لم يكن أدرك الحج عام حج مع أخيه المولى علي ، واجتمع بسيدي ابراهيم الرياحي عالم افريقية وفقيهها وأديبها وفضلائها ، حتى أن الشيخ القرشي وصف مجلس مولاي عبد السلام أخ الشيخ بما طاب وراق ، ثم استجاز الشيخ ، فساجله فى ذلك ، فكانت أبيات الشيخ محمد القرشي هي قوله :

ومجلس رائق من فضله سقيت ... ارواحنا برحيق العلم والأدب
من فيض صنو أمير المومنين ومن ... يسمو السهى منصباً في أرفع الرتب
حتى رأينا غصون الروض مائلة ... وتلثم الارض أحيانا من الطرب

وكانت أبيات الشيخ رضي الله عنه :

والورق مفتنة الالحاظ راقصة ... والزهر مبتسم عن ثغره الشنب
لا غرو أن رقصت أرواحنا طربا ... نجر أذيالنا فخراً على الشهب
فانما نحن عند الطاهر النسب ... بن الطاهر النسب بن الطاهر النسب

وأطلعه السيد القرشي المذكور على ديوان يجمع فيه الامداح المنقولة فى مدح مولانا سليمان ، وربما ذكر فيه شعرا يتعلق بغيره ممن له بالسلطان علاقة ، فكتب له على ظهره تقريظا مطلعه :

كحّلْ باثمد هذا الروض أجفانـاً   واقطفْ سرورك من معناه ألوانـا

ألف رحمه الله تآليف عديدة ، منها (درة السلوك ، وريحانة العلماء والملوك) ، رتبه على سبعة أقسام وخاتمة ، القسم الاول فى بعض معجزاته عليه السلام ، وما له من الاصطفاء عند الملك العلام ، القسم الثاني فيما ورد من البشائر بظهوره عليه السلام ، وبعض فضلاء الخلفاء أمراء الاسلام ، وفضل المدينة المشرفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، القسم الثالث فى بعض القصص والآثار ، ومقطوعات من الشعر تزري بخمائل الازهار ، القسم الرابع فى عفو الله وسعة رحمته ، والحضّ على توحيده والاعتراف بعبوديته ، القسم الخامس فى مواعظ الملوك والحض على أتباع العدل ، وأحوال بعض أهـل الصلاح والفضل ، القسم السادس فى وقائع الملوك وءاثارهم ، ونبذ لطيفة من أخبارهم ، القسم السابع فى حكايات رائقة ، وقصائد مـن الشعر فائقـة ، الخاتمة فى نوابغ الكلم ، التى تجري مجرى الامثال والحكم ، ونبذ من أحاديثه عليه السلام .

ولما مات رحمه الله فى دولة المولى سليمان قال سيدي حمدون ابن الحاج يحثه على الصبر ويرثيه فى سنة 1227 سبع وعشرين ومئتين وألف :

فيكم لنا خلَف عن كل مَن سلفا   والله يبقيكم ذخراً لنا وكفـى

راجعها فى ديوانه .

وقال فى (اللؤلؤ المكنون ، فى اختصار ابن عيشون) فى ترجمة سيدي قاسم الوزير الغساني ما نصه : وبنيت عليه قبة عظيمة بناها عليـه الشريف المنيف مولانا عبد السلام الضرير أخو الامير مولانا سليمان رحـم الله الجميع ، وانما بنى على هذين الشيخين لانه كان ذهب الى الحج وحج ونزل الى مصر وسمع بنصر مولانا اليزيد فاستوطن مصر ، واشترى أصلا هناك ، ولقي الشيخ مرتضى ، وكان يحضه على الرجوع الى المغرب وهـو يمتنع ، فقرات لوم عليه ، فحبس أصله الذى كان اشترى، وقال له ان كان ولا بد من الرجوع إلى المغرب فدلني على مَن يأخذ بيدي ، فقال له أدلك على ياقوتتين

جيدتين ليس عندكم اليوم مثلهما ، سيدي قاسم الوزير ، وسيدي عبد الوهاب التازي ، فدخل الى المغرب ، فوجد مولانا سليمان بويع له ، وخدمهما حياة وموتا رحم الله الجميع .

ثم قال في ترجمة تلميذه سيدي مصطفى الرباطي ما نصه : وقد ألف فيه الشريف المنيف ، مولانا عبد السلام بن محمد الضرير شقيق مولانا سليمان تأليفا سماه (مناهل الصفا ، في مناقب سيدي مصطفى) في أربعة أسفار ، وكان من أصحاب الهمم العلية ، طلب العلم بمدينة فاس على الشيخ عمر الفاسي ومحمد التاودي ابن سودة وغيرها ، وفي أثناء ذلك وجهه أبوه للحج صحبة شقيقه علي ، وذلك سنة خمس وثمانين 1185 وولاه على فاس سنة سبع وثمانين 1187 ، ثم حج مرة ثانية وذلك سنة ثمان وثمانين 1188 .

قال في كتابه (درة السلوك ، وريحانة العلماء والملوك) عند كلامه على سنة ثمان وثمانين 1188 ما نصه : وفي هذه السنة وجهني مولانا الوالد الى بيت الله الحرام ، وبعث معي مئة ألف دينار برسم التوسعة على أهل الحرمين ، فقضينا المناسك ورجعنا سالمين ، والتقينا مع جماعة من أعيان الديار المصرية ، ومدحونا بقصائد ، وأجازونا بالاجازات .

وذكر بعض المتأخرين أن مقدار الهدية التي وجهها السلطان سيدي محمد بن عبد الله مع ولده عبد السلام هذا لأهل الحرمين عشرة ءالاف ضبلون ذهبا نابها من الدنانير مئتا ألف دينار بالتثنية ، وهو خلاف ما نقلته لك قبل عن كتابه (درة السلوك) من أنها مئة ألف بالافراد ، وهو أعلم بما صحب معه ، كما أن ما ذكره السيد مرتضى من أنه حج سنة 1190 خلاف ما سبق عن كتابه المذكور من أن حجته الثانية كانت سنة ثمان وثمانين ، قال وممن أجازني وأخذت عنه أول المسندين الصحيحين مسند البخاري ومسلم ، وهو الشيخ الفاضل ، المحقق الكامل ، الشريف محمد المرتضى شيخ الديار المصرية في علم الحديث واللغة والتاريخ ، وله تآليف منها شرح على القاموس في اثنين وعشرين مجلدا ، وزاد عليه بأمور في اللغة لم يهتد اليها ، وتلاقيت أيضا مع الشيخ عمر الطحلاوي ، والشيخ علي الصعيدي امام المالكية بالديار

المصرية ، والشيخ عبد الرحمان الجبرتي ، وغيرهم ، وبالمدينة مع الشيخ السمان شيخ الطريقة ، والمشار اليه هناك بالحقيقة ، ولما رجعنا الى المغرب احتفل الوالد بملاقاتنا واكرامنا ، وقال فيه أيضا : وفى سنة خمس وتسعين 1195 عقد لي مولانا الوالد على ايالة سوس الاقصى ودرعة ، كما أن السيد مرتضى لم يذكر أن المترجم حج صحبة أخيه علي حين ترجم بها ، راجع المعجم .

1298) عبد السلام بن عبد الرحمان اليزمي

عبد السلام بن عبد الرحمان بن الطيب الأزمي نسبة لأولاد أزم بقبيلة صنهاجة ، الحسني الادريسي السباعي ، الشيخ الامام الفقيه ، العالم العلامة النزيه ، حامل لواء المذهب المالكي فى عصره ، ومفتى الديار المغربية فى أوانه ودهره ، كان جده السيد يحيى بن أزَم من أهل الصلاح والخمول ، وله أحوال ، وكان هو رحمه الله فقيهاً حافظاً مطلعاً علامة مدرساً نفاعاً أحيى الله به الفقهَ فى المغرب فى زمانه ، ونفع الجمَّ الغفير من أهل دهره وأوانه ، وكان ممن تُشدُّ إليه الرحال ، ويعول على فهمه بين الرجال ، أخذ بمدينة مازونة (1) وغيرها عن جماعة من أهل العلم ، منهم الولي الصالح العارف سيدي أبو طالب بن علي بن أبي طالب بن عبد الرحمان بن محمد المعروف بالشارف محشى الخرشي ، والعلامة الصالح سيدي أحمد ابن نافلة تلميذ الشيخ عبد الباقي الزرقاني ، والشيخ سيدي محمد بن الحسن البناني، والشيخ سيدي عبد الكريم اليازغي ، والشيخ الامام سيدي محمد التاودي ابن سودة المري ، والشيخ سيدي عبد القادر ابن شقرون ، وغيرهم ، وأخذ عنه هو جماعة لا يحصون ، منهم سيدي عبد القادر بن أحمد الكوهن ، وقد عدَّه فى فهرسته من شيوخه ، وحلاه بشيخنا الفقيه العلامة النفاع ، وشيخ شيوخنا الفقيه العلامة شيخ الجماعة بفاس سيدي محمد بن عبد الرحمان الفلالي الحجرتي والعلامة سيدي الطالب بن حمدون ابن الحاج ، وغيرهم .

وكان رحمه الله من أهل العلم والعمل ، والتقشف لبساً ومأكلا ، زاهداً ورعاً عابداً براً تقياً صالحاً منقبضاً عن الدنيا وأهلها ، حكي لنا بالسند

---

1) مازونة مدينة بعمالة وهران من المغرب الأوسط ، اشتهر أهلها بالعناية بالفقه

الصحيح أن بعض الطلبة دعاه يوماً لداره بقصد اكرامه ، فجاء اليه ، فقدم له ذلك الطالب شيئاً من الكسكس بأولاد الحمام ، فأعجبه ذلك وجعل يستحسنه ، فعاد ذلك الطالب اليه بعد أيام وأراد أن يدعوه لمثله ، فرجع فيه الشيخ رجعة عظيمة ، وجعل يوبخه ، وقال له أفسدت عليّ طبيعتي ، فانني من ذلك اليوم الذى كنت فيه عندك وأنا أراود نفسي على الرجوع لمعتادها فلم ترجع إلا بعد جهد جهيد ، والآن اذهب لحالك ، فذهب ولم يعاوده من ذلك اليوم هيبة له .

توفي رحمه الله بالمرض المسمى بالشهدة يوم الأحد بعد صلاة الظهر عاشر شعبان سنة إحدى وأربعين ومئتين وألف 1241 ودفن بالروضة المذكورة(1) ورثاه العلامة الطالب ابن الحاج بقصيدة اشتملت على أحد وعشرين بيتاً وقفت عليها بخطه .

انتهى من السلوة (2) .

طلع لمراكش مرحلا لما لم يرد أن يحضر عند الشيخ الطيب ابن كيران فى مختصر خليل لما أمر مولانا سليمان جميع علماء فاس أن يحضروا عليه كما فى كناش سيدي الحسن كنبور ، وقد نقله العلامة سيدي عبد السلام الهواري في كتابه (تنوير الصدور ، فى التعريف بسيدي الحاج كنبور) الذى ألفه أواخر حجه عام 1283 وقد وعده الكوهن فى فهرسته من أشياخه الذين لم يترجم لهم ، وقال الضعيف في تاريخه وفي هذا اليوم ورد الفقيه السيد عبد السلام اليزمي مع الفقيه محمد بن منصور الفاسي على رباط الفتح ، ولما وصل اليزمي وابن منصور لمراكش أخذا فى تدريس العلم بالسلطان ، وولى ابن منصور القضاء ، وأما الزروالي فأتى مريضاً مع الحاج العربي للرباط ، وأبو طالب شيخه المذكور يروي عن أبيه ، وكان من المعمرين جاوز المئة ، عن الشيخ مصطفى بن عبد الله بن موسى الرمّاصي القلعي المعسكري المتوفى سنة 1136 عن سن عالية جاوز التسعين ، عن الخرشي والزرقاني ،

1) اى الروضة المعروفة بروضة العلماء الواقعة خارج باب فتوح من فاس

2) كل ما تقدم منقول بالحرف من **سلوة الانفاس** 3 : 15

كلاهما عن الأجهوري ، ويروي عن المترجم شيخ الجماعة بفاس محمد بن عبد الرحمان الحجرتي الفاسي .

1299) **عبد السلام بن محمد الزموري** ، الأديب ، الفقيه الوجيه الأريب ، قال يخاطب عبد العزيز الغرديس سفير السلطان المولى عبد الرحمان إتماماً للصلح الواقع بينه وبين إسبانيا :

أياغرديس تعلم أن قلبي يميل الى الكوسية والسماع
وتعلم أنني أيضا مشوق إليك ولو دعيت الى كراع
بعثتَ إلي تستدعي حضوري فلم يقض الزمان بالاجتماع
فعنْد إن الكريم له معاد وذاك لعمري من كرم الطباع

ومنه أيضاً :

قد جاءني الكأس يبكي وهو في قلق فقلت مالك تبكي أيها الكأس ؟
فقال لي كيف لا بكي وقد نصبوا لطبلة قيِّماً يمجُّه الناس
وجه عبوس بلا عذر ولا سبب وكيف يصلح للكاسات عباس ؟

كان رحمه الله أديباً واعياً فاضلا ، أخذ عن الفقيه أحمد بن التاودي ابن سودة ، وله شعر كثير ، وامتحن وسجن في 22 حجة عام 1250 بدهليز سجن مصباح بقصبة مراكش ، وله قصيدة رائية يقول فيها :

ألا إن في موت الأعادي حسرة وقطعاً لباقي شرهم وهم كُثْر

الى أن قال :

اذا عشت من بعد العدو هنيأة فلا أسعدت سعدى ولا نزل القطر

راجعها في كناش الفقيه السيد محمد بن الحسن المراكشي .

وله قصيدة في الأتاي نصها :

الحمد لله الذى نعتمنا بكل مطعوم به أطعمنا
وكل مشروب لديه أطيب حاو حلال كالغمام الصيب

مثل الأتاي اللندريزي (١) جيدٌ … صفرته مثل مذاب العسجد
ان صُب في كئوسه المذهبه … على صفا صينية ملتهبه
تطاير الهمُّ لديه وانشرح … صدر الذى يشربه من الفرح
فان يكن معنبرا فذاك في … مذهبنا المختار خير ما اصطُفي
وذا الى ثلاثة أو أربعا … من الأحبة وما زاد ادفعا
ما لم يكن مغنيا أو مطربا … أو ذا ملاحة يرى محببا
فهو الذى يقيمه ويحسنه … وكلنا من يده نستحسنه
وان يكن منعنعا فذاك لا … وحقكم يصلح الا للملا
أو للذى أولع بالحناوي … أو اشتكى ضرا فللتداوي
خذه فدتك النفس من قبل الطعام … أو بعده فما عليك من ملام
الا اذا كان الطعام كسكسا … فكلُّ مَن أخره فقد أسا
ووقته وقت سرور وانبساط … وحينما دعا لشربه النشاط
وقت الصباح عندهم مستحسن … لكنه بعد العشاء أحسن
اذ وقته وقت فراغ البال … وراحة القلب من الاشغال
والامن من كل ثقيل يدخل … أو خبر على النفوس يثقل
مع اتساع الوقت للمنادمه … ولذة الجلوس والمكالمه
وذاك في الصباح لا يتفق … وهو من بعد العشي محقق
أكرم بذاك الوقت وقت الكرما … وانما الليل نهار الندما
يومن فيه مع غلق الباب … وسدل ما يستر من حجاب
واختر له من الشموع الابيضا … كألسُن الافعا اذا تنضنضا
على دخان العود اذ يحترق … وماء ورد عطره ينتشق
ولا أرى الاتاي بالقنديل … والزيت والمنخاس والمنديل
اذ كل أمره على النظافه … قد انبنى وشرطه اللطافه
لا سيما الساقي الذى يناوله … كذلك الكأس الذى نستعمله
وشربُه على خلاء المعده … جاز على شرط حضور المائده
نأخذ منها لقمة أو لقمتين … من قبل أن تشرب منه حلقتين

---

١) أى المجلوب من لوندريس (لندن) بالاسبانية

وأخرنه مطلقا حيث تـــــلا ما كان مالحا يرى مخلـــــلا
وشربه على الشواء والكبـــاب يفتح للصحة منه ألف بـــاب

وتوفي فى تاسع عشر جمادى الثانية سنة تسع وسبعين ومئتين وألف 1279 بفاس ، ودفن بباب الجيسة بروضة سيدي محمد بن الحسن ، ومن تلامذته سيدي أحمد بن الطالب ابن سودة أجازه بما أجازه به سيدي أحمد بن التاودي .

ومن قصيدة له فى سجنه :

وانظر الينا بالجنانة اننـــا أسرى بموقف ذلة وهـــوان
قد أثقلنا من الحديد أســـاور كدنا نخرُّ بها على الاذقـــان

1300) **عبد السلام بن حمّو الوزاني** الفقيه العلامة ، قاضي مراكش ، ولاه قضاءها سيدي محمد ابن مولانا عبد الرحمان بعد أن عزل قاضيها الدويري ءاخر العشرة التاسعة من القرن الفارط ، ثم أخر عن القضاء وصار يتعاطى الشهادة بسماط القرويين من فاس ، حدثنا بذاك شيخنا الفقيه السباعي ، ووقفت على ظهير شريف مؤرخ فى 4 محرم عام 1290 كتبه له السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان فى شأن النظر فى مساجين مراكش وهو اذذاك قاض بها ، وجعل له النظر فى براءة مَن له براءة من مساجين سجني مصباح والمدينة المقبوضين فى الدعوى عليهم بدم أو مـال ، فمن صحت براءته واستوجب التسريح فليسرحه ، ومَن ليست لهم براءات أو لهم غير تامة ان ظهر له أن يكتفي منهم بضامن ثقة لما عسى أن يثبت عليهم فليأخذ منهم الضامن ويسرحهم ، وان كان الامر موقوفا على حضور مَن يدعي عليهم فان امكن استحضارهم كما اذا كانوا بالمدينة ونحوها فليحضرهم ولينظر هل لهم حجة أم لا ؟ ومَن لم يمكنه استحضارهم فليعلم بهم ويسمهم ونكتب لعمالهم بتوجيههم ، ونأمر عامل السجنين المذكورين اذا كتب لهما بتسريح أحد من أهل هذا النمط المذكور فليسرحه له الا مَن كان مشهورا بالجرائم وتكررت منه وعرف بها فليبق بالسجن اراحة للمسلمين من شره ، وكتب له ولده السلطان مولاي الحسن بمثله مع شرط الاعلام بمَن يريد تسريحه ليومر بتسريحه فى 15 شعبان عام 1290 .

1301) **عبد السلام بن محمد بن الطالب ابن سودة المري** ، كان رحمه الله فقيها محدثاً خيراً بليغا عدلا مبرزاً ، تولى خطابة مسجد ولي الله سيدي أحمد الشاوي وورد مراكش لقراءة الصحيح بالحضرة الشريفة .

1302) عبد السلام بن العربي الوزاني

عبد السلام بن الحاج العربي بن علي الوزاني الشريف اليملحي ، الاشهر الملامتي ، كان رحمه الله ذا جاه عظيم ، وقدر فخيم ، وكرم عميم ، عرض له تحول وانتقال من وزان لأسباب اقتضاها الحال ، فسكن طنجة مدة الى أن توفي بها يوم الخميس قبيل الفجر أو بعده بيسير سابع ربيع النبوي سنة عشر وثلاثمئة وألف 1310 ودفن بزاوية جده منها الولي الكبير ، والعلم الشهير ، مولانا الطيب رضي الله عنه ، وقبره هناك شهير ، ودخل مراكش مرات فى أيام السلطان المولى عبد الرحمان وولده السلطان سيدي محمد ، ولد المترجم سنة اثنين وخمسين ومئتين وألف 1252 ، وألف فى مناقبه الشيخ الشريف سيدي محمد العربي بن عبد الله بن التهامي الوزاني اليملحي (بلوغ القصد والمرام ، فى مناقب سيدي الحاج عبد السلام) ، كما تقدم ذكره فى ترجمته ، أخذ عن والده المذكور ، وأطلق له الاذن فى تلقين الورد ، وذكره فى السلوة (1) .

وقال ابن حسون فى أول رحلته الحجازية محلياً للمترجم بما نصه : الرفقة الصالحة ، والفئة الناجحة ، رفقة منار السالكين ، سليل أولياء الله العارفين ، نخبة الامجاد الاتقياء ، وسلامة المنتخبين الاصفياء ، ملاذ الخاص والعام ، مولانا عبد السلام ، نجل شخنا وسيدنا ، وعمدتنا التى بها نستمسك فى التوصل لربنا ، قدوتنا القطب الواضح الجلي ، سيدنا ومولانا العربي بن مولانا علي ، انتهى .

1303) عبد السلام بن محمد العلمي

عبد السلام بن محمد بن أحمد بن العربي بن أحمد بن أحمد بن عمر بن عبد القادر بن أحمد بن عمر بن عيسى بن سيدنا عبد الوهاب بن محمد بن

---

1) **سلوة الانفاس** 1 : 105

ابراهيم بن يوسف بن عبد الوهاب بن عبد الكريم بن محمد بن القطب الواضح مولانا عبد السلام بن مشيش رضي الله عنه ، العلمي الفاسي سكنى ، الفقيه الاديب ، الطبيب اللبيب ، الشريف ، ولد فى بضع وخمسين ومئتين وألف بفاس ، وقرأ العربية وغيرها من العلوم المتعارفة بالقرويين ، ووجهه المولى الحسن لمصر لتعاطي المعارف الطبيــة والتشريحية والتوقيت والتعديــل والتنجيم والارصاد وتخطيط الساعات الشمسية المعروفة بالمزاول ، وأخذ عن شيوخ الطب بمصر وقد سماهم فى تأليفه (ضياء النبراس ، فى حل مفردات الانطاكي بلغة فاس) مع الخاتمة التى كشف فيها عن مفردات كنوز الصحة . أتمه أواسط رجب عام 1302 وهو مطبوع بفاس سنة 1318 ، وطبع بهامشه تأليفه (البدر المنير ، فى علاج البواسير) صحائفه 133 مطبعة حجرية ، وقد أجازوه اجازات ما زالت محفوظة عند ولده المكرم سيدي مشيش ، وقد مهر فى الطب والتشريح ، وقرأ على أطباء فرنسويين واصپنيوليين وأجازوه كذلك، وحضر تشريح 1600 جثة من موتى الحرب فى ثورة عرابي ، وشاهد العمليات الجراحية بمستشفى مصر ، ولما عاد من مصر اختصه مولاي الحسن رحمه الله طبيبا لنفسه وعياله ، ولازم الاعتاب الشريفة بصفته طبيبا ، وكان فتح دكانا لاستقبال المرضى ووصف الامراض والعلاج من فاس بناحية السلسلة الموالية للحجام بالنجارين ، ولم يطل ذلك ، فأصيب رحمه الله بفالج فى نصفه الاسفل ، فلزم داره من سنة 1304 الى أن أدركه أجله سنة 1323 .

وكان يتردد اليه طلبة فاس لقراءة ما يحسن من تلك العلوم الرياضية الميقاتية ، منهم الشيخ محمد بن علي الغزاوي ، ومنهم السيد عبد الكريم بن العربي بنيس مصحح طبع (ضياء النبراس) المذكور ، وجلب من مصر كتبا غريبة المنحى لم تكن معروفة بالمغرب فى سائر العلوم العقلية والطبيعيــة والجغرافية وغيرها رحمه الله ، ومن موضوعاته أيضا (الاسرار المحكمة ، فى حل رموز الكتب المترجمة) ولم يكمل .

1304) عبد السلام ابن زروق العرايشي

الحمد لله (1) .

مسألـة : وقعت مذاكرة أثناء محاورة ، اذ حكى لنا العلامة الشريف مولاي أحمد بن المأمون البلغيثي أن الفاضل السيد عبد السلام بـن زروق العرايشي أفاده أن مصدر ارتج بتشديد الجيم الارتتاج بتكرير التاء المثناة منكرا ما يقوله الناس فى الارتجاج بتكرير الجيم ، قائلا ان أصل الجيم الاولى تاء فرجع فى المصدر الى الاصل ، فقلت له بديهة منكرا لذاك لا شك فى أن مصدر ارتج المضعف الارتجاج ، وان ما ينطق به الناس فيه حق غير حايد عن منهج السداد وليس فيه لجاج ، لأن المصدر قياسي لا يتوقف فيه على سماع ، ولان المصدر يلحقه الاعلال والقلب والابدال التى تلحق الفعل كما تقرر عند النحاة بالاجماع ، كالجمع والتثنية يردان الاشياء الى أصولها فى سائر الأنواع ، ثم أجاب بأن صاحب القاموس نص عليه بالتاءين ، ولا مجال للقياس بعده ، فورد المثل : اذا جاء نهر الله بطل نهر معقل ، فقلت له : ان صاحب القاموس لا يذكر المصدر القياسي اتكالا على وضوحه الا لنكتة ، وأيضا على فرض صحة ما نسب للقاموس لا يلزمنا أن نتبع صاحب القاموس فى الاوهام التى وقعت له، فسكتت ، ثم لما انفضَّ المجلس راجعت القاموس فلم أجد فيه ما نسبه له ، وظهر لي أن المفيد المذكور وقع له الوهم من وجوه ، أحدها أنه التبس عليه ارتج بتشديد الجيم بارتتج بتاءين وتخفيف الجيم ، أما الاول وهو الذى وقع فى مصدره الكلام فان وزنه افتعل ، وجيماه أصليتان ، الاولى عين ، والثانية فاء ، فمصدره الارتجاج بجيمين قطعاً كل منهما أصل ، وألف الوصل والتاء مزيدتان ، وهو من مزيد مادة رجج ، قال فى الاساس رجه حركه فارتج ورجرجه فترجرج وارتج البحر والتج وجارية رجراجـة يترجرج كفلها ، وأطعمنـا رجراجة وهي الفالوجة ، ومن المجاز ارتج عليه الكلام اضطرب والتبس ، وهذا المعنى الاخير لم يذكره فـى القاموس ، ونقله شارحه عـن ابن سيدة عـن الاصمعي ، الوجه الثاني أنه التبس وارتتج عليه الارتتجاج على وزن الافتعال بتاءين الاولى زائدة والثانية عين المصدر ، فجعله مصدر ارتج بتكرير الجيم

---

1) هكذا وجدت فى الأصل هذه الترجمة . وقد ترك المؤلف بياضا بين العنوان وبين الحمد لله ، لانه كان ينوى من غير شك التعريف بصاحب الترجمة ابن زروق

الذى مصدره الارتجاج ، مع أن كلا منهما من مادة جمادة ، الثاني تقدمت والاول من مزيده مادة رتج ، قال فى (القاموس) بعد أن ذكر رتج كفرح ما نصه : استغلق عليه الكلام كارتجّ وارتتج واسترتج ، وجعل فى الاساس ارتج عليه اذا استغلق عليه الكلام من المجاز ، وبه قرره شارحه فى التاج ، وقال بعده ولا تقل ارتج عليه بالتشديد ، وأصله لشيخه ابن الطيب فى حاشية القاموس ، ويرده ما فى المصباح من أنه لغة ، ثم قال فى التاج : وفى حديث ابن عمر أنه صلى بهم المغرب ، فقال :(ولا الضالين) ثم ارتج عليه ، أي استغلقت عليه القراءة ، وفى التهذيب ارتج عليه وارتج عليه وارتج ، وعن أبي عمرو : وترج اذا استتر ، وارتج اذا أغلق كلاما أو غيره ، وعن الفراء ارتج الرجل ورجى وغزل كل هذا أراد الكلام فارتج عليه ، ويقال ارتج على فلان اذا أراد قولا أو شعرا فلم يصل الى تمامه ، الوهم الثالث أنه نسب الى القاموس أن مصدر ارتج بتكرير الجيم الارتتاج بتكرير التاء وهو غلط ، فقد راجعت القاموس فلم يذكر لارتج بتكرير الجيم الا الارتجاج من مزيد مادة رجج ، وأن معنى ارتج عليه الكلام بتشديد الجيم اضطرب والتبس كما فى (الاساس) وكما فى (التاج) عن ابن سيدة عن الاصمعي ، ويقال ارتج عليه بتشديد الجيم فى استغلاق القراءة كما فى المصباح خلافاً لمَن نفاه ، وأن مصدره الارتجاج بجيمين كما فى القاموس ، وان الارتتاج بتاءين يكون مصدر ارتتج عليه الكلام اذا استغلق ، ويقال ارتج وارتتج واسترتج كما فى القاموس فى الاربعة ، وفى الاساس فى الثالث ، وان الفاضل العرايشي وقع له الغلط فى ذلك من أربعة أوجه ، جعل الارتتاج مصدر ارتج ، ونفى الارتجاج مصدره وكون التاء الثانية أصلا للجيم ، ونسبة ذلك للقاموس .

قاله وكتبه بتاريخ 12 شوال عام 1326 عباس بن ابراهيم المراكشي تغمده الله برحمته .

وقلت نظما :

الارتجاج فى الكلام الالتبـــــاس	والاضطراب قاله لدى الاســـــاس
والارتتاج فيه الاستغـــــلاق	بحيث لم يبق له سيـــــــاق
كلاهما من المجاز اللغـــــوي	فحرر العلم وكن ثبتا قـــــوي
فأول جا من مزيـــــــد رجج	والثاني من مزيد أصـــــل رتج

الحمد لله وحده

نقلت من خط الفقيه السيد عبد السلام ابن زروق ما نصه : الحمد لله للعلامة سيدي عمر الفاسي رحمه الله فى المطالب السبعة التى يتوقف عليها برهان حدوث العالم ما نصه :

تأمل وجود الكائنات فانهـــا تدل على الباري بفكرة ثاقــب
فتثبت أعراضا وتثبت أنهـــا ملازمة للجرم ضربـــة لازب
وتثبت بالبرهان أيضا حدوثهـــا وان لها جرءه بأقوى المذاهــب
وصرح بابطال القيام بنفسهـــا ونفي انتقال والكمون لطالــب
وكل قديم يستحيل انعدامـــه فحقق وكن مُغرى بنيل المطالـب
فيبدو حدوث الجرم اذذاك فاعتبر تجدْ لك ربا ما سواه بواجــب
وعندي وجود الحق أظهر أن يرى دليل له فالحق ليس بغائــب

وهو بخط حسن ، وبعده ولشيخنا العلامة سيدي عبد السلام ابن زروق رضي الله عنه :

يقولون كم من شاتم لك بالـــورى وأنت له فى الناس تثني وتمـــدح
فقلت دعوه صارعته طباعـــه فكل اناء بالذي فيه يرشـــح

وقال فى هذا المعنى :

خليلي اني كاتم سرَّ صاحبـــي وان كان فى عرضي ينم ويفضـــح
ليعلم عند الناس فعلي وفعلـــه وكل اناء بالذي فيه ينضـــح

ثم كتب أن لسيدي عبد السلام المذكور أيضا :

ولم يخف الصديق فى الغار اذ غدا مع المصطفى عن نفسه فتحيـــرا
ولاكنما خافوا العدا أذ تحزبـــوا على المصطفى فانهلَّ دمعاً تفجـــرا
وقال اذا ما مت فالامر هيـــن اذا عشت يامَن أحرز المجد فى الورى
يموت اذا ما مت كل موحـــد ويمسي حسامُ الدين بعدك أبتـــرا
وقد أنزل المولى عليه سكينـــة وأيده بالجند جندا مظفـــرا
فيأأيها الصديق ياخير صاحـــب ومَن حبُّه فى المصطفى كان أوفرا
فكن لي لدى خير البرية شافعـــا فحظُّك منه كان أحظى وأوفـــرا

نقلت هذا من ورقة ناولنيها ولده الشاب أحمد الذى قلت فيه :

هذه نسخة حـــــــب قد حـوى ظـرفـاً ولطفـــــا

فقال سيدي ادريس بن سعيد السلوي :

جمع الحسن تمامــــــاً فى لهاه حرت وصفـــــاً

فقلت

يأبا العباس جد لـــــي بالذي أهواه عطفـــــا

بتاريخ 3 جمادى عام 1329 .

وقد ترجمته فى الرحلة .

1305) عبد السلام بن عبد الله الصقلي

عبد السلام ، بن عبد الله بن الفقيه السيد العباس ، بن الفقيه السيد أحمد ، بن مَحمد (فتحا) ، بن الفقيه السيد أحمد ، بن المحدث سيدي محمد الشهير بالوارق ، بن العربي ، بن محمد ، بن علي الصقلي ، بن عبد الله ، بن القاسم ، بن أحمد ، بن محمد ، بن علي ، بن يحيى ، بن محمد ، بن علي ، بن الحسين ، بن محمد ، بـن عبد الله ، بـن طاهر ، بـن الحسين الصقلي ، بـن موهوب ، بن أحمد ، بن محمد ، بن طاهر ، بن الحسين ، بن علي الهادي ، بن محمد الجواد ، بن علي الرضا ، بن موسى الكاظم ، بن جعفر الصادق ، بن محمد الباقر ، بن علي زين العابدين ، بن الحسين السبط ، هكذا استفدت نسبه من خطه بطرة (غاية الأمنية) ، وبطرة (الروض الزاهر ، فى نسب سيدي محمد طاهر) .

وقـال فى (الدرر البهية) عند ذكره ولـم يذكر جميع عمود نسبه ما نصه : الفقيه الاجل ، المحدث الاديب الاريب الانبل ، أحد أعيان الشرفاء الملحوظين بعيون التعظيم ، الراقين لسماء الاجلال والتفخيم ، حلو الشمائل ، حسن السمت ، مع وقار فى مروءة ، وصمت فى جلالة .

وقال السيد عبد الحي الكتاني فى حق المترجم لقي بمراكش علامتها السيد الحاج مَحمد (فتحا) أزنيط ، وكان يحدث عن انشاداته وافاداته له .

كان الشريف المذكور صاحب الخزانة الهائلة بفاس أديبا رزينا بهي الخلق والخلق ، بارع الخط ، أخذ العلم عن ابن عمه القاضي سيدي عبد الهادي الصقلي ، والفقيه سيدي الحاج محمد بن المدني كنون ، وسيدي محمد بن التهامي الوزاني ، وسيدي جعفر الكتاني وكان ملازماً لسرد الصحيح عند سيدي عبد الكبير الكتاني بالزاوية من فاس من أواخر القرن الثالث عشر، ولقي مَن كان يرد بها اذذاك من الافاضل ، كسيدي علي بن طاهر ، والولي الصالح سيدي علي شقور ، وكان يطلع لمراكش لقراءة الصحيح بحضرة السلطان مولاي الحسن ، وكان أحد السراد ، فلقي سيدي الزوين وأخذ عنه الطريقة الناصرية ، وأخذ عن سيدي شقور ما له من الاوراد ، وصحب سيدي محمد الغياتي ، وكان هو القائم بشؤون المترجم ، إلا أنه انقطع عنه ءاخراً ، وحج وزار ، وأجازه سيدي محمد القادري عامة بواسطة مولاي أحمد الدرقاوي ، واقتنى خزانة نفيسة يضرب بها المثل اشتملت على عدد من خطوط المؤلفين والكتب الغريبة باع بعضها عند حجه للسيد عبد الحي كشرح الاردبيلي على (مشكاة المصابيح) ، وأول (نور النبراس ، على سيرة ابن سيد الناس) للبرهان الحلبي ، و (شمس المعالم) للصومعي ، وكان ينوي المجاورة ، ثم رجع الى مسقط رأسه فاس المتولد فيها فى عشرة الثمانين تقريبا .

ومن اللطائف أنه لما سافر للحج ورجع السيد عبد الحي من وداعه فتح جزءا من شرح الاحياء فوجد فيه أول ما رأته عينه :

جاء الحبيب الذي أهوى من السفر والشمس قد أثرت فى وجهه أثرا

فعلم أنه فال لرجوعه من الحج بعد قضاء الوطر .

تولى عدالة الديوانة بمرسى الصويرة ، واعطاه المولى عبد العزيز نفقة كبيرة لسفره ، وتزوج مرارا .

توفي عام ثلاثين وثلاثمئة وألف 1330 ودفن بباب الفتوح فى روضة الصقليين .

1306) عبد السلام بن محمد المحب العلوي

عبد السلام بن محمد المحب بن محمد بن عبد السلام بن عبد الله بن محمد الحبيب بن مَحمد (فتحا) بن زين العابدين ، ابن أمير المومنين مولانا اسماعيل العلوي ، ولد بالدار العالية بمكناسة عام اثنين وثلاثمئة وألف 1302 ، الاديب الشاب الكاتب النجيب ، الفاضل الكامل اللبيب ، طلع فى سماء البلاغة بدرا منيرا ، وارتوى من معينها زلالا نميرا ، شاد للقريض قصوراً ، ونظم للأعاريض أضربا حبرها تحبيراً ، ما أتى غرضا الا قرطسه ، ولا قصد فناً من فنون الشعر الا حاز أنفسه ، له الفكرة السيالة فى النظم والنثر ، والعارضة القوية فى السهل والوعر ، نظمه سلس القياد ، مشحون بالنوادر المطربة رافع العماد ، أوقفني على تأليف له نظم فى أضرب الشعر المشهورة ، حاك فيه للمديح برودا موشية مطوية ومنشورة ، وقدم له مقدمة نثرية حررها تحريرا ، لو صادفت من الممدوح انتباها لنال بها حبورا .

فمن شعره مخمساً بيتين لي ما نصه فى شوال 1328 .

غرامي فيكم ما له اشتبـــــــــاه ونومي من صدودكم انتبـــــــــاه
وجسمي سقم جفنكم بـــــــــراه (أشاهد كل تمثـــــــال اراه
له شبه بأوصاف الحبيـــــــب)
أعانقه ولا آلو عناقـــــــــا يكاد يحل من خصر نطاقــــا
ويوسعني تجمعه فراقـــــــــا (فيهتزُ الفؤاد له اشتياقــــــا
ويزكو في محبته نصيبـــــــي)

وخمسها صاحبنا أبو الفضل الشرفي بما نصه :

يعاني القلب شوقا ما بــــــراه ومعنى الحب حبي مـــــــا دراه
وهذا ودي سلبي واعتــــــــراه (أشاهد كل تمثـــــــال أراه
له شبه بأوصاف الحبيـــــــب)
وان أذكر لطلعته افتراقـــــــا وأخشى لوعة منه احتراقـــــا
أسوق لحكمه نفسي مساقـــــا (فيهتزُ الفؤاد له اشتياقـــــا
ويزكو في محبته نصيبـــــــي)

وقال مشطرا لهما :

أشاهد كل تمثـــــال أراه	بديع الوصف فى زي عجيـــب
فيهتز الفؤاد له اشتياقـــا	برؤية روض منظره الخصيـــب
وأوقن أنه هو لا ســـواه	ويزكو فى محبته نصيبـــي

وقال الاديب محمد بن أبي العشرين مخمسا لها :

ولاح عاب تمثـــالا رءاه — بما قد لاح من باهي سنـــاه

فقلت له بمدحي من بـــراه — أشاهد كل تمثـــال أراه

له شبه بأوصاف الحبيـــب

أدير بذكره كأسا دهاقـــا — جزاء للعذول به وفاقـــا

وأرقب اذ سما سبعا طباقـــا — فيهتز الفؤاد له اشتياقـــا

ويزكو فى محبته نصيبـــي

وقال مُشطرا لها :

أشاهد كل تمثـــال أراه	لمحبوبي على رغم الرقيـــب
وأشهد أنه بكمال صنـــع	له شبه بأُوصاف الحبيـــب
فيهتز الفؤاد له اشتياقـــا	ويلهو منه بالشكل العجيـــب
نِصاب جماله زاك مزكـــى	ويزكو فى محبته نصيبـــي

وفى ثاني عشر جمادى الثانية عام ست وعشرين وثلاثمئة وألف 1326 كتب لي المترجم هذا البيت :

عم صباحا ياسيدي عبـــاسْ	ولك العز والقبول لبـــاسْ

وسألني عن وجه رفع عباس فأجبته ارتجالا فى الديوان :

دم مجيدا فى الدهر تبقى حميـدا	أنت ركن العلاء أنت الاســـاس
ياسما الفضل رفعُه متعيـــن	حيث جا مفردا ولا إلبـــاس
لو فرضنا وقوعه فى مقـــام	فيه متبوعه لتم القيـــاس

فأجابني بقوله :

يأبا الفضل ذا اليراع المعلــــى   والذي للفهوم منه اقتبـــــاس
قد تفضلت بالجواب ارتجـــالا   ولك الفضل ظاهر لا يقـــاس
ان اسما به غدوت المسمـــــى   رفعُه كيف لا يراه النـــــاس

وقال أيضا :

أعيذ أبا الفضل من أن يظـــن   بصافي المحبة بعد الكـــدر
فهب أنني قد سترت المـــرام   فكم قد قضى الحاج مَن قد ستـر
فعذرُ المحب بذا قد بـــدا   فخير الاحبة مَن قد عــذر
ولا توجعنْه بوقع العتـــاب   فوقع العتاب كوقع الحجـــر

فأجبتــه بوقوع خلل من جهة العربية فى أصله بقولي :

نثرت محبي الاديب الشريـــف   نثارَ الذى العذر فيـــه درر
فودك ليس به شائـــــب   مصفى من العيب دون كـــدر
وان العتاب يقوي الـــوداد   وليس يخاف اذا ما اعتـــذر
فلا لوم يعروك ياسيـــدي   أقمت من العتب فالعذل مـــر

وقولي مرٌّ فيه تورية يحتمل مرٌّ من المرور أو من المرارة

وقلت أيضا :

فاس وما فاس لمغتـــرب   دار الهناء وحضرة الطـــرب

فقال مجيزا :

دار بها كل الديار كـــؤ   س مدامة والماء كالضـــرب
جمعت بديع الحسن من عجـــم   وحوت لطيفَ الظرف من عـــرب
مَن فات فى الدنيا لـــه أرب   فيها يفوز بـــذلك الأرب

فقلت :

للحسن فيها ما اذا كحلـــت   مُقَلٌ به لم تبق من كـــرب

وقال يخاطبني فى غرض يظهر من البيتين :

يأبا الفضل تحفة الفضل أنتـــا	فتفضلْ بفضلة قد سكنتـــــــا
ليس بدعا محبكم يابديعـــــــا	أن هوى قلبه الذى فيه كنتـــــا

فأجبته بقولي لما تعذر المطلوب لتمكين ربه منه :

فاضل حاز م الفضائل شتـــــى	محيياً من مكارم المجد ميْتـــــــا
ليس أرضى لكم محل ثـــــــواء	غير قلبي لكم جعلته بيتـــــــــا

وم أصلها من حذفت النون .

وقال أيضا يخاطبني :

يامَن على كرسي الفضائل استوى	ومَن على كل المفاخر احتـــــــوى
الفاضل الشهم الاديب المرتضـــى	مَن من معين العلم والظرف ارتوى
ياسيدي العباس أسنى كاتـــــب	ركن الوزارة بمجده نــــــــوى
اني أتيت شاكيا من حــــــــرج	فكنْ لدائي عاجلا نعم الـــــدوا
وناوياً قضاء حاجتي بكــــــــــم	والمرء لا شك ينال ما نــــــوى
فبيدي كن ءاخذا فأنت فــــــى	جيش العلا والفضل حامل اللـــوا
لا زلت بدرا فى الكمال راقيـــــا	وغصن ءاداب يميله الهــــــــوى

سيدي العباس ، أدام الله حفظك ، ووفر من الخيرات نصيبك وحظك ، ومتع فى رياض المحاسن لحظك ، أرجو من كرم أخلاقك الطيبة ، وسحائب فضلك الصبية ، أن تقف مع محبك الصادق المخلص وقوف مَن طب لمن حب، وتأخذ بيدي فى بذر ما أزرعه من نوى وحب ، وتباشر عند الحضرة الوزيرية المحفوظة قضاء غرضي ، حتى يقوم فيه بجوهر عرضي ، ولا تال جهداً فى الاعتنا ، ودفع العنا ، واجر على ما هو المعهود من شفوف مراتبك ومزاياك ، التي طالما عمرت بالشكر وحسن الذكر فيها زواياك ، ولتجعل هذه المأثرة من مآثر نفوذ مهابتك السامية ، وهذه المفخرة من مفاخر قدرك العالية ، وتدفع ما أدفعه لسيادتك الجليلة لسيدنا الفقيه الوزير ، وتستمطر لي غمام احسانه الغزير ، وذلك بأن ينهي مطلبي للعلم الشريف ، حين تعرفه بذلك التعريف ،

إلى أن تبلغ النية والعمل ، ويبرز المراد والأمل ، وتلتذ مسامعنا من الثناء على سيادتك بالرمل ، أبقاك الله رافلا فى حلل الاقبال ، وزادك عزا وسموا وشكر سعيك الناجح فى الحال والاستقبال ، ءامين ، بجاه خير المرسلين ، محبك المخلص .

فتيسر له المطلوب على أحسن حال .

وقال أيضا :

قوي أمل الكتاب واستوثق الحرص ... وعقلهم والله طاش به الخـــــرص
وأنى لهم أن يدركوا الخرص هيناً ... وراتبـُهم مازال عائقه النقـــــص
فيامعشر الكتاب ما لي أراكـــــم ... اذا ارتوت الوراد حسبكم المـص
فهل خلق الحرمان الا لاجلكـــــم ... وهل جاء فى حكم بمنعكم نـــص
ولكنه ولا تيأسوا وتصبـــــــروا ... فبالصبر نيل الصيد واستحكم القرص

وقال أيضا :

خدام سدة مولانا المؤيد قـــــد ... طال انتظارهم للراتب العـــادي
فهم يمرون فى أعتاب سيدنــــا ... أكفُّهم : دام محفوفا باسعـــاد

وقال أيضا :

ارفق بنفسك وارحم مهجة علقت ... بمخلب العشق اذ قد فزت بالوطر
فقد تجاوزتَ حدا قد أضر بهـــا ... فى الحب اضرار جدب الارض من مطر

وقال أيضا . :

لله حسن حديقة من حسنهـــــا ... وجمالها تستوقف الاحداقـــــا
لبست من الزليج أبدعَ حلـــة ... ومن الشبابيك الحسان نطاقبـــا
وكأنما صهريجها بخريــــــره ... وبه الغصون قد أحدقت احداقـــا
ذو مجلس اذ تلك خصته علـــى ... الكرسي لها رفع النقا أوراقــــا
فانعم أبا العباس واسلم حائـــزا ... ما رق من نخب الفخار وراقــــا
لا زلت فى سعد وعز دائـــــم ... قد نلتها بعلائك استحقاقــــا

وقال فى مرثية الفقيه سيدي الحاج محمد بن عبد السلام كنون رحمه الله فى شعبان عام 1326 :

الكون أظلم ظاهر الاوصـــــاب ... والدهر جرَّعنا كؤوس الصـــاب
بأشد رزء فى الزمان وحـــــادث ... وأجل خطب فى الورى ومصـاب
فبكل قلب حسرة وتأســـــف ... وبكل عين عبرة كعبــــــاب
هل هو الا الموت قصاب الــورى ... ما حيلة الاغنام فى القصــــاب
أبدا يفجعنا بأفضلنا فكـــــم ... أخذ الرؤوس وشال بالاذنـــاب
لا بد فى الدنيا وان طال المــدى ... من فرقة الاخوان والاصحــــاب
كل الحياة بها كلمعة بـــــارق ... والعمر أجمعه كفيء سحــــاب
واذا نظرت الى الوجود بأســـره ... لم تلفه الا شراب ســــــراب
ذهب الامام محمد لسبيلـــــــه ... واحسرتاي ولات حين إيـــاب
علامة العلماء حافظ عصـــــره ... مَن كان فى التدريس ليثَ الغاب
ذهب الذي في العلم يفتح دائمـاً ... للجاهلين مغالق الابـــــواب

الى أن قال :

ما كنت أحسب قبل رفع سريره ... أن البحورَ تسير في الاخشـــاب
مَن للمجالس والمنابر بعـــده ؟ ... من للدروس ووجهة المحــراب ؟

ثم قال :

ما كان الا التبر عاد لاصلـــــه ... وغدا بمعدن جندل وتـــــراب
عز العزاء به وقد عظم الاســــا ... فعر اللسان تحير الالبـــــاب

ثم قال :

انى ليحزنني به ويسرنـــــــي ... أن حل فى الفردوس خير قبـاب
فى مقعد صدق ينعم دائمــــا ... بجميل أعمال وحسن ثـــواب
لولا الحياة لكنت تسمع حورهـا ... نادته بالتهليل والترحـــــاب

وقال أيضا فى مطلع قصيدة :

تبدى العيد فى فرح وزهـــــو ... فأضحى الناس فى لعب ولهـــو
به نشر النشاط لنا بساطـــا ... له من قبل كان الصوم يطـــوي
فكان الصوم مثل الصبر مــرا ... لنا بالفطر أعقب كل حلـــو
فيالك شهر تطهير صديـــق ... أتى للناس فى زيٍّ العـــدو

وقال فى مطلع أخرى :

تبسم ثغرُ الفتح والسعد والنصر ... فليس لانواع البشائر من حصـر
أبى الله الا أن يُتمِّم نـــوره ... ويطفىء نار الشر والضير والضـر
فأنجز للمولى المؤيد وعـــده ... ولو كرهت أهل الغواية والغـدر
فاصبح هذا اليوم عيدا مباركـا ... على ملكه الميمون فى البر والبحر

وقال من أخرى أيضا :

الحق يغلب والاباطل تغلـــب ... والصدق يبقى والاكاذب تذهـب
والهزل منصرم ولو طال المـدى ... وعدى ثبوت الجر منه تقلـــب
أين الذى للكون عمَّ فســـاده ... واختص بالآفات منه المغـــرب
أين الذى طالت عظائم دائـــه ... وشكا عضال بلائه المتطبِّـــب
أين الذى كانت موارد شـــره ... قد ساغ فيها للبغاة المشـــرب
أين الذى فيه الانام تحيـــروا ... وتخالفوا فمصدق ومكـــذب
هيهات بان الحقُّ بعد خفائـــه ... والصدق شوهد من سناه مغيـــب
وتقلصت ظُلَلُ الضلال وأشرقت ... شمس الهدى وانجاب ذاك الغيهب
والليث قد نشبت براثن بطشـه ... من بعد ما قد راغ عنه الثعلـــب
وغدا جزاء أبى حمارة كسبـــه ... والمرء شر جزائه ما يكســـب
لقب قمينٌ بالاهانة انـــــه ... حقا مهين من به قد لقبــــوا
لم يغن عنه تشعوذ وتشعبـــذ ... وتعوذ وتنسك وترهــــــب
فتقطعت أوصاله وتهدمـــــت ... أركانه وانفلَّ ذاك المضـــرب
وعساكر وجحافل وقنابــــــل ... كالشهب فى ظلم الوغى تتلهـــب
أسد ضوار فى اللقاء عوابــــس ... يرضى ويضحك بطشها اذ تغضب

وله رحمه الله شعر كثير في أغراض شتى .

قرأ القرآن بمراكش بمكتب القصور على الاستاذ محمد البوعمراني ، وقرأ على الاستاذ محمد الغماري القرآن العظيم،وأخذ النحو والفقه عن الفقيه العالم رحال الزمراني وعن الاخير الفقيه الحسن السرغيني ، والعباس التازي ، وسيدي محمد بن جعفر الكتاني ، وسيدي أحمد ابن الجيلاني ، وأخذ الطريقة التيجانية عن محمد بن عبد السلام كنون ، وعن المهدي الوزاني المتوفى يوم الثلاثاء متم صفر عام 1342 ، وعن سيدي محمد بن قاسم القادري ، وعن عمه الشريف الاخير الفقيه مولاي العربي المحب . ثم انتقل لفاس ، وتوفي رحمه الله بالرباط في سادس شوال عام واحد وثلاثين وثلاثمئة وألف 1331 في شبيبته بداء السل مأسوفا عليه ، وله تقريظ على (السيف المسلول باليد اليمنى ، لقطع رأس ابن مهنا) المطبوع بفاس (1) .

1307) **عبد السلام بن الغالي الشرعي** الفاسي أصلا، المراكشي داراً وقراراً، كان يقرأ بفاس على العلامة مولاي الهادي الصقلي سنة احدى عشرة وثلاثمئة وألف 1311 وأسكنه سيدي الهادي ببيت في المدرسة حيث أنه تفاقم الأمر بينه وبين زوجة والده ، وخرج من الدار التى كان يسكن بها والده فى جوار السيد الطالب الفاسي بالقلقليين ، ثم رغب والده في ارجاعه الى داره فساعده، ثم خرج من فاس لمراكش في أواخر العشرة الثامنة من القرن الفارط ، ثم سافر منها لتونس في أوائل العشرة التاسعة ، فحصلت له بها حظوة ، وكان يقرىء بها ، وأجازه بها الشيخ أحمد بن محمد ابن الخوجة مفتي تونس الحنفي ، والشيخ سالم بوحاجب عامة ، ثم سافر منها الى الاسكندرية عام أربعة وتسعين 1294 ذاهبا الى الحج ، وخرج والده أيضا من فاس اثر انفصال الحرب الواقعة بين أهله وبين مولاي الحسن (2) في أول دولته لكونه من رؤساء ثورتها الشهيرة ، ووجه على ولده المذكور ليتلاقى به بجدة ، فلما وصلها وتلاقى مع ابن زاكور أخبره بموته قبل وصوله بأحد عشر يوما ودفع له أثاثه ، ثم رجع لمراكش

1) ينظر عن مولاى عبد السلام المحب **فواصل الجمان** ص 224

2) يشير الى الفتنة التى حدثت بفاس فى شعبان عام 1290 اثر مبايعة السلطان مولاى الحسن الأول الشهيرة بعيطة ابن المدنى بنيس

ونفذ له قاضيها السيد عبد الواحد ابن المواز عام ثمانية وتسعين 1298 خطبة جامع سيدي أبى العباس السبتي وجعله قيما على خزانة كتبه ، ثم استقضي بآسفي عام ثمانية وثلاثمئة وألف 1308 ثم بعد ذلك تزوج بمولاة بنهيمة ، ولما أراد السفر القاضي المنيعي لغرض مخزني أنابه عنه فى القضاء سنة سبعة عشر وثلاثمئة وألف 1317 ، ولما مات القاضي فى العام الذى بعده أستقل المترجم بالقضاء ، فكان يحكم بمقصورة ابن يوسف ويخطب بجامعه بخطب يمليها من حفظه ، ودرس مرة همزية البوصيري به ، فكان يقرأ المناصب سردا من حفظه ، وكان يحفظها ، ولما اشتد به مرض العينين أخر فى قعدة عام 1323 عن القضاء ، فبقي عاطلا ملازما لداره ، وقاسى أمراضا مزمنة الى أن توفي رحمه الله فى ربيع الاول عام أربعة وثلاثين وثلاثمئة وألف 1334 .

وممن لم أقف على تاريخ وفاته ولا ترجمته :

1308) **عبد السلام بن ادريس المراكشي** ، الشيخ صاحب خواص البردة المطبوعة بمطبعة الحجر وهي عندنا بخط اليد فى أوراق الشيخ عبد السميح بن عبد الواسع بن عبد السميح بن عبد السميح الكبير الرسموكي الشيخ الفقيه ، توفي بمراكش فى صفر عام 987 ، وكذلك ولده يغرى توفي فى رجب من ألعام المذكور .

ذكره فى كتاب (بشارة الزائرين) .

1309) عبد الهادي بن عبد الرحمان العلوي

عبد الهادي ، ابن الفقيه السيد عبد الله ابن العلامة القاضي السيد التهامي ، ابن الفقيه السيد عبد الله ، ابن العلامة السيد الشريف ، ابن الفقيه السيد عثمان ، بن ابراهيم ، بن عثمان ، بن طاهر ، بن الحسن ، ابن القطب السيد يوسف ، ابن مولانا علي الشريف ، الحسني العلوي السجلماسي المدغري .

قال فى الاشراف : شيخنا مولاي عبد الهادي ثم ساق نسبه ، ثم قال : أحد الأئمة المعتبرين ، والأعلام المشهورين ، مشارك فى عدة فنون ،

بصير بالمذهب وفروعه ، ضابط لقواعده ، عارف بصناعة الأحكام ، فصيح اللسان ، صحيح النظر ، قوي الحجة ، جماع للدواوين ، متبحر فى معرفة أسماء الكتب ، كلِف" بالمطالعة من بيت علم قديم فى العلم والعمل ، صاهره مولانا السلطان وولي قضاء الجماعة بالحضرة الادريسية هذه مدة من عشرين سنة ، وهو الآن قائم الحياة ، وله ولدان : الفقيه الأنجب سيدي محمد ، ومولانا إدريس ، أطال الله بقاءهم ، وأدام في المجد ارتقاءهم .

ولد بأولا شاكر ، ونشأ بحجر جده مولانا التهامي ولازمه فى جل الفنـون المتداولة ، ولـمـا توفي جده ارتحل الى فاس ، وأخـذ عن جمـع من الأعلام بها ، كالشيخ عبد القادر ابن شقرون ، وسيدي الطيب ابن كيران ، وغيرهما .

وقد ترجمه فى الشجرة الزكية أيضا وفى الدرر البهية

وقال فى (السلوة) فى ترجمته ما نصه : وكان رحمه الله عظيـم الحرمة ، شديد المهابة ، يخضع لمهابته أكابر الرؤساء فمَن دونهم ، وكان يخاطب السلطان وحواشيه بكلام لا يقدر أحد أن يخاطبهم به ، وانتهت اليه رياسة العلم في وقته ورياسة الفتوى قبل ولايته ، ولي خطة القضاء بسجلماسة ونواحيها ، ووليها أيضاً بفاس وما والاها مرتيـْن ،، المرة الأولى فى عاشر جمادى الأولى سنة أربعين ومئتين وألف 1240 بعد عزل الفقيه سيدي محمد ابن ابراهيم الدكالي ، ثم أخر فى سادس ربيع الأول عام سبعة وأربعين 1247 وولي بعده سيدي العربي بن الهاشمي الزرهوني ، ثم ورد الخبر بعزله من مكناسة ثاني عشر شعبان العام المذكور ، وولي بعده الشيخ العلامة المحرز النوازلي الشيخ علي التسولي ، والمرة الثانية عام خمسين ومئتيـن وألف 1250 لما أعفي الشيخ التسولي المذكور ، وبقي بها الى أن توفي .

ولعظيم مكانته عند السلطان الأفخم مولانا عبد الرحمـان طيب الله ثراه صاهره ببنته السيدة خديجة ، وكساه أردية الاحسان والقبول والانعام ، وأحله محل مهجته ، وأخد عنه جم غفير من طلبة فاس وغيرها ، منهم سيدنا

الوالد ، وله من التآليف (شرح تيسير الوصول ، الى جامع الأصول) لابن الديبع الشيباني .

وتوفي ضحوة يوم الأربعاء تاسع رمضان عام اثنين وسبعين ومئتين وألف 1272 ودفن عصر يومه بهذه الزاوية ، أعني زاوية سيدي التاودي المذكور يعني ابن سودة قريباً منه وراء حفيده سيدي العباس المترجم له قلبه متصلا به ، وحضر جنازته أهل فاس على التمام وأهل الدائرة السلطانية ، وولد السلطان الخليفة سيدي محمد بن عبد الرحمان .

انتهى كلام السلوة (1) .

وقد ذكر أيضاً والده في الشرب المحتضر وحدثني ولد المترجم العلامة المبرور مولاي إدريس أن والده رحمه الله دخل مراكش بعد إعفائه من القضاء عام ثمانية وأربعين 1248 وأن والده كان له حفظ بارع دخل عليه مرة فى المحكمة فقال له اذهب إلى خزانة الكتب واتني بشرح الحطاب ، فانني حكمت في قضية وقع لي الشك فيها ، ثم راجع فوجد النص فيه كما حكم به ، وقال له إنني طالعت فيه هذه المسألة بالصحراء تحت النخلة الفلانية فى اليوم الفلاني ، وإن من تلامذته سيدي محمد بن حمادي المكناسي ، وان والده كان لا يقول بالاجازة ولم يجزه ، كما حدثني أن سيدي محمد بن علي السنوسي كان كتب لوالده بأن ينسخ له شرحه على مختصر جامع الأصول لابن الديبع ففعل وقال له انتفع به ما دمت حياً وبعد موتك يوجه الى الحرم ، فلما مات ووصل محدثي الى الحرم الشريف وسأل عن خبره لم يوجد عندهم .

وقرأت فى ديوان الوزير ابن ادريس عدة قصائد له فى المترجم ، منها قصيدة أشتملت على ثمانية وسبعين بيتاً مطلعها :

ما للهدى والعلم والارشـــاد ... إلا الرضى مولاي عبد الهـــادي

وأخرى سبعون بيتاً :

أهدي سلاماً حف بالاسعـــاد ... متضمّخاً بالمسك أو بالحـــادي

---

1) سلوة الأنفاس 1 : 117

وقال يخاطبه حين وشى به فاسق عنده ونال من عرضه :

قاضي الجماعة كم ذا تجني بغير جناتك

وهي ثمانية أبيات :

1310) عبد الهادي بن محمد الصقلي

عبد الهادي ، ابن الولي الصالح محمد ، ابن القطب مولاي أحمد الصقلي الحسيني،قال في (الدرر البهية) كان رحمه الله فريداً في الحديث والسير، مع مشاركة فى كثير من الفنون ، جواداً مفضلا ، عالي الهمة ، جليل القدر ، نافذ الأمر ، شهير الذكر ، سليم الصدر ، نقي القلب ، طاهر السريرة ، منور الباطن ، يرد لمراكش بقصد قراءة الصحيح مع الحضرة الشريفة ، وولاه خطة القضاء بفاس مولانا الحسن بن محمد ، وبقي كذلك فيها الى أن توجه للحج فقبضه الله اليه بعد أن أدى فرضه وهو قافل للمدينة المنورة بقصد أداء سنة الزيارة إحدى عشر وثلاثمئة وألف 1311وحلاه فى (النفحة الشمالية) صاحبها بقوله : شيخنا علامة الدنيا ، وواحدها بلا ثنيا ، الفقيه المحدث الحافظ الحجة ، المشارك السالك بأوضح محجة ، شمس المفاخر فى سعود التجلي ، مولاي عبد الهادي بن أحمد الصقلي .

وتقدم ذكر جده مولاي أحمد الصقلي (1) .

1311) عبد الواحد ابن تومرت الهسكوري الأسود . قال فى (التشوف) رأيت هذا الرجل قد نزل بمحلتنا بالجانب الشرقي من حضرة مراكش ، وكل مَن يراه يتوسم فيه الخير وأنه رجل صالح ، وكان لا يفتر عن الذكر ، وكنت اذا أبصرته نالتني منه هيبة ، وما قدرت أن أكلمه إلا مرة واحدة استوهبت منه الدعاء فدعا لي ، ولما توجه المسلمون الى جزيرة الأندلس لغزو الروم نهض معهم فاستشهد رحمه الله تعالى فى غزوة الأرك التى كانت سنة إحدى وتسعين وخمسمئة 591 .

---

1) انظر 2 : 386 ع 266 من هذا الكتاب

وكان عبد الواحد يبيع الباقلاء ويحمله على رأسه ، فقال له رجل هلا قبلت مني شيئاً يغنيك عن بيع الباقلاء ؟ فقال له هذه الحالة أحسن ، فاني اذا أدركني وقت الصلاة توضأت ودخلت المسجد ووضعت قفتي عند سارية وتنفلت ما قدر الى أن تقام الصلاة الفريضة فأصلي مع الناس وانصرف ، واذا اتخذت دكاناً وحانت الصلاة فان مررت الى المسجد يوسوس الشيطان لي ويقول لي لعلك سرق لك شيء فلا يصفو لي خاطري فى الصلاة ويشوش علي بالوسوسة .

وحدثني بعض الجيران قال كان عبد الواحد قريباً مني ، فأخبرت أنه يحيي الليل صلاة ، فقلت فى جواري رجل من الصالحين ولم أدر بـــه ، فصنعت طعاماً ودعوته الى منزلي لأتبرك به ، فأدخلته لآتيه بالطعام ، فرأيت صورة رجل فى الهواء فى غلاف من نور ، وذلك الغلاف ينزل إلى أن قرب من ساحة الدار فغاب عن بصري ، فعلمت أن ذلك من أجل الرجل الذى دعوته للطعـــام (I) .

1312) **عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي** مؤلف (المعجب) ، نقل عنه ابن السبكي فى طبقاته فى ترجمة المهدي بن تومرت (I) قال فى (كشف الظنون) : المعجب ، فى أخبار أهل المغرب ، لعبد الواحد بن علي المراكشي ، ظاهره أنه لم يقف عليه وقد طبع ، ذكره قبل ذلك فى تواريخ المغرب .

وقد ذكر المترجم فى كتابه المعجب فى أوله أنه ذكر فيه بعض أخبار المغرب وهيأته وحدود أقطاره وشيء من سير ملوكه ، وخصوصاً مـلـوك المصامدة بني عبد المومن من لدن ابتداء أسرتهم الى وقته هذا ، وهو سنة 621 وان ينضاف الى ذلك نبذة من ذكر مَن لقيته أو لقيتُ مَن لقيه أو رويت عنه بوجه ما من وجوه الرواية من الشعراء والعلماء وأنواع أهل الفضل ، ثم ذكر فى آخره : وبهذه المدينة أعنى مراكش مسقط رأسي ، وهي أول

I) ما تقدم منقول بالحرف من **التشوف** ص 302 ع 183

أرض مسَّ جلدي ترابها ، وكان مولدي بها لسبع خلون من ربيع الآخر سنة 581 فى أول أيام يعقوب بن يوسف بن عبد المومن بن علي ، ثم فصلتُ عنها وأنا ابن تسعة أعوام الى مدينة فاس ، فلم أزل بها إلى أن قرأت القرءان وجودته ورويته عن جماعة كانوا مبرزين فى علم القرءان والنحو ، ثم عدت الى مراكش فلم ازل متردداً بين هاتيْن المدينتيْن ، ثم عبرت الى جزيرة الأندلس فى أول سنة 603 فأدركت بها جماعة من أهل كل شأن ، فلم أحصل بحمد الله من ذلك كله إلا معرفة أساميهم ومواالدهم ووفياتهم وعلومهم ، انفردوا دوني بكل فضيلة ، ولا مانع لما أعطى الله ، ولا معطي لما منع .

وقال فيه أيضاً أنه دخل تونس أتاها فى البحر من الأندلس سنة 614 ودخل أيضاً من بلاد سوس رودانة وزجندر .

وكتابه المطبوع غير تام ، سقط منه بعض أسماء فى ذكره لخلفاء بني أمية ، وقفت على النسخة الخطية الموجودة بليدن المطبوعة منها الطبعة الدمشقية والطبعتان المصريتان ، وهي سقط منها الكراس الثاني كما نبَّه عليه دوزي فى مقدمته الانجليزية ، وهذه النسخة كتب عليها ما نصه : عني بجمعه الشيخ الفقيه الحافظ المتقي الواعظ ، المفتي محيي الديـن عـبـد الواحد بن علي التميمي المراكشي وفقه الله ، هكذا فى أوله ، وقبل الافتتاح كتب ما نصه : قال الشيخ الفقيه العالم الحافظ محيي الدين عبد الواحد بن علي مؤلف هذا الكتاب ، سمع علي جميعَ هذا التلخيص الذى جمعته فـى أخبار المغرب مولانا الفقيه الامام الفاضل الوزير الصاحب عز الدين قدوة العلماء ، أوحد الفضلاء ، أكمل الوزراء ، خاصة أمير المومنين ، أبو الفتح عبد الله بن القاضي الأول الوزيـر ، الفاضل الصاحب شمس الدين أبـو محمـد القاري بن محمد بن شريف الزهري نور الله الزمان ببقائه ، والفاضل المتفنن ، أبو الفتح نصر بن القاضي المخلص أبي محمد عبد الكريم ، وفيه 391 صفحة بخط اليد ، فى القالب الرباعي ومسطرة 16 بخط مشرقي .

وقال العلامة أحمد زكي بك فى كتاب الحضارة الاسلامية ص 80 ما نصه : وقد اشتهر الحفاظ فى الأندلس والمغرب واتوا بالعجائب والغرائب ،

فمنهم ابن حزم الظاهري المشهور ،وأحمد المقري صاحب كتاب نفح الطيب . ومنهم عبد الواحد المراكشي أملى بمصر التى كان فيها سنة 619 كتاب المغرب فى تلخيص اخبار المغرب ، وهو من نفائس الكتب التى أرى أنها تستحق أن تكتب بماء الذهب ، ويتوفر المتأدبون على قراءتها وتطريرها مراراً عديدة ، وقد أشار فيه الى أستاذه أحمد بن محمد بن يحيى الحميري الذى كان يقرأ عليه بقرطبة كتاب الحماسة ولزمه سنين .

انتهى المقصود .

تنبيه ممن اشتهر بعبد الواحد التميمي الشيخ عبد الواحد بن محمد بن عبد الواحد الأسدي التميمي مؤلف (جواهر الكمال ، في الحكم والأمثال) من قصة سيدي الأنام ، وانتخبه فنونا مجردة ورتبه على حروف المعجم ليسهل حفظه من مسموعاته على والده القاضي أبي نصر محمد وغيره كالشيخ أحمد الغزالي بآمد ، ومما نقله من الصحيحين وقوت القلوب ، ومما رواه أبو بكر الأجري ، والقاضي أبو نصر ودعان الموصلي ، وحجة الاسلام الغزالي والشيخ أبو الليث السمرقندي فى تنبيه الغافلين ، والشيخ محمد بن أحمد الشاشي فى الترغيب والترهيب ، وممن نقل منه الشيخ ابراهيم السمنودي المنصوري فى كتابه سعادة الدارين فى الرد على الفرقتين الوهابية ومقلدة الظاهرية المطبوع بمطبعة جريدة السلام بمصر سنة 1319 هـ ص 83 ج 1 .

كان المترجم معتنيا بالآداب ، عارفا باللغة ، منشأ مرسلا ، ناظماً ناثراً ، بارعا فى الانشاء ، لطيف المحاضرة ، فكها حلو النادرة ، ونال حظوة كبيرة عند مخدومه فى اشبيلية الأمير ابراهيم بن يعقوب المنصور ، ومدحه بقصائد أجازه عليها جوائز سنية . ولما رحل الى مصر عام 613 ألف كتابه المعجب المذكور . وبقي يؤرخ فيه الى سنة 621 ابان فيه عن براعة معجبة وتوخى الصدق والانصاف . ثم جاور بمكة الى أن توفي سنة 665 .

1313) عبد الواحد بن يوسف الموحدي (الخليفة)

عبد الواحد المخلوع بن يوسف بن عبد المومن الموحدي، لما هلك المنتصر عشى يوم السبت الثاني عشر من ذي الحجة سنة عشرين وستمئة اجتمع الوزير أبو سعيد ابن جامع والموحدون وبايعوا للسيد عبد الواحد بن يوسف وهو أخو المنصور ، قال ابن أبي زرع : بايعوه على كره منه بقبة المنصور بقصبة مراكش ، وهو يومئذ فى سن الشيخوخة ، وكان عالماً فاضلامتورعاً فاستقام له الأمر نحو شهرين ، وخطب له فى جميع أعمال الموحدين ما عدا مرسية فان ابن أخيه السيد عبد الله بن يعقوب الملقب بالعادل كان والياً عليها وكان وزيره بها الشيخ أبا زيد بن يرجان المعروف بالأصفر وكان أحد دهاة الموحدين، وكان المنصور رحمه الله إذا رءاه يستعيذ بالله من شره ، ويقول ماذا يجري على يديك من الفتن ياأصفر ، وكان من خبره لما بويع المخلوع أمر باطلاق ابن يرجان لأنه كان محبوساً على ما عند ابن خلدون،فأطلق ثم صده ابن جامع عنذلك وأنفذ أخاه أبا إسحاق فى الاسطول ليغربه الى ميورقة فلاذ ابن يرجان حينئذ بعبد الله بن المنصور صاحب مرسية،ونزل منه منزلة الوزير،وأغراه بالتوثب على الأمر ، وشهد له أنه سمع من المنصور رحمه الله العهد له بالخلافة من بعد الناصر ، وقال له فيما قال إنك أحق بالخلافة من عبد الواحد ، أنت ولد المنصور، وأخو الناصر ، وعم المنتصر ، ولك الرأي وحسن السياسة والحزم ، ولو دعوت الموحدين الى بيعتك لم يختلف عليك اثنان ، وكان الناس على كره من ابن جامع ، وولاة الأندلس يومئذ كلهم بنو المنصور ، فأصغى اليه عبد الله هذا ، وكان متردداً فى بيعة عمه ، فبرز الى مجلس حكمه ، واستدعى من بمرسية وأعمالها من الموحدين والفقهاء والأشياخ ، فدعاهم الى بيعته فبايعوه ، وسمي بالعادل ، وكان إخوته أبو العلاء الأصغر صاحب قرطبة ، وأبو الحسن صاحب غرناطة ، وأبو موسى صاحب مالقة ، فبايعوه ، وكان أبو محمد ابن أبي عبد الله بن عمر بن عبد المومن فانتقض وبايع للعادل ، وزحف مع أبي العلاء صاحب قرطبة وهو أخو العادل الى اشبيلية وبها عبد العزيز أخو المنصور والمخلوع ، فدخل فى دعوتهم ، وامتنع أبو زيد بن أبي عبد الله أخو البياسي من بيعة العادل وتمسك بطاعة المخلوع ، وخرج العادل من مرسية الى إشبيلية

فدخلها مع أبي زيد ابن يرجان ، وبلغ الخبر الى مراكش فاختلف الموحدون على المخلوع ، وبادروا بعزل ابن جامع وتغريبه الى هسكورة لكراهيتهم له ، وجرت خطوب أفضت إلى خلع عبد الواحد وقتله .

وفي القرطاس أن عبد الله العادل كتب الى أشياخ الموحدين الذين بحضرة مراكش يدعوهم الى بيعته وخلع عبد الواحد ، ووعدهم على ذلك الأموال الجليلة ، والمنازل الرفيعة ، والولايات الجليلة ، فسارعوا الى ذلك ودخلوا على عبد الواحد وتهددوه بالقتل إلا أن يخلع نفسه ويبايع للعادل ، فأجابهم الى ذلك فخرجوا عنه ووكلوا بالقصر مَن يحفظه ، وكان ذلك يوم السبت الحادي والعشرين من شعبان سنة احدى وعشرين وستمئة 621 فلما كان يوم الأحد بعده دخلوا على عبد الواحد القصر وأحضروا القاضي والفقهاء والأشياخ فأشهد على نفسه بالخلع للعادل ، ثم دخلوا عليه بعد مضي ثلاث عشرة ليلة من خلعه فخنقوه حتى مات وانتهبوا قصره واستولوا على ماله وحريمه ، فكان عبد الواحد هذا أول مَن خلع وقتل من بني عبد المومن ، وصار أشياخ الموحدين لخلفائهم كالأتراك لبني العباس ، فكان فعلهم ذلك سبباً لذهاب ملكهم وانقراض دولتهم ، والله تعالى لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، وكانت وفاة عبد الواحد المخلوع خامس رمضان المعظم سنة إحدى وعشرين وستمئة (1) .

ترجمه ابن خلدون ، وصاحب الاستقصاء ، وغيرهما .

وقال العزفي في (علامة اليقين) وحدثني السيد المجاهد السري الفاضل عبد الواحد بن سيدنا أمير المومنين يوسف عن أخيه السيد السني الماجد الفاضل الزاهد محمد ، قال حدثني الشيخ أبو الربيع بن تازكيرات القبائلي ، قال لما أوتي سيدنا أمير المومنين بالشيخ الصالح أبي يعزى وكان عنده شبه المحبوس رأى شدة أشفاقي عليه وقال لي ان شاء الله حبسني

1) كل ما تقدم منقول بالحرف من **الاستقصا** 2 : 229

القوم وسيخلون سبيلي والقوم سيحبسونك فى ءاخر عمرك ، فمات الرجل فى حضرة مراكش كلأها الله فى دويرة محبوساً فيها وهو عليل مقعد ، وسنه نحو من مئة وهذا عجب .

انتهى (1) .

1314) عبد الواحد (الرشيد) بن ادريس (المأمون) الموحدي (الخليفة)

عبد الواحد الملقب بالرشيد ابن السلطان ادريس الملقب بالمامون ، بن يعقوب ، بن يوسف ، بن عبد المومن بن علي الموحدي . لما هلك المامون بويع ابنه عبد الواحد ولقب بالرشيد ، قال ابن أبي زرع بويع له بالخلافة بوادي العبيد ثاني يوم من وفاة ابيه وهو يوم الأحد فاتح محرم سنة ثلاثين وستمئة ، وسنه يومئذ أربع عشرة سنة ، وكان الذين أخذوا له البيعة كانون بن جرمون السفياني ، وشعيب بن وقاريط الهسكوري ، وفرنسيل قائد جيش الفرنج ، فانه لما مات المأمون كتمت جاريته موته واسمها حباب ، وكانت فرنجية الأصل ومن دهاة النساء وعقلائهن ، وهي أم الرشيد ، فاستدعت هاؤلاء النفر الثلاثة وكانوا أعمدة جيش المامون ، يركب كل واحد منهم فى أزيد من عشرة ءالاف من قومه وأعوانه ، ولأن أهل الحل والعقد من الموحدين قد أتت عليهم فتكة المامون كما مر ، فجاءوا إليها فأعلمتْهم بموت الخليفة ورغبت اليهم فى بيعة ابنها الرشيد والقيام معه ، وبذلت لهم على ذلك أموالا جمة ، ووعدتهم مع ذلك أنهم اذا فتحوا الحضرة — وكان يحيى قد استولى عليها كما قلنا — تجعلها لهم فيئاً ، فبايعوه وأخذوا البيعة له على مَن سواهم ، فبايع الناس طوعاً وكرهاً وخوفاً من سيوفهم ، ولما تم أمره جعل أباه فى تابوت وقدمه أمامه وسار الى مراكش ، وسمع يحيى وأهل مراكش بما شرطته حباب للقواد الثلاثة من جعل مدينتهم فيئاً ، فخرجوا لقتال الرشيد بأجمعهم ، واستخلف يحيى على مراكش أبا سعيد بن وانودين ، والتقى الجمعان فاقتتلوا ،

---

1) الفقرة التى تبتدىء بقال المزفى كان المؤلف وضع لها عنواناً خاصاً كأنها ترجمة لشخص اسمه ابو محمد بن يوسف الموحدى ، ثم اعاد نقلها هنا فى ترجمته الحقيقية

فانهزم يحيى وقتل أكثر من معه ، وصبح الرشيد مراكش ، فتحصن منه أهلها فأمنهم وصالح قائد الفرنج واصحابه على فيئها بخمسة آلاف دينار ، ودخل الرشيد مراكش واستقر بها ، وكان قد وصل فى صحبة عمه السيد سعد بن المنصور ، فحل من تلك الدولة بمكان ، وكان اليه التدبير والحل والعقد ، وبعد استقرار الرشيد بمراكش قدم عليه عمر بن وقاريط الهسكوري صحبة أولاد المامون الذين كانوا باشبيلية ونفاهم ابن هود عنها ، وكان ابن وقاريط هذا منحرفا على المامون أيام حياته ، فتذمم بصحبة هاؤلاء الأولاد وقدم على الرشيد فتقبله واتصل بالسيد سعد وحسنت منزلته لديه ، ثم لما هلك السيد سعد لحق ابن وقاريط بقومه ومعتصمه ، وكشف وجه الخلاف ، وأخذ بدعوة يحيى ابن الناصر ، واستنفر له قبائل الموحدين ، ونهض اليهم الرشيد سنة احدى وثلاثين وستمئة ، واستخلف على الحضرة صهره ادريس ، وصعد اليهم الجبل فأوقع بيحيى وجموعه بمكانهم من هزرجة، واستولى على معسكرهم ، ولحق يحيى ببلاد سجلماسة ، وانكفأ الرشيد راجعاً الى حضرته ، واستأمن له كثير من الموحدين الذين كانوا مع يحيى فأمنهم ولحقوا بحضرته ، وكان كبيرهم سعيد ابن زكرياء الجدميوي ، وجاء الباقون على أثره بعد أن شرطوا عليه اعادة ما كان أزاله المامون من رسوم المهدي وسنته فأعيدت ، واطمأنوا لاعادة رسوم الدعوة المهدية ، واستقامت الأحوال فى هذه الأيام الى أن كان ما نذكره .

فتنة الخلط مع الرشيد واستلائهم على حضرة مراكش .

كان مسعود بن حميدان كبير الخلط قد أغراه عمر بن وقاريط بالخلاف لصحبة بينهما ، وكان مُدلا ببأسه وكثرة جموعه ، يقال ان الخلط كانوا يومئذ يناهزون اثنيْ عشر ألف فارس سوى الرَّجْل والأتباع والحشود ، فمرض مسعود فى الطاعة وتثاقل عن الوفادة الى الحضرة ، ولما علم بعقد الموحدين واجتماع كلمتهم على الرشيد غاظه ذلك وأخذ فى السعي للفرقة والشتات بينهم ، فأعمل الرشيد الحيلة فى استدعائه ، وصرف عساكره الى بعض الجهات حتى خلا لمسعود الجو وذهب عنه الريب ، واستقدمه الرشيد

فأسرع للحاق بالحضرة ، وقدم معه معاوية عم عمر بن وقاريط ، فقبض على معاوية وقتل لحينه ، واستدعا الرشيد ابـن حميدان الى المجلس الخلافـي للحديث فتقبض عليه وعلى خمسة وعشرين من أصحابه من كبار الخلط وقتلوا ساعتئذ بعد جولة وهيعة ، وقضى الرشيد حاجة في نفسه منهم .

ولما بلغ خبر مقتلهم الى قومهم قدموا عليهم يحيى بن حميدان ، وأجلبوا على سائر النواحي وأعلنوا بدعوة يحيى الناصر واستقدموه من مكانه بقاصية الصحراء ، وداخلهم في ذلك عمر بن أوقاريط وزحفوا لحصار مراكش ، وخرجت العساكر لقتالهم ومعهم عبد الصمد بن يلولان ، فدافع ابن وقاريط بجموعه في تلك العساكر فانهزموا ، واحيط بجند النصارى فقتلوا ، وتفاقم الأمر بالحضرة وعدمت الأقوات ، واعتزم الرشيد على الخروج الى جبال الموحدين فخرج اليها وسار منها الى سجلماسة فملكها ، واشتد الحصار على مراكش ، واقتحمها يحيى بن الناصر وأنصاره من الخلط وهسكورة فنهبوها ،وساء أثرهم فيها ، واضطربت أحوال الخلافة بها ، وتغلب على السلطان السيد أبو ابراهيم بن أبي حفص الملقب بأبي حافة ، وهذه الفتن كانت سنة اثنتين وثلاثين وستمئة .

هجوم نصارى جنوة على مدينة سبتة وحصارهم اياها

نازل الفرنج الجنونيون سبتة بأجفان لا تحصى ، ونصبوا عليهـا المنجنيقات والآلات المعدة للحصار ، واستمروا على ذلك الى أن دخلت سنـة ثلاث وثلاثين 633 بعدها فلم يقدروا منها على شيء ، ولما اشتد الحصار على أهل سبتة صالحوا الفرنج في الافراج عنهم بأربعمئة ألف دينار فقبلوا وأقلعوا عنهم بعد الحصار الشديد والتضبيق العظيم .

عود الرشيد الى مراكش وفرار يحيى عنها الى بني معقل ومقتله بهم

وفي هذه السنة اعني سنة ثلاث وثلاثين وستمئة 633 خرج الرشيد من سجلماسة بقصد مراكش ، وخاطب جرمون بن عيسى وقومه من سفيان فأجابوه وعبروا وادي أم الربيع ، وبرز اليه يحيى في جموعه ، والتقى الفريقان

فانهزمت جموع يحيى واستمر القتل فيهم ، ودخل الرشيد الى الحضرة ظافراً ، وأشار ابن وقاريط على الخلط بالاستصراخ بابن هود صاحب الاندلس والاخذ بدعوته ، فنكثوا بيعة يحيى وبعثوا وفدهم الى ابن هود صحبة ابن وقاريط ، فاستقر هناك ولم يرجع اليهم قولا ، فعلم الخلط أنها حيلة من ابن وقاريط وأنه تخلص من الورطة .

وخرج الرشيد من مراكش وفر الخلط أمامه وسار الى فاس ، فأقام بها أياماً وفرق في فقهائها وصلحائها أموالا ورباعاً مغلة ، وسرح وزيره السيد أبا محمد الى غمارة وفازاز لجباية أموالهما .

وكان يحيى بن الناصر لما نكث الخلط بيعته لحق بعرب معقل فأجاروه ووعدوه النصر واشتطوا عليه فى المطالب فآسف بعضهم بالمنع فاغتاله فى جهة تازة ، وسيق رأسه الى الرشيد بفاس فبعثه الى مراكش وأعز الى نائبه بها أبي علي بن عبد العزيز فقتل العرب الذين كانوا فى اعتقاله ، وهم حسن بن زيد شيخ العاصم ، وقائد ابن عامر شيخا بني جابر فقتلهم ، وانكفأ الرشيد راجعاً الى حضرته سنة اربع وثلاثين وستمئة 634 .

وكان ابن وقاريط لما فصل الى ابن هود صاحب الأندلس أقام عنده الى هذه السنة ، فركب البحر فى أسطول من أساطيل بني هود ، وقصد مدينة سلا وبها يومئذ السيد أبو العلاء صهر الرشيد ، فنازلها وكاد يغلب عليها ، ثم رجع عنها بلا طائل .

وفى سنة خمس وثلاثين 635 بعدها بايع أهل اشبيلية للرشيد ونقضوا طاعة ابن هـود ، وتولى كبر ذلك أبو عمر ابن الجـد ، ووصل وفدهم الـى الحضرة ، ومروا فى طريقهم بسبتة فاقتدى أهلها بهم فى بيعة الرشيد ، وقدموا الى الحضرة ، وولي عليهم الرشيد أبا علي ابن خلاص منهم ، وانصرف وفدا اشبيلية وسبتة راضين .

واستقدم الرشيد الخلط وكانوا راجعوا طاعته بعد مقتـل يحيى ، فقدموا عليه وتقبض عليهم ، وبعث عساكره فاستباحوا حللهم وأحياءهم ،

ثم أمر بقتل مشيختهم وقتل معهم ابن وقاريط ، وكان أهل اشبيلية قد بعثوا به اليه فقطع دابرهم .

وفى سنة ست وثلاثين وستمئة 636 وصلت بيعة محمد بن يوسف بن نصر المعروف بابن الأحمر الثائر بالأندلس على ابن هود ، وكان قد يابع أولا أبا زكرياء الحفصي صاحب افريقية ، ثم بدا له فردّ البيعة الى الرشيد .

وفى هذه السنة كان استيلاء العدو دمره الله على مدينة قرطبة قاعدة بلاد الأندلس ودار مملكتها ، وذلك يوم الأحد الثالث والعشرين من شوال من السنة المذكورة .

وفى سنة سبع وثلاثين 637 بعدها انتشر بنوا مرين ببلاد المغرب واشتدت شكوتهم به ، وزحف اليهم الرشيد فهزموه ، ثم زحف ثانية وثالثة فهزموه ، وأقام فى محاربتهم سنتين ، ورجع عنهم الى الحضرة ، فاشتد عدوانهم بالمغرب وألحوا على مكناسة حتى أعطوا الاتاوة لبني حمامة منهم ، واتصل غلبهم فى نواحيها .

وفى سنة تسع وثلاثين وستمئة 639 قتل الرشيد كاتبه ابن المومناني لمداخلة له مع بعض السادة وهو عمر بن عبد العزيز بن يوسف ووقف الرشيد على كتبه بخطه غلط الرسول بها بدار الخلافة فوقعت الى الرشيد فقتله .

وفاة الرشيد رحمه الله

مات الرشيد رحمه الله غريقاً في بعض صهاريج بستانه بحضرة مراكش ، وذلك يوم الميس تاسع جمادى الاخيرة سنة أربعين وستمئة 640 ويقال انه أخرج من الماء حياً فحمّ لوقته ومات .

وذكر محمد كنسوس أن غرق الرشيد كان فى البركة الكبرى التى بدار الهناء من أجدال اليوم ، قال وكان يقال لها البحر الاصغر ، لأن ملوك بني عبد المومن الذين أنشأوها كان يرسلون فيها الزوارق والفلك الصغار بقصد النزهة والفرحة .

ذكره ابن خلدون، وصاحب الحلل الموشية، وتاريخ الدولتين ، وصاحب الاستقصاء ، وابن الخطيب اشار اليه عند ذكر ترجمة والده (1) .

1315) **عبد الواحد بن عبد الرحمان بن عبد الرحمان بن عمر بن عبد المومن الموحدي** السيد الجليل النبيل الأديب ، له قصيدة فى مدح الامام ابن رشيد البغدادي صاحب الوتريات المتقدم الترجمة مطلعها : اهلا وسهلا بمن اهدته بغدان ، راجع تمامها فى الممدوح بها .

1316) **عبد الواحد بن مسعود عنون الأصيلي**

عبد الواحد بن مسعود بن محمد الأصيلي ، الكاتب الأرفع ، الحسيب الأصيل ، الاوجه المثيل ، أمين بيت المال ، من جملة كتبة السلطان أحمد المنصور ، ولد بعد الستن وتسعمئة 960 له خط رائق ومعرفة بالزمام ، وله حذق ونباهة ، وبيتهم بيت كتابة بفاس المحروسة ، كان حيا سنة 999 تسع وتسعين وتسعمئة .

ترجمه فى درة الحجال (2) .

1317) **عبد الواحد بن أمير المومنين يعقوب المريني** الامير ، كان يحب الشعر ويروي كثيراً منه ، ويأخذ نفسه بنظمه ، فينظم منه البيتين والثلاثة فى معنى الافتخار ، فمن ذلك قوله رحمه الله تعالى :

فرقت فى الميدان كل مليك ... وجمعت بين جراءة ونسوك
وجعلت للاسلام حداً مالكاً ... كيلا يغيره العدى بسلوك

وهو القائل أيضاً يفتخر :

أجود بمالي لكل العفاة ... وأقتحم الهول فى المعضلات
أقود الجيوش وأصلى الحروب ... واقتطف الهامَ بالمرهفات
وأحمي ثغوري من أن تنال ... وأغزو وأنهب أرض العداة

---

1) كل ما تقدم منقول بالحرف من **الاستقصا** 2 : 241 طبع الدار البيضاء

2) **درة الحجال** 3 : 143 ع 1009 طبع تونس

ودخل عليه شاعره عبد العزيز الملزوزي في يوم من شهر رمضان وهو بقصره بحضرة مراكش كلأها الله تعالى وكان يوماً قد استترت فيه السماء بالسحاب ، والنهار بكى بالدموع كأنه عاشق صدّ عنه حبيبه ، وتهاطلت دموعه ، وكان الرعد يهدر هدرته ، والبرق يحكي لوعته وزرقته ، وكان المجلس الذى كان فيه عبد الواحد قد فرش بأصناف الرياحين ، والورد والبنفسج والخيري والياسمين ، فقال له المترجم أرأيت ما أحسن هذا النهار لو كان فى غير شهر الصوم ، ثم أمره أن يقول فى ذلك المعنى شعراً فأنشد ارتجالا على البديهة :

اليوم يوم مدامة وعقـــــار	وتبلغ الآمال والأوطـــــار
أو ما رأيت الشمس أخفى نورها	وتسترت عن أعين النظـــار
وبكى السحاب بدمعه فكأنــه	دنف بكى من شدة التذكـــار
والبرق لاح من الغمام كأنــه	سيف تألق فى سماء غبـــار
لا شي أحسن فيه من نيل المنـى	بمدامة تبدو كشعلة نـــار
لولا صيام عاقني عن شربهـا	لخلعت فى هذا النهار عـــذاري
أو كان يجزي عنه صوم أو فـدا	ما صوم شهر فى صيام نهـــار ؟
لكن تركت سروره ومدامـــه	حتى أكون عليه ذا إقـــرار

فأمر له بخمسمئة دينار وكسوة ،فأعطاه الوكيل الدراهم ناقصة وأعطاه الكسوة من أثواب خشنة ، وكان الوكيل حاجاً ، فكتب عبد العزيز براءة يشكو له فيها فعل الحاج الوكيل ، ويعلمه بما أمر له به ، وفى أول البراءة هذا البيتان :

أتظن أن الحجّ يفعل صالحـــاً	لا بارك الله فى الحَجـــاج
إن كانت الحجاج طـراً مثلـــه	لا بارك الرحمان فى الحجـــاج

فلما قرأ الأمير الأبيات ضحك ودعا بالحاج المذكور ، فأمره بابدال الدراهم وأن يعطيه كسوة أخرى من رفيع الثياب ، ويعطيه مئة أخرى من ماله كفارة لما صنع معه .

وتقدم ذكره فى المقدمة ، وأخذ والده له البيعة برباط الفتح فى ذي الحجة يوم عيد النحر عام تسعة وستين وستمئة 669 على بني مرين ، وجعله ولي عهده .

وكان المترجم على غاية العقل والذكاء والنبل والكـرم والنباهـة والسياسة والاقدام والحذق والشجاعة وعلو الهمة ، ومكارم الأخلاق والحكم وإصابة الرأي وحسن التدبير ، محباً فى الأدب والتاريخ ، ذاكراً لكثير من ذلك ، مقرباً للعلماء والفقهاء ، وكان مع ذلك عالماً بأنساب بني مرين وغيرهم من قبائل زناتة ، ذاكراً لأيامهم وحروبهم ،يجالس العلماء والفقهاء والشعراء ويذاكرهم، واختص بمجالسته ومنادمته ومسامرته جماعة من أهل الادب والفقه، منهم الفقيه القاضي الزكي يوسف ابن حكم ، وكان من أهل الأدب البارع ، مشاركاً فى علوم كثيرة ،أخذ عن جماعة من فقهاء الأندلس وافريقية وأدبائها ، وولاه الأمير عبد الواحد قضاء فاس ، فجرى بينه وبين والي المدينة شنآن فاستطال عليه الوالي فكتب القاضي يوسف الى الامير عبد الواحد كتابا يشكو اليه فيه بالوالي وعدوانه عليه ويطلب منه ان يعفيه من خطة القضاء :

أسلمني للردى مالكـــي ... مليك الملوك أبو مالـــك
وتالله ما أسلمت عبدهـــا ... لعدوان عاد يدا مالـــك
فيا حضرة الجود لا تسخ فـــي ... هديت كفعلك فى مالـــك
علقت برضوان من عطفكــم ... وها أنا ذا فى يديْ مالـــك !

وكان من جلسائه الفقيه القاضي الاديب البليغ البارع ، علي بن محمد المغيلي ، ومنهم الفقيه الاديب مالك ابن المرحل ، وكان يكتب له الرسائل ، ومنهم الفقيه الاديب موسى التميمي ، ومنهم عبد العزيز الملزوزي .

توفي المترجم فى فاس يوم الاربعاء حادي عشر صفر سنة احـدى وسبعين وستمئة ، وهو ابن اثنتين وثلاثين سنة ، ثم عقد العهد بعده لولده يوسف كما يأتي فى ترجمته .

ترجمه فى القرطاس ، والذخيرة السنية (1) .

---

1) كل ما تقدم منقول بالحرف مع تقديم وتأخير من **الذخيرة السنية** ص 122 طبع الرباط، وكانت ولادة الامير عبد الواحد المذكور سنة 638 هـ

1318) عبد الواحد بن محمد ابن تقي الجدامي

عبد الواحد بن محمد بن بقي (بواحدة) بن أحمد بن محمد بن ابراهيم ابن تقي (بمعلوة) الجذامي ، مالقي، سكن بآخرة مراكش، أبو عمرو ابن تقي (بمعلوة)، روى عن أبي بكر عتيق ابن قنترال ، وأبي جعفر الجيار ، وأبي الخطاب ابـن واجب ، وأبي سليمان ابن حوط الله ، وءاباء عبد الله : الاندرشي ، وابن صاحب الاحكام الغرناطي ، وابن عبد العزيز ابن سعادة، وأبي العباس ابن ماتع، وأبوي علي : الرندي ، وابن الشلوبين ، وأبي القاسم الملاحي ، وأبوي محمد : ابن الشلطيشي ، وعصام بن أبي جعفر ابن يحيى .

روى عنه ابنا أخته أبو عبد الله وأبو جعفر الطنجاليان ، وأبو الحسين عبيد الله ابن عاصم الدائري ، وكان مقرئاً مجودا محدثاً ماهرا فى علم العربية ورعا ناسكاً فاضلا سنيا ، نسخ بخطه الكثير ، وعنى بالعلم طويلا .

وتوفي بمراكش لاثنتي عشرة ليلة خلت من رجب سنة سبع وثلاثين وستمئة 637 وهو من قرناء أبي علي الحسين بن ابراهيم ابن تقي المذكـور بموضعه (1) .

1319) عبد الواحد بن علي بن طاهر الشريف **العلوي** الحسني ، كان من أهل الدين والصلاح والنجاح ، توفي بمراكش فى سجن السلطان أحمد الذهبي السعدي من جملة مَن كان فى سجنه من الشرفاء رحمهم الله .

ذكره مولاي الزكي ، وصاحب الدرر البهية ، وهو شقيق مولاي عبد الله بن علي بن طاهر المتقدمة ترجمته .

1320) عبد الواحد بن أحمد العلوي

عبد الواحد ، بن أحمد ، بن محمد ، بـن الحسن ، بن مولانا علـي الشريف ، بن الحسن ، بن محمد ، بن الحسن القادم من ينبع النخيل، الشريف الحسني السجلماسي نزيل مراكش وفقيهها .

---

1) ما تقدم منقول من **الذيل والتكملة** 5 : 68 ع 145 وترجم أيضا فى **صلة الصلة** ص 26 ع 37 وكتب فى هامش احدى نسخ الذيل والتكملة ما يلى بحاشية ترجمته : حدثنا عنه بالاجازة شيخنا أبو فارس عبد العزيز بن ابراهيم الجزرى العدل رحمه الله وكناه أبا محمد

كان رحمه الله عالما متفننا مشاركا في عدة علوم ، صالحاً خيرا متوقيا متحرزا في أموره ، فصيح اللسان ، سريع القلم ، له قدرة على التصرف فى النظم والنثر ، والخير والشر ، وهو ءاخر المحدثين بمراكش ، وكان فى أول أمره كاتباً عند الوزير محمد بن عبد القادر بن السلطان محمد الشيخ ، ثم تخلى عن ذلك ولزم التدريس ، ولي خطابة جامع الأشراف وبها معظم تدريسه ، وحدث عن نفسه أنه خرج هو ورجلين لزيارة ضريح الشيخ عبد الخالق بن ياسين الدغوغي ، قال فلما كنا ببعض الطريق قلنا تعالوا فلْيذكر كل واحد منا حاجته ، قال فأما أنا فقلت لهم اني أريد كرسي جامع المواسين ، وأما الثاني فقال أريد أتولّى حكومة البلد ، وأما الثالث فقال إني أريد محبة الله ، قال فرزقنا الله ما طلبنا ، وأما الثالث فبخروجه من قبة الشيخ تحرك وفتح فاه واستقبل البرية فكان ءاخر العهد به .

أخذ رحمه الله عن عدة من المشايخ حسبما ذكرهم فى فهرسته المسماة (الالمام ، ببعض من لقيته من علماء الاسلام) ، كسيدي رضوان ، وسقين وأبي مهد الجراري ، والقاضي سعيد بن علي قاضي رودانة ، وأحمد المنجور ، ومحمد بن أحمد ابن مجبر المساري وغيرهم ، ومن المشارقة العلقمي والفيشي ومحمد بن ابراهيم المقدسي ، ومحمد بن عبد الرحمان العقيلي وغيرهم ، وكانت له حظوة عند السلطان أحمد المنصور ، وله فيه أمداح كثيرة ، والحاصل أنه كبير الصيت ، عالي القدر شهير الذكر ، معلوم البركة ، وله الملكة الكبيرة فى النظم والاتساع فى الأدب .

ومن فوائده ما كان يحدث به عن الشيخ ابن عرفة أن سبب تبحره فى العلوم هو أن أباه كان اتصل بشعرة من شعر النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما ولد له أبو عرفة حكّها فى ماء حتى ذابت فسقاه اياها وهي أول ما دخل بطنه ، فتفجر قلبه بالعلوم ببركة تلك الشعرة الشريفة صلى الله وسلم على مشرفها .

وقال في (الصفوة) ورأيت مَن نسب هذه الفائدة لابن عمه العلامة مولانا محمد بن القاسم الشريف الفلالي ، وهو خطيب جامع الاشراف بمراكش وهو أول من خطب به ، توفي عام ثمان وثمانين وتسعمئة 988 وفوائده ومقطعاته استوفيناها في غير هذا التقييد (1) .

وممن أخذ عن المترجم أحمد ابن القاضي أجازه عامة بخطه . وأنشده عند المصافحة :

صافحتهم متبركا بأكفهم إذ صافحوا كفاً عليٌّ كريمه
فلربما يكفي المحب تعللا اثارهم ويعدُّ ذاك غنيمه

وأنشد للامام السيوطي مضمناً :

قل للسخاوي إن تعروك مشكلة علمي كبحر من الأمواج ملتطم
والحافظ الديمي غيث السحاب فخذ غرفاً من البحر أو رشفا من الديم

وله نوادر وظرف لا تحصى ، وممن أخذ عنه ولداي محمد وأحمد . وله حاشية على المرادي وشرح على مقصورة المكودي .

توفي بمراكش في يوم الخميس خامس وعشري رجب الفرد عام ثلاثة وألف 1003 ودفن يوم الجمعة الذى يليه تجاه القاضي عياض رضي الله عنه في قبة الاشراف هناك رحمة الله تعالى عليه .

ترجمه في الجذوة (2) ودرة الحجال (3) والمرءاة ، والصفوة (4) ونزهة الحادي ، والأنوار السنية ، والدر السني ، ونشر المثاني (5) وبه بدأ وان خالف الترتيب رعاية لشرفه واغتناما لبركة نسب عائلته الشريفة ، وفي طبقات الحضيكي ، وغيرها .

---

1) ما تقدم منقول بالحرف من **صفوة من انتشر** ص 41

2) **جذوة الاقتباس** ص 453 ع 493 طبع الرباط

3) **درة الحجال** 3 : 140 ع 1096 طبع تونس

4) **صفوة من انتشر** ص 41

5) **نشر المثاني** 1 : 41

فائـدة ذكر فى (الدر السني) وفي (ابتهاج القلوب) أن المترجم قد انقطع نسله .

فائدة أخرى وقفت على ثلاثة كتب فى مجلد للمحدث محمد بن الحسن ابن مخلوف الراشدي المتوفى سنة 868 المترجم فى تكميل الديباج وهو الشهير بأبركان ، أولها (المشرع الموطا ، فى ضبط مشكل رجال الموطا) ، والثاني الزند الواري ، فى ضبط رجال البخاري ، والثالث فتح المبهم ، فى ضبط رجل مسلم ءاخرها أكبرها ، وتاليه ثانيها ، وأولها اصغرها ، وعلى ظهر الاول خط المترجم رحمه الله .

وذكر فى المنتقى المقصور أن المترجم كان من خـواص جلسـاء المنصور ، وحلاه فيه بالفقيه الحافظ المحدث الصوفي المحب ، من أهل الله تعالى ، وكناه بأبي مالك ، وذكرنا فى (إظهار الكمال) فى مقدمته أن المترجم قبره يليه قبر مولانا سليمان ، ثم أمير المومنين سيدي محمد ، ويليه قبر مولانا علي الشريف ، وهو رابع القبور المصطفة قدس الله أرواحهم (1) .

1321) **عبد الواحد بن أحمد الحُمَيْدي** بصيغة التصغير ، الشيخ الامام العلامة ، المشارك القدوة الفهامة ، الحافظ الكبير ، والعلم الشهير ، قاضي الجماعة بفاس ، وخطيب جامع السلطان بالمدينة البيضاء ، والحُمَيْديون بيت فقه بفاس ، والحُمَيْدي من بني حُمَيْد الذين هم من صنهاجة بلاد ورغة .

قال في (المطمح) : امام كبير ، وعلم شهير ، حامل لواء المذهب ، واليه كان المرجع فى المسائل الفقهية بالمغرب ، مع المشاركة فى كثير من الفنون ، أكب على تدريس مختصر خليل مدة طويلة ، فتخرج به جماعة من الفضلاء ، يذكر أنه كان يتطلب العلم فى ابتداء أمره ، ثم تركه واتخذ حانوتا للتجارة يبيع فيها الثياب الخلقة بالسوق المعروف لذلك بفاس ، ثم وقع له واقع لم يحضرني الآن تفصيله ازعجه الى تجديد الطلب وتداركه قبل الفوت . وكانت ولادته سنة ست وثلاثين وتسعمئة 936 .

---

1) يعنى بضريح مولاى على الشريف من حومة باب هيلانة بمراكش

ثم قال في المطمح : تولى صاحب الترجمة القضاء بفاس في ولاية السلطان المتوكل عبد الله ابن الشيخ سنة سبعين وتسعمئة 970 ، واستمر الى أن توفي تاسع ربيع الثاني سنة ثلاث وألـف 1003 ، ودفن داخل بـاب الفتوح من فاس بروضة الشيخ عبد الرحمان الهزميري ، وأجازه نجم الدين الغيطي ، وذكره المنجور فيمن أخذ واخذوا (1) عنه ، ولازم الشيخين الجليلين الشهيرين القاضيين عبد الواحد ابن الامام أحمد بـن يحيى الونشريسي ، وعبد الوهاب بن محمد ابن الامام الاوحد الرحال المحقق علي بن قاسم التجيبي المعروف بالزقاق ، ثم ذكر في المطمح أنه أخذ عنه خلائق ، كالعارف الفاسي وأخيه الشيخ سيدي يوسف وأولاده علي وأحمد ومحمد العربي ، والقاضي عبد العزيز المزكني ، والقاضي ابراهيم الكلالي ، والقاضي ابن أبي النعيم ، والشيخ الحسن الزياتي ، وأخيه أحمد فراجعه .

وفي الصفوة نقلا نقلا عن سيدي أحمد بابا في (تكميل الديباج) : كان رحمه الله على ما قيل ، عالما بالفقه مستحضرا لمسائل توضيح خليل ، ملوكي الخزانة ، حسن الاخلاق ، دؤوبا على الاقراء مع كثرة شغله ، تولـى القضاء أزيد من ثلاثين سنة ، وأقرأ الفقه والتفسير وغيرهما ، وكان بينه وبين الشيخ المنجور منافسة الانبساط حتى كان يقول لفقهاء فاس كلكم نوبي عنه فافصلوا .

وذكر ابن القاضي في (الجذوة) انه كان حافظا لمذهب مالك ، الا أنه لمزه بما يعلم بالوقوف عليه ، والظن أنه تبرأ مما لمزه به ، قال بعضهم لا يقبل ما ذكره ابن القاضي فيه ، قال والذى أدركنا عليه الأيمة المُعْتنَى بقولهم من أشياخنا وأشياخهم وهلم جرا أن الحميدي المذكور امام ثقة مأمون من قضاة العدل ، بل أعدل قضاة المغرب في زمانه وأورعهم ، ولعدله طالت مدة ولايته بحيث لم تطل مدة غيره بفاس قبله مثل ما طالت ولايته الا القاضيَ المكناسي اليفرني ، وقد أكثر علماء فاس فيما جرى به العمل عندهم من رأيهم من النقل عن القاضي الحميدي المذكور .

---

1) **فهرس احمد المنجور** ص 70 طبع الرباط

وقال فى (التقاط الدرر) بعد ذكره : رأس فى العلم ، عدل فى أحكامه ، بارع فى الادب والسياسة ، جيد التدريس ، والله أعلم .

توفي رحمه الله عشية يوم السبت ثامن عشر أو تاسع ربيع الثاني عام ثلاثة وألف 1003 ، ودفن من غده بعد صلاة الظهر بروضة سيدي عبد الرحمان الهزميري خارج باب مصمودة .

وقال فى (الجواهر الصفية) سيدي المهدي ما نصه : وكان قاضي الجماعة بفاس فى حينه الشيخ عبد الواحد بن أحمد الحميدي وهو مَن هو فى حفظ المذهب والاطلاع على الاحكام والنوازل يتوقف فى المسألة فى قضائه فلا يجد لها نصا فيجدها عنده يعني عند سيدي يوسف الفاسي بديهة فينقلب بها كأنها ضالة وجدها ، وكان الشيخ سيدي يوسف قد أخذ عنه فى ابتداء أمره ، ثم صار هو يحتاج اليه بعد ذلك .

وقال في (الصفوة) ما نصه : وكان السلطان المعتصم بالله مولانا عبد الملك ابن الشيخ نقم عليه شيئاً مرة فسجنه مدة وتشفع فيه قوم فلم تقبل شفاعتهم ، فبعث بأولاده للشيخ سيدي رضوان يطلبون منه أن يشفع له عند السلطان فأبى الشيخ وكتب له بهاذين البيتين :

ما للنوازل والخطوب تنبَّهــوا الا الزعيم ومَن يقول أنا لهــا

فالو العنان ببابه مستشفعــا وأتِ البيوت أخيّ من أبوابهــا

يحضه على الاستمساك بحبل الله والتوسل برسوله عليه السلام، لانه باب الله الاعظم ، وترك التعلق بالخلق ، فصرف صاحب الترجمة همته للتعلق بربه وقبل اشارة الشيخ ، فجاءه الفرج من حينه .

وكان سيدي رضوان كثيرا ما يوصي بالتشفع بالنبي صلى الله عليه وسلم وينشد فى ذلك :

وإذا الكريم سألته لحبيبــــه حاشا وكلا أن يُخيِّب سائــلا
ومَن الكريمُ سواك رب العالميـن ومَن الحبيب سوى مَن أصبح كاملا
وهو الحبيب محمد أكرمْ بــه ساد الانام أواخرا وأوائــلا

ومن شعر صاحب الترجمة قوله :

مَن لم يكن للعلم عند فنائــه أرج فان بقاءه كبقائــه
بالعلم يحيى المرء طول حياتــه فاذا انقضتْ أحياه حسن ثنائــه

ولــه :

أصل العلوم جميعا كالجسوم ومن أهل الحديث لهن السمع والبصر
فان تأتَّى لهم فى علمهم عمــل فليس غيرهم شمس ولا قمــر

ولــه :

بالفقه يعبد هذا الخلقُ ربَّهــم وحكمه من رسول الله مأخــوذ
فاشغل به عمرك الفاني فان بــه تبقى وغيرك بعد الموت منبــوذ

وقال صاحب (الفوائد) : كان صاحب الترجمة واسع الخلق كثير الانبساط ، حتى كان يقول لفقهاء فاس كلكم نوبي فافصلوا .

وقال ابــن القاضي فى (جــذوة الاقتباس) عبد الواحد بن أحمــد الحُميدي ، الفقيه القاضي بمدينة فاس ، كان حافظا لمذهب مالك ، الا أنه نبذ الشريعة المحمدية وراء ظهره ، وكان يحكم بموافقة شهوته مع علمه بالفقه الا أنه لا يبالي بما فعل حتى اكتسب هو ومَن والاه أموالا جزيلة لا حصر لها من أخيه وأولاد أخيه وأختانهم وأعوانهم وغير ذلك ، ولما توفي قال فيه صاحبنا عبد الرحمان بن ابراهيم المشنزائي :

تولى الحميدي وأحزابــه وأيام دولته الغاويــه
ومات وخفت موازينــه وصار الى أمه الهاويــه

انتهى من خط الفقيه ، الا أنه شطب عليه بالحمرة ، ونقلناه هنا لوجه لا يخفى على من له ممارسة بالعلم .

أخذ عن عبد الواحد الوشريسي وعبد الوهاب الزقاق ومبارك التارختي قرأ عليه مختصر خليل أزيد من عشر مرات .

أخذ عنه جماعة كسيدي يوسف الفاسي ، وأخيه وأولاده ، وابـن أبي النعيم وغيرهم ، ويقال انه كتب شيئا على أوائل خليل ، وسمعت بفاس شائعا أن بنت الحميدي كان فى رجلها حياة أبيها خلاخل من الذهب لا تحملها الا بسلسلة فى حزامها ، وله اماء يتبعنها يحملن ما تخرج من حللها ، ولما مات أبوها ءال بها الحال الى أن كانت تدور على الديار وتطلب مَن يستأجرهـا بطحين أو غيره ، فاعتبروا ياأولي الابصار (I) .

وقال فى (النزهة) : ويحكى أن الفقيه قاضي الجماعة بفاس عبد الواحد الحميدي رحمه الله مر ذات مرة مع فقهاء فاس وأعيانها لمراكش بقصد العيد مع المنصور كما هي العادة ، فمروا فى طريقهم على سلسلة فيها رجال ونساء وفيهم امرأة أخذها الطلق وهي فى كرب المخاض ، فرأوا من ذلك أمرا يحزن رائيه ويُهِمُّ ناظريه ، فبقي ذلك فى خاطر القاضي ، فلما جلس مع المنصور ألقى له ذلك وأظهر منه الشكاية ، فسكت عن جوابه المنصور وهجره على ذلك أياما ، فلما فهم القاضي غضب المنصور تلطف له فى القول واظهر التوبة لما ظهر منه وعده بادرة ، فقال له المنصور لولا ما رأيت ما أمكنك أن تجيء مع أصحابك عشـرة أيام فى أمن ودعة ، فـان أهل المغرب مجانيـن ومارستانهم هو السلاسل والاغلال .

وكان للقاضي المذكور ادلال على المنصور لانه شيخه ، فكان المنصور يتحمل منه لمكان الشيخوخة ، ولقد وفد عليه مرة مع الطلبة فى بعض المواسم، فلما انصرفوا من الحضرة جمعتهم الطريق بأرباب الموسيقى وأصحاب الاغاني

I) صفوة من انتشر ص 95

من أهل فاس ، وقد كانوا وفدوا أيضا معهم على سبيل العادة ، فأخرج بعضهم شبابة من الابريز مرصعة أعطاها لهم المنصور ، وبعضهم قال أعطاني كذا ، وقال الآخر أجازني بكذا مما لم يعط مثله للقاضي فضلا عن غيره من الطلبة ، فقال القاضي : ان بلغت فاسا لأردنّ أولادي لصنعة الموسيقى ، فان صنعة العلم كاسدة ، ولولا أن الموسيقى هي العلم العزيز ما رجعنا مخففين ، ورجع الآلي (I) بشبابة من الابريز ، فنقل كلامه هذا للمنصور فلذعه عليه من الملام بيسيـر .

وقال الشيخ الثقة المحقق سيدي ابراهيم الفيلالي في التنبيه : ومن جملة من أدركت حيا وقرأت عليه الفقه على الاطلاق ، المشارك الحافظ ، العالم العلامة الامام ، قاضي الجماعة ، وخطيب الحضرة العلية ، شيخنا عبد الواحد بن أحمد الحميدي ، كان رحمه الله فقيها بارعا أديبا نسيبا حاز درجة السبق فى العلم والرياسة ، ذو وجاهة عند الخاصة والعامة ، وفى فصل الشتاء يقـرأ التفسير على الكرسي الكائن عن يمين الخارج من الباب المقابل وجه الخارج بانحراف يسير من باب درب ابن حيون ، وبعد التفسير رسالة ابن أبي زيد وحكم ابن عطاء الله ، وكان يحضر مجلسه خواص الطلبة والفقهاء ، ويأتي فى التفسير بالنكت والغرائب من أبحاث الامام ابن عرفة من تفسيره، وكان أول الحال غريبا لم يكـن الا عنده ، ثم كثر بعد ذلـك ، ويقرأ تهذيب البرادعـي بالمدرسة المصباحية قرب صلاة الظهر ، وكانت له امامة المدرسة المذكورة ، ومختصر خليل بالكرسي المذكور على الدوام بعد صلاة الظهر الى العصر ، وبعده المغنى لابن هشام ، وكان قارىء مجلسه فى المختصر والمدونة شيخنا سيدي عبد الرحمان بن أحمد المكناسي ، وكان من الفقهاء المعتبرين الذين يلازمون مجلسه جماعة ، منهم شيخنا سيدي علي بن عمران ، فكان يقرأ مع الطلبة مختصر خليل بالارض عن يمين الداخل من باب الشماعين مـن أول الظهر الى الصلاة ، وكنت أحضره ، فاذا صلى يأتي مع أكثر طلبة مجلسـه لمجلس الشيخ الحميدي ، وكان من الملازمين لمجلس الحميدي المذكـور

I) الآلي : محترف الآلة ، ومن معانى الآلة فى العرف المغربى الموسيقى

شيخنا علي الزياتي ، فلما انتقل الى زاوية الشيخ يوسف الفاسي قطع ، وشيخنا يوسف السبع القصري ، وسيدي علي ابن جلون ، وسيدي أحمد الفركلي ، وسيدي أحمد الشفشاوني حيث كان مأواه بمدرسة الحلفاويين ، وسيدي عبد الرحمان الفاسي ، وسيدي محمد مخشان ، وسيدي الشريف الزروالي ، وسيدي داوود الجزولي الشتوكي ، وسيدي عيسى السكتاني ، وكان مجلسه حسنا له حلاوة ورقة ، وربما مازح بمضحكات تناسب المحل ، وكان يقرأ مختصر ابن الحاجب ويستحضر عليه التوضيح باللفظ ، وممن كان يحضره شيخنا سيدي عبد العزيز الفلالي ، وشيخنا سيدي محمد الشريف التلمساني ، وسيدي علي الزبزوبي وسيدي عبد العزيز ابن القاضي ، وقاريه فيه وفى التفسير سيدي ابراهيم المنصوري ، وكان يحضره فى بعض الاوقات سيدي أبو القاسم بن أبي النعيم ، وسيدي أبو القاسم ابن سودة ، وكان اذا أصابه غيار ظهر عليه اثره بابداء قريحة قوية فى القراءة ، ويزيد قوة ، وكان غالب أمره أن لا يقرأ يوم الاربعاء لحضوره ديوان السلطان ، وتوفي عشية السبت ثامن عشر ربيع الثاني عام ثلاثة وألف 1003 ، ودفن من غده بعد صلاة الظهر بروضة الولي الصالح سيدي عبد الرحمان الهزميري خارج باب مصمودة من عدوة فاس الاندلس ، حضر جنازته مولانا السلطان محمد الشيخ بن مولاي أحمد المنصور ، ووقف على قبره حتى فرغ من دفنه ، وكان يوما عظيما خلت الديار من النساء والاولاد فضلا عن الرجال لحضور جنازته حتى كاد الناس يتقاتلون من شدة الزحام ، وصلى عليه سيدي يحيى السراج .

ورأى صاحب الترجمة فى النوم بداره فى المخفية ذات الاشجار شجرة لها قلب حسن فجاء رجلان فقطعا القلب بشاقور ثم رجعا وقطعا الشجرة من أصلها ، فأول القلب بموت ولده التاجر محمد ، والشجرة بنفسه ، وان ولده يموت فيلحقه هو ، فكان كذلك .

انتهى كلام سيدي ابراهيم الفلالي مختصرا ، وغالبه بلفظه .

قال فى (النشر) بعده : ومن أعجب ما يحكى عن صاحب الترجمة أنه كان قدم بعض أولاده لتلقي الشهادة بعدول فاس ، فمر خدمته بالبعض

المذكور بسلة فيها تين ، فتناول من السلة واحدة وأكلها ، فلما حضرت السلة بين يدي صاحب الترجمة رأى موضع الواحدة فارغا ، فسأل عنها حاملها ، فقال له : ان ولدك أخذها فعزله من تلقي الشهادة قائلا له : ان هذه تينة لم تصبر عليها حتى تدخل الدار ، فكيف تصبر ان عرض لك ما هو أكثر منها ولم يقبل شهادته من حينئذ ، وتولى القضاء بعد صاحب الترجمة سيدي عبد العزيز الفلالي ، والدار التى كانت بيده ذات الاشجار بالمخفية أدركتها على ملك أولاد القدياري من أهل فاس ، وهي الآن عرصة براح مغترسة بالاشجار بيد بعض حفدة سيدنا أحمد بن عبد الله ، ولها باب بانوربية .

وممن ترجمه الحضيكي فى طبقاته وقد ذكرت قضية الكبش فى ترجمة كاتبه عبد الرحمان العنابي وعلي بن عبد الكريم .

1322) عبد الواحد بن ادريس الطاهري

عبد الواحد بن ادريس بن محمد الطاهري الجوطي الحسني ، الفقيه النبيه ، الفاضل النزيه ، العلامة المتقن ، المشارك المتفنن ، توفي رحمه الله فى حياة والده المذكور من غير عقب بمراكش يوم الاثنين خامس عشر ربيع الثاني عام ثمانين وألف 1080 ، وقدم به لفاس فى تابوت يوم الجمعة سادس جمادى الثانية من العام المذكور ، ودفن بتابوته فى روضتهم المعروفة لهم بالكغادين الملتصقة بقبر سيدي أحمد بن علي السوسي قريبا من قبره ، قال العلامة الورع سيدي العربي بن أحمد الفشتالي وكان المصاب بهذا الفاضل ثلما عظيما لكونه جمع فيه ما افترق .

نقله في النشر (1) وفى التقاط الدرر ، وترجم في النشر أيضا لدى عام واحد وثمانين وألف 1081 الشريف الزكي ادريس والده (2) .

---

1) نشر المثانى 1 : 274

2) نشر المثانى 2 : 2

1323) **عبد الواحد المراكشي** ، توفي عام تسعين وألف 1090 ، ذكره فى (تذكرة المحسنين) .

1324) عبد الواحد بن أحمد ابن سودة المُرّي

عبد الواحد ابن قاضي الجماعة أحمد بن التاودي ابن سودة المري ، الفقيه العلامة الاديب ، الخطيب البليغ المنشيء الاريب ، البارع المحقق ، النحوي اللغوي المدقق ، ربي رحمه الله فى حجر أبيه ، وقرأ القرآن وأخذ فى تعلم العلوم ، فقرأ على أبيه وأخيه سيدي العربي ، وعلى الشيخ سيدي حمدون ابن الحاج وغيرهم ، وأدرك جده بالحياة فأخذ عنه أيضا ، وكان فقيها علامة مشاركا أديبا خطيبا بليغا ماهرا فى النحو واللغة والادب والانشاء وغير ذلك ، وانتفع به جم غفير من الطلبة .

توفي رحمه الله ءاخر رمضان عام ثلاثة وخمسين ومئتين وألف 1253 ، ودفن بزاوية جده المذكور قريبا من محرابها أيضا .

ذكره فى (السلوة) وقد دخل المترجم مراكش (1) .

1325) **عبد الواحد بن محمد بن عبد الواحد الانصاري** ، أندلسي سكن مراكش ، روى عن أبى بكر ابن القصيرة ، روى عنه أبو القاسم رجا بن أبي عمر ابن المتشبه ، وكان أديباً حياً بمراكش في حدود العشرين وخمسمئة (2) .

1326) **عبد الواحد بن محمد ابن المواز** ، قاضي مراكش ، كان رحمه الله دوحة مجد وفخار يانعة أغصانها ، وكعبة فضل وجلال ثابتة أركانها ، شب وشاب فى العلم الذي لا يظمأ وارده ، ولا تنضب موارده ، وركب من تحقيق شوارده أعلا سنام ، وأزال عن مخدراتها اللثام ، وصار لا يجارى فى براعة قلم ولسان ، ولا يبارى فى فصاحة وبيان ، وتبختر فى كل فن وبين الحقيقة من

---

1) **سلوة الانفاس** 1 : 120

2) **الذيل والتكملة** 5 : 70 ع 149

المجاز ، عالما علامة بالكتابة والقضاء قد امتاز ، وله رحمه الله قصيدة فـي المولد الشريف عام 1298 قرئ بعضها عند تمام البردة والهمزية وقرب طلوع الفجر بحضرة أمير المومنين بمكناسة الزيتون :

شدت سحرا ورقاء شدوَ تغــــرد … فأحييتْ شجا وجدي وأفنت تجلدي
فبالله ياورقاء ما لك رعتِنـــــــي … وأكمدتني من شجوك المتـــــردد
بكيت بلا دمع فأبكيت دامعـــــا … ونحت على ورد فجرعت مــــوردي
لين كان ما بي من هوى بك مثلـه … فعودى فلم ينكر شجاك وغـــردي
وان نحت شوقا للمغاني فانـنـــي … أنوح اشتياقا للحبيب محمــــــد
سلكت الهوى برا وخضته لجــة … وجبته مكلوم الحشا جوب سيــد
فأمليت أن المحرز الفوز مَن قفـا … سبيل هوى الفرد النبي الممجَّـد
اليك رسول الله ثارت صبابتـــي … فهل عطفة تشفى بها قلب مكمـد
فما كنت أدري ما الغرام وما الهوى … الى أن ثوى قلبي غرام محمـــد
ففكّ حبيب الله اصرَ عبيدكـــم … عشيق بأغلال الغرام مقيـــــد
يحنُّ اليكم كي يفوز بمطلـــب … ويصبو اليكم صبوة المتعقـــد
غدى شجيا مضنى الفؤاد بحبكـم … يبيت بجفن من هواك مسهـــد
اليك صفى الله سقت وسائلـــي … فجد لي بفضل من نداك مؤبـــد
لقد صار لي طبعا هواك وشيعـــة … وحسبي به زادا اذا أتـــــزود
واني وقد أرقاك ربك رتبـــــة … تعاليتْ فلن تعطى لرسل وهجــد
فأنت رسول الله أكرم مَن مشـى … على الارض في بيد وغور وأنجُـد
نبيٌ هدى للعالمين ورحمــــة … فلولاه لن يُهدَى من الغي مهتـد
بهيبته ايوان كسرى تصدعـــت … ودور له تهوي فلم يتجـــــدد
وأشرقت الاقطار ليـــــلَ ولاده … وفاح شذا فيها شجا كل أمجــد
وسرت به فيها الملائكة العــــلا … وهُز له العرش ازدهاء بمولـــد
ولاحت له فيها براهن فضلـــــه … وبات بها باب السما غير موصـد
به فخرت كل الليالي وقد غـــدا … بها شهرنا بين الشهور كعسجـد
على طه خير الانبياء محمــــــد … صلاة بها ننجو من الهول في غـد
بدا فمحا رسم الضلالة بالهـــدى … كمحو الدياجي بالسنا المتوقـــد

هو الاصل فى خلق العوالم كلها … فلولاه لم تدرأ جميعا وتوجد
فمن نوره قد كان كل مكون … ومنه تجلى كل نور ممدد
تخصص بالمجد الاثيل وبالعلا … على شرف محض طريف ومتلد
وكيف من المولى ارتضاه حبيبه … تناهى حلاه عن فصيح ومنشد
له حجج ما نالها قبل مرسل … على معجزات أعجزت كل ملحد
حباه الاه العرش حوضا وكوثرا … وشق له البدر المنير بمشهد
وأيده من محض فضله بالصبا … فكان الصبا يصبو على وفق أحمد
وأسرى به فوق البراق أمينه … وأدناه والمحبوب غير مبعد
فنال مقاما لا يطاول شأنه … جلالا وتقديسا على رغم حسد
وأعطاه نصرا باهرا وشجاعة … فكان يرى فحل العداة كخفدد
بعضب معد للكفاح مصمم … فويل العدا ياويلهم ان يجرد
وأتحفه دون الورى بشمائل … كروض بهيجات أزاهره ند
وءاتاه خلقا يخجل الشمس نوره … متى ظفرت عين برؤياه تجحد
وأعطاه فى يوم المعاد شفاعة … تعم ذوي الاسلام جمعا لمفرد
وأنزل قرءانا عليه مفصلا … أصار جميع الملحدين كجلمد
وأعجز منه الانس والجن ءاية … فياحسرةَ العاصي وبشرى لمرشد
وحنَّ اليه الجذع واستأنست به … ضباب الفيافي والوحوش بفدفد
ووافت له الاشجار تسعى كما جرى … بكفه ماء قد روى اللجبَ الصدي
وقد هز عذقا حين لاقى عكاشة … فعاد لديه كالصقيل المهند
وقد منح البير الاجاج عذوبة … بتفلته حتى حلا كالمقند
وقد ظللته من ذكاء غمامة … وفك بعيرا منه رام ليعتدي
ورد بفضل الله عينَ قتادة … وعافى عليا من قذى به مرمد
وياعجبا فى كفه سبح الحصا … كذاك طعام منه سبح فى اليد
وأمته قد أخرجت خير أمة … ويلزم فضل المقتدى فضل مقتد
وأخبره عن سمه عند اكله … ذراع فلم تستقص ءال محمد
عليه صلاة الله ما هام مغرم … بحبه من غير اصطبار موجد
ومنه الرضا عن ءاله الغر من سمت … لهم قدم فى كل فضل منضد

ومَن زهرت في المكرمات مناقب ... لهم مثل روض بالازاهر أملد
ومَن حبهم فرض على كل مومن ... وبغضهمُ يفضي لجمر موقد
همُ نسل زهراء ليوم قيامة ... مآثرهم ان رمتَها لم تعدد
بهم تنجلي العاهات عن متوسل ... بهم وبهم يدنو المنى ان يبعد
بجاههم تحوى الاماني لآمل ... بهم ينفري حبلُ الاسير المصفد
ولا يتحمى فى الارض أمن لاهلها ... وهم فى الورى جبر لكل مخصد
مفاخر ءال البيت بحر تزاخرت ... به لجج ان تغترف منه يزدد
ولاكنها زينت بفخر امامنا ... فنال كمالا فى كمال مسرمد
حبانا اياه الله فضلا ونعمة ... فنمنا به فى ظل أمن ممدد
سما حيث لم يدرك فلولا سعوده ... حسبته كيوانا اذا يترصد
بدا نيرا فى الأرض كالنوء شأنه ... هدى وندى فاستمطرن منه واهتد
به شرفت مرقى المعالي كأنه ... لجسم المعالي مهجة لم تبدد
لئن كان من قبل الملوك تقدمت ... فلم يقس العضب السليل بمغمد
فاغرز به جفنيك طلعة كامل ... بأردية البأواء والفخر مرتد
لسيدنا خلق لو انه للصبا ... لما هز ... لافنان عرقد
ومجد وملك أحرزا عن وراثة ... على نسب صرد ورأي مسدد
وجود كما صوب الحيا وانساءة ... وهيبة ضرغام وتنجيز موعد
وبأس فلم تظفر به شهب السما ... وعلم كبحر بالمعارف مزبد
وخلق كما فاح الكبا وشجاعة ... بحومة حرب لَم تكن عند برهد
وخلق لوان البدر قابل نوره ... كساه شجون من شجا وتحقد
عىء القطب لولا أنه كان مفردا ... بلا شبه ما خلته غير فرقد
فألمم بمولانا الرضا الحسن الحلا ... تنل خير مأمول وتحظَ وتسعد
لكم زان قدر الليل ميلاد جده ... باظهار تعظيم له متعود
بانشاد أمداح ووفر ولائم ... وبذل عطيات وحسن تهجد
واسراج أنوار وتطييب محفل ... وجمع حفاظ فضلهم لم ينرد
فلا زال مزدانا به فضل مولد ... ولا زال محفوفا بنصر مؤيد

* * *

أسيدنا ما لي بمدحك مغـــــرم فصار أنيسي إذ أروح واغتـــدي
متى راش ذهني مطردا لمدائــح أرى هدفا ذاك الجناب لمطـــرد
وفيكم ترى الامداح فخرا لمــادح وفي غيركم كالغنج في عين أرمـد
أسيدنا هذى عقود نظمتهـــا مرصعة من لؤلؤ وزمـــــرد
ولو لم تفق في ذاتها فلقد زهــت بمضمونها زهر النديم بصرخـد
وفي نظم ءايات الرسول تواصـل لخير وتنفيس وسلوى لانكـــد
به نسأل الله النجاة ونرتجـــي بجاهه فتحا للرصيد المشــــدد
وحفظا وتيسيرا وتفريج كربـــة وسترا عميما لم يزل يتجــــدد
وتأييد نصر الله والفتح والعـــلا لسيدنا الشهم الامام المصمـــد
وبالمصطفى كم ساكنات من المنى تحركن لولا جاهه لم تنـــود
فياخير خلق الله عطفا لناظـــم فرائد ءايات لكم متـــــودد
ومدحي لم أحسبه غير زبرجـــد معاد ومردود لبحر الزبرجـــد
كما لم أخل نظمي مديحا لاحمــد ولاكنما الممدوح نظمي بأحمــد
عليه صلاة الله ما زام سابـــق اليه ركابا في فلاة وأوهـــد
صلاة بلا حصر نؤمل فضلهـــا لدى يوم هول رائع وتهـــدد
صلاة تعم الصحب ما قال منشــد شدت سحرا ورقاء شدو تغـــرد

ذكره ابن الحاج في المولد .

وقال في (الحسام المشرفي) والسيد عبد الواحد ابن المواز عالم خميص البطنة ، ذكي الفطنة ، يعطي للشروح حقها ، ويمهد للتوطئة ويملك رقها ، يزيد في درسه للسعد سعدا ، ويقرب للفهم ما صعب وازداد عن بليد الذهن بعدا ، انفرد بجودة الخط وانشاء الانشاءات ، وما يلفظ قلمه على البديهة الا حسن القول دون الاساءات ، أدرك خطة الكتابة في مصر فاس العالي ، مع كل قائد ووالي ، وقام في أبحر العروض ، بالنوافل والفروض ، فله في سفرجلة أهداها له بعض الفقهاء من سفرجل الملوك والمهدى له صاحب الترجمة هي بحول الورقة المواجهة لهذه ، وهو السيد محمد ابن العلامة المتيوي لانه ابن عمة المهدي ، فأجابه ابن خاله المذكور هنا ارتجالا من بحر البسيط بما نصه :

أهدى سفرجلة نجم النحاة بمـــا يسرني غيرها صفر الحواليـــــق
كأنها وهبوب المسك يقدمهـــــا ثدي الفتاة على زي البطاريـــق
تلك اللدات ورب العرش يمنحـــه قسطا بقسط على وزن الدوانيـــق

وقال فى (المجد الطارف والتالد) عند ذكر تعداد مَن لقي من أهل العلم بفاس فى أوائل العشرة الاخيرة من القرن الفارط ما نصه : ومثله محبنا الفقيه الكاتب ، سيدي عبد الواحد ابن المواز السليماني الحسني ، ثم بعد ذلك بمدة قريبة تقضى هذا الفقيه فى حضرة مراكش ، واستحسن الناس سيرته لصفاء سريرته ، وحصل له قَبول عظيم من رجال الله ، ولما وقف على هذا التأليف أعجبه وقرظ عليه بما نصه :

سلا هل سلا قلبي عن واكف السحب بمثرية وعثا بمرقبة الهضـــــب
وهل رأت العينان فتنة ذي لـــب مناشدنا الاسعا . . . مدركة القرب
كمثل جمان النور فى صدف البهـا تجود به الافكار في حضرة الكتب
فيأيها الرائي لسر بهائـــــــه تأدب فان البحر فى مهول شغـــب
فأما أمين السر فهو زعيمهـــــا وأما أبو العباس فهو لها يطبـــي
عليك بما عاينت غيثا لظامــــىء فجاهد به جيش الجهالة بالرعـب
فدونك مسبطور ارتجال لفاضـــل أفاد به دفعا لمعضلنا الصعــــب
فان بلادا فيها مثل أميننــــــا لحقّ لها تدعا بآمنة القلـــــب
أفاد علوما جاءها من فصولهـــا وأبوابها ليست من الرجم بالغيب
فبالله ياحمراء تيهي دلالـــــة فان أمين النقل من فحلك النجـب
تجلت علوم السر من فكر جـوده على الحق مشراق وفى مركز القطب
نفى وغدة فى القلب عن كل ناظر سواء عليه سلمه وذوو حــــرب
فقل ما تشا فيه وأنت مقصـــــر وهل عالم بالشرق مثله بالغرب ؟
فلم يدر الا الله ما هيجت لنـــا بديهة معجال وكاشفة الكــــرب
فلا زلت ضوءا فى البلاد تحوطهـا ولازلت عينا لا تغيض ولا تكـــدي

فقيه أديب لطيف الشيم ، عذب الخلق الشبم ، انتهى .

وقال في (اللؤلؤ المكنون) : ومنهم الفقيه الاديب الحيسوبي المنطقي البياني العروضي ، سيدي عبد الواحد ابن المواز ، أخذ المترجم رحمه الله عن علماء فاس كالفقيه المرنيسي ، وسيدي عبد السلام بوغالب ، وسيدي الحاج عمر ابن سودة ، وتولى قضاء مراكش ، ثم قضاء المحال السلطانية وكتابة مهم الرسائل لملوك اللغة الاجنبية ، وأخيرا ولي على مصلوحة (تامصلوحت) ، ثم توجه لفاس ، وتوفي رحمه الله بها عام ثمانية عشر وثلاثمئة وألف 1318 ، كتب أولا لابن الطالب عامل فاس ثم لخليفته السراج ، ونقل من فاس الى مراكش ، وكتب مع عامل فاس عبد الله بن أحمد ، وألف رسالة في التعريف بسبعة رجال مختصرة (1) .

1327) **عبد الواحد الجوطي الحسني** ، قال في (اثمد العينين) : حدثني الشيخ الأجل الشريف المنيف ، عبد الواحد الحسني الجوطي قدس الله روحه ، وبرد ضريحه ، قال تشاجر أبي رحمه الله مع بعض الولاة بمراكش ، فحلف ألا يسكن معه المدينة ما دام واليا فيها ، فاستعطفه بعض أكابر المدينة وقال له تكفر يمينك ، فلم يقدروا عليه بشيء ، فرحل الى أغمات وريكة بالاهل والاولاد واستوطنها مدة ، ثم مرض مرضا شديدا وزاد مرضه حتى انقطع منه الانين ولم يبق فيه عرق يضرب فظنوا أنه قد مات ، فجرد من ثيابه وطرح على الجبص وأقيم له نعش وتابوت ، واشتغل الناس بجهازه وحفر قبره ، فبينما هم كذلك اذ أقبل الشيخ فوجدناه هنا عند باب المنزل مع بعض خدامه وحشمه ، فسمع النياح فى المنزل ، فقال للذي وجد عند المنزل مَن هذا الذي يدثر ؟ فقالوا له ان سيدنا قد مات ، فقال لهم انه لم يمت ، أتريدون أن تدفنوا الشريف حيا ، استأذنوا علي حتى أدخل اليه ، فأدخلوه فنزع عنه ثيابه وأمر بنار فأوقدت ، فأخذ يسخن يديه ويمر به على ترقوته ومفاصله وبعض جسده ، وأمر بذبح طائر من الدجاج فطبخ فى الحين وأخذ قطنه فما زال يوجده قليلا وهو مع ذلك ينتعش فما زال يتلطف به حتى فتح عينيه وأجلسه على

---

1) ينظر عنه أيضا **فواصل الجمان** ص 183

نفسه وتحدث معه ساعة ثم انصرف ، وعاش بعد ذلك مدة طويلة ثم مات ودفن في مسجد علي بن يوسف رحمة الله عليه ، وهذا من بركته رحمه الله اذ كشف له عن حاله ، فتلافى أمره ، فلولا ما اطلعه الله على امره لدفن حيا ، نفعنا الله به ورزقنا بركته (1) .

1328) عبد الوهاب بن محمد (المعتمد) ابن عباد اللخمي

عبد الوهاب بن محمد المعتمد بن عباد بن محمد بن اسماعيل ابن عباد اللخمي ، من أهل اشبيلية ، أخذ ببلده وفي امارة أبيه عن مالك بن وهيب، وأبي الحسن ابن الاخضر العربية والآداب ، وأخذ عن شهاب بن محمد المعطي جملة من علم الطب ، ونقل بخلع أبيه الى المغرب فصحب ثانية مالك ابن وهيب بمراكش ، وقرأ عليه الفقه وسمع منه الحديث واختص بصحبته ، وقدم لصلاة الفريضة بجامع مراكش ، واستنيب في الخطابة مدة ، وكان خيرا وقورا معلوم العدالة والنزاهة ، ثم تخلى عن ذلك وانقبض وتخير الانتقال الى تادلة ، وتوفي بها بعد العشرين وخمسمئة .

ذكره في (التكملة) وفي (الذيل) (2) .

1329) عبد الوهاب بن أحمد ابن رشد المراكشي

عبد الوهاب بن أحمد بن عبد الكريم المعروف بابن رشد المراكشي الشيخ الامام العلامة ، له أبيات ستة في علم الكيمياء وشرحها الامام المذكور لسيدي علي بن ابراهيم ، وقفت على نسختين منه ، ونص الابيات المذكورة :

خذ الحجر الملقى على الرحب والثرى ... وصيرهما ماء تريح من الكـــــــد
هما حجران بارك الله فيهمــــــا ... اذا اجتمعا صارا على هيأة الزبـــد

---

1) عنون المؤلف بعد هذا السخف لترجمة باسم ابن عبدون ولكنه لم يتكلم الا عن نبتة رءاها رجل اسمه ابن عبدون بمراكش ، وحاول أن يتعرف على ابن عبدون هذا فلم يوفق ، ولذا اضربنا صحفا عما نقله بشأن تلك النبتة

2) **التكملة** ص 639 ع 1787 (طبع مدريد) ، **والذيل والتكملة** 5 : 97 ع 178

وثالثها ذاك المعلق فى الهـــوى | يكنى بَخور الارض فاكتم ولا تبد
ورابعها زين الهواء وفتحهــــا | ولولاه ما لاح اللقاح من الـــورد
وخامسها حل وعقد كلاهمــــا | فكل الذى ترجوه فى الحل والعقد
فهذا وعند الله جملة سرنــــا | كتبناه للاخ المقيم على العهـــد

وراجع صفحة 405 من ج 3 المجلد الثالث من الهلال .

1330) عبد الوهاب بن محمد ابن ابراهيم المشنزائي

عبد الوهاب بـن محمد ابن ابراهيـم المشنزائي ، كان يتكلم على خليل والرسالة بالقرويين وألفية ابن مالك ، توفي بمراكش المحروسة سنة ست وتسعين وتسعمئة 996 ، أخذ عن يحيى السراج رحمة الله عليه .

ترجمه فى درة الحجال والجذوة (1) .

1331) عبد الوهاب ابن الازرق المراكشي ، الفقيه العالم الاوحـد ، دفين أزمور رحمه الله تعالى ، من أصحاب الشيخ سيدي علي بن عبد الرحمان الدرعي كما ياتي فى ترجمته نقلا عن (دوحة البستان) .

1332) عبد الوهاب بـن أحمد الدراق (2) الفقيه العالم ، الطبيـب الماهر ، الاديب الناظم الناثر ، له معرفة بالنحو والفقه والشعر ، وأما الطب الذى هو فنه فانتهت اليه رياسته ، وقصرت عليه نفاسته ، له أنظام كثيرة فى الطب ، وله تآليف ، منها ارجوزة فى الطب ذيل بها أرجوزة ابن سينا ، وله أرجوزة فى حب الفرنج الداء الحادث المسمى عند العامة بالحـب نسأل الله السلامة وعافانا من كل داء ، ومنها تاليف سماه (هز السمهري ، فيمن نفى عيب الجذري) ردا على مَن يقول انه ليس من عيوب الرقيق ، وله تعليق على النزهة للشيخ داوود ، وله تقييدات كثيرة .

---

1) **درة الحجال** 3 : 151 ع 1113 طبع تونس ، **وجذوة الاقتباس** ص 455 ع 496 طبع الرباط

2) يكتب أحيانا **ادراق** مبربرا ، والدراق صانع الدرق ، وبفاس سوق كان خاصا بمن يصنعونها يعرف حتى الآن بالدراقين

أخذ العلم عن عدة شيوخ كالشيخ اليوسي . وسيدي عبد السلام القادري، وغيرهما، وتبرك بالعارف بالله سيدي أحمد بن عبد الله معن، وكان يذكر عنه حكايات فى تفريج مضايق عرضت له فى علاج أولاد السلطان وأضرابهم ، قال فى النشر ورأيت بخطه انه حكى عن سيدي أحمد بن عبد الله أنه قال له كان رجل لا يتكلم الا مرة فى كل سنة ، فاذا تكلم نطق بثلاث كلمات ، الاولى سر كيف تحمل ، الثانية ما لك ما تريد ، الثالثة ان كان تقدر ، قال واذن لنا سيدنا أحمد بن عبد الله فى نظم هذه الكلمات فنظمها فقال :

سر كما تحمل فى كف القــــدر	لا كما تختار ان كنت اشـــــر
ما لعبد من مراداه يـــــرد	كل شيء بقضاء وقـــــدر
فاذا ما قلت انى قـــــادر	فادن كي تفعل شيئاً أو تــــذر
سلم الامر لمـــــولاك ولا	تتعب العقل بورد وصــــــدر
واطّرحْ عنك قضايا ما لهـــا	اثر واشدد على ما فى الاثـــر
واذا ما اشتد أزم فلـــــه	فرج أقرب من لمح البصـــر
فابتهل لله واسألـــــه اذا	جن ليل سيما عند السحـــر
بخضوع وخشوع تُعْطَ مـــا	فوق ما تأمل من رب القـــدر
وختام المسك اكثارك مــــن	صلِّ يارب على خير البشـــر
وعلى الآل وصحب كلمـــــا	طلعت شمس وما لاح قـــدر

توفي (1) آخر صفر عام تسعة وخمسين ومئة وألف 1159، ودفن بالقليعة بفاس بداخل قبة سيدي محمد بن الطالب نفعنا الله به .

وقد تقدم شيء مما يتعلق به فى ترجمة عبد العزيز المطاعي قاضي مراكش .

وقـال فى الجيش العرمـرم : عبد الوهـاب الدراق طبيب المولـى اسماعيل ، كان حكيما علامة ، وكانت له مكانة عظيمة عنده لا تدرك لغيره بحيث لا ترد شفاعته ولا تهمل اشارته ، وكان مضربه ومنزله فى الاسفار اعظم من

---

1) عن سن عالية نحو الثمانين صبيحة يوم الاثنين 28 صفر

مضرب أكبر العمال ، وعندي كتاب (عمدة الطبيب ، فى معرفة النبات لكل لبيب) لابن عبدون نسخ للمترجم كما بينته في ترجمة ابن عبدون (1) ، وكانت له حانوت امام باب مولاي ادريس يأتيه الناس هناك ، وكانت له معرفة بالشعبذة ، فكان أحيانا ينصب قصبة بباب حانوته يتخيل أنه مدفع ونحو ذلك، ونفذ له السلطان اسماعيل عمالة جزية يهود مكناس فى 4 صفر عام 1133 وأقطعه دارا بمكناس فى منتصف جمادى الثانية عام 1137 ومستفاد ميزان قاعة العطارين بفاس (2) .

1333) **عبد الوهاب المراكشي** الشيخ الصالح . كان من كبار أولياء الله تعالى ، ومن أهل خرق العادة ، كان بعنابة ، وفيها لقيه الحاج النفاتي فقال له أنت بجوار الشيخ ابن عروس ، وفى البيت الذى عن يساره والشيخ رضي الله عنه فى البيت السفلي لم يصعد بعد الى السطح ، وجعل يخبره عن حاله كله مع الشيخ ، الى أن أخبره عن أواني البيت ، فقال فى نفسه وقد أدركه من أمره العجب هذا الشيطان تصور لي ، فما أتم الخاطر الا وهو يقرأ عليه سورة الواقعة ، ثم قبله فى جبينه ثلاث مرات ، وقال أنت أخي من الشيخ ، وان أدبناك يكون ذلك سوءَ أدب مع الشيخ ، لسنا بشياطين ، ولا يتطور الشيطان علينا أن شاء الله ، فقال له : ياسيدي صحيح ان الشيخ هو السلطان يريد سيدي أحمد ابن عروس ، قال فقال لي السلطان القرءان لاكن الشيخ رضي الله عنه هو الاستاذ ، واذا عرضت لنا عنده حاجة نرسل عليه طوارق فنقضى منه حاجاتنا وننصرف وكل واحد منا حاكم على موضعه .

ذكره فى (ابتسام العروس) ، وتقدمت ترجمة سيدي أحمد بن عروس المتوفى سنة 868 (3) ، وانشد في (ابتسام العروس) بعد ما ذكر اذا كان هذا وامثاله يردون الى مجده الامر قال فنحن على عجزنا منهم أحق وأولى بذل السؤال .

---

1) لم نثبتها لانها ليست ترجمة

2) ينظر عنه **سلوة الانفاس** 2 : 34

3) انظر 2 : 226 ع 106 من هذا الكتاب

1334) **عبد الوهاب بن أحمد أجانا** ، العلامة المشارك ، شيخ الامام مولانا سليمان ، اقطع أولاده بعد موته دارا وأجنة بمراكش كانت بيد والدهم بظهير وقفت عليه نصه :

الحمد لله وحده   وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وءاله

ثم الطابع داخله سليمان بن محمد بن عبد الله ودائرته فيها الله محمد أبو بكر ، عمر ، عثمان ، علي .

انعمنا بحول الله التام ، وشامل يمنه العام ، على أولاد شيخنا البركة الاجل السيد عبد الوهاب أجانا رحمه الله ، وهم الفقيه السيد المفضل ، وأخوه الفقيه السيد أحمد ، واخوانهم ، بالدار التى بها سكناهم مع والدهم رحمة الله عليه الكائنة بدرب الحمام من حومة المواسين بحضرة مراكش أمنها الله ، وكذا أنعمنا عليهم بالعرصة التى كانت فى يد والدهم وتصرفه الكائنة بدرب سنان من الحومة المذكورة يتصرفون فيها بأنواع التصرفات كلها من غير منازع ولا معارض ، ولا مدافع ولا مداحض ، انعاما سائغا لا يتعقب ، واقطاعا اماميا لا نسخ له بحول الله يترقب ، والمواقف عليه من القضاة والحكام ، وحملة السيف والاقلام ، يعمل به ، ولا يحيد عن كريم مذهبه ، والسلام .

وكتب فى 6 سادس شعبان المبارك أحد شهور عام اثني عشر ومئتين وألـف .

1335) **عبد الوهاب البهلول الرحماني** المحمدي المراكشي . الفقيه العلامة ، المشارك الفهامة ، صدر وقته وعالمه ، ولد عام ست وأربعين ومئتين وألف 1246 ، أخذ عن الفقيه السيد أحمد بن . . . (1) ، وعن الفقيه السيـد المطيع ، والسيد سعيد جيمي بمراكش ، وأخذ عن والده أيضا ، **وكان معه** بفاس فى حدود السبعين ، وأخذ به أيضا عـن الفقيه سيدي محمد بـن عبد الرحمان الحجرتي وغيره من أهل طبقته ، كان جميل الصورة ، حسن الخلق ،

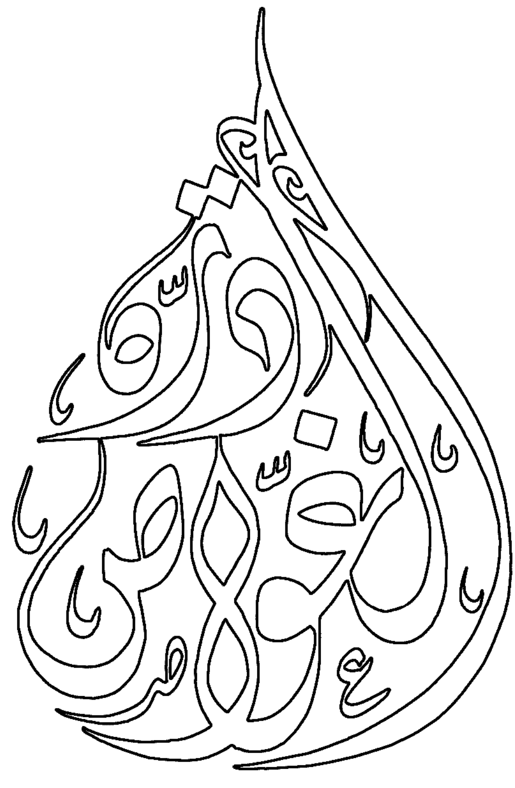
---

1) بياض بالاصل

ذا تؤدة ، نبيها نبيلا ، مدرسا مفتيا محققا وجيها محترما ، له خط حسن ، عارفا بالمعقول ، درس الفقه والاصــول والبيان ، أخذ عنه طلبة العلــم بمراكش ، واستعمل على فخذ المحمدين من قبيلة الرحامنة ، وحج عام ثمانين ومئتين وألف 1280 .

توفي رحمه الله فى خامس وعشري جمادى الثانية أو فى الشهر الذي بعدها من عام ثمانية وثلاثمئة وألف 1308 .





فهرس

(الجزء الثامن من الاعلام)

حرف العين

النمرة | الصحيفة

الـنـمـرة		الصحيفـة
1089)	عبد الرحمان بن عبد الله **الادريسي**	89
1090)	عبد الرحمان بن عبد الكريم **الهزميري**	92
1091)	عبد الرحمان بن الياس **الرجراجي**	98
1092)	عبد الرحمان بن يوسف **الحسني**	101
1093)	عبد الرحمان بن علي **ابن ماساي** الفودودي	101
1094)	عبد الرحمان بن سليمان **ابن أبي الربيع** اللجائي	101
1095)	عبد الرحمان بن أبي يفلوسن **المريني** (الأمير)	103
1096)	عبد الرحمان بن محمد ابن **الأشقر** الفاسي	103
1097)	عبد الرحمان بن علي **طالب عافية** القيسي	104
1098)	عبد الرحمان بن محمد **ابن خلدون** الحضرمي	105
1099)	عبد الرحمان (رحو) بن يعقوب **الوطاسي**	110
1100)	عبد الرحمان خليفة ابي الحسن المريني على مراكش	112
1101)	عبد الرحمان بن أبي القاسم **ابن الخطيب** الشفشاوني	112
1102)	عبد الرحمان بن علي **الوقاد** المعافري	115
1103)	عبد الرحمان بن عبد الهادي **السجلماسي**	115
1104)	عبد الرحمان بن عمر **الباعقيلي**	117
1105)	عبد الرحمان بن يعزة **الرسموكي**	118
1106)	عبد الرحمان بن محمد **العنابي**	118
1107)	عبد الرحمان بن اسماعيل **التادلي** الصومعي	121
1108)	عبد الرحمان بن الكامل المراكشي	121
1109)	عبد الرحمان **أبو خريص**	122
1110)	عبد الرحمان (المجذوب) بن عبد الحفيظ **الفاسي**	123
1111)	عبد الرحمان بن ادريس **العراقي**	123
1112)	عبد الرحمان بن عبد الله **الجشتيمي** التيوتي السوسي	123
1113)	عبد الرحمان بن هشام **العلوي** (السلطان)	124
1114)	عبد الرحمان **ابن بوطاهر** المراكشي	142

الصحيفة

النمرة

النمرة　　　　　　　　　　　　الصحيفة

النمرة **الصحيفة**

الصحيفة

النمرة

النـمـرة		الصحيفـة
1248)	عبد المومن	398
1249)	عبد العزيز **التونسي**	398
1250)	عبد العزيز بن خلف **ابن مدير** الأزدي	400
1251)	عبد العزيز بن محمد **الباغاني**	401
1252)	عبد العزيز **بن تومرت** أخو المهدي	401
1253)	عبد العزيز بن علي ابن الحاج **الطحان** السماتي	402
1254)	عبد العزيز **العمراني**	403
1255)	عبد العزيز بن عبد الواحد **الملزوزي**	403
1256)	عبد العزيز بن أبي الحسن **المريني** (السلطان)	404
1257)	عبد العزيز بن أحمد **المريني** (السلطان)	412
1258)	عبد العزيز **الحلباوي**	413
1259)	عبد العزيز بن عبد الحق **الحرار** (التباع)	413
1260)	عبد العزيز بن عبد الله **السكتاني**	433
1261)	عبد العزيز بن محمد **الفشتالي**	434
1262)	عبد العزيز بن الحسن **الزياتي** الفاسي	442
1263)	عبد العزيز **المراكشي**	443
1264)	عبد العزيز **الزمراني**	443
1265)	عبد العزيز بن محمد بن عبد الله **التاملي**	444
1266)	عبد العزيز بن محمد **البوعبدلي** المراكشي	444
1267)	عبد العزيز بن أحمد **المطاعي**	445
1268)	عبد العزيز (عزوز) بن سعيد **الوزكيتي**	449
1269)	عبد العزيز بن محمد بن أبي عبد الله **السكتاني**	449
1270)	عبد الغالب بن يوسف **السالمي**	450
1271)	عبد الغفار بن يوسف **البلكلوي**	450
1272)	عبد الغفور بن يوسف **الأيلاني**	450
1273)	عبد القادر ابن السلطان الشيخ **السعدي** الحسني	452
1274)	عبد القادر بن أحمد بن بلقاسم **الفشتالي**	452

النمرة — الصحيفة

النـمـرة | الصحيفـة

تنبيـــه واعتذار

ان النسخة الخطية الوحيدة التي نطبع عنها هذا الكتاب لم يُحررها المؤلف التحرير النهائي ، بل كان ينقل الترجمة ثم يلحق ببدايتها أو وسطها أو نهايتها ما يظهر له أن يلحقه بها ، فكان أغلب التراجم بسبب ذلك غير منسق .

ومن جهة أخرى فان النساخ الذين تولوا نقل نصوص التراجم من الكتب أساءوا النقْل كما أساءوا الكتْب ، وقد بذلنا الجهد فـي تحرير النقول عند الطبع بمقابلتها بالأصول المنقول منها ، كما بذلنا الجهد في تصحيح ما لم نعثر على أصوله أو تعذرت مقابلته بها ، وما صعب علينا تصحيحه تركناه على حالته التي كتب عليها في النسخة الخطيــة .

ولم يسلم الكتاب مع ذلك من أخطاء مطبعية ، فوجب التنبيه والاعتــذار .

تحت الطبع

انبعاثُ أمَّــة

الجزء السابع والأربعون (القسم الأول)

* * *

الـوثـائق

المجموعة الحادية عشرة

* * *

المختار

مما قيلَ في رثاء جلالة الملك الحسن الثاني من الأشعار

* * *

ذاكرةُ مَلك

ذكريات جلالة الملك المرحوم الحسن الثاني

* * *

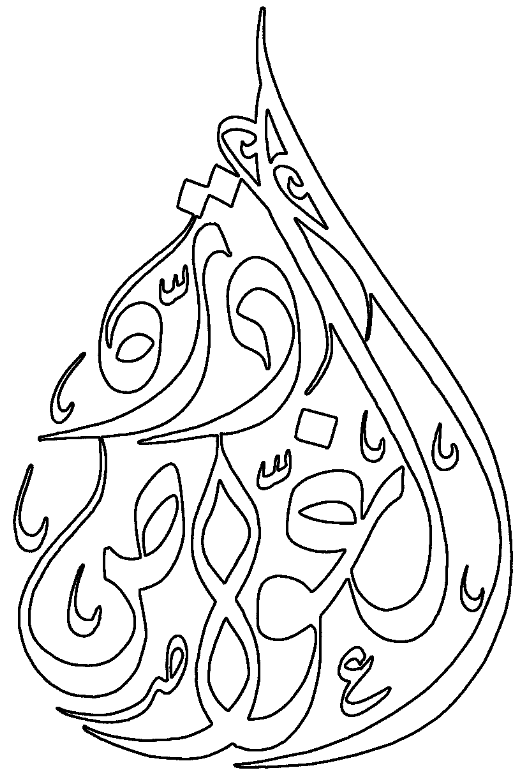
النفحة المسكية في السفارة التركية

لعلي بن محمد التمكروتي

المطبعة الملكية . الرباط

رقم الإيداع القانوني : 1144 / 2002

ردمك : 3 - 45 - 905 - 9981



الإعلام

بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام

تأليف

العباس بن إبراهيم السملالي

قاضي مراكش

راجعه

عبد الوهاب ابن منصور

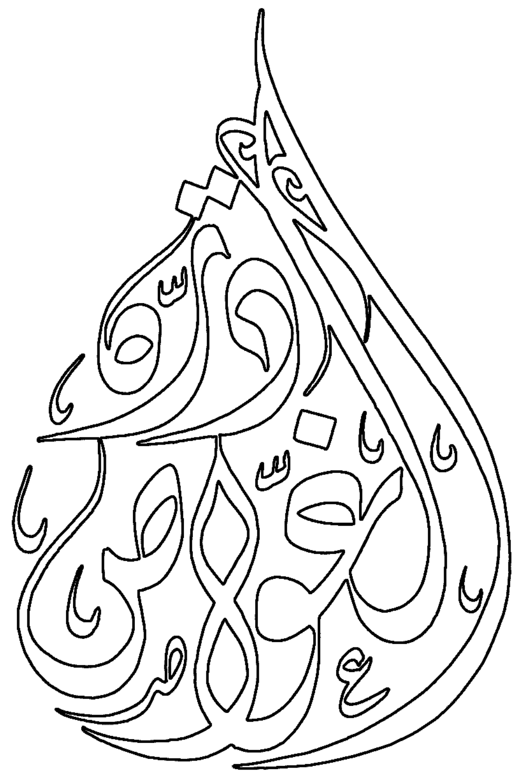
مؤرخ المملكة عضو أكاديمية المملكة المغربية

(الطبعة الثانية)

1413 هـ - 1993 م

المطبعة الملكية - الرباط

الجزء التاسع



الإعلام

بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام

تأليف

العباس بن إبراهيم السملالي

قاضي مراكش

راجعه

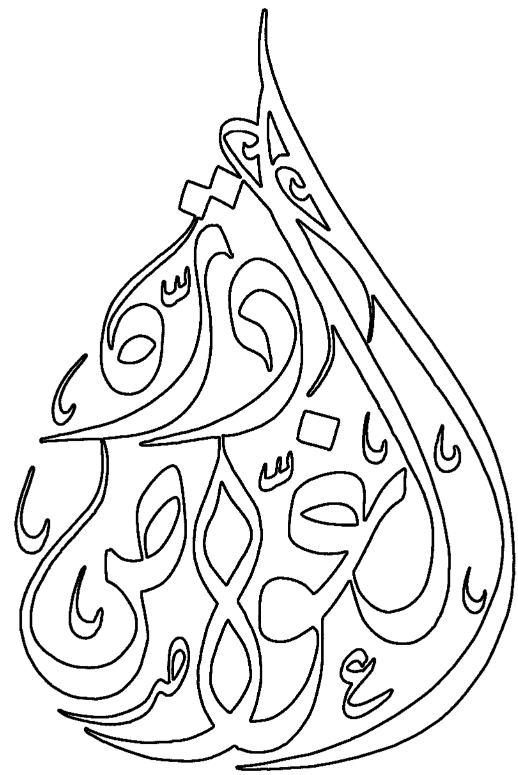
عبد الوهاب ابن منصور

مؤرخ المملكة عضو أكاديمية المملكة المغربية

الجزء التاسع

الطبعة الثانية

1418 هـ - 1997 م



بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

بقية حرف العين

1336) **عتيق بن علي بن حسن بن حفاظ الصنهاجي الحميري** ، يعرف بالفصيح ، ويكنى أبا بكر ، أصله من مكناسة الزيتون ، ونشأ بمدينة فـاس ، وأخذ عن مشيختها ، ثم رحل وسمع بمكة أبا حفص الميانشي في سنة تسع وسبعين وخمسمئة ، ودخل بغداد فسمع بها وبمصر وبالأسكندرية ، اخذ عن أبي محمد ابن بري ، وأبي زكرياء القيسي ، وابي عبد الله ابن الحضرمي ، واجاز له ابو محمد العثماني ، وأبو الطاهر السلفي ، وأبو الفضل مسعود بن علي البغدادي ، وغيرهم ، وتفقه بالخلافيات بالعراق وغيرها ، وكتب بخطه علماً كثيراً، وأخذ عنه بصدره بتونس وتلمسان وغيرها ، وقدم مراكش في سنة ثمان وثمانين وخمسمئة ، ولازم دار الامارة بها الى أن ولي قضاء الجزيرة الخضراء ، فلم تحمد سيرته ، وأكثر أهلها التشكي الى صرف عنهم .

أخذ عنه علي ابن القطان ، وقال أرانا شعره مجموعاً ، وابو عبد الله ابن أصبغ ، وأبو الربيع ابن سالم .

توفي بمراكش سنة خمس وتسعين وخمسمئة .

ترجمه في الجذوة (I) .

I) الترجمة منقولة بالحرف من **جذوة الاقتباس** ص 455 ع 497 طبع الرباط .

1337) عثمان بن عبد الله القيسي المعرف بالسلالجي .
يكنى أبا عمْرو ، ومن بيت بني السلالجي بفاس ، كان اماماً عالماً محصلا ، أمام أهل المغرب في علوم الاعتقاد ، أخذ عن ابن حرزهم ، وابي الحسن ابن خليل ، والاشبيلي أخذ عنه علم الكلام وأصولَ الفقه ، وابن الرمامة ، ورحل الى مدينة بجاية ، وعزم على الرحلة منها الى المشرق في البحر في مركب ، فسجن الوالي كلَّ مَن عزم على التوجه الى المشرق ، فهربَ هو وأصحابه بالليل من السجن ورجع الى مدينة فاس ، وقتل الوالي جميعَ المسجونين ، ولقي علي ابن أحمد اللخمي المعروف بالاشبيلي ،المتوفى عام 567 ، المترجم في الجذوة وكان له بصر بكتاب الارشاد فلازمه وفهِم عليه الكتاب المذكور .

أخذ عنه محمد بن عبد الكريم الكتامي ، ثم لازم مدينة فاس .

وانما اشتهر بالسلالجي لأجل أملاك كانت له بسليلجو كان يتردد اليها من فاس ، ورتبته كرتبة أبي المعالي في العلم ، وهو منقذ أهل فاس من التجسيم وله البرهانية ، وضعها لامرأة أندلسية اسمها خيرونة وهي من الصالحات .

دخل مراكش وأخذ عن أهلها ، ثم لازم مدينة فاس ، وزهد في الدنيا واهلها وانتصب لتعليم العلم ، فنفع الله به وبصالح دعائه .

وكان يحمل خبزه الى الفرن فيريد تلامذته أن يكفوه فيأبى من ذلك .

ذكره في التشوف (2) .

وينشد له في أهل فاس :

خنوا ضمانيَّ الا تفلحوا أبداً ولو شربتم مدادَ الكتْب بالصحف
أنتم صغار كبار عند أنفسكم هل يهتدي مَن يقيس الدر بالصدف؟

توفي بفاس يوم الأحد الحادي والعشرين من جمادى الآخرة عام أربعة وستين وخمسمئة ، ودفن خارج باب الفتوح قرب دراس بن اسماعيل .

---

2) **التشوف** ص 178 ع 69 .

وذكره في الجذوة ، وتأليف بيوتات فاس ، واللؤلؤ المكنون .

ومن الآخذين عنه الفقيه الصالح سليمان بن مهدي بن النعمان من أهل مدينة فاس ويعرف بالسطي ، توفي سنة 607 كما في الذخيرة السنة (3) .

فائدة : العقيدة البرهانية للمترجم شرحها الشيخ الامام محمد بن أحمد ابن عبد الله الأنصاري المعروف بالخفاف ، أوله : الحمد لله الذي اخترع المحدثات بقدرته كما في الكشف ، وراجع ترجمة هذا الشارح في الذيل والتكملة وهو توفي بتازة (4) .

1338) **عثمان بن عبد الله بن ابراهيم ابن جامع**، الوزير من بيت وزارة، تقدم. ذكره في ترجمة الشيخ ابراهيم ابن الحاج (5) حيث هو الذي تسبب له في مجيئه لمراكش لما أبلغ الوشاية الى السلطان المستنصر يوسف بن محمد الناصر بن يعقوب المنصور ، ويقال ان المترجم هو الذي قتل يوسف المستنصر كما يأتي في ترجمته (6) .

1339) **عثمان السيد الأمير** ، مرض فعاده أبو العباس السبتي ووعظه (7).

1340) **عثمان بن يعقوب بن عبد الحق بن محيو المريني** ، كان هذا السلطان من أهل العلم والعفاف جواداً متواضعاً متوقفاً في سفك الدماء ، لقبه السعيدة بفضل الله ، وامه حرة اسمها عائشة بنت الأمير أبي عطية مهلهل بن يحيى الخلطي . ولما هلك السلطان سليمان بن عبد الله بن يوسف المريني بتازة تطاول للأمر عمه عثمان وهو عثمان ابن السلطان يوسف ، وخبّ في ذلك وأوضع ، وأسدى

---

3) **الذخيرة السنية** ص 46 طبع الرباط

4) **جلوة الاقتباس** ص 458 ع 501 **وبيوتات فاس الكبرى** ص 45 **والأنيس المطرب بروض القرطاس** ص 266 **وذكريات مشاهير رجال المغرب** ع 11 **وسلوة الأنفاس** 2 : 183 .

5) ظ 1 : 162 من هذا الكتاب .

6) **الغصون اليانعة** ص 37 **والمعجب** ص 303 و 349 طبع القاهرة .

7) لعله الأمير عثمان بن الخليفة عبد المومن بن علي ، وقد كانت وفاة هذا الأمير عام 569هـ.

والحم ، فلم يحصل على شيء ، واجتمع الوزراء والمشيخة بالقصر بعد هدأة من الليل ، وتفاوضوا في أمرهم حتى وقع اختيارهم على عثمان الأكبر ، وهو عثمان بن السلطان يعقوب بن عبد الحق ، فاستدعوه فحضر فبايعوه ليلتئذ ، وتم أمره ، وأنفذ كتبه الى النواحي والجهات باقتضاء البيعة ، وسرح ابنه الأكبر الأمير علي بن عثمان الى فاس ، فدخلها غرة رجب من سنة عشر وسبعمئة ، وملك قصر الخلافة بالحضرة ، واحتوى على أمواله وذخيرته ، وفي غد ليلته أخذت البيعة للسلطان عثمان بظاهر تازة على بني مرين وسائر زناتة والعرب والعسكر والحاشية والموالي والصنائع والعلماء والصلحاء ونقباء الناس وعرفائهم والخاصة والدهماء ، فقام بالأمر واستوثق لـه الملك ، وفرق الأعطيات وأسنى الجوائز ، وتفقد الدواوين ، ورفع الظلامات ، وحطّ المغارم والمكوس ، وسرح مَن في السجون ، ورفع عن أهل فاس ماكان يلزم رباعهم من الوظائف المخزنية في كل سنة ، فصلح حالُ الناس في أيامه ، ثم ارتحل لعشرين من رجب من السنة ، فدخل حضرة فاس فاستقر بها ، وقدمت عليه وفود التهنئة من جميع بلاد المغرب، ثم خرج في ذي القعدة الى رباط الفتح لتفقد الأحوال والنظر في أمور الرعية وانشاء الأساطيل الجهادية، فعيّد هنالك عيد الأضحى، وباشر أمور الناس وأمر بانشاء الأساطيل بدار الصناعة من سلا برسم جهاد الفرنج ، ثم رجع الى فاس ؛ فعقد سنة احدى عشرة وسبعمئة لأخيه الأمير يعيش على ثغور الأندلس : الجزيرة ورندة وما اليهما من الحصون ، ثم نهض سنة ثلاث عشرة وسبعمئة الى ناحية مراكش لما كان بها من اختلال الاحوال ، وخروج عدي بن هنو الهسكوري ونقضه للطاعة ، ، فنازله السلطان عثمان وحاصره مدة ، ثم اقتحم عليه حصنه عنوة وقبض عليه وبعثه موثقاً في الحديد الى فاس فأودعه المطبق ، وقفل راجعاً الى حضرته فاحتل بها مؤيداً منصوراً . والله تعالى أعلم .

غزو السلطان عثمان ناحية تلمسان

كان بنو مرين قد حقدوا على أبي حمو صاحب تلمسان من أجل توقفه في أمر عبد الحق بن عثمان ووزيره رحو بن يعقوب الوطاسي ، وتسهيله الطريق لهم الى الأندلس ، ومداهنته في ذلك ، وكان مقتضى الصلح المنعقد بينه وبين

السلطان سليمان أن يقبضَ عليهم ويبعثَ بهم اليه حالا ، فحقد بنو مرين على أبي حمو ووجدوا في أنفسهم عليه، ولما افضى الأمر الى السلطان عثمان واستوثق ملكه ودوخ الجهات المراكشية وفرغ من شأن المغرب اعتزم على غزو تلمسان ، فنهض اليها سنة أربع عشرة،ولما انتهى الى وادي ملوية قدم ابنيْه الأميريْن علي والحسن في عسكريْن عظيمين في الجناحين وسار هو في ساقتهما ، فدخل بلاد بني عبد الواد على هذه التعبئة ، فاكتسح نواحيها واصطلم نعمتَها ، ثم نازل وجدة فقاتلها قتالا شديداً فامتنعت عليه ، ثم نهض الى تلمسان فنزل بالملعب من ساحتها، وتحصن أبو حمو بالأسوار، وغلب السلطان عثمان على معاقلها وسائر ضواحيها فحطمها حطماً ونسفها نسْفاً ، ودوخ جبال بني يزناسن واثخن فيهم ، وانتهى في قفوله الى وجدة ، ففر أخوه يعيش وكان في معسكره من أجل استرابة لحقتْه من السلطان ، وسار الى تلمسان ، فنزل على أبي حمو ، ورجع السلطان عثمان على التعبئة ، فانتهى الى تازة ، فأقام بها .

وفادة اهل الأندلس على السلطان عثمان واستصراخهم اياه على الطاغية وما نشا عن ذلك

كان الملوك من بني مرين قد انقطع غزوهم عن الأندلس برهة من الدهر منذ دولة السلطان يوسف بن يعقوب لاشتغاله في آخر أمره بحصار تلمسان ، واشتغال حفدته من بعده بأمر المغرب مع قصر مدتهم ، فتطاول العدو وراء البحر على المسلمين بسبب هذه الفترة ، واشتد كَلَبُه على ثغورها ، مع أن القرابة من بني مرين كانوا شجى في صدره ، وقذى في عينيه في تلك البلاد ، ولما افضى الأمر الى السلطان عثمان اشتغل في صدر دولته بأمر ابنه الحسن وخروجه عليه ، فاهتبل الطاغية الغرة في الأندلس وزحف في جموعه الى غرناطة سنة ثمان عشرة وسبعمئة ، وكان من خبر هذه الواقعة أن الطاغية بطره ابن شانجه ويقال دون بطره (8) ذهب الى طليطلة ودخل على مرجعهم الذي يقال له البابا وسجد له وتضرع بين يديه وطلب منه استئصال مَن بقي من المسلمين بأرض الأندلس ،

---

8) ضون بيدرو ، كان وصياً على الفونسو الحادي عشر ملك قشتالة .

وأكد عزمه وتأهب لذلك غاية الأهبة ، فوصلت أثقاله ومجانيقه وآلات الحصار والأقوات في المراكب ، وتقدم في جموعه حتى نزل بأحواز غرناطة ، وكان رديفه في ذلك الجند علجاً آخر يقال جوان (9) ، وانضم اليهم ملوك آخرون من ملوك الأطـراف ، قيل سبعة وقيل أكثر (IO) ، وامتلأت الأرض بهم ، وعزمـوا على استئصال بقية المسلمين بالأندلس ، وكان جيشهم فيما قيل يشتمل على خمسة وثلاثين ألفاً من الفرسان ، وعلى نحو مئة ألف من الرجال المقاتلة ، ولما راى اهل الأندلس ذلك بعثوا صريخهم الى السلطان عثمان ، فقدم عليه وفدهم بحضرته من فاس ، وفيهم من وجوه الأندلس وصلحائها الشيخ محمد الطنجالي والشيخ ابـن الزيات البلشي والشيخ ابراهيم ابن أبي العاص وغيرهم ، فاعتذر اليهـم السلطان عثمان بمكان عثمان ابن أبي العلاء من دولتهم ومحله من ملكم ، وكان عثمان ابن أبي العلاء ، يتولى يومئذ مشيخة الغزاة بالاندلس ، لأن وفاته تأخرت الى سنة ثلاثين وسبعمئة فشرط عليهم السلطان عثمان ان يمكنوه منه ليتأتّى له العبور الى تلك البلاد وجهاد العدو بها من غير تشويش ، وقال ادفعوه الينا برمته حتى يتم أمر الجهاد ثم نرده عليكم حياطة على المسلمين وخشية من تفريق كلمتهم، فاستصعب أهل الأندلس هذا الشرط لما يعلمونه من صرامة عثمان بن أبي العلاء وادلاله ببأسه وبأس عشيرته ، فأخفق سعيهم ورجعوا منكسرين ، وأطالت الفرنج المقام على غرناطة وطمعوا في التهامها ، ثم ان الله تعالى نفس عن مخنقهم ، ودافع بقدرته عنهم ، وهيأ لعثمان بن أبي العلاء في الفرنج واقعة كانت من أغرب الوقائع ، وذلك أنه لمـا كان يوم المهرجان ، وهو الخامس من جمادى الأولى من سنة تسع عشرة وتسعمئة عمد عثمان ابن العلاء الى جماعة من جنده ، واختار من انجاد بني مرين نحو المئتين وقيل أكثر ، وتقدم بهم نحو جيش الفرنج ، فظن النصارى أنهم خرجوا لأمر غير القتال من مفاوضة أو ابلاغ رسالة او نحو ذلـك ، حتى اذا سامتوا موقف الطاغية ورديفه جوان صمدوا نحوهما حتـى

9) ضون خوان ، الوصي الثاني على ملك تشتالة الفونسو الحادي عشر .

IO) تذكر النصوص الاسبانية انه كان مع ضون بيدرو وضون خوان عدد من امراء قشتالة ، كما كان مع جيشهما فرقة من المتطوعين الانجليز بقيادة امير انجليزي .

خالطوهما في مراكزهما فصرعوهما في جملة من الحاشية ، وانهزم ذالك الجمع من حينه وولوا الأدبار ، واعترضهم من ورائهم مسارب الماء للشرب على نهر شنيل فتطارحوا فيها وهلك اكثرهم ، واكتسحت اموالهم ، وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون ثلاثة أيام ، وخرج أهل غرناطة لجمع الأموال واخذ الأسارى ، فاستولوا على اموال عظيمة منها من الذهب فيما قيل ثلاثة وأربعون قنطاراً ، ومن الفضة مئة واربعون قنطاراً ، ومن السبي سبعة الاف نفس حسبما كتب بذلك بعض الغرناطيين الى الديار المصرية ، وكان من جملة الأسارى امرأة الطاغية وأولاده ، فبذلت في نفسها مدينة طريف وجبل الفتح وثمانية عشر حصناً فيما حكى بعض المؤرخين ، فلم يقبل المسلمون ذلك ، قلت هذا خطأ في الرأي وضعف في السياسة ، وزادت عدة القتلى في هذا الغزوة على خمسين الفاً ، ويقال انه هلك منهم بالوادي مثل هذا العدد لعدم معرفتهم بالطريق ، وأما الذين هلكوا بالجبال والشعاب فلا يحصون ، وقتل الملوك السبعة جميعهم، وقيل خمسة وعشرون ، واستمر البيع في الأسرى والسبي والدواب ثلاثة أشهر ، ووردت البشائر بهذا النصر العظيم الى سائر البلاد ، ومن العجب انه لم يقتل من المسلمين سوى ثلاث عشرة نفساً ، وقيل عشرة انفس ، وسلخ الطاغية وحشي جلده قطناً وعلق على باب غرناطة ، وبقي معلقاً سنين ، وطلبت النصارى الهدنة فعقدت لهم ، والله تعالى أعلم .

وفاة السلطان رحمه الله

كان السلطان عثمان رحمه الله لما بلغه الخبرُ بوصول العروس فاطمة بنت السلطان ابي بكر بن يحيى الحفصي سنة احدى وثلاثين وسبعمئة ارتحل بنفسه الى تازة ليشارف احوالَها كرامة لها ولأبيها ، وسروراً بعروس ابنه ،فاعتل هناك وازداد مرضُه حتى اذا أشفا على الهلكة ارتحل به ولي العهد الأمير علي الى الحضرة وحمله في فراشه على اكتاد (II) الحاشية والجند حتى نزل بوادي سبو ، ثم ادخله كذلك ليلا الى قصره ، فأدركته المنية في طريقه ، فتوفي ليلة الجمعة الخامس والعشرين من ذي القعدة سنة احدى وثلاثين

II) جمع كتد : مجمع الكتفين .

وسبعمئة ، وكان مرضُه بعلة النقرس ، فوضعوه بمكانه من بيته ، واستدعى ابنهُ علي الصالحين لمواراته ، فدفن هناك ببعض قبابه رحمه الله ، وكانت ايامه اعياداً ومواسم ، ومن اكابر كتابه الرئيس عبد المهيمن الحضرمي السبتي (I2).

وهو الذي أسَّس مدرسة العطارين ومدرسة الصهريج بفاس بمشاركة ابنه علي ، ومدرسة دار المخزن بفاس الجديد سنة احدى وعشرين وسبعمئة ، ومدرسة الوادي التي صارت بعد مسجداً ، والمدرسة المصباحية ، واسس بكل مدينة من مدن المغرب مدرسة حتى عمَّ بذالك التعليم ، فمنها مدارسُ تازة ومكناسة وسلا وطنجة وسبتة وانفا وازمور واغمات ومراكش والقصر الكبير ، وبالعباد بظاهر تلمسان وحذاء الجامع ، وبالجزائر مدارس مختلفة ، فمدرسة سبتة غاية ، واعجب منها مدرسة مراكش ، وتليها مدرسة مكناسة ، وحبس عليها ما تقام به وجعل في جلها كثيراً من اعلاق الكتب النفيسة والمصنفات المفيدة ، فكثر بذالك طلبُ العلم وعددُ اهله رحمه الله .

وقال في الروض الزاهر ما نصه :

ومن مناقبهم يعني الشرفاء الصقليين انه اسربعضُهم ، فرأى ملوكُ ذالك العصر مرائي هالتْهم تدل على تنغص فاطمة وبعْلها وولديْهما رضوان الله عليهم ، فانتدب للفداء ابن الأحمر وغيره ، وفاز بذلك عثمان المريني ، ففداهم بحمل مال ، وقال لو تعين ما يملأ هذه القبة ما شق عليَّ بذله ، فتمهدت دولته اكثر من عشرين سنة ببركة ذالك . هـ

وقال في الاتحاف :

ومنهم الصنوُ ابو سعيد — عثمان ذو الرأي الجلي السديد
الملك الجليل والممهد — خدن السعادة الكبير الأوحد
كان حليماً وطيء الأكناف — تواضعاً لله ذا انصاف
وهو شديد في حدود الله — وذو تأنٍ لم يكن بالساهي

I2) كل ما تقدم منقول بانتخاب من **الاستقصا** 3 : I03

وفيه اشفـاقٌ ورفـقٌ وكـــــرم ... ليس لـه فى عصـره شبـه يـرام
وكان فى سفك الدمـاء موقفـــا ... اخـا انـاة ودهـــاء عرفـــــا
وهو اخو سياسة وعقـــــــل ... وخبرة تنبي بكــل فضـــَــل
وكـان ذا عفـو اذا مـا قـــدرا ... وفي العطا يغلب املاك الـــورى
بـويـع فى عشر وسبعمئـــــة ... على اختيـار الجـنـد والرعيـــة
لمـا له من الخـــلال الحسنـــة ... والحالة المرضية المستحسنـــة
ومن مئاثر دواماً تشهـــــــد ... ومن محاسن لـــه تجـــــدد
ففرق الأمـــوال والاحســانـــا ... وعـم من خـص ومن قـد هـانـا
ووصل الصلاح والأعـلامـــــا ... وللفقـــير اجزل الاكـرامـــا
ثـم انتحى الملك بأحسن نظـــر ... مبـــاشـــراً بنفســـه دون ورز
فرفع الظلمَ وحـــط المغرمـــا ... وافـرغ الاسجـان ممن ظلمـــا
وصلح الحـال وعـمَّ الخــــير ... ورغـد العيش وزال الضيـــــر
فكان دهره مواسم تســـــــر ... وعدلـه بـين الأنـام مستمـــــر
وكـان يحشـر المـلا بمجلســه ... ما بين قاض وفقيه ووجيـــــه
فضم يوماً جمعهم بحضرتـــــه ... ونيفـوا عـلى ثلاثيـن فقيـــــه
من المغـارب الثلاثـة ومـــــن ... سبتة مع أندلس ممـن يزيـــن
وقد جرى من بردة البوصيـــري ... بيت (لعل رحمة) بخـــــير
فاستشكـل الوزيـر للتفريـــع ... وقـال فيـه الحيف للمطيـــع
فان تجي الرحمةُ طبـق المعصيـه ... يخسر مطيع من جميع البريـــه
وانفصل المجلس عن أشكـــال ... ولم يجبْ عنه بكل حـــــال
قـال الأديب الفـرد اسماعيـــل ... ابن ابي الحجاج ذا جليـــــل
نجل بني الأحمر تاج البلغـــا ... لو كنت حاضراً اجبت مَن لغـــا
فـان مَن فـر مـن المعـاصـــي ... واستعمـل الطاعـة للخـــلاص
فقد اصـاب الرحمـة الكبرى التي ... لم يحرز المسيء في ذي القسمـــة
فـان من أطـاع في الاحســـان ... ليس يماثـل أخـا العضيـــان
لاكنما اهل المعاصي انكســـرت ... منهـم قلوب وبـذاك جُبــــرت
قال شفاعتي الرسول الكبـــرى ... لـذي المعاصي فى الحياة الأخرى

وفي النبي حكى عن الغفّار — انا اضمن العبد مع اخيار
لذاك قال البوصيري بريحا — من القنوط بيته صريحا
قال ابو الفداء اسماعيل — ورحمة الله بها التاميل
تلحق مَن عصا بمن اطاعا — قد قال ذا شيخ ولا نزاعا
ولم يزلْ ابو سعيد في علاه — حتى اتى اجله لمنتهاه
اصيب بالنقرس ثمت قضى — سنة احدى وثلاثين مضى
من بعد سبعمئة بفاس — وسيق للمدفن في اشناس
مع سلف له بشالة قُبر — لصق اخيه يوسف فليعتبر
وقبرهْ للعهد ليس يعرف — ونقل المشهد فيما يتحف
وفى زمانه بدا الدفين — مولانا ادريس ولا يهون
فنظر الناس اليه فى ازدحام — وانحشر الخلق لذاك فى التحام
ففرق الناس وجدد البنا — وعظمت كرامة بالاعتنا
وهي لدى كناشة القصار — فائدة بخطه للقاري

ولما كان فى سنة احدى عشرة وسبعمئة قحط فاستسقى الناس له فخرج امير المسلمين عثمان الى اقامة سنة الاستسقاء ، فمشى على قدميه حتى وصل المصلى والفقهاء والقراء بين يديه بالذكر ، كل ذلك خضوعاً لله تعالى وتواضعاً لجلاله ، واقامة لسنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وقدم بين يدي نجواه الصدقات وفرق الأموال في ذوي الحاجات ، وكان خروجه للاستسقاء المذكور في يوم الأربعاء الرابع والعشرين من شعبان والسنة المذكورة ، ثم سار في يوم السبت السابع والعشرين منه في جميع جيوشه حتى وصل الى جبل الكندرتينْ لزيارة قبر الشيخ الصالح ابي يعقوب الأشقر (13)

---

13) هو يعقوب ابن الأشقر البهلولي المنسوبة اليه حمة مولاي يعقوب قرب فاس ، المتوفى سنة 680 هـ ، والمعروف أن الجبل المدفون به كان يدعى جبل بني بهلول ، وقد سماه ابن ابي زرع في القرطاس الذى ينقل عنه المؤلف هنا جبل الكندر ، وسماه في محل آخر من كتابه جبل الكندرتين ، فآثرنا التسمية الثانية حتى لا يلتبس بجبل كندر الواقع جنوبي فاس حيث مصطاف موزار الحالي .

نفع الله به ، فدعا الله تعالى هناك ، فقبل المولى دعاءه ورحمه ورحم بلاده ، واغاث عباده ، ولم يرجع من هناك الا بالمطر العام لجميع البلاد .

ذكره في القرطاس (14) وترجمه في الدرر الكامنة وغيرهما (15) .

1341) عثمان بن احمد بن ابراهيم المريني ، هذا السلطان هو ثالث الاخوة الأشقاء من بني السلطان أحمد الذين ولوا الأمر من بعده ، أمه الجوهر ام أخويه ، بويع له بعد صلاة العصر من يوم الثلاثاء الموفى ثلاثين من جمادى الآخرة سنة ثمانمئة ، وسنه يومئذ ست عشرة سنة ، وكان النقض والابرام وسائر التصرفات في دولته للوزراء والحجاب ، والسلطان متفرغ لاستيفاء لذاته ومن أكبر حجابه أحمد القبائلي المتقدمة ترجمته (16) .

1342) عثمان بن السلطان مولاي عبد الرحمان العلوي ، قال في الحسام المشرفي بعد شقيقه الأبر ، العالم المعتبر ، فجلس أبو العفاف مولانا عثمان في عليا فاس على الرؤوس كالتاج ، وأمره ماش بين محتسبها الحاج المهدي بناني والقائد ادريس السراج .

توفي رحمه الله (17) .

وقال مقدمة الارتجال (18) .

1343) عثمان بن الشيخ ماء العينين ، حدثني سيدي أحمد بن الشمس ان المترجم كان ينفق من المغيب فيعطى لكل واحد ما طلب كالعنب والتمر وغيرها ، فيجعل يده في النخلة ويأخذ ويدفعه عياناً .

توفي في مراكش عن نحو الثلاثين سنة عام 1305 .

---

14) **القرطاس** ص 398 طبع الرباط .

15) **تاريخ ابن خلدون** 7 : 502 طبع بيروت ، **وروضة النسرين** ص 23 **والاستقصا** 3 : 103

16) ترجمة احمد القبائلي فى 2 : 221 ع 194 من هذا الكتاب وينظر عن السلطان عثمان بن احمد المريني **روضة النسرين** ص 49 وكانت وفاته عام 823 هـ .

17) كذا بالاصل ، ولم يذكر تاريخ وفاته .

18) كذا بالاصل ، ولم يورد بعدها مقولا .

1344) **عجال والد سيدي عبد الله الغزواني المراكشي** ، قال في الدوحة : كان من عباد الله الصالحين ، وأوليائه المتجردين ، يجول في البلاد ، ليس لـه قرار ، ولا يلوي على شيء ، وكان يدخل الأسواق والمحافل وينشد ضالته ويقول هي ناقة عليها غرارة مرت ياويل من غرت ، يعني بها الدنيا ، حدثَتْني والدتي رحمة الله عليها قالت : كان سيدي عجال يأتي الى دار أبي وأنا صبية صغيرة ، فيخرج كل مَن في الدار من النساء والولدان يُقبلون يـده ويتبركون به فاذا جئته أنا جعل يده على رأسي ويقول : يافائدة يافائدة انت فائدة ، وكان يقول قبل ظهور الشيخ ولده : عندي ابن تركته يقرأ العلم ، سيكون له شأن وله من الأتباع عدد ما في صابة الزبيب من حبوب ، كبيرها حلو ، وصغيرها حلـو ، وحدثتني والدتي أيضاً عنه أنه جاء الى باب الأمير ابن راشد بشفشاون فأخرج اليه أولاده يتبركون به ، فكان يمسح على رأس كل واحد منهم ويقول هذا يكون من شأنه كذا وكذا ما بين تلويح وتصريح ، فكان لكل واحد منهم ما قال .

توفي رحمه الله في أواسط العشرة الثانية بقصر كتامة ، ودفن خارج باب الوادي بازاء ضريح السيد عبد الله المظلوم ، وله مئاثر كثيرة رحمه الله (19).

1345) **العربي المزوار المراكشي** ، الفقيه الأجـل ، العالم الأفضل ، دفين مراكش رحمه الله تعالى ، من اصحاب الشيخ سيدي علي بن عبد الرحمان الدرعي كما ياتي في ترجمته نقلا عن دوحة البستان .

1346) **العربي بن ابي القاسم اليفرني المراكشي** ، من أئمة مراكش ، الفقيه الصالح ، أخذ عن القاضي سيدي العربي بردلة وطبقته ، وأخذ عنه بلدينا مؤلف الصفوة ، وأبو العباس العباسي ، وتقدم ذكره في ءاخر ترجمة أبي العباس السبتي .

1347) **العربي قـادوس الوزيـر افنـدي** ، هذا اللفظ عجمي ، وهـو أفنْدي ، فان السلطان سيدي محمد بن عبد الله كان يدعوه بذالك استعظاماً واستفخاماً لشأنه ، وكان من مواليه الذين نشـأوا في حجور تربيته ورضعوا

---

19) الترجمة منقولة بالحرف من **دوحة الناشر** ص 99 ع 95 .

اخلاف حضرة الملك وارتشفوا لبانها . وتدرجوا في مغارس الرفاهية انبوباً فأنبوباً حتى صاروا دوحة وصار غاية افنانها وقضبانها ، اصله من اعلاج الاصبنيول كما اخبرني بذلك ولده السيد محمد ، وكان الوزير المذكور شعلة من الذكاء والفطنة ، وركناً شديداً من أركان الدولة المحمدية في حسن التدبير والحزم الذي لا يعزب عنه من أمور الحضرة قليل ولا كثير ، وكان شأنه في أمور الكتابة أن يأمره السلطان أن يأمر الكتاب بالكتابة لفلان بكذا ولفلان بكذا ، فيكتبون ما أمرهم به ، فيأخذه عنهم ويطبعه ويدخل به الى حضرة السلطان فيرد عليه تلك الأوامر ثم يخرج بها ويدفعها لأربابها ، ومن أغرب ما نقل عنه في هذا أن السلطان أمره ذات ليلة أن يكتب نحو ثمانين كتاباً في أمور متعددة مختلفة ، فنسي ان يُمليها على الكتبة ، فلما جاء في الصباح دعاه السلطان وقال له هل كتبت تلك المكاتب ؟ فلم يجد بدأ من أن يقول نعم ، وكانت الرفاع البيض تكون عنده مطوية مهيأة للكتابة فيها ، فجعل يخرج صحيفة بيضاء وينظر فيها ويسرد على السلطان مضمن المراد لفلان ويطويها ، ثم يأخذ أخرى كذلك ، حتى سرد عليه جميع تلك الأوامر التي أمر بها والسلطان يظن أنها مكتوبة مطبوعة على العادة ، فخرج الى الديوان فأملى على الكتاب فكتبوها ودفعها لأربابها، هكذا أخبر بعض أصحاب السلطان المذكور ، وهذا من العجايب أن صح ، وقد أدرك من فخامة الجاه وضخامة الرياسات أقصى الغايات ، قالوا كانت الرجال الأعاظم تقيم ببابه فلا يتيسَّر لهم لقاؤه الا بعد ثلاثة أيام ونحو ذلك ، ولما مات السلطان امتحن مولاي اليزيد ذلك الوزير غاية الامتحان ، وفعل في عذابه ما يبغضه الله ويحبه السلطان ، وعند الله تجتمع الخصوم ، ويقتصُّ من الظالم للمظلوم .

قاله في الجيش العرمرم (20) .

1348) **العربي الحدراني المجاطي الولادي** ، الكاتب الموقت ، أمر السلطان بقتله وقتل في 23 (21) لقيه سيدي عبد السلام ابن الخياط القادري في

---

20) نقل الحكاية المؤرخ ابن زيدان في **اتحاف اعلام الناس** 3 : 337 نقلا عن **الجيش العرمرم** .

21) كذا بالأصل .

شوال عام 1254 وولده محمد ، أخذ عن الفقيه محمد بن عبد القادر بن مَحمد بن عبد القادر بن علي بن موسى بن المير الصبيحي النافعي الغرباوي أصلا الزرهوني داراً ومدفناً يعرف بابن قدور المتوفّى في منتصف حجة الحرام فاتح عام أحد وثلاثين ومئتين وألف المدفون في الزاوية الزرهونية ، وهو من تلامذة الشيخ التاودي .

والحدراني بفتح الدال وتشديد الراء ، وقيل هو من القبيلة البربرية زمور الشلح ، وولده المذكور توفي . . . (22) .

1349) العربي بن علي الوزاني .

العربي بن مولانا علي بن أحمد بن الطيب بن محمد بن مولانا عبد الله الشريف بن ابراهيم بن موسى بن الحسن بن موسى بن ابراهيم بن عمر بن احمد بن عبد الجبار بن محمد بن يملح ابن مشيش الوزاني ، كان رضي الله عنه قطباً جامعاً ، وغوثاً نافعاً ، وارث السر الا لاهي ، يألفه المستنسك واللاهي ، نبوي النطفة والأخلاق، وولي العطفة بغير املاق ، ذكره قوتُ النفوس ، كان لله ذاكرا، وله به بسائر الجوارح شاكراً ، فمع كِبَر سنه لا يفتر لسانه عن تلاوة القرءان، قاعداً وقائماً أو مضطجعاً في سائر الأوقات والأزمان ، فلوحُه بكلام الله مواجه له دائماً في حضره وسفره ، خوارقُ كراماته محفوظة ، وعينُ عنايته ناظرة الى ربها وبرعايته ملحوظة ، ان جالست العلماء فبكراماته اعلموك ، وان شافهت العوام حدثوك بأغربها وكلموك ، كان للملوك مقدمة الجيش ، وتقر اعينهم بصحبته ويطيب لهم العيش ، فتح يقدمهم في السفر والاقامة . ويتبركون بمناخه بين اظهرهم ومقامه ، وفيه يقول بعض الفضلاء :

بغرام مَن سكن الحشا فلتفرح — واترك مناصحة العواذل واطرح
ومتى يطيق الصبُّ كتْمانَ الهوى؟ — ومتى يلذ له حديث النصَّح
وجفونه مقروحة ودموعه — مسفوحة يشرحْن ما لم يشرح

22) هذه الترجمة مما الحقه المؤلف بكتابه بعد كتابة التراجم الأصلية ، وهي مضطربة ، ولم اهتد للمصدر الذي نقل منه المؤلف . ولا لمصدر آخر ورد فيه ذكر هذا العربي المترجم

والحب ان حققت كـاس مدامــة ... ما عــذرُ شاربها اذا لم يشطـح ؟
واذا الفتى بـرح الخفـاء بحبــه ... فهو الذي عند الوفـا لم يبــرح
فانشر على حكم الصبابة ما انطوى ... واهتفْ بمحبوب الفـؤاد وصـرح
قل لي امـام العصر يا قطب النهى ... يا أيهـا الشيخُ الامـام اليملحـي
يــا سيدي العــربــي يامــَن وده ... في كــل أرواح الــورى لا ينمحـي
خُلعت على عليـاك من رب العـــلا ... حللُ الرضا ذات الجمـال الأفلح
وغدوت في ذاك الجنـاب محببــاً ... وحُبيتَ من ذاك العطـاء الأفيـح
لمـا تجلى فيك نــورُ جمالــه ... أصبحت مسروراً بأكرم مصبــح
ونظرت في كل الوجـود برحمــة ... نظر امريء بحلا الكمـال موشـح
سعدت بعزتك العوالــمُ وازدهت ... وثـوت بظلك في الجناب الأربــح
قد عـزَّ مَــن بالعز أنت ممــده ... فكأنــه في قـومــه ذو أصبـــح
وأطاعــه الأكــوانُ دون تمنـــع ... فأمنن وبالغْ في المواهب وامنـــح
فخزائــن الخيرات والبركـات في ... يمناك لــو اغلقتهـا لــم تفتـــح
يا سيدا تجلــى لنــا أحوالــــه ... في ملبس مستبهــج مستوضــــح
يصحو فتحسب انــه في نشـــوةٍ ... ويجـد في مـزح بقيد المطمــــح
فالكــونُ تحت جلالــه متضائـــل ... والشمس تلمحــه بعين المستحـي
يا أيها الطــودُ المنيفُ جلالــة ... يامَن الى غير العــلا لم يجنـــح
مدحتك اخلاق خصصت بوصفهـا ... فسواك عند ثنائــــه لم يمـــدح
لا زلتَ محروسَ الوجـود مهنئـاً ... بالسعد في حــال المجـد الأنصـح
تهــدى اليك عــرائس ميمونــــة ... فانعم بهنٍّ وطب زمانـاً وافـــرح
وتحية كالزهــر ينضحه النـــدى ... تنمى الى ذاك المحيـا اليملّحـــي

وقال الفقيه ابن ادريس مادحاً له :

أشيخَ العلا والمجد سيدنا العربي ... ومَن خصه الرحمان بالسر والقرب
ويا نجل أهل السر والشرف الأولى ... بهم أشرقت شمسُ الصلاح بذا الغرب
وأنت لعـمرُ الله وارث سرهــــم ... وحامل رايـات العنايــة والوهـب
حنانيك من عبد دعـاك لكربـــة ... وأنتم لعمري فارج الهم والكـــرب

وكــن لخديــم منتم لجنابكــــــم — فخير شفيع عندكم شافــع الحــب
ولا تتركوني للعــدا في مهانـــــة — فشكواه أن أسلمتموه الى الســرب

وقال في الشجرة الزكية : وورث سر مولانا علي بن أحمد ولده يتيمة الدهر ، وشمس هذا العصر ، مولانا الحاج العربي ، وهو الآن موجود ، وقــد زرناه والحمد لله مراراً بزاويته وبفاس وبرباط الفتح وبمراكش .

وقال ابن حسون في رحلته مانصه : وقد كان شيخنا الولي الصالح ، القطب الواضح ، مولانا الحاج العربي اشار علي بهذه الحجة عام خمسة وستين بعد المئتين والألف ، دخلت أنا وشريف اسمه سيدي الحاج أحمد لدار من دور الشيخ الكائنة بالرباط ، فدخل علينا ووقف بيننا ، وعليه رضي الله عنه من المهابة مالم نقدر على النظر اليه ، فجعل ينظر فينا واحداً بعد واحــد ويقــول سبحان الله ننظرها هنا ، فترك سيدي الحاج أحمد وننظرها هنا ، فنرى سيدي الحاج أحمد قالها ثلاثاً وخرج ، فتحققت اذذاك بحصول المطلوب ، وبالظفر بالمرغوب ، وأخذت من قوله هنا أنني لا أموت في غيبتي بل أحج وأرجع ، حتى اني كنت أذا مرضت بالحجاز أو بالبحر أتحقق أني لا أموت من ذالك المرض ، فحقق الله جميع ذالك والحمد لله ، فهاذه المقالة من كراماته رضي الله عنه ، وقد بسطت الكلام على هذا الشيخ في ترجمته من تقييدنا المرتجم زهر الآس ، فيمن لقيته من الناس بوزان وفاس ، يسر الله تمامه .

وقال في الدرر البهية : توفي رحمه الله في فاتح المحرم عام ستة وستين ومئتين وألف .

وقال في الاستقصا : وتوفي ابنه الشيخ سيدي الحاج العربي بن علي يوم الأربعاء فاتح سنة سبع وستين ومئتين وألف ، وصرح سيدي محمد العربي بن عبد الله بن التهامي الوزاني بوفاته سنة 1267 .

وقال في السلوة : توفي رحمه الله يوم الثلاثاء اخر يوم من ذي الحجة الحرام متم عام 1266 ودفن من الغد وهو يوم الأربعاء الأول من السنة التي تليها بالمسجد الأعظم من وزان قريباً من جده مولاي عبد الله الشريف .

وراجع ترجمة تلميذه سيدي محمد التواتي المتوفى عام 1254 في الجزء الأول منها وراجع ترجمة سيدي محمد بن الهاشمي ص 189 من الجزء الثاني ، وراجع ترجمة محمد الأمين الحجاجي ، وتقدمت ترجمة ولده سيدي الحاج عبد السلام ، وستأتي ترجمة والده مولاي علي بن أحمد (23) .

1350) العربي بن المختار بن عبد المالك الجامعي

لما ثار أهل رباط الفتح عام واحد وستين ومئتين وألف على عاملهم الحاج محمد بن الحاج محمد السوسي بسبب الحاج محمد بن الحاج الطاهر الزبدي وقدموا الزبدي عليهم وضبط أمر البلد واتصل الخبر بالسلطان فكتب لهم بالوعظ والتقريع من فاس فصموا عن سماعه ، ثم بعث اليهم القائد الطيب الوديني البخاري يتولى عليهم ويقبض أهل الفساد منهم ، فأفحشوا عليه وطردوه من البلد مع العشي ، ورجع الى السلطان وأعلمه بالخبر ، فاحتال عليهم بان بعث لهم المترجم ، فقدم الرباط وجمع أعيانهم وخيرهم فيمن يتولى عليهم فاختاروا الزبدي فولاه السلطان عليهم وحمدوا سيرته ، وبعد نحو ستة أشهر قدم السلطان لرباط الفتح وتريث بها مدة حتى نقر عن رؤس الفتنة ، فقبض عليهم وعلى قائدهم الزبدي ، وبعث بهم الى فاس فسجنوا بها ثم سرحوا بعد حين ، ثم استوزر السلطان بعد وفاة الوزير ابن ادريس في رابع محرم 1264 أربعة وستين ومئتين وألف المترجَمَ (24) فبقي وزيراً الى أوائل عام تسعة وستين فعزله ، ثم بعد ذلك ولاه على شراكة ، ولما ظهر المولى عبد الرحمان بن سليمان وقرب من فاس طالباً للملك في صدر دولة سيدي محمد بن مولانا عبد الرحمان كان المترجم يلي أمر شراكة بها ، فقام في ذلك أحسن قيام ، وحمل الناس على الثبات والتمسك بطاعة السلطان سيدي محمد ، فكان ذلك سبباً في سكون هذه الفتنة وانحسام مادتها ، فرجع المولى عبد الرحمان بن سليمان عوده على بدئه ، وايس من بلوغ قصده ، وأقام بزاوية العياشي عند البربر الى أن أضمحل أمره .

---

23) **زبدة الأثر** (وفيات عام 1266) نسخة مرقونة .

24) الذي في **الجيش العرمرم** 1 : 50 ان السلطان مولاي عبد الرحمان عين اولا محمد بن علي النكنافي وزيراً مكان الوزير ابن ادريس ، ولكن ليشغل المحل فقط حتى يظهر ربه ، ثم عين المترجم بعده .

كان المترجم رحمه الله فقيهاً نجيباً كاتباً أديباً ، ذا أخلاق عاطرة ، وأنامل واكفة ماطرة ، ورأي أصيل ، وأمر محبوك ، وباطن صاف يحاكيه الذهب المسبوك ، ولما ظهر للسلطان في تلك القضية غناؤه وكفايته بنفسه وقومه وحسن تدبيره عرف له ذالك ، فاستوجب عنده المزية التي لا يطمع غيره في ادراكها ، لولا أنه اعتقله حمامه ، وانقطع في يد القضاء بانقضاء الأجل زمامه ، فمات باثر خمود نار تلك الفتنة ، وسبب موته ما كان يصيبه من شبه الأغماء الذي يفيق منه بعد الشدة ، الا أنه في هذه المرة لا أفاقة بعده ، فرحم الله تلك النسمة الطيبة ، والغمامة الصيبة ، فانه كان وجه ابتسام الدولـة ، وصارم الانتصار لها وعدة الصولة ، وقد راعى له أمير المومنين حرمته ، وجعل كيقظته نومته ، فرفع شأن أولاده ، ولم يرزأهم شيئاً من طرافه وتلاده ، بل أبقى عليهم ولاية أبيهم ووظيفته ، وجميع أملاكه وأصوله وبلاده .

ذكره في الجيش والاستقصا .

وتقدم شيء مما يتعلق به في ترجمة سيدي محمد الفران (25) .

وقال في الحسام المشرفي بعد ذكر والد المترجم ما نصه : فورثها على هذه الحالة ابنه وزادها كمالا وجمالا ، فكان السيد العربي بن المختار يتفيأ ظلالها ، وكلمته للخير جامعة ، وللشر دافعة ، يفصل الدعاوي ، ويسمع من أهل الخمول الشكاوي ، ولكن دارهم في القديم كبيرة ، لم يرتكب شابتهم ولا كهلهم خسة ولم يرض بدنية وصغيرة ، ومع عظم الوجاهة والسطوة ، ولم يقبض ذو جاهٍ منهم على جاهه رشوة ، يقبلون الشفاعة ، ويقصدهم المضطر في المجاعة ، فغنيهم لنواله ترجاه ، ولمروءتهم يردفون على مَن كانت بضاعته مزجاة ، ولا توازيهم في القديم والمجدد ، الا دار واحد في المخزن الشركي ولد اب محمد ، فلهما الذكر الجميل في اطعام الطعام ، وافشاء السلام ، والقيام على ساق الجد في الأمور المخزنية والسلام .

---

25) ط 6 : 295 ع 815 من هذا الكتاب

وقول الكنسوس أن هذا الوزير لما تكبر وتجبر أهلكه العجب فعزله السلطان من غير شكاية وقعت به ، قلت ذالك مبلغه من العلم والسلام ، ولم اقف في النسخة التي بيدي من تاريخه على ما نقله من قوله لما تكبر وتجبر أهلكه العجب ، فالله أعلم بصحة ذلك (26)

توفي المترجم بعد 1271 (27) .

1351) العربي بن الصديق العلوي

العربي بن الصديق بن عبد الملك ، بن عبد السلام ، بن أمير المومنين سيدي محمد ، بن عبد الله العلوي ، الفقيه العلامة المحدث ، كان ذا همة سنية ، وحالة مرضية ، وخصال سرية ، وكان زوجه أمير المومنين مولانا عبد الرحمان بابنته الدرة المكنونة السيدة أم الغيث ، وما زالت في عصمته الى أن توفيت رحمها الله ، ثم خلف على زوجة أخيه السيدة صفية أختها ، وما زال متزوجاً بها الى أن توفي .

وقد عده في الحسام المشرفي من الذين يحضرون الصحيح بحضرة سيدي محمد بن عبد الرحمان .

وقال في مواهب الرحمان بعد ذكره ما نصه : العالم المعتني الفاضل ، كانت له في الحديث غبطة وله به عناية ، أخذ عن أحمد بن أحمد بناني وغيره ،

---

26) عبارة صاحب **الجيش العرمرم** 1 : 50 عن سبب عزله هي التالية : فلم يزل كذلك برهة من الزمان ، حتى ظن انه اعطي من صروف الدهر ملابس الأمان ، وكان قد اعجبته نفسه غاية الاعجاب ، وطغت عليه لمكان الجدة والشباب ، فكان ربما رد على مولانا السلطان المؤيد بعض القضايا وانكرها ، وشنع عليه في الباطن وربما اظهرها ، ومولانا لما جبل عليه من المروءة والحياء ، يتحمل له ذلك حتى ادركه من ذلك غاية السآمة والاعياء ، ولما كان عام سبعين ومئتين والف بنفس دخول مولانا المؤيد حضرة مراكش عزله بلا سبب ظاهر ، فلم يفهم احد ما اوجب ذلك ، والموجب ما اشرنا اليه ، ومع ذلك فان سيدنا ما نقص له من حاله شيئاً ما عدى التاخير عن الحجابة ، فلم يزل ملازماً حضرته وبابه وخطته التي هي الكتابة ، وقيل انه اعطى ما تيسر عليه من المال ، من غير تكليف ولا الزام ، وولى السلطان حجابته الفقيه ، الكاتب النزيه ، السيد محمد الصفار التطواني ، فلم يزل كذلك حتى توفي السلطان فاتح عام 1276 .

27) **فواصل الجمان** ص 61

وكان يرافقه كثيراً الفقيه أحمد بن محمد ابن الخياط ، قال لي خالطته كثيراً ، وكان يحضر معنا ماكنا نقرأه ، وأوصاني بوصيتين : قال لي اذا كان لك أخ في الله فلا تخالطه في الدنيا ، فان الدنيا ما دخلت في شيء الا افسدته ، والثانية اذا كنت تطالع فلا تكتب على كراس ، فان ذالك يضعف البصر .

اجتمع بالشيخ محمد صالح وأخذ عنه حديث المصافحة ، وعنه رواه ابن الخياط المذكور كما في حاشيته على المصطلح .

سافر المترجم أخيراً الى جهة رودانة بأمر سلطاني ، فلما انقلب فاجأته المنية بالقاهرة ببلاد حاحة ، وحمل في تابوت ودفن بضريح الامام السهيلي على يسار الداخل للقبة عام ثمانية وثمانين ومئتين وألف ، رحمه الله .

ومن أشياخه الفقيه ابن عبد الرحمان الحجرتي ، وكان يسرد عليه في بعض الأوقات .

وخلف من الأولاد الشريفين الماجدين ، المولى علياً المتولد من السيدة أم الغيث سنة ثلاث وسبعين ومئتين ، والمولى الحسن المتولد من السيدة صفية سنة ست وثمانين ومئتين ، ووالده مولاي الصديق المعمر كان ورد مراكش أيضاً ، وكان من لفيف مولاي هشام ، وكان بركة صالحاً ذا مروءة تامة ، الغالب عليه التواضع والزهد وعدم المبالاة بأمور الدنيا والتقشف ، صاهره أمير المومنين سيدي محمد بن عبد الرحمان ، زوجه بابنته المصونة السيدة أم كلثوم ، وما زالت في عصمته الى أن توفي ، وكان له من غيرها الشريف الفقيه السيد المأمون .

1352) **العربي بن عبد الله اليعيشي** ، الفقيه العلامة من ذرية سيدي يحيى ابن يعيش ، كان يدرس العلم ويُقْصَدُ للقراءة من كل فج عميق ، أخذ عن الفقيه سيدي عبد السلام اليزمي بمراكش لما رحله المولى سليمان اليها الفقه وجميع مقروآته التي كانت مكتوبة في حائط بباب القيسارية من المسجد اليوسفي في أقرب مدة نحو ستة أشهر ، يحكى أنه أراد الذهاب للقراءة بفاس ، وأخبر بذلك شيخه سيدي العربي بن المعطي الشرقي ، فقال له اجلس ، فما هناك يأتيك ! فظهر ذالك في سيدي عبد السلام اليزمي .

أخذ عن المترجم الفقه سيدي الفقيه ابن الحسين قاضي الرحامنة شيخ الفقيه التادلي ، والفقيه السيد محمد بن الطيب المعروفي الذي كان ينوب في الوزارة عن السيد الطيب بوعشرين الى أن تركه المولى محمد .

استقضي المترجم ببني مسكين وتادلة والسراغنة ستين سنة ، وحدث أن الشيخ سيدي العربي المذكور قال له انت صاحب السلطان ، وبين له أن المقصود به الشيخ أبو العباس السبتي ، فصار المترجم يزور أبا العباس كل سنة بمراكش ويجد قبته كديوان السلطان ، فيه أرباب الخطط ، مات في أوائل العشرة الأخيرة من القرن الثالث عشر ، كما حدث أنه كانت عنده شاشية للشيخ سيدي العربي أعطاها له ، وكانت في محل واحترق ولم تحترق هي (28) وأنه خاطبه في بعض الأوقات بلفظ القاضي ولم يكن اذذاك قاضيا ، فقال له لا أراك الا قاضياً فكان كذالك .

والمترجم غير الأستاذ سيدي العربي بن أحمد اليعيشي تلميذ سيدي محمد الجبلي .

فائدة وتنبيه : ذكر في اليتيمة الوسطى أن سيدي عبد الواحد تلميذ سيدي صالح الشرقي من أولاد السيد يحيى ابن يعيش المسكيني كان يقول أنا مثل الشيخ عبد الحق في زماني لا يقف على قبري شقي ، ورأيت في أوائل الكراس الأخير من المرقى ذكر سيدي عبد الحق القيرواني تلميذ سيدي محمد الشرقي ، دفن سيدي عبد الحق بجبل الموضع المسمى بتغريط من بلاد بني عتاب ، ونقل المقالة أنه لا يقف على قبره شقي ، وانها جربت فصحت ، وقال أيضاً لا يراني مَن هو شقي ، وهو صاحب الرجز المعلوم الموضوع في علم العقائد :

الحمد لله الذي خلقنا ... فلم يلدْ ولم يولدْ الاهنا
سبحانه ليست له بدايه ... ولا له شبه ولا نهايه

---

28) تبارك الله

ويقال أنه جمعه من أملاء النبي صلى الله عليه وسلم عند سارية معلومة في مسجده معروفة عند أولاده الآن .

1353) **العربي بن ابراهيم السوسي الأدوزي** بفتح الهمزة وضم الدال ، نسبة لأدوز مدشر قرب تيزنيت بسوس ، من أهل العلم والفضل ، من أصحاب المدارس التي تجتمع هناك فيها عليهم طلبتهم للقراءة ، وتخرج به عدد كثير من الطلبة ، وشرح ألفيه ابن مالك ، بشرح سماه أيسر المسالك ، الى ألفية ابن مالك ، وقفت عليه في مجلد بخط اليد ، وشرح منظومة الشيخ ابن كيران في المجاز والاستعارة في كراسين ونصف وهو عندي ، وسمى نفسه فيه أخره محمد العربي بن ابراهيم السملالي اليعقوبي الأدوزي .

توفي عام 1305 خمسة وثلاثمئة والف عن نيف وستين سنة ، وسكن مراكش مدة يعلم المولى الحسن صنعة الاكسير (29)

---

29) ترجم الوزير المرحوم الأستاذ المختار السوسي ترجمة ضافية للعربي بن ابراهيم السملالي اليعقوبي الأدوزي في كتابه **المعسول** 5 : 113 وذكر نقلا عن ابنه محمد بن العربي ان وفاته كانت يوم الثلاثاء 13 رجب 1286 هـ لا عام 1305 هـ الذي ذكره المؤلف ، اما اتصاله بالسلطان مولاي الحسن فكان في زمن خلافته عن ابيه السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان ، وقد اورد صاحب **المعسول** 5 : 123 رسالة من الأمير مولاي الحسن موجهة اليه بتاريخ 10 شعبان عام 1280 هـ يستدعيه بها للقدوم اليه .

وبعد هذه الترجمة اعاد المؤلف ترجمة الشيخ العربي بن السايح الشرقي المترجم في الجزء السابع من هذا الكتاب ص 93 ع 892 تحت اسم محمد العربي بن السايح الشرقي الرباطي ، ولكن مع تنبيهه الى ان ترجمته تقدمت ، ولما كانت الترجمة الجديدة فيها زيادات على ما في ترجمته المتقدمة استحسنت ان انقلها في هامش هذا الجزء تعميماً للفائدة ونصها :

العربي بن السايح الشرقي الرباطي ، تقدمت ترجمته في المحمدين ، وهو العربي بن محمد بن محمد السايح بن العربي بن فاضل بن بوعزة بن الصالح بن رشيد بن عبد القادر بن الشيخ ابي عبيد سيدي محمد الشرقي العمري دفين جعيدان ، ولد بمكناسة الزيتون ليلة عيد الأضحى عام تسعة وعشرين ومئتين والف ، ممن اخذ عنه الطاهر بوحدو ، والحاج احمد بن قاسم جسوس ، واحمد بن موسى السلوي ، ومولاي الكامل المراني المسمى عبد الله ، ومحمد بن عبد السلام جنون ، ومحمد الصنهاجي المدعو ماني المتقدمو التراجم ، واخذ هو عن الكنسوس ، وسيدي عبد القادر العلمي متقدم الترجمة ، وعن السيد عبد القادر الكوهن ، واخذ الطريقة التجانية عن محمد الهاشمي ..... السرغيني دفين عين ماضي اخذ عنه عام 1256 ولقي سيدي عبد الرحمان النابلسي واجازه عامة .

1354) العربي بن (30) علي المشرفي المعسكري ، الفقيه الراوية الأديب المعمر ، نزيل فاس ، أبو حامد ، من عائلة عظيمة بالمعسكر ، بيت علم ودين وطريقة ورواية ورحلـة ، فيهم من الأعيان نحـو العشرة ، أشهر عائلتهم في المتأخرين سيدي عبد الله سقط نزيل مراكش ، هاجروا من بلادهم وتفرقوا في الجهات ، واستقر المترجم أخيراً بفاس .

كان صاحب علم ومحاضرة ورواية واقدام وشجاعة قلب ، وكانت له جرأة على الولاة ولسان هو على مَن صبه الله علقم ، كان أسره العدو ، وحج قديماً في العشرة السابعة ، وله مؤلفات من أعظمها جوابه عن اللغز العجيب الذي نظمه سيدي علي ابن طاهر وألقاه على علماء فاس فلم يقدر أحد على جوابه الا هو ، واصله للسيوطي ، وقد أجاب عنه الشنواني ولم يقف عليه المترجم ، وشرح على الشمائل في مجلد ضخم ، وشرح الشمقمقية المسمَّى فتح المنان في مجلدين ، وحاشية شرح المكودي ، والحسـام المشرفي ، والرحلة الحجازية في سفر سماها الرحلة العريضة ، لأداء حج الفريضة ، والرحلـة لسوس ، والرحلـة للواسطة ، وتاريخ علماء فاس في سفرين ، ودرأ الشقاوة ، عن السادات درقاوة ، وتاليف في الأتاي في مجلد ، وسمى من مؤلفاته في تقييده نحو الثلاثين .

كان درقاويَّ الطريقة ، أخذها عن سيدي العربي الطويل الواسطي تلميذ مولاي العربي ، وكان مبتلى بالبرص ، وله خط حسن سريع الكتابة ، يكتب الكراس بين العشاءيْن ، وذكر في رحلته علماء مراكش حين دخلها ، وكان مقتراً عليه في الرزق .

مات بفاس وبه دفن في أوائل العشرة الثانية من هذه المئة (31) .

---

30) في **زبدة الأثر** : العربي بن عبد القادر بن علي بن مسعود بن احمد المشرفي الحسني

31) في **زبدة الأثر** : انه توفي عام 1313 عن نحو 90 سنة ، وانه دفن قرب ضريح الشيخ علي بن حرزهم (خارج باب فتوح بفاس) .

ذكره السيد عبد الحي الكتاني ، وقد ذكرنا شيئاً من أحواله في ترجمة مولاي ادريس ابن عبد الهادي (32) ، وذكر المترجم في كتابه الحسام المشرفي أنه ألفه وعمره ناهز الخمسين سنة ، وقد أتم تأليفه عام 1285 فيكون ولد في أواسط العشرة الرابعة من القرن الفارط .

ومن نظمه مرثية يرثي بها الفقيه سيدي الحاج محمد كنون مطلعها :

الى كم في خطا وخطا أسير ... وفي رق الهوى أبداً أسير
وتسلمنا الأماني للمنايا ... مخادعة وليس لنا شعور
وسلطان الهوى يقوى ويطغى ... فلم يصدمه في نصح وزير
ألسنا واقعين من المنايا ... فما يبقى السرور ولا السرور

ونقل في تعريف الخلف عن ذخيرة الأواخر والأوائل تأليف المترجم في حال مروره بالجزائر سنة أربع وتسعين ومئتين وألف .

ووقعت للمترجم رحمه الله أوهام ، منها أنه قال في نسب الامام المسناوي الدلائي البكري الصديقي وهو غلط فادح ، فان نسبتهم البكرية ليست لأبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وانما هي لجدهم أبي بكر الدلائي المجاطي ، ومنها أنه جعل من علماء دولة مولانا سليمان العلامة صاحب الشقرونية في الطب سيدي عبد القادر بن أحمد بن العربي ابن شقرون ، وهو غلط فاضح ، اذ صاحب الشقرونية مكناسي في دولة مولانا اسماعيل بخلاف المذكور في دولة مولانا سليمان فانه فاسي ، وممن قرظ له على تأريخه الأديب ادريس السناني ذكر تقريظه في ديوانه نثراً ونظماً ، مطلع النظم :

همام تسامى في المعالي عن الشهب ... فهائمه المشهور عن قدره ينبي

1355) **العربي بن محمد العلوي المدغري** ، ولد في حدود 1260 ، ثم قرأ القرءان على شيخ التجويد السيد بنعبد الله المذكور في ترجمة أخيه سيدي

---

32) ظ 3 : 47 ع 340 من هذا الكتاب

محمد بن محمد ، والعلم على مولاي عبد الملك الضرير والمكناسي وطبقتهما ، ثم رحل مع أخيه للزاوية الحمزاوية وأخذ بها عنه وعلى يده تخرج وهو عمدته ، وانجب في النحو وكانت له مشاركة في غيره ، ودرس بالمساجد العظام بالصحراء الى أن انتقل مع أخيه لفاس ، فولاه نيابة القضاء عنه بفاس العليا ، ولما انتقل لمراكش سار معه وجلس بسماط عدول المواسين بها ، وكذالك سماط القرويين لما انتقل اليها ، ثم رجع الى بلده مدغرة فتوفى هناك في منتصف قعدة عام 1324.

1356) العربي بن بنداوود الشرقي

العربي بن سيدي بنداوود بن الولي الصالح سيدي العربي بن القطب سيدي المعطي الشرقي ، ولد عام 1241 ببـْزو من هنتيفة لما كان والده انتقل هناك وسكن فيه نحو السنتيـْن ، أخذ عن والده الطريقـَة الناصرية والعلم ، وعن ابن عمه الفقيه سيدي الحاج الحاتمي بن القرشي الغزواني الشرقي ، وعن الفقيه سيدي محمد ابن صابر التلمساني دفيني أبي الجعد .

كان رحمه الله متواضعاً لين الخانب لين الأخلاق متقشفاً في ملبسه ومأكله ، ومثابراً على العبادة ، صرف همته على نشر العلم كتدريس المختصر وشرح صحيح الامام البخاري نحو العشرين مرة ، والموطأ والأمداح النبوية ، والمواهب الدنية ، الـّف الفتح الوهبي في مناقب الشيخ أبي المواهب مولانا العربي ، تقدم تلخيصه فنقدمه عن الدوحـة والصفوة والمغزى وابـن حجر والطرايف وذخيرة المحتاج وارشاد الساري والنسمة وممتع الأسماع والمـُرقي .

ومن بركته ما حدثني به ولده الفقيه القاضي سيدي عبد الله عن السيد الحاج عبد الرحمان الرباطي أنه لما توجـّه للحج عام 1289 ركب بعض الحجاج خفية من رايس المركب بلا أداء أجرة ، ولما اطلع عليهم أخذ نحو العشرين رجلا وأودعهم بمحل ، فقام المترجم وجماعة من الحجاج يجمعون شيئاً من الصدقة وذهبوا بها للرايس وتشفعوا عنده بصاحب الترجمة ليقبل منهم ذلك القـدر ويسامح أولئك الناس فأبى ، فذهب صاحب الترجمة يبكي والناس كذلك . فوقع ريح كبير وهاج البحر ، فقام ابن الرايس ليجعل قلعاً من القلوع فألقتـْه

الريحُ في البحر ، فحصل للرايس غيظ كبير ، فألهمه بعض الناس لأن يقبل شفاعة صاحب الترجمة ويسرح الحجاج ، فوجه على صاحب الترجمة وسرح له الحجاج وصار يباشره في سائر أشغاله ، ودفع تلك الصدقة لأولئك الحجاج الذين كانوا بالسجن ، فسكن البحر بإذن الله تعالى ، وفرج الله كرب الجميع .

ولما قدم عنده السلطان المولى الحسن لداره بأبي الجعد عام 1304 قدم له أبياتاً منها :

بشرى لنا معشر الأحباب ان لنا — من العناية ركْناً غير منهدم
لما أتى الملكُ الهمامُ منزلَنا — سدنا وفزنا بكل الخير والنعم
سبحان مَن خصَّه بكل مكرمة — وزاده بسطةً في العلم والحكم

فأجابه بظهير شريف تضمن أبياتاً من انشاء كاتبه الفقيه السيد أحمد ابن المواز :

حييْتَنا بمديح منك منتظم — ناجَى الضمير بسرٍّ أي مكتتم

الى أن قال :

ولن نزالَ على حفظ الذمام نرى — ذاك الجنابَ جناباً غير مهتضم

ولما دخل لخيمة الوزير أحمد بن موسى حين كان ببلاد بني عمير سنة 1315 ، هرق دواة لبعض الكتاب فقال ارتجالا :

ايا معشر الحضار غضُّوا جفونكم — فاني من الفعل القبيح قريب
هرقتُ دواة وهي كالكأس بينكم — وللأرض من كأس الكرام نصيب (33)

فأجابه ابنُ المواز المذكور :

بلى فعلُك المحمودُ في اعيُن الورى — جميلٌ وروضُ العلم منك خصيب
نرى أن إهراقَ المداد دلالةٌ — على مدد قد فاض منك يطيب

---

33) يرجع البيتان الى العصر المريني على ما اذكر ، فهما ليسا من نظم الشيخ العربي بن بنداوود ، وانما تمثل بهما فقط .

وكان يعمل الملحون أيضاً وسكن مراكش مرات عديدة ، وكان ينزل بباب دكالة .

ولما وقع الوباء عام 1271 بأبي الجعد رأى المترجم رؤيا لما حدثت أضرار" بالزاوية ، أخبره فيها بعضُ أهل الله أنهم لا يرون بأساً ، وحين يموت ابنُ عمه الفقيه البركة المسن سيدي الحاج المعطي بن الفقيه السيد الحاج أحمد بن العربي يتأهب للموت ، فمات ذالك الرجل عام 1315 في شعبان ، وتوفي في يوم الأحد واحد وعشري جمادى الأولى عام 1316 ستة عشر وثلاثمئة وألف لضرر اعتراه يوم ختمه للبخاري ، ودام مرضه بالحمَّى نحو الشهرين ، ودفن برياض كان تصدق به على بعض مستولداته ولم يفرغْه من شواغله .

وممن اجازه العلامة سيدي سعيد بن محمد بن أحمد جيمي المراكشي ، ونص اجازته له :

بسم الله الرحمان الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وصحبه وسلم

نحمدك يامن اجزت مَن تشاء الى حظيرة قدسك ، ومقام قربك وانسِك ، ففاز من جنابك الأقدس بتلك الاجازة ، ونصلي ونسلم على الواسطة العظمى . صاحب المقام الأسما ، الذي حاز من بِرك المصون ، مالم يصلْ اليه الرسل والملائكة المقربون فياحبذا هاتيك الحيازة . فأصبح وهو لهم نعم المستمد . والمؤمل الذي عليه المقصد والمعتمد ، حيث لم يجز أحد منهم في الحقيقة مجازه . كيف لا وهو سيد ولد ءادم ، وأفضل جميع العالم ، بمواهب رحمانية اقتضت تفضيلَه عليهم واعزازه ، وعلى ءاله ، الناسجين على منواله ، وسائر من حاز بذلك شرفَ الاتباع وامتيازه ، لا سيما أصحابه نجوم الأهتداء ، وبدور الاقتداء، الذين اقتفوا ءاثاره وحازوا في مسالك الهدى جوازه ، وتلقوا عنه دين الاسلام . من عقائد وأحكام ، وبثوه فيمن رأوه محرزاً ، ونصروه على الشرك نصراً مؤزراً ، حتى ظهر عليه وحاز غلبة وعزازه ، وكذلك السادة العلماء ، ورثة الأنبياء ، حيث حفظوه بالأخذ والتدوين والتدريس والاجازة ، صلاة وسلاماً لا تزال الأرجاء

بأريجها معطرة ، وأجورها بأيدي الكرام الكاتبين في صحائف الحسنات مسطرة ، حتى نفوزَ بالنظر الى الوجه الكريم ، في جنات النعيم ، مع مَن أظفره مولاه بذلك وأجــازه .

أما بعد فمن الضروري المعول عليه ، والمسلم الذي لا يتطرق الارتياب اليه ، ان العلم شرف لحملته وزينة ، وحسنة في الميزان ثقيلة وزينة ، وحلة تجمل لابسَها في مجالس المفاخر ، وحلية تكب حسناءَ المتحلي بها على المناخر ! وسبب يصل العبد به لحضرة مولاه ، وسلمٌ يصعد به في أوج الكمال الى أعلاه .

هذا وان ممن عني بذالك العلامة الأوحد ، السامي في معارفه سمُوّ الفرقد ، فجدير بأن ءاخذ عنه واكتسب منه ، الفاضل الجليل ، اللوذعي الكامل الألمعي الأصيل ، الجامع في سر المزايا والمعارف بين حقيقتيْ المقصور والممدود ، سيدي الحــاج العربي ابن سيدي ابن داوود ، نجــل الولي الكبير ، والقطب الشهير ، سيدي العربي ، ابن صاحب الفتوحات الربانية الشهيرة ، سيدي المعطي ، مؤلف الذخيرة ، نجل القطب الواضح ، سيدي صالح ، فكم ضمنا معه في مجلس من العلماء الفضلاء مجلسٌ تضوعتْ فيه نوافح معارفه ، وأبان فيه حفظه الله عن علو قدره وجمعه بين تالد العلم وطارفه ، وقد كنتُ فيما مضى أقصده بقصد الزيارة ، وأتعرف أحوالَه حتى عرفت منه الاشارة ، وتحققت منه الأهلية ، وتحليه بأحــوال مرضية ، وأن جنابه فاخــر ، وفي العلم بــحــر زاخر ، مع أخلاق يستعير منها النسيم ، وءاداب تروي عن التسنيم ، فأدرنا فيها بيننا كؤوس المحــاورة ، متركبة بسلاف المحادثة والمسايــرة ، فكان من جملــة ذلك ، ومما جــرى فيما هنالك ، أن التمس مــن العبــد الحقير ، لحسن ظنه وتواضعــه للكبير والصغير ، بركــة تحفة الاجــازة ، ولــو على طريق الوجازة ، على ما جرت به عــادة الأفاضل ، بين الأواخــر والأوائل ، فاستصغرتُ نفسي بالنسبة الى هذا المقام ، وأنّى لي بذالك خصوصاً مع هذا الامام ، وكيف للعبد الضعيف أن يجول في مجال الفحول ، ام كيف يُجيز مَن كان صدره من المعارف قفراً ، وصحيفته من الصالحات صفراً .

ولكــن البــلاد اذا اقشعــــرت   وصــوح نبتُهــا رُعي الهشيـــم

فجعلت أتنصل ، وبعدم الأهلية أتوسل ، فلم يُجدِ ذلك نفعاً ، ولم يصغْ اليه سمعاً ، بل آكد الالتماس ، قائلا ما طلبت الا ما عليه الناس ، ولم أجد بدأ من الاجابة ، ورأيت الا محيصَ لهذا الغرض من الاصابة ، على اني لا أنكرُ فضل الله علي ، وجزيلَ احسانه الي ، فاني والحمد لله لا أعتذرُ من جهالة ، ولا أطلبُ من أي سائل امهالَه ، فقلتُ والخجلُ ينازعني ، والقصورُ عن هاذه الدرجة يمانعني ، قد اجزتُ الفقيه المذكور ، ضاعف الله لي وله الاحسانَ والأجور ، بجميع ما تلقيتُه عن أشياخي الأساتذة ، وأخذتُه من الأفاضل الجهابذة ، من المشارقة والمغاربة ، من منقول ومعقول ، وفروع وأصول ، وأتحفتُه سدده الله بما اتحفني به شيخنا العلامة ، المسن الفهامة ، شيخ شيوخ مصر وأكبرهم سناً وعلماً وفضلا وحلماً ، تقي الدين الشيخ أحمد بن أحمد الشباسي العُمري الملقب منة الله بالديار المصرية من حديث الرحمة المسلسل بالأولية ، فقد حدثني وهو أولُ حديث سمعتُه منه ، قال حدثني شيخنا حافظْ أهل الشام العلامة الكثيري وهو أول حديث سمعته منه ، قال حدثني شيخنا الشيخ عمر المقدسي وهو أول حديث سمعته منه ، عن شيخه المحدث الجليل عمر بن أحمد بن عقيل الحسني المكي قال وهو أولُ حديث سمعته منه بالمدينة المنورة سنة 1174 ، اخبرنا الشهاب المفسرُ أحمد بن محمد بن بن عبد الغني الدمياطي الشافعي وهو أول حديث سمعته منه ، أخبرنا المسندُ المعمر أبو الخير بن عموس الرشيدي هو أول حديث سمعتُه منه ، أخبرنا الحافظان الشهاب أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني وأبو النعيم رضوان بن محمد العقبي وهو أول حديث سمعته منه ، اخبرنا أبو الفتح صدر الدين محمد بن محمد بن ابراهيم الميدومي البكري وهو أول حديث سمعته منه ، اخبرنا الحافظ أبو الفرج عبد الرحمان بن علي ابن الجوزي وهو أول حديث سمعته منه ، أخبرنا الحافظ أبو سعيد اسماعيل بن أحمد بن عبد الملك الشابدري وهو أول حديث سمعته منه ، أخبرنا أبو طاهر محمد بن محمد الزيادي وهو أول حديث سمعته منه ، أخبرنا أبو حامد يحيى بن أحمد بن محمد ابن بلال البزار وهو أول حديث سمعته منه ، أخبرنا سفيان عبد الرحمان ابن بشر بن الحكم وهو أول حديث سمعته منه ، أخبرنا سفيان بن عيينة وهو أول حديث سمعته منه ، عن عمرو بن دينار ، عن أبي قابوس

مولى عبد الله بن عمرو بن العاص ، أخبرنا عبد الرحمان رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الراحمون يرحمهم الرحمان ، ارحموا مَن في الأرض يرحمكم من في السماء .

وأخبرنا أيضاً الشيخ المذكور بشعر البرهان ابراهيم بن محمد القراطي بالطريق المسلسلة بالأولية ، وناولني ورقة بخط الشيخ البركة مرتضى شارح الأحياء قال فيها بعد سرد هذا الحديث : انشدنا محمد بن أحمد بن سالم الحنبلي اجازةً مكاتبة وهو أول شعر كتبه الي ، أنشدنا أبو المواهب محمد الحنبلي وهو أول شعر سمعته منه ، قال أنشدني والدي عبد الباقي الحنبلي وهو أول شعر سمعته منه ، قال أنشدني عبد الرحمن البهوتي وهو أول شعر سمعته منه، أنشدنا المسند يوسف بن زكرياء الأنصاري وهو أول شعر سمعته منه ، أنشدنا والدي وهو أول شعر رويتُه عنه ، أنشدنا الحافظ أبو النعيم رضوان ابن محمد العقبي وهو أول شعر رويته عنه ، أنشدنا الحافظ شمس الدين محمد بن محمد ابن الجزري وهو أول شعر سمعته منه ، أنشدنا البرهان ابراهيم بن محمد القراطي لنفسه وهو أول شعر سمعته منه :

لـــي فـيـــك حـــب أول ... أرويـــه من طـــرق عليَّـــه
فحديث شــوقــي في هـــــوا ... ك مسلســـلٌ بـــالأوليـــــه

سمع مني هذا الحديث والبيتيْن بعده بشرط الأولية الولد الصالح ، والشاب الموفق الفالح ، أبو القبول مصطفى بن عبد الله الكرجي مولاي سليمان جعفر وفقه الله تعالى وبارك فيه ، وانشأه نشأة صالحة ، وصح له الحديث المذكور بشرطه وهو أول شيء سمعه من لفظه وحفظه ، ثم سمع مني أيضاً الجزء فيه المنتقى ، وقد أجزتُ له ذلك رواية عني وجميع ما تجوز لي روايته عند مرتضى الخ ، جعله الله رشيداً موفقاً ، وبصره لِطرق العلم مع تقوى الله وحسن رعايته ، وقد سمع مني كذلك جماعة اخرون ذوو الصلاح ضبطت أسماءهم على الأجزاء التي حصل منها السماع وصح ذلك وثبت في مجلس واحد من يوم الأحد منتصف ربيع الثاني سنة 1140 بعنيط السعدية قرب بركة الأزبكية ، وكتب أبو الفيض محمد بن محمد المرتضى الحسني عفا الله عنه حامداً الله ومصلياً ومسلماً .

واتحف أيضاً أخانا المذكور المجاز والدي سيدي سعيد جيمي ببعض طرق البخاري وغيره من شيوخ المغرب والحجاز فأقول حدثنا شيخنا وبركتنا العلامة الدراكة القدوة الصالح الفهامة الجواد الذي له لا يشقُّ له غبار ، ولا يدرك له في مجار العلوم مضمار ، اذ هو جامع مانع في الفنون العقلية والنقلية الأصلية والفرعية ، الاهية ورياضية وطبيعية ، مع ورع ومتانة دين ، وعند جُهيْنة الخبر اليقين ، والدنا جسماً ورما شراب الحياة علينا غبوقاً صبوحاً ، سيدي محمد بن أحمد السوسي التيوتي قراءة وسماعاً واجازه غير ما مرة ، وشيخنا الحجة مجتهد وقته ورئيس مصره وحينه ، عمنا الشقيق ، سيدي محمد بن أحمد جيمي الرداني كلاهما عن شيخهما الولي الصالح ، والقطب الواضح ، ذي التلاميذ العديدة ، والأوضاع المفيدة ، سيدي أحمد الأدوزي دفين ر'دانة المنتفع به حياً وميتاً ، الشهير قدراً وصيتاً ، عن شيخه شيخ الجماعة بمحروسة فاس ، الشيخ التاودي بن الطالب ابن سودة المري ، وحدثنا به شيخنا البركة المسن الجامع بين الشريعة والحقيقة ، الشريف الحسني ، سيدي بدر الدين اجازة ومناولة بغرفة خلوته بجامع القطانين بمحروسة فاس ، عن شيخه الشيخ التاودي المذكور ، وحدثنا به بمصر القاهرة اجازة كذلك الشيخ منة الله الشبناسي ، عن العلامة الكبير ، الشيخ الأمير ، صاحب الثبت الشهير ، والشيخ يوسف الغزي المدني شيخ المشايخ بالمدينة المنورة ، والشيخ الرباني ، الشيخ أحمد العربي بها كذلك كلاهما عن الشيخ محمد الأمير الصغير ، عن والده الشيخ الأمير الكبير ، عن الشيخ التاودي المذكور ، عن الشيخ البركة محمد بن قاسم جسوس عن الشيخ الشهير عبد السلام بن حمدون جسوس ، عن الشيخ العارف بالله سيدي عبد القادر الفاسي ، عن عمه عبد الرحمان العارف بالله عن الشيخ القصار ، الذي عليه المدار ، عن ولي الله رضوان بن عبد الله الجنوي ، عن سقين العاصمي ، عن ابن غازي ، عن محمد بن محمد بن عيسى بن أحمد السراج ، عن أبيه عن جده ، عن أبي البركات البلفيقي ، عن أحمد ابن الزبير ، عن أبي الخطاب ابن خليل ، عن أبيه ، عن أبي عبد الله ابن سعادة ، قال حدثنا حسن بن فيره الصدفي ، عن الباجي ، عن أبي ذر عبد الرحمان الهروي ، عن عبد الله بن حمويه الحموي ، ويقال السرخسي ،

وأبي اسحاق البلخي المستملي ، وأبي الهيثم محمد بن زراع كُشْغراب المروزي الكشفيهني ، وكلهم عن الفربري ، عن أمير المومنين في الحديث ، وحامل لواء المحدثين في القديم والحديث ، محمد بن اسماعيل البخاري .

وبالسند المذكور الى الشيخ التاودي عن شـارح الاكتفاء محمد بن عبد السلام بناني ، عن الشيخ ابراهيم الكوراني ، عن ملا سعد الله اللاهوري المدني ، عن الشيخ قطب الدين محمد ، عن والده علاء الدين أحمد بن محمد النهرواني ، عن الحافظ أبي الفتوح أحمد بن عبد الله الطاوسي ، عن أبي يوسف اليفروي ، عن الفرغل ، عن أبي لقمان يحيى بن عمر الختلاني سماعاً عن الامام محمد بن يوسف الفربري ، عن البخاري .

تنبيه : ما ذكرناه من أن الوساطة بين ابن سعادة وبين أبي الخطاب ابن خليل هو أبوه خليل ، هو الذي وجد بخط بعض أشياخنا رضي الله عنهم ، وهو الذي يوجد في بعض الفهارس المصحح عليها بالاتقان ، قال بعض المتأخرين ولا يصح ذلك ، اذ الواسطة بينهما انما هو أبو المطرف ابن عميرة ، وابو الخطاب ابن واجب ، فانظر ذلك .

وهذا السند الأخير أعلا من الأول بكثير ، ومازال العلماء قديماً وحديثاً يتنافسون في علو الاسناد ، ويجعلون ذلك غاية الاعتماد في تحصيل القرب من الأستاذ ، هذا ما تيسر ، واستغفر الله من علل معلولة ، وعقود محلولة ، وأسأله سبحانه أن يمنحني رضاه ، ويوفقني لتقواه ، وأن يحفظني من كل متظاهر ، وان يزين منا الباطن والظاهر ، كما نسأل من هذا الولي الصالح ، أن لا ينساني من دعائه الصالح ، ونتوسل الى الله بجاه سيد الأنام ، أن يحسن منا البدأ والختام.

وكتب افقرُ الورى الى رحمة ربه : سعيد بن محمد بن أحمد جميمي يعرف ، السوسي التيوتي المراكشي ، في مهل صفر عـام 1287 في الحضرة المراكشية خار الله له ، وقابلتُ ما نقل عن الشيخ مرتضى بالورقة التي دفع شيخـه .

وممن مدح المترجم الأديب ادريس السناني في ديوانه بقصيدة مطلعها :

فديتُك روقْ كأس خمركِ للصحب فقد راق دمعُ الغيم من مقلة السحب

راجعها فيه .

ولما قرأها الممدوح قال : سبحان من أظهر الجميل وستر القبيح ، ودعا له ولذريته ، وكتب تحتها ارتجالا :

ألا ابشر بحسن الحال والسر والقرب وكل الذي ترجو تنالـه من ربـي
قصدت ورمت الخير من حسن ظنكم فوافيت فضل الله فـاض من الغيب
تأمـل حديثـاً قدسيـاً لـه صحـة انا عند ظنّ العبد بي دون مـا ريب

1357) **العربي بن المقدم المنيعي** ، قاضي مراكش ، أخذ العلم رحمه الله عن الحاج محمد بن الأكحل المقْري المدعو بالزمخشري النحوي المتوفّى سنة 1285 بفاس ، وعن مولاي عبد الملك الضرير ، وشيخنا الفقيه السباعي ، كما أخبرني به شيخنا المذكور ، وسكن بعض مدارس فاس لقراءة العلم .

كان رحمه الله حافظاً لكتاب الله ، مجوداً له ، حسن النغمة به ، عارفاً ببعض كتب القراءات ، عارفاً بالعربية ، ناظماً ناثراً ، وكانت له صحبة مع آل ابن أحمد (34) الرؤساء ، فنال بذلك وجاهة ، ووزر لمولاي عمر ابن السلطان مولاي الحسن لما وجه للمأمورية بوجدة عام 1308 ، واستكتب في خارجية الأشغال ، وتولى قضاء مراكش عام أربعة عشر وثلاثمئة وألف ، فطنَّتْ بهـا حصاته ، وخطب بجامعها اليوسفي ، وكان يحكم بمقصورته ، وشرع في تدريس الموطأ ليلا ، وكان يسرده امامه الفقيه السيد محمد بن المهدي ابن شقرون المراكشي بحسن نغمة وابدع تلحين ، وكان القاضي المذكور يسرد بلفظه متن شـرح السدراتي على الموطأ ، ويورد اثناء ذالك الغلزاً ليغرب بها لدى الحاضرين ، وكانت تلك عادته مع كل مَن لقيه ليظهر بذلك عجزه ويعدها تحت أبطه ، وما ألطف قول بعضهم :

---

34) يريد آل احمد (احماد) بن مبارك ، وهم من مماليك القصر السلطاني نبغت نابغتهم في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري ، فكان منهم الصدور والوزراء والحجاب ، ثم دالت دولتهم وذهبت ريحهم بموت اشهرهم احماد بن موسى البخاري عام 1318 هـ .

انمـا الألغـاز عيب يجتنـب فاتركَنْهـا والتـزمْ حسنَ الأدب
ان من اقبحهـا قـولهـم عاجـز أعمى تـرقى فانقلـب

ثم شرع في تدريس المختصر صباحاً به بشرح الشيخ عليش عليه . وكان السارد فيه الفقيه السيد الطيب ابن كيران المراكشي ، وحضره جم غفير من العدول وطلبة المدارس بالزامه ، وقرأ مجالس في المدرسة اليوسفية ، وكان يحضر مجالس الوزير أحمد في يوم الجمعة وغيرها مع الفقيه السيد المفضل السوسي ، وكان يطريه في المدح كثيراً ويقول انه وحيد دهره ، وكل منهما كان يطالع كتاب الأجوبة للرازي في القرءان العظيم وغيرها ويورد منها اشكالات في المجلس المذكور تعمية على الحاضرين ، ففطن لذلك الفقيه السيد ابراهيم الضرير المراكشي فكانت تراجع له ويسمعها كثيراً ، ومهما اورد من أسئلتها شيئاً وجد عنده جواباً فيه .

ومن نظمه مشطراً بيتيْ الحاج ادريس الحنش :

تنبه لشمس الأصيل غـدت تجر ذيـول البهـا في البطـاح
وقد ساعدتهـا بنيـل المنـى على وادي فـاس قبيـل الـرواح
كـذوب الأتـاي وصفرتـه ورقـة ذي شغف بالمـلاح
فطـاب لنـا الشرب في انسهـا بكـأس زجـاج أضـاء ولاح

وشطرهما ناظم الأصل بقوله :

تنبـه لشمس الأصيـل غـدت تلملم مسـدول ذاك الوشـاح
وقد صـاغ منها المسا ذهبـاً على وادي فـاس قبيـل الـرواح
كـذوب الأتـاي وصفرتـه بجـام لجين بـدا في اتضـاح
ادرهـا على النهـر مشمولـة بكـأس زجـاج أضـاء ولاح

وشطرهما أيضاً الأديب سيدي العربي بن حميدة الشرقي بقوله :

تنبـه لشمس الأصيـل غـدت كوجه العويشق رهن افتضـاح
تقـول انهبـوا العيش وابتهجـوا على وادي فـاس قبيل الـرواح

كـذوب الأتـــاي وصفرتـــــه غدوت لأجـل فـراق المـــلاح
فقم نغتبقْهـا سلافـاً حـلـــت بكـأس زجـاج أضـــاء ولاح

وخمَّسهما العالم المدرس مولاي أحمد بن المأمون البلغيثي بقوله :

تنبه لشمس الأصيـل غـــدت كخود أريعت بخوف افتضـــاح
وقــد شفهـا البينُ مـن عاشــق على وادي فـاس قبيـــل الـرواح
كـذوب الأتـــاي وصفرتـــــه ولـــون مـحـب حبيبـــه راح
فـدارك بقيـة وقت صفـــا بكـأس زجـاج أضــــاء ولاح

ولما هنأ الحاج ادريس المذكور سيدي أحمد الكردودي المترجم سابقاً بقصيدة مطلعها :

جـــادت بطيـب وصـــال وانعمـــت بـاتصـــال

لما رجع من قضاء اوطار مولوية ، وفيها واحد وخمسون بيتاً ، وأجابه عنها بأبيات خمسة ، ذكر الجميع في ديوانه ، قال : ثم إنه بأثر ذلك اطلع على مـا سطرناه رفيقُه الكاتب الأستاذ المجود الأديب الأريب السيد العربي المنيعي فكتب على القصيدة ارتجالا :

بشـراك بالمجـد فاهنـــأ واطـرب بسحـر حـــلال
يحكـي عقـــود جُـمـــان في عـــزة وجـــلال
ورقـــة ومعـــــان تـــزرى بعـــذب زلال
من فكـر ادريـــس دامـــت لـه العـــلا بتــــوال
حليـــف صـــــدق وود يرضى بحسن الخصـــال

سافر من مراكش في قضاء غرض مخزني ، ودخل الحمام بطنجة فبقي فيه الى أن عمت جسده الحرارة وجفت منه الرطوبة واحترقت أخلاطه ، فمات في ليلة الأحد سابع محرم عام ثمانية عشر وثلاثمئة وألف .

وكانت أسفاره الثلاثة ، الأول للعين البيضاء بوادي كَيْر لتعيين الحدود بين المغرب والجزائر مع الفقيه ابن محمد والقائد ابراهيم المنيعي والسيد محمد الجباص ، ترك نائباً عنه مولاي عبد السلام الشرعي ، والسفر الثاني لتافيلالت في قضية الشرفاء العلويين مع العوام في النزاع ، ترك نائباً عنه الفقيه الحاج علي عواد الذي كان يسكن بدرب تزكارين مع الرفقاء المذكورين ، والسفر الثالث ذهبوا لطنجة لتتميم علامات الحدود المذكورة في السفر الأول ، وترك نائباً عنه مولاي عبد السلام المذكور (35) .

1358) **العربي السرغيني البوكريني المراكشي** ، الفقيه النحوي المدرس الخَيِّر الديِّن ، أخذ العلم بفاس عن سيدي جعفر الكتاني وطبقته ، وبمراكش عن علمائها ، وكان ملازماً لتدريس الألفية بالتصريح في جامع ابن يوسف يجتمع عليه كثيرٌ من الطلبة ، وامَّ بجامع درب تشنباشت ، ودرس به بين العشاءيْن بعد موت السيد الفاضل بن عبد المجيد ، الى أن مات في حادي عشر شعبان عام اثنين وثلاثين وثلاثمئة والف .

1359) **عريف بن يحيى بن عثمان السويدي ثم الزغبي** ، ابو زيان ، ممن كان من أبي الحسن المريني بمنزلة الصاحب والخليل الذي تسقط معه مئونة التكليف في الغالب ، الشيخ الفاضل الطاهر الأصيل ، أحد رجالات الكمال ، الحائزين من كمال الخصال ما ضُربت به الأمثال ، كان هذا الرجلُ قد منح في السعد والبخت ما لم يحظ به أحد من صنفه فيما علمت ، القي عليه محبته ووضع له في الأرض القبول ، وكساه حلـة السعد فلم يكن لِقائلٍ في الأغلب فيه مـا يقول ، قد جمع الى جمال الشكل حلية الفضل ، وسأورد حكاية هي عنوان حاله : سمعت شيخنا الفقيه القاضي الأعدل الخطيب محمد ابن عبد الرزاق في مرضه الذي مات فيه يقول : وددتُ أن القى الله عزَّ وجل بعمل عريف ، فقيل له ومثلك يقول هذا ؟ قـال نعم ، لازمتُ مجلس السلطان أبي سعيد وولـده المولى أبي الحسن فما رأيت قط حسنةً أمضيت الا وله في امضائها سبب ، ولا مصيبة

35) **فواصل الجمان** ص 194 .

دفعت الا وله في دفعها أعظم سبب ، صدق ، وأنا أقول مثل مقاله ، ما سمعته قط نطق بكلمة الا وهي تشتمل على جلب مصلحة أو دفع مفسدة ، كان حسن الوساطة ولا يكاد يصدر أمراً الا وله فيه معرفة ، فكان مولانا لا يُخفي عنه من أموره ، القليلة والجليلة ، شيئاً ، وكان يداعبُه ويباسطه' ويحفظ النوادر التي يبسطه بها ، فاذا رءاه قد انحرف أو ظهرت عليه دلائل' الغضب على أمر أورد ما يبسطه به على أحسن ترتيب وأبدع نظام وألطف مخلص ، فكم له في ذلك من أجور ، وكان لي فيه خير صديق عاهدني على الود والحب ، واني ان حضرت وفاته وليتُها او حضرها هو وليها فكان كذلك ، توفي في حجري في قصة غريبة لولا الاطالة لأوردتها ، وذلك بسلا في صحبة المولى أبي عنان ، ودفن حيث طلب الى جانب خليله المولى أبي الحسن ، سنة خمس وخمسين وسبعمئة ، رحمة الله عليهما وخلفه خير' خلف احيى طريقته ، وسلك سيرته ، تولى الله معونتَه .

ذكره الخطيب ابن مرزوق في المسند الصحيح الحسن (36) .

1360) **علال بن محمد الهسكوري** ، أبو حسون، ممن كان عند ابي الحسن المريني بمنزلة الولد الأنجب والمودود المقرب ، لا يُخفي عنه أمراً ولا يدبره دونه ولا يختص بتدبيره دون مشاركته ، يطلعه على أحوال أهله ، ويأذن له في الدخول الى محله ، قد تولى تربية الأصاغر وتدبير أمر الأكابر ، فهو مع الأولاد ومع الفتيان ومع الوزراء ومع الجلساء ومع الكتاب والأمناء ، ومع الخواص والأحظياء ، بل هو المقدم والمتقدم ، والرفيع بين الجميع والمعظم ، رضيعهم المجتبى ، ووليهم المنتقى ، اذا حضر الوزراء' فهو اولُهم ، واذا اجتمع الجلساء فهو واسطة عقدهم ، تمكن من الدولة تمكناً لم يلحقْ به غيره فيه ، ولا نال أحد من الحظوة ما نال هو من مواليه ، وقد استمرت على هذه الحظوة أحواله ، وجرت على وفق سعادته أقواله وأفعاله ، ونال من الحظوة والتقريب كل محبوب ، وبلغ ما وعده به المولى أبو يعقوب (37) .

---

36) **المسند الصحيح الحسن** ص 222 (نسخة مرقونة) .

37) الترجمة منقولة من **المسند الصحيح الحسن** ص 221 مع تقديم وتاخير (نسخة مرقونة) وانظر **اعلام المغرب العربي** 1 : 409 ع 297

1361) **علال بن عبد الله بن المجذوب الفاسي** ، قال في الدرر البهية بعد أن ذكر والده : وقد خلف فرعه الفقيه الجليل ، خطيب الحضرة العلية ، وهو السيد علال ، أحد الجهابذة المشهورين ، والسراة المذكورين ، جمع بين العلم والعمل ، فأدرك غايةَ الأمل ، حسن السيرة ، طاهر السريرة ، له وجاهة عند الملوك والأمراء ، وتعظيمٌ كبيرٌ في قلوب العموم والكبراء ، مع مروءة في تُؤدة ، وجلالة في تواضع .

توفي رحمه الله في سنتنا هذه وهي سنة أربع عشرة وثلاثمئة وألف ، وعمره سبع وثمانون سنة ، تولى الخطابة بأمير المومنين مولانا عبد الرحمان ، ثم بابنه أمير المومنين سيدي محمد ، وابنه أمير المومنين مولانا الحسن ، ومازال عليها الى أن توفي (38) .

وقال في السلوة : وممن دفن قريباً في هذه القبة (يعني قبة سبعة رجال بازاء قبة سيدي يوسف الفاسي) الفقيهُ الخطيب ، البليغُ الأريب ، الصارف لاقتناء الكتب وتقييد الفوائد وجهَ العناية ، الساعي في تحصيل الضبط والدراية ، سيدي علال بن الفقيه الخطيب سيدي عبد الله ابن المجذوب الفاسي الفهري ، توفي رحمه الله زوال يوم الجمعة ثامن وعشري جمادى الأولى عام أربعة عشر وثلاثمئة وألف (39) .

وقال السيد عبد الحي الكتاني في حق المترجم مانصه : الفقيه الجماع لدواوين الكتب المكثر الضابط اللافظ ، الخطيب بالحضرة الشريفة ، الناسك ، لم تكن له رحمة الله عليه ملكة في العلم ، وانما كان غايـةُ همته جمع الكتب وضبطها وتصحيحها واتقانها على طريقة أهل الأندلس ، وكان أراد أن يؤلف في الحرير تاليفاً فخلط فيه (40) لأنه كان يلبس الشرابة منه والتريييش في ذيل

---

38) الدرر البهية 2 : 273

39) سلوة الأنفاس 2 : 302

40) كتب في هامش الأصل ازاء هذه الجملة بقلم المداد ما يلي : لعله لم يكن في اولاده من يحرر له ذلك التاليف .

برنسة والمداس المخيط بالحرير ، وكان له انتماء الى الطريقة التجانية (41) ، الا أنه كان شديدَ الأنكار على بدعهم المختلفة ، وكان يزور الضريح الادريسي ويأمر به لمن يأخذ عنه ، وبكتبه انتفع علماءُ وقته الذين عرفوا بالاطلاع على الكتب كسيدي المدني ابن جلون ، وسيدي أحمد ابن العباس ، وسيدي محمد بن جعفر الكتاني .

ذكر المترجم بخط يده أنه خطب بمراكش لمولانا عبد الرحمان وولده سيدي محمد رحم الله الجميع .

وذكره سيدي أحمد ابن الحاج في تاريخه في جملة الأعيان الخمسة عشر الذين توجهوا من فاس لمراكش ببيعة مولانا الحسن ، وحلاه بالفقيه الخطيب البليغ .

1362) **علال بن سعيد امرايت المراكشي** ، كان رحمه الله فقيهاً علامة مشاركاً في عدة فنون كالنحو والفقه والبيان والأصول والتوقيت وغيرها ، حافظاً للأمهات المتداولة في غالب الفنون ، مستحضراً لمسائلها ، عارفاً بكلياتها وجزئياتها ، ممارساً لها ، يورد شواهد كل فن قُرىء عليه من حفظه ، قرأ على علماء مراكش في أعوام الثمانين من القرن الفارط كالمفتي السيد الحسن المزميزي ، والمفتي الفقيه السباعي ، والسيد عبد الوهاب ابن انبهلول ، وغيرهم ، ثم أصابه الصمم فكان لا يسمع الا مَنْ صاح له في أذنيه ، وكان مقبلا على شأنه ، درس بمسجد رياض العروس وبجامع سيدي أبي عمرو – الذي كان اماماً وخطيباً به وبضريحه ، عدةَ مؤلفاتٍ كالرسالة والمرشد المعين والهمزية وغيرها ، حضرت عليه رحمه الله في الرسالة وفي نحو ثلثيْ الهمزية ، غير أنه كان وقع له وهمٌ لا يرجع عنه .

توفي رحمه الله عام 1323 عن نحو الستين سنة (42) .

---

(41) كتب بالهامش بقلمي الرصاص والمداد ما يلي : بل كان من اساطينها ، وكان له اذن في اعطاء اورادها ، ويشترط على من يأخذ عنه الورد ان يزور الأولياء خصوصاً مولانا ادريس ويقول انه تلقى ذلك عمن أخذ عنه الطريقة التجانية شرطاً كما تلقاه هو عن الشيخ التجاني ، وأخذ عن الشيخ سيدي عمر بن المكي ، وقد أجاز للسلطان مولانا الحسن بما تلقى عن سيدي عمر المذكور وكتب له بذلك اجازة حافلة .

(42) هنا ينتهي الجزء الثامن من الأصل .

1363) **علي بن يوسف بن تاشفين اللمتوني** ، امه ام ولد رومية اسمها منو ، وتكنى بأم الحسن .

مولده بسبتة سنة سبع وسبعين وأربعمئة .

صفته ابيض اللون مشرب بحمرة ، تام القد ، أسيلُ الوجه ، افلج ، اقنى ، خفيف العارضْين ، اكحل العينين ، سبطُ الشعر .

بنوه تاشفين وهو الذي ولي بعده .

بويع له يوم مات ابوه بمراكش بعهد أبيه ولُقّب بأمير المسلمين وذلك في غرة المحرم من سنة خمسمئة ، وسنه يومَ بويع ثلاث وعشرون سنة ، وملك من بجاية الى اخر بلاد السوس ، وملك في القبلة من سجلماسة الى جبل الذهب من بلاد السودان ، وملك بلادَ الأندلس شرقاً وغرباً ، ومن الجزائر ميورقة ومنورقة ويابسة ، وخطب له على الفيْ منبر وثلاثمئة منبر ، وملك من البلاد ما لم يملكهْ والده ، وسلك في اموره طريق والده .

ولما تمت بيعتُه وقام عليه ابن أخيه يحيى بن ابي بكر بفاس حرك اليه ، ففرّ يحيى ودخلها علي بن يوسف يوم الأربعاء ثامن ربيع الثاني من سنة خمسمئة .

وفي سنة احدى وخمسمئة عزل علي بن يوسف اخاه تميم بن يوسف عن بلاد المغرب وولى مكانه القائد محمد ابن الحاج، فأقام والياً على مدينة فاس وسائر أعمال المغرب ستة اشهر ، ثم عزلـه وولاه مدينةَ بلنسية من بـلاد شرق الأندلس ، ومنها دخل سرقسطة سنة اثنتين وخمسمئة .

وفي سنة ثلاث عشرة وخمسمئة عزل الامام ابن رشد عن قضاء قرطبة ، وانما عزلـه علي بن يوسف عن القضاء لأنـه اشتكى له اشتغالَه بالبيـان والتحصيل . فعزله وولّى مكانه احمد بن محمد ابن حمدين .

ولما ولي علي بن يوسف بعد ابيه اضطلع بالأمور احسن الاضطلاع ، وقام احمد قيام ، وكان يقصد مقاصد العز في طرق المعالي ، ويحب الأشراف ، ويقلد العلماء ، ويوثر الفضلاء ، كثير الصدقة ، عظيم البر ، جزيل الصلة ، وألبسه الله المهابة وقذف له في القلوب المحبة ، فاجتمعت عليه الأمة ، واتفقت الكلمة ، وبايعه اخوه الأمير تميم وكان اكبر سناً منه ، وهو أول مَن استعمل الروم بالمغرب واركبهم وقدمهم على جباية المغارم ، وكان زكياً فقيهاً ، (مكرماً لأهل العلم ، يُقلد الأمور الفقهاء) (42) ، وغزا بنفسه بلاد الروم ، فخلا بسببه كثير من احواز طليطلة ، وحاصر مدينة طلبيرة ، وجاز الى الأندلس مدته ومدة ابيه ، فانه جاز اليها في خلافته اربع مرات .

وفي سنة اثنتي عشرة وخمسمئة وصله كتاب من الخليفة العباسي ببغداد ونصه :

من عبد الله ابي العباس المستظهر بالله امير المومنين ، الى مُعز الدولة العباسية وزعيم جيوشها المغربية ، علي بن يوسف بن تاشفين ، احسن الله توفيقه .

اما بعد ، فالحمدُ لله مقدمٌ على كل مقال ، وتال كل فعال ، وهو ذو المنّ والأفضال ، الكبير المتعال ، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد المؤيد بالتنزيل الذي كشف عن الأمة الغمة ، واستنقذ من الضلالة الأمة ، حمى به من المحارم ما كان مباحاً ، واقتدح من القلوب زناداً اورى بعد ما كان شحاحاً ، وألبس الدين بعد ما كان بالعراء من البسيطة جناحاً ، وعلى أزواجه وذريتـه ما اعقب مساءٌ صباحاً ، وخصَّ العباس بن عبد المطلب عم النبوة ، ووارث الخلافة وشقيق الأبوة ، الميمون الظاهر ، الطاهر الأوائل والأواخر ، بالصلاة المستهلة العهاد ، المتصلة الأمداد ، ومواهب الله على أمير المسلمين حبائس ، ومنائحه لديه كوامل نفائس ، وجناب الاسلام مريع ، وبـاع الحق وسيع ، ورياضُ العدل أريضة ، وعيون الحق عريضة ، ونظره للرعايا على ما يقتضيه

42) الالحاق من الحلل الموشية ص 85 طبع الدار البيضاء

قصدها ومرادها ، ويفل عنهم شبا الأيام اذا ارهف حدها ، والنصر لرايته الف ، والظفر لجيوشه حلف ، واعداؤه للسيوف حصائد ، وللحتوف طرائد ، وشكره لله تعالى على ما اولاه موذن بالمزيد ، وشاهد بصنع لا يبيد .

وعرض بحضرة امير المومنين كتابك الموضح لأخلاص السريرة المطبوعة بطبائع الدين ، المعربة عن تمسكِكَ من طاعته بحبل الله المتين ، الهاطلة سحائبها من سماء سيرتك ، المضيئة مصابيحها من اخلاص طريقتك .

وأما ما أنهيتَه من توفر الأجناد ، ومثابرتك على الجهاد ، لدفع أدناس الكفرة مما يليك من البلاد ، فانك وطائفتك من حزب الله، وحزْبُ الله هم الغالبون، فاتخذ التقوى عمادك ، والحق منارك ، وكتاب الله وسنة رسوله شعارك ، وتجردَ للدفاع عن الاسلام والمسلمين ، وحطمْ صعادك في نحور اعداء الله الكافرين ، واعلن بالدعاء لأمير المؤمنين على المنابر ، تكنْ الظافر بالأعداد والظاهر .

والسلام عليك وعلى مَن قِبَلَكَ من أهل الطاعة ، سلام يهديهم الى المقام المحمود ، ويكنفهم بظل الرحمة الممدود ، ورحمة الله وبركاته (43) .

والمكتوبُ عنه هذا الكتاب هو الخليفة الثامن والعشرون من خلفاء بني العباس ، وهو أحمد المستظهر بالله .

وفي سنة تسع عشرة وخمسمئة جاز القاضي ابو الوليد ابن رشد الى مراكش ، فتلقاه اميرُ المسلمين علي بن يوسف بالمبرة والكرامة ، واشار عليه بتسويرها ، وبيَّن له امرَ الأندلس ، فسورها عام عشرين وخمسمئة ، وبنى جامعَها ومنارها ، وبنى بها القصورَ العجيبة والمساجد .

ثم ان المهدي بن تومرت ظهر في سنة 514 فاضطربت على علي بن يوسف الأمور من لدن ظهوره ، ولم يستقم له امر الى حين وفاته ، والموحدون في اثناء ذلك تنمو احوالُهم ، ويعظم شأنهم ، وتأججت نارُ الفتنة بالمغرب

43) الرسالة واردة في **الحلل الموشية** ص 87 طبع الدار البيضاء

واصطلى بحرها طلاب العافية ورضِيـيَها كلٌ مَن ذهب الى الفساد ، وبسبب هذه الفتنة اتصلت الحروب وغلت الأسعـار ، وتوالت الفتن وعم الجـدبُ وقلّت المجابي وكثرت على اهل الاسلام المِحَن بالعدوتين ، ووجّه كثيرٌ من حماة الأندلس الى العدوة ، ونقل اليها كثير من اسلحتها وعددها ، فكان ذلك أعظمَ فساد حلَّ الأندلس ، واختل امرها عليهم ، والحَّ النصارى بالضرب على جهات بلاد الأندلس حين علموا عجز الامارة بالمغرب عن الدفاع لِمَا همْ فيه من الفتن ، حتى تغلبوا على كثير من بلادها ، وكان الأسلام بها عزيـزاً ، والكفر مقهوراً والجزية مرتفعة منذ ملكها يوسف بن تاشفين الى زمان خروج المهدي ، فساءت الأحوال ، وكثرت الشدائد والأهوال .

ولما انتهت الحـال بالعدوتيْن الى ماذكر اجتمع المرابطون ووقع اتفاقهم على ان يكون ولي العهد بعد امير المسلمين علي بن يوسف ولده تاشفين لزعامته وشجاعته وشهامته ورجاحة عقله ، ولما ظهر منه في الأندلس من الغناء والنكاية في العدو ، فولاه عهده ، وقدمه على عساكره ومباشرة الحروب التي كانت بينه وبين الموحدين ، ولما رأى اميرُ المسلمين علي بن يوسف ما كانوا فيه من الادبار اغتمَّ غما أورثه مرضا أثّر في جسمه ، فالتزم فراشه ، واشتد به المُه ، وزادت علتُه ، الى ان توفي رحمه الله ، وكانت خلافته رحمةُ الله عليه ستاً وثلاثين سنة وسبعة اشهر .

ومات بمراكش في رجب سنة سبع وثلاثين وخمسمئة ، واوصى ان يدفن بين قبور المسلمين ، ولم يشهرْ موتُه الا بعد ثلاثة اشهر من وفاته .

ترجمه في الحلل ، والجذوة ، ودرة السلوك ، والشذرات ، وغيرها (44).

فائـدة : في ايام المترجم كانت اليهود لا تسكن مدينة مراكش كما تقدم في المقدمة .

---

44) معظم الترجمة منقول بالحرف من **الحلل الموشية** ص 84 طبع الدار البيضاء ، وينظر ايضا عن علي بن يوسف بن تاشفين **الأنيس المطرب بروض القرطاس** ص 157 ، **وجذوة الاقتباس** ص 459 ع 504 ، **وتاريخ ابن خلدون** 6 : 386 .

وقال ابن القطان مؤلف نظم الجمان فيما سلف من اخبار الزمان لما وصل كتاب احياء علوم الدين الى قرطبة تكلموا فيه بالسوء وانكروا عليه اشياء لا سيما قاضيهم ابن حمدين في ذلك ، حتى كفر مؤلفه واغرى السلطان به واستشهد فقهاءه فأجمع هو وهم على حرقه ، فأمر علي بن يوسف بذلك لفتياهم ، فأحرق بباب قرطبة على الباب الغربي في رحبة المسجد بجلوده بعد اشباعه زيتاً بمحضر جماعة من أعيان الناس ، ووجه الى جميع بلاده يأمر باحراقه ، وتوالى الاحراق على ما اشتهر منه ببلاد المغرب في ذلك الوقت ، فكان احراقهم سبباً لزوال ملكهم ، وانتثار سلكهم ، وتوالى الهزائم عليهم (45) .

والف الامام المازري الكشف والانباء ، على المترجم بالاحياء ، في الرد عليه ، وكذلك محمد بن خلف الألبيري المتوفى سنة 537 النكت والأمالي ، في الرد على الغزالي ، وابو العباس ناصر الدين بن المنير الضياء المتلالي ، في تعقب الاحياء للغزالي ، هكذا في الأمرين وهو أخيه زين الدين ابي الحسن بن المنير المتوفى سنة 625 ، وافتى الامام أبو الحسن المترجم المتوفى بمرسية 509 شيخ ابن العريف بتأديب محرقه وتغريمه قيمته ، وتبعه احمد ابن ورد وغيره، وألف في الرد على ابن المنير السيد السمهودي ايضاح البيان ، لمن اراد الحجة من ليس في الامكان ابدع مما كان ، والف برهان الدين البقاعي دلالة البرهان ، على ان ليس في الامكان ابدع مما كان ، وألف جلال الدين السيوطي تشييد الاركان ، لمسألة ليس في الامكان ابدع مما كان ، وراجع الذهب الابريز من ص 258 الى صحيفة 276 وراجع ص 430 من ج 9 من الاتحاف الى 460 منه ، وتقدم ذكر الاحراق في ترجمة الامام الغزالي ، وفي ترجمة سيدي عبد الله المليحي ، وسيأتي في ترجمة سيدي علي بن حرزهم ، وراجع حاشية الشيخ الرهوني .

1364) علي بن احمد ابن خراسان الصنهاجي

علي بن أحمد بن عبد العزيز بن عبد الحق بن عبد العزيز بن خراسان الصنهاجي ، لما هلك أمير تونس عبد الله بن عبد العزيز بن خراسان في حدود

45) **نظم الجمان** ص 41 .

الخمسين وخمسمئة ولي مكانه المترجم ابن أخيه خمسة اشهر وزحف عبد المومن الى تونس وهو أميرها فانقادوا لطاعته ، ورحّل علياً المذكور الى مراكش بأهله وولده ، وهلك في طريقه سنة اربع وخمسين وخمسمئة .

ذكره ابن خلدون (46) .

1365) علي بن اسماعيل ابن حرزهم الفاسي

علي بن اسماعيل بن محمد بن عبد الله ابن حرزهم ، الفقيه الصالح ، الزاهد الورع الناصح ، العالم العلامة الفاضل ، الوليُّ العارفُ الكامل ، ذو الأنوار الساطعة ، والبراهين القاطعة ، الترياق النافع ، لمَن أتى ضريحه بقلب خاشع .

ولد رحمه الله بفاس ونشأ بها ، وكان فقيهاً من كبار الفقهاء ، حافظاً للفقه ، فاضلا دينياً ورعاً زاهداً في الدنيا ، متقشفاً سالكاً سبيل أهل التصوف ، ذا كرامات وفراسات ، وكان ينحو طريقَ الملامتية ولم تكن تعرف اذذاك بالمغرب ، فكان اهل البلد ينكرون عليه بعض أحواله ، ولكن لصدقه كانت القلوب مائلة اليه ، وكان معظماً للعلم يوفيه حقه ودرجته ، عارفاً بالحديث والتفسير وغيرهما من العلوم الظاهرة ، لكنه كان أميلَ للعلوم الباطنية ، وكان يقصد من البلدان للقراءة عليه ، ورحل الى مراكش فدرس بها العلم ، وتوّب بها ناساً ، وزهد اميرها في الدنيا ، وكثر اتباعه وتلاميذه ، واخذ عنه ناسٌ هذا الطريق ففتح لهم ، من جملتهم الشيخ ابو مدين الشهير التربة بأحواز تلمسان سلك على يديه مع الشيخ محمد التاودي دفين خارج باب الجيسة فنجبا ونفذا ، وكانا أخوين في طريق شيخهما ، إماميْن فاضليْن عارفيْن ، ولأبى مدين في طريق القوم تئاليف وتقاييد وحكايات وكرامات ، وهو حسنة من حسنات صاحب الترجمة ، وممن أخذ أيضاً عنه الشيخ ابو يعزى ، ذكر ذلك الشيخ طاهر بن زيان والشيخ محمد العناني والشيخ احمد الفاسي والشيخ يسكر بن موسى الجورائي وغيرهم .

---

46) **تاريخ ابن خلدون** 6 : 337

وكان رحمه الله شريف النفس متواضعاً منقبضاً عن السلطان ، سمحاً، حسن الخلق ، طلق الوجه ، سالمَ الصدر ، مهاباً محبباً الى الناس ، يقبل على الصغير والكبير ، ويجيب مَن دعاه ، لا يحقر احداً ولا يحقد على احد ، ولا يتعاظم على احـد ، وكان يصلُ قرابته وجيرانه وسائر الناس ، ولباسه في الصيف دراعة قطن مصبوغة وطاقية ومئزر قصير على رأسه ، ويزيد في الشتاء دراعة ثانية من قطن (47) .

قال في التشوف وكان يقول اعتكفت على قراءة احياء علوم الدين في بيت مدة من عام ، فجردتُ المسائل التي تنتقد عليه وعزمت على حرق الكتاب ، فلما نمت رأيتُ قائلا يقول : جردوه واضربوه حدّ الفرية ! فضُربت ثمانين سوطاً ، فلما استيقظتُ جعلتُ اقلب ظهري وكنت اجد الألم الشديد من ذلك الضرب ، فتبت الى الله مما اعتقدت ، ثم تأملت تلك المسائل بعد ذلك فوجدتها موافقة للكتاب والسنة ، حدثني بذلك غير واحد من الثقات عن عبد الله بن عثمان عن علي ابن حرزهـم .

واخبرنا محمد بن علي بن عبد الله الأنصاري عن عبد الله بن عثمان عن علي ابن حرزهم أنه قدم مراكش فاستدعاه بعض الأمراء منها للقراءة عليه والأخذ عنه ،فدخل عليه ابن حرزهم وهو على سريره فجلس تحته ،فقال له أهكذا كنتَ تفعل مع مَن كنت تتعلم منه ؟ فقال له نعم ! فقال له ابن حرزهم : انزل انت الى مكاني واكون انا في مكانك ، وهكذا ينبغي ان يكون المتعلم مع المعلم ، فأجابه الأمير الى ذلك ، فنزل الأمير عن سريره وجلس عليه ابن حرزهم ، فلازمه وأخذه بسلوك طريق الآخرة وامره بالورع وضيق عليه في المكسب ، فلم تتسع حالته الا لخبز الشعير ، فكلم بعضُ التجار ابنَ حرزهم في ان يأكل عنده فكان قوته عند ذلك التاجر ، ثم بعث ذلك الأمير الى الصحراء فجيء اليه بمال موروث ، فاتسع عليهما منه قوتهما .

انتهى كلام التشوف (48) .

47) ما تقدم منقول بالحرف من **سلوة الأنفاس** 3 : 71

48) **التشوف** ص 148 ع 51

وقال السبكي في طبقاته الكبرى في ترجمة الشيخ ابي حامد ما نصه ·
وذكر ان الشيخ علي ابن حرزهم بكسر الحاء المهملة وسكون الراء وبعدها زاي وربما قيل ابن حرازهم لما وقف على الأحياء تأمل فيه ثم قال : هذا بدعة مخالف للسنة ، وكان شيخاً مطاعاً في بلاد المغرب ، فأمر باحضار كل ما فيها من نسخ الأحياء وطلب من السلطان ان يلزم الناس بذلك ، فكتب الى النواحي وشدد في ذلك وتوعد مَن اخفى شيئاً منه ، فأحضر السلطان ما عندهم ، واجتمع الفقهاء ونظروا فيه ، ثم اجمعوا على احراقه يوم الجمعة ، وكان اجتماعهم يوم الخميس ، فلما كانت ليلة الجمعة رأى ابن حرزهم المذكور في المنام كأنه دخل باب الجامع الذي عادته ان يدخل منه ، فرأى في ركن المسجد نوراً ، واذا بالنبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر رضي الله عنهما جلوس ، والامام ابو حامد الغزالي قائم وبيده الأحياء ، فقال يا رسول الله ، هذا خصمي ، ثم جثا على ركبتيه وزحف عليهما الى ان وصل الى النبي صلى الله عليه وسلم ، فناوله كتاب الأحياء، وقال يارسول الله ، انظر فيه ، فان كان بدعة مخالفة لسنتك كما زعم تبت الى الله تعالى ، وان كان شيئاً تستحسنه حصل لي من بركتك فأنصفني من خصمي ، فنظر فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ورقة ورقة الى ءاخره ، ثم قال والله هذا شيء حسن ، ثم ناوله ابا بكر فنظر فيه كذلك ، ثم قال نعم والذي بعثك بالحق يارسول الله انه لحسن ، ثم ناوله عمر فنظر فيه كذلك ثم قال كما قال ابوبكر ، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بتجريد ابن حرزهم من ثيابه وضربه حد المفتري ، فجُرد وضرب ، ثم شفع فيه ابو بكر بعد خمسة اسواط، وقال يارسول الله انما فعل هذا اجتهاداً في سنتك وتعظيماً ، فغفر له ابو حامد عند ذلك ، فلما استيقظ من منامه واصبح ، اعلم اصحابه بما جرى ، ومكث قريباً من شهر متألماً من الضرب ، ثم سكن عنه الألم ، ومكث الى ان مات واثر السياط عن ظهره ، وصار ينظر كتاب الأحياء ويعظمه وينتحله اصلا اصلا ، وهذه حكاية صحيحة حكاها لنا جماعة من ثقات مشيختنا عن الشيخ العارف ولي الله تعالى . ياقوت الشاذلي ، عن شيخه السيد الكبير ، ولي الله ، احمد المرسي ، عن شيخه الشيخ الكبير ، ولي الله ، عني الشاذلي ، رحمهم الله تعالى ورحمنا بهم اجمعين .

انتهى كلامه في الطبقات بلفظه .

قال في المعزى : ثم ما زال علي ابن حرزهم على الأحياء والعمل بما فيه من حين الرؤيا حتى أخذه عنه جماعة من اصحابه الذين تمسكوا بحبه ، كالشيخ أبي مدين ، ويسكر الجورائي ، ومحمد التاودي ، وغيرهم .

وذكر عنه خديمه المعروف بأبي قرن قال : دعا لي الشيخ علي ابن حرزهم بالعفو والعافية ، في الدين والدنيا والآخرة ، وقال ان ربَّ العزة أمنني ، اني رأيته في النوم فقال لي : سل حاجتك ، فقلت يارب اسألك العفو والعافية ، في الدين والدنيا والآخرة ، فقال قد فعلت ، ولذلك دعوت لك بهذا الدعاء .

اخذ رحمه الله عن عدة من الشيوخ ، لكن منهم مَن اخذ عنه علمَ الظاهر فقط ، كالقاضي ابي بكر بن العربي ، ومنهم مَن اخذ عنه على سبيل التبرك والاستفادة كالشيخ يوسف بن محمد بن يوسف التوزي الأصل المعروف بابن النحوي ، والشيخ الفقيه العالم الولي الصالح ، سيدي محمد الخياط دفين حومة الدوح من طالعة فاس ، والشيخ ابي بكر بن عثمان بن مالك ، والشيخ اسماعيل ابن حرزهم الذي هو والده الحسي ، ومنهم مَن اخذ عنه اخذَ ارادة وتحكيم ، وهو عمه الشيخ صالح ابن حرزهم ، فهو شيخه الحقيقي الذي عليه اعتماده ، واليه في طريق التربية والتهذيب استناده ، كما حققه غير واحد ، كصاحب المقصد والالماع وغيرهما تبعاً لسبط الشاذلي في النبذة المفيدة ، وما يوجد عند غير واحد كابن الصباغ في حرز الاتقياء ، والبوصيري في قصيدة له بائية في مدح الشيخ ابي مدين ، وصاحب المنهج الواضح ، والشيخ احمد بن يوسف الفاسي في بعض تآليفه ، وكثير من اهل التصانيف والتقاييد ، من ان صاحب الترجمة اخذ الطريقة عن ابن العربي عن الغزالي عن امام الحرمين عن ابي طالب المكي عن الجنيد ، قال العارف الفاسي فيما وجد بخطه هذا لا يصح، فان اهل الظاهر لا يمتد منهم اهل الباطن ، وكذلك لا يصح امتداد الغـزالي في الباطن من أبي المعالي يعني امام الحرمين وان قرأ عليه علم الظاهر ، وكذلك لا يصح اخذ ابي المعالي عن أبي طالب ولا اخذُ ابي طالب عن الجنيد ، فان المعلوم خلاف ذلك، وانما اخذ ابو طالب عن ابي سالم عن سهل عن الجنيد، انتهى. وهو ظاهر ان اريد اخذ الارادة والتحكيم كما هو مراد العارف ،اما مطلق التبرك

والانتفاع مضموماً الى استفادة علم الظاهر فلا مانع منه ، بل هو حاصل على كل حال لصلاح أهل الظاهر من هذا السند وعـدم حصول الفتح للآخرين حين الشروع في اخذ العلم عنهم ، لكن اخذ ابي المعالي عن ابي طالب وهو عن الجنيد يبطل من جهة عدم صحة النقل والتاريخ فهو غير صحيح .

وقد ذكر الشيخ سيدي طاهر بن زيان ان صاحب الترجمة لبس الخرقة من ابن العربي وهو من الغزالي وهو من امام الحرمين وهو من ابي طالب المكي وهو من ابي عثمان المغربي وهو من ابي عمرو الزجاجي وهو من الجنيد ، ثم قال فمن سيدي علي ابن حرزهم الى هنا يسمى سند التبرك ، وهـو لبس الخرقة تبركاً ، انتهى ، وانظر المقصد .

وله رضي الله عنه كرامات لا تحصى في حياته وبعد مماته ، ويذكر عنه انه لما دخل شهر شعبان الذي توفي في آخره قال لتلاميذه اني لا اصوم مع الناس رمضان المعظم المستقبل وهو صحيح ليس به ألم ، فلم يبق الا ثلاثة ايام من شعبان ، فعجبوا من مقاله ، فمات في آخر يوم من شعبان قبل دخول رمضان عليه ، ولما كان اليوم الذي توفي فيه تطهّر في الحمام وتوضأ وتطيب ، وقال لخدمته الذين كانوا يخدمونه في الحمام وكان من عادته ان يدخله في كل يوم ، لم يبق لكم من خدمتي الا اليوم ، ثم دخل الى بيته فصلى ركعتيْن ونام على فراشه ، فلما حان وقتُ صلاة الظهر اتاه خديمه يوقظه للصلاة فوجده ميتا رحمة الله عليه .

وكانت وفاته بفاس آخر يوم من شعبان سنة تسع وخمسين وقيل سنة ستين وخمسمئة ، ودفن بهذا الخارج في البلاد الموقوفة على دفن الغرباء ، وبنيت عليه قبة كان تاريخ بنائها واسم مَن بناها من امراء بني مرين مكتوباً بنقش في رخامة على ضريحه ، ثم امر السلطان سيدي محمد بن عبد الله العلوي عامله على فاس محمد بن محمد الصفار ان يهدمها وان يبنى عليه اخرى اكبر منها ففعل وبناها عليه وهي القائمة البناء الآن ، وهي قبة عظيمة واسعة الفناء ، حسنة الشكل والبنـاء ، ليس بهذا الخـارج قبة تماثلها في اتساعها وحسن

تنميقها ، وضريحة بها ظاهر معلوم يزار ، وهو مجرب البركة معروف باستجابة الدعاء وقضاء الحاجات .

وقد ذكر في انس الفقير أن للوقوف على قبره بركات ، وقال غيره هو الترياق النافع ، لمن اتى ضريحه بقلب خاشع .

ومما وجدته منسوباً له رضي الله عنه :

واذا اصابتك الشدائد لذْ بنا — نحن الكرام وليس يشقى ضيفُنا
والجأ إلينا وانزلَنَّ بربعنا — انا اناسٌ لا يضام نزيلُنا
ان جاءنا الملهوفُ يشكو ما به — يبشرْ بأن يحظَى سريعاً بالمنى
فاذا دهتْك شدائدٌ ونكائبُ — فاهربْ الينا واقصدَنَّ جنابَنا
واذا اردتَ عنايةً أزليةً — فتعززَنْ بالله ثمَّ بعزنا
ان لم تكنْ منا فحبُّك نافع — رُزِق السعادةَ مَن يفوز بحبنا
فاطلبْ وسلْ عما تريدُ ببابنا — تجدِ الأماني والمواهبَ عندنا
نُعطِي ونمنعُ ان اردنا مَن نشا — او ما ترى ان الا لهَ أمدَّنا
ان غاب عنكم طورنا تحت الثرى — ما غاب عنكم في الحوادثِ سرنا
عارٌ علينا ان نُخيِّبَ قاصداً — لجنابنا ، ما الفضل الا فضلنا
فانا ابنُ حرزُهُمُ بفاسٍ شُهرتي — قطبُ المغارب رابحٌ مَن زارنا
كنْ خالصاً متمسكاً بحبالنا — نحنُ الغيوثُ وليس يُهزم جندنا
واشددْ يديْك على زيارة قبرنا — متواضعاً متخشِّعاً بمقامنا
واخضعْ لنا واحفظْ عهودَ ودادنا — واذا اصابتْك الشدائدُ لذْ بنا

وترجمتُه رضي الله عنه واسعة ، قال في انس الفقير : وقد الّف بعضُهم تأليفاً حسناً في التعريف به وذكر فضائله وعلمه وكراماته (49) .

وممن ترجمه الكتاني في المستفاد ، والتادلي في التشوف ، وابن الخطيب في انس الفقير ، والساحلي في بغية السالك ، وابن القاضي في الجذوة ، واحمد

---

(49) انس الفقير ص 20

السوداني في الكفاية والنيل ، وصاحب الروض والتحفة القادرية ، والسلوة ، وغيرهم ممن لا يُحصَى ، واعاد في النيل ترجمته قائلا ما نصه : علي ابن حرزهم تقدم اول العلويين ، ولكن هذا موضعه ، قال ابن الأبار : منسوب لجده من اهل فاس ، كان عالماً فقيهاً معتنياً بالرواية ، غلب عليه الزهد والورع والتصوف ، دخل الأندلس واخذ عنه جماعة كعلي ابن خيار ، انتهى .

واليه والى والده وعمه السابقيْن اشار المدرع في منظومته بقوله :

والعارف الشيخ ابــو الحسن علي	الكامل ابن حرزهمْ بــدرٌ جلــي
لــه المقــامُ الراســخُ المنيــفُ	والسمتُ والهيبــةُ والتصريــفُ
والشيخُ حرزهُمْ كــذا موجــود	خــارجَ قبــة ابــنــه ملحـــود
وابنُ اخيــه كــان نعمَ الناصــح	لربــه ابــو محمد صــالـــح

وصواب قوله والشيخ حرزهم كـذا موجود : والشيخ اسماعيل قل موجود ، وقوله وابن اخيه كان الخ كذا اخوه وهو نعم الناصح ، تأمل (50) .

1366) علي بن عبد العزيز ابن الرند البجائي

علي ، بن العزيز ، بن المعتزابي عمر ، بن عبد الله ، بن محمد ، ابن الرند ، أصله من جربة من بني صدغيان ، كان ببجايــة في مضيعة يحتــرف بالخياطة ، فبعث اهــلُ تقفصة عليه فقدم عليهم ، وثاروا بعمران بن موسى الصنهاجي عامل الموحدين فقتلوه ، وقدموا المترجم فساس ملكه وحاط رعيته، واغزاه يوسف بن عبد المومن سنة ثلاث وستين وخمسمئة اخاه السيد يحيى فحاصره وضيَّق عليه واخذه واشخصه الى مراكش بأهله وماله ، واستعمل على الأشغال بمدينة سلا الى ان هلك وفنيت دولة بني الرند والبقاء لله وحده .

ذكره ابن خلدون (51) .

---

50) الترجمة منقولة من بدايتها الى نهايتها من **سلوة الأنفاس** 3 : 71 وينظر ايضاً عن ابن حرزهم ، **انس الفقير** (صفحات عديدة) ، **والتشوف** ص 148 ع 51 **وجلوة الاقتباس** ص 464 ع 508 **ونيل الابتهاج** ص 182 **والانيس المطرب بروض القرطاس** ص 265 و 270 و 271 .

51) **تاريخ ابن خلدون** 6 : 339

1367) **علي بن موسى ابن حماد** ، من اهل عدوة سبتة ، سكن غرناطة حين ولي ابوه موسى قضاءها ، ثم انتقل بانتقاله الى قضاء الجماعة بمراكش ، وكان من اهل العلم والأدب والنباهة ، وله يقول علي ابن جودى الأديب يخاطبه :

ابـا حسن وللدنيـا صـروف	يُضعضِعُ من حوادثها ثبيـر
هـلَ انت مشاطـري همـاً عناني	لبعـدك انـه هـمٌ كبيـر
فيـاركبـاً يُخبـر عـن نـواه	أيلفى عنـه في ركـب خبيـر

توفي بفاس سنة اربع وستين وخمسمئة ومولده سنة ثلاث وخمسمئة.

ذكره ابن الأبار ونقله في الجذوة (52) .

1368) **علي بن احمد ابن القابلة الكلبي**

علي بن احمد بن محمد بن عثمان الكلبي ابن القابلة ، روى عن شريح وابن العربي، وكان عالماً متقناً متقدماً في الأصول ، شاعراً مكثراً ، سكن مراكش وبها توفي سنة خمس وستين وخمسمئة .

ذكره ابن الأبار (53) .

وقال في الذيل والتكملة : علي بن احمد بن محمد بن عثمان بن يحيى . شلطيشي ، ابن القابلة ، روى باشبيلية عن ابى بكر بن العربي وابى الحسن شريح وغيرهما ، وبقرطبة وألمرية عن جماعة وافرة من علمائهما وبغيرهما من بلاد الأندلس ، ثم رحل وحج ، واخذ عن ابى الطاهر السِّلَفي ومحمد بن حامد القرشي ، ثم قفل الى الأندلس ، وجلب فوائد ، منها المصابيح لأبي محمد بن مسعود . روايته عن ابن حامد المذكور عن المصنف ، فنزل قرطبة سنة تسع وثلاثين ، وصادف الفتنة التي أثارها اخوه ابوبكر محمد الثائر بمارتلة على اللمتونيين ، فخاف الحاجُ على نفسه واختفى اشهراً بقرطبة عند صديقه ابى

---

52) **جذوة الاقتباس** ص 479 ع 537

53) **التكملة** ص 667 ع 1859 (طبع مدريد)

بكر ابن عتيق بن مومن لخُلة كانت قد تأكدتْ بينهما أسبابُها ، فأخذ عنه حينئذ ابو الحسن بن ابى بكر بن مومن ، واشتدَّ اسفُه على اخيه وما نشب فيه ، ثم تأتّى له الفصول عن قرطبة ، فخرج متردداً في بلاد الأندلس من مارتلة وشلطيش ، ثم قصد مراكش فاستوطنها ، وكان من احسن الناس خَلْقاً وخُلُقاً، مشاركاً في فنون من العلم : الحديث والفقه وأصوله وعلم الكلام والطب شاعراً مجيداً سريع الخاطر ، مكثراً ، نبيل المقاصد ، كاتباً بليغاً ، ووصل الى مراكش بعد قتل اخيه مُتسبباً لصرف املاكه عليه ، فمرض بها وتوفي سنة خمس او ست وستين وخمسمئة .

انتهى من الذيل والتكملة (54) .

وسيأتي ذكر علي بن محمد بن علي بن محمد الكتامي المراكشي ابو الحسن العشبي وابن القابلة .

وممن يعرف بابن القابلة ابو النجم المبارك بن الحسن بن طراد الباماوردي الفرضي الحنبلي المتوفى سنة 571 ودفن بمقبرة الطبري بقرية الرادمان ظاهر بغداد المترجم في الشذرات .

وقال في نفح الطيب ما نصه : وذكر ابن بسام في الذخيرة انه اجتمع ابن عبادة وابن القابلة السبتي بألمرية ، فنظرا الى وسيم يسبح في البحر وقد تعلق بسُكان بعض المراكب ، فقال ابن عبادة أجز :

انظر الى البدر الذي لاح لك

فقال ابن القابلة :

في وسط اللجة تحت الحلك

قد جعل الماء سماء له واتخذ الفُلك مكان الفَلَك (55)

وقال الشريشي في شرح المقامات ص 21 ج 1 قال ابن القابلة السبتي وجنس قوافيه :

---

54) **الذيل والتكملة** 5 : 175 ع 346 ، وينظر عنه ايضا **صلة الصلة** ص 98 ع 200

55) **نفح الطيب** 3 : 610 وهو ينسبها لابن القابلة السبتي .

الشيب في مفرقي حلا — وعقد عهد الملاح حلا
وكان كالأبنوس رأسي فما — حتلب عاجلا فحلا
وحرمت وصلي الغواني — وقلن قتل العميد حلا

ثم قال ص 106 منه : وقال ابن القابلة السبتي في غلام رفاء .

يارافياً قطع كل ثوب — ويارشا حبه اعتمادي
عسى بخيط الوصال ترفو — ما قطع الهجر من فؤادي

ثم قال ص 114 ج 2 ولابن القابلة السبتي :

ووجه حبيب رق حسناً اديمه — يرى الصب فيه وجهه حين ينظر
تعرض لي عند اللقاء به رشا — تكاد الحميا من محياه تقطر
ولم يتعرض كي اراه ، وانما — اراد يريني ان وجهك اصفر

1369) علي بن محمد ابن الاشبيلي

علي بن محمد بن خليد عرف بابن الاشبيلي ، سكن المرية ، وأخذ عن احمد ابن ورد ولازمه ، واتقن علم الأصول وبرع فيها ، وكان خطيباً مفوهاً وافر الحرمة ، اخذ عنه عبد الرحيم ابن الملجوم وعثمان بن عبد الله السلالجي .

توفي بمراكش سنة سبع وستين وخمسمئة .

ذكره في التكملة (56) .

وقال في الذيل والتكملة : علي بن محمد ابن خليد اللخمي ، سكن المرية ثم مراكش ، ابن الاشبيلي ، اخذ عن احمد ابن ورد واختص به ، أخذ عنه السلالقي ، وعبد الرحيم ابن الملجوم ، وكان حافظاً للفقه نافذاً في اصوله ، متحققاً بعلم الكلام ، خطيباً بليغاً ، وله مصنف سماه المعراج ، قدم به على عبد

(56) **التكملة** ص 668 رقم 1862 (طبع مدريد) وفيها : علي بن محمد بن خليل باللام

المومن بن علي وهو محاصر أغمات وريكة في جمادى الأولى سنة احدى واربعين وخمسمئة ، فحظي عنده واكرم وفادته ، ورقاه الى رتب عالية نال بسببها دنيا عريضة وجاهاً مديداً .

توفى بمراكش سنة سبع وستين وخمسمئة (57)

1370) علي بن احمد ابن يعيش الزهري الباجي

علي بن احمد بن عبد الرحمان بن احمد بن عبد الرحمان ابن يعيش الزهري من ولد عبد الرحمان بن عوف ، الباجي ، قاضي اشبيلية ، سمع أبا القاسم الهوزني وشريح بن محمد وابن العربي ، وناظر في المدونة عند ابي مروان الباجي ، وفي العربية عند ابي الحسن ابن الأخضر ، وسمع بقرطبة ابا محمد ابن عتاب وابن بقي وابا الوليد ابن طريف وطائفة ، وكتب اليه آخرون منهم ابو علي الصدفى اجاز له في سنة 512 .

وكان فقيهاً مشاوراً محدثاً متقدماً بنفسه وبشرفه ، له تأليف في مناسك الحج .

حدث عنه ابوبكر ابن خير وابو عمر ابن عياد وابوبكر ابن ابي زمنين وابو الخطاب ابن واجب ، وءاخرُ مَن حدث عنه ابنه عبد الرحمان .

توفي في (منتصف) ربيع الأول سنة سبع وستين وخمسمئة ، وولد بآخر سنة تسعين واربعمئة ، وكانت جنازته مشهورة .

ذكره ابن الأبار في التكملة والمعجم ، واسند من طريقه فيه حديث انس بن مالك رضي الله عنه ، قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتزعفر الرجل .

---

57) **الذيل والتكملة 5** : 304 ع 589 ، وانظر ايضاً **صلة الصلة** ص 101 ع 205

وذكر في الحلل الموشية ان ابا الحسن الزهري من وفد اشبيلية الوافدين على عبد المومن بن علي صحبة ابى بكر بن العربي في وجهته الى المغرب التي قدم فيها لمراكش (58)

1371) **علي بن محمد المفسر الغرناطي** ، قدم مراكش ، ونزل بالجانب الشرقي منها ، وبها مات عام سبع وسبعين وخمسمئة ودفن خارج باب الدباغين.

صحب الامام ابابكر بن العربي فرآه مقتصراً على علم التفسير ، فقال ان هذا سيكون له شان ، وكان علي (المترجم) زاهداً في الدنيا منقبضاً عن اهلها يجتمع اليه الناس فيفسر لهم القرآن من اوله الى آخره ، فنفع الله به خلقاً كثيراً .

وقال في التشوف : سمعت احمد بن محمد الكلابي رحمه الله يقول كان علي (المفسر) يحمل خبزه الى الفرن ، ويشتري الشيء من السوق ويحمله بنفسه ، فلقيته يوماً وهو يحمل الخبز الى الفرن فرغبت اليه ان اخذه عنه واكفيه مؤنة حمله ، فأبى علي وقال يابني مَن حمل سلعته بريء من الكبر (59)

1372) علي بن عبد الرحمان بن ابي جنون التلمساني

علي بن عبد الرحمان المعروف بابن أبي جنون ، وجنون بين الجيم والقاف ، قاضي الجماعة بمراكش ، وداره تلمسان ، روى عن ابى علي الصدفى وابن ابى تليد وابى عبد الله الخولاني ، وله مختصر في اصول الفقه سماه بالمقتضب الأشفى ، من أصول المستصفى ، وكان حياً في آخر عشر الثمانين ، وخمسمئة ، وقيل توفي سنة سبع وسبعين وخمسمئة ، وهو احد المعمرين من رواة ابي علي .

واسند ابن الأبار في المعجم من طريقه حديث عبد الله بن ابي اوفى : غزوت مع النبي صلى الله عليه وسلم سبع غزوات نأكل الجراد .

---

58) **التكملة** ص 668 ع 1861 طبع مدريد ، **ومعجم اصحاب الصدفي** ص 297 ع 268 **وصلة الصلة** ص 100 ع 204 **والحلل الموشية** ص 147 طبع الدار البيضاء .

59) الترجمة منقولة بالحرف من **التشوف** ص 226 ع 95

وكان عالماً سيداً جواداً ، روى عنه ابو عبد الله بن عبد الحق التلمساني وعقيل ابن عطية وابو الخطاب ابن الجميل .

ترجمه ابن الأبار ، وبسط ترجمته في الذيل والتكملة (60)

1373) **علي بن محمد ابن خيار** ، اصله من بلنسية وسكن مدينة فاس ، سمع ابا عبد الله ابن الرمامة واكثر عنه ولا زمه سنين وتفقه عليه ، وسمع ايضاً ابا الحسن ابن حنين ، وابا عبد الله ابن الفخار بمراكش ، وعلي بن ابي جنون بتلمسان ، وكان فقيهاً مشاوراً تاركاً للتقليد ، مائلا الى النظر ، مشاركاً في فنون من العربية وعلم الكلام واصول الفقه والتصوف ، واخذ عنه في سنة احدى وستمئة ، ومولده في رمضان سنة احدى واربعين وخمسمئة ذكره ابن الأبار ، ونقله في الجذوة ، وذكره في الذيل والتكملة ، ولم يذكر تاريخَ وفاته ايضاً وجعل في الذخيرة السنية وفاته سنة خمس وستمئة في رمضان بفاس ، وانه سمع ابا القاسم ابن بشكوال ، واخذ عن ابى بكر ابن خير صحيح مسلم ، وسمع عبد الله بن عبيد الله بسبتة ، وهو القائل هاذين البيتيْن (طويل) :

نجدد نسياناً كذا كلُّ هالك ونأمن أحياناً ولم يأتنا أمن
فانّا ولا كفرانَ لله ربّنا لكالبُدنِ لا تدري متى يومُها يدنو (61)

1374) **علي بن يحيى القلني**

علي بن يحيى بن سعيد الكاتب القلني ، اصله من الثغر الشرقي ، سكن تلمسان ، وتجول بالمغرب ، وسكن مراكش ، قال في الجذوة : ودخل في غالب الظن مدينة فاس ، وله سماع من ابى عبد الله التجيبي ، وقد روى عنه قوله :

---

60) **التكملة** ص 685 ع 1916 (طبع مدريد) **ومعجم اصحاب الصدفي** ص 300 ع 271 **وصلة الصلة** ص 146 ع 294

61) **التكملة** ص 686 ع 1917 طبع مدريد ، **وجذوة الاقتباس** ص 483 ع 546 ، **والذخيرة السنية** ص 44

وراعيــة للشيب راع طلوعــهـــا ... فأنزلتُها بالقصر في المنزل الأقصى
وقال لسانُ الحال مهــلا فاننـــا ... أتينا كثيراً لا نُعدُّ ولا نُحصَى (62)

1375) **علي بن عمر الدرعي** ، تلميذ علي القطان ، قدم مراكش ، وتوجه الى مكة وعاد الى بلده بوادي درعة ، فمات به عام ثمانية وستمئة ، وكان عبداً صالحاً صاحب مجاهدة وأحوال ، وكان لا يفطر الا من يـوم الجمعة الى يـوم الجمعة ، ويواصل أيامَ الأسبوع ، وكان اذا غلب عليه الحال سال دمُه من أنفه لشدة وجده :

اذا انا واصلت الصبا عاد بردهــا ... ومـــن حــرِّ أنفــاسي علي لهيــب
وقد اكثرت فيَّ الأطبــاءُ قولَهـــم ... ومـــا لـــيَّ إلا أن أراك طبيـــب
يسالم قلبي الهـــم فهــو حليفُـــه ... وبين جفوني والرقاد حــروب (63)

1376) علي بن محمد ابن خروف الحضرمي الاشبيلي (64)

علي بن محمد بن علي بن محمد الحضرمي ، ابو الحسن ابن خروف الاشبيلي ، اخذ القراءات عن قاسم ابن الزقاق ، وأبي بكر ابن صاف ، وسمع من ابي عبد الله ابن مجاهد ، وابى بكر ابن خير ، وجماعة ، وأخذ العربية عن

62) **جلوة الاقتباس** ص 484 ع 547

63) **التشوف** ص 425 ع 233

64) خلط المؤلف هنا خلطاً شائناً بين علي بن محمد ابن خروف الحضرمي الاشبيلي النحوي المتوفى باشبيلية عام 609 هـ وبين علي بن محمد ابن خروف القيسي القرطبي الشاعـر المتوفى بحلب متردياً في بئر عام 620 هـ فجعل من ترجمتيهما ترجمة واحدة ونسب للأول ما للثاني ، مما لا يصح اثباته — ولو مع التنبيه على الأخطاء — بدعوى امانة النقل ، ويكفي دلالة على الخلط قول المؤلف في الأصل بعد ذكر اسم المترجم (ضياء الدين ونظامه ، من اهل اشبيلية يعرف بابن خروف ، الأديب القيسي القرطبي القيذافي الحضرمي الشاعر النحوي) .

فـان الاشبيلي غير القيذافي القرطبي ، والقيسي غير الحضرمي ، والنحـوي غير الأديب الشاعر ، كما ان ابن خروف الاشبيلي الذي دخل مراكش لا يلقب بضياء الدين ولا بنظام الدين ، فهذان اللقبان اطلقا على ابن خروف الشاعر القرَطبي بعد ما سافر الى المشرق والذي لم يثبت لـه دخول الى مراكش ، لهذا ضربنا صفحا عما اورده المؤلف مخلوطاً ، ونقلنا ترجمة ابن خروف النحوي الاشبيلي الذي دخل مراكش عن التكملة لابن الابار ، ثم اردفناها بترجمته نقلا عن الذيل والتكملة لابن عبد الملك المراكشي ، كما هي عادة المؤلف .

ابراهيم ابن ملكون وغيره ، وكان إماماً في صناعة العربية ، مشاركاً في علم الكلام واصول الفقه ، وله شرح على كتاب سيبويه جليل الفائدة ، وله شرح جمل الزجاجي ، وكتاب في الفرائض ، وكتابُ الرد في العربية على عبد الرحمان السهيلي وعلى جماعة ، وله رد على ابى المعالي الجويني ولم يصب في رده . وكانت العربية بضاعته وصناعته ، وأقرأ الناس بعدة بلاد ، ثم اختل وتوفي بعد مدة سنة 609 (65) .

وقال ابن عبد الملك في الذيل والتكملة :

علي بن محمد بن علي بن محمد ابن خروف الحضرمي ، اشبيلي أبو الحسن الدريدنه ، تلا بالسبع على ابي بكر بن صاف وقاسم ابن الزقاق ، وروى الحديثَ عن أبي بكر ابن خير وابن زرقون وابي عبد الله ابن الرمامة وابي عبد الله ابن المجاهد وتفقه بهما ، وابي القاسم ابن بشكوال وابي محمد ابن عبيد الله وابي مروان ابن قزمان ، واخذ علم الكلام واصولَ الفقه عن العارف ابي عبد الله الرعيني ركن الدين وابي الوليد ابن رشد الأصغر ، والعربية والآداب عن ابراهيم ابن ملكون وابي بكر بن طاهر (الخدب) ولزمه ، وعليه اتقن «الكتاب» وعنه لقن أغراضه ، وداوود السعدي والقاسم ابن دحمان .

روى عنه ابو بكر ابن عبد النور ، وابو بكر ابن محلون ، وابو بكر القرطبي ، وابو الحسن الدباج ، وعلي الشاري ، وعلي ابن القطان ، وعبيد الله بن عاصم الدائري ، وابو الخطاب ابن خليل ، وابو عبد الله الرندي المسلهم ، وابو العباس ابن هارون ، وعبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمان المصمودي ابن رحمون ، وابو محمد بن قاسم الحرار ، وحدثنا عنه من شيوخنا ابو الحسن واخوه ابو محمد الرعينيان ، وابو زكريا ابن عتيق وابو علي الماقري.

وكان مقرئاً مجوداً حافظاً للقراءات ، نحوياً ماهراً ، عددياً فرضياً ، عارفاً بالكلام واصول الفقه ، وقد صنف في كل ما ينتحله من العلوم مصنفات مفيدة شرقت وغربت ، وتداول الناسُ انتساخها رغبةً وشهادة بجودتها ،

65) التكملة ص 676 ع 1884 (طبع مدريد)

وكـان كثيرَ العنايــة بالرد على الناس ، .فرد على امــام الحرمين ابي المعالي النيسابوري في كتابه : الارشاد والبرهان ،وعلى ابي الحسين ابن الطراوة في مقدماته على ابواب الكتاب ، وعلى الأعلم في رسالته الرشيدية ، وغيرها ، وعلى ابي محمد ابن حزم في بعض مقالاته ، وعلى ابراهيم ابن ملكون وابي الوليد ابن رشد وعبد الرحمان السهيلي في مسائل كثيرة ، وعلى ابي جعفر ابن مضاء وعلى غيرهم من اهل عصره ، وشرح كتاب سيبويه وسماه : «تنقيح الألباب ، في شرح غوامض الكتاب» و «جمل الزجاجي» ، وله مصنفات في القراءات مستجادة ، وكان وقت طلب العلم مختصاً بخدمة شيخه رئيس النحاة ابي بكر ابن طاهر ، فيذكر انه غاب على بعض كتبه وهما حينئذ بفاس فسجن من اجل ذلك ، ولم يزل القاضي ابو محمد بن عمر ابو القاضي ابي حفص يتلطف في امره حتى سرح ، وازال ما حدث بسبب ذلك من الوحشة بينه وبين شيخه ابي بكر بن طاهر ، وعاد الى خدمته والقراءة عليه كما كان .

وكان علي ابن خروف رحمه الله صرورة لم يتزوج قط الى أن توفي ، وكان يقول : والله ما حللتُ مئزري قط على حلال ولا حرام (66) وكان مشهوراً بالصدق وطهارة الثوب والصيانة والعفاف ، متجولا عمره على البلدان ، يديـر بضاعة له كانت في تجارة اكثرها في اقامة اواني الخشب المخروطة ، واكثر ما كان يتردد بين رندة اشبيلية وسبتة وفاس ومراكش ، فمتى حل ببلد شرع في اقامة ما يقيمُ من ذلك ان كان بلد اقامة ، او بيعه ان كان بلد بيع ما اقامه بغيره ، وانتصب لتدريس ما كان لديه من المعارف ريثما يتم غرضه في البيْع والاقامة ، ويستوفي الجُعْلَ على الاقراء من الطلبة ، ولا يسامح احداً في القراءة عليه الا بجُعْل يرتبه عليه ، ثم يرحل ، هكذا كان دأبه ، وكان وقور المجلس مهيباً ، ورفع الى الناصر من بني عبد المومن نسخة من «شرح كتاب سيبويه» بخطه في أربع مجلدات ، فأثابه عليه بأربعة آلاف درهم من دراهمهم ، وقد رأيتُ هذه النسخةَ واخرى بخطه ايضاً ، وذكر لي بعض الرحالين أنه رأى بمدرسة الفاضل البيساني من القاهرة نسخةً بخط المنصف في مجلد واحد ، وقد انتسخ كثيرا لنفسه ولرؤساء عصره .

---

(66) مسكين ! عوض الله له في الآخرة

وقال شيخنا علي الرعيني : كان جامداً على ما لُقن عن ابن طاهر ، قليل التصرف ، بكيء العبارة ، متسرعاً لانكار ما لا يعرف ، قال : وكانت بينه وبين شيخنا ابي علي الرندي رحمهما الله ، مناقضات في مسائل من العربية انشقه ابو علي فيها الخرذل ، فما قام معه ولا قعد .

وقال لي شيخنا ابوزكرياء ابن عتيق ، كان شديد الضجر عند تتبع البحث معه والمساءلة ، فعهدي به مرات اذا ضويق في المجالس يأخذ قُرقَيْه ويقوم من مجلسه دون سلام ولا كلام ، ويتخطَّى ما يقابله من الحلقه ، ثم يرد وجهَه الى الطلبة ويقول لهم : ما أراكم عزمتم على اكمال قراءة «الكتاب» ما اخذتم انفسكم بهذه المآخذ ، او نحو هذا من القول ، ثم ينصرف .

وأصابه قبل موته خدر واختلاطُ عقل ادى ذلك الى أن ثقف القاضي باشبيلية حينئذ ابو محمد ابن حوط الله أو ابو حفص بن عمر ، وقيل ابو محمد عبد الحق — ولايصح — مالَه وحجر عليه ، فقصده معترضاً له متظاهرا بالسلامة من الاختلال ، واستطال عليه بلسانه واغلظ عليه في القول ، فلم يسع القاضي الا صرفه مبروراً ، والاحتياط عليه رعْياً لشاخته ، ورحمةً له وشهرة مكانه قبل من العلم والدين ، قال ابو العباس ابن هارون : رأيتُه في تلك الحال ماشياً في ازقة اشبيلية ذاهلا حافياً لايشعر بما هو فيه .

وتوفي باشبيلية في العشر الوسط من جمادى الآخرة ، وقال ابن الأبار ، في صفر تسع وستمئة ، ابن ثمانين سنة أو نحوها (67) .

1377) **علي بن ابى بكر الهروي الموصلي** ، السائح ، طاف بلاد المعمور شرقاً وغرباً ، وألف الاشارات ، الى معرفة الزيارات ، ابتدا فيه من مدينة حلب ، وكتب ما رءاه براً وبحراً من المزارات المتبركة والمشاهد ، وذكر انه لم ير

---

67) **الذيل والتكملة** 5 : 319 ع 635 ، وينظر عنه ايضاً : **برنامج ابن الفخار الرعيني** ص 81 ع 28 **وجذوة الاقتباس** ص 484 ع 548 **والجامع المختصر** ص 306 **وفوات الوفيات** 2 : 160 ع 311 وفيه خلط ، **وبغية الوعاة** 2 : 203 ع 1793 وفيه ايضاً خلط ، **وصلة الصلة** ص 96 (خ) ، **ووفيات الأعيان** 3: 335 ع 451

كثيراً مما ذكره اصحاب التواريخ ببلاد الشام والعراق وخراسان والمغرب واليمن وجزائر البحر ، ولاشك ان قبورهم اندرست ، وذكر ان ملك الفرنج ، أخذ كتابه ورغب في وصوله اليه فلم يجب ، ومنها ما غرق في البحر ، وانه زار اماكن ودخل بلاداً من سنين كثيرة فنسي اكثر ما رءاه واعتذر عنه ، مع انه ذكر زيارات الشام وبلاد الأفرنج والأرض المقدسة وديار مصر والصعيدين والمغرب وجزائر البحر وبلاد الروم والجزيرة واطراف الهند والحرمين واليمن وبلاد العجم ، وهذا مقام لا يدركه احد من الساعين والزهاد الا رجل كال الأرض بقدميه ، واثبت ماذكره بقلبه وقلمه .

توفي في رمضان سنة احدى عشرة وستمئة .

ذكره في الوفيات ، والشذرات ، وفي الكشف ، وفي كتاب مدنية العرب في الجاهلية والاسلام للأستاذ محمد رشدي الجركسي جنساً الحتكوي اصلا المصري موطناً ، المطبوع سنة 1329 (68) .

وقد وقفت على كتاب الزيارات له ، اوله : الحمد لله حق حمده ، والصلاة والسلام على خير خلقه ، فيه من الصفحات 60 وذكر انه اقتصر على زيارات الشام وذكر الأنبياء عليهم افضل الصلاة والرحمة ، وانه لو جمع اسامي الصالحين والعلماء في عراق العجم وخراسان وما وراء النهر وبلاد فارس واذربيجان وبلاد المغرب لكانت مجلدات ، ثم قال : واكثر كتبي اخذها الافرنج وغرقت في البحر، بل عملت كتاباً مفرداً لهذا اذكر فيه ما اقدر عليه واصل اليه ، وسميته كتاب الأرض ، ذات الطول والعرض ، فمن اراد ذلك فليطلبه فيه

وهو مدفون بظاهر حلب .

1378) **علي بن يسومر الدكالي المعروف بالعربي**، من اهل الجانب الشرقي من مراكش ، وبه مات عام اثني عشر وستمئة ودفن خارج باب الدباغين ، وكان عبداً صالحا ، وكان سبب موته انه بات في سماع ، فأصابه وجد شديد مرض منه فمات رحمه الله تعالى .

---

(68) **وفيات الاعيان** 3 : 346 ج 459 ، **وشذرات الذهب** 5 : 48

قال في التشوف : سمعت علي العربي يعني المترجم يقول : رأيت في النوم كأن القيامة قد قامت ، ورجلان متقابلان يناديان أين حملة القرآن ؟ وهم يمرون بينهما ، فأردت ان امر معهما فمنعاني ، فقلت لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، ان لي كذا وكذا صاحباً من حملة القرآن ، فكيف لا اعد فيهم ؟ فتبسما وتركاني ، فمررت بينهما .

وحدثنى علي العرَبي قال : لما رجعتُ من المشرق الى بلد المغرب ودخلت الصحراء من الأسكندرية ، فعضَّني كلب بالصحراء فلم اتألم بذلك الى ان دخلت طرابلس المغرب ، فانتفختْ رجلي ومرضتُ بها مدة الى ان استرحت، وبت معه ليلة في جماعة من الاخوان في الله عز وجل ، فذكرت قوله : (وان من شيء الا يسبح بحمده ، ولكن لا تفقهون تسبيحهم) ، وذكرتُ الحديث الذي ذكره مسلم في صحيحه ، عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نملة قرصت نبياً من الأنبياء ، فأمر بقرية النمل فحرقت ، فأوحى الله تعالى اليه : أفي أن قرصتك نملة اهلكت امة من الأمم تسبح ! فقال لي علي العربي اعتكفت في رابطة مدة وواصلتُ اياماً ، فخرجت انظر الى السماء ، فسمعتُ كل شيء يُسبِّح حتى الحجارة ، والقرمد والآجر والتبن الذي في الحيطان ، فقلت له وانت تُحقق تسبيحَها ؟ فقال لي نعم ، فمازال كذالك الى ان دخلت في البيت وهو على حالته .

سبحان مَن بهر العقول جمالُه ... وبدت به اسرار كل كمال
فالواصلون رأوا به افعالَه ... والسالكون رأوه بالأفعال (69)

1379) علي بن سليمان ابن تبال الجواهري

علي بن سليمان بن ابراهيم ابن تبال النفزي الجواهري المراكشي الدار السبتي المولد ، حج وأخذ بمصر عن جماعة ، وأجاز له البوصيري وغيره ، وقتل مظلوماً بمراكش سنة اربع عشرة او خمس عشرة وستمئة .

ذكره ابن الأبار (70)

69) كل ما تقدم منقول بالحرف من **التشوف** ص 441 ع 250

70) الترجمة منقولة بالحرف من **التكملة** ص 686 ع 1919 طبع مدريد

1380) **علي بن محمد بن يوسف الفهري اليابري**، الضرير ، نشأ بقرطبة، وأخذ القراءات بغرناطة عن عبد المنعم ابن الخلوف سنة ثمان وستين، وباشبيلية عن ابى بكر ابن خير ، ونجبة بن يحيى ، وسمع منهم ومن احمد ابـن مضـا فأكثر عنه واجاز له السّلفي وجماعة ، وكان محققاً للقراءات ، ذكياً ، ادب ولد السلطان بمراكش ونال دنيا عريضة وحدث .

وتوفي سنة سبع او ثمان عشرة وستمئة .

ذكره في التكملة (71) .

وقال في الذيل والتكملة :

علي بن محمد بن يوسف بن عبد الله الفهري ، قرطبي ، يابري الأصل حديثاً ، طليطلي اصل السلف قديماً ، سكن سلا ثم مراكش ، الفهمي ، تلا في اشبيلية بالسبع على ابي بكر ابن خير وابي الحسن نجبة ، وبغرناطة عن ابى عبد الله ابن عروس وعبد المنعم ابن الخلوف سنة ثمان وستين وخمسمئة ، وسمع منهم ومن ابى عبد الله ابن الغاسل واحمد ابن مضا واكثر عنه ، واجاز له من أهل الأندلس ابراهيم ابن فرقد وابو الربيع الخشني وعبد الرحمـان السهيلي وابو عبد الله القباعي وخلف ابن بشكوال وابو القاسم ابن الحاج وأبو محمد ابن عبيد الله وسواهم ، ومن اهل المشرق ابو الطاهر السّلفي وابن عوف.

روى عنه ابو عبد الله ابن سلمة الشاطبي ابن الأديب ، وابو عبد الله بن علي البطليوسى الموصلي .

وكان حافظاً للقرءان العظيم مجوداً له عارفاً بالقراءات قائماً عليها ، ءاية من ءايات الله في حسن الصوت ، اخذ بطرف صالح من العربية ، ذا حظ من رواية الحديث ، ذكياً فهِماً يقِظاً ضريراً ، واجتاز المنصور من بني عبد المومن به يوماً وهو يقرأ بمقبرة على جاري عادته ، فأخذ بقلبه طيب نغمتـه وحسن ايراده ، فقربه واستخلصه ، وامره بتعليم اولاده ، وقراءة حزب من التراويح

71) **التكملة** ص 678 ع 1892 طبع مدريد

في رمضان ، فكان يقرأه بحرف عاصم ويوثره على غيره ، ثم خبر احوالَه وعرف صونَه وعفافَه فأمره بتعليم بناته ، فاستعفاه من ذلك معتذراً بأنه يدرك بعض التفرقة بين الألوان ، فأحظاه ذلك عنده لما تحقق من صدق نصحه وألزمَه تعليمَهن ، وكان ذلك سبب اثرائه وسعة حاله واقتنائه الرباع الجيدة الكثيرة بمراكش وغيرها ، وانتهى استغلالُه من رباعِه بمراكش وحدها خمسمئة درهم من دراهمهم في اليوم الواحد ، واليه يُنسب الحمام الذي بالعدوة الشرقية من ساقية مراكش على المحج الأعظم منها والعقار المجاور له .

ولما توجه المنصور الى سلا مستصحباً اولاده امرهم بالكون مع ابى الحسن هذا وألحف به ، فلما برز اهل سلا للقاء المنصور رأى بعضهم ابا الحسن هذا يحفُ به ابناءُ المنصور ويعظمونه ويوقرونه فقال هكذا ينبغي ان يرجع الغريب الى وطنه والا فلا .

ولما شرع في بنائه المشار اليه — وذلك في ايام الناصر بن المنصور — عرض لـه ملك احـد جيرانه مما يصلح بنـاءه ، فـرام شراءه منه فامتنـع من بيعه الا بزيادة كثيرة على قدر قيمته ، فأجرى ذلك ابو الحسن مع مَن اوصله الى محمد الناصر ، فذكر الناصر لأهل مجلسه في معرض العتب لهم وقال لقد فرطتم في حق شيخنـا ومعلمنا ومعلم اخواننا واخواتنا علي الفهري الفهمي ، فقالوا وما ذلك؟ واينا يجهل مكانتَه ولا يعرف قدره ويوفي حقه ؟ فقال لهم اراد شراء ملك يحسن له ما يريد بناءه فلم تسعَوا له في تملكه ، فقالوا ان مالكه اشتطَّ في ثمنه كثيراً فقال يُشتَرى له بما عزَّ من الثمن وهان ويرضى صاحبه وتقضى حاجة الفهمي ، فقالوا انه لا ينقاد الى شرائه بالثمن الذي عينه مالكه ، فقال يالَلْعَجب ، أتحوجونه الى دفع ثمنه من تلقاء نفسه وصلب ماله ؟ هـلا دفعتم ثمنه من أموالكم وتقربتم بذلك الى مرضاة ابي الحسن وتقمن مسرته ، فذلك الذي يسرنا ويرضينا ، فانفصلوا عن المجلس وابتاعوا ذلك المال من ربه بما ارضاه ، وحازه ابو الحسن وحسن به ما كان قد قصد الى تحسينه من ذلك البناء ، وانما اراد محمد الناصر بهذا كله تبيينَ مكانتـه عنده والا شهادةَ بتمكن حظوته لديه ، والا فقد كان يكله الى شرائه لنفسه او يأمر له بثمنـه من مالـه .

وتحصّل له بالهبة من بني يعقوب المنصور وحاشيته ووزرائه وعُماله من الأموال والكتب النفيسة والذخائر ما لا يُحصَى كثرة ، فانه كان شديد الكدية كثيرَ إعمال الحيل في ذلك ، مصانعـاً لتمكنه من جانب اولي الأمـر واختصاصه بهم ، وكان من عادته متى بلغه ان احداً صارت اليه فائدة من جانب السلطان او وليٍ َ ولايةً واستعمل في خطة قصد اليه او بعث رسولا نحـوه يلتمس منه اسهامه في عمالته او منافعِها فلا يسعُه الا اسعافه بذلك .

وحكى الشيخ علي ابـن قطـرال قـال : كانت كُبرى ديـار علي الفهمي القريبة من حمامه قبل تملكه اياها لبعض ذوي قرابة ابى الفضل ابن محشوة الكاتب ، وانه كان قاعداً يومـاً عند بابها ، فاجتـاز به علي الفهمي وتكفّفه فلم يجرِ الله له على يده شيئاً ، وانصرف من عنده خائباً ، ثم دارت الأحوال وترب ربُّ تلك الدار واضطر الى بيعها فتداولها الملاك الى ان صارت الى ابى الحسن الفهمي ، وبينما هو قاعدٌ يوماً بمدخلها وبعضُ العطارين يزنُ هناك فلفلا كان قد ابتاعه ابو الحسن منه او باعه له ، فعرض له ذلك الذي كان رب الدار بالسؤال ، فعرف ابو الحسن صوته فقال لعلّك فلان ، فقال نعم ، فتناول بيده المِلَتَّ الذي يستعمله العطارون في اغتراف اكثر سلعهم ، وحثا له من ذلك الفلفل حثيات كثيرة لها قيمة صالحة ودفعها اليه فانصرف بها ، وحمد اللهَ ابو الحسن على ما خوله من نعمه ، ثم ذكر سؤاله اياه قبل ذلك بباب تلك الدار وتخييبه اياه وصرفه على الوجه الذي كان قد صرفه عليه حسبمـا ذكر ، فسبحان مُديل الأمور الفعال لما يريد .

وله الى الآن عقب بأغمات وريكة خاملون .

وتوفي بمراكش سنة سبع او ثمان عشرة وستمئة ،وتخلف من الكتب ما بيع في زمن المجاعة الشديدة بمئة الف درهم (72) .

72) الذيل والتكملة 5 : 399 ع 674

1381) علي بن احمد ابن ابي قوة الأزدي

علي بن احمد بن ابي قوة بن ابراهيم بن سلمة الأزدي ، داني ، سكن مراكش ، ابو الحسن ابن ابي قوة ، تلا على ابيه وروى عنه وعن عبد الرحمان ابن مغاور وعبد الرحمان ابن القصير ومحمد ابن الفخار وابي القاسم ابن حُبيش ولازمه عشرين سنة ، وابي محمد الحجري ، واجاز له ابو الفضل الغزنوي وابو القاسم البوصيري وابو محمد ابن بري .

روى عنه ابو عبد الله بن مسعود بن محمد المعافري ابو الفتح ، وابو العباس بن محمد بن عبد الله ابن العزام وعمر بن يوسف الأنصاري ، ومحمد الملاحي ، وحدثنا عنه ابو الحسن الماقري الكفيف رحمه الله .

وكان محدثاً مكثراً ثقة ضابطاً عاقداً للشروط مبرزاً في العدالة ، زكياً فاضلا ، بارع النظم والنثر ، رائق الخط ، قويه ، وله ردٌّ على ابن غرسية اللعين في رسالته الشعوبية وغير ذالك من المنشآت ، واستقضي بقصر كتامة .

حدثني الشيخ الحافظ ابو علي الماقري رحمه الله قراءة مني عليه بثغر اسفي حماه الله قال حدثنا الشيخ علي ابن ابي قوة املاء من كتابه ، قال حدثنا القاضي ابو القاسم ابن حُبيش قراءة عليه عن بعض اصحاب ابي علي الصدفي عنه ، قال ابو الحسن وحدثني ابي رحمه الله إجازة عن ابي العباس ابن عيسى وابي اسحاق ابن جماعة عن ابي علي المذكور عن ابي العباس العذري ، حدثنا محمد ابن نوح بالمسجد الحرام عند باب بني مخزوم وقرأته عليه ، وقال حدثنا سليمان بن احمد بن ايوب الطبراني ابو القاسم ، حدثنا المقدام بن داوود ، حدثنا عبد الله بن يوسف ، حدثنا مالك بن انس عن نافع عن ابن عمر قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طعام البَخيل داء وطعام السخي شفاء .

وانشدت على شيخنا ابي علي الماقري وكتب لي من كتابه قال : انشدنا الفقيه علي ابن ابى قوة رضي الله عنه لنفسه :

اردنا طلابَ العلم مع طلب الغنى ... ولم نقتصرْ في الجانبيْن على قسم
ففازت ذوو الشانين كلٌّ بشأنه ... فلا نحن في يُسْرٍ ولا نحن في علم

وانشدت عليه ايضاً وقد كتب لي من كتابه ، قال انشدنا علي ابن ابي قوة ايضاً لنفسه :

ارواحُنــا هي اجنـــاد مجنـــدة　　بالبُعد تنكَّر أو بالقرب تُعتَــرف
فما تناكــر منهــا فهــو مختلــف　　وما تعارف منهــا فهــو مؤتلــف

قال المصنف عفا الله عنه : نظم فيه معنى الحديث المروي عن النبي صلى الله عليه وسلم : القلوبُ جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف ، ومـا تناكر منها اختلف ، خرجه ابو سعيد احمد بن محمد بن زياد بن بشر الأعرابي في معجم شيوخه ، قال حدثنا محمد يعني ابن صالح الأنماطي كيلجه ، قال اخبرنا بكر ، قال حدثنا ابو صالح كاتب الليث ، قال حدثنا الليث عن يحيى بن سعيد عن عمرة عن عائشة قالت ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الأرواح جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف ، وقد تقدمه الى ذلك الحسن ابن هانيء الحكمي ابو نواس ، كما حدثنـا . . . . حدثنـا محمد بن يحيى الصولي ، حدثنـا محمد بن سعيد ، ابــو أمامــة القيسي ، حدثنا ابو المنهال ، حدثنا يزيد بن زريع ، قال رأيت ابا نواس عند روح بن القاسم ، فحدث روح عن سهيل بن ابى صالح عن ابيه ، عن ابي هريرة قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : القلوب جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف ، قال يزيد : فقال لي ابو نواس سأجعل هذا الحديث منظوماً في شعر ، قلت فان فعلت ذلك فجئْني به ، فجاءني فأنشدني :

يا قلبُ رفقاً أجدٌ منك ذا الكلف ؟　　ومَن كلفت به جـافٍ كما تصف
وكان في الحق ان يهـواك مجتهـداً　　بذاك خبَّرنا في الغابـر السلــف
ان القلـوب لأجنـاد" مجنـــدة　　لله في الأرض بالأهـواء تعتـــرف
فما تناكر منهـا فهـو مختلـــف　　وما تعارف منهـا فهـو مؤتلـــف

فقد وافقه كما ترى وقصر عنه في صدر بيته الأول من بيتيْه ، وزاد عليه في عجزه زيادةً لاخفاء بها وبحسنها وتحري معناها .

توفي بمراكش سنة ثمان وستمئة ، وقد ادركت بها بعض عقبه ثم انقرضوا رحمهم الله (73) .

1382) **علي بن عبد الرحمان الهواري** ، من اهل أغمات وريكة ، وكان عبداً صالحاً كثير البكاء من خشية الله تعالى ، وكان اذا سمع كتاب الله تعالى يسمع له عويل ونحيب" ، وكان ذا مال يصرفه في سبيل الخير :

وان امــرءاً لم يصفُ لله قلبُــــه   لفي وحشةٍ من كل نظرة ناظــــر
وان امرءاً لم يرتحلْ ببضاعـــةٍ   الى داره الأخـــرى فليس بتاجـــر
وان امرءاً يبتـــاع دنيـــا بدينـــه   لمنقلب" منهـــا بصفقة خاســـــر

قال في التشوف : حدثني علي بن عيسى بن ناصر قال ، قال لي ابو عبد الله المسفر رأيتُ في النوم ابا الحسن بعد موته وعليه ثياب حسنة كما عهدتُه في الدنيا ، الا اني رأيتُه في صورة شاب ، فلففتُ يدي بردائه وقلت له اريد ان اسألك عن حالك ، فقــال دعني فانى مشغول ، فقلت في نفسي لعله مشغول بحساب ما خوّله الله في الدنيا ، فقلتُ له بمَ انت مشغول؟ فقال لي اوما سمعت قول الله تعالى : (ان اصحاب الجنة اليومَ في شُغلٍ فاكهون) ؟ فنفض يدي من ردائه فذهب فلم ادرِ اين ذهب هـ (74) .

قال في نظم رجاله :

ومنهم عليٌّ كــان ينثــر دمعَـــه   ويبكي على ما مرَّ في سالف العمــر

1383) **علي بن عبد الرحمان ابن الدلال** .

علي بن عبد الرحمان المعروف بابن الدلال ، تلميذ ابي عبد الله الصيقل، صحِب احمد بن عبد الرحمان الجباب ، وكان الجباب يقول من الأولياء صغارٌ

73) الترجمة منقولة بالحرف من **الذيل والتكملة** 5 · 154 ع 313 وانظر ايضـا **التكملة** ص 675 ع 1881 طبع مدريد ، **والمقتضب من تحفة القادم** ص 107

74) ما تقدم منقول من **التشوف** ص 73 ع 65

وكبار ، وكان ابن الدلال من الصغار ، وكان يخدم اهل المحلة التي يسكن فيها ويتصرف في حاجات الضعفاء ويستقي الماء للأرامل ويحمل لهن الخبز الى الفرن .

سمعت محمد ابن الزناتي يقول : سمعت احمد الجباب يقول ، كنت ليلةً مع علي على ظهر المسجد ، فلما كان في الثلث الأخير من الليل نزلت الى البير لأتوضأ فلم اجد دلواً ، فصعدتُ اليه وانا اتأسف ، فنـزل ، ثم ناداني فنزلت اليه ، فاذا صحفة امامه مملوءة ماء ولا دلو معه ، فقال لي هذا ماء للوضوء، فتوضأت وانا أعجب من ذالك .

سمعت محمد ابن خالص الأنصاري يقول : سمعت الجباب يقول خرجت مع علي يوماً الى المقابر خارج باب الدباغين يعني من مراكش ، فرأى قوماً ينظرون اليه وقد توسموا فيه الخير ، فقام الى وادي اغزر وملأ حجره بالحجارة وجعل يلعب بها فغاب عنهم بذلك .

قال الجباب : وحضرتُ معه في جماعة من المريدين فاحتاجوا الى طعام ، فقام مبادراً وقال انا اشتريه لكم ، فلما خرج عنا أنشأت أحدثهم بأخباره ، فلما عاد الينا رايت التغيرَ في وجهه فانقبض عني ، فتلطفتُ في بسطه الى ان انبسط الي ، فقلت له ما هذا التغيُّر ؟ فقال لي مالك تذكر الانسان اذا غاب ، فعلمت انه كوشف بذكري له .

وسمعت محمد ابن خالص يقول سمعت الجبابَ يقول مرض عليٌ مرضَه الذي مات فيه ، فما عرف احد علته ، فلما مات وجد الجنب الذي ينام عليه وقد نفذته الأكلة الى جوفه وما علم احد بذلك :

ان الحبيب الذي يرضيه سفكُ دمى ... دمي حلال له في الحـل والحـرم
ان كان سفك دمي اقصى مرادكـم ... فمـا غلتْ نظرة منكم بسفك دمى
والله لو علمت روحي بمَن علِقـت ... قامتْ على راسها فضلاً عن القدم (75)

75) الترجمة منقولة بالحرف من **التشوف** ص 342 ع 173

1384) **علي بن سحنون بن ميمون الندوجي** ، الشاهد ، حدث عنه صاحب التصوف ، وحضر غسل سيدي يوسف بن علي المبتلَى احد الرجال السبعة بمراكش وشاهد كرامته يبتسم بعد موته حين غسله (76) .

1385) علي بن محمد ابن القطان الكتامي الفاسي

علي بن محمد بن عبد الملك بن يحيى بن ابراهيم بن يحيى الكتامي الحميري من اهل فاس ، قرطبي الأصل ، يعرف بابن القطان ، سمع محمد ابن الفخار واكثر عنه ، وعلي ابن النقرات وابا عبد الله ابن البقال وابا العباس ابن سلمة اللورقي وابا جعفر بن يحيى الخطيب وعيسى الوراق ، وبقرطبة ابا ذر الخشني وزكرياء بن عمر القرطبي وعلي بن مومن ، ومحمد التجيبي ، ويعيش ابن القديم ، وغيرهم ، وكتب اليه ابو جعفر ابن مضآ وابو محمد ابن الفرس ومحمد ابن زرقون وابو الحسن ابن كوثر وابو محمد التادلي وابو محمد بن عبيد الله وابو خالد ابن رفاعة وابو عبد الله ابن عروس وابو محمد ابن فليح وسواهم .

وكان من ابصر الناس بصناعة الحديث واحفظهم لأسماء رجاله واشدهم عناية بالرواية مع التفنن في المعرفة والدراية ، جمع برنامجاً مفيداً في شيوخه . وراس طلبة العلم بمراكش ، ونال دنيا عريضة بخدمة السلطان ، الف كتاب النزع في القياس ، والنظر في احكام النظر ، وشرح أحكام عبد الحق ، وله مقالات في الأوزان وغيرها .

درس وحدث واخد عنه وامتحن في فتنة حدثت بالمغرب اول سنه احدى وعشرين وستمئة ، فخرج من مراكش وعاد اليها واضطرب امره الى ان توفي بسجلماسة وهو قاضيها من علة البطن اول شهر ربيع الأول سنة ثمان وعشرين وستمئة (77) .

---

76) **التشوف** ص 309

77) ما تقدم منقول بالحرف من **جذوة الاقتباس** ص 470 ع 517

ترجمه ابن الأبار (78) ومنها نقلها في النيل والجذوة (79) وهو مالكي المذهب ، صرح به سيدي محمد الحطاب في شرح خليل .

وفي رحلة العبدي الحاجي عند ذكر تقي الدين ابن دقيق العيد ما نصه : و في اول ما رايتـه قال لي كان عندكم بمراكش رجل فاضل ، فقلت له مَن هو ؟ فقال هو علي ابن القطان ، وذكر كتابـه الوهم والايهام وأثنى عليه ، وذكرت له تعقبَ ابن المواق عليه ، وانه تركه في مسودته ، فعانى اخراجَه صاحبنا الفقيه الأديب الأوحد محمد ابن عبد الملك حفظه الله تعالى ، فقال لي ومَن هذا الرجل ؟ فعرفتـه به وما حضر لي من تحليته وما اذكر من تقاييده ومن جملتها تذييله على كتاب الصلة لابن بشكوال ، وانه كتاب متقن مفيد ، فعجب من ذلك وكتب ما امليتـه عليه منه (80) .

وذكر الحافظ في الدرر الكامنة في ترجمة الحافظ مغلطان انه رتب بيان الوهم لابن القطان واضافها الى الأحكام وسماه منارة الاسلام (81) .

وقال ابن ناصر الدين في شرح بديعة البيان ما نصه : وهو حافظ علامة متقن ثقة مأمون ، لكن في قضائه ، فيما ذكره ابن مسدي ، نُقمت عليه اغراض انتهكت فيها اعراض ، له كتاب الوهم والايهام الواقعين في كتاب عبد الحق الأحكام ، ولابن القطان فيه وهمٌ كثير نبه عليه ابو عبد الله الذهبي في مصنف كبير ، ونقل بعضه صاحب الشذرات (82) .

وتقدمت ترجمة محمد ابن المواق وترجمة الحافظ الذهبي في تذكرة الحفاظ ببعض ما في التكملة .

---

78) التكملة ص 686 ع 1920 . طبع مدريد

79) ما في الجذوة و نيل الابتهاج (ص 200) اطول مما في التكملة لابن الأبار .

80) الرحلة المغربية ص 140

81) الدرر الكامنة 5 : 123

82) شذرات الذهب 5 : 128

وقال في صحيفة 192 ج 4 ما نصه : قال ابن مسدى : كان معروفاً بالحفظ والاتقان ، ومن ايمة هذا الزمان ، قرطبي الأصل ، مراكشي الدار ، كان شيخ شيوخ اهل العلم في الدولة المومنية الخ .

قال الذهبي طالعت كتابه المسمى بالوهم والايهام الذي وضعه على الأحكام الكبرى لعبد الحق ، (فوجدته) يدل على حفظه وقوة فهمه ، لكنه تعنَّت في احوال فما انصف .

وفي كشف الظنون بيان الوهم والايهام في الحديث للشيخ علي بن محمد ابن القطان الفاسي المتوفى سنة ثمانٍ وعشرين وستمئة صحَّح فيه عدة احاديث .

وقال في الجذوة لدى ترجمة ابراهيم ابن العشاب عند ذكر مَن اخذ عنه ما نصه : حكى علي ابن القطان انه اجاز له جميع روايته في سنة اثنين وثمانين وخمسمئة .

وقال في ترجمة زكرياء الأنصاري المتوفى عام تسعين وخمسمئة ما نصه : وقد روى عنه علي ابن القطان وغيره ، قال ابن الأبار وقفت على السماع منه سنة سبع وثمانين وخمسمئة ، وقد تقدم عده في اشياخه، هـ. وذكر في ترجمة عبد الله بن محمد بن عيسى التادلي المتوفى بمكناس عام سبعة وتسعين وخمسمئة عن سن عالية ان المترجم من جملة مَن حدث عنه ، وقد تقدم عده ايضاً في اشياخه اول الترجمة ، وذكر في ترجمة على بن احمد بن علي الأنصاري الطليطلي عن ابن الأبار انه اجاز للمترجَم سنة اثنين وثمانين وخمسمئة ، وفي ترجمة علي بن موسى بن علي بن موسى بن محمد بن خلف الأنصاري الساعي ، ويقال فيه علي بن موسى بن القاسم بن علي الأنصاري من اهل جيان يعرف بابن النقرات ان المترجم اخذ عنه ، وتقدم ذلك ايضاً ، وذكر في ترجمة عيسى بن موسى بن محمد الغافقي الوراق المتوفى سنة ست وثمانين وخمسمئة ان المترجم حدث عنه ، وكتب عنه من شعره.

وقال في النفح وحكي ان ابابكر ابن مجبر قال في ابن لعلي ابن القطان بمحضر والده :

جاء وفي يساره	قوس ، وفي اليمنى قدح
كأنه شمس بدت	وصولها قوس قزح
يالائمي في حبه	ما كل من لام نصح

فقال ابن عياش الكاتب : هذه أبيات لأندلسي استوطن المشرق في تركي ، فأقسم ابوبكر انه لم يسمع شيئاً من ذلك وانما ارتجلها ، وقيل انها لأبي الفتح محمد بن عبيد الله من اهل بغداد واولها : جدّ بقلبي ومزح ، فالله اعلم بحقيقة الأمر (83) .

فائدة : علي بن محمد المديني القطان الأيسر ، روى عن ابن مندة وعنه الحسين الخلال مات سنة خمس وستين واربعمئة ذكره في مشتبه النسبة.

فائدة : قال في النفح نقلا عن ابن سعيد في ذيل رسالة ابن حزم في تئاليف اهل الأندلس ما نصه : واما الحديث فكان بعصرنا في المئة السابعة الامام علي ابن القطان القرطبي الساكن بحضرة مراكش ، وله في تفسير غريبه وفي رجاله مصنفات ، واليه كانت النهاية والاشارة في عصرنا ، وسمعت انه كان اشتغل بجمع امهات كتب الحديث المشهورة وحذف المكرر (84) .

ثم ان الامام ابن عبد الملك المراكشي بسط ترجمة المترجم كثيراً قال فيها من الذيل والتكملة :

علي بن محمد بن عبد الملك بن يحيى بن محمد بن يحيى بن ابرهيم بن خلصة بن سماحة الحميري الكتامي ، فاسي ، سكن مراكش ، ابو الحسن ابن القطان . روى عن ابي جعفر قريبه ابي يحيى ابن عميرة الشهيد وابراهيم السنهوري وابي اسحاق الكلاعي ، وابي بكر الفصيح ، وعلي بن أحمد بن علي

---

(83) **نفح الطيب** 4 : 161

(84) **نفح الطيب** 3 : 180

الطليطلي ، وعلي ابن خروف ، وعلي ابن مومن ، وعلي ابن النقرات ولازمه ، ونجبة ، وابي الخطاب ابن واجب ، وابي ذر .... الفهري وآباء عبد الله : ابني الابرهيميين : ابن البقار وابن الفخار .... عبد الرحمان التجيبي وابن علي ابن الكتاني وابن عيسى ابن .... العباس ابن سلمة والقورآي الشاعر وابي عمر ابن عات وابوي القاسم .... وعبد الرحيم ابن الملجوم ، وآباء محمد ابني المحمدين : التادلي وابن السكا .... وعبد العزيز بن ريدان ، وابوي موسى : ابن شعيب الفافقي والقزولي ، وابي يحيى .... بكر بن خلف ابن المواق ، هاؤلاء لقيهم واكثر عنهم ، وكتب اليه مجيزاً ابو .... بن محمد بن ابراهيم الأنصاري، وابو الحسن ابن كوثر وابو خالد يزيد ....وابو عبد الله ابن زرقون ، وابو عبد الله ابن عروس ، وابو القاسم بن راشد الوراق ، وابو محمد الحجري وابو محمد ابن فليح ، هاؤلاء هم الذين سماهم في برنامجه ، ووقفت في خطه على روايته عن ابراهيم الكانمي الشاعر .

روى عنه ابناه ابو محمد حسن شيخنا وابو عبد الله الحسين وابن اخته ابو علي عمر بن محمد بن علي ابن عمار ، وابوبكر بن محمد ابن محرز ، وابو الحجاج بن موسى بن لاهية ، وابو زكرياء بن علي بن يافرتن ابن راحل ، وابن ابي عبد الله ابن مروان ، وآباء عبد الله : ابن احماد والرندي وابن عياض وابن المواز ، وابو العباس ابن محمد المروري وابن عمر ابن ابي الفضل ابن طاهر، وابو القاسم عبد الكريم ابن عمران ، وابو محمد عبد الحق ، وابو محمد ابن قاسم الخراز ، وعيسى ابن يعقوب الهسكوري ، ويوسف بن يحيى ابـن الزيات ، في خلق لا يحصون كثرة اخذوا عنه بمراكش وغيرها من بلاد العدوة الى افريقية وبالاندلس .

ومن شيوخنا الرواة عنه سوى ابنه ابي محمد : ابو الحسن الكفيف وابو زيد بن قاسم الطراز ، وابو عبد الله ابن الطراوة وابو عبد الله بن علي المدعو بالشريف ، وابو علي الماقري ، وابو القاسم العرفي والطماصيء ، وعبد الواحد بن مخلوف بن موسى المشاط ، وابوبكر الجملي .

وكان ذاكراً للحديث مستبحـراً في علومه ، بصيراً بطرقه ، عارفـاً برجاله ، عاكفاً على خدمته ، ناقداً مميزاً صحيحه من سقيمه ، مثابراً على التلبس بالعلم وتقييد عمره ، وكتب بخطه على ضعفه الكثير وعُنِي بخدمة كتب بلغ فيها الغاية ، منها نسخته بخطه من صحيح مسلم ، والسنن لأبي داوود ، وغير ذلك ، وصنف ....

يتعلق به والفقه واصوله مصنفاتٍ نافعةً اخذت عنه ، منها نفع .... والعلل في الكلام على احاديث السنن لأبي داوود ، وكمل له نحو .... اسفار ضخمة ، وبيان الوهم والايهام الواقعين في كتاب الأحكام .... ايضاً في مقدار الأحكام الشرعية الكثير وعليه وضعه ، وكتاب .... علي ابي محمد ابن حزم في كتاب المحلى مما يتعلق بـه من علم الحديث ولـم يتم ، والبستان في احكام الجنان ، مجلدان متوسطـان ، وشيوخ الدارقطني مجلد متوسط ، وكتاب النظر في احكام النظر ، مجلد صغير ، وهذا الاسـمُ مـن تسمية ابنه شيخنا ابي محمد .... في القياس لمناضلة مَن سلك غير المهيع في اثبات القياس ، وهو في الرد على ابي علي ابن الطويل المذكور بعد ان شاء الله ، وهذه التسميةُ لشيخنا ابي محمد ابنه ايضاً وتقريب الفتح القدسي، مجلد متوسط، وتجريد مَن ذكره الخطيب في تاريخه من رجال الحديث بحكاية او شعر ، مجلدان متوسطان ، وكتاب ما حاضر به الأمراء وبيّـَن فيه مفاوضتهم ، مجلد متوسط ، وأسماءُ الخيل وانسابُها واخبارهـا ، مجلـد متوسط ، وابو قلمون مجلدان ضخمان ، ولـه كتاب حافل جمع فيه الحديث الصحيح محذوف السند حيث .... من المسندات والمصنفات كمل منه كتب الطهارة والصلاة والجنائز والزكاة في نحو عشر مجلـدات ، ومسائل من اصول الفقه زعم انه لم يذكرها الأصوليون في كتبهم ، مجلد لطيف ، وله مقالات منوعة المقاصد ، منها مقالة في الامامة الكبرى ، ومقالة في القراءة خلف الامام ، ومقالة في الوصية للوارث ، ومقالة في المنع من إلقاء التَّفَث في عشر ذي الحجة للمضحي ، ومقالةٌ في منع المجتهد من تقليد المحدث في تصحيح الحديث لذى العمل ، ومقالة في الرهن يوضع على يد امين فيتعدى فيه ، ومقالة في مشاطرة العمال ، ومقالة في الأوزان والمكاييل ، ومقالة في الطلاق الثلاث ،

ومقالة في الايمان اللازمة ، ومقالة في الختان ، ومقالة في نفي التسفير ، ومقالة في معاملة الكافر جمعها لمحمد الناصر من بني عبد المومن لما وفد عليه البابوج (85) احد عظماء النصرانية ، سوغ له فيها القيام اليه عند معاينته برأيه فلم يرضها محمد الناصر وتحيل في تلقيه اياه قائماً عن غير قعود بخروجه من الباب المعتاد لخروجه الى قبة جلوسه وهو فيها عند وصول البابوج اليه ، والمقالة المعقولة في حكم فتوى الميت والفتوى المنقولة ، ومقاله في فضل عاشوراء .... في الانفاق فيه على الأهل ، ومقالة في حث الامام على القعود .... الرعية ، ومقالة في تبيين التناسب بين قول النبي صلى الله عليه وسلم .... الله على مَن تاب وما قبله من الحديث ، ومقالة في تفسير قول المحدثين .... انه حسن ، ومقالة في تحريم التساب ، ومقالة في الوصية بالجنين .... انهاء البحث منتهاه عن معزى مَن اثبت القولَ بالقياس ومَن نفاه ، وهذه التسمية لشيخنا حسن ابنه أيضاً ، واحاديث في فضل التلاوة والذكر ، وبرنامج ....
وعمله بأخرة بعد الخمس والعشرين وستمئة الى غير ذلك من المعلقات........
التفسير والحديث والفقه وأصوله والكلام والآداب والتواريخ والأخبار ، وكان معظماً عند الخاصة والعامة من ءال دولة بني عبد المومن ، حظي كثيراً عند يعقوب المنصور منهم فابنه محمد الناصر ، فيوسف المستنصر ابن محمد الناصر ، فعبد الواحد اخي المنصور ثم يحيى المعتصم ابن محمد الناصر ، حتى كان رئيس الطلبة (بالحضرة) مصروفة اليه الخطط (الرفيعة) مرجوعاً اليه في الفتاوي ، وكان قد سعد عند المنصور منهم كثيراً ، فكان المنصور يوثره على غيره من اهل طبقته ، وجرت له أخبار ظريفة معه ، منها انه عيّنه لقراءة الحديث الذي كان يقرأ بين يديه ، وكان ابن القطان يعتريه بعض الأحيان توقف في كلامه ، فابتدأ اول يوم القراءة فبسمل وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ،

---

85) البابوج او البيبوج هذا ملك من ملوك النصرانية بالأندلس قدم على محمد الناصر الموحدي باشبيلية عام 607 هـ وهو ملك بيونة او بنبلونة عند ابن ابي زرع صاحب **الانيس المطرب بروض القرطاس** (ص 235) وملك ليون عند ابن خلدون في تاريخه (4 : 392) وينظر عن استقبال الناصر اياه **الأنيس المطرب بروض القرطاس** (ص 236) وانظر ايضاً عن مجيئه الى الخليفة محمد الناصر **عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس** (2 : 290)

وكانت العادة اتباع القاريء التصلية الدعاء للمنصور بالرضا ، فحين فرغ ابن القطان من التصلية عرض له التوقف الذي كان يعتريه ، فمكث قليلا ، ثم قال ورضي الله عنكم ، واصلا الدعاء بالتصلية في ما رأى ، ثم اعترته سكتة ايضاً ، ثم اندفع يقرأ الحديث ، فاستبشر لذلك المنصور واشتد اعجابه به واستحسانه اياه ، وقال هكذا ينبغي ان يقرأ الحديثَ مَن يقرأه بين ايدينا ، فاصلا بين الدعاء لنا والتصلية المتبعة البسملة وبينه وبين حديث النبي صلى الله عليه وسلم ، فأما سرد البسملة والتصلية والدعـاء لنا والحديث في نسق من غير فصل بين ما يخصنا من الدعاء وما قبله وما بعده فانا نبرأ الى الله منه ، فعجب الحاضرون لسعادة ابن القطـان بما ظن ان فيه نقداً عليه ، وكان ذا حظ من الأدب وقراءة مقطعات الشعر ، منها .... تقدم في رسم ابي المطرف احمد بن عبد الله ابن عميرة ان عبد .... يزعمون انه مصحف الامام عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وقد وضعه .... بني عبد المومن في حجرة بمحضر الكبراء من رجاله :

الا فاقدروا قدر هـذا المقـام ... فهذا الامـام وهـذا الامـام
امام المصاحف في حجـر مَـن ... به حفظ اللهُ هـذا الأنـام
وناهيك من صُحف كـرمـت ... بحجر الكريم سليـل الكـرام
فطوبى لمَـن فـاز مِـن ذا و ذا ... بما فيه حظٌ ولـو بالسـلام

انشدنيه ابنه حسن عنه لنفسه ، وانشدني ايضاً عنه لنفسه في صفة نهر بضيعته التي كانت له خارج باب فاس وتعرف هناك بتاورتى :

ومهند لـزم التجـرد فـهـو لا ... ينفكُ مسلولا لغيـر قـتـال
ضمن النسيمُ صفاءَ صفحةِ وجهه ... فتراه مصقولا بغيـر صقـال
واذا تنفَّس فيه سال فرنـده ... وطفـا عليه حبابُـه كلآلـي
اعجبْ به من صـارم آثـاره ... نقع الصدا وتنفُّسُ الآجـال

ومنه وقد عثرتْ به بغلتُه في وجهته الى ضيعته المذكورة وهو يساير محمد ابن المناصف رحمهما الله اليها ، فقال له ابن المناصف :

ما بالها عثرت وما بها قلبت

فأجابه مرتجلا :

لم تعثر البغلةُ السفواء اذ عثرتْ   من ضعف أيد ولا من أنها حرقه
لكنها عشيَتْ من نور ما حملت   من العلوم فخرت تحته صفقه

انشدنيهما عنه أيضاً ابنه حسن رحمه الله ، وقال لي كان متى ذكرهما ينفر ويستغفر الله منهما ، وقد رأيته ضرب عليهما في بعض معلقاته .

قال المصنف عفا الله عنه : وهم بعض الطلبة بعكس هذه الحكاية ، فجعل بغلة محمد ابن المناصف العاثرة والبيتيْن له ، والأمر في ذلك كله على ما ذكرته قبل ، وقد سمعتُهما غير مرة من شيخنا حسن ، وروايتُه بخطه في غير موضع على ما وصفت .

هذا بعضُ ما اشتهر من احواله عند جمهور الناس ، وقد كان بعض مَن لقيتُه ممَن لقيه لا يرضاه ولا يرى الرواية عنه ، وينعي عليه اموراً كثيرة ، منها ماكان عليه دابيا من الأرذال ما فاضل اهل العلم والغض منهم .... والتماس عوراتهم والتنكيت على الواردين منهم على ءال عبد المومن .... لشأنهم الا ان يستشعر من احد منهم عوده الى وطنه فانه كان (يقضي) مئاربه ويجمل السعي في تخليص ما اليه قصد ليلا يشتهر امره فيقع .... به من اولى الأمر وليعود الى بلده مذيعاً شكراً محسناً الأحدوثة عنه .... بنفسه وحرصاً على تفرده بالرياسة وخلو الوجوه له ، ومنها افراط الكبر وشدة العجب ، فقد كان ديدنه أنه لا يبدأ أحداً بالسلام ولا يرده علي من (بدأه) به ، وذاكرت بذلك أبا عبد الله المدعو بالشريف وكان من المتشيعين فيه المتشبعين بذكره المتعصبين له ، فقال لي انه كان يسأل عن ذلك ويذكر له ما فيه عليه فيجيب معتذراً باستغراق فكره واشتغال باله بالنظر في اجوبة ما وقع من المسائل العلمية بمجلس سلطان الوقت ، او في اعداد مسائل يُلقيها بينهم به ، فهو لا يزال خاطره معموراً بذلك وذهنه مغموراً به ، زاعماً انه لا يرى احداً ممن يمر هو به ، فقلت له يدفع ذلك حكايته عن

بفسه مشاهدة ابن العثماني في مروره به على ما سنأتي بذكره ان شـــاء الله ، فانقطع ، ومنها استعماله المسكر، فقد صحَّ عنه تناوله اياه والتأول فيه ، ومنها غلوه في ءال عبد المومن وافراط تشيعه فيهم ، حتى عد المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المومن في جملة شيوخه الذين ضمنهم برنامجه وصدرهم بذكره تشيعاً له وغلوا فيه ، وليته لو وقف في امره عند هذا الحد ، ولكن تعداده الى منزلة تفضي بالهاوي منها الى مقت الله والتعرض لشديد غضبه وعظيم سخطه، وهي انه لما ذكر من شيوخه ابا القاسم ابن بقي وطول مجالسته اياه ومذاكرته معه وسماعه منه ما لا يُحصَى مع شعر انشده اياه لنفسه ولغيره ، ثم قال وليس لهذا الاعتبار اذكره هنا ولا ايضاً لاعتبار ما سمعت منه من مسند جـده بقي وكتاب التفسير له ، وانه كان اهلا للرواية عنه ، ثم قال وانما ذكرته هنا لأني قد كتبت عنه شيئاً اخبرني به ، قال : قال الامام امير المومنين المنصور رضي الله عنه ولدت ليلة الأربعاء الرابعة من ربيع الأول عام اربعة وخمسين وخمسمئة فعجبت من ذلك لتناسب (الأربـعــــاء) والرابعة وربيع وعام اربعة فكتبته عنه ، فتأمل .... الشوهاء واضرابه عن جميع ما ذكر انه سمعه منه كتفسير القرآن .... ومسنده وما انشده او سمعه منه لنفسه او لغيره ، وما حاضره به او .... واطراح ذلك كله ونبذه اياه تهاوناً به واستخفافاً بقدره وايثار (آ منه لـــ) مولـد خلق من خلــق الله تعالى لعله لا يرضى مثل ذلك الغلو في جانبه من احد على جميع ما سطر وذكر من فنون المقاصد العلمية التي يحرص الأفاضل علي نيل (الاجـازة فيها) مــن اكابر شيوخهم ، نسأل الله العصمة من الخذلان ، والسلامة من موجبات الحرمان.

ولقد ذاكرت بهذا الفصل ايضاً شيخنا ابا عبد الله المذكور وابديت له ما فيه من الدلالة على قبيح الغلو ، فاعتذر عنه بأن حامله عليه تخوفه من عبد الله العادل ابن يعقوب المنصور فانه قد اخمله كثيراً ، وكان يتوقع منه شراً ، فقلت له انما وضع برنامجه بعد موت العادل وموت ابي القاسم ابن بقي ، وأيضاً فهلا ذكر ذلك في رسم المنصور فيكون ذلك اتقن في التأليف وأجرى عى سنن المنصف في الأعلام بالشيوخ ، فأما ان يذكر الشيخ في موضع ومولده بعد رسمه بأربعة عشر شيخاً فعمل لم تجر العادة به ، ولا خفاء بما فيه ، ثم ان شاء ذكر

ابا القاسم ابن بقي بما يليق به ان رأى ذكره في شيوخه او الاضراب عنه رأسا فلم يحر جواباً ، وهذه عندي أكبر جرحة في حقه لما تضمنته من الازراء بالعلم واهله اللذين لا يمترى انه به وبهم شرفه لو استضاء في عيانه هذه الغواية بنور هدى ، او اعتصم بجنة توفيق ، ومنها تجرده للسعي بغاية الجد في قتل الشيخ وابنه المراهق العثمانيين ، ثم استباحة اخذ دارهما بعد قتلهما مكافأة له على تلك المحاولة وانتقاله اليها بالسكنى فيها الى فصوله عن مراكش ، ثم لم يعد اليها كما سياتي ذكر ذلك ان شاء الله تعالى ، ثم الفضلاء من اهل عصره ناقمون منه كثيراً من احواله ، ولقد حدثني الشيخ ابو الحسن الكفيف وكان رجلَ صدق انه سمع الورِعَ المجمعَ على فضله ابا سعيد يخلفتن بن تنفليشت المترازى البوغاغي رحمه الله وقد سئل عنه فقال : ذلك شخص يطارح نفسه في ان يكون مهلبي للملوك .

قال المصنف عفا الله عنه : والذي اوجب ايحاش العادل اياه ماحدثني به ابنه حسن وغير واحد من شيوخي قالوا لما توفي (الخليفة يوسف المستنصر) تشاور اهلُ الحل والعقد بمراكش في تعيين مَن يُقلد الأمر بعده (فأشار بعضهم) بتقديم عبد الواحد اخي المنصور ، وكان مذكوراً في (قومه بفضل وصلاح . وأشار بعضهم بتقديم عبد الله العادل ابن المنصور (وكان) يُرمَى بالميل الى البطالة وايثار الشهوات والاخلاد الى الراحة ، (وكان ابن القطان) حاضراً لتلك الشورى ، فانشد متمثلا ومنبهاً على التفرقة بينهما :

اذا رتل القرءان في جنح (ليلة) ابيُّ بن كعب لم يُغَنّ مخارق

ثم اتفقوا على تقديم عبد الواحد اخي المنصور عند وفاة المستنصر اما منتصف ذي الحجة واما لأربع عشرة ليلة خلت منه (86) عام عشرين وستمئة ، فاستمرت ايامهُ الى (يوم السبت الموفي عشرين) من شعبان احدى وعشرين ، فخلعوه واشهد على نفسه بالخلع ، ثم قتلوه صبراً فهو اول من قتل غدراً من بني عبد المومن ، وقدموا ابن اخيه عبد الله العادل وهو بمرسية ، كتبوا اليه ببيعتهم، فأقبل الى مراكش ، وقدم اخاه ادريس الملقب بعدُ بالمامون على جميع بلاد

---

86) في الاستقصا (2 : 228) ان وفاته كانت عشية يوم السبت 12 ذي الحجة من عام 620 هـ

الأندلس ، فاقام العادل بمراكش الى يوم الأربعاء لست بقين من شوال (87) اربعة وعشرين وخلعوه وقتلوه ، ثم بايعوا اخاه ادريس المأمون على ما سألمع ببعضه ملخصاً ان شاء الله تعالى .

وقد كان انهيَ الى العادل انشادُ ابن القطان البيت المذكور حينئذ وعرف مقصده فيه فأسرها في نفسه، وخاف ابن القطان بعد ذلك من سوء عاقبتها ، ولما قدم العادل من مرسية الى مراكش كما تقدم همَّ بالقبض على ابن القطان والايقاع به ، ثم رعى له قدم انقطاعه الى ابيه وخدمته اياه واخاه الناصر وابن اخيه المستنصر وعمه بعدهم ، فكفَّ عنه وصرفه عن التعرض الى القصر والدخول فيه الى محاضر خواص الطلبة ، وكان يكني عنه متى جرى ذكره المخارق اشارةً الى البيت الذي انشده ابن القطان ، فكلما نمى ذلك الى ابن القطان يشتد قلقه ويتاكد استيحاشه ، وكان من غريب الاتفاقات ان العادل لما استقرَّ بمراكش بعد قتل عمه عبد الواحد وانتهاب اكثر كتب الخزانة التي كانت بالقصر في جملة ما نهب من ذخائره خرج من قبل علي بن جامع امرٌ بنظر علي في ترتيب مـــا بقي (من كتبها) وتمييز كاملها من ناقصها ، وكان مــراد العادل بعلي وزيره المذكور (ولكن الوزير اخبر) علي ابن القطــان بذلك واشعره بما فيه مــن التأنيس له والايذان بالاقبال (عليه ، فانجز ذلك) ابن القطان في ايام كثيرة ، ثم لما فرغ منه طالع الوزير العــادل بتمــام ذلك ....
ما اشتملت عليه ، فأمر ثواباً لمتولي ذلك بجملة وافرة من أمداد الزرع وغير ذلك من المال والكسا ، وكان الزرعُ احظاها لما كان عليه الوقت من الشدة (والقحط والتزايد) في غلاء الأسعار ، وقد كان ذلك (القحط) توالى على مراكش نحو سبعة أعوام حتى (اثــر) ذلك في كثير من اهلها عموماً وفي ابن القطان خصوصــاً لكثرة عياله (وانقطـــاع) موارد الفوائــد عنه بعطلته عـــن الأشغال التي كان ينتفع بها ومنها ، ولما صار ذلك كله الى ابن القطان وحازه وحُسنت حاله به وسر بما منح منه رفع الى العادل شاكراً له هذا الانعام الجزيل ، فذكر العادلُ ما صدر عن ابنِ القطان من ذلك ولم يعرف سببه ، فسأل وزيره عنه ، فقال انه لما خرج الأمرُ بنظر علي في ترتيب الكتب لم (يخامره)

87) في الاستقصا (2 : 233) ان قتل عبد الله العادل كان في 21 شوال 624 هـ

شك في ان المراد بعلي علي ابن القطان ، لأنه كان الناظر فيها في المدة المتقدمة ، ولأنه العارف بما يحاول من ذلك ، وللعلم بأنه لايقوم احد في ذلك التصرف مقامه ، فقال العادل أردنا ابن ابي العلاء واراد الله مخارقاً ، ثم لم يأمنْ ابـــن القطان على نفسه حتى خلع العـــادل وقتل حين تقدم ، وفي نحو تمثله بالبيت المذكور في الفرق بين العادل وعمه ما صدر عنه في جانب الوزير عثمان ابن جامع ، فان ابن القطان كان شديدَ الاختصاص بمحمد بن أبي عمران التينملي ، وكان محمد هذا كثير الاعتناء به والتعظيم لجانبه والسعي الجميل له ايام وزارته للناصر ، حتى انتهتْ بسعيه خطط ابن القطان نحو ثلاث عشرة خطة ، كلها اوجلها جليل مفيد ، وكل واحدة منها انما كان يعين لها اكبر المرتسمين بالعلم قدراً وابعدهم صيتاً ، ولما نكب ابن ابي عمران المذكور وغرب الى ميورقة انفرد بالوزارة بعده عثمان ابن جامع ، فاجتاز به ابن القطان وهو جالس في مجلس الوزارة ، فأنشد متمثلا في التباين بينه وبين ابن ابي عمران :

« كالهر يحكي انتفاخاً صورة الأسد »

وبلغ ذلك عثمان فحقدها له ، ولم يزلْ يحط من خطط ابن القطان ويصرف فيها غيره حتى لم يبق بيده منها شيء الا القليل النزر الفائدة ....
ولما اخذت مملكة ءال عبد المومن في الاختلال ايام المستنصر (بسبب ميله) الى الهوينا وعكوفه على راحاته واعراضه عن التدبير في ما يعود ....
تفويض النظر في الأمور كلها الى وزرائه وحاشيته ، وضاعت لذلك (مصالح الرعية وطالت) أيدي المعتدين ، وعاث اهل البغي في الأرض ، وكثر في اقطار المغرب (وفي جهـــات) مراكش قطع السبل والمحاربون الساعون في الأرض فسادا ، وكان (قطاع الطرق) فيما يذكر يساهمون فيما يصير اليهم بالتغلب عليه وانتهابه من اموال المسافرين (والتجار) المترددين كبيرَ الوزراء والمرجوع اليه من رجال الدولة عثمان ابن جامع (حتى) ليحكى ان بعض التجار سلبوا في توجههم الى مراكش ، فجاءوا الى عثمان ابن جامع متظلمين رافعين اليه ما جرى عليهـــم ، وبينما هم وقوف على باب داره ينتظرون تيسر اسباب الوصول اليه والى مكالمته في رفع ماحلّ بهم رأوا احمالَهم المنهوبة نفسَها وكثيراً من امتعتهم على دواب داخلة الى داره ، فكفُّوا عن التعرض اليه يأساً من نجاح ما سعَوا فيه ، وانقلبوا عنه متأسفين متحسرين ، واستمرت الأمور على هذه الحال وبهذه السبيل زماناً،

والمستنصر في غفلة عن كل ما يجري ، غير سائل عن رعيته التي يسأل عنها ، وان بدر منه سؤال يوماً عن أحوال الناس والبلاد أجابه الوزير عثمان بـأن الجميع في سبوغ نعمة وشمول عافية واتساع احوال وبسط اموال ، فيقنعه ذلك ويعود الى انهماكه في لذاته ، واهمل مع ذلك جانب الأجناد الذين هم ءالة الملك واعوانه ، فأرجل فرسانهم ، وصرف رجالتَهم ، فتفاقم الأمر ، واستشرى شر المفسدين ، وكثر اضرارهم وعم عدوانهم ، ولَما تمـادى ظهور الفسـاد واشتدت شوكة اهله اجرى ابن القطان ذكـرَ ذلك بمجلس الوزير عثمـان واشار عليه بانفاذ جيش الى بعض نواحي مراكش لردع مَن نجم به من اهل البغي ، فأجابه بأن ذلك لا يحتاج اليه ، وانه سيكتب الى اهـل تلك الناحية بالنهوض الى مَن تعرض الى ارضهم ومدافعتهم والقبض عليهم وقتلهم ونحو هذا ، فلم يقنع ذلك ابن القطان ، فقال لعل المانعَ من ذلك الاحتياط على المال الذي ينوب في تجهيز هذا الجيش ، فقال له عثمان : ان بيت مال المسلمين قد خلا ونفِد ما كان فيه بالانفاق في مصالحهم ، وكان .... تسلقاً الى صرف ابن القطان عن التعرض لشيء مما (يذكر)، فقال له ابن القطـان فالرأيُ عندي ان يوظف على بعض (التجار مـال) لاقامـة هذه الحركة ، فقال له عثمان : هذا لا سبيل اليه ، ولا (احمـل) الناس ما عافاهم الله من بليته مدة ءال عبد المومن فيخيفهم ذلك ويوحشهم (ولا نخرج منه) بطائل ، فقال له ابن القطان أنا الضامن استخراجه منهم متبرعين به (متبارين في) اعطائه ، طيبة به نفوسهم ، فاغتنمها منه عثمان ليوقع كراهيته في (نفوس) اهل مراكش ، وأباح له ذلك والنظر فيه ، فنهض من عنده ، ولما فصل ابن القطان من مجلس عثمان وصار الى منزله تصور في خاطره ان اول ما يوخذ منه ذلك المتصرفون بأموالهم واعمالهم في مستغلات الأملاك مساقاة في سوادها او مزارعةً في بياضها ، وهم في عرف اهل مراكش المرابعون ، لأنهم كانوا يعملون في ذلك على أن يكون لهم الربع من فوائدها ، او للمحاولين شراء غللها من زيتون وعنب وتين ورمان وخضروات وغير ذلك يبيعونها وهم في عرف اهل مراكش أيضاً القشاشون، وبعثه على التبدئة بهم ما تقرر عنده وعند غيره من أهل مراكش من اتساع احوالهم (واستغنائهم) بما

صار اليهم في تلك المدة من الفوائد لتوالي غلاء الأسعار ونفاق سلعهم وارتفاع أثمانها الى حد لم يعهدْ مثله فيما تقدم ، فبعث في رجل كان يذكر انه من املاهم واعظمهم جرة وكان اسمه محمد بن علي ويلقب بالذيب ، وقد ادركت ابنيْه ، وبعضُ عقبه الآن بمراكش ، وكان اول امره حلْفاوياً ، فلما حضر عنده انكر ارساله عنه لما لم تجر قبلُ بينهما مخالطة ولا ملابسة على كثرة مداخلة محمد بن علي هذا اصناف الناس ومداينته اياهم ، فتوهَّم ان بعثه ليتدايَن منه او يباحثَه في امر من امور الأملاك او غلاتها او نحو ذلك مما كان بسبيله ، فقال له ابن القطان مفاتحاً له : أنت الذيب ؟ فاستوحش من ملاقاته بهذا القول ، وكان كيِّساً مقداماً ومجيداً للكلام ، فقال له لستُ الذيب وانما أحدُ بني ءادم، واسمي محمد بن علي ، فقال له انما تشتهر بالذيب وبذلك تعرف ، فقال له ذلك لقب اجراه عليَّ بعضُ سفهاء الناس وأراذلُهم ولا ارضى لك ما رضوه لأنفسهم ، فمنصبك اعلى من هذا ، فقال له دعْ الكلامَ في هذا وخذ فيما له بعثت فيك ، فقال له قل اسمع ، فقال له ابن القطان : بلغني ان عندك اثنيْ عشر الف قنطار من الزيت في جملة مـا (تملك) ، فقـال له نعم شكراً لله ، فقـال له ومـا تصنع بها ؟ فقال ما تصنع الناس (بأمـوالهـم) ، فقال له أعطِها بيت مال المسلمين فانه احق بها منك ، فقال ليس لبيت (المال فيها) حق ، فاني قد اديت زكاتَهـا ، فقال له والقليل مـن ذلك يقنعك ويجزيك .... دنانير تديرها في الحلفاوين كما كنت ،فقال له انما ارجو من فضل الله المزيد ...... من نعمنه ، فقال له ان لم تفعل ما ذكرتهُ لك طوعاً والا فعلتَه كرهـاً ، فقال لا اخرج من مالي مقدار خرذلة بغير حق ابداً الا ان اريق دمي عليه ، ومن قُتِل دون ماله فهو (شهيد) ، وتراجعاً الكلام في ذلك طويلا ، وابن القطان قد تمكن منه الغيظ واستولى عليه الغضب لاخفاق سعْيه في المحاولة التي لم تنجح ، ثم صرفه ، وشاع بين اهل مراكش هذا مجلس وتحدثوا بما جرى فيه ومقتوا ابن القطـان بسببه وحصل عثمـان على مـراده في ابن القطـان ، ثم تبغَض ابن القطان عقب ذلك الى وجوه دولة المستنصر ووزرائه وحجابه والمتصرفين في مشاطرة العمال ، فانه احدث بها وحشة بين المستنصر ورجال دولتـه ، حتى همَّ بالقبض عليهم واحداً بعد واحد واستصفاء أموالهم ، ولما (احسُّوا) ذلك واستشعروه سعوا في تخلصهم منه بقتله ، فدسُّوا عليه مَن سمه فمات ، وقد تقدم الالمام بذلك في رسم ابراهيم ابن الحجر .

قال المصنف عفا الله عنه : جرى قبل هذا استباحة ابن القطان سكنى دار العثماني بعد سعيه في قتله وقتل ابنه ، فرايت ايراد قصتهما لئيلا يتشوق اليها فتشوق ، ولأنها من اغرب ما جرى في ذلك الوقت ، وقد وقفتُ عليها في خط ابن القطان نفسه ، قال ابن القطان : كان بمراكش طالبٌ يذكر انه عثماني النسب ، من ذرية ، عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وكان موثقاً شاهداً بحومة اجادير من مراكش ، وكان له ابن صغير يذكر بنبل وذكاء وتصرف في علوم على صغر سنه ، ثم ذكرت عنه اشياء شنيعة ، منها ان بعض الطلبة اخبرني انه بلغه ان قائلا قال في النبي محمد صلى الله عليه وسلم لا نبي بعد محمد ، هو خاتم النبيئين ، هذه كلمة قد قالها موسى وعيسى ، فبعثت عن ابيه ، فلما حضر عندي سالته عما نسب اليه من الأقوال ، وقلت له بلغني انه قال في نبينا محمد صلى الله عليه وسلم هو خاتم النبيئين، هذه كلمة قد قالها موسى وعيسى (فأنكر) وحلف من الأيمان ما اوجب في الحال تصديقه والحمل على الطالب (الذي اخبر بذلك) ، ثم قلت له : فهات الآن حديث ابنك ، فقال ان ابني عبد الله لم ازل (اجتهد في تربيته) وتعليمه ، فوفقه الله فحصل في ايسر مدة وعلى صغر سنه ما (لم تحصل عليه ذوو) الأسنان العالية ، ثم ذكر ما قرأ من القرءان والعربية والعدد والآداب (وغيرها من العلوم) ، فأنكرت في نفسي اكثر حديثه عنه بالقياس الى ما كنت اشاهد من صغر (الابن) المذكور في حال خطوري عليه ولقائي له في الطرق ، ثم قال ان الله ابتلاه .... ورزأني فيه برزية علمت انها عين اصابت وقَدَرَ نفذ ، فصار يرى مرائي يكلم فيها .... بانذارات ويؤمر بأوامر ويكون ذلك بواسطة ملائكة تارة وبواسطة انبياء تارة ، وربما اجتمع له الصنفان ، ويتلون معه القرآن ، ويخبرونه بما يكون ويحدثونه بما يتفق ، ويشكل عليه الشيء مما قالوا له اذا استيقظ ، فيأتون بعد ذلك فيسألهم عنه فيفسرونه ، وذكر انه رأى من الملائكة جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وملكاً يلازمه ، وهو اول مَن رأى واول ما أبتديء به اسمه شلانون ، وهو الذي لا يكاد يغيب عنه ولا يغبه ، وهو الذي يأخذه متى جاءه من شدة اتصال ما بينهما وتكافته حاجب واحد ؟ وأحياناً كأنه طائر اخضر على قدر حمل وأخذ في أشياء مثل هذا مما لا يسعه خاطر ، فقلت له أنبئني عن اول ما اعتراه

هذا ، قال نعم ، كنت عام اول في هذه الأيام ايام عيد الأضحى مصبحاً يوماً اذ قال لي : يا أبت ، رأيت البارحةَ في النوم شيخاً أتاني ، فقال لي اقرىء اباك السلام من الحسين وابراهيم ، قــال فقلت له يا بني وما هذا ومَن الحسين وابراهيم ؟ قال لا ادري ، قال ثم اتاه ليلة أخرى فقال له بلغت اباك ؟ قال نعم ، ولكن مَن الحسين وابراهيم ؟ قال سيُفسَّر لكم هذا ، قال فبعد أيام ابتليت بالمطالبة التي طالبني بها الزيادي حين زعم اني سببتُ الحسين عليه السلام واضمحلت عني تلك المطالبة بعد ما رأيت فيها من المشقة ، ثم بعد ايام جرت لي مطالبة اخرى طالبني بها ابراهيم الكتبي سُجنتُ عندها ولم يصحَّ ما نُسِب الي ايضاً من سب مَن زعم اني سببته من العلماء ، قال وجاءه هذا الملك الذي هو شلانون ، فقال له لمَ ترك ابوك ورده من الليل في البيت الذي كان اتخذه في داره مسجداً ؟ قال وقد كان ابي ورده من الليل في بيت من داري شغلتني عنه شواغل الدنيا وصار سهري بالليل انما هو على وثيقة ابيضها ...... (فلما) قال لي ذلك بادرت الى البيت فبنيته بنيــة جديــدة (بلنــتْ) نفقتي فيــه الى مئتي دينار ، ووجدتهــا بعد شهر قــد انخلفت علي (بفضــل الله) ورجعتُ الى صلاتي فيه كما كنت ، قال وبقي لي البيت في الدار .... خلق كأنه رقعة من غير ثوب ، فأحوجني ذلك الى نفقة في سائر .... وقال له مرة أخرى قل لأبيك يجرد الجبة التي عليه التي اخذ من فلان في .... قد كنت اخذتها ممن يسكن لي موضعاً وربما لم يكن عنده ما يؤدي فأعطاني جبته ....فصرفت الجبةَ على ربها ، قال واستمرت عليه هــذه المرائي ، وصار يخبر بما يكون حتى لغابــوا عنه مــدة ثم جاءوه او من جاءه منهم ،قال ابطأتم عني ، قال شغل عرض في شرق الأندلس شغلنا ، قال فجاء بعد ايام حديث حصن شلقيره واخذ المسلمين اياه من ايدي النصارى ، قــال واخبرني مرة بخبر جاء تأويله في رفقة اتى عليها في الطريق دخل من كان فيها من التجار مجردين ، قال وقد نهي ان يستجيب لمَن يدعوه باسمه او بكنيته الا ابا ايوب ، قال وقد سألهم عن معنى ذلك ، فأخبروه انه اشعار بمحن خفيفة تصيبه ،قال وقد حدثوه بما يؤول اليه امره ، وما يبلغه ملكــه ، ومَن يقــوم بسلطانه ، وعين له زمان ابتدائه وزمان استيساق امره ، ومقدار عمره ، وهو

احد وثمانون عاماً ، واشباه هذا من الأحاديث عنه لما سيأتي ذكره بعد ، فحين سمعت هذا منه قلت له قد عادت لا ثمتي عليك ولا ينفعك عندي تبريك ونسبة ذلك اليه ، فاني ارى امرأ لا يليق بمَن سنّه سن ابنك ، وما هذا بشيء غبت عنه ، فجعل يحلف ويؤكد ما ذهب اليه من التبري ، فقلت له مايبرئك من هذا الا ان تجيئني بالطفل حتى ارى ما يتحدث به وكيف يتحدث به ، فقال اجيئك به اليوم بعد صلاة العصر ، ثم عدت اليه بنوع آخر من اللوم ، فقلت له وايضاً فأين انت من تأديبه لأول مسموع من هذه المنكرات ؟ فقال قد ضربته مئةً وخمسين سوطاً ، وهممت بضربه مرة اخرى ففرَّ مني ورمى بنفسه في البير ، وبعد لأي اخرجناه ، فقلت له واللوم ايضاً لاحقٌ في ذلك بما ارى من تحدثك عنه واذاعتك لأخباره ، فقال وهذا ايضاً شيء ما اذنت فيه ، وانما غلبت عليه بصورة اتفقت لي معه هي التي شهرت امره ، وذلك انه يبيت عند امه وهي ساكنة لمشاجرة .... ورجل امين يسكن فيها جماعة من الناس ، قال فلم يرعني الا (قولهم) قد مات ابنُك، فبادرت/فوجدت امه تنوح عليه والناس مجتمعون (حوله)، فدخلت اليه فوجدته ميتاً فسعطته بفلفل مدقوق ، فلم يعطس .... عند انفه ، فبدا لنا تحرك بعض شعرات منه ، فعلمت انه حي فرفعته (أنـــا) وخـــادم لي الى المنزل ، وتبعني من الناس خلق ، فدخلوا معي ، ووضع بين يدي ...... ابكي عليه لفجعتي به والناس يصبرونني ، فمن قائل يقول رزيت ، ومن قائل (يقول) لقد كان نبيلا ، ومن قائل يقول العين اصابتْه ، فنحن على ذلك اذ قال بعض الحاضرين ان على يده حرارة ، فجسسناه فصدقنا ذلك ، وتزيدت الى أن مد يده ثم مد يداً اخرى ثم رجله ثم الرجل الأخرى ، ثم فتح عينيه فنادى باسم أمه ، فقلت له يابني انت في داري، فقال ومتى جيء بي الى هنا ؟ الم اكن عند امي ؟ فقلت انا جئت بك ، فقال أي وقت هو ؟ قلت طلعت الشمس ، قال سبحان الله فاتتْني صلاة الصبح ، فقام فتوضأ وصلىً ، ومزجت له شراب مصطكي قصدت به تقوية قلبه ، فقال لي قد كنت بيتّت' الصوم (واعددت) سحوزي ، ففاتني ذلك ، ولا يفوتني الصوم ، فأنا صائم ، فقلت له يابني وما الذي اعتراك واي شيء دهـــاك ؟ قـــال بينمـــا انا نائم اذ عـــرض لي الشيخ ، فقال قم ، قلت مَن انت ؟ قال انا ابوك ابراهيم ، فقمت معه ، فأخذني فمشي بي ، فهويت في بعض

الطريق في حفرة ؟ قال هذه الحفرة التي اوقدت لي فيها النار ورميت فيها ، ثم سرنا في ارض سهلة تغرق فيها الأقدام ، فانتهينا الى شخص فأسلمني اليه ، فسار بي ، ثم أنتهى الى آخر فأسلمني اليه ، وذكر أن هؤلاء هم جبريل وميكائل واسرافيل وهو آخرهم ، فقال فمشى بي حتى اسلمني ، فرأيت نوراً قد قربت منه بمقدار اربعة اشبار ، فرعبت ، فالتفتت الى اسرافيل لأستأنس به ، فلم اجده ، ورأيت في التفاتي النور قد احاط بي من كل جانب ، وبيني وبينه ذلك المقدار ، فسمعت صوتاً هالني ، فسقطت مغشياً علي ، قال فخرج كل من سمع مقالته فأخذ كل واحد منهم يتحدث فيزيـد وينقص ، فخرجت فوجدت الخبر ذائعاً ، قائل يقول تنبأ ، وقائل يقول اسري به ، وزائد يزيد ، وناقص ينقص ، فجعلت ارد الباطل واخطيء الخطأ فهو الذي اشاع عنه الحديث ، والا فما كنت بالذي يتحدث عنه بشيء ، ولما وجهت عليه اللوم في ترك تأديبه وتنصل عن .... قال لي ايضاً لقد بلغت من ذلك الى أن خرجت به يوم هذا .... فقصدت ارهابه وازالة ما في نفسي ، فأخذته فدفعته على ...... انزلته ، قلت له يابني أرأيت ما اعطى الله تعالى اهل هذا الأمر من .... والابهة ؟ فضحك وقال الجزار لا تهوله كثرة الغنم ، ثم حدث بهذا .... في المجلس الذي احضره فيه ، فقلت له اهكذا كان ؟ فأطرق ثم رفع (رأسـه) فقال لي افيكذب ؟ ولما سمعت منه هذا قلت له انصرف وجيء به ...... خلال هذا جاء طلبة فسمعوا بعض حديثه ورغبوا في الحضور .... الطفل فخرجوا .

ولما صليت صلاة العصر جاء به كما وعد ، ولم يستقر به المجلس الا وجماعة قد استوفت لم اره يتحفظ من احد منهم ، فأخذت في مساعاته ، فجعل الصبي يحدث حديثاً لا يتعلثم فيه ولا يتوقف ولا يخجل ولا يهاب ، ولا يبالي بانكار منكر ، ولا يأنس بموافقة موافق ، فعجبت من حاله ، فأحوجني ذلك الى السؤال عن سنه ، فأخبر انها اثنتا عشرة سنة ، فجعلت اسأله عما اسمعني ابوه اياه في المجلس المفروغ منه ، فجعل يحدث كذلك وما ترك اذكره به ابوه ، وربما اخذ عنه فكمله ، وربما سئل عن حديث فأخذه عنه الأب ، وحدث به عنه فيصدقه الابن ، وزاد في مسألة الصوت انه سأل عن تفسيره لاسرافيل

في ليلة اخرى ، فقيل له معناه لا تخافا انني معكمـا اسمع واري ، يعني انت وابوك ، ولما انتهى ذلك الى هذه الغاية قلت له يابني : اما تعلم ان هذا كلام لا يسمح فيه ولا يعيش قائله بشرع ؟ فقال لي قـد سألت عن ذلك فقيل لي لا خوف عليك ، وقد امرت بالجهر وانذار الناس وتعريفهم ، فقلت له يابني ومَن امرك ؟ قال ربي ، قلت يابني ومَن لك بذلك ؟ قال ملائكته وانبياؤه ، قلت له يابني كيف رايت مَن رأيت من الأنبياء والملائكة بزعمك ؟ قال رايتهم شيوخاً الا محمداً فانه كهل ، قلت وما الكهل او قال له ذلك احد الحاضرين ؟ قال قد وخَطَهُ الشيب ، قلت له يابني المنام يصدق ويكذب ولا تنبني عليه الأحكام ، ويكون له التأويل، ويبعد فيه التفسير، فقال وقد تيقنت ما قيل لي وما القي الي ، قلت .... الشياطين والخيالات الفاسدة من المرض الذي اصابه ؟ قال .... فان الشيطان لا يتلو القران ولا يتمثل بصورة النبي عليه السلام ، قلت اذا رايت ذلك اتحس بألم او تنتشر علي بدنك حرارة .... قلت وهل ترى شيئاً في اليقظة ؟ قال قد رايت شلانون في اليقظة .... قلت فحدثْ عما قالوا لك في تأمينك ، قال قد قلت لهم اخاف .... وامروني ان انذر الناس غير خايف ، قلت له وذكـر ابوك (انـــك) قـد دخلت الجنة فرأيتها على مئة درجة وسبع درج ، وذكر انه رأى آخرين لا اعينهم الآن ، قال ورأيت القاضي موسى ابن عمران على احدى عشرة درجة فعلمت انه كان على ثلاث وعشرين درجة ، فقال له بعض الحاضرين : وكيف رأيت درج الجنة أكأنها هذه الأدراج ؟ فضحك منكراً عليه ، وقال لا ، بل هكذا باب وفوقه باب ، هكذا ابواب صاعدة بعضها فوق بعض ، وأن على باب الجنة طائراً صغيراً ، فقيل له هذا الصبي الذي قتله النصراني في المقبرة ، وانه اعطى في الجنـة زجاجات شرب الواحدة كلها ومن الأخـرى نصفَها ، ومن الأخرى ترك منها يسيراً ، ولم يدر ماكان الشراب الذي فيها كلها ، وانه قيل له تأهبْ لا نقضاء ثلاثين يوماً ، قال فكمل له يوم العيد سبعة وعشرون يوماً وبقي ينتظر ما يكون الى تمامها ، قال ودخلت النار فرأيت فيها اشياء ، من ذلك تابوت من نار فقلت للملك الذي معي ما هذا ؟ قال فجاء شخص عظيم في يده مفتاح من نار كأنه جمرة ففتح ، فرأيت في التابوت شخصاً أبيض الوجه أسودَ الوجه في ساقيْه كبُول

من نار ، قلت مَن هذا ؟ قال لي هذا مَن كانت تُضرب على رأسه الطبول وتنشر الألويةُ في الدنيا ، وسيفسر لك بعد ، قلتُ له فما الذي وعدت به ؟ قال اخبروني اني سأملك الدنيا كلها ، وكان قد ذكر في كلامه انه كثيراً ما يرى في الذين يكلمونه سليمان وذا القرنين ، فقلت له وما المعنى في ذلك ؟ قال اني املك مثل مُلكِ ذي القرنين ، ويُسخر لي ما سخر لسليمان ، وذكر ان سليمان البسه خفيْن (من جلد) لا اعينُه الآن ، قلت له ومتى قيل لك يكون (ابتداء ملكك قال) ابتداؤه سنة ثلاثين وستمئة ، قال وكمالُه واستيساقه سنة .... قال وعمري احدى وثمانون سنة ، قال واذا استوسق الملك بالمغرب .... يقال له محمد ابن احمد ، قال ويكون دخولي مراكش سنة ثلاث ...... (وبعد) ذلك امشي الى المشرق ، فأجد المرواني وهو محمد بن عبد الله .... الركن والمقام ، ويفتح البلاد ، ويستولي على العراق ، وهو الذي يتم .... اربعون خليفة ، وانه قيل له انها تتم عليه قبل استيساق امره ثلاث واربعون َهزيمة ، وان من جملة ما اوصوه به ان يكون قتالُه كلُه بالكماين حتى لو لم يكن معه الا عشرة من الفرسان يصفُ بعضهم ويكمن بعضهم ، واخبر ايضاً عن مقتل ابيه في بعض المواطن قبل استيساق امره ، واخبر عن الطائفة المنصورة المؤيدة بأنهم يتعلق مَن يبقى منهم بجهة من بلاد النصارى بالأندلس ، قال بعض الحاضرين : ومَن انصارك ؟ قال قد سألت عن هذا فقلت حين وعدت بهذا وكيف يكون ذلك ومَن لي به ولا مال ولا عز ولا قبيل؟ فقيل اذا كان ذلك الوقت اعطيتَ آيتيْن ، احداهما انك ترجع تطير بالنهار كما تطير بالليل الآن ، والأخرى قضيبان احدهما أسود والآخر ابيض اضرب بالأبيض على الأسود فيعود الليل نهاراً والقمرُ شمساً ، واضرب بالأبيض على الأسود فيعود النهار ليلا والشمس قمراً ، قال له بعض الحاضرين : ومَن الذين يقومون بدعوتك ؟ فانتدب الأبُ يعدُ القبائل حاكياً عنه بعد احدى عشرة قبيلة اكثرها صحراوي ، وكان الأب في اكثر هذا اما مشاركاً له في الحكاية واما مذكراً بما يتركه فلم يعدمْ مني ولا من الحاضرين انكاراً عليه وتعريفاً له بأن هذا مما يدل على أن أكثر هذا منك والا فاتركْه ، فيتركه قليلا وتغلبُه نفسه فيعود ، وجرى من الأحاديث غير هذا مما لا أذكره الآن ، وقد تعلَّق الحاضرون بأكثرها

فهي مبثوثة ، وحين انتهى الى هذه الغاية قلت له : يابُني اعلم الآن ان هــذا امر لا يحل السكوت عنه ولابد من انهائه ، وانا الآن قد خطر لي أن احبسكما الليلة هاهنا حتى أبلغ بكما الى اهل الأمر ، فقال ، اصنع ، (فقال له بعض) الحاضرين اذا والله يابني يقتلونك ، قال يصنعون اشد .... قلت له يابني والله لتُقتلَنَّ معجلا او مُؤجّلا ، قال والله (أن الله) لا يُخلف وعده ، قلت له الشيطان وعدك ومنّاك وغرّك ، قال بل .... قلت فان قتلت ، قال اذا قتلت اقتل مظلوماً وامضي الى الجنة ، قلت له .... تناقضك ، ها انت ذا قد جوزت القتل وقد كنت تمنعه ، قال هذا على .... قلت له اسمــع الآن ، انا اذا ذهبتُ بك غداً لا تسيء معي .... فانه يلزمني لحق الخدمة ان احملك على تقبيل رؤوسهم اوماكان منهم حين .... ما افعل ، فقال له بعض الحاضرين كيف لا تفعل ؟ الا تقبلُ ايدي اهل الأمر ؟ فرفع اليه يديْه مُنكراً عليه ، وقال (لــه) كيف اقبل أيدي قوم اليوم وانا اثور عليهم غداً ؟ واخذه الحاضرون بعد الانتهاء الى هذا المقام بأنواع من الأخذ ، منه شيء عليه وشيء على ابيه ، فذكره ابوه بما اعطوه ، فقال نعم قد اعطوني شيئاً آمن به ، واخرج من جيبه صرراً فيها أشياء سخيفة لا تعرف ، وزعم ان شلانون قال له ليلة الثلاث تاهب ، وزد مع ذلك الشيء الذي اعطيتك قطعة من عود رطب ، فأرانا جميعَ ذلك ، ولما انتهى هذا المجلس الى هذا الحد اذن المؤذن بالمغرب ، فصرفته واستوثقت من ابيه وانصرفت ، وبعد انصرافه عني ندمت ورأيت اني ضيَّعت الحزمَ ، فاني خفت ان يرجعا مع انفسهما ، فيتبين لهما ان المسألة قد انتهت الى حد لا تترك فيستخفيا ، ولم يكن لي حيلة الى الصباح ، ولما اصبح غدوت مستخيراً الله تعالى ، فعرفت بها مجملا الا مواضع منه من ادام الله عزهما وفهما منه ما فهما مما لا يفهمه غيرهما ، وقال الشيخ الموقر المكرم عثمان : ينبغي ان نراه ، فقلت وما تصنعون برؤيته وهو شيطان لا يبالي ما يقــول ؟ فصرف ذلك الشيخ ابو محمد ووجه بأن قال أرأيت ان سمعت منه في الأمر شيئاً آتركه ؟ والله لأفكنّ عنقه او كلاماً هذا معناه ، فقال الشيخ المكرم عثمــان ومع هذا لابد ان يصير هذا الخبر عياناً ، ثم قال لي تولَّ هذا بنفسك ، اذهب الآن فجئنا به ، ففعلت ، ولما دقّ عليه الغلام الباب وقد كنت خائفاً الا اجده ،

اذا به قد خرج فقلت له الطريق ، فدخل ودخلت معه واذا بابنه فقلت ما صنع هذا الطالب ؟ هل رأى شيئاً البارحة ؟ قال لا بل نام ، وقد نفعه ما اسمعتموه ، وأيضاً فانه (لايرى شيئـاً) اذا بات عند امه ، فقلت ولعل هذا من القـاء الأم اليه ، فقال (ليس الأمـر) الا كما اخبرتكم ، قلت باسم الله ، انـا قـد امـرت ان احضرك ، فافعل .... الأب قد عضلته البارحة في ذلك ، فاناب ان يفعل مـا تأمـره به من (التسليـم) عليهـم ، قلت الحمد لله ، قـال وقـد عضلته في ان لا يذكر شيئاً مما وُعِد به .... سماعه لأهل الأمر ، فأناب الى ذلك ، قلت له اما هـذه فاني قـد اخبرت (بجـميـع) مـا قلت لي من ذلك ، فقال لي كلاماً معناه ما افضيت بهذه الحاجة الا لك ، (فقال الابن) لا اترك شيئاً مما امرت بالجهر به ، وكلُ ما قلت لك اقوله لهم ، قلت له ولا ايضاً هذا .... تسبب لسانك ، ولا تقل الا جواب ما اسألك عنه ، قال نعم ، فخرجت معهم ، ولما دخل الطفل على مَن ادام الله عزهم حملته الى كل واحد منهم ، فسلَّم كما اردت وجلس واستنطق فنطق بكل ما تقدم ذكره غير متهيب ولا متحرج ، غير انه بعد لأي ما اخبر عما وُعد به ولم يفعل الا بعد ان قال له الشيخ الموقر عثمان يابني قد زلت ما هو فوق فاسكت عنه ، قال قد فهم عني المقصود ، فقلت له انا كيف يفهم عنك ما لم يسمع منك ، اما انا فقل عني اني فهمت مقصودك لأني قد سمعتُه منك ، اما هؤلاء الأشياخ فمن اين وهم لم يسمعوا ؟ قلت اخبرت انك تكون سلطاناً قال نعم ، واخذ يحدث بكل ما اريد ان يتحدث به حتى خطر لي ان توقفَه انما كان لما كان زبط من ان لا يقول الا جواب ما يسأل عنه .

ومما جرى في هذا المجلس ان الشيخ المكرم ابا محمد قال له ولمَ تصلّي وتصوم وانت كما تزعم غير بالغ ؟ قال اتطوع ، وقال ايضاً ولمَ تتعبُ في القراءة وانت يأتيك الخبر من السماء ؟ قال اخرج عن .... فقال له الشيخ الأجل المعظم عثمان وقد خرجت عنهم خروج سوء أو كلاماً هذا معناه ، وجرى فيه ايضاً ان قلت له لم تكلمت بهذا الذي زعمت بأنك امرت به ، قال أفأعصيه ؟ قلت وقد قلت انك لم تبلغ فهذه الأوامر من جملة ما لم يلزمك ، قال افاعصيه او كلاماً هذا معناه ، قال له الشيخ الموقر

ابو محمد ولم تطلب منهم ما يكون مصدقاً لك ؟ قال فعلت ، وذكر قصة القضيبيْن ، وحين انتهى المجلس الى هذا الحد امروني (بالانصراف) ففعلت وانصرفت الى منزلي ، وفي بقية هذا اليوم .... ما مكن الريب فيه وحقق التهمة في حقه ، وقوى ذلك (شهادة) ذلك الطالب الحاكي عنه ما حكى من امر لا نبي بعد محمد ، هو خاتمُ النبيئين ، هذه كلمة قد قالها موسى وعيسى ، فقلت له أبنيت على ما قلت لي ؟ قال نعم ، واستجابت ...... عندي ما أوجب .... بالتعريف بهذا كله ، ففعلت ، وها هنا........ وفي هذا اليوم امر بالاستيثاق منهما بالتقييد .

قال المصنف عفا الله عنه : هذا آخر ما وجدت بخط علي ابن القطان من هذه القصة ، (وسمعتُ) من ابنه حسن شيخنا ومن غيره من شيوخنا انهما قتلا من الغد صبراً بالسيف ، وان الأب رغب في تقديم الابن حتى يشاهد مصرعه ويحتسبه عند الله سبحانه ويحق عنده بطلان ماكان يصدر عنه من تلك التخيلات الكاذبة ، فقدم الابن على مقترحه واتبع الأب فكان امره عبرة للسائلين، وتحدث الناس به مدة .

قال المصنف عفا الله عنه : ولما توفي العادل مقتولا كما تقدم اقتضى نظرُ اهل الحل والعَقد بمراكش تقديمَ اخيه ادريس الملقب بالمامون، فبايعوه وكتبوا بيعتهم اليه وهو باشبيلية ، والأندلس كلها لنظره ، فاستخلف على مراكش عمر بن عمر بن عبد المومن ، ثم انهم استبطأوه فنكثوا بيعته ، وامتنع من نكثها عمر هذا وعمر بن تفراجين فقتلوهما ، وبايعوا يحيى الملقب بالمعتصم ابن محمد الناصر ، وكان ممن حضر (عقْدَ) البيعة المامونية وتقديم المعتصم علي ابن القطان خوفاً على نفسه من المأمون اذ كان اخاً العادل ، وحرصاً على نيل الحظوة عند المعتصم كما كان حظياً عند اخيه المستنصر وأبيهما الناصر وجدهما المنصور ، ولما انتهى الى المأمون نقضُ ما ابرموه من بيتعه ونكثهم اياها وتقديمهم يحيى ابن اخيه وكان معظم أكابرهم قد كتب كل واحد منهم كتاباً إليه بتأكيد االبيعة وتقرير وسائله لديه احفظه ذلك واشتد حنقه عليهم ، وأجاز من الأندلس في سبعمئة او نحوها من النصارى (88) مستنجداً بهم ومَن التف

88) الذي في الأنيس المطرب بروض القرطاس (ص 251) ان ملك قشتيلية (فرناندو الثالث) بعث اليه جيشاً كثيفاً من اثنى عشر الف فارس ، وفيه مبالغة لا تخفى .

عليه من قبائل العرب ورئيس سفيان منهم جرمون ، وهسكورة ورئيس قبيلة بني مصطا ومنهم عمر بن عبد المومن بن وقاريط ، فبرز اليه ابن اخيه بظاهرها فالتقى الجمعان على ايكليز جبل (مطل على مراكش) فهزم المعتصم وانتهبت محلاته ، ودخل المامون مراكش .... بقين من جمادى الأولى سنة سبع وعشرين وستمئة ، فلما كان يوم .... تقدم امره الى قاريء العشر الجارية قراءتها قبل صعود الامام المنبر .... وعين له قراءة (وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه) الآيات الى قوله تعالى .... الى آخر الآية ، فاستشعر الباقون بمراكش من رؤساء الدولة ان المامون .... اخيه العادل ، فلما كان من الغد احضر صناديدهم وكانوا اثنين واربعين رجلا الى قبة جلوسه ، وهي القبة التي كان احدثها الناصر بزاوية الرحبة الكبرى واحد مفتحيه يقابل الشمال والآخر يقابل الغروب ، وقد عمَّر الرحبةَ بنحو الفيْ فارس كاملي شكة الحرب ، ونحو الف راجل من الجاري عليهم اسم عبيد الدار بحرابهم ، ولما استقرَّ به المجلس امر القاريء بقراءة (ان الذين سبقت لهم منا الحسنى) الآيات الى آخر السورة ، ولما انتهى القاريء الى قوله تعالى (هذا يومكم الذي كنتم توعدون) نكث المامون في الأرض بسكين كان في يده ، ولما فرغ القاريء من قراءته اقبل المامون على جرمون وعمر بن وقاريط وكانا مقيميْ دعوته واستصغاهما الى ما يجري بينه وبين اولئك الحاضرين من اكابر الدولة ومعظمهم من الهنتاتيين واهل تينمال ، وقال لقاضيه ابي زيد المكادي : اقرأ هذه البيعة على هؤلاء الأشياخ ، فقرأها عليهم ، فلما فرغ من قراءتها قررهم عليها ، وقال لهم آنتم اجتمعتم على مبايعتي فيها ومخاطبتي بما تضمنته ؟ فقالوا نعم ، فدفع الى القاضي كتاباً بعد كتاب من الكتب التي كانوا قد كتبوا اليه فقرأه ، فكلما فرغ من كتاب قرر كاتبه عليه بكتبه اياه حتى أتى على آخرها ، فقال ايها القاضي احكم بيني وبين هاؤلاء ، فانهم قتلوا اخي وعمي وبايعوني عامة وخاصة ، ثم نكثوا بيعتي وقتلوا خليفتي ومَن امتنع من نكْث بيعتي ، ولو انهم دعوني اولاً الى مبايعة ابن اخي لكنتُ اولَ مبادر اليها ولم أتخلفْ على ما يدخلون فيه طرفة عين حسماً للخلاف واطفاءً لنار الفتنة ، وقد كان (له على اهل) تينمال حقد لسبب يشنع ايراده ، وقد قيل لبعض القضاة ......

فقال انفاذ حكومة عدل في عدو ، فقال القاضي اسمعتم (ما قال الخليفة) ؟ قالوا نعم ، فقال لهم ما جوابكم عنها ؟ فقالوا لا جواب لنا عليها (الا عفو) سيدنا امير المومنين ، فقال لهم ان من جنايتكم المسرودة عليكم .... العفو ، ومنها تمالؤكم على قتل خليفتي ومن تمسك ببيعتي عدواناً .... وقد كان احضر في ذلك المجلس اولادَ خليفته المذكور ، فقال للقاضي احكم (بيننا) ايها القاضي في هذه الواقعة حكم مَن لا يخاف في الله لومة لائم ، فعند ذلك قال القاضي ياأمير المومنين مثل هاؤلاء القوم كمثل ما قال الله تعالى (ان الذين ءامنوا ثم كفروا ثم ءامنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا ، بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً) ، واشار اليهم ماراً عليهم بسبابته ، فأمر المأمون حينئذ بقتلهم اجمعين ، فأخرجوا عند مشرع القبة (فقتلوا قصعاً) بالرماح واحداً بعد ءاخر ، وكان فيهم شاب ترامي الى عمر ابن وقاريط مستجيراً به ، فقال عمر يا سيدنا هذا قد استجارني وقد علمتم قدر الدخيل عند قبيلنا ، فقال لهم المامون : قد اجرنا من اجرت يا عمر ، ولو شفعت في اكثرهم لقبلنا شفاعتك ، وكان فيهم شيخ احد بني عمران فقال لجرمون ولعمر ابن وقاريط عندي شهادة اشهدني بها سيدنا المنصور مع جماعة غيري في حق هذا الانسان ، يعني المأمون ، انه ليس بابن له وانما هو ابن علج كان يلج عليه في قصره ، فزني بأم هذا فجاءت به لغيه ، فهذا قد وجب علي اعلامكم به ليلا تغتروا بهذا الانسان وتحسبوا انه لرشده ، فقال له المأمون هذه فرية اختصصت بها ولابد من اقامة الحد عليك بسببها ، فأمر به فجلد ثمانين جلدة ، ثم قال ولنا تقريرك بما نراه ، فأمر بكسر اسنانه فكسرت براس السيف ، ثم قتل بالرماح .

ثم تحرك المامون الى محاربة مَن بقي من اولئك القبائل الذين انشأوا تلك الفتن ، فكانت بينهم وقائع كثيرة كان الظفر فيها كلها للمامون على المعتصم يحيى ابن اخيه ، وقتل من رجال اولئك القبائل آلافاً لا تُحصَى ، حتى ليذكر انه عم شرفات مراكش بتعليق رؤوسهم فيها ، وربما علق من بعض الشرفات رأسان ، والمطرحُ في كل معترك اكثر من ان يحصره عد او يأتي عليه حساب ، وفي ذلك يقول :

أهل الحرابة والفساد من الـــورى يعزون بالتشبيــه للذكـــــار (89)
ففســاده فيه الصــلاح لغيـــره بالقطع والتعليق في الأشجــــار
فرؤوسُهم ذكـرى اذا ما ابصــرت فوق الجـذوع وفي ذرا الأســوار
وكذا القِصاصُ حياة ارباب النهى والعدل مالوف بكـــل جـــوار
لو أن عفـو الله عـمّ عبـــاده ما كان اكثرهم من أهـل النـــار

قال المصنف عفا الله عنه : قد تغلغل بنا القول حتى خرجنا عن .... الكتاب او كدنا نخرج عنه ، ولكنها فوائد تعلق بعضها بحجز بعض فأوردناها هنا ، لأنها قل ان توجد مجموعة في مكان ، فلنرجع الى ذكر ابن القطان فنقول :

لما دخل المامون مراكش على الوجه الشنيع الذي دخلها عليه فصل يحيى المعتصم من ظاهرها في فلّ اصحابه وشيعته ، وكان منهم علي ابن القطان متولياً القضاء بين حزبه ، فانتهبت داره وذهب كل ما كان فيها من مال وكتب ، وكانت سبعة عشر حملا ، منها حملان بخطه ، ولم يزل مع مغروره المعتصم امام عمه الى (ان وصل) سجلماسة ، فأدركت ابن القطان بها منيتُه مبطوناً حصيراً على ما فقد من اهله وبنيه وكتبه وسائر متملكاته ، وكانت وفاته بين العشاءيْن من الليلة التي اهلَّ فيها هلالُ شهر ربيع الأول من سنة ثمان وعشرين وستمئة ، ودفن بالركن الواصل بين الصفحيْن الشمالي والغربي من الزنقة لصق الجامع الأعظم بسجلماسة ، وقبره هنالك معروف الى الآن ، ومولده بفـاس فجر يـوم عيد الأضحى من سنة اثنتين وستين وخمسمئة .

وسياتي ذكره فى ترجمة عصريه يوسف بن محمد بن المعز (90)

1386) علي بن احمد الحرالي التجيبي

علي بن احمد بن الحسن بن ابراهيم الحرالي التجيبي الشيخ الفقيه ، العالم المطلق ، الزاهد الورع ، بقية السلَف ، وقدوة الخلَف ، نسيجُ وحده ،

---

(89) **الذكار** في العامية المغربية نوع من التين المذكر لا ينضج ، يقطعه الموكلون بالحدائق والبساتين ويعلقونه بشجرة التين (الأنثى) فيلقحها (يذكرها) وتؤتي تيناً لذيذاً طيباً ، وما زالت الكلمة مستعملة الى الآن في عامية اهل المغرب .

(90) ينظر عن ابن القطان **التكملة** ص 686 ع 1920 طبع مدريد وقد تقدمت ، **ونيل الابتهاج** ص 200 **وجذوة الأقتباس** ص 470 ع 517 **ونفح الطيب** 3 : 135 و 180 و 4 : 161 **وصلة الصلة** (مخطوط القاهرة) ص 98

كان بدء أمره بمراكش ، ثم تخلّى عن الدنيا ورحل الى المشرق ، وكان ذلك بعد أن حصل من العلم ما سبق به أبناءَ وقته ، ثم قذف قلبه من نور الله تعالى ما اقتضى اخلاصَ العمل لآخرته .

ولقي بالمغرب والمشرق جِلةَ العلماء ونُقايةَ الفضلاء ، فمن جملة مَن لقي بالمغرب علي ابن خروف ويوسف ابن نموي ، وممن لقي بالمشرق الامام محمد القرطبي امام الحرم الشريف ، قال احمد الغبريني في عنوانه : تعلمنا عليه الفاتحة في نحو من ستة أشهر ، وكن يُلقي في التفسير قوانينَ تتنزل في علم التفسير منزلةَ أصول الفقه من الأحكام ، الى أن منَّ الله ببركاتٍ ومواهب لا تُحصَى ، مما لا عين رأته ولا اذن سمعته ولا خطر على قلب بشر ، وعلى أحكام تلك القوانين ، وضع هو ، رحمه الله تعالى ، الكتابَ المسمى « مفتاح الباب المقفل ، على فهم القرآن المنزل » ، وهو ممن جمع العلم والعمل ، اما عمله ، رحمه الله ، فانه قد جمع فنون العلم بجملتها واستولى على كليتها ، امــا علم الأصول ، فأصول الدين وأصول الفقه هو اعلمُ الناس بها ، وقد صنّف فيها ، واما معقولات الحكماء فهو اعلمُ الناس بالمنطق ، وله فيه تصنيف سماه بـ «المعقولات الأول» ، واما علم الطبيعيات والالهيات فكان اعلمَ الناس بها .

أخبرنا شيخنا ابو محمد عبد الحق (91) ، رحمه الله قال : كنا نقرأ عليه «النجاة» لأبي علي ابن سينا فكان ينقض عراه نقضاً ، وذلك بعد ان يوضح منه ما يليق ، ويقرره بأحسن طريق ، ثم ينقضه ويوهنه ، وأما علمُ التعاليم فكان اعلمَ الناس بها ، واما علمُ الفقه فكان اعلمَ الناس به منقوله ومعقوله ، وقد توهم بعض مَن لا يعرفه ، لما رأى من استغراق الشيخ رحمه الله في فنون من العلم انه قاصر فيه .

---

91) في نسخة الاعلام الخطية : اخبرنا الفقيه ابو عبد الله قال الخ وعلق المؤلف على هذه الجملة في الطرة امامها بخطه فكتبه ما يلي : هو ابو عبد الله محمد بن حسن بن علي بن ميمون القلعي الأستاذ النحوي اللغوي الماهر المتفنن المتوفى ببجاية سنة 673 هـ .

اما نسخ عنوان الدراية المطبوعة ففيها قال شيخنا ابو محمد عبد الحق ، والغبريني يعني شيخه ابا محمد عبد الحق بن ربيع الأنصاري المتوفى ببجاية عام 675 هـ ولعله هو الصواب .

وأخبرني شيخنا ، الفقيه عبد العزيز بن عمر ابن مخلوف رحمه الله قال : لما ظهر للشيخ رحمه الله من فقهاء وقته ، انهم اعتقدوا انه لا يعرف فقه مذهب مالك ، رضي الله عنه ، علّمهم معرفتَه به ، قال ، فكان اذا اقرأ «التهذيب» يُبين في كثير من مواضعه انه مخالف لأصل المدونة ومغاير لها ، ويأمر بالأصل فيقاس فيبين المخالفة بينها وبين ما وقع لمالك واصحابه في الكتب التي وقع فيها النقل ، حتى يقررهم في طريقهم .

واما علم التفسير ، فكان يورد الآي ويناسقُها نسقاً بديعاً ويتكلم فيها بما لم يسبق اليه ، وله «تفسير» على كتاب الله تعالى ، سلك فيه سبيل التحرير ، وتكلم عليه لفظة لفظة وحرفاً حرفاً .

وكان وقع الكلامُ بينه وبين الشيخ عز الدين بن عبد السلام امام الديار المصرية في زمانه ، على التفسير ، وطلب ان يقف على شيء منه ، ولما وقف عليه قال اين قول مجاهد ؟ اين قول قتادة ؟ اين قول ابن عباس ؟ واكثر القول في هذا المعنى ، ثم قال يخرج من بلادنا ، ولما بلغ كلامُه الشيخَ رضي الله عنه وامره به ، قال هو يخرج ويقيم عبد الله ، فكان كذلك ، وقع بينه وبين صاحب الديار المصرية كلام ، فقال له البلاد لك ام لنا ؟ قال لك ، فقال اخرج من بلادنا ، فخرج من البلاد ، وكان ذلك من احدى كراماته رضي الله عنه .

والشيخ رحمه الله ، سلك في تفسيره مسلك البيان والايضاح ، على نحو ما يقتضيه علم العربية وعلم تنقيح المعقول ، وما يبقى وراء هذا سوى علم الأسباب التي عند النزول ، وعند الحاجة اليها لابد من ذكرها .

وعلم الحديث كان له فيه تقدم وعلو سند ، وعلم العربية لغة وأدباً ونحواً كان متقدماً فيه ، له التآليف الحسنة ، وله الشعر الفائق الرائق غزلا وتصوفاً ، وله في علم الفرائض مالم يُسبَقْ اليه .

واما علم التصوف فهو فيه الامام ، وله فيه التآليف الحسنة البينة السهلة ، وبالجملة فحيث تكلم في علم ، يعتقد الناظر انه لا يعرف غيره ، واكثر كلامه انما هو اصلاح العلم وحال العلماء ، ومَن طالع كلامَهُ وتأمله يعرف

ذلك ، وما من علم الا وله فيه تصنيف وتأليف ، وهو من أحسن التصانيف واجل التآليف ، ولعمري ان كتابه في علم الفرائض المسمى بالوافي ما رايت مثله في ذلك الفن ، لأنه اعطى الفرائض موصلة مفصلة معللة بأخصر بيان وأوضح تبيان ، وكذلك كل ما طالعته من كلامه في أصول الدين ، وعلم المنطق ، وعلم العربية ، وعلم التصوف ، وعلم الفرائض ، وغير ذلك من سائر ما تحدث فيه رضي الله عنه ، وله فيه التقدم والتحكم .

وأما خلقه ، رضي الله عنه فكان أحسن الناس خُلُقاً ، ولقد سمعت عنه ، رضي الله عنه انه قال : أقمت في جهاد النفس مدةً من سبعة اعوام حتى استوى عندي مَن يعطيني ديناراً أو يزدريني .

اما زهده فانه كان زاهداً حقيقياً بالظاهر والباطن ، وكان كل ما يرد عليه منها ينفصل عنه من ساعته ولا يتمسك منه الا بحاجة وقته ، ولقد زهد ، رضي الله عنه ، حتى في الكتب ، فانه لم يكن عنده منها شيء ، وكان لا يفتقر في مواعيده الى مطالعة او مراجعة شيء لاحاطته وتحصيله ، وجميعُ ما صنفه من الكتب ماكان يراجع فيه كتاباً ولا يُطالع فيه سوى مجرد فكره وتسديد نظره .

وكان زهده حقيقياً بالظاهر والباطن ، اصبح يوماً ولا شيء لأهلـه يقيمون به اودهم ، وكانت له جارية هي امُ ولده تسمى كريمة ، وكانت سيئة الخلق ، فاشتدتْ عليه في الطلب ، وان الأصاغر لا شيء لهم ، فقال لها الآن يأتي من قبل الوكيل ما ينتفعون به ، فبينما هم كذلك ، اذا بالحمال يضرب الباب بشكارة (92) قمح، فقال لها يا كريمة ما اعجلك، هذا الوكيل بعث بالقمح، فقالت : وما نصنع بالقمح ومتى يُصنع ، فأمر به فتصدق به ، وقال لها يأتيك ما هو احسن منه ، فانتظرت يسيراً وبدا لها في صدقته ، وتكلمتْ بما لا يليقُ من القول ، فبينما هم كذلك ، واذا بحمال بشكارة سميد ، فقال لها هذا السميد

---

92) **الشكارة** في العامية المغربية هي الكيس والعدل ، وهي **الخنشة والخيشة** ايضـاً ، وتطلق كذلك على كيس جلدي صغير يعلق بمجدول من حرير او غيره على جنب الرجل يضع فيه ماله واوراقه ومفاتيحه .

يسرٌ واسهلُ من القمح ، فلم يقنعْها ذلك ولا رضيت ، وتكلمت بمثل ما سبق من كلامها ، فأمر ايضاً بصدقته ، ولما تصدق به زادت في المقال ، فبينما هم كذلك واذا برجل على راسه كاملة (93) فقال ياكريمة ، قد كفيتِ المؤونة ، هذا الوكيل قد علم بحالك ، فأغناك عن اعمالك .

وعلى مثل ذلك ، كان حاله رضي الله عنه ، وهذه المسألة جمعت الزهد والكرامة ، وانا ان شاء الله اذكر من كراماته ومكاشفاته ، ما يدل على قدره وبهجة امره رضي الله عنه .

• حدثنا شيخنا الفقيه ابو عبد الله التجيبي الأديب قال : اجتمعنا في مدة قراءتنا عليه بجمع من الطلبة في نزهة ، واجتمعنا على ما يجتمع عليه الشباب من اهل الطلب ، واسقطنا المحاشمة وجرينا على حال الطيب والمكارمة ، وكان من جملة ما صنعناه ان اخذنا حلياً من زينة النساء وحلينا به بعض اصحابنا ، واصبحنا للحضور بمجلس الشيخ رحمه الله على جري عادتنا ، ولما جرت موجبات الاستدعاء للمحاورة ومقتضيات المذاكرة ، اخذ صاحبنا الذي كان الحليُ في يده يتحدث ويشير بيده ، فقال له الشيخ رحمه الله : «يد يجعل فيها الحلي لا يُشار بها في الميعاد » ، فبهتنا وقلنا كما اطلع الشيخ على هذا اطلع على غيره ، فجددنا المتاب ، واجمعنا على ما يقتضي صلاح المئاب .

ومن كراماته رضي الله عنه ، ماذكره من امره الفقيه الصالح محمد ابن ابراهيم السلوي ، قال : كنت ببجاية ، فأصاب الناس جفوفٌ عظيم ، وقلّت المياه ، وجف امسيون ووصل الزق الى اربعة دراهم ، وكان الناس يملأون الماء من الوادي الكبير ، قال : فبعثني رحمه الله الى بعض دور اصحابه وسقيت برمةً ماء من ماجلها الى داره رحمه الله ، وامرني رضي الله عنه ، ان اسوق منها الماء للفقراء يشربون ، قال فامتنعت كريمةُ وانتهرتني ، فسمع كلامها ، فقال لي : قلْ لها ياكريمة ، والله لأشربن من ماء المطر الساعة ، وهو قائم بالمسجد .

---

93) في اصل المؤلف (كاملي) ، وفي طبعة بيروت من **عنوان الدراية** (كاملة) ولعل بعض الكلمات سقطت من مخطوطات العنوان .

مسجد الامام المهدي رضي الله عنه ، قال : فرمق السماءَ بصره ودعا الله تعالى ، ورفع يديه وشرع المؤذن في الأذان ، فانعقدت السحب وتراكمت ، ولم يختم المؤذن اذانَه بقول «لا اله الا الله» حتى كان المطر كأفواه القِرب ، وروي الناس واغدقوا ، فرأيته قال : ينصب يده المباركة للمطر ويشرب ويغسل وجهه ، ويقول : مرحباً بقريب عهد من ربه .

توفي بحماة من الشام سنة 637 هـ

انتهى كلام الغبريني (94)

ويذكران بعض تلاميذه كان مولعاً بالخمر ، فاعتكف عليها ليلةً وسقط على وجهه على زجاجة فأثرت فيه ، فلما أصبح جاء الى الشيخ وفي وجهه اثرها ، فانشد مكاشفاً :

لا تسفكنْ دمَ الزجاجة بعدها ... ان الجروحَ كما علمت قِصاص

فحشم الطالب وتاب .

قال الذهبي : ابو الحسن الحرالي أندلسي ، ولد بمراكش ، وحرالة قرية من اعمال مرسية ، له تفسير فيه اشياء عجيبة ، ولم اتحققْ ما تنطوي عليه عقيدته ، غير انه تكلم في وقت خروج الدجال وطلوع الشمس من مغربها وياجوج وماجوج ، ورأيت شيخنا المجد التنسي يتغالى في تفسيره ، ورأيت غير واحد معظماً له ، وتكلم جماعة في عقيدته ، كان من أعلم الناس ، وقال لنا شرف الدين البارزي تزوج بحماة ، وكانت زوجتُه توذيه وتشتمه وهو يتبسم ويدعو لها ، وان رجلا راهن جماعة على ان يحرجه ، فقالوا لا تقدر ، فأتاه وهو يعظ وصاح قائلا له كان ابوك يهودياً فأسلم ، فنزل من الكرسي فظن الرجل انه غضب وانه تمّ له ما رامه ، فوصل اليه فخلع مرطيه عليه فأعطاهما لهُ ، وقال بشَّرك الله بالخير ، لأنك شهدت لأبي بالاسلام .

---

94) ترجمة علي الحرالي في **عنوان الدراية** (ص 143 ع 31) اوسع مما نقل المؤلف ، ويجب التنبيه على ان ناسخ هذه الترجمة من العنوان لهذا الكتاب مسخها مسخاً بالزيادة والنقص والتقديم والتأخير مما لا تستقيم معه المعاني احياناً ، ولهذا صححناها على نسخ **العنوان** المطبوعة ، مقتصرين على ما انتقاه المؤلف او انتقاه ناسخة منها .

قال بعضهم مانقله الذهبي في عقيدته عن بعضهم لا يُسلم له ، لأن الغبريني أعلم به ، لأن اهلَ كل قطر اعلمُ ببعضهم ، والموجود من تفسيره من اوله الى قوله تعالى في ءال عمران كلما دخل عليها زكريـاء ، وهو نفيس" حسن ، وعليه نسج البضاعة ، وذكر ان هذا القدر هو الذي وقف عليه منه .

ترجمه في التكملة والميزان وعنوان الدراية والنيل والتوشيح ونفح الطيب .

وفي الحقائق والرقائق (95) ما نصه : رقيقة قال لي محمد بن عبد الله بن عبد الواحد الرباطي قال لي محمد بن عبد السيد الطرابلسي ، دخلت على علي الحرالي فقلت كيف اصبحت ؟ فأنشد :

اصبحت ألطفَ من مرّ النسيم سرى	على الرياض يكاد الوهـمُ يؤلمني
من كل معنى لطيف احتسي قدحـاً	وكل ناطقة في الكـون تطربُنــي

واسند في المنح البادية طريقته ، وذكر من اشياخه ابن القطان وابن الكتـاني .

وقال في القاموس : حُرالة مشددة باللام قال في تاج العروس اهمله الجوهري والصاغاني واكثر اهل اللغة ، وسرد ؟ بالمغرب بالقرب من مرسية أو قبيلة بالبربر سمي البلد بها ، وعلى الأول اقتصر الذهبي ، ومنهم من ضبطة بتشديد الراء وتخفيف اللام ، منهم الامام فخر الدين بن علي هكذا في النسخ والصواب علي ابن احمد بن الحسن ، وفي بعض النسخ الحسين ابن احمد بن ابراهيم الحرالي التجيبي المفسر ، ذو التصانيف المشهورة ، منها تفسير القرآن العظيم ، ولد بمراكش وتوفي بالشام سنة 637 اخذ بالأندلس عن علي ابـن خروف وابن القطـان وابن الكتـاني ، وبالمشرق عـن ابي عبد الله القرطبي امام الحرم الشريف ، ودخل مصر فأقام ببلبيس مدة ، ثـم سكـن طرابلس ، وكان يقرىء احد عشر علماً ، وكان من العجائب في جودة الذهـن واستخراج الحقائق ، وكان ابن تيمية يحط عليه ، روى عنه القاضي ابو فارس بن كحيلا والبوني صاحب شمس المعارف ، وتفسيره غريب مشحون بالفوائد ،

95) كتاب للقاضي محمد المقري التلمساني

نقل منه البرهان البقاعي في تفسيره الذي سماه بالمناسبات ، ومن مؤلفاته شرح الموطأ ، والشفا ، وفتح الباب المقفل في فهم الكتاب المنزل ، وكتاب العروة ، واصلاح العمل لانقضاء الأجل ، وشرح الأسماء الحسنى ، والتوشية ، التوفية ، واللمعة ، وشمس مطالع القلوب في علم الحرف .

انتهى كلام التاج المنازج لكلام القاموس .

والبيت الذي انشده المترجم مكاشفاً هو لابن الأبار ذيّل به بيتاً لعبيد الله بن محمد بن احمد بن عبد الرحمان ابن عبد الله بن محمد بن فتوح النفزي ابو عيسى وابو مروان لما عاد تلميذَه علي بن أبي عمرو بن عيسى من جرح اصابه من كسر زجاج عثر فيه فكسره ، فأنشده ممازحاً .

اجريحَ كاسات ادرت نجيعها ... درك الترات يعز منه خلاص

فقال ابن الأبار :

لا تسفكنَّ دمَ الزجاجة بعدها ... ان الجروح كما علمتَ قِصاص

وخمّسها المؤدب ابو عبد الله الرباط النيار الشاطبي فقال :

نصحتْك رابية عدوت رضيعها ... بلسان حال فاشكرنَّ صنيعها
نادتْك لما ان رأتك صريعَها ... اجريح كاسات أدرت نجيعها
درك الترات يعز منه خلاص

صاحِ استمعْ عظةً توافق رشدها ... لا يأمنَنَّ النحلَ جاني شهدها
آثرْ على شرب المدامة بُعدها ... لا تسفكنَّ دمَ الزجاجة بعدها
ان الجروح كما علمتَ قِصاص

وممن اخذ عن المترجم يحيى بن زكرياء بن محجوبة القرشي الولي الصالح المتوفى في بجاية سنة 677 وعبد المنعم بن محمد الجزائري القاضي العادل المتوفى في عشر الثمانين وستمئة ، وممن اخذ عن المترجم عبد الحق بن ربيع

المترجم في 57 من عنوان الدرية ، وعبد العزيز بن عمر ابن مخلوف المترجم في 63 منه ، ومحمد بن الحسن التميمي القلعي وسماه بالأديب فاشتهر به ، ويحيى بن زكرياء السطيفي ترجمه في 103 من عنوانه ، قال فيه : سمعت عن الشيخ علي الحرالي رضي الله عنه انه عيَّن اصحابه بعده ، فقيل انه قال اصحابي ثمانية وعشرون ، منهم اربعة تستجاب دعوتهم ، وعين من الأربعة الشيخ يحيى ، انتهى (96) ومنهم محمد بن ابراهيم السلوي ومحمد بن علي القصري العابد الزاهد المترجم في 186 منه ، ومنهم المحصل الحكيم علي بن عمران بن موسى الملياني المعروف بابن اساطير المترجم في عنوان الدراية ص 227 ، ومنهم سليمان الأندلسي المعروف بكثير المتقدم الترجمة (97) ، وممن لقيه .... وتبرك الفقيه عبد الله ابن علوان المترجم في 314 منه (98) .

وممن اخذ عن المترجم محمد بن علي ابن العابد الأنصاري الفاسي المتوفى بحضرة غرناطة عام 662 في ذي القعدة حسبما في الجذوة في ترجمة محمد المذكور (99) .

فائـدة : قال في كشف الظنون : السر المكتوم في مخاطبة النجوم ، للامام فخر الدين محمد بن عمر الرازي المتوفى سنة 606 ست وستمئة ، قيل مختلق عليه فلم يصح انه له ، وقد رأيت في كتاب انه للحرالي علي بن احمد المغربي المتوفى سنة 637 والله سبحانه وتعالى اعلم ، وقال الذهبي في الميزان : ان له كتاب اسرار النجوم سحر صريح ، قال التاج السبكي في هامش هـذا الكتاب المسمى بالسر المكتوم في مخاطبة النجوم فلم يصح انه له ، وقيل انه مختلق عليه ، وبتقدير نسبته اليه ليس بسحر ، فليتأمله مَن يحسن السحر ، انتهى . وعليه رد للشيخ زين الدين سريحا بن محمد الملطي المتوفى سنة

---

96) انظر **عنوان الدراية** ص 104

97) ترجمته في **عنوان الدراية** ص 279

98) صححنا الأرقام على طبعة بيروت من **عنوان الدراية**

99) توجد ترجمة محمد بن علي الأنصاري في **الاحاطة** 2 : 287 وفي 4 : 243 ع 568 من هذا الكتاب . وما في الاحاطة من انه توفي عام 762 انما هو خطأ مطبعي ، وقد علق المؤلف على هذا الخطأ تعليقاً صغيراً لم نر داعياً لاثباته بعد ما صححنا تاريخ وفاة ابن العابد .

788 ثمان وثمانين وسبعمئة وسماه انقضاض البازي في القصاص الرازي، انتهى . قلت قد طبع كتاب السر المكتوم ووقفت عليه بمراكش في مجلد .

وقال في الكشف : شمس مطالع القلوب وبدر طوالع الغيوب ، لعلي بن احمد الحرالي المغربي الأندلسي المرسي ، ثم قال صلاح العمل لانتظار الأجل لشيخ الأمة علي الحرالي ، مختصر اوله : اما بعد حمد الله والصلاة الخ ثم قال : فتيا صلاح العمل لانتظار الأجل ، لعلي بن احمد الحرالي التجيبي ، ثم نسب له لمحة الأنوار وبركة الأعمار ، وقال ايضاً : اسماء النبي عليه الصلاة والسلام صنف فيه علي بن احمد الحرالي ، واقتصر على تسعة وتسعين كالأسماء الحسنى ، ثم ذكر كتاب الايمان التام بالنبي عليه الصلاة والسلام ، له نقل منه في بهجة المحافل راجع 15 من الجزء الأول ، اوله : الحمد لله الذي بدأ النبوة بخليفة علّمه الأسماء الى آخره .

وحكى الغبريني انه انشد بين يديه الزجل المشهور :

جنان يا جنان * اجنِ من البستان * الياسمين
واترك الريحان * بحرمة الرحمان * للعاشقين

فسأل بعض عن معناه ، فقال بعض الحاضرين ازاد به العذار ، وقال آخر انما اشار الى دوام العهد ، لأن الأزهار كلها ينقضي زمانها الا الريحان فانه دائم ، فاستحسن الشيخ هذا ووافق عليه (100) .

ونص ما في التكملة لأبن الأبار في ترجمة المترجم : علي بن احمد بن الحسن بن ابراهيم التجيبي ، نسبة الى قرية من مرسية ، وولد بمراكش وأخذ على ابن خروف ويوسف بن نموي ، وحج ولقي العلماء ، وتجول في البلاد ، وشارك في فنون ، ومال الى النظريات وعلم الكلام .

وكان موته بحماة من الشام سنة 637 (101) .

---

100) هذه الحكاية لا توجد في ترجمة الحرالي من **عنوان الدراية**

101) **التكملة** ص 687 ع 1921 ـ طبع مدريد

وذكر الحافظ في لسان الميزان بعد ايراد كلام الذهبي ما نصه : وهو ارخ وفاته في تاريخ الاسلام سنة سبع وثلاثين وستمئة ، وارخه ابن الأبار في شعبان سنة ثمان وثلاثين ، وكان لقي علي ابن خروف ومحمد بن عمر القرطبي ، ومن تصانيفه مفتاح الباب المقفل لفهم الكلام المنزل ، جعله قوانينَ كقوانين اصول الفقه ، وحكي عنه انه اقام سبعين سنة يجاهد نفسه حتى صار مَن يعطيه الدنانير الكثيرة ومَن يزرى به سواء ، وذكر ابن الأبار انه اقام ببلبيس مدة ، وذكر عنه انه قال اذا اذن العصر اموت ، فلما جاء العصر اجاب المؤذن ومات .

وقد تقدم ان قدر المجاهدة سبعة اعوام (102) .

1387) **علي بن احمد الصنهاجي** ، خدم الشيخ ابا العباس السبتي اربعة اعوام بمراكش ، وحدث عنه صاحب التشوف بما شاهد من احواله وما سمعه منه (103) .

1388) **علي بن محمد المراكشي** ، الشيخ العارف مؤلف كتاب (مناقب الأولياء ، وصفة سلوك الأصفياء) علامة دهره وعصره ، المشتهر في شام المشرق ومصره ، الباذل نفسه في تأييد التصوف ونصره ، الذي يعجز الوصف عن حد فضله وحصره .

رحل الى المشرق فأشرق في مطالعة ، واجتهد في اخفاء نور اشتهاره فابداه المستولي على طالعه ، تخلـَّى عن المعاهد والأوطان ، وتجلـَّى له من نور اليقين ما قذف به كلَّ شيطان ، وقد قيل ان التصوف تحلـّي وتخلـِّي ، نزل ببادس من بعد رجوعه من المشرق فأقام بها في عشر الأربعين وستمئة ، وما زال يتستـَّر بالخياطة حتى مات عفا الله عنه ودفن بالمقبرة الشرقية من مقابر بادس ، وقبره الآن مشهور بها يزار ويتبرك به .

قال في المقصد الشريف : حدثني ابي اسماعيل بن احمد رحمه الله قال : قدم على بادس الشيخ علي بن محمد المراكشي وعليه جبة صوف خضراء رائقة اللون وحزام صوفي تلمساني وعمة بيضاء ونعلان طليقيان ، وهو شيخ بهيٌّ

---

102) ينظر عن الحرالي ايضاً **نيل الابتهاج** ص 201 **والعبر** 5 : 157 **وشذرات الذهب** 5 : 189

103) **التشوف** ص 349 و 402 و 403 و 419 و 458 و 459

وضيئٌ يظنه كل مَن رءاه انه احد عمال الموحدين ، وكانت له مملوكة سوداء تعمل الخبز وتبيعه ، وكان يُجالس تاجراً بزازاً اسمه علي بن محمد الزهيلي ويعرف بالنعجة ، فكان يعطيه اثواباً من حانوته يخيطها له بالأجرة وهو لا يعرفه احد ، متستراً بما ذكرته من اللباس الحسن والسمت والعفاف ، قلت وهو على مذهب الملامتية كما قيل :

فمن علمه ان ليس يُدعَى بعـالـم ... ومن فقره ألا يـرى يدعي الفقـرا

ومن حاله ان غاب شاهـد حالـه ... فلا يرتجي وصلا ولا يتقي هجـرا

قال ابي : فاتهمه علي بن محمد بعلم الكمياء فكان يبالغ في بره واكرامه ، وسبب تهمته ان مملوكته الخبازة يظهر عندها حين تشتري القمح دراهم جيدة سكية ليست من سكة ذلك الوقت ، وكان يسكن برباط تامدا بمقربة من البحر في غرفة هناك ، فلما حان وقتُ وفاته ، وكان علي بن محمد النعجة اماماً في مسجد المقبرة كان ذلك الوقت وقت صلاة الظهر ، فقال له يا علي قم صل بالناس ، فان الجماعة في انتظارك ، فقال له يا سيدي ما اريد فراقَك ، فقال له قم فان قدر لك برزق في شيء ادركته ، فخرج عنه فما عاد اليه حتى وجده قد توفي رحمه الله ، فلم يجد له شيئاً غير كتاب فوق راسه ، وهو الكتاب الذي سماه سمناقب الأولياء وصفة سلوك الأصفياء المنقول منه في كتابنا طبقات الأولياء يعني نقل منه في اول كتابه هذا تقسيم الأولياء الى طبقات ثلاث .

وحدثني الشيخ الصالح ابراهيم بن علي بن محمد ابن النعجة الزهيلي قال : كان الشيخ علي بن محمد المراكشي يجالس ابي فيعطيه اثواباً يخيطها له بالأجرة ، وكان يحسبه ابي من سائر الناس ، غير انه ظاهر العفاف والصون ، قال فبينما هو يوماً جالس مع ابي في حانوته بسوق بادس وانا حاضر ، اذ وقف علينا ثلاثة من الفقراء المشارقة ، فقعد احدهم الى جانب ابي وقعد الآخر الى جانب الشيخ علي ، وبقي الثالث واقفاً ، فصاروا يتحدثون على بلاد المشرق ، فقال احدهم وددتُ ان أموتَ ببيت المقدس ، وقال الآخر وددت ان اموت ببيت النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال الثالث وددت ان اموت ببيت لحم ، فلما اذن المؤذنُ

الظهر قام الشيخ علي ، وكانت عادته انه اذا سمع اول مؤذن للظهر انصرف فلا ياتي الا بعد الصلاة ، قال فلما انصرف تبعه فقيران من الثلاثة وبقي واحد منهم مع ابي ، فقال الفقير لأبي يقول اهل المشرق سدَّ اللهُ باب المغرب بالشوك ، وانا اقول سد الله بابه بالرماح ، فقال له يا هذا بئس ما قلت ، ان في المغرب صلحاء وفقهاء وعلماء ، فقال له نعم ، الأمر كما ذكرت ، لكن اتعرفُ هذا الشيخ الذي قام من هنا ؟ فقال له ابي هو رجل من المسلمين ، فقال له الفقير انه ليس يقدر احد في الشام ولا في الديار المصرية ان يصل الى موطيء قدميه ، قال ابراهيم فتغيرتْ نيةُ ابي فيه ، وانصرف الفقير ، فلما عاد الشيخ علي المراكشي بعد صلاة الظهر قال له ابي ان واحداً من اولئك الفقراء ذكر انه يعرفك في الشام ومصر ، فقال لا تلتفتْ الى قوله فانه نصراني ، اما سمعته تمنّى ان يموت ببيت لحم ، قلت له يا سيدي وما بيت لحم ؟ قال موضع بازاء بيت المقدس ولد فيه عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام ، واليه حجُّ النصارى .

قلت انما نبَّه الشيخُ علي رضي الله عنه على دين الفقير لتسقط بذلك عدالته فيما اخبر به .

وحدثني الحاج الصالح المُسن الحسن ابن هناء البادسي قال : كان قدوم الشيخ علي المراكشي على بادس من مرسى هُنين في قارب التاجر محمد بن ادريس وابن عمه الرايس يوسف البحري ، قال محمد بن ادريس كنا حملنا في قاربنا الى هنين خشباً وخرجنا من بادس برسم التجارة ، فلما بعنا وحضر سفرنا اتاني شيخ وضيء حسن السمة ، فقال لي من اين جئتم ؟ قلت له من بادس ، فقال نعم بادس مقبرة للصالحين ، ثم قال لي واي وقت تحاولون الرجوع اليها ؟ قلنا له الساعة فانا مسافرون ان شاء الله ، فقال اريد التوجهَ صحبتكم اليها في قاربكم ، قلت له نعم ، فقال لي انا ومَن معي وهي مملوكة ، فقلت له انت ومَن معك ، قال فعرفت بذلك شريكي وابن عمي الرايس يوسف المذكور وكانت فيه شراسة ، فقال لي ما يطلع معنا الا بالكراء ، فقلت له قد ارتهنت له في طلوعه ولا يمكن نقضُ الوعد معه ، فحاسبني بواجبك من الكراء عليه ، قال

فأتى الشيخ علي وخادمه فطلعا معنا في القارب وأقلعنا من هنين وسرنا فأصبحنا يوماً على جرف بادس ، فنظرنا في الغبش فرأينا شيطياً حربياً قاصداً الينا من البر ، فدهمنا امر عظيم وصار بعضنا يموج في بعض ، والشيخ علي واضع رأسه بين ركبتيه ، فسمع ضجيجنا وما نحن فيه ، فرفع راسه وقال ما شأنكم ؟ فقلت له اظنك مصاباً في عقلك ، نحن الساعة اسرى للعدو ، وانت تقول ما شأنكم ؛ انظر الى ذلك الشيطي القاصد الينا ، قال فنظر اليه ثم قام ، قال فكانت مني التفاتة الى جهته فرايته قد مسك طوقه بيده واخذ به كالخانق لنفسه ثم رفع راسه الى السماء ، قال فغشينا في الوقت ضباب كثيف لا يكاد الانسان يرى يده ، وهبت علينا ريح طيبة ثلاث شراع القارب ، فغاب عنا الشيطي وغبنا عنه فما علمنا اي شيء فعل ، وما كان الا يسير حتى وصلنا بادس سالمين ، فنزلنا الى اهلنا ، ونسيت ذكر الشيطي انا وغيري ، فما تذكرت المسألة الا بعد موت الشيخ علي فعلمت انها كرامة من كراماته .

وحدثني عبد الله ابن المقري البادسي قال : كانت العرب قد تغلبت على الريف عام خمسة وثلاثين ، فخفنا منهم فارتحل جميع اهل بادس بأموالهم وامتعتهم الى الجزيرة التي في مرسى بادس ، وكنا نحترس الديار رجالا بالأسلحة لا غير ، فاذا جاءت العرب غدوة انبسطوا في الوادي وانقطع الناس في العدوتين : عدوة الصف وعدوة الركينة لا يقدر من يدخل الوادي من اجل العرب، قال وكنت ارى الشيخ علي المراكشي جائياً وذاهباً من احدى العدوتين الى الأخرى يشق في وسط العرب وعليه ثيابه فما ناله من احد منهم شيء ، فعلمت بعد ذلك انه كان محجوبا عنهم .

وحدثني رجل من اهل بلدنا ان رجلا مسرفا ممن لا يحب الكشف عن اسمه مات ، فرءاه بعض الصالحين على حالة قبيحة ، فلما مات الشيخ علي المراكشي رءاه على هيأة صالحة ، فقال له ما اوجب لك هذا ؟ قال لما دفن الشيخ علي معنا غفر الله لأهل المقابر من الجانبين الشرقي والغربي .

فصل نذكر فيه بعض الكرامات التي روى في كتابه رحمه الله تعالى

قال علي بن محمد المراكشي : قعدت يوماً بمكة انظر في البيت واتفكر فيه الذي له اربعة اوجه والناس يصلون الى كل جهة منه ، فألهمني الله تعالى إلى ان قرأت (فأينما تولوا فثَمَّ وجهُ الله) ، فكأني بالبيت قد رفع من بين الناس كأنه لم يكن ، فنظرت فاذا الناس كلهم ساجدون ، فقلت يا رب وما هذا ؟ فسمعت قائلا يقول : هل في الوجود غيري ، فانتبهت وانا مرعوب ، قال المؤلف : معنى المسألة انه كان قاعداً متفكراً في البيت ، فجـازت فيه عينه فرأى ما ذكر في المنام ، دل عليه قوله فانتبهت .

قال علي بن محمد : سكنت بقوص مدة ، فذكر لي عن سيد في الأقصور يعرف بيوسف الأقصوري ، فأردت زيارته ، فتخلفتُ عنه اياماً ، فنمت يوماً فسمعت قائلا يقول لي : قم الى الشيخ يوسف ، فانه خرج ليجتمع بك ، فلم اكذب، فخرجت اما ان القاه واما ان امشي الى منزله على وجه الزيارة، فمشيت على ساحل النيل حتى انتهيت الى موضع المعدية فلم اجد المعدي الذي يعـدي الناس ، فقعدتُ انتظره ، فاذا برجل قد اقبل من الجانب الآخر وبيده عصا ، فرمى برجله على الماء وهو يخط بعصاه على الماء حتى صار الي فتعجبتُ في كرامات الأولياء وارتعتُ منه ، فنظر الي واخذ بأذني ففتلها وقال لي : يا علي لا تتأخرْ عن زيارة الأولياء فتحجب عن كراماتهم ، فبكيت وقلت يا سيدي ما اعرفك ، فقال لي أنا يوسف الأقصوري ، فقبلت بقدميْه وتذللت بين يديْه ، ثم قال لي : ارجع الى مكانك ، فقلت نعم يا سيدي بعد موعظة شافية ، فقال نعم ياعلي ، فعليك بمحاسبة نفسك ومراقبتها فانها مهلكة الرجال ، قلت له يا سيدي زدني قال عليك بالصمت بين ايدي العلماء ، قلت يا سيدي زدني ، قال عليك بالتواضع وقلة الدعوى ، ثم تركني ورجع على حال سبيله ، فرجعت الى قوص متعجباً من كرامات الأولياء .

قال المؤلف : قال لي خالي الحاج يحيى ابن حسون وكان جال في بلاد الصعيد في هذه الحكاية اشكال ان أُهْمِل ظنَّ مَن سمعها ممن له خبرة بالبلاد انها باطل ، لأن قوص والأقصور على ساحل واحد من النيل ، فكيف ينتهي الى

مكان المعدية ويقعد منتظراً للمعدي ، قال وينحل الاشكال في ذلك بتأويليْن : احدهما ان ذلك كان في زمان فيض النيل فتنقطع الطريق فيحتاج الى المعدية ، والآخر ان الشيخ يوسف كان في سياحة في العدوة الأخرى وانه جاز الي تلك العدوة قاصداً ليُرى علياً المشيَ على الماء ، وان علياً كوشف بأنه في العدوة الأخرى فقعد ينظر المعدي ، وهذا وجه حسن .

قال علي بن محمد : خرجت يوماً من مصر اريد الميمون لزيارة رجل مخفي عن الناس لا يعرفه الا رجال معلومون وما ينبغي لي ان اذكر اسمه ، لأن بذلك امرني ، فبينما انا على شاطىء النيل ماشياً اذا برجل عليه حلية العجم ، وعليه مرقعة ، وبيده ابريق ، فسلَّم علي مبادراً ، فرددت عليه السلام واثر البشاشة على وجهه ، وكان وقت صلاة الظهر ، فقال لي قم بنا نصلّ الفريضة ، قلت له نعم ،وكنت علي وضوء ، ثم قلت له صل بنا قال نعم فأقامنى على يمينه ، وقال لي تأخر قليلا لأن هذه هي السنة في صلاة الاثنين ، فصلينا وكان يطيل الركوع والسجود ، فما صليت صلاة اتقن منها ولا احلا ، وكنت اسمع خلفنا حسّاً ، فلما فرغنا من الصلاة ودعا لنا بدعاء ما فهمت منه شيئاً فسألته عن الحسّ الذي خلفنا ونحن نصلي ، فنظر الي وضحك حتى ظهرت ثناياه ، وقال لي ياعلي اما علمت ان ملائكة هذا الموضع صلوا معنا ، فتعجبت منه الذي عرف اسمي من غير ان اعرفه به ، فعلمت انه من الأولياء بلا شك ، ثم انه قال لي لو ازددت يقيناً في علم التوحيد لرأيت الملائكة بعينيك ، وكنت اظن بنفسي اني على شيء ، فقلت له يا سيدي علمْني مما علَّمك الله ، فقال لي اذكر ما علمت ، فذكرت له شيئاً ، فضحك مني وقال يا علي لو اعطيت من علم التوحيد ذرة لحملت السماوات على شفر عينيْك ، ثم قال لي لا يقع نظرك في عالم شهادتك وغيبتك الا على الله ، لأنه ما في الوجود غيره ، فنظرت فلم ار احداً معي ، فغشي علي ساعة ثم قمت ومشيت حتى وصلتُ الى الميمون ، فحدثت بذالك السيد الذي جئت الى زيارته ، فقال لي هو الخضر عليه السلام ، فبهتت في وجهه ، فقال لي اي شيء يبهتك ؟ ما جاءني احد قط يزورني حتى يلقاه في الطريق ومن عندي خرج امس ، فبقيت متحيراً في نفسي الذي لم اسأله اكثر مما سألته ،

فعلم السيد بذلك مني فأقعدني عنده ثلاثة ايام ، ثم اردت ان اودعه وانصرف ، فقال لي اقعد الساعة حتى يأتي صاحبك العجمي الذي هو الخضر عليه السلام ، فسررت بصدق السيد ، فقعدت اليوم الرابع حتى الى وقت صلاة الظهر ، فاذا بباب السيد قد قرع ، فقال لي قمْ افتح الباب ، فقمت وفتحت الباب ، واذا انا بالرجل العجمي الذي صليت معه ، وانا متأسف على ما فاتني من سؤاله في شيء انتفع به ، فلم اظهر له بشاشة من شدة فرحي به ، فدخل الى بيت السيد فصلى بنا الظهر ، ولم أر السيد قرَّب اليه طعاماً ولا شراباً بخلاف عادته مع مَن يرد عليه من الأولياء ، ثم تكلم السيد معه بكلام ما كنت افهم منه الا بعض كلمات وانا ساكت لا استطيع خطاباً ولا رد جواب ، فلما فرغ اخذ في الدعاء ، فلم اعلم منه الا ثلاث كلمات ، الأولى حي مع كل حي ، ويامَن لا يفوته شيء ، والثانية يا من احاط بكل شيء علماً وقهر عباده بالفناء والموت ، والثالثة يا من تقدست اسماؤه فلا يحصيها غيره ، ثم قال لي السيد الولي قم الى موضعك الذي اتيت منه ، فبكيت بكاء شديداً حتى كادت روحي تذهب ، فجبر العجمي قلبي ، وقال لي اجتمع بك يوم الجمعة بمصر في الجامع ، قلت له ما اعرف اين اجدك ، فقال لي تجدني في زاوية عمرو بن العاص ، فحينئذ طابتْ نفسي ، ثم ودعت السيد وودعت الرجل العجمي وسرت الى مصر ، فلما كان يوم الجمعة مشيت الى الجامع في اول الوقت ، فوجدت العجمي سبقني الى الموضع وهو قاعد ، فنظرت اليه فعرفته وما وجدت معه احداً ، فصليت ركعتين وسلمت عليه ، فأخذ بيدي واقعدني على يمينه ، فسألني عن احوالي فعرفته بها ، فبقيت في مصر ستة اشهر اجتمعت معه فيها ثلاث مرات في ثلاث جمع وهو لا يجالسُه احد ولا يجالس احداً ، فوقع في نفسي ان الناس محجوبون عن رؤيته ، فعلمني فيها ثلاثة علوم ، واوصاني الا اعرف بها احداً الا عند موتي ، قلت له اعرف بها احب الناس الي ، قال ما تستطيع ذلك ، ما يعلمها الا مَن قسم الله له فيها ، فلم يزدني اكثر ، ثم امرني بالمشي الى بيت المقدس فمشيت باذنه وما رايته بعد ، فعلمت انه ما كان لي قسم منه الا ما علـَّمني .

قال المؤلف : حدثني خالي الحاج يحيى ابن حسون وكان وقف على كتاب الشيخ علي المنقول منه هذا ، قال لما وقفتُ على هذه الحكاية خرجت

من مصر وسألت عن الموضع المعروف بالميمون فعرفت به ، فوصلت اليه ، فسألت عن الولي المخفي عن الناس الذي كان بقرية الميمون في صدر المئة السابعة ، فقيل لي هو الشيخ ابوزيد القرطبي ، قال ودخلت زاويته فوجدت بها خديمه وهو قيم الزاوية شيخاً كبيراً ، فسألته عن الشيخ ابى زيد القرطبي فحدثني عنه بالعجب العجاب ، قال الحاج : فزرت قبره وانصرفت .

قال علي بن محمد : مشيت باذن الخضر الى بيت المقدس واقمت فيه يوماً واحداً وخرجت الى زيارة ابينا ابراهيم عليه السلام ، فمشيت حتى وصلت الى القرية التي فيها يونس عليه السلام ، فأتيتُ الى قبره ، وهو مدفون في مسجد صغير ، فصليت ركعتيْن ، ثم خرجت لأسلم عليه ، فاذا أنا بثلاثة نفر وهم يتلون هذه الآية : وذا النون اذ ذهب مُغاضباً فظن ان لن نقدر عليه ، الى الظالمين، وهم يكررونها ، فسلمتُ عليهم وبقيتُ متعجباً من امرهم الذي لم يجدوا ما يقرأون الا هذه الآية ، فلم يتم ذلك من قلبي حتى قام اليَّ رجل منهم ، وقال ياهذا لاتعترض علينا ، نحن من قومه ، فارتعبت ، وكأنَّ مَن عمِل على عيني غشاء ، فالتفتْتُ فما رأيت احداً فمشيت الى الخليل وانا اعثر في دموعي التي لم اسألهم الدعاء ، فرءاني ابو عبد الله الغرناطي وكنت اعرفه من قبل عند رأس ابينا ابراهيم وأنا ابكي في المغارة ، ولم يكنْ معي احد غيره ، فقال لي احمدِ الله وأثنِ عليه الذي اظهر لك قوم يونس ، فزادني في كربي وما انا فيه الذي اطلعه الله على سري ، وكنت ما اعهد منه شيئاً مما سمعته منه ، فبهتْتُ فيه ، وقلت يا ابا عبد الله بحق هؤلاء الأنبياء الكرام ، واشرت الى ابراهيم واسحاق عليهما وعلى نبينا الصلاةُ والسلام الا ما عرفتني بم ادركتم ياأولياءَ الله هذه الكرامات العظام ، وبدأت اصف له كرامات الأولياء كرامة بعد اخرى ، فقال نعم ، ادرك الأولياء هذا واكثر منه بالصبر على البلوى والشكر على النعماء والايثار عند الحاجة ، فقبَّلتُ بين عينيه ، ثم قال لي هذا هو الصفاء .

قال علي بن محمد : دخلت سنهور المدينة بينها وبين الأسكندرية يوم وبعض ءاخر ، وكنت تجردت للعبادة ، فأويت الى مسجد في ءاخر البلد ، فاجتمع حولي فقراء بغير اختياري ، وكانوا لا يبرحون عني ، وضيَّقوا علي في

العبادة ، فعزمت على الانتقال الى بلد غيرها ، فلما كان العشاء الآخر من ذلك اليوم رأيت رجلا دخل علينا في المسجد واولئك الفقراء قعود كل واحد في موضعه ، فاخذ الرجل بيدي واخرجني من المسجد ، وقال لي امش معي ، فقلت له نعم ، فمشيتُ معه حتى وصل بي الى موضع لم اعرفْه ، فقال لي امكث في مكانك حتى ءاتيك ، فلم ابرحْ حتى جاءني واخذ بيدي وادخلني في منزله في غرفة لم اجد فيها الا حصيرة من الخلفة اقعدني عليها ، ثم دار في زاوية الغرفة ، فأحضر بين يدي عسلَ نحل ولبناً معقوداً وخبزاً حاراً ، فواكُلني فلم اتهنَّ من اجل الفقراء الذين تركت في المسجد ، فرأى الرجل عندي قبْضاً ، فقال لي كل لأنك اردت الخلوة وحدك ، وهذه الخلوةُ لا تجد مثلها ، فتعجبت منه الذي ذكر لي ماكان عندي ثم قال لي كل ، فأكلتُ حتىُ اخذت حاجتي من الطعام ، فشكرت الله تعالى ، فقال لي ادعُ لنا لأن دعاء الضيف مستجاب ، فدعوت الله تعالى بما ألهمني اليه في الوقت ، ثم سألته عن اسمه ، فقال اسمي ضرغام بن مخلوف ، فقلت له ما حرفتك ؟ فقال لي قزاز ، قلت له يا أخي يا ضرغام مادلّك على الموضع الذي كنت فيه ، لأن لي فيه اياماً فما رأيتك فيه قط ، فقال نعم ، رجل اخبرني بك ، فسألته عن الرجل واسمه ، فلمْ يعرفني به ، فعلمت انه كوشف بضعف حالي مع اولئك الفقراء الذين ضيقوا علي في المسجد ، فقعد يسيراً ونحن نتحدث في كرامات الأولياء والصالحين ، ثم تركني وخرج ، فما رأيتُه الى صلاة الصبح ، فصليتُ معه الصبح واردت الانصراف ، فقال لي الضيافة ثلاثة ايام ، ثم قال الضيف في حكم صاحب الدار حتى يخلي سبيله ، فقلت له نعم وكرامة ما اخالفك ، فلما طلعت الشمس صليت الضحى ثم قعدت ، واذا به دخل علي ، وقال لي انزل فنزلت معه حتى اوقفني على البيت الذي يعمل فيه القزازة وهو بيت ءاخر في نفس منزله ، فقعدت معه وهو على منواله يعمل شغله ونحن نذكر اخبار الصالحين وكرامات الأولياء ، ثم سمعت باب منزله يقرع ، فقام ليفتح وانا قاعد معه ، فقلت على رسلك تعرف اني رجل ما اريد الجمع ، وقد اشترطت علي اقامتي عندك ثلاثة ايام وانا اشترطت عليك الا تظهرني لأحد ، فقال لي قم الى موضعك ، فقمت الى الغرفة التي كنت فيها ، فسمعت عنده حسّ رجال كثُر ولم ارهم ، فجاء الى الغرفة التي انا فيها فرأيته يدخل الى ركن من

اركان الغرفة فيخرج العسل واللبن المعقود والخبز الحار بلا مقدار ، فعلمت انه صاحب الكرامات ، فأقمت معه على ذلك ثلاثة ايام وانا اراه يخرج الطعام من زاوية الغرفة ، فاذا خرج انظر الى الزاوية التي يخرج منها العسل واللبن المعقود والخبز الحار فلا ارى شيئاً ، فلما عزمت على السفر واراد ان يودعني قلت له يا اخي يا ضرغام ان لي عليك حقاً ولك علي حق ، لا تُخفِ عني ما رايته منك ، فقال لي قل ما رايت ، فأخبرته عن العسل واللبن والخبز الذي رايته يخرج من زاوية الغرفة بلا مقدار ، فقال لي هل رأيتني ؟ قلت له نعم ، فقبل بين عيني وقال لي انت منهم يعني من الصالحين ، ثم عطف علي وقال لي يا علي دخل زاويتي كذا وكذا رجلا فما رايت قط مَن سألني عن هذا ورجل معروف بأبي الحجاج الاقصوري قلت له اعرفه ، قال لي واين تعرفه ؟ فوصفت له ما جرى لي معه من مشيه على الماء ، فحكى لي عنه ضرغام القزاز انه كان يصلي الظهر والعصر عندنا مدة من ثلاث سنين وبين سنهور والأقصور ثمانية عشر يوماً ، ثم قال لي يا أخي يا علي هو شيخي ، فتأكدتْ بيني وبينه الصحبة والمحبة ، فلم يتركني امشي مدة من شهر ، فقلت متمثلا :

نـزلنـا على ان المقـام ثلاثـــة　　　فطـاب لنـا حتى أقمنـا بها شهرا

قال علي بن محمد : فأقمت معه وهو على طعامه ولا يغيره ، ثم قال يا شيخ ياعلي : الشيخ يوسف يأكل من القدرة ، وانا أيضاً كما رأيتني آكل من القدرة واطعم منها ، ففارقته نفع الله به .

قال علي بن محمد : صاحبني شاب اسمه يوسف وكان دابه وحرفته يدوز ويطعم الفقراء ، وكان قد سخر الله له الخلقَ ما يقف على الانسان الا ويعطيه من غير مسألة ، وكان يجتمع عليه العشرون فقيراً وربما اكثر ، فكان يطعم الذي يطلب ولا رءاه احد قط يأكل مما يسوقه ، وكان اشتهر حاله عند الفقراء انه يدخل طريق مكة بلا زاد ولا ماء ، وانه يواصل خمسة عشر يوماً ، فلما كان ذات يوم خرجت لسياحة ففطن بي وتبعني وبيده ابريق لا غير ، فرأيته فساءني فعله ، وقلت له ما حملك على هذا ؟ ارجع الى الفقراء فهو اولى لك من مشيك معي ، فلم يفعل ورغبني وبكى وتركته معي ، وكنت اردت ان اصل الى

اسوان الى رجل يعرف بالهرغي واسمه عبد الله ، وكنت رايته بقوص ومنها خرجت ، فمشى معي الشاب ونحن على ساحل النيل لا نفارقه ، ثم وصلنا الى موضع يعرف بدماميل فبتنا فيه عند رجل من الفضلاء اسمه مفرج والشاب يوسف معي لا يفارقني ، فلما كان في السحر اردت المشي الى الاقصور ، فسرقنا (104) طريقة صغيرة والشاب معي ، فما شعرنا الا ونحن في صحراء والغزلان امامنا أذواداً ، ثم انقطعت عنا الطريق التي اخذنا عليها فلم نعلم حيث نحن من الأرض ، فسرنا النهار كله فبتنا ثم اصبحنا وتيممنا وصلينا ، ثم مشينا الى وقت الزوال وقعدنا الى الأرض ولا شيء يقي الشمس ، واخذني عطش شديد والابريق بيد الشاب يوسف ، فقلت له يا يوسف اصابني العطش ، فقال لي ياسيدي اقعد مكانك ، فتوارى عني بتل من الرمل ثم اتاني وابريقه مملوء ، فنظرت اليه ونظرت الى الابريق فكأن العطش لم يصبني لشدة ما وجدته مما رأيته من الشاب ، فكنت ادل عليه ، فقلت له والله لا شربت من هذا الماء شيئاً حتى تعرفني من اين هذا الماء فطمع في ان اشرب ، فأبيت ، فقال لي يا سيدي انى اعرف في هذا الموضع مكان الماء ، فقلت له يا ولدي لنا يومان ضائعين عن الطريق فما عرفت كيف تخرجنا الى النيل وانغلقت علينا جميع المسالك فكيف تعرف موضع الماء؟ ثم قال لي يا سيدي علي اقول لك شيئاً وهو الحق ، ولولا اني اعتقد فيك ما اعتقد ماعرفتك حديثي ابداً كما اني لم اعرفه غيرك ، وبدأ يعدُّ لي الصالحين رجلا بعد رجل ، فقلت له عرفنا ، فقال لي يا سيدي هـذا الابريـق لـه عندي خمسة اعوام ، وانت تعلم اني متجلد على الوصال ، فقلت له نعم ، فاذا اردت ان ادخل الصحراء للحج اما صحراء عيذاب او غيرها اخذ هذا الابريق معي فاذا اصابني العطش ادخلته تحتي فأسمع الماء ينزل فيه بأذني لا اعلم من حيث هو ، فأشرب واتوضأ منه وبه اقوى على الصحراء ، قلت له ان كان قولك حقاً فأهرق الماء الذي فيه وافعل ما ذكرته ، فأراق الماء من الابريق حتى لم يبق شيء فيه ، ثم قام واقفاً وأدخله تحته ثم قرب مني وقال لي تسمع بأذنك الابريق فجعلت اذني عند عنقه ، فوالله الذي لا اله الا هو لقد كنت اسمع نزول الماء

104) **سرقنا الطريق** اي اختصرناها بسلوك طرق اقصر ، والكلمة مستعملة في عامية المغرب بهذا المعنى الى الآن .

في الابريق كأن مَن يصبه من ميزاب ثم اخرجه من تحته مملوءاً ماء ، فقلت اشهد ان الله على كل شيء قدير ، وان الله قد احاط بكل شيء علماً ، وانه الفعال لما يريد ، فتناولت الابريقَ من يده ، وقلت من مثل هذا الماء ينبغي لي ان اشرب لقربه من الكون ، فشربته فوجدته ماء احلا من كل ماء وابرد من الثلج حتى رويت ، ثم ناولته ان يشرب فامتنع ، ثم قال لي توضأ فتوضأت وتوضأ هو وصلينا الظهر ، ثم قعدنا في الموضع حتى صلينا العصر ، ثم مشينا الى المغرب فقام معنا الليل ، فبتنا تلك الليلة ولا نعلم حيث نحن ، فلما اصبح وصلينا الصبح مشينا البحر البحر حتى راينا النخيل ، فلما قربنا من النخيل عرفنا البلاد فاذا بها الأقصور ، فبتنا تلك الليلةَ عند الشيخ يوسف ، ثم مشينا الى اسوان ، وكنا قريبا من العيد الكبير ، فعيدنا عند الشيخ عبد الله الهرغي ، ثم اراد الشاب ان يمشي فخليت سبيله ، وهو الآن بمكة يبعث لي السلام مع كل من يعرفني ، فخرج الشاب يوسف معي لأغفره فغفر لي ، فمن الأولياء صغار وكبار نفع الله بهم اجمعين .

قال المؤلف : هذه الحكاية تدل على ان قوص والأقصور في ساحل واحد على النيل ، لأنه قال فيها ومن قوص خرجت وانه مازال يمشي البحر البحر حتى وصل الى الأقصور وذلك بين ، والشيخ مَفرج الذي ذكر بدماميل هو من المشايخ المشتهرين بالايثار ، وحدثني خالي الحاج يحيى قال : زرت قبره بدماميل ، وحكى اهل دماميل عنه فضلا كثيراً وحكى لي عنه اهل بلده انه كان اعور ، وسبب ذلك ان امير الوادي زاره فأكرم مثواه بأطعمة طيبة ، وجاز به عقب انصرافه فقراء من العجم فقدم اليهم خبزا فأخذوا الشيخ فضربوه ورموا بهَ في بير هنالك فأصاب عينيه عود فعورت ، وقالوا له يا قواد تكرم الوالي وتبخل على الفقراء لا تخرج من ذلك البير حتى تنصفنا ، قالوا فوقف مستغفراً في قعر البير وخرج لهم عن ثيابه فباعوها واكلوا بثمنها ما اشتهوا ، وحينئذ اخرجوه من البير وفي معنى ما تقدم انشدوا :

شرف الرجال بهمة يسمو بها ... فانهض بعزم للمحل الأرفع
واصعد معارج كل عبد قانت ... وموفق ومكرم ومرفع

ومتى اردت مجـــادة واجـــــادة فعليك بالفعـل الحظيٍّ الأنـفـــع
كسبُ التقى نعم الشفيع وانـــه لحمى التخلص وهو خير مشفـــع
سمة التقي البشر ان ضلَّ الـذي الف المخازي ذا حبيس اشفـــع
نال الذي طلب الفضائل حصـــره مستثمراً ما شاء غير مــدفـــع
بمحاسن تجلى وعـــز يقتنَـــى وكـرامـة تـروى بغيـر تلفـــع
من رام مدفع ءايـــة وكـرامـــة للأولياء غدا ضعيف المـدفـــع
ياباثعـاً حظـاً نفيسـاً جاهـــلا ان شئت فيه اقالة فاستشفع (105)

1389) علي (السعيد) بن ادريس (المامون) الموحدي

علي السعيد ابن ادريس المامون بن يعقوب المنصور الموحد ، لما هلك اخوه الرشيد بويع بتعيين أبي محمد ابن وانودين ، وتلقب بالمعتضد بالله ، واستوزر السيد ابا اسحاق ابن السيد ابى ابراهيم ابن يوسف بـن عبد المومن ويحيى ابن عطـوش ، وتقبض على جملة من مشيخة الموحديـن واستصفى اموالَهم ، واصطنع لنفسه رؤساء العـرب من جُشَم واستظهر بجموعهم على امره ، وكان شيخ سفيان كانون بن جرمون كبير مجلسه ، وكان ضرر بني مرين قد تفاقم بالمغرب وداؤهم قد اعضل ، فخرج السعيد سنة اثنتين واربعين وستمئة لتمهيد بلاد المغرب ، فانتهى الى سجلماسة ، وكان صاحبها عبد الله بن زكرياء الهزرجي قد انتقض عليه فقتله واستولى عليها ، ثم رجع حتى نزل المقرمدة من ارض فاس وعقـد المهادنة مع بني مرين وقفـل الى مراكش ، فكانت هدنة على دخن ، فلم يلبث الا يسيراً حتى عاود النهوض اليهم سنة ثلاث واربعين بعدها ، واستخلف السيد ابا زيد بن السيد ابى ابراهيم أخا الوزير المذكور ءانفاً على مراكش ، واستعمل اخاهما السيد عمر وهو المرتضى على سلا ، وسار نحو بني مرين ، فجمع له اميرهم ابو بكر بن عبد الحق جموع زناتة وصمد نحوه ، حتى اذا تراءى الجمعان وتهيأ القوم للقاء خالف كانون بن جرمون الى ءازمور فاستولى عليها وغلب الموحدين ، عليها ، فرجع السعيد ادراجَه في اتباعه ، ففرَّ كانون عنها فاعترضه السعيد فأوقع به واستلحم

---

105) الترجمة منقولة بالحرف من **المقصد الشريف** ص 21 (نسخة خطية مصورة) .

كثيراً من قومه سفيان ، واستولى علي ماكان لهم من مال وماشية ، ولحق كانون ببني مرين ورجع السعيد الى الحضرة .

ثم تقدم الأمير ابو بكر بن عبد الحق المريني الى مكناسة فضايقها وخطب طاعة اهلها فثارت العامة بمكناسة علي واليها من قبل السعيد فقتلوه ، وحذر شيوخها وكبراؤها من سطوته فحولوا الدعوة الىَ الأمير ابى زكرياء الحفصى صاحب افريقية وكان قد استبد على بني عبد المومن ورام التغلب حتى على كرسيهم بمراكش ، فبايعه اهل مكناسة بمواطأة الأمير ابى بكر بن عبد الحق فانه كان يدعو اليه في اول امره ، وكذا اخوه السلطان يعقوب بن عبد الحق من بعده ، ثم استقل بنفسه واستبد بأمره عندما تمّ له ملك المغرب حسبما نقصه بعد ان شاء الله ، وفي هذه السنة بعث اهل اشبيلية واهل سبتة بطاعتهم للأمير أبي زكرياء الحفصى أيضاً ، وبعث أبو علي ابن خلاص صاحب سبتة بهدية مع ابنه في اسطول انشأه ذلك فغرق عند اقلاعه من المرسى ، وقبل هذه المدة بيسير كان الأمير ابو زكرياء الحفصى قد تغلب على تلمسان وبايعه صاحبها يغمراسن ابن زيان العبد الوادي وهو جد ملوك بني زيان اصحاب تلمسان والمغرب الأوسط ، فعظم قدر ابى زكرياء بسبب هذه البيعات التي انثالت عليه من سائر الجهات ، وحدثته نفسه بالتوثب على كرسي الخلافة بمراكش ، وغصّ بنو عبد المومن بمكانه وعظم عليهم استبداده ثم طمعه في كرسيهم وقرارة عزهم مع انه ماكان الا جدولاً من بحرهم ، وفرعاً من دوحتهم ، والأمر كله لله .

نهوض السعيد من مراكش الى غزو الثوار بالمغربين ومحاصرته يغمراسن بن زيان وما ءال اليه الأمر من مقتله رحمه الله

لما بلغ السعيد وهو بمراكش استبداد الأمير ابى زكرياء ابن عبد الواحد ابن ابى حفص الهنتاتي بافريقية ومبايعة امراء الجهات له اعمل نظره في الحركة الى هؤلاء الثوار والنهوض لتدويخ هذه الأقطار ، وكان السعيد شهماً حازماً يقظاناً بعيد الهمة ، فنظر في اعطاف دولته وفاوض الملأ من الموحدين في تثقيف اطرافها وتقويم أودها ، وحرك هممهم وأثار حفائظهم ، وأراهم كيف اقتطع عنهم

الأمر شيئاً فشيئاً : فابنُ ابى حفص اقتطع افريقية ، ويغمراسن بن زيان اقتطع المغرب الاوسط ثم اقام فيه الدعوة الحفصية ، وابن هود اقتطع الأندلس واقام فيها دعوة بني العباس ، وابن الأحمر بالجانب الآخر منها مقيم الدعوة الحفصية أيضاً ، وهؤلاء بنو مرين قد تغلبوا على ضواحي المغرب ثم سمَوْا الى تملك امصاره ، وان سكتنا على هذا يوشك ان يختل الأمر وتنقرض الدولة ، فتذامروا وتداعوا الى النهوض اليهم ، فحشد السعيدُ الجنود وجهز العساكر وازاح عللهم، واستنفر عربَ المغرب وما يليه ، واحتشد كافةَ المصامدة ، ونهض من مراكش اخر سنة خمس واربعين وستمئة يريد مكناسة وبني مرين اولا ، ثم تلمسان ويغمراسن ثانياً ، ثم افريقية وابن ابي حفص ثالثا ، ولما نزل بوادي بهت اخذ في عرض عساكره وتمييزها ، فخرج الأمير ابو بكر ابن عبد الحق (المريني) من مكناسة ليلا وحده يتجسَّس الأخبار ، فأشرف على جموع السعيد فرأى ما لا قِبَلَ له به ، فعاد الى قومه وأفرج للسعيد عن البلاد ، وتلاحقت به بنو مرين من اماكنها التي كان الأمير ابو بكر انزلهم بها ، واجتمعوا عليه بحصن تازوطة من بلاد الريف .

وتقدم السعيد الى مكناسة فخرج اليه اهلها يطلبون منه العفو ، وقدموا بين أيديهم الشيخ الصالح منصور ابن حرزوز ، وتلقوه بالصبيان من المكاتب على رءوسهم الألواح وبين ايديهم المصاحف ، وخرج النساء حاسرات يطلبن العفو فعفا عنهم ، ثم ارتحل الى تازة في اتباع بني مرين ، وانتقل ابو بكر بن عبد الحق الى بني يزناسن ، ثم راجع نظره في مسألة الموحدين والدخول في امرهم ، فبعث بيعتَه الى السعيد وهو يومئذ بتازة مع جماعة من وجوه بني مرين فقبلها السعيد وعفا لهم عما سلف ، فسأله وفدهم ان يستكفي بالأمير ابي بكر في امر تلمسان وصاحبها يغمراسن بن زيان ، وقد كتب اليه الأمير ابو بكر ايضاً بذلك يقول : يا أمير المومنين ، ارجع الى حضرتك وقوني بالجيش ، وأنا اكفيك امرَ يغمراسن وافتح لك تلمسان ، فاستشار السعيد وزراءه فقالوا لا تفعل ، فان الزناتي اخو الزناتي لا يخذله ولا يسلمه ، فكتب اليه السعيد بأن يبعث اليه جماعةً من قومه يعسكرون معه ، فأمده الأمير ابو بكر بخمسمئة من قبائل بني مرين ، وعقد عليهم لابن عمه ابي عياد بن أبي يحيى بن حمامة ، وخرجوا تحت رايات السعيد ، ونهض من تازة يريد تلمسان .

وعند ابن ابى زرع ان السعيد لما فرغ من امر مكناسة عسكر بظاهر فاس ، وهناك اتته بيعةُ بني مرين ، قال ثم ارتحل السعيد عن فاس في الرابع عشر من محرم سنة ست واربعين وستمئة ، وخسف القمرُ تلك الليلةَ خسوفاً كلياً ، واصبح السعيد غادياً يريد تلمسان ، فلما ركب فرسَه انكسر لواؤه المنصوري ، فتطيَّر ونزل ، ولم يرتحلْ الا في اليوم السادس عشر من الشهر المذكــور .

ولما سمع يغمراسن باقبال السعيد اليه خرج من تلمسان في عشيرته وقومه من سائر بني عبد الوادي وتحملوا بأهليهم واولادهم الى قلعة تامزردكت قبلة وجدة فاعتصموا بها ، ووفد على السعيد الفقيهُ عبدون وزير يغمراسن مؤدياً للطاعة ، وساعياً في مذاهب الخدمة ، ومعتذراً عن تخلف يغمراسن عن الوصول الى حضرة السعيد ، فلجَّ السعيدُ في شأنه ولم يعذره ، وابى الا مباشرة طاعته بنفسه ، وساعده ، في ذلك كانون بن جرمون السفياني صاحب الشورى بمجلسه ومَن حضر من الملأ ، وردوا الفقيه عبدون الى يغمراسن ليستقدمه ، فتثاقل يغمراسن عن القدوم خشيةً على نفسه .

واعتمد السعيد الجبل في عساكره حتى اناخ بها في ساحة القلعة ، وأخذ بمخنقهم ثلاثة ايام ، وفي اليوم الرابع ركب مهجراً في وقت القيلولة على حين غفلة من الناس ليتطوف بالقلعة ويتقرى مكانها ، فبصر بها فارس من بني عبد الوادي يعرف بيوسف الشيطان كان اسفلَ الجبل بقصد الحراسة ، واتفق ان يغمراسن بن زيان وابن عمه يعقوب بن جابر كانا قريبيْن منه فعرفوا السعيد فانقضوا عليه من بعض الشعاب امثال العقبان ، وطعنه يوسف الشيطان فكبَه عن فرسه ، وعمد يعقوب بن جابر الى وزيــره يحيى بن عطوش فقتله ، ثــم استلحموا لوقتهم مواليَه ناصحاً من العلوج وعنبراً من الخصيان ، وقائد جند النصارى وهو أخو القمط ، ووليداً يافعاً من ولد السعيد ، ويقال انما كان ذلك يوم عبأ السعيد العساكر وصعد الجبل للقتال وتقدم امام الناس ، فاقتطعه بعض الشعاب المتوعرة في طريقه ، فتواثب عليه هؤلاء الفرسان ، وكان ما ذكرناه وذلك منسلخ صفر سنة ست واربعين وستمئة ، وانتهى الخبر الى المحلــة

فارتجت وماجت ، واخذ اهلها في الفرار ، وبادر يغمراسن الى السعيد فنزل اليه وهو صريع على الأرض ، فحياه وفداه ، واقسم له على البراءة من دمه ، والسعيد رحمه الله واجم بمصرعه ، يجود بنفسه الي ان فاظ ، وانتهب المعسكر بجملته ، واستولى بنو عبد الوادي على ماكان به من الأخبية الحسنة والفازات الرفيعة ، واختص يغمراسن بفسطاط السلطان فكان له خالصة دون قومه ، واستولى على الذخيرة السنية التي كانت فيه ، منها مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه يزعمون انه احد المصاحف التي انتسخت لعهد خلافته ، وانه كان في خزائن قرطبة عند ولد عبد الرحمان الداخل ، ثم صار في ذخائر لمتونة فيما صار اليهم من ذخائر ملوك الطوائف بالأندلس ، ثم صار الى خزائن الموحدين من يد لمتونة ، قال ابن خلدون : وهو لهذا العهد في خزائن بني مرين فيما استولوا عليه من ذخيرة آل زيان ، وذلك عند غلب السلطان ابى الحسن المريني على تلمسان سنة سبع وثلاثين وسبعمئة كما نذكره ، انتهى .

وقد تقدم لنا الخبر عن هذا المصحف العثماني وفيه مخالفة لبعض ما هنا ، وسيأتي لنا في دولة السلطان يوسف بن يعقوب بن عبد الحق ما يخالف ذلك كله ، والله اعلم بحقيقة الأمر .

ومن الذخائر التي صارت ليغمراسن من فسطاط السعيد العقد المنتظم من خرزات الياقوت الفاخر والدر النفيس المشتمل على مئين متعددة من حصبائه ، وكان يسمى بالثعبان ، ثم صار الى بني مرين ايضاً الى ان تلف في البحر عند غرق الأسطول بالسلطان ابى الحسن بمرسى بجاية مرجعه من تونس حسبما نذكره بعد ، الى ذخائر من امثاله ، وطرف من اشباهه ، مما يستخلصه الملوك لأنفسهم ، ويعتدونه من ذخائرهم .

ولما سكنت الفتنة وركد عاصف تلك الهيعة ، نظر يغمراسن في شأن مواراة الخليفة ، فجهزه ورفعه على اعواده ، فدفنه بالعُبّاد (106) بمقبرة الشيخ

(106) **العباد** : قرية بظاهر تلمسان

ابي مدين رضي الله عنه ، ثم نظر في شأن حرمه واخته تاعزونت الشهيرة الذكر بعد ان جاءها واعتذر اليها مما وقع واصحبهن جملة من بني عبد الواد الى مأمنهن ، فالحقوهن بدرعة من تخوم طاعتهم ، فكان ليغمراسن بذلك حديث جميل في الابقاء على الحرم ورعي حقوق الملك .

واما اهل محلة السعيد فانهم بعد نهوضهم تداعوا واجتمعوا الى عبد الله بن السعيد وقفلوا قاصدين مراكش ، واتصل الخبر بالأمير ابي بكر بن عبد الحق (المريني) وهو يومئذ ببني يزناسن ، وقدمت عليه الحصة التي كان وجهها مع السعيد ، فتحقق الخبر ، وانتهز الفرصة في الموحدين ، فاعترض عسكرهم بجهة تازة ، فقتل عبد الله بن السعيد ، واستلبهم واستولى على ما بقي من اثاثهم ، ثم جد السير الى مكناسة فدخلها وملكها ، ولحق فل الموحدين بمراكش فبايعوا عمر المرتضى (107) .

1390) علي بن عبد الله ابن قطرال الأنصاري

علي بن عبد الله بن محمد بن يوسف بن أحمد الأنصاري ويعرف بابن قطرال من اهل قرطبة ، سمع ببلده أبا عبد الله بن حفص وابا القاسم ابن الشراط ، وابا العباس ابن مضاء وناظر عليه في اصول الفقه ، وابا القاسم ابن رشد القيسي ، وابا جعفر بن يحيى الخطيب وأخذ عنه قراءة نافع والعربية ، وبغرناطة أبا خالد بن رفاعة وابا الحسن ابن كوثر وابا بكر بن ابي زمنين ، وبالمنكب عبد لله ابن بونه ، وبمالقه محمد ابن الفخار ويوسف ابن الشيخ ، وبسبتة عبد الله بن عبيد الله ، واجاز له ابو بكر ابن الجد وابو عبد الله ابن زرقون وابو محمد ابن جمهور وابو عبد الله ابن حميد وابو العباس المجريطي وعبد المنعم ابن الفرس ، ولقي جميعهم ، وممن اجاز له ولم يلقه ابو القاسم بن حبيش ، وكتب لقاضي الجماعة ابي القاسم ابن بقي وسمع منه ، وولي قضاء ابذه من عمل جيان فأسره العدو بها عند تغلبه عليها في صدر سنة

---

107) الترجمة منقولة بالحرف من **الاستقصا** 2 : 247

تسع وستمئة على اثر وقيعة العقاب ثم يسَّر الله خلاصة ، وولي قضاء شاطبة واقام بها مدة طويلة الى سنة اثنتين وعشرين وستمئة ثاني العام الذي انبعثت فيه الفتنة من مرسية الأندلس واتصلت بالعدوة فاحتمل الى مراكش ، ثم عاد الى الأندلس وولي قضاء شريش وجيان وقرطبة في اوقات مختلفة ، واعيد ثانياً الى قضاء شاطبة مضافاً الى ذلك الخطبة بجامع مدينتها ، وانتقل منها في آخر سنة ست وثلاثين وستمئة ، لتغلب العدو في صدر هذا العام على بلنسية ، وولي قضاء سبتة ، ثم ولي قضاء مدينة فاس .

وكان من رجال الكمال علماً وعملا ، يشارك في فنون ويتميز بالبلاغة والادراك في الكتابة ، مع دماثة الخلق ، ولين الجانب والصلاح .

توفي بمراكش في شهر ربيع الأول سنة احدى وخمسين وستمئة بعد ولايته قضاء اغمات ، ومولده بقرطبة عام ثلاثة وستين وخمسمئة .

ذكره في الجذوة ، واصله كله لابن الأبار (108) .

وقد بسط ترجمته في الذيل والتكملة وتعقب بعض كلام ابن الأبار ، قال فيه : علي بن عبد الله بن محمد بن يوسف بن احمد الأنصاري ، كذا نقلت نسبه .... فاسي المولد ، ومنها اصله قديماً ، ومن ناحية دانية حديثاً ، قرطبي .... استوطن بأخرة مراكش ، ابو الحسن ابن قطرال ، روى عن ابي بكر ابن الجد ، وابي بكر ابن أبي زمنين ، وابي جعفر بن محمد ابن يحيى ولازمه كثيراً ، وابي .... وابوي الحسن ابن كوثر ، ونجبة ، وأبي الحسين يحيي بن .... وابي خالد ابن رفاعة ، وآباء عبد الله : ابن حفص ولا زمه كثيراً وعرض عليه عن ظهر قلب من صحيح البخاري ما عرض على الشراط ، وابن حميد ، وابن زرقون ، وابن سعادة الشاطبي ، وابن عروس ، وابن الفخار ولا زمه ، وابوي العباس ابن مضاء وحضر عنده المناظرة عي المستصفى ، ويحيى المجريطي ، قال ولا زمته كثيراً مسافراً ومقيماً ،

---

108) **التكملة** ص 683 ع 1911 طبع مدريد ، **وجذوة الاقتباس** ص 486 551 طبع الرباط .

وكان لي رحمه الله بمنزلة الوالد ، وآباء القاسم : ابن بقي ، وابن رشيد الوراق ، وابن سمجون ، وابن غالب ولازمه وعرض عليه عن ظهر قلب من اول صحيح البخاري الى ءاخر كتاب الصلاة ، وابن جمهور ، وابن حوط الله ، وعبد الحق ابن بونه ، وعبد الصمد ابن يعيش وعبد المنعم ابن الفرس واجاز له ولم يلقه ابو القاسم بن .... ، روى عنه ابناه محمد وعبد الله ، وعلي ابن ابنه محمد ، وطاهر بن علي ، وسبطه ابو يحيى عبيد الله .... وابو عبد الله ابن الأبار ، وابو صالح الشاطبي ، وابو محمد ابن برطله ، وابن قاسم الحرار ، وابن محمد ابن هارون الطائي ، وابو يعقوب بن ابراهيم ابن عقاب ، وحدثنا عنه من شيوخنا ابو الحجاج بن حكم ، وابو الحسن الرعيني ، وابو الطيب صالح ابن شريف ، وابو عبد الله بن ابي ، وابو القاسم العزفي ، وكان قد جاورني مدةً بدار لي لصق دار مولدي وسكناي ، وكان كثيرٌ من طلبة العلم بمراكش ينتابونه بها للرواية عنه ،وكنت حينئذ غير مقصر عن كثير ممن كان يتردد اليه ، ولم يكن هناك مَن يرشدني للقراءة عليه والأخذ عنه ، ولم اهتد الى ذلك من تلقاء نفسي ، فحرمت الرواية عنه مع أهليتي لها وتمكني من اسبابها لوشاء الله ، والسماع رزق ، وكان محدثاً راوية عدلا فيما ياثره ثقة فيما يحدث به ، صحيح السماع ، غير ان ....

....

....

ووقع بعد الى يده ، منها التقصي لأبي عمر ابن عبد البر ، فكان يسمع ....

.... الخبر عن اسره صدر ايام المستنصر من بني عبد المومن ، فسعى عنده .... كبير وزرائه عثمان بن عبد الله ابن جامع لمودات كانت بينهما فيسر الله انقاذه من اسره ذلك ، وقدم حينئذ قاضياً بشاطبة ، فاستمر قضاؤه بها الى سنة اثنتيْن وعشرين وستمئة ، فانتقل الى مراكش ، وحضر مجلس علي ابن القطان ، فكان ابن القطان يجله ويعرف حقه .... مجلسه عن الرواية عنه والتردد اليه ، ثم عاد الى الأندلس ، واستقضي بشريش وجيان وقرطبة في اوقات مختلفة ، واعيد ثانيةً الى قضاء شاطبة مضافاً الى الخطابة بجامعها ، وفصل عنها سنة ست وثلاثين فاستُقضي

بسبتة ثم فاس ثم بأغمات وريكة ، ولي خطة المناكح وقضاء النساء بمراكش غير مرة ، وعرف في ذلك بالعدل والنزاهة وشدة الوطأة على اهل البدع واخافتهم وتطهير مواضع نظره منهم ، وكان ريان من الأدب ، كاتباً بليغاً ، دمث الخلق (لين) الجانب ، فقيهاً حافظاً ، عاقدا للشروط متقدماً في البصر بعللها ، كتب طويلا عن قاضي الجماعة بمراكش ابي جعفر ابن مضا .... عن ابي القاسم ابن بقي ايام ولي قضاء الجماعة ايضاً ، واسنّ ممتعاً بحواسه أجمع ، صحيح البدن زاهر اللون ، سريع المشي على كبرته ، شاهدت ذلك منه ، يكتب بالليل من الخط الرقيق وهو قد ناهز التسعين ما يكاد يعجز اكثر الفتيان عن قراءته بالنهار الا بتعمل ، ولقد حدثني الشيخ علي الرعيني رحمه الله قال : كنت اقرأ عليه رواية كتاب التقصي بدهليز دار سكناه وكان مظلماً وكان جلوسه في قعره ، وكنت اتحرى الجلوس في أضوإ موضع منه ، فربما وقعتْ في حواشي نسختي منه روايات مختلفة فأريد تمييز ما يوافق روايته من غيره فلا استطيع ذلك لدقة خطها وإظلام الموضع الذي كنت اقعد فيه على أنه اضوأ من غيره كما ذكرته ، فيتناول الكتابَ من يدي فيقرأ دون توقف ، ويعرفني ما يوافق روايته منها فأعلم ....

....

....

.... انه دهليز داري التي تقدم ذكر سكنى الشيخ علي ابن ابن قطرال ....

ولد بفاس سنة اثنتين وستين وخمسمئة ، وتوفي عفا الله عنه يوم الاثنين لاحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى عام احد وخمسين وستمئة بمراكش ، وهو يتولى خطة المناكح وقضاء النساء ، ودفن بجانب باب المخزن (أحد) أبوابها الغربية ، واحتفل الناس لحضور جنازته ، وكنت ممن حضرها ، واثنوا عليه خيراً وكان اهلا لذلك .

وذكره ابن الأبار آخر مَن رسم من الأندلسيين ، وقال من اهل قرطبة لما غاب عنه مولده ولتعصبه المعهود منه ، وقال في وفاته انها في ربيع الأول ولم

يحققها ، واسقط احد اليوسفين (109) من نسبه، وذكر في لقائه كثيراً من اشياخه خلاف ما وقفت عليه في خط ابي الحسن نفسه ، فرأيت التنبيه على ذلك تحقيقاً وتثبيتاً ، فأقول ذكر انه سمع ببلده يعني قرطبة ابا العباس ابن مضا ، وقال ابن قطرال انه لقيه بمراكش وهو الصحيح ، لأن ابن مضا لم يكن بالأندلس وقت طلب ابن قطرال العلم ، وانما عاد اليها بأخرة وبعد تأخيره عن القضاء كما تقدم في رسمه ، وذكر أيضاً انه سمع بقرطبة ابا القاسم ابن رشيد القيسي وابن قطرال انما لقيه بمراكش وقرأ عليه وناوله وأجاز له ، كذا وقفت عليه في خطه ، وقد كان ابو القاسم القيسي هذا انقطع الى سكنى مراكش قديماً ، وذكر انه لقي ابن الفخار بمالقه ، وانما لقيه بمراكش ، وزاد فيمن لقي بغرناطة ابا بكر ابن ابي زمنين ولم يُجْرِ له ابو الحسن ذكراً في شيوخه ، وقال ولقي بسبتة عبد الله ابن عبيد الله وأجاز له ، واجاز له ابو بكر ابن الجد وابو عبد الله ابن زرقون وابو محمد ابن جمهور وابو عبد الله ابن حميد وابو العباس المجريطي وعبد المنعم ابن الفرس ولقي جميعهم ، قال المصنف عفا الله عنه يقتضي هذا لقاؤه اياهم وحمله عنهم بالاجازة لا غير ، فلا بد من كيفية حمله عنهم بغير الاجازة حسبما وقفت عليه في خط ابي الحسن ، فاما عبد الله بن عبيد الله فقال : لقيته بسبتة وحضرت مجلسه وكتب لي بجميع ما يحمله ، واما ابو بكر ابن الجد فقال لقيته باشبيلية وحضرت مجلسه وسمعت عليه ابواباً من الموطأ واجازني ...... وجميع ما الفه وجميع ما يحمله ، واما ابو بكر فلم يذكر (لقاءه) اياه ولا ابعده ، ولاكن عهدة لقائه على ابن الأبار ، وذكر .... واما ابو عبد الله ابن حميد فلم يجر له ابو الحسن ذكراً في فهرسته ، وقد (رايته) ذكره في شيوخه بخطه في مكتوب آخر ، واما ابو العباس المجريطي فقد تقدم ذكر ملازمته اياه ، ونزيد الآن قول ابي الحسن : قرأت عليه كتاب السنن (لأبي) داوود ، وانشدني قصائد من شعره ، ولم يذكر انه اجاز له ، واما عبد المنعم ابن الفرس فقال لقيته بغرناطة فحضرت مجلسه ، وكان يقرأ عليه كتاب .... ويتفقه عليه في الموطأ وتقرأ عليه دولة من سيبويه ودولة من الكامل للمبرد قراءة تفهم وشرح ،

---

109) لم يسقط ابن الأبار يوسف الثاني في **التكملة** (طبع مدريد) ، ففيها علي بن عبد الله بن محمد بن يوسف بن يوسف بن احمد الأنصاري الخ .

واخرج الي كتابه في احكام القــرآن ، فقرأت عليه بعضه وناولني سائـره ، وذكر انه ناوله غير ذلك ولم يذكر انه اجاز له ، فهذا ما اخل به ابن الأبـار من ذكرهم ، وقد اغفل منهم ابن عروس ولقيه بغرناطة وحضر مجلسه وناوله بمنزله كتباً ذكرها ولم يذكر انه اجاز له ، واغفل ابا عبد الله ابن سعــادة ، قال ابو الحسن : لقيته بشاطبة وسمعت منه كتاب مسلم قراءة علينا بلفظه ، ولم يذكر انه اجاز له ، واغفل ابا محمد ابن حوط الله وقال ابو الحسن : رحلت اليه الى مالقة ، فقرأت عليه الكتاب العزيز بحرف نافع ، وكتاب البخاري ، والايضـــاح وعرضته عليه عن ظهر قلب في دول ، وقــرأت عليه أدب الكتاب والحماسة وشاركته في كثير مــن شيوخــه ، ثم صحبتُه بعد ذلك مسافــراً ومقيماً ، وسمعت عليه اكثر كتاب مسلم وقت كونه قاضياً بقرطبة ، ، ولــم يذكر انه اجاز له ، واغفل ابا الحسن ابن الصائغ وقال ابو الحسن : لقيتــه باشبيلية واجاز لي جميع ما يحمله ، وكتب لي بذلك ، وزاد ابن الأبار فيهم ابا بكر بن ابي زمنين وابا القاسم ابن بقي وابا القاسم ابن حَبيش ولم يجرِ لهم ابو الحسن ذكراً في فهرسته ، ولم يذكر فيها اجازة احد ممن اشتملت عليه سوى مَن نبهنا عليه ، فاعلمه والله الموفق .

وذكره في عنوان الدراية من اشياخ محمد بن صالح بن احمد الكناني الشاطبي (110) .

وقال في نفح الطيب : ثم سلكت منهج التفويض والتسليم ، منشداً قول ابن قطرال المغربي في مقام النصح والتعليم ، ووجهت القصد الى سكان الضمير بذلك التكليم :

ان ايــام الــرضـــا مــعـــــدودة ... والرضى أجمــل شيء بــالعبيـــد
لا تظنــوا لــيَ عنكم ســــلـــوةً ... ما على شــوقي اليكــم مــن مزيــد

---

110) عنوان الدراية ص 79 ع 14 طبع بيروت

راجعوا انفسكم تستيقنوا انكم في الوقت اقصى ما اريد
ان يوماً يجمع الله بكم فيه شملي ذاك عندي يوم عيد (111)

وعده في الاحاطة في ترجمة محمد ابن الجنان الأنصاري من أشياخه ، وذكره في الشذرات (112) .

1391) علي بن ابي الحسين ابن عصفور الحضرمي الاشبيلي

علي بن أبي الحسين بن مومن بن محمد بن علي بن احمد بن محمد بن احمد بن عمر بن عبد الله بن منظور ابن عصفور الحضرمي ، اشبيلي ، استوطن بأخرة تونس ، ابو الحسن ابن عصفور ، اخذ العربية والأدب عن علي الدباج وابي علي ابن الشلوبين واختص به كثيراً ، روى عنه الحسن بن عبد الرحمان ابن عذرة ، وحدثنا عنه ابو عبد الله ابن ابي وابو محمد مولي سعيد بن حكم ، وكان ماهراً في علم العربية ، ريان من الأدب ، حسن التصرف ، من ابرع من تخرج على ابى علي ابن الشلوبين واحسنهم تصنيفاً في علوم اللسان ، وشرح كتاب سيبويه وجمل الزجاجي ، ومصنفه في التصريف جليل نافع ، ومقربه في النحو شاهد بذكره للعربية وأشرافه على مشهورها وشاذها ، وقد تجول وسكن ثغري انفا مدة وأزمور اخرى ، واوطن بأخرة تونس فعرف بها قدره ، ودخل مراكش .

مولده باشبيلية عام سبعة وتسعين وخمسمئة وهو عام السيل الكبير ، وتوفي بدار سكناه من قصبة تونس بعد ظهر يوم السبت لست بقين من ذي قعدة تسع وخمسين وستمئة ، ودفن عقب العصر من يوم وفاته (113) .

---

111) نفح الطيب 1 : 30

112) شذرات الذهب 5 : 254

113) ما تقدم منقول بالحرف من الذيل والتكملة 5 : 413 ع 700

وقال في عنوان الدراية ما نصه : ومنهم الشيخ الفقيه الأستاذ النحوي (114) التاريخي ، المحصل الجليل الفاضل ، علي بن مؤمن بن محمد بن علي الحضرمي عرف بابن عصفور ، شهير الذكر ، رفيع القدر ، من اهل اشبيلية ، قرأ بها على جماعة من اكابر العلماء ، منهم ابو علي الشلوبين فحصّل ما لم يحصّلْ غيره ، وكل مَن قرأ على ابي علي الشلوبين ببلده نجب ، واجلهم عندي رجلان ، الأستاذ علي ابن ابيَ الربيع ، واجل الأستاذيْن ، الأستاذ علي ابن عصفور ، وما اعتقد في المتأخرين من الاساتيذ اجلُّ منه ، جمع رحمه الله بين الحفظ والاتقان ، والتصور وفصاحة اللسان ، هو حافظ متصور لما هو حافظ له ، قادر على التعبير عن محفوظة ، وهذه هي الغاية ، وهي ان يكون المرء حافظاً له متصوراً معتبراً ، وقلَّ ان يجمع مثلَ هذا الا الآحاد .

درس مع شيخه ابي علي الشلوبين باشبيلية ، وكان له ظهور وشفوف ، وارتحل الى العدوة واستوطن بجاية ، وكان بها استاذاً للأمير يحيى برد الله ضريحه ، وارتحل الى حاضرة افريقية فحظي بها عند المستنصر بالله ، وكان احد خواصِّ مجلسه ، وقبل انتقال الامارة اليه كان يقرأ عليه ، وقرأ عليه خلقٌ كثير وانتفعوا به ، وكلُّ مَن قرأ عليه وكلُّ من ظهر من أصحابه فمن المبرزين ، ومن احسنهم علماً وخلقاً وفضلا ورياسة ونفاسة ، صاحبُنا الفقيه الجليل الفاضل الكامل يحيى اليفريني رجل من اهل الكمال ، في كل وجهة وحال ، ولولا ان ذكره هنا انما جاء بالاستطراد ، لذكرتُ من فضائله ما يعلم انه اربى على من سبقه وزاد .

وتآليف علي ابن عصفور رحمه الله في العربية هي من احسن التصانيف ، ومن اجل الموضوعات والتآليف ، له «المقرب» وهو كتاب بارع والشروحات

---

114) بدأ المؤلف ينقل بخطه ترجمة ابن عصفور من عنوان الدراية ثم توقف هنا ، فاستحسنا ان نكمل ما بداه تعميماً للفائدة .

عليه وعلى الجمل ، وله على «الايضاح» ، وله شرح أبيات «الايضاح» ولم يسبقه احد بمثله ، وكلامه في جميع تآليفه سهل منسبك محصل ، والذي قَيَّد عنه اصحابُه اكثرُ من تآليفه التي ألّفها ، واخبرني بعض اصحابنا ، انه شرح جزءاً من كتاب الله العزيز ، وسلك فيه مسلكاً لم يسبق اليه من الايراد والإصدار والاعذار بما يتعلق بالألفاظ ثم بالمعاني ثم بايراد الأسئلة الأدبية على انحاء مستحسنة ، وقال : لو أعانني الوقتُ وامدني الله بالمعونة منه واكمل هذا الشرح على هذا المنزع ، لكان ذخيرةَ العالم ، وهو ممن له القدرة على هذا ، وهو اولى الناس بشرح كتاب الله تعالى ، وتدل تآليفه النحويةُ على ان له مشاركةً في علم المنطق ولأجل ذلك حسن ايراده فيها تقسيماً وحدوداً واستعمال الأدلة ، وبالجملة فيليق ان يكون كلامه مقدماً على كلام غيره من المعبرين من النحـاة .

توفي رحمه الله بتونس حرسها الله في عشر السبعين وستمئة (115) .

1392) علي بن محمد الجياني الأنصاري الاشبيلي

علي بن محمد بن حسن الأنصاري ، اشبيلي ، جياني الأصل ، نزل مراكش ، ابو الحسن الجياني ، اخـذ العربية والآداب عن علي الدباج وعمر الشلوبين ، وأخـذ عنه كثير من اصحابنـا ، واخـذتُ عنه وجالَسْتُه كثيراً وانتفعت بمذاكرته في الطريقة الأدبية ، وكان اديبَ النفس كاتباً بليغاً شاعراً مجيداً رقيق الغزل بارعَ المنازع فائق النظم والنثر ، مبرزاً في فهم المعاني ، نحوياً ماهراً ذاكراً للغات والآداب ، من ابرع مَنْ رأيته خطاً ، وكان لا يُحسن بريَ القلم انمـا كان يُبرى له ، وكان قـد شرع في الجمع بين تفسيري الزمخشري وابن عطية ، فخلص منه جملة واخترم قبل اتمامه ، ورجَّز الأحكام في معجزات النبي عليه الصلاة والسلام ، تأليف شيخنـا حسن ابن القطـان ترجيزاً حسناً مستوعب الأغراض ، وله منظومات كثيرة في مقاصد شتى ورسائل

---

115) عنوان الدراية ص 317 ع 98

منوعة ، وكل ذلك شاهد بتبريزه وجودة مآخذه ، وكان نفاعاً بجاهه ، سمحاً بماله ، موثراً بما ملكت يمينه ، كثير الاطعام ، متصدقاً على الفقراء والمساكين ، مبسوط اليد ، كريم الأخلاق ، طيب النفس ، وله رسالة بارعة كتب بها الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم وهي :

الى سيد المرسلين ، ورسول رب العالمين ، الذي جعلت له الأرض مسجداً وطهوراً ، وكان ولم يزل متنقلا من صلب ءادم نوراً ، مَن يلجأ اليه يوم الفزع الأكبر النبيئون ، ويرجو مذخور شفاعته في غد المسيئون ، ذؤابة بني هاشم ، المتجشم في ذات الله سبحانه أصعب المجاشم ، الذي نبع بين اصابعه الماء ، وانهلّت بدعوته السماء ، وحنَّ اليه الجذع حنينَ الثكلى ، وأنبأ الذراع بسمّه وقد رام له اكلا ، مَن اظلته الغمائم ، وناجتْه العظام الرمائم ، واقرَّ بنبوته الضب وشهد له بذلك تصديقاً ، واستشفع به ريمُ الفلاة فمرَّ طليقا ، المصطفى المختار ، قامع جيش الغواية وقد فار ، ذو الحوض المورود ، والمقام المحمود ، واليوم العظيم المشهود ، الذي انشقَّ له القمر ، ودان له الأسود والأحمر ، ولاح النور الالهي من قسماته ، وعرفه الكهنة والأحبار قبل كونه بسماته ، بُشرى الكليم ، والنافث بالاسلام في قلب السليم ، الميمون النقيبة والطليعة ، المشير الى الأصنام فخرت صريعة ، حبيب الله وخليله ، ومَن انزل عليه تحريمُه وتحليله ، وقام على صدقه برهان الحق الواضح ودليله ، الذي اعجز البلغاء وهم أوفرُ الناس في وقته عدداً ، ولو اتخذوا البحر مدادا والأشجار مددا ، فضحهم بباهر ءاياته ، ومحا فجرهم الكاذبَ بسطوعِ اياته ، الذي جمعت له شتى الفضائل وضروبها ، وردت عليه الشمس وقد حان غروبها ، مبلغ الأمل القصي ، التافل في عين الوصي ، مَن سبحت في كفه الأحجار ، وجاءت تجرُّ فروعَها الأشجار ، مَن احسن في ذات الله المصاع ، واطعم الجيشَ الكبير من عَناق وصاع ، مَن اراد ابو جهل ان يغتاله ويخونه ، فراى هولا وناراً عظيمة دونه ، مَن ناجاه بعزم القوم ثبير ، وأنبأ بكذابٍ في امته ومبير ، العاقب الحاشر ، ذو المناقب التي اعيتْ نشر الناشر ، صلى الله عليه وعلى ءاله وذريته وصحبه صلاةً دائمةً ما نمَّ عرف ثنائه ، ولف الفجر الثريا في ملائه .

من العبد المذنب المخطي ، المسرع بأمله المبطي ، الذي غدي بحبك وليداً ، وأخذ الايمان بك نظراً وتقليدا ، (غذيت بحب الهاشمي وليدا) ، وتحالف مع الشوق اليك في اسحم داج ، عوض ما نتفرق صفاء ليس فيه تداج ، وقرأ أم الاخلاص في محبتك فعمله غيرُ خداج ، الذي ثبطتْه الأقدار ، وعاقه الفلك المدار ، عن الحلول بمشاهدك الكريمة ، والمثول في معاهدك التي هي لصادي الأمل انقع ديمة .

كتبتُه وانا أتنفس الصعداء ، واناجي بل اغبط اهل زيارتك السعداء ، وللزفرات تصعُّد وانحدار ، وللعبرات تردد في الجفن وانهمار ، طوراً تسيل كالغمامة الثجاجة ، وتارة كأني انظر من وراء زجاجة ، (اني كتبت وفي فؤادي لوعة) ، حسرةً على تفريط حَرّهُ يتقد على الأحشا ، وندماً على امل اخشى ان يفصل بين قليبه والرشا ، وكيف ألذُ حياةً ، او آمن من الخطوب بياتاً ، ولم أعبرْ لزيارتك سبسباً ولا لجة ، ولا اقمت على دعوى الشوق اليك برهاناً ولا حجة ، ولا أحرمت لحرم الله وحرمك ، ولا مددت يدَ الافتقار فيه الى كرمك ، بعيد على دعوى المحبة ان تصح ، وعلى خُلّبِ العزم يشحُ ان يسح ، والا فعنان البطل خوار ، والمحب اذا ما اشتاق زوار ، ولعل العاجزَ يقول قولاً يظهر فيه مجازه ، وكم دونه من مهمهٍ ومفازة ، او يتأولُ جليَّ النصوص ، ويتمثل : فكم ارض جدب ولصوص ، كلا ، لو اصفى درةَ صفائه ، لأخرجها اليمُ الى الساحل ، بل ، لو وفى لله حق وفائه ، لأحلّه ذروةَ البلد الماحل ، ضل أظلّه وقد اقام ، وحاد عن السبيل وما استقام ، وللعاجز متأول ، اذا لم يكن عنده معول ، تارةً يطرقُ الغرر ، ويقول لا اضرار ولا ضرر ، ويحرم ارتكاب الأخطار ، ويحيل على غير ذي جناح امكان المطار ، ويُجيز التيمم مع وجود الماء ، ويطيل الأمل ولم يبق الا خافت الذماء ، ويصورُ الجائز في صورة المحال ، ولا ينشد القريض الا والجريض دونه قد حال ، ويهول اللجة والمرت ، ويقــول . الجمــلُ لا يلج الخرت ، هلا فلا الفلاة ، ونفى ان تولد السعلاة ، ومشى ولو على مستعر الجمر ، ووكل الأمر في ذلك الى صاحب الأمر ، يخفضه الآلُ ويرفعه ، ويتعرضه الرئبالُ فيدفعه :

هــلا فليتَ اليه قاصيــةَ الفــلا

فان عزماً في الله لا يتعذر معه امل ، وغرضاً في ذاته أوشكْ به ان يقال قد كمل ، الا أن الجَدّ خُلع نجاده ، كما ان الجُدّ طوي بجاده ، وما هي الا عِلل ثقيلة منعت الصرف ، واسماء ضعفت فبُنِيتْ على الوقف ، حين اشبهت الحرف ، ولو فتح في الأرض باب الضرب ، وتخطّى بصحيح عزمه مبارك الجرب ، لجنى ثمرة الصبر ، وكُمل له حســابُ الجبر ، وانما منعه خفضُ لكن ليس على الجوار ، ورفضٌ للجزم اعقب ندامة ابن غالب عند مباينة نوار (116) ، يقول لا استطيع السبيل ، رضاً بالمرتع الوبيل ، هلا انف من مقام المجرم ، وتشوف الى مقام المحرم ، وزجرها وهو البائسُ أيامن ، .. حتى يحل البلد الآمن . . .

هــلا زجرت العيس تنفخ بالبــرى

ورحل لبغية المكارم ، واستقبل آثار القوم الأكارم ، ليلثم مواطيءَ سعى فيها بالوحْي الروحُ الأمين ، وتخطّى عرصاتِها سيدُ المرسلين ، كيف لي ان امرغ الخدّ في عبير ثراها ، أو أبلغَ الجدّ الأعظم عند ما أراها ، هل يطيش عند ذلك لبي او يذهل ، أو يزيد أوامي عندما اردُ ذلك المنهل ، مَن لي بالخيف ومِنى ، وهل هما الا اجلُ بُغية ومُنى ، اظنك ضللت الطريق ، والا فأينْك من ليالي التشريق ؟ وهلا ازدلفت الى المزدلفة ، ونقعت اوامَ النفس الكلفــة ، وتركت حطامك الى الحطيم وزمزم ، واقتديت في العزم بشنشنة من أخزم . ارأيت استلام الحَجَر حِجرا ، ام بقيت في ليل الغواية وقد تبلج لك الرشدُ فجراً ، ام حجبت عن البيت العتيق ، وقصَّرت عن التقصير ومــا حلقت على التحْليق ، وما تنفعك الدموع المفاضة ، وقد حرمت طوافَ الافاضة ، هــلا قرعت الى الصفا كل صفاة ، وامتطيت الى المروة اطراف المرو الحداد بعزمةِ مستوفاة ، واجمعت في حال انفراد وجمع . على الحلول بجمع ، ووليت امر

---

116) ابن غالب هو الفرزدق ، ونوار هي زوجه ، وقد ندم حين طلقها ، وفي الندم على طلاقها يقول :

ندمت نــدامــة الكسعي لـمــا	غــدت مني مطلــقــة نــوار
وكــانت جنتي فخــرجت منهــا	كــآدم حين اخــرجــه الضــرار

عزمك مستحقه ، وجعلت لعراف اليمامة حقه ، لعله يشفيك من وجدك ، او ينشقك نفحةً من صبا نجدك ، وانما انت الطليح الملقى ، والصحيح لغير سبب يستلقى ، برقُ عزمك خُلّب ، وصُلبُ نيتك غير صلب ، ليت شعري ما يسكن هذا الشوق المثار ، وهل اعفر وجناتي في تلك المشاهد الكريمة والآثار ، قسماً ، ياذا الخلق العظيم ، بمقامك الأعظم ، ان حبك قد تخلل وسرى في الأعظم ، فهو روح النفس وغذاؤها ، ويوح الأنس يسطع ضياؤها ، بلبانه الطيب فطنت ، وبرمامه المستصحب فطمت .

اللهم يارب فانجد عبدك المسيء وأعنْه على اداء الفريضة ، واشف من لواعج شوقها لبيتك الكريم ونبيك العظيم نفسَه المريضة ، اللهم فطيب قلبه بانتشاق ريح طيبة ، ولا تجعل املَه فيك ورجاءه في كرمك الى اخفاق وخيبة .

اليك إلهي رغبتي وبكائي

اللهم يارب فبلغْه من ذلك سؤله وأمنيته ، قبل ان تقضي منيتَه ، وشفع صالح قوله بعاجل عمله ، قبل حلول اجله ، اللهم انفعْه بما ينطوي عليه من حب نبيك الكريم ، وخليلك الذي بوأته اسنى مراتب التقريب والتكريم ، وحبوتَه بين جميع خلقك بمزية التفضيل عليهم والتقديم ، واختمْ لعبدك المسيء بخاتمة الخير والسعادة بفضلك ياذا الفضل العظيم ، وعلى سيدنا ومولانا محمد وعلى ءاله وصحبه وذريته افضل الصلاة والتسليم ، ما نقع العذبُ الزلالُ نفوسَ الهيم ، وصدع البرقُ رداءً الليل البهيم ، بحوله وفضله .

وقرأتها عليه ونقلتها من خطه .

وانشدت عليه لنفسه من قصائده الحجازيات :

كيف لا اندب عهداً بالحمى — عن جفوني طارقَ النوم حمى
نزعت شوقاً اليه مهجة — لم يدعْ منها الهوى غير ذَما
ياليالينا بذي الغور اما — يتسلّى القلبُ عنكنَّ اما

وعهوداً باللوى قد سلفت ... لم ازل ابكي عليهن دما
يصدق البرق فؤادي حسرة ... فانا أبكي اذا ما ابتسما
ورياح الغور مهما نسمت ... اوقدتْ نارَ الجوى فاضطرما
لا تلوموني على الوجد فما ... يفعل المنصف باللوم فما
كيف لي بالخيفِ يدنو ومِنى ... فهما همُّ فؤادي فهما
يا حداة العيس رفقاً انها ... شكتِ الجهدَ وطولَ المرتمى
فهي تستنشق هباتِ الصَّبا ... كلما وافتْ بنجد علَما
أنسوها بالتذاذٍ ، إنها ... نَعَم" تفهمُ تلك النغَما
طاويات" لم يدعْ منها السرى ... ودخيل الشوق الا أعظُما
تقصد الحُوَّمُ من اعينها ... نطفاً ليست تُروى من ظما
ويمد السير من أعناقها ... خيزراناً حينَ تبدي السأَما
حملت اشباهَها فهي بهم ... كقسيٍّ قد اقلَّتْ أسهُما
أوْهَنَ الوجدُ قواهنَّ فان ... لاح نجد خلت فيها لمما
مدت الأعناق لما رملت ... بنقا الرمل وأكنافِ الحمى
هاديات بالهوادي كلما ... ضل حادٍ جاذبتْه الخطما
جنبوها مورد الماء فقد ... حرمتْه او تزور الحرما
ياخليليَّ رويداً انها ... لتُعاني الشوق مثلي فاعلما
انشقاها نفحةً نجدية ... راحةُ المشتاق ان ينتسما
وعِداها بعداها ظفراً ... وسروراً يوم تأتي الموسما
فبه تمحق آثار السرى ... وتباد البيدُ حتى تعدما
انها قد حملت شعثاً اذا ... ما بكوا قلتَ غمام" سجما
ومتى أنّوا اشتياقاً وشكوا ... صدعوا الصخر وشاقوا الأعصما
شربوا الدمع حميماً وارتووا ... ولذا عافوا الزلالَ الشبما
لم يزموا العيس حتى حرموا ... كل ماء او يحلوا زمزما
لا تلمْهُم في البكا معتدياً ... كلُّ جفن شام أو هام همى
حسرتا ان لم اكن في سلكهم ... وبهم مشتملا منتظما
مَن عذيري من زمان قد مضى ... اقرع السنَّ عليه ندما

حسرتي ان لم أبلغْ املي قبل ان يأتي الردى مخترما
ياجميلَ اللطف واغفرْ زلتي وأقلني عثراتي منعما
برّح الفقرُ الى رحماك بي لا يداوي الفقر الا الكُرما
ان يكن ذنبي عظيماً قد غدا عفوُك الواسعُ منه اعظما
اثقلتْ ظهري ذنوبٌ صحت من تحتها وا أسفا وا ألما
قرع البابَ بها مسترحمٌ لا يكن بابُك عنه مُبهما
ان حسبي في غدٍ ان اغتدي لائذاً بالمصطفى محترما
بشفيع المذنبين المرتجى في غد يشفع فيهم كرما
النبي الأبطحيُّ المجتبى سيدُ الخلق الكريم المنتمى
الرسول الساطع النورِ الذي قد جلا نورُ هداه الظلما
المكين المعتلي السامي الى قاب قوسين او ادنى مكرما
خير خلق الله طراً سادهم بعلاه عرباً او عجما
فعليه صلوات الله ما شدت الورقُ فشاقت مغرما

غذيت بحب الهاشمي

غذيتُ بحب الهاشمي وليدا فألفيتُ امري في هواه حميداً
غذيت به طفلا صغيراً وناشئاً وكهلا فما الفيتُ عنه محيداً
تطعمتُه في ثدي امي ولم اطقْ به صدراً حين استطلْتُ ورودا
واقسمتُ ان القى الالاهَ بحبه يميناً عليها الله كان شهيدا
اذا غرّدَ القُمريُّ فاضتْ مدامعي فريداً كأني قد نثرت فريدا
ويهتاج اشجاني نسيمٌ اذا هفا بنيران شوقي زادهن وقودا
اباد الأسى صبري وافنى تجلدي وكنت على مر الخطوب جليدا

وتحالف مع الشوق

اني كتبت وفي فؤادي لوعة حُشيتْ بحرٌ جحيمها الأحشاء
ابكي لفرط شقاوتي لو انه يُدني الحبيبَ من المحب بكاء
دمعاً متى اجريتُ وادي فيضه ذهبتْ به أنفاسي الصعداء

ياحسرتا نـائي الأحبـة نـــازح ... يرجـو اللقـاء واين منـه لقـــاء
هامي الجفون مع البنـان تمـازجت ... في وجنتيـْـه أدمـــعٌ ودمـــــاء
أعْشى نواظـره البكـاءُ وصدعت ... اكبـادَه الأشـواقُ والبـرحـــاء
يـذري المدامعَ عابثـاً بالتـرب لا ... تشجيـه لا هنـد ولا اســمـــاء
شوقـاً لقبـر المصطفى ومحبـــة ... في خير مَن طلعت عليه ذُكـــاء
يافوزَ قـومٍ طيَّبـوا وجناتِهـــم ... بتـراب طيبةَ هم همُ السعـــداء

حسـرة على تفـريـط

أرى دعـوى المحبـة لا تصـــح ... وخلَّبَ بـرق عزمـك لا يســـح
ولـو تطـوي على عـزم صحيــح ... لهاجك من نسيم الغـور نـفـح
وكنتَ تطير من طـرب متى مـــا ... يلح لك من بـروق الخيف لـمـح
ولـم يردك لفـحٌ مـن هجيـــر ... ولا من ليلـة لـيـلاءَ جـنـــح
اتُشجيك الحمائمُ كـلٌّ حيـــن ... ومـا في مقلتيك لهـنَّ رشـــح
اصخـرٌ قلبُك المغمـى عليـــه ... صليب لا يـؤثـر فيه قـــدح
سكرت بكأس غيـك ايَّ سكـــر ... ثقيل مـا اظنك منـه تصحـــو
تضيق خُطاك عـن خير البرايـــا ... وفيها ان قصـدت سـواه فســح
لقد صرعتْك حربُ الغيِّ صرعـــا ... بقلبك لا بجسمك منـه جـرح

والا فعنـان البطـل خـوار

هـلا فليت اليـه قاصيـةَ الفــلا ... وبقيتَ ما تَضحى بهـا متخيـــلا
ومشيت والنعـلاة لا متـوحشـــاً ... وصدمت حـرَّ الجمـر لا متملمـلا
وصحبت آل القفـر منتجعـاً لـــه ... وتركت ءالـك منهـم مستبـدلا
ووطئت من شوك القتاد أزاهـــرا ... تندى وبالرمضاء روضاً مخضـلا
شوقـاً الى قبـر النبي محـمـد ... حتى تحـلَّ بمنتـداه وتـنـزلا
حتى تمرغ حرَّ خـدك في ثـــرى ... عرصاتـه متضرعـاً متـذلـلا
هـلا سعيت اليـه اغبـر حافيـــاً ... وكأن ركبت لـه أغـرَّ محـجـلا
متألفـاً للـوحش في فلـوالـهـــا ... متأنسـاً بظبـائهـا متعـلـلا

يجلو عليك الصبح وجهاً مشرقاً — ويريك جنح الليل طرفاً اكحلا
حتى تحط الرحل في قبر به — حفت ملائكة السماوات العلا
قبر النبي الهاشمي محمد — اكرم بمنزله المقدس منزلا

فان عزماً في الله لا يبعد عنه امل

هلا زجرت العيس تنفخ في البرى — ووصلت في الفلوات سيرك بالسرا
حتى تعفر وجنتيك بتربة — من اجلها ولها ذممنا العنبرا
ورحلت نحو الهاشمي محمد — خير الأنام وخير من وطيء الثرا
وتحل ارضاً لست من شعف بها — أرضى بديلا من حصاها الجوهرا
هلا مشيت ولو على جمر الغضا — وكأنه نبتت الرياض منورا
هلا هجرت له مهادك موثرا — حر الهجير عليه لا متأثرا
شوقاً الى خير الأنام محمد — اكرم به ذاتاً واكرم عنصرا
هيهات انت مقصر حتى ترى — يوماً هناك محلقاً ومقصرا
هلا قرعت السن من ندم على — زمن مضى متلهفاً متحسرا
هلا بكيت له وقل له البكا — حقاً ولو تذري النجيع الأحمرا
صدع الهوى اعشار قبلك والهوى — مذ كان أعيا صدعه ان يجبرا

وارحل لبغية المكام

بين الحطيم وزمزم — ارسل جفونك بالدم
واضرع الى الرحمان في — تلك المعالم ترحم
لا ترض الا عن دم — فيها كلون العندم
ان الدموع البيض لا — تمحو خطايا المجرم
بالله يا ريح الصبا — انهي سلام المغرم
بثي حديث اساه في — نادي الحجيج الأعظم
واندي بمسراك البليـ — ـل عليهم وتنسمي
وبعرف ريحك متعي — مهج المطايا الرزم
بثي حديث متيم — يهوى المطار اليهم

تُصغـي الحمـام لشجـــوه فيقـول ويـكِ تعلمــــي
وتصيـخُ نحـوَ نحيبـــه فـتـمــده بـتـرنُـــم

ارايت استـلام الحجـر حجـرا

اليك الاهـي رغبتي وبكـــائـي وفيك غدا دون الأنـام رجـائـي
ومنك سألتُ العفو عـن عظم زلتي ومـا خـاب يوماً سائلُ الكرمـاء
اذا انت في جنح الدجنة لـم تجبْ ندائي فمَن ذا يستجيبُ ندائي ؟
لفضلك ازمعتُ الرحيل فحسرتـا اذا انـا لـم يَحسُنْ لديك ثوائي
اسيـر بـلا زاد ولا مـتـأهبـــاً كـذلك يُغشَى منزلُ الفضــلاء
شفيعـي لك المختـار احمد انـه عليك بحـقٌ اكـرمُ الشفعـــاء
فيـارب يسـرْ لي زيـارةَ قبـره ومـاذا على فضـل الالاه بنائـي ؟
فقـد طـال شوقي نحـوه وتلهُّفي عليـه وأودى بـي لاعج البـرحـاء
أعضُ بنانـي حسـرة وتنـدمـاً وابكي اشتيـاقاً لـو يفيـدُ بكائي
يقـولون لـي عـزٌ الفؤاد لعلـه يفيـقُ وانـي لات حيـن عزائـي
الى قبـر خيـر العالميـن محمـد نزوعـي ، ودائي منه وهـو دوائي
الا بلغـي بالله يا نفحـة الصَّبـا نفائث اكبـادِ اليـه ظمــــاء
وأنهـي تحيـاتـي اليـه وعطّـري شـذا مسك داريـن بعرف ثنائـي
تحيـة مقصوص الجناحيْن واقـع رهيـن فنـاء او اسيـر بنـــاء
غدا يعتب الأجفان من صفو دمعهـا فلـم تـرضه حتـى همتْ بدمـاء
متى عذلوا في الدمع كفكفت غربه فسـال بـأرداني وفضل ردائـي
وبلّتْ اديـمَ الأرض ديمتُه التي يشبُ الأسى منهـا بساكب مـاء
بـقـاء نعيمـي في زيـارة احمـد وكـلُ نعيـم صائـرٌ لفنـــاء

واستُقضي بحصن القصر من نظر اشبيلة وقتاً ، واستكتبه الرشيـد من بني عبد المومن فكتب عنه قليلا ، ثم صار يستعمل في الأعمـال السلطاتية ،

فولي خطبة الأشراف على بلاد حاحة من نظر مراكش ، فتوفي بتامطّريت ثالثَ عيد الأضحى من سنة ثلاث وستين وستمئة ، وورثه بيتُ مال المسلمين (117) .

1393) علي بن محمد ابن ذنون الاشبيلي

علي بن محمد بن علي بن يوسف بن عزيز ابن ذنون ، اشبيلي ، كان أديباً شاعراً مجوداً بارعاً ، تجول بشرق الأندلس وغربها ، واجاز البحر الى بر العدْوة وتطوف على بلاده ، وقدم مراكش وسجلماسة وغيرها ورفع للرشيد من بني عبد المومن ارجوزةً طويلة على طريقة ابن سيده في ما اسمُك يا اخا العرب تتجزأ منها ارجوزة ابن سيده نحو الربع ، وارجوزة ضمّنها اسماء خيل العرب والمشاهير من اهل الاسلام ، وشرحها مبيناً قصصها ، ورفعه الى والي سجلماسة حينئذ عبد الله بن ابي زكرياء بن ابي ابراهيم مع ارجوزة ضمّنها مناقلَه رحلة فرحلة من بلنسية الى سجلماسة ، وقصائد بديعة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم ، وكل ذلك مما برز فيه وشهد بفضل ادراكه وبراعة انشائه ونبل منازعه وجودة اختياره (118) .

1394) علي بن محمد ابن شراجة الغافقي

علي بن محمد بن منصور الغافقي ابو الحسن ابن شراجة ، روى بالأندلس عن ابي عبد الله الاستجي ، وابي عبد الله ابن الفخار ، وابي العباس ابن اليتيم ، وعبد الرحمان السهيلي واكثر عنه ، وعبد الحق ابن بونه ، وبسبتة عن ابي محمد الحجري ، وبمراكش عن نجبة واحمد ابن مضاء ، واجاز له ابوبكر ابن الجد وابوبكر ابن ابي جمرة وابو جعفر

117) **الذيل والتكملة** 5 : 287 ع 579

118) الترجمة منقولة بالحرف من **الذيل والتكملة** 3 : 372 ع 639

ابن حكم وعلي ابن كوثر وابو خالد ابن رفاعة ، وابو عبد الله ابن حميد وابو عبد الله ابن زروقون وابو عبد الله ابن نوح وابو القاسم الشراط ، وعبد المنعم ابن الفرس .

روى عنه ابو اسحاق بن عبد العزيز الفخار ، وكتب اليه من اهل المشرق الجماعة المذكورون في رسم ابي الطاهر احمد بن علي الهواري ، وكان مفرئاً مُجوداً محدثاً راوية ذا حظ صالح من النحو والأدب ، تصدر لافادة ماكان عنده من العلم دهراً طويلا ، وكان ضريراً نفعه الله (119) .

1395) علي بن محمد ابن القابلة العشبي الكتامي المراكشي

علي بن محمد بن علي الكتامي ، مراكشي ، ابو الحسن العشبي وابن القابلة ، روى عن طائفة من اهل مراكش ، ودخل الأندلس واخذ بها أيضاً عن جماعة من اهلها ، واختصَّ كثيراً بسهل ابن مالك ولازمه طويلا ، وكان اديباً بارعاً كاتباً بليغاً شاعراً مجيدا ، وقد جرتْ بينه وبين جماعة من ادباء عصره مخاطبات ومجاوبات تدل على اجادته .

فمن شعره :

يا سعد قد شب صغيرُ الهوى — وجد عشقي الهازل المازح
يا سعد قد اسلمني للردى — صبر حرور وهوى جامح
كأن قلبي حين يجتاز بي — بغاثة همّ بها (جارح)
يممت فيك الفال يمناً به — ولم اقدر انك ....

ومنه على طريقة التصوف :

وهي جلدُ المضنَى فميلوا الى الرفق — ورقوا لما القاه يا مالكي (رقي)
أأحباب قلبي ، ان صلحت لحبهم — وهيهات من اخلاصهم في الهوى ...

---

119) الترجمة منقولة بالحرف من **الذيل والتكملة** 5 : 392 ع 664 وبهامش احدى نسخها الخطية : توفي ببلده مالقة في عشر العشرين وستمئة .

هم غايتي ان سارعوا او تباعدوا — وهم حافظو عهدي وهم عارفو حقي
وهم نزلوا من سر قلبي بمنزل — خفيٌ عن السلوان مشتبه الطرق
وحقهم لواعتقوا من اسارهم — فؤاديً لاختار الاسار عن العتق
وما بين تعذيب الصدود اذا رضوا — وبين نعيم الوصل عندي من فرق
فياسادتي ان ترحموا ذلَّ موقفي — على بابكم لا تكذبوا في الهوى صدقي
وان كنت اهلاً للجفاء بهفوتي — فأين الذي عودتموني من الرفق ؟
اذا لم تواسوني على عظم فاقتي — وضرى ولم تبقوا عليَّ فمن يبقي ؟
اقرُ بزلاتي وألتمسُ الرضا — ولا نطق لي قد اخرستْ حالتي نطقي
فهل عائدٌ عيش مضى في ذراكمُ — بدت أوجهُ الآمال من وجهه الطلق
واني لأستسقي لمعهده الحيا — ولولا الحيا ماكنت للدار استسقي
ولولا نجيع شاب دمعي سقيته — شئابيبَ منه مغنيات عن الودق
فعندي دموع لا تقاصي دموعها — وعندي جفون لا تطاوع مَن يرقي
انا العبد والمولى احقُ بعبده — وما ليً من دعوى وما ليً من حق
لجأت اليكم هارباً من صدودكم — فلا تفضحوا سرً اطراحيً للخلق
وحاشاكم ياسادتي من قطيعتي — على قِدَمِي في حبكم وعلى سبقي
وما ادعي ان الجفا خلقٌ لكم — ولاكنه من طبع نفسي ومن خلقي
على كل حال لم احل عن عهودكم — ولا دنت في دين الهوى بسوى الصدق
وان فاز غيري بالمنى وحرمته — فما حيلة الانسان في قسمة الرزق

وكتب أبو المطرف ابن عميرة الى ابي عبد الله ابن الجنان من مراكش الرسالة التي اولها .... اجتماع وقد تقدمْت في رسم ابي عبد الله الجنان فادرج معه .... كيف حال سيدي حقاً وواحدي ومساعفي حين قلً الصديق ....
خاملة لبعده ، ونفسي منقسمة من بعده ، وله الفضل في اسهامي ....
.... ونشاطه بما يؤنسني ويشرفني ، ويقرطني ويُشنفني ، واعلامي بحاله ، .... في حله او ترحاله ، خار الله له وانجح امله .

وكتب اليه ابو المطرف :

.... ابقى الله الأخ المبارك كريم الشمائل ، ناصح الوسائل ، مبسوط الـوجـه للسائـل ، مقبوض اليـد عن جزيـل النـائـل ، ولا زال حميد المذاهب ، وحيد المناقب ، مصون الجانب ، مبلغ الحاجات والمئارب ، كتـابي اليه من برشانة كلأها الله ، وقد وصلتها بعد عشر ، والآمـال بين طيّ ونشر ، واماتة وحشر ، سبلٌ مياهُها ردية ، ومنازلُ وخيمة وبية ، ومتاعب ظاهرة وخفية ، فما ذا صنع البين المُشت ، وحتى مَ لا يقرُّ المُنْبَت ، وكم ذا يقص مُلتئم الشمل ويفت :

عنـدي مـن الشـوق احــاديـث … فــاي أمـــهـــال وتلبيـــث
شوق وقـلٌ نارٌ لهـا بعـدكـم … في القلب تـأثيـر وتــأريـــث
ياصـاح والــود لـــه نسبـــة … فـوق التي عنهـا المـواريـث
هـل ذلك العـهـد على حـالـــه … فـان عـهـد النـــاس منكــوث
وبـالشمـل جـامـع غـالـــه ؟ … للبَيْـن تشتيـب وتشعيــب
وبـاعث للـعـزم في طـيـــه … جيش الى السلـوان مبعـوث
يسيـر في أرض جنى اهلـهـــا … بالحـزن حلـزون وطـرثـوث
ومـاؤهــا صنعـــة وصفيـــه … في الأعضـاء تـلويـنٌ وتلويـث
وصرهـا الهـامج فـحـل وفـي … مصيفهـا الفـاتـر تحنيـث
جـد بهـا جـد الشتـاء الـذي … مكروهـه في الجـو مبثـوث
وليس من كافـاتـه عـنـدنـــا … الا الـذي فيـه البراغيث (120)
ومنزلونـا مـا لهـم عـن سـوى … الأزمـة والاعسـار تحديـث
كـان بعذر المحل منـعُ القـرى … منهم ، وزاد المنـعُ مـذ عيثـوا

---

(120) يريد الكساء ، وهو احد الكافات السبع التي وردت في البيتين اللذين ضمنهما الحريري المقامة الكرجية ، وهما :

جـاء الشتـاء وعندي مـن حـوائـجـه … سبع اذا القطـر عن حاجـاتنـا حبسـا
كن ، وكيس ، وكانـون ، وكـاس طـلا … مع الكبـاب ، وكس نـاعـم ، وكسـا

انظر مقامات الحريري ص 212 طبع بيروت 1965 .

هذه ابقاك الله جرتْ على اللســـان ، وخلتْ من الاحسان ، لاكنها دلت على مـــا في النفس ، وشغلتْ جانباً من الطرس ، واقتدى النثر بنظمها ، ....
..... عظمها ، ولولاها لمسَّه الاعياء ، وطال عليه العناء ، وهي وان لم تكن ....
ولا على وهنها زيادة ، فانها مألوفة معتادة ، انما الهوس عروض ، ...... حوشي مرفوض ، غاص الفكر في يمِّه فاستخرج بعض دفائنه ، .... ولا ري ان وردت :

احباب فؤادي كم اقاسي الضـــرا — لا صبــر على فراقكـم لا صبـــرا
عودوا للمغاني واعيـدوا الهجـــرا — قدْ متُّ وقربُكـم حيـاة اخـرى
بالله قــفـوا ان ازف التــوديـــع — فالقلب بصــدع شملنــا مصدوعُ
ذا حر الزوال في الحشا مجمــوع — والابــراد في صلاتـــه مشــروعُ
يــابرقَ اللوى بالأفــق الشــرقي — ذاك المنحنــا مــن سيْــل الوسمي
قــد اعشب فامض منــه للعشبـي — بــالطيب مــن ســلامي العطـــري
لله علي مــن فــتــى فــتـــــان — بــالنظـم وبــالنثـر وما هــادان
الا بعض مـا فيـه مـن الاحســان — ينأي وهــو بالــود قــريــب دان

كيف يظن ان الزمــان غير ولاد ؟ وان بــلاداً تمتاز عــن بــلاد ؟ جاءتك وكأنها في دجلةَ عبت ، ومــع صبــا نجد هبت ، وبين العذيب وبارق نشأت وشبت ، أو كأنها ترنَّم بها السَّفْرُ في وادي العقيق ، او حدا بها الحادي الى البيت العتيق ، فان عجمت عودها ، واختبرت نقــودهــا ، وجدتهــا تستحق الاهانة ، وتنسب ان صدقتْ الى برشانة ، بفنائهــا مولدها ، وفي مائها موردهــا ، ومنها يليق ان يكون منشدهــا ، فاجعلْها مخطوبة لليبروح ، وقد خلع عليها خفة العقل وثقل الروح ، ومرتْ بك مخالستهــا نظراً ، وطرحت منهــا قدراً ، ووليتها ظهرك ، وقلت .... رك ، وان عقدت على هذه المختصة ، فلا بدَّ من طلاقهــا على المنصة ، ثم تفقد الخاطب وهي حل ، وتهجر كأنها في البيت صل ، او من الميت لحم يصل ، سيدي حفظكم كان الوصول من المرية حرسها الله ، وانها لمثابة وأمن ، بل جنة وعدن ، احفى مقامهــا

العلي ايده الله المسألة ، ورفـع بمحله الشريف المنزلة ، وودعته وانـا مـن بره مُرتو ، وعلى ظهر الجاه مستو ، وسرت وأنا على الآمـال ، والشغف بذلك الجلال ، منطو ومحتو ، وبالمرية فارقت .... الرحلة السريعة ، وقد انفصل على خير الله يكلؤه في اقامة .... بين يدي خروجي الى بسطة بمشيئة الله واعانته ، ويقال .... اشد اخافة مما كان ، والله يدفع المرهوب ، ويكفيها الخطوب ، بمنه .

(فكتب اليه) ابو الحسن العشبي رحمهما الله :

السيد الأوحد العماد .... واطا ...... ثناءه ، والبيان يقف ببابه متى شاءه ، وينشر ملحه ويملح .... ولا زال علماً يهتدى به ، ومعلماً يقتدى بآدابه ، فيما فرطنـي به وشنفني ، .... وشرفني ، فقد وقفني موقف خجل ، وألحفني مطرف وجل ، فسامني من الجواب شططاً ، وطالبني بحر المتاع وما اجد الا سقطاً ، ولما وصل الكتاب المرقوم ، والرحيق المختوم ، اجتليت منه الأبيات أو الآيات ، وانشدت الأشعـار او الأسحـار ، وكان عزمـي الا اكتب ، ثم خفت جلاله ان يعتب ، والعياذ بفضله من ان يعتب ، وهَـلُمَّ ايها المولى الى الانصاف ، واعدلْ الى العدل الحميد الأوصاف ، متى سوبقت الجياد بالأعيار ، وقيس الصفر بالنظار ؟ وكيف وانت ريحانة قريش التفتْ عليك بطحاؤها ، واقتفتْ آثارك فصحاؤها ، وعُرفتْ بك طرقُ البلاغة وانحاؤها ، وانا ــ وما انا نسبٌ في البرابر عريق ، وسببٌ من التعلم لا ممتد ولا وثيق ، ــ درجت حيث جفاءُ الطباع ، وجفا التكلف من الانطباع ، القساوة تلبس الصدر وما تلين ، والغباوة بين الصبح فما يستبين .

بلـد الفلاحـة لـو اتاهـا جـرول — اعني الحطيئـةَ لاغتـدى حـراثـا

وعلى ذلك فقـد ادللت ، ولم ادعْ أن قلت :

قـد سمعت تلك الأحـاديــث — فـالقلب مـفـؤودٌ ومجــؤوث
آيـات ابيـات لهـا الـدهــر مبـ — ثوث وسحـر الشعـر مـنـفـوث
ورقعة او حـلـة او بـقـل حـدا — ئـق مـسطـوره مـــيـــث

ايـه على العهـد فمـا حـل مـن — عـقـوده بـعـدك تـنـكـيـث
ذاك الهـوى ما حـال عـن حالـه — وشكر ذاك المجـد مبثـوث
وخـذ احـاديثَ هيـامي ومـا — يحصيـه تحـديث وتبثيـث
مغتـربٌ في أهـلـه كـربـه — مقتبـل واللـهـو مجـدوث
وسابق الـ........ ـرة في سمعه — عن خاطب السلوة .... ـث
لا سلمت ايـدي المطايـا فـمـن — تحثيثهـا للصبـر تـحثيـث
هيهـات ايـن الصبر لا اينْـه — واصلـه للبيـن مجـثـوث
يا أيهـا الفـرد الـذي فضلـه — فضـلان مكسـوب ومـوروث
عـذراً وفي اكنـاف تلك العلـى — للعـذر تمهيـدٌ وتـدميـث

يا سيدي كيف رأيت زبرا ، (ألمْ اقلْ لك انك لن تستطيع معي صبراً) ؟، .... لسحـراً ، وان من السحر لشعـراً ، رفـقـاً أيهـا السيـد في اقتضائـك ، او عـامـلْ نـظـراءك ومَن لك بنظـرائـك ؟ فاني انفق مـن عسر ، واستمدُ من نزر ، وبيدك زمام الكـلام ، ولك طاعـةُ النثر والنظام ، تلعب بعروضـه ، وتكسو مـرفوضَه حلـةَ مفروضه ، بينـا انا في تلك الحديقـة اقطف زهَـرا ، وانشق عبيرا او عنبرا ، عثرت بـذلك العروض فلعب بـي وزنه ، وتذعر لـي حزنـه ، وبعد لأيٍ ما فهمت ، وجلت في معانيه فهمت ، وكلفت الخاطر شيئاً منه فعجز ، واكرهتهُ فأبى الا الرجز ، ولحق الأدب لم اذعه ،وقد جاء منه هذيان فان نشطت فاسمعه :

يا من لبعـاده هجـرتُ الأنسـا — قد خفت لغربة الهوى أن انسـا
هـذا كمدي اضحى كما قـد امسا — وخدي كلفي سرّ العذولَ ام سـا
من يمنع محتوم القضا مَن يمنعُ — قالوا الصبر اولى قلت غيري يخدع
يابينُ كم ادعـو وليست تسمـع — اردد سكني وما اردت فـاصـنـع
اقسمت بنمـة الهوى ان عـادوا — واستـوطـن ربـع صدره الفـؤاد
لا نال قيـادي بعدهـم بعـاد — عزمي جملي والـقـرب منهـم راد
الله عليكم يـا بريـق نـجـد — امـرر باللـوى على الكثيب الفـرد
واخبر خبر الحي الجميـع بعـدي — هـل عندهـم مـن الأسى ما عندي

واخصص بالشيم عاطرَ الشميم — وافضضْ خاتم الغمام بالغميم
بحيث رسى العلا في مخزوم — ريحانة ذاك النفر إلكريم
هل تعرف من اريد ان اعرف — جزْ بابن عميرة ابي المطرف
واشرح كلفي له ولا تحرف — واسرد ما شاهدت جوى وصنف
.... الجلال بالاحلال — واستكمل ثناءَ ذلك الكمال
.... أحسانه والمثال — ما لي من يد بما انال ما لي

.... المشارق ، واعذب شرب العذيب وبارق ، اما شارفت .... وسمعت من صباها ما تقول خزاماها ، واني وبين بلادينا زرود .... هو الأحق الطاعة ، وطرق الاستطاعة ، ومبلغ البضاعة المزجاة ، .... المرجاة ، والسيد الأوحد اعلى الله مقداره ، وادني داره ، يقضي .... ويسامح في تخلفها ، فهل هي الا ضرة تلك المخطوبة ، وعنوان فصيحتها المحجوبة ، عديت بطبع ابيها ، وطنبت اوصافه تشبيهاً ، وستجد ذلك عياناً فيها ، فاذا عرضت اليه ، وعرضت بين يديه ، فليصرم وصلها ، وليلق على غاربها حبلها ، وليعقد على هذه الجنانية الجيانية يدَ الضنانة يجدها احقُّ بها واهلَها ، واما تلك الهدي فقد طلقت لها العقائل . وامت الحرائر والحلائل ، وانما هي عقيلة الشرف والمجد ، ومطيلة الكلف والوجد ، فعليَّ ان اصحبها بالمعروف ، واعرف ما لها من الشفوف ، واعدها ذخيرة الأيَد ، ووصيةَ الوالد للولد ، لو رأيتني اقلبها واقبلها ، وأتألم لها حين اتاملُها ، واقول اي حلي لو صادف جيدا ، ومحل شكر لو وجد مجيدا ، وقد وكلت الأمر اليه ، والقيت بيدي ثقة بما لديه ، ثم اعود الى المهم المقدم من ذكر اشواقي المولمة ، وحرقي المضرمة ، برد الله ببرد ماء اللقاء أوارها ، واخذ من ثبارها من الفراق فهو اثارها ، واسأل كيف كانت حاله في تلك المسالك المهالك ، وتخلص سناه من ظلمها الحوالك ، واما سحيم فقد ظهر بغرناطة حميد الحال ، شاكراً لحسن الصحبة وجميل الارتحال ، وانا رهين شكرها يداً كبرى ، وعارفة اخرى ، والله يكنف مولاي بعينه وعونه ، ويكفله بحفظه وصونه ، ويديم علاءه ، ويحرسُ تصفيقه على المعالي واستيلاءه ، والسلام

الكريم يخصه به صنيعه المباهي بتنويهــه ، الشاكــر لأياديه التي اشــادت بتنبيهه : العشبي ورحمة الله وبركاته (121) .

وتقدم ذكرُ علي بن احمد بن محمد بن عثمان بن يحيى ، شلطيشى ابي الحسن ابن القابله (122) .

وممن يعرف بابن القابلة ابو النجم المبارك .

1396) علي بن القاسم ابن عشرة الفزاري السلوي

علي بن القاسم بن محمد بن موسى بن عيسى الفزاري ، وقد تقــدم بيانُ اصل هذه الشهــرة في رسم حسن بن علي منهم ، سلوي ، ابــو الحسن ابن عشرة ، ويذكر انهــم مــن عقب احمد بن محمد ابن المدبــر الكاتب اخي ابراهيم وزير المعتمد وكبيره .

كان علي هذا فقيهاً حافظاً سريّ اهل بلده ، وجيهاً فيهم ، نبيه القدر رئيســاً جواداً ممدحــاً موثراً استقضي ببلــده وأورث عقبه سؤدداً وشرفا ، ودخل الأندلس غازياً سنة ثمان وثمانين واربعمئة وامتدحــه بها طائفــة من ادبائها ، وشــرق حينئذ وحجّ وامتــدح المهدية ومصر وغيرهما ، ثم عــاد الى بلده .

ومما يوثــر من مكارمه ان ابا بكر عيسى ابن الوكيل اليابري كــان ايام لمتونة مستمعــلا في مجابي غرناطة ، فحُكي انه انكسر عليه مال جليــل يبلغ عشرة آلاف دينار ، فقبض عليه واشخص منكوباً الى مراكش ، فلما بلغ الموكلون بــه مدينةَ سلا خاطب القاضي مادحــاً بقصيدة ومستجيراً به في ايصالها اليه ، ومطلع القصيدة :

سل البرق اذ يلتاح من جانب البلقا	أقرطيْ سلَيْمي ام فؤادي حكى خفقا ؟
ولم اسبلت تلك الغمامة دمعهـــا	أريعتْ لوشك البين ام ذاقت العشقا ؟

---

121) الترجمة منقولة بالحرف من **الذيل والتكملة** ص 38 (مخطوط المكتبة العامة بالرباط)

122) انظر ص 50 ع 1368 من هذا الجزء

يقـول فيهـا :

غريب بأقصى الغرب فـرق قلبـه فآوتْ سلا فرقـاً ويابـرةٌ فرقـا
اذا ما بكى او ناح لم يُلف مسعداً على شجوه الا الغمائمَ والورقـا

ومنها في المدح :

حياء يغضُّ الطرف الا عـن العـلا وعرض كماء المزن في المزن بل انقى
وفضلٌ نميرُ الماء قد خضَّر الربا وعدل منير النجم قد نـور الأفقـا
بلغنـا بنعمـاك الأمانيَّ كلهـا فمـا بلغت امنيـة غيـر ان تبقـى

فعند وقوف القاضي عليها بادرَ الى مخاطبة السلطان بتضمُّن المال وتحمله وسـؤال الصفح عنه والابقـاء عليه باعادته الى عمله ، فصدر جوابـه بالاسعاف والاسعاد ، وعاد ابن الوكيل الى غرناطة انبَهَ معاد .

وتوفي علي ابن عشرة بسلا سنة اثنتين وخمسمئة ، وممن امتدحه من جِلَّةِ الشعراء عبد الجبار ابن حمـديس ، واسماعيل ابن ولاد ، وقفت له على مجموع في امداحه ورثائه ومدح ابنه واخيـه ابى العباس سمـاه نزهة الآداب .... (123) .

1397) علي بن لب ابن شلبون البلنسي

علي بن لب بن علي ابن شلبـون ، بلنسي ، أخذ العربيـة عـن ابي اسحـاق السهيلي ، وروى عـن ابي الربيـع ابن سالم واختص بـه ، وابى محمد ابن حوط الله ، قـدم مراكش واستعمل على خزانة الكتب بهـا ، وكان فقيهـاً راويةً ذا حظ من الأدب وقرض الشعر ، موثرا كثير الاحسان لقاصديه ، مطعامـاً واسع المعروف ، وهو القائل في محمد ابن الأبار :

123) ما تقدم منقول بالحرف من **الذيل والتكملة** ص 8 (مخطوط المكتبة العامة بالرباط) .

لا تعجبوا لمضرة عمت جميـ ـع الخلق صادرةً عن الأبار
أو ليس فاراً خلقة وحقيقة والفارُ مجبولٌ على الاضرار

فقال ابن الأبار :

قل لابن شلبون مقال تنزه غيري يجاريك الهجاء فجاري
انا اقتسمنا خطتيْنا بيننا فحملتُ برة واحتملتَ مجاري

1398) علي بن محمد ابن الحصار الأنصاري الفاسي

علي بن محمد بن محمد بن ابراهيم بن موسى الأنصاري الخزرجي ، فاسي ، اشبيلي الأصل سكن سبتة ومراكش وغيرهما ، ابو الحسن ابن الحصار ، روى عن ابيه وابي الجيش مجاهد بن محمد وابي عبد الله ابن حميد ، وأبي عبد الله ابن زرقون ، وابي عبد الله ابن الفخار ، وأبي القاسم ابن حَبيش ، وأبي القاسم ابن رشد الوراق ، وابي القاسم السهيلي ، وابي محمد الحجري وابي محمد ....

روى عنه بمراكش محمد بن عبد الله بن ع .... وابو العباس بن احمد بن عبد الله ابن العزام ، والحسن بن علي .... وعبد العالي بن محمد الزروالي ، وبسبتة ابو عبد الله .... ورحل بأخرة الى المشرق وحج وجاور بمكة كرمها الله ، .... في مجالسهم كأبي شجاع زاهر بن رستم ابن ابي الرجا الأصبهاني ، وابي .... ابن أسماعيل بن علي بن ابي الصيف ، ويونس بن يحيى الهاشمي وغيرهم ، ثم انتقل الى طيبة شرفها الله ، فجاور بها وعظم صيته هناك ، وجل قدره وعرف فضله ، واخذ عنه العلم ، فممن روى عنه هنالك ابو عبد الله بن عبد الكريم الحرشي ، وعبد العظيم بن عبد القوي المنذري ، وكان محدثاً راوية فقيهاً عارفاً بأصول الفقه ، متحققاً بعلم الكلام ، ذا حظ وافر من علوم اللسان وقرض الشعر ، وله مصنفات افاد بها ، منها مقالة في اعجاز القرآن والناسخ والمنسوخ ، وهو ثلاثة أوضاع الأكبر والأوسط والأصغر ،

وتقريب المدارك ، في وصل المقطوع من حديث مالك ، وبيان البيان ، في شرح البرهان ، ومقالة في النسخ على مئاخذ الأصوليين ، وتقريب المرام في تهذيب ادلة الأحكام ، في اصول الفقه ، ومصنف في علم الكلام ، ومقالة في الايمان والاسلام ، وعقيدة سماها تلقين الوليد وخاتمة السعيد ، وشرحها في اربعة مجلدات متوسطة ، ومقالة في الحيض والنفاس ، الى غير ذلك من المصنفات التي جلّ مغراها ، وعظمت جدواها ، ودلت على وفور علمه وادراكه ، ومتانة معارفه ، ودخل الأندلس وأخذ بها عنه بعضُ ما كان عنده .

انشدت على شيخنا ابى علي الماقري رحمه الله بثغر ءاسفي حماه الله في ءاخر جمادى الأخرى من سنة ثلاث وستين وستمئة ، قال عرضت عليه يعني علي بن الحصار هذا قصيدته الرائية التي قالها في المدني والمكي من سور القرءان ، وهي اثنان وعشرون بيتاً ، وذلك في شهر ذي الحجة من سنة ست وتسعين وخمسمئة ، وهي قوله :

يا سائلي عن كتاب الله مجتهدا — وعن ترتب ما يتلا من السور
وكيف جاء بها المختارُ من مضر — صلّى الالهُ على المختار من مضر
.... قبل هجرته — وما تأخر في بدو وفي حضر
.... تخصيص مجتهد — يؤيد الحكم بالتاريخ والنظر
.... ل في ام الكتاب وقد — تولت الحجر تنبيهاً لمعتبر
.... في غا .... القرى نزلت — ما كانَ للخمس قبل الحمد من اثر
.... ذاك لكان النسخ اولها — ولم يقبل بصريح النسخ من بشر
.... هجرة خير الناس ما نزلت — عشرون من سور القرءان في عشر
فأربعٌ من طوال السبع اولها — وخامس الخمس في الأنفال ذي العبر
وتوبة الله ان عددت سادسة — وسورة النور والأحزاب ذي الذكر
وسورة لرسول الله محكمة — والفتح والحجرات الغر في غرر
ثم الحديد ويتلوها مجادلة — والحشر ثم امتحان الله للبشر
وسورة فضح اللهُ النفاقَ بها — وسورة الجمع تذكاراً لمذكر
وللطلاق وللتحريم حكمُهما — والنصر والفتح تنبيهاً على العمر

هذا الذي اتفقت فيه الرواة له ... وقد تعارضت الأخبار في اخر
فالرعدُ مختلف فيها متى نزلت ... والأكثرون يقول الرعد كالقمر
ومثلها سورة الرحمان شاهدها ... مما تضمَّن قول الجنّ في الخبر
وسورة للحواريين قد علمت ... ثم التغابن والتطفيف ذو النذر
وليلة القدر قد خصت بملتها ... ولم يكن بعدها الزلزال فاعتبر
وقل هو الله من اوصافِ خالقنا ... وعوذتان ترد البأس بالقدر
وذا الذي اختلفت فيه الرواة له ... وربما استثنيت آيٌ من السور
وليس كل خلاف جاء معتبرا ... الا خلافاً له حظ من النظر

قال المصنف عفا الله عنه : هاكذا اخذنا هذه القصيدة عن شيخنا ابي علي (الماقري) اثنين وعشرين بيتاً كما ذكر ، وكذلك وقفت عليها في غير موضع بخط غير واحد من الجلة ، وقد وقفت عليها بخط ءاخرين منهم بزيادة بيت قبل الأخير منها ، وهو قوله :

وما سوى ذلك مكيٌّ تنزله ... فلا تكن من خلاف الناس في حصر

وكذلك وقفت على كتاب النسخ له فاعلمه والله الموفق .

.... ابن الحصار ، وقال فيه ابن الأبار : الحصار في نحو العشرين (124) .... الله ودفن بالبقيع ، وبيعت هناك كتبه على ما ذكر لنا .... اخبره بذلك (125) .

1399) علي بن محمد المصمودي

علي بن محمد المصمودي اليونسي كبير اولاد يونس من المصامدة لعهد السلطان يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المريني ، خالصة له من بين قومه ، وهلك سنة سبع وتسعين وستمئة على (يد أحمد) المليانى الكاتب

124) الذي في **التكملة** لابن الأبار (ص 686 ع 1918 – طبع مدريد) : توفي في شعبان سنة 611 .

125) ينظر عنه **جذوة الاقتباس** ص 470 ع 518

بكتــاب لبس فيه وانفذه عن السلطــان لابنه امير مراكش بقتله رهط مــن مشيخة المصامدة في اعتقالــه كــان منهم علي بن محمد ، فقــام السلطــان لهــا في ركائبه وندم على ما فرط من امره في افلات ابن الملياني .

ذكره ابن خلدون (126) .

1400) علي بن موسى ابن سعيد العنسي

علي بن موسى بن محمد بن عبد المالك بــن سعيــد بــن محمد بــن عبد الله بن سعيد بــن الحسن بن عثمــان بن عبد الله بن سعيد بن عمار بــن ياسر ابن كنانــة بن قيس بــن الحصين العنسي المدلجي ، من اهــل قلعة يحصب ، غرناطي قلعي سكن تونس ، ابو الحسن ابن سعيد ، وهذا الرجــل وسط عقــد بيته ، وعلم اهلــه ، ودرة قومــه ، المصنف الأديب ، الرحــالة الطرفة الأخباري العجيب الشأن في التجول في الأقطــار ، ومداخلة الأعيان ، المتمتع بالخزائن العلمية ، وتقييــد الفوائد المشرقية والمغربية .

أخــذ عن اعــلام اشبيلية كعمر الشلوبين ، وعلى الدباج وعلي ابــن عصفور وغيرهم ، وتواليفه كثيرة ، منها المرقصات والمطربات ، والمقتطف مــن ازهــار الطــرف ، والطالع السعيد في تاريخ بني سعيد ، تاريــخ بيتــه وبلده ، والمضوعان الغريبان المتعددا الأسفــار ، وهمــا المغرب في حلى المغرب ، والمشرف في حلى المشرق ، وغير ذالك .

قال في الاحاطــة : حدثني الوزير ابوبكر بن الحكيم انــه تخلف كتابا يسمى المرزمــة يشتمل على وقْر بعير مــن رزم الكراريس لا يعلم مــا فيهــا مــن الفوائــد الأدبية والأخبارية الا الله تعالى .

وتعاطى نظم الشعر في حد زمن الشبيبــة ، يعجب فيــه مــن مثله ، فيذكــر انه خــرج مــع ابيه الى اشبيلية وفي صحبته سهــل بــن مــالك .

126) تاريخ ابن خلدون 7 : 479 و 480

فجعل سهل بن مالك يباحثه عن نظمه الى ان انشده في صفة النهر والنسيم يردده والغصون تميل عليه :

كأنما النهر صفحة كُتبت اسطرها والنسيمُ ينشئها
لما أبانت عن حسن منظرها مالت عليها الغصونُ تقرؤها

فطرب سهل بن مالك واثنى عليه ثم ناب عن ابيه في اعمال الجزيرة ، ومازج الأدباء ، ودون كثيراً من نظمه .

ودخل القاهرة فصنع له ادباؤها صنيعاً في ظاهرها ، وانتهت بهم الفرجة الى وصْف نرجس ، وكان فيهم ابو الحسن الجزار ، فجعل يدوس النرجس برجله ، فقال علي ابن سعيد :

يا واطيء النرجس ما تستحي ان تطأ الأعين بالأرجل ؟

فتهافتوا بهذا البيت وراموا اجازته ، فقال ابن ابي الأصبع :

فقال دَعْني لم ازل محرجاً على لحاظ الرشأ الأكحل

وكان امثل ما حضرهم ، ثم ابوا ان يجيزه غيره ، فقال :

قابل جفوناً بجفون ولا تبتذلِ الأرفع بالأسفل

ثم استدعاه سيف الدولة ابن سابق الى مجلس بضفة النيل مبْسوط بالورد ، وقد قامت حوله شمامات نرجس ، فقال في ذلك :

مَن فضَّل النرجسَ فهو الذي يرضى بحكم الورد إذ يرأس
اما ترى الوردَ غدا قاعداً وقام في خدمته النرجس

ووافق ذلك مماليك الترك وقوفاً في الخدمة على عادة المشارقة ، فطرب الحاضرون .

ولقي بمصر محيي الدين بن ندا واقد ايدمر التركي ، والبهاء زهير ، وجمال الدين ابن مطروح ، وابن يغمور ، وغيرهم ، ورحل صحبة كمال الدين ابن العديم الى حلب فدخل على الناصر صاحب حلب فأنشده قصيدة اولها :

جُدْ لي بما لقيَ الخيالُ من الكرى لا بدَّ للضيف المُلِمّ من القِرى

فقال كمال الدين هذا رجل عارف بمقصوده من اول كلمة ، واعانه مما عنده من الخزائن العلمية ، واعطاه من الدنانير والخلع والتواقيع بالأرزاق ما لا يوصَف ، ولقي بحضرته عونَ الدين العجمي وهو بحرٌ لا تنزفه الدلاء ، والشهاب التلّعفري ، والتاج ابن شقير ، وابن نجيم الموصلي ، والشرف ابن سلمان الاربلي ،وطائفة من بني الصاحب ، ثم تحول الى دمشق ، ودخل الموصل وبغداد ، ودخل مجلس السلطان المعظم ابن الملك الصالح بدمشق وحضر مجلس خلوته ، وكان ارتحاله الى بغداد في عقب سنة ثمان وأربعين وستمئة في رحلته الأولى اليها ، ثم رحل الى البصرة ودخل ارجان ، وحجَّ ثم عاد الى المغرب ، وقد صنّف في رحلته الأولى اليها مجموعاً سماه بالنفحة المسكية في الرحلة المكية ، وكان نزوله بساحل مدينة إقليبية من افريقية في احدى جماديْ سنة اثنين وخمسين وستمئة ، واتصل بخدمة الأمير محمد المستنصر ممدوح حازم وقاتل ابن الأبار فنال الدرجة الرفيعة من حظوته .

مولده بغرناطة ليلة الفطر سنة عشر وستمئة ووفاته بتونس في حدود خمس وثمانين وستمئة .

ترجمته في الاحاطة (127) وفي الديباج (128) وفي نفح الطيب واطال في ترجمته فيه بذكر كثير من اشعاره نقلا من ديوانه المرتب على حروف المعجم ، راجعها فيه (129) .

127) ما تقدم منقول باختصار من **الاحاطة** 4 : 152

128) **الديباج المذهب** 2 : 112 ع 21

129) **نفح الطيب** 2 : 262

ولما استوزر ملك افريقية لأشغال الموحدين ادريس بن علي بن ادريس ابن جامع اشتمل على المترجم واستكتبه وأولاه من البر ما امال قلبه اليه وولاه قراءة المظالم ، ولما قدم مصر تذكر جزيرة الأندلس فقال :

هذه مصر فأين المغرب ... مذ نأى عني فعيني تسكب
فارقتْه النفسُ جهلا ، انما ... يُعرف الشيءُ اذا ما يذهب

وهي طويلة (130) .

وقال بمراكش من الكامل المجفر من مطلع قصيدة :

قم هاتها لاح الصباح ... ما العيش الا الاصطباح
معْ فتيةٍ ما دأبُهم ... الا المروءة والسماح
جربتُهم فوجدتُهم ... ما للمنى عنهم براح
يثنيهم نحو الصِّبا ... ثغرُ المثاني والمراح
ما نادموا شخصاً فكا ... ن لهم بخدمته استراح
بل يعرفون مكانَه ... فله اذا شاء اقتراح
هم يتعبون وضيفُهم ... ما دام عندهم يُراح
ما ان يملون النز ... يلَ وبالرضا منه السراح
يدعونه بأجل ما ... يدعا به الحرُّ الصُّراح
حتى اذا ما بان كدّ ... رَعيشَهم منه انتزاح
فعلى مثالِهمْ يبا ... حُ لي المدامعُ والنواح
كرها فقدتُهُمُ فما ... لي بعدَ بُعدهم ارتياح
لله شوقي ان هفت ... من نحو أرضِهِمُ الرياح
فهناك قلبي طائرٌ ... لهمْ ومن شوقي جَناح

(130) انظر تمام القصيدة في **نفح الطيب** 2 : 281

وقال بمالقة متشوقاً الى الجزيرة الخضراء : مطلع :

يـا نسيمـا من نحو تلك النواحي كيف بالله نور' تلك البطاح (131)

وقال ابن العـديـم في تاريـخ حلب : انشدني احمد بن يـوسف التيفاشي بالقاهرة في علي بن موسى ابن سعيد الغرناطي يشير الى كتابـه الذي جمعه في محاسن المغرب :

سعد الغرب' وازدهى الشرق' عجباً وابتهـاجاً بمغـرب ابـن سعيـد
طلعتْ شمسُه من الغرب تُجـلا فـأقـامتْ قـيـامـةَ التقييـد
لـم يـدعْ للمؤرخين مـقـــالا لا ولا للرواة بيت نشيـــــد
ان تـلاه على الحـمـام تـغـنـّـتْ مـا على ذا في حسنـه من مـزيـد

وجده عبد الله بن سعيد بن عمار اول' مـن دخـل الأندلس مـن ولد عمـار بن ياسر ، ونزل قلعةَ يحصب التي يقـال لها قلعة بني سعيد ، وقلعة اسطلير وهي عين لها .

والمسهب في غرائب المغرب في نحو ستة أسفار ، صنّفه عبد الله بن ابراهيم الحجاري جدُ المترجم ، وابتدأ فيه من فتح الأندلس الى التاريخ الذي ابتدأه فيه وهو سنة 530 ثم اتمّه المترجم' من سنة 530 الى سنة 641 واجاز بكتابه المغرب في محاسن المغرب ابا الفضل التيفاشي ، وجمال الدين ابن ابى بكر الفارسي الأرموي .

ومن شعـر والد المترجـم في تولعه بالتقييد والمطالعة للكتب :

يامُفنيـاً عمره في الكـاس والوتر وراعياً في الدجا للأنجـم الـزهـر
يبكي حبيباً جفاه او ينادم' مَـــن يهفو لديه كغُصنٍ باسـمِ الزهـر
منعمـاً بيـن لـذاتٍ يمحّقُهـــا ولا يخلـد' مـن فخـر ولا سيـر
وعاذلاً ليَّ فيمـا ظلِلْتُ' اكتبُـه يبدي التعجبَ من صبري ومن فكري
يقول ما لك قـد افنيتَ عمرك في حبر وطرس عن الأغصان والحبر

131) انظر القصيدة في **نفح الطيب** 2 : 308

وظلتَ تسهرُ طول الليل في تَعب ولا تني أمدَ الأيام في ضجر
أقصرْ ، فانيَ ادرى بالذي طمحت لأفقه همتي واسأل عن الأثر
واسمع لقول الذي تتلا محاسنه من بعد ما صار مثلَ الترب كالسور
«جمالُ ذي الأرض كانوا في الحياة ، وهم بعد الممات جمال الكتب والسير»

وتقدمت ترجمة جديه محمد وعبد المالك .

قال المترجم علي ابن سعيد : ولما استقررتُ بالقاهرة تشوقتُ الى معاينة الفسطاط ، فسار معي اليها أحدُ اصحاب القرية ، فرأيت عند باب زويلة من الحمير المعدة لركوب مَن يسير الى الفسطاط جملةً عظيمةً لا عهد لي بمثلها في بلد ، فركب منها حماراً واشار الي ان اركب حماراً اخر ، فأنفت من ذلك جرياً على عادة ما خلفته في بلاد المغرب ، فأخبرني انه غير معيب على أعيان مصر ، وعاينتُ الفقهاء واصحاب البزة والشارة الظاهرة يركبونها فركبت ، وعندما استويتُ راكباً اشار المُكاري الى الحمار فطار بي ، واثار من الغبار الأسود ما أعمى عيني ودنس ثيابي ، وعاينت ما كرهته ، ولقلة معرفتي بركوب الحمار وشدة عدوه على قانون لم اعهده ، وقلةِ رفق المُكاري وقعت ' في تلك الظلمة المثارة من ذلك العجاج فقلت :

لقيتُ بمصر أشد البوار ركوبَ الحمار وكحلَ الغبار
وخلفي مكارٍ يفوقُ الرياح لا يعرف الرفقَ مهما استطار
اناديه مهلا فلا يرعوي الى ان سجدت سجودَ العثار
وقد مدّ فوقى رواقُ الثرى والحد فيه ضياءُ النهار

فدفعت الى المكاري اجرته ، وقلت له احسانك ان تتركني امشي على رجلي ، ومشيت الى ان بلغتها ، وقدرت الطريق بين الفسطاط والقاهرة وحققته بعد ذلك نحو ميلين ، ولما اقبلتُ على الفسطاط ادبرتْ عني المسرة ، وتأملت أسواراً مثلمةً سوداء وءافاقاً مغبرة ، ودخلت من بابها وهو دون غلق يفضي الى خراب معمور بمبانٍ متشتتة الوضع ، غير

مستقيمة الشوارع ، قـد بُنيتْ من الطوب الأدكن والقصب والنخيل طبقة فوق طبقة ، وحول ابوابهـا من التـراب الأسـود والأزبال مـا يقبض نفسَ النظيف ، ويغض طرف الظريف ، فسرت وانـا معاينٌ لاستصحـاب تلك الحـال ، الى ان صرت في اسواقهـا الضيقة ، فقاسيت مـن ازدحـام الناس فيها لحوائج السوق والروايـا التي على الجمـال ما لا تفي به الا مشاهدته ومقاساته ، الى أن انتهيتُ الى المسجد الجامع ، فعاينت مـن ضيق الأسـواق التي حوله مـا ذكرت به ضده في جامع اشبيلية وجامـع مراكش ، ثم دخلت اليه فعاينتُ جامعاً كبيراً قديم البناء غير مزخـرف ولا محتفـل في حُصُره التي تدور مع بعض حيطانه وتنبسط فيه ، وابصرت العامة رجالا ونساء قد جعلـوه معبراً بأوطئة اقدامهـم ، يجوزون فيـه من باب الى باب ليقرب عليهـم الطريق ، والبياعـون يبيعـون فيه اصنافَ المسكرات والكعك ومـا سوى ذلك ، والناس يأكلون في عـدة امكنة منه غير محتشمين لجـري العادة عندهـم بذلك ، وعدة صبيان بأواني مـاء يطوفون على كـل مَن يأكـل قـد جعلوا مـا يحصل لهـم منه رزقـاً ، وفضلاتُ مآكلهـم مطـروحة في صحن الجامع ، وفي زواياه العنكبوت قد عظم نسجه في السقف والأركـان والحيطان ، والصبيانُ يلعبون في صحنه ، وحيطانه مكتوبة بالفحم والحمرة بخطـوط قبيحة مختلفة من كَتْب فقراء العامة ، الا ان مع ذلك على الجامع المذكـور من الرونـق وحسن القَبول وانبساط النفس ما لا تجده في جـامع اشبيلية مع زخرفته والبستان الذي فيصحنه ، ولقد تأملت مـا وجدت فيه مـن الارتياح والأنس دون منظر يوجب ذلك ، فعلمتُ ان ذلك سـر مودع مـن وقـوف الصحابة رضي الله عنهـم في ساحته عند بنائه ، واستحسنت ما ابصرته مـن حَلَقِ المتصدرين لاقراء القرآن والفقه والنحو في عـدة اماكن ، وسألت عن مواد ارزاقهم ، فأخبرت انها من فروض الزكـاة وما اشبه ذلك ، ثم اخبرت ان اقتضاء ذلك يصعب الا بالالحاح والتعب ، وقد قلت في القاهرة :

يقـولـون سافـرْ الى القاهـــرة ... ومـا لي بهـا راحـة ظـاهـــرة
زحـام وضيقٌ وكـرب ومـــا ... تثيـر بهـا ارجـلٌ سائـــرة

ومن تآليف المترجم عـدة المستنجز وعقلة المستوفز ، ذكـر فيه انه ارتحل من تونس الى المشرق رحلتَه الثانية سنة 666 ، واورد في هذا الكتاب غرائب وبدائع ، وذكر في كشف الظنون من كتبه كتاب الغرابيات ، ولـذة الأحكـام في تاريخ امم الأعجام ، في مجلدين ، والمرقص والمطـرب ، في اخبار اهـل المغرب ، مرتب على الأعصار والطبقات ، والمشرق في محاسن اهـل المشرق ، في ستين مجلـداً ، والمغرب في محاسـن اهـل المغرب ، في نحو خمسة عشر مجلداً ، وذكر في مرقصه ان المغرب والمشرق كتابان ، وهمـا في مئة وخمسين سِفراً صنعهمـا في مئة وخمس عشرة سنة جماعـة من اهـل الاعتناء بالأدب ، خاتمتُهم ابن سعيد نفسه ، والملتقط من السلك في حلى العروس الأندلسية ، ونتائج القرائـح في مختار المراثي والمدائح ، وفي كل مرة يغلط في كشف الظنون في وفاة المترجم ، فيجعلهـا سنة 673 وتبع في هذا ما في فوات الوفيـات للكتبي حيث قـال في ترجمته : وتوفي بدمشق في شعبان ستة 673 والصواب ما تقدم في حدود سنة 685 .

وممن ألّف في انساب بني سعيد قاضي مالقة محمد ابن عسكر العالم المؤرخ النحرير .

ولمـا اراد المترجم النهـوض من ثغـر الأسكندريـة الى القاهـرة كتب له والـده موسى وصية مـن جملة فصولها : يابني الذي لا ناصح لـه مثلي ، ولا منصوح لي مثله ، قد قـدمت لك في هذا النظم مـا ان اخطرتـة بخاطـرك في كل اوان ، رجوت لك حسن العاقبـة أن شاء الله تعالى ، وان اخفّ منه للحفظ واعلق بالفكر واحق بالتقدم قول الأول :

يـزيـن الغريب اذا مـا اغتـرب ... ثـلاث ، فمنـهـن حسـنُ الأدب
وثانيـة حسـن اخـلاقـه ... وثـالثـة اجتنـاب الـريـب

ثم قال : واياك وقول القائل :

وكنت اذا حللتَ بـدار قـوم ... رحلتَ بخزيـة وتـركتَ عـارا

ثم قال : ولله درُّ القائــل :

اذا مــا كنت للأحْزان عــونـــاً   عليك مع الزمــان فمَن تلــوم ؟

وقد استوفاها في نفح الطيب (132) .

وفي رسالــة المترجم في تعداد تصانيف اهــل الأنــدلس المذيل بهــا رسالة ابن حزم مانصه : وكتاب عبد الله بن ابراهيــم الحجاري المسمى بالمسهب في فضائل المغرب ، صنفه بعــد الذخيرة والقلائد من اول ما عمرت الأندلس الى عصره ، وخرج فيه من مقصد الكتابين الى ذكر البلاد وخواصهــا مما يختص بعلم الجغرافية وخلطــه بالتاريخ وتفنن في الآدب على مــا هو مذكــور في غير هذا المكــان ، ولم يصنف في الأندلس مثــل كتابــه ، ولذلك فضله المصنف له عبد الملك بن سعيد وذيل عليه ، ثم ذيل على ذلك ابناه احمد ومحمد ثــم موسى بن محمد ثــم علي بن موسى كاتب هــذه النسخــة ومكمــل كتــاب فلك الأدب ، المحيط بحلي لســان العــرب ، المحتــوي على كتابــي المشرق في حلى المشــرق والمغرب في حلى المغرب ، فيكفي الأندلس في هــذا الشان تصنيف هــذا الكتاب بين ستــة اشخاص في 115 سنة ءاخرهــا سنة 645 ، وقــد احتوى على جميع ما يذاكــر به ويحاضر بحلاه من فنون الآداب المختارة على جهد الطاقة في شرق وغرب على النوع الذي هو مذكور في غير هذا الموضع ، انتهى المقصود .

ولأشجع السلمي :

مضى ابن سعيد حين لم يبق مغرب   ولا مشــرق الا لــه فيــه مــادح
ومــا كنت ادري ما فواضل كفــه   على الناس حتى غيبتْه الصفــائــح
فأصبح في لحــد من الأرض ميتــا   وكانت به حيــاً تضيق الضحاضح
فما انا من رزء وان جــلَّ جـــازع   ولا بسرور بعد موتك فـــــارح
كأن لم يمتْ حي سواك ولم تقـــم   على احــد الا عليك النــوائـــــح

---

132) نفح الطيب 2 : 352

سأبكيك ما فاضت دموعي ، فان تغض   فحسبُك مني مـا تكنُّ الجوانـح
لئن حسنت فيك المراثي وذكرهـا   فقد حسنت من قبلُ فيك المدائـح

وترجم المترجم لنفسه في كتاب المغرب في اخبار المغرب قائـلا : وانا اعتذر في ايراد ترجمتي هنا بما اعتـذر به ابن الامـام في كتـاب سمط الجمان . وبما اعتذر به الحجـاري في كتاب المسهب ، وابن القطـاع في الدرة الخطيرة ، وغيرهم من العلماء . انتهى .

ذكره في حسن المحاضرة في المؤرخين الذين كانوا بمصر ، واطال في ترجمته في نفح الطيب ، وطبع كتابه عنوان المرقصات والمطربـات ، وذكر في اول نسخـة الطبع نسبه كما تقـدم في اول ترجمته فقال : ابن خلف بن سعيد بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن الحسن بن عثمـان بن محمد بن عبد الله بن عمار بن ياسر العنسي الأندلسي رحمه الله ه . قال ولم يتجاوز في النظم الف بيت ، والطبقـات التي بُني عليها خمسة : المرقص ما كان مخترعـاً او مولداً يكاد يلحق بطبقة الاختراع لما يوجـد فيه من السر الذي يمكن ازمـة القلـوب من يديـه ، ويلقي منها محبة عليه ، وذلك راجـع الى الذوق والحس ، مغنٍ بالاشارة عن العبارة ، والمطرب ما نقص فيه الغوص عن درجة الاختراع ، الا ان فيه مسحة من الابتداع ، والمقبول ما كان عليه طلاوة مما لا يكون فيه غوص على تشبيه وتمثيل وما اشبه ذلك ، والمسموع ما عليه اكثر الشعراء ممـا به القافية والوزن دون ان يمجه الطبع ويستثقله السمع ، والمتروك ماكان كلا على السمع والطبع (133) ثم مثل لذلك كله من اول الشعراء الجاهليين الى القرن الرابع ، ثم قـال شعـراء المغرب من اول الديار المصرية الى البحر المحيط الجاهلية ومـا بعدهـا الى المئة الـرابعة على طلب مما هو من شروط هذا الكتـاب ، ثم ذكر شعراء المئة الرابعة ، وبدأ بابن عبد ربه ، وتاريخ طبع هذا الكتاب 26 ربيع الأول عام 1286 وطبع الرابع من المغرب في حلى المغرب وهـو يشتمل على سيرة احمد ابن طولون ، ليدن 9 / 1898 صفحة 132 و 180 .

---

133) **المرقصات والمطربات** ص 7 و 8 و 9

1401) **علي بن احمد الصنهاجي** خدم الشيخ ابا العباس السبتي أربعة اعوام بمراكش ، وحدث عنه صاحب التشوف بما شاهد من أحواله وما سمعه منه (134) .

1402) **علي ابن الفحام المراكشي** ، كان فقيهاً فاضلا ، اخذ عن الشيخ ابي محمد صالح دفين رباط آسفي ، حدث عنه عبد الرحمن بن احمد بن ابى محمد صالح والفقيه الفاضل يوسف بن يونس بن معاوية الهسكوري انهما سمعاه يقول وهو بموضعه بشط الرشيد من أرض الصعيد من وادي مصر وقد امتنع ان يؤم بهما لاشارة سمعها من الشيخ رحمه الله على وادي مصر ، وقد سألاه عن تلك الاشارة فقال : كنا في الرباط من الشيخ منقطعين للعبادة ، وامامنا عبد النور صهر الشيخ ، وكان يصوم الدهر ، وربما اعتراه شدة العطش حتى يجهد ، فشكا ذلك للشيخ وقال له ادع الله تعالى ان يُخفف عني ذلك ، فقال الشيخ رحمه الله : ياولدي سألت الله تعالى ذلك ، قال فمكث عبد النور سنين لم يشرب ماء حتى تروحن (135) وصار لا يعجبه شيء ، فوسوس اليه الشيطان وقال له انت قد بلغت درجة لم يبلغها غيرك في عصرك الا انك ما دمت مجاوراً لهذا الشيخ لا يرتفع لك معه ذكر ولا ينتفع بك احد ، ولو كنتَ ببلد مصر لاشتهر اسمك وانتفع بك خلق كثير ، قال فسولت له نفسه هذه المقالة ، وزينت له تلك الحالة ، فأسر الى الشيخ وقال له اريد السفر الى الحجاز ان شاء الله ، فقال الشيخ وما لك في السفر وقد حججت وزرت وانتفعنا بك وانتفعت بنا ؟ لزومُك هذا الموضع فيه بركة ، ولا اقدر ان امنعَك عن بيت الله وزيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والحَّ عليه في السفر الى ان تغير وجه الشيخ ، واطلعه الله على ماكان في باطنه ، فقال له على وجه التذكير والنصيحة كلاماً وفيه لعل الشيطان لا يجد ما يوسوس به احدكم غير انه يأتيكم من باب النصيحة ، فيقول قد بلغتم مبلغاً

134) **التشوف** ص 349 و 402 و 403 و 419 و 458 و 459

135) كلمة عامية مغربية مشتقة من اصل عربي ، معناها تملكته الأرواح ، مأخوذة من الروحانية وما زالت مستعملة بهذا المعنى الى الآن .

لم يبلغه احد في عصركم ، ولكن ما دمتم في حضرة صالح لا يسمع لكم ذكر ولا ينتفع بكم أحد ، ولو بلغتم وادي مصر لاشتهر فيه خبركم وانتشر فيه ذكركم ، وكنتم مشايخ ينتفع بكم ، ومتى ادعيت وانا بينكم مشيخة او متى بلغت درجتها ؟ ولكنني ادركت المشايخ فأمروني ان انشر هذا الطريق لكل مَن اخذ فيه بالتحقيق ، ثم قال وهو في شدة الحال وسكره : لقد كان في شيخاً لو وجدت مقتدياً ، ولقد كان في تلميذاً لو وجدت شيخاً ، ثم سكت عن مقاله ، وسكن من غليانه ، قال فذهب السر الذي كان اعطاه الله تعالى لعبد النور ، فنزل عليه العطش ، وما زال يشرب الماء حتى مرَّ للقبلة ، فما زلنا نرغب الشيخ رحمه الله وهو يرغب الله تعالى حتى رفع عنه العطش ورجع حاله الى ما كان عليه اول مرة يصوم ويعطش ، فلما مات الشيخ رحمه الله وقدر لي بالاقامة والسكنى بأرض مصر ءاليت على نفسي الا اكون فيه اماماً ولا استاذاً لأحد حتى اموت مخافةً من تلك الاشارة ، فانها خصت بوادي مصر ، هذه حكاية صحيحة ، وفي طيها غرائب وعلوم يطول شرحها في هذا الكتاب حتى لا يخرج عن حد الاقتصار ، وليس مرادنا في الغلو والاكثار ، وقال في محل ءاخر عن الفقيه الفاضل يوسف الهسكوري المذكور ءانفاً : انه قال سمعت علياً المراكشي الشهير بابن الفحام وهو بمنزله من بلاد الصعيد من ارض مصر لما قدمنا عليه يقول : لما ورد الشيخ ابو العباس علينا حاجاً رافقناه جماعة من فضلاء الحجاج من خواص الشيخ رحمه الله ، فلما قضى الله تعالى لنا مناسك الحج ورجعنا الى بلاد الشام بلدنا غزة ونزلنا في الجامع فتحدثنا بيننا وابو العباس ، فقلت لهم كنت اشتهي هذه الليلة من الله تعالى ثريداً من فطير بلحم سمين ، فلما صلينا المغرب خرج ابو العباس من باب المسجد ودعاني فتبعته ووجدته واقفاً على رمل هنالك وبين يديه قصعة عليها طبق ، فقال لي ارفع هذه القصعة ، فرفعتها ودخلت بها المسجد وتبعني وكشف عنها فاذا فيها ثريد فطير بلحم سمين ، فأكلنا حتى شبعنا ، فقال لي احمل القصعةَ الى موضعها واتركْها فيه ، ففعلت ، فلما قدمت على الشيخ بالرباط قال لي علي المراكشي انت الذي تشتهي على احمد ولدي ثريد الفطير باللحم السمين في البراري حتى رفعت

القصعةَ عن الرمل كان رجل واقفاً بينك وبين احمد ناظر اليك ، فقبلت يديْه وقلت ياسيدي انا تائب .

1403) علي بن زكرياء بن عبد الله ، لقي أبا العباس السبتي وسمعه يقول انا هو القطب وحدث عنه صاحب التشوف .

1404) علي بن محمد بن علي البكري الكاتب ، علاء الدين المراكشي ، سمع من ابن صباح وابن الزبيدي ، وولي نظر المارستان ونظر الدواويـن ، وتوفي في جمادى الأولى سنة اربع وثمانين وستمئة عن بضع وستين سنة ، ذكره في الشذرات (136) .

1405) علي (ابو الحسن) بن عثمان المريني (السلطان)

علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني يكنى ابـا الحسن ، لقبه المنصور بالله ، افخم ملوك بني مرين ، بويع لـه بعد ابيه يـوم الجمعة الخامس والعشرين لذي قعدة سنة احدى وثلاثين وسبعمئة .

مولده : بتيفرديون في صفر سنة سبع وتسعين وستمئة ، وكانت دولته عشرين سنة وثلاثة اشهر ويومين .

صفته : طويل القامة ، عظيم الهيكل ، معتدل اللحية ، حسن الوجه ، وكان عَفـاً مائلا الى التقوى ، لم يشرب الخمر قط في صغره ولا في كبره ، محباً في الصلحاء ، عدلا في رعيته ، وكان مولعاً بالطيب .

وزراؤه : عامر بن فتح الله السدراتي ، ويحيى بن طلحة بن يحيى بن علي المصمودي ، وغازي بن يحيى بن ادريس ، وعبد الله ابن ابراهيم الفردودي .

حاجبه : عبد الواحـد بن ناصح .

---

136) **شذرات الذهب** 5 : 388 ويغلب على ظني ان المترجـم شامي من اصـل مغربي ، ولا علاقة له بمراكش الا علاقة النسبة اليها .

كتابه : عبد المهين بن محمد الحضرمي ، ومحمد بن عثمان بن ابي مدين ، وعلي بن علي القبائلي الموحدي التينملي ، واحمد بن شعب الجزنائي الشاعر ، الموله في جاريته صبح ، التعاليمي المتوفي في عيد الأضحى سنة 749 ، ومحمد بن عبد الرحمان المكودي الشاعر الغالب عليه الشراب ومجالس اللهو والقصف والمجون المخل بشرفه المتوفى سنة 753 .

قضاته : محمد بن علي المليلي ، وعبد الله بن محمّد ابن الملجوم الأزدي ، ومحمد بن علي بن عبد الرزاق الجزولي .

وكان ضخم الملك متسع السلطان ، ملك المغرب بأجمعه ، واستولى على ملك تلمسان بعد قتله لسلطانها ابي تاشفين ، وملك مدينة تونس سنة ثمان واربعين وسبعمئة وسائر بلاد افريقية بعد قتله لملكها عمر بن ابى يحيى الموحدي الهنتاتي .

من شعره يفتخر :

ارضى الله في سري وجهري	واحمي العرض من دنَس ارتياب
وافني الوفر من مالي اختياراً	واضرب بالسيوف طلا الرقاب

ووفد عليه السلطان محمد بن اسماعيل ابن الأحمر بحضرة فاس لأحكام عقد المودة معه ، وفتح جبل طارق سنة اثنين وثلاثين وسبعمئة ، فاسترجعه ابو الحسن بيد المسلمين بعد ما كان اخذه سنة تسع وسبعمئة ، وصنف في محاسنة محمد ابن مرزوق الجد المتوفى سنة 781 (المسند الحسن ، في مئاثر السلطان ابى الحسن) ، وكان اشتمل عليه السلطان ابو الحسن لما قدم المغرب اشتمالاً خصّه بنفسه ، وجعله محلَّ سره ، وامام جماعته ، وخطيب منبره ، وامين رسالته .

ولما انتهى الأمر الى أبي الحسن اهتزَّ لولايته المشرق والمغرب ، واستفحل ملكه ، وصاهره ملوك الحفصيين ، واتخذ القصور العجيبة بالمدينة البيضاء ، وبنى المدارس بمدينة فاس والمساجد ، وأسَّس مدرسة ابى مدين

بتلمسان سنة اثنتين واربعين وسبعمئة ، ومدرسة مستغانم ، ومدرسة الوادي والمدرسة المصباحية بفاس ، وغير ذلك ، وبني المعقل الأعظم بجبل الفتح ، وله غزوات مشهورة ، وكانت الهزيمة عليه في اخرها ، أخذت محلتُه برمتها ، وقتل العدو الكافر نساءه وأسر بنيه حتى فداهم بعد منهم ، وهذه الوقعة كانت قرب الجزيرة الخضراء ، وامرها هائل لم يسمع بمثله ، فانا لله وانا اليه راجعون ، وذلك سنة احدى واربعين وسبعمئة ، فاستولى العدو على الجزيرة الخضراء سنة ثلاث واربعين ، وفي شهر ربيع الأول من سنة سبع واربعين وسبعمئة كتب له صداق الحرة عزونة بنت السلطان ابي يحيى بن ابي بكر ، جملتُه خمسة عشر الف دينار ذهباً ومئتا خادم ، وتوجهتْ الى المغرب في البر في شهر جمادى الثانية من السنة صحبة اخيها شقيقها الأمير الفضْل صاحب بونة ، ثم تحرك السلطان ابو الحسن بعد هذا لناحية المشرق حركتَه العظيمة التي لم يسمع مثلها ، استعدَّ لها غايةَ الاستعداد ، وجمع لها عساكر واخباءً ، واخذ في طريقه مملكةَ بني عبد الوادي فأفلَّ حدهم ، واقتلع جرثومتهم ، وبعث جماعةً من اعياصهم معتقلين الى فاس الجديد ، وسار الى الجزائر وملكها ، وملك بجاية وقسنطينة ، وانـاخ على تونس بعساكره ، فهدَّ اركان دولة الحفصيين ، واخذ على يد الأعراب المعتدين ، ودخل تونس في ثامن جمادى الأخيرة من سنة ثمان وأربعين وسبعمئة ، ودخل معه الشيخ عبد الله ابن تافرجين ، واعطاه فرسه بسرجه ولجامه ، ودخل معه الى حُجَر القصر ومساكن الخلفاء ، ودخل معه الى الرياض المتصلة به المدعوة برأس الطابية ، وخرج منها الى معسكره وبلغت غايته طرابلس وبنزرت من عمل الجريد (137) ، وراسلتْه في هذه الوجهة اشرافُ مكة واهل بيت المقدس والمدينة المنورة ، وهاداه اميرُ مصر السلطان اسماعيل بن محمد ابن قلاوون القنوي ، وبينه وبين السلطان ابي الحسن مهاداة ومراسلات ، وهادى ملك مالي من السودان .

ثم ان الدهر نصب له حبائل الاعراض ، وعاقه عائقُه عن بلوغ الأغراض . فنكث بيعتَه سائرُ الأعراب ، وسئم عسكره طولَ الغيبة وكثرةَ

---

137) كذا بالأصل ، وبنزرت ليس من عمل الجريد ولعله يريد توزر

الاغتراب ، فخذلتْه الرعية والأعوان ، وءال امره الى نكب ومحان ، ونقض بيعته بالمغرب (ابنُه) ابو عنان ، وانحلتْ عرى ملكه ، واتقطع نظامُ سلكه ، فركب البحر فاراً الى المغرب ، فعصفت بهم الرياح ، ومزقتْ مراكبه التي بلغت نحو الستمئة كل ممزق ، وغرق كل مَن كان معه من العامة ، من العلماء والخاصة والحرم وغير ذلك ، وتلف له في البحر ذخائر لم يعهد بمثلها مما حصله بتلمسان وبجايــة وقصور الخلافة بتونس ، فضــاع جميعُ ذلك في البحر ، والبقاء والدوام لله ، فخرج السلطان ابو الحسن بعد ما اشرف على الهلاك الى الجزائر ، ونجا على لوح ، فارتحل الى سجلماسة ، ومن سجلماسة الى جبال المصامدة بدرن هناك ، وسار ابو الحسن المريني الى مراكش في سنة احدى وخمسين وسبعمئة ، فرحل اليه الأمير ابو عنان من فاس بعد ان جرد ملحمته الى مراكش ، فالتقى الجمعان في اواخر صفر من السنة المذكورة ، فانهزم عسكر السلطان ابي الحسن ، ولحق به ابطالُ بني مرين فرجعوا عنه حياء وهيبة ، وكبــا به فرسه فسقط الى الأرض والفرسانُ تحوم حولــه ، واعترض دونه ابو دينار شيخ الزواودة فدافع عنه حتى ركب وخلص الى جند هنتاتة ومعه كبيرهم عبد العزيز بن محمد بن علي ، فنــزل عليه واجــاره ، واجتمع عليه الملأ من هنتاتة .

وفاته : بجبل هنتاتة من مراكش في ءاخر من ربيع الأول المبارك ! من عام اثنين وخمسين وسبعمئة ، وقيل في الثالث والعشرين من ربيع الثاني ، والمنقوش على قبره قبيل ان وفاته كانت ليلة الثلاثاء السابع والعشرين من ربيع الأول من السنة المذكورة ، وحمله ابنُه الى شالة فدفنه بها في مقابر اسلافهم هناك .

ترجمه ابن مرزوق في المسند الصحيح الحسن (138) ، وفي الدرر

---

138) توجد من **المسند الصحيح الحسن** نسختان بالخزانة العامة بالرباط ، احداهما مصورة عن نسخة مكتبة الاسكوريال باسبانيا ، والثانية اصلية نقلت اليها من مكتبة الزاوية الناصرية بتامجروت .

الكامنة (139) وفي الحلل (140) وتاريخ الدولتين (141) والجذوة (142) ودرة السلوك والمونس (143) وغيرها ، وغرق في الأسطول المذكور نحو اربعمئة عالم ، منهم محمد بن سليمان السطي شارح الحوفي ، والأستاذ ابو العباس الزواوي ، وكان غرقُ الأسطول على ساحل تدلس ، وممن غرق في اسطول ابى الحسن المريني محمد بن محمد ابن الصباغ الخزرجي المكناسي المتوفى في كائنة الأسطول سنة 749 الذي املى في مجلس درسه بمكناسة الزيتون على حديث يا ابا عمير ما فعل النغير اربعمئة فائدة ، جد مؤلف الجذوة للأم المترجم فيها ، وفي تاريخ ابن خلدون وفهرسته ابن الخطيب ، ورأى الأمواج تلعب به وهو على لوح من ألواح السفينة وهو يقول :

يا قلبُ كيف وقعت في اشراكهم ولقد عهدتُك تحذر الأشراكا
ارضى بذل في الهوى وصبابة هذا لعمر الله قد اشقاكا

وقال ابن غازي في الروض الهتون : انه سمع بمقصورة تلمسان ينشدهما كالمعاتب لنفسه وربك اعلم .

ومن مئاثر ابى الحسن رحمه الله انه كتب نسخة عتيقة من المصحف الكريم بخط يده ليوقفَها بحرم مكة وكتب مصحفيْن آخرين بخطه ارسلهما الى المساجد الثلاثة ، وكان رحمه الله لا يسافر الى موضع الا ومعه المصحف الكريم العثماني .

1406) **علي بن العباس بن موسى بن ابي حمّو** الشيخ الفقيه نائب الملك ، وحافظ الرسم ، وجار القصر ، بهذا حلاه ابن الخطيب في نفاضة الجراب (144) لما ذكره فيمن لقيه بمراكش قائلا في تعداد اوصافه : المعتام

---

139) **الدرر الكامنة** 3 : 157 ع 2810
140) **الحلل الموشية** ص 179 طبع الدار البيضاء
141) **تاريخ الدولتين** ، صفحات عديدة ، لا سيما ص 81
142) **جذوة الاقتباس** ص 461 ع 505
143) **المؤنس** ص 145
144) **نفاضة الجراب** ص 59

لكفالة أولياء العهد المستظهر بامانته وصدقه على حفظ الأقطار، المستباح الحمى في سبيل الوفاء، اجمل الشيوخ وجنة، واسناهم شيبة، واحسنهم صورة، الى الخلق السهل واللسان البليل بالاطراء والبر، والذرع الفسيح، والمخاطبة المفضلة بفرائـد التسويد، تكررت على المـدى زيارته، وانصرفت شطر الوجهة عنايته، واسترخصت في استجلاء القصور والمعاهد هشته، وخفت اليها على الكبر والرقبة حركته، ثم جمعت بين الغرة العتيقة والمهندة المحلاة والصامت الدثر هديته، عن خصاصة متقررة، وحال رقيقة، لقصور دخله عن خرجه، وما جره كف يده ووازع عفته، وجناه الوفاء من نكبته، اصلح الله حاله، وزاده من جميل نظر الملك ما يقيم اوده.

1407) **علي بن محمد بن سعود**، الفقيه الحسيب الفاضل الأوحد، من انبل الفقهاء، واحذق النبلاء، واشد الناس جـدا واجتهاداً في تحصيل الفوائد والمعارف، محدث راوية شاعر، عفيف طاهر، منقبض نزيه النفس، متحفظ على نفسه وصون حرمته، ولم يزل على عمله الى الآن، من كتاب الخراج والديوان واهل الحساب والمساحة.

ذكره ابن مرزوق في المسند الصحيح الحسن (145).

1408) **علي ابن ذي الوزارتين محمد بن احمد بن موسى بن سعود بن موسى بن ابي غفرة الخـزاعي**، ترجمه السيد عبد الحي الكتاني في طالعة كتابه (نظام الحكومة النبوية) فأجاد قائلا ما مضمنه : ترجمه ابن القاضي في درة الحجال (146) التي ذيـل بها تاريخ ابن خلكان وكتابه الآخر جـذوة الاقتباس في ذكر مَن حلَّ من الاعلام بمدينة فاس (147)، فأما الدلة فقال فيها : علي بن مسعود الخزاعي التلمساني، ولم يزد على ذلك في نسبه شيئاً، وفي

145) **المسند الصحيح الحسن** ص 228 نسخة خاصة مرقونة

146) **درة الحجال** 3 : 247 ع 1275 وفيها علي بن سعود الخزاعي التلمساني، الفقيـه الاديب الكاتب، توفي عام 789.

147) **جذوة الاقتباس** ص 489 ع 554 طبع الرباط

الجذوة قال : علي بن ذي الوزارتين محمد بن سعود الخراعي التلمساني المولد ، الفاسي الوفاة الأندلسي الأب والسلف ، وقد بحثت عن اسم والده ذي الوزارتين محمد بن سعود الخراعي وترجمته في كثير من المصنفات فلم اوفق في العثور عليها الى الآن ، ثم وجدت تحليته في ترجمة ابنه علي من كتاب مستودع العلامة لابن الأحمر (148) ، فوصفه بذي الوزارتين القائد الفقيه الكاتب صاحب الأشغال السلطانية ، محمد بن الفقيه القاضي موسى بن سعود الخراعي ، قال : جمع ابوه بين الخطتين السيف والقلم ، وكان رسوخ قدمه في الفروسية والعلم اثبت من علم ، وكان من آبائه بالأندلس جملة قضاة ، وارباب تحصيل في العلوم وخلال مرتضاة ، وعبر البحر منهم للعدوة والده فاستقر بتلمسان ، فقلد بها الوزارة والقيادة والكتابة اذ نجم منه الاحسان .

والخزاعي كما في لب اللباب في تحرير الانساب ، للحافظ الأسيوطي نسبة الى خزاعة ، قبيلة من الأزد ، هـ. وفي القاموس : خزاعة حي من الأزد ، سموا بذالك لأنهم تخزعوا من فوقهم واقاموا بمكة ، هـ. وفي الصحاح لأن ازد لما خرجت من مكة لتتفرق في البلاد تخلفت عنهم خزاعة وأقامت بها ، وفي ذلك العهد كانت مواطنهم بمكة ومد الظهران وما بينهما ، هـ .

مولده ومشيخته : ولد كما في فهرسة يحيى السراج سنة عشر وسبعمئة ، واخذ كما فيها عن الخطيب الراوية المكثر محمد بن احمد ابن مرزوق التلمساني واجاز له ، وعن المحدث قاضي الجماعة بالجزيرة ابى البركات محمد بن ابي بكر محمد ابن ابراهيم البلفيقي ، قلت وكأنى به كان قليل الرواية ، وانما روى واستجاز في كبره ، لأن وفاته قريبة من وفاة شيخيه المذكورين ، فاما الخطيب ابن مرزوق فقال عنه ابن فرحون في الديباج : توفي بعد الثمانين وسبعمئة وفي العبر انه توفي سنة 781 واما ابو البركات ابن الحاج فتوفي كما مر في فهرسة محمد الحضرمي سنة 771 وعجيب ان يكون حافظ لا يذكر من مشيخته الا من مات قبله بنحو عشر سنوات

---

148) **مستودع العلامة** ص 62

او هم من اقرانه في السن ، فاذا علمت مولد الخزاعي ومولد هاؤلاء ظهر لك قرب ما بينهم .

ذكر ما حلي به : حلاه تلميذه الامام الصوفي محدث فاس وراويتُها يحيى بن احمد السراج الحميري الفاسي المتوفى بفاس سنة 800 في فهرسته بالشيخ الجليل الحافظ اللغوي التاريخي المصنف الناظم الناثر ، ثم قال : كان شيخاً جليلا فاضلا حافظاً لغوياً شاعراً مجيداً مقدماً في التاريخ ، كثير الصدقة والايثار ، لم يكن في زمانه مَن يضاهيه فيها ، فذاً في طريقته ، ووصفه ابن الأحمر في كتابه مستودع العلامة بالفقيه الكاتب صاحب القلم الأعلا ، ثم قال عنه تلقى رايةَ الفخر باليمين ، وهو واسطة عقد المفاخر الثمين ، من اعلام كتاب العدوتين ، ومعرفته بالحساب تستغرق العقول ، اذا زبت عن حد الحصر المنقول ، واما اللغة فمسلكه في سبلها اسكت ابن السكيت ، وبكت فهمه المدرك في حفظها اي تبكيت ، والعربية هو على رئاستها العملية ، وقد برر في اجادتها الادراكية العلمية ، ولم يكن في معرفة الفقه بالمقصر ، كما نظر عن انسان عين الحديث المبصر ، وكفهُ بارسال المواهب لم تكن جانحة الى التقصير ، واما قيل لطول جودها جذعت انف الفضائل عن بخل ياقصير ، انتهى كلام ابن الأحمر ، واقتصر احمد ابن القاضي في الجذوة على تحليته بالفقيه الكاتب ، ولم يزد عليها ، وكذلك فعل في الدرة ، الا انه زاد في حقه الأديب .

ذكر شيء من شعره : قال ابن القاضي في الجذوة : وهو القائل لما كبا بموسى بن ابي عنان المريني فرسه بالشماعين :

مولاي لا ذنب للشقراء ان عثرت ... ومَن يلمْها لَعمري فهو ظالمُها
وهالها ما اعتراها من مهابتكم ... من اجل ذلك لم تثبتْ قوائمها
ولم تزلْ عادة الفرسان مذ ركبوا ... تكبو الجياد ولا تنبو عزائمها
وفي النبي رسول الله اسوتنا ... اعلا النبيئين مقداراً وخاتمُها
كبا به فرس ابقى بسقطته ... في جنبه خدشةً تبدو مراسمها

حتى لَصلّى صلاةً جالساً نبتت　　　لنا بها سنةٌ لا حت معالمها
صلى الالاهُ عليه دائماً ابداً　　　ازكى صلاة تحييها نواسمُها

وقال في القصة الولي مَحمد بن عباد الرندي الحميري :

ان الجواد ما كبا　　　الا لما فيه نبا
ذلك قبول ما به　　　امامُنا تقربا

وقد خمسها اسماعيل ابن الأحمر فقال :

قل للذي ما نكبا　　　عما أتى وارتكبا
وفي اعتراض وكبا　　　ان الجواد ما كبا
الا لما فيه نبا
لا تجزعن لنا به　　　قد خر في منابه
اذ ذو التقى سما به　　　ذاك قبول ما به
امامُنا تقربا
موسى بسامي ذهنه　　　ونبله وذهنه
اودى ردى . . . .　　　رهبته في يومه

وقال فيه مسعود بن محمد بن ابى الطلاق :

ان الجواد ما كبا　　　الا لفتح قربا
فانه صلى ومَن　　　صلّى ينال الأربا
وانما صلاته　　　صلاة نصر وجبا

انتهى ما في الجذوة (149) .

ثم وجدت القصة عند الامام الجادري في شرح البردة عند قول البوصيري (مَن لي برد جماح من غوايتها) قائلا ما نصه : وقد كبت فرس شقراء بالسلطان

(149) **جذوة الاقتباس** ص 480 ع 554

امير المومنين موسى بن امير المومنين ابى عنان المريني اثر صلاة الجمعة ، فقال في ذلك الكاتب علي بن محمد بن سعود : مولاي لا ذنب الخ .

وأنشد الأبيات الستة حاذفاً البيت الثالث عند ابن القاضي وهو : (ولم تزل عادة الفرسان) وعنده في البيت الخامس (كبا به فرس ابدى بسقطته) ، وعند ابن القاضي (ابقى) ، وفي البيت الأخير عند الجادري (صلى الالاه عليه) ثم كمل بأبيات ابن عباد وابن ابي الطلاق .

ووجدت في مجموعة بخط المؤرخ النسابة الرحالة احمد بن محمد الخياط ابن ابراهيم الفاسي صاحب (سلسلة الذهب المنقود في ذكر الأعلام من الاسلاف والجدود) سياق هذه القصة قائلا : يحكى ان السلطان موسى المريني أخا ابى عنان لما سقط عن فرسه بالشماعين استحيى من الناس كثيراً لما وقع به ، وكان هذا بعد خروجه من صلاة الجمعة بالقرويين خلف الولي الصالح محمد بن ابراهيم ابن عباد الرندي المتوفى سنة 792 فازال عنه الخجل كاتبه ابو السعيد فقال : مولاي لا تلم الشقراء ان عثرت الخ ، فساق الأبيات الا بعض الكلمات كالسطر الأول فانه عند ابن القاضي مولاي لا ذنب للشقراء ، وبخط ابن ابراهيم لا تلم الشقراء ، وبخطه ايضاً في الشطر الثاني من البيت ثبت وابدل تنبو بدل تكبو ، وفي الشطر الأخير من البيت السادس لنا بها سنة تحيى معالمها ، وفي الشبطر تحييه بدل تحييها ، واثر الأبيات المذكورة ايضاً بخط ابن ابراهيم ايضاً وازال عنه الخجل الشيخ ابن عباد رضي الله عنه فقال : ان الجواد ما كبا ، فساقها الا انه ساقها ابياتاً ثلاثة ، والثالث عنده

فــي يــومــه فليهـــنـــه اجـــر وقــصـــر وحـــبـــا

وكذا وجدت القصة على الوجه المذكور والسياق الأخير المسطور في كناشة العدل الجماع المقيد عباس بن الشيخ محمد بن عبد الرحمـــان السجلماسي الفاسي ، وكلاهما وصف موسى بأخي ابي عنان وهو غلط ، فان موسى ابنه كما تقدم وهو الصواب ، فانظر كيف نسبا ابيات (مولاي لا ذنب

للشقراء) لأبي السعود كاتب السلطان موسى ، فاما ان يكون الخزاعي كان يلقب بأبي السعود واما انهما ارادا غيره والله أعلم .

ثم وجدت في مستودع العلامة لابن الأحمر لما ترجم للكاتب صاحب القلم الأعلا محمد بن الحاجب الكاتب محمد التميمي صاحب السلطان عبد العزيز المريني تخميس ابيات ابن عباد في القصة انظرها فيه .

كما وقع في تونس ان اميرها مصطفى باي لما هوى به فرسه الى الأرض فانسل بسبب ذلك حسامه وانجر فقال في القصة الشيخ احمد زروق الكافي :

تحمي عليَّ مكانك الأقدار — وتعز في الأخرى وهذى الدار

الى ان قال :

ما خار راكبُ الجواد ولا ونى — به عن سبيل القصد منه عثار
لكن عرته لهيبة الملك خشية — لم يستقر بها لديه قرار
فهوى الى وجه الصعيد بوجهه — ولواه عما قد رآه خرار
واحاله عن حال طبعه عارض — للرعب منك عراه منه نفار

انظر الكشكول في محاسن القول للأديب الكاتب المؤرخ محمد السنوسي التونسي صاحب مسامرة الظريف .

ووقفت في كتاب مراسلات الأمراء والوزراء والسلاطين للحسن بن زيد الأنصاري الذي عنده النسخة منه بخط الشهاب القسطلاني فرغ منها سنة 879 على صورة مكاتب التهنية بالسلامة من السقوط عن الفرس ، وهي اربعة ، واحد للسلطان ، وءاخر مثله ، وكتاب ءاخر في معناه الى السلطان او ولده ، وكتاب من معناه الى الخليفة ، فقف عليه .

ورأيت في بعض المجاميع لبعض وزراء الدولة السعدية ما قاله في يوم السبت من 14 جمادى الأخرى عام 1037 لما تكسر رمح السلطان مولاي احمد بن مولاي زيدان حين ركب للميز :

تطـاول الرمـح عـلـى سيف الأمـيـر وافتـخـر
تـاه بـطـول قـده وبـالـقـوام المعـتـبـر
والسيف مـن أوصـافـه فيه اعـوجـاج وقـصـر
قـال لـه السيف اقتصـر انت قضيب مـن شـعـر
وليـس للـرمـح سـوى طـعـن ببـعـد ان قـدر
وهـو لا يصـحـب مـن كـان مقيمـاً مسـتـقـر
والسيف في يـوم الـوغـى للضرب والطـعـن ابـتـدر
وصـاحـب مـلازم في حضـر او في سـفـر
وفعـلـه قـال لـنـا ليس العـيـان كـالخبـر
فـثـبـت الفـضـل الـى سيف على رمـح ظـهـر
والـرمـح خـر سـاجـداً مـن اجـل ذاك وانكسـر
والله يبقـي نـصـركـم مـا لاح نجـم او قـمـر

وكتب بطرة القصة المذكورة قصة موسى المريني وما قيل فيها كما سبق عن الجادري ذكرُ الرواية عنه .

وسندنا المتصل به لم اقف على مَن روى عنه الآن دون يحيى السراج ، فانه قال سمعتُ من لفظه بعض تئاليفه المسمى: تخريج الدلالات السمعية ، على ما كان في عهد رسول الله صلى الله عليه من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية ، وناولني جميعه واجازني اجازة تامة .

بلده ووفاته ومدفنه : في الدرة ولقط الفرائد كلاهما لابن القاضي : توفي سنة 789 وقال تلميذه يحيى السراج : وتوفي بعد صلاة العصر من يوم الأحـد الخامس من ذي القعدة سنة 789 ودفن من غـده يوم الاثنين ، انتهى ملخص ما ذكره السيد عبد الحي الكتاني (150) .

---

150) ينظر عنه **التعريف بابن خلدون** ص 43 **ودرة الحجال** 3 : 247 ع 1275 **وروضة النسرين** ص 31 و **لقط الفرائد** ص 224 (من كتاب ألف سنة من الوفيات) ، **ونثير الجمان** ص 249 **ووفيات الونشريسي** ص 131 (من كتاب ألف سنة من الوفيات) ، ومقدمة **التراتيب الادارية**

وراجع 233 ج 6 من معجم الأدباء عند ذكر عثرة فرس ابي الفتوح عضد الدولة به وسقط من عليها ، فقال فيه الوجيه المبارك بن المبارك بن الضرير :

لا تعـذل الفـرسَ التي عـثـرت ⁂ بك امس قبل سماعك العـــذرا

1409) علي بن يوسف الوطاسي ، قال في ازهار الرياض في روضة النيلوفر : وكتب بعضهم الى الأمير علي بن يوسف آلوطاسي يزعم انه رءاه يقرأ كتاب الشفا في الجامع ، فأول ذلك الوطاسي بالصدقة لكونها شفاء ، وحدث صاحب الروض الأنف في مآثر علي بن يوسف وهذه مناسبة حسيبة جداً ، وحلاه في الجنوة بالوزير .

توفي بتامسنا في خامس رمضان سنة 863 ثلاث وستين وثمانمئة ، وسيق الى مدينة فاس ودفن بالقلة خارج باب الجيسة ، وقدم بعده للوزارة يحيى بن بوزكري بن زيان الوطاسي (151) .

1410) علي بن أبي القاسم الدكالي المشنزائي دفين سور الحجر على مقربة من جامع الكتبيين من مراكش ، ويعرف بأبي سجدة ، لأنه كان يقطع الليل كله بسجدة واحدة ، وقيل كان اذا صلى فسجد غاب فلم يرفع رأسه ولم يزد عليها ، ولعل ذلك في صلاة النافلة لا في الفريضة ،ويذكر أن اخوانه أو أخاً له قال له انك لتفسد الصلاة فأريد ان استفتي فيك وأسأل عن أمرك ، فقال له من تستفتي ؟ قال له الفقهاء ، فقال اذا لا تمشي بحلتي الى البرادعيين ، ويحكى انهم تركوه يوماً حتى سجد ، فأتوا بالحبال وجعلوها تحت حصيره ، وجعلوا يرفعونه فلم يقدروا .

وكان كبير الشأن عظيم القدر ، وكان اذا دخل على ملوك وقته لا يزيد في تحيته شيئاً على لفظ السلام ، ويغلظ لهم في القول اذا أمر بمعروف أو نهى عن منكر .

---

151) **ازهار الرياض** 5 : 90 **وجذوة الاقتباس** ص 402 ع 506

اخذ عن لشيخ ابي يحيى المنياري من بني امغار ، واخذ عن الشيخ التباع ، ويقال انه الذي غسله .

قال بعضهم توفي ست واربعين وتسعمئة ، وقال سيدي العربي الفاسي يوم الجمعة سادس عشر محرم سنة احدى وخمسين وتسعمئة (152) .

ترجمه في الدوحة ، والممتع ، وراجع ما يتعلق بمشنزاية في ترجمة ادريس الواثق ابي دبوس الموحدي ، وترجمة الوليد بن زيدان بن احمد المنصور ، وستأتي قصيدة مدحت بها المترجم ومَن ذكر فيها اولها : هذا مقام ولي الله في الرتب الخ في ترجمة سيدي يوسف بن علي احد الرجال السبعة .

وسيدي اسماعيل بن سعيد الدكالي حفيد المترجم من اصحاب الولي المجاهد سيدي محمد بن العياشي ولاحت عليه أنوار الخصوصية ، توفي في اعجاز المئة ذكره في الصفوة .

1411) **علي بن ابراهيم البوزيدي** ، من بلاد فشتالة ، نزيل اجرض من بلاد تادلة ودفينه ، الشيخ المتواصل العبادة ، محب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يروي انه بلغ من عبادته ومواصلته للصيام وتركه للطعام الى ان تروحن (153) وترك الطعام جملة ، وكان اذا سجد تقلقل رأسه ، واذا رفع رأسه كذلك ، ويقال انه كان ورده كل ليلة اربعمئة ركعة ، وانه كان يلبس كل شهر قشابة صوف جديدة ، فلا يتم الشهر الا وقد تقطعت من وركيه وركبتيه بكثرة السجود .

كان من مشاهير الأولياء الأكابر ، عارفاً بالله ، من مشايخ الصوفية ، اخذ عن الشيخ عبد العزيز التباع المراكشي ، وكان مشهوراً بالخير والصلاح ، وظهرت عليه مخايل الولاية ، وشواهد الكرامة ، وشهد له أهل الدراية والفضل

---

152) **دوحة الناشر** ص 101 ع 99 **وممتع الأسماع** ص 53

153) انظر التعليق ع 135 في ص 169 من هذا الجزء

بالتقدم في طريق الديانة الخاصة ، وله مناقب مأثورة ، وتقدم اختصامه مع الشيخ الغزواني في سيدي عبد الله ابن ساسي .

توفي في شعبان سنة ست وخمسين وتسعمئة حسبما نقله في المرآة عن حفيده الفقيه احمد الزقاق ، وقيل سنة سبع والله أعلم .

وتقدم شيء من احواله في ترجمة الشيخ سيدي محمد بن داوود الشاوي .

ترجمه في المرآة والدوحة والممتع والبدور الضاوية ومحاضرات اليوسي ونشر المثاني والروض اليانع الفائح (154) .

فائدة : نقل في اليتيمة الوسطى عن ابن عبد العظيم الأزموري من من تاليفه في بني أمغار نسب المترجم هكذا : علي بن ابراهيم بن علي بن محمد بن احمد بن محمد بن احمد بن عبد الرحمان بن ابراهيم بن محمد بن علي بن مسعود بن موسى بن احمد بن محمد بن مرادس بن هلال بن محمد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه دفين اكرض بدير تادلة .

والبوزيدي في نسبه ذكره كل مَن عرف به ، والبوزيدي نسبة لآية بوزيد بربر من اخوة بني عياط وآية عطا ومالو أي الظل ، وغيرهم من قبائل جبل درن من تادلة .

ولما ذكره سيدي المهدي الفاسي في الممتع اقتصر على البوزيدي ، وزاد في كتابه تحفة أهل الصديقية في أسانيد الطائفة الجزولية والزرقانية ما لفظه : ويقال انه من ذرية سيدنا عمر بن الخطاب .

اما الشيخ المنيار فهو الشيخ الأستاذ الولي الصالح سيدي محمد المدعو بالصغير بن محمد الشهير بالمنيار بن

---

154) ممتع الأسماع ص 49

أحمد ابن الولي الصالح سيدي علي بن ابراهيم البوزيدي دفين اكرض من بلاد تادلة ، هكذا ذكره في الصفوة في ترجمته في صحيفة 83 بمطبعة فاس ، وصرح في البدور الضاوية ان المترجم شريف من الشرفاء البوزيديين من ذرية عيسى بن مولانا ادريس ، وأبو زيد هو عبد الرحمان بن علي بن موسى بن سليمان بن يحيى بن موسى بن عيسى بن ادريس . وقال في مرآة المحاسن في ترجمة الشيخ سيدي علي بن منصور المعروف بأبي الشكاوي البوزيدي دفين شالة ما نصه : ذكر لي ولده الفاضل احمد الخضر ان نسبهم يرجع الى عيسى بن ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي رضي الله عنهم ، وان عيسى المذكور مدفون في بلاد آية عتاب ، وهناك عقبه ، ونحوهُ في تحفة الحادي المطرب في رفع نسب شرفاء المغرب ، لأبي القاسم الزياني .

وممن أخذ عن المترجم أحمد بن أبي القاسم الصومعي صاحب المعزى .

1412) **علي بن أبي بكر بن عثمان المصمودي السكتاني** ، قاضي مراكش ، فقيه نوالي فرضي نحوي ، قال المنجور في فهرسته لدى ترجمة اليسيتني حين ذكر المترجم تلميذه : فصيح يحفظ النقول في درسه من تفسير وفقه ونحو وغيره ، دءوب على التدريس والمطالعة لا يمل ، ذاكر للنوازل بحاث عنها ، استنسخ نوازل الونشريشي ، وهو أول مَن اخرجها بعد التي واللتيا وشرح مختصر خليل الى النكاح ، وكان متواضعاً يطلب العلم اياً كان .

توفي شهيداً أواخر اربع وستين وتسعمئة ولم يكمل ستين رحمة الله عليه (155) .

قال في النيل : زاد بعض اصحابنا وعن ابن محبر وغيره رحل وحج ودرس بمراكش فقها واصولا ونحواً وتفسيراً . انتهى (156) .

---

155) **فهرسة المنجور** ص 38 و 39

156) **نيل الابتهاج** ص 213

وقال في الشرحين ذكر قتل الأتراك لمحمد الشيخ بموضع يقال اكلكال بازاء جبل درن على طريق رُدانة ما نصه : وقتلوا معه مفتي مراكش علي بن أبي بكر السجتاني (157) .

1413) **علي بن أحمد الحياني التمناوتي** المحقق المطلع نزيل درعة ، كان فقيهاً محصلا مطلعاً عالي الهمة كبير الشأن ، ذا فنون وعلوم وزهد وورع ، طولب بقضاء مراكش ، فأتي به لذلك فامتنع وهرب من فتنته ، ورجع لدرعة فدرس بها حتى مات في حدود الثمانين وتسعمئة ، وهو الذي رتب مسائل الفقيه ابن هلال .

ترجمه في الفوائد الجمة وتبعه في الصفوة والدرر المرصعة وطبقات الحضيكي (158) .

1414) **علي بن مسعود ابن شقرا** ، قائد قواد عبد الله الغالب السعدي، توفي في حركة خندق الريحان قرب وادي الشراط بطريق سلا سنة اربع وثمانين وتسعمئة .

ترجمه في درة الحجال (159) .

قلت وهو الذي تنسب اليه الحومة المعروفة بجنان ابن شقرا بمراكش .

1415) **علي بن ابي بكر التاملي ، الكاتب توفي مرمياً به في النفط سنة** اربع وثمانين وتسعمئة عن امر مخدومه عبد الملك السعدي .

ترجمه في درة الحجال (160) .

1416) **علي بن سليمان بن عثمان التاملي** ، الفقيه البركة المحسن **عمدة المساكين ، صاحب المظالم عند السلطان أحمد المنصور السعدي ،**

---

157) **الاستقصا** 5 : 34

158) **طبقات الحضيكي** 2 : 303

159) **درة الحجال** 3 : 256 ع 1300

160) **درة الحجال** 3 : 257 ع 1301

وبيتهم بجزولة بيت علم وصلاح ونباهة ، وهو ولد اخي الفقيه الأعظم الحسن بن عثمان التاملي ، ومن محاسنه انه لم تثبت عنه رشوة قط ولا أكل من ثمن الجاه منذ ولي خطته ولا سمع عنه .

مولده تقريباً بعد الثلاثين وتسعمئة ، اعقل اهل زمانه واعلمهم بالأمور ، كان حياً سنة 999 تسع وتسعين وتسعمئة .

ترجمه في درة الحجال (161) وحلاه في المنتقى المقصور بالفقيه الزاهد القائد علي بن سليمان التاملي ، وانه من خواص مجلس المنصور بمراكش ، وتقدم ذكره مع اخيه ابي بكر بن سليمان في ترجمة عبد الرحمان الباعقيلي وتقدم تسمية جده هناك عبد الله ، وتأتي ترجمة اخيه يونس .

والمترجم له ينسب اليه الدرب المعروف الآن بدرب الحمام بالمواسين ، ومما ينسب له :

بلله ان وطئت مراكشاً يوماً ... وجزت فيها على تلك البساتين
ان لا تقدم شيئاً قد هممت به ... حتى تحيي سكان المواسين

وسيأتي ذكر سليمان بن ابراهيم ابن سليمان التاملي ، وتقدم ذكر حفيده عبد الله .

ترجمه في درة الحجال (162) .

1417) علي بن احمد المنصور السعدي ، فاضل ولي تادلة في سنة ألف من الهجرة (163) .

1418) علي بن محمد الندرومي

علي بن محمد بن محمد بن مهدي الندرومي ، العارف الأوحد المجتهد، الحاج الأبر العالم الأديب ، حدث عنه الزروالي في مناقب شيخه سيدي ابي

---

161) درة الحجال 3 : 254 ع 1295

162) درة الحجال 3 : 257 ع 1304

163) درة الحجال 3 : 257 ع 1304

عمرو المراكشي ، قال لي آذاني رجل مشهور باذاية الناس ، وقد آذى غيري حتى صار بذلك غير معذور ، حتى لا تجد عنده مَن هو مشكور ، فهجرته بالزجر المنشور ، وسودت في هجوه اكثر السطور ، واني في ذلك معذور ، فما لقيني أحد في ذلك الزمان الا وشكرني ، لأنه لم يوقر صغيراً ولا كبيراً ، ولعلك تردعه ولو ردعاً يسيراً ، وتردعه عن اعراض الناس ولم ينج منه فاسق ولا صالح ، ولم تنهض فيه قط موعظة ، وطالما امتحن وضرب لذلك ، وبقيت مجتهداً في هجوه اراني بذلك متعبدا ، حتى جاءني رسول من سيدي أبي عمرو ، فذهبت معه الى الرباط المشكور ، فوجدت فيه سيدي ابا عمرو المشهور ، وعليه كمال الهيبة والنور ، فرأيت منه من الهيبة والمباششة ما اذهلني عن اوصاف بشريته ، وأوجب علي محبته وامتثال امره ، وبعد ان اكرمني بأنواع الطعام شرع لي في احسن الكلام ، مثل كلام ابي الحسن والجنيد ، وقال لي ان الخوض في فضول الكلام ، انما هو من شأن العوام ، الذين لا يعبأ الله بهم بين الأنام ، وقال ياأخي الغريب ، انك فائق لبيب اديب ، واعطاك الله ذلك اللسان العجيب ، اطلقه في مدح المصطفى الحبيب ، ولك في مدح سيدي ومحبته أوفر حظ ونصيب ، فقلت له عندما سمعت منه ذلك الثناء الغريب : ادع الله لي ان يجعلني منه قريب ، فدعا لي ، فقلت له ياسيدي لا اعصي لك امراً فقال ياسيدي الحاج ، اني سمعت شيئا لا يعجبني ان يكون لك منهاج ، وهو ما انت عليه من شأن فلان الفلاني ، فاني اريد ان تقطع له ذكرا ، ولا تبقى لسبك فيه ولو سطرا ، حتى لا يسمع له احد بعد اليوم ذكرا ، فأجبته بالسمع والطاعة ، وتنازلت في محبته في الحين افضل بضاعة ، فدعا لي بالمغفرة والهداية ، وخرجني عما كنت فيه من العماية ، بين اهل السفاهة والغواية ، وخرجت من عنده مسروراً ، وخلفت قلبي عنده مأسوراً ، فمزقت كل ما كان عندي على صاحبي من الكلام في الأوراق ، وركبني من محبته غرام واشتياق ، وبقي عندي من ذلك الوقت كأنه انسان الأحداق ، ولله در القائل :

لا عيب فيهم سوى ان النزيل بهم	يسلو عن الأهل والأوطان والحشم
وان هم خوفوا بالهجر ما هجروا	وان هم نصروك نلت ما ترم
وليس بين الفتى وبين بغيته	الا وقوفه يوماً عند بابهم

ونقله عنه أيضاً في شمس المعرفة زاعماً ان ذلك وقع له مع سيدي الكامل ولد سيدي ابي عمرو المذكور .

1419) **علي بن محمد الجزولي** ، الدرعي الدار والقبر والمزار ، لقي الشيخ سيدي عبد العزيز التباع المراكشي ، قال في المعزى نقلا عنه : انه قال قصدته وبقيت عنده ستة اشهر في حكاية غريبة اضربنا عنها اختصارا ، قال فلما اردت الانصراف اتيت اليه لأودعه ، فقلت له يا سيدي عندي اولاد الله يصلحهم ، وزوجتي الله يوفقها ، وعندي والدتي الله يسترني معهـا ، واذا به يقول : ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرةَ اعين واجعلنا للمتقين إماماً ، وكان هذا غالباً علي في سحري ونحـري ، وظعني واقامتي ، فعجبت مـن مكاشفته وكيف جرى ذلك على لسانه مع انه كان امياً .

1420) **علي بن احمد السلَوي الصنهاجي** ، موقت جامـع المنصور ، توفي في سادس عشر ذي قعدة عام 995 خمسة وتسعين وتسعمئة .

ذكره في لقط الفرائد (164) .

1421) **علي بن ناصر الحمري** ، صاحب الضريح بباب الدباغ خارج مراكش ، الولي الصالح الذي ينسب اليه الرماة ويعملون له موسماً كل عام يترامون فيه ، من اهل القرن العاشر ، يقال انه اخذ عن سيدي احمد بن موسى السملالي ، وهو اخو الولي الصالح سيدي سعيد بن ناصر ، وقد وقفت على ظهائر عديدة لملوك المغرب السعديين فمن فوقهم الى وقتنا تضمنت احترام اولاده القاطنين بشوشاوة في جوار ابي زيد الرجراجي ، منها ظهير مؤرخ عام 1005 خمسة والف فيه ذكر اولاده السيد سعيد بن الناصر وعلى بن الناصر ، ومنها ظهير مـؤرخ عـام 1027 سبعـة وعشرين والف فيه اصحاب المرابطين المرعيين اولاد السيـد .... وعلى بـن الناصر النازلين معهم بـواد شوشاوة ، ومنها اخر مؤرخ عام 1035 خمسة وثلاثين والف لمولاي زيـدان

---

164) **لقط الفرائد** ص 320 (من كتاب الف سنة من الوفيات)

قال فيه اولاد المرابط الحاج سعيد بن الناصر ، ومنها ظهير اسماعيلي مؤرخ في 14 شوال ستة عشرة ومئة والف ، ومنها ظهير اسماعيلي ايضاً مؤرخ عام 1136 في 20 جمادى الأولى في اوله بعد الافتتاح والطابع : جددنا بحول الله وقوته ، وشامل يمنه ومنته وبركته ، لحملته السادة الأجلة المرابطين الخيرين ، اولاد البركة المحترم عند أكابر الصالحين المتبرك به حياً وميتاً ، سيدي سعيد بن ناصر واخيه الأرضى سيدي علي بن ناصر القاطنين بشوشاوة ، ومنها ظهير ءاخر لمولاي اسماعيل فيه اولاد المرابط السيد الحاج سعيد بن الناصر الحمري ، ومنها ظهير لسيدي محمد بن عبد الله مؤرخ عام 1190 وفيه ذكرهم وذكر اولاد أبي السباع جيرانهم ، الى غير ذلك من ظهائر قديمة اخرى لم يمكن الاطلاع على تاريخها وطوابعها لتلاشيها .

1422) **علي بن منصور الشيظمي** الوزير قائد قواد المنصور الذهبي ، قال في المنتقى المقصور في الباب الرابع ما نصه : وقد امر أيده الله بنسخة من البخاري عملت بخزانته العلمية ، وقد ضمن قائده علي الشيظمي تاريخَها في بيت من أبياته فقال :

لله منها درة قد بدت ... في غاية الاحكام والاحتفال
نسخة مَن فاق الورى همة ... وخصه الله بارث المعال
واكسب المأثور فخراً به ... والبس الرواة برد الجمال
الملك المنصور محيي الهدى ... ابن رسول الله وافي الكمال
جادت به الأيامُ في طالع ... افاد عين الدين اوفى اكتحال
متى تشأ تاريخ اتحافِه ... بالملك قل ءال النبي خير ءال

وقال ايضاً عند ذكر علماء المنصور ما نصه : وكالفقيه الناظم الناثر المشارك المتفنن الحافظ القائد علي بن منصور المرابط الشيظمي انتهى .

من نظمه رحمه الله :

من بعد اهل قبا واهل كداء ... شوقي يزيد ومثل ذلك دائي
وليّ الشفاءُ بقربهم وهمُ جلا ... ما في الخواطر من صدا وصداء

لكنه بعد المزار فأين من تلك المعاهد ساكنُ الحمراء ؟
بانوا وهاج الشوق ذكر ربوعهم ذات السنا والرند والأضواء
وشدا بهم حادي الركاب فكاد ان تدع القلوبُ جسومَها بفضاء
ياسعدُ لو ان الزمان مساعدي ويجيب مع ذا البعد بعض ندائي
لركبتُ حرفاً كالهلال منافراً للهمز الا في المنادي النائي
ولجبتُ احياءَ الفلا وطويتُها طي الملا بنجيبة قوداء
تختاض في جوف الظلام كأنها سر تولج في ضمير حجاء
وتخال في لجج السراب سفينة تجري القلوعُ بها بريح رخاء
هل ازلنَّ بها المحصَّب من منى وازورُ بعد معاهد الزوراء
فأحط عنها الرحل ثَمَّ مخيماً في ظل احمد بغيتي ومنائي
وامرغ الخدينْ ملتثماً ثرى وطئتْه رجلا خاتم النبياء
محيي الهدى ماحي الضلالة والردى بالبيض والخطية السمراء
صلى عليه الله ما نسخ السخا لؤماً وما اجلا الدجا ابنُ ذكاء
وعلى صحابته الكرام وءاله اكرمْ بهم من سادة فضلاء
اكرم بوارث مجده وعلائه سبط الرسالة غرة الأبناء
خير الخلائق احمد المنصور مَن حاز الكمال وشرط كل علاء
الصارم الهندي في يمنى الهدي والكوكب الوقاد في الظلماء
يأيها الملك الذي بسيوفه حاط الهدى وبرايه الوضاء
ذخر الالاهُ لك الفتوحَ وصانها كالزهر في الأكمام والأوعاء
لابدَّ من فتح يروقك واضح كالصبح يذرأ في نحور عداء
وستملك الحرمَ الشريفَ وينتمي للوائك المنصور دون مراء
وترى الجهات وقد اتت منقادةً بظبي بنيك السادة النجباء
وتقر عيناً بالخليفة منهم وزر البرية عدة الأمراء
بمحمد المأمون خير مَنَ ارتقى درج الكمال ودبَّ للعلياء
فرع سيحكي اصلَه ولقد حكى بمقاصد قد سددت لدماء (165)

165) القصيدة اطول مما اورد المؤلف ، ينظر نصها الكامل فى **مناهل الصفا** ص 277 طبع تطوان
ينظر عنه **درة الحجال** 3 : 258 ع 1305 **وروضة الاس** للمقري ص 173 ع 7 والمترجم من مواليد عام 951 هـ

1423) **ابو علي (الحسن) بن عبد الكريم المراكشي** (166) ، الفقيه الأديب الناظم الناثر ، احد فقهاء الدولة المنصورية وشعرائها الذين عارضوا ابياتَ الحميدي الرائية التي قالها في زيارة المنصور لأغمات ، ونص ابيات المترجم :

اشيخ العلوم التي قد سرت — بدائع ابياته السائرة
طلعت وكنت كنجم الصباح — وسدت بأخلاقك العاطرة
اذا ما نويتم طلابَ العلا — فكل المعاني لكم سافرة
اتتنيَّ بالأمس ابياتُكم — رياض المعاني بها زاهرة
محا شعركم ذكر عبد الحميد — واضحت فصاحتُه دائرة
فلو مد في عُمر البحتري — لأعجب من فطنة باهرة
علوت وفقت قضاة الورى — فدم هكذا مركز الدائرة

وهو اخر مَن عارضها على ما في النزهة ، وتقدمت الأبيات الباقية في ترجمة المخاطب بأبيات الحميدي عبد الرحمان العتابي . (167) .

1424) **علي بن مسعود الشاطبي** (168) الفقيه قاضي الجماعة بمراكش للسلطان احمد المنصور المشهور ، ذكره المنجور في فهرسته ممن أخذ عنه

---

166) اخطأ المؤلف فسمى المترجم علياً ، مع ان علياً ليس الا جزءاً من كنيته (ابي علي) ، واسمه الحقيقي الحسن بن عبد الكريم بن عبد العزيز بن علي المراكشي ، وهو مذكور باسم الحسن فى **درة الحجال** 1 : 248 ع 375 و**روضة الآس** ص 91 ع 11 و**مناهل الصفا** ص 220 (طبع المحمدية) و**نزهة الحادي** ص 123 (طبع باريس 1888) ، وتعساً لهذه الكنى التي اولع بها المسلمون ، فكم أوقعت في اغلاط والتباسات ، ونعتذر للقراء عن عدم اثبات المترجم مع من اسمه حسن في الجزء الثالث من هذا الكتاب ، لأننا لم نتنبه لخطأ المؤلف الا ساعة التحقيق .

167) هذه الأبيات لم يثبتها المقري في **روضة الآس** مع القطع الأخرى التي عورضت بها قطعة عبد الواحد الحميدي الحسني ، واثبتت في **مناهل الصفا ونزهة الحادي** .

ولم اقف على تاريخ وفاة المترجم .

168) وقع اضطراب في اسم المترجم نبه عليه المؤلف ، فهو عندهم علي بن مسعود المكنى بأبي القاسم ، وجعل ابن القاضي في **درة الحجال والمنتقى المقصور** ابا القاسم اسماً له وعلياً اسماً لأبيه وهو ما رجحناه في كتابنا **اعلام المغرب العربي** 2 : 141 ع 419 لأن ابن القاضي معاصر له ومن ذوي العناية بمثل هذه الأشياء ، ومرة اخرى نستنكر الكنى التى تقترن باسماء العرب والمسلمين ، فانها احدثت فيها اضطراباً واوقعت المؤرخين في اغلاط وعرضتهم لمصاعب ومشاكل عند ارادة التثبت من الأسماء الحقيقية .

واخذوا عنه ، قلت وحلاه في المنتقى المقصور عند ذكر جلساء المنصور مرة بالفقيه القاضي ابى القاسم بن علي الشطيبي ، ومرة حين عدّ من عينه المنصور لشأن الرعية ممن يثق بنصحه لعباد الله المسلمين وفيه شفقة على امة محمد المسلمين ، حلاه بالفقيه الأجل القاضي الأعدل قاضي القضاة بالحضرة العليا من الديار المراكشية ، قاسم بن علي الشاطبي ، فجعل اسمه علياً من اسم والده ، وسماه مرة قاسماً وكناه ابا عبد الله ، ومرة ابا القاسم ، وطالت مدة قضائه بمراكش ، وكان يسمع الصحيحين بين يدي المنصور حتى كان يحفظه من كثرة التكرار له في رمضان .

وقال الفشتالي هو منبر المنابر والكراسي ، وله نظم وقصائد مدح بها المنصور ، ولد سنة ثلاث وثلاثين وتسعمئة ، وتوفي عام اثنين والف ، ودفن قريباً من ضريح ابي عمرو القسطلي نفع الله به ، وولي قضاءها بعده ابو عبد الله الرجراجي ، ترجمته في المطمح والصفوة والنشر وطبقات الحضيكي ، وكلهم سموه علي بن مسعود الشاطبي ، وخالفهم عصريه ابن القاضي كما رايت في المنتقى المقصور .

وقال في درة الحجال ايضا ما نصه : ابو القاسم بن علي ابن قاسم بن مسعود الشاطبي ، قاضي الجماعة بحضرة مراكش ، الفقيه الخطيب المدرس لصحيح البخاري بين يدي المخدوم مولانا احمد المنصور الشريف الحسني احسن الله اليه في رمضان ، كاد يحفظ صحيح البخاري من كثرة التكرار له في كل رمضان ، وله نظم امتدح به المخدوم ابقاه الله تعالى بمنه ، ولد سنة ثلاث وثلاثين وتسعمئة ، وترجم لولده احمد وقد نقلنا ترجمته في موضعها من الكتاب (169) .

---

169) ترجمة ابنه في 2 : 243 ع 205 من هذا الكتاب .

وينظر عن المترجم **درة الحجال** 3 : 284 ع 1359 **وطبقات الحضيكي** 1 : 167 **ونشر المثاني** 1 : 40 طبع الرباط .

1425) علي بن محمد الجزولي البكري

علي بن محمد ابن الولي الصالح علي بن محمد بن احمد بن علي بن يحيى الجزولي قبيلـة ، البكـري نسبة المجزوتي دارا ومنشأ ، الشيـخ العلامة الفقيه الأديب ، له مشاركة في العلوم ، وتفنن في فنون ، ادرك المشايخ واخذ عنهم ، ووجهه السلطان المنصور الى ملك الترك صاحب القسطنطينية العظيمة المعروفة عند الناس اليوم باصطنبول مع الفقيه الكاتب محمد بن علي الفشتالي ، وألف في رحلته تلك كتاباً سماه (التحفة السمكية ، في السفارة التركية) وصف فيه حاله ومن لقى وما لقي في ذهابه وايابه ، وما رأي وسمع من غرائب تلك البلاد ، وذكر زيارة ابي ايوب الأنصاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومشهده بالقسطنطينية العظمى وغير ذلك من الفوائـد ، وهو كتاب مفيد وقفت عليه ، وقد انتقيت منه فوائد .

توفي رحمه الله سنة ثلاث وألف بمراكش ودفن بروضة القاضـي عيـاض .

ترجمه في الصفوة والنشر والتقاط الدرر والحضيكي في طبقاته ، وقد طبعت رحلته المذكورة في صحائف 188 (170)

1426) علي بن احمد الصدفي من اصحاب سيدي الحسن بن عيسى المصباحي ، وقيل انما اخذ عن ولده ، وأيضاً عن سيدي يوسف الفاسي ولازمه وصحبه زماناً وخدمه .

توفي رحمه الله سنة سبع وعشرين وألف ، ودفن بمراكش ، ذكـره الحضيكي في طبقاته .

قلت الصدف حي من همدان ، والمترجم هو المراد بقول الحسن اليوسي في داليته في التوسل بصلحاء مراكش وغيرهم :

---

170) **التقاط الدرر** ص 4 نسخة مصورة خاصة ، **وطبقات الحضيكي** 2 : 248 **ونشر المثاني** 1 : 49 (طبع الرباط) **وصفوة من انتشر** ص 106

وعلي الصدفي ومَن بجواره في ذلك المغنى من الأفراد

ذكره بين التوسل بابن العريف والغزواني ، وهو صاحب الضريح بالرميلية من مراكش ، وهو بها مشهور الى الآن . والأمين الصحراوي لم يقف على ترجمته فلم يعرفه ، والامام سيدي المكي الناصري ذكر في رحلته انه الامام ابو علي الصدفي شيخ القاضي عياض ، فكتب عليه سيدي محمد الصغير اليفرني ما نصه : اقول هذا الصدفي هو ابو عبد الله الصدفي واسمه محمد ، وعنه اخذ ابن عليوات حديث المصافحة ، فاشتبه على الناس بالاشتراك ، انتهى ، وهو غلط ايضاً ، فالمترجم علي ، وهذا صاحب المصافحة محمد ، والصدفي صاحب المصافحة مُتقدم على المترجم ، والغلط لا يسلم منه أحد .

وشيخه سيدي حسن المذكور المترجم في المرءاة والدوحة والممتع وغيرهما اخذ عن الشيخ عبد الله بن محمد بن ابي عسرية المصباحي ، عن الشيخ عبد العزيز التباع ، وتوفي سنة ست وسبعين أو ثمانين وتسعمئة ودفن بالدعداعة على وادي مضا (171) من عمل القصر الكبير ، واما ولده فهو سيدي عيسى بن الحسن المترجم في الكتب المذكورة ، فقد اخذ عن والده المذكور وعن الشيخ محمد الطالب ، واليه انتسب ، توفي عام اثنين وثمانين وتسعمئة ، ودفن مع ابيه في الروضة المبنية لهما في الدعداعة .

1427) **علي بن محمد الشاوي** ، من اصحاب القطب سيدي محمد الشرقي المتوفى في اوائل محرم عام 1010 دفين جعيدان (172) من بلاد تادلة . وكان عنده ينقل الحطب على ظهره ، وبقي على ذلك مدة طويلة ، والشيخ في تلك المدة لم يرد البال حتى قيل انه لم يتكلم معه في تلك المدة ، فلما وقع للشيخ الظهور وانكسر عليه اهل مراكش ناداه يوماً فوجهه الى مراكش ، فلما دخل المدينة فعل شيئاً مما يستدعي الانكار عليه ، فقال له انت الرجل الذي بتادلة ، فلما سمع كلامه قال له ادن مني اتكلم معك ، فدنا منه الفقيه ،

171) هو الوادي الواقع خارج قرية سوق اربعاء الغرب من جهة الشمال الموجودة على ضفته اليسرى الملاحات .

172) هي قرية ابي الجعد .

فجعل يتكلم معه في العلوم ، وخاض معه في كل علم ، فلما رأى الفقيه ذلك وقع له العجب من جهة ان العباراة عبارة امي واللسان لسان أمي ، ومن جهة العلوم بحر لا ساحل له ، ثم ذهب الفقيه الى فقهاء البلد وخبرهم بذلك ، فشاع خبر الشيخ ، فبلغ السلطان احمد المنصور ، فعقد له مجلس المناظرة واجتمع عليه الفقهاء ، فجعل يتكلم معهم واحداً واحداً حتى افحم الجميع ولم يقدروا على مناظرته ، فسلموا له واعترفوا بالعجز له ، فعند ذلك قال هذا عبدُ مَن تنكرون عليه ، يعني به الشيخ سيدي محمد الشرقي رضي الله عنه ، فتابوا من ذلك ورجعوا الى الله عز وجل ، ودخل في قلوبهم حب الشيخ ، ويقال انه قال لهم هذا علم الأذواق لا علم الأوراق ، وكان هذا الرجل امياً لا يعلم شيئاً ، ولكن فضل الله يوتيه مَن يشاء سبحانه المتفضل المنان ، ذو العظمة والشان ، الذي يمن على من يشاء من عباده ، وانما ذلك عطفة من عطفات هذا القطب وزفرة من زفراته .

ذكره في المرقى .

1428) علي (ابو حسون) بن محمد السملالي .

علي بن محمد بن محمد بن الولي الصالح احمد بن موسى السملالي ، ابو الحسن ويقال ابو حسون المعروف بأبي دميعة بالسوس ، كان بدء امره انه لما ضعف امر السلطان زيدان بالصقع السوسي وفشل ريحه فيه نبغ هو ودعا لنفسه ، وجرّ نار الرياسة الى قرصه ، وتألبت عليه البرابر من بسائط جزولة وجبالها ، والتفت عليه غالب القبائل السوسية ، فاستولى على ردانة واعمالها الى ان اخرجه الفقيه يحيى بن عبد المنعم بعد حروب وفتن عظيمة حسبما مرت الاشارة اليه ، ولما توفي يحيى المذكور في التاريخ المذكور المتقدم صفا لأبي حسون قطر السوس ونفذ فيه امره ، وسمعت كلمته ، ثم بعد مهلك زيدان مدّ يده الى درعة فاستولى عليها ، ثم استولى على سجلماسة ونواحيها ، فاستحكم امره وتقوى عضده ، ولم يزل امره نافذاً في سجلماسة الى ان ثار عليه الأسد الصهور ، المولى مَحمد بن الشريف فاخرجه من سجلماسة بعد حروب يشيب لها الوليد ، ثم أخرجه من درعة

ايضاً على ما نذكره بعد ، وقد وقفت على سؤال رفــع من جانب ابى حســون الى القاضي عيسى السكتاني في شأن مدينــة ايليغ دار رياسته ومقر عــزه ، يستفتيه في احداث كنيسة لليهود بها هل يجوز ذلك ام لا ؟ وفيه مع ذلك بعض الكشف عن حال المدينة فلنذكره ونصه :

الحمد لله الذي ارتضى الاسلام ديناً ، ونزل على خيرة خلقه كتابــاً مبيناً .

الفقيه الأجل ، العلامة الأحفل ، القاضي الأعدل ، خاتمة المحققــين ، ومعتمد الموثقين ، ابا مهدي عيسى بن عبد الرحمان السكتاني وفقــه الله لما يرضيه ، واعانه على ما هو متوليه .

السلامُ عليكم ورحمةُ الله تعالى وبركاته .

وبعد فقد تقرر عند سيدنا امير هــذه الحضرة العليا العلوية ايليغ ادام الله بهجتها ، كما رفع على غيرهــا من الحواضر درجتها ، وانها محدثــة ، فتوفرت ببركة بانيها ، عمارتها ومبانيها ، فاتخذها مسكناً اهل السهــول والحزون ، وجمعت لطيب تربتها بين الضب والنون ، فنزلها برسم الاستيطان اوشابُ من اهل الذمة باذن مختطها الامام العالي الهمة ، فاختطوا بها عن اذنه منازلهم وبنوا بفنائها كنيستهم ، وصيروها متعبدهم ، فاتفق والحديث شجون ان جرى ببعض اندية علمائها ، ومحضر جمع من نبهاء البلدة وفقهائها ، كلام افضى بهم الى ذكر الكنيسة المذكورة ، والمجادلة في محصل الحكم الشرعي فيها في الدواوين المسطورة ، فأفتى بعضُهم بوجوب هدمها لأنها محدثة ببلاد الاسلام ، ولما في تركها من المفاسد العظام ، وانها لا تترك لهم متعبداً وحزم الكلام ، وقال هذا متحصل ما ذكره في مثل هذه القضية الأعلام ، وافتى فريق بجواز ابقائها وانه لا ينبغي تقويضُ بنيانها ، ولا التعرض لهم في احداثهــا ، اذ على مثل مَن هذا دينهم الفاسد اقروا واعطوا الذمة فاعطوا الجزية صاغرين ، ولم يرد منعُ اجتماع دينيـْن الا في جزيرة العرب ، وكم من بلد أسلامي محدث مشحون بالعلماء احدثت فيه ولم يقولوا بمنعه ، وتواطؤهم على تركها كالنص

والدليل على جواز احداثها وابقائها بعده ، واستمر الحجاج ، وكثر اللجاج ، ولم يقنعْ كل فريق بما ابداه الآخر من الاحتجاج ، فعطلت لذلك الى ان تفرقوا فيها بعلمكم النافع بين العذب والاجاج ، بفتوى تبين صحيح الأقوال من سقيمها ، وتفصل بين ليلى وغريمها ، ولولا محل النازلة من الدين ما رفعت اليكم ، فلذلك وجب الجواب عنها عليكم ، مع مسألة اخرى ، وهي انهم طلبوا ان تترك لهم بقعة يوارون فيها جيف موتاهم ، لأن مسافة ما بينهم وبين يفرن التي هي مقبرة قديمة لهم بعيدة ، هل يساعفون ام لا ؟ والله يبقيكم ومجدكم محروس ، وظل مَن استزلكم مكنوس ، والسلام .

الجواب

الحمد لله ، وعلى فقهاء بلادنا السوسية حرسها الله وأكرمهم باتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم السلام ورحمة الله وبركاته .

اما بعد فقد وقف كاتبُه عفا الله عنه على نازلة اهلَ الذمة النازلَيْن بايليغ مختط اولاد السيد البركة قطب بلادنا سيدي احمد بن موسى نفعنا الله ببركاته ، وبارك في ذريته وسددهم لما فيه رضاه ءامين ، ولما وقفت عليها وتأملتها رأيت ان الصواب فيها الفتوى بمنع احداث الكنائس فيها وبهدم ما بني فيها بعد احداثه ، لأن ايليغ من بلاد الاسلام ، ولا فيه شبهة لأهل الذمة الطارئين عليه باعتبار الفتح المعنوي ولا باعتبار الصلحي على الخلاف في المغرب باعتبار فتحه ، وحاصل امرها خفاء الحال فيها ، واذا كان الأمر هكذا فالحكم انها ملك لمدعيها الحائز لها ، والأراضي اقسام ، ارض الاسلام لا يجوز احداث الكنائس بها باتفاق ، ثم ان وقع شيء من ذلك هدم ، فان ملكوا الأرض التي بنوا فيها الكنيسة بوجه من وجوه التملك كالعطية وجب هدمها ونقضها ، ويكون لهم ما يسوغ من المنافع ، وان كان بناء الكنيسة شرطاً ردت العطية وفسخ البيع ان كان به لأنه في معنى التحبيس على الكنيسة ، والحاصل ان وجه دخول اليهود ايليغ معلوم ، وان بلده ملك الاسلام ، فبناء اليهود فيها الكنائس معصية ، وتمكينهم منه اعانة عليها ، وهذا لا يخفى ، واما الجواز والافتاء به في النازلة فبمعزل عن الصواب ،

والاستدلال على الجواز بحواضر المغرب وسكوت علمائها وموافقة امرائها لا يتم ، لأن اصل تمكينهم من الكنائس مجهول ، اذ يحتمل اموراً منها انه يحتمل ان يكون بعهد كان لهم في غير تلك البلاد من اقرارهم على بلد يسكنونه مع بقائهم على متعبداتهم ، ثم نقلوا المصلحة اقتضت ذلك ، وارجع ، ولأن البلاد تقدم فيها اليهود وغيرهم من اهل الصلح ، والحاصل ان وجه دخولهم مجهول في هـذه البلاد ، بخلاف ايليغ ونازلة ايليغ معلومة ، فبينهما بون ، فقياس احدهما على الآخر لا يصح ، وبالله التوفيق .

وكتب عيسى بن عبد الرحمان وفقه الله امين .

ولما علم المرابط بالحكم امر بهدمها ومنع اليهود مما ارادوه (173) .

/وكان استيلاؤه على سجلماسة سنة احدى واربعين والف باستدعاء المولى الشريف بن علي واستصراخه اياه على بني الزبير اهل حصن تابوعصامت اعدائه ، كذا في البستان ، فقدمها ابو حسون واستولى عليها ، وولي عليها عاملا من قبله ، ورجع الى مقره من ارض السوس ، وقال اليفرني في النزهة: كان ابو الأملاك المولى الشريف بن علي وجيهاً عند اهل سجلماسة وسائر المغرب ، يقصدونه في المهمات ، ويستشفعون به في الأزمات ، ويهرعون اليه فيما جل وقل ، قال وكان قد مرّ ذات يوم وهو صبي على الامام المولى عبدالله بن علي بن طاهر الحسني فسأل عنه اذ لم يكن يعرفه قبل ذلك ، فقيل له هو ابن المولى علي بن الشريف ، ففرح به ومسح على ظهره ، وقال ما ذا يخرج من هـذا الظهر من الملوك والسلاطين ، فعلم الناس ان ذلك كائن لا محالة ، لما يعلمون من صحة كشف سيدي عبد الله وصدق فراسته ، فكان المولى الشريف بعد ان كبر وولد له الأولاد يشيع ان هذا الأمر لا بد (راجع) الى (اهل) بيته ويكون لهم شأن عظيم ، اعتماداً على فراسة سيدي عبد الله بن طاهر رحمه الله ، ثم وقع بين المولى الشريف المذكور وبين اهل تابوعصامت ، وهي حصن منيع من حصون سجلماسة ، عداوة تامة ، فاستحضر عليهم ابا حسون السملالي صاحب السوس لصداقة كانت بينهما ،

173) كل ماتقدم منقول بالحرف من **الاستقصا** 6 : 78 ـ 81

واستصرخ اهل تابوعصامت اهل زاوية الدلاء ، فأغاث كل منهم مَن استصرخه ، والتقى العسكران معاً بسجلماسة ، لكنهما انفصلا على غير قتال حقناً لدماء المسلمين ، وكان ذلك سنة ثلاث واربعين والف ، ولما رأى اهل تابوعصامت ما بين المولى الشريف وابي حسون من الصداقة والوصلة مالوا اليه بكليتهم وخدموه بأنفسهم واولادهم ، واظهروا له النصح وصدق المحبة طمعاً في استفساده على المولى الشريف ، اذ كان ظاهراً عليهم به ، فلم يزالوا يسعون الى ان اظلم الجو بينهما واستحكمت العداوة وتوفرت دواعيها ، ولما رأى ابنه المولى مَحمد بن الشريف ذلك اهتبل الغرة في اهل تابوعصامت وخرج ليلا في نحو مئتين من الخيل مظهراً انه قاصد لبعض النواحي ثم كبسهم على حين غفلة وتسور عليهم حصْنهم ، فما راع اهلَ تابوعصامت الا المولى محمد في جماعته قد وضعوا السيف فيهم وحكموه في رقابهم ، فلم يكن عندهم دفاع ، واستمكن منهم واستولى على ذخائرهم وشفى صدر ابيه مما كان يجد عليهم ، ولما انتهى الخبر بذلك الى ابي حسون حمي انفه واشتد غضبه ، وكتب الى عامله بسجلماسة واسمه ابو بكر يأمره ان يحتال على المولى الشريف حتى يقبض عليه ويبعث به اليه حبيساً فامتثل امره ، وتقبض على المولى الشريف غدراً بأن تمارض ثم استدعاه لعيادته والتبرك به ، ثم قبض عليه وبعث به الى السوس ، فاعتقله ابو حسون في قلعة هنالك مدة الى ان افتكه ولده المولى محمد بمال جزيل ، وعاد المولى الشريف الى سجلماسة في خبر طويل ، وكان ذلك في حدود سنة سبع واربعين والف .

قال في البستان : واعطى ابو احسون المولى الشريف وهو معتقل جاريةً مولدة من سبي المغافرة كانت تخدمه ، قال وهي ام المولى اسماعيل واخيه المولى مهدى . انتهى .

ولست ادري ما مراده بهذا ؟ فان كانت الجارية نسيبة في المغافرة فهي حرة ، فيكون المولى الشريف قد وطئها بعقد النكاح ، هذا هو الذي يغلب على الظن بدليل ان السلطان الأعظم مولاي اسماعيل رحمه الله لما عزم

على جمع جيش الوداية قال لهم انتم اخوالي ، اشارة الى هذا الصهر كما سيأتي ، وان كانت مملوكة لهم ثم صارت الى ابي حسون فالوطء حينئذ كان بملك اليمين ، والله تعالى أعلم (174) .

وصاحب البستان كثيراً ما يجازف في النقل ويتساهل فيه ، فلا ينبغي ان يعتمد على ما ينفرد به من ذلك وبالله التوفيق .

الخبر عن امارة المولى مَحمد بن الشريف وبيعته بسجلماسة والسبب في ذلك

لما قبض ابو حسون على المولى الشريف وسجنه عنده كان ولده المولى مَحمد مجمعاً على اهلاك مَن بقي من اهل تابوعصامت واستئصال شافتهم ، وكان قد تقوى عضده بعض الشيء بما اخذ من اموالهم في الواقعة السالفة ، فاتخذ بعد تغريب ابيه الى السوس جيشاً لا بأس به ، وانضمَّ اليه جمع من اهل سجلماسة واعمالها ، وذلك سنة خمس واربعين والف ، وكان اصحاب ابي حسون قد اساءوا السيرة بسجلماسة ونصبوا حبالة الطمع في الناس حتى ملتهم القلوب وزرعوا بغض المملكة السوسية في قلوب الخاصة والعامة ، ومن عسفهم انهم كانوا قد ضربوا الخراج بسجلماسة واعمالها على كل شيء ،حتى مَن يجدونه في الشمس زمن الشتاء ، وفي الظل زمن الصيف ، وضيقوا على الناس حتى ازدرتهم العيون وملتهم النفوس ، فلما قام المولى محمد واجتمع عليه مَن ذكرناه ءانفاً دعاهم الى الايقاع بأهل السوس فأجابوه ، ووجد فيهم صاغية لذلك ، فاعصوصبوا عليهم وصرفوا عزمهم الى محو دعوة ابي حسون من بلادهم ، فثاروا بعماله للحين ، واخرجوهم عنها صاغرين بعد قتال شديد ، ثم اجمع رايهم على بيعة المولى مَحمد فبايعوه سنة خمسين وألف في حياة ابيه ، ووافق على بيعته اهلُ الحل والعقد بسجلماسة ، فاستتبَّ امره واستحكمت بيعته ، ووافقه القدر وساعده السعد ، وافتتح من ملك المغرب بابه . واذا اراد الله امراً هيأ اسبابه (175) .

---

174) هذه الفقرة منقولة بالحرف من **الاستقصا** 7 : 13 — 14

175) الفقرة المتقدمة منقولة بالحرف من **الاستقصا** 7 : 15

استيـلاء المولى مَحمد بن الشريف على درعـة وطـرده ابا حسـون السملالي عنها

لما تمت البيعة للمولى مَحمد بن الشريف وجمع الله سبحانه شمله بأبيه شمر لمضايقة ابي حسون السملالي واهل السوس ببلاد درعة ، اذ كانت تحت ولايته كما قلنا ، فنهض اليه في جمع كثيف ، ووقعت بينهما حروب فظيعة يشيب لها الوليد ، ثم انقشع سحاب تلك الفتنة عـن انتصـار المولى محمد وانهزام ابي حسـون وفراره الى مسقط راسه مـن ارض السوس ، فاستولى المولى محمد على درعة واعمالها واتسعت وتوفرت جموعه وعظمت جبايته ، وطار في بلاد المغرب صيته (176).

وقد قدمنا ان ابا حسون السملالي كان مستولياً على بلاد السوس ، فاستمر حاله على ذلك الى ان توفي سنة سبعين والف ، وكان رحمه الله لين الجانب محمود السيرة موصوفاً بالعفة متوقفاً في الدماء ، خلفه ولده محمد بن ابي حسون فلما كانت سنة احدى وثمانين والف غزا المولى الرشيد رحمه الله بلاد السوس فاستولى على ردانة رابع صفر من السنـة ، واوقـع بهشتوكـة فقتل منهم اكثر من الف وخمسمئة واوقـع بأهـل الساحل فقتل منهم اكثـر مـن اربعة الاف ، واوقـع بأهل قلعة ايليغ دار ملك ابي حسون ، فاستولى عليها في مهل ربيع الأول من السنـة . وقتل منهم بسفح الجبل اكثر من الفين ، وصفا امر السوس للمولى الرشيد ، انتهى .

وكانت المبارزة بين ابنه السيد يحيى بن علي ومولاي الرشيد في راس جبل انتر قرب ابي نعمان بنحو ثلاث ساعات في الترهاب ، انتهى من تقييد عبد القادر التطواني (177)

---

176) هذه الفقرة منقولة بالحرف من **الاستقصا** 7 : 16

177) ينظر عن علي السملالي المترجم عدى **الاستقصا** المشار اليه في التعاليق السابقة كتاب **ايليغ قديماً وحديثاً** على الخصوص .

1429) علي بن محمد ابن المراكشي

علي بن محمد بن عبد الرحمان المعروف بالمراكشي الأقاوي الأصل ، من بني صالح بالسوس الأقصا ، حسبما اخبرتني به اخته الفقيرة للا عائشة وقد وافقها بعض الأئمة في ذلك مع انه رحمه الله لم يخبر بشيء من ذلك بعدما سألته ، وقد أخذت عنه العربية والفقه والفرائض والحساب ومختصر خليل غير ما مرة والألفية غير ما مرة ، وخدمته بنية صالحة خالصة مدة تزيد على عشر سنين بالزاوية البكرية ، ثم بعد انتقلت بشداشر الى شيخنا الامام اليوسي واعاهد شيخنا المراكشي وعظم قدره وخدمته وادعو له الى الآن والحمد لله ، وهو اخذ المعقول عن شيخنا القاضي احمد بن سعيد المجيلدي وعن الدلائيين وغيرهم ، له اجوبة حسان في الفقه ، وشرح على منظومة وجيزة شيخنا القاضي ابن سعيد المجليدي في التوقيت اجاد فيه ما شاء الله رحمه الله .

مات رحمه الله تعالى بمكناسة فجأة قيل بالوباء وقيل مطعوماً وربك اعلم بما هناك ، ودفن هناك رحمه الله بعشرة التسعين ، وهو اية في الحفظ وفهم الفقه واستحضاره ومشاركة في غيره من الفنون ، وقد تصدر للتدريس والافتاء بالزاوية البكرية بالجامع الكبير فقهاً وعربية وحساباً وفرائض وتوقيتاً انتهى من (قرى العجلان ، على اجازة الأحبة والاخوان) لأبي العباس احزي ، وسقط من قلم صاحب الدرر المرصعة اسم المترجم علي فجعله محمد بن عبد الرحمان ، والصواب علي بن محمد بن عبد الرحمان .

وقال في الصفوة في ترجمة المترجم مـا نصه : ومنهم الشيخ الفقيـه المحصل علي ابن المراكشي - كان رحمه الله فقيهاً مشاركاً مستحضراً لمسائل خليل بمنطوقه ومفهومه عارفاً بالحساب والنحو ، اخذ عن احمد بن سعيد المتقدم قريباً ، وحضر مجالس عبد القادر الفاسي في التفسير والحديث وغير ذلك ، واخذ علم القراءات عن الأستاذ سيدي احمد العرفاوي وعن شيخه ابن سعيد ايضاً ، وكانت له عارضة في الحفظ وفصاحة في التقرير ، ولي القضاء بالقصر مدة ، ثم ولاه السلطان الرشيد القضاء بتادلة فقام به احسن قيام ، وحمدت

سيرته ، وكان صلباً في الحق لا تأخذه في الله لومة لائم ، ووقع له (امر) مع خليفة السلطان المذكور بتادلة وهو احمد المعروف بالعبد بالبربرية وكان من اعظم الوزراء ووجوه الدولة ، فشكاه رجل الى صاحب الترجمة ، فبعث له القاضي ان يحضر مع خصمه فحضر ، فقال له اجلس مساوياً لخصمك بين يدي ، فدخلتْه نخوة الخلافة فتكبر عن ذلك ، فلطمه صاحب الترجمة بنعاله على وجهه ، وشتمه اقبح شتم ، فرفع الخليفةُ امره الى السلطان متظلماً ، فقال السلطان احببتني ان افتك بعالم من علماء المسلمين ، لوكان شرطياً مثلك هان علينا ان نفتك به ونرد في موضعه مَن اردنا فيقوم بالوظيف ، واما العالم فانه انما حصل العلم بعد مدة مديدة ، ومعاناة شديدة ، فان فتكنا به فلن نجد مَن يقوم مقامه ، ومع هذا فقد اصاب القاضي ، ووقع منا الموقع الذي لا مزيد فوقه .

توفي رحمه الله فجأة بمكناسة الزيتون ، سقط بباب المسجد اثر صلاة الظهر ليلة العيد سنة تسعين والف انتهى (178) .

قلت في السؤال التاسع من الأسئلة التي سأل عنها الفقيه احمد بن عبد القادر التاستاوتي علماء وقته ما نصه :

الحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله سئل كاتبه عن شخص حبس شيئاً على ان يصرف في سبيل الله في انواع الخير ، كرفد المحتاج واستضافة غريب وذي نسبة الاهية ، على ان النظر له فيه وعلى يده يكون صرفه في الوجوه المقصودة به ، وبعد موته يستمر على الحالة المقصودة من غير تقييد ،ويليه مَن تخلف مقامه ويهتم بذلك الأمر اهتمامه ، هل الحبس نافذ وماض ام هو لصفة الضد جائز ؟ فقلت مجيباً ومن الله استمد المعونة ، وعلى الله اعتمد في كفاية المئونة : ان الحبس ليس بجائز ولا نافذ لما اعتراه من الشرط المذكور الذي شرط تصرفه واجالة نظره ، قال ابن شاس في المختصر الكبير : لا يجوز للرجل ان يحبس ويكون هو ولي ذلك ، وقال ابن المواز : لو شرط في حُبُسه انه يلي ذلك لم يجزه له ابن القاسم واشهب ، وقد اعتمد ذلك صاحب المختصر مشهداً

---

178) صفوة من انتشر ص 191

له قائلا : وعلى ان النظر له مما يبطل به الحبس ، وايضاً اذا كان ابن القاسم واشهب اذا شرط المحبس ان يأخذ من الناظر على حُبُسِـه مستفاده ويصرفه في مصارفه بعدم الجواز والبطلان فمن باب اولى واحـرى نازلتنا لانتفـاء الناظر فيـه وتخريج قول فيها من قول مالك بالجواز في هذه في غايـة البعد ، والله اعلـم .

وكتب علي بن محمد المراكشي لطف الله به

ولمـا اوقفت عليها صاحبنا العلامـة سيدي المهـدي الوزاني كتب ما نصه :

الحمد لله ، الحبس اعلاه صحيح از حمله الثلث بعد وفاته ، والا فينفذ منه ما حمله الثلث لقول محبسه وبعد موته يستمر على الحالة الموصوفـة الخ ، ولا شاهد في تلك النصوص اعـلاه ، لأنهـا فيمن حبس في حياتـه فقط ، تاملْـه .

قال في البهجة : اي في التنبيه الأول عند قول التحفة : والحوز شرط صحة التحبيس البيت ما نصه : ومثلـه من حبس في صحتـه او وهب فيها ، وقال ينفذ بعد الموت او قال هبـة صرفها مـن ماله حيي او مـات فان ذلك يكـون في الثلث أن كـان الموهوب او المحبس عليـه غير وارث ، قالـه في الوثائق المجموعة ، ومثله في حاشية الرهوني وتبعناهما في حاشية التحفة ، وليست هذه نازلة غمارة ، والسلام عليكم ورحمة الله .

وهذا غلط واضح لأن مسألة السؤال اراد انه حبس من الآن قبل وفاته ، وشرط النظَر فيه لنفسه ، وهـذا مبطل لـه قطعاً ، لأنه لا يخرج مخرج الوصية الا اذا كان حبس في صحته ، واوقف ذلك على موته ، او قال غلة داري صدقه في المساكين ، انا افرقها عليهم ، وهي في يدي [illegible] وهو صحيح سوى يوم قال هذا القول وقال فان اراد احد من ورثتي من بعدي ان يردها فهي وصية من ثلثي تباع فيعطى للمساكين ثمنها ، وقال فـي المدونة ذلك نافذ .

وقال ابو علي في حاشيـة التحفـة مـا نصـه : وكان شيخنـا العالم الأظهر ، والقاضي الأشهر ، سيدي علي المراكشي اذ اتاه مَن يعرف بخط يقول له اكتب بيدك في رحمته ، ان هذا خط فلان وضع علامتك على ذلك ، ووالله لقد نصح المسلمين في هذا غاية ، وذلك ان الشاهد ربما لقلة دينه وحرصه على الاجازة يقول هذا خط فلان وان لم يتقنْه ، فاذا ظهر انه غير خطه انكر ان يكون هذا المعرف به ، والقاضي قد ينسى مَن عرف ، وربما غره او مات ، وان لم ينس ولم يمت ولم يعزل انكره المعرف ، فيتحير القاضي وربما نسب لما لا ينبغي ولا يتأتى شيء من هذا ان كتب ما ذكر بخطه ، وقد فعلنا هذا حين ولايتنا ، نزجر العدول فخافوا وعادوا يحتاطون في التعريف غاية . انتهى المقصود .

قلت اظنه المترجم ، وقد ترجمنا لسيدي عبد الســلام بن علـي المراكشي ، وترجم في الدرر المرصعة لسيدي عبد الكريم بن علي بن محمد بن علي بن عمرو التدغي الأصل الدرعي الدار ، قال اخذ عن العلامة سيدي علي الشهير بالمراكشي ، قال اخـذ عن العلامـة سيدي علي الشهير بالمراكشي الشهير بالمراكشي واليوسفي . انتهى.

وقال في التذكرة ما نصه : سيدي علي المراكشي عام 1090 قلت وهذا غاية الاجحاف الذي لا يستفاد معه في الوفاة شيء ، والذي اوقعه في ذلك ما في النشر ايضا في ذكر مَن توفى عام تسعين وألف قال : وتوفي الفقيه سيدي علي المراكشي بمكناسة الزيتون فجأة ، سقط بباب المسجد آخر صلاة الظهر ليلة العيد .

1430) **علي المراكشي** الفقيه العالم العلامة الصوفي ، من اصحـاب الشيخ سيدي علي بن عبد الرحمان وسيدي محمد بن ناصر الدرعيين .

توفي بمراكش وقبره بها مشهور ، هكذا ذكر في دوحة البستان .

1431) علي بن عبد الرحمان الدرعي

علي بن عبد الرحمان بن احمد بن يعقوب بن صالح بن علي الدرعي ، الغوث الحافل الصوفي الباهر ، النجم الزاهـــر ، صاحب الاشارات العليـــا والعبارات السنية ، والحقائق القدسية ، والأنوار المحمدية ، والاسرار الربانية والهمم العرشية ، منشيء معالم الطريقة بعد خفاء آثارها ، ومبدي علوم الحقيقة بعد خبو انوارها ،قطب السالكين ، وحامل لواء العارفين ، شيخ الأشياخ الأعيان ، والده رحمه الله كان ولياً صالحاً زاهداً ورعاً ، وكذلك جده احمد ، فهو من ذرية الصالحين خلفاً عن سلف ، ومناقب اجداده كثيرة يطول ذكرها .

ولد المترجم لاثنتي عشرة ليلة خلت من جمادى الاخرى عام ثمانية عشر بعد الألف ، وكان منشؤه بوادي درعة حرسها الله ، من خميس مزكيطة ، وبها تربى وقرأ القرآن ، ثم هاجر منها لقراءة العلم الى الزاوية البكرية الدلائية .

كان رضي الله عنه ربعة للطول ، معتدل القامة ، جميل الوجه ، أكحل العينين ، قائم الأنف واسع الصدر ، رقيق الأطراف ، احمر اللون ، يميل الى البياض كثيراً كثّ اللحية وافرها ، يعلوها شيب ، معتدل الأعضاء عذب المنطق ، لين الجانب ، حسن الهيأة كريم الأخلاق ، وكان رحمه الله ورضي عنه قد نشأ في طاعة الله محافظاً على الشريعة من صغره الى كبره ، ورأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام يمسح على جسده ويدعو له ، ومعه صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ، وهو اذ ذاك ما زال يذهب الى المكتب ، ثم اعطاه في زمان الصبا سيدي عبد الله بن الحسين الدرعي رمانتيـْن او ثلاثا وأمره ان يأكلهن ، ثم بعد ذلك وقف عليه الخضر عليه السلام فاطلعه على اسرار منها ان كل مَن أكل من ذلك الرمان كان من اهل جملة امداده ، ثم رأى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقسم بحراً من بحور الامداد ، فولاه قسمة وحظاً وافراً ، وخرج في ابتداء امره لزيارة الصالحين ، ووصل الى السوس الأقصا وزار سيدي احمد بن موسى ، ولقي الزاهد سيدي محمد السوداني وقرأ عليه ما تيسر من العلوم ، وخدم داره وظهر عليه خير كثير ، ثم زار الشيخ أبا

يعزى فنام فرأى الشيخ أبا يعزى قد خرج من قبره وناداه فقربه من الناس حوله ، واخرج له شيئاً من التمر وأمره بتفريقه على الناس ، فقال له انه قليل ، ثم فرقه عليهم الى ان استكفى الناس وبقي له حظه ، ثم أمره بالانصراف الى الزاوية البكرية ، ثم مكث فيها مدة فانصرف الى اقرض فحل يقرىء الطلبة والصبيان ويصلي بالناس ، الى ان سمع خبرَ الشيخ سيدي محمد بن محمد بن الحسن الدادسي الوزغتي نسبة الى واوزغت بفتح الواو الأولى وكسر الثانية وفتح الزاي وسكون الغين وهي بازاء جبل يسمى غنين ، ثم كاشفه عما فعله معه الشيخ ابو يعزى ، ثم وقع في قلبه انه لا يأخذ الطريقة حتى يرى النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم كاشفه بذلك أيضاً ، فرأى بعد سنة انه ادخله على النبي صلى الله عليه وسلم في روضة خضراء بعد الاستيذان ، فلما رأى وجهَ رسول الله صلى عليه وسلم غشي عليه من نوره فستره بردائه صلى الله عليه وسلم الى أن افاق ، فقال له صلى الله عليه وسلم ياعلي هكذا تعيش وهكذا تموت وهكذا تبعث .

وممن لقي بدرعة الصالح الزاهد الشيخ احمد بن ابراهيم من اصحاب الشيخ عبد الله بن حسين الدرعي ، ثم لازم المترجمُ شيخَه الدادسي المذكور سنين الى ان توفي رحمة الله ، فورث عنه سره ، وظهرت له كرامات واحوال وامدادات ، وقصده جماهير الناس وانتفعوا به وشدت له الرحال من الحضر والبوادي ، وزاره العلماء واخذوا عنه ولازموه ، واشتهر أمره ، وبعد اربع سنين من موت شيخه المذكور وقف عليه في النوم وقال له قم ارفع امر المسلمين وهدده بالسلب ان لم يفعل ، ثم وعده بأنه يرى النبي صلى الله عليه وسلم يقظة فكان كذلك ، وامره صلى الله عليه وسلم بما امره به شيخه .

وكان المترجَمُ رضي الله عنه واسعَ الأخلاق حسن المعاملة ، لا يعاشر احداً الا الفه ، وكان اذا وعظ الناس بكى ، وكان كثير الرحمة على عباد الله تعالى ، كثيرَ اطعام الطعام ، مُقبلا على الله في جميع الحالات ، وقال مرة لأصحابه : الزيارة مستحبة للمريد ، والصلاة فرض على كل مومن ، وكيف تتركون الواجب وتتبعون اهواءَ انفسكم ؟ وربما اطعم في الليلة الواحدة

سبعـة عشر الفاً ، وكـان الغالبُ عليه الحياء ولا يريـد لنفسه مزيـة على مخلوق ، وكـان كثير البكاء والرحمة ، واكثرُ احواله البسط ، وقـد شهد له علماء وقته كالشيخ الامام سيدي عبد القادر بن علي بن يوسف الفاسي ، والشيخ سيدي احمد بن عبد الله معن ، وفيه يقول تلميذه سيدي احمد بـن محمد ابن عطية من قصيدة له :

قـد كـان ناصحـاً جميع الخلـق ... ولـيـس يـهـتـمُ بأمـر الرزق
مقتـفـيـاً طـريقـة الأخـيـار ... السالكيـن منهـج المختـار
بسنـة النـبـي مـع الـكـتـاب ... يـدعـو التـلاميـذ بـلا ارتيـاب
مهمـا اتـاه سائـل جـدواه ... يحضـه على رضـا مـولاه
يأمـره بالـذكـر والصـلاة ... على النـبـي شافـع العصـاة
وطلب الغفـران والتسبيـح ... كمـا اتـى في الخبـر الصحيـح
وحفظ الأوقـات مـع الخشـوع ... مـع السكينـة مـع الخضـوع
وحب الأشـراف والأوليـاء ... وكـل عـالـم بـلا امتـراء
وبـالـتـهـجـد وبـالـقـيـام ... مـع التـنـفـل مـع الصـيـام
قـد كان سهـلا ليناً عطوفـاً ... ويرحـم المسكيـن والضعيفـا
مـن غيـر سمعـة ولا ريـاء ... لا يقبـل المـدح مـع الثنـاء

وطريقةُ المترجم رضي الله عنه شاذلية ، اخذ منهـا الحظ الوافـر ، وجمع بين آداب الباطن والظاهـر ، اخـذ اولا عـن سيدي ابي يعـزى مناماً ! وعن سيدي عبد الله بن الحسين الـدرعي المجروتي ، وعـن تلميذه سيدي احمد بن ابراهيم ، ثم عن الشيخ سيدي محمد الدادسي المترجم في الممتـع مـن اصحاب سيدي عبد الله الهبطي ، والشيخ سيدي عبد الله ابن حسـون ، وابي بكـر الدلائي ، وممن لقي المترجم الولي الصالح سيدي الصغيـر ابـن المنيار من ذريـة سيدي علي بن ابراهيـم دفيـن قرض فحل ، والشيخ سيدي عبد العزيز بن موسى البوقـُماري بضم القاف المعقـودة وتشديد الميم دفين تانغملت ، اخذ موسى والده عـن سيـدي سعيد بن علي السوسي الهشتوكي دفين ووزغت ، عن سيدي عبد الله بن حسين دفين مصلوحة ، ولقي ايضاً الشيخ

سيدي عبد الحق وسيدي محمد بن ابراهيم وسيدي عمر بن ابي القاسم الدرعي وسيدي محمد السوداني وسيدي عيسى السوداني والشيخ سيدي عبد القادر المكنى ذو المرستان ، زاره رضي الله عنه بمراكش ، وغيرهم لأن جميع مَن كان في وقته زاره وانصرف اليه .

ومن كلام المترجم رضي الله عنه قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : الأولياء كلهم يأخذون او اخذوا عن فلان عن فلان الا انت فمني اليك ! ومن رسالة له كتبها لسيدي عبد القادر الفاسي : وما يذكرون لهم من انقطاع شيخ التربية وبقاء شيخ الهمة فذلك تشغيب على عوام المسلمين ، اذ لا وصول الا بشيخ التربية ، وما علموا على تسليم بقاء مضمون تلك المقالة نسخا الى زماننا هاهنا ، لأنه لا فرق في التوصل الى الله بين شيخ التربية وشيخ الهمة .

وله رضي الله عنه اوراد واحزاب واذكار وسبع زوايا ، الألى التي بها ضريحه ، والثانية بمراكش ، والثالثة برباط الفتح ، والرابعة بمكناسة الزيتون ، والخامسة بتطوان ، والسادسة بالتسول ، والسابعة بفاس الادريسية ، فزاوية مكناس يقرأ فيها اصحابه وظيفة الشيخ زروق ، وزاوية فاس يقرأون فيها اوراد سيدي رضوان الجنوي ، ومن أوراده الحزبُ الكبير ، والمسبعات ،ووظيفة المغرب عنده اولها حزب الفلاح للشيخ الجزولي ، ثم سيد الاستغفار ، ثم ذكر الشيخ عبد القادر الجيلاني ، ثم صلاة حضرة الأسرار ، ثم الصلاة المشيشية ، ثم الفاتحة مرتين ، الى غير ذلك . ووظيفة الصبح حزب الفلاح ايضاً ، ثم المسبعات العشر ، ثم الحزب الكبير ، وغير ذلك .

ومن كراماته رضي الله عنه ما اخبر به سيدي منصور بن عبد الرحمان الدرعي قال : قدمت لزيارة الشيخ مع جماعة من اهل مراكش وكان بعضُهم يريد تعجيز الشيخ بصبي كان معهم يده مشلولة ملتصقة بذراعه ، فلما وصلنا اليه وجلسنا بين يديه قالوا ياسيدي ان لنا صبياً مشلولة يده ، وأبى الله ان يبرئه ، فأخذ الشيخ بيد الصبي فأدخلها تحت ردائه ودعا الله تعالى

ومسح عليها الى ان اخرج الصبي يده من تحت ردائه وليس بها داء ، وامر الصبي ان يطعم الناس باليد التي كانت مشلولة ، ومنها ان الفاضل سيدي الحاج أحمد المراكشي صنع طعاماً قليلا ، وكان لحق بالشيخ نحو سبعة آلاف ، فدعا الله تبارك وتعالى بالبركة فكفاهم ، ومنها انه سأله مرة هل عندك ما يأكلون ؟ فقال بقي سبعة وعشرون خبزة ، فأتاه بها مع مقدار اثني عشر رطلا من العسل ، فكفى ذلك كلٌّ من حضر . ومنها ان العلامة اليوسي مرَّ بقبيلته فنزل الى الشيخ ومعه العالم العلامة سيدي علي المراكشي رضي الله عنه وهما متوجهان لوادي درعة بقصد زيارة فريد عصره وقطب زمانه العالم العامل ، سيدي محمد بن ناصر رضي الله عنه ، فقال سيدي علي المراكشي لسيدي الحسن اليوسي لابدَّ لنا من زيارة هذا الرجل ، يعني الشيخ ، فقال له ان له قوة لا طاقة لنا بها ، فجدَّ بنا السير ، ثم اجابه بعد ان امره بامساك لسانه ، فلما وصلنا اليه جلسنا بين يديه ، فتكلم سيدي علي المراكشي مع الشيخ في مسائل ، فأجابه الشيخ عنها وسيدي الحسن اليوسي يشير لصاحبه ان اسكت ، فأبى ، ثم بعد ذلك قال له : ياسيدي انا لنرى بعض الناس يقولون بهم حال ، وما ادركنا ذلك ، فأردت ان تكشف لي عن ذلك حتى اراه ، فقال له الشيخ ياسيدي علي لا تطيق ذلك ، فقال لا بدَّ ياسيدي من ذلك ، فأعاد عليه الشيخ ذلك مراراً فأبى ، فقال له الشيخ ادْنُ مني ، فدنا منه فكلمه في اذنه شيئاً خفيفاً ، فما ازال فمه من اذنيه حتى اخذه حال لم يملك معها نفسه ، ولايعقل ما يفعل ، حتى رمى بثيابه وعمامته ، وجعل الشيخ سيدي الحسن يتشفع للشيخ رضي الله عنه ويطلب منه ان يرد عليه حاله ، فقبل منه ، وقال رضي الله عنه ايتوني به ، فأتوه به فتكلم له في اذنه كالأولى فسكن حاله .

ومنها ان رجلا من الفقراء من اصحاب الشيخ رضي الله عنه كان بمراكش ، وكان يوماً جالساً مع الفقراء هناك ، وحضر هناك مشمش في غير ابانه ، فأخذ منه واحدة واستحسنها ، وقال تمنيتُ هذه المشمشة لأخينا سيدي فلان (179) من فقراء مكناسة الزيتون ، فقال له احدٌ من الفقراء الحاضرين

---

179) هو سيدي الحسن المنوني المكناسي كما سيأتي .

ارمها له ، قال فرمى بها ، وقال لها سيري ببركة الشيخ ! قال فمشت المشمشة في الهواء ولم تنزل ، فقيدوا ذلك اليوم والوقت ، وكان ذلك الفقير خارجاً من باب المدرسة العنانية من مكناس ، فاذا بالمشمشة درجت بين رجليه في غير وقتها ، قال فرفعها ، وبقي متعجباً من ذلك ثم قيَّد ذلك اليوم والوقت وبقي الى ان اراد الله باجتماعهم بعد ذلك ، فسأل الرامي المرميَّ له بها عَنها فأخبره بوصولها ونظروا الى التاريخ فوجدوه في يوم واحد في وقت واحد بعينه ، فهذا كله من بركته (180) .

ومن كلامه رضي الله عنه : اذا اراد الله صلاحَ الزمان غلب الصالحون الطالحين ، واذا اراد الله فسادَ الزمان غلب الطالحون الصالحين .

وكراماته رضي الله عنه لا تعدُّ ولا تحصى .

وله تلاميذ عديدون ، فمنهم اخوه العالم سيدي عبد الرحمان دفين سيدي ابي نافع من فاس الجديد ، واخوه الفقيه سيدي منصور بن عبد الرحمان ، والعلامة سيدي محمد بن العالم سيدي محمد الرباطي العكاري ، واخوه العلامة سيدي الحسن ، والعلامة سيدي محمد بن عبد الله الدادسي ، والعلامة سيدي احمد بن يعقوب الولالي دفين مكناسة بزيتون المتوفى عام 1128 ، والعلامة سيدي الحسن اليوسي ، والعلامة سيدي سعيد الحنصالي دفين ووزغت ، والولي سيدي علي الجزولي دفين روضة ابن المرحل عن يمين الخارج من باب الجيسة ، والمجذوب احمد السفياني المدعو العجالي دفين زقاق الرمان من فاس الجديد ، والولي عبد الرحمان التواتي دفين خارج باب الجيسة منها ، والعلامة سيدي سعيد بن محمد انبوزيدي الحسني دفين سيدي ابي زكرياء بوادي ام أربيع من تادلة عام 1098 ، والولي الصالح الكوكب اللائح ، العارف بالله تعالى ، الغوث الرباني ، المكاشف الصمداني ، قريب الصرخات ، صاحب الفتوحات ، والمغيث عند الكربات ، سيدي عبد الله بن عبدالله الحوشي الرباطي المتوفى ليلة الجمعة الرابع عشر من صفر عام 1103 ودفن برباط الفتح بازاء زاوية الشيخ التي هناك ، وعليه قبة متقنة ، وقد زرته حين كنت

---

180) عفا الله عن المؤلف ، ما كان اغناه عن ايراد هذه الخرافات التي هي اشبه بحكايات الحشاشين ومتعاطي المخدرات والمصابين بالأمراض الزهرية .

بالرباط في رجب عام 1330 ، والفقيه سيدي عبد الله سكلانط الرباطي دفينه عام 1134 ، والولي سيدي مَحمد بن احمد المغزازي دفين قرب تمجت ، والعالم الصالح سيدي محمد بن عبد العزيز التواتي دفين ووزغت ، والولي الصالح سيدي يعقوب التواتي دفين تمجت ، والعارف علي بن عبد الله الملالي الخداشي ، والولي احمد الدراوي دفين مكناسة الزيتون ، والفقيه الزاهد سيدي محمد ابن ابي القاسم الحسني البوكيلي الصومعي دفين احواز تادلة من ناحية الصومعة ، والعالم العارف سيدي محمد ابن عطية السلوي الأصل الأندلسي النسب الفاسي الدار والمزار مؤلف سلسلة الأنوار دفين الحبيل من الرميلة من فاس بازاء روضة سيدي علي الحارثي الشيظمي ، ومنهم الناسك سيدي الحاج العياشي البدوي ، والعلامة علي ابن علوش التطواني ، والولي احمد القسطنطيني ، والفقيه سيدي يعقوب المعداني ، والفاضل احمد الفشتالي ، والولي علي الملقب بالجب دفين تمجت ، والولي سيدي العربي بن عبد الله الشريف الشبيهي ، والفقيه محمد الخيار دفين فاس ، والولي الحسن المنوني دفين مكناسة الزيتون ، وهو الذي رمى له فقراء مراكش بالمشمشة منها ، والفقيه العالم الأوحد سيدي عبد الوهاب ابن الأزرق المراكشي دفين ثغر أزمور رحمه الله تعالى ، والعالم سيدي عبد الله الجابري دفين الصومعة ، والعلامة سيدي سعيد الرجراجي دفين الصومعة ، والفقيه الأجل ، العالم الأفضل ، سيدي العربي المزوار المراكشي دفينها رحمه الله ، ومنهم الفقيه العالم العلامة الزاهد سيدي منصور المراكشي وبها توفي رحمه الله تعالى وقبره بها مشهور ، ومنهم الفاضل الأجل الصالح المبارك سيدي الحاج عمرو المراكشي خديم الشيخ وامينه وملازمه ، كان رحمه الله عند الشيخ اميناً على الطعام وداره معدة للضيفان الواردين رحمه الله تعالى ، والفقيه الأجل ، العالم العلامة الأفضل قاضي الجماعة سيدي محمد بن علي المراكشي رحمه الله ، ومنهم الفقيه العالم العلامة الصوفي علي المراكشي وبها توفي وقبره بها مشهور رحمه الله تعالى ، والعالم الصالح محمد البوعصامي المكناسي وبها توفي ، والعالم سيدي العربي الفلالي ، والعلامة سيدي عبد الله بن زيان المديوني ، والفقيه العالم الأستاذ المقرىء سيدي محمد بن أبي زيان وابن عمه سيدي العربي بن أبي زيان ، والعالم سيدي

محمد بن سليمـــان البوعناني دفين داخل باب الجيسة ، وولده العلامــة محمد دفين والده ، وابنه العالم محمد العربي دفين والده وجـده ، والفقيه مـولاي محمد العراقي دفين مطرح الجنة ، والناسك مولاي عبد العزيز الطاهري ، ومؤلف التحفة المرابط الخير الأرضى الناسك المحب الديّن الأبر الحجاج الشيـخ سيدي احمد العلمي ، والعلامة سيدي محمد بن ناجي دفين سيدي مجبر بقرب باب السبع احـد أبواب فاس الجديـد ، والعلامـة سيدي احمد بـن محمد الأنصاري ، وسيدي محمد المريني ، وغيرهم ممن لا يُحصى ولا يُعد ، فقد بلغت تلاميذه نحو ثمانين ألفاً !

ومن كراماته رضي الله عنه انه لما حضرته الوفاة اوصي بحمله الى تمجت ، وكان بموضع يقال كنين ، فحملوه لوادي ام الربيع بقـرب سيـدي زكرياء ، فلما حملوه على بغلته انطلقت به مسرعة حتى لا يكاد يدركها احد الى انبلغت منزله ، فوقفت (181) .

توفي رحمه الله بين السحر والفجر ليلة احدى عشرة خلت من ربيع الأول سنة احدى وتسعين وألف عن ثلاث وسبعين سنة ، فدفن بمنزله بتمجت من تادلة ، وقبره بها مشهور ، وهو مزار للواردين ، وقد مدحه جماعة مـن اصحابه علماء وعامة ، منهم العلامة سيدي محمد العكاري وسيدي محمد بن عبد الله الدادسي ، واحمد الحلبي ، مطلعها :

عـرجْ بتادلـة الهضـاب الـــورد   وانخ مطايـا العزم عند الفـد فـد

وصنوه احمد ، وعلي علوش ، والفقيه الأديب محمد بن الفقيه برادة ، ومؤلف تحفة الزمان المتقدم ، واحمد بن محمد ابن عطية ، والأديب البليـغ احمد بن محمد بن علي عمور ، وذكر فيها اوصافه الجميلة ومولده ووفاته ، مطلعها :

ابـو حسـن مـحـلُّ المكرمـات   همـامٌ في الحيـاة وفي الممـات

الى ان قال :

---

181) الله اكبر !

سقى البـاري ثـراه ، الأ تـــراه　　محـل الخيـر محفوظ الجهـــات
تزايـد وهو في خير وبـر (182)　　وقد اخفيت تاريخ الوفـاة (183)
جليل (184) عاش محمود المزايا　　ومـا ادراك مَن شيـخُ النحـــاة

ومن كلام الشيخ المترجم رحمه الله : لو يعلم الزائر مـا في الزيارة لجعل الزائر عمره كله زيارة ما لم يطلب الدنيا !

وقد ذكر المترجم غير واحد من اهل (الاعتناء) ، منهم تلميذاه احمد الولالي في مباحث الأنوار ، واحمد العلمي في تحفة الزمان ، والفاضل البارع المطلع الشريف سيدي محمد بن علي بن محمد بن علي بن احمد بن محمـد الحسني المنالي الزبـادي الفاسي مؤلف سلـوك الطريـق الواريـة ، في الشيخ والمريد والزاوية ، وقد ترجم فيه أيضاً لسيدي علي بن عبد الرحمـان وهو صنو سيدي عبد المجيد المنالي صاحب الرحلة ، الف في مناقبه دوحة البستـان ونزهـة الاخوان في مناقب الشيخ سيدي علي بن عبد الرحمـان ، وقـد شرع فيجمعـه من التقاييـد يوم الجمعـة اول صفر الخير عـام 1179 وهو في تسعـة ابواب ، الأول في التعريف بـه وبمولده وصفتـه ، والثاني في ابتداء أمره وسيرته وءادابـه واحواله ، والثالث في طريقتـه وعمن اخذها من المشايخ ومَن لقي منهـم ، والرابـع في بعض كلامه واجوبتـه ورسائلـه وادعيته ، والخامس في ذكر زواياه وما اشتملت عليـه طريقتـه من اوراده واحزابه واذكاره ، وما فيها من الأسمـاء والدعوات والحضرات وحلق الذكـر وفضائل ذلك ، والسادس في ذكر كراماته ومكاشفاته نوماً ويقظـةً في حياته وبعد مماته ، والسابع فيمن اخـذ عنـه وانتفع على يده من العلمـاء وغيرهم ، والثامن في وفاته ومدة حياتـه وعلى كم توفي من المريدين ، والتاسع فيمـا قيل فيه من الشعر منظومـاً وملحـوناً في حياته وبعـد مماتـه ، وختمه بخاتمة

182) كتب فوق كلمتي (خير وبر) في الأصل رقم 1018 وهو يشير الى تاريخ ميلاده .

183) كتب فوق كلمة (قد) بالأصل 1091 وهي سنة مماته

184) كتب فوق (جليل) بالأصل 73 وهي عدد السنين التي عاشها .

الخير والسعـادة ، مـن الكتاب والسنـة مستفادة ، للذين احسنوا الحسنى وزيادة ، وما ذكرته في ترجمتـه قد لخصته من هـذا الكتاب ، وعرف به ايضاً في تأليفـه سلوك الطريق الوارية عند ذكـر الطائفـة الثانية مـن الطوائف الاحدى عشرة التي ذكرهـا في الكتاب ، الأولى الطائفـة العيساوية ، والثانية طائفـة سيدي علي بن عبد الرحمـان المترجم ، والثالثة التهاميـة الوزانية ، والرابعة اصحاب سيدي محمد ابن الفقيه ، والخامسة اصحاب سيدي احمـد السوسي دفين مراكش ، والسادسة اصحاب سيدي محمد الحفني المصري ، والسابعة اصحاب سيـدي الحسن السفياني دفين فاس ، والثامنـة اصحاب سيدي احمد بن عبد الصادق الفيلالي ، والتاسعة اصحاب سيدي علي ابن حمدوش دفين جبل زرهون ، والعاشرة اصحاب سيدي ابي القاسم الغـازي ، والحادية عشرة اصحاب سيدي احمد بن ناصر .

وممن ترجمه ايضاً الحضيكي في طبقاته قال : وله كرامات ، كان ولد ابن شقرون المراكشي اشل اليد معوجها لا يحركها من لدن ولـد ، فحُمل الى الشيخ فأخذ يد الصبي تلك وادخلها تحت ثيابـه فأخرجهـا وقـد زال شللهـا واستقام اعوجاجهـا ، والناس ينظرون وصاحوا بالتكبير ، فاعتراهم حال عظيم لما راوا ، والحكاية فاشية ، انتهى المقصود ، وقد تقدمت بابهام مَن وقعت له (185) .

وذكر في نشر المثاني في ترجمة المترجم سطرين ، وجعل وفاتـه عام1092 قال فيمن توفي لـدى عام اثنين وتسعين والف : ومنهم علي بـن عبد الرحمـان الدراوي نزيل تادلة ودفينهـا ، وعليه بهـا مزارة ، ذكـره سيدي احمد بن يعقوب في مباحث الأنوار ، ونسب له مسائل عظيمة (186) .

وممن اطال في ترجمته واطاب صاحب الصفوة ، قال في صحيفة 184 : ومنهم الشيخ الكامل ، صاحب الأحوال الخارقة ، والفراسة الصادقة ، ءاخر

185) **مناقب الحضيكي** 2 : 237

186) **نشر المثاني** 2 : 75

مَن اظهر الله على يده خرق العوائد ، وشنف الأسماع من كلام الصوفيـة فجرى بجواهر الفوائد ، الامام علي بن عبد الرحمان بن احمد بن يعقوب بن صالـح الدرعي وبيته بيت صلاح وخير من قديم ، ولـد رحمه الله سنة ثماني عشرة والف بدرعـة ، ونشأ بها وقـرأ القرآن بها ثـم قـذف الله في قلبـه محبـة الصالحين ، ثم جعل يطوف في البلاد لزيارتهم احياء وامواتـاً ، فزار ضريح الشيخ سيدي احمد بن موسى السملالي بأقصى سوس ، فلقي هنـاك الولي الصالح ، العالم العلامة ، سيدي محمد السوداني ، فلازمه واغتبط بملاقاته ، وقرأ عليه مـا تيسر من العلـوم ، وخدم عليه وانفق على اولاده وبقي معـه مدة على تلك الحـال ، وظهر معـه خير كثير ، فنمـى خبره الى بعض اولاد اميـر سوس وهو علي بن محمد بن الولي الصالح سيدي احمد بن موسى السملالي ، فبعث مـن ورائـه ، وقـال له اطلب منك ان تكون على خزائني ، والقي اليك بذخائري ، فان الناس ذكـروا لي عنك انك ثقة مامون ، فاعتذر لـه بأنه لا طاقة له على حمل ذلك لضعفه واشتغـال باله بما هـو بصدده ، فألحّ عليه ، فلما رأى الحاحه عليـه وافقه وجلس معـه مدة القى اليه فيهـا بزمامـه ، واسند اليه النظر في امور خزائنه ، وهو في كل ذلك كاره" لتلك المعاشرة متحرج من تلك الخلطة ، فان الغالب على ما يتناولونه من طعام وغيره انه لا يسلم من الشبـه ، قال فلم ازلْ معـه اذا اتي له بتمـر ادخلـه للمخازن ، واذا احتيج الى شيء دفعتُه لهـم على قانون معلـوم ، الى ان وقف عليـه جدي رحمه الله في النوم وقال له دعْ عنك ولدي علي بن عبد الرحمان فلا حاجة له في خزينك وان لم تتركْ سبيلـه أخذك الله اخذاً وبيلا ، فلمـا اصبـح الرجلُ بعث له وقـال له انا احببناك لثقتك وصلاحك ، ولكن جدك اتاني البارحـة في منامي وقال لي اتـرك سبيـل ولدي ، فانصرفْ حيث شئت ، فخرجت من تلك البلدة ناويـاً زيارة الولي الصالح ابي يعزي ، ومعي ثلاثـة من الطلبة ، فلما بلغتُ ضريح ابي يعزي بينما انـا مسند ظهري الى ضريحه وانـا بين النائم واليقظـان اذا بأبي يعزي خـرج من قبره وناداني وقربني اليه ونحن على واد والناسُ حوله ، ثم ناولني تمراً وقال لي فرقْه على الناس ، فقلت له ان هذا التمر قليل" لا يكفي الناس ، فقال لي افعلْ ما أمرتك به ، وستـرى

في التمر بركـة ، فجعلت افرقـه على اولئك الناس واعطي لكل واحد مـا تيسر حتى أتيت على الجميع ، واخـذوا من عند ءاخرهـم ، وبقيت عندي فضلة ، فقلت له ياسيدي قد بقيتْ بقية ، فقال لي ذلك نصيبك في وسط الناس ، ثم دفع لي قطيفة كبيـرة وامرني بالانصراف ، فانصرفت الى الزاوية البكرية ، وجلست فيها ما شـاء الله الى ان استأجرني اهـل موضع يقال له اكـرض فأقمت عندهـم مـدة اقريء الطلبة واعلم الصبيان واصلي بالنـاس ، الى ان سمعت خبر الشيخ سيدي محمد بن محمد بووزغت وتحدث الناس بأنـه من الأولياء الأكابر ، فأعملت على التوجه الى زيارته ، فلما بلغته وجلستُ امامه كاشفني بتلك الرؤيا وما وقـع لي فيهـا مع سيدي ابي يعـزي ، ثـم قال لي هل اعطاك سيدي ابويعزي شيئاً ؟ فقلت له اعطاني كثر الله خيـره ، فقـال جزاه الله عنا خيراً ، ثم قلت في نفسي والله لا أخذت الطريق عن هذا الشيخ حتى ارى النبي صلى الله عليه وسلم ، فكاشفني الشيخ وقال لي اتحب ان ترى النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قلت نعم ، فانصرف رحمه الله لداره ، فأخذتني سنة فرأيته قد اقبل ، فقبض يدي وانصرف بي الى روضة خضراء ، وعليه حلة خضراء ، فلما جئنا باب الروضة فتح الباب للشيخ فدخـل وتركني واقفـاً بالباب ، وكان المصطفى صلى الله عليه وسلم في تلك الروضة ، فقـال لـه الشيخ يارسول الله : رجل من اصحابي طلب رؤيتك ، فقال جيءْ به الينا ، فرجـع الشيخ فدخلت معه فلما رأيت وجـهَ المصطفى صلى الله عليه وسلم غشاني النـور فسترني صلى الله عليه وسلم بردائه وقـال لي هكـذا تعيش وهكذا تموت وهكذا تبعث يوم القيامة ، فانتبهت فرحاً مسروراً .

وذكر في الاعلام ان صاحب الترجمة لما توجه تلقاء شيخه المذكور اول مرة قال الشيخ لأصحابه : اليوم يقدم عليكم فارس من فرسـان اهـل الله ، ولم يـزل في خدمة الشيخ الى ان توفي ، فتصـدر لتربية المريدين ، ورفع الراية للزائرين ، وكان رحمه الله تابعاً للكتاب والسنة ، حافظاً للحرمة ، تاركاً للهوى والبدع ، ومـن محافظته على السنة انه لا يجلس الا للقبلة ولا ينام الا لهـا ، ويأمر بذلك ، ولا يمد رجله اذا جلس في مجلس قط ، وكان كثير الطعام لكل من يـرد عليه ولـو كانوا الوفـاً ، وقـد بات عنده ليلـة

سبعـة عشرة الفاً ، وكان يكسو المحتاجين من المساكين اليتامى ، وعنـده دار منفردة لليتامى والأرامل ، موقراً للشرفاء والعلماء وحملة القرءان ، معظماً لجانبهم ، وفي زاويته منهم عدد كبير يقوم بمؤونتهم ، واعطى الله له القَبول في الأرض والشهـرة في البـلاد ، فكانت الأركاب تفـد عليه من كل جهـة ، واقبل الناسُ لزيارته من كل ناحية ، وظهرت لـه كرامات ، منهـا قضيـة ولد ابن شقرون المراكشي ، فانه حمـل اليه وكـان اشـل اليد معوجـاً لا يقدر على البطش بها ، بل ولا على تحريكها ، ونشأ بها كذلك من لدن ولد ، فأخذ الشيخ يـد الصبي فأدخلها تحت ثيابـه والناس ينظرون ، ثم اخرجهـا وقـد استقام اعوجاجهـا وزال شللهـا ، وعادت احسن من اليـد الصحيحة ، فصاح الناسُ بالتكبير ، واعتراهم حـال عظيم بمـا راوا مـن تلك الكرامـة الربانية ، وهذه حكاية صحيحة بلغت عندنـا مبلغ التواتر ، وشكا له بعض اصحابه انـه يخاف من اللصوص في الطريق ، فكتب له ما نصـه : اما بعد الخوف من العبـد يؤدي الى الشك في الله ، والشك في الله كفـر والعياذ بالله ، واياك والخوف ، بـل حسِّن الظن بربك وكن واثقـاً به واعتمد عليه ، ولا يضرك شيء الا باذنه ؟ فلا فاعل الا الله ، اللهم احفظه ، اللهم احفظه ، اللهم احفظه ، انتهى . فكان ذلك الرجل بعدها يمشي في الطريق وحده ليلا ونهاراً ولا يضره شيء من بركة دعائه .

وقال الشيخ الفقيه احمد بن يعقوب فيما وجِد بخطه : حضرتُ مع صاحب الترجمة يومـاً ففاض عليه الوجـد مع سعتـه وشدة ثباته ، فقـال صلوا الصلوات الخمس وسترون غـدا يومَ القيامة عناية الرجال .

لطيفة : قال الشيخ احمد المذكور : واخبرني الشيخ رضي الله عنه يومـاً ببعض حالـه ، فقال اني يعتريني حـال" يكـاد قلبي يتصدعُ منـه ، وتضمحل ذاتي لشدة ما أجد ، فألهمني الله دواء لتبريده ، فقلت له يا سيدي وما هو ذلك الدواء ؟ فقال لي ذكر الدنيا ، قـال احمد بن يعقوب : فكنت اذا سمعته يتكلم في شيء من امـور الدنيا اولته على ذلك ، وحينئذ فيكون ذكر الدنيا في حق الشيخ ومَن كان على شاكلته عبادة ، وكان الغالب على صاحب

الترجمة البسط ، وذلك من دلائل مقام الشهود ، لقول بعض العارفين ، ليس مع الشهود التام قبض ، وكان كثيراً ما يوصي اصحابه بالشجاعة التي هي خير العزائم ، فاذا سئل عن معناها قال الشجاع هو المحب ، وكان يقول لأصحابه : ليغرسْ كل واحد منكم في داره شجرة اسمها اقبح تنظرون اليها كل صباح ، فسئل عنها فقال ليست هي حسية وانما هي معنوية ، معناها المومنون كلهم افضل مني لقوله عليه السلام نية المومن افضل من عمله ، وكان لا يواجه احداً بما يكره ، لاكنه يلقي الكلام مجملا ، فيأخذ كل من الحاضرين جواب مسألته ، وربما يجيء الرجل وفي خاطره ان يسأله عن شيء ، فيفاتحه الشيخ بالكلام على ما في خاطره قبل ان يسأله ، وقع له ذلك مع غير واحد ، وكان يقول من جملة دعائه للزائرين : رزقكم علي الله عز الدنيا والآخرة ، وفرح الدنيا والآخرة ، وغنى الدنيا والآخرة ، واذا فرغ من الدعاء والموعظة يقول ثبت الله الايمان وصحح اليقين ، وكراماته رحمه الله اكثر من ان تحصى ، وقد ألف بعض اصحابه تاليفاً في مناقبه سماه (تحفة الزمان ، في مناقب سيدي علي بن عبد الرحمان) .

اخذ رحمه الطريقة عن شيخه المذكور وهو عمدته ، ولقي في ابتداء امره في زمن الصبا الشيخ سيدي عبد الله بن حسين فأعطاه رمانتين او ثلاثا فأكلهن ، ثم بعد ذلك وقف عليه الخضر عليه السلام فأطلعه على اسراره ، منها ان مَن أكل الرمان كان من جملة امداده ! ثم رأى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقسم بحر المداد ، فولاه الحظ الأوفر ، وأخذ ايضاً عن سيدي الصغير ابن النيار ، وكان شيخه يصرفه اليه مراراً ، ولقي سيدي محمد السوداني وسيدي عبد العزيز بن موسى وسيدي عبد القادر ابن المارستان وغيرهم ، وكان يقول مَن عرف اربعمئة من الأولياء لم يعرف شيئاً ، فقيل له وكيْف يفعل ؟ قال يقطع عمره كله في معرفة اهل الله ، وقد امتحن صاحب الترجمة من امراء الوقت تخوفوا منه لما رأوا من اجتماع الناس عليه ونهبت زاويته مراراً ، وامر السلطان الرشيد بحمله اليه مسخوطاً وهو اذ ذاك بحاضرة مراكش ، فقال الشيخ لأصحابه : والله لا رأيته ولا رآني الى يوم القيامة ،

فلما بلغ الشيخ مراكش امر السلطان بانزاله بموضع ، وكنا حنقا عليه ، وما مرت ايام حتى قتل السلطان وانجاه الله مما كان يتخوف ، وصدق الشيخ فيما قال .

توفي صاحب الترجمة في الحادي والعشرين من ربيع الأول سنة احدى وتسعين والف ، ودفن بموضع يقال له تمجت بجبل بني عطا من احواز تادلة (187) .

ومن اصحاب سيدي علي بن عبد الرحمان العلامة المفتي سيدي علي بن محمد قصارة المترجم في السلوة المتوفى بفاس عام 1185 خمس وثمانين ومئة والف ، وهو جدُّ محشِّي شرح السلم (188) .

1432) **علي بن ابراهيم المراكشي** ، القائد الأندلسي ، كان طبيباً ماهراً له منظومة في الفواكه الصيفية والخريفية نظمها للوليد بن زيدان السعدي المتوفى سنة 1045 ، وهو والد الطبيبيْن عبد الملك المترجم في (الاعلام بمَن غبر) ، وابراهيم طبيب المولى اسماعيل متقدم الذكر (189) ، واول المنظومة المذكورة :

الحمد لله على النعماء ... والشكر في الصباح والمساء
سبحانه منَّ على البرية ... في كل صيف نعمة طرية
كثيرة تأتي على ألوان ... من منة الله على الانسان

وهي طويلة في انواع الخضر والفواكه وخواصها .

وله منظومة اخرى اولها :

الحمد لله الذي ما من اذى ... يلحقُه ولا احتياج لغذا
الصمد الفرد الذي لا يطعم ... وعمَّت العالم منه النعم

---

187) **صفوة من انتشر** ص 184

188) ذكر هذا صاحب **سلوة الأنفاس** 2 : 264 وهو امر غريب فان بين وفاتي الرجلين 94 سنة ، ولعل المراد بالصحبة الانتساب الى الطريقة الصوفية ، فان المغاربة يقولون فلان صاحب سيدي فلان اي من اتباع طريقته .

189) انظر 1 : 188 ع 36 من هذا الكتاب

أَلْهمنا بالعقل طرقَ المنفعة وكرَّم النوع به ورفعه
به اهتديْنا عند كل شكلْ في كل نافع وكل عمل

وهي في خواص العشب اولا ثم الأمراض ثانياً ، ورتب العشب على كل (حروف) المعجم في نحو عشرة كراريس ، وقال ايضاً :

الحمدُ لله على النعماء والشكر في الصباح والمساء

في طبائع الفواكه ، ثم يقول :

والنصر للخليفة المختار وءاله الأفاضل الأخيار
اعزه الاهُنا المجيد الملك المعظم الوليد
أدمْه منصوراً على العباد ياربَّنا في جملة البلاد

وتقدم ذكر طبيب المنصور محمد الطبيب في ترجمة محمد بن علي الهوزالي (190) .

ولعل المترجم هو صاحب الضريح بالجزولي المكتوب فيه : علي بن ابراهيم المتوفى عام 996 اخذ عن شيخه سيدي عمر الهلالي وسيدي شقرون وتقدم ذكر سيدي احمد شقرون الأندلسي المتوفَّى في حدود سنة 1028 (191) وتقدم ذكرُ سيدي محمد شقرون الوجد يجي التلمساني المتوفى سنة 983 (192) واظن الثاني هو المراد بشيخه حيث تقدمتْ وفاته عنه بنحو ثلاثة عشر عاماً ، ولعل المترجم نظم تلك المنظومة للوليد بن زيدان وهو صغير في ابان القراءة على اشياخه ، اذ هو لم يلِ السلطنة الا في سنة 1040 كما سيأتي في ترجمته في حرف الواو (193) .

---

190) ظ 5 : 182 ع 654 من هذا الكتاب

191) انظر 2 : 300 ع 230 من هذا الكتاب

192) انظر 5 : 171 ع 645 من هذا الكتاب

193) هذه الترجمة الحقها المؤلف بعد كتابة تراجم متقدمة عليها في التاريخ ، وكان الأولى ان تاتي في الترتيب بعد ترجمة علي بن ابى بكر التاملي ، ظ ص 187 ع 1415 من هذا الجزء .

1433) علي الشريف بن محمد العلوي

علي الشريف بـن مَحمد (فتحاً) بن علي بـن يوسف بن مولانـا علي الشريف السجلماسي الحسني دفين مراكش ، الولي الصالح ، والقطب اللائح الواضح ، نفعنا الله به ، ذو الحرم الكبير الشهير ، أحد اولياء مراكش المشهورين ، بها توفى في سجن احمد الذهبي السعدي من جملة ابناء عمه ، وكانـوا اربعين ، وجلهم ماتـوا بالسجن ومدفونـون بقبته الشهيرة بـه ، وكانوا لا يأكلون ما يأتيهم من جهة السلطـان المذكور ولا مـن عند غيره ، وانما يأكلون من عمل ايديهم كنسخ الكتب وتوظيف الخوص وغير ذلك تورعاً ، ومما يأتيهم من بلادهم الى ان انقرضت الدولة السعدية وخرجوا لأنفسهـم بدون مسرح .

وقال مولاي الزكي : وكلهم ائمة اعـلام يقتدى بهم في كـل شيء ، وقد بنى عليهم السلطان سيدي محمد بن عبد الله قبـة عظيمـة ومزارة كبيرة تقصد للزيارة بكرة وعشياً بازاء ضريح القاضي عياض ، ونسبهم مرقـوم في ابيات في حائط قبته ، فليستحضره الزائر .

كان اماماً عالمـاً ورعاً زاهـداً ، سماه باسم أبيه وجده مولاي علي الشريف ، فعادت عليه بركاته ، وسعدت حركاته وسكناته ، وبقي عليه لقبه للأب دون غيره من الأولاد .

وفي (الظل الوريف ، في مفاخر مولانا اسماعيل الشريف) عند ذكر المترجـم : وتوفي بمراكش وبنى عليـه حفيـده امير المومنين مولانـا الرشيد قبـة تلقاء ضريح القاضي أبي الفضل عياض رضي الله عنه ، وذكـر بعض العلماء ان رجلا من الأوليـاء من اهـل المشرق قدم مراكش ، فتحدث ناس بأنه من أهل المكاشفة ، وادعى انه يميز بين الأموات بالقبور ويعـرف الصالح من الطالح والكامل من الناقص ، فذهب به بعض الفقهاء لزيارة القاضي عياض بقصـد الاختبـار ، فأدخله القبة التي بمقبـرة ابي الفضل ، فلمـا دخلهـا قال اني ارى هنـا خنازير ، فكـان كذلك ، لأن هـذه القبة لم يدفن

فيهـا الا الأعلاج ، فأدخلـه لقبـة مولانـا علي ، فقال اني اشمُ هنـا رائحة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وفي الحكياتة طول ، وبعضهم يزيد فيها ما لا اعتقد صحته . انتهى بلفظه (194) .

وسيأتي بيان اسم هـذا الولي المكاشف عن الحلفـاوي في ترجمة القاضي عياض .

1434) **علي بن محمد بن علي العكاري المراكشي**، نقل حفيده سيدي علي بن محمد بن علي في (البدور الضاوية) (195) اجازة الشيخ سيدي الحسن اليوسي لـه مع اخيه سيدي محمد عام 1080 وبعدها اجازة شيخهما سيدي عبد القادر الفاسي لهما 1082 ثم ذكر دخوله اي سيدي علي العكاري لحضرة فاس ومـا وقع له في الاقراء بها بعد قفوله من الزاوية البكرية ، وذكر انـه من أشياخ سيدي سعيد العميري ، قرأ عليه الكبرى للسنوسي بالقرويين ، واخذ عنه أيضاً سيدي علي بن محمد بركة التطواني الألفية والتسهيل ، ومـن تلامذتـه ايضاً سيدي العياشي بن عبد القادر الستاوي اخذ عنه ادب اللسان ورياقته ، ثم قسم تلامذته الذين انتفعوا به على ثلاثة اقسام : الأول اهل سجلماسة ، والثاني اهل عدوتي الربـاط وسلا ، فمن اهـل سلا قاضي المحلة العلامـة سيدي محمد المنصوري قيد عنه حواشي حفيلة على الكبرى ، ومنهـم سيدي موسى بن رحال الدغمي المترجم في فهرسة الحافي ، وسيدي عبد الله الجزار ابن الولي سيدي احمد حجي ، والعالم سيدي احمد بن يحيى والزهرا الرباطي ، واجـازه الشيخ عامـة وسمى لهما شيوخه : الفقيه السيد سعيد الهوزالي والقاضي السيـد ابا القاسم الدرعي والمحدث المرغيتي والشيخ الحـافظ سيدي الحسن بن علي حفيد سيدي احمد بن موسى السملالي ، والقاضي السيد

194) ظ روضة التعريف ص 25

195) الاسم الكامل للكتاب (البدور الضاوية ، في الترجمة العكارية) ، او (البدور الضاوية ، في ذكر الشيخ واصحابه وتلامذته وبناء الزاوية) ، توجد منها نسخة بالخزانة العامة بالرباط ، تحمل رقم 88 د وتحمل اسم (مناقب العكاري) ، ولا ينبغي ان يلتبس هذا الكتاب بسميه (البدور الضاوية ، في التعريف بالسادات اهل الزاوية الدلائية) لسليمان بن محمد الحوات .

عبد الله اللمطي واليوسي وسيدي الطيب البكري ، ومـن تلامذته الفقيهـان سيدي احمد الحداد واخوه سيدي محمد ، والعالم سيدي احمد حجي بن مرين الرباطي الأندلسي واخوه القاضي محمد مرين وسيدي عبد الله بن علي الموذن الحسني العلمي والعالم سيدي محمد بن الحاج ابراهيم الزبدي الأندلسي والعالم احمد بن محمد الكـراري ، ومنهم الفقيـه يوسف الدادسي والقاضي سيدي عبد الله الـدرعي والعلامة سيدي محمد بـن محمد الدقـاق الدغمي والفقيه احمد بن علي بن دهـاق الأندلسي ، والطبقة الثالثة فمن اهـل سـلا الفقيه القاضي سيدي محمد زنيبر ، والعالـم سيدي أحمد المكنى ابـن عاشر بن عبد الرحمان الحافي ، والفقيه العالم سيدي محمد ملاح كانا يعبران البحر اليه كل يوم من سلا للرباط ويحضران مجلس اقرائـه في فنون مختلفة وانتفعاً به ولهما معرفة تامة بأحواله ، ومنهم ولـده العلامة سيدي محمد ابن الشيخ سيدي علي العكـاري ، ومنهم الفقيه الكفيف سيدي محمد بن احمد الحسني السجلماسي المدعو الدغيمر ، والعلامة سيدي احمد بن عبد الله الغربي لازمه ما يزيد على اثني عشر عاماً ، والعالم سيدي محمد بن عبد الله الحويشي ، ومنهم الفقيـه النبيـه ابو يعزي بن محمد المسطاسي السلوي ثم الرباطي ، والفقيه سيدي عبد السلام بناني والعالم سيـدي محمد بـن محمد كراشك الأندلسي والفقيه سيدي محمد بن غانم النسب ، والفقيه سيدي عبد الرحمان بن عبد السلام مرين الأندلسي ، والفقيه سيدي عبد الله بن محمد الحميري المحرزي ، ثم ذكر سيرته نقلا عن مباحث الأنـوار للولالي ، وذكر انه ورد مـن مراكش للزاوية البكريـة ، وذكر انه لما تلاقى سيـدي علي بن عبد الرحمان التادلي الدرعي بالسلطان مولاي اسماعيل خضع له واهوى بيد الشيخ ليقبلـّها فمنعه .

كان العكاري في اول امره مقبوضاً ثم انبسط ، وكان يحب التجرد ، كان سني الطريقـة على مذهب الامـام ابـن الحاج صاحب المدخـل ، ءامـراً بالمعروف ناهياً عن المنكر ، كان كثيرَ الاتبـاع للسنة والتحريض عليها ، وكـان يعمل المولـد النبوي ، ولـه مناقب كثيرة ، منها ان رائحـة الطيب تشـم مـن قبره ، ومنهـا انه لما اخرج مـن قبـره الأول ليـُدفـَن في قبـره

المشهور الآن بداره وجد على حاله كالنائم لم يحصل له تغير برائحة ولا بغيرها ، ومنها ظهور بركة الطعام الذي عمل صدقة عليه ، وغير ذلك ، ثم ترجم لانتقاله من سلا للرباط ، ثم انتقاله منها للمهدية بعد فتحها لاقراء العلم ، ثم ورود اهل مراكش مع اخيه الفقيه الصالح سيدي الحسن بن محمد العكاري لأن يرجعوا به لمراكش فتشفع لهم في ذلك اهل الرباط بولده فقبلوا شفاعتهم في التأخر الى سنة ، ثم اذن له السلطان مولاي اسماعيل في الاقامة بالرباط لنشر العلم ونفذ له من مستفاد المرسى مئة مثقال عن كل سنة ، ثم ذكر مرضه ووفاته ونقله من القبر الأول الى الثاني ، (196) اخر ما وجد من البخاري كتاب الجنائز في 20 رمضان ، وتوفي ضحى 11 شوال عام 1118 واحتفل الناس بجنازته وصلى عليه القاضي محمد مرين ودفن في روضة سيدي الحسن بن سعيد الفران به شهر ، ثم لما افاق ولده نقله لداره ودفن بها في تابوته ، وقبره الآن مزارة عظيمة ، ثم ذكر ما قيل فيه من الشعر حياً وميتاً ، فمنه قصيدة احمد الغربي مطلعها :

ايها المقتدي ليطلب علماً ونفيس الذكا بلا مشكلات

ومطلع قصيدة يوسف الدادسي :

ما للعيون دموعها تجري شبه اليواقيت حمرا كالجمر

وسيدي احمد بن محمد عمور الفاسي :

صوب المدامع صيب يهمي شن الأسى في القلب والجسم

وسيدي محمد بن الخضر سليل سيدي علي ابي الشكاوي :

سما في سماء المجد عن موكب البدر ثناؤك يا شيخ الجهابذة الغر

وشرح هذه القصيدة المؤلف ، وختمه بقصيدة له مطلعها :

---

196) الجملة التالية مضطربة ، ولم نستطع تقويمها ولعل ناسخ الأصل سها عن بعض الكلمات او الجمل ، وربما كان صوابها (وكان آخر ما اقرا من البخاري كتاب الجنائز) .

انهيت شرحي مكللا من الدرر ... بما يروق لذي فهم وذي نظر

وسيدي الجيلاني بن الشيخ سيدي احمد بن عبد القادر الستاوي :

ففخرا رباط الفتح لما ثوى بكم ... ضريح علي عالم الشرق والغرب

ثم ذكر تاريخ بناء قبته ، بناها الحاج محمد بن علي الولتيتى سنة 1140 باشارة مناميه من الشيخ احمد بن ناصر ، ثم ذكر عقبه وذكر شقيقه واخاهم للأب ، ثم اخذ سيدي محمد بن محمد العكاري الطريقة الشاذلية عن الشيخ سيدي علي بن عبد الرحمان الدرعي ، ثم ذكر خاتمة ، ثم ذكر المبحث الثاني في ذكر شيء من اخبار شيخه سيدي علي العكاري في الطريقة ، واستاذه في الشرب من عين الحقيقة سيدي محمد بن عبد الله السوسي المراكشي المؤلف فيه (مباحث الأنوار) للولالي واطال فيها ، ووقفت من هذا التاليف على ستة كرازيس من القالب الرباعي .

قلت قد وقفت على الاجازة العامة لسيدي عبد القادر الفاسي لسيدي علي بن محمد بن علي العكاري المراكشي وأخيه الفقيه محمد بن محمد العكاري مؤرخة بئاخر جمادى الأخيرة عام 1082 وباثرها بخط الحضيكي في كناشته : حدثنا بهذه الفهرسة شيخنا الصدر العلامة احمد بن عبد الله السلوي الرباطي الدكالي الغربي الشهير عن شيخه المجاز علي بن محمد العكاري عن شيخه المجيز عبد القادر الفاسي الامام الكبير .

وقال الحضيكي في طبقاته : علي بن محمد العكاري به عرف ، الفقيه العلامة الكبير ، شيخ الاسلام ، برع في الفقه والحديث ، وشارك في العلوم كلها وفنونها ، شيخ شيوخنا ، تفقه على جماعة جمة من جلة العلماء ائمة الاسلام وحماة الدين ، منهم الشيخ المتفق على جلالته ، عبد القادر الفاسي كتب له اجازة عامة ، وكان سكن بمراكش ثم انتقل الى مدينة سلا وبها توفي رحمه الله ، انتهى (197) .

---

197) طبقات الحضيكي 2 : 248

وقال الحافي في فهرسته في حق هذا الفاضل ما نصه (198) :

ومنهم شيخنا العلامة ، الدراكة الفهامة ، خاتمة المحققين ، وامـام الموثقين ، حافظ المنقولات ، صاحب الأبحاث الرائقة ، والأجوبة الفائقة ، النحوي المنطقي الأصولي ، العارف بالله تعالى ، سيدي علي بن مَحمد العكاري رضي الله عنه ، كان عالماً عارفاً متصوفاً وقوراً ذا إفادة ، حسن التعليم ، قرأت عليه الأخضري في المنطق ، وسمعت عليه نبذة من الجامع الصحيح للبُخاري وغير ذالك ، كان رضي الله عنه متابعاً للسنة ، مجتنباً للبدعة ، متأدباً بما حض عليه صاحب المدخل ، لا يخشى في الله لومةَ لائم ، آمراً بالمعروف ، ناهياً عن المنكر ، صادعاً بالحق ، قائلا به للسلطان دون غيره ، ولا يخالطُ ولاة الأمر ولا يلتفت اليهم ، ويرزقه الله تعالى بلا تكليف ، وكان رضي الله عنه كثيرَ التحري في تقوى جوارحه ، مثابراً على مخالفة الأمور المنافية للتقوى ، وكان يرى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام ، وكـان له قدمٌ راسخ في اظهـار التعظيم للجانب النبوي ، وكان سبب قراءته والفتح عليه في العلوم فوزه بدعوة الشيخ العلامة الرّباني ، العارف بالله الصّمداني ، سيدي محمد بن عبد الله السوسي أصله من بلدة تسمى ثمليت ، كان رضي الله عنه خامل الذكر كثير التستر ، ثم لما اراد الله ظهوره لنفع العباد لم يُرخص له في تأخير ساعة ، اذ كان في مسجد من مساجد محروسة مراكش قد سد عليه ابواب المسجد اذ كلمته اساطينه وصرخت له بأن ذالك الأوان أوان الظهـور لنفع العبـاد ، فاستسلم لحكم الله تعالى ، وقام أدباً مع الله تعالى ، يروى ان الشيخ سيدي علي العكاري صاحب الترجمة كان اذذاك — أي وقت امـر الشيخ بالظهور في ذاك المسجد — ماشيـاً حتى انتهى به المشي اتفاقيـاً الى ذالك المسجد ، فرأى حلقة تنعقد بالناس على رجل ، فذهب لينظر والسعادة تسوق أصحابها الى اسبابها ، فلما رءاه وقع في قلبه منه ظن جميل ، فجلس مع المتحلقين ، فاذا كل يطلب ما أراده من ذاك الرجل ، والشيخ صاحب الترجمة كان قد فاته العلم

---

198) لم يثبت المؤلف او الناسخ نص كلام الحافي عن العكاري ، وقد نقلته فيما يلي من فهرسته .

في اول الشبيبة ، وفاته حفظ القرءان وحفظ الأمهات ، إلا انه تجدد له الندم على ما فات ، وصار حينئذ راغباً في تعلم العلم وفي التوجه لمجاهدة نفسه بالعلم ، قال : فلما رأيت الناس يطلبون من ذالك الرجل طلبت منه تيسير العلم وتيسير العمل ، وكنت في غاية الحيرة لفوات وقت الحفظ لكبر سني ، ولما دعا لي صرت بحالة اخرى ، وصرت كالظافر بعد الاياس ، وكالغني بعد الافلاس ، قال : وفي تلك الليلة او بعدها بقليل رأيت في المنام أكمة مخلوقة من العسل والسمن وكلت اليها ، فقيل لي كُلْ ما شئت ، وتورث لي منها العلم والعمل او انها الظاهر والباطن ، وقيل لي في السراء هذا الذي أوتيته من ذلك الرجل الذي دعا لك يعني الشيخ سيدي محمد بن عبد الله المذكور ، وكان الموكل اذذاك هو العالم المشهور البركة الهمام وامام مراكش في هذا الوقت سيدي محمد بن سعيد المرغثي مؤلف (المُقْنع) وغيره ، فلما راى الازدحام على الشيخ ادركته الشفقة عليه فحال بينه وبين الناس ، واخذ بيده ، وادخله خلوة هنالك ، وكان يعرفه قبل تلك الساعة ، ثم قيل لي ما هذا ؟ أهو اذن من الله تعالى ؟ فقال له : نعم هو اذن ، فلم يحترْ ابن سعيد في امره ، فالقى اليه نفسه على كبر سنه ، ورفعته علماً وعملا ، وأتاه بولده الفقيه محمد بن محمد ابن سعيد ، فالقاه عليه وطلبا منه الأخذ وقبول الصحبة فأجابهما .

قال : الشيخ العلامة المتفنن صاحب التصانيف العديدة ، سيدي أحمد بن يعقوب البربري الولالي اخبرني الشيخ سيدي علي العكاري يوم مات اخوه رحمه الله عبد السلام بن محمد وقد طال به المرض وطلب منه ان يتولى غسله تبركاً به فوافقه وغسله لما بينه وبينه من المحبة مع انه كان لا يغسل الموتى ، لأنه في تلك الليلة التي غسله في صبيحتها رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام ، فقال لـه لقد استبشرت لأخيك ، اني رأيت النبي صلى الله عليه وسلم ووفقت ان دعوتني لغسله فغسلته ، فلعله تناله بركته صلى الله عليه وسلم ، قال الشيخ سيدي أحمد بن يعقوب : ولقد كنا بالزاوية البكرية نقرأ على الشيخ العلامة الدراكة الشهير الحسن بن مسعود اليوسي رحمه الله ورضي عنه ، وكان من جملة الملازمين لدرسه الفقيه الدراكة الشيخ محمد

العكاري اخو الشيخ سيدي علي العكاري ، بينما نحن كذالك لا نرى شيئاً فوق تعلم العلم اذ ورد علينا من مراكش الشيخ علي العكاري قاصداً لأخذ العلم عن شيخنا المذكور ، فدخل معنا فيما نحن فيه وبصدده ، فكان مع اخيه في البيت ، فاذا هو بحالة اخرى من التحري ومجاهدة النفس والوقوف على الحدود ، فكان لا يُغتاب احدٌ بين يديه ، ومع ذالك فهو يشاركنا في أخذ العلوم عن الشيخ ابن مسعود مثل البيان والمنطق واصول الفقه وغيرها ، كالفقه وأصول الدين ، وكان له ادراك حسن في ذالك مع عدم حفظه إلاّ مرة ، وعدم حفظه للقرءان ، ومع عدم اعتنائه بكثرة النظر في الحواشي والشروح ، فكان لا يقرأ كتاباً صعباً في فن صعب مثل المحلي الا وترك العودة الى اعادته ، زاعماً انه لا يحتاج الى الاعادة ، وهو كذالك ، ولم يكن يذكر أن ذالك من بركة الشيخ ، يعني سيدي محمد بن عبد الله السوسي ، للناس لما يعلم ما طبع الله عليه الطلبة من انكار امر الفقراء ، الا انه ربما اثنى عليه بمحضر اخيه وغيره ، ثم قال الشيخ ابن يعقوب المذكور : وكنا معه اي مع الشيخ سيدي علي العكاري بالزاوية البكرية في عِشرة جميلة ، وأصبح يوماً وهو يقول : تيقنت ان كل ما انعم الله تعالى به عليَّ منذ كنتُ الى الآن وسيأتي من بركة الشيخ ، فظهر على وجهه حين يقول ذالك عن عزيمة وقوة قلبية ، فقلنا له وما ذاك ؟ فقال : كانت في قلبي امور ، فوقف عليَّ الشيخ في المنام البارحة برهة يسيرة من الزمان ، فطهر القلب في تلك اللحظة وملأه بما لا يعلم ما ينبغي ان يشكر به إلاّ الله تعالى ، فعلمت ان اموري كلها مبنية عليه ، قال واخبرني ايضا انه رأى الشيخ المذكور في المنام ومعه أخوه الفقيه الشيخ محمد العكاري ، قال فبشرني الشيخ بأمور عظام ، وكأنه اعرض عن اخيه وهو يلقى امره ، ولم ازل اكرر المرافقة والطلب في اخي حتى انزله هو ايضاً انه من اهل الجنة ، قال وأخبرني الشيخ علي العكاري المذكور انه رأى الله تعالى في المنام فقال له : ان الناس قد اشتغلوا بلهوهم وانت بخلافهم ، فبأي شيء تريد ان تدخل في رحمتي ؟ فقلت ياربي بفضلك ، فقال : أوبطاعتي ؟ فان طاعتي من فضلي ، واظن أنه الآن قال لي : وجعلت أقول بفضلك والرب تعالى يقول وطاعتي من

فضلي حتى انفصل الخطاب (199) قال: واخبرني انه كان ربما ذهب الى الاغتسال في ساقية بليل اذا اجنب بالاحتلام ، فيشاهد الجنّ في ذلك المحل ويقتحمه ولا يبالي بهم ، وكان رضي الله عنه كثيرَ الاعتنـاء باللسان ، وسماه بعض الناس فارس اللسان ، فلا يغتاب أحداً ولا يغتاب بين يديه ، واذا نطق بعضُ الحاضرين بما فيه ذكر أحد بما قد يكره فلا يغفل عنه ، بل يصيح عليه ويقول : ان شئت أن تقص فلا تعين أحداً ، وهو ممن دق فهمه في العلوم المعقولية ، ومشارك في سائر الفنون ، وقد قيد عنه الطلبة حواشي واسعة في شرح الكبرى للشيخ السنوسي ، وحواشي على مختصر الشيخ السنوسي ، وحواشي على مختصر السعد ، وغير ذالك .

ولم يزل معظماً للعلم مدرساً له بالمسجد الأعظم وغيره من رباط الفتح وسلا الى ان مات رضي الله عنه صبيحة يوم الأحد حادي عشر شوال عام 1118 ودفن بروضة سيدي الحسن الفران ، ثم نقل بعد ثمانية ايام ودفن بِدُوَيْرَتِهِ المتصلة بداره من رباط الفتح ، وبُنيت عليه قبة ، ولم يزلْ ضريحه محلا لقبول الدعوات ونزول الرحمات وظهور البركـات رضي الله عنه ونفعنا بـه وبعلومه آمين .

وكان اذا استفتي في نازلة لم يكتب الجواب عنها غالباً ، وانما يوقف السائلَ على نصها في كتب المذهب ، وما ذاك منه الا ورع واحتياط رضي الله عنه (200) .

1435) علي بن ابي القاسم البوسعيدي النجار ، المراكشي الدار ، العلامة له تاليف في مناقب الشيخ سيدي احمد بن ناصر .

ذكره في الدرر المرصعة .

---

199) يعجز اللسان ويكل القلم عن ايجاد العبارات المناسبة لانكار هذا الحوار المزعوم بين الله سبحانه وتعالى وبين عبده المكاري ، فالى الله المشتكى !

200) ينظر عنه زيادة على ما تقدم : **مجالس الانبساط** 1 : 82 (الخزانة الملكية بالرباط) رقم 779

1436) علي بن احمد المراكشي قاضي مدينة سلا ، الفقيه الأجل ، العالم العلامة الأفضل ، رايت نسخةً مسجلة عليه مؤرخة بسادس عشر رمضان عام خمسة واربعين ومئة والف .

1437) علي بن محمد بن محمد العكاري المراكشي ، الفقيه العلامة الدراكة ، كان قاطناً بزاويتهم بالحضرة المراكشية ، أخذ عن والده وعمه علي ، وعن ولد عمه سيدي محمد بن علي ، ودخل فاساً ومكناسة الزيتون واجتمع بمتصدري فقهائهما وباحثهم في مسائل واعترفوا بفضله وعلو منصبه وجودة ذكائه وحدة ذهنه وتحصيله ، وكان عندهم بمنزلة رفيعة لتحققهم بحاله وعمله ، وكان له عقل واضح وذهن ثاقب ورأي مصيب ، كان حياً في حدود الست والأربعين ومئة والف ، له شرح على نظم في اعراب البسملة لولد عمه علي بن محمد بن علي العكاري مؤلف البدور الضاوية ، كان طلب منه شرحه .

ترجمه في (البدور الضاوية) ولم يذكر وفاته لكونه اذذاك كان حياً.

1438) علي بن محمد ابن ناصر الدرعي المراكشي المدفن ، تقدم ذكر والده في المحمدين (201) ، الشيخ الامام العالم العلامة ، الدراك الفهامة ، العامل الزاهد الورع الأبر الأكمل الصوام القوام ، المتفنن في جميع العلوم ، تولى الصلاة بمسجد الخلوة والزاوية الناصرية ، ونصب مجلسَه فيه وفي روضة الأشياخ ، وعمر جميع الأوقات في ذلك ، واشتغل بالتدريس والاقراء فيها باخلاص ويقين ، ولقي العلماء واستفادوا منه ، منهم العلامة سيدي احمد بن عبد العزيز الهلالي الذي اجازه بالاجازة العامة وحلاه فيها بالفقيه الأنبل ، النبيه الأمثل ، حبيبنا في الله عز وجل ، سيدي علي بن محمد بن ناصر الدرعي الناصري بجميع ما تضمنتْه هذه الفهرسة وبجميع ما تصحُ لي وعني روايتُه حسبما كتبته في موضع غير هذا ، واوصاه بأن يسير مع المتعلمين على قدر عقولهم ، ويتنازل معهم الى درجة يمكنهم فيها التلقي كشأن مربية الطفل تكلمُه بكلام الأطفال كي يتأنس بذلك ويفهم عنها الخ. ورحل الى المشرق صحبة سيدي يوسف الناصري ، ولقي علماء الحرمين

---

201) ظ 6 : 49 ع 740 من هذا الكتاب

الشريفين واستفاد منهم واستفادوا منه ، واجازه الشيخ سيدي محمد بن الطيب الشرقي وحلاه بالسيد النبيه المشارك الدراك علي بن محمد بن ناصر اجازةً عامةً بعد ان اسمعه الأولية في الحج في المسجد الحرام وصافحه وشابكه ، وفي المدينة المنورة اعاد له اسماع ذلك في الروضة المشرفة من المسجد النبوي الشريف ، واضافه على الأسوديْن ! وناوله السبحة وقال له اني احبك ، واملى عليه في مجلس الاخوان جماعة الزاوية اوائل الكتب الستة والموطأ واسانيد الأئمة الثلاثة والدارمي وغير ذلك ، وقرأ عليهم احزاباً من (عيون الموارد السلسلة ، في الأسانيد المسلسلة) ، واجاز له جميع ما اشتمل عليه (اقرار العين ، باقرار الأثر بعد ذهاب العين) و (ارسال الأسانيد والعيون) وغيرها من الاجازات والأجزاء وما له من المصنفات كشرح القاموس ، وشرح كفاية المتحفظ ، وشرح النووي ، وشرح سيرة ابن الجزري ، وحاشية القسطلاني ، وحاشية الجلالين ، وغير ذلك من نحو اربعين مصنفاً بتاريخ 2 محرم عام 1163 .

انتهى ملخصاً من اجازته المذكورة .

وكانت حجة سيدي يوسف المذكور سنة 1162 كما سياتي في ترجمة سيدي يوسف ، ثم رجع للزاوية الناصرية لدرس العلوم وتلقين ورد القطب احمد بن ناصر ، وانتفع به خلق كثير ، والف تآليف عديدة ، منها شرح البردة ، وشرح وسيلة الشيخ ، واربعون حديثاً قدسياً ، وحاشية على خليل .

وممن استفاد منه وقرأ عليه جل الكتب واجازه في عام 1164 عام رجوعه من الحج السيد عبد الله مؤلف تحفة الأسرار والدرر اللوامع فيمن لقي من الأفاضل ، صافحه وشابكه واذن له ان يصافح ويشابك بيده كلَّ مَن ارادها منه بشرطها ، واخذ عنه سندها مع سند السبحة واذن له في تلقين الورد الناصري ، كما كان مكتوباً عنده ، عن الشيخ سيدي محمد بناني ، وهو اخذ عن سيدي احمد بن ناصر ، واذن له في قراءة احزاب السادات ووظائفهم .

وكانت وفاته بالزاوية الناصرية ، ودفن بالمقبرة التي بداخل الزاوية ، رحمه الله ، وبيض لوفاته .

1439) **علي بن امير المومنين سيدي محمد بن عبد الله العلوي** ، لما دخلت سنة ثمان وسبعين ومئة والف كانت وليمة عرسه بمراكش على ابنة عمه المولى احمد بن عبد الله ، وعرس ابن اخيه سيدي محمد بن احمد على ابنة السلطان ، وكانت وليمة عظيمة حضرها عامة اهل المغرب بهداياهم وابهاتهم وشاراتهم ، واستقامت الأمور للسلطان رحمه الله (202)

1440) **علي بن احمد بن الطيب الوزاني** ، توجّه لمراكش عام واحد ومئتين والف لأجل تهنئة السلطان بمراكش حين اتى من تافيلالت ، ذكره الضعيف في تاريخه ، وفيه الف الفقيه سيدي محمد بن محمد بن حمزة المكناسي (الكوكب الأسعد ، في مناقب سيدنا ومولانا علي بن سيدنا ومولانا احمد) ، وهو مطبوع بالمطبعة الفاسية بهامش (تحفة الاخوان ، ببعض مناقب شرفاء وزان) للشيخ سيدي حمدون بن سيدي محمد الطاهري الجوطي الحسني الفاسي ، ورتب (الكوكب الأسعد) على ابواب اربعة ومقدمة ، البـاب الأول في نسبه الطيني والديني وما في معناهما ، والباب الثاني في تصحيح كرامات الأولياء واثباتها بالكتاب والسنة والآثار ، والثالث في بعض كراماته وزهده وسخاوته ومحاسن اخلاقه وما في معنى ذلك ، الرابع في ذكر وفاته وتاريخها وقصائد في مراثيه وما في معنى ذلك ، وخاتمة في التصوف وحقيقته ومبانيه واهله ومعرفة الفقير وما في معنى ذلك ، وقسم الخاتمة الى اربعة فصول : الأول في التصوف ومَن اتصف به وما في معناه ، الثاني في الاجتماع للذكر وما جاء في الجهر به وما في معناه من الرقص والسماع وغير ذلك ، الثالث في معرفة الشيخ وصفة احواله وشروط الشيخوخة ، الرابع في الكـلام على مُتَفَقِّرة هذه الأزمنة وما قيل في غالب احوالهم ، ثم ذكر نسبه الطيني ، ثم قال عن نسبه الديني : اخذ عن والده مولاي الطيب عن اخيه وشيخه مولاي التهامي عن والده طيناً سيدي محمد ، عن والده مولاي عبد الله عن شيخه سيدي علي بن احمد الجرفطي نزيل صرصر ، عن شيخه القطب سيدي عيسى دفين الدعداعة (203) ، عن شيخه القطب الجامع بين

202) **الاستقصا** 8 : 19

(203) هو المكان الذي توجد به الآن قرية سوق اربعاء الغرب ، وضريح سيدي عيسى يوجد في كدية بجانبه ، وكانت القرية تعرف الى عهد قريب بسوق اربعاء سيدي عيسى ، وما احقها واجدرها باسمها الأصلي : الدعداعة .

الشريعة والحقيقة سيدي محمد بن علي بن مهدي الهروى الزمراني المعروف بالطالب دفين بـاب الفتوح احـد ابـواب فاس ، عن الشيخ سيدي عبد الله الغزواني ، عن شيخه سيدي عبد العزيز بن عبد الحق المعروف بالتباع ، عن القطب سيدي مَحمد بن سليمان الجزولي بسنده المشهور .

ولما توفي مولاي الطيب الوزاني عند طلوع الشمس من يوم الأحـد ثامن عشر ربيع الثاني عام واحد وثمانين ومئة والف قام ولده مولانا احمد مقامه كما في (تحفة الاخوان) ، وقال المؤلف في (الكوكب) توفي مولانا احمد في ضحى يوم السبت سابع عشر صفر الخير عام خمسة وتسعين ومئة والف ، ثم قال في الثالث : ان المترجم لما مات والده مولاي احمد تركه هلالا ساطعاً ، ونوراً لامعاً ، فقام مقام والده بعد وفاته ، واشتهرت ولايته في قيد حياة جده مولاي الطيب ، وكان يمده ويعلم اخوانه واصحابه بعلو قدره ، كان المترجم سنياً شرعياً حقيقياً لا سكون له ولا حركة الا باذن الله موافقاً لأحكام التنزيل ، وسنة الرسول محافظاً عليها من غير تغيير ولا تبديل ، ذاكراً الله على الدوام ، آخذاً بحديث نبينا عليه السلام ، وكان لأهل الدين مُعيناً ظاهراً وباطناً ، ولولاة المومنين حصنا حصيناً داعياً لهم في الخلوات والجلوات ، محباً محبوبا لأهل الدين ، موثراً للفقراء والمساكين ، متصفاً بالرحمة والحلم والحنانة والشفقة ، هيناً ليناً حاضاً على طاعة الأمير ، واقفا في الاصلاح بين الأمير ورعيته ، وكان يقاسي الشدائد في معالجة قبائل المغرب وامرائه وقواده منذ بويع امير المومنين مولانا سليمان الى أن توفي المترجم في التاسع والعشرين من شهـر ربيع النبوي عام ستة وعشرين ومئتين والف ، وكانت تأتيه الوفود والركبان برسم الزيارة من اقصى المغرب وادناه ومن بلاد الصحراء الى السودان ، ومن البلاد المشرقية والأرياف ، لا تكاد تفتر عنه الركبان في الفصول الأربعة ، سيمـا فصلي الربيع والخريف ، وكان يدخل عليه من الأموال النقدية وغيرها ما لا يدخل على أحد من ملوك المغرب ، ومع هذا لا تجده يملك ديناراً ولا درهماً يفضل له ، والصائر اكثر من الداخل ، والعطايا للحاضر والغائب ، وكان لا يدخر من الدنيا شيئاً سوى ماكان من خزائن الكتب والسلاح والخيل والسروج والبارود والرصاص ، وكان يحض على الرماية بقصد الجهاد ، وكان يعالج الزوار كلا بما

يناسبه ، ويرجع كل واحد من عنده مجبور الخاطر ، وكان يزور مولانا عبد السلام بن مشيش وسيدي ابا سلهام وسيدي علي بن احمد الجرفطي ، وهكذا كان شان مَن تولى بعده ولده سيدي محمد العربي شيخ الوقت ، ثم ذكر في الباب الرابع ان سيدي حمدون بن الحاج ارخ وفاته بشكور 1226 في القصيدة التي رثاه بها ، وممن رثاه الامام العلامة سيدي العربي ابن القدوة سيدي المعطى بن الصالح الشرقي يقول في قصيدة طويلة :

محل الثنا المولى علي بن احـمـد ... مزيح كروب القاصدين لدى العسر
تقي نقي ماجـد متـواضـع ... عفيف نزيه لا يمل من الـذكـر
يخـاف الاه العالمين ولم يـزلْ ... يراقبه ما دام في السر والجـهـر
يفر من الدنيا التي غرت الـورى ... وينظرها خوف الهلاك على شـزر

الى ان قال :

محبكم العربي بن معطَى يـروم ان ... يكون له من نصحكم اعظم الأجـر

ورثاه ايضـا الفقيه الأديب الشريف سيدي احمد بن محمد شقـور وسيدي سليمان الحوات والفقيه سيدي محمد بن عبد الزحمان المطاوري ، ومولانا احمد بن عبد الملك المكناسي بقصيدة من جملة ابياتها :

واسأل بسط الكف من عالم الورى ... عنيت الرهوني الذي زانـه الـبـر

وغيرهم يطول ذكرهم فراجعها في التاليف المذكور (204) .

ويروى عن المترجم ايضا اولاده عبد الجبار واحمد وعبد الله ، وتقدم ذكرُ دخـول المترجم لمراكش في ترجمة سيدي أحمد بن محمد بن قاسـم القسطالي الرباطي (205) .

---

204) مراثيه كثيرة وبعضها من الشعر الجيد ، وهي تبتدي في ص 288 من **الكوكب الأسعد**

205) انظر 2 : 405 ع 282

وينظر عن المترجم كتاب **الكوكب الأسعد** ، **في مناقب سيدنا ومولانا علي بن سيدنا ومولانا احمد** ، فاس ــ مطبعة الأزرق ــ 1324 هـ .



1441) **علي بك العباسي** (206) الرحالة. ارتاد مراكش وسائر افريقية الشمالية في اوائل القرن الماضي ، ومن فوائده ان المراد بالأطلانتيك قسم في شمالي افريقيا يمتد من جبل الأطلس عند حدود الصحراء الغربية الى البحر المتوسط ، وعنده ان هذه البقعة من الأرض كانت جزيرة يحيط بها البحر المتوسط من الشمال والشرق والأطلانتيكي من الغرب ، وكان في

---

206) جاسوس اسباني ومغامر دولي ، اسمه الحقيقي باديا كاستيو اي ليبليش **Badia Castillo y Liblich** ولد بمدينة برشلونة وتلقى تعليمه العالي بجامعة بلنسية ، وتعلم لغات عديدة ومنها العربية التي تعلمها في مدريد ، وكان يتقن العلوم الرياضية والفيزيا والفلك والطبيعيات ، ولما بلغ سن الرجولة في بداية القرن التاسع عشر عرض على حكومته ان يقوم لحسابها برحلة اكتشافية علمية وسياسية في الاقطار الافريقية وخاصة في المغرب الأقصى ، فأذنت له وامرته ان يتصل بالسلطان مولاي سليمان ويحاول اقناعه بمنح اسبانيا مرسيين على المحيط الأطلسي وامتيازات اقتصادية لقاء مساعدته للقضاء على الخارجين عليه ، فنشط باديا كاستيو المذكور للعمل ، وتنكر في زي تاجر مسلم من اهل حلب مسمياً نفسه علي بن التاجر عثمان الحلبي ، ومدعياً انه من ذرية الخلفاء العباسيين ، وذهب بهذه الصفات والأسماء المنتحلة الى لندن فاختتن والتحى ، ثم انتقل الى باريس وعرض خدماته على الحكومة الفرنسية فشجعه الوزير طاليران **Talleyrand** بموافقة نابليون بونابرت، وكتب الى كيلي **Guillet** ممثل فرنسا بطنجة يأمره بمساعدته . فذهب الى المغرب ووصل طنجة يوم الأربعاء 9 ربيع الأول عام 1218 هـ (29 يونيو 1803 م) مثقلا بالهدايا التي حملها الى السلطان والأمراء ورجال الدولة . فاجتمع فيها بالسلطان مولاي سليمان في شهر جمادى الثانية (اكتوبر) ، ثم سافر منها الى داخلية المغرب حتى وصل مراكش يوم الأحد 13 ذي القعدة عام 1218 هـ (25 مارس سنة 1804م) مدوناً في رحلته المعلومات السياسية [illegible] التي تحتاج اليها مصالح الاستخبارات باسبانيا وفرنسا ، وحاول عدة مرات ان يستدرج السلطان الى عقد اتفاق مع اسبانيا ، فلما لم ينجح حاول الاتصال ببعض الخارجين عليه ، فبدأ السلطان يتشكك في نيته وان لم يتشكك في صحة اسلامه ، كما تشكك فيه قناصل الدول الأجنبية ولا سيما قنصل بريطانيا العظمى ، ولما خاف على نفسه الفضيحة لم يسعه الا استئذان السلطان في الذهاب الى المشرق للحج فسافر في شهر رجب عام 1220 هـ (اكتوبر 1805 م) قاصداً طرابلس ، فحج وزار مصر والشام وفلسطين وتركيا ، ومات ببادية الشام في قلعة البلقاء قرب مدينة الزرقاء يوم الثلاثاء 29 شوال عام 1233 هـ (1 شتنبر سنة 1818 م) .

جنوبها بحر يتصل بالأوقيانوس ثم جفّ لاسباب جيولوجية ، ومكانـــه الآن صحراء ليبيا الشهيرة (207) .

1442) **علي بن يوسف الدرعي** ، ورد على مراكش عام اثنين ومئتين والف . ذكره الضعيف في تاريخه .

1443) **علي الشريف البوعناني** ، دفين مراكش ، اخذ عنه سيدي عبد الله السكياطي ورفيقه سيدي محمد التهامي الأوبيري بعضاً من الشاطبيـــة ، مات رحمه الله بمراكش ودفن بباب اغمات .

ذكره في (اتحاف الخل المواطى) .

1444) **علي بن مسعود العلمي**

علي بن مسعود بن عبد الرحمان بن يعقوب بن ابراهيم بن الحسن بن علي بن عثمان بن سعيد بن عبد الوهاب بن علال ابن القطب مولانا عبد السلام الحسني ، الشريف الوجيه الشهير ، تقدم ذكر والده مـــــولاي مسعود (208) المشهور بالفضل والجود ، المذكور في كتاب محمد بن محمد الصادق ابن ريسون الذي ألفه في الأشراف (209) .

وقال في درة المفاخـــر : منهم بمراكش المجيح المداد سيدي عـــلال بن مولانا عبد السلام ، وتقدم ذكر والده مولاي مسعود ، وهو والد الشريف الفاضل مولاي مسعود والد سيـــدي محمد ، دفيني السرائـــر بمسفيوة قـــرب سيدي عبد الله الغياث ، وهو المذكور في ترجمة السيد الغالي بن المكي بـــن سليمان ، وانحصر عقب المترجم مولاي علي في اولاده الثلاثـــــة المعقبين : مولاي مسعود ، واخيه مولاي عبد القادر ، واخيه سيدى محمد ، وانحـ...

---

207) ينظرعن علي باي العباسي مقال قيم للأستاذ المرحوم عبد القادر الخلادي نشر في مجلة **دعوة الحق** س 14 ع 6 — 7 ص 167 (يونيو — يوليوز 1971) .

208) انظر 7 : 266 ع 991 من هذا الكتاب

209) اسم الكتاب : فتح العليم الخبير ، في تهذيب النسب العلمي بأمر الأمير .

عقب الأول في اولاده الأشقاء الثلاثة : مولاي عبد السلام ، ومولاي ابراهيم ، ثم سيدي محمد ، واخيهم للأب مولاي احمد ، وانحصر عقب مولاي عبد القادر في الأولاد الأربعة الذين عقبوا : سيدي محمد واخوته مولاي العربي ومولاي ادريس ومولاي احمد ، وانحصر عقب الثالث في مولاي احمد ومولاي المهدي ، فأعقب سيدي احمد محمدا ، واعقب مولاي المهدي مولاي احمد وسيدي محمد ومولاي الحسن .

وتوفي المترجم عام 1275 ودفن بضريح سيدي مولاي ابراهيم بن ادريس المشيشي بالقصور .

1445) علي بن محمد الدباغ الادريسي الفاسي

علي بن محمد بن عمر بن محمد بن ادريس بن الغوث مولاي عبد العزيز الدباغ الادريسي الحسني الفاسي دفين البقيع الشريف ، الفقيه الصوفي الذاكر الوجيه ، دخل مراكش ، قال السيد عبد الحي الكتاني في معجم اصحاب الرضوي : كان عارفاً بالأسماء واسرار الحروف وعلوم القراءات وغيرها ، (اخذها) عن العلامة الصالح الأستاذ المقريء احمد المدعو حا ابن عبد العزيز بن عمر الصديقي نسباً .الوزير الهنتيفي السوسي ثم الفاسي المتوفَّى بالمدرسة المصباحية من فاس سنة 1285 وهو عن ابي المهدي الدكالي عن سيدي التهامي الوبيري وعبد الله السكياطي ، وهما عن خاتمة القراء محمد بن عبد السلام الفاسي ، واخذ احمد حا الهنتيفي المذكور ايضاً عن احمد السباعي عن سحنون عن محمد بن علي اللجائي عن عبد الرحمان بن ادريس المنجرة بأسانيده . ثم قال واخذ علوم الأذكار واسرارها والجداول وتراكيبها عن ابيه النادرة محمد بن عمر الدباغ ، المدخول اليه في هذا الفن عن شاسع البلدان ، المستصغر ما عند غيره فيه كائناً مَن كان ، حتى لا ينظر الا بنظر اصاغر الولدان ، وروى من طريقه الطريقةَ الشرقيةَ الناصريةَ والجزوليةَ وغيرها ، بل ادرك جده الصالح الفقيه عمر بن محمد بن ادريس المتوفى سنة 9 تلقى منه بعضَ الأسرار ، وانضمَّ الى الشيخ مَحمد صالح لما قدم من فاس ، فلازمه واقبل عليه بكليته ،

وخصَّه من فوائده بما لم يخص به احداً ، واجازه بجميع ما عنده من علوم وأوراد ، وكل ما فيه نفع للعباد ، ولقَّنه الطريقةَ القادرية ، واباح له ان يرويَ عنه سائرَ القراءات وكل الكتب الحديثيَّة ، وقد وقفتُ على اجازته منه في كناشه ونصها ، ثم اوردها واشياء اخرى ، ثم قال وما زال المترجم بعد اجتماعه بالشيخ محمد صالح مركزاً للفوائد والفرائد ، مقصوداً للشهادة والوثائق ، ويحكى ان الوزير موسى بن احمد تعلق له غرض بشيء من علوم الأسرار ، فقضاه له ، فأعطاه نيفاً وعشرين من الضبالين (210) ، وحج في ءاخر عمره وزار ، وحطَّ بالحرمين الشريفين الأوزار ، واغتنم لقاء مَن بهما من الواردين والمستوطنين ، واستجاز من كثيرين كمحدث المدينة الشيخ عبد الغني بن ابي سعيد الهندي ، وابن اخيه الشيخ محمد مطهر بن احمد سعد شيخ الطريقة النقشبندية ، والعارف احمد بن منصور الرفاعي ، والسيد محمد حسين ابن الشيخ محمد صالح جمل الليل الشافعي المكي النقشبندي ، واخترمته المنيةُ هناك فمات سنة 1290 ودفن بالبقيع الشريف ، واجاز ابا الحسن بن طاهر المدني في قدومه الأول للمغرب ، واسند له غلطاً الحصن الحصين بسند ابن الجزري في القراءات ، واجاز الحسيب عبد الحفيظ بن علي بن عبد الحفيظ بن محمد بن التاودي برادة المتوفى ثالث المحرم فاتح سنة 1327 وروى عنه الصلاة الامية ابو محمد بن الهاشمي السلَوي عن الشيخ محمد محمد صالح ، ثم ذكر المؤلف سنده الى الغوث عبد العزيز الدباغ هذا الذكر الاجتماع بسيد الأرسال : اللهم اني اسألك بنور وجهك الذي ملأ اركان عرشك وقامت به عوالمك ، ان تجمع بيني وبين حبيبك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في الدنيا قبل الآخرة كما جمعت بين الروح والنفس ، واجعلْه روحاً لذاتي انك على كل شيء قدير ، الا ان شيخنا الحبيب يعني سيدي محمد اخ المترجم قال لي ان عدده مئة مكررة ، والذي رايتُه بخط اخيه علي ان عدده مئة وعشرون مرة ، ثم ذكر انه شارك المترجم في بعض شيوخه ، ثم ذكر حديث الدعاء في الملتزم بمكة ، وقد كتب في ترجمة سيدي علي المذكور اربعة اوراق بخطه .

---

(210) جمع ضبلون عملة ذهبية كبيرة

1446) علي بن امير المؤمنين مولانا عبد الرحمان العلوي ،
كان رحمه الله له اعتناء بأهل العلم ومجالستهم ، مجالساً لأشياخه منهم وغيرهم كالنحوي مولاي احمد بوغربال والفقيه ابن عزوز والفقيه سيدي احمد ابن مبارك ، ومحمد الكنسوسي ، وشيخنا السباعي ، وغيرهم ، وكان كلفاً بجمع الكتب الغريبة والبحث عنها ، وكانت له خزانة كبيرة ، وكانت له ملكة في العلم والمذاكرة ، وكان يحضر مع اخويه مولاي العباس ومولاي الرشيد عند العلامة قاضي مراكش سيدي الطالب ابن الحاج في صحيح الامام البخاري بين العشاءين بجامع ابن يوسف ، وفي سنة اربع وسبعين ومئتين والف بعثه والده للحجاز بقصد اداء فريضة الحج مع اخواته المولى ابراهيم والمولى عبد الله والمولى جعفر وابن عمهم المولى ابي بكر بن عبد الواحد بن محمد بن عبد الله ، وبالغ السلطان رحمه الله في حسن تجهيزهم بما لمْ يتقدمْ مثله لاخوته الذين حجوا قبلهم سواء من الأموال او من الرجال او من الأدوات والمراكب الفارهة والمرافق العديدة ، وبعث معهم من الأموال شيئاً كثيراً لاشراف الحرمين ولخواص معينين من الفقهاء والمجاورين ، ووجه اكابر التجار والأمناء العارفين بعوائد البلاد والأقاليم والأمم ، مثل الحاج مُحمد بن الحاج احمد الرزيني التطواني (211) والحاج محمد ابي جنان البارودي

---

211) يوجد في مديرية الوثائق الملكية بالرباط عديد من الربائد تتعلق برحلة الامير مولاي علي بن عبد الرحمان الى الحجاز مع اخوته لأداء فريضة الحج ، ونكتفي هنا باثبات واحدة منها لما فيها من التفاصيل الوافية ، وهي رسالة مؤرخة في 7 رمضان عام 1274 هـ موجهة من السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام الى الأمين الحاج محمد الرزيني التطواني المذكور ، ونصها :

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

(الطابع السلطاني الصغير بداخله)

(عبد الرحمان بن هشام الله وليه ومولاه)

خديمنا الأرضى الحاج محمد الرزيني

وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته ، وبعد ، اصحبكم الله الحفظَ والسلامة ، ومنحكم في هذه الوجهة السعيدة غايةَ البرِّ والكرامة ،

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

خديمنا الأرضى الحاج محمد الزبدي وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد اصحبكم الله
الحفظ والسلامة وصحبكم في هذه الوجهة السعيدة غاية اليمن والكرامة واعلم انا افضنا في مدة الايام التي
كلمناك بها مع انفسنا وجعلناك للاولاد الحجيج الله انا ومن لا ابن ومن اوصيناهم بزادك وبوصيتك بهم
ومثلك لا يحتاج لوصية لاسيما فيهم ما تاتيه وما تذره ونسال الله لكم التوفيق والاعانة وان يفتح لكم ابواب
الخير والسعادة واعلم ان ولدنا مولاي عبد الله هو الكبير منهم وقد امرناهم ان يكونوا عند اشارته ووقفنا
معه اشارة في الواسطة بينك وبينهم ومن بعدنا لكم ما تحملون من المال للتصدق به على الفقراء من بعض
الشرفاء فاحرزوه منه بعناية وبعدنا لكم الساعي بتطوان بصحبة وكيل الحاج احمد الحداد والطالب محمد النقيب
ولد ... الصابر فعلكم فيه على قاع الامام الرد ومع لكم ايضا نسخة من رسم الحاج محمد بن البرودي ..
مما توجه مع الشهادة الذي لاحد لا ان انتقل الحال الى الزيادة او النقصان في بعض الامور بقي من الحاج ما لا يتاتى
انتفاع لان كروفنا له حكم بمصر واما الصلات التي تفرق بمكة والمدينة والينبع ومصر والاسكندرية
فعملكم فيها على قاع الزمام المذكور من غير زيادة ولا نقصان بعد رفع اليد بكل محل فاقوم فيه في الزمام لا غيره
ومن كان منهم ممن يعينه من عالم او غيره ولا زال في قيد الحياة فيدفع له نصيبه مثل الموتى لا غيره ومن مات
منهم من خلفه في معاينه فيدفع له نصيبه حتى تستوفوا جميع ذلك على قاعدة لكل محل واما الفعل في سبيل
سبيل الله فمن عينا له عشر الف ريال اجعلوا عشرة الاف منها بمكة وعشرة الاف بالمدينة ولكم النظر فيها
بما يناسب للوقف بحيث تبقى منفعته جارية واجره ثابتا ان شاء الله فان العام بجيئة ما انتظاره نظركم ورايتم
فيه المصلحة والمنفعة الجارية فافعلوه فيها فانا نجعلونه بالمدينة الشريفة فيتوا فيه امرا معلوما بكونه
يستعمل كل صباح عوضا انما الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ويوهب لغيرها الشهيد بحسب السلابة عنا بحيث
يقول منها مدينة من مال بن ملار واما السرايا بقاضي فيه وجهنا له اربعة من الخيل مع سروجها للاربعة
التي امليت بها بحيث تصلوها ان شاء الله او معونتنا له مع سيف الذهب واما سيف الفضة فاد فعوه
لو بيرنا بن بسوبرنا في الشيوخ مع الحيال والسلام لكم النظر فيه من رايتم يستحق شيئا منها فادفعوه
له ومن حملتهم شريف مكة وباشاته وباشا المدينة فلكم النظر فيما تعطوه لكل واحد منهم مما له من السليب
والنصاري تحت قايدهم لكم فيه العزا وقد امرضنا الحاج بوجناه الباردي بمثل ما امرناك به
اصحبكم الله السلامة في ذهابكم وايابكم والسلام في 7 رمضان المعظم عام 1279 اهـ

التلمساني ، وبعث معهم قاضي مكناسة الفقيه العلامة السيد المهدي بن الطالب ابن سودة المري الفاسي ، واخاه الفقيه العلامة السيد احمد ابن سودة ، في جملة من الفقهاء يقرأون عليهم ، وتلقاهم صاحبُ مصر في

واعلمْ انا اقمناك في هذا الأمر الذي كلفناك به مقامَ انفسنا ، وجعلناك للأولاد اصلحهم الله اباً وهم لك بنون ، وقد اوصيناهم بذلك ونوصيك بهم ، ومثلك لا يحتاجُ لوصية ، لأنك تعرف ما تاتي وما تذر ، ونسال الله لكم التوفيق والاعانة ، وان يفتح لكم ابواب الخير والسعادة .

واعلم ان ولدنا مولاي عبد الله هو اكبرهم . وقد امرناهم ان يكونوا عند اشارته ، ووصيفُنا سعيد الشاوي هو الواسطة بينك وبينهم .

وقد نفذنا لكم ما تصحبون من المال للصائر والصلات ، وما هو بقصد السبيل ، فحزتم ما حزتم منه بفاس ، ونفذنا لكم الباقي بتطوان وطنجة ، وكتبنا للحاج احمد الحداد والطالب محمد الخطيب بذلك .

فاما الصائر فعملكم فيه على ما في الزمام الذي دفع لكم ، اذ هو نسخةٌ من زمام الحاج محمد بن البدوي برادة لما توجه مع الشرفاء المرة الأخرى ، إلا ان اقتضى الحالُ الزيادة او النقصان في بعض الأمور فيرى الحاضرُ ما لا يراه الغائب ، لأن كل وقت له حكمٌ يخصه .

واما الصلاتُ التي تفرق بمكة والمدينة والينبع ومصر والاسكندرية فعملكم فيها على ما في الزمام المذكور من غير زيادة ولا نقصان ، ففرقوا في كل محل ما هو مبين في الزمام لأهله ، ومَن كان منهم مسمى بعينه من عالم او غيره وما زال على قيْد الحياة فيدفَع له مثل المرة الأخرى ، ومن مات منهم فمَنْ خلَفَهُ في مقامه فيدفع له نصيبُه حتى تستوفوا جميع ذلك على ما عُين لكل محل .

واما ما يُجعَلُ حبُساً في سبيل الله فقد عينا له عشرين الف ريال . اجعلوا عشرة آلاف منها بمكة وعشرة آلاف بالمدينة ، ولكم النظر فيما

الاسكندرية وبالغ في الحفاوة بهم ، ثم رجعوا لمراكش بعد الحج والزيارة ، وباتوا بقنطرة نسيفة (تانسيفت) ، وفي الغد ركبت الخيول والعساكر السلطانية لتلقيهم ،وخرج اهلُ مراكش في زيهم وزينتهم ، وكان يومُ لقائهم يوماً مشهوداً وموسما من المواسم المعظمـــة معدوداً ، قـــال في (الجيش العرمرم) بعد ذكر ورود المترجم من الحج عام خمسة وسبعين ومئتين والف ما نصه : وكان مولانا علي بن امير المومنين مركز ذلك المركب السعيد وبياض غرته ، ومناطَ رضى امير المومنين وموضعَ نظرته ، فوجهت له في ذلك اليوم هذه القصيدةَ تهنئةً بكمال حجته ، وسلامة رجعته ، وهي هذه :

يناسبُ للـوقف ، بحيـث تبقـى منفعتـه جارية واجره ثابتـاً ان شاء الله ، فان الحاضر بصيرة ، فما اقتضاه نظركم ورايتم فيـه المصلحـة والمنفعةَ الجارية فافعلوه ، غير ان ما تجعلونه بالمدينة المنورة عينوا منه قدراً معلوماً لمَن يكونُ يستعملُ كلَّ صباح عدداً من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ويهديها لقبره الشريف بحسب النيابة عنا ، بحيث يقول هـذه هدية من فلان الى فلان .

واما الهدايا فصاحبُ مصر وجّهنا له اربعة من الخيل مع سروجها الأربعة التي اقيمت بفاس ، فحيث تصلونها ان شاء الله ادفعوها له مع سيف الذهب ، واما سيف الفضة فادفعوه لرئيس بابور سويس ، وباقـي السيوف مع الحياك والسطارم لكم النظرُ فيه ، فمن رايتموه يستحق شيئاً منها فادفعوه له ومن جملتهم شريفُ مكة وباشاها وباشا المدينة ، فلكم النظر فيما تدفعون لكل واحد من ذلك من المسلمين والنصارى بحسب ما يظهر لكم فيه الصواب .

ونامر خديمنا الحاج بوجنان البارودي بمثل ما امرناك به .

اصحبكم الله السلامة ذهاباً واياباً ، والسلام .

في 7 رمضان المعظم عام 1274

نضت عن محياها المحجبة السترا … وابدت على خوط الأراك لنا بدرا
وقامت تجرُّ الذيلَ من نشوة الصبا … كما ريع ظبي عند ما استشعر الذعرا
وباحت بأسرار الغرام تهتكاً … وتلزمنا في الحب ان نكتم السرا
ومن فضحتْه في هواه دموعُه … وارهقه التبريحُ من امره عسرا
واضرمت الأشواقُ بين ضلوعه … ضراماً فلم يسطعْ خلاصاً ولا صبرا
تسابقه في جريها عبراتُه … ومن ذا يردُّ السيلَ ان وجد المجرى
فكيف يواري بعد ذلك سره … وقد عاد منه السر بين الورى جهرا
فذاك الذي لا يختشي لومَ لائم … وذاك الذي في الحب قد بلغ العذرا
يهيمُ به مستعذباً لعذابها … فلا يرتجي وصْلا ولا يشتكي هجرا
فتاة زهاها حسنها وجمالها … فلم ترض سدلا للبراقع والخمرا
تميس كغصن البان رنَّحه الصبا … تخال بهْ سكراً وما شربت خمرا
وما هو الا ان أتاها مبشر … يقول لمَن في الحي يهنيكم عشرا
هنيئاً بنجم السعد قد لاح طالعاً … واصبحت الآمال يانعة خضرا
فمن كان يرجو ان توافيه المنى … فقد آن ان يرضَى وحقت له البشرى
فقد عاد مولانا ابو الحسن الذي … يقول انا سعد السعود ولا فخرا
سليلُ امير المومنين وشبلُه … وصارمُه ان حاول الفتكة البكرا
علي الذي قد شرقت ثم غربت … علاه فلم تترك حجازاً ولا مصرا
ومَن كعلي في المكارم والندى ؟ … اذا ما الغمام الجون قد منع القطرا
ومَن كعلي في مصادمة العدى ؟ … اذا اقتادها جرداً محجلة غرا
متى ذخرت منه الليالي ذخيرة … سيوسعها جبراً اذا صادفت كسرا
له همةٌ اعلى من النجم قدرها … فما قيصر مدنى لهن ولا كسرى
وقد عاد من ارض الحجاز مهنئاً … بأفضل سعي فيه قد ربح التجرا
وفاز بحج واعتمار وزورة … لخير الورى اعظمْ بما ناله قدرا
تسنَّم اثباجَ البحار اجابة … لداعي الهدى مستسهلا مركباً وعرا
ولما استقلَّ البحر منه بمثله … عجبنا لبحر حامل فوقه بحرا
وهبَّتْ له باليمن من كل جانب … رياحٌ من الاقبال دائمة المسرى
الى ان احلتْه السعادة منزلا … بمكة في مثواه قد وقع الاسرا

وطافت به بين المقـام وزمـزم ... وقبل ما في الركن واحتجر الحجرا
وشاهد هاتيك المواقفَ كلهـا ... ونال من الخيرات مرتبةً كبرا
وقال له الاسعاد هـا انت والمنى ... ودونك فالدنيا تجيبك والأخـرى
ومن بعد ما حاز الرغائبَ كلها ... وودع بيت الله واستكمل الأمـرا
دعاه اشتياق المستجن بطيبـة ... فسار يجوب البيد والمهْمهَ القفرا
تلوح له الأنوار من نحو يثرب ... وتهدي اليه الريحُ من ارضها العطرا
فودّ لو ان الريحَ كانت تقلـه ... على متنها او كان قد صاحب البرا
فما زالت الأكـوار والعيسُ ترتمي ... به ودواعى الشوق قد وقدت جمرا
فلمـا تبـدتْ للحبيـب ديـاره ... جرى الدمع واهتاجت صبابته الحرا
وخرت وجوه العاشقين على الثرى ... سجوداً لمولانا الذى اوجب الشكرا
هنالك تهتزُ الملوك بذلهـا ... ويترك فيه الكبرَ مَن ألف الكبـرا
هنالك حيث الدينُ لاحت شموسـه ... وحيث بدا الايمانُ واختزل الكفرا
منازل حنَّ الجذعُ فيها لأحمد ... وزلزلت الأحزاب اذ مكرت مكرا
منازل كان الوحيُ فيها منزلا ... وكانت لها الأملاكُ زائرةً تترى
مواطـن كانت تحت باطن اخمـص ... به وطيء المختار في العرش اذ اسرى
الم تكُ اهلاً ان تدارس بأوجـه ... وتجعل في الأجفان تربتُها الغبرا
تراب يهينُ المسكَ نفحُ اريجـه ... ويرخص اثمان اليواقيت والتبـرا
فلو ديف من ذاك التراب وضمخت ... به عاهة كانت بتضميخها تبرا

* * * *

امولى الموالي ياعلي بلغت مـا ... رجوت من الفخر الذي جاوز الشعرى
دخلت على باب السلام مسلماً ... على سيد الأكوان خير الورى طرا
كذلك على الشيخيْن سلمتَ بعده ... ضجيعيْ رسول الله في الروضة الغرا
وصليت بيـن القبـر والمنبر الذي ... لديه يحطُ الوزرُ ان اثقل الظهرا
شفيت غليلا واقتضيت مثارمـاً ... جلائلَ لكن لا تباع ولا تشرى
واعطيت كنزاً من مواهب ربنا ... فأعظم به كنزاً واعظمْ به فخـرا

وجاءك نصرُ الله والفتح فارتقبْ لمطوي نصر الله أن يعقب النشرا
وألبسك المولى الكريـم ملابساً من العز لا تبلـى ولا ربها يعرا
بعـز امـيـر المومنين وسعده وأيامـه اللاتي عرفنا بها الخيـرا
فنسأل ربي ان يمد ظلالـه ونسأل ربي ان يطيل له العمرا (212)

ثم قال : وكان مولانا المظفر نصره الله لما ورد عليه الخبر باشتداد المرض على السلطان والده يعني في محرم عام 1276 خرج من مراكش وخلف اخاه الأجل الأبر الأكرم المفضال ، ذا الأخلاق العاطرة التي يحسدها الروض الأنُف المخضال ، مولاي علي خفظه الله ، فباشر الأوامر والنواهي ، مباشرة العقلاء الدواهي ، وكان لا يقطع امرا قليلا او كثيرا الا بعد مشورة مولانـا نصره الله ، وكان يعالج ما يضايق به الزمان بسعة اخلاقه ، ويقابل كل مـا يتعسَّر باستفتاح اغلاقه ، حتى تملك القلوب بلين الجانب وخفض الجنـاح ، وتسهيل المشاق ورفع الجُناح ، ولولا ذلك لاحترق الحوز كله بما استوقده الرحامنة الصحراويون من نار الفتون ، وانصبابها كالمطر الهتون ، فانهـم عمدوا الى سوق الخميس بمراكش فنهبوه ، وكل من ظفروا به خارجاً او داخلا سلبوه ، فانقطعت السبل برهة من الزمان ، لعموم المخافة وعدم الأمـان ، وارتفعت الأسعار ، واكل ما استعد بالادخار ، وقُطع ما حـول الأسوار مـن الأشجار واحتطب ، وحصد الزرع المدرك في ابانه لغير زراعه واغتصب ، واشتد الحصار ، وتخاذل الأعوان والأنصار ، والخليفة المذكور يدافع مزيد شرورهم بالاحسان ، وحسْنِ الخُلق وحلاوة اللسـان ، ومولانـا المظفـر نصره الله بحضرة فاس في نحر العدو الكافر ، وتقوية العساكر ، المقابلين لهم بالسواحل . وكان جهاد هاؤلاء الذين هم في باب الدار اولى من الذين تعمل لهم الرواحل (213)

ولصاحب (الجيش) المذكور محمد الكنسوسي في المترجم مولانا علي امداح كثيرة جمعت نحو سفر ، وهو الذي اخفى فتح القدوس لسيـدي احمد البكاي حتى مات ولم يره .

212) الجيش العرمرم 2 : 34

213) الجيش العرمرم 2 : 85

وقال في (الدرر البهية) في حق المترجم ما نصه : واما الفـــرع السادس ، وهو الفقيه العلامة السيـد علي ، فكـان من الفضـلاء الأجواد ، والجابذة الأمجاد ، والسراة الأنجاد ، لازم قراءة العلم مدة ، وجالس العلماء ، وخالط الفضلاء ، وكان سكناه بحضرة مراكش بحومة الكتبيين منها ، وله عقب رحمه الله وجعل الجنة مثواه (214). ومحل دفنه ضريح الشيخ عبد الله الغزواني في المحراب . وحدثني الفقيه سيدي الحاج عبد السلام اليعيشي ان المترجم اخذ عن العلامة الولي الصالح سيدي الحسن الصالح المراكشي ، وكذلك اخواه مولاي الرشيد ومولاي ابو عزة كانوا يردون لدرسه بجامع ابي حسون بحارة الصورة قرب محل سكناه في ايام والدهم ، وحدثني عن المترجم انه لما اراد والدهم ان يوجههم للحج توجهوا عنده وطلبوا منه حفيظة ، فقال لهم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال افضل ما قلته انا والنبيئون من قبلـــي لا اله الا الله ، وحدثني عنه ايضاً انه لما استخلفه صنوه امير المومنين سيدي محمد علي مراكش وكان وقع بينه وبينه تشويش وجه لــه المترجم حفيظـة ، وقال له احملْها معك ، فانك لا تخاف من شيء ، ففرح بها غاية ، ووجه لــه قدراً من المال وحلف له انه من ميراثه وانها محققة الحلية فحازها منــه ، وحين احتضر اوصاهم ان لا تدخل في ميراثه وانما يتصدق بها ، فاعلم بذلك مولاي علي فذكر ان هذا المال هو الذي كان وجه له ، فانظر الى هذا الورع رحم الله الجميع بمنه وفضله .

وقال في (المجد الطارف والتالد) بعد ذكر المترجم ووصفه بأنــه بمراكش نير فلك مجد الاكرام ، ومحط رحال الأفاضل الأعيان وعلماء الاسلام ، ما نصه : فقد نارت بمولانا علي منارة الكتبيين ، وبهمتــه العلية علت هــام الكواكب السيارة المتعلقة بأعلا عليين ، فلا ترى مجلسه عاطلا من مذاكـــرة علمية ، ولا مسامرته الا لها مع حسن الطوية .

1447) **علي بن احمد الهواري** ، القاضي بمراكش وفاس الجديد المعمر ، قال في (الحسام المشرفي) عند ذكر علماء الدولة الرحمانية مانصه : العالم

---

214) **الدرر البهية** 1 : 189

العاقل ، صـــدر الأفاضل في المحافل ، الوارث لتقارير الشيوخ الأجلـة ، والتمهيدات المؤيدة بالبراهين والأدلة ، الذي له الباع المهند في سائر الفنون ، والمشاركة في علوم المعاني والبيان والمنطق واصلي ابن الحاجب ، الـذي حجبه عنا ريب المنون ، اصرح بفضائله ، كما اوري بخصائله ، ولا اواري ، طود الأئمة ، سيدي علي الهواري ، انه لعالم حبر ، حاز فضيلة القـرب من الدولتين ، وعلى اقرانه واهل وقته واوانه فاز بالنظرتين ، تشرف جامع عدوة القرويين واهل مدارسه والجيران بجلوسه لتدريس الألفية بالتصريح وحاشية ابن كيران ويزيد معها حاشيتي يس على النظـم والتصريح ، وذلك خمس وخمسين ومئتين والف بمرأى ومشاهدة دون تجريح ، ثم انتقل بأمر مولوي لمحروسة مراكش بقصد الاقـراء مع اولاد مولانـا المقدس ، ومنهم مولاي العباس ، عام احد وستين ومئتين والف ، في معقولات المنطق ومنقولات المذهب فهو لمختصر خليل خل والف ، ثم ولي القضاء بحضرتها والخطابة بمسجدها الأعظم ، وذلك عام اثنين وسبعين ومئتين والف ، وفي ءاخر السنة المذكورة ولى القضاء بفاس العليا والتدريس الى الآن وقت التاريخ يعني عام 1285 على عهد الدولة الأولى واقرته الثانية ، ألّف التآليف ، وصنف التصانيف ، ومنها (نصيحة المغتر) ، اجاد فيها وافاد ، وكم له من اجوبة على اسئلة وردت من علي الحضرتيْن عليه وعلى علماء الوقت ، فكان المعول فيها على ما يقول ، ولا يرجع على وجهه منها ما سطره في معقول ومنقول ، والعهد بقضية احباس القصر الكبير والقضية المراكشية قريب ، وتراكيب الفتاوي في كل نازلة منهـا ، اسلوبه عجيب غريب ، اذا اردت اقامة الشواهـد على تحلية ما يقوله نقلة الأخبار في امثاله والمؤرخون لاحياء المراسم والمعاهد ، ولنا شواهد أخر ايضاً تدل على غزارة علمه في غرر القصائد مدحه بها اهل النظر الصائب ، والفكر الثاقب ، فواجب علينا تعظيمه ، وتبجيله وتفخيمه ، ومن أجل ان سيدنا المرحوم ولاه بقديم امره وباضافته لـدار المخزن يعظم قدره اذ في رحبة دار الامارة جلوسه ، فلا يماطله ناظر بل يساق اليه عند كمال الشهر مرتبه وفلوسه ، وما مدحه مادح حتى كان مقدمه ورئيسه ، ففي فضله المحسوس ، يقول الكنسوس :

ابـا حسن ان المحبـةَ فيكـم ... تخلصها منـا القلـوب وتسبـك
فلا الذأي ان عزَّ اللقـاء يضيعهـا ... فتأخذ منها النائبـات وتتـرك
ولكنها محفوظـة لك في الحشـا ... لها مسلـك الأرواح منـي مسلـك
وكانت بحالـة البعـاد نفوسُنـا ... تحنُّ اليكم دائمـاً وتـحـرك
فكيف وقـد خيمتمُ بفنائـهـا ... فكاد حجاب الصبر بالشوق يهتك
فهل لكم في زورة يشتفي بـهـا ... ويفرح مكلومُ الضلـوع ويضحـك
فلا تبخلوا يا اكرمَ النـاس اننـا ... بأقدامكـم ان جـدتـم نتبـرك
فلا زلتم للناس عـنقـاً مرجبـاً ... وانتم لهـم ذاك الجذيـلُ المحكك

وفي محاسن اخلاقه الجم يقول سعيد بن محمد جيمي :

اخا الصدق لا يبلَى مدى الدهر حبكم ... وانتم بنادي المقسطين سنا البدر
وضاع لكم في القوم حسن محبـة ... تتصلكم والميل عن منهج الحـذر
هنيئاً لكم بما مـن العفـو نـازل ... على نجلكم لا زال للبـر ذا حـذر
فقد ءان ان تجود بالعهـد زائـراً ... مقاماً لكم به صفا الـود والذكـر
فان انت جدت فاغتنم فرصـة ورد ... بيوم خميس والسوابع مـن عشـر
جزيت بخير والوجـود يمدكـم ... بما ترتضون والسلامُ على الحبـر

وفي متانة دين ممدوحي ، يقول العلامة المصلوحي :

عرج لـدى حي الحمى المعطـار ... وانظر مطالع معـدن الأسـرار
واستنشقَنْ عرفاً تأرج للصبـا ... قد اعبقتْه مجامـعُ الأسحـار
يا حادياً والشوق يزعج ركـبـه ... والوجد يخبر عن لهيب النـار
وافيتَ مَن تهوى فأبشر بالهنـا ... اذ جئتَ صفـو نتيجة الأبـرار
اعني ابا حسن الذي مـن حسنـه ... حسن المعالي الماجـد الهـواري
العالم النحريـر مَن لعلومـه ... تصبو النهى من سائر الأقطـار
مَن خامر الأفكار صفوُ شرابـه ... فصفت به من ظلمـة الأغيـار
نصر القضا اذ حـلَّ منه بـذروة ... خرت لطلعتها سنـا الأقـمـار
في الله لا يخشى ملامـةَ لائـم ... دأبـاً علي نهج الشريعـة جـار

عقـلا ونقـلا لا نظيرَ لمثلـــه ... فلواءُ عدله ساطـعُ الأنـــوار

يغريك بالمعروف قبل سؤالـــه ... بـر عطـوف هـامي المـــدرار

وترى السرورَ بوجهه ، فكأنمـا ... تهدي لـه المسئول من أوطــار

منى عليه مـع النسيم تحيـــة ... مختومـَة بقرنـفـل وعــرار

والله يجعل عيدكـم عيدَ الهنـــا ... واليمن والذكر الجميل الجـاري

تحلو بك الأيـامُ وهي مواسـم ... والدهر عيد باسـم الأزهـــار

ويديم فخـر العلم في اعقابكـم ... متواتراً في سائـر الأعصــار

ويتم من احسانكـم ونوالكـم ... صونـاً لنا من مهنـة الأشـــرار

لا عاش قلب لم يهـمْ بجمالكـم ... شوقاً الى المعنى المنير السـاري

وعلى النبي وءالـه وصحـابـه ... روض الصلاة الزاهـر المعطـار

ما اطرب الركبـان حـاد للحمـى ... وانهلَّ وابـلُ ديمـةٍ مـــدرار

وفي كثير خيره قول غيره :

يامعدنا ذهبـاً تناهى في الصفـا ... والتبـر لا يحتــاج للتبييــن

ءاباؤك الكرمـاء هـم شفعاؤنـا ... بمرامنـا ومرادنـا ترضينــي

الفقر قلبي قـد رمـى بجمالـه ... والفقر كـاد بكربـه يردينــي

فلحالنا فانظر ولا تنظـر أخـا ... حزن رجـاك وجر اجـر حزيـن

نفذْ له يا ابنَ الأماجد موضعـا ... .

واقطف جـزاك الله زهر ثنائنـا ... واعطفْ فعطفك باليقين يقينـي

في حال عُسري صل وصن وجهي ولا ... ترجىء رجاء المعـدم المسكيـن

ءال الوفـا ان الكريـم اذا دعـي ... لبَّى النـداءَ ولـو الى السكيـن

لا زلت بدراً طالعـاً في فاسنـا ... دهـراً وحسن سنـاك في تحصين

وفي طيب شمائله وبذكرها تطيب أنفاسي ، يقول سيدي جعفر ابن سودة الفاسي :

ياقاضيـا بمدينـة بيضــاء ... فاس الجديـد مدينـة غــراء

حفظ العلي اخـا الوفـاء علَّينـا ... من ءافـة الخضـراء والغبـــراء

أدِّ الفريضةَ يامريـد عندنــــا بعتيق اندلس فلست تــرائـــي
قرب نقي العرض قرب ناقـــة هب قربـة من قــريـة بـرمـــاء
واقرب امـدك ربنـا من منبـــر والقطْ يتيمَ الـدر لا مـن مـاء
شرف بعين صلاتنـا منصـــورة بدخولكم يـا نخبـة الشرفـــاء
اسلاك ربي من اخــل مـجـادة اسلاك ابريــز وخـل مـــراء
لا زلت عالي رتبـة في عتـــرة في حظـوة في حضـرة الأمـــراء
والاهْنا يكسو السريُّ ردا الهنـا والمجـد مرفـوع الى الجـــوزاء
والله اكـرم من مددنـا كفنـــا نرجوه حالةَ فاقـة لعطـــاء (215)

اشتهر صاحب الترجمة بالتدريس في جميع الفنون التي ذكرنا وتصدر للفتوى فبرعت فيها علماء المذهب الذين سطرنا .

وقد اخلَّ في ترجمة المترجم في (السلوة) حيث قال : ومن جملة مَن دفن بها يعني بالمقبرة العظيمة بالمنية الصغيرة من فاس من اهل هذا العصر الفقيه القاضي بفاس الجديد سيدي علي بن محمد الهواري ، توفي رحمه الله بفاس الجديد سابع وعشري ذي الحجة الحرام متم عام تسعة وتسعين ومئتين وألف ، وصوابـه ابن احمد لا محمد ، وحفيده هـو قاضي طنجة الآن الفقيه المشارك طيب الأخلاق ، رائق الأذواق ، الموقت النبيه ، الألمعي اللوذعي ، سيدي محمد بن احمد بن علي المذكور ، حرس الله مجادته .

عجيبة غريبة : حدثني الفقيه السيد احمد ابن المواز أنه تلاقى مع القاضي السيد علي المذكور عام اثنين وتسعين بجامع القرويين ، فسأله عما يقرأ ، فأجاب أنه يقرأ الأجرومية والألفية وجمع الجوامع على والده وعلى غيره ، فسأله اسئلة منها اعراب قام زيد ، فأجابه عن ذلك ، ثم سأله السيد احمد عن الهيللة هل تفيد التوحيد بالمنطوق أو بالمفهوم ؟ وقال لـه ان كانت تفيـده بالمفهوم فدلالته مختلف في القول بها ، وهي ضعيفة ، وان كانت بالمنطوق فما وجه الدلالة ؟ فلم يدر ما يُجيبـه به .

---

215) صحف ناسخ الأصل ترجمة علي الهواري ، وحاولنا تصحيحها من (الحسام المشرفي) ، ولكن نسخته المحفوظة بالخزانة العامة بالرباط (ك 2276) مبتورة وليس فيها اثر لتلك الترجمة .

1448) **علي بن المقدم الدرعي المراكشي** ، شيخ الجماعة الأستاذ ، حج واخذ بمصر عن الشيخ الباجوري وطبقته ، ألف حاشية على شرح المرشد الصغير في سفرين ، وهي مشتملة على ابحاث حسنة وفقهٍ كثير ، نسخت منها نسخة خرجت من مبيضتها ، كان استاذاً حافظاً للعشر ، وهو الذي احيى قراءتها بمراكش ، وعنه اخذت ، وكان سبباً في تنفيذ رواتب الأساتيذ عند السلطان مولاي الحسن ، اخذ عنه القراءات البركةُ السيد محمد السوداني والحاج ادريس بوعشرين ، وكان مدرساً فاضلا محققاً ، درس قديماً بمراكش ، فصار شيخ الجماعة بها ، وكان يفتي بها ، وترك التدريس ءاخر عمره .

توفي هرماً عن نحو التسعين سنة في اوائل العشرة الأخيرة من القرن الثالث عشر .

وكان يسكن برياض الزيتون القديم ، واشتغل اخيراً بالافتاء والاقراء للقرآن ، وكان يلبسُ ثياب الصوف ويتقشف في اموره ، واستقضي بدرعة في ايام المولى عبد الرحمان ، ثم استقضي بآسفي في ايام ولده سيدي محمد ، ورأيت في مجموع بخط الفقيه العلامة سيدي محمد ابن سعد التلمساني انه اجتمع مع المترجم بالزاوية المختارية بمدينة أزمور بحضرة قيِّمها مؤسسها الفقيه الأجل ، الملحوظ بعناية الله عز وجل ، السيد محمد ابن دحّو في فاتح حجة عام 1255 وذكر ان المترجم افاده مشافهة انه في تلك السنة توفي السلطان محمد بن عبد الحميد العثماني وولي بعده ابنه عبد المجيد .

وقرأت بخط قاضي ءاسفي سيدي الجيلالي بوخريص ان في 20 شوال عام 1286 قدم الحاج علي الدرعي قاضياً لآسفي وعبدة وحمير ، وفي شعبان عام 1287 ورد الأمرُ بنزعه مع الفقيه سيدي محمد الفجيجي المراكشي الذي ولي قاضياً بمحله ، فبقي بها الى 2 شعبان عام 1288 فعزل وولي السيد محمد الطيب بنهيمة ، ثم ولي ابن عبد الواحد في ذي الحجة عام 1293 .

انتهى منه بلفظه .

1449) **علي بن الفاضل ابن مريدة** السرغيني المراكشي ، كان رحمه الله علامة ورعاً زاهداً ، حجَّ عام 1280 ثمانين ومئتين والف ، ودرس الفقه والنحو وغيرهما ، واخـذ عن العلامة سيدي عبد القادر الدبـاغ المراكشي وسيدي احمد بن الطاهر وغيرهما ، وأخذ عنه جماعة منهم السيد المعطي ابن الخليفة السرغيني والفقيه السيد الهاشمي بوعبولة وغيرهما ، صفتُه ابيض اللون ، له نورانية تعلوه ، كان يتقشف في اموره ، اطبق الناس على الثنـاء عليه ، وانفرد من بين اهل عصره بالجد والاجتهاد والنفور عن الولاة ، متعففاً مقتصداً في معيشته ، لا يلبس الملف ، يأكل القمح والشعير ، كـان كثير الصمت لا يقبل من اقاربه وغيرهم ممن يتعاطى ما يزري بالمروءة شيئاً ، ولما كان أخوه السيد محمد الكاتب النساخ صاحب الخط البارع المدعو بخوش من الكتاب النجباء يدعى سيدي ام ولد امة جلس لقبض المستفاد ملأ ذيله بالحجر ورجمه واقامه من ذلك ، كان المترجم يخطب بجامع المنصور ويؤم بالضريح العباسي في ءاخر عمره ، وسبب الفتح عليه زيارتُه للولي الصالح سيدي محمد بن عبد المولى الصحراوي الدرعي الضرير المعمر نحو 120 مئة وعشرين سنة راجلا من مراكش الى بلاد القبلة ، فظهرتْ عليه فيوضاتُه ، وأخذ الطريقة الدرقاوية عن مولاي الطيب ، توفي في ربيع الأول عام اربعة وثلاثمئة والف او في ثالث حجة عام 1303 ، ووالده كان قاضياً بمراكش ، وتوفي في دولة مولاي عبد الرحمان ، كان المترجم يسكن بدرب العرصة من حومة تشنباشت ، ثم انتقل للزاوية العباسية .

حدثني شيخنا السباعي في ثاني شعبان عام واحد وثلاثين وثلاثمئة والف انه هو والمترجم والحاج علي القرمودي كانوا يقرءون قبل هذا بنحو خمسين سنة صحيحَ الامام البخاري عند سيدي الزوين رحمه الله ورحم الجميع.

1450) **علي بن سليمان الدمناتي البوجمعاوي** المراكشي ، الامام العارف الغارف ، اعجوبة الزمان في كثرة التصانيف والاكباب على تدريس العلوم ، المحيط بمنقولها ومعقولها ، الجامع الرحالة الراوية المسند المحدث الناظم الناثر القانت العابد الخاشع ، السُّني السَّني الناصري ، استوطن رحمه الله

مراكش ، واقرأ بها الكتب الستة والفقه وعلوم الآلة كلها ، وكان يجيز الطلبة وقتما قرأ بنا ويقول لهم لا تحتاجون الى غيري بعد أن شاء الله واذنت لكم فيما قرأتموه علي وغيره ، وكان يسرد البخاري بلفظه يقرأه كله في شعبان ورمضان يجلس من الصباح الى الزوال ، ثم يقـول للطلبة اذهبوا لتتوضأوا ، وحين يؤذن للظهر فبمجرد ما يسلم من الصلاة يرجع للقراءة ، ويقول العلم مقدم على غيره ، ثم عندما يبقى للغروب قدر التمكين يقوم لخصة الماء ويشرب ويقول لهم فضل التقديم للافطار ، ويذكر لهم ما قاله له سيدنا الخضر حين وجـده راعياً ولحيته اذ ذاك سوداء الا انها صارت وقت الحكاية لهم بيضاء ، وقـرأ مختصر خليل في اربعين يوماً حزباً في اليوم ، يقرر المتن ويقول زد ، المقصود امام ، انظر شرحنا ، ويحل ألفاظ المختصر ، ولا يقع له خلل في ذلك ، وبعض الطلبة يحضر شرح الخرشي ، وربما قـرأ لهم في اليوم عدة مؤلفات صغار ، وقرأ لامية الأفعال في يوم واحد ، وراجع ترجمة ابي الفضل عمر بن ابراهيم بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحيم بن عبد الرحمان بن الحسن بن العجمي من (الدرر الكامنة) فقد ذكر انه شرع في تدريس الحاوي بالدليل والتعليل ، والتزم ان يدرس منه كل يوم ربعه ، وجلس بالمدرسة الظاهرية فـرأ عليه طالب ، فلما وصل وقت الضحى كان يقرر كتاب الحيض واستمر الى الظهر فسئموا وتفرقوا وتحققوا انه يفي بما أدعاه .

الف التآليف العديدة في كل فن ، واختصر المصنفات وطبع منهـا كثيراً ، وكان يفرقها مجاناً رغبة في انتشار العلم ، اختصر حواشي السيوطي على الكتب الستة ، وزاد عليه فيها وطبعها ، وشرح مختصر خليل : (صرح الخليل ، في شرح الخليل) اعتمد فيه شرح الدرديري واختصره وبينه وصححه وفتح مغلقه ، والدرديري اختصر شرح الزرقاني ، وهو في مجلد في القالب الكبير بخط اليد ، والتحفة لابن عاصم ، والفية ابن مالك عدة شروح ، منها ما هو في اربع مجلدات ينافح فيها عن الناظم ويجيب عنه ما تعقبه عليه الشروح والحواشي ، وقفت عليها كلها ، ومن جملة تاليفه فهرسته المسماة (اجلى مساند على الرحمان ، في اعلى اسانيد علي بن سليمان) ، ذكر فيها انه اجاز كل تلامذته ، اينما كانوا كل ذي فرئى منه ، وانه سلك فيها مسلك فهرسة

الشيخ الأمير الكبير مع زيادات من غيره نحو رسالة الصفوي محمد الهندي والشيخ محمد الشنواني والشيخ احمد بن عبد العزيز الهلالي ، و (اليانع الجنى ، في اسانيد الشيخ عبد الغني) ورتبه على ثلاثة عشر باباً وخاتمة ، الأول في سبب رجوعه للقراءة ، الثاني في مرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم التي كانت سبب رجوعه لقراءة العلم ، الثالث فيمَن اجازه واولهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الرابع في سند القرآن المجيد ، الخامس في سند كتب الحديث السبعة ، السادس في سند غير السبعة ، السابع في المسلسلات ، الثامن في التفسير ، التاسع في الكلام ، العاشر في الفقه ، الحادي عشر في الآلة ، الثاني عشر في التصوف ، الثالث عشر في التلقين ، والأذكار ، الخاتمة في الطريق الشاذلية ، وذكر في الأول انه كان في اول امره حين كان وليداً أبلد مَن رأى واجراه وكان والده رحمه الله لا ينبغي لكل ولد له بدلا عن القراءة ، فلم يتمكن من تركها الى المراهقة ، فتوفي والده فتركها ، وكانت والدته تتأسف على ذلك وتدعو له ، وكثيراً ما تقول نور الله قلبك بل صدرك ، ثم كان خاتمة ذلك ان غاب راعي غنمهم فرعاها الى قرب اصفرار يوم مبارك ساقه الله الى جبل عال بئاخر مرعاهم منفرداً عن الرعاة ، فاستقبله راعي غنم ماراه قبل ولا بعد ، فاستقبله قائلا ياعالم صرت راعيَ غنم ، فالى مَ انت مع رعايتها ؟ وجعل يمسح على رأسه ويقول : مَن كان عليه هذا الشعر تصلح على يديه الغنم ، ثم ذهب للقراءة وحفظ القرآن وحصل على ما قدر له من علم ، ثم انبىء بعدُ انه ابو العباس الخضر عليه وعلى نبينا افضل الصلاة والسلام ، ثم ذكر في الثاني انه كان لا يحفظ شيئاً من القرآن الا عرف معناه ، وكان اشياخه يسألونه عن معنى ما لم يحفظ منه ولا يغلبه منه الا غريبه ، وكان ولوعاً بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم نظماً ونثراً ويجري على لسانه دعوات واذكار تظن انها من احزاب الشيوخ ، فصار يقول متأسفاً ياليتني عرفت العلم فأحسنها كل الاحسان ، فكان من المنن ان رأى مناماً نفسه داخلا داراً مزخرفة فيحاء مشرقة لا يظن بها غيره ، فاذا به صلى الله عليه وسلم دخل عليه من بابها وهو عنده من داخلها ، فأخذ بيده قائلا تعالَ لتقرأ ، قال فاستقبلنا بيتاً من بيوتها فلما دخلناه وجدنا درساً قد استدار بأشخاص جلة ذوي هيأة ما رأيت مثل

اهل ذلك المجلس قط ، فلما رأوه فتحوا له فرجة ليجوز لمقامه ، ثم ردت تلك الفرجة وصار نصف القوم يميناً ونصفهم يساراً ، فقال صلى الله عليه وءالـه وسلم هذا مقامك فاجلس ، فجلست بتلك الفتحة قبالة وجهه صلى الله عليه تعالى وءاله وسلم فكان ذلك الفتح اول فتح فُتح لي في العلم ، انتهى .

ثم قال بعد : رايته صلى الله عليه وسلم اعطاني كتاب النحو واخرى اعطاني بها كتاباً وهو بصورة شيخي ابي العباس الدكالي ، فهذا هو السبب الباعث على قرءاته للعلم والتعلق بالشيخ المذكور ، وذكر في الباب الثالث ان اول مَن اجازه رسول الله عليه وسلم ، وانه لقي رجلا صالحاً شريفا سواحاً مشيشاً واخبره بجميع ما يؤول اليه امره من التآليف وغيرها ، قائلا : سيخرج منك مذهب من العلم ، وقال له مراراً : يُقرئك رسول الله تعالى عليه وءالـه وسلم السلام ، وقال قل له انا اجزناك بكل العلوم ، ثم قال علي : انني سمعتُه صلى الله تعالى عليه وءاله وسلم قال ذلك ، ثم رئي صلى الله عليه وءاله وسلم لازمنى يعلمني عشرين سنة ولازمنى نحوها وانا ادرس وهو يحضرني ببعض صحابته كبير الشهداء عمه حمزة وغيره وكلمـا اخطـأت نبهني عليه بتلك المدارس ، وانه اعطاني محبرة بمداد ، فقال لي اكتب بعد ان كتب معي ، فكانت اجازة سابغة لفظاً ومعنى وخطاً ، ثم ذكر ممن اجازه من الأولياء شيخ مشايخه القطب سيدي الغازي بن أبى القاسم السجلماسي من مقالته قل لشيخه ان الناس قد اذنوا لي في التفسير وغيره ، ثم عمدته في جميع الفنون المتداولة لأهل السنة رواية ودراية هو الامـام الفهامة العلامـة الذي به من الفضائل والفواضل مالم يره بغيره ، ولي الله السباعي الدكالي الفرجي ناصية الناس ، احمد بن عمر بن مَحمد (فتحاً) بن ميمون ، قال له الأحب الأجل افضل تلامذته دفين المدينة المنورة الزموري سيدي محمد بن دحو قال لي الشيخ لما قدم فاسا سأل بعضَ اصحابها بل صلحائها ان يدله على عالم يلازمه لفلاحه من علماء فاس بوقته ، فدله على ابن ليثها الزاوية الامام ، الزاوية الهمام ، سيدي احمد ابن العالم العلامة محمد التاودي محشي البخاري ، فقال له اذا اردت القراءة التي لها أب فعليك به ، فلازمه مع الأخذ عن معاصريه ، بأسانيده يروي سائر الفنون ، وممن اجازه اجازة عامة بما تداولته الأئمة منظوماً ومنثوراً ،

لغة واصولا ، حديثاً وتفسيراً وغيره ، الامام احمد المجدشي بفتح ميم بين كسر وشد جيم بفتح دال فسكون نقط شين نسب لموضع سكناه ، يروي غالباً عن الهمام سيدي محمد بن يحيى السوسي الآوَجي بفتحتين فشد جيم ، عن راوية سوس الأقصا الصالح سيدي محمد بن احمد الحضيقي ، وممن اجازه عامة العلامة الولي الصالح الشيخ سيدي عبد الغني الهندي ثم المدني اول محرم سنة 1284 ، وممن اجازه ايضاً الكمال مفتي الحنفية الشيخ الجمال ، ومفتي الحنابلة الشيخ عبد الله بن سيدي محمد ، ومفتي المالكية الدراكة الشيخ ابراهيم بن سيدي حسين في منتصف ذي الحجة عام 1283 ثلاثة وثمانين ومئتين والف ، وعلم الأعلام مفتي الشافعية ، الشيخ احمد دحلان الشريف ، وهؤلاء الأربعة اعلام المكيين ، ثم ذكر في الباب السابع بعد ذكر المسلسل بالضيافة على الأسودين : الماء والتمر مانصه : ومن غريب ما وقع لي وانا بالروضة الشريفة جريان هذا الحديث ببالي ، فتمنيت ان لو رايْته صلى الله تعالى عليه وءاله وسلم فأضافني بهما وانا بغيبة ذكرٍ لا اشعر ، فلم يتم هذا الخاطر حتى جذبني رجل فاستيقظت ، فقال خذ التمر فأخذته وانا صائم بالغروب جمعته بماء زمزم المشهور بالمسجد تحقيقاً لذلك ، ثم قال في الباب الحادي عشر : واما الأجرومية بفتح همز فضم جيم فشد راء بألف فميم نسب لأجرام وهو الرجل الصالح بالبربرية ، ومن ضبطه بغير ذلك فلعدم علمه بذلك اللسان ، ثم قال في الخاتمة ان طرق ابي الحسن الشاذلي كثيرة شرقاً وغرباً ، واشهرها عندنا بالمغرب الناصرية والوزانية والمختارية والدرقاوية وكلها مباركة ميمونة كسائر محققات طرق الأولياء ، وابركُها وايمنُها حسبما شاهدناه الناصرية ، اذ طرق خاطري بأعوام الستين ان اطوفَ على ما اشتهر عندنا بالمغرب وعلا صيته علماً وعملا ، فانجزت ذلك ، فلم اجد احداً اجتمع به الشرطان الا ناصرياً فالتزمتها ، ثم قال افقر العبيد الى الله رب العالمين ذلك المذنب الوقتي علي بن سليمان عبدك اللهم اغفر له ولكل موحد الطريقة الجيلانية الشاذلية الناصرية عن القطب وسيلته الى ربه سيدي عبد الله اسماً ، ابى بكر كنية ، الصديق لقباً ، الناصري نسباً ، الشاذلي قلباً ، اجازه عامة الخ اتم هذه الفهرسة ثمان وثمانين ومئتين والف وطبعها سنة 1298 في صحائف

61 ، ومن تئاليفه (حلي نحور حور الجنان ، في حظائر الرحمان) في الأمـداح النبوية ، شرع في تأليفه اواخر سنة 1287 حاذي به تأليفه (منجزات جنان الشفا ، في معجزات جنان المصطفى) حسبما اطبقته ظروف محمد الانفعة واستنطقته حروفه الأربعة ، وذكر انه راى النبي صلى الله عليه وسلم بالمكان الذي يكتب فيه يستحثه في الدعاء له صلى الله عليه وسلم وهو يعتذر بأن مثله لا يدعو له مكرراً عليه مقالته صلى الله عليه وسلم حتى استحيى فسكت ، فذكر له صلى الله عليه وسلم حسن طلعة وجهه ، فقال ان من وجهي كل خير ، فاعطـاه محبرة مكثراً مدادها ، فقام قائلا اني سأرجع ، ثم نقل فيه عن تأليفه (الحلل الرياسية) ، باستجلاء الرحلة العياشية) ما يتعلق بمسألة وحدة الوجود ، ثم قال وما يقال ان نحو ابن عربي رءاه صلى الله عليه وسلم وصحح عنه احاديث كما بالحلل فتلك رؤية استحضار بالفكر مع نفاء ظلام بالذات يمنعه من تمام المراد ، والا لرجع من هذا القر والحر وعلامة كونها رؤية بكر لا فتح ان يكون ببعض كلام المدعي على محادثته صلى الله عليه وسلم اضطراب ومناقضة ومخالفة لما صح عنه صلى الله تعالى عليه وءاله وسلم لأن المكالمة هنا وان كانت ذات المستحضر صاحبية بحسب مَن لم يصل لهذا المقام كصدق نيته ومحبته وتعلقه به صلى الله عليه وسلم غير معصومة ، ثم تعرض لرد قول مَن قال لفظ صلاة الفاتح لما اغلق والخاتم لما سبق مرة تعدل ست ختمات القرآن وان اصحابه لا حساب عليهم ، وذكر ان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم لغرض ما كطلب الدنيا حجاب وظلمة ، ثم قرض على هذا الكتـاب بعد طبعه الشيخ طـه بن محمود الدمياطي نثراً ونظماً سنة 1298 وصححه بمرأى من مؤلفه ومسمع ومقابلة على مسودته التي هي المقنع ، وصحائفه نحو 162 .

توفي رحمه الله بمراكش ودفن بالروضة الملاصقة لضريح الشيخ ابي العباس السبتي بازاء السرجب الذي على يمين الداخل للقبة رحمـه الله في ءاخر ربيع الثاني عام 1306 ستة وثلاثمئة والف (216) .

216) ينظر عنه **الكتابات العربية بمراكش** (بالفرنسية) ص 216

1451) علي بن احمد ابن عبد الصادق الرجراجي

علي بن احمد بن عبد الصادق بن يحيى بن علي الرجراجي اصلا ، من ذرية سيدي سعيد السابق من رجال رجراجة السبعة ، الصويري قـراراً ، عالمها وقاضي رجراجة والشياظمة (217) ، مات عن نيف وثمانين (218) عام 1308 ودفن خارج باب مراكش بالصويرة ، طلب العلم بفاس ومصر ، فأخذ بالأولى عن سيدي بدر الدين والتسولي ومولاي عبد الهادي وابن عبد الرحمان ، وطريقته شاذلية اخذها عن سيدي بدر الدين ، والقادرية أخذها عن سيدي الطايع بن عبد الهادي القادري المتوفى عام 1294 وصاهره ببنت اخته (219)، وحصل له جذب في ءاخر عمره ، أخذ عنه الفقيه الصالح سيدي المولود بن احمد المسكالي وسيدي عبد الهادي بن الطايع القادري المتوفى عام 1311 في رجب فجأة ، والحاج قاسم بن محمد بن مولى الفرض الصويري ، واخذ عنه ايضـاً الفقيه المقدم سيدي محمد بن اسماعيل الخطيب بجامع الصويرة ، اخذ عنه الصحيح من اول كتاب الصيام ، ودخل مراكش عام 1283 ودخلها ايضاً مرات متعددة في

---

217) تولى اولا التدريس بالصويرة في عهد السلطان مولاي عبد الرحمان ، ونفذ له راتب التدريس بظهير مؤرخ في 22 جمادى الأولى عام 1257 هـ ولما توفي القاضي سعيد ابن عمارة عام 1265 تولى امامة جامع سيدي يوسف والخطابة به ، ثم لما توفي القاضي عمر ابن ابي جماعة في السنة التالية (1266 هـ) الذي كان يتولى قضاء الصويرة والشياظمة معا فصل السلطان مولاي عبد الرحمان قضاء هذه عن قضاء تلك ، فعين علي موزون قاضياً بالصويرة ، وعين المترجم قاضياً بالشياظمة ، وظهير توليته القضاء مؤرخ في 23 ذي الحجة عام 1266 وبعد مدة اعفي ثم اعيد لقضاء الشياظمة بظهير مؤرخ في 15 رجب عام 1282 هـ ، وفي 6 محرم عام 1285 عين قاضياً للصويرة وقرىء ظهير تعيينه فوق منبر مسجدها الأعظم يوم الخميس 5 صفر من السنة المذكورة ، ولم اقف على ظهير يخصه بولاية القضاء بقبيلة رجراجة التي هي في عداد قبائل الشياظمة ، وقد استمر المترجم قاضياً بالصويرة حتى عمر وعجز عن القيام بالقضاء فاستقل به ابن اخيه عبد الصادق بن محمد في مهل صفر عام 1299 هـ .

218) ذكر صاحب **ايقاظ السريرة** ص 95 ان عمره طال حتى جاوز التسعين

219) لم يذكر من ينقل المؤلف عنهم اسماء شيوخ المترجم بمصر ، وكان اخذه بها عنهم اثناء رحلته للحج ، وفي **فهرس الفهارس** 2 : 174 يقول الشيخ عبد الحي عن هذه القضية ما نصه (وحج قديماً وسط القرن المنصرم ، واقام بمصر والحجاز مدة ، ولعله لا يغفل الرواية عن اهلها في تلك الجهات ، ولكن لم نتصل بتفاصيل ما حصل له هنالك) .

وينبغي ان نشير الى ان المترجم لقي اثناء رجوعه من الحج الأمير عبد القادر بن محيي الدين الادريسي الجزائري قرب مدينة معسكر ، وكان ذلك في عام 1253 هـ .

غير ذلك التاريخ ، ومن تلامذته ايضاً ابن اخيه سيدي الصادق وسيدي احمد الوعزوني وسيدي عبد الرحمان بن مسعود المعروف ببوزيد ، ومن الآخدين عنه الفقيه الحاج عبد المعطي السباعي الشهير .

وقال السيد عبد الحي الكتاني في حق المترجم : يروى مختصر خليل عن سيدي بدر الدين عن الشيخ التاودي بسنده ، ويروي كتاب الشفا سماعاً لبعضه ومناولة لسائره سنة 1281 عن عبد الرحمان النابلسي نزيل مراكش ، عن مجيزه عام 1280 بعد ان سمع منه الشفا جميعاً عبد الغني الشهير بابن خليل باشا ، عن عبد الرحمان الكزبري عن والده محمد عن المنيني بسنده .

وتقدم ذكره من تلامذة سيدي عبد الله السكياطي (220) .

1452) **علي بن مَحمد (فتحاً) السوسي ثم الفاسي** ، الفقيه العلامة ، المدرس الفهامة ، قرأ رحمه الله على عدة اشياخ من علماء السوس الأقصى والصويرة ومراكش ، واخذ أيضاً بفاس عن جماعة من علمائها ، كالشيخ سيدي علي التسولي وغيره ، واخذ أيضاً عن الشيخ سيدي محمد الحراق ، وكان فقيهاً نحوياً نوازلياً مشاركا في عدة علوم ، وشرح الألفية لابن مالك ، وله ايضاً قصيدة في مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم عارض بها همزية البوصيري ، وتقاييد وطرر في النحو والفقه ، وفتاوي ومقامات .

توفي رحمه الله نصف ليلة السبت تاسع عشر شهر جمادى الثانية عام احد عشر وثلاثمئة والف ، ودفن بهذا الخارج بمطرح الجنة (221) .

1453) **علي بن محمد المسفيوي المراكشي** ، الثبت المحقق ، اللوذعي المدقق ، شعلة الذكاء والفهم ، متوقد القريحة وينبوع العلم ، ذو الأخلاق الرفيعة والسمت الحسن ، الكاتب الوزير الماهر اللغوي الموصوف بالمروءة

---

220) ظ 8 : 333 ع 1216 من هذا الكتاب ، ينظر عن المترجم : **فهرس الفهارس** 2 : 173 **وايقاظ السريرة** ص 93 و 112 **والشمس المنيرة** ص 37

221) اي من مدينة فاس ، والترجمة منقولة بالحرف من **سلوة الأنفاس** 3 : 351

والتؤدة وجميع الأوصاف ، والسكينة والرزانة وطهارة الذيل والعفاف ، الى حياء وصدق همة وتحري الاصابة في النقل ، لا تعبر له في ذلك لجة ، لـــه المشاركة التامة في العلوم العقلية كالمنطق والبيان والمعاني مــع غــزارة المادة في الفروع النقلية ، وله مزيد تحرير وتدقيق في علم العربية لا يجارى فيها في ميدان ، مع التمهر في السيرة والأخبار ونوادر الزمان .

ووقفت على اجازة اشياخ له بخطوطهم ، منهم الفقيه سيدي محمد بن عبد الرحمان وحلاّه فيها بالفقيه العالم الوجيه ، سيدي علي ابن الفقيـه سيدي محمد المسفيوي ، ونصّ فيها على انه اجازه في جميع ما قرأه عليه وسمعه منه وفي جميع ما تجوز عنه روايته ، وتصح له وتنسب اليه درايته ، ومنهم سيدي احمد المرنيسي اجازه اجازةً تامة مطلقـة عـامـة ، وأرخهـا بالثاني والعشرين من صفر عام 1269 ومنهم سيدي محمد المهدي بن الطالب ابن سودة المري اجازه كذلك اجازة تامة شاملة عامة ، ومنهم السيد الحاج الداودي بن العربي التلمساني في التاريخ المذكور اجازه بمثل ما أجازه بـه مشايخُه المصريون وغيرهم ممن يُقيم بالحرمين .

قال في (حديقة الأزهار) سمعت منه ألفيةَ جمال الدين ابن مالـك مع (توضيح الامام ابن هشـام) مع مباحثه في حواشي (ارشـاد السالك) و (مختصَر الشيخ خليل) الى البيوع ، و (لامية الزقاق) وبعض (تحفـــة ابـن عاصم) و (صغرى السنوسي) و (السلم) ، وبيني وبينه ودٌّ موروث ، وصفاء امتزج بالذات غير مغلوث ، وما زال الى الآن حـرس الله مجادتـه ، وخلد في المكرمات والصالحات سعادته وسيادته ، ينصف سائله ، ولا يمنع رفده ونائله .

ومن فوائده ما انشدني من قول القائل :

وكنت كـذي داء تبغّى لدائـه طبيباً فلما لم يجده تطببـــا

ينشد ويقال في معرض الاعتذار عند ارتكاب امـر لا يظـن بفاعلـه عليه اقتدار .

اتصف صاحب الترجمة بالاقبال على شانه ، والاهتبال بأمور مَن انحاش اليه من اهل زمانه .

كان المترجم رحمه الله ارتحل لفاس لقراءة العلم عام 1264 اربعة وستين ومئتين وألف .

وحلى المترجم في (مقدمة الارتجال) بالفقيه العلامة المفتي المدرس الكاتب الوزير .

وكان المترجم والفقيه السيد محمد بن عزوز ومولاي احمد بوغربال والفقيه السيد احمد بن مبارك الجرني يقرئون اولاد السلطان مولاي عبد الرحمان الذين من جملتهم مولاي بوعزة ومولاي رشيد ومولاي علي ومولاي العباس ، وممن اخذ عنه السلطان المولى الحسن مستوزره ، وكان والده القاضي السيد محمد المدعو حمُّو يدرس بجامع ابن يوسف في دولة مولاي عبد الرحمان الى ان توفي سنة 1280 ثمانين ومئتين والف حاجاً ، وولى المترجم ولده الامامة بجامع سيدي ابي اسحاق بعد وفاة القاضي سيدي عبد الله الدراوي ، وقفت على بعض فتاويه في قضايا عام 1280 ثم الذي بعده ، ووقفت على ظهائر شريفة متعلقة به .

توفي رحمه الله في ليلة الجمعة عاشر رجب عام 1316 ستة عشر وثلاثمئة والف ، ودفن بضريح الولي ابي اسحاق ابن الحاج الذي جدد بناءه في حياته (222) .

---

222) المترجم هو علي المسفيوي الذي تولى في عهد السلطان مولاي الحسن وزارة العدل او وزارة الشكايات كما كانت تسمى في ذلك الوقت ، فلما مات مولاي الحسن واستبد الحاجب احماد بن موسى وآله واعوانه عبيد البخاري بالدولة دون السلطان نبذ الوزير المسفيوي في زاوية الاهمال ونزع منه كل سلطة ونفوذ ، بل اذله وامتهنه حتى صار المسفيوي يحيى احماد بتحية الملوك ، ويقف بين يديه وقفة المملوك ، كما يقول الكاتب محمد غرنيط في **فواصل الجمان**

وفي ترجمته من **فواصل الجمان** ص 91 انه توفي عشية يوم الخميس 6 رجب عام 1361 هـ .

وينظر عنه ايضاً **الكتابات العربية بمراكش** (بالفرنسية) ص 230

1454) **علي بن احمد الرجراجي القرمودي المراكشي** قاضي قصبتها ، ولي القضاء بها اواسط العشرة الأخيرة من القرن الثالث عشر ، وطالت مدته بها نحو اربع عشرة سنة ، وهو اول قاض بها في الدولة العلوية ، وتقدم ذكر قاضيها في الدولة السعدية سليمان بن ابراهيم . كان فقيهاً مفتياً استاذاً عارفاً بالقراءات معدلاً مشاركاً في عدة فنون من حساب وتعديل ، وكانت له خزانة من الكتب نفيسة منتخبة الدفاتر اعتنى بشرائها وتشتتت بعد موته شذر مذر ، استكتب في اول امره لقائد الشياظمة بوجمعة حجي ، رحمه الله . اقرأ الفقه والتوقيت والحساب وغيرها ، وتوفي بعد غروب ليلة الأربعاء سابع وعشري رمضان عام 1319 تسعة عشر وثلاثمئة والف عن نحو الثمانين سنة .

ورايت في كناش الفقيه سيدي محمد بن المعطي ما نصه : سأل بعض ادباء مكناسة الزيتون من قاضي الحمراء وضع عدولها اشكالهم في دفتر لهذا السائل ليقع الرفع عليها في البلاد ، فسأل مني القاضي وهو علي الرجراجي سدده الله جواب السائل عن ابياته في هذا المعنى ، وهذا نص ابياته :

حيت عدولك ياحمراء عاطرة ... من البنفسج والنسرين والزهر
ابغيهم يضعوا الأشكال مفتحة ... بدفتر امهم نفعاً الى البشر
ليرحجن بها التعريف في بعد ... ويوضح الحق في البيداء والحضر
ابقاهم الله للأنام منفعة ... لنصرة الدين في امن من الخطر

وهذا نص ما كتبت :

هب نسيم الصبا لها اللبيب صبا ... من صوب صبيها ببرهة السحر
مباكراً بغمام روض ورد شذا ... من نحو مكناسة من زهرها العطر
لبيك ياناظماً عقداً من الدرر ... مفصلا بنفائس من الشذر
اعجب بها نتفة شب الغرام بها ... حوكت على صنعة القريض بالفكر
تبغي بها وضع اشكال مفتحة ... من الشهود بذي الحمراء للوطر
ليحصل الرفع في بعد البلاد لها ... اوتيت سؤلك روم النفع للبشر
هذي اساميهم ترى موضحة ... مقرونة بجميل الشكل والصور

قاله وخطه بيده الفانية : محمد بن معطي السرغيني .

كان المترجم يسكن برياض الزيتون بالدرب الجديد حين احدث ، وقبله كان يسكن بالقصبة ، آخر تسجيل عليه وقفت عليه مؤرخ 10 شوال عام 1308 وحدثني الفقيه السباعي ان المترجم وسيدي علياً المسفيوي وصفا له شيخ جميعهم العلامة سيدي محمد بن عبد الرحمان الحجرتي بأنه اذا اراد أن يشبع الكلام على صورة يخرج ذراعه من كمه .

1455) علي بن ظاهر الوتري المدني ، العلامة المحدث ، نور الدين ولد كما رايته بخطه في شهر ذي القعدة عام 1261 واحد وستين ومئتين والف .

قال سيدي جعفر في فهرسته : .... (223) .

وقال السيد عبد الحي الكتاني مانصه : وهو العلامة المحدث الأديب الصوفي الرحال مسند المدينة المنورة ، علي بن ظاهر الوتري المدني الحنفي المولود سنة 1261 والمتوفى بها سنة 1322 فجأة ودفن بالبقيع ، طلب العلم بالمدينة ، ثم رحل الى مكة فأخذ بها مجاوراً ، واجاز شيوخه بالتدريس وهو ابن 17 سنة ، ثم رحل الى مصر والاستانة عام 1285 والى تونس والجزائر والمغرب الأقصا سنة 1287 ثم رحل الى المغرب ايضا سنة 1297 ورحل الى بخارى وسمرقند ، وزار قبرَ البخاري وذلك عام 1313 يروى المذكور عن اعلام الحجازيين كالشيخ عبد الغني الدهلوي ويوسف الغزي وابي خضير الدمياطي وهاشم الحبشي وصديق كمال والشيخ الجمال واحمد الدهان المكي وعلي الرهبيني وعبد الرحمان النابلسي واحمد النحراوي ومحمد الكتبي والشهاب أحمد دحلان اجازه عام 1277 وجددها له عام 1296 ومحمد الموافي الدمياطي والشمس محمد ابي خضير الدمياطي المدني والمفتي محمد بن عمر بالي المدني وشيوخنا عبد الجليل برادة والشيخ حبيب الرحمان الهندي

______

223) لم ينقل المؤلف في الأصل ما كتبه الشيخ جعفر بن ادريس الكتاني في فهرسته عن المترجم ، وقد رجعت الى الفهرسة المذكورة وهي مطبوعة بفاس عام 1322 هـ فوجدت الكلام على المترجم بها طويلا يستفرق 19 صفحة من ص 8 الى ص 27 فارتأيت ترك نقله لطوله وانحصار فائدته في اسانيد الحديث والكتب ورواتها ، فليراجعه من شاء في الفهرسة المذكورة واسمها اعلام ائمة الأعلام واساتيدها ، بما لنا من المرويات واسانيدها .

وغيرهم ، وعن اعلام المصريين كالمسند احمد منة الله والبرهان السقا وعليش وحسن العدوي والشمس محمد الدمنهوري ومحمد التميمي وغيرهم، والشاميين، كعبد الغني الميداني وابى المحاسن القاوقجي الطرابلسي سنة 1298 والعراقيين كداوود بن سليمان البغدادي واليمنيين كالسيد عيدروس بن عمر الحبشي اجازه عامة مكاتبة بواسطة الشمس محمد بن سالم السري وذلك عام 1311 واحمد بن محمد المعافي الضحوي سنة 1289 والتونسيين كالشيخ الشاذلي بن صالح التونسي لقيه بها عام 1287 والمغاربة كقاضي فاس محمد بن عبد الرحمان العلوي وقاضي مكناس المهدي بن الطالب ابن سودة الفاسي وخالنا جعفر بن ادريس الكتاني الفاسي تدبج معه بها عام 1297 والعربي بن داود الشرقاوي البوجعدي لقيه بمراكش سنة 1287 وأخذ القراءات بالمغرب عن الطيب بوفنار بالقصر ، والطريقة الناصرية عن محمد الصروخ ، والشاذلية عن المعمر محمد فنجيرو الفاسي ، والبقالية عن عبد السلام بن علي البقالي ، والباعلوية عن السيد هاشم الحبشي الباعلوي المدني بها ، والنقشبندية عن الشيخ عبد الغني المدني والخلوتية عن منة الله ، وسائر الأذكار والاحزاب اجازة عن علي بن محمد بن عمر الدباغ الحسني الفاسي سنة 1287 وبعض الأذكار الخاصة عن المحدث عبد القادر بن أبي القاسم العراقي الفاسي به سنة 1287 وبالجملة فشيوخه كثيرون ، ومن اغربهم روايته للطريقة المختارية عن باشا فاس عبد الله بن احمد بن مبارك البخاري ، عن ابن دح دفين المدينة ، وبقي يستجيز من عام 1277 الى عام 1311 وهذا نادر عن المتأخرين ، قال عن نفسه : كنت بحمد الله ممن وفق برهة من الزمن في اوائل العمر باشارة مشايخي ارباب الأحوال واعيان الأعيان ، لسماع الحديث من المسندين ، وقراءة ما تيسر من كتب هذا الفن على المعتبرين ، فأفنيت الشباب في اتقان روايته ونصه ، والبحث عن فقهه حتى وقفت من الغرض منه على نصه ، ثم جردت صارم عزمي ، وارهفت حد فهمي ، الى خدمة السنة المطهرة ، باقراء علومها وافادة رسومها المستكثرة ، صارخاً في كل مجمع وناد ، وسمر وعداد ، عباد الله هلموا الى شرف الدنيا والأخرى والطريقة المثلى وبالأحرى ، والله در من قال :

منـــاي من الدنيـــا علوم" ابثّهـــــا وانشدها في كل بـــاد وحاضـــــر
دعـــاء الى القـــرءان والسنـــة التي تناسَى رجال" ذكرها في المحاضر

له رحمه الله في هذا الفن مسلسلات واوائـــل في كراسين جمع فيهـــا اوائل من اربعين كتاباً لخصها من اوائل العجلوني وثبت الأمير ، وتفرد فيها بسياق اول حديث من كتاب (جامع الأصول المنيفة ، من مسند ابي حنيفة) لمحمد بن احمد بن حسن بن محمد بن ميمون الأندلسي الأصـــل الجزائري الدار ، ولكن لم يذكر اسناده الى اصحاب الكتب التي ساق اوائلها او حديثاً منها ، وله اجازة مطبوعة نحو كراسة ، وهي التي كان يجيز بها اخيراً ، اروي كل" ما له عن شيوخنا : خالنا جعفر الكتاني ، وشيخنا الوالد ، وقاضي فاس حميد بن محمد بناني ، وعبد الملك العلمي ، ومحدث زرهون محمد الفضيل بن الفاطمي الادريسي ، وادريس بن عبد الهادي ، ومسند الجزائر علي بـــن موسى ، ومحمد بن محمد بن ابى القاسم الهاملي الجزائري ، ومسند اليمن محمد بن سالم التريمى ، واحمد بن عثمان العطار ، ومحمد المكي ابن عزوز التونسي ، واحمد الأمين بن المدني ابن عزوز ، والشيخ محمد مراد الفزاني ، وغيرهم عنه (ح) وعن الأستاذ المعمر احمد بن محمد ابن الخياط عن الوزير صالح بن المعطى التادلي الفاسي عنه ، (ح) وعن العلامة الصالح محمد بن عبد الواحد الادريسي الشبيهي بزرهون ، عن الشيخين والدنا عبد الكبير وخالنا الشيخ جعفر ، كلاهما عن علي بن ظاهر الوتري ، (ح) وعن الجماع المعتني الفقيه ابي العباس (224) احمد بن محمد ابن المهدي ، عن العلامة النادرة محمد المدني بن علي ابن جلون الفاسي عنه ، (ح) واروي عالياً عن علي بن ظاهر المذكور ، اجازة عامة خاصة لي مكاتبة من المدينة المنورة الى فاس عام 1320 واشرك فيها معي اولادي واحفادي ، وهذا هـــو الفخر التليد لهم وهو مشاركتهم فيه لشيوخنا السابقين ، وهذه من اعظم فوائد الاجازة ، نعم الذين رووا عن علي بن ظاهر من شيوخنا المغاربة قبل القرن المنصرم لا يصح لهم ان يروا عنه ما

---

224) كتب بالهامش في الأصل الجملة التالية : هو ابو العباس المعروف الذي كان بخزانة القـــرويين .

يصح للسيد عيدروس الحبشي والقاوقجي ، لأنه انما روى عنهما بعد رجوعه من المغرب كما سبق ، وانما اسهبت في مشيخة المترجم وترجمته تنويهاً بقدره ، حيث انه احيى موات الرواية بالمغرب ، بل وانعشها بالمشرق ، حتى لكثرة الآخذين عنه افردهم بديوان عندي منه نسخة ، رتبهم على سني اخذهم عنه ، اشتمل على اهل كل بلد ومصر بالمشرق وبالمغرب ، ممن في طبقة اشياخه فما دون ، وقد زرت قبره بالبقيع الشريف ، ووجدت مكتوباً عليه من انشاء صاحبنا العالم الأديب محمد العمري الجزائري وانشدنيه بلفظه :

امـــام الحديث ونـــقــــــاده | سرى نعشه والأسى بـــاهـــر
خليفــة عبد الغنــي الــرضـــى | يُزيِّنُه حسب" طـــاهـــر
وفي جنة الخلــد شــاع اسـمـــه | فـأرخ علي اسمـه ظـــاهـــر

جمادى الأولى سنة 1322 (225) .

1456) **علي بن مبارك الروداني المراكشي** ، كان رحمه الله متقناً لعلوم العربية مشاركاً في غيرها ، حافظاً لأمهات الفنون المتداولة ، أخذ العلم بمراكش عن علمائها ، كالفقيه المتفنن الحاج علي البوجمعاوي ، والفقيه الحاج محمد أزنيط ، والفقيه السباعي ، وغيرهم ، وكان لا ينتسب الا الى الأول ، ولا يعول الا عليه ، خدمه وانتفع به ، ونسخ له بعض تصانيفه ، حضرتُ دروسَه رحمه الله في المقدمة النحوية وفي الألفية والجمل للمجرادي ، فرأيته يقتصر على تبيين الشروح وايراد بقية الشواهد ، وكان مقلا في اول امره مقتراً عليه في رزقه ، يعلم بعضَ الناس العربية بالمشاهرة ، ثم اسعده الحال بأن نبه عليه الفقيه الكاتب السيد عبد القادر بن موسى المراكشي سعادةَ المولى عبد الحفيظ فوجَّه عليه وقرأ عليه ما عنده في العربية واختصَّ به ، وشرح لـه منظومته البديعة في المبنيات ومسائل تصريفية ، وحشى على شرح الفقيه احمد الأغطف على نظم المغني للمولى المذكور ، وقد طبعت بمصر افاد بما حشر فيها ، وكنت اراه بمجلس المولى المذكور عام اربعة وعشرينَ (وثلاثمئة) حينَ كنا نجتمع عنده

225) ما تقدم منقول بالحرف من **فهرس الفهارس** I : 70

بمحضر احمد المذكور والفقيه الأمين الديماني وقاضي مراكش السيد احمد بن المدني وتجرى المذاكرة في المسائل التفسيرية وعلوم العربية ، لا يتكلم الا اذا قصده المولى المذكور بالسؤال ، بخلاف غيره ، فان كلاً منا كان يورد ما عنده بمجرد جريان المذاكرة في شيء ، وكان ينتسب الى الصالح سيدي عيسى بن احمد السكراتي المترجم ، وورد فاساً صحبة المخزن في ثامن جمادى الأولى عام ستة وعشرين ، ثم طلب الرجوع الى وطنه مراكش فوقعت له المساعدة فتوفي بها عام 1327 حنقاً على رده عن حضور مجلس الصحيح بالحضرة بفاس حيث دخل بغير اذن ، رحمه الله .

1457) عمر بن علي بن عبد العزيز الهزرجي من اهل الجانب الشرقي من مراكش ، وبها توفي عام اثنين وتسعين وخمسمئة ودفن خارج باب ينتان ، وكان عبداً صالحاً معمور الباطن بالله تعالى ، وكان لا يفتر عن تلاوة القرآن ، فاذا دخل في زقاق خالٍ التفت يميناً وشمالا فرفع صوته بقراءة لا يسمعه احد الا خشع :

طوى وجداً فضاق به احتمالا ... فأعلن بالصبابة فاستراحا
وأطربه حمام الأيك لما ... اتاح له التشوق ما أتاحا
وما عيش امرىء للبين اضحى ... يسائل عن احبته الرياحا

قال في التشوف (226) سمعت محمد بن يحيى يقول ، سمعت عمر بن علي يقول : قرأت القرآن الى ان ختمته سراً ، فقلت في نفسي ليت شعري هل اثاب علي هذه الختمة ؟ فسمعت هاتفاً يقول (والله يعلم ما تسرون وما تعلنون) .

وحدثني محمد بن سعيد قال عمر بن علي يكلم الجن ، وحدثني محمد بن يحيى ان امير الجن عاهده لا يكتب مكتوبة لمصروع الا بريء ، وحدثني محمد بن يحيى قال دخلت على عمر بن علي وهو مريض ، فقال لي ان الجن يسالونني عن مسائل لا اعرفها ، وسمعت محمد بن سعيد يقول قال لي عمر بن علي ان

---

226) وما تقدم منقول ايضا بالحرف من **التشوف**

محمد المرسي يؤذيني ، فقلت له لعله لم يصح عنه ذلك ، فقال لي بل هـــو صحيح ، فأقام محمد المرسي قليلا فخرج يوماً من باب فاس فجُنَّ وتعرى من اثوابه وذهب عرياناً فانقطع خبره الى اليوم ، وكان عمر بن علي يوثر الخلوة والانفراد ويبيت في المساجد الخالية ، وسكن مصرية ببحيرة الصفصافة ، فافتقد فوجد في بيته مستقبل القبلة ميتاً رحمه الله تعالى ، سمعت محمد بـن يحيى يقول كنت اسير مع عمر بن علي يوماً فقال ما معنى قوله تعالى : (قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك مَن تشاء) ما هذا الملك ؟ ففهمت اشارتَــه ، وقصدت الا يبوح بسره ، واردت ان اقطعه عن ذلك ، فقلت له تمام الكلام عند قوله تعالى (وتنزع الملك ممن تشاء) ففهم عني وسكت ، فأقمت شهريْن وبات عندي فوق السطح ونظر الى السماء وقال لي : قال لي فلان ، اتريد ان اعرفك المنازل لتعرف بها اجزاء الليل ، قلت انت تعرف مني اني لا اعرف المنازل ، فأي وقت تريد ان اوقظك فيه ايقظتك ، فقام فاخترقت من المشرق الى المغـــرب قبل ذهاب الثلث الأول من الليل .

وحدثني محمد بن سعيد قـال قعـدت مع عمـر بن علي فـي بستان خارج المدينة الى ان مالت الشمس للغروب ، فقلت لعله يريد المبيت في قرية تافروتي وباب المدينة عازم على ان يغلق ، فقال لي اتطيق الاسراع في الجري ؟ وكان نحيفاً وأنا اقوى منه ، فاشفقت عليه لضعفه ، فما التفت الي الا وقد غاب عني ، فاجهدت نفسي في الاشتداد الى ان وصلت باب المدينة وقد سبقني اليه ، ورغب البواب ان يحبس علي الباب الى ان اصل ، فنظر الي وهو يبتسم ، فدخلنا المدينة واغلق البواب الباب وقضيت العجب من ذلك (227) .

1458) **عمر بن كامل الفخار** ، اصله من الأندلس ونزل مراكش وبها مات في شهر صفر عام اثنين وتسعين وخمسمئة ، وكان امام الفريضة بمسجد بير الجنة ، وكان رجلا صالحاً معتزلا عن الناس منزوياً عنهم .

---

227) **التشوف** ص 300 ع 149

قـــال فـي التشـوف (228) سمعـت احـمـد بـن محمـد الغسانـي المعلـم يقـول : مـات عمـر بـن كـامـل في يوم مطر ، فحمل الى قبره خارج اغمات ، فأمسك المطر ، وكان السحاب متراكماً ، فلما صلينا عليه والحدناه وذهبنا عاد المطر الى انهماره الأول ، قال احمد الغساني : ورايت عمر الفخار بعد موته في النوم وهو يقول (والذين يمسكون بالكتاب واقاموا الصلاة إنا لا نضيع اجر المصلحين) ، وسمعت هارون بن عبد الحليم يقول : رايت عمر الفخار بعد موته في النوم وعليه ثياب خضر ، فقلت له ما فعلت ؟ قال لي استرحت يابني ، وسمعت يوسف بن محمد الخزرجي يقول : سمعت احمد بن عبد العزيز الخراز يقول : قال لي علي ابن الصائغ بسبتة من اين اتيت ؟ فقلت له من مراكش ، فقال في أي جهة تسكن ؟ فقلت لـه بباب اغمات ، فقال لي اتعرف عمر بن كامل ؟ فقلت له نعم ، فقال لي وددت ان اصلي خلفه ركعتين ، فلما عدت الى مراكش ذكرت لعمر الفخار مقالة علي ابن الصائغ تغيّر وانقبض وانكر ذلك علي ، وحدثني احمد بن محمد الغساني قال جـاء رجل الى عمر بن كامل في عام مجاعة بمال فامتنع من قـبوله ، فقال له الرجل : خذه مني على وجه السلف ، فقال له لا يحلُ لي أن استسلف ما اعلم اني لا أؤديـه وليس عنـدي من اين أؤديـه ، فانصرف الرجل ولـم يقبـل مما آتاه شيئاً (229) .

1459) عمر بن تصولي ابن وابوسكط المشنزائي

عمر بن أبي يعقوب تصولي بن وابوسكط المشنزائي ، من اهـل قرية يليسكاون ، اشخص الى حضرة مراكش ثم عاد الى بلده فمات فيه عام 595 خمسة وتسعين وخمسمئة ، وكان عبداً صالحاً ، قـال في التشوف : سمعت هارون بن عبد الحليم يقول دخل قوم من العرب أطرافَ بلاد دكالة ، فدخل بعضهم في جنة عمر واخذ منها عنباً فحمله في فيه فأصابه منه وجع كاد يقضي

---

228) وما تقدم منقول ايضاً من **التشوف** بالحرف

229) **التشوف** ص 302 ع 151

عليه ، فجاء الى عمر فأخبره ، فمسح عمر على حلقه فزال عنه ماكان اصابه ، فقال له ما الذي ادخلك جنتي ؟ فقال له كنت آكل من جنات اهل تامسنا فلا يصيبني شيء ، فظننت ان جنتك كتلك الجنات ، قال هارون وخرج عمر ليلة من داره متوجها الى مسجد اساكان تغروت بعدوة وادي ام الربيع ، فاذا اللصوص خارج القرية يرتقبون مَن يمرُّ بهم فيجردونه من اثوابه ، فعاينوا كساء عمر وهو ابيض في ظلام الليل ، فتبعوه وهم يجرون خلفه ولا يدركونه ، فدخل في مسجد وقعدوا ينتظرونه عند باب المسجد ولم يشعروا به حتى بعد عنهم ، فتبعوه الى ان وصل وادي ام الربيع ، فمشى على الماء حتى عبر العدوة الأخرى ، فعلموا حينئذ انه عمر ، فخاضوا الوادي الى ان جازوا اليه ، فوجدوه قد دخل داره ، فانتظروه ساعة ثم قرعوا الباب ، فخرج اليهم فتابوا بين يديه وحلقوا رؤوسهم ، فدعا لهم وانصرفوا :

اكلف القلب ان يهـوى والزمـــه ... صبراً وذلك جمـع بين اضـــداد
واكتم الركب اوطاري واسالــــه ... حاجاتِ نفسي لقـد اتعبت روادي
هل مدلج عنده من مبكر خـبــر ؟ ... وكيف يعلم حالَ الرائح الغـــادي
فان رويت احاديثَ الذين مضـــوا ... فعن نسيم الصبا والبرق اسنادي (230)

1460) عمر بن عبد الله ابن صمع القرشي

عمر بن عبد الله بن عبد الرحمان بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل بن جميل بن نصر ابن صمع القرشي ، كذا نقلت نسبه من خطه ، تونسي ، نزل مراكش ، ابو حفص وابو علي ابن صمع ، وهو سبط المؤدب المشهور الفضل بتونس ابي محفوظ محرز بن خلف بن يربوع التميمي ، روى ببلده عن عمر الأبتوني وعمر بن محمد بن عبد السيد الهاشمي ، وعمر بن ميمون الربعي ابن الشعرية ، وعامر بن محمد ابن عامر التميمي واختص به ، واسماعيل بن ابراهيم القرشي ابن الحداد ، ومحمد بن احمد بن عمر الأنصاري ، ومحمد ابن طاهر ومحمد بن عثمان المؤدب ابن الأربسي ، واحمد بن علي بن عبد الجبار الرسولي

230) التشوف ص 304 ع 153

ابن الخارجي ، وعبد الرحمن بن عمر بن يسيني ، وعبد الله بن ابي القاسم ، وعبد الحق بن عذار السلمي ، وعبد السيد بن محمد شقيق ابى حفص المذكور ، وبمراكش وغيرها عن ابي بكر ابن الجد ، وابى جعفر ابن مضا ، وابى الجيش مجاهد ، وعلي ابن عبد ربه الصقلي ، وعلي ابن مومن ، وعلي ابن هشام الجذامي ، ونجبة وأبي زكرياء المرجيفي ، ومحمد ابن حميد ، ومحمد ابن زرقون ، ومحمد ابن عميرة ، ومحمد ابن الفخار ، ومروان بن عبد العزيز ، وأبي العباس بن محمد النافعي ، وآباء القاسم : ابن ايوب بن تمام المالقي ، وابن حبيش ، والسهيلى ، وعبد الله بن عبيد الله ، وعبد الله بن عبد الرحمان البكري ، وعبد الله بن محمد التادلي ، وعبد المنعم ابن الفرس ، وابى الوليد ..... الحجاج بن الفتح ، وابو الحسن بن ابي اسحاق بن عبد العزيز .... وابو عبد الله بن عبد الله بن عبد العزيز الخروف .... العباس بن محمد بن عبد الله بن العزام وابو يعقوب ابن الزيات ، وكان .... الدنيا زاهداً فيها عن تمكن منها ، مجانباً خلطة اربابها .... للصالحين ، متواضعاً جارياً على سنين السلف الصالح ، راوية للحديث ، من .... والعدالة فيما ينقل ، متحققاً بالفقه ، كتب الكثير على ضعف خطه ، وصنف في شواذ المذهب المالكي مجلداً لطيفاً .

توفى بعد الزوال يوم الجمعة لأربع بقين من جمادى الأولى سنة ثمان وتسعين وخمسمئة ، وصلى عليه ابو زكرياء المرجيفي ، ودفن اثر عصر يوم السبت تالي يوم وفاته بمقبرة تامراكشت داخل مراكش ازاء شيخه ابى عبد الله ابن الفخار بوصية منه بذلك .

قال ابو الحجاج ابن الفتح : رايته رحمه الله تعالى يعني عمر ابن صمع في النوم بعد وفاته ، فقلت له اين سكناك ؟ فقال في حارة التوفيق (231) .

231) الترجمة منقولة من **الذيل والتكملة** (قسم الغرباء — غميس)

1461) عمر بن عبد الله ابن عمر السلمي

عمر ابن القاضي عبد الله بن محمد بن عبد الله ابن عمر السلمي ، اصله من جزيرة شقورة ، وولد بأغمات ، وسكن مدينة فاس ، روى عن جده لأمه عبد الله بن علي اللخمي سبط ابي عمر ابن عبد البَر ، اجاز له في صغره ، وعن ابي مروان ابن مسرة ، وابي عبد الله ابن الرمامة ، واخذ عن ابي بكر بن طاهر الخدب كتاب سيبويه تفقهاً ، وكان من اهل المعرفة والتفنن ، اديباً كاتباً شاعراً مجيداً ، غلب عليه الأدب حتى عرف به وشهر ، مع جودة الخط وبراعة الادوات ، وولي قضاءَ مدينة تلمسان حتى نقل الى قضاء مدينة فاس بعد ابيه ، وولي ايضاً قضاء اشبيلية وغيرها ، ونال دنيا عريضة .

من نظمه يمدح يوسف بن عبد المومن بن علي الموحدي :

الله حسبك والسبعُ الحواميم ... تغزو بها سبعةَ وهْيَ الأقاليم
سبع المثاني التي لله قمتَ بها ... عليك من سرها معنى وتقديم
وانت بالسور السبع الطوال على ... كل الورى حاكمٌ بالله محكوم
والدهر سبعته وسبعة جعلت ... جواد مالك والمنصور مخدوم

ومن نظمه ايضاً :

مشت كالغصن يثنيه النسيم ... ويعدوه النسيم فيستقيم
لها ردف تعلق في لطيف ... وذاك الردفُ لي ولها ظلوم
يعذبني اذا فكرت فيه ... ويتعبها اذا رامتْ تقوم
وما حبي لها الا عذاب ... عليها من نضارها نعيم
اعيذك يا سليمي من سليم ... ختلت فتاهم وهو الزعيم
قتيل الحب لا يودى وعانيه لا يفدى ولا فيه خصوم
أما لك طالب بترات نفسي ... اذا قتل الغرام فلا غريم
الا ياظبية الحرم التي لا ... ترام ، سلمتِ والرامي كليم
بلى انت الغزالة في سناها ... فراميها بعيد ما يروم
فؤادي سار نحوك عن ضلوع ... بها ياريمُ حبك منا يريم

ودادكِ صحَّ في قلب سقيم كطرفك صحَّ ناظره السقيم
اذا اعرضتِ تسودُّ الأماني وان اقبلت تبيضُّ الهموم

ولـه ايضا :

لقد لبست لبستي نوار شباباً ماؤه في القلب نار
شباب ماؤه في مقلتيْه يحول وفي القلوب له قرار
متى يرد اللمى منها لماها وبيضُ الهند والأسد الحرار
بأيدي مقحمين على المنايا بهم تحمى الحقائق والذمار
عواليهم اسنتُها الذراري تمور بسعدهم ابداً مدار
تلوحُ مع الكواكب وهي نور وتهوي للكتائب وهي نار
فوارس عندها للنقع ليل اذا ابدى طعائنه النهار
تغير على الحضارة من بعيد ومسكنها الفلاة لها تغار
سباني من فنائهم غزال عزيز قوم نائبه عذار

حكى القاضي ابو الخطاب ابن خليل عن ابى عمر خيران العمروف بقطرب أن القاضي حجاج ذهب ذات يوم من مراكش الى اغمات ومعه ابو حفص عمر في حال شبابه ووسامته ، فاستقبلتْهم الشمس آخر النهار بلفحها المؤثر في الوجوه ، فقال له حجاج اجز يا عمر :

وسمتْك الشمس يا عمر

فقال عمر :

عرفتْ قدر الذي صنعت سمةً يبقى لها اثر
فانثنت صفراء تعتذر

وله ايضاً :

لله احبابنا الألى سلفوا بانوا وما منهم سوى لنا خلف
كرهت سكنى البلاد بعدهم اسفاً وقد يكسر بعد الجوهر الصدف

وله ايضاً :

العلم يكسو الحلل الفاخرة ... والعلم يحيي الأعظم الناخرة
كم ذَنَب اصبح رأساً به ... ومذنب ابحره زاخرة
ما شرف النسبة الا التقى ... اين تهيم الأنفس الفاخرة
مَن يطلب العز بغير التقى ... ترجع عنه نفسه داخرة
اعرض عن الدنيا تكن سيداً ... بل ملكاً فيها وفي الآخرة

حكى عن ابى الربيع بن ابى سالم انه قال : توفي باشبيلية فجأة في خامس وعشرين من ربيع الأول عام ثلاثة وستمئة .

ترجمه في الجذوة ، وقد تقدمت ترجمة والده (232) .

1462) **عمر بن العباس الصنهاجي** المعروف بالحباك ، من اهل تلمسان ، قدم مراكش ، ثم توجه الى مكة فغرق في بحر المشرق في حدود ثلاثة عشر وستمئة ، صاحب مجاهدات وتجرد عن الدنيا .

قال في التشوف : سمعت علي بن احمد الصنهاجي يقول : رايت عمر الحباك بتلمسان في جماعة من الفقراء وهم جلوس على السطح دون حصير في زمن البرد الشديد ، فقلت له اتأذن في شراء حصير تجلسون عليه ؟ فهش لقولي وامرني بشرائه ، فأتيته بحصير فجلس عليه مع تلامذته ، فدخل عليه فقير فقال له افي بيتك حصير ؟ فقال له نعم ، فقال له ايهما اجود : هذا ام حصيرك ؟ فقال له هذا اجود ، فقال له جئني به وخذ انت هذا ، فجاء به وحمل ذلك الحصير ، فدخل عليه فقير فقال له اعندك حصير ؟ فقال له نعم ، فقال ايهما اجود هذا ام حصيرك ؟ فقال له هذا اجود ، فقال له جئني بحصيرك وخذ انت هذا ، فجاءه بحصيره وحمل ذلك ، فجاءه فقير ثالث فقال له اعندك حصير ؟ فقال لا ، فقال له خذ هذا الحصير فحمله ، فعادوا الى القعود على السطح كما كانوا .

---

232) **ازهار الرياض** 2 : 361 **والتكملة** 2 : 659 ع 1831 **وجلوة الاقتباس** ص 433 ع 463 **وذكريات مشاهير رجال المغرب** ع 30 **وزاد المسافر** ص 143 ع 52
وترجمة والده في 8 : 189 ع 1144 من هذا الكتاب

وكان يصبح عند ابواب الديار مَن انقل له الزبل ويعطي ما امكن ، فينقل الزبل على راسه ويعطي كسرة خبز فيحملها الى الفقراء ويأكلها معهم .

قال علي بن احمد : وحدثني عمر الحباك ببدأ امره ، قال لما توفي ابو مدين حضرت جنازته بالعُبَّاد خارج تلمسان ، فما رأيت اعز من الفقراء في ذلك اليوم ولا اذل من الأغنياء ، فقلت في نفسي اذا كان هذا في الدنيا فكيف بهم في الآخرة ؟ فدفعت اثوابي لفقير واخذت منه مرقعة وحلقت رأسي ، فدخلت على امرأتي فصاحت يا ويلها ، فقلت لها ان لم توافقيني على هذه الحالة فعديني ميتاً ، فصاحت ياويلها ، فخرجت عنها وتركت لها جميع مالي وغبت عن تلمسان اربعة اعوام وقد تركت ابناً لي صغيراً ، فقلت لنفسي : ان كنت صادقة فادخلي تلمسان على هذه الحالة ، فأتيتُ الى تلمسان ودخلت سويقة اجادير ، فلقيت بها امرأتي مع خادمها وابني على عنق الخادم ، فقالت لي النفس تنحَّ لها عن الطريق ليلا يتغير قلبها بمشاهدتك على هذه الحالة ، فقلت لها والله لا راتك الا في اسوأ من هذه الحالة، فتقدمت الى خباز في السويقة واخذت منه خبزة وقلت مَن يشتري لي هذه الخبزة لله تعالى وانا انظر ، فرأيتها تنظرني والدموعُ تنحدر على خديْها الى ان تجاوزتْني ، فرددت الخبزة الى الخباز ومررت (233) .

ادال الشوق يأسي من رجائي	فأوحش ما عهدت من العزاء
واولاني التصبر مثل ما قد	الفت من الوصال مَن الجفاء
كأن الدهر غيظ من ابتسامي	فأبدلنيه متصلَ البكاء
فلا هطلت على بغداد يوماً	من الأيام معصرة بماء (234)

1463) **عمر بن علي** ، من اهل مراكش وبها مات ليلة السبت التاسع عشر لذي قعدة عام ستة عشرة وستمئة ، كان عبداً صالحاً صواماً قواما منقبضا عن الناس ، دائم السكوت لا ينبسط لأحد ، وكانت اثار الولاية ظاهرة عليه :

233) نعوذ بالله من السلب بعد العطاء ومن الحمق بعد العقل

234) التشوف ص 458 ع 264

قالوا نراك طويل الصمت قلت لهم ماطول صمتي من عي ولا خـــرس
أأنشر البـــزّ فيمن ليس يعرفـــه أأنثر الدرّ بين العُمْي في الغلس

ترجمه في التشوف (235) .

1464) عمر بن محمد ابن الطوير الصنهاجي المراكشي

عمر بن محمد بن علي الصنهاجي ، مراكشي سوسي الأصل ، ابو علي ابن الطوير بذلك شُهِر في افريقية فما وراءها من بلاد المغرب الى مراكش ، وشهر في مصر والحجاز بأبي الخطاب السوسي ، تفقه بمراكش على جماعة من اهلها ، وشرق طالباً العلم ، وحج وجاور بمكة شرفها الله ، واختص بالفقيه عبد الوهاب البغدادي صهر ابن معافى ، واخذ عنه اصول الفقه وتعليقة ابي سعيد محمد بن يحيى في مسائل الخلاف ، وهو اول مَن ادخلها الى المغرب ، ثم قفل الى هذه البلاد ، واخذ بالأسكندرية على ابي الحسن الابياري ، ولازم ابا العـــز مظفر بن محمد ابن المقترح ثم قفل الى المغرب ، فدرس بالمهديـــة علم الكلام واصول الفقه ومسائل الخلاف ، ثم رحل متجرداً الى قطب الدين ابي علي النفطي بنفطة ، فكان قطب الدين يقول لأصحابه لما علم من صدق باطنه هذا عمر الصديق ، ثم عاد الى المهدية فدرس بها .

قال ابو القاسم ابن البراء : قدم علينا بالمهدية ابو علي السوسي سنة ست وستمئة ، فأملى علينا البرهان لامام الحرمين ابى المعالي من صدره ، وكان يملي علينا مسائل من علم الكلام .... ثم عاد الى مراكش فالتفت عليه الناس ، وأخذوا عنه .... اصول الفقه وعلم الكلام ، وروى الحديث واقرأ العربية وتوطد عنده .... رسالة القشيري وطبقات الصوفية ، وكان يتكلم على .... وسامعه ، وكان مع هذا الاستبحار في العلوم متصوفاً ذا اشارات وكرامات واحوال صادقة ، متين الدين ، زاهداً في الدنيا ، منقبضاً عن الحلق .... مما يصير اليه منها ، لا يدخر شيئاً من يومه لغده ،

---

235) **التشـوف** ص 270 ع 275

ولا يرد سائلا ولا قاصد حاجة ، ولم يزل على حاله هذه الى غاية عمره ، وكان كثيراً ما يتمثل بقول القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني :

يقولون لي فيك انقباض وانما … رأوا رجلا عن موقف الذل احجما
يرى ان مَن داناهمُ هان عندهم … ومَن أكرمتْه عزة النفس اكرما
وما كل برق لاح لي يستفزني … ولا كل مَن لاقيت ارضاه منعما
وما زلت منحازاً بعرضي جانباً … عن الذل اعتدُّ الصيانةَ مغنما
اذا قيل هذا مورد قلت قد ارى … ولاكن نفس الحر تحتمل الظما
واني اذا ما فاتني الأمرُ لم أبت … اقلب كفي اثره متندما
ولاكنه ان جاء عفواً قبِلته … وان مال لم اتبعْه هلا وليتما
واقبض خطوي عن حظوظ قريبة … اذا لم انلْها وافر العرض مكرما
واكرم نفسي ان اضاحك عابساً … وان اتلقى بالمديح منمما
انهنهها عن بعض ما قد يشينُها … مخافة اقوال العدا فيما اولما
ولم اقض حق العلم ان كنت كلما … بدا طمعٌ صيرته ليَّ سلما
ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي … لأخدم مَن لاقيت الا لاحرما
أاغرسه عزاً واجنيه ذلة … اذن فاتباع الجهل قد كان احزما
فان قلت جَدُّ العلم كابٍ فانما … كبا حين لم يحم حماه واسلما
ولو ان اهل العلم صانوه صانهم … ولو عظّموه في النفوس لعُظما
ولكن اهانوه فهان ودنسوا … محياه بالأطماع حتى تجهما

وقدم عمر الأندلس صحبة ابراهيم ابن المنصور حين ولي اشبيلية ، فاخذ عنه بها طائفةٌ من اهلها وعرفوا فضله ، وكان له في اثبات .... فيه علي ابن القطان ، وصنف راداً عليه في ذلك مصنفا.......... في القياس ، لمناضلة مَن سلك غير المهيع في اثبات القياس) ، ولد .... وستين وخمسمئة ، وتوفي بها يوم الاثنين لست بقين من جمادى الأخيرة اثنتين وعشرين وستمئة (236) .

---

236) الترجمة منقولة من الذيل والتكملة (قسم الغرباء — غميس)

1465) **عمر بن محمد بن احمد القيسي** ، مراكشي فاسي الأصل ..... صغيراً ابو علي ابن الفاسي خالي ، روى عن ابى اسحق .... السلافى وعلي الأخفش وعلي ابن القطان وعلي ابن قطرال .... وابوي عبد الله ابن الجدع وابن المناصف ، وابى القاسم .... حوط الله ، وكان اديباً بارعَ الكتابة ، ءاية من ءايات الله في .... العشرة ، طيب النفس ، الفا مألوفاً ، كان منزله مجمع النبلاء والفضلاء ، .... الحياء كثير المواساة ، نفاعاً بجاهه وذات يده ، ذا حظ صالح ... الشعر ، كتب عن عبد العزيز بن يوسف بن عبد المومن ، وكان .... خالتي واستولى عليه ، فكان مقبولَ القول عنده مشفعاً فيما يناط به من المآرب ، دخل الأندلس صحبته ، وكان قدومهما على اشبيلية يوم الاثنين لست بقين من ربيع الآخر عام تسعة عشر وستمئة حين وليها ابو محمد ، وصنف (غنية الحفاظ ، في الجمع بين الاصلاح والالفاظ) ، وجمع باقتراح عبد العزيز دفترا فيما نظم في التهجد وقيام الليل اجاد فيه الاختيار ، ومن نظمه فيه ونقلته من خطه البارع :

ذهب الظلام وانت جذع رافد ... واتى الصباح وانت صخر جامد
وخلت على الاظلام منك مناسك ... وخلت على الاصباح منك مساجد
واولو التهجد ليلهم ما منهم ... لله الا راكع او ساجد
يدعون ربهم بكل وسيلة ... خلصت لهم فيها لديه عقائد
وهجعت يا مغرور ليلك كله ... وعليك من عين الاله شواهد
فكأنما ايقنت انك مغفل ... في هذه الدنيا الدنية خالد
فلكم تنام وفي البهائم نابه ... ليلا يسبح ربه ويجاهد
ومن العجائب ذو الجهالة صالح ... واخو النهي في كل حال فاسد
والى متى عمت فؤادك غفلة ... تزهى بغرتها وعمرك بائد
فانظرْ لنفسك قبل حين مماتها ... ان الممات على البرية وافد
وتذكر السفر البعيد وطوله ... من غير زاد والمجال فدافد
واذكر نشورك بعد موتك فجأة ... وصحائف الأعمال منك تشاهد

فعسى يلوح لك اليقين فربمـــا ذهب الضلال' و ....
والله ذو فضل وبـذل اقــالــــة مهما ارعوى جاز وا ....
فاقرع لبــاب متابـة مستفتحـــاً فهو الذي يأوى اليه ....
وصل الصـــلاة على النبي محمــد خير البرية والشفيع ....
فبه التوسل' والتوصــل' كلــمـا ضاقت عليك مذاهب و ....
صلى الالــه' عليه خير صــلاتـــه يفنى الزمــان وفضلهـا (متزايد)

وكان شيخنا حسن ابن القطان وابو عبد الله ابن الطراوة .... عليه والايجاب له والشهادة بتبريزه في النبل ، والاشتمال على خلال الفضل ، وقد صحباه طويلا بمراكش ، واشتركا معه في الأخذ عن الشيوخ بها ، وكذلك كان هارون بن محمد بن هــارون السماتى يبالغ في تقريظه ، وقــد صحبــه باشبيلية ، ويصفه بحسن المشاركة والجد في قضاء حاجات الناس .

توفى بمراكش اول ليلة .... الثالثة من شوال ستة وعشرين وستمئة ابن خمس واربعين عاماً او نحوها ، ودفن خارج باب نفيس بروضة سلفه هنالك مقابل للباب ، وكانت جنازته مشهودة والثناء عليه صالحاً (237) .

1466) عمر بن عبد الحق الصنهاجي

عمر بن عبد الحــق بن ابراهيم بن عبد الله بــن وهب الصنهاجي ، مراكشي ، روى عن ابيه ، وله اجازة من ابى القاسم محمد بن هشام بن ابى جمرة وابى الوليد ابن رشد الكبير (238) .

1467) **عمر بن مودود بن عمر الفارسي البخاري** يكنى ابا البركات ، ولد بسلماس ونشأ بها ، وكتب الحديث هنالك وتعلم العربية والفقه ، وهو من ابناء الملوك ، وانتقل الى المغرب فدخل الأندلس ونزل مالقة في حدود ثلاثين وستمئة ، ودخل اشبيلية ، وكانت له رواية بالمشرق .

---

237) الترجمة منقولة من **الذيل والتكملة** (قسم الغرباء — غميس) .

238) الترجمة منقولة من **الذيل والتكملة** (قسم الغرباء — غميس) .

قال ابن الأبار : اجاز لي مارواه ولم يسم احداً من شيوخه ، وبلغني انه سمع صحيح البخاري بالدامغان على محمد بن محمود ، وكانت اجازته لي سنة 631 وعاش بعد ذلك ، وتوفى بمراكش بعد الأربعين وستمئة ، وحدث بالأندلس واخذ عنه الناس ، وكان من اهل التصوف والتحقق بالكلام رحمه الله تعالى .

نقله في النفح (239) .

وقال في الذيل والتكملة : عمر بن مودود بن عمر الفارسي ، كذا نقلت نسبه من خطه، وقلب ابن الأبار اسمه فقال فيه مودود بن عمر بن مودود، وذكره في حرف الميم ، سلماسي عمل اذربيجان من ابناء ملوكهم ، شرف الدين ابو البركات الفارسي ، روى بهمدان عن تقي الدين محمد بن محمود ابن الحمامي ، وسمع الكثير من ابي الحسن ابن حمويه، وصحب ببغداد شهاب الدين ابا حفص وابا عبد الله البكري السهروردي وسمع منه كثيراً، واجاز له ابو الحسن مؤيد بن عبد الله البكري السهروردي وسمع منه كثيراً ، واجاز له ابو الحسن مؤيد بن محمد الطوسي وعلاء الدين السرخسي لقيه بمرو ، واطال التجول في طلب العلم والدراية والتفقه بالعراق والشام ومصر ، وقدم الأندلس وحدث بها ، فروى عنه بها من اهلها ابو جعفر ابن غالب وابو الحسن الرعيني شيخنا وابو يعقوب بن ابراهيم ابن عقاب ، ومن سكان مالقة ابو عبد الله بن عياض ، وبسبتة ابو العباس بن محمد الموروري ، وورد مراكش في حدود .... فأسمع الحديث وكتب الرقائق والتصوف ، روى عنه .... المستوطنين بها من غيرهم ، منهم آباء عبد الله ابن رحمة الله .... وابن يوسف القلعي الناسك نفع الله به ، وقال لي في مجلس ابي .... اباك ، والحسن بن الحسن ابن مكسور الجنب ، وابو المجد ابن .... وحدث عنه بالاجازة محمد ابن الأبار ، وكان فقيها شافعي .... شديد .... يرجع الى جودة وصحة باطن وتصحبه غفلة ، وكان .... اسماعه

239) نفح الطيب 3 : 144

مجمعاً للفقهاء واهل الفضل والصلاح والخير ، وكان قدومه على مراكش في ايام الرشيد من بني عبد المومن ، فصرف اليه وجهَ الاعتناء به والتنويـه ووالى بره وتكريمه ، وحظِيِ عنده حظوةً تامةً وأجرى له ثلاثمئة درهم وسبعة قناطير ونصف قنطار من الحواري في كل شهر مرتبة سوى ما يتعاهده به من احسان وكسا وهدايا وتحف ، فتمادى على ذلك حاله معه مدة الى ان رفع اليه مقالة في اثبات صنعة الكيمياء ، وانه واصل قد ادركها علما وعملا وادعى افادته اياها ، فقطع الرشيدُ عنه ماكان يجريه عليه ثلاثة اشهر حتى استوحش من ذلك ابو البركات واثر في حاله ، وكان موضع سكناه قريبـاً من مسكن ابى اسحاق المذكور قبل ، وكان كبير أطباء الرشيد والمدل عليه والكثير الخلوة اليه ، فألقى اليه ابو البركات ما ناله من فقد الجراية التي كانت تجري لــه وجهل سببه ، فتلطف أبو اسحاق ابن الحجر في القاء قضيته الى الرشيد بعد رصده ساعة بسطٍ منه ، وقال له ياسيدي عبدكم الغريب المنقطع الى جانبكم الفارسي هو ممن شملني وايــاه نسبُ الاغتراب والأوي الى كنفكم العزيز ، وهو مع ذلك جاري الجُنُب ذكر لي ما عيل له صبره وضاق من اجله ذرعه ، وذلكم توقفُ ماكان يجري عليه من انعامكم منذ ثلاثة اشهر ولا يعرف موجبه ، فتبسَّم الرشيدُ وقال له كيف يكون هذا ونحن نرى ، وهو انا احوج اليه منه الينا ، فأكبر ابن الحجر هذا الجواب ، وقال معاذ الله يا سيدي ، وانئّى يمكن هذا ؟ فرفع الرشيد طرف بساطه الذي كان جالساً عليه ، واخــرج من تحته مقالة ابى البركات في صنعة الكيمياء ، وقال له من وصل الى هذا العلم او هذا العمل فالملوكُ مفتقرون اليه ، فلما وقف ابن الحجر على بعض مضمنها سقط في يده ولم يحرْ جواباً الا .... بضعف العقل وسوء التدبير واختلال الذهن وفساد النظر .... استعطاف الرشيد له والرغبة له في اعادة ماكان يجري .... فأسعفه في ذلك وقضاه جميع ما فاته منه في الأشهر الثلاثة .... ابن الحجر باللوم الشديد وتقبيح هذا المأخذ مع سفهاء المسلمين .... المحتالين فكيف يقابل به الملوك ، وندم ابو البركات على ماكان منه .... ورفع له أيضاً مقالة اخرى سماها (الأوتار والأشفاع) اودعها ذكر النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء من

الصحابة ومعظم مَن بعدهم ممن شهر بالخلافة الى زمـان الرشيد ، وقضي بتمكين سعادة الأوتار ونقصها او فقدها في الأشفاع وتملق بذلك الى كون الرشيد وتر فهو كامل السعد ، تكثر على يديه الفتوحات ، وتتسع مملكته في المعمور ، لم يستحسن احد" هذه المقالة ولا حمد منه وضعه اياها لما فيها من التهاتر والتناقض ، وعهد بعض الأوتار اشفاعاً وبعض الأشفاع اوتاراً الى خلوها من فائدة يحرص عليها ويرغب فيها ، ولم يحسن موقعها مع ذلك من الرشيد الذي رفعت اليه لذكر بعض سلفه فيها بما لا يستسيغ عاقل سماعَ مثله في مثلهم ، ثم ان الوجود ذاكرته في كل ما نسبه الى الرشيد من تأتي الفتوح في ايامه وبسط مملكته وطول عمره ، فقبض الرشيد غريقاً في جمادى الأولى سنة اربعين وستمئة ابن ست وعشرين سنة ، وكانت ايامـه تسع سنين ونحو نصف سنة معظمها في هرج وغلاء مفرط وفتن مظلمة وأهوال لا قِبَلَ لأحد بها الا بعض سنين اواخر العشر التي توفي بها ، ولم يعدم مع ذلك تكريماً منه وتعظيماً عند الخاصة والعامة من اهل مراكش الى ان توفي بها ليلة الجمعة ودفن من الغد اثر صلاتها ، وذلك في العشر الأول من شهر ربيع الآخر سنة تسع وثلاثين وستمئة بجبانة باب نفيس ، وشهد جنازته خلق لا يحصون كثرة واتبعوه ثناءً صالحاً وذكراً جميلا ، وقال ابن الأبار في غير تكملته إنه توفي بعد الأربعين ولم يضبطه (240) .

1468) عمر (المرتضى) بن اسحاق الموحدي (الخليفة)

عمر المرتضى بن اسحاق بن يوسف بن عبد المومن بن علي الكومي الموحدي ، امه حرة بنت عم ابيه ، ولي بعد وفـاة السعيد باجمـاع من بقي بمراكش من اشياخ الموحدين ، اخذوا له البيعة بجامع المنصور من حضرة مراكش ، وذلك يوم الأربعاء غرة ربيع الأول من سنة ست واربعين وستمئة ، قاله ابن رشيد في ميزان العمل ، قال ابن ابى زرع هو وهم" منه ، لأن السعيد توفي يوم الثلاثاء منسلخ صفر ، ولا يمكن ان يصل الخبرُ بموته من تلمسان الى

240) **الذيل والتكملة** (قسم الغرباء — غميس) وينظر عنه ايضاً **التكملة** ع 2252 **وصلة الصلة** ص 74 ع 134

مراكش في ليلة واحدة ، والصحيح انه كان بين موت السعيد وبيعة المُرتضَى نحو العشرة ايام ، وحينئذ عقدت له البيعة بجامع المنصور ، وكتب له بها في الثاني عشر من ربيع المذكور ، وكان المُرتضَى والياً للسعيد بقصبة رباط الفتح ، تركه هنالك حين توجه لتلمسان ، فوصلتْه البيعة وهوَ بها ، فأمر بها فقرئت على الناس ، فبايعه جميعُ مَن حضره من الموحدين والفقهاء والأشياخ ، ثم ارتحل الى مراكش فدخلها وجددت له البيعة بها واستقام له امرها ، وملك جميعَ احوازها من مدينة سلا الى السوس ، فأقام بها الى سنة ثلاث وخمسين وستمئة فخرج برسم غزو مدينة فاس وقتال مَن بقي بها من بني مرين في جيش عظيم نحواً من ثمانين الف فارس من الموحدين والعرب والأغزاز والأندلس والروم ، فسار حتى نزل بجبل بني بهلول من قبلة مدينة فاس ، وكان خوف بني مرين قد خامر قلوب اهل محلته ، فكانوا منذ قاربوا مدينةَ فاس لا يرقدون ليلا ، فانطلق فرس لبعض الأجنـاد يجري بين الأخبية ، فجرى الناسُ في اثـره ليأخذوه ، فظن اهلُ المحلة ان بني مرين ضربوا فيها ، فركب الناسُ وماج بعضُهم في بعض وفروا منهزمين لا يلوي احد على احد ، فاتصل خبرهم بأبي بكر المريني ، فخرج من مدينته واحتوى على جميع ما في المحلة من الأموال والسلاح والأخبية ، وسار المرتضَى منهزمـاً الى مراكش في نفر يسير من الروم ، فأقـام بها الى ان دخلها عليه أبو دبوس ، وذلك يـوم السبت الثاني والعشرون من محرم سنة خمس وستين وستمئة .

وكان شاعراً ، من نظمه :

ذليل دمـع مقلتـه دلـيـل ... على ان الحشـا فيهـا عـليـل
ألمَّ بباكـم يبغـي شـفـاء ... لـداء البعد فهْوَ لـه قتيـل
انيلوني رضى منكـم وقـربـاً ... وحاشـا مجدكـم الا تُنيلـوا
لئن قطعت سبيل الوصـل عنـي ... خطوبٌ شرحُهـا عندي يـطـول
فشنافعُ ما اقترفتُ هـوانُ ذلـي ... واعظـم شافـع انـي ذلـيـل
فحسبي اننـي عبدٌ قـَطـوع ... وحسبك أنـك المولى الوصـول

ومـنـه :

دعـــوت الـى الله مستعطفـــاً ليصلح عندي مـا قـد فـســد
ويصلح نفسـي واخـلاقـهـا ويُذهبَ عني الريـا والحسـد
فسوقُ الريـاء بهـا نـافـق وسوقُ العفاف بهـا قـد كسـد

وكانت مدته ثمانية عشر سنة وتسعة اشهر واثنين وعشرين يوماً ، ولم تكن له في مدته حركة الا زيارة قبر المهدي بحاضرة تينمل على عادة سلفه ، وكان له حظ وافر من العلم والأدب وبراعة الخط ، وفرَّ من حاضرة مراكش لما دخلها عليه ابو دبوس الى أزمور ، فثقف بها الى ان وجه عليه فقتل في اثناء الطريق في ثاني وعشري صفر من عام خمسة وستين وستمئة .

ترجمه في الحلل وفي تاريخ الدولتين والجذوة (241) .

1469) **عمر بن عثمان بن يعقوب المريني** ، كان والده كلفاً به منه منذ نشأ ، فكان عليه حدباً وبه مشغوفاً ، ولما استولى على ملك المغرب رشحـه لولاية عهده وهو شاب لم يطر شاربه ، ووضع له لقب الامارة ، وصيَّر معـه الجلساء والخاصة والكتـاب ، وامره باتخـاذ العلامة في كتبـه ، وعقد على وزارته لابراهيم ابن عيسى اليرنياني من صنائع دولتهم وكبار المرشحين بها ، ولما رأى اخوه الأكبر (ابو الحسن) علي صاغية ابيه اليه وكان شديد البرور بوالديه انحاش اليه وصار في جملته ، وخلط نفسه بحاشيته طاعة لأبيـه ، واستمرت حال الأمير عمر على هذا ، وخاطبه الملوك من النواحي وخاطبهـم وهادوه وعقد الرايات ، واثبت في الديوان ومحا ، وزاد في العطاء ونقص ، وكاد ان يستبدَّ ، ولما قفل السلطان عثمان من غزاته الى تلمسان سنة اربع عشرة (وسبعمئة) اقام بتازة وبعث ولديـه الى فاس ، فلما استقر عمر بفاس حدثته نفسه بالاستبداد على ابيه وخلعه ، وراوده المداخلون له في المكـر بالسلطان ، ودعا لنفسه فاطاعه الناس لما كان السلطان جعل اليه من امرهم ،

241) **الحلل الموشية** ص 168 (طبع الدار البيضاء 1979 م) ، **وجذوة الاقتباس** ص 492 ع 561

وعسكر بساحة البلد الجديد يريد غزو السلطان ، فبرز من تازة بعسكره يقدم رجلا ويؤخر اخرى ، ثم بدا للأمير عمر في شأن وزيره وحدثته نفسه بالقبض عليه استرابة به لما كان بلغه من المكاتبة بينه وبين السلطان ، فبعث بذلك عمر ابن يخلف الفردودي وتفطن الوزير لما حاوله من المكر فتقبض عليه ، ونزع الى السلطان عثمان فتقبله ورضي عنه ، وارتحل الى لقاء ابنه ، ولما تراءى الجمعان بالمقرمدة ما بين فاس وتازة اختل مصاف السلطان وانهزم عسكره ، وافلت بعد ان اصابته جراحة في يده وهن لها ، ولحق بتازة قليلا جريحاً ، ولحق به ابنه علي نازعاً اليه من جملة اخيه عمر بعد المحنة وفاء لحق ابيه ، فاستبشر السلطان بالظهور والفتح ، وحمد المغبة ، واناخ الأمير (عمر) بعساكره على تازة وسعى الخواص بين السلطان وبين ابنه في الصلح على ان يخرج له السلطان عن الأمر ويقتصر على تازة وجهاتها ، فتمّ ذلك بينهما وانعقد ، وشهد الملأ من مشيخة العرب وزناتة واهل الأمصار ، واستحكم عقده ، وانكفأ الأمير عمر الى حضرة فاس مملكاً ، وتوالت اليه بيعات الأمصار بالمغرب ووفودهم ، واستوثق أمره ، ثم اعتلّ على اثر ذلك واشتد وجعه ، وصار الى حال الموت ، وخشي الناس على انفسهم تلاشي الأمر بمهلكه ، فتسايلوا الى السلطان بتازة ، ثم نزع على الأمير عمر وزيره أبو بكر ابن النوار وكاتبه منديل بن محمد الكناني وسائر خواصه ولحقوا بالسلطان ، وحملوه على تلافي الأمر ، فنهض من تازة واجتمع اليه كافة بني مرين والجند ، وعسكر على البلد الجديد ، وأقام محاصراً له ، وابتنى داراً لسكناه ، وجعل لابنه الأمير علي ما كان لأخيه عمر من ولاية العهد وتفويض الأمر ، وانفرد عمر بطائفة من النصارى المستخدمين بدولتهم كان قائدهم يمتّ اليه بخؤولة ، وضبط البلد مدة مرضه ، حتى اذا افاق وتبين اختلال امره بعث الى ابيه في الصلح ويحتمل من المال والذخيرة من دراهم ، فاجابه لذلك وانعقد بينهما سنة خمس عشرة (وسبعمئة)، وخرج الأمير بخاصته وحشمه وعسكر بالزيتون من ظاهر البلد ، ووفى له بما اشترط ، وارتحل الى سجلماسة ، ودخل السلطان الى البلد الجديد ونزل بقصره واصلح شؤون ملكه ، وانزل ابنه الأمير علي بالدار البيضاء من قصوره ، وفوض اليه في سلطانه تفويض الاستقلال ، واذن له في اتخاذ الوزراء

والكتاب ووضع العلامة على كتبه وسائر ما كان لأخيه ، ووفدت اليه بيعات الأمصار بالمغرب ، ورجعوا الى طاعته ، ونزل الأمير عمر سجلماسة فاقام بها ملكاً ودوّن الدواوين واستلحق واستركب ، وفرض العطاء ، واستخدم ظواعن العرب من المعقل ، وافتتح معاقل الصحراء وقصور توات وتيكورارين وتمنطيت وغزا بلاد السوس فافتتحها وتغلب على ضواحيها ، واثخن في اعرابها من بني حسان والشبانات وزكنة حتى استقاموا على طاعته ، وبيت عبد الرحمان بن يدر امير الأمصار بالسوس في رودانة مقره فافتتحها عليه عنوة وقتله واصطلم نعمته واباد سلطانه ، واقام لبني مرين في بلاد القبلة ملكاً وسلطاناً ، وانتقض على السلطان سنة عشرين (وسبعمئة) وتغلب على درعة وسما الى طلب مراكش ، فعقد السلطان على حربه لأخيه علي ، وجعله اليه واغزاه ، ونهض على اثره ، فاحتلوا بمراكش وثقفوا اطرافها وحسموا عللها ، وعقد عليها لكندوز بن عثمان من صنائع دولتهم وقفلوا بعساكرهم الى الحضرة ، ثم نهض الأمير عمر سنة اثنتين وعشرين (وسبعمئة) بجموعه من سجلماسة واغذ السير الى مراكش ، فاحتلت عساكره بها قبل ان يجتمع لكندوز امره ، فتقبض عليه وضرب عنقه ، ورفعه على القناة ، وملك مراكش وسائر ضواحيها ، وبلغ الخبر الى السلطان فخرج من حضرته في عساكره بعد ان احتشد وازاح العلل واستوفى الأعطيات ، وقدم بين يديه ابنه الأمير علي ولي عهده ، الغالب على امره في عساكره وجموعه ، وجاء في ساقته ، وسار على هذه التعبئة ، ولما انتهى الى بويو من وادي ملوية نذروا بالبيات من عمر وجنوده فحذروهم وايقظوا ليلتهم ، وبيّتهم بمعسكرهم ذلك ، فكانت الدبرة عليه وفل عسكره وارتحلوا من الغد في إثره ، وسلك على جبال درن ، وافترقت جنوده في اوعاره ، ولحقهم من معراتها شناعات ، حتى ترجل الأمير عمر عن فرسه وسعى على قدميه ، وخلصوا من ورطة ذلك الجبل بعد عصب الريق ، ولحق بسجلماسة ، ومهد السلطان نواحي مراكش ، واستعمل عليها ، ورتّب الحامية بها ، وعقد على جباية اموال المصامدة ونواحي مراكش لموسى بن علي الهنتاتي ، فعظم غناؤه في ذلك واضطلاعه ، وامتدت ايام ولايته ، وارتحل السلطان الى سجلماسة ، فدافعه الأمير عمر بالخضوع في الصفح والرضى

والعودة الى السلم ، فأجابه السلطان لما كان شغفه من حبه ، فقد كان يوثر عنه من ذلك غرائب ، ورجع الى الحضرة ، واقام الأمير عمر بمكانه من ملك القبلة الى ان هلك السلطان وتغلب عليه اخوه السلطان علـي كما نذكـره ان شاء الله تعالى (242)

الخبر عن حركة السلطان ابي الحسن علي الى سجلماسة وانكفائه عنها الى تلمسان بعد الصلح مع اخيه والاتفاق

لما هلك السلطان عثمان وكملت بيعة السلطان علي وكان كثيراً ما يستوصيه باخيه عمر لما كان كلفاً به شفيقاً عليه ، فاراد مشارفة احواله قبل النهوض الى تلمسان ، فارتحل من معسكره بالزيتون قاصـداً سجلماسـة ، وتلقته في طريقه وفود الأمير عمر اخيه مؤدياً حقه وموجباً مبرته ومهنئاً لـه بما ءاتاه الله من الملك ، متجافياً عن المنازعة فيه ، قانعاً من ثرات ابيـه بما حصل في يده ، طالباً العقد له بذلك من اخيه ، فأجابه السلطان علي الى ما سأل ، وعقد له على سجلماسة ما اليها من بلاد القبلة كما كان لعهد ابيهما ، وشهد الملأ من القبيل وسائر زناتة والعرب ، وانكفأ راجعاً الى تلمسان لاجابة صريخ الموحدين ، واغذ السير اليها ، ولما انتهى الى تلمسان نكب عنها متجاوزاً الى ناحية الشرق لموعد مولانا السلطان ابي بكر (الحفصي) بالنزول معه على تلمسان كما كان عليه وفاقهم ومشارطتهم مع الأمير ابـي زكرياء الرسول اليهم ، فاحتل بتاسالة في شعبان من سنة اثنتـين وثلاثيـن (وسبعمئة) وتلوم بها ، واوعز الى اساطيله بمراسي المغرب فاغزاها الـى سواحل تلمسان ، وجهز لمولانا السلطان ابي بكر مدداً من عسكره اركبهـم الأساطيل من سواحل وهران ، وعقد عليهم لمحمد البطوي من صنائع دولته ، ونزلوا بجاية ووافوا بها مولانا السلطان ابا بكر فصاروا من جملته ، ونهضوا معه الى تيكلات مقر بني عبد الواد المجمرة بها الكتائب لحصار بجاية ، وبها يومئذ ابن هزرع من قوادهم ، واجفل مَن كان بها من العساكر قبل وصوله اليهم ،

---

242) ما تقدم منقول بالحرف من تاريخ ابن خلدون 7 : 505

فلحقوا بآخر عملهم من المغرب الأوسط ، واناخ مولانا السلطان ابو بكـــر عليها بعساكره من الموحدين والعــرب والبربــر وسائــر الحشود ، فخربوا عمرانها ، وانتهبوا ما كان من الأقوات مختزناً بهـا ، وكان بحــراً لا يـدرك ساحلة ، لما كان السلطان ابو حمو من لدن اختطها قد اوعز الى العمال بسائر البلاد الشرقية منذ عمل البطحاء ان ينقلوا اعشــارَ الحبــوب اليها وسائــر الأقوات ، وتقبل ابنه السلطان ابو تاشفين مذهبه في ذلك ، ولم يزل دأبهم الى حين حلت بها هذه الفاقرة ، فانتهب الناس من تلك الأقوات ما لا كِفاء لــه ، واصرعوا مختطها بالأرض فنسفوها نسفاً وذروها (243) قاعاً صفصفاً ، والسلطان علي خلال ذلك متشرف لأحوالهم ، منتظر قدوم مولانا السلطان ابي بكر عليه بعساكره لمنازلة تلمسان ، حتى وافاه الخبرُ بانتقاض اخيه كما نذكره ، فانكفأ راجعاً ، واتصل الخبر بالسلطان ابي بكْر فقفل الى حضرتــه ، وحمــل البطوي معه واسنى جائزته وجوائز عساكره ، وانصرفوا الى السلطان مرسلهم في سفنهم ، وانقبض عنان السلطان ابي تاشفين عن غزو بلاد الموحدين الى ان انقرض امره ، والبقاء لله وحده .

الخبر عن انتقاض الأمير عمر ونهوض السلطان علي اليه وظفره به

لما توغل السلطان علي في غزاة تلمسان وتجاوزها الى تاسالـــة لموعد مولانا السلطان ابي بكر دس ابو تاشفين الى الأمير عمر في اتصال اليد والاتفاق على السلطان علي ، وان ياخذ كل واحد منهما بحجزته عن صاحبه متى هم به ، وانعقد بينهما على ذلك ، وانتقض الأمير عمر على اخيه السلطان علي ، ونهض من سجلماسة الى درعة فقتل بها عامل السلطان ، واستعمــــل عليها من ذويه ، وسرح العسكر الى بلاد مراكش ، واتصل الخبرُ بالسلطان وهو بمعسكره بتاسالة فاحفظه شانه ، واجمع على الانتقام منه ، فانكفـــأ راجعاً الى الحضرة ، وانزل بثغر تاوريرت تخم عمله عسكــراً وعقــد عليـــه

243) كذا بالأصل ، والمعروف ان هذا الفعل لا ماضي له ، وانما له المضــارع والأمر فقط .

لابنه تاشفين وجعله الى نظر وزيره منديل بن حمامة بن تيربيعن ، واغذ السير الى سجلماسة فنزل عليها واحاطت عساكره بها واخذ بمخنقها ، وحشد الفعلة والصناع لعمل الآلات لمحصارتها والبناء بساحتها ، واقام يغاديها بالقتال ويراوحها حولا كاملا ، ونهض ابو تاشفين في عساكره وقومه الى ثغر المغرب ليوطئه عساكره وبعث في نواحيه يجاذب السلطان عن مكانه من حصاره ، ولما انتهى الى تاوريرت وبرز اليه ابن السلطان في وزرائه وعساكره وزحفوا اليه في التعبئة اختل مصادفه وانهزم ولم يلق احداً وعاد الى منحجره ، وبادر الى امداد الأمير عمر بعسكره ، فعقد على حصة من جنده وبعث بهم اليه ، فتسربوا الى البلد زرافات ووحداناً حتى استكملوا عنده ، وطاولهم السلطان بالحصار ، وانزل بهم انواع الحرب والنكال ، حتى تغلب عليهم ، واقتحم البلد عنوة وتقبض على الأمير عمر عند باب قصره ، وسيق الى السلطان فأمهله واعتقله ، واستولى على ملكه ، وعقد على سجلماسة واستعمل عليها ، ورحل منكفئاً الى الحضرة ، فاحتل بها سنة ثلاث وثلاثين (وسبعمئة) ، واعتقل اخاه في احدى حجر القصر الى ان قتله لأشهر من اعتقاله خنقاً بمحبسه (244)

انتهى من تاريخ ابن خلدون (245)

وكانت سن عمر يومئذ سبعاً وثلاثين سنة (246) ، وكانت دولته بسجلماسة تسع عشرة سنة واشهراً ، وكان رقيق الحاشية ، ينتمي الى الأدب ، وهو الذي استقدم عبد المهيمن الحضرمي من سبتة واستكتبه ايام ابيه ، ومن شعر الأمير عمر يخاطب اخاه علياً ايام حصاره له بسجلماسة وقد ايقن بزوال امره :

اخنى عليّ زمان بالبعاد كما — اخنى على لبدٍ في صفقة الغبن
فلا يغرنك الدهر الخئونُ فكم — اباد مَن كان قبلي يا ابا الحسن

244) كان قتله يوم 19 ربيع الأول عام 734 هـ

245) ما تقدم منقول من تاريخ ابن خلدون 7 : 526

246) ولد الامير عمر سنة 696 هـ

الدهر مذ كان لا يَبقَى على صفة ... لا بد من فرح فيه ومن حــزن
اين الملوكُ التي كانت تهابُهــــم ... اسدُ العرين ثوواً في اللحد والكفن
بعد الأسرة والتيجان قد محيـــت ... رسومها وعفت عن كل ذي حســن
فاعمل لأخرى وكن بالله مؤتمناً ... واستغن بالله في سر وفي علن
واخترْ لنفسك امناً انت ءامــله ... كأنني لم اكنْ يوماً لــم تكن (247)

وممن ترجمه الحافظ في الدرر الكامنة (248)

1470) عمر السمرقندي الولي الصالح الامام ، بنيت زاويتُه سنـــة ست وسبعين وسبعمئة حسبما نقش بالرخامة التي عند راسه .

1471) عمر بن محمد اقيت

عمر بن محمد بن عمر بن محمد أقيت رحمهم الله تعالى ، اخذ عــن والده رحمهما الله تعالى ، وتولى القضاء في تنبكت في آخر يوم من المحرم فاتح سنة ثلاث وتسعين بعد الاباء منه ، حتى كتب له اسكيا انه ان لم يقبلْه يوليه لجاهل ، وكل ما حكم به الجاهل لا يسأل عنه غداً بين يدي الله تعالــى الا هــو .

توفي رحمه الله تعالى ليلة الجمعة الأولى من شهر المحرم الحــرام فاتح العام الثالث بعد الألف في مراكش ، ودفن في مجاورة القاضي عياض رحمهما الله تعالى ءامين ءامين .

انتهى من (فتح الشكور ، في معرفة اعيان علماء التكرور) للشيخ الفقيه الصالح السني ابي المعالي الطالب بن محمد بن ابي بكر الصديق بــن عبيد الله بن محمد بن الطالب علي بنان البرتلي الولاتي المالكي ، وهذه النسخة الوحيدة المنسوخة بتنبكتو ، وهي بالمكتبة الكتانية .

---

247) وجدت القطعة في جيب ثوبه بعد قتله .

248) الدرر الكامنة 3 : 251 ع 3034 وانظر ايضا جذوة الاقتباس ص 494 ع 562 ودرة الحجال 3 : 202 ع 5596

1472) عمر بن احمد باكري اقيت

عمر بن الحاج احمد بن عمر بن محمد اقيت رحمهم الله تعالى المعروف بباكري ، كان فقيهاً نحوياً مادحاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم صباحاً ومساء ، يسرد كتابَ الشفا في رمضان في مسجد ابن شقراء ، وكان رحمه الله تعالى وصولا لرحمه ، متعاهداً لأقاربه ، يتفقدهم في صحتهم ، ويعودهم في مرضهم ، مستبشراً منطلق الوجه للخاصة والعامة ..

توفي رحمه الله تعالى في شهر ربيع الثاني عام ستة بعد الألف في مدينة مراكش .

1473) عمر الحراق ، وزير الحضرة الاسماعيلية ، قال في اتحاف اعلام الناس :

عمر الحراق وزير الحضرة الاسماعيلية الشريف الحسني (حالله) عين اعيان الاعلام ، وواسطة عقد حملة الأقلام ، بذلك الأوان ، اذا نظم سحر الألباب ، واذا نثر أدهش فرسان البلاغة بما أوتيه من حسن الانسجام وعجيب الابداع ، نشأ ببلده شفشاون نشأة حسنة في العفاف والصيانة ، وغذي بألبان المعارف والعلوم والآداب الى أن بلغ الأشد ، ونبغ وبرع في الفنون على اختلاف انواعها .

قال في حقه معاصره الأديب الماهر المقتدر محمد بن الطيب الشريف العلمي في انيسه ما لفظه : قوي العارضة ، لا يطمع الفتح أن يعارضه ، تقلد الوزارة ، وشد بها ازاره ، فألقتْ اليه الرياسة عصا الطوع ، وأمنت بسيوف اقلامه وسهام اصابته من الروع ، وجاءها من البيان بكل صنف ومن البديع بكل نوع ، من رجل يهاب سطوته الحجاج ، ويستفتيه في العربية الزجاج ، رحل الى المشرق فحج واعتمر ، وطلع بأدبه على ذلك الأفق طلوع القمر ، فاستفاد وأفاد ، وخلد هنالك علماً تدخره الأبناء للأحفاد ، وله ديوان شعر يشهد له بالدراية ، وينشر على رأسه في دولة الاحسان اي راية ، ولقد أثبت له ماتبصره

شعرا ، وتجده عند الاختبار سحرا ، وعند الاستنشاق شحرا : الى أن قال : لقيته بداره من محروسة مكناسة فأطرفني بما شاء من الطرف ، وأعطاني في اخباره من كل فن طرف ، ثم دعا بولد له بعد ست سنين ، فلما حضر أدى حق الآباء على البنين ، ثم قال له قل يابني لا فض الله فاك ، ولا سلم من جفاك ، فأنشد وما وجم ، حتى أتي على آخر لامية العجم ، من غير أن يحدث في عروضها كسرا ، او يغفل في اعرابها ضما ولا كســرا ، ثم أتى من القصائد ما يتخذ ذخرا ، وانتقل في المعاني فكان تميمياً مرة وقيسياً أخرى ، فما رأيت والله مـَن يفصح بمثل لفظه ، ولا مـَن ظفر بمثل حفظه ، ثم قال يابني اطرفنا بشيء من الأخبار ، مما عقلت عن الأحبار ، ونبذة من عجائب الأسفار ، فحدثنا بقصص رائقة ، سلك فيها منهج الاتقان وطرائقه ، أخبرنا قال حدث الخالد عن ابي بكر الصنوبري قال : كان بالرها وراق يقال له سعد ، وكان يجلس له اهل الفضل والأدب من اهل عصره ، وكان حسنَ الأدب ، غزير العلم ، كثير الفهم ، ينظم الأشعار الفائقة الرائقة ، وكان جملة من الأدباء لا يفارقون دكانه ، منهم ابو بكر المعوج الشامي الشاعر ، وابو بكر الصنوبري ، وغيرهم من علماء الشام وديار مصر ، وكان لتاجر نصراني هنالك ولد اسمـُه عيسى من احسن الناس وجهاً واعلاهم قدراً واظرفهم منطقاً ، وكان يجلس الينا ويكتب من اشعارنا ، وجميعـُنا يحبه ويميل اليه ، وهو حينئذ في المكتب ، فعشقه سعد الوراق عشقاً مبرحاً ، وكان يعمل فيه الأشعار ، فمن ذلك قوله فيه وقد جلس عنده يكتب شعرا :

اجعل فؤادي دواة والمدادَ دمـي ... وهناك فابر عظامي موضع القـلـم
يرى المعلم لا يـدري بمن كلفـي ... وأنت اشهرُ في الصبيـان من علـَم

ثم شاع بعشق الغلام ، فلما كبر وبلغ الاحتـلام ، أحب الرهبانية وخاطب اباه وامه في ذلك وألح عليهما فأجاباه وخرجا به الى دير زكري بنواحي الرقة وهو في نهاية الحسن ، فابتاعا له قلاية فأقام فيها ، وضاقت الدنيا على سعد الوراق فأغلق دكانه ، وهجر اخوانه ، ولزم الدير مع الغـلام يعمل فيه الأشعار ، ويسير خلفه حيث سار ، فأنكرت الرهبانُ المام سعد بعيسى ونهوه عنه وأنكروا عليه وأغلظوا له في القول وأزمعوا على اخراجه إن دخل القلابة على عيسى ، فلما رأى سعد امتناعه منه شق ذلك عليه وخضع للرهبان وتملق

لهم فلم يجيبوه ، وقالوا هذا عـار" علينا وفيه اثم فلا تمكن موافقتنا عليه مع مانخشى من السلطان ، فكان اذا وافى الدير أغلقوا الباب في وجهه ولم يدعوا الغلام يكلمه ، فاشتدَّ وجعه وزاد عشقه وكلفه ، حتى صار الى الجنون ، فحرق ثيابه وأضرم النار في جميعها ، ولزم صحراء الدير وهو عريان يهيم ويعمل الأشعار ، قال الصنوبري فعبرت يوماً انا والمعوج الشامي من بستان بتنا فيه فرأيناه عرياناً جالساً في ظل الدير وقد طال شعره وتغيرت خلقته ، فسلمنا عليه وعذلناه وعنفناه ، فقال دعاني من هذا الوسواس ، أتريا ذلك الطير الذي على هيكل الدير ؟ قلنا نعم ، قال إني والله أناشده منذ الغداة أن يسقط فاحمله رسالة الى عيسى ، ثم التفت الي وقال ياصنوبري أمعك الواحك ؟ قلت نعم ، قال اكتب عني وأنشد :

بدينك ياحمامـة ديـر زكـــري ... وبالانجيـل عـنـدك والصليـــب
قفي وتحمَّلي مـنـي سلامـــا ... الى قـمـر على غصن رطيـــب
حماه جماعةُ الرهبـــان عـنـــي ... فقلبي لا يـقـرُّ مـن الوجيـــب
وقالوا رابنـا إلمـامُ سـعـــد ... ولا والله مـا انـا بـالمـريـــب
وقولي سعدك المسكين يشكـــو ... لهيب جـوي احـر مـن اللهيـــب
فصلْه بنظـرة لك مـن بـعـيـد ... اذا ما كنت تمنـع مـن قـريـــب
وان أنا مت فاكتب حـول قبـري ... محب مـات من هـجـر الحبيـــب
رقيـب واحـــد تنغيص عـيـــش ... فكيف بمن لـه مئتـا رقـيـــب

قال ثم تركنا وقام الى باب الدير وهو مغلق دونـه وانصرفنا عنه ، وما زال كذلك زماناً حتى وجد في بعض الأيام ميتاً الى جانب الدير ، فانتهى خبره الى أمير البلد ابن كيغلغ فعزم على ضرب رقبة الغلام واحراقه بالنار وضرب جميع الرهبان بالسياط حتى افتدوا منه بمئة الف وانتقل عيسى الى دير سمعان مطرودا .

(رجع) ثم أنبأت صاحب الترجمة بعزمي على هذا الكتاب ، وطلبت منه أن يعطيني من ديوانه ما أثبت له في طبقة الكتاب ، فماطلني في ذلك ، وكأنه رأى نفسه ليس اهلاً لما هنالك ، تواضعاً لمولاه ، ومَن تواضع لله رفعه الله ،

ثم لما أن عدت في ذلك اليه ، وأجلبت بخيلي ورجلي للتأكيـد عليه ، اعتذر بتراكُم الأكدار ، وواعدني بوصول القصائد الى الدار ، فودعته مصدقاً لوعده ، فما رأيت شيئاً من بعده ، سوى فقده وبعده ، انتهى لفظه (249) .

(شعره) من ذلك قوله يتشوق الى شفشاون بلده ، ويحن لها حنين الوالد لولده :

شفشاون ياشفاءَ النفس من نَصب ... ومن عنا وشفاء الـروح من وصب
حياك من لم يزل حيا وأحيى ربـي ... ربيت فيها رهينَ اللهـو والطـرب
مسقط رأسي وانسي مع جهابـذة ... أربوا على كـل ذي علم وذي ادب
زدت جمـالا على حمـراء انـدلس ... وفقت بيضـاء غـرب منتهى الأدب
ارض تجمع فيهـا كـل مفتـــرق ... في غيرها من اراضي العجم والعرب
مـاء معين واشـجـار منـوعـــة ... تعجز عن وصفها الأقلامُ في الكتب
ما شعب بوان ما مرج دمشق ومـا ... نيل بمصر وما العاصي لدى حلب
في جنب شفشاون الغراء ان فخرت ... بتينهـا وبزيتـون مـع العـنـب

الى أن قال :

انت التي في سواد القلب مسكنهـا ... يابلدة قربها يـروى بـلا قـــرب
تسر من جاءهـا ظمـآن في تعـب ... كما تسر عطـاش ليلـة الـغـرب
قومك قومي ورهطي لست أنكرهم ... وكيف أنكر امـي او أعـق ابـــي

ومنها :

وقـد تبوأهـــا دارا ومعتصمــــا ... لولا رمته يد الاقـدار بالـنـــوب
لا عيب فيها سوى ان النزيل بهـا ... يـُمسي نزيل ذوي الأحساب والنسب

ومنها :

فاعجبْ لقلب غريق في محاسنهـم ... وقـد جفوني فيا للنـاس للعجـب

وقوله مذيلا قول القائل :

وجربـتُ الأمـــور وجـربتنــي ... كأني كنتُ في الأمـم الخوالـــي

---

249) الأنيس المطرب ، فيمن لقيه مؤلفه من ادباء المغرب ص 163

وذلك باقتراح من مخدومه مولانا الجد الأكبر السلطان مولانا اسماعيل وكان كثيراً ما يتمثل بالبيت المذكور مذيلا :

ومن عجب تروم الروم حرباً بسهل او حزون او جبال
وقد شهدوا العرائش يوم جاءت بها الأجناد تزحف للقتال
(وجربت الأمور وجربتني كأني كنت في الأمم الخوالي (250)

1474) عمر بن قاسم عليليش المراكشي الكاتب ، وبيتهم بيت رئاسة من قديم ، وكان والده كاتباً مع المنصور السعدي ومع اولاده بعده ، فتعلق عمرُ هذا بخدمة السلطان المولى اسماعيل ، واطلعه على دفتر فيه اسماء العبيد الذين كانوا في عسكر السلطان رحمه الله (فسأله) هل بقي منهم احد ؟ قال نعم ، كثير منهم ومن اولادهم ، وهم متفرقون بمراكش واحوازها وبقبائل الدير ، ولو أمرني مولانا بجمعهم لجمعتهم ، فولاه امرهم ، وكتب له الى قواد القبائل يأمرهم بشد عضده واعانته على ما هو بصدده ، فأخذ عليلش يبحث عنهم بمراكش ، وينقر عن انسابهم ، الى ان جمع مَن بها منهم ، ثم خرج الى الدير فجمع مَن وجد به ، ثم سار الى قبائل الحوز فاستقصى مَن فيها حتى لم يترك بتلك القبائل اسود سواء كان مملوكاً او حرطانياً او حراً اسود ، واتسع الخرق ، وعسر الرتق ، فجمع في سنة واحدة ثلاثة ءالاف راس منهم المتزوج والعزب ، ثم كتبهم في دفتر وبعث به الى السلطان بمكناسة ، فتصفحه السلطان واعجبه ذلك ، فكتب يأمره بشراء الاماء للأعزاب منهم ، ويدفع اثمان المماليك الى ملاكهم ويكسوهم من اعشار مراكش ، ويأتيه بهم الى مكناسة ، فاجتهد عليلش في ذلك ، واشترى من الاماء ما قدر عليه ، وجمع من الحرطانيات عدداً الى ان استوفى الغرض وكساهم وألزم القبائل بحملهم الى الحضرة ، فحملوا من قبيلة الى اخرى الى ان وصلوا الى مكناسة ، فأعطاهم السلطان السلاح وولى عليهم قوادهم ، وبعث بهم الى الموضع المعروف بالمحلة من مشرع الرملة من اعمال سلا .

---

250) اتحاف اعلام الناس 5 : 485

والحرطاني معناه في عرف اهل المغرب العتيق ، واصله الحر الثاني ، كانَ الحر الأصلي اول ، وهذا العتيق حرٌ ثان ، ثم كثر استعماله على الألسنة ، فقيل الحرطاني على ضرب من التخفيف .

وتوفي عام 1123 ثلاثة وعشرين ومئة والف وتقدمت ترجمة محمد بن العياشي قاضي القضاة الذي كان حكم في قضية عليلش المذكور .

1475) عمر المدعو كلخ شلخ ، كانت فتنة هذا الدعي سنة احدى وثمانين ومئة والف بمراكش ، وهو رجل صعلوك ينتسب الى الشيخ سيدي رحال ، وكان يظهر للعامة الكرامات الكاذبة ، وتبعه السواد الأعظم من جهلة البادية ، لأنه وعدهم ان يفتح لهم بيتاً ويهيلون منه الذهب والفضة هيلا من غير ممانع ، فاهرع الناس اليه ، وتقدم لمراكش فدخلها في عالم من الأوباش شعارهم هاتان الكلمتان شلخ كلخ رافعين بها اصواتهم وهم كالسيل المنحدر من عل ، فوقع الهرج بالمدينة وغلقت الأسواق ، واتصل الخبر بالسلطان (251) وهو بداره ، فأمر الوزعة والعبيد فاعترضوهم دون القصبة وقبضوا عليهم ، ولما صار في ايديهم فرَّ مَن كان معه من الطغام ، وساقوه الى السلطان فقتله وسكنت جعجعتُه للحين (252)

1476) عمر بن (محمد) المكي الشرقاوي التادلي

عمر بن محمد المكي بن الولي الشهير محمد المعطي بن الصالح التادلي الشرقاوي ، السيد الأشهر ، الهمام الأكبر ، الفقيه العلامة ، البحر الفهامة ؛ العارف الكامل ، الولي الواصل ، الامام المعتبر ، كان رحمه الله فقيهاً نزيهاً علامة نبيهاً منظوراً اليه بعين الرعاية ، منسوباً الى المقام الأكبر في الولاية ، وما زال الناس الى الآن يصفونه بأوصاف المجد العالية ، ويحدثون عنه بما ينبيء عن بلوغه المكانة العليا والمرتبة السامية ، ومن قصيدة الفقيه الوزير سيدي محمد بن ادريس العمراوي الفاسي يمدحه بها :

---

251) سيدي محمد بن عبد الله بن اسماعيل العلوي

252) الاستقصا 8 : 33

هو الفرد اوصاف المحامد جامـع — له الفضل والتقديم حقاً بلا غمص
هو البحرُ علماً والصباحُ هدايـة — هو البدرُ في افق الوجود بلا نقص
له تضرب الأكباد في العلم والعلا — وتُنضـَى المهاري بالذميل وبالنص
حوى من علوم الدين جامع صدره — مواهب لا بالدرس تدرك والحرص
سما بالتقى والعلم والحلم والنهى — وحاز خلالَ الفضل بالسبق والنصر

لقي رحمه الله غير واحد من الأئمة الكبار ، ونال منهم عظيم الامداد والأنوار ، وذكر عن نفسه انه لقي الصحابي الأشهر شمهروش قاضي الجـن مرات عديدة وتبرك به ، واخذ عنه ! وقد رايت في كناش الفقيـه الصوفـي سيدي محمد بن عبد اللطيف جسوس بخطه ما نصه : من منن الله على العبد الفقير كاتب هذه الحروف اني تذاكرت يوماً مع الولي الأكبر ، السيد الأشهر ، حبنا واخينا في الله ، سيدي عمر بن المكي في الصلوات الكوامل على رسول الله عليه وسلم ، وبعد كلام طويل قال لي : الصلاة المنسوبة الى قاضي الجن وعالمهم وصالحهم المولى السيد شمهروش الصحابي الجليل رضي الله عنه ، وهي اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ورسولك النبي الأمـي وعلـى ءالـه وصحبه وسلم تسليماً بقدر عظمة ذاتك في كل وقت وحين ، هل تعرفها ؟ قلت له نعم وأحفظها ، إلا اني لا اعرف قائلَـها ، فقال هي للسيد المذكور ، والواحدة منها بمئة الف صلاة بغيرها ، وقد تلاقيتُ معه مراتٍ كثيرةً وما زال حياً الى الآن ، ثم ذكر بعد هذا انه راى كناشَ صاحب الترجمة بعد وفاته بخطه وفيه طلب الاجازة من السيد شمهروش في الصلاة المذكورة واستفهامه هل ما يذكره كثير من الأولياء الصالحين الذين رووها عنه انها بمئة الف صلاة صحيـح ام لا ؟ وعقبه بخط السيد شمهروش صحيح ذلك ! وقد اجزناك واذنا لك فيه ، وتحته متصلا به بخط صاحب الترجمة الخط اعلاه خط قاضي الجن السيـد شمهروش الذي تروى عنه الصلاة المرسومة اعلاه ، انتهى (253) .

وله رحمه الله من التآليف كتاب (موارد الصفـا ، في الصلاة علـى النبي المصطفى) صلى الله عليه وسلم ، وله ايضا صلَوَات شريفة تضمنتْ إسماءَ الكتب المؤلفة في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم على سبيل

---

253) انا لله وانا اليه راجعون !

التورية والتوجيه ، واخذ عنه جماعة من اهل وقته وتبركوا به ، ولما قدم لفاس الشيخ الكامل ، والعلامة المحدث الفاضل ، سيدي محمد صالح بن خير الله الحسني الرضوي البخاري السمرقندي اجتمع بصاحب الترجمة وتبرك به ، وكان يقول فيما يحكى عنه هان عليَّ سفر كذا وكذا بملاقاة رجلين بالمغرب وهما سيدي قدور العلمي وسيدي عمر بن المكي ، ولما توفي صاحب الترجمة تولى غسله بنفسه ، وكانت وفاتُه رحمه الله ليلة الاثنين ثاني عشر شوال عام ستين ومئتين والف ،ودفن بزاوية جده بفاس بركن يمين محرابها ، وجعل على قبره دربوز وحوش من خشب يدور به ، وهو مزار متبرك به الى الآن .

ذكره في السلوة (254)

وقد قدنا في ترجمة تلميذه محمد الأمين الصحراوي انه لقيه بمراكش سنة تسع وخمسين ، وانه اخذ عنه واجازه في جميع مروياته عن قاضي الجن المذكور ، وانه اخبره ان السيد شمهروش من جن نصيبين الذين سمعوا القرآن من رسول الله صلى الله عليه وسلم بمجرد اللفظ ، وصلى المترجم بشيخنـــا العلامة العارف الأديب الولي الصالح ، فراجعْ ذلك في ترجمته .

وفي ديوان الوزير ابن ادريس وقال يخاطب الولي الصالح العلـــم سيدي عمر بن المكي الشرقاوي رضي الله عنه وقد ورد على حضرة مولانـــا امير المومنين بالمحل المعروف بالبروج من بني مسكين على عادته في التلقي لركابه السعيد عند المرور بتلك النواحي :

الا يانفحـــة هبـــت صباحـــــاً فحيتْهـــا الحدائـــق والمـــروج

الى ان قال :

طلعت لدى البروج طلوعَ سعـــــد كذا الأقمـــار مطلعُهـــا البـــروج

وفيه ايضاً وقال يطلب الاجازة من العالم العلامة الولي الصالـــح سيدي عمر بن المكي الشرقاوي :

اتدري مفرداً للفضل حـــــازا وجلَّى في السباق له وفـــازا

254) ما تقدم منقول من سلوة الأنفاس I : 194

ثم ذكرها وهي عشرون بيتاً ، والأولى اثنا عشر بيتا .

وقال المترجم سيدي عمر بن المكي الشرقي يخاطب الشيخ ابا العباس السبتي :

ياعالماً في المعالي فـــردا	وعلمـــاً مـــا لـــه مثيـــل
هـل لغـريب لـديـك قسـط	مما حباكـم بـه الجليـل
حاشا يخيب الذي نحاكـم	والظنُّ منـه بكـم جميـل
فلترحم بالوصال صبّـاً	قـام لـه في الـهـوى دليل
ولتحميه من زمان ســـوء	قـد فـاض قـالٌ به وقيـل
ما ان يرى في بنيه صـدق	ولا وفـاء ولا خـليل
ولا معـيـن ولا مواســي	ولا مصافٍ ولا اصيـل

ثم امر تلميذه سيدي محمد بن التهامي الرباطي بالزيادة على ذلـك فـقـال :

وقـد عتا فيـه كلُّ عـاد	له الى ما انتحى سبيـل
لا يرعوي عن قبيـح فعـل	شنار مرمـاه مستطيـل
لا يتقي الله في ضعيـف	جُمان أجفانِه يسيـل
فكن نصير العافي واجمـل	خلاص عانٍ ما ان يميـل
وجـد بمن اولاك المزايـا	فـأنت بالمستغني كفيـل
وصل علـى العـادي بنبـال	حاملهـا في الوغى قبيـل
وحرقن مـا ازدهـاه حتـى	يـقـال جـاني الأسى جـليل
ولتحملنـه بـمـا جنـاه	حملا يرى ما له عديـل
وخـذهم اخـذة وبـال	خفيفهـا بالشجـى ثقيـل
ولا تدع منهـم عنيـدا	مغنـاه للمنصـوي وبيـل
ولـتـرح القلب مـن عناهـم	فـان هـذا العنا طويـل
وامنن فضلا بنيل ســوء	ضالبه في الورى ضبيـل ؟
فانـتـم كـعـبـة المعالـي	بمجدكـم يحتمـي النزيـل

وفضلكم لايزال ينمو — يرجو به الفوز مستقيل
ولكم يهتدى المعنى — وبكم يشتفي العليل
وانتم ردة كل سار — بسبب زاده قليل
وانتم غاية الأماني — لحائر طرفه كليل
وانتم الشم ونداكم — هبت شمال له بليل
ياسادة الناس يا سلاحي — اذا نبا صارمي الصقيل
وياحماة الحمى اجيروا — ذا غربة حاله نحيل
قبيح فعل له شفيع — معظم طارفه كحيل
محمد صفوة البرايا — طرا ومعناهم الأهيل
وغوثهم حيثما اعتراهم — بؤس لهم تحته مقيل
عليه ازكى الصلاة تترى — وصحبه ما ازدهى الأصيل

ومما خاطبه به شيخه ابو العباس الحكمي القاضي :

للبيْن ما بين افلاذ الحشا اثر — وللمشوق الى نحو الحمى نظر
وءاية الصدق في دعوى المحبة ان — ترى المشوقَ وفي عبراته عبر
ومن يكن يرتجي يوماً يسر به — فوصلكُم منتهى الآمال يا عُمر

ولابن التهامي الرباطي تلميذ المترجم عدة قصائد في مدحه راجعْها في ديوانه ، كما ذكره أيضاً في فهرسته ، فمنها قصيدة مطلعها :

اقول لها لما تضايق ذرعها — وانحلها جوبُ الفيافي وذرعها

وقصيدة مطلعها لما ورد عليه زائراً له بداره الجديدة بالبروج بأبي الجعد :

من موثق بما جنت يداه — مبتئس سروره عداه
اضله من الهوى هداه — مستيئس فليته فداه
مَن حلَّ منه بصميم الصدر

وقصيدة مطلعها :

اهلا بأنوار تسوق لنا الهوى وتذيقنا خمرَ الغرام على السوا

وقصيدة مطلعها :

سبتْك على حب المحاسن حور اذا اوقفتْ وصلَ العميد تجور

واخرى مطلعها :

شذا الرياحين في الاسلام رياك وطلعةُ البدر في تمٍّ محياك

واخرى مطلعها :

سقاك الوفا كأسَ الوصال رحيقاَ وساعدك الدهرُ السعيد انيقا

واخرى مطلعها :

بمهجتي من نوى الأحباب مضطرم فلا تلمْ ناظري في الدمع وهو دم

1477) **عمر بن البخاري الفلالي الادريسي** ، صاحب الزاوية بباب الخميس ، اخذ عن مولاي العربي الدرقاوي ، وله تقييد في الفقهيات اوله بعد البسملة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم : قال عبد ربه عمر بن البخاري الفلالي اصلا المراكشي داراً المالكي مذهباً لطف الله به ءامين ، ثم قال وسميتُه (الشرائع التي يحتاج اليها الفقير فيما لا بد منه من العلم الظاهر) وذكر فيه الطهارة والصلاة والصوم والفطر وغسل الميت ، وهذا التقييد في كراس واحد ، وله كلام في العمارة والسماع ، وكان يجمع عليه طلبةَ العلم بمراكش ويتحببُ اليهم ، كقاضيها الفقيه سيدي الفاضل ابن مريدة ، وبنى زاويتَه بباب الخميس ، وبها دفن في اواخر دولة المولى عبد الرحمان ، وخلفه بعده مولاي سعيد التادلي ، ثم خلفه بعده العربي العريبي ، وكل منهم يجمع عليه المريدين ويستعملهم في الفلاحة وغرس الأشجار وعلاجها ويقوتهم .

1478) **عمر بن محمد الجلاوي ، المحقق** ، اخذ عنه بمراكش المشارك محمد بن المدني السرغيني .

ذكره ابن المعطي في فهرسته

1479) عمر بن الطالب ابن سودة المري ، الشيخ الامام ، العلامة الهمام ، فصيح اللسان ، مطهر الجنان ، الخير الدين السالك ، العابد الناسك ، كان رحمه الله مدرساً نفاعة فقيهاً اصولياً نحوياً منطقياً لغويا كثير الأوراد والأذكار ، حاجاً باراً سيداً فاضلاً ، ولد في حجة عام ثمانية عشر ومئتين والف ، وكان غريب الأحوال ، حلوَ الأقوال ، يمزج عبارته في التدريس وغيره بالصلاة على النبي المختار ، ويحضُ كلاً مَن لقيه على ما يقرب الى الله الواحد القهار ، يحفظ من كلام العارفين الكثير ، وخصوصاً الحكم العطائية والتنوير ، وكان كثير السفر في الأولياء ، ولقاء اهل الله الأصفياء ، وجال في الأرض جولان السباق ، يعظم جميع طوائف الفقراء المنتسبين ، ويتوسل الى الله المبين منهم والمتجردين ، وخرج لحج بيت الله الحرام ، وزيارة نبيه عليه الصلاة والسلام ، في جمادى الأخيرة سنة سبع وستين ومئتين وألف ، فحجَّ وزار ، ولقي الكثير من العلماء والفضلاء والأخيار ، وكان لا يدع التدريس في اي مكان نزل ، ولا يتركه حيثما حل او اقبل ، واخذ عنه من اهل الحاضرة ومن البادية مَن لا يحصى ، ونفع الله به امماً لا تستقصى ، وله شرح على المختصر لم يكمل ، وكان اخذه هو للعلم الظاهر ، عن جماعة من الشيوخ الأكابر ، كسيدي عبد القادر الكوهن ، وسيدي عبد السلام اليزمي ، وسيدي بدر الدين الحمومي ، وسيدي محمد بن عبد الرحمان الفلالي ، والقاضي مولاي عبد الهادي ، وسيدي محمد التهامي بن حمادي المكناسي ، وغيرهم ، ولطريقة الصوفية عن العارف بالله مولاي العربي الدرقاوي ، ثم عن تلميذه الشيخ سيدي محمد الحراق ، اقرأ ثلاث عشرة سلكة من مختصر خليل فيما بين سفر وحضر ، ورد مراكش رحمه الله في دولة السلطان سيدي محمد ، وممن اخذ عنه شيخنا السباعي واجازه كما تقدم في ترجمته ، وشيخنا سيدي محمد القادري قرأ عليه نحو ربع المختصر .

توفي رحمه الله في متم ربيع النبوي عام 1285 خمسة وثمانين ومئتين والف ودفن بباب الحمراء داخل باب الفتوح من فاس ، وتزوجت بفاس حفيدته

البكر بنت الفقيه العدل السيد الطيب ، ثم وقع الفراق ، وترجمه في الــــدرر البهية والسلوة والشرب المحتضر وفهرسة القادري ومعجم اصحـــاب الرضوي (255) .

1480) **عمر بن عبد الواحد السجلماسي الدويري** ، مفتي مراكـــش وصنو قاضيها ومدرسها بمسجد سيدي غانم بالزاوية العباسية ، تقدم ذكره في انه من المفتين في قضية امضاء الصفقة الواقعة فتاويهـا عـام 1286 في ترجمة سيدي الطيب بن عمر الشرقي .

1481) **عمر بن محمد بن جم كردس الدمناتي** ، كان اية في الحفـظ ، يحفظ المتون كلها ، وله فهم ثاقب ، ولما مات والده قاضيهـا ووقعـت فتنـة بدمنات انتقل منها وصار قاضياً بدرعة سروا لتوليه الجماعة في محل ابـــن العربي حين ترحيله هنا لقضاء القصبة ، فبقي كذلك وهو ابن نحو عشريـــن سنة ، ثم رجع من درعة لمراكش في ولاية المولى عبد العزيز ، فسجن بمصباح نحو سنة باشارة ابن العربي ، ثم خرج منها لفاس ، وهاجر للقراءة به ، وبها مات واقبر هناك عام عشرين وثلاثمئة والف عن نحو الثلاثين سنة .

1482) **عمرو المراكشي الفقير** ، كانت له نية صالحة في الشيخ سيدي محمد بن عبد الله السنوسي واعتقاد جميل ، ملازماً لورده ، وظهرت لــه فــي نفسه وفي تعلقاته بركة عظيمة لم يزل يقرُ بها ، وهو من جملة مَن سمع من الشيخ الأخبار بأحوال عظيمة ، وكان قد صاحبه في اوقات شدة الغلاء ، ولم يزلْ مُقبلا على شانه ، ملازماً لورده ، الى ان توفي رحمه الله بمراكش .

ذكره في مباحث الأنوار .

1483) **عمران بن موسى بن ميمون الهواري** ، سلوي ، روى عن ابي الحجاج ابن الشيخ ، وابي الحسن ابن النقرات ، وابي ذر ابن ابي ركب ، وءاباء عبد الله ابني الابراهيميْن . . . . ر ، وابن الفخار ، وابن جابر بن

---

255) سلوة الأنفاس 2 : 109

يحيى بن ذي النون ، وابن .... وابني عبدي الرحمان التجيبي ، وركن الدين ، وابي علي الفندلاوي .... عبد الودود ابن سمجون ، وعبد الله الحجري وعبد الله ابن حوط . حدثنا .... ابو بكر ابن يربوع ، ومحمد ابن خميس ، وقاسقم بن احمد بن السكوت .... حافظاً مستبحراً في ذكر المسائل ومعرفة النوازل والاشراف على .... الآداب ، ممتع المجالسة طريف النوادر ، متقدماً في النحو ، ذا حظ من قرض الشعر ، تعرض له احياناً غفلة تصدر عنه بها مضحكات ، واقرأ ببلده وبمالقة ومراكش وغيرها ، واستقضى ببلده ، وخطب بثانفا ، وأراه استقضي به .

وتوفي سنة ثمان واربعين وستمئة وقد نيف على التسعين سنة (256)

1484) عنان بن جابر المرداسي ، شيخ مرداس من اولاد جامع ، سخط مكانه من الدولة فذهب مغاضباً عنها واقام بناجعته من مرداس ومَن اليهم بنواحي المغرب في بلاد رياح من زاغر الى ما يقاربها ، وخاطبه ابو عبد الله ابن ابي الحسيْن خالصة السلطان ابي زكرياء صاحب افريقية يومئذ يؤنبه على فعلته في مراجعة السلطان بقصيدة منها قوله وهي طويلة :

قدّ المهامه بالمهرية القود واطو الفلاة بتصويب وتصعيد

وقوله :

سلوا دمنة بين الغضى والسواجر هل استن فيها واكفات المواطر

فأجاب عن هذه عنان بقوله :

خليلي عوجا بين سلع وحاجر بهوج عناجيج نواج ضوامر

يقيم عذره في النزوع عنهم ويستعطف السلطان بعض الشيء كما نذكره في اخبار الدولة الحفصية ، ثم لحق بمراكش بالخليفة السعيد من بني

---

256) منقول بالحرف من الذيل والتكملة (قسم الغرباء ـ مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم 3784 د) .

عبد المومن محرضاً له على افريقية وءال أبي حفص ، وهلك في سبيله واقبر بسلا .

انتهى من تاريخ ابن خلدون (257)

وقال في (الموافي ، في نظم القوافي) وللأمير ابي زكرياء صاحب افريقية يعاتب عنان بن جابر احد امراء العرب فقال :

سلوا دمنة بين الغضا والسواجر … هل استنّ فيها واكفات المواطر
والا فعندي دمعة مستهلة … تطلع ما بين الحشا والحناجر
مساحب اذيال ومركز ذابل … ومربض ءاساد ومغنى جآذر

ثم قال :

ودونكم ياللرجال تحية … يخصُّ بها منا عنانُ بن جابر
فتى مادعته زلةٌ فأجابها … فكيف طوى كشحاً على نفس غادر ؟
وفي كل عام كان للجيش وقفة … يجرُّ بها اذيالَها جر صادر
على كل خوار العنان كأنه … من الضمر اذ يلتاح في شكل طائر

ثم قال :

وكنت كليث الغاب عزا ومنعة … فصرت كأمثال الذيال النوافر
وكنت نزيلَ الملك تجني ثماره … افانين من افنان ريان ناضر
وكنت عزيزَ النفس في خير دولة … فأصبحت جاراً في هلال بن عامر
كان لم تجرر في زرود وصبرة … ثياب التصابي في حسان الغرائر

ثم قال :

تبدلت بالسهلين والقطف داغرا … وبالصافنات الجرد جُربَ الأباعر

---

257) تاريخ ابن خلدون 6 : 145

ثم قال :

وما العرب العرباء الا بعهدهـــــا فمن كان اوفى كان اول فاخـــــر

راجع تمامها في الباب الأول من الجزء الأول .

1485) **عفان ابن اسماعيل المطماطي** ، اصله من تامسنا ونـــزل بالجانب الشرقي من مراكش ، وبه مات في النصف من شعبان عام اربعة وستمئة وكان عبداً صالحاً من ائمة العلم بالقرءان ، فكان اكثر جلوسه بمسجد بئـر الجنة ، فمَن اراد من المصامدة ان يجود القراءة يقصده ، وكان من اهـــل الصيام والقيام وتلاوة القرءان ما تزوج قط ولا ينبسط الى احد ، وكان شديد الصفرة ، يهابه كل من رءاه .

قال في التشوف : سألت بعض تلامذته عن احواله فقال كنا نقـــرأ عليه القرءان في المسجد فينصرف الى منزله ونبيت نحن في المسجد ، فاذا لم نقرأ بالليل جاءنا غدوة وعتبنا على ترك القراءة ، وان قرأنا بالليل لم يقل شيئاً ، فكنا نفتش المسجد باليل خوفاً من ان يكون معنا لكثرة ما يكاشف به من احوالنا ، قال ولما مرض عفّان مرضه الذي مات منه ، قال لصاحبه ابي يحيى وكان خاصاً به : لا تنفقْ عليّ الا من دراهمي ، فاذا نفدت فأعلمني بها ، فلما نفدت دراهمُه قال له لا تنفقْ علي من دراهمك ولا من دراهم احد من خلق الله تعالى ، فأقام اربعين يوماً لم يذقْ فيها الا الماء بعد يومين ، فكان في تلك الأربعين لا يدخل عليه احد يعوده الا اخبره بما في نفسه وكوشف بســره ، فلما احتضر قال للحاضرين : اما ترون الخضر وهو واقف يكاد ان يشـــقُ راسه السقف وهو يلقنني الشهادتيْن ويذكرني ؟ ثم مات رحمه الله تعالى ، فاحتفل الناس بجنازته ودفن خارج باب الدباغين من ابواب مراكش (258)

1486) **عقبة بن نافع الفهري**

قال السيد عبد الحي الكتاني ما نصه : اشرف بقعة واقدمها بناحية مراكش هي مراكش كما لا يخفى ، لأن مراكش ثانية مدن المغرب قدماً وحضارة

---

258) **التشوف** ص 420 ع 228

وعلماً ، وموضعها من افضل جهات القطر زراعة ومعادن ومناظر ، ولكن بالقرب من مدينة مراكش بقعة ان لم تكن افضل بقاع تلك الأرض فمن افضل بقاعها واولاها بالاعتبار والعناية والبحث في فسيح مهيب واسع الخطى يضل فيه الماشي ويستوحش فيه الأنيس ، يعيد على الرائي والمتأمل ذكريات بلاد العرب ان كان رءاها او قرأ عنها وصحراء افريقية الكبرى وشاسع اطرافها ، بقعة من اقرب البقاع التاريخية الى مراكش يجهلها الجيل الحاضر تماماً .

كانت هذه البقعة في التاريخ الغابر اشهر من (قفا نبك) ، حيث كانت محط نظر عقبة بن نافع الفهري في وقت الفتح الاسلامي على عهده ومركز جيشه ، وكانت عاصمة الاسلام في المغرب اذذاك او قل عاصمة المغرب الاسلامي ، بقعة كان جيشها وقائده يرجع امرهما الى عاصمة جلق (259) ومن جلق تستمد الأوامر والنواهي وقت ما كانت دمشق عاصمة لمعاوية بن ابي سفيان ، وكانت منتهى حكم دمشق الشام ونهاية نفوذ دمشق هي بقعة على مسافة نحو مئة ميل من مراكش على ضفة وادي نسيفة (تانسيفت) وكانت تعرف قديماً بمدينة نفيس ، قال ابو عبيد البكري في المسالك والممالك وهي تعرف بالبلد النفيس ، كثير الأنهار والثمار ، ليس في ذلك القطر موضع اطيب منه ولا اجمل منظراً ، وهي قديمة اولية غزاها عقبة بن نافع صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاصر بها الروم ونصارى البربر ، وكانوا قد اجتمعوا بها لحصانتها وسعتها ، فلزمهم حتى فتحها وبنى بها مسجداً الى اليوم ، واصابوا فيها غنائم كثيرة وذلك سنة 62 وهي اليوم ءاهلة عامرة ، بها جامع وحمام واسواق جامعة ، بينها وبين البحر مسيرة يوم ، يسكنها قبائل من البربر اكثرهم مصمودة ، وكان صاحبها حمزة بن جعفر الذي نسب اليه السوق من بني عبد الله بن ادريس بن ادريس .

انتهى كلام ابي عبيد البكري (260)

---

259) دمشق

260) المغرب ، في ذكر بلاد افريقية والمغرب ص 160

وهذا الموضع صار يعرف فيما بعد برباط شاكر ، ويسميه العامة اليوم في تلك الجهة سيدي شيكر ، وهو شاكر بن يعلى بن واصل الرجراجي ، قال احمد الناصري في الاستقصا : ووقع في (التشوف) ان شاكراً الذي ينسب اليه هذا الرباط من اصحاب عقبة بن نافع الفهري فاتح المغرب وانه هنالك (261) .

ونقل الحسن اليوسي في (المحاضرات) من (التشوف) ايضاً ان يعلى بن مصلين الرجراجي بناه اي الرباط ، وكان يقاتل سكان برغواطة مرات ، وان طلله هو الباقي هناك الى الآن ، ويعلى هذا الذي كان يقاتل برغواطة في هذه الجهة قبل ورود عقبة وبنى بها الرباط المذكور هو احد رجال رجراجة السبع الذين يذكر انهم وفدوا على النبي صلى الله عليه وسلم في زمانه بمكة قبل الهجرة ، وكلمهم بلغتهم البربرية ، فأسلموا ورجعوا الى بلادهم ، وانهم اول مَن ادخل الاسلام الى المغرب ، وحكاية ورودهم على الرسول عليه السلام من المغرب مذكورة في شرح ابن مخلوف وابن شرف التلمساني والخفاجي على (الشفا) ، وشرح أكرام السوسي على (الرسالة) ، وافرد اثبات صحبتهم بالكتابة جماعة ، منهم شيخ الشيوخ محمد ابن سعيد المرغني السوسي ، قال اشتهرت صحبتهم ببلاد المغرب اشتهاراً يأبى الله ان يكون باطلا بين الخواص والعوام ومنهم شيوخنا الذين اعتمدنا عليهم ، ومنهم شيخنا حافظ المغرب العلامة عبد الله بن علي بن طاهر الحسني وغيرهم من اشراف اهل بلدة العلم ، منهم مفتي الحضرة الحمراء ومفسرها ومؤرخها سيدي عبد الواحد ابن احمد وكفى بها حجة ، انتهى .

وقد تكلم على صحبتهم معترفاً بها ابن يعقوب الولالي في (مباحث الأنوار) ، وابن الطيب القادري في (النشر) و (التقاط الدرر) ، وسليمان الحوات في (الروضة المقصودة) في ترجمة محمد الجندوز المصمودي قائلا: وقد تصدى لتصحيح عددهم ووفودهم على النبي (ص) عليه وسلم غير واحد من الأئمة الاكابر ، وكلهم ذكر كلامهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

261) الاستقصا 8 : 55

بلغتهم ، وعينوا مدافنهم واسماءهم ، وانهم المعروفــون برجــال رجراجــة القاطنين ببلاد حاحة ، ولهم فضل مشهور ، يقصدهم الناس للزيارة . انتهى وفي (الترجمانة الكبرى) للزياني واول مَن ادخل دين الاسلام للمغرب قيل انهم رجال ركراكة ، وهو من رجال القرن العاشر ما يستغرب سماعه ، وهو لأبي جهل بعد فتح مكة ورد على المغرب لناحية ءاسفي وسكن بها ، قال حكى ابو التقى صالح بن عبد الحليم ، وقال حدثني بنسبي اليه الشيخ الفقيه المسن ابو يعقوب الماجري ثم ساق عموده الى ابي جهل من جهة الولــد المذكور ، ومثله في الغرابة ما ذكره ابن التلمساني المذكور في شرحه على (الشفا) ايضاً نقلا عن العالم الحافظ محمد بن الحسن بن مخلوف الراشدي المعروف بابركان , قال : ذكر ابي عن شيوخه ان في غزوة الأحزاب سار فيها لنصرة قريش مــن جبال صدينة من المغرب الاقصى اربعون رجلا او فارساً ذكره ابو زيــــــد الجزولي ، انتهى .

وهذا وان كن مما يأنف الناس اليوم سماعه وربما يستبعدونه من جهة طول المسافة بين الحجاز وافريقية فانا نقرأ مثلا ان الحسن ابن سعيــد الخراط يقول ان عبد الله بن الزبير لما ذهب الى عثمان بالمدينة بخبر الفتــح في افريقية وصل الى المدينة من سبيطلة في ثمانية عشر يوماً ، انظر (معالم الايمان ، في رجال القيروان) ، وسبيطلة هــذه من القطــر التونســي ، وجاء ايضاً في (معالم الايمان) ص 41 ج ل ان بين ثغر افريقية وهو طنجة وبين القيروان ثمانية ايام ، ويسهل عليك تصور هذا ان طرق البريد المنزعج هي غير مسالك المارة من الجيش العرمرم ، افلا ترى انهم يقولون ان الأمــر من المنصور السعدي كان يصل من مراكش الى فاس في يوم واحد على طريق درن على الجمال العشارية ، فاذاً ليس هناك استبعاد ، حيث ان الأمر كذلك فنذكر ان المؤرخ النسابة ابن ابراهيم الدكالي الفاسي في (سلسلة الذهــب المنقود) قال وجدت بخط العلامة عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي انكــر والدنا ما يذكر من ان قبور بعض الصحابة بسوس بأنه لم يوجد في تاريــخ الصحابة وباستبعاد وصول الصحابة الى المغرب ، وقد كان به ودونه ممالك للكفار ، قال كاتبه عبد الرحمان : ثم وقفت في تاليف لأبي علي صالح بن ابي

صالح في القبلة وقد عدّ المساجد القديمة فقال منها المسجد المنسوب الى عقبة بن نافع الفهري على وادي نفيس بقرب دكالة ، وبنى مسجده المعروف الى الآن ، فلا شك ان عقبة وصل الى وادي نفيس الخ فانظر يتبيَّنْ لك موت الصحابة هناك ودفنهم ، فالبعيد ان يكون جيشه وصل ثم لم يمت منه واحد ، انتهى كلامه .

وابو علي صالح ابن صالح الذي نقل عنه ما ذكر هو ابو علي صالح ابن عبد الحليم نزيل نفيس الأيلاني التاريخي الزاهد الورع ، ترجمه ابن القاضي في (درة الحجال) وقال كانت حياته سنة 812 وقد عقد ابو العرب التميمي في (طبقات علماء افريقية) ترجمة لمَن دخل افريقية من الصحابة والتابعين ، وعقد الحافظ عبد الرحمان الأنصاري الدباغ في (معالم الايمان) وابن ناجي في تهذيبه ترجمة لمن نزل بالقيروان من الصحابة ، وترجم في الاستقصا بقوله : ذكر مَن دخل المغرب من الصحابة مرتبة اسماؤهم على حروف المعجم ، فذكر منهم الحسن والحسين والعبادلة ، وقال اخرج ابن عبد الحكم عن سليمان ابن يسار قال غزونا افريقية مع ابن جريج ومعنا بشر كثير من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار ، اما وصول عقبة الى وادي نفيس الذي ذكره البكري وابن عبد الحكم فقد قال ابن خلدون في (العبر) وصل عقبة الى مدينة درن وقاتل المصامدة بها ، فكانت بينه وبينهم حروب وحاصروه بجبل درن ، ثم دوخ بلادهم ، ثم جاز الى بلاد السوس وانتهى الى رودانة وهزم جموع البربر وقاتل خصومه من وراء سوس ودوخهم وقفل راجعاً . وقال الحافظ عبد الرحمان الدباغ القيرواني في (معالم الايمان) كان عقبة حريصاً في مغازيه ، بلغ الى سوس المغرب والى بلاد السودان وفتح سائر افريقية وودان وعامة بلاد البربر .

انتهى منه .

وفي رحلة الحسن اليوسي وهي من جمع ولده لما تكلم على ضريح عقبة وترجمته : ويقال انه بلغ الى اقصى المغرب وبلغ وادي درعة واليه نسبت

القرية المدعوة اعقبت بخميس تنزلين ، انتهى ومن خطه نقلت وانظر (معالم الايمان) و (تاريخ الجمان) و (الاستقصا) في وصول عقبة وانه انتهى الى بلاد ءاسفي وادخل قوائمَ فرسه في البحر الى آخر القصة ، هذا واذا تبث بما ذكر ان هذا العدد من الصحابة دخل المغرب فما يمنع احدهم من الموت به وقد قاتلوا وتبدل عليهم الهواء والماء والطعام ؟ ولما قال عبد الرحمان الدباغ الأنصاري في (معالم الايمان) لم يدفن بالمغرب وافريقية من الصحابة سوى ابي زمعة البلوي قال ابن ناجي عقبه في هذا نظر ، ثم ذكر عن شيخه ابي القاسم البرزلي انه قال لما حججت زرت قبر ابي لبابة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم بقابس ، ونقلهم فيه متواتر بما ذكره المؤرخون انما هو ممن علموه ، وذلك يدل على ان غيرهم على خلاف ما لم يعلموا ، فالعمل على ما ذكره اهل قابس ولا قادح يقدح في نقلهم ، انتهى كلام ابن ناجي وهكذا القول في هؤلاء المصامدة الذين منهم يعلى ، وكيف يمكن للدباغ المذكور وغيره ان ينكروا دفْنَ احد من الصحابة بافريقية دون ابي زمعة البلوي رضي الله عنه ، وابن خلدون يصف في تاريخه مقتل عقبة ابن نافع الفهري بتهودة بسكرة اليوم (262) وانه لما انفصل عن المغرب تعرض له كسيلة وقد كان استصحبه معه في الجيش الذي فتح به المغرب فانفضَّ عنه وقاتله بجيوش من البربر ، قال في عقبة واصحابه لم يفلت منهم احد ، وكانوا زهاء ثلاثمئة من كبار الصحابة والتابعين استشهدوا في مصرع واحد ، قال ابن خلدون واجداث الصحابة رضي الله عنهم واولئك الشهداء اعني عقبة واصحابه بمكانهم من ارض الزاب لهذا العهد ، وقد جعل على قبورهم اسنمة ثم جصصت واتخذ على المكان مسجد عرف باسم عقبة ، قال وهو في عدد المزارات ، ومظان البركات ، بل هو اشرف مزور من الأجداث في بقاع الأرض لما توفي فيه من عدد الشهداء من الصحابة والتابعين الذين لا يبلغ احد مد احدهم ولا نصيفه ، واسر من الصحابة يومئذ محمد بن أوس الأنصاري ويزيد بن خلف العبسي ونفر معهما .

---

262) تهودة غير بسكرة ، بل هي من القرى القريبة منها ، ويقع ضريح عقبة بن نافع على بعد 17 كلم من بسكرة الى الجنوب الشرقي منها .

انتهى كلام ابن خلدون ، ونقله في الاستقصا ، فهذا نص صريح في ان هذا العدد الذي مات من الصحابة مع عقبة كان معه في المغرب الأقصى ومدينة نفيس ، فهل كان هناك رصد لئلا يموت احد من الصحابة بوادي نفيس وبلاد المصامدة ؟ ان هذا عجب عجاب .

وهذه البقعة من مدينة نفيس هي التي ذكر ابن ابي زرع وغيره من المؤرخين ان الفاتح الأعظم المؤسس الأول في المغرب لأول دولة اسلامية مستقلة مولانا ادريس اول ملك في المغرب ثبتت به دولة الاسلام واستقرت الى الآن لما فرغ من بناء فاس اقام بها الى عام 197 فخرج الى غزو نفيس وبلاد المصامدة ورجع الى فاس ، انتهى ، ونحوه لابن القاضي في (الجذوة) وصاحب (الاستقصا) تحت ترجمة غزو ادريس بن ادريس المغربيْن واستيلائه عليهما .

ثم ذكر في (الاستقصا) ايضاً ان محمد ابن ادريس لما قسم بلاد المغرب بين اخوته اختصَّ عبد الله منهم بأغمات وبلد نفيس ، وقد سبق عن ابي عبيد البكري ان صاحب مدينة نفيس حمزة بن جعفر من بني عبد الله بن ادريس بن ادريس ، فعلى هذا تداولت ايدي بني عبد الله بن ادريس مدينةَ نفيس مدداً . وبعد دولة الأدارسة دالت مدينة نفيس هذه ، وما بقيت تعرف الا بالرباط الذي بقي بها .

ولم يزل رباط شاكر هذا على اختلاف الأجيال والقرون تشدُّ له الرحال من جميع نواحي المغرب ، وخصوصاً قبائل الحوز في كل ليلة 27 من رمضان ، فتختم به عدة سلك من القرءان ، وفي (المنهاج الواضح ، في ترجمة الشيخ ابي محمد صالح) دفين ءاسفي ، وهو من رجال القرن السادس ـ السابع انه كان لا يتخلف عن حضور موسم شيكر بوادي نفيس ، ويذكر ما لاقى به ومَن اجتمع به هناك من افراد العباد ، ونحوه لابن عبد العظيم الزموري في (تاريخ بني مغار) ، ولما تكلم الحسن اليوسي في (المحاضرات) على المواضع التي وقع التغالي فيها بالمغرب قال منها رباط شاكر ، وهو مشهور ، وكان مجمعاً للصالحين من قديم ، ولا سيما في رمضان يفدون اليه من كل اوبة حتى حكى صاحب (التشوف) عن مينة الدكالية انها حضرت ذات مرة

في رباط شاكر ، فقالت لبعض مَن معها انه حضر في هذا العام في الرباط الف امرأة من الأولياء ، فانظر الى عدد النساء فكيف بالرجال ؟ فلا شك ان هذا الموضع موضع بركة ومجمع خير ، انتهى ونقله برمته عالم مراكش المكي السرغيني دفين فاس في (الكواكب السماوية) وهو تاليف في جزء استفسر فيه خطبة السلطان المولى سليمان في الزيارة وما اجدره بالطبع ، ونقل في (سلسلة الذهب المنقود) عن جواب للمفتي عبد الكبير بن عبد الكريم الشاوي المراكشي المعروف بابن حريرة جاء فيه لما تكلم على احد رجال رجراجة السبع ، وهو يعلى بن واصل قال مدفنه برباط شاكر بالمعمورة ، وهو ابو سيدي شيكر المنسوب اليه الرباط المذكور ، وما زال الناس بمراكش واعمالها يقصدون هذا الرباط في ليلة 27 رمضان يحضرون لختم القرآن بجم غفير من أخلاط الناس ، وبين الرباط المذكور ومراكش مسيرة يوم ، انتهى .

ولا غرابة في اشتهار الرباط بشاكر مع دفن ابيه فيه المقول بصحبته ، لأنه احد رجال رجراجة السبع ، والشهرة كالماء تفور من هنا ثم تغور ، وهي سنة الله في خلقه ، كشهرة زاوية الشيخ ابن ناصر بولده احمد دون ابيه الذي هو الشيخ الأكبر للطريقة ، وبالجملة فالذي يرد اليوم على مشهد هذا الرباط الواقع على طرف وادي نفيس يرى مشهداً مؤثراً وبسيطاً ممتداً ومجاري ومناظر وتراباً ونباتا وروابي اشبه شيء ببسيط ومناظر وتراب القيروان الذي به مسجد عقبة الى اليوم ، والمسجد الموجود الآن من بناء وتجديد السلطان مجدد الدولة العلوية سيدي محمد بن عبد الله ، فقد ذكر الزياني في (الروضة السليمانية) انه لما خرج في حركة عام 1187 في فصل الربيع خرج يقصد زيارة رجراجة على عادته ، ثم عاد الى محل الرباط الشاكري ، قال فأمر بتجديده وحفر اساسه ، وفي (الاستقصا) لما تعرض لهذه الزيارة فأمر بتجديد مسجده وحفر اساسه وتشييده ، انتهى .

وقد قصدت زيارة هذا الرباط عام 1341 واقمت به مدة في ذلك البسيط الباهض على ضفة ذلك النهر المنهمر ، واقرأت درساً في هذا المسجد العظيم المهول في بنائه ، الواسع في اكنافه ، الممتدة صومعته تناطح السحاب ، وامليت به دروساً حديثيّة حضرتها امم من تلك الأصقاع من اتباع الطائفة

الكتانية وغيرهم من حمير ومن اليهم ، ولما رايت اذذاك من إشراف المسجد على السقوط وتداعيه للهبوط ألمني ذلك ، فقاربت الخطى الى الرباط حيث السلطان المعظم المأسوف عليه المولى يوسف ابن مولاي الحسن رحمه الله ، فقصصت عليه خبر المسجد المذكور والرباط ومدفن شاكر وابيه يعلى الرجراجي ، كما قصصت عليه في هذه المرة خبر المحل الذي فاضت فيه روح والده المولى الحسن رحمه الله بوادي العبيد حيث غسل وكفن وما آل اليه حاله ، ثم زرت هذا الرباط اول سنة 1354 فوجدت ان يد بعض الاصلاح قد عملت فيه بهمة اكبر قواد تلك الناحية الناسك الذاكر المتعبد القائد العربي ابن الكوش نفعه الله بذلك ، واخبرني هو وغيره ان السلطان العظيم الشأن المولى الحسن بن محمد كان ينتاب هذا الرباط كثيراً ، واكثر زياراته كانت على طريق الخفاء ، مريداً به التعبد والانزواء عن الضوضاء والجلبة ، ونحن بغاية الممنونية نلقى طلب احياء هذا الرباط وتجديد معهده على عتبة الأبواب السلطانية ، والمراحم الملكية المحمدية ، لافتين نظرها الشريف الى بقعة اثرية جالت فيها يد الهدم والتخريب ، ومسجد اشرف على السقوط او كاد بعد ان هبا البنيان وطوى بساط المدينة واندثر ، ولم يبق لها من اثر ، وسنعيد الكرة مرة اخرى الى هذا الموضوع بأبسط من هذا ان شاء الله (263) .

263) ما تقدم ليس ترجمة لعقبة بن نافع رضي الله عنه ، وانما هو تعريف برباط صاحبه شاكر . اما عقبة فهو عقبة بن نافع بن عبد القيس الأموي الفهري القرشي ، ولد قبل الهجرة النبوية بعام ، ولا صحبة له على الأصح ، وشهد فتح مصر ، وارسله ابن خالته عمرو بن العاص سنة 42 هـ الى افريقية واليا ، فأوغل في جنوبها حتى فتح كثيرا من تخوم السودان ، ولما انتشر خبره وعرفت كفايته ولاه معاوية ابن ابي سفيان افريقية استقلالا عام 50 هـ فجاءها في 10 آلاف فارس واوغل فيها حتى بلغ وادي القيروان فبنى فيه مدينة ، ثم عزله معاوية سنة 55 هـ بأبي المهاجر دينار ، ولما مات معاوية بعثه ابنه يزيد واليا على المغرب سنة 62 هـ فجاء القيروان ثم خرج يريد المغرب الأقصى فبلغ ساحله الأطلسي ، وسار جنوبا ففتح السوس الأقصى ومشارف الصحراء ، ولما كان راجعا قدم بين يديه معظم جيشه وبقي في عدد قليل فتآمر عليه جماعة من البربر ومن بقي بأرض المغرب من الفرنج وهاجموه بالزاب بمكان يدعى تهودة قريب من مدينة بسكرة فمات ومن معه شهداء سنة 63 هـ .

وكان عقبة من خيرة القادة المسلمين وشجعان العرب ، وله فضل كبير على بلاد المغرب الكبير ، الا انه كان كثير الغرور ضعيف الحيلة قليل الدهاء .

1487) **عقيل بن عطية القضاعي** ، المراكشي ، واصله من طرطوشة ، روى عن ابن بشكوال وابي القاسم ببن حبيش ، وابي نصر فتح ابن محمد ، وجماعة ، وولي قضاء غرناطة ، وكان مقدماً في صناعة الحديث ، وله رد على ابي عمر ابن عبد البر في بعض تواليفه ، وتنبيه على اغلاطه ، سمع منه ابو جعفر ابن الدلال وعلي ابن منخل الشاطبي ، وولى بآخره قضاء سجلماسة ، وتوفي بها في صفر سنة 608 وقد قارب الستين .

ذكره في التكملة (264) .

وهو ابن اخي الوزير احمد الوزير ابن عطية ، قال في رجل يتعشق قَيِنة كانت ورثت من مولاها مالا فكانت تنفق عليه منه ، فلما فرغ المال ملّها :

لا تلمه ان مال عن حبها فلم يكن ذلك من ود
لما رءاها قد صفا مالُها قال صفا الوجدُ من الوجد

1488) **عسكر بن طلحة بن تاحضريت (265) الورتاجني** ابو حركات ، تقدم وزيراً بعد واقعة طريف بمشاركة ثقتهم (266) المقرب ابي حسون علال فانه الخاص المقرب ، المشاور في الأبعد والأقرب ، ومساعدة عريف بن يحيى ، فلما تولاها اخذ القوس باريها ، فقام بأعبائها ، واقام مجدها ، وحفظ منصبها ، غير انه اتى الرفعة من اعلاها ، وسلك في اولها اقصاها ، فاستبدّ بنفسه ، ولم يعرج على احد من ابناء جنسه ، واشتدّ على الولاة واحكم محاسبتهم ومطالبتهم ، لأنه قد كان شاركهم في الخطة ، فضبط الأموال ، غير انه تعدى في ذلك الاعتدال ، وشمخ بأنفه على مَن توسط في وزارته ، وقابل وده باظهار عداوته ، واغترّ برتبته ، واعتزّ بخطته ، ودل في اطلاق يده ، واستقل برايه في كثير من تصرفاته ، واعتدّ بظهور المصلحة لمولانا ابي الحسن المريني في رأيه ، ووثق بأنه ليس بينه وبين مولاه المذكور مَن يُقبح

---

264) **التكملة** ص 694 ع 1946 (طبع مدريد) ، وينظر عنه ايضا **الاحاطة** 4 : 230

265) لقب بل اسم لأبيه .

266) الضمير يعود على السلطان ابي الحسن : علي بن عثمان المريني

رايه ، ولا مَن يُفسد سعيه ، فجرى على طلقه ، فوقع في امور تنكرها السلطنة وتاباها المملكة من موالاة غير سلطانه عاملا على ان ذلك مما يحمد له ويعده من مساعدته على حظوته واعوانه ، فخاب مسعاه ونفذ فيه حكم الله الـــذي قضاه ، فاخذ بعد عوده من الأندلس مدة حصْر الجزيرة اخذاً رفيقاً ، فاستصحب اعتقاله الى ان اشخص الى تلمسان فاعتقل فيها مدة ثم سرح ، ولم يعد لوزارته وتوفي على هذا الحال ، على ان الرجل قد جمع من الفضل وجودة العقل وبذل اليد وحسن المشاركة والدهاء والنبل والكرم العام ما لم يجتمع في غيره ، مع شدة الغيرة على حق مولاه ، واقامة المعاذير عنه .

حدثني الفقيه الثقة الصدوق الفاضل علي ابن سعود انه كان ايـام كونه في جبل الفتح اذا خرج المال للعطاء يخرج مالا من عند نفسه جسيماً . فاذا اشتكى مَن يستحق الزيادة والاحسان باقلال اعطاه من ماله ويشعره ان العطاء من مال مولانا ، واذا رأى مَن فيه نجدة واقدام يُعطيه ويُحسن اليه كذلك ، فيخرج عليه وقتَ العطاء وقد خرجت من يده اموال نفعه الله بها ، غير انه فاتتْه السياسة ولم يحكم التدبير .

ذكره ابن مرزوق في (المسند الصحيح الحسن) (267)

1489) عياض بن موسى اليحصبي السبتي

عياض بن موسى بن عياض بن عمر بن موسى بن عياض بن محمد بن عبد الله بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي ، القاضي ابو الفضل .

قلت في ترجمته في (اظهار الكمال) مانصه :

ثم العلي ابي الفضل العليم عـــلا | على الأفاضل في تصنيف اخبـار
اخبار اعلا الورى قـــدرا ومنزلـــة | في حـــق اوفاهـــم البهي الأنـــوار

الاعراب : ثم حرف عطف لترتيب الأخبار على حد قوله تعالى ثم ءاتينا موسى الكتاب الآية على ما قال ابن مالك ، العلي عطف على يوسف ، وهو في

267) **المسند الصحيح الحسن** ص 218 (**نسخة خاصة مرقونة**)

الأصل صفة لأبي الفضل قدم عليه فيعرب الموصوف بدلا من الصفة او عطف بيان على حد قوله تعالى الى صراط العزيز الحميد الله في قراءة غير نافع وابن عامر بالجر ، وقرأ نافع وابن عامر بالرفع على انه مبتدأ خبره الذي له ما في السموات وما في الأرض ، والاية في اوائل سورة الخليل عليه السلام ، قال الخطيب الشربيني واستشكل قراءة الجر ، اذ الترتيب الحسن ان يذكر الاسم ثم يذكر عقبه الصفات ، كقوله تعالى : هو الله الخالق البارىء المصور ، واما الخالق الله فلا يحسن ، واجيب عن ذلك بأنه لا يبعد ان تذكر الصفة اولا ثم يذكر الاسم ثم تذكر الصفة مرة اخرى ، كما يقال مررت بالامام الأجل محمد الفقيه ، وهو بعينه نظير قوله تعالى صراط العزيز الحميد الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ، هـ. والعليم صفة للكنية ، وهي علم ، وعلا فعل ماض فاعله مستتر جوازا يعود على ابي الفضل ، وعلى الأفاضل وفي تصنيف اخبار متعلقان بعلا ، واخبار على الورى يقرأ بالنصب على تقدير اعني ، وبالرفع على تقدير هي ، وقدر تمييز ، ومنزلة معطوف عليه عطف تفسير ، في حق اوفاهم جار ومجرور متعلق بمحذوف حال من اخبار الثانية ، والبهي الأنوار نعت اوفاهم ، واعلم ان ما جاء في قافية هذه القصيدة بلام الف يقرأ بالنقل وبالجر على قراءة نافع في نظائره ، وجملة علا حال من ابي الفضل كقاعدة بحمل بعد المعارف .

اللغة والمعنى : العلي صفة مشبهة من العلاء اي الشريف القدر الرفيع المنزلة ، وابو الفضل كنية القاضي عياض رضي الله عنه ، والعليم مبالغة في عالم كعلامة وهو كثير العلم ، ومنه قول ابن الوردي في لاميته :

كم جهول وهو مثر مكثر   وعليم مات منها بالعلل

وقول الزقاقية :

ولكن حذار يا عليماً بشرعة

وما احسن قول بعضهم من قصيدة في مدح العلم انشدها في (المرقي في بعض مناقب القطب سيدي محمد الشرقي) :

يرعى العليم وان رثّت ملابســـه　　　وصاحبُ الجهل مرعي بما لبسـا

وعلا يعلى بالفتح فيهما لغة في علي بالكسر في الشرف وعلا في المكان من باب سما ، وعلى الثانية حرف جر ينبغي ان ترسم هنا بالألف للمجانسة ، والأفاضل جمعُ افضل اسم تفضيل ، وهو زائد الفضل ، والتصنيف جمع الأصناف المختلفة ، وهو التاليف ، والأخبار جمع خبر : الأحاديث النبوية ، واعلا الورى اي اشرفُ الخلق ، والقدر المقدار ، والمنزل المرتبة :

نبينـا افضـل بـالاطـــبـــاق　　　من كـل مخلـوق على الاطـــلاق

ودليل هذا قوله صلى الله عليه وسلم : انا اكرمُ الأولين والآخرين على الله ولا فخراً ، اي ولا فخر اعظم من ذلك ، اي ولا اقول ذلك فخراً بل تحدثاً بالنعمة ، ومثله في احاديث كثيرة ، وافضليته صلى الله عليه وسلم عمومية شاملة للعلوية والسفلية من البشر والجن ، وما احسن قول مصقع البلغاء :

كيف ترقى رقيـك الأنبيـــاء　　　ياسماءً ما طاولتْهـا سـمــاء

وقولــه :

فمبلغ العلم فيـه انـه بـشـــر　　　وانـه خيرُ خـلـق الله كلهـــم

واوفاهم اسم تفضيل من الوفاء ، والضميرُ البارز يرجع الى الورى اي هو صلى الله عليه وسلم اكثر الخلائق وفاء بحقوق الله تعالى وحفوق عباده ، والبهي صفة مشبهة من البهاء وهو الحسن والجمال ، والأنوار جمع نور وهو صلى الله عليه وسلم كله نور ، ولهذا كان صلى الله عليه وسلم لا ظلَّ له كما في الأحاديث النبوية ، ومن نوره جميع انوار العالم ، ونوره صلى الله عليه وسلم الحسي والمعنوي ظاهر واضح ، لامع للأبصار والبصائر لائح ، وقد سماه الله تعالى نوراً ، فقال : قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، جـاء في التفسير ان النور محمد صلى الله عليه وسلم ، وحقيقة النور هو الظاهر بنفسه المظهر لغيره ، واخرج عبد الرزاق عن جابر رضي الله عنه صلى الله عليه وسلم ان الله خلق اولَ الأشياء نور نبيك من نوره ، وروى عنه عنه صلى الله عليه وسلم انه قال اول ما خلق الله نوري ، ومن نوري خلق كل شيء .

ومحصل معنى البيتين اي اتوسل الى الله تبارك وتعالى في ان يجيب دعائي بحق ابي الفضل القاضي عياض الرفيع القدر ، الكثير العلم ، الذي فاق اقرانه في تصنيف كتابه المتضمن الأخبار النبوية ، المحتوية على حقوق خير البرية ، الذي بلغ الغاية التي لم يدركها غيره في وفائه بحقوق الله تعالى وحقوق عباده البهية انواره ، وفي البيت الأول من البديع الجناس اللاحق بين العلي والعليم لتساويهما في عدد الحروف واختلافهما في مخرج اثنين منهما وهما الياء والميم ، والجناس المشتق في ابي الفضل والأفاضل ، وفي العلي وعلا وبعضهم سمَّى الجناس اللاحق والمضارع المطمع لأنه لما ابتدأ بالكلمة على وفق الحروف التي قبلها طمع في انــه يجانسُها جناساً مماثلا ، ويسمى الجناس المشتق تجنيس الاشتقاق والمقتضب نحو فأقمْ وجهَك للدين القيم ، فروحٌ وريحان ، الظلم ظلمات يــوم القيامة ، وفي علا وعلى الجناس التــام المستوفى ، وهو ان يتفق اللفظـان في اعـداد الحروف وأنواعها وترتيبها وهيئاتها ، ويكونان من نوعين كاسم او فعل او حرف ، كحديث الصحيحين انك لن تنفق نفقةً تبتغي بها وجهَ الله الا اجرت عليها حتى ما حتى تجعل في في امراتك ، وقوله :

وسميتُه يحيى ليحيى ، فلم يكـن لأمر قضاه الله في الناس مـربـد

وفي البيتين التسبيغ ، قال في عقود الجمان :

قلت فــان قــافيــة تــعـــاد في اول ثــان فــهــو تسبيغ وفــي

وسماه بعضهم تشابه الأطراف ، وعليه جمهور اربـاب البديعيات ، لكن منهم مَن جعله في بيتين كما هنا ، وكقول الصفى الحلي :

قالوا ألــمْ تــدر ان الحبَّ غايتــه سلب الخواطر والألباب قلت لــم
لم ادر انَّ هواهم والهوى حـــرم ان الظباء تحل الصيدَ في الحــرم

ومنهم من جعله في بيت واحد كقول ابن حجة :

شافهت اطراف اقوالي فــان يهــم اهمْ الى كــل واد مــن صفاتهــم

وقول ابى تمام :

فان الفتى في كـل ضـرب مناسب ... مناسب روحانية مَن يشـاكـل

ويطلق تشابه الأطراف على ما جعله صاحب التلخيص قسما من مراعاة النظير ، وهو ان يختم الكلام بما يناسب ابتداءه في المعنى ، نحو قوله تعالى (لاتدركه الأبصار ، وهو يدرك الأبصار ، وهو اللطيف الخبير) ، ثم قلت :

ابان عن قدره الأعلى العظيم لـدى ... شفائه اذ يضيء مثل أقـمـار
فكم فضائل قـد اتى بها ، وشفى ... من معضلات بـدت غليل ابـرار
لو سطرت بسواد العين احرفُهـا ... لكـان من حقهـا عشير معشـار
وكتبه كلهـا تحقيقهـا عـرفـا ... لدى البرية حـازت سبق مضمـار

الاعراب : أبان فعل ماض فاعله مستتر فيه يعود على ابي الفضل ، وعن قدره متعلق بأبان ، والأعلا والعظيم نعتان له ، ولدى شفائه متعلق بالفعل المذكور ، اذ ظرف لما مضى من الزمان في محل الحال من شفائه لقاعدة الظرف بعد المعارف ، وجملة يضيء من فعل وفاعل وهو الضمير العائد على الشفا في محل جر باضافة اذ اليها ، ومثل منصوب على انه نعت لمصدر محذوف ، وهو مضاف الى محذوف ، تقدير ذلك اذ يضيء اضاءة مثل اضاءة اقمار ، والفاء من فكم حرف عطف للسببية ، وكـم خبرية بمعنى كثير مبتـدأ ، وفضائل تمييز واجب الخفض وهو مخفوض هنا بالفتحة ، وهل الخافض الاضافة أو مـَن المقدرة ؟ الأصح الأول ، وجملة اتى من فعل وفاعل وهو ضمير يعود على ابي الفضل في محل رفع خبر ُكم ، وشفا فعل ماض ، فاعلُه يعود على ابي الفضل ، من معضلات متعلق ببدت ، وجملة بدت من فعل وفاعل يعـود ضميره على معضلات صفة المجرور قبلها ، وغليل ابرار مفعول شفا ، والجملة معطوفة على الجملة قبلها ، ولو هنا حرف شرط بمنزلة ان لتعليق الجواب على الشرط في المستقبل ، واذا وليها ماض كما في هذا البيت أول بالمستقبل نحو قوله تعالى وليخشَ الذين لو تركوا ، وليست فيه حرف امتناع لامتناع ، كما يعلم بالتأمل ، وذلك انها اذا استعملت في المستقبل لا دلالة لها على الامتناع كما

في يس عن الزرقاني ، وسطرت فعل الشرط مبني للنائب عن الفاعل ، والتاء تاء التأنيث الساكنة ، وبسواد العين متعلق به احرفها نائب الفاعل ، والضمير يرجع الى الشفا ، وانّثه باعتبار الصحائف وهو الجاري على الألسنة ، ولام لكان لاقتران الجواب بالشرط ، وكان جواب الشرط واسمه يعود على التسطير المذكور المأخوذ من سطرت على حد قوله تعالى اعدلوا هو اقرب للتقوى ، ومن حقها في محل الحال من عشير معشار ، لأن نعت النكرة اذا قدم عليها يعرب حالا كقوله : لمية موحشاً طلل ، وعشير معشار خبرها ، وكتبه مبتدأ اول ، وكلها توكيد له ، وتحقيقها مبتدأ ثان ، وجملة عرف من فعل ونائبه العائد على التحقيق خبر عنه ، وهو وخبره خبر" عن المبتدأ الأول ، والجملة معطوفة على ما قبلها ، ولدى البرية متعلق بحازت ، وهو وفاعله العائد على التحقيق خبر عنه ، وهو وخبره عن المبتدأ الأول ، والجملة معطوفة على ما قبلها ، ولدى البرية متعلق بحازت وهو وفاعله العائد على الكتب خبر ثان عن المبتدأ الأول على القول بجواز تعدد الخبر ، وسبق مضمار مفعول حازت .

اللغة ابان اظهر وبين ، والقدر المنزلة ، والأعلى الأشرف ، والعظيم من العظمة وهي الجلال ، وكيف لا يكون عظيماً مَن وصف الله تعالى اخلاقه بالعظم ، وانك لعلى خلق عظيم ، استعظم خُلقه لفرط احتمال الممضات من قومه وحسن مخالقته ومداراته لهم ، قال ابن عباس ومجاهد : على دين عظيم من الأديان ، ليس دين احب الى الله ولا ارضى عنده منه ، وروى مسلم عن عائشة ان خلُقَه كان القرءان ، وقال علي هو ادب القرءان ، وقيل رفقه بأمته واكرامه اياهم ، وقال قتادة : هو ما كان يأتمر به من الله وينتهي عنه بما نهى الله تعالى عنه ، وقيل انك على طبع كريم ، وقيل هو الخلُقُ الذي امر الله تعالى به في قوله : خذ العفو وآمر بالعرف ، واعرض عن الجاهلين ، وقال الماوردي : حقيقة الخلُق في اللغة ما يأخذه الانسانُ في نفسه من الأدب ، سُمّي خلُقاً لأنه يصير كالخلقة فيه ، فأما ما طُبع عليه من الأدب فهو الخيم ، فيكون الخلق الطبع المتكلف ، والخيم الطبع الغريزي ، قال القرطبي : ماذكره مسلم في صحيحه عن عائشة اصح الأقوال ، وسئلت ايضاً عن خلُقه صلى الله عليه وسلم فقرأت : قد افلح المومنون الى عشر ءايات ، قال الرازي وهذا اشارة الى ان

نفسه القدسية الشريفة كانت بالطبع منحرفـة الى عالم الغيب والى كل ما يتعلق به ، وكانت شديدةَ التعري عن اللذات البدنية والسعادات الدنيوية بالطبع ومقتضى الفطرة ، وقالت ماكان احد أحسن خلقاً من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مادعاه احد من الصحابة ولا من أهل بيته الا قال لبيك ، ولذلك قال الله تعالى : وانك لعلى خلق عظيم ، ولم يذكر خلقاً محدوداً الا وكان للنبي صلى الله عليه وسلم منه الحظ الأوفر ، قـال الجنيد : سمى خلقُه عظيمـاً لاجتماع مكارم الأخلاق وتمام محاسن الأفعال ، وعن ابى اسحاق قال سمعت البراء يقول : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسنَ الناس وجهاً واحسن الناس خلُقاً ، ليس بالطويل البائن ولا بالقصير ، وعن انس بن مالك قال : خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي أف قط ، وما قال لشيء صنعتُه لم صنعتَه ؟ ولا لشيء تركتُه لم تركتَه؟ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من احسن الناس خلُقاً ، ولا مسستُ خزا قط ولا حريرا ولا شيئاً كان الين من كفٌ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا شممت مسكاً ولا عنبراً كان اطيب من عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم ،وعن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً ، وكان يقول خياركم احسنكم اخلاقاً ، وعن انس ان امرأة عرضت لرسول الله صلى الله عليه وسلم في طريق من طرق المدينة فقالت يا رسول الله ان لي اليك حاجة ، فقال يا أم فلان اجلسي في أي سكك المدينة شئت اجلسْ اليك ، قالت ففعلت فقعد اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قضتْ حاجتها ، وعن انس بن مالك كانت الأمةُ من اماء اهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت ، وعن انس ايضاً ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا صافح رجلا لم ينزعْ يده حتى يكونَ هو الذي يصرف وجهَه عن وجهه ، ولم ير مقدماً ركبتيْه بين يديْ جليس له ، وعن عائشة قالت : ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً قط الا ان يجاهدَ في سبيل الله تعالى ، ولا ضرب خادماً ولا امرأة ، وعن عائشة قالت : ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرين قط الا اختار أيسرهما ما لم يكن اثماً ، فان كان اثماً كان ابعدَ الناس منه ، وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه في شيء قط الا أن تنتهكَ

حرمات' الله فينتقم ، وعن انس قال : كنت امشي مع النبي صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجراني غليظ الحاشية ، فأدركه اعرابي فجبذه جبذة شديدة حتى نظرت الى صفحة عاتق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اثرت بها حاشية' البرد من شدة جبذته ، ثم قال مُرْ لي من مال الله الذي عندك ، فالتفت اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وضحك وامر له بعطاء ، وعنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس خلُقاً ، وكان لي اخ يقال له ابو عمير وهو فطيم ، كان اذا جاءنا قال يا أبا عمير ما فعل النغير ؟ لنغير كان يلعب به ، والنغير طائر صغير يشبه العصفور الا انه احمر المنقار ، وعن الأسود قال سالت عائشة ماكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل في بيته ؟ قالت كان في مهنة اهله ، فاذا حضرت الصلاة توضأ ويخرج الى الصلاة ، والمهنة الخدمة ، وعن عبد الله بن الحارث قال : ما رأيت احدا اكثر تبسماً من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعن ام الدرداء تحدث عن ابي الدرداء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ان اثقل شيء يوضع في ميزان المومن يوم القيامة خلق حسن ، وان الله يبغض الفاحش البذيء ، وعن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتدرون اكثر ما يدخل الناس النار ؟ قالوا الله ورسوله اعلم ، قال فان اكثر ما يدخل الناس النار الأجوفان : الفرج والفم ، اتدرون ما اكثر ما يدخل الناس الجنة ؟ قالوا الله ورسوله اعلم ، قال فان اكثر ما يدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق ، وعن عائشة قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان المومن يدرك بحسن خلقه درجة قائم الليل وصائم النهار ، نقله الخطيب ، ولدى بمعنى في ، والفضائل جمع فضيلة من الفضل بمعنى المنزلة الرفيعة ، والشفا اسم لكتاب ابي الفضل عياض في تعريف حقوق المصطفى ، وهو اسم طابق مسماه ، والاضاءة الاشراق ، والمقصود بها الهداية ، والأقمار جمع اطلق على اثنين الشمس والقمر بالتغليب ، وقد سمى الله' تعالى الايمان النور والكفر الظلمات ، ولاشك ان شفاء القاضي عياض فيه الهداية الى معرفة حقوق النبي صلى الله عليه وسلم الجاذبة الى محبته والايمان به المورث للسعادة الأبدية والرضوان الأكبر ، وجعل النجوم التي من جملتها الشمس والقمر للهداية في البر والبحر ولمعرفة

عدد السنين والحساب ، وشفى الله تعالى المريض من مرضه ازاله عنه واذهبه ، والشفاء هنا معنوي ، والجامع ازالة الممض في كل ، والمعضلات جمع معضلة ، وهي المسألة المشكلة بحيث لا يهتدي لوجهها الناقد البصير ، وبدت ظهرت ، وقد قالوا ان العالم هو الذي يستشكل الواضح ويوضح المشكل ، والغليل حرارة العطش ، والمقصود هنا الالتهاب الناشيء عن عدم أدراك وجه المعضلات ، ومن استعمال الاشتفاء في برد الغليل قول الفرزدق :

ومنسوبة الأجـداد غيـر لئيمـــة ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ شفت لي فؤادي واشتفى بي غليلها

والأبرار الأتقياء ، واول مراتب التقوى الايمان ، لأنه اتقاء الشرك ، والتسطير الكتابة ، وسواد العين ناظرها ، والعشير بوزن الشعير لغة في العشر وهو جزء من عشرة وجمعه اعشراء كنصيب وانصبـاء ، وفي الحديث تسعة اعشراء الرزق في التجارة ، ومعشـار الشيء عشره ، وكتبه اي مصنفاته ، كلها اي جميعها ، والتحقيق الاتيان بالشيء على الوجـه الحق ، والمعرفـة العلم ، والبرية الخلق ، والمقصود بهم اهل العلم ، وحياز الشيء الاحتواء عليه ، والسبق بسكون الباء مصدر اذا غلبه بعد المسابقة ، والمضمار يطلق على المدة التي تضمر فيها الخيل ، وذلك ان تعلفه حتى يسمن ثم تـرده الى القوت وذلك في اربعين يوماً ، ويطلق المضمار ايضاً على المضمار الذي تضمر فيه الخيل ، وغاية الفرس في السباق هـو المقصود هنا .

ومضمن معنى الأبيات الأربعة ان ابا الفضل رضي الله تعالى عنه بيَّن في شفائه قدر النبي الأشرف العظيم على حسب مـا يمكن للبشر ، اذ لا يعرفـه صلى الله عليه وسلم حقيقة غير ربه تعالى بياناً شافيـاً هاديـاً كهدايـة الشمس والقمر بحيث لا يمتـري مطالعـه في ان النبي صلى الله عليـه وسلم افضل المخلوقين ، وهذا غاية مـا يبلغ البشر من دقيقة قدره صلى الله عليه وسلم ، فبسبب انه رضي الله عنه بين قدره صلى الله عليه وسلم كثير من الفضائل النبوية انى بها فيه وقررها بأدلتهـا احسن تقريـر ، وازال عـن المومنين الحرارة الممضة من داء الجهل بالمسائل المشكلات الظاهر اشكالها الموهم خلاف خصائص النبوءة ، وعلى هذا لو كتبت بسواد العين ما كان ذلك وافياً

بحقها بل عشر معشاره ، والمقصود تبيين عظم موقعها في الدين ، وكتب هذا الامام رضي الله عنـه كلها مبنية على التحقيق معروفة بذلك ، كما حازت عند اهل العلم تقديمها عى غيرها مما هو في نمطها .

واعلم ان ابا الفضل رضي الله تعالى عنه ونفعنا بمحبته وسقانا المولى سبحانـه من مشربه بفضله إطبق على الثنـاء عليه الأيمة شرقـاً وغربـاً ، معاصروه فمن بعدهم الى هلم جـراً ، ووضع الله تعالى له القَبـول والمحبة في قلوب الخلق جزاءاً وفاقاً .

قـال الفتحُ بن خاقان عصريه في قلائـده ما نصه : الفقيه الحافظ القاضي ابو الفضل عياض بن موسى ابن عياض رحمه الله تعالى ، جاء على قدر ، وسبق الى نيل المعالي وابتدر ، واستيقظ لها والناس نيام ، وورد ماءها وهم حيام ، وتلا من المعارف ما اشكل ، واقدم على ما احجم منه سواه ونكل ، فتحلت به للعلوم نحور ، وتجات له منها حور ، كأنهن الياقوت والمرجان ، لم يطمثهن انس قبلهم ولاجان ، قد الحفته الأصالة رداءها ، وسقته انداءها ، وألقت اليه الرياسة اقاليدها ، وملكته طريفها وتليدها ، فبدّ على فتائه الكهول سكونا وحلماً ، وسبقهم معرفةً وعلمـاً ، وازرت محاسنه بالبدر الليـاح ، وسرت فضائله سري الرياح ،فتشوفت لعلاه الأقطَار ، ووكفت تحكي نداه الأمطار ، وهو على اعتنائه بعلوم الشريعة ، واختصاصه بهذه المرتبة الرفيعـة ، يعنى باقامة اود الأدب ، وينسل اليه اربابه من كل حـدب ، الى سكون ووقار كما رسا الطود ، وجمال مجلس كما حليت الخود ، وعفاف وصون ، ما علما فساداً بعد الكون ، وبهاء لو رأته الشمس ما باهت بأضواء وخفر ، ولو بان للصبح ما لاح ولا اسفر ، وقد اثبت من كلامه البديع الألفاظ والأغراض ، ما هو اسحر من العيون النجل والجفون المراض ، فمن ذلك رقعة حملنيهـا تحية للرئيس ابي عبد الرحمان بن طاهر رحمه الله وهي : عمادي ابا نصر ، مثنى الوزارة ووحيد العصر ، هل لك في منة تفوت الحصر ، تخف محملا ، وتبلغ املا ، وتشكر قولا وعمـلا ، شكراً تترنم به الحداة ثقيلا ورمـلا ، اذا بلغت الحضرة العلية مستلمـاً ، ولقيت الطاهر بن طاهر فخـر الوزارة مسلمـاً ، وحللت مـن فنائه

الأرحب حرمـاً ، ولمست بمصافحته ركن المجد يندى كرمـاً ، فقف شوقي بعرفات تلك المطارف ، وانسك شكري بمشاعر تلك العوارف ، وأطفْ اكباري بكعبة ذاك الجلال سبعاً ، وبوئي لودادي في مقر ذلك الكمال ربعاً ، وأبلغْ عني تلك الفضائل سلاما ، يتلثم بصريح الحب التثاماً ، ويحسن عني بظهر الغيب مقاماً ، ويسير عني بارح الجد انجاداً واتهاماً .

وله مراجعاً عن كتابين كتبتهما اليه معاتباً له (طويل) :

أبا النصر ان شدوا رحالك للنوى ... فان جميلَ الصبر عنك بها شـدوا
وان تتركوا قلبي مقيماً وترحلـوا ... فماذا ترى في مهجتي معكم تغدو ؟

وله فصل من رسالة في جانبي : في علمك ، سدد الله عـلا حكمك ، ما جمعه فلان من جلائل تشـد عن الحصر ، وفضائل يعترف له بها نبهـاء العصر ، يقول ، فيختلس العقول ، ويعن ، فيذهل الألبـاب ويحن ، ان نظم فعبيد أو لبيد ، أو نثر فعبد الحميد او ابن العميد ، او صـال فأبو نعامـة ، او انال فكعب بن مامة ، اوفاخر فشجرة سيادة اصلها ثابت وفرعها في السماء ، او ذاكر فبحر معارف لا تكدره الدلاء ، الى همة تصفع هامـة الثريا ، وعـزة تمتهن الفضل بن يحيى ، ولهجـة تخرس العجـاج ، وبهجة تزرى بنصر بن حجاج ، ولو كنت ابن ابي هالة ، لما بلغت المنتهى له ، على اني لم انبه لشأنه ذا جهالة ، لاكنه الكلام يطرد ، والبدائه حسبما ترد ، واللسان ينطق ملء فيه ، والجنان يرشحُ بما فيه .

ومن شعره قوله (طويل)

عسى تعرف العلياء ذنبي الى الدهر ... فأبدي له جهد اعترافي اوعـذري
وقـد حـال ما بيني وبين احبـة ... الفتُهم الفَ الخمـائـل للقطـر
هـم اودعـوا قلبي تباريح لوعـة ... فنأيُهـم اذكى وانكى مـن الجمـر
على ان لي سلوى بـأن فراقهـم ... وان طـال لم يمزج بصد ولا هجـر
سأفزع للريح الشمـال لعلنـي ... احملها نجوى تلجلج في صـدري
تبلغ منهـا للوزيـر تحـيـة ... معطرةَ الأرجـاء دائمـةَ البشـر

تظلله من حـرّ كـل هجيـرة ... وتؤنسه في وحشة البلد القفـر
وتنبئه انـي اكـنّ صبابـة ... لحسن بدا في غير شعر ولا شعـر
اهزّ بها عطفي من غيـر نـشـوة ... وارخي بها ذيلا من التيه والكبـر
واني اشدو في النوادى بـذكـره ... كما شدت الورقاء في الغصن النضر
اجل وعساهـا ان تبلـغ مهجتـي ... فأبلي بها عذري واقضي بها نذري

وله في خامات زرع بينها شقائق نعمان هبت عليه ريح سريع :

انظر الى الـزرع وخـامـاتـه ... تحكي وقد ماست امام الريـاح
كتائبـاً تجـفـل مـهـزومـة ... شقائق النعمـان فيهـا جـراح

وله فصل من رسالة راجع بها : وصلت لمعظمي قرب الجلال ، وزهيت به رتب الكمال ، وحامت على مشرع بحره العذب طيور الآمال ، وغصت أفنية جنابه الرحب بوفود الاقبال ، ولا غرو أعزك الله ان مَن لاحظ من ءاثار فضلك الرائقة لحظة ، أو حظي من سماع محاسنك الرائقة ولو بلفظة ، ان تسير به همته في لقائك واحدا ، وتعتسف الطرق الى ورد جلالك وافدا ، حتى يشاهد الكمال لم يحوج الى نقص ، وليس على الله بمستنكر ان يجمع العالم في شخص .

وله عند ارتحاله عن حاضرة قرطبة :

اقول وقد جـد ارتحالـي وغردت ... حداتي وزمت للفـراق ركـائبـي
وقد غمصت من كثرة الدمع مقلتي ... وصارت هواء من فـؤادي ترائبـي
ولـم تبق الا وقـفـة يستحثهـا ... وداعـي للأحبـاب لا للحبـائـب
رعى الله جيرانـاً بقرطبـة العلـى ... وسقى رباها بالعهـاد السواكـب
وحيى زمانـاً بينهم قـد ألفتـه ... طليقَ المحيـا مستلينَ الجوانـب
الخواننـا بالله فيهـا تـذكـروا ... معاهدَ جـارٍ او مـودةَ صاحـب
غدوت بهم من برهـم واحتفائهـم ... كأنيَ في اهلي وبين اقـاربـي

وله في المتشابه (متقارب) :

اذا ما نشرت بساط انبساط فعنه فديتك فاطو المزاحا
فان المزاح كما قد حكى اولو العلم قبلُ عن العلم زاحا

وله فصل من رسالة : لابد اعزك الله لكل حين من بنين يحلون عاطله ، ويجلون فضائله ، ولكل مجال من رجال يقومون بأعبائه ، ويهيمون في كل واد بأنبائه ، ولئن كانت جمرة الأدب خامدة ، وجذوته هامدة ، ولسانه حصير ، وانسانه حسير ، فلن يخليه الله من هلال يطلع فيشرق بسمائه بدرا ، وزلال ينبع فيغدق بفضائه بحرا ، وشبل يشدو فيزأر من غابه ليثاً ، وطل يبدو فيمطر من ربابه غيثاً .

ومن شعره (متقارب) :

لك الخير عندي لذاك النزاع فعقل يهيم وقلب يراع
يعز علينا تنائي الديار وذاك سلامُك لي والوداع
لكم امل كان لي في اللقا وامنية قد طواها الزماع
فلم اجنِ منها سوى حسرة فوجد جميع وانس شعاع
لئن حمل القلب ما لا يطاق فما كلف الجفن لا يستطاع

وخرجنا لنزهة فلما انصرفنا اصاب غفارتي شوك شقها ، فلما وصلت موضعي امر ان ابعثها اليه مع احد عبيده المتصرفين بين يديه ، فلما كان من الغد تأخر صرفُها وحضرت الجمعة فكتبت اليه معاتباً في ترقيعها : قد بقيت اعزك الله كالأسير ، ولقيت التوحش بجناح كسير ، ان اردت النهوض لم ننهض ، وليث مَن لا بريش لم يهض ، وقد غدوت من المقام ، في مثل السقام ، فلتأمرْ بردها ، لعلي احضر الصلاة واشهدها ، لا زلت سريا ، تطلق من يد الوحشة بريا ، ان شاء الله .

فراجعني : ادام الله ياوليي جلالك ، وابقى حلياً في جيد الدهر خلالك ، الغفارة عند مَن ينظر فيها ، وقد بلغت غير مضيع تلافيها ، ويرجى تمامها قبل

الصلاة وادراكها ، وتصل مع رسولي وكأنما قد شراكهـا ، وان عاق عائـق ، فليس مع صحـة الود مضايق ، والعوض رائق ، وهو واصل ، وانت بقبوله مواصل ، والسلام عليك ما ذرّ شارق ، وومض بارق .

انتهى ما في القلائد (268) .

وقال في (الوفيات) : القاضي ابو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض بن محمد بن موسى بن عياض اليحصُبي السبتي ، كان امام وقتـه في الحديث وعلومه والنحو واللغـة وكلام العرب وايامهـم وانسابهم ، وصنف التصانيف المفيدة ، منها كتابُ (الاكمال) في شرح كتاب مسلم ، كمل به (المعلم ، في شرح كتاب مسلم) للمازري ، ومنها (مشارق الأنوار) وهو كتاب مفيد جـداً في تفسير غريب الحديث المختص بالصحاح الثلاثة ، وهي الوطأ والبخاري ومسلم ، وشرح حديث أم زرع شرحـاً مستوفى ، وله كتاب سماه (التنبيهات) جمع فيه غرائب وفوائد ، وبالجملة فكل تواليفه بديعة ، ذكـره خلف ابن بشكوال في كتـاب (الصلة) فقال : دخـل الأندلس طالبـاً للعلم ، فأخذ بقرطبة عن جماعة ، وجمع من الحديث كثيراً ، وكـان له عناية كثيرة به والاهتمام بجمعه وتقييده ، وهو من اهل التفنن في العلم ، والذكاء واليقظة والفهم ، واستقضي ببلده — يعني مدينة سبتة — مدةً طويلة حمدت سيرته فيها ، ثم نُقل منها الى قضـاء غرناطة فلم تطل مدتـه فيها ، انتهى كلامه (269) .

وللقاضي عياض شعر حسن ، فمنه ما رواه عنه ولـده محمد قاضي دانية ، قال : انشدني ابي لنفسه في خامات زرع بينها شقائق النعمان هبت عليها ريح :

انـظـرْ الـى الـزرع وخامـاتـه	تحكي وقـد ماست امـام الريـاح
كتيبـةً خضراء مهـزومـــــةً	شقائقُ النعمـان فيهـا جـــراح

---

268) قلائد العقيان ص 255 (طبع تونس) .

269) الصلة ص 453 ع 974

الخامة القصبة الرطبة من الزرع .

وانشد ايضاً لأبيه :

الله يعلم اني منذُ لم اركم ... كطائر خانه ريش الجناحيْن
فلو قدرت ركبت البحر نحوكم ... لأن بعدكم عني جنى حيْني

ورأيت لابن العريف رسالة كتبها اليه فأحببت ذكرها ثم اضربت عنها لطولها .

وذكره العماد في (الخريدة) فقال : كبير الشانْ، غزير البيان ، وذكر له البيتين في الزرع الذي بينه شقائق النعمان ، ثم قال بعد ذلك : وله في لزوم ما لا يلزم :

اذا ما نشرتَ بساط انبساط ... فعنه فديتك فاطو المزاحا
فان المزاح على ما حكاه ... اولو العلم قبلي عن العلم زاحا

ومدحه ابو الحسن ابن هارون المالقي الفقيه المشاور بقوله :

ظلموا عياضاً وهو يحلم عنهم ... والظلمُ بين العالمين قديم
جعلوا مكانَ الرياء عيناً في اسمه ... كي يكتموه فانه معلوم
لولاه ما فاحت اباطحُ سبتة ... والروضُ حول فنائها معدوم (270)

وذكره ابن الأبار في اصحاب ابي علي الغساني فقال من اهل سبتة واصله من بسطه ، يكنى ابا الفضل احد الأئمة الحفاظ الفقهاء المحدثين الأدباء ، وتواليفه واشعاره شاهدة بذلك ، كتب اليه ابو علي في جماعة جلة ، ولقي ايضاً اخرين مثلهم ، وشيوخه يقاربون المئة .

وكان مولد القاضي عياض بمدينة سبتة في النصف من شعبان سنة 476 ست وسبعين واربعمئة ، وتوفي بمراكش يوم الجمعة سابع جمادى الآخيرة وقيل في شهر رمضان سنة 544 اربع واربعين وخمسمئة رحمه الله تعالى ،

270) خريدة القصر 3 : 501 ع 137

ودفن بباب ايلان ، داخل المدينة ، وتولى القضاءَ بغرناطة سنة اثنتين وثلاثين وخمسمئة ، وتوفي ولـده المذكـور سنة خمس وسبعين وخمسمئة رحمـه الله (271) .

وعياض بكسر العين المهملة وفتح الياء المثنـاة مـن تحتهـا وبعد الألف ضاد معجمة ، واليحصُبي بفتح اليـاء المثناة من تحتها وسكون الحـاء المهملة وضم الصـاد المهملة وفتحها وكسرها وبعدها بـاء موحدة ، هـذه النسبـة الى يحصب بن مالك قبيلـة من حميـر ، وسبتـة مدينة مشهورة بالمغرب ، وكذلك غرناطة بفتح الغين المعجمة وسكون الراء وفتح النـون وبعد الألف طاء مهملة ثم هاء وهي مدينة بالأندلس (272) .

وقال في (الديباج) مانصه : القاضي عياض ابو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرون بن موسى بن عياض بن محمد بن عبد الله بن موسى بن عياض اليحصبي ، الامام العلامة ، يكنى ابا الفضل ، سبتي الدار والميلاد ، اندلسي الأصل ، قال ولده محمد : كان اجدادنا في القديم بالأندلس ثم انتقلوا لمدينة فاس ، وكان لهم استقرار بالقيروان لا ادري قبل حلولهم بالأندلس او بعد ذلك ، وانتقل عمرون الى سبتة بعد سكنى فاس ، وكان القاضي ابـو الفضل إمام وقته في الحديث وعلومه ، عالماً بالتفسير وجميع علومه ، فقيهاً اصولياً عالماً بالنحو واللغة وكلام العرب وايامهم وانسابهم بصيراً بالأحكام عاقداً للشروط ، حافظاً لمذهب مالك رحمه الله تعالى ، شاعراً مجيداً ، ريانا من علم الأدب ، خطيباً بليغاً صبوراً حليما ، جميل العشرة جواداً سمحا ، كثير الصدقة ، دءوباً على العمل ، صليباً في الحق ، رحل الى الأندلس سنة سبع وخمسمئة طالباً للعلم ، واخذ بقرطبة عن القاضي محمد بن علي ابن حمدين وابى الحسين ابن سراج وعن ابى محمد ابن عتاب وغيرهم ، واجاز له ابو علي الغساني ، واخذ بالمشرق عن القاضي حسين بن محمد الصدفي وغيره ، وعني بلقاء الشيوخ والأخذ عنهم ، واخذ عن ابي عبد الله المازري كتب اليه يستجيزه ،

271) معجم صحاب ابي علي الصدفي ص 306 ع 279

272) وفيات الأعيان 3 : 483 ع 511

واجازه الشيخ ابو بكر الطرطوشي ، ومن شيوخه القاضي أبو الوليد ابن رشد قال صاحب (الصلة) البشكوالية واظنه سمع من ابن رشد ، وقد اجتمع له من الشيوخ بين مَن سمع منه وبين مَن اجازه مئة شيخ ، وذكر ولده محمد منهم احمد ابن بقي واحمد بن محمد ابن مكحول وابا الطاهر احمد محمد السِّلَفي والحسن بن محمد ابن سكرة والقاضي ابا بكر بن العربي والحسن بن علي ابن طريف وخلف بن ابراهيم ابن النحاس ومحمد بن احمد ابن الحاج القرطبي وعبد الله بن محمد الخشني وعبد الله بن محمد البطليوسي وعبد الرحمان بن بقي بن مخلد وعبد الرحمان بن محمد ابن العجوز وغيرهم يطول ذكرهم .

قال صاحب (الصلة) وجمع من الحديث كثيراً ، وله عناية كثيرة به واهتمام بجمعه وتقييده ، وهو من اهل التفنن في العلم واليقظة والفهم ، وبعد عوده من الأندلس اجلسه اهل سبتة للمناظرة عليه في المدونة وهو ابن ثلاثين سنة او ينيف عنها ، ثم أجلس للشورى ، ثم ولي قضاء بلده مدة طويلة حمدت سيرته فيها ، ثم نقل الى قضاء غرناطة في سنة احدى وثلاثين وخمسمئة ولم يطل امره بها ، ثم ولي قضاء سبتة ثانياً ، قال صاحب الصلة : وقدم علينا قرطبة فأخذنا عنه بعض ما عنده .

قال ابن الخطيب : وبنى الزيادة الغربية في الجامع الأعظم ، وبنى في جبل المينا الرابطة الشهيرة ، وعظم قدره وصيته ، ولما ظهر امر الموحدين بادر الى المسابقة بالدخول في طاعتهم ، ورحل الى لقاء اميرهم بمدينة سلا ، فأجزل صلته ، واوجب بره ، الى ان ضطربت امور الموحدين عام ثلاثة واربعين وخمسمئة ، فالتاثت حاله ولحق بمراكش مشرداً به عن وطنه ، فكانت بها وفاته ، وله التصانيف المفيدة البديعة ، منها (اكمال المعلم ، في شرح صحيح مسلم) ومنها كتاب (الشفا بتعريف حقوق المصطفى) ابدع فيه كل الابداع ، وسلم له اكفاؤه كفايته فيه ، ولم ينازعْه احد في الانفراد به ولا انكروا مزية السبق اليه ، بل تشوفوا للوقوف عليه وانصفوا في الاستفادة منه ، وحمله الناس عنه ، وطارت نسخُه شرقاً وغرباً ، وكتاب (مشارق الأنوار) في تفسير غريب حديث الموطأ والبخاري

ومسلم ، وضبط الألفاظ والتنبيه على مواضع الأوهام والتصحيفات ، وضبط أسماء الرجال ، وهو كتاب لو كتب بالذهب او وزن بالجواهر كان قليلا في حقه ، وفيه انشد بعضُهم :

مشـارق انـوار تبـدت بسبتـة ومن عجب كـون المشارق بالغرب

وكتاب (التنبيهات) المستنبطة على الكتب المدونـة جمع فيه غرائب من ضبط الألفاظ وتحرير المسائل ، وكتاب (ترتيب المدارك وتقريب المسالك ، لمعرفة اعـلام مذهب مالك) رحمه الله ، وكتاب (الأعـلام ، بحـدود قواعد الاسـلام ، وكتاب (الالماع ، في ضبط الرواية وتقييد السماع) ، وكتاب (بغية الرائد ، لما تضمنـه حديث ام زرع مـن الفوائـد) ، وكتاب (الغنية) في شيوخـه ، وكتاب (الالماع ، في ضبط الرواية وتقييد السماع) ، وكتاب (بغية الرائد ، جزم الأذان) ، وكتاب (مسألة الأهل المشروط بينهم التزاور) ، ومما لم يكمله (المقاصد الحسان ، فيما يلزم الانسان) ، وكتاب (الفنون الستة ، في أخبار سبتة) ، وكتاب (غنية الكاتب ، وبغية الطالب) في الصدور والترسل ، وكتاب (الأجوبة المحبرة ، على الأسئلة المتخيرة) ، وكتاب (اجوبة القرطبيين) وكتاب (الأجوبة) عما نزل بأيام قضائه من نوازل الأحكام ، في سفر ، وكتاب (سر السراة ، في أدب القضاة) ، وكتاب (خطبه) كان لا يخطب الا بانشائه ،وله شعر كثير حسن رائق ، فمنـه :

يـا من تحمـل عني غيـر مكتـرث لا كنه للضنـا والسقـم اوصى بي
تـركتني مستهـام القلب ذا حـرق اخـا جـوى وتباريـح واوصـاب
أراقبُ النجمَ في جنح الدجا سحراً كأنني راصـد للنجـم او صـابـي
وما وجدتُ لذيذ النـوم بعدكـم الا جنى حنظل في الطعم او صـاب

وله من الأبيات :

الله يعلـم اني منـذ لـم اركـم كطـائـر خانـه ريشُ الجناحيْـن
فلـو قـدرت ركبْت البحرَ نحوكم فـان بعـدكـم عنـي جنـى حيْني

وله

ان البخيــل بلحظــة او لفظـــــة او عطفــة او وقفــة لبخيــــل

وله في خامات زرع بينهـا شقائق النعمان هبت عليه ريح :

انظـر الى الـزرع وخـامـاتـه تحكي وقد ماست امامَ الريـاح
كتيبـةً خـضـراء مهـزومـةً شقائـقُ النعمـان فيهـا جـراح

وله غير ذلك .

كان مولد القاضي عياض بسبتة في شهر شعبان سنة ست وسبعين واربعمئة ، وتوفي بمراكش في شهر جمادى الأخيرة وقيل في شهر رمضان سنة اربع واربعين وخمسمئة ، وقيل انه مات مسموماً سمَّهُ يهودي ، ودفن رحمه الله بباب ايلان داخل المدينة .

وعياض بكسر العين المهملة وفتح الياء المثناة من تحت وبعد الألف ضاد معجمة ، واليحصُبي بفتح الياء المثناة من تحت وسكون الحاء المهملة وضم الصاد المهملة وفتحها وكسرها وبعدها فاء موحدة نسبة الى يحصُب بن مالك ، قبيلة من حمير ، وسبتة مدينة مشهورة ، وغرناطة مدينة بالأندلس ، وهي بفتح الغين المعجمة وسكون الراء المهملة وبعد الألف طاء مهملة ثم هاء ، ويقال فيها اغرناطة بالألف قبل الغين .

انتهى كلام الديباج (273) .

وراجع التعريفَ بصاحبه في (نيل الابتهاج) واختصاره (كفاية المحتاج).

وقال العلامة ابن القاضي في (جذوة الاقتباس ، فيمن حلَّ من الاعلام مدينة فاس) : عياض بن موسى ابن عياض اليحصُبي من اهل سبتة ، يكنى ابا الفضل عياض ، اخـذ بقرطبة عن القاضي محمد ابن حمديـن وابى الحسين

---

273) **الديباج المذهب** 2 : 46 (طبع تونس) .

ابن سراج وعن ابي محمد ابن عتاب ، وغيرهم ، واجاز له ابو علي الغساني ، واخذ بشرق الأندلس عن القاضي ابي علي حسين بن محمد بن فيره الصدفي كثيراً ، وعني بلقاء الشيوخ والأخذ عنهم ، وجمع من الحديث كثيراً ، وله عناية كبيرة به واعتناء بجمعه وتقييده ، وهو من اهل التفنن في العلم والذكاء واليقظة والفهم ، واستقضي ببلده مدة طويلة حمدت سيرته فيها ، ثم نقل الى قضاء غرناطة فلم يطل امده بها .

قال ابن بشكوال قدم علينا قرطبة في ربيع الآخر سنة احدى وثلاثين وخمسمئة فأخذت عنه بعض ما عنده وسمعته يقول : سمعت القاضي ابا علي حسين بن محمد الصدفي يقول سمعت الامام ابا محمد التميمي ببغداد يقول : ما لكم تأخذون العلم عنا وتستفيدونه منا ثم لا تترحمون علينا ؟ فرحم الله جميع مَن اخذنا عنه من اشياخنا وغفر لهم ، وكتب بخطه انه ولد في منتصف شعبان من سنة ست وسبعين واربعمئة ، ودخل مدينة فاس ، واخذ عنه بها جماعة ، ذكر دخوله ابن الأبار في غير ترجمته .

توفي رحمه الله بمراكش مغرباً عن وطنه سنة اربع واربعين وخمسمئة .

انتهى كلام الجذوة (274)

وقال الامام العارف سيدي القاسم الحلفاوي رحمه الله تعالى في كتابه (شمس المعرفة ، في سير غوث المتصوفة) بعد ان ذكر الولي الكامل سيدي عبد الكريم الفلاح ضجيع القاضي عياض رضي عنهما ما نصه :

تكملة نوه اهل الظاهر بالقاضي عياض وفضلوه على ضجيعه الفياض ، واحتجوا على الأفضلية بما هو عند العارفين غير مرتاضي ، (275) ومدحوه بأنواع المحاسن والمعاني بمقتضى الألفاظ ، لأنهم ما رأوا من فضله الا ما دلهم عليه المسطور في البياض ، مثل (الشفا) و (الاكمال) و (المشارق) المرتاض ،

---

274) **جذوة الاقتباس** ص 498 ع 567

275) كذا بالأصل ، ولعله يريد مرتضى

وانتهت مدائحهم فيه الى ان قالوا فيه انه رياض ، ونوه اهل الباطن بالشيخ الفلاح ، ومدحوه بالحال الجاذب من الفساد للصلاح ، بعد زهده في اكثر من سبعين باباً من المباح ، وطلبه الأكمل في كل قـول وفعل داع الى الفلاح ، وظهور ما وعد به في كثير من اهل الصلاح ، وظهور كراماته الظهور التام ، ومكاشفته التي تكاد بالعيان من غير تخمام ، وكمال رجال على يده مثل الكوش والغزواني ، والقسطال الذي ربى مَن رباني ، وشان اهل العقول العراف ، قبول الدعوى بحسن الانصاف ، وان كانت الدلائل العقلية ، لا تفيد القطع بتعيين الأفضلية ، حتى يرتفع الخلاف ، اذ التفضيل من اسرار الاله ، ولا قاطع فيه الا من رسول الله ، او من يجوز في حقه ذلك من اولياء الله ، وسيأتي من ذلك ما يثلج به صدر من خصه الله ان شاء الله ، وجريان الخيل في الميدان ، هو شان الفرسان الشجعان ، وهيمان العقول برؤوس القلوم ، هو شأن التبرير لأبكار الفهوم ، او التسلي عن الهموم ، قال العلماء من اهـل الرسوم ، لولا عياض ماذكر المغرب ، قال اهل الفهوم ، نعم حسبما هو ظاهر مرسوم من العلوم ، قال العلماء لولا الشفا ماذكر عياض بين الرسوم ، لأن غيره قد الف اكثر من تواليفه وهو مع ذلك غير معلوم ، وقيقة انما عظم الشفا في الصدور والعيون ، لما اشتمل عليه من المدح المصون ، الذي استغرق انفاس مؤلفه المشكور ، حتى غاب في بحر الهيبة والنور ، فعظم في القلوب والنفوس ، حيث رأت العينُ عليه ذلك الملبوس ، فتداولتْه ايدي الفقهاء بالواجب والمندوب والمباح ، وعظمتْه الصوفية بالتماس البركة بالمحبة والشوق والارتياح ، واعظمهم قدماً في ذلك ضجيعه سيدي عبد الكريم الفلاح ، من باب اعطاء كل ذي حق حقه عند اهل الصلاح ، وعند السالكين من بـاب تآلف الأرواح ، وهو من ثمرة مقـام الاستقامة ثاني مقامات الاسلام عند اهل الفلاح ، تثمره كثرة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بالضابط الوضاح ، ومما يؤيده ما ورد في كتاب (النجم الثاقب ، فيما للأولياء والمفاخر والمناقب) عن بعض الصالحين قال : رايت أبا الفضل عياض بعد موته في المنام وهو في قصر عظيم قوائمه من ذهب ، قال فكان يسألني عن مسالة فأقول ياسيدي ذكرت في كتابك المرسوم بكتـاب الشفا كيت وكيت ، قال فكان يقول لي اعندك ذلك الكتاب ؟ فأقول له نعم ،

فيقول لي شدَّ يدك عليه فبه نفعني الله واعطاني ما تراه ، قال الشيخ مولاي الكامل ، سيدي ابو عمرو المواصل الواصل ، مدح عياض رسول الله صلى الله عليه وسلم ليكسوه فكساه في الدنيا كسوة التعظيم ، ورئي في الأخرى على سرير قوائمه من الذهب السليم ، قال وانا مدحت رسول الله صلى الله عليه وسلم من عين المدح ، واشار بذلك الى بعض شطحاته ، مدحت عياضاً مدحت انا ، واحتج بعض اهل الظاهر على تفضيل القاضي على الفلاح بأن قال الفاضل هو الأول للمكان ، والمفضول هو الآتي بعده في الزمان لأنه اخذ له الحرمة في الشفاعة ، قياساً على ما هو شائع بين الجماعة ، قال اهل الحقيقة وتلك شكاة ظاهر عنك عارها ، بالحديث بمعرفة حسن سيرة الفلاح المشكورة ، وخصائصه التي هي في كل مجلد مسطورة ، يرتفع اشكال هذه الحجة المشهورة ، وذلك انه كان رضي الله عنه الغالب عليه الحضور ، والاتساع في ابحر المعرفة والنور ، لتألف روحه المحمدية الشريفة ، وتلبسه بكل رقيقة ولطيفة ، وجمعه على الله بكل منيفة ، وفنائه عن ذاته بالكلية ، وتلاشيه في مكنته الذاتية ، وتواضعه في مهابته العلية ، وبث ذلك في تلامذته الشاذلية الوفائية القسطالية ، وقد كان يكتب للمريد في اول اسطاره مشهوراً : (هل اتى على الانسان حينٌ من الدهر لم يكن شيئاً مذكورا) ، وهو عبارة عن الفناء الذي هو عين البقاء ، واول ما يغرس في جنان المعتنى ، شجرة افنى ، وهو عبارة عن الذلة والانكسار ، واظهار الاحتقار والافتقار ، بين يديْ الحليم الغفار ، وهذا هو عين المطلوب ، عند كل سالك ومجذوب ، ومحب وعليه تتألف القلوب ، ولا ينكره الا المحجوب ، طهر الله اسرارنا من جميع العيوب ، وبلغنا من رضوانه فوق المرغوب ، بجاه اشرف خلقه صلى الله عليه وسلم وعلى ءاله وكل تابع لسنته كالفلاح السالك بسره سرا او جهرا ، فقد كان يتواضع لسيدي عبد الله الغزواني التواضع التام ، ويمشي خلفه في الطريق وهو امام ، ويقدم كلامه عند الكلام ، وغسل يديه عند اكل الطعام ، ويصدقه في كل ما يصدر منه من الدعاوى ، ويقدم فتواه عند ازدلاف الفتاوى ، ويثني عليه الثناء الجميل ، حتى ربما تأذى بذلك اهل ناديه الفضيل ، فيداويهم بكل دواء جميل ، فلما توفي سيدي الفلاح قال سيدي الغزواني بعد انتقال السر اليه لو مت في حياة اخي سيدي عبد الكريم كنت

كاذباً فيما فهمت عنه من الدعاوي ، وكان من تواضعه وتلاشيه وتألفه بالروح المحمدية يمر بالفقراء الجم الغفير المرتاض ، حتى يقف بهم على قبر القاضي عياض ، وينوه بقدره ، ويأمرهم بالدعاء عند قبره ، وقد كان ذلك الوقت مكان القبر غير مشهور لقلة عمارة البلد حتى احياها الله بالشرفاء الأسياد على يد سيدي الفلاح ، حسبما اشتهر ذلك في جميع الأقطار والبطاح ، ومما يلائم تلاشيه في مكانته العظمى ، مصاحبة ذلك الوصف الأسما في الممات والمحيا ، اذ حرمتهما في الغيبة كحرمتهما في الحضور ، بل ظهور الانصاف بعد الوفاة ، اقوى واعظم من ظهوره في الحياة ، لأن الحياة قد تعلل على لسان المنكر واعاذنا من معرفته وملاقاته بتالف القلوب بخلاف الممات ، فلا يلتفت لما بعدها الا السادات ارباب الدرايات ، فكان من انصاف هذا الشيخ ان لوقدر انفراده بالدفن في بقعة اخرى ، ويبنون عليه تلك القبة الغرا ، يؤدي ذلك الى الالتفات عن صاحبه وذلك مخالف لشيمته الكبرى ، اذ كان كثيراً ما يعظمه في حياته ، فكيف يعرض باهانته بعد وفاته ، فلذلك والله اعلم امر اصحابه بدفنه في اكتافه ، استيفاء لحقه من شرف انصافه ، فلما ظلل عليه بلوائه الأغر ، اجتهد سيدي عبد الله الكوش في تشييد مقامه الأنور ، واما الموضع المذكور فقد كان قبل ذلك فارغاً من بهائه وهذا كله تقريب للأفهام ، واما البصيرة التي دفن هناك بها فهي من وراء العقول والأوهام ، ومما يحتمل ان الشيخ لما تألفت روحه بروح المصطفى ، علق بها كل مَن صفا ، حتى صاحب كتاب الشفا ، فطلب منه المرافقة في الطريق ، فوفى له بالعهد الوثيق ، للجلالة والتصديق ، وبالله تعالى التوفيق ، واحتج اهلُ الباطن على تفضيل الشيخ الفلاح على القاضي عياض بوصف القضا ، وروي ان الحكم وصف غير مرتضى ، وانه ليس من اوصاف العدل والرضا ، وقد قال صلى الله عليه وسلم قاضيان في النار وقاضٍ في الجنة ، وان مَن تعرض للقضاء فقد ذبح نفسه بغير سكين ، الى غير ذلك من الأحاديث المروية في ذلك ، واين هو من العارفين الخارجين عن العالم والحواس ، الشاهدين له في جميع الأزمان من الأنفاس ، الذين الذين الذين الى غير قياس ، ولاكن يجاب عند هذا الايراد ، لما علم من شأن القاضي

رضي الله عنه في الأسياد ، انه كان معدوداً في الزهـاد ، اهل الورع والجد والاجتهاد ، ولا يمنع تعرضه للقضـا ، وبلوغه لمقام القرب والرضـا ، وان تعرضه للاحكام قد يكون فرض عين في حقه من وجوه او روايـة من رسول الله صلى الله عليه وسلم تقضي عليه بذلك ، كما يتحمل غير ذلك لايقـاً بمنصبه الكريم في جميع المسائل ، ولاكن مجرد الكرامات في التعليل ، لاتدل على التفضيـل ، الا اذا كانت بحسب التبعيـة والتكميـل ، لما هـو مستقـل بنفسه لا يحتاج الى دليل ، فتذكر على جهة التذييل ، والله على ما نقول وكيل ، لأنهم ربما يجدون الكرامات في البدايات ، وتفقد في النهايات ، ويكثر مَـن يشتري المرجان ، ويقل ان يتفق ولا يجتمع على شراء الياقوت اثنان ، كما قاله ائمة الشأن ، فوجب الاستماعُ لما قاله ارباب البصائر النافذة ، اهل الحكمة والفائـدة ، والهمـة والمائـدة ، والمعرفة الزائدة ، سئل سيدي ابو عمرو القسطالي عن الأفضل من هذين السيديْن ، فقـال وعـزة مولانا ما بينهما الا ما بين السماء والأرض ، وربما قال مرة اخرى لا يبلغ عياض كعبة الفلاح ، وما عظُم القاضي الا بسيدي الفلاح ، ولكن ميعادنا يوم تبرز العرائس ، هنالك يظهر الدسائس ، حدثني سيدي محمد بن سيدي محمد المراكشي انه حدثه السيد الفاضل سيدي علي بن موسى الكنسوسي ان رجلا من اولياء الله يسمَّى سيدي يعزي وكـان يكاشف بأوليـاء الله تعـرف الأرض ويعرف القوي من الضعيف وكان كذلك يكاشف بقرب الماء وبعده في الأرض ومسكنه ، واشتهر بها شهرة لا تخفى ، قال فأول ما جاء الى مراكش أحدق به الفقراء يلتمسون بركته والدعاء منه ، فطلبنا منه الاسعاف والزيارة فأجابنا ، فقلنا اليوم يتبين لنا من هو المحق في دعـواه ، ومن هـو على بصيرة في فتواه ، امـا اهـل الظاهر واما اهـل الباطن ، قال فدخلنا معه لروضة سيدي الفـلاح ولم نعلمه بأحدهما ، فقلنا له اي الرجلين اقوى من صاحبيْ هذين القبرين ؟ فقال نور صاحب هذا القبر اقوى واشرق انـواراً واضواء ، ودلنا على قبـر الشيخ ، فقلنا الحمد لله على صدق اهـل البصيرة والصلاح ، قال قلنا لعله صادق ، وجئنا معه الى روضـة هناك دفن فيها علجان وهي مبهجة غايـة ، فقلنا انظر اي هذين السيدين اقوى ؟ فقال ليس هنا سيد ولا سيدة ، ولم ار هنا سوى

جنازتي كلبين (276) فقام لهم دلائل في موضع واحد على تصديفه، واستدلوا بذلك على تحقيقه في طريقه ، والحمد لله على كماله وتوفيقه ، وكل فريق فرح بما عنده وكل سيد مدحه حزبه ، ومن التمليح المليح ، ما لبعض الأبناء في القاضي من المديح ، فقال واعلن في التصريح :

ظلموا عياضاً وهو يحلم عنهم والظلم بين العالمين قديم
جعلوا مكان الراء عيناً مهملا كي يكتموه وشأنه معلوم
لولاه ما فاحت اباطح سبتة والروض حول فنائها معدوم

ولنا من هذا القبيل ، شيء يشبه هذا المدح الجميل ، محتوياً على انواع من البديع ومن التعليل والتسهيل ، والاشارة والتمثيل ، قال عبيد الكامل الفضيل :

عياض رياض والفلاح فلاح ولا رياض لم يغرسنه فلاح
فكل رياض يوماً لناظر فانه للفلاح ملك يناصاح
وما لقب الفلاح الا بروضه بتحصيل مندوب وحال يباح
فيصلح بالفلاح روضة حوله وقرب فلاح للرياض نجاح
فيبدو من اوصاف الرياض لداخل ثمار وزهر مستنير فياح
فيبدو ثناء للرياض لزهره وان ذكر الفلاح ثم الفلاح
وما جمع المولى الفلاح وروضه الى ان قضى ان العقود صحاح

انتهى كلام الحلفاوي رضي الله عنه ، ذكر في حق سيدي عبد الكريم الفلاح رضي الله عنه انه ادرك مقام الغوثية .

واعلم ان ممن عرف بأبي الفضل شراح كتابه، ومن اجلهم الشهاب الخفاجي قال : اعلم ان كتاب (الشفا ، بتعريف حقوق المصطفى) قدره جليل ، وهو على جلالة مصنفه ادل دليل ، فانه كما في (مطمح الأنفس) ، من اجل أعيان الأندلس ،

---

276) هذه الأسطورة سبق للمؤلف ان اوردها في ترجمة مولاي علي الشريف العلوي ، انظر ص 224 من هذا الجزء .

جاء بها على قدر الخ ما نقلناه عن (قلائد العقيان) الى قوله من كل حدب ، فقال الشهاب بعده : وقد وفي ببيان بعض ما يحب من ءاياته ، ونشر على كاهل الدهر ألوية الثناء بين يدي صفاته ، مما يصح ان يكتب بالنور ، في صحائف وجنات الحور ، وينقش بقلم العقل معانيه ، ويخط على ألواح الأذهان لأطفال الأرواح مبانيه :

صحف اترعت بشهد حلا في كل ذوق لذاك كان شفاء

ولعمري لقد نثر الدر فيه من فيه ، وبلغت امانيه ماكانت تنويه من التنويه :

ولو أن ميت الرمس نودي باسمه لأصبح حياً بعد ما ضمّه القبر

قال وقرأت في ديوان ابن المقري اليمني الشافعي رحمه الله ان كتاب (الشفا) مما شاهدوا بركته حتى لا يقع ضرر بمكان كان فيه ، ولا تغرق سفينة كان فيها ، وانه اذا قرأه مريض او قرىء عليه شفاه ، وكان ابتلي بمرض فقرأه فشفاه الله ، قال ورأيت في ذلك الكتاب :

ليس الكتاب هواي لكن الهوى امسى بمَن امسى به مكتوبا
كالدار يهذي العاشقون بذكرها شغفاً بها لشمولها المحبوبا
ارجو الشفاء تفاؤلا باسم الشفا فحوى الشفاء وادرك المطلوبا
وبقدر حسن الظن ينتفع الفتى لا سيما ظن يصح مجيبا

قال الشهاب وانا ممن جرب بركته وشاهدها ولله الحمد ، واني لأرجو فوق ذلك مظهرا .

قال الشيخ العدوي رحمه الله تعالى في (الدر الفياض) ما نصه : والفقير يقول : قد وقع لي سنة ثمان وستين بعد المئتين والألف كرب شديد كان يدهش العقل مني ، فلا اكاد انطق بالضروري فضلا عن فهم العلوم ، فصادفني عند زيارة القطب الدردير الأستاذ الأوحد ولي الله المجذوب سيدي العلامة

الشيخ محمد السباعي ، فبادرني بقوله يافلان اقرأ كتاب الشفا لاخوانك بالأزهر بقصد فك الكرب عن المومنين ، فوقع في صدري ان بذلك يكون حصول الفرج لي ، فامتثلت امر الشيخ ، وبادرت بالقراءة فيه للاخوان درساً بين المغرب والعشاء وانا في شدة الكرب ، وبعد قراءة دروس قليلة حصل لي اللطف الكبير ببركته ، واتمه الله على احسن حال مع الاخوان ، والآن ارجو من الله بتلك الخدمة هذه المرة تمام المقصود من سعة الفضل والجود ، انتهى .

قال جامعه عباس ، ابن ابراهيم وقاه الله من كل باس : وانا العبد الفقير وقع لي نحو ذلك ، وذلك اني وقع لكتفي الأيسر عام عشرين وثلاثمئة والف بعض انخلاع ، بحيث صرت اذا رفعت يدي الى بعض الجهات يحصل فيها صداع ، ولا اتمكن من ذلك ويحصل لي صداع من تحريكها حتى في الصلاة الله اعلم بسبب ذلك الانخلاع ، ثم عالجه اطباء مقصودون لمداواة مثله فلم تنجح مداواتهم فيه شيئاً غير التعب ، ثم فوضت الأمر فيه الى الله ، وايست من مداواة الناس ، ثم شرعت في قراءة (الشفا) سرداً مع بعض الاخوان بجامع رياض العروس بين العشاءين ، فلم تمض ايام حتى انطلق كتفي كأن لم يكن به باس ، ولله الحمد والشكر اجمع ، والصلاة والسلام على نبيه الأكرم والأرفع ، وعلى ءاله واصحابه ذوي الجناب الأمنع .

ثم قال الشهاب : وله تبحر في العلوم النقلية والعقلية ، واما أدبه وبلاغة شعره فحدثْ عن البحر ولا حرج ، ثم قال : وانشد فيه علي بن هارون قوله : ظلموا عياضاً وهو يحلم عنهم ، والظلم الى ءاخر الأبيات الثلاثة المتقدمة .

واما ابن سلطان فقد اختصر في ترجمة ابي الفضل غاية الاختصار ، واشار الى علو مقامه بلا اكثار .

ومن مناقب مولانا ابي الفضل عياض انه يدعى اليه تلميذ تلميذه ابو العباس السبتي في قضاء الحوائج ليحكم عليه ، قال بلدينا العلامة في صفوته في ترجمة الامام سيدي عبد الرحمان التمنارتي صاحب الفهرسة المسماة (الفوائد الجمة ، باسناد علوم الأمة) ما نصه : ومن حكاياته

فيها يعنى في الفهرسة المذكورة ، قال حدثني الفقيه العدل عبد الرحمان ابن يعزة الرسموكي ، قال كنت قيماً على روضة الشيخ سيدي ابي العباس رضي الله عنه عن امر القاضي عيسى السجتاني ، فكانت امرأة تختلف اليه كل صباح نحو ستة اشهر تشكو اليه امرها ، فجاءته صبيحة بعد اياسها ، فأطالت عليه والحت الى ان قالت له كل مَن أتاك قضيت له حاجته الا انا ، وانا دعوتك للقاضي عياض ، فخرجت ، قال فعجبت منها ومن جرأتها ، ثم جاءت في الغد وسلمت عليه ، فقالت له جزاك الله خيراً قضيت حاجتي ، قال فتبعتها وسألتها عن امرها ، فقالت اغتصبت بعضُ علوج دار الامارة لي بنية ، فتعذر استخلاصها ، فكنت اطلبها من هذا الولي حتى ابطأ عني الغوث ، فدعوته للقاضي عياض ليحكم فيه ففعل ، فجاءتني البارحة بنيتي ادخلها عليْ مَن لا علم لي به ولا معرفة ، فجئت اجازيه واشكر له ما فعل معي .

قال سمعت من كبرائهم اذا ابطأه الغوث من ابي العباس السبتي دعوه للقاضي عياض فتيسر لهم بسرعة . وهذا من العجب ، انتهى ، وفوائده رحمه الله كثيرة .

وذكر في (الصفوة)قبيْل هذه عنه ما نصه : وكان يحدث عنه يعني عن يحيى بن عبد الله بن محمد الوقاد التلمساني المتقدم عن عبد الباقي عن احمد بن موسى قال قال لي ابي ليقدم احدكم بين يديْ حاجته عند طلبها من الله تعالى ما وجد من قليل او كثير ، ولا يستحقرْ شيئاً ، فاني اعييت في سياحتي مرة وتركني اصحابي فأويت الى خربة فجلست متوحشاً متحيراً ، فرأيت عنكبوتا في بيتها ، فأخذت ذبابة فناولتها اياها ، فقمت من ساعتي ولحقت بأصحابي .

ثم قلت :

في فضله اطنب المقْري مدحته   ازهاره نفحتْ بطيب معطار

الاعراب في فضله متعلق بأطنب ، وبطيب معطار متعلق بنفحت على حذف موصوف ومضاف ، اي بطيب مثل طيب معطار **اللغة** الفضل قال في (تاج العروس) وفي (المفردات) للراغب الفضل الزيادة على الاقتصاد ،

وذلك ضربان محمود كفضل العلم والحلم ، ومذموم كفضل الغضب على ما يجب ان يكون عليه ، والفضل في المحمود اكثر استعمالا ، والفضول المذموم ، انتهى ، والاطناب في الشيء المبالغة فيه كما في (المثل السائر) في معناه لغة ، وفسره باصطلاح البيانيين بأنه زيادة اللفظ على المعنى لفائدة ، والمَقْري بفتح الميم وسكون القاف لا غير هنا وان كانت فيه لغة اخرى بالتشديد ، والمدحة بالكسر الثناء الحسن ، وازهار المقْري اسم كتاب له في مناقب القاضي عياض ، ونفحت اي فاحت ، والمعطار العطار وهو بائع العطر المعنى ان احمد المقْري بالغ في الثناء على القاضي عياض رضي الله عنهما في كتابه المسمى (أزهار الرياض) وفاحت ازهار ذلك الكتاب بعرف الثناء عليه مثل ما يفوح طيبُ العطار ، ولنوردْ لك روضة من تلك الرياض لتفوح عليك اعطارها ، بعد ان تتفتح لديك أنوارها ، **فنقول :**

قال احمد المقْري : **روضة الاقحوان ، في ذكر حاله في المنشأ والعنفوان** ، اقول ومن الله استمد التأييد والعون ، والوقاية والصون : عقدنا هذه الترجمة الثانية لبيان حاله ، في حله وترحاله ، فاعلم ارشدنا الله واياك الى طريق الرضوان ، وجنب جميعنا مسالكَ الذل والهوان ، ان حال هذا الامام لا تفي بها عبارتي القاصرة ، ولا تحيط اشارتي بمَن عقد الفضلُ عليه خناصره ، وما اجد لبعض ذالك مثالا الا عند الرئيس القاضي الكاتب ابي يحيى ابن عاصم عندما عرف بأبيه فقال ما نصه ، مولاي الوالد ، يكنَى ابا بكر ، ان بسطت القول ، وعددت الطول ، واحكمت الأوصاف ، وتوخيت الانصاف ، انفدت الطروس ، وكنت كما يقول الناس في المثل من مدح العروس ، وان اضربت عن ذلك صحفاً ، وءاثرت غضاً من البنوة وسفحاً ، فبئسما صنعت ، ولشد ما امسكت المعروف ومنعت ، ولكم من حقوق الأبوة اضعت ، ومن ثدي للمعقة رضعت ، ومن شيطان لغمصة الحق اطعت ، ولم ارد الا الاصلاح ما استطعت ، وان توسطت واقتصرت ، واوجزت واختصرت ، فلا الحق نصرت ، ولا افنان البلاغة هصرت ، ولا سبيل الرشد ابصرت ، ولا عن هوى الحسدة اقصرت ، هذا ولو أني اجهدت ألسنة البلاغة

فجهدت ، وايقظت عيون الاجادة فسهدت ، واستعرت مواقف عكاظ على ما عهدت ، لما قررت من الفضل الا ما به الاعداء شهدت ، ولا استقصيت من المجد الا ما اوصت به الفئة الشانئة لخلفها الأبتر وعهدت ، فقد كان رحمه الله علم الكمال ورجل الحقيقة وقاراً لايخف راسيه ، ولا يعرى كاسيه ، وسكوناً لا يطرق جانبه ، ولا يرهب غالبه ، وحلماً لاتزل حصاته ، ولا تهمل وصاته ، وانقباضاً لا يتعدى رسمه ، ولا يتجاوز حكمه ، ونزاهة لا ترخص قيمتها ، ولا تلين عزيمتها ، وديانة لا تحسر اذيالها ، ولايشف سربالها ، وادراكاً لا يفل نصله ، ولا يدرك خصله ، وذهناً لا يخبو نوره ، ولا ينبو مطروره ، وفهماً لا يخفى فلقه ، ولا يلحق طلقه ، وصدقاً لا يخلف موعده ، ولا يأسن مورده ، وحفظاً لا يسبر غوره ، ولا يذبل نوره ، بل لا يطرق بحره ، ولا يعطل فخره ، وتحصيلا لا يفلت قنيصه ، ولا يسأم حريصه ، بل لا يحل عقاله ، ولا يصدأ صقاله ، وطلباً لا تتحد فنونه ، ولا تتعين عيونه ، بل لا تحصر معارفه ، ولا تقصر مصارفه .

انتهى المقصود منه وبعض كلامه أدرت لا كله ، اذ هو اللائق بوصف القاضي ابي الفضل عياض ، امام الملة .

قال الملاحي رحمه الله : كان القاضي عياض رحمه الله بحر علم ، وهضبة دين وحلم ، احكم قراءة كتاب الله بالسبع ، وبلغ من معرفته الطول والعرض ، وبرز في علم الحديث ، وحمل راية الرأي ، وراس في الأصول وحفظ اسماء الرجال ، وثقب في علم النحو ، وقيد اللغة واشرف على مذاهب الفقهاء ، وانحاء العلماء ، واغراض الأدباء .

انتهى كلام الملاحي .

وقال ابنه القاضي محمد بن عياض رحمه الله : نشأ ابي على عفة وصيانة ، مرضي الحال ، محمود الأقوال والأفعال ، موصوفاً بالنبل والفهم والحذق ، طالباً للعلم ، حريصاً عليه مجتهدا فيه ، معظماً عند الأشياخ من اهل العلم ، كثير المجالسة لهم والاختلاف اليهم ، الى ان برع اهل زمانه ،

وساد جملة اقرانـه ، فكان من حفاظ كتاب الله ، مع القراءة الحسنـة والنغمة العذبة والصوت الجهير ، والحظ الوافر من تفسيره وجميع علومه ، وكان من ائمـة الحديث في وقتـه ، اصولياً متكلمـاً فقيهـاً حافظـاً للمسائل عاقـداً للشروط بصيراً بالأحكام ، نحويـاً ، ريان من الأدب ، شاعراً مجيداً ، كاتبـاً بليغاً ، حافظا للغة والأخبار والتواريخ ، حسن المجلس ، نبيل النادرة حلـو الدعابة ، صبوراً حليمـاً ، جميل العشرة ، جواداً سمحـاً ، كثير الصدقـة ، دءوبـاً على العمل ، صليبـاً في الحق ، وبلغ في التفنن في العلوم ما هو مشهور ، وفي العالم معلوم .

قال ابنه وابن خاتمة في (مزية المرية) : واخذ عن اشياخ بلده سبتة كالقاضي محمد ابـن عيسى والخطيب ابى القاسم والفقيه ابي اسحاق ابـن الفاسي وغيرهم ، ثم رحل الى الأندلس ، وكان خروجه من سبتة يوم الثلاثاء منتصف جمادى الأولى سنة سبع وخمسمئة ، فوصل الى قرطبة يوم الثلاثاء مستهل جمادى الأخيرة بعدها ، فأخذ بها عن ابن عتاب وابن حمدين وابن الحاج وابن رشد وابى الحسين ابن سراج وابي الحسن ابن مغيث وابي القاسم ابن النحاس وابي بحر الأسدي وأبي القاسم ابن بقي وهشام بن احمد ابن العواد وغيرهم من اعلام قرطبة ، ثم خرج منها الى مرسية يوم الاثنين لخمس بقين من المحرم سنة ثمان من التاريخ ، فوصل مرسية يوم الثلاثاء الثالث من صفر بعده .

كذا قال ولده وهو اعرف .

وقال ابن خاتمة في (مزية المرية) انـه وصل مرسية في غـرة صفـر فوجـد الحافـظ ابـا علـي الصدفـي مختفيـاً ، قـال ابـن خاتمـة وكان اختفى قبل ذلك بأيام لنبذه خطة القضاء من غير أن يعفى ، ووجد الرحالين اليه قد نفدت نفقات بعضهم ، ومنهم من ابتدأ كتاباً لم يتمه ، فأخذ اكثرهم في الرجوع الى مواطنهم ، وتربص بعضهم ، فمكث هو بقية صفر وشهر ربيع الأول لا يقع له على خبر سوى الظن بكونه هنالك ، وقابل اثناء ذلك بأصوله وكتب منها ما امكن على يد خاصة من اهله ، ولا يشك أن تصرفه في ذلك لم

يكن الا بأمره ، الى ان وصل كتاب قاضي الجماعة ابي محمد ابـن منظـور بحل القاضي ابي علي عن القضاء .

قـال ابنـه ووصل كتابـه ايضـاً الى ابـي معلمـاً لـه بذلك ، اذ كـان يكرم عليه وعلم برحلته اليه ، فخرج ابـو علـي مـن اختفـائـه وجلس للتسميع ، فسمع عليه كثيراً ولازمه ، وكان له اختصاص ، فحصل له مسموع كثير في أمد يسير .

قال ابن خاتمة : سمع عليه الصحيحين والمؤتلف والمختلف ومشتبه النسبة لعبد الغني والشهاب للقضاعي وغير ذلك ، وكتب عنه فوائد كثيرة ، وعارض بأصوله واجاز له جميع مروياته .

قال ابنه رحمه الله : حكى ابي ابو الفضل رحمه الله ان القاضي ابا علي الصدفي رحمـه الله قال لـه لولا ان الله يسر خروجي بلطفـه لكنت عزمت ان اشعرك بموضع يقع عليه الاختيار من بلد الأندلس لا يؤبه لكوني فيه ، فتدخل اليه واخرج مختفياً بأصولي ، فتجد ما ترغب ، لما كان في نفسي من تعطيل رحلتك واخفاق رغبتك .

ولقي في رحلته هذه جماعة من اعلام الأندلس ، واجازه ابو عـلي الجياني وشريح وابن شبرين وغيرهم من اعلام غرب الأدلس ، واجازه ايضاً ابو جعفر ابن بشتغير وابو الأدقر وابو زيد ابن منتال وغيرهم من اعلام شرق الأندلس .

قال ابن خاتمة : وفي رحلته هذه دخل المرية وبها لقيه القاضي ابو جعفر ابن مضا ، قال ابنه ووصل بلده بعـد هذه الرحلة ليلة السبت سابع جمادى الآخرة سنة ثمان وخمسمئة ، وأجلسـه أهل بلده للمناظرة عليـه في المدونة وهو ابن اثنتين وثلاثين عاماً . وبعد ذلك بيسير اجلس للشـورى ، ثم ولي القضاء عام خمسة عشر وخمسمئة لثلاث بقين من صفر ، فسار فيها احسن سيرة ، محمود الطريقة مشكور الحالة ، إقام جميع الحدود على ضروبها

واختلاف انواعها ، وبنى الزيادة الغربية في جامع سبتة التي كمل بها جماله ، وبنى في جبل المينا الرابطةَ المشهورة ، الى غير ذلك من الآثار المحمودة والمساعي المرضية ، فعظم جاهُه وبعد صيتُه ، ثم نقل الى غرناطة ، ووصل اليه الكتابُ بذلك في اول يوم من صفر عام احد وثلاثين وخمسمئة ، فنهض اليها وتقلد خطة قضائها على المعتاد من شيمته السنية ، واخلاقه المرضية ، مشكوراً عند جميع الناس ، لكن تاشفين ضاق به ذرعه وغص بمراقبته وصد اصحابه عن الباطل ، وخَدَمَتِه عن الظلم وتشريدهم عن الأعمال ، فسعى في صرفه عن قضاء غرناطة ، فصرف بعد انفصاله عنها زائراً اهلَه ، وترك ابن اخيه الزاهد ابا عبد الله رحمه الله على الأحكام وذلك في رمضان المعظم عام اثنين وثلاثين وخمسمئة .

ثم ولي قضاء سبتة ثانية ، في آخر عام تسعة وثلاثين وخمسمئة ، قدمه ابراهيم بن تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين ، فابتهج اهلُ بلده بذلك وسار فيهم السيرة التي عهدوا منه ، ثم بادر بالمسابقة الى الدخول في نظام الموحدين ، والاعتصام بحبلهم المتين ، فأقره اميرُ المومنين ادام الله امره على ما كان عليه ، وصرف امور بلده اليه ، وخاطبه بالتنويه ، وحظِيَ عنده ، وشكر بداره وسبقه ، ثم رحل اليه فاجتمع به بمدينة سلا عند توجُّهه الى محاصرة مراكش ، فأوسع له واجزل صلتَه ، ولقي منه براً تاماً ، واكراماً عاماً ، وانصرف على احسن حال الى ان ثارت الفتنة .

انتهى كلام ولده ، وسنذكر بقيته في محله ان شاء الله .

وقال الشيخ العلامة عبد الرحمان الغرناطي المعروف بابن القصير رحمه الله : لما ورد علينا القاضي عياض غرناطة خرج الناس للقائه وبرزوا تبريزاً ما رايت لأمير مؤمر مثله ، وحزرت اعيان البلد الذين خرجوا اليه ركاباً نيفاً على مئتي راكب ، ومن سواد العامة ما لا يحصى كثرة ، وخرجت مع ابي رحمه الله تعالى في جملة مَن خرج ، فلقينا شخصاً بادي السيادة ، منبئاً عن اكتساب المعالي والافادة ، قال : وكان وروده يومَ الخميس لخمس بقين من ربيع الآخر سنة ثلاثين وخمسمئة ، انتهى .

وانظر قوله سنة ثلاثين مع ما تقدم لولده من ان ولايته قضاء غرناطة سنة احدى وثلاثين ، فلا ادري ايهما اصوب ، الا ان يقال ان احدهما تحريف من الناسخ والله اعلم .

ثم اني رايت في (الاحاطة) انه تولى قضاء غرناطة عام احد وثلاثين فتبين أن ذلك هو الصواب ، ورأيت مثله في غير موضع ، فبان انه لا تحريف فيه ، وبقي النظر في الآخر المنقول عن عبد الرحمان ابن القصير ، وقد نقله ابن جابر الوادي اشي عن عبد الرحمـان المذكور كما حكيته سنة ثلاثين فالله اعلم .

ثم قال عبد الرحمان المذكور : ولما استقر عندنا كان مثل التمرة كلما ليكت زادت حلاوة ، ولفظه عذب في كل ما صرف من الكلام ، للنفس اليه تتوق ، وله طلاوة ، وكان براً بلسانه ، جواداً ببنانه ، كثير التخشع في صلاته ، مواصلا لصلاته ، وقد بينا من سيره جملا في الكتاب الذي جمعنا فيه مناقب مَن أدركنا من اعيان عصرنا ونبهائه ، وذكرنا له ما يفاخر برونقه وبهائه ، وكان مع براعته في علوم الشريعة خطيباً في تحبيره للخطب وفي لفظه ، ظاهر الخشوع عند التلاوة في لحظه ، سريع العبرة ، مديماً للتفكر والعبرة ، كاتباً اذا نثر ، ناظماً اذا شعر ، انتهى . نقله ابن جابر وغير واحد كابن رشيد .

وقال في اوله ما نصه : قال ابو القاسم عبد الرحمان بن احمد الأزدي ولي عندنا ببلدنا غرناطة حرسها الله تعالى الفقيه الأجل ، الحافظ الأحفل ، القاضي الأكرم الأفضل ، الامام الخطيب المصقع ، الأديب الأبرع ، ابو الفضل عياض ، انتهى (277) .

ثم قال المقرّي بعد نحو ورقتين من القالب الكبير ما نصه : وكان القاضي ابو الفضل رحمه الله كثير الاعتناء بالتقييد والتحصيل ، قال ابـــن خاتمة كان لا يبلغ شأوه ولا يدرك مداه في العناية بصناعة الحديث وتقييــد

---

277) **ازهار الرياض** 3 : 5 — 12

الآثار وخدمة العلم ، مع حسن التفنن فيه والتصرف الكامل في فهم معانيه ، الى اضطلاعه بالآداب ، وتحققه بالنظم والنثر ، ومهارته في الفقه ، ومشاركته في اللغة العربية .

وبالجملة فكان جمال العصر وفخر الأفق وينبوع المعرفة ومعـــدن الافادة ، واذا عد رجال المغرب فضلا عن الأندلس حسب فيهم صدراً ، انتهى وانما يعرف الفضل لأهل الفضل اهل الفضل ، وكان رحمه الله معظماً للسنة عالماً عاملا خاشعاً قانتاً قواماً للحق لا يخاف في الله لومة لائم ، وكان رحمه الله معتنياً بضبط الألفاظ النبوية على اختلاف طرقها ، وكتابه (المشارق) ازكى شاهد على ذلك ، ولقد كان بعض مَن لقيتُه من صلحاء عصرنا وعلمائـــه يقول لا احتاج في كتب الحديث الا للمشارق ، فاذا كان عندي لا أبالي بمـــا فقدتُ منها ، او كلاماً هذا معناه (278) .

ثم قال المقْري بعد تسعة اسْطر ما نصه :

ولقد وتفت في بعضْ التعاليق لأحد المتاخرين على كلام في صناعة التأليف رايت ان جلبه جميعه لما فيه من ذكر بلاغة القاضي عياض رحمه الله ، ونصه :

وقد كان للقدماء رضي الله عنهم في تدريس المدونة اصطلاحـــان ، اصطلاح عراقي ، واصطلاح قروي ، فأهل العراق جعلوا في مصطلحهـــم مسائل المدونة كالأساس ، وبنوا عليها فصول المذهب بالأدلة والقياس ، ولم يعوجوا على الكتاب بتصحيح الروايات ومناقشة الألفاظ ، ودأبهم القصد الى افراد المسائل ، وتحرير الدلائل ، على رسم الجدليين ، واهل النظر من الأصوليين، واما الاصطلاح القروي فهو البحث عن ألفاظ الكتاب ، وتحقيق ما احتـــوت عليه بواطن الأبواب ، وتصحيح الروايات ، وبيان وجوه الاحتمالات ، والتنبيه على ما في الكلام من اضطراب الجواب واختلاف المقالات ، مع ما انضاف الى ذلك من تتبع سياق الآثار وترتيب اساليب الأخبار ، وضبط الحروف على حسب ما وقع في السماع ، وافق ذلك عوامل الاعراب او خالفها ، فهذه كانت سيـــرة

278) ازهار الرياض 3 : 20

القوم رضوان الله عليهم ، الى ان عمّ التكاسل ، وصار رسم العلم كالماحل . ويحقق ما قلناه تصرف التونسي في تعاليقه اللطيفة المنزع ، واللخمي في في تبصرته البارعة الختام والمطلع ، الى غير ذلك من تآليف القرويين ، وتعاليق المحققين ، من شيوخ الافريقيين .

وقد سلك القاضي عياض في تنبيهاته مسلكاً جمع فيه الطريقتين والمذهبين ، وذلك لقوة عارضته نفعه الله بذلك واعاد علينا من بركاته ، انتهى (279) .

وقال في هذا التعليق في موضع آخر ما نصه : واغلب تآليفه المشارقة الايجاز لتمكن ملكتهم من التصرف ، مثل كتاب ابن الحاجب في فروعه وفي اصوله ، والخونجي في المنطق ، وغيرهما ، وان كان الغالب على جل ائمة المشارقة الاطناب مثل الغزالي والامام الفخر وغيرهما ، واما اهل الأندلس فالغالب عليهم فيهقة البلاغة في حسن رصف الكلام وانتقائه ، مثل عبارة القاضي عياض في تآليفه التي لا تسمح القرائح بالاتيان بمثلها والنسج على منوالها .

وانتهت صناعة التاليف في علماء المغرب على صناعة اهل المشرق لشيخ شيوخ العلماء في وقته ابن البناء الأزدي المراكشي في جميع تصانيفه ، اوجب ذلك براءة نسبه من البداوة وملكته في التصرف التي هي نتيجة تحصيله ، ولم يظهر من علماء فاس شيء من التآليف المرتجلة ولا الملخصة الا ما كان سبيله النسج بها على ما هي عليه فقط كما في تاليف المدونة المنسوبة للشيخ ابي الحسن وهي التي اعتنى بها طلبته وبنوها على ما قيدوا عنه من فوائد المجلس وذلك في العشرة الرابعة من المئة الثامنة ، ثم تلاهم طلبة الشيخ الجزولي على الرسالة ، وتعددت تلك التقاييد ايضاً ، ونسبت للشيخ ، وانما له فيها ما قيد عنه في المجلس ، واختلف نظر الشيخين بحسب تعدد السلكات ، فقيد كل طالب ما سمع ، فلا يقال في هذه تآليف ، لكونها منسوخة من اماكن معزوة ، والعلة في ذلك كون صناعة التعليم وملكة التلقي لم تبلغ فاسا ، كما هي بتونس ، انتهى (280)

---

279) ازهار الرياض 3 : 21

280) ازهار الرياض 3 : 23

وانشد في اوائل ازهار الرياض في حق القاضي عياض :

فهو الامام الذي سارت مئاثره في الشرق والغرب سير الشمس والقمر
وكم له من تآليف قد اشتهرت بكل قطر ، فسل تنبئك عن خبر (281)

وانشد ايضاً في مدح كتابه المذكور :

سرح جفونك في الحـــــدا ئق واجْنِ ازهارَ الريـــاض
من ورد احمر او شقـــا ئـــق او بهـــار ذي بيـــاض
واشرب بكاسات الـرقـــا ئق من عيون او حيــــاض
وانظر مناقب ذي الحقـــا ئق عالم الدنيا عيـاض (282)

وانشد ايضاً :

سلام مثل عرف المسك طيبـاً وحسناً مثل ازهار الريـــاض
على لفظ الجلالة والمعالـــي امام الدين والدنيا عيـــاض
اذا ما قيس بالعلماء طـــراً غدا بحراً واضحوا كالحياض(283)

وقال في روضة الورد ، في اولية هذا الامام الفرد ، بعد ان اورد نسبه هكذا وهو الذي تقدم عن الديباج : عياض بن موسى بن عياض بن عمرون بن موسى بن عياض بن محمد بن عبد الله بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي ما نصه : ورايت في تاريخ الشمس ابن خلكان المسمى ب(وفيات الأعيان) في تعداد ءاباء القاضي عياض خلافَ ما سبق ، ولا ادري هل ذلك تحريف من الناسخ او وهم من المؤلف ونصه : عياض بن موسى بن عياض بن موسى بن عياض بن محمد بن موسى بن عياض اليحصبي ، انتهى ، فأنت تراه قد اسقط عمرون فيما بين عياض وموسى ، واسقط ايضاً عبد الله فيما بين محمد وموسى.

---

281) ازهار الرياض 1 : 12
282) ازهار الرياض 1 : 18
283) ازهار الرياض 1 : 18

ثم قال : على ان ابن خلكان وغيره من المشارقة ربما يقع لهم الغلط في تاريخ اهل المغرب لبعد الديار ولغير ذلك ممن لا يخفى على من مارس علم التاريخ ، كما ان كثيراً من المغاربة لا يحررون تاريخ المشارقة لما ذكرناه .

ثم قال : وبالجملة فما ذكرنا اولا في تعداد آباء القاضي عياض رحمه الله هو الذي عليه المعول ، وعليه اعتماد ولده وابن الملجوم وابـن بشكوال وابن جابر وابن الخطيب في (الاحاطة) وغير واحد ، وكفى بهؤلاء حجـــة ، وناهيك بولده وابن الملجوم الذي اخذ ذلك من لفظه حسبما سبق ءانفاً ، وهو الصواب الذي لا يعدل عنه ، والله تعالى اعلم ، انتهى (284) .

وانشد عن عبد الله ابن حكيم في حق اجداد القاضي عياض :

وكانت لهم بالقيروان مناثـــر ... عليها لمحض الحق اوضح برهان

وانشد عن ابن الخطيب :

حييت يامختط سبت بن نـــوح ... بكل مزن يغتدي او يـــــروح
مغنى ابي الفضل عياض الذي ... اضحت برياه رياضاً تفـــوح

وقال في الروضة الثانية ايضاً : ومن دعابة القاضي عياض ما حكاه ولده قال : بعض اصحابنا صنعت ابياتاً تغزلت فيها والتفتت الى ابيك رضي الله عنه ، ثم اجتمع بي فاستنشدني اياها فوجمت فعزم علي فانشدته :

ايا مكثـــراً صدى ولم ءات جفـــوة ... وما انا عن فعل الجفاء براض
سأشكو الذي توليه من سوء عشرة ... الى حكم الدنيا واعدل قـــاض
ولا حكم بيني وبينك ارتضـــي ... قضاياه في الدنيا سوى ابن عياض!

قال فلما فرغت حسَّن وقال متى عرفتني قوادا يافلان على طريـــق الدعابة رحمه الله ورضي عنه وارضاه ، انتهى نقل المقري (285) .

---

284) ازهار الرياض 1 : 23 — 27

285) ازهر الرياض 3 : 20

قلت قرات في (ريحان الألباب ، وريعان الشباب ، في مراتب الآداب) لمحمد بن ابراهيم المعاوي الاشبيلي في مرتبة الفصاحة والبلاغة قبيل القسم السادس ما نصه : ولما انشد ابو نواس الفضل بن يحيى قوله :

سأشكو الى الفضل بن يحيى بن خالد هواها لعل الفضل يجمع بيننا

قال الفضل ما زاد على ان جعلني قوادا .

وعيب على ابي الطيب قوله في مثله :

علَّ الأميرَ يرى ذلي فيشفع لـي الى التي صيرتْني في الهوى مثلا

ولعله اخذ قول الخليع

لعل فتى غسان يجمع بيننـا فتأمن نفسي منكم لوعةَ الصد

وقال الخالدي في سيف الدولة :

فغدا لنا من جـودك الماكول والمشروب والمنكوح والملبوس

فقال احسنت الا في قولك المنكوح ، فانها ليست مما يخاطب بـه الملوك .

وانكر على ابي الطيب قوله :

لو استطعت ركبت الناس كلهـم الى سعيد بن عبد الله بعرانـا

فهذا مع نزول لفظه فيه من سوء الأدب مع الممدوح ما فيه ، لأن اباه وامه من جملة الناس الذين كان يتركب .

وعيب على الأحوص قوله :

يقر بعيني ما يقر بعينهـا وافضل شيء ما به العين قرت

فقيل له انما يقر بعينها انها تنكح ، افيقرُّ ذلك بعينك انك تنكح ؟

قلنا اما على ما حكاه ابن قتيبة في (طبقات الشعراء) ان الأحوص كان يرمي بالأبنة والزنا فنعم يقر بعينه .

ومما عيب على الآخر قوله يتغزل :

احب مُحبها السودان حتـــى ... احب محبها ســـودَ الكــلاب

ومما عيب على نصيب قوله يتغزل :

اهيم بدعد ما حييت فان امت ... اكلفْ بدعد مَن يهيم بها بعـدي

وهذا منه فضول ، وسقوط همة ونزول ، اين هذا من قول ابي فراس :

اذا مت ظمآناً فلا نزل القطر

وقد تعقب على نصيب هذا وقيل كان يجب ان تقول : فلا صلحت دعد لذي خلة بعدي (286)

وانشد في الروضة الثالثة عن موسى الرعيني شيخ القاضي عياض :

الليالي تسوء ثم تســــــر ... وصروف الزمان ما تستقـــر
بينما المرء في حلاوة عـيـش ... اذ اتاه على الحلاة مـــر
فالكريمُ المصاب يفزع فيـــه ... لكريم وينفع الحر حــر (287)

وانشد عن القاضي عياض عن شيخه (يوسف بن موسى الكلبــي) الضرير صاحب منظومة الاعتقاد عن شيخه محمد بن الحسن المرادي

علمي بقبح المعاصي حين اركبها ... يقضي بأني محمول على القـــدر
لو كنت املك نفسي او اصرفهـــا ... ما كنت اطرحها في لجة العِذر
كلفت فعلا ولم اقدرْ عليه ولـــم ... اكن لأفعل افعالا بلا قـــــدر
وكان في عدل ربي ان يعذبني ... فلم اشاركْه في نفع ولا ضرر

---

286) ريحان الألباب ص 23 – 2 (مخطوط الخزانة الملكية – رقم 1406)
287) ازهار الرياض 3 : 159

ان شاء نعمني او شاء عذبني او شاء صورني في اقبح الصور
يارب عفوك عن ذنب قضيت به عدلا عليَّ ، فهب لي صفح معتذر (288)

وضبط ابن شِبْرين بشين معجمة مكسورة وباء موحدة ساكنة وراء مكسورة بعدها ياء ءاخر الحروف وءاخره نون (289) قاله في التعريف به في روضة البهار في ذكر جملة من شيوخه الذين فضلهم اجلا من شمس النهار ، وهي الروضة الثالثة من ازهار الرياض .

وقال في الروضة الرابعة روضة المنثور فيما له من منظوم ومنثور ومن ذلك قوله رحمه الله تعالى ورضي عنه وقد انشدناه غير واحد من اشياخنا بسندهم الى الامام الرحال أبي عبد الله ابن جابر الوادي آشي عن القاضي احمد ابن الغمار عن الخطيب ابي الربيع بن سالم ، قال انشدني القاضي محمد ابن مرزوق ، قال انشدنا القاضي ابو الفضل عياض في خامات زرع يتخللها نعمان هبت عليه الريح : انظر الخ ، قال وحسبك بهاذين البيتين دليلا على سبقه ، وشاهديْ عدل لمفضله بسبقه ، قال ايضاً : وقد اطبق الناس على استحسان هذين البيتين مع ما فيهما من التضمين على رأي حسبما نبه على ذلك بعض المتأخرين ممن شرح (الشفا) (290) .

وقال في الروضة الخامسة روضة النسرين ، في تآليفه العديمة النظير والقرين ، عن عمه العلامة سيدي سعيد المقْري ما نصه : ما في الملة المحمدية مثل كتاب (الشفا) للقاضي عياض ، و (حرز الأماني) للشيخ ابي القاسم الشاطبي رحم الله الجميع وفضائل هذا الكتاب لا تستوفي ، انتهى . وقال فيها ايضا ما نصه : قد وجدت بخط الشيخ البركة الحافظ الامام سيدي محمد ابن صعد التلمساني رحمه الله تعالى ما نصه : وتواليف ابي الفضل رحمه الله تعالى دالة على ما له عند الله تعالى من الكرامة والعناية ، فمَن تأمل انتفاع

---

288) ازهار الرياض 3 : 162

289) ازهار الرياض 3 : 155

290) ازهار الرياض 4 : 240

المسلمين به شرقاً وغرباً علم ان ذلك من اسرار القرب والولاية ، وكتاب (الشفا) هو وسط القلادة ، وبرنامج السعادة ، انتهى المقصود . ولله در الامام ابن عرفة اذ يقول في الرد على ابن تيمية في قوله لما رأى (الشفا) غلا هذا المغيربي:

شفاء عياض في كمال نبينا — كواصف عين الشمس ناظر قرصها
فلا غرو في تبليغه كنه وصفه — وفي عجزه عن وصفه كنه شخصها
وان شئت شبهْه بذكر امارة — فاصل لبرهان مبين لنقصها
وهذا لقول قيل عن زائغ غلا — عياض فتبن ذاته عن محيصها

وذكر ان كتاب (مشارق الأنوار ، على صحيح الآثار) في ستة اجزاء ضخمة ، وقال ايضاً ومن تواليفه رحمه الله تعالى كتاب (المستنبطة ، في شرح كلمات مشكلة وألفاظ مغلطة ، مما وقع في كتاب المدونة والمختلطة) عشرة اجزاء ، ولم يؤلف في فنه مثله ، وقد غلب على تسميته ببلاد افريقية (التنبيهات) ، انتهى ، وذكر ان (اكمال المعلم ، في شرح صحيح مسلم) هو في تسعة وعشرين جزءا كما في (الأزهار) وكتاب (ترتيب المدارك ، وتقريب المسالك ، لمعرفة اعلام مذهب مالك) هو في خمسة اسفار ، وكتاب (الالماع ، في ضبط الرواية وتقييد السماع) هو في سفر ، وكتاب (بغية الرائد ، لما تضمنه حديث ام زرع من الفوائد) في سفر ، وكتاب (الغنية) في شيوخه ، وقف عليه المَقَّري في تلمسان ولم يجده في فاس بعد البحث ، وذكر ان كتاب (نظم البرهان ، على صحة جزم الأذان) هو في جزء ، وفي كتاب (مسألة الأهل المشروط بينهم التزاور) هو في جزء ايضاً ، وكتب (المقاصد الحسان ، فيما يلزم الانسان) في سفرين ، وكتاب (الأجوبة المحبرة ، على الأسئلة المتخيرة) في جزء ، وكتاب (نوازل القضاء) في سفرين ، وكتاب (خطبه) في سفر اشتمل على خمسين خطبة من خطب الجمعات .

وقال ايضاً ما نصه : قال ابو زيد ابن القصير في كتابه الذي ألفه في مناقب مَن ادركه من اعيان عصره وقد ذكر ابا الفضل عياض فقال بعد كلام : ومن شعره عند صدوره من قرطبة بعد تقييده ما قيد بها من الروايات وطلب بها من العلم ما طلب وقد تنفس مودعوه بزفرات الفراق ، واراق كلُّ واحد منهم

من الدمع للبين ما راق ، اقول وقد جد الخ وقال الشيخ محمد ابن البرذعـي رحمه الله كان شيخنا الامام العلامة محمد ابن رشيد شديد البحث على تمـام هذه الأبيات السبعة المذكورة ، وقال لم اقف عليها ولا وجدت مَن ذكرها او كلاماً هو من هذا المعنى ، فاتفق ان وجدها صاحبنا ابو محمد البسيلي في الكتاب المعروف بـ (قلائد العقيان) ، انتهى (291)

وذكر بعد انشاد : يامَن تحمل الخ انه رواها الحافظ ابو الربيع ابن سالم عن محمد ابن مرزوق عن ناظمها رضي الله عنه .

انتهى المقصود من (ازهار الرياض ، في اخبار عياض ، وما يناسبها مما يحصل به ارتياح وارتياض) ، وعدة تراجم هذا الكتاب ثمانية ، الترجمة الأولى روضة الورد ، في اولية هذا العالم الفرد ، والثانية روضة الاقحوان ، في ذكر حاله في المنشأ والعنفوان ، والثالثة روضة البهار ، في ذكر جملة من شيوخه الذين فضلهم اجلا من شمس النهار ، الرابعة روضة المنثور ، في بعض ما له من منظوم ومنثور ، الخامسة روضة النسرين ، في تصانيفه العديمة النظير والقرين ، السادسة روضة الآس ، في وفاته وما قابله الدهر الذي ليس لجرحه من ءاس ، السابعة روضة الشقيق ، في جمل من فوائده ولمع من فرائده المنظومة نظمَ الدر والعقيق ، الثامنة روضة النيلوفر ، في ثناء الناس عليه وذكر بعض مناقبه التي هي اعطر من المسك الأذفر .

وقد وقفت من تآليفه رضي الله عنه على بعض (ترتيب المدارك ، وتقريب المسالك ، لمعرفة اصحاب مالك) وكتاب (بغية الرائد ، في معرفة ما في حديث ام زرع من الفوائد) وفهرسته العجيبة المحتوية على مئة شيخ من الأجلة العظام المعروفة بـ(الغنية) ، وقال المولى احمد بن مصطفى المعروف بطاش كبرى زاده المتوفَّى سنة اثنتين وستين وتسعمئة ما نصه : ومنهم يعني من المحدثين القاضي عياض ، صنف كتاب (الشفا ، بتعريف حقوق المصطفى) صلى الله عليه وسلم وعلى ءاله واصحابه وازواجه ، وهو كتاب لم يؤلف مثله في بابه ، بل هو أحدُ اركـان

---

291) ازهار الرياض 4 : 241

الاسلام ، وهو عالم المغرب القاضي ابو الفضل عياض بن موسى بن عياض السبتي اليحصبي ، كان ثقة ورعاً زاهداً متصلباً في الدين ، قوي العقيدة ، بعيداً عن البدع ، توفي سنة اربع واربعين وخمسمئة وله ثمان وسبعون سنة ، وسمعت من المشايخ ان الاشتغال بكتابه (الشفا) في ايام الوباء نافع مفيد رضي الله تعالى عنه وعن جميع العابدين ، انتهى .

وذكر ابن خلدون ان القاضي عياضاً دافع عبد المومن عن دخول سبتة ، وبذلك تغير عليه عبد المومن فغربه واستقضاه بالبادية من تادلة ، انتهى ، ثم منها الى مراكش فمات بها سنة اربع واربعين وخمسمئة ، وقبره بها معروف ، والى جانبه العارف سيدي عبد الكريم الفلاح تلميذ التباع ، وقد قالوا انه مات خارجاً عن مراكش ثم نقل اليها ، ومن الغريب ما حكاه الشيخ عبد الوهاب الشعراني في طبقاته الكبرى من انه مات فجأة في الحمام يوم دعا عليه ابو حامد الغزالي رضي الله عنه ، اذ بلغه انه افتى بحرق كتابه (الأحياء) ، وقيل ان الموحدي هو الذي امر بقتله في الحمام بعد ان رمته العامة عنده بما هو بريء منه رضي الله عنه .

قال كاتبه عباس عفا الله عنه : اما قول مَن قال ان القاضي عياضاً توفي يوم دعاء ابي حامد الغزالي عليه فغير صحيح ، اذ القاضي بقي حياً بعده نحواً من اربعين سنة ، فان ابا حامد توفي عام خمسة وخمسمئة ، والقاضي في اربع واربعين وخمسمئة ، وكون القاضي عياض ممن افتى بحرق (الأحياء) ذكره ايضاً شارح (الأحياء) الشيخ مرتضى وسن القاضي عياض نحو السبع والعشرين سنة في تاريخ حرق الأحياء وهو سنة ثلاث بعد الخمسمئة ، وفي (المعزى) في ترجمة أبي حامد في الباب السابع ما نصه : وروي لما بلغ الخبر ابا محمد السلاكن بأغمات استعظم الأمر غاية ، وسأل اولئك الذين افتوا بحرقه ، فما ذكر له احد الا دعا عليه ، فما مرّ عليهم شهر من الزمان حتى لم يبق احد من اولئك المفتين ، وماتو على اسوأ حال ، وعوقبوا بأنواع العقوبات ، انتهى .

واما قول مَن قال في سبب موته ان المهدي الموحدي امر بقتله بعد ان ادعى عليه اهل بلده انه يهودي لأنه كان لا يخرج يوم السبت لاشتغاله بتصنيف (الشفا) فيه فنفذت فيه دعوة الغزالي فغير صحيح ايضاً ، لكون المهدي توفي قبله بنحو اربعة وعشرين عاماً .

خاتمة كان من حق القاضي يوسف التادلي صاحب (التشوف) ان يذكر القاضي عياضاً والامام السهيلي ، لأنه ان لم يكن العلماء اولياء لله فليس من ولي ، وقال الشيخ الامام تقي الدين السبكي في (شفاء السقام ، في زيارة خير الأنام) بعد ان نقل عن القاضي عياض في (الشفا) ما نصه : اما القاضي عياض فناهيك به نبلا وجلالة وثقة وامانة وعلما ومجمعا عليه ، انتهى . وقد طبع هذا الكتاب مع مقدمته المسماة (تطهير الفؤاد ، من دنس الاعتقاد) للشيخ العلامة محمد بخيت ، وكتاب (نفحات القرب والاتصال ، باثبات التصرف لأولياء الله تعالى والكرامة بعد الانتقال) لشيخ الاسلام السيد احمد الحسيني من اهل القرن الحادي عشر ، مع رسالات في اثبات كرامات الأولياء للعلامة السجاعي من اهل القرن الثاني عشر مع فتوى لشيخ الاسلام الشوبري .

وفي (المعزى) بنحو ورقتين من الباب السادس ما نصه : وليلتجيء الى مَن قصد بكليته الاضطرار ، ولا سيما مَن جربت الاجابة عند قبره كسيدي ابي مدين رضي الله عنه ، وقد نصّ على ذلك جماعة من الفضلاء كصاحب (النجم) وابن الخطيب وغيرهما ، وكذا سيدي ابو العباس السبتي بمراكش ، وسيدي ابو الفضل عياض دفين باب ايلان المتوفى عام اربعة واربعين وخمسمئة ، وكذا بعض الفقهاء كسيدي محمد بن سليمان الجزولي وسيدي عبد العزيز بن عبد الحق الحرار ، وسمعت شيخنا ابا العباس الدرعي يحكي عنه هذا المعنى ، وان مادته بعد مماته كحياته ، انتهى المقصود منه .

وقال في (المرقى) في الباب الرابع ما نصه (292) : وحكي عن ولده الفقيه ابي الفضل عياض رحمه الله عن ابن عمه محمد وكان من اهل الفضل والدين وكان يدعى بمحمد الفاضل انه قال : رايت عمي القاضي الامام ابا الفضل عياض بن موسى في المنام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً على سرير من ذهب ، فكادت تعتريني دهشة في السلام على رسول الله عليه وسلم تعجباً من كون عمي معه في السرير ، فكأن عمي فهم مني نظر التعجب ، فقال لي يامحمد اشددْ يدك على كتاب الشفا وتمسكْ به ، كأنه اشعار منه بأنه انما نال تلك الرتبة الرفيعة والمنزلة الشريفة بسببه ، وحكى القاضي عياض رضي الله عنه ونفعنا به انه لما فرغ من تصنيف (الشفا) راى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه ، فقال له ياعياض ابشر ، فقال بماذا يارسول الله ؟ قال بدخول الجنة ، وبشرْ مَن قرأ هذا الكتاب او سمعه بالأمن من العمى ، انتهى كلام (المرقى) .

وقال العلامة الهداجي في (الروض اليانع الفائح) مما نصه : ومن كراماته يعني سيدي الصالح قدس الله روحه ما حدثني به الفقيه المذكور ايضاً يعني السيد محمد بن عبد الكريم قال حدثني الفقيه الأجل ، العالم الأمثل ، سيدي الطيب الفلالي قال قدمت على الشيخ سيدنا الصالح وقلت له ياسيدي تلاقيت مع جماعة من الصالحين كل من هو من تلمسان الى هنا ، واتيت بابَك واخذت في الكلام معه ، فقال لي تعرف القاضي عياضاً ؟ فقلت له نعم اعرف علمه وصلاحه ، فقال لي تلاقيت معه واخذت عنه ، فكان ذلك سبب معرفتي بالشيخ واخذي عنه وعلمت انه رئيس زمانه .

ومن نظم ابي الفضل رضي الله عنه لما مرَّ بوادي داي بتادلة فقعد تحت ظل شجرة فغردت يمامة فوق راسه ، فجعل يحييها فأصغت اليه وسكتت ، فلما اتم مقالته خرت على صدره ميتة ، وهذا ما قال :

---

292) نسب بعضهم هذا عن محمد بن احمد ابن جبير الكناني ، قال سمعت ابا الفضل عياض ابن القاضي ابي عبد الله ابن القاضي الامام ابي الفضل عياض اليحصبي يقول سمعت ابي القاضي ابا عبد الله محمداً يقول وكان من اهل الفضل والدين ، فكان يدعى بأبي محمد الفاضل انه قال : رايت عمي الخ (طرة بهامش الأصل)

اقمرية الأدواح بالله طارحـــي ... اخا شجن بالنوح او بغنـــاء
فقد ارقتني من هديلك رنـــة ... تُهيج من شوقي ومن برحائي
لعلك مثلي ياحمام فاننـــي ... غريب بداي قد بليتُ بـــداء
فكم من فلاة بين يداي وسبتة ... وخرق بعيد الخافقين قـــواء
تصفق فيها للرياح خوافـــق ... كما ضعضعتْني زفرة الصعداء
يذكرني سحُ المياه بأرضهـــا ... دموعاً اريقت يوم بنت ورائـي
ويُعجبني في سهلها وحزونهـا ... خمائل اشجار ترفُ لرائـــي
لعل الذي كان التفرق حكمـــه ... سيجمع منا الشملَ بعد تنائي

ومن شعره ما نقله في (يتيمة العقود الوسطى) قال فيها ويكفي في شرف تادلة كون القاضي عياض بن موسى اليحصبي صاحب (الشفا) استقرّ بها لما قدم من عدوة الأندلس الى مراكش مكث فيها هو وابوه مدة حتى دفن بأرضها ، ونقل القاضي عياض بعد ذلك الى مراكش نقله الملك ابن تاشفيـن اليها رحمه الله ، وفي تادلة قال القاضي هذه الأبيات وقد علق بحفظي منها سماعاً على ما فيها ، وهي :

رب ورقاء هتوف في الضحى ... ذات شجو صدحَتْ في فَنَـن
تبكي على الف بها نـــازح ... بتادلة الغراء طيب الوطـــن
فبكائـــي ربَّمـــا ارقهـــا ... وبكاها وبمـــا ارقنــــي
ولقد تشكو فما افهمهـــــا ... ولقد اشكو فما تفهمنــــي
غير اني بالجوى اعرفهـــا ... وهي ايضاً بالجوى تعرفنـــي

انتهى نقل اليتيمة ، وراجع تصحيح الأبيات في (ازهار الرياض) وليس فيه البيت الثاني وبقي مما في (ازهار الرياض) بيتان في جملة هاذه الأبيـــات ذكرها في معرض الكلام على الاغتراب في اوائله ، وهذا نص ما في ازهـار الرياض في الورقة الأخيرة من الملزمة الأولى من الجزء الأول بمطبعة تونس عام 1322 :

رب ورقاء هتوف بالضحـــى ... ذات شجو صدحت في فنـــن

ذكرت الفاً ودهراً صالحاً فبكت شجواً فهاجت حزني
فبكائي ربما ارقها وبكاها ربما ارقني
ولقد تبكي فما افهمها ولقد ابكي فما تفهمني
غير اني بالشجا اعرفها وهي ايضاً بالشجا تعرفني

انتهى ما ذكرته في (اظهار الكمال) في ترجمته مع حذف ما لم يتعلق به غرض هنا (293)

وممن ترجمه الحافظ الذهبي ، وذكر في ترجمة الحافظ ابن الخاضبة ما نصه : اخبرنا ابو محمد بن محمد الحافظ ، حدثنا احمد بن ابراهيم ، حدثنا عبد اللطيف الطبري ، حدثنا ابن البسطي ، حدثنا ابو بكر محمد بن احمد بن عبد الباقي ، حدثنا احمد بن علي ابن ثابت ، حدثنا ابن ابي الفوارس ، حدثنا الحسن بن احمد الهروي الصفار قال : كنت يوماً عند الشبلي فسأله بعض المتصوفة عن الرجل يسمع قولا فلا يفهمه فيتواجد عليه ، فأنشأ يقول ، ثم انشد الأبيات الأربعة دون بيت :

ذكرت الفاً ودهراً صالحاً فبكت شجواً فهاجت حزني .

ورايت في 166 من ج 2 من (طبقات الشافعية الكبرى) لابن السبكي الأبيات المذكورة الخمسة دون بيت : فاذا تبدأني الخ مع اختلاف يسير ، وان الحاكم رواها عن ابن ابي دهل عن ابي بكر الشبلي فراجعها ، والشبلي توفي عام 334 ثم رايت في (المعزى) في ترجمة ابي الحسن النووي المتوفى سنة 295 انه انشد الأبيات الأربعة دون البيت الثاني من الأبيات الخمسة التي نقل صاحب (اليتيمة) .

رجع الى ترجمة القاضي عياض : وقال في الجزء الثامن من (النجم الثاقب) كان رحمه الله عميد اولياء الله بالبلاد المغربية ، ممن اجمع على

293) وليته حذف منه شعره وشرحه ونقوله الواهية الظاهرة الوضع مثل نقله الأخير عن (يتيمة العقود الوسطى) واكتفى بالنقول الصحيحة من الكتب المعتمدة في هذا الشأن وحدها .

فضله وعلمه علماء الفقه واكابر الصوفية ، قال اهل التعريف كان القاضي ابو الفضل رحمه الله عظيم القدر ، ظاهر الفضل ، معروف العدل ، تضرب بعلمه وسعة حفظه الأمثال ، وتقف عند ورعه وزهده افاضل الرجال ، فبرع الأنام وفاق اهل زمانه ، فهو الوحيد الفذ في احسانه ، ذكر الحافظ محمد ابن الأبار في كتابه المختص بروواة ابي علي الصدفي فقال في بعض كلامه : فقد كان القاضي ابو الفضل جمال العصر ومفخر الأفق وينبوع الحكمة ومعدن الافادة ، قالوا ولما ولي القضاء ببلده سبتة اقبل بوجوه عباده عليه ، فكانت الخاصة والعامة على غاية من اجلاله واكباره ، ورزقه الله من الهيبة والوقار عند الأمراء والولاة ما اوجب لهم ان كانوا يقبلون قوله ويستمطرون حاجته ويتبركون بدعائه وكتبه ، ويتنافسون في قضاء حقه والقيام بواجبه ، ويعترفون له بالسبقية والتقديم في علومه ومقامات احسانه ، ويصرحون بأن الله تعالى اقامه جمالا للاسلام ، وصدراً في اوليائه الاعلام ، هذا مع ما كان عليه من عزة النفس وارتفاع الهمة من الاتيان اليهم والطمع فيما لديهم .

قالوا وكان ابو الفضل على غاية من التواضع لطلاب العلم ، يقبل على المساكين ، ويرتاح الى اهل الفضل والخير من الفقراء ، ويعاشر اصحابه بالأخلاق الجميلة وكرم الطباع ولين الجانب وايثارهم بالموجود ، حدثوا عنه في تواضعه بكثير من الغرائب ، حتى انه كان اذا مشى في ازقة البلد ومرَّ بصبي او عبد وقف معه وسأله عن حاله وحال معاملة اهله له ، قالوا وكان مع زهده وورعه وصحة دينه وتواضعه يلبس الملابس الرفيعة المنبئة عن حال قضاة الوقت ، ويركب المراكب الحسنة ، واذا جلس في مجلس حكمه للفصل بين الناس علته الهيبة والوقار ، وجلله التقى وملابس الفخار ، حدثوا عنه انه قال : ما وقفت قط على اثر او خبر الا وعندي اسناده ، ولا دخلت بيت كتبي قط الا على طهارة ، ولا عقدت مجلساً لرواية الحديث ودرس الفقه والتفسير الا على اكمل طهارة ، قالوا وكانت اوقاته كلها معمورة بكثرة الطاعات ووظائف العبادات ، موقوفة على قراءة القرءان والتفسير والرواية والهداية ، وكان معدوداً في اهل الزهد والايثار ، معروفاً بالورع والتقلل في هذه الدار ، حدثوا عنه لما توفي والده وكان من عباد الله الصالحين ، وخيار اهل العلم والدين ، ترك موروثاً عنه سبعة عشر ألفاً من الذهب ، فتنزه عنها

القاضي ابو الفضل تركها لأخيه مع علمه بطيب مكسب والده ونزاهته ، وفي تآليفه رحمه الله كثير من الحديث وغرائب الفوائد وحكايات الملوك والصالحين ومقطعات من الشعر مما يقع بذكره هاهنا الامتاع ، وتجمل به المحاضرة والانتفاع ، وقد روينا الكثير منه عن شيوخنا بالسند المتصل الى ابي الفضل رحمه الله ، ثم ذكر من فوائده شيئاً كثيراً مما ذكره في فهرسته ، ثم ذكر مدح تآليفه ، ثم انشد بعده قصيدة في مدح (الشفا) ، قال وفيه يقول بعض الفضلاء رحمهم الله :

انس الوحيد وديمةُ الأنداء ... ونسيم عرف الروضة الغناء
وضياء مأمول الرضى ومديده ... وقلادة الخلفاء والسعداء
وامان كل مخوف وعياذه ... من طارق الأهوال والأهواء
كتب الشفا وفت لنا بحقوق مَن ... قد خصصته مكارمُ الآباء
ونصوص انباء النبي محمد ... كرمت مصححة عن العلماء
بشرٌ عياضاً ان غرس بنانه ... وزكائه فيه من الشفعاء
تتلذذ الأرواح في تخليصها ... كتلذذ العافين بالنعماء
اني بذكر محمد وصفاته ... لهج وفيه همتي ورجائي
ووسيلتي يوم الشفاعة حبه ... واذا مرضت ففي (الشفاء) شفائي
اهلا به وبآله وبصحبه ... غر الوجوه وزين كل ملاء

ثم قال : وكانت وفاة القاضي ابي الفضل رحمه الله بمدينة مراكش سنة اربع واربعين وخمسمئة رحمه الله تعالى ورضي عنه :

بكت السما والأرضُ يوم وفاته ... وبكى عليه الوحي والتنزيل
والشمس والقمر المنيرُ تناوحا ... حزناً عليه وللنجوم عويل
ان الامام الفرد في ءادابه ... ما ان له في العالمين عديل
لا تخذعنك - فتى - الحياةُ فانها ... تلهي وتنسي والمنا تضليل
وتأهبي للموت قبل نزوله ... فالموتُ حتم والبقاء قليل

ومما يؤثر عنه من الكرامات بعد موته ما حدثنا به المشيخة عن بعض الصالحين قال رايت القاضي ابا الفضل بعد موته في المنام وهو في

قصر عظيم جالس على سرير قوائمه من ذهب ، قال فكان يسألني عن مسألة فأقول له ياسيدي ذكر فيها في كتابك الموسوم بـ(الشفا) كيت وكيت ، قال فكان يقول لي اعندك ذلك الكتاب ؟ فاقول له نعم ، فيقول لي شدّ يدك عليه ، فبه نفعني الله واعطاني ما تراه .

وحدث بعضهم قال رايت القاضي ابا الفضل في النوم والى جانبه رجل طيب الرائحة جميل الصورة حسن الثياب كصفة النبي صلى الله عليه وسلم ، قال الرائي فكنت اقصد الى سيدي عياض فأسلم عليه ، فكان يقول لي سلم على هذا ، فأقول له ومن هذا ؟ فيقول لي : هذا هو الذي نفعني الله به.

وعن بعض الفقهاء السبتيين قال : رايت الشيخ سيدي عياضاً في النوم وهو على بغلة بيضاء وعليه ثياب من احسن ما انت راء وهو ذاهب الى داره ، واذا بقائل يقول لي : رايت هذه البغلة خلقها الله تعالى للشيخ ابي الفضل في الجنة من لؤلؤة بيضاء ،وقد مشى الآن يزور اهله ، وكثر الحديث عن جماعة من اصحابه واولاده وحفدته انهم رأوه في المنام وسألوه عن حاله ، فيقول لهم انا في الجنة انا في الجنة ، ويكرر ذلك رحمه الله ورضي عنه وجزاه عن نفسه خيراً ونفعنا ببركاته .

وقال في الروضة الثانية من ازهار الرياض بعد ان ذكر كلام ابن خاتمة ما نصه : وكان القاضي ابو الفضل عياض رحمه الله بارعَ الخط المغربي وقد وقفت على خطه رحمه الله فرايته خطاً رائقاً ، وكان سريع الوضع يدل على ذلك كثرة اوضاعه ، وكتب مع ذلك كتباً كثيرة بيده ، انتهى من الأصل . لأنه كتب في الطرة بخط مخالف لخط صاحب الأصل ، ولعل ما في الطرة خط المؤلف ، وقد رايت إلحاقات في هذه النسخة بالهوامش لم ارها في النسخة التي وقفت عليها قبل ، ونص بعضهم في الطرة ان ذلك خط المؤلف بلا شك كما ان بالأصل خطه في بعض المواضع ، وعلى هوامش هذه النسخة خط سيدي عمر الفاسي شارح الزقاقية وغيره من اهل العلم .

وقال في الباب الرابع عشر من (المنتقى المقصور) بعد ان ذكـــر اعتناء المنصور بعلم الحديث وما يتبع ذلك مما نصه : ومن مفاخر المغـــرب عياض بن موسى اليحصبي ، ثم قال : ولمحارب بن محمد ابن محارب من اهل وادي آش :

غدا سلس القياد بما يــراض ... وعمَّ جميعَ لمته بيـــــاض
واضحى القلب لا تصبيه هنـد ... ولا سلمى ولا الحدق المراض
ولا يشجيه طيب نسيم نجـــد ... ولا تسليه بالزهر الريـــاض
وان غنَّى الحمامُ بغصن ايك ... فمن عض الزمان به عضــاض
وقائلـــة اتكـــرع في ثمـــاد ... وقد لاحت لرائدهـا الحياض ؟
الى كم ذا تقول لكل خطـــب ... مقالة مَن ألَمَّ به المخــاض
وتنقبض انقباضَ العي حتـــى ... اضرَّ بك السكونُ والانقبـاض
ووجد بني عياض بالمعالــــي ... مدى الدنيا حديثٌ مستفـاض
اذا قصدوا اثاروا الجودَ بحراً ... وسالوا بالمكارم ثم فاضــوا
فقلت لها : ومن منهم عياذي ... فقالت ذاك سيدهم عيـــاض
امام زمانـــه علـــم وحلـــم ... له بالخطة العليا انتهـــاض
يقارض مَن اساء بحسن صبـــر ... وامر الدين والدنيا قـــراض
ففي الآداب جدول ماء مـــزن ... وفي الآراء بحر لا يخـــاض
ويبرم ما يروم فليس يخشـــى ... على امرٍ ان ابرمه انتقـــاض
يهم بكل معلوة وفضـــــــل ... كما قد هام بالعليا مضــاض
ومن تعلق حبالَ بني عيــاض ... يداه فلا يضام ولا يهـــاض

قوله في البيت الأول وعم جميع لمته البياض هي فوق الوفرة الـى المنكبين من شعر الراس ، والعامة تقول هي اللحية ، وما ينشد من قوله : وفاض دموع على لمتي فهو خطأ صراح ، حكي ان الأمير ابا عنان سمع منشداً ينشد ما تقدم فقال لمن كان معه : اظن قائل هذا كان مطوباً ، ثم قال وحدثني شيخنا احمد بن علي المنجور ان عياضاً لما جيء به مغلولا الى مراكش فلما كان في اثناء الطريق في واد يقال له وادي سمع قمرية تسجع ، فقال عياض عند سماعها :

اقمرية الأدواح بالله طارحــــي اخا شجن بالنوح او ببكـــاء
فكم من فجاج بين داي وسبتة وخرق بعيد الخافقين ســــواء

وانشدهما ايضاً الكاتب الأعظم عبد العزيز بن محمد الفشتالي في يوم السبت الثاني والعشرين من ذي القعدة سنة ست وتسعين يعني وتسعمئة ، ثم قال عياض رحمه الله استقر اجداده في القديم بجهة بسطة من بلاد الأندلس، انتهى المقصود من (المنتقى المقصور) .

ومحارب ابن محارب صاحب الضادية المذكورة ذكره في (التكملة) ، وقال ان له مقامةً في القاضي عياض ، وانه كان اديباً فقيهاً (294)

وممن استجازه القاضي ابو الفضل عياض رحمه الله الزمخشري صاحب (الكشاف) سامحه الله ، قال في (ازهار الرياض) وسمعــت غير واحد ممن لقيته يخبر ان القاضي عياضاً لما بلغه امتناع الزمخشري من اجازته قال الحمد لله الذي لم يجعل عليّ يداً لمبتدع او فاسق او نحو هذا من العبارات ، فالله اعلم ، وامامة الزمخشري في العلوم معروفة ، ولكن اعنــة القلوب الى مَن بيده التوفيق وضده مصروفه .

ثم (قال) : ومن نثره رحمه الله خطبه التي سارت بفصاحتها الركبان ، ولهج ببلاغتها الشيب والشبان ، وكان منها ما نسجــه على بعض سور القرءان بطريق الاقتباس ، الذي لا يلحق سامعه شك في تبريزه ولا التباس ، وقد سمعتُ مولانا العم الامام مفتي تلمسان ، وخطيب جامعها الأعظم ، عمنا سيدي سعيد بن احمد المقري رضوان الله عليه يخطب ببعضها ، ومما علق بحفظي منها بعد الصدر : ايها الانسان ، ان الله تعالى قد وهبك من عنايته حظاً اقتضى شرفك موفوراً ، وابرزك من العدم الى الوجود ، ومن الغيب الى الشهود ، وعرفك ذلك بقوله (هل اتى على الانسان حينٌ من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً) ، استودع عالمك المختص من بدائع الحكمــة

294) التكملة ص 407 ع 1173 (طبع مدريد) .

الالهية ما يحار فيه عقل مجتليه ، ونظم جواهره النفيسة في سـلك الازدواج فكل عضو الى ما يليه ، وصرف فيه من وجوه الاتقان ما دل عليه بتعريـف (إنا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً) ، فيا أيها المبتلى الى كم الاضطجاع على فرش البطالة ، يكفيك من هذا النوم ، غرقت يامغرور في بحر الغرور ولم تحسن العوم ، لله در قوم اشفقوا من هول المطلع (فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسروراً) ، تأملوا رضي الله عنهم بأبصار البصائر الصافية واعتبروا ، وعلموا انهم مجزيون بأعمالهم فانتهوا وائتمروا ، وجروا ملابس الكسل عن الطاعة فجدوا وشمروا ، عامـلـوا الله بالصدق فرضي عنهم (وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً) ، سلك بهم سائق التوفيق اهدى المسالك ، وحملهم على جادة الجد علمُهم بما هنالك ، فلـو رأيتهم في الجنة وقد حفت بهم الولدان والملائك ، لرأيت قوماً مسروريـن (متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً) ، فلله طيب انفاس هؤلاء القوم حين يتجلى لهم في حضرة قدسه رب الأرباب ، ونودوا ان تلكـم الجنة اورثتموها بأعمالكم فطوبى لكم وحسن مئاب ، (ويطاف عليهم بئانية من فضة واكواب كانت قواريرا) ، اكثروا من الصالحات وابيت ، فنعم ما فيه سعوا وبئس ما فيه سعيت ، اقبلوا على الناصحين بقلوبهم فوعوا وانت اعرضت عنهم ونأيت ، فما اعظم حسرتك اذا عاينت منازلهم قد ازلفت واذا رايت ولا تزد جر بعظاتها ولا تفرق ركب في بحر التسويف ، ولم تبال بالتخويف ، اخشى عليك ان تغرق ، اما علمت انه لا بد لك من موقف القمر فيه يخسف والبصر فيه يبرق ، فهنالك يمتاز تنبيه الفريقان ، فنهار اولئك بالشقاوة اظلم ، وليل هؤلاء بالسعادة اشرق ، فريق سرابيلهم من قطران وءاخرون (عاليهم ثياب سندس خُضر واستبرق ، وحلوا اساور من فضة ، وسقاهم ربهم شرابا طهورا ، ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا) ، ويقرأ (مَن كان يريد العاجلة) الى محظورا .

وسمعتُه رضي الله عنه يخطب بخطبته اخرى للقاضي عياض رحمه الله اقتبس فيها ءايات من سورة الكهف وغيرها أوردها ابن الخطيب في (الاحاطة ، في تاريخ غرناطة) ، وقال ابن القاضي · عياض كان لا يخطب الا بانشائه ،

وهي : الحمد لله الذي سبق كل موجود قدما ، ووسع كلَّ شيء رحمة وعلماً ونعماً ، وهدى اولياءه نهجاً امماً ، وانزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً قيماً ليُنذر بأساً شديداً من لدنه ويبشر المومنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجراً حسناً ماكثين فيه ابدا ، احمده على مواهبه وهو احق من حمد ، واسأله ان يجعلنا أجمع ممن حظي برضاه وسعد ، واستعينه على طاعته وهو أعز من استعين واستنجد ، واستهديه توفيقاً فان (مَن يهدِ اللهَ فهو المهتدي ومَن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً) ، واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادةً فاتحةً لأقفال قلوبنا ، راجحة بأثقال ذنوبنا ، منزهة له عن التشبيه والتمثيل بنا ، (وانه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبةً ولا ولدا) ، واشهد ان محمداً عبده ورسوله انزل عليه الفرقان ، وارسله بالهدى والايمان ، واخزى بدعوته دعوةَ اولياء الشيطان ، واقعدهم مقاعد عن السمع (فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصدا) .

ايها السامع قد ايقظك صرف القدر من سنة الهوى وسكراته ، ووعظك كتابُ الله بزواجره وعظاته ، فتأمل حدوده وتدبر محكم اياته ، (واتلُ ما اوحي اليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته) ، (ولن تجدَ من دونه ملتحدا) ، ان الذين عتوا على الله وتعظموا ، واستطالوا على عباده ويحكموا ، وظنوا ان لن يقدر عليهم احد حتى اصلحوا ، (وتلك القرى اهلكناهم بما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعداً) ، غرهم الأمل وكواذب الظنون ، وذهلوا عن طوارق الغير وريب المنون ، وظنوا انهم الينا لا يرجعون ، (حتى اذا رأوا ما يوعدون فسيعملون من اضعف ناصراً واقل عدداً) ، فهذبوا رحمكم الله سرائدكم بتقوى الله واخلصوا واشكروا نعمته ، (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) ، واحذروا نقمته واتقوا ولا تعصوا واعتبروا بوعيده (قل كل متربص فتربصوا ، فستعلمون مَن اصحاب الصراط السوي ومَن اهتدى) ، وأنهضوا لطاعته الهمم العاجزة ، واركضوا في ميدان التقوى وحوزوا قصب خصله الفائزة ، وادخروا ما يخلصكم يوم المحاسبة والمناجزة ، وانتظروا قوله (ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم احداً) ، ذلك يوم تذهل فيه الألباب وترجفُ القلوب رجفاً ،

وتبدل الأرض وتنسف الجبال نسفاً ، ولا يقبل الله فيه من الظالمين عدلا ولا صرفـاً ، (ونحشر المجرمين يومئذ زرقاً ، وعرضوا على ربك صفـاً ، لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة ، بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا) ، اللهم انفعنا بالكتاب والحكمة ، وارحمنا بالهداية والعصمة ، وأوزعنا شكرَ ما اوليت من النعمة ، (ربنا ءاتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من امرنا رشدا) .

ومن نظمه رحمه الله :

لاتيـان مـالٍ مـال كـلُ مؤمـل ولكنها سبل صعـاب المسـالـك
كذلك جنـاتُ النعيـم ودونـهـا صعراط وكم ناج هنـاك وهـالـك

ومن نظمه رحمه الله :

اتراني ومـا عسى ان تـرانـي ءاخذاً مـرة امـانَ الـزمـان
سبلتني صروفـه كـلُ علـق من شبـاب وصـاحـب وامـان
كلما حـزت بغيتـي بـفـلان علقت كفـه بـذاك الفـلان
عمرك الله هـل سمعت بـحـي لم ترعهـم روائـع الحـدثـان
كـل يـوم طليعـة لفـراق ومـن العجب ان تـرى للتدانـي
فاسأل الشعرييْن عنهـا ، وحسبي شاهـدا ما تقوله الشعـريـان
ودع الفرقديْن ان جـهـلاهـا فستـدهى بأمـرهـا الفـرقـدان

وله ايضا :

ياخليلَي فاحملا بعض قـولـي ثلتي غـادرت فـؤادي عـليـلا
بلغـا عني الثـريـا سـلامـا واذكـراني لهـا وقـولا جميـلا
خلت أنـي ملكتهـا واذا بـي في يديهـا مخبـلا مستحيـلا
لست انسى وكيف لي ان انسـى حين القى الدجى عليهـا السـدولا
هـل الى نظـرة سبيل" فـانـي لست ابغـي الا اليهـا سبيـلا

وقال ايضا :

ليهن العـلا ان زفت الشمس للبدر ... وحلي جيدُ الملك بالأنجم الزهـر
وقرت عيون المجـد ايـة قـره ... بيوم تعالى ان يكون مـن الدهـر
لدن ساعة افضت الى كل بغيـة ... كما اعتلق الغواص بالدرة البكـر
قران كلا السعدين فيه تلاقيـا ... كما يلتقي في المقلة الشفرُ بالشفر
لتجـر المنى في حلبتيْه مـغـذة ... فحق لهـا في مثل ذلك ان تجـري
بسعـد امير المومنين تطلعـت ... اساريره تندى بمائيـة البِشـر
تهنأ نجل الملك حـظـاً ممتعـاً ... بعز الى عـز ، وقـدر الى قـدر
تمنّ بهـا الأيـام ثـم يـردهـا ... على بدئها ما فيه من كـرم البـر

وقال ايضاً رحمه الله :

سـمـح الـزمـان بـلـيـلـة ... غـراء جـامـعـة السـرور
اجـنـت اكـفُ جـنـاتـهـا ... قطف الأمـاني والـحـبـور
مـا فضّ طيـن خـتـامـهـا ... فيمـا تـقـادم مـن دهـور
دارت على تـلـك السـعـو ... د بمثـل اشبـاه الـبـدور
مـن كـل مـن مـلأت مـهـا ... بـتـه العيـون او الصـدور
مـا ان تـرى الا امـيـ ... ـراً حـاز ارثـاً عـن امـيـر
تـخـذوا القـلـوب اسـرة ... وثـووا بهـا عـوض السريـر
فعليهـم وقـف العـلا ... ءُ وان تـدوولـت الأمـور

وقال ابو الحسن ابن شاكر الشقوري انشدني القاضي عياض لنفسه :

ولله قـوم كلمـا جئـت زائـراً ... وجدت نفوسـاً كلها ملئت حلمـاً
اذا اجتمعوا جاءوا بكـل فضيلـة ... ويزداد بعضُ القوم من بعضهم علما
اولئك مثل الطيب كل لـه شـذا ... ومجموعه يزداد ريحـاً اذا شُـمـا

قلت كذا ذكر غير واحد عن الشقوري ، وفي ذلك عندي نظر بتبين بما تراه الآن ، وذلك ان ابن خاتمة ذكر في (مزية المرية) في ترجمة الامـام ابي القاسم ابن ورد ما نصه : وحكى ابو عمر ابن عات قال رأيتُ ان ابا بكر بن العربي حدث ابا القاسم ابن ورد ان ابا حامد كان ينشد في ءاخر مجلسه :

اذا اجتمعـوا جـاءوا بكل فضيلـة ويزداد بعض القوم من بعضهم علما

فوصله ابو القاسم ابن ورد ببيتيْن احدهما قبله وها :

ولله قـوم كلمـا جئـت زائـــرا وجدتُ شخوصا كلها ملئت فهمـا
اولئك مثل الطيب كـل لـه شـذا واجمعه ازكى اريجاً اذا شمـــا

قال ابن العربي اريجاً لغة اهل حراسان ، قال ابن خاتمة وقو انهيت هذه الأبيات الى خمسة ، انشدني صاحبنا الفقيه العدل المشارك مُحمد بن محمد ابن الحاج الأنصاري قال انشدني الشيخ المدرس الحاج الرحال محمد بن عبد الواحد الرباطي التازي نزيل فاس ، قال انشدني تقي الدين بن دقيق العيـد :

ولله قـوم كلمـا جئت طـارقـــاً رايت شخوصاً كلها ملئت فهمـــا
اذا اجتمعوا جـاؤا بكل طريـفـــة ويزداد بعضُ القوم من بعضهم علما
تساقوا كؤوسَ العلم في روضة التقى فكلهم من ذلك الـري لا يظمـــأ
نفوس على لفظ الجدال قد انطوت فتبصرها حربـا وتعقله سلمـــا
اولئك مثل الطيب كل له شـــذا ومجموعُه اذكى اريجاً اذا شمـــا

قـال الفقيه محمد ابن الحاج ، قـال الشيخ محمد بن عبد الواحـد الرباطي ، وكان شيخنا تقي الدين المذكور اذا انشد هذه الأبيات يقول كانت عسلا بمثلهم فتعلقمتْ بمثلنا ، انتهى كلام ابن خاتمة ، والله اعلم بالصواب .

قلت نقل هذا عن ابن خاتمة ايضاً في (الجذوة) لدى ترجمة محمد الرباطي المذكور .

قال المقْري : **رجع** ، وقال القاضي عياض رحمه الله يخاطب ابا طاهر احمد بن محمد السلفي **الأصفهاني** :

ابا طاهر خذها على البعد والنوى تحية مرتـاح لـذكـرك شيـــق
طوى لك ما بين الضلوع مـــودةً تشفـُّ صفـاء كالزلال المـــروق
يناجيك بالذكـرى فيشفي غليلـه ويخلص بالـود الصحيح ويلتقـي

اقمت عمود الدين والأثر الذي — سناه هدى للحق كلٌ موفق
وطار لك الصيتُ البعيدُ فأرخت — مآثره ما بين غرب ومشرق
فما من ثرى الا بذكرك عاطر — ولا افقٌ الا بنورك مشرق
بقيت لاسناد الحديث تقيمُه — وللعلم تملي منه كلٌ محققٍ
ولا زلت تحوي كل فضل وسؤدد — وتسمو بمعراج الجلال وترتقي

فأجابه الشيخ ابو طاهر بقوله :

اتاني نظم الألمعيٌ الموفق — يميسُ اختيالا بين غرب ومشرق
فطالعتُه مستبشراً ووجدته — نتيجةَ فهم في البلاغة مشرق
وانشدته الأصحابَ بعد تأمل — فلم يبق منهم غير مُطرٍ ومطرق
فمطريهم مما رأى من فصاحة — بلا كلفة فيها وغير تفيهق
ومطرقهم من حيرة وتعجب — ومن دهش قد ناله وتقلق
وحق له هذا المحل فقد علا — على جرول في نظمه والفرزدق
واضحى فريداً في الحديث وحفظه — وقصَّر عنه كل فحل ومفلق
وفي الفقه من بعد النبي هو علمه — فقد فاق اهل الأفق قول محقق
وفاز بمجد ليس يرجو بلوغه — مدى الدهر الا كل احمق اخرق
توارثه من والد متقدم — عن الجد قرم في الرياسة معرق
ابا الفضل خذ بالفضل فيما بعثته — وطالعه ثم انبذه عنك وشقق
فشعرك در والذي قد نظمتُه — فمخشلب قولا بغير تملق
والا كمثل الأتحمي متانة — وما صغته في الوهن مثل الخدرنق
وثق بوداد لا يزال مجددا — يزيد على مر الزمان ويرتقي
ودرس لما قد حزته وحويته — وغرس لغصن من ولائك مورق
فنحن وان لم يقض يا قاض بيننا — لقاء فبالأرواح ندنو ونلتقي
وجل اعتماد المرء في الود دائما — عليه لما في ضمنه من توثق
فلا زلت تبقى في النعيم وظله — على وفق ما تهوى وعز محقق
وتلقى الذي عادى علاك معذباً — بطرد وتشريد وطول تفرق
فما ان يعادي عصبة الدين والهدى — سوى مارق او ملحد متزندق

ومما اشتهر من كلامه رحمه الله على طريق التورية يصف غداة باردة :

كأن كانـون اهـدى من ملابسـه لشهر تموز أنواعـاً من الحـلـل
او الغزالة من طول المدى خرفـت فما تفرق بين الجـدي والحمـل

ومن نظمه ما افتتح به رسالة :

قل للأماجـد والحديثُ شجـون ما ضرَّ ان شاب الوقارَ مجـون
ولئن غدوت من العلوم بموضـع تومي اليه اصابـع وعـيـون
فلـديَّ للآداب نفس صـبـة فيها الى ملح الظـروف ركـون
كنا افترقنا عند دعـوى خـطـة ساءت بها فيمـا فهمت ظـنـون
فاتيت بالبرهـان فيهـا نيـِّراً وعـدت عـواد بعد ذا وشئـون
وبعثت حينئـذ ليعلـم انـنـي عين الزمـان وسـره المكنـون

وله رحمه الله في طريق الغزل والنسيب :

يا راحلين وبالفـؤاد تحمـلـوا اترى لكم قبل الممـات قـفـول ؟
امـا الفـؤاد فعندكـم أنـبـاؤه ولواعـج تنتابُـه وغـلـيـل
اتـرى لكم علم بمنتزح الـكـرى عن جفن صب ليلـه مـوصـول
اودى بعزمـة صبـره ولبـابـه طـرف" احـم ومبسـم مصقـول
مـا ضركـم واضنكـم بتحيـة يحيى بهـا عند الـوداع قتيـل
ان البخيل بلحظـة او لفـظـة او عطفـة او وقـفـة لبخيـل

وقال رحمه الله :

أذاتَ الخـال كـم ذا تنتضيهـا عليَّ سيـوفَ عينيكِ انتضـاء
بمطلك لي مـواعـدَ اقتضيهـا مـن التوريـد واللعس اقتضـاء
فقضِّي وعـدَ مطلك وانـجـزيـه خيارُ الناس احسنُهم قضاء (295)

---

295) تنظر اشعار القاضي عياض في **أزهار الرياض** 4 : 239 وما بعدها

ومن مشهور نظم القاضي عياض رضي الله عنه قصيدته الفريدة التي نظمها على سور القرآن في مدح سيد ولد عدنان صلى الله عليه وسلم ، ولها بركة عظيمة وحق لها ذلك ، مطلعها :

في كل فاتحة للقول معتبره   حق الثناء على المبعوث بالبقره

وهي مثبتة في (ازهار الرياض) وفي (نفح الطيب) (296) .

ومن نظم الامام عياض ما انشده الامام ابن رشد قال انشدني محمد بن مسعود بن الحسن التادلي الفقيه للقاضي عياض رحمه الله تعالى ، وقالها حين ولي القضاء بمدينة داي تادلة سنة واحد واربعين وخمسمئة :

اقمريةَ الأدواح بالله طارحي   اخا شجن بالنوح او بغناء (297)

وهي ابيات ثمانية اثبتها في (اظهار الكمال) .

ومن ذلك قوله رحمه الله .

يا طالبَ العلم استمع قول امرىء   محض النصيحة للمريد الراغب
العلمُ في اصلين لا يعدوهما   الا المضل عن الطريق اللاحب
علم الكتاب وعلم الآثار التي   قد اسندت عن تابع عن صاحب
جاءت بها الأثبات منهم واعتنت   بمسانـد ومراسل وغرائب

ومنه ما انشده الامام البركة العلامة سيدي محمد ابن صعد الأنصاري التلمساني ، قال انشدني وافادني شيخنا الامام الحافظ محمد التنسي للقاضي عياض رحمه الله :

اليك بؤتُ بذنبي   فاغفر خطاياي ربي
وامنن علي بلطف   تجبرْ به صدع قلبي

---

296) ازهار الرياض 4 : 254

297) انظر ص 365 من هذا الجزء

فقد ركبت ذنوباً ... سودت منهن كتبي
وطال تقصير سعيي ... في كل فرض وندب
وقد أسأت فأحسن ... فلم تزل محسناً بي
وجئت اطلب توباً ... اذ ضاق بالذنب رحبي
فاقبل بفضلك توبي ... واغفر برحماك ذنبي
وعافني واعف عني ... فأنت يارب حسبي

ومن نظمه رحمه الله قوله :

اعوذ بربي من شر ما ... يخاف من الانس والجنة
واسأله رحمة تقتضي ... عوارف توصل بالجنة
فما للخلائق من ناره ... سوى فضل رحماه من جُنة

ولنجعل هذه القطعة اخر ما اوردناه من نظمه تفاؤلا بها وبالتي قبلها، وتطارحاً على باب الله ان يسلك بنا طرق رحمته وسبلها ، ويقينا من كل محذور يتقى ، ويحشرنا في زمرة (مَن خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى) فسما قدره وارتقى ، بجاه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم تسليماً (298) .

ويكفي الامام القاضي عياضاً رضي الله عنه جلالة وفخرا كتاب (الشفا) فانه ما الف في الملة المحمدية مثله ، ولما اوقف عليه شيخه القاضي ابا بكر ابن العربي رضوان الله عليه قال له بارك الله فيك واستحسنه جداً ، وقد مدحه الأئمة الأعلام نظماً ونثراً ، راجع (روضة النسرين ، العديمة النظيم والقرين) (299) وراجع (نفح الطيب) .

قال في الروضة المذكورة : ولما انشدني الفقيه الكاتب الأديب الناظم الناثر محمد بن علي الوجدي رحمه الله قوله :

---

298) هذه خاتمة روضة المنثور من **ازهار الرياض** 4 : 270

299) اي الروضة الخامسة من **ازهار الرياض** وهي في 4 : 271 منه .

للنفس منى طمـوح ليس يثنيهـــا عما تؤمـل مـن اقصى تمنيهـــا
يا مـن يسائلُ عن ذاتي وعن عرضي في حالي الحب قاصيها ودانيهـــا
جسمي بفاسن رهينٌ في معالمهـــا وليس ينفك عن بلوى يعانيهـــا
ولي بمكناســة روحٌ مــودعــــة من دون جسم يكاد الشوق يفنيهـا
ولي بتطاوُنٍ دار الصبـا طـــرب لـولا التقية اغــوانــي غوانيهـــا
ولي ارتياح الى القصر الكبير فقد قضت به النفسُ بعضاً من امانيهـا
ولي بثغر سلا لُبٌ فلــو يئِست منه النفوسُ لكان اليأس يضنيهـا
ولي بمراكش شــوقٌ اكـابــده لو اسعد الدهر في مرأى مغانيهـــا

قلت مذيلا عليه :

مثوى عياض ابي الفضل الذي بسقت افنانــه فحلتْ طعمــاً لجانيهـــا
فكم له من تئاليف قــد اشتهـرت ألفاظُهـا رائقـات مع معانيهـــا
حازت مشارقه خصل السباق كما شفى النفوس شفــاه من تعنيهـــا
كنوزُ عرفانه والفضل شيمتُـــه تولي نفوسَ الورى علما فتُغنيهـا
ولي بأرضِ تلمســان معالـــم ان نأت معاهدها فالشوق يدنيهـــا
مأوى الشيوخ الهداة المستضاء بهم وبأبي مدين ازدانــت مبانيهـــا
ابجاهه النفس ترجو نيلَ كل مُنى اذ لم يزل روح لطف الله يعنيها (300)

وفي (المشارق) له يقول الامــام ابو عمرو ابن الصلاح الشنهرزوري صاحب كتاب علوم الحديث وكان يعجب بها وكلما طالعها انشأ يقول :

مشـــارق أنــوار تجلتْ بسبتــــة وذا عجب كون المشارق بالغــرب

وقد ذيل هذا البيت جماعة منهم القاضي المؤرخ محمد ابن عبد الملك المراكشي رحمه الله اذ يقول :

تنادي بأنوار المشارق نـــخــــوة بمطلعها في الغرب ياشرق غربـي

(300 ازهار الرياض 4 : 302

ومنهم الخطيب محمد ابن رشيْد الفهري اذ يقول ·

ومرعى خصيب في جديب ربوعهـا ... الا فاعجبوا للخصب في منزل جدب

ومنهم الشريف نور الدين علي بن جابر الحسينى الهاشمي شيخ دار الحديث المنصورية ، قال ابن جابر وانشدنيها :

مشارق انـوار طلعـْـن بمغـــرب ... انرن جميع الشرق بالطالع الغربي
بدا نوره في الكون قد لاح هاديـاً ... رياض عياض نزهة العين والقلـب
ونظم عقـود الديـن فيه فأصبحت ... محاسنُه تُجلَى على العالم الندب
فلله ما ابـدى عيـاض فأشــرقت ... مشارقُه في كل قطر بـلا غـــرب
فقل لذوي علم الحديث تنــوروا ... مشارق انوار ترى من ورا الحجب

وفي كتابه (اكمال المعلم ، في شرح مسلم) الذي هو في تسعة وعشرين جزءا يقولُ مالك ابن المرحل :

من قرأ الاكمـال كـان كـامـــلا ... في علمـه فزيّـن المـحـافـــلا
وكتب العلم كـنـــوزٌ انـــهـــا ... تفيد نفعـاً عـاجـــلا وءاجـــلا
وليس مــن كتب عيـاض عــوض ... فانه كـان امـامـاً فـاضـــلا

وفي تأليفه كتاب (المستنبطة ، في شرح كلمات مشكلة وألفاظ مغلطة ، مما وقع في كتاب المدونة والمختلطة) في عشرة اجـزاء ، ولم يؤلف في فنه مثله ، وقد غلب على تسميته ببلاد افريقية وغيرها (التنبيهات) يقول محمد ابن علي التوزري ابن المصري مما كتبه رحمه الله عليها :

كاني وقد وافى كتـابُ عيـــاض ... انزه طـرفي في مريـع ريــــاض
فاجني بها الأزهـار يانعةَ الجنَـا ... واكرع منه في لذيـذ حـيـــاض

وفي تأليفه كتاب (الالماع ، في ضبط الرواية وتقييد السماع) في سفر يقول الشيخ محمد ابن حيان رحمه الله :

يا طالباً علم الحديث وحمله ... بجميع ما يروى من الأنواع
تبيين ذلك كله لعياض في ... تأليفه الموصوف بالالماع
الله يرحمه ويجزل اجره ... فلقد اتى في غاية الابداع
جمع الرواية والدراية متقناً ... بالضبط بالأبصار والأسماع
انسي واستاذي وغاية بغيتي ... ومذكري في الخلف والاجماع

وفي تأليفه كتاب (الغنية) في اسماء شيوخه يقول احمد المقْري رحمه الله :

غنية القاضي عياض ... غنية عما سواها
حلة موشية بل ... روضة طاب جناها
جمعت اعلامَ علم ... قدرهم ما ان يضاهَى
وحكت أخبارَ قوم ... عنهم العدل رواها
وكفاها بابن رشد ... شرفاً زاد سناها
كم بها من معلوات ... مُبهجاتٍ مَن رءاها
فعليه وعليهم ... رحمة" لا تتناهى

ومن تثاليفه رحمه الله كتاب جامع في التاريخ اربى على جميع المؤلفات فيه اخبار الملوك بالأندلس والمغرب من دخول الاسلام اليهما ، واستوعب فيه اخبار سبتة وقضاتها وفقهائها وجميع ما جرى من الأمور فيها ، واستوعب اخبار الدولة الحسنية .

وقد اتفق اهل العلم وغيرهم على الثناء على القاضي عياض رحمه الله اشياخه فمن بعدهم ، وقد اورد في (روضة النيلوفر ، في ثناء الناس عليه وذكر بعض مناقبه التي هي اذكى من المسك الأذفر) (301) جملة صالحة من ذلك ، قال القاضي ابو البركات ابن الحاج البلفيقي رحمه الله : لما قدم القاضي ابو الفضل عياض على قرطبة ولقي القاضي ابا الوليد ابن رشد وراى نبله وفضل ذكائه

---

301) تنظر هذه الروضة في **ازهار الرياض** 5 : 79

قال عجباً لرجل ينشأ في البلاد البحرية على اكل السمك من اين يكون له هذا النبل والذكاء ، قال فبلغ كلامه القاضي ابا الفضل فقال : والله ما اكلتُ سمكة منذ عقلت ، قال بعضُ الأشياخ يريد والله اعلم منذ عقل اضرار السمك بالعقل للحفظ وتبليده للذهن والله اعلم ، هكذا ذكر غير واحد ، قال في الروضة المذكورة : وسمعت في بعض المجالس العلمية ما فيه بعض مخالفة لهذا ، وهو ان ابن رشد كتب الى القاضي عياض عجباً ولم يزد على هذه اللفظة شيئاً ، فأجابه القاضي عياض بقوله والله قط ، ولم يزد ، فلم يفهم الناس ، فسألوا ابن رشد فقال : اردت بقولي عجباً عجباً لرجل ينشأ في البلاد البحرية الخ ، واراد ابو الفضل عياض بقوله والله قط انه لم يأكله قط ، غير اني لم ار ذلك على هذا الوجه منصوصاً ، وانما هو شيء سمعتُه واما الوجه الأول فذكره ابن خاتمة وابو البركات وغير واحد ، والله اعلم .

وقال ولده اخبرني ابن عمي الزاهد ، ان القاضي محمد ابن حمدين كان يقول له وقت رحلته اليه وحقي يا ابا الفضل ان كنت تركت في المغرب مثلك ، قال وأخبرني أن سراج ابن سراج قال له وقد اراد الرحلة الى بعض الأشياخ لهو احوج اليك منك اليه ، وقال ان الفقيه ابا محمد ابن ابي جعفر قال له ما وصل الينا من المغرب مثل عياض .

قال ابن الخطيب ومثل هذا كثير ، يعني ثناء الأعلام على القاضي عياض رحمه الله (302) .

وما احسن قول الامام ابى عمرو المالقي رحمه الله يمدحه :

ظلموا عياضاً وهو يحلم عنهم — والظلم بين العالمين قديم
جعلوا مكانَ الراء عيناً في اسمه — كي يكتموه وانه معلوم

قلت تذكرتُ هنا من هذا المعنى ما كتب به اليَّ صاحبُنا الكاتب البليغ جامع أشتات الآداب ، سيدي محمد المكلاتي في شأن هذا الكتاب الموسوم بـ (أزهار الرياض ، في اخبار عياض) ونصه :

---

(302) ازهار الرياض 5 : 80

اتى برياض في عيـاض وردهـا ... مظالم كانت قبل معضلـة الـراء
وفاضت بنيل العلم منه اصابـع ... فلا تنكرنْ نبعَ الأصابع بالمـاء
خليلي هذي معجزاتُ لأحـمـد ... فلا تعجبَنْ ان ردَّ عيناً الى الـراء

ومن مناقب الامام القاضي ابى الفضل عياض الداخلة في اعمال بره اقامةُ الحـد على الفتح ابن خاقان صاحب القلائد ، وذلك انـه قصد مجلسَ قضائه مخمراً ، فتنسم بعضُ شهود المجلس منه رائحةَ الخمر ، فأعلم القاضي بذلك ، فأمر به فاستثبت في استنكاهه وحدَّه حداً تامـاً ، وقـد حكى هـذه المنقبةَ محمد بن عياض ، وعنه نقلها صاحب (المعيار) ، قال ولـد القاضي محمد بن عياض : قال لي بعض اصحابنا بعث ابوك الى الفتح بن خاقان بعد ان اقام عليه الحد صحبتي ثمانية دنانير ، واخبرني بعضُ اصحاب الفتح بن خاقان ان الفتح قـال له بعد ان اقـام عليه والدي الحـدَّ عزمت على اسقاط القاضي ابي الفضل من كتابي الموسوم بـ (قلائد العقيان) ، قال فقلت لا تفعلْ وهي نصيحة ، قال وكيف ذلك ؟ قلت له قصتك معه من الجائز ان تنسى وانت تريد أن تخلدها مؤرخة ، فقال لي وكيف ؟ فقلت له : اذا نظر كتابَك الناظر وجدك ذكرت مثله ومَن هو دونه في المرتبة والعلم والصيت ، فيسأل عن السبب ، فيقال له ، فيتوارث العلم بذلك الأصاغر عن الأكابر ، قال فتبين له ذلك وعلم صحته ، انتهى .

وقد ذكرنا من فضائل (الشفا) الرؤيا التي رأى من بعض صلحاء فاس في حق السلطان ابى عنان المريني في ترجمته فراجعها ثمه .

وقال في (المنح البادية) بعد ان ذكر رواية (الشفا) بسند مسلسل بالقضاة : توفي القاضيعياض بمراكش مسموماً ، سمَّه يهـودي سنـة اربع واربعين وخمسمئة ، قال ابو عبد الله الرعيني رأيت القاضي ابا الفضل عياض في النوم في مسجـد الحائط مستقبل القبلة ، وبيده كتاب (الشفا ، بتعريف حقوق المصطفى) صلى الله عليه وسلم مـن تصنيفـه ، وقبلت ركبتـه وكنت مكروباً ، فقلت يا سيدي عسى ان تجيزنيه ، قال فقلت اقرأ عليك او تقراه

لي ، فناولنيه ، فقرأت منه سطرين ، ولقيني فيه درس ، فقراه لي ، فقرأت من الورقة الأولى بعضها ، فقلت له يكفي هذا القدر ، فقال لي نعم ، فأصبحت وقد ذهب ذلك الكرب عني والحمد لله ، قال في (كنز الرواة) ويذكر عن ابـن اخي عياض المدعو بمحمد الفاضل انه قال رأيت عمي ابا الفضل في النوم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتعجبت مـن كون عمي معـه على السرير ، فكـأنَّ عمي رحمـه الله فهِم ذلك ، فقال لي يا محمـد اشـدد يدك على كتاب (الشفا) وتمسكْ به ، كأنه يشعره انه اوصله هـذه المنزلة الشريفـة ، وقد جربت قراءته في الشدائد والنوازل .

وقال في (طبقات المالكية) ما نصه : قال ابن علوان في (مختصر المدارك) ومن خطـه نقلت : ما رأيت احداً ممن ذكره من اصحابنـا التونسيين تعرض لصفة موته ، ويقال انه مات مقتولا في الحمام اول دعوة الموحدين ، فان صحَّ فقد حصلتْ له الشهادة بوجهيْن القتل والتغريب ، وذلك زيادة في رتبتـه ورفعة في درجته ، وقبره بمراكش معروف مشهور .

قال لي صاحبنا الشيخ الفقيه الخطيب المنصف محمد ابن مرزوق بتونس انه زار قبره وقرأ (الشفا) عليه ، وانـه رءاه في النوم واجازه ايـاه بحق سماعه له من قبره ! وكتب ذلك ابن مرزوق في اجازة ، وجعله من جملة اسانيده .

وقال ابن ابي الشرف التلمساني في حاشيته على (الشفا) الموسوم بـ (المنهل الأصفى) : القاضي عيـاض وشيخه القاضي ابو بكر بن العربي جرت عليها محنٌ واصابتْها فتن ، ومات كل منهما مغربـاً عن اوطانه ، قـال بعضهم سُمَّ ابن العربي وخنق اليحصبي ، واحمد ابن علوان التونسي الشهير بالمصري توفي بالأسكندرية في شوال سنة 787 له نحو اربعين تأليفاً ، منها (مختصر المدارك) المذكور ، وقفت عليه بخط اليد وعليه خط الشيخ احمد بابا السوداني شاهداً بذلك .

وقال الوزير ابن ادريس وقد ختم اميرُ المومنين مولانا عبد الرحمان كتاب الموطأ والشفا .

حـديث احبتي فـيـه الشفـــاء بمسك ختامـه طـاب الثنـــاء
اعـد ياسعد ذكـرهـم ووطـــيءْ جنابك لي وقـد بـرح الخفـــاء

وهي طويلة عدتها تسعة واربعون بيتاً ، وختامها :

صلاة الله والرحمـات تـتـــرى على المختـار مـا لاح الضيـــاء
وءال وصحبـه مـا قـال شـــاد حديث أحبتي فـيـه الشفـــاء

وقال أيضاً ملمحاً بمدح (الشفا) اربعة ابيات اولها :

ذكـــر الحبيـب شــفـــاء لـمـن لـــه الـــحـب داء

وقال في مدح القاضي عياض أيضاً :

حيتْك طالعة السعـادة فاطـــرب ودعتْك داعيـةُ الهنـا فتقـــرب
وفدت من الأفلاك انـوارُ الهـــدى بمشارق ظهرت لنا في مـغـــرب
وظفرت من اهل الكمـال بعطفـــة فانزلْ رحالك لا ابا لك واطـلـب
وسل الذي تبغيه مـنَ امـنـيـــة وردنْ زلالَ الفضل عذب المشرب
او ما شمِمتَ من النسائم نفحـــة مسكية تـدنـو الى المتقـــرب
او ما لمحت من الرسوم شوارقـاً تجلو عن الأسـرار ريـن الغيهـب
او ما كستك من الاجـابـة رقـــة تدعو القبول بروح سـر طـيـــب
اولست عند ضريح حب المصطفى القاضي عياضِ بن موسى اليحصُبي
العالم العلـم الـذي بعلـومـــه اهل المشارق تهتدي والمـغـرب
فاحت ريـاض علومـه وتدفقـــت فيها حيـاض فهومـه بالمسهـــب

ولسعيد (بـن عبد الله المنداسي) التلمســاني صـاحب (العقيقية) قصيدة في امامنا مالك وفي موطنه وانجرّ الكـلام فيها الى الامـام البخاري والقاضي عياض مطلعها :

الى ءال ذات الخال تحدي النقانــق / وتعدو الى تلك الديــار السوابــق

ثم قــال :

فلا مالك في الأرض قــام لسنــة / وشدت لــه بالخافقين المناطــق
سوى المدني الطيب الأصــل مالك / لواه على الاسلام بالغرب خافــق

ثم قــال :

فلولا عياض الغرب ما ذكر اسمُه / ولا حق منه الدهر للطرف رافــق
على ساكن الحمــراء مني تحيــة / تروم ضريحَ العلم ما لاح طــارق

راجعْها في (الحسام المشرفي) فانها نفيسة .

وقال في (تاريخ الدولتين)

وفي ليلة الجمعة سابع جمادى الأخيرة من سنة 544 توفي بمــراكش القاضي ابو الفضل عياض ، وقيل في شهر رمضان ، وقال ابن سعيد سنة اثنتين واربعين ، وبالأول قال ابن عات والتجاني .

ثم قال ولما اجتمع بالخليفة عبد المومن وجده قد تغير عليه فاستعطفه بالمنظوم والمنثور حتى رق له وعفا عنه ، فلازم مجلسه الى ان رده بحضرة مراكش ، فلما وصلها بقي ثمانية ايام وتوفي بها ، انتهى .

قال ابن الخطيب ولما ظهر امراءُ الموحدين عام 543 ثلاثة واربعين وخمسمئة انثالتْ حاله ولحق بمراكش مشرداً به عن وطنه ، فكانت بها وفاته .

وقال القاضي محمد ابن القاضي عياض المترجم في الجزء الذي عقده لترجمة والده : ان عياضا نهض لمراكش من سبتة في 25 جمادى الثانية عام 543 فاجتمع فيها بعبد المومن ، وامر بلزومه محله ، الى ان خرج عبد المومن لغزو دكالة ، فخرج صحبته ، فمرض بعد سيْر مرحلة فأذن له في الرجوع فرجع الى حضرة

مراكش ، فأقام بها مريضاً نحواً من ثمانية ايـام ثم مات ليلة الجمعة نصف الليل التاسع من جمادى الأخيرة عام 544 ودفن بها في باب ايلان داخل السور ، وهو يرد ما وقع في تاريخ ابن خلدون ص 230 من ج 6 من ان عياضاً لما تولى كبر دفاع عبد المومن بن علي عن سبتة وكان رئيسها يومئذ بدينه وابوتـه ومنصبه قال فسخطته الدولة آخر الأيام حتى مـات مغرباً عن سبتة بتادلة مستعملا في خطه القضاء بالبادية ، انتهى .

وكان مولده بمدينة سبتة في النصف من شعبان سنة بست وسبعين واربعمئة ، ورحل الى الأندلس وأخـذ عن علمائها ، وبعد عوده منها أجلسه اهل سبتة للمناظرة عليه في (المدونة) وهو ابن ثلاثين سنة او نيف عليها ، ثم اجلس للشورى ، ثم ولى قضاء بلده مدة طويلة حمدت سيرته فيها ، ثم نقل الى قضاء غرناطة في سنة ثلاثين وخمسمئة ولم يطل امره بها ، ثم ولي قضاء سبتة ثانياً .

فائـدة ذكر في كشف الظنون من كتب المترجم (الأجوبة المحبرة ، عن الأسئلة المحيرة) ثم (اخبار القرطبيين) ثم (الاعلام ، في حدود الأحكام) ، ثم (بغية الرائد ، لما تضمنه حديثُ ام زرع من الفوائد) ، و (التنبيهات) على المدونة ، ثم (جامع التاريخ) ، ثم (المعلم ، بفوائد كتاب مسلم) ، ثم (السيف المسلول ، على مَن سبَّ اصحاب الرسول) ، ثم قال (شرح حديث ام زرع) لأبي الفضل عياض ، وهو شرح مستوفى ، ثم ذكر (الشفا) . و (تاريخ سبتة) له ، ثم قال (غنية الكاتب ، وبغية الطالب) في صدور الرسائل للقاضي عياض ، ثم ذكر (الغنية) التي في شيوخه ، ثم ذكر (المعلم) ، و (المشارق) ، ثم ذكر له (مصابح الأفهام ، في شرح الأحكام) ، ثم ذكر (المعجم في شيوخ ابي علي الصدفي) له ، ثم (نظم البرهان ، على صحة جزم الأذان) .

لطيفة قال ابن الأبار في (معجم اصحاب الصدفي) لـدى ترجمـة ابي الفضل عياض ما نصه : حدثنا القاضي ابو بكر بن ابي جمرة عن القاضي ابي الفضل عياض كتب اليه وقرأت على القاضي ابى سليمان ابن حوط الله ، قال

انبأنا الحافظ خلف ابن بشكوال ، وهو اول حديث سمعته منه ، قال (انــا) الفقيه القاضي عياض بن موسى بن عياض اليحصُبي بلفظه وهو اول حديث سمعته منه ، قال (انــا) القاضي حسين بن محمد الحافظ وهــو اول حديث سمعته منه ، قال حدثنا محمد بن ابي نصر الحميدي وهو اول حديث سمعته منه ، قصد به التسلسل ، قال حدثني منصور بن النعمان بن منصور بن احمد الصميري املاء من كتابه بالفسطاط ، وهو اول حديث سمعته منه ، قال حدثنا حــمــزة بن عبد العزيز بــن محمد المهلبي بنيسابــور وهــو اول حديــث سمعته منه ، قــال حدثنا عبد الرحمــان بن بشر بن الحكم وهو اول حديث سمعته منه ، قال حدثنا سفيان بن عيينة وهو اول حديث سمعته من سفيان عن عمرو بن دينار وهو اول حديث سمعته منه ، عن ابي قابوس مولى لعبد الله ابن عمرو بن العاصي وهو اول حديث سمعته منه ، عن عبد الله بن عمرو بن العاصي ، قال : الراحمون يرحمهم الرحمان ، ارحموا اهل الأرض يرحمكم مَن في السماء ، هكذا روى ابن بشكوال هذا الحديث في معجم شيوخه ، ورواه في مسلسلاته عن القاضي عياض وزياد ابن الصفار جميعاً عن ابى علي ، وقال هكذا روينا هذا الحديث من هذا الطريق موقوفاً على عبد الله ابن عمرو .

قــولــه لم يرفعــه ، قــال وقــد رويـنــاه ايــضــاً مرفوعــاً الــى النبــي صلى الله عليه وسلم فحدثنــا الامــام محمد بــن عبد الله المعافــري قراءة مني عليه ، قال حدثنا علي بن ايوب ببغداد ، حدثنا عبد الغفار بن محمد ، حدثنا محمد بن احمد بن الحسن ، حدثنا بشر بن موسى ، حدثنا الحميدي عبد الله بن الزبير ، حدثنا سفيان ، حدثنا عمرو ، اخبرنى ابو قابوس مولى عبد الله بن عمرو انه سمع عبد الله بن عمرو يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الراحمون يرحمهم الرحمان ، ارحموا اهل الأرض يرحمْكم اهلُ السمــاء .

وهــذا الحديث قــد رويتُه مسلسلا من طــرق مذكــورة في غيــر هــذا الموضع ، وكلمني مَن اوجب حقه واوثــر وفقه تخريج اسانيده فيه .

وجمع طـرقه المتصلة ، فاجتمع لي من ذلك جـزء ، وسميته بـ (المـورد المسلسل ، في حديث الرحمة المسلسل) ، وهنالك من الكلام عليه ما انتهت معرفتي اليه (303) .

فائـدة قال في (نفح الطيب) في ترجمة ابي عبد الله الراعي الغرناطي ما نصه · ومن فوائده : حكى لي بعض علماء المالكية قال ، كنا نقرأ (المدونة) على الشيخ سراج الدين البلقيني الشافعي ، فوقعت مسألة خلافية بين مالك والشافعي ، قال الشيخ في مسألة مذهبنا كذا في مسألة لم بقل فيها الشافعي بما قال ، وانما نسبها البلقيني لنفسه ، ثم فطن وخاف ان ينتقد عليه المالكية ويقولون له انت شافعي وليس هذا مذهب ما للشافعي ، فان قلتم يا مالكية لسنا بمالكية ، وانما أنتم شافعية قلنا كذلك انتم قاسمية ، وقد اجتمعنا الكل في مالك ، قال وهذا الكلام حلو حسن في غاية الانصاف من الشيخ ، قال ولما قرىء عليه كتاب (الشفا) مدحه واثنى عليه الى الغاية ، وكان يحضره جماعة من المالكية ، فقال للقاضي جمال الدين ابنه ما لكم يامالكيه لا تكونون مثل القاضي عياض ؟ فقال له ابوه الشيخ سراج الدين المذكور : وما لك تقول للشافعية ما لكم ياشافعية لا تكونون مثل القاضي عياض .

وقال في (نفح الطيب) في ترجمة الحافظ ابن مرزوق شارح (الشفا) ما نصه : قال في (الاحاطة) ولما شرح كتاب (الشفا) للقاضي عياض رحمه الله تعالى واستبحر فيه واكثر النقل وبذل الجهد طلب اهل العدوتين بنظم مقطوعات تتضمن المدح والثناء على الكتاب المذكور ، واطراء مؤلفه ، فانثال عليه من ذلك الطم والرم بما تعددت منه الأوراق ، واختلفت في الاجادة وغيرها الأرزاق ، ايثاراً لغرضه ، ومبادرة من اهل الجهات لاسعاف اربه ، وطلب مني ان الم في ذلك بشيء فكتبت له في ذلك :

شفـاء عياض للصدور شفـــاء   فليس بفضل قد حواه خـفـــاء
هديــة بـر لم يكن لجـزيلهـــا   سوى الأجر والذكر الجميل كفـاء

---

(303) معجم اصحاب الصدفي ص 308

وفى لنبي الله حـــق وفـــائـــه ... واكرم اوصـــاف الكـــرام وفـــاء
وجاء به بحـــراً يفـــول بفضلـــه ... على البحر طعم طيـــب وصفـــاء
وحـــق رســـول الله بعد وفاتـــه ... رعـــاه وإغفـــال الحقوق جـفـــاء
هو الذحر يغني في الحياة عتـــاده ... ويتـــرك مـــنـــه للبنين رفـــاء
هو الأثـــر المحمود ليس ينالـــه ... دثور ، ولا يخشى عليه عـــفـــاء
حرصت على الاطناب في نشر فضله ... وتمجيده لـــو ساعدتني فـــاء

واستزاد من هذا الغرض الذي لم يقنع منه بالقليل فبعثت اليه من محل انتقالي بمدينة سلا حرسها الله تعالى :

أأزاهـــيـــر ريـــاض ... أم شـــفـــاء لـــعـيـــاض
جـدل الباطـــل للـحـــق ... بـأســيـــاف مـــــواض
وجـــلا الأنـــوار بـــرهـــ ... ـــانـاً بـحـق وافتـــراض
وشفـــا مـــن يشتكي الـغـلـــ ... ـــة في زرق الحـيـــاض
ايُّ بـنـيـــان مـــقـــام ... ءامـــن خـــوف انـقـضـــاض
اي عـهـد لـيـس يـرمـى ... بانـتـكـــاث وانـتـقـــاض
ومـعـــانٍ في ســـطـــور ... كـأســودٍ فـي غـيـــاض
وشـــفـــاء لـصـــدور ... مـن ضنى الجـهـل مـــراض
حـــرر القـصـــد فماشيـــ ... ـــن بـنـقـد واعـتـــراض
يـاابـا الفـضـل ادرِ بـأن ... اللـه عـن سـعـيـك راض
فـــاز عـبـد" أقـــرض اللـ ... ـــه برجحـــان القِـــراض
وجـبـت غـــر المـزايـــا ... مـن طـــوال وعـــراض
لـــك يـــا اصـــدق راوٍ ... لـك يـا اعـدل قـــاض
لـرسـول الله وفـيـــت ... بـجـهـد وانـتـهـــاض
خـيـر خـلـق الله في حـــا ... لٍ وفـي ءاتٍ ومـــاض
سـدد الله ابـن مـــرزوق ... الـى تـلـك الـمـراضـي
زبـدة الـعـرفـــان مـعـنـى ... كـل نسـك وارتيـــاض
فتـولى بسـط مـا اجـــ ... ـــملت مـن غيـر انقـبـاض

ساهــراً لـم يـدر في استخـ ـلاصه طـعـم اغـتـمـــاض
ان يـكــن ديـمـاً عـلى الأيـ ـــام قـد حـان التـقـــاضي
دام في عـلـو ومـــن عـــا داه يـهـوي في انـخـفـاض
مـا وشى الصبح الـديـاجـي فـي ســـواد ببـيـــاض

ثم نظمت له ايضاً في الغرض المذكور والأكثار من هذا النمط في هذا الموضع ليس على سبيل التبجح باجادته وغرابته ، ولكن على سبيل الاشادة بالشرح المشار اليه ، فهـو بالغ غاية الاستبحار :

حييت يا مختط سبت ابن نـوح بكل مُـزنٍ يغتـدي او يـــروح
وحمل الريحـانُ ريحَ الصبـــا امـانـةً فـيـك الى كـــل روح
دار ابي الفضل عيـاض الـــذي اضحت بـريـاه رياضـاً تفـوح
ياناقـلَ الآثـار يُعنَـى بـهـــا وواصلا في العلم جـريَ الجمـوح
طِرفُك في الفخر بعيدُ المـــدى طرفك للمجد شديـد الطـمـــوح
كفاك اعجازاً كـتـاب الشـفـــا والصبح لا ينكـر عند الوضـــوح
لله مـا اجـزلت فـيـنـا بـــه من منحة تقصر عنهـا المـنـــوح
روض من العلم هـمـا فـوقـه من صيب الفكر الغمـام السفـوح
فمن بيـان الحـق زهـرٌ نـــدٍ ومن لسان الصدق طير صـــدوح
تأرج العرف وطاب الجنـــى وكيف لا يثمر او لا يفـوح !
وحلة من طيب خير الـــورى في الجيب والأعطاف منها نضوح
ومعـلـم للـــديـــن شيدتـــه فهذه الأعلام منـه تلــــــوح
فقل لهامان كذا او فـــــلا يامن اضل الرشدَ تَبنى الصروح
في احسن التقويم انشأتـــه خلقاً جديداً بين جسـم وروح
فعمره المكتوب لا ينقضـــي اذا تقضَّى عمرُ سـام ونـوح
كأنه في الحقل ريحُ الصبـا وكل عطف فهو غصن مـروح
ما عذرُ مشغوف بخير الورى ان هاج منه الذكر ان لا يبوح
عجبت من اكباد اهل الهـوى وقد سطا البعد وطال النـزوح
ان ذكر المحبوب سالت دمـاً ماهن اكباد ولكن جـــروح

ياسيدَ الأوضاع يامن لــــه — بسيد الأرسال فضل الـرجوح
يامن له الفخر على غيـــره — والشهب تخفى عند اشراق يـــوح
ياخير مشروح وفى واكتفـــى — من ابن مرزوق بخير الشروح
فـتــح من الله حـبــاه بـــه — ومن جناب الله تأتي الفتوح (304)

وذكر المقْري في (النفح) في ترجمة محمد بن عبد الرحمان الكرسوطي الفاسي نزيل مالقة وصاحب التاليف العديدة ألف تقييداً على قواعد الامـام القاضي عياض رحمه الله تعالى برسم ولد لسان الدين ابن الخطيب رحمـــه الله تعالى (305) .

وقال في ترجمة ابن زمرك نقلا عن (الاحاطة) ما نصه : وفي مــدح كتاب (الشفا) طلبه الفقيه محمد ابن مرزوق عند ما شرع في شرحه :

ومسرى ركاب للصبَّا قد ونتْ به — نجائب سحب للتراب نزوعهـا
تسل سيوف البرق ايدي حداتهـا — فتنهلُّ خوفاً من سطاها دموعها
تعرضن غرباً يبتغين معرســـاً — فقلت لها مراكش وربوعهـــا
لتسقي احداثاً بها وضرائحـــا — عياض الى يوم المعاد ضجيعُهـا
واجدرْ مَن تبكي عليه يراعــة — بصفحة طرس والمداد نجيعـها
فكم من يد في الدين قد سلفت لــه — يُرضـِّي رسولَ الله عنها صنيعها
ولا مثل تعريف (الشفاء) حقوقــه — فقد بان فيه للعقول جميعهـــا
بمرءاة حسن قد جلتها يدُ النهــى — فأوصافه يلتاح فيه بديعهـــا
نجوم اهتداء والمداد يجنهـــا — واسرار غيب واليراع تذيعهـا
لقد حزت فضلا يا ابا الفضل شاملا — فيجزيك عن نصح البرايا شفيعهـا
ولله ممن قد تصدى لشرحـــه — فلباه من غر المعاني مطيعهـا
فكم مجمل فصلت منه وحكمــة — اذا كتم الادماج منه تشيعُهـا

304) **الاحاطة** 3 : 127

305) الذي في **نفح الطيب** 6 : 197 ان محمد بن عبد الرحمان الكرطوسي شرع في تقييد على القواعد المذكورة .

محاسن والاحسان يبدو خلالها — كما افترّ عن زهر البطاح ربيعها
اذا ما أجلتَ العين فيه تخالها — نجوماً بئافاق الطروس طلوعهـا
معانيه كالماء الزلال لذى صـدى — وألفاظه در يُروي نصيعهـا
رياض سقاها الفكرُ صوبَ ذكائه — فأخصب للوراد منها مريعهـا
تفجر عن عين اليقين زلالهـا — فلذّ لأرباب الخلوص شروعهـا
الا ياابن جـار الله ياابـن وليـه — لانت اذا عُد الكرام رفيعُهـا
اذا ما اصول المرء طابت ارومـة — فلا عجب ان اشبهتْها فروعها
بقيت لأعلام الزمان تُنيلهـا — هدى ولأحداث الخطوب نزوعها (306)

ثم قال في (النفح) ثم قلت انا عند ختم درس (الشفا) ، موطئاً لقصيدة ابن الجياب المذكور ولعذبِ براعتها مرتشقاً ، ما نصه والأعمالُ بالنيات :

انشقْ ازاهرَ عن فنون رياض — للعلم ، واكرعْ عن عـذاب حياض
واسق الرياضَ بذكرها الفياض — واحفظ كلاماً للامام عيـاض
قد تممت اقسامُه تتميمـا

لله روض هناء اينع دوحُـه — يجنى به فن الكريم ومنحـه
فهو الشفاء لمر تكاثر برحـه — مسك الختام به تعطر نفحـه
فشذاه في الأرجاء صار شميما

فاضتْ علينا من هداه عوارف — زهـر وانـوار وظـل وارف
ونمارق مصفوفـة ومطـارف — ياحسن ما ابداه فذّ عـارف
دراً بأسلاك الحديث نظيمـا

لم لا وبالملك الشفيع تشرفـا — خير البرية ركن أرباب الصفـا
من اسعد الراجي وقصداً اسعفـا — طه النبـي الهاشمي المصطفى
صلوا عليه وسلموا تسليمـا

وقد ذكرنا في هذا الكتاب تراجم ثلاثة عشر من اشياخ القاضـي عياض ، منهم الامام ابن رشد ، وابو بكر بن العربي ، ومحمد بن مسعـود

---

306) الاحاطة 2 : 310 ونفح الطيب 7 : 159

المكتب ، ومحمد بن علي المعروف بابن الصيقل ، والحسن بن عبد الأعلا الكلاعي ، وعبد الله بن احمد ابن خلوف ، وعبد الله بن محمد ابن ابراهيم ، وعبد الرحمان ابن العجوز ، وعبد الغالب بن يوسف ، وعبد المجيد ابن عبدون ، وموسى بن ابي تليد ، وسعيد بن احمد ، وابو الحجاج الضرير .

وممن اختصر (الشفا) الشيخ مصطفى الرحمتي المتوفى سنة 1205 تلميذ ابن عقيلة (307) ، والسيد مصطفى البكري والمنور (308) ، قال الوجيه الأهدل : اختصر ـ اعني الرحمتي ـ الشفا اختصاراً جميلا وشرحه بشرح لم تكتحل عين الزمان بمثله تحريراً وتحبيراً ، انتهى (309)

وما تقدم عن (يتيمة العقود الوسطى) من ان ابيات .

رب ورقاء هتوفٍ في الضحى ذات شجو صدحت في فنن

اسند الحافظ الذهبي في ترجمة ابن الخاضبة ابي بكر محمد بن احمد البغدادي الدقاق عن ابي بكر الشبلي ان بعض المتصوفة سأله عن الرجل يسمع قولا فلا يفهمه فيتواجد عليه ، فأنشأ يقول : رب ورقاء هتوفٍ بالضحى الأبيات الأربعة مع اسقاطه الثاني منها المزيد فيها الساقط الوزن ، راجع ز2 من ج 4 من تذكرة الحفاظ .

وقال الامام الحافظ جمال الدين محمد بن موسى الدؤلي رحمه الله ورضي عنه :

ما كتاب (الشفاء) الا شفاء للقلوب المراض والأجساد
وهو للعز والقبول كما قد جاءنا من مشايخ الاسناد

307) تنظر ترجمة الرحمتي في **فهرس الفهارس والاثبات** 1 : 317

308) هو محمد بن عبد الله المعروف بالمنور التلمساني المتوفي في مصر راجعا من الحج يوم 12 شوال عام 1173 هـ تنظر ترجمته في **فهرس الفهارس والاثبات** 2 : 9

309) العبارة في الأصل مضطربة ، وقد ثقفنا قناتها اعتمادا على **فهرس الفهارس والاثبات**

فجزى القاضي المصنف خيرا — وحباه الجنان ربُّ العبـــاد
نســـأل الله حشرنا كلنا فـــي — زمرة المصطفى البشير الهادي

وقال ايضاً :

لله ذو الفضل المسمى عياض — خير امام حاز علماً وخـــاض
صنف في فضل النبي (الشفا) — ولم يكن صنيعه قبل مـــاض
سفرٌ حوى للمصطفى ما حوى — كل بمـــا فيـــه مُقـــر وراض
حتى غدا مشتهرا فضلــــه — واحرز الفخر الطوال العـــراض
ذاك كتاب قد غدا كاسمـــه — فيه شفاء للقلـــوب الـمـــراض
فاشدد يد العزم به تستفــــد — ثم اقض من امرك ما انت قـــاض

ولبعضهم :

كلهم عالج الدواء ولكـــــن — ما اصاب الشفاء الا عيـــاض

وممن ترجمه صاحب (الشذرات) .

ومن شروح قواعده التي لم تكمل شرح احمد بن يوسف البرلسي المالكي المعروف بابن الأقيطع المترجم بـ(الضوء اللامع) ، وذكر السخاوي فيه انه الف (الانهاض ، في ختم الشفا لعياض) ، بل له مصنف ءاخر حافل اسمه الرياض ، انتهى .

وذكر في ترجمة الشيخ محمد بن علي الهلالي انه اختصر (الشفا) ، وذكر في ترجمة الشيخ محمد بن محمد القليوبي المعروف بالحجازي انه كتب على (الشفا) تعليقاً لطيفاً ، وممن شرحه ولم يكمله الكمال ابن ابي شريف (310) .

---

310) ترجمة القاضي عياض واخباره موجودة في مئات من كتب التاريخ والأدب والطبقات ، واجمع ما كتب فيه كتاب **التعريف بالقاضي عياض** لابنه محمد من منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية بالمغرب ، وكتاب **ازهار الرياض ، في اخبار عياض** المطبوعة اجزاؤه الثلاثة الاولى بمصر ، وجزآه الرابع والخامس بالمغرب وقد استوعب المؤلف النقل من الأمهات التي عرفت بالقاضي عياض ، ولكن مع شيء غير قليل من التكرار والاضطراب .

1490) عيسى بن يوسف ابن الملجوم الأزدي الفاسي

عيسى بن يوسف بن عيسى بن علي الأزدي المدعو بابن الملجوم من بيت بني الملجوم بفاس هو لقب على جدهم قاسم في شبيبته ، سمي بذلك لتوقف كان في لسانه وكلامه ، وكان سلفه قبل يعرفون ببني مصعب ، نسبة لجدهم مصعب بن خالد بن يزيد بن المهلب بن ابي صفرة ، وهم غير بني الملحوم بالحاء المهملة من الأزد ، وكانوا من أعيان فاس وانقرضوا ، واما عيسى المذكور فولي القضاء بفاس وبمكناسة ، وكان عارفاً بالفقه ذاكراً للمسائل ، متقدماً في علم الفرائض ، محدثاً حافظاً راوية ، سمع ببلده من ابيه قاضي الجماعة يوسف ويوسف ابن النحوي ويوسف الكلبي الضرير ، وبأغمات من ابي محمد اللخمي سبط ابي عمر بن عبد البر ، ودخل الأندلس ، فلقي بقرطبة ابا عبد الله ابن الطلاع وابا بكر حازم بن محمد وابا علي الغساني وابا الحسن ابن سراج وابا محمد ابن عتاب ، ثم دخل الأندلس ثانية فلقي باشبيلية ابا عبد الله ابن شبرين ، وكتب اليه ابو عبد الله الخولاني وابو علي ابن سكرة وغيرهما ، وكان من اهل الجلالة والأصالة راوية جماعة للدواوين العتيقة والدفاتر النفيسة ، ذكر انه ابتاع من ابي علي الغساني اصله من سنن ابي داود الذي سمع فيه على ابي عمر بن عبد البر ، وهو اصل ابي عمر كان قد صار الى ابي علي بمال جليل بعد ان نسخ منه ابو علي بخطه وقابله واتقنه ، حدث عنه ابنه عبد الرحمان وابو محمد ابن فليح وقال (ابنه المذكور) ولد يوم الاثنين مستهل ذي القعدة سنة ست وسبعين واربعمئة ، وتوفي في رجب عام ثلاثة واربعين وخمسمئة .

ترجمه في (الجذوة) (311)

1491) عيسى اخو المهدي بن تومرت ، كان المترجم مع اخيه عبد العزيز المتقدم من مشيخة العسكر ووجوه الجيش باشبيلية ايام فتحها ووفادة اهلها على عبد المومن بمراكش حسبما تقدم ، ثم لما آثرهما بها استطالت

---

311) **جذوة الاقتباس** ص 500 ع 570

ايديهما على اهلها واستباحا الدماء والأموال ، ثم اعتزما على الفتك بيوسف البطروجي صاحب لبلة فلحق ببلده واخرج الموحدين الذين بها وحول الدعوة عنهم الى المرابطين ، ونشأ عن ذلك فساد كبير بالأندلس ، ثم لحق اخو المهدي بالعدوة في خبر طويل ، واستمرَّ حالهما الى ان بايع عبد المومن لابنه محمد بولاية العهد وعقد لأخوته على العمالات والنواحي ، ففسدت نيةُ عبد العزيز وعيسى بذلك مع ما كان صدر من عبد المومن من قتل عمهما يصليتن وكانـــا يومئذ بفاس وعبد المومن بسلا ، فخرجا من فاس الى مراكش على طريـــق المعدن مضمريْن للغدر ، واتصل خبرُ خروجهما بعبد المومن ، فخرج مـــن سلا في اثرهما متلافياً امرَ مراكش ، وقدم امامه وزيره احمد ابن عطيـــة فسبقاه اليها وداخلا بعض الأوباش بها في شأنهما ، فوثبوا بعاملها عمر بن تافراكين فقتلوه بمكانه من القصبة ، ووصل على اثرهما الوزير ابن عطية ثم عبد المومن على اثره ، فاطفأ تلك الثائرة وتقبض عبد المومن على عبد العزيز وعيسى فقتلهما وصلبهما وتتبع المداخلين لهما فألحقهم بهما وانقطع الشغب وزال الفساد (312)

1492) **عيسى بن عمران ابن دافال المكناسي** ، صحب ابا القاسم ابن ورد واختص به ، وكان يقول لم يكن بالأندلس مثل ابي القاسم ابـن ورد ولا احاشي من الأقوام من احد .

قال ابن الأبار سمعت ابا الربيع ابن سالم يقول سمعت ابا الخطاب ابن الجميل يقول ، سمعت عيسى يقول فذكره ، ولقي بأغمات في سنـــة 530 ابا محمد اللخمي فسمع منه ، وكان من الراسخيـــن في العلم ، قـــائماً علـــى الأصول والفروع ، اديباً شاعراً خطيباً مفوهاً مدركاً من رجال الكمال ، ولي قضاء مراكش فحمد ، وتوفي في شعبان سنة 578 وولد سنة اثنتي عشرة (313)

---

312) ينظر عن خروج عيسى بن تومرت واخيه عبد العزيز على عبد المومن بن علي عام 549 هـ **الأنيس المطرب بروض القرطاس** ص 195 (طبع الربط) **وتاريخ ابـــن خلدون** 6 : 487

313) ما تقدم منقول من **التكملة** ص 690 ع 1931 (طبع مدريد) .

وقال (المعجب) عند ذكر قضاة يوسف بن عبد المومن الموحـدي ما نصه : قضاته عبد الله المالقي المتقدم الذكر ، ثم عزله ولى بعده عيسى ابن عمران التازي من اهل رباط تازة من اعمال مدينة فاس من قبيلة يقال لها تسول من البربر يرجعون الى زناتة ، كان عيسى هذا من اهل المغرب ونبهائهم، وكان خطيباً مصقعاً وبليغاً لسناً وشاعراً مفلقا مشاركا في كثير من العلوم ، ونال في ايام يوسف (بن عبد المومن) حظوة ومكانة ، كان يتكلم عن الوفود ويخطب في النوازل فيأتى بكل عجيبة ، وكان مع هذا ذا مروءة تامة وتعصب لمن ينقطع اليه مفرط ، اخبرني ابنه موسى قاضي الجماعة في وقتنا هذا قال ، سمعت ابي يقول وقد لامه بعضُ مَن يلوذ به في التنويه بأقوام ليستْ لهـم سوابقُ ولا اقدار ، رفعهم من الحضيض جاهه ، ونبههم بعد الخمول اعتناؤه ، ليس العجب ممن يأتي الى رجل نبيه القدر يرفعه ، انما العجب ممن يحيـي الميت وينبه الخامل ويرفع الوضيع ! فاما نبيهُ القدر فنباهته تكفيه ، وبلغ من افراطه في التعصب ان قال يوماً ليس بحماية ان تحمي صاحبك وهو محق ، فان الحق اظهر واقوى من ان يُحمَى ، انما الحماية ان تحميه وهو مبطـل ، في اشباه لهذه الأخبار ، وكان له اولاد ما منهم الا ولى القضاء ، وهم علي ، وكان عليٌ هذا رجلا صالحاً ، ولي في حياة ابيه قضاء مدينة بجاية ثم عزل عنها وولي مدينة تلمسان ، وهو عندنا من المشهورين بالتصميم والتبتل فـي دينه ، وممن لا تاخذه هوادة في الحق ، ومن اولاده طلحة ، ولي قضاء تلمسان ويوسف ، تركته قاضياً بمدينة فاس ، بلغتني وفاته وانـا بمكـة سنـة 620 ، وموسى قاضي الجماعة في وقتنا هذا ، انتهى المقصود منه (314)

وقال في الذيل والتكملة :

عيسى بن عمران بن دافال ، بدال غفل والف وفاء والف ولام المكناسي ثم الوَرْدَ ميشي بفتح الواو واسكان الراء وفتح الدال غفل وميم وياء مـد وشين معجم منسوباً تلمسيني سكن مراكش وغيرها ، روى ببلده عن الحسن بن عبد الله ابن الخراز وغيره ، وقدم الأندلس طالباً العلم فأخذ بألمرية عـن

---

314) المعجب ص 318 (طبع القاهرة) .

ابي القاسم ابن ورد واختص به واكثر عنه ، ولقي بأغمات وريكه قاضيها ابا محمد سبط ابن عبد البر فسمع منه ، وبمراكش حجاج بن يوسف وتفقه بـه ، روى عنه ابو الخطاب ابن الجميل وابو عبد الله بن علي ابن مروان والحسن ابن حجاج ، وكان احد رجال الجلال فقيهاً حافظاً قائماً على الفقه واصوله ، راسخ القدم في فنون من العلم حسن التصرف فيها ، خطيباً مصقعاً مستبحراً في الأدب والذكر للتواريخ ، ذا حظ صالح من قرض الشعر ، ومنه في مرضه الذي توفي منه يوصي به اكبر بينه وسائرهم واشتملت على حكم وادب :

دع ذكر دار قصرها ان تخربـا ... واعمل لدار مقامة لن تذهبـا
ما كنت احسب ياعلي منيتـي ... تقضي عليَّ مغرباً عن زينبـا
فارفق بمَن سميتُها لك مشفقاً ... تحرز رضا تكفل اخـ . . . . . .
فلها بقلبي لو (وعيت) مكانـة ... تركت فؤادي موقداً متلهبـاً
جمعت محبة كل . . . اتت لنا ... فيها فصار البعض كلا . . . . . .
ومحمد فاشغله بالا بالـذي ... هو نافع عن ان يميل الى . . . . .
وارحم غرارة سنه وبقـاءه ... لليتم محتاجاً الى ان يطبـا
لو مت قبل شعورد بأبوتـي ... مرت عليه مصيبتي مرَّ الصبا
لاكننـي عودتـه مـا ان راى ... ما دونه صار الصبيُّ معذبـا
واعلم بأن سيكون سيفاً قاضباً ... ان عاش لا ينبو اذا سيف نبا
يرمي فيصمي من نأى عن ودكم ... عرف المحزَّ فما اطاق المضربا
هذي نحيلة ذي تجارب جمـة ... قد يستدل بما بدا عما اختبـا
وكذاك اخوته فكونوا الفـة ... فبالاجتماع تكسرون الأصلبـا
وتغالبون فتغلِبون عدوكـم ... لو ظنه الناسُ الأعز الأغلبـا
وتقى الاله فقدموها عـدة ... لا تخذل الاخوان ان خذل الشبا
وارضوا من الدنيا بأيسر بلغة ... وثقوا بما قسم الالاه وسببـا
فالحرص مقرون به ما يتقـى ... واخو القناعة عاش عيشاً طيبا
قد طلق الدنيا بأرفع همـة ... فاستعجل العيش الهنى الأعذبا
ولكم راينا الفاتنين بجاههـم ... وبمالهم قد مزقوا ايدي سبـا
متبرئاً منهم ومن سلطانهـم ... متكرهاً عرفانهم متجنبـا
صرعى بسيف مشهر او نكبة ... صاروا حديثاً في المجالس معجبـا
يبكي لهم مَن كان يبكي عنهـم ... يرثي لهم من اوردوه المعطبا

اشقوا معارفهم وعمم شرهـــم من كان ابعد منهم او اقربـــا
والعلم كونوا يابني من اهلـــه فالعلمُ افضل ما ارى ان يكسبا
فتعلموه لدينكم ومعادكـــــم وذروا اناساً صيروه مكسبـــا
فلهم اشد من اللصوص مضرة ولهم ذباب يأكلون الأذوبـــا
ما ان راينا عالماً اودى طـــوى لابد من عيش ولو رجل الدبا
· · · · · · لـــذيـــذ طعـمــه لم يحم يوماً نفسه ان تعطبـــا
· · · · · · · · · المجد وربمـــا اثرى اخو العجز الذي ما ان حبا
· · · · · · وان اظهر عندكـم من ان ابين ا · · · ن المغربا
· · · · · · والتجارب فصلـــت اترون عن ذا ثم هذي مذهبـا
· · · · · في ارضائهن هو الهدى والحطُ في اهوائهنّ هو الوبا
· · · · · صحة خلهن ودينـــه ولشر حالات الفتى ان يذهبـــا
فتطلبوا لفتاتكم متدينـــــــاً يخشى الاله ويستحي ان يعتبا
وذروا اخا المال العديد ، فقلمـا كان التحيل فيه الا خلبـــا
ومتى استضاف الى الحراثة خيبة كان التظني فيه اكذب اكذبـا
والمرء يمحض رايه ولربمـــا ظن الخلاف لمن يراه اصوبـا
لاكن كل اصابة عن وهلـــة عند الرجال اولي النهى شبه الهبا
والله مولانا يصون جميعكـــم لا أرتجي من غير مولى مطلبا
وهو الكفيل برحمتي وسعادتي هذا وان كنت المسيء المذنبا

واستقضى باشبيلية مدة ، ثم ولي قضاء الجماعة بعد موت ابـــي الحسن ابن ابي جنون فكان في ولايته القضاء مشكور السيرة ، جزلا في تنفيذ الأحكام ، معروفاً بالعدالة والنزاهة ، ولم تطل مدته في قضاء الجماعة وتوفي بمراكش وهو يتولّى قضاءَ الجماعة لخمس بقين من شعبان ثمان وسبعـين وخمسمئة ، واعقب ذرية نجبوا وانجبوا ثم انقرضوا الا بقية خاملة لا حظ فيهم لمختار ، ومولده سنة اثنتي عشرة وخمسمئة .

انتهى من (الذيل والتكملة) (315) .

315) **الذيل والتكملة** — قسم الغرباء — نسخة مصورة ص 79

وتقدم ذكر ولده علي بن عيسى ، وولده موسى ، وذكر حفيده ميمون بن علي بن عيسى ، وسيأتي ذكر حفيده يحيى بن موسى بن عيسى وذكر والده يوسف بن عيسى .

وقال في (بغية الملتمس) : عيسى بن عمران قاضي الجماعة ، فقيه حافظ ، عالم متصرف في العلوم جامع لها ، خطيب مصقع ، سمعت شيخه القاضي عبد الرحمان بن محمد يقول : لم ترعيني مثله ، روى بالأندلس عن ابن ورد وغيره ، ولم يزل نسيج وحده الى ان توفي ، انتهى (316) .

وولي قضاء مراكش بعد وفاته احمد ابن مضا كما تقدم في ترجمته ، وممن تفقه بالمترجم الحسن بن حجاج بن يوسف الهواري المتقدم .

وقال في (القرطاس) و (الجذوة) :

عيسى بن عمران الشيخ الفقيه القاضي بحضرة مراكش ، الصالح الورع ، كان من الفقهاء ، ومن اهل السخاء والكرم كتب الى ولد له تركه بمدينة بمدينة فاس : الى ولدي فلان هداه الله وصانه ، وجمله بالعلم والتقوى وزانه ، كتبته اليكم عن اشتياق كثير ، وبمشيئة الله تعالى تتيسر الأمور ، وبتكاثف السرور ، واذا وجدتكم على ما احبه من ادوات الحفظ والأداء والتزام ءاداب العقلاء ، جازيتكم بما يرضيكم ، وبما يزيد على اقصا تمنيكم ، وقد اجمعت الأيمة على ان الراحة ، لا تنال بالراحة ، وان العلم ؛ لا ينال براحة الجسم ، فادرس ترأس ، واحفظ واقرأ ، ترقا ؛ ومهما ركنت الى الدعة ، كنت في اهل الضعة ، وما رايت الناس مجتمعين على حمده فاجتلبه ، وما رايتـهم مجتمعين على ذمة فاجتنبه ، والأعدل الأقسط ان تسلك السبيل الأوسط :

وما المرء الا حيث يجعل نفسه   ففي صالح الأعمال نفسك فاجعل

والسلام .

توفي سنة ثمان وسبعين وخمسمئة (317)

---

316) بغية الملتمس ص 404 ع 1155

317) الانيس المطرب بروض القرطاس ص 268 وجذوة الاقتباس ص 503 ع 576

وقال في (نفح الطيب) : وقال القاضي عيسى بن عمران :

ما للتجارب من مدى ... والمرء منها في ازدياد
قد كنت احسب ذا العلا ... مَن حاز علماً واستفاد
فاذا الفقيه بغير ما ... ل كالخباء بلا عماد
شرف الفتى بنضاره ... ان الفقير أخو الجماد
ما العلم الا جوهر ... قد بيع في سوق الكساد

وتقدم ذكر ولده موسى قاضي مراكش (318)

1493) **عيسى بن عبد العزيز ابن يَلَّبَخْتْ الجزولي** ، النحوي ، المراكشي ، حجّ ولازم عبد الله بن بري بمصر فأخذ عنه العربية واللغات ، وسمع من ابي محمد ابن عبيد الله صحيح البخاري ، وصدر من رحلته فتصدر بالمرية والجزائر عمل بجاية دهراً لاقراء النحو ، وكان اماماً مقدماً في معرفة العربية لا يجاري ، مع جودة التفهيم وحسن العبارة ، واليه انتهت الرياسة في هذا الشأن ، وله مجموع على الجمل كثير الفائدة متداول يسمى بالقانون ، وقد نسب الى غيره ، اخذ عنه جِلّة .

توفي بأزمور من ناحية مراكش سنة 607 قاله ابو عبد الله ابن الضَرير ، وقال غيره سنة ست .

نقله في التكملة (319) .

وقال في الذيل والتكملة في ترجمة المترجم :

عيسى بن عبد العزيز يَلَّبَخْتْ بفتح الياء المفسول وفتح اللام المشدد ، وهو اسم مقتضب من يلا البخت ومعنى يلا عند المصامدة له او عنده ، ابن وَماريلي بفتح الواو ومعناه ابن ، وميم وراء وياء مد ولام

---

318) **نفح الطيب** 3 : 318

319) **التكملة** ص 690 ع 1932 (طبع مدريد) .

وياء مـد القَزْولي بقـاف معقود مضموم ، وزاي وواو مـد ولام منسوب ، اليَزْدَكْتَني بفتح الياء المسفول واسكان الكـاف وفتح التاء المعلو ونون منسوباً ، وامه تيلَمَّان بتـاء معلو وياء مـد ولام مشدد مفتوح وميم والف ونون وهو مقتضب من تين الامـان ، ومعنى تين صاحبة ، بنت تيفاوت بتاء مسفول وياء مـد والف وواو ساكن وتـاء معلو ومعناه الضياء ، وموضعـه من بلاد قزولة يدعى ايداوغردا بهمزة والف ويـاء مسفول (ودال والف مد) ومعناه اهل او طائفة ، وواو مفتوح ومعناه .... معجم مفتوح وراء ساكن ودال غفل والف .... بألف قبله همزة ثم تحذفـان تخفيفـاً ، فكـان معنى اسم هـذا .... شرق ابـو موسى وحجَّ وحضر بمصر مجلس ابي عبد الله .... الجبار ابن بري رئيس النحويين بالبـلاد المصرية ، والمرجوع اليه (في علم) العربية وابو موسى لا يحسن شيئـاً من النحـو فبحبـه في العلم ومواظبتـه على طلبـه لم يمـر له الا القليل حتى فهم الطريقة وتكلم فيهـا مـع اربابهـا ، وعكف على قراءة النحو عند ابي محمد ابن بري ، وقرأ عليه تاج اللغة وصحاح العربية لأبي نصر اسماعيل بن حماد النيسابوري الجوهري ، وكتبه بخطه وروي ايضاً هنالك عـن مهذب الدين ابي المحاسن مهلب بن الحسن بن بركات بـن علي غياث بن سلمـان المهلبي النحوي اللغوي ، وبالاسكندرية عن ابي الطاهـر السِّلَفي ، وعمر بن ابي بكر بن ابراهيم التميمي السعدي الصقلي ثم قفل الى بلاد المغرب ، فأقـام بجزائر زغنا مـدةً اخـذ بها عن ابي عبد الله بن ابراهيم اصـولَ الفقـه ولزمـه حتى اتقنـه ، ودرس اثنـاء مقامه بـهـا العربيةَ فأخـذ عنه بهـا حينئذ يحيى ابـن معطى بن عبد النـور الزواوي المستوطن بعـد دمشق المدعو هنالك بزين الديـن ناظم الأرجوزة المهذبـة في النحو الموسومة بـ(الدرة الألفية ، في علم العربية) ومحمد بن قاسـم ابن منداس ، واخذ عنه بها او بغيرها من بلاد افريقية يحيى بن علي بن الحسن بن علي ابن حبوس الهمداني ومحمد بن علي بن بلقين القلعي ابن طرفة ، ثم اجاز البحر الى جزيرة الأندلس ، فكتب بالمرية زماناً ، واخذ عنه بها من اهلها جماعة ، منهم ابو اسحاق بن غالب وابو عبد الله بن احمد ابن الشواسْ ، ثم عاد الى العدوة واخذ عن ابي محمد الحجري ، واستوطن مراكش وانتصب فيها

لتدريس العربية ، فأخذ عنه بها ابو ادريس يعقوب بن يوسف الصنهاجي ، وابو اسحاق ابن القشاش شيخنا ، وعبد الرحمان ابن دحمان، وابو الحجاج ابن علاء الناس ، وعلي ابن القطـان ، وابو زيد المكادي ، وابـو عبد الله ابن ابراهيم الوشقي ، وابن ابي الربيع بن محمد الايلاني ، وابو العباس بن محمد بن زكرياء المنجصي وابو العباس بن محمد الموروري وعبد الصمد ابن يوشحل ، ويكتب ايضا يوجْكَل وبالرسمين .... ابى موسى في موضعه وهو بالياء المسفول وواو مد وجيم (ساكن وقاف) معقود مفتوح ولام ، ومعناه .... المجوني .... مشدد وواو مد ونون منسوباً وعبد الكريم بن محمد الخزاعي وابو يعقوب يوسف بن عبد الرحمان التادلي ابن الزيات .

وكان كبير النحاة غير مدافع .... حسن الالقاء حافظاً للغة ضابطاً لما يقيد حسن الخط المشرقي .... بارعاً في اصوله ، متعلقاً بطرف صالح من رواية الحديث مع الورع والزهد .... والانقباض عن مخالطة الناس ومداخلة ابناء الدنيا ، وهو اول من ادخل (صحاح الجوهري) الى المغرب .

وله مصنفات في النحو مفيدة ، اشهرها التقييد المحاذي به ابـواب الجمل للزجاجي المسمى بالاعتماد وبالقانون ايضاً الجاري عليه بين الناس الكراسة القزولية ، ومن الناس واكثرهم بعض الأندلسيين من ينسبها لشيخه ابى محمد ابن بري ، ويذكر عن ابى موسى انه كان يقول انها جمع تلامذة ابى محمد ابن بري حسبما لقنوه عنه ، ومنهم من يأثـر عن ابى موسى انها من املاءات ابن بري على ابواب الجمل وان ابا موسى كملها ، وكل ذلك مما لا ينبغي التعريج عليـه ، وانمـا هـي تقـولات حسدتـه النافسين عليـه ، والا فلم تعرف من قبل ابى موسى ، وقـد اخذها الناس عنه ودرسهم اياهـا ولم تشهرْ الا لـه ، وقد وقفت على خطه في نسخ منهـا محملا اياها بعض آخذيها عنه ولم يأت بها احد زاعماً انه اخذها عن ابن بري على كثرة تلاميذه والآخذين عنه الى عصرنا هذا ، ولم يزل ابو موسى يتولى تهذيبها وتنقيحها والزيادة فيها والنقص منها وتغيير بعض عباراتها حسبما يؤديه اليه اجتهاده ويقتضيه اختياره ، وشهير ورعه يزعه عن التعرض الى مثل هذه التصرفات في

غير مصنفه ، اللهم الا ان يكون ابن بري قد اذن له في ذلك وهو بعيد ان لم يكن باطلا لما تقدم من انه لم يأت بها احد عنه ولا نسبها اليه منذ مئة وثلاثين سنة او نحوها وهلم جرا ، وعلى الجملة فانه كان راسخ القدم في النحو ، ولا سبيل الى انكار ذلك ، ومصنفاته تشهد بذلك ، ككتابه الذي بسط فيه مقاصد هذا الاعتماد وتوفي قبل اكماله ، وشرح ايضاً ايضـاح الفارسي جملة ، وشرح شواهده مفردة ، الى غير ذلك من التنبيهات والمعلقات .... سيبويه ، ومفصل الزمخشري ، وغير ذلك مما يعرب عن وفور .... ادراكه في هذا الفن ، وقد حدثني غير واحد ممن لقيته ان .... الحافل عمر ابن الشلوبين قدم على مراكش اول قدماته عليها .... وذكره عتيد ، وهو مستعد بما عنده للظهور على من اشتملت عليه .... بالعربية ، فدخل اليها من باب دكالة احد ابوابها الشمالية .... ابو موسى في ذلك الوقت يدرس في مسجد على الطريق بمقربة من ذلك الباب (فلما مر) به الأستاذ عمر وسمع اصوات طلبة العلم قد علت بالمذاكرة والمباحثة ، فسأل عن ذلك فأخبر انه مجلس (من مجالس) بعض اساتيذ العربية ، فدخل اليه متشوفاً ومتطلعاً على مراتب طلبة مراكش في النحو ، فألفاهم يتفاوضون في مسائل من النحو ، وبينما هو يستطرف مأخذهم في المناظرة دخل ابو موسى رجلا رقيق ...... تعلوه صفرة ذا غديرتين مبتذل الملبس على رأسه قلنسوة عـزف على زي ذوي المهن من برابرة البوادي ، وعندما اطـلَّ عليهم سكتوا وسكنوا هيبة له واجلالا ، ولما استقر بأبي موسى المجلس اخذ يتكلم في بعض ابواب العربية بضبط قوانينها وتقييد مسائلها واحكام اصولها بما لاعهد للأستاذ عمر بمثله ، فبُهت عند ذلك وسقط في يده ، وقال اذا كان مثل هذا الموضع الخامل الذي لا يكاد يؤبه له ولا يعدُّ من كبار مجالس العلم لكونه في اخريات البلد ينتصب للتدريس فيه مثل هذا البربري البعيد في بادي الرأي عن التكلم فضلا عن مثل هذا الاستبحار في النحو فما الظن بالمجالس المحتفلة والمساجد المشهورة التي يعتنى بها وبمدرسها ولاة الأمر ويعظم فيها الحفل ويجتمع اليها اكابر طلبة العلم ، هذا بلد لا أسود فيه بعلمي ، فانكفأ للحين من ذلك الموضع ولم يحلَّ بمراكش ولا حضر مجلساً من مجالس اساتيذها ، وعاد الى بلـده

اشبيلية مقضياً العجب مما شاهده ، ولما شاع ذكرُ ابي موسى واشتهر امره وعرف قدره تكاثر طلبة العلم عليه وانثالوا من كل حدب اليه حتى ضاق عنهم ذلك المسجد الذي كان يدرس فيه ، فانتقل الى مسجد ابن الأبكم شمالي محلة الشرقيين اسفل ممر باب أغمات الأعظم الى جهة العوادين ، ولما نمى الى (يعقوب) المنصور من بني عبد المومن خبره وقرر عنده ما هو عليه من الدين والزهد والورع والتقشف والاعراض عن الدنيا والانقطاع الى ....
لأهل الجاه من الأمراء والولاة ، وكان داب عبد المومن وبنيه ....
حاله والكشف عن باطن امره متخوفين ثورته وخروجه عليهم ....
ابا زيد ابن يَوْجّان بياء مسفول مفتوح وواو مضموم وجيم مشدد ....
.... طلبة العلم حينئذ ابا القاسم ابن ابي محمد المالقي فأمرهما بالتوجه اليه .... يديه ، واوعز الى وزيره انه ان وافقه على الوصول معه استصحبه مكرماً مبروراً ، (وان ظهر) منه تـأبٍ او تلكؤ ضرب عنقه في مجلسه وجاء برأسه ، فتوجها اليه ، ولما دخلا عليه .... نحوه ، فلم يعبأ بهما ولا عرف مَن هما ، وظنهما انهما ممن قصد اليه لاقتباس العلم ، ولما انتهيا اليه سلما عليه فرد عليهما السلام ، ومر في شأنه غير معرج عليهما ، فمكثا هنيأة ، فرأيا من حاله وهيأته ومعرفته وهيبته عند الحاضرين ما اوقع في نفوسهما اجلاله ، ثم دنا له الوزير وقال له اجب امير المومنين فانا رسولاه اليك فسبحل وحسبل وحوقل وقال ما لي ولأمير المومنين ؟ وأخذ يكررها ، فتشاغل عنه الوزير بالتكلم مع بعض من وليه من حاضري طلبة المجلس ، واشار الى رئيس الطلبة بأن يلقي اليه ما يهون عليه اجابة الدعوة والعمل على مرضاة امير المومنين ، ويعرض بما تجرُّ الاباية عن ذلك مما يحذر عليه ، فلم يزل يتلطف به حتى اجاب الى مادعي اليه على كره منه ، وتوجه معهما واخذ ابو القاسم يؤنسه ويلقي اليه صورة لقائه المنصور كيف تكون ، ويؤكد عليه في موافقة اغراضه اجمع حتى انتهيا به الى مجلس المنصور فدخل متلففاً في عباءة مؤتزراً بقطعة ثوب صوف ، فعجب من هيأته واختبره بكل وجه واستنطقه ، فألفاه احد رجال الكمال فصاحة وديناً وفضلا وعلماً ، فقربه وادناه ولاطفه في المكالمة حتى انسه وامره بنزع ما عليه من الثياب ولبس كسوة كاملة قد اعدت له ،

فامتثل للأمر عمـلا على اشارة ابى القاسم ، ثم صرفه مكرمـاً منوهـاً به ، واصحب النقيب ابا القاسم ابن المالقي مؤنسـاً اياه ، فلما انتهيا الى بـاب السادة أحد ابواب القصر المفضية الى ظاهره وخارج مراكش قدمت اليه بغلة فارهة قد عُينت لركوبه ، فأشار عليه ابو القاسم بركوبها وتوجه معه نحو مراكش حتى دخلا على باب القصر وهو الجاري عليه اسم بـاب الرب ، وابو موسى لا يعرف اين يتوجه به حتى افضيا الى دار بمحلة هرغة فدخلا اليها فوجدها .... يحتاج اليه طالب العلم المتمدن من كتب العلم منوعة .... وبسط وفرش ومعلقات ومواعين واثاث وخرثى واطعمة على .... ووقود وفخار وغير ذلك ، ولما استقرا بالدار وتطوفا عليها .... واطلع على جميع ما فيها اعلمه ابو القاسم انها وجميع ما احتوت عليه له وسلمها اليه واقره فيها وانصرف عنه ، ولم يزل المنصور بعد ذلك شديد العنايـة بأبى موسى راعيـاً لـه مفيضـاً عوارفه عليه متعهـداً احواله متبركاً .... وقدمه الى الخطبة في جامعه الأعظم المتصل بقصره حين اتم بناءه فكان اول خطيب خطب به ، واستمر حاله معه على ما ذكر من التنويه به واعتقاد الخير التام فيه ، ولما حضرت المنصور الوفاة عهد ان يتولى غسله ابو موسى تبركاً به ، فكان كذلك ، وكان احمد القوازي على عادته في التنكيت على الناس والنيل منهم يقول اذا رأى ابا موسى : الصفرة في الوجه كنز من الكنوز !

واخبرني غير واحـد من الثقات ان الفقيه المتفنن الـورع المجمع على فضلـه ابـا سعيد يخلفتين ابـن تنفليشت بـن ابراهيم المتـرارزي البوغاغي رحمه الله كان متى اشكل عليه شيء من علم العربية تعرض لأبي موسى في طريقه الذي جرت عادته بالمرور عليه من داره متوجهاً الى مجلس المنصور او اليها منفصلا عنه ، فيستفتيه فيما يعرض له ، وابو موسى راكب ، فيهمّ بالنزول اليه والمواعدة معه في الوصول الى منزله او الاجتماع به في احـد المساجد القريبة من موضع تلاقيهما او الوقوف معه حتى يفرغا من محاورتهما . فيأبى ابو سعيد من ذلك كله الا مماشاته على قدميه ، وابـو موسى راكب .

فكان ابو موسى يقلق لذلك كثيراً تواضعاً منه واجلالا لأبي سعيد ، ولا تسعه الا مساعدته ، فيأخذ معه فيما قصد اليه بسببه حتى ينقضي اربه وينفصل عنه ابو سعيد متأسفا عليه مسترجعاً قائلا اي رجل استمالتْه الدنيا واستهواه زخرفها ، وكان هذا القول من ابي سعيد بناء على حالته التي ستره الله فيها واعانه عليها ، والا فأبو موسى رحمه الله لم يتلبس من الدنيا الا بما يتظاهر به بين ابنائها تقيةً منه على نفسه ، فأما في باطن امره وخفي حاله فانه كان على ارفع درجات الزهد والتقلل من الدنيا نفعه الله .

قال المصنف عفا الله عنه : والشيء يذكر بالشيء ، كان الشيخُ ابو سعيد هذا رحمه الله قد صنَّف كتاباً جمع فيه فنون العلم على تفاريقها حسبما انتهى اليه ادراكه واقتضاه تحصيله ، وسماه منال العلم ؟ فأخبر الشيخ الحافظ ابو عليٍ الماقري الضرير رحمه الله ، قال كنت جالساً معه .... هذا بدكان بعض الوراقين من مراكش ولا ثالث معنا ، فقلتُ له .... قد اغربت بوضع هذا الكتاب وجمعك فيه متفرقات ضروب العلم .... ما سبقك احد الى وضع مثله ، وقد رأيت رأياً اعرضه عليك ، فقال (وما هو) ؟ (فقلت) ترفعه الى امير المومنين وذلك صدر ايام (يوسف) المستنصر من بني عبد المومن (فذلك) اشهر له وانفق لسوقه ، فأضرب عن جوابي ولم يرعْني الا صوت باك ولا عهد لي بثالث معنا ، فتحسست امره فتحققت انه الباكي ، فقلت له ابا سعيد ما لك ؟ فأعرض عني وتمادى على بكائه ساعة ثم قطعه واسترجع ، وقال لي احسن الله عزائي فيك واعظم اجري في المصاب بك ، قد كنت اعتقد انا لم نصطحب الا لله وللنصيحة فيه ولترشدني الى ما فيه تحسين عاقبتي والفوز بالنعيم الدائم في ءاخرتي ، فأما الاشارة بالتعرض الى ابناء الدنيا ولا سيما بالعلم الذي انفقت فيه عمري طالباً لما عند الله فما كنت اقدر خطور ذلك ببالك ، ثم قام مسرعاً ورمت القبض عليه ففاتني ، ولما كان في اليوم الثالث لقيني مسلماً علي وقائلا لولا عذرك بكفٍّ بصرك لآثرتُك بفضيلة البدء بالسلام لازالة الهجرة ، ثم عاد الى بعض ما كنا عليه ، ولا كالتودد الذي كان بيننا ، ولم يزل عاتباً لي على ما صدر له مني في ذلك حتى تفرقنا ، ففصل الى بلده بحاحة رحمه الله .

قال المصنف عفا الله عنه : ولم يزل ابو موسى بعد وفاة المنصور حظياً عند ابنه (محمد) الناصر مكرماً لديه يستصحبه في اسفاره ويتبــرك بلقائه الى ان وجهه رسولا ومصلحاً في قضية بين صنهاجة الساكنين بأزمور. فتوفي هناك ليلة السبت الثالثة عشرة من شعبان سبع وستمئة ، وصلى عليه عبد الوهاب ودفن بتربة الشيخ الفاضل ابي شعيب ايوب بن سعيد الصنهاجي المعروف بالسارية شهرة عرف بها لطول قيامه في الصلاة ، ومولده بايــدا وغردا عام اربعين وخمسمئة ، واخبرني غير واحد ، منهم الشيخ الفقيــه المتخلق الفاضل احمد بن عبد الله بن عبــد العزيز ابــن عبــدون البرغواطــي الاصل الزموري المولد والنشأة هو وسلفه عبدون فمن بعد المعروف بالد··ان ·· كان ينتحلها قبل ضعفه عن القيام بها ، وهو المتفق على فضله ، وما ·· ·· ·· المنقبة العلية في عصرنا هذا ·· ·· ·· ·· ·· ·· عبدون جــد ابيه ينسب ·· ·· ·· ·· ·· ·· ·· ·· ·· ·· ·· ·· ·· ازمور والبير القريبة منــه هنالك ، قال لما توفي ابو موسى القزولي رحمــه الله تفــاوض اهــل العلــم والخير والصلاح في تعيين مدفنــه ، فقــال بعضهــم يدفــن ازاء ابــي شعيب لعله يجد بركة ابي شعيب ، وكان ممن حضر ذلك المقام وتلك المفاوضـــة الفقيه ابو بكر بن محمد بن ابي بكر الزناتي النحوي فقال نعم يدفن معه حتى يجد ابو شعيب بركة ابي موسى ، لأنه كان في الصلاح والفضل مثله ، ويزيد ابو موسى عليه بفضيلة العلم فدفن الى جنبه .

قال المصنف عفا الله عنه : وقد زرت قبره غير ما مرة متبركاً به وبمن ضمته تلك التربة ، وهو لاطي بالأرض وسط قبة بين قبري ابي شعيب المذكور وابن ابنه الناسك الورع ابي محمد رحمة الله عليهم اجمعين ونفعنا بهم وبحبهم. انتهى كلام الذيل والتكملة (320)

وممن روى عن المترجم محمد بن عيسى بن معنصر متقدم الترجمة ومحمد بن قاسم بن منداس المتقدم المتوفي سنة 643 ثلاث واربعين وستمئة .

320) الذيل والتكملة ــ قسم الغرباء ــ نسخة خاصة مصورة ص 70

ومن مؤلفاته اختصار تفسير ابن جني لديوان ابي الطيب المتنبي ، ذكره في كشف الظنون عند ذكر ديوان المتنبي ، وممن روى عن المترجم محمد بن عيسى بن معنصر .

وقال في (الشذرات) في ترجمة ابن معطي النحوي الزواوي صاحب (الألفية) وهو اجلُّ تلامذة الجزولي انتهى . وتقدم ذكر تلميذه محمد بن يحيى ابن داود التادلي المراكشي ، ومن تلامذته القاضي العدل عبد الله بن حجاج بن يوسف المترجم في 145 من (عنوان الدراية) ، وذكر في ص 68 من ترجمة الشيخ محمد بن عبد الرحمان بن عبد الله بن يحيى بن حزب الله بن محمد بن خلف الله بن عبد الرحمان بن يعقوب الخزرجي الشاطبي من عنوان الدراية لتلميذه مؤلفها احمد بن احمد بن عبد الله الغبريني ان للمترجم شرحاً على (الجزولية) ، سمعت به ولم اره ، والذي يقع في النفس انه جيد ، انتهى . ومن تلامذته القاضي العدل الراوية المتقن عبد الله ابن برطلة المترجم في 191 من (عنوان الدراية) ، وممن شرح مقدمة الجزولي في مجلدين الامام علم الدين ابو محمد القاسم بن احمد ابن الموفق الأندلسي اللورقي شارح المفصل في خمس مجلدات كما في (معجم الأدباء) .

وقال الحضيكي في طبقاته : عيسى بن عبد العزيز يلبخت الجزولي صاحب الكراريس ، انتهى . فاستفيد منه ان الأمهات المعروفة بالكراريس هو مؤلفها وتقدم ذلك عن الذيل والتكملة وسماها بالكراسة ، وذكر ابن الأبار في التكملة في ترجمة عمر الشلوبين انه شرح الجزولية

1494) **عيسى بن شعيب** ، من تلامذة ابي العباس السبتي ، وكان قد ادركه عجب بنفسه وظن انه قد زاد على مقام شيخه فغير قلبه وسار من مراكش ، وكانت تحته ابنة ابي العباس فمات في فرينة الحدادين (321) .

---

321) كتب بهامش الأصل بعد هذا ما يلي : عيسى بن يوسف بن ابي بكر ، راجع الأوراق .

1495) عيسى بن عبد الرحمان السجتاني الرجراجي

عيسى بن عبد الرحمان بن عيسى الرجراجي عرف بالسجتاني ، قاضي الجماعة بالحضرتين مراكش وردانة ، الفقيه العالم الكبير ، قال الشيخ الحسن اليوسي في فهرسته في تعداد شيوخه : الشيخ الامام الماهر العلامة ، قاضي القضاة ، عيسى بن عبد الرحمان السجتاني ، حضرت عنده جملة من مختصر الشيخ السنوسي المنطقي ، وجملة من (محصل المقاصد) لابن زكري ، وكان امام وقته في فنون العلم مع سمت وهمة ونية صالحة في طريق القوم ومحبة في اهلها ، رحمه الله وجزاه خيراً ، انتهى .

وقال عبد الرحمان التامنارتي في (الفوائد) :

شيخنا الفقيه المحقق المدقق المتفنن البحاث ، عيسى بن عبد الرحمان السوسي السجتاني ، (كان) محققاً نقاداً نظاراً بارعاً في علوم الأصول والعربية والفقه ، مشاركاً في غيرها من الفنون مشاركة معتبرة ، قرأ بفاس وغيرها ، ودرس بمراكش واستقضي في بعض اعماله ، ثم ولي قضاء الجماعة بسوس ، ودرس بقاعدة رُدانة ، وحضرت درسه في الأصول والفروع وغيرها ، فرأيته مليح التحقيق ، صحيح التدقيق ، انيق الفهم ، صائب السهم ، قرأنا عليه (ايضاح المسالك) للونشريشي فأجاد وافاد ، وبين الفوائد ، وقرب الشوارد ، ولم يظفرْ اذذاك بشرح يعتمده في حله ، الا ما تقرر لديه من اصول مسائل المذهب وقواعده ، وما ذاك الا لقوة ادراكه واتساع تصرفه ، ولما قام بالأمر يحيى بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم بالسوس بعد العشرين والف وتغيرت الأحوال وتتابعت الأهوال ، انتقل لمراكش وقدم بها للقضاء والتدريس ، ولم يزل على ذلك الى ان متع الله به ، اخذ عن الفقيه خطيب جامع الشرفاء بمراكش محمد ابن ابي القاسم الشريف الفلالي ، وعن الفقيه الحافظ مبارك بن علي السجتاني ، وعن قاضي الجماعة بفاس عبد الواحد بن احمد الحميدي ، وعن مفتيها الفقيه المحصل يحيى بن محمد السراج الأندلسي الرندي ، وعن احمد بن

علي الصنهاجي الزموري ، وعن الفقيه الورع الصالح الحسن بن عبد الله بن مسعود الدرعي ، اصله من عرب هداج نزيل فاس ، وعن احمد القدومي ، وعن المحقق المتفنن احمد المنجور ، وعن المحقق النظار محمد الرجراجي نزيل مراكش ، وعن الفقيه العلامة مفتي مراكش احمد بن محمد السملالي ، وغيرهم ، واخذ عنه الحسن اليوسي ، وصاحب الفوائد كما مر ، والامامان العلامتان : عبد الله بن يعقوب السملالي ، وعلي بن احمد الرسموكي ، وجماعة غيرهم .

له حواشٍ على الصغرى وشرح صغرى الصغرى ، وجمع بعضُ اصحابه جملةً من فتاويه نافعة .

توفي رحمه الله سنة اثنتين وستين والف ، ودفن خارج باب الخميس بضريح الولي ابي القاسم الجرّاري بمراكش .

ولما ولي القضاء بمراكش اخذ طريق العدل وحكم بمقتضى الشرع غير مبال بأحد ولا مدلس بالأحكام ، وما زال العمل على وفق اختياره في معضلات النوازل .

ذكره في (الصفوة) و (النزهة) والحضيكي في طبقاته (322) .

وقال في خلاصة الأثر ما نصه (323) .

عيسى بن عبد الرحمان ابو مهدي السكتاني ، مفتي مراكش وقاضيها وعالمها الامام العلامة النظار ، خاتمة العلماء الكبار ، محقق المغرب الأقصى في عصره ، واوحد علماء دهره ، له شهرة كبيرة تغني عن التطويل ببيان فضائله وعلومه ، حتى قال بعضهم انه مجدد امر دين هذه الأمة ، وقد ستر الله تعالى على ضعفاء العقيدة بقوة ظهوره بالقضاء والافتاء وانتهاء الرياسة

---

322) **صفوة من انتشر** ص 111

323) لم ينقل المؤلف شيئاً من **خلاصة الاثر** ، وانما اشار الى الجزء والصحيفة ، يشير بهما الى الناسخ الذي لم يفعل ، فتولينا نحن ذلك .

اليه ، وكانت له كرامات مشهورة ، ومناقب كثيرة مأثورة ، ولد بمراكش وبها نشأ ، واخذ بالمغرب عن شيوخ عظام وقادة اجلاء فخام ، منهم العلامة وحيد الزمان ، احمد المعروف بالمنجور ، وغيره ، وعنه خلق كثير بالمغرب مشهورون ، منهم العلامة محمد بن سعيد والامام الهمام محمد ابن سليمان نزيل مكة وغيرهما ، ولم يكن في زمانه مَن يقاربه في جميع العلوم العقلية والنقلية ببلاد المغرب الا العلامة احمد بن عمران الفاسي ، وكان يقرىء التفسير في فصل الشتاء ، فياتيه العلماء من جهات شتى ويلازمون درسه ، وكان يُملي من حفظه كلام المفسرين مع البحث معهم والجواب عما يورده الفضلاء بين يديْه ، فيأتي في اثنـاء تقريره بالعجب العجاب ، والأمر الذي يحير العقول والألباب ، وكان يقال بعد انقضاء طبقة اشياخه : علماء المغرب ثلاثة ، صاحب الترجمة واحمد بن عمران والشيخ عبد القادر بن علي الفاسيان ، يعنون اهل المشاركة في العلوم والتحقيق ، والا فقد كان من العلماء كثير ، ممن طارت فتاويهم في الأقطار وسار ذكرهم كل مسير ، وله مؤلفات عجيبة الأسلوب ، منها حاشية على شرح ام البراهين للسنوسي وغيرها ، وكانت وفاته بمراكش في سنة اثنتين وستين والف وقد ناف على المئة سنة ممتعاً بحواسه لـولا ضعف في رجليه على ما اخبر به محمد ابن سليمان المذكور (324) .

وقال في (النشر) في ترجمته بعد نقل ما في فهرسة اليوسي ما نصه : قلت وكان شيخنا الحافظ العلامة سيدي احمد بن مبارك السجلماسي حيـن حضرتُ مجلسه في قراءة صغرى الشيخ السنوسي حدود سبعة واربعين ومئة والف لا يقـدم حاشية مـن حواشي الصغرى على حاشيـة صاحب الترجمـة ويثني عليه كثيرا ، (325) .

قال في الصلة عنـد ذكر الخاتمـة في نوادر الطرائف سلسـة الفقه المالكي ما نصـه : الثاني من الطرق اخذته عن الامـام البارع المحقق اقضى القضاة عيسى السكتاني المراكشي ، وظني انه مجدد امر ديـن الله في زمانه ،

---

324) **خلاصة الأثر** 3 : 235

325) **نشر المثاني** 1 : 201 (طبع فاس)

وقـد ستر الله عن ضعفـاء العقيدة مقامـه بقوة ظهوره بالقضـاء والافتـاء وانتهـاء الرياسـة اليه ، وشهدت مـن كراماته اني لقيتُه يوماً وقـد احتفّ به خلق كثير يزدحمون على تقبيل ركبته وهو راكب ، فزاحمتهم حتى قبلتُها تبركاً به فانحنى اليّ دون الناس وقال لي : اجزتُك بجميع مروياتي ، فكأنما طبعها في قلبي الى الآن ، وكان ذلك قبل اشتغالي بطلب العلم ، ولست متزيياً بزي طلبته حتى يقال انه رأى في علامة الأهلية ، ولا ان ذلك من عادته مع المتأهلين للاجازة بل لم يظفر بالاجازة منه الا لقليل من اخصائه فيما اظن ، ثـم بعد غيبتي عنه ثمانيةَ اعوام في طلب العلم الشريف منّ الله علي بالرجوع اليه وتجديـد الأخـذ عنه سنة ستين والف قبل وفاته بسنة ، انتهى المقصود .

وهذه النسخة على اول ورقة منهـا خطه مُجيزاً بهـا لمحمد بـن عبد العزيز ابن القاضي الفاسي بتاريخ سنة 1086 .

1496) **عيسى بن احمد السكراتي** دفين السمارين في مراكش ، صرح في (الصفوة) انـه ممن لم يقف لهم على ترجمـة ، وكذلك والده سيدي داود الدادسي .

وقال الشيخ الفقيه سيدي داوود بن علي بن محمد السملالي المكرامي الجزولي في كتابه (بشارة الزائرين ، الباحثين في الصالحين) الشيخ المرابط الخيـر سيـدي عيسى ابـن المرابط سيـدي احمـد بـن السكرادي توفي بمراكش اواسط شعبان سنة 1074 وهو فـي نحـو اربـع كراريـس مـن القالب الرباعي .

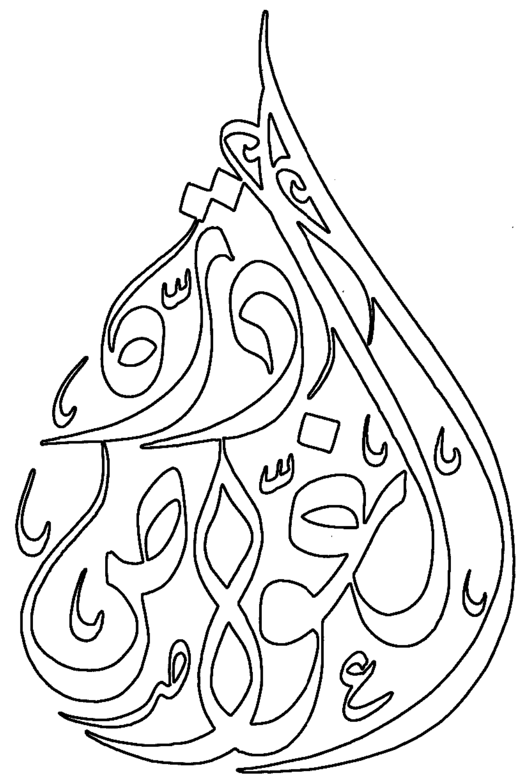
1497) **عيشة قنديشة** الولية الصالحـة الشهيرة ، سئلت عن القطب فأجابت بأنه سيدي الزوين المجذوب الذي كان يلقط المخ ويطبخه ويأكله ، كـان يأتيها السلطـان سيدي محمد بن عبد الرحمـان في خلافته الصغرى وكانت تغزل الشتب وتعمله حبالا تخاط به البرادع وتقتـات مـن ذلك ، ومـا فضل ترميه في محلها ، فلما ماتت وجد الشتب الذي كانت تغزله كله حرير ، وكانت تقول الصماري والغماري وحكامة الدراري ، واللبن في الحفـاري مغطي

بالشواري ، وتدخل الثيران وتخرج الفيران ، تشير الى الغلاء الذي حدث بعد وانحباس المطر وموت كبراء الولاة وتولية الأحداث ، وذهاب الأخيار وظهور الأشرار .

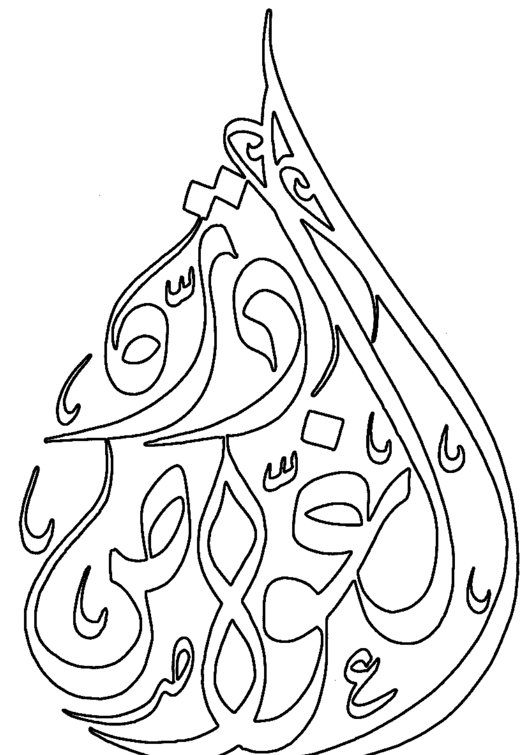
توفيت رحمت الله عليها ودفنت بمقبرة باب اغمات .

انتهى الجزء السابع ويليه الجزء الثامن

اوله حرف الغين (1)



1) كذا بالأصل



فهرس

الجزء التاسع

من (الاعلام ، بمن حل مراكش واغمات من الاعلام)

تابع حرف العين

الرقم الصفحة

الرقم | الصفحة

الرقم | الصفحة

الرقم		الصفحة

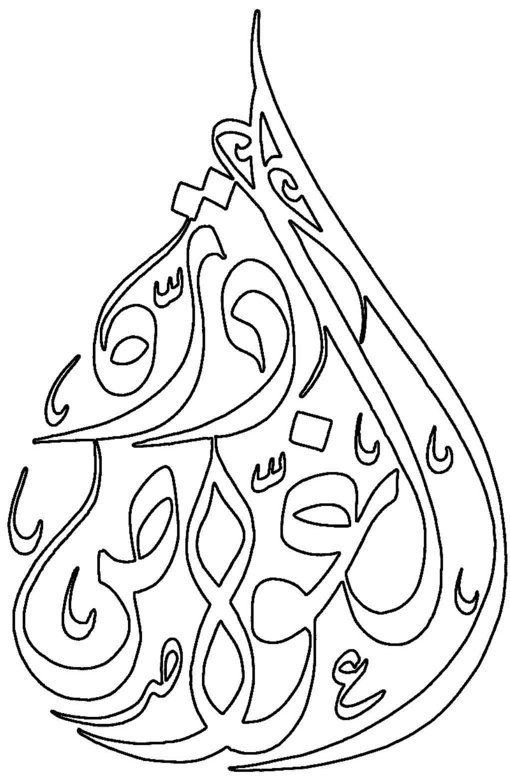
الصفحة		الرقم

الرقم | الصفحة

الرقم		الصفحة

الرقم		الصفحة

الرقم | الصفحة



تحت الطبع

انبعـاث أمّـة

الجزء الثاني والأربعون

* * *

أعلامُ المغرب العربي

الجزء السادس

* * *

مع صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني في فاس وتازة ووجدة وتلمسان

(الطبعة الثانية)

رقم الإيداع القانوني : 964 / 1997
ردمك : 8 - 03 - 905 - 9981 (المجـموعـة)
ردمك : 0 - 07 - 905 - 9981 (الجزء التاسع)

الإعلام

بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام

تأليف

العباس بن إبراهيم السملالي

قاضي مراكش

راجعه

عبد الوهاب ابن منصور

مؤرخ المملكة عضو أكاديمية المملكة المغربية

(الطبعة الثانية)

1413 هـ - 1993 م

المطبعة الملكية - الرباط

الجزء العاشر

الإعلام

بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام

تأليف

العبّاس بن إبراهيم

الجزء العاشر

تحقيق

عبد الوهاب ابن منصور

مؤرخ المملكة المغربية

1403هـ - 1983م

المطبعة الملكية - الرباط





صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

حرف الغين

1498) **غازي بن الكاس** ، لقب جرى بل كان علماً على أمه ، الوزير الأجل ، القديم الهجرة ، الصادق اللهجة ، الكريم النسب ، الرفيع المنصب ، نشأ مع ابي الحسن المريني رحمة الله عليهما ، واختص بخدمته وتميز بجهته .

كان حازماً واقفاً مع الأوامر ، صبوراً على الخدمة ، وقوراً مهيباً بعيداً عن المزاح ، سديد النظر شديد الصريمة في انفاذ الأوامر ، لا يبالي في حق الله وحق مولاه لومة لائم ، حواطاً على ما يؤتمن عليه ، طاهر الجيب عفيفاً مقبوض اليد عن الأموال ، ذا حرمة ، مقداماً بين يدي مولاه على الجواب عنهم بما يعلم انه لا بد من صدور الجواب على النحو الذي يبرزه فيه ، لا سيما ان كان فيما يدرك الحشمة المجاوبة به ، جميل الاعتقاد في اهل الله ، فظاً غليظاً على الولاة والظلام ، حاد العبارة ، سهلا ممتنعاً ، بطلا فارساً.

كان يتولى الوزارة ويقوم بأعبائها ويؤدي لها حقها ، لم يزل رحمة الله عليه مستمراً على خطته الى ان فقد شهيداً في واقعة طريف نفعه الله وتقبله بمنه .

ذكره ابن مرزوق في المسند الصحيح الحسن (1) .

وكانت هذه الواقعة المشؤومة سنة 741 كما تقدم في ترجمة مخدومه ابي الحسن (2) .

1499) **الغازي أبو السداد** ، دفين الرميلة بطرف القصور من مراكش ، يحكى ان الشيخ عبد العزيز التباع قال يوماً لخديمه : انظر مَن بالباب ، فخرج فلم يجد الا يهودياً يبيع عطره بين الديار ، فرجع فأخبره ، فمكث هنيأة ثم قال له انظر مَن بالباب ، فخرج فلم يجد الا اليهودي ، ثم في الثالثة فقال إيت به ، فأسلم من حينه وصار من أولياء الله تعالى ، فهو سيدي الغازي المذكور ! هكذا سمى لي بعض اهل مراكش هذا الشيخ ، وذكر لي حكايته ، والفضل بيد الله ، والله ذو الفضل العظيم ، قاله في الممتع (3) وطبقات الحضيكي (4) .

قلت وشاع على ألسنة اهل بلدتنا ان الشيخ سيدي عبد العزيز المذكور امر خديمه ان يُدخلَ عليه مَن وجده بباب داره ليسقيه بالخمرة الربانية ، فلمْ يجدْ الا يهودياً اسمه اسحاق ويهودية اسمها عزونة ، فأسلما على يديْه ، وصارا من اولياء الله تعالى ، غير انهم يغلطون فيجعلونه سيدي اسحاق دفين رحبة الزرع بمراكش ، مع ان صاحب الضريح المذكور هو الشيخ ابو اسحاق ابن الحاج المتقدمة ترجمته في حرف الألف (5) .

1500) الغالي بن المكي ابن سليمان

الغالي بن المكي بن احمد ابن سليمان الفاسي نزيل مراكش ودفينها ، الكاتب الأديب ، الحاذق اللبيب ، اللوذعي الحسيب ، حلو

---

1) **المسند الصحيح الحسن** ص 362 طبع الجزائر 1981 ، **وينظر عنه ايضا تاريخ ابن خلدون** 7 : 32 - 733

2) انظر 9 : 171 ع 1405

3) **ممتع الأسماع** ص 52

4) **طبقات الحضيكي** 2 : 347

5) انظر 1 : 154 ع 11

الشمائل الأريب ، ثابت الجنان ، ومعدن البراعة والبلاغة والعرفان ، ووالده كان محتسباً ، وجده أحمد كان فرضياً ، واصلهم من غرناطة ، من سلالة ذوي العلم والوجاهة من عدوة القرويين بفاس ، وترجم لجده الحاج احمد بن سليمان الأندلسي صاحب (نشر المثاني) في عام واحد واربعين ومئة وألف (6) ، وهو الذي نسخ نسخة من شرح ابن حجر علي البخاري (فتح الباري) في سفر واحد ما زال عند حفدته الى الآن .

ألف المترجم ارجوزة (7) في عد اشياخه الذين اخذ عنهم ومن لقي منهم بمراكش ، منهم شيخُ الشيوخ سيدي محمد بن المدني كَنون ، اخذ عنه النحو والتوحيد وتلخيص القزويني واصولَ الفقه والصحيح والترمذي والموطأ والبردة والهمزية والسيرة وعلم آداب التصوف ، وجعله مجدداً على راس المئة 13 ، ومنهم سيدي المهدي ابن الحاج ، اخذ عنه الفقه والشمائل ، والنحو والأصول والدلائل ، وعلميْ العروض والتصريف ، وعلميْ التوثيق والتعريف ، وسلم المنطق والعقائد ، وبغية من جملة الفوائد ، والشريف سيدي جعفر الكتاني اخذ عنه العلم والتوثيق ، وعلم امراض القلوب بالهوى ، ونبذة مفيدة مما روى ، والقاضي سيدي احمد ابن سودة ، اخذ عنه النحو والمعاني ، والفقهَ والأصولَ والمباني ، ونكتاً بطيها فوائد ، قد نمقت بحليها القلائد ، وسيدي عبد الواحد ابن المواز ، اخذ عنه الأدب المكتسب بشرطه المعروف عند الأدبا ، ونبذة من مبحث الجدال ، مفيدة المجيء بالمثال ، وهؤلاء المعتمد عليهم دون غيرهم (8) .

ومن تاليفه بدائع الاقتباس ، في مناقب سيدي ابي العباس ، يعني السبتي رحمه الله ، والتحف العرائشية على الصلاة المشيشية : اللهم صل على مَن منه انشقت الأسرار ، التَفه حين كان بالعرائش ، وحاشية على المسلك السهل،

---

6) **نشر المثاني** 2 : 138

7) اثبت المشرفي نص الأرجوزة المذكورة في **الحلل البهية**

8) ما تقدم من مرويات الغالي ابن سليمان عن شيوخه المذكورين ماخوذ من ارجوزته المذكورة ، وقد نقل المؤلف بعض ابياتها المنظومة وكأنها نثر ، ولا شك ان القاريء لاحظ ذلك .

في شرح توشيح ابن سهل لليفرني ، ولوامع الغرر ، في جمع الطرر ، أي طرر الامام سيدي محمد الحراق على الحزب الكبير للامام الشاذلي ، وشرح قصيدة ابن الفارض : زدني بفرط الحب فيك تحيرا ، ونزهة الأبصار ، في شرح قصيدة الأنصار ، مدح بها كعب بن زهير الصحابي خصوص الأنصار ، ومنادمة الأقيال ، في معنى طيف الخيال ، والسيف المشرفي ، لقطع لسان المشرفي ، حيث جعل السيد العربي بن علي المشرفي تقييداً في نحو ورقتين في ذم فاس على عادته في الهجوم فتصدى للرد عليه ، وله نظم اللئال في اللغة ، وارجوزة في نظم ما اشتمل عليه المعرب المبين لابن زاكور .

قال رحمه الله :

علي ان اصطفي من جوهري دررا واعتني لذوي الألباب والهمم
ولا علي وليس الفهم من قبلي حتى افرق بين البهم والبهم

والشطر الأخير مأخوذ من كلام البوصيري ، وهو آخذ حسن وقع موقعَه .

وقال :

امزج الكاس واجعلن فيه بنجا وانظر العود قد دعتْه كمنجا
واجعل المهرَ في الزفاف سلافا ليسَ مَن غاب عن هواها كمن جا

وقال :

جاءت لموعدها تميس بقدها وبخدها خد كقلب العقرب
ناولتُها كاسَ السلاف فعربدت وتستَّرت عني بقلب العقرب

اي البرقع .

وقال :

تسائل عن فؤادي وعن هواه فقلت لها فؤادي انت فيه
فأبدت ثورةً ومحتْ رسوماً وظنت انني قلت انتفيه

واصله للحافظ ابن حجر العسقلاني كما في غير ما ديوان .

وقــــال :

انــهـض خــليلي وبـــــادر الـــى سمـــاع كمنجـــــــــا
فليس مَن صـــدّ تيهــــــاً وراح عنهـــا كـمــن جـــــا

وهاذان البيتان في صحيفة 19 من (قطع اللجاج بالأجاج) لأحمــد الشافعي المطبوع سنة 1308 ولم يذكر قائلهما .

وله ديوان شعر .

وقال يخاطب سيدي محمد ابن مسعود :

سكنتَ بأهلك تلك القصـــــور وخليتَ ما تَبتغي في القصور
وما ذاك الا لفرط الهــــوى تبدى فكنتَ بـــه في القصور

فالقصور الأولى منازل له بمسفيوة ، والقصور الثانية الحومة المعروفة بمراكش ، والقصور الأخيرة مصدر .

وقال أيضاً :

ايامرتضى ما بال خطك مرتضـــى كأنه برقٌ من يراعك اومضــــا
نظمتَ عقوداً من لئال وكافها تولى كمثل الظبي ولى واعرضــــا

وتقدمت سينيتُه في ترجمة سيدي محمد الفاطمي الصقلي (9) ، وشرع في شرح قصيدة المالقي المسماة بأنجم السياسة ، ولم يكمله ، وله تويلفٌ في امثال العامة ، وقصيدة في ملوك الدولة الشريفة العلوية بائية من الطويل ، وشرحها السيد محمد بن مصطفى المشرفي بالحلل البهية (10) .

وكتب مرة كتاباً بين يدي الوزير الصنهاجي واتى باسم كان مؤكداً بضمير منفصل ، وبخبرها مفرداً فلحنه الوزير ، فردّ عليه بقوله تعالى : اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطرْ علينا حجارة من السماء الآية . فلــم يحر الوزير جواباً .

---

9) انظر 7 : 95 من هذا الكتاب

10) توجد منها ثلاث نسخ خطية بالمكتبة الحسنية الملكية بالرباط محفوظة تحت نمرة 1019 ونمرة 1336 ونمرة 1020

توفي رحمه الله يوم الأحد 13 شعبان عام 1317 هـ ، ودفن بضريح ابي اسحاق ابن الحاج بمراكش (11) .

1501) **غانم بن سعد السباعي** ، ولي الله تعالى دفين مراكش ، أخذ عن سيدي عبد الله بن ساسي المتقدم ، واخذ عنه الشريف سيدي احمد بن حسين السوسي قرب صفرو ، وهو اخذ عنه سيدي الحسن بن ابراهيم السفياني المتوفى في ثمانية وتسعين والف دفين عين اصليتن من فاس القرويين .

وفي المترجم يقول سيدي الجيلالي بن المختار السباعي في القصيدة التي يمدح بها ابا العباس السبتي : (عودتني حسنَ الجوار بغانم) .

ذكره في الروضة المقصودة واللؤلؤ المكنون في اختصار ابن عيشون ، والسلوة (12) .

1502) **فاتح بن عثمان التكروي** . الأسمر ، قدم من مراكش الى دمياط على قدم التجريد ، وسقى بها الماء في الأسواق احتساباً من غير ان يتناول من احد شيئاً ، ونزل في ظاهر الثغر ، ولزم الصلاة مع الجماعة ، وترك الناسَ جميعاً ثم اقام بناحية تونة من بحيرة تنيس وهي خراب نحو سبع سنين ، ورمّ مسجدها ، ثم انتقل من تونة الى جامع دمياط ، واقام في وكر بأسفل المنارة

---

11) في الأصل : توفي رحمه الله في متم ذي القعدة عام 1316 وذلك خطأ ، والصواب هو ما اثبتناه ، اعتماداً على شاهد قبره الكائن بضريح سيدي ابي اسحاق ، وهذا نص ما كتب فيه بعد الحمدلة والتصلية :

« هذا قبر الفقيه الكاتب الأديب البارع الحسيب سيدي الغالي بن الفقيه المحتسب المرجوم سيدي المكي بن سليمان الأندلسي الغرناطي ، توفي رحمه الله يوم الأحد ثالث عشر شعبان عام 1317 » (17 دجنبر سنة 1899 م) ، وهذا التاريخ يوافق ما عند صاحب **فواصل الجمان** ص 204 .

اما ما ذكره الأستاذ محمد عبد الله عنان في **فهارس الخزانة الملكية** (1 : 142) من انه توفي عام 1302 فهو ايضا خطأ ناتج عن قلة تثبت ، لأن التاريخ المذكور هو تاريخ وفاة الحاج محمد بن المدني جنون احد شيوخ الغالي ابن سليمان المترجم .

12) ينظر عنه **السعادة الأبدية** 1 : 152 ذكر فيه ان وفاته (ض) تكون آخر المئة العاشرة ، لأن شيخه سيدي عبد الله ابن ساسي توفي سنة 961 هـ

من غير أن يخالط أحداً الا اذا اقيمت الصلاة خرج وصلى ، فاذا سلم الامام عاد الى وكره ، فان عارضه احد بحديث كلـّمه وهو قائم بعد انصرافه من الصلاة ، وكانت حاله ابداً اتصالا في انفصال ، وقرباً في ابتعاد ، وأنسا في نفار ، وحجّ فكان يفارق اصحابه عند الرحيل فلا يرونه الا وقت النزول ، ويكون سيره منفرداً عنهم لا يكلم احداً الى أن عاد الى دمياط ، فأخذ في ترميم الجامع وتنظيفه بنفسه حتى نقـّى ما كان فيه من الوطواط بسقوفه ، وساق الماء الى صهاريجه وبلط صحنه وسبك سطحه بالجبس ، واقام فيه ، وكان قبل ذلك من حين خربت دمياط لا يفتح الا في يوم الجمعة فقط ، فرتب فيه اماماً راتباً يصلي الخمس ، وسكن في بيت الخطابة وواظب على اقامة الأوراد به ، وجعل فيه قراء يتلون القرءان بكرة واصيلا ، وقرر فيه رجلا يقرأ ميعاداً يذكر الناس ويعلمهم ، وكان يقول لو علمت بدمياط مكاناً افضل من الجامع لأقمت به ، ولو علمت في الأرض بلداً يكون فيه الفقير أخمل من دمياط لرحلت اليه ، وأقمت به .

وكان اذا ورد عليه احد من الفقراء ولا يجد ما يطعمه باع من لباسه

وأقمت به . وكان اذا ورد عليه احد من الفقراء ولا يجد ما يطعمه باع من لباسه ما يضيفه به ، وكان يبيت ويصبح وليس له معلوم ولا ما تقع عليه العين او تسمعه الأذن ، وكان يؤثر في السر الفقراء والأرامل ، ولا يسأل احداً شيئاً ، ولا يقبل غالباً ، واذا قبل ما يفتح الله عليه آثر به ، وكان يبذل جهده في كتم حاله والله تعالى يظهر خيره وبركته من غير قصد منه لذلك ، وعرفت له عدة كرامات ، وكان سلوكـُه على طريق السلف من التمسك بالكتاب والسنة والنفور عن الفتنة وترك الدعاوي واطراحها وستر حاله والتحفظ في اقواله وافعاله ، وكان لا يرافقُ احداً في الليل ، ولا يعلم احد يومَ صومه من يوم فطره ، ويجعل دائماً قول ان شاء الله تعالى مكان قول غيره والله ، ثم ان الشيخ عبد العزيز الدميري اشار عليه بالنكاح ، وقال له النكاح من السنة ، فتزوج في ءاخر عمره بامرأتين لم يدخل على واحدة منهما نهارا البتة ، ولا أكل عندهما ولا شرب قط . وكان ليله ظرفا للعبادة ، لكنه يأتي اليهما احياناً وينقطع احياناً لاستغراق زمنه كله في القيام بوظائف العبادات وايثار الخلوة ، وكان خواص خدمه لا يعلمون بصومه من فطره ، وانما يحمل اليه ما يأكل ويوضع عنده بالخلوة

فلا يرى قط آكلا ، وكان يحبُّ الفقر ويؤثر حال المسكنة ويتطارح على الخمول والخفاء ، ويتواضع مع الفقراء ويتعاظم على العظماء والأغنياء ، وكان يقرأ في المصحف ويطالع الكتب ، ولم يره احد يخط بيده شيئاً ، وكانت تلاوته للقرآن بخشوع وتدبر ، ولم يعمل له سجادة قط ، ولا أخذ عهداً ولا لبس طاقية ولا قال انا شيخ ولا انا فقير ، ومتى قال في كلامه انا تفطن لما وقع منه واستعاذ بالله من قول أنا ، ولا حضر قط سماعاً ولا أنكر على مَن يحضره ، وكان سلوكه صلاحاً من غير اصلاح ، ويبالغ في الترفع على ابناء الدنيا ويترامى على الفقراء ويقدم لهم الأكل ، ولم يقدم لغني اكلا البتة ، واذا اجتمع عنده الناس قدم الفقير على الغني ، واذا مضى الفقير من عنده سار معه وشيعه عدة خطوات وهو حاف بغير نعل ، ووقف على قدميه ينظره حتى يتوارى عنه ، ومَن كان من الفقراء يشار اليه بمشيخة جلس بين يديه بأدب مع امامته وتقدمه في الطريق ، ويقول ما اقول لأحد افعل او لا تفعل ، من اراد السلوك يكفيه ان ينظر الى افعاله ، فان من لم يتسلك بنظره لا يتسلك بسمعه ، وقال له شخص من خواصه ياسيدي ادعُ الله لنا ان يفتح علينا فنحن فقراء ، فقال ان اردتم فتح الله فلا تُبقوا في البيت شيئاً ، ثم اطلبوا فتحَ الله بعد ذلك ، فقد جاء لا تسأل الله ولك خاتم من حديد ، ومن كلامه الفقير بحال البكر ، اذا سأل زالتْ بكارتُه ، وسأله بعض خواصه ان يدعو له بسعة وشكا له الضيق ، فقال انا ما ادعو لك بسعة ، بل اطلب لك الأفضل والأكمل .

وكان مع اشتغاله بالعبادة واستغراق اوقاته فيها لا يغفل عن صاحبه ولا ينسى حاجته حتى يقضيها ، ويلازم الوفاء لأصحابه ، ويحسن معاشرتهم ويعرف احوال الناس على طبقاتهم ويعظم العلم ويكرم الأيتام ويشفق على الضعفاء والأرامل ، ويبذل شفاعته في قضاء حاجات الخاص والعام من غير ان يمل ، ولا يتبرم بكثرة ذلك ، ويكثر من الايثار في السر ، ولا يمسك لنفسه شيئاً ، ويستقل ما منه مع كثرة احسانه ، ويستكثر ما يدفع اليه وان كان يسيراً ، ويكافيء عليه بأحسن منه ، ولم يصحب قط اميراً ولا وزيرا ، بل كان في سلوكه وطريقه ترفع في تواضع ، وتعزز مع مسكنة ، وقرب في ابعاد ، واتصال في انفصال ، وزهد في الدنيا واهلها ، وكان من اكبر خبره

ومن دعائه لنفسه ولمن يسأل له الدعاء : اللهم بعّدنا عن الدنـيـا واهلها ، وبعّدها عنا .

وما زال على ذلك الى ان مات آخر ليلة اسفر صباحُها عن الثامن من شهر ربيع الآخر سنة خمس وتسعين وستمئة ، وترك ولدين ليس لهمـــا قوت ليلة ، وعليه مبلغُ الفيْ درهم ديناً ، ودفن بجوار الجامع ، وقبره يزار الى يومنا هذا .

انتهى من خطط المقريزي (13)

1503) **فارح بن مهدي** ، قال ابن خلدون : من معلوجـي السلطـان ، يعني احمد المريني ، واصلــه من موالي بني زيان ملــوك تلمسان ، وقــال في الجذوة : هو من موالي السلطان عثمان بن احمد ، ولا منافاة بين الكلاميْن والله اعلم .

ولما قتل احمد القبائلي ولي الحجابة من بعده فارح بن مهدي هذا ، قال في الجذوة : ولم يكن من اهل العلم ، لكنه كان شيخاً مجرباً للأمـــور ، عارفاً مجيداً في التدبير ، وقد اعطى الرياسة حقها ، والخطط مستحقهـــا ، وكان ممسكاً عنانه ، فلا يميل مع نفسه ولا يسحب اردانه ، ولا يوحش سلطانه ، موسوماً عند الخلافة بالأمانة ، ملوحظاً لديها بعين المرءة والصيانة ، وكان السلطان عثمان يعتني به لأجل كبر سنه وتربيته الحرة ءامنة بنت السلطـان احمد كانت تبدي له وجهها في حالي صغرها وكبرها ، فكانت له بذلك مزية لم تكن لغيره ، بهذا ذكره التاورتي ، ولعل فيه تعريضاً بالحاجب قبله .

ولما تكلم محمد العربي الفاسي في كتابه «مرءاة المحاسن» على مدينة تيجساس وصفها بقوله : انها في شرقي تطاوين على مسيرة يوم منها في موضع كثير الحجارة والصخر في سفح جبل من غربيها ، وتحتها من شمالها جرف كثير الصخر عظيمه على مكسر موج البحر ، ولها نهر نفاع يجلب اليها منه جدول ، ولها بسيط تركبه الجداول من كل جهة فتسقي الزرع والكتان والثمار ،

---

13) الترجمة منقولة حرفيا من **خطط المقريزي** 1 : 225 – 226 طبعة مصـــورة بالأوفست ، دار صادر ، بيروت ، بدون تاريخ

فأهلها في أمن من القحط ، الى ان قال : ولم تزل عامرة الى حدود ثمانمئة ، فجلا عنها اهلُها بسبب جور فارح بن مهدي الوالي عليها من قبل بني مرين ، فخلتْ من سكانها ، وانتقلوا الى القبائل وغيرها ، ولم يزل سورها ماثلا الى الآن . انتهى .

قلت : وفي هذه المدة خربت تطاوين القديمة ايضاً ، فزعم منويل في تاريخه ان قراصين المسلمين من اهل تطاوين وغيرهم كانت تغير على سواحل اسبانيا وتغنم مراكبها ، ولما كانت سنةُ الف واربعمئة مسيحية الموافقة لسنة ثلاث وثمانمئة هجرية بعث الطاغية الريكي الثالث شكوادرة لغزو تطاوين ومراكبها ، فانتهتْ الى وادي مرتيل ، وافسدت قراصين المسلمين التي به ، ثم نزلت عساكرُ الاصبنيول للبر ، فاقتحمتْ مدينة تطاوين بعد ان جلا اهلها عنها ، وخربتها وعاثت فيها ، وبقيت خربة نحو تسعين سنة ، ثم جدد بنيانها ، على يد الرئيس علي المنظري الغرناطي كما سيأتي .

وكانت وفاةُ فارح بن مهدي في الثاني والعشرين من ربيع الأول سنة ست وثمانمئة ، والله اعلم (14) .

1504) **فارس بن الحسن الوريكي** ، الشيخ الولي الجليل الشهير ، من اصحاب سيدي عبد الله بن حسين صاحب مصلوحة (تامصلوحت) فيما ذكر لي ، وقيل انه من اصحاب سيدي محمد بن عيسى الكبير الفهدي ، واخذ عنه الشيخ الحسن أزناك سماه لي بعضهم ، ونسبه لهذا الشيخ ، ذكر هذا في (الممتع) في موضعين (15) .

---

14) الترجمة من اولها الى آخرها منقولة حرفيا من **الاستقصا** 4 : 89 — 90 ، وفي اغفال العزو اليه تدليس فاحش ، اذ يوهم توفيقه بين قول ابن خلدون وقول صاحب الجذوة ، في حين ان ذلك من صنيع صاحب الاستقصا .

ويجب التنبيه ايضا الى الضمير في قلت فهو للناصري طبعا وكذلك قوله : سياتي .

وبعد هذه الترجمة ترجم المؤلف للسلطان ابي عنان المريني تحت اسم فارس ، ولما كان هذا السلطان لا يذكر الا بكنيته فقد اثبتنا ترجمته تحت كنية ابي عنان في الجزء الأول ص 344 ع 97 من هذا الكتاب ، فلتراجع فيه .

15) **ممتع الأسماع** ص 122 و 156 والمترجم من حفدة الشيخ عبد الله الغزواني ،

وذكر في (الصفوة) في ءاخرها المترجم وولده سيدي محمد دفين سفح جبل غيغاية ممن لم يقف له على ترجمة (16) ، وتقدم ذكر ولده المذكور في المحمدين (17) .

*) **ابو فارس العمراني** (18) ، **الفقيه قاضي مراكش ايام السلطان** يعقوب بن عبد الحق المريني ، ذكره في القرطاس (19) ، وقد ذمه العبدري في رحلته قال فيها : فلو انتهت خطة القضاء الى عليان او ماني ، لم تكن في الشناعة كانتهائها الى العمراني ، بحضرة مراكش كلأها الله ولا كلأ القاضي المذكور حياً وميتاً ، فانه منجنيق ظلم ترمي به قواعد الدين ، ونفط فساد يضرم قلوب المهتدين ، وقد وفّق الله لخضد شوكته واخماد جمرته امير المسلمين ايده الله ، فأغمد من جوره سيفاً قاطعاً ، وعوض المسلمين من ظلامه ضياء ساطعاً ، ومن بعض غرائبه التي شاهدتها ان قوماً ادعي عليهم القتل واثبت المدعي دعواه بوثيقة عليها اعلامه بصحتها ، فاحتجوا بأن لهم مدفعاً ، فطلب المدعي تثقيفَهم كما يجب شرعاً ، فقال له القاضي : هؤلاء كبراء الناس واعيانهم ، وممن لا يتغيب ، وهذه سنة اسرائيلية احياها هذا اللعين ، لا حياه الله ولا صفح عنه ، فما اعظم جرأته على الله عز وجل (20) .

---

16) **صفوة من انتشر** ص 205

17) انظر 5 : 353 ع 702 من هذا الكتاب

18) هذه الترجمة لم نضع لها رقما ، لأن المؤلف سبق له ان ذكر المترجم تحت اسمه عبد العزيز (ظ 8 : 403 ع 1254 من هذا الكتاب) ، وهو هنا يذكره تحت كنية ابي فارس ، على عادته في ذكر الشخص الواحد مرة تحت اسمه ومرة تحت كنيته ومرة اخرى تحت نسبه وشهرته ، ولم نتفطن لهذا التكرار فيما يخص ابا فارس عبد العزيز العمراني الا عند الشروع في طبع هذا الجزء ، وعذرنا ان ترجمة ابي فارس اثبتت في الأصل شبه مندمجة في الترجمة التي قبلها غير مفصولة عنها بفراغ او لون ، وعلى اي حال فينبغي الحاق ترجمة القاضي العمراني تحت كنيته بترجمته تحت اسمه .

19) **القرطاس** ص 298 و ص 375 طبع الرباط .

وانظر ايضا الذخيرة السنية ص 86 طبع الرباط .

20) **الرحلة المغربية** ص 12 طبع الرباط 1968

1505) فاطمة بنت عتيق ابن قنترال

فاطمة بنت عتيق بن علي بن خلف ابن قنترال الأموي ، (مالقية) سكنت مراكش ، وقد تقدم رفع نسب ابيها في اسمه ، كانت حافظة للكتاب ، كثيرة التلاوة له ، مواظبة على افعال الخير واعمال البر ، وكانت زوج الفاضل عبد الواحد ابن تقي ، وام صاحبنا محمد ابنه .

وتوفيت بمراكش في حدود الخمسين وستمئة (21) او قبلها بيسير .

1506) **فاطمة بنت سليمان** ، المولاة ربة الدار العالية بالله ايام السلطان سيدي محمد بن عبد الله العلوي ، قدمت في سنة تسع وثمانين (22) ومئة وألف من مراكش الى فاس بقصد الزيارة ، فركبت ذات ليلة الى ضريح المولى ادريس رضي الله عنه وضريح الشيخ علي بن حرزهم وضريح الشيخ ابي عبد الله التاودي ، فطافت عليهم وتبركت بتربهم ، وذبحت اكثر من مئة ثور ، واخرجت صدقات كثيرة ، ثم (ذهبت) بعد ذلك الى مدينة صفرو ، فزارت ضريح سيدي ابي سرغين وضريح سيدي ابي علي ، وذبحت وتصدقت وعادت الى فاس ، ثم ذهبت الى زيارة الشيخ عبد السلام بن مشيش رضي الله عنه ، فصحبها في ركابها اعيان فاس واشرافها وعلماؤها ، ولما كانت بأثناء الطريق اعترضها قواد الغرب بهداياهم وبشاراتهم وزيهم ، ووافاها قواد الثغور بضريح الشيخ عبد السلام في مواكبهم وخيلهم ورجلهم ، وذلك عن آمر السلطان رحمه الله ، قال الزياني : وكنت يومئذ والياً على العرائش فحضرت في جملتهم ، ولما قضت ارب الزيارة فرقت الأموال على الأشراف من اهل جبل العلم ، وغمرت الناسَ بالعطايا ، ثم عادت الى القصر ، ومنه سارت الى العرائش ، فأقامت بها ثلاثة ايام وانفضَّ قواد الثغور كلٌّ الى محله ، وسافرت المولاة المذكورة الى مراكش في ألف فارس من العبيد كانوا قد قدموا معها من مراكش عليهم

---

21) ما تقدم منقول حرفيا من **الذيل والتكملة** 8 : 251 (خطي)

22) صوابه تسع وسبعين كما في **الاستقصا** 8 : 25 ضمن حوادث السنة المذكورة .

القائد مصباح ، وكان فعلها هذا من الآثار العظيمة والمناقب الفخيمة ، رحمها الله (23) .

1507) **الفاضل بن المكي ابن مريدة السرغيني المراكشي** ، قاضي مراكش ، قال في (المجد الطارف والتالد) : ادركناه بهذه الحضرة المراكشية ، وحضرنا مجلس درسه للمختصر في جامع ابن يوسف ، وهو من اكابر العلماء ، صاحب سمت ووقار ، ممتثلا قوله صلى الله عليه وسلم كما في الموطأ تعلموا العلم وتعلموا له السكينة والوقار ، وكان قليل الكلام ، ومن اورع اهل زمانه ، كان مفتياً لا يشاغب المفتين ، تقضّى بآخر عمره عن عزازة نفس ، ولم يطل .

وتوفي رحمه الله في منتصف محرم سنة ثلاث وستين ومئتين وألف (24) .

ووقفت على رسم تعريف مؤرخ 10 شعبان عام 1256 خاطب عليه ، واثبت النسخة القاضي ابن المدني في 22 حجة عام 1276 .

والمترجم والد احد افذاذ مراكش علي ، وكان يجتمع بالمنتسب مولاي عمر بن البخاري صاحب الزاوية بباب الخميس تلميذ مولاي العربي الدرقاوي .

1508) **الفاضل بن عبد المجيد السرغيني المراكشي** ، كان رحمه الله فاضلا ناسكاً نزيهاً حسن السمت ، له معرفة ببعض العلوم ، كالنحو والفقه ، وأم بجامع تشنباشت الكبير من مراكش ، وخطب بالحضرة الشريفة بها ، وكان يعمل المولد كل سنة بداره ، يحضره العامة الذين فيهم مزيد اعتقاد ، ودرس بالجامع الذي كان اماماً به وغيره .

---

23) الترجمة منقولة حرفيا من **الاستقصا** 8 : 25 — 26 ، ولم يتصرف المؤلف الا بابدال عبارة قال صاحب البستان بعبارة قال الزياني .

24) **المجد الطارف والتالد ، على اسئلة الناصري سيدي احمد بن خالد** ، الذي ينقل منه المؤلف كتاب الفه محمد الأمين الصحراوي (ظ 7 : 21 ع 858) ضمنه اخبار رحلته الى فاس وغيرها من المدن المغربية ، واجاب فيه عن اسئلة الشيخ احمد بن خالد الناصري السلوي صاحب كتاب **الاستقصا** ، اختصره الفقيه السيد محمد بن ابي بكر التطواني في نحو الكراسة ، لم اقف عليه ، ويقال ان اصله محفوظ بالخزانة الناصرية بسلا ظ **دليل مؤرخ المغرب الأقصى** 2 : 363

واخذ عنه جماعة كالفقيه سيدي محمد بن مبارك ولد الغول ، والفقيه السيد محمد بن الحاج عمر اليدري المراكشي وغيرهما ، لقيناه مرات ، ولما توفي ليلة ثاني وعشري ربيع الثاني عام اثنين وعشرين وثلاثمئة والف قرئت عليه سلكة من القرءان واهديت له ، وفي الغد صلي عليه بجامع الشرفاء بمراكش بعد صلاة الجمعة ، وحضر جنازته بسبب ذلك جم غفير لا احصي عددهم ، وقيد بخطه انه رأى في عالم النوم كأنه دخل بيتاً من بيوت الله تعالى ، ورآه مملوءاً بالخلق ، وتقدم الى اكبرهم وطلب منه ان يلقنه اسماً من اسماء الله تعالى ، فلقنه ذالك ، وقال له بقيت في عمرك عشرة اعوام ، فتصفح ذلك التاريخ بعد وفاته فطابق ذلك ، وكان والده عدلا يسكن بدرب السيد علي المسفيوي .

1509) الفتح بن محمد ابن خاقان

الفتح بن محمد بن عبيد الله القيسي ، الكاتب ، له سماع من ابي علي الصدفي ، قرأ عليه بلفظه ادبَ الصحبة للسلمي ، وسمع من ابي محمد البطليوسي كتاب الانتصار من تأليفه سنة 516 وخططه فيه بذي الوزارتين، وكذلك خططه ابو بكر بن العربي .

قال ابن الابار في المعجم : وقرأت بخطه اجازة له على بعض كتب الأصول ، وحدث عن ابي الحسين ابن سراج بحكايات ، وكان قائماً على الأدب مترسلا بليغاً ، ومن تأليفه كتاب مطمح الأنفس ومسرح التأنس ، وكتاب قلائد العقيان في محاسن الأعيان ، وراية المحاسن وغاية المحاسن ، وله مجموع في رسائله .

روى عنه ابو عبد الله ابن زرقون جميعَ تواليفه ، وسمع كثيراً من نوادره واخباره ، وروى عنه ايضا يحيى بن محمد الأركشي ، وللأستاذ نجبة بن يحيى اجازة" منه باستدعاء ابيه لجميع تواليفه واخباره ، ولم يكن مرضياً ، وحذفه اولى من اثباته .

وتوفي ذبيحاً بفندق لبيب من حضرة مراكش ، ودفن بباب الدباغين ليلة عيد الفطر من سنة 528 قرأت ذلك بخط من يوثق به ، وقيل توفي سنة 29

بعدها ، وفي ليلة الأحد الثاني والعشرين للمحرم منها عبث فيه بأحد بيـوت الفندق المذكور ، وما شعر به الا بعد ثلاث من مقتله عفا الله عنه (25) .

وترجمه في الذيل والتكملة ايضاً قال فيه :

الفتح بن محمد بن عبيد الله اشبيلي ابو نصر ، روى عن محمد بن سليمان ابن القصيرة ، ومحمد بن عيسى ابن اللبانة ، واحمد ابن سعدون الكاتب ، وسراج ابن سراج ، وابي خالـد ابن بشتغير ، وابي الطيب ابـن زرقون ، ومحمد ابن خلصة الكاتب ، ومحمد بن احمد ابن طاهر ، وابي عامر ابن سرور ، وعبد المجيد ابن عبدون ، واسماعيل ابن حجاج ، وابي (...) ابن دريد الكاتب .

روى عند ابو عبد الله بن عبيد الله ابن العويص .

وكان كاتباً بارعاً فصيحاً بليغاً ذا حظ صالح من قرض الشعر ، وله مصنفات منها : قلائد العقيان ، ومطمح الأنفس ، وحديقة المآثر ، وترسيله مـدون .

وقصد يوماً الى مجلس قضاء ابي الفضل مخمـراً ، فتنسـم بعـض حضور المجلس منه رائحة الخمر ، فأعلم القاضي بذلك فأمر به فاستثبت في استنكاهه وحده حداً تاماً ، وبعث اليه بعد ان اقام عليه الحد ثمانية دنانيـر وعمامة ! فقال الفتح حينئذ لبعض اصحابه : عزمت على إسقاط اسم القاضي أبي الفضل من كتابي الموسم بقلائد العقيان ، قال فقلت له : لا تفعل وهـي نصيحة ، فقال لي : وكيف ذلك ؟ قال فقلت له : قصتك معه من الجائز ان تنسى وانت تريد ان تخلدها مؤرخة ، فقال لي : وكيف ؟ قال فقلت له : كل من نظر في كتابك يجدك قد ذكرت فيه مَن هو مثله او دونه في العلم والصيت ، فيسال

25) ما تقدم منقول بالحرف من **معجم اصحاب الصدفي** ص 313 ع 285

عن ذلك ، فيقال له ، فيتوارث العلم بذلك الأصاغرُ عن الأكابر ، قال : فتبين له ذلك وعلم صحته ، فأقر اسمه في الكتاب « قلائد العقيان » .

وسَتْرُ هذه القصة نحو مما يحكى ان أبا عيينة بن محمد بن عبد الله بن محمد بن ابي عيينة بن المهلب بن ابي صفرة الأزدي كان يهوى فاطمة بنت عمر بن حفص هزا رمرد ابن المهلب ، وكان يكني عنها بدنيا ، فتزوجها خالد ابن عمه ، فلج ابو عيينة في هجاء خالد والتشبيب بفاطمة ، فكان خالد يُسَيِّرُه ويطرح به كل مطرح ويبعد نواه ، لئلا يجتمع معها بالبصرة ، فيلجُ في تشبيبه بها ويجعل عليها للعيب والعائب سبيلا ، فكان خالد اذا لجَّ في تغريبه وتبعيده لَجَّ هو في هجاء خالد والانحاء عليه ، وفي تذكر فاطمة والشوق الى مطالبتها والملاعب التي كانا يلعبان بها وليديْن ، قال ابو بكر (. . . . . .) قال لي ابي وقد تذاكرنا قصتهما وافضى الى هجائه خالدا : ما كان أحلم خالدا ! ألا تراه كيف احتمل هجاءه على مضضه ولم يَثِبْ به ولم يزده على التسيير والتغريب ، ولو اراد قتله لأمكنه ، لأنه انما كان واحداً من قواده ، وتابعاً له ومضموماً اليه ، ولكنه خاف ان يحقق بقتله قصة فاطمة ، فرأى احتمالَه هجاءه أصغر شأناً وايسر أمراً .

توفي بمراكش ليلة الأحد لثمان بقين من محرم تسع وعشرين وخمسمئة ، ألفي في بيت بفندق لبيب مولى .... اللمتوني ، احد فنادق مراكش وقد ذبح وعُبِث فيه ، وما شعر به الا بعد ثلاث من مقتله (26)

واطال في نفح الطيب في ترجمة الفتح ابن خاقان ونقلها عن الاحاطة (27) .

وترجمه في معجم الأدباء ، قال :

حدثني الصاحب الكبير العالم جمال الدين بن اكرم ادام

---

26) ما تقدم منقول بالحرف من **الذيل والتكملة** 5 : 529 ع 1020

27) انظر **نفح الطيب** 7 : 29 و**الاحاطة** 4 : 248

الله علوه ، قال لما عزم ابن خاقان على تصنيف كتاب قلائد العقيان جعـــل يرسل الى كل واحد من ملوك الأندلس ووزرائهـــا واعيانها من اهـــل الأدب والشعر والبلاغة ، يعرفه عزمه ويسأل انقاذ شيء من شعره ونظمه ونثره ليذكره في كتابه ، وكانوا يعرفون شره وثلبه ، فكانوا يخافونه وينفذون اليه ذلك ، وصرر الدنانير ، فكلُّ مَن ارضتْه صلته احسن في كتابه وصفه وصفته ، وكل مَن تغافل عن بره هجاه وثلبه ، وكان ممن تصدى له وارسل اليه ابو بكر ابن باجة المعروف بابن الصايغ ، وكان وزير ابن تفلويت صاحب المرية ، وهو احد الأعيان ، واركان العلم والبيان ، شديد العناية بعلم الأوائل ، مستول على اهل الأشعار والرسائل ، وكانوا يشبهونه بالمغرب بابن سينا بالمشرق ، وله تصانيف في المنطق وغيره ، فلما وصلتْه رسالته تهاون بها ولم يعرها طرفه ، ولا لوى نحوها عطفه ، وذكر ابن خاقـان بسوء فعله ، فجعله ختم كتابـه ، وصيـره مقطع خطابه » ، وبلغ ذلك ابن الصايغ فأنفذ لـه مالا استكفه بـه واستصلحه ، وصنف ابن خاقان كتاباً آخر سماه مطمح الأنفس ومســـرح التأنس في ذيل شعراء الأندلس ، وصله بقلائد العقيان ، وافتتحه بذكر ابـــن الصايغ واثنى عليه فيه ثناء جميلا ، انتهى المقصود (28) .

* وممن لم اقف على تاريخ وفاته الولي الصالح المشهور عند العامة بسيدي **ابي الفضائل** بنيت عليه قبة صغرى ، وقبره مزار مشهور بحومة رياض الزيتون الجديد .

1510) **الفضيل الزرهوني** ، ورد مراكش لقراءة الصحيح مع مولاي الحسن ، وراجع ص 17 من ج 2 من الدرر البهية .

حـرف القـاف

1511) **القاسم الايلاني ابو حدو** ، من اهل رباط تاسماطت ، قـــدم مراكش ثم نزل مدينة يليسكاون من بلاد دكالة وبها مات رحمه الله ،

---

28) **معجم الأدبـاء** 16 : 186 واسقط المؤلف ما أورده ياقوت في هجاء ابن باجة في الأول ومدحه في الثاني .

وكان نهاية في الزهد والتقشف ، وكان قوته خبز الشعير بالماء ، وزهد في شهوات الدنيا فما اكلها حتى لقي الله تعالى ، وكان يقال انه من الأبدال :

تفنى اللذاذاتُ ممن نال صفوتها ... من الحرام ويبقى الاثمُ والعار
تبقى عواقبُ سوء في مغبتها ... لا خيرَ في لذة من بعدها النار

قال في التشوف (29) : حدثني محمد بن احمد الزناتي قال : رأيت القاسم الايلاني وانا صغير في المكتب بمراكش وهو يصغي الى صبي يقرأ ، فرأيتُ رجلا شديد الصفرة على رأسه خرقة صوف ، وعلى كتفيْه اخرى ، وعلى وسطه مثل ذلك ، فكلما فطن الناس به احتفوا به يستوهبون منه الدعاء ، فما دعا لأحد منهم الا واجيبت فيه دعوته :

عباد الله سادات كرام ... لهم في الخير ان لاح انبعاثُ
علامتهم نحول واصفرار ... واخبات وأطمار" رثاث
فهم للناس في الدنيا امان ... من الأمر المخوف وهم غياث
ابانوا صحبة الدنيا وقالوا ... طلاقُك في شريعتنا ثلاث

ترجمه في التشوف (30)

وقال في نظم رجاله :

سألنا ابا حدو استقامة امرنا .

قال في شرحه حدو لغة وقتية في احمد .

1512) قاسم بن عبد العزيز العلوي

قاسم بن عبد العزيز ، ابن مولانا الحسن بن يوسف ابن مولانا علي الشريف ، كان احد المسجونين بمراكش كما في الأنوار السنية (31)

29) وما تقدم منقول ايضا من **التشوف**

30) الترجمة المتقدمة منقولة بالحرف من **التشوف** ص 160 ع 57

31) **الأنوار السنية** ص 72 وفيها زيادة لم ينقلها المؤلف .

1513) قاسم بن محمد الوزير الغساني

قاسم بن محمد بن ابراهيم الغساني المعروف بالوزير ، قال ابن هشام : غسان ماء بسد مأرب باليمن كان شرباً لولد مازن بن الأسد بن الغوث فسموا به ، ويقال غسان ماء بالمشلل قريب من الجحفة ، والذين شربوا منه تخربوا فسموا به قبائل من ولد مازن بن الأسد بن الغوث . انتهى من اوائل سيرته (32)

ووقع لصاحب النشر في نقله هنا تخليط ، وقال في القاموس في غسن : وغسان ابو قبيلة باليمن منهم ملوك غسان ، وماء بين رمع وزبيد من نزل من الأزد فشرب منه سمي غسان ، ومن لم يشرب فلا . انتهى .

وقال فيه في غسن وكشداد : ماء نزل عليه قوم من الأزد فنسبوا اليه ، منهم بنو جفنة رهط الملوك ، او غسان اسم القبيلة ، قال في شرحه : وهو مازن من الأزد بن الغوث .

وقال سيدنا حسان رضي الله عنه :

اما سألت فأنا معشر نجـــب   الأسد نسبتنا والماء غســـان

وراجع ما كتبه في الأزد في ترجمة احمد ابن البناء .

ولد المترجَم بقرب الستين وتسعمئة .

كان اديباً ناظماً ناثراً مؤلفاً ، وله مشاركة تامة ولطافة ، اختص من بين الأطباء بسلامة الاعتقاد ، ونظمه جيد ، وله موشحات جيدة ، وله قدم في البلاغة ومهارة في الطب ، وكان من اطباء السلطان احمد المنصور الشريف الملقب بالذهبي من ملوك مراكش والمغرب واحد خواصه ، الف كتباً في الطب ، منها حديقة الأزهار في شرح ماهية العشب والعقار ، واختصره في جزء صغير

32) سيرة ابن هشام 1 : 9 — 10

وقفت عليه ، قال فيه عند تمامه : ألف برسم خزانة السلطان المظفر المعان احمد المنصور ابن مولانا امير المومنين محمد المهدي ابن مولانا امير المومنين محمد القايم بأمر الله الشريف الحسني ، ثم قال ورخ تمامه بيوم السبت السابع والعشرين من ربيع النبوي عام اربعة وتسعين وتسعمئة (33) . ومنها الروض المكنون ، في شرح رجز ابن عبدون ، وقفت عليه ايضاً ، ذكر فيه انه شرحه قبله الطبيب ابو القاسم بن يحيى اللمتوني التاشفيني ، والطبيب ابو الفضل بن ابي القاسم العجلاني شرحاً مختصراً لم يتعرضا لشرح شيء من ألفاظ المتن ، وذكر في خطبته ولي عهد الخلافة المولى المامون بن امير المومنين المنصور ، واشتمل الكتاب على امراض الحمى والأورام لا غير ، اتمه عام تسعة وتسعين وتسعمئة ، واسم الناظم هارون بن اسحق ابن عزرون الاسرائيلي ، واصلح نظمه محمد بن عبد السلام المرسي ، وهذا النظم تكملة لرجز ابن سيناء ، ووقفت على شرح رجز ابن سيناء في جزأين لاحمد بن عبد السلام الصقلي تلميذ ابن عزرون .

والمترجم مذكور في درة الحجال ، ونشر المثاني ، فيمن لم يقف على وفاته في المئة الحادية عشرة ، وحلاه احمد المقْري بالطبيب الماهر الثقة الصالح العلامة ، سيدي ابو القاسم بن محمد الوزير الغساني الأندلسي الفاسي المولد والنشأة ، حكيم حضرة السلطان احمد المنصور بالله السعدي (34)

1514) قاسم بن احمد الحلفاوي

قاسم بن احمد بن محمد الحلفاوي المراكشي ، الفقيه المتصوف ، الناظم الناثر ، العارف المطلع البحاث ، صحب الشيخ الولي الصالح سيدي محمد الكامل ابن الولي الصالح سيدي ابي عمرو القسطالي المراكشي ، والف في مناقبه كتابه الحافل (شمس المعرفة ، في سير غوث المتصوفة) ، وحقق واجاد جزاه الله خيراً ، ورتبه على مقدمة وخمسة ابواب وخاتمة ، المقدمة في

---

33) ما نقدم منقول من **نشر المثاني** 2 : 125 مع بعض تصرف .

34) توفي المترجم عام 1019 وهو يكنى ابا القاسم ، وله ترجمات في **أعلام المغرب العربي** 2 : 144 ع 423 **والحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين** (صفحات متعددة) ، **ودرة الحجال** 3 : 289 ع 1368 **وروضة الآس** ص 217 .

المعرفة والأحاديث الواردة في كمية اهل الدائرة ومحبتهم وزيارتهم ، الباب الأول في اثبات نسبته المرضية ، واسناد طريقته المروية ، وتسمية اشياخه الى خير البرية ، صلى الله عليه صلاة ابدية ، الباب الثاني فيما دل على تخصيصه بين اخوته ، باشارة شيخه وحسن سيرته ، الباب الثالث في ظهور دعوته البالغة ، وبراهينه البازغة ، وحججه الدامغة ، ونفحاته السابغة ، الباب الرابع في شيء من كلامه المشكور ، وتفسير ما تيسر منه على حسب الفتح والنور ، ومدحه الشائع المشهور ، الباب الخامس في كراماته الظاهرة ، وخصائصه الباهرة ، ومحاسنه الزاهرة ، الخاتمة في ذكر وفاته وما ظهر على بعض خواصٍ حضرته من فضل بركاته ، وهو تأليف نفيس مشحون بحقائق ودقائق ، وقصائد ومقطعات ، وابيات وتعريفات ، وتنبيهات ولمحات ، وشطحات ونفحات ، ومراءٍ وكرامات ، ونكت ادبية ، وتلويحات وموشحات وفتوحات ربانية ، ومواهب رحمانية .

وله نظم كثير وازجال ، وقد ذكرنا قصيدته في مدح مراكش فيما تقدم ، واليه ينسب والله اعلم الدربُ المعروف بدرب الحلفاوي بحومة باب دكالة .

وكتب المترجم الى الامام العلامة الولي الصالح سيدي احمد ابن ابي القاسم التادلي الصومعي مع الأخ الصالح ، المحب الفاضل الناصح ، سيدي مسعود ابن سيدي عياد الغفيري في طلب بيان نسبة حقيقة رجال السلسلة المنورة مولداً ومنشأ وحرفة ووفاة على حسبَ ما امكنه التعريف ، وأجابه بأنه يبدي ما عنده في ذلك ، ثم ابطأ عليه الجواب ازيد من سنة ، فأعاد الطلب بقوله :

عليك أبا العباس مني سلام ... سلام له حسن القبول امام
سلام سلام لا يحدُّ انتشاره ... بكل عبير فايح يسترام
يشفعه الرحمان منه برحمة ... لها بركات ما لهن ختام
من المشفق المشتاق طالب فضلكم ... فجودوا لما انتم عليه علام
ومنوا على عبد غدا بمطولكم ... فقيراً ذليلا قد جفاه منام

أمولاي طال الوعد والوقت ضيق — ولي في انتظار العامرية عـام
اروح قلبي كل يوم وليلـــــة

ثم قال :

ولاكن يقول الشيخ ابن سينا الذي — به رست البيضاء نعم الامـام
اذا استبطأ القصاد شيخـاً فانــه — ليخمد من قلب المريض الغـرام
فداوِ بعلم مـا جهلنا بفضلكـم — وداوِ بحلم عبدكم ياهمــــام
تسرك يانعم الامام سطــوره — بأيدي رجال قد براها غـــرام
وهذا على قدر الرسول لأنـــه — عجول ، والا فالقلوبُ هيـــام
سلام من الحلفاوي عبد محبكم — وسيلتنا القسطالي ثم ســـلام
يخصـُّكم بدءا وعوداً وكل من — له بفحولِ العارفين ذمــــام

ثم وعده ثانياً باجابة الطلب ، فأبطأ عليه نحو سنةِ اخرى فكرر عيله الطلب بقوله :

حنانَيْكَ . . . يامعاشر ســـادة — ونجل وليٍّ ضاء في الغرب نوره
رويدك يامسعود عني مبلغــــاً — سلامي الى من شب عندي ظهــوره
وقد كلمتني حين اقرع بابـــه — وما كلمته منه يوماً سطــوره
فان ابا العباس ابدى غرائبـــاً — يدل على شيء وقلبي خبيــره
وقد اكتفى يوماً بكَتْبي لأنــه — تحقق اعاري وسير سميـــره
ولو بسط الرحمان ليَّ سبيله — لكنتُ على متن الدياجـي ازوره
وشفعت كتبي والشفيع مبجـل — ولاسيما نجل الولي وزيـــره
وفي اسمه فال" يامليح كما تـرى — ووالده عياد والعيد ســـوره
وكن ذا ابتهال في جوابي بفضلكم — فيالله ما ابطا علي ســــروره

فأجابه بمنثور ومنظوم نصه :

انادى حبيباً هل له مخبر الـــرد — وصافى صفي الحب والشرب والود
وهل ياصديق للمعاهد رجعـــة — من البين ما يرقى على صدمة الصد
وهل اعشب الزهر المعطر روضه — وحامي الحمى (الأحمى) بصمصامة الهند

وهل راح مكبراً وغابت همومــــه ... وبان بسلمى وافياً لها بالعهد
عسى وعسى يدنو زمانُ هبوبـه ... وحتف حسود بعد ما كان من حسد
ورام صدوراً من معاول شئومـــه ... فضاءت نجوماً للمساعد بالسعـد
ندارك ما قد فات جمعاً لشملنـــا ... وحض عليه العزم بالصد والعزم
ونقطع سحب الوهم دفعاً ظلامــــه ... ولاحظ من سعد ألذ من الشهـــد
ويلقى حبيباً بالحطيم صفـــــاؤه ... ويلقى سليماً في الموارد والرصد
فكلما جمعنا بالصفاء نـــزولنا ... واسعدنا قرب الوصال بلا صد
حمدنا على الاكمال شكر سبوغـــها ... وشكرنا للانعام حصن من الهـــد
ومن حسن ما يلقى المحب لشوقه ... مشاهدة المحبوب في الصدر والورد
ولما رأيت الحب رقم سطـوره ... كأني بطلعة الحبيب هنا عنـــدي
ويوم السبت للذكي دليلـــــه ... ويوم بروز الخلق اوضح ما تبدي
فقلت سلاماً ثم الف سلامنـــا ... على حبنا المحبوب في الله ذي الود
وثم سلام الله مني تحيـــــــة ... على عارف بالله صاح لا مرصـد
وابقاه ربي للأنام ذخـــــيرة ... اماماً لهذا العصر داع الى الرشد
وثم صلاة الله ثم سلامــــــــه ... على خير خلق الله هادي الورى المهدي
وءاله والأصحاب حقاً وتابـــع ... لهم وكريم بالتقى بدا او يبـــدى

وباثر هذه القصيدة وكتب محبكم ومعظم قدركم عبد الله تعالى : احمد ابن قاسم لطف الله به .

وبأثر كراسة الجواب ايضاً ما نصه :

الا قل لخدن الصدق اوحد عصره ... خريدة خدر قد اضاءت كما الشمس
ومسبوطة طرز الى كل ناظـــر ... منوطا بتحقيق زيه عن الطلس
تلقاها كالمحبوب للحب حبـــه ... قبولا باذعان خلي عن الحدس
قسيم غدا كالورد طاب في غصنه ... واطيب من مسك الى ... المـــس
واعطاك ربُّ العرش من سر غيبه ... بفضله علماً من لدى حضرة القدس
وابقاك شهماً للأنام عزيزهـــا ... عزيز معارف خليل الى الرمس
وصلَّ وسلم بالدوام الاَهنـــا ... على خير خلق الله فهو مُنى النفس

وقال المترجم :

ويعظم في الوسع الصغير بنفسه ... ويصغر عند الفعل جل المعظم
وليس جواد في الفضول مفضلا ... الى ان يجود المرء بالقلب والفم
فيكمل فيه القول والفعل عندنا ... يجله رب العرش بالوصف الاقدم

وللمترجم تأليف في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عظيم الفوائد ، شريف الموارد ، مهذب المقاصد ، مفتاح الرجاء ، كثير الأسماء ، على حسب كثرة الفوائد منها (بغية السائل ، في اشرف الوسائل ، في الصلاة على المبعوث من خير القبائل) فيه ثلاثون باباً وثلاثمئة وستون فصلا واربعة ءالاف صلاة واثنا عشر نوعاً ، اولها في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وءاخرها في الدعاء الى الله بأسمائه الحسنى بعد الصلاة على النبي صلى الله عيله وسلم .

ودرس رحمه الله ، أقرأ صغرى الشيخ السنوسي وعبادة المختصر لأصحاب الشيخ حين طلبوا منه ذلك .

واخذ رحمه الله عن ابي بكر بن داوود ، وابراهيم بن الحسن ، فكان يحضر عند اولهما في اول النهار والثاني في ءاخره الى ان مرض الأول فاقتصر على الثاني ، وراى ذات ليلة سيدي ابا بكر في المنام وهو في الصف الثاني من جامع ابن يوسف موضع مجلس سيدي ابراهيم ، واذا بأبي بكر يشق الصفوف حتى انتهى اليه ومعه حال عظيم ، واخذ بيده وزاد به الى الصف الأول وهو يقول ما جاء بي الا انت او ما هنا الا انت ، فلما انتبه قال الله اعلم بغيبه ، فلما كان بعد صلاة العصر من يوم الرؤيا وجلس في مكانه المعهود له وكان يعرب القرءان فبلغ الاعراب قوله تعالى : ولقد همَّتْ به وهمَّ بها لولا ان راى برهان ربه ، فانفتح باب التأويل فيما استحال ظاهره على المعصوم على نبينا وعليه الصلاة والسلام ، وصدرت اقوال المعربين بين يديه ، ولم يذكر اعراب ما حكاه القاضي عياض عن بعضهم من ان في الكلام تقديماً وتأخيراً ، وان تقديره وهمت به لولا ان راى برهان ربه لَهَمَّ

بها ، فقال ياسيدي حفظك الله ان للامام عياض قولا يحكيه ونصه ، فقال لـه اعده فأعاده ، فقال هذا احسن التأويلات ، لأنه نص في عدم اهتمامه راساً واستحسنه غاية الاستحسان واعجب جميع الحاضرين سروره بذلك ، فأقسم عليه في ذلك المجلس حتى تأتي تجلس على يميني في داخل وسط الحلقة ، فأدركه من الخجل والحياء ما لم يعلمه الا الله ، فلم يكن له بد من امتثال امره ، فكان ذلك مجلسه بعد حتى اراد الله غير ذلك ، وبالله التوفيق .

وقد ذكرنا بعض احواله في ترجمة شيخه سيدي محمد بن الكامل ابن الشيخ سيدي ابي عمرو المراكشي رضي الله عنهم (35) .

1515) **قاسم بن الجيلالي الدكالي الرجراجي البومحمدي** ، من اولاد الولي الصالح السيد ابي محمد دفين ...... من دكالة ، وضريحه مشهور واحفاده يرفعون نسبهم الى سيدي شيكر المشهور ، قاضي الجماعة بمراكش بمقصورة ابن يوسف بعد الفقيه الحاج محمد ݣنون في اواخر ايام المولى عبد الرحمان ، اخذ عن العلامتين سيدي محمد التهامي الأميري ، ورفيقه سيدي عبد الله السكياطي .

كان فقيهاً مدرساً ناسكاً فاضلا خيراً ديناً محمود السيرة ورعا ، امام الصلاة بجامع ابن يوسف يصلي فيه بنفسه .

توفي قاضياً بها يوم الجمعة اوائلَ جمادى الثانية سنة اثنتين وثمانين ومئتين والف ، ودفن بضريح سيدي يوسف بن علي خارج باب اغمات (36) .

---

35) انظر 5 : 173 ع 648 من هذا الكتاب ، والترجمة المتقدمة وما فيها من نظم كثيرة التصحيف والتحريف ، ولم نعرف المصدر الذي نقلها المؤلف منه لنقابلها عليه ، وقد اجتهدنا ما وسعنا الجهد في اصلاح اخطائها وتقويم اعوجاجها رغم عدم اهميتها ، وابقينا ما عجزنا عن تصحيحه على حاله كما ورد في الأصل .

36) له ترجمة في **السعادة الأبدية** 1 : 38 ط حجرية .

حرف السين

1516) **السالك بن السالك المراكشي** ، وقفت على شرحه على المرشد المعين المسمى قرة العين في شرح المرشد المعين ، ذكر انه اعتنى بالاعراب حيث رأى الشراح اهملوه ، وعليه تقريظ لسيدي الصغير اليفرني نصه : الحمد لله حمداً لأن شرح للسالك مناهج السلوك ، وحلى جيد الشريعة من التآليف العلمية بما هو ابهى من اسماط السلوك ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد الذي ظهر دينه ظهور الشمس راد الدلوك ، وعنت لملته المثلى انوف الأقيال وجباه الملوك ، ورضي الله عن ءاله وصحبه الذين آيتهم على ايديهم للضلال هلوك ، اما بعد فان علماء هذه الأمة المحمدية كالكواكب الدرية ، كلما هوت كواكب بزغت كواكب اخرى سرية ، الا ترى المرشد المعين شرحه ميارة ، ثم جاء السالك فزاد عليه رواية الكواكب السيارة ، وكل منهما فاز من المدد المحمدي بحظه ، وفي ذلك دوام لما تكفل الله سبحانه وتعالى بحفظه ، الا ان ابن السالك في شرحه الذي هو بالفوائد صيب ، لا اجد له مثلا في اختراع محاسنه الا قول ابي الطيب :

تمشي الكرام على ءاثار غيرهم وانت تخلق ما تأتي وتبتدع

وقد جمع هذا الشرح فأوعى ، واقتنى البدائع كرهاً وطوعاً ، فمنزا قتصر عليه كفاه ، وكان الغنى حازته كفاه ، وقد سماه مؤلفه قرة العين ، وهو اسم اين مثله في اللطافة اين ، الا ان فيه مع العين اعتراضاً ، لكون العين لا تستحلي الا ان كانت مراضاً ، ولذلك اشرت اليه ان يسميه المورد المعين ، في شرح المرشد المعين ، وليس ما عمله الشارح ، للفطر السليمة بجارح ، فقد ذكر الصفدي في تاريخه ان شرف الدين الدمياطي الف كتاباً سماه الدر الثمين فيمن اسمه عبد المومن ، وناهيك بالشرف اسوة ، ومنهم للشارح قدوة ، والله يجعل هذا الشرح كاسمه خبرة ، وينفع به من طالعه أو أثبته في ملكه واقره ، بجاه المصطفى الكريم ، عليه افضل الصلاة والتسليم .

ذكر كاتب اصل المبيضة المنتسخ منه انه كتبها من خط العلامة سيدي الصغير اليفرني امام جامع ابن يوسف وخطيبها بالحضرة المراكشية امنها الله.

وهذا الشرح في مجلد من القالب الرباعي بخط اليد نسخت منه هذه النسخة في 7 جمادى الأولى عام 1266 .

1517) **سالم بن سلامة السوسي** ، ابو علي رضي الله عنه ، اصله من ردانة (تارودانت) ، ودرس الفقه بفاس على محمد بن عيسى التادلي ، وبأغمات على ابن شبونة وعبد السلام بن محال الجراوي واستقر اخيراً بسجلماسة وبها مات عام تسعة وثمانين او تسعين وخمسمئة ، وكان عبداً صالحاً فاضلا .

قال في التشوف (37) : سمعت محمد بن ابي القاسم يقول : دخلت على سالم فوجدته يتوضأ وقد قعد على كرسيه ، وكان ضعيفاً ، فسقط عنه ، فقمت اليه واخذت بيده ، فقال : اللهم يسرْ لي في كرسي قوي شديد ، فأكمل وضوءه وقعد ، وقرأت عليه نحو ورقة ، فاذا بقارع يقرع الباب ، ففتح له ، فاذا ابو بكر بن امغار بن ابي العباس الصنهاجي المؤذن ، فاستأذن على محمد بن علي ابن سليمان ، فدخل معه ومعهما خادم على راسها كرسي على الصفة التي طلب سالم ، فقال له ابو بكر : ان محمد بن علي دخل دار اخته مريم المتوفاة ، فوجد في تركتها هذا الكرسي ، فقال تحمله الى سالم يتوضأ عليه ويدعو لها .

قال محمد بن ابي القاسم : ودخل موسى بن عمر بن ينتزي اللمتوني على سالم ، فقال له عزمت على التوجه الى مكة واردت ان ابيع دمنتي ، فجمع الزواغي جميع الوهبية فدعوا ان لا يساومني فيها احد غير الربيع ، واراد ان ان يبخسني فيها ، فقال خيب الله دعاءهم ورزقك فيها ثلاثة آلاف دينار ! فلم يمض الا اسبوع ، فحضرت عند سالم وقد نظر الى عمامته البالية ، فقال اللهم افتح لي في عمامة جديدة ، فدخل ابن ابي حاج الفاسي علينا وبيده عمامة ،

37) وما تقدم منقول ايضا من **التشوف**

فجاءه موسى بن عمر فقال له ياسالم : قد اجاب الله دعوتك ، وقد اشتراهـا الربيع بثلاثة آلاف دينار ، ثم نظر الى العمامة التي بيد ابي حاج ، فقال له ما هذه العمامة ؟ فقال له ابن ابي حاج اخرجتها للبيع ، فاشتراها منه موسى وقال لسالم : رايتك عمامتك قد تخلقت ، فخذ هذه ، فلما خرج الناس من عند سالم قال لي : لا يغرنك هذا فلا جعله الله مكراً ولا استدراجاً .

وذكر سالم ان يحيى بن سليمان بن ايوب الفطناسي تكلم مع جماعة مـن اهـل سجلماسـة ، فقـال لـن يمطـر هـذا البلـد ما دام فيه سالم ، فبلغ ذلك سالماً فدعا عليه وقال في جملة دعائه : اللهم ارسلْ علينا سيلا يتعجب منه ، قال محمد بن القاسم : فنزل المطر وجاء سيل لم يعهد حتى خيف على البلد ، واما يحيى بن سليمان فكان قد ترك والده نحو عشرة ءالاف دينار دون العقار ، فافتقر حتى صار يسأل الناس ، ولقد جاءني يسألني مرة ، ثم افضى به الحال الى ان قتل في مغارة بطريق درعة شر قتلة ولسانه مخلوع قد جعل على صدره .

قال ابن ابي القاسم : ولما مرض سالم مرضه الذي توفي فيه قلت له من يصلي عليك ؟ فقال لي يصلي علي والدك ، فاني رايت في النوم شخصاً ، فقال لي ابو القاسم هو الرجل الصالح فلا يصلي علي سواه ، قال فتوفي سالـم وابي غائب بتازيما وهي على ثمانية عشر ميلا من سجلماسة ، فلم يمكني ان ابعث الى ابي ، فعزمنا على دفنه بالغداة ، فأرسلنا في السحر الى الغاسل فلم يوجد مفتاح الدرب الذي يسكن فيه الغاسل ، فاحتجنا الى النجار يفتح الباب ، فتعذر علينا دفنُه بالغداة ، ولم يتفرغ من تجهيزه الى قبره الا وقد طلع النهار ، فرفعناه الى شفير قبره ونظرنا مَن يصلي عليه ، فاذا بأبي حاضر ، فتقدم وصلى عليه ، ولما فرغنا من دفنه قلت لأبي من اين عرفت وفاة سالم ؟ فقال لما صليتُ العتمة صرخ صارخ بموته ، فأسريت طول ليلتي الـى ان وصلت فوجدته على شفير القبر (38)

38) ما تقدم منقول حرفيا من **التشوف** ص 277 ع 128

قال في التكملة في ترجمتـه : سمع بفـاس صحيح البخـاري من ابي عبد الله ابن الرمامة ، وكان حافظاً لمسائل الفقه قديراً على ادائها باللسان البربري ، زاهداً سليم الصدر ، توفي سنة 589 وقد نيف على المئة (39) .

ونقله ايضاً الحضيكي في طبقاته (40) .

وقال في الجذوة : سالم بن سلامة السوسي من سوس المغـــرب ، اصله من ردانة (تارودانت) ، يكنى ابا علي ، درس الفقه بفاس على محمد بن عيسى التادلي وابن الرمامة ، وعلى ابي العباس بن ابي جمرة فيما ذكره ابن فرقد ، وبأغمات عن ابن شبونة وعبد السلام الجراوي ، واستقـــــر بسجلماسة ، وبها توفي سنة تسع وثمانين او عام تسعين وخمسمئة ، وكان عبداً صالحاً ، ذكره في التشوف ، وابن الابار وابن فرقد في مشيخته ، ولمـــا مرض مرضه الذي مات فيه قال له ابن ابي القاسم من يصلي عليك ؟ قال له يصلي علي والدك (41) انتهى .

1518) سالم بن العربي الحمري ، ولد عام اربعين ومئتين والــف ، الفقيه المعمر ، اخذ بفاس عن الشيخ بدر الدين الحمري ، وتلك الطبقة فمن دونها ، وصحب الشيخ الصالح ابا بكر بن علي بن يوسف الناصري الدرعي ، واخذ عنه طريقة اسلافه وغيره .

---

39) ما في التكملة اوسع من هذا ، وها نصه نقلا عن نسختها العتيقة المحفوظة بالمكتبة الحسنية الملكية بالرباط (ص 385) :

« سالم بن سلامة السوسي ، من سوس المغرب ، وسكن سجلماسة ، يكنى ابا محمد ، دخل الأندلس وروى بها عن ابي العباس ابن ابي جمرة فيما ذكره ابن فرقد ، واخشى ان يكون ابنه ابا بكر شيخنا ، وسمع بمدينة فاس من ابي عبد الله ابن الرمامة صحيح البخاري ، وكان حافظاً لمسائل الفقه قديراً على ادائها باللسان البربري ، زاهداً موصوفاً بالبله وسلامة الصدر واجابة الدعوة ، . . . . في مشيخته ، وذكر انه لقيه بسجلماسة سنة ست وثمانين وخمسمئة ، وتوفي سنة تسع بعدها ، وقد نيف على المئة » .

40) **طبقات الحضيكي** 2 : 326

41) **جذوة الاقتبـاس** ص 521 ع 605 طبع الربـاط

اخذ عنه السيد عبد الحي الكتاني لما لقيه ببلاد احمر من عمالـــة مراكـش .

1519) **سراج الدين (42) بن عمر المراكشي** ، اخذ عنه قاضي القضاة احمد بن عمر بن هلال الربعي المتوفى سنة 795 .

1520) **سليمان بن عبد الله الموحد**

سليمان بن عبد الله بن امير المومنين عبد المومن بن علي الموحد الكومي ، كان يلي مدينة سجلماسة واعمالها ، اجتمع به تاج الدين السرخسي بمراكش بعد وفاة يعقوب المنصور بعد ان قدم لمبايعة ولده محمد ، فقال فيه في رحلته : رايته شيخاً بهي المنظر ، حسن المخبر ، فصيح العبارة باللغتين العربية والبربرية ، ومن كلامه في جواب رسالة الى ملك السودان بغانة ينكر عليه تعويق التجارة قوله : نحن نتجاور بالاحسان ، وان تخالفنا في الأديان ، ونتفق على السيرة المرضية ، ونتألف على الرفــق بالرعيــة ، ومعلوم ان العدل من لوازم الملوك في حكم السياسة الفاضلة ، والجورَ لا تعانيـــه الا النفوس الشريرة الجاهلة ، وقد بلغنا احتباسُ مساكين التجار ومنعهم من التصرف فيما هم بصدده ، وتردد الجلاَّبة الى البلد مُفيد لسكانها ، ومعين على التمكن من استيطانها ، ولو شئنا لاحتبسنا مَن في جهاتنا من اهل تلك الناحية ، لكنا لا نستصوب فعله ، ولا ينبغي لنا ان ننهى عن خُلُق ونأتي مثله ، والســلام .

ووقع الى عامل له كثرت الشكاوي منه : قد كثرت فيك الأقـــوال ، واغضائي عنك رجاء ان تستيقظ فتصلح الحـال ، وفي مبادرتي الى ظهور الانكار عليك نسبة الى شر الاختيار وعدم الاختبار ، فاحذر فانك على شفـــا جرف هـار !

---

42) المغاربة لا يسمون – الى عصر متأخر – مثل هذا الاسم ، فلا شك في ان سراج الدين لقب لرجل لا نعرف اسمه ، وقد لا يكون مغربياً بالمرة ، وانما نسبته الى مراكش – التي قد تكون اصل ابيه او احد اجداده – جعلت المؤلف يثبته على عادته في الترجمة لكل منسوب اليها والى اغمات حتى ولو لم يكن مغربياً .

من شعره المشهور قصيدة يمدح بها ابن عمه المنصور يعقوب :

هبّت بنصركم الرياحُ الأربــع ... وجرت بسعدكم النجوم الطلَّــع
واستبشر الفلك الأثير تيقنـــاً ... ان الأمورَ الى مرادك ترجــع
وامدك الرحمانُ بالفتح الــذي ... ملأ البسيطة نوره المتشعشــع
لِمَ لا ؟ وانت بذلت في مرضاتــه ... نفساً تُفديها الخلائقُ اجمـــع
ومضيتَ في نصر الاله مصمماً ... بعزيمة كالسيف بل هي اقطــع
للــه جيشك والصوارم تنتضى ... والخيل تردى والأسنة تُشــرع
من كل مَن تقوى الاله سلاحه ... ما ان له غير التوكل مفـــزع

ومنها يصف انهزام العدو :

ان ظن ان فراره مُنجٍ لــه ... فلجهله قــد ظنّ ما لا ينفـــع
اين المفــرُّ ولا مفــرّ لهــارب ... والأض تنشر في يديْك وتجمع
اخليفةَ الله الرضـــا هُنئتَـــه ... فتحاً يمدُّ بما سواه ويشفـــع
فلقد كسوتَ الدين عزاً شامخاً ... ولبستَ منه انتَ ما لا يُخلع
هيهات سر الله اودع فيكـــم ... والله يُعطي مَن يشاء ويمنع
لكم الهدى لا يدعيه سواكـــم ... ومَن ادعاه يقول ما لا يسمع
ان قيل مَـــن خير الخلائــق كلها ؟ ... فاليك يايعقوبُ تومي الأصبــع
ان كنت تتلو السابقين فانمــا ... انت المقدمُ والخلائفُ تبَّــع
خذها امير المومنين مديحـــةً ... من قلب صدق لم يشنْه تصنع
فالمدح مني في علاكَ طبيعــة ... والمدحُ من غيري اليك تطبُّــع
واسلمْ اميرَ المومنين لأمـــة ... انت الملاذُ لها وانت المفزع
وعليك ياعلَم الهــداة تحيـــة ... يفنى الزمانُ وعرفُها يتضوع (43)

قال لي الفقيه محمد القسطلاني دخلت الى السيد سليمان بقصـــر سجلماسة وبين يديْه انطاع" عليها رؤوس الخوارج الذين قطعوا الطريقَ على السفار بين سجلماسة وغانة ، وهو ينكتُ الأرض بقضيب من الآبنوس ويقول :

43) ينظر نص القصيدة في ديوانه ص 20 وقد قالها في فتح قفصة سنة 583 .

ولا غرو ان كانتْ رءوس عداته   جواباً اذا كان السيوف رسائله

ومات بعد الستمئة رحمه الله تعالى (44)

وقال لما هجره اميرُ المومنين يعقوب المنصور ووافق ذلك ان (وفد) على حضرة الخلافة مراكش جمعٌ من العرب والغز من بلاد المشرق ، ونزلوا بتمْر تانسيفت (نسيفة) ظاهر مراكش واستاذنوا في وقت الدخول فكتب الى المنصور :

ياكعبةَ الجود التي حجت لهــا   عربُ الشآم وغزهــا والديلـــم
طوبى لمَن امسى يلوذ بها غــــداً   ويطوف بالبيت الحرام ويحــرم
ومن العجائب ان يفوزَ بنظرة   مَن بالشآم ومن بمكة يُحــرم

فعفا عنه واحسن اليه ، وامره بالدخول بهم والتقدم عليهم .

وقال في المغرب (45) في حق سليمان المذكور ما نصه : لم يكن في بني عبد المومن مثله في هذا الشأن الذي نحن بصدده ، وكان تقدم على مملكتيْ سجلماسة وبجاية ، وكان كاتباً شاعراً أديباً ماهراً ، وشعره مدون (46) وله ألغاز ، وهو القائل في جارية اسمها ألوف :

خليلي قولا اين قلبي ومن بــــه   وكيف بقاءُ المرء من بعده قلبه
ولو شئتما اسم الذي قد هويتُه   لصحفتما امري لكم بعد قلبـــه

---

44) ما تقدم منقول من **نفح الطيب** 3 : 105 .

45) لا اثر لهذه المقولة في **المغرب** المطبوع

46) كتب في الأصل امام قوله : وشعره مدون ما يلي :

« توجد نسخة من هذا الديوان بالرباط عند الأستاذ بمعهد الدروس المغربية العليا ، حازها عند شريف ادريسي بفاس » .

وهذا الديوان قد جمعه كاتبه محمد ابن عبد ربه المالقي الذي يقال انه نحل كثيراً من شعره للأمير سليمان .

وقد قامت كلية الآداب بجامعة محمد الخامس بالرباط بنشر الديوان وطبعه بالمطبعة المهدية بتطوان دون اشارة الى تاريخ طبعه .

وله الأبيات المشهورة التي منها :

اقول لركب ادلجوا بسحيــرة　　قفوا ساعةً حتى ازورَ ركابها
واملأ عيني من محاسن وجههــا　　واشكو اليها ان اطالتْ عتابهـا
فان هي جادت بالوصال وأنعمـت　　والا فحسبي ان رايتُ قبابَهـــا

وقال يخاطب ابن عمه يعقوب المنصور :

فلأملأنّ الخافقين بذكركــــم　　ما دمت حياً ناظماً ومرســلا
ولأبذلنْ نصحي لكم جهدي ، وذا　　جهد المقل ، وما عسى ان افعـلا
ولأخصلنّ لك الدعاءَ وما انــا　　اهـل لـه ، ولعلـه ان يقبــلا

وله مختصر كتاب الأغاني .

وقال في المغرب في ترجمة ابن عمه علي بن عمر بن امير المومنين عبد المومن ما ملخصه : كان هذا السيد علي قد ولى مملكة تلمسان وبجاية ، وله حكايات في الجود برمكية ، ونفس عالية زكية ، كتب اليه السيد سليمان يوم جمعة :

اليــوم يــوم الجمعــة　　يــوم ســرور ودعــه
وشــملــنــا مُــفــتــرقٌ　　فــهــل تــرى ان نجمــعــه ؟

فأجابه بقوله :

اليــوم يــوم الجمعــه　　وربــنــا قــد رفــعــه
والــشــرب فــيــه بــدعــة　　فــهــل تــرى ان نــدعــه

قال ولفظةُ السيد في المغرب بذلك العصر لا تطلق الا على بني عبد المومن بن علي .

ذكره في نفح الطيب (47) .

---

47) توفي المترجم يوم 4 صفر عام 604 هـ

ينظر عنه **البيان المغرب** 6 : 171 (تطوان) ، **وديوان الأمير ابي الربيع سليمان بن عبد الله الموحد** ، و **ذكريات مشاهير رجال المغرب** ع 10 **والمعجب** ص 169 و 183 **ونظم الجمان** ص 171 **ونفح الطيب** 2 : 98 و 3 : 105 و 107 و 109 **والغصون اليانعة** ص 131 .

1521) سليمان بن عبد الله المريني

سليمان بن عبد الله بن يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المريني .

لما هلك السلطان عامـر تصدى للقيام بالأمـر عمه علي بن يوسف المعروف بابن زريقاء (48) وهي امه ، وعليّ هذا هو الذي قتل شيوخ المصامدة بكتاب ابن الملياني كما تقدم ، وخلص الملأ من بني مرين اهل الحل والعقد الى سليمان المذكور اخي عامـر ، فبايعوه واستتبّ امـره ، فتقبض على عمه علي بن زريقاء وسجنه بطنجة ، فبقي مسجوناً بها الى ان هلك سنة عشـــرة وسبعمئة ، وبث السلطان سليمان العطاء في الناس ، واجزل الصلات ، فأرضى الخاصة والعامة ، وصفا له الأمر ، ثم ارتحل نحو فاس ، واستدعى مَن كان بمحلة تطاوين من الجند فأقبلوا اليه فأرضاهم بالمال كذلك ، ولمـا فصل من طنجة تبعه عثمـان بن ادريس من سبتة في جيش كثيف ليضـرب في محلته ليلا ، فنذر به عسكر السلطان سليمان فأسهروا ليلتَهم وباتوا على صهوات خيولهم ، فوافاهم عثمان بساحة علودان وهم على ذلك ، فناجزهم الحرب فهزموه وتقبض على ولده وكثير من عسكره ، وقتل ءاخرون ، وكان للسلطان سليمان الظهور الذي لا كفاء له ، ووصل ابو يحيى ابن ابي الصبر من الأندلس وقد احكم عقدة الصلح مع ابن الأحمر صاحب غرناطة ، ولما راى عثمان ابن ادريس ذلك سقط في يده وأيس من المغرب فعبر البحر فيمن معه من القرابة الى الأندلس ، وولي مشيخة الغزاة بها ، فكانت له في جهاد العدو اليـــــد' البيضاء ، وعـلا امره بالأندلس ، وزاحم بني الأحمـر ملوكهـا في رياستهـــم وجبايتهم ، حتى كاد يستولي على الأمر من أيديهم ، وشرقوا به ومارسهـــم ومارسوه مدة طويلة وعدلوا في امره الى المصانعة والمجاملة في اخبـــار ليس جلبها من غرضنا ، الى ان توفي ، لكنا نذكر من ذلك نموذجاً يستدل به الواقف على ما وراءه فنقول : لما توفي عثمان بن ادريس رحمه الله كتب على قبره ما صورته : هذا قبر شيخ الحماة ، وصدر الأبطال والكماة ، واحد الجلالة ، ليث الاقدام والبسالة ، علم الأعلام ، حامي ذمار الاسلام ، صاحب

---

48) في تاريخ ابن خلدون : رزيقة .

الكتائب المنصورة ، والأفعال المشهورة ، والمغازي المسطورة ، وامـــام الصفوف ، القائم بباب الجنة تحت ظلال السيوف ، سيف الجهاد ، وقاصم الأعاد ، واسد الآساد ، العالي الهمم ، الثابت القدم ، الهمام الماجد الأرضى ، الباسل الأمضى ، البطل الهمام الكبير ، الأصيل الشهير ، المقدس المرحوم ، ابي سعيد عثمان ابن الشيخ الجليل ، الهمام الكبير ، الأصيل الشهير ، المقدس المرحوم ، ابي العلاء ادريس ، بن عبد الله ، بن عبد الحق ، كان عمره ثمانياً وثمانين سنة انفقه ما بين روحة في سبيل الله وغدوة ، حتى استوفى في المشهور سبعمئة واثنتَين وثلاثين غزوة ، وقطع عمره مجاهداً مجتهداً في طاعة الرب ، محتسباً في ادارة الحرب ، ماضي العزائم في جهاد الكفار ، مصادماً ما بين جموعهم تدفق التيار ، وصنع الله تعالى له فيهم من الصنائع الكبار ، ما سار ذكره في الأقطار ، اشهر من المثل السيار ، حتى توفي رحمه الله وغبار الجهاد طـــي اثوابه ، وهو مراقب لطاغية الكفار واحزابه ، فمات على ما عاش عليه ، وفي ملحمة الجهاد قبضه الله اليه ، واستأثر به سعيداً مرتضى ، وسيفه على راس ملك الروم منتضى ، مقدمة قبول واسعاد ، ونتيجة جهاد وجلاد ، ودليلا على نيته الصالحة ، وتجارته الرابحة ، فارتجت الأندلس لبعده ، اتحفه الله برحمة من عنده ، توفي يوم الأحد الثاني لذي الحجة من سنة ثلاثين وسبعمئة رحمه الله.

واما السلطان سليمان فانه لما سار عن طنجة دخل حضرة فاس حادي عشر ربيـع الأول من سنة ثمـان وسبعمئة ، فأقـام بهـا سنة المـولـد الكريم ، وفرق الأموال ، واستقامت الأمور ، وتمهد الملك ، وعقد السلم مع صاحب تلمسان ابي حمو موسى بن عثمان بن يغمراسن ، واقام وادعـــاً بحضرته ، مجتنياً ثمرة ملكه ، وكان في ايامه غلاء ، الا ان الناس انفتحت لهم فيها ابواب المعاش والترف ، حتى تغالوا في اثمان العقار ، فبلغت قيمتها فوق المعتاد ، حتى لقد بيع كثير من الدور بفاس بألف دينار من الذهب العين وتنافس الناس في البناء ، فاتخذوا القصور المشيدة ، وتأنقوا فيها بالزليج والرخام وانـواع النقوش ، وتناغوا في لبس الحرير وركـوب الفاره وأكل الطيب واقتناء الحلي من الذهب والفضة ، واستبحر العمران ، وظهرت الزينة والأمور كلها بيد الله .

· وكان اهل سبتة قد سئموا ملكة اهل الأندلس ، وثقلت عليهم ولايتهم ، لاسيما حين رحل عنهم عثمان بن ادريس وعبر البحر بقصد الجهاد كما مر ، واتصل الخبر بالسلطان سليمان فانتهز الفرصة فيهم وعقد لثقته تاشفين بن يعقوب الوطاسي اخي وزيره عبد الرحمن بن يعقوب على عسكر ضخم من بني مرين وسائر طبقات الجند ، وبعثه الى سبتة ، فأغذ السير اليها ونزل بساحتها ، ولما احسّ به اهل البلد تمشت رجالاتهم فيما بينهم وتنادوا بشعار بني مرين وثاروا على مَن كان بسبتة من حامية ابن الأحمر ، فأخرجوهم منها ، واقتحم تاشفين بن يعقوب البلد عاشر صفر من سنة تسع وسبعمئة ، وتقبض على قائد القصبة يحيى بن مليلة ، وعلى قائد البحر علي ابن كماشة ، وعلى قائد الحرب بها من القرابة عمر بن رحو بن عبد الله بن عبد الحق ، وطيَّر تاشفين بالخبر الى السلطان سليمان فعمّ السرور وعظم الفرح ، واتصل ذلك بابن الأحمر فضاق ذرعه وخشي عادية بني مرين وجيوش المغرب حين انتهوا الى الفرضة وملكوها ، فقلب رأيه وراى ان يجنح الى السلم مع السلطان سليمان لشدة شوكته ، ولكلب الطاغية عليه في ارضه ، لولا ان غزاة بني مرين يكفون من غربه ، فبادر السلطان ابن الأحمر وهو ابو الجيوش نصر بن محمد اخو المخلوع الذي كان قبله واوفد رسله على السلطان سليمان راغبين في السلم خاطبين للولاية ، وتبرع بالنزول عن الجزيرة ورندة وحصونها ترغيباً للسلطان سليمان في الجهاد ، فقبل منه ذلك ، وعقد له الصلح على ما اراد وخطب منه اخته فأنكحه ابن الأحمر اياها ، وبعث السلطان سليمان اليه بالمدد للجهاد اموالا وخيولا جنائب مع ثقته عثمان بن عيسى اليرنياني اخي وزيره ابراهيم بن عيسى ، واتصلت بينهما الولاية الى ان توفي السلطان سليمان رحمه الله (49) بتازة بين العشاءين ليلة الأربعاء منسلخ جمادى الأخيرة من سنة عشر وسبعمئة ، ودفن من ليلته تلك بصحن الجامع الأعظم من تازة رحمه الله .

---

49) ما تقدم منقول بالحرف من **الاستقصا** 3 : 97 وانظر ايضاً **تاريخ ابن خلدون** 7 : 494

1522) **سليمان بن داوود** (50) وزير السلطان ابي عنان المريني ، لما رجع السلطان ابو عنان من افريقية ولم يستتم فتحها بقي في نفسه منها شيء ، وخشي على ضواحي قسنطينة من يعقوب بن علي ومن معه من الدواودة المخالفين فأهمه شأنهم ، واستدعى سليمان بن داوود من مكانه بجبل طارق ، وعقد له على وزارته وسرحه في العساكر الى افريقية ، فنهض اليها في ربيع من سنة تسع وخمسين وسبعمئة ، وكان السلطان ابو عنان لما خالف عليه يعقوب بن علي وفرّ الى القفر اقام مكانه اخاه المنازع له في رياسة رياح ، ميمون بن علي وقدمه على اولاد محمد من الدواودة ، واحله بمكانه من رياسة البدو ، فنزع اليه عن اخيه يعقوب الكثير من قومه ، وتمسك بطاعة السلطان ايضاً طوائف من اولاد سباع بن يحيى فانحاشوا جميعاً للوزير ، ونزلوا بحللهم على معسكره .

ثم ارتحل السلطان ابو عنان من فاس حتى احتل تلمسان ، فأقام بها لمشارفة أحوال الوزير المذكور ، واحتلّ الوزير بوطن قسنطينة ، وبعث الى عامل بسكرة والزاب يوسف بن مزني بأن تكون يده معه ، وان يفاوضه في احوال الدواودة لرسوخه في معرفتها ، فارتحل اليه من بسكرة ، ونازلوا جبل اوراس واقتضوا جبايته ومغارمه ، وشردوا المخالفين من الدواودة عن العيث في الوطن ، فتم غرضهم من ذلك ، وانتهى الوزير وعساكر السلطان الى اول اوطان افريقية من آخر مجالات رياح ، وانكفأ راجعاً الى المغرب ، فوافى السلطان ابا عنان بتلمسان ، ووصلت معه وفود العرب الذين ابلوا في الخدمة ، فوصلهم السلطان وخلع عليهم وحملهم وفرض لهم في العطاء بالزاب ، وكتب لهم بذلك ، وانقلبوا الى اهليهم فرحين مغتبطين ، ووفد على اثرهم احمد بن يوسف بن مزني ، اوفده ابوه بهدية الى السلطان من الخيل والرقيق والدرق ، فتقلبها السلطان واكرم وفادته ، ثم استصحبه الى فاس ليريه احوال كرامته ، وليستبلغ في الاحتفاء به ، واحتل بدار ملكه منتصف ذي القعدة من سنة تسع وخمسين وسبعمئة (51)

---

50) اسمه الكامل : سليمان بن داوود بن اعراب العسكري ، ولا ندري سبباً لاقحام ترجمته هنا دون اشارة الى دخوله مراكش او كونه من اهلها ، فان كان اقحامه لمجرد انه وزير – وذلك يقوي الظن بأنه حل بها – لوجب على المؤلف ذكر جميع الوزراء المغاربة في هذا الكتاب ، وهو ما لم يفعله .

51) ما تقدم منقول بالحرف من **الاستقصا** 3 : 203 وانظر ايضاً **تاريخ ابن خلدون** 7 : 620

1523) سليمان بن يحيى السفاج

سليمان بن يحيى بن سليمان المراكشي السفاج ، الشيخ ابو الربيع ، عده في الديباج من اشياخ محمد بن احمد بن محمد بن ابي بكر ابن مرزوق الملقب بشمس الدين ، وكذلك في الجذوة ، ذكره فيها من اشياخه في ترجمته (52)

1524) سليمان بن ابراهيم ، الفقيه القاضي بقصبة مراكش المحروسة ، له معرفة بالفقه والفرائض والحساب والنحو وغير ذلك ، ولد بعد العشرين وتسعمئة ، وهو احد امناء بيت المال ، اخذ عنه جماعة ، منهم الامام الأسعد احمد المنصور ، كان حيا سنة 999 تسع وتسعين وتسعمئة .

ترجمه في درة الحجال (53)

1525) سليمان بن ابراهيم التاملي

سليمان بن ابراهيم بن سليمان التاملي ، احد كتاب احمد المنصور كتاب الانشاء ، ولد سنة ثمان وستين وتسعمئة ، كان حياً سنة 999 تسع وتسعين وتسعمئة .

ترجمه في درة الحجال (54)

1526) سليمان بن مهدي ابن النعمان ، من اهل مدينة فاس ، وسكن مراكش .

(توفي سنة سبع وستمئة وسنه نحو السبعين)

ذكره في الجذوة (55)

---

52) **الديباج المذهب** ص 305 **وجذوة الاقتباس** ص 225 ع 194 طبع الرباط .

53) **درة الحجال** 3 : 312 ع 1409 طبع تونس .

54) ظ **درة الحجال** 3 : 313 ع 1410 .

55) **جذوة الاقتباس** ص 515 ع 592 طبع الرباط .

1527) **سليمان بن عبد القادر الزرهوني** ، الكاتب الأسما ، صاحب القلم الأعلا ، كاتب الدولتيْن الرشيدية والاسماعيلية ، المطلع على سـر الحضرتيْن ، وصفه في الدر السني بالخير وثقة الكتاب ودينهم لما ذكـر عنه حكـايـة .

وذكر له في المقصد حكايات مع الولي العارف بالله سيدنا احمد بن عبد الله (معن) توذن بمحبته وميله الى جانب اولياء الله تعالى ، وانه ممن كان عند سيدنا احمد بن عبد الله من المعتنَى بهم ، ومن بركة ذلك لما قبض السلطان على ابن اخيه الكاتب عبد الواحد نجـاه الله من غوائل ذلك ببركة معرفة سيدنـا احمد ، نفعنا الله بـه .

ذكره في النشر فيمن توفي عام 1098 ثمانية وتسعين والف (56)

1528) **سليمان بن محمد بن عبد الله العلوي (السلطان)**

سليمان اميـر المومنين بن سيدي محمد بن عبد الله بن اسماعيـل العلوي الحسني (57) .

كـان المـولى سليمـان رحـمـه الله اعلـق بقلب ابيـه مـن **سائر اخوته على ما قيل لسعيه فيما يرضى الله ورسوله ويرضى والـــده ، واشتغاله بالعلم والعكوف عليه بسجلماسة وغيرها ، ولم يلتفت قط الى شيء مما كان يتعاطاه اخوانه الكبار والصغار من امور اللهو ، كالصيد والسماع** ومعاقرة الندمان وما يزرى بالمروءة ، ولم يأت فاحشةً قط من صغره الى كبره ، **وكان رحمه الله يرى له ذلك ويثيبه عليه بالعطايا العظيمة والذخائر النفيسـة والأصول المعتبرة التي تغلُ الألف واكثر ، وينوه بذكره في المحافل ، ويبعث**

56) **نشر المثاني** 2 : 337 طبع الرباط 1982 .

57) هذه الترجمة الطويلة العريضة سلخها المؤلف سلخاً من **الاستقصا** (8 : 86 طبع الدار البيضاء) دون ان يكلف نفسه عناء الاشارة الى المصدر المنقول منه ، ودون عناية بتهذيبها وترتيبها ترتيباً يتفق مع روح العصر ، وهو شيء يواخذ عليه كثيراً ، لأنه يوهم ان العمل عمله بينما هو في الحقيقة عمل غيره .

اليه بأعيان الفقهاء والأدباء الى سجلماسة ليقرأ عليهم ويأخذ عنهم ، ويدعو له في كل موقف على رؤوس الأشهاد ، ويقول ان ولدي سليمان رضي الله عنه لم يبلغني عنه قط ما يكدر باطني عليه ، فأشهدكم اني عنه راض .

ونشأ رحمه الله نشأة حسنة طيبة ، وكانت شمائل الملك لائحةً عليه الى ان اظفره الله به ، وكان قدم على اخيه المولى يزيد بقبائل الصحراء فأجلّ مقدمه ، واكرم وفادته ، فأقام المولى سليمان رحمه الله بفاس الى ان كانت وفاة المولى يزيد في التاريخ المتقدم (58) فاتصل خبرُ موته بأهل فاس ومكناسة ، فقاموا على ساق ، واتفق العبيد والوداية والبربر واهل فاس على بيعته لما كان عليه من العلم والفضل والدين وسائر الأوصاف الحميدة التي تفرد بها عن غيره .

مبايعةُ المولى سليمان

ولما قدم العبيد والبربر من مكناسة الى فاس اجتمعوا بأعيان الوداية واهل فاس ودخلوا ضريح المولى ادريس رضي الله عنه وبايعوا امير المومنين المولى سليمان يوم الاثنين سابع عشر رجب سنة ست ومئتين والف ، ولما تمت بيعته انتقل الى فاس الجديد ، فاستقرّ بدار الملك منها ، وقدمت عليه وفود القبائل من العرب والبربر بهداياهم ، ثم قدم بعدهم قبائل بني حسن واهل الغرب ، ثم اهل العدوتين سلا ورباط الفتح ، وانحرف بعضُ اهل رباط الفتح عن بيعته كما سيأتي ، ثم قدم عليه اهل الثغور الهبطية بعد ان توقفوا عن بيعته مدة يسيرة لأنهم كانوا قد بايعوا المولى مسلمة .

---

58) هذا سياق كلام الناصري في **الاستقصا** ، اما المؤلف الناقل فلم يتقدم له ذكر تاريخ ، وتاريخ وفاة السلطان اليزيد هو اواخر جمادى الثانية سنة 1206 هـ بمراكش ، ودفن بقبور الأشراف السعديين منها قبلي جامع المنصور بالقصبة .

حــربُ السلطان المولى سليمــان لأخيه المولى مسلمة وطــرده الى بــلاد المشــرق

ثم لما تمت بيعة السلطان المولى سليمان بن محمد رحمه الله بفاس باتفاق اهل الحل والعقد من الجند والعلماء والأشراف وسائر الأعيان تداعى امر المولى مسلمة الى الاختلال ، وكان اول ما ابتدأ به عمله (59) بعد تلك البيعة المستعجلة ان بعث جريدة من الخيل الى نظر القائد محمد الزعري الى رباط الفتح ، وذلك باستدعاء محتسبها العباس مرينو والمكي بن العربي فرج من اهلها المنحرفين عن المولى سليمان الى التمسك بدعوة المولى ملسمة ، وكان اهل رباط الفتح يومئذ على فرقتين ، فرقة دخلت في طاعة السلطان المولى سليمان ، وفرقــة قامت بالتمسك ببيعة المولى مسلمة .

ولمــا اتصل بالمولى سليمــان خــبــر مسير الزعــري الــى رباط لفتح عقد لأخيه المولى الطيب على بني حسن وبعثه في اعتراضه ، فتوافى الجيشان معــاً بربــاط الفتح ، ووقعت الحــرب فانهــزم الزعــري وشيعتُه ، وقتل العباس مرينو وفرَّ المكي فرج الى الزاوية التهامية فاستجار بها ، وقبض المولى الطيب على الزعري وجماعة من اصحابه ثم سرحه بأمر السلطان المولى سليمان ، واجتمعت كلمة اهل العدوتين على طاعته ، هكذا ساق صاحب البستان هذا الخبر ، وءال فرج يثبتونه ويقولون ان اصلَ هذه الفتنة ان ءال مرينو كانتْ لهم الوجاهة مع المولى يزيد رحمه الله ، فسعوا عنده بئال فرج ، وقالوا له انهم تقاعدوا على مال الوزير محمد العربي قادوس الذي امنه عندهم فبطش بهم المولى يزيد ، وصادرهم ، واستحكمت العداوة يومئذ بينهم وبين ءال مرينو ، فلما توفي المولى يزيد بادر ءال مرينو ومن لافَّهم الى بيعة المولى مسلمة ، وانحرف عنهم الى يبعة المولى سليمان مَن لم يكن من حزبهم ، ولما قتل العباس مرينو عمد أوباشُ رباط الفتح الى شلوه وربطوا في رجله حبلا وجروه في اسواق المدينة وعرضوه على حوانيتها حانوتــــاً

(59) الضمير هنا يعود على المولى مسلمة

حانوتاً ، اذ كان في حياته محتسباً رحمه الله ، وكان السلطان المولى سليمان في هذه المدة مقيماً بفاس لم يتحرك منه .

ثم ان المولى مسلمة صاحب بلاد الهبط بعث ولده الى ءاية يمور وامرهم ان يشنوا الغارة على اهل زرهون الذين هم في طاعة السلطان ، ففعلوا وكثر عيثهم في الرعايا ، فسار المولى سليمان الى مكناسة واستنفر جيش العبيد وقبائل البربر ، ثم وافاه الوداية واهل فاس وشراقة ، فاجتمع عليه منهم الجمُّ الغفير ، وصمد بهم الى ءاية يمور ، فألفاهم على نهر سبو بالموضع المعروف بالحجر الواقف ، فصمدت اليهم العساكر واوقعت بهم وقعة شنعاء ، وفرَّ ولد المولى مسلمة فلحق بأبيه ولجأ ءاية يمور بقضهم وقضيضهم الى جبل سلفات ، وبقيت حلتهم بماشيتها واثاثها بيد السلطان ، فانتهبتها جيوشه من العبيد والوداية والبربر ، وبات السلطان هنالك ، ولما اصبح بعث اليه ءاية يمور نساءهم واولادهم للشفاعة ، وطلب العفو فعفا عنهم ، وثابوا اليه وبايعوه ، فأنعم عليهم بماشيتهم وزرعهم ، وعاد الى فاس .

ثم بلغه ان المولى مسلمة معسكر ببلاد الحياينة فنهض اليه من فاس فأوقع به ، فانهزم المولى مسلمة وجيشه ، ونهب جيش السلطان محلة الحياينة ، وجاءوا تائبين فعفا عنهم ونظمهم في سلك الجماعة ، وتفرق على المولى مسلمة مَن كان معه من عرب الخلط واهل الجبل ، ولم يبق معه الا خاصته وولداه وابن اخيه المولى حسن بن يزيد ، فسار الى جبل الزبيب ، فلم يقبلوه ، ثم انتقل الى الريف فأهملوه ، ثم صعد الى جبل بني يزناسن فطردوه ، ثم توجه الى ندرومة فمنعه صاحبها من الوصول الى الباي صاحب الجزائر ، وكان ذلك عن امر منه ، فتوجه الى تلمسان وأقام بها .

قال صاحب البستان : وهناك اجتمعت به في ضريح الشيخ ابي مدين بالعباد ، يعني حين قدم تلمسان مفارقاً للسلطان المولى سليمان ، وزعم ان المولى مسلمة اجتمع به ولامه على تخذيل الناس عن بيعته وحضه اياهم على بيعة اخيه المولى سليمان ، قال فبيَّنت له حال المولى سليمان ، وما هو عليه

من اتباع سيرة والده في العدل والرفق بالرعية ، وبذلك احبه الناس ، فلما سمع كلامي بكى واعترف بالحق وتلا قوله تعالى : (ولو كنت اعلم الغيب لأستكثرت من الخير) ، ثم طلب من صاحب الجزائر ان يأذن له في الذهاب الى المشرق والمرور بايالته فأبى ، وبعث مَن ازعجه من تلمسان الى سجلماسة .

ولما اتصل خبره بالمولى سليمان وانه عاد الى سجلماسة ارسل اليه مالاً وكسى وعيَّن له قصبة ينزلها ورتب له ما يكفيه في كل شهر كسائر اخوته ، فلم يطبْ له مقام بها ، وسار الى المشرق ، فاجتاز في طريقه بصاحب تونس الأمير حمودة باشا بن علي باي .

قال صاحب الخلاصة النقية : قدم المولى مسلمة بن محمد على الأمير حمودة باشا شريداً اثر خلعه من مملكة فاس ، فأنزله اسنى منزلة ، واجرى عليه جراية سلطانية ، وبالغ في بره ، انتهى .

ثم ان المولى مسلمة سافر الى المشرق فأقام بمصر مدة ، ثم توجه الى مكة فنزل على سلطانها صهره على اخته ، فأكرمه ورتب له جراية ، ثم عاد من مكة الى مصر ، وساءت حاله في هذه المدة ، وضاقت عليه الأرضُ بما رحبت ، فرجع الى تونس ونزل على حمودة باشا المذكور ، فعاود اكرامه ، ثم طلب منه ان يشفع له عند اخيه المولى سليمان ، فكتب له بذلك ، فأخذ كتابه وانحدر الى وهران ، وطلب من اميرها الشفاعة أيضاً ، فكتب له وبعث بمكاتب الأميرين الى السلطان المولى سليمان ، فقبله وامره ان يذهب الى سجلماسة ينزل بها بدار والده ، ويرتب له ما يكفيه من مئونة وكسوة ويقاسمه نعمته ، ويبقى بعيداً عن سماسرة الفتن حتى لا يجدوا سبيلا الى ايقاد نار الفتنة ، فلما بلغه جوابُ اخيه لم يرض ذلك وعاد الى المشرق ، فبقي يتردد به الى ان وافته منيتُه واستراح من تعب الدنيا رحمه الله .

نهبُ عرب انجاد لركب حاجٍّ المغرب وما نشأ عن ذلك

ثم بلغ السلطان المولى سليمان رحمه الله ان جماعة من التجار والحجاج الذين قدموا من المشرق خرجوا من وجدة متوجهين الى فاس ، فلما توسطوا

ارض انجاد عدت عليهم عربها فنهبتهم ، فاستدعى السلطان رحمه الله الكاتب ابا القاسم الصياني وامره بالمسير الى وجدة يكون والياً بها ويصلح ما فسد من اعمالها ، فكره الصياني ذلك واستقال ، فلم يقله السلطان وعزم عليه في المسير اليها ، وعين له مئة فارس تذهب معه ، فامتثل راغماً واضمر انه إن فارق السلطان يذهب الى احد الحرمين الشريفين فيقيم به بقية عمره ، وجمع موجوده ، فخرج وخرج معه قفل التجار الذين كانوا محصورين بفاس ، ولما توسطوا ارض انجـاد وجدوا العـرب في انتظارهم ، فثاروا بهم وقاتلوهم ، فتماسكت خيل السلطان هنيأة ثم كثرهم العرب فهزموهم ، ولم يبق من تلك الخيل الا قائدها في عشرة من اخوانه ، وانتهت العربُ ما كان في ذلك القفل من امتعة التجار وسلعها ، ولم ينج مَن نجا منه الا بنفسه .

قال الصياني : فلجأنا الى قصبة العيون ، وتفرق جمعنا وقتل منا سبعة نفر وجرح ءاخرون ، فبعثت مَن اتانا بالقتلى فدفناهم ، ثم سرحت قائد الخيل الى وجدة مع بعض العرب الذين هنالك ، وطلعت انا مع برابرة بني يزناسن الى جبلهم وليس معي الا مركوبي وفرس ءاخر كان عليه مملوك لي قتل في المعركة ، قال ثم خلصت الى وهران فنزلت عند الباي محمد باشا ، فأظهر التأسف والتوجع ، وراودني على المقام فأبيت ، ثم ذكر الصياني انه بعد هذا ذهب الى تلمسان ، واجتمع هنالك بالمولى مسلمة بن محمد وتلاوما وتعاتبا حسبما ذكرناه ءانفاً ، وكان ذلك اواخر سنة ست ومئتين والف .

بعثُ السلطان المولى سليمـان الجيوشَ الى الحـوز ونهوضه على اثرهـا الى ربـاط الفتح وعوده الى فـاس

ثم اعلم ان اهل مراكش وقبائل الحوز كانوا متمسكين بدعوة المولى هشام بن محمد من لدن دولة المولى يزيد رحمه الله ، ولما صفت بلاد الغرب للسلطان المولى سليمان رحمه الله تاقت نفسه الى تمهيد بلاد الحوز والاستيلاء عليها ، فعقد لأخيه المولى الطيب بن محمد على عشرة ءالاف من الخيل ، وعيَّن معه جماعة من قواد الجيش وبعثهم الى قبائل الشاوية ، وذلك اواخر سنة سبع

ومئتين والف ، ثم زحف السلطان على اثرهم الى رباط الفتح فمحا بقية آثار الفتنة التي نشأت به ، واقام ينتظر ما يكون من امر اخيه .

وفي سادس شوال من السنة صلى السلطان الجمعة بمسجد القصبة منها ، وكان هو الامام ، وخطب خطبة بليغة تشتمل على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتحذير من الحرام واجتناب الآثام ، ووعد وأوعد ، وقال في ءاخر خطبته : وانصر اللهم جيوشَ المسلمين وعساكرهم ، ودعا لكافة الأمة ، وصلى في الركعة الأولى بسورة الجمعة ، وفي الثانية بسورة الغاشية .

ولما قدم المولى الطيب بلاد الشاوية تنافس قوادُ الجيش الذين معه وتنازعوا الرياسة ، وصار كل واحد منهم يرى انه صاحب الأمر ، وكان من اعظمهم تهوراً القائد الغنيمي كان من قواد المولى يزيد رحمه الله ، فأبقاه المولى سليمان على رياسته تألفاً له ، فاستبدَّ على سائر القواد في الرأي ، اذ كان رديف الخليفة المولى الطيب وصاحب مشورته ، فلما كان وقت اللقاء تخاذلوا عنه وجروا عليه الهزيمة ، وتركوا اخبيتهم وأثاثهم بيد العدو ورجعوا مفلولين الى السلطان برباط الفتح ، وهم عشرة ءالاف فارس كما مر ، فما وسع السلطان رحمه الله الا الرجوع بهم الى فاس لتجديد ءالة السفر والغزو ثانياً واخلاف ما ضاع من الأخبية والسلاح والأثاث حسبما يذكر بعد ان شاء الله.

ثـورةُ محمد بن عبد السلام الخُمْسي المعروف بزيطان بالجبل

ولما كانت سنة ثمان ومئتين والف ثار بقبيلة الأخماس من جبال غمارة رجل من طلبتها يقال له محمد بن عبد السلام ، ويدعى زيطان ، فاجتمعت عليه سماسرة الفتن من كل قبيلة ، وكثر تابعوه ، وكان السبب في ثورته ان القائد قاسم الصريدي كان والياً بتلك الناحية ايام المولى يزيد رحمه الله ، فلما بويع المولى سليمان ولي على تلك الناحية القائد الغنيمي المتقدم الذكر ، وكان عسوفاً فيما قيل ، فقبض على القائد قاسم واستصفى امواله ، وبث عليه العذاب كي يظهر ما بقي عنده حتى هلك في العذاب ، فثار زيطان واجتمعت عليه الغوغاء من اهل تلك البلاد ، ولما شرى داؤه بعث السلطان بجيش الى القائد

الغنيمي وامره ان يقصد زيطان وجمعه ، فزحف اليه ببلاد غصاوة قرب وزان ، واوغل في طلبه ، فنهاه من معه من رؤساء الجيش عن التورط بالناس في تلك الجبال والشعاب ، فلجّ واقتحمها بخيله ورامينه ، ولما توسطها مالت عليه الشعاب بالرماة من كل جانب ، وهاجت الحرب واحاط العدو بالجيش ، فقتلوا منهم وسلبوا كيف شاءوا وردوهم على اعقابهم منهزمين ، ولما اتصل خبرُ الهزيمة بالسلطان اغتاظ وقبض على الغنيمي ومكن منه اولاد قاسم الصريدي فباشروا قتله بأيديهم ، واقتصوا منه بأبيهم ، وولى على قبائل الجبل اخاه المولى الطيب وفوض اليه امر الثغور وانزله طنجة ، وبقي المولى الطيب يدبر القبائل الجبلية وغيرها من تطاوين الى طنجة الى العرائش ، وكلما بدت له فرجة سدهـا ، وفرصة انتهزها ، وحارب قبائـل الفحص الى ان استكانوا وانقادوا الى الطاعة ، ثم حارب اهل حوز طنجة وأصيلة من بني يدر والأخماس من اصحاب زيطان ، فكانت الحرب بينهم سجالا .

ثم لما دخلت سنة تسع ومئتين والف امد السلطان اخاه المولى الطيب بجيش وافاه بطنجة ، فخرج منها ومعه عسكرها وعسكر العرائش وصمدا الى بني جرفط عش الفساد ، ونزل على بلادهم وقاتلهم في عقر ديارهم ، فقتل مقاتلتهم ، واحرق مداشرهم ، وانتهب اموالهم ومزقهم كل ممزق ، فجاءوه خاضعين تائبين فعفا عنهم ، ثم تقدم الى بني حرشن من بني يدر على تفيئة ذلك ، ففر الثائر زيطان الى قبيلته بالأخماس ، وتسللت عنه القبائل التي كانت ملتفة عليه ، واستنزله المولى الطيب بالأمان فظفر به وبعث به الى السلطان فأمضى له امانه ، وولاه على قبيلته ، وصار من جملة خدام الدولة ونصحائها ، الى ان ملكت زمامها ، وتعين غيره للقيام بأمرها ، فأخر ونقله السلطان الى تطاوين فسكنها ، ورتب له فيها ما يكفيه ، وبقي الى اواخر دولة السلطان المولى سليمان ، ولما خرج عليه المولى ابراهيم بن يزيد ودخل تطاوين كانت لزيطان هذا في التمسك بدعوة السلطان اليد البيضاء ، واغنى غناء جميلا في تثبيت تلك القبائل وتسكينها ، ثم وفد على السلطان بطنجة سنة ست وثلاثين ومئتين والف وقد طعن في السن ، فاحسن اليه غاية الاحسان ، والى الآن

ما زال اهل الأخماس يستنصرون بحفدته ويعتقدون فيهم ما تعتقد ءاية ومالو في آل مهاوش ، والله وارث الأرض ومن عليها ، وهو خير الوارثين .

ثــورة المولى عبد الملك بن ادريس بأنفــا والسبب في ذلك

وكانت قبائل الشاوية منذ هزموا جيش المولى الطيب بن محمد وهم حذرون من سطوة السلطان ، عالمون بأنه غير تاركهم ، فعزموا على تلافي امرهم عنده ، واوفدوا عليه جماعات من اعيانهم المرة بعد المرة يسألونه ان يولي عليهم رجلا يكونون عند نظره ، ويقفون عند امره ونهيه ، فولى عليهم ابن عمه وصهره على اخته المولى عبد الملك بن ادريس بن المنتصر ، ووجهه معهم ، فقدم المولى عبد الملك ارض تامسنا ونزل بمدينة ءانفا وهي المسماة اليوم بالدار البيضاء ، وتولى القيام على مستفاد مرساها ، وصار يسهم فيه لأعيــان الشاوية الذين معه ، وكــان قصــده بذلك ان يتألفهم على الطاعــة والخدمة ، فلما حصل لهم ذلك السهم من المال تطاولوا الى الزيادة عليه ، وقد قيل في المثل قديماً : لا تطعم العبد الكراع فيطمع في الذراع ، فصار المولى عبد الملك يقاسمهم المستفاد شق الابلة ، فلما بلغ السلطان ذلك كتب اليه يعاتبه على فعله ، ثم نهض على تعبئة ذلك من فاس يريد تامسنا اذ لم يشف المولى عبد الملك الغليل في ضبطها ، فلما بلغ كتاب السلطان المولى عبد الملك انف من ذلك العتاب ، وكانت له وجاهة عند السلطان الأعظم سيدي محمد بن عبد الله ، وكان من كبار بني عمه وخواص قرابته ، ثم اتصل به الخبر بخروج السلطان من فاس ، فطارت نفسه شعاعاً ، واستشار بطانته من الشاوية ، فقال لهم ان هذا الرجل قادم علينا لا محالة ، وليس له قصد الا انا وانتم ، فما الرأي ؟ قالوا الرأي ان نبايعك ونحاربه ، قال ذلك الذي اريد ، فبايعوه ، ولما انفصل السلطان عن رباط الفتح بعث في مقدمته اخاه وخليفته المولى الطيب ، وعقد له على كتيبة من الخيل وتبعه السلطان على اثره ، ولما بات بقنطرة الملاح جاءه الخبر بأن قبائل الشاوية قد بايعوا المولى عبد الملك بن ادريس ، واتصل بالمولى عبد الملك وهو بأنفا ان السلطان بات بالقنطرة ، فتضاعف خوفه ، وفر فيمن بايعوه من اهل الشاوية ، واخلى مدينة آنفا من خيله ورجله ، ففرح

اهلها بخروجه من بين اظهرهم لئلا يُعديهم جربه ، وبادروا باخراج المدافع ليلا اعلاماً للسلطان بفراره ، ثم انفذوا اليه رسلهم بجلية الخبر ، فهشَّ لهم السلطان وبعث معهم كتيبة من الخيل تقيم بآنفا ، وتقدم هو بالعساكر الى قصبة علي بن الحسن فأغار على حلة مديونة وزناتة فنهبها ، وامتلأت ايدي الجيش ، واوغل المولى عبد الملك في الفرار الى جهة ام الربيع ، وعاد السلطان بالنعم والماشية الى رباط الفتح فدخلها مؤيداً منصوراً ، ونقل تجار النصارى الذين كانوا بآنفا الى رباط الفتح ، وابطل مرساها ، واستمرت معطلة الى دولة السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام ، فأحياها كما سياتي ان شاء الله ، ثم ارتحل السلطان المولى سليمان الى مكناسة فاحتل بها .

وقال في ذلك العلامة الأديب عبد القادر ابن شقرون :

مولاي انت الذي صفت مشاربــــه ... ان تغــز ناحيةً اوليتَهــا جلــدك
هذي البشائر وافت وهي قائلــــة ... اعوذ بالله من شــر الذي حســدك
فاصعدْ على منبر الاقبال معتليــاً ... فالسعــد انجز ما كان به وعــدك
وانهض الى غاية الآمال تدركهــــا ... فالآن قالت لك العلياء هاتِ يــدك
ولا تخف ابــدا من ســوء عاقبـــة ... فليس يفلح مَن بالسوء قد قصدك
البســك الملك العميــم نايـلــــة ... من الرضى حللا قوى بهــا مــددك
فضلا من الحكم التَرضى حكومته ... جعلها كالشجا في حلق مَن جحدك
فاشكر صنيع الذي اولاك مكرمــة ... تنل رضاه وتبلغ بالرضى رشدك

قــدوم عــرب الرحامنة على السلطان المولى سليمان ومسيره الى مراكش واستيلاؤه عليها

ثم ان اهل الحوز افترقت كلمتهم على قسمين ، فبعضهم بايع المولى حسين بن محمد ، وبعضهم اقام على بيعة اخيه المولى هشام ، وانه نشأ عن ذلك حروب تفانى فيها الخلق .

فلمــا كانت سنة عشــر ومئتين وألــف قــدم على السلطــان بمكناسة جماعــة من اعيــان الرحامنــة مبايعين له وسائلين منــه المسيــر

معهم الى بلادهم فتجتمع كلمتهم عليه ، فوعدهم بأنه اذا فرغ من امر الشاوية ومهد طريقه بها الى الحوز سار اليهم ، ثم قوي عزمه رحمه الله ، فخرج في العساكر من مكناسة وقصد تامسنا ، فلما احتل بها قدم عليه اولاد ابي رزق وفرّ اولاد ابي عطية واولاد حريز الذين عندهم المولى عبد الملك بن ادريس ، ولجأوا الى وادي ام الربيع ، فقصدهم السلطان هنالك واوقع بهم ، وفرّ المولى عبد الملك الى اخواله بالسوس ، فأقام عندهم الى ان شفع فيه اخو السلطان المولى عبد السلام بن محمد ، واخته المولاة صفية ، وكانت زوجة المولى عبد الملك ، فقبل السلطان شفاعتهما فعفا عنه وعاد الى فاس ، واطمأنّ جنبه ، واما الشاوية فانهم قدموا على السلطان تائبين خاضعين فعفا عنهم ، وولى عليهم الأستاذ الغازي بن المدني المزمزي فصلحت الأحوال على يده ، ورجع السلطان الى فاس مظفراً منصوراً فأقام بها الى ان دخلت سنة احدى عشرة ومئتين والف ، فتهيأ للغزو وخرج الى دكالة ، فاستولى عليها وعلى مدينة أزمور وتيط ، وبايعه اهل تلك الناحية ، وقدم عليه اعيان دكالة وخرجوا من زمرة عبدة وسلطانهم المولى هشام ، وانتظموا في سلك الجماعة ، وهناك قدم عليه اعيان الرحامنة ثانية ببيعتهم ، فأكرم مقدمهم ، وزحف الى مراكش وهم في ركابه ، فلما شارفها فرّ عنها سلطانها المولى حسين الى زاوية المولى ابراهيم بن احمد المغاري بالجبل ، فدخل السلطان المولى سليمان الى مراكش واستولى عليها وبايعه اهلها ، وقدم عليه بها قبائل الحوز والدير وجمع كلمتهم وحقن دماءهم ومهد بلادهم ، ورتب حاميتها ، وانزل بقصبة مراكش اهل الحوز الذين كانوا بها ايام والده ، ورتب لهم الجرايات ، وامر بألف من عبيد السوس يأتون لسكنى القصبة ، واستقامت الأمور .

مبايعةُ قائد أسفي للسلطان المولى سليمان وقدوم اخيه المولى هشام عليه

وكان عبد الرحمن بن ناصر له الوجاهة ونفوذ الكلمة بآسفي وأعمالها ، وكان مستولياً على جباية مرساها ، وخلد بها ءاثاراً مثل الدار الكبرى التي على شاطيء البحر ، ومسجد الزاوية ، وغير ذلك ، وكان جواداً بالعطاء ، ولما

استولى السلطان المولى سليمان رحمه الله على مراكش بعث اليه كاتبه محمد ابن عثمان المكناسي ليأتيه به او يأذن بحربه ، ولما وصل الكاتبُ المذكور اليه بآسفي ألفاه مريضاً ، فاعتذر عن القدوم على السلطان بالمرض ، وكتب بيعته وادى طاعته ، وانتقل المولى هشام عنه الى زاوية الشرادي فأقام بها ، فبعث اليه السلطانُ من أمَّنه وجاء به اليه ، فلقَّاه مبرة وتكرمة ، وقدم اليه المراكب والكسي ، وانزله بدار اخيه المولى المأمون ريثما استراح ثم بعثه الى رباط الفتح فاستوطنها ورتَّب له من الجراية ما يكفيه .

ولما قدم الكاتب ابن عثمان على السلطان ببيعة عبد الرحمن بن ناصر واعتذر له عنه بالمرض قبل ظاهر عذره وارجأ امره الى يوم ما .

وحكى صاحب الجيش ان المولى هشاماً لما قدم على السلطان بمراكش ونزل بدار اخيه المولى المامون اتاه السلطانُ بعد ثلاثة الى منزله راجلا لقرب المسافة ، ولما التقيا تعانقا وتراحما ، ثم جاء معه المولى هشام حتى دخلا بستان النيل من باب الرئيس ، ونصب له السلطان كرسياً جلس عليه ، وجلس هو امامه اعظاماً له ، لكونه اسنَّ منه ، ثم صار يستدعيه صباحاً ومساء فيجلسان ويتحدثان ثم يفترقان ، وكان لا يتغدى ولا يتعشى الا وهو معه ، وكلما دخل عليه رفع مجلسه واجلَّه ، واذا ذكره لا يذكره الا بلفظ الأخوة بأن يقول اخي مولاي هشام دون سائر بني ابيه ، ولما طلب المولى هشام منه السكنى برباط الفتح اجابه اليها وقضى مثاربه وازاح علله ، ثم عاد الى مراكش فكانت منيته بها كما نذكره .

دخـول الصويرة واعمالها في طاعـة السلطان المولى سليمان

كان من خبر دخول الصويرة واعمالها في طاعة السلطان المولى سليمان رحمه الله ان الحاج محمد بن عبد الصادق المسجيني من قبيلة مسجينة وهو من عبيد الصويرة كان قد قدم من الحج عامئذ ، فمرَّ على السلطان المولى سليمان وهو بالغرب ، فدخل عليه فـولاه على الصويرة ، وكتب لـه العهد بذلك ، وامره باخفائه حتى يختبرَ اهلها ويعلم اين هواهم ، اذ كان ذلك قبل

ان يطأ السلطان بلاد الحوز ويستولي عليها . وكانت الصويرة حينئذ من جملة النواحي التي الى نظر عبد الرحمان بن ناصر ومَن في حزبه وتحت غلبة حاحة وعصبيتها ، وكان الوالي بها يومئذ القائد عبد الملك بن بيهي الحيحي ، وكانت له نباهة وذكر في قبائل حاحه وما اتصل بها ، فقدم ابن عبد الصادق الصويرة على انه قدم من حجه لا غير ، فأراح بمنزله ثلاثاً ، ثم جاء الى باب القائد واظهر عبد الملك بن بيهي ، واقام من جملة الأعوان في الخدمة المخزنية ، اذ تلك هي وظيفته ، وخف في خدمة القائد المذكور ، واعتمل في مرضاته ، واظهر من النصح ما قدر عليه ، ولازم الباب ليلا ونهاراً ، فكان عبد الملك لا يخرج الا ويجده قائماً محتزماً على الباب ، كما قال مسلم بن الوليد في فتى بني شيبان يزيد بن مزيد بن زايدة :

تــراه في الأمــن في درع مضاعفــة لا يأمن الدهــر ان يدعــا على عجل

فلم يلبث ان حلي بعينيه وعظمت منزلته ، فقدمه على الأعوان وعلى الحاشية حتى اتخذه صاحب رأيه ، وجعله عيبة سره ، وابن عبد الصادق في اثناء ذلك يحكم امره مع اخوانه مسجينة واهل اجدير سراً ، واذنه صاغية لخبر السلطان متى يطأ بلاد الحوز ، فلما سمع بوصوله الى دكالة واستيلائه على أزمور وتيط أفضى بأمر ولايته الى خاصته وشيعته ، وواعدهم لمظاهرتهم اياه على امره ليلة معلومة ، وعبد الملك لا علم له بما يراد به ، وكان ابن عبد الصادق فيما قيل قد أخذ عليه انه اذا حدث امر ولو ليلا يخرج اليه حتى يفاوضه فيما يكون عليه العمل ، فجاءه في تلك الليلة وقد هيأ جماعة من عبيد الصويرة الذين اعدهم للقيام معه ، وتركهم بحيث يسمعون كلامه اذا تكلم ، وقال لهم اذا سمعتموني اكلمه واراجعه في القــول فبادروه واقبضوا عليه ، ثم تقــدم واستأذن علي عبد الملك ، فخرج اليه وبينما هو يكلمه احاط به العبيد وقبضوا عليه ، وعلى جماعة من اصحابه من حاحة الذين كانوا يخدمونه ولم يملكوهم من انفسهم شيئاً حتى اخرجوهم عن البلد في تلك الساعة ، ودفعوا لعبد الملك فرسه واغلقوا الباب خلفه ، وصفا لهم امر البلد ، ومن الغد جمع ابن عبد الصادق اهل الصويرة وقرأ عليهم كتاب السلطان بولايته عليهم ، فأذعنوا واجابوا ، ولم يرق فيها محجمة دم ، ثم ورده الخبر عقب ذلك بدخول السلطان الى مراكش

واستيلائه عليها ، وبها تم له امر المغرب ، وصفا له ملكه ، ولم يبق له فيها منازع ، وذلك بعد مضي خمس سنين من ولايته رحمه الله ، ثم انه استخلف اخاه المولى الطيب نائباً عنه بمراكش وقفل الى فاس من عامه ، فمرَّ على طريق تادلة وامر عاملها القائد عبد الملك ان يُغير على بني زمور وينهب اموالهم ويقبض على مقاتلتهم ويلقاه بهم الى الصخرة ، فركب القائد عبد الملك في الجيش الذي كان معه ، واحتال عليهم بأن ارسل اليهم بالقدوم عليه فرسانا ، فلما قدموا عليه امر بالقبض عليهم وشدهم وثاقاً وحاز خيلهم وسلاحهم ، ثم اغار على حلتهم فنهبها ، وقدم على السلطان بمالهم ورقابهم ، وكانوا مئتيْ رجل بالتثنية ، فبعث بهم السلطان الى مكناسة فسجنوا بها حتى صلحت احوالهم بعد ذلك وسرحهم .

استرجاع السلطان المولى سليمان وجدة واعمالها من يـد الترك

وفي هذه السنة اعني سنة احدى عشرة ومئتين والف بعث السلطان المولى سليمان بالعساكر من فاس الى وجدة ، فعقد على الوداية للقائد عياد بن أبي شفرة ، وعلى شراقة للقائد محمد ابن خدة ، وعلى الأحلاف للقائد عبد الله بن الخضر ، وأمرهم ان يأتوا أرض وجدة ويدوخوها ويقاتلوا الترك الذين استحوذوا عليها ومانعوا دونها ، وكتب مع ذلك الى الباي محمد باشا في ان يتخلّى عنها وعن قبائلها التي كان يتصرف فيها ايام الفترة او يأذن بالحرب ، فامتثل الباي محمد ذلك ولم يمانع ، بل كتب الى نائبه بها ان يتركها لأربابها ويتخلى عن قبائل بني يزناسن وسقونة واولاد زكري واولاد علي ورأس العين ، فامتثل ودخـل جيش السلطـان لوجدة وجبى عامله زكواتها واعشارهـا ، واستخلف نائبه بها ، وقفل بالعساكر على السلطان وهو بفاس ، وقد تمهد الملك ووشجت عروقه ، والقى السعد بجرانه والحمد لله .

قـدوم الشيخ احمد التجاني الى فـاس واستقراره بها

وفي هذه السنة قدم الشيخ الفقيه المتصوف احمد التجاني الى فاس فاستوطنها ، وكان الباي محمد بن عثمان صاحب وهران قد ازعجه من تلمسان

الى قرية ابن صمغون ، فأقام بها واقبل اهلها عليه ، ثم لما مات الباي المذكور وولى بعده ابنه عثمان بن محمد سُعي عنده بالشيخ التجاني ، فبعث الى اهل ابن صمغون وتهددهم ليخرجوه ، ولما سمع بذلك الشيخ المذكور خرج مع بعض تلامذته واولاده وسلك طريق الصحراء حتى احتل بفاس ، ولما دخلها بعث رسوله بكتابه الى امير المومنين المولى سليمان يعلمه بأنه هاجر اليه من جور الترك وظلمهم ، واستجار منهم بأهل البيت الكريم ، فقبله السلطان واذن له في الدخول عليه والحضور بمجلسه ، ولما اجتمع به وراى سمته ومشاركته في العلوم اقبل عليه واعتقده واعطاه داراً معتبرة من دوره كان أنفق في عمارتها نحواً من عشرين ألف مثقال ، ورتب له ما يكفيه ، واقبل عليه الخلق واشتهر بفاس والمغرب ، وهو شيخ الطائفة التجانية رحمه الله ونفعنا به .

دخول مدينة آسفي في طاعة السلطان المولى سليمان

ثم دخلت سنة اثنتي عشرة ومئتين والف ، فيها خرج السلطان في العساكر من مكناسة يريد عبد الرحمن بن ناصر بآسفي ، وعزم على حربه ، الا أن يؤدي الطاعة هو وقبيله مباشرة طوعاً وكراهاً ، ولما عبر وادي ام الربيع قدم اليه القائد عياد ابن ابي شفرة في جيش الوداية ، وقال له اذا قدمت عليه فأزعجه للمجيء ، فان قدم فأقم انت بآسفي ، وان امتنع من المجيء فاكتب الي واقم هنالك حتى اقدم عليك ، فلما وصل اليه القائد عياد لم يسعه الا المجيء لملاقاة السلطان ، فجاء وهو مريض في محفته ومعه جموعه وقبائله ، حتى اجتمع بالسلطان بالموضع المعروف بمئة بير وبير بين عبدة ودكالة ، فبايعه مباشرة وادى الطاعة هو واخوانه مباشرة كما اقترح السلطان ، وتحقق بأن تأخره انما كان للمرض الذي به ، فوفى له السلطان بعهده ، وزاد في كرامته بوصوله معه الى آسفي ودخوله الى داره بعد تثبيط رؤساء الجيش له عن الدخول معه ، ثم عقد له على قبائله وامره بقبض الواجب منهم ، زاد صاحب الجيش : وشكره على ايوائه لأخيه المولى هشام ، ثم سار السلطان الى مراكش فدخلها مظفراً منصوراً .

حـدوث الوبـاء بالمغرب

وفي هذه السنة حدث الوباء ببلاد المغرب وعم حواضره وبواديه ، ولما مشى بمراكش وأعمالها رجع السلطان الى مكناسة وترك اخاه المولى الطيب نائباً عنه بها ، فبلغه اثناء الطريق وفاة كاتبه محمد بن عثمان تركه بمراكش مصاباً بالوباء (60) .

بعث العسكـر الى بـلاد الـريف

ثم دخلت سنة سبع عشرة ومئتين والف ، فيها بعث السلطان العساكر الى بلاد الريف مع اخيه المولى عبد القادر والقائد محمد ابن خده الشرقي ، وقائد العسكر احمد ابن العربي ، فجبى قبائل الريف من قلعيـة وكبدانـة وغيرهما عن ثلاث سنين سلفت ، ولما رجعت العساكر اغارت على المطالسة وبني ابي يحيي بكسر الياء الأخيرة ، فاستاقوا ماشيتهم وسبيهم وقدموا بهما على السلطان ، فسرح السلطان السبي .

عصيـانُ بـربـر آيـة يدراسن وانهزامُهم

ثم دخلت سنة ثمان عشرة ومئتين والف فيها اغار آيةُ يدراسن على رفاق تافيلالت بطريق ملوية ونهبوا بعض القفل ، وذلك بسبب ان السلطان كان قد قبض على محمد بن محمد وعزيز وسجنه بالجزيرة ، وولى عليهم اخاه ابا عزة بن محمد وعزيز ، فلم يقبلوه وجمعوا كلمتهم على ابن عمه ابي عزة ابن ناصر وكان منحرفاً عن السلطان ومفارقاً له ، فولوه امرهم ، ولما رأى السلطان اعوجاجهم سرح لهم محمد وعزيز وولاه عليهم ، وامره بالقبض على ابي عزة بن ناصر فأبى ، وغضب السلطان عليه ثانية وهم به ، ففرَّ محمد وعزيز وكشف وجهَ العصيان ، فنهض حينئذ الى ءاية يدراسن في العساكر ، وارسل الى قبائل آية ومالو ان يأتوهم من خلفهم ، وتقدم هو حتى نزل بقرب

---

60) ينظر عن هذا الوباء مجله **هيسبيريس** ع 2 س 1921 .

وبعد خبر حدوث الوباء هذا قفز المؤلف او الناسخ على بقية اخباره واخبار سنوات 1213 و 1214 و 1215 و 1216 من **الاستقصا** فلم يثبتها .

أعليل . ووقعت الحرب . فنصر الله السلطان وانهزم آيـة يدراسن ونهبت مواشيهم واحتوى البربر على حللهم ، وفرّ اولاد وعزيز الثلاثة برؤوسهم لآية ومالو ، وشرعت العساكر في اخـراج زروعهم الى ان استصفوها ، وامـر السلطان بهدم قصورهم فهدمت ، واعطى جروان بلادهم ورجع الى فاس مظفراً منصوراً ، ثم لم يقم بها الا يسيراً حتى خرج الى تازة ، وترك عامل فاس احمد اليموري ببلاد الحياينة لقبض خراجهم ، ولما احتل بتازة جهز العساكر الى وجدة مع الشيخ عبد الله بن الخضر لجباية قبائلها ، وجهز جيشاً أخر مع عامل سجلماسة محمد الصريدي ، فنزل ملوية وجبى قبائلها وطلع الى بلاد الصحراء مع اوديتها الى ناحية فجيج فجبي اموال تلك النواحي ، ثم توجه الى سجلماسة ، ففرق الجيش على اقاليم صحرائها درعة والفايجة وتدغة وفركلة وغريس والخندق ومدغرة والرتب ، فجبى اموال تلك القبائل كلها وقرر عماله ونوابه بكل اقليم منها ، ومهد طريقَ الصحراء ، ورجعت عساكره منصورة .

ثم دخلت سنة تسع عشرة ومئتين والف ، فيها عزل السلطان القائد احمد اليمـُوري عن فاس ، وولى عليها صهره المولى حبيب بن عبد الهادي ، فقام بها احسن قيام ، وكان ذا عقل ومروءة وسمت ودهاء .

وفيها توجه السلطان في العساكر الى مراكش ، ولما احتل بها بعث جيشاً الى السوس لنظر الكاتب ابي عبد الله الرهوني ، وبعث جيشاً ءاخر الى عامل حاحة لنظر احمد اليموري ، ثم خرج السلطان في جيش ثالث الى ثغر الصويرة لمشاهدتها والوقوف على ءاثار والده ، فانتهى اليها ، واقام بها اياماً ، وفرق المال على جندها احراراً وعبيداً ، ونظر في امور مرساها وامر باصلاح ما لا بد منه فيها ، وعاد الى الغرب مؤيداً منصوراً .

فتنة الفقير عبد القادر ابن الشريف الفليتي واستحواذه على تلمسان وبيعتُه للسلطان المولى سليمان والسببُ في ذلك

لما كانت سنة عشرين ومئتين والف ، هاجت الفتنة بين عرب تلمسان والترك ، وكان السبب في ذلك ان باي وهران كان له انحراف عن الفقراء والمنتسبين وسوء اعتقاد فيهم . فقتل بعض الطائفة الدرقاوية ، وامر بالقبض

على مقدمهم عبد القادر ابن الشريف الفليتي ، تلميذ الشيخ الأكبر سيدي محمد العربي بن احمد الدرقاوي شيخ الطائفة المذكورة ، ففر عبد القادر المذكور الى الصحراء ، ونـزل بحلة الأحرار فاجتمع عليه اهـلُ طائفتـه ، وامتعضوا لمن قتل منهم ولنفي مقدمهم عن وطنه وعشيرته ، وامتعضت لهم عشائرهم من قبائل العرب الذين هنالك ، وزحفوا لحرب الترك على حين غفلة منهم ، فقتلوهم في كل وجه ، ولما دخل فصلُ الربيع من السنة المذكورة بعث صاحب الجزائر عسكراً الى باي وهران ، وامره بغزو العرب ، فنهض ووقعت الحرب بينه وبينهم ، فانهزم التركُ ثانيةً ونهب العرب محلتهم وتبعوهم الى وهران فحاصروهم ، ولما مُني البايُ منهم بالداء العضال ، كتب الى السلطان المولى سليمان يعرفه بما دهاه منهم ، ويطلب منه ان يبعث اليهم شيخهم محمد العربي المذكور ليكفَّهم عنه ويراجعوا طاعة المخزن ، فبعث السلطان رحمه الله الشيخ المذكور ومعه الأمين الحاج الطاهر بادو المكناسي ، فانتهى الى ابن الشريف وهو في جموعه بظاهر وهران ، فشكا الى الشيخ مانال الفقراء والمنتسبين وسائر الرعية من عسف الترك وجورهم وانتهائهم في ذلك الى القتل والطرد عن الوطن ، فتوقف الشيخُ وربما صدر منه بعض تقبيح لفعل الترك وما هم عليه ، فازدادت العربُ بذلك تظاهراً على الترك وتكالباً عليهم ، فاتهم الباي السلطانَ بأنه الذي يغريهم ، لأنه كان ينتظر الفرج على يده ، ويرجو رقع الخرق من جهته ، فأخفق سعيه ، وحينئذ نصب مدافعه في وجه جموع العرب ، وفرَّقهم بالكور والضوبلي ، فانهزموا عن وهران وابعدوا المفر ، ثم تذامروا وتحالفوا ورجعوا الى تلمسان ، فنزلوا عليها وحاصروها ، وكان اهلُ تلمسان خصوصاً وقبائلها عموماً لهم التفات كبير الى السلطان المولى سليمان رحمه الله ، لما اكرمه الله به من شرف النسب وطيب المنبت ، ولما اشتهر عنه من العدل والرفق بالرعية والشفقة عليها ، فكانوا يحبون الدخول في طاعته ، والانخراط في سلك رعيته ، فلما نزلت العرب على تلمسان تمشت الرسلُ بينهم وبين الحضر (61) من اهلها ، واتفقوا على خلع طاعة الترك

---

61) تعني كلمة **الحضر** في تلمسان سكانها الأصليين ، وتقابلها كلمة **الكورغليين** ج **كورغلي** اي الاتراك الطارئين ومن جاء معهم من الشرق وحوض البحر الأبيض المتوسط .

ومبايعة السلطان المولى سليمان ، ففتحوا بابَ المدينة ودخل ابن الشريف وطائفته ، واخذ البيعةَ بها للسلطان المولى سليمان ، وخطب به على منابرها ، ووجه وفده وهديته الى السلطان مع شيخه محمد العربي المذكور ، ثم نهد في عربه وحضره من اهل تلمسان لحرب الكرغلية الذين بالقصبة ، فأجحرهم بها وضيق عليهم فلم يبق للترك حينئذ شك في ان ذلك كله بأمر السلطان ، فكتبوا الى الدولاتي وهو باشاهم الأعظم صاحب الجزائر يعلمونه بالواقع ، واستمر الحربُ بينهم وبين ابن الشريف في وسط المدينة ، وعظم الخطب واشتد الكرب ، وقدم الشيخ على السلطان بوفد اهل تلمسان والعرب وهدية ابن الشريف وبيعته ، واخبره بأن الناس في شدة من امر الترك ، وانهم قد تطارحوا على بابه ، وعلقت آمالهم به ، وراموا الاستظلال بظل عدله ، فرأى السلطان رحمه الله ان يسلك في حقهم وحق الترك مسلكاً هو ارفق بالجميع ، فبعث القائد عياد ابن ابي شفرة الوديي وامره ان يحجز بين الحضر والترك حتى يقدم الباي الى تلمسان ، وردَّ معه الوفدَ الذين قدموا مع الشيخ (62) ، وتقدم اليه في القبض على ابن الشريف ان هو لم يرجع عن الحرب الى السلم ، ثم كتب السلطان الى الباي بما ازال شكه وابطل وهمه ، ولما شارف القائد عياد تلمسان فرَّ ابن الشريف الى منجاته ، ودخل القائد عياد المدينة ، فحجز بين الفريقين ، وتقدم البايُ الى تلمسان ، فأصلح بينه وبين رعيته ، ومكنه من بلده ، وانقلب الى حال سبيله ، ومع ذلك فلم يتم للترك ما ارادوا من اجل القحط الذي كان قد عم ، حتى عدمت الأقوات وجلا اهل تلمسان عنها الى بلاد المغرب ، وكذا عربها واهل جبالها كلهم جلوا عن اوطانهم ، حتى لم يبق لباشا الترك مع مَن يتكلم ، فضلا عن أن يتأمر ، فجعل يكتب الى السلطان ويرغب اليه ان يرد عليه اهل تلمسان وعربها ، فكلمهم السلطان رحمه الله في الرجوع فأبوا ، وقالوا نذهب الى بلاد النصارى ولا نجاور الترك ، فنجمع علينا الجوع والقتل ، فرق لهم السلطـان وتركهم ، بل جبرهم بأن صار يعينهم بالعطـاء ويتخولهم بالصدقات المرة بعد المرة ، حتى كان عطاؤه اياهم كالراتب المفروض ،

62) بقي بعض رجال الوفد الذي حمل البيعة بفاس ولم يرجعوا الى تلمسان ، منهم من آل ابن منصور وآل المقري وآل ابن ثابت وآل ابن ابي عبد الله .

وعالج داءهم مع الترك الى ان اخصبت بلادهم ورخصت اسعارهم ، فتراجعوا حينئذ الى اوطانهم ، وكتب السلطان الى الباي في شأنهم بالعدل وحسن السيرة فامتثل وكفَّ ايدي الكرغلية عنهم ، ولم يبق منهم بالمغرب الا من كان عليه دين للترك فلم يقدر على الرجوع ، لأن ارباب الديون لا يقيمون لهم وزناً ، ولا يعملون معهم شرعاً ، والله اعلم .

ذكـر ما اتفق للسلطان المولى سليمان في وسط عهده من الخصْب والأمـن والسعـادة واليُمـن

كان هذا السلطان رحمه الله موصوفاً بالعدل ، معروفاً بالخير ، مرفوع الذكر عند الخاصة والعامة ، قد القى الله عليه منه المحبة فأحبتْه القلوب ، ولهجت به الألسنة ، لحسن سيرته ، وطيب سريرته ، واتفق له في اواسط دولته من السعادة والأمن والعافية ورخاء الأسعار وابتهاج الزمان وتبلج انوار السعد والاقبال ما جعله الناس تاريخاً وتحدثوا به دهراً طويلا ، حتى صارت أيام السلطان المولى سليمان مثلا في ألسنة العامة ، ولقد ادركنا الجمَّ الغفير ممن ادرك اواسط دولته ، فكلهم يثني عليها بملء فيه ، ويذهب في اطرائها كل مذهب ، لولا ما كدر ءاخرها من فتنة البربر التي جرت معها فتناً أخر كما نذكر بعد ان شاء الله .

فمما هيأ الله له من اسباب الخير والسعادة انه بويع مطلوباً لا طالباً ، ومرغوباً لا راغباً ، ثم لما بويع كان ثلاثة من اخوانه كلهم يزاحمه في المنصب ، ثم لم يزل امرهم يضعف وامره يقوى الى ان كفى الجميع من غير ضرب ولا طعن ، ولا بارز احداً منهم قط ولا واجهه بسوء .

ومن ذلك انــه لمادخلت سنة احدى وعشرين ومئتين والف وجـه السلطان عامله الى صحراء فجيج وجبى اموالهم واسترجع قصر المخزن الذي اغتصبه اهلها من يد العبيد الذين كانوا به ايام السلطان المولى اسماعيل رحمه الله ، ووجه في السنة المذكورة جيشاً مع عامل فاس باعقيل السوسي ومعه جماعة من قواد القبائل الى ناحية الشرق ، فنزل العامل مدينة وجدة وجبى

تلك القبائل كلها ، ثم بدا له فنهض الى عرب الأعشاش ، وكان ذلك خطأ منه في الرأي ، اذ كانت لهم شوكة ، وكان في غنى عن التعرض لهم بما در عليه من الجبايات الوافرة من تلك القبائل ، لكن الحرصَ لا يزال بصاحبه حتى يقطعَ عنقه ، فلما علموا بقصده اياهم عدلوا عن لقائه الى المحلة ، فأغاروا عليه وانتهبوها ، فرجع اهلها منهزمين من غير قتال ، وتركوا اثقالهم بيد العدو ، ولم يجتمعوا الا على وادي ملوية ، ومن هناك انفضّ الأحلاف الى بلادهم ، ووقف باعقيل بالجيش واحجم عن القدوم خوفاً من السلطان ، فبعث اليه مَن قبض عليه واتاه به فنكبه وعزله عن فاس ، وولى عليها وصيفه ابن عبد الصادق ، ثم عزله وولى عليها محمد وعزيز .

ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين ومئتين والف ، فيها خرج السلطان المولى سليمان بالعساكر الى تادلة يريد بني موسى وءاية عتاب ورفالة وبني عياط الذين آووا بني موسى ، فبيت السلطان عليهم العساكر ، فنهبوا بني موسى ومَن ءاواهم من رفالة وبني عياط ، واحرقوا مداشرهم وقطعوا اشجارهم ، وابلغوا في النكاية الى ان اذعنوا الى الطاعة ، وجبوا زكاتهم واعشارهم وعادوا منصورين .

وفي السنة المذكورة فتح على السلطان اقليم تيكرارين وتوات من اقاصي الصحراء ، وجبى عامله خراجهم وعاد سالماً معافى .

وفيما حدثت الحرب بين السلطان مصطفى بن عبد الحميد العثماني وبين المسكوب ، فكتب العثماني الى السلطان يطلب منه ان يشدّ عضده بأن يقيم قراصينه بباب البوغاز من مرسى طنجة ليلا تدخلَ قراصين المسكوب منه وتعيث في الجزر التي هي في ملك العثماني كما فعلتْ في دولة عمه السلطان مصطفى بن احمد ، فأمر السلطان رحمه الله رؤساء قراصينه بالتهييء والمقام هنالك ففعلوا ولم يظهرْ شيء ، حكى هذا الخبرَ صاحب البستان .

ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين ومئتين والف ، فيها عقد السلطان لوصيفه القائد احمد بن مبارك صاحب الطابع على جيش كثيف ، وضمّ اليه

جماعةً من قواد الجند والقبائل ، وسار حتى نزل على حدود بلاد آية ومالو ، واحاطت العساكر السلطانية بهم من كل جهة ، وكان ذلك في فصل الشتاء ، فمنعهم من النــزول الى البسيط للمرعى وجلب الميــرة ، الى ان ضاعــت مواشيهم واذعنوا لدفع ما وظف عليهم ، فدفعوا الماشية والكراع ، وخلّى سبيلهــم .

وفيها خرج السلطان من مكناسة لتفقد احوال الثغور البحرية ، وكان المتولي على جميعها القائد الشهير عبد الرحمان بن علي اشعاش التطواني ، فعزله السلطان في هذه المرة وولى عليها القائد محمد السلوي البخاري ، ثم ولاه على قبائل الغرب والجبال كلها ، وتتبع السلطان رحمه الله الثغور كلها ، واحسن الى اهلها .

ثم دخلت سنة اربع وعشرين ومئتين والف فيها خرج السلطان الى تادلة يريد عرب ورديغة وقبائل البربر الذين هنالك ، فأغارت عساكر السلطان عليهم ، ووقعت بينهم حرب فظيعة هلك فيها عدد من الفريقين ، ثم انتصرت العساكر السلطانية عليهم فهزموهم ونهبوا اموالهم والجأوهم الى الطاعــة ، فجاءوا تائبين ، فعفا عنهم ، ثم انفذ جيشاً كثيفاً لآية يسري بعد ان قبض منهم على عدد معتبر ، فشنّوا الغارة عليهم وقاتلوهم فأذعنوا لاعطاء المال ، ولما بذلوه سرح لهم اخوانهم المقبوض عليهم ، وعاد السلطان مظفرا منصوراً .

ثم دخلت سنة خمس وعشرين ومئتين والف ، فيها غزا السلطان ، بلاد الريف ، فنزل عين زورة ، وسرح الكتائب في قبائل الريف ، فحاربوها وهزموها وقتلوا مقاتلتها وسبوا ذراريها وحرقوا مداشرها ، والجأوهم الى الطاعة ، فقدموا على السلطان تائبين فعفا عنهم على ان يدفعوا ما ترتب عليهم ، ثم عين السلطان الأمناء الذين استوفوه منهم على التمام ، وعاد مظفراً منصوراً .

وفي هذه السنين كلها كانت الرعية في غاية الطمأنينة والعافية والأمن والخصب والرخاء ، وكمال السرور والهناء ، حتى كانت هذه المدة غرة في جبهة ذلك العصر ، ودمية في محراب ذلك القصر ، ثم انعكست الأحوال ،

وتراكمت الأهوال ، وعظمت الأوجاع ، واتسع في الفتنة المجال ، وتمَّ على هذا السلطان الجليل ، العالم النبيل ، في ءاخر عمره ما لم يتمَّ على احد من ملوك بني ابيه ، ولله الأمرُ من قبل ومن بعد .

فتنةُ البربـر ومـا نشـأ عنها من التفاقُم الأكبـر

لما دخلت سنة ست وعشرين ومئتين والف قامت الفتنة بين قبائل البربر ، وكان ابتداؤها اولا بين آية يدراسن وجروان وبين اعدائهم ءاية ومالو اهل جبل فازاز ، ثم لما انتشبوا الحرب غدرت جروان باخوانهم ءاية يدراسن وانحازوا الى ءاية ومالو ، فانهزمت ءاية يدراسن ووضع ءاية ومالو فيهم السيف ونهبوا حلتهم بما فيها وتركوهم بالقاع مدقعين ، ولعصا الذل مهطعين ، ولم يفلتْ منهم الا أصحاب الخيل الذين نجوا بنواصيها ، وقدموا على السلطان شاكين باكين، فقام وقعد لذلك لما اوجب الله عليه من النظر لهم ، اذ هم رعيته وشيعته وشيعة والده من قبله ، فجهر العساكر لنصرتهم ، وعادوا الى حرب جروان ، فظاهرهم ءاية ومالو عليهم وهزموهم مرة اخرى ، ثم بعد هذا اتفقت البربر على حرب ءاية يدراسن مناوأة للسلطان وبغضاً في قائدهم محمد وعزيز الذي كان يوليه عليهم ، وبعثوا الى دجالهم مهاوش المعد عندهم لأمثالها ، وتحالفوا عنده على معصية السلطان وطاعة الشيطان ، وعاثوا في الطرقات والرعايا ، واتسع الخرق وعظم الفتن ، فسارت اليهم العساكرُ من باب السلطان حتى نزلت بأحواز صفرو ، وكانت لنظر القائد محمد الصريدي الذي يبغضه البربر كبغض محمد وعزيز واكثر ، فكشفوا القناع في العصيان ، وزحفوا الى الجيش وهو نازل حول صفرو فأحاطوا به وانتهبوه ، ففرَّ مَن افلت منه وتحصن الباقي بمدينة صفرو ، ونهبت القرى المجاورة ، وعاثوا في طرقات الصحراء ، فنهبوا مَن وجدوا بها مقبلا او مدبراً ، واعضل الداء واعوز الدواء ، والسلطان مقيم بمكناسة يعالج داءهم فما نفع فيه ترياق ، وشمخت انوفُ البربر ، وكلما بعث اليهم جيشاً هزموه او سرية انتهبوها ، قيل ان منشأ ذلك كان من اجل تمسك السلطان رحمه الله بمحمد وعزيز وجبرهم على طاعته ، وكانوا قد نفروا عنه لسوء سيرته فيهم ، والمعروف من حال السلطان المولى سليمان رحمه الله خلاف هذا ، فانه

كان قلما تشكو رعية اليه بعاملها الا ويعزله عنها تحريا للعدل واتهاما للعمال ، حتى لقد عيب عليه ذلك في بعض الأحوال من جهة السياسة ، ولما اعيا السلطان امرهم تركهم فوضى ، ووكل القائد عياد ابن ابي شفرة بتدبير امرهم ، وتوجه الى مراكش ، فكان عياد عن امرهم اعجز ، وبسياستهم اجهل ، وصار يتألفهم بالعطاء ويجري المؤون على كل من يقدم عليه منهم من طعام وعلف ونحو ذلك ، فكان ذلك مما زاد فيطغيانهم حتى كانوا ينهبون اموال الناس ومتاعهم بباب فاس ، ويدخلون لقبض الخفارة واخذ المسيرة ، واذا تكلم احد من اهل البلد قال القائد المذكور ان السلطان قد امرني بذلك ، وربما عاقب من يعترض عليه ، وانما امره السلطان ان يسوسهم على الوجه الذي لا ضرر فيه على الدولة ولا على الرعية والله اعلم .

اجلاب السلطان المولى سليمــان على بــرابــرة جــروان ورجوعــه عنهم من أزرو وما نشــأ عن ذلك

لما وصل السلطان الى مراكش استنفر قبائل الحوز كلها وقدم بهم الى مكناسة واستنفر قبائل الغرب من الأحلاف والحياينة واهل الفحص واهل الغرب وبني حسن واهل الثغور وضرب البعث على جيش العبيد والوداية وشراقة واولاد جامع ، واستصحب معه البربر الذين هم في طاعته حتى لم يبق احد بالمغرب وخــرج في هذا الجمع العظيم قاصــداً جروان ، وهم يومئذ بتاسماكت ، ولما وصل الى الموضع المعروف بئاصرو وبقي بينهم وبينه نصف مرحلة بحيث صار يرى محلتهم ويرون محلته بدا له فرجع يريد ءاية يوسي ، فكان ذلك الرجوع سبب الخذلان ، ولما راته عيون جروان راجعاً ظنوا به جبناً فكروا على الجيش وتبعوه من خلفه الى ان خالطوا اخريات الناس فأوقعوا بهم وقتلوا ونهبوا واين اوله بينهما مرحلة ولا علم للسابق بما جرى على اللاحق ، ثم نزل السلطان على ءاية يوسي بقرب ءاعليل ، وصار بنو مجيلد امامه وجروان من خلفه ، ولم يكن علم بما وقع في العسكر من النهب والقتل الى ان ورد عليه منهزمة العبيد ليلا فأخبروه بما وقع ، وان قائد عسكره محمد بن الشاهد قد قتل في جماعة من القواد وغيرهم ، ففتَّ ذلك في عضده وتجلد

رحمه الله ليلته تلك . ولما اصبح ركبت العساكر وقصدت ءاية ومالو الذين كانوا مع ءاية يوسي ، ولما وقعت الحرب انهزم عسكر السلطان والجأهم البربر الى شعب لا منفذ له ، فترجلوا وتركوا الخيل ونجوا بأعناقهم ، وحمتهم ءاية يمور وءاية يدراسن حتى خلصوهم ، وكانت حلتهم قريباً من العسكر ، فلو تبعوهم لوقعوا عليها ، ولما حصلت هذه المزية لهاؤلاء البربر الذين هم شيعة السلطان ، ولم تظهر للعرب مزية حقدوا اذذاك عليهم ، وصار كل مَن دنا من المحلة منهم قبضوا عليه وقتلوه ، وقالوا ان البربر كلهم سواء ، فلما وقع ذلك بشيعة السلطان امتعضوا ورفعوا امرهم اليه ، فأمر كاتبه وعامله محمد السلوي ان ينظر في امرهم ، فبحث القائد المذكور حتى اطلع على حقيقة الأمر ، وعلم فساد نية البربر لما وقع بهم من القتل وسط المحلة ، ورأى ان القصاص في ذلك الوقت متعذر وان عاقبته غير مأمونة ، فأشار على السلطان بالرجوع قبل ان يتسع الخرق على الراقع ، فرجع وكان رجوعه اكبر غنيمة ، وكثرة هذه الجموع بلا ترتيب سبَّب تلك الهزيمة ، والأمر كله لله .

وهذه الوقعية تعرف عند الناس بوقعة ءاصرو اضافة الى الموضع الذي انتهى اليه السلطان من بـلاد البربر ثم رجع عنه ، وقد جعلها العامـة تاريخاً ، يقولون كان ذلك عام وقعة ءاصرو ، والله تعالى اعلم .

مراسلة صاحب تونس حمودة باشا ابن علي للسلطان المولى سليمان ومـا اتفق في ذلـك

وفي هذه المدة وما يقرب منها بعث صاحب تونس ، وهو الرئيس حمودة باشا ابن علي باي ، العالمَ الأديبَ الطائر الصيت الشيخ ابراهيم بن عبد القادر الرياحي الى السلطان المولى سليمان رحمه الله ، فقدم عليه حضرة فاس ، ومعه هدية وكتاب يتضمن طلب الامداد بالميرة لحدوث المسغبة بالبلاد التونسية ، فأعظم السلطان رحمه الله مقدمَ هذا الشيخ واهتزت له فاس ، وامتدح السلطان بقصيدة من جيد شعره يقول في اولها :

ان عــز من خيــر الأنــام مــزار فلنــا بــزورة نجلــه استبشــار

ومن جملتها قوله :

هذا الخليفة وابن اكـرم مـرسـل وسليل مَن تمطى لـه الأكـوار
وخلاصة الأشـراف والخلفـاء مـن بيت البتـول وحبـذا الأطـهـار
واجـل وارث ملك اسماعيل مـن بطل شـذا اخـبـاره معـطـار
واعز سلطـان واشـرف مالـك شرفـت بملك يمينـه الأحـرار
واحق من تحت السماء بـأن يـرى ملك البسيطة والـورى انصـار
لكن اذا كـل القلـوب تحـبـه فلغيره الأجسـام وهي نـفـار
هذا سليمـان الرضـى بـن محمد مَن اشرقـت لجبينـه الأنـوار
هذا الذي رد الخـلافـة غـضـة وسمـا بـه للمسلمين مـنـار
واعـز ديـن الله فهـو بشكـره فـي ايكهـا تترنـح الأطـيـار

فأعجب السلطان ومن حضر بها ، وامده بمطلبه من الميرة وبهدية جليلة ، وءاب الشيخ من سفارته بخير مئاب .

وصول كتاب صاحب الحجاز عبد الله بن سعود الوهابي الى فـاس وما قاله العلماء في ذلك

وفي هذه المدة ايضاً وصل كتاب عبد الله بن سعود الوهابي النابغ بجزيرة العرب المتغلب على الحرميْن الشريفين ، المظهر لمذهبه بهما الى فاس المحروسة ، واصل هذه الطائفة الوهابية كما عند صاحب التعريفات الشافية وغيره ان فقيراً من عرب نجد يقال له سليمان رأى في المنام كأن شعلة من نار خرجت من بدنه وانتشرت وصارت تأكل ما قابلها ، فقصّ رؤياه على بعض المعبرين ففسرها له بأن احد اولاده يجدد دولة قوية ، فتحققت الرؤيا في ابن ابنه الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان فالمؤسس للمذهب هو محمد بن عبد الوهاب ، ولكن نسب الى عبد الوهاب ، فلما كبر محمد احترمه اهل بلاده ، ثم اخبر بأنه قرشي ومن اهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم ، وألف لهم قواعدَ وعقائد ، وهي عبادة اله واحد قدير قادر حق يثيب المطيع ويعاقب العاصي ، وان القرءان قديم يجب اتباعه دون الفروع المستنبطة ، وان محمداً رسول الله وحبيبه ، ولكن لا ينبغي وصفه بأوصاف المدح والتعظيم ، اذ

لا يليق ذلك الا بالقديم ، وان الله تعالى حيث لم يرض بهذا الاشراك سخره ليهدي الناس الى سواء الطريق ، فمن امتثل فبها ونعمت ، وان ابى فهو جدير بالقتل ، فهذه اصول مذهبه ، وكان بثّه اولا سراً فقلده اناس ، ثم سافر الى الشام لهذا الأمر ، فلما لم يجد به مراده رجع الى بلاد العرب بعد غيبته عنها ثلاث سنين ، فاتصل بشيخ من اشياخ عرب نجد يقال له عبد الله بن سعود . وكان شهماً كريم النفس فقلده وقام بنصرة مذهبه وقاتل عليه حتى اظهره ، واقتسم الرياسة هو ومحمد بن عبد الوهاب ، فابنُ عبد الوهاب صاحب الاجتهاد في مسائل الدين ، وابن سعود امير الوهابية وصاحب حربهم ، وما زال امر هؤلاء الوهابية يظهر شيئاً فسيئاً الى ان تغلبوا على الحجاز والحرمين الشريفين وسائر بلاد العرب ، ثم قال صاحب التعريفات الشافية : ان مساجد الوهابية خالية من المنارات والقباب وغيرها من البدع المستحسنة ، لا يعظمون الأئمة ولا الأولياء ، ويدفنون موتاهم من غير مشهد واحتفال ، يأكلون خبزَ الشعير والتمر والجراد والسمك ، ولا يأكلون اللحم والأرز الا نادراً ، ولا يشربون القهوة ، وملابسهم ومساكنهم غير مزينة .

ولما استولى ابن سعود على الحرمين الشريفين بعث كتبه الى الآفاق كالعراق والشام ومصر والمغرب يدعو الناس الى اتباع مذهبه والتمسك بدعوته ، ولما وصل كتابه الى تونس بعث مفتيها نسخة منه الى علماء فاس ، فتصدى للجواب عنه الشيخ العلامة الأديب حمدون ابن الحاج ، قال صاحب الجيش : كان تصدي الشيخ حمدون لذلك الجواب بأمر السلطان وعلى لسانه ، وذهب بجوابه ولده المولى ابراهيم بن سليمان حين سافر للحج .

قلت وهذا يقتضي ان كتاب ابن سعود ورد على السلطان المولى سليمان بالقصد الأول ، الا ان نسخة منه وردت بواسطة علماء تونس والله تعالى اعلم .

حج المولى ابراهيم ابن السلطان المولى سليمان

وفي هذه السنة اعني سنة ست وعشرين ومئتين والف وجه السلطان المولى سليمان رحمه الله ولده الأستاذ الأفضل المولى ابراهيم بن سليمان الى

الحجاز لأداء فريضة الحج مع الركب النبوي الذي جرت العادة بخروجه من فاس على هيأة بديعة من الاحتفال وابراز الأخبية لظاهر البلد وقرع الطبول واظهار الزينة ، وكانت الملوك تعتني بذلك وتختار له اصناف الناس من العلماء والأعيان والتجار والقاضي وشيخ الركب وغير ذلك مما يضاهي ركب مصر والشام وغيرهما ، فوجه السلطان ولده المذكور في جماعة من علماء المغرب واعيانه ، مثل الفقيه العلامة العباس ابن كيران ، والفقيه الشريف البركة المولى الأمين بن جعفر الحسني الرتبي ، والفقيه العلامة الشهير محمد العربي الساحلي وغيرهم من علماء المغرب وشيوخه ، فوصلوا الى الحجاز ، وقضوا المناسك وزاروا الروضةَ المشرفة على حين تعذر ذلك وعدم استيفائه على ما ينبغي لاشتداد شوكة الوهابيين بالحجاز يومئذ ومضايقتهم لحجاج الآفاق في امور حجهم وزيارتهم الا على مقتضى مذهبهم .

حكى صاحب الجيش : ان المولى ابراهيم ذهب الى الحج واستصحب معه جوابَ السلطان ، فكان سبباً لتسهيل الأمر عليهم وعلى كل مَن تعلق بهم من الحجاج شرقاً وغرباً ، حتى قضوا الأمر عليهم وعلى كل مَن تعلق بهم من الحجاج شرقاً وغرباً ، حتى قضوا مناسكهم وزيارتهم على الأمن والأمان والبر والاحسان ، قال : حدثنا جماعة وافرة ممن حج مع المولى ابراهيم في تلك السنة انهم ما رأوا من ذلك السلطان يعني ابن سَعود ما يخالف ما عرفوه من ظاهر الشريعة ، وانما شاهدوا منه ومن اتباعه غاية الاستقامة والقيام بشعائر الاسلام من صلاة وطهارة وصيام ونهي عن المنكر وتنقية الحرمين الشريفين من القاذورات والآثام التي كانت تفعل بهما جهاراً من غير نكير ، وذكروا ان حاله كحال ءاحاد الناس لا يتميز عن غيره بزي ولا مركوب ولا لباس ، وانه لما اجتمع بالشريف المولى ابراهيم اظهر له التعظيمَ الواجبَ لأهل البيت الكريم ، وجلس معه كجلوس احد اصحابه وحاشيته ، وكان الذي تولى الكلام معه هو الفقيه القاضي ابراهيم الزداغي ، فكان من جملة ما قال ابن سعود لهم : ان الناس يزعمون اننا مخالفون للسنة المحمدية فأي شيء رأيتمونا خالفْنا من السنة ؟ واي شيء سمعتموه عنا قبل اجتماعكم بنا ؟ فقال له القاضي : بلغنا انكم تقولون بالاستواء الذاتي المستلزم

لجسمية المستوي ، فقال لهم : معاذ الله ، انما نقول كما قال مالك : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والسؤال عنه بدعة ، فهل في هذا من مخالفة ؟ قالوا لا ، وبمثل هذا نقول نحن ايضاً ، ثم قال له القاضي : وبلغنا عنكم تقولون بعدم حياة النبي صلى الله عليه وسلم وحياة اخوانه من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في قبورهم ، فلما سمع ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ارتعد ورفع صوته بالصلاة عليه ، وقال معاذ الله ، انما نقول انه صلى الله عليه وسلم حي في قبره وكذا غيره من الأنبياء حياة فوق حياة الشهداء ، ثم قال له القاضي : وبلغنا عنكم تمنعون من زيارته صلى الله عليه وسلم وزيارة سائر الأموات مع ثبوتها في الصحاح التي لا يمكن انكارها ، فقال معاذ الله ان ننكر ما ثبت في شرعنا ، وهل منعناكم انتم لما عرفنا انكم تعرفون كيفيتها وءادابها ، وانما نمنع منها العامة الذين يشركون العبودية بالألوهية ، ويطلبون من الأموات ان تقضي لهم اغراضهم التي لا تقضيها الا الربوبية ، وانما سبيل الزيارة الاعتبار بحال الموتى وتذكر مصير الزائر الى ما صار اليه المزور ، ثم يدعو له بالمغفرة ويستشفع به الى الله ويسأل الله تعالى المنفرد بالاعطاء والمنع بجاه ذلك الميت ان كان ممن يليق ان يستشفع به ، هذا قول امامنا ابن حنبل رضي الله عنه ، ولما كان العوام في غاية البعد عن ادراك هذا المعنى منعناهم سداً للذريعة ، فاي مخالفة للسنة في هذا القدر ؟ انتهى .

ثم قال صاحب الجيش : هذا ما حدث به اولئك المذكورون ، سمعنا ذلك من بعضهم جماعة ، ثم سألنا الباقي افراداً فاتفق خبرهم على ذلك . انتهى .

قلت مسألة زيارة قبور الأنبياء والأولياء مشهورة في كتب الأئمة ، وهي من القرب المرغوب فيها عند الجمهور ، ومنعها قوم من الحنابلة ، وشدد تقي الدين ابن تيمية منهم فيها محتجاً بقوله عليه الصلاة والسلام : لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد : مسجدي هذا ، والمسجد الحرام ، والمسجد الأقصى ، وهو عند الجمهور مؤول بأن المعنى لا تشد الرحال للصلاة في مسجد الا الى ثلاثة مساجـد ، انتهى .

وقد بسط القول في هذا صاحب المواهب اللدنية ، والقول الفصل ان التبرك بآثار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والأولياء رضي الله عنهم وزيارة مشاهدهم من الأمر المعروف عند امة محمد صلى الله عليه وسلم المجمع عليه خلفاً وسلفاً لا يسع انكاره ، غير ان للزيارة ءاداباً تجب المحافظة عليها ، وشروطاً لابد من مراعاتها والوقوف لديها ، ثم القول بمنعها مطلقاً سداً للذريعة في حق العامة ، اذ هم اكثر الناس غلوا في ذلك ، فيه نظر ، اما الأنبياء فلا ينبغي لعاقل ان يحرم نفسه من الوقوف على مشاهدهم والتبرك بتربتهم والاحتماء بحماهم ، ولا ان يقول بذلك لمزيد ارتفاع درجتهم عند الله ولندور اتفاق زيارتهم لأكثر الغرباء ، واما الأولياء فالقول بمنع زيارتهم سداً للذريعة مع بيان العلة واشهارها بين الناس حتى لا يلتبس عليهم المقصود قول وجيه لا تأباه قواعد الشريعة ، بل تقتضيه والله اعلم ، وهذا القول هو الذي رآه الشيخ الفقيه الصوفي احمد التجاني رحمه الله حتى نهى اصحابه عن زيارة الأولياء .

واقول ان السلطان المولى سليمان رحمه الله كان يرى شيئاً من ذلك ولأجله كتب رسالته المشهورة التي تكلم فيها على حال متفقرة الوقت ، وحذر فيها رضي الله عنه من الخروج عن السنة والتغالي في البدعة ، وبين فيها بعض ءاداب زيارة الأولياء وحذر من تغالي العوام في ذلك واغلظ فيها مبالغةً في النصح للمسلمين جزاه الله خيراً ، ومن كلامه فيها ما نصه : **تنبيه** من الغلو البعيد ابتهال اهل مراكش بهذه الكلمة سبعة رجال ، فهل كان لسبعة رجال شيعة يطوفون عليهم ؟ الى ان قال : فعلينا ان نقتدي بسبعة رجال ولا نتخذهم ءالهة ليلا يؤولَ الحال فيهم الى ما آل اليه في يغوث ويعوق ونسر الى ءاخر كلامه ، وصدق رحمه الله ، فكم من ضلالة وكفر اصلها الغلو في التعظيم ، وما ضلت النصارى الا من غلوهم في عيسى وامه عليهما السلام ، قال الله تعالى (ياأهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق) الآية ، ومن ذلك قصة يغوث ويعوق ونسر المشار اليها ، وهي مذكورة في الصحيح وفي كتب التفسير ، وحكى ابن اسحاق في السيرة ان اصل حدوث عبادة الحجر في بلاد العرب ان ءال اسماعيل عليه السلام لما كثروا حول الحرم وضاقت بهم فجاج

مكة تفرقوا في النواحي واخذوا معهم احجاراً من الحرم تبركاً بها ، فكان احدهم يضع الحجر في بيته فيطوف ويتمسح به ويعظمه ، ثم توالت السنون وخلفت الخلوف فعبدوا تلك الأحجار ، ثم عبدوا غيرها ، وذهبت منهم ديانة ابراهيم واسماعيل عليهما السلام الا يسيراً جدا فبقي فيهم الى ان صبّحهم الاسلام ، هذا معنى ما ذكر ابن اسحاق ، وقد تكلم الشاطبي وغيره من العلماء فيما يقرب من هذا ، وذكروا ان الغلو في التعظيم اصل من اصول الضلال ، ولو لم يكنْ في ذلك الا قضية الشيعة لكان كافياً ، فالحاصل ان خير الأمور الوسط ، ومن هنا ايضاً كان السلطان المولى سليمان رحمه الله قد ابطل بدعة المواسم بالمغرب ، وهي لعمرى جديرة بالابطال ، فسقى الله ثراه ، وجعل في عليين مثـواه .

ولما كان رمضان من سنة سبع وعشرين ومئتين والف قدم المولى ابراهيم ابن السلطان المذكور من الحجاز ونزل بطنجة ، وكان قدومه في قرصان النجليز ، لأن والده رحمه الله كان قد وجهه اليه مع بعض قراصينه الى الأسكندرية فصادفوه قد انحدر الى جزيرة مالطة ، فركب المولى المذكور فيما خف من حاشيته في قرصان النجليز ، وسبق الى طنجة فاحتل بها ، ثم سار الى حضرة والده بمكناسة فأقام عنده ثلاثاً ريثما استراح ، ثم انفصل عنه الى داره بفاس ، فخرج لملاقاته جيش الوداية واشراف فاس واعمالها وسائر عامتها بفرح وسرور ، وكان يوم دخوله يوماً مشهوداً ، ولما وصل القوم الذين كانوا معه نشروا محاسنه وفضائله ومكارمه المحدودة وفواضله ، وما فعله من البر في طريق الحج ، خصوصاً في مفاوز الحجاز ، فقد انفق فيها على الضعفاء والمساكين ما لا يحصى ، وشاع ذكره في الحرمين الشريفين وتجاوزهما الى مصر والشام والعراقين ، ولما نفد ما عنده استسلف من التجار الذين كانوا معه اموالا طائلة انفقها في سبيل الله ، ولما قدم اربابها على السلطان وعرفوه بما استسلفه منهم ولده واطلعوه على حساباتهم ، فعرف ان ما فعله ولده صواب ، فأمر رحمه الله لأولئك التجار بقضاء ما اسلفوه وان يُزادَ لهم مقدار ربحه تطييباً لنفوسهم ، وقال انما تتعاطون التجارة لتنمو أموالكم

وتربحوا ، فلا ينبغي ان ننقصكم من ربحكم شيئاً ، فأما نحن فربحنا هو ما انفقه ولدنا في سبيل الله .

وقد مدح هذا النجل الأرضى جماعة من ادباء مصر وغيرها بقصائد نفيسة ، ومن جملة مَن مدحه الفقيه العلامة الأديب ابراهيم بن عبد القادر الرياحي التونسي ، فانه بعث بقصيدة رائقة الى والده السلطان المرحوم يمدح النجل المذكور ويهنيه بالقدوم ، وألمَّ فيها بذكر السلطان ، فأعجبتْه وهزتْ من عطفه ، وامر كتابَ دولته ان ياخذوا منها نسخاً وشرحها بعضهم ، ونصها :

هذي المنى فانعم بطيب وصال ... فلطالما اضناك طول مطال
ما ذا وكم اوليتني يامخبري ... بقدومه من منةٍ ونوال
بشرتني بحياتي العظمى التي ... قد كنت احسبها حديث خيال
بشرتني يابن الرسول لو انما ... روحي ملكت بذلتها في الحال
بشرتني بسلالة الخلفاء من ... امداحهم تثني بكل مقال
من حبهم فرض الكتاب ، فما ترى ... الا المودة حين يتلو التالي
من ضمهم شمل العباء واذهبوا ... رجساً فيالك من مقام عال
من قوموا اود المكارم بعد ما ... شادوا الهدى بمعارف ونصال
لولاهم كان الورى في ظلمة ... مدت غياهبها بكل ضلال
ءاباءك الأطهار فاقصد ياأبا ... اسحاق يانجل المليك العالي
ياحبه وصفيه من قومه ... وخياره من سائر الأنجال
لو لم تكنْ اهلا لصفو وداده ... لم يستنبْك لجدك المفضال
لكن توسم فيك كل فضيلة ... فحبى يمينك راية الاقبال
واقام جودك بل وجودك زاد من ... يبغي ببيت الله حط رحال
انت استطاعتهم فما عذر الذي ... ترك الزيارة خيفة الاقلال
وبك المشاعر اطربت طرب التي ... وجدت على ولهٍ فقيدَ فصال
ووصلتها رحماً هناك قطيعة ... دهراً ولم تبلل به ببلال
وتأنس الحرمان منك بطلعة ... أغنتْهما عن وابل هطال

كرم لكم أدريه يوم إفاضه … عني سليمان بأي سجال
وهب الألوفَ وكان اكرم منزل … يسلي الغريب ببره المتوالي
يوم التشرف لي بلثم يمينه … وتمتعي من وجهه بجمال
وتلذذي بخطابه المعسول اذ … حفت به للدرس أي رجال
لم انسه يوماً حسبت نعيمه … بلذائذ الجنات ضرب مثال
عجباً له يحيي القلوب بعلمه … ويُميت جندَ الفقر منه بمال
واذا تقلّد للوغى بحسامه … تعنو الرقاب له بدون قتال
تتلوه بالفتح المبين عساكر … قد ارهفت بالنصر حدَّ نصال
تخشى الملوك مقامه ولذكره … رعباً تطير فرائصُ الأبطال
وينال ءامله بخفض جناحه … ما ليس يخطر قط منه ببال
حتى سعى لصفي منهله الذي … يسعى لمروته ذوو الأثقال
واتتْ لمغربه الشريف مشارق … والشمس تغرب لاقتضاء كمال
لما تكدر صفوها بضلالة … جاءتْه كيما ترتوي بزلال
ومتى تخلف عاجز فبقلبه … يسعى لفعل شعائر الاجلال
امنية وقعت اشرت لذكرها … في مدحه قدماً بصدق مقال
تهوى المشارق ان تكون مغارباً … لتنال من جدواه كل منال
يافخر دين الله منه بناصر … وسعادة الدنيا به من وال
لا تفتخرْ فاس ولا مراكش … بولائه ، كلُّ الأنام موال
او ليس في كل البقاع ثناؤه … ورد البكور وسحة الآصال
او لم يشد للدين والعلماء والـ … أشراف والصُلحاء اي جلال
او لم يعمَّ بجوده اقطارها … لا فرق بين جنوبها وشمال
او لم يسرْ ركبانها بمحاسن … ضاءت لها سرج بجنح ليال
او ليس احيى سنة العمريْن في … زمن الى بدع الهوى ميال
شيمٌ يهز الراسيات سماعها … ويعجن في أنف الزمان غوال
اوصافُ والدك الامام المرتضى … للدين والدنيا بحسن خلال
ذاك الربيع ابو الربيع ومَن به … حيي الهدى وشرائع الافضال
كل الكمال له وانت مقره … والفرع عين الأصل عند مثال

يا ابن المليك ابن المليك ابن المليك ابن المليك سلالة الأقيال
انسيتم ذكر العبابسة الأولى زالوا ومازالوا بعين جلال
لكم الفخار بذاته وسواكم متمسك من فخركم بظلال
ولي الفخارُ بأن نسجت مديحكم حللا تجدُ وكلُ شيء بالي
املى معانيها علي ودادكم يجري به طبع كما السلسال
ولو انني حاولت مدح سواكم عقل القريحة عنه اي عقال
فكأنما طبعي شريف حيثما لا يهتدي لسوى مديح الآل
او قد درى ان المديح تعرض وسواكم لا يرتضى لسؤال
ابقاكم كهفاً يلاذ بمجدكم مختاركم لانالة الآمال
وادام للاسلام والدك الذي ورحمة وسعت بغير جدال
وعليكم وعلى الذي يهواكم ازكى الرضى من حضرة المتعال
ما دام ذكركم بكل صحيفة تبعاً لأحمد سيد الأرسال
صلى عليه مسلماً رب الورى وعلى مقدم حزبه والتالي

وعزز هذه القصيدة بمثلها بحراً وقافية وروياً الفقيه العلامة الأديب حمدون ابن الحاج الفاسي يقول في مطلعها :

بشراك ابراهيم بالاقبال اقبال عز لم يكن بالبال

وهي طويلة تركناها اختصاراً .

غـزوُ السلطان المولى سليمان بلادَ الريف والسببُ في ذلك

ولما كانت سنة سبع وعشرين ومئتين والف بلغ السلطان ان قبائل الريف من قلعية وغيرهم صاروا يبيعون الزرع للنصارى ويسقونه من بلادهم ، فعقد لعامله على الثغور محمد السلوي على جيش كثيف وانفذه اليهم ، فسار العامل المذكور وقصد قلعية عش الفساد ، ولما شارفها سرب اليهم العساكر فنهبوا اموالهم وحرقوا مداشرهم وانتسفوا ارضهم وديارهم وتركوهم افقر من ابن المدلق ، ثم بثَّ عماله في تلك القبائل فجبوها واستوفوا زكواتها واعشارها وعاد ظافراً .

وفي هذه السنة وذلك صباح يوم الجمعة السابع عشر من محرم منها توفي الشيخ العلامة الامام خاتمة المحققين بالمغرب ، سيدي محمد الطيب بن عبد المجيد بن عبد السلام ابن كيــران الفاسي صاحب التثاليف البديعــة والحواشي المحررة ، مثل شرح الحكم العطائية ، وشرح السيرة النبوية ، وغير ذلك من التثاليف المعروفة الموجودة بأيدي الناس .

ثم لما دخلت سنة ثمان وعشرين ومئتين والف بلغ السلطان ثانياً ان اهل الريف ما زالوا مقيمين على بيع الزرع للنصارى ، وانهم اضافوا الى بيع الزرع بيعَ الماشية ، وقد كان السلطان منع النصارى من وسق ذلك بالمراسي ، فافتات هؤلاء القوم على السلطان واعطوهم من ذلك ما ارادوا طمعاً في الربح ، وكان السلطان قد تقدم الى القائد محمد السلوي في كفهم عن ذلك لأنه كان قد ولاه عليهم واضافهم الى مَن كان الى نظره من اهل الجبل والثغور ، فكان لا يلتفت اليهم ، وربما قبض اهل المروءة منهم على سفلتهم ممن يتعاطى ذلك ويبعثون بهم اليه فيسرحهم على طمع ، فاتسع الخرق ، وصار كلهم يفعل ذلك ، ولما تحقق السلطان بفعلهم امر رؤساء قراصينة ان يذهبوا الى جهة الريف ومراسيها ، وكل من عثروا عليه من مراكب النصارى فلياخذوه ، فساروا وقبضوا على بعض النصارى فأسروهم ، ولم يقنعه ذلك حتى امر بغزو الريف وعزم على النهوض اليهم بنفسه ، واذن في الناس بذلك وجهز العساكر مع القائد محمد السلوي ووجه معه ولده المولى ابراهيم بعساكر الثغور وعرب سفيان وبني مالك ، فساروا على طريق الجبل ، وخرج السلطان من فاس في السنة المذكورة ومعه السواد الأعظم ، فسلك الجادة الى تازة وكّارت حتى نفذ الى بلاد الريف ، فلم يرعهم الا العساكر محيطة بهم من كل وجه ، فنهبوهم وحرقوا مداشرهم واستخرجوا امراسهم ودفائنَهم ، وولى السلطان عليهم احمد بن عبد الصادق الريفي وتركه في بلادهم في حصة من العسكر يستخلص منهم الأموال ، وعاد السلطان الى دار ملكه مويداً منصوراً .

خروج السلطان المولى سليمان الى بلاد الحـوز وتمهيدها ثـم دخـولـه مـراكش

كان السلطان المولى سليمان رحمه الله قد ولى على قبائل تامسنا القائد كريران الحريزي ، فيقال انه اساء السيرة فيهم فنبذوا طاعته وخرجوا عليه ، فقدم على السلطان مستصرخاً عليهم ، فخرج اليهم في العساكر سنة ثلاثين ومئتين والف ، وتقدم الى جيرانهم من القبائل بأن يزحفوا اليهم من خلفهم ففعلوا ، وهجم عليهم واوقع بهم وقعة شنعاء اتلفت موجودهم واباحت نساءهم واولادهم ، وفرَّ منهم طائفة فعبروا وادي ام الربيع زمان مده فهلك جلهم ، ثم ترك فيهم عامله في حصة من الجند وامره باستخلاص الأموال منهم ، وتقدم هو الى ناحية مراكش لقمع اهل الفساد من قبائل الحوز مثل دكالة وعبدة والشياظمة الذين خرجوا ايضاً على عاملهم الحاج محمد بن عبد الصادق صاحب الصويرة ، فأصلح من شأنهم وعزله عنهم لما علمه من سوء سيرته فيهم ، ونقله من الصويرة الى مراكش ، ثم منها الى فاس ، فولى اخاه احمد على عسكر القلعة بمراكش ، وعاد رحمه الله الى الغرب .

وفي هذه السنة في الثالث عشر من رمضان منها توفي الشيخ العلامة الفقيه الامـام محمد بن احمد بن محمد بن يوسف الحـاج الرهوني صاحب الحاشية الكبيرة على مختصر الشيخ خليل وغيرهـا من التئاليف النافعـة والخطب البارعة ، وباعه في العلوم خصوصاً الفقه مقرر معلوم ، رحمه الله ونفعنا بـه .

وفي ليلة الاثنين الخامس عشر من شوال من السنة المذكورة توفي الشيخ العالم العارف الامام احمد التجاني شيخ الطائفة التجانية ، وكانت وفاته بفاس المحروسة ، وضريحه بها شهير عليه بناء جميل ، رحمه الله ونفعنا به .

غـزوُ السلطان المولى سليمان قبائل الصحراء وايقاعُه بآية عطّاء والسبـبُ في ذلـك

لما كانت سنة احدى وثلاثين ومئتين والف بلغ السلطان المولى سليمان ان بعض قبائل الصحراء كعرب الصباح وبرابرة آية عطة اشتغلوا بالفساد وعظم ضررهم واستولوا على قصور المخزن التي هنالك من عهد السلطان المولى اسماعيل ، فعقد لابنه المولى ابراهيم على جيش كثيف ووجهه اليهم ، فسار ونزل اولا على قصور العرب ، ونصب عليهم ءالة الحرب فبددهم ، ثم زاد الى قصور ءاية عطة ، فنصب عليهم الآلة كذلك وضيق عليهم الى ان طلبوا الأمان فأمنهم ، فطلبوا ان يفرج الجيش عنهم قليلا حتى يخرجوا لعيالهم خوفاً من معرة الجيش ، فأشفق لهم وافرج عنهم ، وكان ذلك مكيدة منهم ، فلما نفس عن مخنقهم ادخلوا معهم ما شاءوا من رجال وسلاح وقوت ، وتمادوا على الحرب ، فسقط في يد المولى ابراهيم وحمي انفه ، وكان معه جماعة وافرة من اعيانهم رهناً عنده ، فقتل طائفة منهم ، وساق نحو المئة الى فاس فقتلهم بباب المحروق ، ولما انهى خبر فعلة البربر الى السلطان عاب على ابنه افراجَه عنهم اولا وقتل الرهائن ثانياً ، ثم انهم اوفدوا جماعةً منهم على السلطان راغبين ان يبقيهم بالقصور ، فردهم بالخيبة ، وقال لهم لا بد لي من الوصول الى تلك القصور ان شاء الله حتى تكون لي او لكم ، ولما انسلخ رمضان من السنة واقام سنة عيد الفطر شرع في تجهيز العساكر الى الصحراء وقمع ظلمة اية عطة ، ثم بعث في مقدمته السواد الأعظم من جيش العبيد ، وعقد عليهم لوصيفه الأنجب القائد احمد بن مبارك صاحب الخاتم ، وبعث معه الطبجية بالمدافع والمهاريس وءالة الحصار والهدم ، فخرجوا من فاس في زي فاخر وشوكة تامة ، وبعد انفصالهم عنها طرأ على السلطان من بعض الثغور البحرية خبر بأن عمارة العدو تروج بالبحر وتجتمع عند جبل طارق ، ولم يدر الى اين تريد ، فتأخر السلطان عن الخروج حتى يتبيّن له امر هذه العمارة ، ثم ورد الخبر اليقين بأنها قد قصدت ثغر الجزائر ، واصاب الفرنج من هدم الأبراج وتخريب الدور والمساجد وحرق الأشجار شيئاً كثيراً ، لكن لما رجعوا مفلولين

مقتولين هان الأمر وصغرت المصيبة ، ولما جاء البشير بانهزام الفرنج عن الجزائر قوي عزمُ السلطان على متابعة مَن وجه من عسكره الى الصحراء ، فخرج في غرة ذي القعدة من السنة المذكورة فيمن تخلف معه من العسكر وقبائل العرب والبربر ، وجدَّ السير الى ان عبر وادي ملوية فلقيه البشير هنالك بخبر الفتح والاستيلاء على القصور وقتل اهلها وسبيهم ونهب بضائعهم وامتعتهم ، فجدَّ السير الى ان خيم بغريس ، ومنها كتب الى القائد احمد ان يوافيه بالجيش لبلاد فركلة للنزول على القصور الخربات التي بها ءاية عطة ، فاجتمعوا مع السلطان بها ونصبوا عليها المدافع والمهاريس ، ودام الرميُ عليها ثلاثة ايام حتى كثر الهدم والقتل وعاينوا الموت الأحمر ، فأرسلوا الى السلطان النساء والصبيان للشفاعة في الخروج برؤسهم فأمنهم ، ولما جنَّ الليل خرجوا حاملين اولادهم على ظهورهم خوفاً من معرة الجيش ، ولما اصبح السلطان امر بنهب ما في القصور من القوت والمتاع والكراع ، وكمل فتح هذه الأماكن التي كانت نقمة لأهل ذلك القطر الصحراوي .

ولما من الله على السلطان بهذا الفتح الجليل شكر صنع الله له بأن فرق على العسكر وقبائل تلك الأقطار ما وسعهم من الخيرات ، قال صاحب الجيش : اعطي الشرفاءَ الف مثقال غير ما كان يعطيهم في كل سنة ، وقسم رحمه الله ذلك بخط يده ، فكتب لدار مولاي عبد الله كذا ، ولشريفات حمو بكة كذا ، ولشرفاء تافيلالت كذا ، ولشرفاء تيزليمي واولاد الزهراء كذا ، ولشرفاء الرتب كذا ، لشرفاء مدغرة كذا ، ولشرفاء زيز والخنق والقصابي كذا ، واعطى الطلبة والعميان والمقعدين والزمنى وزوايا تافيلالت مئة الف مثقال ، قسم ذلك بخط يده ايضاً ، وجعل للفقيه المدرس اربعة اسهم ، ولغيره سهمين ، والسهم من كذا ، وللطالب الذي يحفظ القرءان برسمه حتى صفَّا لوحه سهمان ، ولغيره سهم ، والسهم من كذا ، ولا فرق بين الأحرار والحراطين ، ولكل واحد من الضعفاء والعمي والمقعدين كذا ، والأحرار والحراطين سواء ، وللزوايا كذا ، فلزاوية الشيخ سيدي الغازي كذا ، ولزاوية سيدي ابي بكر بن عمر كذا ، ولزاوية سيدي احمد الحبيب كذا ، ولزاوية سيدي علي بن عبد الله كذا ، ولزاوية ضريح مولانا علي الشريف كذا ، ولمقبرة اخنسوس

كذا ، ووجه المال مع الأمين السيد المعطي مرينو الرباطي ، وامر الشرفاء ان يعينوا اربعين من ثقاتهم وامنائهم حتى لا تقع زيادة فيما كتبه بيده ولا نقصان ، وامر القاضي ان يعين عشرة من الطلبة وعشرة من العوام للقيام على تفرقة ذلك ، ثم اعطى المدرسين زيادة على ما تقدم وكذا الأئمة والمؤذنين ، ولم ينس احداً ، كل ذلك بخط يده رحمه الله ، قال صاحب الجيش وما زال هذا الزمام عنده .

ثم بعد قضاء وطره من الزيارة والصلة توجه الى مراكش على طريق الفائجة لتفقد احوال جيش الحوز الذي كان وجهه من مراكش لأقاليم درعة ، فبلغه اثناء الطريق ان ءاية عطة الذين بدرعة لما سمعوا بقربه منهم خرجوا من القصور هاربين وتركوها يباباً وتحصنوا بجبل صاغرو ، ولما دخل السلطان مراكش سرح العساكر الى السوس لتفقد احواله وجباية امواله ، وتمهيد اطرافه ، واخذ هو رحمه الله في استصلاح قبائل الحوز من دكالة وعبدة والشياظمة فقتل وغزا وسجن ، وولى مَن ولى ، وطهر تلك الأعمال من ولاة السوء الذين كانوا بها ، وعاد الى حضرته بفاس ، وكان دخوله اليها سنة اثنتين وثلاثين ومئتين والف ، ولما دخلها اخذ في تجهيز ولديه المولى علي والمولى عمر لأداء فريضة الحج الى ان استوفى الغرض في ذلك ، وعين مَن يتوجه معهما من الخدم والتجار وسائر الحاشية ، وخرجا مع الركب النبوي على الهيأة المعهودة في حفظ الله .

ابطال السلطان المولى سليمان الجهاد في البحر

وفي هذه السنة أعني سنة ثلاث وثلاثين ابطل السلطان الجهاد في البحر ، ومنع رؤساءه من القرصنة به على الأجناس ، وفرق بعض قراصينه على الايالات المجاورة له مثل الجزائر وطرابلس ، وما بقي منها انزل منها المدافع وغيرها من ءالة الحرب واعرض عن امر البحر راساً بعد ان كانت قراصين المغرب اكثر واحسن من قراصين صاحب الجزائر وتونس ، قاله منويل .

وفي هذه السنة قدم ولدا السلطان المولى علي والمولى عمر من المشرق مع الركب ونزلوا بثغر طنجة ، وكان السلطان قد بعث اليهما بمركب من

مراكب النجليز ، فانتهى الى الأسكندرية وحملهما ومن معهما من الخدم والتجار وسائر الحاج ، ولما نزلوا بطنجة حدث الوباء بالمغرب ، فقال الناس ان ذلك بسببهم ، فانتشر أولا بتلك السواحل ، ومنها شاع في الحواضر والبوادي الى ان بلغ فاساً ومكناسة في بقية العام ، ولما دخلت سنة اربع وثلاثين ومئتين والف شاع الوباء وكثر في بلاد الغرب ، فتوجه السلطان الى مراكش ، وكان الأمر ما زال محتملا ، ثم زاد وتفاحش حتى اصاب الناس منه امر عظيم .

وقعة زيـان وما جـرى فيها على السلطان المولى سليمان

ولما وصل السلطان الى مراكش سنة اربع وثلاثين ومئتين والف ، اقام بها الى رجب منها ، ثم اخذ في الاستعداد لغزو برابرة فزاز ، وهم ءاية ومالو بطن من صنهاجة ، وعرفت الوقعة بوقعة صيان فخذ منهم ، فحشر السلطان رحمه الله عرب الحوز كلهم وكتب الى العبيد بمكناسة يأمرهم ان يوافوه بتادلة ، وكتب الى ولده وخليفته بفاس المولى ابراهيم ان يوافيه بها بجيش الوداية وشراقة وعرب الغرب وبرابرته وعسكر الثغور ، وكان الناس يومئذ في شدة من هذا الوباء الذي عمَّ الحواضر والبوادي ، وكان السلطان لما اخذ في استنفار هذه القبائل لا علم له بتفاحش الوباء بالمغرب ، وكان الواجب على ابن السلطان ان يعلم اباه بما الناس فيه من فتنة الوباء فيعفيهم من الغزو أو يوخرهم الى يوم ما ، فجمع ولد السلطان الجموع وكلهم كاره ، وسار لميعاد ابيه ، فوافاه بتادلة ، فاجتمع للسلطان فيما يقال من الجيوش نحو ستين ألفاً ، وزحف الى البربر ، فانتهى الى بسيط أدخسان وبـه مزارع البربر وفدنها ، فأرسل السلطان الجيوش في تلك الزروع وكانت شيئاً كثيراً ، فأتوا عليها ، وبعث البربر اليه بنسائهم وولدانهم للشفاعة ، وان يدفعوا للسلطان كل ما يامرهم به من المال وينصرف عنهم فأبى وزحف اليهم فقاتلهم يوماً الى الليل ، ولقد اخبرني من حضر الوقعة ان المقاتلة كانت في هذا اليوم من عرب الغرب ومن برابرة زمور وجروان وءاية يدراسن ، الا ان القتل استحرَّ في العرب دون البربر ، وذلك ان كبير زمور الحاج محمد ابن الغازي دسَّ الى صيان بأننا نحن وانتم واحد ، فاذا كان اللقاء فلا ترمونا ولا نرميكم الا بالبارود وحده ،

وذلك ان السلطان لما قدمهم للقتال في اول يوم منه واخَّر عرب الحوز استرابوا بأنه انما اراد ان يصدم بعضهم ببعض ، وتسلم له العرب ، ففعل ابن الغازي ما فعل ، ولما راح مقاتلة العرب مع العشي اخبروا السلطان بأن هؤلاء البربر الذين معنا لا امان فيهم ، وانما ظلوا يترامون بالبارود لا غير ، ولأجل ذلك قد هلك من اخواننا كثير ، ولم يهلكْ منهم احد ، فأسرها السلطان في نفسه ولم يبدها لهم ، ولما كان الغد وركب الناس للقتال ارسل الى البربر ان لا يركب منهم احد ، وقال لهم اني اردت ان اجرب العرب اليوم واختبر فائدتهم ، فأظهروا الطاعة ، وتقدم العرب الى القتال ، واقام البربر في اخبيتهم الى منتصف النهار ، ثم ركبوا خيولهم وتسابقوا اليها عن ءاخرهم ، قال المخبر بهذا الخبر شاهدتهم ساعــة ركبوا فكنت لا التفت الى جهة الا رايتها حمــراء من كثرة سروجهم التي كانت على ظهور الخيل اذذاك ، ثم تصايحت البربر فيما بينها وتقدمت براياتها الى الجهة التي فيها القتال واتوا من خلف العرب الذين كانوا في نحر العدو وهم يتصايحون ، فلم يردهم الا صياح البربر من خلفهم وراياتهم قد اطلت عليهم من كل جهة وكانت شيئاً كثيراً ، فظنوا ان صيان قد لحقتْهم من خلفهم ، فخشعت نفوسهم وفشلوا ورجعوا منهزمين لا يلوي حميم على حميم ، فأخذتْهم البربر من بين ايديهم ومن خلفهم يقتلون ويسلبون ، وحصل انزعاج كبير في المحلة وتمت الهزيمة عليها ، ولم يبق بها الا جيش الوداية والعبيد ، هكذا اخبر مَن شاهد هذه الوقعة ممن يوثق به .

وساق صاحب الجيش الخبر عنها بأن قال : كان انخذال برابرة زمور برأي كبيرهم الحاج محمد ابن الغازي ، وكانت له وجاهة في الدولة ، وكان الحسن بن حمو وعزيز كبير ءاية يدراسن يساميه في المنزلة ، ولما خرج المولى ابراهيم ابن السلطان في هذه الغزوة كان ابن وعزيز قد حظي لديه حتى صار من اخص ندمائه ، فنفس ابن الغازي عليه ذلك ، ودبر بأن جرَّ الهزيمة على الجيش اجمع ، فانه اظهر الفرار وقت اللقاء ، حتى سرى الفشل في الناس وانهزموا ، ثم عطفت البرابر مع العشي على محلة السلطان فشرعوا في نهبها ، واحاط عسكر العبيد بها من كل جهة ، وصاروا يقاتلون البربر على اطراف الأخبية ، ولما اقبل المساء ترك العبيد الأخبية وارزوا الى افراك السلطان ،

وصار القتال على افراك الى وقت العشـــاء ، فهلك من العبيد خلق كثير ، وصار القتال بالسيوف والرماح ، وما زال اصحاب السلطان يتترسون عليه بأنفسهم حتى عجزوا عن الدفاع وخلص البربر الى السلطان واراد رجل منهم يقال انه من بني مكّيلد ان يجرده ، فأعلمه بأنه السلطان ، فاستحلفه البربري فحلف له ، فنزل عن فرسه واركبه وطار به الى خيمته ، وكان البربر يلقونه وهو ذاهب به فيقولون من هذا الذي معك ؟ فيقول اخي اصابته جراحة ، ولما وصل به الى خيمته اعلن بأنه السلطان ، فاقبلت نساء الحي من كل جهة يفرحن ويضربن بالدفوف ، ثم جعلن يتمسحن بأطرافه ويتبركن به وينظرن اليه اعجاباً به حتى اضجرنه ، ولما جاء رجال الحي اعظموا حلوله بين اظهرهم واجلوه وسعوا فيما يرضيه ويلائمه من وطاء ومطعم ومشرب بكل ما قدروا عليه ، فلم يقر له قرار معهم ، ويقال انه بقي عندهم ثلاثاً ، لا يأكل ولا يشرب اسفاً على ما أصابه ، الا انه كان يسدّ رمقه بشيء من الحليب والتمر ، وتنصّل البربر له مما شجر بينهم وبينه ، واظهروا له غاية الخضوع حتى انهم كتفوا نساءهم وقدموهن اليه مستشفعين بهن على عادتهم في ذلك ، وبعد ثلاث اركبوه وقدموا به في جماعة من الخيل الى قصبة آگوراي فنزلوا به قريباً منها ، وبعث رحمه الله الى مكناسة يعلم الجيش بمكانه ، فجاءوه مسرعين ، ودخل مكناسة بعد ان احسن الى ذلك الفتى البربري والى جميع اهل حيه غاية الاحسان ، وامر رحمه الله ان يعطى لكل سليب من المنهزمة حائك وثلاثون اوقية ، ففرق من ذلك شيئاً كثيراً بباب منصور العلج من مكناسة ، واصيب المولى ابراهيم ابن السلطان في هذه الوقعة بجراحات معظمها في راسه ، فحمل جريحاً الى فاس فمات بها ، وكانت مصيبته على السلطان اعظم مما اصابه في نفسه والأمر لله وحـــده .

قال صاحب الجيش : كان السلطان الحازم سيدي محمد بن عبد الله لا يرد الشفاعة في مثل هذا المقام ، وربما دس الى مَن يظهر ذلك صورة حتى يكون نهوضه عن عز وذلك من حسن سياسته ، وكانت هذه الوقعة الفادحة سبب سقوط هيبة السلطان المولى سليمان من قلوب الرعية ، فلم يمتثل له بعدها امر في عصاتها حتى لقي الله تعالى .

ولما دخلت سنة خمس وثلاثين ومئتين والف ، كثر عيثُ البربر وافسادهم السابلة ، واستحوذوا على مزارع مكناسة ومسارحها ، فنصب لهم السلطان رحمه الله حُبالةَ الطمع وكادهم بها بأن صار كلما وفد عليه جماعة منهم كساها واحسن اليها ، فتسامعوا بذلك ، فقادهم الطمع الى ان وفد عليه منهم في مرة واحدة سبعمئة فارس من اعيانهم ، فقبض عليهم وجردهم من الخيل والسلاح واودعهم السجن ، ثم امر بالقبض على كل مَن وجد منهم بسوق مكناسة وصفرو ، فقبض بصفرو على نحو الثلاثمئة من ءاية يوسي ، وقامت بسبب ذلك فتنة البربر على ساق ، فانهم امتعضوا لمَن قبض عليه من اخوانهم ، وزحفوا الى مكناسة وحاصروها ، وجاءوا معهم بدجالهم ابي بكر مهاوش وتحزبوا وصاروا يداً واحدة على كل مَن يتكلم بالعربية بالمغرب ، وكان مهاوش في هذه الأيام قد امر امره ، لأنه لما عزم السلطان على غزوهم كان يعدهم بأن الظهور يكون لهم ، فلما صدق عليهم ظنه اعتقدوه وافتتنوا به وزحفوا الى مكناسة فضيَّقوا على السلطان بها ، فجعل رحمه الله يعالج امرهم بالحرب تارة والسلم اخرى ، الى ان طلبوا منه ان يسرح لهم اخوانهم ويرجعوا الى الطاعة والدخول في الجماعة ، فسرحهم لهم على يد المرابط عبد الله بن حمزة العياشي ، فلما ظفروا باخوانهم نقضوا العهد الذي اخذ عليهم المرابط المذكور وعادوا الى العيث وافساد السابلة ، ثم تبعهم على ذلك قبائلُ العرب ، واختلط الحابل بالنابل ، واشتدَّ الأمرُ وبلغ الحزام الطبيين ، ولله در العلامة عبد الملك التاجموعتي اذ يقول :

هم البرابر لا ترجو نوالَهم	وسلْ من الله تعجيلَ النوى لهم
لا بلَّغ الله قلباً منهم املا	وبلغ الله قلبي ما نوى لهم

ثم لما سقطت هيبة السلطان وزال وقعه من القلوب سرى فساد القبائل الى الجند ، فان العبيدَ عدوا على كبيرهم القائد احمد بن مبارك (63) صاحب

63) توفي احمد بن مبارك البخاري عام 1235 ﻫ برصاصة رماه بها عبيد البخاري بغابة حمرية من مكناس ، ودفن يمين الخارج من باب بوعماير ، وعلى قبره بناء الى الآن ، وهو والد الحاجب موسى بن احمد ، وجد الحاجب الوزير احمد بن موسى .

ينظر عن احمد بن مبارك **اتحاف اعلام الناس** I : 367

الخاتم فقتلوه افتياتاً على السلطان ، مع انه كان من اخصّ دولته لنجابته وكفايته وديانته واعتماد السلطان عليه في سائر مهماته ، ولما قتلوه اعتذروا للسلطان بأعذار كاذبة ، فقبل ظاهر عذرهم وطوى لهم على النت (64) ، قال كنسوس : كان القائد احمد وابوه واخوته قد اعطاهم السلطان سيدي محمد بن عبد الله لابنه المولى سليمان ، فنشأ القائد احمد في كفالته ، وتخلق بأخلاقه من زمان الصبا الى مماته ، وكانت حياته مقرونة بسعـادة السلطان العادل المولى سليمان ، فانه من يوم قتل رحمه الله سنة خمس وثلاثين ومئتين وألف لم يلتئمْ شملُ المملكة حتى توفي السلطان المذكور .

ذكـر ءال مهاوش واوليتهم وما ءال اليه امرهم

اما الذي كان منهم في دولة السلطان سيدي محمد بن عبد الله فاسمه محمد وناصر ، والواو في لغة البربر بمعنى ابن ، وكان والده مرابطاً من ءاية مهاوش فرقة من ءاية سخمان منهم ، وكان جده ابو بكر من اتباع الشيخ سيدي احمد بن ناصر الدرعي رحمـه الله ، وكـان الشيخ المذكور قد جـرى في مجلسه يوماً ذكرُ الدجال ، فقال الشيخ لا يخرج الدجال حتى تخرج دجاجيل من جملتهم مهاوش ، ومعناه من جملتهم ولد هذا الرجل فكان الأمرُ كذلك ، فانه لما شبّ محمد وناصر قرأ القرءان والعربية والفقه وحصل على طرف من علم الشريعة ، ثم تنسك وتزهد ولبس الخشن ، فيقال انه حصل له نوع من الكشف شاع بـه خبره عند البربر واكبوا عليه واشتهر امره مدة ايـام السلطان سيدي محمد بن عبد الله ، ولما انتهى اليه امره نهض الى قبيلة جروان الذين كانوا يخدمونه فنهبهم بسببه ، وفرّ مهاوش الى رؤوس الجبال مختفياً الى ان بويع السلطان المولى يزيد رحمه الله ، وكان قد اتصل بمهاوش ، قبل ولايته ، وذلك حين فرّ من والده ولجأ اليه حسبما مرّ ، فآواه مهاوش واحسن اليه ، ولما بويع السلطان المذكور وفد عليه مهاوش في جملة من قومه ، ففرح بهم المولى يزيد ، واعطى مهاوش عشرة آلاف ريال ، واعطى الذين قدموا

---

64) **النت** : الغيظ والحقد ، يقال طوى له على النت ، اي اظهر له البشر وهو يخفي الحقد .

معه مئة الف ريال . ولما هلك محمد وناصر هذا ترك عدة اولاد ، اكبرهم ابو بكر ومحمد والحسن ، الا انهم تبعوا سيرة ابيهم في مجرد التدجيل والتمويه على جهلة البربر وتثبيطهم عن طاعة السلطان ، ولم يكن معهم ما كان مع والدهم من التظاهر بالخير والدين ، فأمر امرهم عند اهل جبل فازاز واعتقدوهم ووقفوا عند اشارتهم ، ثم لما جاءت دولة السلطان المولى سليمان رحمه الله واتفقت له الهزيمة التي مرّ ذكرها ، وامتلأت ايدي البربر من خيل المخزن وسلاحه واثاث الجند وفرشه بطروا وظهر لهم ان ذلك انما نالوه ببركة مهاوش ، لأنه كان يعدهم بشيء من ذلك ، فتمكن ناموسُه من قلوبهم ، واستحكمت طاعتُهم له ، وتمردوا على السلطان بسبب ما كانوا يسمعون منه ، الا ان كيده كان قاصراً على اهل لسانه ووطنه لا يتعداهم الى غيرهم ، ثم بعد ذلك بزمان انطفأ ذباله ، ولم يزل في انتقاص الى الآن ، والله غالب على امره .

حدوثُ الفتنة بفاس وقيامُهم على عاملهم الصفّار

لما توالت هذه الفتن على السلطان رحمه الله واتفقت عليه الفتوق وصار الناس كأنهم فوضى لا سلطان لهم ، قام عامة اهل فاس على عاملهم الحاج محمد الصفار فأرادوا عزله ، وتعصبت له طائفة من اهل عدوته ، وافترقت الكلمة بفاس حتى ادى ذلك الى الحرب وسفك الدماء ونهب الدكاكين ، وتراموا بالرصاص من اعلا منار مسجد الرصيف ، وبلغ ذلك السلطان وهو يومئذ بمكناسة يعالج داء البربر ، فزاده ذلك وهناً على وهن ، فكتب الى اهل فاس كتاباً شحنه بالوعظ والعتب ، وامر ابنه المولى علياً ان يقرأه عليهم ، فجمعهم وقرأه عليهم حتى سمعوه وفهموه ، ونص الكتاب المذكور :

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وسلم

الى اهل فاس

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ، وبعد فان العثماني باصطنبول وامره ممتثل بتلمسان والهند واليمن ، وما رأوه قط ، ولكن امر الله يمتثلون :

(يأأيها الذين ءامنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) ، وكان صلى الله عليه وسلم لا يجزي بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح ، واعلموا ان العمالَ ثلاثة : عامل اكل السحت واطعمه الغوغاء والسفلة ، وعامل لم يأكل ولم يطعم غيره ، انتصف من الظالم ، وعامل اكل وحده ولم يطعم غيره ، فالأول تحبه العامة والسفلة ، ويبغضه الله والسلطان والصالحون ، والثاني يحبه الله ويكفيه ما اهمه من امر السلطان ، والثالث كعمال اليوم : يأكل وحده ، ويمنع رفــده ، ولا ينصر المظلوم ، فهاذا يبغضه الله ورسوله والسلطان والناس اجمعون ، وهذا معنى حديث ازهدْ فيما في ايدي الناس يحبك الناس ، وحديث العمالثلاثة الخ . فلو كان للصفار مائدة خمر وطعام يأخذه من الأسواق ويتغدى عنده ويتعشى السفلة والفساق ويدعو اليوم ابن كيران وغدا ابن شقرون وبعده بنيس وابن جلون ، ويفرق عليهم من الذخائر لأحبوه وما قاموا عليه ، ولو اردتم النصيحةَ لله ولرسوله ولأميره لقدم علينا ثلاثة منكم او ذكرتم ذلك لولدنا مولاي علي اصلحه الله ، فأخبرنا بذلك ، وقلْ للصفار الكلاب لا تتهارش الا على الطعام والجيف ، فاذا رأت كلباً بباب دار سيده ولا شيء امامه لم تعرجْ عليه ، وان راته يأكل فان هو تعامى واشركهم فيما يأكل اكلوا معه وسكتوا ، وان هو قطب وجهه وكشر عن انيابه تراموا عليه وغلبوه على ما في يده ، وهذا الصفار لم يتق الله ويزهد الزهد الذي ينصره الله به ولم يلاقِ بوجه طلق وبطرف مما يأكله فسلطهم الله عليه ، ولما رأى يوسف بن تاشفين النعمة التي فيها ابن عباد قال : اكلُ اصحابه واعوانه مثله ؟ فقالوا لا ، فقال انهم يبغضونه ويسلمونه للمكاره لاستبداده دونهم ، ولتغيير المنكر شروط وما يعقلها الا العالمون ، وكم مرة قلنا لكم العلماء هم ينكرون ماينكر ويعلموننا بماكان ، ولكن الجلوس بلا شغل والفراغ وعدم الحمد حملكم على ما يحرم عليكم الكلام فيه :

ان الشبابَ والفراغَ والجــده مفســدة للــمــرء اي مفســـده

واما بيت مال الله والأحباس فالله حسيب مَن بدل ، وقد كنتم تتكلمون على المكس والحرير والقشينية وغير ذلك فارى حكم الله من ذلك ، وانظروا

لمن تعرفونه من العمال ، واما الفسق فهو عادة وديدن كل مَن قام في الفتنة ، وكم مرة رمتُ قطعه فلم اجد اليه سبيلا ، لأن جلَّ كبرائكم بالمصاري والعرصات ، وانما اولي عليكم البراني لأنكم لا تحسدونه وان اكل وحده ، والحاسد يريد زوال النعمة عن محسوده ، والتجار لأن التاجر لا يطمع في مال احد ، ويكفيه الرفعة والجاه لنماء ماله ، وانظروا ما اجبتكم به وما كتبتم لنا به ، واعرضوه على فقهائكم ، فمن قال الحق منا ومن قال الباطل اخذتم بحظكم من الفتن » . انتهى .

وهذه الرسالة قد شرحها الفقيه محمد بن ابي بكر بن عبد الكريم اليازغـي .

وكان اهل فـاس قد كتبوا الى السلطان رحمه الله في شأن عاملهم الصفار المذكور ، واعتذروا عن خروجهم عليه بأنه اشتغل بما لا يرضي الله من الفسق ، ومد اليد الى الحريم ، فأنكروا عليه ، فأجاب السلطان رحمه الله بالرسالة المذكورة .

خـروجُ السلطان المولى سليمان من مكناس الى فاس وما لقي من سفهاء البربر في طريقه اليها

قد تقدم لنا ان البربر طلبوا من السلطان تسريح اخوانهم ، وانه بذلك تصلح احوالهم ويراجعون الطاعة ، ولما سرحهم نكثوا العهد وازدادوا تمرداً ، فلما اعيى السلطان امرهم وكل امرهم الى الله وعزم على الخروج من مكناسة الى فاس لما حدث بها من الشغب ايضاً ، فولى على مكناسة وجند العبيد ولده المولى الحسن ، وكان له عزم وحزم ، ثم خرج السلطان رحمه الله ليلاً من مكناسة على خطر عظيم ، واسرى ليلته ولم يعلم البربر بخروجه حتى اصبح وقد جاوز المهدومة وشارف وادي النجاة ، فتبعوه على الصعب والذلول ، ونهبوا كلَّ مَن تخلف من الجيش ، واستولوا على كثير من روام السلطان ، وكان مع السلطان في تلك الليلة المرابط البركة عبد الله بن حمزة العياشي ، فجعل يكفُّ البربر عن الجيش فلم يغن شيئاً ، لأنه كلما كفَّهم من ناحية

اغاروا من ناحية اخرى ، وخلص السلطان الى فاس وقد ازداد حنقُه على البربر ، فلما دخلها امر بنهب دور البربر القاطنين بفاس فنهبوا كل مَن فيه رائحة البربرية ولو قديماً ، فكان ذلك فتنة في الأرض وفسادا كبيرا ، واقام السلطان بفاس الى رجب من السنة المذكورة ، اعني سنة خمس وثلاثين ومئتين والف ، ثم خرج لاصلاح نواحي بلاد الهبط ، فوصل في خرجته هذه الى قصر كتامة ، فمهد تلك البلاد وامَّن سبلها ورجع الى رباط الفتح ، فقدم عليه بها قبائل الحوز على بكرة ابيهم من حاحة والشياظمة وعبدة والرحامنة واهل السوس والسراغنة وزمران واهل دكالة وقبائل الشاوية وتادلة ، وقدم عليه ايضاً قبائلُ بني حسن وعبيد الديوان ، وقبض في هذه المرة على نحو المئة من زعير وأودعهم السجن ، ودخل شهر رمضان ففرق عمال القبائل كلا الى عمله ، وامرهم بالقدوم عليه لعيد الفطر ويستصحبوا زكواتهم واعشارهم ، وكان قد عزم على المقام برباط الفتح الى ان يقيم سنة العيد به وتجتمع عليه العساكر فيتوجه بهما لغزو البربر ، ثم بدا له رحمه الله فسافر مع قبائل الحوز الى مراكش في عاشر رمضان المذكور .

ذكــرُ ما حــدث من الفتن بفاس واعمالهــا
بعد سفر السلطان المولى سليمان الى مراكش

لما عزم السلطان المولى سليمان رحمه الله على السفر الى مراكش ندب جند العبيد الى السفر معه فتثاقلوا عليه ، وظهر منهم قلة المبالاة به ، واحسَّ منهم بذلك فأعرض عنهم ، وبعد يوم او يومين انسلَّ من بين اظهرهم وقصد محلة اهل الحوز ، فدخل قبةَ القائد محمد بن الجيلاني ولد محمد الصغير السرغيني ، وكان السلطان يطمئنُّ اليه منذ كان رفيقه في نكبته عند صيان ، اذ كان ابن الجيلاني المذكور مأسورا عندهم وسرحــوه للسلطان فرافقه الى مكناسة حسبما مر ، ولما احتل السلطان بمحلة اهل الحوز ازداد فسادُ نية العبيد ، وسافر السلطان الى مراكش وترك مضاربه واثاثه بيدهم ، فتوزعوها وعادوا الى مكناسة ، وسمع الناس بما ارتكبه هاؤلاء العبيد في حق السلطان فعاد شباب الفتنة الى عنفوانه ، وسرى في الحواضر والبوادي سم

افعوانه ، فخبَّ عبيدُ مكناسة بعد قدوم اخوانهم عليهم في الفتنة ووضعوا ، وامتنع عمالُ الغرب وبني حسن من دفع الزكوات والأعشار ، وطردوا جباة السلطان ، وعمد الوداية بفاس الى حارة اليهود التي بين اظهرهم بفاس الجديد فانتهبوها واستصفوا موجودها واخذوا ما كان تحت ايدي اليهود من كتان وحرير وفضة ، وذهب لتجار اهل فاس ، اذ كانوا يخيطون لهم ويصنعون ما تدعو الحاجة الى خياطته وصنعته ، فضاعت في ذلك اموال لا يحصيها قلم حاسب ، ثم جردوهم رجالا ونساء وسبوا نساءهم وافتضوا ابكارهم وسفكوا دماءهم وشربوا الخمور في نهار رمضان ، وقتلوا الأطفال ازدحاماً على النهب ، ثم تجاوزوا هذا كله الى حفر البيوت على الدفائن فوقعوا بسبب ذلك على اموال طائلة ، ولما رأوا ذلك قبضوا على اعيانهم وتجارهم وصادروهم بالضرب والنكال ليدلوهم على ما دفنوا من المال ، ومن عنده يهودية حسناء حالوا بينه وبينها حتى يفتديها بالمال ، وكان هذا الحادث العظيم في الثالث عشر من رمضان سنة خمس وثلاثين ومئتين والف ، ولما فرغوا من اليهود التفتوا الى اهل فاس فاستاقوا السرح وبهائم الحرث والجنات ، ومنعوا الداخل والخارج ، فقام بفاس هرج عظيم ، وغلقوا الأبواب ، ومالوا على من وجدوه من الوداية داخل البلد ، فأوقعوا بهم ونهبوهم ، وحمل الناس السلاح ، ونقلت البضائع والسلع من الأسواق الى الدور خوفاً عليها ، واجتمع اهل الحل والعقد منهم فعينوا مَن يقوم بأمرهم ، فقدم اللمطيون رجلا منهم يقال له الحاج احمد الحارثي ، وقدم اهل العدوة رجلا منهم يقال له قدور المقرف ، وقدم اهلُ الأندلس رجلا منهم يقال له عبد الرحمان بن فارس ، فضبطوا البلد ، وبينما هم كذلك قدم عليهم جماعة من اعيان الوداية وتلافوا امرهم والتزموا ردَّ ما نهبوه لهم من السرح وما نُهب في جملة اموال اليهود مما كان يصنع عندهم ، فخمدت بذلك نار الفتنة بعض الشيء .

وقد قال ادباء الوقت في هذا الخطب الذي اتفق في هذه المدة جملةً من الأشعار ، من ذلك قول الكاتب البارع محمد بن ادريس الفاسي :

اعيُنٌ العِين للمحبين داء   والدوا في شفاهها والشفاء
فاذا ما رمين سهماً لصب   فالهوى قد هوى به والهواء
كيف يعدل نحو اي عذول   مَن رمته ظبى اللحاظ الظباء
سعد ساعدْ اخا الغرام بقرب   من سعاد فقد عناه العناء
زارني ضيف طيفها فشجاني   وسرى الطيف للمحب حباء
هبَّ شوقي اذ هبَّ نشر كباها   وعرتني من ذكرها العدواء
فسقى عهدها العهادُ وحيَّا الـ   ـملك العادل الحيا والحياء
ليس الا ابا الربيع ربيع   خلقه الجود والجدى والوفاء
بسليمان قد سلمنا وسدنا   فالعلى منزل له والعلاء
ملك ملك العلى والمعالي   وسما فله الفخار سماء
غرة المجد ، درة العقد ، مَن قد   راق من فضله السنا والسناء
نجل خير الورى ، وافضل مَن قد   نبِّأت بظهوره الأنبياء
مَن اذا ما رجاه راجٍ لنول   قبل حل الحبى اتاه الحباء
خلق دمث وخلق بهي   من ذكى نوره تغار ذكاء
كفه كفت الفسادَ وكفت   كل عاد فما لها اكفاء
راحهُ راحة لكل فقير   بحياء تحيا به الأحياء
روضة راضت العلوم ولكن   عرفها العرف والثراء الثناء
قد روى فضله الأفاضلُ طراً   فعلى الفضل والرواة رواء
لأبي القاسم الظياني لديهم   فضل سبق له علا وعلاء
جمع الوصف احكم الرصف صدقاً   واتاه الانشاء كيف يشاء
صالح ناصح امين رصين   قد ثناه الى علاك السناء
كيف لا يُحسن السناء ويسمو   في امام له المعالي رداء
انما هو معجز مستقل   يقتدي بفعاله العقلاء
بسط العدل في البسيطة فا   لدين له بسطة به وارتقاء
وغدا باقامة الدين في الغر   ب غريباً انصاره الغرباء
لم يجد في البرابر الغلف برا   شانه البر في البدا والبراء
نقضوا العهد خالفوا الأمر والنهـ   ـيَ ، ألا انهم هم السفهاء

خالفوا منتقى الخلائف جهـــلا بعماهم ، فـلا عداهـم عـمــــاء
عادة في جدودهـم جدوهــــا لهم الـدهـــر الارتـــداد رداء
قـد دعاهـم مهـاوش لضــلال فعليهـم وبـالهـم والـوبـــاء
شق جهلا عصا الامام شقاقـــاً وعصى الله لا هنـاه الهـنـــاء
واقتفى اثـره الغـواة ضـــلالا فغباهم مـا ان عليـه غـبـــاء
واذا خبثـت اصـول فـــروع لاح مـن فعلهم عليـه لـــواء
وكذا العرب اعربوا عن مســاو فهم في سوى الخروج ســواء
نافقوا رافقوا الخبيثين كـفـــراً همــزوا لمـزوا فليس بـــراء
والودايا جـاءوا بـاد وعـيـــب داؤهم ما لـه الـزمـــان دواء
قتلوا سلبوا اخافـوا وحافـــوا مـا ثناهم عـن القبيح ثـنـــاء
ما رعـوا ذمـة ولا فـعـــل ذم بل عراهـم من الحيـاء عـــراء
وامـام الأنـام يحلـم عنهـــم ويوالي ومـا يفيـد الـــــولاء
نهبوا حـارةَ اليهـود وهـــدوا دورهم وعـرا النسـاء سبـــاء
لو تراهم بين الرعايـا عـــراة يحتذيهـم رجالهـم والنســـاء
خفـروا ذمـة النبي فـذمـــوا لعمـاء ، فـلا سقاهـم عـمــــاء

* * *

يا امـام الهدى عليك بقـــوم ملأ الغـرب بغيْهـم والبغــــاء
قد طمـا ظلمهم وعـمَّ اذاهـــم وانجلى عنهـم فحـق الـجــلاء
كـم سدلت عليهـم اي ستـــر ووهبت ، فمـا افـاد العطـــاء
وحدوت الى الرشـاد فحـــادوا ودعوت فمـا افـاد الـدعـــاء
نلت رشداً برشدهـم وجهـــادا فأبى منهـم الرشـاد ابـــاء
واذا خـذل الالـهُ انـاســـــاً من محياهم يـزول الحيـــاء
فعبيـد الالـــه خـيـر عبيـــد قـد كفى منهم الامـام كفـــاء
حاربوا ضاربوا على الحق راعوا ذمـة الله لا عداهـم عـــــلاء
فاتخذْهم مواليـاً وجـنـــودا واصطفيهـم ، فانهـم اصفيـــاء
قد اصاب الأعادي منهم عـــذاب ودهى منهـم الدهـاة دهـــاء

(واذا سخر الاله اناساً لسعيد فانهم سعداء)
ياالاهَ الأنام خذ بيديه واعنْه فقد عناه العناء
فينام الأنام في ظل أمن ورداه للماردين رداء
وعليه السلام ما سار سار وشدتْ فوق ورقها الورقاء

ثم حدث على تفيئة ذلك فتنة اخرى بفاس بسبب نزاع جرى بين قاضيها الفقيه عباس بن احمد بن التاودي وبين مفتيها الفقيه محمد بن ابراهيم الدكالي في قضية الشريفين الشفشاوني والعراقي من اهل فاس ، وهي معلومة ، فأنهي الأمر الى السلطان ، فاخر الفقيه الدكالي عن الفتوى فغضب للمفتي جماعة من المدرسين وطلبة العلم وتعصبوا له وتحزبوا على القاضي ، فكتبوا رسماً يتضمن الشهادة بجوره وجهله ووضعوا خطوطهم وناطوا به قصيدةً تتضمن الشكوى به وشرح حاله للسلطان ، ووجهوا بهما اليه ، ونص القصيدة :

يأيها الملك الذي عدالته احيت مئاثرها الصديق او عمرا
يأيها الملك الذي مناقبه في غرة الدهر قد لاحتْ لنا قمرا
انت الذي وضع الأشياء موضعها وفي العلوم الذي احيا الذي اندثرا
انت الذي صيَّر الدينَ القويم كما اوصى به مَن سما الأملاك والبشرا
ولم يزل بك في عز وفي حرم يجني ذوو العلم من رياضه ثمرا
تذب عنه بأسيافٍ وءاونة بفكرة تحكم الأحكام والصورا
ومَن يرم هدمه تأخذه صاعقة من راحتيك فلا تُبقي له اثرا
وقد شكا الدين من هضم ومن كمد اصابه فهو يبكي الدمعَ منهمرا
سطت عليه يدُ القاضي الذي غمرت اقضيةُ الجور منه البدوَ والحضرا
اعفى مراسمه جوراً وابدله جهلا بما يذهب الألباب والفكرا
جاء الولايةَ وهو من شبيبته يرى القضا حرفة يقضي بها وطرا
فلم يكنْ همه فيه سوى قنص او نخوة تترك الضعيفَ منكسرا
اما حقوق الورى فانها عدم مجهولة جهلت منبوذة بعرا
فاستنقذت ملة المختار جدك من هذا الذي ما درى ورداً ولا صدرا
يأتي الحكومةَ عباساً ومنغضباً مما به من سقام يجلب الكدرا

فلا يرى ارسم الخصميـن من ملل — لكن يُحكم اوهامـا بها جـهـرا
ويستبدُ برايـه وحيث بـــدت — فتوى تبصره القى بها حـجـرا
ولا يمكن خصماً قد دعـــاه الى — تسجيله ما رأى في الحكم معتبرا
ملت قلوب الورى منه وليس لهم — الاك يامَن به الاسلام قـد نصـرا
ضجوا لعزتكم يشكون سيرتـه — بعبرة تترك الفـؤادَ منفطـــرا
فأدركنْ ياعمادَ الدين صارمـه — رعية ترتجي من حلمكم مطـــرا
فأنزلنْه لقـد طغـى بعزتـــه — ولم يخفْ في غد لظى ولا سقرا
واصرفْه عنهم كصرفه ضعيفهم — واعزلْه عزلا فان الأمر قد امـــرا
فانت غيثُهم ان أزمـة ازمـــت — وانت كهفُهم ان حادث ظهـــرا

ولما وصل الرسم والقصيدة الى السلطان رأى ذلك من التعصب الذي يحدث بين الأقران ، فرفضه لكمال اناته وعقله ، ولم يقبل شهادة عالم على مثله ، فلما رأوا ان السلطان لم يساعدهم هجموا على القاضي وهو بمجلس حكمه وارادوا قتله ، وسدد نحوه الشريفُ محمد الطاهر الكتاني كابوساً اخرجه فيه فأخطأه ، فانزعج القاضي ولزم بيته ، وقدموا مكانه الفقيه محمد بـن عبد الرحمـان الدلائي ، ثـم عزلـوه وولـوا مكانـه الفقيـه محمـد العربي بن احمد الزرهوني ، فكانت عاقبة امره لما افضي الأمر الى السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام رحمه الله نفاه الى الصويرة ، والله تعالى اعلم .

خروج اهل فاس على السلطان المولى سليمان وبيعتُهم للمولى ابراهيم بن يزيد والسببُ في ذلك

لما استمرَّ السلطان المولى سليمان رحمه الله مقيماً بمراكش والفتن بفاس وسائر بلاد الغرب قد تجاوزت مداها وعمَّ اذاها ، ورفعت الشكاية اليه من فاس وغيرها بما الناس فيه من الكرب العظيم والخطب الجسيم ، كتب رحمه الله بخط يده كتاباً الى اهل فاس يرشدهم الى ما فيه صلاحهم من حلف البربر والاعتماد عليهم في حراسة بلادهم وسائر مرافقهم كما كانوا معهم قديماً ايام الفترة في دولة السلطان المولى عبد الله الى ان يفرغَ من شـأن الحوز ويقدم عليهم ، هاكذا زعم صاحب البستان ، قال اكنسوس : كان مراد

السلطان بذلك الكتاب تهييج اهل فاس على التمسك بطاعته وترغيبهم في محبته ونصرته ، وقد فعل مثل ذلك بمراكش ، فانه جمع اعيانها واعيان الرحامنة عقب صلاة الجمعة ، وقال لهم قد رايتُم ما جرت به الأقدار من فساد قلوب الرعية وتمادي القبائل على الغي والفساد ، ومن يوم رجعنا من وقعة صيان ونحن نعالج امرَ الناس ، فلم يزدادوا الا فساداً ، وقد جرى على الملوك المتقدمين اكثر من هذا فلم ينقصهم ذلك عند رعيتهم ، بل قاموا معهم واعانوهم على اهل الفساد حتى اصلحوهم ، واني قد عجزتُ بشهادة الله ، لأني ما وجدت معيناً على الحق ، فكم مرة تحدثني نفسي ان اترك هذا الأمر واتجرد لعبادة ربي حتى اموت ، فقال مَن حضر من اعيان الرحامنة وغيرهم : يامولانا بارك الله لنا في عمرك وجعلنا فداءك ، ونحن امامك ووراءك ، فمرنا بما تشاء ، فقولك مطاع ، وامرك ممتثل ، وما راينا منك الا الخير ، فسُر السلطان بمقالتهم ودعا لهم بخير ، ولما فعل مع اهل مراكش هذا الأمر اراد ان يسلك مثله مع اهل فاس ، فوقع ما وقع .

ولما بعث السلطان بالكتاب المذكور الى ابنه المولى علي بفاس امره ان يقرأه على اهلها بمحضر الفقيه المفتي السيد محمد بن ابراهيم الدكالي والفقيه الشريف السيد محمد بن الطاهر الفيلالي والفقيه الكاتب السيد ابي القاسم الصياني والأمين السيد الحاج الطالب ابن جلون الفاسي ، فجمعهم المولى علي في المسجد الذي بباب داره بزقاق الحجر ، وقرأ عليهم الكتاب المذكور ، وكان المسجد غاصاً بالخاصة والعامة ، فازدحموا عليه ليروا الكتاب بأعينهم ، واكثروا عليه ، فضجر وقام ودخل داره واغلقها عليه ، فقال بعضُ الناس ان السلطان قد خلع نفسه ، وقال لكم قدموا مَن ترضونه ، وقال ءاخرون انه لم يخلع نفسه ، وجعل ءاخرون يقرعون بابَ المولى علي ويقولون اخرج الينا كتاب السلطان حتى نقراه ونعلم مافيه ، فقال لهم اني احرقته ، فازدادوا ريبةً وصدقوا بأن السلطان قد خلع نفسه ، واجتمع رؤساء اهل فاس ، منهم الحاج محمد بن عبد الرزيق والسيد محمد ابن سليمان وعلال العافية وقدور بن عامر الجامعي ، ولم يكن من اهل فاس وانما كان قاطناً بالطالعة ، وهؤلاء من اهل عدوة الأندلس ، وكذلك غيرهم من اهل عدوة

القرويين واللمطيين ، ثم جمعوا الطلبة الذين حضروا قراءة الكتاب والزموهم ان يكتب كل واحـد منهم ما سمع ، فكتب كل واحد ما ظهر له ، ثم حـازوا خطوطهم وخلصوا منها ما هو مرادهم ، وهو ان السلطان عجز وعزل نفسه وامر الناس ان ينظروا لأنفسهم ، هذا والحرب قائمة بين اهل فاس والوداية ، فكتب اهل فاس الى قواد البربر يستنصرونهم على الوداية ويستقدمونهم للنظر والخوض معهم فيمن يتولى أمر الناس ، فقدم الحسن بن حمو وعزيز المطيري كبير ءاية يدراسن في وجوه قومه ، وقدم الحاج محمد ابن الغازي كبير زمور وبني حكم في وجوه قومه ، فاجتمعوا بأهل فاس وتفاوضوا في امر البيعة ، فوقع اختيارهم على المولى ابراهيم بن يزيد ، وكان ذا همة وانقباض ، وصهر السلطان على ابنته ، وكان يسكن بدرب ابن زيان قـرب المدرسـة العنانية ، فكان لا يخرج الا من الجمعة الى الجمعة يصلي بالمدرسة ثم يعود الى داره ، فاختاروه لذلك من غير اختيار ولا تمحيص ، ثم قالوا ان السلطان لابد له من مال ورجال ، فتكفل ابن وعزيز بالرجال ، وقال عندنا من الخيل والرجال ما لن يغلب من قلة ، وتكفل الحاج الطالب ابن جلون بالمال ، واحال على جماعة من التجار وسماهم ، وذكر ان السلطان لما عزم على السفر الى مراكش ودع عندهم بواسطته مالا له بال ، ولما تم لهم ما ارادوا غدوا على المولى ابراهيم بن يزيد فأحضروه وشرطوا عليه شروطاً ، منها اخراج الوداية من فاس الجديد ، وكلما شرطوا عليه شرطاً حرك لهم راسه أي نعم ، ثم بايعوه صبيحة الرابع والعشرين من محرم سنة ست وثلاثين ومئتين والف ، ويقال انهم لما خاطبوه اولا امتنع فقالوا له ان لم نبايعك بايعنا رجلا من ءال المولى ادريس رضي الله عنه ، فخاف خروج الأمر من بيتهم واجاب ، والله اعلم ، وحضر هذه البيعة الشريف سيدي الحاج العربي بن علي الوزاني ، والشيخ سيدي محمد العربي الدرقاوي ، وكان ابن الغازي الزموري من اخص اتباعه ، وهو رئيس البربر في ذلك الوقت ، وعليه وعلى ابن وعزيز كانت تدور هذه الأمور ، وحضرها ايضاً ابو بكر مهاوش كبير ءاية ومالو ، ولما احكموا امرهم كتبـوا الى العبيد بمكناسة ليساعدوهم فامتنعوا ، الا ان مَن كـان يبغض السلطان منهم وعدهم سراً ، ثم كتبوا الى الوداية بمثل ماكتبوا به الى العبيد ،

فكانوا عنها أبعد ، فبعث اهل فاس الشيخ العربي الدرقاوي الى الوداية ليأتي الى السلطان ، فما سخط ولا رضي ، واستمر المولى ابراهيم والبربر مقيمين ببيعتهم ، وكان له فيهم اتباع ، فقبضوا عليه واودعوه السجن ، وكتبوا بذلك بفاس الى ان نفذ ما عند هم من المال الذي اظهره لهم الحاج الطالب ابن جلون ، فاتفق رايُهم على الخروج من فاس ، وكان من امرهم ما نذكره .

مسيرُ المولى ابراهيم بن يزيد الى تطاوين ووفاته بها

لما نفد ما كان عند المولى ابراهيم بن يزيد وشيعته من المال واستهلكوه في غير فائدة تفاوضوا فيما يصنعون ، فأجمع رايهم على ان يسيروا الى المراسي بقصد فتحها والاستيلاء على مالها ، فخرجوا بالمولى ابراهيم مستبدين عليه ضاربين على يده ، وانما المتصرفُ والآمر والناهي هو محمد ابن سليمان ، واما ابن عبد الرزيق وجماعة من اصحابه الذين اسَّسوا هذا الأمر فانهم هلكوا في حرب الوداية في عشية واحدة في وقعة ظهر المهراس وحزت رؤوسهم وبعث بها الى السلطان بمراكش ، ولما برزوا من فاس مروا بثاية يمور ونزلوا بالولجة الطويلة ، وراودوا مَن هنالك من عـرب بني حسن واهـل الغـرب ودخيسة واولاد نصير على الانخراط في سلكهم فأبوا عليهم ، وعزم القائد محمد بن يشو على ان يبيتهم بغارة شعواء تفرق جمعهم ، فدسَّ اليهم محمد بن قاسم السفياني اللوشي وكان منحرفـاً عن السلطان بما زعم عليه ابـن يشو ، واشار عليهم ان يعبروا النهر الى ناحيته ليحميهم ممن ارادهم ، فعبروا اليه وانضمَّ اليهم بمن معه ، وساروا الى قصر كتامة فنزلوا بالكدية الاسماعيلية ، ومنها كتبوا الى اهل الثغور والعرائش وطنجة وتطاوين يدعونهم الى بيعة سلطانهم والدخول في حزبهم ، فاما اهل العرائش وطنجة فأجابوا بالمنع ، وقيل ان اهل العرائش بايعوا ووفد عليه بعضهم ، ولعل ذلك كان في ثاني حال ، واما اهل تطاوين فامتثلوا ، وكان قاضي طنجة احمد الفلوس قد عزم على بيعة المولى ابراهيم فنذر به عاملها العربي السعيدي فنفاه وقدم للقضاء مكانه الفقيه الأديب خالد الطنجي ، ولما ورد على المولى ابراهيم وحزبه جواب اهل تطاوين بالقَبول ساروا اليها فدخلوها واستولوا على مال المرسى وعلى

مخازن السلطان وما فيها من سلاح وكتان وملف وغير ذلك ، فتوزعتْه البربر ، ثم انتهبوا ملاح اليهود واكتسحوه فعثروا فيه على اموال طائلة ، يقال انهم وجدوا به عدداً من صناديق الضبلون والبندق ، فكان ابن الغازي الزموري وغيره من رؤســاء ذلك الجمع لا يعطون اصحابهم الا البندق ، فكثر جمعهم لذلك ، ولما مضت لهم من قدومهم تطاوين سبعة اربعون يوماً توفي المولى ابراهيم رحمه الله ، وكان قد دخلها مريضاً يقاد به في المحفة ، فأخفوا موته ودفنوه بداره ، وكان من امرهم ما نذكره .

بيعة المولى السعيد بتطاوين ورجوعه الى فاس

لما توفى المولى ابراهيم بن يزيد اخفى رؤساء دولته موته ليلتين او ثلاثاً ، ثم دعوا اهل تطاوين الى بيعة اخيه المولى السعيد بن يزيد ، فافترقت كلمتُهم ، فمنهم من ابى ومنهم من اجاب ، فأحضر ابن سليمان وابن الغازي واشياعُهما مَن ابى من اهل تطاوين والزموهم البيعة فالتزموها وكتبوها واحكموا عقدها ، وكان المتولى يومئذ بتطاوين الحاج عبد الرحمن بن علي اشعاش فأخرجوه وولوا مكانه محمد العربي بن يوسف المسلماني ، وكان داهية شهماً ، وبينما هم في ذلك ورد عليهم الخبر بمجيء السلطان من مراكش ، وانه قد وصل الى قصر كتامة ، ففت ذلك في عضدهم ، وخرجوا مبادرين الى فاس على طريق الجبل ، وكان من امرهم ما نذكره .

مجيء السلطان المولى سليمان الى القصر ثم مسيره الى فاس وحصــاره ايــاهــا

كان السلطان المولى سليمان رحمه الله في هذه المدة مقيماً بمراكش ، وكان العبيد قد ندموا على ما فرط منهم برباط الفتح من التخلف عن السلطان ونهب اثاثه حسبما مر ، فجعلوا يتسللون اليه من مكناسة مثنى وفرادى حتى اجتمع عنده جلهم ، لاسيما مَن كان منهم معروفاً بعينه مثل القواد وارباب الوظائف ، ولما بلغه ماكان من بيعة المولى ابراهيم بن يزيد تربص قليلا حتى

اذا بلغه خروجه الى المراسي قلق وخرج من مراكش في جيش العبيد وبعض قبائل الحوز يبادره اليها ، ولما وصل الى رباط الفتح عبر الى سلا ونزل برأس الماء ، ولما حضرت الجمعة دخل المدينة فصلى بالجامع الأعظم منها ، ودخل دار الحاج محمد بن عبد الله معنينو من اعيان اهل سلا ، واستصحب معه الفقيه الموقت احمد بن المكي الزواوي من اهل سلا ايضاً بقصد القيام بوظيفة التوقيت ، ولما وصل السلطان الى قصر كتامة اتاه الخبر بدخول المولى ابراهيم الى تطاوين ، فأقام هنالك ، وكتب الى الوداية والى مَن بقي بمكناسة يحضهم على التمسك بالطاعة ، وكتب الى ولده المولى الطيب بفاس الجديد يأمره ان يبعث اليه بالفقيه الأديب محمد كنسوس ، وهو صاحب كتاب الجيش ، قال كنسوس : فقدمنا على السلطان بريصانة على مرحلتين من القصر قاصداً تطاوين ومحاصرة المولى ابراهيم بن يزيد بها ، قال فورد عليه كتاب من عند القائد العربي السعيدي صاحب طنجة بوفاة المولى ابراهيم وبيعة اخيه المولى السعيد ، وانهم قد عادوا به الى فاس ، ولما تحقق بذلك رجع على طريق القصر يؤم فاساً ويسابق السعيد اليها ، فوافياها في يوم واحد ، فنزل السعيد بجموعه بقنطرة سبو ، ودخل السلطان دار الامارة بفاس الجديد مع الوداية ، ولما كان فجر الغد من تلك الليلة اغارت خيل الوداية على محلة المولى السعيد بالقنطرة فانتسفوها بما فيها ، وقتلوا من البربر واهل فاس وغيرهم خلقاً كثيراً ، واحتووا على اموال طائلة مما كانت البربر قد نهبته من ملاح تطاوين ، وافلت المولى السعيد وبطانته بجريعة الذقن ، ودخلوا فاساً فأغلقوها عليهم ، وثابت اليهم نفوسهم .

وفي هذه الأيام قتل المعلم الأكبر احمد عنيقد التطواني ، وكان عجيباً في صناعة الرمي بالمهراس ، وكان المولى السعيد قد اتى به من تطاوين ليحاصر به على فاس الجديد ، فدسَّ اليه السلطان مَن قتله ، ناداه رجل وهو في محلة اصحابه ليلا يافلان اجب مولانا السلطان ، فظنَّ انه دعي الى المولى السعيد ، فقال هاانا ذا وبرز من خبائه ، فرماه المنادي برصاصة كان فيها حتفه ، ثم عزم السلطان على محاصرة اهل فاس حتى يفيئوا الى امر الله ، ولكن اكتفى من الحصار بمنعهم من الدخول والخروج ، وكان الوداية قد الحُّوا عليه

في ان يرميهم بالبنب فأبى رحمه الله ، وقال لو كانت البنبة التي نرميها تذهب حتى تقع بدار ابن سليمان او بدار الطيب البياز او غيرهما من رؤوس الفتنة لفعلنا ، ولكن انما تقع في دار ارملة او يتيم او ضعيف حبسه العجز معهم ، ثم ان اهل فاس بدأوا بالرمي ، وكان معهم سعيد العلج عارفاً بالرمي ، فجعلوا يقصدون دار السلطان ، فوقعت بنبة بالموضع الذي كان يجلس فيه للقراءة ، ووقعت اخرى بالمدرسة التي بباب داره وكان بها جماعة من طبجية سلا ورباط الفتح ، فقتلت منهم اربعة انفار ، منهم الباشا محمد بن محمد بن حسين فنيش السلوي ، فعند ذلك حنق السلطان وامر ان يوتى بالمهاريس الكبار من طنجة من فرمة ثمانين الى فرمة مئة ، فجيء بها ونصبها عليهم ، فكان القتال لا يفتر ليلا ونهاراً ، والكور والبنبُ تختلف بين اهل البلدين في كل وقت ، واستمرَّ الحالُ على ذلك قريباً من سبعة اشهر ، ولا يدخل احد الى فاس ولا يخرج منها الا على خطر ، وفي اثناء هذه المدة نهض السلطان الى طنجة للنظر في امر تطاوين الخارجة عليه بعد ان تقدم الى الوداية في الحصار والتضييق على فاس الى ان يعود اليهم ، ولما استقرَّ بطنجة بعث الى اهل تطاوين وراودهم على الرجوع الى الطاعة فأبوا ولجوا في عصيانهم ، فبعث اليهم جيشاً كثيفاً مع القائد حمان الصريدى البخاري ، فنزل بواد ابي صفيحة وحاصرهم مدة ، فكانت الحرب بينهم سجالا مرة لـه ومرة عليه ، وهلكت نفوس من اعيان تطاوين وغيرهم .

مجيءُ المولى عبد الرحمان بن هشام من الصويرة الى الغرب واستخلافُه بفاس وما تخلل ذلك

كان المولى عبد الرحمان ابن هشام في ابتداء امره بتافيلالت ، ولما توسم فيه عمه المولى سليمان مخايلَ الخير والنجابة استقدمه منها وولاه على الصويرة واعمالها فكفاه امرها ، وقام بشأنها ، ثم لما كان المولى سليمان بطنجة في هذه المرة واستعصى عليه امر فاس وتطاوين وانصرم فصل الشتاء واقبل فصل الربيع كتب الى ابن اخيه المولى عبد الرحمان المذكور يأمره بالقدوم عليه في قبائل الحوز ويلقاه بهم برباط الفتح ، وكان غرض السلطان

ان يزحف بهم الى فاس ، الا ان السياسة اقتضت ان يكـون الأمر هكذا ، فجمع المولى عبد الرحمان قبائل الحوز وقواده وقدم بهم الى رباط الفتح ، ولما لم يجدوا السلطان به تثاقلوا عن العبور مع المولى عبد الرحمان الى بلاد المغرب ، لأن السلطان انما وعدهم ان يلقوه برباط الفتح ، فكتب المولى عبد الرحمان الى عمه يعلمه بصورة الحال ، وكان السلطان رحمه الله قد استوزر في هذه المدة الفقيه محمد كنسوس ، فبعثه الى المولى عبد الرحمان واصحبه مالا يفرقه على جيشه لينشطوا للقدوم ، وكان قدر المال خمسين اوقية لكل فارس ، وامره اذا قدم ارض سلا ان ينزل عند عاملها محمد بن أبي عزة المعروف بأبي جميعة ، وبعث للمولى عبد الرحمان يعبر اليه في وجوه الجيش لقبض الصلة ولا يذكر لهم سفرا ، فاذا قبضوها فليقرأ عليهم كتابه ، وكان مضمنه انه يأمرهم بالقدوم عليه لقبض الكسوة التي اتى بها من طنجة ، وحينئذ يذهب معهم السلطان الى الحوز ، ففعل الوزير ذلك كله ، وتقدم المولى عبد الرحمان في جيشه الى قصر كتامة .

قال الوزير المذكور : فلما جئنا القصر وجدنا السلطان ما زال مقيماً بطنجة ، فتقدمت اليه واعلمته بوصول المولى عبد الرحمان وجيشه الى القصر ، فخرج السلطان من طنجة وجعل طريقه على اصيلة ، ولما بات بسوق الأحد بالغربية بعث اليه المولى المجذوب سيدي محمد ابن مرزوق يدعوه للقدوم عليه والبيات عنده ، فأجاب دعوته ، ودخل عليه وتبرك به ، ومن هناك كتب الى ابن اخيه المولى عبد الرحمان ان يتقدم بالجيش الى العرائش ويلقاه به هنالك ، ففعل المولى عبد الرحمان ، وهناك اجتمع بعمه السلطان المولى سليمان ، فسر بمقدمه ودعا له بخير واثنى عليه بمحضر اولئك الملأ من الناس ، ثم دعا السلطان قواد الحوز ، فيهم القائد عبد الملك ابن بيهي ، والقائد علي بن محمد الشيظمي ، والسيد محمد ابن الغنيمي نائباً عن الحاج حمان العبدي وكان في ركابه ابنه فضول بن حمان صغيراً ، والقائد بلعباس ابن المزوار الدكالي البوزراري ، والحاج العربي ابن رقية البوزراري ، والقائد محمد ابن حيدة البوعزيزي ، والقائد المعطي الحمري والقائد الصديق ابن الفقيه العمراني ، ولم يكن فيهم من الرحامنة الا الحاج

المعطي بن محمد الحاج . ولم يكن فيهم من السراغنة ولا من الشاوية احد ، ولما اجتمعوا خرج عليهم السلطان وجلس على طنفسة ، ثم دعا بالقائد عبد الملك ابن بيهي فأجلسه الى جنبه ودعا له بخير ، ثم قال انكم تعبتم في سبيل الله ، ونحن اتعب منكم ، ونسأل الله ان لا يضيع اجرنا واجركم ، واعلموا انكم في طاعة الله وطاعة رسوله ، ولكم المزية التامة ، وقد وجب علينا الاحسان اليكم ، وقد ظهر لي انكم حين وصلتم الى هذا المحل لا ينبغي لكم ان ترجعوا بدون زيارة مولانا ادريس ، وكنت اردت ان اوجهكم الى بلادكم من هنا ، ولكن انا لا يمكنني ان ارجع الا بعد ان يحكم الله بيني وبين هؤلاء الخارجين عن الحق ، وانتم لا يجمل بكم ان ترجعوا بغير سلطان ، فاصبروا قليلا وتمموا اعمالكم حتى تذهبوا ان شاء الله بسلطانكم فرحين مستبشرين ، فقالوا كلهم سمعاً وطاعة لا نفارقك حتى نرجعَ بك ولو مكثنا عشر سنين ، وعلى اثر هذا عقد السلطان لقائد خيل البخاري الحاج ابراهيم بن رزوق على مئتين من الخيل مفروضة من الحوزية والعبيد وامره ان يسير الى تطاوين ويقيم بمرتيل ، ويمنع اهلها من الوصول الى المرسى ففعل ، وارتحل السلطان من العرائش يريد فاساً في قبائل الحوز ، فمرَّ ببلاد سفيان ، ونزل بسوق الأربعاء منها قرب ضريح سيدي عيسى بن الحسن المصباحي ، فأصابه مرض هنالك ، وورد عليه الخبر بأن ابراهيم بن رزوق قد كاده صاحب تطاوين العربي بن يوسف حتى قبض عليه وعلى اصحابه وسلبهم وسجنهم ، فآلم هذا الخبر السلطان وزاده الى ما به من المرض ، ثم ابلَّ منه بعد ايام ، فنهض الى فاس وعرج على طريق تازة ، ولما فات سوق المخيس بالكور من بلاد الحياينة اغارت عليه غياثة ومن شايعهم من اهل تلك النواحي ، وكانوا قد دخلوا في بيعة ابنيْ يزيد ، فداروا بالمحلة ونضحوها بالرصاص ، فقام السلطان وجعل يسكن الناس بنفسه ونهاهم عن الركوب والاضطراب ، فحفظ الله المحلة في تلك الليلة ولم يصب احد من الناس ولا من الدواب ، واصبحت قتلى العدو مصرعة حول المحلة ، ثم دخل السلطان مدينة تازة ، فوفد عليه بها اهلُ الريف وعربُ انجاد والصحراء ، وجعلوا يزدحمون عليه ليروا وجهه ويقولون انه والله السلطان ، لأن اهل فاس كانوا يشيعون موته ويكتبون بذلك الى

القبائل ، ثم تقدم السلطان الى فاس فنزل بقنطرة وادي سبو ، وذلك اواخر رجب سنة سبع وثلاثين ومئتين والف ، وكان اهل فاس قد سئموا الحرب وعضهم الحصار وملوا دولة ابنيْ يزيد ، فاختلفت كلمتُهم عندما قدم السلطان ، وهاجت الحرب داخل البلد بين شيعة السلطان وشيعة السعيد ، فكثرهم شيعة السلطان ، وفتحوا الباب وخرجوا اليه بالاشراف والصبيان والمصاحف وتهافتوا على فسطاطه تائبين خاضعين ، وجـاء السعيد في جـوار المولى عبد الرحمان بن هشام ومعه الأمين الحاج الطالب ابن جلون ، فكان جواب السلطان لهم ان قال : (لا تثريبَ عليكم ، اليومَ يغفرُ الله لكم ، وهو ارحم الراحمين) ، وكان رحمه الله قد رأى وهو سائر الى فاس رؤيا ، وهي انه دخل فاساً وزار تربة المولى ادريس رضي الله عنه وقلده سيفاً وصعد المنار فأذن ، فكان من عجيب صنع الله ان فتح عليه فاساً ودخلها وزار المولى ادريس واذن بمناره على الهيأة التي رأى ، وجاء رجل من اولاد البقال فقلده سيفاً تصديقاً للرؤيا ، ولما دخل ضريح المولى ادريس وجد الشريف البركة سيدي الحاج العربي بن علي الوزاني هنالك ، فعاتبه السلطان عتاباً خفيفاً ، وزال ما بصدره عليه وانقطعت اسبابُ الفتن والحمد لله .

واعلم ان ماصدر من اهل فاس ومن وافقهم على هذه البيعة لا لومَ عليهم فيه ، وماكان من حق السلطان رحمه الله ان يبعث اليهم بذلك الكتاب الذي اوقعهم في حيص بيص وكان سبباً لهذا الفتْن ، وقول كنسوس ان السلطان اراد تهييجَهم على التمسك بطاعته كما فعل مع اهل مراكش ليس بشيء ، او ما علم السلطانُ رحمه الله ان كلامَ الكبراء خصوصاً الملوك مما تتوفر الدواعي على نقله ؟ وان العامة اذا نقلته وضعتْه غالباً في غير محله ؟ وفي الصحيح ان عمر رضي الله عنه بلغه وهو بمنى ان رجلا قال والله لو قد مات عمر لبايعْنا فلاناً يريد رجلا من غير قريش ، فقال عمر رضي الله عنه لأقومَنَّ العشية فأحذر هؤلاء الرهط الذين يريدون ان يغصبوهم ، فقال عبد الرحمان بن عوف رضي الله عنه لا تفعل ياأمير المومنين ، فان الموسم يجمع رعاعَ الناس يغلبون على مجلسك ، فأخاف ان يسمع منك كلمة فلا ينزلوها على وجهها ويطيروا بها عنك كل مطير ، فامهل حتى تقدم المدينة دار الهجرة ودار السنة ، فتتخلص

بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار ، فيحفظوا مقالتك وينزلوها على وجهها ، فقال عمر والله لأقومَن به في اول مقام اقومه بالمدينة ، الحديث ، فانظر كيف منع عبدُ الرحمن عمرَ رضي الله عنه من الكلام بالموسم وبمحضر العامة خوفاً من وقوع الفتنة ، وانقاد له عمر حيث علم ان ذلك هو الصواب ، وكان وقافاً عند الحق ، هذا والناس ناس ، والزمان زمان ، وفي خير القرون ، فكيف في زمان قلَّ علمه وكثر جهله ، وغاض خيره وفاض شره ، وامر السلطان متداع مختل ، والفتنة قائمة على ساق كما رايت ، فلهذا قلنا ماكان من حق السلطان ان يبعث بذلك الكتاب الموجه بمقصدين ، المحتمل احتمالين ، ولكن قضاء الله غالب .

ولما افتتح السلطان رحمه الله فاساً وصفا له امرها عزم على النهوض الى تطاوين ، فاستخلف على فاس واعمالها ابن اخيه الفارس الأنجد ، السري الأسعد ، المولى عبد الرحمان بن هشام ، لعدالته وكفايته وحسن سياسته ، واخذ معه المولى السعيد بن يزيد ، وخرج في جيش الوداية والعبيد وقبائل الحوز اوائل شعبان سنة سبع وثلاثين ومئتين والف ، فجعل طريقه على بلاد سفيان ، ولما وصل الى الموضع المعروف بالحجر الواقف بين نهريْ سبو وورغة قدم عليه هنالك القائد محمد بن العامري اليحياوي في قومه بني حسن والقائد محمد المعتوجي السفياني وقاسم بن الخضر في قومهما سفيان وبني مالك ، وقدم عليه هنالك اولاد الشيخ سيدي العربي الدرقاوي صبية صغاراً يشفعون في ابيهم ليسرحه لهم ، فوصلهم وكساهم وقال لهم والله ما سجنته ولا أمرت بسجنه ، ولكن اتركوه فسيسرحه الله الذي سجنه ، فكان الأمر كذلك ، فانه بقي في السجن حتى توفي السلطان المولى سليمان وبويع المولى عبد الرحمان بن هشام ، فافتتح عمله بتسريحه .

ولما نزل السلطان رحمه الله بمشرع مسيعيدة من نهر سبو وفد عليه اهل تطاوين تائبين ، ومعهم قائدهم العربي بن يوسف المسلماني ، وكان الناس يظنون انه ينكل به وبمَن قام معه في الفتنة ، فلم يقلْ لهم الا خيراً ، حتى لقد قال له ابن يوسف يامولانا ان أهل تطاوين لم يفعلوا شيئاً ، واني

انا الذي فعلت ، يريد ان يبرئهم ويفديهم بنفسه ، فقال له السلطان رحمه الله : ماعندك ماتفعل انت ولا هم ، انما الفاعل هو الله تعالى ، وصفح عنهم واحسن اليهم ، ولما صفا امر تطاوين ولم يبق ببلاد الغرب منازع انقلب السلطان راجعاً الى الحوز ، وجدّ السير الى مراكش ، فدخلها في رمضان من السنة المذكورة (65)

وفاةُ امير المومنين المولى سليمان بن محمد رحمه الله

كان امير المومنين المولى سليمان رحمه الله في هذه السنة قد سئم الحياة وملّ العيش واراد ان يترك امر الناس لابن اخيه المولى عبد الرحمان بن هشام ويتخلى هو لعبادة ربه الى ان يأتيه اليقين ، قال ذلك غير مرة وتعددت فيه رسائله ومكاتبيه ، فمما كتبه في ذلك هذه الوصية التي يقول فيها :

وصية المولى سليمان بن محمد رحمه الله

الحمد لله

لما رايت ما وقع من الالحاد في الدين ، واستيلاء الفسقة والجهلة على امر المسلمين ، وقد قال عمر ان تابعناهم تبعناهم على ما لا نرضى ، والا وقع الخلاف ، واولئك عدول وهؤلاء كلهم فساق ، وقال عمر فبايعنا ابا بكر فكان والله خير ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حق ابي بكر يأبى الله ويدفع المسلمون ، ورشحه بتقديمه للصلاة اذ هي عماد الدين ، وقال ابو بكر للمسلمين بايعوا عمر واخذ له البيعة في حياته ، فلزمت وصحت بعد موته ، وقال عمر هؤلاء الستة افضل المسلمين ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم العبد صهيب ، وقال ابو عبيدة امين هذه الأمة ، وقال ما اظلت الخضراء ولا اقلت الغبراء أصدق لهجة من ابي ذر ، وقال في ابي بكر وعمر اكثر من هاذا ، فصار المدحُ للتعريف واجباً ، ولا ظهار حال الرجل لينتفع به ، فأقول جعله

65) بعد هذه الفقرة اغفل الناسخ فصلا من **الاستقصا** عنوانه وقعة زاوية الشرادي وما جرى فيها على السلطان المولى سليمان رحمه الله ، فليراجع في **الاستقصا** 8 : 160 .

الله خالصاً لوجهه الكريم : ما اظن في اولاد مولانا الجد عبد الله ولا في اولاد سيدي محمد والدي رحمه الله ولا اولاد اولاده افضل من مولاي عبد الرحمان ابن هشام ، ولا اصلح لهذا الأمر منه ، لأنه ان شاء الله حفظه الله لا يشرب الخمر ولا يزني ولا يكذب ولا يخون ، ولا يقدم على الدماء والأموال بلا موجب ولو ملك ملك المشرقين ، لأنها عبادة صهيبية ، ويصوم الفرض والنفل ، وانما اتيت به من الصويرة ليراه الناس ويعرفوه ، واخرجتُه من تافيلالت لأظهره لهم ، لأن الدين النصيحة ، فان تبعه اهل الحق صلح امرهم كما صلح سيدي محمد جده وابوه حي ، ولا يحتاجون الي ابداً ، ويغبطه اهل المغرب ويتبعونه ان شاء الله ، وكل من اتبعه اتبع الهدى والنور ، ومن اتبع غيره اتبع الفتنة والضلال ، واحذر الناس اولاد يزيد كما حذر والدي ، وقد رأى مَن اتبعه او اتبع اولاده كيف خاض الظلمة ونالته دعوة والده وخرج على الأمة ، واما انا فقد خفّت قواي ووهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً حفظني الله في اولادي والمسلمين ءامين . انتهى .

وفي اثناء هذه المدة وقعت غدرة ذوي بلال في انتهابهم الصاكة الواردة من مرسى الصويرة ، وكان انتهابهم اياها باتفاق من الشياظمة الذين جاءوا معها وقائدهم علي بن محمد الشيظمي هو الذي انتهب اكثرها ، وكان فيها من الذخائر النفيسة والأموال الثقيلة شيء كثير ، وهذه الوقعة هي التي هدت اركان السلطان المولى سليمان رحمه الله ، فاعتراه مرضُه الذي كان سبب وفاته .

عهد السلطان المولى سليمان لابن اخيه المولى عبد الرحمان بن هشام

ولما اثقله المرض اعاد العهد للمولى عبد الرحمان بن هشام ، وبعث به الى فاس اذ كان خليفة بها كما مر ، فدعا رحمه الله بصحيفة بيضاء ، ودعا بالطابع الكبير فجيء به ولم يحضره الا اهله من النساء ، فطبع الصحيفة بيده وكتب بعض الكتاب واكملتْه بعض حظاياه ممن كانت تحسن الكتابة ، ثم طواه وختم عليه ، ودعا القائد الجيلاني الرحماني الحديوي وكان قائد المشور ،

وقال له ادع لي فارسيْن يذهبان بهذا الكتاب الى فاس ، وقد عينتُ لهما سخرة كبيرة يقبضانها هناك اذا اسرعا السير ، فكان ذلك الكتاب هو العهد الذي قرئ بفاس ونصه :

الحمد لله وحده   وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وصحبه وسلم

اخوالنا الوداية ورماة فاس واعيانها ورؤساءها

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وعلى ابن عمنا الفقيه القاضي مولاي احمد والفقيهيْن ابن ابراهيم والأزمي .

وبعد فقد وجدت من نفسي ما ليس بتارك احداً في الدنيا ، وهذه وصية اقدمها بين يدي اجلي ، والله مابقى في قلبي مثقال ذرة على احد من خلق الله ، لأن ذلك امر قدره الله وسبق علمه به ، ولست فيه بأوحد ، وما وقع لمن قبلي اشنع وافظع ، واني قد عقدت بين اخوالي واهل فاس اخوة بحول الله لا تنفصم ، يرثها الأبناء عن الآباء ، واوصي الجميع بما أوصى الله به الأولين : (ولقد وصيْنا الذين اوتوا الكتابَ من قبلكم واياكم أن اتقوا الله) ، (وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا ، واتقوا الله) ، وبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم (عليكم بسنتي ، وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي ، عضوا عليها بالنواجد) ، (ولن تزال هذه الأمة بخير ما أخذوا بكتاب الله) ، وقد عهدت لابن أخي مولاي عبد الرحمان بن هشام ، ورجوت الله أن يكون لي في هذا الأمر مثل ما لسليمان بن عبد الملك في عهده لعمر بن عبد العزيز ، (انا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وءاثارهم) ، (مَن سنَّ سنّةً حسنة فله أجرها وأجر مَن عمل بها الى يوم القيامة) ، وقد انعقد الاجماعُ على عقد البيعة بالعهد ، والقاضي والفقيهان سيبينون لكم هذا ، (فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول) ، واني أشهد الله أني مقر بالسمع والطاعة لعبد الله عبد الرحمان بن هشام ، وببيعته القاه ، وقد أديت لأمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما علي من النصيحة ، وأرجو الله أن يثيبني بهذه النية الصحيحة ، وهو المطلع على ما في الضمائر ، والعالم بالسرائر ، والسلام .

وفي رابع ربيع النبوي عام ثمانية وثلاثين ومئتين وألف .

ثم تمادى بالسلطان رحمه الله مرضُه الى أن توفي في ثالث عشر ربيع الأول (66) وهو الثاني من عيد المولد الكريم من السنة المذكورة ، ومات رحمه الله وهو ثابت الذهن صحيح التمييز على غاية من اليقين والفرح بلقاء ربه ، ودفن بضريح جده المولى علي الشريف من باب ايلان بمراكش .

وقد رثاه جماعة من أدباء العصر ، من ذلك قول الفقيه الأديب الكاتب البليغ محمد بن ادريس الفاسي :

نبَأٌ عرا اوهى عرى الايمان ... وابان حسنَ الصبر عن امكان
شُقت لموقعه القلوب وزلزلت ... ارضُ النفوس ورجَّ كل مكان
فقد الامام ابي الربيع المرتضى ... جزعت لعظم مصابه الثقلان
وبكتْ عيونُ الدين ماءَ جفونها ... وجداً عليه وكل ذي ايمان
لما نعى الناعون خير خليفة ... وعرا الفؤادَ طوارقُ الأحزان
مزقت ثوب تجلدي من فقده ... ونثرت درَّ الدمع من اجفاني
عجباً لموت غاله اذ لم يخف ... فتك الملوك وسطوة السلطان
وسما لمنصبه المنيف ولم يهب ... غضب الجنود وغيرة الأعوان
لو كان ينفع خاض فرسان الوغا ... حرصاً عليه مواقد النيران
وحموه بالنفس النفيسة انما ... يحمون روحَ العدل والاحسان
لكن قضاء الله حُمَّ فلا يرى ... للمرء في دفع القضاء يدان
والموت مورد كل حي كائن ... وسوى المهيمن في الحقيقة فان
ان غاب عنا شخصه فلقد ثوى ... فينا الثناء له بكل لسان
ومناقب ومفاخر ومئاثر ... شاعتْ له في سائر الأوطان
ومعارفٌ وعوارفٌ ورسائل ... ومسائل قد اوضحت ومعاني
وبدور اولاد وءال قد قفوا ... ءاثاره في العلم والعرفان
تخذوا الديانة والصيانة شرعة ... وتقلدوا بصوارم الايقان

66) يوافق يوم 28 نونبر سنة 1822 بالتاريخ الميلادي .

اخلاقهم ووجوههم واكفهم … كالزهر والأزهار والأمزان
ن حاربوا ابدوا شجاعة جدهم … او خاطبوا أزروا على سحبان
من كل مَن جعل القرانَ سميره … وسما بوصف العلم والتبيان
كم ءاية ظهرت له وكرامة … دامت دلائلها مدى الأزمان
قد كان اوحدَ دهره ولداته … في العدل والتمكين والاحسان
قد كان عالمَ عصره وفريده … في الفهم والتحقيق والاتقان
قد كان فرداً في البلاغة ان جرت … اقلامه بهرت بسحر بيان
مَن للعلى من بعده ؟ من للنهي ؟ … من للتقى وتلاوة القرءان ؟
يارمسه ما ذا حويت من العلا … وطويتَ من علم ومن عرفان
يارمس كم واريت من كرم ومن … جود ومن فضل ومن احسان
يارمس كم حجبت عنا شمسه … وضياؤها في سائر البلدان
ووسعت بحر علومه وسخائه … فطمى بضيِّق بطنك البحران
فلو استطعت جعلت قلبي قبره … حبا واحشائي من الأكفان
ولو ان عمري في يدي لوهبته … وفديته بالأهل والاخوان
لكن يخفف بعضَ اثقال الأسى … علمي به في جنة الرضوان
فسقى ثراه من المواهب ديمة … وهمت عليه سحائبُ الغفران

* * *

ورد الرسول بموت خير خليفة … وولاية العهد الرفيع الشان
فجزعت من حزن لما قد نابني … وطربت من فرح بما اولاني
ما مات مَن ترك الخليفة بعده … مثل المؤيد عابد الرحمان
ملك تسربل بالتقى حتى ارتقى … من نهجه الأتقى على كيوان
ياواحداً في الفضل غير مشارك … اقسمت ما لك في البرية ثان
لله بيعتك التي قد اشبهت … فيما تواتر بيعةَ الرضوان
قد احكمتْها يدُ الشريعة والتقى … بعرى النصوص وواضح البرهان
سعد الذي اضحى بها متمسكاً … وهوى العنيد بهوة الخسران

وجرى على التيسير امرك فاستوى ملك الورى لك في اقل زمان
واتت لنصرتك المغاربُ كلها فبعيدها لك في الحقيقة داني
عقدوا على النصح القلوب وانما عقدوا بنصرك راية الايمان
لو شئت من اهل المشارق طاعة لأتوك من يمن ومن بغدان
هابتك اصنافُ الطغاة برغمهم لما وثقت بنصرة الرحمان
وبسطت عدلك في الورى فكأنما قد عاش في ايامك العمران
يااهل بيت المصطفى اوصافكم جلت عن الاحصاء والحسبان
طاب المديحُ مع الرثاء بذكركم فنظمته كقلائد العقيان

بقيةُ اخبار السلطان المولى سليمان رحمه الله ومآثره وسيرته

لما بويع امير المومنين المولى سليمان رحمه الله ردَّ الفروع الى اصلها ، واجرى الخلافة على قوانينها باقامته العدل والرفق بالرعية والضعفاء والمساكين ، ومن وفور عقله وعدله اسقاطُ المكوس التي كانت موظفة على حواضر المغرب في الأبواب والأسواق ، وعلى السلع والغلل وعلى الجلد وعشبة الدخان ، فقد كان يقبض في ذلك في ايام والده رحمه الله خمسمئة الف مثقال معلومة مثبتة في الدفاتر مبيعة في ذمم عمال البلدان وقواد القبائل ، كل مدينة وما عليها ، ومن ذلك المكس كان صائر العسكر في الكسوة والسروج والسلاح والعدة والاقامة والخياطة والتنافيذ لوفود القبائل والعفاة والمؤونة للعسكر ولدور السلطان وسائر تعلقاته ، فكان ذلك المكس كافياً لصوائر الدولة كلها ، ولا يدخل بيت المال الا مال المراسي واعشار القبائل وزكواتهم ، وكان مستفاد هذا المكس يعادل مالَ المراسي واعشار القبائل ، فزهد فيه هذا السلطانُ العادل ، فعوضه الله اكثر منه من الحلال المحض الذي هو الزكوات والأعشار من القبائل ، وزكوات اموال التجار ، والعشر المأخوذ من تجار النصارى واهل الذمة بالمراسي ، واما المسلمون فقد منعهم من التجارة بأرض العدو ليلا يؤدي ذلك الى تعشير ما بأيديهم او المشاجرة مع الأجناس ، هكذا بلغنا والله اعلم .

وكانت القبائل في دولته قد تمولت ونمت مواشيها وكثرت الخيرات لديها من عدله وحسن سيرته ، فصارت القبيلة التي كانت تعطي عشرة ءالاف مثقال مصارفة ايام والده يستخرج منها على النصاب الشرعي عشرون وثلاثون الف مثقال ، وذلك من توفيق الله له وتمسكه بالعدل والحلم والجود والحياء وجميل الصبر وحسن السياسة والتأني في الأمور ، واجتنابه لما هو بضد ذلك .

فاما الحلم فهو دأبُه وطبعُه ، وقد اتفق اهل عصره على انه كان احلم الناس في زمانه ، واملك لنفسه عند الغضب من ان يقع في الخطأ ، ومذهبه درء الحدود بالشبهات ، والتماس التأويل ، وقبول العذر ، حتى لقد حُكي عنه انه ما اعتمد البطشَ بأحد وتصدى لنكبته لغرض نفساني او لحظ دنيوي ، وحسبك من حلمه ما قابل به الخارجين عليه .

قال صاحب الجيش : لما عزمت على الخروج من فاس ايام الفتنة لملاقاة السلطان المولى سليمان بقصر كتامة ، جئت الى القاضي عباس بن احمد التاودي لأودعه ، فكان من جملة ما اوصاني به قال : قل لمولانا السلطان يقول لك عباس انا نخاف اذا ظفرت بهؤلاء الظلمة ان تصفح عنهم ، فلما اجتمعت بالسلطان ابلغته مقالة القاضي ، فقال كيف اصفح عنهم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي عزيز لا اتركك تمسح سبَلَتك بمكة وتقول خدعت محمدا مرتين ، فلما فتح الله عليه فاساً كان جوابه ان قال لا تثريبَ عليكم ، اليوم يغفر الله لكم ، وهو ارحم الراحمين ، بل تعجل بالخروج منها مخافةَ ان يغريه بعض بطانته بأحد منهم ، فلعمري لقد صدق مَن قال ان التخلق يأتي دونه الخُلــق .

واما الدين والتقوى فذلك شعاره الذي يمتاز به ، ومذهبه الذي يدين الله به ، من اداء الفريضة لوقتها المختار حضراً وسفراً ، وقيام رمضان واحياء لياليه بالأشفاع ، ينتقي لذلك الأساتيذ ومشايخ القراء ، ويجمع اعيان العلماء لسرد الحديث الشريف وتفهمه والمذاكرة فيه على مر الليالي والأيام ، ويتأكد ذلك عنده في رمضان ، ويشاركهم بغزارة علمه وحسن ملكته ، ويتناول راية السبق في فهم المسائل التي يعجز عنها غيره فيصيب المفصل ، ويواظب على

صيام الأيام المستحبة من كل شهر . ويعظم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء ، ويرفع مناصبهم على سائر رجال دولته ، ويجري عليهم الأرزاق ، ويعطيهم الدور المعتبرة والضياع المغلة ، ويحسن مع ذلك الى مَن دونهم في المرتبة من المدرسين وطلبة العلم ، ويوثر المعتنين منهم وذوي الفهم بمزيد البر وتضعيف الجراية ، حتى لقد تنافس الناس في ايامه في اقتناء العلوم وانتحال صناعتها لاعتزاز العلم واهله في دولته وسعة ارزاقهم .

واما صبره عند الشدائد واحتمال العظائم وتجلده عند حلول الخطب ونزول المقدور فحدث عن البحر ولا حرج ، وعن الجبل سكوناً ورسوخ قدم ، قال صاحب البستان : ولو حدثنا بما شهدناه منه لكان عجباً .

واما العدل فانه ما رئي في ملوك عصره اعدل منه ، ومن عجيب سيرته انه كان يلزم العمال ردّ ما يقبضونه من الرعايا على وجه الظلم من غير اقامة بينة عليهم على ما جرى به عملُ الفقهاء من قلب الحكم في الدعوى على الظلمة واهل الجور ، حسبما ذكره الونشريسي وغيره ، ومن عدله واقتصاده ما حكاه لنا الفقيه احمد بن المكي الزواوي الموقت بالمسجد الأعظم من سلا قال : مرّ السلطان المولى سليمان بسلا سنة ست وثلاثين ومئتين والف ، فنزل برأس الماء ، واستدعاني للقيام بوظيفة التوقيت عنده ، قال : فدخلت فاذا هو رجل طويل ابيض جميل الصورة ، ففاوضني في مسائل من التوقيت وكان يحسنه ، فأجبته عنها فأعجبه ذلك ، ثم وصلني بضبلونين ، واخرج مجانته (67) من جيبه ليحققها ، فرأيت مجدولها من صوف ، ثم حضرت صلاة العصر فتقدم وصلى بنا ، فرأيت سراويله مرقعةً ، وكان امام صلاته الراتب هو الفقيه السيد الحاج العربي الساحلي ، لكنه صلّى بنا تلك الصلاة ، ولما فرغنا من الصلاة وانقلبنا الى منازلنا جيء بالطعام وهو قصيعة من الكسكس عليها شيء من اللحم والخضرة وليس معها غيرها ، قال وكانت عادة المولى سليمان في السفر ان لا يتخذ كشينة اي مطبخاً ، انما هو طعام يسير يصنع

67) **المجانة** في عرف اهل المغرب الساعة مطلقاً ، سواء كانت ساعة اليد او ساعة الجيب او ساعة الحائط

له ولبعض الخواص مما يكفي من غير اسراف ، حتى ان الكتاب كانوا يقبضون ست موزونات ويعولون انفسهم ، وكانت اقواتُهم وازوادهم خفيفة . انتهى .

واما سياسته الخاصة في جبر القلوب واستيلاف الشارد وتسكين المرتاب وارضاء المولى ومداجاة العدو والدفاع بالتي هي احسن عند اشتباه الأمور ومعاناة الرجال بوجوه المكايد والحيل في الأمور التي لا ينفع فيها حرب ولا قوة فشيء لا يبلغ فيه شأوه ولا يشق غباره .

واما عادته في الحرب فقد اخذ فيها بسيرة العجم بحيث لا يباشر الحروب بنفسه ، ويعمل بعمل اهل الصدر الأول فيقف في قلب الجيش كالجبل الراسي ، وأمراؤه يباشرون الحروب بأنفسهم في الميمنة والميْسرة ، وهو ردء لهم ، كلما رأى فرجة سدها ، أو خللا اصلحه ، وهو كالصقر مطل على حومة الوغي ، فاذا امكنتْه فرصة انتهزها ، ومن شدة ثباته وعدم تزحزحه انه كان لا يركب وقت الحرب الا البغلة ، وبذلك جرى عليه في وقعة صيان والشراردة ما جرى ، فكان حماته يفرون عنه بلا حياء ، ويبقى هو ثابتاً رحمه الله .

واما جمعه لأشتات العلوم فلقد كان وارثاً من ورثة الأنبياء ، حاملا للواء الشريعة ، جامعاً مانعاً ، اذا بوحث في الأخبار كان كجامع سفيان ، او في الأشعار كنابغة ذبيان ، او في الفطنة والفراسة فكاياس ، او في النجدة والرأي فكالملهب ، واذا خاض في السنة والكتاب ابدى ملكة مالك او ابن شهاب ، ولو تصدى في الفقه للفتيا والتدريس لم يشكّ سامعه انه ابن القاسم وابن ادريس ، واذا تكلم في علوم القرءان انهلّ بما يغمر مورد الظمئان .

قال صاحب البستان : ولا يعرف مقدار هذا السلطان الا مَن تغرب عن الأوطان ، وحمل عصا التسيار ، ورمت به في الأقطار الأسفار ، وشاهد سيرةَ الملوك في العباد ، وما عمت به البلوى في سائر البلاد ، ولا يتحقق اهل المغرب بعدله الا بعد مغيبه وفقده :

المـرء ما دام حيـاً يستهـان بـــه ويعظـم الـرزء فيـه حين يفتقـــد

ومن ءاثاره الباقية وبناءاته العادية فبفاس المسجد الأعظم بالرصيف الذي لا نظير له ، كان حفر اساسه المولى يزيد واشتغل عنه وتركه ، فافتتح هو عمله ببنائه وتشييده ، وابقاه ديناً على الملوك ، وبني مسجد الديوان كان صغيراً فهدمه وزاد فيه املاكا وجعله مسجداً جامعاً تقام فيه الجمعة ، وبني مسجد الشرابليين زاد فيه ووسعه وجعله مسجداً جامعاً كذلك ، وبنى مسجد الشيخ علي ابن غالب وضريحه ، وبنى ضريح الشيخ عبد الوهاب التازي ، وهدم مدرسة الوادي ومسجدها لتلاشيهما وجددهما على شكل ءاخر ، وجدد المدرسة العنانية ، واصلح مسجد القصبة البالية وبيضه بالجص وزلجه ، وبنى باب الفتوح على هيأة ضخمة ، وباب بني مسافر ، والباب الجديد على براح ابي الجلود ، وبنى القنطرة على الوادي بينهما ، وجدد قنطرة الرصيف مرتين ، واصلح قنطرة سبو ، واصلح طرقات فاس الجديد كلها من داخل وخـارج ورصفها بالحجارة ، واصلح ابواب فاس الجديد كلها ورمم ما انثلم منها ، وجدد قصور الملك الخربة بها وزاد غيرها ، وامر بتبييض مساجد الخطب وتبليط ارضها ، وبنى مسجد صفرو وجدد اسواره ، وبنى لأهله حماماً به ، وبنى مسجد المنزل ببني يازغة ، وبنى مسجد وجدة وحماماً بها ، واصلح قلعتها ودار امارتها ، وبنى مسجد وزان ومسجد تطاوين واخرج اهل الذمة من جواره ، وبنى لهم حارة بطريق المدينة ، وبنى الصقايل والأبراج بطنجة ، وجدد مسجد اصيلة واسوارها ، وجدد قصور الملك بمكناسة بعد تلاشيها ، واصلح القناطر التي بين فاس ومكناسة ، وبنى قنطرة على وادي سيدي حرازم بخولان ، وبنى مسجد الجزارين بسلا ووقف عليه اوقافاً تقوم بمصلحته ، واخرج يهودها من وسط البلد من حومة باب حسين وبنى لهم حارة على حدتها غربي البلد ، وبنى المسجد الأعظم بحومة السويقة من رباط الفتح ، وبنى دار البحر لنزوله ، وبنى قنطرة وادي حصار بتامسنا ، وبنى مسجد أبي الجعد بتادلة ، وبنى قنطرة وادي ام الربيع ، وقنطرة تانسيفت بمراكش بعد سقوطهـا ، وبنـى المسجد الأعظم الذي كان اسسه علي بن يوسف اللمتوني بمراكش وبناه بناء ضخماً وازال منارته التي كانت به قديماً وشيد منارة اخرى بديعة الحسن

رائقة الصنعة ، واكمل مسجد الرحبة الذي كان اسسه والده رحمه الله ومات قبل تمامه ، وجدد قصور والده بمراكش واصلحها ، وصان القصبة وعمرها ، ثم ختم رحمه الله ديوانه بالحسنة العظيمة والمنقبة الفخيمة ، وهي عهده بالخلافة لابن أخيه المولى عبد الرحمان بن هشام على كثرة أولاده ووجود بعض اخوته ، ولعمري أن هذا العهد لمنقبة جليلة للعاهد والمعهود له ، أما العاهد فأنا لم نسمع بعد أمير المومنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأحد من خلفاء الاسلام وملوكه عدل بولاية العهد عن ولده المستحق لها الى غيره حتى كان هذا الامام الجليل الذي أحيا سيرة العمرين ، نعم قد عهد سليمان بن عبد الملك لابن عمه عمر بن عبد العزيز رحمه الله ، لكن حكى ابن الأثير أن سليمان لما حضرته الوفاة عزم أن يعهد لابن له صغير فوعظه رجاء بن حيوة ، فرجع عن ذلك وشاوره في ابنه داوود وكان غازياً بالقسطنطينية ، فقال له رجاء لا تدري أحي هو أم ميت ، فحينئذ رجع الى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، واما المعهود اليه فان العهد اليه دون الأبناء والاخوة شاهد عدل على كمال فضله واحرازه لخلال الخير وتبريزه فيها على مَن عداه من بني أبيه وعشيرته ، ولعمري أن ذلك لكذالك ، فان المولى عبد الرحمان بن هشام رحمه الله قد اشتهرت أمانته وديانته عند القاصي والداني حتى صار لا يختلف في عدالته اثنان هـ .

بقية صفات المولى سليمان ومآثره

كان المولى سليمان رحمه الله فقيهاً نبيلا ، علامة جليلا ، يجالس العلماء والفقهاء ، ويحب المساكين والضعفاء ، ويحوط الشريعة بأحواله ، ويشير الى الوقوف عندها بأفعاله ، أخذ بسجلماسة عن سيدي عبد القادر ابن شقرون وسيدي محمد بن طاهر الهواري ومحمد الطرنباطي وسيدي حمدون ابن الحاج ، وبفاس عن الشيخ التاودي ابن سودة ، واعتمد في علوم البلاغة والمنطق والعربية والتصريف على سيدي عبد القادر ابن شقرون والشيخ الطيب ابن كيران ، ولما ألف أبو القاسم الزياني فهرسته المسماة (جمهرة التيجان ، وفهرسة الياقوت والمرجان ، في ذكر الملوك وأشياخ مولانا سليمان)

أتحفها بـ (ألفية السلوك ، في وفيات الملوك) كنى عن الملوك بالتيجان ، وعن علماء أهل البيت باليواقيت ، وعن أشياخ أمير المومنين باللآلي ، وعن تلامذته بالمرجان ، وذكر فيها من أشياخه السادات عبد الوهاب أجانا وعبد الرحمان ابن الحبيب ، والتاودي ابن سودة ، وأحمد بن التاودي ابن سودة ، ومحمد بن الطاهر الهواري ، وعبد القادر ابن شقرون ، ومحمد بن عبد السلام الفاسي ، والشيخ الطيب ابن كيران ، ومحمد بن أحمد الشرادي ، والعربي بن المعطي الشرقي ، ومحمد بن ابي القاسم السجلماسي ، ومحمد بن أحمد بنيس ، وحمدون ابن الحاج ، ومحمد الطرنباطي ، ومحمد الصديق ، ومحمد بن الصادق العلمي ، ومحمد بن عمرو الزروالي ، ومحمد ابن منصور ، ومحمد بن عبد السلام الدرعي ، ومحمد بن عامر التادلي ، وابن الجيلالي المسفيوي ، وادريس العراقي ، وسليمان الحوات ، والشيخ يحيى الشفشاوني ، ثم ذكر الذين انتفعوا به وانتفع بهم ، فمنهم الشيخ الطيب ابن كيران ، والزروالي ، وابن منصور ، وسيدي حمدون ، وسيدي الصديق بن الهاشمي ، وسيدي محمد بن الصادق ، والحوات ، والشفشاوني ، ومحمد ابن ابراهيم المفتي ، وعثمان الشنجيطي ، وادريس العراقي ، وعلي بن ادريس ، وابو بكر بن مولاي ادريس بن مولاي عبد الرحمان المنجرة ، وعبد الله العراقي ، واخوه عبد الرحمان ، واحمد الزاهد الزعـري ، ومحمد بن هنو اليازغي ، وبـدر الدين ، ومحمد بن الطاهر ، والعربي ابن سودة ، وعمه ابو بكر ، وعبد السلام الأزمي ، ومحمد بن احمد بناني ، وادريس البقراوي الزرهوني اصلا الفاسي داراً ، وعبد الرحمان الدادي الزرهوني ، وقاسم الديوري ، والحسن ابن فارس ، وعبد الرحمان المفرج الأندلسي قاضي طنجة ومفتيها ومعدلها ، وعبد الله الغربي الرباطي ، وعبد السلام حركات السلوي ، ومحمد بن عبد السلام الدرعي ، والشيخ محمد الرهوني ، وعبد السلام بن المعطي الشرقي ، وعمر بن المكي الشرقي ، ومولاي الحسن بن عبد الرحمان المراكشي داراً ، والسيد محمد المكي ابن مريدان السرغيني اصلا المراكشي ، وعبد الرحمان البرنسي اصلا التطواني داراً ، والمدني الفيلالي اصلا وداراً ، وعبد القادر مرين' الرباطي ، وعبد القادر المراكشي اصلا التازي استيطانا .

واما تلامذته فمنهم السادات : العباس ابن سودة ، واحمد ابن ابي نافع ، والعربي الدمناتي ، ومولاي الحبيب بن عبد الهادي العلوي ، ومحمد بن ابراهيم الزداغي ، وعبد الواحد ابن سودة ، والطالب بن احمد بن التاودي ابن سودة ، ونجل عبد الله بن احمد ، وعبد الودود بن احمد الشفشاوني الأندلسي ، واحمد شقور ، واحمد زروق ، ومولاي احمد بن علي العلوي ، والعربي الزرهوني ، والمجذوب الفاسي ، وعبد الله ابنه ، ومولاي الأمين العلوي ، واحمد بن علي الزرهوني ، واحمد شيخ ابن ابراهيم ، والهادي القادري ، واحمد ابن المختار ، ومحمد بن حمادي المكناسي ، وابو بكر بن زيان الادريسي ، وعبد السلام الرامي الزرهوني الأصل الفاسي الدار والمنشأ ، ومحمد ابن حمدون ابن الحاج ، ومحمد بن عمر ، والمعطي الزداغي ، وجملة النجباء من اولاده وكتابه ، منهم علي التوزيني ، والعباس بن صابر الفاسي الدار الهزميري الأصل من اولاد سيدي ابي يعزى نفعنا الله به ، ومحمد بن عثمان الوزير ، وعلي أحمد التنغراسي ، ومحمد بن احمد الحكماوي ومحمد بن علي الدليمي ، ومحمد الرهوني ، ومحمد السلوي الوزير (68) ، والمامون النميش والطيب قدران ، والطيب اجانا ، والطيب الحافي ، وعبد الرحمــان بن يوسف رفيق الحاجب ، والمكي ابــو زكــري ، وابن العربي بنيس ، ومنهم نســاخ كتبه : فمنهم عبد الكبير بن عثمان ، ومحمد الدلائي ، ومحمد السراج ، وعبد القادر السلوي ، وعبد العزيز عديل ، وعبد الوهــاب القادري ، وسعيد الواضلي السوسي اصــلا الفاسي داراً ومنشئاً ، والأمين البخاري ، وعبد العزيز الحلو ، وادريس السجلماسي ، وصاحب الخاتم احمد الحاجب ، ومؤلف الفهرسة ابــو القاسم الزيانــي ، واجازه من اشياخه الشيخ عبد الرحمان ابن الحبيب ، والتاودي ابن سودة وولده احمد ، وابن كيران ، وابن الشرادي ، وابن ابي القاسم الفيلالي ، وابن الطاهر الهواري ، وابن شقرون ، وابن عبد السلام الفاسي ، وابن الصادق ، والعربي بن المعطي الشرقي ، وابو القاسم بن احمد الزياني (69) .

---

68) توفي سنة 1236 وهو من موالي القصر ، واول وزير مغربي تلقب بوزير الخارجية .

69) قابلنا اسماء الشيوخ والتلاميذ المتقدمة على القائمة التي اوردها أبو القاسم الزياني في **جمهرة التيجان** (نسخة خطية بالخزانة الحسنية بالرباط رقم 6778) فوجدنا بينهما فرقا بالزيادة والنقصان والقلب والتصحيف ، فصححنا الأسماء المصحفة واقتصرنا منها على ما اورده المؤلف او الناقل على الأصح .

ومن تأليفه الحاشية التي قيدها على الموطأ والزرقاني على المواهب واحكام الجن ، وعناية اولي المجد ، وحاشية على الخرشي ، ثم رسائله للملوك بالمشرق وبلاد الترك ، والعلماء والقضاة والعمال بالمغرب ، ذكر كثيراً منها في البستان ، ومنها جواب العلامة سيدي حمدون لما عزله عن ولاية العرائش وامره ان يتوجه لولاية وجدة فكره ولايتها والانتقال لوجدة ، فكتب يعاتبه على عزله عن ولاية العرائش فأجابه بما نصه :

الحمد لله وحده   وصلى الله على سيدنا محمد وءاله

من عبد الله سليمان بن امير المومنين ، الى صاحبنا الفقيه السيد حمدون ابن الحاج .

اما بعد فاني احمد الله لي ولكم ، واسأله سلامة الدارين ، ولا يلزم شيء مما ذكرت لأجل عزلك عن كذا ، والذي يجب عليك حسن الظن بنا ، واني لا اسمع من احد كلاماً في جانبك اعلم منك خلافه ، وانما طهرتك بالعزل عن كلام الناس وألسنتهم ، (ربنا لا تجعلنا فتنة) ، لأني اجبرتك على الامارة فلا اريد ان ادنسك بكلام الناس كما فعلت في عزل ولدي احمد واخي موسى وصهري الحبيب ، وبعد ان يكون صدر منهم شيء مما رموا به فقد زيد اكثر منه ، وهو سبحانه اعلم بمن اتقى ، وهو الذي اضحك وابكى ، وامات واحيا ، وولى وعزل ، فترقب الأمور من فاعلها وارح نفسك ، وولايتك فيما وجهتك له لا تخلو من خير ، وفيها أمر لا تعلمه ، والصواب خلاف ما ظهر لك ، ونحن معتقدون ان ولايتك احسن من ولاية غيرك ، حقق الله اعتقادنا ، ورزقنا واياك اجرها ، وغفر وزرها ، ولا يقل احد ان ولايتي افضل من ولاية غيري من عهد الصحابة رضوان الله عليهم ، ومن فرط فأثمه راجع عليه من الوشاة والذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين ءامنوا ، وما قدمتك لتلك الولاية الا لأني لم ارض دين احد وامانته من اصحابي مثلك ، سيما اليوم ، وقولك لم عزلتني ؟ فأي مضرة حصلت لك مني في العزل ، اخترتك ووليتك وعزلتك لغير موجب واعلنت اني اخرتك من غير سخط ، فاي ذنب لي في هذا ؟ وهل في عزل عمر

رضي الله عنه لسعد بن ابي وقـاص ذنب ؟ وان كانت الملائكـة لا تقـاس بالحدادين ، وسترد فتعلم ، واستغفر الله لي ولك من قول أنا وعندي ، والسلام.

ومنها ما كتبه بخطه جواباً عن كتاب وجهه له السيد محمد السلوي من المراسي في شأن عشر السلع الواردة في البحر ما نصه :

كاتبنا السيد محمد السلوي

سلام عليك ورحمة الله وبركاته

وبعد فما ذكرت من قبض العشر من الواردين من المشرق فلا تقبض منهم الا ربع العشر الذي هو زكاة اموالهم المشروع ، ونص عليها الأئمة وقررها العلماء في غير ما موضع ، وعلى هذا يكون عملك في تطوان وطنجة والعرائش ، فان تتبعنا اغراض الناس وقعنا في المحذور ، لأن التجارة في ارض الحرب حرام ، سيما في هذا الزمان الذي قلت فيه الأمانة في اهلها ، ولا يميزون بين الحلال والحرام ، يتوجهون لأرض الحرب والتجارة بها حرام ، ويتعاملون معاملة الكفار وهي حرام ، ويأتون بأموال الكفار وهي حرام ، حتى صارت اموالها كلها سحتاً وما يقبض منها سحب ، فلا تدنسْ بقبض عشرها ، ويكفي ما هو مشروع وان كان على غير وجهه ، ولو كفوا من الذهاب لأرض الحرب واكتفوا بتجارة ارض المسلمين بالمشرق وبر الترك لكففنا عن قبض الجميع ، والسلام . انتهى من خطه .

ومنها ما كتب لي بخط يده جواباً عن كتاب الفقيه السيد حمدون يوم خروجنا من مكناسة متوجهين للمراسي ، ونصه :

محبنا في الله السيد حمدون

السلام عليك ورحمة الله ، ما سجع حمام وهطل غمام .

وبعد فجزاك الله عنا خيراً ، فقد اظهر الله بك في دينه امراً ، ومحا بك آثاماً ووزراً ، اذ سعيت في قبض ذلك المارق ، وقطع يد ذلك السارق ، فالحمد لله الذي جعلك عوناً لنا على محاق بدر كل فاسق ، فلا تأخذك فيهم في دين الله رأفة ، ولا تلحقك في حدود الله شفقة ورحمة ، وقد اخبرتنا ان يدك جالت في القصر

ونواحيه ، وتمكنت من كل فاسق وسفيه ، وما ذكرت في شأن النكاح ، فما عليك فيه من جناح ، فعند مبيتنا ان شاء الله بسيدي عيسى بن الحسن نحضر عمها وامها ، ولا نكلفك مهرها ، فقد زوجناكما بما معك من القرءان ، ونصدقها من هدية المركان ، ولا تكلف اهل المغرب بمئونة ثانية ، ودعهم عفاة ، الا ان يقولوا الضيافة ثلاث ، فذلك على الأغنياء ولا شيء على الفقير والمسكين والضعيف والصغير .

جعلنا الله ممن تناله شفاعة البشير النذير ، وممن هم في مقعد صدق عند مليك مقتدر . والسلام .

ومنها ما كتب به لفقهاء فاس لما افتوا بمنع اهل الذمة من بيع السباط في اسواق المسلمين للغش في صناعته ما نصه :

السلام عليكم ورحمة الله .

فمن المعلوم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضه الله ودرعه مرهونة عند يهودي في سوق المدينة في طعام ، وعمر رضي الله عنه قبض منهم العشر في سوقها ، وكل مصر فُتح ، اهلُ ذمته اهل صناعته ، وما زال ذلك الى الآن بمصر والشام والعراق وخراسان والقسطنطينية وبلاد الترك كلها ، فكيف يمنع اهل الذمة من بيع السباط في اسواق المسلمين ؟ او يمنعون من صناعة الغش ؟ ومَن تكلم فيه فليس موضوعه ومقصوده الغش ودفع ضرر عام ، وانما قصده جلب ضرر عام وهو غلاء السباط وجلب نفعه ليبيع هو كيف شاء بما شاء ، على ان الغش اليوم صار عادة للمسلمين في الصنائع كلها احرى اليهود ، ولا يمكن التحرز منه في وقتنا ، بل هو مدخول عليه فلا يمنعون الا اذا منعهم الشارع فيما لم اطلع عليه ، فان ثبت نص بالمنع اظهروه لنا ، وفقكم الله وايانا ، والسلام .

ومما خاطب به الفقيه الكاتب السيد علي المقرف لما لفحتْه الشمس وهو في بستان ابي الجلود فوقف امامه يظلله ، فأنشده :

ظللتني اذ رأيت الشمس قد لفحت — وجهي وخلّصتني من ذلك الوهــج
فصار وجهك لي شمســاً مظللـــة — وتهت في حس ذاك المنظر البهــج

وذاك اقــوى دليل يستــدلُ بـــه   على رضــاك على ما في من عـــوج
فداك نفسي لقــد طوقتني مننـــاً   مــا ان تقابــل بالأرواح والمهـــج

وهذا ما تيسر جمعه في هذه الفهرسة السعيدة ، ثم ختمها بتوسل مطلعــه :

ياربي انــي ضعيف خائف وجـــل   مستشفع بالنبي والآل نسل علــي
اسألُ ربي بهــم رضي ومغــفـــرة   فيمــا جنيت من الآثــام والزلـــل
ثم الصلاة على الرسل الكرام ومَن   لهم من ءال وصحب ءاخر العمـــل

انتهى .

كتبه بلقاسم بن احمد الزياني 4 ربيع الأول عام 1233 ما لخصته من الفهرسة الزيانية على ما فيها من التصحيف والتحريف ، ثم ارخه بليلة السبت 10 صفر الخير عام 1314 .

وبعده الحمد لله ، وقد كنت وقفت على ان الفقيه مولاي التهامي ابن رحمون اختصر هذه الفهرسة ايضاً ، انتهى من خط الفقيه سيدي احمد بن العباس ، انتهى ما لخصتُ من الاختصار المذكور في 18 شعبان عام 1329 ثم وقفت عليها بنفسها في مجموع فيه عدة تثاليف ، وفيه خط المؤلف الزياني .

وقرأت بخط الشيخ ابن حسون في رحلته ما نصه : ورايت بخط الشيخ الأديب السيد الطيب بسير الرباطي ما نصه : كان مولانا السلطان امامنا الامام العادل ، ابو الربيع مولانا سليمان يوماً مشرفاً على البحر وقد تلاطمت امواجه ، تأتي الى البر وتنصرف ، فأنشد لنفسه ايده الله في رمضان المعظم سنة احدى وعشرين ومئتين والف قوله :

انظر الى البحر والأمواج تلتطـــم   وقد علا فوقــه ابن يفــو يستلـــم

وابن يفو هذا واعظ حسن الصوت متقن طيب الأخلاق .

ولما أنشد ما أنشد امر ان يذيله اديبان من سلا فامتثلا غير انهما ذهبا الى مدح ابن يفو وتركا منحى التشبيه فاقتحمته انا وقلت :

كأنــه عسكــر بيض عمــائـمــه اتى الى الملك الهـمـام يحتــرم
أو روضة بسمت فيها ازاهــرهـــا تخالها من عقود الـدر تبتســم
او زهر افق السما ترمي ثواقبهـا لبــات اعــداء مولانـا فتزدحــم
او راح غيد قد اخضرت ملابسهـا مدت اليك لنيل الجــود تغتنــم

فوصل الجميع اليه ، واجاز بجائزة الأمراء ، أبقاه الله عماداً للمسلمين ، وناصراً للدين ، انتهى من لفظه .

وذكر في الروضة المقصودة ان المولى سليمان امر بقراءة كتاب الأحياء فوق المنابر ، انتهى . واطلع السيد القرشي سيدي ابراهيم الرياحي على ديوان يجمع فيه الأمداحَ المنقولة في مدح مولانا سليمان ، وربما ذكر فيه شعراً يتعلق بغيره ممن له بالسلطان علاقة ، فكتب له على ظهره تقريظاً مطلعه :

كحل بأثمد هــذا الروض أجفانـــا واقطفْ سرورك من معناه الوانـــا

ومن رسائله ما نصه : الى الولي الصالح ، الفقيه المرابط ، السيد العربي بن المعطي ، الذي لا تزال فراستُنا فيه تصيب ولا تخطي .

جعلنا الله واياكم ممن لم يتخذ الاهه هواه ، وسلام عليكم ورحمة الله .

اما بعد ، ايها السائر على غير طرق الليالي المدلهمة ، طالما اردتم ان تطفئوا نور الله ويأبى الله الا ان يتمه ، اما للعاقل في قول تاج الدين ما يكفيه : ما ترك من الجهل شيئاً من اراد ان يظهر في الوقت غير ما اظهر الله فيه ، خرجت اولا عن الجماعة ، ثم خدعتَنا في الله بلسان الضراعة ، فسترنا عورتَك ، واقلنا عثرتك ، وقابلنا اساءتَك بالاحسان ، الذي ليس لك بشكره يدان ولا لسان ، وقلنا للنفس قول مَن ليس له عن ربه من تلاه (وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله) ، (فاذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين

قلوبكم) الى فأنقذكم منها ، هل البيعة التي كانت في رقبتكم بالسمع والطاعة ، ولزوم السنة والجماعة ، وامحاض النصيحة جهد الاستطاعة ، فهذا النبي صلى الله عليه وسلم قال : الدين النصيحة لله ولرسوله ولأيمة المسلمين ، وقال : اسمعوا واطيعوا وان استعمل عليكم حبشي كأنّ راسه زبيبة ، وقال : السمع والطاعة على المرء المسلم فيما احب او كره ما لم يومرْ بمعصية ، ومن خرج قيدَ شبر عن الجماعة فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه الا ان يرجع ، فلا تكُ في سكرة الخواطر الكاذبة ، عما عليك للسلطان من الحقوق الواجبة ، لقد جئتَ شيئاً فريا ، ونبذت عهد الله وراءك ظهرياً ، فأين العهد والميثاق ، والقوي يأكل الضعيف بين ظهرانيكم في الأسواق ؟ بل لولاك ما فسدت تلك البلاد ، ولا خرج اهلها عن طريق الرشاد ، حتى شاركت في الدماء شعرت او لم تشعر ، فياخسارة مَن يريد الربح ولا يدرك ان يتجر ، انشدك الله ان كان ذلك ، فأنت اعرف الناس بما هنالك ، ولا يسعك الانكار ، والأمرُ اوضح من شمس النهار ، كم رفعنا الوية الولاية ، فما اعنت جابياً ولا واقفت عاملا ، وكانوا ما بين ولد واخ وصهر ، وحافد او من عبد او حر ، كل ذلك لابس غورك ، فما حصلت من جهدك على ما يوافق سرك ، ولا رجع احد منهم عنك راضياً ، ولا لما حفظه من سوء سيرتك ناسياً ، لم تراقب الله تعالى في ذلك الوطن ، الذي طارت اليه بسببك الفتن ، وما كان اباؤك الا رحمة لتلك البلاد ، لا يتنقمون على الحاكم بمجرد الخلاف والعناد ، حسبهم الوقوف عند ما حُد لهم ، وارجو ان يزكى الله بذلك عملهم ، فلما صار الأمر اليك ، وتعين القيامُ بطريقتهم عليك ، واستهلّ هلال افعالك ، وانت من الشباب ترفل في اذيالك ، كل ذلك في استفحال مملكة مولانا الوالد الغالب بالله ، امير المومنين محمد بن عبد الله ، سقى الله بري الرحمة ثراه ، وكان احلم الناس ، معاوية زمانه في الرحمة والباس ، احلك على ضخامة ملكه محل الوالد ، لا الأخ الشقيق ولا الولد المساعد ، ثم لم يبرح يعفو ويصفح ، وعن كل مَن احدث حدثاً وآويتموه يغضُ ويسمح ، حتى جعل غض الطرف عن جنابكم ، والصفح عما يقع من المناكر ببابكم ، من اعظم الذنوب التي يستغفر منها مولاه ، العالم بسره ونجواه ، وانتم لم تراعوا ذلك حق رعايته ، حتى اوقعتم اهل بلادكم في شرك

الهلاك وحبالته ، ولم تنظروا من الملوم ، واستعيذ الله من نظر الغشن الغشوم ، ولما افضى الأمرُ الى نجله هذا العبد سليمان ، المرتجي من الله جميلَ العفو والغفران ، لم يقتصر في امركم ، على ما كان عليه والده من بركم ، بل تلمذ وتحبب ، وبرَّ بأنواع البر وتقرب ، عساه ان يردكم عما عودتم به انفسكم ويترككم لعبادة ربكم ، في حال بعدكم او قربكم ، فلم تشكروا النعمة ، ولم تحذروا فجاة النقمة ، ولولا ما نرجوه من الرب الكريم ، لوقع على يديه اكبر مما وقع على يديْ ابيه من العذاب الأليم ، طلبنا منكم ما فيه عند الله نجاتكم ، وهو في الحقيقة لأنفسكم الميتة حياتكم ، من الخروج معنى عن اسواق العامة ، التي لا يعمرها من له المروءةُ التامة ، والخروج حسّاً الى مدينة فاس ، واشتغالكم بالله ودينه القويم عن الناس ، فما قدرتم عن التقصي عن العامة ، ولا رجعتم عن مكاتبة الحكام والخوض في الفتنة الطامة ، وكنتم طلبتم الذهاب هناك لتفقد زرعكم وضرعكم ، ونقل اولادكم ان اذن لكم ، على انه خرج بسببكم مَن تعلمون ، وانهم ما وقع لهم في رقبة من تظنون ، فذهبتم وقر لكم القرار ، بعد ما وعدتم ان ترجعوا في ايام قصار ، وبعد ان خرج الأخوة والأخوات ، وابناء العم والعمات ، ومَن له هنالكم شان ، من الفقهاء والأعيان ، ومَن ليس لخروجه سبب ، ولا كان له في انتقاله ارب ، واغتنمتموها لكم فرصة ، باقامتكم وقد خرج مَن كانت عليكم منهم غصة ، واظهرتم التهاون بكلام من وجب عليكم طاعته ، وصحبتكم في الزمان الطويل عنايته ، ان كنتم تعتقدون ذلك ، وما انالكم ممن سلك تلك المسالك ، وصرتم الى ما كان يظن بغيركم من المخالفة ، وهل تدخل في الأوتاد الزاحفة ، ما عذركم في الجلوس بجعيدان ، بعد ما خرج مَن هو اضعف منكم بالأهل والولدان ؟ وانما طولتم بالخروج بأنفسكم ، فخسرت صفقة الظنون في نظركم .

اوردها سعد وسعد مشتمل ما هكذا ياسعد تورد الابل

واتق الله وارض بقضائه ، ولا تعاند القدر فتصاب ببلائه ، واصبر كما صبر الذين خرجوا من ديارهم قهراً ، لما علموا ان الله عوضهم عنده خيراً واجراً ، فانظروا لما وقع للقاضي عياض ، وهو مفوض لله من غير سخط ولا

اعتراض ، وازعج الى الرحيل ابراهيم ابن الحاج ، فقطع من الأندلس البحر الثجاج ، فتبوا منها مراكش الحمراء على عهد السلطان يوسف بن الناصر الموحدي ، وانظر ايضاً لحال القطب ابي مدين ، واين دفن بعد ان طلب على كبر السن ، وكذلك الشيخ الغزواني اخرجه الوطاسي من زاوية بني زكار ، واشخص الى مراكش فكانت له دار قرار ، وغيرهم ممن اخرجوا من ارضهم ، فان شئت كانت لك اسوة حسنة في بعضهم ، على انهم لم يكونوا لمثل ما تفعل فاعلين ، ولا لرعاع السفلة مجالسين ، وان قلتَ قول من لعبت به يد الأهواء ، انك أجل مَن الاقتداء بهؤلاء ، فارفع بنفسك الى الصحابة الكرام ، الذين هم النجوم في الاهتداء للأنام ، فهذا ابو ذر الغفاري وكان من كبار الصحابة اسلم رابعاً او خامساً ، استقدمه عثمان من الشام لشكوى معاوية به ، واسكنه الربذة بعد ان اخرجه من المدينة لما كثر عليه الناس ، لما في ذلك من المصلحة التي ليس معها التباس ، لما في تعدد الرؤساء من المفاسد ، التي يجب درؤها في الغائب والشاهد ، على ان الصحابة عدول ، وكل واحد منهم مجتهد فيما يفعل ويقول ، فلم يتأخر ابو ذر ولم يسترجع ، امتثالا لقول النبي صلى الله عليه وسلم اسمع واطع ، واين انت ايها المتجاهل ، من هؤلاء السادات الأفاضل ؟ هيهات هيهات ، ليس الماضي كالآت ، بل اين انت من الشيخ الحسن اليوسي ؟ نقله مولانا الجد ابو النصر اسماعيل الى مدينة فاس ، وامره ان يتخذها له ولبنيه خير كناس ، ولم يغنه في الاعتذار ما نظم ونثر ، عما يجب من الرضا بالقضاء والتسليم للقدر ، وكان قصده في اخراجه جميلا ، ليقيم على علماء الحضرة في العلم والعمل دليلا ، لاسيما وكان المقر في اقبح بلاد لا يأمن عليه الاعتذار ، بما ليس عليه من امر العامة اقتدار ، اذ كان هذا في زمن السلف ، ومن اقتفى ءاثارهم من الخلف ، فما بالك بهذه الأزمان ، التي لا يجتمع اهلها على علم او عرفان ، فلم تجبْ عنهم العزلة في الحين ، لكل من تمسك بحبل العقل والدين ، واحمد الله ان جعل خصمك عاقلا ، متحققاً يحب الخير لعباد الله مفضولا وفاضلا ، لا يريد ان يُجري الله لمسلم على يده شرا ، بل يريد ان يكون مظهراً لرحمة الله في خلقه نهياً وامرا ، ولا يفسد ملكه بهضم امثالك ، وانا بريء ممن يُلقي نفسه في المهالك ، ولولا مكان الشفقة عليك ، ومحبة

الخير كله اليك ، لتركتك ترعى هملا ، وتهيم في كل واد مع الأخسرين عملا ، (ذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون) ، (وذر الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً وغرتهم الحياة الدنيا) ، ولكن الدين النصيحة ، ولا يكونُ المومن مومنــاً حتى يحب لأخيه المومن مــا يحب لنفسه ، والمومن للمومن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً ، مَن وجد أخاه على شفا فليأخذ بيده ، والى الآن فنفذ امرنا لا معقب لحكمه ، بنص او قياس ، انا نأمركم ولا تعدل عن السكنى بفاس ، ولا تخرجوا منها الى ابى الجعد اصلا ، ولا ترتقبوا بعد قطع وصلا ، ومَن يشق عليكم رحيله من ضعفة الذرية البنات والبنين ، اتركوهم في جملة مَن بقى من المستضعفين ، وبادروا بالاجابة ، والامتثال والانابة ، قبل ان تعظم الحوبة ، فيسد باب التوبة ، فلا تجدون سبيلا للسلوك عن الصراط المستقيم ، (فليحذرُ الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم) ، ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة بكثرة الاعتذار ، فقد سجل الحكم عليكم بعد الاعذار والانذار ، على ان عذركم كله كسراب بقيعة ، وحصونه المبنية على الباطل غير منيعة ، فان اطراح العذر خير من العذر ، فان امتثلتم نجوتم ، وان ابيتم خذلتم ، ولا عهد لكم ولا طاعة ، وكنتم ممن فارق السنة والجماعة ، (وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون) ، (كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون) ، وحسبي الله ونعم الوكيل ، ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم »

ووقفت على نسخة ظهير ءاخر بين حمدلته وصلاته وافتتاحه طابعه بداخله سليمان بن محمد بن عبد الله ، غفر الله له وتولاه ، وبزواياه الله محمد ابو بكر عثمان علي ، وبأركانه وما توفيقي الا بالله ، عليه توكلت واليه انيب ، نصــه :

الحمد لله وحده

يعلم من كتابنا هذا أسماه الله واعز امره ، واطلع في فلك السعادة شمسه المنيرة وبدره ، يستقر بحول الله تعالى وقوته بيد حملته الشريفين

الفقيهين ، النقيبين الأديبين ، السيد عبد الكبير بن عبد الهادي بن عبد النبي الدرقاوي الحسني ، والسيد سليمان بن محمد العلمي الحوات .

وفقكما الله وارشدكما ، وسلام عليكما ورحمة الله تعالى وبركاته .

وبعد فاننا لما وقفنا على ظهير مولانا الوالد قدس الله روحه الذي وجهتما صحبة الشرفاء العيادة بعد ما وقفنا على دفاتر الامامين وخصوصا دفتر سيدنا الجد قدس الله روحه فوجدناه موافقاً لدفتر ابي العباس المنصور رحمه الله واهــل النسبة فيه طبقات ، بعضها فوق بعض درجات ، فأولهــم المشاهير الذين عد شرفهم المتواتر ، ثم اهل الرسوم والظواهر التي لا يتوجه الى اهلها طعن ولا يتطــرق للتمسك بها احتمال ، ثم اهل الرســوم التي توجه الطعن اليها ، وقد ضرب لهم الآجال عليها ، ثم اهل الظهائر والتحلية التي ربما يكون بها عبرة في الظاهر ، ثم اهل الدعاوي المجردة مع اهل الدعاوي الكاذبة ، وهم في الكثرة اجناد مجندة ، وقد ذكر فيه كل فرقة عمها قضية ترجمتها الموجبة والسالبة ، واذا بظهير لسيّدنا الوالد رحمه الله اعلن بأهل الرسوم والظواهر من اهل الترجمة الثانية والحقهم بأهل المرتبة الأولى ، وخصوصاً المشاهير منهم الذين اغفلهم اهــل النفاق ، حيث وقــع الحيف والمداهنة ، فوجدنا ءاثارهم واصخة ، وبيوتهم مشهورة بالمسكنة والتواضع ، والكل في الناس على ما هم عليه من الخمول وتسليم الكافة لنسبتهم ، فلا يجهل في الناس قدرهم ، جددنا لهم الالحاق بأبناء عمهم الستة عشر شعبة المدعون بالاراثة ، وعددهم اربعة وعشرون شعبة ، وهم المقيدة اسماؤهم بالطرة يمنته ، اولهم العلميون وءاخرهم الجزوليون ، فقد اوضحنا لكم ما اعلن به الظهير الشريف حسبما ادخل في دفاتر الامامين ، وخرجت لهم الصلة ، فالعمل على ما وجدنا ، ولا تكون فضيلة لأحد منكم على الآخر الا بتقوى الله ، قال مولانا جلت قدرته : ان اكرمكم عند الله اتقاكم ، واما اهل الاراثة سامحهم الله لما تأملنا كلامهم فيكم وجدناه لا حجة لهم عليكم غير ما يقولونه بأفواههم ، ولا دليل لهم على ان يمنعوكم من صلتكم معهم ، فلكم ما لهم وعليكم ما عليهم ، انتم وهم ذرية بعضها من بعض ، واما اهل فجيج فكونوا منهم على بال ، لأن

كل مَن يتوجه من تلك الناحية الى هنا يقول شريف ، وشرفهم قدر معلوم عند عامتهم وخاصتهم ، وجلهم يدعون النسبة النبويـة وهم كاذبون ، فـلا يخافون من الله ولا يستحيون ، واما الثلاثين (كذا) فرقة المضروب على بعضها الآجال فلا دليل لنا على اثباتهم معكم ولا على نفيهم عنكم ، والتسليم لهم اولى ، غير ان في كل صلة اعطهم الخمس من الجانبين جبراً لخاطرهم ، ولا يكلف احد منهم بمجيء العيد كما هو معلوم عندكم من المشاهير ، فعلى هذا يكون العمل ، والله يتقبل العمل من غير منازع ولا معارض ، والواقف عليه من قضاتنا وولاتنا يعمل بمقتضاه ، ولا يحيد عن ساحته ولا يتعداه .

صدر به امرنا النافذ بحول الله وقوته حكمه ، والسلام .

وفي 7 ربيع الأول الأنوار النبوي عام 1210

وبخط مَن يجب : استقل استقل استقل .

وبعد هذه النسخة نسخة ظهير حسني بداخل طابعه الحسن بن محمد الله وليه ، وبزواياه الله محمد ، ابو بكر ، عمر ، عثمان ، علي ، وبأركانه : وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب ، وبدائرته :

ومنتكـن برسـول الله نصرتــه ان تلقه الأسد في آجامهـا تجـم
مَن يعتصم بك ياخير الورى شرفا الله حافظـه مـن كـل منتقـم

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وءاله

مسطورنا هذا رفـع الله اقـداره ، وشعشع على الخافقين شموسـه واقماره ، يتشرف به ماسكوه شرفاء هذه الحضرة الادريسية المعظمة المباركة المكرمة المسطرة اسماء شعبهم الأربع والأربعين بهامش ذات اليمين ، ويقتبس من مسطور طروسه ، وزهور غروسه ، اننا بحول الله وحوله ، وعزته وطوله ، جددنا لهم مضمن ما بيدهم من الظهير السليماني الشريف ، الواجب الاجلال والتشريف ، المعلن بتحقيق نسبهم الطاهر ، والحاقهم بأبناء عمهم الارائة

المشاهير في جميع الأحوال ، بحيث يعظمون تعظيمهم ، ويعمهم ما يعمهم ، ويقبضون الصلات كاملة معهم ، ويحاشون عن سائر الكلف ، ولا يجهل قدرهم ، ولا يهمل امرهم ، ولا يكون لأحد منهم على الآخر فضل الا بالتقوى ، المعتصم الأقوى ، حسبما هو لفظ الظهير الشريف المجدد عليه منطوقا وفحوى ، الحاقاً تاماً ، وتجديداً شاملا عاماً ، يلزم الواقف عليه ممن عمالنا وولاة اعمالنا امتثاله والخضوع لديه ، والوقوف عنده والانتهاء اليه .

صدر به امرنا الظاهر بنصر الله وعزته ، القاهر شأنه بسطوة الله وقوته ، في الثامن والعشرين من المحرم الحرام فاتح 1292 .

وبعده بخط مَن يجب استقل .

ونص ما بطرة السليماني : العلميون ، الودغيريون ، الحسنيون ، اليعقوبيون ، اولاد ابن عمرو ، الشبانيون ، اولاد النيار ، أولاد ابن الطائع ، المناليون ، البوزيديون ، اولاد عرهب ، العمريون ، العمرانيون ، المنصوريون ، اولاد التبر ، اولاد ابن تسعدانت ، الكثيريون ، اولاد الزواق ، المحمديون ، اولاد الزدعة ، اولاد الجمال .

هذا سطر من اعلا الى اسفل ، والسطر الموالي له هكذا : القادريون ، المومنانيون ، اولاد ابن العياشي ، اولاد الشماع ، الدرقاويون ، الوكيليون ، اولاد الشدادي ، اولاد بوسرغين ، الزكاريون ، الحموديون ، اولاد المري ، البلغيثيون ، اولاد الحصار ، البوعنانيون ، القصاريون ، التونسيون ، الدباغيون ، المنجريون ، اولاد ابن معزوز ، اولاد بوقشابة ، الزيدانيون ، الجزوليون ، فمنها اربعة وعشرون شعبة المشار له بداخله ولا حصر ، كل مَن تأهل لسكنى فاس فله ما لكم وعليه ما عليكم ، مع وجود التحقيق لنسبه الشريف ، وقد علمت ان عده تلك الفرق اربعة واربعون ، وهي المسطرة سابقاً كما نبه عليه في الظهير الحسني ، وهي المكتوبة بطرته حرفاً حرفاً من العلميون الى الجزوليون ، وهاتان النسختان اثبت استقلال ظهيريهما قاضي فاس العلامة سيدي حميد بناني بتاريخ 27 رمضان عام 1309 وشهد عليه بذلك محمد الطاهر ابن الكبير الفاسي وصنوه بوجيدة بشكليهما ، رحم الله الجميع .

1529) سليمان بن محمد المرتضَى العمراني

سليمان بن محمد المرتضى بن محمد الكبير ، بن ادريس ، بن محمد ، بن عبد الرحمان ، العمراني المراكشي ، من العمرانيين الذين بدادس ، أخذ رحمه الله عن العارف سيدي محمد بن احمد المدعو السيد دفين درب سبعة رجال بالموقف داخل باب الدباغ بحضرة مراكش ، كان المترجم رحمه الله صوفياً عارفاً فاضلا نبيلا ، اعجوبة في حفظ الحقائق واستحضارها ، جمّ المعارف غزير المادة ، رايت منه اعجوبة في ذلك ، وله قصائد موزونة وملحونة ، وله صيغة صلاة تدل على علو كعبه في الغوص على الحقائق والمعارف ، وتوغله في المحبة ، وتمكنه في مقام الوصول ، نصها : اللهم صل على كنز الأسرار ، وينبوع الأنوار ، ومجمع البحرين ، ونور الكونين ، السر الذاتي الأقدس ، وروح العالم الروحاني الأنفس ، سيدنا محمد عبدك ونبيك الذي استمدت جميع الأنوار من روحه الروحانية المطهرة من شهود الغيرية التي تبدلت اوصافها بالأخلاق الرحمانية الظاهرة بجميع الكمالات المستغرقة في الوحدة الذاتية التي لا تعدد لها من حيث كماله في نقطة دائرة الأرواح الحاكمة على اجزائها هدية الوحدة الكنزية ، وسر الواحدية الصمدية ، الساري سرها في اللاهوتية والناسوتية ، كنز الحقيقة الأحديـة ، الحائطـة بمعاني الجزئيـة والكلية ، قطب رحي دائرة الحضرتين المخصوص بسر حقيقة طه ويس ، اصل التكوين ، قبل التعين والتعيين ، المنوه به في حضرة المشاهدة والمكالمة في بساط قاب قوسين ، صلى الله عليه وعلى ءاله صلاة ازلية ديمومية قيومية الاهية ربانية لا تعدد لها ولا حصر ، ولا ابدَ ولا امد ، ولا نهاية لها ، صلاتك التي صليت عليه بها في ازل الأزل ، وفي غيب الغيب ، حيث كان علماً في علمك ، ونوراً من نورك ، وسرا من سرك ، الى ان ابرزته واظهرته وجعلته مظهراً من مظاهرك ، وعين وجودك ، ولو غيب وجبروت قربك ، وروح قدسك ، وامين وحيك ، وكنز حقك ، ومظهر حقيقتك ، الذي تجليت بسرك الأعظم في قلبه ، واودعت حكمتك في سره ، وكنت النائب عليه فيه ، فصلّ اللهم عليه به منه فيه اليه كما صليت بنفسك عليه ، وعرفني اياه معرفة ذاتية كاملة في نفس

الأمر بالسر المصون المكنون الواحد الجامع الذي لا يتعدد اصلا وفي ظاهر الأمر بالتعدد الكامل الجامع للأجزاء كلها من حيث هو ، وتعرفني به في معارج لنريهم ءاياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق ، وتكملني بها بكمال اليوم اكملت لكم دينكم واتمت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً ، ورقني بها عليها ترقياً مصحوباً بعنايتك وامانك مؤيداً بفضلك وكرمك ، وصلى الله علي نقطة الاطلاق وبحر السر المحقق ، الذي لا عثور لأحد عليه ولو وصل وتحقق ، وعلى ءاله ما حنت اليه ارواحُ العشاق ، الى يوم التنادي والتلاق ، وسلم تسليماً كثيراً الى يوم الدين ، والحمد لله رب العالمين .

ويحكي انه رحمه الله هو مملي كتاب الانتصار على المنسوب اليه سيدي محمد بن الطيب .

والمترجَمُ حاتمي زمانه ، عز نظيره في ابناء عصره ، قال في شأن صلاته المذكورة : رايت في عالم الأرواح مظهر جدي المصطفى صلى الله عليه وسلم وهو يقول لي : مَن صلى بصلاتك هذه علي فكأنما صلَّى بجميع صلوات اهل السماوات والأرض ، وكيف لا وقد ضمن فيها معارف لطيفة ، واسراراً شريفة ، تؤذن بعلو قدر الكنز الأعظم ، والسر الذاتي المطلسم ، وخصوصيته التي خصه الله بها من بين جميع المكونات الباطنة والظاهرة بعبارات لطيفة انيقة ، واشارات شريفة دقيقة ، لا يدركها الا اهل الخصوصية والمزية المنغمسون في بحر مدد خير البرية ، عليه وعلى ءاله افضل الصلاة وازكى التحيـــة .

وقال ايضاً : قد زام بعض الأكابر شرح صلاتنا هذه فمنع من ذلك ، وسمع قائلا يقول له : ولا تقفُ ما ليس لك به علم ، وحكى ايضا رؤيا تحببية وقعت له ، وهي انه كأنه رأى انه جالس بين القطب الشهير ، المولى الكبير ، سيدي عبد الله الغزواني رضي الله عنه وارضاه بحضرة مراكش وجماعة من الأفراد المحمديين حين انشأ هذه الصلاة ولم يخبر بها احداً ، والقطب المذكور يتذاكر مع المشار لهم في شأنها ، وعظم قدرها ، الى ان قال لهم وهاشرحها ، واشار بيده الى خزانة مملوءة من الكتب كأنه يقول رضي الله عنه ، لا يشرح هذه الصلاة الا مَن كان قلبه معداً للفيض الالآهي .

توفي رحمه الله عن نحو الثمانين سنة في عشية يوم الجمعة ثامن وعشري ربيع الثاني عام 1329 وهو فاقد البصر .

1530) **ابن سماك العامري** ، صاحب (الحلل الموشية) (70) هكذا قال سيدي سليمان الحوات في (البدور الضارية ، في مناقب اهل الزاوية الدلائية) ، ولم يُسمه حيث نقل عنه ان صنهاجة ترجع الى حمير ، وذكر ذلك في ءاخرها حين تلخيص اعداد ملوكها ، كما ان ابن الخطيب لسان الدين ذكر في كتابه (ريحانة الكتاب ، ونجعة المنتاب) في وصف ابي العلاء ابن السماك ما نصه : كاتب ماشق ، واديب لريح الأدب ناشق ، ذو طبع سائل ، وكلف بالمسائل ، فلا يفتر عن تقييد ونقل ، وجلاء الفوائد وصقل ، كتب مع الحلبة ، فأحكم الخط واتقنه ، وتلقى السجع وتلقنه ، وانشد الشعراء فاجرى بغير الخلاء ، وجعل دلوه في الدلاء ، وله بيت معمور في القديم بصدور قضاة ، وسيوف في الدين منتضاه ، ولم يزل منتظماً في السلك ، ومرتسماً في كتاب الملك ، الى ان عضه الدهر بناب خطوبه ، وقابله بعد البشاشة بقطوبه فتأخرت في هذه الأيام جرايته ، ونكصت عن العقب رايته ، وقد ثبت من شعره ما يشهد بأدبه ، وينظمه في فرسان الكلام وقادته ، انتهى .

وتأخرت وفاة المترجم عن مترجمه ابن الخطيب ، لأنه بقي يصنف في الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشنية الى يوم الخميس 12 من ربيع الأول عام 783 بعد وفاة ابن الخطيب بنحو ثمانية اعوام ، وعبد الله بن طلحة المحاربي الغرناطي المتوفى سنة 598 تفقه بأبي محمد ابن السماك ، وقد ترجم في بغية الملتمس لعبد الله بن احمد سماك العاملي ، الفقيه المحدث ، المتوفى في

---

70) اسمه الكامل : **الحلل الموشية ، في ذكر الأخبار المراكشية** طبع بتونس والرباط ، ونسب في الأول خطأ لمحمد ابن الخطيب السلماني ، ثم وقعت نسبته الى ابن السماك العامري ، وطبع الكتاب اخيراً بالدار البيضاء (دار الرشاد سنة 1979 هـ) بتحقيق الدكتور سهيل زكار والأستاذ عبد القادر زمامة .

وهذه الترجمة كان من الواجب اثباتها في حرف الألف ، ولكننا لم ننتبه لها عند ما كنا نضبع الجرد العام لتراجم الكتاب .

السابع والعشرين لرمضان المعظم عام 540 وهو بن اربع وثمانين سنة ، وترجم له في التكملة تحت عدد 1355 وتقدم ذكر ولده محمد ص 370 من ج 4 ، وترجم في درة الحجال لعبد المنعم بن سالم بن عبد الله ابن سماك العاملي الوزير ، وقد تقدم ص 357 الجزء الأول ذكر كمال الدين السماكي صاحب كتاب (التبيان ، في علم البيان) الذي رد عليه فيه ابن عميرة المخزومي المتوفى عام 636 ، وهو عبد الواحد بن عبد الكريم ابن خلف السماكي ، سماه كتاب (التبيان ، في علم البيان ، المطلع على اعجاز القرءان) تحرير الفقيه الأجل الأديب البارع ، الفه في عشرين يوماً من رمضان عام 637 وتوفي رحمه الله سنة 651 التبيان في نحو ثلاثين ورقة ، والتمويهات في عشرين ورقة ، وتصحف السماكي في كشف الظنون بابن الزملكاني صفحة 246 من الجزء الأول ، وترجم في الذيل والتكملة ابن عبد الملك في الجزء السادس الموجود بمكتبة باريس تحت عدد 2156 لمحمد ابن عبد الله بن احمد ابن سماك العاملي مالقي ، وذكر انه صار الى مراكش ، وترجم في الميزان لمحمد بن عبد القادر ابن السماك ، وقال فيه حدث عن ابي طالب بن غيلان ، قال ابن ناصر كذاب ، انتهى صفحة 94 من الجزء الثالث .

وقال فيه في لسان الميزان بعد ذكر ما تقدم وهو ابن عبد القادر بن احمد بن الحسين كان كاتب الحكم ، قال السلفي هو من بيت الوعظ ، وفي شيوخه كثرة ، وسماعاته صحيحة ، وقال ابن ناصر : لا تحل الرواية عنه ، قال ولد في ذي القعدة سنة ثلاث وثلاثين واربعمئة ، ومات في رجب سنة اثنين وخمسمئة ، انتهى صفحة 263 من الجزء الخامس .

1531) **سعيد بن احمد سعيد الصفاقسي** ، ثم الينونشي ، قرية من قراها ، الفقيه الزاهد ابو الطيب ، اجتاز ببلدنا وسكن اغمات ، كان من المحققين بالفقه والكلام ، من اهل البلاغة والتأليف والنظم والنثر ، تفقه بأبي الحسن اللخمي وطبقته ، كان من اهل الخير التام والفضل الكامل وسلوك طريق الزهد والورع والتقلل ، متواضعاً حسن الصحبة كريم العشرة ، يزداد على الأيام فضلا ، وشهر اسمُه وبعُد صيته عند السلطان وغيره ، فلم يزددْ الا خيراً

وانقباضاً وتواضعاً ، ولم يتشبث بشيء من امور الدنيا وخططها الى ان تُوفي رحمه الله من سقطة سقطها من درج منزله في صدر رجب سنة احدى وخمسمئة . قاله القاضي عياض في الغنية (71) .

1532) السعيد ابن السلطان ابي عنان (فارس) المريني

السعيد بالله ابن ابي عنان بن علي المريني ، والسعيد اسم له (72) وابو بكر لقبه ، كما في صحيفة 8 من الجزء الثاني من الاحاطة ، وان قال في تاريخ الدولتين ان اسمه محمد .

كان هذا السلطان اول من استبدّ عليه من ملوك بني مرين ، امه أم ولد اسمها الياسمين ، كنيته ابو يحيى ، وهي كنية كل من اسمه ابو بكر ، لقبه السعيد بالله ، صفته دري اللون ، مستدير الوجه ، حسن الأنف ، العس الشفتين ، براق الثنايا ، جعد الشعر .

بويع وابوه مريض في التاريخ المتقدم (73) وكان محجوباً لوزيره حسن بن عمر الفودودي لا يملك معه ضراً ولا نفعاً .

ولما بويع لحق اخوه عبد الرحمن بن ابي عنان بجبل الكاي (74) وكان اسن منه ، وانما آثروه لمكان ابن عمه مسعود بن عبد الرحمان بن ماساي من وزارته ، فبعثوا اليه من لاطفه واستنزله على الأمان وجاء به الى اخيه فاعتقله الحسن بن عمر بقصبته من فاس ، وبعث على ابناء السلطان الأصاغر الأمراء بالثغور ، فجاء المعتصم من سجلماسة ، وامتنع المعتمد بمراكش ، وكان بها

---

71) **الغنية** ص 271 ع 90

72) هذا غير صحيح ، فاسم السلطان المذكور ابو بكر وكنيته ابو يحيى ولقبه السعيد ، هذا هو الذي ذكـره اسماعيل ابن الأحمر في كتابه **روضة النسرين** ص 30 وهو من معاصري السلطان المذكور واخوته وكتاب ديوانهم .

73) المؤلف ينقل هنا عن احمد الناصري من غير ان يشير اليه ، والتاريخ المتقدم تقدم في كتابه **الاستقصا** لا في **الاعـلام** هذا .

74) هو جبل قبيلة لجاية الحالية ، وتنطق اليوم في الأغلب جاية .

في كفالة عامر بن محمد الهنتاتي ، وكان عامر هذا من بيوتات هنتاتة واهل الرياسة والشرف فيهم ، وكان السلطان ابو عنان قد اوصى اليه بولده المذكور وجعله هنالك لنظره ، فلما بعثوا عليه منعه من الوصول اليهم ، وخرج به من مراكش الى حصنه من جبل هنتاتة ، فجهز اليه الوزير حسن بن عمر الجيوش لنظر الوزير سليمان بن داوود مشاركه في الاستبداد ، وسرحه في المحرم سنة ستين وسبعمئة ، فسار الى مراكش فاستولى عليها ، ثم تخطى الى الجبل فأحاط به وضيق على عامر حتى اشرف على اقتحام الحصن الى ان بلغه خبر افتراق بني مرين بفاس ، وظهور منصور بن سليمان بها على ما نذكره ، فانفضَّ المعسكرُ من حوله وتسابقوا الى منصور فلحقوا به ولحق به سليمان بن داوود ايضاً ، وتنفس الحصار عن عامر ومكفوله ، والله غالب على امره .

واما السعيد فان وزيره الحسن بن عمر لما سمع بظهور السلطان ابي سالم واستفحال امره نبذ دعوة سلطانه المذكور وبعث بطاعته الى ابي سالم ووعده بالتمكين من دار الملك ان قدم عليه ، فكان الأمر كذلك ، وخلع السعيد يوم الثلاثاء الثاني عشر من شعبان سنة ستين وسبعمئة ، ثم قتل بعد ذلك غرقاً في البحر ، فان السلطان أبا سالم بعثه في جملة الأبناء المرشحين من بني ابي الحسن الى الأندلس ، ووكل بهم مَن يحرسهم ، ثم بعد ذلك بعث الى الموكل بهم فحملهم في سفينة كأنه يريد بهم المشرق ، ثم غرقهم في البحر ، والأمر لله وحده (75) .

1533) **سعيد ابن عبدون** وزير محمد المستنصر بالله ابي زيان المريني ، استوزره له والده (76) ، فوصل سعيد الى مراكش كما تقدم في ترجمة المستنصر المذكور .

---

75) ما تقدم منقول بالحرف من **الاستقصا** 4 : 3 و 4 و 7 من غير اشارة اليه على عادة المؤلف في التمويه .

76) اي السلطان احمد بن ابراهيم (ابي سالم) المريني ، وكان هذا الاستيزار سنة 789 هـ انظر **تاريخ ابن خلدون** 7 : 745

1534) **سعيد بن محمد بن محمد العقباني التلمساني** ، امامُها وعلامتها ، فقيه في المذهب ، متفننها في علوم ، سمع من ابني الامام وتفقه بهما ، واخذ الأصول عن الابلي وغيره ، وصدارته في العلم مشهورة ، ولي قضاءَ الجماعة ببجاية في زمن ابي عنان والعلماء يومئذ متوافرون ، وولي ايضاً قضاء تلمسان ، وله في ولاية القضاء ما ينيف عن اربعين سنة .

الف شرح الحوفي لا نظير له ، وشرح جمل الخونجي ، وتلخيص ابن البناء ، وقصيدة ابن الياسمين في الجبر والمقابلة ، والعقيدة البرهانية ، وتفسير سورة الفتح اتى فيه بفوائد جليلة .

والعقباني نسبة لعقبان قرية بالأندلس ، اصله منها ، تجيبي النسب ، قرأ الفرائض على الحافظ السطي ، وولي قضاءَ سلا ومراكش ايضاً ، وكان يقال له رئيس الفقهاء ، وقال ابن صعد كان فقيهاً علامة خاتمة قضاة العدل بتلمسان انتهى .

الف شرح الحوفية ولم يؤلف عليها مثله ، وتفسير سورتي الانعام والفتح ، وشرح البردة ، وشرحاً جليلا على ابن الحاجب الأصلي .

اخذ عنه الأئمة كالامام العارف بالله ابراهيم المصمودي ، والامام العارف ابي يحيى الشريف ، والامام الحجة ابن مرزوق الحفيد ، وولده الامام العلامة قاسم العُقباني ، والامام ابي الفضل بن الامام ، والإمام الفاضل احمد ابن زاغو ، وغيرهم ، وبالاجازة الامام المحقق النظار ، محمد ابن عقاب الجذامي .

قال الونشريسي في وفياته : مولده بتلمسان عام عشرين وسبعمئة ، وتوفي عام احد عشر وثمانمئة ، انتهى (77) .

وترجم في النيل له ولحفيديْه القاضييْن احمد ، وابراهيم ، ولولده قاسم مع حفيديْه القاضي محمد بن احمد ، وعبد الواحد ، كما ترجم في طبقات المالكية له ولولده قاسم ، وحفيديْه احمد وابراهيم ، ومحمد بن احمد بن قاسم بن سيعد ، كما ترجم للمترجم في الديباج ، وفي البستان .

---

77) ما تقدم منقول بالحرف من **نيل الابتهاج** ص 125 .

وقال في النيل في ترجمة تلميذه محمد بن ابراهيم الشهير بابن الامام عن المترجم ، قال : اجتمعت بمدينة مراكش مع يهودي يشتغل بالعلوم ، فقال : ما دليلكم على عموم رسالة نبيكم ؟ قال قوله : بعثتُ للأحمر والأسود ، فقال لي : هذا خبر ءاحاد لا يفيد الا الظن ، والمطلوب في المسألة القطع ، فقلت له قوله تعالى : وما أرسلناك الا كافة للناس ، فقال هذا لا يكون حجة الا على مَن يقول بصحة تقدم الحال على صاحبها المجرور ، وانا لا اقول بصحته ، انتهى .

قال الشمني : ويجاب بعد قيام البراهين القاطعة على رسالة نبينا صلى الله عليه وسلم كما هو مذكور في الكتب ، فان هذا الحديث وان كان ءاحاداً في نفيه متواتر معنى ، لأنه نقل عنه صلى الله عليه وسلم من الأحاديث الدالة على عموم رسالته ما بلغ القدر المشترك منه حدَّ التواتر وافاد القطع ، وان كانت تفاصيله ءاحاد كجود حاتم وشجاعة علي ، انتهى .

هذا ما قال فتأمله ، قلت والحجة القاطعة قوله تعالى : يأأيها الناس اني رسول الله اليكم جميعاً ، فهو نص قطعي ، ولعلهم لم يستحضروه ، ولله الحمد انتهى كلام النيل .

قلت ومن الحجة القاطعة في ذلك قوله تعالى : تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ، وقوله تعالى : واوحيَ الي هذا القرءانُ لأنذركم به ومَن بلغ ، فكل مَن بلغه القرءان من الخلق فرسول الله نذيره ، وراجع ص 9 من شمول الأحكام الشرعية لأول الأمة وآخرها للشيخ السيد محمد البشير النيفـر .

وما تقدم من ان عقبان قرية بالأندلس فلقد قال المرغيتي في فهرسته ما يُخالفه ، ونصه : والعقباني نسبة للعقبان احدى احياء الخلط ، كما ان الشباني منسوب للشبانات لا لبني شابان . انتهى (78) .

78) ينظر عن سعيد العقباني ايضاً **البستان** ص 106 و **وفيات الونشريسي** (في الف سنة من الوفيات) ص 137 .

1535) **سعيد المسناوي** ، نزيل صومعة تادلة ودفينها ، أخـذ عن الشيخ عبد العزيز التباع ، قال في الدوحة : كان فاضلا زاهداً ذا شوكة وعناية ، توفي في العشرة الخامسة ودفن بزاويته ولم يعقب رحمة الله عليه (79) .

وقال في الممتع بأثره : ثم اخبرني الثقة انه عنده بخط سيدي احمد بن ابي القاسم الزمراني الصومعي ان صاحب الترجمة من اصحاب سيدي محمد المسناوي المذكور بعده ، وكان اتباعه غاية في اتباع السنة ، كما ان اتباع سيدي محمد بن عيسى الفهدي آية في المحبة والأدب ، فكان يقال المحبة عيساوية ، والسنة مسناوية ، وكان كثير الأتباع ، منهم نحو الثمانمئة او عشر مئة متجردين يأكلون من عنده من طعام زاويته ، وكانوا اذا امسوا عرضوا عليه ما كان منهم بالنهار من قول او فعل او نية او عزم في العادات والعبادات ، وان وجد عند احدهم ما لا يصلح عاقبه بالقول او الضرب بعصا كانت في يده او بالهجران أو بغير ذلك مما يراه رادعا وكفارة ، ولا يتحركون بشيء الا باذنه وبنية صحيحة ، ويذكر انه كان لا يلد فتزيد له مرة ولد ، فأخبر بذلك فذهب الى الدار فوجدها مطبقة واهلها في فرح وسرور ، فقال لزوجه ان كنت تفرحين بموته كما فرحت بولادته فنعم ، والا فالله يعطيه ما يذهب به ، فلم يمكث الا ثلاث ليال او نحوها ومات ، ثم لم يلد بعده ، ويحكى ان سيدي ابا الرواين المكناسي زاره سيدي علي بن ابراهيم في حياته ، فلما قفل من عنده اتى في طريقه على محل سيدي سعيد المسناوي بعد موته ، فجلس يقضي حاجته في الطريق بمنظر من الناس ، فقيل له ألا تستتر من الناس ؟ فقال واين الناس ؟ ما هنا الا سيدي سعيد ، هو ذاك راقد ، هكذا حدثني بعض الناس والله اعلم بصحة ذلك ، ومثل هذا ما اتفق من سيدي عيسى بن حنشان من اصحاب سيدي الحسن بن عيسى المصباحي وكان بهلولا وكان عارياً دائماً لا يستتر ، فرأوه يوماً بسوق القصر وهو ينضم وينزوي فيستتر ، وقال هذا آدمي مار ، فنظروا فاذا سيدي يوسف الفاسي ، الا ان سيدي عيسى معلوم انه كان ساقط

---

79) **دوحـة الناشر** ص 95

التكليف وسيدي ابو الروابن ليس كذلك فيما يظهر ، فلعل الحكاية لم تصح عنه ، او لعله كان يحضر ويغيب بحيث ينقطع عن وجوده بالكلية في حال غيبته ويغلب عليه فتصدر عنه امور جبرية لحكمة ، او انه تستر فلم يقنع منه السائل بما فعل ، او تستر بثيابه ولم يبعد فكنى السائل او احد الناقلين من البعد بالتستر ، فلما سأله او أنكر عليه رد عليه ونبهه الى ما فقد هو والحاضرون من الآدمية التي هي اول شيء واولاه بالاهتمام موعظة وايقاظاً وترفيعاً للهمم ، لعل مَن يتذكر او يخشى ، اذ الناس ناصحون بكل حال الى غير هذا مما لا نفهمه ولا ندركه ولا نحيط به من احوالهم واسرارهم رضي الله عنهم ونفعنا بهم ، وقيل لسيدي زيان الطليقي صاحب سيدي عبد الرحمان المجذوب لم يقال لك سيدي صكوك ؟ فقال اني ارى الناس في صور البقر فأصكك عليهم (80)

وسيدي محمد المسناوي المذكور ممن اخذ عن الشيخ التباع ايضاً حسبما نقله في الممتع عن بعضهم ، وترجمه ايضاً الحضيكي في طبقاته .

1536) **سعيد بن عبد النعيم ويقال ابن عبد المنعم الحاحي** ، شيخ السنة ، ومحيي الديانة ، كان من اكابر المشايخ واشهرهم علماً وعملا ، وله في المعاملات الشأو الذي لا يدرك مع شدة الشكيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقوة الزهد والورع .

اخذ عن الشيخ عبد العزيز التباع ، وعليه عول في الطريق ، وله مشايخ اخر ، وكان من شدة الدين وقوة الارادة بالمقام الذي لا ثاني له ، قال في الدروحة : قال لي سيدنا الامام عبد الله الهبطي رضي الله عنه يوماً وكان يتكلم على مقام الوراثة النبوية : ما رأيت فيمن ادركت من المشايخ مَن كان على الجادة وجاء بالتربية النبوية على اصلها المعروف من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم مع اصحابه الا رجلين : الشيخ سيدي سعيد بن عبد النعيم في حاحة ، والشيخ احمد ابن القاضي بجبل زواوة ، وكانا في عصر واحد ، وربما تأخر عنه الشيخ سعيد ، وكفى بهذه الشهادة لهما من مثل سيدي عبد الله رضي الله عنه .

80) ما تقدم منقول من **ممتع الأسماع** ص 51

ولقد رأيت في اصحاب الشيخ سعيد قوة عظيمة وشدة هائلة في طريق المعاملة ، ويأتون في ذلك بأبلغ ما يكون من التعمق والتشديد في اتقان العقيدة والطهارة والصلاة وغيرها من العبادات ، بحيث لا يرتكبون من المذاهب الا ما وقع الاجماع على التعبد به ، او اباحة فيما سبيله الانتفاع به للمركب البدني ، وكل ما فيه خلاف لا يسلكون سبيله .

وتوفي في العشرة الرابعة يعني من القرن العاشر ببلاد حاحة ، وقبره مزارة مشهورة ، والذي عند غيره انه توفي سنة ثلاث وخمسين وتسعمئة .

ترجمه في الدوحة والممتع وطبقات الحضيكي (81) .

قلت قبره بحاحة ، وعليه قبة وضريحه مشهور ، وله تأليف في شعب الايمان في مجلد ضخم ، وتقدم في ترجمة سيدي عبد الله الغزواني ذكر ما تكلم به المترجم سيدي سعيد حين قال وانا عالمكم ، من احتاج الى علم الظاهر والباطن فليأتني فانا صاحبه ، وعقيدته شرحها سيدي يبورك .

1537) **سعيد بن ابي بكر الدكالي المشنزائي المكناسي** ممن لقي الشيخ سيدي عبد العزيز التباع المراكشي كما في شمس المعرفة ، وقال في ممتع الاسماع : ومنهم الشيخ سعيد بن ابي بكر المشنزائي دفين خارج مكناسة الزيتون ، المولى العارف الكبير ، الكامل الراسخ الشهير ، قال في المرءاة : كان من اكابر الأولياء ، ومشاهير المشايخ وذوي الهمم العالية ، وقال في محل ءاخر : وشهرته بالولاية والبركة بلغت الغاية . انتهى .

وسأله بعض الناس عن مقامه ونشده الله على ذلك ، فقال له وتد يامزغوب ، قيل وتقطب بعد ذلك ، ومن كلامه هرولوا ياالأقطاب تنالوا حكمتي ، هاسرى سر الوجود ممكن" في ذاتي ، المشرق والمغرب في طي قبضتي ، وكان تلميذه سيدي قداز يتكلم يوماً مع سيدي يوسف الفاسي في الأحوال والمشايخ

---

81) الترجمة منقولة بالحرف من **ممتع الأسماع** ص 50 وانظر ايضاً **دوحة الناشر** ص 102 ع 100 **وطبقات الحضيكي** 2 : 329

ومَن يغلب الحال ومن يغلبه الحال ، فسأل سيدي يوسف سيدي قدار عن سيدي ابي عمرو وسيدي عبد الله بن حسين اذ كان رءاهما ، فأخبره عن حال كل واحد منهما ، ثم سأل سيدي قدار سيدي يوسف قائلا : وانت ياسيدي يوسف ارايت سيدي سعيد ؟ فقال له نعم ، فقال له كيف هو ؟ فقال هو رجل مسكين ، ففهم مراده بالمسكنة وما اشار اليه بها ، فقال موافقاً له ايه ، بمعنى نعم ، اذا تراه تقول هو نبي او قال فرخ نبي ، وفي الدوحة : كان من عباد الله الصالحين ، واوليائه المتقين ، متواضعاً زاهداً متقشفاً كثير الخشية ، لا يفتر عن ذكر الله تعالى ، يطعم الطعام ، ويكفل الضعفاء والأيتام ، ولا يلبس سوى مرقعة خشنة وقلنسوة كذلك من الصوف ، كثير الصمت والفكرة ، وله موضع بزاويته يلازم الجلوس به ، فلا يرى قائماً الا الى الصلاة ، لا يرى له سبب ولا حراثة ، وترد الوفود زاويته في كل يوم وليلة ونِعَمُ الله تشمل جميعهم وتعمهم ، ولقد حدثني بعض الأخيار من اصحابه ممن كان يباشر خدمة زاويته قال : كان الشيخ يوصى صاحب خزانته وراعي بهائمه ويقول لهما لا تحسبا داخلا ولا خارجا ، فكل ذلك من باب الفتح ، والله يبسط الرزق لمن يشاء ، قال فكنا ندخل في بعض الأحيان لمخازن الزرع فلا نجد فيها شيئاً ، فيأتي الخازن ويخبره بذلك فيقول له ارجع وحقق البحث والنظر هل الزرع باق هنالك ؟ فيرجع الخازن فيجد الزرع في المخازن ، وكذلك الراعي اذا فرغت البهائم يخبره بذلك ، فيأتي الله بها في ذلك اليوم ، فكانت البركة ظاهرة للعيان في جميع اسبابه .

وكان يكاشف اصحابه وغيرهم بما يفعلون في كل حين ، ومن كراماته الشائعة الذائعة ما اتفق له مع الوزير محمد بن السلطان احمد المريني لما استوزره ابوه وولاه على مكناسة وكان بها ، فغضب على احد المشاوريين ، فهرب المشاوري الى زاوية الشيخ فبعث الوزير الى الشيخ بالأمان عليه وان يبعثه اليه ، فقال له الشيخ ان شئت ان تذهب الى ضيفك يعني سيدك فافعل ، فقال المشاوري يأسيدي اخاف أن يقتلني ، فقال الشيخ ان قتلك يقتله الله ، فذهب المشاوري الى الوزير وبقي عنده ليلتين ، وفي الثالثة قتله ولم يظهر له أثر ، فجاءت أمه الى الشيخ وقالت له ياسيدي ان ولدي قد قتله الوزير ،

فقال لها سبق ذالك في سابق علم الله ، وان الآخر سيلحقه الآن ، يعني الوزير ، فوعك الوزير في تلك الليلة وتسلط عليه أكال في جسمه فتمزق لحمه وتقطع قطعاً شيئاً فشيئاً حتى تمزق لحمه ومات لأيام قلائل ، فاعتبر الناس والسلطان من ذلك ، ومن ذالك الوقت زاد الأمراء وغيرهم في احترام زاوية الشيخ ، حتى ان الذي يفعل ما عسى أن يفعل من عظائم الجنايات ويلجأ الى ساحة الزاوية لا يتبعه أحد ، وحد الحرم من ناحية البلد الساقية الجارية بالماء ، وهي الى البلد أقرب منها الى الزاوية ، ولقد رأيت الحكام يتبعون الجاني حتى اذا وصل الساقية رجعوا عنه ، وعندهم بالتجربة المتكررة أن الذي يتخطى الساقية تصيبه عاهة من حينه ، وما رأيت بزوايا المغرب ومصارع الأولياء حرماً مثل حرم زاوية هذا الشيخ ، وان الأمراء يتحامون حماها احترازاً من وقوع العاهات بهم في العاجل .

توفي رحمة الله عليه في أواسط العشرة السادسة بل في ءاخرها ودفن بزاويته انتهى .

ومن كراماته الشائعة ان سلطان الوقت نزل بظاهر مكناسة قريباً من زاوية الشيخ ، وكانت هناك اقامة ، فجاءه بعض اصحاب السلطان يزوره ، وكان بصومعة زاويته ، فقال له ياسيدي سعيد او ما علمت بكون السلطان هنا ؟ ولم لم تلقه ؟ فقال له الشيخ واخرج ذراعه ومدها : السلطان هو الذي عرفته انـا ، فأخذت الصومعة تضطرب وتتحرك كالغصن ، ففـزع صاحب السلطان ولجأ الى الشيخ وامسك برجليه وجعل يضرع اليه الى ان سكن حاله وسكنت الصومعة ، فلما ذكر ذلك للسلطان قال له أي شيء دعاك الى ذلك حتى احرجت الشيخ وقال ما قال ؟

ومن كراماته ايضاً انه لما ولي الشرفاء الملك بالمغرب اتاه خديمهم يطلب منه ما استودع عنده بنو مرين من امتعتهم ، فوجده جالساً بناحية من زاويته يضفر الـدوم ، فجلس واذا بطائر لعله البلورج سلح امامـه ، فما رفع الشيخ بصره حتى سقط الطائر ميتاً متطاير الريش ، فلما رءاه خديم الملك فزع وولى هاربـاً .

ومنهـا ان سيـدي أحمد الشريف نزيـل بنـي سلمـان مـن جبل لمطة وكان صاحب حال وله قدم في الطريق وقعت له وحشة في باطنه بينه وبين سلطان الوقت ، وهو محمد الشيخ المهدي ، ادى ذلك الى أن صرف همته لاهلاكه ، فدخل عليه في الغيب ليوقع به بشاقور في يده او ورد عليه بذلك وارد جبري ، فاذا بالشيخ صاحب الترجمة قائم عليه ويده على رأسه كالحافظ له ، فلم يكن الا ان التفت اليه وقال له كالمنكر عليه : الى هاهنا ؟ اذهب فما لك الى ذلك من سبيل ، فرجع ، وهذا الذي اتفق له كذلك وقع في الخارج وحاله كان صحيحاً ، فـان الترك قطعوا رأس السلطـان المذكور بشاقور ، الا أن الوقت كان متأخراً ، وهذا الشيخ كان أكبر منه فأدبه لجرأته عليه ، فكان ذلك سبباً لتخليه وانحطاطه ، واحساسه بالنقص في حالـه ، وما كان يعتاده من شأنه ، وظهر اثر ذلك عليه في الظاهر ليفرق الناس عنه ، وتعطلت الزاوية ، فبينما هو في بعض الأحيان في مسجد القرويين اذ التقى بسيدي قدار وهو من أصحاب الشيخ سيدي سعيد فلما رءاه انكر حاله لأنه كان يعرفه قبل ، فاذا به مكسوف سيء البال ، فقال لـه ما شانك يافلان ؟ فقص عليه شأنه وما وقع له مع الشيخ ، وقال له أريد منك أن تتوسط لي عند الشيخ ، فساعده على مطلوبه ، فذهبا حتى قدما منزل الشيخ ، فقال لـه ياسيدي قدار ، لو ذهبنا الى سيدي فلان أحد كبراء أصحاب الشيخ فنستعين به على هذا الأمر ، فذهبا اليه فتفاوضنا معه على امرهما ذلك ، فقال لهما امهلا ، حتى اذا كان يوم الجمعة قصدنا الشيخ ، لأن الفقراء يجتمعون ويذكرون فيهتز الشيخ لذلك ويتواجد ، ففعلوا ذلك ، وذهبا به يقدمانه وهو وراءهما ، فلما مثلوا بين يدي الشيخ عرفـه وقال لـه انت هذا ؟ فقال نعم ياسيدي ، فأخذوا يقبلون رجليه ويعطفونه عليه ، فما زالوا به حتى قبله ورضي عنه وامره بالانصراف ، فقال له الى اين ياسيدي ؟ فقال له الى موضعك ، فرجع وانجبر حاله ، وعاد الى ما كان عليه واحسن .

وكان سيدي قدار يقول : كان سيدي سعيد ضابطاً لي بهمته ، وبقي على بالي اني سمعت عنه انه كان يقول : سيدي سعيد مَن أتى لصحبته وهو مع

نفسه امسك عنه نفسه واطلقه ، وكان صاحب الشيخ له بهائم وكأنها كانت تشغله ، فقال له الشيخ قلبي هائم هائم ، ما يشتغل ببهائم ، غير الحي الدايم ، جل الله ، وزاره الشيخ الصالح ، محب اهل الله ، احمد المرابط الصباغ رحمه الله فقال له كيف انت ياسيدي ؟ فقال له ما علينا الا فضله واحسانه ، فقال له كيف حالك ياسيدي ؟ فقال له ما نرجو الا عفوه ورحمته ، فقال له ايش رايت روحك ياسيدي ؟ فقال له ما لنا حول ولا قوة الا بالله .

وأخذ صاحب الترجمة عن الشيخ سعيد الداعي ، وروضته بزاويته شهيرة ، رضي الله عنه ونفعنا به (82) .

1538) سعيد بن علي الحامدي الجزولي

سعيد بن علي بن محمد بن عبد العزيز الجزولي الحامدي ، اخو عبد الرحمان ، قال في الفوائد : الفقيه الأديب الشاعر المفلق البليغ سعيد بن علي بن محمد ، سهم العريض المغرب ، وامام القريض بالمغرب ، من تسمَّى في زمام البلاغة بتمام الابداع وحسن الصياغة ، بشعره نافح اقصى المغرب ادناه ، وبسحر بيانه كافح جيش المحاورة فعاد ملك يمناه ، والأدبُ له عبد يجيب متى دعاه ، وسهم يصيب الغرض متى رماه ، ودوحة اللسان بقطره بتلقيحه اثمرتْ ، وروضة البيان بنضحه امرعت وعطرت ، وقصائدُ شعره التي سحرت الألباب ، وفاضت فيضان العباب ، تشهد له .

توفي رحمه الله قبل الثمانين وتسعمئة بمراكش ودفن بها ، انتهى .

اخذ عن ابيه عن ابن هلال ، وعن عبد الوهاب بن محمد الزقاق ، وعن علي بن موسى بن هارون ، وعن ابن غازي ، وعنه ابو بكر احمد بن سعيد الجزولي نزيل مراكش ، واجازه ما في فهرسة الامام ابن غازي .

ذكره الحضيكي في طبقاته (83) .

---

82) الترجمة منقولة حرفاً بحرف من **ممتع الأسماع** ص 101

83) طبقات الحضيكي 2 : 43

وقال في (شارة الزائرين) بعد ذكر الحامدي ثم الأسى صاحب القصائد العديدة الفريدة ، شاعر عصره ونحويه ولغويه توفي بمراكش قاصدا لحاجه ، فتوفى فيه ، وهو اخو الفقيه الورع الأتقى سيدي عبد الرحمان بن علي المتوفى سنة 984 انتهى .

ومن شعره في المدرسة المتصلة بجامع ابن يوسف التي اخترعها ابو الحسن المريني وجددها السلطان مولاي عبد الله :

ان الخليفةَ عبد الله يـوأنـــــي ... اذ كنت اهــلاً لأهــل العلم والأدب
نجل الامام الرضى المشهور محتده ... خليفة الله وابن خيـرة الـعـــرب
وفي الثلاثـة والسبعين زائـــــدة ... وبعد تسع مئين عـد من حقـــب

انشدها في ابتداء مرضه الذي توفي فيه بحضرة مراكش اواخر صفر من عـام 1073 وتوفي ليلة الأحـد الرابع من شهر ربيع النبوي من العـام المذكور (84) .

1539) **سعيد بن يعقوب السوسي الجزولي السملالي** ، دفين . . . . فحل من اصحاب الشيخ ابي عمرو المراكشي .

1540) **سعيد بن سعيد** سأل الله أن يدله على مَن يدله عليه فوضعت السلسلة في عنقه لحينه ، فذهب به الى مراكش ، فلقي الشيخ سيدي أبا عمرو المراكشي فوق ما أمل ، فبلغه الله به اقصى أمانيه حتى كان يقول رضي الله عنه : مَن أخذ حلة فانية من يد الفاني فهي فانية ، ومن اخذ حلة باقية من يد الباقي فهي باقية .

ذكره الزروالي .

---

84) كذا بالأصل ، ولا يستقيم هذا التاريخ مع ما ذكر من قبل من انه توفي قبل الثمانين وتسعمئة ، ولا مع القطعة المنظومة التي قالها في جامع ابن يوسف ، فلعل تاريخ وفاته هو عام 973 لا 1073 .

ويجب التنبيه الى ان تراجم من اسمه سعيد في الأصل وقع فيها خلط بما اضاف المؤلف اليها بعد كتابتها من زيادات بخطوط متداخلة توجب قراءتها بكثير من التحفظ والاحتراز .

1541) **سعيد بن ابي القاسم التاملي** ، الكاتب توفي سنة 999 تسع وتسعين وتسعمئة انتهى من لفظ الفرائد .

1542) **سعيد بن علي بن مسعود السوسي الهوزالي** ، حلاه في الفوائد الجمة بقاضي القضاة ، وقد وقفت على سؤال الفقيه اللبيب سيدي عبد الواحد الشريف فقيه مدينة مراكش للفقيه المدرس قاضي الجماعة سيدي سعيد بن علي ، وبعده نص اجابة سيدي سعيد (85) .

1543) **سعيد بن مسعود الماغوسي** الصنهاجي المراكشي ، ابو جمعة ، ولد بعد الخمسين وتسعمئة ، وجال في البلاد ، واخذ بمصر عن علي بن غانم ، والناصر الطبلاوي ، ولقيه المَقّري واجازه ، ذكره في تاج العروس صفحة 309 من الجزء الخامس ، وتصحَّف في الطبع المراكشي بالمهاكش ، وذكر في صفحة 404 من الجزء الثالث ان عاشر بن احمد ابن عاشر الأندلسي حدث عن ابي جمعة بن مسعود الماغوسي ، وتصحَّف في الطبع بالشين الماغوشي ، وقد وقفت على شرحه للامية العجم الذي اتمه ضحوة يوم الأحد الرابع عشر من ربيع الثاني عام 990 قرظَه محمد بن محمد بن سالم بن علي الطبلاوي الشافعي ، وعلي بن محمد بن علي الشهير بابن غانم الخزرجي المقدسي ، ومحمد بدر الدين القرافي المالكي سبط العارف عبد الله ابن ابي جمرة ، ويحيى بن محمد بن محمد الحطاب المالكي المكي مولداً الطرابلسي بلداً ، وعبد الله بن محمد بن ابي القاسم العميري ، ومحيي الدين المقْري العمري الحنفي ، وشرح ايضاً لامية العرب ، وسماه (اتحاف اهل الأدب ، بمقاصد لامية العرب) ، وعندي هذا الشرح بخط احمد ابن سودة بن علي بن ابي القاسم الشهير بابن سودة المتقدم الذكر ، فرغ من نسخه عشية يوم خامس صفر سنة 1006 انتسخها من نسخة بخط مؤلفه مقابل صحيح ، ولم يكتب من خط مؤلفه اولا غير هذا ولم ينقل من حاضرة

---

85) ولد سعيد بن علي بن مسعود الهوزالي عام 913 هـ وتوفي ليلة الاثنين 18 صفر عام 1001 هـ ، وله ترجمة طويلة في **طبقات الحضيكي** (2 : 341) ، وترجمة ثانية في **درة الحجال** 3 : 299 ع 1383 لا ادري كيف غفل المؤلف عنهما .

مراكش المحروسة حيث الف الى فاس المباركة الميمونة قبل هذا الشرح عيره ، مؤلف هذا الشرح هو الشيخ فريد عصره السيد الحاج سعيد الماغوسي ، ولم اسأله عن اسم والده ولا عن مولده مع مخالطتي له بمراكش سنين كثيرة ، وسؤالي له عن اشياء في جميع الفنون العلمية اعتماداً منه على أن يكتب لي على هذا الأصل بخط يده نسبه بعد فراغي من نسخه ، ثم فرقت الأيام بالطاعون الكبير في الدولة المنصورية المشهور امرها ، ولم نجتمع فيما بعد ، حتى توفي المؤلف المذكور اثر الطاعون بسنة ؟ فحينئذ رسمت اسمه ولقبه وموضع نشأته ، وكان سكناه بمراكش المحروسة بدار لها بابان ، احدهما في أزبرط ، والآخر بتاشنباشت معروفة هنالك ، ولم اتحققْ بمولده ولا بسنة وفاته ، غير ان وفاته ما بين السبعة عشر والعشرة بعد الألف ، والله اعلم ، قال ذلك وكتبه بخط يده الفقير كاتب النسخة المذكور .

انتهى من خطه بلفظه .

وقال في درة الحجال (86) :

سعيد ابن الماغوسي الملقب بوجمعة ، فقيه اديب ، له تواليف حسنة ، منها شرحه على لامية العجم ، وآخر على لامية العرب ، وشرح درر السمط ، في اخبار السبط ، وكلها بقصد الخزانة المنصورية — ابقاه الله بمنه — وله رحلة الى المشرق ادى فيها فريضة الحج ، واخذ هنالك عمن لقيه من اعيان اهل المشرق ، وعن اهل مصر والحجاز والشام ، واهل القسطنطينية وغيرهم ، وله فيما اظن مشيخة قيَّد فيها اسماءهم وما سمع منهم ، ولد بعد 950 في غالب الظن ، وهو حي من اهل العصر ، وله خط رائق ومشاركة في العلوم وفهم ثاقب .

---

86) لم يورد المؤلف في الأصل ماكتب ابن القاضي عن سعيد الماغوسي في درة الحجال ، فنقلنا ماكتبه عنه هنا تعميماً للفائدة .

ط درة الحجال 3 : 304 ع 1390 .

1544) **سعيد بن ابراهيم الهوزالي** من علماء مراكش في القرن الحادي عشر ، اخذ عنه بها قاضيها الحسن بن علي الهلالي المتوفى اواخر العشرة العاشرة من المئة بعد الألف كما تقدم في ترجمته ، واسم والده ابراهيم .

وتقدم ذكر سيدي سعيد بن ابراهيم الهوزالي في ترجمة تلميذه سيدي محمد بن احمد ابن يعقوب الشرقي مجيزه في أول شوال عام 1086 المتقدم صفحة 27 الجزء 5 ، وتقدم ذكره في ترجمة سيدي الحسن الهلالي المذكور عند ذكر العلماء الذين كانوا بمراكش ايام قضائه وعدالته ، ومن الهوزاليين منصور قاضي رودانة ، توفي منصور قاضياً سنة 1074 وهو والدُ احمد بن منصور الأديب فيما يظن .

1545) **سعيد بن يوسف الحنصالي** الشيخ العلامة الشهير ، تلميذ سيدي علي بن عبد الرحمان الدرعي التادلي المتقدم ، وليس المترجم صاحب القبر بزاويته بحومة المصفح بمراكش ، لأنه دفن بالدلاء بتادلة ، وتوفي في ثاني عشر ربيع الأول عام أربعة عشر ومئتين والف وله زاوية بآية عطا ، وانما ذكرته . . . القول بعض القاصرين انه صاحب القبر بزاويته بمراكش ، وراجع 181 من ج 2 من السلوة ثم 137 من الجزء الثالث منها (87) .

1546) **سعيد بن ابي القاسم العميري** ، التادلي الأصل ، المكناسي الوفاة ، الفقيه العلامة ، المشارك المحقق الفهامة ، المعقولي الأشهر ، البياني الأكبر ، كان رحمه الله ءاية في النحو والبيان ، مجبولا على محبة أهل الولاية والعرفان ، يكثر من مخالطتهم ، ويوثر حديثهم ومجالستهم ، وكان السلطان مولانا اسماعيل قدس الله سره لما رأى فصاحته وتحصيله ، وحسن ادراكه واجماله وتفصيله ، اعجبه كل الاعجاب ، وامره بالتدريس في حضرته العلمية وولاه قضاءها ، وجعل له الشورى في مهماته ، وكان مع ذلك يخالط السيديْن الوليين سيدي احمد بن عبد الله ، وسيدي احمد اليمني ويتردد لزيارتهما ،

---

87) له ترجمة صغيرة في **نشر المثاني** 2 : 170 (طبع فاس)

فتأدب بهما حتى حصل على طائل ، وكمل جاهــه بموالاة السلطان مولانــا اسماعيل المذكور ، وكان ترد عليه مسائل غامضة فيعرب عنها ، سيما في علم البيان ، وأخذ رحمه الله عن الشيخ الحسن بن مسعود اليوسي وطبقته ، وأخذ عنه جماعة من فقهاء مكناسة وغيرها ، منهم العلامة سيدي الحسن ابن رحال المعداني ، والفقيه القاضي سيدي احمد الشرادي ، واولاده الفقيه سيدي احمد والفقيه المفتي القاضي سيدي ابــو القاسم والفقيــه النحوي سيدي عبد الرحمان ، وغيرهم .

توفي رحمه الله بمكناسة ودفن بها عام 1131 واحد وثلاثين ومئة والف .

ذكره في نشر المثاني (88) .

1547) **سعيد الشلح الجزولي** ، كان من كتاب سيدي محمد بن عبد الله العلوي معتبرا في الانشاء والترسيل .

1548) **سعيد بن محمد بن أحمد جيمي** ، السوسي التيوتي المراكشي ، كان رحمه الله فقيهاً علامة مشاركاً متبحراً نظاراً محصلا مفتياً بارعاً ناظما ناثراً ، اخذ رحمه الله عن العلامة شيخ مصر الشيخ أحمد منة الله ، وعن والده العلامة الزاهد الورع سيدي محمد بن احمد الروداني ، وعن عالم فاس سيدي بدر الدين الحمومي ، وغيرهم ، حج رحمه الله قديماً ، ولقي في حجته اعلاماً ، ثم رجع لمراكش فأخذ عنه الناس طبقة بعد طبقة وانتفعوا به ، منهم الفقيه المفتي السيد صالح بن المدني السرغيني ، والفقيه السيد عبد السلام بن المعطي السرغيني ، والفقيه الحاج محمد ازنيط ، والفقيه الحــاج العربي الرحماني ، والفقيه السيد ابراهيم الضرير ، والفقيه السيد محمد بن المهدي ابن شقرون ، والفقيه السيد أحمد الحيحي ، والفقيه السيد محمد بن علي الزعراوي ، وغيرهم من نجباء طلبة مراكش ونواحيها ، كقطر سوس وغيره ، تصدر للفتوى بمراكش رحمه الله ، وكانت تقع بينه وبين عصريه شيخنا

---

88) **نشر المثاني** 2 : 117 (طبع فاس) .

العلامة السباعي انتقادات يرد كل منها على الآخر ، ويقول كل منهما ما يقوله المتعاصران جعجعة ولا أرى طحناً ، ويجيبه الآخر بأنه لم يأت الا بالهز بلا جز ، ووقعت بينهمـا رسائل في ذلك وقفت على الجميع ضمن الفتاوي وغيرهـا ، وصنيعه في فتواه انه يلخص الفقه ويقول كما قرر في محله على وجه الابهام والتعمية على معاصريه ولا يبين لهم المحل الذي نقل منه ، وكان يقول لا اعلمهم ، وقد سلك هذا الصنيع عصريه السيد المطيع رحمه الله ، وقد درج بيدي كثير من فتاويهما على النهج المذكور حين كنت اتعاطى الفتوى بمراكش وتظهر الرسوم القديمة ، وكان قلمه أفصح من لسانه ، اذ كانتْ فيه عقدة ، ووقفت له على رسالة وكل تسميتها الى أهل العلم ، صنفها في الرد على عصريه العلامة الأمين الصحراوي ، مصنف رسالة (المبدىء المعيد ، في حكم ناسي تكبير العيد) ، اذ غلط فيها الصحراوي فحكم بصحة مَن نسي ثلاث تكبيرات من تكبيرات العيد وفاته التدارك بالسجود لها محتجاً في ذلك بأنقال وضعها في غير موضعها والكمال لله تبارك وتعالى .

درس المترجم بجامع الشرفاء بمراكش وبجامع الزاويـة العباسية وغيرهما ، وكان يتبجح بكبر سنه وعلو سنده ، وكان خطيباً بجامع سيدي ابي اسحاق بعد وفاة خطيبه الفقيه المدرس السيد عبد الله الدراوي العثماني المتوفى في خلافة مولانا عبد الرحمان قدس الله روحه ، وخطب بجامع الشرفاء أيضاً لما عزل عنه السيد أحمد بوضربة لقراءته للكتاب الذي كتبه مولاي احمد ابن الكبير بأمر رؤساء مراكش في الثورة على ابن داوود ، ثم رجع بوضربة الى محلة بعد ذلك ، وتولى العدالة على الربيعة العباسية ، وجرت له في ذلك قضية شهيرة بلغت السلطان مولانا الحسن رحمه الله ، وكان له خط رائق ، وترسيل حسن ، وله أمداح في الأمراء وغيرهم ، واجاز الفقيه العلامة سيدي الحـاج العربي بن بنداوود الشرقي نزيل مراكش اجازة حافلة كتبها له بتاريخ 1287 في الحضرة المراكشية ، وتقدمت في ترجمة سيدي العربي المذكور وذكر بعض فتاويه وتصحيح الفقيه السيد عبد الوهاب ابن البهلول وشيخنا الفقيه سيدي الحاج محمد ازنيط وصاحبنا الفقيه العلامة سيدي المهدي الوزاني في حاشيته على التحفة لدى مسائل الرهن فراجعها .

توفي المترجم رحمه الله في ليلة 28 رمضـــان سنة 1313 في النصف الأخير منها .

اجازه جماعة من اهل العلم منهم الشيخ سيدي بدر الدين الحمومي ، قال في اجازته له : وان ممن جال في ميدانه ، يعني العلم ، وحاز قصب السبق فيه بين اقرانه ، صاحبنا الفقيه النبيه السيد سعيد بن محمد جمي السوسي ، فلازم كاتب هذا الرقيم ، لما اقشعرت البلاد ورعي الهشيم ، مدة ، وسمع منه مسائل عدة ، وقد طلب مني الاجازة فأسعفته ، وقلت قد اجزت الأخ المذكور ، في كل منظوم ومنثور ، على الشرط المسنون ، عند ارباب الفنون ، وهو الصدق والتحري ، وان يقول فيما لا يدريه لا أدري ، انتهى . وهي مؤرخة في رمضان عام 1259 ، ومنهم العلامة سيدي محمد بن عبد الرحمان الحجرتي قال فيها : فان الفقيه السيد سعيد المجاز قرأ علينا وكان يحضر مجلسي درسنا واقرائنا ، وطلب منا الاجازة فأجبته في مرامه ، فأقول قد أجزت الفقيه المذكور في جميع مسموعاتي ومقروآتي ومروياتي ، وجميع مـا تجوز عني روايتـه ، وتنسب الي درايته ، اجازة بالعموم متصفة ، وبالشمول معترفة ، بشرطها المعتبر عند أهل الحديث والأثر . انتهى . ومنهم العلامة سيدي محمد عبد الله المجاوي التلمساني ، قال فيها : وان ممن تعاطاه ، يعني العلم ، وفارق في طلبه مقره ومأواه ، طالباً بذلك من الله رضاه ، الفقيه النجيب ، الآخذ من الأصول والفروع اوفر نصيب ، السيد سعيد بن محمد السوسي الجمي ، فطلب مني أن اجيزه فيما سمع مني من معقول ومنقول ، فأقول اسعافاً له : قد أجزته اجازة تامة ، وافية عامة ، كافية بشرطها المعتبر ، وقيدها المحرر ، انتهى . ومنهم العلامة سيدي أحمد المرنيسي قال فيها : هذا وممن ارتقى منبر ذلك مراقي .... وتخرج من مشاقة الشدى وخاض بحار العلوم ، وافتتح قلاع الحديث وحصونها ، وتسنم منبر المعالي ودانت له شواردها ، وترك في تحصيلها نومه ، فساد قومه ، النبيه الأرضى ، الخير المرتضى ، الفقيه النجيب ، الحيي الحسيب ، سيدي سعيد بن محمد أعلى الله في درجة الرفعة مقامه ، واولاه من كل خير وزاده ، ولقد طلب ان اجيزه فيما أخذ عني من العلوم المتعلقة بالسنة والكتاب ، فما وسعني الا الجواب ، فقلت والله الموفق للصواب ،

قد اجزتك ايها الأخ بشرط الاتفاق اجازة شاملة مطلقة عامة . انتهى . وتاريخها 22 جمادى الأخيرة من عام 1259 ، ومنهم الفقيه الأديب نقيب الأشراف العلويين بالحضرة الادريسية ، مولاي العربي بن احمد بن علي البلغيثي واطال في الثناء على المجاز بالتحصيل والنجابة وملازمته له ملازمة الجوهر للعرض والظفر بفنون التوقيت والفرائض والحساب ، ثم قال : قلت قد أجزت الفقيه المذكور في كل ما سمعه مني او نقله عني ان صحت الرواية عن مثلي ، وعد من النقل نقلي ، بالشرط المعتبر . انتهى . وأرخها بتاريخ مهل جمادى الأولى عام 1261 .

ولما حج عام 1277 تلاقى بمكة المكرمة برئيس المدرسين ببلد الله الحرام ، جمال بن عبد الله شيخ عمر الحنفي المفسر المحدث بالمسجد الحرام ، واجازه اجازة عامة في جميع ما تجوز له روايته بعد أن سمع منه اوائل الكتب التي صنفها تاج الدين محمد بن القاضي عبد المحسن القلعي وحلاه في اجازته بحضرة فخر العلماء العاملين ، وقدوة أهل الورع واليقين ، الأخ في الله رب العالمين ، السيد سعيد جيمي بن محمد المراكشي داراً واستقراراً ، وتاريخ هذه الاجازة 14 محرم عام 1278 ، واجازه أيضاً اجازة عامة العلامة سيدي محمد بن محمد العزب ، خادم العلم بالمسجد النبوي ، وحلاه بالشيخ الفاضل ، والعالم العامل ، المتحلي بحلا الفضائل والفواضل ، سلالة الأماجد الأفاضل ، اخانـا العارف بالله تعالى ، الحـاج سعيد جيمي بن محمد المراكشي داراً واستقراراً ، قال فيها : واجزته بكل ما تلقيتُه من معقول ومنقول ، لا سيما ما حواه ثبت شيخ مشايخنا العلم المنير ، محمد بن محمد الأمير الكبير . انتهى ، ومنهم شيخ العلماء والمدرسين ، بحرم سيد المرسلين ، سيدي يوسف الغزي ، اجازه اجازة عامة ، وذكر فيها من أشياخه المحقق الشيخ محمد الأمير عن استاذه والده الشيخ محمد الأمير الكبير صاحب الثبت ، والشيخ القوسيني ، واجازه ايضاً اجازة عامة العلامة الشيخ محمد قطة العدوي الأزهري المالكي وبالغ في الثناء عليه ، وارخها بتاسع صفر عام 1278 ، ومنهم العلامة الشيخ احمد منة الله المالكي مدرس العلم بالأزهر اجازه بثبت شيخه الشيخ الأمير الكبير وبكل ما تصحُ له روايته ، اجازة عامة .

وتقدم ذكر المترجم في ترجمة تلميذه سيدي محمد بن عبد العزيز بن سليمان ، وفي ترجمة سيدي بنداوود الشرقي .

1549) **سعيدة بنت محمد** بن فيره الأموي التطيلي ، ولها أخت أصغر منها سنذكرها بعد بحول الله ، سكنتا مراكش ، وكانتا من بيت خير وصيانة ، قال احمد بن عبد الرحمان ابن الصقر : جاورتاني فتعرفت منهما خيراً وفضلا ، وذكاء ونبلا ، وكانت سعيدة تنسخ الكتب نافذة فيها تكتبه أو تخاطب به ، وتزوجت (89) .

1550) **سفيان الأندلسي** المعمر ، اشتهر بتأليفه كتاب التجربتين على ادوية ابن وافد الذي اشترك معه فيه ابن باجة كما تقدم صفحة 383 من الجزء 3 كان طبيباً ماهراً خاصاً بعلي بن يوسف بن تاشفين .

توفي سنة 537 بمراكش .

1551) **سهل بن محمد ابن مالك الأزدي**

سهل بن محمد بن سهــل بن مالك بن احمد بن ابراهيم بن مالك الأزدي ، صدر هذا البيت ، وياقوته هذا العقد ، قال احمد ابن مسعدة : كان رأسَ الفقهاء ، وخطيبَ الخطباء البلغاء ، وخاتمة رجال الأندلس ، تفنن في ضروب من العلم ، وبالجملة فحاله ووصفه في اقطار الدنيا لا يجهله أحد ، فحدثْ عن البحر ولا حرج ، ولا أظن ان الزمانَ يسمح برجل حاز الكمال مثله .

حالــه : قال ابن عبد الملك : كان من اعيان مصره ، وأفضل اهل عصره ، تفنناً في العلوم ، وبراعة في المنثور والمنظوم ، محدثاً ضابطاً ، عدلا ثقة ثبتاً حافظاً للقرءان العظيم ، مجودا له ، متفنناً في العربية ، وافر النصيب من الفقه واصوله ، كاتباً مجيداً للنظم جده وهزله ، ظريف الدعابة ، مليح التندير ، له في ذلك أخبار مستظرفة متناقلة ، ذا جدة ويسار ، متين الدين ،

---

89) الترجمة منقولة من **الذيل والتكملة** 8 : 249 (مخطوط الخزانة العامة بالرباط) .

تام الفضل ، واسع المعروف ، عميم الاحسان ، تصدق على القرب من وفاته بجملة كثيرة من ماله ورباعه ، وله وفادة على مراكش .

مشيخته (90) .

مَن روى عنه (91) .

ثناء الناس عليه المجال في هذا فسيح ، ويكفي قول عبد الرحمان الفازازي :

عجباً للناس تاهوا بثنيات المسالك
وصفوا بالفضل قوما وهمُ ليسوا هنالك
كثُر النقل ، ولاكن صح عن سهل ابن مالك

شعره : وشعره كثير شهير ، ومن نمط النسيب قوله وهو بسبتة بعد وصوله مراكش لما اجتمع مع جماعة من الأدباء ، فيهم المهر ابن الفرس وغيره بمدينة سبتة سنة 581 فتذكَّروا محبوباً لهم يسكن الجزيرة الخضراء امامهم ، فقالوا ليقلْ كل واحد منكم شيئاً فيه ، فقال المترجم :

لما حططت بسبتة قتَبَ النوي والقلب يرجو ان تحول حاله
والجو مصقول الأديم كأنما يبدي الخفيَّ من الأمور صقاله
عاينتُ من بلد الجزيرة مكنساً والبحر يمنع ان يصاد غزالُه
كالشكل في المرءاة تبصره وقد قربت مسافته وعزَّ مناله

فقال الجماعة والله لا يقول احدٌ منا بعد هذا شيئاً .

ومن شعره :

تبسم واستأثرت منه بقبلة فشمت اقاحاً وارتشفت عقارا
ومرَّ فأيدي الريح ترسل شعره كما ستر الليل البهيمُ نهارا

---

90) لم ينقل المؤلف اسماء شيوخه ، وهي مثبتة في **الاحاطة** .

91) لم ينقل المؤلف اسماء من روي عنه ، وهي مذكورة في **الاحاطة** .

فيالك ليلا بالكثيب قطعته　　كما رعتُ بالزجر الغراب فطارا
تغصُ بنا زهرُ الكواكب غيرة　　فتقدح في فحم الظلام شرارا

ومن ذلك قوله :

ولما رأيت الصبحَ هبَّ نسيمه　　دعاني داعيه الى البين والشت
وقلت اخاف الشمس تفضح سرنا　　فقالت معاذَ الله تفضحني اختي

ومن قوله في الحكم والأمثال :

منغص العيش لا يأوى الى دعة　　مَن كان في بلد او كان ذا ولد
والساكن النفس مَن لم ترض همته　　سكنى مكان ولم يسكن الى احد

محنته : وامتحن رحمه الله بالتغريب عن وطنه لبغي بعض حسدته عليه ، فأسكن بمرسية زماناً طويلا الى ان هلك بالمدينة الأمير محمد بن يوسف ابن هود ءاخر جمادى الأولى سنة خمس وثلاثين وستمئة ، فسرح سهل الى بلده في رمضان من هذه السنة .

قال علي الرعيني دخلت عليه بمرسية وبين يديه شمامة زهر فأنشدني لنفسه :

وحامل طيب لم يطيبْ بطيبه　　ولاكنه عند الحقيقة طيب
تألف من اغصان ءاس وزهرة　　فمن صفتيه زاهر ورطيب
تعانقت الأغصان فيه كما التقى　　حبيبٌ على طول النوى وحبيب
وان الذي أدناه بعد فراقه　　الي لسرٌ في الوجود عجيب
مناسبة للبين كان انتسابُها　　وكل غريب للغريب نسيب
فبالأمس في اشجاره وبداره　　وباليوم في دار الغريب غريب

تواليفه : صنف في العربية كتاباً مفيداً رتب الكلامَ فيه على أبواب سيبويه ، وله تعاليق جليلة على كتاب المستصفَى في اصول الفقه ، وديوان شعر كبير ، وكلامه الهزلي ظريف شهير .

مولده في تسعة وخمسين وخمسمئة .

وفاتــه توفي بغرناطة منتصف ذي قعدة سنة تسع وثلاثين وستمئة ، وزعم ابن الأبار ان وفاته كانت سنة اربعين وستمئة وليس بصحيح ، ودفن بمقبرة شقستر ، قال ابن عبد الملك : وكان كريم النفس ، فاضل الطبع ، نزيه الهمة ، حصيف الرأي ، شريف الطباع ، وجيهاً مبروراً معظماً عند الخاصة والعامة (92) وتقدمت ترجمة عبد الرحمان الفازازي (93) .

1552) سيدي بن المختار بن الهيبة الأبييري ثم الانتشائي ، قال في الوسيط : ونسبه الأصلي يرجع الى تندغ ، ثم ان فخده اولاد انتشاييت كذلك ، وانما سكنوا في اولاد ابيير وتواشجت بينهم الأرحام ، ثم ان الله اعلا به اولاد ابيير وغيرهم ، هو العلم الذي رفع على اهل قطره ، واستظل به اهل دهره ، وما ذا اقول في رجل اتفق على انه لم يظهر مثله في تلك البلاد ، وقد راينا من احفاده ما يرفع العنــاد ، اذ من المعلوم انهم قاصرون عن مــداه ، او لم يجاوزوه الى ما وراه .

اشتغل في شبابــه بالعلوم وبــرع فيها بملازمتــه لحــرمــة بن عبد الجليل العلوي ، وكان يخدمه خدمة العبد لمولاه ، فجازاه الله تعالى بذلك ، حتى ان تلاميذه كانوا لا يدخلون عليه الا حبواً على ركبهم اجلالا له .

وحدث من رآه في زمن اشتغاله عليه قال : ارسل حرمة المذكور الى التلاميذ ان يذهب احدهم الى المنهل ليسقي البقر فان العبد القايم بأمره غير موجود ، فلم ينتدب لذلك الا الشيخ سيدي ، فلما اتى بالبقر جعل يقرأ مع التلاميذ على ضوء النار ، فأرسل اليهم ايضاً ان يحلب احدهم البقر ، فلم ينتدب لذلك غير الشيخ سيدي ، ثم انه رجع بعد حلب البقر وجعل يقرأ ايضاً ، فوافى

---

92) ما تقدم منقول بالحرف مع اختصار من **الاحاطــة** 4 : 277

93) ينظر عن سهل بن محمد ابن مالك الأزدي : **برنامج الرعيني** ص 59 و **بغية الوعــاة** 1 : 605 ع 1287 و **التكملة** ع : 2007 (طبع مدريد) ، **والمغرب** 2 : 105 و **اختصار القدح المعلي** ص 60 و **مسالك الأبصار** 11 : 482 و **زاد المسافر** ص 96 و **الديباج المذهب** ص 125 و **الذيل والتكملة** (بقية السفر الرابع ص 101 ع 229) .

رسول من حرمة ايضاً بأن يحضر احدهم قرى الأضياف النازلين عنده ، فلم ينتدب لذلك غير الشيخ سيدي .

ولما تضلع من علمه شد الرحل الى الشيخ المختار الكنتي بثازواد من مسيرة شهر ، واكثرها غامر ، ثم وصل اليه ولازمه ستة اشهر ، ثم مات الشيخ المختار فبقى عند ابنه سيدي محمد المعروف بالخليفة لقيامه مقام ابيه ، فلازمه عشرين سنة يخدمه فيها حتى برع في معرفة الطريق وعلم الأسرار ، ثم رجع الى بلاده ، فنزل اولا في تندغة اصله القديم ، فلم يكترثوا به ، ثم رجع الى قبيلته اولاد أبيير فتلقوه بما هو اهله واكرموه واعترفوا بفضله ، فلم تزل فضائله تبدو حتى اذعنت له الزوايا وحسان ، وصار مثل الملك بينهم فلا يعقب امره ، وكان اهلا لذلك ، كرماً وحلماً وعلماً ، ولم تزل الدنيا تنثال عليه ويفرقها في الناس ، وقدم مراكش في أيام المولى عبد الرحمان ، واظنه كان متوجهاً للحج ، فرجع بسبب المرض في الحجاز ، ونال حظوة عظيمة من السلطان .

وحدثني الفاضل عبد الرحمان الجزولي المعروف في مراكش بابن التلمود وكان ابوه كاتباً للمولى عبد الرحمان انه لما قدم مراكش وجد المولى سيدي محمد بن المولى عبد الرحمان ألكنَ لا يبين الكلام ، فتفل في فمه فانطلق بالكلام ، وكان يبحث عن الكتب في مراكش ليشتريها ، فاذا اراد أن يقضي الثمن يسلم الى البائع ما بقي عن المحاسبة بالغاً ما بلغ .

وكانت العرب في ارض شنكيط تجعله حرماً ءامناً ، فيجتمع عنده احدهم بمَن قتل اباه او اخاه فيجلسُهما على مائدة واحدة ، واذا بلغ الجاني نواحي البلد الذي يقيم به أمِن على نفسه ، ولم يمض عليه يوم الا وعنده ءالاف من الناس يطعمُهم ويكسوهم ويقضي جميع مئاربهم حتى لقي الله ، ولا يسأله احد حاجة الا اعطاه اياها بالغة ما بلغت .

وكان تلامذته يريدون ان يقللوا من ذلك فما امكنهم ، وسأله يوماً شخص حماراً فقال أعطوه الحمار الفلاني ، فقالوا انه غائب ، فقال اعطوه الجمل الفلاني ، فقالوا ان الحمار قد حضر ، فقال اعطوه اياهما معاً .

وجاءه احد ابناء شيخه فأعطاه جميع ما يملك من الدنيا ، ثم عاد اليه بعد ففعل ذلك ثلاث مرات .

وشكا اليه انسان سوء معاملة امرأته اياه ، فقال له وما مالكم ؟ فأخبره بأن عنده شيئاً من الغنم وحمارا وامة ، وقال ان هذا لامراته ، فدعا بأحد تلامذته وامره ان يعطيه غنماً وحماراً وامة ، وقال له انه سيسهل امرها .

وشكا اليه تلامذته المكلفون بالأضياف كثرتَهم ، فقال انحروا من الابل ما يكفي ، فقالوا انها مهازيل وليس فيها من السمان الا ناقة روى من لبنها اثنان لكثرته ، فقال انحروها فانها ستشبع مئة .

وكان يبلغه ان الطريق منقطع في الجهة الفلانية لعدم عمارتها فيفجر فيها الآبار ويبعث المئون الطائلة لقري المارين ، وفضائله اكثر من ان تذكر رحمه الله .

وكان مجيداً ، وما رويتُ له الا القليل ، قال يحض على حسن المعاشرة :

ايامعشرَ الاخوان دعوة نـادب … الى الحق والمعروف ليس بكـاذب
اعيروني الأسماعَ اهدِ اليكـم … وصية مصفي النصح غير مخالـب
فمن كان منكم ذا وداد وخـلـة … لمرتفع الأخلاق جم المناقـب
ليسحبْ على عيب الخليل ذيولَه … ويسترْ فشأن الخل سترُ المعايب
خليلي لا ابـدي الى مَن يـذمـه … طلاقةَ وجهي بل عبوسة حاجبـي
احب الذي يهوى وابغض ما قـلا … ولست عليه ان يـزل بعـاتـب
واما دعـا يومـا لصدمـة حـادث … ألـمَّ عليـه كنت اول واثـب
فمنزلة الاخـوان فيهـا تفاضـل … فمنهم لذيذ الطعم عند المصاحب
ومنهم زعـاق لا تطـاق طباعُـه … معاشره يرتـاح اذ لـم يقـارب
ومَن كان ذا لوح وهـم وطـاعـة … فلا يدن للمستصبيات اللواعـب
وما افسد الألـواح والهم والتقـى … كبيض التراقي مشرفات الحقائـب
مراض العيون النجل حوٌّ شفافهـا … رقاق الثنايـا حالكـات الذوائـب

ولـه قصيدة بديعة يمدح بهـا ولي الله ، الشيخ المختار الكنتي ، وتستخرج منها ثلاث قصائد لكل منها بحر ، أعني انها كلها في بحر الكامل ،

ثم تقرأ اشطارها الأول فتكون قافية من بحر المديد ، ثم تستخرج من اوائل اشطارها الثواني قافية من بحر البسيط ، وليس في حفظي الا مطلعها وهو :

طلعت ببرجـك للبريـة أسعــد ايام جاد بك الزمـان الأجــود

وله قصيدة اخرى مطلعها :

امعالم الميمونـة السعـدى ذه ؟ ام انت ناظرهـا بمقلـة امـره ؟

وسيمرّ بك في هذا الكتاب من امداحه ما يشهد لما قلت .

ورأيت من تثاليفه شرحاً على لامية الأفعال لابن مالك ، وبلغني انه شرح مقصورة ابن دريد .

واخبرني بعض الثقات انه مات سنة ثلاث وثمانين ومئتين والف او نحو ذلك ، رحمه الله رحمةً واسعة (94) .

وقال في ترجمة الهادي بن محمد العلوي ما نصه : ومن جيد شعره قوله يرثي الشيخ سيدي :

الأرض بعد الشيخ ثكلى يالـهـا قـد زلزلت مـن فقـده زلزالَهـا
أنّى لهـا تجـد السـلـو وراءه عـز السـلـو وراءه انّى لـهـا
ياللجوائح والخطـوب اذا دهـت ذهب المعد لهن كـان فيـالهـا
زرءٌ اصـاب العالمين جميعَهـا اطفالهَـا ونساءَهـا ورجـالَهـا
كهف البريـة حامـل اعبـاءهـا دون الورى ومصـدق ءامـالهـا
غوث الأنام اذا السنون تتايعت (95) والأرضُ اصبح ماؤها صلصالَهـا
كم كاعب او فـارض او يـافـع او عائـل قدمت اليـه فعالَهـا
كم عصبة ضربت اليه جيادهـا وعصابة ضربت اليـه جمالَهـا

94) ما تقدم منقول بالحرف من **الوسيط** ص 240

95) ذكر صاحب الوسيط ان التتايع بالياء هو الاسراع في الشر ، وعكسه التتابع بالباء : الاسراع في الخير ، وهو الأرجح فيهما .

تبغي حوائج من يديْـه كثـيـــرة ... حطت لهن سروجَـهـا ورحالَـهـــا
الواهب الجردَ العتاقَ وقد حمـت ... قصبَ الرهان اذا تجـول مجالهـا
ان العطيـة لا يتـم نفـــادُهـــا ... الا وأردف بعدهـا امـثـــالهـــا
دار راى اقبالهـا ادبـــارهـــا ... وراى الورى ادبارها اقبـالهـــا

ومنهـا :

مأوى الورى قطب الرحى من جـاءه ... يجد الرحى ابـداً تحك ثفـالهـا
ويجد كريمـة سؤلـه معقـولـــة ... بالباب قد خضب النجيع عقالَهـــا
تخشى المساء او الصباح سوامـه ... فكلاهما انتظرت بـه ءاجـالهـــا
فالناسُ ينتجعـون سيب يمينـــه ... لا سيفها وسنانهـا وبــلالهـــا
كلم ليلة او بلـدة احيـاهمـــــا ... بالذكر والحفر المفيض زلالَهـــا
لما رأى سبل الـرفـاق مضلـــة ... عمر البلاد وهادَها ورمـالَهـــا
منع البـلاد من ان تصـاب بسـيء ... حتى اجار من الرعـاة سيالهـــا
واذا العداة مـع العـداة تقابلـت ... وضع العداة عن العـداة نبالهـــا
وحمى جميع العالمين حمـايـــة ... لم تحمها اسدُ الشرى اشبالهـــا
لكنما المولى رحيـم بـالــــورى ... فلتحمد المولى الذي ابقى لـهـــا
مَن كان وارثَ سـره ومقامـــه ... حذو الرجال على النعـال نعالهـــا
اتت الخلافة مربعاً قـد طالمـــا ... سحبت بـه من قبل ذا اذيالهـــا
وتسنمت آرامهـــا أرآمـــهـــا ... وتكنست اطلاؤهـا اطـلالـهـــا

وهذا مابقي في خاطري منها ، وهي طويلة (96) .

وقال في الكلام على امثال شنقيط ما نصه :

(فهم اولاد ابييري) ، اولاد ابييري قبيلة من قبائل الزوايا في شنقيط ترميهم الناس بسقم الفهم ، وينسبون لهم حكايات عجيبة ، فمنها ان رجلا من غيرهم حكى انه مرَّ على اناس منهم يدفنون ميتاً ، فحضر لينال الثواب ،

---

96) الوسيط ص 75 .

فلما وضعوه في القبر صبّوا عليه شكوة من اللبن ، فقال لهم الغريب : ما هذا ؟ فقال له عالمُهم قال ابن ابي زيد : ويصبُ عليه اللبَن ، الأصل ينصبُ عليه اللبِن بكسر الباء ، فحرف هذا ، فقال الغريب تكفيه الشكوة الواحدة .

ومن ذلك ايضاً ان احدهم ولدت له ناقة قبل اوان ولادتها ، فجاءت بحوار ميت ، فسأل عن اباحة اكله ، فأجابه احدهم فوراً : أعليه زغب ام لا ؟ قال نعم ، قال يؤكل ، وسرد قول ابن عاشر :

او بمني او بانبات الشعر | او بثمان عشرة حولا ظهر

وقال ذلك ادبيزن عند آتنيتات ، ادبيزن بمعنى تعليمنا ، اذ نكثر مما نكتب ، واتنيتات بصيغة الجمع اسم موضع ، وبيت ابن عاشر انما هو في امارات بلوغ الشخص سنّ التكليف .

والناس يحكون عنهم كثيراً من هذا النوع ، وعلى تقدير صحته فانه زال من ظهور الشيخ سيديّ فيهم ، فانهم صاروا من ارقى تلك القبائل في العِلم والفهم (67) .

1553) **سير بن أبي بكر ابن تاشفين** الأمير الكبير من أمراء المرابطين (98) قال فيه الوزير الكاتب ابو محمد (عبد الغفور بن ابي القاسم محمد) ابن عبد الغفور الاشبيلي ، وكتب بها اليه في غزاة غزاها :

سرْ حيث شئتَ يحلّه النوار | واراك فيه مرادك الأقدار
واذا ارتحلتَ فشيعتك سلامة | وغمامة لا ديمةٌ مدرار
تنفي الهجيرَ بظلها وتنيمُ بالرش | القتامَ وكيف شئتَ تدار
وقضى الالهُ بأن تعودَ مظفراً | وقضت بسيفك نحبها الكفار

---

97) **الوسيط** ص 565

98) هو ابن اخي يوسف بن تاشفين واحد قواده واعاظم رجال دولته ، وهو الذي استنزل ملوك الطوائف عن عروشهم ، وكانت له مقامات صدق في الجهاد بالأندلس ولاسيما في معركة الزلاقة.

هذا غيرما تمناه الجعفي حيث قال : حيث ارتحلت وديمة ، وما تكاد تنفذ معها عزيمة ، واذا سفحت على ذي سفر ، فما احراها بأن تعوق عن الظفر ، ونعتها بمدرار ، فكان ذلك أبلغ في الاضرار .

ذكره في النفح (99) .

ويعجبني قول صاحبنا محمد بوعشرين .

الا فارقتَنا عمر بن عدي ... ففارقنا التعاظم والتعدي
الى مراكش لا عدت منها ... وانا سوف ننظر من يعدي

وفي سنة اربع وخمسمئة فتح المترجم مدينة شريش وبطليوس وبرتقال ويابرة والأشبونة وجميع بلاد غرب الأندلس ، وفي سنة سبع وخمسمئة توفي باشبيلية ودفن بها ، وهو الذي دخل على المعتمد على الله اشبيلية ، ولما فتح مدينة شنترين كتب بذلك كتاباً لأمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين من انشاء كاتبه الوزير عبد المجيد ابن عبدون ، راجعه في 105 من المعجب (100) .

حرف الشين

1554) الشريف بن عبد الهادي العلوي

الشريف بن مولاي عبد الهادي ابن ولي الله مولاي أحمد بن محرز بن علي السجلماسي العلوي ، كان كثير النسك والسلوك ، لسانه لا يفتر عن ذكر الله ، استوطن مراكش داره بزاوية القطب الرباني سيدي أبي العباس السبتي نفعنا الله به ءامين ذكره في الشجرة الزكية .

---

99) القطعة في **نفح الطيب** (3 : 345) وفيه ان ابن عبد الغفور قالها في الأمير ابي بكر سير ، وهو يوافق ما عند الفتح في **قلائد العقيان** (ص 185 طبع تونس) وماعند ابن سعيد في **المغرب** (1 : 242) .

100) كذا في الأصل ، يقابل هذا الرقم 229 من طبعة المعجب بالقاهرة (1963) و ص 98 من طبعة سلا (1938) .

قلت كان المترجم المذكور يعتريه حال ، ولا يراقب احداً فيه حتى السلطان المولى عبد الرحمان ، وكان مصاهراً المولى المامون بن هشام خليفة مراكش ، وكانت له نوادر ، كثير الذكر للأسماء ، تلاقى مع بعض الأولياء .... في حوز مراكش ، فقال له قل ماشئت والف مثقال لا يشد عن صندوقك ولا تدعي السلطنة ، وتلاقي مع سيدي العربي بن المعطى الشرقاوي وأولياء عصره ، ولما وقعت ثورة اهل مراكش على عاملها القائد العربي الهداجي الرحماني بسبب رجل اصبنيولي من اصبانيا .... يقطر الحشيش واشتكى منه اهل مراكش اليه فلم يزل شكواهم فعزلوه وولوا مكانه القائد قاسم الرحماني ، وكان السلطان مولاي عبد الرحمان بالغرب وخليفته سيدي محمد في اول خلافته بها بعد عزل مولاي المامون في حدود الخمسين بمراكش فاشتكى له القائد العربي فخرج وركب فرسه وجاء لزيارة الشيخ ابي العباس السبتي ولمشاهدة الواقعة فأغلقوا دونه الباب باشارة المترجم ورجع وحلف على هدمها وبر قسمه بهدم بعضها وبنى فيها سوق المجادلية عام أربعة وستين ومئتين وألف ، ولما ورد مولاي عبد الرحمان لمراكش عزل قاسما المذكور وسجنه وغرب كثيراً من اهل مراكش لفاس .

1555) الشريف بن محمد العلمي

الشريف بن سيدي محمد بن المهدي الادريسي العلمي ، كان هيناً ليناً خاشعاً باراً بوالديْه على هدي حسن جداً مواظباً على الصلوات النبوية بجامع بن يوسف .

توفي .... بالسل عن نحو الأربعين سنة في يوم الخميس الثالث عشر من شعبان عام 1318 ثمانية عشر وثلاثمئة والف رئي بعد موته عام 1323 فقال له الرائي ألست قدْ مت ودفناك ؟ فقال بلى ، ولاكنا اناس يحجبهم الله ، لا يحجبهم قبر ولا غيره .

1556) **شعيب بن الحسين الأنصاري** ، ابو مدين ، رضي الله عنه ، أصلُه من حصن قطنيانة من عمل اشبيلية ، ثم نزل بجاية وأقام بها الى أن امر باشخاصه الى حضرة مراكش فمات وهو متوجه" اليها بموضع يسر (101) عام اربعة وتسعين وخمسمئة ، وقيل عام ثمانية وثمانين وخمسمئة ، ودفن بالعُبَّاد خارج تلمسان .

ذكره الشيخ أيوب بن عبد الله الفهري فقال : كان زاهداً فاضلا عارفاً بالله تعالى ، قد خاض من الأحوال بحاراً ، ونال من المعارف اسراراً ، وخصوصاً مقام التوكل ، لا يشقُ فيه غباره ، ولا تجهل ءاثاره ، وكان مبسوطاً بالعلم ، مقبوضاً بالمراقبة ، كثير الالتفات بقلبه الى الله تعالى ، حتى ختم اللهُ له بذلك ، ولقد اخبرني مَن اثق به ممن شهد وفاته انه قال : رايته عند ءاخر الرمق يقول الله الحــق .

قال في التشوف (102) حدثنا محمد بن ابراهيم بن محمد الأنصاري قال : سمعتُ ابا مدين يحدث ببدء امره ويقول : كنت بالأندلس يتيماً ، فجعلني اخوتي راعياً لمواشيهم ، فاذا رأيت مَن يصلي أو مَن يقرأ أعجبني ودنوت منه ، وأجد في قلبي غماً لأني لا أحفظ شيئاً من القرءان ، ولا أعرف كيف أصلي ، فقويت عزيمتي على الفرار لأتعلم القراءة والصلاة ، ففررت ، فلحقني اخي وبيده حربة وقال لي : والله لئن لم ترجع لأقتلنَّك ، فرجعت واقمت قليلا ، ثم قويت عزيمتي على الفرار ليلا ، فأسريت ليلة وأخذت في طريق آخــر ، فأدركني أخي بعد طلوع الفجر وسلَّ سيفَه علي ، وقال لي والله لأقتلنك واستريح منك ، فعلاني بسيفه ليقتلني ، فلقيتُه بعود كان بيدي فانكسر سيفه وتطاير قطعاً ، فلما رأى ذلك قال لي ياأخي اذهبْ حيث شئت ، فذهبت الى البحر وعبرت الى طنجة ، ثم ذهبت الى سبتة ،فكنت اجيراً للصيادين ، ثم ذهبت الى مراكش فدخلتها ، وادخلني الأندلس معهم في جملة الأجناد ، فكانوا يأكلون عطائي ولا يعطونني منه الا اليسير ، فقيل لي ان اردت أن تتفرغ لدينك فعليك

---

101) نهير يقع في الشمال الشرقي لتلمسان غير بعيد عنها ينصب في وادي تافنا .

102) وما سبق ايضاً منقول بالحرف من **التشوف**

بمدينة فاس ، فتوجهتُ اليها ولزمت جامعها ، وتعلمت الوضوء والصلاة ، وكنت اجلس الى حلق الفقهاء والمذكرين فلا اثبت علي شيء من كلامهم ، الى ان جلستُ الى شيخ ثبت كلامه في قلبي ،فسألت مَن هو ؟ فقيل لي هو علي ابن حرزهم ، فأخبرته اني لا احفظ الا ما سمعتُه منه خاصة ، فقال لي : هؤلاء يتكلمون بأطراف ألسنتهم فلا يجاوز كلامهم الآذان ، وقصدت الله بكلامي فيخرج من القلب ويدخل القلب ، ثم سمعت الناس يتحدثون بكرامات ابي يعزى فذهبت اليه في جماعة توجهتْ لزيارته ، فلما وصلنا جبل ايروجان ودخلنا على ابي يعزى اقبل على القوم دوني ، فلما احضر الطعام منعني من الأكل ، فقعدت في ركن الدار ، فكلما احضر الطعام وقمت اليه انتهرني ، فأقمت على تلك الحالة ثلاثة ايام حتى اجهدني الجوع ونالني الذل ، فلما انقضت ثلاثة ايام قام ابو يعزى من مكانه فأتيت الى ذلك المكان ومرغت وجهي فيه ، فلما رفعتُ رأسي نظرت فلم أر شيئاً وصرت اعمي ، فبقيت أبكي طول ليلتي :

قليل لمثلي زفرة ونحيب	وليس له الا الحبيب طبيب
وامثلُ ما يلقي المحب خضوعه	اذا كان مَن يدعوه ليس يجيب

فلما أصبحت استدعاني وقال لي اقرب ياأندلسي ، فدنوتُ منه فمسح بيده على عيني فأبصرت ، ثم مسح بيده على صدري ، وقال للحاضرين : هذا يكون له شأن عظيم او كلاماً هذا معناه ، فأذن لي في الانصراف ، وقال ستلقى في طريقك اسداً فلا يرعْك ، فان غلب عليك خوفْه ، فقل بحرمة يلنور الا ما انصرفت عني ، وسيلقاك ثلاثة من اللصوص تحت شجرة ، وستعظهم فيتوب منهم اثنان على يدك ، ويرجع الثالث ثم يقتل فيصلب على تلك الشجرة ، فوادعتُه وانصرفت ، فاعترضني اسد في الطريق فأقسمت عليه بأبي يعزى فتنحَّى عن الطريق الى ان جزت ، ومازال يتبعني الى أن خرجت من الشعْراء فرجع عني ، ثم أتيت على ثلاثة من اللصوص وهم قعود الى اصل شجرة ، فقاموا اليَّ فوعظتُهم ، فأثرت الموعظة في قلوب اثنين منهم ، وذهب الثالث الى أصل الشجرة فقعد عندها ، فسمع به الوالي فبعث اليه من ضرب عنقه وصلبه على تلك الشجرة ، ولم أزل سائراً الى ان وصلت بجاية فأقمت بها .

وحدثني حسن بن محمد الغافقي الصواف وكان قد صحب ابا مدين نحواً من ثلاثين سنة ولازمه الى أن مات بيسير قال : سمعت الشيخ ابا مدين يقول كنت بقطنيانة ، فاردت التخلي عن الدنيا ، فسرت قاصداً نحو المغرب ثلاثة أيام أو أربعة أيام ، فلاحت لي كدية على البحر وعليها خيمة ، فخرج الي منها شيخ وليس عليه الا ما يستر به عورته ، فنظر الي وظن اني اسير قد فررت من أرض الروم ، فسألني عن شأني فأخبرته ، فأخذ حبلا وربط في طرفه مسماراً فرمى به في البحر فأخرج حوتاً وشواه لي فأكلته ، فأقمت عنده ثلاثة ايام ، كلما جعت رمى بالحبل والمسمار في البحر فيخرج حوتاً ويشويه وآكله ، ثم بعد ذلك قال لي : أراك تروم أمراً فارجع الى الحاضرة ، فان الله لا يعبد الا بالعلم ، فرجعت الى اشبيلية ، ثم ذهبت الى شريش ، ومن شريش الى الجزيرة الخضراء ، فجزت البحر الى سبتة ، وذهبت الى فاس ، فلقيت بها الأشياخ ، فسمعت رعاية المحاسبي على علي ابن حرزهم ، وسمعت كتاب السنن لأبي عيسى الترمذي على علي ابن غالب ، وأخذت طريق التصوف على محمد الدقاق وعلي السلوي ، فكنت اقيم بفاس وءاخذ ءاية من القرءان وحديثاً فأخرج الى موضع خال في جبل متصل بالساحل ، فاذا فتح لي بالعمل بالآية والحديث عدت الى فاس فآخذ ءاية وحديثاً كذلك فأعمل عليهما ، وكان الموضع الذي ءاوي اليه في الجبل عمراناً فطرأ عليه الخراب ، فلم يبق من بنيانه شيء قائم الا مقصورة المسجد خاصة ، فكنت اذا قعدت فيه تأوي الي غزالة فلا ادري هل كانت تأوى الى اهل ذلك المكان فرحلوا عنها وبقيت تأنس بالمكان ، أم كانت تأوي الي ، فكانت تأتيني متى جئت الى ذلك المكان فتشمني من قرني الى قدمي ثم تربض امامي ، فذهبت يوم خميس الى فاس وبت بها ليلة الجمعة ، فلقيت رجلا من الأندلس اعرفه ، فسألت ابا عبد الله ابن ابي حاج عن ثوب كان عنده ، فقال لي ما تريد ؟ فقلت له اريد ان يباع ويدفع ثمنه لهذا الرجل ويكون ذلك ضيافته ، فقال لي : خذ عشرة دراهم وادفعها له ، فأخذتها وطلبت الرجل فلم اجده ، وصررت الدراهم في صرة وجعلتها في مئزري وخرجت الى الجبل ، فمررت بقرية في طريقي فيها كلاب كثيرة ، وكنت اذا مررت بها تبصبص الي الكلاب وتدورُ بي ، فلما قربت من تلك القرية انكرتْني كلابُها

ونبحتني وما تخلصت منها الا بأن حال بيني وبينها اهل القرية ، فلما وصلت مكاني من الجبل جاءتني الغزالة وشمتني ثم تنحت عني ونظرتني نظراً منكرا ونطحتني مرة وثانيــة وثالثة بقرنها وانا اتلقى قرنيهــا بيدي ، فتفكرت في سبب ذلك وفي انكار كلاب القرية ، فعلمت انه من اجل الدراهم التي صررتها في مئزري فنزعتها ورميتها ناحية ، فنظرت الي وربضت امامي على عادتها ، فبت بذلك المكان واخذت الصرة وحملتها الى فاس ، فوجدت الرجل الذي اعددتُها لضيافته ، فدفعتها له ، ثم سرت الى الجبل على عادتي ، فمررت بالقرية التي في طريقي فبصبصت الكلابُ على عادتها ولم تنبحني ، فوصلت موضعي من الجبل فجاءتني الغزالة فشمت السلهامة من قرني الى قدمي فربضت امامي على عادتها .

قال ابــو مدين : وكنت ازور الشيخ ابا يعزى ، فأول مرة زرتــه مشيت مع رجلين فاشتهى كل منا طعاماً يأكله عنده ، فلما وصلنا قدم لكل واحد منا ما اشتهاه قبل الوصول اليه ، فأقمت عنده اياماً فرأيته في تلك الأيام يقدم الرجل للصلاة ، فان كان قارئاً مجيدا اقره ، وان كان لحاناً اخرجه ، وكان ابو يعزى امياً ولكنه رزق ادراك علم هذا .

قال ابو مدين : وقالت لي جماعة من الفقهاء المجاورين لأبي يعزى ثبتت عندنا ولاية ابي يعزى ، ولكن نشاهده يلمس صدور النساء وبطونهن ، ويتفل عليهن فيبرأن ، ونرى ان لمسهن حرام ، فان تكلمنا في هذا هلكنا ، وان سكتنا حرنا ، فقلت لهم ارأيتهم لو ان ابنة احدكم او اخته اصابها داء لا يطلع عليه الا الزوج ولم يوجد مَن يعاينه الا طبيب يهودي او نصراني ، الستم تجيزون ذلك مع ان دواء اليهودي والنصراني مظنون ؟ وانتم من معاينة ابي يعزى على يقين من الشفاء ، ومن معاينة غيره على شك ، فبلغ كلامي ابا يعزى فكان يقول اذا رايتم شعيباً فقولوا له عسى أن يعتقني ، كأنه استحسن جوابي عنه .

قال أبو علي : وكان ابو مدين يقول رايت اخبار الصالحين من زمان اويس القرني الى زماننا هذا فما رأيت أعجب من أخبار ابي يعزى ، وينبغي أن تكتب بالذهب .

وسمعت الحسن الصواف يقول سمعت ابا مدين يقول : الملتفت الى الكرامة كعابد الوثن ، فانه انما يصلي ليرى كرامة ، قال أبو علي ولما احتضر أبو مدين استحييت أن أقول له أوصني فأتيته بربيبه وقلت له هذا فلان فأوصه ، فقال لي سبحان الله ، وهل كان عمري معكم كله الا وصية ، وأي وصية أبلغ من مشاهدة الحال ، فسمعته عند النزع وهو يقول الله الله حتى رق صوته .

ذكرتك لا اني نسيتك لمحة ... وأيسر ما في الذكر ذكر لساني
وكدت بلا وجد أموت من الهوى ... وهام علي القلب بالخفقان
فلما رءاني الوجد انك حاضري ... شهدتك موجوداً بكل مكان
فخاطبت موجوداً بغير تكلم ... ولاحظت معلوماً بغير عيان

سمعت محمد بن ابراهيم الأنصاري يقول : خرج ابو مدين الفَ تلميذ ظهرت على كل واحد منهم كرامة .

حدثني محمد بن علي بن عبد الله الأنصاري قال : سمعت الشيخ ابا مدين يقول رايت من واصل ستة اشهر ، وذكرت عنده العقبات السبع التي في كتاب منهاج العابدين ، فقال رايت مَن قطعها كلها في سبعين عاماً قطع كل عقبة منها في عشرة أعوام ، ورايت من قطعها كلها في ساعة كابراهيم ابن ادهم الذي قطعها كلها في ساعة واحدة ، وجاء التوفيق من الله .

حدثنا محمد بن خالص الأنصاري قال حدثني ابو الربيع المديوني قال : وصل رجل من اهل المكاشفة الى تلامذة ابي مدين ، فأنكر عليهم بعض امرهم ، فأعلموا ابا مدين فقال لهم سيسلب ما وهب ، فسلب المكاشفة ، فتغير قلب ذلك الرجل ، وصار كأحد العامة ، نعوذ بالله من الخذلان :

قف بالديار فهذه آثارهم ... وابكِ الأحبةَ حسرة وتشوقا
كم قد وقفت بربعها مستخبرا ... عن اهلها أو سائلا أو مشفقا
فأجابني داعي الهوى في حبهم ... فارقت مَن تهوى وعزّ الملتقى

حدثنا ابراهيم بن محمد الأنصاري قال : حدثنا عبد الله بن ماكسن الصنهاجي قـال : جاء رجل الى الشيخ ابي مدين ليعترض عليـه ، فأراد القارىء أن يقرأ عليه الكتاب ، فسكّته ابو مدين وقال له : اسكت ، ثم التفت الى الرجل وقال له : لم جئت ؟ قال له جئت لأقتبس من انوارك ، فقال له ماهذا الذي في كمك ؟ فقال له مصحف ، فقال له ابو مدين اخرجْه ، فأخرجه ، فقال له اقــرأ اول سطر ، ففتحه وقرأ اول سطــر منه ، فاذا فيه (الذيـن كذبوا شعيباً كأنْ لم يغنوا فيها ، الذين كذبوا شعيباً كانوا هم الخاسرين) ، فقال له أبو مدين : أما يكفيك هذا ؟

سمعت محمد بن عبد الله الأنصاري يقول ، سمعت ابا مدين يقول : جاءني رجل من الصالحين ، فقال لي رأيت البارحة في النوم حالة عظيمة لجماعة من الصوفية ، فيهم أبـو زيد البسطامي وذو النـون المصري وغيرهمـا من المشايخ ، وهم على منابر من نور ، وابو طالب المكي على منبر من نور ، وابو حامد الغزالي على منبر يقابله ، وابو طالب يسأل اولئك الصوفية فيجيبه كل واحد بمبلغ علمه ، فقال ابو طالب لأبي حامد : اين غابت هذه العلوم التي يصرفها ابو مدين في دار الدنيا ؟ فقال له أبو حامد : هذا هو عن يمينك فاسأله ، فقال له أبو طالب ياابامدين : اخبرني عن سر حياتك ، فقال : بسر حياته ظهرت حياتي ، وبنور صفاته استنارت صفاتي ، وبديمومته دامت مملكتي ، وفي توحيده افنيت همتي ، فسر التوحيد في قول لا الاه الا انا ، والوجود بأسره حرف جاء لمعنى ، فبالمعنى ظهرت الحروف ، وبصفاته اتصف كل موصوف ، وباسمه ائتلف كل مالوف ، فمصنوعاته له محكمة ، ومخلوقاته له مسملة ، لأنه خالقها ومظهرها ، ومنه مبدؤها واليه مرجعها ، كما اظهرهما ذراً ، فقال (ألست بربكم قالوا بلى) ، ياأبا طالب ، هو لوجودك محركـه هو الناطق والممسك ، وان نظرت بالحقيقة تلاشت الخليقة ، فالوجود به قائم ، وامره في مملكته دائم ، وحكمه في خلقه عام ، كحكم الأرواح في الأجسام ، الحواس به بانت على اختلاف انواعها ، منها اللسان للبيان ، ومع ذلك لا يشغله شأن عن شان ، فقال له ابو طالب : من اين لك هذا العلم يا ابا مدين ؟ فقال له : لما امدني بسره ، غرف وادي من بحره ، فامتلأ وجودي نوراً ، واثمر غيبة

وحضوراً ، وسقاني شراباً طهوراً ، وأذهب عني ضلالا وزورا ، فغشيتْ انواره اخلاقي ، فنظرت الباقي بالباقي :

فــاح الندي بمنطقي فتنــازعــوا — أبأسحــل استــاك ام بـــأراك ؟
هيهات عهدي بالســواك وانــمــا — شفةُ الحبيب جعلتُها مسواكــي
ويظنُ مَن سمع الحديثَ بـأنــه — حــق ، بلى ومدبـرِ الأمـــلاك
رؤيــا رايت وان مَن احببتـــه — لمنـــزه عــن مــهـــنـــة الادراك

حدثني حسن بن محمد الغافقي ، قال حدثني ابو مدين ، قال صليتُ مع عمر الصباغ صلاة المغرب ، فلما سلمنا قال لي رايت انا في الصلاة ثلاثاً من الحور أو اربعاً وهن يلعبْن في ركن البيت ، فقلت له ارأيتَهن ؟ فقال لي نعم ! فقلتُ له اعد صلاتك ، فان المصليَ انما يناجي ربه ، وانت انما ناجيت الحــور (103) .

وممن عرف بأبي مدين ابنُ الأبار في التكملة ، وابن الزبير ، وصاحب النجم الثاقب ، وصاحب عنوان الدراية ، وابن باديس ، وابن قنفذ في انس الفقير ، والجذوة ، ونفح الطيب ، وصاحب الشذرات ، وغيرهم كصاحب المعزى ، ذكر ان الشيخ ابا يعزى وعده بالمقامات العظيمة لما وادعه في انصرافه للمشرق ، ثم قال وستهدى لك جارية حبشية ويولد لك معها ولد ، فان عاش فسيكون له شأن عظيم ، فاهدى له تاجر ببجاية جارية ، فما كان الا يسير فولدت له ولداً سماه محمداً ، فحفظ القرءان في امد يسير ، وظهرت له فراسة وكرامة ، ثم اخترمتْه المنية صغيراً ، ثم ان الشيخ ابا مدين تعرف بعرفة بتاج العارفين مولانا عبد القادر الجيلاني ، فقرأ عليه بالحرم الشريف كثيراً من الحديث ، وألبسه خرقة التصوف ، واودعه كثيراً من اسراره ، وحلاه ملابس انواره ، ويحكى ان سيدي ابا مدين كان يفخر بصحبته لسيدي عبد القادر ، ويعده من أفضل مشايخه الأكابر .

---

103) ما تقدم منقول من **التشوف** ص 316 ع 102

قال صاحب النجم : كان أبو مدين رحمه الله تعالى من أعلام العلماء وحفاظ الحديث ، وكانت ترد عليه الفتاوي في مذهب مالك فيجيب عنها ، ويحكى انه بلغ في قراءة القرءان الى سورة تبارك ، وشيخه سيدي ابو يعزى روى انه قرأ الى ءاخر سورة الزلزلة ، فلما بلغ (فمَن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومَن يعمل مثقالَ ذرة شراً يره) ، قال حسبي ، وتلمذ له الشيخ الامام عبد الحق الاشبيلي صاحب الأحكام ، والقاضي الصالح عبد الحق المسيلي صاحب التذكرة ، فقال للأول امرك النبي صلى الله عليه وسلم ان تقرأ علي القرءان ، قل بسم الله ، فسمى وقرأ الفاتحة حتى ختمها ، فقال له الشيخ اقرأها على الوجوه السبع ، ثم قال له فسرها بأتم الوجوه الى أن بلغ (اياك نعبد واياك نستعين) ، ثم قال له الشيخ لو كنت تستعين بالله لما استعنت بالسلطان والوزير ، فتكلم عبد الحق الاشبيلي كالمستعذر ، فقال له الشيخ ان كنت متعلماً فاسمع واشتغل بما يعنيك والزم بيتك ، فان الله يكفيك ، وعن سائر الخلق يغنيك ، فقال له صدقتَ وفعل ما امره به ، فروي ان الأمير والوزير ورد على بلده فلم يخرج اليه على ماكان من عادته ، فسأل عنه فتكلم مَن له غرض وقال ان عبد الحق تكبر عليك ، فقال الأمير العلم يُوتى ولا يأتي ، فزاره في داره ، فصار بعد ذلك عبد الحق الاشبيلي اذا دخل على الشيخ ابي مدين يجد من المواهب الربانية والعلوم اللدنية والغرائب كما ذكر ذلك الامام ابن العربي الحاتمي المعروف بابن سراقة .

وللشيخ ابي مدين كلام وادعية وشعر .

وقوله عبد الحق المسيلي سماه في عنوان الدراية : حسن بن علي بن محمد ، وكناه بأبي علي ، وترجم له في 13 وراجع ص 6 منه .

وحكى صاحب النجم عن أخص أصحابه واكبر تلامذته صالح الدكالي الماجري القرشي المخزومي رضي الله عنه قال : كنت يوماً عند الشيخ ابي مدين في جملة من اصحابه ، واذا به طأطأ رأسه وقال اللهم اني اشهدك واشهد ملائكتك اني سمعت واطعت ، فسأله بعض أصحابنا عن ذلك ، فقال لهم : الشيخ سيدي عبد القادر الجيلاني صعد منبره في مجلس وعظ في بغداد في هذه الساعة ، وقال

قدمي هذا على رقبة كل ولي ، وقد أمرنـا بالسمع والطاعة ، قال صالح : فأرخنا ذلك اليوم ثم بعد ذلك قدم اصحابنا المسافرون من بغداد فحدثونا بهذه المقالة عن سيدي عبد القادر في ذلك اليوم بعينه ، قلت وأورده في بهجة الأسرار بسنده الى صالح بنحوه ، راجع صحيفة 15 منها .

ومن أعيان تلامذة ابي مدين الذين بلغوا في المغرب الف شيخ للهداية اربعة أقطاب : الشيخ جعفر بن عبد الله بن محمد بن سيد بونة الخزاعي بشرق الأندلس من عمل شاطبة ، والشيخ عبد العزيز بن ابي بكر القرشي المهدوي بمرسى جرام ، والشيخ عبد الرزاق الجزولي دفين الأسكندرية (104) .

قال صاحب النجم وغيره من كرامات سيدي ابي مدين ان السلطان يعني يعقوب المنصور الموحدي لما روعه واهمل حقه خوفاً على دولته وطمعاً في حياته وبقاء ملكه ، عاقبه الله بنقيض مقصوده ، فكانت وفاة هذا السلطان بعده بسنة ، قال في (المعزى) قلت بل اقل من ذلك ، وعاش منغصاً بمرض تطاول به ما يقرب من سبعة أشهر حتى توفي منه ، وهكذا سنة الله مع أوليائه لا يروعهم احد ويقتحم حرمتهم او يهتك سترهم الا هتك الله ستره ، وهذا مجرب من لدن زمان اويس القرني الى الآن ، ولا نظن ان ظالماً تجرأ على أولياء الله تعالى وتكون عاقبته خيراً أبداً .

ويحكى عنه أنه لما كان في سكرات الموت كان يكرر (الله لا اله الا هو الحي القيوم) الى ءاخرها ، وينشد :

ما عودونـي أحبائـي مقاطـعـة ... بل عودوني اذا قاطعتهم وصلـوا

وما زال يكرر الآيات مع البيت حتى خرجت روحه رحمه الله تعالى .

واكبر تلامذة ابي مدين قدرا صالح قيصار بن عقيان بن الحاج يحيى يلاضت ، هكذا وجد بخط يده نسبه هذا ، ومنهم الشيخ عبد الرحيم بن أحمد ابن حجون المغربي ، ومحمد بن أحمد بن ابراهيم القرشي اندلسي ثم نزل بيت المقدس وبه توفي عن خمس وخمسين سنة ، وقبره مقصود للزيارة ،

104) سقط الرابع من اعيان تلامذة ابي مدين من النسخة الأصلية .

وكانت وفاته سنة 599 ، وموسى ندراس الحلاج آية الله في المكاشفة ، ومحمد بن ابراهيم الأنصاري ، وأبو مسعود بن عريف من جبال شلف ، وغيرهم .

واعلم ان ابا مدين فُتح له في مقامات ممزوجة بالعلم والعمل والحال قل ان يدركها افراد الأفراد ، ومن اصحابه ايضا محمد بن احمد الصنهاجي ، وسيدي عبد الله البوني ، وابو عبد الله النفطى ، والشيخ ابو عبد الله الهمداني ، وطاهر الجدوعي ، وابن همداس ، ومحفوظ بن جعفر ، وسالم التباسي ، وربيع الأنصاري البجائي وغيرهم ، وقد عرف بهم في (المعزى) .

ثم اعلمْ ان ابا مدين له من الأشياخ ابو يعزى قدوة وتصوفاً وخرقة وصحبة ، وابو عبد الله ابن الدقاق وابو الحسن السلوي تصوفاً وصحبة فقط ، وعلي ابن حرازم وعلي ابن غالب تلميذ الامام ابن العريف وابن الصباغ في العلوم الشرعية ورواية الحديث ، انتهى .

ومن تلاميذة ابي محمد صالح محمد بن ابي القاسم السجلماسي العابد الزاهد المترجم في 72 من عنوان الدراية ، وممن لقيه المحصل المتقن يحيى بن علي بن حسن ابن حبوس الهمداني المترجم في 150 من عنوان الدراية ، وشيخ ابي مدين المذكور ابو عبد الله الدقاق مترجم في التشوف .

وما احسن قول ابن باديس في سينيته :

واما ابــو يعزى فشيخ شعيبهـــم	وبالغرب حلا للافــادة والحـــرس
وحالُهما قدْ عمَّ الأقطار نورهــا	بمقتصد في وصفه معجــز النفــس

وقال في بهجة الأسرار : الشيخ ابو مدين شعيب رضي الله عنه ، هذا الشيخ من أعيان مشايخ المغرب وصدور المقربين وعظماء العارفين ، وأيمة المحققين ، صاحب الكرامات الخارقة ، والأفعال الظاهرة ، والأحوال العزيزة ، والمقامات العلية ، والهمم السامية ، صاحب الفتح السني ، والكشف الجلي ، والحقائق النفيسة ، والمعارف الجليلة ، له التصدر في مراتب القرب ، والتقدم في منازل القدس ، والسبق في طرق الملكوت ، والترقي في معارج الوصل ،

والتعالي في مدارج المعالي ، والنظر الخارق في عوالم الغيب ، وله القدم الراسخ في التمكين الموطد ، والباع الطويل في التصريف النافذ ، واليد البيضاء في احكام الولاية ، والقوة الشديدة في أحوال النهاية ، والمظهر العظيم بخرق العوائد وقلب الأعيان ، وهو احد أوتاد المغرب ، واحد اركان هذا الشأن ، واجلاء ائمة (المغرب) البارعين ، وساداته المحققين ، واعلام العلماء بأحكامه ، واولى الاسد ؟ والابصار بمناهجه ، وهو أحد مَن اظهره الله تعالى الى الوجود ، وصرفه في العالم ، ومكنه في الأحوال ، وملكه الأسرار ، واظهر على يديه العجائب ، وانطقه بفنون الحكم ، واجرى على لسانه لطائف الأسرار ، وأوقع له القَبول العظيم والهيبة الوافرة في قلوب الخلق ، وقصد بالزيارات من كل قطر ، واشتهر ذكره في الآفاق شرقاً وغرباً ، وهو أحد مَن جمع الله له بين علمي الشريعة والحقيقة ، وافتى ببلاد المغرب على مذهب الامام مالك بن انس رضي الله عنه ، وناظر واملى ، وقصده طلبة العلم واخذوا عنه ، واجتمع عنده جماعة من الفقهاء والصلحاء وانتفعوا بكلامه وبصحبته ، وانتهت اليه رياسة هذا الشان ببلاد المغرب ، وتخــرج بصحبته غيرُ واحــد من اكابــر مشايخها ، مثل الشيخ عبد الرحيم بن احمد ابن حجون المغربي ، والشيخ القدوة محمد بن ابراهيم القرشي ، والشيخ محمد الفشتالي الفاسي ، والشيخ القدوة ابي محمد صالح بن ويرجان الدكالي ، والشيخ ابي غانم سالم ، والشيخ ابي علي واضح ، والشيخ ابي الصبر ايوب المكناسيين ، والشيخ ابي حامد عبد الواحد ، والشيخ ابي الربيع المظفر ، والشيخ ابي زيد بن هبة الله الورثي وغيرهم رضي الله عنهم ، وتلمذ له جماعة من أهل الطريق ، وقال بارادته جم (غفير) منأصحاب الأحوال ، وانتمى اليه عالم عظيم من الصلحاء ، وأجمع العلماء والمشايخ على تعظيمه واحترامه ، واعترفوا بفضيلته ، ورجعوا الى قوله ، وتأدبوا بين يديْه ، وكان جميلا ظريفاً متواضعاً زاهداً ورعاً محققاً مشتملا على أكرم الشيم وأشرف الصفات وأطيب الأخلاق واكمل الآداب ، مع اقبال شديد على المجاهدة ، وثبوت دائم على محافظة الأوقات ومراعاة الأنفاس والقيام بوظائف الشرع ، وكان له كلام عال نفيس على لسان أهل الحقائق ، ثم اورد بعضه وجملة من كراماته الباهرة ، كسقيه من الكاس حين قراءة قوله تعالى (ويسقون فيها كاساً

كان مزاجها زنجبيلا) ، واشهاده مقام الفريقين حين قراءة قوله تعالى (ان الأبرار لفي نعيم ، وان الفجار لفي جحيم) ، ورؤيته مُقاتلا للكفار في غزوة الأرك حتى انتصر المسلمون بسببه ، وهو لم يذهب لها ، وكان بينه وبين موضع القتال أكثرُ من شهر ، وتدليله للأسد ، ودفعه للرجل الذي اكل منه حماره الى أن جاءه به ، وامتناع السفينة من التحرك لما اسره ووضعه فيها الفرنج مع جماعة من المسلمين الى ان شرط عليهم اطلاق الجميع ، فلما سرحوهم انطلقت السفينة ، وملء دواليه بالعنب الذي لا نوى له بعد ان جنيت ولم يبق بها شيء ، وطلوع سمكة بخاتمه الذي سقط له في البحر ، ورجوع غروده ؟ صحيحاً فيه السويق بعدما تكسر ، واشراق شجرة بصحراء لما طلب منه مريدوه الضوءَ خوفاً ممن يؤذيهم ، ودوران الطيور حول مجلسه لسماع كلامه ، وتصفيق بعضها بجناحيه حتى سقط ميتاً ، ومات رجل ممن كان حاضراً ، وغير ذلك رافعاً ، ونحوه في قلائد الجواهر وطبقات الامام الشعراني الكبرى .

وقال في نظم رجال البهجة :

ولذْ بشعيب في الشدائد تنجلي ... ابي مدين مفتاح كل غنيمة
كرائمه لم يحوها العدُ كثرة ... ويكفيك منها ماجرى في السفينة
وفي بابه رحل اشتباكي حططته ... وقلت لصحبي قد ارحتُ مطيتي

وقال في النفح : وله نظم كثير مشهور بأيدي الناس ، ومما ينسب له قوله :

بكت السحاب فأضحكت لبكائها ... زهر الرياض وفاضت الأنهار
وقد اقبلت شمسُ النهار بحلة ... خضرا وفي اسرارها أسرار
واتى الربيع بخيله وجنوده ... فتمتعت في حسنه الأبصار
والورد نادى بالورود الى الجنى ... فتسابق الأطيار والأشجار
والكأس ترقص والعقارُ تشعشعت ... والجو يضحك والحبيبُ يزار
والعودُ للغيد الحسانِ مجاوب ... والطار اخفى صوتَه المزمار
لا تحسبوا الزمرَ الحرامَ مرادنا ... مزمارنا التسبيحُ والأذكار

وشرابنـا من لطفـه وغناؤنـــا ... نعم الحبيب الواحـد القـهـــار
والعود عادات الجميل وكأسُنـــا ... كأسُ الكياسة والعقار وقـــار
فتألفـوا وتطيبـوا واستغنمـــوا ... قبلَ المـمـات فدهركـم غـــدار
والله أرحـمُ بالفقيـر اذا اتـــى ... من والديـه فـانـه غـــفـَّــار
ثم الصلاة على الشفيع المصطفـى ... ما رنمت بلغاتهـا الأطـيـــار

وللولي الصالح سيدي محمد بن عبد الرحمان الحوضي مخمساً قصيدة المترجم المشهورة في الاستسقاء :

يامَن برحمتـه الأرزاق تنبســط ... يامَن يغيث الورى من بعد ما قنطوا
يامن يعامل بالاحسان ان قســطوا ... يامن يغيثُ الورى من بعد ما قنطوا
ارحم عبيداً أكفُّ الفقر قد بسطوا

وممن ترجم لأبي مدين صاحب السلوة صحيفة 364 من الجزء الأول

وقد زرته رضي الله عنه في أوائل ربيع النبوي عام ثلاثة واربعين وثلاثمئة والف ، ثم زرته ثانياً لما رجعتُ من تونس في خامس وعشري صفر عام خمسة واربعين ، ثم زرته ايضا بعد ذلك .

وقد ذكر في عنوان الدراية ان الدعاء عند قبره رضي الله عنه مستجاب ، وكذلك الدعاء عند قبر الشيخ يحيى الزواوي ببجاية وقبر الشيخ ابي مروان اليحصبي ببونة ، وقبرُ معروف الكرخي ببغداد نفعنا الله بخالص النيات ، واعاننا على الأعمال الصالحات . انتهى .

وقال بلدينا في (درر الحجال) بعد ان ذكر ترجمة سيدي يوسف بن علي صاحب الغـار بمراكش ولواحقها مانصه : وقـد آن ان المَّ بطرف من التعريف بالشيخ ابي مدين الغوث رحمه الله ، لأنه عم سيدي يوسف رحمه الله ، وعم الرجل صنو ابيه ، ولجريان ذكره في هذه الترجمة ، ولكون غالب الطرق الموجودة في المغرب والمشرق وخصوصاً الشاذلية ترجع اليه ، انتهى المقصود .

وقال زين العابدين السيد محمد افندي . . . . الحسيني في (عقود اللئالي ، في الأسانيد العوالي) المتصلة بالشيخ محمد شاكر مقدم سعد العمري عنه ذكر المسلسل بتلقين . . . . لا اله الا الله عن السيد الكبير ،

والمولى الشهير ، احمد البدوي ، عن السيد عبد السلام بن مشيش الحسني ، عن الشيخ ابي مدين المغربي ، وهو عن الامام ابي يعزى ، وهو عن الامام نور الدين علي ابن حرزهم ، وهو عن الامام الحافظ ابي بكر محمد بن عبد الله المعافري ، وهو عن الامام ، حجة الاسلام ، ابي حامد الخ ، وقد شرح الأستاذ ابو محمد الهبطي قصيدته .

وممن ترجمه صاحب التحفة القادرية ، وقال الشيخ مرتضى في صفحة 388 من ج 7 من تاج العروس لما ذكر صاحب القاموس الامام ابا الحسن الشاذلي ما نصه : واختلف في أخذ سيدي ابي الحسن الشاذلي ، فقيل اخذ عن سيدي عبد السلام بن مشيش عن ابي محمد صالح ، عن أبي مدين الغوث ، وذكر القشاشي في السمط المجيد ان سيدي عبد السلام اخذ عن ابي مدين من غير واسطة ، قال أبو سالم العياشي والتاريخ يقبله ، واخذ الامام ابو الحسن ايضاً عن أبي الفتح الواسطي شيخ مشايخ الرفاعية بمصر ، وسند هذه الطريقة وكيفية تسلسلها الى فرق قد بيناه في كتابنا العقد الثمين وفي اتحاف الأصفياء وغيرهما من الرسائل . انتهى .

وقد اثبت في عنوان الدراية من كلامه ما يدل على علو مقامه ، قال من حرم احترام الأولياء ابتلاه الله بالمقت من خلقه ، وقال احذر محبة المبتدعين فهو ابقى على دينك ، واحذر محبة النساء فهو ابقى على قلبك ، راجعه من صفحة 11 و 13 (105) .

---

105) ينظر عن ابي مدين الغوث : شعيب بن الحسين الأنصاري الأندلسي دفين تلمسان : **انس الفقير ، وعز الحقير** طبع الرباط سنة 1965 **وعنوان الدراية** ص 22 ع 1 طبع بيروت سنة 1969 و **جامع كرامات الأولياء** 2 : 39 و **شذرات الذهب** 4 : 303 و **سلوة الأنفاس** 1 : 364 و **البستان ، في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان ص** 108 و **نيل الابتهاج** ص 127 و **شجرة النور الزكية** 1 : 164 و **تعريف الخلف ، برجال السلف** 2 : 172 و **لواقح الأنوار** 1 : 154 و **السعادة الأبدية** .

وللشيخ ابي مدين كتاب **حرز الاقسام** محفوظ في مكتبة بايزيد باسطمبول تحت عدد 253 ومنه نسخة خطية اخرى بالمكتبة السليمانية باسطمبول محفوظة تحت عدد 398 وله ايضاً بالمكتبة السليمانية رسالة في التصوف محفوظة تحت رقم 1810 وبها رسالة اسمها حكم ابي مدين محفوظة تحت رقم 613 .

وبعد ترجمة الشيخ ابي مدين الغوث اورد المؤلف ترجمة ابي شعيب بن محمد الدكالي الزبوجي ، وهي مثبتة في الجزء الأول من هذا الكتاب ، ثم عنون لشقرون الفخار ، فقال تقدم فيمن اسمه محمد ، ثم عنون للشيخ بن المنصور السعدي المتوفى في 5 رجب سنة 1022 هـ وقال انه تقدم في المحمدين ، ولابن شبونة تلميذ اشيخ سالم بن سلامة السوسي وقد اثبتناه في حرف الهمزة من الجزء الأول .

حــرف الــهــاء

1557) **الهادي المراني** ، الشيخ الامام الشريف العلوي ، امام الضريح الادريسي ، دخل مراكش في اليوم الذي توفى فيه العلامة المحدث سيدي محمد بن الطاهر العلوي منتصف جمادى الأولى عام ثمانية واربعين ومئتين والف ، وصلى عليه رحمهما الله .

1558) **الهادي بن محمد بن عمر العباسي القاضوي المراكشي** ، صنو القاضي السيد السعيد والسيد المطيع ، وهو أصغر من الأول وأكبر من الثاني ، واخوهم السيد أحمد صاحب الأزجال الشهيرة اصغرهم .

كان المترجم فقيهاً مشاركاً مفتياً محققاً ، وقفت على بعض فتاويه على قضايا عام 1255 خمسة وخمسين ومئتين والف ، وهو والد القاضي السيد محمد بن الهادي ، وقد ذكر في (الحسام المشرفي) ان المترجم كان يحضر في قراءة الصحيح مع السلطان سيدي محمد .

1559) **هارون بن عبد الله بن محمد بن هارون السماتي الاشبيلي** ، نزيل مراكش ، الأديب الكاتب البارع ، له قصيدة في الشيخ ابي عبد الله ابن رشيد البغدادي صاحب الوتريات المتقدم الترجمة اولها :

اواعظَنا جلتْ لدينا بك النعمـــى ... فنلنا الذي كنا نهيم به قدما (106)

راجعها في ترجمة الممدوح بها .

1560) **هاشم بن الصديق بن قاسم المدغري** ، من ذرية مولاي محمد بن علي بن طاهر ، دخل مراكش في ايام مولاي عبد الرحمان ، كان عالماً فاضلا كثير الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، واجازه الكوهن وبدر الدين

---

106) انظر 4 : 249 من هذا الكتاب

الحمومي وغيرهما ، وتوفي بمدغرة اواسط القرن الثالث عشر ، وكان من مقدمي الطائفة الصادقية .

1561) هاشم بن مَحمد المدغري

هاشم بن مَحمد بن مُحمد بن مَحمد بن عبد الله بن طاهر بن عبد الكريم بن علي ابن طاهر المدغري ، كان عالماً مشاركاً في عدة فنون ، قرأ على القاضي مولاي عبد الهادي العلوي ، وعلى الفقيه السيد ممحد بن عبد الرحمان الحجرتي ، وعلى سيدي عبد السلام الأزمي وطبقتهم ، رحل به والده لفاس بقصد قراءة العلم ، وكان والده يقرأ اولاد القاضي المذكور القرءان ، منهم ابو العلاء ، ثم رجع مليءَ الحقيبة لبلده مدغرة ، ثم استوطن الغرفة وتزوج بها واقرأ بها عدة فنون وتفسير القرءان العظيم بتفسير ابن عطية ، وحضر عليه غير واحد من علماء سجلماسة وغيرهم ، منهم ابن عمه القاضي سيدي محمد بن محمد ولازمه مدة ، وهو احد عمده ، وله حاشية على مختصر السعد على التلخيص أحرقها بعض حسدته من أهل الغرفة بسجلماسة فضاعت ، وكان يدرس بأسرغين أعظم قرى الغرفة ، وحصل له شهرة وصيت عظيم في تلك البـلاد .

توفي اواسط العشرة السابعة بعد أن درس بالقواعد الثلاث بسجلماسة وفاس ومراكش ، وأخذ عنه جماعة من أهل العلم ، منهم الفقيه سيدي احمد ابن الخياط ، والفقيه سيدي الحاج محمد ازنيط .

ووقفتُ لمولاي هاشم العلوي على رسالة ارسلها الى السلطان مولاي عبد الرحمان نصهـا : بعد تعمير الديباجة بأخمص مَن لاحظ رعيته بعين الاهتمام ، ورعى لحسن رعايته ذا الرعي للدين الموصول المستدام ، سيدنا الذي قصرت عن ادراك شأوه في نصح عباد الله الجموع ، وأخصب له في الخافقين في سماء الخلافة وارض التواضع اعلام الثناء المرفوع ، ينبوع الفضائل ومركز الاحسان ، ابا المفاخر والمثاثر مولانا عبد الرحمان .

فليعلم سيدنا أيده الله تأييداً ينظم المزايا تاجاً ، ويوضح لسعادة الدنيا واقتناء كل مكرمة عليا طريقا لا حبا ومنهاجاً .

ومنها : جاءني لما منّ الله عليّ بأن نلت من زيارة محياه املي ، وامطر من صوب سماء نوره في الترغيب في العلوم ما تمّ به توالي لديه وصولي ، كان من جملة ما أملاه علي قوله عليه الصلاة والسلام : اذا مات المرء انقطع عمله الا من ثلاث الحديث ، فوقع مني موقعاً كأني ما الفيتُ له قبل ذلك مسمعاً ، ففهمت لسيدنا مع مخالفة الحيا ، وتعجبي مما نزل من سماء علومه من الحيا ، ان مـا اقتضا لي الحديث بظاهره من الانحصـار غير مراد مستدلا بقـول الأسيوطي :

اذا مـات ابن ءادام ليس يـجـــري عليــه من خصالــه غيــر عشـــر

فأطرق ملياً ، وكنت من علومه واجلا حيياً ، فانقدح في ذهني انه حصل له من ذلك لشهرة الحديث استشكال ، وعاقني للوقوف مع الأدب عن الخوض وتقتئد في ذلك المجال ، فبدا لي بعد الانفصال ان أبين له فيما قلت مستندي ، وما عليه من الأحاديث وكلام الأئمة في ذلك معتمدي ، فاقول : قوله عليه الصلاة والسلام اذا مات ابن ءادم انقطع عمله الا من ثلاث ليس المراد من هذه الثلاث انواعها ، وانما المراد منها اجناسها العامة ، وجعل كل واحد من هذه الثلاث علماً على جنسه لعظم شأنه فيه ، فالصدقة علم لايصال النفع الحسي للغير ، والعلم علم لايصال النفع المعنوي للغير ، والولد الصالح علم لتسبب الانسان فيمن يخلفه في العمل الصالح اذا علم انه راحل لامحالة ، ثمّ ان هذه الأمور جملة وتفصيلا قد يحصل بينها تداخل بحسب الاعتبارات ، وهذه الأمور وما يتعلق بها هي المكتنفة بكل انسان ، فحسُن الاقتصار عليها ، وقد جاء تفصيل شيء من ذلك في الأحاديث الدالة على عدم الانحصار ، فقد اخرج أبو نعيم عن انس بن مالك رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : سبع يجري أجرها للعبد بعد موته وهو في قبره : مَن علّم علماً او اجرى نهراً ، أو حفر بئرا ، أو غرس نخلا ، أو بنى مسجداً ، أو ورث مصحفاً ، أو ترك ولدا يستغفر له بعد موته ، وأخرج ابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى

الله عليه وسلم قال : انما يلحق المومن من عمله وحسناته بعد موته علم علمه ونشره ، وولد صالح تركه ، ومصحف ورثه ، ومسجد بناه ، وبيت لابن السبيل بناه ، ونهرا اجراه ، وصدقة اخرجها من ماله في صحته تلحقه بعد موته ، فقد اتفق الحديثان في خمس ، وهي تعلم العلم ، واجراء النهر ، وبناء المسجد ، وتوريث المصحف ، واستغفار الولد ، وانفرد انس" بزيادة حفر البير وغرس النخل ، كما انفرد ابو هريرة بزيادة بيت ابن السبيل واخراج الصدقة من المال في الصحة ، فهذه تسع والعاشر سن السنة الحسنة ، فقد اخرج مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَن سنّ سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ، فالأحاديث في عدم الانحصار بينة ، يعلم منها اني فيما خاطبتُ به سيدنا على بينة ، ثم المراد بانقطاع العمل في الحديث انقطاع العمل الذي يترتب عليه جزاء ، هذا هو العمل الموصوف بالانقطاع الذي استُثني منه ما استثني ، اذ ذاك هو العمل الموصوف بالانقطاع في عرف الشرع ، فلا تعارض بين ذاك وبين مادلتْ عليه الأحاديث من اثبات عمل الجنة ، اخرج البخاري وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، والذين على اثرهم كأشد كوكب اضاءة ، قلوبهم على قلب رجل واحد لا اختلاف بينهم ولا تباغض ، لكل امريء منهم زوجتان كل واحدة منهما يرى مخّ ساقها من وراء لحمها من الحسن ، يسبحون لله بكرة وعشية ، قال أبو العباس القرطبي هذا التسبيح ليس عن تكليف والزام ، وقد فسره جابر في حديثه عند مسلم بقوله يلهمون التسبيح والتكبير كما يلهمون النفس ، فهذا التسبيحُ ايضاً لنفسه من جملة الذي أثيبوا به على أعمالهم الصالحة ، لا انه من جملة اعمالهم التي يثابون عليها ، فان اعمالهم التي يجازون عليها قد انقطعت بموتهم ، فليس لهم بعد موتهم عمل يثابون عليه الا ما ورد فيه من الأعمال انه لا ينقطع كما اسلفناه ، وقد دلت حكايات لا تحصى على حضور ارواح الشهداء والأولياء في الجهاد وغيره ، وذلك كله محمول على أنه ليس مما يستحق أن يسمى في عرف الشرع عملا يترتب عليه الجزاء ، وانما هو من جملة كرامتهم عند ربهم بصالح اعمالهم ، لأن تمكنهم

من ذلك وتفسيرهم له هو من جملة جزائهم ، لا انه يترتب على ذلك غاية العمل الذي هو الثواب كما صح في حديث احوال أهل الجنة أن رجلا من أهل الجنة استأذن ربه سبحانه في الزرع ، فقال اولست غنياً ؟ قال بلى ، ولكن احب أن أزرع فاسرع وبادر فبادر الطرق نباته واستواؤه واستحصاده وتكويره اسال الجبال ، فيقول الله تعالى دونك يابن آدم ، فانه لا يشبعك شيء ، فظهر أن هذا الحرث ليس مقصوداً منه غايته المعهودة في الدنيا ، وانما المقصود غاية أخرى وهي ما يحصل للنفس من الانبساط والاتساع في التنعم برؤية ذلك والتمكن منه ، فقد ظهر بما تقرر امران ، الأول عدم الانحصار في الحديث ، الثاني بيان ان العمل الذي ينقطع بالموت عمل الجزاء لا مطلق العمل ، اوالله يقول الحق ، وهو يهدي السبيل ، انتهى .

1562) هاشم المركطاني

قال . . . (107)

1563) الهاشمي بن أحمد بوعبولة المراكشي المنبهي ، أخذ الفقيه والنحو عن السيد علي بن الفاضل ، والسيد سعيد جيمي ، والحاج محمد ازنيط ، والفقه على السيد عبد القادر الدكالي ، والفقه والعربية وعلم الفرائض والتوقيت والحساب عن السيد الطاهر بوحد المكناسي نزيل مراكش ، والسيد الحسن المزميزي ، وأخذ عن غيرهم .

كان المترجَم حافظاً يحفظ الشيء من أول ما يراه ، وكان فقيهاً مدرساً عارفاً بصياغة التدريس حسن الالقاء فصيح اللسان ، عفيفاً نزيهاً ، تولى الامامة بضريح الامام ابي العباس السبتي ، والخطابةَ بضريح سيدي غانم بن سعد السباعي ، وكان يدرس بضريح السبتي وبجامعه الكبير مختصرَ خليل وغيره كالهمزية والبردة ، وكان يسرد (الشفا) في رمضان ، وله في كل ذلك مجالس حفيلة يحضرها كثير من العوام ، سيما اذا كانت بالضريح

---

107) كذا في الأصل من غير ايراد ترجمة له ، وهاشم المركطاني المذكور اسمه هاشم بن عبد الله الحسني العلمي المروني ، من مجاذيب القرن الثالث عشر الهجري بفاس ، توفي يوم الأحد 20 صفر عام 1241 هـ ، له ترجمة في كتاب **سلوة الأنفاس** 1 : 195 لم يرد فيها انه دخل مراكش .

العباسي ، ولا يطيل مجلس الدرس فيه ، بل ربما مكث فيه نحو ربع ساعة فقط ، يقرر بيتاً او بيتين ويختم المجلس .

أخذ عنه صاحبُنا الفقيه الحافظ السيد مَحمد المدعو حم بن محمد الفطواكي الضرير ، وحضر عليه جميع ماكان يقرأه من وفاة السلطان المولى الحسن ، ولازمه سنين عديدة واجازه بكل ما تصح له روايته ودرايته في ثامن شعبان عام ثلاثة وعشرين وثلاثمئة والف ، وممن حضر عليه في قراءة الألفية من أولها الى ءاخرها الفقيه العدل المفتي السيد الطيب ابن كيران ، ثم ورد علينا نعيُه في 9 جمادى الثانية عام 1325 خمسة وعشرين وثلاثمئة والف بجبل ولتانة من ايالة دمنات حين كنت فيه متفسحاً متنزهاً في بساتين قراه ، وارداً من جداول انهاره ، وفيه زرت السيد ابا الخلف ، والسيد ياللتن الأسود ابا يلبخت المعروف السيد ابا البخت ، وتحققتُ بقوله تعالى (وان من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار) حين رايتُ منبع وادي دمنات العجيب الذي ينبع الماء فيه من حجر مرتفع عن الأرض كالسقف تحته شبه مغارة يتفجر في اسفلها الماء من احجارها منهمراً ، وتراه ينبع من شقوق احجارها فيجتمع وادياً من ذلك المحل ، فسبحان الصانع البديع ، كما رايت به خامات الزرع خضراً وقت ماحصده الناس وذروه بمراكش لشدة البرد به اذذاك ، وشاهدتُ ببعض قننه الثلج في الحر الشديد لم يذب كأنه في الليالي ، لكون الجبل شامخ تلك القنن ، حتى انني رايت الطير لا يتجاوز القنة ، بل اما ان يسامتها او يطير تحتها ولا يقدر على الصعود الى قننها ، والغابات فيه ملتفة الأشجار لا يمكن المرور فيها الا بعد تمزيق الثياب للمارة في بعض المواضع ان لم يتحفظوا ، والطريق في بعض مواضعه لا يمكن ان تسلك الا على الأرجل ولا تمرُّ بها البهائم ، بل يذهب بها الى طريق اخرى طويلة المسافة ، ورايتُ به متنزهات عجيبة وغراسات يحسن ترتيبها الزارعون والغارسون هناك في رباها ، واما أصناف الفواكه فحدثْ عن البحر ولا حرج ، وبه رايت الأنهار التي تصبُّ في وادي تساوت الكبير وعدتها كثيرة ، كل مسيل من قننه يخرج منه نهر فيلتقي بتاخر الى أن تصير نهراً عظيماً يمكن للزوارق أن تسافر فيه لولا الحجارة والاعوجاج ، وصبيانهم عارفون بالسباحة كبيرهم وصغيرهم ، ومن

قبيح عوائدهم ان أولادهم يتركونهم عراة ما داموا لم يبلغوا الحلم ، ويتعللون بالفقر ، وهذه عادة العرب ، والطريق في هذا الجبل كثيرة الأحجار الرقاق التي تزلق البهائم وتتعثر بها بخلاف جبال وادي نفيس فانني لما تفسحت فيها عام 1319 تسعة عشر وثلاثمئة والف رايتها مصلحة مبنية بالخشب والطوب يمكن السير فيها بلا تخوف من سقوط ، وان كانت جبالها شاهقة ايضاً ربما يسير الراكب في بعض عقباتها صعوداً وهبوطاً نحو فرسخين فأعلا ، وقد وصلت فيها الى تنمل ورزت مقبرتها الكبيرة ورايت جامعها البديع نقش الجبص المذهب ، مسامير الباب من صنع الموحدين رحمهم الله ، وهو وسط ليس بالكبير ولا بالصغير ، وقد تخرب ، ولما كنت بأجرجور من ايالتها على مرحلة من مراكش ظهرت لي من قنته مراكش كأنني بظاهرها غير بعيد منها ، كما شاهدت صومعتها العجيبة المعروفة بالكتبية حين كنت راجعاً من دمنات على مسافة اكثر من مرحلة (108)

توفى المترجم رحمه الله في يوم الأحد ثاني جمادى الثانية عام خمسة وعشرين وثلاثمئة والف عن نحو سبعين سنة .

1564) هلال بن ابي عقيل ابن عطية القضاعي

هلال بن أبي عقيل عطية بن ابي احمد بن جعفر بن محمد ابن عطية القضاعي .... مراكشي طرطوشي الأصل ، روى بمراكش عن احمد ابن مضاء ومروان بن عبد العزيز ، ودخل الأندلس كاتباً لبعض الولاة بها .

1565) هشام بن محمد العلوي (الأمير)

هشام بن أمير المومنين سيدي محمد بن عبد الله العلوي ، أمير المومنين ، لما قدمت قبائل الحوز على السلطان المولى اليزيد بمكناسة ظهر لهم منه بعض التجافي عنهم ، وانزلهم في العطاء دون البربر والوداية وغيرهم ، فساءت ظنونهم به وانفسدت قلوبهم عليه ، ولما رجعوا الى بلادهم تمشت

---

108) ليت شعري اي علاقة لهذا الحشو بالمترجم

رجالاتهم بعضها الى بعض ، وخبَّ الرحامنة في ذلك ووضعوا ، واتفقت كلمتهم مع أهل مراكش وعبدة وسائر قبائل الحوز فقدموا المولى هشام بن محمد للقيام بأمرهم ، وآتوه بيعتهم وطاعتهم ، ولما اتصل خبر ذلك بالمولى يزيد وهو محاصر لسبتة اقلع عنها وسار الى الحوز فشرد قبائله ووصل الى مراكش فدخلها عنوة ، يقال ان دخوله اليها كان من الباب المعروف بباب يغلي ، فاستباحها وقتل وسمل ، وكان الحادثُ بها عظيماً ، ثم استجاش عليه المولى هشام قبائل دكالة وعبدة وقصده بمراكش فبرز اليه المولى يزيد ، (ولما التقى الجمعان بموضع يقال له تازاكورت (زاكورة) انهزم جمع المولى هشام ، وتبعهم المولى يزيد) ، فأصيب برصاصة في خده ، فرجع الى مراكش يعالج جرحه ، فكان في ذلك حتفه رحمه الله ، وذلك اواخرَ جمادى الثانية سنة ست ومئتين والف ، ودفن بقبور الأشراف قبلي جامع المنصور من قصبة مراكش .

ولما قتل المولى يزيد بمراكش استمرت قدم المولى هشام بها واطاعته قبائل الحوز كلها ، وكان وزيراه القائمان بأمره صاحب آسفي القائد عبد الرحمان بن ناصر العبدي وكان غاية في الجود وبسط الكف ، وصاحب دكالة والحوز القائد محمد الهاشمي ابن العروسي وكان ذا شوكة بعصبيته وقومه ، فكان هاذان القائدان اليهما النقض والابرام في دولة المولى هشام ، هذا بكثرة ماله وعطائه ، وهذا بعصبيته وشدة شوكته ، فدانت للمولى هشام قبائل دكالة وعبدة واحمر والشياظمة وحاحة وغير ذلك ، واستمرّ الحال على ذلك برهة من الدهر الى أن افترقت عليه كلمة الرحامنة وتجنَّوا عليه بأنه قتل عاملهم القائد عبد الله بن محمد الرحماني غيلة على أنه كان مدبر دولته والقائم بأمره .

قال كنسوس : هكذا شاع ان المولى هشاما هو الذي امر بقتل عبد الله الرحماني وابن الداودي ، قال والذي تحدث به السلطان المولى سليمان مع

بعض الناس هو أن الفرقة المنحرفة من الرحامنة قتلوه واظهروا ان المولى هشاما هو الذي دسّ اليهم بذلك ، وكذلك امر ابن الداووي والله اعلم .

ولما قتل القائد عبد الله خلعت الرحامنةُ طاعة المولى هشام وبايعت اخاه المولى حسين بن محمد وزحفوا به الى مراكش ، فلم يرع المولى هشاما الا طبولهم تقرع حول القصبة وارهقوه واعجلوه عن ركوب فرسه ، فخرج يسعَى على قدميْه الى أن أتى ضريح الشيخ ابي العباس السبتي فعاذ به وثابت اليه نفسه ، وبعد ايام تسلل وسار في جماعة من حاشيته الى ءاسفي ، ونزل على وزيره القائد عبد الرحمان ابن ناصر ، فأكرم مثواه واحسن نزله ، وغدا وراح في طاعته ومرضاته ، ودخل المولى حسين قصر الخلافة بمراكش فاستولى على مافيه من الذخيرة والأثاث متاع المولى هشام ومتخلف المولى يزيد ، فاضطرّ أهل مراكش حينئذ الى مبايعة المولى حسين والخطبة به ، وكان ذلك سنة تسع ومئتين والف ، وافترقت الكلمة بالحوز ، فكان بعضه كعبدة واحمر ودكالة مع المولى هشام ، وبعضه مثل الرحامنة وسائر قبائل حوز مراكش مع المولى حسين ، واتقدت نار الفتنة بين هاؤلاء القبائل وتفانوا في الحروب ، الى أن بلغ عددُ القتلى بينهم اكثر من عشرين ألفاً ، هذا كله والسلطان المولى سليمان مقيم بفاس معرض عن الحوز متربص بأهله الدوائر ، الى أن ملُّوا الحروب وملتْهم ، وكان ذلك من سعادته ، فصاروا يتسللون اليه ارسالا ، ويسألونه الذهاب الى بلادهم ليعطوه صفقة بيعتهم ، فكان يعدهم بذلك ويقول اذا فرغت من امر الشاوية قدمت عليكم ان شاء الله .

توفى المولى هشام رحمه الله سنة 1213 ثلاث عشرة ومئتين والف ، وقيل سنة ست عشرة أو سبع عشرة بالطاعون ، ودفن بقبة صغيرة عند حائط قبة الجزولي من جهة راسه وبلصقه اخوه المولى الحسين (109)

---

109) الترجمة كلها منقولة من الجزء الثامن من **الاستقصا** من غير ان يشير المؤلف – الناقل الى ذلك على عادته .

1566) واجب بن ابي الخطاب ابن واجب القيسي

واجب بن أبي الخطاب بن محمد بن عمر بن محمد بن واجب بن عمر بن واجب بن عمر ابن واجب القيسي البلنسي ، سمع ابن هذيل وابا عبد الله ابن سعادة ، وغيرهما ، واجاز له أبو مروان ابن قزمان ، والسفلي ، سمع منه داوود ابن حوط الله اذ كان على قضاء ابذة من عمل بلنسية ، وشكرت سيرته ، وكان كاتباً بليغاً شاعراً خطيباً مصقعاً ، من بيت جلالة ، صحب السلطان .

وتوفي بمراكش سنة 582 .

وجد جده واجب سمع صحيح البخاري من أبي العباس العذري مع ولده ابي الحسن محمد وكان أحد الفقهاء ، توفى قبل التسعين واربعمئة .

ذكره في التكملة (110)

1567) الوافي بن عمر الشيخ الكنتي ، ورث الولاية عن والده المذكور المتقدم الترجمة ، وله اخ اخر اسمه أحمد الملقب بالفيرم وتقدمت الاشارة اليهما في ترجمة اخيهما المختار بن عمر نقلا عن كتاب التوحيد للشيخ المختار الكنتي ، كما تقدمت ترجمة احمد المذكور .

1568) ولجوط بن وامزيل أبو تونارت الايلاني ، من أهل رباط تاسماطت من أعمال مراكش ، من أهل الفقه والفضل ، حدثوا عنه انه كان يصلي العشاء الأخيرة بجامع تاسماطت ويبيت بمكة ، فسمع ذلك مَن انكر هذا ، فصلى معه ليلةً العشاءَ الأخيرة وجاء الى الباب الجوفي الذي عند الصومعة فاتبعه ، فالتفت اليه ولجوط وقال له اركب معي ايها الشاك ، فاذا بدابة بيضاء كأنها ناقة باركة عند الباب ، فركب الرجل خلفه وسارت بهم الى أن حطتهم بمكة ، فعاد ولجوط الى المغرب ، واقام ذلك الرجل

---

110) **التكملة** ص 719 ع 2030 طبع مدريد

بالمشرق فلم يصل الى أن توفي ولجوط رحمه الله ، فوصل الى تاسماطت وحدث الناس بهاذه القصة .

محا بعدكم تلك العيونَ بكاؤهـــا — وغال بكم تلك الأضالعَ غولهـــا
فمن ناظر لم يبق الا دمـوعــه — ومن مهجة لـم يبق الا غليلـهـــا
دعوا لي قلباً بالغـرام اذيبــه — عليكم وعيناً في الطلول اجيلهـــا

ترجمه في التشوف (111)

وقال في نظم رجاله :

وهذا الايلاني كان بعد صلاتـــه — العشاء هنا يمشي سريعاً الى الحجر

1569) الوليد بن زيدان السعدي

الوليد بن زيدان بن احمد المنصور السعدي ، بويع يوم مقتل اخيه عبد الملك يوم الأحد سادس عشر شعبان سنة اربعين والف ، فلم يزل مقتصراً على ماكان لأخيه وابيه من قبله لم يجاوز سلطانه مراكش واعمالها ، وعظمت الفتنة بفاس حتى عطلت الجمعة والتراويح من جامع القرويين مدة ، ولم يصل به ليلة القدر الا رجل من شدة الهول والحروب التي كانت بين أهل المدينة ، واقتسم المغرب في ايام اولاد زيدان طوائف ، فكان حاله كحال الأندلس أيام طوائفها (112) .

قال في شرح (الزهرة) : كان الوليد بن زيدان متظاهراً بالديانة ، لين الجانب ، حتى رضيته الخاصة والعامة ، وكان مولعاً بالسماع لا ينفك عنه ليلا ولا نهاراً ، الا انه كان يقتل الأشراف من اخوته وبني عمه ، حتى افنى اكثرهم ، وكان مع ذلك مُحباً في العلماء مائلا اليهم بكليته ، متواضعاً لهم ، وله الف القائـد علي بن الطيب منظومتـه المشهورة في الفواكـه الصيفية

---

111) التشـوف ص 143 ع 47
112) الاستقصـا 6 : 78

والخريفية ، والف القاضي عيسى السكتاني شرح صغرى الصغرى للسنوسي برسمه (113) .

واما وفاته فسببُها أن جنده من العلوج طالبوه بمرتباتهم واعطياتهم على العادة ، وقالوا له اعطنا ما نأكل ، فقال لهم على طريق التهكم : كلوا قشر النارنج بالمسرة ، فغضبوا لذلك وكمن له اربعة منهم فقتلوه غدراً يوم الخميس الرابع عشر من رمضان سنة خمس واربعين والف . انتهى .

قال في الاستقصا : والقصبة المعروفة بالوليدية على ساحل البحر المحيط فيما بين ءاسفي وتيط هي منسوبة اليه ، واظنها من بنائه والله اعلم .

والقصبة المذكورة بينها وبين الجديدة ثمانون الف متر ، وبينها وبين تيط واحد وسبعون الف متر ، وبينها وبين ءاسفي ستون الف متر ، وبينها وبين مشنزاية المعروفة بمدينة الغربية واحد وعشرون الف متر ، وهي الآن خراب لم يبق بها الا اطلال سورها وبعض الديار ، كما ان الوليدية الآن خراب لم يبق فيها الا السور وبعض الديار ، وهي فوق ربوة مطلة على البحر ، وفيها برجان مقابلان له ، وبرجان مقابلان لهما ، وهي حدُّ دكالة الفاصل بينها وبين عبدة ، زرتهما .

وممن تقدم ذكره من صلحائها سيدي علي ابن ابي القاسم دفين سور الحجر بمراكش ، وسيدي سعيد بن ابي بكر دفين مكناسة الزيتون .

1570) **ويحلان** خديم الشيخ الهزميري ، انتفع به وشاهد العجب من كراماته ، وهو مذكور في اثمد العينين .

1571) **ويرزجان بن محمد الجزولي** ، قدم مراكش ، وكان عالماً عاملا صالحاً فاضلا ، رحل الى المشرق ، وكان ضريراً ، وصحب الامام ابا بكر بن العربي ، وكان بصيراً بمذهب مالك بن انس ، واخذ عنه عبد الله ابن ياسين

113) **الاستقصا** 6 : 82

فقيه المصامدة ، ومات ويرزجان بقرية رماسة من بلد رجراجة ، وكان ويرزجان مجابَ الدعوة .

قال في التشوف اخبرني مخبر انه سمع برجل اضر بجيرانه ، فدعا الله تعالى عليه ، فحمل الرجل ميتاً ، واخبرني الثقة عن الفقيه عبد الله ابن ياسين قال ما اتيت قط الى ويرزجان الا وادبني بنوع من الأدب ، فتحفظت يوماً وأتيتُ اليه فسلمت عليه وقعدت ، فقال لي استقبل بوجهك القبلة اذا قعدت . انتهى .

ونقله الحضيكي في طبقاته ايضا (114) .

1572) **ويسينَنْ بن عبد الله البردعي** أبو علي الأسود ، اصله من حاحة ، ونشأ بدكالة ، ونزل مراكش وبها مات عام ستة وثمانين وخمسمئة ، خدم ابا يعزى وغيره من الصالحين ، وكان عبداً صالحاً فاضلا .

قال في التشوف (115) : سمعت محمد بن احمد الزناتي يقول : جلست يوماً بدكان ويسيننن مع موسى بن مسعود المعلم قبلي مسجد الجزارين وويسينن يحدثنا بأخبار مَن ادركه من الصالحين الى أن رايناه في قلق شديد ، فقال لي موسى اذهب بنا عن هذا الشيخ ليلا نكونَ قد آذيناه بالجلوس عنده ، فقال لنا ويسينن يصيبني وجع في رجلي اذا حانت أوقات الصلوات فلا يزيله عني الا اسباغ الوضوء ، قال محمد بن احمد : وكانت عينا ويسينن بيضاويْن ، وكان مع ذلك يبصر بها ويتصرف في عمله ، فقال لي : كنت قد عميت واقمت عامين لا ابصر ، ولزمت البيت ، فسمع ذلك الشيخ ابو يعزى ، فبعث لي رقعة من برنسة وامرني ان احرقها بالنار واكتحل برمادتها ، ففعلت ورجعت ابصر كما ترى (116) ، رضي الله عنهم ونفعنا ببركاتهم ءامين . (117)

---

114) الترجمة منقولة من التشوف ص 276 ع 127 ونقلها الحضيكي في طبقاته 2 : 350

115) وما تقدم هو ايضاً منقول من **التشوف** .

116) **التشوف** ص 276 ع 127

117) بعد هذا كتب بالهامش امام حرف الياء ما يلي : الياباني اسمه عبد الله بن علي بن سعيد نقدم .

حرف الياء

1573) **يالَلْتَن الأسود** ، ابو يلبخت ، تلميذ الشيخ ابي يعزى ، كان بجبل دمنات من جبال هسكورة ، وبه مات عام اثنين وستمئة ، وكان من أكابر المشايخ والأولياء .

قال في التشوف (118) : سمعت القاسم بن عبد العزيز يقول : كان يالَلتن يقول عاهدت الله تعالى أن لا يفتح لي في شيء من الدنيا الا رددته اليه ، وكان يالَلْتَن قد أعدّ ثوراً يطعمه جيرانه اذا ختن ولده ، فجاءه رجل فقير ، وقال له نفستْ زوجتي وليس عندي ما اطعمها لولادتها ، وقد ولد لي مولود ذكر ، فقال له يللتَن : احملْ هذا الثور وأطعمْه اهلك ، فقيل له انت الآن أحوجُ اليه منه ، فقال سيفتح الله لي فيما اطعمه الناس ، فما طلع الفجر حتى سيقت اليه جملة من الثيران فأطعمها الناس .

واخبرني الثقة عن عبد الحق بن عبد الله المينوني عن بيدان بن عبد الكريم وكان من الصالحين ، قال نزلت ليلة من جوف الليل لأتوضأ يعني اسفل الجبل ، فرأيت يالَلتن ينزل من الهواء على مدارج من نور ، فوضعت يدي على ءاخر درجة نزل منها حتى لمستها بيدي ، قال بيدان بن عبد الكريم : وجلست معه يوماً فاذا رجل واقف بين يديه ، فقال له ياابا يلبخت ، ما بقي من الناس الا الصور ، فالتفت فلم ير احدا ، قال عبد الحق بن عبد الله : وحدثني محمد بن ابي سلمة ، قال اخبرني يالَلتن مشافهة قال : ادعت نفسي التوكل ، فأردت ان اصحح ذلك ، فذهبت الى الغابة فاضطجعت بين طريقين ، ولففتُ الثوب على رأسي ، فجاءني أسد أسمع زئيره ، فلما وصلني انصرف ، ثم جاءني ثالث فانصرف .

وحدثني يوسف بن سليمان عن ابراهيم بن ولجوط ، عن علي بن عبد العزيز الهزرجي ، تلميذ يالَلتن قال : زرت يالَلتن فأقمت عنده سبعة اشهر

118) وما تقدم منقول ايضاً من **التشوف**

وهو يطحن لزائريه ما يأكلونه ، فأبطأ يوماً فطحنت له وجعلت حفنة من القمح في فم الرحا فدخل علي فقال لي تنحَّ بارك الله فيك ثلاث مرات ، فتتحيت في الثالثة ، فقعد يطحن وهو يجمع الدقيق من تلك الحفنة الى أن ملأ برمة كبيرة .

وحدثني يوسف بن سليمان عن ابراهيم بن ولجوط قال حدثني يحيى ابن يلول صاحب ياللتن قال : قال لي ياللتن حدثتني نفسي اني من المتوكلين ، فأردت تصحيحَ دعواها ، فأتيت موضع السباع واضطجعت ، فجاءني سبع فشمني ولحس ركبتي ، فقلت له انا خلق مثلك ، فذهب عني وتركني ، ثم جاءني سبع ثان وثالث الى أن جاءني سابع ، وكل واحد منهم يفعل مثل ما فعل الأول ، وانا اقول لكل واحد مثل ما قلت للأول فينصرف ، ثم قمت فرجعت الى منزلي .

وحدثني يوسف عن ابراهيم ، قال حدثني علي بن عبد العزيز ، قال قلت لياللتن اتعرف فلاناً من اهل أغمات وريكة ؟ فقال لي اعرفه وقد زرته البارحة ورجعت من عنده في ليلة واحدة .

قال ابراهيم وحدثني الثقة قال كان ياللتن يطحن ليلة الى ان قال لي اطحن لي ساعة لأصلي ركعات ، فقلت له نعم ، فطحنت له حتى ركع ما قدره له ، فقال لي قم يافلان فصلّ انت ، فقمت لأصلي ، فنظرت الرحى تدور وحدها وتطحن دون ان يطحن بها احد ، فلما رءاني رايت ذلك قال : لا تعجبن مما رايت ، فانه مَن اتقى الله رأى اكثر من هذا .

وحدثني عيسى بن يعقوب ، قال : لي عبد الحق بن عبد الله الميموني : اتيت مرة من الفحص الى اهلي ، فلقيت العرب في طريقي وهم يعيثون في الناس يميناً وشمالا ، وانا راكب فحفظني الله تعالى منهم ولم يتعرضوا حتى وصلت اهلي ، ولم احدث بذلك احداً ، ثم اني زرت ياللتن فجلست معه نتحدث الى أن وصلته جماعة من المريدين من أهل تامسنا ، فقالوا اردنا ان نستقي فخرجنا الى المسجد الفلاني فجردنا العرب ، فقال لهم ياللتن اعرف رجلا من ابناء هسكورة اجتاز بالعرب فلم يتعرضوا له وهم يعيثون في كل جانب ،

فتطمعوا انتم ان تستنزلوا المطر من السماء وقد عجزتم عن استرجاع اثوابكم من عند العرب ، قال عبد الحق : وما اخبرت بما اخبر به عني احداً من الناس انتهى (119) .

وترجم له في المعزى ايضا مختصرا لما في التشوف ، وقد زرت قبره رضي الله عنه في عام خمس وعشرين وثلاثمئة والف .

1574) ياقـوت (120)

لما استولى ابن غانية على الجريد استنزل ياقوت ، فولى قراقش (121) مَن طرده ، كذا ذكره التجاني في رحلته ، ولحق ياقوت بطرابلس ونازله ابن غانية بها ، وطال امر حصاره وبالغ في المدافعة ، وبعث يحيى عن اسطول ميورقة ، فأمده أخوه عبد الله بقطعتيْن منه ، فاستولى على طرابلس وأشخص ياقوت الى ميورقة واعتقل بها الى أن اخذها الموحدون ، وكان من خبر ميورقة أن عليا ابن غانية لما نهض الى فتح بجاية ترك محمداً وعلياً بن الربيرتير في معتقلهما ، فلما خلا الجو من اولاد غانية وكثير من الحامية داخل ابن الربيرتير في معتقله نفر" من أهل الجزيرة ، وثاروا بدعوة محمد وحاصروا القصبة الى أن صالحهم اهلُها على اطلاق محمد ابن اسحاق ، فأطلق من معتقله وصار الأمرُ له ، فدخل في دعـوة الموحدين ووفـد مع علي بن الربيرتير على يعقوب المنصور ، وخالفهم الى ميورقة عبد الله بن اسحاق ، ركب البحر من افريقية الى صقلية ، وامدوه بأسطول ، ووصل الى ميورقة عند وفـادة اخيه على المنصور فملكها ، ولم يزل بها والياً ، وبعث الى أخيه علي بالمدد الى طرابلس

---

119) ما تقدم منقول من **التشوف** ص 389 ع 203

120) ياقوت هذا يعرف بياقوت الافتخار ، وكان فتى لقراقش الغزي ونائبه وواحداً من قواد عسكره .

121) قراقوش الغزي الأرمني ، قائد عسكري كان مملوكاً للملك المظفر تقي الدين بن شاهنشاه بن ايوب بن شادي ابن اخي السلطان صلاح الدين الأيوبي ، يلقب بالمظفري لأنه مملوك المظفر ، وبالناصري لأنه يخطب للناصر صلاح الدين ، وله اخبار طويلة تذكر في ثورة بني غانية على الموحدين وتحركاتهم بشط الجريد وطرابلس .

كما ذكرناه ، وبعثوا اليه ياقوت فاعتقله عنوة الى أن غلب عليه الموحدون سنة تسع وتسعين (وخمسمئة) فقتل ، ومضى ياقوت الى مراكش وبها مات .

ذكره ابن خلدون (122) .

1575) **يس بن يوسف المراكشي** ، الشيخ الولي الصالح من أولياء الله تعالى ، كان حياً سنة 641 وكان يسكن نوى من قرى دمشق ، ورأى الشيخ سيدي يحيى ابن شرف الدين النووي الامـام وهو اذذاك ابن عشر سنين والصبيان يكرهونه على اللعب معهم ، والنووي يهرب منهم ويبكي لاكراههم ، ويقرأ القرآن في تلك الحال ، قال المترجم فوقع في قلبي محبته ، وكان قد جعله ابوه في دكان فجعل لا يشتغل بالبيع والشراء عن القرءان ،قال الشيخ ياسين ، فأتيت الذي يُقرئه القرآن فوصيته به ، وقلت له هذا الصبي يُرجا ان يكون اعلم زمانه وازهدهم وينتفع الناس به ، فقال امنجم انت ؟ فقلت لا ، وانما انطقني الله الذي انطق كل شيء بذلك ، فذكر المعلم ذلك لوالده فحرص عليه الى أن ختم القرآن وقد ناهز الاحتلام ، ذكره الشبرخيتي في أول الأربعين النووية ، وذكره السخاوي محمد بن عبد الرحمان قبله في كتاب (الاهتمام ، بترجمة النووي قطب الأولياء الكرام) .

وقال في الشذرات في سنة 687 ما نصه :

وكان صاحب كشف وحال ، وكان النووي رحمه الله يزوره ويتتلمذ له ، وتوفي في ربيع الأول وقد قارب الثمانين انتهى (123) واصله في تاريخ الاسلام للذهبي ، فقد نقل عنه في كتاب الاهتمام في اوله بعد ما تقدم عنه ما نصه : وقد ذكر اعني الذهبي في تاريخ الاسلام يس هذا واشار لما تقدم ، فقال يس بن عبد الله المغربي الحجـام الأسود الصالح ، كان له دكان بظاهر بـاب الجابية ، وكان صاحب كشف وكرامات ، وقد حج اكثر من عشرين مرة ،

---

122) **تاريخ ابن خلدون** 6 : 398

123) **شذرات الذهب** 5 : 403 سماه الحاج يس المغربي ، ونعته بالحجام الأسود ، وذكر انه كان جرائحياً على باب الجابية .

وبلغ الثمانين ، اتفق انه سنة نيف واربعين مر بقرية نوى فرأى الشيخ محيي الدين النووي وهو صبي ، فتفرس منه النجابة واجتمع بأبيه الحاج شرف ، ووصاه وحرضه على حفظ القرءان والعلم ، فكان الشيخ فيما بعد يخرج اليه ويتأدب معه ويزوره ويرجو بركته ، ويستشيره في اموره ، توفي في ثالث ربيع الأول سنة سبع وثمانين وستمئة ، ودفن بمقبرة باب شرقي رحمه الله ، وقد اخبر بموت النووي والده ، وقال اين تختار ان يموت عندكم او في دمشق ؟ يقال انه قتله بالحال لأمر ثم نام . انتهى كلام الذهبي وفيه ايضا مخالفة لكلام ابن العطار ، وان كان يمكن الجمع بينهما بأن الشيخ يس بعد ان اخبر المعلم شافهَ بذلك والده ايضاً ، واما قوله ويقال انه قتله بالحال فمنكر ، وقد استبعده التقي بن قاضي شهبة حيث قال وهذا بعيد جداً ان يقع ان مثل النووي يقع منه ما يوجب ان ولى الله يتغير عليه حتى يصل الى قتله ، وبعيد من الولي ايضا قتل النووي ، قال وانما هذه يعني على تقدير الصحة نزغة شيطانية نعوذ بالله من ذلك ، انتهى .

ثم قال وافاد التاج السبكي في الطبقات الكبرى ان شيخه في الطريق الشيخ يس المراكشي الماضي ، ويشهد له ما اسلفناه عن الذهبي في ترجمته ان الشيخ كان يخرج اليه ويتأدب معه ويزوره ويرجو بركته ويستشيره في اموره ، ووصفه اللخمي بالعلم بالقراءات السبع ،لاكن لم يبينْ عمن اخذها فيمكن ان يكون عن ابي شامة مع اني لم ار الذهبي ولا ابن الجزري ولا مَن بينهما ممن افرد تراجم القراء ذكره فيهم ، والله اعلم انتهى .

اما ابن العطار فقد . . . . فيه تأليفاً في ترجمة الامام النووي ، واللخمي المذكور اسمه محمد بن الحسن ، ألف في النووي تأليفاً في اربعة اوراق كما ذكر السخاوي بعد .

1576) **يبريدن بن وبيدن الأيلاني** أبو ويعزان القدار الأسود ، تلميذ عبد الخالق بن ياسين من أهل وقراط من بلد بني سمايل من دكالة ، وبه مات عام عشرة وستمئة .

قدم مراكش وكان عبداً صالحاً ، وكان يستجيب بوقراط ، فيُقال له مَن ناداك ؟ فيقول ناداني الشيخ عبد الخالق بن ياسين بسبت بني دغوغ ، فيذهب بعد العصر فيصلي معه المغرب ، ثم يرجع الى وقراط فيصلي العشاء في أهله ، وبينهما ستون ميلا .

وكان يبريدن يصنع القدور بيده ويطبخها فيبيعها ويقتات بأثمانها ، وكان يشتري زبيباً فيدقه ويصنع منه كوراً ، فاذا كان وقت افطاره اخذ كورة فمرسها في الماء وشرب ماءها فيكتفي بذلك .

قال في التشوف (124) : سمعت موسى بن عيسى الأيلاني يقول : سمعت يبريدن يقول : خرجت في يوم جمعة قبل الزوال لاسباغ الوضوء من النهر ، فمررت برجلين عليهما ثياب بيض ، وهما يحفران قبراً ، فسألتهما عن صاحب ذلك القبر ، فقالا هو لرجل لا نعرفه ، فتوضأت ورجعت وهما يحفران ، فقالا لي عسى أن تقيس لنا هذا القبر بقامتك ، فنزلت فوجدته على قامتي ، فقلت لهما مَن صاحب هذا القبر ؟ فقالا لي هو قبر رجل اسمه يبريدن القدار ، فقلت لهما انا هو ! فاعتنقاني ثم مشيت معهما قليلا فغابا عنا ، فنظرت يميناً وشمالا فلم ارهما ! فقلت لعلهما نزلا في القبر ، فاطلعت عليه فلم ارهما ، قال موسى بن عيسى فجاء يبريدن بأعواد فغطى القبر بها ووضع على الأعواد تراباً ، واقام اربعة عشر عاماً فدفن في ذلك القبر (125)

1577) يحيى بن همام ابن ازراق السرقسطي

يحيى بن همام بن يحيى من اهل سرقسطة ، يعرف بابن أزراق ، من اهل الأدب والنباهة ، مع براعة الخط والتميز بذلك ، وكتب للمستعين ابن ابي جعفر ابن هود مع ابيه همام بن يحيى ، ولحق به في ادبه وحسن

---

124) يوهم المؤلف الناقل ان العبارات التي تقدمت في اول هذه الترجمة هي من عمل يده ، والحقيقة انها كلاحقتها منقولة بالحرف من **التشوف** .

125) **التشوف** ص 451 ع 258

وراقته ، وكتب ايضاً ليوسف بن تاشفين ثم لابنه علي ، واستدعي الى مراكش في سنة 495 وتوفي بقرطبة سنة 537 ، ذكره ابن حبيش ، وفيه يسير عن غيره .

ذكره ابن الآبار (126)

1578) يحيى بن محمد ابن عباد اللخمي

يحيى بن محمد المدعو بشرف الدولة ولد المعتمد بن عباد ، يكنى ابا بكر ، قرأ في حياة أبيه على مالك بن وهيب ، وابي الحسن بن الأخضر باشبيلية ، ونشأ خاملا وتعيش من كتب الوثائق بمراكش ، وهو القائل وقد دعاه المقدم للحسبة من قبل القاضي ابي محمد ابن ابي عرجون ليكتب له ، وكان امياً جاهلا .

عجباً لدهـر كل مـا فيه عجـب — فدم" سما ، ونبيه قدر قد رسب
لا تنفـع الآداب فيه وان غـدت — تعزى الى ذي همة عالي النسب
أو ليس من نكد الزمـانَ بـأن ارى — ادعى لأكتب صاغراً للمحتسَب
خسف اسام بـه وتأبى همـة — لخميـة" الا الصيانـة للحسب

اراد بالمحتسَب مفتوح السين انه لفدامته كالميت الذي احتسب .

ترجمه في الحلة السيرا ، وقفت على نسخة منها في مجلد بخط اليد من القالب الكبير في صحائف 330 (127) .

وتقدم ذكره في ترجمة والده .

1579) يحيى بن ابي بكر ابن الصحراوية اللمتوني

يحيى بن ابي بكر بن ابراهيم المسوفي الصحراوي اللمتوني المشهور عندهم بابن الصحراوية ، وهي بنت يوسف بن تاشفين ، زوج والدَه اياها

---

126) **التكملة** ص 398 (مخطوط الخزانة الحسنية الملكية بالرباط) ، وص 721 ع 2039 طبع مدريـد .

127) **الحلة السيرا** 2 : 76

اخوها علي بن يوسف ، حظى عند الموحدين وقودوه على من وجد من لمتونة ، ولم يزل وجيهاً عندهم مكرماً لديهم ، وكان خليقاً بذلك ، الى ان نقلت عنه الى عبد المومن اشياء كان يفعلها واقوال كان يقولها احنقتْه عليه ، فتحدث عبدُ المومن ببعض ذلك في مجلسه ، وربما همَّ بالقبض على يحيى هذا ، فراى الوزير احمد ابن عطية ان يجمع بين المصلحتيـْن من نصح اميره وتحذير صهره اذ كانت عنده اخته بنت ابي بكر من زوجه بنت يوسف بن تاشفين التي تعرف ببنت الصحراوية ، فقال لامرأته اخت يحيى المذكور قولي لأخيك ليتحفظْ واذا دعوناه غداً فليعتل ويظهر المرض ، وان قدر على الهروب واللحاق بجزيرة ميورقة فليفعل ، فأخبرتـْه اخته بذلك فتمارض واظهر انه لما به ، فزاره وجوهُ اصحابه وسألوه عن علته ، فأسرَّ الى بعضهم ممن كان يثق به ما بلغه عن الوزير ، فخرج ذلك الرجل الذي اسرَّ اليه فنقل ذلك كله بجملته الى رجل من ولد عبد المومن ، فكان هذا هو السبب الأكبر في قتل ابن عطية المذكور سنة 553 ، وامر عبد المومن بتقييد يحيى المذكور وسجنه ، فكان في سجنه الى أن مات (128) .

وتقدم ذكر والده ابي بكر في حرف الهمزة (129) .

1580) يحيى بن محمد ابن ريدان الفهري

يحيى بن محمد بن يحيى بن سعيد بن سعدون بن دبيل ابن ريدان (130) الفهري من اهل قرطبة ، واصلـُه من منتانجش من الثغور الجوفية ، روى عن ابيه وتفقه به ، وعن ابي عبد الله ابن الطلاع وابي الحسن العبسي ، وخازم بن محمد ، ومحمد ابن حمدين ، وابي الحسين ابن سراج ، وابي القاسم ابن النخاس ، وابي عبد الله ابن خليفة المالقي ، وابي القاسم الهوزني ، وابي

---

128) ما تقدم منقول بالحرف من **المعجب** ص 120 طبع سلا

129) انظر 1 : 204 ع 59 من هذا الكتاب

130) براء مهملة ، كذا في نسخة خطية من **التكملة** محققة على مبيضة المؤلف ، وفي كتب اخرى كثيرة مطبوعة وخطية ، ويكتبها بعض النساخ احياناً بزاي ، وذلك خطأ بكل تأكيد .

الوليد ابن رشد ، وابي محمد ابن عتاب ، وابي الحسن ابن عفيف ، وسمع الموطأ من ابي بحر الأسدي لم يسمعْ منه غير ذلك ، وكتب اليه ابو عبد الله ابن شبرين ، وابو علي الصدفي وغيرهما ، وكان فقيها حافظاً مشاوراً ،ولي الأحكام بقرطبة ، ثم انتقل منها الى لبلة وغيرها ، وتجول كثيراً .

حدث عنه ابو القاسم القنطري ، وابو بكر ابن خير ، وابو الحسين ابن ربيع ، وابو القاسم ابن الملجوم ، وسمع منه بمراكش وبفاس .

قال وتوفي باشبيلية سنة ست وخمسين وخمسمئة ، ومولده في رمضان سنة سبع وسبعين واربعمئة .

نقله في الجذوة (131)

1581) يحيى بن محمد ابن الصيرفي

يحيى بن محمد بن يوسف الأنصاري من أهل غرناطة ، يعرف بابن الصيرفي ، قال ابن الأبّار القضاعي في التكملة : كان من الأدباء المتقدمين ، والشعراء المجودين ، وله تاريخ في الدولة اللمتونة افاد به ، وكان من شعرائها وخدام امرائها وسكن بآخرة ....

توفي سنة سبع وخمسين وخمسمئة وهو ابن تسعين سنة او نحوها انتهى (132) .

قال يمدح تاشفين بن علي بن يوسف ويصف ثباته في حرب شهدها ويذكره بأمور الحــرب في وصايا وتحذيرات تنبهك على معرفة كثير من سياسة الحرب ، يقول فيها :

---

131) **جذوة الاقتباس** ص 541 ع 627 طبع الرباط ، والترجمة منقولة ـ في الحقيقة ـ من التكملة ، وعلى نسختها الخطية المحفوظة بالخزانة الحسنية الملكية بالرباط اعتمدنا في التحقيق .

132) **التكملة** ص 399 (مخطوط الخزانة الحسنية الملكية بالرباط) ، وص 723 ع 2045 طبع مدريد .

يأيها المـلأ الـذي يتقنـــــع ... مَن منكم الملكُ الهمام الأروعُ ؟
ومَن الذي غدر العدو بـه دجـــى ... فانفضّ كـل وهـو لا يتزعـــزع
تمضي الفوارس والطعان يصدهـا ... عنه ، ويزجرهـا الوفـاء فترجـــع
والليلُ من وقـع السنابك بينهـم ... صبح" على هـام الكمـاة ملمّـــع
اني فزعتـم يابنـي صنهاجـــة ... واليكم في الروع كـان المفـــزع
ما انتـم الا اســـود خفيـــة ... كـل لكـــل عظيمـة مستطلـــع
مـا بـال سيدكم تورط لم يكـــن ... لكـم التفـات حولـه وتجمـــــع
انسان عين لـــم يصنْـه منكـــم ... جفن" وقلب اسلمتْــه الأضلـــع
وصددتمـوا عن تاشفين وانـــه ... لعقابـه لوشـاء فيكم مـوضــــع
ياتاشفين اقـم لجيشك عـــــذره ... بالليل والقـدر الـذي لا يدفـــع

ومنها في سياسة الحرب :

اهديـك من ادب الوغا حكماً بهـا ... كانتْ ملوكُ الفرس قبلك تـولـع
لا اننـي ادري بهـا لكنهـــــا ... ذكـرى تحضُ المومنين وتنفـــع
خندق عليك اذا ضربت محلـــة ... سيـان تتبـع ظافـراً او تتبـــع
والبَسْ من الحلق المضاعفة التي ... وصى بها صنع السوابغ تبَّـــع
والهندواني الرهيف فـــانـــه ... امضى على حلق الدلاص واقطـــع
واركبْ من الخيل السوابق عـدة ... حصنـاً حصينـاً ليس فيه مدفـــع
واجعلْ مناجزة العـدو عشيـــة ... ووراءك الصدفُ الذي هـو امنـع
واذا تضايقت الجيوش بمعـــرك ... ضنك ، فأطراف الرمـاح توســع
واصدمه اول وهلـة لا تكتـــرثْ ... شيئاً فاظهار النكـول يضعضـــع
واجعل من الطلاع اهل شهامـــة ... للصدق فيهم شيمـة لا تخـــدع
لا تسمع الكـذاب جـاءك مرجفـاً ... لا راي للكـذاب فيمـا يصنـــــع

وهي طويلة اشتملت على ستة وخمسين بيتاً ، مذكورة في الحلل الموشيــــة (133) .

133) **الحلل الموشية** ص 124 طبع الدار البيضاء 1979 وما هنا من الأبيات يختلف في الترتيب والكلمات عما في الحلل الموشية .

قلت وتاريخه هو المرسوم بالأنــوار الجلية ، في محاسن الدولــة المرابطية ، تكرر النقل عنه في هذا الكتاب قبل ، وذكره الحافظ جلال الدين السيوطي في طبقات النحاة ، وقال : قال ابن الزبير كان من اهل المعرفة بالعربية والآداب ، ومن الكتاب ، اخذ عن ابن العربي ، والف تاريخَ الأندلس ، ومات في حدود السبعين وخمسمئة او قبل ذلك عن سن عالية . انتهى من طبقات المالكية ، وتقدم فيمن كنيته ابو بكر في حرف الباء (134) .

1582) يحيى بن العزيز ابن حماد الصنهاجي

يحيى بن العزيز بن المنصور بن الناصر بن علناس ابن حماد الصنهاجي ، صاحب بجاية ، العزيز بالله ، كان بين الخليفة عبد المومن وبين ابن حمدون وزير صاحب بجاية كتب ومداخلة ، فلما سمع به فتح له باب بجاية سنة 547 ففرّ من قصبتها صاحبها المترجم الى قسنطينة وحصره بها الموحدون فنزل منها على امان ، وسار مع الخليفة عبد المومن الى حاضرة مراكش ، فأعمره الديار وأقطعه الضياع ، واقام هو وبنوه تحت اكرام ومبرة الى ان انقرضوا ، ولما استقر ابن حماد تخامل وتجاهل ، وشغل نفسه بالصيد ، واستعمل شباك الحديد لصيد الأسد ، وكان يهديها للخليفة عبد المومن فيثيبه عليها (135) وراجع المعجب ، وتقدم ذكره في ترجمة محمد المهدي ابن تومرت (136) .

ثم انتقل المترجم الى سلا سنة ثمان وخمسين ، فسكن قصر بني العشرة الى أن هلك في سنته .

ذكره في المعجب وفي الحلل الموشية وابن خلدون وغيرهم .

---

134) ترجم المؤلف مرتين ليحيى ابن الصيرفي ، مرة تحت اسمه يحيى ، واخرى تحت كنيته ابي بكر ، وقد ادمجنا الترجمتين وجعلناهما ترجمة واحدة ، وانظر ايضاً **صلة الصلــة** ص 183 ع 361 **والاحاطــة** 4 : 407

135) ما تقدم منقول من **الحلل الموشية** ص 149 طبع الدار البيضاء

136) انظر 4 : 59 و 60 من هذا الكتاب

1583) يحيى بن محمد ابن بقي

يحيى بن محمد بن عبد الرحمان بن بقي ، سلوي ، أخذ القراءات والحديث والأدب عن مشيخة بلده ، ودخل الأندلس وسكن مرسية ، وصحب فيها ابا العباس ابن ادريس وابا العباس ابن الحلال ، روى عنه أبو عمر ابن عياد ، وكان من أهل العلم بالتفسير والأصول والمعرفة بالآداب ، متقدماً في طريقة الوعظ والتذكير ، قاصراً زمانه على ذلك ، ذا حظ نزر من قرض الشعـــر .

مولده لليلتين خلتا من ذي الحجة سنة عشر وخمسمئة ، وتوفي بمرسية يوم الأربعاء لخمس خلون من ذي الحجة سنة ثلاث وستين وخمسمئة ، وصلى عليه أبو القاسم ابن حبيش رحمه الله .

انتهى من الذيل والتكملة (137) .

1584) **يحيى الدكالي** ، من اصحاب ابي عبد الله ابن امغار ، وكان عبداً صالحاً ، قدم مراكش واستقر ءاخراً بسجلماسة وبها مات في حدود السبعين وخمسمئة .

قال في التشوف : سمعت محمد بن ابي القاسم يقول حدثنا غير واحد من اصحاب يحيى الدكالي قالوا كان ليحيى صاحب" من مومني الجن ، فاذا قام الى ورده يصلي صلاة صاحبه بصلاته (138) .

1585) **يحيى بن محمد بن عبد الرحمان التادلي** ، من اهل تادلة ، مات بفاس سنة ست وسبعين وخمسمئة ودفن في روضة الفقيه ابراهيم ابن قرقول ، وكان عبداً صالحاً ورعاً مجابَ الدعوة .

قال في التشوف : سمعت عبد الله بن موسى يقول ، سمعت محمد بن ابراهيم يقول ، قال لي يحيى التادلي في عام مجاعة بمراكش : اريد أن تعينني

137) **الذيل والتكملة** ص 194 (مخطوط الخزانة العامة بالرباط) .

138) الترجمة منقولة من **التشوف** ص 266 ع 121

اليوم ، فقلت له نعم ، فقال جئني بالفقراء الذين بجامع علي ابن يوسف ، فأتيتُه بهم ، فأخرج قمحاً وسمناً كان عنده ففرقه عليهم حتى لم يبقَ لـه منه شيء .

وحدثني علي بن عيسى بن عبد الله بن محمد عن محمد الحضري وكان خاصاً بيحيى ، قال كان ليحيى بفاس عام احد وسبعين وخمسمئة قمح في غرفتيْن ، فقال لي يحيى اريد أن اطلعك على سري فلا تخبرْ به احداً حتى اموت ، فقلت له وماذاك ؟ قال نذرت ان اتصدق بجميع القمح الذي في الغرفة الواحدة ، ففرقه على المساكين ، فعتبتُه على ذلك ، فقال لي افعلْ ما امرتُك به ، ففرقتُها كلها على المساكين ، ثم مكث يسيراً فرأى الحال قد اشتد ، فقال لي الحقْ الغرفة الثانية بالأولى ، وكان له ولدٌ أعمى ، فقلت لـه يايحيى انظر من ولدك هذا واترك له شيئاً ، فقال لي يابني ، بيني وبين الله سر لا يضيع معه ، فلما كان ذاتَ يوم ماطر جاء وخلفه جماعة من المساكين ، وفي يده اوراق كرنب ، فأخرج قدراً من سمن لم يبق له شيء سواها ، فجعل يخرج السمن ويجعله على ورقة حتى لم يبق منه شيء ، وانصرم ذلك العام ، ولم يبق له من ماله شيء .

وحدثني يوسف بن موسى التادلي قال ، ماتت زوجُ يحيى فأنكحه محمد بن واملال المعروف بأصناج امـرأة جميلة من قرابته ، وكـان يوسع عليهما ، فقال يحيى اخاف الفتنة من بقائي مع هذه المرأة ، فانها جميلة ، وارى الدنيا قد اقبلت علي ، فطلقها وتوجه الى مكة ، فوجد بمصر مولى كان اعتقه ، فأتى الى يحيى بستين ديناراً فأبى من قبولها ، وقال انما احتاجُ ان تكتري لي جملا يوصلني الى مكة ، فاكتراه له ، فوصل مكة واقام بها ، وكان يحتطب الاذخر ويبيع الحُزمة منه بدرهم ، فاشترى منه رجل من أهل فاس حزمة فحملها الى منزله ودفع له عشرة دنانير ، فقال له يحيى انما آخذ منك درهماً او ترد الي الحزمة ، فما زال الكلام بينهما الى أن قال له الرجل يايحيى عرفتك بفاس ، فسأله عن الزوجة التي كان طلقها ، فقال له : تزوجتْ ، فقال ما حبسني بهذه البلاد الا امرها ، اما الآن وقد تزوجت فاني ارجع الى

المغرب ، فعرض عليه الرجل مالا ، فقال له لا أقبل منك شيئاً الا على وجه السلف ، فاكترى له الرجل وأنفق عليه واجتمع له عليه من الكراء والنفقة من مكة الى فاس ثمانية عشر ديناراً ، فجاء الرجل الى يسكر بن موسى ودفع له مئة دينار ، وقال له عسى ان تدفع الى يحيى هذه المئة دينار ، فلي عليه دين يقضيه منها ، فجاءه يسكر ، فوجد عنده جمعاً كثيراً ، فلما خرجوا من عنده قال له يسكر : هذه مئة دينار من كسب طيب رغب ربّها ان تقبلها منه ، فجلس وكان مضطجعاً وقال له : ابهذا تواجهني يايسكر ؟ وتريد أن آخذ أوساخَ الناس ؟ فقال سمعت ان عليك ديناً فرأيت أن تقضيه منها ، فقال له سيأتي ولدي من تادلة وآخذ منه ما أقضي به الدين علي ، ثم جاء ابنُه بعد يومين ، فأخذ منه ثمانية عشرة ديناراً فقضى منها دينه ، ثم مرض فمات رحمه الله تعالى .

وحدثني عيسى بن علي : قال : حدثني عبد الله بن عبد الرحمان قال دفع الي عباد بن اسماعيل بأغمات عشرين ديناراً ، فأمرني ان اشتري له بها سلعة من مدينة فاس ، فلما وصلت فاس دخلت في السقاية ، فنسيت في السقاية العشرين ديناراً ، ودخلت الى يحيى فوجدت عنده جماعة ، فلما حضر لنا الطعام تذكرت العشرين ديناراً التي نسيتُها في السقاية ، فامتنعتُ من الأكل ونالني غم عظيم ، فقال لي يحيى كل فاني اعطيك العشرين ديناراً من مالي ، فقلت له اني من شأنها في غم عظيم لا يطيب لي الأكل معه ، فقال لي : قم الى التابوت وخذ منه عشرين دينارا ، فقمت فأخذتها من تابوته ، وسكن خاطري وأكلت ، فلما أصبح اتيتُه وهو نائم في مصلاه ، فأفاق من نومه وقال لي : نمت الساعة ورأيتك في النوم ، فقلت لي وجدت العشرين ديناراً التي للفقيه عباد ، فخرجت من عنده الى المسجد ، فجلست مع قوم وتأسفوا لضياع العشرين دينارا ، وكان معنا رجل يسمع حديثنا ، فقام عني وجاءني بالدراهم نفسها ، وذكر انه التقطها ، قال فذهبتُ من فوري الى يحيى فأعلمته ، فقال لي جئني بدراهمي بأعيانها قبل ان تختلط بغيرها ، فأتيته فردها الى موضعها (139) .

139) ما تقدم منقول من **التشوف** ص 232 ع 99

1586) **يحيى ابن واصل الاشبيلي** اصله من اشبيلية ، قدم مراكش فنزل بالجانب الشرقي في بحيرة الصفصفة ، ومات في حدود الثمانين وخمسمئة ، ودفن في روضة الفقيه مروان خارج باب فاس من ابواب مراكش ، وكان اجذم ظاهر الولاية .

قال في التشوف : سمعت موسى بن يوسف المعلم يقول : دخلت على ابن واصل في السادس والعشرين من رمضان ، وقد توضأ للصلاة وكبَّر وشرع في الصلاة ، فلما سجد طال سجوده الى ان حركتُه فوجدتُه ميتاً رحمة الله عليه (140) .

1587) **يحيى بن ابراهيم ابن عبد الله التادلي** ، من اهل تادلة ، قدم مراكش ومات بتادلة وقد زاد على المئة بنحو عشرة اعوام ، وكانت وفاته عام اثنين وثمانين وخمسمئة ، وكان عبدا صالحاً لزم المسجد نحو خمسين سنة ، وأنفق ماله في سبيل الخير حتى لم يبق له شيء .

يامظهرا وهو يحب الغنى	زهدا لدعواه له ينتمي
هيهات منك الزهد حتى ترى	تزهد في الدينار والدرهم

ترجمه في التشوف (141) .

1588) يحيى بن عبد الجليل ابن مجبر الفهري

يحيى بن عبد الجليل بن عبد الرحمان ابن مجبر الفهري ، من اهل فرتش من احواز شقورة ، وسكن اشبيلية ، قال فيه ابو بحر صفوان بن ادريس الكاتب انه من بلش وغلط في ذلك .... ونشأ بمرسية واخذ عن مشيختها وتأدب بهم ، وكان في وقته شاعر الأندلس بل شاعر المغرب غير مدافع ولا منازع ، وكان يمتدح الأمراء والرؤساء ، وربما كتب لبعضهم ، ولم يكن احد يجري مجراه من فحول الشعراء في وقته ، يعترف له بذلك الأكابر من اهل الآداب ، ويشهد بقوة عارضته وسلاسة طبعه قصائده التي

---

140) **التشوف** ص 235 ع 100

141) **التشوف** ص 231 ع 98

سارت امثالا ، وبعدت على قرائها منالا ، وشعره مدون متداول ، وقد حمل عنه ابو القاسم حسان بعضه ، ومن جيده المحفوظ :

ان الشدائد قد تغشى الكريم لأن   تُبينَ فضل سجايـاه وتوضحـه
كمبرد القين اذ يعلو الحديد بـه   وليس يأكـلـه الا ليصلـحـه

ولـه :

لا يغبط المجـدب في علمـه   وان رايت الخصـب في حـالـه
ان الـذي ضيـع مـن نفسـه   فـوق الذي ثمَّـر من مـالـه

توفي بمراكش سنة 588 ودفن ليلة عيد الأضحى ، قرات وفاته بخط ابي عمرو ابن عيشون ، وحكى بعض اصحابنا انه لما افتتحت شلب توجه الى مراكش في اثـر ذلك ، فتوفي ودفن هنالك في سنة 587 وهو ابن ثلاث وخمسين سنة .

ذكره في التكملة (142) .

وقال في بغية الملتمس في ترجمته مانصه : اديب شاعر متقدم في طريقة الشعر برع فيها وفاق اهل زمانه ، ثم ذكر وفاته ، ثم قال انشدت من شعره يرثى القائد سعيد بن عيسى :

قيل لي اودى سعيد بـن عيسـى   يرحـم الله ابن عيسـى سعيـدا
اكلته الحـربُ شيخـاً كبيـرا   وقديمـاً ارضعتْـه ولـيـدا

ولما صلب الجزيري ومَن اخذ من اصحابه بحضرة اشبيلية ، وعاينهم قد رفعوا في خشبهم انشد :

ركبٌ الى نـار الجحيم مسيرهـم   وركابهـم لا تستطيـع مسيـرا
الحي منهم لا يـرى مستوطنـاً   والميتُ منهم لا يـرى مقبـورا
مما يزيد الأرضَ طيبـاً انـهـا   لفظت عداتك ابطنـا وظـهـورا

142) **التكملة** ص 725 ع 2055 طبع مدريد ، ونسخة الخزانة الحسنية الملكية بالرباط (مخطوطة) .

وقد رأيت شعره مجموعاً في سفرين ضخمين انتهى (143) .

وقال في نفح الطيب عند ذكر المترجم وشعره كثير يشتمل على اكثر من تسعة آلاف واربعمئة بيت ، واتصل بالأمير ابي عبد الله بن سعد ابن مردنيش ، وله فيه امداح .

وانشد يوسف بن عبد المومن يهنيه بفتح :

ان خير الفتوح ما جــاء عفــــواً   مثل ما يخطب الخطيب ارتــجـــالا

وكان احمد الجراوي حاضراً فقطع عليه لحسادة وجدها وقال : ياسيدنا اهتدم بيت وضاح :

خير شراب ما كـان عـفــــوا   كـأنـه خطبـة ارتــجـــــال

فبدر المنصور وهو حينئذ وزير ابيه وسنه قريب العشرين ، وقال ان كان اهتدمه فقد استحقّه لنقله اياه من معنى خسيس الى معنى شريف ، فسر ابوه بجوابه ، وعجب الحاضرون .

ومر المنصور ايامَ امرته بأونبة من ارض شلب ، فوقف على قبر الحافظ علي ابن حزم ، فرفع راسه وقال : عجبــاً لهذا الموضع يخرج منه مثل هذا العالم ، ثم قال كل العلماء عيال علي ابن حزم ، ثم رفع رأسه وقال : كما ان الشعراء عيال" عليك ياأبا بكر يخاطب ابن مجبر (144) .

وقال في معاهد التنصيص عند ذكر الايغال : ومن ابدع ما وقع فيه لمتأخر قول يحيى ابن مجبر : وخليفة بن خليفة بن خليفة ، وستفعل جفونه وتفعل ؟ تبليغ بديع افاد به بشارة الممدوح بأن سلسلة الخلافة في عقبه . انتهى .

وقال المنصور ايضاً لما انشده ابيات المقصورة فطرب لسماعها ، وارتاح لاختراعها ، والتفت الى الجراوي وكان يعلم قلة تسليمه ليحيى وكثرة غضه منه : سلم له ياأحمد ، ثم انشده :

---

143) **بغية الملتمس** ص 508 ع 1494

144) **نفح الطيب** 3 : 238

اذا لم تستطعْ شيئاً فدعه   وجاوزه الى ما تستطيع

قال ابو عبد الله : فخرج يحيى ابن مجبر والشعراء يلومونه ان لم يكن اول منشد حتى يخفوا اشعارهم بعده ويستروا عوارهم كما في شرح المقصورة .

وممن روى عنه ابو علي الشلوبين وطبقته .

توفي بمراكش سنة 588 وعمره 53 سنة رحمه الله تعالى .

ومن نظم ابن مجبر ايضاً ماكتب به الى السلطان ملك المغرب وقد ولد له ولد ، اعني لابن مجبر :

ولد العبد الذي انعامكم   طينة انشىء منها جسده
وهو دون اسم لعلمي انه   لا يسمي العبد الا سيده

وقال في النفح في محل آخر : ولما مات يوسف الموحدي رثاه اديب الأندلس يحيى ابن مجبر بقصيدة طويلة اجاد فيها ، واولها :

جلَّ الأسى فأسلْ دمَ الأجفان   ماء الشؤون لغير هذا الشان

وتقدم ذكره في المقدمة وما انشده في المقصورة حيث يقول :

طوراً تكون بمن حوته محيطة   فكأنها سور من الأسوار

وتقدم ذكر المساجلة بينه وبين احمد بن عبد السلام الجراوي وابي بحر صفوان في ترجمة صفوان المذكور .

وذكر في الوافي ، في نظم القوافي ، كثيراً من شعره منها في تهنئة الوزير ابي بكر ابن اخيل وقد ولد له ولد اثر موت آخر :

تعزَّ عن الندب الذي كنت تندب   بوافدة البشرى التي كنت ترقب

راجع تمامها فيه .

ثم انشد له :

وزائــرة والليل ملــق رواقَــــــه ... ومن اين للظلمـــاء ان تكتم القمــــر
حسرت نقاب الصون عن حر وجهها ... فياحسن ما انشق الكمام عن الزهر
وراودتهـــا عن لثمهـــا فتمنعـــــت ... وماعادة الأغصان أن تمنع الثمـــر
رشأ كلما ادمتْ لحاظي خــــــده ... اشار الى قلبي بعينيـــه فانتصـــر
وطالبني شوقي بتقبيــل ثـــغـــره ... لقد غاص في بحر الجمال على الدرر

وانشد الشيخ عبد الغني في نفحـات الأزهار على نسمات الأبحـار للمترجم هذا البيت في تجاهل العارف :

يقولون داو القلب واسلُ عن الهوى ... فقلت لنعم الرأيُ لو ان لي قلبـــا

وذكر المترجم في الشذرات (145) .

1589) **يحيى بن ابي الحجاج الليلي** صهر الحافظ احمد ابن خليل قال ابن الزبير : انتقل الى مراكش صغيراً ونشأ بها ، وأخذ العربية بمدينة فاس عن ابي بكر بن طاهر (الخدب) واخذ عن غيره ، وكان له تقدم في علم العربية واصول الفقه، مع دقة نظر ونفوذ سهم وغموض استنباط وقوة ادراك ، وهو الذي استخرج من تفسير ابى الحكم ابن برجان من كلامه على سورة «الم ، غُلبت الروم» فتح بيت المقدس في الوقت الذي فتح فيه على المسلمين ، وحقق وعيَّن ماكان اغمض فيه ابن برجان وابهم ، ووقف عليه المنصور فبقي مرتقباً له ومعتنياً في نفسه به حتى كان ذلك على حسب ما قاله ، فأمر ان يحضر مجلسه ويرتسم في جملة طلبته .

روى عنه ابن اخته القاضي ابو الخطاب ابن ابي العباس ابن خليل .

---

145) **شذرات الذهب** 4 : 295

توفي في حدود سنة تسعين وخمسمئة او بعد ها بقليل ، رحمة الله تعالى عليه .

نقله في الجذوة ، وترجمه ايضاً في بغية الوعاة (146)

1590) **يحيى بن ميمون الصنهاجي** من اهل رباط ايبسين من بلد أزمور ، وبه مات عام احد وستمئة ، خدم ابا شعيب ايوب السارية ، وكان يقول سألت ابا شعيب يتفل في فمي فما زلت به الى ان فعل ، وكان يبرىء العلل بالتفل عليها ، واشتهرت عنه اجابة الدعوة وبذلك سمي يحيى المزبرة لسرعة اجابة دعوته ، وكان الناس يتقون دعاءه لما جربوه من دعائه .

قال في التشوف : واخبرني الثقة قال : رايت يحيى بن ميمون قدم مراكش ، وكان يحفر التراب من الأرض ويصنع به القدور ويبيعها ويشتري بأثمانها شعيراً فيطحنه بيده ويأكله ، وكان يقول : خدمت الشيخ ابا شعيب احد عشر عاماً اطحن له بيدي قوته (147) .

1591) **يحيى بن محمد ابن طفيل القيسي**

يحيى بن محمد بن عبد الملك ابن طفيل القيسي ، كان والده طبيب يوسف بن عبد المومن الموحدي ، وتقدم ذكره في المحمدين ، وان ولده هذا روى عنه صاحب المعجب بمدينة مراكش سنة 603 قصيدة فراجع ما تقدم ، وتقدم ذكره في ترجمة محمد بن احمد بن محمد اللخمي وانه روى عنه المترجم يحيى بن محمد ابن الطفيل ، وانه اختصر تأليف شيخه المذكور المسمى (حجة الحافظين ، ومحجة الواعظين) ، وسمى اختصاره (انوار مجالس الأذكار ، وابكار عرايس الأفكار) ، وهذا المختصر في مجلدين ضخمين بخط منتخبه .

---

146) حققنا الترجمة على **صلة الصلة** ص 187 ع 370 وانظر ايضاً **جذوة الاقتباس** ص 537 ع 620 طبع الرباط ، و **بغية الوعاة** 2 : 331 ع 2111

147) **التشوف** ص 429 ع 238

1592) يحيى بن عبد الرحمان الأصبهاني

يحيى بن عبد الرحمان بن عبد المنعم بن عبد الله القيسي ، دمشقي نزل غرناطة وسكنها سنين ، مجد الدين الأصبهاني ، شهر بذلك في مجلس ابي الطاهر السِّلَفي لدخوله اصبهان واقامته بها ازيد من خمسة اعوام لدرس الخلافيات ، روى عن ابراهيم بن سفين بن ابراهيم بن مندة ، ومحمد بن احمد بن ابي الفرج بن الفضل السكري ابن ماشاذة ، وابوي الرشيد اسماعيل بن غانم بن خالد السبيع وعبد الله بن عمر بن عبد الله بن عمرو الزاهد العدل ، ومحمد بن معمر بن عبد الواحد ومحمد ابن ابي الرجا بن محمد بن الفضل التميمي ، وسفين بن الفضل بن محمد بن ابي الطاهر ، والنبيه ابو الفتوح ظافر بن محمد بن بختيار ، وابى موسى الأصبهاني الخلال ، لقيهم كلهم بأصبهان ، قال وهم من كبار محدثيها ، ومحمد بن محمد بن محمد الطوسي البر .... وله مصنفات ، ومحمد بن ابي سعد بن ابي سعيد البكر .... وابي الطاهر السلفي بالأسكندرية ، واخذ عنه وقصد .... عن عبد الحق ابن الخراط ببجاية ، واجاز له وهو .... بالوعظ والتذكير فامثل ذلك ، وقدم الأندلس ، وتجول ببلاد .... من اهلها ابا جعفر ابن الجيار ، وابن يحيى ابن عميرة ، وابن يوسف ابن .... الحجاج بن علي بن عبد الرزاق ، وابنا حوط الله ، وابو الربيع بن سالم ، وابو .... بن احمد بن صالح وابن سعيد الطراز ، والحسن بن علي بن سمعــ ...... وابو ...... ابن سالم ، وابو القاسم الملاحي ، وابناه عبد الواحد وعلي ، وكان شديد الحياء ورعاً كثير الصدقة ، مثابراً على اعمال البر زاهداً في الجاه ، منقبضاً عن رؤساء الدنيا مداخلا لأهل العلم متحببا الى طلبته القاصدين اليه للأخذ عنه ، منبسطاً مع اهل الدين والفضل ، عالماً بأصول الفقه والتصوف ، فقيهاً شافعياً متسع الرواية في الحديث ، ولم يكن ضبطه بذلك ، ومن مصنفاته الروضة الأنيقة .

انتحل اول قدومه الأندلس الوعظ والتذكير ، واستمر على ذلك زماناً ، ودخل مراكش واغمات وريكة فيما قيل ، ووعظ بهما ونفع الله به خلقاً كثيراً ، ثم تخلى وانقطع الى ······ الله تعالى ، واقبل على العبادة والمجاهدة ، وآثر الخمول والخلوة الا مع طلبة العلم ، ولزم سكنى رويضة خارج غرناطة ، وارسل اليه واليها اسحق بن يوسف بن عبد المومن وزيره راغباً منه في الوصول اليه فأبى من ذلك بعداً من التظاهر وفراراً من ملابسة ابناء الدنيا ، فبينما يحيى في موضع سكناه سمع قرع بابه ، فقام الى فتحه ، فاذا الأمير اسحاق مع احد غلمانه ، فدخل عنده وقال له جئت اليك اذ لم تردْ ان تصل الي ، فاشتدَّ قلقُه لذلك ، وقال له اصلحك الله هذا امر لا يهون علي ولا يحتمله حالي ، فقال له اسحاق لابد من اجتماعنا اما بوصولي اليك واما بوصولك الي ، فقال اذ ولابد من ذلك ، فعسى ان يكون في موضع خارج البلد خامل لا يؤبه له ولا يفطن لتلاقينا فيه ، واذا اردتَ ذلك فتقدم الى الموضع الذي تعينه لتلاقينا فيه ، وارسلْ الي ·········· الموضع فأقصد اليك فيه ، فنجلس فيه ماقدر ونفترق ·················· حالهما في التلاقي على هذا برهة من الدهر ، ثم ان ابا ······ رايت ان نبيت معاً ، فقال يحيى هذا ما يمكنني ················ فقال له : وما يمنعك من ذلك ؟ فقال انني عاهدت الله ان لا ابايت ················ ولا عنده ، فتركه على حاله مستكثراً بما تأتَّى له من مساعدته ، ·········· الاجتماع به على ما وصف ، قال ابو جعفر الجيار : مارأيت اشد حياء ············· ازهد ، وما ترك بعده مثله فيما علمت ، وكانت له دراهم من مكسب ············· حلال ، وكان قد دفعها الى ثقات من اخوانه ليتجر له بها على حكم القراض فيتقوت بما يفيء الله عليه من ربحها ، فلما مرض مرضه الذي مات منه اوصى بثلثه لأولي الستر من اهل غرناطة ، وجعل رحمه الله تنفيذ ذلك الى سعيد بن الحاج بن سعيد فنفذه بعده ، وكان قد بعث الي بجملة مال الى مالقة من غرناطة ، وكتب الي ان اشتري بها حكرة ، فاذا بلغك اني توفيت فتصدق بجميعه على اهل الستر ففعلت ، وبقيت السلع نحو العامين ، فلما توفي بعتُها وتصدقتُ بثمنها كما ذكر ، وصادف ذلك وقت شدة في السعر .

وكانت وفاته رحمه الله بغرناطة يوم الأحد لخمس خلون من شوال ثمان وستمئة ، وقال ابن الأبار يوم الاثنين يوم وفاة ابيَ عبد الله ابن نوح ببلنسية ، ومولده بدمشق سنة سبع وقال ابن الأبار آخر ثمان واربعين وخمسمئة (148)

1593) **يحيى بن داوود** ، تادلي سكن فاس ، أخذ العربية بفاس عن ابي بكر بن طاهر الخدب ، وبمراكش عن ابي موسى الجزولي ، وبالأندلس عن ابي عبد الله بن محمد ابن ابي البقاء ، واياه اعتمد ، وروى الحديث عن ابي الحسن ابن حنين ، وابي عبد الله ابن الرمامة ، وتفقه به وبغيره من فقهاء فاس ، روى عنه محمد ابن الأبار ، وابو محمد بن عبد الرحمان ابن برطلة ، وكان بصيراً بالأحكام ، ذا حظ من الفقه واصوله ، مشاركاً في العربية والأدب ، ذاكراً للأشعار مع ضبط ولسن وبلاغة ، استقضي بجزيرة شقر مدة طويلة ثم صرف عن قضائها وسكنها ، وولى الأحكام ببلنسية لقاضيها ابي ابراهيم بن يغمور ، وتوفى بها سنة اثنتي عشرة وستمئة (149) .

1594) **يحيى بن موسى ابن دافال**

يحيى بن موسى بن عيسى بن عمران ابن دافال المكناسي ثم الوردميشي ، مراكشي (كان) فقيهاً زاهداً فاضلا من بيت نباهة وعلم وجلالة .

1595) **يحيى بن ميمون ابن ياسين اللمتوني** ، مراكشي ، ورى باشبيلية عن ابيه وسكنها معه .

1596) **يحيى بن احمد الأنصاري** ، سبتي ، ابو بكر النكائي ، روى عن ابي الحسين بن ······· ابراهيم بن حجاج بن يوسف بن حجاج التجيبي ، مراكشي ····················· عن بعض اهل بلده ، وكان له حظ من الفقه ليس بالوافر ، ························· وريكة ، وهو الذي

---

148) **الذيل والتكملة** ص 192 (قسم الغرباء) مخطوط الخزانة العامة بالرباط .

149) **الذيل والتكملة** ص 192 (قسم الغرباء) مخطوط الخزانة العامة بالرباط .

تولى قبله جامعها الأعظم ، واستقضى .... استدعاء عبد الحق بن عبد الله بن عبد الحق الى قضاء .... مراكش ، وكان يحيى هذا مرضيَ الأحوال في احكامه ولا مشكورا .... ، سمع الله لـه (150)

1597) يحيى بن ابي بكر الزناتي

يحيى بن ابي بكر بن محمد بن مع الله بن يحياتن الزناتي ، نزل مراكش وبها مات يوم الثلاثاء الثالث عشر من شعبان عام اربعة عشر وستمئة ، ودفن خارج باب الدباغين ، وكان عبداً صالحاً لا يعرف شيئاً مما الناس فيه .

قال صاحب التشموف : وهو اول مَن قرأت عليه كتاب الله تعالى ، وكان من اهل التهجد بالقرءان سريع الدمعة على سنن اهل الدين والفضل ، رايته بعد موته في النوم فسألته عن حاله فذكر خيراً .

حدثني ابنه عمر بن يحيى قال : لما حضرت ابي الوفاة مدّ يديه ورجليه وقرأ (ان المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر) ، ثم تبسم وردّ السلام على يمينه ، ثم رد السلام على يساره ، فلقنته الشهادة فقال بصوت رقيق اشهد ان لا اله الا الله ، واشار بحاجبيه ، ثم خرجت نفسه رحمه الله تعالى .

وحدثني عمر بن يحيى قال : مـر ابي لزيارة الشيخ الصالح ابي محمد صالح بن ينصارن برباط ءاسفي ، فحدثني انه لما قرب من موضعه تلقاه تلامذته وعليهم المرقعات وهم في وردهم من الذكر فاعتنقوه وهم يبكون وهو يبكي معهم ، فقال لهم : اين الشيخ ابو محمد صالح ؟ فقالوا تركناه في منزله ، فسألهم عن سبب خروجهم اليه ، فقالوا له كنا معه جلوساً الى ان اطرق ورفع

---

150) **الذيل والتكملة** ص 191 (قسم الغرباء) مخطوط الخزانة العامة بالرباط واظن ان اول الترجمة لشخص سبتي ، وآخرها لآخر مراكشي ، وجعلهما المؤلف ترجمة واحدة لما في الأصل المنقول منه من محو .

رأسه وقال لنا جاءكم رجل صالح فاخرجوا الى لقائه ، فخرجنا اليك ، فاجتمع بأبي محمد صالح وخلا به مع شدة انقباضه عن الناس ، فلما انصرف عنه قال : ما ظننت ان بمراكش مثل هذا الرجل ، انتهى (151) .

واختصر في ترجمته في الذخيرة السنية (152) .

1598) **يحيى بن يسولان الصنهاجي** ، تلميذ عبد الجليل بن ويحلان ، وشيخ منصور بن عبد الرحيم الهسكوري ، وكان من اكابر الأولياء ، مائلا الى التشدد على نفسه والزهد في الدنيا والاعراض عنها وعن اهلها ، واقام مدة في بيته بأغمات لم يخرج منه ، فقيل له في ذلك ، فقال لقيت في الطريق امرأة متزينة ، فرأيت الحور في الدنيا فكرهت ان اخرج ليلا ارى مثل ما رايت :

اعص الهوى واطع نهاك ولا يكـــن   لسوى العفاف عليك من سلطــــان
وتوقَّ من خـدع النســاء حبائــلا   ان النســاء حبائــل الشيطـــان

قال في التشوف : وحدثني مخلوف بن ياسين عن منصور ان يحيى امره بعض اصدقائه بالخروج من البلد خوفاً عليه ، وكان الحرس على باب المدينة ، فخرج عليهم ولم يشعروا به حتى بعُد عنهم ، فقالوا متى خـرج علينا هذا ؟ فاشتدوا ليدركوه فأخطأوا الطريق التي اخذ فيها فلم يدركوه ، وسلم منهم فلم يقفوا له على أثر (153)

1599) **يحيى بن ميمون القرطبي** ، صاحب الفقهية المشهورة ، دفين خارج باب الخميس من مراكش ، وعليه حوش بين حدائق هناك على بعد نصف ميل ، وقبره مزارة مشهورة .

---

151) الترجمة منقولة من **التشوف** ص 461 ع 267

152) **الذخيرة السنية** ص 51

153) الترجمة منقولة من **التشوف** ص 213 ع 84

وتقدم في ترجمة حسن بن علي بن محمد الأنصاري المتوفى بمالقة سنة ثلاث او اربع وستمئة ، انه اخذ عن يحيى بن ميمون القرطبي بمراكش وصحبه هناك .

1600) **يحيى بن حسان المرادي** ، النحوي الحافظ الشلبي المرجيقي ، كذا ذكره ابن الزبير ، وقال اخذ عن موسى بن زكرياء وعقيل بن الفضل الشلبيين وتلا عليهما ، واستوطن مدينة مراكش واقرأ بها القرءان الى أن مات سنة اربع عشرة وستمئة .

ذكره في البغية (154)

1601) يحيى بن محمد بن يعقوب المنصور الموحدي

يحيى المعتصم بن الناصر محمد بن يعقوب المنصور الموحدي ، لما قتل العادل بايع الموحدون يحيى بن اخيه المترجم ، فعمل ابن يوجان على افساد الدولة ، فداخل هسكورة والعرب في الغارة على مراكش وهزم عساكر الموحدين ، وفطن ابن الشهيد لتدبير ابن يوجان فقتله بداره ، وخرج يحيى بن الناصر الى معتصمه كما ذكرناه ، فخلع الموحدون العادل وبعثوا بيعتهم الى المامون ، وتولى كبر ذلك الحسن ابو عبد الله الغريغر والسيد ابو حفص بن ابي حفص ، فبلغ خبرهم الى يحيى بن الناصر وابن الشهيد فنزلوا الى مراكش سنة ست وعشرين (وستمئة) وقتلوهم ، وبايع للمامون صاحب فاس وصاحب تلمسان محمد بن ابي زيد بن يوجان ، وصاحب سبتة ابو موسى بن المنصور ، وصاحب بجاية ابن اخيه ابن الأطاس ، وامتنع صاحب افريقية ، وكان ذلك سبباً لاستبداد الأمير ابي زكرياء على ما يذكر ، ولم يبق على دعوة يحيى بن الناصر الا افريقية وسجلماسة .

وزحف البياسي الى قرطبة فملكها ، ثم زحف الى اشبيلية فنازل بها المامون والطاغية معه ، بعد ان نزل له عن مخاطة وغيرها من حصون المسلمين ،

---

154) **صلة الصلة** ص 192 ع 380 طبع الرباط ، و **بغية الوعاة** 2 : 332 ع 2112

فهزمهم المامون بنواحي اشبيلية ولحق البياسي بقرطبة فثاروا به ، ونجا الى حصن المدور ، فغدر به وزيره ابو يبورك ، وجاء براسه الى المامون باشبيلية .

ثم ثار محمد بن يوسف ابن هود ، وملك مرسية ، واستولى على الكثير من شرق الأندلس كما ذكرناه في اخباره ، وزحف اليه المامون وحاصره فامتنع عليه فرجع الى اشبيلية ، ثم خرج سنة ست وعشرين الى مراكش لما استدعاه اهل المغرب وبعثوا اليه بيعاتهم ، وبعث اليه هلال بن حميدان امير الخلط يستدعيه ، واستمد الطاغية عسكراً من النصارى فأمده على شروط تقبّلها منه المامون ، واجاز الى العدوة ، وبادر اهل اشبيلية بالبيعة لابن هود ، واعترضه يحيى بن الناصر فهزمه المامون واستلحم مَن كان معه من الموحدين والعرب ، ولحق يحيى بجبل هنتاتة ، ثم دخل المامون الحضرة واحضر مشيخة الموحدين وعدد عليهم قولاتهم وتقبض على مئة من اعيانهم فقتلهم واصدر كتابه الى البلدان فمحوا اسم المهدي من السكة والخطبة والنعي عليه في النداء للصلاة باللغة البربرية ، وزيادة النداء لطلوع الفجر ، وهو اصبح ولله الحمد ، وغير ذلك من السنن التي اختصّ بها المهدي وعبد المومن ، وجرى على سننها ابناؤه ، فأوعز بالنهي عن ذلك كله ، وشنع عليه في وصفهم الامام المهدي بالمعصوم ، واعاد في ذلك وابدأ ، واذن للنصارى القادمين معه في بناء الكنيسة بمراكش على شرطهم ، فضربوا بها نواقيسهم ، واستولى ابن هود بعده على الأندلس واخرج منها سائر الموحدين وقتلهم العامة في كل محل ، وقتل السيد سليمان بن اخي المنصور ، وكان المامون تركه والياً بقرطبة ، واستبدّ الأمير ابو زكرياء بن ابي محمد بن الشيخ ابي حفص بافريقية وخلع طاعته سنة سبع وعشرين وستمئة ، فعقد للسيد ابي عمران ابن عمه محمد الخرصاني على بجاية مع ابي عبد الله اللحياني اخي الأمير أبي زكرياء ، وزحف اليه يحيى بن الناصر فانهزم ثم ثانية كذلك ، واستلحم مَن كان معه ، ونصبت رءوسهم بأسوار الحضرة ، ولحق يحيى بن الناصر ببلاد درعة وسجلماسة .

ثـم انتقض على المامـون اخـوه ابـو موسى ودعـا لنفسـه بسبتة وتسمى بالمؤيد ، فخرج المأمون من مراكش وبلغه في طريقه ان قبائل بني فازاز ومكلاته حاصروا مكناسة وعاثوا في نواحيها ، فسار اليها وحسم عللـَها ، واستمر الى سبتة فحاصرها ثلاثة اشهر ، واستمدَّ اخوه ابو موسى صاحب الأندلس ابن هود ، فأمـده بأساطيله ، وخالف يحيى بـن الناصر المامون الى الحضرة فاقتحمها مع عرب سفيان وشيخهم جرمون بن عيسى ، ومعهم ابو سعيد بن وانودين شيخ هنتاتة ، وعاثوا فيها ، فأقلع المامون عن سبتة يريد الحضرة ، وهلك في طريقه بوادي ام الربيع ، مفتتح سنة ثلاثين (وستمئة) ، ولحين اقلاعه دخل اخوه السيد ابو موسى في طاعة ابن هود وأمكنه من سبتة ، فأداله منها والله تعالى اعلم (155)

توفي المترجم يحيى ابو زكرياء بفج عبد الله بين مدينة فاس وتازة في شوال سنة ثلاث وثلاثين وستمئة .

ترجمـه ابن خلـدون وصاحب الحلل الموشية وتاريـخ الدولتين وغيرهـم .

1602) **يحيى بن ذي النـون بن يحيى الاشبيلي** النحوي ، قال ابن الزبير : اخذ عن علي بن جابر الدباج والشلوبين وغيرهما ، واقرأ القرءان والعربية والفقه ببلده مدة ، ثم انتقل الى العدوة عند استيلاء النصارى دمرهم الله على قرطبة سنة 633 فسكن مراكش وأقرأ بها يسيراً ، ثم توفي وسنه نحو من ستين سنة ، وكان من جلة الأساتيذ النبهاء ومن اهل الفضل والدين رحمه الله (156) .

1603) يحيى بن عبد الواحد الحفصي

يحيى بن عبد الواحد بن الشيخ أبي حفص صاحب تونس ، ولـد بمراكش سنة تسع وتسعين وخمسمئة ، وكانت خلافته بتونس عشرين سنة

155) ما تقدم منقول من **تاريخ ابن خلدون** 6 : 528 طبع بيروت .
156) **صلة الصلة** ص 195 ع 386 طبع الرباط

ونصف سنة ، وتوفي سنة سبع واربعين وستمئة عن سبع واربعين سنة ، ذكره في تاريخ الدولتين ونزهة الانظار ، وقال محمد بن ابي القاسم الزعيني ذكره في تاريخ الدولتين ونزهة الانظار (157) .

وقال محمد بن ابي القاسم الرعيني القيرواني المعروف بابن ابي دينار في المؤنس في اخبار افريقية وتونس صحيفة 125 الخبر عن خلافة امير المومنين يحيى (158) .

وباشارة المترجم الأمير يحيى بن عبد الواحد صنّف الشيخ الفقيه الحكيم الطبيب العارف الماهر المتفنن احمد بن محمد ابن الحشا (159) كتابه (مفيد العلوم ، ومبيد الهموم) في تفسير الألفاظ الطبية واللغوية الواقعة في الكتاب المنصوري ، الذي ألفه الحكيم الفيلسوف محمد بن زكراء الرازي — المتوفي سنة 311 او 320 المترجم في اخبار الحكماء وعيون الأنباء وابن خلكان — للأمير منصور بن اسماعيل احد الملوك السامانية .

وللحكيم ديسقوريدوس كتاب صور فيه الحشائش بالتصوير الرومي ، وكان مكتوباً بالقلم الاغريقي الذي هو اليوناني القديم ، وفي سنة 340 (160) بعث ارمانوس قيصر صاحب القسطنطينية الى الملك الناصر صاحب الأندلس براهب يُسمى نيقولا لاستخراج ما جهل

---

157) تنظر اخبار يحيى بن عبد الواحد الحفصي فيما بين الصفحتين 23 — 32 من **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية** للزركشي — طبع تونس .

158) لم ينقل المؤلف الناقل شيئاً عن المؤنس في الأصل ، واخبار الأمير يحيى بن عبد الواحد الحفصي توجد في **المؤنس** (نشر المكتبة العتيقة بتونس) ابتداء من ص 132 .

159) **احمد بن محمد ابن الحشا** : فقيه حكيم توفي في حدود سنة 647 هـ وكتابه مفيد العلوم ، ومبيد الهموم توجد منه نسخة خطية بالرباط محفوظة بخزانتها العامة تحت رقم 955 وقد طبعه معهد الدروس المغربية العليا .

160) كتاب ديسقوريدوس الذي ترجمه اصطفن بن بسيل واصلحه حنين بن اسحاق (توفي سنة 260) كان معروفاً بالأندلس قبل عصر عبد الرحمان الناصر (300 — 350 هـ) ، اما تاريخ اهداء الكتاب المذكور الى عبد الرحمان الناصر من طرف ملك القسطنطينية فهو سنة 337 هـ وهو ما يفهم من كلام سليمان ابن جلجل في كتابه **طبقات الأطباء والحكماء**

من اسماء عقاقير ديسقوريدوس المترجم في ص 126 من اخبار الحكماء الى اللسان العربي ، وترجمه اصطفن بريسيل° الترجمان ، وممن شرح ادوية كتاب ديسقوريدوس المذكور عبد الله بن احمد المالقي النباتي المعروف بابن البيطار ، وكذلك فسرها سليمان ابن جلجل في ربيع الآخر سنة 372 بمدينة قرطبة في دولة هشام بن الحكم وزاد عليه ، وابن البيطار مترجم في عيون الأنباء وابن جلجل ، وممن ينقل عن ابن الحشا المذكور في كشف الظنون الشريف الطبيب سيدي عبد السلام بن محمد العلمي المترجم سابقاً في هذا الكتاب في كتابه ضياء النبراس ، في حل مفردات الأنطاكي بلغة فاس المطبوع بفاس سنة 1318 ه راجع ص 23 منه ثم 107 ثم 110 ، واصطفن المذكور كان يقارب حنين بن اسحاق في النقل ، راجع الجزء الأول من عيون الأنباء .

1604) **يحيى بن ميمون بن مصمود** ، الوزير كان من رجالات دولتهم (161)، وربي في دولة السلطان ابي الحسن ، وكان عمه علال عدواً له لعداوة ابيه ، ولما انتزى السلطان ابو عنان على ملك ابيه استخلص يحيى هذا سائر أيامه ، وهلك يوم مهلكه كما ذكرنــاه ، واستعمل يحيى هذا ببجاية فلم يــزل بها الى أن تقبض عليه الموحدون لما استخلصوا بجاية من يده ، وصار الى تونس واعتقل بها مدة ، ثم صرفوه الى المغرب أيام عمر ، فاختصّ به ، ولما عقد له السلطان عبد العزيز على وزارته وكان قوي الشكيمة شديد الحزم صعب العداوة مرهف الحد ، وكان عمه علال بعد أن اطلقه السلطان من الاعتقال مكنه من اذنه واقامه متصرفاً بين يديه ، فألقى الى السلطان استبداد يحيى عليه وحذره من شأنه ورفع اليه انه يروم تحويل الدعوة لبعض القرابة من ءال عبد الحق ، وانه داخل في ذلك قواد الجند من النصارى ، واصاب الوزير وجع قعد به عن مجلس السلطان ، فاختلف الناس الى زيارته وعكف ببابه قواد النصارى ، فاستراب بأمرهم ، وتيقن الأمر بعكوفهم ، فأرسل السلطان من حشمه مَن تقبض عليه واودعــه السجن ثم جنب الى مصرعه من الغــد

161) اي من دولة بني مرين .

وقتل قصعاً بالرماح ، وقتل المتهمون من القرابة وقواد الجند واستلحموا جميعاً وصاروا مثلا في الآخرين ، والأمر لله (162) .

1605) **يحيى بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم الحاحي الداودي المناني** ، كان جده سعيد واحدَ وقته علماً وديناً ، وهو الذي احيى الله به السنة بسوس وانتعش الاسلام به فيه ، وتقدمت ترجمتُه (163) ، فخلفه ولده عبد الله ، وجرى على نهجه وسبيله ، بل كان بعض الناس يفضله على ابيه ، وتوفي سنة 1012 ودفن بزداغة من جبل درن حيث كانت زاويته ، ولما مات جلس ولده يحيى موضعَه ، وانتهج سبيله ، وكان فقيهاً مشاركاً ، رحل الى فاس واخذ عن شيوخها كالمنجور وغيره ، وعن الشيخ العـارف بالله احمد الحسني ، على ما وجد بخطه ، السوساني الشهير بأدفال دفين درعة ، وهو معتمده ، اخذ عنه كثيراً من الفنون ، واجازه في علوم الحديث اجازه عامة ، وكان يحيى شاعراً محسناً ، وكانت له شهرة عظيمة بالصلاح ، ولـه اتباع كوالده وجده ، وتوجهتْ الى زيارته الهمم ، وركبت اليه النجائب ، الا انه وقع له قريب مما وقع لأبي محلى ، فتصدى للملك وخاض في امور السلطنة ، فتكدر مشربه ، وقد قال بعض العلماء : ان الرياسة اذا دخلت قلبَ رجل لا تقصر عن اذهاب راسه ، ولذلك قال صاحب الفوائد (164) في حقه : انه قام لجمع الكلمة والنظر في مصالح الأمة ، فاستمرَّ به علاجُ ذلك الى ان توفي ولم يتم له امر .

وكان يراسل السلطان زيدان ويكثر عليه ويجير عليه مَن استجار به ، ويروم الى مناصحته ابتغاء ، ويسر من ذلك حسواً في ارتغاء ، وكان زيدان يتحمل منه امراً عظيماً ، فمما كتب به يحيى اليه مانصه :

---

162) الترجمة او الخبر منقول بالحرف من **تاريخ ابن خلدون** 7 : 674

163) انظر ص 140 ع 1536 من هذا الجزء

164) يريد كتاب **الفوائد الجمية ، باسناد علوم الأمة** لعبد الرحمان بن الجزولي الشهير بالتمنارتي .

من يحيى بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم كان الله لـه بجميل لطفه ءامين .

اللهم انا نحمدك على كل حال ، ونشكرك ياولي المومنين على دفع اللأواء والمحال ، ونصلي ونسلم على صفيك افضل من شدت اليه الرحال ، ونستوهبك يامولانا جميل لطفك وجزيل فضلك في المقام والترحال ، عائذين بوجهك الكريم من مواخذتنا بسوء أعمالنا ياشديدَ المحال .

هذا وسلام الله الأتم ، ورضوانه الأعـم ، ورحمته وبركاتـه ، على المـولى الامـام ، العلـم المقـدام ، العلـوي الهمـام ، كيـف انتم وكيف احوالكم مع هذا الزمان ، الذي شمَّر عن ساقه لسلب الأديان ، وألحَّ في اقتضاء هواه على كل مديـان ، فانا لله ، ولاحول ولا قـوة الا بالله ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

وبعد فالباعث به اليكم في هذه البطاقة امور ثلاثة ، مدارها على قوله صلى الله عليه وسلم : الدينُ النصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولخاصة المسلمين وعامتهم ، فالأول بيان سبب الركون الى جانبكم ، والثاني الحاملُ على دفع مناويكم ، والثالث ملازمة نصحكم وتذكيركم ، والضجر بما يصدر منكم ومن اعوانكم للرعية .

امـا الأولُ فلـه أسباب كثيرة ، منها مراعـاةُ الجنـاب النبـوي الكريم في اهل بيته ، ورضي الله عن ابي بكر الصديق القائل : ارقبوا محمداً في اهل بيته ، والقائل : لَقرابةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم احبُّ الي من أن اصل قرابتي :

يااهلَ بيت رسـول الله حبكـم	فرضٌ من الله في القـرءان انزلـه
يكفيكمُ من عظيم المجـد انكـم	مَن لم يصلِّ عليكم لا صلاةَ لـه

ومنها نصح خاصة المسلمين الذي هو الدعـاء بالهداية لهم ، ورد القلوب النافرة اليهم ، ونصحهم بقدر الامكان مشافهة ومراسلة ومكاتبة ، وقد بذلْنا الجهدَ في الجميع ، اخلص الله القصدَ في الجميع .

واما الثاني فلما جرى القدر بتغلب ذلك الانسان المتسلط على النفس والحريم والأموال ، وادخل بتاويلاته البعيدة عن الصواب ما ليس في المذهب ، وتعدى خصوص الولاة الى سائر الرعية فاضلها ومفضولها ، ومدَّ مع ذلك يد الوعيد المؤكد بالايمان الينا في الأنفس والأموال ، فناشدناه كما تقرر في فتاوي الأئمة رضي الله عنهم حيث توفرت فيه فصول الصائل كلها بشاهد العيان ، فكان الأمر كما قدر الله تعالى ، ولله الأمرُ من قبل ومن بعد .

واما الثالث فالكتاب والسنة والاجماع ، اما الكتاب فسورة (والعصر) ، قائمة البرهان في كل اوان وعصر ، وقال تعالى في قضية كليمه (رب بما انعمتَ علي فلن اكونَ ظهيرا للمجرمين) ، وقد استشهد به بعضُ العلماء في بـرى قلم لكاتب بعض الأمراء المتقدمين ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، وقوله جل من قائل (وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) ، واما السنةُ فالحديث الأول قولـه صلى الله عليه وسلم (المعين شريك) ، وقوله (مَن راى منكم منكراً فليغيره بيده ، فان لم يقدر فبلسانه ، فان لم يقدرْ فبقلبه وذلك اضعف الايمان) ، وقد كنا مقتصرين على التغيير باللسان والقلم ، لكون التغيير العملي اليكم حتى جذبتمونا اليه ، ودللتمونا بارتكاب اصعب مرام عليه ، وقوله : من أعان على قتل مسلم ولو بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه ءايس من رحمة الله ، وقد قال المواق في شرحه على المختصر : مَن اعان على عزل انسان وتولية غيره ولم يأمن سفك دم مسلم فهو شريك في دمه ان سفك ، ثم اتى بالحديث المتقدم استعظاماً لذلك الأمـر العظيم ، فانا لله وانا اليه راجعون ، على انا انخدعنا بالله حتى كنا نأمن بالقطع سفك الدماء اذذاك ، حيث كتبتَ الينا مراراً وامنت وارسلت ، وكنت اتخوف من هذا الواقع اليوم بأزمور وأسفي ومراكش والغرب ، ولذلك كنت الححت عليكم في تقرير العهد حتى اتاني القائد عبد الصادق بمصحف ذكر انه لسلطان تلمسان في جرم صغير ، وقال لي امرني السلطان ان احلف لك فيه نيابة عنه على بقائه على العهد بينك وبينه من تأمين كل مَن امنته ، وامضاء كل ما رايته صلاحا للأمة ، ثم لم اكتفِ حتى اتى القاضي ، فكتبت الي معه ان كل ما رأيت

فيه الصلاح للأمة امضيتُه ، وانك امنت كل مَن امنته ، ثم بعد استقرارك في دارك كتبتَ الي كتاباً انك باق على ما تعاهدنا معك عليه من الأمور كلها على معيار الشريعة ، فما راعني الا وقد اخفرت في ذمة الله وأماني الذي عقدته للناس ، فمن مأسور ومقيد ومطلوب بمال ومطرود عن بلد ، واخبار أخر ترد علينا من جهة السواحل ، وان الناس تباع فيها للعدو دمره الله ، ولم نر من اهتبل بذلك ممن قلدتموه امورَ الثغور ، فلم ندر هل بلغك ذلك فتسقط عنا ملامة الشرع او لم يبلغك ، فأعلمنا لله لتطمئنَّ قلوبنا ، فاني اكاتبك في ذلك فلا ارى جواباً ، فقضيتُ والله من الأمر عجباً ، فان عددت ما منَّ الله به عليك من رجوعك الى سرير ملكك واجتماعك بسربك ءامناً من قبل النعم فقيده بما تقيد به كما في كريم علمك ، وان رايته بنظر ءاخر فان لله ما في السماوات وما في الأرض .

واما الاجماع فلم نر من العلماء مَن نهى عن نصح خاصة المسلمين وتنبيههم على ما يصلح بهم وبالرعية ، بل عدوه من الدين للحديث الأول وغيره .

واما ما استشعرناه من امتعاضكم من عدم الانة القول في مكاتبتنا لكم فما خاطبناكم قط رعياً لذلك ولو بنصف ما خاطب به الأئمة الأول اهلَ زمانهم اتكالا على مطالعتكم لكتبهم وعملكم بما لم نعلمه من ذلك ولم نروه ، ويكفيكم نصح الفضيل وسفيان وامامنا مالك رضي الله عنهم لمعاصريهم من الولاة ، ومنهم من بكى وانتفع ، ومنهم مَن غُشي عليه وتوجع ، ومنهم من ندم واسترجع ، الى غير ما ذكرنا على اختلاف الأعصار ، وتنوع الدول والأقطار ، فبذلك اقتدينا ، وبما كان عليه اشياخنا واسلافنا لكم ولأسلافكم عملنا ، كالفقيه شيخ والدنا رحمه الله سيدي عبد الله الهبطي لجدكم المرحوم بكرم الله ، فطمعت بنجح النصح ونفعه دنياً واخرى ، فهذا اصل قضيتنا معكم وهلم جرا ، والذكرى تنفع المومنين على كل الأحوال ، والحمد لله على كل حال ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وءاله خير ءال .

وبتاريخ اواخر ربيع النبوي الأنور ، كتبه عن اذنه رضي الله عنه عبد ربه محمد بن الحسن بن ابي القاسم لطف الله به بمنه انتهى .

فأجابه السلطان زيدان رحمه الله بما نصه :

بسم الله الرحمان الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وصحبه وسلم تسليماً

من عبد ربه تعالى ، المقترف المعترف زيدان بن احمد بن محمد بن محمد بن محمد ، الى السيد ابي زكرياء يحيى بن السيد ابي محمد عبد الله بن سعيد .

اعاننا الله واياكم على اتباع الحق ، ونعوذ بالله من شرور انفسنا ومن سيئات اعمالنا ، وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

وبعد فقد ورد علينا كتابكم ، ففضضنا ختامه ، ووقفنا على سائر فصوله ، ثم اننا ان جاوبناكم على ما يقتضيه المقام الخطابي ربما غيَّركم ذلك وادى الى المباغضة والمشاحنة ، فيحكى عن عثمان رضي الله عنه انه بعث الى علي رضي الله عنه واحضره عنده ، وألقى اليه ما كان يجده من اولاد الصحابة الذين اعصوصبوا بأهل الردة الذين كان رجوعهم الى الاسلام على يد الصديق رضي الله عنه ، وهو في كل ذلك لا يجيبه ، فقال له عثمان رضي الله عنه : ما اسكتك ؟ فقال يأمير المومنين ، ان تكلمت فلا اقول الا ماتكره ، وان سكت فليس لك عندي الا ما تحب ، ولكن لما لم اجد بداً من الجواب ارى ان اقدم لك مقدمة قبل الجواب ، فلنتعلم ان الحجاج لما ولاه عبد الملك العراق وكان من سيرتـه ما يغني اشتهـاره عن تسطيره هنا ، فتأول ابن الأشعث الخروج عليه ، وتابعه على ذلك جماعة من التابعين ، كسعيد بن جبير وامثاله من اولاد الصحابة رضي الله عنهم ، ولما قوي عزمهم على ذلك استدعوا الحسن البصري لذلك ، فقال لا افعل ، فانني ارى الحجاج عقوبة من الله فنفزع الى الدعاء اولى ، قال بعض فضلاء العجم : يوخذ من هذا ان الخروج على السلطان من الكبائر ، وجواز المقام تحت ولاية الظلم والجور ، قد علمت ماكان من امر عبد الرحمان بن الأشعث وسعيد وامثاله ، وعلمت قضية اهل الحرة لما أوقع بهم جند يزيد بن معاوية بالحرم الشريف ، ولما بلغه الخبرُ انشد :

ليت اشياخـي ببــدر شهـــدوا جزعَ الخزرج من وقع الأســل

وشاع ذلك عنه وذاع ، وكان على عهد اكابر الصحابة لاواودهم ، وما تعرض احد منهم لنكير عليه ، ولا تصدى لقيام ، ولا خاطبه بملام .

واما مايرجع الى جواب الكتاب ، فأما ماحكيت عن الصديق رضي الله عنه في اهل البيت والأحاديث الواردة فيهم ، وانه يجب تعظيمهم واحترامهم وتبجيلهم لأجل النبي صلى الله عليه وسلم ، فان كان يجب عليكم تعظيمهم فان تعظيمهم يجب علي اولي واولى ، عملا بقوله تعالى : (قل لا اسألكم عليه اجراً الا المودة في القربى) ، واجرى الله تعالى عادته انه ماتصدى احد لعداوة هذا البيت النبوي الا كبه الله لوجهه .

واما ما اوردتـم من الأحاديث في النصـح فاني والله احب ان تنصحني سراً وعلانية ، مع زيادة شكري عليه ، واراها منك مودة ، واعدها محبة ، ولكنني افعل ما اقدر عليه ، لأن الله سبحانه يقول (لا يكلف الله نفساً الا وسعها) ، ولهذا قال اكثر العلماء في صدور تصانيفهم ولم ءال جهداً في كذا ، لأن النفوس الشريفة العالية لاتترك من فعل الخير والجد في اكتسابه الا ما عزّ تناولُه عليها وصعب اكتسابه .

واما ماذكرتم من امر ابي محلى وسيرته وما كان تسلط عليه ، أما ما كان من استنهاضكم اليه المرة بعد المرة وتكررت في ذلك اليكم الرسل حتى اجبت اليه فلا نحتاج فيه الى اقامة حجة غير كونه خرج عن الجماعة ، وقد قال صلى الله عليه وسلم من اراد ان يشق عصاكم فاقتلوه كائناً مَن كان ، والا فلو دخل الملك من بابه وبايعه اهل الحل والعقد ، واخذ في ذلك بوسائط مثل بيعة جدنـا المرحوم التي تضافرت عليها علماء المغرب واهـل الدين المشاهير ، فلو كان وصل الى ذلك بمثل هذه الوسائط لم يجب حربه ولا القيام عليه بما ذكرتم ، لأن السلطان لاينعزل بالفسق والجور ، والا فان الصحابة في زمن يزيد بن معاوية لا يحصى عددهم ، وماتصدى احد للقيام عليه بما ذكرتم ولا قال بعزله ، والا فانهم لا يقيمون على الضلالة ولو نشروا

بالمناشير ، واما ابو محلي فبمجرد قيامه يجب عليك وعلى غيرك اعانتنا عليه ، لأنك في بيعتنا وهي لازمة لك ، فالطاعة واجبة عليك .

واعلم ايضاً ان والدك افضل منك ، بدليل ءاباؤكم خير من ابنائكم الى يوم القيامة ، وكان عمنا مولاي عبد الملك رحمه الله وسامحه على ماكان عليه واشتهر به اعلانا وكان والدك في دولته وبيعته ووفد عليه ولم يستنكف من ذلك ولا ظهر منه ما يخالف السلطنة ولا أنكر ولا عرض بما يسوء سلطان الوقت ، ولا سمع ذلك منه ، فان كان راضياً بفعله فهو مثله ، وان لم يرض فما وجه سكوته والوفادة عليه ؟ وقد تحققت وعلمت ان ولاية احمد بن موسى الجزولي كادت تكون قطعية ، واشتهر امره عند الخاص والعام حتى اطبق اهل المغرب على ولايته ، وقد كان على عهد مولاي عبد الله برد الله ضريحه ، وكان المولى المذكور على ما كان عليه واشتهر عنه ، وما برح الشيخ المذكور يدعو له ولدولته بالبقاء ويظهر حبه ، وكان المولى المذكور يعزل ويولي ويقتل ، وكان قد شرد منه الى زاويـة الشيخ المذكور المرابط الأندلسي وولد اصناك وامثالهم ، وكان الشيخ المذكور يقدم للشفاعة فيشفع ولا يتعقب ولا يبحث عما وراء ذلك باق على عهده ومودته ، وكان المولى المذكور بعث لابن حسين بسد داره فما فتحها حتى امره ، ولا استعظم احد ذلك ولا اكثر فيه ولا جعله سبباً لفتح الفتنة ، وكان قواد المذكور مثل وزيره ابن شقراء وعبد الكريم ابن الشيخ وعبد الكريم بن مومن العلج والهبطي والزرهوني وعبد الصادق ابن ملوك وغيرهم ممن لم يحضرني ذكرهم لبعد عصرهم قد انغمسوا في شرب الخمور واتخاذ القيان وبسط الحرير وغير ذلك من ءالات الفضة والذهب ، وكان في عصره احمد بن موسى المذكور وابن حسين ومحمد الشرقي وابو عمرو القسطلي ومحمد بن ابراهيم التامنارتي والشيظمي وغير هؤلاء من المشايخ واهل الدين الذين لا يسع من يدعي هذه الطريقة التقدم عليهم ولا اكتساب الفضيلة دونهم ، فأحسنوا السيرة وما تعرضوا للسلطنة ولا سمع منهم ما يقدح في ولاة الأمر وقادة الأجناد ممن ذكر الذين كان الملك يدور عليهم ويرجع في تدبيره اليهم ، ومثل من ذكر من الأولياء كان علامة الزمان ، وواحد وقته ، شيخ مشايخ افريقية وبعض اهل المغرب ، عبد العزيز

القسنطيني المتكلم الصوفي صاحب الآيات البينات قد كان من سكان تونس ، وكان ملوك تونس ومَن انضاف اليهم على الفساد الذي لا ينحصر ، واشتهر امرهم حتى عرفوا به في المشارق والمغارب ، ولم يبرح الشيخ المذكور من بينهم ، ولا تصدى لتغيير المنكر والأمر بالمعروف حتى قبضه الله اليه .

واما ماذكرتم من ان مَن اعان على قتل مسلم ولو بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه : ءايس من رحمة الله تعالى ، هذه حجة عليك لا علينا ، لأني ما سعيت في قتل احد يعلم الله ولا قُتل مَن قتل الا بأمر القضاة واهل العلم ان كان ، واعلم انه اذا كان هذا يكون وعيداً في قتل الواحد ، فما بالك بمَن يريد فتح باب الفتنة حتى لا يقف القتلُ على المئين والآلاف ونهب الأموال وكشف الحريم الى غير ذلك ، اما تعلم ان فتنة ابي محلى قد هلك بسببها من النفوس والأموال ما لا يحصى عدده ، ولا يستوفى نهايته كاتب ، وكان كل ذلك على رقبته ، لأنه هو المتسبب الأول الفاتح ابواب الفتنة ، لأنه كان يقتل كل مَن انتمى الينا ، حتى قتل بسببه في يوم واحد بمكان واحد خمسمئة قتيل ، ولولا ابو محلى ما قتلوا ، واعظم في حرمة النفوس من هذا الذي قلت قوله تعالى : (كتبنا على بني اسرائيل انه مَن قتل نفساً بغير نفس او فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ، ومَن احياها فكأنما احيا الناس جميعا) ، وليس في قول المواق ما يحتجُ به على السلطان ، وانما هو في اصحاب الخطط على الترتيب الذي كان على عهده ، مثل اصحاب الشرط ، كصاحب الشرطة الذي ينفذ احكامَ القاضي ، وصاحب شرطة السوق الذي ينفذ الأحكام عن قاضي الحضرة ، وغير ذلك من الولايات ، وولاية ابي محلي لا تعد ولاية حتى يعتبر عزله ، وما عند المواق وغيره وقفنا عليه وعرفناه وتلقيناه عن الأشياخ الجلة ، وعرفنا ما عند الشافعية والحنفية ودرسناه المرة بعد المرة ، ولست ممن ينطبق عليه : (اشقى الناس عالم لم ينفعه الله بعلمه) ، ولكن لما ذا تحتج بقول المواق لغرضك وتجعله حجة ولم تجبنا نحن فيما كتبنا اليك به في يونس اليوسي ، وقلنا لك قال صلى الله عليه وسلم (الحرم لا يجير عاصياً) ، قال الأبي وهذا يحتج به على اهل الزوايا ، واضربت عن

الجواب وليس ذلك من ادب الجدل ، ولكن اخبرنا عن الوجه الذي منعت به يونس اليوسي من الشرع ، فان متاعنا عنده ، واماء اهلنا في داره الى يوم الوقعة ، وترتب في ذمته للمسلمين من الأموال والدماء ما عملت ، فان كنت ممن يريد العدل فهل عدلت فيه ؟ فحينئذ نعلم انك لا تريح جهته ولاتذهب بك النفس مذهباً ، لا جرم حينئذ نكون عند ما تريد ، ومع هذا لما امسكنا زوجته وكتبت لنا فيها سرحناها ساعة وصول خطابك من غير توقف ، فلو كنت عنادياً لعبثتُ بها عبثه هو باماء اهلي واهل داري ، على اني ما رددتُ شفاعتك منذ عرفتك ، بعثت لي على ابراهيم بن يعزى فسرحناه لغرضك على انه ترتب في ذمته ما ينيف على خمسين الف وقية ، وذلك المال انما يقال له بيت مال المسلمين ، وانما كان يجب تخليده في السجن ، واهل الحصن اخرجناهم منه عن ءاخرهم ، وانفذتم كتابكم بردهم فأمرنا بردهم عن ءاخرهم ، وابن يعقوب وزال حاكم البلد وشبه الخليفة تركناه على دارنا وحرك من غير اذننا ولا مشورتنا ، وبعثنا مكانه فأنفذت الكتاب فيه فرد لمكانه ، ما هو الأمر الذي سافرت كتبك فيه ولا اسرعنا فيه خفافاً ؟ واما مسألة اهل ءازمور فلما جاء كتابكم عزلنا صاحبه وسرحنا مَن كان عنده ورددنا الخيل ، وقضية الحناشة : الناس في شأنهم بالاجتهاد ، وقضية العرب اعلم ان العرب افسدوا الأرض واستطالوا سواء هذه البلاد والغرب ، والذي يليق بهم ما افتى به سحنون في عرب افريقية والمغرب ، ولو طالبناهم بمجرد العشر مدة هذه الفتنة بالمغرب لأتى ذلك على اموالهم ، والناس قد خرجوا عن اطوارهم واحبوا الفتن طلباً للراحة ، وانظر كتاب الافادة «كذا» للقاضي واستطالتهم فيه عليه في قضية شرعية مشروحة في رسمها القديم ، على انهم اضعف الناس قلوباً ، انظر ما صدر منهم ، فما بالك بالعرب الذين خرجوا عن الطاعة ، وتساوي الشيخ والصغير في ذلك ، فان كنت تصغي لمقالاتهم واسعاف شهواتهم والتعرض للسلطان دونهم ، فهذا نفسُ خراب العالم ، وطالع كتاب صاحبنا من عند الرحامنة وما صدر منهم لخديمكم ، رايت ان اقدم لك مقدمة امام هذا وان كانت ادبية ، قيل لابن الرومي وهو علي بن العباس لم لم تقل كقول ابن المعتز .

كأنّ ءاذريونا والشمس فيه عالية
مداهن من ذهب فيها بقايا غالية

فأجاب بأن قال لايقدر بأن يقول هو في وصف الرقاقة :

ما انس لا انس خبازاً مررتُ به يدحو الرقاقةَ وشك اللمح بالبصر
مابين رؤيتها في كفه كرة وبين رؤيتها قوراءَ كالقمر
الا بمقدار ماتنداحُ دائرة في صفحة الماء يُرمَى فيه بالحجر

وقال كل منا وصف اوانيَ بيته ، ورب البيت اعلم بما فيه ، واهل مكة ادرى بشعابها ، والصيرفي اعرف بنقد الدينار ، وقصة الخضر والكليم صلوات الله على نبينا وعليهم فيها كفاية لمن يعتبر في خرقه السفينة وقتله الغلام واقامته الجدار ، والكليم يردُّ عليه في كل ذلك حتى انبأه الله بسرٍّ ما لم يعلم ، على ان علم الخضر في علم موسى كحلقة ملقاة في فلاة ، هكذا قال بعض العلماء ، وقال بعضهم كل منهم على علم خصه الله تعالى به ، ومن هنا جوز ابن عربي الحاتمي في بعض كتبه واحسب ان ذلك في الفصوص ان الولي الذي يتخذه الله ويصطفيه بمحبته يطلعه على علم لم يطلع عليه الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، فقال مشيراً الى نفسه اطلعني الله على علم لم يطلع عليه ءادم فمن دونه .

واعلم ان السلطنة لها اسرار لابد منها ، وسياسة ينكر ظاهرها ، ولكن نرجع الى غرضك ومرادك ، اخبرنا كيف تحب ان يسلك الناس في العرب ، فان كنتَ تحب ان يسلك الناس فيهم مسلك مولاي عبد الله فالزمان غير الزمان ، والأسعار قد طلعت وبلغت النهاية ، والله تعالى قد بعث انبياءه وانزل كتبه بحسب ما يقتضيه الزمان ، وهذا يعرفه مَن خالط الشرائع والكتب المنزلة ، واخذ العلم من افواه الناس ، وادبتْه مجالسُ العلم ، ونحن نلخص لكم الكلام على بعض ما اورد الناس في الخراج ، اما ما بنوا عليه فرضهُ في صدر الاسلام والدول العظام فلا نطيل بذكره لشهرته ، واما في المغرب خصوصاً فأول مَن فرضه عبد المومن بن علي وجعله على اقطاع

الأرض بناء على ان المغربَ فُتح عنوة ، واليه ذهب بعض العلماء ، ومنهم مَن يقول ان السهلَ فتح عنوة والجبل فُتح صلحاً ، فاذا تقرر هذا وعلمتَ ان اهل ذلك العصر قد بادوا واندثروا وبقي السهلُ كله ارثاً لبيت المال ، تعين أن يكون الخراجُ فيه على مايرضى صاحب الأرض وهو السلطان ، والجبل تتعذر معرفـة ماكان الصلح عليه ، ولا سبيل الى الوقوف عليـه ، فيرجع فيه الى الاجتهاد ، وقد اجتهد سلفنا الكرام رضوان الله عليهم في فرضه لأول الدولة الشريفة على حسب وفق ائمة السنة ومشايخ اهل العلم والدين في ذلك العهد ، فجرى الأمرُ على السنن القويم ، الى ان هبت عواصف الفتنة لأيام ابن عمنا صاحب الجبل وادالة مولانا الامام وصنوه المرحوم على حواضر المغرب وسهله عند الزحف بالأتراك ، وامتدت به الفتنة في الجبل الى ان هلك مع النصارى في الغزوة الشهيرة ، وجاء الله من مولانا المقدس بالجبل العاصم للاسلام من طوفان الأهوال ، فقدر رضي الله عنه الأشياءَ حق قدرها ، ورأى ان المغرب غب تلك الفتن قد فغر فمه لالتهامه عدوان عظيمان : الترك وعدو الدين الطاغية ، فاضطرَّ رحمه الله الى الاستكثار من الأجناد لمقاومة العدو والذب عن الدين وحماية ثغور الاسلام ، فدعا تضاعف الاجناد الى تضاعف العـطـاء ، وتضاعـف العطـاء الى تضـاعف الـخـراج ، وتضاعـف الخـراج الى الاجحاف بالرعية ، والاجحـاف بالرعية امـر يستنكَفُ — رضي الله عنه — من ارتكابه ، ولا يرضاه في سيرة عدلـه طـول ايامه ،

يستنكَفُ — رضي الله عنه — من ارتكابه ، ولا يرضاه في سيرة عدله طول ايامه ،

فلم يمكن له حينئذ الا ان امعن النظر رحمه الله في اصل الخراج ، فوجد بين السعر الذي بنى عليه في قيمة الزرع والسمن والكبش الذي تعطيه الرعية منذ زمن الفرض ، وبين سعر الوقت اضعافاً ، فحينئذ تحرى رحمه الله العدلَ ، فخير الرعية بين دفع كل شيء بوجهه ودفع ما يساويه بسعر الوقت ، فاختاروا السعر مخافة ان يطلع الى ما هو اكثر ، فأجابهم اليه رضي الله عنه ، وعرف الناس الحق فلم ينكره احد من اهل الدين ولا من اهل السياسة ، ليت شعري لو طلبنا نحن الرعية بسعر الوقت الذي طلع الى اضعاف مضاعفه ماذا تقولون وقد انتقدتم علينا ما هو اخف من ذلك ؟ والحاصل راجعوا رضي الله عنكم

ما عند الامام الماوردي في الأحكام السلطانية في ضرب الخراج ، فقد استوفى الكلام في ذلك .

واما ما تقتضيه من العجب لتعطل اجوبتنا عنك فنحن نراجع اقل منك ، ولكن كتابك آكد مبناه على قصة اهل أزمور ، فأنفذنا مَن اخرج الذي كان به واقصاه عنه ، وشرد مَن كان عنده ، فتوقف الجوابُ حتى رجع الخديم ، فحينئذ اجبناكم بما وصلكم ، وتعجيل الأجوبة وبطؤها فاعلم ان الذي يقتضي ذلك امور ، منها ان يكون الأمر الذي ورد الخطاب فيه منكم ما سمعتم به ولا بلغني فنتوجه للبحث عليه والفحص عن اسبابه ، فربما اوجب ذلك البطء بحسب الأماكن والبلدان ، فيكون جوابنا على اساس وبنيان ، وان كان عندنا خبر ما ورد فيه خطابكم فالجواب لا يتأخر ، وقد وقع منا هذا غير مرة ، وكون تعطيله منشؤه ما منّ الله به علينا من رجوعنا الى سرير ملكنا واجتماعنا بسربنا ءامنين ، اعلم ان اهل هذا المغرب لما تمالأوا علي وخرجت الى المشرق والتقيت بالترك والأروام وجالسوني وجالستُهم ، وخاطبوني وخاطبتُهم ، فمنهم مشافهة ، ومنهم مراسلة ، وكنت ايام مقامي في ارضهم كمقامي على سرير ملكي ، لأن كبيرهم وصغيرهم ورئيسهم ومرءوسهم كان ينتجع فضلي ويمد كفه رغبة في نعمتي ، وواسيت الجميع عطاء مترفاً مع قلة الزاد والذخيرة ، وترفعت عن مواساة الأماثل والأكابر من العجم والعرب ، ولا ركنت لأحد ، بل تجودت بما قدرت عليه من الأخبية حتى جعلت محلة برماتها وخيلها ، فترامت علي العجم بالرغبة ، وبسطوا اكف الضراعة في المقام عندهم والدخول في جملتهم ، وعرضوا علي الاقطاعات السنية ، والبلادات الملوكية ، بلطف مقال ، وادب خطاب ، حتى قال لي القبطان مراد رئيس المجاهدين : وما مثلك يكون مع العرب ، هانحن نخدمك بأموالنا وانفسنا وبما لنا من السفن حيث اردت واحببت ، وما انفصلت عنهم حتى كتبت لهم بخطي اني احمل اهلي وحاشيتي وارجع اليهم الا ان تمكن الدخول في الملك والغلبة على البلاد او بعضها ، وقفلت من عندهم ، ولم يتعلق بثوب عفافي ما يشينه معهم ولا مع العرب ، ولاكان لأحد علي منة ولا نعمة الا فضل الله سبحانه ، وكان فضل الله علينا عظيما .

ثـم اني دخلت سجلماسة على رغـم انف اهلها وواليها ، ومنهـا دخلت السوس ، وجعلت ولي الله العارف بالله عبد الله بن المبارك واسطة بيني وبين اخي ، حتى اجتمعت بأهلي ومالي ، ثم بعث اليَّ الترك' بأحد بلكباشات اسمه مصطفى صولجي الى السوس ، راغبين في انجاز الوعد ، وجنحت للمسير اليهم ، فرأيت الأهل والأتباع قد عظم الأمر عليهم واستعظموا الخروج ، فأسعفت رغبتهم في المقام بالمغرب ، وشيعت الرسول قافلا الى قومه من سجلماسة عند الدخول الثاني لها ومغالبة اهلها عليها ، وعززتـه برسول من عندي اليهم بتحف واموال ورد بها عليهم مع رسولهم ، ثم اني اقتحمت مراكش على اهل فاس على كثرة عددهم وعددهم وقلتي ، ففتح الله ، ثم خرجت الى السوس مرة اخرى واوقعت بولد مولاي احمد الشريف وجموع مراكش وقد تعصبوا عليه لأنهم شيعة جده ، ففضضتُه على رغمهم ، ونازلته بالسهل والحزن حتى امكن الله منه وحكم بيني وبينه ، ثم نجم الغوي ابو محلي وغلبت على الرأي ، وقد قال مَن هو افضل مني مولانا علي كرم الله وجهه : لا رأيَ لمَن لا يطاع ، ودخل هذه البلاد وخرجت انا الى السوس ريثما تجتمع قبائلنا في المكان الذي كان اجتماعهم فيه الى ان بلغتهم ، وقصد اليهم ابو محلى فقاتلوه ورحل عنهم بعد ان اثخنوا فيه بالقتل ، ثم وافيتهم فكان الحرب بيننا سجالا ، فهل سمعتم خلال هذه الأحوال اني احتجت' الى احد فيما قل او جل ؟ وهذا كله لا يخفى عليك ، اللهم الا ان تعدوا الوفادة التي وفدنا عليك من قبيل الاضطرار والاحتياج فلا ادري ، على اني ماقصدتك لطلب دنيا لأني كنت اسمع ما انت عليه من متانة الدين والصلاح والاقبال على طاعة الله والتمسك بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا غرو ان مَن كان هذا وصفه كان جديراً بأن يقصد للدعاء ولاصلاح القلب ، ولا شك اننا نزلنا دارك وحللنا بمكانك ، ولما وقع الاجتماع بك جرت المذاكرة' في ابي محلى وغيره ، حتى كتبت الكتاب الذي علـّمنا عليه ، وها هو بخط يدك ، فان نسينا بعض ما فيه ولا فعلنا فأخبرنا به نستدركه ، وهذه مراكش التي ذكرتم قد كنت فيها كما ذكرتم ، ووقفت على عبد المومن بن ساسي وعدته مرة اخرى في مرضه ، وهل قصدته لطلب دنيـا او عرفته لأجلها ؟ ومحمد بن ابي عمرو لما وقفت على

المدرسة التي من بناء مولاي عبد الله وقفت عليه في داره ، وكل ذلك انما نفعله تاكيداً للمحبة ، وزيادة في المعرفة بالله ، ولو علمت ان ذلك يعد عيباً ويظن انه نوع من الاحتياج ما كنت والله لأقف على احد ولو انه يملكني الدنيا بحذافيرها ، لأن الخير والشر بيد الفاعل المختار ، فهو اولى بالاضطرار اليه .

واما سربي فما تروع قطُّ حتى يأمن ، واما مَن كان بالدار التي ذكرتم فانما هم اهلي ومتروك اعمامي ، وهذه الدار التي ذكرتم فها نحن ننتقل عنها الى بعض البلاد الغربية البحرية كما قلت لك ذلك مشافهة ساعة قلت لي ينبغي للأشراف بناء بالجبل لوقت ما ، وحكيت ذلك عن والدك .

واما ما اخبركم به القاضي ايام ورودي الى السوس وقت بلغني كتابكم الذى نصه : قد اجتمعت اناس وفسدت النيات وتعينت المطامع واردنا تدبيركم ، لأن الملوك اهل التدبير ، والمـراد رجوعنا لأوكارنا من غير وصمة تلحق الجانبين ، فكل ما حمل فهو عني والتزمته الى الآن ، الا ما طـرأ علينا فيه النسيان فذكرونا به ، فانا لا نخرجُ عنه .

واما يمين المصحف واني حلفت فيه للقائد عبد الصادق فلا والله ما حلفت فيه ولا احلف لأحد الى لقاء الله ، اما علمت اني حضرت بيعة الشيخ المامون صاحب الغرب سامحه الله وحضر اولاد السلطان واستحلفهم له الا انا رضي الله عنه ، فانه قال فلان لا يحلف لا يحتاج اليه فيما نأمره به ونفعله ، وعظم ذلك على اخوتي ، وظهرت في وجوههم لأجله الكراهية ، ولكن الذي قلت لعبد الصادق احلف للمرابط ، فاني اوفي لك به ، وما زلت على ذلك ، لأن الذي كنت تقول في ذلك الوقت اخـاف ان تقع في اهل مراكش والأكابـر ونحوهم مثل حكومة عبد القادر ونحوها .

اما اهل مراكش فما تعرضنا لأحد منهم حتى تركنا متاعنا لأجلكم كولد المولوع وغيره ، وهذا الميدان والشقراء فابعثْ من رضيت ينادي فيهم مَن له حق علينا ننصفه منه ومن خدامي ايضاً ، وان كنت سمعت قضية منصور العكاري فالعكاري نزل اهلنا في خيمته عند وقعـة راس العين ، فلما ارادوا

الطلوع الى الجبل تركوا اكثر مالهم في خيمته مع بعض الخدم خوفاً من غائلة البربر لما كان وقع منهم لأهل بابا ابي فارس ، فأخذ سماطاً من ذهب يزيد على ستين الف اوقية ، وكان ايام ابي حسون وفي جملته حتى مات القائم فبذل حجته بانجاز عشرين ألفاً والباقي حتى يؤديه على سعة ، وطلب منا ان يتعمل ويتولى بعض الخطط لينتفع ويجمع بعض ذلك فصرفناه ، حتى اذا جاء ابو محلي ووقع ما وقع طالبناه بمتاعنا وهو لا يسعه انكاره ، وهكذا عبد الكريم الذي في زاويتك بنفسه يعلم ان اخوتي اخذوا لي سلعة في وسط حلتهم وانا بين بيوتهم تزيد على خمسين ألفاً ، واخذوا الابل ، وها نحن سكتنا عنهم ولا طلبناهم بها ، وأيضاً قال لك انظر ما فعل باخوتي ، وصرت تكاتبنا وانت لا علم عندك بأصل المسألة .

واما الأموال فان الله سبحانه قد وسع علينا من فضله ، وعندنا ما يكفي الخامس والسادس من الولد ، وعرفنا الناس وعرفونا ، وعاملناهم وعاملونا ، ولو اردت خمسمئة ألف مثقال من اصحاب افلامنك او من اصحاب الانجليز وكتبت لهم في ذلك ما تأنوا في بعثه ولا لاذوا فيه بمعذرة ، وقد كفانا الله به والحمد لله على ذلك .

واعلم ان الظن فيك جميل ، ولولا ذلك ما اعطيت خمسة آلاف مثقال وسمحت بالمال الذي حمل اليكم ابن عبد الواسع اولا وسلعة السفن اخيراً ، وبهذا كله تستدلُ على صفاء السريرة وصالح النية ، والله سبحانه يعلم ذلك .

واما الامتعاض من عدم الانة القول وحسن الخطاب ، فكما قال تعالى : (وقولوا للناس حسناً) ، وانك لم تبلغ ولو نصف ما خاطب الأئمة رضوان الله عليهم اهل زمانهم اتكالا على علمنا به ، وحسبي نصح الفضيل بن عياض وسفيان ومالك رضوان الله عليهم ، فهذه المسألة حسبي في الجواب منك .

انتهى ما وقفنا عليه من هذه الرسالة ، وهي دالة على براعة الرجل فقهاً وادباً وكمال مروءة وعلو همة رحمه الله وغفر ذنوبه (165) .

وكان الفقيه يحيى بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم الحاحي لما رجع من مراكش الى السوس حسبما مرَّ بدا له في طلب الملك وجمع الكلمة لما رأى من افتراقها في حواضر المغرب وبواديه ، وكان المرابط علي بن محمد بن محمد ابن الولي الصالح احمد بن موسى السملالي ويقال لـه ايضاً أبـو حسون قد ظهر بالصقع السوسي عند فشل ريح السلطان زيدان اوستولـى على رودانة واعمالها ، فلما ثار الفقيه يحيى سار الى رودانة فتغلب عليها وملكها من يد ابي حسون المذكور بعد ان وقع بينه وبينه معارك ومقاتلات كبيرة ، وكان القاضي برودانة يومئذ الفقيه العالم عيسى بن عبد الرحمان السكتاني ، وكان يحيى قد استشاره فيما عزم عليه فلم يوافقه على ذلك ولم يساعده على مراده لما فيه من الخروج على السلطان بلا موجب ، فغضب عليه الفقيه يحيى حتى امر بقتله غيلة فيما قيل ، فخرج القاضي من المدينة خائفاً يترقب ، وذهب الى مراكش فاستقرَّ بها وعصمه الله منه ، وكتب الى يحيى رسالة يعظه فيها وينهاه عن الخروج على السلطان ونصها :

بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وصحبه

يقول الفقير الشديد الحاجة الى رحمة مولاه ، الغني به عمن سواه ، السائل منه التوفيق واللطف في ظعنه ومثواه ، كاتبه عيسى بن عبد الرحمان السكتاني عفا الله عنه وسمح له .

الحمد لله الذي جعل الصدع بالحق وظيفة الأنبياء ، واورثه بعدهم منخلْقهِ فريقَ العلماء ، والصلاة والسلام على مَن اكد امر النصح وقال الدين النصيحة ، فقيل لمن يارسول الله ؟ فقال : لله ولرسوله ولأئمـــة

165) كل ما تقدم في هذه الترجمة منقول من **الاستقصا** 6 : 35

المسلمين وعامتهم ، والرضى عن ءاله وصحبه الذين سلكوا سبيله وانتهجوا من المناهج طريقه ، وعن التابعين وتابع التابعين لهم الى وقوع القصاص بين الخليفة .

وبعد ، فاني لما قفلت بحمد الله بسلامة وعافية الى جبلي ، ووجدت اهلي واولادي ، مستوحشين من البادية وان كانت محلى سفلي ومقر تلادى ، بعد ان الفوا الحواضر وطبعوا على طباعها ، فكانوا احق بها ، وكنت فى غاية الضيق والتأسف لما حلّ بالأولاد ، فتذكرت قول بعض فقهاء الأندلس ممن نابه مثل ما نابني ، واصابه مثلُ ما اصابني .

ألیس من القبيح مقـــام مثلـــــي | بدار الخسف منكسفَ الجمـــال
اخالط اهـلَ سائمـة وســـــرح | وارتعُ بـــين راعيـة الجمـــال

فأجلت فكري وان كان الكل بقدر الله وارادته ، فرأيت اذذلك وفي القضاء لطف ، امراً انتجه كما لا يخفى على ذي بصيرة ، ما حل بالمغرب من افتراق الكلمة وتلاعب شياطين الانس والجن بدوي العقول منهم ، فصاروا احزابـــاً وفرقاً ، فاتبعت كل طائفة من هواها ما كانت تعبد ، حتى اذا عرض لعاقل او عرض عليه منهم الاقلاع بادره الشياطين فسدّوا عليه بابَه وأروه بأغوائهم وزينوا له ان ذلك يشينه لدى العامة ويوجب له السقوطَ من اعين الناس ، مع انه لا يعده من السقوط الا الخناس الوسواس ، الذي يوسوس في صدور الناس ، من الجنة والناس ، واين غاب عن الموفق ان السقوط من عين الله هو الطامة الكبرى ؟ واين غاب عنه ان العبرة بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لا بكلام الهمج الرعاع ممن لا يزال الشيطان يلعب به ءاخذاً بزمامه ، ساكناً على قلبه ولسانه ، واين يغيب عنه من كتاب الله (فاما مَن طغى وءاثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي المأوى ، واما مَن خاف مقامَ ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى) ، فقلت انا لله وانا اليه راجعون ، هذه مصيبة عظيمة نزلت بمغربنا ، فافترق ملؤهم ، وقتلت سرواتهم ، وانتهبت اموالهم ، وهتكت حرمهم ، ومزقت اعراضهم ، وفسدت اديانهم ، واختلت

وبعدت عن التوفيق اراؤهم ، وكادت تطمع بل طمعت فيهم اعداؤهم ، اللهم ياذا الطول والامتنان ، ياحنان يامنان ، ياذا الجلال والاكرام ، تداركْنا بألطافك الخفية في ديننا ودنيانا ياخالقَ الأرض والسماء .

فان قلت ماذكرته من خروجك من الحواضر الى البوادي هو نتيجة افتراق الكلمة كما فعله مَن يقتدى به من الصحابة رضي الله عنهم ، فتبدى صحيح ، وما دليلك على التلاعب ؟ قلت ماخرجه ائمة الصحاح من منع الخروج على الأئمة ، وان الواجب في حق مَن راى منهم ما يكره الصبر والاحتساب ، اذ غائلة الجور وان تفاحش اقل بكثير من غائلة الخــروج الذي يترتب عليه فســاد المهج والأموال والاعراض والأديان وهتك الحرم ، ولهذا صبر على الحجاج من علماء الصحابة والتابعين مَن صبر حتى لقوا الله تعالى سالمي الأديان ، وبعبادته مغتنمي الزمان ، وتذكر ـ فما بالعهد من قدم ـ بالمرابط ابي محلى ، كان في قطره عاليَ الصيت يقصد ويتبرك به ، ويعتقد فيه انه قطب زمانه ، وبلغ به الحال الى ان سولت له نفسه او سول له انه يصلح به ما لم يصلح بغيره من اهل الزمان ، فقام واعانه عليه قوم ءاخرون ، حتى ملأ الدنيا صياحاً ودعاوي وعياطاً واكاذيب لا يشهد لها عقل ولا نقل ، فتمرد على المسلمين حتى لم يسلموا من لسانه ويده ، فقتل ونهب ، واغتاب وحمل نفسه ما لا تطيقه ، فاستهوتْه شياطينُ الانس والجن والنفس والهوى ، ثم بعد ذلك كله لم يحصل من سعيه على طائل ، وءافته الغفلة عن الكتاب والسنة ، والرضى عن النفس حتى انه حكمها فصارت تلعب به ، الى ان فاه وادعى بدعاوي استبيح بها ما كان معصوماً من دمه ، وهلكت بسببه بعده نفوس واموال وغير ذلك ، أيشك مَن ارتاض بالكتاب والسنة ونظر بعين الشريعة ان فعله ذلك مما حمله عليه مَن تجب مخالفته من الشياطين والنفس والهوى ؟ وربما استحسن فعله ذلك مَن شيعته مَن ابتلي به او قلده تقليداً ردياً في فعله ، (فان توليت فانما عليك اثمُ الاريسيين) ، والى الآن كانوا يستصوبون فعله ، ويستحسنون قوله ، مع انه بمعزل عن الكتاب والسنة .

فان قلت وهذه طائفة الفقراء ما بين متعصب متحزب ، ومتحيل متصيد ومتسور على ما استأثر به الباري من الغيوب ، مرتكب للأثام مصر على العيوب ،

قلت وهذه الطائفة من الفقراء فيها جل ماتقدم وزيادات تضيق عن الاحاطة بهـا السطـور والطـروس ، قـد بددتْها والعيـاذ بالله الفتن ، وشردهـا ما تخوفته من المحن ، بانت العلوم ، واضمحلت الفهوم ، وتعطلت الرسوم ، فلا منطوق يذكر ولا مفهوم ،

هذا الزمـان الذي كنـا نحـاذره   من قول كعب ومن قول ابن مسعود

قلت وهذا الشيخ يحيى وهو الذي يسـاق الى نصحه الحديث ، كنا نستسقي به ونستشفي ، وكانت تشد اليه الرحال ، ولا يأنف من اتيانه النساء والرجال ، قد اتتْه من اقطـار مغربنا الوفـود ، ودانت له الذيـاب والأسود ، وكان يُعلم الجهـال ، ويهدي الضلال ، ويطعم الجائـع ويكسو العريان ، ويعين ذا الحاجة ويغيث اللهفان ، وهي سبيل يالها من سبيل ، وطريقه ما احسنها من طريقة ، ثم صارت تلك الجموع ، وكان امرُ الله قدراً مقدوراً ، ايدي سبأ ، وتلاشت شذر مذر ، ما لها من نبا .

ايها الشيخ اكرمك الله بتسديده ، اوتجد في الوجود مَلكاً اعظم من ذلك الملك فتطلبه ، او سلطاناً يوازيه أو يقاربه فتحاوله ؟ اين خفي عليك الشيء وهو ضروري ؟ اين ضلت عنك النصوصُ من الكتاب والسنة وانت منقولي معقولي ؟ (الم يأنِ للذين آمنوا تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق) ، (لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم) ، وان ابغض الكلام الى الله ان يقول الرجل للرجل اتق الله فيقول عليك نفسك ، وهو طرف من حديث خرجه النسائي ، وقد وعظتك وذكرتك ان نفعت الذكرى ، قال جل من قائل (فان الذكرى تنفع المومنين) :

فقلت من التعجب ليـت شعـري   أأيقـاظ" أمـيـة ام نـيـام ؟

فان قال شطان من شياطين الانس والجن هذا ما اريد به وجه الله ، قلت الله الموعد ، اياكم والظن ، فان الظن اكذب الحديث ، وستلقون ربكم فيسألكم عن اعمالكم ، وان خطر هذا وهجس بقلب الشيخ اكرمه الله ، والشيطان يجري من ابن ءادم مَجرى الـدم ، قلت ادل دليل على اني قصدت محض

النصيحة هو انه استنصحني على دفاع ابي محلي ، فنصحته وقلت : له ان هذا لا تستقيم معه الديانة ، فكأنه ما قبل ، فانفصلتُ عنه وهو يقول : استخرْ لي الله ، فكاتبتُه بأن لا يفعل ، ثم لما نــزل وكان على باب الغــزو من رودانة خلوتُ به ، فقلت له اذذاك ان الناس يقولون كذا وكذا ، وعرفته اذذاك بما عرفته من ابناء الزمان ، فجمعنا في رملة الى الآن اتخيل حرها ، وتبرأ من كل ما يقال ، وما زلت على المنع الى ان جاءت كراريس من قبل ابي محلي فتأملتها فوجدتها مشتملة على كفريات في جزئيات ، فحينئذ شرح الله صدري لاباحة دفــاعــه .

ثم وان قلت ذلك فنفسي ءامرة ، ولا اقول في نفسي ماكان يقوله سحنون في قضية ابن ابي الجواد : ما لي وله ، الشرعُ قتله ، ولو قلت او غششت لغششت في قضية ذلك الرجل وزينت لك قتاله اولا ، لأن ذلك هو مقتضى التعصب للأمير ، واذا لم اتعصبْ اذذاك فكيف استسهله الآن ؟ فتعين اني نصحت لكم ان قبلتم ، والا فكما قال تعالى عن نبي من انبيائه (ولكن لاتحبُّون الناصحين) .

انشدك الله الذي باذنه تقوم السماوات والأرض ، اما قلت لك بعد رجوعي العام الأول من مراكش بل الذي قبله ان الغدر لا يحسن ، وصرحت ولوحت بأن شق العصا لا يحل غير مرة ، وما كفاني القول الدال على ذلك الى أن زدت الفعل بالخروج من مدينة لا ابغضُها كما قال :

فوالله ما فارقتها عــن قلى لهــــا وانى بشطي جانبيها لعــــارف

ورضيت بالبادية مع جفائها فراراً من الفتن ، وعملا بقوله صلى الله عليه وسلم يوشك أن يكون خير مال الرجل غنماً يتبع بــه سعف الجبــال ومواقع القطر يفرُّ بدينه من الفتن ، ثم بعد ، فعلى هذا كله : نصحت فلم افلح وخانوا فأفلحوا ، وعــدوا علي من القبائح طاعتي للأئمة ، مع انك يوم جــاء الى دارك قلت لهم هذا اميركم ، ونحن لانشك انك من المعتبرين في مغربنا ، وان بيعتك لأحد لازمة لنا ، وكذلك حين ذهبت الى مراكش في وقعة ابي محلي

قد اراد اهل مراكش فأبيت وابحت البلاد لخدم الأمير ، وقلت لهم انه الأمير ، وفهمه الناس عنك بلسان الحال وبلسان المقال ، ونصروه بمراى منك ومسمع ، افنشك بعد ان كان منك هذا انك مبايع وانت قدوة ؟ واذا كان هذا فأي حجة لك على الأمير ولا على المامورين ؟ فمن زين لك قتاله فقد غشك ، اذ هو مسلم وابن مسلمين .

فان قلت موافقتي مشروطة بشروط لم يوفِ لي بها ، قلت هبْ انه لم يوف لك ، افتستبيح قتاله لأجل ذلك ؟ والرسول صلى الله عليه وسلم يقول (اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار) الحديث ، فبالله ايها الشيخ ما تقول في هذا الحديث وانظاره ؟ وما تقول فيما انتهب او عسى ان ينتهب من اموال الناس واخذ بغير حق وانفق في سبيل الطاغوت ، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول (لا يحل مال امرىء مسلم الا عن طيب نفس) ، اوما تستحيي من ربك يوم تسأل عن النقير والقطمير ، ولست ممن خفي عليه ذلك كله فتعذر عند المخلوقين ، او ما عملت إن كثيراً من العوام يعتقد جواز ذلك اذا رءاك ارتكبته فتكون قد سننت هذه السنة وضل بسبب ذلك كثير من الناس ؟ اوما خشيت دعوة المظلوم التي ما بينها وبين الله حجاب ؟ اوما كنت تُعير مَن يرتكب ذلك من الولاة وتتأسف عليه ؟ لا تعير اخاك المومن ، الحديث :

لا تنه عن خلق وتأتيَ مثله عار عليك اذا فعلت عظيم

اما انتبهت لما وقع لأهل درعة من النهب والسلب واسترقاق الأحرار وهتك الحريم ، (ان دماءكم واموالكم واعراضكم عليكم حرام) الحديث .

وقد اتانا السؤال من قبل الشيخ عن صنيع سكتانة ذلك ، ولم يستطع اذذاك من نظر بنور العلم ان يقول لهم في وزر نظراً الى ما ءال اليه الحال في اهل درعة ، مع ان جلهم حملة القرءان ، وعامتهم بُلة ، واكثر اهل الجنة البُله ، افيليق بحق الصلحاء ان يسلط عليهم من لا يرحمهم ، ولا تنزع الرحمة الا من قلب شقي ، انما يرحم الله من عباده الرحماء ، مَن لا يَرحم لا يُرحم ، ارحموا

مَن في الأرض يرحمكم مَن في السماء ، ونسيت انه يقتص للجماء من القرناء ، وان الظلم الذي لا يتركه الله ظلم الناس بعضهم لبعض ، افي علمك ان حسناتك تفي بما عليك من التبعات ، او انه لا تباعة لأحد عليك ، ولو كنت بدرياً لاحتمل ان يقال في شأنك ما قاله صلى الله عليه وسلم لعمر : (وما يدريك ؟ لعل الله اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم) ، او كما قال عليه السلام (والظلم ظلمات يوم القيامة) ، اوتستطيع ان تقتحم ظلمات الصراط وانت مسؤول عن القيراط ، وحتى اهل رودانة بلغنا انه لم يغن في شأنهم الترويع ، بل بلغ بهم الحال والجور الى التقريع ، فاتق الله ايها الشيخ ولا تكن كمن اذا قيل له اتق الله اخذتْه العزة بالاثم .

هذا ما يتعلق ببعض حقوق الناس على العموم ، ويتعلق بحق كاتبه على الخصوص ، انك اخذت عليه ان يؤدي الطاعة للأمير ، ويرعى ما هو من شيم المومنين من حسن العهد والتبرىء من الغدر وشق العصا بعد ان بذل وسعه في نصحك ونصح الأمير ، وحاول بكليته على جمع الكلمة ، وتعب في ذلك واقتحم فيه عقبات لا يقطعها الا بازل ، ولا سبيل اليها لمَن يكون في دينه وعمله مثلي ممن هو نازل :

لعمرُ ابيك ما نُسب المعلَّى ... الى كرم وفي الدنيا كريم
ولكن البلاد اذا اقشعرَّت ... وصوح نبتُها رُعيَ الهشيم

* * *

اذا غاب ملاح السفينة فارتمت ... بها الريح هوجا دبرتْها الضفادع

ولكن ليس من شرط النصيحة كمال الناصح ، كما انه ليس من شرط تغيير المنكر عدم ارتكاب المغير ما غير ، لأن هذه طاعة وتلك اخرى ، والتوفيق بيد الله سبحانه .

نعم بلغني مع ذلك وجزم لي به انك مع بذل النصح لك وللأمير اصلح الله الجميع واصلح ذات بينهم اخذت علي بالرصد في قفولي لصبيتي والرجوع

رعاية لما يجب ويندب من حقوقهم ، وهل هذا الا حكم الهوى والشيطان ؟ أعندك ما تستبيحُ به ذلك مع اني والحمد لله اينما كنت لا اسعى الا في مصلحة جهد الاستطاعة ، او بث نصيحة حين لا ارى بداً من بثها ، او اغاثة ملهوف حين تجب اغاثته ، (لئين بسطتَ الي يدك لتقتلني) الاية ، ولكن الله عز وجل يقــول (ولا يحيق المكرُ السيء الا بأهلــه) ، وفي التوراة مَن حفــر حفرة فليوسعْها ، ولا تحفرنْ بئرا تريد به اخاً ، فأين وجدتَ ما يسوغ لك ارتكاب مثل هذا قولا او فعلا او اشارة او تصريحاً او تلويحاً ، واي جريمة توازي هذه الجريمة ، او كبيرة من الآثام اكبر منها ، والله الموعد ، (وسيعلمُ الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون) .

هذا والسعاية المصحوبة بسؤالي عن دفاع سكتانة اين تجدون ما يوجب اباحتها ؟ اين غاب عنكم انها من الكبائر ؟ واين غاب عنكم قوله صلى الله عليه وسلم (ان الرجل ليتكلمُ بالكلمة يهوي بها في النار سبعين خريفاً) أهذا من اخلاق المومنين والصالحين ؟ وانت من بيت الصلاح ، ماكان جدك يرضى مثل هذا ، وماكان ابوك امرأ سوء ، وهذا — والله اعلم — نتيجة قرناء السوء ، ولا تصحب مَن لا ينهضك حاله ، ولا يدلك على الله مقاله .

والى هذا ينتهي حق الصحبة اعني بذل النصح ، ان الله يسأل عن صحبة ساعــة ، ونحن صحبناك واعتقدناك ووعظناك ، انصر اخاك ظالماً أو مظلوماً ، فنصرناك بالرد الى الجادة ، اين انت من مولانا الحسن بن علي : اذ تخلّى عن الأمر لابن عمه معاوية ، مع انه هاشمي علوي فاطمي ، احدى ريحانتي النبي صلى الله عليه وسلم ، ومعاوية اموي يجمعهما عبد مناف ، فتخلّى عن الامارة مع انه امام وابن امام ، واصلح الله به — وهو سيد — بين فئتين عظيمتين من المسلمين ، بعد ان كان يلقب بأمير المومنين ، فقال له بعضُ اصحابه اذ سلم عليه ياعارَ المومنين فلم يكترث بذلك ، وقال النار اشد من العار .

الهمنا الله واياكم رشدَ انفسنا ، وجعلنا واياكم من الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه ، انتهى .

ولم يزل الفقيه يحيى مصمماً على طلب جمع الكلمة الى ان اخترمته المنية ، قال صاحب الفوائد ما صورته : قام الشيخ يحيى بجمع الكلمة والنظر في مصالح الأمة ، واستمرَّ به علاج ذلك الى ان توفي ، ولم يتم له امر ، انتهى.

وكانت وفاته ليلةَ الخميس سادس جمادى الثانية من سنة خمس وثلاثين والف بقصبة رودانة ، وحمل من الغد الى رباط والده فدفن بجنبه رحمه الله (166) .

وتقدم شيء من ترجمته في ترجمة احمد بن ابي محلى ، وعقيدته شرحها سيدي يبورك في 6 صفحات صغرى ، كتبت عام 1085 .

1606) يحيى اعـراص

خليفة المنصور بالله على مراكش ، ذكره افوقاي في رحلته .

1607) اليزيد بن محمد بن عبد الله العلوي (السلطان)

اليزيد بن امير المومنين سيدي محمد بن عبد الله العلوي ، قال في الاستقصا : كان المولى يزيد هذا عند والده رحمه الله بعين العناية ملحوظـاً ، ومن النقائص محروساً ومحفوظاً ، وكانت عامة اهل المغرب وخاصتهم من الجند والرعيـة متشوفين له ، ومغتبطين به ، يهتفون باسمه ، ويلهجـون بذكره ، لما كان عليه من الكرم والشجاعة والتمسك بمذاهب الفتوة والدين والاعتناء بحاجات اهل البيت ومحبة اهل الخير واكرامهم واقامة الصلوات لأوقاتها حضرا وسفرا لايشغله عن ذلك شاغل ، فأصابته عين الكمال ، وصار ينتقل من حال الى حال ، حتى خالطته جماعة من الأغمار كانوا في خدمته ، فلزموه وحسنوا له الاستبداد على والده والخروج عليه ، واتوه من بين يديه ومن خلفه ، حتى وقر ذلك في صدره وارتسم فيه ، وكان ذلك علي حين اوان

---

166) كل ما سبق منقول بالحرف من **الاستقصا** 6 : 60

الشبيبة واخذها منه مأخذها ، وكانت همته طماحة لا تقف به عند غايـة ، فاستعجل الأمر قبل اوانه ، وخرج على والده بجيش العبيد حسبما مر ولسان حاله ينشد :

فان يك عامـر قـد قـال جهـــلا فان مظنـــة الجهـــل الشبـــاب

فسقطت منزلته عند ابيه بعد ان بلغ من الحظوة لديه ما بلغ ، وكان يرشحه للخلافة ويقدمه على كبار اخوته لما ظهر له من نجدته واقتداره وجوده في محل الجود ، ورغبته في الجهاد وولوعه بصناعة الرمي بالمهراس ، فأسند اليه امر الطبجية والبحرية وصار يوجهه مع الرؤساء والطبجية الى الثغور كل سنة ليقفَ على الملازمين لصقائلها وابراجهـا ، ويعلمهم ما يحتاجـون الى تعلمه ، ولما رءاه والده مغتبطاً بذلك وتوسم فيه النجابة اقبل عليه بالعطاء ، ثم ولاه الكلام مع قناصل الأجناس الذين بالمراسي واستنابه في ذلك .

وفي سنة اثنين وثمانين ومئة والف ولاه السلطان على قبيلة جروان وهم يومئذ اعظم قبائل البربر خيلا ورجالا ، فأسند اليه امرهم وتقدم اليه في ان يكفهم عن الحرب مع ءاية يدراسن ، فسار اليهم واغتبطوا به واغتبط بهم ، وصار احداثهم وابناء اعيانهم يركبون معه للصيد فغمرهم بالعطاء ، وانعم عليهم بالخيل والسلاح والكسي ، ولزموا مجلسه حتى افسدوا قلبه ، وحسنوا له الانتزاء على الملك ، وقالوا هذا بيت المال الذي بقبة الخياطين هو في يدك وليس دونه مانع ، وبه يقوم ملكك ، ومتى استدعيت اخواننا ءاية ومالو لم يتوقفوا عنك طرف عين ، ولا يقوم لهم شيء من الجند وغيره ، ولم يزالوا يفتلون له في الذروة والغارب حتى شرهت نفسه وصار لا حديث له الا في ذلك ، واطلع على ذلك قائد الوداية عبد القادر ابن الخضر ، وكان محباً في جانب السلطان صادق الخدمة والطاعة له ، فكتب اليه بما عليه ولده مع جروان ، وانهم يأتون بالمئة والمئتين ويبيتون عنده بالقصبة ، ونحن خفنا ان يبرز من ولدك امر فتعاقبنا عليه فأخبرناك بالواقع ، ولما وصل كتابه الى السلطان بعث للحين قائده العباس البخاري في مئة من الخيل للقبض على المولى يزيد واصحابه ، وقد قلنا لك ان الجند والرعية معاً كانوا مغتبطين بالمولى يزيد ،

فلما وصل القائد العباس الى سلا دس الى المولى يزيد انه مقبوض فلينج بنفسه ، فخرج المولى يزيد من مكناسة ليلا في خاصته واصحابه من جروان وقصدوا ءاية ومالو ، ولما وصل القائد العباس الى مكناسة الفاها مقفرة من المولى يزيد وشيعته ، فأقام بها وكتب الى السلطان يعلمه بالخبر ، فبعث السلطان الى المولى يزيد كاتبه سعيد الشليح فقدم عليه بزاوية ءاية اسحاق ، لأنه لم يجد من قبائل ءاية ومالو الا مهاوش وشقيرين فتجاوزهم الى الزاوية المذكورة ، ولما اتاه سعيد المذكور بكتاب والده وامانه سار معه الى مراكش ، ولما وصل اليها دخل ضريح ابي العباس السبتي فاحترم به ، ثم عفا عنه السلطان واجتمع به ، فتنصل مما رمي به ونسب ذلك الى سفهاء جروان ، وانه لم يوافقهم على ذلك ، فاضمر السلطان الايقاع بهم ، ولما قدم من مراكش سنة اربع وثمانين ومئة والف قصدهم بالكريكرة واوقع بهم وقتل منهم نحو الخمسمئة حسبما مر ، وانزل المولى يزيد مع اخويه المولى علي والمولى عبد الرحمان بفاس فأقام بها مدة ، ثم حدثت حرب بينه وبين اخيه المولى عبد الرحمان بوسط فاس العليا ، وهلك فيما بينهما عدد ، وبلغ خبر ذلـــك الى السلطان ، فقدم مكناسة وبعث من يقبض عليهما ، فقبض على المولى عبد الرحمان واصحابه ،وفرّ المولى يزيد الى ضريح المولى ادريس الأكبر بزرهون ، فأتى به الأشراف الى والده فسامحه ، ثم سرح المولى عبد الرحمان ، وسأل عن احوال أصحاب الأخوين معاً ، ثم عرف صالحهم من طالحهم ، فأخرجهم من السجن وقطع ايديهم وارجلهم من خلاف ، وكانوا ثلاثين رجلا ، وســـرح الباقين ، ونقل المولى عبد الرحمان الى مكناسة ، وترك المولى يزيد بفـــاس ، ثم ان المولى عبد الرحمان كان يسابق يوماً في الميدان ويلعب بالبارود ، فقتل رجلا من بني مطير ، فجاء اخوانه الى قائدهم محمد بن محمد وعزيز ، فأدى ديته من عنده وعفوا ، وكتب عليهم سجلا بذلك وسكنت الهيعـــة ، فاتفق ان وجه السلطان قائده العباس الى مكناسة لقتل اناس كانوا بسجن مكناسة ، فلما سمع به المولى عبد الرحمان ظن انه قدم في شأن المطيري المقتول ، وان خبره قد بلغ السلطان ، ففر من مكناسة ليلا الى وجدة ثم الى تلمسان ، واتصل خبر فراره بالسلطان ، فسأل عن السبب ، فأخبـــره

القائد العباس بالواقع ، فبعث اليه الأمان فلم يثق ، ثم سار من تلمسان الى سجلماسة ، فبعث اليه السلطان مَن يؤمنه ويأتي به فلم يثق وفر الى السوس ، فبعث اليه السلطان اماناً الى السوس ففر الى القبلة واقام يتردد في قبائلها الى ان توفى السلطان رحمه الله ، فجاء الى رودانة فأقام بها وطلب الأمر فلم يتم له امر ، ومات رحمه الله ، واما المولى يزيد فانه اقام بفاس الى ان استدعاه والده للقدوم عليه بمراكش فقدم عليه .

ثم اتفق قيام العبيد على السلطان بسبب الادالة التي امرهم بتوجيهها الى طنجة حسبما مر ، فبعث المولى يزيد لاصلاحهم وردهم عن غيهم ، فلما وصل اليهم استفزوه بقولهم وحركوا منه ما كان ساكناً ، واستخرجوا ما كان كامناً ، فبايعوه وخطبوا به حسبما مر الخبر عن ذلك مستوفي ، وانحرف قدور ابن الخضر بالوداية عنه ، ولما فتح المولى يزيد بيت المال واعطى العبيد بعث الى الوداية بعطائهم يستهويهم به ، وكان شيئاً كثيراً فردوه عليه ، وانضمَّ محمد وعزيز في بربره الىَ الوداية ، فقصدهم المولى يزيد والتقوا بالمشتهى بمكناسة فهزموه ، وقتل من العبيد ما ينيف على الخمسمئة ، ثم قدم السلطان في العساكر وجموع القبائل ففر المولى يزيد الى زرهون ، فتبعه السلطان وزار المولى ادريس رضي الله عنه ، فشفع له الأشراف الأدارسة فيه فقبل شفاعتهم وعفا عنه حسبما مر ، ثم بعد هذا بعثه الى المشرق ، وصدر منه بمكة في حق شيخ الركب ما صدر ، فكانت تلك الفعلة هي المخالفة وبها تبرأ السلطان منه ، ثم قفل من المشرق سنة ثلاث ومئتين وألف ، والتجأ الى ضريح الشيخ عبد السلام بن مشيش الى ان توفي حسبما قصصنا عليك من قبل وبالله التوفيق .

بيعة امير المومنين المولى يزيد بن محمد رحمه الله

لما توفي السلطان سيدي محمد رحمه الله في التاريخ المتقدم وبلغ خبر موته المولى يزيد وهو بالحرم المشيشي بايعه الأشراف هنالك وسائر اهل الجبل ، وتقدم اليه السابقون من الجند الذين كانوا محاصرين له

فبايعوه واستتب امره ، فتوجه الى تطاوين اذ هي اقرب الثغور اليه فبايعه اهلها والقبائل المجاورة لها ، واطلق الجند على يهود تطاوين فاستباحهم واصطلم نعمتهم ، ثم وفد عليه اهل طنجة والعرائش واصيلة فقابلهم بما يجب ، ثم توجه الى طنجة فخرج عسكرها للقائه ، ففرح بهم واحسن اليهم ، وبها قدم عليه وفدُ اهل فاس من اشرافها وعلمائها واعيانها ، فأكرمهم وولى عليهم محمد العربي الذيب ، ثم انتقل الى العرائش فوافاه بها حاشيةُ ابيه وخدمه ووجوه دولته بمتخلف والده وقبابه وخيله وبغاله وسائر اثاثه ، فأحسن اليهم وساروا معه في ركابه الى زرهون ، ولما وصل اليها قدم عليه اخوه المولى سليمان من تافيلالت بقبائل الصحراء عربها وبربرها ومعه بيعة اهل سجلماسة ، وكان قد استجار به محمد وعزيز فانه كان خائفاً على نفسه من المولى يزيد لانحرافه عنه ايام ابيه ، فسار في صحبته بقبائله ، ولما اجتمع بالسلطان سامحه وابقاه على قومه ، ولما دخل مكناسة قدمت عليه قبائل الغرب كلها عربها وبربرها حتى عصاة ءاية ومالو ودجالهم مهاوش ، فاعطى مهاوش وحده عشرة ءالاف ريال ، واعطى الذين قدموا معه مئة ألف ريال ، ثم قدمت عليه قبائل الحوز كله من عرب وبربر لم يتخلف عن بيعته احد ، وقدم عليه اهل مراكش واعمالها ببيعتهم ، ونصها : الحمد لله المنفرد بالملك والخلق والتدبير ، الذي ابدع الأشياء بحكمته واخترع الجليل منها والحقير ، الغني عن المعين والمرشد والوزير ، (الا يعلم مَن خلق وهو اللطيف الخبير) ، يوتي الملك مَن يشاء ، وهو المدبر القدير ، جاعل الملوك كفاً للأكف العادية ، وولايتهم مرتعاً للعباد في ظل الأمن والعافية ، وبيعتهم امناً من الهرج والفساد ، وقمعاً لأهل الشر والعناد ، فهم ظل الله على الأنام ، وحصن حصين للخاص والعام ، حسبما افصح بذلك سيد الأنام ، عليه افضل الصلاة وازكى السلام ، فتبارك الله ربنا الذي شرف هذا الوجود ، وزين هذا العالم الموجود ، بهذه الخلافة المباركة والامامة الحسنية العلوية والطلعة القرشية المحمدية التي انصرفت الوجوه الى قبلتها المشروعة ، واستبان الحق عند مبايعتها والانقياد لدعوتها المسموعة ، نحمده تعالى ما منّ به علينا من هذه الامامة السعيدة ، ونشكره جل جلاله شكراً نستوجب به من الهنا افضاله ومزيده ، ونشهد

انه الله الذي لا اله الا هو وحده لا شريك له ، ليس في الوجود الا فعله ، اجرى الأقدار على حسب ما اقتضاه حكمه وعدله ، ونشهد ان سيدنا ونبينا ومولانا محمد عبده ورسوله ، ومصطفاه من خلقه وخليله ، سيد المخلوقات كلها من انس وجان ، المصفى من ذؤابة معد بن عدنان ، صاحب الشريعة المطهرة التى لا يختلف في فضلها اثنان ، والدين القويم الذي هو افضل الأديان ، الذي اختصه الله ما بين الأنبياء بميزة التفضيل والتقديم ، وافترض على امته الغراء فريضة الصلاة عليه والتسليم ، واثنى عليه في كتابه الحكيم ، فقال جل ثناؤه ، وتقدست صفاته واسماؤه : (وانك لَعلى خلق عظيم) ، صلى الله عليه صلاة متصلة الدوام ، متعاقبة بتعاقب الليالي والأيام ، وعلى ءاله الكرام الأطهار ، وصحابته النجباء الأخيار ، الذين اوضحوا لنا الحق تبياناً ، واسسوا لهذه الملة السمحة قواعد واركاناً ، وعلى مَن اقتفى اثرهم القويم ، واهتدى بهديهم المستقيم ، الى يوم الدين .

اما بعد ، فان الله تعالى جعل صلاح هذا العالم واقطاره المعمورة ببني ءادم منوطاً بالأئمة الاعلام ، محوطاً بالملوك الذين هم ظل الله على الأنام ، فطاعتهم ماداموا على الحق واتقوا الله سعادة ، والاعتصام بحبلهم اذذاك واجب وعبادة ، قال عز من قائل : (يأيها الذين ءامنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الأمر منكم) ، وقال عليه السلام : (ان امر عليكم عبد مجدع اسود يقودكم بكتاب الله فاسمعوا له واطيعوا) ، قال عليه السلام (على المرء المسلم السمع والطاعة فيما احب وكره ، الا ان يؤمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة) ، وقال عليه السلام (مَن خرج عن الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية ، ومَن قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبية او يدعو الى عصبية او ينصر عصبية فقتل فقتلته جاهليته ، ومَن خرج على امة يضرب برها وفاجرها ولا يتحاشى مؤمنها ولا يفى لذي عهدها فليس منى ولست منه) ، اخرجها مسلم كلها ، وقال عليه السلام (السلطان ظل الله في الأرض يأوي اليه الضعيف ، وبه ينتصر المظلوم ، ومَن اكرم سلطان الله في الدنيا اكرمه الله يوم القيامة) او كما قال ، وقال عليه السلام (السلطان العدل المتواضع ظل الله ورمحه في الأرض ، يرفع الله له عمل سبعين صديقا) .

ولما كان اهل بيت سيد المرسلين ، اعظم قريش في قلوب المومنين ، واكرمهم منزلة عند رب العالمين ، انالهم الله تعالى في خلقه فضلا كبيراً ، ومنحهم اجلالا ورفعة وتعظيماً وتكبيراً ، قال الله تعالى : (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجسَ اهلَ البيت ويطهركم تطهيراً) ، وقال عليه الصلاة والسلام : (النجوم امان لأهل السماء ، واهل بيتي امان لأمتي) .

وان ممن امتنَّ الله به علينا من اهل هذا البيت الشريف ، الذي أولاه الله أشرف التعظيم واعظم التشريف ، وقدمه تعالى لسلطانه العزيز ، ورفعه جل وعلا على منصة التبريز ، عميد المجد الذي لا يتناهى فخره ، ووحيد الحسب الذي جل منصبه وقدره ، الامام الذي القت له الامامة زمامها ، وقدمته الأفاضل لفضله امامها ، من جاءت له الخلافة تجر أذيالها ، واخذها دون بني ابيه ولم تكُ تصلح الا له ولم يك يصلح الا لها ، ومَن جبلت قلوب الخلائق على محبته ، والقي له القبول في الأرض لمجده ولعلو همته ، السلطان السعيد ، الواثق بربه المعين الرشيد ، ابا المكارم والمفاخر سيدنا ومولانا يزيد ، بن مولانا الامام ، السلطان الهمام ، المرحوم بالله سيدي محمد ، بن امير المومنين سيدنا ومولانا عبد الله ، ابن السلطان الجليل امير المومنين مولانا اسماعيل ، بن موالينا السادة الأشراف ، ذوي الفضل والكرم والانصاف ، قدس الله ارواحهم في اعلا الجنان ، ومنحهم بفضله الرضا والرضوان ، ايد الله ببقائه الدين ، وطوق بسيفه الملحدين ، وكبت تحت لوائه المعتدين ، وكتب له النصر الى يوم الدين ، واعاذ به الأرض ممن لا يدين بدين ، واعاد بعدله ايامَ ءابائه الخلفاء الراشدين ، واسكن في القلوب سكينته ووقاره ، ومكن له فى الوجود وجمع له اقطاره ، هو والله ممن فيه استحقاق ميراث ءابائه الاعلام ، وتراث اجداده الكرام ، المجمع عليه انه في هذه الأيام ، فرد هو الأنام ، وواحد وهكذا في الوجود الامام ، الراقي في صبح سماء هذه الذروة المنيفة ، الباقي بعد الأئمة الماضين نعم الامام ونعم الخليفة ، سلالة الأخيار ، وخلاصة ابناء النبي المختار ، اسمى الله ايالته الشريفة ، وانار البسيطة بأنوار مملكته الشامخة المنيفة ، انعقد الاجماع من اهل هذه الحضرة المراكشية حاطها الله وما حولها من اهل السوس وكافة الرحامنة وغيرهم من قبائل

عديدة حسبما تضمنته اسماء من يكتب اسمه منهم عقبه بخط من يكتب منهم او خطوط العدول الثقات عمن لم يكن يحسن الكتابة واذنوا لمن يكتب عنهم ، بيعة تم بمشيئة الله تمامها ، وعم بالصوب المغدق غمامها ، سعيدة ميمونة ، شريفة لها السلامة في الدنيا والدين مضمونة ، صحيحة شرعية ، ملحوظة مرعية ، دائبة دائمة ، لازمة جازمة ، صحيحة صريحة ، متعبة مريحة ، على الأمن والأمانة ، والعفاف والديانة ، وعلى ما بويع به مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون من بعده ، والأئمة المهتدون الموفون بعهده ، وعلى السمع والطاعة ، وملازمة السنة والجماعة ، قرت بها نواظرهم ، وشهدت بذلك على صفاء بواطنهم ظواهرهم ، واعطوا بها صفقة ايديهم وامضوها امضاء يدينون به في السر والجهر ، والمنشط والمكره ، واليسر والعسر ، اجمع عليها ارباب العقد والحل ، واصحاب الكلام فيما قل وجل ، ومن يوصف بعلم وقضاء ، ومن يرجع اليه في رد وامضاء ، لم يخالف فيها امام مسجد ولا خطيب ، ولا ذو فتوى يسأل فيجيب ، ولا من يجتهد في راي فيخطيء او يصيب ، ولا معروف بدين وصلاح ، ولا فرسان حرب وكفاح ، ولا طاعن برمح ولا ضارب بصفاح ، ولا ولاة الأمر والحكام ، ولا حملة العلم الأعلام ، ولا حملة السيوف والأقلام ، ولا اعيان السادة الأشراف ، ولا اكابر الفقهاء ومن انخفض قدره ومن اناف ، بيعة تمت بها نعمة من وحد الله قائلين (الحمد لله الذي هدانا لهذا وماكنا لنهتدي لولا أن هدانا الله) ، (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله) ، الآية ، فمن حضر خواص من ذكر وعوامهم قيد شهادته بمقتضى العقد المنصوص ، ملتزماً لجميع ما اقتضاه من العموم والخصوص ، باسطاً كفه بالدعاء والابتهال ، والتضرع لذي العزة والجلال ، قائلا اللهم كما خصصت مولانا امير المومنين بمزيد الكرامة ، وارتضيته لمقام الامامة ، وانتخبته من أشرف الناس ، وصنت به وجوههم عن الباس ، فانصره اللهم نصرا مؤزراً ، واجعل نصيبه من عنايتك وكفايتك جزيلا موفرا ، وانله في كل مرام فتحاً مبيناً ، وظفراً ميسرا معيناً ، واسعدنا اللهم بايامه ، واكلاه بكلاءتك في ظعنه ومقامه ، واجعل بيعته المباركة بيعةً تخلد بها مئاثره تخليدا ، وتؤيد علوه وتأييده ونصره تاييداً ، وابقه على الأنام شفيقاً ، وبجميعهم باراً رفيقاً ، واعنه اللهم على ما وليته من امور عبادك ،

ومهد له اتم التمهيد في اقطار بلادك ، وكن له فيما يرضيك مؤيدا وظهيرا ، واجعل له من لدنك ولياً وسلطانا نصيرا ، اجب دعانا انك يامولانا ولي ذلك وبه قدير ، وانت نعم الولي ونعم النصير ، وبالاجابة جدير ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي الكبير ، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى ءاله وصحبه وسلم تسليما ، وءاخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

في ثامن عشر شعبان عام اربعة ومئتين والف ، انتهت .

انتقال الوداية من مكناسة الى فاس وعبيد الثغور منها الى مكناسة

لما كان السلطان المولى يزيد رحمه الله بمكناسة امر الوداية ان ينتقلوا منها الى فاس الجديد مسقط رؤوسهم ومنبت شوكتهم وباسهم ، وبذل لهم خمسين ريالا للرأس اعانة لهم على نقلتهم ، فعادوا الى فاس الجديد واستوطنوه بعد تغريبهم عنه بمكناسة ثلاثين سنة كما سبق ، ثم أمر عبيد الثغور ان ينتقلوا منها الى مكناسة لتجتمع كلمتهم بها ، وانعم على أهل كل ثغر منهم ببيت ماله الذي به فاقتسموه وانقلبوا الى مكناسة مغتبطين .

نقض الصلح مع جيش الاصبنيول وحصاره سبتة

قال منويل القشتيلي في كتابه الموضوع في اخبار المغرب : لما ولي المولى يزيد بن محمد رحمه الله اظهر معاداة الاصبنيول وصمم على حربهم ، فتفادى طاغيتهم من حربه بكل وجه ، وبعث باشدوره اليه بطنجة يهنيه بالملك ويتملق له ، فأعرض عن ذلك ولم يحفل به ولا بهديته ، بل عمد الى من كان بمراسيه من نصارى الاصبنيول تجارا وفرايلية وغيرهم وقبض عليهم وسلكهم في السلاسل وساقهم الى طنجة فحبسهم بها ، قال : وكانت قراصين المسلمين الحربية يومئذ ستة عشر قرصاناً ، وفيها من المدافع ثلاثمئة مدفع وستة مدافع .

قلت قد تقدم ان القراصين اكثر من ذلك بكثير .

واستمر النصارى محبوسين بطنجة الى أن اتفق ان كان قرصان الاصبنيول يطوف بساحل العرائش فظفر بمركب هنالك واسر بعضهم ، وكان المولى يزيد يومئذ بالعرائش فنظر اليهم بمرءاة الهند وهو على سطح داره اذ اسروهم ، وبعث الصريخ في اثرهم ففاتوه ، ثم وقع التفادي بينه وبين الطاغية في اولئك الأسرى بأسرى طنجة ، انتهى كلام منويل .

ثم ان السلطان المولى يزيد رحمه الله زحف الى سبتة واستنفر الناس لجهادها والمرابطة عليها واستصحب معه ءالة الحرب من المدافع والمهاريس ، ونصب عليها سبعة اشبارات (167) كان جلها لفنانشة سلا ، واهرعت اليه المتطوعة من حاضر وباد ، ونسلوا اليه من كل حدب وواد ، واقام على حصارها مدة ثم افرج عنها وسار الى ناحية مراكش لأمر اقتضى ذلك ، فلما وصل الى مدينة انفا بدا له في الرجوع ، فرجع ونزل عليها واستأنف الجد وارهق الحد ، وارسل الى قبائل الحوز يستنفرهم للجهاد والمرابطة ، فتقاعدوا عنه بعد ان اشرف على فتحها ، وكان ما نذكره .

انتقاض اهل الحوز على السلطان المولى يزيد وبيعتهم لأخيه المولى هشام

لما قدمت قبائل الحوز على السلطان المولى يزيد بمكناسة ظهر لهم منه بعض التجافي عنهم وانزلهم في العطاء دون البربر والوداية وغيرهم ، فساءت ظنونهم به ، وانفسدت قلوبهم عليه ، ولما رجعوا الى بلادهم تمشت رجالاتهم بعضها الى بعض ، وخب الرحامنة في ذلك واوضعوا ، واتفقت كلمتهم مع أهل مراكش وعبدة وسائر قبائل الحوز فقدموا المولى هشام بن محمد للقيام بأمرهم ، وءاتوه بيعتهم وطاعتهم ، ولما اتصل خبر ذلك بالمولى يزيد

---

167) جمع **اشبار** ، وهو فى العامية المغربية ما يتترس به المقاتل من بناء وشجر وحجر ونحوها ، وهو فى اللغة الحديثة المتراس جمع متاريس ، اما فنانشة سلا فهم آل فنيش اسرة سلوية اصلها اوربى ، وكانت تتولى حكم سلا ورياسة بحريتها

وهو محاصر لسبتة اقلع عنها وسار الى الحوز فشرد قبائله ، ووصل الى مراكش فدخلها عنوة ، يقال ان دخوله ائيها كان من الباب المعروف بباب يغلي ، فاستباحها وقتل وسمل ، وكان الحادث بها عظيماً ، ثم استجاش عليه المولى هشام قبائل دكالة وعبده وقصده بمراكش ، فبرز اليه المولى يزيد ، ولما التقى الجمعان بموضع يقال له تازكورت انهزم جمع المولى هشام وتبعهم المولى يزيد ، فأصيب برصاصة في خده فرجع الى مراكش يعالج جرحه ، فكان في ذلك حتفه رحمه الله ، وذلك اواخر جمادى الثانية سنة ست ومئتين والف ، ودفن بقبور الأشراف قبلي جامع المنصور من قصبة مراكش ، ولقد كان رحمه الله من فتيان ءال علي وسمحائهم وابطالهم ، له في النجدة والكفاية المحل الذي لا يجهل ، والسبق الذي لا يلحق ، والغبار الذي لا يشق ، ولا يضره تنقيص من نقصه من الحسدة عفا الله عنا وعنهم ، فان مكان الرجل غير مكانهم ، وهمته العالية فوق تزويراتهم ، تغمد الله الجميع بعفوه وغفرانه ءامين (168) .

وقال الضعيف في تاريخه في ترجمة مولاي اليزيد مانصه : ثم ورد على السلطان خبر خروج ولده مولاي ابراهيم من مراكش واتفاقهم على عبد الرحمان بن ناصر العبدي بعد أن نكثوا بيعته قبض منهم اي من اهل مراكش لما نكثوا بيعته مولاي اليزيد قاضي مراكش السيد عبد العزيز بن حمزة المطاعي المراكشي والهاشمي بن عمران وولده واخاه التونسي بن عمران وامين الدباغين والسيد محمد التادلي ومولاي عبد القادر ذا القصور (169) .

1608) **يلارزج بن القاسم الركوني** ، من اهل بلد ركونة من عمل مراكش ، مات عام احد وستمئة ، قدم مراكش وكان عبداً صالحا من ارباب القلوب .

قال في التشوف : سمعت عبد الصمد بن يوجكل الركوني يقول كان يلارزج يواصل اربعة وثلاثين يوماً ، وكنت ذات يوم بمراكش فأردت صحة ما تحدث به عنه ، فقلت وانا بمراكش وهو ببلد ركونة يايلارزج ، فأتاني

---

168) ما تقدم منقول من الجزء الثامن من **الاستقصا** ص 72 — 83 طبع الدار البيضاء

169) **تاريخ الضعيف** نسخة مصورة ص 271

بالمكان الذي كنت به ، وقال لي ما الذي اردت مني حين ناديتني فأتعبتني بالوصول اليك ؟ (170) .

1609) **اليماني بن ابي عشرين المكناسي** ، بيت بني عشرين كان قديماً في فاس ، قال عبد الرحمان الفاسي في تأليف ذكر فيه بعض مشاهير فاس فى القديم : ومنهم بيت بني عشرين الخزرجيين ، بيت علم واصالة ، منهم فقهاء أئمة ، كالفقيه علي بن عشرين ، كان فقيهاً حافظاً محصلا مستبحراً فى الفقه وتفقه عليه فقهاء المغرب ، وكان يحفظ المدونة ، ومن صدره نقلت بعد ان حرقها ملوك الموحدين من بني عبد المومن بن علي ، يروى انها لما جبذت (171) من صدره فى اول الدولة المرينية قوبلت بعد ذلك مع نسخة وجدت فوجدوها كهي لا خلاف بينهما الا فى واو او باء . انتهى .

وراجع التكملة لابن الابار فى ترجمة محمد ابن خطاب .

كان المترجم نساخاً عند المولى سليمان ، ثم اتخذه كاتباً ، وقال في (الحسام المشرفي) عند ذكر وزير الحرب القائد احمد مولى اتاي ما نصه : وعلى يده كتبة الديوان ، وامناء الصرح والايوان ، سوى قرينه في الصدارة ، جليل المفاخر تحفة المجالس وحضرة الامارة ، ابو اليمن والبركة ، الموفق في السكون والحركة ، الكاتب الأشهر ، الكبريت الأحمر ، بقية الأماني عزيز الكتبة السيد اليماني ، فكل منهما يقدر قدر الآخر ، ويحل صاحبه ويباهي به ويفاخر ، فصال بهما مولانا سليمان ، في سائر اقطار البلاد صولة المنذر بن النعمان ، وملوك ءال عثمان ، حتى طأطأت رؤسها اهل البغي والطغيان ، انتهى .

وفي (الجيش العرمرم) عند ذكر ولده العلامة الوزير سيدي الطيب ما نصه : فان والده المرحوم كان فى دولة السلطان العادل مولانا سليمان رئيس

---

170) الترجمة منقولة من **التشوف** ص 401 ع 215

وبعد هذه الترجمة ترجم المؤلف لابى يعزى (مولاى ابو عزة) وقد اثبتنا ترجمة ابى يعزى فى حرف الالف فى اخر الجزء الاول من هذا الكتاب

171) جبذ : اخذ ، نزع ، جذب

الكتبة ، وكان للوزير الصالح القائد احمد به اعتناء زائد ، خارق للعوائد ، ولا يفارق جنبه الأيمنَ في صدر الديوان ، لأنه لا يتلون بغير الصدق والعفاف والمروءة بشيء من الألوان ، وكان رحمه الله لنا معاشر الكتاب مورداً صافياً لا نخشى تغيره ولا كدره ، وكنا له طائعين اولاداً بررة ، وبيته ثابت السيادة والأصالة ، لا يُبلي طول الزمان مآثره وخصاله ، حضرت يوماً عند صاحبنا الفقيه السيد الحاج المعطي الزداغي المراكشي وكان قدم لحضرة السلطان العادل بحضرة مكناسة بقصد سرد صحيح البخاري على العادة ، فأنزله عند قهرمان الحضرة الأمين الحاج الطاهر بادو ، فأنزله بدار العريفة حول داره ، فبينما نحن جلوس اذ قدم علينا الفقيه الكاتب سيدي اليماني ، جاءه بأمر سلطاني ، فساروه بذلك ثم خرج ، وكان معنا فتى من اهل مكناس بذيء اللسان ، مسلطاً على الأعراض ، لا سيما اهل المروءة والدين ، وكان اذذاك مشهوراً بالانظام الملاحين التى يتعاطاها سفهاء العوام ، لاسيما اهل مكناس ، فلما خــرج الفقيه الكاتب قــال ذلك الموصوف كلمة ناقصــة غاضــة في حــق الكاتب ، فسمعه رجل كان معنا يقال له الحاج قدور الواني شيخ كبير تاجر من اهل مكناس ، جال البلاد شرقــاً وغربــاً وسودانــاً وبراً وبحراً اخباريا نسابــة صادقاً في كل ما يحدث به ، يرجع اليه في الأمور العظام ، لاسيما في الانساب ، فلما قال ذلك الفتى تلك المقالة ، قال الحاج قدور ما ذا تقول ؟ قال له كذا وكذا ، فسأل عنه ، فقال للحاضرين ولد مَن هذا ؟ فقالوا له هذا يقال له السيد فلان طالب نجيب حسن الخط شيخ الكلام ، وهو الذي غلب العميري لما تهاجيا بالملحون وفضحه على رؤوس الأشهاد ، فقال لهم سألتكم عن ابيه ، فقالوا لا نعرف اباه ، وكان فى ذلك المجلس ايضاً رجال مسنون : السيد المكي بادو واثنان آخران لا اعرفهما ، فقال له انت مجهول الأب ، وهؤلاء كبار اهل مكناس كبار لا يعرفون اباك ، وتقول فى الفقيه المسلم السيادة والأصالة ما لا يليق بمنصبه ، ثم قال لأولئك الأشياخ هل فيكم من يجهل والد الفقيه سيدي اليماني ؟ فقالوا نعرفه ونعرف جده بالمعاصرة ، ونعرف سَلفه المشهور بالخير والدين و النباهة والسيادة والوجاهة ، فقال لهــم ما بالكم تسمعون كلام هذا السفيه المجهول الأب ولا تنكرون عليه ؟ هذا

سبب خراب العالم ان يسب الفاسدُ الصالحَ ولا ينكر عليه ، لا حول ولا قوة الا بالله ، ومـا زال يشنع على القـوم ويقبح سكوتَهـم عـن ذلك ، وكان اكبر منهـم بكثير ، وكـان فيهـم ذا جلالـة وقـدر ، فجعلـوا يأخـذون بخاطـره ويسعون في رضـاه حتى استنزلـوه من حـالـة الغضب الذي اعتراه ، فسكن قليلا ثم قال والله اني لأعرف اصل هؤلاء القوم بني العشرين ، فأنهم من بلاد الأندلس ، ثم انتقلوا لتلمسان ، ثم لفاس ، ثم لسلا ، ثم كانوا مدة بجبال الزبيب ، ومن ثم انتقلوا لهذه البلدة وهم ينتسبون الى الأنصار . انتهى كلام الحاج قدور المذكور ، وكانت هذه القصة عام اثنين وثلاثين ومئتين والف .

ولما كانت فتنة اولاد مولاي اليزيد قدم الفقيه الكاتب سيدي اليماني لحضرة السلطان لفاس الجديد وهو محاصر لفاس البالي ، فنزل معنا سيدي اليمانـي بـدار المـوقت التي هي متصلة بمنـار الجامـع الكبير ونحـن جماعة ، وكنت اباشره واتسخر له لأني اصغر القوم ، وكان به ضعف والم ، لأنهم قدموا به ليلا فتضرر بذلك ، وكانت الطريق التى بين فاس ومكناس مخوفة لا تسلك الا ليلا على خطر ، ثم حدثته ذات يوم بما وقع من حديث الواني ، فقال لي صحيح كل ما ذكره عن سلفنا ، الا انني ما عرفت الا الانتقال من تونس لفاس لا الى تلمسان ثم فاس ، وقال لي ان سبب الانتقال من سلا الى الجبل ان بعض الأسلاف اذذاك كان متزوجاً ببنت بعض اهل الجبـل الساكنين بسلا ، ثم حصلت هيعة بسلا من الغلاء ، فخرج بقومنا صهرهـم فأقاموا هناك مدة ، ومنه الى مكناس ، والله اعلم ، ثم الى قـال لي وكـان قومنا يقال لهم بنو ابي العشرين البياشي بالشين المعجمة فتنوسي الوصف الأخير وبقي الأول ولم ادر ما سبب الوصفين لا الأول ولا الثاني ، هذا حاصل ما ذكر لي الفقيه سيدي اليماني ، قلت رأيت السيد احمد المقْري في (نفح الطيب) ذكر ابا العشرين في محلين وذهب عني ذلك المحل ، وكنت عهدت من عادتي في المطالعة او اقف على المهمات في الهامش في المطالعة ، ولم اكن طالعت منه الا السفر الثاني والثالث ، فأعدت مطالعة السفريْن المذكوريْن ، ولكن انما انظر في الهامش لعلي ارى توقيفة على ذلك ، فسردتها ورقة ورقة فلم

اجد ذلك وعجزت عن مطالعة السفرين من اصلهما ، ثم اني رأيت في (وفيات الأعيان) لابن خلكان في ترجمة الشيخ يوسف بن محمد بن ابراهيم البياسى الأنصاري احد فضلاء الأندلس وحفاظها ، ثم قال وطاف بأكثر بلاد الأندلس وتنقل فيها ، ولما قدم من جزيرة الأندلس الى مدينة تونس جمع للأمير يحيى بن عبد الواحد بن ابي حفص عمر صاحب افريقية كتاباً سماه (الاعلام ، بالحروب الواقعة في صدر الاسلام) ابتدأ فيه بمقتل الامام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وخرج بخروج الوليد بن طريف الثائر على هارون الرشيد ببلاد الجزيرة الفراتية ، ثم قال ابن خلكان فى ءاخر ترجمته : وكان مولده يوم الخميس الرابع عشر من ربيع الأول سنة ثلاث وسبعين وخمسمئة ، وتوفي يوم الأحد الرابع من ذي القعدة سنة ثلاث وخمسين وستمئة بمدينة تونس ، والبياسي بفتح الباء والياء المشددة المثناة من تحت والسين غير المنقوطة هذه النسبة الى بياسة مدينة كبيرة بالأندلس معدودة في كور جيان ، هكذا قال ياقوت الحموي في كتاب المشترك وضعاً .

انتهى كلام ابن خلكان .

وهذا يدل على ان ما ذكر الفقيه سيدي اليماني من ان البياشي بالشين المعجمة انما هو تصحيف جرى على ألسنة العوام كما هي عادتهم في كثير من الألفاظ ، هذا ولا يبعد ان يكون هذا النسب هو الذي ينتمي اليه قوم البياز بفاس ، فأبدلوا السين بالزاي لقرب المخرج ، وكثيراً ما يتعاقب الحرفان المذكوران كالصراط والزراط ، والسعتر والزعتر ، فيكون نسبهم الى البياسي المذكور ، ويصح لهم نسب الأنصارية بلا ايراد .

حدثني الفقيه السيد عبد الواحد الضرير السجلماسي البوعصامي رحمه الله تعالى قال : كنت عند القاضي الشريف مولاي عبد الهادي ، وكان عنده عامل فاس السيد الطيب البياز ، فقال له القاضي هذا النسب الذي تنتسبون فيه الى الأنصار هل تنتسبون الى بعض المشاهير من صحابة الأنصار ؟ قال نعم ، قال الى من منهم ؟ قال الى عبد الله بن رواحة ، فقال له القاضي عبد الله بن رواحة ما عقب ، فقال له العامل السيد الطيب البياز

ومن ذكر انه ما عقب ؟ فسكت القاضي ، فلا ادري هل سكوته على يقين من ذلك او انما ترك ذلك خشية اللجاج انتهى ، وربما يكون انما اغتر القوم اهل فاس المذكورون لما سمعوا اطلاقَ البيازين على ربض غرناطة من الأندلس فتمسكوا بهذا اللفظ ، والا فالأصل البياسي كما قلنا ، وهو مسلم النسبة الأنصارية ، والله اعلم .

وقد ظهر بمجموع ما ذكرناه ان نسب القوم ءال ابي العشرين الى الأنصار قريب من الصحة جداً ، بل هو اصح من نسب البياز ومن كثير من الأنساب الطويلة المدى .

انتهى كلام كنسوس (172)

وقال في (الحسام المشرفي) فرفعة قدر بني عشرين بالعلم والعدالة وشهرة بيتهم الرفيع العماد فى القرن الثامن اظهر من نار على علم ، وامتدت شهرتهم الى قرننا هذا ، قلت وذكر الامام البخاري لابن ابي العشرين الراوي بالتعريف يصح ما قاله الشيخ القدوة العلامة ابوراس الناصري ثم المعسكري فى تأليفه (الحلل السندسية ، فى فتح الجزيرة الأندلسية) لما تكلم على بني العشرين بالتعريف وهم اهل صلاح وعلم ايضاً بكلام ضل عني لطول العهد ، فمن وجده فليطالعه ، وكلا البيتين له مجد اثيل ، واصل اصيل ، انتهى.

1610) **يصلتن بن داود الأغماتي** قال ابن الفرضى في تاريخ الأندلس ، قدم علينا قرطبة طالبـاً ، فسمع معنا من محمد بن يحيى بن عبد العزيز ء وعبد الله بن محمد بن علي ، والحسين بن محمد ، والخطاب بن مسلمة ، وغيرهم من شيوخنا ، وجمع كتباً عظيمة ، وكان صائماً اكثر دهره كثير الصدقة ، وخرج منصرفاً الى بلده فتوفى قبل وصوله اليه في جزيرة من جزائر الساحل سنة احدى وسبعين او اثنتين وسبعين وثلاثمئة (173)

---

172) **الجيش العرمرم الخماسي** 2 : 154

173) **تاريخ علماء الأندلس** ص 210 ع 1649

1611) **يعزى بن الشيخ ابى يعزى يلنور ابن ميمون** ، قال في التشوف : حدثني محمد بن احمد الزناتي قال سمعت محمد التاودي يقول : زرت ابا يعزى بايروجان ، فوجدته مريضاً ، فقلت له الازمك ؟ فقال لي الترجمان عنه اذهب الى اهلك ، فاذا رايتهم فارجع الي ، فلما وصلت الى فاس اتاني رسوله يستدعيني ، فأتيته فوجدته قد افاق من مرضه وعنده ثور اسود يدنو من ابي يعزى وهو يلحس جسده بلسانه ، ويمسح عليه ابو يعزى بيده ، ويقول أي ثور هذا لطعام يصنع منه ، وهو يعيد هذا الكلام وانا لا أفهم معناه ، فأقمت عنده اياماً فمرض ، وكان ابنه يعزى غائباً بمكناسة وابو يعزى يقول ادعوا لي يعزى ويشتد حرصه على رؤيته والناس يختلفون الى يعزى ويأبى من الوصول اليه ، فقمت اليه وقلت يابني ان الشيخ شيق الى رؤيتك ، فودعه قبل الفوت ، فقال اخاف منه ، فما زلت به الى أن تجرد من اثواب سنية كانت عليه ولبس دونها وجاء اليه وهو يبكي ، فقبل راسه ، فقال له تبْ الى الله تعالى بايعزى ، فقال له تبت الى الله تعالى يا أبت ، فقال له افتح فاك ففتحه فبصق فيه ابو يعزى بصقة ثم مات رحمه الله تعالى .

قال محمد التاودي فذبح ذلك الثور الأسود وصنع منه طعامٌ للناس ، وخلفه ابنه في مكانه ، وقد لاحت عليه شواهد الولاية ، ولقد حضرته الى ان جاءه رجل مقعد ، فمازال يتفل عليه الى ان برىء وقام سوياً ، ولحق يعزى بالأولياء من ساعته ، انتهى (174)

وقال في (المعزى) ومن اصحاب الشيخ ابي يعزى ولده الولي الصالح يعزى المدفون بأم ابتمد موضع اسمه بالعربية فم القلتة من عمل مراكش ، وكان في بدء امره من ابناء الدنيا واهل الرفاهية ، ولم يسلك طريق ابيه من الفقر ، فلما مات ابوه ظهرت عليه بركاته ، ثم حكى ماتقدم وقال قبل ذلك : وتوفى الشيخ ابو يعزى وترك اولاداً ، والمعروف منهم الذي يكنى به وهو أبو علي يعزى .

---

174) **التشـوف** ص 214 ع 85

1612) **يعزى بن محمد الصنهاجي** بسريرة صنهاجة ، كان رضي الله عنه رجلا صالحاً صوفياً ورعاً زاهداً ، له قدم راسخة في طريق القوم وعلومهم واحوالهم .

توفي رحمه الله بمراكش ودفن بكدية الأنوار عام ستة عشر والف .

ذكره الحضيكي في طبقاته (175)

1613) **يعـزى**

قال في (شمس المعرفة) حدثني سيدي محمد بن سيدي محمد المراكشي انه حدثه السيد الفاضل سيدي علي بن موسى الكنسوسي ان رجلا من اولياء الله يسمى سيدي يعزى كان يكاشف بأولياء الله ، يعرف الأرض ويعرف القوي من الضعيف ، وكذلك يكاشف بقرب الماء وبعده في الأرض ومسكنه ، واشتهر بها شهرة لا تخفى ، قال فأول ماجاء الى مراكش احدق به الفقراء يلتمسون بركته والدعاء منه ، قال فطلبنا منه الاسعاف والزيارة فأجابنا ، فقال اليوم يتبين لنا مَن هو المحق في دعواه ، ومَن هو على بصيرة في فتواه ، اما اهل الظاهر واما اهل الباطن ، قال فدخلنا معه لورضة سيدي الفلاح ولم نعلمه بأحدهما (176) فقلنا له اي الرجلين اقوى من صاحبي هذين القبرين ؟ فقال نور صاحب هذا القبر اقوى واشرق انواراً واضواء ودلنا على قبر الشيخ ، فقلنا الحمد لله على صدق اهل البصيرة والصلاح ، فقلنا لعله صادق ، وجئنا معه الى روضة هنالك دفن فيها علجان ، وهي مبهجة غاية ، فقلنا انظر اي هذين السيدين اقوى ، فقال ليس هنا سيد ولا سيدة ، ولم أر هنا سوى جنازتي كلبين ، فقام لهم دلائل في موضع واحد على تصديقه واستدلوا بذلك على تحققه في طريقه .

---

175) **طبقات الحضيكي** 2 : 351

176) كذا في الأصل ، ولا شك ان الناسخ اغفل جملا من الأصل المنقول منه .

1614) **يعزى بن موسى التملي** ، كان رضي الله عنه عابداً زاهداً ورعاً مجاهداً ، اخذ عن سيدي عبد الله بن المبارك المتوفى سنة 1015 وصحبه زماناً وخدمه ، قال كنت اسأل رجلا يعرف بالخير في بلدنا ان يريني ولياً حياً ، فقال لي عليك بفلان بمراكش ، فذهبت اليه فوجدته رجلا من اهل الأسباب ، فقلت فلان بعثني اليك ان تريني ولياً حياً ، فكنا بجامع الكتبيين ، فقال غداً يوم الجمعة يصلي فى هذا المكان ، فرصدته من الغد حتى جلس فيه سيدي عبد الله بن مبارك الأقاوي كان بمراكش اذذاك ، فحصل بذلك ثلاث فوائد ، فلازمته ، وتقدم هذا فى ترجمة سيدي عبد الله المذكور .

1615) **يعلى بن وين يوفى** الأجذم ابو عصفور ، تلميذ ابي يعزى ، وشيخ سيدي يوسف بن علي ، احد البدور الرجال السبعة ، اصله من مكناسة نزل حارة الجذمى خارج حضرة مراكش بباب اغمات ، وبها مات عام ثلاثة وثمانين وخمسمئة ، ودفن برابطة الغار هناك التي بها تلميذه سيدي يوسف المذكور ، وقبره ظاهر هناك ، وعليه رخامة رقم فيها اسمه ، وكان عبداً صالحاً .

قال في التشوف : سمعت محمد بن احمد الزناتي قال حدثني علي بن يحيى قال ذهبت انا والشيخ يعلى في جماعة الى عيسى بن عبد الله الايلاني ببلد ايلان فنزلنا عنده ، وكان عنده عنب كثير نشاهده ، فلم يقدم الينا منه شيئاً ، فقال بعضنا لبعض هلا قدم لنا شيئاً من هذا العنب ، فقال يعلى : لعل الله حماكم عنه ، فلما قضينا الأمر الذي وصلنا فيه اليه انصرفنا نسير الى ان وصلنا ارضاً مقفرة ، فقال لي يعلى اذهب الى مكان كذا وكذا وما وجدته فيه فأت به ، فذهبت الى ذلك المكان فوجدت فيه عنباً مجموعاً وليس بمكان عنب ، فأتيته به واكلنا منه الى ان شبعنا وتركنا منه كثيراً ، قال محمد بن احمد : وكان يعلى حاضراً فسمع كلام علي بن يحيى ويعلى يقول له لا تتحدثن بذلك ، وعلي يقول له والله لاحدثن به ، (واما بنعمة ربك فحدث) ، ولم يقطع الحديث حتى استوفاه (177) .

---

177) **التشوف** ص 258 ع 115

1616) **يعقوب بن حماد الأغماتي** ، الفقيه الحافظ من اهل تلمسان ، واصله من اغمات ، رحل الى مرسية فسمع بها من ابي علي الصدفي جامعَ الترمذي وغير ذلك في سنة 511 واسند ابن الأبار في المعجم من طريقه بسند عال حدث به سنة 523 بجامع تلمسان حديث الترمذي عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا اكل احدكم طعاماً فسقطت لقمته فليمط ما رابه منها ثم ليطعمْها ولا يدعها للشيطان (178)

1617) **يعقوب (المنصور) بن يوسف الكومي الموحدي (الخليفة)**

يعقوب بن يوسف بن عبد المومن بن علي الكومي الموحدي ، لقبه المنصور بفضل الله ، امه ام ولد ، مولده بقصر جده عبد المومن بمراكش سنة خمس وخمسين وخمسمئة ، نقش خاتمه على الله توكلت ، صفته ءادم اللون ، معتدل القامة ، اكحل الشعر ، واسع الأكتاف ، اقنى الأنف ، عالي العنفقة ، مدور الوجه ، افلج ، اعين ، له وفرة ، جواداً سمحاً ، شجاعاً شهماً عالماً بالحديث والفقه واللغة ، مشاركاً في كثير من العلوم ، محباً في العلماء معظما لهم صادرا عن رايهم ، كثير الصدقة ، يشهد جنائز الفقهاء والصلحاء ، كان يجيد حفظ القرءان ، ويحفظ متون الأحاديث ويتقنها ويتكلم في الفقه كلاماً بليغاً ، وكان فقهاء الوقت يرجعون اليه في الفتاوي ، وله فتاوي مجموعة حسبما دل اليه .... وكان الفقهاء ينسبونه الى مذهب الظاهر ، وقد شرح احوال سيرته وما جرى في ايام دولته تاج الدين السرخسي الوافد اليه بمراكش في كتاب التاريخ المسمى (عظة الذيل) وقد صنف كتاباً جمع فيه متون احاديث صحاح تتعلق بها العبادات سماه (الترغيب) ، اولاده الذكور أربعة عشر ، ولي الخلافة بعده منهم ثلاثة : محمد الناصر ، عبد الله العادل ، ادريس المامون .

بويع له يوم الأحد التاسع عشر لشهر ربيع الآخر سنة ثمانين وخمسمئة ، وهو اول من كتب العلامة بيده من ملوك الموحدين : الحمد لله وحده .

---

178) **معجم اصحاب الصدفي** ص 333 ع 314

في سنة خمس وثمانين تحرك الى الأندلس برسم غزو غربها ، وهي اول غزواته للروم ، فجاز اليها من قصر المجاز (179) الى الخضراء ، وذلك يوم الخميس الثالث من ربيع الأول سنة خمس وثمانين ، فارتحل عن الخضراء الى ان نزل على شنترين ، وشن الغارات على مدينة الاشبونة وانصرف الى العدوة بثلاث عشرة سفينة من النساء والذرية ، فوصل مدينة فاس في آخر شهر رجب الفرد من السنة المذكورة .

وفي سنة احدى وتسعين وخمسمئة خرج من مراكش الى الأندلس برسم غزوة اخرى هي الأراك ، حكوا انه لما جاز الى الأندلس وقرب من مدينة الأراك رأى من الغد في منامه كأن باباً قد فتح في السماء ونزل منه فارس على فرس ابيض حسن الوجه وبيده راية خضراء منشورة قد سدت الأفق من عظمها ، فسلم على المنصور بالله ، فقال له من انت يرحمك الله ؟ فقال انا ملك من ملائكة السماء السابعة جئت لأبشرك بالفتح من رب العالمين ، انت وعصابتك المجاهدين ، الذين اتوا تحت رايتك فى الشهادة راغبين ، ولثواب الله طالبين ، ثم انشده الأبيات :

بشائر نصر الله جاءتك سافره ... لتعلم ان الله ينصر ناصره
فأبشر بنصر الله والفتح انه ... قريب وخيل الله لاشك ظافره
فتفني جيوش الروم بالسيف والقنا ... وتخلي بلاداً لن ترى بعدُ عامره

وعن امر المنصور هذا بنيت منارة اشبيلية ومنار الكتبيين بمراكش وقصبة مراكش ومدينة رباط الفتح وجامع حسان ومناوه ، ومسجد القصبة بمراكش المعروف بالمنصور وبجامع المنصور وبنى المساجد والمدارس فى بلاد افريقية والمغرب والأندلس ، واجرى المرتبات على الفقهاء والطلبة على قدر مراتبهم وطبقاتهم .

(179) هو المعروف اليوم بالقصر الصغير بين سبتة وطنجة ، وكان يعرف ايضاً بقصر مصمودة .

ولما رجع من غزو الأراك سنة 591 ورد الشعراء ، يهنئونه من كل ناحية ، وكان كل واحد ينشد البيت والبيتين لا يتجاوزهما ، ولما انزلت رقاع القصائد تكون منها سور حال بينه وبين جلسائه .

وقال الشيخ الأديب الماهر احمد بن محمد ابن الونان الحميري الملوكي التواتي الفاسي المشهور بأبي الشمقمق :

وسم عدو الدين بالخسف وكن مثل أبي يوسف ذي التخبق
رد كتاب مَن دعاه للوغى منهم ممزقاً لفرط الحنق
وقال اني لا أجيب بسوى جيش عرمرم وخيل ذلق
وضرب القسطاط في الحين وقد احاط جيشهم به كالشوذق
وكان ما قد ابصروا من بأسه ابلغ من جوابه المشرق (180)

ولما اشتد به المرض قال ما ندمت على شيء فعلتُه الا على ثلاثة ، أولها ادخال العرب من افريقية الى المغرب ، والثانية بناء رباط الفتح وهو لا يعمر ، والثالثة اطلاق نصارى الأراك ولا بد لهم أن يطلبوا بثأرهم .

ثم لما رجع من الأندلس الى مراكش وبلغها قطع المناكر واقام العدل وباشر الأحكام ، وكان من اهل العدل والتوقيع في الجواب بأحسن توقيع .

وفي سنة خمس وتسعين امر المنصور بعمل الشكلة ، وجعل عصي اليهود طول ذراع في عرض ذراع ، وجعل لهم برانس وقلانس زرقاء ، وكانت خلافته اربع عشرة سنة وأحد عشر شهرا واربعة أيام .

توفي بعد العشاء الأخيرة من ليلة الجمعة الثانية والعشرين من ربيع الأول عام خمسة وتسعين وخمسمئة ، ودفن بمجلس سكناه من مراكش ، ثم نقل الى رابطة تينمل (فأقبر) لصق ابيه وجده .

---

180) **التخبق** : الرفعة والعلو ، **والخيل الذلق** : المتتابعة ، **والشوذق** : السوار ، **والمشرق** الممزق ، لأنه كتب في قطعة من الكتاب الذي مزقه (الجواب ما ترى لا ما تسمع) ، وانشد متمثلا ببيت المتنبي :

ولا كتب الا المشرفية والقنى ولا رسل الا الخميس العرمرم

(المؤلف) .

تنبيــه : زعم ابن خلكان وابن بطوطة وغيرهما ان يعقوب المنصور ترهب وانخلع من الملك ، وردد هذا غير واحد كصاحب النجم الثاقب فى ترجمة ابي مدين الغوث ، وصاحب نفح الطيب فى ترجمة السرخسي ، ونقل كلام الشريف الغرناطي فى شرح مقصورة حازم فى نفي ذلك ، وكرر ذلك فى محل ءاخر منه ، وقال فى (المغرب) كان أبوه يوسف قد استوزره فى حياته ، وخرج بين يديه وتمرس وهزم الفرنج الهزيمة الفظيعة ، وتولع بالعلم حتى نفى التقليد وحرق كتب المذاهب ، وقتل على السكر ، وحكى لسان الدين فى شرح (رقم الحلل) ان المنصور طلب من بعض اعيان دولته رجليْن لتأديب ولده يكون احدهما براً في دينه ، والآخر بحراً في علمه ، فجـــاءه بشخصين زعم انهما على وفق مقترح المنصور ، فلما اختبرهما لم يجدهما كما وصف ، فكتب الى الآتي بهما (ظهر الفساد فى البر والبحر) ، وناهيك بهذا دلالة على قوة فطنته ومعرفته رحمه الله تعالى .

فائــدة : قال في (تحية الأسلاف) حين ذكــر الرصادين ما نصه : ثم رصد المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المومن سلطان الموحدين ، بني سنة احدى وتسعين وخمسمئة بمدينة اشبيلية من بلاد الأندلس بمعرفـــة الحكيم ابي الليث السكلي وغيره ، وبقي الى ان هدمه بعض ملوك النصارى وصيره بيعة بعد ان مضى نحو خمسين سنة من بنائه . انتهى .

لطيفة : قال السرخسي بلغني ان قوماً من الغرباء قصدوه ومعهـــم حيوانات معلمة منها اسد وغراب ، اما الأسد فيقصده من دون اهل المجلس ويربض بين يديه ، وربما أومأ بالسجود ومد ذراعيه ، واما الغراب فكان يقول النصر والتمكين ، لسيدنا امير المومنين ، وفى ذلك يقول بعـــض الشعراء :

انس الشبل ابتهاجـاً بالأســـد ... ورأى شبَــه ابيـــه فقصـــد
انطلق الخالق مخلوقاتـــــه ... شهـدوا والكـل بالحـق شهـد
انك الخيـرةُ من صفوتـــــه ... بعد ما طال على الناس الأمـــد

فأعطاهم وكساهم واحسن حباهم .

قلت تقدم نحو هذا في ترجمة جده عبد المومن فراجعه .

قال السرخسي وبلغني ان قوما اتوه بفيل من بلاد السودان هدية فأمر لهم بصلة ولم يقبله منهم ، وقال نحن لا نريد ان نكون اصحاب الفيل .

انتهى .

ومن شعره ابيات كتب بها الى العرب :

ياايها الراكب المزجي مطيته	على تسقى بها الأكم
بلغ سليماً على بعد الديار لها	بيني وبينكم الرحمان والرحم
ياقومنا لا تشبوا الحرب ان خمدت	واستمسكوا بعرى الايمان واعتصموا
كم جرب الحرب مَن قد كان قبلكم	من القرون فبادت دونها الأمم
حاشى الأعاريب ان ترضى بمنقصة	ياليت شعري هل تراهم علموا
يقودهم ارمني لا خلاق له	كأنه بينهم من جهلهم علم
الله يعلم اني ما دعوتكم	دعاءَ ذي قوة يوماً فينتقم
ولا لجأت لأمر يستعابُ به	من الأمور وهذا الخلق قد علموا
لاكن لأجل رسول الله عن نسب	ينمى اليه وترعى تلكم الذمم
فان رضيتم فحبلُ الوصل متصل	وان ابيتم فعند السيف نحتكم

ترجمه في وفيات الأعيان ، والحلل ، وتاريخ الدولتين ، والجذوة ، ودرة السلوك ، ونفح الطيب ، والشذرات ، وراجع الجزء الأول من (صبح الأعشى) .

تنبيه : ذكر في (المقصد) في ترجمة العارف سيدي احمد بن العارف سيدي محمد بن الفاضل محمد بن عبد الله ابن معن الأندلسي المحتد الفاسي الاقبار والمولد ، انه من ذرية يعقوب المنصور الموحدي ، قال اخبرنا به غير واحد منهم من كبارهم ، ويعقوب كومي السلف ، مضري الأصل من قيس عيلان بالمهملة بن مضر كما ذكره جماعة من المؤرخين لدولتهم ، وهو الصحيح ،

واصله من خط حفيده الأمير عبد الواحد حسبما نقل ابن ابي زرع وغيره ، وقال بعض الأعلام المؤرخين ان يعقوب المنصور شريف النسب بن يوسف بن عبد المومن بن علي بن علوى بن يعلى بن مروان بن نصر بن محمد بن علي بن بن محمد بن القاسم بن ادريس بن ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن فاطمة وعلي رضي الله عنهما ، وسلف سيدي احمد رضي الله عنه ربما كانوا يذكرون شرف النسب لهم فيما بينهم ، ويمسكون عنه ولا يظهرونه حسبما اخبرنا بذلك اقاربهم وبنوهم ، ولعل امساكهم عنه وقع احتياطاً لما قيل ان يعقوب من قيس عيلان ، واوصى الشيخ سيدي محمد بن عبد الله والد سيدنا احمد رضي الله عنهما فيما بلغنا اولاده ان لا يذكروا القول بالشرف بـــل يدخرونه للآخرة ان كان ، وممن قال بشرف يعقوب المنصور الشيخ ابـــو القاسم السهيلي ألف فيه كتابـاً نسبه فيه الى النسب العلوي ، لكن قـال تلميذه ابو القاسم الملاحي في تاريخه لما عرف بالسهيلي اقصاه المنصور بسبب ذلك وابعده ، وقد اتفق للشيخ الولي الكبير حماموش دفين خارج باب الفتوح مثل هذا فى نسبه لكونه من ذرية يعقوب المذكور ايضا ، فقيد رسم شرف له بعلامات كثيرة ، ووقفت انا عليه مرفوعاً منه الى يعقوب ، ثم الى الحسن بن علي رضي الله عنهما ، كما تقدم فيه ايضاً انه لما اطلع على كتاب الفقيه العالم العلامة المؤرخ ابي العباس احمد بن ....

.... ما فيه من التنصيص على شرف يعقوب رسمه كذلك تبركاً رجاء ان يكون يعقوب من ءال البيت فيندرج فيه ، ولكل وجه ، والأول احوط ، وبالجملة فنسبهما اعني الشيخيْن سيدي محمد وسيدي علي على كل من القولين عربي ، واخبرنا صديقنا ومفيدنا السيد العالم سيدي المهدي بـــن احمد بن علي بن الشيخ سيدي يوسف الفاسي حفظه الله ان سيدنا احمد رضي الله عنه قال له يوماً وهو فى حالة فيض قبل لي يعني يقيناً ما نسبك ؟ فقلت عربي ، انتهى .

وتقدم في ترجمة جده عبد المومن الموحدي رفع نسبه الى قيس عيلان ، ثم الى عدنان ، وانه زناتي الأصل (181) .

1618) يعقوب بن عبد الحق المريني (السلطان)

يعقوب بن عبد الحق بن محيو بن ابي بكر بن حمامة بن محمد بن كرماط بن مرين بن ورتاجن بن ماخوخ بن وجديج بن فاتن بن يدر بن يجتف بن عبد بن ورثيت بن المعز بن ابراهيم بن شحيح بن واتيش بن يصلمتن بن مشرى بن واكيا بن وسيك بن المعز بن زانات بن جانا بن يحيى بن يمريت بن ضريس وهو جالوت الأول ملك البربر ، ابن زحيح بن مادغيس الأبتر بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، استولى على ملك الموحدين واجتث شجرتهم من فوق الأرض ، وورث سلطانهم ، وهو أول ملك مريني اجتمعت له السلطة التامة على المغرب ، واسس فاساً الجديد ، ومدرسة الصفارين بفاس الادريسية ، ومدرسة ابن يوسف بمراكش ، وكان له اهتمام بصنع المستشفيات للمرضى الغرباء والمجانين ، واجرى عليهم النفقات ، وامر الأطباء بتفقد احوالهم ، وهو باني دار الصناعة بسلا سنة 657 لتصنع فيها السفن الحربية ، وكان يذاكر العلماء في شهر رمضان ليلا الى الثلث الأخير ، وكان دخوله الى مراكش في يوم عاشوراء سنة ثمان وستين وستمئة لما اتته البيعة من اهلها ، ولمالك ابن المرحل المتوفى سنة 699 يهنئه بفتح مراكش قصيدة مطلعها :

فتح تبسمت الأكوان عنه فما ... رأيت املح منه مبسماً وفما

يكنى ابا يوسف المريني الزناتي ، امه حرة اسمها أم اليمن ابنة علي البطوئي ، كانت امه وهي بكر رأت القمر خرج من قبلها حتى صعد الى السماء

---

181) قصر المؤلف ـ الناقل تقصيراً شائناً في حق الخليفة العظيم يعقوب المنصور الذي بلغت الأسرة الموحدية بل المغرب به اوج عظمته ، وليته عمد الى بعض مصادره كالقرطاس او تاريخ ابن خلدون او الاستقصا فنقل منه معلومات جدية ومشرفة عن هذا السلطان الكبير ، كما فعل مع آخرين ممن هم دونه ، ولم يشغل نفسه وقراءه بنقل الأساطير المرفوضة عن نسبه المضري !

واشرف على الأرض ، فقصت رؤياها على ابيها ، فسار الى الشيخ الصالح أبي عثمان الورياغلي فقصها عليه ، فقال له ان صدقت فستلد مكلاً عظيماً . **مولده** في سنة سبع وستمئة على ما اخبرت به الحاجة ام اليمن والدته ابا العباس ابن الحر ، وقيل سنة تسع ، لقبه المنصور بالله ، صفته ابيض اللون ، تام القد ، معتدل الجسم ، حسن الوجه ، حليماً متواضعاً جواداً مظفراً منصورا ، ميمون النقيبة ، صادراً في احكامه عن رأي العلماء والصالحين . **قضاته** بفاس علي بن احمد المعروف بابن عزار ، ومحمد ابن عمران ، وعمر المزدغي ، وابو امية الدلاي ، وعلي ابن القاضي ابي عبد الرحمان المغيلي ، ويوسف بن الحكم البلنسي ، وبمراكش محمد الشريف ، وعبد العزيز العمراني ، ومن عماله محمد بن علي بمراكش واعمالها وجميع بلاد السوس ، وعلى اغمات وتنمل وجبالها الفقيه ابو علي الملياني .

بويع بالخلافة بعد وفاة اخيه ابي بكر بثمانية ايام ، وذلك في اليوم التاسع والعشرين من رجب الفرد سنة ست وخمسين وستمئة ، وفتح مراكش ودرعة وسجلماسة وطنجة وسبتة ووجدة ، وملك من بلاد الأندلس ما ينيف على الخمسين مسورا منها مالقة ورندة والخضراء وطريف والمنكب وبربالة واصطبونة وما بين ذلك من الحصون والقرى .

قال ابن خلدون عند كلامه على حصار المترجم لمدينة سجلماسة ما نصه : ونصب عليها هندام النفط القاذف بحصى الحديد يبعث من خزانه امام النار الموقدة في البارود بطبيعة غريبة ترد الافعال الى قدرة بارئها ، وهذا وقع سنة 672 قبل ان يستعمله الأوربيون بنحو ثلاث وسبعين سنة (182) .

وهو اول ملك حمى الاسلام من بني مرين ، ودوخ بلاد الروم ، واعز الله تعالى به الدين ، ورفع بدولته منارة المسلمين ، وكانت الروم قبل ذلك قد استطالت ايديهم فملكوا اكثر بلاد الأندلس ، ولم تنصر للمسلمين بها

182) **تاريخ ابن خلدون** 7 : 388 طبع بيروت

راية من واقعة العقاب التى كانت فى سنة تسع وستمئة الى ان جازت للجهاد رايته المنصورة ، وذلك فى عام اربعة وسبعين وستمئة ، فملك العدوتين الى أن اتاه اليقين ، وهو مظفر فى ملوك المسلمين ، ولما استقام له الملك خرج من مدينة فاس الى رباط تازة يستشرف على اخبار يغمراسن ابن زيــان ، فدخلها فى اول يوم من شعبان عام ثمانية وخمسين ، فأقام بها الى اليوم الرابع من شوال ، فوصله الخبر ان النصارى دخلوا مدينة سلا غدراً ووضعوا السيف في اهلها فقتلوا رجالها وسبوا نساءها ، وكان دخولهم اياها ثاني يوم من شوال منها ، فخرج من فوره مسرعاً لاستنقاذها مشمرا عن ساعد الجـد والاجتهاد ، وكان خروجه من رباط تازة بعد انصلّى صلاة العصر من اليوم الرابع من شوال المذكور الذى اتصل بالخبر فيه فى نحو الخمسين فارساً ، فأسرى ليلته تلك ، ومن الغد صلى صلاة العصر بظاهر سلا ، ونزل على من بها من الروم وتداركت عليه جيوش الاسلام فحاصرهم حتى اخرجهم منهــا قهراً ، وبعد ان اخرجهم بنى السور الغربي الذي يقابل الوادي ، لأنها كانت لا سور لها من تلك الجهة ، وكان يناول الحجر في بنائه بيده .

وفي هذه السنة ملك بلاد تامسنا ومدينة انفـا .

وغزوات هذا الملك لا حصر لها ، ورهــن الفنش لعنــه الله تاجــه لديه ، ولما وقع الصلح بينه وبين شانجه ملك اشبيلية يوم الأحد الموفى عشرين من شعبان سنة اربع وثمانين وستمئة امره ان يبعث اليه بما يجده فى بلاده بأيدي النصارى واليهود من كتب المسلمين ومصاحفهم ، فبعث اليه منها ثلاثة عشر حملا فيها جملة من الكتب ككتاب الله العزيز وتفسيره كابن عطية والثعالبي ، ومنها كتب الحديث وشروحها ، كالتهذيب والاستذكار ، وكتب الأصول والفروع واللغة العربية والآداب وغيرها ، فأمر رحمه الله بها فحملت الى مدينة فاس فحبسها على طلبة العلم بالمدرسة التي كان بناهــا نفعه الله تعالى بقصده .

وكانت مدته من اول ظهوره ثمانياً وعشرين سنة وستة اشهر وعشرين يومــاً .

وفي ءاخر ذي القعدة مرض السلطان يعقوب مرضه الذي توفي منه ، فلم يزل المه يشتد الى ان توفى بقصره من الجزيرة الخضراء فيضحى يوم الثلاثاء الثاني والعشرين من المحرم الذي من سنة خمس وثمانين وستمئة ، وحمل الى رباط الفتح فدفن بمسجد شالة ، والملك لله وحده .

ترجمه في القرطاس وابن مرزوق في المسند الصحيح الحسن ، والحلل ، والذخيرة السنية ، والجذوة ، ودرة السلوك (183) .

1619) يعقوب بن علي (ابي الحسن) المريني

يعقوب ابو عبد الرحمن بن السلطان أبي الحسن المريني (184) كان السلطان ابو الحسن رحمه الله عند ما نهض الى تلمسان اولا وثانيا ينتظر قدوم صهره السلطان ابي بكر بن ابي زكرياء الحفصي عليه لما كان انعقد بينه وبين ابيه ابي سعيد رحمه الله من الاجتماع على تلمسان والتعاون على حصارها ، ولما فتح ابو الحسن تلمسان في التاريخ المتقدم كان وزير الحفصيين الشيخ ابو محمد بن تافراجين شاهد ذلك الفتح ، قدم رسولا من عند مخدومه السلطان ابي بكر المذكور ، فأسر الى السلطان أبي الحسن بأن مخدومه قادم عليه للقائه وتهنئته بالظفر بعدوه ، فتشوف السلطان ابو الحسن اليها لما كان يحب الفخر ويعنى به ، فارتحل عن تلمسان سنة ثمان وثلاثين وسبعمئة ، وعسكر ببسيط متيجة منتظرا لوفادة صهره عليه ، فتكاسل الحفصي عن القدوم بسبب تثبيط محمد بن الحكيم من رجال دولته اياه عن ذلك ، وقال له ان لقاء سلطانين لا يتفق الا في يوم على احدهما ، فنكره الحفصي لذلك

---

183) قصر المؤلف ـ الناقل في حق يعقوب بن عبد الحق المريني مثلما قصر في حق يعقوب بن يوسف الموحدي ، وينظر عنه **الأنيس المطرب بروض القرطاس** ص 297 طبع الرباط ، **والحلل الموشية** ص 171 طبع الدار البيضاء ، و **الذخيرة السنية** ص 85 طبع الرباط ، و **جذوة الاقتباس** ص 556 ع 648 طبع الرباط ، و **نظم السلوك** ص 77 و **تاريخ ابن خلدون** 7 : 364 وليس في **المسند الصحيح الحسن** ترجمة للسلطان المذكور ، وانما ذكر فيها مرة واحدة اثناء الكلام على نسب بني مرين .

184) ابو عبد الرحمان كنية احد ابناء السلطان ابي الحسن المريني ، ذكر ابن خلدون خبر تمرده في تاريخه ، ولكن لا يعرف للسلطان ابي الحسن ابن اسمه يعقوب ويكنى بتلك الكنية ، ولا اعرف المصدر الذي اعتمده المؤلف في ذلك .

وتقاعد عنه ، وطال مقام السلطان ابي الحسن في انتظاره ، ثم طرقه بفسطاطه مرض ألزمه الفراش حتى تحدث اهل المعسكر بمهلكه ، وكان ابناه الأميران ابو عبد الرحمن وابـو مالك متنافسين في ولاية عهده منذ ايـام جدهما ابي سعيد ، وكان ابوهما قد جعل لهما لأول دولته القاب الامارة واحوالها من اتخـاذ الوزراء والكتاب ووضع العلامـة وتدوين الدواوين واثبات العطـاء واستلحاق الفرسان ، وانفراد كل بعسكره على حدة ، وجعل لهما مع ذلك الجلوس بمقعد فصله مناوبة لتنفيذ الأوامر السلطانية ، فكانا لذلك رديفين له في سلطانه .

ولما اشتد وجـع السلطان في هذه المـرة تمشت سماسـرة الفتن بينهما وتحزب اهل المعسكر لهما حزبين وشوشوا بواطنهما ، فبث كل واحد منهما المال وحمله على القرابات ، وصار الجيش شيعاً ، وهمَّ الأمير أبو عبد الرحمن بالتوثب على الأمر قبل ان يتبين حال السلطان باغراء وزرائه وبطانته بذلك ، وتفطن خاصة السلطان لما وقع فأخبروه الخبر وحضوه على الخروج الى الناس قبل أن يتفاقم الأمر ويشيع الخرق ، فبرز السلطان الى فسطاط جلوسه ، وتسامع اهل المعسكر به فازدحموا الى بساطه وتقبيل يده ، وتقبض على اهل الظنة من الجيش فأودعهم السجن ، وسخط على الأميرين ، وامر برحيل مَن كان معهما من الجند فردهم الى معسكره ، ثم رجع الى فسطاطه وطفئت نار الفتنة وسكن سعيُ المفسدين ، وابتعد الناس على الأميرين المذكورين فبقيا اوحش من وتـد ، فاشتد جـزع الأمير ابي عبد الرحمن وركب من فسطاطه وخاض الليل فأصبح بحلة اولاد علي امراء بني زغبة من هلال الموطنين بارض حمزة ، فتقبض عليه اميرهم موسى بن ابي الفضل ورده الى ابيه فاعتقله بوجدة ، ورتب العيون لحراسته (الى ان قتله بعد ذلك سنة 742 هـ) ، ولحق وزيره زيان بن عمر الوطاسي بالموحدين اصحاب تونس فأجاروه ، ورضي السلطان صبيحة فرار ابي عبد الرحمان عن اخيه ابي مالك ، وعقد له على ثغور عمله بالأندلس وصرفه اليها ، وانكفأ راجعاً الى تلمسان والله اعلم (185) .

---

185) **تاريخ ابن خلدون** 7 : 538

1620) يعيش ابن القديم الأنصاري

يعيش بن علي بن يعيش بن مسعود ابن القديم الأنصاري ، من اهل شلب ، يكنى ابا البقاء ، قرأ القرءان ببلده على عقيل (بن العقل) وأبي عمران بن زكرياء وغيرهما ، وقرأ الحديث والآداب على محمد القنطري الشلبي ، واجاز له عمرو ابن حجاج وابن بشكوال وابو عبد الله ابن زرقون وعبد الله ابن عبيد الله وغيرهم ، ورحل عن شلب حين تغلب العدو عليها فاستوطن مراكش ، ولقي بها ابا ميمون العبدري ، ثم رحل عنها بعد مدة واستوطن مدينة فاس ، ولقي بها القاضي محمد ابن الرمامة ، والقاضي علي بن الحسين اللواتي ، ومحمد ابن خليل القيسي ، وابن عديس ، واخذ عن جماعة غير هؤلاء ، والف في القراءة وفي فضائل مالك وغير ذلك ، وكتابه سماه بـ (الشمس المنيرة ، في القراءات الشهيرة) ، وشرح في حديث بادنة بنت غيلان جزءاً .

حدث عنه علي ابن القطان واحمد النباتي وابو بكر بن عمر ، وكان شيخاً مباركاً مقرئاً للقرءان معمورا بنية صالحة في وقته .

توفي سنة ست وعشرين وستمئة .

روى عنه ابو اسحاق ابن الكماد الحافظ ، واحمد ابن فركون وابو عبد الله بن سعيد الطراز وغيرهم ممن يطول ذكرهم .

نقله في الجذوة ، وبه ختم تراجمها (186) .

وتقدمت ترجمة شيخه ابي القاسم القنطري في المحمدين كما تقدمت ترجمة شيخه ابي عبد الله ابن خليل تمه ، وتقدم في ترجمة ابي الحسن مجاهد أن المترجم لقيه بمراكش ، وذكره في ترجمة محمد بن يوسف ابن مسدى المهلبي المتوفي بمكة المشرفة سنة 663 من الديباج في جملة شيوخه ، اخذ عنه بفاس ، وذكر في الجذوة في ترجمة ابراهيم ابن العشاب ان المترجم من

186) **جذوة الاقتباس** ص 564 ع 658 و **التكملة** ص 419 (مخطوط الخزانة الحسنية الملكية بالرباط) .

جملة مَن روى عنه ، وفي ترجمة محمد بن ابراهيم بن فتوح ابن مكحول الاشبيلي المتوفى في نحو 570 ان المترجم ممن روى عنه لما ترجم لشيخه علي اللواتي المتقدم المتوفى سنة 573 وذكر في ترجمة علي بن احمد بن علي الأنصاري الطليطلي المتوفى سنة 582 ان المترجم من جملة مَن روى عنه ، وفي ترجمة عبد الملك الأزدى المتوفى بمدينة فاس ان المترجم حدث عنه .

1621) **يعيش بن شعيب السقطى** ، قال فى عنوان الدراية ما نصه : ووقفتُ على مثل هذا المعنى فى ملخص من (المنتخب المقرب ، فى ذكر بعض صلحاء المغرب) (187) .

1622) اليسع بن عيسى ابن اليسع الغافقي

اليسع بن عيسى بن حزم بن عبد الله بن اليسع بن عمر الغافقي الجياني من اهل جيان ، وسكن ابوه المرية وبها نشأ هو ، المحدث الحافظ المقرىء النسابة ، اخذ القراءات عن ابيه وابي العباس القصبي وابي القاسم ابن ابي رجا وابي الحسن شريح ، وسمع منهم ومن ابي عبد الله بن زغيبة صحيحي البخاري ومسلم ، ومن ابي الحسن ابن موهب السنن لأبي داوود ، وابي الفضل بن شرف وابي عبد الله بن اخت غانم ، وسمع البخاري من ابن هذيل سنة اربع واربعين ، ولقي ببلنسية عمر بن واجب وابراهيم ابن خفاجة الشاعر ، واجاز له باستدعاء ابيه ابو عبد الله ابن الفراء وابو علي الصدفي وابو محمد بن ابي جعفر وابو محمد ابن عتاب وابو عمران بن ابي تليد وجماعة ، ورحل واستوطن الأسكندرية ، وكان فيها سنة 570 ثم رحل الى مصر واشتمل عليه الملك صلاح الدين ابو المظفر يوسف بن ايوب ورسم له جارياً يقوم به ، وكان يكرمه ويشفعه في مطالب الناس ، لأنه كان اولَ مَن

187) ذلك كل ما ورد عن يعيش بن شعيب البكري السقطي في الأصل ، وبمراجعة **عنوان الدراية** ص 50 نجد الغبريني صاحبها ينقل في ترجمة ابي عبد الله العربي حكاية عن يعيش المذكور ، والحكاية المذكورة عديمة الأهمية ، وهي مذكورة ايضاً في ترجمة رجل مجهول ! من المجاهيل الذين يعرف بهم ابن الزيات التادلي في **التشوف** ، فليراجعها من يضيع وقته ، فهي في صحيفة 466 منه ، ولعل الغبريني يعني بكتاب **المنتخب المقرب** كتاب **التشوف** المنقولة منه الحكاية او مختصراً له .

خطب على منابر العبيدية عند نقل الدعوة العباسية ، صعد المنبر والاغزاز حوله وسيوفهم مصلتة خوفاً من الشيعة ان ينكروا فيقوموا ولم يجسر احد على ذلك حين تهيبه سواه ، وابتنى بمصر داراً على شاطئ النيل ، وجعل بها اسطوانا يزار فيه ، وكان فقيهاً مشاوراً مقرئاً محدثاً حافظاً نسابة من ابدع الناس خطاً ، وله تاريخ سماه (المغرب ، في محاسن المغرب) ، قال ابن الأبار : وهو متهم في هذا التاليف ، حدثنا عنه ابو عبد الله التجيبي واكثر خبره عنه ، وقال توفي بعد انصرافي في رجب سنة 575 خمس وسبعين وخمسمئة ، وكان مسناً ، روى عنه ابن المفضل المقدسي ، وابو القاسم الصفراوي ، وجماعة ، رايت تاريخه ، انتهى (188) .

قال في (الحلل) قال ابن اليسع وما خرجت انا من مراكش في سنة ثلاث واربعين وخمسمئة الا وهذا البستان الذي غرسه يعنى بستان المسرة الذي غرسه عبد المومن بن علي يبلغ بيع زيتونه وفواكهه ثلاثين الف دينار مومنية على رخص الفواكه بمراكش . انتهى .

وقد تقدم هذا مع ما يتبعه في المقدمة فراجعها .

وقد ترجم لوالده عيسى في (بغية الملتمس) وفي (التكملة) ، كما ترجم للمترجم ابن الأبار في التكملة والمعجم ، وسكت عن تضعيفه في المعجم ، وصرح به في التكملة .

وقال الذهبي في الميزان مانصه : اليسع بن عيسى بن حزم الغافقي ، قد تكلم في نقله ، ويظهر على عبارته مجازفة ، وله تواليف وادب وفنون ، كان في زمن السلفى .

وقال الحافظ في (لسان الميزان) وقد روى اليسع المذكور عن ابيه وشريح وابن موهب الجذامي وابراهيم ابن خفاجة الشاعر ، واجاز له ابن عباس وابن ابي تليد وجماعة ، وتحول الى الأسكندرية ، ثم رحل الى القاهرة

---

188) **التكملة** ص 744 ع 2112 طبع مدريد ، و **معجم اصحاب الصدفي** ص 334 ع 315

فأكرمه السلطان صلاح الدين . ورسم له جارياً يقوم به ، وله تصنيف سماه (المغرب ، في محاسن المغرب) ، روى عنه ابو عبد الله التجيبي وابو الحسن ابن المفضل ، وأبو القاسم ابن الصفراوى وءاخرون ، مات في رجب سنة خمس وسبعين وخمسمئة .

وذكر في نفح الطيب نقلا عن الفتح ابن خاقان ذا الوزارتين ابا الحسن بن اليسع القائد ، وقال في ترجمة اليسع المترجم : ومنهم اليسع بن عيسى بن حزم بن عبد الله ابن اليسع بن عبد الله الغافقي من اهل بلنسية ، واصله من جيان ، وسكن المرية ثم مالقة ، كتب لبعض الأمراء بشرقي الأندلس ، وله تأليف سماه (المغرب ، في اخبار محاسن اهل المغرب) جمعه للسلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب بالديار المصرية بعد أن رحل اليها من الأندلس سنة ستين وخمسمئة ، وبها توفي يوم الخميس التاسع عشر من رجب سنة خمس وسبعين وخمسمئة رحمه الله تعالى .

وذكره في (حسن المحاضرة) في المقرئين الذين كانوا بمصر ، وذكره في (الشذرات) .

ثم وقفت على معجم السفر للحافظ الامام ابي طاهر احمد بن محمد الأصبهاني الشهير بالسلفي دفين الاسكندرية بجنب القاضي سند بالقرب من مسجد الطرطوشي فوجدته قال فيه ما نصه : انشدني اليسع بن عيسى بن حزم بن اليسع الغافقي الأندلسي بديار مصر لنفسه :

قل لمن تـاه بدنيـا ساعدتـــــه ۔۔۔ وترقى فـوق افـلاك المعالـــــي
ذاك قطب يقلب العالي سـفــــلا ۔۔۔ ويرد السفل في الأغلب عـالـــي
لو توسطت سمـاه كنت نجمـــــا ۔۔۔ ءامنا من صرفـه في كل حـــال

وبخطه رضي الله عنه سمعت الشريف الواعظ بالأسكندرية يقول قال فرعون انا ربكم الأعلا اهمله الله لأنه كلام مجمل ، يقال رب الدار ورب البيت ، فلما قال (ماعلمت لهم من الاه غيري) وجاء بما لا يحتمل التاويل اهلكه الله بلا مهلة وغرقه .

سمعت الشريف الواعظ بالاسكندرية يقول : لما قال فرعون (انـا ربكم الأعلا) اهلكه الله ولم يمهله ، وامهل ابليس بقولـه (خلقتني من نـار وخلقته من طين) .

وسمعته يقول اقرّ ابليس بالعبودية فقال (انك من المنظرين) ، وادعى فرعون الربوبيه فكان من المغرقين ، يعني بذلك قول فرعون (انـا ربكم الأعلا) وقول ابليس (خلقتني من نار) الى ءاخر ما وجد من معجم السفر بخط الامام الحافظ ابي طاهر الاصبهاني في جزازات ، ولله الحمد والمنة . انتهى .

وهذه النسخة التي كتبت منها نسخة لمحدث العصر السيد عبد الحي الكتاني من نسخة كتبت سنة 1239 وهي بمكتبة شيخ الاسلام عارف بالمدينة المنورة ، قال مالكها ولا اعلم في الدنيا نسخة اخرى فيه دون هذا الفرع اصله .

1623) يونس بن عثمان المازندراني

يونس بن مهذب الدين عثمان ········· نجم الدين المازندراني ، روى عن اخيه ، وقدم الأندلس ·········· باشبيلية خلف بن عبد العزيز القبتوري ، واجاز الى ············ عاد منها الى الأندلس ، واصحبه الكاتب الأبرع ابو عبد الله ابن الجنان ············ الاعلام بقصده للشيخ الأوحد سهل بن ملك رحمهم الله ، وهي :

سرى النجم نجم الدين للغرب قاصداً ... من الشرق كي يلقى سراج المعارف
فقلت لـه يانجـم بلغ تحيتـي ... وذكري وشكري للندى والعوارف
وزر في ربا مجد ديار ابن مالـك ... تجدْ كل مجد من تليد وطـارف
وخيمْ لدى سهل فسهل جنابـه ... رحيب لجواب الفلا والتنائـف
وقرَّ اذا تلقـاه عينـاً بقربـه ... فسوف يرى لقياك احدى اللطائف
وخذ عنه ما ترويه ان جئت مكـة ... لكل ملب بالمشاعـر طـائـف
وصف لبني السبطيْن قومك فضله ... فياحسن موصوف وياحسن واصف

كتابي الى المجلس العلمي السني السني ، زاده الله تكريماً وترفيعاً ، وابقى للعلوم ببقائه تأصيلا وتفريعا ، وحرس جانبه فلا يزال بالعز منيعاً وبالسعة مريعاً ، كتاب يتشرف بالمحمول اليه والحامل ، وتغبط النفس فيه حظ الطرس وخط الأنامل ، ذلكم بأنه خاطبت به اشرف المجالس النيرة المقابس ، المحيية رسوم الفضل الدارس ، وبعثته مع كبير من الشرفاء اهل البيت النبوي ، وذوي المناسب الأطايب من ذرية التبول والوصي ، وهو الشريف السيد الأوحد الصدر العلي الأكمل ، الجليل الأفضل ، نجم الدين الحسني حفظ الله رتبةَ شرفه ، وصلى على المجتبين من سلفه ، وان هذا المنتمي الى المجد الباهر العليا ، والجد الخاتم ديوان الأنبيا ، لتظهر عليه بركات يستمدها من عنصرها ، وتسرى اليه من اسرة الرسالة ومعشرها ، فمن كمال انساني ، وجلال نفساني ، وءاداب حكيمة ، وءاثار مضيفة وصية حسنة حسنية ، فان تكلم فكلامه شرك العقول ، وان رسم في القرطاس تحير التفضيل بين المرسوم والمعقول ، وبالجملة فسترون منه كل ما رقّ .... ولما رمت به النوى الغربة الى بلاد المغرب وهي .... وما استحسنها ، واستوبأ هواءها ، واستوبل اهواءها ، و .... من الأرواح وسماحها قد غاض فلم يبق بلل من سيحه بالسـ .... واسترجاعه ، وقال اين رونق كان قد قرع الأسماع سماعه .... ما هنالك ، وغيرت الغير المسالك والممالك ، الا ان الله ابقى .... التي هي للفضائل بذلك ، وحسنتها التي هي نور في الليالي الحوالك ، .... فمن تعنون ؟ قلنا ابو الحسن سهل بن مالك ، سيد يفاخر به اقليمه الأقاليم ويباهي ، ويوجد الجود في ماله وهو الآمر الناهي ، وتوخذ عنه من شريعة جدك عليه السلام الأوامر والنواهي ، فقال وجدي لأعودنَّ الى ارضه حثيثَ الركاب ، مستسهلا في طلب الأنس به وحشة القفر اليباب ، حتى احل بمغناه ، واحصل من كماله على فائدتيْ لفظه ومعناه ، فقلنا هديت يانجم سائراً وسارياً ، وسوف تلقى صباح المجد المنير لا محتجباً ولا متواريا ، فتحمد سراك ، وتشهد للمغرب ان شاء الله بحسن ما اراك ، وعند ما ثنى نحو ذلكم الربع الآهل العنان ، واحب ان يرد صفوتكم المناهل ليعلم الأثر والعيان ،

اصحبته هذه المخاطبة لتشرف بصحبته ، وتمجد باضافة تحمله لها ونسبته ، وقد اودعت شرفه ودائع اخلاص ، وبدائع اختصاص ، يتفضل بتبليغها ، وتلقيها بلاغته الى فصيح الدنيا وبليغها ، واني لأرجو ان اسعد منكما بين سعيدين ، وان نجد جميعاً الرحمة مبسوطة بحب بني السبطين ، والله تعالى يصل اسباب الرجاء في فضله العميم ، ويصلي على محمد وعلى اهل بيته الكريم ، وهو سبحانه يديم لكم ايها السيد الأعلا علو المراتب ، ومتلو المناقب ، ويمتع الوجود منكم بالعلم المُناكب ، لأوج الكواكب ، بمنه .

ولما ورد غرناطة لقي بها سهل بن مالك ، فشاهد منه الجلال يعبق نشره ، والاقبال يتألق بشره ، والنوال يتدفق بحره ، والكمال اربى على خَبره خُبره ، ولما ارتوى من لقائه ، واحتوى على ما استفاده من تلقائه ، كرَّ راجعاً الى سبتة مؤملا الوفادة على حضرة مراكش ، وكان بسبتة حينئذ الشيخ علي الرعيني ، فسأل .... مراكش فوعده بذلك ، ثم شغله عنه شواغل ما .... الى مراكش ، فكتب نجم الدين اليه يستنجز وعده :

.... اذا نُسينا	ونكتب كلما غفل الكرام
.... لم ترضع فتاها	مع الأشفاق لوسكت الغُلام

(فأجابه) ابو الحسن (الرعيني) :

(فعذراً) يابن خير الخلق طرا	فان العُذر يقبله الكرام
....	....
ولاكن عاقني شغل توالى	ففي اليد والفؤاد له ازدحام

واصحبه ابو عبد الله ابن الجنان ايضاً رسالةً الى ابي المطرف ابن عميرة وهو قاض بسلا ورباط الفتح يعلمه بشانه ، ومحله من الفضل ومكانه ، وهي هذه :

ايا راكباً نحو الرباط ولي به	حبيب" رباط الصبر حل لبعده
رويداً اودعْك السلام رسالة	الى وده فامنُن علي واده

وبتَ وقيت البت ءاثارَ لوعتـــي ووجدي وما بي من غرام لمجـــده
وقل يابن عمي لو رايت الذي بـه لفقد التداني كنتَ تخشى لفقـده
وبالله يانجلَ الشفيـع شفاعـــة ليحفظ قلبي لا اقـول بــــرده

كتابي هذا يحمله الى سيدي الحامل من العلوم لواءها ، ومن المكارم اعباءها ، ابقى الله كماله محروس السنا ، مانوس الفنا ، مقبوس الأضوا ، نجم في الآفاق سار ، وفي مطالع الاشراق مع الخنس الجواري جار ، وهو نجم الدين ابن مهذب ، الشريف الذي سبق بشرفه محل السيد الذي تعز قريش بسيادته ، وتقرُ عين المجد النبوي والجد العلوي بمجادته ، زاده الله تألقاً وسنا ، وقدس ابويه عليا وحسناً ، وانه لذو شيم علوية ، وحكم نبوية ، وءاداب محاسنها تجمع محاسن الزمن ، وصنعائها تطلع في القرطاس صنعة صنعاء اليمن ، ومع ذلك رقة كرقة النسيم ، وعذوبة كعذوبة التنسيم ، وما شاء الشرف من خُلق سني ، وخَلق حسني ، وهمة تكلف بالعليا ، وتعتسف المجاهل لتعلم اعلام الدنيا ، ولما سمع وصف ذلكم الكمال فراقه ، استسهل بتدانيه نزوحَ الوطن وفراقه ، فتحمل اليه ليحمل عنه ما يتحف به حجازه وعراقه ، وحين اخبر بانتمائكم لذلكم الحي من قريش قال ايش ....
.... ابن العـم فياطيب العيش ، اسن بقرباه وقربه ، .... فقلت له عند ما ازمع السير ، وقال املي لقاء اخي .... يانجم على من يكتحل بسناك ، ويقول عند لقياك ، تبارك من .... فبجدك الرسول صلوات الله عليه وسلامه ، وبأهل البيت الذين بهم .... ومقامه ، اذا استقرت بك منازل قاضينا الفاضل وخيامه ، وتجارى .... اولى المحبة كلامك وكلامه ، فقرر عنده ماعندي وثبته ، واغرسه في ثرى .... لديه وانتبه ، وقل له هو فيك كما عهدته متشيع ، ويرفض ما سوى امانتك في .... متشرع ، ليعلم ان الأيام لم تكدر صفاي ، ولم تنقصْ وفاي ، ولم تنقض عهد ....فضمن لي التبليغ الذي يرضيني ، وتكفل بأكثر مما يقوله لساني وتخطه يميني ، فقلت الآن بلغت بغية وسولا ، وشرفت بأن وجهت اليكم من ابن عم الرسول رسولا . فالحمد لله عليهما نعمة جلَت صورة

فرحي ، وتلت سورة مقترحي ، وهذا الشريف الماجد ، المنسوبة اليه المحامد ، مليء بأخبار المشرق المشرق ، والشرق الشرق ، فخذوا عن العدل من بني السبطين حديث الشرقين ان شاء الله .

ولما احتل برباط الفتح شاهد من قاضيه ابي المطرف روض الأنس ، ومنى النفس ، وحسب الوارد الوافد ، وعلم السراوة جُمع في شخص واحد ، وتشوف للوفادة على حضرة مراكش منتهى الرغائب ، وجامعة أشتات الغرائب ، السائرة الذكر في الآفاق ، المسلية ببهجتها وضخامة مملكتها عن دمشق الشام وبغداد العراق ، فأصحبه ابو المطرف كتباً وتعريف اعلام ، الى بعض مَن بها من السراة الاعلام ، فكتب الى رئيس الكتاب ، وعميد الآداب ، وجامع ضروب الاحسان ، ابي العلاء محمد بن ابي جعفر ابن حسان :

يابن الوصى اذا حملتَ وصيتي ... اوجبت حقاً للحقوق يضاف
وتحيتي كل التحايا دونها ... وكذاك دون رسولها الأشراف
احسنْ بأن تلقى ابن حسان بها ... مهتزة لورودها الأعطاف
كالروض باكره الندى فلعرفها ... يابن النبي على الندي مطاف
وعلاك ان ابالعلا ومكانه ... يلقى به الاسعاد والاسعاف
مَن فيه للزور ارتياحةُ ماجد ... من زورها وابيك لستَ تخاف
وأحق مَن عرف الكرام بوصفهم ... مَن جمعت منهم به أوصاف

هذه ياسيدي تحية ، تجب لها اجابة وحية ، وتصلح بها هشاشة واريحية ، اودعتُها بطنَ هذه العجالة ، وبعثتها مع صدر من ابناء الرسالة ، ولله دره من راضع در النبوة ، متواضع على شرف الأبوة ، نارعته طرف الأشعار ، واطراف الأخبار ، فوجدت بحراً حصاه الدر النفيس ، وروضاً يجتني منه اطايبَ الثمر الجليس ، وينعت بنجم الدين ، وهو كنعته نجم يضيء سناه ، ويحل بيتاً من الشرف ربه بناه ، وقد جاب الفضاء العريض ، ورای القصور الحمر والبيض ، وورد الحجون ، بعد ما شرب من ماء جيحون ، وزار مشاهد الحرمين ، ثم سار في أرض الهرمين ، وطوى غيرها لهذا الأفق مختارا ، وعبر الى الأندلس فأطال اعتبارا ، وتشوف الى مطلع الأنوار المفاضة ، والنعم

السابغة الفضفاضة ، وجعل قصدها لحجة سفره طوافَ الافاضة ، وهمه ان يشاهد سناها العلوي ، ويبصر ما يحقر عنده المرئي والمروي ، وهي غاية يقول الأمـل عليها اطلتُ حومي ، وجنـة يتلو الداخل اليها ياليت قومي ، وسيدي الأعلا هو منها باب" على الفتح بني ، وجناب" عنانُ الأمل اليه ثني ، وقصده من هذا الشريف اجل قاصد ، واظلته سماء المجد بجمال المشتري وظرف عطارد ، ومتى نعتناه فالخبر ليس كالعيان ، وان شبهناه فالتمويهُ بالشبه عقوق للعقيان ، ومن يفضح قريحته بأن يقول لها صفيه ، لاكن هو يعرب عن نفسه بمـا ليس في وسع منصفيه ، ويقتضى من عزيمة بـره ما لا سعة للمترخص فيه ، ان شاء الله .

وكتب الى قاضي القضاة ، واسنى موصوف بالشيم المرتضاة ، بحر الندي وبدر النادي ، ابي اسحاق بن ابي زيد المكادي :

أن يقض جمعك بالكريم المرتضى	قاضي الجماعة فالمنى لك تقتضى
حكمت معاليـه لقاصـده بـمـا	يبغي وحاش لحكمه ان يُنقضـا
ولأنت ياابن الطيبين احـق مَـن	بالبر والفضل المبـر لـه قضـا
احببت من سادات قومك قدسـوا	في الفضل والأدب الوصي مع الرضا
واعدت فخر المعدن الحسنيٍّ فـي	باقي الزمـان كعهده فيما مضـى
انتم وحق البيت ءال البيت قـد	البستمُ الشرف النقي الأبيضـا
وابوكم سـأل المـودةَ فيكـم	صلى عليه الله مـا قمـر" اضـا

يرد على سيدي قاضي القضاة ، الفذ في شيمه المرتضاة ، من هذا الشريف الأجل ، المبارك الأطهر الأكمل ، نجم الدين بن مهذب الدين ، وقاه الله الأفول ، وابقاه فرعاً يحيي تلك الأصول ، نظير النجم سنا منيراً ، وسرى ومسيراً ، وحياه الله من ذي محيا بشره للوحشة طارد ، وظرفه كأنما استملى منه عطارد ، يروى من الآداب عيونها ، ويجلو من المحاسن ابكارها وعونها ، وقد راض من المسالك ما استعصى ، وانتهى من المغرب الأدنى الى المشرق الأقصى ، حتى كأنه اراد ان يبلغ حيث بلغ ذكر مجده ، او يفرغ من ساحة ما كان زرىء لسيد الأولين والآخرين جده ، وله في معاني التجوال ، ومعاناة الأهوال

قصص انما يتأدى برونقه ، من عذوبة لفظه ومنطقه ، فاذا جاذبه سيدي اطرافه ، وهز بالاصغاء اليه اعطافه ، رأى صدراً نمته سادة سراة ، وبحراً متى يطعمه قال هذا عذب فرات ، وانما هو حسب وضاح كقمر الدجنة ، ومجد طالبي من شيعته ذلك الجلال الماضي على سنن السنة ، يقسم لـه محبة في ابـي القاسم من بره ، ويدري قدره فلا يفطم ابن فاطمة من دره ، ان شاء الله تعالى .

وكتب الى نقيب الطلبة ، وصاحب القلم الأعلا من الكتبة ، ابي زكرياء الفازازي :

لك الخير لا تخلها من قبـــــول	وخل لها نفحـات القَبـــــــول
وخـذهـا تحيـــةَ مستأنـــس	يسلم بالبـاب قبل الدخــــول
اذا وصلتك فـابـرزْ لـــهـــا	من البر صفحةَ بَر وَصـــــول
وكـن مع من لا يـرى برهـــــا	كسهم المحب وعـذل العــــذول
فان شفيعي لها ابـن الشفيـــع	وان رسولي بها ابـن الـرســـول

صلى الله على نبينا محمد وءاله ، ورزقنا من بركة المحبة فيه وفي ذويه ما نلظ بسؤاله ، والمشار اليه تولاه الله بحفظه من رقعتي وتحيتي تردان من يده ولفظه ، وهو الشريف الأجل ، المبارك الأطهر الأسنى الأكمل ، نجم الدين بن مهذب الدين ، وانه النجم في اوجه ، والبحر متدفقاً بموجه ، شرف الى سماء الكرماء مرقاه ، وادب" من ماء الكوثر سقاه ، وكأطايب الثمر تخيره وانتقاه ، فهو من المجد في بحبوحته ، ومع الدهر متقلب في ارجوحته ، سل به المنازل والمناهل ، والمعالم والمجاهل ، والعراق ورافديه ، والحجاز ووافديه ، طالب ربح في ماله ، وباغى ثواب لمثاله ، وان شاء سيدي باحثه عن حدثان الدهر ، وحديث ما وراء النهر ، ورفع الرواية منه الى عليم ، وكتب بقلمه قصة كـل اقليم ، فقد خبـر الخابـور ، وسبر نـاس نيسابور ، وعايـن خراب بخارى ، ودار حيث كان ملك دارا ، وطاف بمكة اول تربة مست جلدة جـده ، وحـل بيثرب مأواه المشـرف بقصـده ، ورأى القـــدس ومسراه فسبحـان الذي اسرى بعبده ، ولقـد جـاور جيرون ، بعد مـــا شرب من جيحون ، وقطع مابين مصر ونيلها ، وغرناطة وشنيلها ، فترون

منه ان شاء الله مَن جاب المسالك والممالك . وتشوف مـا هنا وهناك ، واحب ان تكـون حضرة الامـامـة ايدهـا الله لحسـاب مـا عايـن بذلك ، وما ثمر الجنة من سائر التمر ، وما ينطر الى السها الا ساه عن القمر ، وأي مذنب يذكر مع البحر ؟ ام اي يوم يقاس بيوم النحر ؟ وسيشاهد المعالم المقدسة شرفها الله بعين تدري قدر ماتعاينه ، ويصفها بلسان لو اعاره لوصفت به محاسنه ، ولسيدي الأعلا عادة ان يضم اليه مَن اعلق به رجاءه ، ويكرم كريمة قوم اذا جاءه ، وهذا بلا ارتياب كريمة الكرام ، وبقية سادة البلد الحرام ، والراوية الصادق اللهجة ، والحديقة الرايقة البهجة ، فهو يزيده على تلك العادة ، ويجلو عليه بدار الامامة وجه السعادة ، وانما يكبر ابن اكبر السبطين ، ويعظم مَن ينظم من جواهر لفظه وفخره سمطين ، واذا اعلى قدر هذا العلوي ، وحرك بالرفع ساكناً من بيت شرفه بمكان الروي ، اولاه يداً يعطر ذكرها اندية الجلالة ، ويحمل في شكرها على ذمة الرسالة ، ولا شرف كشرف هذه الحوالة ، ادام الله علاءكم ، وحرس مجدكم وسناءكم ، بمنه ، والسلام الأتم الأعم يخصكم به معظم قدركم ، وموجب اكباركم وبركم ، اخوكم المعتد بكم ، المثنى عليكم ، ابن عميرة ورحمة الله وبركاته .

كتب في الرابع والعشرين لربيع الآخر سنة تسع وثلاثين وستمئة .

نقلتها من خط منشئها في البطاقة التي بعث بها صحبة نجم الدين الى ابي زكرياء الفازازى رحمهم الله .

وكتب الى اخيه القاضي الأديب المشارك الفاضل الحسيب موسى (الفازازي) :

اتاك شريف من ذؤابـة هـاشـم	صريح كماء المزن باق بمـزنـه
له وهو نجم الدين وجـه مبـارك	كنجم الدياجي في سناه وحسنـه
وبشـر موسى بالنبـي مـحـمـد	وها انا ياموسى ابشـر بابنـه

ترد عجالتي هذه ايها الأخ الحبيب ، والماجد الحسيب ، من جهة الشريف الأجل ، السيد المبارك الأطهر الأكمل ، نجم الدين بن مهذب الدين ،

ابقى الله منــه نجمــا سائــراً في فلك المجــد ، وصبحــاً مضيئــاً على الغور والنجد ، واوصافه لا اعيرها استعارتي ، ولا ارضى لها عبارتي ، وما اقــول في مغذو بــدر النبوءة ، مقرو شرفــه في الآى المقروءة ، سؤدد يــزل النجم عــن مرقــاه ، وادب على شكل حسبــه تخيــره وانتقــاه ، فعنده منه شــرف المقــول ، وشرك العقــول ، ولله منه طــلاع من ثنايــا الكمال ، ناظم بين الجنوب والشمــال ، مجلسه لمذهب الفضل مدرسة ، وحفظه لكتب البــلاد فهرسة ، من جالسه ساح بــه حيث ســاح ، ونــاولــه من اخبار البلاد مستنداتها الصحاح ، فأدنى منه صينها ، وعرض عليه نصيبينها ، واحله بلخ وما اليها ، ونزل به الكرخ وما حواليها ، وقطع به السماوة ومهامهَها ، وأراه الغوطــة وخمائلها وفواكهها ، ومصــر ومنازلها ومنازهها ، واقرأه سور البسيطة وفهمه متشابهها ، ثم عاج به على البلد الحرام ، ومرّ به على مواقف ءابائه الكرام ، واعتمر به من التنعيم ، ومشى معه على زمزم والحطيم ، الى تربة جــده مسلماً على الحسن مترحمــاً على الحسين ، ونقله الى مسراه صلى الله عليه وسلم حيث كان قاب قوسين ، وكم وعى من اعجوبة ، وكشف من خبيئة محجوبة ، وغريبة مكتوبة ، وقد قصد تلك الحضرة حرسها الله ، لينتهي الى موضع الفائدة من خبره ، ويبلغَ الصف الأول من صلاة سفره ، وهنالك يحقر من الممالك ما عاين ، ويوجب على كل متعال مزية ان يتطامن ، وسيدي وقى الله كماله من العين ، يبره اذا اجتاز في موضعين ، احدهما يليه بنفسه كما هو المعتاد ، والآخر يسنده الى اخيه المبارك ونعم الاسناد ، فمجده حفظه الله المجد المؤثل ، ومكانه من تلك الدار العزيزة المكان المؤمل ، وللواردين عليها امل به اعتقلوه ، وشكر عليه اطلقوه ، والمسؤول من الأخ الكريم وصل الله سعادته دين عليه في ذمته ، وزين لحسبه يسمو اليه بهمته ، ان شاء الله .

وكتب الى علم الجد وحسن المشاركة ، الآخــذ فيما يسند اليــه بالعزائم المباركة ، المنفق جاهه ونفائيس ماله ، كفاء لمن اعلق به اسباب ءاماله ، يحيى بن محمد ابن مزاحم :

فديناك ان الفضل منـك سجيـة وانت به بـدأ وعـوداً معـود
اذا مـر ذكر منك ترتـاح انفـس وتهتاج اشواق ويختـال مشهـد
ويحيى بيحيى مَن تفاءل باسمـه وذلك من مقلوبـه يتـاكـد
اتـاك ابنُ بنت الهاشمـي محمـد وحسبك فخراً من نمـاه محمـد
شريف له من ذاتـه شرف لـه على النجم وهو النجم مرقى ومصعد
وانك في بـر الكـرام لأوحـد كما ان هذا بينهـم هـو اوحـد

وكيف لا وهو من الأرومة السنية ، والدوحة الحسنية ، ولدته الرسالة فيالَشرَف هـذه الـولادة ، وشهدت لجـده اكبر السبطين بالسيـادة ، وناهيك من منصب هذه الشهادة ، وهو الشريف ابوفلان ، مَن هو النجم سناء وسنا ، والروض ما شيئت من ظل وجنا ، وقد ركب البطاء والسوابق ، ونزل المدارس والخوانق ، واضل الغور والعلم ، واستظل الضال والسلم ،

وشرق حتى ليس للشرق مشرق وغرب حتى ليس للغرب مغـرب

وسترون منه نسب الكرام مرفوعاً ، وديوان الأدب مجموعاً ، ونخبة الشرفاء الطيبين اصولا وفروعاً ، وعندكم وصل الله رفعتكم عادتا بر وبشر ، كلاهما ينعم البال ، ويفعم السجال ، وهذا الشريف المبارك اولى مَن وفيتموه اياهما ، وانشقتموه رياهما ، وحق فضلكم ان يرعى فضل حقه ، ويختصه من معنى الأدباء والاعتناء بأجله وادقه ، وبازاء ذلك شكر هو في ذمة الرسالة مرتب ، وذكر كل سمع بمسرى طيبه مرحب ، ان شاء الله ، وهو تعالى يبقى جنابكم معمورا ، ويزيد فضلكم ظهورا ، ولا يعدمكم من لدنه عطاء حسابا ومناً موفورا ، والسلام .

وكتب الى نخبة الأدباء ، وقطب تأنيس الغرباء ، ابي الحسن بن محمد ابن علي العشبي :

هل لك ياسيدي ابـا الحسـن في من لـه كل شاهـد حسـن
في الشرف المنتقى لـه قـدم اثبتهـا بالوصـيّ والحسـن

ايها الأخ الذي ملكته قيادي ، واسكنته فؤادي ، عهدي بك تعتام الآداب النقية ، وتشتاق اللطائف المشرقية ، وتنصف فترى ان في سيلنا جفاء ، وبمغربنا جفاء ، وان المحاسن نبتُ ارض ما بها ولدنا ، وزرع واد ليس مما عهدنا ، وانا في هذا اشايعك واتابعك ، واناضل مَن ينازلك وينازعك ، وقد اتانا الله بحجة تقطع الحجج ، وتسكت المهج ، وهو الشريف الأجل ، نجم الدين بن مهذب الدين ، وانه نجلُ الذرية المختارة ، ونجم الدرية السيارة ، جرى مع زعزع ونسيم ، ورتع في جميم وهشيم ، وشاهد عجائب كل اقليم ، وشرق الى مطلع ابن جلا ، وغرب حتى نزل شاطيء سلا ، وقد توجه الآن الى حضرة الامامة حرسها الله لينتهي من اصابع العد الى العقدة ، ويحصل من مخض الحقيقة على الزبدة ، وقد علم ان ما كل الخطب كخطبة المنبر ، ولا جميع الأيام كيوم الحج الأكبر ، وادبه ياسيدي من نسبة افقه ، بل على شكل حسبه وخلقه ، فاذا رايته شهدت بان الشرق قد اتحفنا برقة بغداذه ، بل رمانا بجملة افلاذه ، والحظ فيما يجب من بره وتأنسيه ، انما هو في الحقيقة لجليسه ، فياغبطة مَن يسبق لجواره ، ويقبس من انواره ، وانت لا محالة تفهمه فهمي ، وتشيم من شيمه عارضاً بري القلوب الهيم يهمي ، وتضرب في الأخذ من قلائده وفوائده بسهم وددت لو انه سهمى ، ان شاء الله ، وهو تعالى يديم عزتكم ، ويحفظ مودتكم .

وشيع ابو المطرف نجم الدين حين سافر في البحر بهذه القصيدة :

يانائياً عني وهذا النـ	ـأيُ لستُ اطيقه
النجم انت اذا يغرب	عادة تشريقه
والفضل فارقنا وانت	رفيقه وشقيقه
فالصبر حين تغيب	معنى ليس لي تحقيقه
والأنس معنى كاذب	لا ينبغي تصديقه
افما ترقُ لمَن لبه	دمعٌ عليك يريقه
وجوى يحار لما جناه	حره وحريقه
ياسيداً يزهى به	حزب الهوى وفريقه

في البحر سـرت فهـان فـي دعـة عليـك طـريـقـه
وامنت فـيـه مـا يُحـمـل مـن اذى ويـذيـقـه
لك مـن سميك يـونـس منجـاتـه لا ضـيـقُـه
وجميـل عـقـبـاه الـتـي فيهـا اقـام طلـيـقـه
واقـول وفـقـك الالاه وحسبنـا تـوفـيـقـه

.... بما يتلقى به امثاله ، وترقى الى الغاية في تسويغ ......
كل من اعلامها حق وقارته ، وسعى بجده .... مايجب له في افادته ، واستشرف الى لقائه الرشيد فاستدعاه .... واناله من تانيسه وتقريبه اقصى ما تمناه ، وامتعه الشريف بما .... اخباره ، وطرز مجالسه بمستظرفات اشعاره ، وكان مما انشدني في .... عنده واخبر ، قال اخبرني اخي وانشدني ، قال حضرت مجلس الامام الواعظ ابي الفرج ابن الجوزي رحمه الله ببغداد يوم عاشوراء وقد اكتحل ، فقام اليه احد الشيعة وقال له لم تجدْ متى تكتحل الا في اليوم الذي قتل فيه الحسين وسفك فيه دمه ، اوما علمت ان الكحل من الزينة التي تناسب السرور ، كأن ذلك كان نذرا عليك ، فأجابه ابو الفرج بهذين البيتين ارتجالا :

ولائـم لام في اكتحـالـي يـوم استحلـوا دم الحسيـن
فقلت دعنـي احـق عـضـو يحظى بلبس السـواد عينـي

فاستظرفهما الرشيد ولهج بهما ، وأشار بالأخذ في تذييلهما بخمسة ابيات ، فأنهى نقيبُ الطلبة تلك الاشارة الى بعض مَن حضر من الأدباء ، فحفظت عنهم في ذلك تذييلات ، منها قول نقيبهم ابي زكرياء الفازازى :

غيري فهذا الكـلام يـرمـى فان مغـزاه غيـر هـيـن
لايدخلن العـذول جـهـلا في الحب ما بينـه وبينـي
فحبُّ ءال النبـي زيـن وبغضهـم شين كـل شيـن
صدقـت في قولتـي ومثلـي مهمى يقل قـال غيـر ميـن
حسبك منى هـذه وحسبـي بكـاء عيني بمثل عـيـن

وقول ابي علي حازم :

وهـل لـبـاس الســواد الا ... شعـار حـزن لا زي زيـن
كـأن عينـي بـعـد رزئـي ... بمقتل السبط تحت ديـن
تقضي غريم الغـرام دمعـاً ... كالتبْر ذوبـاً لا كاللجيـن
لو اني يـوم كربـلا شهـدت ... مـاحـان فـيـه حـيـنـي
حتى اشد العـدا ضـرابـا ... بالسيف ....

وقول ابي الحسن حازم بن حازم :

امـا تراهـا تسح دمـعـا ... كـأن عيني بكـت بعـيـن
والـدمـع ممـا يـدل ان الـ ... ـحـداد للحـزن لا لـزيـن
ان مـصـابَ الـحسيـن رزء ... فـرق بين العـزا وبينـي
حيث لـون الشبـاب عـنـدي ... وصحف الشيب لـي بشـيـن
حتى كـان المشيب صـبـح ... سقى حسينـاً كؤوسَ حـيْـن

وقول عبد العزيز الطبيري :

كـم خلع الدهـر مـن لبـاس ... الا سـواداً في المقلتيْـن
فأين بالحـزن عـن جفـون ... لجـم بـالدمـع بعـد ايـن
تبت يـدا فاتليه عـمـدا ... لـو ان بالصبـر لي يـديـن
مستهدف للخطـوب قلـبـي ... يُصيبُه سهم كـل حـيـن
لا حملتـه الضلـوع منـى ... ان حمـل الـرزء في حسيـن

وقول ابي عبد الله ابن الخياط :

علالـة واحتيـال مـن لـم ... يذد عن الديـن بالـردينـي
وحيلـة ليس يـرتضيـهـا ... الا امـرؤ قاصـر اليـديـن
متيـم شـفـه غـرام ... كـواه مـنـه بشعلـتـيْـن
تصعدت مـن حشـاه نـار ... حريقُهـا بـيـن مقلـتـيْـن
لعل حسنى صفـات وجـدى ... افـوز منها بـالحسنَيَيْـن

وقول حجاج بن حجاج :

لأنهـا بالفـراق خصـت ... وحجب الف عنها وبين
فهي تلاقى الأسى بدمع ... كفيض نهر وماء عين
فكان حقاً عليَّ اني ... كسوتُها ثوبَ حزن حين
وكي ارى الدمع في سواد ... يصنع خداً مثل اللجين
مع ان وجدى وحزن قلبي ... زادا سواداً في المقلتيْن
.... بالوجه والعين دون مين
.... السواد حسناً ... الا بفود وعارضين
.... ـل مما يظن زينا ... وربما انه لشين
بل في حسين وفي اخيه ... المصلح ما بين الفئتيْن
اكحلها هاكذا وابكي ... ما عشت دمعاً بغير عين

وقول شيخنا ابي محمد العراقي :

خصت بادراكه فكانت ... احق بالحزن يوم بيْن
فلبسها للسواد فرض ... من اجلها قيل فرض عين
سواد قلبي يمد كحلي ... يجري اضطراراً بمقلتيْن
فكم احالا ثياب جسمي ... للحزن كالغار مرتين
فلم تلم في بياض بسود ... لو قدَّ من لجين

وقول ابي عبد الرحمان ابن زغبوش :

اقصر فان الذي تراه ... من اكتحالٍ بالمقتليْن
دخان قلب قد احرقته ... نيرانُ حزن بغير مين
فصعَّدته انفاسُ وجدى ... فحلَّ مني بالناظريْن
وانظر الى ذا الزماد منه ... كيف تبدي بالمفرقيْن
فحبُّ ءال النبي حتم ... على البرايا وفرضُ عيْن

وقول ابي الحسن بن محمد العشبي :

ولائـم لام في اكتـحـالـــي ... يـومَ استحلـوا دم الحسيـــن
يحسبُه حليـةً وزيـــنـــاً ... يابعـدَ مـا بينـه وبـيـنـي
فقلت دعني احـقُ عـضـــو ... يحظى بلبس الســواد عينـي
واستمع الأمـرَ ثـم حـقـق ... يبنْ لك الصدقُ دون ميــن
ان سوادي مـع السـويــدا ... فاضا مـع الدمـع سائليْــن
واستوقفـا .... في ... .
كما خلعتُ الشباب حـزنـــا ... فهو حــداد ....

وقول ابي الحجاج بن موسى بن لاهية :

اقصر فما ذا السوادُ كـحـلا ... ابديتُـه مظهـراً لـزيْـــن
ســواد عيني الذي تـــــراه ... يسحُ دمعـاً من غير عـيْـن
مـحـاه طـولُ البكـا عليـه ... فسال في الشفـر دون مـيْـن
وانظـر لشيب لـم احتسبْـه ... تُثبتْ مصابي بشاهـديْـن
هل هـو الا بيـاضُ جفنـي ... جـرى مشيبـاً في العارضيـن

وقول ابي الحسن بن .... ابن زنون :

ولو يودي مـلأت كـحـــلا ... كـل بيـاض في المقلتيـــن
لو كان يجدي سودت شيبـاً ... في الـرأس منى والعارضيـن
او كان يغني حللت حـبـــرا ... من فـوق راسي للاخمصيـن
حتى ارى كالحديد لونـــاً ... ما كـان مني لـون اللجيْـن
فـلا تلمنـي فـذا مـصـاب ... مافيه للصبـر من يـديْـن

وقول ابي عبد الله بن يوسف المصانعي في خمس قطعات ، اولاها :

وشاهدي حـبـه بـأنـــي ... كحلت للحـزن لا لـزيـــن
فأمـر قتل الحسين صـعـــب ... عليَّ ، والله ، غيـرُ هـيـــن
وقـد بكيت الحسين حـتـــى ... قـرحت جفني دون مـيـــن
فكان كحلى لستـر مـابـــي ... قـد يجلب الزيـن شرَّشيـــن

فــلا تشنــع ولا تــبــشــــــع ... فلست مستوجبـــاً لــديــــــن

وثانيهــا :

حزنت اذا لم اجـد دفـاعـــاً ... عنه بلفظ ولا يــــديْــــــن
وانني حــاضــر لـــديــــــه ... لـم اعــز في نصــره لأيــــن
بل قمت في نصــره مقـامــــا ... يبهت بالسيــف والــردينـــي
تشيعــي للحسيــن يــــدري ... فــجــل مــا بينــه وبينـــي
.... كــلا لــزوم ديــــن

وثالثهــا :

.... ـــن ... صاحب قلب حليف زيـــــن
.... عليه حـــزن ... بسائــر العمــر دون بــيــن
.... لبس السواد قــوم ... وحيل مــا بينــه وبــيــنـــي
لو كان لي لبسُــه مباحـــاً ... لكان زيني لحيــن عــيــنـــن
وكان في حــقــه لبــاســـــي ... لــه ولـــو من ســواد عينـــي

ورابعتهــا :

فكان كحلي لأجــل حـــــزن ... ما كان كحلــي لأجــل زيـــن
وكيف لي زينـــة وعينـــــي ... اولى بحــزن من كــل عيـــن
لــولا اكتحالي لقيــل تـــذرى ... عليه دمعــاً بغيــر عـــيـــن
فكان كحلي لصبــغ دمـــعـــي ... ابلغ صبغ وشفــر عــيْـــن
فاعجبْ لعين تجــري بدمـــع ... من غير دمع كــجــري عــيـــن

وخامستها :

لو كان للجسـم لــون كحلـــى ... لبس لمــا قلت زي زيـــن
وقمت انعي الحسين فـيــــه ... حتى يقولوا غــراب بــيـــن
وربما النــار في فـــــؤادي ... ابــدت دخــانــاً بالمقلتيْــــن

او ربمـا ان فـيـه سـراً … يبديه شعري شهيـد عـيـن
سـواد قلبي اتـى يـعـزى … سـواد عينـي في الحسيـن

وقـول شيخنا ابي الحسن الرعيني بآخـرة على الشرط في التذييل بخمسة ابيـات :

وما اكتحلت ابتغـاء زيـن … ولا اعـتـنـاء بـالمقلتيْـن
لاكن سـواد القلـوب عمـت … حتى تبـدتْ في الناظريْـن
سـواد قلبي سـرى لعينـي … لكي يسيـلا في المدمعيْـن
فليس كحـلا تـرون كـحـلا … وليس زيـن خلتم بـزيـن

وقد كان سبق له تذييل عليها بأمر رشيدي لأول قدومه على مراكش القدمة الثانية وطوله واتبعه بنثر وهما :

ولائـم لام فـي اكتحـالـي … يوم استحلوا دمَ الحسيْـن
فقلت دعني احـق عـضـو … يحظى بلبس السـواد عينـي
حـزنا ليوم عصيب كـرب … افاض للعين كـل عـيـن
اصيب خير الأنـام فـيـه … بالطاهـر بـن المطهـريْـن
مصرع سبط الرسول ما لـي … فيه على الصبـر من يـديْـن
كـرّ بـلاء بـكـربـلاء … وهـان ما لـم يكن بـهـيـن
ارضـوا عـداة واسخطـوه … قـبـح راض بـالخطتيْـن
ألـم تـمـدْ يـومَ ذاك ارض … وطبق الـرزءُ الخـافقيْـن
ولـم تجـر الأفـلاكُ طـرا … ام كـيـف دارت بالنيريْـن
فـالـيـوم وددت انـي … من قبله قـد وردت حيـنـي
حقـاً يزيد القـرود اضحـى … يـقـرع در الـشـنـيـتـيْـن
وان راس الحسيـن وافـي … لحملـة صعـدة الـرديـن
لا حـزن عندي كحـزن يـوم … اودعـه طستـه اللـجـيـن
فليتنـي مت قبل مـا قـد … اصـم ناعـيـه المسمعيْـن
وليتنـي حاضـر فأحـظـى … في الدمـع عنه بالحسنييْـن

ياءال حــرب بؤتـم بـحـــرب ... فقــد اتيتـم بكــل شـيــــن
عاديتـم المصطفـى جـهــــارا ... والصــدق عارضتـم بميْــــن
حــقــداً قديمــاً اثـرتـمــــوه ... في حســن قبـل والحسيـــن
وياشبــاب الجنــان صـبـــــراً ... فقد اصبتـم في السيـديْــــن
والله قــد شــاء ان يكــونـــا ... في جنــة الخلــد خالــديْــــن
خـــاب معاديهمــا وفـــــازا ... بفضــل وافــي الشهادتيْــــن

هذا ياسيدنا ومولانا رضي الله عنكم ما امرتم به من الزيادة وما قرنه بها مقامكم الأعلا من شرط الاستحسان ، فليس في وسع العبد أن يدخل تحت هذا الارتهان ، ومن الذي يتعاطى ان يجاري ابا الفرج عذوبة لفظ .... ونثر في ما انفرد به من سحته ورقة طباع .... على حسن المساق ، لدونة هوى العراق ، واحتذاوه .... بدوام الاستنشاق ، والعبد وسواه عاقه عن اللحاق ، البعد .... ومشاهدة د رَن بالعشي والاشراق ، وتنسم هوائه السابق الى .... العبد بادرا يتمارا ، لا مدعياً اقتدارا ، ولن يـ...... ـق .... ـل في مثل ...... الشعراء المفلقون ، لا الكتاب الملفقون ، وسيدنا رضي الله عنه يوسع .... عذرا ، ويسدل عليه للاغضاء سترا ، ان شاء الله تعالى ، وهو سبحانــه ينظم المشارق والمغارب في ملكه ، وينعم بانعامــه كل عبد تشرف بالاعتزاء الى ملكه ، بمنه وكرمه .

وعاد نجم الدين الى الأندلس ، ودخل منها في كرته هذه اشبيلية ، ثم قفل الى سبتة ، وخاطب ابا المطرف يعلمه بذلك ، فكتب اليه ابو المطرف من ســلا :

عجالتي هذه رسمتها خدمة للنجم ، المستمد من نور سيد العرب والعُجم ، زاده الله ائتلاقاً ، وابقى للاعتناء به اعتلاقاً ، ووقى كماله يزين حجازاً وعراقاً ، وينير آثار الشرف الذي اعرق فيه اعراقاً ، وعندي لجلاله ما يعلمه يقيناً ، وانا اعتقد التوسل به الى الله دنياً ، ونفسي التي استحق

وملك ، سالكة بالحقيقة انى سلك ، وعلى عهده اقيم ، ما اقام الكهف والرقيم ، واستقام الصراط المستقيم ، ولعقد اضماري في محبته العقد النظيم ، ولله علي في تيسير تشريفي بلقائه المنة الجسيمة والفضل العظيم ، ولمخاطبته الكريمة من قلبي سويداؤه ومن عيني سوادها ، وبها افاخر نفوس الأمجاد التي بالنفائس مفاخرتها ومجادها ، وهي نصيبي من الأيام ، فلله موهوبها ومُفادها ، وعندها طبيبي اذا راى الأحبة نأيها وبعادها ، ومنها طبي وكافوري قرطاسها ومسكي مدادها ، وقد وصلتني منها صلات متصلات ، على بيت مهديها سلام وصلاة ، فحصلت على ذخائرها الأخاير ، ولهجت بها لهج المبشر بالبشائر ، ونهجت سبيل الشكر لتشريفاتها البواهي البواهر ، وكان ءاخرها طلوعا بأفقي ، ومجيئا على وفقي ، الكتاب المعلم بالانفصال من اشبيلية الى سبتة حرسهما الله معاً ، الملمع الى جلية ما تعرفه ذلك الجلال مرأى ومستمعاً ، ورغبتي الى شرفه الأعلا في موالاة ما عود من الاعلام ، ووعده وان شحطت النوى من اهداء التحية والسلام ، وقد ابلغت عن مجده كل من اشار بالابلاغ اليه ، وجميعهم شاكر لذلك العلاء الذي اجتمعت المئاثر الهاشمية لديه ، والله ينهض الأمة بواجب ابن نبيها الكريم ، ويصل للشرف الحسني سعوداً متلاصقة الحديث بالقديم ، ويصلي على اهل البيت النبوي صلاة متضوعة النسيم ، موردة بتسنيم التسليم ، ومعاد التحية والرحمة عليكم ايها النجم الثاقب ، ما ازدهت بكم المحامد وازدانت المناقب (189) .

1624) **يونس بن سليمان التاملي** ، الفقيه الأديب الكاتب ، اخو علي بن سليمان صاحب المظالم ، توفي سنة ثمان وثمانين وتسعمئة .

ترجمه في درة الحجال (190) ، وقد تقدمت ترجمة اخيه المذكور .

---

189) الترجمة منقولة بالحرف من ج 8 من **الذيل والتكملة** لابن عبد الملك ، ص 225 (مخطوط الخزانة العامة بالرباط) ، وصححت رسائل ابن عميرة المطموسة بعض جملها في **الذيل والتكملة** على **رسائل ابن عميرة** نسخة رقم 232 ونسخة رقم 233 (الخزانة العامة بالرباط) .

190) **درت الحجـال** 3 : 363 ع 1518

1625) يوسف بن عيسى ابن الملجوم الأزدي الفاسي

يوسف بن عيسى بن علي بن يوسف بن عيسى بن قاسم الملقب بالملجوم الأزدي ، من اهل مدينة فاس ، تفقه بأبيه عيسى بن علي ، وروى عنه وعن عبد العزيز بن عامر الأسدي من اصحاب ابي عمران بن ابي حاج ، وعن عبد الجليل بن ابي بكر الربعي ، ولي قضاء مدينة القرويين من فاس المحروسة في ايام زناتة ، ثم صرفه عنها يوسف بن تاشفين في ولايته المغرب وولاه قضاء مكناسة الزيتون ، ثم قضاء الجماعة بمراكش ، وغزا معه غزوات بالأندلس ، وكان رأساً في الفتيا والحديث والآداب والتفسير ، حدث عنه ابنه ابو موسى .

توفي في ذي الحجة سنة اثنتين وتسعين واربعمئة .

ذكره في الجذوة (191) .

1626) يوسف بن تاشفين اللمتوني الصنهاجي

يوسف بن تاشفين بن ابراهيم ابن ترقوت بن وارتقطين بن منصور بن مصالة بن امية بن واتملي بن تامليت الحميرى الصنهاجي اللمتوني من ولد عبد شمس بن وائل بن حمير ، **امه** حرة من لمتونة بنت عم ابيه اسمها فاطمة ، **صفته** اسمر اللون نقيه ، معتدل القامة ، نحيف الجسم ، خفيف العارضين ، رقيق الصوت ، اكحل العينين ، اقنى الأنف ، له وفرة تبلغ شحمة اذنيه ، مقرون الحاجبين ، وكان بطلا شجاعاً صالحاً متقشفاً على ما فتح الله عليه من الدنيا ، **لباسه** الصوف لم يلبس قط غيره ، واكله الشعير ولحوم الابل وألبانها ، مقتصرا على ذلك لم ينتقل عنه مدة عمره الى أن توفي رحمه الله .

---

191) **جذوة الاقتباس** ص 549 ع 636 وانظر ايضاً **التكملة** 2 : 720 ع 2097 طبع مدريد .

وكان فاضلا خيراً زكياً فطيناً حاذقاً لبيبا عطارداً يأكل من عمل يده ، عزيز النفس ، ينسب الى خير وصلاح ، كثير الخوف من الله عز وجل ، اكبر عقابه الاعتقال الطويل ، خطب له بالأندلس والمغرب من الاشبونة الى قرب بلاد الافرنج مسيرة ثلاثة وثلاثين يوماً طولا ، وما يقاربها من العرض ، وملك في المغرب من جزائر بني مزغنة الى طنجة الى ءاخر السوس الى جبل الذهب من بلد السودان ، وماكان يأخذ الا ما امر الله به من الأعشار والغنائم ، وقيل انه لما توفي وجد في بيت ماله ثلاثة عشر الف ربع من الورق ، وخمسة واربعون الف ربع من الذهب ، وردّ احكام البلد الى القضاة ، واسقط ما دون الأحكام الشرعية .

وكان محباً في الفقهاء والصلحاء مقرباً لهم ، صادراً عن رأيهم ، واجرى عليهم الأرزاق من بيت المال ، وكان متواضعاً حسن الخلق كثير الحياء ، جامعاً لخلال الفضل ، وكان قيل فيه وفي بنيه :

ملك لـه شرف العـلا من حميـر ... وان انتموا صنهاجـة فهمُ هــم
لما حـووا احـرازَ كل فضيلـة ... غلب الحيـاءُ عليهـم فتلثمـوا

مولـده ببلاد الصحراء في سنة اربعمئة ، وهو اول مَن تسمَّى بأمير المسلمين ، لاكن ما سمي بذلك الا بعد غزوة الزلاقة ، وهو الذي بنى مدينة مراكش بعد ان تزوج زينب مفارقة ابي بكر بن عمر عنوان سعده ، وافتتح مدينة فاس بعد أن حاصرها سنة خمس وخمسين واربعمئة ، ثم افتتحها ثانية سنة اثنتيْن وستين ، وجعل المدينتين مصراً واحداً ، وهدم الأسوار الفاصلة بين المدينتيْن ، وامـر ببنـاء المساجد في ازقتها ، وكانت خلافته من اول ولايته بالمغرب باستخلاف الأمير ابي بكر بن عمر اياه وانصرافه الى الصحراء سنة خمس وستين واربعمئة الى حين وفاته اربعاً وثلاثين سنة .

ولما كان في سنة اربع وستين واربعمئة قوي امره وعظمت شوكته ، فاشترى جملة من العبيد السودان وبعث الى الأندلس فاشترى منها جملة من

العلوج فاركبهم ، وانتهى عنده منهم مئتان وخمسون فارساً شراء ماله ، ومن العبيد نحو ألفين ، فأركبهم فرساناً ، فغلظ حجابه ، وعظم ملكه .

وفي سنة خمس وستين اجتمع مع الأمير ابي بكر بن عمر مابين أغمات ومراكش على تسعة أميال منها ، فسلم عليه راكباً على دابته ، ولم تكن تلك عادته قبل ، ثم ترجلا وقعدا على برنس ، وتعجب ابو بكر من ضخامة ملكه ووفور عساكره وترفيه جنوده ، ثم قال يايوسف انت اخي وابن عمي ، ولم ار مَن يقوم بأمر المغرب غيرك ، ولا احق به منك ، وانا لا غنى لي عن الصحراء ، وما جئت الا لأسلم عليك ، واسلم الأمر اليك ، فشكره يوسف على ذلك ، وحضر اشياخ لمتونة واعيان الدولة وامراء المصامدة والكتاب والشهود والخاصة والعامة ، واشهد على نفسه بالتخلي له ، فودعه يوسف ورجع الى مراكش ، ورجع ابو بكر الى اغمات ، ثم وجَّه له يوسف هدية عظيمة .

وفي سنة ست وستين فتح يوسف مدينة مكناسة ، وفي سنة ثمان وستين فتح تلمسان ، وكان اميرها العباس بن يحيى الزناتي ، ولما ضخمت مملكة يوسف تلقب بأمير المسلمين وناصر الدين ، وامر كتابه ان يكتبوا في ذلك فكتبوا :

بسم الله الرحمان الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى ءاله وصحبه وسلم تسليماً

من امير المومنين ، وناصر الدين ، يوسف بن تاشفين .

الى الأشياخ والأعيان والكافة من اهل فلانة ، ادام الله كرامتهم بتقواه ، ووفقهم لما يرضاه .

سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

اما بعد حمد الله اهل الحمد والشكر ، ميسر اليسر ، وواهب النصر ، والصلاة على محمد المبعوث بنور الفرقان والذكر ، فانا كتبناه اليكم من حضرتنا

العلية مراكش حرسها الله في نصف محرم سنة ست وستين واربعمئة ، وانه لما منّ الله علينا بالفتح الجسيم ، واسبغ علينا من أنعمه الظاهرة والباطنة وهدانا وهداكم الى شريعة نبيه محمد المصطفى الكريم ، عليه افضل الصلاة واتم التسليم ، راينا ان نخصص انفسنا بهذا الاسم لنمتاز به على سائر امراء القبائل ، وهو امير المسلمين وناصر الدين ، فمن خاطب الحضرة العلية السامية فليخاطبها بهذا الاسم ان شاء الله تعالى ، والله ولي العدل بمنه وكرمه ، والسلام .

وكانت علامته (الملك والعظمة لله)

ولما كان في سنة سبعين شرع في تجديد العساكر ووفودها ، وبعث الى الصحراء للمتونة ومسوفة وجدالة وغيرهم ، ووفد اليه منهم جموع كثيرة ولاهم الأعمال ، وضم من جزولة ولمطة وقبائل زناتة ومصمودة جموعاً كثيرة وسماهم بالحشم ، وجاز الى الأندلس اربع مرات ، الجواز الأول سنة تسع وسبعين لما كتب له الأذفنش بما نصه : اما بعد ، فلا خفاء على ذي عينين انك امير المسلمين بل الملة المسلمة ، كما انا امير الملة النصرانية ، ولم يخف عليك ما عليه رؤساءكم بالأندلس من التخاذل والتواكل والاهمال للرعية والاخلاد الى الدعة ، وانا اسومهم الخسف ، فأخرب الديار ، واهتك الأستار ، واقتل الشبان ، وءاسر الولدان ، ولا عـذر لك في التخلف عن نصرتهم ان امكنت فرصة ، هذا وانتم تعتقدون ان الله تبارك وتعالى فرض على كل واحد منكم بعشرة منا ، وان قتلاكم في الجنة وقتلانا في النار ، ونحن نعتقد ان الله ظفرنا بكم ، واعاننا عليكم ، ولا تعذرون دفاعاً ، ولا تستطيعون امتناعاً ، وبلغنا عنك وانك في الاحتفال عن نية الاستقبال ، فلا ادري اكان الجبن يبطيء بك ام التكذيب بما انزل عليك ، فان كنت لا تستطيع الجواز فابعث الي ما عندك من المراكب نجوز اليك اناظرك في احب البقاع اليك ، فان غلبتني فتلك نعمة جلبت اليك ، ونعمة شملت بين يديك ، وان غلبتك كانت لي اليد العليا ، واستكملت الامارة ، والله يتم الارادة .

فامر امير المومنين يوسف بن تاشفين ان يكتب اليه على ظهر كتابه : الجواب ياأذفنش ماترى لا ما تسمع ان شاء الله ، واردف الكتاب ببيت ابي الطيب المتنبي :

ولا كتب الا المشرفية والقنـــــا ولا رسل الا الخميس العرمـــــرم

وكتب اليه ابو القاسم بن عباد بخطه :

بسم الله الرحمان الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى ءاله وصحبه وسلم تسليماً .

الى حضرة الامام امير المومنين ابي يعقوب يوسف ابن تاشفين ، من القائم بعظيم اكبارها ، الشاكر لاجلالها ، المعظم لما عظم الله من كريم مقدارها ، اللائذ بحرمها ، المنقطع الى سمو مجدها ، المستجير بالله وبطولها ، محمد بن عبــاد .

سلام كريم يخص الحضرة المعظمة السامية ورحمة الله تعالى وبركاته .

كتب المنقطع الى كريم سلطانها من اشبيلية في غرة جمادى الأولى سنة تسع وسبعين واربعمئة ايد الله امير المومنين ، ونصر به الدين ، فانا نحن العــرب في هذا الأندلس قــد تلفت قبائلنا ، وتفرق جمعنا ، وتغيرت انسابنا ، بقطع المادة عنا من صنيعتنا ، فصرنا فيها شعوبا لا قبائل ، واشتاتاً لا قرابة ولا عشائر ، فقلّ ناصرنا ، وكثر شامتنا ، وتولى علينا هذا العدو المجرم اللعين ادفونش واناخ علينا بطليطلة ووطيها بقدمه ، واسر المسلمين واخذ البلاد والقلاع والحصون ، ونحن اهل هذه الأندلس ليس لأحد منا طاقة على نصر جاره ولا اخيه ، ولو شاءوا لفعلوا ، الا ان الهواء والماء منعهم عن ذلك ، وقد ساءت الأحوال ، وانقطعت الآمال ، وانت ايدك الله سيد حمير ، ومليكها الأكبر ، واميرها وزعيمها ، نزعتُ بهمتي اليك ، واستنصرت بالله ثم بك ، واستغثت بحرمكم لتجوز لجهاد هذا العدو الكافر ، وتحيون شريعة

الاسلام ، وتذبون على دين محمد عليه الصلاة والسلام ، ولكم بذلك عند الله الثواب الكريم ، والأجر العظيم .

والسلام الكريم على حضرتكم السامية ورحمة الله تعالى وبركاته ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

ومما كتب في استدعائه من انشاء طلبته وتنسب لأبي بكر ابن الجد :

الى الملك المؤيد بفضل الله ، امير المسلمين ، وناصر الدين ، وزعيم المرابطين ، ابي يعقوب يوسف بن تاشفين ، نور الله به الآفاق وجمل ببهائه الجيوش والرفاق .

من الملك المفضل بنعمة الله ، المستجير برحمة الله ، المعتمد على الله ، محمد بن عباد .

سلام على حضرة تجدد ايمانها ، واشتهر امانها .

وبعد فان الله سبحانه ايد دينه بالاتفاق والائتلاف ، وحرم مسالك الشتات ودواعي الاختلاف ، ومن على عباده بأمر جديد ، وقوم اولي بأس شديد ، وتطول علينا بمعلوم جدك وقد جعلك رحمة تحيى عينها ربوع الشريعة ، وخلقها سلماً الى الخير وذريعة ، وقد طرأ على الاسلام حادث انسى كل هم وهمت النكبات بوقوعه ، وذلك عدو طمعه في البلاد شتات وبين اختلاف سببه من لم تطرا له في الدعوات خير تقوى وتضعف وتتقي وتختلف ولتاخ مطمئنين من ءافات الزمان وتناسخ الأيام ، وقد جاءنا ابراقه ورعده وايعاده لنسلم له المنابـر والصوامع والمحاريب والجوامع ، ليقيم بهـا الصلبان ، ويستنيب الرهبان ، ومما اطمعه استمالته ايانا بالدعوة واملاؤها في الرحب والسعة استجير لما ابطنه ، واعجاما علينا وطنه ، وقد وطن الله لك ملكاً شكر الله عليه جهادك ، وقيامك بحقه واجتهادك ، ولديك وليت الخير باعث يبعثك الى نصر مناره ، واقتباس انواره ، وعندك من جنود الله مَن يشتري الجنة بحياته ، ويحضر الحرب بئالاته ، فان شئت الدنيا فقطوف دانية ، وجنة

عالية ، وعيون ءانية ، وان اردت الاخرى فجهاد لا يفتر ، وجلاد يحزُّ القلاصم ويستر ، هذه الجنة ذخر هذه الجنة ذخرها الله لظلال سيوفكم ، واجمال معروفكم ، تستعين بالله وملائكته وبكم على الكافرين ، كما قال سبحانه وهو اكرم القائلين : (قاتلوهم يعذبهم الله بأديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشفِ صدورَ قوم مومنين) .

والله يجمعنا على كلمة التوحيد ننصرها ، ونعمة الاسلام نشكرها ، ورحمةُ الله نتحدث بها وننشرها ، والسلام الموصل الجزيل على امير المسلمين ، وناصر الدين ، ورحمة الله .

فأجابه بما نصه :

بسم الله الرحمان الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى ءاله وصحبه وسلم تسليماً

من امير المسلمين ، ناصر الدين ، معين دعوة امير المومنين ، الى الأمير الأكرم المؤيد بنصر الله تعالى المعتمد على الله ابي القاسم محمد بن عباد ، ادام الله كرامته بتقواه ، ووفقه لما يرضاه .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته

اما بعد فانه وصل خطابكم الكريم ، فوقفنا على ما تضمنه من استدعائنا لنصرتك ، وما ذكرته من كربتك وماكان من قلة حماية جيرانك ، فنحن يمين لشمالك ، ومبادرون لنصرتك وحمايتك ، وواجب علينا ذلك من الشرع وكتاب الله تعالى ، وانه لا يمكننا الجواز الا ان تسلم لنا الجزيرة الخضراء تكون لنا لكي يكون جوازنا اليك على ايدينا متى شئنا ، فان رأيت ذلك فاشهد على نفسك بذلك وابعث الينا بعقودها ، ونحن في اثر خطابك ان شاء الله .

فوهبها له فاستنفر جميع حشوده وجوزهم ، وجاز في اثرهم ، ثم ورد عليه ابن عبـاد صاحب اشبيلية والأمير عبد الله بن بلقين بـن باديس صاحب غرناطة وعماله واخوه المستنصر تميم صاحب مالقة ، ثم كتب يوسف لما دنا من بطليوس على مقربة من فحص الزلاقة الى الاذفنش كتابـاً على مقتضى السنة يعرض عليه الدخول في الاسلام او الجزية او القتال ، من فصوله :

وقد بلغنا ياادفنش انك دعوت الى الاجتماع بنا ، وتمنيت ان تكون لك فلك تعبر البحر عليه الينا ، فقد اجزنا اليك ، وجمع الله في هذه العرصة بيننا وبينك ، وسترى عاقبة دعائك ، (وما دعاء الكافرين الا في ضلال) .

فلما وصل الكتاب الى اذفنش طغى وتجبر ، فخرج ومعه ثمانون الف فارس ، منها اربعون الفا لابسين الدروع ، وكان بها من فرسان المسلمين اربعة وعشرون الف فارس ما بين دارع وحاسر ، ومن المرابطين واهل الغرب ما ينيف على اربعة وعشرين الفا ، وكتب اليه ابن عباد من منزله بهذه الأبيـات :

غـزو عـليـك مـبـارك ... في طـيـه الفتـح القـريـب
لله سـيـفـك انـه ... سخط على ديـن الصليـب
لابـد مـن يـوم يـكـو ... ن مؤاخـيـاً يـوم القليـب

فكأنه نطق بالغيب ، فكانت الهزيمة على اللعين يوم الجمعة الثاني عشر لرجب الفرد سنة تسع وسبعين واربعمئة ، وكانت هذه الغزوة التي اظهر الله فيها دين الاسلام ونصر حزبه ، ولم يكن في الأندلس غزوة اعظم منها ، قتل فيها من النصارى نحو ثلاثمئة الف ، وكـان يومـاً لم يسمع بمثله من اليرموك والقادسية .

والجواز الثاني الى الأندلس كان سنة احدى وثمانين ، بعد ان عبر ابن عباد البحر اليه فتلقاه بالدخلة على وادي سبو ، فشرح له ضرر حصن لبيط ، فجاز الى الأندلس ، واستدعى ملوك الطوائف لمحاصرة حصن لبيط ، ثم اخلاه اللعين واحرقه .

والجواز الثالث في سنة ثلاث وثمانين لكلام بلغه عن ملوك الطوائف بالأندلس اوغـر صدره .

والجواز الرابع سنة ست وتسعين برسم التجول فيها والنظر في مصالحها .

واقامت بلاد الأندلس في مدته سعيدة حميـدة في رفاهية عيش وعلى احسن حال لم تزل موفورة محفوظة الى حين وفاته رحمه الله ، وقد كان الجهاد انقطع بها منذ تسع وسبعين سنة من مدة ءال عامر الى حين دخوله اليها ، فلما قربت وفاته اوصى ابنه ولي العهد بعده علي بثلاثة وصايا : احداها الا يهيج اهل جبل درن ومن وراءه من المصامدة واهل القبلة ، الثانية ان يهـادن بني هود وان يتركهم حائلا بينه وبين الروم ، الثالثة ان يقبل من احسن من اهل قرطبة ويتجاوز عن مسيئهم .

وقد مات في شهر ربيع الآخر سنة خمسمئة ، ودفن بقصره بحاضرة مراكش رحمه الله .

قال في (المعجب) وبعد دخول عبد المومن رحمه الله مراكش طلب قبر امير المسلمين يعني المترجم وبحث عنه عبد المومن اشد البحث فأخفاه الله وستره بعد وفاته كما ستره في ايام حياته ، وتلك عادة الله الحسنى مع الصالحين المصلحين ، انتهى بلفظه (192) .

وقال ايضاً : فانقطع الى امير المسلمين من اهل كل علم فحوله حتى اشبهت حضرته حضرة بني العباس في صدر دولتهم ، واجتمع له ولابنه من اعيان الكتاب ورسان البلاغة ما لم يتفق اجتماعه في عصر من الأعصار ، انتهى (193) .

فائدة : في جواب طويل لسيدي العربي الفاسي عـن القبائل الذيـن ظهر فيهم الفساد والحرابة لعدم السلطان اذا امكن رجوعهم بالعقوبـة الماليـة

---

192) المعجب ص 297 طبع الدار البيضاء

193) المعجب ص 243 طبع الدار البيضاء

هل يرتكب ام لا مانصه : ومما يشهد لأخذ المال عن طيب نفس اذا كان ذلك لمصلحة قطعية ضرورية كلية ما ذكروه من جواز التوظيف على الأموال للضرورة الداعية اليه عند خلو بيت المال من القدر المحتاج اليه في اقامة المصالح التي في اختلالها خراب النظام كما قرر بيان ذلك ابن العربي والغزالي قائلا وهو مما يعلم من مقصود الشرع قبل النظر في الشواهد ، وقد افتى فقهاء العدوتين الملك المجاهد يوسف بن تاشفين اللمتوني بجواز جمع المال على هذا الوجه للحاجة اليه للجهاد ، واستدلوا على ذلك بأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فعله ، انتهى .

فائدة ثانية : قال في (درة السلوك) يوسف بن تاشفين الرجل الصالح الذي لم يكن في ملوك المغرب قبله ولا بعده مَن هو مثله ، ما عدا الامام ادريس بن عبد الله الكامل ، وطالت مدةُ ولاية يوسف على ستين سنة ، وكاتبه علماء الشرق مثل الغزالي والطرطوشي وغيرهما ، وافتوه بخلع ملوك الأندلس والتحجير عليهم ، وبعث له الامام العباسي الخلعةَ واللواء .

وراجع الرسالة التي كتبها الامام الطرطوشي مع ابن العربي في الركن السادس عشر من الكتاب الثاني من (بدائع السلك) ، وراجع المسألة الخامسة من الفصل الأول من الباب الثاني من الكتاب الرابع منه .

والرسالة التي كتبها له الامام الطرطوشي قد تقدم ذكرها في ترجمة محمد ماني الصنهاجي ، وانه قال فيهم بعد ان ذكر حديث مسلم : لايزال اهل المغرب الخ مانصه : وهل ارادكم رسول الله صلى الله عليه وسلم الا لما انتم عليه من التمسك بالسنة ، وطهارتكم من البدع ، واقتفاء اثر السلف الصالح انتهى .

وقال القاضي ابو بكر بن العربي في (عارضة الأحوذي ، في شرح جامع الترمذي) : المرابطون قاموا بدعوة الحق ونصرة الدين وهم حماة المسلمين الذائدون والمجاهدون دونه ، ولو لم يكن للمرابطين فضيلة ولا تقدم ولا وسيلة الا وقعة الزلاقة التي انسى ذكرها حروبَ الأوائل وحروب داحس والغبراء مع بني وائل لكان ذلك من اعظم فخرهم .

وقال الزياني في (الروضة السليمانية) في الباب التاسع بعد ان ذكر يوسف بن تاشفين لم يكن بعد عمر بن عبد العزيز ازهد في الدنيا ولا اعدل منه انتهى ، ورد فيه على مَن لمزه بأنه لا يفهم معنى الشعر ، ورد على من فضل الأندلس على بر العدوة .

ترجمه في وفيات الاعيان ، والكامل ، والحلل ، والجذوة ، والشذرات ، ودرة السلوك ، وغيرها (194) .

وقد ذكرت شيئاً من ترجمة محمد المعتمد ابن عباد .

1627) **يوسف** (195) **بن منغفاد** ، ثار بجبل تيزران من بلاد غمارة سنة احدى وستين وخمسمئة ، وفي سنة اثنتين وستين كانت حركة امير المومنين يوسف الموحدي لغزو المترجم واتباعه ، فظفر به وحمل راسه الى مراكش وبايعته جميع بلاد غمارة .

ذكره في الأنيس المطرب بروض القرطاس (196) .

1628) **يوسف بن موسى الكلبي** ، الضرير ، اصله من سرقسطة ، وسكن مراكش وبها توفي سنة عشرين وخمسمئة ، ومن اشياخه عبد الملك

---

194) قصر المؤلف ـ الناقل في حق السلطان المجاهد الكبير يوسف بن تاشفين كما قصر في حق ملوك عظام آخرين ، واورد نبذاً مقتضبة من اخبار حياته الحافلة وملكه الكبير ، وعلى من اراد التوسع في معرفة اخباره ان يراجع **الأنيس المطرب بروض القرطاس** ص 136 طبع الرباط ، **والبيان المغرب** 4 : 21 **وتاريخ ابن خلدون** ج 6 ابتداء من ص373 **وجذوة الاقتباس** ص 545 ع 633 طبع الرباط **وجولات في تاريخ المغرب** ص 37 ومجلة **دعوة الحق** س 2 ع 10 ص 48 و س 4 ع 4 ص 33 **والمغرب عبر التاريخ** 1 : 172 **والعبر** 3 : 356 وكتاب **قيام دعوة المرابطين** ، **ووفيات الأعيان** 7 : 112 ع 844 وكتبا ومقالات اخرى عديدة .

195) هذا الثائر الغماري ليس اسمه يوسف ، وانما اسمه سبع بن منغفاد ، والمؤلف يساير في هذا الخطأ علي ابن ابي زرع في **القرطاس** ، وقد قمنا باصلاح الخطأ عند ما حققنا القرطاس ، ولم نتنبه لاصلاح هذا الخطأ هنا الا بعد طبع الاسماء المبدوءة بحرف السين .

ينظر عن هذا الثائر **تاريخ ابن خلدون** 6 : 498 و 580 **والبيان المغرب** 6 : 69 طبع تطوان ، **والمن بالامامة** ص 307 وفيه رسالة طويلة من انشاء ابي الحسين ابن عياش كتبها الخليفة يوسف بن عبد المومن يوم 14 شوال سنة 562 الى الطلبة والموحدين والشيوخ والاعيان بغرناطة يخبرهم فيها بالقضاء على ثورة سبع بن منغفاد المذكور .

196) **الأنيس المطرب بروض القرطاس** ص 210 طبع الرباط

ابن سراج ، والحسن الجياني ، وغيرهما ، وكان نحوياً اصولياً اماماً ، وله تصانيف حسان واراجيز مشهورة ، وكان ءاخر ائمة المغرب فيما اخـذه عن محمد بن الحسن الحضرمي المعروف بالمرادي من علوم الاعتقادات ، وكان مختصاً به ، وكان المرادي اول مَن ادخل علوم الاعتقادات بالمغرب الأقصى ، فنزل بأغمات وريكة ، فلما توجه ابو بكر بن عمر الى الصحراء حمله معه وولاه القضاء فمات بأزكي من صحراء المغرب سنة تسع وثمانين واربعمئة ، فخلفه يوسف بن موسى المترجم في علوم الاعتقادات ، وغلب عليه الزهد في الدنيا واهلها ، وكان لباسه الخشن من الصوف ، وكان يتخلف من مراكش الى اغمات.

قال في التشوف : حدثني عبد الله بن موسى ، قال حدثني محمد بن الزاهد ، قال ادركتُ يوسف الضرير بمراكش وشاهدته جميل الصورة يلبس عباءة صوف ، وكان عالماً زاهداً ، وحضرت مجالسه ووفد مرة على السلطان ، فبعث اليه بجملة من مال فلم يخرج الى اغمات من مراكش حتى فرقـه على المساكين ، فقيل له لو امسكت منه لنفسك ، فقال لا حاجة لي به ، فان فلاناً من اخواني في الله يحرث لي قوتي ويبعث الي اضحية في كل عام ، فتصنع امراتي من صوفها عباءة ألبسها (197) .

ترجمه في الغنية وفي بغية الملتمس وفي صلة ابن بشكوال والتشوف .

وممن اخذ عنه عيسى ابن الملجوم متقدم الترجمة ، كما تقدمت ترجمة شيخه المرادي المذكور .

وقال القاضي عياض في الغنية : وقرأت عليه ارجوزته الصغرى التي الف في الاعتقـاد ، وحدثني بالكبـرى ، وبكتاب التجريد لمحمد المـرادي ، واجازني ارجوزته الكبرى وجميع تواليفه ورواياته ، منها تأليف الفقيه محمد المرادي شيخه ، وعنه كان اكثر اخذه ، ومن ذلك كتاب فقه اللغة للثعالبي ، اخبرني به المرادي عن عبد الرحمـان بن عمر بن محمد التميمي القزديري

197) ما تقدم منقول من **التشوف** ص 83 ع 11

عن محمد بن علي بن الحسن بن عبد البر التميمي ، عن اسماعيل بن محمد بن عبدوس النيسابوري ، عن ابي منصور الثعالبي .

انشدني رحمه الله ، قال انشدني محمد المرادي لنفسه في الحجة على اثبات القدر :

علمي بقبح المعاصي حين اركبها — يقضي بأني محمول على القدر
كلفت فعلا ولم اقدر عليه ولم — اكن لأفعل افعالا بلا قدر
وكان في عدل ربي ان يعذبني — فلم اشاركه في نفع ولا ضرر
ان شاء نعمني او شاء عذبني — او شاء صورني في اقبح الصور
يارب عفوك عن ذنب قضيت به — عدلا علي فهبْ لي صفحَ مقتدر (198)

1629)**يوسف بن عبد الله بن مصباح التادلي** ، المعلم ،اصله من داي من بلاد تادلة ، ونزل مراكش ، وبها مات عام اثنين وتسعين وخمسمئة وكان عبداً صالحاً ورعاً على سنن اهل الدين ، وكان لا يأكل الا من شيء عرق وجهه .

قال في التشوف : اخبرني عنه مخبر انه قام ليلة الى ورده ، فلما سجد لدغته عقرب في جبهته فلم ينفتل من صلاته الى أن سلم ، ولما مات يوسف غسله جيرانه ولم يعلم بموته غيرهم ، فما خرجوا بجنازته من باب الدباغين حتى انثال الناس من كل جهة واحتفل الناس لجنازته ، فاجتمع خلق كثير ، وكنت انا ممن حضرها ، وكان ذلك في يوم جمعة ، وكان يوماً صائفاً شديد الحر ، فغلب على الناس الغبار وشدة الحر، فجاءت سحابة فرشَتْ على قبره وما حواليه ، فسكن الغبار وخف الحر .

اخبرني عيسى بن علي قال ، سمعت محمد بن تميم يحدث عن ابيه عبد الله قال ، رايت في النوم جماعة وصلت من المشرق الى جنازة يوسف

198) **الغنية** ص 282 ع 97

المعلم فحملوه . فسألت عنهم ، فقيل لي هم ملائكة حملوه ليصلوا عليه بالمشرق ، قال محمد فما ادري هل قال لي يصلون عليه بمكة او بالمدينة او بالمسجد الأقصى ، انما ذكر لي احدَ هذه المساجد فنسيت ، ثم لقيت عبد الله فسألته عن هذه الرؤيا ، فحدثني بها (199) .

1630) **يوسف بن علي (المبتلى) الصنهاجي** ، احد الرجال السبعة بمراكش ، كتبت في ترجمته من (اظهار الكمال) مانصه :

يوسف ذي الغار والصبر الذي عظمت   له المزايا لدى امداده الساري

الاعراب : يوسف بدل مما قبله بدل مفصل من مجمل ، ذي الغار نعت له .

وانعت بمشتق كصعب وذرب   وشبهه كذا وذي والمنتسب

الصبر معطوف على الغار الذي نعت بعد نعت ، والجمور على ان العامل في النعت هو العامل في المنعوت ، نسب الى سيبويه ، وقيل العامل فيه التبعية لما جرى عليه ، وهو قول الأخفش والخليل ، وجملة عظمت المزايا من فعل وفاعل صلة الذي ، وله ولدى امداده متعلقان بعظمت ، ويحتمل أن يكون لدى امداده حالا من المزايا ، والساري نعت امداده .

اللغة والمعنى : يوسف فيه ست لغات كيونس ، ضم السين وكسرها وفتحها في الأول ، وضم النون وكسرها وفتحها في الثاني ، مع الهمز وتركه ، قاله الامام النووي عن ابن السكيت في معظم اللغات فيهما وعن ابي البقاء في باقيهن ، ويوسف اسم عبراني ، وقيل عربي ، وليس بصحيح ، لأنه لو كان عربياً لانصرف لخلوه عن سبب ءاخر سوى التعريف ، فان قلت فما تقول فيمن قرأ يوسف بكسر السين أو يوسف بفتحها هل يجوز على قراءته ان

---

199) الترجمة منقولة من **التشوف** ص 294 ع 144

يقال هو عربي على وزن المضارع المبني للفاعل والمفعول من ءاسف وانما منع الصرف للتعريف ووزن الفعل ، قلت لا ، لأن القراءة المشهورة قامت بالشهادة على أن الكلمة اعجمية فلا تكون عربية تارة واعجمية اخرى ، ونحو يوسف يونس ، رويت هذه الثلاث لغات ، ولا يقال هو عربي لأنه في لغتين منها بوزن المضارع من ءانس واونس ، قاله في الكشاف ، واشار اليه البيضاوي والخطيب ، وذي بمعنى صاحب ، والغار ما ينحت في الجبل يشبه المغارة ، فاذا اتسع قيل كهف ، والجمع غيران مثل نار ونيران ، والغار الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعبد فيه في جبل حراء ، والغار الذي آوى اليه ومعه ابو بكر في جبل ثور ، وهو مطل على مكة كما في المصباح ، وقال الخطيب في الغار اي غــار ثور الذي في اعلى الجبل المواجــه للركن اليماني بأسفل مكة على مسيرة ساعة منها ، انتهى . وهو من اعظم المزارات ، قال الشيخ الامــام محمد بن احمد المكي الحنفي المتوفى سنة ثمــان وثمانين وتسعمئة في كتابه (الاعلام ، بأعلام بيت الله الحرام) قال المرجاني في (بهجة النفوس) ذكر لي أن رجلا كان له اموال وبنون وانه اصيب بذلك فلم يحزن ولم يجزع على مصائبه لقوة صبره وتحمله ، فقال روى انه مَن دخل غار ثور الذي ءاوى اليه النبي صلى الله عليه وسلــم وصاحبه ابو بكــر رضي الله عنه وسأل الله تعالى أن يذهب عنه الحزن على شيء من مصائب الدنيا ، وقد فعلتُ ذلك فما وجدت حزناً ، قال المرجاني رحمه الله تعالى : هذه الخاصية من تأثير قوله تعالى (ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنــا) انتهى .

وهذا الغار مشهور معروف يتلقاه الخلف عن السلف ، ويزوره الناس ويدخلون اليه من بابــه الكبير الذي يروى ان جبريل عليه السلام ضربــه بجناحه ففتحه ، وقل ان يدخل اليه احد من بابه الضيق ، لأن الدخول عسير ويحتاج الى فطنة الخ ، راجعه ، وراجع الأول من رحلة الامام العياشي .

والمقصود بالغار هنا الغار المحفور عند رابطة الشيخ المدفون فيه رضي الله عنه ، وقد نزلتُ اليه بقصد التبرك وزيارة قبره ، وفي حائط جهة

راسه رخامة قرأتها الا ان نقشها وقع فيه تلاش ذكر فيه شيخه ابو عصفور رضي الله عنهما ، والذي اسم مبهم للمذكر ، وهو مبني معرفة ، ولا يتــم الا بصلة ، واصله لذي فأدخل عليه الألف واللام ، ولا يجوز ان ينزعا منه ، وفيه اربع لغات ، الذي والذِ بكسر الذال ، والذْ بسكونها ، والذيّ بتشديد وفي تثنيته ثلاث لغات ، اللذان ، واللذا بحذف النون ، واللذانّ بتشديد النون ، وفي جمعه لغتان : الذين في الرفع والنصب والجر ، والذي بحذف النون ، ومنهم من يقول في الرفــع اللذون ، وتصغير الذي اللذيا بالفتح والتشديد انتهى من المختار .

والصبر سياتي معناه ، وعظم الشيء بالضم بعظم عظماً بوزن عنب أي كبر ، فهو عظيم وعظام ايضاً ، والمزايا جمع مزية ، وهي الفضيلة ، ولا ينبني منه فعل كما في المختار والمصبــاح ، ولــدى تستعمل بمعنى عنــد ، والامداد اعطاء المدد ، والساري من السريان بمعنى النفوذ والوصول الى الشيء .

حاصل المعنى يارب اجبْ دعائي بحق السيد يوسف صاحب الغار الصابر عظيم الفضائل الممد بلا جحد ولا انكار ، فقد روى الطبراني في الأوسط عن انس رفعه : لن تخلو الأرضُ من اربعين رجلا مثل خليل الرحمان ، فبهم تسقون ، وبهم تنصرون ، الحديث ، وسنده حسن ، وفي لفظ اخرجه ابن حبان في تاريخه عن ابي هريرة مرفوعاً : لن تخلو الأرضُ من ثلاثين مثل ابراهيم خليل الرحمان ، فبهم تغاثون ، وبهم ترزقون ، وبهم تمطرون ، واخرج الطبراني في الكبير عن عبادة ابن الصامت مرفوعاً : الأبدالُ في امتي ثلاثون ، بهم تقوم الأرض ، وبهم تمطرون ، وبهم تنصرون ، وورد من طرق مرفوعاً : لولا عباد ركع ، وصبية رضع ، وبهائم رتع ، لصبّ عليكم البلاء صبا ثم لترصنّ رصــاً .

قد اطعم الناس شكــراً للالــه على سقوط بعضه ، نِعْمَ فعْلَ صبار !

الاعــراب : قد حرف تحقيق ، وهو خامس معانيها الستة مختصة بالفعل المتصرف الخبري المثبت المجرد من جازم وناصب . وحرف تنفيس ،

واطعم فعل ماض رباعي ، وفاعله يعود على سيدي يوسف ، والناس مفعوله ، وشكراً مفعول لأجله ، وشروط نصبه الخمسة متوفرة فيه ، وللاله وعلى سقوط بعضه متعلقان بشكراً ، لأنه مصدر ، والجملة استينافية لأجل بيان بعض المزايا المشار اليها قبل ، ونعم فعل لانشاء المدح جامد ، اما رافع لفاعل معرف بال الجنسية وبالاضافة الى ما قارنها او الى مضاف لما قارنها او مضمر مستتر مفسر بتمييز كهذا الواقع في هذا البيت ، فهو متحمل الضمير هو المفسر بفعل صبار ، اي نعم الفعل فعل صبار ، فهو منصوب على التمييز كقوله :

نعم امرءاً هرمٌ لم تعرُ نائبة الا وكان لمرتاع بها وزرا

والجملة لم تعطف على ما قبلها لاختلافهما خبراً وانشاء ، قال :

وعطفك الانشا على الاخبار وعكسه فيه خلاف جاري
اهل البيان وابن مالك ابوا كذا ابن عصفور وبالجلّ اقتدوا
وجوزته فرقة جليله كسيبويه وارتضوا دليله

اللغة والمعنى : الاطعام اعطاء الطعام ، وهو ما يؤكل ، والناس قد تكون من الأنس ومن الجن ، واصله اناس فخفف ، قاله في المختار ، وقال في المصباح الناس اسم وضع للجمع كالقوم والرهط ، وواحده انسان من غير لفظه ، مشتق من ناس ينوس اذا تدلى وتحرك ، فيطلق على الجن والانس ، قال تعالى (الذي يوسوس في صدور الناس) ، ثم فسر الناس بالجن والانس فقال (من الجنة والناس) ، وسمى الجن ناساً كما سموا رجالا ، قال تعالى (وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن) ، وكانت العرب تقول رايت ناساً من الجن ، ويصغر الناس على نويس ، لاكن غلب استعماله في الانس ، وشكرت الله اعترفت بنعمته وفعلت ما يجب من فعل الطاعة وترك المعصية ، ولهذا يكون الشكر بالقول والعمل ، ويتعدى في الأكثر باللام ، فيقال شكرت له شكراً وشكراناً ، وربما تعدى بنفسه ، فيقال شكرته ، وانكره الأصمعي في السعة وقال بابه الشعر ، وقول الناس في القنوت نشكرك ولا

نكفرك لم يثبت في الرواية المنقولة عن عمر ، على ان له وجهاً وهو الازدواج ، انتهى من المصباح . والاله المعبود وهو الله سبحانه وتعالى ، فهو فَعال بمعنى مفعــول ، ككتاب بمعنى مكتــوب ، وبساط بمعنى مبســوط ، وسقوط بعضه ذهابه منه بتقطعه ، ونعم بكسر النون مبالغة في المدح ، والفعل المقصود به هذا الصنيع المذكور قبل ، والصبار مبالغة في صابر من الصبر ، وهو كما قال بعضهم اربعة انواع ، صبر على الطاعة ، وصبر عن المعصية ، وهما اساس طريق الاستقامة ، وصبر عن فضول الدنيا ، وهو اساس الزهد ، وصبر على المصائب والمحن وهو اساس الرضا والتسليم لله سبحانه وتعالى وحسن الظن به ، وهذا اشق الانواع الأربعة على النفس ، والصبر لغة حبس النفس وتوطينها على المكاره والمشاق ، ثم استعير لمطلق التأني في الفعل ، وقــد حثَّ الله سبحانه وتعالى على الصبر في كتابه العزيز في مواضع كثيرة ، منها قولــه (واستعينوا بالصبر والصلاة) ، وقوله (يأيها الذين ءامنــوا اصبروا وصابروا) ، وقوله (واصبروا ، ان الله مع الصابرين) ، الى غير ذلك من الآيات ، قال الامام ابو بكر الوراق رحمه الله تعالى : احفظ الصدق فيما بينك وبين الله ، والرفقَ فيما بينك وبين الخلق ، والصبرَ فيما بينك وبين نفسك ، فهذا هو الذي يفيد النجــاة ، والشكــر والصبر من مقامات اليقين ، قال في المرشد المعين :

ويتحلــى بمقــامــات اليقيــــن

خوف رجا شكر وصبر تــوبــة

واعلم ان الشكر والصبر هما الايمان ، اذ كل واحد منهما نصفه كما ورد في الأخبار كما في (الاحياء) ، ويقبح بالانسان جهل ايمانه ، وقد وصف الله تعالى الصابرين بأوصاف ، وذكر الصبر في القرءان في نيف وسبعين موضعاً ، واضاف اكثر الدرجات والخيرات الى الصبر ، وجعلها ثمرة له ، وقال صلى الله عليه وسلم من اقل اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن اعطى حظه منهما لم يبال بما فاته من قيام الليل وصيام النهار ، ولأن تصبروا على ما انتم عليه احبُّ الي من ان يوافيني كل امرىء منكم بمثل عمل جميعكم ، ولكني اخاف ان تفتح عليكم الدنيا بعدي فينكر بعضكم بعضاً ، وينكركم اهل

السماء عند ذلك ، فمن صبر واحتسب ظفر بكمال ثوابه ، ثم قرأ قوله تعالى : (ما عندكم ينفد ، وما عند الله باق) ، (وليجزينّ الذين صبروا اجرهم) الآية ، والصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الشهوة ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : قال الله عز وجل : اذا وجهت الى عبد من عبيدي مصيبة في بدنه أو ماله أو ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيامة ان انصب له ميزاناً وانشر له ديواناً ، ثم اعلم ان الله تعالى قرن الشكر بالذكر في كتابه ، مع انه قال (ولذكر الله اكبر) ، فقال تعالى (اذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون) ، وقال تعالى (ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وءامنتم) ، وقال تعالى (وسنجزي الشاكرين) ، وقال عز وجل اخبارا عن ابليس اللعين (لأقعدن لهم صراطك المستقيم) قيل هو طريق الشكر ، ولعلو رتبة الشكر طعن اللعين في الخلق ، فقال (ولا تجدُ اكثرهم شاكرين) ، وقال تعالى (وقليل من عبادي الشكور) ، وقد قطع الله بالمزيد مع الشكر ولم يستثن فقال (لئن شكرتم لأزيدنكم) ، واستثنى في خمسة اشياء ، في الاغناء والاجابة والرزق والمغفرة والتوبة ، فقال تعالى (فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء) ، وقال (فيكشف ماتدعون اليه ان شاء) ، وقال (ويرزق مَن يشاء بغير حساب) ، وقال (ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) ، وقال (ويتوب الله على مَن يشاء) ، وهو خلق من اخلاق الربوبية ، قال تعالى (والله شكور حليم) ، وقد جعل الله الشكر مفتاح كلام اهل الجنة ، فقال تعالى (وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده) ، وقال (وءاخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين) ، وقال صلى الله عليه وسلم (الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر) ، وروي عن عطاء انه قال دخلت على عائشة رضي الله تعالى عنها ، فقلت اخبرني بأعجب ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبكت وقالت أي شيء لم يكن عجباً ، اتاني ليلة فدخل معي في فراشي وقال في لحافي حتى مسّ جلده جلدي ، ثم قال : يابنت ابي بكر ، ذريني اتعبد لربي ، قالت اني احب قربك لاكني اؤثر هواك ، فاذنت له فقام الى قربة ماء فتوضأ فلم يكثر صبّ الماء ، ثم قام يصلي فبكى ، ثم سجد فبكى ، ثم رفع راسه فبكى ، فلم يزل كذلك يبكي حتى جاء بلال فآذنه بالصلاة ، فقلت يارسول الله ما يبكيك وقد غفر الله

لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال : افلا اكونُ عبداً شكوراً ، ولمَ لا افعل ذلك ؟ وقد انزل الله تعالى (ان في خلق السماوات والأرض) الاية ، وهذا يدل على ان البكاء ينبغي ان لا ينقطع ابداً وشكرا لقلب قصد الخير واضمره لكافة الخلق ، واللسان اظهار الشكر لله تعالى بالتحميدات الدالة عليه ، والجوارح استعمال نعم الله تعالى في طاعته والتوقي من الاستعانة بها على معصيته ، حتى ان شكر العينين ان تستر كل عيب تراه من مسلم ، وشكر الأذنين ان تستر كل عيب تسمعه فيه ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل كيف اصبحت ؟ قال بخير ، فأعاد صلى الله عليه وسلم السؤال حتى قال في الثالثة بخير احمد الله واشكره ، فقال صلى الله عليه وسلم هذا الذي اردت منك .

واعلم ان للصبر درجات اقلّها ترك الشكوى مع الكراهة ووراءه الرضى وهو مقام وراء الصبر ، ووراءه الشكر على البلاء وهو وراء الرضى ، اذ الصبر مع التألم والرضى يمكن بما لا ألم فيه ولا ترح ، والشكر لا يمكن الا على محبوب مفروح به ، وكذلك الشكر درجات كبيرة ، ويدخل في جملتها امور دونها ، فان حياء العبد من تتابع نعم الله عليه شكر ، ومعرفته بالتقصير عن الشكر شكر ، والاعتذار من قلة الشكر شكر ، والمعرفة بعظيم حلم الله وكنف سنده شكر ، والاعتراف بأن النعم ابتداء من الله تعالى من غير استحقاق شكر ، والعلم بأن الشكر ايضاً نعمة من نعم الله وموهبة منه شكر ، وحسن التواضع للنعم والتذلل فيها شكر ، وشكر الوسائط شكر ، اذ قال عليه السلام : مَن لم يشكر الناس لم يشكر الله ، وقلة الاعتراض وحسن الآداب بين يدي المنعم شكر ، وتلقي النعم بحسن القَبول شكر ، واستعظام صغيرها شكر ، وما يندرج من الأعمال والأحوال تحت اسم الشكر والصبر لا تنحصر ءاحادها ، وهي درجات مختلفة ، هذا ما اقتضى النظر تلخيصه من مواضع من (الاحياء) وغيره ، وراجع السفر التاسع من شرح الاحياء ، والشيخ رضي الله عنه ادرك مقام الشكر على البلاء الذي وراء الرضى ، وفي الحكم العطائية ليخفف ألم البلاء عنك علمك بأنه سبحانه المبتلي لك ، فالذي واجهتك منه الأقدار هو الذي عودك حسن الاختيار انتهى ، راجع شروحها .

واعلم ان اهل البلايا الصابرين لا حساب عليهم ، ففي الحديث القدسي اذ وجهت لعبد من عبادي مصيبة في بدنه او ماله او ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيامة ان انصب له ميزاناً وانشر له ديواناً ، انتهى .

ومعنى البيت في غاية الوضوح ، وعليه انوار المحاسن تلوح ، وفيه من علم المعاني الفصل في جملة البيت ، اعني قد اطعم الخ لما بينها وبين ما قبلها من شبه كمال الاتصال لأنها مرتبة على سؤال مقدر اقتضته الجملة السابقة ، فنزل ذلك السؤال المدلول عليه بالفحوى منزلة المصرح به ، وجيء بهذا الكلام مفصولا كما يفصل الجواب عن السؤال الصريح ، ويسمى هذا الفصل في الاصطلاح استينافاً كما اشير اليه في الاعراب ، وفي البيت الاعتراض وهو من وجوه الاطناب ، فيكون من هذا الفن ، وبعضهم يلحقه بالبديع ، وحقيقته ان يؤتي في اثناء الكلام أو بين كلامين متصلين معنى بجملة او اكثر لا محل لها من الاعراب لغرض كالتنبيه والتقوية ونحو ذلك ، ومثاله قوله تعالى (فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار) ، وبيانه اني كنت في ذكر التوسل به ، ثم اعترضت بذكر بعض مزاياه تقوية للتوسل به ، ثم رجعت الى التوسل بعد خمسة ابيات ، وهكذا يقال في كل ما اشبه هذا مما وقع في هذه القصيدة .

قال في (عقود الجمان) :

وشبه الاتصال كونها جواب — سؤال الأولى اقتضته والصواب
تنزيلها منزلة فتفصل — فصل جوابه وقيل يجعل
مقدراً لنكتة كالاغتنا — عنه وترك السمع منه يعتنى
وسمها وفصلَها استينافا — الخ

وقال في تعريف الاعتراض ، ومنه يعني من الاطناب الاعتراض :

بجملة اوفوه ما لها محل — بين كلام او كلامين اتصل
لنكتة تقصد كالتنزيه — لدفع الايهام وكالتنبيه
وكالدعا في قولهم بلغتها — بعد الثمانين وما اشبهها

وبعضهم جـوزه في الطـــــرف   وقال قـوم غير جملـة يفـــي

انتهى .

وفي البيت الفصل بين جملة اطعم ، وجملة نعم لما بينهما مـن كامل الانقطاع باختلافهما خبرا وانشاء ، قال في (عقود الجمان) :

امـا كمـال الانقطـاع المكمــل   فلاختـلاف بين انشـا وخبـــر
لفظـاً ومعنى وبمعنى مستقـــر   كمات زيـد غفر الرحمـان لـــه

الى ءاخره .

وفيه من البديع الانسجام ، وهو ان يأتي الشاعر بالبيت والفقـــرات من النثر خالية من العقادة وتكلف السبك كانسجام الماء في انحداره يكـاد لسهولة تركيبه وعذوبة الفاظه ان يسيل رقة وعذوبة مع لطافة معناه ورشاقته وخلوه من الأنواع البديعية الا ان يأتي في ضمن السهولة عفواً من غير قصد ، واهل طرق الغرام هم بدور مطالعه ، وغزلان مرابعه ، قال في (عقود الجمان):

والانسجـام ما عـلا تسهـُــلا   عذوبة ومن عقادة خـــــلا
وغالب في النثر اذ ما انسجما   من غير قصد قد يرى منتظما

قال في الشرح : هذا النوعُ من زيادتي ، والانسجامُ ان يكون الكلام لخلوه من العقادة كانسجام الماء في انحداره ، ويكاد لسهولة تركيبه وعذوبة ألفاظه ان يسيل رقة ، وغالب ما يأتي اذا لم يقصدوا فيه نوعاً من انواع البديع يحصل به التكلف ، بل يأتي ذلك ضمناً من غير قصد ، ولذا كان الانسجامُ في النثر ، فغالب قراءته تكون موزونة بلا قصد ، فمنه من بحر الطويل :

فمن شاء فليومنْ ومَن شاء فليكفرْ .

من المديـد :

فاصنع الفلك بأعيننـا

من البسيط :

فأصبحوا لا ترى الا مساكنهم

ومن الوافـر :

ويخزهـمُ وينصركـم عليهـــم ويشفِ صدورَ قـوم مومنينـــا

ومن الكامـل :

والله يهدي مَن يشــــــا الى صــراط مــسـتـقيـــم

ومن الهـزج :

فـألـقـــوه على وجـــه أبـي يـــات بـصـيـــــرا

ومن الرجـز :

دانـيـة عليـهـمُ ظـلالـــها وذللت قطـوفهـا تـذلـيـــلا

ومن الرمـل :

وجـفـانٍ كالـجـوابــــي وقــدور راسـيـــات

ومن السريع :

أو كالذي مرَّ على قريـة

ومن المنسرح :

انا خلقنا الانسان من نطفة

ومن الخفيف :

لا يكادون يفقهون حديثاً

ومن المضارع :

يـــوم الـتـنـــادي يـــوم   تـــولـــون مـــدبـــريـــن

ومن المقتضب :

في قلوبهم مـرض

ومن المجتث :

نبئـي عـبـــادي انـــــي   انـا الـغـفــور الرحـيــم

ومن المتقارب :

واملي لهم ان كيدي متين

انتهى . وزاد بعضهم التمثيل للمتدارك بثاية : ام تامرهم احلامهم

واقتصر في الخزانة على الخمسة عشر ، وتبعه السيوطي كما ترى .

وفي البيت التأديب والتهذيب ، وهذا النـوع من مستحسنات فـن البديع ، وشأنه على سائر الأنواع رفيع ، وليس له شاهد يختص به كسائر الأنواع ، لأنه وصف يعم كل كلام مهذب ، من كل معنى مرتب ، وان يخلو من عقادة الألفاظ ومن الالفاظ المجهولة والموهمة خلاف المقصود ، وهو عبارة عن ترداد النظر في الكلام بعد عمله وامعان النظر في تنفيحه وتهذيبه نظماً كان او نثراً ، وتغيير ما يجب تغييره وكشف ما يشكل من غريب معانيه واعرابه ، وطرح ما يتجافى عن مضاجع الرقة من غليظ الفاظه ، وان كانت معانيه غير مبتكرة ففائدته تنقيح الشعر وترداد النظر عليه مرة بعد اخرى . قال الشاعر :

لاتعرضنَّ على الرجـال قصيـــدة   ما لم تكن بالغت في تهذيبهـا
واذا عرضت الشعرَ غير مهـــذب   عدوه منك وساوسـاً تهذي بهـــا

وكل كلام قيل فيه : لو كان موضع هذه الكلمة غيرها ولو تقدم هذا المتأخر وتأخر هذا المتقدم ، او لو تمم هذا النقص بكذا او حذفت هذه اللفظة او كان مكانها غيرها ، او لو اتضح هذا المقصد لكان احسن ، والمعنى ابين ،

او غير ذلك مما يعبر عنه بلو او ليت ، كان ذلك غير منتظم في سلك هذا النوع ، وفي البيت السهولة ، وقد ادخلها بعضهم في نوع الانسجام ، والصواب انها غيره ، لأن الانسجامَ على ما سبق ايراد الكلام خالياً من التصنع والتعقيد ، خالياً بعقود الرقة والتنضيد ، والسهولة كذلك ، لكن مع زيادة تميز الألفاظ عن غيرها بالمتانة والتمكين ، وهي مما يدل على رقة الحاشية وحسن الروية وسلامة الطبع وجودة القريحة والذهن ، وألطفُ الأمثلة على ذلك قول الشاعر :

اليس وعدتني ياقلب انني | اذا ما تبتُ عن ليلى تتوب
فها انا تائب عن حب ليلى | فما لك كلما ذكرت تذوب ؟

والمقدم في هذا الشأن ، والفارس في حلبة الرهان ، البهاء زهير ، فانه ابدع واشبع ، وسقى فأمرع ، فمن غصن زهره ، ووشي حبره ، قوله :

مولاي قلْ لي اين ما | قد كان من عهد وثيق
حاشاك ان تنسى الذي | بيني وبينك من حقوق
قد قلت انك زائر | فجعلت عيني للطريق

وفي البيت المساواة ، وهي حالة الاطناب الذي يقال له البسط والايجاز ، وتعريفها ان يكونَ اللفظُ مساوياً للمعنى لايزيد عليه ولا ينقص عنه ، وهذه من البلاغة التي وصف بها احد الواصفين بعض البلغاء فقال ، كأن الفاظه قوالب لمعانيه ، ومعظم ما في الكتاب العزيز من هذا القبيل ، وقال التيفاشي : مساواة اللفظ للمعنى هي الأمر المتوسط بين الايجاز والاطناب ، كقوله تعالى : (ومَن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً) ، وقال تعالى : (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى) فكلام هذه الآية منتسق متساو في اللفظ والمعني ، حلو المسموع ، فيه الأمر بكل مليح ، والنهي عن كل قبيح ، ومن النظم قول زهير بن ابي سلمى :

ومهما تكنْ عند امرىء من خليقة | وان خالها تخفى على الناس تعلم

فقد ساوى بين الفاظ هذا البيت بحيث ان الفصيح البليغ لايقدر على الحكم بزيادة كلمة ولا بنقصها .

وقال طرفـة :

ستبدي لك الأيامُ ما كنت جاهـلا   ويأتيك بالأخبـار مَن لم تـــزود

فانه غاية في هذا الباب .

وفي البيت التمكين ، ومنهم من سماه ائتلاف القافية ، وهو ان يمهد الناظم لقافية بيته والناثر لسجعة فقرته تمهيداً تأتي القافية متمكنة في مكانها ، مستقرة في قرارها ، غير نافرة ولا مستدعاة مما ليس له تعلق بلفظ البيت ومعناه ، بحيث ان منشد البيت اذا سكت دون القافية كملها السامعُ بجاذبٍ من قلبه الى ذلك بدلالة قرائن اللفظ عليها كقول المتنبي :

يامَن يعــزُّ علينا أن نفارقهـــم   وجداننا كل شيء بعدكـم عـــدم

وفي البيت التذييل ، وهو ان يوتى بجملة عقب جملة ، والثانية تشتمل على معنى الأولى للتأكيد ، كقوله تعالى : (وقل جاء الحق وزهق الباطل ، ان الباطل كان زهوقاً) ، وقوله تعالى : (ذلك جزيناهم بما كفروا ، وهل يجازى الا الكفور) ، قال في عقود الجمان :

ومنه تذييـل بجملـة حـــوت   مؤكـداً معنى الذي قبل خـلـت

وفي البيت ائتلاف اللفظ مع الوزن ، وهذا النوع لا يوصف بصورة معيَّنة ، بل هو ان تكون الأسماء والأفعال تامة لم يحتج الشاعر في الوزن الى نقصها وزيادتها ، والذي فهم من كلامهم أن يكون البيتُ خالياً من الضرورات الشعرية ، ومن التقديم والتأخير المفضيين الى عسر فهم معنى البيت ، كقول الفرزدق في خال عبد الملك :

وما مثله في النـاس الا مملكـــاً   ابـو امـه حـي ابـوه يقاربـــه

فان اضطرار الوزن حمله على رداءة السبك ، ومعناه ما مثل هذا الممدوح ، وهو ابراهيم خال هشام الا مملكاً اي رجلا اعطى الملك وهو هشام ،

ثم وصفه بقوله ابو امه اي ام ذلك الممدوح اي لا يماثله احد الا ابن اخته الذي هو هشام ، وهذا النوع في بيتي ظاهر لكل ناظر ليس فيه تقديم ولا تأخير ولا اضطرار الى شيء من ذلك .

وفي البيت ائتلاف المعنى مع الوزن ، وهو ان تاتي المعاني في الشعر صحيحة لا يضطر الشاعر في الوزن الى قلبها عن وجهها ولا خروجها عن صحتها وما اشبه ذلك بخلاف قول عروة بن الورد :

فاني لـو شهدت ابـا سعــــاد　　غــداةَ غـد بمهجتـه يـفـــــوق
فديتُ بنفسه نفسي ومالـــي　　وما آلوه الا ما اطيــــق

فانه اراد ان يقول نفسه بنفسي ومالي ، فالجأته ضرورة الوزن الى قلب المعنى ، واراد ان يقول الا ما لا اطيق ، فحذف لا لضرورة الوزن ، وهذا النوع في البيت ظاهر لكل ناظر ، فليس فيه شيء من قلب المعنى عن وجهه ولا خروجه عن صحته .

وفي البيت العقد ، وذلك اني نظمته مما في ترجمة الشيخ من التشوف كما ياتي ان شاء الله تعالى ، والعقد ان يوخذ المنثور من قرءان او حديث او حكمة أو غير ذلك بجملة لفظه أو بمعظمه ، فيزيد الناظم فيه أو ينقص ليدخل في وزن الشعر ، فالنثر الذي قصد نظمه ان كان غير القرءان والحديث فنظمه عقد على اي طريق كان اني لادخل فيه للاقتباس ، وان كان قرءانا او حديثا فانما يكون عقدا اذا غير تغييراً كثيراً لا يتحمل مثله في الاقتباس ، ولم يغير تغييراً كثيرا ، ولكن اشير الى انه من القرءان او الحديث ، وحينئذ لا يكـون على طريق الاقتباس ، ومثل ذلك قول الامام الشافعي :

عمدة الديـن عندنـا كـلـمـــات　　اربع من كـلام خير البـريـــــه
اتق الشبهات ، وازهد ، ودع ما　　ليس يعنيك ، واعملنَّ بـنـيـه

وفي البيت الابداع ، وهو مجموع ما ذكر من الأنواع ، اذ هو اسم لما اجتمع فيه عدة من أنواع البديع ، قال في عقود الجمان :

فسمّ بالابــداع ما قــد اختــــرع   من المعاني ليس قبله صنــــع
او سمّـــه سـلامـة اخـتـــــراع   وذلك الشـــامـــل للأنــــــــواع

والمقصود الشطر الأخير من هذين البيتين ، راجــع شرحَهمـا في خاتمة السرقات الخ .

قال ابن حجة :

ابــداع اخــلاقــه ايــداع خالقـــه   في زخرف الشعرا فاسجعْ بها وهم

الشطر الأول من هذا البيت مشتمل على التورية وعلى جناس التصحيف وعلى الجناس المطلق وعلى الترصيع والمماثلة والتسجيع وائتلاف المعنى مع المعنى والسهولة ، والشطر الثاني فيه التورية ومراعاة النظير والاعتراض ، والانسجام ظاهر في البيت بكماله ، والابداع الذي هو المراد هنا ، والله اعلم . انتهـــى .

وقال ايضـــاً :

تهذيب تأديبــه قــد زاده عظمــــا   في مهــده وهو طفــل غير منفطـــم

هذا البيت يشتمل ، ببركة من ادبه ربه فأحسن تأديبه ، وهو الممدوح صلى الله عليه وسلم ، على عشرة انواع من البديع ، اولها النوع الذي هو شاهد عليه ، وهو التهذيب والتاديب والانسجام والسهولة والتورية بتسمية النوع والتتميم والتكميل والتمكين والايغال والائتلاف والمبالغة ، ولولا الخوف من الاطالة لذكرت كل نوع في موضعه ، ولاكن في نظر اصحاب الذوق السليم من علماء هذا الفن ما يُغني عن ذلك ، والله اعلم ، انتهى .

ثم قلت :

بــدا تبسمه اذ كــان يغسلـــــــه   بعد الممات كريم الأصل والـــــدار

الاعـــراب : بدا فعل ماض ، وتبسمه فاعل وهو مضاف ، والضمير مضاف اليه ما قبله ، والجملة لا محل لها من الاعراب ، واذ اسم للزمان الماضي ظرف ، وهو احد معانيها الأربعة الغالب ، نحو (فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا) متعلق ببدا او تبسمه ، وكان فعل ناقص ، واسمها ضمير يعود على الشيخ ، ويحتمل ان اسمها كريم الأصل تأخر عن خبرها ، ويغسله الجملة من فعل فاعل وهو الضمير العائد على اسم كان لأنه يتقدم رتبة خبرها ، والضمير البارز في يغسله مفعول به عائد على الشيخ ، وبعد الممات متعلق بيغسله ، وكريم مضاف ، والأصل مضاف اليه ما قبله ، والدار معطوف عليه ، وتقدم خبر كان على اسمها جائز ، ويجوز ان يقرر تنازع الفعلين المذكورين في كريم الدار ، فما اعلمته منهما فأضمر للآخر معموله ، والجملة من كان واسمها وخبرها في محل جر باضافة اذ اليها ، واذ اضيفت هنا الى الجملة الفعلية الماضية لفظاً ومعنى كالآية المتقدمة ، ويحتمل ان يكون فاعل يغسله ضميراً مستتراً دلّ عليه الفعل المستتر ، الضمير فيه اي يغسله هو اي الغاسل ، كقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي اخرجه البخاري في المظالم والحدود ومسلم في الايمان والنسائي في الأشربة ، وابن ماجة في الفتن : لا يزني الزاني حين يزني وهو مومن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مومن ، اي ولا يشرب هو اي الشارب ، وكريم على هذا الوجه اما ان تجعله اسم كان كما تقدم ، او خبر مبتدأ محذوف ضميره يرجع على الشيخ ، او منصوباً بأمدح مقدرا .

اللغة والمعنى : بدا من باب سما اي ظهر ، وقرىء (الذين هم اراذلنا بادي الراي) اي في ظاهر الراي ، ومن همزه جعله من بدأت ومعناه اول الراي، والتبسم دون الضحك بمنزلة السنة من النوم ، ودلت الأحاديث ان ضحك النبي صلى الله عليه وسلم كان في الغالب تبسماً ، والغسْل التطهير ، ومنه غسل الميت ، والممات ضد الحياة ، والكرم ، الحسن والنفاسة وهو في كل شيء بحسبه ، واصل الشيء ما يستند وجودُ ذلك الشيء اليه ، والــدار الموضع ، وقد تطلق على القبيلة ، يعني ان مناقب الشيخ رضي الله عنه انه تبسم حين غسله بعد موته كما اخبر به مَن باشر ذلك وهو نفيس اصله ومسكنــه :

وهل ينبت الخطي الا وشيجه ويغرس الا في منابتها النخل

وقد صار مقصودنا الاختصار ، لأننا راينا همم اهل العصر لا تصغي الا اليه ، بحيث ان بعضهم طلب في شرح هذه القصيدة الاقتصار على ما يتعلق بالأولياء والتوسل .

ثم قلت :

بوقت موته قد جاءت كرامته اذ اعلم الناس وقت موته الجاري

الاعراب : الباء حرف جر تتعلق بجاءت ، ووقت مضاف مجرور ، موته مضاف اليه ما قبله ، وهو مضاف بالنسبة الى الضمير ، والضمير مضاف اليه ما قبله عائد على الشيخ ، وقدْ حرف تحقيق ، وجاء فعل ماض ، والتاء تاء التأنيث الساكنة ، وكرامته فاعله مضاف ، والضمير مضاف اليه ماقبله ، واذ تقدم معناها قريباً ، والأظهر ان تكون هنا تعليلية وهو ثالث معانيها الأربعة ، نحو (ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم انكم في العذاب مشتركون) ، اي لن ينفعكم اليوم اشتراككم في العذاب لأجل ظلمكم في الدنيا ، واذ هاذه حرف بمنزلة لام العلة ، أو ظرف ، واعلم فعل ماض فاعله يعود على الشيخ ، الناس مفعوله الأول ، ووقت موته مفعوله الثاني ، والجاري يصح ان يكون نعتاً لوقت او موت .

اللغة والمعنى : وقت الشيء مقدار من الزمان مفروض له ، ومنه وقت العبادة للزمان المقدر لها شرعاً مطلقاً كما في جمع الجوامع ، والظاهران تحديد الوقت بالزمان من التحديد بالأخفي والمساوي كما في الشيخ حلولو عليه ، وقال في آخر جمع الجوامع في تعريف الزمان ما نصه : قيل جوهر ليس بجسم ولا جسماني ، وقيل فلك معدل النهار ، وقيل عرض ، فقيل حركة معدل النهار ، وقيل مقدار الحركة ، والمختار مقارنة متجدد موهوم لمتجدد معلوم ازالة للايهام ، انتهى .

والموت خروج الروح من الجسد ، والمجيء الاتيان ، والمراد به لازمه وهو الظهور ، والكرامة امر خارق للعادة غير مقارن لدعوى النبوءة ، وبهذا تمتاز عن المعجزة ، وبمقارنة الاعتقاد والعمل الصالح ، وقد تظهر الخوارق من قبل عوام المسلمين تخلصاً لهم عن المحن والمكاره ، وتسمى معونة ، وراجع شروح الحكم العطائية عند قولها : ليس كل من ثبت تخصيصه كمل تخليصه ، وعند قولها : كيف تخرق لك العوائد وانت لم تخرق من نفسك للعوائد ، وعند قولها : ربمـا رزق الكرامة مَن لم تكمل له الاستقامة ، قـال في جمع الجوامع ممزوجاً بكلام شارحه العلامة الأزهري مانصه : وكرامات الأولياء وهـم العارفون بالله تعالى حسبما يمكن ، المواظبون على الطاعات المجتنبـون للمعاصي ، المعرضون عن الانهماك في اللذات والشهوات ، حق ، اي جائزة وواقعة عند اهل الحق، بدليل الكتاب والسنة، فمن الكتاب قصة مريم وهي قوله تعالى : (كلما دخل عليها زكرياء المحراب وجد عندها رزقاً) الآية ، ومن السنة حديث الصحيحين ان النبي صلى الله عليه وسلم بينما رجل يسوق بقرة قد حمل عليها اذ التفتت البقـرة اليه وقالت : اني لـم اخلق لهذا وانما خلقت للحراثة ، فقال الناس سبحان الله بقرة تتكلم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم فاني اومن بهذا وابو بكر وعمر ، وقال عبد الكريم القشيرى في الرسالة ولا ينتهى الى نحو ولد دون والد وقلب جماد بهيمة انتهى . وخالفه ولده الامام ابو نصر في كتابه المرشد في ذلك وشرح مسلم للنووي في باب الفرق الضالة ان الكرامات تجوز بخوارق العادات على اختـلاف انواعها ، ومنعـه بعضهم ، وادعى انها تختص بمثل اجابة دعاء ونحوه ، وهذا غلط من قائله وانكار للحس ، بل الصواب جريانه بقلب الأعيان ونحوه ، ومراده ببعضهم اكثر المعتزلة ، فانهم منعوا الخوارق من الأولياء انتهى .

قال كاتبه وراجع تمـام بقية حديث البقرة في باب استعمال البقـر للحراثة مما جاء في الحرث والمزارعة من صحيح الامام البخاري ، واخرجه ايضاً في المناقب وبني اسرائيل ومسلم في الفضائل والترمذي في المناقب مقطعاً ، ومثل المحقق المحلي للكرامات بجريان النيل بكتاب عمر ، ورؤيته

وهو على المنبر بالمدينة جيشَه بنَهاوند بضم النون ، حتى قال الأمير الجيش ياسارية الجبل الجبل ، محذراً له ممن وراء الجبل لكمن العدو هناك ، وسماع سارية كلامه مع بعد المسافة ، وكشرب خالد السمّ من غير تضرر به ، ونقل عن ابن السبكي ان قول القشيري المذكور حق يخصص قول غيره ما جاز ان يكون معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي لافارق بينهما الا التحدي ، وتبع القشيري على هذا الحافظ ابن حجر العسقلاني ، وقال انه اعدل المذاهب ، وضعفه الزركشي ، كما اعترضه امام الحرمين قبله وغيره ، ونقل المحلي عن ابي اسحاق الاسفرايني مثل مذهب اكثر المعتزلة من منع الخوارق من الأولياء ، قال ماجاز تقديره معجزة لنبي لا يجوز ظهور مثله كرامة لولي ، وانما مبالغ الكرامات اجابة دعوة او موافاة ماء في بادية من غير توقع المياه ، او نحو ذلك مما ينحط عن خرق العادات . انتهى ، وفي شرح المقاصد حكاية هذا القول عن البعض انتهى ، والصحيح ان الكرامات تقع للأولياء باختيارهم وطلبهم كما قاله النووي ، وفي شرح المقاصد حكاية المقابل ، وذكر حلولو عن المقترح حكاية القولين عن البعض ، وفي ءاخر الأنوار القدسية للامام الشعراني ان سيدي عبد العزيز الديربي طلب منه وقوع كرامة فقال وهل ثم كرامة اعظم من أن الله تعالى يمسك به الأرض ولا يخسفها به ، وقد استحقّ الخسف به منذ أزمان انتهى .

ومما ينبغي ان يعلم أن الكرامة تقع للولي حياً وميتاً ، ومنعها بعضهم في حالة الموت وهو مردود ، وقد كثرت فيما بعد زمان الصحابة والتابعين كثرة لم تقع في زمنهم ، ولا يلزم من ذلك فضلهم عليهم ، لأنها من توابع المعجزات ، فتؤكد بالايمان بما جاءت به الرسل، والأوائل من الصحابة والتابعين لهم باحسان كانوا مستغنين بنور النبوءة وقربهم من زمنها بخلاف غيرهم ، وقد الف السيوطي تأليفا في كرامات سيدنا عمر رضي الله عنه ، واستدل اكثر المعتزلة على مذهبهم بأدلة كلها ضعيفة ، راجع الكشاف عند قوله تعالى : (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احداً الامَن ارتضى من رسول) ، وحاشية ابن المنير عليه ، وفي الشيخ حلولو على جمع الجوامع عن ابن عرفة حكاية القولين

في صحة الكرامات بالأخبار بالغيب ، ونقل حلولو ايضاً عن المقترح مانصه : وقد سمعت عن بعض علمائنا قولا ان المكاشفات ظنون تصدق في غالب الأمور ، ولا تبلغ مبلغ العلوم ، والصحيح ان منها علوماً ومنها ظنوناً ، ثم نقل عنه ايضاً ان دلالة الكرامة على ولاية صاحبها المستقيم دلالة ظنية لا قطعية ، ونقل من نص الأشعري ان مَن لم يختم له بالسعادة فهو في زمان طاعته ليس بولي ، ونوزع في ذلك ، والخلاف في هذا ءايل الى المناقشة في العبارة . انتهى .

وما احسن قول البوصيري :

والكرامات منهم معجزات ... نالها من نوالك الأولياء

وراجع الباب السابع في كرامات الأولياء رضي الله عنهم من اوائل (التشوف ، الى رجال التصوف) للامام ابن الزيات ، فقد اطال في هذا الباب في نحو اربع عشرة ورقة جزاه الله تعالى خيرا ، وراجع المبحث التاسع والعشرين والمبحث الخمسين من اليواقيت والجواهر ، فقد حرر ان مَن لا حال له فلا كرامة له ، وان كل مَن يخرق العادة في العلوم والمعارف والأسرار واللطائف والمجاهدات وكثرة العبادات لم تخرق له العادات ، وذكر كثيراً من الكرامات ، وراجع المجلس السابع عشر في اثبات كرامات الأولياء من (الروض الفائق) ، وراجع شرح الشريشية عند قولها : وان نظم الحق الكرامات اسطرا ، راجع الفصل الثالث من (الذهب الابريز) ، وراجع حاشية المحقق العطار على المحلي ، وراجع التتمة المذكورة في كرامات الأولياء من شرح الشيخ الطيب على المرشد عند قوله : اذ معجزاتهم كقوله وبر الخ ، وراجع الجيش الكفيل ان اردت بسط البرهان فى هذا الميدان ، فان شئت المستقل بالفن فعليك ببهجة الأسرار ومعدن الأنوار في مناقب مولانا عبد القادر الجيلاني وروض الرياحين لليافعي ، وروضة الناظرين ، وخلاصة مناقب الصالحين للشيخ الوتري ، والاعلام بالشيء الاخبار به ، والجاري الواقع ، ومحصل معنى البيت ان الشيخ رضي الله عنه ظهرت كرامته حين موته لاعلامه بوقته قبل.

ثم قلت :

وقد راى بعضهم في النوم موتتـــه   رؤيــاه كاشفــه رفيع مــقـــــدار

الواو حرف عطف ، وقد حرف تحقيق ، وراى فعل ماض ، وبعضهم فاعله مضاف ، والضمير مضاف اليه ما قبله ، والجملة لا محل لها من الاعراب لعطفها على ما لا محل لها ، في النوم متعلق براى ، وموتته مفعول به ، رؤياه مبتدأ مضاف ، والضمير مضاف اليه ماقبله عائد على البعض ، كاشفه فعل ماض فاعله ضمير مستتر يعود على الشيخ ، والضمير البارز مفعول به ، ومتعلقه اي كاشف محذوف تقديره بها ، وهو الرابط بين المبتدا والخبر الذي هو الجملة ، ورفيع يجوز ان ينصب وان يرفع ، ونصبه له وجهان الحالية من ضمير كاشفه الفاعل او امدح مقدر ، ورفعه خبر لمبتدا محذوف تقديره هو على نسق ما تقدم .

اللغة والمعنى : وراى هنا مصدره الرؤيا وسيأتي معناها ، والموتة المرة من الموت ، قال تعالى (ان هي الا موتتنا الأولى) والرؤيا كالرؤية غير انها مختصة بما يكون في النوم ، ففرق بينهما بتاء التأنيث كالقربة والقربى ، وقال الراغب بالهاء ادراك المرئي بحاسة البصر ، ويطلق على ما يدرك بالتخيل نحو ارى ان زيدا سافر ، وعلى التفكر النظري (اني ارى ما لا ترون) ، وعلى الرأي وهو اعتقاد احد النقيضين من غلبة الظن ، وقال ابن الأثير الرؤيا والحلم عبارة عما يراه النائم في النوم من الأشياء ، لاكن غلبت الرؤيا على ما يراه من الخير والشيء الحسن ، وغلب الحلم على ما يراه من الشر والقبيح ، ومنه قوله تعالى (اضغاث احلام) ، وتضم لامُ الحلُم وتسكن ، وفى الحديث (الرؤيا من الله ، والحلُم من الشيطان) ، راجع ارشاد الساري في باب التعبير ، وفي القلشاني عن المازري مانصه : والرؤيا اذا دلت على شيء ولم يقع ما دلت عليه اما لكونها من الشيطان او من حديث النفس او من غلط العابر في اصل العبرة الى غير ذلك من الضروب الكثيرة التي توجب عدم الثقة بدلالة المنام ، ثم قال وثمرة المنام الاخبار بالغيب ، انتهى . ورايت فى روح البيان عند قوله تعالى (وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون) بعد كلام ما نصه : قال الشيخ الأكمل في شرح المشارق المنام الحق هو الذي يريه الملك الموكل على الرؤيا ،

فان الله تعالى قد وكل بالرؤيا ملكاً يضرب من الحكمة والأمثال ، وقد اطلعه الله سبحانه على قصص ولد ءادم من اللوح المحفوظ فهو ينسخ منها ويضرب لكل قصة مثلا ، فاذا نام يمثل له تلك الأشياء على طريق الحكمة لتكون بشارة له او نذارة او معاتبة ليكونوا على بصيرة من امرهم كذا قيل انتهى . وراجع روح المعاني عن ذكر رؤيا سيدنا يوسف على نبينا وعليه الصلاة والسلام ، والمكاشفة الاطلاع على امر غيبي ، وفي الحكم العطائية تشوفك الى ما بطن فيك من العيوب خير من تشوفك الى ما حجب عنك من الغيوب ، والمكاشفة نتيجة صفاء الروح ، فتنطبع فيها صورة عوالم وحقائق كما تنطبع في المرءاة الصقيلة ، ولا تعتبر الا اذا كانت مع مجاهدة واستقامة حـال ، وراجع مقدمة ابن خلدون داخل ترجمة علم التصوف ، وراجع شرح الشريشية عند قولها :

وفي الكشف ان كوشفت راجعه انه ‏ ‏ ‏ لايضاح سر الكشف مبتسم الثغر

والرفعة العلو والشرف ، والمقدار القدر .

وحاصل معنى البيت ان الشيخ رضي الله عنه راى بعضهم نوماً انه مـات ثم اتى الى الشيخ فأخبره الشيخ برؤياه لكاشفـة ، وهـو عالي القـدر ، جليل الذكر .

ثـم قلت :

وفي التشوف قد ابدى فضائلـــه ‏ ‏ ‏ عليه رحمـة ربـي صب مـــدرار

الاعـراب : الواو حرف عطف على ما تقدم فيما قبله ، وفي التشوف متعلق بأبدى ، وقد حرف تحقيق ، وابدى فعل ماض وفاعله ضمير يعود على صاحب التشوف ، وفضائله مفعول به ، والضمير البارز مضاف الى ما قبله يعود على الشيخ ، وعليه خبر مقدم ، ورحمة مبتدأ مؤخر وهو مضاف ، وربي مضاف اليه ما قبله ، والياء ياء المتكلم مضاف اليها ما قبلها ، وصب مدرار على حذف مضاف اي مدة صب مدرار فهو في الأصل مجرور بالاضافة ، ثم لما حذف المضاف قام مقامه فانتصب انتصابه ، ومدرار مضاف اليه ماقبله مجرور بالاضافة على حذف موصوف تقديره صب غيث مدرار .

اللغة والمعنى : التشوف اسم لكتاب الفه الشيخ الفقيه القاضي سيدي يوسف ابن الزيات في رجال التصوف ، وقد ذكر فيه من اهله رجالا ونساء مئتين تثنية وثمانية وسبعين بموحدة بانضمام ابي العباس السبتي ، وقد ترجم له العلامة احمد بابا السوداني في (نيل الابتهاج ، بتطريز الديباج) ، وفي اختصاره (كفاية المحتاج) ، وابـدى اظهر ، وفضائله جمع فضيلة مـن الفضل والرحمة ، المراد بها لازم معناها من الانعام وتكثيرها بطلبها مادام الغيث ينزل مدرارا وهو لا ينقطع مادام هذا العالم قائماً ، والصب السكب ، والمدرار الكثير ، وحاصل المعنى ان صاحب التشوف اظهر فضائل الشيخ الامام انعم عليه المولى برحمته طول الدوام (200) .

قال في التشوف في ترجمته مانصه : ومنهم يوسف بن علي المبتلى ، تلميذ الشيخ ابي عصفور ، كان بحارة الجذمي قبلي حضرة مراكش وبها مات في شهر رجب عام ثلاثة وتسعين وخمسمئة ، ودفن خارج باب اغمات عند رابطة الغار ، واحتفل الناس لجنازته ، وكان كبير الشأن فاضلا ، زرته مرات ، ورزقني الله منه محبة ومودة ، وكان صابراً راضياً ، سقط بعض جسده في بعض الأوقات فصنع طعاماً كثيراً للفقراء شكراً لله تعالى على ذلك :

تعودت مسَّ الضر حتى الفتُـــــه واسلمني طولُ البلاء الى الصبــــر
ووسع قلبي للأذى الانس بالأذى وقد كنت احياناً يضيق به صدري

سمعت علي بن سحنون بن ميمون الهـِزَرْجي الشاهد يقول : حضرت غسل يوسف ، وكان الفقيه ابو علي بن صمغ يغسله ، فقال رايته الآن اونا اغسله وهو يبتسم ، وسمعت يوسف بن محمد الخزرجي يقول : صليت الجمعة بجامع القصر الجديد مع احمد بن عبد العزيز الخراز ، فلما سلم الامام اصاب احمد سنة فأفاق منها وقال : رايت يوسف قد مات ، فأسرع بنا الى داره بحارة الجذمى فأتينا اليه ودخلنا عليه ، فلما سلمنا عليه قال لأحمد ارايت في المنام كأني قد مت ؟ فقال له نعم ، فقال يوسف : بقي لي واشار بيده

200) هنا ينتهي هذا الهراء الذي اقذى به المؤلف العين وغم النفس ، ليبدأ هراء مع نوع آخر .

فعدّ بأصابعه اربعين ، قال يوسف بن محمد : فلما كملت اربعون يوماً من ذلك اليوم مات يوسف رحمه الله (201) انتهى .

وقال الأديب المحقق سيدي أحمد بن خالد الناصري في (الاستقصا) مانصه : وفي سنة 593 ثلاث وتسعين وخمسمئة توفي الشيخ يوسف بن علي المبتلى المعدود في سبعة رجال من صلحاء مراكش ، كان رضي الله عنه كبير الشأن فاضلا صابرا راضياً فيما ابتلاه به من داء الجذام ، سقط بعض جسده ذات يوم فصنع طعاماً كثيراً للفقراء شكراً لله تعالى على ذلك ، وكان يسكن بحارة الجذمى العتيقة قبلي مراكش وبها مات في شهر رجب من السنة المذكورة وفن خارج باب اغمات عند رابطة الغاز ، واحتفل الناس لجنازته رضي الله عنه (202) انتهى .

والشيخ هو المقصود عند العلامة سيدي احمد بن عبد القادر لتاستاوتي في نظم رجال التشوف بابن علي ي قوله .

توسل بابراهيم وابن علي وعـــج ببحر من اسماعيل قد كان في زخـر

ولم يزد في تعليقه على نقل بعض ما في التشوف شيئاً ، ورأيت للفقيه ابي بكر بن العربي بناني تقييداً في سبعة رجال ذكر فيه تراجمهم باختصار ، قال في اولـه :

بسم الله الرحمان الرحيم

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وءاله وصحبه وسلم

الحمد لله الذي منّ علينا بنعمة الاسلام ، والكون من امة سيدنا محمد خير الأنام ، وألهمنا لمحبة الأولياء والصالحين ، واشهد ان لا الاه الا الله وحده

201) **التشـــوف** ص 308 ع 156

202) **الاستقصا** 2 : 211 طبع بالدار البيضاء

لا شريك له . وان سيدنا محمدا عبده ورسوله ، صلى الله عليه وسلم ، وبارك عليه وعلى ءاله واصحابه الكرام .

وبعد فالغرض' تقييد' وفيات سبعة رجال نفعنا الله بهم ، وجعلنا من المحبين لهم في الدارين ، وذلك اني كنت متشوفاً الى وفاتهم مدة وانا اطلبها لنعلم المتأخر والمتقدم منهم ، الى ان يسَّر الله علينا بالوقوف على ذلك ، فاقول اولهم : على ترتيب الزيارة الولي الصالح يوسف بن علي المبتلي ، تلميذ الشيخ ابي عصفور ، كان بحارة الجذمى قبلي حضرة مراكش ، ثم ذكر بقية ما تقدم عن التشوف باللفظ الا قوله بجنازته ، فجعل مكان اللام باء موحدة ، الى ان انشد البيتين المتقدمين فغير الأسلوب ، وقال ومن مناقبه رضي الله عنه ان الفقيه ابا علي بن صمغ لما كان يغسله بعد موته رءاه اذذاك يبتسم ، ومنها ايضاً ان الشيخ احمد بن عبد العزيز الخراز اصابتْه سنة بعد صلاة الجمعة ، فلما افاق منها قال لبعض اذهب بنا الى دار الشيخ سيدي يوسف بن علي المذكور بحارة الجذمى ، فاني رايته قد مات ، فأتيا اليه ودخلا عليه ، فلما سلما عليه قال لأحمد رايت في منامك اني قد مت ، فقال له نعم ، فقال له يوسف بقي لي واشار بيده يعد بأصابعه اربعين ، فلما كملت الأربعون يوماً من ذلك اليوم مات يوسف المذكور رضي الله عنه انتهى .

كـرر حديثهـم فـمـا احـــلاه والـــذه عندي ومـا اشـهـــاه

انتهى ما فى ترجمته من اظهار الكمال مع حذف ترجمة الشيخ يوسف التادلي لكونها تأتي فى محلها مع زيادة .

وما انشده في التشوف : تعودت مس الضر حتى الفته ، البيتين هما من ابيات لموسى الجون قالها في سجنه بحبس المنصور العباسي كما في (نظم الدرر) للتنسي :

اذا انا لم اقبل من الدهر كل مـــا تكرهت منه طال عتبي على الدهــر
الى الله كل الأمر في الخلق كلهـــم وليس الى المخلوق شيء من الأمر
تعودت مسَّ الضر حتى الفتـــــه واسلمني طول البلاء الى الصبـــر

ووسع صدري للأذى الأنس' بالأذى — وان كان احياناً يضيق به صـــدري
وصيرني يأسي من الناس راجيـاً — لسرعة لطف الله من حيث لا ادري

وقــال محمد بن عمران بن موسى المرزباني في ترجمته من معجـم الشعراء : وله وهو في حبس المنصور :

اذا انا لم اقبل من الدهـر كلّ ما — تكرهت' منه طال عبتي على الدهر

وهي ابيات تخلط بابيات لأبي العتاهية ، انتهى . ونص مافي ديوانه ص 119 الجزء الأول وقال في رفع الأمر اليه عز وجل من الطويل :

الى الله كل الأمر في الخلق كلـــه — وليس الى المخلوق شيء من الأمر
اذا انا لم اقبل من الدهر كل مـــا — تكرهت منه طال عتبي على الدهــر
تعودت مسّ الضــر حتى الفتــــه — واحوجني طـول العزاء الى الصبر
ووسع صدري بالأذى الأنس' بالأذى — وقد كنت احياناً يضيق به صدري
وصيرني يأسي من الناس راجيـاً — لسرعة لطف الله من حيث لا ادري

ونقلها فى السر الظاهر وفى العرف العاطر .... للقاضي عيـــاض في ترجمـــة سعيد ابن الحداد المتوفى سنة 330 ثلاثين وثلاثمئة انه كتب الى حماس القاضي رحمه الله :

تعودت مس الضر حتى الفتــــــه — واسلمني مر الليالي الى الصبـــر
ووطــن قلبي للأذى الأنس' بالأذى — وقد كنت احياناً يضيق به صدري
وصيرني يأسي من الناس راجيـا — لكثــرة صنع الله من حيث لا ادري

وقرأت فى الأول من (طبقات الصوفية) للشيخ عبد الرؤوف المناوي المسماة بـ (الكواكب الدرية ، في تراجم السادة الصوفية) في حرف الهمزة في ترجمة ابراهيم ابن احمد الخواص احد مشايخ وقته واجل اصحاب التوكل من اقران الجنيد . . . . الى الصباح :

برح الخفاء' وفي التلاقي راحـــــة — هــل يشتفي خــل بغيــر خليلـــه

وتأوه ، فقيل له ما هذا التأوه ؟ فقال كيف يعلم مَن يسره مايضره ؟ وانشد :

تعودت مس الضـــر حتى الفتـــــه   واحوجني طـــول البلاء الى الصبـــر
وقطعت اطماعي عن الناس آيســـــا   لعلمي بصنع الله من حيث لا ادري

وقرأت في كتاب (الأحكام النبوية ، في الصناعة الطبية) تأليف الامام العالم العامل ابي الحسن بن الشيخ الامام العالم مهذب الدين عبد الكريم بن طرخان المشتمل على عشرة ابواب في الباب الخامس : روي عـــن الأصمعي قال اشتكى رجل من اهل البادية وطالت شكايته وكثرتْ اسقامه ، فقال كيف تجدك يافلان ؟ فأنشأ يقول :

تعودت مس الضـــر حتى الفتـــــه   واحوجني طول البلاء الى الصبـــــر
ووسع قلبي للأذى الأنسُ بالأذى   وقد كنت احياناً يضيق به صدري

وقرأت في ترجمة ابي الأسود ظالم بن عمرو الدؤلي من (ارشاد الأديب) ص 282 من الجزء الرابع ، وقال يعني ابا الأسود المذكور :

تعودت مس الضـــر حتى الفتـــــه   واسلمني طول البلاء الى الصبـــــر
ووسع صدري للأذى كثـــرةَ الأذى   وكان قديماً قد يضيق به صـــدري
اذا انا لم اقبل من الدهر كل مـــا   الاقيه منه طال عتبي على الـــدهر

وكتبتُ في مقدمة (اظهار الكمال) مقدمة تشتمل على فصلين ، الأول في ذكر قصائد تنوه بقدر الأولياء اوصافا وكرامات وتوسلات ، والثاني يشتمل على ذكر ترتيب زيارة سبعة رجال رضي الله عنهم ، وذكر قصائد في مدحهم ، وذكر سبعة رجال رجراجة ، وسبعة رجال المشار اليهم في (التشوف) وفي غيره رضي الله تعالى عنهم ، وما يتعلق بهم باختصار من ذكر وقت شهرتهم بهذه الزيارة على الكيفية الآتية واولية الأولياء ، والفرق بينهم وبين اولياء الأمم الماضية ، وتشييخ احد هاؤلاء الأولياء السبعة بعد موتهم .

الفصل الأول

ما احسن قول القائل المجيد ، عليه رحمة الله المجيد :

ومن العجائب أن تكـــون كمـــا ارى   وتظـــن نفسك فـــايـــزاً مقبـــــولا
كيف السبيل الى نعيم اجـــــــــل   في حـــق مَن لم يستقـــم في الأولـــى

وقــال :

وصفنا طريــق الصالحين وفعلهـم … وما خصّنا الا التزيــنُ بالوصــف

منها قول القائل :

لا تستربْ في كرامات يخص بهــا … من اتقى الله في سـر واعـــلان
واصغ سمعاً لما يروي ائمتُنــا … عمن مضى من اولى المقدار والشان
وامر مريـم يكفي المستدل بـــه … في شان محرابهـا في ءال عمـران
توتى الفواكه انواعـاً منوعــة … بـلا محاولـة بغيـر ابـــان
وفتية الكهف في ايقاظهـم عجـب … بعد المئين كما تتلـو بسبحـان
وعرش بلقيس في ايصالـه عبــر … ما بين سرعـة جني وانســان
جاءت به قـدرة الرحمان في زمـن … حتى استقرَّ بمرأى من سليمـان
علم الكتـاب واعمـال بموجبـه … اعاد ءاصف ذا قـول وايقـان
كانت مسارعـة الجني سابقـة … فأحرز السبقَ هذا العالم الثانـي
وكم دليل بأقـوال الرسول لنـا … فيها ، وكم حجة فيها وبرهـان
ثم الكرامـات انـواع اذا نظـرت … كالزهر في حسن انفاس والـوان
مشيٌ على الماء او في الجو قد نقلا … وشبـع ذي سغب وري ظمئـان
وكـم اجيب ولي عند دعوتـه … وكم اغيث ولي حين اذعـان
وفيهم مَن يجيبه الجمـاد ، ومـن … يغيب عن درك اسماع واجفـان
ومنهم من يرى المختار من مـلـك … ومن يجالسهم في حـال اخـوان
وكم لهـم من مقامـات مكرمـة … هذا الذي قلتـه منهـا كعنـوان
صفوا فصوفوا ونالوا ضعف سعيهم … والمرء يكسب احسانـاً باحسـان
في عيش ارواحهم ماتت نفوسُهـم … وقد تموت نفـوس دون ابـدان
فافعل كفعلهـم تقـربْ كقربهـم … فالفضلُ عمم في القاصي وفي الداني
وان عجزت عن الجد الذي لهـم … فاصمتْ فليس مجد القوم كالواني

انشد هذه القصيدة الامام ابن الزيـات في (التشوف ، الى رجـال التصوف) وصاحب (الروض اليانع الفائح ، في مناقب سيدنا ومولانا محمد

المدعو بالصالح) ، ثمَّ هذا التأليف كما ذكر مؤلفه سيدي الحسن بن محمد ابن الهداجي المعداني في يوم الخميس ثامن من جمادى الأولى عام تسعة وسبعين ومئة والف ، وهذا خلاف ماوقع في (سلوة الأنفاس) من نسبة هذا التاليف للشيخ سيدي الحسن بن رحال المعداني ، واقتصر في (الاستقصا) على نسبته لأبي علي المعداني وسكت ، راجع صحيفة 54 من الجزء الرابع منه قبل ترجمة مولانا اسماعيل ، وقد ذكر مؤلف الروض المذكور نفسه فيه مكاتبة ابي علي المذكور لسيدي المعطي وطلبه منه ان يرسل له شيئاً من امر الدنيا ، وقد توفى ابو علي رحمه الله تعالى في ثالث رجب سنة 1140 اربعين ومئة والف قبل كمال التأليف المذكور الذي يروي فيه مؤلفه عن شيخه سيدي المعطي صاحب الذخيرة حفيد الشيخ ابي علي المذكور بنحو تسعة وثلاثين عاماً فاعلم ذلك ، والله الموفق .

ومنها قول ءاخر :

للأولياء مناقب مشهورة ... فاشهدْ بها حق الشهادة واقطع
ورد الكتاب بها وسنة احمد ... فاشددْ يديْك على الحسام الأقطع
خرق العوائد ممكن" لا سيما ... في حق اصحاب المكان الأرفع
قوم" فرائضهم ومندوباتهم ... منهم بمرأى لا يغيب ومسمع
قطعوا الظلام تأملا وتململا ... وعيونهم تجري بفيض الأدمع
وتسارعوا نحو الهدى ووراءهم ... مني ومنك كوادن لم تسرع
وردوا بحارَ مواهب مختومة ... عن غيرهم وحرمت ري المشرع
لوكنت مثلهم لنلت منالهم ... لاكن نزعت خلاف ذاك المنزع
اتقيس نفسك ياجبان بمقدم ... اتقيس نفسك عاصياً بالمطوع
ومن المحال مع التفاوت ان يرى ... ماضي الجنان مع الجبان بموضع
لا يشتهون وفي الفعال محطة ... سبقوك ايام البطالة فارجع
قسم يخص بها السريع الى التقى ... لوكنت من اصحابهم لم تمنع
ان لم تعاين في البطالة مفلحاً ... فاصدع بقلبك قبل اذنك فاسمع
يامن تمادى في البطالة ساعياً ... فارددْ حجاك مع الكرايم واسمع

انشدها صاحب الكتابين المذكورين مع تخالف بزيادة ونقص

تأخر الناس والأبدال قد سبقوا   ليس الطليق كمن دارت به الحلق
والخلق في الخلق امثال سواسية   ولا يميز الا الوصف والخلق
هل يستوي متأنٍ في بطالته   وحازم نحو باب القرب منطلق
القوم اظمأهم خوف وأرقهم   فانتج الأمن منهم ذالك الفرق
شدوا الحيازمَ واشتدوا الى علم   تاهت عن السعي في ادراكه الفرق
هم العكوف بباب الله تكرمة   في الله أن صمتوا بالله ان نطقوا
من كل اشعث ذي طمرين تحسبه   سيفاً تعدى عليه غمده الخلق
وهل تشين بياض الصبح لبسته   معاوز الليل وهو الأبيض اليقق
يقطع الليل تفكيراً وتذكرة   والدمع مندفق والقلب محترق
فجسمه في بساط الأرض مرتهن   وقلبه في بساط الغيب يخترق
ففي الهواجر احلى ورده ظمأ   وفي الدياجير اهنا نومه ارق
سيماه دمع كسح الوبل تتبعه   جوانح في رياض الشوق تصطفق
خرق العوائد منهم ليس تنكره   وكيف ينكر نور الأنجم الأفق
يامن تشكك قيلا في كرامتهم   حقق وصدق فان القوم قد صدقوا
العقل جوزها والشرع اثبتها   وما يفكك الا الغي والخرق
قهقر فما لك في ميدانهم اثر   وان شككت فهذا اليوم والطلق
جدوا وقصرت عن ادراك جدهم   والكيس والعجز شيء ليس يتفق

ومنها :

فحسبي ان ءاوي الى الواحد الفرد   فان سواه لا يعيد ولا يبدي
هل الغاية القصوى سوى الله وحده   وهل بعد نيل الحق نيل لذي قصد
يجل مقام القدس عن كل وارد   وان كان كل الناس يطمع في الورد
فياراحلا في بغية الحق انه   يناديك من قرب وانت على بعد
ومن سطع النور المبين امامه   فما باله يبغيه بالنقص والوجد
اعندك اني لا ارى غير خالقي   ولولا قصور الخلق بحتُ بما عندي

ومَن لم يكن للحق اهلا اضره ... كاضرار عين الشمس بالأعين الرمد
فسبحان من يبدو الينا بذاته ... فنذكره من غير رسم ولا حد
نراه عياناً بالقلوب وانه ... لأقرب من حبل الوريد الى العبد
ويُسدي الينا انعماً فات حصرها ... ولاكن تجليه لنا خير ما يُسدي
تنزه مَن لا يدرك الفكر نحوه ... وجلّ عن التكييف بالقرب والبعد
وما الرب الا حاضر غير غائب ... وان طاح ذو الالحاد في هوة الجحد
اذا ما تبدى نوره فى قلوبنا ... محا كل ظل للضلالة ممتد
فلولاه كنا نائمين بمهمه ... من الشك في ليل من الجهل مسود
ارى العارفين السابقين الى الهدى ... قليلين في المعنى كثيرين في العد
ونحن اناس طهر الله سرنا ... ففي الحق ما نخفي وفى الله ما نبدي
فان كنت لاترضى سوى الحق مطلباً ... فيممْهُ من باب التجرد والزهد
فما يستفاد الفوز دون مشقة ... ولا تجتني الراحات الا من الكد
خلوت بنفسي كي تتمّ سعادتي ... فأجني ثمار الفوز من منية الحمد
وما انا وحدي حين اعرض عنكم ... ولاكن معي مَن ليس يتركني وحدي

انتهى .

يامن يريد منازلَ الأبدال ... من غير قصد منه للأعمال
لا تطمعن فيها فلست من اهلها ... ان لم تزاحمْهم على الأحوال
بيتُ الولاية قسمت اركانه ... سادتُنا فيه من الأبدال
ما بين صمت واعتزال دائم ... والجوع والسهر النزيه العالي

وما احسن قول العلامة سيدي عبد الخالق بن محمد بن احمد العروسي في كتابه (المرقي ، في مناقب القطب سيدي محمد الشرقي) :

عليك بهم ماعشت ان كنت طالبا ... نجاة ففي مغناهم كنز الذخائر
بهم تنجلي الأحزان عند اشتدادها ... بهم يرتجى نيل المنا والمياسر
بهم تقبل الأفراح والضر قد شفي ... بهم تذهب الأسواء من قلب ضامر
بهم يحصل الأمان في الدهر للورى ... بهم ترتقي للفضل اولو البصائر

بهم يستضي مَن كان قلبه مظلمــاً بهم يحسن حال الكئيب وقاصـــر
بهم تنزل الأمطار عند احتباسهـــا بهم يقطف من كل روض وزاهـــر
فــلا خير الا من رفيــع جنابهـــم ولا لــذة الا اكتساب المئاثـــر

وللولي الصالح سيدي الصالح الموضوع فى مناقبه (الروض اليانع الفـــائـــح) :

نحن في ذمـة الرجـال المـــلاح سادتي الصالحين اهل الفـــلاح
وجنتي تحت رجــل كــل تقـــي وتقيــات من ذوات الــوشـــاح
حاشى ان يسلمونـي من غيـر زاد او ارى في الورى بغير ســـلاح
في حماهــم جعلت نفسي ومـالـــي بهــم عــذتُ من عتاق الرمـــاح
ولهم راحتي تمــدُّ واحـظـــى ناعماً في المســاء او في الصبـــاح
واذا ما افتقرت لم الــف الفــــاً مثلهم في النــدى ونيل النجـــاح
ليس لي غيرهم وهبهم جفونـــي ليس لي عن جنابهم من بـــراح
وبهــم ارتقــي مراقــي المعالـــي وبهم اتقــي قـــراع الصفـــاح
وبهــم كــل مَن علي تـــعـــدى ينثني باسراً برشق الرمـــاح
وبهم يستــدرُّ رزقــي وينمـــو اينما كنت في جميع النواحـــي
ما اعترتني الهمــوم الا اعترتنــي منهم غيــرة فيبــدو انشراحـــي
ابتغي الزهــد منهم وهو نهـــج لهم فى الحــرام او فى المبـــاح
واحتراســـي من النميمة والغيــ ــبة والمين والخنـــا والسفـــاح
كــل هــذا طلبتــه من موالـــي وهو هيْن على الوجوه الصبـــاح
ما انا غير عبدهــم ان رضونـــي وهم عدتــي وريش جنـاحـــي
وبهم تستريــح روحــي ومنهـــم ارتجي ان افــوز يومــاً بـــراح
يالَــراح سألتها ان ســرت لـــي لسرى لي السلو عن كــل لاحـــي
يارجــالَ الالــه انتــم مجنـــي من زمــان يــروه قلبي كـــلاح
يارجال الاله شرقـــاً وغــربـــاً قد سُجنت فبادروا بالســـراح
يرحــم الله مَن يــدارك عـــبـــداً ثملاً من هــواه ليس بصاحـــي
حقه ان ينــوح ما دام حـــيـــاً اذ مضى عمــره في غيــر نيـــاح

يارجـال الالـه عـار عليكـــــم ... أن تغير الخيول وسـط مـراحي
اسـأل الله ان يمـنّ علينـــا ... برضاكـم ففيه كـل نـجـاح
اسـأل الله أن يواجـهَ فـتـح ... منكم خاطـري ففيـه صلاحـي
بالنبي المصطفى امـام البرايـا ... معدنِ الجود والوفـا والسمـاح
فعليه الصلاةُ مـا اخضـرّ روض ... وانثنى الغصنُ من هبوب الريـاح
وعليه السـلامُ ما انهـلّ وبـْل ... وبدا النور فاتحـاً في البطـاح
وتعطـر من شـذا الجـو ورد ... وتبسـم ثغـرُ كـل اقـاح
وشدا منشد وغنّى هـزار ... وعلا الجو طائـر بالجـنـاح

وله رضي الله تعالى عنه ونفعنا به ءامين :

ايامَن مات حـول البيت شوقـاً ... ويامَن ساح من فـرط الهيـام
وياأهلَ العراق واهـلَ نجـد ... وسكـان البقيع مـع المقـام
وياأهـل المغـازي يالبَـدر ... واهـل القدس شيـخ او غـلام
وأهـل الوقت ياذا الغـار يامَـن ... تفـرد للعبـادة والصيـام
وياقطب المعالـي ابـا عبيـد ... ونجل العـارف الأتقى الهمـام
اجيبوا دعـوةَ الداعي سريعـاً ... بحـق المصطفى بـدر التمـام
ومـدوا عبدكم مـدداً قـويـاً ... ورقـوا لـه اياجمعَ الـكـرام
لقد ضيَّعت في العصيان عـمـري ... وما حـرمت من خـوف منـام
وقلبي لم يـزل قاس ونفسـي ... رمتني في بـحـار من ظـلام
وعـزت حيلتي لاكني اشكـو ... اليكـم مـا بـدا لـي مـن اوام
وارجو سادتي منكـم امـانـاً ... يؤمنني غـداً يـوم الـزحـام
ولـم لا ارتجي هـذا ؟ وانـتـم ... سقـاةُ الظامئين مـدى الـدوام

ورايت في ديوان الامام سيدي الحسن اليوسي من توسلاته هذه القصيدة العديمة النظير ، المشتملة على الدر المنظم الذي ليس فيه من نثير ، قال رضي الله عنه :

يـارعـاة الحمـى اغاثـةَ ملهـ ... ـوف تداعت عليه خيـلُ الأعادي

ان توانيتم يكنْ عرضةَ الفتـــ ... ـــك ورهنَ الاجـــلاء والافســـاد
ويكنْ غمـــةً لكـــل مـــحـــب ... مــرتعــاً لشمــاتــة الحســـاد
فانهضوا نهضةَ الكـــرام وصولـــوا ... صولة الذائدين يــوم الطـــراد
وانصـــروا جاركـــم ولا تسلمـــوه ... يالأهـــل الكفايــة الأنـــجـــاد
يالأبطـــال درعـــة وسجلمـــا ... سة والـــراكعيـــن والسجـــاد
ورجال السودان والسوس والحـو ... ز ومَن بمـــراكش من جـــواد
ورجال الجبـــال والغـــرب طـــرا ... وخصوصاً مَن فيه من أوتـــاد
مثـــل ادريس وابنـــه وابـــي يعـ ... ـــزى وعبد السلام فى الـــزهـــاد
وتلمســـان والثغـــور جميعـــاً ... وبـــلاد الأتـــراك والأكـــراد
ورجال الصحـــراء للزاب للقلـــ ... ـــعة مـأوى الأفاضـــل الأمجـــاد
وحمـــى القيروان والشيخ فى مســ ... ـــراتـــة ذي الفتوح والامـــداد
ورجال مصر واعمـــال مـصـــر ... ومن احتلَّ حـــول ذاك الـــوادي
ورجالَ الحجاز مأوى الفخار المحـ ... ـــض والنـــور والبهـــاء البـــادي
وخصوصـــاً ائمـــة الديـــن فيـــه ... وخصوصـــاً صحب النبي الهـــادي
وخصوصاً محمدا خيـــرة الخلـــق ... ونـــور الهدى ونهـــج الرشـــاد
درة الكـــون والمشفـــع فى النـــا ... س ، وغوث العباد يوم المعـــاد
جاده وابلُ الصلاة مـــع التســـ ... ـــليم مابكَّـــر السجيـــم الغادي
واليمانين والشآميـــن والشـــر ... ق خصوصـــاً مَن كـــان فى بغداد
ومن احتلَّ فى اللكام ومَن كـــا ... ن بلبنان من فتـــى ذي فـــؤاد
وجميع الأقطاب والغوث والقـــو ... م جميعـــاً شموس ذاك النـــادي
وخصوصاً منهم اولـــي العزم اهـــل ... التأييد من كل صالـــح مستفـــاد
وخصوصاً نبينـــا أحمـــد المخـــ ... ـــتار قطب الاصـــدار والايـــراد
شملتهم مـــن الالـــه صـــلاة ... وسلام يـــزكـــو مـــدى الآمـــاد
ورجال البحـــار والجـــن والامـــ ... ـــلاك اهل الأنابـــة العبـــاد
وذوات الخـــدور من صـــالحـــات ... وذوات الجبـــال والأوهـــاد
يالَغوثـــاه يالَغوثـــاه عـــاتـــت ... في الزوايـــا غواشـــمُ الآســـاد
يالَغـــوثـــاه يالَغـــوثـــاه ازرت ... بالمـــزايـــا مقـــاول الفســـاد

يالَغوثاه يالَغوثاه خاضت ... فى الركايا الحميرُ وهي صواد

يالَغوثاه يالَغوثاه جاشت ... بالبلايا جموعُ اهل العناد

شتت الله شملَهم عن قريب ... انه سامعٌ نداءَ المنادي

قصم الله ظهر كل فخور ... فاجر دأبُه ابتغاءُ الفساد

قطع الله من سبيل ذوي النسـ ... ـبة كل مقدمي الأهواد

وحمى الله كل بيضة قفر ... من اكف الجساس والصياد

ورعى الله كل اهل مقام ... وحمى من تجاسر العناد

واذلّ المديد ذا البغي رغماً ... واجلّ المريد ذا الأو ر ا د

رب انت المولى اليك التجاء الـ ... ـخلق طراً وانت رب العباد

لك امر الورى وانت المنير الـ ... ـكون والمستبدّ بالايجاد

انت قيومه وديانه قد ... ماً تعاليت فيه عن انداد

لم تزل قاهراً فعولا لما شئـ ... ـتَ علياً عن رحمة الأضداد

انت حامي الحمى وانت المرجّى ... والمنادَى لكل خطب يعاد

ياحبيبَ القلوب انت ملاذي ... يارفيعَ النفوس انت عمادي

انت حصني وانت كنزي ودخري ... انت سؤلي وبغيتي ومرادي

انت ركني اذا تعزز بالشعـ ... ـب نسيب ، وانت وفري وزادي

انت سيفي وانت جندي اذا ما ... جار اهل السيوف والأنجاد

انت انسي وانت منيةُ نفسي ... دون كل المنى وانت استنادي

ياطبيبَ القلوب داوِ فؤادي ... واسه ما شفيت اهل الوداد

انت حسبي وحجتي وظهيري ... ونصيري من كل جان وعاد

اعد قلبي على هواه فيمسي ... خاسئاً واقفاً سبيل السداد

واعف عن نسله واشياخه طـ ... ـراً وءابائه مع الأجداد

واقم وجهه لدين قويم ... واحلّه في مراكز الافراد

واحبُه ما حبوتَ مصفى واورد ... سره خيرَ منهل الوراد

واسمه بروض صدق وتقوى ... مخصب خير مشتهى الرواد

ياقديمَ الاحسان يامن له الفضـ ... ـلُ وياحسبَ كل ما مرتاد

يامن اختصّ صفوة من عبيد ... بمزايا الاحسان والاصعاد

ووقاهم من الرزايا ورقا … هم الى القدس عن ذوي الاخلاد
رقنا ياكريم جوداً وفضلا … وقنا مرتمى ذوي الابعاد
واعف بالفضل منك عن عبد سوء … ما جنى وهو فايت العداد
وتعرف في كل حال الينا … ما بقينا بسابغات الأيادي
بنعيم لا عتب فيه علينا … وصلاح القلوب والأجساد
ونجاة من كل خزي وبلوى … وصفاء من جملة الأنكاد
واكفنا شر كل طارق سوء … يبتغينا وكل جيش مناد
وحسودا يسعى بنا وصديقا … ينئني فيكون شر معادي
واكفنا شر كل طعن وطاعو … ن وجوع يبلي وجوه البلاد
مع مَن ينتمي الينا واهل الـ … ـسود طراً والأهل والأوتاد
وعلى المصطفى الرسول صلاة … وسلام يفوح مسكاً وجادى
وعلى ءاله واصحابه الأبـ … ـرار والتابعين اهل الرشاد

وله ايضا يدعو على بعض الظلمة المردة في اواخر الثمانين بعد الألف ، وقد اهلكهم الله تعالى :

صلاة وتسليم على صفوة الورى … واصحابه والآل اهل السوابق
صلاة بها نرجو الرغائبَ والمنى … وننجو بها من معضلات المضايق
اليك التجأنا يااله َ الخلائق … واياك ندعو للدواهي الطوارق
واياك نرجو ان تُعزَّ جنابَنا … اذا رام اذلالاً لنا كلُّ مارق
وتلبسنا ثوباً من البر صافياً … وتنجينا من مرديات الموابق
وتسبل صوناً دائماً ووقاية … علينا اذا ما رامنا كلُّ مازق
فيارب ياذا الفضل والطول دائماً … وياراحماً يرجا لكشف المضايق
ويامَن له الاحسان قدماً ، وحلمه … لكل مسيء شاملٌ غير ضايق
تفضلْ علينا باستقامة حالنا … لدين ودنيا والزمان الموافق
وامن وايمان ويُمن وختمة … بحسنى ورضوان من الله وادق
ويارب ياذا البطش ياقاهراً لمن … تضعضع عنا والعدو المراهق
ويامن اباد الماردين وكلَّ مَن … تألب بغياً من صدور الفيالق

ويا حي ياقيوم يامَن بكفه ... نواصي البغاة الماحلين المسابق
قِنا شرَّ مَن يسعى بنا ويسومنا ... هوانا ويبغينا حلولَ البوائق
وعجل على مَن كادنا وتمكنت ... مخالبُه منا باحدى الصواعق
بداهية تجتاحه وتبيده ... وتجعله ذكرى لكل منافق
بجاه اسمك الأعلا واوصافك العُلا ... وعزتك العظمى ومهدي الخلائق
وبالكتب والآيات والكلم التي ... يغيض لها فيضُ البحار الغوادق
وما قد دعا داع به فأجبتَه ... سريعاً من اسم شامخ القدر فائق
وبالمصطفى المختار احمد خير مَن ... اصار نهاراً داجيات الغواسق
وكل رسول او نبي ومألك ... وكل ولي فى البرية صادق
وبالخلفاء الأكرمين ذوي العلا ... وبالسابقين الأولين الأوافق
وبالأمهات الطاهرات ومَن حوى الـ ... ـعباءُ من الشم الكرام الخلائق
وسائر صحب المصطفى ومَن اقتفى ... سبيلَهم من كل اهل السوابق
وبالغوث والأقطاب طراً ومَن له ... التصرف من امر من الله سابق
فبالله قوموا مسرعين واعجلوا ... اغاثةَ ملهوف بالود راهق
بتفريج هم واستعادة نعمة ... واحلال ويل بالمشانيء حائق
فيارب عاجله بتثليل عرشه ... سريعاً وتجليل له بالخيافق
فيارب صبح سربَه بصوارم ... مهندة تفري ونبل رواشق
ويارب خذه اخذة غضبية ... بمسخ وهلك من عذابك ماحق
ويارب دمره ومَن كان مثله ... متى كان يوماً فى العصور اللواحق
وعجل شفاء المومنين بدائه ... وسرهم بحزنه المتلاحق
وصل وسلمْ ما تعالى ترنمٌ ... لسائق ركب نحو طيبة شائق
على المصطفى المختار من ءال هاشم ... كرام المساعي والفروع البواسق
وعترته طراً واصحابه العلا ... شموس الهدى المستعليات المشارق
صلاةً وتسليماً ننال بذكرها ... شفاعة مخلوق ورضوان خالق

وقال ايضا رحمه الله :

يارب يارحمان يامَن لا طلب ... الا اليه ، وعنده يُرجا الأرب
يامَن له الجودُ العميم وفضلُه ... قاض بتفريج الشدائد والكرب

يامن له الحلم الذى قـد نالـه ... العاصي ولم يختصه بمن اقترب
فرجْ جميع كروبنا وتولّنا ... بحماية من كل سوء يرتقب
يامن لباهر عزه وجلاله ... خضعت قلوبُ العارفين من الرهب
يامَن للائح حسنه وجماله ... تاهوا بشوق فى القلوب قد التهب
بلغ لحضرتك العلية مَن اتى ... يرجوك من اهل السلوك بما طلب
وافتح عليه بما فتحتَ على الأولى ... خصصتَهم بالقرب منك بلا نصب
وامنحه فى الذكر الحضور واوله ... كشف الستور وحله حسنَ الأدب
وارحم جماعتنا واصلحْ شأننا ... واغفرْ بفضلك للحضور وللغيب
واحفظْ علينا ديننا وتوفنا ... فيمن توفيه على ازكى القرب
واكفف اذى المؤذين ياربَّ العلا ... عنا وعن احبابنا ومَن انتسب
واجبرْ بفضلك كسر كل مجاور ... واقل عثار المومنين من العطب
انا توسلنا اليك بجاه مَن ... سادَ البرية عجمها بعد العرب
صلى عليه اللهُ ما برقٌ خفا ... وعلى صحابته الكرام ذوي النسب
وبكل مختار لديك وءاية ... تُتلا ووصفٍ من جلالك قد وجب
والآلِ والأصحاب اعلام الهدى ... والفائزين بكل خير مجتلب
وبكل صديق وكل مخصص ... بالفوز منك وكل عبد منتخب
يارب بالمختار احمد كنْ لنا ... فى هذه الدنيا ويوم المنقلب
وامدنا ابداً بدين قيم ... ومعارف وعوارف لا تستلب
ودوام عافية ورزق طيب ... رغد بلا هم عليه ولا تعب
وصلاح نسل واجتناب مئاثم ... وسعادة فى كل امر يكتسب
واختمْ لنا بالخير واجمعْ شملنا ... فى جنة الفردوس فى اعلا الرتب
وعلى النبي وءاله وصحابِه ... والتابعين ومَن له منهم سبب
ازكى الصلاة مع السلام عبيره ... متأرجٌ ما لاح نجمٌ او غرب

ولنختم هذا الفصل بقصائد لي في هذا المعنى .

فمنها ما قلتُه في الشيخ الامام ابراهيم ابن الحاج البلفيقي المتوفى سنة 610 عشر وستمئة المعرف بـه في (نيل الابتهاج) واختصاره (كفاية المحتاج) وغيرهما :

ياقاصدين زيارة الأعلام — فلتغنموا زور الخِضَمّ الطامي
الفخم ابراهيم مَن هو كامل — في العلم والزهد العظيم السامي
خدن التقى، رب النهى، علم الهدى — حب القلوب، طبيبها الضرغام
رب الكرامات الفخيمات العلا — ظهرت لدى مغناه للأقوام
جلت ابا اسحاق منك مواهب — فاسمحْ بفضل منك للمستام
ان البنان مددتُها لك ارتجي — منك الجوائز مجزل الاكرام
ورضي الاله على ضريحك هاطل — ما نال مدَّاحٌ جدى الانعام

ومنها ما قلته في الامام احمد ابن العريف المتوفى سنة 536 ست وثلاثين وخمسمئة المعرف به في النيل والكفاية وغيرها :

ابا العباس قدرك قد تعالى — ونورك في البرية قد تلالا
تناهيتَ اكتساباً للمعالي — واهل الفضل فقتَهم كمالا
واهل الخير قد حمدوا انحياشاً — اليك وكنت بينهم هلالا
وصلت ابنَ العريف الى مقام — به حازت مئاثركم جلالا
وقاتلك البغيض جبتْ يداه — اليه بسقيه سماً وبالا
ومن قبل استجيب لكم دعاء — بترويع لمن نال اعتقالا
ابا العباس زرتكم التماساً — لفضلكم فأوف لنا النوالا

ومنها ما قلته في الغوث الأكبر سيدي ابي عمرو المتوفى سنة 974 اربع وسبعين بموحدة وتسعمئة بمثناة، المعرف به في الدوحة وفي الممتع والزروالي والحلفاوي وفي نشر المثاني :

اني وحقكم اليكم اجنح — وعبيدكم عن بابكم لا يبرح
يأيها المولى الذي انعامُه — عمَّ الورى منه العطايا تطفح
قطب العناية والولاية والتقى — غوث الورى منه الرغائبُ تنجح
منك استقى الكُمال وافر حظهم — فاذا نظرت الى مريدك يفلح

منكم ابا عمــرو تنــال مواهــــب" وبكم نزيل" ان توسل يربـــــح
فبشيخك الفـلاح والنجل الـــذي هو كامــل وبــه المغالق تفتـــح
منوا علي بنظرة احظى بــهـــــا وبعطفة منها الصحيفة تــرجـــح

ومنها ما قلته في رئيس الزهاد والورعين ، سيدي حمزة بن علي بن عبد الله مَن نحن في جواره المتوفى اواخر الخمسين من القرن العاشر المعرف بــه في الدوحــة :

يـاربنـا انـت الـغـفـــور عني ازل كـل الشـــــرور
فبحـق حمـزة ذي التقـــى قد فـاق في الزهـد البـــدور
في غايـة الـورع ارتـقـــى وتسنـّم الفضـلَ الكبيـــر
ليس الركـونُ لغيـركـــم من دابـه طـولَ الـدهـــور
قــد كـان دراراً لـــــدى وقت العشــي وفي البكـــور
فتـولنـي بـحـيـاطـــــة وعنـايـة تـولي الـحُـبـــور
بحـلا الفضائـل حـلـنـــي واسق الحشا خيـرَ الخمـــور
وانــلْ صلاتـك كـلـهـــا خيرَ الورى القـرم الشكـــور
ذاك النبـيْ الـمـجـتـبَــى الطاهـر النسـل الـطـهـــور
سـلـمْ عـلـيــه وءالـــه ما دام في الجـنـات حـــور
وانــلْ عبيـدك سـؤلـــه يامَن غـدا نعـم النصيـــر

ومما قلته في الولي الكامل ، سيدي علي بن أبي القاسم دفين قصر الحجر بجوار جامع الكتبيين المتوفَّى في اول العشرة الخامسة من القرن العاشر ، المعرف به في الدوحة والممتع ، وذكره من اصحاب سيدي عبد العزيز التباع والولية العارفة السيدة زهراء بنت ولي الله تعالى سيدي عبد الله الكوش المذكورة في الصفوة المتوفاة بعد العشرين والألف دفينة حومة الكتبيين ، وفي السلطان الزاهد سيدي يوسف بن تاشفين المتوفَّى سنة 500 عن مئة سنة بالافراد المذكور في وفيات الاعيان ، والقرطاس ، وغيرهما ، وفي الولي الكامل ذي الخصوصية العظمى ، الشيخ سيدي مبارك بن تعلوت المراكشي

الطراز دفين حومة الكتبيين ، صجيع شيخه سيدي ناصر اليحياوي في القبر المتوفَّى في حدود الأربعين بعد الألف المعرف به في ءاخر الممتع وفي الصفوة ، وفي ظاهر الصلاح سيدي ميمون الصحراوي من اهل القرن السادس رضي الله تعالى عنهم وامدنا بمدادهم :

هذا مقامُ ولي الله ذي الرتب — هذا الذي قصده يُنجي من العطب
معلم الجن ءالافاً مؤلفة — ومثله فقدوا في العجم والعرب
والليل قطعه بسجدة عظمت — قد كان ذا دابَه في سالف الحقب
يكنى ابا سجدة من اجله علما — على انافة قدر بالصفاء حُبي
مقام قطب العلى الجبلي ادركه — في قولة نُقلت فاسمعْ بلا عجب
حذاءَه ربةُ العرفان زهراءُ مَن — جلتْ مناقبُها منيلة الطلب
كالأورع الزاهد السلطان يوسف مَن — عزت مفاخره علية الرتب
باني مدينتنا مجاهد الكفرهْ — وكالولي امام الجلة النجب
مَن كان منواله مسبحاً معه — ان حاك في ذكره مستعمل الأدب
مبارك عظمتْ احواله خرقت — مثل الولي العظيم فارج الكرب
ميمون الظاهر الصلاح ، ربٌ بهم — اعتقْ عبيدك من همٍّ ومن نصَب
وامنحهْ رضوانك الأعلا الكبير معَ — عفو وعافية تُنجي من الوصب
بجاه اعلا الورى قدراً ومنزلة — محمد قد جعلت افصح العرب
ثم الصلاة مع التسليم يتبعُها — على جلالته لدى مدى الحقب
كذا على الآل والأصحاب قاطبة — ما جدَّ مجتهدٌ الحَّ في الطلب

واعلم ان الدعاءَ في الشعر من خاصيته الاستجابة ، راجع اوائلَ رحلة الامام العياشي .

قال مؤلفه ، وعلى ذكر السيدة زهراء حدثني مَن وقع له ما يذكر معها رضي الله تعالى عنها انه لما كان النساء مجتمعات في موسمها الذي يصنعه في زاويتها بحومة الكتبيين ، ولصَبا الحاكي اذذاك اراد ان ينظر الى النسوة المذكورة ولم يجد سبيلا الى ذلك الا بأن التحف لحفة النساء ودخل للزاوية المذكورة ، فلما دخل عمي وصار لا يرى شيئاً ، فرجع ناكصاً

على عقبيه في الحال ، وتاب من ذلك ، ورجع اليه بصره ، واعتقد كمالها . وقد كان من سكان الحومة المذكورة ، وهو يناهز الستين الآن عفا الله تعالى عنا وعنه ، وذكر في باب الاخلاص من الاحياء مانصه : وقيل كان رجلٌ يخرج في زي النساء ، ويحضر كل موضع يجتمع فيه النساء من عرس او مأتم ، فاتفق ان حضر يوماً موضعاً فيه مجمع للنساء ، فسرقت درة فصاحوا ان أغلقوا الباب حتى نفتش ، فكانوا يفتشون واحدة واحدة حتى بلغت النوبةُ الى الرجل والى امرأة معه ، فدعا اللهَ تعالى بالاخلاص ، وقال ان نجوت من هذه الفضيحة لا اعود الى مثل هذا فوجدت الدرة مع تلك المرأة فصاحوا ان اطلقوا الحرة ، فقد وجدت الدرة ، انتهى .

الفصل الثاني في ترتيب زيارة سبعة رجال ووقت شهرتهم بذلك واولية الأولياء والفرق بينهم وبين اولياء الأمم الماضية ، وتشييخ أحد هؤلاء الأولياء السبعة بعد موتهم ، وذكر قصائد في مدحهم وذكر سبعة رجال رجراجة ، وسبعة رجال المشار اليهم في التشوف وفي غيره .

أعلم ان الامام المحدث العلامة سيدي الصغير اليفرني المراكشي ذكر في كتابه (درر الحجال ، في سبعة رجال) سبب ذلك ، ووقت شهرته ، قال رحمه الله تعالى مانصه :

اشارة لها شارة ، ونكتة فيها بشارة ، قال مؤلفه الفقير الى ربه : لاحتْ لي هنا نكتة لطيفة ، وهاانا اجلوها لكم على منصتها ، ولكن اجعلوا لها من انصافكم وافر حصتها ، وهي ان الناسَ انما اصطلحوا على جعل سيدي يوسف اولَ الرجال السبعة ، لأنه كما سمعت يمني من اهل اليمن ، وهم الذين ابتكروا نصرة الاسلام ، واول مَن تلقى راية الدين باليمين ومنهم الأنصار ، وفيهم قال مولانا سبحانه (والذين تبوأوا الدار والايمان) ، وقال صلى الله عليه وسلم كما في الصحيحين (الايمان يمان ، والحكمة يمانية) فكأن الواضع الأول استشعر هذا المعنى ، فناسب ان يبدأ به الزيارة ، لأنه من قوم كان ابتداء ظهور هذا الدين على يديهم ، وايضاً فقد قال علماء الطريقة رضي الله عنهم : الطـرق الموصلة الى الله كثيرة ، ولكن اقربَها الطريقةُ

اليمنية ، فانها مبنية على الفناء في الله ، والبكرية مبنية على الصدق والتقوى والاتصال الفعلي ، والوفائية مبنية على الفناء في مراد الله حتى يكون المراد عين ما اراد ، والجزولية مبنية على الفناء في مراد الله حتى يكون المراد عين ما اراد ، والجزولية مبنية على الأخذ بكل ما يقرب الى الله وتعلق الروح بمشاهدة الجلال والجمال ، والزروقية مبنية على التحري واتباع السنة والاعراض عن الخلق والرضى عن الله والرجوع اليه ، والشاذلية' مبنية على اسقاط التدبير والاختيار مع الله والتبري من الدعاوي والحظوظ واللحوظ ، قال الشيخ زروق والطريقة اليمنية هي الطريقة الشاذلية ، وذكر سيدي احمد بن عقبة الحضرمي عن بعض العارفات انها كانت تقول العجم بنوا مذاهبهم على التجريد ، فلا يصلون الى الله الا في ءاخر زمان ، والمغاربة بنوه على الاستهلاك فلا يتنعمون في هذه الدار ابدا أو فلا يتنعمون بالحق الا من حيث الاستهلاك فيه ، واهل اليمن بنوا على رؤية الحق فيه ، فأول قوم هم يتنعمون ، قال سيدي زروق وقد يوخذ ما ذكرته من الأحاديث : نصرت بالصَّبا ، واهلكت عاد بالدَّبور ، والايمان يمان ، والحكمة يمانية ، اني اجد نفس الرحمان من ناحية اليمن ، اي تنفس الرحمة ، فنفس الله عن نبيه بالانصار بنصرهم واظهارهم دينه ، فان قلت هذه الحكمة تنقض عليك بأبي الفضل عياض فانه يحصبي والسهيلي خثعمي وابي العباس السبتي أنصاري خزرجي ، وكلهم من اهل اليمن ، قلت هذا تعليل بعد الوقوع والنزول ، وتقرر في علم الميزان انه لا يشترط اطراده ولا انعكاسه ، على انهم وان تساووا في اليمنية لعلهم قدموه لشفوفه عليهم بتحقيق الفناء في الله فيه كما يأتي.

انتهى من خطه طيب الله تعالى ثراه ، ونقلته برمته لعزة هذا الكتاب .

ونص ماذكره في نسب سيدي يوسف بن علي هو قوله : اما نسبه رضي الله عنه فهو صنهاجي بكسر الصاد المهملة ، نسبة لصنهاجة وهي قبيلة من قبائل المغرب ، واصلها من عرب اليمن من حمير على ما قاله جماعة من علماء النسب ، واقتصر عليه الامام' ابن خلكان ، وكذلك اقتصر عليه صاحب القاموس ، ويقال انه رضي الله عنه من ذرية الأقمر بن الأزهر الحميري

صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هكذا رايته في بعض التقاييد ، ولم اجد في تراجم الصحابة ذكراً للأقمر المذكور بعد مراجعة الاستيعاب والاصابة والله اعلم ، انتهى .

ثم ذكر رضي الله عنه ان سبب تخصيص سبعة رجال بالزيارة وقعة جبل الحديد المذكورة في حدود الخمسين والألف ، وذكر ابيات الامام سيدي الحسن اليوسي العينية في ترتيب زيارتهم والتبرك بهم ، فشاع امرهم في الناس ، ولم يكن ذلك في زمن الأشراف السعديين ولا قبلهم ، ثم قال : ولم يزل امرُ الرجال السبعة في ظهور الى أن قدم مراكش الشيخ الامام ، علم الاعلام ، سيدي الحسن بن مسعود اليوسي رحمه الله في راس المئة حين هجره سلطان المغرب واخرجه من بلاده بقصد سكنى مراكش ، فكان شديدَ الاعتناء بزيارة الرجال السبعة ، كثير التحضيض عليها ، فزادهم ذلك اشتهاراً واقبالا الى الآن .

تنبيهان : الأول جرى في كلامنا ذكر الرجال السبعة الرجراجيين ، وللناس في صحبتهم كلام ، فذكر التلمساني في حاشية الشفا والأفندى في شرح الشفا انهم لقـوا النبي صلى الله عليه وسلم وكلموه بلغة البربـر ، فأجابهم عليه السلام بلغتهم ، وكذلك رايت ذكرهم في شرح الرسالة ليوسف الرجراجي ، قال في حديث غريب : ان سبعة رجال من اهل المغرب الأقصا ، وصلوا الى النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم رجعوا الى المغرب ، وذكر بعضهم ان وسيم الرجراجي صاحب جبل الحديد راى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحمل منه الكتاب الى اهل المغرب يدعوهم الى الاسلام ، فجمع وسيـم المصامدة على ذلك الكتاب في موضع شاكر ، وكان سبب اجتماعهم فيه الى هلم ، انتهى . ونصر هذا شيخ مشايخ شيوخنـا سيدي محمد بـن سعيد المرغيثي ، وصحح انهم صحابة ، وله تقييد في ذلك موجود بأيدي الناس ، والذي اخذناه عن اشياخنا الفاسيين انه لا صحبة لهم ، وان ما يذكر في ذلك لا اصل له ، وقد كان السلطانُ مولانا اسماعيل رحمه الله اراد ان يبني عليهم بناءً حافلا ، وارسل لعلماء فاس يسألهم عن صحبتهم ، ويقول ان ثبت عندكم

صحبتهم فأعلمونا بذلك نبالغْ في تعظيمهم بتشييد البناء وغيره ، فأجاب شيخ الجماعة سيدي عبد القادر الفاسي وغيره بأنه لاصحبة لهم وانه لم يدخل احد من الصحابة للمغرب ، فترك السلطان ما كان عازماً عليه من ذلك ، هكذا كان يحدثنا شيخنا الفقيه الحافظ المحدث علي بن احمد الحريشي حين يجري ذكرهم في قراءة الشفا ، ورايت في كتاب معالم الايمان في ذكر صلحاء القيروان انه لم يدفن من الصحابة بالمغرب الا ابو زمعة البلوي ، دفن بافريقية والله اعلم ، انتهى .

وفي هاؤلاء السادات قال القائل :

زيارة اهل الله من اعظم الذخــــر ... وكنز الفلاح في القيامة والحشـــر
وقوم بأقصا الغرب سبع اجلـــة ... لهم رتب عليا على اهل ذا القطـر
بصحبة خير الخلق خصوا وقدموا ... بمغربنا طراً على كل ذي قــــدر
فذاك ابن شماس ونجله صـالـــح ... بوسمين عبد الله ادناس ذو البـر
بوخابية عيسى ويعلى بن واطـل ... سعيد بن بيقى في الملا طيب الذكر
بهم فخرت رجراجة ، وهم الألـى ... اتوا مصطفى الرحمان في صحبه الغر
فـرد سـلام الله باللغـة الـتـي ... بها سلموا والسرُ منه لهم يسري
تأدبْ بتقديم الصحابـة واغتنـمْ ... زيارتَهم تحظى بمأدبـة الأجـــر
واهـدي صـلاةً للحبيب محمـــد ... تلاها سلامٌ عرفه طيبُ النشـــر

وذكر الشريف المحقق في السلوة نصً كلام الشريف التلمساني في حاشية الشفا ، ونبه على اختصار الشهاب له في فصل فصاحته صلى الله عليه وسلم ، وكلام الذهب الابريز فيهم ، وبعض كلام سيدي محمد بن سعيد المرغيثي ، وبعض كلام سيدي الكبير بن عبد الكريم الشاوي المراكشي المعروف بابن حريرة فيهم ، فراجعْ ذلك في الجزء الثالث منها ، وراجع موضع شاكر المتقدم الذكر في محاضرات اليوسي ، قال فيها ما مضمنه : انه كان منزعجاً عن الوطن بمراكش في اعوام التسعين ، يعني بعد الألف ، ذكره في صحيفة 48 منها ذكرناه لما تقدم عن سيدي الصغير اليفرني رحمهما الله تعالى .

وقال العلامة اليفرني في الكتاب المذكور بعد ذكر كلام سيدنا الخضر في اولية الأولياء في هذه الأمة الآتي في غير هذا المحل ان شاء الله تعالى مانصه : فان قيل هذا الفصل الذي بدات به يقتضي ان الأولياء انما كانوا على وجه الأرض بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، وان السبب في وجودهم فيها وكونهم عنيها انقطاع النبوءة ، مع أن الأولياء لم تخلُ الأرض منهم في كل زمان وفي كل امة كجريج الراهب واصحاب الغار وغيرهم مما هو في الصحيح ، فالجواب عن ذلك من وجهين ، احدهما ان اولياء هذه الأمة ليسوا كأولياء الآمم الماضية ، لأن اولياء هذه الأمة اعطوا ماكان للأنبياء عليهم السلام من حفظ البلاد بهم ، ونزول المطر بدعائهم ، واغاثتهم للخلق ظاهراً او باطنا ، يرشد له الحديث ، وهو قوله عليه السلام : علماء أمتي كأنبياء بني اسرائيل ، فان المراد بالعلماء فيه علماء الباطن المبلغون عن الله مع الخشية والانابة ، وهذا المعنى لم يكن لأولياء الأمم الماضية ، وانما كان لأولياء هذه الأمة بعد وفاة نبيها عليه السلام ، ويشهد له ما اخرجه الحكيم الترمذي عن ابي الدرداء رضي الله عنه ان الأنبياء كانوا أوتاد الأرض ، فلما انقطعت النبوءة ابدل الله مكانَهم قوماً من امة محمد صلى الله عليه وسلم لم يفضلوا الناس بكثرة صوم ولا صلاة ، لكن بحسن الخلق والنية وصدق الورع وسلامة القلوب للمسلمين والنصح لله في ابتغاء مرضاته بصبر وحلم ولب وتواضع في غير مذلة ، فهم خلفاء الأنبياء ، ثم اصطفاهم الله لنفسه واستخلصهم لعلمه ، يدفع الله بهم المكاره عن الأرض والبلايا عن الناس ، وبهم يرزقون ويمطرون ، قال الحكيم : فهاؤلاء امان هذه الأمة ، فاذا ماتوا فسدت الأرض وخربت الدنيا ، وذلك قوله تعالى : ولولا دفاع الله الناس الآية ، فتأمل قوله كانوا أوتاد الأرض تجده يشير لما ذكرنا .

الثـاني : ان الذي حدث في هـذه الأمـة بعد وفـاة نبيها عليـه السلام وجود جماعة منها قلوبهم على قلوب الأنبياء عليهم السلام ، ولعل اولياءَ مَن مضى لم يبلغوا هذه المنزلة ولا بلغت قلوبهم ان تكون على قلب صفوة الله من انبيائه ، وهذا كله انما حصل لأولياء هذه الأمة بسبب عناية الله بنبيها عليه السلام وشرف حظوته لديـه .

فبشرى لنا نلنا الفخار بكوننا ... من أمته نزهو على الناس في العرض
لنا شرف يوم القيامة باذخ ... واعزز به اذذاك من شرف محض
هنالك نأتي بالحجول وغرة ... ولا احد للخلد من قبلنا يمضي

وهاذان الجوابان ظهرا لي ، ولم اقف على كلام في ذلك لغيري ، فأنفقت من كيسي ، فان كان صواباً فمن الله ، وان كان خطأ فمن نفسي ، انتهى .

ومن الكتاب المذكور مانصه : الفصل التاسع عشر ، هل يجوز ان يشيخ احد من الأولياء الأموات او لا يجوز ذلك ، اعلم ان بعض الناس قد تجتمع همته على بعض السادات السبعة ، ويتوجه بكليته اليه ، ويتخذه شيخاً بحيث لا يأخذ عن احد من الأحياء ولا الأموات غيره ، فينكر عليه الناس ذلك ، ويقع السؤال عنه ، والجواب انه لا بأس بذلك ، والأولياء احياء في قبورهم يتصرفون فيها كما كانوا يتصرفون في حياتهم ، فما المانع مع هذا ان تقع منهم تربية المريدين ؟ وقد ذكر الشعراني في الأخلاق والعهود ان سيدي ابراهيم المتبولي كان يجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم يقظة ويرجع اليه في احواله كلها ، ويقول ليس لي شيخ الا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واذا كان هذا فيه عليه السلام فالأولياء على قدمه ، ومن المقرر في طريق القوم انه يجوز الأخذ عن روحانية الأنبياء والأولياء ، وهي طريقة معروفة عند القوم ، وتسمى بالطريقة الأويسية ، لأن اويس القرني رضي الله عنه أخذ عن روحانية النبي صلى الله عليه وسلم ، وكثير من الأولياء تربوا بروحانيته الزكية المقدسة ، انتهى . ثم بيض لتمام هذا الفصل رحمه الله والفصل الذي قبله فيه الكلام على انتفاع الحي بالميت ، واطال فيه النفس ، ثم قال فتحصل من هذا كله ان الحي يتنفع من الميت ، وان الصالحين يتصرفون في قبورهم كما كانوا في الحياة وازيد ، انتهى .

وقد تكلم على مسألة تشييخ الأموات الحافظ أبو العباس في شرح الشريشية عند قولها :

ومن لم يكن الا الوجـود اقامـــه — واظهره منشور ألويـة النصـــر
فأقبل ارباب الارادة نـــحـــوه — بصدق يخلي الهش في جلد الصخر

ونصه في ءاخر شرحهما : **فائدة** : كثيراً مايقع في هذه الأعصار تشييخ الأموات والاستناد اليهم ، راجع تمامه .

وهذه القصيدة العينية الموعود بذكرها من الطويل :

بمراكش لاحت نجوم طـوالـــع — جبال رواس بل سيوف قواطـــع
فمنهم ابو يعقوب ذو الغار يوسف — اليه تشير بالأكـف الأصـابـــع
ونجل ابي عمران عيـاض الـــذي — الى علمه في الكون تُصغي المسامع
وبحر ابي العباس ليس يخوضـه — ســواه كريم لا يـزال يمانـــع
ونجل سليمان الجزولي فضلُـــه — شهير ومَن يدعـو اليه يســـارع
وتبّاعـُهم بحرُ الكرامة والهـــدى — وسيدنا الغزواني نوره ساطـــع
ابا القاسم السهيلي داباً اضفْ لهم — امام التقى والعلم بحره واســـع
فزرهم على الترتيب في كل حاجـة — يُسهِّلُها المولى وعنك يـدافـــع
فيا اهلَ حزب الله قوموا بسرعـة — وجدوا بسيركم فاني ضـــــارع
فعـار عليكم ان يضـام عبيدكـــم — وقد مدَّ بينكم يـداً والأصابـــع
فنجمكم نجمُ السلامـة والهـــدى — وفضلُكم بين البريـة شائـــع

وللفقيه العلامة سيدي محمد الدقاق الدغمي في ترتيب زيارتهم :

توسلْ الى الرحمان بالسبعة الألي — تسامي علاهم وانفشي في البريـــة
وزرهم على الترتيب ياطالب النجا — وسلهم فهم والله خير وسيلـــــة
فاولهم بيت القصيـدة يـوســـف — سليل علي شيخ اهـل الطريقـــة
وثنِّ بتـاج العارفين عياضهـــم — منور هذا الدين بحـر الحقيقـــة
ومَن قد ازاح الجهلَ عنا شفـاؤه — فكان شفـاء للقلـوب المريضـــة
وسر قاصداً من عنده تحظ بالمنـا — ضريح ابي العباس صافي السريرة
وذلك بالسبتيِّ يُدعا ومَن نـزل — حمـاه يفـز بنيل اي غنيمـــة

ومن بعد لاتنس الجزولي نسبــــة　　امام التقى والعلم حامي الشريعـة
وتلميذه التبــاع زره ولا تخـــف　　اذا سرت للغزواني شوم القطيعة
وناد اذا زرت السهيلي تضرعـــا　　ايارب عمرٌ من تقـاك عقيدتـــــي
وصل وسلم دائمـاً متواليـــــــاً　　على أحمد المختار بحر الحقيقـــة
وءالــه والأزواج طـراً وصحبــــه　　ومَن يتبع المولى بأحسن سيـرة

وما احسن قول القائل من البسيط :

استغفرُ اللهَ ربي غافـر الزلـــــل　　مستوهباً من رضاه غايةَ الأمـــــل
مستشفعاً بالذي تشكو الوحوشُ له　　ان نابها نائبٌ من دهرها الخبــل
محمد خير مَن نرجــو شفاعتَـــه　　في موقف الحشر يوم الهول والوهل
وءاله البر والأصحاب اجمعهـــــم　　المهتدين المقيمي أشرف الملـــل
بالسادة السبعة الأبرار مَن عرفوا　　باليُمن بين الورى في سالف الدول
ذو الغار يوسف كهف المستجير به　　من هول نائبة أو طـارق جلـــل
واليحصبي الذي أهدى الشفاء لنا　　ارجو الشفاءَ لما بالقلب من علـل
مفصلا في الفصول وهي فاصلـــة　　بين العقائد من قصد ومن ميــــل
بالعالم العــارف السبتي مبتهـــل　　اليك ربي ، فكنْ لي انت خيرَ ولي
بهم وبابن سليمان الذي شهــدتْ　　بفضله علمــاءُ السهل والجبـــل
نور الدلائل يكفي المستدل بــــه　　على مكانته في العلم والعـمـــــل
بالكيمياء العظيم القـدر منصبـــه　　امام كل عظيـم الشـأن مبتهـــل
غيث المريد اذا ما عز مشربُــــه　　بسره الفيض يروى كلُ ذي غلل
بالساطع النور عبد الله فاشددْ بـه　　ان كنت لم تـدر ما مقداره فَسَل
تنبيك عن سره الميمون ما جمعت　　بيضُ الصحائف من أحواله الأول
وبالسهيليٌ مَن جلّت مناقبـــه　　كأنها الشمس حلت اول الحمـل
بجاههم اسأل الرضوانَ يشملنـي　　ممن تعالى عن الأعراض والعلـــل
بالمصطفى وبهـم وكل مؤتمــــن　　لله محتسب في الله محـتـمـــــل
يارب هيءْ لنا من امرنـا رشـــداً　　وامكرْ بمَن رامنا بالمكر والغيــل
وانصر على الكافر الباغي ائمتَنـا　　واقطعْ بعدلك منه موثقَ الحيــل

وقال آخرُ من الطويل :

اليك ابا يعقوب رفع شكيتي ايوسفُ اني في حماكم بنائلي
دخلت حمالكم فانهضوا لحميتي فيالرّجال الله هذا سؤالي
الا فاقبلوا عبداً طريحاً ببابكم فضيفُ الكرام لا يضام بحال
بغوث الورى الفياض نامل رحمةً بحبر الهدى عياض يدنو وصالي
ابا الفضل ان للجوار فضيلة وجارُ الكرام رام خيرَ خصال
بحق الشفا فامننْ عليّ بعطفة ننال بها رضي ومرقى المعالي
ببحر الندى الزخار نرجو عنايةً اغثْني اباالعباس خير الموالي
اغاثةَ ملهوف مديد حماية مهيض الجناح ياكثير نوال
فأنتم ملاذ الخائفين اذا انطووا اليكم ، فجودوا لي بفكّ عقال
أبحرَ التقى السلسال عذب الموارد سليل سليمان وبدر ليالي
اليك شكوتُ ضعفَ حالي وحيلتي وامر عدو راشق بنبال
حسود عنيد كاشح متمرد مريد فاسد ماكر لا يبالي
اليك الاهي قد رفعت شؤونه فلم تستند له لعم وخال
بمصباحها الوهاج تكفي مؤونة بسيدنا التباع سيف صقال
عليك بمن يروم قهري وذلتي عليك بهمّاز عضود وقال
واسند امري للذي لا يضيعه فحسبي من امري شديد المحال
ومنشي العباد اخذ بزمامهم فما بطشه الشديد فعل محال
بملجأ اهل الضيم ازكى العناصر نزيل قصور الحصن اعلا الجبال
فحطني من الأسواء رب وزجني لحزب ذوي الصفاء وانف خبالي
ببابك لم ابرحْ لدفع مضرتي بجاهك لاتهملْ سماعَ مقالي
بليث الشرى حصن الورى المتفضل ابي القاسم المفضال فحل الرجال
احرزَ البلاد ضقتُ ذرعاً بحالتي حوادث جلت ما لهنّ ومالي
فيالرّجال الله قوموا بنصرتي لعبد ينادي ضاق عني فحالي
فجاهُهم ربي اليك وسيلتي ففرجْ همومي كي انالَ منالي
وخذ بيدي ربي اليك وحفني بستر منك ياذا الجلال
وهبْ لي ثباتاً في الحياة وبعدها بختم بحسنى ياجميل الخلال

وسلمْ من الآفات ربي سفينتـــــي ... لنبلغ ساحلَ النجاة بمـالـــــي
حنانيك فانشلني من الزيغ وارحمني ... من الضيم يا حنان نشل سجـــال
فاني عبيد ضـــارع" متذلـــــــل" ... وجئتُ ذنوباً لا تُعَدُّ لتـــــال
اسأت وقد عفوت فضلا ومـنـــــة ... فتممْ لنا عفــواً بخير مئـــــال
ونفسْ كروبَ المسلمين وضيقَهم ... لك الفضلُ والاحسانُ يا متعالـي
وارخصْ لهم سعراً وامنْ لهم قرى ... واتممْ لهم سـراً باصلاح بـــال
وظل البــلاد صنْه من كل طـارق ... ومن كل طـار لا تنلـه بحــــال
هنالك يهنا العيش يرمـي ظلالـــه ... ونرفل في أثواب خيــر حـــــلال
بجـاه رسول الله خير وسيلـــــة ... وسر الوجود في العصور الخوالـي
عليه صلاة الله مـا لاذ خـائـــف ... بئاله والأصحاب اهل الـكمـــال

وقال ءاخر من البسيط :

عز الفتى ذلـه في بـاب مـــولاه ... ويســره فقــره لمــن تـــــولاه
ومن سعادته العظمى تضرعُـــــه ... لمَن تصوب على الأكوان رحمـاه
وفي التوسل بالأخيار وصلتـــــه ... لكل خير من الرحمــان يغشـــاه
فليس للعبد غير جـاه سيــــده ... وليس يرجي لكشف الضر الا هــو
فاحطط رحالك في أبوابـه لهجــاً ... مستشفعــاً بالألي فازوا بقربـــاه
وناد يا لَلرجال المستغاث بهـــم ... في كل هول من الأهــوال تكفـــاه
في كل عصر وقطر شأنهم عجـــب ... فكم حديث رأينـاه رويـنـــــاه
مَن نال عطفتهم نـال الاجابـة ان ... نادى المهيمن بالاسعـاف لـبـــاه
كم نفحة لهم في الكون ساريــــة ... مَن ادركتْه من الأقــوام بشــــراه
وكم مواهب تستغري القلوبَ فمَن ... الفت محلًى بحس الظن تغشـــاه
فقف بحيهمُ ، واهتــف بحبهـــمُ ... والكل فاقصد فموتـاه كـأحيـــاه
والسر في الصدق ، ان الصادقين لهم ... من التوجـه اصفـاه واوفـــــاه
يا جيرةَ الحي من ارجـاء مراكش ... ومَن لهم من حميد السعي عقبـاه
نزلت حيكم مستصرخـاً بـكـــــم ... ولائذاً لجنـاب عــزَّ مغنــــــاه
فكيف ابقَى حليفَ الوجد مكتئباً ... حاشى لمجدكم المعروف حاشـاه
أم هل يجوزُ على جار لكم زمـــن ... وقد سما لكم المقـدارُ والجــــاه

أم هل يخيب امرؤٌ حطّ الرحالَ بكم والضرُّ نحو حمى الأجواد ألجـــاه
فأين سبعتُكم كالزهر مشرقــــة في الكون بالسر والأنوار تغشـــاه
يايوسف بـن علي انت فاتحـــة للسر عجلْ بغوث قـد عهدنـــاه
اين ابن موسى عياض فخر مغربنا ومَن له الفضل اولاه واخـــــراه
واين اين أبو العباس مَن ظهـرت انواره وسرتْ في الناس حسنـــاه
اين الجزولي قطب السر مَن فُتحت به الحصونُ وحاز الخير مثـــواه
واين عبد العزيز المرتقي شرفـــاً حامي الزمان وموليِ الفضل مـولاه
وهل فتى مثل عبد الله ان نكـــرت في الدفع والنفع ما اهدته يمنـــاه
وما السهيلي الاّ نجمُ قد ختمـت به المقاماتُ لما عـزَّ مرقـــــاه
يالَرجال بكم نادى الغريبُ فهـل من ذي حفاظ اذا ما قال غـوثـــاه
حوطوا جواركم واحمـوا ذماركـــم وبلغوا جـاركم ما قـد تمنّـــــاه
فانتمُ املُ الراجي ومـأمنـــــه وانتمُ ملجـأُ العـاني ومنجـــاه
بجـاه أحمد خير الخلق اجمعهـــم عودوا بعطف فأنتم بابُ رحمـــاه
يا رب صلِّ وسلمْ دائمـاً ابـــداً عليه ما افحمَ الأفهـامَ معنـــاه
والآل والصحب والأتباع اجمعهـم مانـال راج فاهـل الله ســـرّاه

وللفقيه الأجل سيدي محمد بن احمد بناني المراكشي داراً الفاسي الأصل النفزي نجاراً من الطويل :

بمراكش الغـراء لاحتْ كـواكـب بهم يحتمي المكروب في كل شـدة
فأولهم ابـو المحاسن يوســـف وثانيهم عيـاضُ يشفي مضرتـــي
وثالث السبتي وهو ابـن جعفـــر فلا زال يخلف الهدايـا بكـثـــرة
ورابعُهم نجل سليمان جارنـــــا ومَن به للورى دلائـل خـيـــرة
وخامس التباع عبد العـزيـز مَـن يلذْ بحمى التباع يظفرْ بمنحـــة
وسادس الغزواني نـوره ساطـــع فلا زال يجبر الكسيرَ بلحظـــة
وسابعُهم وهو السهيلي مَن غـدا اماماً لمَن اراد تسهيل حـاجـــة
فزرهم على الترتيب في كل مقصـد تنلْ ما تشا عزماً وتحظ بنصـرة
فهم مرهم يبري لمن لاذ واحتمـى بهم واناخ الرحلَ من كل علـــة

وقلْ بلسانٍ خاشع متضرع ... وقلب حضور ثم تخليص نية
سألتك خالقي بهم ونبينا ... بأسمائك الحسنى تعجلْ اوبتي

وقال ءاخر من الطويل :

عليكم السلام والسلام ... عليكم حياكم السلام
يارحمة الرحمان ذي الجلال ... على البدور السبعة الرجال
بجاه يوسف العلي العلوي ... المذهب الأحزان والداء الدوي
واسأل الله بجاه مَن سما ... بالعلم والدين الى افق السما
قاضي القضاة سيدي عياض ... قِنا من الآفات والأمراض

وقال ءاخر من الرجز :

وجاه سيدي ابي العباس ... نقِّ قلوبنا من الأدناس
بسيدي محمد الجزولي ... المكثر الثنا على الرسول
وسيدي عبد العزيز التابع ... اشرحْ صدورنا بعلم نافع
وبالشريف سيدي الغزواني ... أعلِ مقاميَّ وعظم شأني
وسيدي امامنا السهيلي ... من زهرة الدارين عظم نيلي
بجاههم نرجوك يامَن يُرتجا ... للدفع والنفع وخوف ورجا
واسأل الله بهم ان يجمعا ... شملي مع الاخوان والأهل معا
وقرة العينين في البنينا ... والمال والأهل ومَن يلينا
عوذاً بهم بعد العطا من السلب ... وخيبة الرجا وسوء المنقلب
وان يصلي على محمد ... وءاله على مرور الأبد
ما سجعتْ في أيكها الأطيار ... وهمعتْ بوبلها الأمطار

وللفقيه العلامة القاضي سيدي محمد بن العربي الحاجي من مخلع البسيط :

احللت ما ادهم من اموري ... بساحة الجلة البدور
قضاة حاج ليوث لاج ... غيوث راج بلا فتور

فالعود بالأمن والأماني | لضيفهم محقب البدور
كيوسف الندب من علي | والده الصابر الشكور
ومزدهي غربنا عياض | مَن قد شفى غلة الصدور
وجاره الخزرجي احمد | مجري الجدى جريةَ البحور
وزين جمع الهدى الجزولي | الأورع الطيب النشور
وفرعه التابع المعلى | عبد العزيز المتم نوري
ومَن به الفجر قد توانى | واصبح الفجر للقصور
وكالسهيلي من تسني | به المعالي بلا قصور
الى هداة سواهم من | تغيض من عدهم حبوري
فاذكرهم تغفر الخطايا | ويثبت القلب عن حبوري
واسأل بعزم لدفع أ ز م | سؤال كسير الحشا صبور
يهدي سلاماً شذاهُ زا ر | بعنبر الشحر والزهور
ياسادتي شفَّني اصطباري | على شمات العدا الشغور
وطال شكوي وظلم جاري | ذل مجير الحمى الغيور
فأنصفوني من الأعادي | وعاجلوا الكلَّ بالدمور
وازمعوا السير في معافي | الى معادي وحيث دوري
حتى اهنا مديد باع | بالعلم والأهل والدثور
وفسحة العلم في اتباع | خير الورى احمد الطهور
تندى عليه مع الأهالي | صلاة ربي مدى الدهور

وللامام سيدي الحسن اليوسي في التوسل بصلحاء مراكش وغيرهم رضي الله عنهم :

بامن لهم قدم العناية في الورى | ولهم يدُ الاصدار والايراد
ولهم بشأن الخلق كل تصرف | ولهم بأمري خبرة ومرادي
اني نزيل حماكم متوسلا | بالعروة الوثقى وخير عمادي
وبحزبه السباق حين دعاهم | لنجادة وتجرد الأغماد
وبصاحب الغار الذي بازائه | قبر ابن بناء واهل وداد

وبجـاه عيـاض وحق ضجيعـــه　　عبد الكريم وروضــة الأسيـــاد
وبصالحي باب الدبــاغ وسرهــم　　ومَن اختفى من حــول ذاك الوادي
وحمى ابي العباس غوثاً مانعـــاً　　وسميه الجبــاب في الأوتـــاد
وبحرمة القطب الجزولي الـــذي　　بدلائــل الخيــرات ذو الاسنـــاد
وبصاحب الأنوار والمــلأ الـــذي　　والى ابــا عمــروٍ من الأفـــراد
وبحق والــده الأمين وجـــاره　　ساقي الغمام اذ استغاث الصــادي
وبفيضة التباع والقوم الألــــي　　اسقي بكــاس الله صـــرف ودادي
وبأحمد بابن العريف عــرفتـــه　　ومقبل الكف الشريــف البـــادي
وعلي الصدفي ومَن بــجـــواره　　في ذلك المغنــى من الأفــــراد
وبحق سلطــان الملا الغزوانــي في　　شرف القصور ومنعــة الأطـــواد
وبمن ثوى بابَ الرواح بسجـــدة　　وبطبٍّ ميمون ورفع وســـــادي
وبما حوى قبرُ السهيلي من العــلا　　وبحق دائــرة مع الأعــــــداد
وبكل ذي جاه بمراكش غـــــدا　　وبحكم نوبتــه عــزيــز نــفـــاد
وبكل مذكــور ومَن أغفلتُـــــه　　وبكل مقبــور وذي الالــحـــاد
فلتنهضــوا ياسادتي لقضــاء مــا　　قــد رمتُه بسهولــة الاسعـــاد
واستكملوا المقصود واستوفوا المنى　　بحماية الجــاه العــزيــز النـــادي
وصلاة رب العرش ثم سلامـــه　　للمصطفى نعم الرســول الهـــادي
والآل والأصحاب اعلام الهـــدى　　والتابعين لهم سبيــل رشـــاد

ثم اعلم أن صاحب كتاب (التشوف) ذكر في صدر كتابه في حكاية الرؤيا ما نصه : ولقد حدثنيَ محمد بن محمد بن القاسم قال سمعت ابا يزيد الرفا وكان رجلا خيراً يقول : رايت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم عند أحد ابواب مراكش ، فقلت يارسولَ الله أفي هذا البلد أحد من الأولياء ؟ فقال سبعة ، فقلت يارسول الله مَن هم ؟ فقال لي هؤلاء ، فاذا سبعة رجال خرجوا من الباب ماعرفت منهم الا أحمد بن محمد الغساني ، انتهى .

وبقرب ضريح أبي العباس السبتي مزارة بها قبور سبعة مصطفة بعضُها الى جنب بعض ، وبعضُهم يقول انهم اخوة ولدوا من بطن واحد في

مرة واحدة وجعلوا في طست ورفعوا الى أمير الوقت نظير ما يزعمه بعضهم في بني العشرة بسلا حرفاً حرفاً ، وقد ذكر ابن عرفة قضيتَهم ولا اصل لها ، واهل مراكش يقولون ان هذه القبور السبعة قبور سبعة رجال ، وبحومة الموقف مزارة اخرى كذلك يقال لها قبور سبعة رجال ، وبكركوسة (تاكركوست) من بلاد وزكيته على نحو يوم من مراكش مزارة ثالثة على الوجه المذكور ، والله اعلم بأصل ذلك .

ثم اعلم ان سبعة رجال له اطلاقان ، الأول العموم في أولياء البلدة المراكشية كلهم من اطلاق البعض وارادة الكل ، والثاني في خصوص السبعة المتقدم ذكرهم ، وذكر العلامة الأمين في (المجد الطارف والتالد ، على اسئلة الناصري سيدي احمد بن خالد) و (تحبير التحرير ، على أسئلة الحبر النحرير) انه لم يقفْ على وقت تسميتهم بذلك ، ثم ذكر انه يكون في صدر القرن العاشر بعد موت الغزواني ، لأنه ءاخرهم موتاً ، والواقع انه تأخر عن ذلك الى وقت وقعة الحديد كما تقدم عن العلامة اليفرني المراكشي ، والعذر للعلامة الأمين انه لم يقف عليه ، ثم ذكر في سبب ترتيب زيارتهم على الكيفية المتقدمة ان ضريح سيدي يوسف جاء قبلي مراكش ، فأشبه الركن اليماني في كونه قبلي البيت لأنه ناظر الى جهة الشرق ، وبه يبدأ الطائف ، والانسان الكامل أفضل عند الله من الكعبة ، فوقعت به البداية في الزيارة ، ثم الى مَن يليه في الأضرحة من غير تنكيس الى الامام السهيلي لا في الفضل والأزمنة ، الوجه الثاني في سبب الترتيب المذكور ان الناس يزورون مقبرة باب أغمات وقربها ضريح سيدي يوسف الذي بناه بعضُ ملوك السعديين ، وفي صفحتي باب قبته اللتين من الرخام :

انا القبة التي أنافت بحسنهـــا والقت طراز الفخر زهواً على الغرب
وما تذكر القبـاب عندي اننـــي كشمس الضحى وهي حوالي كالشهب

فيزورونه ، ثم بعد الدخول لباب أغمات يرجعون على اليمين لزيارة مقـام ابن البناء بالبرج الركني ، ومقام الأشراف العلويين ، وفي داخل القبة قبر العلامة مفتي مراكش مولاي عبد الواحد العلوي ، ويليه قبر امير المومنين

مولانا سليمان ، ثم امير المومنين سيدي محمد . ويليه قبر مولانا علي الشريف قدس الله أرواحهم ، وهو رابع القبور المصطفة ، وهو من أهل القرن العاشر ، واليه ينسب المقام ، ثم زر مقامَ القاضي عياض ، ثم بعده اخرج من باب ايلان لزيارة مقبرة مراكش القديمة بباب الدباغ ، ففيها من الصالحين ما لا يحصى ، وذكر منهم في التشوف كثيراً ، ومنهم الولي الكبير سيدي ابراهيم السفاج الذي صلت عليه بالناس روحُه بعد خروجها من جسده ثم رجعت اليه ، وهذا من باب خرق العادة لأولياء الله تعالى ، ثم ارجع لباب الخميس المعروف بباب فاس ، لأنه منه اليها يتوجه ، وقبالته قبَّة يقال انها للامام الصالح مؤلف (التشوف) ، وفيها دفن العلامةُ سيدي محمد الفران ، وتضاف الآن للبربوشي رجل كان مجذوباً أدرك أيـام مولانا عبد الرحمان دفن بها ، وهناك مقبـرة يستفتح لها الزوار في غربيها مقام الولي الكامل سيدي احمد الزاوية ، فان زرتهم فادخل من باب الخميس قاصداً زيارة القطب السبتي وسيدي غانم ، فقد ذكره اي سيدي غانماً رضي الله عنه العالم الزاهد المشارك في الفنون الشريف سيدي الجيلالي بن المختار السباعي في قصيدته التي مدح بهـا السبتي يقول في اثنائها : عودتَـني حسن الجوار بغانم ، البيت .

وحول قبر ابي العباس قبران مكتنفان به احدهما قبر الامام الحفيد ابن رشد ، والثاني قبر الامام القصار كما في ابتهاج القلوب ، وقيل ان قبر القصار بباب الجنائز في مسجد ابي العباس ، وما زال مسنماً ظاهراً ، فاذا زرتهم خرجتَ من باب تاغزوت ، فزر مقام ولي الله تعالى ابي العباس الجباب من الأكابر ، وكان السبتي يزوره حال حياته ، واسمه احمد بن عبد الرحمان الصنهاجي من بلاد أزمور ، مات سنة ثنتين وتسعين وخمسمئة ، وعلمه النبي صلى الله عليه وسلم كيف يخيط ، فكان يخيط كذلك بالأجرة ، ثم زر القطب الجزولي ، وعند حائط قبته من جهة راسه قبة صغيرة ملاصقة له فيها قبر الامام ابراهيم اليقوري ، وفيها ضريحان متلاصقان ، احدهما لأمير المومنين هشام بن سيدي محمد بن عبد الله العلوي ، والآخر ضريح اخيه مولانا الحسين قدس الله تعالى ارواحهما ، ماتا بالطاعون سنة ست أو سبع عشرة ومئتين والف ، ويقُّورة بباء اول الحروف مفتوحـة وقاف مشددة وراء مهملة بلـد

بالأندلس ، ثم زرْ مقام الغوث الأكبر ، سيدي ابي عمرو . ثم مقام الزاهد الأورع سيدي حمزة بن علي بن عبد الله ، ومقامه اليوم صار محلا للزمنى والمرضى لا يكاد يخلو منهم خصوصا النساء ، ثم يليه القطبُ الرباني ، سيدي عبد العزيز التباع ، ثم يليه مقام الامام السمرقندي ، وعند رأسه رخامة فيها نقش : بسم الله الرحمان الرحيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وءاله ، بناء هذا الزاوية المباركة المرسومة بهذا التاريخ للعبد الفقير الى الله الراجي عفوه وغفرانه المتوكل عليه في سره وعلانيته ونجواه ، المنزل له الناشيء عبيده عمر السمرقندي ، لطف الله به وأدخله جنته ، لا بً غيره ، ولا معبود سواه ، ولا رءوف حاشاه وحده ، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وءاله وصحبه وسلم تسليماً ، وكتب ذلك سنة ست وسبعين وسبعمئة ، غفر الله لكاتبه وقارئه ولمن دعا له بالتوبة والغفران انتهى ، ثم يليه مقام العارف ابن العريف ، وفي سنة ست وثمانين ومئتين والف جدد مقامه عبد الله بن ابيه الحيحي وصرف عليه مالا له بال ، وبعده بسنة مات القائد المذكور ودفن خلفه ، وبجنب ابن العريف ابو العباس العطار الزاهد ، كان ينسخ الكتب ولا يأكل الا من عمل يده ، وله مراجعات مع اليوسي ، اخذ علم الباطن عن سيدي محمد بن عبد الله الأندلسي المدفون في جنان ابن شقرة ، وعن أحمد بن ابراهيم التملي امام جامع الكتبيين ، وهو عن الخضر عليه السلام يقظة ، وتوفي الامام العطار سنة خمس ومئة والف ، ويليه في الزيارة سيدي عبد الله بن ياسين اخو سيدي عبد الخالق ، تنزل لضريحه بدرجات ، ويبعد كل البعد ما شاع بين اهل مراكش ان مسجد المواسين كان حارة لليهود ، فكيف يكون مسجد هذا الفقيه ومقامه مجاوراً لليهود ، فقد كان في القرن السادس ، وله جاه وعلم وصلاح ، ذكره في (التشوف) في ترجمة شيخه ابي محمد بن محمد الجزولي ، ومن عجيب كراماته ان سنة سبعين ومئتين والف اشترى يهودي جملا واتى به للشهود ، فانسلّ الجمل هارباً ودخل مقامه وبرك فيه وابى أن يقوم ، فأنهي الخبرُ لأمير المومنين مولانا عبد الرحمان قدس الله تعالى روحه ، فخلصه من اليهودي برد بيعه ورجع للمسلم ، ثم يليه في الزيارة رباط مولاي التهامي الوزاني ، ثم يليه عن يسارك مقام محب رسول الله صلى

الله عليه وسلم ومادحه بالأزجال المشهورة السيد الحاج احمد بن علال ، ويعمل له الموسم في اول كل ليلة من رجب ، وينشدون ازجاله ، ثم يليه القطب الأكبر ، مولانا عبد الله الغزواني ، ثم يليه مقام الأشراف المشيشيين : مولاي ابراهيم وولده مولاي مسعود وولده مولاي علي بن مسعود ، ثم يليه رجال الكتبيين : السيدة زهراء الكوش ، وسيدي علي بلقاسم ، والملك الزاهد سيدي يوسف بن تاشفين ، ويليه سيدي ميمون الصحراوي ، وهو تلميذ المولى الصالح سيدي عبد الخالق ، كان سيدي ميمون يقصد لمسّ الجن ، وكانت تخدمه ، ومما يدلك على أن سيدي ميمون من اهل الصلاح والطب الروحاني نفعنا الله به ما ذكره اليوسي في القصيدة المتقدمة : وبطب ميمون ورفع وساد ، ثم يليه الامام السهيلي الخثعمي ، فاذا زرته فقد حصلت زيارة سبعة رجال خصوصاً وعموماً على حسب الامكان ، والا فأولياء مراكش لا حصرَ لهم ، فقد قالوا ان مراكش تربة الولي ، والوجه الثالث من وجوه الترتيب انك اذا قدمت الامام القاضي عياض ثم سيدي يوسف بن علي ثم سيدي ابا العباس أو عكست بأن خالفت الترتيب المعلوم بأي وجه كان فذاك تعب عظيم ورجوع القهقرى وتعذيب النفس بما هو مستغنى عنه ، والخير في اتباع السلف ، ويد الله مع الجماعة ، واجماعُ المسلمين هنا على هذا الترتيب بلغ حد التواتر ، وعوكس هذا الترتيب في قراءة الشفا باذن السلطان قدس الله سره عام 1293 في وقت حبس المطر ، فلم ينجع ذلك ، ثم اذن بقراءته على الترتيب المعلوم ، ففي اليوم الثاني نزل المطر فلم يبق مقال لقائل بعد هذا ، والامام الصدفي المذكور في دالية الامام اليوسي المذكور فيها سبعة رجال عموماً وخصوصاً المتقدمة هو المدفون بالمقبرة التي في عرصة العمري على يمين الخارج من سيدي عبد العزيز ، وقد اندثرت هذه المقبرة الآن ، واما سبب تسمية سبعة رجال بهذا الاسم فهو والله اعلم تخصيصهُم بهذه الزيارة التي خصوا بها دون غيرهم عند الخاص والعام بهذا الترتيب الذي لم يعهد في غيرهم لكونهم كانوا كالأطواد والأركان في البلد واحداً بعد وواحد من زيارة هذا يليه هذا بلا قهقرى ولا رجوع ، كأنهم في شوط واحد ، وايضاً فان زيارتهم بالترتيب المعهود يندرج فيها غالب صلحاء مراكش كما ذكرناه قبل هذا ،

وقد ذكره الامام اليوسي في قصيدته الدالية ولله دره ، فان ابياته اللامية خص بها السبعة المعلومة ، وقصيدته الدالية عمم بها مشاهير رجال البلد والمزارات الشهيرة ، فصار الغرباء وعامة الناس لا يعرفون ولا يسمعون الا سبعة رجال ، والغير انما هو تبع لهم ، واما اهل العلم والبصائر فيزورون مَن في مراكش على تلك الكيفية لا على غيرها ، ولا يكون التخصيص بسبعة رجال سبباً في تفضيلهم على غيرهم ، فالتفضيل بين الأولياء منهيٌّ عنه الا بخبر الشارع وائمة الهدى ، ولوكان الفضل بشهرة الصيت لخصَّ به ابو الفضل عياض الذي هو اولهم موتاً سنة اربع واربعين وخمسمئة ، ويليه في العلم السهيلي المتوفى سنة ثلاث وثمانين وخمسمئة ، ويليه في الوفاة صاحبُ الغار سنة ثلاث وتسعين وخمسمئة ، ويليه ابو العباس سنة واحد وستمئة ، ويليه الجزولي سنة سبعين وثمانمئة ، ويليه تلميذه التبـاع سنة اربـع عشرة وتسعمئة ، ويليه تلميذه الغزواني سنة خمس وثلاثين وتسعمئة ، واما أول الأولياء المشاهير موتاً في هذا البلد فهو الامام ابن العريف والامام ابن برجان المشهور بأبي الرجال برحبة الزرع ، كل منهما توفيَ سنة ست وثلاثين وخمسمئة ، والله تعالى اعلم .

خاتمة : وفي رسالة السلطان مولانا سليمان التي ذكر فيها حال متفقرة الوقت وحذر فيها رضي الله عنه من الخروج عن السنة والتغالي في البدعة وبيَّن فيها بعضَ ءاداب زيارة الأولياء وحذر من تغالي العوام في ذلك مما لا يخفى على مَن عاين امرهم في ذلك ، وشرح بعضَ الفصول من هذه الرسالة مما اغلظ فيه السلطان ، وتكلم على تراجم سبعة رجال العلامة سيدي المكي بن مريدة السرغيني مانصه : **تنبيه** : من الغلو البعيد ابتهال اهل مراكش بهذه الكلمة (سبعة رجال) هل كان لسبعة رجال شيعة يطوفون عيهم الى أن قال فعلينا أن نقتدي بسبعة رجال ولا نتخذ سبعةَ رجال ءالهة ليلا يؤولَ الحال فيهم الى ما آل اليه في يغوث ويعوق ونسر الخ ، وصدق رحمه الله ، والذي ينبغي ان يسلك في حق أولياء الله رضي الله عنهم ان كل من ثبتت خصوصيته وجب تعظيمه ظاهراً وباطناً ، واستحق أن يتبرك به ويدعا عند ضريحه على سبيل

الاستشفاع به الى الله تعالى ، لأن أضرحة الأولياء مظنة لاستجابة الدعاء ، لأنها محل نزول النفحات الرحمانية ، أفاض الله علينا من بركاتهم ونفعنا بهم ءامين .

ثـم قلت :

يارب بالسبعة الرجال الأبـــرار أولى الصلاح ذوي الفلاح الأطهـار

هذه القصيدة المباركة من البحر الثالث من الأبحر الخمسة عشر ، وهو البسيط آخر الأبحر الثلاثة المستعملة من الدائرة الأولى المسماة بدائرة المختلف المشتملة على خمسة أبحر : الطويل ، والمديد ، والبسيط ، وعكس الطويل ، ويسمى بالمستطيل ، ومقلوب المديد ويسمى بالممتد ، والأخيران مهملان لم ينظم عليهما المولدون ، فمن الأول المستطيل قول بعضهم :

لقد هاج اشتياقي غرير الطرف احور ادير الصدغ منه على مسك وعنبر

وزنه مفاعلين فعولن اربع مرات .

ومن الثاني الممتد قول الآخر :

صاد قلبي غـزال أحـــور ذو دلال كلما زدت حبـاً زاد مني نفـــورا

وزنه فاعلن فاعلتن اربع مرات ، وبعضهم جعل وزن البيت الثاني فاعلاتن فعولن اربع مرات ، والبسيط في الدائرة من ثمانية أجزاء على هذه الصورة : مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن ، مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن ، وهذان الجزءان من أجزاء التقطيع العشرة ، وما احسن قول الشيخ برهان الدين القيراطي :

ومليح علم الخليـل يعانـــــي ليته لـو غـدا خليـل خليـــع
رمت وصلا منه فقال لحـاظـــي ناطقـات" بأحـرف التقطيـــع

قال الخليل كما في (العيون الغامرة) سمي بسيطاً لأنه انبسط عن مد الطويل والمديد ، فجاء وسطه فعولن ، حكاه الأخفش في أول اجزائه السباعية ،

قاله الزجاج وقيل لانبساط الحركات في عروضه وضربه انتهى . وجعل الشيخ زكرياء القولين الأخيرين علة واحدة ، واقتصر الدمنهوري في المختصر الشافي على القول الثاني ، قال وعلة التسمية لا توجبُها ، انتهى .

وذكر في الخزرجية للبسيط ثلاثةَ اعاريض وستة اضرب ، قصيدتنا من الضرب الثاني للعروض الأولى منه المخبونة المقطوع ضربها وعروض البيت الجزء الأخير من شطره الأول وضربه الجزء الأخير من عجزه ، قال :

وقل ءاخر الصدر العروض ومثلـه   من العجز الضرب اعلم الفرقَ باعتنا

والخبن عبارة عن حذف ثاني السبب الخفيف ، والقطع عبارة عن حذف ساكن الوتد المجموع واسكان الحرف الذي قبله فيصير فاعلن بالخبن فعلن وبالقطع فعلن باسكان العين ، والخبن لا يكون الا في السبب الخفيف ، والقطع لا يكون الا في الوتد المجموع ، وانشد ابن الخطيب في الاحاطة :

ياكاملا شوقـي اليـه وافــــر   وبسيط وجدي في هواه عـزيـز
عاملت اسبابـي اليك بقطعهـــا   **والقطعُ في الأسباب ليس يجــوز**

فأحسن في التورية ، ولا يتبين معنى الخبن من الخزرجية الا بثلاثة ابيات ، قـال :

وتغيير ثاني لحرف السبب ادعُـه   **زحافاً وارج الجزء من ذلك احتمى**
وذلك بالاسكان والحذف فيهمـا   **يعمُّ على الترتيب فاقبضْ على الولا**
فتلك بثاني الجزء الاضمار متبعـاً   **بخبن ووقص فادعُ كلا بما اقتضى**

ومعنى القطع يتبين من بيتين منها ، قال :

وحسبك فيها القصر حذفك ساكناً   وتسكين حرف قبله اذ حكى العصا
كذا القطع لاكن ذاك في سبب جرى   وفي وتـد هذا وجهز له حـــوى

والسبب الخفيف عبارة عن متحرك بعده ساكن ، والوتد المجموع عبارة عن متحركين بعدهما ساكن ، قال في الخزرجية :

واول نطق المرء حـرف" محـــرك　　فان يأت ثـان قبل ذا سبب بـــدا
خفيف متى يسكن والا فـضــده　　وقل وتدان زدت حرفاً بلا امتـرا
وسخ بمجمـوع فعـل وبضـــده　　كفعل ومن جنسيهما الجزء قد اتى

والأجزاء العشرة الأصول منها اربعة فعولن مفاعيلن مفاعلتن فاعلاتن ذو الوتد المفروق في المضارع ، والفروع فاعلن مستفعلن فاعلاتن متفاعلن مفعولات مستفع لن ذو الوتد المفروق في الخفيف والمجتث ، وهي ثمانية لفظاً عشرة حكماً ، وشاهد الضرب الثاني المقطوع للعروض الأولى المخبونة من البسيط قال الشاعر :

قد اشهدُ الغارة الشعواء تحملنـي　　جرداءُ معروفة اللحيين سرحـوب

فقوله ملني هو العروض وزنه فعلن بسكون العين ، ولنقطع بيت القصيدة الأول ليقاس عليه غيره ، يارب بس مستفعلن . سادتل فاعلن ، اخيار لب مستفعلن ، رارى فعلن مقطوع ، الصصلا متفعلن مخبون ، ح ذول فعلن مخبون ، فلاح لط متفعلن مخبون ، هارى فعلن مقطوع ، قال :

واعلـم بـأن جملـة التقطيـــع　　هو اتبـاعُ لفظك المســمـــوع
فكل ما اسقطـه اللفـظُ سـقـط　　والعكس بالعكس ولا حكـم لخـط

فان قيل القطع واقع في الضرب على ماذكرنا فما بال العروض جاءت مقطوعة ايضاً وانما ذكرنا انها مخبونة ، قلنا تصريع البيت الأول من القصيدة اوجب ذلك ، ومعنى التصريع أن تجعل العروض المخالفة للضرب كالضرب في الوزن والاعلال مع تحليتها بحرف الروي ، وقد نسجَ على هذا المنوال الصحابي الجليل كعب بن زهير رضي الله عنه في (بانت سعاد) قال :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبـــول　　متيم اثرهـا لـم يفد مـكـبـــول
وما سعاد غداة البين اذ رحلــــوا　　الا اغنُّ غضيض الطرف مكحـول

الخ ، وقصيدة البـردة من الضرب الأول من العروض المذكـورة تساوت عروضها مع ضربها في الخبن ، واعلم أن ضرب قصيدتنا وامثالها كقصيدة الخنساء الصحابية رضي الله تعالى عنها التي تقول فيها :

وان صخـراً لَتأتمّ الهـداةُ بـه   كـأنـه علـمٌ في رأسـه نـــار

يلزمها الارداف لوقوع القطع فيه ، وفي تعريف الردف قال في الخزرجية :

وردفا حروف اللين قبل الـروي لا   سوى الف معها التحـرك حـذوذا

وحاصله ان الردفَ عندهم هو حرف مدٍّ ولين ، وهو ماكان قبله حركة مجانسة له ، او حرف لين وهو ماكان قبله حركة غير مجانسة له قبل الروي ، وليس بينهما حائل ، مأخوذ من ردف الراكب لأنه خلف الروي ، والروي حـرف القصيدة الذي تنسب اليه ، وقد يكون الردفُ الفاً كقوله : الا عمْ صباحاً ايها الطللُ البالي ، وقد يكون ياء كقوله : طحا بك قلبٌ في الحَسان طروب ، ويجوزُ أن تتعاقب الواو والياء في القصيدة الواحدة كقوله :

طحا بك قلبٌ في الحسان طـروب   بعيد الشباب عصر حـان مشيـب
تكلفني ليلى وقـد شطّ وليهـــا   وعادت عـواد بيننـا وخـطـــوب

وهذان البيتان من قصيدة لعلقمة الفحل قالت قريش فيها مع قصيدته التي اولها :

هل ماعلمت وما استودعت مكتـوم   أم حبلُها اذ نأتك اليوم مصـروم
أم هل كبير بكى لم يقض عبرتـه   إثر الأحبة يومَ البين مشكـــوم
لم ادر بالبين حتى ازمعـوا ظعنـاً   كل الجمال قبيل الصبح مـزمـوم

انهما سمطا الدهر كما نقله راوي ديوانه ، والميمية اولاهما فيه ، ولا تعاقبهما الألف لبعدهـا منهما بكثرة مطلها وهو المراد بقـول الناظـم : لا سـوى الألف معها وحركة الحرف الذي قبل الردف تسمى حذواً لأن الشاعر يحذوها ، فان كان الردفُ الفاً كقصيدتنا هذه فلا يكون الحذوُ الا فتحة ضرورة ان

الألف لا يكون ماقبلها الا مفتوحاً ، وان كان واواً أو ياء فحيث جاز تعاقبهما حاز اختلاف الحذو ، ومن تعاقب الياء في الكعبية قوله :

تنفي الرياح القذى عنه وافرطـــه   من صوب سارية بيض يعاليـــل

وقافية هذه القصيدة من المتواتر ، وهو الذي يقع بين ساكنيْه حرف متحرك ، كقوله : حنانيك بعض الشر أهون من بعض .

قال في الخزرجية :

وروف بالسكنين جـداً وبيـن ذا   بما دون خمس حركت فصلوا ابتدا

فواترْ ودارك راكب اجف تكاوسا الخ وقافيتها مطلقة مردفة كما تقدم .

قال فيها :

ومطلقهـا باللين والهـاء ستهـــا   وتبلـغ تسعـاً بالمقيـد عـكس ذا
فجردهمـا اردفهمـا اسسنْهمـــا   والأول قد يولي الخروج فيحتـذا

والاطلاق يكون بحرف اللين بعد حرف الروي وبالهاء بعده كما قال : فوصلا بها لينا وهاء ، وحاصله ان الوصل حرف ليس ينشأ عن اشباع حركة الروي او هاء تلي حرف الروي ، فالأول كالألف من قوله : اقل اللوم عاذلَ والعتابا ، والياء في قوله :

ذم المنازل بعد منـزلـة اللـــوى   والعيش بعد اولائـك الأيـــــام

والواو في قوله : طحا بك قلب في الحسان طروب ، والهاء كقوله :

بالفاضليـن اولـي الـنـهـــى   فـي كـل امـرك فـاقـتـــده

ومثلها هاء التأنيث والهاء الأصلية المتحرك ما قبلها ، فتحصل ان هذه القصيدة من الضرب الثاني المقطوع لعروضه الأولى من البسيط المخبونة في غير التصريع المقطوعة بسببه ، وان قافيتها حرف رويها راء مطلقة بياء الوصل مردفة بالألف متواترة .

الاعراب : يا حرف موضوع لنداء البعيد حقيقة او حكماً ، وقد ينادى بها القريب توكيداً ، وقيل مشتركة بين القريب والبعيد ، وقيل بينهما وبين التوسط ، وهي اكثر احرف النداء استعمالا ، ولهذا لا يقدر عند الحذف سواها نحو (يوسف اعرض عن هذا) ، ولا ينادى اسم الله عز وجلّ ، والاسم المستغاث والهاء وايتها الا بها ، ولا المندوب الا بها او بواو ، وليس نصب المنادى بها ولا بأخواتها احرفا ولا بهن أسماء لأدعوا متحملة لضمير الفاعل خلافا لزاعمي ذلك ، بل بأدعو محذوفاً لزوما ، وقول ابن الطراوة النداء انشاء ، وادعو خبر سهو بل ادعو المقدر انشاء كبعت واقسمت كما في المعنى ، وقال في الخلاصة : وللمنادى الناءى او كالناء يا ، والقرءان المجيد مع كثرة النداء فيه لم يأت فيه غيرها ، وما ذكروه من ان يا للبعيد او ما في حكمه قاله الزمخشري ، قال واما يا الله ويارب مع كونه تعالى اقرب الى كل شخص من حبل وريده بالاستصغار الداعي لنفسه واستبعاده لها عن مرتبة المدعو تعالى ، قال ابن المنير : وهذا اقناعي ، فان الداعي يقول ياقريباً غير بعيد . وربما قال يامَن هو أقرب الينا من حبل الوريد ، فاين هذا من الانتصاب منصب البعيد ؟ انتهى . نقله الدماميني واقره .

قلت وفيه ان استصغار العبد لنفسه لا ينافي مشاهدة قربه تعالى منه باحاطة علمه به وارادته لما اراد منه ، وقدرته عليه تستلزم قربه اي العبد من الله تعالى ، اي ثبوت خصوصيته وتقربه بتلك المشاهدة كما قال في الحكم : قربك منه ان تكون مشاهداً لقربه منك ، فان ذالك الاستلزام انما هو بحسب الواقع لا بحسب اعتقاد العبد ، بل الذي يناسب اعتقاده ان يستصغر نفسه ويستبعد تأهلها لحضرة الخصوصية والقرب ، فافهم ، قاله العلامة ابن زكري في شرح الفريدة ، وقال العطار واما نحو ياالله فالمقصود فيه من النداء لازم التوجه وهو الاجابة ، انتهى . فهما مبحثان ، مبحث كون يا لنداء البعيد الخ ، ومبحث كون النداء للاقبال والتوجه ، وقد يقصد به لازمه ، وفي روح البيان عند قوله تعالى (واذ قال ابراهيم رب) مانصه : كلمة استعطاف قدمت بين الدعاء مبالغة في استدعاء الاجابة انتهى . ورب منادى مضاف الى ياء المتكلم المحذوفة ، وبقيت الكسرة دليلا عليها منصوب بفتحة مقدرة منع من ظهورها

اشتغال المحل بحركة مناسبة للياء . ولك ان تفتح الياء ، وذلك بعد ان تقلب الكسرة فتحة والياء الفاً ، ثم تحذف الياء ، ويصح أن يقرأ في هذا البيت بوجه ثالث ، وهو أن تضم الباء ، ثم لك في اعرابه وجهان ، اما أن تقول انه بالقصد كما صرح به في النهاية فقال جعلوه معرفة بالقصد فبنوه على الضم ، وهذه الضمة كهي في يارجل اذا قصدت رجلا بعينه . انتهى .

قال في التصريح ولعل هذا هو الذي حمل الناظم على اسقاطه واقتصاره على خمس لغات في قوله :

واجعل منادى صحَّ ان يضف ليـا　　　كعبـد عبـدى عبـدا عبديـــا

والا ظهر أن تعريفه بالاضافة المنوية ، لأنهم جعلوه لغة في المضاف الى الياء ، ولوكان تعريفه بالقصد لم يكن لغة فيه انتهى . والوجه الثاني ان الأصل فيه انه مضاف الى ياء المتكلم ، ثم حذفت الياء ونويت الاضافة ، فيكون معرفاً بالاضافة المعنوية المنوية لا القصد والاقبال ثم ضم تشبيهاً له بالمفردات ، وهو مذهب الموضح ، واستغرب ان الخلاف بين الموضح وصاحب النهاية معنوي ، وبقيت في رب اذا كان منادى اوجه ثلاثة فتصير ستة وافصحها الوجه الأول حذف الياء وابقاء الكسرة .ثم اثبات الياء ساكنة ومتحركة ثم قلبها الفاً ثم حذف الألف وابقاء الفتحة ثم لغة الضم ضعيفة قرىء بها في (رب السجن) ، قـــال :

والضم مع نية يـاء النفس قـــد　　　رووا كـرب السجن فاحفظ ما ورد

وقـال :

والحـركـات كلهـا تـقـــدر　　　في كل مـا يضـاف او يـقـصـر

ومن حذف الياء اجتزاء بالكسرة قوله تعالى (والليل اذا يسري) قال في شرح عقود الجمان : ان يودج السرودي سأل الأخفش عن هذه الآية ، فقال لا اجيبك حتى تنام على بابي ليلة ففعل ، فقال ان عادة العرب انها اذا عدلت

بالشيء عن معناه نقصت حروفه ، والليل لما كان لا يسري وانما يسري فيه نقص منه حرف كما قال تعالى (وماكانت امك بغيا) الأصل فيه بغية ، فلما حول عن فاعل نقص منه حرف ، واشار الى ذلك الطيبي ، انتهى . ثم الالف في اللغة الرابعة ضمير ، لأنها منقلبة عن ياء المتكلم ، وفيه الغز بعضهم فقال :

ابن لي امـام النحو اين اتـاكـم   اليف ضميـر للتكلـم ءايـل

جوابـه :

اذا رمت كشفاً للجـواب فناديـا   عبيداً اجب مَن هو بالباب سائـل

وءاخـر :

اسائلكم اهـل المعاني بأسركـم   وليس لكم بد سوى ان تجيبـوا
فما الف ذو خبـرة باضـافـة   يـرى في فصيح ان ذا لعجيـب
اياأسفا ان لم تجيبـوا عليكـم   ابعد العيـان يستـدل اللبـيـب

الجـواب :

اياعجباً ان لم يجبك صغير مَـن   سألت ببادي الراي وهـو مصيـب
ويا أسفا ياحسرتـاي مَن احجمـت   قريحتُه عن ذاك وهـو لبيـب
فان كنت بالعيان ابصرت واحـداً   فهاذي ثـلاث لا اعترتك عـيـوب

وما احلا قول سعد الدين ولد ابن عربي الحاتمي من باب التوجيه :

لي حبيب بالنحـو اصبح مغـرى   هـو منـي بمـا اعـانيـه ادرى
قلت مـاذا تقـول حين تـنـادي   ياحبيبي المضاف دونك جـهـرا
قـال لـي ياغـلام او ياغلامـي   قلت لبيـك ثـم لبيـك عشـرا

انتهـى .

فتحصل انه صح في الاسم الشريف رب المنادى الحركات' الثلاث : الكسرة والفتحة والضمة ، والبـاء' حرف للسببية متعلقة بأجب في البيت

الموفي خمسين ، وليس هذا بتضمين ، لأنهم نصوا على أن التضمين هو تعلق معنى القافية بالبيت الثاني لا تعلق غير القافية ، واما قول الخزرجي : وتضمينها احواج معنى لذا وذا ، فقد قال فيه العلامة الدماميني ما نصه : وكلامُ الناظم منتقد من جهة شمول تفسيره التضمين بما ليس منه ، وذلك لأن أول البيت اذا كان مفتقراً الى أول البيت الثاني فليس بتضمين ، نصّ عليه ابو العباس وسماه تعليقاً معنوياً ، ووجه بأن القافية محل الوقف والاستراحة ، فاذا كانت مفتقرة لما بعدها لم يصح الوقفُ عليها ، اما اذا سلمت من الافتقار فلا عيب لانتفاء هذا المحذور ، كقوله :

وما شنتا خرقاء واهية الكلى — سقى بهما ساقٍ ولما تبدلا
بأضيعَ من عينيك للدمع كلما — تذكرت ربعاً او توهمت منزلا

انشده ابن دريد .

وكقوله :

وما وجد اعرابية قذفت بها — صروفُ النوى من حيث لم تك ظنت
تمنت احاليب الدعاء وخيمةً — بنجد فلم يقدر لها ما تمنت
اذا ذكرت ماء العضاة وطيبه — وريح الصبّا من نحو نجدٍ ارنت
بأكثر مني لوعةً غير أنني — اطامن احشائي على ما اجنت
بأوجد من وجد بريا وجدته — غداة غدونا غدوة واطمأنت
فان يك هذا عهد ريا واهلها — فهذا الذي كنا ظننا وظنت

ومثله كثير ، وربما عد بعض أهل البيان مثل هذا من فن البديع ، وسموه بالتفريع ، انتهى .

قال تلميذه العلامة ابن حجة في (خزانة الأدب) بعد تفريع التفريع ، ومن الأمثلة الشعرية قول الأعشى :

ما روضة من رياض الحسن معشبة — غناء جاد عليها مسبل هطل
يضاحك الزهرَ منها كوكبٌ شرق — مؤزر بعميم النبت مكتهل

يومـاً بأطيب منها طيب رائـحــة   ولا بأحسن منها اذ دنا الأصـــل

ثم قال : ويعجبني في هذا الباب قول ابراهيم بن سهل :

وما وجد اعرابية بان دارهــا   وحنت الى دار الحجاز ورنــده
اذا ءانست ركبـاً تكفل شوقهـا   بنـار قـراه والـدمـوع بـورده
وان اوقدوا المصباح ظنوه بارقـاً   يحيي فهشَّت للســلام و ر د ه
بأعظم من وجدي بموسى وانمـا   يـرى انني اذنبت ذنبـاً لــوده

وسمى الحافظ السيوطي هذا النوع بالتفضيل ، واطلق التفريع على معنى ءاخر ، قال في (عقود الجمان) :

ومنـه تفريـع وذا ان يثبتـــا   لمتعلق بـه مـا اثـبـتــــا
لآخـر لـه فـان بمـا نـفــي   او لا عن الذي بشـيء وصـفـا
افعل للوصف مناسبـاً وقـــد   عـدى بمن الى الذي ذاك قـصـد
فذاك بالتفضيل حقـا دعـيـا

قال في الشرح : وحدُه يعني التفريع ان يرتب حكم على صفة من أوصاف الممدوح أو المذموم يرتب ذلك الحكم بعينه على صفة اخرى من أوصافه على وجه يشعر بالتفريع والتعقيب ، كقوله :

احلامكم لسقـام الجهل شـافيــة   كما دماؤكـم تشفي من الكلـب

ثم قال ومثاله من الحديث الخمر تعلو الخطايا كما أن شجرها يعلو الشجر ، رواه الديلمي من حديث انس ، قال عبد الباقي وغيره : وهذا النوع قريب من الاستطراد جداً ويفارقه باشتراط كون المفرع في معنى المفرع عليه بخلاف الاستطراد .

الثاني التفضيل وهو من زيادتي ، ذكره الصفي واتباعه ، وجعله الأندلسي قسماً من التفريع ، وكذا فعل صاحب التلخيص أولا ثم ضرب عليه بخطه كما رايته في نسخته ، ومشى عليه في الايضاح ، وهو أن ينفى بما اولا

دون غيرهما من ادوات النفي ، عن ذي وصف افعل تفضيل مناسب لذلك الوصف معدى الى ما يراد مدحه أو ذمه ، فتحصل المساواة بين الاسم المجرور بمن وبين الاسم الداخلة عليه ما النافية ، لأنها نفت الأفضلية ، فتبقى المساواة ، كقوله يعنى ابا تمام :

ما ربع مية معموراً يطيف بـــه غيلانُ ابهى ربىً من ربعها الخرب
ولا الخدود وقد ادمين من خجـل اشهى الى ناظري من خدها الترب

ومثاله من الحديث ما ذيبان ضاريان ارسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه ، رواه الترمذي ، وحديث الطبراني : ما المعطي من سعة بأعظم اجراً من الآخذ اذا كان محتاجاً ، ثم قال ومنهم من سمى هذا النوع النفي والجحد ، انتهى .

والاستطراد عدوه من انواع البديع ، وعرفه ابن حجة بقوله ان تكون في غرض من أغراض الشعر توهم انك مستمر فيه ، ثم تخرج الى غيره لمناسبة بينهما ، ولا بد من التصريح باسم المستطرد به بشرط أن لا يكون قد تقدم له ذكر ، ثم ترجع الى الأول وتقطع الكلام فيكون ، وصوا به فلا يكون المستطرد به ءاخر كلامك ، وهذا هو الفرق بينه وبين التخلص ، فان الاستطرادَ يشترط فيه الرجوع الى الكلام الأول وقطع الكـلام بعد المستطرد به ، والأمـران معدومان في التخلص ، فانه لا يرجع الى الأول ولا يقطع الكلام ، بل يستمرُ الى ما يخلص اليه ، وحدّ صاحبُ الايضاح الاستطرادَ فقد اتي فيه بالغرض بعد ما بالغ في الايجاز ، فانه قال الاستطراد هو الانتقال من معنى الى معنى ءاخر متصل به ، ثم يقصد بذكر الأول التوصل الى الثاني ، ففي قوله متصل به جل القصد وعدم الاحتياج الى الكلام الكثير ، وذكر الحاتمي في (حلية المحاضرة) انه نقل هذه التسمية عن البحتري ، وذكر غيره ان البحتري نقلها عن ابي تمام ، وقال ابن المعتز الاستطراد هو الخروج من معنى الى معنى ، وفسره بأن قال هو ان يكون المتكلم في معنى فيخرج عنه بطريق التشبيه والشرط والاخبار أو غير ذلك الى معنى ءاخر يتضمن مدحا أو هجواً أو وصفاً ،

وغالب وقوعه في الهجاء ، فمنه قوله تعالى في كتابه العزيز (الا بعداً لمدين كما بعدت ثمود) ، فذكر ثمود استطراد ، وقيل ان اول شاهد ورد في هذا النوع وسار سير الأمثال قول السموأل :

وانا لقوم لا نرى القتل سبةً ... اذ ما راته عامر وسلول

فانظر الى خروجه الداخل في الافتخار الى الهجو وحسن عوده الى ماكان عليه من الافتخار بقوله :

يقرب حبُ الموت ءاجالنا لنا ... وتكرهه ءاجالهم فتطول

ثم اكثر من شواهده .

وقال في عقود الجمان :

ومنه الاستطراد ان ينتقلا ... من غرض لآخر قد شكلا

قال في الشرح وذكره يعني الاستطراد في التبيان والايضاح والمصباح وهو أن يكون في فن من الفنون اي غرض من الأغراض ثم ينسخ له فن ءاخر يناسبه في الذكر فيورده ثم يرجع الى الأول ويقطع الاستطراد ، وبهذا القيد يخرج عن التخلص ، وعرفه في الايضاح بالانتقال من معنى الى معنى ءاخر متصل به ، ثم يقصد بذكر الأول التوصل الى الثاني ، وبهذا يفارق التخلص أيضاً ، وفي شرحه ان المراد بالاتصال أن يكون بين المعنيين مناسبة ، ثم ذكر السيوطي كلام الحاتمي المتقدم والآية المتقدمة ، ثم قال : قلت وقد خرجت عليه (ولا الملائكة المقربون) ، واورد منه الطيبي قوله تعالى (وما يستوي البحران ، هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج ، ومن كل تأكلون لحماً طرياً) ، فعطف ومن كل تاكلون لكونه مناسباً لأصل الكلام ، وهو البحران المعني بهما المومن والكافر ، وقوله (واذ قال لقمان لابنه) الآية استطراد فيها الى قوله (ووصينا الانسان بوالديه) ، واستطرد من الوصية الى قوله (حملته امه وهناً على وهن) ، وفائدة الاستطراد الأول التحريض

على قبول موعظة الآباء ، وفائدة الثاني التوكيد في التوصية في حقهم وبالوالدة خصوصاً لما تكابد من مشاق الحمل والرضاع ، ومن امثلته في الشعر :

اذا ما اتّقى الله الفتى واطـاعـــه فليس به باس وان كان من جــرم

استطرد من الوعظ الى الهجو ، وقال ابن خطيب زملكا : ومنه حديث خطبته صلى الله عليه وسم عام الفتح ان الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة ، قيل يارسول الله ارايت شحوم الميتة فانه يطلى به السفن ويدهن بها الجلود ويصبح بها ، فقال لا ، هي حرام ، ثم قال قاتل الله اليهود ، ان الله لما حرم عليهم الشحوم حملوها فباعوها ، قال فقوله قاتل الله اليهود الخ من بـاب الاستطراد ، وقال في الايضاح : وقد يكون الثاني هو المقصود ، ويذكر الأول قبله ليتوصل اليه من غير أن يشعر بذلك ، قال ولا باس ان يسمى ايهام الاستطراد .

رجع الى ما كنا بصدده من الاعراب ، ويحتمل ان تتعلق الباء المحذوف تقديره اتوسل او نحوه ، والسبعة الرجال مجرور بالياء ، الأبرار نعت له ، وكذلك جميع الأوصاف التي بعده ، والنعوت اذا تعددت يجوز اتباعها بغير عطف وبالعطف على حد قول الله تعالى (التائبون العابدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله) ، واما القول بواو الثمانية فقد رده النسفي ، قال في روح البيان عند الآية الكريمة وقال النسفي في تفسيره المسمى (التيسير) لا اصل لهذا القول عند المحققين ، فليس في هذا العدد ما يوجب ذلك ، والاستعمال على الاطراد كذلك ، قال الله تعالى (الملك القدوس السلام المومن المهيمن العزيز الجبار المتكبر) بغير واو ، وقال تعالى (ولا تطع كل حلاف) الاية بغير واو في الثامنة ، انتهى . واجاد في المعنى الكلام على دلائلها والأبحاث فيها ، قال الثالثة يعني الأيمة الثالثة من الآيات التي استمدَّ بها القايلون بواو الثمانية الذين منهم الحريري وابن خالويه والثعلبي ، والناهون عن المنكر فانه الوصف الثامن ، والظاهر ان العطف في هذا الوصف بخصوصية انما كان من جهة ان الأمر والنهي من حيث هما

امر ونهي متقابلان بخلاف بقية الصفات ، أو لأن الآمرَ بالمعروف ناهٍ عن المنكر ، وهو ترك المعروف والناهي عن المنكر ءامر بالمعروف ، فأشير الى الاعتداد بكل من الوصفين ، وانه لا يكتفي فيه ما يحصل في ضمن الآخر ، وذهب ابو البقاء على امامتـه في مذهب الضعفاء وقال انمـا دخلت في الصفة الثامنة ايذاناً بأن السبعة عندهم عدد تام ، ولذا قالوا سبع في ثمانية اي سبع اذرع في ثمانية اشبار ، وانما دخلت الواو على ذلك لأن وضعها على مغايرة ما بعدها لما قبلها ، انتهى .

اللغة والمعنى : الرب يطلق على الله تبارك وتعالى معرفاً بالالف واللام ، ومضافاً ، ويطلق على مالك الشيء الذي لا يعقل مضافاً اليه ، فيقال رب الدين ، ورب المال ، ومنه قوله عليه السلام في ضالة الابل حتى يلقاها ربها ، وقد استعمل بمعنى السيد مضافا الى العاقل ايضاً ، ومنه قوله عليه السلام حتى تلدَ الأمة ربتَها ، وفي رواية ربها ، وفي التنزيل حكاية عن يوسف (اما احدكما فيسقي ربه خمراً) ، واما قالوا ولا يجوز استعماله بالألف واللام للمخلـوق بمعنى المالك ، لأن الـلام للعمـوم ، والمخلـوق لا يملك جميـع المخلوقات ، وربما جاء باللام عوضاً عن الاضافة اذا كان بمعنى السيد ، قال الحارث فهو الرب والشهيد على يوم الجبارين ، والبلاء بلاء ، وبعضهم يمنع ان يقال هذا رب العبد وان يقول العبد هذا ربي ، وقوله عليه الصلاة والسلام حتى تلد الأمة ربها حجة عليه ، انتهى من (المصباح) ، وانشد البيت المذكور ايضاً السيد الشريف في حواشي الكشاف وقرّر فيها ان الرب اما صفة مشبهة أو وصف بالمصدر ، وفي (روح البيان) والربُّ بمعني التربية والاصلاح ، اما في حق العالمين فيربيهم بأغذيتهم وسائر اسباب بقاء وجودهم ، وفي حق الانسان فيربي الظواهر بالنعمة وهي النفس ، ويربي البواطن بالرحمة وهي القلوب ، ويربي نفوس العابدين بأحكام الشريعة ، ويربي قلوب المشتاقين بثاداب الطريقة ، ويربي اسرار المحبين بأنوار الحقيقة ، ويربي الانسان تارة بأطواره ، وفيض قوي انواره في أعضائه ، فسبحان من اسمع بعظم ، وبصر بشحم ، وانطق بلحم ، واخرى بترتيب غذائه في النبات بحبوبه وثماره ، وفي الحيوان بلحومه وشحومه ، وفي الأراضي بأشجاره وانهاره ، وفي الأفلاك

بكواكبه وانواره ، وفي الزمان بسكونك وتسكين الحشرات والحركات الموذية في الليالي وحفظك وتمكينك من ابتغاء فضله ، فياهذا يربيك كأنه ليس له عبد سواك ، وانت لا تخدمه أو تخدمه كأن لك رباً غيره ، والأبرارُ جمع بَر ، ويطلق على الصادق وعلى التقي ، واولو اسم جمع لا مفرد له من لفظه ، وهو بمعنى اصحاب ، والصلاح استقامة الأحوال ظاهراً وباطناً ، فهو التقي ، وذوو بمعنى أصحاب ، والفلاح الفوز ، ومنه حيَّ على الفلاح ، اي هلموا الى طريق النجاة والفوز ، وفي (روح المعاني) : والفلاح الظفر وادراك البغية ، وذلك ضربان ، دنيوي واخروي ، فالأول الظفر بالسعادات التي تطيب بها حياةُ الدنيا وهو البقاء والعز والغنا ، والثاني اربعة اشياء بقاء بلا فناء ، وغناء بلا فقر ، وعز بلا ذل ، وعلم بلا جهل ، ولذلك قيل لا عيشَ الا عيش الآخرة ، ومعنى افلح دخل في الفلاح انتهى . والطهارة النقاء من الدنس ، وهو طاهر العرض بريء من العيب .

حاصل المعنى يارب الذي اصلح اموري اجبْ دعائي بالسبعة الرجال الأكارم الفضلاء الصادقين في معاملتك ، مستقيمي الأحوال الفائزين برضاك ، الطاهرين من كل عيب ، لأنهم اهل لأن يتوسل اليك بهم .

البديع : في البيت من انواعه التعديد ، وهو عبارة عن ايقاع اسماء مفردة على سياق واحد ، فان روعي في ذلك ازدواج" أو مطابقة أو تجنيس او مقابلة فذلك الغاية في حسن هذا النوع ، مثاله قوله تعالى (وليبلونّكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات ، وبشر الصابرين) ، وفي (الجوهر المكنون) :

من ذلك التوشيعُ والترديـــــد	ترتيب اختــراع او تعــديـــــد
كالتائبون العابـدون الحـامـدون	السائحون الراكعون الساجـــدون

انتهـــى .

ومنه حديث (كفى بالمرءِ في ذنبه أن يكثر حظه ، وينقص عمله ، وتقل حقيقته ، جيفة بالليل ، بطال بالنهار ، كسول جزوع ، منوع هلوع رتوع) ، رواه في (الحلية) .

وبيت عز الدين في بديعته :

تعديد أوصافهم في المدح يُعجزنا اهل التقى والنقى والمجد والهمم

وقد استوفى التعديد في بيتنا شرطه حيث اشتمل على الجناس اللاحق في الصلاح والفلاح ، وهو الذي ابدل من احد ركنيه حرف واحد بغيره من غير مخرجه ، سواء كان الابدال في الأول او في الوسط او الأخير ، وان كان ما ابدل منه من مخرجه يسمى مضارعاً ، فمن الأمثلة من القرءان الكريم قوله تعالى (ويل لكل همزة لمزة) ، وقوله تعالى (وانه على ذلك لشهيد ، وانه لحب الخير لشديد) ، وقوله تعالى (واذا جاءهم امر" من الأمن) ، فالابدال في الآية الأولى في الأول ، وفي الثانية في الوسط ، وفي الثالثة في الأخر ، ومن الأحاديث على هذا النمط ايضاً ، فمن الأول قوله عليه الصلاة والسلام (الحمد لله الذي حسن خلقي وزان مني ماشاء من غيري) ، ومنْ الثاني حديث (لولا رجال ركع ، وصبيان رضع ، وبهائم رتع) ، ومن الثالث حديث (احبُ المومنين الى الله من نصب نفسه في طاعة الله ونصح لأمة محمد) ، ومن امثلته الشعرية قول بعضهم :

ان الغني هــو الغنــي بنفســـــه ولو انه عــاري المناكب حافـــــي

ما كل ما فوق البسيطـة كافيـــاً واذا قنعتَ فكــل شيء كـافـــي

والجناس في البيتين بين حافي وكافي ، وفي البيت التصريع ، وقد تقدم الكلامُ عليه من جهة فن العروض ، وهنا الكلام في تعديده من انواع البديع ، والفرق بين البديعي والعروضي ، والتصريع في علم البديع عبارة عن استواء آخر جزء في صدر البيت وءاخر جزء في عجزه في الوزن والروي والاعراب ، ولا يعتبر فيه قاعدة العروضيين في الفرق بين المصرع والمقفى ، فاصطلاحهم وهو

أليقُ ما يكون في افتتاح القصائد وفي وسطها ربما تحبه الأسماع وتألفه الطباع الا اذا اراد الشاعر الانتقال من كلام الى ءاخر فيحسن فيه التصريع ، ويلحق حينئذ بالمطالع ، والتصريعُ ستة اقسام : الأول الكامل ، وهو أن يكونَ كل مصراع مشتقلا بنفسه في فهم معناه ، كقول امرء القيس :

افاطم مهلا بعض هـذا التـذلـــل وان كنتِ قد ازمعتِ صرمي فأجملي

وقول ابي فــراس :

اراك عصي الدمع شيمتُك الصبـر اما للهوى نهـي عليك ولا امـــر ؟

والثاني أن يكون المصراع الأول غير محتاج الى الثاني ، فاذا جاء جاء مرتبطاً به كقوله :

ياقوت خـدك للقلـوب مـفـــرح اي الجوانح نحـوه لا تجنـــح

والثالث ان يكون المصراعان بحيث يصح وضعُ كل واحد منهما موضع الآخر ، كقوله :

من شروط الصبوح في المهرجـان خفةُ الشرب مع خلـو المكـــان

والرابع أن لا يفهم معنى المصراع الأول بالثاني ويسمى الناقص ، كقولـه :

ما لــي وللتشبيب بـالأوطـــان لي شاغل بجمالك الـفـتـــان

والخامس أن يكون التصريعُ بلفظة واحدة في المصراعين ، ويسمى التصريع المكرر ، وهو ضربان : الأول أن تكون اللفظةُ مختلفةَ المعنى في المصراعين كقوله :

حكاه من الغصن الرطيب وريـقـه وما الخمر الا مقلتـاه وريقـــــه

والثاني أن تكون اللفظةُ متحدة المعنى فيهما ، كقوله :

فكلُّ ذي غيبة يؤوب　　وغائب الموت لا يؤوب

وهذا انزل درجة من الضرب الأول بلا ريب ، القسم السادس أن يكون الأول معلقاً على صفة يأتي ذكرها في المصراع الثاني ويسمى تصريح التعليق ، كقوله :

رفع اللثام فلاح تحت لثامه　　قمر تبدى فوق غصن قوامه

واما التصريع عند العروضيين فقد تقدم حده ، وهو ما غيرت عروضه للحاق بضربه في الوزن والروي لتماثل الضرب فيهما والتغيير اما بزيادة كقوله :

قفا نبكِ من ذكرى حبيب وعرفان　　وربع عفت ءاياته منذ أزمان

أو نقص كقوله :

اجارتنا ان الخطوب تنوب　　واني مقيم" ما اقام عسيب

والمقفى كل عروض وضرب تساويا في الوزن والروي بلا اشتراط تغييرها اليه ، كقوله :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل　　بسقط اللوى بين الدخول فحومل

والمجمع ما تهيأ مصراعه الأول للتصريع بقافية ، واتى المصراع الثاني بقافية اخرى ، والمصمت ما عدا ذلك كله :

اان توسمت من خرقاء منزلة　　ماء الصبابة من عينيك مسجوم

فكل منه ومن المجمع مباين لغيره ، والمقفى اعمُّ من المصرع ، والفرق بين المصرع في علم العروض وفي علم البديع هو انه في علم البديع اعم منه في علم العروض ، اذ يشمله ويشمل المقفى ، فافهم والله تعالى اعلم ، وفي كون التصريع يزيد الشعر حسناً ورونقاً كقول بعضهم في وصف جميل فرق وفرتَه ، وابدى غرته :

عجباً لهـذا الشَّعْر زاد بفرقـــة   حسناً كحسن الشعــر بالتصريــع

فالشعر في صدر البيت بفتح الشين ، وفي عجزه بكسرها ، وفي البيت تمهيد الأمر لما بعده .

انتهى ماذكرته في اظهار الكمال مع حذف ما تقدم ءاخر ترجمة سيدي احمد ابن العريف من الكلام على التوسل (203)

1631) **يوسف بن علا الناس** ، روى قراءة وسماعاً عن يوسف بن محمد بن الشيخ ، واحمد بن يوسف الجقالة واجازا له ، وسمع على ابي محمد بن محمد الحجري وناوله واجاز له ، وعلى ابي عبد الله بن ابراهيم ابن النجار وعيسى بن عبد العزيز القردولي ولم يذكر انهما اجازا له ، روى عنه ابو العباس بن محمد بن عبد الله ابن العوام ، وكان محدثاً زاهداً ورعاً فاضلا حياً بمراكش سنة تسع وستمئة (204) .

1632) **يوسف بن ابراهيم بن يحيى ابن الصواف الخزرجي** ، مصري سكن اشبيلية ، روى عن ابيه ، وتوفى بمراكش في نحو ست عشرة وستمئة .

1633) **يوسف بن محمد (الناصر) بن يعقوب (المنصور) الموحدي** ، امه فاطمة بنت ابي علي يوسف بن عبد المومن ، لقبه المستنصر بالله ، كنيته ابو يعقوب ، صفته : شاب السن ، حسن القد ، أزهر اللون ، جميل الصورة ، اقنى الأنف ، سبط الشعر ، كانت اوامره لا تمتثل ، وكل مَن ولي بلداً عمل فيه برايه ، فضعُفت دولة الموحدين في ايامه واعتراها النقص ، قال في (الجذوة) : ولا ادري هل دخل مدينة فاس وان كان ملكاً لها ، لأنه قيل لم يخرج من مراكش طول خلافته ، انتهى .

---

203) بهذا السخف والهذيان تنتهي ترجمة يوسف بن علي الصنهاجي المبتلى بعد ما اقتطعت من هذا الجزء 78 صفحة ، وقد ضقنا بتفاهتها ذرعاً حتى كدنا – لولا الأمانة – نقتصر منها على ما نثل من التشوف .

204) الترجمة منقولة بالحرف من **الذيل والتكملة** (قسم الغرباء – مخطوط الخزانة العامة بالرباط) .

وزيره عبد الله بن وانودين ، بويع له وسنه عشرة اعوام ، كانت خلافته عشر سنين واربعة أشهر ويومين ، في مدته تهدنت البلاد الأندلسية والافريقية من غير منازع ولا معاند ، لم تكن له حركة تذكر ، ولا غزوة تشهر ، ولا خرج من حاضرة مراكش لمدينة تينمال على عادتهم في زيارة المهدي ، كانت ايامُه هادنةً ليس فيها كبير مفاتنه ، ومدته كانت ءاخر ضخامة الدولة الموحديـة .

توفي بحاضرة مراكش سنة عشرين وستمئة في عشية يوم السبت الثاني عشر لذي حجة ، وقيل مات مسموماً ، سمّه الوزير ابن جامع ، ولم يعقب الا حاملا من جاريته .

ترجمه في الحلل وتاريخ الدولتين والجذوة وغيرها ، وهو الذي نقل الشيخ ابراهيم ابن الحاج البلفيقي من المرية الى مراكش كما تقدم في ترجمته ، وقال في الشذرات بعد ذكره : لم يكن في ءال عبد المومن احسن منه ولا انصح ولا اشغف باللذات ، ولي الأمر عشر سنين بعد ابيه ولم يعقب ، انتهى ، وقال في نفح الطيب صفحة 45 من الجزء الأول مانصه وقال ابو عمران موسى بن سعيد . . . . (205)

1634) **يوسف بن محمد الخزرجي** لقي سيدي يوسف بن علي احد الرجال السبعة واخبره بوقت موته كما تقدم في ترجمته .

1635) **يوسف بن أحمد بن الحسين الأنصاري** ، المعروف بالحكيم ، صاحب ابي العباس السبتي ، ولما مات لم يجعل فيه احد رثاء بأوصافه غيره (فرثاه بقصيدة) قال فيها :

اطـال الليـل ارزاءٌ تـطـــــول   واحـزانٌ تحـلُ وما تـحـــول

---

205) كذا بالأصل ، ولم اعثر في نفح الطيب على مقالة ابي عمران موسى بن سعيد ... هذا وقد قصر المؤلف — كعادته — في ترجمة هذا الخليفة الموحدي ، وينظر عنه **تاريخ ابن خلدون** 6 : 523 و **تاريخ الدولتين** ص 19 و **جذوة الاقتباس** ص 547 ع 634 و **الحلل الموشية** ص 161 طبع الدار البيضاء

وقد تقدمت في ترجمة السبتي رضي الله عنهما ، واشار اليها في الباب السابع من ازهار البستان .

وقال في (التشوف) بعد ذكره : اصله من الأندلس ، ونزل بالجانب الشرقي من مراكش ، وبه مات في جمادى الأولى من عام خمسة وستمئة ، من اكابر اصحاب ابي العباس السبتي ، وفيه يقول :

ومنفــرد بالله هــام بـحـبــــــه ... فليس له انس" بشيء سوى الــرب
تفرغ في الدنيا لطــاعــة ربـــــه ... فأورثه علمَ الكتــاب بــلا ريــب
وءاثــر حبَّ الله فانكشفتْ لـــــه ... عجائبُ اسرار ثوابــاً على الحــب
فمَن كان في دعوى المحبة صادقاً ... تجلَّتْ له الأنوارُ من غير ما حجب
فيرتعُ في روض المعارف دائمـــاً ... ولذتُها أشها من الأكل والشــرب
تخاطبُه الأحــوال من كل جانــب ... فيفهم عنها بالضميــر وبالقلـــب
يكاشفُ بالأسرار من ملكوتـــــها ... فيأتي عليه الفيضُ من عالم الغيب

وكان يوسف الحكيم جاراً للحسن بن حمامة الهسكوري رحمه الله ، ولم تكن بينهما معرفة ، فأصابت يوسف فاقة شديدة من توالي الأمطار ، وكان لا يمسك شيئاً ، فأقام يوميْن وليلتيْن لم يأكل شيئاً ، فرهن سراويله في قيراط واشترى رغيفيْن وسمناً ، وكان قــد بيت الصيام ، فخــرج الى المسجد ليصليَ صلاةَ المغرب ، وكانت له زوجة عمياء ، فسمعت السائل بالباب ، فأخرجت اليه الصحفة بما كان فيها من الطعام ، وكانت عادته ان يخرج للسائل الطعام ، فاذا اكل ادخل الصحفة ، فلما خرجت الصحفةُ للسائل اكل جميع ما فيها من الطعام ، فلما جاء يوسف من المسجد سألها عن الطعام ليفطر ، فأخبرتْه ان السائل قد استوفاه ، فسهر من شدة الجوع الى أن مرت عليه ساعة من الليل ، فسمع قرعَ باب الدار ، فخرج فاذا هو بالحسن بن حمامة واقفاً بالباب ، وبيده شمعة ، ومعه خادم معها مائدة عليها ألوان من الطعام وخبز ، فقال له الحسن : اريد أن تأذنَ لي في الدخول عندك ، فأدخله في بيته وقدمت اليه الجاريةُ المائدة ، فقال له الحسن صنعت الطباخةُ هذا

الطعامَ فوجدتُه مراً فخفت أن يكون مسموماً وانت حكيم فأردت أن تراه ، فان كان قد جعل فيه شيء تحفظت من هذه الطباخة ، فذاقه يوسف فوجده طيباً ، ثم قال للحسن ذقْ من هذا الطعام ، فأكل من كل صحفة فاستطابه وتعجب من مرارته قبل ذلك ، فقال له يوسف ما تمرر طعامُك الا من اجلي ، فاني بقيت في جوارك جائعاً يوميْن وليلتيْن ، وذكر له فاقته ، فقام الحسن من فوره الى منزله ، وجاءه بقرطاسيْن فيهما دنانير ، فقال له خذْ الواحد وتصدقْ عني بهذا الآخر ليكون كفارة لما وقعت فيه من التفريط في امرك ، على اني لم اعلم بحالك ، فاذا في كل قرطاس عشرون ديناراً ، وصار بعد ذلك من اصدقائـه .

قال في (التشوف) سمعت علي بن احمد الصنهاجي يحدث بهذه القصة عن يوسف ، واكبر ظني اني سمعت يوسف يحدث بها ، والله اعلم ، انتهى (206)

بنيت على المترجم قبة بداخل مسجده المعروف به بلصق باب الدباغ ، غير أن قبره ليس بظاهر ، وبلصقه رضي الله عنه بير مبارك كان قديماً يُسمَّى بير الجنة .

1636) **يوسف بن يعقوب بن مومن المرادي** من اهل اغمات وريكة وبها مات رحمه الله ، وكان امام الفريضة بجامعها ، صحب ابا زيد الامام ، ومحمد بن اسماعيل الهواري المتقدمة ترجمتُهما ، وكان عبداً صالحاً ورعاً ، يخيط الثياب بداره ولا يتعيش الا من كدٍّ يمينه .

قال في (التشوف) : اخبرني مَن حضر وفاته قال : رايت يوسف المرادي عند النزع قد قبض بيديه على لحيته ، وقال والله لئن لم تغفرْ لي وترحمْني لأكونَنَّ من الخاسرين ، ثم قطب وجهه فقضى نحبه رحمه الله تعالى .

وزادى قليــلٌ لا اراه مُبلغــــي   فللزاد ابكــي ام لبعد مسافتــي ؟
اتُحرقني بالنار ياغايةَ المنــــى   فأين رجائي فيك ؟ اين محبتي ؟ (207)

---

206) **التشــوف** ص 417 ع 226

207) **التشــوف** ص 297 ع 147

1637) يوسف بن عبد الصمد ابن نموي الفاسي

يوسف بن عبد الصمد بن يوسف بن علي بن عبد الرحمان بن محمد ابن نموي من اهل مدينة فاس ، الأصولي الجليل ، اخذ عن القاضي ابي جعفر ابن مضا وجماعة ببلده ، واجاز له كتابةً ابنُ بشكوال ، وابن عبيد الله ، وعبد الحق الأزدى ، وقرأ علم الكلام واصول الفقه على الزاهد محمد بن عبد الكريم الفندلاوي المعروف بابن الكتاني ، وصحبه الى أن مات ، وقعد للاقراء بمسجد زقاق الرواح من مدينة فاس حيث سكناه وسكنى سلفه ، وكان له صيتٌ بالمغرب وبمراكش وباشبيلية اذ كان اقرأ بها في دخوله الأندلس ، ثم عاد الى بلده عام ثلاثة عشر (وستمئة) وقعد للاقراء بعد عوده في شرقي جامع القرويين الى أن توفي في الثاني من شهر رجب عام اربعة عشر وستمئة ، مولده في اربعة وخمسين وخمسمئة ، وكان من الفقهاء الأذكياء في سرعة الحفظ والتفنن في العلوم ، اديباً عارفاً بالسر ، ذاكراً للتاريخ ، الى غير ذلك .

ذكره ابن فرتون وغيره ، نقله في الجذوة ، وذكره في الذخيرة السنية (208) .

1638) يوسف بن أحمد بن علي المربيطري ، سمع من ابي القاسم ابن حبيش ، وابي بكر بن بيبش ، واجاز له ابو الطاهر بن عوف وجماعة ، وكان واقفاً على كتاب سيبويه علم بذلك وقتاً ثم عني بالطب حتى راس فيه وخدم به الأمراء فنال دنيا عريضة .

توفي بمراكش سنة 619 ذكره في التكملة وبغية الوعاة (209)

---

208) الترجمة منقولة من **جذوة الاقتباس** ص 550 ع 637 طبع الرباط ، وانظر ايضاً **الغصون اليانعة** ص 49 و **التكملة** ص 740 طبع مدريد .

209) **بغية الوعاة** 2 : 354 ع 2171 و **التكملة** ص 738 ع 2091 طبع مدريد ، والترجمة منقولة منها .

1639) يوسف بن يحيى ابن الزيات التادلي

يوسف بن يحيى بن عيسى بن عبد الرحمان التادلي المراكشي عرف بابن الزيات ، قال في كفاية المحتاج : قال الحضرمي : الشيخ الفقيه القاضي الأدين ، ألـّف كتاب (التشوف ، الى رجال التصوف) وله تأليف آخر في صلحاء المغرب ، صحب ابا العباس السبتي ، ولقي ابن حوط الله ، والسلالجي وشرح مقامات الحريري شرحاً نبيلا ، وحدث بكتابه التشوف قاسم ابن الشاط ومحمد ابن رشيد عن القاضي محمد بن علي الشريف عنه اذناً .

توفي قاضيا برجراجة سنة سبع أو ثمان وعشرين وستمئة ، انتهى (210)

وحلاه عبد الرحمان الثعالبي بالولي المحدث الثقة الصدوق .

وقال في (المنح البادية) : وطريقة سيدي محمد بن الحسن : فمن طريق ابن قنفذ عن ابن البناء عن ابن عبد الملك عن ابي محمد القطان عن يوسف بن يحيى بن عيسى بن عبد الرحمان التادلي المراكشي ابن الزيات ، عن اسماعيل بن يعلى ، عن سيدي محمد ابن الحسن إلسجلماسي دفين باب الجيسة بفاس المتوفى سنة 375 خمس وسبعين وثلاثمئة ، انتهى .

وقال في بغية الوعاة بعد ذكره ما نصه : قال في البلغة امام في اللغة والنحو ، له (نهاية المقامات ، في دراية المقامات) مات بعد اربعين وخمسمئة (211)

وقوله بعد اربعين غلط .

1640) يوسف بن يعقوب المريني (السلطان)

يوسف بن يعقوب بن عبد الحق بن محيو المريني المغربي ، مرين عرب من ظواهر فاس ، فرسان شجعان يقاتلون بغير جنة ، وكان أول ما ظهروا

210) الترجمة منقولة بالحرف من **نيل الابتهاج** ص 352

211) **بغية الوعاة** 2 : 363 ع 2200

مع رئيسهم عبد الحق هذا في سنة عشر وستمئة ، وكان داهية ماكراً شجاعاً ، فاستخلص لنفسه مملكة ، وضم اليه قومه ، ثم قام أخوه عثمان اخو عبد الحق عم هذا في حدود سنة 643 وملك فاس ، ومات فقام اخوه محمد الأعرج ، ثم أخوه ابو بكر ، ثم عمر ، ثم قام يعقوب وتمكن ودان له المغرب ، فبقي في الملك ثمانياً وعشرين سنة فمات بالجزيرة الخضراء ، فتملك ابنه يوسف هذا ، وتلقب الأصفر (212) وحاصر تلمسان بعد السبعمئة ، فقتل بظاهرها ، وثب عليه خادم اسود على فراشه ففتك به مواطأة من اخيه ابي بكر ، وكان قتله في ذي القعدة سنة خمس وسبعمئة ، وقتل به ، وتسلطن بعده حفيده عامر بن عبد الله ، ثم مات مسموماً بطنجة بعد سنة ونصف (213) وولى أخوه سليمان ، فأقام ثلاث سنين ومات على رباط الفتح ، وتسلطن عم ابيه عثمان بن يعقوب بن عبد الحق ، فامتدت ايامه كما تقدم ذلك في ترجمته ، ثم رايت ابن الخطيب في تاريخ غرناطة ارخ قتله في 7 ذي القعدة سنة ست ، وهو المعتمد ، وقال في ترجمته كان عالي الهمة ، وله الوقعات المشهورة مع الفرنج ، وجرت بينه وبين ابن الأحمر صاحب الأندلس منافرات ، ثم قدر ان وصل الى يوسف مستعيناً ، واعظمته الملوك شرقاً وغرباً ، وجاءته الهدايا من كل جهة ، ونازل تلمسان فامتنعوا منه فحاصرهم ، وبنى تجاهها مدينة سماها تلمسان الجديدة ، واقام على ذلك ثمانية اعوام ، الى أن قيض الله له عبداً خصياً حبشياً حقد عليه انه قتل قريباً له في جناية جناها فاستقبله يوماً وهو في قصره ، فوجأه بسكين فأتى على نفسه ، وضج القصر ففر القاتل العبد من تلمسان ، فصاحوا في اثره فأمسك وقتل من حينه على ذلك ، وكان

---

212) كذا بالأصل ، والصواب ان لقبه الناصر لدين الله

213) **تاريخ ابي الفداء** : ولما مات ابو ثابت جلس في الملك بعده ابن عمه علي بن يوسف ثم خلعه الوزير وجماعة من العسكر بعد يومين من جلوسه واقاموا في الملك سليمان (المؤلف) .

ذلك في أوائل ذي القعدة سنة 706 (214) وكانت مدة ملكه احدى وعشرين سنة ، ذكره في الدرر الكامنة ، وتقدم ذكر نسبه البربري في ترجمة والده يعقوب ، وذكره في الشذرات فيمن مات سنة خمس وسبعمئة ، والمترجم هو الذي امر تتجديد بناء مدينة وجدة وبناء أسوارها وقصبتها وحماماتها وقصر كبير ومسجد جامع سنة 694 ، وجدد جامع مدينة تازة وزاد فيه ، وجدد صومعة القرويين واصلح عنزته (215) .

1641) يوسف بن محمد ابن ابي عياد المريني

يوسف بن محمد بن ابي عياد بن عبد الحق المريني ، كان السلطان عامر لما فصل من تلمسان قدم بين يديه ابن عمه الحسن بن عامر بن عبد الله بن يعقوب ، وامره بالنظر في احوال فاس والمغرب ، وامره بضبطها وتسريح سجونها ورد مظالمها وتفريق الأموال على الخاصة والعامة ففعل ، ولما قدم حضرة فاس عقد لابن عمه يوسف بن محمد بن ابي عياد بن عبد الحق على مراكش ونواحيها ، وعهد اليه بالنظر في احوالها وضبطها ، فقصد اليها واحتل بها وتمكن منها ، ثم حدثته بنفسه بالانتزاء ، فاستخلف واستركب ، واتخذ الآلة وجاهر بالخلعان ، وتقبض على الوالي بمراكش الحاج المسعود فقتله من تحت السياط في جمادى الأخرى سنة سبع وسبعمئة ، ودعا لنفسه ، واتصل الخبر بالسلطان عامر وهو بفاس ، فسرح اليه وزيره يوسف بن عيسى بن السعود بن خرباش الحشمي (بالحاء المهملة) ويعقوب بن اصناك في خمسة الاف فارس فساروا الى مراكش ، وبرز يوسف بن محمد بن ابي عياد الى حربهم ، وعبر اليهم وادي ام الربيع ، فالتقوا معه على ضفته الشرقية فهزموه وعاد الى مراكش واتبعه الوزير ، ودخل ابن ابي عياد مراكش فقتل جماعة من

214) يوم الأربعاء 7 ذي القعدة سنة 706 واسم العبد القاتل : سعادة .

215) هذه في الحقيقة ترجمة مضطربة غير وافية ، ولعل التعب بدا يدرك المؤلف في آخر تأليفه ، فعجز حتى عن النقل من الكتب المعتبرة وغير المعتبرة كما فعل فى تراجم أشخاص تافهين كيوسف بن علي المبتلى متقدم الترجمة ، وتنظر ترجمة السلطان يوسف بن يعقوب المريني في **الاحاطة** 4 : 356 و **الأنيس المطرب بروض القرطاس** ص 374 و **تاريخ ابن خلدون** 7 : 436 و **الاستقصا** 3 : 66

جند الفرنج الذين بها ، وسبى ذراريهم وخرج منها الى أغمات فلم يستقر بها ، ثم فرّ الى جبال هسكورة ، فنزل على كبيرها مخلوف بن عبو الهسكوري ، ولحق به موسى بن سعيد الصبيحي من أغمات تدلى من سورها فلحق به ، ودخل السلطان عامر مراكش منتصف رجب من سنة سبع وسبعمئة ، وامر بقتل اوربة المداخلين لابن ابي عياد في انتزائه فاستلحموا جميعاً ، ولما لحق ابن ابي عياد بمخلوف بن عبو الهسكوري واستجار به لم يُجره على السلطان عامر ، بل قبض عليه مع ثمانية من كبار اصحابه وبعثهم في الحديد اليه وهو بمراكش فقتلوا في مصرع واحد بعد ان مثل بهم بالسياط ، وبعث برأس ابن ابي عياد الى فاس فطيف به فيها ونصب على سورها ، ثم اثخن عامر في كل مَن كان على رأي ابن ابي عياد وخاض معه في الفتنة فاستلحم منهم بمراكش ما ينيف على الستمئة وصلبهم على باب سورها من باب الرب أحد ابواب مراكش الى برج دار الحرة عزونة ، وقتل في اغمات منهم مثل ذلك (216) .

1642) **يوسف بن أحمد التاملي** ، استاذ صالح يؤدب الصبيان ، ولي مفتاح خزانة المصاحف بجامع المنصور بقصبة مراكش .

توفي والله اعلم سنة اثنين وثمانين وتسعمئة بدولة محمد بن عبد الله .

ترجمه في درة الحجال (217)

1643) **يوسف بن علي بن احمد الخصاصي** ، أحد كتاب الانشاء بباب احمد المنصور ، كان حياً سنة 999 هـ تسع وتسعين وتسعمئة .

ترجمه في درة الحجال (218) .

---

216) **تاريخ ابن خلدون** 7 : 489

217) **درة الحجال** 3 343 ع 1476

218) **درة الحجال** 3 : 354 ع 1500

1644) يوسف (ابو المحاسن) بن محمد الفاسي الفهري

يوسف (أبو المحاسن) ابن ولي الله سيدي محمد ، بن يوسف ، بن عبد الرحمان القادم على فاس ، ابن ابي بكر محمد ، بن عبد الملك ، بن ابي بكر محمد ، بن عبد الله ، بن يحيى ، بن فرج ، ابن الجد الفهري الكناني النسب ، المالقي الأندلسي الأصل ، القصري الولادة والمنشأ ، الفاسي اللقب والدار والوفاة .

كان جده سيدي يوسف بن عبد الرحمان يتردد من فاس الى القصر للتجارة ، فلقب عند اهل القصر بالفاسي ، وبقي هذا اللقب في اولاده الى الآن ، وهم من بني الجد الذين هم كبراء مالقة ، وبنو الجد من بني فهر الذي هو من متحد الأنساب ، فلا يعرف الا في قريش ، وهو فهر بن مالك بن النضر ، وفهر هذا هو قريش على احد الأقوال فيهم تبلغ عشرين قولا ، وهذا هو الذي صححه الدمياطي والعراقي وغيرهما وعُزي للأكثر ، ثم هم من بني عدي ثم بني سعيد بن زيد أحد العشرة المبشرين بالجنة .

انتهى من السلوة في ترجمة أخي المترجم عبد الرحمان (219)

وجعل في (الدرر البهية) ابن الجد المذكور من عقب الحارث بن فهر الذي اليه ينسبون وبه يعرفون قائلا : وفهر هذا هو ابن يوسف بن عبد الرحمان العدوي الفهري سلطان الأندلس بعد موسى بن نصير فاتحها ، وهو ابن عقبة بن نافع فاتح افريقية والمغرب ، وهو ابن سعيد بن زيد احد العشرة ، وهو ابن عمرو بن نوفل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله قبرط بن رزاج بن عدي جد كل عدوي ، وهو بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر المنسوب اليه كل فهري ، بن مالك بن النضْر بن كنانة المنسوب اليه كل كناني ، وهو بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، هكذا نقلته من خطوط جماعة من علمائهم واعيانهم ، وعليه تضافرت مذاهبُ سلفهم وخلفهم من لدن ظهورهم الى الآن .

انتهى من الدرر البهية .

---

219) سلوة الأنفاس 2 : 302

ولا بد من بيان الأغلاط الواقعة فيما ذكر ، فنقول قال ابن حزم وولد عبد الرحمان بن ابي عبيدة يوسف والي الأندلس ، وله بها عقب ، وبالأندلس من فهر عدد عظيم . انتهى ، فيوسف بن عبد الرحمان بن ابي عبيدة يوسف بن عقبة بن نافع بن عبد القيس بن لقيط بن عامر بن امية بن الظرب بن الحارث بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة الخ ، قال العراقي : أما قريش فالأصح فهر جماعها ، والأكثرون النضر ، وراجع 89 من ج 1 من شرح المواهب ، وراجع 545 من ج 3 من الاصابة ، وراجع 108 من ج 3 من الاستيعاب ، وراجع 80 من ج 3 من الاصابة ، فقوله وفهر هذا هو بن يوسف غلط ، بل فهر هذا هو قريش كما تقدم ، وقوله في عبد الرحمان والد يوسف وهو ابن عقبة الخ فعقبة المذكور جده لا والده كما تقدم في نسب عقبة بن نافع ، وقد علمته عن ابن حزم ، فسعيد بن زيد المذكور ليس هو والد نافع ، وقد مشى على هذا الغلط السيد عبد الحي الكتاني في ترجمة سيدي عبد الكبير الفاسي من معجم اصحاب الرضوى ، وهذا الغلط ايضاً مذكور في الصفوة حيث قـــال وبنو الجد من بني فهر ، ثم بني عدي ، ثم من بني سعيد بن زيد ، وهذا الغلط في كونهم من بني عدي ومن بني سعيد بن زيد لأنهم من ذرية عقبة ابن نافع الذي هو من عقب الحارث بن فهر ، وقوله بن نوفل ضبط نفيل بضم النون وفتح الفاء ، راجع 213 من ج 1 من شرح المواهب ، وراجع 286 منه ، وراجع 26 من ج 2 من الاصابـة ، وراجع 2 من الاستيعـاب ، وحبيب بن ابي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري هو قاتل عبد العزيز بن موسى بن نصير كما في جمهرة ابن حزم .

قال في (السلوة) في ترجمة المترجم : ومنهم اخوه وشيخه الشيخ الامام ، القدوة الهمام ، شيخ الاسلام ، وشمس الأولياء الكرام ، العالم العلم العلامة ، الحبر البحر الفهامة ، صاحب الاشارات العلية ، والعبارات السنية ، والحقائق القدسية ، والأنوار المحمدية ، امام الطريقة الشاذليـة ، ومحيي رسومهـا بالبلاد المغربية ، قدوة السالكين ، وعلم المهتدين ، وقبلة همم المريدين ، والحامل في وقته لـواء العارفين ، والمقيم فيه دولـة علوم المحققين ، ورموز اسرار الواصلين ، القطب النوراني ، والمجدد على راس الألف الثاني ،

اوحد عصره ، وامام وقته ودهره ، سيدي يوسف بن محمد بن يوسف الفهري نسباً ، الأندلسي اصلا ، القصري ولادة ومنشأ ودارا ، الفاسي لقباً ورحلة ومزارا .

ولد رحمه الله بالقصر الكبير مأوى ابيه وجده ليلة الخميس لتسع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة سبع او ثمان وثلاثين وتسعمئة ، وبه نشأ آخذاً بما يعنيه ، واقفاً على قدم الجد في كل ما من الله يُدينه ، وقرأ كتاب الله العزيز هنالك ، واحكم قراءته بحرف نافع ، ورسمه وضبطه على الشيخ الصالح سيدي علي العربي بمسجده المعروف به بطرف القطانين ، ثم قرأ عليه المعلم ختمه تبركاً به لما كان يتوسَّم فيه من الخير بسبب ما كان يسمعه من كلام شيخه المجذوب فيه ، وكان رحمه الله لا يعرف الفقر ولا ما هو ، فقيَّض الله له الشيخ الولي الكامل ، العارف الواصل ، قطب زمانه في الأحوال ، وممد فحول الرجال ، سيدي عبد الرحمان ، بن ولي الله ابي السرور عياد بن يعقوب بن سلامة بن خشان الصنهاجي ثم الفرجي المعروف بالمجذوب دفين خارج باب عيسى من مكناسة الزيتون ، فكان يطلبه ويحوم عليه ويراقبه ، فكان يأتيه للمكتب ويذكر بعض ما يؤول اليه امره من الخير ، ويخبر عن انتقاله الى حضرة فاس وما يكون له هنالك ، وقال لهم سبقت اليه قبل ان يأتيه غيري ، وجاءه يوماً بالمكتب ومسح على راسه وقال : علَّمك الله علمَ الظاهر والباطن ثلاثاً ، ثم التفت للمعلم وقال لا بد نواةُ هذا تفتح ، واذا احياك الله ترى ، وكان قبل ذلك ياتي الحومة ويقول بدار الفاسي نوارة" لا بد أن تفتح ، فلما كان في اوان البلوغ وهو ما زال في المكتب اتاه الحال منه واشرق باطنُه بنور التوحيد واضمحلال ما سوى الله تعالى ، وانخرط في سلك الشيخ فصحبه ولزمه وسلب له الارادة وانتسب اليه وعول في اموره كلها عليه ، وبقي مع ذلك على قراءته ، فقرأ على اهل بلده ما كتب له ، وجود القرءان على بلديه الشيخ الصالح الفقيه الأستاذ عبد الرحمان بن محمد الخباز القصري ، وقرأ عليه غير ذلك من انواع العلوم من فقه ونحو وغيرهما ، ثم ارتحل مع والده الى فاس للقراءة على مشايخها قبل سنة ستين ، فأدرك بها جماعة من المشايخ الأكابر ، منهم اليسيتني ، وعبد الوهاب الزقاق ،

وعبد الرحمان ابن ابراهيم الدكالي وغيرهم من المشايخ ، فأخذ عنهم ، ولم تطل اقامته بفاس وعاد الى القصر سنة ستين ، ثم عاد الى فاس سنة اثنتين وستين ، فتلافَى الأخذَ عمن بقي بها من المشايخ ، وكان بها جماعة ، منهم خروف التونسي ، وابن جلال التلمساني ، واحمد المنجور ، وغيرهم ، فأخذ عنهم ، ولازم ابن جلال كثيراً ، وقرأ عليه التفسير وغيره ، واخذ ايضاً عن محمد بن احمد مجبر المستاري ، وسيدي علي بن مبارك التارختي المصمودي السوسي ، وعاد الى القصر بعلم غزير ، وعقد مجالسَ لأنواع العلوم تنافس الناس في حضورها والاكباب عليها ، وانتفع به فيها الخاص والعام ، وظهرت بركته على اهل القصر وغيرهم ، وتخرج به كثير" من اهل الطلب ، فاستقلَّ في ذلك القطر برئاسة العلم والدين منفرداً في ذلك اماماً متبوعاً مسموعاً ، وهو في ذلك ملازم لشيخه وخادم له ، وكان كثيراً ما يجيئه طالب الارادة فيرده الى الشيخ الى أن توفي رحمة الله عليه ، وكانت مدة صحبته اياه منذ سلب له الارادة تزيد على عشرين سنة ، وشيخه في جميع ذلك ينوه باسمه ويشيد بذكره ويعرف بحقه ويفتخر به ، فكان يقول عندي ابن الفاسي نلقى به الغرب ، وتارة يقول نلقى به الشرق والغرب ، وكان كثيراً اذا رءاه يقول فيه مصباح الأمة ، ويقول انه يكون اماماً في العلمين الظاهر والباطن ، ويقول انه لا بد أن يكون في مقام الغزالي ، وتارة يقول فيه غزالي عصره ، ويقول فيه لا يوجد مثله ولو فتش المفتش ما عسى أن يفتش ، ويقول انه كالملح لا يستغنى عنه احد ، ويقول مَن مسَّس (220) طعامه فليذهبْ اليه يملحه له ، وكان يصرح كثيراً بأنه المقصود من بين اصحابه ، ويقول فيه أنه الذي خمل (221) بيده حتى للقاع ويقول له اخذت مطمورتي بأطواقها ، قال في المقصد : يريد بذلك وراثة حاله وكل ماله من الأنوار والمعارف ، قال بل صرح لأصحابه بأنه الخليفة واوصاهم به ، انتهى . ويقول مَن احب أن ينظر قلبي فلينظر ابن الفاسي

---

220) يقول المغاربة : مسس فلان الطعام اي اقل ملحه ، والشيء المسوس قليل الملح او السكر ، ويقال ايضاً مسوس لانسان ينقصه الظرف .

221) يقول المغاربة : خمل البيت : اي افرغه مما فيه من المتاع ، وكذلك بالنسبة للبئر والمطمورة .

يشير بذلك الى انه نسخة منه ، وكان يدعو له ويقول الله يجعل منك الزرع والزريعة ، فالزرع انت ، والزريعة أولادك ، وقال في ءاخر امره سيدي يوسف كنت انا شيخه واليوم هو شيخي ، وكان صاحب الترجمة خلال صحبته لشيخه المذكـور يلقي مشايخ الطريق في عصره ويأخـذ عنهم ، لكن لا على سبيل التحكيم في نفسه وسلب الارادة ، بل على سبيل التبرك بهم والاستفادة ، فكان ممن لقى الشيخ ابراهيم الزواري التونسي دفين خارج باب الجيسة ، والشيخ الولي العارف المتجرد احمد بن منصور الحيحي مستوطن القصر الكبير ودفينه بالموضع المعروف بالزاوية ، والشيخ محمد كانون المطاعي من أولاد مطاع قبيلة من العرب بالمغرب معروفة ، والشيخ محمد الهبطي دفين حوز شفشاون بازاء زاويته بموضع يقال له معاتب ، وسماه هو مواهب ، والشيخ الحسن بن عيسى المصباحي دفين الدعداعة (222) على وادي مضى (223) من عمل القصر ، والشيخ محمد ابن مخلوف الضريسي دفين بوشوفان من بلاد ضريسة ببلاد الهبط عمل القصر الكبير ، والشيخ سالم العماري ولقنه ذكراً كان يذكره ادبــار الصلوات عن شيخه سيدي عبد الرحمــان ابن ريسون ، عن الشيخ الغزواني ، والشيخ محمد بن علي الطالب دفين راس القليعة من داخل باب الفتوح من فاس ، والشيخ الولي العارف الكبير الكامل الراسخ الشهير ، سعيد بن ابي بكر المشنزائي دفين خارج مكناسة الزيتون ، والشيخ الكبير الولي الصالح الشهير ، عبد الله ابن ساسي البوسبعي دفين زاويته التي على ضفة وادي نسيفة (تانسيفت) بمقربة من مراكش وقبره مزارة مشهورة هنالك ، وغيرهم من المشايخ ممن لا يُحصَى ولا يعرف شهادة وغيباً ، واخذ شيخه عبد الرحمان المجذوب عن الشيخ المجذوب العظيم ، ذي المدد الجسيم ، علي بن احمد الصنهاجي المعروف بالدوار المتقدم الذكر ، وهو عن الشيخ ابراهيم الزرهوني المعروف بالفحام دفين جبل زرهون ، وهو فتح له أولا على يد النبي صلى الله عليه وسلم حيث رءاه في النوم ، ثم انضاف الى العارف بالله

---

222) **الدعداعة** ، هو المكان الذي بنيت فوقه قرية سوق اربعاء الغرب او سوق اربعاء سيدي عيسى بين القنيطرة والقصر الكبير .

223) **وادي مضى** : هو الوادي الذي يقع في مخرج قرية سوق اربعاء الغرب في طريق القصر الكبير ، وعليه ملاحات .

القطب الغوث احمد البرنسي المعروف بزروق دفين مسراته ذات الرمال من اطراف برقة ، وسنده مشهور معروف ، ولما توفي الشيخ المجذوب انتقل حاله للشيخ الشهير ، العارف الكبير ، اعجوبة الدهر ، ويتيمة العصر ، ذي المناقب التي لا تحصى ، والكرامات العديدة التي لا تستقصى ، عبد الله بن حسين الشريف الحسني المغاري من شرفاء بني امغار اهل عين الفطر ، المصلوحي دفين قرية مصلوحة (تامصلوحت) على قدر نصف مرحلة من مراكش ، المتوفى سنة سبع وسبعين وتسعمئة ، ثم بعد وفاته انتقل لصاحب الترجمة باذن من النبي صلى الله عليه وسلم والجماعة ، فأقاموه في الوقت مقامه ، ثم فاضت انواره ، وطار في الآفاق ذكره واشتهاره ، وسارع نحوه ارباب الارادات ، واقبل عليه اهل الفوز والصلاح من العلماء والأولياء والسادات ، وكان اول مقبل عليه اصحاب شيخه المجذوب ، وتأهل رضي الله عنه للمشيخة في علمي الظاهر والباطن ، وتخرج به مشايخ لا يحصون ، ونشأ على يده رجال كبار لا يستقصون ، وظهرت على يديه الخوارق العظام ، والكرامات الجسام ، وبقي على ما تقدم بالقصر نحو الاحدى عشرة سنة ، ثم حرك الله قلبه للانتقال الى فاس ، وكان عنده من ذلك ذكر من شيخه المذكور وغيره من المشايخ ، فخرج في صورة الزيارة بأهله ثامن عشر ربيع النبوي سنة ثمان وثمانين وتسعمئة ، فاستقر بفاس ، ونزل في حومة العيون ، ثم انتقل في عامه ذلك الى المخفية فسكن بها بالدار المشهورة بازاء مسجده الذي بناه بها ، واشتهر امره ، وطار في البلاد صيته ، واقبل الناس عليه ، وكثر الجمع لديه ، واتاه الناس على طبقاتهم علماء وعباد وزهاد ومريدون ومشايخ ، واذعن له الكافة من العامة والخاصة ، وانقاد اليه الملوك والرؤساء ، وانضاف اليه القواد والوزراء وغيرهم من ابناء الدنيا وخدموه ، ولم يستغن عنه احد ، وظهر بذلك مصداق قول شيخه انه كالملح لا يستغني عنه أحد ، وبقي بفاس خمساً وعشرين سنة كما حدَّ له الشيخ سيدي علي الحنشي .

وكان رضي الله عنه جبلا راسخاً في الارتسام بالسنة واتباعها ، وغاية في الارتسام بالحقيقة وانواعها ، احد صدور المقربين ، وعظماء الصالحين ،

واصحاب الحقائق والمعارف والتصريف ، وخرق العوائد والتمكين والتعريف ، وقد كان الشيخ سيدي محمد بن عبد الله يثني عليه بالشيخوخة والتربية والحكم ، ويقول غير مرة : ءاخرُ الشيوخ بالمغرب سيدي يوسف ، ويقول كانوا يقولون فيه انه غريب في وقته لانفراده به ، وكان يسمه بالقطبانية كما كان غيره من الشيوخ يسمه بها .

وفي (المنح الصافية) لولــده احمد وصفــه بقطب الزمــان ، وعنصــر العرفــان ، وفي محل ءاخــر بقطب الزمــان ، والحامــل في وقتــه لواء اهل العيان ، ووصفه في (ابتهاج القلوب) بالقطب الجامع ، والغيث الهامع ، ثم قال بعد ذلك ما نصه : واما مقام القطبانية فقد وصفه به كثير من تلامذته وكبار اهل وقته من أهل الأذواق العالية ، والمنازلات العيانية ، كما شاهدت ذلك بخطوطهم في كتب شتى ، وبعضها عليه في ظهره جوابه بخط يده المباركة مطلعا على ذلك غير منكر له ولا مغير ، وممن وصفه بذلك ولده الشيخ احمد في كتبه وتراجمه ، وكان من اعرف الناس به وبطريق القوم واصطلاحهم ، انتهى . وممن وصفه بها ايضاً سيدي المهدي الفاسي في (الجواهر الصفية) وغيرها ، والسيد أبو القاسم الفاسي في (تحفة الوارد والصادر) ، وصاحب (عناية اولي المجد) وغير واحد ، وكان رضي الله عنه يقول لا احط راسي وفي لفظ لا امدُ هذه الرقبة الا للجبل الراسخ سيدي عبد السلام بن مشيش ، سائر الأولياء يقولون وانا اقول ، ويقول ايضاً ما في زائد الا ان قلبي عين صافية ، وفي (الابتهاج) نقلا عن خط اخيه العارف بالله سيدي عبد الرحمان بن محمد الفاسي انه هو المجدد على راس الألف ، وفي (الصفوة) في ترجمة الشيخ محمد بن محمود بن ابي بكر الونكري الشهير ببغيغ المتوفى بتنبكتو سنة اثنتين والف أن الشيخ سيدي أحمد بابا السوداني قال : ولا يبعد عندي ان يكون هو المبعوث على راس هذا القرن العاشر لما اشتمل عليه من العلم ، وذكر الشيخ القصار في ابيات كتب بها في رسالة للسلطان احمد المنصور الذهبي ان المجددَ على راس هذا القرن هو السلطان المذكور ، قلت ولا منافاة بين هذه الأقوال ، لقول الحافظ في الفتح : نبه بعض الأئمة على انه لا يلزم ان

يكون في راس كل قرن واحد ، بل الأمر كما ذكر النووي في حديث (لا تزال طائفة انه تجوز ان تكون جماعة متعددة من انواع المومنين ما بين شجاع وبصير بالحرب وفقيه ومحدث ومفسر وقائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وزاهد وعابد ، قال ولا يلزم اجتماعهم ببلد واحد ، بل يجوز اجتماعُهم في قطر واحد وتفرقهم في الأقطار ، وان يكونوا في بعض دون بعض ، ويجوز اخلاء الأرض كلها من بعضهم اولا فأولا الى ان تبقى فرقة واحدة ببلد واحد ، فاذا انقرضوا اتى امر الله انتهى . والمشهور انه لا يشترط في المجدد أن يكون مجتهداً خلافاً لبعضهم ، ولا أن يكون هاشمياً خلافا لمَن اشترط ذلك ايضاً ، وللحافظ السيوطي قصيدة سماها (تحفة المجتهدين ، بأسماء المجددين) فراجعهـا .

ولصاحب الترجمة رحمه الله ورضي عنه كلام عال في الحقائق واشارات صوفية استنبطها من كتاب الله ، واجوبة نفيسة في التصوف وغيره نفع الله به ، واحواله ومعارفه لا تخفى ولا تنكر ، ومقاماته اجل من ان يعرف بها او تذكر ، وقد افرد ترجمته بالتصنيف غيرُ واحد ، كولده سيدي محمد العربي ، فانه الف فيه كتابه المعروف بـ (مرءاة المحاسن ، من اخبار الشيخ ابي المحاسن) ، وولده احمد ، فانه الف فيه (المنح الصافية ، في الأسانيد اليوسفية) وكولد حفيده سيدي محمد المهدي بن احمد بن علي بن يوسف ، فانه ألف فيه (الجواهر الصفية ، من المحاسن اليوسفية) و (روضة المحاسن الزهية ، بمئاثر الشيخ ابي المحاسن البهية) ، وكولد حفيده ايضاً عبد الرحمان بن عبد القادر بن علي بن يوسف الفاسي ، فانه الف فيه (ابتهاج القلوب ، بخبر الشيخ ابي المحاسن وشيخه المجذوب) ، وكالشيخ الامام العلامة ، المتقن الفهامة ، سيدي محمد بن الطيب بنَ عبد السلام القادري الحسني ، فانه افرد ترجمته في منظومة حسنة رائقة سماها بـ (فريدة الدر الصفي ، في وصف الجمال اليوسفي) ، وتعرض فيها لذكر فروعه وبعض احوالهم ووفياتهم ، وما يتبع ذلك ، وعدة ابياتها ثلاثمئة وثلاثة عشر بيتاً ، وللسلطان الأمجد ، العالم الأسعد ، مولانا سليمان بن محمد بن عبد الله بن اسماعيل بن الشريف الحسني العلوي تأليف مستقل في صاحب الترجمة سماه (عناية اولى المجد ،

بذكر آل الفاسي ابن الجد) ، وهو تأليف حسن مفيد جزاه الله خيرا ، وفي هذه الكتب وغيرها من احواله ومناقبه وكراماته ما يغني عن التطويل .

توفي رحمه الله بفاس ءاخر الثلث الأول من ليلة الأحد الثامن عشر من ربيع الأول سنة ثلاث عشرة والف ، عن خمس أو ست وسبعين سنة نصفها كان خادماً ونصفها كان مخدوماً .

جناك على مقـدار ما قـد غرستـه فدونك فاخترْ عوسجا أو بنفسجـا

ولما توفي سطعت منه غرة بيضاء شاهدها كل من حضر ، وغسله من الغد صاحباه سيدي علي البيطار ، وسيدي الحاج ابراهيم بن قاسم ، وحمل الى جامع الأندلس فصلي عليه به اثر صلاة الظهر ، ودفن بهذا الخارج بروضته الشهيرة به ، قال في المرءاة تحت مصلى العيد الجديد من شماليه الشرقي ، وفي جهة القبلة من جميع ما هنالك من ترب الصالحين وروضانهم في ذلك السفح الذي فيه الشيخ علي حماموش ، والشيخ علي الصنهاجي ، والشيخ محمد ابن بكار ، والشيخ رضوان ، والشيخ الحسن الجزولي ، وغيرهم رضي الله عنهم ، ونفعنا ببركاتهم ءامين انتهى .

وعلى روضته الى الآن حوش بناء يدور بها ، وقد اشتملت على عارفين ومجذوبين وسالكين ومن له قدم في الطريق او نسبة صحيحة من اصحابه الذين ماتوا زمن الوباء الواقع في حياته سنة ست والف ، والذين ماتوا بعد ذلك ، واصحاب اصحابه واتباعهم كثيرون ، كما اشتملت ايضاً على جماعة من اولاده واحفاده واحفادهم الى هلم جرا ، وسنذكر على الأثر جماعة منهم ومن اصحابه .

وكان رحمه الله قد اوصى بقرب موته ان لا يبنى عليه ، فوقع التأويل في وصيته ، واخذ في البناء حتى رفعت أركان الروضة ثم صرفوا عنها الى سنة احدى واربعين والف ، فانتدب لبنائها تلميذه العارف بالله سيدي محمد ابن عبد الله ، وحضر على بنائها وانفق عليها من ماله وبذل المعلمون مجهودهم

في الاتقان بها ، وهم يستشيرونه في ذلك الى أن تمت في اتقن صنع ، ولم يكن في قباب فاس في ذلك الوقت ما يوازيها رفعة وبهجة وسعة ، ومما كتب بعد ذلك في نصف دائرتها من جهة راسه في زليج هذه الأبيات وهي موجودة هناك الى الآن من نظم الفقيه الأديب الصوفي محمد الطيب ابن مسعود المريني رحمه الله :

بشراك بالبركات والامداد ... وتزايد الخيرات والارشاد
يازائراً هذا الضريح فانه ... قبر به سرّ النبي الهادي
هذا مقام ابي المحاسن يوسف الـ ... ـفاسي المبارك شامخ الأطواد
شيخ المشايخ قطب دائرة الر ... جال العارفين مناهل القصاد
الله عظم قدره واختاره ... لبساطه في سائر الايجاد
ما زاره الا سعيد باله ... من زائر قد فاز بالاسعاد
فاخضعْ له متأدباً تنلِ المنى ... وسل الكريم بفضله المعتاد
ان القساوة لا دواء لضرها ... الا زيارة ساكن الالحاد
ولخير أعمال العباد جلوسهم ... عند الولي هنيأةً للصادي
ولرب زورة عارف اربى الفتى ... منها على العباد والزهاد
فلكم انال ابو المحاسن نفحة ... قدسية من رائح او غاد
حتى توفاه الالهُ لجنة الـ ... ـفردوس في جيش (224) كريم ناد
صلى الاله على الرسول محمد ... خير الوجود وسيد الأسياد

وقبره الى الآن مزارة عظيمة عليه دربوز وهو مشهور معروف عند الخاصة والعامة يزورونه ويتبركون به رضي الله عنه ونفعنا به .

وممن ترجمه صاحب الممتع والمطمح والصفوة والروض والنشر وغير واحد انتهى (225) .

وممن ترجمه الحضيكي في طبقاته ، وتحفة اهل الصديقية .

---

224) عدها بالأرقام 1013 وهي سنة وفاته

225) **سلوة الأنفاس** 2 : 306

وقال في الممتع بعد ذكره وذكر شيخه سيدي عبد الرحمان المجذوب : وكان اول شيء فجأه انه كان يقرأ في المكتب ، فكتب في لوحه (ومَن يهاجر في سبيل الله يجدْ في الأرض مراغما كثيراً وسعة) الى ءاخره ، ثم ذهب ورجع فلم يجد في نفسه متسعاً لقراءة ولا غيرها ، ولم يجد الا المشي يزور سيدي عبد الرحمان المجذوب ، ولم ير في اللوح الا ذلك ، قيل انه رءاه فيه مكتوباً بالنور ، فسأل بعضَ جيرانهم عنه فاذا به من اصحابه ، وهو سيدي محمد بن علي النيار الأندلسي ، فسقط منه على الخبير ، فقال له يابني ذالك شيخنا ، ونحن في انتظاره قريباً ، فقال له اذا جاء فاعلمني ، فلما جاء اعلمه وقال له نحن بائتون معه عند فلان ، فقال كلمْ والدي في شأني لأبيت معكم ، فكلمه فاذن له لوثوقه بالرجل المذكور في ديانته وأمانته ، فبات معهم وجلس بمعزل من الناس لصغره وعدم مخالطته لهم ، فلما كان بعد هدوء من الليل اتاه ووضع يديه عليه ، وجعل يقول ها انت ياأخي ، جعل الله لنا فيك البركة ويكررها ، فكانت تلك الليلة اول ذهابه اليه ، ثم بات عنده ايضاً ليلة ثانية بزاوية سيدي محمد الصباغ بالقطانين ، فرقد الشيخ ووقع بين اصحابه وقوم دخلوا عليهم نزاع ولغط كان اصحاب الشيخ يذكرون كلامه ، فقال القوم الداخلون نذكر كلام الششتري وما جرى مجراه ، فوقع بينهم في ذلك كلام ، فأفاق الشيخ وجعل يقول اتعملون لي هذا وابن الفاسي عندي ؟ اتعملون لي هذا وابن الفاسي عندي ؟ يكرر ذلك ، ثم استمرَّ على صحبته وملازمته وخدمته ، وبقي مع ذلك على قراءته ، فقرأ على أهل بلده ما كتب له ، ثم سافر به والده الى فاس للقراءة على مشايخها ، فكان من التدارك الرحماني ان مكن في سنين قليلة من تحصيل العلوم ، فتكيف له من ذلك ما لمْ يتكيفْ لكثير من الطالبين في اضعافها ، وذالك فضل الله يوتيه من يشاء ، ثم رجع من فاس الى القصر بعلم غزير ، فانتفع به الخاص والعام ، وقام للعلم سوق واحيا الله به من يومئذ البلاد والعباد ، وسرت محبة العلم وتعلمه في الخاص والعام ، وظهرت بركته فيهم وفي اهليهم وأولادهم ، اذ كان علمه مصحوباً بالنور والفتح الرباني ، وتخرج به كثير من اهل الطلب ، فاستقلَّ في ذلك القطر برئاسة العلم والدين ، منفرداً في ذلك اماماً متبوعاً مسموعا ، وهو في ذلك ملازم لشيخه وخادم له ،

ثم ان الله جذبه اليه ورفع همته فلم يقف بها على شيء دونه ، وشغله به عما سواه ، ثم كنس وجوده وافناه عن شهوده ، لغيبته في مشهوده ، واستولى على باطنه امر الحق تعالى حتى لم يبق هاجس ولا وسواس ، وكادت تستولي عليه الغيبة عن الاحساس ، والشيخ يربيه في ذلك بالحال ، ويرقيه في مدارج الكمال ، وكان يمتحنه كثيراً ويلقى عليه من انواع المشاق والمتاعب ما لا يوصف ولا يقف له الا من ايده الله تعالى يهذبه بذلك ، فيتلقّاه ثبتاً لا تحوم الاستكانة حوله ، وكان طريقة الشيخ ابي محمد رضي الله عنه صعبة ، فكان غير الشيخ يوسف لا يثبت معه ثبوته ، مع انه لم يكن يقصد الغير ، فكل ما كان يقصده به لشدة اعتنائه به .

ومما اتفق لـه من ذلك انـه سمع بـه قد تـزوج فخـاف عليـه المرأة أن تاخذ ببعض قلبه ، فأتاه ايام العرس وقد دخل بأهله فأدخله الدار واجلسه في بيت الزفاف ، وهو مزين مفروش على العادة عند النكاح ، فقال لهم ايتوني بحطب اصطلي بالنار ، فأتوه بالحطب ، فجعل يوقد النار في بيت العرس وقد كثر الدخان وغصَّ الناس به وهو يصطلي وينظر الى الشيخ يوسف هل يحسُّ بذلك او يقع له به تغير ، فلما لم يره بالى بشيء من ذلك وهو فرح مسرور رضى بما يعمل كأنه يقول له اتتجلد علي ؟ فقال له سر معي ، فسار معه وهو حديث عهد بعرس الى أن وصل منزله فتركه يبيت هنالك وسلط عليه الحمى ، فكان اذا اخذته الحمى الباردة لم يجد ما يلقي عليه الا برذعة كانت هنالك فيتغطى بها ، فاذا ذهبت ازالها ، فبقي كذلك اربعين يوماً ، وكان في خلال ذلك يأتي فينظر اليه ويقول اذا طاح العلَم اقرأ السلام ، بمعنى لو لم يثبت هو عند الامتحان لم يثبت احد ، لأنه كان المشار اليه في اصحابه ، والمنتظر لوراثة حاله ، ثم يغيب عنه ما شاء الله ايضاً ثم يأتي ويقول له كذلك ، فلما استكمل الأربعين يوماً جاءه فقال له قمْ فاذهبْ الى اهلك ، مَن لم يشبع لا يشبع ، وكان واقفاً في موقف الخدمة بنفسه وماله لا يبالي في جانبه بشيء من صرف المال ، وبذلك مهجة ولا يستصعب ركوب امر في ذلك ولا يكترث بلوم لائم ولا طعن طاعن ، بل هو محمول في ذلك كله ، لا يحس بشيء منه ، وليس عليه فيه كلفة ، ولم يكن احد من أصحاب شيخه يوذى ما يوذى

به هو في صحبته ، فكان يوذى الأذى البالغ في نفسه وعرضه لكونه كان العلم فيهم والمقتدى به منهم ، فكان لا يُبالي بكل ما يصيبه في خدمته ، وكان يقول للائمَه في خدمته : والله لو ضربتموني بسيوف النار ما رجعت عنه ، وكان له مال جليل من تجارة ابيه ، فجعل ينفقه عليه وفي وجوه الخير يمينا وشمالا حتى أتى على ءاخره ولم يبق بيده شيء من عرض الدنيا الا داراً كانت بمحل الضرورة لسكناه ، ثم انها شغلت قلبه ولم يرد ان تبقى على ملكه معه ، فلما قدم الشيخ القصر وكان يوم جمعة تعرض له بمفاتيحها بباب المسجد الذي كان يعتاد الخروج منه ، فكاشفه الشيخ بذلك بخلف عادته وخرج من باب ءاخر ، ثم لقيه بعد ذلك فناوله المفاتيح ، فقال له ارحْ نفسك واقعد في دارك ، فهي دارنا ان احتجنا اليها اخذناها تطيبباً لقلبه ، ثم عزم على بيعها مرة في مبلغ يحمله لشيخ سماه ، ففتح عليه بذلك المبلغ وسلمت الدار ، وذلك انه لما قرب اجل الشيخ ابي محمد قدم القصر ونزل بظاهره ، فتلقاه اصحابه وفيهم الشيخ يوسف ، فلما اطمأن بهم المجلس قال لهم انا اردت ان ازور السلطان ، ثم قال لهم انا لنشتري القدور كثيرا وتنكسر ، فقالوا لا يليق بك الا قدر نحاس وكسكاس نحاس ، فقال لهم وكم ثمن ذلك ؟ فقالوا خمسين اوقية ، فقال هل فيكم من يعطي خمسين اوقية ؟ فسكت القوم كلهم ، قال الشيخ يوسف : فوقع في نفسي ان الشيخَ قرب اجله ، وانه اراد أن يوجه مدده الى احد من اصحابه ليقوم خليفة من بعده ، وان ذلك موقوفٌ على الخمسين اوقية ، فقلت الله ييسر مَن يعطي ذلك من اصحابنا ليعمر المكان ونستظل تحته كما كنا نستظل تحت الشيخ ، ولم يكن اذذاك عندي منها درهم ، فأعاد عليهم القول فلم يجبه احد ، ثم ثالثاً فلم يملك الشيخ يوسف نفسه ان قال له ياسيدي انا ءاتيك بها ، فقال وتفعل ذلك ؟ قال نعم ، فقال قم الآن ، فقال اسرجوا له فرسي ، ثم قال انا اسرج له ، فقام فأسرجه ، فجاء الشيخ يوسف يركب فأرادوا ان يحبسوا له الركاب ، فقال وهل انتم تحبسون له ؟ انا احبس له الركاب فحبسه ، قال فاستحييت منه ، فحتم علي فلم يكن بد من اسعافه ، فركب ودخل القصر عازماً على بيع الدار ، فلما دخل لقيه بعض المحبين الأسخياء من الأصحاب ، فأعطاه الدراهم ، فرجع بها من حينه ، فلما تراءى

للشيخ جعل يقول لهم هاسيدي يوسف جاء ، هاسيدي يوسف جاء ، ثم وصل ، فقال وهل جئت بالدراهم ؟ فقال له نعم ياسيدي ، فقال له كذلك انت يبتليك ويتوب عليك ، ثم قال له انا جعلنا دارك بفاس ، قال فوقع في نفسي استعظام ذلك تهيباً لسكنى فاس لكثرة مطالبها وصعوبة معاشها ، وذلك شيء في نفسي فقط ، فقال لي : لا وتحطب لك الرياح ، فكانت العطية المذكورة ءاخر عطية ، وسلمت الدار من البيع ، وبسطت عليه الدنيا من يومئذ ، وظهرت عليه في حياة شيخه بركتــه ظهوراً لا يشك فيه ذو بصر او بصيرة ، فعلا شأنــه ، واشرقت فيه انوار المعارف ، فتحقق بمقامات الواصلين ، ومنازل المقربين ، ومراتب المحققين ، واعطيَ التأييد والتمكين .... وقال في ءاخر امره : سيدي يوسف كنت انا شيخه واليوم هو شيخي ، وكان الشيخ يوسف يأخذ عنه الطريق ، وقلده فيها ، وكان الشيخ ابو محمد يقلده في امر دينه الظاهر ، ويأخذ عنه ، فلعل ابا محمد يعني بكلامه المتقدم الشهادة لسيدي يوسف بأنه انتهى امره في الطريق ، وكمل حاله ، ولم يبق به احتياج الى شيخه ، وشيخه ما زال يحتاج اليه في امور دينه ، والله اعلم ، وكلامه فيه كثير جداً ، فكان اصحاب شيخه لا تجد احداً منهم الا ويحفظ بعض ما كان يثني عليه به ، وكان لا يزال يوصي اصحابه به ويحضّهم على صحبته ، ويحرضهم عليه ، ويشير لهم اليه ، ويعرفهم انه الخليفة عليهم بعده ، ويحذرهم أن يتخذوا احداً غيره بعده شيخاً ، ويقول انه سيظهر امره شرقاً وغرباً ، وانه سيتفرد في عصره ، ويقول انه سيكون له اتباع كثيرة متتابعون تنتشر منهم الأذواق العالية ، ويكونون واقعين في مقام الدعوة والتمكين ، ولما كان في مرض موته جمع اصحابه واوصاهم به ، وقال لهم انما جمعتكم لأوصيكم ، لأن الموت فوت ، ثم جعل يصف لهم الرجل الكامل وما يجمع من الأوصاف الحميدة والخصال المجيدة ، حتى اتى في ذلك بما اراد ، وكان الشيخ يوسف عند راسه ، فاومأ اليه شيخه وجعل يده على راسه ، ثم قال وهو هذا ، ولما اخذ يوصيهم بكى بعض اصحابه ، وقال له أتتركنا يتامى ؟ فقال انا ما تركتكم يتامى ، صاحبكم معكم ، وكذا كان يوصي اولاده ايضاً به ، ويحضهم على صحبته . وكان خلف تسعة رجال او عشرة فأعرف ممن صحبته منهم اربعة ، احدهم ولده الأكبر السيد

لفاضل البركة محمد السبع ، وكان يقول محمد عندي فيه ثلاثة ولدي واخي صاحبي ، فصحب الشيخ يوسف وانقاد له ، وكان يستشيره في اموره ويصدر ن رايه ويوصي اولاده به ، والثاني السيد الخير البركة عياد ، خدم السيد وسف واعتمده ، والثالث السيد احمد صحبه كذلك وانتسب اليه ، ورابعهم لشيخ الولي الكبير علي بوفصلون فاياه صحب واليه انتسب ، وعلى يديه تح له وبه انتفع رحمهم الله ورضي عنهم .

وكان الشيخ يوسف في خلال صحبته للشيخ ابي محمد رضي الله عنهما يلقى مشايخ الطريق من اهل عصره ويأخذ عنهم ، كن لا على سبيل التحكيم في نفسه وسلب الارادة ، بل على سبيل التبرك هم والاستفادة ، ولم يكن بالوصف الأول الا مع شيخه ابي محمد رضي الله نه ، فكان ممن لقي جماعة من اصحاب الشيخ التباع ، وجماعة من اصحاب لشيخ الغزواني ومن غيرهم ، منهم الشيخ ابراهيم الزواري التونسي كان تردد اليه مدة استيطان الشيخ ابراهيم القصر قبل انتقاله الى فاس ، وتقدم يمن اخذ عن الشيخ التباع ، ومنهم الشيخ احمد بن منصور الحيحي ، وقال ن اول حالة تحقق بها حالة الشيخ احمد بن منصور ، قال واتيت ببرنس ذي مفاتيح قال اخوه سيدي عبد الرحمان الفاسي فيه اشارة الى التصريف من رفع وخفض وولاية وعزل وغير ذلك مما هو معلوم عند اهله ، ومنهم الشيخ محمد فانون المطاعي ، والشيخ عبد الله الهبطي ، والشيخ الحسن بن عيسى لمصباحي ، والشيخ محمد ابن مخلوف الضريسي ، والشيخ سالم العماري ، لقنه ذكراً كان يذكره ادبار الصلوات عن شيخه سيدي عبد الرحمان ابن يسون ، عن الشيخ الغزواني ، ومنهم الشيخ محمد بن علي الطالب ، والشيخ سعيد ابن ابي بكر المشنزائي ، والشيخ عبد الله ابن ساسي ، وغيرهم من المشايخ ممن لا يحصى ولا يعرف شهادة وغيباً ومن اهل الظهور والخفاء ، وكان له في لقاء اهل الخفاء بخت لا يوصف ، وكان الأمر له في لقاء المشايخ باذن شيخه ومع الجمع عليه ، وقدم على الشيخ ابي محمد يوماً من القصر بعض المنتسبين اليه ، فسأله كيف هو سيدي يوسف ؟ فقال له سيدي يوسف ليس هو فينا اليوم ، هو في مخالطة ناس اخرين فتغافل عنه الشيخ ثم سأله ثانياً ، فعاد لكلامه

الأول ، فقال له يافلان يافلان شلل (226) فمك وحينئذ نذكر سيدي يوسف ، ومن شيوخ صاحب الترجمة ايضا والده محمد بن يوسف الفاسي ، وكان ذا دين متين وسخاء عظيم ، صح عنه انه كان يحسب كل يوم ما انفق في داره فيتصدق بمثله ، وكان له اوراد من ذكر وصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من دلائل الخيرات ، وصلاة بالليل ، واخذ عن الشيخ أحمد بن قاسم الشرفي الأندلسي المتقدم في اهل روضة الأنوار ، ومن اشياخ الشيخ يوسف ايضاً الشيخ علي العربي المسمى به المسجد الذي بطرف القطانين من القصر من جهة السوق ، وهناك قرأ عليه القرءان ، وكان رجلا صالحاً فاضلا ، ولما مرض الشيخ ابو محمد مرض موته جمع اصحابه واوصاهم كما تقدم ، ثم صرفهم الى ديارهم ليحضروا العيد مع اولادهم وعيالهم ، وبسبب ذلك لم يحضر الشيخ يوسف موت شيخه ، وانما لحقه في الطريق كما تقدم ، ثم صرفهم الى ديارهم ليحضروا العيد مع اولادهم اذ لم تمكنهم مخالفته ، ولا وسعهم الا مساعفته ، فمات الشيخ ليلة عيد الأضحى ، ثم أصبح الشيخ يوسف ذاهباً الى خارج المدينة اما لزيارة ضريح ولي أو الى جنانه خارج باب الواد احد ابواب القصر فيما قيل ، ويحتمل ان يكون الى المصلى في وقت الخروج اليه ، فلقيه رجل من اهل الخصوصية من اهل الغيبة في حاله ، فقال له اين شيخك ؟ فقال له ببلاده ، فقال له انه قد مات ، فانه لم يقف معنا البارحة بجبل عرفة ، وكان يقف به كل عام ، وقد انتقل حاله الى سيدي عبد الله بن حسين بمصلوحة (تامصلوحت) ، فقال له الشيخ يوسف ونحن اجرنا على الله ، فقال له لا انه اليك يعود ، ثم بعث اليه سيدي عبد الله بن حسين ان ياتيه ، وقال له ان سر شيخك عندي ، فامتنع الشيخ من الذهاب اليه ، وقال اخاف ان ظهر عليّ خير يقال انه من سيدي عبد الله بن حسين ، فيضيع حق شيخي وظهور بركته علي ، فان كان لي عند سيدي عبد الله بن حسين شيء يصلني ان شاء الله ، فكان كذلك ، فلما حضرت سيدي عبد الله الوفاة اوصى له بشيء من اثاثه اشارة الى اداء ماكان اودعه من تراث شيخه المجذوب ، فلما سمع صاحب الترجمة بموته

---

(226) شلل في العامية المغربية معناها غسل غسلا خفيفاً

قال الآن اذهب اليه ، فمشى وزاره في قبره ، واخرج له اهل سيدي عبد الله ما اوصى به ، من جملته مضمة ، فأخذ ذلك ورجع ، قيل وكان مدة ما بين موت سيدي عبد الرحمان وسيدي عبد الله نحو الستة اشهر ، وكان الشيخ صاحب الترجمة بعد موت سيدي عبد الله بن حسين وان اهل الله مجتمعون على النبي صلى الله عليه وسلم وهم يتفاوضون فيمن يخلف سيدي عبد الله ، ويقوم مقامه ، فأشار سيدي عبد الله بصاحب له سماه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم حتى يأتي الكوش يعني عبد الرحمان المجذوب ، وكان لم يحضر ، فاذا به قد اتى ، فقالوا له ، فأشار بصاحبه الشيخ يوسف فوافق عليه النبي صلى الله عليه وسلم والجماعة ، فأقاموه في الوقت ، فمن يومئذ فاضت انواره ، وطار في الآفاق ذكره واشتهاره ، وسارع نحوه ارباب الارادات ، واقبل اليه اهل الفوز والفلاح من العلماء والأولياء السادات ، وكان اول مقبل عليه اصحاب شيخه ابي محمد رضي الله عنه ، وتأهل رضي الله عنه للمشيخة في علمي الشريعة والحقيقة ، ونهض بأعباء الطريقتين بتأهيل الله تعالى وتأييده ، وكثر تابعوه ، وتخرج به مشايخ ، ونشأ على يده رجال ، وظهرت على يديه الخوارق العظام ، والكرامات الجسام ، وكان مفزعاً لأرباب القلوب والأحوال في مداواة عللها ، وحل مشكلها ، فكان مقصوداً لذلك من المريدين والمشايخ ، كل بحسبه ، وكانت مشايخ تلك البلاد وما اضيف اليها يبالغون في تعظيمه ، ويعترفون بجلالة قدره ، ويقصدونه لحل المقفلات ، وبيان المشكلات ، فكانوا يزدلفون اليه ويدينون بالتواضع بين يديه ، منهم سيدي محمد بن الزبير ابن ابي عسرية المصباحي ، واخوه سيدي ابو القاسم ، وسيدي محمد العفاني ، وسيدي علي الشبلي ، وسيدي علي الحنشي ، وسيدي محمد القجاج ، وسيدي احمد الردام ، وسيدي ابراهيم ابو الخيرات ، وسيدي قدار ، وسيدي محمد ابو عبد الله المكناسي ، وسيدي احمد الدغوغي المكناسي ، وسيدي علي ابو الشكاوى ، وغيرهم ممن لا يحصى كثرة ، وكانوا يقولون فيه انه غريب في وقته لانفراده فيه ، وهنالك دلّ عليه سيدي محمد بن عمر المختاري وهو من احواز مكناسة سيدي جابر كما تقدم ، وكان سيدي عبد الله الدراوي عرف بالحداد رجل من اهل الاغاثة والحظوة يمشي للبلاد البعيدة ويرجع في طرفة

عين ، وكان صاحب ملازمة ، فكان مع شيخه الأول سيدي علي الحداد بفاس منه اكتسب سيدي عبد الله التسمية بالحداد ، فقال له يوماً ياعبد الله انا بايعنا اوقال ان اهل الله بايعوا اليوم سيدي يوسف الفاسي ، وهو ان وجدك هاهنا في هذا البلد لا تفلح معه ، فاذهبْ اليه ، فأتاه بالقصر ، فلما سلم عليه ونظر اليه اخرج اليه فاسا وامره بالخدمة في جنانه الى ان كمل اربعين يوماً فيما بقي على بالي ، ثم قال له اذهبْ حتى ءاتيك ، فقال له الى اين ياسيدي ؟ فقال له الى فاس ، فأتى لفاس ومكث بها حتى اتاها صاحب النرجمة واستوطنها فصحبه ولازمه الى أن توفى الشيخ وبقي أعني صاحب الترجمة على ما تقدم بالقصر نحو الاحدى عشرة سنة ، ثم حرك الله قلبه الى الانتقال الى فاس ، وكان عنده من ذلك ذكر من شيخه وغيره من المشايخ ، كسيدي علي الحنشي وسيدي قدار ، ورأى اعني الشيخ يوسف اهل الله مجتمعين وهم يقولون هذا الرجل لا يستقيم دينه الا بالزاوية يعنون مدينة فاس ، وكان ذلك لكون القصر لا يسعه ولا تسع عقول اهله علومه ، ولذلك لما سأله القاضي عبد الواحد الحميدي ما الذي جاء به من بلدك ؟ قال له كسدت ، رجع الياقوت في ايدينا حجرا ، ولما انهم لم يقبلوا خير الله اذ جاءهم فأنكروا على الشيخ يوسف وشيخه ابي محمد فصرفه الله عنهم ، ولكون مدينة فاس في احتياج اليه كما قاله القاضي الحميدي في كتابه لأهل القصر حسبما رايته بخطه ، وهي المناسبة لعلو شأنه وامامته ، ولما ان اصحابه الآخذين عنه بفاس قال الشيخ الشاذلي رضي الله عنه قيل لي انتقل الى الديار المصرية ترَ بها اربعين صديقا ، وقال سيدي علي الحنشي لبعض اصحاب الشيخ يوسف وهو سيدي محمد العوفي اخو سيدي عبد الرحمان القادم معه لفاس : سيدي يوسف اصحابه بفاس ، فقال له وهل بالقصر منهم احد ياسيدي ؟ فقال له نعم انت منهم ، فانتقل الى فاس بعد ان بعث تلميذه سيدي ابراهيم الصياد اليها ، فالتقى مع البهلول الذي كان بها وهو سيدي الحاج محمد الرامي دفين خارج باب الجيسة ، ويقال انه شيخ سيدي جلول دفين داخله ، فذهب الى الشهود ، فأشهد على نفسه بتمكين الشيخ يوسف من فاس بجميع منافعها ومرافقها ، ثم احتملوه وكان مقعدا ، فأخرجوه من فاس ، فكان يرى تارة بناحية سبو

وتارة بفاس الجديد الى أن توفي ، وعرضت له يوماً حاجة اكيدة بقصبة فاس ، فما دخلها الا متمسكا برجل من اصحاب الشيخ يوسف ولائذاً به ، فقضى حاجته وخرج سريعاً .

ولما استقرَّ الشيخ يوسف بفاس اقبل الناس عليه وكثر الجمع لديه ، وسرت في الناس نفحة اهتزوا بها طرباً ، وكثر طلاب الدخول في الطريق ، وترادف القاصدون من الجهات ، وقال لهم يوماً : والله لو احببت لتعطلت الأسواق والطرازات ، وصار الناس كلهم هنا يصيحون الله الله ، واتاه الناسُ على طبقاتهم علماء وعباد وزهاد ومريدون ومشايخ ، واحتاج اليه الملوك والوزراء والقواد وغيرهم من ابناء الدنيا وخدموه ، ولم يستغن عنه احد ، وهناك بعث اليه سيدي محمد الشرقي معترفا بتقدمه عليه ، ودلَّ عليه سيدي محمد البكري الصديقي المصري مَن سأله من المغاربة عمن يقصد في الوقت لتعينه فيه ، ودلَّ سيدي الحاج محمد الرامي البهلول المتقدم صاحباً له عليه وسماه بالبحر وبالسلطان ، وكان سيدي ابو يحيى البهلول المعروف المدفون مع سيدي رضوان بروضة واحدة في جنازة ، وكان فيها الشيخ يوسف ، فجاء انسان يسلم على سيدي ابي يحيى ، فجعل يشير له الى الشيخ يوسف يدلّه عليه ، فلما لم يفقهْ سبّه وطرده ، وكان رجل من من اهل الله بالشناكين من فاس ، فمر به الخضر عليه السلام فسأله الى اين ؟ فقال له انه رسول من النبي صلى الله عليه وسلم الى جموع الفقراء الذين بفاس ليختبر حالهم وما هم عليه ، وهو بجبل طغات (227) فسأله ان يرجع اليه بما تفرقوا عنه ، وكان هذا الولي من الأخفياء الذين لا تباعة لهم ، فلما تفرقوا اتاه فأخبره بأن اعلامهم كلها رجعت منكسة الا علم صاحب الترجمة ، قال لوقوفه مع السنة واستمساكه بها ، وتكلم الشيخ يوسف يوماً بكلام في الطريق ، فقال له بعض الحاضرين ان فلاناً اظنه ابن عطاء الله لم يقل هكذا ، فقال له الشيخ لست بمقارض لأحد ، فلان قال ، وانا اقول ، وفلان يقول ، وانا اقول ، حتى ذكر جماعة مع اعيان مشايخ الطريق ، ثم قال : ولا

---

227) جبل مطل على فاس يقع في شمالها غربي جبل زلاغ .

احط هذه الرقبة الا للجبل الراسخ سيدي عبد السلام بن مشيش ، وكان صاحب الترجمة يوسم بالقطبانية ، فبقي بفاس خمساً وعشرين سنة كما حد له سيدي علي الحنشي ، ثم نقله الحق الى دار كرامته (228) .

ثم قال في (الصفوة) : وله كرامات ، منها ان نهر القصر وهو وادي كسر جاء بسيل عظيم لم يعهد مثله ، وطغى الماء فدخل المدينة دخولا منكرا ، وهو في زيادة والأمطار منسجمة ، فجاء الناسُ الى الشيخ مرتاعين واستغاثوا به ، فقام الشيخ الى أن وصل الى المواضع التي وصل اليها وهو في حال الزيادة وقوة الجرية ، فركز هنالك عكازه ، وقال ان كنت مأموراً فأنا مأمور ، فما زاد الوادي على ذلك شيئاً واخذ في الرجوع ، ومنها انه خرج لزيارة بعض الصالحين ، وكان معه رجل من اصحابه له بغل فمات البغل وحزن عليه صاحبه حزنــاً عظيماً ، واتى للشيخ واخبره ، فقال له الشيخ اين هو ؟ فأتى به الى ان اوقفه عليه وهو ميت ، فضربه الشيخ برجله وقال له قمْ ، فقام البغل حياً ما به شيء ، ومنها ان الشيخ دخل يوماً دار بعض قرابته فوجد امرأتين تختصمان ، واحدة كانت لا تلد الا البنات ، والأخرى لا تلد الا الذكور ، وهذه تضحك من الأخرى وتهزأ بها ، فغضب الشيخ عليها ، فما ولدتْ صاحبة الذكور بعد ذلك الا البنات ، والأخرى لم تلد الا الذكور ، حتى كانت كلما حملت تفصل ثياب الذكور جزماً بوعد الشيخ .

وكراماته رضي الله عنه كثيرة ، ذكر منها صاحب (ابتهاج القلوب ، بخبر ابي المحاسن وشيخه المجذوب) وصاحب (ممتع الأسماع) جملة صالحة لو تتبعناها لطال الكتاب .

وله رحمه الله كلام عال في الحقائق ، واشارات صوفية استنبطها من كتاب الله ، فلتراجعْ في كتاب (مراءاة المحاسن) لولده سيدي محمد العربي ، ومن فوائده ما قال في اختلاف العلماء في ولادة النبي صلى الله عليه وسلم هل كانت ليلا او نهارا : هذا انها كانت مقارنة لطلوع الفجر جمعاً بين الأدلة

---

228) **مرآة المحاسن** ص 134 - 142

وتوفيقاً بين الأقوال ، قال ولده سيدي محمد العربي فبقي النظر عليه هل السابع هو الثاني عشر او التاسع ينظر في قول المختصر ، والقي يومها ان سبق بالفجر هل المقارنة كالسبق ام لا ؟ ومن فوائده ايضاً انه سئل عما قاله بعضهم ان مَن قال انه عليه السلام خلق من نطفة تُمْنَى فقد كفر ، انما هو كعيسى ، فأجاب الكفر فيما قاله هذا البعض ، النسب الشريف اذ لا يكون ابن عبد الله الا اذا كان من نطفة ، وقد نصّ السهيلي في الروض على انه من نطفة كسائر البشر ، نعم هو من نطفة طاهرة اتفاقاً ، وفوائده كثيرة ، واقتصر في ترجمته في (الاعلام بمن حضر وغبر) .

1645) يوسف بن تاشفين اللمتوني الصنهاجي

يوسف بن تاشفين بن اسحق بن محمد ابن علي الصنهاجي اللمتوني ، مراكشي ، كان من الرؤساء المتعلقين بطرف صالح من العلم الراغبين في طلبه ولقاء حملته والأخذ عنهم ، ودخل الأندلس . ؟

1646) يوسف بن علي ابن الملجوم الأزدي

يوسف بن عيسى بن علي بن يوسف بن عيسى بن قاسم المدعو بالملجوم ...... بن عيسى بن محمد بن فنتروس بن مصعب بن عمير بن مصعب .... الأندلس ازدي ، ابو الحجاج ابن الملجوم ، تفقه بأبيه وروى عنه وعن ابي محمد : عبد العزيز بن عامر بن قاسم بن عباس بن عامر الأسدي الفاسي ورحل .... فاخذ بها عن أبي القاسم بكار ابن برهون بن عيسى الغرديس الفاسي .... واجاز له عام ستة وثمانين واربعمئة ، واجاز له من قلعة حماد عبد الجليل بن ابي بكر الربعي القيرواني في ذي القعدة سنة ثمان وسبعين واربعمئة .

روى عنه ابنه عيسى .

وكان محدثاً راوية عدلا ضابطاً فقيهاً حافظاً راساً في الفتيا متقدماً في الآداب ، من بيت علم وجلالة ورياسة واصالة ، ولما خرج من الصحراء الى المغرب ابو بكر بن عمر اللمتوني ووصل الى السوس

ومعه يوسف بن تاشفين قائد اعنته وذلك سنة احدى وستين واربعمئة سافر من فاس يوسف هذا اليهم حتى لحقهم بالسوس ، واهدى الى يوسف بن تاشفين عيبة ثياب وسرجاً صيرياً ، فاراد مكافأته على ذلك فابى عليه ، وقال له ما انا بتاجر ، ولكن زناتة اهل جور عندنا وانتم تملكون بلادنا فأردت معرفتك ، ثم انصرف الى فاس ، وورد ابو بكر بن عمر بن ابراهيم اللمتوني فاس في صفر اثنتين وخمسين واربعمئة واخرج منها زناتة ، ثم انصرف عنها وترك فيها جنده ، فتغلب عليهم زناتة ودخلوا فاس اقبح دخول ، وتداولوها الى أن وردها يوسف بن تاشفين بن ابراهيم اللمتوني في ذي الحجة عام اثنين وستين واربعمئة ، فألفى بها قاضياً يوسف هذا على القرويين منها ، فنقله لقضاء مكناسة الزيتون ، ثم بعد برهة من الزمان قدمه لقضاء الجماعة بمراكش ارى ذلك في عام اربعة وسبعين واربعمئة ، واجاز معه الى جزيرة الأندلس ، وحضر معه الزلاقة عام تسعة وسبعين واربعمئة ، وكان عنده حظياً مقبول الاشارة معتمد الرأي مسموع القول ، وكان معه محمد بن سعدون بن علي القيرواني ، فعزل برأيهما جميعاً مَن اشارا عليه بعزله من .... مَن اشارا عليه بابقائه ، ولما ورد الخبر من الصحراء بموت .... ابراهيم اللمتوني وكان الأمير يوسف بن تاشفين بن ابراهيم .... يعرف بفج الصاري ، عقد له يوسف هذا الامارة امراء لمتونة .... معهم من لمتونة وسائر اجناد المغرب ، وذلك في عام .... هذا قاضياً يرحل اليه طلبة العلم من فاس وغيرها ومن بلاد المصامدة .... الفقه ويروي الحديث ، وكذلك اذا مشى الى فاس بلده يوخذ عنه الا .... وتفقهاً الى أن خرج مرة من مراكش قاصداً فاس فتوفي بتونين قريباً من مراكش ، فـرد ميتـاً الى مراكش ، فدفن بها ثم نقل الى فاس وذلك في اواخر عام اثنين وتسعين واربعمئة ، وكانت وفاته في ذي القعدة منها ، ومولده في ذي القعدة من عام سبعة وعشرين واربعمئة ، وقيل ليلة عاشوراء عام ثمانية وعشرين واربعمئة (229) .

---

(229) الترجمة منقولة بالحرف من **الذيل والتكملة** 8 : 208 (قسم الغرباء ـ مخطوط الخزانة العامة بالرباط) .

1647) يوسف بن عيسى ابن عمران المكناسي

يوسف بن عيسى بن عمران بن أدفال المكناسي ثم الوردميشي ، مراكشي ، ابو يعقوب ابن عمران ، تفقه بأبيه وغيره من اهل بلده ، وكان فقيهاً حافظاً سري الهمة نزهاً ، استقضي بفاس وبغيرها فحُمدت سيرته رحمه الله (230) .

1648) **يوسف بن محمد ابن المعز المكلاتي** فاسي ابو الحجاج الأحدب ، ولم يكن احدب .... واصول الفقه عن يوسف ابن نموي .... روى عنه ابراهيم ابن قسوم وابو بكر بن الجد .... التلمسيني الشهيد ، وابو عبد الله بن احمد الرندي ، وابن عيسى .... واحمد ابن هارون ، والحسن بن ابي الحسن الماقري .... بن ابي الحسن ابن القطان شيخانا ، وكان احد المهرة في علم الكلام .... متحققاً بالفنين ، مشاركاً في غيرهما من فنون العلم مشاركة حسنة ، .... النظر متفرغاً له ، لم يكن له قط اهل ولا ولد ، جيد التعليم لمن علم منه الصدق والجد في التعلم ، وكان يتجاوز الاقتصاد في احواله الى حيز الاقتار على اتساع حاله وكثرة فوائده وغزارة ماله ، دخل الأندلس مرتين : اولاهما صحبة ركاب المنصور من بني عبد المومن عام احد وتسعين وخمسمئة ، وفيها عرفه المنصور ونبه عليه فقربه وادناه والزمه حضور مجلسه مع طلبة العلم واحسن اليه ، واخراهما مع ابنه الناصر عام سبعة وستمئة ، ودرس في المرتيْن وعظم صيته عند اهل الأندلس وجل قدره ، وتنافسوا في الأخذ عنه والازدحام بمجلسه ، وكانت بينه وبين علي ابن القطان منافرة شديدة ومقاطعة مشهورة ، وعلى ذلك فقد صدر عنه في جانب ابن القطان ما فيه اصدق دلالة على حسن دفاعه وكرم طباعه ، قرىء على علي ابن القطان يوماً في مدة العادل وهو على الحال المتقدم صفتها في رسمه حديث" من اعلام النبوءة ، فتكلم عليه علي بما حضره في مضمنه ، ثم ختم الخوض فيه بأن قال هذا من صفاء باطن النبي

---

230) الترجمة منقولة بالحرف من **الذيل والتكملة** 8 : 209 (قسم الغرباء — مخطوط الخزانة العامة بالرباط) .

صلى الله عليه وسلم وشف جوهره في كلام نحو هذا ، فنسب اليه القول باكتساب النبوات ، وحزب في ذلك طائفة من ثالبيه والطاعنين عليه وتألبوا وكتبوا رسمين اسرعوا في احدهما شهادة الشهود بمقالته تلك ، واستدعوا في الآخر فتاوي اهل العلم في قائل تلك المقالة واطالوا في ذلك واعرضوا ، ونسبه معظمُ الفروعيين الى البدعة وكفره ءاخرون منهم ، واجمع المتألبون عليه انه لا يتم لهم الغرض من هذا العمل الا بفتيا يوسف المكلاتي هذا ، وقالوا هو لا شك عدوه المناصب له ، وسيغتنم بهذه الواقعة الظفرَ به والنيل منه ، فتوجهوا بالرسميْن اليه والتمسوا .... واثقين منه بأنــه يوجب قتلــه أو معاقبتــه العقوبــة الشديــدة ....
...... لــم يتوقفْ عــن تمزيقهــا واعدامهــا البتــة وانحى على الساعين .... توبيخهم وتقريعهم ونال منهم اقبح منال ، ثم قال لهم ياسيئي النظر و .... الى اجلّ شيوخكم واشهر علمائكم ، وقد علمتم صيته في الآفاق بأنه .... واستنفد طول عمره في خدمة السنة وعلوم الشريعة حتى صار من ائمتها .... في ميدان المعرفة بها ، وخوضه ابدا انما هو مع جلة حملتها وعظماء نقَلتها ، .... رضوان الله عليهم الى عصرنا هذا ، وتتعرضون اليه بمثل هذا السعي القبيح ، فما اراكم الا تفعلون غداً او بعد غد معي او مع امثالي ممن لا يعمر مجالسه ابداً الا بالنظر مع القدرية والخــوارج والشيعة والرافضة والمعتزلــة والكرامية والأباضية والأماميــة والابراهيمية وغيرهم من الفلاسفة واهل الأهواء والبدع الحائدين عن مذاهب اهل السنة ولا .... في صرف بعض اقوالهم ببعض ، اذهبوا خيب الله سعيكم ، واراح الاسلام والمسلمين منكم ، فانقلبوا خائبين ، واكبروا ذلك من فعله ، وعظم تعجبهم منه ، وعمر الناس بهذه الأحدوثة مــدة طويلة ، وسكن قلق ابن القطــان ودفــع الله عنه بفعل هذا الشيخ ما كان يتوقعه من سوء مغبة ذلك التشنيع الرديء ، وحفظت هذه الفعلة مأثرة كثيرة من يوسف هذا وكثر تناقل الناس اياها ، وشكر اهل العقل والفضل اياه عليها .

وله مقالات ومصنفات وجيزة ومتوسطة ، واجوبة عن مسائل كان يسأل (عنها) في علم الكلام واصول الفقه ، ومنها (الباب المعقول ، في علم الأصول)

واستقضاه المستنصر من بني عبد المومن على بلد نفيس ، واقــره مَن اتى بعده منهم عليه ، فاستمرت ولايته القضاء الى أن توفي بمراكش ليلة الجمعة الحادية والعشرين لذي قعدة عام ستة وعشرين وستمئة ، ولم يتخلفْ لنفسه نظيرا في ما كان ينتحله من العلوم (231)

1649) يوسف بن موسى ابن لامية الهواري

يوسف بن موسى بن ابراهيم الهواري ، مهدوي سكن مراكش ، ابو الحجاج ابن لامية وهي امــه اجتلبها الناصر من المهدية حين فتحهــا سنة .... وستمئة ، روى عن علي ابن القطان وابى عبد الله بن عبد الله الصفار ، وعبد الرحمان بن اسماعيل ابن الحداد ، وغيرهم ، روى عنه غير واحــد من طلبة العلم بمراكش ، وكان ماهراً في علوم اللسان : ادبــاً ولغة ونحواً ، درسها احياناً ، شاعراً محسناً ، كاتباً بليغا ، نبيل الأغراض في كــل ما يحاول نظماً ونثراً ، حسن الصوت بالقرءان والشعر ، يأخذ بمجامع القلوب متى تلا القرءان وانشد الشعر ، وكان اذا حضر مع الشعراء للانشاد بين يديْ ملوك عصره يرغب الى نقيب الطلبة في ارجائه الى ءاخرهم ، فاذا أنشد ءاخــراً انسى بطيب نغمته واحسان ايراده كلَّ احسان تقدم به غيره من مجيدي الشعراء ، على انــه لم يكن مقصراً عنهم ، فتكون المجالس له ابــداً ، ولــه رسالة ادرج فيها شواهدَ كتاب سيبويه على طريقة علي ابن حريق في ابيات الجمل شهدت له بالجمع بين قوة الاقتدار وجودة الانطباع وقفت عليها بخطه ، وله في ترتيب .... ونقلتُه من خطه :

....	غــرامــه قــاده كــئـيـبــــا
.... ضعيــف	صبر سقامــه زاجــر طبيبـــا
.... ظللت ذعــرا	ثنيتــه رافــعــاً لــهـيـبـــا
نافرتني فــحــمــى بــعـــادى	محمود وصــلــك ان يـؤوبـــا

231) الترجمة منقولة من **الذيـل والتكملة** 8 : 209 (قسم الغرباء — مخطوط الخزانة العامة بالرباط) .

قال المصنف اخل بترتيب بعض عجز هذا البيت الآخر وذلك بتقديم .... أن تكون بعد الياء وتوسيط الهمزة ، فقلت :

نافرتني فحمى بعادى   محمود انس نفي وجيبا

وله في ترتيب حروف تاج اللغة وصحاح العربية لأبي نصر اسماعيل بن حماد النيسابوري الجوهري وما جرى مجراه وقد تقدم في صدر هذا الكتاب انه الترتيب المحكم والذي وضع المتقدمون ومن وفق باتباعهم من المتأخرين عليه كتبهم وعليه رتبت كتابي هذا ، فقال ونقلته من خطه :

احبب ببدر تائه ثناني   جماله حليف خيل داني
ذكره راحي زهره بستاني   شرد صبري ضامن طواني
ظبي على غراته فتاون   قلبي كواه ليته مداني

وهذا الترتيب بين الواو والهاء والياء يتخرم في ابواب الصحاح ، لأن مصنفه جعل الواو والياء في باب واحد بعد الهاء ، ويطرد في فصول الأبواب وفي سائر الكتب المشار اليها ، وقد تقدم مثل هذا الترتيب لأبي عمران ابن المناصف في رسمه ، ولي فيه ونظمته في بيتين ، وعذر التكلف في مثلها لا يخفى على منصف ، فقلت :

المّ بروضي تجر ثم جنا حيا   خلا درى ري زكا سقيمه شربا
صفا ضمن طل ظل عد غنا   فشا قرى كيل لي من ودق سجا

توفى يوسف بمراكش سنة تسع واربعين وستمئة (232)

1650) يوسف بن يحيى ابن الجنان المهري

يوسف بن يحيى بن الحاج علي بن عبد الواحد بن غالب المهري ، سلوي سكن قصر عبد الكريم مدة ، ومالقة اخرى ، وسجلماسة اخرى ،

232) الترجمة منقولة من **الذيل والتكملة** 8 : 213 (قسم الغرباء — مخطوط الخزانة العامة بالرباط) .

واستوطن بآخرة اغمات وريكة ، أبــو يعقوب ابن الجنــان ، روى عن شيوخ .... شاعراً سيال القريحة في الطريقتين متوسط .... كتبا وادومه ، اخبرني انه نسخ التقريب لابن حرب في .... يوم واحد ، وانه دأب صدر عمره على نسخ عشرين ورقة من .... وسطور كل صفح منها سبعة وعشرون سطرا في كل يوم ولا .... له من ذلك ما يقضي العجب ، وكان ابداً يكتب عن الولاة ويعقد .... لعقد الشروط ، ويكتب ازمة المجابي السلطانية ، وهو مع هذا كله .... النسخ ، فقلّ كتاب مستعمل مشهور الا نسخة ، ولقد رايت له مما نسخ مع اشتغاله بما ذكر ازيد من مئة مجلد في مدة ليست بالمديدة ، وكتب عن عبد ... الكريم وابن ابي .... بن زنون ايام تأمره بمالقة ، حضرت معه يوما قريب الزوال بمجلس عمر ابن الفقيه ابي العباس بن عثمان بن عبد الجبــار بن داود المتوسي الملياني وهو وال بأغمات وريكة فذكر انه كان ثالث ثلاثة كتاب لابن زنون ، هو احدهم ، وابو عبد الله .... الأستجي ، وابو علي ابن ست الدار المذكورين في موضعيهما من هذا الكتاب ، قال وكان لابن زنــون خاتم يطبع به كتبه لا يفارقــه من ذواتــه ، ولا تطبع به كتب الا بحضرته ، فأمر ذات يوم بكتب واستعجل كتابه الثلاثة فيها ، وانصرف الى منزله ، فلما فرغوا من كتبها ارادوا اعلامه بذلك ليحضر على ختمها جريــاً على عادته ، فأرادوا مطالعته بذلك بكتب بطاقة نثراً ، فقال لهم أبو عبد الله الاستجي انه ليقبح بنا ان نكون ادباء شعراء مع ان مخدومنا يستحسن الشعر ويهتز لسماعه ونخاطبه في مثل هذا بالنثر ، قال فقلنا له انت كبيرنا ومقدمنا فابدأ لنا ما نتبعك عليه ونحذو حذوك فيه ، فقال :

نُسجتْ برودُ الكتب وفق مرادكم   فأتت مفــوفــة بخط بــــــــارع

وكتبه في بطاقة ودفعها الى ابي علي فزاد عليه بخطه :

وجمالها طــرز لكي تزهى بـــــــه   وطــرازهــا ياذا العُلا بالطابـــــع

ودفع اليّ البطاقة فزدتُ عليها وكتبتُه بخطي :

فالختمُ للمكتوب تكرمـة" لـــــه وكذا رويناه عن اكـرم شافـــــع

.... اوصلها اليه خرج الينا مستبشراً متبسماً .... التي فيها الطابع محمولة بين يديه ، فدفعه الينا فطبعنا .... موضعه على جاري العادة ، وحضر لايراد هذه الحكاية .... مجلس ابي علي او يتردد اليه ، وله حظ من الآداب وقرض الشعر .... ابو عبد الله ابن المعز ، وشاعره عبد الله بن يحيى بن سليمان .... التراري الحاج المعروف بالمراكشي ، وصيفه الحاج النبيل ابو ابراهيم .... بن عبد السلام بن عمر القزولي ، فاستظرفها ابو علي والحاضرون وأعجبوا فخاضوا في شأنها ساعة ثم قال أبو علي : ليت شعري لو كان معهم رابع ما ذا كان يقول ؟ وهل تمكن الزيادة على هذه الأبيات ؟ فقال الجميع إن المعنى قد كمل .... ومنع الزيادة ، فقال من المحال عادة ان يكون معهم رابع ولا يجري مجراهم في الاتيان بمثل ما اتوا به ، فخذوا في الزيادة عليها ، واشار بذلك الى ابن المعز ، وابي محمد المراكشي وابي ابراهيم القزولي ، واضاف اليهم ابـن الجنان موردَ الحكايـة ، وقـال له هبْك لست احـد الناظمين المذكورين قبل ، ثم عطف علي وطالبني بالموافقة لهم في ذلك ، ولم يكن راى لي قبل بيتاً واحداً ولا اشعرته بأني خضت في نظم قط ، فاستعفيته من ذلك فلم يعفني ، وقال وما الذي يمنعك ومواد النظم كلها عندك عتيدة فلا وجه لاستعفائك ولا بد لك من مشاركة الأصحاب فيما خاضوا فيه ، ثم قال لا اريد ان اشغل خواطركم بالنظر في هذا عن تأنيسنا ، ولكن اعملوا على اجتماعنا عقب العصر ، وليأتِ كـل منكم بما تيسر له ان شـاء الله ، وبعث بالأخذ بذلك الى ابرع مَن اشتملت عليه اغمـات حينئذ واسرعهـم بديهـة واشهرهم اجادة وتفننا ، ابي الحسن بن ابن اسماعيل واعلمه بالمواعدة لاتيان كل واحد بما عنده اثر العصر ، ثم انصرفنا ، فلما كان بعد العصر وافى كل منا بما سنح له ، فقال ابن الجنان :

الختـم للمكتـوب تكرمـة لـــه وكذا رويـنـاه عن اكـرم شافـــع
فابعثْ الينا طابعـاً نختمْ بـــه عملا بتحريض الرسول الشـــارع

فالمهتدون قــد اقتفــوا ءاثــــاره   من صاحب صدق المقــال وتابــع

وقال ابو عبد الله ابن المعز :

وحلاكم منها التقـى فلتشرعــوا   في ....
فابعث اداة طرازها طـرز الـورى   وامر بطابعها ....
واقــرب بأمـرك اذ نأيت بحجبـه   عن مستحث منك ختماً ....

وقال ابو ابراهيم القزولي :

ولأنتم اولى الأنـام بأن يـــرى   لسبيل خير الخلق اكـرم تابــع
فامرْ لمَن يأتي بختمٍ عــاجـــلا   لتكون مقتديــاً بقــول الشـــارع

واتى ابو محمد المراكشي ببيتيْن في الطويل بعيديْن عن المعنى ....

وقلت :

وبالاقتــداء بــه اجــلُّ فضيلــــة   فابعث بــه لتنالَ فضل التابـــع
والســر ان الســر فيه مـحـجـب   بالطبع عــن مستشرف ومطــالــع

فلهج ابو علي بذلك وحسن موقعه منه ، ولم يصل ابو الحسن بن اسماعيل للوعد عقب العصر ، فطال تعجبنا جميعاً من ذلك ، وانفضَّ المجلس ، فلما كان قريب المغرب خرج ابو علي الى مجلسه المطل على الساقية العظمى السلطانية المشرف على الممر الأعظـم شرقي الجامـع ، فجالسته هنالك منفرديْن ، وكنت مقابل الممر ، وابو علي مقبل علي وقد استدبره بعض الاستدبار ، اذا ابو الحسن بن اسماعيل مقبل ، فأعلمت بوصوله ابا علي ، وقلت له ما اراه الا آتي بشيء ، فقصد الى جنب ابي علي من خارج المجلس ، وطرح بين يديْه بطاقة وانصرف ، فلما قرأها ابو علي بالغ في استحسانها ، وكلما كـرر النظر فيها استجادها ، ثم دفعها الي ، فاذا فيها بعد الأبيـات الثلاثة الأولى ما نصه : وقال معظم الجلال ، ومتملك الكمال ، مذيلا :

كــرمُ الكتاب ختامُه وكذاك قـــا   ل مفسرٌ للوحي غيــر مـدافــــع
في قول بلقيس كتــابٌ جـاءنـــي   مليء كـريم اي بختــم صـــادع

ويحــق للمعطــي صيانــة ســـره وصف التكرم في الكـلام الشائـع
حكم الشريعة باهـر انـوارهـــا لذوي العقول كبـدر تـمٍّ طـالـــع

وبعد ها ، وقال متملك الكمال الأوحد وصل الله سعوده :

ما ان تـزال تفيدنـا ياذا العـــلا حكمـاً وءادابـاً بحكـم نـافـــع
أوضحت للأدبـاء نهجَ سبيلهـــم وابنت مهيع كل فضل جـامـــع
.... العــلا منها تؤم الى المـدى المتشاسـع

.... الكريم الأحفل الأسنى يخص المجد الأتلد ، والكمال الأوحد ، ...... وبركاته ، ولما وقفت عليها لم ار فيها كبير مستحسن ، بل رايتها ...... من احسانه ، ومنحطة عن ما اتى به غيره ، وعجبت من افراط .... في استجادتها على براعة نقده وجودة تمييزه ، ثم هجس في خاطري .... لم يكن منه الا لما اتبع به أبو الحسن تديبلا من الأبيات الثلاثة في .... وقلت اراه حامله على استحسان ما اتى به ابو الحسن ، فصنعت تلك الليلة قصيدة في مدحـه ، واشرت الى تذييل الأبيات كان عن اشارتـه ، وزدت في التذييل ابياتاً ، ولقيته بها بعد العصر من الغد لما لم يتأت لقاؤه بها صدر النهار لخروجه الى بعض المواضع ، ولما جئت بها بعد العصر الفيت ابا محمد المراكشي قد جاء بهاذين البيتين :

وولـوع همتكـم بشرعـة أحمـد اجلا وابهر من هـلال طـالــــع
فابعثْ بطابعك السعيد لتقتفـــي سننَ الهداية كف هذا الطـابـــع

فخلوت بالمراكشي وقلت لـه هذه مكيدة ، فقال لي هو والله كمـا حدست ، فانه لم يخف علي كون الأبيات من المديد ، ولكني لم اتهد الى ما يصلح ذيلا لها ، فصنعت ذلك حتى اسمع ما اتى به غيري فاحذو حذوه ، وتربصت فأبى عليّ خلوتَه بدخوله الى مجلسه الخاص من مجلسه العـام ، ودفعت اليه القصيدة فلما رءاها قال لي لمن هي ؟ فقلت قفْ عليها ، فقال لي هذا خطك فمن ناظمها ؟ قلت كاتبها ، فاشتدّ تعجبُه من فعلي اولا ثم اتياني بها ثانياً ، حتى كان من كلامه ان هذه البلاد ولادة منجبة ، وهذه القصيدة التي رفعتُ له :

حررْ من التقريظ حـرً بـدائـع   تزهى بحسن مطالع ومقاطع
واخصص بها ان شئت تشريفاً لها   قطبَ العلا سر الكمال البارع
ذاك الفقيه ابن الفقيه المعتلي   في ذروة الحسب الصميم الناصع
لأبي علي في المعاني رتبة   اضحتْ لمجموع العلا كالجامع
ارثاً وكسباً حازها وبنى لها   بصنائع منه مشيد مصانع
فحلى ابيه الحبر احمد لم تكن   الا حلى البر ....
عم الخلاف فان حمدنا احمدا   لم نلق غير ....
بحر العلوم درايةً وروايةً   قد جال منها بالمجال الواسع
وبيانه لأصولها وفروعها   قد اتى نبدلها وحو .... ؟
فاذا بحار الفهم في مستبهم   منها جلاه بالمقال الصادع
بالعلم والدين المتين حوى مدى   ورع الى الخير الجسيم مسارع
ورعاً حمى ورعاً حمى دين الهدى   ووفى له بشعائر وشرائع
في الله لم تأخذه لومةُ لائم   كلا ، ولا استهواه كيدُ مخادع
قد باع دنياه بأخراه فما   ذا حيز من ربح لهذا البائع
وتزود التقوى بضاعة مخلص   لله منقلب بخير بضائع
حياه رضوانُ الجنان كرامة   بمزيد رضوان وعفو واسع
....
....
....
ياماجداً لعلا حلاه تفنن   اعيى بلاغة شاعر او شاجع
فأصالة وجلالة وجزالة   شهدت لفضلك بالبيان الساطع
ونفاسة ورياسة وزعامة   بهرت منازعُهن كل منازع
وسيادة قد زانها بتواضع   اكرمْ به من سيد متواضع
ندب لأعلام المكارم رافع   ندس لأعلام الأكارم فارع
تلقاه يومَ السلم مبتهج الرؤا   بسنا السناء كبدر تَمٍّ ساطع
وتدار للهيجا عقار قراعها   فتراه خير معاقر ومقارع
قسم الجزاء موافقاً للعدل في   اقسامه فأصاب حسن مواقع

فوليه يحظى بشهد نافع   وعدوه يشقى بسم ناقع
....   ولذا رداه عن سموم ممازع
.... الا الذي   قد طاب من خلق له وطبائع
.... المحل الا ما جنى   من جوده المتواتر المتتابع
.... ـم وفاقهم بفعاله   كم شارح قد فات شأو الواضع
.... يمن قد حوت   لعفاة نائلها عذاب مشارع
كفٌّ بها للجود خمسةُ ابحر   تبدو لرأي العين خمس اصابع
يامن يقيس به سواه في الندى   ألغيتَ في النظر اعتبارَ الجامع
هذا يجود وفي الموانع كثرة   وسواه ضنٌّ مع اتفاع المانع
شعري وفكري في امتداح خلاله   مابين محمول له ومطاوع
لم ينثنِ المثني على عليائه   عن حصرها الا لعذر قاطع
من ذا يعد الشهبَ او يُحصي الحصا   فاكففْ والا بؤْ بيأس الطامع
ياسيداً حاز المعالي ناشئاً   في المهد بين حواضن ومراضع
منك استفدنا كلَّ ما جئنا به   لا زلت تولينا ضروب منافع
لا غرو ان بدَّتْ نهاك عقولَنا   فالشمسُ تبهر كل نجم طالع
نفَدت اشارتك الكريمة تقتضي   تذييلَ شعر في تطلب طابع
ابياتُه مهمى تعد ثلاثة   كالروض جيد بصوب غيث هامع
قد دار بين ثلاثة انشاؤها   ما منهم الا مجيد بدائع
حظروا الزيادة بعد هم اذ كملوا   واستغرقوا المعنى بلفظ جامع
فقفوت ممتثلا على ءاثارهم   لا بادعاً لاصابة المتخادع
قال الأديب الاستجيُّ ممهدا   لطلابهم فأتى بنظم رائع
نسجت برود الكتب وفق مرادكم   فأتتْ مفوفةً بخط بارع
والكاتب ابن الستٍّ قال تسلقاً   لحصول بغيتهم بنيل منازع
وجمالها طرز لكي تزهى به   وطرازها ياذا العلى بالطابع
وفتى بني الجنان حاز الخصل في   تضمينه معنى كلام الشارع
فالختم للمكتوب تكرمة له   وكذا رويناه عن اكرم شافع
وتلوتهم وانا المقصر عنهم   ولـ ....

حتى اتيت بخامس وبسادس   وبسابع وبثامن وبتاسع
وبعاشر كملت به عقداً حكى   عقداً تنضده اكفُ صوانع
وتلفعت خجلا بأحمر فانيٍ   وتلففت وجلا بأصفر فاقع
عوذت بالسبع المثاني سبعة   منها مخافة نافس او لا ....
ورسمت هذا الذيلَ تحريضاً بما   راموا وتفضيلا لهذا الطابع
وفي الاقتداء به اجلُ فضيلة   فابعثْ به لتنال فضل التابع
والسر ان السر فيه محجب   بالطبع عن مستشرف ومطالع
ويحوطه عن نقصه وزيادة   فيه حياطة كالىء لودايع
ويصونه الأسرار ما هب وصفه   كرم فما سرُ الكريم بذائع
هذا ومنه لصرف ناظر ناظر   من غير اذن فيه اكبر وازع
ان الكتاب مخاطب لا كنه   لنواظر يثني خطاب مسامع
ولذاك شُبه ناظر فيه بمَن   يدنو لنار في الحديث الشائع
فاخترْ من الأبيات ما هو لائق   وانبذْ سواه بالمحل الشاسع
وان اقتضى النظر الكريم بقاءها   ذيْلا عليه فما له من دافع
واسمح وأغضِ وغضَّ طرف النقد عن   نقد الى حرم الابار بوازع
ريعت لناصب خافض او جازم   ان لم تمدَّ لها يمين الرافع
واسلمْ وعشْ فيما (تحب) وتشتهي   من نيل امال ورب صنائع

وامر يوسف ابن الجنان بمعارضتها فقال ونقلتُها من خطه :

اصغيتُ للأمر الكريم مسامعي   وانرتُ منه مغاربي ومطالعي
وعمرتُ منه جوانحي وتفكري   وجعلتُه حين المنام مضاجعي
شكراً لما اوليتَني من انعُم   طابت بهن مواردي ومشارعي
قربتني هذَّبتني اكسبتَني   صيتاً بشعري في علا وتواضع
وجد المحل له قبول فاكتسي   حلل المحلي ذي الرواء الشانع
لا كن عرا من دون قصدي شاغل   ما زال عن قصدي وراي قاطع
.... من   بسط اعتذاري قبل سمع شوافع
.... خير من بذل المنى   ولقاصديه لديه سوق مطامع

.... ـنوالهم ويحوطهم   بالرأي منه وبالحسام القاطع
.... ـق السماحة والندى   اعظم به كرماً وخير مماصع
.... ـه ورواقة ومساقه   اري وطر واتساق منافع
وخباؤه وبهاؤه وعلاؤه   شيم تبدت عن حلى وطبائع
ان جال في ايرادها بروية   اضحى الصواب كسهم رام ماقع
ان صادر الأطواد منه مضاؤه   سهلت مصاعب سمتها للرائع
للحلم منه مواقع مرضية   للعزم منه مضاءُ حد رائع
اولى من البسط الجميل محافلا   نظمت بناظم انسها وبجامع
فيها من الأدباء نخبةُ دهرهم   يروون حسن مطالع ومقاطع
حتى جرى ذكر لكتّاب سعوا   لرئيسهم يوماً حضور الطابع
نظموا طلابهم بأبياتٍ لهم   كنجوم هقمعة او كنسر واقع
فالأستجيُ لهم بدا بمقاله   اذ كان في الآداب غير منازع
نسجت برود الكتب وفق مرادكم   فأتت مفوفة بخط بارع
ثم اقتفى عمر الشرقي نظمه   ابدى البيان بخير نظم صادع
وكمالها طرز لكي تزهى به   وطرازها ياذا العلا بالطابع
وتلا ابن جنان سني مقالهم   ونحا اقتداء بالنبي الشارع
والختم للمكتوب تكرمة له   وكذا رويناه عن اكرم شافع
فرأى الميمن ذو المكارم والندى   تذييلَها كيما تزان برابع
فأجبته عملا بآراء له   حركن مني حسن نظم ناصع
فالمهتدون قد اقتفوا ءاثاره   من صاحب صدق المقال وتابع
فابعثْ الينا طابعا نختم به   عملا بتحريض الرسول الوازع
والصحب قد وافوا بتذييلٍ به   صدعوا البيان بكل سحر ماصع
ومضت لنا ايامَ انس ابهجت   اوقاتها بتقاول وتراجع
وبنشر ءاداب بدت درجا ....
وبجمعنا عبد الالاه القابسي   نجل المعزّ ....

بالشرق طـاب ولادة ونجـابـــة ... ورواية ودراية ....
يبدي لنا شعراً قد احكـم رصفـيـه ... بعروض اخترعت ....
لم يروها الأدبـاءُ عن شعرائهـــم ... فاعجبْ لأشعار بنظم ....
لا بالعروض ولا اللغات تسربلـت ... لكـن معانيهـا كـسـم نـاقـــع
تبدي لنا غـرر البيـان مشوبـــة ... بمواعظ فاضت بهـن مـدامعـــي
واذا بهاجـي حجنـا كـومينـــــا ... يُجري الشئون بكل دمع هامـــع
طيباً وضحكـاً لا يقـاس بطيـــب ... الا بأخـلاق الرئيس الـفـــــارع
ابكـار كـل فضيلـة موروثـــة ... عن والـد للعلم بـحـر واســـع
ذاك الامـام المعتزي لعلـومــــه ... ايضاح لبس نـوازل وشـرائـــع
الزاهد الـورع المسمَّى احـمـدا ... شمس الهدى علماً وطرس منافـع
مَن كان يروي بالمكارم غـلـــة ... قد كان يروي علم شرع نـافـــع
ما زال صدراً في العلوم وفي النـدا ... بحـراً يفيض لآمـلٍ ولسـامـــع
واتى لنـا من بعده نـجـبـــاؤه ... فاقوا الـورى بمكـارم ومنـــازع
ابقاهـم الله وءامـلُ جـودهـــم ... يحبى بـبـر دائـم متتـابـــــع
وادام يعقوبـا لنـا في غـبـطـــة ... يحيى بنصر للمضاهي سـافـــع
وعـداه بين مقتـل ومـجـــــدل ... ومقرن بسلاسـل ومـجـامـــع
وجميع اقطـار الورى في حكمـــه ... والسعد عنه الدهر اعظم دافـــع

فلم يرفع بها ابو علي راساً ، واتخذ قصيدتي سميراً ونجياً ، وأنشأ يوالي مطالعتها ، ولا يسأم مراجعتها ، وكلما رجع بها بصره ، واعاد فيها نظره ، زاد بها شغفاً ، وشاد لها شرفاً ، فنفق سوقها ، وشُهر سموها على اترابها وبسوقُها ، وانتهت شهادتـه باستحسانها الى الشيـخ الأديب الحسيب ، الشاعر ابي علي حسن بن .... ابن ابي الطاهر فنظم في معارضتها هذه القصيدة ورفعها اليه ونقلتُها من خط ناظمها :

ياخيـر مصغ للقريض وسامـــع ... واجلُّ مَن بذل النـوال القانـــع
.... هو كواعب ببراقـع
.... لح ما سترته من ... غدر حسان كالشموس طوالـــع

.... علي انهــا ... بك جنة تحوي عــذاب مشـــارع
.... ما انتقيه واهلها ... فكأنها الحــرمُ الأمين لــجـــازع
.... العدل منك مساومــا ... بين العزيـز ديانـة والضـــارع
.... عين حسودكم ياذا العلى ... وبقيت من حكـم رضى متواضـــع
ورع تقـيٌ زاهـد مــتـــورع ... شهـم كمـي للشدائـد دافـــع
حبـر نقـاب عـارف مـتـفـنـن ... ثـوب كريـم مناقب وطبـائـــع
يلقى العفـاة بمجتلـى متهلـــك ... وبمابل طـم الخصاصـة قـانــع
ويريك نور البشر منه بشائـــرا ... تدني من الأمـل البعيد الشاسـع
واذا تقـدم للوغى فببـأســـه ... لعداتـه فيها عـداد مـصـــارع
تخشى العــداة طعانـه وقراعـــه ... فبطاعن منـه تـمـال وقـــارع
يابن التقى الزاهد الورع الرضـي ... والعالم المحيي رسـوم شرائـــع
علم الفخـار سمي خير مشفـــع ... في الخلق ذو الحسب الصميم الناصع
يهنيك ما قد حزت من اثـر ومـــن ... بـاع مديد في المعارف واســـع
واليكهـا ممن تقـادم عـهـــده ... بك يامنيل فوائـد ومنـافـــع
تتضمن الأبيات ياعلـم الهـــدى ... للكاتبين دعـابـةً في طـابـــع
اذ قـال عند فراغهم من كتب مـــا ... امروا به النحرير غير منـــازع
نسجت برود الكتب وفق مرادكـم ... فأتت مفوفـةً بخط بـــــارع
وتلاه في معناه ايضـاً تابـــع ... فأصغ سماعاً للمجيد التابـــع
وجمالها طـرز لكي تزهـى بـــه ... وطرازها ياذا العـلا بالطـابـــع
واسمع مقالة ثالث نعـمت بمـــا ... قد نالـه اذنُ المصيخ السامـــع
فالختم للمكتـوب تكرمـة لـــه ... وكذا رويناه عن أكـرم شافـــع
ولرابـع ، فاسمعْه ، تذييـل ودع ... تذييلَ سادس خامس او سابـــع
ايه وفيـه زيـادة ناطت بـــه ... منع الزيادة رق ســر المانـــع
وبـه كذلك ضـدهـا متعـــذر ... صعب ....
لله در عصابـة الأدب الألـــي ... سمحوا بفضلة ....
هم كالأثافي قـد تحلى طرسُهـم ... من وشي كتب ....
فكأنما صنعـاء قـد وهبتـه مـــن ... وشي بها فوها بصنعة ....

طرس عليه الروض خالع لبسه — زمن الربيع فياله من خالع
شتى ازاهره فمن يقق زهى — ببياضه الأسنى واصفر فاقع
متضاوع النفحات لا كن بزه — طيب الثناء الطيب المتضاوع
لله ذو ادب تذكر ما جرى — في طابع كتب الخلائف طابع
اصغيت سمعاً للحديث وحسنه — وبه عُنيت لذكره المتتابع
فاقطفْ سراج المجد زهر كمامها — واطرب بشدو حمام روض ساجع
لا زلتَ ترفع للسيادة رايةً — تقضي بطول بقاء عز الرافع
وجرى القضاءُ بما تحبُ وتشتهي — وثوى ببرجك نورُ اسعد طالع

وهذه القصيدة وان كانت من النمط الوسط فانها اقرب للقَبول من قصيدة ابن الجنان ، وقد التمستُ تذييل تلك الثلاثة من بعض اصحابنا ، فمنهم ابو عمران التميمي الافريقي فقال ونقلتُه من خطه :

والخير كل الخير في أن تقتفي — ما جاء عنه وحل اذن السامع

وابو عمران .... ابن الخراز فقال ونقلته من خطه :

فامننْ بتعجيل الختام لعلها — يغدو الرسول بها بأيمن طالع

وعبد الرحمان البسطي فقال ونقلته من خطه :

وبه الحجاب لما عليه قد انطوى — كالقفل صار على مقر ودائع

وابو زكرياء بن علي بن يحيى بن اسماعيل فقال ونقلتُه من خطه :

ولقد اصاب الحزم واضعه ليحـ — ـفظ سره انبلْ به من واضع
سر الكتاب به يصان فلوْ عرا — منه لأصبح كالحديث الشائع

قال المصنف عفا الله عنه : اثبتت هنا ما حضرني من هذه التذييلات ، لأن فيها امارة ، على ان بهذه البلاد من اهل هذا الفن عمارة ، وكم تقدمها من عاضد ، .... ذلك اصدق شاهد .

توفى ابو يعقوب ·········· يوم السبت لثلاث عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر سنة ·········· وستمئة ، ومولده بسلا (233) .

1650) يوسف بن محمد الكبير ابن ناصر

يوسف بن محمد الكبير ابن شيخ الطريقة ، وشمس الحقيقة ، سيدي محمد ابن ناصر ، قال في الروضة المقصودة : هو الشيخ الصالح ، ومنار الهداية اللائح ، المقتفي لأثر سلفه في حسن الاتباع ، المجانب لطرق الخلاف والابتداع ، بقية السلف الصالح من السلالة الناصرية ، ونتيجة الفضل كمقدماتها السنية النبوية ، العلم الشهير ، والبحر الكبير ، يوسف ، ثم قال : نشأ سيدي يوسف المذكور بين طهراني ءاله رضيع لبان العفة والنجدة والوقار ، متمسكاً بالعلم في الليل والنهار ، قائماً على ساق الجد في التعلم حفظاً وفهماً ، لم يخش من نزغات الشيطان ظلماً ولا هضماً ، حتى حصل على علم غزير ، وقدر من الدراية خطير ، ثم تصدر للمشيخة بعد وفاة اخيه موسى بن محمد الكبير ، والشيخ الامام العلامة الولي الصالح الحسين بن شرحبيل البوسعيدي رضي الله عنهما ، واشتغل بارشاد المريدين وتلقينهم الأوراد ، منفرداً بالخلافة لما عهده الأشياخ من اهل طريقتهم الغازية لأسلافه رضي الله عنهم ، فقصده الناس للأخذ عنه والانتفاع به من كل قطر ، فظهر اثر بركته وانتشر صيته ، فأكثر النواب والوكلاء في التلقين لمن لم يصل اليه مغرباً ومشرقاً ، وكان رضي الله عنه شيخاً حسن الشيم ، اكفه تجري بالاحسان كالديم ، كثير الاطعام ، جميل الاكرام ، طويل الاعتبار ، مدير الحلم في دائرة الاقتدار ، صائماً قائماً عابداً ، قيماً بأمر الزاوية لا يهمل صادراً ولا وارداً ، ادرك عمه الشيخ الامام الولي العارف احمد بن ناصر ، واخذ عنه وانتفع به ولقنه وشهد له بالرؤية ، واخذ ايضاً عن الخليفتيْن بعده اخيه موسى والحسين بن شرحبيل رضي الله عنهما ، ولست على جزم في الثاني ، ثم رايت منقولا عن الأستاذ القدوة المتقن البليغ ، محمد بن الحاج التلمساني صاحب الولي

---

233) الترجمة منقولة من **الذيل والتكملة** 8 : 214 (قسم الغرباء ــ مخطوط الخزانة العامة بالرباط) ، وفي الترجمة واشعارها كلمات كثيرة مطموسة او مصحفة ، وقد تركت ما لم استطع تحريره او تكميله على حاله .

الصالح محمد التوزيني رحمه الله ، ان الشيخ سيدي يوسف رضي الله عنه لما وليَ امر الزاوية لم يلقن الأوراد حتى قدم لزيارة القطب مولانا عبد السلام بن مشيش رضي الله عنه فاجتاز بمدينة فاس بقصد زيارة مولانا ادريس رضي الله عنه ، فلقيَ بها شيخ الجماعة الامام العلامة محمد بن عبد السلام بناني رحمه الله ، فأطلعه على اجازات بيده لعمه الشيخ سيدي احمد بن ناصر رضي الله عنه في علوم كثيرة من الحديث وغيره ، وفيها ايضاً انه اذن له في التلقين عنه ، وان يأذن لمن يراه اهلا لذلك واراد خطه مكرراً بذلك ، فحينئذ اخذ عنه الشيخ سيدي يوسف رحمه الله بمقتضي تسلسل الاذن ولقنه واذن لـه في التلقين والاذن لمن يـراه اهــلا ، وقبل ذلك كله عنه اتمَّ قبول ، وتصدى للمشيخة بالأخذ عنه والاذن لمن يرى ، قال حتى رايته يلقن تجاه الكعبة المشرفة ويولي ويعزل ، والله يتولَّى توفيقه بمنه وحفظه انتهى .

وله من رسالة رضي الله عنه لفقراء العدوتين : وقد منَّ الله علينا بفضله بزيارة القطب مولانا عبد السلام ابن مشيش وغيره من رجال المغرب رضي الله عنهم ، ودعونا لكم بمثل ما دعونا به لأنفسنا الخ .

وقال في الروضة ايضاً : وقد بلغني خبر وفاة الشيخ سيدي يوسف المذكور سنة سبع بتوسط الموحدة وتسعين بتقديم المثناة ومئة والف وأنا بفاس ، فصدرتْ مني ابيات في رثائه ختمتُها بتاريخ وفاته ، ونصها :

قضى الله امراً كان في لوح قدرتــه — وهل امره الاَّ على وفق حكمتـــــه
فصبراً لخطب ما اصبنا بمثلـــــه — ويُحمد صبرُ المرء في وقت صدمته
وماذا عسى يغني التلهف حيث لا — غنى لامرىء عن الوقوع بحفرتـــه
بكينا وابكينا لفقد ابن ناصـــــر — ولم يغن فينا عن دم نهر عبرتـــــه
فلله ما لاقيت ســاعـة نـعـيـــه — وما زلت القى ما حييتُ لفرقــتـه
ايوسف سامي الدين يقفو محمــدا — عليه السلام والقيــام لسنتـــــــه
جهاراً واسراراً وفي القول تـــــارة — وفي الفعل اخرى بل وفي كل وجهته
الى أن تجلت شمسها فيه باطنـــاً — وانوارها تبدو بظاهــر حكمتـــــه
ومَن ينفق الأوقات في ذكر ربــه — ويستفرغ المجهود في شكر نعمته

ومَن لعباد الله يرشدهم الى | طريق موصل الى باب جنته
سلكت بهم في مسلك الخير جارياً | على سنن الأسلاف اهل محبته
جزيت من الرحمان جلّ جلالُه | بأفضل ما يجزي به اهل ملته
واذ غبت عنا غاب بعدك عقلُهم | فكل يهيم اليوم في وادي حسرته
وسرت وتاريخي لموتك منشل | ولا بد ان تحلّ ابوابُ رحمته

انتهى .

وكانت ولاية امر الزاوية للمترجم بعد وفاة جعفر بن موسى الناصري سنة سبع وخمسين ومئة والف ، وهو كان تولى الزاوية بعد وفاة والده موسى سنة 1142 ولما توفي المترجم ولي امر الزاوية بعده ولده الشيخ علي بن يوسف كما في (طلعة المشتري) واصله لولد المترجم سليمان في كتابه الذي سماه (اتحاف الخل المعاصر ، بأسانيد يوسف بن محمد ابن ناصر) ، وهو في نحو ثلاث كراريس عندي .

وقال جامع فهرسته سيدي محمد بن ابي بكر الناصري ، قال سيدي يوسف بن محمد الناصري في فهرسته : صافحنا شيخنا العارف بالله سيدي محمد بن عبد السلام بناني الفاسي رحمه الله وامتعه برضاه واخذنا عنه الطريقة ، كما صافحنا ايضاً العلامة الأوحد سيدي محمد بن الطيب الفاسي ايضاً الأول بداره بفاس ، والثاني بالمدينة المنورة على ساكنها افضل الصلاة والسلام ، كلاهما قال : صافحت الشيخ الأوحد السيد احمد بن محمد الناصري ، وهو رضي الله عنه صافح والده سيدي محمد بن محمد بن احمد بن الحسين بن محمد بن ناصر ، واخذ عنه ، وكتب الأول له بخط يده واجازه ، وهو سيدي محمد بن عبد السلام بناني اجازة نصُّها :

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى ءاله وصحبه وسلم

وبعد ، فان الشيخ الامام ، قدوة الأنام ، الهادي المهتدي ، المربي الرباني ذا المناقب والمئاثر ، سيدي احمد ..... عن الشيخ سيدي محمد ابن

ناصر قد اخذت عنه احاديث كثيرة واسمعني من لفظه رضي الله عنه اكثر ما .... وصافحني وشابكني ولقنني الذكر وناولني سبحتَه واذن لي في ذلك كله ، كما اذن له فيه شيخه والده رضي الله عنه الشيخ سيدي محمد ، وبالاذن المذكور اذنت لقيم الزاوية الأنصح الأفلح ، سيدي يوسف بن سيدي محمد اخ الشيخ سيدي احمد المذكور رضي الله عنه ، كما لقنته لمن يروم الدخول في ربقته ، ويسلك نهجه وسنته ، والله تعالى يسلك بنا سبيل هداهم ، ويميتنا على حسن الخاتمة بمنه ، وءاخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

وكتب عبد ربه : محمد بن عبد السلام بناني ، وبأني اذنت له ايده الله ان يأذن في التلقين المذكور لمن يراه اهلا لذلك ومستحقا له ، قاله كاتبه غفر الله له مكررا شكله انتهى .

واصله في (اتحاف الخل المعاصر) المذكور ، جمعها له صهره العلامة سيدي المقداد بن الحسين المتوفى سنة تسع وثمانين ومئة والف ، وقد اوردها كلها هناك ، ونقل عن الشيخ مرتضى الزبيدي ما نصه : بيان مشايخ القطب الكامل سيدي يوسف بن محمد بن محمد بن ناصر الدرعي نفعنا الله به : محمد بن عبد السلام بناني ، محمد بن الطيب بن محمد الفاسي ، موسى بن محمد بن ناصر ، المجذوب احمد بن ابراهيم بن محمد السباعي الدرعي ، محمد بن عبد الله بن احمد الوركدمتي ، احمد بن عبد العزيز الهلالي ، احمد بن مصطفى الصباغ ، محمد بن سالم الحفني ، احمد بن محمد بن عبد الله الورزازي دفين تطاون ، محمد بن محمد بن عبد الله الورزازي ، جملتهم اثنا عشر شيخاً ، فأخذ اخوه موسى وابن الطيب والبناني واحمد الورزازي واحمد السباعي والوركدمتي الخمسة عن عمه القطب احمد بن محمد بن ناصر عن ولده القطب محمد بن ناصر والصفي القشاشي وابي سالم العياشي فأخذ عنهم الا الحافظ القشاشي عن البابلي ، ويأخذ السباعي عن ابيه ، واحمد الورزازي عن عمه محمد الصغير بن عبد الله بن الحسين الورزازي دفين مصر ، واحمد الورزازي عن احمد بن مبارك الفيلالي ، ويأخذ محمد الورزازي عن المحوجب البناني وميـارة الصغير والقسمطيني ومحمد ابن زكـري ومحمد

بردلة ، وكتب ابو السعي محمد المرتضى الحسيني الواسطي العراقي نزيل مصر حامداً لله ومُصلياً ومسلماً ومستغفره انتهى .

ثم نقل من خط العلامة سيدي محمد المكي الناصري في بيان اسماء اشياخ المترجم الشيخ احمد الحبيب اللمطي والشيخ احمد بن عبد الله الغربي ، ومن المشارقة الشيخ احمد العماري ، والشيخ احمد الدمنهوري ، والشيخ يوسف افندي ، والشيخ علي الشعراوي والشيخ عبد الوهاب الشافعي ، والشيخ الأسكندراني رضي الله عنهم ، انتهى .

وتقدمت ترجمة سيدي احمد بن ناصر ، وسيدي احمد الحبيب ، واحمد الورزازي ، واحمد بن عبد الله الغربي ، ومحمد الصغير الورزازي ، وسيدي موسى الناصري ، وتقدم ذكر العماري والأسكندري في ترجمة سيدي محمد بن احمد الحضيكي ، وكذلك الهلالي .

وذكر سيدي محمد بن عبد السلام الناصري في رحلته انه لما اراد الحج خرج لوداعهم من الزاوية الناصرية عام 1196 عم والده الشيخ الامام سيدنا يوسف بن محمد بن محمد بن ناصر ، ثم ذكر ان الشيخ علي امام مقام الحنابلة ومفتي مذهبه بحث عن المؤلف حتى اجتمع به تجاه الحجر بقرب دار الندوة ، وقد صاحب معه ضيافة تقبل الله منه ، واخبره انه كان اخذاً لعهد الناصري من عمه الشيخ يوسف بن محمد طيب الله ثراه لما حجَّ سنة احدى وستين ، ثم ذكر عند الكلام على مَن لقي بالمدينة المنورة ان المسن البركة علي بن محمد الشرواني الحنفي اخذ العهدَ الناصري من عمه الشيخ يوسف ، ثم ذكر فيها ان من اشياخه سيدي محمد بن ابراهيم المصلحي الضرير الشافعي تلميذ الشيخ الصباغ الاسكندري ، حدث ان الصباغ قال له ذاتَ يوم اقدم الينا يوم الخميس نجتمعْ بالشيخ يوسف بن محمد بن محمد ابن ناصر ، وكان ذلك سنة اثنتين وستين قفوله من الحرمين ، قال فاتفق ان جعل الشيخ يدرس بالأزهر متنَ خليل في قوله : ومن بادر اخرج له الآخر في النكاح ، ويرددها مراراً حتى سقط من ذلك مغشياً عليه ، فحمل

بداره فهلك يوم الخميس الذي وقع الوعد به ، قال فما هو الا ان بلغني النعي فذهبت نحو داره فوجدت الشيخ يوسف قد سبقني فلم يقع اجتماعي به الا على جنازة الشيخ رحمه الله ، وأوصى ان يتولى الصلاة عليه يوسف ففعل ، ثم ذكر انهم تراءت لهم سجلماسة في ضحى التاسع والعشرين من شعبان عام سبعة وتسعين ومئة والف ، فلما انشق جوف الليل الا برجل من اعراب بني محمد جاء يخبر انه قدم من بلادنا درعة وترك عمنا الشيخ يوسف بن محمد بن محمد بن ناصر مريضاً مشرفاً على الهلاك ، فما اتمّ خبره حتى جاء ءاخر يخبر انه حضر في هذا اليوم بزاوية الشيخ الامام الغازي حتى جاءت بينة رسالة من الزاوية الناصرية تخبر بلقاء ربه في ءاخر الثلث الأخير من ليلة الجمعة السادس والعشرين من شعبان ، فلا حول ولا قوة الا بالله ، انتهى .

وذكر ولده سليمان ان سفر حجة والده مبدؤه سنة اثنتين وستين ومئة والف ، وذكر نص اجازة سيدي محمد بن الطيب الفاسي للمترجم ، ومنها انه سمع منه في الروضة النبوية على صاحبها افضل الصلاة والسلام الحديثَ المسلسلَ بالأولية يوم الجمعة ثامن محرم 1163 ، وذكر الشيخ السنوسي سيدي محمد بن علي في فهرسته (المنهل الروي الرائق ، في اسانيد العلوم واصول الطرائق) ان سيدي يوسف الناصري اخذ عنه الطريقة الناصرية ابنُ اخيه سيدي محمد بن عبد السلام ، وهو اخذها عن سيدي محمد بن عبد السلام بناني ، وسيدي موسى بن محمد الناصري ، وسيدي ابراهيم ابن ادريس الحسني ، والثلاثة عن سيدي احمد بن محمد بن ناصر ، عن والده سيدي محمد بن ناصر الدرعي ، وقد تلقاها من ابن عبد السلام المذكور ولده سيدي محمد ملقنها للسنوسي المذكور ، ومن اشياخ ابن عبد السلام الناصري الشيخ جسوس ايضاً انتهى .

وتقدم في ترجمة سيدي محمد ابن الحاج العباس بن الحسن بن محمد بنيس ان المترجم دخل مراكش ، وممن ذكر ان المترجم اخذ عن عمه سيدي احمد ، محمد بن العباس بن ياسين في فهرسته المتقدم الترجمة ، وصاحب سلك الدرر ، راجع ترجمة محمد بن علي الشرواني اثناء حرف الميم منه ،

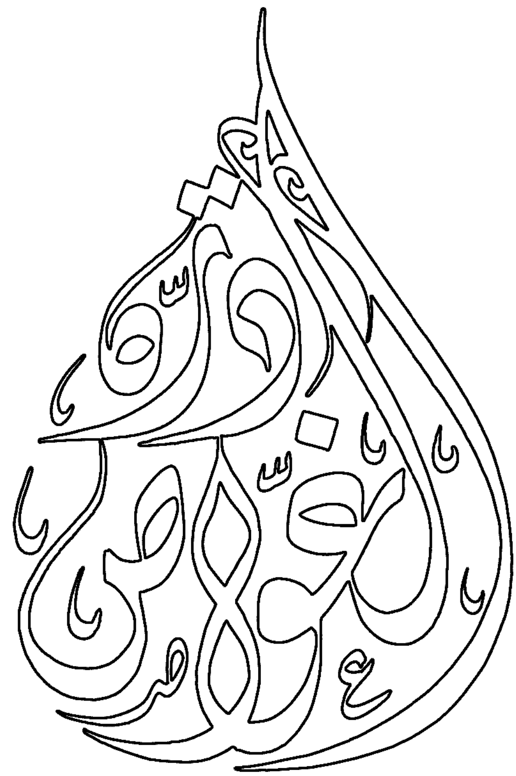
وراجع ءاخر فهرسة الأمير ، وممن اخذ عنه وذكره في فهرسته تلميذه المسند يحيى السوسي الجراري في (ضوء المصباح ، في الأسانيد الصحاح) وهو الشيخ الخامس عشر فيها ، وهو ءاخرهم ، وهي في نحو كراسين من القالب الكبير .

وذكر في (الروضة المقصودة) ان الشيخ التاودي كان يلقن الطريقة الناصرية عن روحانية سيدي احمد بن ناصر بواسطة محمد التوزيني ، ثم اذن له في التلقين سيدي يوسف وسيدي عبد الله الناصريان ، ويزيد في اولها لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، مئة مرة ، سبحان الله وبحمده مئة مرة ، يأتي بعد بالورد كما هو معروف.

وليكن هذا ءاخر ما اوردنا في كتابنا (الاعلام ، بمَن حلّ مراكش واغمات من الاعلام) ، مفتتحاً رجاله بعارف معروف ، وهو الامام احمد ابن العريف ، ومختتماً بعارف ، وهو الامام الأستاذ يوسف الناصري العفيف ، رجاء ان تغمره المعرفة ويكون في حوز القبول والتشريف ، وان يجعله المولى لنا ذخراً نجده (يومَ تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا) ، فهو الجواد الرءوف ، وان يكون وافياً بالغرض الذي اليه قصدنا ، راجياً دعوة صالحة من المطلع عليه حيث قربنا عليه المقاصد ، وشحناه بالفوائد ، وسهرنا في جمعه الليالي الطوال لاقتناص الفرائد ، وقد تعبنا في جمعه كثيراً حيث طالعنا عليه كتبا كثيرة ببلاد متفرقة شرقاً وغرباً ، عجماً وعرباً ، والحمد لله اولا وءاخرا ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الأمين ، وعلى ءاله وصحبه الهادين المهتدين ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

ولله در الامام محمد المعروف بابن خميس المترجم في الضوء اللامع القائل في ترجمته : كتبت عنه قولــه :

تشاغل بالمولى رجــال فأصبحــت ... منازلهم تنمــو بمجد مــؤثـــــل
رجال لهم حــال مع الله صـــــادق ... فان لم تكن منهم ، بهــم فتوســل



كلمــة خــتــام

تمّ بعون الله وحسن توفيقه طبعُ الجزء العاشر من كتاب (الاعلام ، بمَن حلّ مراكش واغمات من الأعلام) ، فتمّ بذلك طبعُ جميع اجــزاء الكتاب ، وتحققتْ رغبةُ الآمر بطبعه ، عالم الملوك وملك العلماء ، صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني ، اعزّ الله امره ، وخلّد في الصالحات ذكــره .

وخلال الاحدى عشرة سنة الماضية ـ من يوم صدر الي الأمر الملكي بالاهتمام بالكتاب الى يومنا هذا ـ واظبت على اعداده للطبع ، فأخرجته من مسودته بالرقن اولا ، ثم اعدتُ ترتيب تراجم اجزائه الخمسة الأولى التي كانت قد طبعت بفاس وتراجم اجزائه الخمسة الأخرى التي لم تكن طبعت ، وضممت شتات التراجم التي تكررت ، بذكرها مرة تحت الاسم الحقيقي ومرة تحت الكنية واخرى تحت الشهرة والنسب ، واخيراً حققت النصوص قبل ارسالها الى المطبعة ، ولمْ اغيرْ صورةَ الكتاب ولا زدت فيه ولا نقصت ، الا ترتيب التراجم ، وحذف الكنى التي تحدث ارتباكاً في ذهن القارىء وتجعله غير متأكد من الأسماء الحقيقية للمكنين بها ، فهده لم ابق منها الا كنية مَن لم اتأكد من اسمه ، او الكنية التي فاقتِ شهرتُها شهرة الاسم الحقيقي حتى اصبح المكنّى بها لا يعرف الا بها .

وعندما اقول تحقيق الكتاب لا ادعي انني تتبعتُ كل ما ورد فيه من قضايا ومسائل وآراء ترجع الى العقيدة او الفقه او الآداب والعلوم ، انني لو فعلت ذلك لأصبح الكتــاب كشرح من شــروح الكتب الفقهيــة واقتضت شروحي له حواشي وتعاليق ، ولاستغرق طبعه ضعف المدة التي تمّ فيها طبعُه ، وانما اعني بالتحقيق تحرير الكتاب من اخطائه وتقويم ما اعوجّ من عباراته ، بمقابلة نصوصه بالأصول التي نقل منها المؤلف مع الاشارة اليها في آخر كل نص او آخر كل ترجمة ، مكتفياً بشرح بعض الألفاظ والعبارات الغريبة ، عربية واعجمية ومحلية ، ولا اخفي انني تركت على حاله كلّ ما لم اهتد الى حل رموزه ، اما لعدم الوقوف على الأصول المنقول منها ، واما لوجود طمس او اضطراب في الأصول نفسها ، كما هو الحال بالنسبة للجزء

الثامن من كتاب الذيل والتكملة الذي خصصه ابن عبد الملك للغرباء الذين وفدوا على الأندلس والذي طمست الرطوبة طرفاً مهماً مما فيه من شعر ونثر وخبر ، ومن حسن الحظ ان عدد الكتب التي لم اقف عليها او التي وقفت عليها ممزقة او مبتورة او مطموسة ـ ليس بالكثير .

وقد امكنني ـ من خلال المتابعة الرتيبة لتراجم الكتاب ـ ان اكتشف ان المؤلف ليس له من التأليف الا الاسم ، فجل ما في كتابه منقول من كتب اخرى نقلا كليا او جزئياً ، واحياناً من غير تسلسل منطقي ولا انتقاء ، وكان اشد ما يؤلمني ان المؤلف ـ او الناقل ـ لا ينسب ما ينقل الى اصحابه ، بل يتركه غفلا موهماً انه من وحي فكره وعمل قلمه ، بل انه كان يعمد احياناً الى ترجمة منقولة فيشطرها شطرين ، شطر اول يثبته كأنه من عمله ، وشطر ثاني بنسبه الى الكتاب المنقول منه او الى مؤلفه ، مع ان الشطرين كليْهما ليسا له .

كما امكنني ايضاً ان اتبين من خلال تحقيقي للكتاب ميزاته وحسناته ، اطلع ايضاً على سوءاته وسيئاته ، فالكتاب من جهة عامر بالأخبار ، مليء الفوائد ، لا يستغني عنه اي انسان يريد ان يكتب شيئاً عن المغرب لا عن اكش وحدها ، وهو ـ من جهة اخرى ـ جونة خرافات ، وعيبةُ ترهات ، وفيه ستطرادات عقيمة سقيمة تشحن النفس سأماً وتبعث على الغثيان ، المؤلف يوردها في صور مناقب وكرامات ، وما هي في الحقيقة الا غوايات ضلالات يرفضها العقل السليم كما ينكرها الاسلام الصحيح ، ! جرم ان الهالات التي احيط بها بعض مشاهير الرجال ـ اولياء وغير اولياء ـ تندثر وتزول عند ما يقرأ الانسان تراجم مثل تراجم محمد بن سليمان جزولي وعبد العزيز التباع ويوسف المبتلى ، وحتى ترجمة يوسف (ابي محاسن) الفاسي ، اذ المرء لا يدري أهو يقرأ اخبار (اعلام) عقلاء صالحين مصلحين او يقرأ اخبار مجانين وحشاشين ومعوقين ومصابين بالأمراض تناسلية ، ولا جدوى من ان يدافع احد" بأن اثبات تلك الخوارق يفيد في فة حالة الفكر والتفكير في المغرب في عصر من العصور ، اذ يكفي انها اثبتت كتب الفت في ازمنة غابرة ، ولا داعي لأن يثبتها عالم اشتهر عنه انه ذكي طور في كتاب يؤلفه في القرن العشرين .

ويلاحظ ايضا ان المؤلف عرف في الكتاب بأناس لم يثبت لهم (حلول) بمراكش ولا بأغمات ، بل عرف بأناس لا تثبت لهم مغربية بالمرة ، كما انه اغفل قوماً آخرين دخلوا مراكش واغمات ، ومنهم من تولى في الأولى منصباً جليلا قد يصل الى درجة الملك ، واذا كنا نعذر المؤلف في اغفال مَن لم يقف على مراجع ينقل منها اخبارهم ساعة تأليفه وجمعه للكتاب فكيف نعذره في اغفال تراجم رجال آخرين عاصرهم وخدم معهم ، كالملوك الاخوة الثلاثة : السلطان مولاي عبد العزيز ، والسلطان مولاي عبد الحفيظ ، والسلطان مولاي يوسف ، دع عنك من هم دونهم منصباً وقدراً كالوزراء والحجاب والكتاب .

وكيفما كان الأمر ، فان القاضي العباس بن ابراهيم السملالي ، مؤلف الكتاب ، يبقى له فضل" كبير على مراكش خصوصاً والمغرب عموماً ، لتعلق همته بتأليف هذا الكتاب الذي سهر لجمع شتاته الليالي وبذل في تأليف مادته الأموال ، وقد انفق مما عنده ، وما عنده ليس بالغث ولا بالمهين ، وليت قوماً آخرين ممن هم في مثل تكوينه وتفكيره فعلوا مثل الذي فعل بالنسبة لمدنهم وقراهم وقبائلهم ، فعرفوا برجالهـا ، وسجلوا وقائعها واخبارهـا ، ووصفوا معالمها وآثارها ، ودونوا فنونها وآدابها ، اذن لدفعوا عن المغرب تهمةَ اهمال الرجال التي وُصِمَ بها ، ولوفروا على الأجيال المقبلة من الباحثين كثيراً من النصب والعناء .

وختاماً استسمح القارىء فيما يجده ــ وهو ليس بالكثير ــ في اجزاء هذا الكتاب العشرة من اخطاء مطبعية ، راجياً منه اصلاحها ومؤملا ان ينبهني الى ما استعصى علي اصلاحه او تقويمه منها .

والله يهدي مَن يشاء الى صراط مستقيم .

الرباط يوم السبت { 5 صفر 1404 هـ
11 نونبر 1983 م }

عبد الوهاب بن منصور



فهرس

الجزء العاشر

من كتاب الاعلام ، بمن حلّ مراكش واغمات من الأعلام

حـــرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف السين

الصفحة

الصفحة

حرف الشين

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

الصفحة

الصفحة

الصفحة

تحت الطبع

انبعاث امة
الجزء الثامن والعشرون

الوثائق
المجموعة السادسة

اعلام المغرب العربي
تأليف
عبد الوهاب ابن منصور
الجزء الثالث

تازة
جغرافياً وتاريخياً وسياحياً
تأليف
الطيب العلوي

مشروع دستور للمغرب
1326 هـ ــ 1908 م